حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّى والجلال السيُّوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمّد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصريّة

حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّى والجلال السّيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الأول

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمّد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصريّة

دار الجيل

بيروت

خطبة صاحب الحاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل الفرقان مصدّقا لما بين يديه هدى و بشرى للمتقين ، قرآنا عربيا غير ذى عوج موعظة وذكرى للمؤمنين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة ندخل بها الفردوس آمنين ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الصادق الأمين ، المنزل عليه الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أوتوا العلم درجات .

وبعد ، فيقول العبد الفقير الذليل «أحمد بن محمد الصاوى المالكى الخلوتى» : لما كان علم التفسير أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا إذ هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ، ومبنى قواعد الشرع وأساسها ، وكان كتاب الجلالين من أجلّ كتب التفسير ، وأجمع على الاعتناء به الجمّ الغفير من أهل البصائر والتنوير ، وجاءنى الداعى الإلهى بقراءته فاشتغلت به على حسب عجزى ووضعت عليه كتابة ماخصة من حاشية شيخنا العلامة المحقق المدقق الورع الشيخ «سليمان الجمل» مع زوائد وفوائد فتح بها مولانا من نور كتابه ، وإنما اقتصرت على تلخيص تلك الحاشية لكونى وجدتها ماخصة من جميع كتب التفسير التى بأيدينا تنسب لنحو عشرين كتابا : منها البيضاوى وحواشيه وحواشى هذا الكتاب . ومنها الخازن والخطيب والسمين وأبو السعود والكواشى والبحر والنهر والساقية والقرطبى والكشاف وابن عطية والتحبير والاتقان ، ولم أنسب العبارات لأصحابها غالبا اكتفاء بنسبة الأصل ، والله على ماأقول وكيل وهو حسبى وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

وقد تلقيت هذا الكتاب من أوله إلى آخره مرتين عن العلامة الصوفى سيدى الشيخ سليمان الجمل وعن الامام أبى البركات العارف بالله تعالى أستاذنا الشيخ أحمد الدردير وعن أستاذنا العلامة الشيخ الأمير ، وكل من هؤلاء الأئمة تلقاه عن تاج العارفين شمس الدين سيدى محمد بن سالم الحفناوى ، وعن الامام أبى الحسن سيدى الشيخ على الصعيدى العدوى ، والشيخ الحفناوى تلقاه عن العلامة سيدى محمد بن محمد البديرى الدمياطى الشهير بابن الميت ، وهو عن نور الدين سيدى علىّ الشبراملسى ، وهو عن الشيخ الحلبى صاحب السيرة ، وهو عن خاتمة المحققين سيدى علىّ الأجهورى ، وهو عن البرهان العلقمى ، وهو عن أخيه شمس الدين محمد العلقمى ، عن الجلال عبد الرحمن السيوطى . وأما سندنا للجلال المحلى فهو بعينه إلى الامام الحلبى ، وهو عن الامام الزيادى عن الشيخ الرملى ، وهو عن شيخ الاسلام زكريا الأنصارى عن الجلال محمد بن أحمد المحلى ، رضى الله عنهم ونفعنا بهم . ولد السيوطى سنة ثمانمائة وتسع وأربعين وتوفى سنة تسعمائة وثلاث عشرة ، فعاش أربعا وستين .

مقـــدمة

ينبغى لكل شارع فى فنّ أن يعرف مبادئه العشرة ليكون على بصيرة فيه ، وهى : حدّه وموضوعه وواضعه واستمداده واسمه وحكمه ومسائله ونسبته وفائدته وغايته ، فحدّ هذا الفن علم بأصول يعرف بها معانى كلام الله على حسب الطاقة البشرية ، وأما معناه لغة فمأخوذ من الفسر وهو الكشف ، وموضوعه آيات القرآن من حيث فهم معانيها ، وواضعه الراسخون فى العلم من عهد النبى إلى هنا على التحقيق كما شهد الله بذلك ، واستمداده من الكتاب والسنة والآثار والفصحاء من العرب العرباء ، واسمه : علم التفسير ، وحكمه : الوجوب الكفائى ، ومسائله : قضاياه من حيث الأمر والنهى والموعظة إلى غير ذلك ، ونسبته : أنه أفضل العلوم الشرعية وأصلها ، وفائدته المعرفة بمعانى كلام الله على الوجه الأكمل ، وغايته : الفوز بسعادة الدارين أما الدنيا فبامتثال الأوامر واجتناب النواهى ، وأما الآخرة فبالجنة ونعيمها ولذلك يقال له اقرأ وارق .

واعلم أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى مكان يقال له بيت العزة على هذا الترتيب الذى نقرؤه فانه توقيفى ، ثم نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع لقوله تعالى ـ ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ـ لكن لاعلى هذا الترتيب فانه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة أى قبل الهجرة ، وبالمدينة

إحدى وثلاثون على التحقيق ، فأول مانزل بمكة اقرأ وآخر مانزل بها قيل العنكبوت وقيل المؤمنون وقيل ويل للمطففين وأول سورة نزلت بالمدينة البقرة وآخر سورة نزلت بها المائدة وهناك بعض سور اختلف فيها منها الفاتحة ويمكن تكرار نزولها . وأما أول آية نزلت على الاطلاق فاقرأ باسم ربك وآخر آية على الاطلاق ـ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ـ . واعلم أيضا أن القرآن ينقسم إلى أربعة أقسام : قسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمسة وعشرون سورة ، وقسم فيه المنسوخ فقط وهو أربعون سورة ، وقسم فيه الناسخ فقط وهو ست سور ، وقسم لاناسخ فيه ولامنسوخ وهوثلاث وأربعون سورة وأغلبها من الربع الأخير ، وعدة حروف القرآن ألف ألف ألف وخمسة وعشرون ألفا ودرج الجنة على قدر ذلك وبين الدرجتين خمسمائة عام ، وعدة آياته ستة آلاف وستمائة وستة وستون ، ونصفه بحسب الآيات قوله تعالى في سورة الشعراء ـ فألقى موسى عصاه فاذا هي تلقف مايأفكون ـ ، ونصفه بحسب الحروف قوله تعالى ـ لقد جئت شيئا نكرا ـ فالنون من النصف الأول والكاف من الثاني ، ونصفه بحسب السور الحديد والمجادلة من النصف الثاني ، وعدة كلماته سبعة وسبعون ألفا وأربعمائة وخمسون كلمة وكل كلمة لها أربعة علوم : علم بحسب ظاهرها وعلم بحسب باطنها وعلم بحسب حدها وعلم بحسب مقطعها ، وإن نظرت إلى تناسبها مع ماقبلها ومابعدها زادت كثيرا ، وترتيب السور هكذا توقيفي . وأما وضع أسمائها في المصاحف وتقسيمها إلى أعشار وأرباع وأثلاث وأجزاء وأحزاب فمن الحجاج الثقفي بأخذ عن الصحابة في وضع أسماء السور وباجتهاد منه في تقسيمه إلى ماذكر ولذلك تجد ابتداء الربع وسط قصة (قوله الحمد لله الخ) افتتح رحمه الله كتابه بهذه الصيغة لأنها أفضل المحامد كما ورد وهي مقتبسة من قوله صلى الله عليه وسلم « الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده » وقد غير المصنف الحديث بعض تغيير وهو مغتفر في الاقتباس (قوله موافيا لنعمه) أي مقابلا لها بحيث يكون بقدرها فلاتقع نعمة إلامقابلة بهذا الحمد وهذا على سبيل المبالغة بحسب مارجاه وإلافكل نعمة تحتاج لحمد مستقل (٣) (قوله مكافئا لمزيده) أي مماثلا ومساويا له والمزيد مصدر ميمي من زاده الله النعم والزيادة النمو وبابه باع ويستعمل متعديا ولازما يقال زاده الله خيرا وزاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه مكافئاً لمزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وآله وصحبه وجنوده . هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم ،

الشيء ، والمعنى أنه ترجى أن يكون الحمد الذي أتى به موفيا بحق النعم الحاصلة بالفعل ومايزيد منها في المستقبل (قوله على محمد) في نسخة على سيدنا محمد وعليها فعطف وآله ومابعده على سيدنا لاعلى محمد لما يلزم عليه من إبدال محمد وماعطف عليه من السيد وهو في نفس الأمر محمد فقط (قوله وجنوده) جمع جند اسم جنس جمعي يفرق بينه وبين واحده بالياء على خلاف الغالب فالياء في المفرد ، والمراد بجنده كل من يعين على الدين بالقتال في سبيل الله أو بتقرير العلم وضبطه أو بتعمير المساجد أو بغير ذلك من عصره صلى الله عليه وسلم إلى آخرالزمان (قوله هذا) هي بمنزلة أما بعد وبمنزلة أيضا في أن كلا منهما اقتضاب مشوب بتخلص لأن الكلام الثاني وهو المقصود منقطع عن الكلام الأول الذي هو الخطبة لكن فيه نوع مناسبة من حيث إن سبب التأليف والمقصود أمر ذو بال وقد ندب الشارع للابتداء فيه بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي فحصلت المناسبة ولكنها ليست كافية وآثرها على أما بعد وإن كانت الواردة لاختصارها واسم الاشارة عائد إما على المعاني أوالألفاظ أوالنقوش أوالمعاني والألفاظ أوالنقوش والمعاني أوالنقوش والألفاظ أوالثلاثة احتمالات سبعة المختار منها عوده على المعاني المستحضرة ذهنا سواء قلنا إن الخطبة متقدمة على التأليف أومتأخرة وفي الكلام استعارة تصريحية أصلية حيث شبه المعقول بالمحسوس واستعار اسم المشبه به وهو اسم الاشارة للمشبه (قوله مااشتدت) ماواقعة على المعاني الذهنية كما هوالمختار من الاحتمالات المتقدمة وعبر باشتدت دون دعت إشارة إلى أن حاجتهم بلغت حد الضرورة لمزيد احتياجهم إلى هذه التكملة وذلك أن تفسير النصف الثاني قد احتوى على المعنى العزيز وانطوى على اللفظ الوجيز فلم ينسج أحد على منواله (قوله الراغبين) أي المحبين والمريدين لتكميل هذا الكتاب بالتأليف وتستعمل الرغبة متعدية بنفسها وبفي في المحبة والميل ومتعدية بعن للزهد في شيء والكراهية له (قوله تفسير القرآن) المراد منه مايعم التأويل ، والفرق بينهما أن التفسير هوالتوضيح لكلام الله أو رسوله أوالآثارأوالقواعد الأدبية العقلية . وأما التأويل فهو أن يكون الكلام محتملا لمعان فتقصره على بعضها كما في ـ ويبقى وجه ربك ـ والقرآن

فى اللغة مأخوذ من القرء وهو الجمع وفى الاصطلاح اللفظ المنزل على النبىّ صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته ووصفه بالكريم لأن نفعه ليس قاصرا بل عمّ الخلق جميعا فى الدنيا والآخرة . واعلم أن المدرسين وان تباينت مراتبهم فى العلم ثلاثة أصناف : الأول من إذا درس آية اقتصر على مافيها من المنقول وأقوال المفسرين وأسباب النزول والمناسبة وأوجه الإعراب ومعانى الحروف . والثانى من يأخذ فى وجوه الاستنباط منها ويستعمل فكره بمقدار ما آتاه الله من الفهم ولايشتغل بأقوال السابقين اعتمادا على كونها موجودة فى بطون الأوراق لامعنى لذكرها . والثالث من يرى الجمع بين الأمرين والتحلى بالوصفين ولايخفى أنه أرفع الأصناف ومن هذا الصنف الجلال المحلى والجلال السيوطى رضى الله عنهما وعنابهما (قوله الذى ألفه) صفة للتفسير مخصصة له (قوله الامام) هو لغة المقدم واصطلاحا من بلغ رتبة أهل الفضل (قوله العلامة) مبالغة فى العلم ومعناه الجامع بين المعقول والمنقول بأبلغ وجه (قوله المحقق) أى الآتى بأدلة على الوجه الحق (قوله جلال الدين) لقب له ومعناه ذوجلالة فى الدين أو مجلّ ومعظم له لأنه شيده وأظهر فوائده (قوله محمد) هو اسمه وقوله ابن أحمد هو اسم أبيه (قوله المحلى) بفتح الحاء نسبة للمحلة الكبرى مدينة من مدن مصر مشهورة ، ولد سنة سبعمائة و إحدى وتسعين وتوفى سنة ثمانمائة وأربعة وستين فعمره ثلاث وسبعون وقبره قبالة باب النصر مشهور (قوله الشافعى) نسبة للامام أبى عبدالله محمد بن إدريس (قوله وتميم) بالرفع عطف على ما فى قوله مااشتدت إليه حاجة الراغبين أو بالجر عطف على قوله فى تكملة تفسير القرآن وذكره وإن علم مما قبله توطئة للأوصاف التى ذكرها بقوله على نمطه الخ وفى التعبير بالتتميم تسمح من حيث إن ما أتى به السيوطى تميم لما أتى به المحلى لا لما فاته إذ الذى فاته هو نفس ماأتى به السيوطى وقوله وهو من أول الخ الضمير راجع لما فاته أو للتتميم لما علمت أن ما فاته والتتميم مصدوقهما واحد وهو تفسير السيوطى وقوله من أول

سورة البقرة الخ أى وأما الفاتحة ففسرها المحلى فجعلها السيوطى فى آخر تفسير المحلى لتكون منضمة لتفسيره وابتدأ هو من أول البقرة (قوله بتتمة) متعلق بتتميم والباء بمعنى مع أى هذا التتميم الذى أتى به السيوطى تفسيرا للنصف الأول مصاحب لتتمة والمراد بها ماذكره بعد فراغه من سورة الاسراء بقوله

الذى ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلى الشافعى رحمه الله ، وتميم ما فاته ، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى ، والاعتماد على أرجح الأقوال ، و إعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف ، وتعبير وجيز ، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية ، وأعاريب محلها كتب العربية ، والله أسأل النفع به فى الدنيا ، وأحسن الجزاء عليه فى العقبى بمنه وكرمه .

سورة

هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الخ (قوله على نمطه) حال من التتميم أى حال كون هذا التتميم كائنا على نمط تفسير المحلى أى طريقته وأسلوبه (قوله من ذكر مايفهم الخ) بيان للنمط (قوله والاعتماد) بالجر عطف على ذكر أى والاقتصار على أرجح الأقوال وكذا قوله و إعراب وتنبيه الخ (قوله وتنبيه الخ) نكر هذا المصدر دون ماقبله إشارة إلى قلة التنبيه المذكور وأنه لم ينبه على جميع القراءات المختلفة (قوله المختلفة) أى المتنوعة وتنوعها من سبعة أوجه لأنه إما من حيث الشكل فقط كالبخل والبخل قرئ بهما والمعنى واحد و إما حيث المعنى فقط نحو ـ فتلقى آدم من ربه كلمات ـ برفع آدم ونصب كلمات وعكسه قرئ بهما أيضا . و إما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف واحدة نحو تبلو كل نفس وتتلو قرئ بهما وصورة الباء والتاء واحدة بقطع النظر عن النقط ، و إما أن يكون الاختلاف فى صورة الحرف لافى المعنى كسراط وصراط ، و إما من حيث اللفظ والمعنى وصورة الحرف نحو فاسعوا وامضوا قرئ بهما ، و إما من حيث الزيادة والنقص كأوصى ووصى ، و إما من حيث التقديم والتأخير كيقتلون ويقتلون بتقديم المبنى للفاعل على المبنى للمفعول وبالعكس (قوله على وجه لطيف) متعلق بالمصادر الأربعة قبله ، والمراد باللطيف هنا القصير فعطف قوله وتعبير وجيز للتفسير (قوله وترك التطويل) معطوف على وجه لطيف وهو تصريح بما علم من قوله وتعبير وجيز إذ يلزم من كونه وجيزا أن لايكون طويلا (قوله بذكر أقوال) متعلق بتطويل وقوله غير مرضية أى عند المفسرين وقوله وأعاريب معطوف على أقوال (قوله والله أسأل النفع به) أى بالتتميم المذكور (قوله بمنه وكرمه) الباء فيه للتوسل أى أتوسل إليه بصفتيه العظيمتين وهما منه الذى هو تفضله على عباده بالعطايا وكرمه الذى هو إيصال فضله للبارّ والفاجر .

(قوله سورة البقرة الخ) مبتدأ ومدنية خبر أول ومائتان الخ خبر ثان ويؤخذ من هذا أن تسميتها بما ذكر غير مكروه خلافا لمن قال بذلك وادعى أنه إنما يقال السورة التي تذكر فيها البقرة وأسماء السور توقيفية وكذا ترتيبها على التحقيق كما تقدم والسورة مأخوذة من سور البلد لارتفاع رتبتها وإحاطتها وهي طائفة من القرآن لها أول وآخر وترجمة باسم خاص بها بتوقيف كما سبق . والراجح أن المكي ما نزل قبل الهجرة ولو في غير مكة والمدني ما نزل بعد الهجرة ولو في غير المدينة (قوله وثمانون آية) قيل أصلها أيية قلبت عينها ألفا على غير قياس وهي في العرف طائفة من كلمات القرآن متميزة بفصل وقد تكون كلمة مثل والفجر والضحى والعصر وكذا الم وطه ويس ونحوها عند الكوفيين وغيرهم لا يسميها آيات بل يقول هي فواتح السور وعن أبي عمرو الداني لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى ـ مدهامتان ـ . [فائدة] قال ابن العربي سورة البقرة فيها ألف أمر وألف نهي وألف حكم وألف خبر أخذها بركة وتركها حسرة لا تستطيعها البطلة وهم السحرة إذا قرئت في بيت لم تدخله مردة الشياطين ثلاثة أيام اهـ وروى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» وعنه في رواية «لكل شيء سنام وسنام القرآن سورة البقرة» وفي رواية «سيدة آي القرآن آية الكرسي» [فائدة أخرى] في الكلام على الاستعاذة ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند مالك وأبي حنيفة والشافعي لقوله تعالى ـ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ـ وقال أحمد : الأولى أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم جمعا بين هذه الآية وآية فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم . وقال الثوري والأوزاعي الأولى أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم ، فاتفق الجمهور على أنه يستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ . وحكى عن عطاء وجوبها . وقال ابن سيرين إذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في إسقاط الوجوب ، ووقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور وحكى عن النخعي أنه بعد القراءة وهو قول داود وأحد الروايتين عن ابن سيرين

سورة البقرة مدنية مائتان وست أو سبع وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) الله أعلم بمراده بذلك ،

ومعنى أعوذ بالله ألتجئ إليه وأتحصن به مما أخشاه والشيطان أصله من شطن أي بعد عن الرحمة وقيل من شاط بمعنى احترق وهو اسم لكل عات من الجن والانس والرجيم فعيل بمعنى فاعل أي راجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول أي مرجوم بالشهب عند استراق السمع أو بالعذاب أو مطرود عن الرحمة والخيرات فحكمة الاستعاذة تطهير القلب من كل شيء يشغل عن الله تعالى فإن في تعوذ العبد بالله إقرارا بالعجز والضعف واعترافا بقدرة الباري وأنه الغني القادر على دفع المضرات وأن الشيطان عدو مبين وقد دخل منه في الحصن الحصين (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) اختلف الأئمة في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة فذهب الشافعي وجماعة من العلماء إلى أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في أولها سوى سورة براءة وقال به جماعة من الصحابة وذهب الأوزاعي ومالك وأبو حنيفة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة وزاد أبو داود ولا من غيرها من السور وإنما هي بعض آية في سورة النمل وإنما كتبت للفصل والتبرك . قال مالك ويكره استفتاح صلاة الفرض بها واختلفت الرواية عن أحمد في كونها من الفاتحة أولا . والأحسن أن يقدر متعلق الجار هنا قولوا لأن هذا المقام مقام تعليم صادر عن حضرة الرب تعالى (قوله الم) اعلم أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفا وهي نصف حروف الهجاء وقد تفرقت في تسع وعشرين سورة المبدوء بالألف واللام منها ثلاثة عشر وبالحاء والميم سبعة وبالطاء أربعة وبالكاف واحدة وبالياء واحدة وبالصاد واحدة وبالقاف واحدة وبالنون واحدة وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي وبعضها ثنائي وبعضها ثلاثي وبعضها رباعي وبعضها خماسي ولا تزيد (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بهذا إلى أرجح الأقوال في هذه الأحرف التي ابتدأ بها تلك السور وهو أنها من المتشابه جريا على مذهب السلف القائلين باختصاص الله تعالى بعلم المراد منه وعلى هذا فلا محل لها من الاعراب لأنه فرع إدراك المعنى فلا يحكم عليها باعراب ولا بناء ولا بتركيب مع عامل ومقابل هذا أقوال قيل إنها أسماء للسور التي ابتدئت بها ، وقيل أسماء للقرآن ، وقيل لله تعالى ، وقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه تعالى : أي جزء من اسم فالألف مفتاح لفظ الجلالة واللام مفتاح اسم لطيف والميم مفتاح لاسم مجيد وهكذا ، وقيل كل حرف منها يشير إلى نعمة من نعم الله ، وقيل إلى ملك ، وقيل إلى نبي ، وقيل الألف تشير إلى آلاء الله واللام إلى لطف الله والميم إلى ملك الله وعلى هذه الأقوال فلها

محل من الاعراب فقيل الرفع وقيل النصب وقيل الجر فالرفع على أحد وجهين إما بكونها مبتدأ و إما بكونها خبرا والنصب على أحد وجهين أيضا إما باضمار فعل لائق تقديره اقرؤا مثلا و إما باسقاط حرف القسم كقول الشاعر :

إذ ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة لله الثريد

يريد وأمانة الله والجر بوجه واحد وهو أنها مقسم بها حذف حرف القسم و بقي عمله أجاز ذلك الزمخشري و إن كان ضعيفا لأن ذلك من خصائص الجلالة المعظمة لايشاركها فيه غيرها (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ واللام للبعد والكاف حرف خطاب والكتاب نعت لاسم الاشارة أو عطف بيان وجملة لا ريب فيه خبر كما قال المفسر (قوله أي هذا) أشار بذلك إلى أن حق الاشارة أن يؤتى بها للقريب وسيأتي الجواب عنه (قوله الكتاب) بمعنى المكتوب وهو القرآن . إن قلت إن القرآن قريب فلا يشار له باشارة البعيد .أجاب المفسر بقوله والاشارة به للتعظيم أي فالقرآن و إن كان قريبا منا إلا أنه مرفوع الرتبة وعظيم القدر من حيث إنه منزه عن كلام الحوادث وذلك كمناداة المولى سبحانه وتعالى بيا التي ينادى بها البعيد مع كونه أقرب إلينا من حبل الوريد لكونه سبحانه منزها عن صفات الحوادث فنزل تنزهه عن الحوادث منزلة بعدنا عنه والكتاب في الأصل مصدر يطلق بمعنى الجمع (قوله الذي يقرؤه محمد) أي وهو القرآن احترز بذلك عن باقي الكتب السماوية (قوله لاشك) هذا أحد معان ثلاثة والثاني التهمة والثالث القلق والاضطراب وكلها منزه عنها القرآن لخروجه عن طاقة البشر قال تعالى ـ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ـ الآية . إن قلت إن قوله تعالى لاريب فيه خبر وهو لايتخلف مع أن بعض الكفار ارتاب فيه حيث قالوا سحر وكهانة وأساطير الأولين إلى غير ذلك . أجيب بأجوبة أحسنها أن قوله لاريب فيه أي لمن أذعن وأقام البرهان وتأمل فلا ريب فيه للعارفين المنصفين وأما من عاند فلا يعتد به إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل ومنها أن معنى قوله لاريب فيه أي لاينبغي أن يرتاب فيه لقيام الأدلة الواضحة على كونه من عند الله ومنها أن المعنى لاريب فيه أي للمؤمنين وأما الكافرون فلا يعتد بهم فالجواب الأول

(ذٰلِكَ) أي هذا (الْكِتَابُ) الذي يقرؤه محمد (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) أنه من عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم (هُدًى) خبر ثان أي هاد (لِلْمُتَّقِينَ) الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لا تقائهم بذلك النار (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ) يصدقون (بِالْغَيْبِ)

عام فمن تأمل لايحصل له ريب مسلما أو كافرا وجحده بعد ذلك عناد والجواب الثاني أنه نفي بمعنى النهي والثالث خاص بالمسلم (قوله أنه من عند الله) بفتح الهمزة بدل من الضمير في قوله فيه ويدل عليه قوله تعالى في الآية الأخرى ـ لاريب فيه من رب العالمين ـ (قوله والاشارة به للتعظيم) تقدم أن هذا جواب عن سؤال مقدر . إن قلت إنه لايشار إلا للمحسوس والقرآن ألفاظ تنقضي بمجرد النطق بها . أجيب بأنه نزل المعقول منزلة المحسوس أو الاشارة لما في المصاحف أو اللوح المحفوظ (قوله هدى) أي رشاد و بيان وهو مصدر إما بمعنى اسم الفاعل وهو الذي اقتصر عليه المفسر أي مرشد ومبين والاسناد له مجاز عقلي من الاسناد للسبب أو ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد زيد عدل (قوله للمتقين) إن قلت إن القرآن هدى بمعنى مبين طريق الحق من الباطل للناس مؤمنهم وكافرهم فلم خص المتقين .أجيب بأنه خصهم بالذكر لكونهم انتفعوا بثمرته عاجلا وآجلا وهذا إن أريد به البيان حصل وصول للمقصود أم لا وأما إن أريد به الوصول للمقصود فالتخصيص ظاهر وأصل متقين متقيين استثقلت الكسرة على الياء الأولى فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله الصائرين للتقوى) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجاز الأول أي المتقين في علم الله أو من يؤول إلى كونهم متقين فهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أنهم إذا كانوا متقين فهم مهتدون فلا حاجة له (قوله بامتثال الأوامر) يصح أن تكون الباء سببية أو للتصوير وقوله واجتناب النواهي عطف عليه والمعنى أن امتثال الأوامر على حسب الطاقة واجتناب النواهي جميعها سبب للتقوى أو هي مصورة بذلك (قوله لاتقائهم) علة لتسميتهم متقين وقوله بذلك أي المذكور وهو امتثال الأوامر واجتناب النواهي ، وهذا اشارة إلى تقوى الخواص وتحتها تقوى العوام وهي تقوى الشرك وفوقها تقوى خواص الخواص ، هي تقوى ما يشغل عن الله ، قال العارف :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوما حكمت بردتي

والآية في حد ذاتها شاملة للمراتب الثلاث (قوله الذين يؤمنون) هذا تفصيل لبعض صفات المتقين وخصها لأنها أعلى الأوصاف وهو في محل جر صفة للمتقين أو رفع خبر لمحذوف أو نصب مفعول لمحذوف و يصح أن يكون مستأنفا مبتدأ خبره

قوله أولئك على هدى وعلى هذا فالوقف على المتقين تام لعدم ارتباطه بما بعده وعلى الاعراب الأول فهو حسن لأنه رأس آية وإن كان له ارتباط بما بعده (قوله بما غاب) أشار بذلك إلى إطلاق المصدر وإرادة اسم الفاعل وما غاب عنا قسمان مادل عليه دليل عقلى أوسمعى كالجنة والنار والملائكة والعرش والكرسى واللوح والقلم والمولى سبحانه وتعالى وصفاته ومالم يدل عليه دليل كالساعة ووقت نزول المطر ومافى الأرحام وباقى الخمسة المذكورة فى الآية وأما الشهادة فهى ماظهر لنا حسا أوعقلا ببداهة العقل كالواحد نصف الاثنين وأن الجرم متحيز (قوله من البعث الخ) بيان لما وقوله والجنة والنار عطف عليه أى ونحو ذلك مما لم لنا الدليل عليه ويحتمل أن يبقى الغيب على مصدريته والباء متعلقة بمحذوف حال أى إيمانا ملتبسا بحالة الغيبة ففيها بيان لحال المؤمنين الخالصين وتعريض لحال المنافقين فانهم كانوا يؤمنون ظاهرا فقط فمدح الله من يؤمن فى حال غيبته عن كل أحد كما يؤمن ظاهرا ويحتمل أن المراد بالغيب القلب سمى بذلك لخفائه أى يؤمنون بحالة السر وهو الايمان القلبى فالمصدر باق على حاله وفيه رد على المنافقين أيضا حيث قالوا بألسنتهم ماليس فى قلوبهم (قوله ويقيمون الصلاة) إما مأخوذة من الصلاة اللغوية بمعنى الدعاء لأنها مشتملة عليه فى الركوع والسجود وعليه فأصلها صلوة تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا وقيل من الوصلة لأنها وصلة بين العبد وبين ربه وعليه فأصلها وصلة قلبت قلبا مكانيا فصار صلوة تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا وقوله يقيمون من قومت العود عدلته (قوله أى يأتون بها بحقوقها) أى الظاهرية كالشروط والآداب والأركان والباطنية كالخشوع والخضوع والاخلاص (قوله ومما رزقناهم) فيه حذف نون من التبعيضية لفظا وخطا لادغامها فى ما الموصولة ورزقناهم صلة الموصول ونا فاعل والهاء مفعول أول وحذف المفعول الثانى فيصح (٧) تقديره متصلا أى رزقناهموه أومنفصلا أى رزقناهم إياه على حد قول ابن مالك :

وصل أوافصل هاء سلنيه

(قوله أعطيناهم) أشار بذلك إلى أن الرزق معناه الملك وليس المراد به الرزق الحقيقى إذ لايتأتى تعديه

(بِالْغَيْبِ) بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) أى يأتون بها بحقوقها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) أى القرآن (وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) أى التوراة والإنجيل وغيرهما (وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يعلمون (أُولَٰئِكَ) الموصوفون بما ذكر (عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بالجنة الناجون من النار (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) كأبى جهل وأبى لهب ،

لغيره وقدم الجار والمجرور للاهتمام (قوله ينفقون) أى إنفاقا واجبا كالزكاة والنفقة على الوالدين والعيال أومندوبا كالتوسعة على العيال ومواساة الأقارب والفقراء (قوله فى طاعة الله) فى تعليلية أى من أجل طاعة الله لارياء ولاسمعة قال تعالى - إنما نطعمكم لوجه الله - (قوله والذين يؤمنون) معطوف على الموصول الاول وهو نوع آخر للمتقين فانها نزلت فيمن كان آمن بعيسى وأدرك النبى صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وعمار بن ياسر وسلمان والنجاشى وغيرهم . وأما النوع الأول فهم مشركو العرب الذين لم يرسل لهم غيره صلى الله عليه وسلم فنزلت فيهم الآية الأولى (قوله بما أنزل إليك) نزل المستقبل منزلة الماضى لتحقق الوقوع لأنه لم يكن تم نزوله (قوله وما أنزل من قبلك) أى فلم يفرقوا بين الأنبياء بحيث يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض (قوله وبالآخرة هم يوقنون) قدم الجار والمجرور لإفادة الحصر وأتى بالجملة اسمية لأنه أعلى من الانفاق (قوله يعلمون) أى علما لاشك فيه ولا ريب ولذا اتصف مولانا بالعلم ولم يتصف باليقين وفيه رد على من أنكر الآخرة ممن لم يؤمن بمحمد (قوله أولئك الموصوفون بما ذكر) إن قلنا إن قوله الذين يؤمنون الخ وصف للمتقين كان ماهنا مبتدأ وخبرا بيان لعاقبة المتقين وإن قلنا إنه مستأنف مبتدأ كان ماهنا خبره (قوله على هدى) عبر بعلى إشارة إلى تمكنهم من الهدى كتمكن الراكب من المركوب (قوله الناجون من النار) أى ابتداء وانتهاء وعطف الجملتين إشارة إلى تغايرهما وأن كلا غاية فى الشرف وأن الثانية مسببة عن الأولى (قوله إن الذين كفروا) جرت عادة الله سبحانه وتعالى فى كتابه أنه إذا ذكر بشرى المؤمنين يذكر بلصقها وعيد الكافرين فذكر حال الكافرين ظاهرا وباطنا ثم ذكر حال الكافرين باطنا وهم المنافقون وأنهم أسوأ حالا من الكافرين ظاهرا وباطنا وإن حرف توكيد ونصب والذين كفروا اسمها وجملة لايؤمنون خبرها وجملة - سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم - معترضة بين اسم إن وخبرها وإعرابها أن تقول على المشهور سواء اسم مصدر مبتدأ بمعنى مستو وسوغ الابتداء به تعلق الجار والمجرور به وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مؤول بمفرد خبر تقديره مستو عليهم

أنذارك وعدمه وهو فعل مسبوك بلاسابك . إن قلت إن خبر المبتدا إذاوقع جملة لابدّ له من رابط . أجيب بأن الخبر عين المبتدا في المعنى وهو يكفي في الربط . وأجيب أيضا بأن محل الاحتياج للرابط مالم يؤوّل الخبر بمفرد و إلا فلا يحتاج للرابط وقولهم لابدّ للفعل من سابك أغلبي و يصح العكس وهوأن الجملة مبتدأ مؤخر وسواء خبر مقدّم (قوله ونحوهما) أى من كفار مكة الذين سبق علم الله بعدم إيمانهم والحكمة فى إخبار الله نبيه بذلك ليريح قلبه من تعلقه بإيمانهم فلا يشتغل بهدايتهم ولا بتأليفهم و يحتمل أن ذلك إعلام من الله لنبيه بمن كفر من أوّل الزمان إلى آخره لأنه أطلعه على النار وعلى من أعدّلها من الكفار والحكمة فى عدم الدعاء منه عليهم مع علمه بأنه يستحيل إيمانهم أنه يرجو الايمان من ذرّيتهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع مدّة بينهما مدّا طبيعيا وتركه فهما قراءتان وقوله و إبدال الثانية ألفا : أى مدّا لازما وقدره ست حركات وقوله وتسهيلها: أى بأن تكون بين الهمزة والهاء وقوله و إدخال ألف الواو بمعنى مع لخاصله أن القراآت خمس قراءتان مع التحقيق وقراءتان مع التسهيل وقراءة مع الابدال وكلهاسبعية على التحقيق خلافا للبيضاوى حيث قال إن قراءة الابدال لحن لوجهين الأوّل أن الهمزة المتحركة لاتبدل ألفا والثانى أن فيه التقاء الساكنين على غير حدّه ، ورَدّ عليه ملاعلى قارى بأن القراءة متواترة عن رسول الله ومن أنكرها كفر فيستدل بها لالها ، وأما قوله إن الهمزة المتحركة لا تبدل ألفا محله فى القياسى ، وأما السماعى فلا لحن فيه لأنه يقتصر فيه على السماع . وقوله فيه التقاء الساكنين على غير حدّه نقول سهله طول المدّ والسماع ، وأما قولهم كل ماوافق وجه النحو الخ محله فى قراءة الآحاد لا فى المتواترة و إلا فالتواتر نفسه حجة على غيره لايحتج له (قوله إعلام مع تخويف) أى فى وقت يسع التحرز من الأمر المخوف و إلافيسمى

إخبارا بالعذاب (قوله ختم الله على قلوبهم) هذا ومابعده كالعلة والدليل لماقبله والمراد بالقلوب العقول وهى اللطيفة الربانية القائمة بالشكل الصنوبرى قيام العرض بالجوهر أو قيام حرارة النار بالفحم (قوله طبع عليها) هذا إشارة إلى المعنى الأصلى فأطلقه وأراد لازمه وهو عدم

ونحوهما (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ألفا وتسهيلها و إدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع فى إيمانهم والإنذار إعلام مع تخويف (خَتَمَ اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير (وَعَلَى سَمْعِهِمْ) أى مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) غطاء فلا يبصرون الحق (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) قوى دائم . ونزل فى المنافقين (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّٰهِ ،

تغيير مافى قلوبهم بدليل قوله فلايدخلها خير وفى القلوب استعارة بالكناية حيث شبه   وباليوم

قلوب الكفار بمحل فيه شئ مختوم عليه وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشئ من لوازمه وهوالختم فاثباته تخييل (قوله أى مواضعه) إنماقدّر ذلك المضاف لأن السمع معنى من المعانى لايصح إسنادالختم لها وأفرده إمالأنه مصدر لايثنى ولايجمع أولكون المسموع واحدا وتمّ الوقف على قوله وعلى سمعهم ، وقوله وعلى أبصارهم خبرمقدم وغشاوة مبتدأ مؤخر جملة مستأنفة نظير قوله تعالى ـ أفرأيت من اتخذإلهه هواه ـ الآية والمراد من الغشاوة عدم وصول النور المعنوى لهم فأطلق اللازم وأراد الملزوم وخص الثلاثة لأنهاطرق العلم بالله (قوله ولهم عذاب عظيم) العذاب هو إيصال الآلام للحيوان على وجه الهوان (قوله قوى دائم) إنمافسره بذلك لأن الأصل فى العظم أن يكون وصفا للأجسام فلذلك حول العبارة (قوله ونزل فى المنافقين) أى فى أحوالهم وهوانهم واستهزاء الله بهم وضرب الأمثال فيهم وعاقبة أمرهم وجملة ذلك ثلاث عشرة آية آخرها إن الله على كل شئ قدير ، وأخرهم عن المؤمنين والكافرين ظاهرا و باطنا إشارة إلى أنهم أسوأ حالا من الكفار (قوله ومن الناس من يقول) يحتمل أن الجار والمجرور خبرمقدم ومن اسم موصول أونكرة موصوفة مبتدأ مؤخروجملة يقول إماصلة أوصفة ، والمعنى الذى يقول أوفريق يقول ماذكر كائن من الناس ورد ذلك بأنه لافائدة فى ذلك الاخبار ، والحق أن يقال إن من اسم بمعنى بعض مبتدأ وجرّبها لأنها على صورة الحرف أو صفة لمحذوف مبتدأ تقديره فريق من الناس وخبره قوله من يقول الخ وعهد جعل الظرف مبتدأ حيث كان تمام الفائدة بما بعده كقوله تعالى ـ ومنا دون ذلك ـ وقوله تعالى ـ ومنهم الذين يؤذون النبى ـ وأصل ناس أناس أتى بأل بدل الهمزة مشتق من التأنس لتأنس بعضهم ببعض وتسمية الانس به حقيقة والجنّ به مجاز ، وقيل مشتق من ناس إذا تحرك وعليه فتسمية الجنّ به حقيقة أيضا والحق الأوّل ، ولذاقيل لم يوجد منافق أومشرك إلا فى بنى آدم فقط وكفرالجنّ بغير الاشراك

والنفاق ، وهو جمع إنسان أو إنسى ، والمراد من المنافقين هنا بعض سكان البوادى و بعض أهل المدينة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وخبر مافسرته بالوارد ، قال تعالى ـ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة ـ الآية (قوله و باليوم الآخر) أعاد الجار لافادة تأكيد دعواهم الايمان بكل ماجاء به رسول الله فرد عليهم المولى بأبلغ رد بقوله ـ وماهم بمؤمنين ـ حيث أتى بالجملة اسمية وزاد الجار فى الخبر (قوله لأنه آخر الأيام) علة لتسميته اليوم الآخر والمراد بالأيام الأوقات وهل المراد الأوقات المحدودة وهو بناء على أن أوله النفخة وآخره الاستقرار فى الدارين أو الأوقات غير المحدودة بناء على أنه لانهاية له (قوله وماهم بمؤمنين) جملة اسمية تفيد الدوام والاستمرار : أى لم يتصفوا بالايمان فى حال من الأحوال لافى الماضى ولافى الحال ولافى الاستقبال (قوله يخادعون الله) هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره ما الحامل لهم على إظهار الايمان و إخفاء الكفر وحقيقة المخادعة أن يظهر لصاحبه أنه موافق ومساعد له على مراده والواقع أنه ساع فى إبطال مراده فاظهار خلاف ما يبطن إن كان فى الدين سمى نفاقا وخديعة ومكرا و إن كان فى الدنيا بأن يصانع أهل الدنيا لأجل حماية الدين ووقايته يسمى مداراة وهى ممدوحة (قوله من الكفر) بيان لما أبطنوه وقوله ليدفعوا علة للاظهار (قوله أحكامه) أى الكفر وقوله الدنيوية : أى الكائنة فى الدنيا وذلك كالقتل والسبى والجزية والذل ولو قصدوا دفع أحكامه الأخروية من الخلود فى النار وغضب الجبار لأخلصوا فى إيمانهم (قوله لأن و بال خداعهم) أى عذابه وعاقبة أمره (قوله راجع اليهم) قال تعالى ـ ولايحيق المكر السىء إلا بأهله ـ (قوله فيفتضحون) تفريع على قوله لأن و بال خداعهم الخ (قوله باطلاع الله نبيه) أى وأمره باخراجهم من المسجد، ونزل فيهم ـ

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى يوم القيامة لأنه آخر الأيام (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) روعى فيه معنى من وفى ضمير يقول لفظها (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا) بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية (وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ) لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون فى الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون فى الآخرة (وَمَا يَشْعُرُونَ) يعلمون أن خداعهم لأنفسهم والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر الله فيها تحسين وفى قراءة وما يخدعون (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك ونفاق فهو يمرض قلوبهم أى يضعفها (فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) بما أنزله من القرآن لكفرهم به (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ) بالتشديد

ولاتصل على أحد منهم ـ الآيات (قوله و يعاقبون فى الآخرة) أى بالعذاب الدائم المؤبد فى الدرك الأسفل (قوله يعلمون) سمى العلم شعورا لأنه يكون بأحد المشاعر الخمس وهى الشم والذوق واللمس والسمع والبصر (قوله والمخادعة هنا من واحد) أى فليست على بابها وهو جواب عن سؤال تقديره إن المفاعلة تكون من الجانبين وفعل الله لا يقال فيه مخادعة فأجاب بما ذكر ، وقد ورد سؤال آخر حاصله أن الخداع لا يكون إلا لمن تخفى عليه الأمور فما معنى إسناد المخادعة إلى الله ؟ . أجيب بأن فى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم مع ربهم فى إيمانهم ظاهرا لا باطنا بحال رعية تخادع سلطانها، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، أو مجاز عقلى : أى يخادعون رسول الله من إسناد الشىء إلى غير من هوله أو مجاز بالحذف أو فى الكلام تورية ، وهى أن يكون للكلام معنى قريب و بعيد فيطلق القريب ويراد البعيد ، وهو مطلق الخروج عن الطاعة باطنا و إن كان المعامل لا تخفى عليه خافية ، وأشار المفسر لذلك كله بقوله : وذكر الله فيها تحسين : أى بذكر المجاز لأنه أبلغ من الحقيقة (قوله فى قلوبهم مرض) يطلق على الحسى وهو الحرقة وعلى المعنوى وهو الشك والنفاق ، ولا شك أن فى قلوبهم المرضين ، والمعنوى سبب فى الحسى فقوله شك ونفاق إشارة للمرض المعنوى ، وقوله فهو يمرض قلوبهم بيان لما يتسبب عنه وهو إشارة للحسى وهى فى محل التعليل لما قبلها (قوله بما أنزله من القرآن) أشار بذلك الى أن نزول القرآن يزيد الكافر والمنافق مرضا بمعنى كفرا وشكا فينشأ عنه المرض الحسى كما يزيد المؤمن إيمانا فينشأ عنه البهجة والسرور . قال تعالى ـ و إذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا ـ الآيات ، ويحتمل أن المراد بما أنزله : أى فى حقهم من فضيحتهم خصوصا بسورة التوبة فانها تسمى الفاضحة (قوله مؤلم) يقرأ اسم مفعول : أى العذاب يتألم من شدته فكأنه لشدته كأن الألم قائم به ، وهو أبلغ ويصح قراءته اسم فاعل ، لا مبالغة فيه .

(قوله أى نبى الله) إشارة إلى المفعول وقوله أى فى قولهم إشارة إلى التعلق على القراءة الثانية (قوله وإذا قيل لهم) شروع فى ذكر قبائحهم وأحوالهم الشنيعة وفى الحقيقة هو تفصيل للمخادعة الحاصلة منهم وهذه الجملة يحتمل أنها استئنافية ويحتمل أنها معطوفة على يكذبون أو على صلة من وهى يقول التقدير من صفاتهم أنهم يقولون آمنا الخ ومن صفاتهم أنهم إذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض الخ وأصل قيل قول استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى ما قبلها بعد سلب حركتها ثم وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء وفاعل القول قيل الله سبحانه وتعالى وقيل النبى والصحابة ومقول القول جملة لا تفسدوا فى الأرض فى محل نصب وهى نائب الفاعل باعتبار لفظها (قوله بالكفر) الباء سببية بيان لسبب الافساد وقوله والتعويق عن الايمان معطوف عليه أى تعويق الغير عن الايمان وصدهم عنه (قوله إنما نحن مصلحون) أى ليس شأننا الافساد أبدا بل نحن محصورون فى الاصلاح ولا نخرج عنه إلى غيره فهو من حصر المبتدإ فى الخبر وأكدوا ذلك بإنما المفيدة الحصر وبالجملة الاسمية المفيدة الدوام والاستمرار فرد عليهم سبحانه وتعالى بجملة مؤكدة بأربعة تأكيدات: ألا التى للتنبيه وإن وضمير الفصل وتعريف الخبر (قوله للتنبيه) وتأتى أيضا للاستفتاح وللعرض والتحضيض وفى الحقيقة الاستفتاح والتنبيه شىء واحد وتدخل إذا كانت لهما على الجمل الاسمية والفعلية وأما إذا كانت للعرض أو التحضيض فانها تختص بالأفعال وهى بسيطة على التحقيق لا مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية (قوله ولكن لا يشعرون بذلك) أى ليس عندهم شعور بالافساد لطمس بصيرتهم وعبر بالشعور دون العلم إشارة إلى أنهم لم يصلوا إلى رتبة البهائم فان البهائم تمتنع من المضار فلا تقربها لشعورها بخلاف هؤلاء

أى نبى الله وبالتخفيف أى فى قولهم آمنا (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) أى لهؤلاء (لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالكفر والتعويق عن الايمان (قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) وليس ما نحن فيه بفساد، قال الله تعالى ردا عليهم (أَلَا) للتنبيه (إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) بذلك (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ) أصحاب النبى (قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ) الجهال أى لا نفعل كفعلهم، قال تعالى ردا عليهم (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَإِذَا لَقُوا) أصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو (الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا) منهم ورجعوا (إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ) رؤسائهم (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ) فى الدين (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ) بهم بإظهار الايمان (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) يجازيهم

(قوله إذا قيل لهم) مقول القول قوله آمنوا وهو نائب الفاعل وفاعل القول قيل الله وقيل النبى وأصحابه كما تقدم (قوله أصحاب النبى) أشار بذلك إلى أن أل فى الناس للعهد العلمى الخارجى ويحتمل أن تكون أل للكمال أى الناس الكاملون (قوله قالوا) أى فيما بينهم وإلا فلو قالوا ذلك جهارا لظهر كفرهم وقتلوا (قوله الجهال) أى بناء على أن السفه ما قابل العلم ويصح أن المراد به نقص العقل بناء على أنه ما قابل الحلم فان الصحابة أنفقوا أموالهم فى سبيل الله حتى افتقروا وتحملوا المشاق فسموهم سفهاء لذلك (قوله ردا عليهم) أى بجملة مؤكدة بأربع تأكيدات كالأولى (قوله ولكن لا يعلمون ذلك) أى السفه أو علم النبى بسفههم وعبر هنا بالعلم إشارة إلى أن السفه معقول بخلاف الفساد فانه مشاهد فلذلك عبر هنا بالعلم وهناك بالشعور (قوله وإذا لقوا) سبب نزول هذه الآية أن أبا بكر وعمر وعليا توجهوا لعبد الله ابن سلول لعنه الله فقال له أبو بكر هلم أنت وأصحابك وأخلص معنا فقال له مرحبا بالشيخ والصديق، ولعمر مرحبا بالفاروق القوى فى دينه، ولعلى مرحبا بابن عم النبى فقال له على اتق الله ولا تنافق فقال ما قلت ذلك إلا لكون إيمانى كإيمانكم فلما توجهوا قال لجماعته إذا لقوكم فقولوا مثل ما قلت فقالوا لم نزل بخير ما عشت فينا. وإذا ظرف منصوب بقالوا (قوله أصله لقيوا) أى على وزن شربوا (قوله حذفت الضمة) لم يكمل التصريف وتمامه ثم ضمت القاف للمناسبة (قوله منهم) أشار بذلك إلى أن متعلق خلا محذوف وقوله إلى شياطينهم متعلق بمحذوف أيضا قدره المفسر بقوله ورجعوا ويحتمل كما قال البيضاوى أن خلا بمعنى انفرد وإلى بمعنى مع أى انفردوا مع شياطينهم ولا حذف فيه وأصل خلوا خلووا بواوين الأولى لام الكلمة والثانية علامة الاعراب قلبت لام الكلمة ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فبقيت ساكنة وبعدها واو الضمير ساكنة فحذفت لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة دالة عليها (قوله رؤسائهم) إنما سموا شياطين لأن كل رئيس منهم معه شيطان يوسوس له ويعلمه المكر وقيل لأنهم كالشياطين

فى الاغواء ، ورؤساؤهم فى ذلك الوقت خمسة كعب بن الأشرف فى المدينة وعبدالدار فى جهينة وأبو بردة فى بنى أسلم وعوف بن عامر فى بنى أسد وعبدالله بن الأسود فى الشام (قوله يجازيهم باستهزائهم) إنما سمى المجازاة استهزاء من باب المشاكلة والاستهزاء الاستخفاف بالشىء (قوله يمهلهم) أتى بذلك دفعا لما يتوهم من أن المجازاة واقعة حالا وحكمة الامهال مذكورة فى قوله تعالى ـ إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ـ إلى غير ذلك من الآيات (قوله بالكفر) الباء سببية أى تجاوزهم الغاية بسبب الكفر (قوله حال) أى جملة يعمهون وهى إما حال من الهاء فى يمدهم أو من الهاء فى طغيانهم والمراد بالعمه عدم معرفة الحق من الباطل فمنهم من يظهر له وجه الحق و يكفر عنادا ومنهم من يشك فى الحق و يقال له عمى أيضا فبين العمه والعمى عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى طمس القلب و ينفرد العمى بفقد البصر وقوله تحيرا إما مفعول لأجله أو تمييز (قوله استبدلوها به) أشار بذلك إلى أن المراد بالشراء مطلق الاستبدال والباء داخلة على الثمن والمراد بالضلالة الكفر و بالهدى الايمان وكلامه يقتضى أن الهدى كان موجودا عندهم ثم دفعوه وأخذوا الضلالة وهو كذلك لقوله صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة حتى يهودانه أبواه» الحديث ولأنهم فى العهد يوم ألست بربكم أجابوا بالايمان جميعا (قوله أى ما ربحوا فيها) أشار بذلك إلى أن إسناد الربح للتجارة مجاز عقلى وحقه أن يسند للتاجر (قوله بل خسروا) أى الربح ورأس المال جميعا خسرانا دائما فقوله لمصيرهم علة له فمثلهم كمثل من عنده كنز عظيم ينفع فى الدنيا والآخرة استبدله بالنار لأن الضلالة سبب للنار (قوله مثلهم) لما بين قبائحهم وعاقبة أمرهم شرع يضرب أمثالهم و يبين فيها وصفهم وما هم عليه (قوله صفتهم) أشار بذلك إلى أن المثل بالتحريك هنا معناه الصفة وليس المراد به المثل السائر وهو كلام شبه مضربه بمورده لغرابته كقولهم الصيف ضيعت اللبن وقوله تعالى ـ ضرب

يجازيهم باستهزائهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يمهلهم ﴿فِى طُغْيَانِهِمْ﴾ بتجاوزهم الحد بالكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيرا حال ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أى استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ أى ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم فى نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ فى ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستدفأ وأمن مما يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه وجمع الضمير مراعاة لمعنى الذى ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء أمنوا بإظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب *

الله مثلا عبدا مملوكا ـ الآية و إنما فسره بالصفة ولم يفسره بالمثل بمعنى الشبه لئلا يلزم عليه زيادة الكاف والأصل عدم الزيادة والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مثل التقدير صفتهم كائنة مثل صفة الذى استوقد نارا و يصح فى هذه الكاف أن تكون اسما وهى نفسها هى الخبر و إنما جرتها لأنها على صورة الحرف وأن تكون حرفا متعلقة بمحذوف وعلى كل معناها مثل (قوله استوقد) راعى فى الافراد لفظ الذى وفى قوله ذهب الله بنورهم معناه (قوله أوقد) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لا للطلب لأنه لا يلزم من الطلب الايقاد بالفعل (قوله فى ظلمة) أى شديدة وهى ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر (قوله فلما أضاءت) الاضاءة النور القوى قال تعالى ـ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ـ فقوله أنارت أى نورا قويا والفاء للترتيب والتعقيب لأن الاضاءة تعقب الايقاد (قوله ماحوله) يحتمل أن ما نكرة موصوفة وحوله صفة والضمير عائد على الموقد للنار وفاعل أضاءت ضمير يعود على النار و يحتمل أن ما اسم موصول وحوله صلة وهو صفة لموصوف محذوف تقديره المكان الذى حوله (قوله واستدفأ) أى امتنع عنه ألم البرد (قوله وأمن مما يخافه) أى من عدو وسباع وحيات وغير ذلك مما يضر وحينئذ فقد تم له النفع بالنار (قوله بنورهم) الضمير عائد على متقدم ضمنا فى قوله فلما أضاءت إذ المعنى أنارت على حد ـ اعدلوا هو أقرب للتقوى ـ ولم يقل بضوئهم إشارة إلى انعدام النور بالكلية بخلاف مالو عبر بالضوء لأنه لا يلزم من نفى الأخص نفى الأعم والباء للتعدية كالهمزة فلذلك دخلت على المفعول ولا تستلزم الباء المصاحبة كالهمزة فذهبت بزيد مثل أذهبت زيدا خلافا للمبرد حيث جعلها تفيد المصاحبة ورد عليه بهذه الآية لاستحالة المصاحبة فيها (قوله وتركهم) عطف على ذهب (قوله فى ظلمات) أى ثلاث ظلمة الليل والسحاب والريح مع المطر (قوله ماحولهم) هذا هو مفعول يبصرون وقوله متحيرين حال من الضمير فى تركهم (قوله فكذلك) أشار بذلك إلى حال المشبه وهم المنافقون وقوله أمنوا بالقصر ضد الخوف أى حيث أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم فقد أمنوا من القتل والسبى وانتفعوا بأخـ

الغنائم والزكاة فاذا ماتوا فقد ذهب الله بنورهم فلم يأمنوا من النار ولم ينتفعوا بالجنة وتركهم فى ظلمات ثلاث : ظلمة الكفر والنفاق والقبر والجامع بينهما أن الانتفاع ودفع المضار فى كل شىء قليل ثم يذهب (قوله صمٌ) خبر لمحذوف قدّره المفسر بقوله هم (قوله فهم لايرجعون) أى لفقد هذه الادراكات الثلاثة من قلوبهم (قوله أو مثلهم) يصح أن تكون أو للتنويع أو الابهام أو الشك أو الاباحة أو التخيير أو الاضراب أو بمعنى الواو وأحسنها الأول (قوله أى كأصحاب مطر) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والمثل هنا بمعنى الصفة كما تقدم (قوله وأصله صيوب) أى اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله السحاب) أشار بذلك إلى أن المراد بالسماء السماء اللغوية وهى كل ماارتفع وأصل سماء سماو وقعت الواو متطرفة فقلبت همزة (قوله أى السحاب) المناسب عود الضمير على الصيب (قوله ظلمات) أى ظلمة الريح والسحاب والليل (قوله (قوله هو الملك) أى وعليه قوله تعالى ـ ويسبح الرعد بحمده ـ (قوله وقيل صوته) أى فقوله تعالى : يسبح الرعد أى ذو الرعد (قوله لمعان صوته) أى الآلة التى يسوق بها وهى من نار (قوله أى أصحاب الصيب) أى فهو بيان للواو فى يجعلون (قوله أى أناملها) أشار بذلك إلى أن فى الأصابع مجازا من باب تسمية الجزء باسم الكل مبالغة فى شدة الحرص فى إدخال رأس الأصبع فكأنه مدخل لها كلها (قوله شدة

صوت الرعد) الاضافة بيانية إن كان المراد بالرعد صوت الملك وحقيقية إن كان المراد به ذاته (قوله كذلك هؤلاء) أى المنافقون (قوله علما وقدرة) تمييزان محوّلان عن الفاعل والاحاطة الاحتواء على الشىء كاحتواء الظرف على المظروف وهى محالة فى حقه تعالى فأشار المفسر إلى دفع ذلك بقوله علما وقدرة أى فالمراد الاحاطة المعنوية وهى كونهم مقهورين فلا يتأتى منهم فوات ولا فلات قال تعالى ـ وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا ـ

هم (صُمٌّ) عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول (بُكْمٌ) خرس عن الخير فلا يقولونه (عُمْيٌ) عن طريق الهدى فلا يرونه (فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) عن الضلالة (أَوْ) مثلهم (كَصَيِّبٍ) أى كأصحاب مطر وأصله صيوب من صاب يصوب أى ينزل (مِنَ السَّمَاءِ) السحاب (فِيهِ) أى السحاب (ظُلُمَاتٌ) متكاثفة (وَرَعْدٌ) هو الملك الموكل به وقيل صوته (وَبَرْقٌ) لمعان سوطه الذى يزجره به (يَجْعَلُونَ) أى أصحاب الصيب (أَصَابِعَهُمْ) أى أناملها (فِي آذَانِهِمْ مِنَ) أجل (الصَّوَاعِقِ) شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها (حَذَرَ) خوف (الْمَوْتِ) من سماعها كذلك هؤلاء اذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات والوعيد عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الايمان وترك دينهم وهو عندهم موت (وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) علما وقدرة فلا يفوتونه (يَكَادُ) يقرب (الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) يأخذها بسرعة (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ) أى فى ضوئه (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا) وقفوا ، تمثيل لإزعاج ما فى القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون ووقوفهم عما يكرهون ،

(ولو (قوله يكاد البرق) هذا من تمام المثل . وأما قوله ـ والله محيط بالكافرين ـ فجملة معترضة بين أجزاء المشبه به جىء بها تسلية للنبىّ صلى الله عليه وسلم وأصل يكاد يكود بفتح الواو نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا وأصل ماضيها كود بكسر الواو تحركت الواو وانفتح ماقبلها فقلبت ألفا وهذا التصريف فى الناقصة ، وأما التامة ففعلها يأتى وهى بمعنى المكر قال تعالى ـ إنهم يكيدون كيدا ـ وأصل مضارعها يكيد بسكون الكاف وكسر الياء نقلت كسرة الياء إلى الكاف فصحت الياء (قوله يخطف) بفتح الطاء مضارع خطف بفتح الطاء وكسرها (قوله كلما أضاء لهم) كل بحسب ماتضاف إليه وما نكرة بمعنى وقت فكل ظرفية والعامل فيها مشوا وفاعل أضاء يعود على البرق وأضاء يحتمل أن يكون متعديا والمفعول محذوف التقدير كل وقت أضاء لهم البرق طريقا مشوا فيه فالضمير فى فيه عائد على الطريق ويحتمل أن يكون لازما والضمير عائد على الضوء (قوله تمثيل) أى من باب تمثيل الجزئيات بالجزئيات فقوله من الحجج أى المشبهة بالرعد والبرق الخاطف وقوله وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون أى من الآيات الموافقة لطبعهم كالقسم لهم من الغنائم وعدم التعرض لهم وأموالهم وأشار لذلك بقوله ـ كلما أضاء لهم مشوا فيه ـ فكذلك هؤلاء وقوله ووقوفهم عما يكرهون أى من التكاليف كالصلاة

والصوم والحج والحكم عليهم قال تعالى ـ وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين ـ وأشار إلى ذلك بقوله ـ وإذا أظلم عليهم قاموا ـ (قوله ولوشاء الله لذهب بسمعهم) يحتمل أن هذا من تعلقات المشبه به الذى هو أصحاب الصيب التقدير لولا مشيئة الله سبقت لخطف البرق أبصارهم ولأذهب الرعد أسماعهم فان ماذكر سبب عادى لإذهاب السمع والبصر ولكن قد يوجد السبب ولا يوجد المسبب لتخلف المشيئة والمقصود من ذلك زيادة القوّة فى المشبه به ويلزم منه القوّة فى المشبه وهذا ماعليه أبوحيان والبيضاوى ويحتمل أنه من تعلقات المشبه وهم المنافقون وعليه المفسر حيث أشار لذلك بقوله كما ذهب بالباطنة (قوله بمعنى أسماعهم) أشار بذلك إلى أن السمع بمعنى الأسماع (قوله إنّ الله على كل شىء) هذا دليل لماقبله (قوله شاءه) دفع بذلك مايقال إن الشىء هو الموجود ومن ذلك ذات الله وصفاته وكل للاستغراق فيقتضى أن القدرة تتعلق بالواجبات فدفع ذلك بقوله شاءه أى أراده والارادة لاتتعلق إلا بالممكن فكذا القدرة فخرجت ذات الله وصفاته فلاتتعلق بهما القدرة والإلزام إما تحصيل الحاصل أوقلب الحقائق (قوله قدير) من القدرة وهى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات إيجادا أو إعداما على وفق الارادة والعلم (قوله ومنه إذهاب ماذكر) أى من جملة الشىء الذى شاءه وقوله ماذكر أى السمع والبصر (قوله يأيها الناس) لم يناد فى القرآن إلا بيا سواء كان النداء من الله لعباده أومنهم لله وهى لنداء البعيد، ولما كان الله لايشبه شيئا من الحوادث وهو منزه عنهم ذاتا وصفات وأفعالا نودى بيا تنزيلا للبعد المعنوى منزلة البعد الحسى ولما كان البعد قائما بالحوادث للحجب الموجودة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى ناداهم بيا أيضا ويا حرف نداء وأيّ منادى مبنى على الضم والناس نعت لأى باعتبار اللفظ وهو مرفوع بضمة ظاهرة واستشكل ذلك بأن

(وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ) بمعنى أسماعهم (وَأَبْصَارِهِمْ) الظاهرة كما ذهب بالباطنة (إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) شاءه (قَدِيرٌ) ومنه إذهاب ما ذكر (يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) أى أهل مكة (ٱعْبُدُوا) وحدوا (رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ) أنشأكم ولم تكونوا شيئا (وَ) خلق (ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) بعبادته عقابه، ولعل فى الأصل للترجى وفى كلامه تعالى للتحقيق (ٱلَّذِى جَعَلَ) خلق (لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا) حال بساطا يفترش لاغاية فى الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها (وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفا (وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ) أنواع

العامل إنما طلب النصب لاالبناء على الضم وإنما هو اصطلاح للنحاة فما وجه رفع الناس مع أن القاعدة أن النعت تابع للمنعوت فى الاعراب وهذا إشكال قديم لاجواب له. واعلم أن النداء على سبعة أقسام نداء تنبيه مع مدح كيأيها النبىّ أومع ذم كيأيها الذين هادوا أوتنبيه محض كيأيها الانسان أو إضافة كياعبادى أونسبة كيانساء النبى أوتسمية كياداود أوتخصيص كيا أهل الكتاب (قوله أى أهل مكة) يصح رفع أهل نظرا للفظ الناس ونصبه نظرا لمحل أىّ لأن لمابعد أىّ فى الاعراب حكم مافسرته (قوله وحدوا) هذا تفسير للعبادة والمفسر قد تبع فى تفسير الناس بأهل مكة والعبادة بالتوحيد ابن عباس وقال جمهور المفسرين إن المراد بالناس جميع المكلفين وبالعبادة جميع أنواعها أصولا وفروعا وهو أشمل واستدل المفسر بقاعدة أن ماقيل فى القرآن بيأيها الناس كان خطابا لأهل مكة ويأيها الذين آمنوا كان خطابا لأهل المدينة وهى قاعدة أغلبية فان السورة مدنية (قوله الذى خلقكم) صفة لرب وتعليق الحكم بمشتق يؤذن بالعلية أى اعبدوه لخلقه إياكم فانه هو الذى يعبد لاغيره (قوله عقابه) إشارة إلى مفعول تتقون (قوله ولعل فى الأصل للترجى) أى أصل اللغة والترجى هو توقع الأمر المحبوب على سبيل الظن (قوله وفى كلامه تعالى للتحقيق) أى ومثلها عسى كما قال سيبويه ودفع بذلك مايتوهم من معنى لعل كون المولى سبحانه وتعالى جاهلا بالأمور المستقبلة وأتى به على صورة الترجى بالنسبة لحال المخاطبين لا لخبر الله فانه من قبيل الوعد وهو لايتخلف. (قوله خلق) أى فتنصب مفعولا واحدا وهو الأرض وقوله فراشا حال كما قال المفسر ويحتمل أنها على بابها بمعنى صير فيكون فراشا مفعولا ثانيا والمراد على الثانى التصيير من عدم (قوله فلايمكن الاستقرار عليها) مفرع على المنفى بشقيه (قوله سقفا) أى وقد صرّح به فى آية ـ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ـ (قوله من السماء) أى اللغوية وهى ماعلا وارتفع والمراد السحاب (قوله ماء) هو من الجنة فينزل بمقدار على السحاب وهو كالغربال ثم يساق حيث شاء الله على مختار أهل السنة، وقالت المعتزلة: إن السحاب له خراطيم كالابل فينزل يشرب من البحر المالح بمقدار ويرتفع فى الجوّ فتنسفه الرياح فيحلو ثم يساق حيث شاء الله.

(قوله الثمرات) أى المأكولات لجميع الحيوانات بدليل قول المفسر وتعلفون به دوابكم والمراد بها مادبّ على وجه الأرض غير الآدمى (قوله فلا تجعلوا لله أندادا) لاناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواوفاعل وأندادا مفعول أول مؤخر ولله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم واجب التقديم لأن المفعول الأول فى الأصل نكرة ولم يوجد له مسوّغ إلا تقديم الجار والمجرور ومعنى تجعلوا تصيروا أو تسموا وعلى كل فهى متعدية لمفعولين والفاء سببية والأنداد جمع ندّ معناه المقاوم المضاهى سواء كان مثلا أو ضدا أو خلافا (قوله وأنتم تعلمون) جملة من مبتدإ وخبر فى محلّ نصب على الحال وقوله أنه الخالق بفتح الهمزة فى تأويل مصدر سدت مسد مفعولى تعلمون أى تعلمونه خالقا (قوله ولا يكون إلها إلا من يخلق) هذا هو تمام الدليل قال تعالى ـ أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون ـ (قوله وإن كنتم فى ريب) استشكلت هذه الآية بوجوه ثلاثة : الأول أن إن تقلب المضى إلى الاستقبال ولوكان الفعل كان خلافا للمبرد القائل بأنها لاتقلبه إذا كان الفعل كان واحتج بهذه الآية فيقتضى أن الريب مستقبل وليس حاصلا الآن مع أنه حاصل . أجيب عنه بأن الاستقبال بالنسبة للدوام والمعنى إن دمتم على الريب . الوجه الثانى أنّ إن للشكّ فيفيد أن ريبهم مشكوك فيه مع أنه محقق. أجيب بأنه أتى بان إشارة للائق أى اللائق والمناسب أن لا يكون عندكم ريب. الوجه الثالث[1] أن قوله وإن كنتم فى ريب أى شك فى أنه من عند الله أو من عند محمد فليس عندهم جزم بأنه من عند محمد وقوله إن كنتم صادقين يفيد أن عندهم جزما بأنه من عند محمد فبين أول الآية وآخرها تناف.أجيب بأنه أشار فى أول الآية إلى عقيدتهم الباطنية وفى آخرها إلى عنادهم لإظهار الاغاظة له صلى الله عليه وسلم فلا يخلو حالهم الباطنى إما أن يكون عندهم شك فى أنه من عند الله أو تحقيق بأنه من عند الله و إنما إظهارهم الجزم بأنه ليس من عند الله عناد (قوله شك)

(الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ) تأكلونه وتعلفون به دوابكم (فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) شركاء فى العبادة (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه الخالق ولا يخلقون ولا يكون إلها إلا من يخلق (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شك (مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) محمد من القرآن أنه من عند الله (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ) أى المنزل ومن للبيان أى هى مثله فى البلاغة وحسن النظم والاخبار عن الغيب . والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ) آلهتكم التى تعبدونها (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره لتعينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن محمدا قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك ، فانكم

جعل الشك ظرفا لهم إشارة إلى أنه تمكن منهم تمكن الظرف من المظروف (قوله مما نزلنا) من حرف جرّ وما اسم موصول أو نكرة موصوفة والعائد محذوف والجملة صلة أو صفة والجار والمجرور صفة لريب والتقدير فى ريب كائن من الذى نزلناه أو فى ريب كائن من كلام نزلناه (قوله على عبدنا) الاضافة للتشريف وقرئ على عبادنا فعلى هذه القراءة المراد بالجمع محمد وأمته لأن المكذب لمحمد مكذب لأمته (قوله من القرآن) بيان لما (قوله أنه من عند الله) الكلام على حذف الجارّ أى بأنه (قوله فأتوا) أصله ائتيوا بهمزتين الأولى للوصل والثانية فاء الكلمة وقعت الثانية ساكنة بعد كسرة قلبت ياء واستثقلت الضمة على الياء التى هى لام الكلمة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين وضمت التاء للتجانس وفى الدرج تحذف همزة الوصل وتعود الهمزة التى قلبت ياء كما هنا فأتوا على وزن فاعوا (قوله أى المنزل) أى وهو القرآن ويشهد لهذا التفسير مافى سورة يونس ـ قل فأتوا بسورة مثله ـ ويحتمل أن الضمير عائد على عبدنا الذى هو محمد : أى فأتوا بسورة من رجل مثل محمد فى كونه أميا بشرا عربيا فانكم مثله وحيث كان كذلك فلا بعد فى مناظرته (قوله ومن للبيان) ويحتمل أن تكون للتبعيض والأولى أقرب (قوله فى البلاغة) هذا بيان لوجه المماثلة (قوله أقلها ثلاث آيات) ليس من تمام التعريف بل هو بيان للواقع فان أقصر سورة ثلاث آيات ولو فرض أنها آيتان لعجزوا أيضا (قوله أى آلهتكم) إنما سموا شهداء لزعمهم أنهم يشهدون لهم يوم القيامة (قوله أى غيره) أشار بذلك إلى أن دون بمعنى غير ، والمعنى ادعوا شهداءكم الذين اتخذتموهم من دون الله أولياء أو آلهة وزعمتم أنها تشهد لكم يوم القيامة فقوله من دون الله وصف لشهداء أو حال منه وهو على زيادة من إذ تقديره شهداءكم التى هى غير الله أو حال كونها مغايرة لله وقوله لتعينكم علة لقوله ادعوا (قوله فافعلوا) إشارة إلى جواب الشرط الثانى وأما جواب الأول فهو مذكور بقوله فأتوا هكذا قال المفسر ولكن سيأتى له فى قوله تعالى ـ قل إن كانت لكم الدار الآخرة ـ الآية وللمحلى فى تفسير قوله تعالى ـ قل

(١) (قوله الثالث الخ) كلام خال عن الخبر والظاهر أن يقال الثالث أن قوله وان كنتم الخ يفيد أنه ليس عندهم جزم الخ

يا أيها الذين هادوا ـ الآية أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان للأخير والأول قيد فيه ولا يحتاج لجواب ثان والتقدير فى الآية إن كنتم صادقين فى دعواكم أنه من عند محمد ودمتم على الريب فأتوا بسورة من مثله وهو أولى لعدم التقدير (قوله فانكم عربيون) علة لقوله فافعلوا (قوله فان لم تفعلوا) إن حرف شرط ولم حرف نفى وجزم وقلب وتفعلوا مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون والجملة من الجازم والمجزوم فى محل جزم فعل الشرط وقوله فاتقوا جواب الشرط وقرن بالفاء لأنه فعل طلبى (قوله أبدا) أخذ التأبيد من قرينة خارجية لامن لن خلافا للزمخشرى (اعتراض) أى جملة معترضة بين فعلى الشرط وجوابه قصد بها تأكيد العجز وليس معطوفا على جملة لم تفعلوا (قوله وأنه) بفتح الهمزة على حذف الجار أى و بأنه (قوله التى وقودها) بفتح الواو ما توقد به وأما بالضم فهو الفعل ، وقيل بالعكس على حد ما قيل فى الوضوء والطهور والسحور (قوله كأصنامهم منها) إنما خص الأصنام بكونها من الحجارة مسايرة للآية و إلا فالأصنام مطلقا تدخل النار قال تعالى ـ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ـ ويستثنى من ذلك عيسى والعزير وكل معبود من الصالحين وإنما دخلت الأصنام النار وإن كانت غير مكلفة إهانة لعبادها وليعذبوا بها لا لتعذيبها (قوله بما ذكر) أى بالناس الكفار والحجارة (قوله لا كنار الدنيا) أى كما ورد إن نار الدنيا قطعة من جهنم غمست فى البحر سبع مرات ثم بعد أخذها أوقد على جهنم ثلاثة آلاف سنة ألف حتى ابيضت وألف حتى احمرت وألف حتى اسودت فهى الآن سوداء مظلمة (قوله جملة مستأنفة الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة لا ارتباط لها بما قبلها وقعت فى جواب سؤال مقدر تقديره هذه النار التى وقودها الناس والحجارة لمن ؟ (قوله أو حال لازمة) أى والتقدير فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين ودفع بقوله لازمة ماقيل

فانكم عربيون فصحاء مثله ، ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا) ماذكر لعجزكم (وَلَنْ تَفْعَلُوا) ذلك أبداً لظهور إعجازه اعتراض (فَاتَّقُوا) بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر (النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها يعنى أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (أُعِدَّتْ) هيئت (لِلْكَافِرِينَ) يعذبون بها جملة مستأنفة أو حال لازمة (وَبَشِّرِ) أخبر (الَّذِينَ آمَنُوا) صدقوا بالله (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (أَنَّ) أى بأن (لَهُمْ جَنَّاتٍ) حدائق ذات أشجار ومساكن (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا) أى تحت أشجارها وقصورها (الْأَنْهَارُ)

إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا (قوله و بشر) جرت عادة الله فى كتابه أنه إذا ذكر مايتعلق بالكافرين وأحوالهم وعاقبة أمرهم يذكر باصقه مايتعلق بالمؤمنين وأحوالهم وعاقبة أمرهم فان القرآن نزل لهذين الفريقين . والبشارة هى الخبر السار سمى الخبر بذلك لطلاقة البشرة والفرح والسرور عنده والأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو للوجوب لأن البشارة من جملة ما أمر بتبليغه ويحتمل أن الأمر عام له ولكل من تحمل شرعه كالعلماء (قوله أخبر) مشى المفسر على أن معنى البشارة الخبر مطلقا لكن غلب فى الخير وضده على النذارة وأما قوله تعالى ـ فبشرهم بعذاب أليم ـ فمن باب التشبيه بجامع أن كلا صادر من المولى وهو لايتخلف (قوله صدقوا بالله) إنما اقتصر على ذلك لأنه يلزم من التصديق بالله التصديق بما أخبر به على لسان رسله (قوله الصالحات) وصف جرى مجرى الأسماء فلذلك صح إسناد العوامل له فلا يقال إنه صفة لموصوف محذوف أى الأعمال الصالحات (قوله من الفروض) أى كالصلوات الخمس وصيام رمضان والحج فى العمر مرة وزكاة الأموال والجهاد إذا فجأ العدو وقوله والنوافل أى كصلاة التطوع وصومه ومواساة الفقراء وغير ذلك من أنواع البر والمراد عملوا الصالحات على حسب الطاقة قال تعالى ـ فاتقوا الله ما استطعتم ـ (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى حذف الجار وهو مطرد مع أن ، قال ابن مالك :

نقلا وفى أن وأن يطرد   مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

(قوله لهم جنات) جمع جنة واختلف فى عددها فقيل أربع وهو مايؤخذ من سورة الرحمن وقيل سبع وعليه ابن عباس : جنة عدن وجنة المأوى والفردوس ودار السلام ودار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد (قوله حدائق) جمع حديقة وهى الروضة الحسنة (قوله ذات أشجار ومساكن) أى موجودات فيها الآن ومع ذلك تقبل الزيادة ، فالجنة تامة فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، ومع ذلك أرضها واسعة طيبة تقبل الزيادة (قوله أى تحت أشجارها) أى على وجه الأرض بقدرة الله فلا تبلى فرشا ، ولا تهدم بناء ، ولا تقطع شجرا (قوله الأنهار) يحتمل أن تكون أل للعهد ، والمراد بها ما ذكر فى سورة

القتال بقوله تعالى ـ فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ـ (قوله أى المياه فيها) أى الأنهار وأشار بذلك إلى أن فى الجنة حفرا كأنهار الدنيا ، وقيل لم يوجد فى الجنة حفر تجرى فيها المياه بل تجرى على وجه الأرض (قوله والنهر الموضع) أى بحسب الأصل اللغوى (قوله و إسناد الجرى إليه مجاز) أى عقلى أو الاسناد حقيقى و إنما التجوز فى الكلمة من إطلاق المحل و إرادة الحال فيه (قوله كلما رزقوا) ظرف لقوله قالوا (قوله من ثمرة) أى نوعها (قوله أى مثل ما) الأولى حذف ما وتقديم مثل على الذى وأتى بمثل دفعا لما يتوهم من قولهم هذا الذى رزقنا من قبل أنه عينه وذلك مستحيل لأنه قد أكل والمعنى أن الله قادر على صنع طعام متحد اللون مختلف الطعم واللذة فاذا رأوه قالوا هذا الذى رزقنا من قبل بحسب ما رأوا من اتحاد اللون فاذا أكلوه علموا بعدم الاتحاد (قوله أى قبله فى الجنة) أشار بذلك إلى ردّ ما قيل إن المراد بقوله من قبل فى الدنيا وقوله وأتوا به متشابها أى يشبه ثمر الدنيا فى الصورة (قوله جيئوا بالرزق) أي يأتى به الولدان والملائكة والمراد بالرزق المرزوق أى المأكول (قوله وغيرها) أى نساء الدنيا فقد ورد إن نساء الدنيا يكنّ أجمل من الحور العين ، وقد ورد أن كل رجل يزوج بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء (قوله وكل قذر) أى كالنفاس والبصاق والمخاط وليس فى الجنة إنزال ولا حمل ولا ولادة ، وليس الأكل والشرب عن جوع وظمأ (قوله لايفنون) أى ولا يمرضون ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم (قوله ولا يخرجون) أى

لقوله تعالى ـ وما هم منها بمخرجين ـ (قوله ونزل ردّا) فاعل نزل جملة إنّ الله لايستحيي قصد لفظها وردّا بمعنى جوابا مفعول لأجله أوحال من فاعل نزل وقوله لما ضرب الله المثل ظرف للقول ومقول القول قوله ما أراد الله الخ وقوله بالذباب الباء للتصوير وهو متعلق بضرب وجواب استفهامهم قوله تعالى ـ يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ـ (قوله فى قوله) أى تعالى وحذفها للاختصار وكذا بقية المثلين (قوله بذكر هذه الأشياء الحسيسة) أى مع أنه عظيم وقالوا أيضا : إن الواحد منا يستحي أن يضرب المثل بالشيء الحسيس فالله أولى وجعلوا ذلك ذريعة لإنكار كونه من عند الله (قوله إنّ الله لايستحيي) مضارع استحيا ومصدره استحياء وقرئ بحذف إحدى الياءين فاختلف هل المحذوف اللام أو العين فعلى الأول وزنه يستفع وعلى الثانى وزنه يستفل وعلى كل نقلت حركة ما بعد الساكن إليه فحذفت إما اللام أو العين . والحياء فى حق الحوادث تغير و إنكسار يعترى الانسان من فعل ما يعاب ولازمه الترك فأطلق فى حق الله وأريد لازمه وهو الترك و إنما أتى به مشاكلة لقولهم الله عظيم يستحي أن يضرب المثل بالشيء الحقير (قوله أن يضرب) فيه حذف الجار أى من أن يضرب وقوله يجعل أى فينصب مفعولين (قوله أو زائدة) أى وهو الأقرب، والمعنى على الأول إن الله لايستحيي أن يجعل مثلا شيئا موصوفا بكونه بعوضة فما فوقها وعلى الثانى إن الله لايستحيي أن يجعل مثلا بعوضة فما فوقها (قوله لتأكيد الحسة) أى فليست زيادة محضة وهكذا كل زائد فى القرآن (قوله وهو صغار البق) يطلق البق على الناموس وعلى الأحمر لمنتن الرائحة والأقرب الأول لأنه عجيب فى الخلقة فله ستة أرجل وأربعة أجنحة وخرطوم طويل وذنب ومع ضعفه وصغره يقتل الجمل العظيم بمنقاره وهو القاتل للنمرود (قوله أى أكبر منها) أى فى الجسم كالجمل مثلا ويحتمل أن المراد بقوله فما فوقها أى فى الحسة كالذرة (قوله أى لا يترك بيانه) هذا هو معنى الاستحياء فى حق الله وتقدم أنه مجاز من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم (قوله لما فيه من الحكم) علة لعدم الترك (قوله فأما الذين آمنوا) شروع فى بيان الحكمة المترتبة على ضرب المثل

أى المياه فيها . والنهر الموضع الذى يجرى فيه الماء لأن الماء ينهره أى يحفره و إسناد الجرى إليه مجاز (كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا) أطعموا من تلك الجنات (مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هٰذَا الَّذِى) أى مثل ما (رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبله فى الجنة لتشابه ثمارها بقرينة (وَأُتُوا بِهِ) أى جيئوا بالرزق (مُتَشَابِهاً) يشبه بعضه بعضاً لونا ويختلف طعماً (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ) من الحور وغيرها (مُطَهَّرَةٌ) من الحيض وكل قذر (وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ماكثون أبدا لايفنون ولا يخرجون * ونزل ردا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب فى قوله و إن يسلبهم الذباب شيئاً والعنكبوت فى قوله كمثل العنكبوت ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الحسيسة (إِنَّ اللّٰهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ) يجعل (مَثَلاً) مفعول أول (مَا) نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أى أى مثل كان أو زائدة لتأكيد الحسة فما بعدها المفعول الثانى (بَعُوضَةً) مفرد البعوض وهو صغار البق (فَمَا فَوْقَهَا) أى أكبر منها أى لايترك بيانه لما فيه من الحكم (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا

فيعلمون

(قوله الواقع موقعه) صادق بالأفعال الصائبة والذات الثابتة والأقوال الصادقة (قوله تمييز) أى محوّل عن المفعول على حد ـ وفجرنا الأرض عيونا ـ (قوله استفهام إنكار) أى بمعنى النفى (قوله بمعنى الذى) أى والعائد محذوف أى أراده (قوله أى أىّ فائدة) هذا زبدة معنى التركيب وقصدهم بهذا الاستفهام نفى الفائدة فيتوصلون بذلك إلى انكار كونه ـ من عند الله ـ (قوله به) الباء سببية وقوله لكفرهم به علة لضلالهم (قوله لتصديقهم به) علة لهدايتهم (قوله إلا الفاسقين) يطلق لفظ الفاسقين على من فعل الكبائر فى بعض الأحيان وعلى من فعلها فى كل الأحيان غير مستحل لها وعلى من استحلها وهو المراد هنا فقول المفسر الخارجين عن طاعته أى بالكلية وهم الكفار (قوله نعت) أى للفاسقين (قوله ماعهده إليهم) إنما فسر المصدر باسم المفعول لأن العهد الذى هو أمر الله بالايمان بالنبي قد حصل فلا ينقض وإنما الذى ينقض المأمور به والمراد العهد الواقع على ألسنة أنبيائهم فى كتبهم فان الله عاهد كل نبى مع أمته من آدم إلى عيسى أنه إذا ظهر محمد ليؤمنن به ولينصرنه قال تعالى ـ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ـ الآية ومن جملة العهد أوصافه المذكورة فى كتبهم فنقضوا ذلك بتبديلهم إياها وإنكارها وعدم الايمان بها وفى قوله تعالى ـ ينقضون عهد الله استعارة بالكناية حيث شبه العهد بالحبل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو ينقضون فاثباته تخييل والنقض فى الأصل فك طاقات الحبل والمراد منه هنا الابطال ففيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الابطال بالنقض واستعير النقض

فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ) أى المثل (الْحَقُّ) الثابت الواقع موقعه (مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا) تمييز أى بهذا المثل وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره أى أىّ فائدة فيه قال تعالى فى جوابهم (يُضِلُّ بِهِ) أى بهذا المثل (كَثِيرًا) عن الحق لكفرهم به (وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا) من المؤمنين لتصديقهم به (وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ) الخارجين عن طاعته (الَّذِينَ) نعت (يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ) ما عهده إليهم فى الكتب من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ) توكيده عليهم (وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك وأن بدل من ضمير به (وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصى والتعويق عن الإيمان (أُولَٰئِكَ) الموصوفون بما ذكر (هُمُ الْخَاسِرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (كَيْفَ تَكْفُرُونَ) يا أهل مكة (بِاللَّهِ وَ) قد (كُنْتُمْ أَمْوَاتًا) نطفا فى الأصلاب (فَأَحْيَاكُمْ) فى الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم ؟ والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ

للابطال واشتق من النقض ينقضون بمعنى يبطلون والعهود ثلاثة عهد عام وهو عهد الله فى الأزل لجميع الخلق على التوحيد واتباع الرسل وعهد خاص بالأنبياء وهو تبليغ الشرائع والأحكام وعهد خاص بالعلماء وهو تبليغ ما تلقوه عن الأنبياء والكفار قد نقضوها (قوله من الايمان) بيان لما وقوله بالنبي أى من توقيره ونصره والايمان به ومتابعته وقوله والرحم أى ومن وصل ذى الرحم أى القرابة من الاحسان إليهم ومواساتهم والبر بهم (قوله وأن بدل من ضميره) أى فأن والفعل بعدها فى تأويل مصدر فى محل جر على البدلية للضمير فى به التقدير ما أمر الله بوصله ويصح أن يكون أن يوصل بدلا من ما فهو فى محل نصب والأول أقرب (قوله والتعويق عن الايمان) عطف خاص على عام فان التعويق من أكبر المعاصى (قوله أولئك) مبتدأ أول وهم مبتدأ ثان والخاسرون خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول ويحتمل أن هم ضمير فصل لا محل له من الاعراب والخاسرون خبر أولئك (قوله لمصيرهم) علة لكونهم خاسرين (قوله يا أهل مكة) الأحسن العموم سواء كان المخاطب جنا أو إنسا من أهل مكة أو غيرها (قوله وقد كنتم) قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أن الجملة حالية مع كونها ماضوية والجملة الماضوية إذا وقعت حالا وجب اقترانها بقد إما لفظا أو تقديرا (قوله فى الأصلاب) إنما قدره لأجل اقتصاره على النطف وإلا فى حالة كونهم فى الرحم علقة ومضغة أموات أيضا (قوله فأحياكم) مرتب على محذوف تقديره وكنتم علقة فمضغة فأحياكم وإنما قلنا ذلك لأن الإحياء لا يكون عقب كونهم نطفا بسرعة بل بعد مضى زمن كونهم علقة وكونهم مضغة ولو قال المفسر وقد كنتم أمواتا نطفا أوعلقا أومضغا فأحياكم لحسن الترتيب (قوله بنفخ الروح) الباء سببية (قوله والاستفهام للتعجب) التعجب استعظام أمر خفى سببه وهو بالنسبة للخلق لا للخالق فهو مستحيل والأحسن أن يكون الاستفهام للتعجب والتوبيخ معا وهو الردع والزجر

(قوله ثم يميتكم) الترتيب فى هذا ومابعده ظاهر فان بين نفخ الروح والموت زمنا طويلا وبين الموت والاحياء بالبعث زمن طويل وبين الاحياء والمجازاة على الأعمال كذلك (قوله لما أنكروه) أى استغرابا واستبعادا قال تعالى ـ أئذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ـ (قوله أى الأرض ومافيها) أى فمراده العالم السفلى بجميع أجزائه وأل فى الأرض للجنس فيشمل الأرضين السبع (قوله وتعتبروا) أى إذا تأملتم الأرض وتغير الأحوال فيها وماحوته علمتم أن ذلك صنع حكيم قادر فينشأ عن ذلك الاعتبار كمال التوحيد وقوله لتنتفعوا به أى ظاهرا وباطنا وهو جميع المخلوقات ماعدا المؤذيات وأما المؤذيات كالحيات والعقارب والسباع وغير ذلك فنفعها من حيث العبرة بها فما من شىء مخلوق إلا وفى خلقه حكمة تبهر العقول سبحانك ماخلقت هذا عبثا ولما سئل الامام الشافعى رضى الله عنه عن حكمة خلق الذباب أجاب بقوله مذلة للملوك (قوله ثم استوى) الاستواء فى الأصل الاعتدال والاستقامة وهذا المعنى مستحيل على الله تعالى فالمراد منه هنا فى حق الله القصد والارادة فقوله قصد أى تعلقت إرادته التعلق التنجيزى الحادث بخلق السموات وثم للترتيب مع الانفصال لأنه خلق الأرض فى يومين وخلق الجبال والأقوات وما فى الأرض فى يومين فتكون الجملة أربعة أيام فالترتيب الرتبى ظاهر ويشهد لذلك قوله تعالى ـ قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ـ الآيات وعلى ذلك درج المفسر حيث قال أى الأرض ومافيها ويحتمل أن ثم للترتيب الذكرى بناء على أن الأرض خلقت مكورة فبعد ذلك خلقت السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وخلق جميع مافيها ويشهد لذلك قوله تعالى ـ ءأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ـ ثم قال ـ والأرض بعد ذلك دحاها ـ وعلى ذلك درج القرطبى وغيره وهو الحق

(ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) بالبعث (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم . وقال دليلا على البعث لما أنكروه (هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَافِى الْأَرْضِ) أى الأرض وما فيها (جَمِيعاً) لتنتفعوا به وتعتبروا (ثُمَّ اسْتَوَى) بعد خلق الأرض أى قصد (إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ) الضمير يرجع إلى السماء لأنها فى معنى الجمع الآيلة إليه أى صيرها كما فى آية أخرى فقضاهن (سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) مجملا ومفصلا أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء وهو أعظم منكم قادر على إعادتكم (وَ) اذكر يامحمد (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً) يخلفنى فى تنفيذ أحكامى فيها وهو آدم (قالوا

(قوله إلى السماء) أى جهة العلو وأل للجنس (قوله فقضاهن) بدل من آية فسوى وصير وقضى بمعنى واحد وكل واحد ينصب مفعولين (قوله سبع سموات) أى طباقا بالاجماع للآية وبين كل سماء خمسمائة عام وسمكها كذلك والأولى من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من زمردة خضراء (قوله مجملا ومفصلا) هذا هو مذهب أهل السنة خلافا لمن ينكر علم الله بالأشياء تفصيلا فانه كافر (قوله على خلق ذلك) أى الأرض وما فيها والسموات وما فيها بقوله وهو الضمير عائد على اسم الاشارة (قوله وهو أعظم منكم) أى لقوله تعالى ـ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ـ (قوله قادر على إعادتكم) هذا هو روح الدليل (قوله وإذ قال ربك) إذ ظرف فى محل نصب معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أى اذكر يامحمد قصة قول ربك الخ والأحسن أنه معمول لقوله بعد قالوا التقدير قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وقت قول ربك للملائكة الخ لأن إذ إذا وقعت ظرفا لاتكون إلا للزمان (قوله للملائكة) جمع ملك مخفف ملأك وأصله مألك على وزن مفعل مشتق من الألوكة وهى الارسال دخله القلب المكانى فأخرت الهمزة عن اللام فنقلت حركة الهمزة للساكن قبلها وهو اللام فسقطت الهمزة (قوله إنى جاعل) يصح أن يكون بمعنى مصير فخليفة مفعول أول وفى الأرض مفعول ثان قدم لأنه المسوغ للابتداء بالنكرة فى الأصل ويصح أن يكون بمعنى خالق فخليفة مفعول وفى الأرض متعلق به (قوله خليفة) فعيلة بمعنى مفعول أى مخلف أو بمعنى فاعل أى خالف بمعنى أنه قائم بالخلافة وحكمة جعله خليفة الرحمة بالعباد لا لافتقار الله له وذلك أن العباد لاطاقة لهم على تلقى الأوامر والنواهى من الله بلا واسطة بل ولا بواسطة ملك فمن رحمته ولطفه وإحسانه إرسال الرسل من البشر (قوله وهو آدم) أى فهو أبو البشر والخليفة الأول باعتبار عالم الأجساد وأما باعتبار عالم الأرواح فهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال العارف :

فانى و إنى كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوتى وهو مأخوذ من أديم الأرض لخلقه من جميع أجزائها وكانت ستين جزأ ولذلك كانت طباع بنيه ستين طبعا وكفارة الظهار والصوم ستين وعاش من العمر تسعمائة وستين ومامات حتى رأى من أولاده مائة ألف عمروا الأرض بأنواع الصنائع والملائكة المخاطبون يحتمل أنهم النوع المسمى بالجان ورئيسهم إبليس فان الله خلق خلقا وأسكنهم الأرض يسمون بنى الجان فأفسدوا فى الأرض فسلط الله عليهم هؤلاء الملائكة فطردوهم وسكنوا موضعهم ويحتمل أن الخطاب لعموم الملائكة (قوله من يفسد فيها) أى بمقتضى القوة الشهوية وقوله ويسفك الدماء أى بمقتضى القوة الغضبية فان فى الانسان ثلاثة أشياء قوة شهوية وقوة غضبية وقوة عقلية فبالأوليين يحصل النقص وبالأخيرة يحصل الكمال والفضل وقد نظر الملائكة للأوليين ولم ينظروا للثالثة (قوله كما فعل بنو الجان) قيل الجان إبليس وقيل مخلوق آخر وإبليس أبو الشياطين (قوله أرسل الله عليهم الملائكة) أى المسمين بالجان ورئيسهم ابليس وفى هذه الآية أمور: منها مشاورة العظيم للحقير ولابأس بها لتأليف الحقير قال تعالى - وشاورهم فى الأمر - ومنها إظهار عجز الملائكة عن علم الغيب ومنها إظهار فضل آدم للملائكة ومنها أنه لاينبغى ترك الخير الكثير من أجل شر قليل فان بنى آدم خيرهم غالب شرهم فان منهم الأنبياء والرسل والأولياء وإن لم يكن منهم إلا سيدنا محمد لكفى (قوله ملتبسين) أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة والجملة من قبيل الحال المتداخلة (قوله ونقدس لك) التقديس فى اللغة يرجع لمعنى التسبيح وهو التنزيه عما لايليق وأما هنا

(قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا) بالمعاصى (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ) يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان، وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ) ملتبسين (بِحَمْدِكَ) أى نقول سبحان الله وبحمده (وَنُقَدِّسُ لَكَ) ننزهك عما لايليق بك فاللام زائدة والجملة حال أى فنحن أحق بالاستخلاف (قَالَ) تعالى (إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) من المصلحة فى استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصى فيظهر العدل بينهم فقالوا لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق تعالى آدم من أديم الأرض أى وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ فيه الروح فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً (وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ) أى أسماء المسميات (كُلَّهَا) حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية والمغرفة

فالتسبيح يرجع للعبادة الظاهرية والتقديس يرجع للاعتقادات الباطنية (قوله فاللام زائدة) أى لتأكيد التخصيص ويحتمل أنها للتعدية والتعليل أى ننزهك لالطمع فى عاجل ولا آجل ولاخوفا من عاجل ولا آجل فتنزيهنا لذاتك فقط (قوله أى فنحن أحق بالاستخلاف) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله ولا احتقار آدم وإنما ذلك اطلاب جواب يريحهم من العناء حيث وقعت المشورة من الله لهم (قوله فيظهر العدل بينهم) أى فالطائع المؤمن له الجنة والعاصى الكافر له النار (قوله فقالوا) أى سرا فى أنفسهم (قوله لسبقنا له) أى للخلق وهو راجع لقوله أكرم وقوله ورؤيتنا راجع لقوله ولا أعلم فهو لف ونشر مرتب (قوله جميع ألوانها) تقدم أنها ستون وورد أن الله لما أراد خلق آدم أوحى إلى الأرض إنى خالق منك خلقا من أطاعنى أدخلته الجنة ومن عصانى أدخلته النار فقالت يارب أتخلق منى خلقا يدخل النار فقال نعم فبكت فنبعت العيون من بكائها فهى تجرى إلى يوم القيامة (قوله بالمياه المختلفة) أى على حسب الألوان (قوله وعلم آدم) الحق أن آدم ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة فليس منصرفا ولامشتقا على التحقيق (قوله أى أسماء المسميات) أشار بذلك إلى أن أل عوض عن المضاف إليه والمراد بالمسميات مدلولات الأسماء سواء كانت جواهر أو أعراضا أومعانى أومعنوية فالحاصل أن الله أطلع آدم على المسميات جميعها وعلمه أسماءها وأطلع الملائكة على المسميات ولم يعلمهم أسماءها فاشترك آدم مع الملائكة فى معرفة المسميات واختص آدم بمعرفة الأسماء بجميع اللغات وتلك اللغات تفرقت فى أولاده (قوله حتى القصعة) غاية فى الخسة اشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء شريفة أو خسيسة وحكمتها أيضا كما يأتى والقصعة هى الاناء الكبير من الخشب والقصيعة الاناء الصغير منه أيضا المسمى بالزوبلى (قوله والفسوة) من باب عتا والمصدر فسوا والاسم الفساء بالمد واوى هو الريح الخارج من الدبر بلاصوت فان كان شديدا سمى فسوة وإن كان خفيفا سمى فسية وإن كان بصوت سمى ضراطا وهو من باب تعب وضرب والمصدر ضرطا بفتح الراء وسكونها فالمكبر للشديد والمصغر للخفيف

بأن ألقى فى قلبه علمها (ثُمَّ عَرَضَهُمْ) أى المسميات وفيه تغليب العقلاء (عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ) لهم تبكيتا (أَنْبِئُونِي) أخبرونى (بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ) المسميات (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنى لا أخلق أعلم منكم أو أنكم أحق بالخلافة وجواب الشرط دل عليه ما قبله (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن الاعتراض عليك (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) إياه (إِنَّكَ أَنْتَ) تأكيد للكاف (الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) الذى لايخرج شىء عن علمه وحكمته (قَالَ) تعالى (يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ) أى الملائكة (بِأَسْمَائِهِمْ) أى المسميات فسمى كل شىء باسمه وذكر حكمته التى خلق لها (فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ) تعالى لهم توبيخا (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ماغاب فيهما (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون من قولكم أتجعل فيها الخ (وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) تسرون من قولكم لن يخلق الله أكرم عليه منا ولا أعلم (وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود تحية بالانحناء (فسجدوا

(قوله بأن ألقى فى قلبه علمها) أى الأسماء وحكمتها حين صور الله المسميات كالذر وذلك قبل دخوله الجنة وهو ظاهر فى الأشياء المحسوسة ، وأما المعقولة كالحياة والقدرة والفرح وغير ذلك فبالقاء الله الدال والمدلول فى قلبه (قوله وفيه تغليب العقلاء) أى فى الاتيان بميم الجمع التى للعقلاء الذكور وإلا فلو لم يغلب لقال عرضها أو عرضهن وبهما قرىء شاذا (قوله على الملائكة) يحتمل عموم الملائكة ويحتمل خصوص الملائكة المسمين بالجان الذين كانوا فى الأرض (قوله أنبئونى) الإنباء هو الإخبار بالشىء العظيم فهو أخص من الخبر (قوله أخبرونى) أى أجيبونى ليظهر عجزكم وذلك تعجيز لهم لأنهم ليسوا عالمين ذلك لا لاستفهام العلم منهم (قوله فى أنى لا أخلق أعلم منكم) متعلق بصادقين (قوله دل عليه ماقبله) أى قوله أنبئونى فهو دليل الجواب والجواب محذوف تقديره إن كنتم صادقين فأنبئونى (قوله سبحانك) مصدر ، وقيل اسم مصدر منصوب بعامل محذوف وجوبا : أى أسبح وهى كلمة تقال مقدمة للأمر العظيم كان توبة واستغفارا أم لا والمقصود منها توبتهم واستغفارهم كقول موسى عليه السلام - سبحانك تبت إليك - وقول يونس - سبحانك إنى كنت من الظالمين - والغالب عليه الإضافة ، وأما * سبحان من علقمة الفاخر * فمؤول أو شاذ أو من غير الغالب (قوله إياه) أشار بذلك إلى أن المفعول الثانى محذوف (قوله إنك) كالدليل لما قبله (قوله تأكيد للكاف) أى فهو ضمير فصل لامحل له من الاعراب أو فى محل نصب كالمؤكد والعليم الحكيم خبران لأن أو الحكيم صفة للعليم ويحتمل أن أنت مبتدأ والعليم خبره والجملة خبر إن (قوله العليم) قدم العلم على الحكمة لمناسبة علم آدم ولا علم لنا ولأن الحكمة تنشأ عن العلم والعلم فى حق الله صفة أزلية تتعلق بجميع أقسام الحكم العقلى الواجب والمستحيل والجائز تعلق إحاطة وانكشاف (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة : أى الاتقان فهو صفة فعل أو العلم فيكون صفة ذات (قوله فسمى) أى آدم (قوله توبيخا) أى تقريعا ولوما لهم على مامضى منهم فالهمزة فى ألم أقل للاستفهام التوبيخى فالقصد منه توبيخهم على ما مضى منهم وليست للانكار ولا للتقرير (قوله ماغاب فيهما) أى عنا (قوله أتجعل فيها الخ) أى من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . بقى شىء آخر وهو أن مقتضى الآية أن آدم علم الأسماء والمسميات ومقتضى قول البوصيرى فى الهمزية

لك ذات العلوم من عالم الغيـب ومنها لآدم الأسماء

أن آدم علم الأسماء دون المسميات فيكون بينه وبين الآية مخالفة والحق أنه لامخالفة لأنه يلزم من علم الأسماء علم المسميات لعرض المسميات عليه أولا ، فمعنى قول البوصيرى لك ذات العلوم أى أصلها فعلم آدم مأخوذ من نبينا لأن رسول الله أعطى أصل العلوم بل وأصل كل كمال ، ويشهد لذلك قول ابن مشيش وتنزلت علوم آدم : أى صل على من منه تنزلت علوم آدم فعلوم آدم كائنة منه فأعجز بها الملائكة خاصة ، وأما علوم رسول الله فأعجز بها الخلائق جميعا ، هذا هو الحق ولا تغتر بما قيل إن آدم علم الأسماء فقط ومحمد علم الأسماء والمسميات (قوله واذكر إذ قلنا) أشار المفسر بذلك إلى أن إذ ظرف عاملها محذوف ، والتقدير واذكر وقت قولنا الخ إن قلت إن المقصود ذكر القصة لا ذكر الوقت . أجيب بأن التقدير ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت ، ومحصل ذلك أنه بعد خلق آدم ونفخ الروح فيه وعرض المسميات على الملائكة وإنباء آدم لهم بالأسماء أمرهم الله بالسجود له لأنه صار شيخهم ، ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير وكان ذلك كله خارج الجنة (قوله بالانحناء) أشار بذلك إلى أن المراد السجود اللغوى وهو الانحناء كسجود إخوة يوسف وأبويه له

وهو تحية الأمم الماضية ، وأما تحيتنا فهى السلام وعليه فلا إشكال ، وقال بعض المفسرين : إن السجود شرعى بوضع الجبهة على الأرض وآدم قبلة كالكعبة فالسجود لله وإنما آدم قبلة والآية محتملة للمعنيين ولا نص يعين أحدهما وعلى الثانى فاللام بمعنى إلى : أى اسجدوا إلى جهة آدم فاجعلوه قبلتكم (قوله فسجدوا) أى الملائكة كلهم أجمعون بدليل الآية الأخرى فالخطاب بالسجود لجميع الملائكة على التحقيق لا للملائكة الذين طردوا بنى الجان (قوله إلا إبليس) قيل مشتق من أبلس إبلاسا بمعنى يئس وهذا هو اسمه فى اللوح المحفوظ [فائدة] قال كعب الأحبار : إن إبليس اللعين كان خازن الجنة أربعين ألف سنة ومع الملائكة ثمانين ألف سنة ووعظ الملائكة عشرين ألف سنة وسيد الكروبيين ثلاثين ألف سنة وسيد الروحانيين ألف سنة وطاف حول العرش أربعة عشر ألف سنة ، وكان اسمه فى سماء الدنيا العابد ، وفى الثانية الزاهد ، وفى الثالثة العارف ، وفى الرابعة الولى ، وفى الخامسة التقى ، وفى السادسة الخازن ، وفى السابعة عزازيل ، وفى اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل عن عاقبة أمره (قوله هو أبو الجن) هذا أحد قولين والثانى هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وأنه ليس من الملائكة . قال فى الكشاف : لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم فى الآية واحتيج إلى استثنائه ويدل على ذلك قوله تعالى ـ إلا إبليس كان من الجن ـ وكررت قصة إبليس فى سبعة مواضع فى البقرة والأعراف والحجر والاسراء والكهف وطه وص تسلية له صلى الله عليه وسلم وعبرة لبنى آدم فلا يغتر العابد ولا يقنط العاصى ويحتمل أن الاستثناء متصل ، وقوله تعالى ـ كان من الجن ـ أى فى الفعل والأقرب الأول (قوله واستكبر) من عطف العلة على المعلول : أى أبى وامتنع لتكبره والسين للتأكيد (قوله وقال أنا خير منه) هذا وجه تكبره وبين وجه الخيرية فى الآية الأخرى . قال تعالى ـ خلقتنى من نار وخلقته من طين ـ . قال بعض المفسرين : وذلك مردود بأمور منها أن آدم مركب من العناصر الأربع بخلاف إبليس فلا وجه للخيرية ومنها أن الله هو الخالق لكل ولا يعلم الفضل إلا هو فله أن يفضل من شاء على من يشاء ومنها

(٢١)

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة (أَبَى) امتنع من السجود (وَاسْتَكْبَرَ) تكبر وقال أنا خير منه (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فى علم الله (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ) تأكيد للضمير المستتر ليعطف عليه (وَزَوْجُكَ) حواء بالمد وكان خلقها من ضلعه الأيسر (الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا) أكلا

غير ذلك (قوله فى علم الله) دفع بذلك ما قيل إنه لم يكن كافرا بل كان عابدا وإنما كفر الآن ويجاب أيضا بأن كان بمعنى صار (قوله وقلنا يا آدم) هذه الجملة معطوفة على جملة وإذ قلنا للملائكة من عطف قصة على قصة وإنما عطفت عليها لوقوعها بعدها فإنه بعد أمر الملائكة بالسجود لآدم وامتناع إبليس منه أمر آدم بسكنى الجنة (قوله ليعطف عليه وزوجك) إن قلت إن فعل الأمر لا يعمل فى الظاهر والمعطوف على الفاعل فاعل فيقتضى عمله فى الظاهر . أجيب بأنه يغتفر فى التابع ما لا يغتفر فى المتبوع وفصل بالضمير المنفصل لقول ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل (قوله وكان خلقها) أى الله وقوله من ضلعه : أى آدم فلذلك كان كل ذكر ناقصا ضلعا من الجانب الأيسر فجهة اليمين ثمانية عشر واليسار سبعة عشر وقد خلقت بعد دخوله الجنة نام فلما استيقظ وجدها فأراد أن يمد يده إليها ، فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها ، فقال وما مهرها ؟ فقالوا ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولا يقال إن شرط الصداق عود منفعته للزوجة لأنا نقول ليس المقصود منه حقيقة المهر وإنما هو ليظهر قدر محمد لآدم من أول قدم إذ لولاه ما تمتع بزوجة فهو الواسطة لكل واسطة حتى آدم وقوله من ضلعه الأيسر : أى وهو القصير ووضع الله مكانه لحما من غير أن يحس آدم بذلك ولم يجد له ألما ولو وجده لما عطف رجل على امرأة ، والنون فى قلنا للعظمة ، وقوله اسكن : أى دم على السكنى فإنه كان ساكنا فيها قبل خلق حواء ، واستشكل شيخ الإسلام هذه الآية بأنه أتى فى هذه الآية بالواو فى قوله وكلا وفى آية الأعراف بالفاء هل لذلك من حكمة أجاب بأن الأمر هنا فى هذه الآية كان داخل الجنة فلا ترتيب بين السكنى والأكل وفى آية الأعراف كان خارجها فحسن الترتيب بين السكنى والأكل اهـ والحق أن يقال إن ذلك ظاهر إن دل دليل على اختلاف القصة ولم يوجد فالقصة واحدة والأمر فى الموضعين يحتمل أن يكون داخل الجنة أو خارجها فعلى الأول معنى اسكن دم على السكنى والفاء فى آية الأعراف بمعنى الواو وعلى الثانى معناه ادخل على سبيل السكنى فتكون الواو بمعنى الفاء .

(قوله رغدا) يقال رغد بالضم رغادة من باب ظرف ورغد رغدا من باب تعب اتسع عيشه (قوله حيث شئتما) أى فى أى مكان أردتماه (قوله أو غيرهما) قيل شجر التين أو البلح أو الأترج والأقرب أنها الحنطة والحقيقة لايعلمها إلا الله (قوله فتكونا) مسبب عن قوله ولا تقربا وتعبيره بعدم القرب منها كناية عن عدم الأكل كقوله تعالى ـ ولاتقربوا الزنا ـ فالنهى عن القرب يستلزم النهى عن الفعل بالأولى (قوله العاصين) أى الذين تعدّوا حدود الله (قوله فأزلهما الشيطان) أتى بالفاء إشارة إلى أن ذلك عقب السكنى والشيطان مأخوذ من شاط بمعنى احترق لأنه محروق بالنار أو من شطن بمعنى بعد لأنه بعيد عن رحمة الله والزلل الزلق وهو العثرة فى الطين مثلا فأطلق وأريد لازمه وهو الاذهاب (قوله وفى قراءة)أى سبعية لحمزة (قوله أى الجنة) ويحتمل أن الضمير عائد على الشجرة وعن بمعنى الباء أى أوقعهما فى الزلة بسبب أكل الشجرة (قوله بأن قال لهما) أى وهو خارج الجنة وهما داخلها لكن أتيا على بابها فقال لهما ذلك ويحتمل أنه دخل الجنة على صورة دابة من دوابها وخزنتها غفلوا عنه ويحتمل أنه دخلها فى فم الحية و يحتمل أنه وسوس فى الأرض فوصلت وسوسته لهما إن قلت إن ذلك ظاهر فى حواء لعدم عصمتها وما الحكم فى آدم أجيب . بأنه اجتهد فأخطأ فسمى الله خطأه معصية فلم يقع منه صغيرة ولا كبيرة وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فلم يتعمد المخالفة ومن نسب التعمد والعصيان له بمعنى فعل الكبيرة أو الصغيرة فقد كفر كما أن من نفى اسم العصيان عنه فقد كفر أيضا لنص الآية (قوله مما كانا فيه) يحتمل أن ما اسم موصول وما بعده صلته أو نكرة موصوفة ومابعدها صفة وقوله من النعيم بيان لما (قوله أى أنتما الخ) أشار بذلك إلى إلى حكمة الإتيان بالواو فى اهبطوا أى الجمع باعتبار ما اشتملا عليه من الذرية ويحتمل أن الأمر لآدم وحواء وإبليس والحية فهبط آدم بالهند بمكان يقال له سرنديب وحواء بجدّة و إبليس بالأبلة والحية بأصبهان (قوله بعض الذرية) أشار بذلك إلى أن العداوة فى الذرية لا فى الأصول ويحتمل أن يكون ذلك فى بعض الأصول كالحية و إبليس وأفرد عدوّا إما مراعاة للفظ بعض أو لأنه يستعمل بلفظ واحد للمثنى والجمع . بقى شىء آخر وهو أنه تقدّم لنا أن حوّاء خلقت داخل الجنة حين ألقى على آدم النوم كيف ذلك مع أن الجنة لانوم فيها ولا يخرج أهلها منها ولا تكليف فيها والثلاثة قد حصلت أجيب بأن ذلك فى الدخول يوم القيامة وأما الدخول الأوّلى فلا يمتنع فيه شىء من ذلك (قوله ألهمه إياها) أى فهم آدم من ربه تلك الكلمات (قوله وفى قراءة) أى سبعية لابن كثير (قوله بنصب آدم) أى على المفعولية وقوله ورفع كلمات أى على الفاعلية فتحصل أن التلقى نسبة تصلح للجانبين يقال تلقيت زيدا وتلقانى زيد فالمعنى على القراءة الأولى تعلم آدم الكلمات فحفظ بسببها من المهالك وعلى الثانية الكلمات تلقت آدم من السقوط فى المهاوى إذ لولاها لسقط فهى الدواء له وأما إبليس فلم يجعل الله له دواء فالكلمات جاءته بالاسعاف وهو جاءها بالقبول والتسليم ومن هنا أن الذاكر لاينتفع بالذكر ولاينوّر باطنه إلا إذا كان الشيخ عارفا وأذنه فى ذلك والذاكر مشتاق كتلقى آدم الكلمات (قوله وهى ربنا ظلمنا أنفسنا الخ) مشى المفسر على أن المراد بالكلمات المذكورة فى سورة الأعراف وهو أحد أقوال ولا يقال إن التلقى كان لآدم فقط والدعاء بها صدر منهما لأنه يقال إن الخطاب لآدم والمراد هو معها وكم من خطاب فى القرآن يقصد به الرجال والمراد مايشمل الرجال والنساء

(رَغَدًا) واسعاً لا حجر فيه (حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ) بالأكل منها وهى الحنطة أو الكرم أو غيرهما (فَتَكُونَا) فتصيرا (مِنَ الظَّالِمِينَ) العاصين (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ) إبليس أذهبهما وفى قراءة فأزالهما نحاهما (عَنْهَا) أى الجنة بأن قال لهما هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين فأكلا منها (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) من النعيم (وَقُلْنَا اهْبِطُوا) إلى الأرض أى أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بَعْضُكُمْ) بعض الذرية (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) من ظلم بعضهم بعضاً (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) موضع قرار (وَمَتَاعٌ) ما تتمتعون به من نباتها (إِلَىٰ حِينٍ) وقت انقضاء آجالكم (فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ) ألهمه إياها وفى قراءة بنصب آدم ورفع كلمات أى جاءه وهى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية فدعا بها

(فتاب

وقيل إن المراد بالكلمات سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتقدم أن معصية آدم ليست كالمعاصي بل من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين والحق أن يقال إن ذلك من سر القدر فهي منهي عنه ظاهرا لا باطنا فإنه في الباطن مأمور بالأولى من قصة الخضر مع موسى وإخوة يوسف معه على أنهم أنبياء فإن الله حين قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة كان قبل خلقه وهذا الأمر مبرم يستحيل تخلفه فلما خلقه وأسكنه الجنة أعلمه بالنهي عن الشجرة صورة فهذا النهي صوري وأكله من الشجرة جبري لعلمه أن المصلحة مترتبة على أكله وإنما سمي معصية نظرا للنهي الظاهري فمن حيث الحقيقة لم يقع منه عصيان ومن حيث الشريعة وقعت منه المخالفة ومن ذلك قول ابن العربي: لو كنت مكان آدم لأكلت الشجرة بتمامها لما ترتب على أكله من الخير العظيم وإن لم يكن من ذلك إلا وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكفى ومن هذا المقام قول الجيلي:

ولي نكتة غرا هنا سأقولها ... وحق لها أن ترعويها المسامع ... هي الفرق ما بين الولي وفاسق
تنبه لها فالأمر فيه بدائع ... وما هو إلا أنه قبل وقعه ... يخبر قلبي بالذي هو واقع
فأجني الذي يقضيه في مرادها ... وعيني لها قبل الفعال تطالع ... فكنت أرى منها الارادة قبل ما
أرى الفعل مني والأسير مطاوع ... إذا كنت في أمر الشريعة عاصيا ... فإني في حكم الحقيقة طائع اهـ

(قوله التواب) أي كثير التوبة بمعنى أن العبد كلما أذنب وتاب قبله فهو كثير القبول لتوبة من تاب ويسمى العبد توابا بمعنى أنه كلما أذنب ندم واستغفر ولا يصر وشرط توبة العبد الندم والاقلاع والعزم على أن لا يعود فإن كانت المعصية متعلقة بمخلوق اشترط إما رد المظالم لأهلها أو مسامحتهم له فكل من العبد والرب يسمى توابا بالوجه المتقدم لكن لا يقال في الرب تائب لأن أسماءه توقيفية وقد قيل إن آدم لما نزل الأرض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه إلى السماء (٢٣) حياء من الله تعالى وقد قيل لو

(فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توبته (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ) على عباده (الرَّحِيمُ) بهم (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا) من الجنة (جَمِيعاً) كرره ليعطف عليه (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى) كتاب ورسول (فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ) فآمن بي وعمل بطاعتي (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة بأن يدخلوا الجنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) كتبنا (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ماكثون أبدا لا يفنون ولا يخرجون (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ)

أن دموع أهل الأرض جمعت لكانت دموع داود أكثر ولو أن دموع داود مع أهل الأرض جمعت لكانت دموع آدم أكثر (قوله قلنا) أتى بنون العظمة لأنها له حقيقة ومن ادعاها غير مولانا قصم (قوله اهبطوا) جمع باعتبار الذرية التي في صلب آدم (قوله جميعا) حال من فاعل اهبطوا أي مجتمعين إما في زمان واحد أو في أزمنة متفرقة لأن المراد الاشتراك في أصل الفعل فإن جاءوا جميعا لا تستلزم الصحبة بخلاف جاءوا معا (قوله ليعطف عليه) أي فهذه حكمة التكرار فالأول أفاد الأمر بالهبوط مع ثبوت العداوة والثاني أفاد الأمر بالهبوط والتكاليف وترتب السعادة والشقاوة على الامتثال وعدمه فالشيء مع غيره غيره في نفسه (قوله كتاب ورسول) أي أو رسول فقط فالمراد بالهدى مطلق دال على الله والمراد أي رسول وأي كتاب من آدم إلى محمد والرسول صادق بكونه من الملك أو البشر فيشمل الأمم والأنبياء فتأمل (قوله إن الشرطية) أي وفعلها يأتينكم مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وجوابه جملة فمن اتبع هداي وجملة والذين كفروا الآية إذ التقدير ومن لم يتبع هداي فأولئك أصحاب النار (قوله يا بني إسرائيل) ذكر سبحانه وتعالى خطاب المكلفين عموما في أول السورة ثم ثنى بمبدإ خلق آدم وقصته مع إبليس وثلث بذكر بني إسرائيل سواء كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم أو قبله وما يتعلق بهم من هنا إلى سيقول السفهاء فعدد عليهم نعما عشرة وقبائح عشرة وانتقامات عشرة والحكمة في ذكر بني إسرائيل الذين تقدموا قبل رسول الله مع أنهم لم يخاطبوا بالايمان برسول الله أن من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم يدعي أنه على قدمهم وأنه متبع لهم وأن أصولهم كانوا على شيء فلذلك تبعوهم فبين سبحانه وتعالى النعم التي أنعم بها على أصولهم وبين لهم أنهم قابلوا تلك النعم بالقبائح وبين أنه أنزل عليهم العذاب ليعتبر من يأتي بعدهم وحكمة تخصيصهم بالخطاب أن السورة أول ما نزل بالمدينة وأهل المدينة كان غالبهم يهود وهم أصحاب كتاب وشوكة فإذا أسلموا وانقادوا انقاد جميع أتباعهم فلذلك توجه الخطاب لهم وبني منادى مضاف منصوب بالياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم لكونه ليس علما ولا صفة لمذكر عاقل وبني مضاف وإسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف العلمية والعجمة وبني جمع ابن وأصله قيل بنو فهو واوي وقيل بني فهو يائي فعلى الأول هو من البنوة كالأبوة

وعلى الثانى هو من البناء و إسرائيل قيل معناه عبد الله وقيل القوى بالله لأن إسرا قيل معناه عبد أو القوى و إيل معناه الله وقيل مأخوذ من الاسراء لأنه أسرى بالليل مهاجرا إلى الله تعالى و إسرائيل فيـه لغات سبع الأولى بالألف ثم همزة ثم ياء ثم لام و بها جاءت القراآت السبع الثانية بقلب الهمزة ياء بعد الألف الثالثة باسقاط الياء مع بقاء الهمزة والألف . الرابعة والخامسة باسقاط الألف والياء مع بقاء الهمزة مفتوحة أومكسورة . السادسة باسقاط الهمزة والياء مع بقاء الألف . السابعة إبدال اللام الأخيرة بالنون مع بقاء الألف والهمزة والياء وجمعه أساريل وأسارلة وأسارل (قوله أولاد يعقوب) أى ابن إسحق بن إبراهيم الخليل (قوله اذكروا نعمتى) الذكر بكسر الذال وضمها بمعنى واحد وهوما كان باللسان أو بالجنان وقال الكسائى : ما كان باللسان فهو بالكسر وما كان بالقلب فهو بالضم وضد الأول صمت والثانى نسيان والنعمة اسم لما ينعم به وهى شبيهة بفعل بمعنى مفعول والمراد بها الجمع لأنها اسم جنس قال تعالى ـ و إن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها ـ وقوله ـ التى أنعمت عليكم ـ جملة الصلة والموصول صفة للنعمة والعائد محذوف تقديره أنعمتها بالنصب على نزع الخافض ولايقدر أنعمت بها لئلا يلزم حذف العائد من غير وجود شرطه لقول ابن مالك ✱ كذا الذى جرّ بما الموصول جر ✱ وليس الموصول مجرورا فتأمل (قوله وغير ذلك) أى من بقية العشرة وهى العفو عنهم وغفران خطاياهم و إتيان موسى الكتاب والحجر الذى تفجرت منه اثنتاعشرة عينا والبعث بعد الموت و إنزال المنّ والسلوى عليهم . [تنبيه] بقى ذكر قبائحهم العشرة وهى قولهم سمعنا وعصينا واتخاذهم العجل وقولهم : أرنا الله جهرة ، وتبديل القول الذى أمروا به وقولهم : لن نصبر على طعام واحد ، وتحريف الكلم وتوليهم عن الحق بعد ظهوره وقسوة قلوبهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق . وأما عقوباتهم العشرة فهى ضرب الذلة والمسكنة عليهم والغضب من الله و إعطاء الجزية وأمرهم بقتل أنفسهم ومسخهم قردة وخنازير و إنزال الرجز عليهم من السماء وأخذ الصاعقة لهم وتحريم طيبات أحلت لهم وهذه العشرات فى أصولهم .

أولاد يعقوب (اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) أى على آبائكم من الانجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِي) الذى عهدته إليكم من الإيمان بمحمد (أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) الذى عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) خافون فى ترك الوفاء به دون غيرى (وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ) من القرآن (مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) من التوراة بموافقته له فى التوحيد والنبوة (وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) من أهل الكتاب لأن خلفكم تبع لكم فإثمهم عليكم (وَلَا تَشْتَرُوا) تستبدلوا (بِآيَاتِي) التى فى كتابكم

وقد وبخ الله المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم بعشرة أخرى : من كتمانهم أمر محمد وتحريف الكلم وقولهم هذا من عند الله وقتلهم أنفسهم و إخراجهم فريقا من ديارهم وحرصهم على الحياة وعداوتهم لجبريل واتباعهم السحر وقولهم نحن أبناء الله وقولهم يد الله مغلولة قال تعالى ـ غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ـ (قوله بأن تشكروها) أى تصرفوها فيما يرضى ربكم (قوله وأوفوا) يقال أوفى ووفى مشدّدا ومخففا (قوله من الإيمان بمحمد) أى فى قوله تعالى ـ ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا ـ الآيات (قوله بدخول الجنة) أى فى قوله تعالى : الذين يتبعون الرسول النبىّ الأمىّ الآيات وقوله تعالى : لأكفرنّ عنهم سيئاتهم الآيات (قوله دون غيرى) أخذ الحصر من تقديم المعمول و إياى مفعول لمحذوف يفسره قوله فارهبون وهذا فى الحصر أبلغ من إياك نعبد لأن إياك معمول لنعبد . وأما هنا فهو معمول لمحذوف لاستيفاء الفعل المذكور معموله وهو الياء المذكورة أو المحذوفة تخفيفا فهو فى قوّة تكرار الفعل مرتين (قوله وآمنوا) من عطف المسبب على السبب (قوله من القرآن) بيان لما (قوله مصدّقا) حال من الضمير المحذوف فى أنزلت أو من ما (قوله بموافقته) الباء سببية ولايلزم من موافقته للتوراة أنه لم يزد عليها بل القرآن جمع الكتب السماوية وزاد عليها (قوله من أهل الكتاب) هذا جواب عن سؤال مقدّر تقديره أن أوّل بعثة النبىّ فى مكة وأوّل كافر أهلها ولم يأت المدينة إلا بعد ثلاث عشرة سنة فليس كفار أهل الكتاب بأوّل كافر أجاب المفسر بأن المراد الذى فى أيديهم الكتب بالنسبة لمن يأتى بعدهم إلى يوم القيامة فليس المراد الأولية الحقيقية بل النسبية (قوله فإثمهم عليكم) أى لأن من سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عملها إلى يوم القيامة (قوله تستبدلوا) حوّل المفسر العبارة لأن الشراء ليس حقيقيا بل هو مطلق استبدال ومعاوضة

من نعت محمد (ثَمَنًا قَلِيلاً) عوضاً يسيرا من الدنيا أى لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سفلتكم (وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ) خافون فى ذلك دون غيرى (وَلاَ تَلْبِسُوا) تخلطوا (الْحَقَّ) الذى أنزل عليكم (بِالْبَاطِلِ) الذى تفترونه (وَ) لا (تَكْتُمُوا الْحَقَّ) نعت محمد (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه حق (وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) صلوا مع المصلين محمد وأصحابه . ونزل فى علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين اثبتوا على دين محمد فانه حق (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ) بالإيمان بمحمد (وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) تتركونها فلا تأمرونها به (وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ) التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل (أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) سوء فعلكم فترجعون فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكارى (وَاسْتَعِينُوا) اطلبوا المعونة على أموركم (بِالصَّبْرِ) الحبس للنفس على ما تكره (وَالصَّلٰوةِ) أفردها بالذكر تعظيما لشأنها وفى الحديث « كان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة » وقيل الخطاب لليهود لما عاقهم عن الإيمان الشره وحب الرياسة فأمروا بالصبر وهو الصوم ؛

(قوله من نعت محمد) أى أوصافه وأخلاقه التى ذكرت فى التوراة والإنجيل (قوله من سفلتكم) أى عامتكم (قوله و إياى فاتقون) يقال فيه ما قيل فى و إياى فارهبون (قوله ولاتلبسوا) من لبس بالفتح من باب ضرب . وأما اللبس وهو سلك الثوب فى العنق فمن باب تعب (قوله الذى تفترونه) أى من تغيير صفات محمد (قوله صلوا مع المصلين) أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الكل باسم جزئه وآثر الركوع على غيره لأنه لم يكن فى شريعتهم فكأنه قال صلوا الصلاة ذات الركوع فى جماعة (قوله ونزل فى علمائهم) فاعل نزل جملة تأمرون الناس والضمير فى علمائهم عائد على اليهود ومثل ذلك يقال فى علماء المسلمين لأن كل آية وردت فى الكفار تجر ذيلها على عصاة المؤمنين فالحاصل أن العالم إن كان كافرا فهو معذب من قبل عباد الوثن لأن وزر من كفر فى عنقه ، وأما إن كان مسلما ولكنه فرط فى العمل بالعلم فهو أقبح العصاة عذابا هذا هو الحق فقولهم : وعالم بعلمه لن يعملن معذب من قبل عباد الوثن محمول على العالم الكافر كعلماء اليهود والنصارى (قوله لأقربائهم المسلمين) إنما نصحوا معهم ليأسهم من دنياهم (قوله أتأمرون) سيأتى للمفسر أن الهمزة للاستفهام الانكارى ومحط الاستفهام قوله وتنسون أنفسكم أى لا يليق منكم الأمر بالمعروف والبر لغيركم مع كونكم ناسين أنفسكم ، قال الشاعر : يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم إلى أن قال : لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم وقال الشاعر أيضا : أتنهى الناس ولاتنتهى متى تلحق القوم يالكع و ياحجر السن ماتستحى تسن الحديد ولاتقطع (قوله بالإيمان بمحمد) الاخصر حذف بالإيمان فالبر اسم جامع لكل خير كما أن الإثم اسم جامع لكل شر ولما كان الإيمان بمحمد يستلزم كل خير فسره به وسيأتى تفسيره فى قوله تعالى : ولكن البر من آمن بالله الآية (قوله تتركونها) أشار بذلك إلى أنه من باب استعمال اللازم فى الملزوم أو السبب فى المسبب لأنه يلزم من نسيان الشىء تركه وسبب الترك النسيان والحكمة فى ارتكاب المجاز الاشارة إلى أن الشأن أن العالم لا يقع منه ذلك إلا نسيانا (قوله أفلا تعقلون) قال بعض المفسرين إن الفاء فى مثل هذا الموضع مؤخرة من تقديم وجملة تعقلون معطوفة على جملة تتلون والمستفهم عنه ما بعد الفاء التقدير فأى شىء لا تعقلونه وقال الزمخشرى إن الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف التقدير أتغفلون ذلك فلا تعقلون (قوله واستعينوا) قيل إن هذا الخطاب للمسلمين وقيل لليهود فعلى الأول تكون الجملة معترضة بين أجزاء القصة وعلى الثانى لا اعتراض (قوله الحبس للنفس على ما تكره) أى من المصائب والطاعات وترك المعاصى فأقسام الصبر ثلاثة : صبر على المصيبة وصبر على دوام الطاعة وصبر عن المعاصى فلا يفعلها والكامل من تحقق بجميعها (قوله أفردها بالذكر) أى مع أنها داخلة فى الصبر فذكر الخاص بعد العام لابد له من نكتة أجاب عن ذلك بقوله تعظيما لشأنها (قوله تعظيما لشأنها) أى من حيث إن الصلاة جامعة لأنواع العبادة من تسبيح وتهليل وتكبير وذكر والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وركوع وسجود وفى الحديث لما أسرى به ورأى الملائكة منهم القائم لا غير والراكع لا غير وهكذا تمنى عبادة تجمع عبادات الملائكة فأعطى الصلاة (قوله إذا حزبه) بالباء والنون ومعناهما همه وشق عليه وهذا يؤيد أن الخطاب لمحمد وأصحابه (قوله الشره) أى الشهوة فالمانع لهم من الإيمان بمحمد الشهوات والكبر ولكن قد يقال إن الكافر لا يصح منه صوم ولا صلاة حتى يدخل فى الاسلام فما معنى أمرهم بذلك ؟ أجيب بأن المراد أمرهم بعد الاسلام .

(قوله لأنه يكسر الشهوة) أى يضعفها (قوله تورث الخشوع) هو خضوع النفس وسكونها تحت المقادير (قوله ثقيلة) قال تعالى : و إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى الآية (قوله إلا على الخاشعين) استثناء مفرغ مضمن معنى النفى أى لاتسهل إلا على الخاشعين (قوله الساكنين) أى المائلين المحبين للطاعة الذين اطمأنت قلوبهم لها وفى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» وفى الحديث «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» هكذا مشى المفسر على أن الضمير عائد على الصلاة و يحتمل عوده على الاستعانة بالصبر والصلاة و يحتمل عوده على ماتقدم من قوله - اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم - أى و إن ما أمر به بنو إسرائيل لكبيرة (قوله يوقنون) أشار بذلك إلى أن الظن يستعمل بمعنى اليقين وقد يستعمل اليقين بمعنى الظن قال تعالى - فان علمتموهن مؤمنات - أى ظننتموهن (قوله أنهم ملاقوا ربهم) أى يعتقدون أنهم يبعثون ويرون ربهم فقوله بالبعث الباء سببية (قوله وأنهم إليه راجعون) أى صائرون فيحاسبهم على أعمالهم فيدخلهم إما الجنة أو النار و بهذا التفسير فلا تكرار بين قوله أنهم ملاقوا ربهم و بين قوله وأنهم إليه راجعون (قوله يابنى إسرائيل) كرر هذا النداء لطول الفصل بناء على أن الخطاب فى واستعينوا بالصبر والصلاة لغير بنى إسرائيل ولتعداد النعم عليهم وللتأكيد لبلادتهم فان الذكى يفهم بالمثال الواحد مالايفهمه الغبى بألف شاهد (قوله بالشكر عليها) أى باتباع محمد والدخول فى دينه ولا ينفعهم الانتساب لغيره مع وجوده (قوله وأنى فضلتكم) فى تأويل مصدر معطوف على نعمتى أى اذكروا نعمتى وتفضيلى إياكم (قوله أى آباءكم) إشارة إلى أنه على حذف مضاف فالفضل ثابت لآبائهم المتقدمين لا لمن وجد فى زمنه صلى الله عليه وسلم فان المصرّ منهم على الكفر من همج الهمج

(٣٦)

لأنه يكسر الشهوة، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفى الكبر (وَإِنَّهَا) أى الصلاة (لَكَبِيرَةٌ) ثقيلة (إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ) الساكنين إلى الطاعة (الَّذِينَ يَظُنُّونَ) يوقنون (أَنَّهُمْ مُلاَقُوا رَبِّهِمْ) بالبعث (وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فى الآخرة فيجازيهم (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) بالشكر عليها بطاعتى (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ) أى آباءكم (عَلَى الْعَالَمِينَ) عالمى زمانهم (وَاتَّقُوا) خافوا (يَوْمًا لاَ تَجْزِي) فيه (نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) هو يوم القيامة (وَلاَ تُقْبَلُ) بالتاء والياء (مِنْهَا شَفَاعَةٌ) أى ليس لها شفاعة فتقبل فما لنا من شافعين (وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) فداء (وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله (وَ) اذكروا (إذ

(قوله عالمى زمانهم) دفع بذلك مايقال إن المراد بالعالمين ماسوى الله فيقتضى أن بنى إسرائيل أفضل مما سواهم من الأولين والآخرين فأجاب بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم وهذا هو المرتضى وهناك أجوبة أخر منها أن المراد بآبائهم الأنبياء وهو مخدوش بأن إبراهيم أفضل من أنبياء بنى إسرائيل ومحمدا أفضل الخلق جميعا ومنها أن المراد تفضيل أمم بنى إسرائيل على جميع الأمم وهو مخدوش أيضا بأن أمة محمد أفضل الامم جميعا باتفاق لقوله تعالى - كنتم خير أمة أخرجت للناس - ولذلك طلب موسى أن يكون منهم فلم يتم إلا الأول (قوله واتقوا) أصله اوتقوا قلبت الواو تاء وأدغمت فى التاء وقوله يوما مفعول به وليس ظرفا لأن الخوف واقع على اليوم لافى اليوم (قوله لاتجزى فيه) صفة ليوما وقدر المفسر قوله فيه إشارة للرابط وحذف لأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها (قوله عن نفس) متعلق بتجزى ونفس فاعل تجزى وهو بمعنى تغنى أى لاتغنى نفس مؤمنة عن نفس كافرة شيئا من عذاب الله وأما قولهم يحشر المرء مع من أحب أى إذا كان المحب مؤمنا والأصول لاتنفع الفروع إلا إذا كان مع الفروع إيمان قال تعالى - بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم - (قوله بالتاء والياء) قراءتان سبعيتان فعلى التاء الأمر ظاهر وعلى الياء لأنه مجازى التأنيث فيصح تذكير الفعل وتأنيثه (قوله منها شفاعة) أى النفس المؤمنة لاتقبل شفاعتها فى النفس الكافرة (قوله ليس لها شفاعة فتقبل) أى لم يؤذن لها فى أصل الشفاعة حتى يتسبب عنها القبول وليس المراد أنها تشفع ولكن لايقبل منها تلك الشفاعة لقوله تعالى فما لنا من شافعين وخير مافسرته بالوارد كما أشار لذلك المفسر (قوله ولايؤخذ منها عدل) الضمير عائد على النفس الكافرة والعدل بالفتح الفداء و يطلق على المماثل فى القدر لافى الجنس وأما المماثل فى الجنس فبالكسر (قوله ولاهم ينصرون) جمع باعتبار أفراد النفس لأن المراد بها جنس الأنفس وأتى بالجملة اسمية للتأكيد والمعنى ليس لهم مانع يمنعهم من عذاب الله .

(إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ) أى آباءكم والخطاب به وبما بعده للموجودين فى زمن نبينا بما أنعم على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ) يذيقونكم (سُوءَ الْعَذَابِ) أشده والجملة حال من ضمير نجيناكم (يُذَبِّحُونَ) بيان لما قبله (أَبْنَاءَكُمْ) المولودين (وَيَسْتَحْيُونَ) يستبقون (نِسَاءَكُمْ) لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد فى بنى إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك (وَفِي ذَٰلِكُمْ) العذاب أو الانجاء (بَلَاءٌ) ابتلاء أو إنعام (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَ) اذكروا (إِذْ فَرَقْنَا) فلقنا (بِكُمُ) بسببكم (الْبَحْرَ) حتى دخلتموه هاربين من عدوكم (فَأَنْجَيْنَاكُمْ) من الغرق (وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) إلى انطباق البحر عليهم (وَإِذْ وَاعَدْنَا)

(قوله إذ نجيناكم) معطوف على نعمتى مسلط عليه اذكروا الأول أى اذكروا نعمتى وتفضيلى إياكم ووقت إنجائى لكم والمقصود ذكر الانجاء أومعطوف على جملة اذكروا فقول المفسر اذكروا ليس تقديرا للعامل الأول بل هو عامل مماثله وهكذا يقال فيما يأتى مما فيه إذ من جميع مايتعلق ببنى إسرائيل (قوله أى آباءكم) ويصح أن النجاة لهم إذ لو غرقت أصولهم ماوجدوا والنجاة مأخوذة من النجوة. وهى الأرض المرتفعة والوضع عليها ليسلم من الآفات يسمى إنجاء لهم ثم أطلق على كل خلوص من ضيق إلى سعة فالمعنى خلصناهم من المهلكات (قوله بما أنعم على آبائهم) أى وعدد عليهم نعما عشرة نهايتها وإذ استسقى (قوله من آل فرعون) لايرد أن الآل لايضاف إلا للذى شرف لأن فرعون ذو شرف دنيوى والمراد أعوانه وكانوا يوم الغرق ألف ألف وسبعمائة ألف غير المتخلفين بمصر وكانت الخيل الدهم سبعين ألفا وبنو إسرائيل كانوا ستمائة ألف وعشرين ألفا وعند دخول يعقوب مصر كانوا سبعين نفسا ذكورا وإناثا وبين موسى ويعقوب أربعمائة سنة فكمل فيها ذلك العدد مع كثرة قتل الأطفال وموت الشيوخ فسبحان الخلاق العظيم. وفرعون اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وفرعون لقب له من الفرعنة وهى العتو والتمرد ومدة ادعائه الألوهية أربعمائة سنة وكان يأكل كل يوم فصيلا وكان لايتغوط إلا كل أربعين يوما مرة وفرعون اسم لكل من ملك العمالقة كما أن قيصر اسم لمن ملك الروم وكسرى لمن ملك الفرس والنجاشى لمن ملك الحبشة وتبع لمن ملك اليمن وخاقان لمن ملك الترك (قوله يذيقونكم) أى على سبيل الدوام (قوله سوء العذاب) اسم جامع لكل مايغم النفس كالشر وهو ضد الخير. إن قلت إن العذاب سيء أجاب المفسر بأن المراد أشده (قوله بيان لماقبله) أى لبعض ماقبله فانهم كانوا يعذبون بأنواع العذاب فكانوا يخدمون أقوياء بنى إسرائيل فى قطع الحجر والحديد والبناء وضرب الطوب والنجارة وغير ذلك وكان نساؤهم يغزلن الكتان لهم وينسجنه وضعفاؤهم يضربون عليهم الجزية وإنما قلنا لبعض ماقبله لأن ذبح الأولاد وماذكر معه ليس هو عين أشد العذاب بل بعضه بدليل سورة إبراهيم فانها بالعطف وهو يقتضى المغايرة (قوله ويستحيون) أصله يستحييون بياءين الأولى عين الكلمة والثانية لامها استثقلت الكسرة على الياء الأولى فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين وقيل حذفت الياء الثانية تخفيفا وضمت الأولى لمناسبة الواو فعلى الأول وزنه يستفلون وعلى الثانى وزنه يستفعون (قوله لقول بعض الكهنة) أى حين دعاهم ليقص عليهم مارآه فى النوم وهو أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بنى إسرائيل فشق عليه ذلك ودعا الكهنة وسألهم عن ذلك فقالوا له ماذكر (قوله أو الانجاء) أى من حيث عدم الشكر عليه فصار الانجاء بلاء فالبلاء يطلق على الخير والشر قال تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - (قوله ابتلاء) راجع للعذاب وقوله أو إنعام راجع للانجاء فهو لف ونشر مرتب (قوله واذكروا إذ فرقنا) هذا من جملة المعطوف على نعمتى أو على اذكروا فالمقصود تعداد النعم عليهم وفرق من باب قتل ميز الشىء من الشىء قال تعالى - وقرآنا فرقناه - أى ميزنا به الحق من الباطل (قوله فلقنا) الفلق والفرق بمعنى واحد قال تعالى - فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم - (قوله البحر) هو الماء الكثير عذبا أوملحا لكن المراد هنا الملح والمراد به بحر القلزم (قوله آل فرعون) يطلق آل الرجل عليه وعلى آله قال تعالى - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت - والمراد محمد وآله - ولقد كرمنا بنى آدم - المراد آدم وبنوه (قوله إلى انطباق البحر) إشارة إلى أن المتعلق محذوف .

بألف ودونها (مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) الذى صاغه لكم السامرى إلها (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد ذهابه إلى ميعادنا (وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) باتخاذه لوضعكم العبادة فى غير محلها (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ) محونا ذنوبكم (مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) الاتخاذ (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمتنا عليكم (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَالْفُرْقَانَ) عطف تفسير أى الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) به من الضلال (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) الذين عبدوا العجل (يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) إلها (فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ) خالقكم من عبادته (فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أى ليقتل البرىء منكم المجرم (ذَلِكُمْ) القتل (خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ) فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضا فيرحمه حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) قبل توبتكم (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . وَإِذْ قُلْتُمْ) وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه ،

(قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الألف المواعدة من الله باعطاء التوراة ومن موسى بر ياضته الأربعين يوما و إتيانه جبل الطور لأخذ التوراة وعلى عدمها فالأمر ظاهر (قوله موسى) هو اسم أعجمى غير منصرف وهو فى الأصل مركب والأصل موشى بالشين لأن الماء بالعبرانية له يقال مو والشجر يقال له شى فغيرته العرب وقالوه بالسين سمى بذلك لأن فرعون أخذه من بين الماء والشجر حين وضعته أمه فى الصندوق وألقته فى اليم كما سيأتى فى سورة القصص وهذا بخلاف موسى الحديد فانه عربى مشتق من أوسيت رأسه إذا حلقته ، وعاش موسى مائة وعشرين سنة (قوله أربعين ليلة) اشارة إلى غاية المدة وأما فى سورة الأعراف فبين المبدإ والمنتهى قال تعالى ـ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة ـ وهى ذوالقعدة وعشر ذى الحجة واقتصر على ذكر الليالى مع أن النهار تبع لها لأن الليل محل الصفاء والأنس والعطايا الربانية (قوله عند انقضائها) أى فراغها فبعد تمام الخدمة من العبد العطايا من الرب قال عليه الصلاة والسلام «تمام الرباط أربعون يوما» (قوله التوراة) أى فى ألواح من زبرجد فيها الأحكام التكليفية من خرج عنها فهو ضال مضل لقوله تعالى ـ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ـ الآية وأعطاه أيضا ألواحا أخر فيها مواعظ وأسرار ومعارف قال تعالى ـ وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء ـ يخص بها من شاء فلما رجع بها ووجدهم قد عبدوا العجل ألقى الألواح فتكسر ماعدا التوراة كذا قالوا هنا وسيأتى تحقيق ذلك فى الأعراف (قوله السامرى) واسمه موسى وكان ابن زنا ولدته أمه فى الجبل وتركته لخوفها من قومها فرباه جبريل وكان يسقيه من أصبعه لبنا فصار يعرف جبريل ويعرف أن أثر حافر فرس جبريل إذا وضع على ميت يحيا فاستعار حليا منهم وصاغه عجلا ووضع التراب فى أنفه وفمه فصار له خوار وكان السامرى منافقا من بنى إسرائيل فعكفوا على عبادته جميعا إلا اثنى عشر ألفا قال بعضهم :

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل   فقد خاب من ربى وخاب المؤمل   (ياموسى

موسى الذى رباه جبريل كافر   وموسى الذى رباه فرعون مرسل

(قوله إلها) قدره اشارة للمفعول الثانى لاتخذ هذا إذا كانت بمعنى جعل وأما إن كانت بمعنى عمل نصبت مفعولا واحدا (قوله لعلكم تهتدون) أى تتدبرون فى معانيه فتعلموا الحق من الباطل (قوله باتخاذكم) من اضافة المصدر لفاعله والعجل مفعول أول وإلها مفعول ثان (قوله إلى بارئكم) البارىء هو الخالق للشىء على غير مثال سابق (قوله فاقتلوا أنفسكم) هذا بيان لتوبتهم (قوله أى ليقتل البرىء الخ) ورد أنهم أمروا جميعا بالاحتباء فصار الواحد منهم يقتل أخاه أو ابنه فشق عليهم ذلك فشكوا لموسى ذلك فتضرع موسى لربه فأرسل عليهم سحابة سوداء مظلمة كما قال المفسر (قوله فتاب عليكم) أى لما تضرع موسى وهرون وبكيا فأرسل الله جبريل يأمرهم بالكف عن الباقى وأخبرهم أن الله قبل توبة من قتل ومن لم يقتل وقوله فتاب عليكم الفاء سببية مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فوفقكم لفعل ذلك الخ وقوله حتى قتل منكم نحو سبعين ألفا أى فى يوم واحد (قوله التواب) أى الذى يقبل التوبة كثيرا (قوله الرحيم) أى المنعم المحسن (قوله وقد خرجتم الخ) بيان للسبب . وحاصل ذلك أنه بعد قبول توبتهم أوحى الله إلى موسى أن خذ من قومك سبعين رجلا ممن لم يعبدوا العجل ومرهم بطهارة الثياب والأبدان والذهاب معك إلى جبل الطور ليعتذروا عمن عبدوا العجل ويستغفروا ، توبوا فاختارهم وذهبوا معه إلى جبل الطور فسمعوا

كلام لله ، ورد أن الله قال لهم إنى أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض مصر بيد شديدة فاعبدون ولا تعبدوا غيرى فقالوا ياموسى لن نؤمن لك الآية (قوله لن نؤمن لك) أى لن نصدقك فى أن المخاطب لنا ربنا (قوله الصيحة) قيل صاح عليهم ملك وقيل نزلت عليهم نار فأحرقتهم وجمع بأنه أصابهم كل منهما (قوله وأنتم تنظرون) أى لما ماتوا مترتبين واحدا بعد واحد ومكثوا ميتين يوما وليلة والحى ينظر للميت (قوله ماحل بكم) اشارة إلى مفعول تنظرون (قوله ثم بعثناكم) أى واحدا بعد واحد لتعتبروا وهذا الموت حقيقى وإنما أحيوا بشفاعة موسى ليستوفوا آجالهم المقدرة لهم، وماذكره للفسر من أن السائل لرؤية الله جهرة هم السبعون المختارون للمناجاة أحد طريقتين والثانية أن السائل غيرهم وأما المختارون فصعقوا من هيبة الله ولم يسألوا رؤية ولم يكن منهم إنكار فتضرع موسى لربه وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأحياهم الله بعد ذلك ويشهد لذلك مافى آية النساء فان مافيها يدل على أن طلب الرؤية كان قبل عبادة العجل وأما السبعون المختارون للمناجاة فكانوا بعد عبادة العجل قال تعالى فى سورة النساء ـ فقالوا أرنا الله جهرة ـ الآية وأما ماهنا فالواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فان ماهنا بصدد تعداد ماقالوا ويشهد لذلك أيضا أنه عبر فى جانب من طلب الرؤية بالصعقة وهى أخذة غضب وفى جانب من يسمع الكلام بالرجفة وهى أخذة هيبة ولا تقتضى الغضب إذا علمت ذلك فما مشى عليه المفسر مشكل من وجوه والأقرب الطريقة الثانية (قوله سترناكم بالسحاب) حاصله أن الله أوحى إلى موسى أن فى أريحا قوما جبارين فتجهز لقتالهم فخرج فى ستمائة ألف فلما وصل التيه واد بين الشام ومصر وقدره تسعة فراسخ مكثوا فيه أربعين سنة متحيرين وكانوا يبتدئون السير من أول النهار فاذا جاء الليل وجدوا أنفسهم فى المبدإ وهكذا وسيأتى بسطه فى المائدة. ومات هرون قبل موسى بسنة وكان بالتيه ولما توفى هرون وذهب موسى لدفنه أشاعوا أنه قتل أخاه فذهب إلى قبره ودعاه وسأله عن سبب موته فبرأه ، ولما حضرت

(يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) عيانا (فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ) الصيحة فمتم (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) ما حل بكم (ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ) أحييناكم (مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمتنا بذلك (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ) سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس فى التيه (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ) فيه (الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) ولا تدخروا فكفروا النعمة وادخروا فقطع عنهم (وَمَا ظَلَمُونَا) بذلك (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) لأن وباله عليهم (وَإِذْ قُلْنَا) لهم بعد خروجهم من التيه (ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ) بيت المقدس أو أريحا ،

موسى الوفاة تمنى أن يدفن بمحل قريب من الأرض المقدسة قدر رمية الحجر فأجابه الله ثم لما مات ومات كبارهم نبئ يوشع ابن نون عليهم فوفقوا بعد تمام الأربعين سنة لقتال الجبارين فتوجه مع من بقى من بنى اسرائيل فكان النصر على يديه (قوله الترنجبين) شئ يشبه العسل الأبيض ، وقيل هو هو (قوله والطير السمانى) أى بارسال ريح الجنوب به قيل كان يأتيهم مطبوخا وقيل كانوا يطبخونه بأيديهم ، قيل هو الطير المعروف وقيل طير يشبهه (قوله كلوا من طيبات مارزقناكم) أى مستلذات الذى رزقناكموه فما اسم موصول وما بعدها صلة والعائد محذوف ويصح أن تكون نكرة والجملة بعدها صفة وأن تكون مصدرية والجملة صلتها ولم تحتج إلى عائد ويكون المصدر واقعا موقع المفعول أى من طيبات مرزوقنا (قوله فقطع عنهم) هذا أحد تفسيرين أن القطع بسبب الادخار وقيل إن القطع بسبب تمنى غيره كما يأتى فى قوله تعالى ـ وإذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد ـ (قوله ولكن كانوا) جمع فى هذه الآية وآية الاعراف بين لكن وكانوا واقتصر على لكن ولم يذكر كانوا فى آل عمران لأن ماهنا والأعراف حكاية عن بنى اسرائيل وأما آل عمران فمثل ضربه الله فهو مستمر إلى الآن فناسب عدم التعبير بكان (قوله قلنا لهم) القائل الله سبحانه وتعالى على لسان موسى وهم فى التيه بطريق الكشف والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضى الأربعين سنة فادخلوا الخ وأما إن كان بعد الخروج من التيه فيكون ذلك على لسان يوشع وهو المعتمد (قوله هذه القرية) هذه منصوبة عند سيبويه على الظرف وعند الأخفش على المفعولية والقرية نعت لهذه أو عطف بيان وهى مشتقة من قريت أى جمعت لجمعها لأهلها وهى فى الأصل اسم للمكان الذى يجتمع فيه القوم وقد تطلق عليهم مجازا وقوله تعالى ـ واسأل القرية ـ يحتمل الوجهين (قوله بيت المقدس) هو قول مجاهد وقوله أو أريحا هو قول ابن عباس

وهى بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحاء المهملة قرية بالغور بغين معجمة مكان منخفض بين بيت المقدس وحوران وعبارة الخازن قال ابن عباس القرية هى أريحا قرية الجبارين قيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق (قوله فكلوا) آتى بالفاء لأن الأكل منها إنما يكون بعد الدخول لحسن الترتيب ولم يأت بالفاء فى الأعراف بل آتى بالواو لتعبيره هناك باسكنوا وهو يجامع الأكل فلم يحصل بينهما ترتيب فلذا أتى بالواو بخلاف الدخول فيعقبه الأكل عادة فلذلك آتى بالفاء (قوله أى بابها) أى أريحا وهو المعتمد، والمراد أى باب من أبوابها وكان لها سبعة أبواب أو بيت المقدس ومن قال بذلك قال فالمراد باب من أبواب المسجد يسمى الآن بباب حطة (قوله منحنين) أى على صورة الراكع وقيل إن السجود حقيقة وهو وضع الجبهة على الأرض، وقيل المراد بالسجود التواضع والذل لله والأمر بالسجود قيل لصغر الباب وقيل تعبدى (قوله مسألتنا) إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف قدره المفسر والجملة فى محل نصب مقول القول وحطة بوزن قعدة أو جلسة ومعناها حطيطة الذنوب عنا (قوله خطايانا) جمع خطيئة وهى الذنوب التى ارتكبوها من عبادة العجل وقولهم ـ أرنا الله جهرة ـ إلى غير ذلك وفى قراءة شاذة بنصب حطة إما مفعول مطلق أى حط عنا الذنوب حطة أو مفعول لمحذوف: أى نسألك حطة ومعنى حطها إزالتها ومحوها (قوله نغفر) هذه القراءة تناسب ماقبلها ومابعدها لأنه تكلم (قوله وفى قراءة بالياء والتاء) أى وهما مناسبان لمعنى الخطايا والخطايا مجازى التأنيث فلذلك جاز تذكير الفعل وتأنيثه (قوله خطاياكم) جمع خطيئة وأصله خطايئ بياء قبل الهمزة فقلبت تلك الياء همزة مكسورة فاجتمع همزتان فقلبت الثانية ياء وقلبت كسرة الهمزة الأولى فتحة ثم يقال تحركت الياء التى بعد الهمزة وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا فصار خطاءا بألفين بينهما همزة فاستثقل ذلك لأن الهمزة تشبه الألف فكأنه اجتمع ثلاث ألفات متواليات فقلبت الهمزة ياء للخفة هنا ففيه خمس إعمالات قلب الياء التى قبل الهمزة همزة ثم قلب الهمزة الثانية ياء ثم قلب كسرة الأولى فتحة ثم قلب الثانية ألفا ثم قلب الأولى ياء تأمل وخطايا هنا باتفاق القراء وأما فى الأعراف فيقرأ خطيئات وحكمة ذلك أنه هنا أسند القول لنفسه فهو يغفر الذنوب وإن عظمت فهناك فناسب التعبير بخطايا الذى هو جمع كثرة وفى الأعراف بنى الفعل للمجهول فعبر بجمع القلة وقوله نغفر مجزوم فى جواب قوله ادخلوا المقيد بالسجود وبالقول (قوله وسنزيد) عبر بالسين والمضارع إشارة إلى أن المحسن لاينقطع ثوابه بل دائما يتجدد شيئا فشيئا (قوله الذين ظلموا) حكمة الاتيان بذلك الزيادة فى التقبيح عليهم (قوله منهم) قدرها هنا لأنه ذكرها فى الأعراف والقصة واحدة فما تركه هنا قدره هناك وبالعكس (قوله قولا) أى وفعلا ففيه اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر: أى والبرد أو المراد بالقول الأمر الالهى وهو يشمل القول والفعل كأنه قال فبدل الذين ظلموا أمرا غير الذى أمروا به (قوله فقالوا حبة فى شعرة الخ) لف ونشر مشوش لأن هذا راجع إلى حطة وقوله ودخلوا الخ راجع لقوله سجدا ومافسر به المفسر هو الصحيح لأنه حديث البخارى وقيل قالوا حنطة فى شعرة وشعيرة أو حنطة حمراء فى شعرة سوداء أو حنطة بيضاء فى شعرة سوداء ومعنى حبة فى شعرة جنس الحب وجنس الشعر أى نسألك حبا فى زكائب من شعر (قوله ودخلوا يزحفون) وقيل إنهم دخلوا مستلقين على ظهورهم (قوله على أستاههم) جمع سته وهو الدبر أى أدبارهم (قوله رجزا) هو فى الأصل فناء ينزل بالابل أطلق وأريد منه مطلق الفناء (قوله بسبب فسقهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر ومشى المفسر على أن كان لاتتصرف فسبكه من الخبر وقيل إن كان متصرفة يأتى منها المصدر لقول الشاعر:

ببذل وحلم ساد فى قومه الفتى ... وكونك إياه عليك يسير

فعليه آن ماتسبك بها بمصدر: أى بكونهم فاسقين وهو المعتمد.

(٣٠)

(فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا) واسعا لاحجر فيه (وَادْخُلُوا الْبَابَ) أى بابها (سُجَّدًا) منحنين (وَقُولُوا) مسألتنا (حِطَّةٌ) أى أن تحط عنا خطايانا (نَغْفِرْ) وفى قراءة بالياء والتاء مبنيا للمفعول فيهما (لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) بالطاعة ثوابا (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) منهم (قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم (فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة فى تقبيح شأنهم (رِجْزًا) عذابا طاعونا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) بسبب فسقهم أى خروجهم عن الطاعة،

(قوله فهلك منهم الخ) أى فالطاعون عذاب لهم بخلاف الأمة المحمدية فانه رحمة لهم من مات به أو فى زمنه كان شهيدا . وقد ذكروا أن فى الآية سؤالات : الأول قوله هنا و إذ قلنا وفى الأعراف و إذ قيل . وأجيب بأنه صرح هنا بالفاعل لإزالته الابهام وحذفه فى الأعراف للعلم به مما هنا . الثانى قال هنا ادخلوا وهناك اسكنوا . وأجيب بأن الدخول مقدّم على السكنى فذكر الدخول فى السورة المتقدّمة والسكنى فى المتأخرة على حسب الترتيب الطبيعى . الثالث قال هنا خطايا كم باتفاق السبعة وهناك خطيئاتكم فى بعضها وتقدّم جوابه . الرابع ذكر هنا رغدا وحذفه من هناك . والجواب أن القصة ذكرت هنا مبسوطة وهناك مختصرة . الخامس قدم هنا دخول الباب على قولوا حطة وعكس هناك . وأجيب بأن ماهنا هو الأصل فى الترتيب وعكس فيما يأتى اعتناء بحط الذنوب. السادس إثبات الواو فى وسنزيد هنا وحذفها هناك . وأجيب بأنه لما تقدم أمران كان المجىء بالواو مؤذنا بأن مجموع الغفران والزيادة جزء واحد لمجموع الأمرين وحيث تركت الواو أفاد توزيع كلّ واحد على كلّ واحد من الأمرين فالغفران فى مقابلة القول والزيادة فى مقابلة ادخلوا . السابع لم يذكر هنا منهم وذكرها هناك . وأجيب بأن أول القصة فى الأعراف مبنى على التخصيص بلفظ من حيث قال ومن قوم موسى أمة فذكر لفظ منهم آخرا ليطابق الآخر الأول . الثامن ذكر هنا أنزلنا وهناك أرسلنا . وأجيب بأن الانزال يفيد حدوثه فى أول الأمر والارسال يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية وهذا إنما يحدث فى آخر الأمر . التاسع هنا يفسقون وهناك يظلمون . وأجيب بأنه لما بين هنا كون ذلك الظلم فسقا اكتفى بذكر الظلم هناك لأجل ما تقدّم من البيان هنا . العاشر قوله تعالى ـ فبدل الذين ظلموا قولا ـ فيه إخبار بالمجازاة عن المخالفة فى القول دون الفعل وجوابه ما تقدّم فلتحفظ (قوله واذكر) أى يامحمد والناسب لما تقدم وما يأتى أن يقدر اذكروا ويكون خطابا لبنى إسرائيل تعداد النعم عليهم والأول و إن كان صحيحا إلا أنه خلاف النسق (قوله أى طلب السقيا) أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب والفعل إما رباعى أو ثلاثى يقال سقى وأسقى قال تعالى ـ وسقاهم ربهم شرابا طهورا . وأسقيناكم ماء فراتا ـ والمصدر سقيا

فهلك منهم فى ساعة سبعون ألفا أو أقل (وَ) اذكر (إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ) أى طلب السقيا (لِقَوْمِهِ) وقد عطشوا فى التيه (فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ) وهو الذى فرّ بثوبه خفيف مربع كرأس الرجل رخام أو كذان فضربه (فَٱنفَجَرَتْ) انشقت وسالت (مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) بعدد الأسباط (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) سبط منهم (مَّشْرَبَهُمْ) موضع شربهم فلا يشركهم فيه غيرهم وقلنا لهم

والاسم اسقيا (قوله وقد عطشوا فى التيه) أشار بذلك إلى أن المراد بقومه من كان معه فى التيه لاجميعهم وتقدم أنهم ستمائة ألف غير دوابهم وقدر مسافة الأرض التى تكفيهم اثنا عشر ميلا وعطش من باب ضرب وعلم (قوله فقلنا) القائل الله على لسان جبريل أوغيره (قوله بعصاك) كانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع وطول موسى كذلك وكان لها شعبتان تضيئان له فى الظلام وتظلانه فى الحرّ وكانت تسوق له الغنم وتطرد عنها الذئاب (قوله وهو الذى فرّ بثوبه) أى حين رموه بالأدرة وهى انتفاخ الخصية وكان بنو إسرائيل لايبالون بكشف العورة فأراد موسى الغسل فوضع ثوبه على ذلك الحجر ففرّ بذلك الثوب فخرج موسى من الماء وقال ثوبى حجر ثوبى حجر فنظر بنو إسرائيل لعورته فلم يروه كما ظنوا قال تعالى ـ فبرّأه الله مما قالوا ـ وهذا الحجر قيل أخذه هو والعصا من شعيب ، وقيل إن الحجر أخذه من وقت فراره بثوبه وكان طوله ذراعا وعرضه كذلك وله جهات أربع فى كل جهة ثلاثة أعين فكان يضربه بالعصا عند طلب السقيا فتخرج منه اثنتا عشرة عينا بعدد فرق بنى إسرائيل وتلك العصا كانت من الجنة خرجت مع آدم مع عدة أشياء نظمها سيدى على الأجهورى بقوله :

وآدم معه أنزل العود والعصا ... لموسى من الآس النبات المكرم

وأوراق تين واليمين بمكة ... وختم سليمان النبىّ المعظم

(قوله أو كذان) بفتح الكاف وتشديد الذال المعجمة الحجر اللين (قوله فضربه) أشار بذلك إلى أن الفاء فى قوله فانفجرت عاطفة على محذوف (قوله فانفجرت) عبر هنا بالانفجار وفى الأعراف بالانبجاس إشارة إلى أن ماهنا بيان للغاية وما فى الأعراف بيان للمبدأ فان مبدأ خروج الماء الرشح الذى هو الانبجاس ثم إذا قوى سمى انفجارا وقيل معناهما واحد (قوله اثنتا) فاعل انفجرت مرفوع بالألف لأنه ملحق بالمثنى وعشرة بمنزلة النون فى المثنى (قوله قد علم كلّ أناس) أى فكانت كلّ عين تأتى لقبيلة وأعظم من هذه المعجزة نبع الماء من أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(قوله من رزق الله) تنازعه كل من كلوا واشربوا فأعمل الأخير وأضمر فى الأول وحذف والمراد بالرزق المرزوق وهو بالنسبة للأكل المن والسلوى (قوله مؤكدة لعاملها) وحكمة ذلك عظم بلادتهم فنزلوا منزلة الساهى والغافل (قوله من عثى) أى والمصدر عثيا بضم العين وكسرها (قوله وإذ قلتم) أى واذكروا إذ قالت أصولكم (قوله أى نوع منه) جواب عن سؤال كيف يقولون واحد مع أنهما اثنان فأجاب بأن المراد وحدة النوع الذى هو الطعام المستلذ (قوله شيئا) قدره إشارة إلى أن مفعول يخرج محذوف (قوله مما تنبت الأرض) بيان لذلك الشىء (قوله للبيان) أى بيان ما تنبته الأرض (قوله بقلها) هو مالا ساق له كالكراث والفجل والملوخية وشبهها (قوله وقثائها) هى الخضراوات كالبطيخ والخيار وغير ذلك (قوله حنطتها) وقيل هو الثوم لأن الثاء تقلب فاء فى اللغة والأقرب ماقاله المفسر (قوله قال لهم موسى) وقيل القائل الله على لسان موسى (قوله بالذى هو خير) الباء داخلة على المتروك (قوله للانكار) أى التوبيخى (قوله فدعا الله) أشار بذلك إلى أن قوله اهبطوا مرتب على محذوف (قوله اهبطوا) يطلق الهبوط على النزول من أعلى لأسفل وعلى الانتقال من مكان لمكان وهو المراد . إن قلت ظاهر الآية أنهم متمكنون من الانتقال مع أن الأمر ليس كذلك . أجيب بأن ذلك على سبيل التوبيخ واللوم عليهم فى ذلك تقدير الكلام إن مطلوبكم يكون فى الأمصار فان كنتم متمكنين منها فلكم ماسألتم

(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة أفسد (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ) أى نوع منه (وَاحِدٍ) وهو المن والسلوى (فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا) شيئا (مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ) للبيان (بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا) حنطتها (وَعَدَسِهَا ، وَبَصَلِهَا قَالَ) لهم موسى (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى) أخس (بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) أشرف أى أتأخذونه بدله والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى (اهْبِطُوا) انزلوا (مِصْرًا) من الأمصار (فَإِنَّ لَكُمْ) فيه (مَا سَأَلْتُمْ) من النبات (وَضُرِبَتْ) جعلت (عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ) الذل والهوان (وَالْمَسْكَنَةُ) أى أثر الفقر من السكون والخزى فهى لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته (وَبَاءُوا) رجعوا (بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ) أى الضرب والغضب (بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ) كزكريا ويحيى (بِغَيْرِ الْحَقِّ) أى ظلما (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) يتجاوزون الحد فى المعاصى وكرره للتأكيد (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بالأنبياء من قبل ، (والذين

وإلا فاصبروا على حكم الله (قوله مصرا) بالتنوين لجمهور القراء ولم يقرأ بعدمه إلا الحسن وأبى للعلمية والتأنيث ونظيرها يجوز فيه الصرف وعدمه لأنه اسم ثلاثى ساكن الوسط (قوله عليهم) أى على ذرياتهم إلى يوم القيامة وكل من نحا نحوهم (قوله أى أثر الفقر) أى القلبى ولو كثرت أمواله قال عليه الصلاة والسلام «الفقر سواد الوجه فى الدارين» (قوله لزوم الدرهم الخ) الكلام على القلب أى لزوم السكة للدرهم والمراد بالسكة أثرها لأن السكة اسم للحديدة المنقوشة يضرب عليها الدراهم فكذلك لايخلو يهودى من آثار الفقر قال المفسرون مبدأ زيادة الذلة والغضب من وقت إشاعتهم قتل عيسى (قوله بآيات الله) أى المعجزات التى أتى بها موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم (قوله كزكريا) أى بالنشر حين أوى إلى شجرة الأثل فانفتحت له فدخلها فنشروها معه (قوله ويحيى) أى قتلوه على كلمة الحق ورد أنهم قتلوا فى يوم واحد سبعين نبيا وأقاموا سوقهم (قوله بغير الحق) من المعلوم أن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق وإنما ذكره إشارة إلى أن اعتقادهم موافق للواقع فهم يعتقدون أنه بغير الحق كما هو الواقع (قوله بما عصوا) أصله عصيوا تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة لتدل عليها (قوله وكرره) أى اسم الاشارة وهو لفظ ذلك قال بعضهم وفى تكرير الاشارة قولان : أحدهما أنه مشار به إلى ما أشير إليه بالأول على سبيل التأكيد . والثانى أنه مشار به إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لأنهم انهمكوا فيها وما مصدرية والباء للسببية وأصل يعتدون يعتديون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وضمت الدال لمناسبة الواو (قوله إن الذين آمنوا) هذه الآية معترضة بين قصص بنى إسرائيل (قوله من قبل) أى قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كبحيرا الراهب وأبى ذر الغفارى وورقة بن نوفل وسلمان الفارسى وقس بن ساعدة وغيرهم ممن آمن بعيسى

ولم يغير ولم يبدل حتى أدرك محمدا وآمن به وأما من آمن بعيسى وأدرك محمدا ولم يؤمن به فذلك مخلد فى النار لقوله تعالى ـ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ـ والذين اسم إن وآمنوا صلته والذين معطوف عليه وهادوا صلته (قوله هم اليهود) من هاد إذا رجع سموا بذلك لرجوعهم من عبادة العجل على أنه عربى وأما على أنه عبرانى فعرب فأصله يهوذا اسم أكبر أولاد يعقوب فأبدلت المعجمة مهملة (قوله والنصارى) جمع نصرى والياء للمبالغة كأحمرى سموا بذلك لأنهم نصروا عيسى على كلمة الحق كما سمى الأنصار أنصارا لنصرته صلى الله عليه وسلم وقيل نسبة لناصرة قرية بالشأم (قوله والصابئين) أى المائلين عن دينهم (قوله أوالنصارى) إشارة إلى تنويع الخلاف أى صبأوا عن دينهم وعبدوا النجوم والملائكة وقيل فرقة ادّعوا أنهم على دين صابىء بن شيث بن آدم والأرجح ماقاله المفسر (قوله من) اسم موصول مبتدأ وآمن صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله منهم وبالله متعلق بآمن وقوله فلهم أجرهم خبر المبتدإ وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من العموم ويصح أن يكون من اسم شرط مبتدأ وآمن فعل الشرط وقوله فلهم أجرهم جواب الشرط وخبر المبتدإ فيه خلاف قيل فعل الشرط وقيل جوابه وقيل هما والجملة خبر إن ويصح أن يكون من بدلا من اسم إنّ وجملة فلهم أجرهم خبر إن (قوله أجرهم) فى الأصل مصدر بمعنى الايجار والمراد به هنا الثواب وهو مقدار من الجزاء أعدّه الله لعباده فى نظير أعمالهم الحسنة بمحض الفضل (قوله ولاخوف عليهم) أى فى الآخرة (قوله ميثاقكم) الخطاب لبنى إسرائيل (قوله وقد رفعنا) قدر المفسر لفظ قد إشارة إلى أنّ الجملة حالية (قوله

(وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ) طائفة من اليهود أوالنصارى (مَنْ آمَنَ) منهم (بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فى زمن نبينا (وَعَمِلَ صَالِحًا) بشريعته (فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ) أى ثواب أعمالهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) روعى فى ضمير آمن وعمل لفظ من، وفيما بعده معناها (وَ) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) عهدكم بالعمل بما فى التوراة (وَ) قد (رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها وقلنا (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) بجدّ واجتهاد (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) بالعمل به (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) النار أو المعاصى (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم (مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ) الميثاق عن الطاعة (فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) لكم بالتوبة أو تأخير العذاب (لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) الهالكين (وَلَقَدْ) لام قسم (عَلِمْتُمُ) عرفتم (الَّذِينَ اعْتَدَوْا) تجاوزوا الحد (مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ) بصيد السمك وقد نهيناهم عنه،

الطور) فى الأصل اسم لكل جبل لكن المراد به هنا جبل معروف بفلسطين (قوله وقلنا خذوا) قدره المفسر إشارة إلى أن خذوا مقول لقول محذوف. وحاصل ذلك أن الله لما آتى موسى التوراة وأمرهم بالسجود شكرا لله أبوا من قبول التوراة ومن السجود فرفع الله جبل الطور فوق رءوسهم كأنه سحابة قدر قامتهم وكان على قدرهم فسجدوا على نصف الجبهة الايسر فصار ذلك فيهم إلى الآن ثم لما رفع عنهم أبوا (قوله لعلكم تتقون) الترجى بالنسبة للمخاطبين (قوله الميثاق) أشار بذلك إلى مرجع اسم الاشارة وقال البيضاوى إنه راجع لرفع الجبل وإيتاء التوراة (قوله فولا فضل الله) لوحرف امتناع لوجود أى امتنع خسرانكم لوجود فضل الله ورحمته وجوابها يقترن باللام غالبا إن كان مثبتا فان كان منفيا بما فالغالب الحذف أو بغيرها فالواجب الحذف وتختص بالجمل الاسمية ومدخولها المبتدأ يجب حذف خبره لاغناء جوابها عنه، قال ابن مالك * وبعد لولا غالبا حذف الخبر * حتم (قوله بالتوبة) هذا فى حق المؤمنين وقوله أو تأخير العذاب فى حق الكافرين (قوله الهالكين) أى فى الدنيا والآخرة (قوله عرفتم) أى فتنصب مفعولا واحدا والعلم والمعرفة قيل مترادفان ولكن يقال فى الله عالم لاعارف لأن أسماءه توقيفية وقيل العلم أوسع دائرة من المعرفة لتعلقه بالجزئيات والكليات والبسائط والمركبات بخلاف المعرفة فلذلك يقال فى الله عالم لعموم ماتعلق به علمه لاعارف لأنه يوهم القصور والمعتمد الأوّل وقوله لام قسم أى محذوف تقديره والله لقد عرفتم (قوله الذين) مفعول علمتم واعتدوا صلته وأصله اعتديوا تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله منكم) جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل اعتدوا (قوله فى السبت) هو لغة القطع وهو أصل وضعه لأنه ورد أن الدنيا ابتدئت بالأحد وختمت بالجمعة فكان يوم السبت يوم انقطاع عمل خصت اليهود به لقطعهم عن رحمة الله أو مأخوذ من السبوت وهو السكون لأن بانقطاع العمل السكون

(قوله وهم أهل أيلة) حاصله أن سبعين ألفا من قوم داود كانوا بقرية تسمى أيلة عند العقبة فى أرغد عيش فامتحنهم الله بأن حرم عليهم اصطياد السمك يوم السبت وأحل لهم باقى الجمعة فاذا كان يوم السبت وجدوا السمك بكثرة على وجه الماء وفى باقيها لم يجدوا شيئا ، ثم إن إبليس علمهم حيلة يصطادون بها فقال لهم اصنعوا جداول حول البحر فاذا جاء السمك نزل فى الجداول فسدوا عليه وخذوه فى غير يوم السبت فافترقوا ثلاث فرق فاثنا عشر ألفا فعلوا ذلك واصطادوا وأكلوا فمسخوا قردة ومكثوا ثلاثة أيام لم يأكلوا ولم يشربوا ثم ماتوا، وأما ماوجد من القردة الآن فلم يكونوا من ذريتهم بل خلق آخر، وقيل مسخت شبابهم قردة وشيوخهم خنازير . وقيل الذين مسخوا خنازير أهل المائدة وفرقة نهوهم وجعلوا بينهم سدا وفرقة أنكروا بقلوبهم ولم يتعرضوا لهم فمن نهى نجا وكذا من لم ينه على المعتمد (قوله فقلنا) المراد بالقول تعلق الإرادة (قوله مبعدين) أى عن رحمة الله (قوله نكالا) هو فى الأصل القيد الحديد أطلق وأريد لازمه وهو المنع لأن المقيد ممنوع فكذا تلك العقوبة مانعة (قوله مثل ماعملوا) المماثلة فى مطلق المخالفة (قوله واذكروا) أى يا بنى إسرائيل (قوله قتيل) اسمه عاميل (قوله بقرة) واحدة البقر

يفرق بين مذكره ومؤنثه بالوصف تقول بقرة أنثى وبقرة ذكر فالتاء للوحدة وقيل للتأنيث فالأنثى بقرة والذكر ثور وسمى البقر بقرا لأنه يبقر الأرض بحافره : أى يشقها . وأول القصة قوله فيما يأتى ـ وإذ قتلتم نفسا ـ الآية (قوله مهزوءا بنا) أشار بذلك إلى أنه مصدر بمعنى اسم المفعول ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة أوعلى حذف مضاف : أى ذوى هزء على حد ماقيل فى زيد عدل والهزؤ هو الكلام الساقط الذى لامعنى له (قوله من الجاهلين) أى المبلغين عن الله الكذب

وهم أهل أيلة (فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) مبعدين فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة أيام (فَجَعَلْنَاهَا) أى تلك العقوبة (نَكَالاً) عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا) أى للأمم التى فى زمانها و بعدها (وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) الله وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ) وقد قتل لهم قتيل لايدرى قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يبينه لهم فدعاه (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً) مهزوءا بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك (قَالَ أَعُوذُ) أمتنع (بِاللَّهِ) من (أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) المستهزئين فلما علموا أنه عزم (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) أى ماسنها (قَالَ) موسى (إِنَّهُ) أى الله (يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ) مسنة (وَلاَ بِكْرٌ) صغيرة (عَوَانٌ) نصف (بَيْنَ ذَلِكَ) المذكور من السنين (فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) به من ذبحها (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا) شديد الصفرة (تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) إليها بحسنها أى تعجبهم (قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ) أسائمة أم عاملة (إِنَّ الْبَقَرَ) أى جنسه المنعوت بما ذكر (تَشَابَهَ عَلَيْنَا) لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) إليها فى الحديث « لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ) غير مذللة بالعمل (تُثِيرُ الْأَرْضَ) تقلبها للزراعة والجملة صفة ذلول ،

(قوله أنه عزم) أى مفروض وحق لاهزل فيه (قوله أى ماسنها) أى فما واقعة داخلة على الأوصاف وقولهم إن مايسئل بها عن الماهية والحقيقة أغلبى (قوله لا فارض) من الفرض وهو القطع سميت بذلك لقطعها عمرها (قوله نصف) بالتحريك يقال للمرأة والبقرة . قال الشاعر :

وإن أتوك وقالوا إنها نصف ... قل إن أحسن نصفيها الذى ذهبا

وكرر لالوقوع النعت بعدها وكذا إذا وقع بعدها الحال والخبر (قوله به) هو عائد الموصول وقوله من ذبحها بيان لما (قوله قال) أى موسى وقوله إنه : أى الله (قوله فاقع) صفة لصفراء وهو مبالغة فى الصفرة يقال أحمرقانى وأسود حالك وأبيض ناصع وأصفرفاقع (قوله بحسنها) أى لجمال خلقتها وحيث شددوا شدد عليهم إذلو أتوا أولا بأى بقرة لكفت ثم لوأتوا بما فى السؤال الثانى لكفت ثم مافى الثالث لكفت ولكن شددوافشدد عليهم (قوله أسائمة) أى متروكة فى الجبال ترعى من كلئها (قوله أم عاملة) أى يعلفها ربها ويشغلها (قوله إن البقر) تعليل للأسئلة الثلاثة (قوله لولم يستثنوا) أى بالمشيئة (قوله آخر الأبد) أى إلى انقضاء الدنيا (قوله لاذلول) من الذلة وهى السهولة بل فيها الصعوبة

(قوله داخلة فى النفى) أى فالمعنى ليست مذللة لعمل ولامثيرة للأرض (قوله الأرض المهيأة الخ) المناسب أن يقول الحرث : أى الزرع لأن الحرث يطلق على الزرع (قوله الآن) ظرف زمان للوقت الحاضر (قوله جئت بالحق) أى بصفات البقرة التى لاتحقق ولا تلتبس فلا تنافى بين الآية وقول المفسر فطلبوها (قوله نطقت بالبيان التام) جواب عن سؤال ورد على الآية وهو أن ظاهر مفهوم الآية يقتضى أنهم كفار ، فأجاب المفسر بأن فيه حذف النعت مع بقاء المنعوت وهو جائز لقول ابن مالك :

وما من المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفى النعت يقل

(قوله فطلبوها) أى بحثوا عنها (قوله عند الفتى البار بأمه) وحاصل ذلك أن أبا الفتى المذكور كان رجلا صالحا من بنى إسرائيل قد حضرته الوفاة وكانت عنده بقرة قد ولدت أنثى فأخذ تلك الأنثى ووضعها فى غيضة وأوصى أم الغلام أن تعطيه تلك البقرة حين يكبر ومات ، ثم إن الولد صار يحتطب ويبيع الحطب ويقسم ثمنه أثلاثا يصرف ثلثه على نفسه والثلث الآخر على أمه والثلث الآخر يتصدق به ويقسم ليله أثلاثا ينام ثلثه ويخدم أمه ثلثه ويقوم لطاعة الله ثلثه ، فلما كبر الغلام قالت له أمه اذهب إلى الغيضة الفلانية فان فيها بقرة تركها لك أبوك وأوصانى إذا كبرت أن أعطيها لك وأقسم عليها بابراهيم الخليل واسحاق ويعقوب فانها تأتى لك طائعة ففعل كما أمرته ، فجاءت له طائعة وقالت له اركب على ظهرى ، فقال لها إن أمى لم تأمرنى بالركوب ، فقالت له لو ركبت على ظهرى ماقدرتنى إلى الأبد ، فأخذها وذهب إلى أمه فقالت له اذهب إلى السوق فبعها بثلاثة دنانير على مشورتى فذهب فأتاه ملك على صورة رجل وقال له بكم تبيعها فقال بثلاثة دنانير على مشورة أمى فقال له بعها لى بستة دنانير من غير مشورة فقال لا ثم ذهب إلى أمه فأخبرها بذلك فقالت له بعها بستة على مشورتى فذهب فأتاه ثانيا وأعطاه فيها اثنى عشر على غير مشورة فأبى فذهب إلى أمه وأخبرها فقالت له

داخلة فى النفى (وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ) الأرض المهيأة للزراعة (مُسَلَّمَةٌ) من العيوب وآثار العمل (لاَشِيَةَ) لون (فِيهَا) غير لونها (قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مسكها ذهبا (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) لغلاء ثمنها وفى الحديث «لو ذبحوا أى بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم» (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الدال أى تخاصمتم وتدافعتم (فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ) مظهر (مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ) أى القتيل (بِبَعْضِهَا) فضرب بلسانها أو عجب ذنبها فحيى وقال قتلنى فلان وفلان لابنى عمه ومات فحرما الميراث وقتلا قال تعالى (كَذَلِكَ) الإحياء (يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) دلائل قدرته (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون .

إن هذا ملك من عند الله فاذهب إليه وقرئه السلام وقل له أنبيع البقرة أم لا فذهب إليه وأخبره بذلك ، فقال له إن بنى إسرائيل يقتل لهم قتيل ويتوقف بيان قاتله على تلك البقرة فلا تبعها إلا بملء مسكها ذهبا ففعل ما أمر به والفتى هو الشاب السخى ، ولاشك أنه كان كذلك (قوله مسكها) بفتح الميم الجلد (قوله فذبحوها) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فطلبوها الخ (قوله وما كادوا يفعلون) أى ماقاربوا الفعل (قوله لغلاء ثمنها) أى أو للتعنت فى أوصافها (قوله فيه إدغام التاء فى الأصل الخ) أى أصله تدارأتم قلبت التاء دالا وأدغمت فيها وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله أى تخاصمتم) أى اتهم بعضكم بعضا (قوله وهذا اعتراض) أى جملة معترضة بين المعطوف وهو فقلنا اضربوه الخ والمعطوف عليه وهو فذبحوها (قوله وهو أول القصة) وإنما أخره ليوصل قبائح بنى إسرائيل بعضها ببعض (قوله فقلنا) معطوف على فذبحوها والقائل الله على لسان موسى (قوله بلسانها) أى لأنه محل الكلام (قوله أو عجب ذنبها) إشارة لتنويع الخلاف والحكمة فى ذلك أنه محل حياة ابن آدم، وقيل ضربوه بفخذها اليمنى ، وقيل بقطعة لحم منها (قوله فحيى) ورد أنه قام وأوداجه تشخب دما (قوله ومات) أى سريعا بلا مهلة (قوله فحرما الميراث) أى لأن القاتل لايرث من تركة المقتول شيئا حق فى شرع موسى وسبب قتله إياه أن المقتول كان غنيا والقاتل كان فقيرا فلما طال عمر المقتول قتله ليرثه ، وقيل غير ذلك (قوله كذلك) هذه الجملة معترضة بين قصص بنى إسرائيل ردا على منكرى البعث فان بنى إسرائيل لم تكونوا منكرين له ، فالخطاب لمشركى العرب المنكرين للبعث .

(قوله ثم قست قلوبكم) نزل استبعاد قسوة قلوبهم لظهور الخوارق للعادات العظيمة منزلة التراخي فأتى بثم وأكده بالظرف بعده (قوله أيها اليهود) دفع بذلك مايقال إنه خطاب لغير بني إسرائيل كالذي قبله (قوله صلبت عن قبول الحق) أشار بذلك إلى أن في قست استعارة تصريحية تبعية حيث شبه عدم الاذعان بالقسوة بجامع عدم قبول التأثير في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من القساوة قست بمعنى لم تذعن فلم تقبل المواعظ ولم تؤثر فيها (قوله فهي كالحجارة) لم يشبههم بالحديد لوجود اللين فيه في الجملة (قوله أو أشد) هذا ترق في ذكر قسوتهم فأو بمعنى بل (قوله فيه إدغام التاء الخ) أي فأصله يتشقق أبدلت التاء شينا ثم أدغمت فيها (قوله فيخرج منه الماء) أي أنهارا أو غيرها كالعيون فهو من عطف العام على الخاص (قوله ينزل من علو إلى سفل) أي كجبل الطور وورد مامن حجر يسقط من علو إلى سفل إلا من خشية الله (قوله من خشية الله) أخذ أهل السنة من ذلك ومن قوله تعالى ـ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ـ ومن قوله تعالى ـ ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض ـ الآية أن كل شيء يعرف الله ويسبحه ويخشاه إلا الكافر من الانس والجن (قوله وما الله بغافل) ما نافية ولفظ الجلالة اسمها وبغافل خبرها وقوله عما تعملون يحتمل أن ما اسم موصول وتعملون صلته والعائد محذوف أي عن الذي تعملونه ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر أي عن عملكم (قوله أفتطمعون) سيأتي للمفسر

(﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾) أيها اليهود صلبت عن قبول الحق (﴿مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾) المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات (﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾) في القسوة (﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾) منها (﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾) فيه إدغام التاء في الأصل في الشين (﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾) ينزل من علو الى أسفل (﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾) وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع (﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾) وإنما يؤخركم لوقتكم وفي قراءة بالتحتانية وفيه التفات عن الخطاب (﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾) أيها المؤمنون (﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾) أي اليهود (﴿لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾) طائفة (﴿مِنْهُمْ﴾) أحبارهم (﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾) في التوراة (﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾) يغيرونه (﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾) فهموه (﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾) أنهم مفترون والهمزة للانكار أي لا تطمعوا فلهم سابقة في الكفر (﴿وَإِذَا لَقُوا﴾) أي منافقو اليهود (﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾) بأن محمدا نبي وهو المبشر به في كتابنا (﴿وَإِذَا خَلَا﴾) رجع (﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا﴾) أي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق (﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾) أي المؤمنين ،

أن الهمزة للانكار فيحتمل أنها مقدمة من تأخير والأصل فأتطمعون قدمت لأن لها الصدارة وهو مذهب الجمهور وقال الزمخشري إن الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف التقدير أتسمعون كلامهم وتعرفون أحوالهم فتطمعون الخ أي لا يكون منكم ذلك. واعلم أن الهمزة لاتدخل إلا على ثلاثة من حروف العطف الواو والفاء وثم (قوله أن يؤمنوا) أي يستبعد ذلك منهم لافتراقهم أربع فرق في كل فرقة صفة مانعة له من الايمان: الأول كونهم يحرفون كلام الله. الثاني النفاق. الثالث التوبيخ من غير المنافق للمنافق على ملاطفة المسلمين. الرابع كونهم أميين لايعلمون الكتاب إلا أماني فهذه يستبعد معها الايمان لرسوخ الكفر في قلوبهم (قوله وقد كان فريق) الجملة حالية وقد قربت الماضي من الحال والمراد من كان بالنسبة لأن هذا الكلام فيمن كان موجودا زمن النبي لافيمن كان قبلهم (أحبارهم) علماؤهم جمع حبر بالكسر ويقال بالفتح وجمعه حبور كفلس وفلوس (قوله من بعد ماعقلوه) أي من بعد تعقلهم إياه وتحريفهم في الكلام كأوصاف النبي من كونه أكحل العينين جعد الشعر فغيروه إلى أزرق العينين سبط الشعر وآية الرجم غيروها إلى الجلد وغير ذلك (قوله وهم يعلمون) الجملة حالية من فاعل يحرفون (قوله أنهم مفترون) أشار بذلك إلى ان مفعول يعلمون محذوف والافتراء هو الكذب الذي لا شك فيه (قوله للانكار) أي الاستبعادي (قوله أي لاتطمعوا) عبر بالطمع دون الرجاء إشارة إلى فقد أسباب الايمان منهم وعدم قابليتهم له (قوله فلهم سابقة في الكفر) أي كفر سابق قبل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إياهم للايمان وهذه الجملة علة لقوله لا تطمعوا (قوله وإذا لقوا) شروع في ذكر الفرقة الثانية وهم المنافقون ورئيسهم عبد الله ابن سلول (قوله وإذا خلا) شروع في الفرقة الثالثة وهم الموبخون للمنافقين .

(قوله بما فتح الله عليكم) ما اسم موصول وجملة فتح صلته والعائد محذوف التقدير بالذى فتح الله عليكم به وهو الواقعة على اوصاف محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من نعت محمد) بيان لما (قوله واللام للصيرورة) أى عاقبة أمرهم أنهم يحاجونكم عند ربكم والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها (قوله فى الآخرة) إشارة إلى معنى العندية وهو متعلق بيحاجوكم (قوله أنهم يحاجونكم) أشار بذلك إلى مفعول تعقلون وأنه من كلام الرؤساء الذين لم ينافقوا (قوله الاستفهام للتقرير) أى على سبيل التوبيخ حيث اعتقدوا أن المنافق يؤاخذ والكافر الأصلى لاحجة عليه وله عذر قائم عند ربه وهذه الجملة حالية (قوله الداخل) نعت سببى للواو فكان عليه أن يظهر فاعله ويقول والواو الداخل الاستفهام عليها للعطف لوجود اللبس (قوله للعطف) أى على محذوف تقديره أيلومونهم ولا يعلمون وتقدم أن هذا مذهب الزمخشرى (قوله أن الله يعلم) هذه الجملة سدت مسد مفعولى يعلمون إن كانت على بابها أو مفعولها إن كانت بمعنى يعرفون (قوله فيرعوو) أى فينكفوا وينزجروا وهو مرتب على قوله أو لايعلمون كما أن قوله فتنتهوا مرتب على قوله أفلا تعقلون (قوله ومنهم) شروع فى ذكر الفرقة الرابعة (قوله أميون) أى منسوبون للأم لعدم انتقالهم عن حقيقتهم الأصلية التى ولدتهم عليها قال تعالى ـ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ـ والأمى

(بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ) أى عرفكم فى التوراة من نعت محمد (لِيُحَاجُّوكُمْ) ليخاصموكم واللام للصيرورة (بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ) فى الآخرة ويقيموا عليكم الحجة فى ترك اتباعه مع علمكم بصدقه (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنتهوا قال تعالى (أَوَلَا يَعْلَمُونَ) الاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) ما يخفون ومايظهرون من ذلك وغيره فيرعووا عن ذلك (وَمِنْهُمْ) أى اليهود (أُمِّيُّونَ) عوام (لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَابَ) التوراة (إِلَّا) لكن (أَمَانِيَّ) أكاذيب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها (وَإِنْ) ما (هُمْ) فى جحد نبوة النبى وغيره مما يختلقونه (إِلَّا يَظُنُّونَ) ظناً ولا علم لهم (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ) أى مختلقاً من عندهم (ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبى فى التوراة وآية الرجم وغيرها وكتبوها على خلاف ما أنزل (فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ) من المختلق (وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ) من الرشا (وَقَالُوا) لما وعدهم النبى النار (لَنْ تَمَسَّنَا) تصيبنا (ٱلنَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) قليلة أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول (قُلْ) لهم يا محمد (أَتَّخَذْتُمْ) حذفت منه همزة الوصل ،

هو من لايقرأ ولا يكتب (قوله إلا لكن أمانى) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والأمانى جمع أمنية وهو مايتمناه الشخص ويطلق على القراءة وعلى الأكاذيب وهو المراد هنا (قوله فاعتمدوها) أى ثبتوا عليها ورسخت فى قلوبهم (قوله ماهم) أشار بذلك إلى أن إن نافية بمعنى ما والغالب وقوعها بعد إلا التى بمعنى لكن وهل تعمل عمل ما الحجازية فتنصب الاسم وترفع الخبر أو لاعمل لها فما بعدها مبتدأ وخبر خلاف بين الجمهور وسيبويه فاختار سيبويه الاول مستدلا بقول الشاعر :

إن هو مستوليا على أحد ... إلا على أضعف المجانين

واختار الجمهور الثانى (قوله ولا علم لهم) أى ليس عندهم جزم مطابق الواقع وإنما أخر الأميون لأنهم أقرب للإيمان بخلاف من قبلهم فانهم ضلوا وأضلوا أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم (قوله فويل) شروع فى ذكر مايستحقونه (قوله شدة عذاب) وقيل واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لانماعت من حره (قوله الكتاب) أى المكتوب (قوله بأيديهم) دفع بذلك مايتوهم أن المراد أملوه لغيرهم (قوله ليشتروا) علة لقوله يكتبون (قوله غيروا صفة النبى) أى من كونه ربعة جعد الشعر أكحل العينين فغيروها وقالوا طويل سبط الشعر أزرق العينين (قوله وآية الرجم) أى غيروها إلى الجلد (قوله وغيرهما) أى كقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وكدعواهم أنهم من أهل الجنة (قوله من الرشا) بكسر الراء وضمها جمع رشوة بتثليث الراء وهو من باب تقديم السبب على المسبب لأن أخذ الرشوة سبب للتبديل وقوله مما كتبت يحتمل أن ما اسم موصول وكتبت صلتها والعائد محذوف أى كتبته ويحتمل أن ما مصدرية التقدير من كتبهم وكذا قوله مما يكسبون (قوله أربعين يوما) وقيل سبعة أيام وقوله قليلة تفسير باللازم لمعدودة لأن معنى المعدودة التى يسهل عدها وشأن القليلة سهولة عدها

(قوله استغناء بهمزة الاستفهام) أي لأنه يحصل بها التوصل للنطق بالساكن مع إفادة المراد من الاستفهام وفي أتخذتم قراءتان سبعيتان الأولى بالفك والثانية بالادغام وطريقته أن تقلب الذال دالا ثم تاء وتدغمها في التاء وهذا الاستفهام يحتمل أن يكون تقريريا فتكون الجملة إنشائية وأم متصلة معادلة للهمزة التي لطلب التعيين التقدير أتخذتم عند الله عهدا أم لم تتخذوا ويحتمل أن يكون إنكاريا بمعنى النفي فتكون الجملة خبرية وأم منقطعة بمعنى بل التقدير لم تتخذوا عند الله عهدا بل تقولون على الله مالا تعلمون وهذا هو الأقرب ولذا اختاره المفسر (قوله فلن يخلف الله عهده) هذه الجملة في محل جزم جواب الاستفهام وقيل إنها جواب شرط مقدر تقديره ان اتخذتم فلن يخلف الله عهده وقرن بالفاء لوجود لن في حيزه (قوله بل تقولون) أشار بذلك إلى أنها منقطعة والاضراب انتقالي (قوله بلى) هو حرف جواب للنفي لكنه يصير إثباتا . وأما نعم وجير وأجل وأي فلتقرير ماقبلها إثباتا أو نفيا (قوله تمسكم) ردّ لقولهم لن تمسنا وقوله وتخلدون فيها ردّ لقولهم إلا أياما معدودة (قوله من كسب) يحتمل أن تكون من شرطية وكسب فعل الشرط وجوابه فأولئك أصحاب النار وأن تكون موصولة وكسب صلتها وقرن خبرها بالفاء لما في الموصول من معنى العموم ولم يقرن خبر التي بعدها بالفاء إشارة إلى أن خلود النار مسبب عن الكفر بخلاف خلود الجنة فلايتسبب عن الايمان بل بمحض فضل الله كذا قاله بعض الأشياخ (قوله سيئة) أصلها سيوئة اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء على حد ماقيل في سيد وميت (قوله بالافراد) أي باعتبار ذات الشرك وقوله والجمع أي باعتبار أنواعه (قوله وأحدقت به من كل جانب) أي فلم يجد ملجأ للجنة لكفره (قوله وعملوا الصالحات) أي وأما من آمن ولم يعمل صالحا غير الايمان فخلد في الجنة أيضا وتحت المشيئة في الابتداء وقد جرت عادة الله في كتابه أنه إذا ذكر آية الكفار وعاقبة أمرهم يتبعها بذكر آية المؤمنين وعاقبة أمرهم (قوله واذكر) أي يا محمد والمناسب للسياق اذكروا ويكون خطابا لبني إسرائيل الفروع تذكيرا لهم بقبائح أصولهم (قوله وقلنا لاتعبدون) قدّر ذلك إشارة إلى أن جملة لاتعبدون في محل نصب مقول لقول محذوف وذلك القول في محل نصب على الحال من فاعل أخذنا التقدير وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل حال كوننا قائلين لاتعبدون الخ ويحتمل أن جملة لاتعبدون إلا الله مفسرة للميثاق لامحل لها من الاعراب ولاحذف وهو الأقرب (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان ولا التفات في ذلك على ماقرره المفسر من تقدير القول وعلى الاحتمال الثاني ففيه التفات على قراءة التاء من الغيبة إلى الخطاب فان الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله خبر بمعنى النهي) أي فهي جملة خبرية لفظا لعدم جزم الفعل إنشائية معنى لأن القصد النهي عن عبادة غير الله لا الاخبار عنهم بأنهم لايعبدون غير الله والحكمة في التعبير عن الانشاء بالخبر استبعاد ذلك منهم وتقوية للانشاء كأنه قيل لاينبغي أن تعبدوا غير الله حتى تنهوا عنه بل أخبر عنهم بأنهم لايعبدون إلا الله كأنه لم يقع منهم عبادة لغيره أبدا (قوله وقرئ) أي قراءة شاذة لأن قاعدة المفسر يشير للشاذة بقرئ وللسبعية بقراءة غالبا (قوله وأحسنوا) قدّر ذلك إشارة إلى أنه من عطف الجمل على جملة لاتعبدون وأتى بحق الوالدين عقب حق الله إشارة إلى أنه آكد الحقوق بعد عبادة الله قال تعالى ـ أن اشكر لي ولوالديك ـ فانهما السبب في وجود الشخص ويجب برّهما ولو كافرين ، وبالجملة فلم يشدّد الله على أمر كتشديده على برّهما (قوله عطف على الوالدين) أي من عطف المفردات وأحسنوا مسلط عليه التقدير وأحسنوا بذي القربى لأن حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان إليهم إنما هو بواسطتهما (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من الآدميين من فقد أباه ومن غيرهم من فقد أمه (قوله والمساكين) المراد مايشمل الفقراء فان الفقير والمسكين متى اجتمعا افترقا ومتى افترقا اجتمعا .

استغناء بهمزة الاستفهام (عِنْدَ اللهِ عَهْدًا) ميثاقا منه بذلك (فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ) به ؟ لا (أَمْ) بل (تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ . بَلَى) تمسكم وتخلدون فيها (مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً) شركا (وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ) بالإفراد والجمع أي استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركا (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) روعي فيه معنى من (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَ) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) في التوراة وقلنا (لاَتَعْبُدُونَ) بالتاء والياء (إِلاَّ اللهَ) خبر بمعنى النهي وقرئ لاتعبدوا (وَ) أحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) برًّا (وَذِي الْقُرْبَى) القرابة عطف على الوالدين (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ) وقولوا

(قوله وقولوا للناس) أى عموما ومنه الحديث « وخالق الناس بخلق حسن » (قوله قولا حسنا) أشار بذلك إلى أن حسنا بفتحتين صفة مشبهة لموصوف محذوف (قوله والنهى عن المنكر) أى على حسب مراتبه من النهى باليد ثم اللسان ثم القلب (قوله والرفق بهم) أى بالناس بأن يوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم (قوله وفى قراءة) أى سبعية (قوله مصدر) أى على غير قياس إن كان فعله أحسن وهو المتبادر وقياسى إن كان فعله حسن كظرف وكرم (قوله وصف به مبالغة) أى أوعلى حذف مضاف على حدّ ماقيل فى زيد عدل (قوله وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى المفروضات عليهم فى ملتهم ومانزل بقارون من الخسف به وبداره سببه منع الزكاة (قوله فقبلتم ذلك) قدّر ذلك لأجل العطف بثم عليه (قوله فيه التفات) وحكمته الاستلذاذ للسامع وعدم الملل منه فان الالتفات من المحسنات للكلام (قوله إلا قليلا منكم)أى من أجدادكم وهو من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ أى ومنكم أيضا وهو من آمن منهم كعبدالله بن سلام وأضرابه (قوله وأنتم معرضون)خطاب للفروع ويلاحظ قوله إلا قليلا هنا كما علمت فتغاير معنى الجملتين فلا تكرار (قوله وإذ أخذنا ميثاقكم) المقدر اذكروا فهو خطاب لبنى إسرائيل وهو معطوف على الجملة الأولى المتعلقة بالله وهذه الجملة متعلقة بحقوق العباد فخانوا كلا من العهدين وهى متضمنة لأربعة عهود : الأوّل لايسفك بعضهم دماء بعض . الثانى لايخرج بعضهم بعضا من ديارهم . الثالث لايتظاهر بعضهم على بعض بالاثم والعدوان . الرابع إن وجد بعضهم بعضا أسيرا فداه ولو بجميع مايملك (قوله ميثاقكم) أى ميثاق آبائكم فى التوراة فان هذا خطاب لقريظة وبنى النضير الكائنين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وقلنا لاتسفكون) قدّر القول إشارة إلى أن الجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف والجملة حالية من فاعل أخذنا التقدير أخذنا ميثاقكم حال كوننا قائلين ويحتمل أن الجملة لامحل لها من الاعراب تفسير للميثاق

وَقُولُوا لِلنَّاسِ) قولا (حَسَنًا) من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى شأن محمد والرفق بهم ، وفى قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ) فقبلتم ذلك (ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الوفاء به ، فيه التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم (إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ) عنه كآبائكم (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) وقلنا (لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ) تريقونها بقتل بعضكم بعضاً (وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) لا يخرج بعضكم بعضاً من داره (ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ) قبلتم ذلك الميثاق (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) على أنفسكم (ثُمَّ أَنْتُمْ) يا (هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ) يقتل بعضكم بعضاً (وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَّاهَرُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الظاء ، وفى قراءة بالتخفيف على حذفها : تتعاونون (عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ) بالمعصية (وَالْعُدْوَانِ) الظلم (وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى) وفى قراءة أسرى (تَفْدُوهُمْ)

وتقدم ذلك فى نظيره (قوله لاتسفكون) مضارع سفك من باب ضرب وقتل: أراق الدم أو الدمع (قوله يقتل بعضكم بعضا) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم لأنه يلزم من القتل إراقة الدم غالبا والاضافة فى دماءكم لأدنى ملابسة فان دم الأخ كدم النفس أو باعتبار أن من قتل يقتل أى فلاتتسببوا فى قتل أنفسكم بقتالكم غيركم وهنا حذف يعلم مما يأتى أى ظلما وعدوانا (قوله من دياركم) أصله دوار وقعت الواو إثر كسرة قلبت ياء وأسند الاخراج لأنفسهم مع أنهم يخرجون غيرهم لأن المكر السيئ لايحيق إلا بأهله (قوله ثم أقررتم) لم يذكر هنا بقية العهود لأن عهد عدم التظاهر بالاثم والعدوان ملاحظ فى العهدين الأولين ، وأما الرابع فقد وفوا به فلم يعاتبهم الرب عليه (قوله على أنفسكم) أشار بذلك إلى أن الجملة مؤكدة لجملة ثم أقررتم لأن الشهادة على النفس هى الاقرار بعينه ويحتمل أن قوله ثم أقررتم خطاب لبنى إسرائيل الأصول وقوله وأنتم تشهدون خطاب للفروع فتغاير معنى الجملتين ولاتأكيد (قوله ثم أنتم هؤلاء) أنتم مبتدأ وجملة تقتلون خبره وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف والجملة معترضة بين المبتدا والخبر (قوله تظاهرون) فى محل نصب على الحال من فاعل تخرجون وهو من باب الحذف من الأوائل لدلائل الأواخر التقدير تقتلون أنفسكم متظاهرين وتخرجون فريقا كذلك (قوله فى الأصل) أى بعد قلبها ظاء (قوله بالتخفيف) أى بحذف التاء الثانية التى ليست للمضارعة ولم تحذ[illegible]ق للمضارعة لأنه أتى بها لمعنى (قوله بالاثم) يجمع على آثام (قوله وفى قراءة أسرى) أى بالامالة وهى لحمزة وكل منهما جمع لأسير .

وفى قراءة تفادوهم : تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عهد إليهم (وَهُوَ) أى الشأن (مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ) متصل بقوله وتخرجون والجملة بينهما اعتراض أى كما حرم ترك الفداء،وكانت قريظة حالفوا الأوس والنضير الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه و يخرب ديارهم ويخرجهم فاذا أسروا فدوهم وكانوا إذا سئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم قالوا أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم فيقولون حياء أن تستذل حلفاؤنا ، قال تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ) وهو الفداء (وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة (فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ) هوان وذل (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) وقد خزوا بقتل قريظة ونفى النضير إلى الشام وضرب الجزية (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ) بأن آثروها عليها (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون منه (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ) أى أتبعناهم رسولا فى أثر رسول (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ،

(قوله وفى قراءة تفادوهم) الحاصل أن القراآت خمس أسرى بالامالة مع تفدوهم فقط أسارى بالامالة وعدمها مع تفدوهم وتفادوهم (قوله أى الشأن) و يقال ضمير القصة يفسره مابعده . قال ابن هشام و يختص بخمسة أشياء كونه مفردا ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعا وتأخير مرجعه وكونه جملة ولايعمل فيه إلا الابتداء أوالناسخ ولايتبع (قوله محرم عليكم إخراجهم) مبتدأ وخبر والجملة خبر ضمير الشأن ولم تحتج لرابط لأنها عين المبتدإ فى المعنى (قوله والنضير) معطوف على قريظة والعامل فيه كانت وقوله الخزرج معطوف على الأوس والعامل فيه حالفوا ففيه العطف على معمولى عاملين مختلفين قصدا للاختصار و يحتمل أن الخزرج معمول لمحذوف التقدير حالفوا . والحاصل أن الأوس والخزرج فرقتان فى المدينة وهم الأنصار وكان بينهما عداوة ولم يرسل لهم نبى غير رسول الله ، وأما قريظة و بنو النضير فكانوا مكلفين بشريعة موسى وكانوا أذلاء فاستعز قريظة بالأوس و بنو النضير بالخزرج فكان إذا اقتتل الأوس مع الخزرج قاتل مع كل حلفاؤه . فاذا أسر حلفاء قريظة أسيرا من بنى النضير افتداه قريظة و بالعكس فاذا سئلوا عن القتال أجابوا بأنهم قاتلوا خشية أن يستذل من استعزوا به ، وعن الفداء أجابوا بأننا أمرنا به (قوله أفتؤمنون) أى تصدقون بالعمل به (قوله وقد خزوا) أصله خزيوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء والواو وحذفت الياء لالتقاء الساكنين وقلبت كسرة الزاى ضمة لمناسبة الواو (قوله بقتل قريظة) أى حين دخل النبى المدينة وأسلم الأوس والخزرج فغزاهم النبى وأصحابه إلى أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل شجعانهم وسبى ذراريهم ونسائهم فقتل منهم سبعمائة وكان ذلك فى السنة الرابعة من الهجرة (قوله ونفى النضير إلى الشام) أى مع كل واحد حمل بعير من طعام لاغير (قوله وضرب الجزية) أى على من بقى من قريظة وسكن خيبر وعلى بنى النضير بعد ذهابهم إلى الشام (قوله يردون) وقرئ شاذا بالتاء (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بأن آثروها) بالمد بمعنى قدموها (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع فى ذكر نعم أخرى لبنى إسرائيل قابلوها بقبائح عظيمة وصدر الجملة بالقسم زيادة فى الرد عليهم (قوله وقفينا) من التقفية وهى المشى خلف القفا أطلق وأريد به مطلق الاتباع (قوله من بعده) يحتمل أن الضمير عائد على موسى أو الكتاب (قوله أى أتبعناهم رسولا فى أثر رسول) ظاهره أنه لايجتمع رسولان فى زمن واحد وليس كذلك فان زكريا ويحيى كانا فى زمن واحد وكذا داود وسليمان وورد أنهم قتلوا سبعين نبيا فى يوم واحد وأقاموا سوقهم . وأجيب بأن المراد التبع فى العمل بالتوراة فكل الأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة بوحى من الله لاتقليدا لموسى إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول أى أتبعنا بعضهم بعضا فى العمل بالتوراة كانوا فى زمن واحد أولا وقوله بالرسل مراده مايشمل الأنبياء . وعدة الأنبياء والرسل الذى بين موسى وعيسى سبعون ألفا وقيل أربعة آلاف (قوله وآتينا عيسى) معطوف على آتينا موسى وخصه بالذكر و إن كان داخلا فى قوله وقفينا من بعده بالرسل لعظم شرفه ومزيته ولكونه رسولا مستقلا بشرع يخصه لأنه نسخ بعض مافى التوراة وللرد على اليهود حيث ادعوا أنهم قتلوه . وعيسى لغة عبرانية معناه السبوح (قوله ابن مريم) معنى مريم خادمة الله وفى اصطلاح العرب المرأة التى تكره مخالطة الرجال .

البينات

(الْبَيِّنَاتِ) المعجزات كإحياء الموتى و إبراء الأكمه والأبرص (وَأَيَّدْنَاهُ) قويناه (بِرُوحِ الْقُدُسِ) من إضافة الموصوف إلى الصفة أى الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى) تحب (أَنْفُسُكُمُ) من الحق (اسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم عن اتباعه جواب كلما وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (فَفَرِيقًا) منهم (كَذَّبْتُمْ) كعيسى (وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) المضارع لحكاية الحال الماضية أى قتلتم كزكريا ويحيى (وَقَالُوا) للنبى استهزاء (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) جمع أغلف أى مغشاة بأغطية فلا تعى ما تقول قال تعالى (بَلْ) للإضراب (لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول (بِكُفْرِهِمْ) وليس عدم قبولهم لخلل فى قلوبهم (فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ) ما زائدة لتأكيد القلة أى إيمانهم قليل جدا (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ) من التوراة هو القرآن (وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئه (يَسْتَفْتِحُونَ) يستنصرون (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا) يقولون اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث آخر الزمان (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا) من الحق وهو بعثة النبى (كَفَرُوا بِهِ) حسدا وخوفا على الرياسة وجواب لما الأولى دل عليه جواب الثانية (فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِئْسَمَا اشْتَرَوْا) باعوا (بِهِ أَنْفُسَهُمْ) أى حظها من الثواب وما نكرة بمعنى شيئا تمييز لفاعل بئس والمخصوص بالذم (أَنْ يَكْفُرُوا) أى كفرهم (بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن

(قوله البينات) أل للعهد أى المعجزات المعهودة له (قوله و إبراء الأكمه) هو من ولد أعمى (قوله أى الروح المقدسة) أى المطهرة (قوله جبريل) وجه تسميته روحا أن الروح جسم نورانى به حياة الأبدان وجبريل جسم نورانى به حياة القلوب (قوله لطهارته) أى من المعاصى والمخالفات والأقذار وقد مدحه الله بقوله تعالى - إنه لقول رسول كريم - الآية (قوله يسير معه حيث سار) أى ولم يزل معه حتى رفعه إلى السماء (قوله فلم تستقيموا) قدره المفسر لعطف قوله أفكلما جاءكم رسول عليه (قوله بما لا تهوى) ماضيه هوى من باب تعب وضرب سمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه فى النار وهو تذكير للفروع بقبائح أصولهم (قوله استكبرتم) السين زائدة والتقدير تكبرتم كلما جاءكم رسول بالذى لاتحبه أنفسكم (قوله والمراد به التوبيخ) أى اللوم والتقريع عليهم (قوله ففريقا) معمول لكذبتم وقدم مراعاة للفواصل وقدم التكذيب على القتل مع أن القتل أشنع لأن التكذيب مبدأ القتل (قوله كعيسى) أى كذبوه ولم يتمكنوا من قتله بل رفعه الله إلى السماء (قوله المضارع لحكاية الحال الماضية) أى فنزل وقوعه منهم فيما مضى منزلة وقوعه الآن استعظاما له (قوله كزكريا) أى حيث نشروه حين هرب منهم وأوى إلى شجرة أثل فانفتحت له ودخلها (قوله ويحيى) أى قتلوه من أجل امرأة فاجرة أراد محرمها التزوج بها فمنعه من ذلك (قوله وقالوا) أى الموجودون فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم (قوله أى مغشاة بأغطية) أى حسية (قوله فقليلا ما يؤمنون) المراد بالقلة الاستبعاد أى فإيمانهم مستبعد لطرد الله إياهم عن رحمته وسبق شقاوتهم ويحتمل أن تبقى القلة على بابها أى فمن آمن منهم قليل كعبد الله ابن سلام وأضرابه ويحتمل أن القلة باعتبار الزمن أى أن الزمن الذى يؤمنون فيه قليل جدا قال تعالى - وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره - (قوله ولما جاءهم كتاب) هذه الجملة من تعلقات الجملة التى قبلها وكل منهما حكاية عن اليهود الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم وقوله من عند الله صفة أولى لكتاب وقوله مصدق صفة ثانية له وجملة وكانوا من قبل حال من الضمير فى جاءهم (قوله من قبل) مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله يستنصرون) السين والتاء للطلب (قوله وهو بعثة النبى) فى الحقيقة بعثة النبى والكتاب (قوله دل عليه جواب الثانية) أى والأصل ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم كفروا بذلك الكتاب وكانوا يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا وهو النبى الكريم كفروا به فبين الجملتين تغاير لفظا وإن كان بينهما تلازم معنى (قوله بئسما اشتروا الخ) بئس فعل ماض لانشاء الذم وفاعلها مستتر فيه وجوبا تقديره هو يعود على الشئ يفسره قوله ما اشتروا فما تمييز لذلك الفاعل وما بعدها صفة لها وأن يكفروا فى تأويل مصدر المخصوص بالذم وهو يعرب مبتدأ والجملة التى قبله خبر عنه أو خبر لمبتدإ محذوف قال ابن مالك : ويعرب المخصوص بعد مبتدا أو خبر اسم ليس يبدو أبدا

(قوله من القرآن) بيان لما

(قوله مفعول له ليكفروا) أى مفعول لأجله والعامل فيه يكفروا (قوله على أن ينزل الله) المعنى كفرهم بما أنزل الله حسدا على إنزال الله من فضله وذلك بمعنى قوله تعالى ـ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ـ (قوله الوحى) قدره إشارة إلى أن مفعول ينزل محذوف (قوله على من يشاء) مفعول يشاء محذوف التقدير يشاؤه (قوله بكفرهم) الباء يصح أن تكون للتعدية وللسببية (قوله والتنكير للتعظيم) أى فى قوله غضب على حد شرّ أهر ذا ناب (قوله والكفر بعيسى) أى ثم الكفر بمحمد وماجاء به فقد آمنوا بموسى ثم كفروا به وضيعوا التوراة فلما جاءهم عيسى آمنوا به ثم كفروا به فلما جاءهم محمد كفروا به وازدادوا كفرا (قوله عذاب مهين) أصله مهون نقلت كسرة الواو إلى الهاء فوقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء (قوله ذو إهانة) أى هوان وذلّ ولا يوصف بذلك إلا عذاب الكافرين وأما مايقع للعصاة فى الدنيا من المصائب وفى الآخرة من دخول النار فهو تطهير لهم (قوله بما وراءه) يطلق بمعنى سوى و بمعنى بعد و بمعنى أمام اقتصر المفسر على الأولين (قوله من القرآن) أى والانجيل (قوله وهو الحق) حال من ما (قوله مؤكدة) أى لمضمون الجملة قبلها على حد زيد أبوك عطوفا وقوله ثانية أى فى التأكيد و إلا فهى ثالثة (قوله فلم تقتلون) ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها باللام والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن كنتم صادقين فى دعواكم الايمان بالتوراة فلأى شئ تقتلون أنبياء

(بَغْيًا) مفعول له ليكفروا أى حسداً على (أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ فَضْلِهِ) الوحى (عَلَى مَنْ يَشَاءُ) للرسالة (مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا) رجعوا (بِغَضَبٍ) من الله بكفرهم بما أنزل والتنكير للتعظيم (عَلَى غَضَبٍ) استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) القرآن وغيره (قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا) أى التوراة ، قال تعالى (وَيَكْفُرُونَ) الواو للحال (بِمَا وَرَاءَهُ) سواه أو بعده من القرآن (وَهُوَ الْحَقُّ) حال (مُصَدِّقًا) حال ثانية مؤكدة (لِمَا مَعَهُمْ قُلْ) لهم (فَلِمَ تَقْتُلُونَ) أى قتلتم (أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب للموجودين فى زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر (ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) إلها (مِنْ بَعْدِهِ) من بعد ذهابه إلى الميقات (وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) باتخاذه (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ) على العمل بما فى التوراة (وَ) قد (رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ) الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) بجدّ واجتهاد (وَاسْمَعُوا) ماتؤمرون به سماع قبول (قَالُوا سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) أى خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب (بِكُفْرِهِمْ قُلْ) لهم (بِئْسَمَا) شيئاً (يأمركم

الله (قوله أى قتلتم) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى وإنما عبر بالمضارع لحكاية الحال الماضية (قوله إن كنتم مؤمنين) جواب إن محذوف دلّ عليه المذكور فقد حذف من الجملة الأولى أداة الشرط وفعلها ومن الثانية الجواب فهو احتباك وقيل إنّ إن نافية بمعنى ما نتيجة الشرط المقدر (قوله بما فعل آباؤهم) الحاصل أنه أقيمت الحجة عليهم مرتين الأولى دعواكم الايمان بالتوراة كذب لكفركم بالقرآن فان الكافر بأى كتاب كافر بالجميع وعلى تسليم هذه الدعوى فهى كذب من جهة أخرى وهى قتل الأنبياء فلو كنتم مؤمنين بالتوراة لانتهيتم عما نهاكم الله عنه فانه نهاكم فيها عن قتل الأنبياء (قوله لرضاهم به) جواب عما يقال إن ذلك فيمن قتل الأنبياء وأما هؤلاء فلم يقع منهم ذلك. فأجاب بأن الرضا بالكفر كفر وقد يقال إنهم مصرون على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تسببوا فى ذلك مرارا (قوله ولقد جاءكم موسى) هذا أيضا من جملة قبائح بنى إسرائيل (قوله كالعصا) دخل تحت الكاف باقى التسع وهى الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والطمس (قوله إلها) قدره إشارة إلى مفعول اتخذتم (قوله وأنتم ظالمون) أى كافرون (قوله ليسقط عليكم) علة لقوله رفعنا أى رفعناه لأجل السقوط عليكم إن لم تمتثلوا (قوله وأشربوا فى قلوبهم العجل) الجملة حالية على حذف مضافين أى حب عبادة العجل وفى الكلام استعارة بالكناية وتقريرها أن تقول شبه حب عبادة العجل بمشروب لذيذ سائغ بجامع الامتزاج فى كل وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو الاشراب فاثباته تخييل ولم يعبر بالأكل لأنه ليس فيه شدة مخالطة (قوله كما يخالط الشراب) أى خلال القلوب والأبدان فمفعول يخالط محذوف (قوله شيئا) أشار بذلك إلى أن ما نكرة بمعنى شئ مفسرة لفاعل بئس وقوله يأمركم صفة لما و إيمانكم فاعل يأمر وقوله عبادة العجل هو المخصوص بالذمّ قدره المفسر وهذا من جملة التشنيع عليهم أى أنتم ادّعيتم الايمان بالتوراة ثم رأيناكم قد عبدتم العجل فان كان إيمانكم بها أمركم وحملكم على عبادته

(يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ) بالتوراة :عبادة العجل (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) بها كما زعمتم ، المعنى لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل والمراد آباؤهم أى فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً والإيمان بها لا يأمركم بتكذيبه (قُلْ) لهم (إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أى الجنة (عِنْدَ اللهِ خَالِصَةً) خاصة (مِنْ دُونِ النَّاسِ) كما زعمتم (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) تعلق بتمنيه الشرطان على أن الأول قيد فى الثانى ، أى إن صدقتم فى زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل إليها الموت فتمنوه (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من كفرهم بالنبى المستلزم لكذبهم (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الكافرين فيجازيهم (وَلَتَجِدَنَّهُمْ) لام قسم (أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَ) أحرص (مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) المنكرين البعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له (يَوَدُّ) يتمنى (أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) لو مصدرية بمعنى أن وهى بصلتها فى تأويل مصدر مفعول يود (وَمَا هُوَ) أى أحدهم (بِمُزَحْزِحِهِ) مبعده (مِنَ الْعَذَابِ) النار (أَنْ يُعَمَّرَ) فاعل مزحزحه أى تعميره (وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء فيجازيهم . وسأل ابن صوريا النبى أو عمر عمن يأتى بالوحى من الملائكة ،

فبئس إيمانكم ومايأمركم به فانه كفر لاإيمان ، وقوله بالتوراة إن قلت إن عبادة العجل متقدمة على التوراة . أجيب بأن موسى كان يأمرهم بالتوحيد وهو موافق لما فى التوراة (قوله إن كنتم مؤمنين) يحتمل أن إن شرطية وكنتم فعل الشرط وجوابه محذوف دل عليه قوله بئسما يأمركم به إيمانكم ويحتمل أنها نافية نتيجة قوله بئسما يأمركم به إيمانكم وكلام المفسر يحتملهما (قوله المعنى الخ) إشارة إلى قياس حملى من الشكل الأول ، وتقريره أن تقول اعتقادكم يأمركم بعبادة العجل وكل اعتقاد يأمر بعبادة العجل فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر (قوله أى فكذلك أنتم الخ) أشار بذلك إلى قياس آخر تقريره أن تقول اعتقادكم يأمركم بتكذيب محمد وكل اعتقاد يأمر بذلك فهو كفر ينتج اعتقادكم كفر (قوله إن كانت لكم الدار الآخرة الخ) فى هذه الآية أعاريب منها أن الدار اسم كانت ولكم جار ومجرور خبرها وعند الله ظرف وخالصة حال ، ومنها أن الخبر قوله خالصة وعند الله ظرف على كل حال ، ومنها أن الخبر هو الظرف وخالصة حال (قوله تعلق بتمنيه الشرطان) فى العبارة قلب والأصل تعلق تمنيه بالشرطين لأن تمنوا هو الجواب وهو متعلق بالشرطين (قوله قيد فى الثانى) حاصله أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيدا فى الثانى بمعنى أنه من تمام معناه ويكون الجواب لذلك الثانى فتقدير الآية إن كنتم صادقين فى زعمكم أن الدار الآخرة لكم خاصة فتمنوا الموت وقيل إن الجواب للأول وجواب الثانى محذوف دل عليه جواب الأول (قوله أى إن صدقتم) إشارة إلى الشرط الثانى وقوله أنها لكم إشارة الأول (قوله يؤثرها) أى يقدمها ويختارها (قوله بما قدمت) الباء سببية وما يحتمل أنها اسم موصول وقدمت صلته والعائد محذوف : أى قدمته ويحتمل أنها نكرة موصوفة والعائد محذوف على كل حال والحكمة فى الاتيان هنا بلن وفى الجمعة بلا أن ادعاءهم هنا أعظم من ادعائهم هناك فانهم ادعوا هنا اختصاصهم بالجنة وهناك كونهم أولياء لله من دون الناس فلاتفيد اختصاصهم بالجنة فناسب هنا التوكيد بلن وهناك بلا (قوله ولتجدنهم) عطف على قوله ولن يتمنوه من عطف اللازم على الملزوم (قوله أحرص) مفعول ثان لتجدنهم حيث كانت بمعنى علم ، وأما إن كانت بمعنى أصاب أوصادف نصبت مفعولا واحدا فيكون أحرص حالا (قوله وأحرص من الذين أشركوا) من عطف الخاص على العام زيادة فى التقبيح عليهم ودفعا لتوهم أن المشركين أحرص منهم (قوله لو مصدرية) أى ولاتنصب الفعل فهى سابكة فقط (قوله وماهو) يحتمل أن ماحجازية وهو اسمها وبمزحزحه خبرها وأن يعمر فاعل مزحزحه وأنها تميمية وهو مبتدأ وبمزحزحه خبره وأن يعمر فاعله على كل حال (قوله أى أحدهم الخ) وقيل إن هو ضمير شأن ورد بأن ضمير الشأن يفسر بجملة وهنا ليس كذلك (قوله بالياء والتاء) ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء عشرية واختلف فيما زاد على السبعة هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها أم بالشواذ فيمتنعان والمعتمد الأول (قوله وسأل ابن صوريا الخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية وابن صوريا اسمه عبد الله وكان من أحبار اليهود (قوله أو عمر) أشار بذلك إلى تنويع الخلاف فإن عمر كان له أرض بالعوالى وكان يمر على مدارسهم ليختبر صفات محمد من كتبهم فقالوا ياعمر لقد أحببناك فقال والله ما أحبكم وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة فى أمر محمد ، فسأله ابن صوريا عمن يأتى بالوحى

الحمد ، فقال جبريل ، فقال هو عدونا الخ ، فأخبر النبي بذلك فنزلت الآية (قوله فقال) أى المسئول وهو النبي أو عمر (قوله يأتى بالعذاب) أى كالصواعق والخسف والمسخ (قوله بالخصب) بكسر الخاء : أى الرخاء (قوله والسلم) أى الصلح (قوله فليمت غيظا) جواب لاسم الشرط الذى هو من وهو مبتدأ خبره قيل فعل الشرط ، وقيل جوابه ، وقيل هما ، وأما قوله تعالى ـ فانه نزله ـ فلا يصح أن يكون جوابا للشرط لمانعين : الأول عدم الرابط . والثانى عدم تسبب الجواب عن الشرط ، وقوله لجبريل الصحيح أنه اسم أعجمى علم على رئيس الملائكة فلا اشتقاق فيه ولا تصرف ، وقيل مشتق من الجبروت وهو عالم الأسرار وقيل مركب إضافى وقيل مزجى والصحيح الأول ، وورد عن ابن عباس أن جبر معناه عبد و إيل معناه الله وميكا معناه عبد و إيل معناه الله (قوله فانه) أى جبريل (قوله أى القرآن) وقيل الوحى أعمّ من أن يكون قرآنا أو غيره (قوله على قلبك) عبر بعلى إشارة لتمكنه وانصبابه ورسوخه فان الشئ إذا صب من أعلى لأسفل رسخ وثبت (قوله بأمر الله) أشار بذلك إلى أن المراد بالاذن الأمر لا العلم (قوله مصدقا) حال من الضمير فى نزله وكذلك قوله هدى و بشرى (قوله بالجنة) أى وما فيها من النعيم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للمؤمنين) أى ونذيرا للكافرين بالنار، وهذا ردّ أول لكلام ابن صوريا حاصله أن جبريل لا اختيار له فى إنزال العذاب ولا فى إنزال القرآن (قوله من كان عدوا لله) قدم لأنه المنشئ للأشياء جميعها وثنى بالملائكة لأنهم المرسلون من حضرته وثلث بالرسل لنزول الملائكة عليهم (قوله وجبريل) خص هو وميكائيل زيادة فى التشنيع عليهم ولأن حياة الأرواح والأشباح

فقال جبريل فقال هو عدونا يأتى بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتى بالخصب والسلم فنزل (قُلْ) لهم (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ) فليمت غيظاً (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ) أى القرآن (عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ) بأمر (اللهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب (وَهُدًى) من الضلالة (وَبُشْرَى) بالجنة (لِلْمُؤْمِنِينَ. مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ) بكسر الجيم وفتحها بلا همز و به بياء ودونها (وَمِيكَالَ) عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفى قراءة ميكائيل بهمز وياء وفى أخرى بلا ياء (فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) أوقعه موقع لهم بياناً لحالهم (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات حال ردّ لقول ابن صوريا للنبي ما جئتنا بشىء (وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ . أَ) كفروا بها (وَكُلَّمَا عَاهَدُوا) الله (عَهْدًا) على الإيمان بالنبي إن خرج ، أو النبيّ أن لا يعاونوا عليه المشركين ،

بواسطتهما وتنبيها على أن عداوتهما خسران وضلال (قوله بكسر الجيم) أى على وزن قنديل (قوله وفتحها) أى على وزن شمويل (قوله و به بياء ودونهما) هذا فى المفتوح وهو على وزن سلسبيل وجحمرش فجملة القراآت السبعية أربعة وهى من جملة لغات أنهاها بعضهم لثلاثة عشر خامسها فتح الجيم مع الهمزة واللام مشددة على أنها اسم من أسماء الله وفى بعض التفاسير لا يرقبون فى مؤمن

(نبذه)

إلا: أى الله. سادسها فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة مكسورة بعدها. سابعها مثلها إلا أنها بياء بعد الهمزة . ثامنها فتح الجيم و ياآن بعد الألف من غير همزة . تاسعها فتح الجيم وألف بعد الراء ولام . عاشرها فتح الجيم و ياء بعد الراء مكسورة ولام. حادى عشرها فتح الجيم و ياء بعد الراء ونون . ثانى عشرها كذلك إلا أنها بكسر الجيم . ثالث عشرها فتح الجيم وألف بعد الراء وهمزة و ياء ونون وأكثرها قرئ به شاذا (قوله من عطف الخاص على العام) والنكتة شرفهما وعظمهما وكون النزاع فيهما (قوله وفى أخرى بلا ياء) فتكون القراآت السبعية ثلاثا بالهمزة والياء معا وباسقاط الياء فقط وباسقاطهما وهى من جملة لغاته السبع. رابعها مثل بيكعيل . خامسها كذلك إلا أنه لا ياء بعد الهمزة مثل بيكعل . سادسها بياءين بعد الألف . سابعها بهمزة مفتوحة بعد الألف وقرئ بالجميع شاذا (قوله فان الله عدوّ للكافرين) هذا هو جواب الشرط والرابط موجود وهو الاسم الظاهر لقيامه مقام الضمير ، وقيل الرابط العموم (قوله بيان لحالهم) أى ولزيادة التقبيح عليهم ، والمراد بعداوتهم لله خروجهم عن طاعته وعدم امتثالهم أمره (قوله حال) المناسب أن يقول صفة لأن الحال لا يكون من النكرة إلا إذا وجد لها مسوغ (قوله إلا الفاسقون) أى الكافرون (قوله أكفروا بها) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف وهو أحد احتمالين تقدما (قوله عاهدوا الله) قدر المفسر لفظ الجلالة إشارة إلى أن عاهدوا بمعنى أعطوا فالله مفعول أول وعهدا مفعول ثان (قوله على الايمان بالنبي) أى فالعهد مأخوذ عليهم قديما فى كتبهم وعلى أنبيائهم (قوله أو النبي) إشارة إلى تفسير ثان فقد كانوا

يأتون النبي و يقولون له إن كنت نبيا فأت لنا بكذا فيقيم عليهم الحجة فيعاهدونه أن لا يعاونوا عليه المشركين ثم ينقضونه (قوله بنقضه) الباء سببية (قوله أكثرهم لايؤمنون) دفع بذلك مايتوهم من قوله فريق أن الفريق يصدق بالقليل والكثير فيتوهم أن المراد القليل فدفع ذلك بقوله بل أكثرهم الخ وهو إما من عطف الجمل أو المفردات فعلى الأول جملة أكثرهم لايؤمنون معطوفة على جملة نبذه فريق منهم وعلى الثانى أكثرهم معطوف على فريق إشارة إلى أن النابذ للعهد أكثرهم وقوله لايؤمنون إخبار عنهم بعدم الايمان لرسوخ الشرك فى قلوبهم (قوله ولما جاءهم رسول) هذا من جملة التشنيع على بنى إسرائيل (قوله لما معهم) أى التوراة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء باثبات التوراة وأنها من عند الله فكان مقتضى ذلك اتباعه والعمل بشريعته ولكن الله طمس على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم (قوله من الذين أوتوا الكتاب) صفة لفريق وأوتوا ينصب مفعولين نائب الفاعل الذى هو الواو مفعول أول والكتاب مفعول ثان وقوله كتاب الله مفعول لنبذ وهو بمعنى طرح (قوله أى لم يعملوا بمافيها) أشار بذلك إلى أن قوله وراء ظهورهم ليس على حقيقته بل هو كناية عن عدم العمل بما فى التوراة و إلا فهم يعظمونها إلى الآن (قوله من أنه نبى حقا) إشارة إلى مفعول يعلمون والمعنى أنهم أنكروا صفة رسول الله و بدلوها ولم يذعنوا للأحكام التى فى التوراة كأنهم جاهلون بها مع أنهم عالمون بها (قوله عطف على نبذ)

استشكل بأن المعطوف على

(نَبَذَهُ) طرحه (فَرِيقٌ مِّنْهُم) بنقضه جواب كلما وهو محل الاستفهام الانكارى (بَلْ) للانتقال (أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ) محمد صلى الله عليه وسلم (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ) أى التوراة (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) أى لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره (كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ما فيها من أنه نبى حق أو أنها كتاب الله (وَاتَّبَعُوا) عطف على نبذ (مَا تَتْلُوا) أى تلت (الشَّيَاطِينُ عَلَى) عهد (مُلْكِ سُلَيْمَانَ) من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم . قال تعالى تبرئة لسليمان وردا على اليهود فى قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان فى الأنبياء وما كان إلا ساحرا (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ) أى لم يعمل السحر لأنه كفر (وَلَٰكِنَّ) بالتشديد والتخفيف (الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا

الجواب جواب وقوله اتبعوا لايصلح أن يكون جوابا لعدم ترتبه على الشرط لأنه سابق على بعثة رسول الله فالأحسن عطفه على جملة ولما جاءهم رسول بيان لسوء حالهم (قوله أى تلت) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى لأن السماء محفوظة من استراقهم السمع من بعثة رسول الله وتلت بمعنى قرأت أو كذبت (قوله على عهد) على بمعنى فى وعهد بمعنى زمن التقدير واتبعوا ماتلت الشياطين فى زمن ملك سليمان و يحتمل أن تتلوا بمعنى تتقول وعلى على بابها ومتعلقها محذوف تقديره على الله فيصير المعنى واتبعوا ماتتقوله الشياطين على الله زمن ملك سليمان وقوله من السحر بيان لما وعائد الموصول محذوف تقديره تتلوه (قوله أو كانت تسترق السمع) أو لتنويع الخلاف لأنه اختلف فى الذى اتبعته اليهود فقيل هو السحر الذى وضعته الشياطين تحت كرسيه لما نزع ملكه وسبب ذلك أن امرأة من نساء سليمان سجدت لصنم أربعين يوما فعاتبه الله بنزع ملكه تلك المدة وسبب عزله أنه كان خاتمه الذى نزل به آدم من الجنة يضعه إذا دخل الخلاء عند امرأة من نسائه تسمى الأمينة وكان كل من لبسه يملك الدنيا بما فيها فوضعه عندها مرة فجاءها شيطان يسمى صخرا المارد وتشكل بشكل سليمان وطلب الخاتم فأعطته له ثم أتى الكرسى وجلس عليه أربعين يوما فجمعت الشياطين كتب السحر ودفنتها تحت كرسيه ثم لما انقضت المدة وجاء الأمر بتولية سليمان ثانيا طار الشيطان فوقع الخاتم فى البحر فحملته دابة من دواب الماء وأتته به فأمر سليمان الشياطين أن يأتوا بصخر المارد فأتوه به فأمرهم أن ينقبوا صخرة ففعلوا ثم أمرهم أن يضعوه فيها و يسدوا عليه بالرصاص والنحاس و يرموه فى قعر البحر الملح ففعلوا فلما مات سليمان دلت الشياطين على تلك الكتب المدفونة الناس وقيل إنه ما استرقته الشياطين من السماء فكان الشيطان يسمع الكلمة الصدق و يضع عليها تسعة وتسعين كذبة و يلقيها إلى الكهنة إلى آخر ماقال المفسر (قوله دلت الشياطين) المراد الجنس لأن الذى دل شيطان منهم (قوله لأنه كفر)

أى فى شرعه وأما فى شرعنا ففيه تفصيل فان اعتقد صحته وأنه يؤثر بنفسه فهو كفر وأما إن تعلمه ليسحر به الناس فهو حرام و إن كان لالشئ فمكروه و إن كان ليبطل به السحر فجائز،وعرفه ابن العربى بأنه كلام مؤلف يعظم به غيرالله وتنسب له المقادير فعله هو كفرحق فى شرعنا وعبارة الغزالى تفيد ماقاله ابن العربى (قوله يعلمون الناس) إمابدل من كفروا بدل فعل من فعل على حد إن تصل تسجد لله يرحمك أوخبر بعد خبر أو جملة مستأنفة أو حال من الشياطين أوحال من الواو فى كفروا فهذه خمس احتمالات اختار المفسر آخرها (قوله و يعلمونهم ما أنزل) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول معطوف على السحر من عطف الخاص على العام والنكتة قوة ما أنزل على الملكين وصعوبته و يحتمل أنه مغاير وأن ما أنزل على الملكين و إن كان سحرا إلا أنه نوع آخرمنه غير متعارف بين الناس (قوله وقرئ)أى قراءة شاذة وفيها دليل لمن يقول إنهما ليسا ملكين حقيقيين وإنما هما رجلان صالحان وسميا بذلك لحسنهما وصلاحهما على حد ماقيل فى يوسف ماهذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم (قوله الكائنين) قدره إشارة إلى أن ببابل جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة للملكين (قوله ببابل) ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أوالعجمة مأخوذة من البلبلة لأن أهلها كانوا يتكلمون بثمانين لغة وأول من اختطها نوح وسماها ثمانين (قوله هاروت وماروت) هما ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ويجمعان على هواريت ومواريت أو على هوارية ومواريه مأخوذان من الهرت والمرت وهو الكسر ولكن حيث قلنا إنهما أعجميان

فلا يتصرف فيهما ولايعلم لهما اشتقاق (قوله هما ساحران) قدم هذا القول إشارة لقوته وأنهما رجلان ساحران وليسا بملكين (قوله ابتلاء من الله) أى اختبارا وامتحانا وقصة هاروت وماروت على القول بثبوتها أن الملائكة لما رأوا أعمال بنى آدم الخبيثة تصعد إلى السماء قالوا سبحانك يا ربنا خلقت خلقا وأكرمتهم وهم يعصونك فقال الله تعالى لهم لو ركبت فيكم ماركبت فيهم لفعلتم فعلهم فقالوا سبحانك لانعصيك أبدا فقال اختاروا لكم ملكين فاختاروا هاروت وماروت أى وكانا من أصلحهم فركب الله فيهما الشهوة وأمرهما بالهبوط إلى الأرض والحكم بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا وشرب الخمر وعلمهما الله الاسم الأعظم فكان إذا أمسى الوقت صعدا به إلى السماء ثم إنه جاءت إليهما امرأة تسمى الزهرة وكانت جميلة جدا فلما وقع نظرهما عليها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فأبت إلا أن يحكما لها على زوجها ففعلا فراوداها فأبت إلا أن يقتلاه ففعلا ثم راوداها فأبت إلا أن يشربا الخمر ففعلا ثم راوداها فأبت إلا أن يسجدا للصنم ففعلا ثم راوداها فأبت إلا أن يعلماها الاسم الذى يصعدان به إلى السماء ففعلا فتلته فصعدت به إلى السماء فمسخها الله كوكبا فهى الزهرة المعروفة فلما علما ذلك أرادا تلاوة الاسم الأعظم فلم تطاوعهما أجنحتهما فذهبا إلى إدريس وسألاه أن يشفع لهما عند الله ففعل ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا والآخرة فاختارا عذاب الدنيا لعلمهما بانقطاعه فهما ببابل معلقان بشعورهما يضربان بسياط من حديد إلى يوم القيامة مزرقة أعينهما مسودة جلودهما ومازالا يعلمان الناس السحر وقد اختلف فى صحة هذه القصة وعدمها فاختار الحافظ ابن حجر الأول لورودها من عدة طرق عن الامام أحمد بن حنبل واختار البيضاوى ومن تبعه الثانى لأنه لم تثبت روايتها إلا عن اليهود (قوله فمن تعلمه كفر) أى إن اعتقد صحته وتأثيره (قوله فيتعلمون منهما) معطوف على وما يعلمان من أحد إن قلت إن الأول منفى والثانى مثبت وكيف يصح عطف المثبت على المنفى أجيب بأنه فى المعنى مثبت التقدير و يعلمون الناس السحر قائلين لهم إنما نحن فتنة فلا تكفروا (قوله وما هم الخ) يحتمل أن ما حجازية وهم اسمها وبضارين خبرها والباء زائدة فى خبرها ويحتمل أنها تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر والباء زائدة فى خبر المبتدا

يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ) الجملة حال من ضمير كفروا (وَ) يعلمونهم (مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) أى ألهماه من السحر وقرئ بكسر اللام الكائنين (بِبَابِلَ) بلد فى سواد العراق (هَارُوتَ وَمَارُوتَ) بدل أو عطف بيان للملكين . قال ابن عباس هما ساحران كانا يعلمان السحر ، وقيل ملكان أنزلا لتعليمه ابتلاء من الله للناس (ومَا يُعَلِّمَانِ مِنْ) زائدة (أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا) له نصحاً (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) بلية من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن (فَلَا تَكْفُرْ) بتعلمه فإن أبى إلا التعليم علمه (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ) بأن يبغض كلا إلى الآخر (وَمَا هُمْ) أى السحرة (بِضَارِّينَ بِهِ) بالسحر (مِنْ) زائدة (أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ) فى الآخرة (وَلَا يَنْفَعُهُمْ) وهو السحر (وَلَقَدْ) لام قسم (عَلِمُوا) ،

(قوله أى اليهود) أى جميعهم لأنهم علموا ذلك فى التوراة (قوله ومن موصولة) أى وهى مبتدأ واشتراه صلتها وجملة ماله فى الآخرة الخ خبرها والجملة منها ومن خبرها سادة مسدّ مفعولى علم (قوله باعوا) أشار بذلك إلى أنه يطلق الشراء على البيع قال تعالى - وشروه بثمن بخس - (قوله أن تعلموه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر هو المخصوص بالذم وقوله حيث أوجب لهم النار حيث تعليلية (قوله لو كانوا يعلمون) لامنافاة بينه و بين قوله ولقد علموا الخ لأنهم علموا أنهم ليس لهم نصيب فى الآخرة ولكن لم يعلموا أنهم لايفلتون من العذاب الدائم (قوله من عند الله) صفة لمثوبة وأصلها مثوبة بوزن مفعلة نقلت ضمة الواو إلى الثاء (قوله لما آثروه عليه) أى لما قدموا السحر على ما عند الله وهو إشارة إلى جواب لو (قوله راعنا) أى أمهلنا بنظرك ليفتح الله علينا لأنهم كانوا يقولونها عند سماعهم الوحى منه (قوله أمر من المراعاة) أى وهى المبالغة فى الرعى وحفظ الغير (قوله سب من الرعونة) أى الحمق والجهل وقلة العقل أو معناها اسمع لاسمعت وعليه فهى عبرانية أو سريانية وعلى ما قاله المفسر فهى عربية . روى أن سعد بن معاذ رضى الله عنه سمع اليهود يقولونها لرسول الله فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه قالوا أو لستم تقولونها فنزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لألسنة اليهود عن التدليس وأمروا بما فى معناها ولايقبل التدليس الذى هو انظرنا (قوله أى انظر إلينا) أشار بذلك إلى أنه من باب الحذف والايصال حذف الجار فاتصل الضمير (قوله سماع قبول) أى بحضور قلب عند تلقى الأحكام فانه إذا وجدت القابلية من الطالب مع نظر المعلم حصل الفتح العظيم (قوله مايودّ) من المودّة

أى اليهود (لَمَنِ) لام ابتداء معلقة لما قبلها ومن موصولة (اشْتَرَاهُ) اختاره أو استبدله بكتاب الله (مَالَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) نصيب فى الجنة (وَلَبِئْسَمَا) شيئا (شَرَوْا) باعوا (بِهِ أَنْفُسَهُمْ) أى الشارين أى حظها من الآخرة أن تعلموه حيث أوجب لهم النار (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلموه (وَلَوْ أَنَّهُمْ) أى اليهود (آمَنُوا) بالنبى والقرآن (وَاتَّقَوْا) عقاب الله بترك معاصيه كالسحر وجواب لو محذوف أى لأثيبوا دلّ عليه (لَمَثُوبَةٌ) ثواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسم (مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ) خبره مما شروا به أنفسهم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أنه خير لما آثروه عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا) للنبى (رَاعِنَا) أمر من المراعاة وكانوا يقولون له ذلك وهى بلغة اليهود سبّ من الرعونة فسروا بذلك وخاطبوا بها النبى فنهى المؤمنون عنها (وَقُولُوا) بدلها (انْظُرْنَا) أى انظر إلينا (وَاسْمَعُوا) ماتؤمرون به سماع قبول (وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ) من العرب عطف على أهل الكتاب ومن للبيان (أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ) زائدة (خَيْرٍ) وحى (مِنْ رَبِّكُمْ) حسداً لكم (وَاللهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ) نبوّته (مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) . ولما طعن الكفار فى النسخ وقالوا إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا نزل (مَا) شرطية ،

وهى المحبة أى مايحب وقوله الذين كفروا فاعل يودّ ومن أهل الكتاب الخ بيان للذين كفروا (قوله ولا المشركين) معطوف على أهل الكتاب ولا زائدة لتوكيد النفى (قوله أن ينزل عليكم) فى تأويل مصدر مفعول يودّ ومن زائدة وخير نائب فاعل ينزل والتقدير مايحب الذين كفروا وهم أهل الكتاب والمشركون إنزال خير من ربكم عليكم (قوله حسدا لكم) تعليل للنفى وحسد اليهود بسبب زعمهم أن النبوّة لاتليق إلا بهم لكونهم أبناء الأنبياء وحسد مشركى العرب بسبب ماعندهم من الرياسة والفخر فقالوا لاتليق النبوّة إلا بنا (قوله والله يختصّ) يستعمل متعديا ولازما فعلى الأوّل فاعله ضمير مستتر فيه والموصول بصلته فى محل نصب على المفعولية والمعنى والله يخص الخ وعلى الثانى الفاعل هو الموصول بصلته والمعنى والله يميز برحمته من يشاؤه (قوله العظيم) أى الواسع (قوله ولما طعن الكفار الخ) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية والمقصود من ذلك بيان حكمة النسخ والرد على الكفار حيث قالوا إن القرآن افتراء من محمد فلو كان من عند الله لما بدل فيه وغير وردّ عليهم أيضا بقوله تعالى - وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل - الآية وقوله تعالى - قل مايكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى - (قوله شرطية) أى وهى نكرة بمعنى شئ معمولة لننسخ وقوله من آية بيان لما .

(قوله ننسخ) من النسخ وهو لغة الازالة والنقل يقال نسخت الشمس الظل أزالته ونسخت الكتاب نقلت مافيه واصطلاحا بيان انتهاء حكم التعبد إما باللفظ أوالحكم أو بهما فنسخ اللفظ والحكم كعشر رضعات معلومات يحرمن ونسخ اللفظ دون الحكم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة ونسخ الحكم دون اللفظ كقوله تعالى ـ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين ـ الآية نسخت بآية المواريث و بقوله عليه الصلاة والسلام «لاوصية لوارث» وقوله تعالى ـ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول ـ الآية فنسخت بقوله تعالى ـ يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا ـ إلى غير ذلك (قوله إما مع لفظها) أى كعشر رضعات الخ (قوله أولا) أى بان نزيل حكمها فقط (قوله أوجبريل) فى الحقيقة بينهما تلازم (قوله فلا نزل حكمها) أى لاننسخه بل نبقيه وقوله ونرفع تلاوتها أى ننسخه فعلى هذا التفسير دخل تحت قوله ماننسخ من آية حكمان من أحكام النسخ وهما نسخ الحكم واللفظ أوالحكم فقط وتحت قوله أوننسأها الحكم الثالث وهو نسخ اللفظ دون الحكم (قوله أونؤخرها فى اللوح المحفوظ) أى لانطلعكم عليها ولا نعلمكم بها وعلى هذا التفسير فقد دخل تحت قوله ماننسخ الأحكام الثلاثة (قوله وفى قراءة بلا همز) المناسب أن يقول وفى قراءة بضم النون من غير همز (قوله من النسيان) الأولى أن يقول من الانساء لأنه مصدر الرباعى (قوله أى نمحها من قلبك) أى وقلب أمتك بأن يبقى الحكم دون اللفظ

(نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ) أى نزل حكمها إما مع لفظها أولا وفى قراءة بضم النون من أنسخ أى نأمرك أو جبريل بنسخها (أَوْ نَنْسَأْهَا) نؤخرها فلا نزل حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها فى اللوح المحفوظ وفى قراءة بلا همز من النسيان أى ننسكها أى نمحها من قلبك وجواب الشرط (نَاتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا) أنفع للعباد فى السهولة أو كثرة الأجر (أَوْ مِثْلِهَا) فى التكليف والثواب (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) يفعل فيهما ما يشاء (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ) زائدة (وَلِيٍّ) يحفظكم (وَلاَ نَصِيرٍ) يمنع عذابه عنكم إن أتاكم. ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهبا (أَمْ) بل أ (تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى) أى سأله قومه (مِنْ قَبْلُ) من قولهم أرنا الله جهرة وغير ذلك (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) أى يأخذه بدله بترك النظر فى الآيات البينات واقتراح غيرها (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أخطأ الطريق الحق ، والسواء فى الأصل الوسط .

أو يمحيان (قوله فى السهولة) أى كقوله تعالى ـ الآن خفف الله عنكم ـ الآية (قوله أو كثرة الأجر) أى كقوله تعالى ـ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ـ بعد قوله تعالى ـ وعلى الذين يطيقونه فدية ـ فليس ثواب من خير بين الأمرين كثواب من تحتم عليه الصوم (قوله أو مثلها) أى كنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال الكعبة فإنه لامشقة فى كل وليس أحدهما أكثر ثوابا من الآخر (قوله والاستفهام للتقرير) أى أقر واعترف بكون (ود الله قديرا على كل شىء (قوله ومالكم من دون الله) ماحجازية ولكم خبرها مقدم ومن دون الله حال من ولى ومن زائدة وولى اسمها مؤخر ولا نصير معطوف على ولى ولا زائدة لتأكيد النفى ويحتمل أنها تميمية وما بعدها مبتدأ وخبر ويحتمل أن من فى قوله من دون الله زائدة أو أصلية متعلقة بما تعلق به الخبر (قوله من ولى ولا نصير) الفرق بين الولى والنصير أن الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون أجنبيا من المنصور فبينهما عموم وخصوص من وجه (قوله أن يوسعها) أى بازالة الجبلين المحيطين بها (قوله ويجعل الصفا ذهبا) أى وغير ذلك مما ذكره الله فى سورة الاسراء فى قوله تعالى ـ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ـ الآية هكذا ذكر المفسر واستشكل ذلك بأن هذه السورة مدنية والسؤال من أهل مكة كان قبل المهاجرة فالحق أن يقال إن سبب نزولها سؤال يهود المدينة إنزال كتاب من السماء بدليل أن السورة مدنية وأن السياق فى خطاب اليهود ووجود أم التى بمعنى بل التى للاضراب الانتقالى المفيد أن له تعلقا بما قبله (قوله رسولكم) أى محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه رسول الخلق أجمعين (قوله كما سئل موسى) بنى الفعل للمجهول للعلم بالفاعل (قوله وغير ذلك) أى من قولهم ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ومن قولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ونحو ذلك (قوله ومن يتبدل الكفر) استئناف لبيان حال من تعنت على نبيه (قوله سواء السبيل) من إضافة الصفة للموصوف أى السبيل السواء بمعنى المستوى (قوله أخطأ الطريق الحق) أى فقد شبه الدين الحق بالطريق المستوى بجامع أن كلا يوصل للمقصود

(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ) مصدرية (يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً) مفعول له كائنا (مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) أى حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ) فى التوراة (الْحَقُّ) فى شأن النبى (فَاعْفُوا) عنهم أى اتركوهم (وَاصْفَحُوا) أعرضوا فلا تجازوهم (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) فيهم من القتال (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ) طاعة كصلة وصدقة (تَجِدُوهُ) أى ثوابه (عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم به (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا) جمع هائد (أَوْ نَصَارَىٰ) قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم أى قال اليهود : لن يدخلها إلا اليهود وقال النصارى لن يدخلها إلا النصارى (تِلْكَ) القولة (أَمَانِيُّهُمْ) شهواتهم الباطلة (قُلْ) لهم (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجتكم على ذلك (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (بَلَىٰ) يدخل الجنة غيرهم (مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ) أى انقاد لأمره وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى (وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد (فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ) أى ثواب عمله الجنة (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ) معتد به وكفرت بعيسى (وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ) معتد به وكفرت بموسى (وَهُمْ) أى الفريقان

(قوله ود كثير) سبب نزولها أن عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان لما رجعا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد اجتمعا برهط من اليهود فقالوا لهما ألم نقل لكما إن دين اليهودية هو الحق وغيره باطل فلو كان ماعليه محمد حقا ماقتلت أصحابه مع دعواه أنه يقاتل والله معه فقال عمار بن ياسر ماحكم نقض العهد عندكم فقالوا فظيع جدا فقال إنى عاهدت محمدا على اتباعه إلى أن أموت فلا أنقضه أبدا فقالوا قد صبأ فقال حذيفة رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا والكعبة قبلة والقرآن إماما والمؤمنين اخوانا فلما رجعا أخبرا رسول الله بذلك فقال أصبتما الخير وأفلحتما فنزلت (قوله ود كثير) من المودة وهى المحبة (قوله من أهل الكتاب) أى وهم اليهود (قوله لومصدرية) فتسبك مع مابعدها بمصدر مفعول ودّ والتقدير ود كثير ردكم الخ ورد تنصب مفعولين لأنها بمعنى صير مفعولها الأول الكاف والثانى كفارا ويصح أن تكون لوشرطية وجوابها محذوف تقديره فيسرون ويفرحون بذلك (قوله كائنا) أشار بذلك إلى أن قوله من عند أنفسهم متعلق بمحذوف صفة لحسدا ومن ابتدائية (قوله من بعد ماتبين لهم) متعلق بود وما مصدرية أى من بعد تبين الحق لهم وهذا أبلغ قبح منهم لأنهم عرفوا الحق فلم يهتدوا ومع ذلك وقعت المراودة لغيرهم على الضلال فقد ضلوا وأضلوا (قوله فاعفوا) أى لاتؤاخذوهم بهذه المقالة وقوله واصفحوا أى لاتلوموهم فبينهما مغايرة وقيل متحدان وعليه مشى المفسر ومعناهما عدم المؤاخذة ولم يؤمر النبي وأصحابه بقتالهم مع أنهم ناقضون للعهد بتلك المقالة لأن الواقعة كانت بعد غزوة أحد فكان الاذن فى القتال حاصلا فالجواب أن القتال المأذون فيه كان للمشركين وأما أهل الكتاب فلم يؤمروا بقتالهم إلا فى غزوة الاحزاب قيل قبلها وقيل بعدها فقتل قريظة وأجلى بنى النضير وغزا خيبر (قوله من القتال) أى الخاص بهم (قوله عند الله) العندية معنوية على حد : لى عند زيد يد أى مصون ومحفوظ مدخر (قوله قال ذلك يهود المدينة الخ) لف ونشر مرتب (قوله لما تناظروا) لما حينية ظرف لقالوا (قوله لن يدخلها إلا اليهود) سميت اليهود بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا من عبادة العجل وسميت النصارى بذلك لأنهم نصروا عيسى وهو جمع نصران أو نصرى (قوله تلك أمانيهم) مبتدأ وخبر وجمع الخبر مع كون المبتدإ مفردا لأنه جمع فى المعنى لأنه عائد على القولة وهى بمعنى للقالات (قوله هاتوا) قيل هو اسم فعل أمر وقيل فعل أمر وقيل اسم صوت والحق الوسط للحوق العلامة لها والمعنى أحضروا (قوله برهانكم) قيل مأخوذ من البرهة أى القطعة لأن به قطع حجة الخصم وقيل من البرهنة أى البيان فعلى الأول ممنوع من الصرف وعلى الثانى مصروف (قوله بلى) أى لايدخلها أحد منكم (قوله من أسلم وجهه) أى دخل الاسلام بوجهه أى بذاته ومعناه انقاد بظاهره وقوله موحد أى بباطنه لامنافق بل منقاد بظاهره مؤمن موحد بباطنه (قوله معتد به) أى بل هم على باطل وقدره المفسر اشارة إلى أن صفة شىء محذوفة وهذه أصدق مقالة قالتها اليهود والنصارى (قوله وكفرت بعيسى) أى وزعمت أنها قتلته

(قوله يتلون الكتاب) المراد به بالنسبة لليهود التوراة و بالنسبة للنصارى الانجيل (قوله المشركون من العرب الخ) أى فالمراد من ذلك تسلية رسول الله على ماوقع من المشركين فان اليهود والنصارى كفروا وضلوا مع علمهم بالحق فكيف بمن لاعلم عنده فلا يستغرب ذلك منهم (قوله فالله يحكم بينهم) أى الفرق المذكورة اليهود والنصارى ومشركى العرب ومن أسلم وجهه لله وهو محسن (قوله ومن أظلم) من اسم استفهام مبتدأ وأظلم خبره (قوله أى لاأحد أظلم) استشكل بأنه يقتضى أن من منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها لم يساوه أحد فى الظلم فكيف ذلك مع قوله تعالى ـ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ـ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه، فمن أظلم ممن كذب على الله ـ الآية المقتضى كل آية منها أنه لا أحد أظلم ممن ذكر فيها . وأجيب بأن هؤلاء الموجودين فى الآيات ظلمهم زائد عن غيرهم وكون الظلم الواقع من بعضهم مساو يا للبعض الآخر أم لا شئ آخر تأمل وأشار المفسر بقوله أى لاأحد أظلم إلى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله ممن منع) يتعدى للمفعولين الأول بنفسه وهو مساجد والثانى قوله أن يذكر فهو فى تأويل مصدر مجرور بمن التقدير لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله من ذكر اسمه فيها والمنع إما بغلقها أو تعطيل الناس عنها أو تخريبها أو أكل ريعها أو التفريط فى حقوقها والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله مساجد الله) جمع مسجد سمى باسم السجود لأنه أشرف أركان الصلاة لقوله عليه الصلاة والسلام «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» ولأنه محل غاية الذل والخضوع لله عزّ وجلّ و إن كان القياس فتح عينه فى المفرد لكنه لم يسمع إلا الكسر فالقراءة سنة متبعة (قوله بالصلاة والتسبيح) أشار بذلك إلى أن المراد بذكر اسم الله فيها مايعم الصلاة وغيرها (قوله نزلت الخ) هذا اشارة إلى بيان سبب نزولها (قوله إخبارا عن الروم) أى قبل بعثة الرسول حين توجهت جيوش بختنصر مع نصارى الروم لتخريب بيت المقدس وكان بختنصر هو مجوسيا من أهل بابل وذلك حين قتل بنو إسرائيل يحيى بن زكريا ولم يزل كذلك حتى بناه المسلمون فى خلافة عمر بن الخطاب (قوله عام الحديبية) أى وهو عام ست من الهجرة حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألف وأر بعمائة بقصد العمرة فصده المشركون وهو بالحديبية فتحلل ورجع (قوله أن يدخلوها إلاخائفين) المعنى ليس لهم دخولها يعنى البيت أو بيت المقدس فى حال من الأحوال إلا فى حال كونهم خائفين (قوله خبر بمعنى الأمر) أى فالجملة خبرية لفظا إنشائية معنى وقوله أى أخيفوهم بالجهاد أى فالمراد من الآية أن الله كلفنا بقتالهم ومنعهم عن المسجد الحرام و بيت المقدس قال تعالى ـ ياأيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعدعامهم هذا ـ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بعد الفتح ينادى فى الناس أن لايطوف بالبيت عريان وأن لايحج بعد هذا العام مشرك وفى خلافة عمر فتح الشام ومدينة بيت المقدس ومنع المشركين من دخول بيت المقدس و يحتمل أنه خبر لفظا ومعنى فهو إخبار من الله بما وقع من النبى صلى الله عليه وسلم ومن عمر وهو الأقرب كما قال المفسرون ويصح أن يكون المعنى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوها إلابخشية وخضوع فضلا عن أن يجترئوا على تخريبها وقيل غيرذلك (قوله فلا يدخلها أحد آمنا) من ذلك اختلفت المذاهب فى دخول الكافر المسجد فمنعه المالكية إلالحاجة وفصل الشافعية فقالوا إن أذن له مسلم فى غير المساجد الثلاثة جاز و إلا فلا وجوّزه الحنفية مطلقا (قوله لهم فى الدنيا خزى) هذا عام لكل من منع مساجد الله من ذكر اسم الله فيها كان مسلما أو كافر فخزى المسلم فى الدنيا بالمصائب والفقر والعمى والموت على غير حالة مرضية وذكر المفسر خزى الكافر

(يَتْلُونَ الْكِتَابَ) المنزل عليهم وفى كتاب اليهود تصديق عيسى وفى كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال (كَذٰلِكَ) كما قال هؤلاء (قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى المشركون من العرب وغيرهم (مِثْلَ قَوْلِهِمْ) بيان لمعنى ذلك أى قالوا لكل ذى دين ليسوا على شىء (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين فيدخل المحق الجنة والمبطل النار (وَمَنْ أَظْلَمُ) أى لا أحد أظلم (مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) بالصلاة والتسبيح (وَسَعَى فِي خَرَابِهَا) بالهدم أو التعطيل . نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو فى المشركين لما صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عام الحديبية عن البيت (أُولٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ) خبر بمعنى الأمر أى أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمناً (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) هوان بالقتل والسبى والجزية (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

(قوله هو النار) أى على سبيل الخلود إن مات كافرا أو على سبيل التطهير إن مات مسلما فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكل آية وردت فى الكفار فإنها تجر ذيلها على عصاة المؤمنين (قوله لما طعن اليهود فى نسخ القبلة) أى التى هى بيت المقدس فإن النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أمر بالصلاة لجهة بيت المقدس تأليفا لليهود فأشاعوا أن محمدا تابع لهم فى دينهم وشريعتهم ثم بعد مدة أمره الله بالانتقال إلى الكعبة فقالوا إن محمدا يفعل على مقتضى هواه وليس مأمورا بشرع فنزلت الآية (قوله أو فى الصلاة النافلة) أى نزلت فى شأن اعتراض اليهود على النبى حين شرعت صلاة النافلة على الدابة فى السفر حيثما توجهت (قوله ولله المشرق والمغرب) أى مكان الشروق والغروب وهذا ظاهر وأما آية رب المشرقين ورب المغربين فباعتبار مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما وأما آية ـ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ـ فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه لأن للشمس طرقا فى الشروق والغروب على قدر أيام السنة (قوله أى الأرض كلها) جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل ما وجه الاقتصار على المشرق والمغرب ويحتمل أن فيه حذف الواو مع ما عطفت أى وما بينهما (قوله فأينما تولوا) أينما اسم شرط جازم ظرف مكان وتولوا فعل الشرط وقوله فثم وجه الله جواب الشرط وثم إشارة للمكان خبر مقدم ووجه الله مبتدأ مؤخر (قوله فثم وجه الله) أى جهته يعنى جهة رضاه وليس المراد بوجهه ذاته بل المراد أينما تولوا وجوهكم فى جهة أمركم الله بها تجدوا جهة رضاه والصوفية يريدون بالوجه الذات وهو دليل على تنزه الله عن التخصيص بالجهة ومن هنا قال ابن العربى مقتضى التوحيد أن الصلاة لأى جهة تصح وإنما أمرنا بجهة مخصوصة تعبدا ولم نعقل له معنى (قوله يسع فضله كل شىء) أى فصحة الصلاة ليست متوقفة على جهة بيت المقدس فقط كما زعمت اليهود بل خصنا الله بمزايا على حسب مزيد فضله لم تكن فيهم فمنها أمر القبلة ومنها جعل الأرض كلها مسجدا وتربتها طهورا وغير ذلك

هو النار. ونزل لما طعن اليهود فى نسخ القبلة أو فى صلاة النافلة على الراحلة فى السفر حيثما توجهت (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ) أى الأرض كلها لأنهما ناحيتاها (فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا) وجوهكم فى الصلاة بأمره (فَثَمَّ) هناك (وَجْهُ اللَّهِ) قبلته التى رضيها (إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ) يسع فضله كل شىء (عَلِيمٌ) بتدبير خلقه (وَقَالُوا) بواو ودونها أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) قال تعالى (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عنه (بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا والملكية تنافى الولادة وعبر بما تغليبا لما لا يعقل (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) موجدهما لا على مثال سبق (وَإِذَا قَضَى) أراد (أَمْرًا) أى إيجاده،

(قوله وقالوا) هذا من جملة قبائح اليهود ومشركى العرب حيث قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله (قوله بواو ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على منع مساجد الله التقدير ومن أظلم ممن قال اتخذ الله ولدا وعلى عدمها هو مستأنف لبيان حال الكفرة وأما آية يونس فبترك الواو لا غير لعدم ما يناسب العطف (قوله سبحانه) أى تنزه عنه لأن الولدية تقتضى النوعية والجنسية والافتقار والتشبيه والحدوث وهو سبحانه منزه عن ذلك كله (قوله لما لا يعقل) أى غير العاقل لكثرته وإنما غلبه لأنه فى سياق القهر وهو مناسب لغير العاقل بخلاف قانتون فإنه فى سياق الطاعة (قوله مطيعون) أى نافذ فيهم مراده فالمراد بالطاعة هنا الانقياد ونفوذ المراد (قوله وفيه تغليب العاقل) أى حيث جمعه بالواو والنون وإنما غلب العاقل هنا لشرفه ولأن شأن الطاعة أن تكون للعاقل وفيه مراعاة معنى كل ولو راعى لفظها لأفرد (قوله بديع) خبر لمبتدأ محذوف أى هو وقرئ بالجر بدل من الضمير فى له وبالنصب على المدح أى أمدح بديع (قوله لا على مثال سبق) أى فهما فى غاية الإتقان قال تعالى ـ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ـ الآيات (قوله وإذا قضى) يطلق القضاء على الوفاء يقال قضى دينه بمعنى وفاه ويطلق على الإرادة وهو المراد هنا (قوله أراد) أى تعلقت إرادته به وفسر القضاء بالإرادة للآية الأخرى وهى قوله تعالى ـ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ـ وخير ما فسرته بالوارد.

(قوله فإنما يقول له كن فيكون) ليس المراد أنه إذا تعلقت إرادته بإيجاد أمر أتى بالكاف والنون بل ذلك كناية عن سرعة الايجاد فمراده نافذ ولا يتخلف بل ما علمه أزلا تعلقت به الارادة تعلقا تنجيزيا حادثا وأبرزه بالقدرة سريعا (قوله أى فهو يكون) أشار بذلك إلى أنه مستأنف مرفوع خبر لمبتدإ محذوف (قوله بالنصب) أى بأن مضمرة بعد فاء السببية أى يحصل ويوجد فى الخارج (قوله وقال الذين لايعلمون) أى الجاهلون الذين هم كالبهائم أو أضل (قوله أى كفار مكة) تقدم الاشكال بأن السورة مدنية وأن السائل له يهود المدينة ويمكن أن يجاب هنا بأن هذه الآية بخصوصها مكية وهو بعيد وأجاب أستاذنا الشيخ الدردير بأنه لامانع أن كفار مكة أرسلوا ذلك السؤال له وهو بالمدينة (قوله هلا) أشار بذلك إلى أنها تحضيضية وهى بذلك المعنى فى غالب القرآن (قوله يكلمنا الله) أى مشافهة أو على لسان جبريل فينزل علينا كما ينزل عليك (قوله مما اقترحناه) أى طلبناه والمقترح هو الشىء الذى لم يسبق إليه (قوله من التعنت الخ) هذا هو وجه المماثلة لأن ماوقع من الأمم الماضية ليس عين ما وقع من كفار مكة (قوله فيه تسلية للنبى) أى من قوله كذلك (قوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون) أى فلا تحزن على من كفر فإنا قد وضحنا آياتنا لقوم يؤمنون بك ولا يتعنتون عليك قال تعالى تسلية له - يأيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين (قوله تعنت) أى ممن كفر وعاند فلا تحزن عليه ويكفيك من آمن (قوله انا أرسلناك) الخطاب له صلى الله عليه وسلم أى أرسلناك للناس كافة (قوله بالحق) الباء للملابسة أو للمصاحبة أو السببية والأقرب الأولان (قوله بالهدى) أى دين الاسلام أو القرآن (قوله بشيرا) هو ونذيرا حالان إما من الكاف فى أرسلناك أو من الحق (قوله من) اسم موصول معمول لبشيرا وقوله أجاب إليه صلتها والمعنى انقاد له (قوله من لم يجب إليه) أى من لم ينقد إليه ولم يختره دينا (قوله النار) سميت النار جحيما لجحمها أى اضطرابها بأهلها من شدة لهيبها كاضطراب موج البحر (قوله مالهم لم يؤمنوا) (الذين هذه هو صورة السؤال أى حيث بلغت الرسالة ونصحت الأمة وكشفت الغمة وجاهدت الظلمة فلا تخف من كفرهم ولا يسألك الله عنه (قوله إنما عليك البلاغ) علة للنفى (قوله بجزم تسأل) أى مع فتح التاء مبنيا للفاعل وهما قراءتان سبعيتان والمعنى على هذه القراءة لا تسألنا يا محمد عن صفاتهم وأحوالهم فإنها شنيعة فظيعة لا يسعك السؤال عنها لهولها أو المعنى لا تسألنا الشفاعة فيهم لأن كلمة العذاب حقت عليهم (قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى) هذه مقالة قالها الله له حين قالت اليهود لانرضى عنك حتى تتبع مانحن عليه وكذلك قالت النصارى (قوله وماعداه ضلال) أخذ ذلك من الجملة المعرفة الطرفين فإنها تفيد الحصر (قوله لام قسم) أى محذوف تقديره وعزتى أو والله وعلامة كونها لام قسم وقوعها قبل إن الشرطية (قوله فرضا) أى على فرض وقوعه أو ذلك تخويف لأمته على حد ما قيل فى لئن أشركت ليحبطن عملك (قوله مالك من الله من ولى) هذا جواب القسم وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور لتأخر الشرط عن القسم لقول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم　　جواب ما أخرت فهو ملتزم

ولو كان جوابا للشرط لاقترن بالفاء لكونه منفيا بما (قوله من ولى) من زائدة لتأكيد النفى

(فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون. وفى قراءة بالنصب جوابا للأمر (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (لَوْلَا) هلا (يُكَلِّمُنَا اللَّهُ) أنك رسوله (أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ) مما اقترحناه على صدقك (كَذَٰلِكَ) كما قال هؤلاء (قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم (مِثْلَ قَوْلِهِمْ) من التعنت وطلب الآيات (تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ) فى الكفر والعناد، فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنت (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ) بالهدى (بَشِيرًا) من أجاب إليه بالجنة (وَنَذِيرًا) من لم يجب إليه بالنار (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ) النار أى الكفار ما لهم لم يؤمنوا إنما عليك البلاغ. وفى قراءة بجزم تسئل نهيا (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) دينهم (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ) أى الإسلام (هُوَ الْهُدَىٰ) وما عداه ضلال (وَلَئِنِ) لام قسم (اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) التى يدعونك إليها فرضا (بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الوحى من الله (مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ) يحفظك (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعك منه

(قوله الذين آتيناهم الكتاب) أى القرآن وآتينا صلة الذين والهاء مفعول أوّل والكتاب مفعول ثان (قوله والجملة حال) أى إما مؤولة باسم الفاعل أوالمفعول فعلى الأوّل هى حال من مفعول آتينا الأول الذى هوالضمير وعلى الثانى هى حال من الكتاب (قوله نصب على المصدر) فى الحقيقة صفة لمصدرمحذوف تقديره تلاوة حق التلاوة والمعنى يقرءونه مجوّدا مرتلا بخشوع وخضوع كما نزل من جبريل لاينقصون عما ورد ولايزيدون عليه يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ويصدّقون وعده ووعيده ويتدبرون معانيه يعملون بمحكمه ويفوّضون علم متشابهه إلى الله (قوله أولئك يؤمنون) مبتدأ وخبر والجملة خبر المبتدا (قوله نزلت فى جماعة) أى أربعين اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانيـة من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب مقدّمهم جعفر بن أبى طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وأسلموا) أى وصاروا يتلون القرآن حق التلاوة ، هكذا ذكر المفسر سبب نزولها وقيل نزلت فى كل من اتصف بهذا الوصف وقيل فى عبد الله بن سلام وأضرابه (قوله بأن يحرّفه) أى متعمدا بأن يتلاعب بمعانيه وألفاظه ويأخذ بظاهره والضمير عائد على القرآن وذلك كالخوارج الذين يأخذون بظاهره ولايعرفون معانيه فضلوا وأضلوا فإن من جملة أبواب الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة (قوله يابنى إسرائيـل) تقدمت هذه الآية وكررها لمزيد التقبيح عليهم (قوله اذكروا نعمتى) أى بالشكر عليها والمراد بها الجنس (قوله تقدم مثـله) أى من أن المراد عالمى زمانهم أوأن المراد آباؤهم الأنبياء أو المراد بالتفضيـل المزايا ففيهم مزايا لم توجد فى غـيرهم كفلق البحر وتفجير الماء من الحجر والمنّ والسلوى (قوله يوما) أى عذاب يوم (قوله تغنى نفس) أى مؤمنة وقوله عن نفس أى كافرة وهذه الجملة صفة ليوما وهو نكرة والجملة إذا وقعت صفة لنكرة فلابد لها من رابط وقد قدّره المفسر بقوله فيه (قوله ولا تنفعها شفاعة)

أى لا شـفاعة لها حق يترتب عليهـا النفع قال تعـالى - فما لنا من شافعين ولاصديق حميم - واتفقت القراآت السبع على الياء فى يقبل ولم يقرأ أحد بالتاء والقراءة سنة متبعـة (قوله واذكر إذ ابتلى) أشار بذلك إلى

(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) مبتدأ (يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ) أى يقرءونه كما أنزل والجملة حال وحق نصب على المصدر والخبر (أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ) نزلت فى جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ) أى بالكتاب المؤتى بأن يحرفه (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) تقدم مثله (وَاتَّقُوا) خافوا (يَوْمًا لَا تَجْزِي) تغنى (نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ) فيه (شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ) فداء (وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله (وَ) اذكر (إِذِ ابْتَلَىٰ) اختبر (إِبْرَاهِيمَ) وفى قراءة إبراهام (رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ) بأوامر ونواه كلفه بها قيل هى

أن إذ ظرف لمحذوف قدّره بقوله اذكر والخطاب لمحمد أى اذكر يامحمد لقومك وقت ابتلاء إبراهيم ويصح تقدير اذكروا ويكون خطابا لبنى إسرائيل . والمقصود من ذكر قصـة إبراهيم إقامة الحجة على المخالف من اليهود والنصارى ومشركى العرب لأن الفرق جميعها يعترفون بفضل إبراهيم كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يقول انظروا التكاليف التى كلف الله بها إبراهيم هل هى موافقة لما جئت به أومخالفة (قوله وفى قراءة إبراهام) هما قراءتان سبعيتان وهذان لغتان من سبع والثالثة والرابعة والخامسة بغيرياء والهاء مثلثة والسادسة بغـير ياء وألف مع فتح الهاء والسابعة إبراهوم وهو اسم أعجمى وتعريبه أب رحيم وهو ابن تارخ بن آزر بن ناخور بن شاروخ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وإبراهيم مفعول مقدم وربه فاعل مؤخر وتقديم المفعول هنا واجب لاتصال الفاعل ضمير يعود على المفعول فلوقدّم الفاعل لزم عليـه عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة . قال ابن مالك :

وشاع نحو خاف ربه عمر   وشذ نحو زان نوره الشجر

والاختبار فى الأصل الامتحان بالشىء ليعلم صـدق ذلك الشخص أوكذبه وهو مستحيل على الله لأنه عالم بذلك قبل الاختبار وإنما المراد عامله معاملة المختبر ليظهر ذلك للخلق فاختبر إبراهيم فظهر صـدقه وإبليس فظهر كذبه (قوله بكلمات) قيل ثلاثون من شريعتنا : عشرة فى براءة وهى التائبون العابدون إلى وبشر المؤمنين ، وعشرة فى الأحزاب وهى : إن المسلمين والمسلمات إلى قوله : أعدّ الله لهم مغفرة الآية ، وتسعة فى المؤمنون من أوّلها إلى أولئك هم الوارثون وواحدة فى سأل وهى : والذين هم بشهاداتهم قائمون . وقيـل هى التكاليف بخدمة البيت ، وقيل ذبح ولده والرمى فى النار وهجرته من الشام إلى مكة

والنظر فى الشمس والقمر والكواكب لإقامة الحجة على قومه و بضميمة ماذكره المفسر تكون أقوالا خمسة ولا مانع من إرادة جميعها (قوله مناسك الحج) أى واجباته وسننه (قوله وقيل المضمضة الخ) هذه عشرة أشياء الخمسة الأول فى الوجه والرأس وماعداها فى باقى الجسد (قوله والختان) ورد أنه أول من اختتن وأول من قص الشارب وأول من قلم الأظفار وأول من رأى الشيب فلما رآه قال يارب ماهذا قال الوقار قال يارب زدنى وقارا ، وقوله والاستنجاء أى بالماء وأما بالحجر فهو من خصائص هذه الأمة (قوله فأتمهن) أى لم يفرط فى شىء منها (قوله قال تعالى له) هذا كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال كأنه قيل مافعل الله به بعد ذلك أجاب بقوله قال له إنى جاعلك للناس إماما ومن ذلك أن العطايا الربانية تكون بعد التخلى عن الأغيار بالاختبار (قوله للناس) يحتمل أن يكون ظرفا لغوا متعلقا بجاعلك ويحتمل أنه حال من إماما لأنه نعت نكرة تقدم عليها وجاعل بمعنى مصير فينصب مفعولين الكاف مفعول أول و إماما مفعول ثان (قوله قال ومن ذريتى) هذا كعطف التلقين كما يقال لك سأمرك فتقول وزيدا ومن للتبعيض وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة إمامة الكل و إن كانوا على الحق (قوله اجعل أئمة) أى أنبياء أوملوكا عدولا أوعلماء وقد اجتمع ذلك فى ذريته (قوله عهدى) فاعل ينال فهو مرفوع بضمة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والظالمين مفعوله . والمعنى إن عهدى لايدرك الظالمين وقرىء بالعكس شذوذا لأنه إذا دار الأمر بين الاسناد للمعنى والذات فالاسناد للمعنى أولى (قوله و إذ جعلنا) معطوف على و إذ ابتلى وماقدر هناك يقدر هنا وجعل إن كانت

مناسك الحج وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق الرأس وقلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء (فَأَتَمَّهُنَّ) أداهن تامات (قَالَ) تعالى له (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) قدوة فى الدين (قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) أولادى اجعل أئمة (قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي) بالامامة (الظَّالِمِينَ) الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ) الكعبة (مَثَابَةً لِلنَّاسِ) مرجعا يثوبون إليه من كل جانب (وَأَمْنًا) مأمنا لهم من الظلم والاغارات الواقعة فى غيره كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يهيجه (وَاتَّخِذُوا) أيها الناس (مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ) هو الحجر الذى قام عليه ،

بمعنى خلق نصبت مفعولا واحدا وهو البيت ومثابة حال منه و إن كانت بمعنى صير نصبت مفعولين البيت مفعول أول ومثابة مفعول ثان وللناس جار ومجرور متعلق بجعلنا أو بمحذوف صفة لمثابة (قوله الكعبة) أشار بذلك إلى أن أل فى البيت للعهد (قوله مثابة) يحتمل أن يكون مصدرا ميميا وهو الذى درج عليه المفسر حنف بقوله مرجعا و يحتمل أن يكون ظرف مكان أى محل رجوع يرجع إليه المرة بعد المرة أو المراد محل ثواب أى أن من لاذ به حصل له من الثواب مالايحصل له فى غيره لما ورد « ينزل من السماء مائة وعشرون رحمة على البيت ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين » وأصل مثابة مثوبة تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا (قوله وأمنا) إما مصدر باق على مصدريته أو بمعنى اسم الفاعل أوظرف مكان أى محل أمن وعليه درج المفسر وعلى كونه اسم فاعل فالاسناد مجاز أى آمنا من دخله ، وخير مافسرته بالوارد ، قال تعالى - ومن دخله كان آمنا - (قوله فلا يهيجه) أى لا يزعجه ولا يؤاخذه بما فعل ، وكان البيت معظما فى الجاهلية ففى الاسلام أولى ولذا قال ابن عباس إن معصيته تضاعف لأنه يشدد على من فى الحضرة مالايشدد على غيره . قال بعضهم :

لقد أسرك من يرضيك ظاهره وقد أبرك من يعصيك مستترا

(قوله واتخذوا) أمر إما معطوف على ماتضمنه قوله مثابة تقديره فتوبوا واتخذوا أومستأنف مقول لقول محذوف تقديره وقال الله لهم اتخذوا (قوله أيها الناس) فيه حذف حرف النداء وهذا على قراءة الأمر (قوله من مقام إبراهيم) يحتمل أن من تبعيضية أوزائدة فى الاثبات على مذهب الأخفش أو بمعنى فى وكل بعيد والأقرب أنها بمعنى عند ، والسنة بينت أن الصلاة خلفه بأن يكون الحجر بين المصلى والكعبة (قوله هو الحجر) ورد أن طوله ذراع وعرضه كذلك وقد نزل هو والحجر الأسود مع آدم من الجنة وهما ياقوتتان من يواقيتها ولولا مس الكفار لهما لأضاءا مابين المشرق والمغرب .

(قوله عند بناء البيت) أى و بناؤه كان متأخرا عن بناء مكة فجرهم بنوا مكة أولا و إبراهيم بنى البيت ثانيا وذلك أن إبراهيم لما جاء بأم إسمعيل و ابنها وهى ترضعه وضعهما عند مكان البيت وليس هناك يومئذ بناء ولا أحد فعطشت واشتدّ عليها الأمر فجاءها جبريل فبحث بعقبه أو بجناحه فى موضع زمزم حتى ظهر الماء فصارت تشرب منه فاستمرت كذلك هى وولدها حتى مرّت بهم طائفة من جرهم فقالوا لها أتأذنين أن ننزل عندك؟ قالت نعم ولكن لاحق لكم فى الماء قالوا نعم فنزلوا عندها و بنوا مكة فلما شبّ اسمعيل وأعجبهم زوّجوه امرأة منهم (قوله بأن تصلوا خلفه) هذا تخصيص لكون الصلاة عنده ومعنى كون الصلاة خلفه باعتبار مقصورته و إلا فهو مربع لاخلف له ولا أمام وهذا بحسب ماسبق من الزمان فانه كان على الحجر مقصورة بابها لجهة البيت وأما الآن فقد حوّل الباب فالمصلى لأن يصلى لجهة الباب فهو قبالته لاخلفه (قوله وفى قراءة) هما سبعيتان (قوله خبر) أى جملة خبرية معطوفة على جعلنا مسلط عليها إذ أى اذكر إذ جعلنا واذكر إذ اتخذ الناس من مقام إبراهيم مصلى (قوله و إسمعيل) فيه لغتان باللام والنون ويجمع على سماعل وسماعلة وأسامع قيل سمى بذلك لأنّ إبراهيم لما دعا الله أن يرزقه ولدا صار يقول اسمع ايل أى استجب يا ألله (قوله أن) يحتمل أنها تفسيرية وهو الأقرب لوجود ضابطها وهو أن تتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وصحة حلول أى محلها ويحتمل أنها مصدرية وكلام المفسر يحتملهما (قوله من الأوثان) إن قلت إنه لم تكن

عند بناء البيت (مُصَلًّى) مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتى الطواف وفى قراءة بفتح الخاء خبر (وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ) أمرناهما (أَنْ) أى بأن (طَهِّرَا بَيْتِيَ) من الأوثان (لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ) المقيمين فيه (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جمع راكع وساجد المصلين (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا) المكان (بَلَدًا آمِنًا) ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لايسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ) وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه وكان أقفر لازرع فيه ولا ماء (مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) بدل من أهله وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله لاينال عهدى الظالمين (قَالَ) تعالى (وَ) أرزق (مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ) بالتشديد والتخفيف فى الدنيا بالرزق (قَلِيلًا) مدة حياته (ثُمَّ أَضْطَرُّهُ) ألجئه فى الآخرة (إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ) فلا يجد عنها محيصا (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى (وَ) اذكر (إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ) ،

حين بناء البيت أوثان قلت أجيب بأن المراد طهراه فيما يستقبل من الزمان لعلم الله أنّ المشركين ستتخذ أوثانا وليس المراد أنّ الأوثان كانت موجودة حينئذ وأمر بطهارته منها (قوله للطائفين) جمع طائف وهو الذى يطوف حوله الأشواط (قوله والعاكفين) جمع عاكف وهو عرفا الملازم للمسجد للعبادة على وجه مخصوص ولكن المراد به هنا المقيم فيه يفسره قوله فى الآية الأخرى والقائمين فالعاكفون والقائمون والمقيمون بمعنى واحد (قوله المصلين) أخذ ذلك من عدم عطف السجود على الركع فالمراد جمعهما فى عبادة لا أنّ الركع قسم والسجود قسم آخر (قوله و إذ قال إبراهيم) معطوف على و إذ ابتلى (قوله بلدا) نكره هنا وعرفه بأل فى سورة إبراهيم لأنه قيل إن ماهنا كان قبل بنائها وماهناك بعده (قوله آمنا) إن قلت إنّ الله قد امتنّ به من غير سؤال إبراهيم . أجيب بأنّ المراد بالذى امتنّ الله به الأمن من إغارات الأعداء و بالذى طلبه إبراهيم الأمن من القحط والجوع (قوله خلاه) بالقصر أى حشيشه (قوله من الثمرات) أى بعضها (قوله إليه) أى إلى قربه بنحو مرحلتين وقد نقل الموضع الذى كان بالحجاز موضع ما نقل من الشام بمكان يسمى الحرّة أقفر مشهور بالشام كذا قيل (قوله وأرزق من كفر) هذا يسمى عطفا تلقينيا (قوله و بئس المصير) جملة استئنافية لانشاء الذم وليست معطوفة على ثم أضطره (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم . والحاصل أن إبراهيم لما قال الله له إنى جاعلك للناس إماما طلب أن يكون من ذرّيته من هو كذلك فأجابه الله بأنه لاينال عهده الظالمين، فلما بنى البيت ودعا لأهله بالرزق من الثمرات خصص دعوته بالمؤمن منهم قياسا منه الرزق على الامامة وخوفا من رد دعوته إذا عمم فلقنه الله قوله ومن كفر أى فالمؤمن والكافر سواء فى الرزق الدنيوى وأما فى الامامة فليسوا سواء (قوله واذكر) أى يامحمد وقت رفع إبراهيم القواعد (قوله القواعد) جمع قاعدة

وهي حجارة كبار كل حجر قدر البعير والمراد برفع القواعد بناء البيت ورفعه عليها (قوله الأسس) جمع أساس وهي القواعد (قوله والجدر) جمع جدار وهي الأسس فالعطف مرادف . وقصة بناء البيت أن الله لما خلق الماء قبل الأرض بألفي عام كان ذلك البيت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض وبسطت وامتدت من تلك الزبدة فلما أهبط آدم إلى الأرض استوحش إلى ذكر الله فأنزل الله البيت المعمور وهو من ياقوتة حمراء له بابان من زمردة خضراء باب بالمشرق وباب بالمغرب ووضع موضع الزبدة فكان يأتيه ماشيا من الهند وورد أنه حجه ماشيا أربعين عاما فلما فرغ قالت الملائكة لقد برّ حجك يا آدم فلما جاء الطوفان أمر الله برفعه إلى السماء السابعة فكان .وضع البيت خاليا إلى زمن إبراهيم وبعث الله جبريل حين رفعه فخبأ الحجر الأسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق هكذا قيل والمشهور أن أول من بناه الملائكة ثم آدم ثم شيث واستمر حتى جاء طوفان نوح فأذهب رسومه الظاهرية لا قواعده لأنها ثابتة متصلة بالأرض السابعة ثم أتى جبريل بالحجر الأسود وألقمه بل أبي قبيس فلما أتى إبراهيم وأراد بناءه جاءه جبريل وحدده له وأعلمه بالحجر الأسود فبناه على طبق ما رأى من القواعد ثم بناه بعده العمالقة ثم جرهم ثم قصي ثم قريش وكان الواضع للحجر الأسود في محله النبي صلى الله عليه وسلم وقصرت بهم النفقة فلم يتموا بناءه على قواعد إبراهيم بل نقضوه وأخرجوا الحجر منه ثم ابن الزبير وقد رده لقواعد إبراهيم مستدلا بحديث عن عائشة «لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنيت البيت على قواعد إبراهيم» ثم لما تولى الحجاج عامله الله بعدله حارب ابن الزبير وقتله وهدم البيت بالمنجنيق وبناه كما بنته قريش وهو الآن على بنائه ونظمهم بعضهم فقال:

بنى بيت رب العرش عشر فخذهم
ملائكة الله الكرام وآدم
فشيث فإبراهيم ثم عمالق
قصي قريش قبل هذين جرهم
وعبد الاله ابن الزبير بنى كذا
بناء لحجاج وهذا متمم

الأسس أو الجدر (مِنَ الْبَيْتِ) يبنيه متعلق بيرفع (وَإِسْمَٰعِيلُ) عطف على إبراهيم يقولان (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا) بناءنا (إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ) منقادين (لَكَ وَ) اجعل (مِن ذُرِّيَّتِنَا) أولادنا (أُمَّةً) جماعة (مُّسْلِمَةً لَّكَ) ومن للتبعيض وأتى به لتقدم قوله لا ينال عهدي الظالمين (وَأَرِنَا) علمنا (مَنَاسِكَنَا) شرائع عبادتنا أو حجنا (وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ) أي أهل البيت (رَسُولًا مِّنْهُمْ) من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد صلى الله عليه وسلم (يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ) القرآن (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) أي ما فيه من الأحكام (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ) الغالب (الْحَكِيمُ) في صنعه (وَمَن)

(قوله يقولان) قدره المفسر ليصح جعل الجملة حالا من إبراهيم وإسماعيل لأن الجملة الانشائية لا تقع حالا إلا بتقدير أي وعبر بالمضارع في يرفع استحضارا للحال الماضية لعظم شأنه كأنه حصل الآن وهو يحدث عنه (قوله للقول) أي دعائنا (قوله بالفعل) أي بنائنا (قوله منقادين) أي كاملين في الانقياد لأن الكامل يقبل الكمال وليس المراد طلب أصل الاسلام لأن الأنبياء معصومون من كل معصية سيما الكفر (قوله جماعة) أي وهو الأصل الكثير وتطلق على المقتدى به كقوله تعالى - إن إبراهيم كان أمة - وتطلق على الملة ، قال تعالى - إنا وجدنا آباءنا على أمة - (قوله وأرنا) رأى عرفانية تنصب مفعولا واحدا ودخلت عليها الهمزة فتعدت لاثنين فنا مفعول أول ومناسكنا مفعول ثان (قوله التواب) أي كثير القبول لتوبة من تاب ويوصف العبد بذلك الوصف بمعنى كثير التوبة والرجوع عن القبائح والرذائل (قوله الرحيم) أي عظيم الرحمة وهي الانعام أو إرادته (قوله تواضعا) أي أو طلبا للارتقاء من مقام أعلى مما هما فيه (قوله أهل البيت) أي بيت إبراهيم وهم ذريته ولم يأت نبي من ذرية إبراهيم وإسمعيل إلا نبينا صلى الله عليه وسلم وأما غالب الأنبياء فمن ذرية إسحق (قوله والحكمة) هي العلم النافع (قوله الغالب) أي الذي أمره نافذ (قوله الحكيم) هو الذي يضع الشيء في محله (قوله ومن يرغب عن ملة إبراهيم) سبب نزولها أن عبد الله بن سلام أسلم وكان له ابنا أخ أحدهما اسمه مهاجر والثاني اسمه سلمة فدعاهما إلى الاسلام وقال لهما قد علمتما أن الله قال في التوراة إني باعث من ولد إسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فأسلم سلمة وأبى مهاجر فنزلت الآية والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(قوله أى لا يرغب) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى والاستثناء المفرغ لا يكون إلا بعد النفى وما فى معناه والرغبة عن الشىء الزهد فيه (قوله عن ملة إبراهيم) أى دينه وشريعته فالملة والدين والشريعة بمعنى واحد وهو الأحكام التى جعلها الله للتعبد بها فمن حيث إملاؤها يقال لها ملة ومن حيث شرعها يقال لها شريعة ومن حيث التدين بها يقال لها دين (قوله إلا من سفه نفسه) يحتمل أن من اسم موصول والجملة بعدها صلة أو نكرة والجملة بعدها صفة وعلى كل فهو بدل من فاعل يرغب التقدير ولا يرغب عن ملة إبراهيم أحد إلا الذى أو شخص سفه نفسه (قوله جهل أنها مخلوقة) هذا بناء على أنه لا يتعدى بنفسه إلا بتضمينه معنى جهل ومعنى جهله نفسه لم يتأمل ولم ينظر فيها فيستدل على أن لها صانعا أتقن صنعها فيؤمن به (قوله أو استخف بها) هذا بناء على أنه يتعدى بنفسه كالمشدد ومعنى استخفافه بها تركه العبادة لله التى بها العز الأبدى (قوله ولقد اصطفيناه) هذا حجة لقوله ومن يرغب وأكدت هذه الجملة باللام فقط وما بعدها بإن واللام لأن هذه الجملة متعلقة بأمر الدنيا وهو فيها ظاهر الحال بخلاف الجملة الثانية فإنها متعلقة بالآخرة وهو أمر مغيب لا يؤمن به إلا من نور الله بصيرته فاحتاجت لزيادة التأكيد (قوله وفى قراءة وأوصى) أى فهما قراءتان سبعيتان فالهمز والتضعيف أخوان (قوله إبراهيم بنيه) أى

وهم إسمعيل وهو من هاجر و إسحق وهو من سارة وكان له ستة أولاد من امرأة تسمى قنطورا الكنعانية تزوجها بعد وفاة سارة فجملة أولاده ثمانية وقيل أربعة عشر (قوله ويعقوب بنيه) أشار بذلك إلى أن يعقوب بالرفع معطوف على إبراهيم والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله بنيه وهم اثنا عشر روبيل(١) بضم الراء وشمعون ولاوى ويهودا ويشسوخون وزبولون ودون وبقيون وكودا وأوشيز وبنيامين ويوسف كذا فى البيضاوى (قوله قال يابنى) هذا هو صورة الوصية

أى لا (يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ) فيتركها (إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ) جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنها (وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ) اخترناه (فِي الدُّنْيَا) بالرسالة والخلة (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى. واذكر (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ) انقد لله وأخلص له دينك (قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَصَّى) وفى قراءة وأوصى (بِهَا) بالملة (إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ) بنيه قال (يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ) دين الاسلام (فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) نهى عن ترك الاسلام وأمر بالثبات عليه إلى مصادفة الموت. ولما قال اليهود للنبى: ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية نزل (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) حضورا (إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ) بدل من إذ قبله (قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي) بعد موتى (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) عد إسماعيل من الآباء تغليب ولأن العم بمنزلة الأب (إِلَٰهًا وَاحِدًا) بدل من إلهك (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) وأم بمعنى همزة الانكار أى لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به (تِلْكَ) مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأنث لتأنيث خبره (أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ) سلفت

(قوله فلا تموتن) أصله تموتون أكد بالنون فصار تموتوننّ حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال فالتقى ساكنان الواو والنون حذفت الواو لالتقائهما (قوله نهى عن ترك الاسلام الخ) دفع بذلك ما يقال إن الموت على الاسلام ليس فى طاقة العبد فما معنى التكليف به. فأجاب بأن المراد التكليف بالاسلام والنهى عن تركه كقولك لشخص لا تصل إلا وأنت خاشع فهو نهى عن ترك الخشوع فيها (قوله بدل من إذ قبله) أى بدل اشتمال (قوله ما تعبدون من بعدى) أتى بما دون من امتحانا لهم لأنه فى زمنه كثرت عبادة غير الله وإنما امتحنهم لتظهر سرائرهم (قوله إبراهيم الخ) بدل من آبائك وكرر إله لأنه الفصيح مطلقا اسما كما هنا أو حرفا كمررت بك وبزيد. قال ابن مالك:

وعود خافض لدى عطف على ... ضمير خفض لازما قد جعلا

(قوله وإسماعيل) قدمه على إسحق وإن كان أبا يعقوب لمزيتين كونه أسن منه وكونه أبا النبى عليه الصلاة والسلام (قوله ولأن العم بمنزلة الأب) أى لما فى الحديث «عمك صنو أبيك» (قوله إلها واحدا) كرره لدفع توهم التعدد من تعدد المضاف (قوله بمعنى همزة الانكار) أى فتارة تفسر بها وحدها كما هنا وتارة تفسر بها وببل وتارة تفسر ببل وحدها (قوله أمة قد خلت) هذا رد على اليهود من حيث افتخارهم بآبائهم.

(١) قوله روبيل الخ فى بعض هذه الأسماء مخالفة لما فى أبى الفداء فليراجع اه.

(لَهَا مَا كَسَبَتْ) من العمل أى جزاؤه استئناف (وَلَكُمْ) الخطاب لليهود (مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) كما لايسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا) أو للتفصيل، وقائل الأول يهود المدينة والثانى نصارى نجران (قُلْ) لهم (بَلْ) نتبع (مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) حال من إبراهيم مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُوا) خطاب للمؤمنين (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا) من القرآن (وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ) من الصحف العشر (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) أولاده (وَمَا أُوتِيَ مُوسَى) من التوراة (وَعِيسَى) من الانجيل (وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ) من الكتب والآيات (لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا) أى اليهود والنصارى (بِمِثْلِ) مثل زائدة (مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الايمان به (فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ) خلاف معكم (فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ) يامحمد شقاقهم (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) بأحوالهم.

(قوله من العمل) أى فلاينفع أحدا كسب غيره بل كل امرىء بما كسب رهين خيرا كان أو شرا **(قوله استئناف)** أى فلها خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكسبت صلتها والعائد محذوف أى كسبته (قوله والجملة تأكيد لما قبلها) أى لأنه إذا كان لها ماكسبت فلايسئلون عن عملكم وإذا كان لكم ما كسبتم فلا تسئلون عما كانوا يعملون وقوله كما لايسئلون عن عملكم إشارة إلى أن فى الكلام اكتفاء (قوله وقالوا كونوا هودا أو نصارى) هذا فى المعنى معطوف على قوله فى ماننسخ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى (قوله تهتدوا) أى تصلوا للخير وتبلغوا السعادة (قوله أو للتفصيل) أى لا للجمع فإن مقالة يهود المدينة كونوا هودا تهتدوا لأنه لايدخل الجنة إلا من كان هودا، ومقالة نصارى نجران كونوا نصارى تهتدوا لأنه لايدخل الجنة إلا من كان نصارى (قوله نتبع) قدره إشارة إلى أن ملة معمول لمحذوف والجملة مقول القول فى محل نصب (قوله حال من إبراهيم) أى والشرط موجود وهو كون المضاف كالجزء من المضاف إليه (قوله وما كان من المشركين) تعريض لهم بأنهم هم المشركون (قوله خطاب للمؤمنين) أى ويصح أن يكون خطابا لليهود والنصارى أى إذا أردتم النجاة فلاتشركوا وقولوا آمنا (قوله وما أنزل إلينا) معطوف على لفظ الجلالة وقوله من القرآن بيان لما (قوله من الصحف العشر) قال تعالى - إن هذا لفى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - (قوله وإسمعيل الخ) إن قلت إن إسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط لم ينزل عليهم كتاب أجيب بأنه أوحى إليهم بصحف إبراهيم فلم يكن مغايرا لما نزل على إبراهيم (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب وهم أسباط بالنسبة لاسحاق وإبراهيم وأولادهم أسباط للجميع ويؤخذ من الآية أن الأسباط أنبياء وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر فى شرحه على الهمزية. إن قلت حيث كانوا أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع ما يأتى فى سورة يوسف من رميه فى الجب وإتيانهم على قميصه بدم كذب وغير ذلك من الأمور المنافية للنبوة. أجيب بأنهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط فلايلزمهم إجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سر القدر فالمدار على خلوصهم فى الباطن على حد ماقيل فى أفعال الخضر مع موسى وقد شهد الله له بأنه مافعله عن أمره فيكون ماجرى من الأسباط فى حق يوسف كما جرى من الخضر أو أولى وسيأتى بسط ذلك فى سورة يوسف إن شاء الله تعالى (قوله وما أوتى موسى) عبر أولا بأنزل وثانيا بأوتى تفننا ودفعا للثقل (قوله وعيسى) لم يكرر ما أوتى لأن مؤدى الانجيل والتوراة واحد وإنما التغاير فى شىء يسير وهو تحليل بعض ماحرم (قوله وما أوتى النبيون) هذا من عطف العام على الخاص إشارة إلى أنه يجب علينا الايمان بجميع أنبياء الله وما أنزل عليهم (قوله كاليهود) أى فانهم آمنوا بموسى وكفروا بمن عداه وقوله والنصارى أى فانهم آمنوا بعيسى وكفروا بمن عداه (قوله مثل زائدة) أى لأن المعنى على أصالتها فاسد لأنه يوهم أنهم مأمورون بالايمان بمثل الله ومثل ما أنزل على محمد الخ وهذا باطل (قوله خلاف) **أى مخالفة للدين الحق ويطلق على الضلال وعلى العداوة ويصح إرادة كل منها لأن من تولى عن الايمان فهو فى ضلال ومعاداة لله (قوله شقاقهم) أى ضرر ضلالهم ومخالفتهم ومعاداتهم**

(قوله بقتل قريظة) أى فقد قتل منهم فى يوم واحد سبعمائة من صناديدهم ورموا فى الخندق (قوله وضرب الجزية عليهم) أى اليهود والنصارى (قوله صبغة الله) الصبغ بالكسر أثر الصبغ بالفتح الذى هو المصدر . وسبب نزول الآية أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمى ماء للعمودية ويقولون حينئذ قد صار نصرانيا حقا ، فنزلت ردًّا عليهم كأن الله يقول لهم صبغتى عبيدى لا أحسن منها صبغة (قوله أى صبغنا) من باب نفع وضرب ونصر (قوله كالصبغ فى الثوب) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تصريحية أصلية حيث شبه آثار الايمان القائم بالشخص بالصبغ القائم بالثوب بجامع المكث والظهور فى كلٍّ واستعير اسم المشبه به للمشبه وفى هذه الآية بشرى للمؤمنين عظيمة وهى أن الايمان فى القلب كالصبغ المتقن فى الثوب فكما لا يزول الصبغ من الثوب كذلك الايمان لا يزول من القلب لأن صبغة الله لا أحسن منها ولذا قيل إن موت المؤمن على غير الايمان نادر كالكبريت الأحمر والمراد من الصبغة الأنوار الكائنة فى القلب والأعضاء لأن الايمان لا يكمل إلا إذا صبغ به كصبغة الثوب قال تعالى ـ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ـ وقال تعالى ـ نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ـ وفى الحديث «لو كشف عن نور المؤمن العاصى لأضاء ما بين المشرق والمغرب وإنما احتجب عنه ليتم وعد الله ووعيده» (قوله قال اليهود)

وقد كفاه إياهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (صِبْغَةَ اللهِ) مصدر مؤكد لآمنا ونصبه بفعل مقدر أى صبغنا الله والمراد بها دينه الذى فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ فى الثوب (وَمَنْ) أى لا أحد (أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً) تمييز (وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) قال اليهود للمسلمين نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبيًّا لكان منا فنزل (قُلْ) لهم (أَتُحَاجُّونَنَا) تخاصموننا (فِي اللهِ) أن اصطفى نبيًّا من العرب (وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ) فله أن يصطفى من عباده من يشاء (وَلَنَا أَعْمَالُنَا) نجازى بها (وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) تجازون بها فلا يبعد أن يكون فى أعمالنا ما نستحق به الإكرام (وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ) الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء . والهمزة للانكار ، والجمل الثلاث أحوال (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ) بالياء والتاء (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ) لهم (ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ) أى الله أعلم وقد برأ منهما إبراهيم بقوله « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا » والمذكورون معه تبع له (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ) أخفى الناس (شَهَادَةً عِنْدَهُ) كائنة (مِنَ اللهِ) أى لا أحد أظلم وهم اليهود كتموا شهادة الله فى التوراة لإبراهيم بالحنيفية (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

شروع فى ذكر سبب نزول الآية (قوله الأول) أى السابق على الانجيل والقرآن (قوله من العرب) أى بل كانت من بنى إسرائيل (قوله قل) أى يا محمد والخطاب لكل عاقل يريد إقامة الحجة عليهم (قوله فله أن يصطفى من عباده من يشاء) أى فلا حرج عليه فى أفعاله (قوله ولنا أعمالنا) أى فان كانت النبوة من جهة اصطفاء الله واختياره فربكم هو ربنا فيختص برحمته من يشاء وإن كانت من جهة العمل فكما لكم أعمال تجازون عليها لنا أعمال نجازى عليها فنحن مشتركون معكم فى العبودية والأعمال (قوله ونحن له مخلصون) أى لم نشرك به أحدا بخلافكم أنتم فقد زدنا عليكم وصفا وهو الاخلاص فكان الأولى بذلك نحن لا أنتم (قوله أحوال) أى إما من الواو أو نا لكن الأظهر فى الأخيرة أنها حال من نا وعامل الحال على كلٍّ هو الفعل الذى هو أتحاجوننا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو نصارى) أو للتقسيم والتوزيع فاليهود نسبوا لهم اليهودية والنصارى نسبوا لهم النصرانية (قوله أأنتم أعلم) الهمزة للاستفهام وما بعدها مبتدأ وخبر والمستفهم عنه يجوز توسطه بين الهمزة وأم كما هنا وهو الأحسن ويجوز فى غير القرآن أن تقول أأعلم أنتم أم الله أو أأنتم أم الله أعلم (قوله أم الله) أم معادلة للهمزة التى هى لطلب التعيين واسم التفضيل ليس على بابه بل للتهكم والاستهزاء (قوله أى الله أعلم) أشار بذلك إلى أنه جواب الاستفهام وأن خبر المبتدأ محذوف دل عليه المذكور (قوله تبع له) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الله قد برأ إبراهيم ولم يذكر معه أولاده ومن جملة ما رد عليهم به قوله تعالى ـ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ـ (قوله كائنة من الله) أشار بذلك إلى أن قوله عنده صفة أولى لشهادة وقوله من الله متعلق بمحذوف صفة ثانية لها (قوله لإبراهيم بالحنيفية) أى ولمحمد بالرسالة حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه فى كتبهم فغيروها وبدلوها (قوله وما الله بغافل عما تعملون)

الغفلة هى ترك الشىء مع التمكن من العلم به وذلك مستحيل على الله تعالى فالمراد بها الامهال ليوم القيامة ومما يفسر تلك الآية قوله تعالى ـ ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار ـ وقوله ـ وما الله بغافل عما تعملون ـ أبلغ فى التهديد من قوله ـ والله عليم بما تعملون ـ مثلا لأن عدم الغفلة يستلزم العلم بخلاف العلم فلايستلزم عدم الغفلة (قوله تلك أمة) أى أنبياء بنى إسرائيل (قوله قد خلت) أى سبقت (قوله لها ما كسبت) أى من خير أو شر (قوله ولا تسئلون عما كانوا يعملون) أى ولا يسئلون عن عمالكم (قوله تقدم مثله) أى وإنما كرره الله لمزيد بلادتهم فان السامع إذا كان بليدا فالأبلغ تكرار الكلام له لاقامة الحجة عليه (قوله سيقول السفهاء) سيأتى للمفسر أن الآية من الاخبار بالغيب . وحاصل ذلك أن النبى كان يستقبل الكعبة فى صلاته وهو بمكة فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس فأنزل الله هذه الآية ليعلمه بأنه سيحوله للكعبة فيعترض عليه وليكون معجزة له من حيث إخباره بالمغيبات ثم نزلت آية تحويل القبلة فمقتضاه أن هذه الآية متقدمة فى النزول والتلاوة ودرج على ذلك جماعة من المفسرين والذى ورد عن ابن عباس وغيره أنها متقدمة فى التلاوة متأخرة فى النزول عن آية التحويل وحكمة الاتيان بالسين إفادة الاستمرار على هذه المقالة منهم وممن يأتى بعدهم . والسفهاء جمع سفيه وهو من يتجنب المنافع و يتعلق بالمضار دنيوية أو دينية ولا شك أن الكافر تعلق بالمضار الدينية فكل كافر سفيه (قوله من الناس) بيان للسفهاء احترازا عن البهائم فانها تسمى سفهاء أيضا (قوله اليهود) أى فانهم اعترضوا على النبى وأصحابه فى تحولهم عن جهة بيت المقدس إلى جهة الكعبة وقوله والمشركين أى فانهم اعترضوا عليهم فى تحولهم أولا ورجوعهم ثانيا (قوله ماولاهم) مااستفهامية

والجملة بعدها خبر عنها (قوله إلى أى جهة شاء) أى فالأمر باستقبال جهة مخصوصة تعبدى لانعقل له معنى (قوله هدايته) مفعول يشاء (قوله ومنهم أنتم) أى من المهتدين أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) اسم الاشارة عائد على الهداية (قوله أى كما هديناكم إليه

تهديد لهم ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تقدم مثله ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ ﴾ الجهال ﴿ مِنَ النَّاسِ ﴾ اليهود والمشركين ﴿ مَا وَلَّاهُمْ ﴾ أى شىء صرف النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ﴿ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ﴾ على استقبالها فى الصلاة وهى بيت المقدس والاتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ أى الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أى جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ هدايته ﴿ إِلَىٰ صِرَاطٍ ﴾ طريق ﴿ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ دين الإسلام أى ومنهم أنتم ، دل على هذا ﴿ وَكَذَٰلِكَ ﴾ كما هديناكم إليه ﴿ جَعَلْنَاكُمْ ﴾ يا أمة محمد ﴿ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ خيارا عدولا ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ يوم القيامة أن رسلهم بلغتهم ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ أنه بلغكم

جعلناكم) أى فمن الله عليهم بمنتين الأولى الهداية الثانية جعلهم خيارا عدولا وجعل بمعنى صير فالكاف (وما مفعول أول وأمة مفعول ثان (قوله وسطا) هو فى الأصل المكان الذى استوت إليه الجهات ثم أطلق وأريد منه الخصال الحميدة فالمعنى أصحاب خصال حميدة ولا شك أن من كان كذلك فهم خيار عدول (قوله خيارا عدولا) أى أصحاب علم وعمل ولا يخلو زمان منهم لما فى الحديث «لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» ومادام القرآن موجودا فهم موجودون لقوله تعالى ـ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ـ فلولا أن أناسا موجودون بهذه المثابة مابقى القرآن ونزول البلاء ليس دليلا على عدم وجود الخيار فان الأنبياء كانوا موجودين مع حصول الخسف والمسخ بأممهم فليسوا أعظم من الأنبياء ولما فى الحديث «أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث» (قوله لتكونوا) اللام للتعليل وقيل للصيرورة وعلى كل فالفعل منصوب بأن مضمرة بعدها جوازا وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (قوله أن رسلهم بلغتهم) هذا بيان للمشهود به (قوله أنه بلغكم) هذا بيان لشهادة الرسول . وحاصل ذلك أنه يوم القيامة توقف كفار الأمم السابقة فى صعيد واحد ويقول الله لهم لم لم تؤمنوا بى ألم يأتكم نذير فيقولون ياربنا ماجاءنا نذير فيؤتى بأنبيائهم فيقول الله لهم ألم تبلغوا أممكم الرسالة فيقولون يار بنا قد بلغنا ماأرسلتنا به فلم يؤمنوا فيقول الله لهم وهو أعلم بهم لاقامة الحجة عليهم ومن يشهد لكم فيقولون أمة محمد فيؤتى بهم فيقول الله لهم أتشهدون أن الرسل بلغت الرسالة لأممهم فكفروا بهم فيقولون نعم نشهد بذلك فتقول الأمم كيف يشهدون علينا مع كونهم متأخرين عنا ، فيقولون يار بنا أخبرنا رسولنا بذلك فى كتابنا عنك وهو صادق

فى خبره فيقول الله لهم ومن يزكيكم فيقولون نبينا فيؤتى به فيقول أشهد أن أمتى عدول ، وقوله على الناس إن كان المراد بهم أمم الأنبياء السابقة فعلى على بابها و إن كان المراد بهم الأنبياء فعلى بمعنى اللام فهى مستعملة فى حقيقتها ومجازها وقوله ـ عليكم شهيدا ـ أى على كفاركم وسميت شهادة و إن كانت فى الواقع دعوى لعدم ردها ، ويحتمل أن على بمعنى اللام والضمير عائد على العدول الشاهدين على الأمم السابقة من حيث تزكيته لهم (قوله وماجعلنا) اختلف فى إعراب هذه الآية فدرج المفسر على أن قوله القبلة مفعول ثان لجعلنا مقدم ، وقوله التى صفة لموصوف محذوف مفعول أول ودرج غيره على العكس وهو أن القبلة مفعول أول والتى صفة لموصوف محذوف مفعول ثان والأقرب الأول . وحاصل ذلك أن رسول الله وهو بمكة كان يصلى للكعبة فلما هاجر إلى المدينة أمر باستقبال بيت المقدس تأليفاً لليهود فصلى لها سبعة عشر أوستة عشر شهرا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشم منهم الكبر فكانوا يقولون إن محمدا يفارق ديننا ويصلى لقبلتنا ، وكان رسول الله يحب أن يصلى للكعبة حتى نزل عليه جبريل يوما ، فقال له ياجبريل أود أن الله يحولنى لقبلة أبى إبراهيم فسل ربك ذلك ، فقال له أنت أكرم عليه منى ، ثم صعد إلى السماء فصار رسول الله ينظر لجهتها منتظرا للاذن فى ذلك فنزل عليه جبريل بعد ركعتين من صلاة الظهر فى رجب بالأمر بالتحويل للكعبة فتحول وتحول الناس معه وكان يوما مشهودا فافتتن اليهود وأهل النفاق

(وَمَا جَعَلْنَا) صيرنا (الْقِبْلَةَ) لك الآن الجهة (الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا) أولا وهى الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلى إليها فلما هاجر أمر باستقبال بيت المقدس تألفا لليهود فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حول (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) فيصدقه (مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) أى يرجع إلى الكفر شكاً فى الدين وظنا أن النبى صلى الله عليه وسلم فى حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وإنها (كَانَتْ) أى التولية إليها (لَكَبِيرَةً) شاقة على الناس (إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) منهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) أى صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ) المؤمنين (لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) فى عدم إضاعة أعمالهم. والرأفة شدة الرحمة وقدم الأبلغ للفاصلة (قَدْ) للتحقيق (نَرَى تَقَلُّبَ) تصرف (وَجْهِكَ فِي) جهة (السَّمَاءِ) متطلعاً إلى الوحى ومتشوفا للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنها أدعى إلى إسلام العرب (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ) نحولنك

(قوله علم ظهور) جواب عمايقال إن علم الله قديم فلا يتجدد والمعنى ليظهر لكم متعلق علمنا بتمييز المؤمن من الكافر (قوله فيصدقه) أى يدوم على صدقه (قوله أى يرجع إلى الكفر) أشار بذلك إلى أن قوله ممن ينقلب على عقبيه ليس على حقيقته لأن الانقلاب على العقب معناه الرجوع لخلف وليس مرادا بل هو كناية عن الرجوع للكفر نظير ثم ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى (قوله وقد ارتد لذلك) أى التحويل ، والمعنى ظهر كفرهم و إلافقد صبغ القلب بالايمان فلايزول لأن الكريم إذا من تمم (قوله إلاعلى الذين هدى الله) أى فكان عيدا لهم حتى صار فضل من صلى مع النبى للقبلتين أعظم ممن أتى بعد ذلك ، قال صاحب الجوهرة : * والسابقون فضلهم نصا عرف * (قوله أى صلاتكم) عبر بالايمان عن الصلاة لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين (قوله لأن سبب نزولها الخ) وسبب ذلك شبهة ألقاها حيي ابن أخطب للمسلمين ، وهى أن استقبالكم لبيت المقدس لايخلو إما أن يكون هدى فقدانتقلتم الآن إلى ضلال ، وإما أن يكون ضلالا فلم أقركم عليه ، وأيضا من مات قبل التحويل مات على الضلال وضاعت أعماله فشق ذلك على أقارب من مات قبل التحويل فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وتحويل القبلة أول نسخ ورد فى الشرع (قوله إن الله بالناس) هذا كالدليل لما قبله : أى لم يضيع صلاتكم لكونه رءوفا رحيما (قوله للفاصلة) أى التى هى قوله إلى صراط مستقيم فهى على الميم فيهما (قوله قد نرى) تقدم سبب نزول هذه الآية (قوله للتحقيق) وقيل للتكثير وهو بالنظر لفعل النبى لالرؤية الله وهو خطاب تودد (قوله متطلعا) أى متطلبا ومتشوفا وهو إشارة لحال محذوفة (قوله لأنها قبلة إبراهيم) أى وقبلته من قبل (قوله ولأنها أدعى إلى إسلام العرب) أى فانهم قالوا حين استقبل بيت المقدس حيث عدل عن قبلة أبيه إبراهيم لانتبعه أبدا (قوله نحولنك) مقتضى هذا التفسير أن قبلة منصوب بنزع الخافض ولو أبقى نولى على حالها لفسرها بنعطى لأنها تنصب مفعولين

(قِبْلَةً تَرْضَاهَا) تحبها (فَوَلِّ وَجْهَكَ) استقبل فى الصلاة (شَطْرَ) نحو (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى الكعبة (وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ) خطاب للأمة (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ) فى الصلاة (شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ) أى التولى إلى الكعبة (الْحَقُّ) الثابت (مِنْ رَبِّهِمْ) لما فى كتبهم من نعت النبى صلى الله عليه وسلم من أنه يتحول إليها (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره ، وبالياء أى اليهود من إنكار أمر القبلة (وَلَئِنْ) لام قسم (أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ) على صدقك فى أمر القبلة (مَا تَبِعُوا) أى يتبعون (قِبْلَتَكَ) عناداً (وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ) قطع لطمعه فى إسلامهم وطمعهم فى عوده إليها (وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ) أى اليهود قبلة النصارى وبالعكس (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) التى يدعونك إليها (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) الوحى (إِنَّكَ إِذًا) إن اتبعتهم فرضاً (لَمِنَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ) أى محمداً (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) بنعته فى كتبهم قال ابن سلام لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ومعرفتى لمحمد أشد (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ) نعته (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) هذا الذى أنت عليه (الْحَقُّ)

فالكاف مفعول أول وقبلة مفعول ثان (قوله تحبها) أى بحسب الطبع وإلا فهو يحب أوامر الله مطلقا لكن إذا كانت موافقة للطبع كانت أحب وهذا وعد من الله له بما يحبه وفى قوله فول إنجاز له (قوله شطر) يطلق على الجهة وهو المراد هنا ويطلق على النصف ويطلق على البعد يقال شطر فلان بمعنى بعد (قوله أى الكعبة) أشار بذلك إلى أن المراد بالمسجد الحرام خصوص الكعبة ، ولما نزلت هذه الآية تحول لجهة الميزاب وهكذا قبلتنا بمصر فانها لجهته (قوله وحيثما) شرطية لاقترانها بما وكنتم فعل الشرط ، وقوله فولوا الخ جوابه وقرن بالفاء لأنه فعل طلبى ، وفى هذه الآية إشارة أخرى لحكمة النسخ وهى تطلعه لجهة السماء ومحبته للكعبة وتقدمت الحكمة الأولى كونها فتنة للناس ليتميز المؤمن من غيره (قوله خطاب للأمة) ودفع بذلك مايتوهم أنه من خصائصه عليه الصلاة والسلام (قوله فولوا وجوهكم) أى فى أى مكان وفى أى زمان (قوله وإن الذين أوتوا الكتاب) قيل المراد بهم اليهود لأنهم هم المعارضون له فى ذلك الوقت والكتاب هو التوراة ، وقيل اليهود والنصارى والكتاب هو التوراة والانجيل (قوله أى التولى إلى الكعبة) ويصح أنه عائد على النبى أو النسخ لأن كلا مذكور فى الآية والمآل واحد (قوله أيها المؤمنون) أى فيه تسلية للنبى عليه الصلاة والسلام ووعد حسن وبشرى (قوله وبالياء : أى اليهود) أى ففيه وعيد وزجر وتهديد وهما قراءتان سبعيتان (قوله ولئن أتيت) هذا أيضا تسلية للنبى وتيؤس من إيمانهم لأنهم ضلوا على علم فلا تنفع فيهم موعظة :

وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء

(قوله لام قسم) أى وإن حرف شرط وقوله أتيت فعل الشرط وقوله ماتبعوا جواب القسم ، وأما جواب الشرط فهو محذوف للقاعدة النحوية أنه إذا اجتمع شرط وقسم فانه يحذف جواب المتأخر منهما ، وأيضا قوله ماتبعوا لايصلح أن يكون جوابا للشرط كائنا لأنه فعل منفى بما فحقه دخول الفاء فيه (قوله قطع لطمعه فى إسلامهم) راجع لقوله ماتبعوا قبلتك وقوله وطمعهم الخ راجع لقوله وما أنت بتابع قبلتهم فهو لف ونشر مرتب . إن قلت كيف يطمعون فى عوده لبيت المقدس مع أنه مذكور فى كتبهم أنه لايرجع عن الكعبة بعد أن تحول إليها . قلت إن ذلك الطمع واقع من جهلتهم الذين لايعرفون فى التوراة شيئا (قوله أى اليهود قبلة النصارى) هذا مما يؤيد أن المراد بالذين أوتوا الكتاب اليهود والنصارى وقبلة اليهود بيت المقدس وقبلة النصارى مطلع الشمس وكانت باختراع منهم لزعم بولس القسيس أنه بعد رفع عيسى قال : لقيت عيسى عليه السلام فقال لى إن الشمس كوكب أحبه يبلغ سلامى فى كل يوم فمر قومى ليتوجهوا إليها فى صلاتهم ففعلوا ذلك (قوله إن اتبعتهم فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدير على حد لئن أشركت ليحبطن عملك ، وقيل الخطاب له ، والمراد غيره لمزيد الزجر (قوله كما يعرفون أبناءهم) ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر : أى كمعرفتهم أبناءهم والمشبه أقوى من المشبه به (قوله ومعرفتى لمحمد أشد) سئل عن ذلك فقال : لأن معرفتى بابنى ظنية لأنه يحتمل أن يكون من غيرى وأما معرفتى بمحمد فهى عن الله وأى خبر أصدق من خبر الله ؟

(قوله كائنا) أشار بذلك إلى أن قوله من ربك متعلق بمحذوف حال من الحق وهو خبر لمبتدا محذوف والأظهر أنه مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده أو مبتدأ والخبر محذوف تقديره يعرفونه وأل يحتمل أنها للعهد الذكرى أو الجنس أو الاستغراق (قوله الشاكين فيه) أى فى كونهم يعرفوى نعتك أوفى الحق (قوله فهو أبلغ من لاتمتر) أى لكون النهى عاما فيفيد أن الشك يضر كل من قام به ولكونه مؤكدا بالنون ولأن الكناية أبلغ من الحقيقة بخلاف لاتمتر فربما يتوهم أن الشك لا يضر إلاهو فقط ولم يكن مؤكدا (قوله ولكل وجهة) هذا كالنتيجة لما قبله كأنه قال فلما تفرقوا صار لكل وجهة (قوله قبلة) أشار بذلك إلى أن وجهة اسم للمكان فثبوت الواو قياسى وأما إن أريد بها المعنى المصدرى فثبوت الواو غير قياسى على حد عدة ورقة وإنما ثبتت الواو تنبيها على الأصل (قوله هو) أى الفريق المفهوم من الأمم لأن المراد بهم الفرق ولو عبر به لكان أوضح (قوله موليها) اسم فاعل فاعله ضمير يعود على الفريق والهاء مفعول أول وقول المفسر وجهه مفعول ثان (قوله وفى قراءة مولاها) أى بصيغة اسم المفعول فنائب الفاعل مفعول أول والهاء مفعول ثان والمعنى موجه إليها (قوله الخيرات) جمع خير بالتخفيف والتشديد أو جمع خيرة معناه الطاعة على كل (قوله أينما تكونوا) أين اسم شرط جازم يجزم فعلين تكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو فاعل ويأت جواب

الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها وبكم متعلق بيأت والله فاعل يأت وجميعا حال من الكاف فى بكم وقوله فيجازيكم يصح فيه الجزم والرفع والنصب ولكن الرسم يأبى الأول وإنما جازت الأوجه الثلاثة فيه لقول ابن مالك:

والفعل من بعد الجزا إن يقترن
بالفا أو الواو بتثليث قمن

والمعنى فى أى مكان تكونون فيه يجمعكم الله للحساب فيترتب عليه الجزاء (قوله إن الله على كل شئ قدير) هذا كالدليل لما قبله أى إنما كان ذلك لأنه قدير على كل شئ قال تعالى ـ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ـ (قوله ومن حيث خرجت الخ) حيث هنا ظرف مكان ومن للابتداء وجملة خرجت فى محل جر بإضافة حيث إليها وليست شرطية لأنها لاتكون كذلك إلا إذا اقترنت بما (قوله لسفر) ظاهره فرضا ونفلا ولكن السنة خصصت ذلك بالفريضة وأما النافلة فتجوز فى السفر لغير القبلة بشروط مذكورة فى الفقه (قوله شطر المسجد الحرام) أى جهة الكعبة (قوله وإنه) أى النسخ أو التولى للكعبة أو النبى (قوله للحق) أى جنسه أو المعهود وهو نعت النبى أو كل فرد من أفراده (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لبيان تساوى حكم السفر الخ) أشار بذلك لدفع مايتوهم أنه تكرار محض (قوله كرره للتأكيد) أى للتثبيت فى عقولهم لغرابة الحكم حينئذ لأنه أول ماورد من النسخ (قوله لئلا يكون للناس عليكم) هذا هو حكمة التولية أى إنما أمرناكم بالتولية لأجل انتفاء حجة الناس عليكم واللام هذه لام كى وأن مصدرية ولا نافية ويكون منصوب بأن وللناس خبرها مقدم وحجة اسمها مؤخر وعليكم حال من حجة لأنه نعت نكرة تقدم عليها (قوله أى لتنتفى الخ) هذا حل معنى لا حل إعراب ولو حله حل اعراب لقال لعدم كون حجة ثابتة للناس عليكم (قوله أى مجادلة) أى جدال فى الباطل واعتراض وليس المراد بها المجادلة فى الحق وإظهار حجته (قوله من قول اليهود) هذا بيان للمجادلة (قوله وقول المشركين) أى فقد زال ذلك وأما قولهم مازال محمد فى حيرة فباقية لم تزل (قوله فانهم يقولون) أى اليهود. والحاصل أن الحجج

كائناً (مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه أى من هذا النوع فهو أبلغ من لا تمتر (وَلِكُلٍّ) من الأمم (وِجْهَةٌ) قبلة (هُوَ مُوَلِّيهَا) وجهه فى صلاته وفى قراءة مولاها (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) بادروا إلى الطاعات وقبولها (أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً) يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ) لسفر (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء تقدم مثله وكرره لبيان تساوى حكم السفر وغيره (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) كرره للتأكيد (لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ) اليهود والمشركين (عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ) أى مجادلة فى التولى إلى غيره أى لتنتفى مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بالعناد فانهم يقولون ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه

أربع لليهود حجتان والمشركين كذلك أما حجة اليهود فهي ماله يصلى لقبلتنا ولايتبع ديننا وأما حجة المشركين فهي يدعى ملة إبراهيم ويخالف قبلته وهاتان الحجتان قد انقطعتا وبقيت حجة لكل أما حجة اليهود فقولهم ماتحول إليها إلا ميلا لدين الجاهلية وأما حجة المشركين فقولهم لم يزل محمد فى حيرة (قوله والاستثناء متصل) أى لأن ماقبله ظالمون أيضا (قوله تخافوا جدالهم) أى لأنهم لايقدرون على إيصال نفع ولادفع ضر (قوله عطف على لئلا يكون) أى فتحويل القبلة لحكم عظيمة الأولى تمييز المؤمن من غيره الثانية انقطاع الحجج الثالثة أتمام النعمة الرابعة الاهتداء . إن قلت إن مقتضى هذه الآية أن النعمة تمت الآن ومقتضى مايأتى فى سورة المائدة فى قوله تعالى ـ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ـ أنها لم تتم إلا حين نزولها وهو يوم عرفة فى حجة الوداع أجيب بأن النعمة مقولة بالتشكيك فالمراد بها هنا استقبال الأشرف الذى هو الكعبة والمراد بها هناك الدين (قوله منكم) هذه نعمة أخرى فوق أصل الارسال لأنه لو كان ملكا لما استطاعوه لأن علة الانضمام المجانسة (قوله القرآن) خصه من دون المعجزات لأنه باق إلى الآن (قوله يطهركم من الشرك) أى حتى صرتم عدولا تشهدون على الناس يوم القيامة ويصح أن يقال معنى يزكيكم يشهد لكم بالعدالة يوم القيامة (قوله ويعلمكم الكتاب) أى حتى حفظتم لفظه عن ظهر قلب لقوله فى «الحديث وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم» (قوله مافيه من الأحكام) أى المعانى التى لاتحصى قال على بن أبى طالب لو أردت أن أوقر من الفاتحة حمل سبعين بعيرا لفعلت ومن معناه ماقال الخواص مما منّ الله به على أن أعطانى مائة ألف علم وتسعة وتسعين ألفا من علوم الفاتحة (قوله ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) عطف عام على خاص (قوله ونحوه)

والاستثناء متصل والمعنى لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء (فَلَا تَخْشَوْهُمْ) تخافوا جدالهم فى التولى إليها (وَٱخْشَوْنِي) بأمتثال أمرى (وَلِأُتِمَّ) عطف على لئلا يكون (نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) بالهداية إلى معالم دينكم (وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى الحق (كَمَا أَرْسَلْنَا) متعلق بأتم أى إتماما كإتمامها بإرسالنا (فِيكُمْ رَسُولاً مِنكُمْ) محمداً صلى الله عليه وسلم (يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا) القرآن (وَيُزَكِّيكُمْ) يطهركم من الشرك (وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ) القرآن (وَالحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَيُعَلِّمُكُمْ مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ فَاذْكُرُونِي) بالصلاة والتسبيح ونحوه (أَذْكُرْكُمْ) قيل معناه أجازكم . وفى الحديث عن الله من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير من ملئه .

أى كالتهليل والتحميد والصلاة لأن الذكر إما باللسان أو بالجوارح أو بالجنان ولا شك أن الصلاة جامعة لكل ذكر فالقراءة والتكبير والتسبيح والدعاء ذكر لسانى والركوع والسجود ذكر بالجوارح والخشوع والخضوع والمراقبة ذكر قلبى (قوله أجازكم عليه) أى أثيبكم على ذكركم إياى (قوله (واشكروا عن الله) أى فهو حديث قدسى (قوله فى نفسه) أى خاليا وبعيدا عن الخلق (قوله ذكرته فى نفسى) أى أعطيه عطايا لايعلمها غيرى (قوله ومن ذكرنى فى ملأ) أى بين الناس (قوله ذكرته فى ملأ) أى أعطيه عطايا ظاهرة لعبادى وأظهر فضله لهم . إن قلت إن الانسان قد يذكر الله بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم كالصحابة فأى ملأ خير من النبى قلت أجيب بأن الشىء يشرف بما نسب إليه فان المجلس ينسب لكبيره وفرق بين حضرة الله وملائكته وبين حضرة النبى وأصحابه وأيضا كون النبى فى حضرة الله أشرف من نفسه فى حضرة أصحابه فمعنى قوله خير من ملئه ذكرته فى حضرة النبى والملائكة المقربين فى الملأ الأعلى ولاشك أن تلك الحضرة لايعد لها شىء أبدا والملأ بالقصر الجماعة الأشراف (قوله خير) بالجر صفة لملأ وقيل معنى اذكرونى بالتذلل أذكركم بالجلال أذكركم أكشف الحجب عنكم وأفيض عليكم رحمتى وإحسانى وأحبكم وأرفع ذكركم فى الملأ الأعلى لما فى الحديث ومن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا وفى الحديث أيضا إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل فقال له ياجبريل إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض وهذا من جملة الثمرات المعجلة وأما المؤجلة فرؤية وجه ربه الكريم ورفع الدرجات وغير ذلك وينبغى للانسان أن يذكر الله كثيرا لقوله تعالى ـ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ـ ولايلتفت لواش ولارقيب لقول السيد الحفنى خطابا للعارف بالله تعالى أستاذنا الشيخ الدردير :

يامبتغى طرق أهل الله والتسليك دع عنك أهل الهوى تسلم من التشكيك
إن اذكرونى لرد المعترض يكفيك فاجعل سلاف الجلالة دائما فى فيك

ولا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه فربما ذكر مع غفلة يجر لذكر مع حضور لأنهم شبهوا الذكر بقدح الزناد فلا يترك الانسان القدح لعدم إيقاده من أول مرة مثلا بل يكرر حتى يوقد فاذا ولع القلب نارت الأعضاء فلا يقدر الشيطان على وسوسته لقوله تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ـ وخفت العبادة على الأعضاء فلا يكون على الشخص كلفة فيها قال العارف إذا رفع الحجاب فلا ملاله بتكليف الإله ولا مشقة ويكفى الذاكر من الشرف قول الله تعالى فى الحديث القدسى «أنا جليس من ذكرنى» وقوله تعالى ـ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ـ وهل الأفضل الذكر مع الناس أو الذكر فى خلوة والحق التفصيل وهو إن كان الانسان ينشط وحده ولم يكن مدعوّا من الله لهداية الناس فالخلوة فى حقه أفضل و إلا فذكره مع الناس أفضل إما لينشط أو لتقتدى الناس به نسأل الله أن يجعلنا من أهل ذكره (قوله واشكروا لى) الحق أنه يتعدى بنفسه و باللام والمعنى واحد وهو من عطف الخاص على العام والنكتة فى ذلك بيان أعلى المقاصد فى الذكر فان المقاصد فى الذكر مختلفة فمن قصد بذكره الدنيا فقط فهو دنىء ومن قصد بذكره دخول الجنة والنجاة من النار فهو أعلى من الأول ومن قصد بذكره شكر الله على خلقه إياه و إنعامه عليه ولم يقصد غيره فهو من المقربين لما فى الحديث «أفلا أكون عبدا شكورا» (قوله ولا تكفرون) أى لأن حقيقة الشكر أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر فمعنى لا تكفرون لا تصرفوا نعمى فى غير ما خلقتها له (قوله على الطاعة) أى على دوامها سواء كانت الطاعة فعلا أو تركا (قوله والبلاء) أى المصائب فأقسام الصبر ثلاثة صبر على الطاعة بدوام فعلها وصبر عن المعصية بدوام تركها وصبر على البلاء بحمد الله وشكره عليها فيكون شاكرا على السراء والضراء وأعظمها الصبر عن المعاصى وأقل منه الصبر على الطاعة وأقل منهما الصبر على البلاء لأنه ورد أن الصابر على البلاء يرفعه الله ثلثمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرة والصابر على دوام الطاعة يرفعه الله ستمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرتين والصابر عن المعصية يرفعه الله تسعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ثلاث مرات (قوله إن الله مع الصابرين) خصهم و إن كان الله مع كل أحد لأن المراد معية مخصومة وهى العون والاغاثة وأما المعية مع كل أحد فمعية علم وقدرة يتصرف فيهم كيف شاء وأما الصابرون فهم المحبوبون لله لقوله فى الحديث «ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه» الحديث (قوله ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله) هذه الآية نزلت فى قتلى بدر وكان المقتول من المسلمين أربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار لما قال المشركون والمنافقون هؤلاء قد ماتوا وضيعوا على أنفسهم الحياة الدنيا ولذاتها وقد ادعوا أنهم ماتوا فى مرضاة محمد فنزلت هذه الآية (قوله هم أموات) أشار بذلك إلى أن أموات خبر لمبتدا محذوف والجملة فى محل نصب مقول القول والمعنى يحرم قول ذلك للشهيد لأنه ليس بموت حقيقة و إنما هو انتقال من دار الكدر إلى دار الصفا ومن دار الحزن إلى دار السرور (قوله لمن يقتل فى سبيل الله) أى وهم الشهداء وسموا بذلك لأن أرواحهم شهدت دار السلام عند خروجها من البدن أولأن الملائكة تشهد له بنصره لدين الاسلام (قوله بل هم أحياء) أى حياة أخروية بالجسم والروح ليست كحياة أهل الدنيا لا يشاهدها إلا أهل الآخرة ومن خصه الله بالاطلاع عليها وهذا هو التحقيق خلافا لمن قال إنهم أحياء بالروح فقط لأنه يردّ بأن كل إنسان حى الروح مسلما كان أو كافرا لعدم فناء الروح ولا مزية للشهيد على غيره وهذه الحياة حقيقية و إنما خروج روحه انتقال من دار إلى أخرى وهى مزية من مزايا الأنبياء فلا يقال إنهم ساووهم وحكمة عدم تغسيل الشهداء بقاء دمهم ليشهد لهم يوم القيامة لما فى الحديث «زملوهم بثيابهم اللون لون الدم والريح ريح المسك» وأما تغسيل الأنبياء فتعبدى أو للتشريع ولا تأكل الأرض أجساد الشهدا (قوله أرواحهم فى حواصل طيور الخ) أى فهى كالهودج لها وأما أرواح المؤمنين المطيعين غير الشهداء فتتنعم خارج الجنة بريحها ومأواها البرزخ وأما أرواح العصاة والكفار فهى مسجونة لا تصرف لها وأما أرواح الأنبياء فورد أنها تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش فى الجنة وأما أرواح صغار المؤمنين ففى الجنة فى كفالة إبراهيم وسارة

(وَٱشْكُرُوا لِي) نعمتى بالطاعة (وَلَا تَكْفُرُونِ) بالمعصية (يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱسْتَعِينُوا) على الآخرة (بِٱلصَّبْرِ) على الطاعة والبلاء (وَٱلصَّلَاةِ) خصها بالذكر لتكررها وعظمها (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ) بالعون (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) هم (أَمْوَاتٌ بَلْ) هم (أَحْيَاءٌ) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت لحديث بذلك (وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) تعلمون ما هم فيه

(وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ) للعدو (وَالْجُوعِ) القحط (وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ) بالهلاك (وَالْأَنْفُسِ) بالقتل والموت والأمراض (وَالثَّمَرَاتِ) بالجوائح أى لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) على البلاء بالجنة هم (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ) بلاء (قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ) ملكا وعبيداً يفعل بنا مايشاء (وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فى الآخرة فيجازينا ، فى الحديث «من استرجع عند المصيبة أجره الله فيها وأخلف عليه خيرا» وفيه «أن مصباح النبى صلى الله عليه وسلم طفىء فاسترجع فقالت عائشة إنما هذا مصباح فقال : كل ماساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود فى مراسيله (أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ) مغفرة (مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ) نعمة (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) إلى الصواب (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ) جبلان بمكة (مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه جمع شعيرة (فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ) أى تلبس بالحج أو العمرة وأصلهما القصد والزيارة (فَلَا جُنَاحَ) إثم (عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ) ،

(قوله ولنبلونكم) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لنبلونكم ونبلون جوابه واقترن باللام والنون لكونه مضارعا مثبتا مستقبلا والمعنى لنختبرنكم أيها المؤمنون لما فى الحديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أى ولو كان المؤمن فى غاية نعيمها والكافر فى أشد ضيقها (قوله القحط) هو فى الأصل تخلف المطر وهو سبب فى الجوع فقد فسر الشىء بسببه (قوله بالجوائح) أى الآفات المتلفة للزرع ونحوه (قوله أى لنختبرنكم) أى لنظهر ذلك للملائكة ولبعضكم فمن صبر فله الرضا ومن جزع فله السخط (قوله بالجنة) متعلق يبشر والمعنى بشرهم بالجنة من غير سابقة عذاب (قوله هم الذين) أشار بذلك إلى أن الذين خبر لمبتدإ محذوف واقع فى جواب سؤال مقدر قيل نعت مقطوع وقيل إن الذين نعت للصابرين وهو أحسنها وقيل منصوب على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح وقيل مبتدأ خبره قوله أولئك (قوله مصيبة) أى مصيبة كانت سواء كانت فقد مال أو نفس أو جوعا أو خوفا أو غير ذلك (قوله إنا لله) أى مملوكون ومخلوقون له يتصرف فينا على ما أراد وهذه الجملة من خصائص هذه الأمة ولو كانت لغيرهم لكانت ليعقوب حين فقد يوسف فقال يا أسفا (قوله وإنا إليه راجعون) أى صائرون (قوله من استرجع) أى قال إنا لله وإنا إليه راجعون (قوله أجره الله فيها) أى بسببها وفى المصباح أجره الله أجرا من بابى ضرب وقتل وآجره بالمد لغة ثالثة إذا أثابه (قوله وأخلف عليه خيرا) أى منها إما فى الآخرة فقط أوفيها وفى الدنيا فمن رضى بأحكام الله وصبر على ما أصابه فله الرضا من الله ولكل مصيبة دواء إلا الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى قال بعضهم :

لكل شىء إذا فارقته عوض
وليس لله إن فارقت من عوض

(قوله إنما هذا مصباح) أى شىء قليل (قوله صلوات) جمع صلاة وهى المغفرة كما فسرها بذلك المفسر وجمعها إشارة إلى أنه لايبقى عليهم ذنوب أبدا بل عليهم مغفرة متكررة (قوله نعمة) دفع بذلك مايقال فيه إن الصلاة هى الرحمة فعطف الرحمة عليها مرادف فما حكمة التكرار فأجاب المفسر بمنع ذلك وأن العطف مغاير فالصلاة محو الذنوب والرحمة العطايا فهو من باب التحلية بعد التخلية وقد ورد إطلاق الصلاة على المغفرة فى الحديث «اللهم صل على آل أبى أوفى» أى اغفرلهم وفى الحديث أيضا «إن الملائكة لتصلى على أحدكم مادام فى مصلاه تقول اللهم اغفر له اللهم اغفر له» وقيل إن الصلاة بمعنى الرحمة والعطف مرادف وحكمة التكرار الاشارة لتوالى الرحمات والنعم وارتضاعليه حيث رضى بأحكام سيده وحبس نفسه على ماتكره (قوله وأولئك هم المهتدون) أى الكاملون فى الهدى فان الرضا عن الله فى كل حال من علامات الهدى الكامل (قوله إن الصفا) جمع صفاة اسم للحجر الأملس والمراد هنا الجبل المعروف الذى يبتدأ السعى منه (قوله والمروة) فى الأصل اسم للمكان الرخو والمراد هنا الجبل الذى ينتهى السعى إليه (قوله جبلان بمكة) أى بجوار المسجد الحرام (قوله من شعائر الله) أى من أمور دين الله التى تعبدنا بها فمن أنكر كون السعى من أمور الدين فقد كفر (قوله فمن حج البيت) الحج فى اللغة القصد واصطلاحا عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعا وسعى بين الصفا والمروة كذلك ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذى الحجة على وجه مخصوص (قوله أو اعتمر) العمرة فى اللغة الزيارة واصطلاحا عبادة يلزمها طواف وسعى على وجه مخصوص (قوله وأصلهما القصد الخ) لف ونشر مرتب

فيه إدغام التاء فى الأصل فى الطاء (بِهِمَا) بأن يسعى بينهما سبعاً . نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما . وعن ابن عباس أن السعى غير فرض لما أفاده رفع الأثم من التخيير . وقال الشافعى وغيره ركن و بين صلى الله عليه وسلم فرضيته بقوله «إن الله كتب عليكم السعى» رواه البيهقى وغيره وقال «أبدءوا بما بدأ الله به » يعنى الصفا . رواه مسلم (وَمَنْ تَطَوَّعَ) وفى قراءة بالتحتية وتشديد الطاء مجزوما وفيه إدغام التاء فيها (خَيْرًا) أى بخير أى عمل مالم يجب عليه من طواف وغيره (فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ) لعمله بالاثابة عليه (عَلِيمٌ) به . ونزل فى اليهود (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ) الناس (مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى) كآية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ) التوراة (أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ) يبعدهم من رحمته (وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) الملائكة والمؤمنون أو كل شىء بالدعاء عليهم باللعنة (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) رجعوا عن ذلك (وَأَصْلَحُوا) عملهم (وَبَيَّنُوا) ما كتموا ،

(قوله فيه إدغام التاء فى الأصل) أى فأصله يتطوف قلبت التاء طاء ثم أدغمت فى الطاء **(قوله لما كره المسلمون)** أى حين كرهوا ذلك (قوله وعليهما صنمان) أحدهما يسمى إسافا والثانى يسمى نائلة . قيل كانا على صورة رجل وامرأة وذلك أن رجلا اسمه إساف وامرأة اسمها نائلة زنيا فى الكعبة فمسخهما الله حجرين على صورتهما الأصلية فلما تقادم الزمان عبدتهما الجاهلية فلما جاء الاسلام أبطل ذلك ونسخه (قوله غير فرض) أى ووافقه على ذلك ابن حنبل (قوله من التخيير) ليس المراد أنه مباح بل هو مطلوب بدليل ضم أول الآية لآخرها (قوله وغيره) أى وهو مالك (قوله إن الله كتب عليكم السعى) تمامه فاسعوا ، وأصل الحديث « اسعوا فان الله كتب عليكم السعى » فتحصل أن الآية ليست صريحة فى الفرضية ولا فى الوجوب وإنما أخذ ذلك من السنة (قوله وفيه إدغام التاء) أى بعد قلبها طاء (قوله أى بخير) أشار بذلك إلى أن خيرا منصوب بنزع الخافض (قوله من طواف وغيره) أى كسعى فى حج أو عمرة أو طواف مطلقا لأن عبادة الطواف لاتقيد بالنسك بخلاف السعى (قوله فإن الله شاكر) هذا دليل الجواب وليس هو الجواب بل هو محذوف تقديره شكره الله لأن الله شاكر عليم ، والشكر فى الأصل مجازاة أصحاب الحقوق عليها وليس ذلك مرادا فى حق مولانا و إنما المراد عاملناه معاملة الشاكر بأنه ألزم نفسه الجزاء من فضله لأنه كريم واسع العطاء (قوله ونزل فى اليهود) أى فى أحبارهم ككعب بن الأشرف

ومالك بن الصيف وعبد الله بن صوريا (قوله الناس) قدّره المفسر إشارة إلى أنه مفعول يكتمون الثانى والمعنى يكتمون الحق عن الناس بحيث يظهرون الباطل و يخفون الحق من نعت محمد وغيره (قوله ما أنزلنا) أى الشىء أو الذى أنزلناه وقوله من البينات بيان لما والمراد بالبينات الآيات الواضحات التى من أذعن لها فقد اهتدى وعطف الهدى عليها للتفسير (قوله كآية الرجم) أى الكائنة فى التوراة وهى أن من زنى يرجم فمحوها وقالوا لم يكن ذلك عندنا فحصل منهم التكذيب لنبيهم (قوله ونعت محمد) أى صفاته وأخلاقه من مولده إلى انتهاء أجله وهذان مثالان للبينات والهدى معا لأن بالآيات يحصل الهدى (قوله للناس) أى عموما (قوله أولئك) مبتدأ وجملة يلعنهم الله خبره وأتى باشارة البعيد إشارة لبعدهم عن رحمة الله (قوله والمؤمنون) أى من غيرهم كالإنس والجن (قوله أو كل شىء) أى حتى الجمادات والحيتان فى البحر ويشهد له الحديث « العاصى يلعنه كل شىء حتى الحيتان فى البحر » وأو لتنويع الخلاف ثم إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعيد و إن كان واردا فى شىء خاص إلا أنه لكل من كتم علما ومنه شاهد الزور والمفتى بغير الحق (قوله إلا الذين) استثناء متصل أفاد به أن اللعنة معلقة (قوله رجعوا عن ذلك) أى الكتمان بأن أنصفوا من أنفسهم وأسلموا فهذا الوعيد خاص بمن مات كافرا . وأما من مات مؤمنا ولو عاصيا فليس له هذا الوعيد ولا يجوز الدعاء باللعنة على المعين ولو كافرا إلا أن يثبت موته على الكفر . وأما غير المعين فيجوز على الكافر والعاصى (قوله وأصلحوا عملهم) أى فى المستقبل كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله ما كتموا) أى من البينات والهدى ويحتمل أن قوله تعالى ـ وبينوا ـ أى التوبة .

(قوله فأولئك) أتى باشارة البعيد إشارة رفعة رتبتهم عن رتبة غيرهم على حد ذلك الكتاب (قوله وأنا التواب) أى الكثير القبول لتوبة من تاب، والجملة حالية من فاعل أتوب (قوله بالمؤمنين) أى ولو عصاة والمراد من مات مسلما (قوله إن الذين كفروا) أى أحبارا أوغيرهم وقوله وماتوا وهم كفار أى استمروا على الكفر حتى ماتوا عليه (قوله أى هم مستحقون ذلك) أشار بذلك لدفع التكرار، ثم قال المراد باللعنة الأولى حصولها بالفعل و بالثانية استحقاقها وفي الحقيقة لا تكرار لأن ماتقدم في الكفار من أحبار اليهود وهذا في الكفار عموما (قوله قيل عام) أى حتى الكفار لأنه يلعن بعضهم بعضا (قوله وقيل المؤمنون) أى من الانس والجن والملائكة (قوله أى اللعنة) أى ويلزم من خلوده في اللعنة خلوده في النار (قوله المدلول بها) أى باللعنة وقوله عليها أى النار (قوله طرفة) أى مقدار تغميض العين وفتحها العادى (قوله يمهلون) أشار بذلك إلى أنه من الانظار بمعنى الامهال والتأخير قال تعالى ـ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ـ أجارنا الله والمسلمين من النار (قوله ونزل) أى بمكة لأن هذه الآية ومابعدها مكية و إن كانت السورة مدنية (قوله لما قالوا) أى مشركو العرب وكانوا إذ ذاك يعبدون ثلثمائة وستين صنما حول الكعبة ونزلت سورة الاخلاص أيضا ردا عليهم (قوله و إلهكم) مبتدأ و إله خبره وواحد صفته وهو محط الفائدة على حد مررت بزيد رجلا صالحا فهى كالحال الموطئة وقوله لا إله إلا هو خبر ثان مؤكد لما قبله لقصد الايضاح (قوله لا نظير له الخ) فيه نفى الكموم الخمسة وتوضيحه أن قوله لا نظير له فى ذاته أى أن ذاته ليست مركبة من أجزاء وليس لأحد ذات كذاته ولا فى صفاته أى ليست صفاته متعددة من جنس واحد بمعنى أنه ليس له علمان ولا سمعان إلى آخرها وليس لأحد صفة كصفات مولانا، فهذه أربعة

كموم متصلان فى الذات والصفات ومنفصلان فيهما والخامس المنفصل فى الأفعال بمعنى أنه ليس لأحد فعل مع الله. وأما المتصل فيها فهو ثابت لا ينفى لأن أفعاله على حسب شئونه فى خلقه (قوله لا إله إلا هو) أى لامعبود بحق موجود إلا هو أى إلهكم وفى الكلام تغليظ لهم و إعرابه لا نافية للجنس بالذهاب تعمل عمل إن إله اسمها مبنى على الفتح فى محل نصب والخبر محذوف تقديره موجود و إلا أداة حصر وهو ضمير منفصل بدل من الضمير المستتر فى الخبر والتقدير لا إله موجود هو إلا هو وقوله الرحمن الرحيم خبر ثالث، والمقصود من تعداد الأخبار إيضاح أمر الاله لهم وتبكيت لهم لالزامهم الحجة وهذه طريقة ومشى المفسر على أن الرحمن الرحيم خبر لمبتدإ محذوف وكل صحيح (قوله وطلبوا آية) أى دليلا على ماتقدم من الدعاوى فان قوله و إلهكم إله واحد دعوى أولى وقوله لا إله إلا هو دعوى ثانية وقوله الرحمن الرحيم دعوى ثالثة (قوله فنزل إن فى خلق السموات) أى إلى قوله لآيات وهى ثمانية أشياء فى كل شىء منها آيات فهو إجابة للمطلوب وزيادة: وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد، و إن حرف توكيد ونصب وفى خلق السموات جار ومجرور خبر مقدم ولآيات اسمها مؤخر وحذفه من الأول لدلالة الأخير عليه كأنه قال واختلاف الليل والنهار لآيات والفلك التى تجرى فى البحر لآيات وهكذا وقوله فى خلق أطلق المصدر وأراد اسم المفعول أى مخلوق هو السموات والأرض وقد جعل الخازن السماء مع الأرض شيئا واحدا من ثمانية أشياء وقوله بما ينفع الناس شئ مستقل (قوله ومافيهما من العجائب) أى فعجائب السموات رفعها بلا عمد وكون الشمس فى السماء الرابعة مع إضاءتها لأهل الأرض ونفعها لهم النفع التام و إضاءة النجوم لأهل الأرض واهتداؤهم بها مع كونها ثوابت فى العرش وهكذا، وعجائب الأرض مدها و بسطها وتثبيتها بالجبال الرواسى وهكذا قال تعالى ـ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ـ وأفرد الأرض ولم يجمعها كالسموات لاتحاد جنسها وهو الماء والتراب واختلاف جنس السموات.

(فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ) أقبل توبتهم (وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) بالمؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ) حال (أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) أى هم مستحقون ذلك فى الدنيا والآخرة والناس قيل عام وقيل المؤمنون (خَالِدِينَ فِيهَا) أى اللعنة أو النار المدلول بها عليها (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ) طرفة عين (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة. ونزل لما قالوا صف لنا ربك (وَإِلَهُكُمْ) المستحق للعبادة منكم (إِلَهٌ وَاحِدٌ) لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) هو (الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) وطلبوا آية على ذلك فنزل (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومافيهما من العجائب (وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)

(قوله بالذهاب والمجىء) أشار بذلك إلى وجه اختلافهما ، ومن جملة عجائب الليل كونه مقمرا أومظلما وكونه طويلا على أناس دون غيرهم ، ومن جملة عجائب النهار طوله على أناس دون غيرهم فقد يكون الفجر عند قوم هوالعصر عند آخرين وغير ذلك وقدم الليل على النهار لأنه سابقه على الأصح لأن الظلمة سابقة على النور ، وقيل بسبق النهار ، و ينبنى على هذا الخلاف فائدة وهى أن الليلة تابعة لليوم قبلها أولليوم بعدها ، فعلى الصحيح تكون الليلة تابعة لليوم بعدها وعلى مقابله تكون تابعة لليوم قبلها فيوم عرفة مستثنى على القول الأول لأنه تابع لليلة بعده ، ولايرد قوله تعالى ـ ولا الليل سابق النهار ـ لأن المعنى ليس الليل يسبق النهار بحيث يأتى قبل انقضاء النهار بل كل يلزم الحد الذى حده الله له (قوله والفلك) يستعمل مفردا وجمعا بوزن واحد والتغاير بالوصف، يقال فلك مشحونة وفلك مشحونات (قوله التى تجرى فى البحر) أى يسيرها الله بالريح مقبلة ومدبرة ، قال تعالى ـ ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام (قوله ولا ترسب) أى لا تسقط لأسفل (قوله موقرة) أى حاملة للأثقال أشار به إلى أن قوله بما ينفع الناس متعلق بمحذوف هو الشىء الرابع (قوله بما ينفع الناس) أى ومن جملة منافعهم اتصال الأقطار بعضها ببعض من حيث انتفاعهم بما فى القطر الآخر من الزروع وغيرها فلولا تسخير السفن لاستقل كل قطر بما فيه وضاق على الناس معاشهم (قوله من السماء من ماء) من الأولى ابتدائية والثانية يصح أن تكون بيانية أوللتبعيض (قوله فأحيا به الأرض) أى أظهر مافيها من النضارة والبهجة . قال تعالى ـ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير ـ (قوله لأنهم ينمون بالخصب) أى فاذا كثر الرعى شبعت البهائم فيأتى منها النسل و إذا كثرت الأقوات شبعت الناس فتأتى منهم الذرية (قوله وشمالا) هى ماجاءت من جهة القطب والجنوب ماقابلتها والصبا ماجاءت من مطلع الشمس والدبور ما قابلتها (قوله حارة و باردة) أى وتأتى بالخير والشر ، ففى الحديث « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » . والحاصل أن الريح تنقسم إلى قسمين : رحمة وعذاب ، ثم إن كل قسم ينقسم إلى أربعة أقسام ولكل قسم اسم ، فأسماء أقسام الرحمة المبشرات والنشر والمرسلات والرخاء ، وأسماء أقسام العذاب العاصف والقاصف وهما فى البحر والعقيم والصرصر وهما فى البر ، وقد جاء فى القرآن بكل هذه الأسماء وقد نزل الأطباء كل ريح على طبيعة من الطبائع الأربع فطبع الصبا الحرارة واليبس وتسميها أهل مصر الشرقية لأن مهبها من الشرق وتسمى قبولا لاستقبالها وجه الكعبة ، وطبع الدبور البرد والرطوبة و يسميها أهل مصر الغربية لأن مهبها من الغرب وهى تأتى من دبر الكعبة ، وطبع الشمال البرد واليبس وتسمى البحرية لأنها يسار بها فى البحر على كل حال وقلماتهب ليلا ، وطبع الجنوب الحرارة وتسمى القبلية لأن مهبها من مقابلة القطب وهى عن يمين مستقبل المشرق وتسميها أهل مصر المريسية ، وهى من عيوب مصر المعدودة فانها إذا هبت عليهم سبع ليال استعدوا للأكفان (قوله والسحاب) أصله طرح شجرة فى الجنة جعله الله محمولا للريح يسير حيث شاء الله فسيره أعجب من سير المراكب على ظهر البحر (قوله بلا علاقة) أى بلاشىء يتعلق به و يحفظه من السقوط (قوله يتدبرون) أى يتفكرون و يتأملون فى عجائب قدرته فيعلمون أنه القادر على كل شىء ، فهذا الدليل من تمسك به وأتقنه كفاه فى عقائد إيمانه ، وأما المقلد فهو من لم يحضر العلماء ولم يجالس بين أيديهم ولايعرف الأرض من السماء كالبهائم (قوله ومن الناس) هذه الآية وردت لاستعظام ماوقع من بعض بنى آدم من الكفر بعد ثبوت البراهين القطعية كأن الله يقول اعجبوا لكفر بعض العبيد مع ثبوت الأدلة على وحدانيته تعالى والجار والمجرور خبر مقدم ومن يتخذ مبتدأ مؤخر وهواسم موصول وما بعده صلته أونكرة موصوفة وما بعده صفة (قوله من دون الله) هى فى الأصل ظرف مكان للمكان الأدنى يقال جلس فلان فى مكان دون مكان زيد يعنى أدنى منه ، ثم

بالذهاب والمجىء والزيادة والنقصان ﴿ وَالْفُلْكِ ﴾ السفن ﴿ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ من التجارات والحمل ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ ﴾ مطر ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ ﴾ بالنبات ﴿ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ يبسها ﴿ وَبَثَّ ﴾ فرق ونشر به ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ تقليبها جنوبا وشمالا حارة وباردة ﴿ وَالسَّحَابِ ﴾ الغيم ﴿ الْمُسَخَّرِ ﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ بلا علاقة ﴿ لَآيَاتٍ ﴾ دالات على وحدانيته تعالى ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يتدبرون ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أى غيره ،

(أَندَادًا) أصناما (يُحِبُّونَهُمْ) بالتعظيم والخضوع (كَحُبِّ اللَّهِ) أى كحبهم له (وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) من حبهم للأنداد لأنهم لايعدلون عنه بحال ما والكفار يعدلون فى الشدة إلى الله (وَلَوْ تَرَى) تبصر يامحمد (الَّذِينَ ظَلَمُوا) باتخاذ الأنداد (إِذْ يَرَوْنَ) بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون (الْعَذَابَ) لرأيت أمرا عظيما وإذ بمعنى إذا (أَنَّ) أى لأن (الْقُوَّةَ) القدرة والغلبة (لِلَّهِ جَمِيعًا) حال (وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) وفى قراءة يرى بالتحتانية والفاعل قيل ضمير السامع وقيل الذين ظلموا فهى بمعنى يعلم وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا فى الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له هو يوم القيامة لما اتخذوا من دونه أندادا (إِذْ) بدل من إذ قبله (تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا) أى الرؤساء (مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا) أى أنكروا إضلالهم (وَ) قد (رَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ) عطف على تبرأ (بِهِمُ) عنهم (الْأَسْبَابُ) الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا ،

أطلق المدون وأريد الغيرية من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم لكن صار حقيقة عرفية فى الغير (قوله أندادا) مفعول يتخذ وقوله يحبونهم صفة لأندادا وفاعل يحبونهم عائد على من باعتبار المعنى وأفرد فى يتخذ مراعاة للفظ (قوله أى كحبهم له) أى كحب المشركين لله فقد سووا فى المحبة بين الله والأنداد ، ويحتمل أن المعنى كحب المؤمنين لله فمحبة المشركين للأصنام كمحبة المؤمنين لله وهو الأقرب. واستشكل الأول بأنه لايتأتى من عاقل التسوية فى المحبة بين من يخلق ومن لايخلق. أجاب المفسر بأن المراد بالحب التعظيم والخضوع وليس المراد الحب الحقيقى فان كل إنسان جبل على محبة خالقه (قوله أشد حبا لله) أى فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله ، وأما محبة مثل الأنبياء والأولياء فمن المحبة لله . إن قلت إن الكفار كذلك يحبون الأنداد ليقربوهم إلى الله زلفى فيقتضى أنها أيضا من المحبة لله . أجيب بأنهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة والعبادة فلايعبد إلا الله لاغيره بخلاف المحبة من أجل كون ذلك المحبوب مقربا مثلا من الله كالأنبياء والأولياء ولذلك من عبدهم فقد كفر (قوله لأنهم لايعدلون عنه بحال) أى فهذا وجه الأشدية . وحاصل ماقرره المفسر أن المشركين سووا الأنداد فى المحبة بالله، والمؤمنين انفردوا بمحبة الله ومع ذلك فهى أشد من محبة المشركين للأنداد ، وقرر غيره أن قوله تعالى - أشد حبا لله - أى من جهة أن المحبة من الطرفين فالمؤمنون يحبون الله ويحبهم الله ، وأما المشركون فلايخلو إما أن يكون معبودهم عاقلا أم لا فالأول يلعنهم ولا يحبهم والثانى لايوصف بحب ولا بغض على أنه يصير حصبا لهم فى نار جهنم يعذبون به فمحبة الله للعبد سابقة على محبة العبد لله لأن الله هو الخالق للخير والهدى فى القلوب فحيث خلق الله فى قلب الشخص النور والهدى والمحبة وفق العبد للرضا عنه ومحبته له وامتثاله أمره ونهيه ، ولذا قال بعض العارفين :

أيها المعرض عنا ... إن إعراضك منا

لو أردناك جعلنا ... كل ما فيك يردنا

وإنما قال أشد حبا ولم يقل أحب لأن اسم التفضيل لايصاغ من الفعل المبنى للمجهول وحيث اختل منه شرط توصل له بأشد أو أشدد (قوله الذين ظلموا) أظهر فى محل الاضمار زيادة فى التشنيع عليهم والمراد بالظلم الكفر (قوله باتخاذ الأنداد) الباء للسببية ومفعول ظلموا محذوف تقديره أنفسهم (قوله يبصرون) على القراءة الأولى هو بضم الياء مع سكون الباء وكسر الصاد وعلى الثانية بضم الياء وفتح الباء مع تشديد الصاد (قوله العذاب) مفعول لقوله يرون (قوله لرأيت أمرا عظيما) هذا هو جواب لو الشرطية (قوله وإذ بمعنى إذا) جواب عن سؤال وهو أن إذ ظرف للماضى ورؤية العذاب مستقبلة فالمحل لإذا ، فأجاب بذلك أو أنه نزل المستقبل منزلة الماضى لتحقق حصول (قوله أى لأن) أشار بذلك إلى أنه علة لجواب لو أى رأيت أمرا عظيما لكون القوة جميعها لله فلا تخش من إمهالهم الفوات والهروب (قوله وأن الله شديد العذاب) هذا لدفع توهم الكافر أنه وإن كانت له القوة جميعا يمكن أن يسامح فى ذلك فقال أن لله شديد العذاب (قوله قيل ضمير السامع) أى والذين ظلموا مفعوله والجواب محذوف تقديره لرأى أمرا فظيعا (قوله فهى بمعنى يعلم) أى فتنصب مفعولين (قوله وأن) أى الأولى (قوله سدت مسد المفعولين) أى فهذا موجب فتحها ويوجب فتحها أيضا تأويلها بمصدر (قوله والمعنى) أى على هذا الوجه الأخير (قوله وقت معاينتهم) هذا تفسير لإذ (قوله لما اتخذوا) هذا هو جواب الشرط (قوله أى الرؤساء) أى كفرعون والنمرود وعبد الله ابن سلول وحيى بن اخطب وغيرهم (قوله أى أنكروا إضلالهم) أى قالوا يا ربنا لم نضل هؤلاء بل ضلوا فى أنفسهم وكفروا بإرادتهم (قوله عنهم) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى عن على حد فاسئل به خبيرا .

(قوله من الأرحام) قال تعالى ـ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ـ (قوله ونتبرأ جوابه) أى فهو منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية (قوله كذلك) أى يتحاجون ولاتنفعهم المحاجة (قوله وتبرأ بعضهم) معطوف على أراهم أى مثل ما أراهم شدّة العذاب ومثل ماتبرأ بعضهم يريهم (قوله أعمالهم) أى جزاءها (قوله حال) أى من أعمالهم (قوله ندامات) جمع ندامة (قوله ونزل فيمن حرم السوائب) أى وهم قبائل من العرب حرموا أمورا لم يرد تحريمها من الشرع. والسوائب جمع سائبة والمراد بها فى عرف الجاهلية الناقة أو البعير المنذورة للصنم كأن يقول الواحد منهم إن قدمت من سفرى فناقتى أو بعيرى سائبة للأصنام فتصير لاملك لأحد عليها ولا تؤكل وإن ذكيت (قوله ونحوها) أى كالبحيرة والوصيلة والحام فالبحيرة هى المنذورة اللبن للأصنام والوصيلة هى التى تبكر بالأنثى ثم تتبعها بالأنثى فان الأم صارت عتيقة الأصنام لايحمل عليها ولايؤكل لبنها ولالحمها والحام فحل الابل يضرب مدة فى الابل معلومة فاذا استوفاها صار عتيقا للأصنام وسيأتى إيضاح ذلك (قوله ياأيها الناس) هذا خطاب لأهل مكة ولاينافيه كون السورة مدنية فان ذلك من حيث النزول (قوله مما فى الأرض) من للتبعيض لأن بعض مافى الأرض لايجوز أكله كالحجارة والخنزير وما ورد تحريمه (قوله صفة مؤكدة) أى فمعنى الطيب الحلال وقوله أى مستلذا أى لنفس المؤمن وهو ماعدا الحرام هكذا فى نسخة وفى نسخة أخرى أو مستلذا وهى أولى فعليها هو صفة مخصصة فان الحلال بعضه غير مستلذ كالصبر والمرّ وبعضه مستلذ كالسمن والعسل. والحاصل أنه إن أريد بالمستلذ الشرعى وهو ماعدا الحرام فالصفة مؤكدة ويناسبها نسخة أى مستلذا وإن أريد به المستلذ الطبعى أى الذى لايمجه الطبع فالصفة مخصصة ويناسبها نسخة أو مستلذا (قوله خطوات) بسكون الطاء وضمها قراءتان سبعيتان وقرأ أبو السماك بفتح الخاء والطاء (قوله أى تزيينه) أى فأطلق الخطوات التى هى ما بين القدمين وأراد التزيين والجامع بينهما الاتباع فى كلّ (قوله إنه لكم عدو) هذا علة للنهى عن اتباع تزيينه (قوله بين العداوة) أى للصالحين وأما غيرهم فلا تظهر عداوته لمصاحبتهم له ويقرب ذلك البيت الذى فيه النور فانه يبين فيه كلّ مؤذ بخلاف غيره (قوله إنما يأمركم بالسوء) هذا كالعلة لقوله ـ إنه لكم عدو مبين ـ والسوء اسم جامع لما يغضب الله كان فيه حدّ أولا سمى بذلك لأنه يسوء صاحبه فعطف الفحشاء عليه من عطف الخاصّ على العام لأن المراد بها الكبائر وكلام المفسر يفيد أن السوء والفحشاء مترادفان وكل صحيح (قوله وأن تقولوا) معطوف على السوء أى وقولكم على الله (قوله من تحريم ما لم يحرم) أى كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقوله وغيره أى كاتخاذ أنداد غير الله (قوله من التوحيد) أى فلاتعبدوا إلا الله ولاتشركوا به شيئا (قوله وتحليل الطيبات) أى كالبحائر والسوائب والوصيلة والحام وهو لف ونشر مرتب فان قوله من التوحيد راجع لقوله ـ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ـ وقوله وتحليل الطيبات راجع لقوله ـ يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ـ (قوله قالوا لا) أى لانتبع ما أنزل الله وقوله بل نتبع بل للاضراب الابطالى وهو معطوف على جملة محذوفة أشار لها المفسر بتقدير لا وقيل كل إضراب فى القرآن انتقالى أى يفيد الانتقال من قصة إلى قصة إلا هذه وإلا بل فى قوله تعالى ـ أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك ـ فمحتمل للأمرين فان اعتبرت قوله أم يقولون افتراه كان انتقاليا وإن اعتبرت افتراه وحده كان إبطاليا (قوله وجدنا) إن كانت وجد بمعنى أصاب نصبت مفعولا واحدا وهو آباءنا وقوله عليه ظرف لغو متعلق بألفينا وإن كانت بمعنى علم نصبت مفعولين عليه وآباءنا (قوله من عبادة الأصنام) راجع للفريق الأول وقوله

من الأرحام والمودة (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ) أى المتبوعين (كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا) اليوم ولو للتمنى ونتبرأ جوابه (كَذَلِكَ) أى كما أراهم شدة عذابه وتبرأ بعضهم من بعض (يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ) السيئة (حَسَرَاتٍ) حال ندامات (عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) بعد دخولها. ونزل فيمن حرم السوائب ونحوها (يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا) حال (طَيِّبًا) صفة مؤكدة أى مستلذا (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ) طرق (الشَّيْطَانِ) أى تزيينه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ) الإثم (وَالْفَحْشَاءِ) القبيح شرعا (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من تحريم مالم يحرم وغيره (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ) أى الكفار (اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ) من التوحيد وتحليل الطيبات (قَالُوا) لا (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا) وجدنا (عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر. قال تعالى:

وتحريم السوائب الخ راجع للفريق الثانى فهو لف ونشر مرتب (قوله أيتبعونهم) أشار بذلك إلى أن الهمزة للانكار داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والجملة حالية فالواو للحال أيضا (قوله ولوكان آباؤهم لايعقلون شيئا) أى فهم تابعون لهم سواء ظهر لهم عقل آبائهم وهداهم أو شكوا فى ذلك بل ولو ظهر لهم عدم عقلهم وعدم هداهم (قوله والهمزة للانكار) أى والتوبيخ والتعجب، والمعنى لايليق منكم ذلك (قوله ومثل الذين كفروا) أى المدعوين وقوله ومن يدعوهم أى كالأنبياء فقد حذف الداعى من هنا وذكر مايدل عليه بقوله كمثل الذى ينعق والمعنى أن مثل الكفار فى عدم سماع المواعظ والآيات والبراهين القطعية ومثل داعيهم وهو النبى فى تكرار الواعظ والآيات كمثل راع يرشد البهائم الوحشية بصوته إلى مصالحها فكما أن البهائم الوحشية لاينفع فيها الصوت ولاتفهمه ولاتعقل معناه بل لايرشدها إلا الضرب مثلا كذلك الكفار لاتنفع فيهم الواعظ والآيات بل جزاؤهم فى الدنيا السيف وفى الآخرة النار وعذابها (قوله بما لايسمع) الباء بمعنى على (قوله ونداء) عطف مرادف (قوله كالبهائم) أى الوحشية وإلا فالإنسية ربما تسمع صوت راعيها وتنزجر به (قوله هم صم) أشار بذلك إلى أن صم وما عطف عليه خبر لمبتدإ محذوف وقوله صم: أى لايسمعون المواعظ ولا ينزجرون بها وقوله بكم أى لاينطقون بالحق وقوله عمى أى لاينظرون الهدى ولا يتبعونه وإن كانت صورة الحواس موجودة (قوله فهم لايعقلون) نتيجة ماقبله.

[تنبيه] ماحل به المفسر هذه الآية هو أظهر التفاسير لأنهم اختلفوا فى ذلك فمنهم من قال مثل ما قال المفسر ومنهم من قال إن المثل مضروب لتشبيه الكافر فى دعائه للأصنام بالناعق على البهائم ومنهم من قال غير ذلك (قوله

(أ) يتبعونهم (وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا) من أمر الدين (وَلَا يَهْتَدُونَ) إلى حق والهمزة للإنكار (وَمَثَلُ) صفة (الَّذِينَ كَفَرُوا) ومن يدعوهم إلى الهدى (كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ) يصوت (بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً) أى صوتاً ولا يفهم معناه أى هم فى سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه، هم (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) الموعظة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ) حلالات (مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ) على ما أحل لكم (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ) أى أكلها إذ الكلام فيه وكذا مابعدها وهى مالم يذك شرعاً وألحق بها بالسنة ما أبين من حى وخص منها السمك والجراد (وَالدَّمَ)،

يأيها الذين آمنوا) جرت عادة الله فى كتابه غالبا مناداة أهل مكة بيأيها الناس ومناداة أهل المدينة بيأيها الذين آمنوا (قوله حلالات) أى مستلذة كانت أولا أو المراد المستلذات وتقدم ذلك ويطلق الطيب فى غير المأكولات على الطاهر قال تعالى - فتيمموا صعيدا طيبا - وقوله من طيبات أى من تبعيضية فى موضع المفعول والأمر للوجوب بالنسبة لاقامة البنية وللندب بالنسبة للاستعانة على أمور مندوبة وللاباحة إن كان تفكها أوتبسطا (قوله مارزقناكم) يصح أن تكون مامصدرية: أى من طيبات رزقنا إياكم أو اسم موصول والجملة صلة أو نكرة موصوفة والجملة صفة: أى من طيبات الشئ الذى رزقناكموه أو شئ رزقناكموه، ويؤخذ من ذلك أن الرزق بعضه حلال وبعضه غير حلال وهو مذهب أهل السنة، قال فى الجوهرة:

فيرزق الله الحلال فاعلما ويرزق المكروه والمحرما

(قوله واشكروا لله) أى اعتقدوا أن النعم صادرة لكم من الله وهو بذلك المعنى واجب وإنكاره كفر أوالمعنى راقبوا فى كل لحظة أن كل نعمة من الله وهو بهذا المعنى مندوب لأن هذا مقام الخواص (قوله إن كنتم إياه تعبدون) إن شرطية وكنتم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تعبدون خبرها وإياه مفعول تعبدون قدم رعاية للفواصل وللحصر وجواب الشرط محذوف دل عليه الأمر: أى فكلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله (قوله إنما حرم عليكم الميتة) المقصود من هذا الحصر الرد على من حرم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وعلى من أحل بعض المحرمات فالحصر إضافى (قوله وهو مالم يذك شرعا) أى إما لكونها لاتعمل فيه أصلا كالبغال والحمير أو تعمل فيه ولكن لم يذك كالأنعام إجماعا والخيل على مذهب الشافعى (قوله ما أبين من حى) أى فهو ميتة (قوله وخص منها السمك والجراد) أى لما فى الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» وإنما أحل الكبد والطحال المنفصلان من الحيوان بعد ذكاته شرعا لكونهما ليسا من الدم المسفوح.

(قوله أى المسفوح) أى ولو من سمك خلافا لأبى حنيفة ومن هنا اختلف فى الفسيخ فقال الأئمة الثلاثة بحرمة أكله و بيعه لشرب بعضه من دم بعض حين تكديسه وقال أبو حنيفة بطهارته لأنه لادم له أصلا و إنما الذى ينزل منه دهن لادم بدليل أنه لو نشف لصار أبيض لا أحمر وقال أستاذنا العارف بالله تعالى شيخنا الشيخ الدردير الذى أدين الله به أن الفسيخ بجميع أجزائه طاهر يجوز أكله وأما لو نشف بحيث لم يسل منه دم كالسمك المالح فهو طاهر حلال باجماع (قوله كما فى الأنعام) أى فى سورة الأنعام فى قوله تعالى ـ قل لا أجد فيما أوحى إلىّ محرّما ـ الآية فما هنا يقيد بما هناك (قوله ولحم الخنزير) أى البرى إنسيا أو وحشيا وأما البحرى فهو حلال وكلبه كذلك (قوله وغيره تبع له) ظاهره حتى الشعر ولكن مذهب مالك حلّ لبسه والانتفاع به (قوله والاهلال رفع الصوت) أى فقد سمى الشىء باسم ما صاحبه ولذلك يقال استهلّ المولود بمعنى صاح عند الولادة وسمى الهلال بذلك لرفع الصوت عند رؤيته (قوله فمن اضطرّ) هذا كالاستدراك على عموم قوله إنما حرّم عليكم الميتة (قوله غير باغ) حال من الضمير فى اضطر (قوله لأوليائه) أى الذين أكلوا عن اضطرار (قوله حيث وسع لهم فى ذلك) أى فأباح لهم أكلها والشبع منها حيث كانت المخمصة دائمة وأجمعت الأئمة على ذلك واختلفوا إذا لم تدم المخمصة فرجح مالك الشبع والتزوّد وذكر غيره قولين وعلى كل فاذا استغنى عنها طرحها و يقدم الميتة وما أهلّ به لغير الله فى الأكل على لحم الخنزير

أى المسفوح كما فى الأنعام (وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ) خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له (وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ) أى ذبح على اسم غيره والإهلال رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم (فَمَنِ اضْطُرَّ) أى ألجأته الضرورة إلى أكل شىء مما ذكر فأكله (غَيْرَ بَاغٍ) خارج على المسلمين (وَلَا عَادٍ) متعد عليهم بقطع الطريق (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فى أكله (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بأهل طاعته حيث وسع لهم فى ذلك وخرج الباغى والعادى ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكاس فلا يحل لهم أكل شىء من ذلك مالم يتوبوا وعليه الشافعى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ) المشتمل على نعت محمد وهم اليهود (وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف فوته عليهم (أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ) لأنها مآله (وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) غضبا عليهم (وَلَا يُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من دنس الذنوب (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ ،

(قوله وعليه الشافعي) أى لمذهب الشافعي أن العاصي بسفره لا يأكل من الميتة إلا إن تاب وأما مذهب مالك وأبى حنيفة أن العاصى بسفره له الأكل من الميتة و إن لم يتب وفسر قوله غير باغ أى غير طالب الميتة وما معها وهو يجد غيرها وغير عاد أى متعدّ ما أحل الله وقيل غير مستحل لها (قوله إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) نزلت هذه الآية فى حق علماء اليهود وقد كانوا يأخذون من سفلتهم مالا وكانوا يودّون أن نبى آخر الزمان يكون منهم فلما بعث رسول الله من غيرهم خافوا أن رياستهم تذهب بسبب ظهوره واتباع سفلتهم له فينقطع ما كان يصلهم من سفلتهم فغيروا صفته وصفة أصحابه و بلده حرصا على الرياسة وعلى ما كانوا يأخذونه من سفلتهم قال تعالى ـ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون ـ (قوله المشتمل على نعت محمد) أى فالكتاب مشتمل على أمور كثيرة منها نعت محمد ومنها غيره فالمغير إنما هو المشتمل على نعت محمد لا جميع ما فى الكتاب (قوله يأخذونه بدله) أى يأخذون الثمن بدل الكتمان بمعنى أن الحامل لهم على الكتمان إنما هو العوض الفانى الذى يأخذونه من سفلتهم وليس المراد أنهم قالوا لهم خذوا هذا المال واكتموا وصف محمد (قوله خوف فوته) أى الأمر الدنيوى عليهم (قوله إلا النار) أى سببها كما يشير له قول المفسر لأنها مآله أى مأواه وعاقبة أمره ففيه مجاز الأول (قوله ولا يكلمهم الله) أى كلام رضا بل يكلمهم كلام غضب (قوله غضبا عليهم) أى من أجل غضبه عليهم أى طرده لهم و إبعادهم عن رضاه (قوله يطهرهم من دنس الذنوب) أو المعنى لا يشهد لهم بالطهارة يوم القيامة (قوله ولهم عذاب أليم) هذا بيان حالهم فى الآخرة وهو عدم كلام الله لهم المترتب على كتمانهم وعدم طهارة الله لهم المترتب على اشترائهم ثمنا قليلا والعذاب الأليم المترتب على أكلهم سبب النار (قوله أولئك الذين اشتروا) هذا بيان لحالهم فى الدنيا .

(قوله الهدى) الباء داخلة على المتروك أى فقد تركوا الهدى وأخذوا الضلالة بدله (قوله لو لم يكتموا) لو شرطية وجوابها محذوف تقديره ما اشتروا العذاب بالمغفرة (قوله فما أصبرهم على النار) الأحسن أن ما نكرة تامة مبتدأ والجملة بعدها فى محل رفع خبر والمعنى شىء أصبرهم على النار فأصبر فعل تعجب والفاعل مستتر وجوبا والهاء مفعول وقيل استفهامية فيها معنى التعجب والاعراب واحد وقيل اسم موصول ومابعدها صلتها والخبر محذوف وقيل نكرة موصوفة ومابعدها صفتها والخبر محذوف (قوله أى ما أشد صبرهم) هذا حل معنى لا إعراب (قوله وهو تعجيب للمؤمنين) جواب عن سؤال مقدر، حاصله أن التعجب هو استعظام شىء خفى سببه وذلك مستحيل على الله تعالى لأنه لايخفى عليه خافية فأجاب بأن التعجب واقع من المؤمنين فالمعنى تعجبوا أيها المؤمنون من صبر هؤلاء على موجبات النار التى من جملتها الكتمان وأخذهم الثمن القليل وغير ذلك من غير مبالاة (قوله وإلا فأى صبر لهم) أى وإلا نقدر موجبات بل لو أبقينا الكلام على ظاهره لايصح ذلك لأنه ليس لأحد صبر على ذات النار (قوله الذى ذكر) أى وهو أمور ستة أكلهم سبب النار وعدم كلام الله لهم وعدم تزكيته لهم والعذاب الأليم واشتراؤهم الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة (قوله نزل الكتاب) المراد به التوراة باتفاق المفسرين وإنما الخلاف فى الكتاب الثانى (قوله فاختلفوا فيه) قدره المفسر لتمام الفائدة وإلا فالسبب ليس نزول الكتاب بالحق فقط (قوله وكفروا ببعضه) أى فما وافق هواهم آمنوا به وما خالفه كتموه وقالوا لم ينزله ربنا (قوله وهم اليهود) أى فالمراد بالكتاب التوراة والآية من تمام ماقبلها

(بِالْهُدَى) أخذوها بدله فى الدنيا (وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ) المعدة لهم فى الآخرة لو لم يكتموا (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) أى ما أشد صبرهم وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأى صبر لهم (ذَٰلِكَ) الذى ذكر من أكلهم النار وما بعدها (بِأَنَّ) بسبب أن (اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) متعلق بنزل فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ) بذلك وهم اليهود وقيل المشركون فى القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة (لَفِي شِقَاقٍ) خلاف (بَعِيدٍ) عن الحق (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ) فى الصلاة (قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) نزل ردا على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك (وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ) أى ذا البر وقرىء بفتح الباء أى البار (مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ) أى الكتب (وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى)

(قوله وقيل المشركون) أى فهو كلام مستأنف والكتاب هو القرآن (قوله حيث قال بعضهم شعر) هذا هو وجه الاختلاف (قوله بعيد عن الحق) أى فمن آمن بالبعض وكفر بالبعض لم يصادف الحق بل هو بعيد عنه ومن قال من المشركين إنه شعر أو سحر أو كهانة أو غير ذلك لم يصادف الحق بل هو فى بعد عنه وبهذه الآية تم الرد على جميع من كفر كان من اليهود أو المشركين (قوله ليس البر أن تولوا وجوهكم) هذا ابتداء نصف السورة الثانى وهو متعلق بتبيين غالب أحكام الدين، وأما النصف الأول فهو متعلق بأصول الدين وقبائح اليهود والبر بالنصب والرفع قراءتان سبعيتان فمن نصب جعله خبرا لليس مقدما وأن تولوا فى تأويل مصدر اسمها مؤخر ومن رفع جعله اسمها وأن تولوا خبرها والبر اسم جامع لكل خير كما أن الاثم اسم جامع لكل شر (قوله نزل ردا على اليهود والنصارى) أى فقد زعم النصارى أن البر فى استقبال جهة طلوع الشمس وزعم اليهود أن البر فى استقبال بيت المقدس فالمراد بالمغرب ماعدا المشرق فيشمل جهة الشمال وقيل بكسر القاف وفتح الباء ظرف مكان معناه جهة وقيل نزلت ردا على المسلمين وكانوا فى صدر الاسلام أمروا بالايمان بالله والصلاة فقط لأى جهة كانت فالمعنى ليس البر كما تعتقدون أنه مقصور على الايمان والصلاة فقط بل هو من جمع هذه الخصال والأظهر الأول (قوله أى ذا البر) قدر ذا إشارة إلى أن من اتصف بهذه الخصال يسمى بارا لا برا وبالجملة يقال فيه ماقيل فى زيد عدل وقيل إن برا اسم فاعل أصله برر نقلت كسرة الراء إلى الباء ثم أدغمت إحدى الراءين فى الأخرى (قوله من آمن بالله) أى صدق بقلبه ونطق بلسانه أن الله يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص (قوله واليوم الآخر) أى مع مايتعلق به من الحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار ومافيهما من الثواب والعقاب (قوله والملائكة) أى بأنهم عباد مكرمون أجسام نورانية لايوصفون بذكورة ولا أنوثة لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون (قوله أى الكتب) أى المنزلة من عند الله على أنبيائه (قوله والنبيين) أى إجمالا فى الاجمالى وتفصيلا فى التفصيلى فيجب الايمان بخمسة وعشرين منهم وهم المذكورون فى القرآن

مع (حُبِّهِ) له (ذَوِي الْقُرْبَى) القرابة (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر (وَالسَّائِلِينَ) الطالبين (وَفِي) فك (الرِّقَابِ) المكاتبين والأسرى (وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ) المفروضة وما قبله فى التطوع (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا) الله أو الناس (وَالصَّابِرِينَ) نصب على المدح (فِي الْبَأْسَاءِ) شدة الفقر (وَالضَّرَّاءِ) المرض (وَحِينَ الْبَأْسِ) وقت شدة القتال فى سبيل الله (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (الَّذِينَ صَدَقُوا) فى إيمانهم أو ادعاء البر (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ) المماثلة (فِي الْقَتْلَى) وصفا وفعلا (الْحُرُّ) يقتل (بِالْحُرِّ) ولا يقتل بالعبد (وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى) و بينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة فى الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو حرا (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ) من القاتلين (مِنْ) دم (أَخِيهِ) المقتول (شَيْءٌ) بأن ترك القصاص منه وتنكير شىء يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ،

(قوله مع حبه له) أى المال بأن يعطيه مع كونه يحبه لنفسه و يحتمل أن المعنى مع حبه لله أى يعطى المال مع كونه يحب وكل صحيح (قوله القرابة) أى فاعطاء الأقارب مقدم لأن فيه قربتين الصدقة وصلة الرحم (قوله واليتامى) أى الفقراء منهم وهم من مات آباؤهم قبل بلوغهم (قوله والمساكين) المراد ما يشمل الفقراء وهم المحتاجون (قوله المسافر) أى الغريب ولو مليا ببلده (قوله الطالبين) أى مطلقا لما فى الحديث «أعطوا السائل ولو جاء على فرس» (قوله المكاتبين) أى ليستعينوا على فك رقابهم من الرق (قوله والاسرى) أى ليستعينوا على خلاص أنفسهم من الكفرة (قوله المفروضة) أى ومن المعلوم أن لها أصنافا مذكورة فى الفقه تصرف لها (قوله والموفون بعهدهم) أى وهم من إذا وعدوا أنجزوا و إذا نذروا أوفوا و إذا حلفوا لم يحنثوا فى أيمانهم و إذا قالوا صدقوا فى أقوالهم و إذا ائتمنوا لم يخونوا والموفون معطوف على من آمن التقدير ولكن البر المؤمنون والموفون (قوله نصب على المدح) أى بفعل محذوف تقديره وأمدح الصابرين وخصهم بالذكر لأن الصبر يزين العبادة وتركه يشينها (قوله شدة الفقر) أى فلا يشكون لأحد غير الله لأنه يحب الملحين فى الدعاء (قوله وقت شدة القتال) أى فلا يفر من الأعداء (قوله الموصوفون بما ذكر) أى بجميع هذه الخصال قال بعضهم لا تكون هذه الخصال جميعها إلا فى الأنبياء وقال بعضهم لا مانع أن تكون فى غيرهم (قوله أو ادعاء البر) أى فمعنى الصدق هنا الصدق فى الأقوال فاذا أخبروا بشىء فهم صادقون فيه (قوله وأولئك هم المتقون الله) أى الكاملون فى التقوى (قوله فرض عليكم) . إن قلت إن مقتضى الفرض أنه متحتم لا يجوز العدول عنه وهو مخالف لما يأتى . أجيب بأن الفرض بالنسبة لولاة الأمور إذا شح الولى وأبى إلا القتل فالمعنى يجب عليهم فعل القتل إن شح الولى ولم يعف . وسبب نزول الآية أن رسول الله لما دخل المدينة وجد الأوس والخزرج يتفاخرون على بعضهم فصاروا يقتلون الاثنين بالواحد والحر بالعبد منهم فنزلت هذه الآية فآمنوا وأسلموا (قوله القصاص) نائب فاعل كتب وقوله فى القتلى أى بسببها ففى للسببية على حد دخلت امرأة النار فى هرة حبستها. والقتلى جمع قتيل (قوله المماثلة) أى التماثل فى الوصف والفعل وهذا هو المراد به هنا و إلا فالقصاص فى الأصل القود وهو قتل القاتل (قوله وصفا) أى يشترط التماثل فى الوصف بأن يكون مماثلا له فى وصفه من حرية و إسلام و بالجملة فالمدار فى القصاص على كون القاتل مثل المقتول أو أدنى فان كان أعلى منه إما بالدين أو الحرية فلا قود (قوله وفعلا) أى فلو قتل بسيف فانه يقتل به أو بغيره فبغيره (قوله ولا يقتل بالعبد) أى بل يلزمه قيمته ويضرب مائة ويحبس سنة كما بينته السنة (قوله والعبد بالعبد) أى إن طلب سيد المقتول القصاص و إلا فله إما قيمة القاتل أو المقتول أو ذات القاتل والخيار فى ذلك لسيد القاتل (قوله وأن الذكر يقتل بالأنثى) أى و بالعكس (قوله وأنه تعتبر المماثلة) معطوف على أن الذكر مسلط عليه قوله و بينت السنة (قوله فلا يقتل مسلم الخ) أى فالاسلام أعلى من الحرية وعكسه يقتل به (قوله فمن عفى له) هذا تقييد لما قبله وسيأتى للمفسر أن من يصح أن تكون شرطية وموصولة فالمعنى على الثانى فالشخص الذى ترك له شىء من دم أخيه فاتباع بالدية بالمعروف وقرن بالفاء لما فى المبتدأ من معنى الشرط وعلى الأول فأى شخص ترك له الخ فقد بطل القتل فلا مطالبة به (قوله من القاتلين) بيان لمن (قوله من دم أخيه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله المقتول) وصف للأخ (قوله عن بعضه) أى القصاص ولو شيئا يسيرا كعشره وذلك كما إذا كان الولى واحدا وعفا عن بعض القصاص .

(قوله ومن بعض الورثة) أى ولوكان العافى واحدا من ألف مثلا ولمن بقى نصيبه من الدية (قوله تعطف) أى من الله (قوله لايقطع أخوة الايمان) أى خلافا للخوارج القائلين بقطع الايمان بالمعاصى (قوله والخبر فاتباع) أى جملته من المبتدا والخبر الذى قدره المفسر بقوله فعلى العافى اتباع (قوله بالمعروف) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لاتباع أى اتباع ملتبس بالمعروف (قوله وترتيب الاتباع على العفو) أى بعد ذكر وجوب القصاص (قوله أن الواجب أحدهما) أى القصاص أوالدية فالدية واجب مستقل مقابل للقصاص (قوله وهو أحد قولى الشافعى) أى ومالك أى فأحد قوليهما أن الواجب أحدهما فاذا كان عفا على الدية وامتنع من إعطائها فله جبره على الدية ولايقتل (قوله والثانى الواجب القصاص الخ) أى فالخيار للأولياء فى ثلاثة : إما القصاص أوالعفو على الدية أومجانا فلوعفوا على الدية وامتنع القاتل من دفعها فللأولياء إما قتله أوالعفو مجانا وهذا هو المرتضى فى المذهبين (قوله فلاشئ) أى على هذا القول وأما على الأول فيلزمه الدية (قوله والعفو عنه لاعلى الدية) أى أومجانا كما بينته السنة (قوله بأن قتله بعد ذلك) أى فحيث ترك حقه لاحق له (قوله ولكم فى القصاص) هذا هو حكمة القصاص

ومن بعض الورثة وفى ذكر أخيه تعطف داع إلى العفو وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان ومن مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر (فَاتِّبَاعٌ) أى فعلى العافى اتباع القاتل (بِالْمَعْرُوفِ) بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولى الشافعى والثانى الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شىء ورجح (وَ) على القاتل (أَدَاءٌ) للدية (إِلَيْهِ) أى العافى وهو الوارث (بِإِحْسَانٍ) بلا مطل ولا بخس (ذَٰلِكَ) الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية (تَخْفِيفٌ) تسهيل (مِنْ رَبِّكُمْ) عليكم (وَرَحْمَةٌ) بكم حيث وسع فى ذلك ولم يحتم واحدا منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية (فَمَنِ اعْتَدَىٰ) ظلم القاتل بأن قتله (بَعْدَ ذَٰلِكَ) أى العفو (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الآخرة بالنار أو فى الدنيا بالقتل (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) أى بقاء عظيم (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ذوى العقول لأن القاتل إذا علم أنه يقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) القتل مخافة القود (كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ) أى أسبابه (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) مالا (الْوَصِيَّةُ) مرفوع بكتب ومتعلق إذا إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب إن أى فليوص (لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ) بالعدل بأن لايزيد على الثلث ولا يفضل الغنى (حَقًّا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (عَلَى الْمُتَّقِينَ) الله وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث « لاوصية لوارث » رواه الترمذى (فَمَنْ بَدَّلَهُ) ،

(قوله بقاء عظيم) أى القاتل والمقتول (قوله ياأولى الألباب) جمع لب وهوالعقل الكامل (قوله فشرع) تفريع على بيان الحكمة وأخره لتعلق لعلكم تتقون به (قوله مخافة القود) أى مخافة أن يقتص منكم (قوله أى أسبابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمراد بأسبابه علاماته كالأمراض الشديدة والجراحات التى يظن منها الموت عادة (قوله إن ترك خيرا) شرط فى الشرط الذى هو إذا (قوله مالا) سماه خيرا إشارة إلى أنه ينبغى أن يكون حلالا طيبا (قوله مرفوع بكتب) أى على أنه نائب الفاعل ولم توجد فى الفعل علامة التأنيث لوجود الفاصل سيما مع كونه أى مجازى التأنيث كقولهم طلع فى النهار الشمس (قوله إن كانت ظرفية) أى محضة لم يكن فيها معنى الشرط بل المراد منها الوقت والزمن . إن قلت الوصية إما مصدر أواسم مصدر والمصدر أواسمه لايتقدم معموله عليه . أجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها (قوله وجواب إن) بالجر معطوف على جوابها أى ودالة على جواب إن وقوله أى فليوص هذا هوجواب إذا و إن (قوله للوالدين) متعلق بالوصية وقوله والأقربين عطف عام على خاص (قوله مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله) أى حيث صدر بقوله كتب على حد زيد أبوك عطوفا. واستشكل بأن المصدر المؤكد لايعمل مع أنه عامل فى قوله على المتقين فالأحسن أن يجعل مصدرا مبينا للنوع إلا أن يقال يتوسع فى الظروف والمجرورات مالايتوسع فى غيرها لأنه يكتفى فيها بأى عامل ولوضعيفا (قوله وهذا منسوخ) أى الحكم لاالتلاوة فحكمها حكم القرآن (قوله بآية الميراث) أى قوله تعالى - يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين - الآيات (قوله لاوصية لوارث) صدره إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلاوصية الخ .

أى الايصاء من شاهد ووصى (بَعْدَ مَا سَمِعَهُ) علمه (فَإِنَّمَـا إِثْمُهُ) أى الايصاء المبدل (عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر (إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيـعٌ) لقول الموصى (عَلِيمٌ) بفعل الوصى فمجاز عليه (فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ) مخففا ومثقلا (جَنَفًا) ميلا عن الحق خطأ (أَوْ إِثْمًا) بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غنى مثلا (فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ) بين الموصى والموصى له بالأمر بالعدل (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فى ذلك (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) من الأمم (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) المعاصى فإنه يكسر الشهوة التى هى مبدؤها (أَيَّامًا) نصب بالصيام أو بصوموا مقدرا (مَعْدُودَاتٍ) أى قلائل أومؤقتات بعدد معلوم وهى رمضان كما سيأتى وقلله تسهيلا عن المكلفين (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ) حين شهوده (مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافرا سفر القصر وأجهده الصوم فى الحالين فأفطر (فَعِدَّةٌ) فعليه عدة ماأفطر (مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) يصومها بدله (وَعَلَى الَّذِينَ) لا (يُطِيقُونَهُ) لكبر أو مرض لا يرجى برؤه (فِدْيَةٌ) هى (طَعَامُ مِسْكِينٍ) أى قدر ما يأكله فى يومه وهو مد من غالب قوت البلد لكل يوم وفى قراءة بإضافة فدية وهى للبيان وقيل لا غير مقدرة وكانوا مخيرين فى صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ ،

(قوله أى الايصاء) أى أو المعرف أو الوصية (قوله من شاهد ووصى) بيان لمن (قوله علمه) أى ولو لم يسمعه من الموصى (قوله أى الايصاء المبدل) أو المعروف (قوله فيه إقامة الظاهر الخ) أى مع مراعاة معنى من ولو راعى لفظها لقال على الذى بدله ولو أضمر لقال عليه (قوله فمن خاف) الأحسن أن هذا الحكم عام فهو غير منسوخ و يؤخذ هذا من تقديم المفسر قوله وهذا منسوخ عليه (قوله مخففا ومثقلا) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد (قوله خطأ) حمله على ذلك عطف قوله أو إثما عليه و إلا فالجنف فى الأصل الميل عن الحق مطلقا (قوله بين الموصى والموصى له) أى إن أدرك وهو حى وحصل إصلاح فالاثم مرتفع و إلا فعليه الاثم و يبطل مازاد على الثلث (قوله يأيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين من أهل المدينة لكن المراد العموم (قوله الصيام) هو لغة الامساك ومنه إنى نذرت للرحمن صوما أى إمساكا عن الكلام ومنه أيضا :

* خيل صيام وخيل غير صائمة * أى ممسكة عن الجرى وغير ممسكة عنه واصطلاحا الامساك عن شهوتى البطن والفرج يوما كاملا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التقرب إلى الله تعالى (قوله من الأمم) اى وأنبيائهم من آدم إلى نبينا لكن لا كصومنا من كل وجه فالتشبيه فى الفرضية لا الكيفية والثواب وحكمة ذكر التشبيه التأكيد فى الأمر والتسلى بمن قبلنا لأن فى الصوم نوع صعوبة (قوله فانه يكسر الشهوة) أى لما فى الحديث « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» أى قاطع لشهوته كما تنقطع بالخصى (قوله نصب بالصوم) أى على أنه ظرف له أى الصيام فى أيام وقوله أو بصوموا مقدرا أى دل عليه قوله الصيام وهو الأحسن (قوله معدودات) أى أقل من أربعين إذ العادة فى لغة العرب متى ذكر لفظ العدد يكون المراد به ذلك (قوله أو مؤقتات) هذا هو الأولى ليعلم منه تعيينها وقيل معنى معدودات معدات للعطايا الربانية فالصالحون يتهيأون لها لما فى الحديث «إن لله فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها» وأيضا فيه ليلة خير من ألف شهر وغير ذلك من فضائله المشهورة (قوله تسهيلا على المكلفين) أى ليقدموا عليها قال تعالى ـ يريد الله بكم اليسر ـ الآية (قوله أو على سفر) أى ملتبسا به (قوله فى الحالين) أى المرض والسفر وهذا ظاهر بالنسبة للمرض لا للسفر فان المسافر يباح له الفطر و إن لم يجهده الصوم لكن الصوم أفضل له فى هذه الحالة ولا فرق فى السفر بين كونه برا أو بحرا (قوله أخر) بالجمع صفة لأيام ممنوع من الصرف للوصفية والعدل ولم يقل أخرى مع صحته لتوهم كونه صفة لعدة مع أنه ليس مرادا (قوله لا يرجى برؤه) أى كمرض القصبة والجذام (قوله هى طعام) أشار بذلك إلى أن فدية بالتنوين وطعام خبر لمبتدا محذوف بيان لفدية (قوله وفى قراءة بإضافة فدية) أى مع جمع مسكين وأما الأولى ففيها وجهان الافراد والجمع (قوله وقيل لا غير مقدرة) هذا مقابل ماحل به المفسر فعلى الأول لآية محكمة وعلى الثانى منسوخة

(قوله بتعيين الصوم) أى ولا يقبل منه فدية بعد ذلك والتارك له جحداً كافر أو كسلا يؤخر لمقدار النية قبل الفجر فان لم ينو قتل حداً (قوله خوفا على الولد) أى فانهما يقضيان و يفتديان ، وأما على أنفسهما فقط أو والولد فان عليهما القضاء لاغير (قوله بالزيادة على القدر المذكور) أى بأن زاد على المد أو فى عدد المساكين (قوله مبتدأ) أى مؤول بمصدر تقديره صيامكم (قوله فافعلوه) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله شهر رمضان) خبر لمبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله تلك الأيام . واعلم أن أسماء الشهور أعلام أجناس ورمضان ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون لأنه من الرمض وهو الاحراق لأنه يرمض الذنوب أى يحرقها وسمى الشهر شهرا لاشتهاره لمنافع الناس فى دينهم ودنياهم وسيأتى إيضاحه فى قوله تعالى ـ يسألونك عن الأهلة ـ (قوله القرآن) هو لغة من القرء وهو الجمع واصطلاحا اللفظ المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته للاعجاز بأقصر سورة منه (قوله فى ليلة القدر منه) أى فقد حوى رمضان مزيتين نزول القرآن فيه ووجود ليلة القدر به وليلة القدر به هى المعنية بقوله تعالى ـ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ـ . والحاصل أن جبريل تلقاه من اللوح المحفوظ ونزل به إلى سماء الدنيا فأملاه للسفرة فكتبته فى الصحف على هذا الترتيب ومقرها بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل به على النبى فى ثلاث وعشرين سنة مفرقا على حسب الوقائع لجبريل أملى السفرة ابتداء وتلقى عنها انتهاء والحكمة فى نزوله مفرقا تثبيته فى قلبه وتجديد الحجج على المعاندين وزيادة إيمان للمؤمنين قال تعالى ـ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ـ وقال تعالى ـ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ـ وقال تعالى ـ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ـ وتلك الليلة التى نزل فيها القرآن ليلة أربع وعشرين . واعلم أن ليلة القدر تكون فى رمضان وقد تنتقل عنه لغيره لكن الغالب كونها فى رمضان والغالب كونها فى العشر الأواخر منه والغالب كونها فى الأوتار هذا مذهب مالك وذهب الشافعى إلى أنها لاتنتقل عن رمضان بل هى ملازمة له والغالب كونها فى العشر الأواخر منه والغالب كونها فى الأوتار خصوصا إذا صادف الوتر ليلة جمعة (قوله هاديا) ويصح أن يبقى على مصدريته والوصف به مبالغة ويصح أن يكون على حذف مضاف أى ذو هدى على حد زيد عدل (قوله من الضلالة) أى الكفر (قوله و بينات) معطوف على هدى من عطف الخاص على العام لأن الهدى بعضه ظاهر واضح كآية الكرسى والاخلاص وغير ذلك و بعضه غير واضح قال تعالى منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات إلى أن قال كل من عند ربنا فالايمان بكل آية هدى واضحة أولا (قوله مما يفرق بين الحق والباطل) أى فيه آيات بينات مصحوبة بالأدلة القطعية التى تقنع الخصم كقوله تعالى إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب وقوله تعالى أم من يجيب المضطر إذا دعاه الآيات وعطف الفرقان على الهدى من عطف الخاص على العام فكل أخص مما قبله الهدى صادق بالواضح وغيره كان معه دليل أم لا والبينات من الهدى صادقة بوجود الحجج معها أم لا والفرقان هو الآيات البينات التى معها حجج (قوله فمن شهد منكم الشهر) إن كان المراد به الأيام فالمعنى شهد بعضه و إن كان المراد به الهلال فالمعنى علمه إما بأن يكون رآه أو ثبت عنده وقوله فليصمه أى الشهر بمعنى الأيام وعلى كل ففيه استخدام على كل حال لأنه ذكر الاسم الظاهر بمعنى وأعاد عليه الضمير بمعنى آخر والخطاب للمكلف القادر غير المعذور (قوله مريضا) أى مرضا شديدا يشق معه الصوم (قوله أو على سفر) أى سفر قصر وتلبس به قبل الفجر والمعنى فأفطروا فعليهم عدة

بتعيين الصوم بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه . قال ابن عباس إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على الولد فإنها باقية بلا نسخ فى حقهما (فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً) بالزيادة على القدر المذكور فى الفدية (فَهُوَ) أى التطوع (خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا) مبتدأ خبره (خَيْرٌ لَكُمْ) من الافطار والفدية) إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فافعلوه ، تلك الأيام (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر منه (هُدًى) حال هاديا من الضلالة (لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ) آيات واضحات (مِنَ الْهُدَى) بما يهدى إلى الحق من الأحكام (وَ) من (الْفُرْقَانِ) مما يفرق بين الحق والباطل (فَمَنْ شَهِدَ) حضر (مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ) تقدم مثله وكرر لئلا يتوهم نسخه بتعميم

(قوله بتعميم من شهد) أى فان لفظ من يعم المسافر وغيره والمريض وغيره (قوله ولايريد بكم العسر) عطف لازم على ملزوم (قوله فى المرض والسفر) أى وما والاهما من الأعذار المبيحة للفطر التى نص عليها الفقهاء (قوله فى معنى العلة أيضا للأمر بالصوم) أى فهو علة الأمرين الأول جواز الفطر للمريض والمسافر الثانى التوسعة فى القضاء فلم يجب زمن معين ولا تتابع ولامبادرة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى عدة صوم رمضان) يحتمل أن المعنى من جهة قضائه أى أردت بكم اليسر لتكملوا قضاءه إذا فاتكم لعذر فاذا فاتكم شهر رمضان مثلا فاقضوا شهرا إن كاملا فكاملا و إن ناقصا فناقصا و يحتمل أن المعنى من جهة صوم رمضان الحاضر أى أردت بكم اليسر لتكملوا عدة رمضان ولاتنقصوها إلالعذر كمرض وسفر فلا بأس بالفطر لذلك وهذا مرتب أيضا على قوله يريد الله بكم اليسر فالمعنى أبحت لكم الفطر فى السفر والمرض لارادة اليسر بكم وكلفتكم بالصوم مع اليسر وأبحت لكم الفطر فى المرض والسفر لتكمل منكم العدة إما فى رمضان أو فى أيام أخر (قوله ولتكبروا الله) أى يوم العيد وهو يوم اكمال العدة و بينت السنة كيفية التكبير (قوله على ذلك) أى على التكليف مع اليسر (قوله وسأل جماعة) هذا اشارة من المفسر لسبب نزول الآية (قوله فنناجيه) أى نساره أى ندعوه سرا ولا نجهر بالدعاء (قوله فنناديه) أى ندعوه جهرا والفعلان يصح فيهما النصب بأن مضمرة بعد فاء السببية لوقوعهما فى جواب الاستفهام والرفع على الاستئناف أى فنحن نناجيه ونحن نناديه والأظهر الثانى لقول بعض شراح الحديث إنه الرواية . واعلم أن هذا السؤال الواقع من الصحابة لايقتضى جهلهم بالتوحيد لأن الله منزه عن القرب والبعد الحسيين لأنهما من صفات الحوادث والله منزه عنها فمن ذلك حارت عقولهم فى ذلك فمقتضى إحاطته بجميع خلقه وتصرفه فيهم كيف يشاء يوصف بالقرب ومقتضى تنزهه عن صفات الحوادث جميعها يوصف بالبعد لأن صفاته توقيفية فالمسئول عنه القرب أو البعد المعنويان لاالحسيان و إلا لألهمهم الله على ذلك ولم يضفهم له (قوله فأخبرهم بذلك) أى بأنى قريب وقدر ذلك المفسر لعدم صحة ترتب قوله فانى قريب على الشرط الذى هو إذا فان جوابها لابد وأن يكون مستقبلا وكون الله قريبا وصف ذاتى له لاينفك عنه أزلا ولا أبدا و إنما المستقبل الإخبار بذلك وقوله بعلمى أى وسمعى و بصرى وقدرتى وارادتى ولم يقل بذاته و إن كانت الصفات لاتفارق الذات لأنه ربما يتوهم القاصر الحلول فيقع فى الحيرة وأما من فنى عن وجوده فلم يشهد إلا الله فقد زال عنه الحجاب فلاحيرة عنده إذ لم يشهد غيره و إنما خص المفسر العلم بذلك لأنه من صفات الاحاطة ، ومن غلبة رحمته تعالى أنه وصف نفسه بالقرب و إلا فمقتضى التوحيد وصفه بالبعد أيضا بالاعتبار المتقدم فلو قال فانى بعيد لحصل اليأس من رحمته (قوله أجيب دعوة الداع إذا دعان) اليا آن من قوله الداع ودعان من الزوائد عند القراء ومعناه أن الصحابة لم تثبت لهما صورة فى المصحف ولذا اختلفت فيها القراء فمنهم من أسقطها وصلا ووقفا تبعا للرسم ومنهم من يثبتها فى الحالين ومنهم من يثبتها وصلا ويحذفها وقفا (قوله باناالته ماسأل) أى مالم يسأل باثم أو قطيعة رحم وهذه الاجابة وعد من الله وهو لايتخلف لكن على مراده تعالى لاعلى مراد الداعى فالدعاء نافع ولا يخيب فاعله وما يحتمل أن تكون موصولة وسأل صلتها والعائد محذوف أو نكرة موصوفة وسأل صفتها أو مصدرية أى باناالته سؤاله (قوله فليستجيبوا لى) يحتمل أن السين والتاء زائدتان والمعنى فليجيبونى بالامتثال والطاعة كما أجبت دعاءهم هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وهذا ماмشى عليه المفسر ويحتمل أنهما للطلب والمعنى فليطلبوا منى الاجابة عقب دعائهم ، وفى الحديث «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة» فشرط الاجابة تيقنها ، وقد أشار لذلك السيد البكرى بقوله فلا تردنا واستجب لنا كما وعدتنا.

بتعميم من شهد (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ) ولذا أباح لكم الفطر فى المرض والسفر ولكون ذلك فى معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم عطف عليه (وَلِتُكْمِلُوا) بالتخفيف والتشديد (ٱلْعِدَّةَ) أى عدة صوم رمضان (وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ) عند إكمالها (عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) أرشدكم لمعالم دينه (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك . وسأل جماعة النبى صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزل (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ) منهم بعلمى فأخبرهم بذلك (أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ) بإنالته ما سأل (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى) دعائى بالطاعة (وَلْيُؤْمِنُوا) ،

يديموا على الإيمان (بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) يهتدون (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ) بمعنى الافضاء (إِلَى نِسَائِكُمْ) بالجماع . نزل نسخاً لما كان فى صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء (هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ) كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه (عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ) تخونون (أَنْفُسَكُمْ) بالجماع ليلة الصيام . وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبى صلى الله عليه وسلم (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) قبل توبتكم (وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ) إذ أحل لكم (بَاشِرُوهُنَّ) جامعوهن (وَابْتَغُوا) اطلبوا (مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ) أى أباحه من الجماع أو قدره من الولد (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) الليل كله (حَتَّى يَتَبَيَّنَ) يظهر (لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) ،

(قوله يديموا) فعله أدام رباعيا وفى نسخة يدوموا وفعله دام ثلاثيا وهما لغتان فصيحتان (قوله على الايمان بى) أى فلا يرتدوا (قوله لعلهم يرشدون) هكذا قرأ الجمهور بفتح الياء وضم الشين من باب قتل وقرئ بكسر الشين وفتحها والياء مفتوحة على كل من بابى ضرب وعلم وقرئ بضم الياء مبنيا للفاعل والمفعول محذوف أى غيرهم أى يدلوهم على طريقة الرشاد ولذا قيل حال رجل فى ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فى رجل أو مبنيا للمفعول فقراآت غير الجمهور أربع (قوله أحل لكم ليلة الصيام) ليلة ظرف لأحل والمعنى أحل لكم فى ليلة الصيام وفى الناصب له ثلاثة أقوال قيل أحل وهو المشهور عند المعربين وليس بشىء لأن الاحلال ثابت قبل ذلك الوقت وقيل مقدر مدلول عليه بلفظ الرفث تقديره أحل لكم أن ترفثوا ليلة الصيام وقيل متعلق بالرفث لأنه يتوسع فى الظروف مالا يتوسع فى غيرها (قوله الرفث) ضمنه معنى الافضاء فعدّاه بالى وإلا فهو يتعدى بالباء أو بفى وهو فى الأصل الكلام الذى يستقبح ذكره الواقع عند الجماع فأطلق وأريد منه الجماع على سبيل الكناية لاستقباح ذكره (قوله بمعنى الافضاء) هو فى الأصل أن لا يكون بينك و بين الشىء حائل وليس مرادا هنا بل المراد به هنا إفضاء خاص بالجماع ولذا قال المفسر بمعنى الافضاء إلى نسائكم بالجماع (قوله إلى نسائكم) المراد حلائلكم من زوجة وأمة (قوله من تحريمه) أى الجماع (قوله بعد العشاء) أى دخول وقتها أو بعد النوم ولو كان قبلها (قوله كناية عن تعانقهما) أى فالتشبيه من حيث الاعتناق فكما أن اللباس يسلك فى العنق كذلك المرأة تسلك فى عنق الرجل والرجل يسلك فى عنقها ويصح أن التشبيه من حيث الستر فالمرأة تستر الرجل والرجل يسترها قال تعالى ـ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ـ وإليه الاشارة بقول المفسر أو احتياج كل منهما لصاحبه والحكمة فى تقديم قوله هن لباس لكم أن طلب المواقعة غالبا يكون ابتداء من الرجل لحاجة الرجل إليها أكثر لما أى فى الحديث «لاخير فى النساء ولاصبر عنهن يغلبن كريما و يغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولا أحب أن أكون لئيما غالبا» (قوله تختانون) هو أبلغ من تخونون لزيادة بنائه (قوله وقع ذلك لعمر) وحاصله أنه بعد أن صلى العشاء وجد بأهله رائحة طيبة فواقع أهله حينئذ ثم لما أصبح جاء رسول الله وأخبره الخبر فقال يارسول الله إنى أعتذر إلى الله و إليك مما وقع منى فقام جماعة فقالوا مثل ماقال عمر فنزلت الآية نسخا للتحريم الواقع بالسنة (قوله فالآن) .إن قلت إنه ظرف للزمان الحاضر وقوله باشروهن مستقبل فحينئذ لايحسن ذلك . أشار المفسر لدفع ذلك حيث حول العبارة بقوله إذ أحل لكم فمتعلق الظرف الحل لا المباشرة فالمعنى حصل لكم التحليل الآن فحينئذ باشروهن فيما يستقبل (قوله جامعوهن) أى فالمراد مباشرة خاصة فأطلق الملزوم وهو المباشرة وأراد لازمه وهو الجماع (قوله أى أباحه من الجماع) أى فى النساء الحلائل وأشار بذلك إلى أنه ينبغى أن يقصد بجماعه العفة بالحلال عن الحرام له ولها أو رجاء النسل لتكثير الأمة ففى الحديث «تناكحوا تناسلوا فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة» (قوله وكلوا واشربوا) نزلت فى صرمة بن قيس وكان عاملا فى أرض له وهو صائم فحين جاء المساء رجع لأهله فلم يجد طعاما فغلبته عيناه من التعب فلما حضر الطعام استيقظ فكره أن يأكل خوفا من الله فبات طاويا فلما انتصف النهار حتى غشى عليه فلما أفاق أخبر النبى بذلك فنزلت الآية (قوله من الخيط الأسود) قيل قبل نزول قوله من الفجر وضع على بن حاتم عقالا أبيض وعقالا أسود وجعل يأكل و يشرب حتى تبين كل منهما فلما أصبح أخبر النبى بذلك فقال له إنما ذلك سواد الليل و بياض النهار .

أى الصادق بيان للخيط الأبيض و بيان الأسود محذوف أى من الليل، شبه ما يبدو من البياض وما يمتدّ معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود فى الامتداد (ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ) من الفجر (إِلَى اللَّيْلِ) أى إلى دخوله بغروب الشمس (وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ) أى نساءكم (وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ) مقيمون بنية الاعتكاف (فِي الْمَسَاجِدِ) متعلق بعاكفون ، نهى لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود (تِلْكَ) الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ) حدها لعباده ليقفوا عندها (فَلَا تَقْرَبُوهَا) أبلغ من لا تعتدوها المعبر به فى آية أخرى (كَذَٰلِكَ) كما بين لكم ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) محارمه (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ) أى لا يأكل بعضكم مال بعض (بِالْبَاطِلِ) الحرام شرعاً كالسرقة والغصب (وَ) لا (تُدْلُوا) تلقوا (بِهَا) أى بحكومتها أو بالأموال رشوة (إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا) بالتحاكم (فَرِيقًا) طائفة (مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ) ملتبسين (بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنكم مبطلون (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (عَنِ الْأَهِلَّةِ) جمع هلال لم تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلئ نورا ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس ؟ (قُلْ) لهم (هِيَ مَوَاقِيتُ) جمع ميقات (لِلنَّاسِ) يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعدد نسائهم وصيامهم و إفطارهم (وَالْحَجِّ) عطف على الناس ، أى :

(قوله أى الصادق) احترز بذلك عن الكاذب وهو مايظهر قبل الصادق كذنب السرحان ثم تعقبه ظلمة ثم يطلع الصادق وهو الضياء المنتشر (قوله و بيان الأسود محذوف) أى فلو بينه لقال من الفجر والليل ليكون لفا ونشرا مرتبا ولم يذكره لعدم تعلق حكم به فان الصوم متعلق بظهور الأبيض (قوله من الغبش) أى ظلمة الليل (قوله أبيض وأسود) لف ونشر مرتب والتشبيه هنا إنما هو فى الصورة والهيئة وليس هناك خيط أبيض ولا أسود كما توهمه بعض الصحابة (قوله فى الامتداد) هذا هو وجه الشبه (قوله بغروب الشمس) أشار بذلك إلى أن الغاية غير داخلة فى المغيا و إنما صيام جزء من الليل من باب مالايتمّ الواجب إلابه فهو واجب (قوله ولاتباشروهنّ) أى مطلقا ليلا كان أونهارا وليس كالصيام (قوله نهى) خبر لمبتدإ محذوف تقديره هذه الآية نهى (قوله الأحكام المذكورة) أى من أوّل آية الصيام إلى هنا . واستشكل ذلك بأن الحدّ هو قوله تعالى ـ ولا تباشروهنّ ـ الآية . وأجيب بأن الله أمرنا بالصوم بقوله ـ كتب عليكم الصيام ـ والأمر بالشئ نهى عن ضدّه (قوله أبلغ من لا تعتدوها) أى لأن النهى عن المقاربة نهى عن المجاوزة وزيادة (قوله أى لايأكل بعضكم مال بعض) أى لأن الله قدر لكل رزقه فلايتسع بالباطل ولا يضيق بالحقّ (قوله كالسرقة والغصب) أى والمكس والنهب من كل ما لم يأذن فيه الشارع (قوله تلقوا) أى تسرعوا وتبادروا (قوله وأنتم تعلمون) جملة حالية من فاعل تأكلوا (قوله أنكم مبطلون) بفتح الهمزة إشارة إلى أنه مفعول تعلمون (قوله يسئلونك) أى أصحابك (قوله لم تبدو دقيقة) هذا هو صورة السؤال (قوله ثم تزيد) أى شيئافشيئا (قوله حتى تمتلئ نورا) أى وذلك ليلة أربعة عشر (قوله ثم تعود كما بدت) أى فالهلال إما آخذ فى الزيادة وذلك فى النصف الأوّل من الشهر و إما آخذ فى النقص وذلك فى النصف الأخير منه (قوله قل هى مواقيت للناس) قيل إن الجواب غيرمطابق للسؤال لأن سؤالهم عن حكمة كونه يبدو دقيقا ثم إذا تمّ عاد كما كان والجواب إنما هو عن حكمة الهلال الظاهرية وهى كونه مواقيت للناس والحج ، وأما جواب سؤالهم فليسوا مكلفين به ولاحاجة لهم بذلك لأنه من المغيبات ، وقيل إن الجواب مطابق للسؤال فقوله ـ يسئلونك عن الأهلة ـ أى عن حكمتها الظاهرة ، وهذا هو الأنسب بمقامهم لأن الأول من باب لاتسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم، والضمير يعود على الأهلة وتقدم أنه جمع هلال سمى بذلك لاستهلال الناس عند رؤيته بمعنى رفع أصواتهم ويسمى بالهلال ليلتين أو ثلاثا و بعد ذلك يسمى قمرا (قوله جمع ميقات) أصله موقات وقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء (قوله أوقات زرعهم) أى فكل زرع له وقت يطلع فيه فزرع هذا الشهر مثلا لايطلع فى غيره وهكذا (قوله وعدد نسائهم) أى من كونها أربعة أشهر وعشرا أو ثلاثة أشهر مثلا (قوله وصيامهم) أى فى رمضان مثلا (قوله و إفطارهم) أى فى شوال (قوله عطف على الناس) أى مسلط عليه مواقيت واللام وفى الحقيقة هو

معطوف على المضاف المحذوف : أى لمصالح الناس والحج

(قوله يعلم بها وقته) أى وهو شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة فلو تقدّم أو تأخر لم يصح ه .اهو حكمة تخصيصه من دون العبادات و إن كان من مصالح الناس (قوله وليس البرّ) الحكمة فى ذكر هذه الآية بعد ما تقدّم أنهم سألوا عن ذلك أيضا وصورة سؤالهم هل من البرّ إتيان البيوت من ظهورها فأجابهم الله بأنه ليس من البرّ و يتعين رفع البر هنا لأن ما بعد الباء يتعين جعله خبرا لليس فان الباء إنما تدخل على الخبر لا على الاسم (قوله بأن تنقبوا فيها نقبا) أى من خوف الاستظلال بالسقف وهذا فى الحاضر، وأما البادى فكان يشق الخيمة وذلك فى الإحرام زاعمين أن عدم تغطية الرأس بشئ أصلا هو البر (قوله بترك مخالفته) أى مطلقا وامتثال المأمورات على حسب الطاقة (قوله وأتوا البيوت من أبوابها) حاصل ذلك أن الله أخبرنا بجملتين وأمرنا بجملتين مرتبا لهما على الأوليين فقوله ـ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ـ جملة خبرية رتب عليها قوله ـ وأتوا البيوت من أبوابها ـ وقوله ـ ولكن البر من اتقى ـ جملة خبرية أيضا رتب عليها قوله ـ واتقوا الله ـ (قوله تفوزون) أى تسعدون وتظفرون برضاه (قوله ولما صدّ الخ) أي صدّه المشركون ومنعوه وصرفوه، والمراد بالبيت الكعبة. وحاصله أن النبى صلى الله عليه وسلم سنة ست من الهجرة توجه مع ألف وأربعمائة لفعل عمرة لأن الحج إذ ذاك لم يكن فرض فنزلوا الحديبية بمكان قريب من مكة يسمى وادى فاطمة فخرجت عليهم سفهاء مكة يقاتلونهم بالأحجار والسهام فأرسل رسول الله عثمان يستأذن أهل مكة فى أن يدخل هو وأصحابه و يطوفوا ويكملوا عمرتهم فأشاع الكفار و إبليس أن عثمان قد مات فبايع النبى أصحابه

تحت الشجرة على قتالهم فحصل صلح بينه و بينهم عشر سنين ، وتبين أن عثمان حى لم يمت وأتى اليوم ، وقال إن الكفار واعدونا إلى العام القابل فتحلل المسلمون مكانهم فى الحديبية ونحروا هديهم وحلقوا وانصرفوا راجعين ثم فى العام القابل وهو سنة سبع تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرة القضاء وسميت قضاء لأنها وقع فيها المقاضاة والصلح لا لأنه لزمهم قضاء للعمرة السابقة لأن من صدّ لا يلزمه قضاء خاف المسلمون أن قريشا لا تفى بالوعد و يحصل قتال فى الشهر الحرام والحرم والاحرام فنزلت الآية (قوله وصالح الكفار) يصح أن الكفار فاعل بصالح والمفعول محذوف تقديره صالحه و يصح أن الفاعل مستتر تقديره هو يعود على النبى والكفار مفعول (قوله على أن يعود العام القابل) تقدّم أنه عام سبع (قوله وخافوا أن لا تفى قريش الخ) أى فيحصل المحذور الذى هو القتال فى الحرم والإحرام والشهر الحرام (قوله نزل) هذا جواب لما : أى فهو سبب النزول (قوله وقاتلوا فى سبيل الله) السبيل فى الأصل الطريق فاستعير لدين الله وشرائعه بجامع التوصل للمقصود فى كل (قوله الذين يقاتلونكم) أى لا تبتدئوهم بالقتال (قوله ولا تعتدوا) المراد بالاعتداء هنا ابتداء القتال لا حقيقة الاعتداء الذى هو تجاوز الحد (قوله وهذا منسوخ بآية براءة) أى بقوله وقاتلوا المشركين كافة فأزال الله الضيق عن المسلمين وأبدله بالسعة ، وفى الحقيقة هذه الآية نسخت نحو سبعين آية من القرآن حصل فيها نهى عن القتال (قوله أو بقوله الخ) أى وهذا أبلغ لكونها بلصقها (قوله وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أى من المكان الذى أخرجوكم منه بعنى مكة وهو أمر بالإخراج فكأنه وعد من الله بالفتح لمكة ، وقد أنجز الله ما وعد به عام ثمان (قوله وقد فعل) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم : أى بالكفار منهم (قوله عام الفتح) أى وهو العام الثامن . إن قلت إن مدة الصلح باقية مع أن إخراجهم وقتالهم حصل قبل مضى تلك المدة . أجيب بأنه حصل منهم نقض العهد بعد عمرة القضاء .

(والفتنة)

يعلم بها وقته فلو استمرت على حالة لم يعرف ذلك (وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا) فى الاحرام بأن تنقبوا فيها نقباً تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه براً (وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ) أى ذا البر (مَنِ اتَّقَىٰ) الله بترك مخالفته (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) فى الاحرام كغيره (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون . ولما صدّ النبى صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفى قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم فى الحرم والاحرام والشهر الحرام نزل (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لإعلاء دينه (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ) من الكفار (وَلَا تَعْتَدُوا) عليهم بالابتداء بالقتال (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) المتجاوزين ما حدّ لهم وهذا منسوخ بآية براءة ، أو بقوله (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) وجدتموهم (وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ) أى مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ؛

(قوله والفتنة الخ) هذا جواب عن سؤال مقدر تقديره إن خفتم ان تقاتلوهم فى الشهر الحرام وراعيتم حرمة الشهر والاحرام والحرم فالشرك الذى حصل منهم الذى فيه تهاون برب الحرم أبلغ (قوله ولاتقاتلوهم الخ) هذا توكيد للمنسوخ وهو تفسير لقوله ولاتعتدوا (قوله أى فى الحرم) إنما فسر عند بفى لأنه ظرف منصوب وهو على تقدير فى وأطلق المسجد الحرام وأراد مايعم الحرم بتمامه (قوله وفى قراءة بلا ألف) والقراءتان سبعيتان والتلاوة على هذا ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى فخذوا فى أسباب قتلهم (قوله جزاء الكافرين) أى فى الدنيا وفى الآخرة العذاب الأليم (قوله فان انتهوا) أى رجعوا عن الكفر وأصله انتهيوا بياء مضمومة بعد الهاء استثقلت الضمة على الياء فحذفت وتحركت الياء بحسب الأصل وانفتح ما قبلها بحسب الآن قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف وبقيت الفتحة دليلا عليها (قوله وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) هذه الآية ناسخة أيضا لماقبلها (قوله ويكون الدين لله) أى فى مكة أى لأن المراد تخليص الدين فى مكة من الشرك فقط لا كل الجهات، وأما آية الأنفال فى قوله ويكون الدين كله أى فى كل الجهات (قوله فان انتهوا) أى رجعوا عن الكفر وأسلموا (قوله فلاعدوان الخ) هذا خبر فى صورة الأمر مبالغة أى فلاتنتقموا ولاتقتلوا إلا الظالمين والمعنى لايجازى

(وَالْفِتْنَةُ) الشرك منهم (أَشَدُّ) أعظم (مِنَ الْقَتْلِ) لهم فى الحرم أو الاحرام الذى استعظمتموه (وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى فى الحرم (حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ) فيه (فَاقْتُلُوهُمْ) فيه وفى قراءة بلا ألف فى الأفعال الثلاثة (كَذَٰلِكَ) القتل والاخراج (جَزَاءُ الْكَافِرِينَ. فَإِنِ انْتَهَوْا) عن الكفر وأسلموا (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ) توجد (فِتْنَةٌ) شرك (وَيَكُونَ الدِّينُ) العبادة (لِلَّهِ) وحده لا يعبد سواه (فَإِنِ انْتَهَوْا) عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا (فَلَا عُدْوَانَ) اعتداء بقتل أو غيره (إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ) ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه (الشَّهْرُ الْحَرَامُ) المحرم مقابل (بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ) فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم فى مثله رد لاستعظام المسلمين ذلك (وَالْحُرُمَاتُ) جمع حرمة مايجب احترامه (قِصَاصٌ) أى يقتص بمثلها إذا انتهكت (فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) بالقتال فى الحرم أو الاحرام أو الشهر الحرام (فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابل به فى الصورة (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى الانتصار وترك الاعتداء (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالعون والنصر (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته الجهاد وغيره.

على عدوانه إلا الظالمون لأن العدوان واقع من الكفار بكفرهم وقتالهم للمسلمين لامن المسلمين بقتالهم لهم (قوله الشهر الحرام الخ) هذا نزل أيضا زيادة طمأنينة للمسلمين لأنه كان يشق عليهم القتال فيها تعظيما لها وقيل أنها نزلت ردا على الكفار والمنافقين المعترضين فى قولهم إن الأشهر الحرم والحرم معظمة قديما ويزعم محمد أنه يحكم بالعدل وهو ينتهك حرمة الشهر الحرام والحرم فرد الله عليهم بقوله الشهر الحرام: أى الذى نقاتلكم فيه فى مقابلة الشهر الحرام: أى الذى صددتمونا فيه عن العمرة والدخول وقاتلنا سفهاؤكم ولا يسمى انتهاكا ولا عدم تعظيم للحرم لأنه لما كان بأمر الله اندفع ذلك كله (قوله والحرمات قصاص) أى متى حصل انتهاك من أحد لحرمة آخر سقطت حرمته فيقتص له منه ومن هنا قول بعضهم ملغزا فيمن قطعت يده ظلما ومن قطعت يده لأجل السرقة:

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت فى ربع دينار

أجيب عنه القاضى عبد الوهاب البغدادى بقوله:

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

(قوله فمن اعتدى عليكم) تسميته اعتداء ظاهر لأنه تجاوز للحد وقوله فاعتدوا عليه: أى انتقموا منه وقاتلوه فتسميته اعتداء مشاكلة لمقابله وقوله بمثل ما اعتدى عليكم توكيد لقوله والحرمات قصاص وكل هذا منسوخ بقوله واقتلوهم حيث ثقفتموهم (قوله واتقوا الله) أى ومن التقوى رحمة عباده سيما إذا لم يقاتلوكم أو إذا قدرتم عليهم فالأولى العفو (قوله واعلموا أن الله مع المتقين) أى معية خاصة فيمدهم بالنصر والعون وإلا فهو مع كل نفس بعلمه وتصرفه (قوله وأنفقوا فى سبيل

الله) أي ابذلوا أنفسكم وأموالكم في طاعته ومراضيه سواء الجهاد وغيره كصلة الرحم ومراعاة الضعفاء والفقراء من عباد الله (قوله ولا تلقوا بأيديكم) عبر بالأيدي عن الأنفس اكتفاء بالجزء الأهم من النفس كقوله في آية أخرى ـ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ـ أي أنفسكم (قوله إلى التهلكة) أي إلى الهلاك : أي إلى أسبابه وأسباب الهلاك إمساك الأموال والأنفس عن الجهاد لأن به يقوى العدو وتكثر المصائب في الدين والذل لأهله كما هو مشاهد ، ومن أنفق أمواله ونفسه في سبيل الله فقد ألقى بنفسه إلى العز الدائم في الدنيا والآخرة أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون (قوله وأحسنوا) أي افعلوا الاحسان بالانفاق في سبيل الله وغيره من أنواع العبادات والقربات (قوله أي يثيبهم) فسر المحبة في حق الله بالاثابة لأن حقيقتها وهي ميل القلب للمحبوب مستحيلة في حق الله تعالى والاثابة لازمة لذلك والقاعدة أن كل ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق و يراد لازمه وغايته (قوله وأتموا الحج والعمرة لله) المتبادر من الآية يشهد لقول الشافعي بوجوب العمرة عينا في العمر مرة كالحج . وقال مالك بسنيتها في العمر مرة عينا وقرئ وأقيموا الحج والعمرة وهي تؤيد مذهب الشافعي سيما مع كون الأصل في الأمر الوجوب ، وحجة مالك أن المراد تمموها إذا شرعتم فيهما ولا يلزم من وجوب الاتمام وجوب الابتداء . فالحاصل أن العلماء اتفقوا على وجوب الحج عينا في العمر مرة وما عدا ذلك فهو فرض كفاية لاقامة الموسم واتفقوا على مشروعية العمرة واختلفوا في حكمها ، فقال الشافعي بوجوبها كالحج وحمل الاتمام على الأداء ،وقال مالك بسنيتها وحمل الاتمام على حقيقته (قوله فان أحصرتم) أي عن البيت ولم تمكنوا من دخوله كما وقع للمصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا رفع للحرج الواقع في الأمر من قوله وأتموا (قوله تيسر) أشار بذلك إلى أن السين ليست لمعنى زائد بل استيسر وتيسر بمعنى واحد (قوله وهو شاة) أي ضأنا أو معزا مجزئة في الضحية (قوله ولا تحلقوا رءوسكم) اعلم أنه إذا اجتمع هدي وحلق فالهدي مقدم على الحلق (فاذا)

(وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ) أي أنفسكم والباء زائدة (إِلَى التَّهْلُكَةِ) الهلاك بالامساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوي العدو عليكم (وَأَحْسِنُوا) بالنفقة وغيرها (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) أي يثيبهم (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ) أدوهما بحقوقهما (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ) منعتم عن إتمامهما بعدو (فَمَا اسْتَيْسَرَ) تيسر (مِنَ الْهَدْيِ) عليكم وهو شاة (وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ) أي لا تتحللوا (حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ) المذكور (مَحِلَّهُ) حيث يحل ذبحه وهو مكان الاحصار عند الشافعي فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق على مساكينه ويحلق وبه يحصل التحلل (فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ) كقمل وصداع فحلق في الاحرام (فَفِدْيَةٌ) عليه (مِنْ صِيَامٍ) لثلاثة أيام (أَوْ صَدَقَةٍ) بثلاثة آصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين (أَوْ نُسُكٍ) أي ذبح شاة وأو للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره .

فاذا اجتمع معهما رمي وطواف قدم الرمي ثم النحر ثم الحلق ثم الطواف وضبطها بعضهم بقوله رنحط (قوله حتى يبلغ الهدي محله) اعلم أنه اختلف في الهدي فقيل يؤمر به وهو قول الشافعي ، وعليه فان لم يجد هديا قومه بطعام وأخرجه ، فان لم يجد صام بعدد الأمداد ، وقيل لا يؤمر به ، والآية محمولة على من كان معه هدي تطوعا مثلا وهو قول مالك ، وعليه فان لم يجد هديا فلا شيء عليه غير الحلق (قوله محله) هو بالكسر يطلق على الزمان والمكان و بالفتح على المكان فقط (قوله عند الشافعي) أي ومالك أيضا فالمدار عندهما على مكان الاحصار حلا أو حرما . وقال أبو حنيفة لابد أن يذبح بالحرم (قوله أو به أذى) متعلق بمحذوف معطوف على مريضا الواقع خبرا لكان وقوله أذى فاعل بالجار والمجرور أو الجار والمجرور خبر مقدم وأذى مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على مريضا (قوله ففدية عليه) قدره إشارة إلى أنه خبر المبتدإ والجملة جواب من . واعلم أن دماء الحج ثلاثة فدية وهدي وجزاء وقد ذكرها هنا وجزاء وقد ذكره في المائدة فما كان عن إزالة أذى أو ترفه فهو فدية وما ترتب عن نقص في حج أو عمرة بفعل اختياري أولا فهدي وما كان عن صيد فجزاء (قوله على ستة مساكين) أي لكل مسكين مدان (قوله لغير عذر) أي و إن كان حراما (قوله وكذا من استمتع بغير الحلق) أي فهو مقيس عليه (قوله بعذر أو غيره) راجع للثلاثة غير أن الحرمة فيما كان لغير عذر وألحق بذلك من قلم ظفره وأما الوطء وتقبيل الزوجة فكذا عند الشافعي وعند مالك فيه هدي

(قوله فإذا أمنتم) أى ابتداء وانتهاء (قوله فمن تمتع) حاصل مافى المقام أن الشخص إذا كان مفردا فانه لاشىء عليه ، وأما إذا كان قارنا أومتمتعا فعليه دم (قوله أى بسبب فراغه منها) دفع بذلك مايقال إن العمرة فيها مشقة ولا تمتع فيها (قوله إلى الحج) أى تمتع من فراغه من العمرة واستمرعلى ذلك إلى الاحرام بالحج (قوله تيسيرمن الهدى) أى وأفضل الهدايا الإبل ثم البقر ثم الغنم (قوله فمن لم يجد) أى فهوعلى الترتيب وهذا الدم يلزم بشروط أربعة : الأول أن لايكون أهله بالمسجد الحرام . الثانى أن لايكون تحلله من العمرة فى أشهر الحج . الثالث أن يحج فى عامه . الرابع أن لايرجع إلى بلده أومثلها، وقال الشافعى أن لايرجع إلى الميقات (قوله فصيام ثلاثة أيام فى الحج) محل ذلك إن كان النقص قبل الوقوف و إلاصام العشرة متى شاء (قوله قبل السابع) أى ليصوم الثلاثة الأيام ومامشى عليه المفسر قول ضعيف فى مذهب الشافعى والمعتمد أنه لايجب عليه ذلك لأنه لايجب عليه تحصيل سبب الوجوب ووافقه مالك على ذلك (قوله على أصح قولى الشافعى) وقال مالك بجواز صومها

(فَإِذَا أَمِنتُمْ) العدو بأن ذهب أو لم يكن (فَمَن تَمَتَّعَ) استمتع (بِالْعُمْرَةِ) أى بسبب فراغه منها بمحظورات الاحرام (إِلَى الْحَجِّ) أى إلى الاحرام به بأن يكون أحرم بها فى أشهره (فَمَا اسْتَيْسَرَ) تيسر (مِنَ الْهَدْيِ) عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) الهدى لفقده أو فقد ثمنه (فَصِيَامُ) أى فعليه صيام (ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ) أى فى حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يحرم قبل السابع من ذى الحجة والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولى الشافعى (وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ) إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) جملة تأكيد لما قبلها (ذَٰلِكَ) الحكم المذكور من وجوب الهدى أو الصيام على من تمتع (لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعى فإن كان فلا دم عليه ولا صيام و إن تمتع وفى ذكر الأهل إشعار باشتراط الاستيطان فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعى،والثانى لا.والأهل كناية عن النفس،وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معا أو يدخل الحج عليها قبل الطواف (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فيما يأمركم به وينهاكم عنه (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه (الْحَجُّ) وقته (أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ) شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذى الحجة وقيل كله.

(قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى مع مراعاة معنى من (قوله تأكيد لما قبلها) أى لدفع توهم الكثرة فى العدد وقوله كاملة أى فى الثواب كالهدى وفيه تسلية للفقير العاجزعن الهدى (قوله عند الشافعى) أى وعند مالك لاينتفى الهدى إلاعمن كان متوطنا بأرض الحرم فيشمل أهل منى ومزدلفة (قوله وهو أحدوجهين عند الشافعى) أى وهو مذهب مالك (قوله والأهل كناية عن النفس) أى فعلى هذا يكون معنى الآية ذلك لمن أى لمحرم لم يكن أهل أى نفسه حاضرى المسجد الحرام،وهذامعنى بعيدفالأولى ماقاله غيره من أن المراد بالأهل الزوجة والأولادالذين تحت حجره دون الآباء والاخوة ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك و إنما عبر بالأهل لكون شأن التوطن يكون بذلك (قوله القارن) أى و يطوف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا عند مالك والشافعى وقال أبوحنيفة لابد لهما من طوافين وسعيين (قوله فيمايأمركم به الخ) أى وخصوصا فى الحج والعمرة (قوله وقته) إنما قدّره لأن الحج عمل والأشهر زمن ولا يخبرعن العمل بالزمن(قوله أشهر معلومات) هذه الآية .قيدة لآية - قل هى مواقيت للناس والحج - لأن المتبادرمنها أن الأهلة كلها مواقيت للحج فأفاد بهذه الآية أن الحج له زمن معلوم يؤدّى فيه . وأما العمرة فوقتها السنة كلها مالم يكن متلبسا بالحج و إلا فلايعتمر حتى يفرغ منه (قوله وعشر ليال من ذى الحجة) أى فالجمع فى الآية لما فوق الواحد أو باعتبار جبر الكسر (قوله وقيل كله) أى فالجمع على حقيقته و بذلك قال مالك والمعنى على ماقال مالك أن له التحلل فى ذى الحجة بتمامه ولايلزمه دم إلابدخول المحرم لاأن المعنى أن يبتدئ الاحرام به بعد فجر النحرفان ذلك لم يقله مالك ولاغيره ممن يعتد به. فالحاصل أن الحج له ميقاتان مكانى وزمانى فالمكانى ماأشارله مضهم بقوله :

عرق العراق يلملم اليمن وبذى الحليفة يحرم المدنى والشام جحفة إن مررت بها ولأهل نجد قرن فاستبن

والزمانى لابتداء الاحرام به شوّال وذوالقعدة وعشر ليال من ذى الحجة وأما لانتهاء التحليل منه فبقية ذى الحجة (قوله فمن فرض على نفسه) أى ألزم نفسه الدخول فى أفعال الحج بأن أحرم به سواء كان فرضا عليه قبل ذلك أولا (قوله فيهن) أى الشهرين والعشر ليال . وأما فى غير هذه الأشهر فقال مالك ينعقد و يكره وقال غيره لاينعقد (قوله فلا رفث) فى الآية ثلاث قراآت غير شاذة الأولى برفع الجميع مع التنوين الثانية برفع الأولين و بناء الثالث على الفتح وقرئ شاذا بنصب الثلاثة (قوله معاص) أى بأىّ وجه من أوجه المعاصى والنهى عنها و إن كان عاما إلا أنه فى الحج أشد (قوله ولاجدال) هومقابلة الحجة بالحجة لنصرة الباطل وأما لنصرة الحق فلابأس بذلك (قوله فى الحج) أظهر فى مقام الاضمار اهتماما بشأنه (قوله بفتح الأولين) أى مع الثالث (قوله والمراد فى الثلاثة النهى) أى لاالاخبار و إنما أتى بها على صورة الاخبار إشارة إلى أنه لاينبغى أن يقع ذلك والتعبير عن النهى بصورة الخبر أبلغ فى الانزجار (قوله وماتفعلوا من خير يعلمه الله) إن قلت إن الله كما يعلم الخير من العبد يعلم الشرّ منه.أجيب بأن شأن الله ستر الشرّ عن العبيد فلايظهره عليهم بخلاف الخير فيظهره للخلائق لما فى الحديث « إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه حتى يأتى يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب » وأيضا الآية مسوقة

(فَمَنْ فَرَضَ) على نفسه (فِيهِنَّ الْحَجَّ) بالاحرام به (فَلاَ رَفَثَ) جماع فيه (وَلاَ فُسُوقَ) معاصٍ (وَلاَ جِدَالَ) خصام (فِى الْحَجِّ) وفى قراءة بفتح الأولين والمراد فى الثلاثة النهى (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) كصدقة (يَعْلَمْهُ اللهُ)فيجازيكم به . ونزل فى أهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كلاًّ على الناس(وَتَزَوَّدُوا) ما يبلّغكم لسفركم (فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى) ما يتقى به سؤال الناس وغيره (وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ) ذوى العقول (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فى (أَنْ تَبْتَغُوا) تطلبوا (فَضْلاً) رزقا (مِنْ رَبِّكُمْ) بالتجارة فى الحج ، نزل رداً لكراهتهم ذلك (فَإِذَا أَفَضْتُمْ) دفعتم (مِنْ عَرَفَاتٍ) بعد الوقوف بها (فَاذْكُرُوا اللهَ) بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء (عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ) هو جبل فى آخر المزدلفة يقال له قزح وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً رواه مسلم (وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل (وَإِنْ) مخففة (كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ) قبل هداه (لَمِنَ الضَّالِّينَ. ثُمَّ أَفِيضُوا) يا قريش (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ) أى من عرفة بأن تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعاً عن الوقوف معهم ،

فى أفعال الحج وكلها خير (قوله ونزل فى أهل اليمن) أى وكانوا حديثى عهد بالاسلام ويزعمون أنهم متوكلون (قوله كلا على الناس) أى عالة (قوله وغيره) أى كالنصب والسرقة (قوله نزل رداً لكراهتهم ذلك) أى لابأس بالتجارة بالحج إذا كانت لاتشغله عن أفعاله واختلف هل التجارة تنقص ثواب الحج أولا ؟ قال بعضهم إن كانت التجارة أكبر همه ومبلغ علمه سقط الفرض عنه وليس ثوابه كمن لاقصد له إلا الحج و إن استوى الأمران وثم فلا يذم ولايمدح وان كانت التجارة تبعا للحج فقد حاز خير الدنيا والآخرة (قوله من عرفات) هومصروف و يصح منعه من الصرف للعلمية والتأنيث لأنه علم على البقعة (قوله بعد الوقوف بها) اعلم أن الركن عند مالك إدراك جزء من الليل . وأما النهار فهو واجب يجبر بالدم، وعند الشافعى أحدهما كاف فمن أدرك جزءا من الليل وجزءا من النهار فقد تمّ حجه باتفاق والأفضل الوقوف عند الصخرات العظام هناك لأنه موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بعد المبيت بمزدلفة) أى و يجمعون بها المغرب والعشاء جمع تأخير و يقصرون العشاء إلا أهلها و يستمرون بها إلى صلاة الصبح فيصلونها ثم يتوجهون إلى المشعر الحرام فيقفون به إلى الاسفار (قوله بالتلبية) هذا جرى على مذهب الشافعى وأما عند مالك فيقطع التلبية من وصوله لعرفة وصلاته الظهر والعصر بها (قوله هو جبل فى آخر المزدلفة) أى من جهة منى عند منارة بلاجامع (قوله قزح) على وزن عمر (قوله والكاف للتعليل) أى فالمعنى اذكروه لأجل هدايته إياكم ولأجل أنكم كنتم قبل ذلك من الضالين (قوله و إن مخففة) أى مهملة لاعمل لها (قوله لمن الضالين) أى من التائهين عن الهدى فهى نعمة ثانية يجب الشكر عليها قال تعالى فى مقام تعداد النعم ـ ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ـ الآية (قوله ثم أفيضوا) أى قفوا بعرفة وتقدم أن معنى الافاضة الدفع فأطلقه وأراد لازمه وهو الوقوف (قوله ترفعا) أى تكبرا .

(قوله وثم للترتيب فى الذكر) جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الإتيان بثم يقتضى أن الأمر بالوقوف بعد رجوع الناس من عرفة ووصولهم منى مع أن الأمر ليس كذلك فأجاب المفسر بذلك . وأجيب أيضا بأن ثم بمعنى الواو وهى لاتقتضى ترتيبا . وأجيب أيضا بأن فى الكلام تقديما وتأخيرا فقوله ثم أفيضوا معطوف على قوله فاتقون وقوله فاذا أفضتم مرتب عليه ويكون الخطاب لعموم الناس (قوله واستغفروا الله) أى اطلبوا منه مغفرة ذنوبكم بتلك المواضع المطهرة فانها مهبط تجلى الرحمات وإجابة الدعوات (قوله مناسككم) جمع منسك وهى العبادات التى عين الشارع لها أماكن مخصوصة كالطواف لايكون إلا بالبيت والسعى لايكون إلا بين الصفا والمروة والوقوف لايكون إلا بعرفة والرمى لايكون إلا بمنى فالمعنى أديتم العبادات فى أماكنها المعهودة (قوله بالمفاخرة) كانت العرب فى الجاهلية بعد فراغ حجهم يذكرون آباءهم بالخصال الحميدة نظما ونثرا فكان الواحد منهم يقول مثلا إن أبى كان كبير الجفنة أى القصعة فتاكا بالشجعان وهكذا لأنه يوم اجتماع للقبائل من العام إلى العام (قوله من ذكرا المنصوب باذكروا) أى على المصدرية (قوله إذ لو تأخر عنه لكان صفة له) أى لأن القاعدة أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالا وتعرب النكرة بحسب العوامل فيكون التقدير فاذكروا الله ذكرا كائنا كذكركم آباءكم أو أشد (قوله فمن الناس) هذا بيان لحال من يقف بعرفة (قوله من خلاق) من صلة (قوله نصيب) أى حظ وهذا دعاء غير المؤمنين بغير الآخرة وقوله ومنهم هذا هو دعاء المؤمنين بها

وثم للترتيب فى الذكر (وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ) من ذنوبكم (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم (فَإِذَا قَضَيْتُمْ) أديتم (مَنَاسِكَكُمْ) عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) بالتكبير والثناء (كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ) كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة (أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) من ذكركم إياهم ونصب أشد على الحال من ذكرا المنصوب باذكروا إذ لو تأخر عنه لكان صفة له (فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا) نصيبنا (فِي الدُّنْيَا) فيؤتاه فيها (وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ) نصيب (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) نعمة (وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً) هى الجنة (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله (أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ) ثواب (مِنْ) أجل (مَا كَسَبُوا) عملوا من الحج والدعاء (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (وَاذْكُرُوا اللَّهَ) بالتكبير عند رمى الجمرات (فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ) أى أيام التشريق الثلاثة (فَمَنْ تَعَجَّلَ) أى استعجل بالنفر من منى (فِي يَوْمَيْنِ)،

(قوله نعمة) أى بركة وخيرا وذلك كالعافية والزوجة الحسنة والدار الواسعة وغير ذلك مما يعين على الدار الآخرة فكل أمر فى الدنيا يوافق الطبع ويعين على الدار الآخرة فهو من حسنات الدنيا (قوله هى الجنة) أى دخولها بسلام بحيث يموت على الاسلام ولا يلحقه حساب ولاعذاب ويرى وجه الله الكريم وهذا أحسن مافسر به حسنة الدنيا والآخرة وهو معنى قوله فى الحديث لعائشة « سلى الله العافية فى الدارين » (قوله وقنا عذاب النار) من عطف اللازم على الملزوم وأصل قنا اوقنا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها فى المضارع ثم حذفت الهمزة للاستغناء عنها لأنه أتى بها توصلا للنطق بالساكن وقد زال وقد ورد « إن المؤمن الناجى يكون بينه وبين النار مسيرة خمسمائة عام عرضا وعمقا » (قوله بعدم دخولها) أى أصلا فلا ندخلها ولا نراها (قوله لما كان عليه المشركون) أى وهو الأول وقوله ولحال المؤمنين أى وهو الثانى (قوله الحث على طلب خير الدارين) أى لا التخيير بين كونه يدعوه بشىء يؤتاه فى الدنيا فقط أو بحسنة الدنيا والآخرة والحسنة الأول فى دعائهم لم يبين الله ماطلبوه فى الدنيا (قوله ثواب) أى على الطلب فيؤتون سؤالهم ويزدادون ثوابا على طلبهم ذلك لأن الدعاء مخ العبادة (قوله فى قدر نصف نهار) بل قد ورد أنه فى مقدار ساعة بل ورد أيضا أنه كلمح البصر وذلك كناية عن عظيم قدرته فمن كان هذا وصفه ينبغى أن يتقى ويخشى ومامن أحد من المحاسبين إلا ويرى أنه لايحاسب غيره وذلك بعد انفضاض الموقف الذى تدنو الشمس فيه من الرءوس ويسيل العرق فى الأرض سبعين ذراعا وتكون النار حول الخلائق وتحيط الملائكة بالمخلوقات فيكونون سبع صفوف يحولون بينهم وبين النار وهو يختلف باختلاف الناس فنسأل الله السلامة من أهواله (قوله عند رمى الجمرات) أى عند رمى كل حصاة من حصيات الجمار يقول الله أكبر وكذلك عقب الصلوات وعند الذبح بأن يقول: بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك (قوله أى أيام التشريق الثلاثة) أى وهو ثانى يوم النحر وتالياه . وأما يوم النحر فمعلوم للذبح غير معدود للرمى واليومان بعده معلومان معدودان والرابع معدود

أى فى ثانى أيام التشريق بعد رمى جماره (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) بالتعجيل (وَمَنْ تَأَخَّرَ) بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره (فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) بذلك أى هم مخيرون فى ذلك ، ونفى الاثم (لِمَنِ اتَّقَى) الله فى حجه لأنه الحاج فى الحقيقة (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ولا يعجبك فى الآخرة لمخالفته لاعتقاده (وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ) أنه موافق لقوله (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق كان منافقا حلو الكلام للنبى صلى الله عليه وسلم يحلف أنه مؤمن به ومحب له فيدنى مجلسه فأكذبه الله فى ذلك ، ومرّ بزرع وحُمُر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلا كما قال تعالى (وَإِذَا تَوَلَّى) انصرف عنك (سَعَى) مشى (فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) من جملة الفساد (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ) أى لايرضى به (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ) فى فعلك (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ) حملته الأنفة والحمية على العمل (بِالْإِثْمِ) الذى أمر باتقائه (فَحَسْبُهُ) كافيه (جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي) يبيع (نَفْسَهُ) أى يبذلها فى طاعة الله (ابْتِغَاءَ) طلب (مَرْضَاتِ اللَّهِ) رضاه وهو صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله (وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).

غير معلوم عند مالك وأبى حنيفة وعند الشافعى معلوم أيضا وماذكره المفسر من أن المراد بالأيام المعدودات أيام التشريق الثلاثة هو ماعليه مالك والشافعى وإطلاق التشريق على الثلاثة اعتبار بمذهب الشافعى . والحاصل أن يوم النحر يفعل فيه رمى جمرة العقبة ثم النحر ثم الحلق ثم طواف الافاضة وفى الثانى يرمى ثلاث جمرات يبدأ بالتى تلى مسجد منى ثم بالوسطى ثم يختم بالعقبة وكذا فى الثالث والرابع إن لم يتعجل (قوله أى فى ثانى أيام التشريق) دفع بذلك مايتوهم أن له التعجل فى كل من اليومين مع أنه لامعنى له (قوله بعد رمى جماره) أى وهو بعد الزوال ومحل التخيير إن لم تغرب عليه الشمس وهو بمنى وإلا فيلزمه المبيت بها لرمى الثالث . وأصل مشروعية الرمى عند أمر إبراهيم الخليل بذبح ولده فلما توجه به لمنى تعرض له الشيطان عند المسجد فرماه بسبع حصيات ثم تعرض له عند الوسطى فرماه أيضا بسبع ثم تعرض له عند العقبة فرماه أيضا بسبع فهو مما زال سببه وبقى حكمه (قوله فلاإثم عليه) أى لاحرج لأنه رخصة (قوله أى هم مخيرون) جواب عن سؤال وهو أن التأخر آتى بالمطلوب فكيف ينفى عنه الاثم . وأجيب أيضا بأن ذكر الاثم فى جانب المتأخر مشاكلة .وأجيب أيضا بأنه ردّ على من زعم من الجاهلية أن على المتعجل الاثم ، وعلى من زعم منهم أن على المتأخر الاثم (قوله ونفى الاثم لمن اتقى) أشار بذلك إلى أن لمن اتقى خبر لمحذوف قدره بقوله ونفى الاثم (قوله لأنه الحاج على الحقيقة) وفى نسخة فى الحقيقة أى لاستكماله الشروط والآداب وأماغير المتقى فعليه الاثم مطلقا تعجل أو تأخر كالحاج بالمال الحرام ومرتكب المعاصى (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله ومن الناس) معطوف على قوله فمن الناس من يقول ربنا الآية فقد قسم الله الناس على أربعة أقسام : الأول من يطلب الدنيا لاغير ، ومنهم من يطلب الدنيا والآخرة ، ومنهم من يظهر أنه من أهل الآخرة مع أنه فى الواقع حيث من أهل النار، ومنهم من هو مؤمن ظاهرا وباطنا وذكرهم على هذا الترتيب (قوله الأخنس بن شريق) هذا لقبه واسمه أبىّ وكان يتبعه ثلثمائة منافق من بنى زهرة وسبب تلقيبه بالأخنس أنه اختفى يوم بدر هو وجماعته فقال لهم إن انتصر محمد فالعزة لكم لعدم ظهور العداوة منكم وإن انتصر الكفار فقد كفيتموه (قوله حلو الكلام) أى والمنظر (قوله فيدنى مجلسه) أى فيقربه منه وفى الحديث «إنا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم» (قوله فأكذبه الله فى ذلك) أى فى دعواه وفى حلفه (قوله وحمر) جمع حمار (قوله وعقرها) أى قطع أرجلها (قوله ليفسد فيها) علة لقوله سعى (قوله ويهلك الحرث والنسل) تفصيل للافساد (قوله بالاثم) الباء للملابسة والاتيان بقوله بالاثم يسمى عند علماء البديع تتميما لأنه ربما يتوهم أن المراد عزة ممدوحة (قوله ولبئس المهاد) أى أن الله جعل له جهنم غطاء ووطاء فأكرمه كما تكرم أم الصبى ولدها بالغطاء والوطاء اللينين وذلك من باب التهكم (قوله وهو صهيب) أى ابن سنان الرومى حين أسلم تعرض له المشركون وآذوه فقال إنى رجل كبير مسكين ليس بنافعكم وفرارى ليس بضاركم فان كان من جهة المال فهاهو فتركه وهاجر لرسول الله وقد مدحه رسول الله بقوله « نعم العبد صهيب لو لم يخف الله

حيث أرشدهم لما فيه رضاه . ونزل فى عبد الله بن سلام وأصحابه لما عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ) بفتح السين وكسرها : الإسلام (كَافَّةً) حال من السلم أى فى جميع شرائعه (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ) طرق (الشَّيْطَانِ) أى تزيينه بالتفريق (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بيّن العداوة (فَإِنْ زَلَلْتُمْ) ملتم عن الدخول فى جميعه (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرة على أنه حق (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شىء عن انتقامه منكم (حَكِيمٌ) فى صنعه (هَلْ) ما (يَنْظُرُونَ) ينتظر التاركون الدخول فيه (إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) أى أمره كقوله أو يأتى أمر ربك أى عذابه (فِي ظُلَلٍ) جمع ظلة (مِنَ الْغَمَامِ) السحاب (وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ) تمّ أمر هلاكهم (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) بالبناء للمفعول والفاعل فى الآخرة فيجازى كلاًّ بعمله (سَلْ) يا محمد (بَنِي إِسْرَائِيلَ) تبكيتا (كَمْ آتَيْنَاهُمْ) كم استفهامية ،

لم يعصه » أى لو انتفى عنه خوف الله لا يقع منه عصيان لأن طاعته محبة فى الله لا طمعا فى جنة ولا خوفا من نار (قوله حيث أرشدهم لما فيه رضاه) أى فقد جعل النعيم الدائم فى نظير العمل القليل فان الخلود فى الجنة جزاء كلمة الاخلاص ومن جملة رأفته مضاعفة الحسنات وعدم مضاعفة السيئات وعدم مؤاخذة من كفر خوف القتل وقبول التائب وإن بالغ فى العصيان وطال زمانه (قوله ونزل فى عبد الله بن سلام) أى وكان من أحبار اليهود (قوله وأصحابه) أى الذين أسلموا معه من اليهود (قوله لما عظموا السبت) أى احترموه بتحريم الصيد فيه كما كان فى شرع موسى (قوله وكرهوا الابل) أى حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها (قوله بعد الاسلام) أى بعد أن دخلوا فى الاسلام لم يتمسكوا بجميع شرائعه فوبخهم الله على ذلك (قوله بفتح السين وكسرها) قراءتان سبعيتان هنا وفى الأنفال والقتال لكن الأكثر هنا الكسر وما هناك العكس وقوله الاسلام إشارة لمعناه هنا على القراءتين وأما فى الأنفال والقتال فمعناه الصلح (قوله حال من السلم) أى وهو يذكر ويؤنث فلذا أتى بالتاء فى كافة وقال تعالى أيضا ـ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ـ (قوله أى تزيينه) أى تحسينه الأمور لكم والمعنى لا تتبعوا طرق الشيطان التى يزينها لكم بوسوسته (قوله بالتفريق) أى بأن تتبعوا محمدا فى أمور وموسى فى أمور أخر (قوله إنه لكم عدو) تعليل لما قبله والعدو هو الذى يسره ما يضرك ويضره ما يسرك (قوله بين العداوة) من أبان اللازم والمعنى أن عداوته بينة وظاهرة لمن نور الله بصيرته وأراد به خيرا قال تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ـ (قوله عن الدخول فى جميعه) أى جميع أحكامه (قوله من بعد ما جاءتكم البينات) إن قلت إن الزلل لا يكون إلا بعد مجيئها. أجيب بأن المراد بمجيئها ظهورها ظهورا بينا (قوله لا يعجزه شىء) أى فلا تفلتون منه (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الأشياء فى محلها ومنه عذاب المفرق (قوله هل ينظرون) الاستفهام هنا إنكارى توبيخى (قوله الدخول فيه) أى فى جميع أحكامه (قوله إلا أن يأتيهم الله) استثناء مفرغ والمعنى لا ينتظرون شيئا إلا إتيان الله فى ظلل (قوله أى أمره) دفع بذلك ما يقال إن الاتيان بمعنى الانتقال من صفات الحوادث وهى مستحيلة على الله تعالى (قوله فى ظلل) ظرف للاتيان المذكور والمعنى أن الله يرسل عليهم العذاب فى صورة الرحمة وذلك لأن شأن السحاب الرقيق أن يأتى بالأمطار التى يكون فيها منافع لهم وذلك مكر عظيم من الله بهم (قوله والملائكة) عطف على لفظ الجلالة، والمعنى أن إتيان الملائكة مصاحب لعذاب الله المظروف فى السحاب الرقيق وقرىء شاذا بجر الملائكة واختلفوا فى عطفه فقيل معطوف على ظلل وقيل على الغمام (قوله وقضى الأمر) عبر بالماضى لتحقق وقوعه وإلا فالمقام للمضارع لمناسبة يأتيهم وينظرون، وهذا وعيد عظيم لكل من لم يستجمع أحكام الاسلام والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله فيجازى كلا بعمله) أى فيحاسبكم على النقير والقطمير ويؤول أمركم إما إلى جنة أو إلى نار (قوله سل) أصله اسأل نقلت فتحة الهمزة الثانية إلى الساكن قبلها فسقطت تلك الهمزة تخفيفا ثم سقطت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار وزنه فل (قوله تبكيتا) أى تقريعا وتوبيخا لا للاستفهام منهم وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى فلا غرابة فى عدم إيمانهم بك فاننا آتيناهم آيات بينات على يد موسى فلم يؤمنوا ولم ينقادوا

(قوله معلقة سل عن المفعول الثانى) التعليق هو إبطال العمل لفظا لا محلا والإلغاء إبطاله لفظا ومحلا فتكون جملة كم آتيناهم فى المعنى فى محل المفعول الثانى لسل. إن قلت إن التعليق مختص بأفعال القلوب وسل ليست منها. أجيب بأنها سبب للعلم والعلم منها (قوله وهو ثانى مفعولى آتينا) أى كم ومفعولها الأول الهاء من هم (قوله ومميزها) أى مميز كم (قوله كفلق البحر) أى اثنى عشر طريقا (قوله وإنزال المن والسلوى) أى وهم فى التيه حين أمروا بقتال الجبارين (قوله فبدلوها كفرا) هذا إشارة للبدل والمعنى أن الله يأتيهم بالآيات فيبدلونها بالكفر (قوله ومن يبدل نعمة الله) من شرطية ويبدل فعل الشرط وقوله فان الله شديد العقاب جوابه (قوله من بعد ماجاءته) أى اتضحت وثبتت له (قوله كفرا) هذا هو المفعول الثانى وقد صرح به فى قوله تعالى - ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا - (قوله له) قدره المفسر لصحة جعل الجملة جواب الشرط (قوله زين للذين كفروا) زين فعل ماض مبنى للمفعول ونائب الفاعل قوله الحياة الدنيا والذين كفروا متعلق بزين وفاعل الزينة حقيقة هو الله والشيطان مجازا وقرئ ببناء الفعل للفاعل والحياة مفعول والفاعل ضمير يعود على الله أو الشيطان وجرد الفعل من العلامة لكون نائب الفعل مجازى التأنيث سيما مع وجود الفاصل (قوله من أهل مكة) تخصيص بحسب السبب وإلا فكل كافر كذلك (قوله بالتمويه) أى التحسين الظاهرى الذى باطنه قبيح (قوله وهم يسخرون) قدره المفسر إشارة إلى أن الجملة حالية

معلقة سل عن المفعول الثانى وهى ثانى مفعولى آتينا ومميزها (مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ) ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدلوها كفرا (وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ) أى ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ) كفرا (فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) بالتمويه فأحبوها (وَ) هم (يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) لفقرهم كبلال وعمار وصهيب أى يستهزئون بهم ويتعالون عليهم بالمال (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك وهم هؤلاء (فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى رزقا واسعا فى الآخرة أو الدنيا بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ) إليهم (مُبَشِّرِينَ) من آمن بالجنة (وَمُنْذِرِينَ) من كفر بالنار (وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (لِيَحْكُمَ) به (بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) من الدين (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ) أى الدين،

قال ابن مالك:
وذات واو بعدها انو مبتدا ... له المضارع اجعلن مسندا
(قوله لفقرهم) أى لتركهم الدنيا وإقبالهم على الآخرة (قوله كعمار) أى ابن ياسر (قوله وبلال) أى الحبشى لما أسلم عذب فى الله عذابا شديدا، (قوله وصهيب) تقدمت قصته (قوله والذين اتقوا) جملة حالية (قوله فوقهم) أى حسا لكونهم فى الجنة وهى عالية وجهنم سافلة ومعنى لكونهم مكرمين والكفار مهانون

(قوله والله يرزق) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها (قوله أى رزقا واسعا (إلا فى الآخرة) أى لما فى الحديث «لموضع سوط أحدكم فى الجنة خير من الدنيا ومافيها» (قوله أو فى الدنيا) هذا تفسير آخر وقوله بأن يملك المسخور منهم الخ أى وقد حصل ذلك بعد الفتح وفى الغزوات فانه مامن غزوة إلا ويأخذ منهم الأموال والرقاب فى تلك الغزوة بل زادهم الله بأن ملكهم رقاب الملوك وأموالهم. والحاصل أن رزق المؤمن فى الدنيا بغير حساب بخلاف الكافر وفى الحديث «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب» وأما فى الآخرة فالأمر ظاهر (قوله كان الناس أمة واحدة) أى فى مبدإ الدنيا من آدم إلى إدريس، وقيل من آدم إلى نوح والمعنى أنهم كانوا على الحق ولا اختلاف بينهم فى تلك المدة وقيل كانوا على باطل فى تلك المدة وهو ضعيف ولذا لم يعرج عليه المفسر (قوله بأن آمن بعض الخ) أى بعد ظهور نوح أو إدريس (قوله من آمن) هذا معمول مبشرين وقوله من كفر معمول لمنذرين (قوله وأنزل معهم) أى مع مجموعهم لا جميعهم (قوله بمعنى الكتب) أشار بذلك إلى أن أل جنسية (قوله متعلق بأنزل) أى والباء للملابسة (قوله ليحكم) يحتمل عود الضمير على الله لأنه الحاكم حقيقة، ويحتمل عوده على الأنبياء باعتبار كل فرد من أفرادهم أى ليحكم كل نبى بين أمته (قوله من الدين) بيان لما

(قوله إلا الذين أوتوه) استثناء مفرغ فالمستثنى منه محذوف أى وما اختلف فيه أحد إلا الذين أوتوه والمعنى لم يختلف فى الدين أحد إلا الذين أوتوا الكتاب فالاختلاف من عهد إنزال الكتب وذلك يؤيد القول بأن الاختلاف من زمن إدريس (قوله وهى وما بعدها مقدم على الاستثناء) أى فيكون المعنى وما اختلف فى الدين أحد من بعد ظهور الحجج الواضحة حال كون الاختلاف بغيا إلا الذين أوتوه و إنما جعل مقدما على الاستثناء لئلا يكون الاستثناء المفرغ متعددا مع أنه لايكون كذلك لأنه يصير المعنى حينئذ إلا الذين أوتوه إلا من بعد ماجاءتهم البينات إلا بغيا بينهم (قوله بغيا) أى ظلما وتعديا (قوله للبيان) أى بيان الأمر الذى اختلفوا فيه (قوله بإرادته) أى سبقت إرادته بهداية الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه الكفار (قوله هدايته) أشار بذلك إلى أنه مفعول يشاء وأشار بذلك إلى أن الهداية والاضلال ليسا من فعل الانسان بل بخلق الله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا (قوله طريق الحق) أى دين الاسلام سمى طريقا لأنه يوصل للمقصود كما أن الطريق كذلك (قوله ونزل فى جهد) هو بالفتح المشقة (قوله أصاب المسلمين) قيل كان ذلك فى غزوة الأحزاب حين حاصر الكفار المدينة واحتاطوا بها وقطعوا عنها الوارد ولم يكن بينهم و بين دخولها إلا الخندق وكانوا إذ ذاك عشرة آلاف مقاتل فاشتد الكرب والخوف على المسلمين سيما مع وجود ثلاثمائة منافق بين أظهرهم فنزلت الآية (قوله

(إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ) أى الكتاب فآمن بعض وكفر بعض (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرة على التوحيد ومن متعلقة باختلف وهى وما بعدها مقدم على الاستثناء فى المعنى (بَغْيًا) من الكافرين (بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ) للبيان (الْحَقِّ بِإِذْنِهِ) بإرادته (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) طريق الحق. ونزل فى جهد أصاب المسلمين (أَمْ) بل أ (حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا) لم (يَأْتِكُمْ مَثَلُ) شبه ما أتى (الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا (مَسَّتْهُمُ) جملة مستأنفة مبينة ما قبلها (الْبَأْسَاءُ) شدة الفقر (وَالضَّرَّاءُ) المرض (وَزُلْزِلُوا) أزعجوا بأنواع البلاء (حَتَّى يَقُولَ) بالنصب والرفع، أى قال (الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) استبطاء للنصر لتناهى الشدة عليهم (مَتَى) يأتى (نَصْرُ اللَّهِ) الذى وعدناه فأجيبوا من قبل الله (أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) إتيانه (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (مَاذَا يُنْفِقُونَ) أى الذى ينفقونه، والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخا ذا مال،

أم حسبتم) قدر المفسر بل إشارة إلى أن أم منقطعة والهمزة للاستفهام الانكارى التوبيخى والمقصود منه تقويتهم على الصبر (قوله لم) قدرها إشارة إلى أن لما نافية بمعناها (قوله ما أتى) قدر ذلك المضاف إشارة إلى أن الشبه فى الأمر الذى أتاهم لا فى الذوات (قوله من قبلكم) تأكيد لخلوا (قوله من المحن) بيان لما أتى (قوله بالنصب والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان والنصب بأن مضمرة وحتى بمعنى إلى وهى تنصب المضارع إذا كان مستقبلا ولاشك أن القول مستقبل بالنسبة للزلزال. إن قلت إن القول والزلزال قد مضى. فالجواب أنه على حكاية الحال الماضية، وأما الرفع فهو بناء على أن الفعل بعدها حال مقارن لما قبلها والحال لاينصب بعد حتى فتحصل أن لها بعد حتى ثلاثة أحوال إما أن يكون مستقبلا أو ماضيا أو حالا فالأول ينصب والأخيران يرفعان (قوله متى نصر الله) قدر المفسر يأتى إشارة إلى أن نصر الله فاعل بفعل محذوف ولكن الأحسن جعله مبتدأ مؤخرا ومتى خبر مقدم وليس قول الرسول قلقا وعدم صبر بل ذلك دعاء وطلب لما وعده الله به (قوله ألا إن نصر الله قريب) أخذ من ذلك أنه إذا اشتد الكرب كان الدعاء بالفرج مستجابا قال تعالى - أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء - وقد حقق الله ذلك سريعا كما قال فى سورة الأحزاب - فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها - (قوله يسألونك) أى أصحابك المسلمون (قوله ماذا ينفقون) ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول بمعنى الذى خبره وجملة ينفقون صلته والعائد محذوف أى ينفقونه. والمعنى أن أصحابك يسألونك عن الشئ الذى ينفقونه هل ينفقون مما تيسر ولو حراما أو يتحرون الحلال وفى الآية حذف سؤال آخر دل عليه الجواب والتقدير وعلى من ينفقون والسؤال عن صدقة التطوع بدليل الجواب (قوله والسائل عمرو) أى وإنما جمع السائل فى الآية لأن التكليف لكل مسلم فكان هذا السائل ترجمانا عن كل مسلم وإنما اعتنى بذلك السؤال لأن الانسان يوم القيامة ورد أنه يسئل عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟

(قوله فسأل النبي الخ) أى وحينئذ فني الآية اكتفاء فى السؤال حيث حذف الشق الثانى واكتفى بجوابه (قوله من خير) أى حلال (قوله الذى هو أحد شقى السؤال) أى المذكور فى الآية وقوله وأجاب أى عن المصرف الخ أى الذى سؤاله مطوى (قوله والأقربين) أى من أولاد وإخوة وأعمام وعمات وهو من عطف العام على الخاص وصرح بذكر الوالدين وإن دخلا فى الأقربين اعتناء بشأنهما (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من فقد أباه وهو دون البلوغ وقدم اليتامى على المساكين لعجزهم عن التكسب (قوله والمساكين) المراد بهم مايشمل الفقراء (قوله وابن السبيل) أى الغريب المسافر (قوله وما تفعلوامن خير) ماشرطية وتفعلوا فعل الشرط ومابعد الفاء جوابه وأتى بتلك الجملة طمأنينة للمؤمن فى الاكتفاء بوعد الله فى المجازاة لأنه وعدها ووعده لايتخلف ومع ذلك لايغيب عن علمه مثقال ذرة فيلزم من علمه بالخير من العبد مجازاته عليه والاسرار بنفقة التطوع أفضل لأن صاحبها من جملة من يظله الله فى ظل عرشه يوم لاظل إلاظله (قوله أو غيره) أى كالكلام اللين الطيب (قوله فان الله به عليم) أى وقد التزم جزاءه وحقيق بأن ينجزه (قوله كتب عليكم القتال) أى وكان فرضه بعد الهجرة بعد أن نهى رسول الله عنه فى نيف وسبعين آية،وهوفرض عين إن دخل العدو وكفاية إن لم يفجأ بأن كان فى بلده ونحن الطالبون له (قوله للكفار) أى الحربيين وأما أهل الذمة فيحرم قتالهم (قوله طبعا) أى فهو مكروه من جهة الطبع ولا يلزم من كون الطبع يكرهه أنه كاره حكم الله به بل هو من باب مخالفة النفس (قوله وعسى أن تكرهوا شيئا) الترجى فى كلام الله ليس

فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عما ينفق وعلى من ينفق (قُلْ) لهم (مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ) بيان لما شامل للقليل والكثير، وفيه بيان المنفق الذى هو أحد شقى السؤال وأجاب عن المصرف الذى هو الشق الآخر بقوله (فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) أى هم أولى به (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ) إنفاق أو غيره (فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فمجاز عليه (كُتِبَ) فرض (عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) للكفار (وَهُوَ كُرْهٌ) مكروه (لَكُمْ) طبعاً لمشقته (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم فى القتال وإن كرهتموه خيراً لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر، وفى تركه وإن أحببتموه شراً لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) ما هو خير لكم (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به. وأرسل النبى صلى الله عليه وسلم أول سراياه

على بابه بل هو للتحقيق لأنه خبر من أحاط بكل شئ علما وعسى هنا تامة تكتفى بمرفوعها قال ابن مالك:

بعد عسى اخلولق أوشك قد يرد
غنى بأن يفعل عن ثان فقد

(قوله وهو خير لكم) جملة حالية من قوله شيئا أو صفة له. واستشكل كل منهما بأن الحال لايأتى النكرة من بدون مسوغ، وبأن الصفة لاتقترن بالواو. وأجيب عن الأول بأن إتيان الحال من النكرة بدون مسوغ قليل وعن الثانى بأن الصفة أجريت مجرى الحال فى جواز اقترانها بالواو وعليها وقوله الموجبة لسعادتها أى فالسعادة فى طاعة الله والشقاوة فى معاصيه (قوله إما الظفر والغنيمة) أى لمن عاش وقوله أو الشهادة والأجر أى لمن مات (قوله لأن فيه الذل) أى بغلبة العدو علينا وقوله والفقر أى لكونه يسلب مالنا وقوله وحرمان الأجر أى المترتب على الجهاد فى سبيل الله وهو مضاعفة الحسنات إلى سبعمائة ضعف وغير ذلك مما وعد الله به المجاهدين (قوله وأرسل النبى) هذا بيان لسبب نزول هذه الآيات من هنا إلى آخر الربع (قوله أول سراياه) أى وكانت تلك السرية إذ ذاك ثمانية رجال وقيل اثنى عشر أرسلهم النبى لمحل يقال له نخلة جهة الطائف يتجسسون على الكفار ويأتون بأخبارهم فبينما هم فى ذلك الموضع إذ مرت بهم عير لقريش من جهة الطائف ومعها أربعة رجال فقتل أهل السرية أحد الأربعة وأسروا اثنين وهرب واحد وغنموا العير وما عليها وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين. واعلم أن جملة سراياه وغزواته سبعون.والسرية من خمسة رجال إلى أربعمائة وما فوقها يقال لها جيش ثم صريح المفسر يقتضى أنه لم يكن قبلها سرية والذى ذكره فى المواهب أن أول سرية كانت فى رمضان سابع شهر من هجرته عليه الصلاة والسلام والثانية فى شوال والثالثة فى صفر وهذه هى الرابعة وغزا قبل تلك السرية ثلاث غزوات إلا أن يجاب عن المفسر بأن المراد بأول سراياه التى حصل منها القتل والغنيمة

الكفار وأما ماقبلها فلم يقع فيه قتل ولا غنيمة (قوله وعليها عبد الله بن جحش) أى أميرا وهو ابن عمة رسول الله (قوله فقاتلوا المشركين) أى الذين كانوا مع العير (قوله والتبس عليهم برجب) أى حيث رأوا الهلال كبيرا فالتبس عليهم هل هو ابن ليلة أو ليلتين (قوله فعيرهم الكفار باستحلاله) أى حيث قال الكفار للمسلمين أنتم قد استحللتم القتال فى الأشهر الحرم (قوله يسئلونك) أى سؤال اعتراض (قوله بدل اشتمال) أى من الشهر إذ هو مشتمل على القتال لوقوعه فيه (قوله كبير) أى إن كان عمدا (قوله مبتدأ وخبر) أى والمسوغ وصفه بالجار والمجرور (قوله وصدّ عن المسجد الحرام) قدر ذلك المفسر إشارة إلى أنه معطوف على سبيل الله مسلط عليه صدّ لكن يلزم عليه العطف على المبتدإ قبل استكمال مسوغه. وأجيب بأنه لايلزم محذور إلا إذا كان المعطوف أجنبيا من المعطوف عليه وهنا ليس بأجنبي لأن الكفر والصد عن سبيل الله والمسجد الحرام من واد واحد (قوله وخبر المبتدا) أى وما عطف عليه و إنما أفرد الخبر لأنه اسم تفضيل مجرد والقاعدة أن اسم التفضيل إذا كان مجردا أو مضافا لنكرة يلزم أن يكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، قال ابن مالك :

و إن لمنكور يضف أو جردا * ألزم تذكيرا وأن يوحدا

وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمى آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيّرهم الكفار باستحلاله فنزل (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ) المحرم (قِتَالٍ فِيهِ) بدل اشتمال (قُلْ) لهم (قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) عظيم وزرا مبتدأ وخبر (وَصَدٌّ) مبتدأ : منع للناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (وَكُفْرٌ بِهِ) بالله (وَ) صد عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى مكة (وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ) وهم النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون وخبر المبتدأ (أَكْبَرُ) أعظم وزرا (عِنْدَ اللَّهِ) من القتال فيه (وَالْفِتْنَةُ) الشرك منكم (أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) لكم فيه (وَلَا يَزَالُونَ) أى الكفار (يُقَاتِلُونَكُمْ) أيها المؤمنون (حَتَّى) كى (يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ) إلى الكفر (إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) الصالحة (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلا وعليه الشافعى (وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الاثم فلا يحصل لهم أجر نزل (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا) فارقوا أوطانهم (وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لإعلاء دينه (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ) ثوابه (وَاللَّهُ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم ،

(قوله ولا يزالون يقاتلونكم) المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال (قوله كى يردوكم) أشار بذلك إلى أن حتى للتعليل والفعل منصوب بأن مضمرة بعدها وعن دينكم متعلق بيردوكم (قوله إن استطاعوا) جملة شرطية حذف جوابها لدلالة ماقبلها عليه ومفعولها محذوف أيضا أى إن استطاعوا ذلك فلا يزالون يقاتلونكم (قوله ومن يرتدد منكم) هكذا القراءة هنا بالفك لاغير وأما فى المائدة ففيها قراءتان بالفك والادغام (قوله أعمالهم الصالحة) أى وأما السيئة فباقية يعذبون عليها (قوله وعليه الشافعى) هذا ضعيف والمعتمد عنده أنه يرجع له عمله مجردا عن الثواب وأما عند مالك وأبى حنيفة فهو كالكافر الأصلى إذا أسلم فلا يرجع له شىء من أعماله ولا يؤمر بالقضاء ترغيبا له فى الاسلام إلا ما أسلم فى وقته فيفعله وثمرة الخلاف تظهر فى صحابى ارتد ثم عاد للاسلام ولم تثبت رؤيته للنبى بعد ذلك هل ترجع له الصحبة مجردة عن الثواب وعليه الشافعى، أولا وعليه مالك وأبو حنيفة ، وأما زوجته فتبين منه وترجع له بالاسلام من غير عقد عند الشافعى وعند مالك وأبى حنيفة لاترجع إلا بالعقد، وحكم المرتد عند مالك أنه يستتاب ثلاثة أيام فان تاب و إلا قتل بعد غروب الثالث (قوله ولما ظن السرية الخ) بل ورد أنهم سألوا النبى عن ذلك (قوله إن الذين آمنوا) أى وهم عبد الله بن جحش ومن معه (قوله فارقوا أوطانهم) أشار بذلك إلى معنى الهجرة هنا (قوله والله غفور رحيم) أى ومن رحمته بهم غفران خطيئتهم وقسم الغنيمة عليهم فانه نزل بعد هذه الآية - واعلموا أنما غنمتم من شىء - الآية فأخذ رسول الله الخمس لبيت المال وفرق عليهم الأربعة أخماس

(قوله يسئلونك عن الخمر والميسر) السائل عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الصحابة بقولهم إن الخمر والميسر يضيعان العقل والمال فأفتنا فيهما . وحاصل ماوقع فى الخمر فى زمان رسول الله أنه نزل فيه أربع آيات الأولى نزلت بمكة تدل على حله وهى قوله تعالى ـ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ـ ثم سأل عمر ومعاذ وجماعة النبى بالمدينة عن حكمه فنزل يسئلونك عن الخمر والميسر الآية فشربها قوم لقوله ومنافع للناس وامتنع آخرون خوفا من قوله فيهما إثم كبير ثم إن عبدالرحمن بن عوف صنع طعاما لبعض أصحابه فأكلوا وشربوا الخمر فحضرت صلاة المغرب فأمهم واحد منهم فقرأقل ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون بإسقاط لا إلى آخر السورة فنزل ـ يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى ـ الآية فحرمت فى أوقات الصلاة دون غيرها ثم إن عتبان بن مالك صنع طعاما لجماعة من الصحابة وفيهم سعد بن أبى وقاص فأكلوا وشربوا الخمر فافتخروا وتناشدوا الشعر فأنشد سعد قصيدة يمدح بها قومه و يهجو الأنصار فشجّ رجل منهم رأسه فرفع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فأنزل الله آية المائدة إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يارب فكان يوم نزولها عيدا عظيما. والخمر كل مائع غيب العقل ولو من غير ماء العنب وهو نجس وفيه الحد قليلا أو كثيرا بل بالغ بعض المالكية فى الحدّ حيث أوجبه على من وضع إبرة فيه ومصها وبلع ريقه . والحاصل أن المتخذ من ماء العنب نجس يحرم قليله وكثيره أسكر أم لا و يحدّ شاربه بإجماع ، وأما المتخذ من غيره من سائر المائعات التى دخلتها الشدة المطربة فكذلك عند الأئمة الثلاثة وبعض الحنفية . وقال بعضهم لايحرم منه إلا القدر المسكر. وأما الجامد الذى يغيب العقل كالحشيشة والأفيون

(يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) القمار ما حكمهما (قُلْ) لهم (فِيهِمَا) أى فى تعاطيهما (إِثْمٌ كَبِيرٌ) عظيم وفى قراءة بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) باللذة والفرح فى الخمر و إصابة المال بلا كدّ فى الميسر (وَإِثْمُهُمَا) أى ما ينشأ عنهما من المفاسد (أَكْبَرُ) أعظم (مِنْ نَفْعِهِمَا) ولما نزلت شربها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة (وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ) أى ماقدره ؟ (قُلِ) أنفقوا (الْعَفْوَ) أى الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم ، وفى قراءة بالرفع بتقدير هو (كَذَٰلِكَ) أى كما بين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي) أمر (الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فتأخذون بالأصلح لكم فيهما (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى)

والبنج والداتورة فطاهر يحرم القدر المغيب للعقل منه وفيه الأدب (قوله القمار) هو آلات الملاهى التى يلعب بها فى نظير مال فيشمل الطاب والشطرنج والسيجة وأما إن كان بغير مال ففيه خلاف قيل كبيرة وقيل صغيرة وقيل مكروه (قوله أى فى تعاطيهما) لاحاجة له بعد تقدير ماحكمهما (قوله بالمثلثة) أى كثير (قوله باللذة والفرح) وما أى والقوة على الجماع والشجاعة والكرم (قوله إلى أن حرمتها آية المائدة) ظاهره أن آية المائدة نزلت بعد هذه الآية وليس كذلك بل بينهما آية النساء (قوله و يسئلونك) السائل عمرو بن الجموح المتقدم فسأل أولا عن جنس المال الذى ينفق منه وعلى من ينفقه وسأل ثانيا عن القدر المنفق فلم يكن بين السؤالين تكرار وتقدّم الجواب عن الجمع بأنه لما كان ذلك السؤال ينفع جميع الناس فكأن السائل جميع الناس (قوله وتضيعوا أنفسكم) أى فالاسراف مذموم وكذا التقتير قال تعالى ـ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كلّ البسط ـ الآية، وقال تعالى ـ والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ـ (قوله قراءة بالرفع) أى وهى لأبى عمرو من السبعة وسبب القراءتين الاختلاف فى إعراب ماذاينفقون فمن أعرب ماذا جميعها اسم استفهام معمولا لينفقون فالجملة فعلية فيكون جوابها كذلك فقوله العفو بالنصب معمول لمحذوف والجملة فى محلّ نصب مقول القول لأن القول لاينصب إلا الجمل أو ما قام مقامها ومن أعرب ما وحدها اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبره وجملة ينفقون صلته فالجملة اسمية فيكون جوابها كذلك فالعفو بالرفع خبر لمحذوف : أى هو العفو والجملة على كلّ حال مقول القول وهذا هو المناسب و إلا فيصحّ جعل السؤال جملة اسمية والجواب جملة فعلية و بالعكس (قوله فى أمر الدنيا) أى فتصلحوها ولا تسرفوا ولا تقتروا (قوله والآخرة) أى فتصلحوها أيضا بالأعمال الصالحة فلا تشددوا حتى تملوا ولا تتركوا حتى تغفلوا بل التوسط مطلوب فى أمر الدنيا والآخرة (قوله و يسئلونك عن اليتامى) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى ـ إن الذين يأكلون

وما يلقونه من الحرج فى شأنهم فإن واكلوهم يأثموا وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعامًا وحدهم فحرج (قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ) فى أموالهم بتنميتها ومداخلتكم (خَيْرٌ) من ترك ذلك (وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ) أى تخلطوا نفقتكم بنفقتهم (فَإِخْوَانُكُمْ) أى فهم إخوانكم فى الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أى فلكم ذلك (وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ) لأموالهم بمخالطته (مِنَ الْمُصْلِحِ) بها فيجازى كلا منهما (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ) لضيق عليكم بتحريم المخالطة (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) فى صنعه (وَلَا تَنْكِحُوا) تتزوجوا أيها المسلمون (الْمُشْرِكَاتِ) أى الكافرات (حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ) حرة لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه فى نكاح حرة مشركة ،

أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا - اشتدّ الكرب على أولياء الأيتام فشكوا لرسول الله ذلك فقالوا يارسول الله إنا إن خالطناهم فبالضرورة لا بد من أكل شىء من أموالهم ، وإن عزلناهم يلزم عليه المشقة على اليتامى وعلى أوليائهم فنزلت الآية (قوله وما يلقونه من الحرج) هذا بيان لوجه السؤال كأنه قال، ويسألونك عما يلقونه من الحرج فى شأن اليتامى ، والمراد بالحرج الوعيد الوارد فى سورة النساء (قوله فان واكلوهم) أى خالطوهم (قوله يأثموا) أى يقعوا فى الاثم المترتب عليه الوعيد وهذا بيان لوجه الحرج (قوله وإن عزلوا مالهم) أى مال اليتامى وقوله من أموالهم : أى الأولياء ويصحّ العكس (قوله فحرج) أى هو حرج فالجملة جواب الشرط (قوله قل إصلاح لهم خير) التنوين عوض عن المضاف إليه أى إصلاحكم لهم خير والوعيد محمول على الأكل بنية الافساد (قوله بتنميتها) الباء للسببية : أى بسبب زيادتها بالاتجار فيها وفى الحديث «اتجروا فى أموال اليتامى لاتأكلها الزكاة» (قوله ومداخلتكم) أى مخالطتكم لهم بأن تدخلوا أموالهم فى أموالكم (قوله خير من ترك ذلك) أى العزل. واختلف فى تنمية مال اليتيم بالاتجار ونحوه ، فقال مالك حفظ ماله بأىّ وجه واجب والأولى أن يكون بالتنمية فهى ليست واجبة وحمل حديث « اتجروا » على الندب واسم التفضيل على بابه فترك التنمية خير أيضا لكن الأولى التنمية ، وقال الشافعى تنميته والاتجار فيه على حسب الطاقة واجب وحمل الحديث على الوجوب واسم التفضيل فى الآية على غير بابه فترك التنمية لاخير فيه بل هى المتعينة (قوله أى فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أنه خبر لمحذوف والجملة جواب الشرط وهذا من التعبير باللازم ولذا أشار المفسر بقوله : أى فلكم ذلك (قوله والله يعلم المفسد من المصلح) أى فيدخل المفسد النار والمصلح الجنة ودفع بذلك مايقال ربما الأولياء يدّعون الاصلاح بالخلطة والواقع غير ذلك (قوله بتحريم المخالطة) أى بأن يكلف الأولياء بعزل مال اليتيم وطعامه وشرابه وإن تلف شىء من ذلك فعلى الولى (قوله إن الله عزيز) هذا كالتعليل لماقبله ، فالمعنى لوشاء الله عنتكم لأعنتكم لأنه غالب على أمره (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشىء فى محله ، لحيث أوجب الله حفظ مال اليتيم سوّغ المخالطة رفقا بالأولياء . والحاصل أنه يخرج من تركة أبى الأيتام مؤن تجهيزه وأما ماأوصى به من السبح والجمع فمن ثلثه إن وسعه وأما إن لم يوص وقدجرت العادة بذلك والمال واسع وفعل ذلك كبير رشيد فعند المالكية يلزم الأيتام ذلك ولايحرم الأكل منه حيث كان لاإسراف فيه ، وعند الشافعية لايلزم الأيتام ذلك ويحرم الأكل منه ، وأما إن كان المال ضيقا فلايلزم الأيتام ذلك اتفاقا ويحرم الأكل منه إلا أن يهدى للأيتام مايفى بما أكله (قوله تتزوجوا) يشير إلى أن المراد بالنكاح العقد لاالوطء ولم يرد فى القرآن بمعنى الوطء ، وسبب نزول الآية أن رجلا من الصحابة كان عاشقا امرأة فى الجاهلية فلما أسلم اجتمع بها فى مكة بعد هجرة النبىّ إلى المدينة فراودته عن نفسه ، فقال لها قد حال بينى و بين ماتطلبينه الاسلام فقالت له فهل لك فى التزوج بى ؟ فقال حتى أستأذن رسول الله فلما أخبره نزلت الآية (قوله أيها المسلمون) تفسير للواو فى تنكحوا (قوله الكافرات) أى غير الكتابيات بدليل مايأتى فى المفسر (قوله حتى يؤمن) فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة وهى فاعله سكنت وأدغمت فى نون الفعل (قوله خير من مشركة) اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار أمر الدنيا (قوله على من تزوج أمة) أى وهو عبد الله بن رواحة أو حذيفة بن اليمان كان عند كلّ منهما أمة فأعتقها وتزوج بها فعيرا بذلك وفى الحقيقة لم يتزوجا إلا بحرة . وأما التزوج بالأمة من غير عتق فيجوز بشرط أن لايجد للحرائر طولا وأن يخشى العنت وأن تكون تلك الأمة مؤمنة

(وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب (وَلَا تُنْكِحُوا) تزوجوا (الْمُشْرِكِينَ) أي الكفار المؤمنات (حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ) لماله وجماله (أُولَئِكَ) أي أهل الشرك (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم (وَاللَّهُ يَدْعُوا) على لسان رسله (إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ) أي العمل الموجب لهما (بِإِذْنِهِ) بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه (وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ) أي الحيض أو مكانه ماذا يفعل بالنساء فيه (قُلْ هُوَ أَذًى) قذر أو محله (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ) اتركوا وطأهن (فِي الْمَحِيضِ) أي وقته أو مكانه (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ) بالجماع (حَتَّى يَطْهُرْنَ) بسكون الطاء وتشديدها والهاء . وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء أي يغتسلن بعد انقطاعه (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ) بالجماع ،

وهذا إن كان يولد له منها وإلا فيجوز بغير شرط ، وسيأتي التعرض له في قوله تعالى ـ ومن لم يستطع منكم طولا ـ الآيات (قوله بغير الكتابيات) أي الحرائر ، وأما الأمة الكتابية فلا تحل إلا بالملك (قوله ولا تنكحوا المشركين) قراءة بضم التاء بإجماع وهو ينصب مفعولين المشركين مفعول أول وقدر المفسر المفعول الثاني ، والمعنى لا تزوجوا الكفار ولو أهل كتاب المؤمنات (قوله المؤمنات) قدره إشارة إلى مفعول تنكحوا الثاني (قوله حتى يؤمنوا) أي إلى أن يدخلوا في الإيمان (قوله ولو أعجبكم) الواو للحال ولو شرطية بمعنى إن جوابها محذوف تقديره فلا تزوجوه (قوله إلى الجنة والمغفرة) قدم الجنة هنا لمناسبة النار وإلا فالمغفرة سبب في دخول الجنة والسبب مقدم على السبب وقد قدمت في قوله تعالى ـ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة ـ وقوله تعالى ـ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة (قوله بتزويج أوليائه) أي وهم المسلمون (قوله ويبين آياته للناس) أي يظهرها ويوضحها لهم وللناس متعلق بيبين (قوله ويسألونك عن المحيض) السائل أبو الدحداح وجماعة من الصحابة . وسبب ذلك أن اليهود كانوا يعتزلون النساء في الحيض بالمرة حتى إنه لا يبيت في مكان فيه حائض ولا تصنع له حاجة أبدا ثم اقتدت بهم الجاهلية ، وأما النصارى فبخلاف ذلك فإنهم كانوا لا يفرقون بين كونها حائضا أولا فبين الله أن شرعنا بين ذلك قواما (قوله أي الحيض أو مكانه) اعلم أن المحيض مصدر ميمي يصلح للزمان والمكان فقوله أو مكانه : أي أو زمانه والحيض لغة السيلان يقال حاض الوادي إذا سال ، واصطلاحا دم أو صفرة أو كدرة خرج من قبل من تحمل عادة حالة الصحة والاعتياد فخرج بقولنا دم الخ القصة البيضاء فإنها علامة الطهر من الحيض لا نفس الحيض وبقولنا من قبل من تحمل عادة : أي وهو ما بين الاثنى عشر والخمسين سنة ، وأما ما فوق الخمسين إلى الستين ومن التسعة إلى الاثنى عشر يسئل النساء العارفات فإن قلن إنه حيض كان حيضا وإلا فلا خرج به من لا تحمل عادة لصغر أو يأس كبنت ست أو سبعين فليس بحيض وقولنا حالة الصحة والاعتياد خرج بذلك ما نزل على وجه المرض كالسلس فليس بحيض (من إلا أن تميزه بعد طهر تام وأكثره للمبتدأة نصف شهر فإن زاد كان استحاضة وللمعتادة عادتها فإن زاد استظهرت عليها بثلاثة أيام مالم تجاوز نصف شهر وتصير هي مع الاستظهار عادة لها وأحكام الحيض مفصلة في الفروع (قوله ماذا يفعل بالنساء) هذا هو صورة السؤال (قوله قل هو) أي المحيض بمعنى الدم السائل لا بالمعنى المصدري الذي هو السيلان ففيه استخدام (قوله قذر أو محله) لف ونشر مرتب فإن قوله قذر راجع لتفسيره بالمصدر وقوله أو محله راجع لتفسيره بالمكان (قوله فاعتزلوا النساء) مفرع على قوله قل هو أذى ، ولما نزلت هذه الآية فهم بعض الصحابة أن الاعتزال مطلق حتى في المسكن فقال ناس من الأعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فإن آثرناهن هلك سائر أهل البيت وإن استأثرنا بها هلكت الحيض فقال « إنما أمرتم أن تعتزلوا مجامعتهن ولم تؤمروا بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم » ثم اعلم أنه يحرم وطء الحائض في الفرج بإجماع ، وأما التلذذ بما بين السرة والركبة فإن كان من فوق الإزار ففيه خلاف ، وأما ما عدا ذلك من سائر الجسد فهو جائز بإجماع لما في الحديث « الحائض تشد إزارها شأنك بأعلاها » (قوله أي وقته أو مكانه) تفسير له بالزمان أو المكان (قوله بالجماع) أي فالمراد قرب خاص (قوله وفيه إدغام التاء في الأصل) أي فأصله يتطهرن قلبت التاء طاء ثم أدغمت في الطاء (قوله أي يغتسلن بعد انقطاعه) أي بالماء إن كان موجودا وقدرن على استعماله ، وإلا فالتيمم يقوم مقامه ولا يجوز قربانها بعد الانقطاع وقبل الطهر عند الأئمة الثلاثة وجوزه

أبوحنيفة حيث انقطع بعد مضى أكثره وهو عشرة أيام عنده ، وأما إن انقطع قبل مضى أكثره فلايجوز قربانها إلابالغسل أو بمضى وقت الصلاة (قوله من حيث) أى فى المكان الذى أمركم الله بتجنبه فى زمن الحيض (قوله ولاتعدوه) بسكون العين وضم الدال و يصح فتح العين وتشديد الدال (قوله إلى غيره) أى وهو الدبر فلا يجوز الايلاج فيه مطلقا زمن الحيض أولا (قوله التوابين) أى وهم الذين كلما أذنبوا تابوا (قوله من الأقذار) أى الحسية والمعنوية وقدم التوابين لئلا يقنطوا وأخر المتطهرين لئلا يعجبوا و إن كانوا أعلى منهم (قوله نساؤكم حرث) أى كالأرض تحرث ليوضع فيها البذر فشبه النساء بالأرض التى تحرث وشبه النطفة بالبذر الذى يوضع فى تلك الأرض وشبه الولد بالزرع الذى ينبت من الأرض ، والمراد من تلك الآية بيان الآية المتقدمة وهى قوله ـ من حيث أمركم الله ـ فبين أن المراد به موضع الزرع وهو القبل لاغيره (قوله وهو القبل) أخذ بعضهم من الآية أنه يحرم وطء النساء فى أدبارهن لأنه ليس محل الزرع وحكمة النكاح وجود النسل و إنما جعلت الشهوة وسيلة لذلك وجعلت شهوة النساء أعظم لأن مشقة النسل عليهن أعظم من الرجال فتنسلى النساء عن المشقة بعظم الشهوة (قوله أنى شئتم) أنى بمعنى كيف فهى لتعميم الأحوال (قوله و إدبار) أى فيجامعها من جهة دبرها لكن فى الفرج ، والوارد فى السنة عن رسول الله فى صفة إتيانه لنسائه أنه كان يجلس بين شعبها الأربع وهى مستلقية على ظهرها . وقال الحكماء : إدامة الجماع وهو مضطجع على جنبه يورث وجع الجنب (قوله جاء الولد أحول) أى بياض عينه مكان سوادها (قوله كالتسمية عند الجماع) أى بأن يقول بسم الله الرحمن الرحيم اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فإنه إذا فعل ذلك حفظ الولد من الشيطان وكتب له بعدد أنفاسه وأنفاس أولاده حسنات إلى يوم القيامة (قوله فى أمره) أى بالاتيان فى القبل والتسمية وقوله ونهيه : أى عن الاتيان فى الدبر و إنما طلبت التسمية فى ذلك الموضع لأنها ذكر فى وقت غفلة فيكتب من الذاكرين الله فى الغافلين وأهل الله فى ذلك لهم تجليات ومشاهدات تجل عن الحصر والكيف ، و إلى ذلك الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام « حبب إلى من دنياكم ثلاث : النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة » حيث قدم النساء ، ولايقال إن الاشتغال بمشاهدة النعم يحجب عن اللذة لأنه يقال إنه مقام جمال و بسط لاجلال وقبض فعند ذلك تزداد القوة لما روى أن رسول الله أعطى قوة أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا فى الجماع و يقرب ذلك إذا أضافك ملك عظيم وصنع لك طعاما عظيما وجلس معك يباسطك بأنواع المباسطات فإن شهودك له ومسامرته تزيد لذة فى طعامه وشرابه أكثر من تمتعك بذلك فى حال غيبتك عنه فسبحان المعطى المانع (قوله واعلموا أنكم ملاقوه) أى ملاقو جزائه (قوله ولاتجعلوا الله عرضة) سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن رواحة كان بينه و بين ختنه : أى نسيبه وهو النعمان بن بشير شىء فحلف أنه لايواصله أبدا فنزلت ، وقيل نزلت فى حق الصديق حين حلف على مسطح لما تكلم فى الافك أن لايصله (قوله لأيمانكم) أى أفعال بركم وسميت أيمانا لتعلق الأيمان بها ، وقوله أن تبروا الخ بدل من أيمانكم (قوله أى نصبا لها) أى غرضا مانعا من فعل البر (قوله بأن تكثروا الحلف به) هذا تفسير آخر للآية فكان المناسب للمفسر أن يأتى بأو (قوله أن تبروا) أى تصلوا الرحم مثلا وقوله وتتقوا أى تصلوا أوتصوموا مثلا ، وقوله وتصلحوا بين الناس من عطف الخاص على العام والمعنى أن الفعل الذى يحصل لكم به خير فلا تحلفوا على تركه ، وهذا على التفسير الأول ، وأما على الثانى فلا يحتاج لتقدير لا و إنما يقدر لام التعليل : أى لا تكثروا الحلف بالله لما فيه من ابتذال اسمه تعالى فى كل شىء قليل

(مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ) بتجنبه فى الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ) يثيب ويكرم (التَّوَّابِينَ) من الذنوب (وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) من الأقذار (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ) أى محل زرعكم الولد (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ) أى محله وهو القبل (أَنَّى) كيف (شِئْتُمْ) من قيام وقعود واضطجاع و إقبال و إدبار . نزل رداً لقول اليهود من أتى امرأته فى قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول (وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ) العمل الصالح كالتسمية عند الجماع (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى أمره ونهيه (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ) بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) الذين اتقوه بالجنة (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ) أى الحلف به (عُرْضَةً) علة مانعة (لِأَيْمَانِكُمْ) أى نصباً لها بأن تكثروا الحلف به (أَنْ) لا (تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا) ،

أو كثير عظيم أو حقير لأجل أن تكونوا من أهل البر والتقوى والإصلاح بين الناس فالنهى عن الكثرة على هذا والأيمان على بابها بمعنى الأقسام وعرضة بمعنى معروض فهى اسم مفعول : أى محل للحلف كغرض الرماة وعلى الأول فهى بمعنى عارضة أى لا تجعلوا الله مانعا من بركم وتقواكم وإصلاحكم بواسطة القسم به (قوله فتكره اليمين على ذلك) أى إن كان مندوبا وهو مفرع على التفسير الأول (قوله فهى طاعة) أى مندوب وتعتريها الحرمة كما إذا حلف على ترك واجب (قوله لايؤاخذكم الله باللغو) اختلف العلماء فى معنى اللغو فقال الشافعى : هو ماسبق إليه اللسان من غير قصد عقد اليمين فلا إثم ولا كفارة له . وقال أبو حنيفة ومالك : هو أن يحلف على مايعتقد فيتبين خلافه وفى الفروع تفاصيل موكولة لأربابها (قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) وقعت هنا لكن بين نقيضين باعتبار وجود اليمين لأنها لا تخلو إما أن لايقصدها القلب بل جرت على اللسان وهى اللغو عند الشافعى وإما أن يقصدها وهى المنعقدة ، والمعنى لايؤاخذكم الله بغير المقصودة لقلوبكم وإنما يؤاخذكم بالمقصودة لها ، وهذا التقرير على مذهب الشافعى ويقال على مذهب أبى حنيفة ومالك لايؤاخذكم الله باللغو : أى بما حلفتم عليه معتقدين حقيته بحيث يكون اللسان موافقا للجنان ولكن يؤاخذكم بما حلفتم عليه غير معتقدين حقيته وهى اليمين الغموس ، وقد نظم الأجهورى من المالكية صور كفارة اللغو والغموس بقوله : كفر غموسا بلا ماض يكون كذا *

فتكره اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه فهى طاعة (وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ) المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ) الكائن (فِي أَيْمَانِكُمْ) وهو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو لا والله وبلى والله فلا إثم فيه ولا كفارة (وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) أى قصدته من الأيمان إذا حنثتم (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لما كان من اللغو (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن مستحقها (لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ) أى يحلفون أن لايجامعوهن (تَرَبُّصُ) انتظار (أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا) رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف (رَحِيمٌ) بهم (وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ) أى عليه بأن لم يفيئوا فليوقعوه (فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقولهم (عَلِيمٌ) بعزمهم المعنى ليس لهم بعد تربص ماذكر إلا الفيئة أو الطلاق (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ) أى لينتظرن (بِأَنفُسِهِنَّ) ،

لغو بمستقبل لاغير فامتثلا (قوله لما كان من اللغو) أى والخطأ (قوله بتأخير العقوبة عن مستحقها) أى ومن ذلك اليمين الغموس فكفارتها الغمس فى جهنم (قوله للذين يؤلون من نسائهم) حقيقة الايلاء الحلف بالله أو بغيره على ترك وطء الزوجة المدخول بها المطيقة للوطء أكثر من أربعة أشهر إما صريحا كلا أطؤك أو ضمنا كلا أغتسل من جنابة منك وحكمه كما قال الله والذين خبر مقدم وتربص مبتدأ مؤخر والاضافة على معنى فى : أى انتظار فى أربعة أشهر ولها النفقة والكسوة فى تلك المدة لأن الامتناع من قبله بخلاف الناشز فلا نفقة لها ولا كسوة لأن الامتناع منها (قوله أى يحلفون أن لايجامعوهن) بيان لحقيقة الايلاء الشرعى وإلا فمعناه لغة مطلق الحلف (قوله أربعة أشهر) أى وتحسب من يوم الحلف إن كانت صريحة فى ترك الوطء ومن يوم الرفع للحاكم إن لم تكن صريحة (قوله رجعوا فيها) أى فى الأربعة أشهر ويلزمه مايترتب على الحنث من كفارة إن كانت اليمين بالله أو العتق إن كان به (قوله أى عليه) أشار بذلك إلى أن الطلاق منصوب بنزع الخافض (قوله فليوقعوه) قدره المفسر إشارة لجواب الشرط فان امتنعوا من إيقاعه ومن الوطء فان الحاكم يأمرها بالطلاق ثم يحكم . وقيل ينشئ الطلاق وهو رجعى كالطلاق على المعسر بالنفقة لأن كل طلاق أوقعه الحاكم فهو بائن إلا المولى والمعسر بالنفقة (قوله المعنى) أى المراد من قوله تعالى — فان فاءوا — الآيتين (قوله تربص ماذكر) أى الأربعة أشهر (قوله إلا الفيئة أو الطلاق) أى مالم ترض بالمقام معه بلا وطء فان استمرت على ذلك فالأمر ظاهر فان رفعت ثانيا وشكت للحاكم أمره إما بالفيئة أو الطلاق فان امتنع منهما طلق عليه الحاكم (قوله والمطلقات) أى رجعيا أو بائنا (قوله بأنفسهن) يحتمل أن الباء زائدة لتوكيد النون : أى يتربصن أنفسهن ويحتمل أنها للتعدية والمعنى أنهن لايحتجبن لحكم .

(قوله عن النكاح) أى نكاح غير المطلق (قوله تمضى من حين الطلاق) أى وتصدق المرأة فى ذلك لأنها أمينة على فرجها إلا مضى زمن تقضى العادة فيه بمضى الثلاثة الأقراء (قوله بفتح القاف) أى وأما الضم فجمعه أقرؤه كقفل وأقفال و إنما ضبطه المفسر بالفتح فقط لأجل جمعه فى الآية على قروء و إلا فهو فى نفسه يصح فيه الضم والفتح (قوله وهو الطهر) أى و إليه ذهب مالك والشافعى وأحمد فى أول أمره (قوله أو الحيض) أى و إليه ذهب أبو حنيفة وأحمد فى آخر أمره (قوله قولان) أى للعلماء وتظهر ثمرة الخلاف فيما إذا طلقت فى طهر ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت ثم طهرت ثم حاضت فعند مالك والشافعى وأحمد فى أول أمره أنها تحل للأزواج بمجرد رؤية الدم لأن الأقراء قد تمت وعند أبى حنيفة وأحمد فى آخر أمره أنها لاتحل حتى تطهر وأما إذا طلقها فى الحيض فلا تحسب ذلك الحيض من العدة اتفاقا و يأتى الخلاف فى الحيضة الرابعة هل تحل بأولها أو بانقضائها (قوله وفى غير الآيسة) أى وهى بنت كسبعين (قوله والصغيرة) أى المطيقة للوطء ولم تبلغ أوان الحمل (قوله كما فى سورة الطلاق) راجع للآيسة والصغيرة والحامل. وحاصل مافى المقام أن غير المدخول بها لاعدة عليها فى الطلاق حرة كانت أو أمة وأما المدخول بها ففيها تفصيل فالآيسة والصغيرة عدتهما ثلاثة أشهر والحامل وضع حملها كله لافرق فى ذلك كله بين الحرة والأمة وأما من يأتيها الحيض

عن النكاح (ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ) تمضى من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان وهذا فى المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة عليهن لقوله فما لكم عليهن من عدة وفى غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما فى سورة الطلاق والإماء فعدتهن قرءان بالسنة (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ) من الولد أو الحيض (إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ) أزواجهن (أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ) بمراجعتهن ولو أبين (فِي ذَٰلِكَ) أى فى زمن التربص (إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا) بينهما لاضرار المرأة وهو تحريض على قصده لاشرط لجواز الرجعة وهذا فى الطلاق الرجعى ، وأحق لاتفضيل فيه إذ لاحق لغيرهم فى نكاحهن فى العدة (وَلَهُنَّ) على الأزواج (مِثْلُ الَّذِي) لهم (عَلَيْهِنَّ) من الحقوق (بِالْمَعْرُوفِ) شرعا من حسن العشرة وترك الضرار ونحو ذلك (وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ) فضيلة فى الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والانفاق (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) فى ملكه (حَكِيمٌ) فيما دبره لخلقه (الطَّلَاقُ) أى التطليق الذى يراجع بعده (مَرَّتَانِ) أى اثنتان (فَإِمْسَاكٌ) :

فعدتها ثلاثة أقراء إن كانت حرة وقرآن إن كانت أمة وهذا فى الطلاق أما فى الوفاة فسيأتى أنها للحرة أربعة أشهر وعشر وللأمة نصفها وللحامل وضع الحمل (قوله من الولد أو الحيض) أى أو عيوب الفرج كالرتق والقرن والعفل والبخر والافضاء (قوله إن كن يؤمن بالله) هذا من باب الزجر والتشديد عليهن وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله فلا يحل (قوله و بعولتهن) جمع بعل يطلق على الرجل والمرأة لكن المراد به هنا الرجل فالتاء لتأنيث الجمع لأن كل جمع يجوز تأنيثه (قوله لاضرار المرأة) أى فتحرم الرجعة إذ ذاك و يعتريها الوجوب إن خشى على نفسه الزنا وتكره إن شغلته عن عبادة مندوبة وتندب إن كانت تعينه على تلك العبادة (قوله لجواز الرجعة) أى مضيها فلا ينافى أنه شرط فى جواز القدوم عليها (قوله فى نكاحهن فى العدة) صوابه أن يقول فلاحق لغيرهم فى ردهن ورجعتهن كما عبر به غيره تأمل (قوله ولهن مثل الذى عليهن) حاصله أن الرجل له حقوق على المرأة من طبخ وعجن وكنس وغير ذلك من الخدمة الباطنية، وللمرأة حقوق على الرجل من نفقة وكسوة واظهار محبة وغير ذلك فالمماثلة فى الآية فى مطلق الوجوب لافى صفة الحقوق وفى الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر يشير لذلك تقدير المفسر قوله على الأزواج وقوله لهم (قوله فضيلة فى الحق) أى لحق الرجل زائد على حقها (قوله لما ساقوه) علة لوجوب طاعتهن لهم ومعناه دفعوه وقوله من المهر والانفاق بيان لما (قوله الطلاق مرتان) سبب نزول هذه الآية أنه كان فى صدر الاسلام إذا طلق الرجل امرأته طلاقا رجعيا وراجعها فى العدة كان له ذلك ولو طلق ألف مرة فطلق رجل امرأته طلقة رجعية ثم راجعها قبل انقضاء عدتها بشىء يسير فقال والله لا آويك ولا تحلين لغيرى أبدا فنزلت الآية فاستأنف الناس الطلاق وألغوا مامضى وقوله مرتان أى مرة بعد أخرى أو المرتان دفعة وهو تخصيص لقوله ـ و بعولتهن أحق بردهن فى ذلك ـ (قوله أى التطليق) إنما فسر اسم المصدر بالمصدر لأجل قوله أو تسريح (قوله أى اثنتان) دفع بذلك مايتوهم أنه لابد أن يكون على مرتين

(قوله أي فعليكم) قدر ذلك اشارة إلى أن إمساك مبتدأ خبره محذوف وقدره مقدما عليه ليكون مسوغا للابتداء بالنكرة (قوله أو تسريح) يحتمل أن المراد بذلك إنشاء طلاق ثالث بعد المراجعة الثانية ويحتمل أن المراد عدم المراجعة إذا طلقها ثانيا وأما الطلقة الثالثة فمأخوذة من قوله تعالى فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره وهو الأقرب لأنه المتبادر من المفسر فالرجل مخير في عدة الطلقة الأولى بين أن يراجعها بالمعروف أو يسرحها من غير مراجعة وكذا في عدة الثانية (قوله باحسان) أي فيؤدي ماعليه لها من الحقوق ولايذكرها بسوء (قوله ولايحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا) يوضح معنى الآية قوله تعالى - وآتيتم إحداهن قنطارا - الآيتين - (قوله من المهور) بيان لما (قوله إذا طلقتموهن) أي وأما إن كانت في عصمته ووهبت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك (قوله أن لايقيما حدود الله) أن ومادخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بمن التقدير من عدم إقامتهما حدود الله. وسبب نزولها أن امرأة اسمها جميلة بنت عبدالله بن أبي ابن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكت للنبي صلى الله عليه وسلم حيث قالت يارسول الله إني لاأعيبه في دين ولافي خلق غير أني وجدته مقبلا في جماعة فرأيته أشدهم سوادا وقصرا وأقبحهم وجها لايجمع رأسي ورأسه شيء وإني لأكره الكفر في الاسلام فلما نزلت هذه الآية أمرها رسول الله بالفداء فأخذ ما كان أعطاه لها وطلقها وكان قد أمهرها حديقة (قوله وفي قراءة) أي فهما سبعيتان (قوله بالبناء للمفعول) أي فالضمير نائب فاعل والفاعل ولاة الأمور أي فان خاف ولاة الأمور الزوجين وأن لايقيما بدل

أي فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير إضرار (أَوْ تَسْرِيحٌ) أي إرسالهن (بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ) أيها الأزواج (أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ) من المهور (شَيْئًا) إذا طلقتموهن (إِلَّا أَنْ يَخَافَا) أي الزوجان (أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ) أي لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وفي قراءة يخافا بالبناء للمفعول فأن لايقيما بدل اشتمال من الضمير فيه وقرئ بالفوقانية في الفعلين (فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ) نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله (تِلْكَ) الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ فَإِنْ طَلَّقَهَا) الزوج بعد الثنتين (فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ) بعد الطلقة الثالثة (حَتَّى تَنْكِحَ) تتزوج (زَوْجًا غَيْرَهُ) ويطأها كما في الحديث، رواه

اشتمال من نائب الفاعل (قوله وقرئ) أي قراءة شاذة (قوله فان خفتم) خطاب لولاة الأمور (قوله فيما افتدت به) أي كان بمهرها أو أقل أو أكثر (قوله لاحرج على الزوج في أخذه) أي لعدم ظلمه لها وقوله ولا على الزوجة في بذله أي لدفعها الضرر عن نفسها (قوله فلا تعتدوها) أي تتجاوزها بأن تعينوا الظالم على المظلوم منهما (قوله ومن يتعد حدود الله) ذكر هذا الوعيد بعد النهي عن تعديها للمبالغة في التهديد وقوله الظالمون أي لأنفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه (قوله فان طلقها) أي طلقة ثالثة سواء وقع الاثنتان في مرة أو مرتين والمعنى فان ثبت طلاقها ثلاثا في مرة أو مرات فلاتحل الخ كما إذا قال لها أنت طالق ثلاثا أو البتة وهذا هو المجمع عليه وأما القول بأن الطلاق الثلاث في مرة واحدة لايقع إلا طلقة فلم يعرف إلا لابن تيمية من الحنابلة وقد رد عليه أئمة مذهبه حتى قال العلماء إنه الضال المضل ونسبتها للامام أشهب من أئمة المالكية باطلة (قوله حتى تنكح) المراد به هنا العقد مع الوطء كما بين ذلك في الحديث والاجماع عليه خلافا لما نقل عن ابن المسيب أن العقد كاف في التحليل (قوله زوجا) أي لاسيدا فلا يقع به تحليل ولابد من كون الزوج بالغا عند مالك لقوله في الحديث «حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته» ولا عسيلة للصبي قال الشافعي بعدم اشتراط بلوغه ومن هنا المسئلة الملفقة وهي أن يقلد الشافعي في صحة تحليل غير البالغ، ومالكا في صحة طلاق وليه عنه لمصلحة وفي عدم العدة عليها من وطئه، وهذه المسئلة قال العلماء فيها الورع تركها ويشترط للتحليل عند مالك شروط عشرة تعلم من الفروع (قوله ويطأها) أي ولا يشترط الانزال (قوله كما في الحديث) وهو أنه جاءت امرأة تسمى تميمة القرظية وكانت متزوجة بابن عمها رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن رفاعة أبت طلاق فتزوجت بعبد الرحمن بن الزبير بفتح الزاي وإنما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله، وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لاحتى يذوق عسيلتك

وذقت عسيلته فسكتت مدة ثم جاءت ثانيا لرسول الله فقالت إنه مسنى وذاق منى فقال لها رسول الله إن قولك الأول كذبك الآن فجاءت الصديق فى خلافته وقالت مثل ماقالت لرسول الله فقال لها إنى شهدت مجيئك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامك له لاترجعى فجاءت لعمر فى خلافته فقالت له كذلك فقال لها إن عدت لرفاعة رجمتك» (قوله رواه الشيخان) أى عن عائشة (قوله أن يتراجعا إلى النكاح) أى بعقد ومهر وولىّ وشهود (قوله بعد انقضاء العدّة) أى فلا بدّ من عدّتين عدّة للزوج الأول وعدّة للثانى (قوله أن يقيما حدود الله) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ظنّ الثانى ومعنى إقامة حدود الله زوال ما فى أنفسهما من الكدر الذى كان سببا فى الطلاق (قوله لقوم يعلمون) خصهم لأنهم المنتفعون بتلك الأحكام وهم الذين يعقلون الخطاب (قوله أى يتدبرون) أى ينظرون فى عواقب أمورهم. تنبيه: يقع الطلاق فيما ذكر ولو كان سكران بحرام لعدم عذره بذلك أو فى حماقة وليست الحماقة من باب الاكراه الذى قال فيه

رسول الله «لاطلاق فى إغلاق» خلافا لمن يفتى بذلك فانه ضالّ مضلّ اللهم إلا أن يطيش عقله فلا يعرف الأرض من السماء ويصير كالمجنون فلا شىء عليه (قوله وإذا طلقتم النساء) أى طلاقا رجعيا وإنما كرره للايضاح (قوله قاربن انقضاء عدّتهنّ) أى أشرفن عليها (قوله مفعول له) أى لأجله (قوله لتعتدوا) علة لقوله ضرارا (قوله بالالجاء) أى الاضطرار (قوله وتطويل الحبس) أى العدّة (قوله فقد ظلم نفسه) أى لما فى الحديث «يغلبن كريما ويغلبهنّ لئيم فأحبّ أن أكون كريما مغلوبا ولا أحبّ أن أكون لئيما غالبا» (قوله بمخالفتها) أى فأطلق الاستهزاء وأراد المخالفة (قوله مافيه من الأحكام) أى العلوم النافعة (قوله بالعمل به) أى ولا تتخذوها هزؤا (قوله لايخفى عليه شىء) أى فيثيب المطيع ويعذب العاصى (قوله انقضت عدّتهنّ) أى فبلوغ الأجل فى المحلين مختلف (قوله خطاب للأولياء) أى وأما الخطاب فى طلقتم فهو خطاب للأزواج ويصح أن يكون خطابا للأولياء أيضا والمعنى إذا رفعن أمورهنّ إليكم أيها الأولياء وتسببتم فى طلاقهنّ من أزواجهنّ ثم زال مافى النفوس وأرادوا العقد على أزواجهم فلا يكن منكم عضل لهنّ من ذلك (قوله أن أخت معقل) أى واسمها جميلة (قوله طلقها زوجها) أى واسمه عاصم بن عدىّ (قوله أى الأزواج والنساء) وغلب الذكور لشرفهم وهو جمع باعتبار أفراد الرجال والنساء (قوله لأنه المنتفع به) جواب عما يقال لم خص المؤمن (قوله بسبب العلاقة) أى الارتباط (قوله فاتبعوا أمره) أى ولا تطيعوا أنفسكم فى العضل فمتى كان لكل منهما رغبة فى الآخر فلا يكن منكم منع فى ذلك لأنه لامصلحة فيه وقد جرت عادة الله فى كتابه أنه يتخلل الأحكام والقصص بالمواعظ الجليلة وفى الحديث «كان يتخوّلنا بالمواعظ مخافة السآمة علينا» (قوله أى ليرضعن) فسره بالأمر إشارة إلى أن الجملة خبرية لفظا إنشائية معنى فالمقصود منها

رواه الشيخان (فَإِنْ طَلَّقَهَا) أى الزوج الثانى (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) أى الزوجة والزوج الأول (أَنْ يَتَرَاجَعَا) إلى النكاح بعد انقضاء العدة (إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ) المذكورات (حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أى يتدبرون (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) قاربن انقضاء عدتهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرار (أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن (وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ) بالرجعة (ضِرَارًا) مفعول له (لِتَعْتَدُوا) عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس (وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) بتعريضها إلى عذاب الله (وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا) مهزوءا بها بمخالفتها (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ) بالاسلام (وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (وَالْحِكْمَةِ) مافيه من الأحكام (يَعِظُكُمْ بِهِ) بأن تشكروها بالعمل به (وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) لا يخفى عليه شىء (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) انقضت عدتهن (فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) خطاب للأولياء أى تمنعوهن من (أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) المطلقين لهن لأن سبب نزولها أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم (إِذَا تَرَاضَوْا) أى الأزواج والنساء (بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ) شرعا (ذٰلِكَ) النهى عن العضل (يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) لأنه المنتفع به (ذٰلِكُمْ) أى ترك العضل (أَزْكَى) خير (لَكُمْ وَأَطْهَرُ) لكم ولهم لما يخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما (وَاللهُ يَعْلَمُ) مافيه المصلحة (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فاتبعوا أمره (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ) أى ليرضعن

(أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ) عامين (كَامِلَيْنِ) صفة مؤكدة، ذلك (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) ولا زيادة عليه (وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ) أي الأب (رِزْقُهُنَّ) إطعام الوالدات (وَكِسْوَتُهُنَّ) على الارضاع إذا كن مطلقات (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر طاقته (لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا) طاقتها (لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا) بسببه بأن تكره على إرضاعه إذا امتنعت (وَلَا) يضار (مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ) أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته. وإضافة الولد إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف (وَعَلَى الْوَارِثِ) أي وارث الأب وهو الصبي أي على وليه في ماله (مِثْلُ ذَلِكَ) الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة (فَإِنْ أَرَادَا) أي الوالدان (فِصَالًا) فطاما له قبل الحولين صادرا (عَنْ تَرَاضٍ) اتفاق (مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ) بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) في ذلك (وَإِنْ أَرَدْتُمْ) خطاب للآباء (أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ) مراضع غير الوالدات (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) فيه (إِذَا سَلَّمْتُمْ) إليهن (مَا آتَيْتُمْ) أي أردتم إيتاءه لهن من الأجرة (بِالْمَعْرُوفِ) بالجميل كطيب النفس (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) لا يخفى عليه شيء منه (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ)، يموتون

الأمر وهو للندب للأم بشروط ثلاثة إن كان للولد أب موسر أو مال ووجد من ترضعه غير أمه وقبلها فإن فقد شرط منها وجب عليها الرضاع (قوله أولادهن) أي ذكورا أو إناثا (قوله كاملين) هذا تقريب عند مالك فألحق الشهران بالحولين وتحديد عند الشافعي (قوله صفة مؤكدة) أي لدفع توهم تسمية الأقل منهما باسم الكامل تسمحا والمقصود من النص على الحولين قطع النزاع بين الزوجين حيث أراد أحدهما أكثر من الحولين أو أقل والآخر الحولين فإنه يقضى لمن أرادهما (قوله لمن أراد أن يتم الرضاعة) الجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله ذلك وهو جواب عن سؤال مقدر (قوله ولا زيادة عليه) أي خلافا لمن قال إذا شحت المرأة قضى لها بثلاثين شهرا ولمن قال بثلاثة أعوام (قوله وعلى المولود له) أي المنسوب له الولد احترازا عن ابن الزنا ومن نفاه أبوه بلعان فلا يلزم أباه شيء من أجله لقطع نسبه (قوله رزقهن) أي دفع الرزق بمعنى الأجرة التي يتحصل بها الطعام والشراب والكسوة (قوله إذا كن مطلقات) أي بائنا وأما الرجعيات واللاتي في العصمة فلا يلزمه أجرة على الرضاع عند الشافعي وكذا عند مالك في غير من شأنها عدم الارضاع بنفسها كنساء الملوك وأما هي فلها أن تأخذ الأجرة على ذلك هكذا حمله المفسر على غير الزوجة و بعضهم حمله على ما يعمّ الزوجة بمعنى أن الزوجة تأخذ الأجرة على الرضاع ولو ناشزا ولا يجرى على حكم نفقة الزوجية (قوله بقدر طاقته) أي عسرا ويسرا (قوله لا تكلف نفس) ببناء الفعل للمجهول ونفس نائب الفاعل وفي قراءة يكلف نفسا ببناء الفعل للفاعل والفاعل هو الله سبحانه وتعالى (قوله بأن تكره على إرضاعه) أي بغير أجرة أو بأجرة دون أجرة المثل حيث طلبتها (قوله إذا امتنعت) أي ووجد غيرها وقبلها الولد وكان الأب موسرا أو للولد مال وإلا أكرهت الأم على إرضاعه إما بنفسها أو تكرى له من يرضعه (قوله في ماله) أي وهو مقدم ثم مال الأب ثم مال الأم عند مالك (قوله للوالدة) أي المرضعة والدة كانت أو غيرها (قوله فإن أرادا فصالا) هذا تقييد لما تقدم في قوله حولين كاملين (قوله عن تراض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لفصالا قدره المفسر بقوله صادرا (قوله في فعل ذلك) أي ولا في الزيادة على الحولين عند الاتفاق بل هو جائز شرعا ومنعه الحكماء لما فيه من توريث البلادة للطفل (قوله مراضع) مفعول أول لتسترضعوا مؤخر وأولادكم مفعول ثان مقدم على حذف الجار أي إن أردتم أن تطلبوا مراضع لأولادكم لأن أفعل إذا كان متعديا إلى مفعول واحد وزيدت فيه السين للطلب أو النسبة يصير متعديا إلى مفعولين كما قال الزمخشري وقال الجمهور إنما يتعدى للثاني بحرف الجر فيكون أولادكم منصوبا بنزع الخافض وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول أردتم (قوله غير الوالدات) أي حيث كانت أجرة الغير أقل من أجرة الأم أو كانت الغير ترضع مجانا أما إذا استويا فالأم أولى (قوله إذا سلمتم) ليس شرطا لصحة الاجارة بل هو بيان للأكمل لأن التعجيل أطيب لنفوسهن (قوله بالمعروف) فيه ثلاثة أوجه: أحدها أنه متعلق بسلمتم. الثاني أنه متعلق بآتيتم. الثالث أنه حال من فاعل سلمتم أو آتيتم والعامل فيه حينئذ محذوف أي ملتبسين بالمعروف (قوله واتقوا الله) مبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع (قوله والذين يتوفون) بضم الياء مبنيا للمفعول وفي قراءة بفتحها للفاعل والمعنى عليها يستوفون آجالهم.

(قوله يموتون) المناسب بعض أرواحهم ليناسب الفعل المبني للمفعول (قوله أزواجا) جمع زوج بمعنى زوجة لأن الزوج يقع على الذكر والأنثى (قوله أي ليتربصن) أشار بذلك إلى أن المراد من الآية الأمر وإن كان ظاهرها الخبر (قوله بأنفسهن) الباء زائدة للتأكيد والأصل يتربصن أنفسهن يعني لابواسطة حكم حاكم فان العدة لاتحتاج لذلك (قوله بعدهم) الضمير عائد على اسم الموصول الواقع على الرجال وقدره المفسر ليصح الاخبار بجملة يتربصن عن الموصول هكذا أعرب المفسر وبعضهم قدّر في المبتدأ فقال وأزواج الذين يتوفون وبعضهم قدّر في الخبر حيث قال ـ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا أزواجهم يتربصن ـ فأزواجهم مبتدأ وجملة يتربصن خبره والمبتدأ وخبره خبر الأول والرابط موجود (قوله عن النكاح) أي نكاح الغير لهن (قوله أربعة أشهر وعشرا) إما مفعول ليتربصن على حذف مضاف أي مضي أربعة أشهر وعشر أوظرف له (قوله من الليالي) أي مع النهار وخصّ الليالي لسبقها على النهار (قوله وهذا في غير الحوامل) أي ماتقدم من العموم لايتناول الحوامل والإماء (قوله أن يضعن حملهن) أي كله ولو علقة أومضغة فلاتحلّ إلابوضعه ولومكث الزمن الطويل في بطنها (قوله والأمة) بالجرّ معطوف على الحوامل (قوله على النصف من ذلك) أي فعدّتها شهران وخمس ليال وهو خبر لمبتدا محذوف تقديره وهي على النصف من ذلك . واعلم أن ذلك تعبد أمرنا به الشارع ولم نعقل له معنى ولذا أمرت بتلك العدّة الصغيرة وزوجة الصغير ، وماقيل انه معلل بوجود حركة الحمل بعد الأربعة الأشهر فغير مطرد في الأمة والصغيرة وزوجة الصغير (قوله بالسنة) أي الدليل السني (قوله من التزين) أي الشرعي بأن تفعل ذلك بنيتها (قوله والتعرّض للخطاب) معطوف على التزين فلايحرم كل من التزين والتعرض للخطاب بعد العدة . وأما فيها فيحرم على الأولياء وعليهنّ إذا بلغن ويجب عليهم كفهن ولو بالشتم والضرب (قوله فيما عرّضتم) التعريض هو الكلام الذي يفهم منه المقصود بطرف خفيّ (قوله من خطبة النساء) بكسر الخاء لتماس النكاح (قوله وربّ راغب) ربّ للتكثير (قوله أو أكننتم في أنفسكم) أي ولو أخبرتم بذلك غير المجبر لها فالحرمة في التصريح لها أولوليها المجبر (قوله فأباح لكم التعريض) أي والاضمار في أنفسكم وهو تفريع على قوله علم الله الواقع علة لقوله ولاجناح عليكم ، والمعنى إنما لم يحرم عليكم التعريض والاضمار في الأنفس لعلمه أنه إن حرّم عليكم ذلك لوقعتم فيما هو أعظم الذي هو التصريح فأباح لكم التعريض (قوله سرا) هو في الأصل ضد الجهر أطلق وأريد منه الوطء لأنه لايكون لا كذلك ثم أطلق وأريد منه العقد لأنه سببه فهو مجاز على مجاز (قوله أي نكاحا) أي عقدا (قوله إلا أن تقولوا الخ) جعل المفسر الاستثناء منقطعا لأن التعريض ليس من المواعدة والمواعدة إنما تحرم إذا كانت من الجانبين ، وأما من جانب فتكره عند مالك (قوله ولاتعزموا عقدة النكاح) أي فالعقد في العدة فاسد ويفسخ فان انضم لذلك العقد مباشرة ولو بعد العدة تأبد تحريمها عند مالك وعند الشافعي يفسخ العقد فقط وله العقد عليها ثانية بعدها (قوله من العزم) أي التصميم على العقد فالعزم يؤاخذ الانسان به خيرا كان أوشرا وقد نظم بعضهم الأمور التي تطرأ على الشخص فقال :

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همّ فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

يموتون (مِنكُمْ وَيَذَرُونَ) يتركون (أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ) أي ليتربصن (بِأَنفُسِهِنَّ) بعدهم عن النكاح (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) من الليالي وهذا في غير الحوامل وأما الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بآية الطلاق والأمة على النصف من ذلك بالسنة (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) انقضت مدة تربصهن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) أيها الأولياء (فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ) من التزين والتعرض للخطّاب (بِالْمَعْرُوفِ) شرعا (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم بباطنه كظاهره (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ) لوّحتم (بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ) المتوفى عنهن أزواجهن في العدة كقول الانسان مثلا إنك لجميلة ومن يجد مثلك وربّ راغب فيك (أَوْ أَكْنَنتُمْ) أضمرتم (فِي أَنفُسِكُمْ) من قصد نكاحهن (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ) بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض (وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) أي نكاحا (إِلَّا) لكن (أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا) أي ماعرف شرعا من التعريض فلكم ذلك (وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ) أي على عقده (حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ) أي المكتوب من العدة (أَجَلَهُ) بأن ينتهي (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ) من العزم وغيره ،

(قوله فاحذروه) أي الله بمعنى احذروا عقابه (قوله لمن يحذره) أي يخافه في الحديث « إذا أذنب العبد ذنبا وعلم أن الله يغفره غفر له بمجرد فعله الذنب » (قوله بتأخير العقوبة عن مستحقها) أي فلا يغتر العاصي بذلك فلربما يكون ذلك التأخير استدراجا له (قوله لاجناح عليكم إن طلقتم النساء) سبب نزولها أن رجلا من الأنصار تزوج امرأة تفويضا ثم طلقها قبل الدخول فرفعته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال له رسول الله أمتعها ولو بقلنسوتك (قوله مالم تمسوهن) فعله مسند للرجل لأنه الأقوى في المس والأقرب أن ماشرطية بمعنى إن وليست مصدرية ظرفية كما قال المفسر لأن محل الظرفية فيما يقتضي الامتداد كقوله تعالى - خالدين فيها مادامت السموات والأرض - لأن شأن الخلود الامتداد (قوله وفي قراءة تماسوهن) أي بضم التاء وفعله ماس مماسة مفاعلة من الجانبين لأن كلا يمس الآخر . واستشكل مفهوم الآية بأن الطلاق بعد المس لاإثم فيه نعم فيه المهر . وأجيب بأنه مظنة الجناح بدفع المهر ووجود الإثم من حيث إنه قد يوقعه زمن الحيض ، وأما الطلاق قبل الدخول فلاجناح فيه أصلا (قوله فطلقوهن ومتعوهن) أشار بذلك إلى أن ومتعوهن معطوف على محذوف قدره بقوله فطلقوهن (قوله قدره) بفتح الدال وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله يفيد أنه لانظر إلى قدر الزوجة) أي وهو أحد الأقوال عند الشافعي والمفتى به عند مالك ولكن المعتمد مراعاة حال الزوج والزوجة (قوله تمتيعا) أشار بذلك إلى أن اسم

(فَاحْذَرُوهُ) أن يعاقبكم إذا عزمتم (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لمن يحذره (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن مستحقها (لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ) وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن (أَوْ) لم (تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً) مهرا وما مصدرية ظرفية أي لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض بإثم ولا مهر فطلقوهن (وَمَتِّعُوهُنَّ) أعطوهن ما يتمتعن به (عَلَى الْمُوسِعِ) الغني منكم (قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ) الضيق الرزق (قَدَرُهُ) يفيد أنه لانظر إلى قدر الزوجة (مَتَاعًا) تمتيعا (بِالْمَعْرُوفِ) شرعا صفة متاعا (حَقًّا) صفة ثانية أو مصدر مؤكد (عَلَى الْمُحْسِنِينَ) المطيعين (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) يجب لهن ويرجع لكم النصف (إِلَّا) لكن (أَنْ يَعْفُونَ) أي الزوجات فيتركنه (أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك (وَأَنْ تَعْفُوا) مبتدأ خبره (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ) أي أن يتفضل بعضكم على بعض (إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم به .

المصدر بمعنى المصدر (قوله شرعا) أي لاشيء حرام (قوله أو مصدر مؤكد) أي وعامله محذوف أي أحقه حقا . واعلم أنه اختلف في المتعة فقيل واجبة نظرا للأمر ولقوله حقا وبه أخذ الشافعي وقيل مندوبة نظرا لقوله بالمعروف ولقوله على المحسنين وبه أخذ مالك (قوله من قبل) متعلق بطلقتموهن وقوله وقد فرضتم الجملة حالية (قوله فريضة) بمعنى مفروضة مفعول به وقيل مفعول مطلق بمعنى فرض لكن الأول أقرب

(حافظوا

(قوله فنصف ما فرضتم) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يجب لهن ويحتمل أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره فاللازم لكم نصف مافرضتم وما اسم موصول والعائد محذوف وجملة فرضتم صلته ونصف مثلث النون ونصيف كرغيف ولايقرأ في جميع مواضع القرآن إلا بكسر النون لاغير (قوله إلا أن يعفون) إلا أداة استثناء وأن حرف مصدري ونصب ويعفون مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهي فاعل والواو لام الكلمة لاواو الجماعة لأن وزنها يفعلن بخلاف الرجال يعفون فان وزنه يفعون وقدر المفسر لكن إشارة أن الاستثناء منقطع لأن العفو ليس من جنس ماقبله فان ماقبله وجوب دفع نصف المهر (قوله فيترك لها الكل) أي وتسميته عفوا مشاكلة لماقبله (قوله الولي) أي المجبر وقال به مالك (قوله محجورة) أي مجبورة (قوله وأن تعفوا) الضمير عائد على من ذكر من الرجال والنساء وإنما غلب الرجال لشرفهم وأصله تعفوون دخل الناصب فحذف النون ثم استثقلت الضمة على الواو فحذفت فالتقى ساكنان حذفت لام الكلمة لالتقائهما (قوله أقرب للتقوى) استشكل كلام ابن عباس بأن عفو الولي لاتقوى فيه . أجيب بأن المراد بالتقوى الألفة أي فإذا عفا الولي فربما تحصل الألفة من الزوج ثانيا (قوله أي أن يتفضل بعضكم على بعض) أي يفعل بعضكم مع بعض مكارم الأخلاق بأن يحصل العفو عن جميع المهر من الزوج أو منه والزوجة عن النصف الثاني الذي يخصها .

(قوله حافظوا على الصلوات) أتى بهذه الآية فى خلال مايتعلق بالأزواج والأولاد تنبيها على أنه لاينبغى من العبد أن يشتغل عن حقوق سيده بأمر الأزواج والأولاد قال تعالى - ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله (قوله بأدائها فى أوقاتها) أى مع استكمال شروطها وفرائضها وسننها وآدابها فان فقد شئ من ذلك دخل فى الوعيد قال تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون - وخص الصلاة بالذكر لأنها عماد الدين ومعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين (قوله والصلاة الوسطى) فعلى مؤنث الأوسط بمعنى الأفضل والأخير لابمعنى المتوسطة بين شيئين فانه ليس فيه مزيد مزية وهو من عطف الخاص على العام والنكتة مزيد فضلها على غيرها كليلة القدر فهى أفضل الليالى (قوله هى العصر) أى لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار و به قال الشافعى (قوله أو الصبح) أى لما ذكر ولما فى الحديث « بورك لأمتى فى بكورها » ولأنها تأتى الناس وهم نيام و به قال مالك (قوله أو الظهر) أى لأنها أول صلاة ظهرت فى الاسلام وقوله أو غيرها قيل هى المغرب لأنها وتر صلاة النهار ، وقيل العشاء لأنها تأتى الناس وهم كسالى ، وقيل هى الصلاة على النبى ، وقيل هى صلاة الجمعة ، وقيل الجنازة ، وقيل صلاة العيد ، وحكمة إخفائها ليحافظ الانسان على ذلك كله كما أخفى ليلة القدر فى سائر الليالى ليقوم الانسان جميع الليالى ، وساعة الاجابة فى يوم الجمعة ،

والرجل الصالح فى الخلق ، واختار ابن العربى وابن أبى جمرة أن الصلاة الوسطى هى مجموع العصر والصبح مستدلين بأدلة كثيرة تشهد بفضل هذين لوقتين (قوله وأفردها بالذكر لفضلها) أشار بذلك لنكتة عطفها على الصلوات لأن عطف الخاص على العام يحتاج لنكتة (قوله قيل مطيعين) أى لامكرهين ولا كسالى بل ممتثلين الأمر مجتنبين النهى (قوله وقيل ساكتين) أى إلا عن ذكر الله و يلحق به مخاطبة النبى فانها لاتبطل الصلاة (قوله من عدو) أى مسلم أو كافر وقوله أو سيل أو سبع أى دافع كل منها الناس لو توانى واحد منهم أخذه ماذكر (قوله جمع راجل) أى و يجمع أيضا على رجل بسكون الجيم قال تعالى - وأجلب عليهم بخيلك ورجلك - ويجمع أيضا على رجال بتشديد الجيم المفتوحة (قوله أى مشاة) أى مستقبلين القبلة أم لا (قوله جمع راكب) هو فى الأصل راكب الابل لكن المراد به هنا الراكب مطلقا إبلا أو غيرها ، ولصلاة الخوف أقسام تأتى فى سورة النساء (قوله أى صلوا) إنما سمى الصلاة ذكرا لأنها جمعت أنواع الذكر (قوله كما علمكم) أى على الصفة التى علمكم إياها قبل حصول الخوف ولوركة ، وحكمة الاتيان فى جانب الخوف بان التى تفيد الشك و بإذا فى جانب الأمن المفيدة للتحقق لاشارة إلى أن الأصل الأمن وهو محقق والخوف طارئ يزول (قوله وما موصولة) أى والعائد محذوف والتقدير فاذكروا الله ذكرا مثل الذكر الذى علمكموه مالم تكونوا تعلمون وما الثانية بدل من ما الأولى أو من الضمير المحذوف وقوله أو مصدرية أى تسبك بمصدر وظاهره أن الكاف أيضا بمعنى مثل ولكنه بعيد فالأظهر أنها للتعليل والتقدير فاذكروا الله لأجل تعليمه إياكم مالم تكونوا تعلمون وما معمول لتعليم (قوله والذين يتوفون منكم) حاصله أنه كان فى صدر الاسلام يجب على الرجل إذا حضرته الوفاة أن يوصى بالنفقة والكسوة والسكنى لزوجته سنة لأنها عدتها ولاينقطع عنها ذلك إلا بخروجها من نفسها ثم نسخ ذلك

(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ) الخمس بأدائها فى أوقاتها (وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) هى العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها أقوال وأفردها بالذكر لفضلها (وَقُومُوا لِلَّهِ) فى الصلاة (قَانِتِينَ) قيل مطيعين لقوله صلى الله عليه وسلم « كل قنوت فى القرآن فهو طاعة » رواه أحمد وغيره ، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم « كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام » رواه الشيخان (فَإِنْ خِفْتُمْ) من عدو أو سيل أو سبع (فَرِجَالًا) جمع راجل أى مشاة صلوا (أَوْ رُكْبَانًا) جمع راكب أى كيف أمكن مستقبلى القبلة أو غيرها و يومئ بالركوع والسجود (فَإِذَا أَمِنْتُمْ) من الخوف (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) اى صلوا (كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ) قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة أو مصدرية (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا) فليوصوا (وَصِيَّةً) وفى قراءة بالرفع أى عليهم (لِأَزْوَاجِهِمْ) ويعطوهن (مَتَاعًا) ما يتمتعن به من النفقة والكسوة (إِلَى) تمام (الْحَوْلِ) من موتهم الواجب عليهن تربصه (غَيْرَ إِخْرَاجٍ) ،

(قوله وفى قراءة بالرفع) أى وهى سبعية (قوله متاعا) مفعول لمحذوف قدره المفسر بقوله و يعطوهن

(قوله حال) أى من الزوجات (قوله كالتزين وترك الاحداد) أى فكان حلالا لهن بعد العدة (قوله وقطع النفقة عنها) أى بخروجها من نفسها من غير إخراج أحد لها (قوله المتأخرة فى النزول) جواب عن سؤال، وهو أن المتقدم لا ينسخ المتأخر أجاب بأنه وإن تقدم تلاوة إلا أنه متأخر فى النزول (قوله والسكنى ثابتة لها عند الشافعى) أى أربعة أشهر وعشرا وأما عند مالك فهى ثابتة لها إن كان المسكن له أو نقد كراءه وإلا نقدت هى كراءه ومكثت مكانها حتى تخرج من العدة (قوله وللمطلقات) أى مطلقا قبل الدخول أو بعده إلا من طلقت قبل الدخول وأخذت نصف الصداق فلا متعة لها وزاد مالك المختلعة فلا متعة لها أيضا (قوله متاع) أى متعة وهى بقدر إمكان الزوج فقط عند مالك وعند الشافعى بقدرهما ويسن أن لا تنقص عن ثلاثين درهما (قوله على المتقين) إنما قال هنا ذلك وقال فيما تقدم على المحسنين لأن بعض الأعراب حين نزلت الآية الأولى طلق زوجته ولم يمتعها وقال إن أردت أحسنت وإن أردت لم أحسن فنزلت حقا على المتقين (قوله بفعله المقدر) أى تقديره أحقه حقا (قوله إذ الآية السابقة فى غيرها) أى وأما هذه فهى عامة فى كل مطلقة ماعدا المطلقة قبل الدخول وأخذت نصف المهر والمختلعة والمخيرة والمملكة عند مالك (قوله كما يبين لكم ماذكر) هذا وعد من الله ببيان كل شىء فى القرآن ولذا قال الشافعى لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى القرآن

حال أى غير مخرجات من مسكنهن (فَإِنْ خَرَجْنَ) بأنفسهن (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) يا أولياء الميت (فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ) شرعا كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) فى ملكه (حَكِيمٌ) فى صنعه والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة فى النزول والسكنى ثابتة لها عند الشافعى رحمه الله (وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ) يعطينه (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر الإمكان (حَقًّا) نصب بفعله المقدر (عَلَى الْمُتَّقِينَ) الله تعالى كرره ليعم الممسوسة أيضا إذ الآية السابقة فى غيرها (كَذَلِكَ) كما بين لكم ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون (أَلَمْ تَرَ) استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أى ينته علمك (إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ) أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفا (حَذَرَ الْمَوْتِ) مفعول له وهم قوم من بنى إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا (فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا) فماتوا (ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل بكسر المهملة والقاف وسكون الزاى ، فعاشوا

(قوله استفهام تعجيب) أى إيقاع فى العجب والخطاب قيل للنبى وقيل لكل من يصلح للخطاب وهو أولى (قوله وتشويق) أى إيقاعه فى الشوق لأن ماسيق بعد الطلب ألذ مما سيق بلا تعب وعطف التشويق على التعجيب من عطف المسبب على السبب (قوله أى ينته علمك) أشار بذلك إلى أن تر مضمن معنى ينته والحامل له على ذلك تصريحه بالى وإلا فرأى علمية تتعدى للمفعولين بنفسها (قوله ألفا) تمييز حذفه من الأول لدلالة الأخير عليه وقد ذكر المفسر ستة أقوال أصحها الثلاثة الأخيرة لأن ألوفا جمع كثرة ومبدؤه بعد العشرات (قوله مفعول له) أى لأجله وقد استوفى شروطه المذكورة فى العربية (قوله ففروا) أخذت الأئمة من الآية النهى عن الخروج من بلد فيها الطاعون فقال مالك بالكراهة وقال الشافعى بالحرمة (قوله فماتوا) قدره المفسر لعطف قوله ثم أحياهم عليه وقوله فقال لهم قيل المراد على لسان ملك وقيل كناية عن سرعة الإيجاد (قوله بعد ثمانية أيام) أى حتى انتثرت عظامهم وذاب لحمهم (قوله حزقيل) هو الخليفة الثالث فى بنى إسرائيل بعد موسى لأن موسى لما حضرته الوفاة خلف يوشع بن نون فلما حضرته الوفاة خلف كالب ثم عند موته خلف حزقيل ويسمى ابن العجوز لأنه جاءها وهى عجوز ويلقب بذى الكفل لأنه كفل أى وقى سبعين نبيا من القتل ، وورد أنه لما مر عليهم وهم موتى قال يارب كنت فى قوم يحمدونك ويهللونك ويكبرونك فبقيت وحدى لا قوم لى فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعى فاجتمعت العظام فأوحى الله إليه أن قل أيها العظام إن الله يأمرك أن تكتسى لحما فاكتست ثم أمره الله أن يقول لها إن الله يأمرك أن تقومى فقاموا قائلين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت . إن قلت كيف مات هؤلاء مرتين مع قوله تعالى - لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - قلت إن الموت قبل استيفاء الأجل إما عقوبة كموت الذين سألوا الرؤية قبلهم أو عبرة كموت العزيز وحماره

(قوله فعاشوا دهرا) أى مدة عمرهم (قوله أثر الموت) أى من الصفرة (قوله واستمرت فى أسباطهم) أى أولادهم كما هو مشاهد فى بعض اليهود (قوله ومنه إحياء هؤلاء) أى ليعتبروا ويظفروا بالسعادة (قوله تشجيع المؤمنين) أى حملهم على القتال (قوله ولذا عطف عليه) أى على الخبر المذكور وقيل معطوف على قوله حافظوا على الصلوات الآية ومابينهما اعتراض (قوله لاعلاء دينه) أى لا لغنيمة ولا لإظهار شجاعة ونحو ذلك (قوله واعلموا الخ) فيه وعد للمجاهدين ووعيد لمن تخلف عنهم (قوله فيجازيكم) أى على مايعلم منكم فالجزاء على حسب البواطن لا الظواهر (قوله من ذا الذى) يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذا خبر والذى بدل منها ويقرض صلة الموصول لامحل لها من الاعراب ويحتمل أن من ذا اسم استفهام مبتدأ والذى خبر ويقرض صلة الموصول (قوله يقرض الله) أى يسلفه وهذا من تنزلات المولى لعباده حيث خاطبهم مخاطبة المحتاج المضطر مع أنه غنى عنهم رحمة بهم على حد كتب ربكم على نفسه الرحمة وسماه هنا قرضا وفى آية براءة بيعا وفى الحقيقة لابيع ولا قرض لأن الملك كله له وحينئذ فليست مضاعفته على ذلك ربا لأنه لا تجرى أحكام الربا بين السيد وعبده الحادثين لملكه له صورة فأولى بين السيد المالك القديم وعبده الذليل الضعيف الذى لايملك شيئا أصلا فمن إحسانه عليه خلق ونسب إليه (قوله قرضا) مفعول مطلق لقوله يقرض (قوله عن طيب قلب) أى لارياء ولاسمعة بل ينفقه من حلال خالصا لله (قوله فيضاعفه) بالرفع والنصب والتشديد والتخفيف

قراآت أربع سبعية فالرفع عطف على يقرض والنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب الاستفهام

فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكفن واستمرت فى أسباطهم (إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ) ومنه إحياء هؤلاء (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَشْكُرُونَ) والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه (وَقَٰتِلُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) أى لإعلاء دينه (وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم فيجازيكم (مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ) بإنفاق ماله فى سبيل الله (قَرْضًا حَسَنًا) بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب (فَيُضَٰعِفَهُۥ) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتى (وَٱللَّهُ يَقْبِضُ) يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء (وَيَبْصُۜطُ) يوسعه لمن يشاء امتحاناً (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فى الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم (أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ) الجماعة (مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)

(قوله كما سيأتى) أى فى قوله تعالى ـ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة ـ الآية وكثرة المضاعفة على حسب الاخلاص قال عليه الصلاة والسلام «الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى فوالذى نفسى بيده لوأنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه» (قوله والله يقبض ويبسط) هذا كالدليل لما قبله أى إن الانفاق لايقبض الرزق وعدمه لايبسطه بل القابض الباسط هو الله (قوله ابتلاء) أى اختبارا هل يصبرون ولا يشكون أم لا (قوله امتحانا) أى هل يشكرون أم لا فالمطلوب من الانسان أن يكون كما قال الشاعر:

وتستغن ما أغناك ربك بالغنى ... وإذا تصبك خصاصة فتحمل

فلايشكو ربه فى حال فقره ولايطغى فى حال غناه قال أهل الاشارات فى الآية إشارة خفية إلى أن القبض لا بد وأن يعقبه بسط بخلاف العكس (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى فيثيب المنفق ويعذب الممسك (قوله ألم تر) ضمنت معنى ينته فعديت بالى كما تقدم نظيره والاستفهام هنا نظير ماتقدم فالمقصود من ذكر هذه القصة العبرة حيث كانوا كثيرا ولم يوجد الصدق فى غالبهم فالمعنى لاتكونوا يا أمة محمد كمن ذكروا فى الجبن والمخالفة (قوله الجماعة) أى الأشراف لأنهم هم الذين يملئون العين هيبة وأنسا (قوله من بنى إسرائيل) من تبعيضية. وحاصل مبدأ تلك القصة أنه عند وفاة موسى خلف الله على بنى إسرائيل يوشع بن نون فقام بالخلافة حق القيام ثم لما مات تخلف عليهم كالب ثم حزقيل ثم إلياس ثم اليسع فقاموا جميعا بالخلافة كمن قبلهم ثم ظهرت لهم العمالقة وكانوا فى بلد قريبة من بيت المقدس يقال لها فلسطين وهم من أولاد عمليق بن عاد فغلبوا على كثير من بلادهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وزيادة وضربوا عليهم الجزية ولم يكن فيهم إذ ذاك نبى ولا ذرية نبى إلا امرأة حبلى من ذرية لاوى من أولاد يعقوب فولدت غلاما فسمته شمويل فلما كبر نبأه الله عليهم وأرسله إليهم ثم إنهم طلبوا منه ملكا يقيم أمرهم ويرشدهم لما فيه صلاحهم فأقام لهم طالوت إلى آخر ماقص الله.

(قوله من بعد موسى) من ابتدائية (قوله إلى قصتهم وخبرهم) بيان للمراد من الآية لأنه لامعنى لرؤية ذواتهم (قوله نقاتل) مجزوم فى جواب الأمر (قوله والاستفهام لتقرير التوقع) والمعنى أترقب منكم عدم القيام بالقتال وقوله خبر عسى أى واسمها التاء وقوله إن كتب عليكم القتال جملة معترضة بين اسمها وخبرها وجواب الشرط محذوف تقديره فلا تقاتلوا (قوله قالوا ومالنا أن لانقاتل) ما استفهامية بمعنى شىء مبتدأ ولنا متعلق بمحذوف خبر وأن مقدر قبلها الجار ولا بمعنى عدم و يكون المعنى أىّ شىء ثبت لنا فى عدم القتال (قوله وقد أخرجنا) جملة حالية والمعنى أخرج أصولنا وأبناؤهم (قوله فعل بهم ذلك قوم جالوت) أى حين مات آخر نبى لهم وهو اليسع وضربوا عليهم الجزية وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وشيئا فضلا عن غيرهم (قوله أى لامانع لنا منه) تفسير للمعنى المراد من الآية (قوله فلما كتب عليهم القتال) مرتب على محذوف تقديره فدعا شمويل ربه بذلك فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب عليهم الخ (قوله وجبنوا) عطف تفسير وهو ترك القتال خوف الموت وسيأتى بيان جبنهم (قوله إلا قليلا) منصوب على الاستثناء من الواو فى تولوا وهو استثناء متصل وكان عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر

مِنْ بَعْدِ) موت (مُوسَى) أى إلى قصتهم وخبرهم (إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ) هو شمويل (ٱبْعَثْ) أقم (لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ) معه (فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ) تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه (قَالَ) النبى لهم (هَلْ عَسَيْتُمْ) بالفتح والكسر (إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا) خبر عسى والاستفهام لتقرير التوقع بها (قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) بسبيهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت أى لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه قال تعالى (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا) عنه وجبنوا (إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتى (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّالِمِينَ) فمجازيهم ، وسأل النبى ربه إرسال ملك فأجابه إلى إرسال طالوت (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى) كيف (يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ) لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة، وكان دباغا أو راعيا (وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ ٱلْمَالِ) يستعين بها على إقامة الملك (قَالَ) النبى لهم (إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ) اختاره للملك (عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً) سعة (فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ) وكان أعلم بنى إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خلقا (وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ) إيتاءه لا اعتراض عليه (وَٱللَّهُ وَاسِعٌ) فضله (عَلِيمٌ) بمن هو أهل له (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ) لما طلبوا منه آية على ملكه (إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ) الصندوق كان فيه صور الأنبياء أنزله

(قوله والله عليم بالظالمين) أى منهم وهذا وعيد عظيم لمن جبن عن القتال (قوله كيف) تفسير لأنى والعامل فيها يكون (قوله لأنه ليس من سبط المملكة) أى لكونه لم يكن من ذرّية يهوذا بن يعقوب وقوله ولا النبوّة أى لكونه لم يكن من ذرّية لاوى بل هو من ذرّية بنيامين أصغر أولاد يعقوب وكانت ذريته لا نبوّة فيهم ولا مملكة بل أقيموا فى الحرف الدنيئة من أجل معاصيهم (قوله سعة) أصله وسع حذفت فاء الكلمة وهى الواو وعوض عنها تاء التأنيث كما فى عدة وزنة وحذفت فى مضارعه لوقوعها بين عدوتيها لأن أصله يوسع

(قوله وكان أعلم بنى إسرائيل) أى فكان يحفظ التوراة وقوله وأتمهم خلقا أى فكان يزيد على أهل زمانه بكتفيه ورأسه . قيل ورد أنه لما دعا شمويل ربه أن يبعث لهم ملكا أعطاه الله قرنا فيه طيب ويسمى طيب القدس وعصا وأوحى إليه إذا دخل عليك رجل اسمه طالوت فانظر فى القرن فاذا فار فادهن رأسه به وقسه بالعصا فاذا جاء طولها فهو الملك فلما دخل عليه فعل به كما أمر فاذا هو طولها ثم دهن رأسه بذلك الدهن وقال له إن الله جعلك ملكا على بنى إسرائيل فقال كيف ذلك مع أنى أدنى منهم فقال له الله يؤتى ملكه من يشاء (قوله عليم بمن هو أهل له) أى فلا حرج عليه فى فعل ولا ترك (قوله وقال لهم نبيهم) أى حين استبعدوا مجىء الملك له (قوله لما طلبوا منه آية) لما بمعنى حين ظرف لقوله قالوا أى وقع منهم القول وقت طلبهم منه آية (قوله الصندوق) و يقال بالزاى والسين وكل من الثلاثة إما مفتوح أو مضموم أفصحها بالصاد مع الضم وكان من خشب الشمشار وطوله ثلاثة أذرع وعرضه ذراعان مموّه بالذهب وكان عند آدم فيه صور الأنبياء جميعهم وفيه صورة محمد و بيته وأصحابه وقيامه يصلى بينهم ثم توارثه ذرية آدم إلى أن وصل لموسى فكان يضع فيه التوراة ووضع فيه بقية الألواح التى تكسرت ثم أخذه بنو إسرائيل بعد

أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه فى القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى (فِيهِ سَكِينَةٌ) طمأنينة لقلوبكم (مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ) أى تركاه هما وهى نعلا موسى وعصاه وعمامة هرون وقفيز من المن الذى كان ينزل عليهم ورضاض الألواح (تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) حال من فاعل يأتيكم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ) على ملكه (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفاً (فَلَمَّا فَصَلَ) خرج (طَالُوتُ بِالْجُنُودِ) من بيت المقدس وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء (قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ) مختبركم (بِنَهَرٍ) ليظهر المطيع منكم والعاصى وهو بين الأردن وفلسطين (فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ) أى من مائه (فَلَيْسَ مِنِّي) أى من أتباعى (وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ) يذقه (فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غَرْفَةً) بالفتح والضم (بِيَدِهِ) فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه منى (فَشَرِبُوا مِنْهُ) لما وافوه بكثرة (إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) فاقتصروا على الغرفة . روى أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا (فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) وهم الذين اقتصروا على الغرفة (قَالُوا) أى الذين شربوا (لَا طَاقَةَ) قوة (لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أى بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ) يوقنون (أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ) بالبعث وهم الذين جاوزوه (كَمْ) خبرية بمعنى كثير (مِنْ فِئَةٍ) جماعة (قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته ،

موسى وكانوا إذا خرجوا للقتال يقدمونه بين أيديهم وكانت الملائكة تحمله فوق رءوس القاتلين ثم يشرعون فى القتال فاذا سمعوا صيحة تيقنوا النصر فلما انقرضت أنبياؤهم سلط الله عليهم العمالقة بسبب فسادهم فأخذوا منهم الصندوق وجعلوه فى موضع البول والغائط فلما أراد الله إظهار ملك طالوت سلط الله عليهم البلاء فكان كل من بال عنده ابتلى بالبواسير حتى خربت خمسة بلاد من بلادهم فلما كبر خوفهم منه أخرجوه للخلاء ثم حملته الملائكة وأتت به لطالوت (قوله أنزله الله على آدم) أى ثم توارثه ذريته من بعده (قوله فغلبتهم العمالقة) أى بعد موت أنبيائهم (قوله وكانوا يستفتحون به) أى يطلبون الفتح والنصر به (قوله ويسكنون إليه) أى يطمئنون بقدومه على العدو (قوله طمأنينة لقلوبكم) أى ففى للسببية فالمعنى أن السكينة تحصل بسببه ومن أجله ، وقيل المراد بالسكينة صورة من زبرجد على صورة الهرة غير أن لها جناحين فاذا صوتت فى الصندوق استبشروا بالنصر وقيل المراد بالسكينة صور الأنبياء فالظرفية على بابها (قوله أى تركاه هما) بيان للمراد من الآية فأطلق الآل وأراد منه نفس موسى وهرون وكثيرا مايطلق آل الرجل على الرجل نفسه (قوله ورضاض الألواح) أى كسرها (قوله حال من فاعل يأتيكم) أى وهو التابوت (قوله إن فى ذلك) أى إتيان التابوت على الوصف المذكور (قوله فاختار من شبابهم) أى الذين لاشاغل لهم دنيوى لأنه كان لايأخذ من كان عنده بناء لم يتم ومن عقد على زوجة ولم يدخل بها ومن كان مشغولا بتجارة (قوله سبعين ألفا) وقيل ثمانون ألفا وقيل مائة ألف وعشرون ألفا (قوله فلما فصل) أى انفصل وهو مرتب على محذوف تقديره لجمعهم (قوله وهو بين الأردن) بفتح الهمزة وسكون الراء وضم الدال وتشديد النون موضع قريب من بيت المقدس وقوله وفلسطين بفتح الفاء وكسرها وفتح اللام لاغير قال بعضهم إنه قرية وقال بعضهم إنه عدة قرى قرب بيت المقدس (قوله فمن شرب منه) أى بكثرة بدليل مابعده وهذا النهر باق يجرى إلى الآن بين الخليل وغزة (قوله يذقه) أشار بذلك إلى أن الطعم بمعنى الذوقان يطلق على المأكول والمشروب (قوله بالفتح والضم) قراءتان سبعيتان بمعنى الشىء المغروف وقيل بالفتح اسم للاغتراف وبالضم اسم للشىء المغروف وقيل بالفتح والضم بمعنى المصدر أشهرها أوسطها (قوله إلا قليلا منهم) استثناء من قوله فشربوا منه المقيد بالكثرة فالمعنى إلا قليلا شربوا منه بقلة فيؤخذ منه أن الجميع شربوا لكن أكثرهم شرب بكثرة وأقلهم شرب منه بقلة (قوله وبضعة عشر) البضعة من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر لكن المراد هنا ثلاثة عشر كما فى أكثر الروايات وهم عدة غزوة بدر (قوله فلما جاوزه) أى تعداه (قوله وجنوده) قيل عدتهم مائة ألف شاكى السلاح وقيل أكثر وكان طول جالوت ميلا وخوذته التى على رأسه ثلثمائة رطل (قوله قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله) استشكل بأن من

شرب كثيرا مؤمنون أيضا. وأجيب بأنهم سلب إيمانهم بكثرة شربهم. وأجيب أيضا بأن المراد يظنون أنهم ملاقوا الله أى بالموت فى تلك الوقعة فلا أمل لهم فى الحياة (قوله والله مع الصابرين) قيل من كلامهم وقيل من كلام الله بشارة لهم والمراد معية معنوية خاصة (قوله أى ظهروا لقتالهم) أى فلم يبق بينهم حجاب أبدا بل خرجوا فى البراز الذى هو صحراء الأرض (قوله اصبب علينا صبرا) أى كصب الماء على الأرض الجرز (قوله وقتل داود) أى ابن إيشا وكان إيشا من جملة عسكر طالوت وكان أولاده ثلاثة عشر معه أصغرهم داود وكان يرعى الغنم فلما خرجوا للقتال مرّ داود بحجر فناداه ياداود احملنى فإنى حجر هرون فحمله ثم مر بآخر فقال له احملنى فإنى حجر موسى فحمله ثم مر بآخر فقال له احملنى فإنى حجرك الذى تقتل به جالوت فحمله ووضع الثلاثة فى مخلاته فلما تصافوا للقتال نادى طالوت كل من يقتل جالوت أزوجه ابنتى وأناصفه فى ملكى فلم يتقدم أحد فسأل طالوت شمويل فدعا ربه فأتى بقرن فيه دهن وقيل له إن الذى يقتل جالوت هو الذى إذا وضع الدهن على رأسه لايسيل على وجهه فدعا طالوت القوم فصار يدهن رءوسهم فلم تصادف تلك الصفة أحدا إلى أن وصل لداود فصادف فقال له أنت تبرز له فقال نعم فأتى بالمقلاع وأخرج حجرا من مخلاته وقال باسم رب إبراهيم وأخرج حجرا آخر وقال باسم رب إسحق وأخرج حجرا آخر وقال باسم رب يعقوب ثم وضعها فى مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا فرمى به جالوت فأصابه فى خوذته وخرج من دماغه فقتل ثلاثين رجلا فأخذ داود جالوت حتى ألقاه بين يدى طالوت نفرح هو ومن معه من بنى إسرائيل وزوجه ابنته وأعطاه نصف الملك فمكث كذلك أربعين سنة فلما مات طالوت وشمويل انفرد بالملك فعاش نبيا ملكا سبع سنين ثم خلفه سليمان ولده فى النبوة الملك (قوله وآتاه الله الملك) أى استقلالا سبع سنين (قوله كصنعة الدروع) أى وكان يلين فى يده من غير نار وينسجه كالغزل (قوله ومنطق الطير) أى فهم أصواتها بل وجميع الحيوانات (قوله ولولا دفع الله الناس)

(وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالعون والنصر (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ) أى ظهروا لقتالهم وتصافوا (قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ) أصبب (عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) بتقوية قلوبنا على الجهاد (وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. فَهَزَمُوهُمْ) كسروهم (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَقَتَلَ دَاوُودُ) وكان فى عسكر طالوت (جَالُوتَ وَآتَاهُ) أى داود (اللَّهُ الْمُلْكَ) فى بنى إسرائيل (وَالْحِكْمَةَ) النبوة بعد موت شمويل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله (وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ) كصنعة الدروع ومنطق الطير (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) بدل بعض من الناس (بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) فدفع بعضهم ببعض (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا) نقصها (عَلَيْكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ) بالصدق (وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) التأكيد بإن وغيرها رد لقول الكفار له لست مرسلا (تِلْكَ) مبتدأ (الرُّسُلُ) صفة والخبر (فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) بتخصيصه

أى لولا أن الله يدفع الناس وهم أهل الكفر والمعاصى ببعض الناس وهم أهل الايمان والطاعة لغلب المشركون على الأرض فقتلوا المؤمنين وخربوا المساجد والبلاد وقيل معناه لولا دفع الله بالمؤمنين والأبرار عن الكفار والفجار لفسدت الأرض أى هلكت ومن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر. وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية » (قوله ولكن الله ذو فضل على العالمين) يعنى أن دفع الفساد على هذا الوجه بطريق إنعام الله وتفضله فعم الناس كلهم ومن المعلوم أن لولا حرف امتناع لوجود فالمعنى امتنع فساد الأرض لأجل وجود دفع الناس بعضهم عن بعض وهذه الآية كالدليل لما ذكر فى القصة من مشروعية القتال ونصر داود على جالوت (قوله هذه الآيات) أى فالاشارة عائدة على ما تقدم من أول الربع إلى آخره لما فيه من عظيم العجائب والاشارة فى الآية للبعد نظرا لبعد زمن تلك القصة وإنما فسره بالقريب نظرا للفظ الدال عليها فأفاد المفسر أنه يصح إرادة المعنيين فلا مخالفة بين إشارة الآية وإشارة المفسر (قوله بالصدق) أى الذى لايحتمل النقيض (قوله وغيرها) أى وهى اللام والجملة الاسمية (قوله تلك الرسل) اسم الاشارة عائد على الرسل المذكورين من أول السورة إلى هنا أو على المذكورين باصقها وأتى بالاشارة البعيدة نظرا لبعد زمنهم أو لبعد رتبتهم وعلوها عند الله (قوله صفة) أى أو عطف بيان أو بدل لأن المحلى بأل بعد اسم الاشارة يجوز فيه الثلاثة.

(قوله بتخصيصه بمنقبة) أى بصفة الكمال وذلك بفضل الله لا بصفة قائمة بذاته بحيث تقتضى التخصيص بالمناقب لذاته قال تعالى ـ ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكا منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء ـ (قوله منهم من كلم الله) بيان للتفضيل وقوله كلم الله أى كلمه الله بغير واسطة (قوله كموسى) أى فى الطور ليلة الحيرة وغيرها والحق أن كلام الله لموسى لايحصى بعدد وأدخلت الكاف محمدا ليلة الاسراء و إنما لم يشتهر بالكلام لأنه حاز منصبا أشرف من المكالمة وهى الرؤية (قوله أى محمدا) مثل هذا التفسير لايقال من قبل الرأى بل هو الوارد وقد أشار لذلك العارف بقوله :

وإن ذكروا نجىّ الطور فاذكر نجى العرش مفتقرا لتغنى فان الله كلم ذاك وحيا
وكلم ذا مشافهة وأدنى وإن قابلت لفظة لن ترانى بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خر مغشيا عليه وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

(قوله بعموم الدعوة) أى لجميع المخلوقات حتى الجمادات والملائكة والجن ولايرد حكم سليمان فى الجن فانه حكم سلطنة لارسالة (قوله وختم النبوة) أى فلا نبى بعده تبتدأ رسالته و يلزم من ذلك نسخه لشرع غيره وعدم نسخ شرعه (قوله وتفضيل أمته على سائر الأمم) قال تعالى ـ كنتم خير أمة أخرجت للناس ـ وأما قوله تعالى فى حق بنى اسرائيل ـ وأنى فضلتكم على العالمين ـ فالمراد عالمو زمانهم (قوله والمعجزات المتكاثرة) أى الكثيرة التى لاتحصى بحد ولاعد قال العارف البوصيرى : إنما فضلك الزمان وآيا تك فيما نعده الآناء (قوله والخصائص العديدة) أى كالحوض المورود والمقام المحمود والوسيلة وغيرذلك (قوله البينات) أى كاحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص (قوله

(١١١)

بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره (مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ) كموسى (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ) أى محمداً صلى الله عليه وسلم (دَرَجَاتٍ) على غيره بعموم الدعوة ، وختم النبوة ، وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة (وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ) قويناه (بِرُوحِ الْقُدُسِ) جبريل يسير معه حيث سار (وَلَوْ شَاءَ اللهُ) هُدى الناس جميعاً (مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) بعد الرسل أى أممهم (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً (وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا) لمشيئة ذلك (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ) ثبت على إيمانه (وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ) كالنصارى بعد المسيح (وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا) تأكيد (وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) من توفيق من شاء وخذلان من شاء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ) زكاته (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ) فداء (فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ) صداقة تنفع (وَلَا شَفَاعَةٌ) بغير إذنه وهو يوم القيامة وفى قراءة برفع الثلاثة (وَالْكَافِرُونَ) بالله أو بما فرض عليهم (هُمُ الظَّالِمُونَ) لوضعهم أمر الله فى غير محله (اللهُ لَا إِلَهَ) أى لامعبود بحق فى الوجود (إِلَّا هُوَ الْحَيُّ) ،

يسير معه حيث سار) أى من مبدأ خلقته لأن خلقه كان على يده (قوله هدى الناس) مفعول لشاء وقوله ما اقتتل جواب لو وهو اشارة لقياس استثنائى نظمه أن تقول لو شاء الله هدى الناس جميعا مااقتتل الذين من بعد الرسل لكنهم اقتتلوا فلم يشأ الله هداهم جميعا (قوله بعد الرسل) أى بعد مجيئهم (قوله أى أممهم) تفسير للذين وقوله من بعد ماجاءتهم متعلق باقتتل وماصدرية أى من بعد مجىء البينات لهم (قوله لاختلافهم) علة للاقتتال (قوله ولكن اختلفوا) هذا استثناء لنقيض التالى فينتج نقيض المقدم وهو لم يشأ الله هداهم لكنه عبر بالسبب وهو الاختلاف عن المسبب وهو الاقتتال (قوله لمشيئة ذلك) أى فلو شاء هداهم لم يختلفوا ولم يقتتلوا فالحق واضح ظاهر و إنما كفر من كفر بارادة الله عدم إيمانه فالعبد مجبور فى قالب مختار (قوله ثبت على إيمانه) أى بارادة الله (قوله زكاته) قدره اشارة إلى أن المراد الانفاق الواجب بدليل الوعيد العظيم ونحو الزكاة كل نفقة واجبة (قوله بغير إذنه) أشار بذلك إلى أن الآية مطلقة فتحمل على المقيدة وهى قوله تعالى ـ من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ـ (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية (قوله برفع الثلاثة) أى على أن لانافية مهملة أو عاملة عمل ليس لأنها إذا تكررت جاز إعمالها وإلغاؤها وأما على القراءة الأولى فهى عاملة عمل إن تنصب الاسم وترفع الخبر (قوله بالله) أى فهو كفر حقيقى وقوله أو بما فرض عليهم : أى بالتفريط فى الفرائض وهو كفر مجازى (قوله الله لاإله إلا هو) هذه الآية تسمى آية الكرسى وهو أفضل آى القرآن لأن التوحيد الذى استفيد منها لم يستفد

من آية سواها لأن الشىء يشرف بشرف موضوعه فإنها اشتملت على أمهات المسائل الدالة على ثبوت الكمالات لله ونفى النقائص عنه تعالى، وورد فى فضلها من الأحاديث الكثيرة مايجل عن الحصر: منها من قرأها عند خروجه من بيته كان فى ضمان الله حتى يرجع ومنها من قرأها دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ومنها ماقرئت فى دار إلاهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولايدخلها ساحر ولاساحرة أربعين ليلة ، ياعلى علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها ومنها من قرأها إذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله ، ومنها سيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسى ومنها ماورد أنه نزل جبريل على موسى وقال له ربك يقول لك من قال عقب كل صلاة اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض وكل شىء هو فى علمك كائن أو قد كان أقدم إليك بين يدى ذلك كله الله لا إله إلا هو الحى القيوم إلى آخرها فان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا ويصعد إلى الله منه فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ فى الصور وتشتغل الملائكة . وأخذ العارفون منها فوائد جمة منها من قرأها عقب كل صلاة أربعة عشر عدة فصولها أحبه العالم العلوى والسفلى ومن قرأها عدة الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر فرج الله عنه وأزال عنه ما يكره ومنها من قرأها عدد حروفها وهى مائة وسبعون حرفا لا يطلب منزلة إلا وجدها ولاسعة إلا نالها ولا فرجا من سائر الشدائد إلا حصل ومنها أنه إذا سقى المبطون حروفها مقطعة شفى باذن الله ، ومنها من كتبها عدد كلماتها وهى خمسون كلمة وحملها أدرك غرضه من عدوه وحاسده و إن كان للمحبة والألفة نال مقصوده ، وتسميتها آية الكرسى من باب تسمية الشىء باسم جزئه لذكره فيها (قوله الدائم البقاء) أى فحياته ذاتية له (قوله القيوم) هو من صيغ المبالغة و إن لم تكن من الصيغ المشهورة (قوله المبالغ فى القيام بتدبير خلقه) أى فلا يشغله شأن عن شأن ولا تخفى عليه خافية أبدا سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ـ فقوّم السماء وزينها و بسط الأرض أى وجملها وأرضى كل انسان بما قسم له من غير تعب يحصل من ذلك قال تعالى ـ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ـ (قوله لا تأخذه سنة) هذا من صفات السلوب والسنة هى النوم فى العين وهى نوم الأنبياء (قوله ولا نوم) عرف بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك. إن قلت حيث كان منزها عن السنة فهو منزه عن النوم بالأولى . أجيب بأنه زيادة فى الايضاح. وأجيب أيضا بأنه ذكر النوم لأنه ربما يتوهم من كونه يهجم قهرا أنه يغلبه فلا يلزم من نفى السنة نفى النوم وهذا هو الأتم لأنه لا يلزم من نفى الأخف نفى الأثقل . إن قلت إن الملائكة أيضا لا تأخذهم سنة ولا نوم فليس فى ذكر هذه الصفة مزيد مزية أجيب بأن تنزه الملائكة عن النوم من إخبار الله فقط و إلا فالعقل يجوزه عليهم بخلاف تنزه الله عنه فالدليل العقلى قائم على تنزهه عنه (قوله له مافى السموات ومافى الأرض) كالدليل لما قبله وأتى بما تغليبا لغير العاقل لكثرته (قوله ملكا) بضم الميم معناه التصرف وقوله وخلقا : أى إيجادا وقوله وعبيدا أى مملوكين له إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا ولا نزاع فى كون السموات والأرض ملكا لله قال تعالى ـ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ـ وفى ذلك رد على الكفار حيث أثبتوا له شريكا فكأن الله يقول لهم ما أشركتموه لا يخرج عن السموات والأرض وشأن الشىء ملكه أن يكون مستقلا خارجا عن مملكة الشريك الآخر (قوله من ذا) اسم استفهام مبتدأ والذى خبره وهو استفهام انكارى بمعنى النفى : أى لاشفيع فى أحد يستحق النار يشفع عنده بغير مراده (قوله أى لا أحد) تفسير للاستفهام الانكارى (قوله إلا باذنه) أى مراده (قوله أى من أمر الدنيا) راجع لقوله مابين أيديهم وقوله والآخرة راجع لقوله وما خلفهم فهو لف ونشر مرتب و يصح العكس فيكون لفا ونشرا مشوشا والأقرب أن يقال المراد بما بين أيديهم مايستقبل

الدائم البقاء (الْقَيُّومُ) المبالغ فى القيام بتدبير خلقه (لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ) نعاس (وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيداً (مَنْ ذَا الَّذِى) أى لا أحد (يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) له فيها (يَعْلَمُ مَابَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أى الخلق (وَمَا خَلْفَهُمْ) أى من أمر الدنيا والآخرة (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ)

من الدنيا والآخرة وقوله وماخلفهم ما انقضى من أمر الدنيا فعلم أمر الدنيا والآخرة مستوعنده بخلاف المخلوقات . قال الشاعر :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم مافي غد عمي

(قوله أي لايعلمون شيئا من معلوماته) دفع بذلك مايتوهم أن علم الله يتجزأ مع أنه ليس كذلك، ومايتوهم أيضا أنه يشاء إطلاع أحد على علمه مع أنه مستحيل إذ ليس فى طاقة الحادث اطلاع على حقيقة القديم ولاصفاته ، سبحان من لايعلم قدره غيره ولايبلغ الواصفون صفته (قوله منها) أي من معلوماته (قوله باخبار الرسل) أي فلايصل لأحد علم إلا بواسطة الأنبياء فالأنبياء وسائط لأنهم فى كل شيء وواسطتهم رسول الله، قال العارف: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق (قوله قيل أحاط علمه بهما) أي فالكرسي بضم الكاف وكسرها يطلق على العلم كما يطلق على السرير الذي يجلس عليه (قوله وقيل الكرسي نفسه) أي وهو مخلوق عظيم فوق السماء السابعة يحمله أربعة ملائكة لكل ملك أربعة أوجه أرجلهم تحت الصخرة التي تحت الأرض السابعة وتحت الأرض السفلى ملك على صورة آدم يسأل الرزق لبني آدم وملك على صورة الثور يسأل الرزق للبهائم وملك على صورة السبع يسأل الرزق للوحوش وملك على صورة النسر يسأل الرزق للطيور بينهم و بين حملة العرش سبعون حجابا من ظلمة وسبعون حجابا من نور سمك كل حجاب خمسمائة سنة وذلك لئلا تحترق حملة الكرسي من نور حملة العرش ، وخلق العرش والكرسي من حكم الله لالاحتياج لهما . قال صاحب الجوهرة :

والعرش والكرسي ثم القلم والكاتبون اللوح كل حكم (١١٣) لا لاحتياج وبها الايمان * يجب عليك أيها الانسان

أي لايعلمون شيئاً من معلوماته (إِلاَّ بِمَا شَاءَ) أن يعلمهم به منها باخبار الرسل (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) قيل أحاط علمه بهما ، وقيل ملكه ، وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته لحديث «ما السموات السبع فى الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت فى ترس» (وَلاَ يَؤُدُهُ) يثقله (حِفْظُهُمَا) أي السموات والأرض (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الْعَظِيمُ) الكبير (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) على الدخول فيه (قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) الشيطان أو الأصنام ، وهو يطلق على المفرد والجمع (وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ) ،

(قوله فى ترس) هو ما يتترس به عند الحرب وهو المسمى بالدرقة (قوله ولا يؤده) أي الله وهو ظاهر أو الكرسي وهو أبلغ لأنه إذا لم تثقل السموات والأرض مع عظمها الكرسي مع أنه مخلوق فكيف بخالقه (قوله وهو العلي) أي المنزه عن صفات الحوادث فهو من صفات السلوب (قوله العظيم) أي المتصف بالعظم ، وقدم العلي عليه لأنه من باب تقديم التخلية على التحلية (قوله لاإكراه فى الدين) قيل إن من هنا إلى خالدون من تمام آية الكرسي وقيل ليست منها وهو الحق وإنما ذكرت عقبها كالنتيجة لما ذكر فيهامن خالص التوحيد، والمعنى لايكره أحد أحدا على الدخول فى الاسلام فإن الحق والباطل ظاهران لكل أحد فلا ينفع الاكراه قال تعالى - ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين - (قوله أي ظهر بالآيات البينات) أي الدلائل الظاهرة على باهر قدرته وعظيم حكمته . قال تعالى - إن فى خلق السموات والأرض - الآية (قوله فيمن كان له من الأنصار أولاد) أي وهو أبو الحصين كان له ابنان تنصرا قبل بعثة النبي ثم قدما المدينة بتجارة زيت فلقيهما أبوهما وأحب أن يكرههما على الاسلام فارتفع معهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبوهما يارسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر إليه؟ فنزلت وهذه الآية يحتمل أنها منسوخة بآيات القتال أو محكمة وتحمل على من ضرب عليهم الجزية ويؤيده سبب نزولها (قوله بالطاغوت) مبالغة فى الطغيان كالجبروت والملكوت والمراد به ما يعبد من دون الله ومعنى الكفر به جحده والاعراض عنه (قوله وهو يطلق على المفرد والجمع) أي ويعود الضمير عليه مؤنثا ومذكرا وهو قيل مصدر وقيل اسم جنس (قوله ويؤمن بالله) تقديم الكفر بالطاغوت على الايمان بالله من باب تقديم التخلية على التحلية لأنه لايصح إيمان بالله مع إشراك غيره معه (قوله فقد استمسك) هذه الجملة جواب الشرط الذي هو من وقرن بالفاء لدخول قد عليها .

(قوله تمسك) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان لتقوية الاستمساك (قوله بالعروة الوثقى) فيه استعارة تصريحية أصلية حيث شبه دين الاسلام بالعروة الوثقى وهى موضع المسك من الحبل بجامع أن كلا لايخشى منه الخلل واستعير اسم المشبه به وهو العروة الوثقى للمشبه وهو دين الاسلام والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان لأنه من ملائمات المشبه به أوفيه استعارة تمثيلية بأن يقال شبه حال من تمسك بدين الاسلام وأحكامه بحال من تمسك بالعروة الوثقى بجامع أن كلا لايخشى الانفكاك ولا الخلل واستعير اسم المشبه به للمشبه والاستمساك وعدم الانفصام ترشيحان أيضا (قوله لا انفصام لها) الانفصام الانقطاع بغير بينونة والانقصام بالقاف الانقطاع مع بينونة فالتعبير بالانفصام أبلغ (قوله لما يقال) أى سرا أو جهرا (قوله بما يفعل) أى خيرا أو شرا سرا أو جهرا (قوله الله ولى الذين آمنوا) هذا كالدليل لما قبله وولى فعيل بمعنى فاعل أى متولى أمر عباده وأما الولى من العبيد فبمعنى فاعل أى موالى طاعة ربه أو بمعنى مفعول أى تولاه الله فلم يكله لغيره (قوله الكفر) شبه بالظلمات الحسية للحيرة وعدم الاهتداء فى كل ولأنه يكون كذلك يوم القيامة قال تعالى ـ ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ـ وقوله الايمان شبه بالنور لأنه يهتدى بكل ولأنه يكون كذلك يوم القيامة . قال تعالى ـ نورهم يسعى بين أيديهم و بأيمانهم ـ فالكفر ظلمة معنوية فى الدنيا وحسية فى الآخرة، والايمان نور معنوى فى الدنيا وحسى فى الآخرة (قوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت) إنما لم يقل والطاغوت أولياء الذين كفروا لأجل المقابلة لئلا يكون الطاغوت مقابلا لاسم الله وهو قبيح فبدأ بكفرهم تقبيحا وتبكيتا لهم (قوله ذكر الاخراج الخ) جواب عن سؤال

تمسك (بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ) بالعقد المحكم (لَا انْفِصَامَ) انقطاع (لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لما يقال (عَلِيمٌ) بما يفعل (اللَّهُ وَلِيُّ) ناصر (الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الايمان (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) ذكر الإخراج إما فى مقابلة قوله يخرجهم من الظلمات أو فى كل من آمن بالنبى قبل بعثته من اليهود ثم كفر به (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ) جادل (إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) لـ(أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) أى حمله بطره بنعم الله على ذلك وهو نمروذ (إِذْ) بدل من حاج (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) لما قال له من ربك الذى تدعونا إليه (رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ) أى يخلق الحياة والموت فى الأجساد (قَالَ) هو : (أنا

مقدر حاصله أن الكفار لم يكونوا فى نور فأخرجوا منه إلى الظلمات كيف ذلك. أجاب المفسر بجوابين : الأول أنه مشاكلة لما قبله والمراد منعهم من أصل النور والثانى أنه إخراج حقيقى وهو فى كل من آمن بالنبى قبل مبعثه ثم ارتد بعد ذلك وفى هذه الآية وعد من الله بالأمن للمؤمن من المخاوف دنيا وأخرى

(قوله ألم تر) الاستفهام لتقرير النفى مع التعجيب والمعنى ألم ينته علمك إلى هذا الذى قابله الله بالجود والاحسان وقابل مولاه بالكفر والطغيان وهذا كالدليل لقوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت الآية فان الشيطان طاغوت نمروذ وهو طاغوت غيره ماعدا إبراهيم ومن تبعه (قوله إلى الذى حاج) لم يصرح باسمه تبكيتا له وإظهارا لقبحه (قوله جادل) أى مجادلة باطلة وهى مقابلة الحجة بالحجة فإبراهيم يجادل بالحق ونمروذ يجادل بالباطل (قوله فى ربه) أى إبراهيم فالاضافة للتشريف أو نمروذ والاضافة لاقامة الحجة عليه حيث نازع خالقه فى وصفه (قوله أن آتاه الله الملك) مفعول لأجله وهو مجرور باللام لفقد أحد شروطه وهو عدم اتحاد الفاعل لأن فاعل المحاجة النمروذ وفاعل إيتاء الملك هو الله قال ابن مالك : وإن شرط فقد * فاجرره بالحرف، وحذف الجار لأن حذفه مطرد مع أنّ وأن (قوله بطره) هو الاستخفاف بآلاء الله (قوله بنعم الله) أى وهى ملك الدنيا لأنه لم يملك الدنيا إلا أربعة اثنان مسلمان واثنان كافران : سليمان وذو القرنين والنمروذ و بختنصر (قوله وهو نمروذ) أى ابن كنعان حملت به أمه من زنا خوفا على ملك أبيه من الضياع حيث كان أبوه عقيما وهو أول من لبس التاج المكلل وهذه الواقعة كانت بعد لقاء إبراهيم فى النار وكان النمروذ قد ملك أقوات الأرض كلها فكان لايعطى القوت إلا لمن آمن به فذهب إبراهيم له وطلب منه شيئا من القوت فامتنع حتى يتبعه فذهب إبراهيم إلى كثيب من رمل وملأ وعاءه فلما وصل منزله صار دقيقا فصار يأكل منه هو ومن تبعه (قوله بدل من حاج) أى بدل اشتمال (قوله لما قال له) ظرف لقوله قال إبراهيم أى قال إبراهيم ذلك وقت قوله له من ربك

(قوله أنا أحيي) الضمير قيل أن وحدها والألف زائدة لبيان الحركة فى حال الوقف وقيل بل كلها الضمير والصحيح أن فيه لغتين لغة تميم إثبات ألفه وصلا ووقفا والثانية إثباتها وقفا وحذفها وصلا (قوله غبيا) أى بليدا لايفهم جوابا ولايحسن خطابا وهو جواب عن سؤال مقدر. حاصله أن ماوقع من إبراهيم ليس من صناعة المناظرة لأنه كان الواجب إبطال حجة الإحياء والاماتة التى ادعاها اللعين أولا ثم ينتقل لحجة أخرى . أجاب المفسر بأنه لما رآه غبيا لم يدقق عليه فى ذلك وانتقل لحجة أخرى (قوله أو كالذى) هذا كالدليل لقوله ـ الله ولىّ الذين آمنوا ـ فهو من باب اللف والنشر المشوّش فمن أراد الله هدايته جعل له كل شئ دليلا يستدل به على ذات صانعه وصفاته ، ومن أراد الله خذلانه أضله بكل شئ وأعمى قلبه عن النظر فى المصنوعات ، وإنما قدم مايتعلق بالكافر لقصر الكلام عليه واتصاله بما قبله بخلاف مايتعلق بالمؤمن . واعلم أنهم ذكروا أن فى الكاف قولين الأول أنها بمعنى مثل وعليه درج المفسر حيث قدر رأيت فيكون المعنى ألم ينته علمك إلى مثل الذى مرّ : أى مثله وصفته فقوله الكاف زائدة غير مناسب لحله . الثانى أنها زائدة والمعنى ألم ينته علمك إلى الشخص الذى مرّ الخ (قوله وهو عزير) أى ابن شرخيا كان من بنى إسرائيل ، قيل كان نبيا ، وقيل وليا ، وقيل هو الخضر، وقيل رجل كان كافرا ينكر البعث فأراد الله له الهدى . والقرية قيل هى بيت المقدس كما قال المفسر ، وقيل هى القرية التى خرج منها الألوف حذر الموت (قوله لما خربها بختنصر) بخت معناه ابن ونصر اسم للصنم سمى بذلك لأن أمه لما ولدته وضعته عنده فلما وجدوه قالوا بختنصر : أى ابن الصنم ، وكان كافرا ملك الأرض مشرقا ومغربا . وسبب تخريبها أن بنى إسرائيل لما طغوا سلط الله عليهم بختنصر فتوجه إليهم فى ستمائة راية فلما ملكهم قسمهم ثلاثة أقسام

(أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ) بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فلما رآه غبياً (قَالَ إِبْرَاهِيمُ) منتقلا إلى حجة أوضح منها (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا) أنت (مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ) تحير ودهش (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) بالكفر إلى محجة الاحتجاج (أَوْ) رأيت (كَالَّذِي) الكاف زائدة (مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ) هى بيت المقدس راكباً على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو عزير (وَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) سقوفها لما خربها بختنصر (قَالَ أَنَّى) كيف (يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا) استعظاما لقدرته تعالى (فَأَمَاتَهُ اللَّهُ) وألبثه (مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) أحياه ليريه كيفية ذلك (قَالَ) تعالى له (كَمْ لَبِثْتَ) مكثت هنا (قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنه نام أول النهار فقبض وأحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم (قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ) التين (وَشَرَابِكَ) العصير (لَمْ يَتَسَنَّهْ) يتغير مع طول الزمان ، والهاء قيل أصل من سانهت، وقيل للسكت من سانيت وفى قراءة بحذفها (وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ) كيف هو فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح . فعلنا ذلك لتعلم (وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً) على البعث (لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ) من حمارك (كَيْفَ نُنْشِزُهَا) نحييها بضم النون وقرئ بفتحها ،

قسم قتله وقسم قره بالشام وقسم استرقه ، وكان ذلك مائة ألف فقسمه بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل واحد أربعة فكانوا قسمة وعشرين ألف ملك ، وكان من جملة من أسر عزير وفك من الأسر فلما مرّ عليها وهى بهذه الحالة قال ماذكر (قوله أنى يحيي هذه الله بعد موتها) يحتمل أن المراد فى الدنيا أو يوم القيامة وليس ذلك شكا ولا مستغربا لفعل الله بل ذلك سؤال عن تعلق قدرة الله كأنه قال هل تعلقت قدرة الله باحيائها فيحييها أو بعدمه فيبقيها على ما هى عليه (قوله كيف) وقيل بمعنى متى (قوله استعظاما لقدرته) أى أنه لايقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة (قوله وألبثه) قدره إشارة إلى أن قوله مائة عام متعلق بمحذوف ولايصح تعلقه بأماته لأنه لامعنى له . وسبب ذلك أنه لما دخل بيت المقدس وربط حماره فلم ير أحدا بها ، ثم رأى أشجارها قد أثمرت فأكل منها ونام فأماته الله فى منامه فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله ملكا من ملوك فارس إلى بيت المقدس ليعمره فعمره وردّ من بقى من بنى إسرائيل إليه فلما تمت المائة أحياه الله (قوله أو بعض يوم) أو للاضراب لأنه نام ضحوة النهار فأحيي آخر النهار فظن أنه يوم النوم فبالضرورة ليس يوما كاملا (قوله قيل أصل) أى فهى لام الكلمة والفعل مجزوم بسكون الهاء فأصل سنة سنهة (قوله وقيل للسكت) أى فهى زائدة وأصل سنة سنو (قوله وفى قراءة بحذفها) أى وصلا .

(قوله من أنشر ونشر) لف ونشر مرتب (قوله ونرفعها) اى نرفع بعضها إلى بعض (قوله علم مشاهدة) جواب عن سؤال مقدّر (قوله أمر من الله له) أى وترق من علم اليقين ، روى أن العزير لما أحيي ورأسه ولحيته إذ ذاك سوداوان وهوابن أربعين سنة ركب حماره وأتى محلته فأنكره الناس وأنكر هوالناس والمنازل فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذاهو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير ، فقال عزير ياهذه هذا منزل عزير ؟ قالت نعم وأين عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا ، قال فانى عزير ، قالت سبحان الله وأنى يكون ذلك ؟ قال قد أماتنى الله مائة عام ثم بعثنى قالت إن عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة فادع الله لى يرد على بصرى حتى أراك فدعا ربه ومسح بين عينيها فصحتا فأخذ بيدها ، فقال لها قومى باذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت به إلى محلة بنى إسرائيل وهم فى أنديتهم وكان فى المجالس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة و بنو بنيه شيوخ ، فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها ، فقالت انظروا فانى بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فنهض الناس فأقبلوا إليه ، فقال ابنه كان لأبى شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذاهو كذلك. وقد كان قبل بختنصر ببيت المقدس من قراء التوراة أربعون ألف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخل منها بحرف ، فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بختنصر حدثنى أبى عن جدى أنه دفن التوراة يوم سبينا فى خابية فى كرم فان أريتمونى كرم جدى أخرجتها لكم فذهبوا به إلى كرم جده ففتشوا فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير عن ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قوله وإذ قال إبراهيم) هذا دليل آخر لقوله ــ الله ولى الذين آمنوا ــ

من أنشر ونشر لغتان . وفى قراءة بضمها والزاى : نحركها ونرفعها (ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً) فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحما ونفخ فيه الروح ونهق (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ) ذلك بالمشاهدة (قَالَ أَعْلَمُ) علم مشاهدة (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وفى قراءة أعلم أمر من الله له (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ) تعالى له (أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ) بقدرتى على الإحياء ، سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما سأله فيعلم السامعون غرضه (قَالَ بَلَى) آمنت (وَلَكِنْ) سألتك (لِيَطْمَئِنَّ) يسكن (قَلْبِي)

وقصة إبراهيم أبلغ من قصة العزير لعظم مقام إبراهيم ولمغايرة الأسلوب ولم يقل أو كالذى قال رب أرنى الخ لأن إبراهيم قد تقدم له ذكر وأيضا الأمر المعجز لم يقع له فى نفسه كالعزير وإنما أراه الله ذلك فى غيره . وسبب سؤال إبراهيم أنه مرّ بساحل طبرية فوجد جيفة إنسان بالمعاينة وقيل حمار ، وقيل حوت فلما رآها وجد السباع والطيور والسمك تأكل منها فاشتاقت نفسه إلى رؤية جمع الله لها ، فقال أعلم أن الله قادر على جمعها لكن أحب أن أرى ذلك ، وقيل سبب سؤاله أنه لما حاجج النمروذ حيث قال : ربى الذى يحيي ويميت فقال النمروذ : أنا أحيي وأميت ودعا برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر ، فقال له إبراهيم ليس هذا إحياء فان الاحياء إدخال الروح فى الجسم وتقويه بها ، فقال النمروذ أوربك يفعل ذلك ؟ فقال إبراهيم نعم، فقال له هل عاينته ؟ فانتقل لحجة أخرى وهى ــ إن الله يأتى بالشمس من المشرق ــ الآية ، فعند ذلك تشوّق للمعاينة لتقوى حجته على قومه إذا سألوه عن المعاينة ، وقال ــ رب أرنى ــ الآية (قوله أرنى) أصله أرئينى بوزن أكرمنى حذفت الياء لأن الأمر كالمضارع فصار أرئنى ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء وحذفت الهمزة ، والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد فلما دخلت همزة النقل تعدت إلى مفعول ثان وهو جملة الاستفهام (قوله سأله) أى سأل الله إبراهيم، وقوله بذلك : أى بقدرته على إحياء الموتى (قوله ليجيب) علة لسأل وفاعل الاجابة إبراهيم وهو المسئول ، وقوله بما سأله : أى الله ، وقوله فيعلم السامعون غرضه : أى لأن سؤاله أوّلا يوهم عدم إيمانه فترتب على سؤال الله له بقوله ــ أولم تؤمن ــ كشف إبراهيم عن مراده بقوله ــ بلى ولكن ليطمئن قلبى ــ (قوله آمنت) قدره إشارة إلى أن قوله ولكن ليطمئن قلبى مرتب عليه وهناك محذوف آخر تقديره وليس سؤالى لعدم إيمان منى ولكن الخ (قوله يسكن قلبى) أى من اضطرابه واشتياقه إلى المعاينة ولا يقدح ذلك فى إيمان إبراهيم فان الانسان مؤمن برسول الله و بيت الله الحرام ولكن قلبه مشتاق ومضطرب لمشاهدة رسول الله و بيته الحرام غاية الاشتياق ومع ذلك لايقدح فى إيمانه بما ذكر، كسؤال موسى رؤية الله مع كونه فى أعلى مراتب الايمان بالله .

(قوله بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال) . إن قلت إن إيمان الأنبياء حق يقين لا علم يقين ولا عين يقين فكيف يطلب إبراهيم الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين مع أن مرتبته فوق ذلك . أجيب بأن هذا الكلام بالنسبة للذات والصفات لوجودها بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها وأما إيجاد الله للأشياء فهو أمر اعتبارى يطلع الله على ذلك من خصه برحمته فلا يشاهده إلا من رآه بعينه. وأجيب أيضا بأنه من أهل حق اليقين فى الجميع لأن الله يمثل لأحبابه الأمور الاعتبارية التى ستحصل فتصير كالمشاهدة الحاضرة فلا فرق فى حق اليقين بين شهود الذات والصفات والأفعال وإنما طلب ذلك لأجل تمام الاستدلال والاحتجاج على قومه وهذا هو الأتم (قوله بكسر الصاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أملهن إليك) أى أو قطعهن فهما معنيان لصرهن والمفسر جمع بينهما (قوله من جبال أرضك) أى من جبال حولك وكانت أربعا وقيل سبعا (قوله فأخذ طاوسا الخ) الحكمة فى اختيار هذه الطيور الأربعة شبهها بالانسان فان فى الطاوس الخيلاء والعجب وفى النسر شهوة الأكل والشرب وفى الغراب الحرص وفى الديك شهوة النكاح وذلك كله فى الانسان (قوله ثم أقبلت إلى رءوسها) أى بدعائها ثانيا فالدعوة الأولى لالتئام أجزائها والثانية لاتيانها إليه لأخذ رءوسها، وإنما لم تكن من جنس واحد ليظهر التمييز، وكانت من الطيور لأن الطير صفته الطيران فى العلو وهمة إبراهيم إلى جهة العلو فمعجزته مشاكلة لهمته (قوله مثل ماينفقون) مثل مبتدأ مضاف للموصول وينفقون صلته والخبر قوله كمثل حبة وقدر المفسر قوله نفقات ليصح التشبيه لأن ذوات المنفقين

بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال (قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ) بكسر الصاد وضمها: أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن (ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ) من جبال أرضك (مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ) إليك (يَأْتِينَكَ سَعْيًا) سريعا (وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شىء (حَكِيمٌ) فى صنعه، فأخذ طاوسا ونسرا وغرابا وديكا وفعل بهن ماذكر وأمسك رءوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رءوسها (مَثَلُ) صفة نفقات (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ) فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعمائة ضعف (وَاللَّهُ يُضَاعِفُ) أكثر من ذلك (لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) فضله (عَلِيمٌ) بمن يستحق المضاعفة (الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا) على المنفق عليه بقولهم مثلا: قد أحسنت إليه وجبرت حاله (وَلَا أَذًى) له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه،

لايصح تشبيهها بالحبة . والحاصل أنه لايصح التشبيه إلا بتقدير إما فى الأول كما صنع المفسر أو فى الثانى أى مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل باذر حبة (قوله طاعته) أى واجبة أو مندوبة فيشمل الجهاد وطلب العلم والحج والتوسعة على العيال وغير ذلك وكلما عظمت القربة كانت الحسنات فيها أكثر (قوله أنبتت سبع سنابل) أى فى سبع شعب والأصل والساق واحد وسنابل جمع سنبلة ويقال أيضا سبل وسبلة بجعل الأول سنبل والثانى سبل وغالبا يوجد ذلك فى الذرة والدخن والشعير (قوله والله يضاعف أكثر من ذلك) أى على حسب الاخلاص وطيب المال ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم « الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا من بعدى فو الذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» واعلم أن أقل المضاعفة عشر ثم سبعون ثم سبعمائة ثم إلى غير نهاية وظاهر المفسر أن وعد الله الذى لايتخلف هو المضاعفة بالسبعمائة وأما مازاد فيختص برحمته من يشاء ، والحق أن وعد الله الذى لايتخلف هو المضاعفة بالعشر وما زاد فيخص به من يشاء فقوله والله يضاعف لمن يشاء صادق بما فوق العشرة (قوله والله واسع فضله) أى فلا يستغرب إعطاؤه الشىء الكثير فى نظير شىء قليل لا تخفى عليه خافية وهذا كالدليل لما قبله (قوله الذين ينفقون أموالهم) نزلت هذه الآية فى حق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فى غزوة تبوك حيث جهز عثمان ألف بعير بأحلاسها وأقتابها ووضع بين يدى رسول الله ألف دينار فصار رسول الله يقلبها ويقول ماضر عثمان مافعل بعد اليوم، وأتى عبد الرحمن النبى عليه الصلاة والسلام بأربعة آلاف درهم وأخبره بأنه أبقى لأهله نظيرها فقال له بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أنفقت فصار بعد ذلك ماله كالتراب (قوله منا) هو تعداد النعم وأتى بثم إشارة إلى أن المن يقع بعد الانفاق بمهلة وهو حرام محبط للعمل إلا من الوالد على ولده والشيخ على تلميذه والسيد على عبده فليس بحرام (قوله ولا أذى) من عطف العام على الخاص لأن المن من جملة الأذى

ونحوه (لَهُمْ أَجْرُهُمْ) ثواب إنفاقهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ) كلام حسن وردّ على السائل جميل (وَمَغْفِرَةٌ) له فى الحاجة (خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى) بالمن وتعيير له بالسؤال (وَاللهُ غَنِيٌّ) عن صدقة العباد (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عن المانّ والمؤذى (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ) أى أجورها (بِالْمَنِّ وَالْأَذَى) إبطالاً (كَالَّذِى) أى كإبطال نفقة الذى (يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ) أى مرائياً لهم (وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وهو المنافق (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ) حجر أملس (عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ) مطر شديد (فَتَرَكَهُ صَلْدًا) صلباً أملس لا شىء عليه (لاَ يَقْدِرُونَ) استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس وجمع الضمير باعتبار معنى الذى (عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا) عملوا أى لا يجدون له ثواباً فى الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شىء من التراب الذى كان عليه لإذهاب المطر له (وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . وَمَثَلُ) نفقات (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ) طلب (مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ) أى تحقيقاً للثواب عليه ، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له ومن ابتدائية (كَمَثَلِ جَنَّةٍ) بستان (بِرُبْوَةٍ) بضم الراء وفتحها : مكان مرتفع مستو (أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ) أعطت (أُكُلَهَا) بضم الكاف وسكونها : ثمرها (ضِعْفَيْنِ) مثلى ما يثمر غيرها (فَإِنْ لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ) مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها ، المعنى تثمر وتزكو كثر المطر أم قلّ فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلّت (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُون بَصِيرٌ) ،

(قوله ونحوه) أى كأن يعطيه ويسبه (قوله عند ربهم) أى مدخر عنده والعندية عندية مكانة وشرف لا مكان (قوله ولا خوف عليهم) أى فى الآخرة والخوف غم لما يستقبل وقوله ولاهم يحزنون أى فيها والحزن غم لما مضى فقوله فى الآخرة راجع لهما وأما فى الدنيا فلامانع من حصول ذلك لما فى الحديث « أشدّكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل » (قوله قول معروف الخ) قول مبتدأ ومعروف صفته ومغفرة معطوف عليه وخير خبره وسوّغ الابتداء بالنكرة الأولى وصفها وبالثانية عطفها على ماله مسوّغ (قوله كلام حسن) أى من المسئول كأن يقول له الله يرزقك مثلا (قوله خير من صدقة يتبعها أذى) اعلم أن أعلى المراتب الاحسان مع الكلام الحسن ثم الكلام الحسن من غير إعطاء وأدناها الاعطاء مع الأذى فهل له فى هذه الحالة ثواب لقضاء حاجة السائل ويعاقب من جهة الأذية أولا ثواب ولا عقاب أو يعاقب فقط ولا ثواب لوجود الأذية ويؤيده ما يأتى فى قوله ـ لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ ـ الآية وعلى ذلك فيشكل الاتيان باسم التفضيل. وأجيب بأن الخيرية بالنسبة للسائل لا للمسئول (قوله والله غنىّ) أى فلا يحوج عباده الفقراء إلى من الأغنياء وأذاهم ويرزقهم من جهة أخرى إذا استدّ باب يفتح الله عشرة وفى الحقيقة الصدقة نفع صرف لصاحبها إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وأما قسمة الله للعبد فلا تخطئه بل إن لم تكن من هذا فمن غيره (قوله أى أجورها) يحتمل أن المراد مضاعفتها أو ثوابها من أصله (قوله إبطالا) أشار بذلك إلى أن قوله كالذى صفة لمصدر محذوف (قوله أى كإبطال نفقة الذى) الكلام على حذف مضاف أى كإبطال أجر نفقة الذى الخ (قوله أى مرائيا لهم) أشار بذلك إلى أن رئاء مصدر بمعنى اسم الفاعل حال من فاعل ينفق والمراآة مفاعلة من الجانبين (قوله وهو المنافق) ى وهو قسمان : نفاق عملى ونفاق دينى فالأول أن يقصد بصدقاته وصلاته وصومه غير وجه الله لكنه مسلم والثانى أن يظهر الاسلام ويخفى الكفر فمعنى قوله ولا يؤمن بالله أى أصلا بأن يكون كافرا أو إيمانا كاملا بأن يكون مسلما عاصيا (قوله فمثله) أى فى الانفاق (قوله حجر أملس) أى وهو كبير (قوله مطر شديد) وأوله رش ثم طش ثم طل ثم نضح ثم هطل ثم وبل (قوله وجمع الضمير باعتبار معنى الذى) أى وأفرده فيما قبله نظرا للفظه (قوله ابتغاء) مفعول لأجله (قوله أى تحقيقا للثواب) أى جازما ومصمما أن الله يثيبه (قوله مكان مرتفع) أى طيب حسن شجره نام ثمره وقوله مستو أى لا مسنم لعدم بقاء الماء عليه وقوله بضم الراء وفتحها أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لارتفاعها) أى واستوائها (قوله كثرت أم قلت) أى لخيث حسن باطنه بالاخلاص فقليل عمله ككثيره فى رضا الله عنه قال العارف :

و بعد الفنا فى الله كن كيفما تشا ... فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

فيجازيكم به (أَيَوَدُّ) أيحب (أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ) بستان (مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا) ثمر (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَ) قد (أَصَابَهُ الْكِبَرُ) فضعف من الكبر عن الكسب (وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ) أولاد صغار لايقدرون عليه (فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ) ريح شديدة (فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) ففقدها أحوج ما كان إليها و بقى هو وأولاده عجزة متحيرين لاحيلة لهم ، وهذا تمثيل لنفقة المرائى والمان فى ذهابها وعدم نفعها أحوج مايكون إليها فى الآخرة والاستفهام بمعنى النفى ، وعن ابن عباس هو لرجل عمل بالطاعات ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أحرق أعماله (كَذَٰلِكَ) كما بين ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) فتعتبرون (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا) أى زكوا (مِنْ طَيِّبَاتِ) جياد (مَا كَسَبْتُمْ) من المال (وَمِنْ) طيبات (مَا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) من الحبوب والثمار (وَلَا تَيَمَّمُوا) تقصدوا (الْخَبِيثَ) الردىء (مِنْهُ) أى من المذكور (تُنْفِقُونَ) ه فى الزكاة حال من ضمير تيمموا (وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ) أى الخبيث لو أعطيتموه فى حقوقكم (إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ) ،

قوله فيجازيكم به) فى ذلك وعد للمخلصين برضا الله والفوز الأكبر ووعيد للمرائين بغضب الله وعدم الرضا عليهم (قوله أيود أحدكم) شروع فى ذكر مثال آخر للمرائى والمان والاستفهام إنكارى بمعنى النفى ومصبه قوله فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت وقوله أيحب تفسير ليود فالمودة هى المحبة لكن مع تمنى اللقاء (قوله جنة) قيل إن المراد بالجنة الأرض ذات الشجر ، وقيل الشجر نفسه (قوله من نخيل) اسم جنس جمعى واحده نخلة ولايكون إلا لشجر البلح ، والأعناب جمع عنبة اسم للكرم المعلوم وخصهما لعظم منافعهما ومزيد فضلهما على سائر الأشجار وإلا فالمراد فى الآية جميع الثمار بدليل باقى الآية (قوله له فيها ثمر من كل الثمرات) أشار بذلك إلى أن من كل الثمرات جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لموصوف محذوف على حد: منا ظعن ومنا أقام أى منا فريق ظعن ومنا فريق أقام وكقوله تعالى ـ ومامنا إلا له مقام معلوم ـ أى مامنا أحد وقوله له متعلق بمحذوف خبر لثمر المقدر وقوله فيها متعلق بمحذوف حال من ضمير الخبر (قوله وأصابه الكبر) الجملة حالية وقد مقدرة كما ذكره المفسر لأن الجملة الماضوية إذا وقعت حالا فان قد تصحبها إما لفظا أوتقديرا وقوله وله ذرية ضعفاء جملة حالية أيضا (قوله فأصابها إعصار) هذا هو مصب الاستفهام لأن هذا هو موضع المصيبة (قوله ريح شديدة) هى المسماة بالزوبعة لأنها تعصر الشجر كما يعصر الانسان الثوب وتقلعه من أصله (قوله فاحترقت) معطوف على أصابها (قوله أحوج ما كان إليها) حال من فاعل فقدها أى فقدها هو حال كونه محتاجا إليها (قوله عجزة) جمع عاجز ككملة وكامل (قوله وهذا تمثيل لنفقة المرائى والمان) أى لأنهما خصلتان من خصال المنافقين وهو كافر بهما إن استحل ذلك (قوله والاستفهام بمعنى النفى) أى فهو إنكارى يعنى لايحب مسلم ذلك (قوله وعن ابن عباس) أى فهو تفسير آخر لمعنى الآية (قوله ماذكر) أى من نفقة المخلص بقوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله الآية ونفقة المرائى والمان بقوله فمثله كمثل صفوان الآية (قوله يبين الله لكم الآيات) أى فلم يكلفكم إلا بعد البيان (قوله ياأيها الذين آمنوا أنفقوا) هذا نتيجة ماقبله فبين أولا الاخلاص فى الانفاق وبين هنا الاخلاص فى الشىء المنفق (قوله زكوا) أى أدوا الزكاة وماقاربها (قوله من المال) أى وهو النقد والمواشى وعروض التجارة (قوله ومن طيبات ماأخرجنا لكم من الأرض) ظاهر الآية أن جميع ماخرج من الأرض يجب فيه الزكاة ولكن تفصيل ذلك موكول للسنة فأوجب الشافعى الزكاة فيما كان مقتاتا للآدمى حالة الاختيار إذا بلغ ذلك خمسة أوسق ففيه إن سقى بآلة نصف العشر و بغيرها العشر ، وأبقاها أبو حنيفة على ظاهرها فأوجب الزكاة فى جميع مايخرج من الأرض من مأكولات الآدمى كالفواكه والخضراوات وأوجب فى ذلك العشر قليلا أو كثيرا ، وعند مالك تجب الزكاة فى عشرين نوعا : القمح والشعير والسلت والدخن والذرة والأرز والعلس والقطانى السبع وهى الفول والحمص والترمس والبسلة والجلبان واللوبيا والعدس وذوات الزيوت الأربع وهى الزيتون والقرطم وحب الفجل الأحمر والسمسم والتمر والزبيب فيخرج من ذلك نصف العشر إن سقى بآلة والعشر كاملا إن سقى بغيرها إن بلغ حب ذلك أوزيت ماله زيت خمسة أوسق (قوله أى من المذكور) أى الخبيث فقوله منه تنفقون متعلق بالخبيث (قوله ولستم بآخذيه) هذا احتجاج على من أدى الزكاة من الردىء وامتنع من إعطائها من الطيب ، وقد نزلت فى الأنصار ، عن البراء بن عازب قال نزلت فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتى بالقنو والقنوين

فيعلقه فى المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر أو التمر فيأكل وكان فينا من لا يرغب فى الخير فيأتى بالقنو فيه الشيص والحشف و بالقنو قد انكسر فيعلقه فأنزل الله ولا تيمموا الآية (قوله التساهل) أشار بذلك إلى أن قوله : إلا أن تغمضوا فيه كناية عن التساهل لأن من تساهل فى شىء فقد غض بصره عنه (قوله عن نفقاتكم) أى فأمركم بها لا لانتفاعكم بها لالعجزه عن نفقة الفقراء (قوله الشيطان يعدكم) أى يخبركم بأسباب الفقر و يجعله بين أعينكم (قوله البخل) قال بعضهم : الفحشاء فى القرآن جميعه معناه الزنا إلا هذه فمعناها البخل ، والمعنى يغويكم و يخبركم بأمور يتسبب عنها البخل فيترتب على ذلك مطاوعتكم له كمطاوعة المأمور للآمر وسمى إخبار الشيطان بالفقر وعدا مع أنه وعيد لأنه شر مشاكلة لقوله : والله يعدكم مغفرة منه وفضلا (قوله خلفا منه) ورد « أن الله بعث ملكين أحدهما ينادى: اللهم أعط منفقا خلفا ، والآخر ينادى: اللهم أعط ممسكا تلفا» وفى الحديث أيضا «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة به فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ : الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء » خرجه الترمذى (قوله بالمنفق) يقرأ بصيغة اسم الفاعل أى بنية الشخص المنفق و بصيغة اسم المفعول أى بالشىء المنفق (قوله العلم النافع الخ) هذا هو أصح الأقوال وأولاها بالصواب وفى تفسيرها أقوال كثيرة قيل النبوة وقيل المعرفة بأحكام القرآن

بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن نفقاتكم (حَمِيدٌ) محمود على كل حال (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ) يخوفكم به إن تصدقتم فتمسكوا (وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ) البخل ومنع الزكاة (وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ) على الإنفاق (مَغْفِرَةً مِنْهُ) لذنوبكم (وَفَضْلًا) رزقا خلفاً منه (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) فضله (عَلِيمٌ) بالمنفق (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ) العلم النافع المؤدى إلى العمل (مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) لمصيره إلى السعادة الأبدية (وَمَا يَذَّكَّرُ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال يتعظ (إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ) أديتم من زكاة أو صدقة (أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ) فوفيتم به (فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ) فيجازيكم عليه (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بمنع الزكاة أو النذر أو بوضع الإنفاق فى غير محله من معاصى الله (مِنْ أَنْصَارٍ) ما نعين لهم من عذابه (إِنْ تُبْدُوا) تظهروا (الصَّدَقَاتِ) أى النوافل (فَنِعِمَّا هِيَ) أى نعم ،

وقيل الفهم فيه ، وقيل الاصابة فى القول والفعل وقيل الفقه فى الدين مطلقا ، وقيل خشية الله وقيل القرآن لما ورد « إذا أراد الله إنزال العذاب بقوم سمع تعليم صبيانهم الحكمة رفعه عنهم » ويشهد لما قاله المفسر حديث « لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها الناس » شيئا

(قوله المؤدى إلى العمل) أى وأما شقشقة اللسان التى لم تورث القلب خشية فلا تسمى حكمة بل يعذب الانسان على ذلك و يبعث جاهلا ، قال الامام الشافعى :

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى	وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
فبشره أن الله أولاه نقمة	ينكل بها من قبل من عبد الوثنا

نسأل الله السلامة (قوله فيه إدغام التاء فى الأصل الخ) أى فان أصله يتذكر قلبت التاء دالا ثم أعجمت وأدغمت فى الذال (قوله أصحاب العقول) أى الكاملة السالمة من شوائب النقص (قوله فوفيتم به) أشار بذلك إلى أن فى الآية حذف العاطف والمعطوف لأن المجازاة لاتترتب إلا على الوفاء بالنذر لا على نفس النذر (قوله فان الله يعلمه) دليل الجواب وقدر المفسر الجواب بقوله فيجازيكم عليه (قوله من أنصار) من صلة والأنصار الأعوان (قوله إن تبدوا الصدقات) لما تقدم فضل الصدقة كأن قائلا يقول هل هذا الفضل مخصوص بمن أسرها أو بمن أعلنها ؟ فأجاب بذلك وحذف من هنا شيئا أثبت نظيره فى الآخر تقديره إن تبدوا الصدقات وتعطوها الأغنياء فنعما هى (قوله أى النوافل) أى فالمراد بالصدقات صدقات التطوع لأنها هى التى يصح إعطاؤها للأغنياء (قوله فنعما هى) بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان والعين مكسورة على كل حال والقياس فتح النون لأنه على وزن علم و إنما كسرت النون فى القراءة الأخرى إتباعا لكسرة العين ونعم فعل ماض وما تمييز وقيل فاعل وهى هو المخصوص بالمدح .

(قوله شيئا) تفسير لما وقوله إبداؤها بيان لكون المخصوص فى حذف مضاف (قوله فالأفضل إظهارها) أى حيث كان مشهورا بالمال ولم يخش على نفسه تسلط الظلمة على ماله (قوله و إيتاؤها الفقراء متعين) التعيين بالنسبة للأغنياء و إلا فالأصناف التى تدفع لهم ثمانية مذكورة فى سورة براءة (قوله بالياء) أى مع الرفع لاغير وقوله والنون أى مع الجزم والرفع فالقراآت ثلاث فقول المفسر مجزوما ومرفوعا راجع لقوله والنون لاغير (قوله على محل فهو) أى مع خبره ومحله جزم لوقوعه جواب الشرط (قوله بعض سيئاتكم) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض لأن الصدقات لاتكفر جميع السيئات بخلاف التوبة فتكفر جميعها (قوله لايخفى عليه شئ منه) أى من العمل سرّا أوجهرا فإسرار العمل لايدل على الاخلاص و إجهاره لايدل على الرياء (قوله ولما منع) أشار بذلك إلى سبب نزول الآية (قوله من التصدّق على المشركين) أى الكفار الفقراء يهودا أوغيرهم (قوله ليسلموا) أى ليضطروا فى بما يترتب على ذلك إسلامهم (قوله ليس عليك هداهم) أى لم يكلفك يامحمد ربك بخلق الهدى فيهم بل كلفك بتبليغ شرعه و يسمى هدى أيضا قال تعالى ـ ولكل قوم هاد ـ بمعنى مبلغ ودالّ لهم على طريق الحق فتحصل أن الهدى يطلق بمعنى الدلالة وهو مكلف به الأنبياء والعلماء، و بمعنى إيصال الخير للقلب وهو لم يكلف به أحد قال تعالى ـ إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ـ ومن هنا قول العارف: من نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم. فعذرهم بالنظر لخلق الله الضلال والهدى فى قلوبهم فالخالق للضلال والهدى والأفعال جميعها هو لله وحده فمن نظر لذلك لم يستقبح فعل أحد لأنه فعل لله فى الحقيقة قال العارف:

إذا مارأيت الله فى الكل فاعلا ... رأيت جميع الكائنات ملاحا
وان لم ترى الا مظاهر صنعه ... حجبت فصيرت الحسان قباحا

شيئا إبداؤها (وَإِنْ تُخْفُوهَا) تسروها (وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) من إبدائها و إيتائها الأغنياء، أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليقتدى به ولئلا يتهم و إيتاؤها الفقراء متعين (وَيُكَفِّرُ) بالياء و بالنون مجزوما بالعطف على محل فهو، ومرفوعا على الاستئناف (عَنْكُمْ مِنْ) بعض (سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم بباطنه كظاهره لايخفى عليه شىء منه. ولما منع صلى الله عليه وسلم من التصدق على المشركين ليسلموا نزل (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ) أى الناس إلى الدخول فى الإسلام إنما عليك البلاغ (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته إلى الدخول فيه (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ) مال (فَلِأَنْفُسِكُمْ) لأن ثوابه لها (وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ) أى ثوابه لاغيره من أغراض الدنيا، خبر بمعنى النهى (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) جزاؤه (وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) تنقصون منه شيئا والجملتان تأكيد للأولى (لِلْفُقَرَاءِ) خبر مبتدإ محذوف أى الصدقات (الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى حبسوا أنفسهم على الجهاد، نزلت فى أهل الصفة وهم أربعمائة من المهاجرين،

ومقتهم بالنظر للتكليف الظاهرى فالعبد مجبور فى قالب مختار (قوله هدايته) قدره إشارة إلى مفعول يشاء (قوله لأن ثوابه لها) أى فلا يضيع الثواب سواء تصدّق على مؤمن أو مشرك (قوله لاغيره من أعراض الدنيا) أى فلا تجعلوا نفقاتكم عليهم إلا لوجه الله لالشئ آخر لأن من كان مقصده وجه الله فلا يخيب أبدا كانت النفقة على مسلم أو كافر بل ورد أن الله غفر لانسان بسبب سقيه كلبا يلهث عطشا (قوله خبر بمعنى النهى) راجع للجملة الثانية أى فهى خبرية لفظا إنشائية معنى، والمعنى لاتجعلوا إنفاقكم إلا خالصا لوجه الله لا لغرض آخر لادنيوى ولا أخروى وهذا هو المقام الأعلى أو لاتقصدوا إلا وجه الله بمعنى ثوابه وهذا أدنى منه وارتكبه المفسر و إن كانت الآية محتملة لهما بالنظر لأخلاق العامة و يصح فى هذه الجملة أن تكون خبرية لفظا ومعنى وتكون قيدا فيما قبلها، فالمعنى وما تنفقوا من خير فلأنفسكم إن قصدتم بها وجه الله (قوله من خير) أى قليلا أو كثيرا (قوله تنقصون منه شيئا) أى سواء كان قليلا أو كثيرا ولو خردلة (قوله للأولى) أى وهى قوله ـ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم ـ (قوله أى الصدقات) أى المتقدم ذكرها تصرف وتعطى للفقراء الذين أحصروا الخ (قوله فى أهل الصفة) أى وهى محل فى مؤخر المسجد النبوى والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب، فالمراد كلّ من كان متصفا بأوصافهم فالصدقات تعطى له (قوله وهم أربعمائة) ورئيسهم عبد الرحمن بن صخر المكنى بأبى هريرة (قوله من المهاجرين) أى الذين هاجروا مع رسول الله من مكة وما حولها وتركوا أموالهم وديارهم ولم يكن لهم بالمدينة مساكن

ولا عشائر وكانوا غير متزوجين وكانوا يستغرقون أوقاتهم فى الاشتغال بالقرآن والسنة والعبادة ليلا والجهاد نهارا وكانوا يقفون أول صف فى الصلاة والجهاد (قوله أرصدوا لتعلم القرآن) أى والصلاة خلف النبىّ وقيام الليل (قوله بالجهاد) أى فى طاعة الله إما بالغزو أو بتعلمهم القرآن وغير ذلك من أنواع الطاعات (قوله وأثر الجهد) أى من عظيم الخدمة مع الجوع (قوله شيئا) قدره إشارة إلى مفعول يسألون وقوله فيلحفون قدره إشارة إلى أن إلحافا مفعول لمحذوف (قوله أى لاسؤال لهم أصلا) أى فالنفى منصب على القيد وهو الالحاف والمقيد وهو أصل السؤال فالإلحاف منفى قطعا لانتفاء أصل السؤال (قوله وما تنفقوا من خير) هذه الجملة تأكيد للجملة المتقدمة (قوله الذين ينفقون أموالهم) قيل نزلت فى أبى بكر حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة آلاف بالليل ومثلها بالنهار ومثلها سرا ومثلها علانية، وقيل فى على كانت معه أربعة دراهم لم يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبآخر نهارا وبآخر سرا وبآخر علانية ولكن

العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالمراد بيان أجر المنفق على هذا الوجه فلا خصوصية لأبى بكر بذلك ولا لعلى (قوله أى يأخذونه) أشار بذلك إلى أن المراد ليس خصوص الأكل بل التناول مطلقا (قوله فى القدر) مراده به ربا الفضل أى الزيادة وهو حرام فى متحد الجنس فقط وقوله والأجل مراده به ربا النسا وهو حرام وإن تعدد الجنس. قال الأجهورى:

ربا النسا فى النقد حرم ومثله ... طعام وإن جنساهما قد تعددا

وخص ربا فضل بنقد ومثله ... طعام ربا إن جنس كل توحدا

أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا (لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا) سفرا (فِي الْأَرْضِ) للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ) بحالهم (أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ) أى لتعففهم عن السؤال وتركه (تَعْرِفُهُمْ) يا مخاطبا (بِسِيمَاهُمْ) علامتهم من التواضع وأثر الجهد (لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ) شيئاً فيلحفون (إِلْحَافًا) أى لاسؤال لهم أصلا فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فمجاز عليه (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبٰوا) أى يأخذونه وهو الزيادة فى المعاملة بالنقود والمطعومات فى القدر أو الأجل (لَا يَقُومُونَ) من قبورهم (إِلَّا) قياما (كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ) يصرعه (الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) الجنون بهم متعلق بيقومون (ذَلِكَ) الذى نزل بهم (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبٰوا) فى الجواز، وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى ردا عليهم (وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبٰوا فَمَنْ جَاءَهُ) بلغه (مَوْعِظَةٌ) وعظ (مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى) عن أكله (فَلَهُ مَا سَلَفَ) قبل النهى أى لا يسترد منه (وَأَمْرُهُ) فى العفو عنه (إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ) إلى أكله مشبها له بالبيع فى الحل (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبٰوا) ينقصه ويذهب بركته (وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) يزيدها وينميها ويضاعف ثوابها (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ) بتحليل الربا (أَثِيمٍ) فاجر بأكله، أى يعاقبه.

واعلم أن الربا محرم كتابا وسنة وإجماعا فمن استحله فقد كفر وقد ورد فى ذم آكل الربا من (إن الأحاديث ما لا يحصى. فمنها «لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده كلهم فى اللعنة سواء» ومنها أنه رأى ليلة الاسراء رجلا يسبح فى نهر من دم يلقم الحجارة فقال ماهذا ياجبريل قال هذا مثل آكل الربا (قوله الذى يتخبطه الشيطان) أى وهذه علامة يعرفون بها يوم القيامة (قوله بسبب أنهم قالوا الخ) أى فقد ضلوا بالربا قولا وفعلا واعتقادا (قوله وهذا من عكس التشبيه) أى فقد جعلوا المشبه مشبها به فجعلوا الربا أصلا فى الحل والبيع مقيسا عليه (قوله فله ماسلف) أى سبق قبل النهى عنه (قوله فى العفو عنه) أى عن آكله، والمعنى فأمره فى الثواب لامتثال أمر الله موكول له يعنى أن من سمع النهى من رسول الله عنه وتاب فقد فاز بما أكله قبل النهى وثوابه موكول لله فهذه الآية محمولة على الصحابة الذين سبق منهم الربا قبل تحريمه (قوله هم فيها خالدون) أى لاستحلالهم ماحرم الله (قوله يمحق الله الربا) أى المال كله (قوله ويربى الصدقات) أى لما فى الحديث «إذا تصدق العبد بصدقة فان الله يربيها له كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون فى ميزانه كأحد» (قوله أى يعاقبه) تفسير لعدم محبة الله له

(قوله إن الذين آمنوا) أى بما أنزل الله ومن جملة ذلك تحريم الربا وقوله وعملوا الصالحات أى بتركهم الربا واتباعهم ما أحل الله. (قوله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) نص عليهما و إن كانا داخلين فى قوله وعملوا الصالحات لعظم شأنهما (قوله ولاخوف عليهم) أى من مكروه يوم القيامة ولا هم يحزنون أى فى يوم القيامة على مافاتهم من الدنيا (قوله يأيها الذين آمنوا اتقوا) أى امتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه (قوله وذروا) أمر من وذر يذر وأصله اوذروا حذفت الواو حملا على حذفها فى المضارع (قوله لما طالب بعض الصحابة) قيل هو عثمان بن عفان والعباس كانا أسلما رجلا فى قدر من التمر فلما حل الأجل طالباه فقال لهما إن أعطيتكما الحق بتمامه لم يبق شىء للعيال وإنما أعطيكما الآن نصفه والنصف الآخر أخرانى به وأزيدكما مثله فتراضيا معه على ذلك قبل التحريم ثم حلّ الأجل فطالباه بذلك فنزلت الآية . إن قلت كيف يطلبانه بالربا مع علمهما بالنهى السابق قبل التحريم . أجيب بأنهما تأولا ذلك حيث ظنا أنه لاحرمة إلا على من جدّد عقدا بعد التحريم (قوله فأذنوا) بالقصر والمدّ قراءتان سبعيتان فعلى القصر معناها أيقنوا وعلى المد معناها أعلموا غيركم بذلك وكلام المفسر يحتملهما (قوله بحرب) أى حرب الكفار إن استحله أو البغاة إن لم يستحله (قوله لايدى لنا) هكذا بالتثنية وكان مقتضى الفصيح لا يدين إلا أن يقال حذفت النون تخفيفا أو يلاحظ إضافته للضمير واللام مقحمة وفى نسخة لايد لنا بالافراد وهى ظاهرة ومعناها لاطاقة ولا قدرة لنا على محاربته وهذا كناية عن كونهم امتثلوا ما أمروا به لورود هذا الوعيد العظيم فيه ومن ذلك قول عمر وكان قد صعد المنبر : أيها الناس إنّ آية الربا آخر مانزل على نبيكم ولو عاش لبين لكم وجوها كثيرة لا تعلمونها فاتقوا الربا والريبة (قوله لاتظلمون بزيادة) ومن ذلك مهاداة المدين لرب الدين فهو حرام وربا إن لم تكن عادته الهدية قبل شغل الذمة (قوله وقع غريم) أشار بذلك إلى أن كان تامة وذو فاعلها وهو الأقرب ويصح كونها ناقصة وذو اسمها وخبرها محذوف تقديره غريما لكم (قوله ذو عسرة) أى حيث كان ثابتا عسره بالبينة أو بإقرار صاحب الدين ، وأما من لم يكن عسره ثابتا بأن كان ظاهر الملاء فانه يحبس حتى يؤدّى أو يثبت عسره أو يموت (قوله أى عليكم تأخيره) أى وجوبا وأشار بذلك إلى أن نظرة مبتدأ خبره محذوف (قوله فى الأصل فى الصاد) أى فأصله تتصدّقوا قلبت التاء الثانية صادا ثم أدغمت فى الصاد (قوله على حذفها) أى التاء . قال ابن مالك :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر

(قوله بالابراء) أى وهو مندوب وهو أفضل من الواجب الذى هو الانظار لأنه إنظار وزيادة وله نظائر نظمها المفسر بقوله: الفرض أفضل ما آتى متعبد حتى ولو قد جاء منه بأكثر إلا التطهر قبل وقت وابتدا ء بالسلام كذاك إبرا المعسر (قوله واتقوا يوما) هذه الآية آخر القرآن نزولا كما قال ابن عباس وأمر جبريل رسول الله بوضعها على رأس مائتين وثمانين آية وتقدم لنا أن البقرة مائتان وست وثمانون آية فيكون الباقى بعد خمس آيات . أولها آية الدين . وثانيها و إن كنتم على سفر إلى قوله عليم . ثالثها لله ما فى السموات وما فى الأرض إلى قدير . رابعها آمن الرسول إلى المصير . خامسها لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلى آخرها، ونزلت قبل وفاة رسول الله بثلاث ساعات

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا) اتركوا (مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) صادقين فى إيمانكم فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى . نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهى بربا كان له قبل (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا) ما أمرتم به (فَأْذَنُوا) اعلموا (بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) لكم ، فيه تهديد شديد لهم. ولما نزلت قالوا لا يدى لنا بحربه (وَإِن تُبْتُمْ) رجعتم عنه (فَلَكُمْ رُءُوسُ) أصول (أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ) بزيادة (وَلَا تُظْلَمُونَ) بنقص (وَإِن كَانَ) وقع غريم (ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ) له أى عليكم تأخيره (إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ) بفتح السين وضمها أى وقت يسر (وَأَن تَصَدَّقُوا) بالتشديد على إدغام التاء فى الأصل فى الصاد وبالتخفيف على حذفها أى تتصدقوا على المعسر بالابراء (خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير فافعلوه ، فى الحديث «من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله » رواه مسلم (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ) بالبناء للمفعول تردون وللفاعل تصيرون (فِيهِ إِلَى اللَّهِ) هو يوم القيامة (ثُمَّ تُوَفَّىٰ) فيه (كُلُّ نَفْسٍ) ،

وقيل بسبعة أيام وقيل بأحد وعشرين وقيل بأحد وثمانين (قوله جزاء ما كسبت) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم) هذه الآية من هنا إلى عليم أطول آي القرآن وقد اشتملت على بيان إرشاد العباد لمصالح دنياهم وذلك لأن الدنيا مزرعة الآخرة والدين المعاملة فحينئذ لايتم إصلاح الآخرة إلا بإصلاح الدنيا فبين هنا ما به إصلاح الدنيا (قوله تعاملتم) فسر المداينة بالمعاملة التي هي مفاعلة من الجانبين أي سواء كنت آخذا أو مأخوذا منك (قوله بدين) حكمة التصريح به وإن علم من تداينتم ليعود الضمير في قوله فاكتبوه عليه صراحة وأيضا لدفع توهم أن المراد بالمداينة المجازاة كقوله كما يدين الفتى يدان أي كما يجازي يجازى وأيضا صرح به إشارة إلى عموم الدين قليلا أو كثيرا جليلا أو حقيرا فالمعنى لاتستخفوا به (قوله كسلم) أي مسلم فيه كما إذا دفع عشرة دراهم مثلا ليأتي له بقنطار من سمن عند أجل معلوم بينهما وقوله وقرض المراد به السلف (قوله إلى أجل مسمى) أي وأما الحال فلا يحتاج لكتابة لأنه ليس من المهمات ولمزيد المشقة (قوله معلوم) أي فالجهل فيه مفسد للعقد إن كان سلما، وأما السلف فيجوز فيه التأجيل والحلول فإن وقع على الحلول فلابد عند مالك من مضي زمن يمكن انتفاعه به عادة وإن وقع على التأجيل فيلزم المقرض الصبر إلى الأجل عند مالك وعند الشافعي لايلزمه الصبر إليه بل له أن يطلبه قبله (قوله استيثاقا) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية الارشاد لا للوجوب كالأمر بالصلاة والصوم بحيث يعاقب على تركه (قوله كتاب الدين) أشار بذلك إلى أن مفعول يكتب محذوف (قوله بالعدل) أي ولا يكون إلا فقيها عدلا ويشترط أن يكتب كلاما معروفا لا موهما (قوله ولا يأب) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الألف والفتحة دليل عليها وكاتب فاعل يأب وقوله من أن يكتب قدر من إشارة إلى أن الجار محذوف وهو مطرد مع أنّ وأن عند أمن اللبس فهو في محل نصب مفعول ليأب (قوله والكاف متعلقة بيأب) أي تعليلية وما مصدرية وعبارة غيره والكاف متعلقة بلا يأب وهي الأوضح لأن من لم يعرف الوضع ولا الأحكام لا يتعلق به النهي والمعنى لا يمتنع كاتب من الكتابة من أجل تعليم الله له تلك الكتابة (قوله تأكيد) أي زيادة في الايضاح (قوله الكاتب) مفعول أول ليملل ومفعوله الثاني قوله الدين وقوله يمل أشار بذلك إلى أن الاملاء والاملال لغتان يقال أمليته وأمللته بمعنى ألقيت عليه ذلك شيئا فشيئا ومن ذلك سميت الملة ملة لاملائها وإلقائها على رسول الله شيئا فشيئا والقراءة بالفك هنا ويصح في غير القرآن الادغام لقول ابن مالك : وفي * جزم وشبه الجزم تخيير قفي * (قوله لأنه المشهود عليه) أي فلا يكتب الكاتب إلا بحضرتهما لقطع النزاع بينهما (قوله وليتق الله ربه) أي فلا يكتب كلاما موهما للزيادة أو النقص فقوله ولا يبخس منه شيئا تفسير للتقوى وذلك كأن يكتب ألفا ولم يبين كونه فضة أو محبوبا أو ريالا أو غير ذلك أو عشرين محبوبا مثلا ولم يبين كونها معاملة أو ذهبا أو غير ذلك (قوله فإن كان الذي عليه الحق) أي أو الذي له الحق (قوله مبذرا) أي في أمور دنياه عند مالك أو في أمور دنياه ودينه عند الشافعي (قوله أو كبر) أي مفرط بحيث لا يدري شيئا أو كان من عليه الحق أنثى يخشى منها الفتنة فتوكل محرمها (قوله ومترجم) أي إن كان لا يعرف اللغة العربية مثلا (قوله بالعدل) متعلق بقوله فليملل (قوله أشهدوا على الدين) أشار بذلك إلى أن السين والتاء لتأكيد الطلب (قوله من رجالكم) متعلق بمحذوف صفة لشهيدين (قوله أي بالغي المسلمين الأحرار) أي العقلاء العدول فشهادة الصبيان لا تقبل في الأموال ولا فيما آل إليها

جزاء (مَا كَسَبَتْ) عملت من خير وشر (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بنقص حسنة أو زيادة سيئة (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ) تعاملتم (بِدَيْنٍ) كسلم وقرض (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) معلوم (فَاكْتُبُوهُ) استيثاقا ودفعا للنزاع (وَلْيَكْتُبْ) كتاب الدين (بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ) بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص (وَلَا يَأْبَ) يمتنع (كَاتِبٌ) من (أَنْ يَكْتُبَ) إذا دعي إليها (كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ) أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بيأب (فَلْيَكْتُبْ) تأكيد (وَلْيُمْلِلِ) يمل الكاتب (الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ) الدين لأنه المشهود عليه فيقر ليعلم ما عليه (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) في إملائه (وَلَا يَبْخَسْ) ينقص (مِنْهُ) أي الحق (شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا) مبذرا (أَوْ ضَعِيفًا) عن الإملاء لصغر أو كبر (أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ) لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك (فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ) متولي أمره من والد ووصي وقيم ومترجم (بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا) أشهدوا على الدين (شَهِيدَيْنِ) شاهدين (مِنْ رِجَالِكُمْ) أي بالغي المسلمين الأحرار (فَإِنْ لَمْ يَكُونَا) أي الشهيدان (رَجُلَيْنِ

فرجل

وعند مالك تجوز شهادة الصبيان على بعضهم فى الجراح وكذا لا تقبل شهادة العبيد ولا الكفار ولا المجانين ولا غير العدول ولكن إذا لم يوجد العدول فليستكثر من الشهود (قوله فرجل وامرأتان) أى فى الأموال وما آل إليها فاذا لم يوجد الرجل كفى اليمين معهما كما يكفى اليمين معه وحده وهذا مذهب مالك والشافعى وأما أبو حنيفة فلا يكتفى باليمين مع الشاهد (قوله ممن ترضون) متعلق باستشهدوا فيؤخذ منه شرط العدالة فى الجميع وقد صرّح بالعدالة فى مواضع آخر (قوله وعدالته) العدل هو من لم يفعل كبيرة ولا صغيرة خسة كتطفيف حبة ولا مايخلّ بالمروءة كالأكل فى الأسواق (قوله وتعدّد النساء الخ) أشار بذلك إلى أن قوله أن تضلّ متعلق بمحذوف جواب عن سؤال مقدّر تقديره لم أشترط تعدّد النساء مع أنهنّ شقائق الرجال . أجيب بأنه لتذكر إحداهما الأخرى و إنما احتيج للتذكار لأن شأنهنّ النسيان لنقص عقلهنّ وعدم ضبطهنّ (قوله فتذكر) معطوف على تضل عطف منسبب على سبب أو معلول على علة لأن التذكار علة للتعداد والاضلال علة للتذكار فهو علة للعلة (قوله ورفع تذكر) أى بالتشديد لاغير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فعلى هذه القراءة تضل فعل الشرط وهو مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام (قوله استئناف) أى خبر لمبتدا محذوف والجملة فى محل جزم جواب الشرط : أى فهى تذكر (قوله ولايأب الشهداء) أى لايجوز للشهود الامتناع من أداء الشهادة أو تحملها لأنه فرض كفاية إن وجد من يثبت به الحق غيرهم و إن لم يوجد غيرهم كان التحمل أو الأداء فرض عين ومن تأخر عن ذلك كان عاصيا (قوله من أن تكتبوه) أشار بذلك إلى أن قوله أن تكتبوه فى تأويل مصدر مجرور بمن مقدرة معمول لتسأموا والمعنى لا تسأموا من كتابته وظاهره لزوم تقدير من وليس كذلك لأن سأم يتعدى بنفسه وبحرف الجر فعلى عدم التقدير أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لتسأموا (قوله لكثرة وقوع ذلك) علة للنهى : أى لايسأم من الكتابة من تكثر منه الحقوق فبالأولى من لم تكثر منه وظاهر قوله : أى ما شهدتم عليه أن الضمير فى تكتبوه عائد على الشهود وهو معنى صحيح فبين أوّلا كتابة المتداينين وثانيا كتابة الشاهدين لشهادتهما لتكون تلك الكتابة مذكرة لهما و يصح أن يكون خطابا للمتداينين و يؤوّل قول المفسر ماشهدتم بأشهدتم (قوله صغيرا كان) قدر كان إشارة إلى أن صغيرا أو كبيرا خبران لكان المحذوفة . قال ابن مالك :

ويحذفونها ويبقون الخبر و بعد إن ولو كثيرا ذا اشتهر

وليس بمتعين بل يصح جعلهما حالين من الهاء فى تكتبوه (قوله أى الكتب) أى المفهوم من أن تكتبوه على حد اعدلوا هو هو أقرب للتقوى (قوله وأقوم للشهادة) هذا يؤيد ماذكره المفسر أولا من أن الضمير فى تكتبوه عائد على الشهود (قوله تشكوا فى قدر الحق والأجل) أى فيلزم على ذلك إما ضرر المدين أو من له الدين (قوله إلا أن تكون تجارة) إما بالرفع على أن تكون تامة أو بالنصب على أنها ناقصة واسمها ضمير تكون قراءتان سبعيتان وحاضرة وتديرونها صفتان لتجارة وهو وصف بالجملة بعد الوصف بالمفرد عكس قوله تعالى ــ وهذا كتاب أنزلناه مبارك ــ والاستثناء يحتمل أن يكون متصلا من عموم الأحوال و يحتمل أن يكون منقطعا وهو الأقرب لأن مابيع مناجزة ليس داخلا تحت قوله ــ إلى أجل مسمى ــ الآية (قوله أى تقبضونها) راجع لقوله ــ تديرونها ــ وقوله ولا أجل فيها راجع لقوله ــ حاضرة ــ فهو لف ونشر مشوش .

فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ) يشهدون (مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) لدينه وعدالته ، وتعدد النساء لأجل (أَنْ تَضِلَّ) تنسى (إِحْدٰيهُمَا) الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن (فَتُذَكِّرَ) بالتخفيف والتشديد (إِحْدٰاهُمَا) الذاكرة (الْأُخْرٰى) الناسية وجملة الإذكار محل العلة أى لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه . وفى قراءة بكسر إن شرطية ورفع تذكر استئناف جوابه (وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا) زائدة (دُعُوا) إلى تحمل الشهادة وأدائها (وَلَا تَسْئَمُوا) تملوا من (أَنْ تَكْتُبُوهُ) أى ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك (صَغِيراً) كان (أَوْ كَبِيراً) قليلا أو كثيراً (إِلَىٰ أَجَلِهِ) وقت حلوله حال من الهاء فى تكتبوه (ذٰلِكُمْ) أى الكتب (أَقْسَطُ) أعدل (عِنْدَ اللهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ) أى أعون على إقامتها لأنه يذكرها (وَأَدْنَىٰ) أقرب إلى (أ) ن (لَا تَرْتَابُوا) تشكوا فى قدر الحق والأجل (إِلَّا أَنْ تَكُونَ) تقع (تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ) وفى قراءة بالنصب فتكون ناقصة واسمها ضمير التجارة (تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ) أى تقبضونها ،

(قوله أمر ندب) أى إرشاد لمصالح الدنيا لقطع النزاع وهذا تقييد للاستثناء : أى إن الاشهاد المذكور يكون فى العقارات والأمور التى تبقى ، وأما الاستثناء فمحله الأمور التى لا تبقى (قوله صاحب الحق) قدره إشارة إلى أن يضار مبنى للفاعل وكاتب فاعل وأصله يضارر فلا ناهية و يضار مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام (قوله بتحريف) أى فى الكتابة بأن يزيد أو ينقص فيضر البائع أو المشترى ، وقوله أو امتناع من الشهادة : أى يتركها حتى يأخذ عليها جعلا مثلا وذلك إضرار من الكاتب والشهيد لصاحب الحق (قوله أولا يضرهما صاحب الحق) أى فيضار مبنى للمفعول وكاتب وشهيد نائب الفاعل فأصله يضارر (قوله ما لا يليق فى الكتابة) أى بأن يأمره بكتابة مالم يطلع عليه أو يمتنع من إعطاء أجرته له ، وقوله والشهادة : أى بأن يستشهد على مالم يره أو يأخذه على مسافة القصر قهرا من غير دفع شىء له يمونون به (قوله ما نهيتم عنه) أى من مضاررة الكاتب والشاهد (قوله فانه فسوق) أى يترتب عليه الفسوق آخرا لأن من لم يدر العواقب فليس له فى الدنيا صاحب (قوله لاحق بكم) قدره إشارة إلى أن بكم متعلق بمحذوف (قوله أو مستأنفة) الأولى الاقتصار عليه لأن جعله حالا خلاف القاعدة النحوية فان القاعدة أن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا فان الضمير يلزمها وتخلو من الواو ولا يصح أيضا عطفها على جملة واتقوا الله لأنه يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء وفيه خلاف ، وقوله ويعلمكم الله : أى العلم النافع لأن العلم نور لا يهدى لغير المتقى قال الامام الشافعى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى
فأرشدنى إلى ترك المعاصى
وأعلمنى بأن العلم نور
ونور الله لا يهدى لعاصى

وقال الامام مالك : من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يكن يعلم ، فالتقوى سبب لاعطاء العلم النافع (قوله والله بكل شىء عليم) أى فيجازى كلا من الفاسق والمتقى على ماصدر منه (قوله وإن كنتم على سفر) فيه استعارة تبعية

ولا أجل فيها (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فى (أ) ن (لَّا تَكْتُبُوهَا) والمراد بها المتجر فيه (وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ) عليه فإنه أدفع للاختلاف ، وهذا وما قبله أمر ندب (وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ) صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة أو لا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق فى الكتابة والشهادة (وَإِنْ تَفْعَلُوا) ما نهيتم عنه (فَإِنَّهُ فُسُوقٌ) خروج عن الطاعة لاحق (بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى أمره ونهيه (وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ) مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ) أى مسافرين وتداينتم (وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرُهُنٌ) وفى قراءة فرهان جمع رهن (مَقْبُوضَةٌ) تستوثقون بها ، وبينت السنة جواز الرهن فى الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد ، وأفاد قوله مقبوضة اشتراط القبض فى الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله .

(فان) حيث شبه الظرفية المطلقة بالاستعلاء المطلق فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت على الموضوعة للاستعلاء الخاص لمعنى فى الموضوعة للظرفية الخاصة عكس : ولأصلبنكم فى جذوع النخل ، والجامع بينهما التمكن فى كل فكما أن المسافر متمكن من السفر كذلك الراكب متمكن من الركوب ومستعل على المركوب ، وقد أشار للاستعارة المفسر بقوله : أى مسافرين (قوله ولم تجدوا كاتبا) يصح عطفه على فعل الشرط فهو فى محل جزم أو على خبر كان فهو فى محل نصب أو حالا فهو فى محل نصب أيضا ولم يقل ولا شهودا لأن الشأن وجودهم إذ ذاك بخلاف الكاتب (قوله فرهن) مبتدأ وقوله مقبوضة صفته وخبره محذوف قدره المفسر بقوله تستوثقون بها والجملة جواب الشرط فى محل جزم (قوله جمع رهن) أى كل من رهن ورهان جمع لرهن (قوله و بينت السنة الخ) جواب عن سؤال مقدر وهو أن مفهوم الآية أن الرهن فى الحضر لا يسوغ أخذه . أجاب بأن السنة بينت الجواز فى الحضر (قوله لأن التوثق فيه أشد) أى لأن الغالب فى السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والتعرض للموت (قوله اشتراط القبض فى الرهن) أى وهل يشترط من الراهن الاقباض بأن يسلمه الرهن بيده خلاف عند مالك والشافعى والمعتمد عدم اشتراطه ولا بد أن يكون القبض بعلم الراهن أو وكيله ورضاه فلو سرقه المرتهن مثلا ومات الراهن أو أفلس فلا يختص المرتهن به فهو أسوة الغرماء .

(قوله فان أمن بعضكم بعضا) أى رضى بعضكم وهو صاحب الدين بامانة بعض وهو المدين (قوله فلم يرتهنه) تفريع على قوله فان أمن الخ (قوله فليؤدّ الخ) جواب الشرط وقرن بالفاء لأن الجملة طلبية وقد أكد ذلك بأمور منها الأمر ومنها تسميته أمانة ومنها الأمر بتقوى الله فى الأداء ومنها التصريح بقوله الله ربه (قوله دينه) إنما سماه أمانة لأنه صار لايعلم إلا منه (قوله وليتق الله ربه) أى ليخش عقاب ربه فى الأداء ولايماطله به (قوله ولاتكتموا الشهادة) أى الاقرار بالدين وسمى شهادة لأنه لايعلم إلا من المدين فكأنه شاهد بالدين فحيث كتمه فقد كتم الشهادة بالدين (قوله فانه آثم) جواب الشرط وقلبه فاعل بآثم (قوله ولأنه إذا أثم تبعه غيره) أى فى الاثم لأنه سلطان الأعضاء إذا صلح صلح الجسد كله و إذا فسد فسد الجسد كله (قوله والله بما تعملون عليم) أى فيجازى الخلق على أعمالهم خيرا أو شرا (قوله لله ما فى السموات وما فى الأرض) أى ملكا وخلقا وعبيدا وهذا كالدليل لما قبله وعبر بما تغليبا لغير العاقل لكثرته (قوله تظهروا ما فى أنفسكم) أى فتفعلوا بمقتضاه (قوله والعزم عليه) عطف تفسير وهذا هو محل المؤاخذة وهو إشارة لجواب عن الآية حيث عمم فى المؤاخذة مع أنه لايؤاخذ إلا بالفعل أو العزم عليه ولكن ينافيه ما يأتى من أن عموم الآية منسوخ بآية ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ إلا أن يقال إنه إشارة لجواب آخر فما يأتى على هذا بيان للمراد هنا. والحاصل أنه إن أبقيت الآية على عمومها كانت منسوخة بما بعدها و إن حملت على العزم فلا نسخ وما يأتى توضيح لما أجمل هنا وقد تقدمت مراتب القصد نظما ونثرا (قوله يخبركم) أى يعلمكم به (قوله والفعلان بالجزم عطفا على جواب الشرط) أى الذى هو يحاسب وقوله والرفع أى على الاستئناف خبر لمحذوف قراءتان سبعيتان ويصح فى غير القرآن النصب على إضمار أن قال ابن مالك :

والفعل من بعد الجزا إن يقترن ... بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذه الآية محمولة على من مات مسلما عاصيا لامن مات كافرا (قوله ومنه محاسبتكم) ورد أنه يحاسب الخلق فى نصف يوم من أيام الدنيا (قوله آمن الرسول) روى مسلم عن أبى مسعود الأنصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ هاتين الآيتين آخر سورة البقرة كفتاه» قيل عن قيام الليل كما روى عن ابن عمر قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول «أنزل الله على آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأتاه عن قيام الليل آمن الرسول إلى آخر السورة» وقيل كفتاه من شر الشيطان فلا يكون له عليه سلطان ، و إنما ختم السورة بهاتين الآيتين لأنها بينت فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد وقصص الأنبياء فناسب أن يذكر تصديق النبى والمؤمنين بجميع ذلك (قوله والمؤمنون) أى فاشترك الرسول والمؤمنون فى أصل الايمان لكن افترقا من جهة أخرى وهو أن إيمان الرسول من قبيل حق اليقين و إيمان المؤمنين من قبيل علم اليقين أو عين اليقين فالافتراق من حيث المراتب لامن حيث أصله (قوله عطف عليه) أى فهو مرفوع بالفاعلية والوقف عليه ويدل على صحة هذا قراءة على بن أبى طالب وآمن المؤمنون فأظهر الفعل ويكون قوله كل آمن جملة من مبتدأ وخبر تدل على أن جميع من تقدم ذكره آمن بما ذكر (قوله عوض عن المضاف إليه) أى فيكون الضمير الذى ناب عنه التنوين فى كل راجعا إلى الرسول والمؤمنين : أى كلهم، وتوحيد الضمير فى آمن مع رجوعه إلى كل المؤمنين لكون المراد بيان كل فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع (قوله كل آمن بالله) كل مبتدأ أخبر عنه بخبرين راعى فى أولهما لفظ كل فأفرد وفى ثانيهما معناها فجمع حيث قال وقالوا سمعنا الخ (قوله بالجمع والافراد) أى فى الكتب قراءتان سبعيتان .

(فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) أى الدائن المدين على حقه فلم يرتهنه (فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ) أى المدين (أَمَانَتَهُ) دينه (وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ) فى أدائه (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ) إذا دعيتم لإقامتها (وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ) خص بالذكر لأنه محل الشهادة ولأنه إذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) لايخفى عليه شىء منه (لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا) تظهروا (مَا فِى أَنْفُسِكُمْ) من السوء والعزم عليه (أَوْ تُخْفُوهُ) تسروه (يُحَاسِبْكُمْ) يخبركم (بِهِ اللَّهُ) يوم القيامة (فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه والفعلان بالجزم عطفا على جواب الشرط والرفع أى فهو (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) ومنه محاسبتكم وجزاؤكم (آمَنَ) صدق (الرَّسُولُ) محمد (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ) من القرآن (وَالْمُؤْمِنُونَ) عطف عليه (كُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه (آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ) بالجمع والإفراد ،

(قوله يقولون الخ) قدر الفعل ليفيد أن هذه الجملة منصوبة بقول محذوف وهذا القول المضمر فى محل نصب على الحال أى قائلين (قوله بين أحد من رسله) أى فى الايمان به وأضيف بين إلى أحد وهو مفرد وإن كانت قاعدتهم أنه إنما يضاف إلى متعدد نحو بين زيد وعمرو لأن أحدا يستوى فيه الواحد والمتعدد (قوله فنؤمن ببعض الخ) بالنصب فى حيز النفى فالنفى مسلط عليه وسيأتى وصفهم فى قوله تعالى ـ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ـ الآية (قوله سماع قبول) فيه تعريض بالرد على من قال سمعنا وعصينا (قوله وأطعنا) أى انقدنا للطاعة ولو بالعزم عليها (قوله غفرانك) مفعول لمحذوف قدره المفسر بقوله نسألك، ومعنى الغفران ستر الذنوب كبيرها وصغيرها جليها وخفيها فالانسان يطلب المغفرة ولو فى حالة الطاعة بسبب ما يطرأ عليها من العجب وحب المحمدة وغير ذلك من الآفات التى تذهبها فالعارف لايعتمد على أعماله أبدا وعلامة ذلك كونه يجدد التوبة والاستغفار ولوكان متلبسا بأكبر الطاعات (قوله ربنا) منادى وحرف النداء محذوف أى ياربنا (قوله واليك المصير) قيل معطوف على محذوف تقديره لك المبدأ وإليك المصير (قوله ولما نزلت الآية قبلها) أى قوله ـ وإن تبدوا مافى أنفسكم أوتخفوه يحاسبكم به الله (قوله من الوسوسة) أى التى تطرأ على القلب كالهاجس وهوما لاح وذهب بسرعة ، والخاطر وهو مالاح ومكث برهة من الزمن ، وحديث النفس وهوتزيينها الأمور وتحسينها وهذه لاتكتب خيرا كانت أوشرا ، والهم وهوترجيح الفعل وهو يكتب إن كان خيرا لاشرا ، وأما العزم فيكتب خيره وشره (قوله فنزلت لا يكلف الله) أى فهذه الآية إما ناسخة للأولى أومبينة لها وتقدمت الاشارة لذلك (قوله لها ما كسبت) عبر فى جانب الخير باللام وفى جانب الشر بعلى لأن اللام للمسرة وعلى للمضرة وعبر فى جانب الطاعة بكسبت وفى جانب المعصية باكتسبت لأن شأن المعصية التعانى والشهوة بخلاف الطاعة فشأنها عدم الشهوة لما فى الحديث « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وأيضا لايؤاخذ فى المعصية بالهم بل بالعزم أو الفعل بخلاف الطاعة فيكتب له ثواب الهم عليها ، وأيضا يؤجر المرء رغما عن أنفه بخلاف المعصية، وأيضا الطاعة تتعدى لغير فاعلها بخلاف المعصية (قوله ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد) هذا فى جانب المعصية وأما فى جانب الطاعة فقد تنفع غير فاعلها (قوله ولا بما لم يكسبه) المناسب يكتسبه (قوله مما وسوست به نفسه) أى من هاجس وخاطر وحديث نفس وهم (قوله إن نسينا أوأخطأنا) أى أواستكرهنا عليه وقد علم ذلك من قوله ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ ومن هنا إلى آخر السورة سبع دعوات مستجابة (قوله تركنا الصواب لا عن عمد) تفسير لكل من الخطأ والنسيان (قوله كما ورد فى الحديث) أى «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (قوله فسؤاله اعتراف بنعمة الله) جواب عما يقال حيث رفعه الله فما وجه سؤالنا لرفعه فأجاب بما ذكر (قوله من قتل النفس فى التوبة) أى حين عبدوا العجل فتوبتهم قتل طائعهم العاصى منهم، وأما توبتنا فالندم (قوله وإخراج ربع المال فى الزكاة) أى وأما نحن فربع العشر فى النقدين والعشر أو نصفه فى الحبوب (قوله وقرض موضع النجاسة) أى من الثوب أو البدن (قوله من التكاليف) أى فلم يكلفنا بالحج من غير استطاعة مثلا ولا بالصلاة من قيام مع كونه مريضا لايقدر عليه ولا باستعمال الماء مع عدم القدرة عليه (قوله والبلاء) أى فكان ينزل بمن قبلنا الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك من أنواع البلايا العامة التى لاتبقى ولا تذر (قوله امح ذنوبنا) أى من الصحف (قوله واغفر لنا) أى استرها عن أعين المخلوقات

(وَرُسُلِهِ) يقولون (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى (وَقَالُوا سَمِعْنَا) أى ما أمرنا به سماع قبول (وَأَطَعْنَا) نسألك (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) المرجع بالبعث . ولما نزلت الآية قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل (لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) أى ماتسعه قدرتها (لَهَا مَا كَسَبَتْ) من الخير أى ثوابه (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) من الشر أى وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه ، وقولوا (رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا) بالعقاب (إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به من قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد فى الحديث فسؤاله اعتراف بنعمة الله (رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا) أمرا يثقل علينا حمله (كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا) أى بنى إسرائيل من قتل النفس فى التوبة وإخراج ربع المال فى الزكاة وقرض موضع النجاسة (رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ) قوة (لَنَا بِهِ) من التكاليف والبلاء (وَاعْفُ عَنَّا) امح ذنوبنا (وَاغْفِرْ لَنَا) وارحمنا

(قوله وارحمنا) أى أنعم علينا وذلك فى حق من تاب جزما وأما من لم يتب ومات فأمره مفوض لخالقه (قوله سيدنا ومتولى أمورنا) هذا أحد معانى المولى و يطلق على الناصر ولا شك أن الله كذلك (قوله أن ينصر مواليه) أى عبيده فان المولى كما يطلق على العبد يطلق على السيد (قوله عقيب) لغة رديئة فى عقب وقوله كل كلمة أى وهى سبع وكلها مستجابة وكرر لفظ ربنا بين المتعاطفات زيادة فى التضرع (قوله قد فعلت) أى أجبت مطلوبكم لما فى الحديث «إن الله لأفرح بتوبة عبده ممن ضلت منه راحلته فوجدها بعد طلبها» وفى رواية «لما قرأ النبى قوله غفرانك ربنا قال الله قد غفرت وفى قوله لا تؤاخذنا إن نسينا أوأخطأنا قال لا أؤاخذكم وفى قوله ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم وفى قوله ولا تحملنا مالا طاقة لنا به قال لا أحملكم وفى قوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين» والحكمة فى زيادة قوله القوم ولم يقل الكافرين أنه لايلزم من النصرة على أفراد الكفار النصرة على الهيئة المجتمعة وفى هذه الآية تعليم آداب الدعاء وفى الحديث «إذا دعوتم فعمموا» .

[سورة آل عمران] (قوله سورة آل عمران) مبتدأ ومدنية خبره ومائتان خبر ثان وقوله مدنية أى نزلت بعد الهجرة وإن بغير أرض المدينة وتسميتها بذلك الاسم من باب تسمية الشئ باسم جزئه . واختلف فى عمران الذى سميت به فقيل المراد به أبو موسى وهرون فآله موسى وهرون وقيل المراد به أبو مريم والمراد بآله مريم وابنها عيسى و يقرب ذلك ذكر قصتهما إثر ذكره ، و بين عمران أبى موسى وعمران أبى مريم ألف وثمانمائة عام (قوله أو إلا آية) أو لحكاية الخلاف وسببه الاختلاف فى عد البسملة من السورة فمن عدها قال مائتان ومن لم يعدها قال إلا آية وورد فى فضل هذه السورة أنها أمان من الحيات وكنز للفقير وأنه يكتب لمن قرأ منها إن فى خلق السموات والأرض إلى آخرها آخر الليل ثواب من قام الليل كله (قوله الله أعلم بمراده بذلك) مشى فى ذلك على مذهب السلف فى التشابه وهكذا عادته فى فواتح السور وقد تقدم الكلام فى ذلك بأبسط عبارة . واعلم أنه قرئ عند إسقاط الهمزة من الله وفتح ميم الم للنقل بمد الميم ست حركات أوحركتين وعند إسكان الميم حالة الوقف و إثبات الهمزة بمد الميم ست حركات فالقراآت ثلاثة (قوله الله لا إله إلا هو الحى القيوم) سبب نزولها قدوم وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكبا فيهم أربعة عشر من أشرافهم ثلاثة منهم أكابرهم أميرهم وحبرهم ووزيرهم يحاجون رسول الله فى عيسى فتارة قالوا إن عيسى ابن الله لأنه لم يكن له أب وتارة قالوا إنه الله لأنه يحيي الموتى وتارة قالوا إنه ثالث ثلاثة لأنه يقول فعلنا وخلقنا فلوكان واحدا لذكره مفردا فشرع النبى يرد عليهم تلك الشبه فقال لهم أتسلمون أن الله حى لايموت فقالوا نعم فقال أتسلمون أن عيسى يموت فقالوا نعم فقال لهم أتسلمون أن الله يصور فى الأرحام كيف يشاء فقالوا نعم إلى غير ذلك فنزلت تلك السورة منها نيف وثمانون آية على طبق ماردّ عليهم به (قوله الحى) أى ذو الحياة الذاتية وقوله القيوم أى القائم بأمور خلقه من غير واسطة معين (قوله ملتبسا بالحق) أشار بذلك إلى أن الباء فى بالحق للملابسة فى محل نصب على الحال فيكون مصدقا حالا بعد حال (قوله مصدقا) حال من الكتاب (قوله لما بين يديه) فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه بسلطان تقدمه عسكره وجاء على أثرهم يؤيدهم و يقويهم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو قوله لما بين يديه فاثباته تخييل .

(وَارْحَمْنَا) فى الرحمة زيادة على المغفرة (أَنْتَ مَوْلَانَا) سيدنا ومتولى أمورنا (فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) بإقامة الحجة والغلبة فى قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء وفى الحديث لما نزلت هذه الآية فقرأها صلى الله عليه وسلم قيل له عقيب كل كلمة قد فعلت .

(سورة آل عمران مدنية مائتان أو إلا آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) (الم) الله أعلم بمراده بذلك (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ) القرآن ملتبساً (بِالْحَقِّ) بالصدق فى أخباره (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب ،

(قوله وأنزل التوراة) أى على موسى وقوله والانجيل أى على عيسى. واختلف الناس فى هذين اللفظين هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أم لا لكونهما أعجميين فذهب جماعة إلى الأول فقالوا التوراة مشتقة من قولهم ورى إذا قدح فظهر منه نار فلما كانت التوراة فيها ضياء ونور يخرج به من الضلال إلى الهدى كما يخرج بالنار من الظلام إلى النور سمى هذا الكتاب بالتوراة والانجيل مشتق من النجل وهو التوسعة ومنه العين النجلاء لسعتها فسمى الانجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن فى التوراة إذ حلل فيه أشياء كانت محرمة فيها، والصحيح أنهما ليسا مشتقين لأنهما عبرانيان (قوله أى قبل تنزيله) أى الكتاب الذى هو القرآن (قوله حال) أى من التوراة والانجيل (قوله ممن تبعهما) أشار بذلك إلى أن المراد بالهدى الوصول لامجرد الدلالة (قوله وعبر فيهما بأنزل الخ) جواب عن سؤال مقدر وقيل إن ذلك تفنن وقيل إن مادة نزل تفيد التكرار غالبا ومادة أنزل تفيد عدمه غالبا فلعل المفسر بنى هذا الجواب على ذلك وإلا فالهمزة والتضعيف أخوان (قوله بخلافه) أى فانه نزل مفرقا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة (قوله ليعم ماعداها) أى فهو من عطف العام على الخاص فالمراد بالفرقان هنا الفارق بين الحق والباطل لاخصوص القرآن فالفرقان كما يطلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب (قوله إن الذين كفروا) أى كنصارى نجران (قوله لهم عذاب شديد) أى فى الدنيا بالقتل والأسر وفى الآخرة بالنار (قوله وعده) أى بالخير وقوله ووعيده أى بالشر (قوله لايقدر على مثلها أحد) أى لأن غاية عذاب غيره الموت وفيه راحة للمعذب ولايقدر على إعادة روحه حتى تتألم ثانيا، وأما عذاب الله فدائم لا آخر له قال تعالى — كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب — (قوله إن الله لايخفى عليه شىء) هذا رد لقولهم إن عيسى إله لأنه يعلم الأمور فرد عليهم بأن الله هو الذى لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء وليس كذلك عيسى

(وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل تنزيله (هُدًى) حال بمعنى هاديين من الضلالة (لِلنَّاسِ) ممن تبعهما وعبر فيهما بأنزل وفى القرآن بنزل المقتضى للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه (وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ) بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن وغيره (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره فلا يمنعه شىء من إنجاز وعده ووعيده (ذُو انْتِقَامٍ) عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد (إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ) كائن (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) لعلمه بما يقع فى العالم من كلى وجزئى وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ) من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ) واضحات الدلالة (هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ) أصله المعتمد عليه فى الأحكام (وأخر

(قوله كائن) أشار بذلك إلى أن قوله فى الأرض ولا فى السماء متعلق بمحذوف صفة لشىء (قوله وخصهما بالذكر) جواب عن سؤال مقدر (قوله لايتجاوزهما) أى لايتعداهما (قوله هو الذى يصوركم) هذه حجة أخرى للرد على تلك الفرقة كأنه يقول لا إله إلا من يصوركم فى الأرحام كيف يشاء، وأما عيسى فانه وإن كان يحيى الموتى فباذن الله ولا يقدر أن يصوركم فى الأرحام كيف يشاء بل هو مصور فى الرحم فالمصور لايصور غيره بل ولانفسه (قوله العزيز) أى الغالب على أمره عديم المثال (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة وهى وضع الشىء فى محله (قوله هو الذى أنزل عليك الكتاب) قيل سبب نزولها أن وفد نجران قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ألست تقول إن عيسى روح الله وكلمته فقال نعم فقالوا حسبنا أى يكفينا ذلك فى كونه ابن الله فنزلت الآية والمعنى أن الله أنزل القرآن منه محكم ومنه متشابه وقوله روح الله وكلمته من المتشابه الذى لايعرفون معناه ولا يفهمون تأويله بل معنى ذلك أنه روح من الله أى نوره وكلمته بمعنى أنه قال له كن فكان فهو عبد من جملة العباد ميزه الله بالنبوة والرسالة (قوله أصله) إنما فسر الأم بذلك لصحة الاخبار بالمفرد عن الجمع لأن الأصل يصدق بالمتعدد. وأجيب أيضا بأنه عبر بالمفرد إشارة إلى أن المجموع بمنزلة آية واحدة على حد — وجعلنا ابن مريم وأمه آية — وما سلكه المفسر أظهر (قوله المعتمد عليه فى الأحكام) أى الذى يعول عليه فى أحكام الدين والدنيا هو المحكم وأما المتشابه فلم نكلف بمعرفة معناه بل نؤمن به ونفوض علمه لله.

(وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ) لاتفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكما فى قوله أحكمت آياته بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومتشابها فى قوله كتابا متشابها بمعنى أنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والصدق (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ) ميل عن الحق (فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ) طلب (الْفِتْنَةِ) لجهالهم بوقوعهم فى الشبهات واللبس (وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ) تفسيره (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ) تفسيره (إِلَّا اللَّهُ) وحده (وَالرَّاسِخُونَ) الثابتون المتمكنون (فِي الْعِلْمِ) مبتدأ خبره (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) أى بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه (كُلٌّ) من المحكم والمتشابه (مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ) بادغام التاء فى الأصل فى الذال أى يتعظ (إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول و يقولون أيضا إذا رأوا من يتبعه (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا) تملها عن الحق بابتغاء تأويله الذى لايليق بنا كما أزغت قلوب أولئك (بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا) أرشدتنا إليه (وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (رَحْمَةً) تثبيتا (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) يا (رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ) تجمعهم (لِيَوْمٍ) أى فى يوم (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) موعده بالبعث، فيه التفات عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همهم أمر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها

(قوله وآخر متشابهات) إن قلت هلا نزل كله محكما لأنه نزل لارشاد العباد ومداره على المحكم لا على المتشابه ؟. أجيب بأنه نزل على أساليب العرب فان أسلوبهم التعبير بالمجاز والكناية والتلميح وغير ذلك من المستحسنات فلو نزل كله محكما لقال العرب إن القرآن على لغتنا فهلا ذكر فيه مستحسنات لغاتنا (قوله لايفهم معانيها) أى إلا بفكر وتأمل كما هو مذهب الخلف (قوله كأوائل السور) أى بعضها وأدخلت الكاف باقى الآيات المتشابهة (قوله وجعله كله محكما الخ) جواب عن سؤال مقدر كأن قائلا يقول هذه الآية بينت أن القرآن بعضه محكم و بعضه متشابه وآية أخرى بينت أن كله محكم وآية أخرى أفادت أن كله متشابه فبين هذه الآيات تناف. أجاب المفسر بما ذكره (قوله بمعنى أنه ليس فيه عيب) أى لا فى ألفاظه ولا فى معانيه (قوله فى الحسن والصدق) قال ابن عباس تفسير القرآن أربعة أقسام: قسم لايسع أحدا جهله كقوله قل هو الله أحد، وقسم يتوقف على معرفة لغات العرب كقوله: هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى، وقسم تعرفه العلماء الراسخون فى العلم، وقسم لايعلمه إلا الله ودخل تحت القسمين الأخيرين المتشابه، وحكمة الاتيان بالمتشابه الزيادة فى الاعجاز عن الاتيان بمثله فان المحكم و إن فهموا معناه إلا أنهم عجزوا عن الاتيان بلفظ مثل ألفاظه والمتشابه عجزوا عن فهم معناه كما عجزوا عن الاتيان بمثله (قوله ميل عن الحق) أى إلى الباطل (قوله بوقوعهم فى الشبهات واللبس) أى كنصارى نجران ومن حذا حذوهم ممن أخذ بظاهر القرآن فان العلماء ذكروا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة (قوله وابتغاء تأويله) معطوف على ابتغاء الأول والمعنى أنهم يتجرءون على تفسيره بتفسير باطل لا أصل له (قوله ومايعلم تأويله) أى تفسيره على الحقيقة (قوله إلا الله وحده) هذه طريقة السلف واختارها المفسر لكونها أسلم فالوقف على قوله إلا الله. وأما طريقة الخلف فهى أحكم فالوقف على أولى الألباب فالراسخون معطوف على لفظ الجلالة قال بعضهم و يؤيد طريقة الخلف قوله تعالى بعد ذلك: ومايذكر إلا أولوا الألباب (قوله والراسخون) كلام مستأنف فالواو للاستئناف والراسخون مبتدأ وفى العلم متعلق بالراسخون وخبره يقولون كما قاله المفسر، قال مالك: الراسخ فى العلم من جمع أربع خصال: الخشية فيما بينه و بين الله، والتواضع فيما بينه و بين الناس، والزهد فيما بينه و بين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه و بين نفسه (قوله من عند ربنا) أى ففهمنا المحكم وأخفى علينا المتشابه (قوله فى الأصل فى الذال) أى فأصله يتذكر قلبت التاء ذالا ثم أدغمت فى الذال (قوله أصحاب العقول) أى السليمة المستنيرة (قوله من يتبعه) أى يتبع الباطل (قوله بعد إذ هديتنا) أى بعد وقت هدايتك وتبيينك الحق لنا (قوله تثبيتا) فسر الرحمة هنا بذلك لأنه المراد هنا. وأما فى غير هذا الوضع فقد تفسر بالمطر أو الغفران (قوله إنك أنت الوهاب) أى الذى تعطى النوال قبل السؤال (قوله ربنا إنك جامع الناس) منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر إشارة إلى أنه دعاء (قوله أى فى يوم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى فى (قوله فيه التفات) أى على أنه من كلام الراسخين (قوله و يحتمل أن يكون من كلامه تعالى) أى فلا التفات فيه على مذهب الجمهور، وأما على مذهب

السكاكى، ففيه التفات على كل حال لأنه أتى على خلاف السياق (قوله روى الشيخان) قصده بذلك الاستدلال على ذم المتبعين للمتشابه ومدح الراسخين (قوله فأولئك الذين سمى الله) أى بقوله فأما الذين فى قلوبهم زيغ الآية (قوله فاحذروهم) الخطاب لعائشة وإنما ذكر وجمع تعظيما لها أو إشارة إلى عدم خصوصيتها بذلك (قوله وروى الطبرانى) أى فى معجمه الكبير (قوله إلا ثلاث خلال) هذه نسخة وفى أخرى خصال (قوله وذكر منها الخ) هذه هى الخلة الثانية وترك اثنتين، ونص الحديث «أخرج الطبرانى عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب، وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولايسألوا عنه» اهـ (قوله إن الذين كفروا) قيل المراد بهم جميع من كفروا من أول الزمان إلى آخره، وقيل المراد بهم نصارى نجران وقيل كفار مكة وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله أموالهم ولاأولادهم) قدم الأموال لأن الشأن أن الشخص أول مايفتدى بالأموال ثم بالأولاد، والمعنى أن زينتهم وعزهم لايدفع عنهم شيئا من عقاب الله أبدا لاقليلا ولا كثيرا (قوله أى عذابه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف (قوله وأولئك هم وقود النار) هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى (قوله بفتح الواو) أى باتفاق السبعة وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى الايقاد (قوله مايوقد به) أى وهو الحطب مثلا (قوله دأبهم كدأب) أشار بذلك إلى أن قوله كدأب خبر لمحذوف قدره بقوله دأبهم. وهذا بيان لسبب كونهم وقود النار وفى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن يامحمد فان ماتزل بالأمم الذين كفروا من قبلك ينزل بمن كفر بك (قوله كعاد وثمود) بيان للأمم وأدخلت الكاف باقى الأمم وقد الذين كفروا بأنبيائهم كقوم نوح وقوم موسى وغيرهم (قوله أهلكهم بذنوبهم) أى انتقم منهم دنيا وأخرى (قوله والجملة مفسرة لما قبلها) أى جملة كذبوا وماقبلها هى قوله كدأب آل فرعون. واعلم أنه هنا قال كذبوا بآياتنا وفى آية أخرى كفروا بآيات الله وفى آية أخرى كذبوا بآيات ربهم، وحكمة ذلك التفنن فى التعبير على عادة فصحاء العرب، والباء فى قوله بذنوبهم يحتمل أن تكون للملابسة، والمعنى أخذهم الله والحال أنهم ملتبسون بذنوبهم يعنى من غير توبة ويحتمل أن تكون للسببية، والمعنى أخذهم الله بسبب ذنوبهم والأول أبلغ لأن فيه دفع توهم أن موتهم كفارة لما وقع منهم (قوله ونزل لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم) حاصل ذلك أنه لما رجع من غزوة بدر إلى المدينة جمع يهودها وهم قريظة وبنو النضير ودعاهم للاسلام وتوعدهم إن لم يسلموا أو يؤدوا الجزية فقالوا له ماذكره المفسر (قوله أغمارا) جمع غمر بالضم وهو الرجل الذى لايعرف الأمور وأما بالكسر فمعناه الحقد، وبالفتح مع سكون الميم يطلق على الشدة وأما بفتحتين فمعناه الدسم (قوله من اليهود) أى قريظة وبنى النضير ومن حذا حذوهم كأهل خيبر (قوله بالتاء والياء) أى فيهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة فى الخطاب لهم والياء معناها الاخبار بأنهم سيغلبون.

روى الشيخان عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات إلى آخرها وقال: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» وروى الطبرانى فى الكبير عن أبى موسى الأشعرى أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول «ماأخاف على أمتى إلا ثلاث خلال وذكر منها أن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب» الحديث (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ) تدفع (عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ) أى عذابه (شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ) بفتح الواو ماتوقد به، دأبهم (كَدَأْبِ) كعادة (آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كعاد وثمود (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (بِذُنُوبِهِمْ) والجملة مفسرة لما قبلها (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ). ونزل لما أمر النبى صلى الله عليه وسلم اليهود بالإسلام مرجعه من بدر فقالوا له لايغرنك أن قتلت نفراً من قريش أغماراً لايعرفون القتال (قُلْ) يا محمد (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) من اليهود (سَتُغْلَبُونَ) بالتا والياء فى الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية،

(قوله وقد وقع ذلك) أى فقتل من حول قريظة ستمائة حول الخندق وكان القاتل لهم على بن أبى طالب وقوله وضرب الجزية أى على أهل خيبر، وأما بنو النضير فأجلاهم إلى الشام (قوله بالوجهين) أى بالتاء والياء وهما سبعيتان أيضا (قوله و بئس المهاد) المقصود من ذلك بيان سوء مآلهم قال تعالى ـ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ـ وقال تعالى ـ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ـ (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم وفاعل بئس قوله المهاد (قوله قد كان لكم آية) يحتمل أن يكون ذلك من جملة مقول النبي للكفار أى قل لهم ماذكر وقل لهم قد كان لكم آية فعلى ذلك الخطاب لليهود و يحتمل أن يكون ذلك خطابا لكفار مكة أو للمؤمنين و يكون مستأنفا (قوله للفصل) أى بالجار والمجرور الواقع خبرا لكان على حد أتى القاضى بنت الواقف وأجيب أيضا بأن الفاعل مجازى التأنيث أومذكر معنى لأن الآية معناها البرهان (قوله فرقتين) إنما سميت الفرقة فئة لأنه يفاء بمعنى يرجع إليها فى الشدائد (قوله فئة تقاتل فى سبيل الله) برفع فئة باتفاق السبعة مبتدأ خبره تقاتل الخ والمعنى فئتين مؤمنة وقوله وأخرى كافرة يعنى تقاتل فى سبيل الطاغوت ففيه شبه احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر(١) (قوله وكانوا ثلثمائة) أى من المهاجرين سبعة وسبعون صاحب رايتهم على بن أبى طالب ومن الأنصار مائتان وستة وثلاثون صاحب رايتهم سعد بن عبادة والذى مات منهم فى تلك الغزوة اربعة عشر ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار (قوله معهم فرسان) ورد أنه كان معهم سبعون بعيرا (قوله رجالة) جمع راجل بمعنى ماش (قوله يرونهم) هكذا بالياء للسبعة ماعدا نافعا فقرأ بالتاء ورأى بصرية والواو فاعل عائد على المؤمنين والهاء مفعول عائد على الكفار ومثليهم حال والهاء إماعائدة على المؤمنين

والمعنى يشاهد المؤمنون الكفار قدر أنفسهم مرتين أو الكفار والمعنى يرى المؤمنون الكفار قدر الكفار مرتين محنة للمؤمنين ويحتمل أن الواو عائدة على الكفار والهاء عائدة على المؤمنين والهاء فى مثليهم إماعائدة على الكفار والمعنى يرى

وقد وقع ذلك (وَتُحْشَرُونَ) بالوجهين فى الآخرة (إِلَى جَهَنَّمَ) فتدخلونها (وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هى (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ) عبرة وذكر الفعل للفصل (فِي فِئَتَيْنِ) فرقتين (الْتَقَتَا) يوم بدر للقتال (فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة (وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ) أى الكفار (مِثْلَيْهِمْ) أى المسلمين أى أكثر منهم وكانوا نحو ألف (رَأْيَ الْعَيْنِ) أى رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم (وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ) يقوى (بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ) نصره (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ) لذوى البصائر أفلا تعتبرون بذلك فتؤمنون (زُيِّنَ لِلنَّاسِ

الكفار المؤمنين قدرهم مرتين فترتب على ذلك هزيمتهم أو عائدة على المؤمنين والمعنى يرى الكفار المؤمنين قدر المؤمنين مرتين فى هذه القراءة احتمالات أربع قد علمتها ومثلها على قراءة التاء لأنه يحتمل أن الخطاب للمؤمنين فالواو عائدة على المؤمنين والهاء عائدة على الكفار والضمير فى مثليهم إما عائد على الكفار وهو ظاهر أوعلى المؤمنين و يكون فيه التفات من الخطاب للغيبة وكان مقتضى الظاهر أن يقول مثليكم و يحتمل أن الخطاب للكفار فالواو عائدة على الكفار والهاء عائدة على المؤمنين والضمير فى مثليهم إما عائد على المؤمنين وهو ظاهر أو على الكفار وفيه التفات أيضا. بقى شىء آخر وهو أن مقتضى الآية أن المرئى كثير سواء كان الرائى الكفار أو المسلمين ومقتضى ما يأتى فى سورة الأنفال أن المرئى قليل فحصل بين الآيتين تناف . وأجيب عن ذلك بحمل ما يأتى على حالة البعد وماهنا على حالة التقاء الصفين، وحكمة ذلك أنهم إذا شاهدوا القلة على بعد حملهم ذلك على الاقتحام (قوله أى الكفار) يقرأ بالرفع تفسيرا للواو و بالنصب تفسيرا للهاء (قوله وقد نصرهم الله مع قلتهم) أى مع كونهم عددا قليلا جدا ولا عدد معهم (قوله لأولى الأبصار) صفة لعبرة (قوله أفلا تعتبرون) الخطاب لليهود أو لكفار مكة (قوله بذلك) أى بالنصر ورؤية الجيش مثليهم (قوله زين للناس) هذه الآية مسوقة لبيان حقارة الدنيا وتزهيد المسلمين فيها فى الحديث «ظاهرها غرة و باطنها عبرة» وقال الشاعر:

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى فلا يغرركمو منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

والفعل مبنى للمفعول والمزين حقيقة هو الله و يصح أن يكون الشيطان باعتبار وسوسته ولذا نوع فيه المفسر.

(١) (قوله حذف من كل نظير الخ) عبارة الجمل فحذف من الأول مايفهم من الثانى ومن الثانى مايفهم من الأول و به يعلم أن ماذكر هنا تغيير للاحتباك لاشبهه .

(قوله حب الشهوات) جمع شهوة وهي ميل النفس لمحبوبها ولما كان ذلك المعنى ليس مرادا فسرها بالذي تشتهيه النفس، ففيه إشارة إلى أنه أطلق المصدر وأريد اسم المفعول. إن قلت إنه يدخل في الناس الأنبياء مع أنهم معصومون من ذلك. أجيب بأنه عام مخصوص بما عدا الأنبياء وأما هم فهم معصومون من الميل إلى ماسوى الله لما في الحديث «حبب إليّ من دنياكم ثلاث» ولم يقل من دنياي وفي الحديث أيضا «لست من الدنيا ولا الدنيا مني» (قوله زينها الله) أي أوجد فيها الزينة (قوله ابتلاء) أي اختبارا قال تعالى ـ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ـ (قوله أو الشيطان) أي بالوسوسة (قوله من النساء) متعلق بمحذوف حال من الشهوات وهو تفصيل لما أجمل فيها، وقدم النساء لأنهن أعظم زينة الدنيا فإنهن حبالة الشيطان ويحملن الانسان على قطع الرحم واكتساب المال من الحرام وارتكاب المحرمات، وقال عليه الصلاة والسلام «ما تركت فتنة أضر على الرجال من النساء، ما رأيت ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحكيم منكن» (قوله والبنين) قدمهم على الأموال لأنهم فرع النساء وأكبر فتنة من الأموال لأن الانسان يفدي بنيه بالمال ولم يقل والبنات لأن الشأن أن الفخر في الذكور دون الإناث (قوله والقناطير) جمع قنطار قيل المراد به المال الكثير وقيل ألف أوقية وقيل ألف ومائتا أوقية وقيل اثنا عشر ألف أوقية وقيل غير ذلك ودرج المفسر على الأول (قوله المقنطرة) قيل وزنها مفعللة فتكون النون أصلية وقيل وزنها مفنعلة فالنون زائدة ويترتب على ذلك النون في قنطار هل هي أصلية فوزنه فعلال أو زائدة فوزنه فنعال وأقل القناطير المقنطرة تسعة لأن المراد تعددت

جموع القناطير عنده ثلاثة ففوق (قوله والفضة) الواو بمعنى أو المانعة الخلو فتجوز الجمع وقدم الذهب والفضة على ما بعدهما لأن نفع صاحبهما أعظم (قوله والخيل المسومة) قدمها على الأنعام لأن نفعها أعظم (قوله الزرع) أي مطلقا حنطة أو غيرها (قوله ثم يفنى) أي يزول هو وصاحبه قال تعالى إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض الآية (قوله فينبغي الرغبة فيه) أي في ذلك المآب الحسن أي وفي الآية اكتفاء أي وعنده سوء المآب فحسن المآب لمن لم يغتر بالدنيا وجعلها مزرعة للآخرة وسوء المآب لمن اغتر بها وآثرها على الآخرة (قوله قل أؤنبئكم) قرئ في السبع بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية مع زيادة مد بينهما وبدون زيادة فالقراءات أربع وليس في القرآن همزة مضمومة بعد مفتوحة إلا ما هنا وما في ص أأنزل عليه الذكر وما في اقتربت الساعة أألقي الذكر عليه (قوله من الشهوات) أي المشتهيات (قوله استفهام تقرير) أي تثبيت (قوله للذين اتقوا الشرك) أي بالايمان وإنما اقتصر عليه لأن أصل دخول الجنة إنما يتوقف عليه فقط (قوله عند ربهم) في محل نصب على الحال من جنات (قوله جنات) أي سبع: جنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن وجنة الفردوس ودار السلام ودار الجلال وأبوابها ثمانية عشر وأعظمها جنة الفردوس (قوله أي مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال منتظرة أي منتظرين الخلود فيها إذا دخلوها لأنه ينادي المنادي حين استقرار أهل الدارين فيهما: يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فيقع الفرح الدائم في قلوب أهل الجنة والحزن الدائم في قلوب أهل النار (قوله وأزواج مطهرة) أي من الحور وغيرهن من نساء الدنيا (قوله لغتان) أي وقرئ بهما في السبع في جميع لفظ رضوان الواقع في القرآن إلا الثاني في المائدة فإنه بالكسر باتفاق السبعة وهو قوله من اتبع رضوانه سبل السلام والمكسور قياسي والمضموم سماعي ومعناهما واحد وقول المفسر كثير أخذ الكثرة من التنوين.

(حُبُّ الشَّهَوَاتِ) ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زينها الله ابتلاء أو الشيطان (مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ) الأموال الكثيرة (الْمُقَنْطَرَةِ) المجمعة (مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ) الحسان (وَالْأَنْعَامِ) أي الإبل والبقر والغنم (وَالْحَرْثِ) الزرع (ذَٰلِكَ) المذكور (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يفنى (وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره (قُلْ) يا محمد لقومك (أَؤُنَبِّئُكُمْ) أخبركم (بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ) المذكور من الشهوات، استفهام تقرير (لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (عِنْدَ رَبِّهِمْ) خبر مبتدؤه (جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) أي مقدرين الخلود (فِيهَا) إذا دخلوها (وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) من الحيض وغيره مما يستقذر (وَرِضْوَانٌ) بكسر أوله وضمه لغتان،

(قوله أى رضا كثير) أى عظيم لاسخط بعده أبدا (قوله فيجازى كلا منهم بعمله) أى فيدخل المتقين الجنة والعاصين النار (قوله نعت) أى للذين اتقوا (قوله على الطاعة) أى على فعلها وقوله عن المعصية: أى نهاهم الله عنها فأمسكوا عنها واتهوا (قوله والصادقين) إن قيل كيف دخلت الواو على هذه الصفات مع أن الموصوف فيها واحد. أجيب بجوابين أحدهما أن الصفات إذا تكررت جاز أن يعطف بعضها على بعض بالواو وإن كان الموصوف بها واحدا ودخول الواو فى مثل هذا للتفخيم لأنه يؤذن بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف بها. ثانيهما لانسلم أن الموصوف بها واحد بل هو متعدد والصفات موزعة عليهم فبعضهم صابر وبعضهم صا ق ففيه إشارة إلى أن بعضها كاف فى المدح (قوله فى الايمان) أى صدقوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم (قوله المطيعين لله) أى بأى نوع من أنواع الطاعة (قوله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا) أى أو غير ذلك من أنواع الطاعات فالمراد بالمستغفرين المتعرضون للمغفرة إما بسؤال المغفرة أو غيرها من الطاعات (قوله أواخر الليل) ويدخل بالنصف الأخير منه، وقيل الأسحار مابعد الفجر إلى طلوع الشمس فينبغى اغتنام هذين الوقتين فان لم يمكن الأول فالثانى (قوله شهد الله) سبب نزولها أن حبرين من أحبار الشام قدما على رسول الله بالمدينة فقالا له نسألك عن شى إن أخبرتنا به آمنا بك وصدقناك، فقال سلا، فقالا له أخبرنا عن أعظم شهادة فى القرآن فنزلت فآمنا به ولكونها أعظم كان وقت نزولها حول البيت ثلثمائة وستون صنما فحين نزلت تساقطت تلك الأصنام، وورد فى فضلها أنه يوم القيامة يجاء بمن كان يحفظها فيقول الله له إن لعبدى هذا عندى عهدا فأوفيه إياه

أى رضا كثير (مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ) عالم (بِالْعِبَادِ) فيجازى كلا منهم بعمله (الَّذِينَ) نعت أو بدل من الذين قبله (يَقُولُونَ) يا (رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا) صدقنا بك وبرسولك (فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. الصَّابِرِينَ) على الطاعة وعن المعصية نعت (وَالصَّادِقِينَ) فى الإيمان (وَالْقَانِتِينَ) المطيعين لله (وَالْمُنْفِقِينَ) المتصدقين (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ) الله بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا (بِالْأَسْحَارِ) أواخر الليل خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم (شَهِدَ اللَّهُ) بيّن لخلقه بالدلائل والآيات (أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ) أى لامعبود فى الوجود بحق (إِلَّا هُوَ، وَ) شهد بذلك (الْمَلَائِكَةُ) بالاقرار (وَأُولُوا الْعِلْمِ) من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ (قَائِمًا) بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة، أى تفرد (بِالْقِسْطِ) بالعدل (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) كرره تأكيدا (الْعَزِيزُ) فى ملكه،

أدخلوا عبدى الجنة فيدخلونه من غير سابقة عذاب، ومن فضلها أنها تقلع عرق الشرك من القلب وتنفع من الوسواس ولذا اختارها العارفون فى ختم صلاتهم فيقرءونها عقب كل صلاة. ثم اعلم أن معنى الشهادة الاقرار باللسان والإذعان بالقلب وذلك مستحيل على الله تعالى فالمراد بين وأظهر لخلقه بالدلائل القطعية أنه الخ ففى الكلام استعارة تبعية حيث شبه البيان بالشهادة واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الشهادة شهد بمعنى بين والجامع الوثوق بكل لأن من أقر وأذعن حصل له وثوق كما أن من بين حصل للسامع وثوق بخبره وإلى ذلك أشار المفسر بقوله بين لخلقه الخ (قوله فى الوجود) أى الدنيوى والأخروى (قوله وشهد بذلك الملائكة) أشار بذلك إلى أن الملائكة معطوف على لفظ الجلالة فهو مرفوع وقدر الفعل دفعا لاستعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه وفيه خلاف ولا يمشى التنزيل عليه فان الشهادة فى حق الملائكة معناها الاقرار وأما فى حق الله فمعناها التبيين (قوله وأولوا العلم) لم يقدر الفعل اكتفاء بما قدره فى جانب الملائكة (قوله بالاعتقاد) أى فى القلب، وقوله واللفظ: أى باللسان وإنما اقتصر فى جانب الملائكة على الاقرار دون أولى العلم لأن توحيد الملائكة جبلى لهم مخلوقون عليه كالنفس فلايتوهم فيهم عدم الاعتقاد بخلاف الانس فاختيارى لهم لوجود المنافقين فيهم دون الملائكة (قوله ونصبه على الحال) أى إما من لفظ الجلالة أو من الضمير المنفصل بعد إلا والأحسن الثانى ليفيد أن الله شهد شهادتين: الأولى أنه لاإله إلاهو، والثانية أنه قائم بالقسط فمتعلق الأولى تنزيه ذاته ومتعلق الثانية تنزيه صفاته (قوله معنى الجملة) أى جملة لاإله إلاهو، وقوله: أى تفرد بيان لمعنى الجملة (قوله بالقسط) بيان لكرمه تعالى، فالمعنى أنه تعالى ثابت الألوهية وأن جميع الخلق مملوكون له يتصرف فيهم كيف يشاء فلو أدخل الطائعين جميعا النار لاحرج عليه غير أنه لايفعل ذلك بل هو قائم بالقسط (قوله تأكيدا) أى وتوطئة لقوله - العزيز الحكيم - (قوله العزيز فى ملكه) أى عديم المثال أو قاهر لخلقه وهو راجع لقوله - أنه لاإله إلاهو -.

(قوله الحكيم فى صنعه) اى يضع الشئ فى محله وهو راجع لقوله قائما بالقسط والعزيز الحكيم إما خبران لمبتدأ محذوف و إما بدلان من الضمير المنفصل أو نعتان له على جواز نعت ضمير الغيبة (قوله إن الدين عند الله الاسلام) نزلت لما ادّعت اليهود أنه لادين أفضل من دين اليهودية وادّعت النصارى أنه لادين أفضل من دين النصرانية (قوله هو الاسلام) قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة معرفة الطرفين فتفيد الحصر (قوله المبعوث به الرسل) أى جميعهم من آدم إلى محمد ، قال تعالى ـ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ـ فأصل الدين واحد و إنما الاختلاف فى الفروع (قوله بدل اشتمال) أى فيكون من تمام آية شهد الله لأن وحدانية الله اشتمل عليها الاسلام ، وهذا إن أريد بالاسلام الشرع المنقول ، وأما إن أريد به التوحيد كان بدل كل من كل (قوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) جواب عن سؤال نشأ من قوله ـ إن الدين عند الله الاسلام ـ كأنه قيل حيث كان الدين واحدا من آدم إلى الآن فما اختلاف أهل الكتاب (قوله إلا من بعد ماجاءهم العلم) استثناء من محذوف : أى ما كان اختلافهم فى حال من الأحوال إلا فى حال مجئ العلم لهم فالمعنى لاعذر ولاشبهة لهم فى ذلك الاختلاف لأن الله بين لهم الحق من الباطل و إنما كفرهم واختلافهم محض عناد ، قال تعالى ـ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ـ (قوله ومن يكفر) من اسم شرط (١٣٦) جازم و يكفر فعل الشرط ، وقوله ـ فان الله سريع الحساب ـ دليل الجواب

(الْحَكِيمُ) فى صنعه (إِنَّ الدِّينَ) المرضىّ (عِنْدَ اللهِ) هو (الْإِسْلَامِ) أى الشرع المبعوث به الرسل المبنى على التوحيد . وفى قراءة بفتح أن بدل من أنه الخ بدل اشتمال (وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) اليهود والنصارى فى الدين بأن وحّد بعض وكفر بعض (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ) بالتوحيد (بَغْيًا) من الكافرين (بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أى المجازاة له (فَإِنْ حَاجُّوكَ) خاصمك الكفار يا محمد فى الدين (فَقُلْ) لهم (أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ) أنقدت له أنا (وَمَنِ اتَّبَعَنِ) وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى (وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) اليهود والنصارى (وَالْأُمِّيِّينَ) مشركى العرب (ءَأَسْلَمْتُمْ) أى أسلموا (فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا) من الضلال (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الإسلام (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ) أى التبليغ للرسالة (وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ) وفى قراءة يقاتلون (النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (مِنَ النَّاسِ) ،

والجواب محذوف : أى فيعذبه، وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قال له لا تحزن على كفر من كفر فان الله الله معذبه (قوله فان حاجوك) أى اليهود والنصارى حيث أنكروا عموم رسالتك أو أصلها وجملة حاجوك فعل الشرط وجوابه فقل وما عطف عليه (قوله ومن اتبعن) معطوف على ضمير أسلمت المتصل وقد وجد الفاصل وهو قوله وجهى لله إذا علمت ذلك فتقدير المفسر أنا توضيح و بيان للضمير المتصل لا ليفيد الفاصل ! وهم فانه قد حصل بقوله وجهى لله ، قال ابن مالك : و إن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل أوفاصل ما وماهنا من قبيله ومفعول من اتبعن محذوف لدلالة ماقبله عليه : أى ومن اتبعن أسلم وجهه (قوله لشرفه) أى لوجود الحواس الخمس فيه (قوله وقل للذين أوتوا الكتاب) أى التوراة بالنسبة لليهود والانجيل بالنسبة للنصارى وفيه وضع الموصول موضع الضمير لمقابلته بالأميين (قوله مشركى العرب) أى ومن عداهم ممن لا كتاب لهم (قوله أى أسلموا) أى فهو استفهام تقريرى والمقصود الأمر على حد فهل أنتم منتهون (قوله فقد اهتدوا) أى انتفعوا وحصل لهم الرضا والقبول وتم لهم السعد والوصول ، و بهذا اندفع مايقال إن فعل الشرط متحد مع جوابه كأنه قال فان أسلموا فقد أسلموا (قوله و إن تولوا) أى داموا عليه وهو فعل الشرط وقوله ـ فإنما عليك البلاغ ـ دليل الجواب والجواب محذوف تقديره فلا تحزن عليهم وأمرهم إلى الله (قوله أى التبليغ للرسالة) أى وقد بلغت فلا تأس عليهم (قوله والله بصير بالعباد) أى عليم بهم ومطلع عليهم وناظر إليهم فلا يغيب عنه شئ من أعمالهم (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى هذه الآية نزلت قبل الأمر به فان رسول الله أمر بالامساك والاعراض عنهم فى نحو نيف وسبعين آية ثم أمر بقتالهم (قوله بآيات الله) أى القرآن وغيره (قوله وفى قراءة يقاتلون) صوابه تأخيرها بعد المعطوف إذ هى التى فيها القراءتان وأما هذه فيقتلون باتفاق السبعة (قوله بغير حق) إن قلت إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق ، أجيب بأنه فى اعتقادهم أيضا فهو زيادة

فى التشنيع عليهم فالمعنى العجب يا محمد من بلادة هؤلاء حيث يقتلون الأنبياء وهم معتقدون أن قتلهم خلاف الحق و يقتلون من يأمرهم (قوله وهم اليهود) أى قوم موسى و إنما خوطب من كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم بذلك لرضاهم بفعلهم مع كونهم كانوا عازمين على قتله صلى الله عليه وسلم (قوله ثلاثة وأربعين) وفى رواية أخرى سبعين (قوله من يومهم) أى فقتلوا الأنبياء أول النهار والعباد آخره (قوله أعلمهم) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاعلام بالعذاب بالبشارة واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من البشارة بشرهم بمعنى أعلمهم بالعذاب والجامع الانتقال من حال لأخرى فى كل (قوله وذكر البشارة تهكم) أى لأن البشارة هى الخبر السار والنذارة الخبر الضار فكأنه يقول هو لايتخلف كما أن الوعد بالخير لايتخلف (قوله لشبه اسمها الموصول) أى وهو فى الأصل كان مبتدأ والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخا قرن خبره بالفاء (قوله كصدقة وصلة رحم) إن قلت إن مثل هذا العمل لايتوقف على الاسلام لعدم توقفه على النية فينتفع به الكافر فلا يتم قول المفسر فلا اعتداد بها لعدم شروطها فلعل ذلك محمول على جماعة مخصوصين باشروا قتل الأنبياء وعاندوهم و إلا فصدقة

الكافر وصلة رحمه تنفعه فى

وهم اليهود ، روى أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عُبادهم فقتلوهم من يومهم (فَبَشِّرْهُمْ) أعلمهم (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ، ودخلت الفاء فى خبر إن لشبه اسمها الموصول بالشرط (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فلا اعتداد بها لعدم شرطها (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من العذاب (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا) حظا (مِنَ الْكِتَابِ) التوراة (يُدْعَوْنَ) حال (إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن قبول حكمه . نزل فى اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجىء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا (ذَٰلِكَ) التولى والإعراض (بِأَنَّهُمْ قَالُوا) أى بسبب قولهم (لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ) أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم (وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ) متعلق بقوله (مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من قولهم ذلك (فَكَيْفَ) حالهم (إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ) أى فى يوم (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) هو يوم القيامة (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ) من أهل الكتاب وغيرهم جزاء (مَا كَسَبَتْ) عملت من خير وشر ،

الدنيا بتوسعتها عليه مثلا لاغير ولا ينتفع بها فى الآخرة إجماعا لأن محل الجزاء الجنة وهو عنها بمعزل لأنه ليس فى الآخرة إلا النار (قوله ألم تر) الخطاب للنبى أو لكل من يتأتى منه النظر (قوله إلى كتاب الله) أى التوراة (قوله فى اليهود) أى يهود خيبر (قوله زنى منهم اثنان) أى من أشرافهم ثم سألوا أحبارهم فأخبروهم بأن التوراة نصت على رجمهم ولكن أخذتهم الشفقة عليهم لكونهم من أشرافهم فتحاكموا إلى النبى صلى الله عليه وسلم لعله أن يوجد فى دينه فرج لهم ، فقال لهم النبى حكم دينى رجمكم والذى أعلمه أن فى التوراة كذلك ، فقال بعضهم جرت علينا يا محمد فقال هلموا إلى بأعلمكم بالتوراة فقالوا عبدالله بن صوريا وكان بفدك فأتى به فسأله النبى عن حكم الزانى والزانية فى التوراة فقال ائتونى بالتوراة فقرأ منها على النبى صلى الله عليه وسلم حتى وصل آية الرجم فوضع يده عليها وقرأ مابعدها وكان عبدالله بن سلام حاضرا إذ ذاك وكان من أحبارهم قبل الاسلام فقال يارسول الله إن الرجل أخفى آية الرجم وقرأ مابعدها وأمره النبى بأخذها منه فأخذها وقرأها فاذا فيها إن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما و إن كانت امرأة حبلى تربص بها حتى تضع مافى بطنها فأمر صلى الله عليه وسلم برجمهما فغضبت اليهود لذلك (قوله فوجد فيها) أى الرجم (قوله بأنهم قالوا) أى بسبب قولهم ذلك فهونوا على أنفسهم جميع الموبقات من قتل الأنبياء وعصيانهم وغير ذلك (قوله من قولهم ذلك) أى وهو لن تمسنا النار إلا أياما معدودات (قوله فكيف حالهم) رد لقولهم المذكور و إبطال لما غرهم باستعظام ماسيقع لهم من الأهوال ويجوز أن يكون كيف خبرا مقدما والمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله حالهم وقوله إذا جمعناهم ظرف غير متضمن معنى الشرط منصوب على الظرفية والعامل فيه متعلق الخبر (قوله لاريب فيه) أى فى مجيئه ووقوع ما فيه

(قوله وهم) أي الناس فيه إشارة إلى أنه ذكر ضميرهم وجمعه باعتبار معنى كل نفس (قوله ونزل لما وعد الخ) وذلك أنه حين تحزبت عليه الأحزاب سنة خمس من الهجرة حتى تجمع عليه عشرة آلاف مقاتل وكانت المسلمون إذ ذاك نحو الألفين معه بالمدينة فأشاروا عليه بحفر الخندق فجعل على كل عشرة أربعين ذراعاً فبينماهم في ذلك إذ ظهرت لهم صخرة عظيمة لاتعمل فيها المعاويل فكرب من كانت في قسمته فاستجاروا برسول الله فأخذ صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان الفارسي وضرب الصخرة أول مرة فخرج منها نور ملأ مابين لابتي المدينة فقال أضاء لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب والحيرة بكسر الحاء المهملة وسكون الياء مدينة بقرب الكوفة وتمثيله القصور بأنياب الكلاب لشبهها لها في البياض وانضمام بعضها لبعض مع الاشارة إلى تحقيرها ثم ضرب الثانية وقال أضاء لي منها قصور الروم ثم ضرب الثالثة وقال أضاء لي منها قصور صنعاء اليمن وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا ، فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر ما ذكر وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من شدة الخوف ولا تستطيعون البروز فنزلت الآية. وكسر الصخرة في الثلاث ضربات من عزمه وقوته البشرية وإلا لو كان معجزة لأشار لها فقط. وروى في فضل تلك الآية أحاديث لاتحصى منها ماروى «أن الله لما أمر فاتحة الكتاب وآية الكرسي وشهد الله وقل اللهم مالك الملك بالنزول إلى الأرض قالوا يا ربنا لاتهبطنا دار الذنوب وإلى من يعصيك فقال تعالى وعزتي وجلالي مايقرؤكن عبد عقب كل صلاة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه وإلا نظرت له بعيني المكنونة في اليوم والليلة سبعين مرة وإلا قضيت له في اليوم والليلة سبعين حاجة أدناها المغفرة وإلا أعذته من

عدوه بنصرته عليه ولايمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت» (قوله يا الله) أشار بذلك إلى أن الميم معوضة عن ياء النداء فهو مبني على الضم في محل نصب والميم عوض عن ياء النداء وذلك من جملة ما خص به لفظ الجلالة ومن جملتها اجتماع يا وأل (قوله مالك الملك) يصح أن يكون بدلا أو عطف بيان أو نعتا لمحل اللهم أومنادى حذفت منه ياء النداء. والملك هو من العرش للفرش . وفي بعض الكتب : أنا الله ملك الملوك ومالك المليك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم (قوله تؤتي الملك من تشاء) أما صفة لمالك الملك أو استئناف بياني دليل لكونه مالك الملك وقوله من تشاء أي كمحمد وأصحابه (قوله بإيتائه) أي الملك (قوله بنزعه منه) أي بنزع الملك من فارس والروم وغيرهما (قوله بقدرتك) هذا تأويل الخلف وأما السلف فيؤمنون بذلك ويفوضون علم ذلك لله (قوله أي والشر) أشار بذلك إلى أن فيه اكتفاء وإنما اقتصر على الخير لأن الآية مسوقة في الخير بدليل سبب نزولها وإن كان لفظها عاما أو يقال إنما اقتصر على الخير لأنه صنعه وأما الشر فبالنظر للمنعكس عليه . قال بعض العارفين :

إذا مارأيت الله في الكل فاعلا رأيت جميع الكائنات ملاحا وإن لم ترى إلا مظاهر صنعه حجبت فصيرت الحسان قباحا

ففعل الله كله خير لأن أفعاله دائرة بين الفضل والعدل ولا ينسب له الشر أصلا وإنما ينسب الشر للمخالف وليس لمولانا حاكم يخالفه فيما أمره به بل هو الفعال لما يريد (قوله إنك على كل شيء قدير) دليل لما تقدم (قوله فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر) أي بقدر مانقص ساعة بساعة ودرجة بدرجة (قوله كالانسان والطائر الخ) ويصح أن يراد الحي المسلم والميت الكافر (قوله من النطفة والبيضة) لف ونشر مرتب (قوله بغير حساب) أي ومن غير توقف على عمل

(لايتخذ

(وَهُمْ) أي الناس (لَا يُظْلَمُونَ) بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ونزل لما وعد صلى الله عليه وسلم أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون هيهات (قُلِ اللَّهُمَّ) يا ألله (مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي) تعطي (الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) من خلقك (وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ) بإيتائه (وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ) بنزعه منه (بِيَدِكَ) بقدرتك (الْخَيْرُ) أي والشر (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ) تدخل (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ) تدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة (وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ) كالنطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) أي رزقا واسعاً .

وإلا فلو توقف رزقه على عمل منا لما أعطانا شيئا أبدا بل لم يبق لنا نعمه التي هي موجودة فينا كالسمع والبصر والكلام واليدين والرجلين وغير ذلك ، فسبحان الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله لايتخذ المؤمنون) قيل نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول كان منافقا يخفي الكفر ويحب أهله ويواليهم باطنا وكان بصحبته على هذه الخصلة ثلثمائة وكانوا يحبون ظفر الأعداء برسول الله وأصحابه وإنما كانوا يظهرون الاسلام فقط ، فمعنى الآية أن من علامة الايمان عدم موالاة أهل الكفر قال تعالى ـ لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ـ الآية وقال تعالى ـ يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ـ الآية (قوله أولياء) أي أصدقاء وقوله يوالونهم أي يحبونهم ويميلون إليهم (قوله من دون المؤمنين) في محل الحال من الفاعل أي حال كون المؤمنين متجاوزين بموالاتهم للمؤمنين أي تاركين قصر الولاية عليهم وذلك الترك يصدق بصورتين كونها مشتركة بين الكفار والمؤمنين أو مختصة بالكفار فالصورتان داخلتان في منطوق النهي ، وإنما الواجب على المؤمنين قصر الموالاة والمحبة على بعضهم (قوله فليس من الله) الكلام على حذف مضاف قدره المفسر بقوله دين وفيه حذف مضاف أيضا أي من أهل دين الله فالمعنى أنه كافر وإذا اطلعنا عليه فلا نبقيه بل نقتله ويسمى زنديقا ومنافقا ، واسم ليس ضمير يعود على من الشرطية (قوله إلا أن تتقوا) هذا استثناء مفرغ من عموم الأحوال أي لايتخذ المؤمن الكافر وليا لشيء من الأشياء ولا لغرض من الأغراض إلا للتقية ظاهرا بحيث يكون مواليه في الظاهر ومعاديه في الباطن . وحصله

(لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ) يوالونهم (مِنْ دُونِ) أي غير (الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) أي يوالهم (فَلَيْسَ مِنَ) دين (اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) مصدر تقيته أي تخافوا مخافة فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا قبل عزة الاسلام ويجرى فيمن في بلد ليس قويا فيها (وَيُحَذِّرُكُمُ) يخوفكم (اللَّهُ نَفْسَهُ) أن يغضب عليكم إن واليتموهم (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع فيجازيكم (قُلْ) لهم (إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ) قلوبكم من موالاتهم (أَوْ تُبْدُوهُ) تظهروه (يَعْلَمْهُ اللَّهُ ، وَ) هو (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه تعذيب من والاهم ، اذكر (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ)ه (مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا ، وَمَا عَمِلَتْ)ه (مِنْ سُوءٍ) مبتدأ خبره (تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا) غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) كرر للتأكيد ،

أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم إلا أن يكون الكفار غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه مطمئنا قلبه بالايمان فالتقية لاتكون إلا مع الخوف على النفس أو العرض (قوله تقاة) وزنه فعلة ويجمع على تقى كرطبة ورطب وأصله وقية لأنه من الوقاية فأبدلت الواو تاء والياء ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها وقوله من تقيته بفتح القاف بوزن رميته وهو بمعنى اتقيته (قوله دون القلب) أي فالموالاة به حرام إجماعا (قوله وهذا) أي قوله إلا أن تتقوا (قوله ليس قويا فيها) أي الاسلام ليس قويا في تلك البلدة كأن يجعل أمراء تلك البلدة الحكام من أهل الكفر فالواجب مداراتهم ظاهرا حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان في داره يوما إذ أقبل عليه رجل فطرق الباب فقال من؟ فقال فلان فقال سرا : بئس أخو العشيرة ثم لما خرج إليه أطلق له وجهه وصار يلاطفه بالقول فلما انصرف قالت له عائشة رأيت منك عجبا سمعتك تقول قولا ثم فعلت خلافه فقال ياعائشة إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم (قوله ويحذركم) الكاف مفعول أول ونفسه مفعول ثان وهو على حذف مضاف أشار له المفسر بقوله أن يغضب عليكم والأصل غضب نفسه أي فإن واليتموهم غضب الله بجلاله عليكم (قوله فيجازيكم) أي إما بالثواب إن لم توالوهم أو بالعقاب إن واليتموهم (قوله يعلمه الله) أي فيرتب الجزاء على ذلك (قوله يوم تجد) ظرف لمحذوف أي اذكر (قوله محضرا) أي حاضرا ظاهرا تفرح به وذلك كالصدقات والصيام والصلاة مثلا (قوله أمدا بعيدا) أي مسافة طويلة فيتمنى أن لم يكن رآه وقد ورد أن العبد إذا خرج من قبره وجد عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له طالما كنت أقلتك في الدنيا فاركب على ظهري الآن فيركبه إلى الحشر وذلك قوله تعالى ـ ونحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ـ وإذا كان غير صالح وجد عمله السيء في صورة قبيحة فيقول له طالما كنت تمتع بي في الدنيا فأنا أركبك الآن وذلك قوله تعالى ـ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ـ ولو شرطية وفي الكلام حذفان أحدهما حذف مفعول تود والثاني حذف جواب لو والتقدير تود تباعد مابينها وبينه لو أن بينها

ويته أمدا بعيدا لسرت بذلك (قوله والله رءوف بالعباد) أى شديد الرحمة بهم حيث قطع عذرهم بتبيين ذلك فى زمن يسع التوبة والرجوع إليه فيه ، ومن جملة رأفته كثرة التكرار والتأكيد فى الكلام لعله يصل إلى قلوب السامعين فيعملوا بمقتضاه (قوله ونزل لما قالوا الخ) وقيل سبب نزولها قول اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه . وقيل قول نصارى نجران ماعبدنا عيسى وأمه إلا محبة لله . وقيل سبب نزولها أن النبي دخل الكعبة فوجد الكفار يعلقون على الأصنام بيض النعام ويزخرفونها فقال لهم ماهذه ملة إبراهيم التى تدعونها فقالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قوله قل لهم يامحمد) أى ردًّا لمقالهم (قوله فاتبعونى) أى فى جميع ماجئت به ، والمعنى أن اتباع النبي فيما جاء به دليل على محبة الانسان لربه وهى ميل القلب نحوه وإيثار طاعته على هوى نفسه فيلزم من المحبة الطاعة ، قال بعض العارفين :

لو قال تيها قف على جمر الغضا ... لوقفت ممتثلا ولم أتوقف

وقال بعضهم :

تعصى الاله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فمن ادعى المحبة من غير طاعة فدعواه باطلة لاتقبل (قوله بمعنى أنه يثيبكم) أشار بذلك إلى أن معنى المحبة الأصلى محال فى حقه تعالى وأن المراد بمحبة الله للعبد قبوله والاثابة على أعماله (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) أى يمحها من الصحف فالمحبوب لايبقى عليه ذنب والمبغوض لا تبقى له طاعة ، قال بعض العارفين : واجعل سيآتنا سيآت من أحببت ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت فالاحسان لاينفع مع البغض منك والاساءة لا تضر مع الحب منك . (قوله رحيم به) أى فى الدنيا والآخرة (قوله من التوحيد) أى وغيره من شرائع الدين (قوله أعرضوا عن الطاعة) أى فلم يتبعوك فيما أمرت به

(وَاللّٰهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) . ونزل لما قالوا مانعبد الأصنام إلا حبًّا لله ليقربونا إليه (قُلْ) لهم يا محمد (إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ) بمعنى أنه يثيبكم (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ) لمن اتبعنى ماسلف منه قبل ذلك (رَحِيمٌ) به (قُلْ) لهم (أَطِيعُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ) فيما يأمركم به من التوحيد (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الطاعة (فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أى لايحبهم بمعنى أنه يعاقبهم (إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَى) اختار (آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ) بمعنى أنفسهما (عَلَى الْعَالَمِينَ) بجعل الأنبياء من نسلهم (ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ) ولد (بَعْضٍ) منهم (وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) اذكر (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ) حنة لما أسنّت ،

(قوله فيه إقامة الظاهر) أى تبكيتا لهم (قوله إن الله اصطفى آدم) قال ابن عباس قالت اليهود واشتاقت نحن من أبناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أن الله اصطفى هؤلاء بالاسلام والنبوة والرسالة وأنتم يامعشر اليهود على غير دينهم وعاش آدم فى الأرض تسعمائة وستين سنة ، وأمامدة إقامته فى الجنة فلا تحسب (قوله ونوحا) هذا لقبه واسمه الأصلى عبد الغفار وقيل السكن ولقب بنوح لكثرة نوحه وهو من نسل إدريس لأنه ابن لمك بن متوشلخ ابن ادريس عليهم الصلاة والسلام وعمر ألف سنة وخمسين والمعنى اختاره بالنبوة والرسالة وجعله من أولى العزم (قوله وآل ابراهيم) أى اصطفاه بالنبوة والرسالة والخلة ، وعمر ابراهيم مائة وسبعين سنة (قوله وآل عمران) قيل المراد عمران أبو مريم وهو الأقرب وقيل أبو موسى وهرون وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (قوله بمعنى أنفسهما) وقيل إنهما حقيقة فآل ابراهيم أولاده وآل عمران أبو مريم مريم وابنها وأبو موسى موسى وهرون (قوله على العالمين) المراد عالمو زمانهم (قوله ذرية) بدل من آدم وما عطف عليه وهى إما مأخوذة من الذر أومن الذرء بمعنى الخلق (قوله بعضها من ولد بعض) أى متناسلين من بعض فالمراد البعضية فى النسب وقيل المراد بعضها من بعض فى الصلاح والنبوة والرسالة فكما أن الأصول أنبياء ورسل كذلك الذرية بل فى بعضها مايفوق الأصول جميعها كسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله إذ قالت) ظرف فى محل نصب على المفعولية لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والتقدير اذكر يامحمد وقت قول امرأة عمران والمقصود ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت لاذكر الوقت نفسه (قوله حنة) أى بنت فاقود وكان لها أخت تسمى اشاع بنت فاقود أيضا متزوجة بزكريا عليه السلام وكان عمران من السادات الصالحين ، وكان له التكلم على سدنة بيت المقدس ، واسم أبيه ماثان .

واشتاقت للولد فدعت الله ، وأحست بالحمل: يا (رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ) أن أجعل (لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس (فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ) للدعاء (الْعَلِيمُ) بالنيات ، وهلك عمران وهي حامل (فَلَمَّا وَضَعَتْهَا) ولدتها جارية ، وكانت ترجو أن يكون غلاما إذا لم يكن يحرر إلا الغلمان (قَالَتْ) معتذرة: يا (رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ) أي عالم (بِمَا وَضَعَتْ) جملة اعتراض من كلامه تعالى ، وفي قراءة بضم التاء (وَلَيْسَ الذَّكَرُ) الذي طلبت (كَالْأُنْثَى) التي وهبت لأنه يقصد للخدمة وهي لاتصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه (وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا) أولادها (مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) المطرود في الحديث «مامن مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا إلا مريم وابنها» رواه الشيخان (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا) أي قبل مريم من أمها (بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا) أنشأها بخلق حسن ، فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام ، وأتت بها أمها الأحبار :

(قوله واشتاقت للولد) سبب ذلك أنها كانت يوما جالسة في ظل الشجرة فرأت طائرا يطعم فرخه ويسقيه فعطفت واشتاقت للولد من أجل رؤية ذلك الطائر فدعت الله أن يرزقها ولدا ونذرت أن تهبه لبيت المقدس يخدمه وكان ما من رجل من أشراف بيت المقدس إلا وله ولد منذور لخدمته فاستجاب الله دعاءها فحملت فلما أحست بالحمل جددت النذر ثانيا بقولها رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فلامها زوجها على ذلك حيث أطلقت في نذرها ولم تقيده بالذكر فبقيت في حيرة وكرب إلى أن وضعت فلما وضعتها ورأتها أنثى اعتذرت إلى الله إلى آخر ما يأتي (قوله عتيقا خالصا من شواغل الدنيا) أي وكانوا يفعلون ذلك بالصبيان إلى أن يبلغوا الحلم فإذا بلغوا عرضوا ذلك الأمر عليهم فإن اختاروا الخدمة مكثوا وكلفوا بها ولا يخرجون لشيء من شواغل الدنيا وإن اختاروا عدم الخدمة أجيبوا لذلك (قوله وهلك عمران وهي حامل) أي وحين نذرت ذلك النذر لامها فكربت ثم لما وضعتها الخ فهو مرتب على محذوف (قوله جارية) حال من الهاء في ولدتها (قوله قالت معتذرة) حال من فاعل قالت لا إعلاما له تعالى فإنه لايليق ذلك فإنه عالم بها من قبل أن تعلم بها هي (قوله أنثى) حال من الضمير في وضعتها مؤكدة له ويحتمل أن تكون مؤسسة بالنظر لعوده على النسمة الشاملة للذكر والأنثى (قوله جملة اعتراض) أي بين كلامي حنة تفخيما وتعظيما لشأن ذلك المولود (قوله وفي قراءة) أي سبعية (قوله بضم التاء) أي ويكون ذلك من كلامها اعتذارا (قوله وليس الذكر كالأنثى) يحتمل أن يكون ذلك من كلام الله والمعنى ليس الذكر الذي طلبتيه كالأنثى التي أعطيتها لك فإن ما وهبته لك أعظم مما طلبتيه أنت لنفسك فالقصد تفخيم شأنها ويحتمل أن يكون من كلام حنة ويكون في الكلام قلب والمعنى ليست الأنثى الذي وهبت لي كالذكر الذي طلبته فالذكر أعظم من حيث قوته على الخدمة وخلوه من القذارة كالحيض والنفاس فيكون اعتذارا واقعا منها (قوله ونحوه) أي كالنفاس (قوله وإني سميتها) معطوف على إني وضعتها أنثى ويكون ما بينهما اعتراضا على أنه من كلام الله وأما على أنه من كلامها فيكون من جملة مقولها (قوله مريم) معناه بلغتهم العابدة خادمة الرب (قوله وإني أعيذها) أي أحصنها وأجيرها (قوله أولادها) أي ولم تلد إلا عيسى (قوله الرجيم) فعيل بمعنى مفعول أي مطرود كما قال المفسر أو مرجوم بالشهب من السماء (قوله إلا مسه الشيطان) أي نخسه في جنبه وظاهره حتى الأنبياء وهو كذلك . إن قلت إن الأنبياء معصومون من الشيطان فلا سبيل له عليهم . أجيب بأنهم معصومون من وسوسته وإغوائه لا من نخسه في أجسامهم فإن ذلك لايقدح في عصمتهم منه . إن قلت إن موضوع الآية أن دعوة أم مريم كانت بعد وضعها وتسميتها فلم تنفع مريم من نخس الشيطان وإنما نفعت ولدها فقط فلم تحصل مطابقة بين الآية والحديث إلا أن يقال إن حفظهما من نخس الشيطان كان واقعا وإن لم تدع حنة فدعوتها طابقت ما أراده الله بهما ومع ذلك فالمناسب أن لا يأتي بالحديث تفسيرا للآية وقد ورد أن الشيطان نخسهما أيضا إلا أنه صادف الغشاء (قوله فتقبلها) أي رضي بها خادمة لبيت المقدس وخلصها من دنس الأطفال والنساء (قوله بقبول) يحتمل أن الباء زائدة : أي قبولا ويكون منصوبا على المصدر المحذوف الزوائد وإلا لقيل تقبلا أو تقبيلا ويحتمل أنها أصلية والمراد بالقبول اسم لما يقبل به الشيء كالوجور والسعوط (قوله كما ينبت مولود في العام) أي في العقل والمعرفة وإلا فالكلام من قبيل المبالغة .

(قوله سدنة بيت المقدس) أي خدمته (قوله هذه النذيرة) أي المنذورة (قوله لأنها بنت إمامهم) أي رئيسهم وأميرهم (قوله لأن خالتها عندي) ورد أنهم قالوا لو كانت القرابة مقتضية لأخذها لكانت أمها أولى (قوله إلى نهر الأردن) أي وهو نهر يجري إلى الآن (قوله وألقوا أقلامهم) قيل سهامهم وقيل التي كانوا يكتبون بها التوراة وقيل أقلام من حديد (قوله وصعد) أي علا على وجه الماء: أي ومن غرق قلمه أو ذهب مع الماء فلا حق له فيها (قوله بأكلها) بضم الهمزة فيه وفيما بعده بمعنى الشيء المأكول والمشروب والذي يدهن به (قوله ممدودا ومقصورا) راجع لقراءة التشديد لا غير وأما التخفيف فليس فيه إلا المد مع رفعه على الفاعلية (قوله والفاعل الله) أي بالنسبة للتشديد (قوله كلما دخل عليها زكريا) أي في أي وقت دخل عليها فيه وجد الخ وزكريا بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله المحراب) هو اسم لكل محل من محال العبادة فسميت الغرفة بذلك لأنها في المسجد وهو محل العبادة (قوله وجد عندها) حال من زكريا التقدير قائلا كلما دخل عليها زكريا المحراب حال كونه واجدا عندها رزقا يا مريم الخ ورزقا مفعول لقوله وجد ووجد بمعنى أصاب (قوله وهي صغيرة) أي فهي من جملة من تكلم في المهد (قوله

بلا تبعة) أي حق عليه فليس إعطاؤه الرزق لحق العباد عليه بل هو من محض فضله وجوده (قوله هنالك) أصلها ظرف مكان لكن استعملت هنا ظرف زمان ويحتمل أن تكون ظرف مكان معنوي، والمعنى عند تلك الواقعة دعا زكريا الخ وهو كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في أثناء قصة مريم لما بينهما من قوة الارتباط لأن فضل بعض الأقارب يدل على فضل الآخر وهو حكمة قوله تعالى - ذرية بعضها من بعض - (قوله لما رأى ذلك زكريا) أي ما تقدم من قصة حنة حيث دعت الله أن يرزقها بولد مع يأسها وكبر سنها فأجابها الله مع كونها لم تكن نبية وأعطاها مريم وجعلها أفضل من الذكور (يحيى وصار يأتيها رزقها من الجنة وأكرمها إكراما عظيما فكان ذلك الأمر العجيب باعثا له على طلب الولد (قوله وعلم) أي تنبه واستحضر عند مشاهدة تلك الخوارق للعادة على حد ولكن ليطمئن قلبي فشهود الكرامات يزيد في اليقين والكامل يقبل الكمال (قوله على الكبر) أي منه ومن زوجته، قيل كان وقت الدعاء عمره ثمانون سنة وعمرها ثمان وتسعون وبين الدعاء والإجابة أربعون سنة (قوله وكان أهل بيته) أي أقاربه (قوله لما دخل المحراب) أي المسجد (قوله ذرية) الذرية تطلق على المفرد والجمع لذا قال المفسر ولدا صالحا (قوله إنك سميع) ليس المراد به الاسم بل المراد به لمجيب أي سميع سماع إجابة كما قال المفسر (قوله فنادته الملائكة) أي بعد مضي أربعين سنة من دعوته (قوله أي جبريل) أي فهو من تسمية الخاص باسم العام تعظيما له (قوله وهو قائم) جملة حالية من الهاء في نادته وجملة يصلي إما خبر ثان أو حال ثانية أو صفة لقائم وقوله في المحراب متعلق بيصلي أو بقائم (قوله أي بأن) أي فهو بدل من نادته (قوله بتقدير القول) أي استئناف تقديره قائلين إن الله يبشرك الخ (قوله مثقلا ومخففا) أي فهما قراءتان سبعيتان مع فتح همزة إن وكسرها فهما أربع فالمثقل ضم الياء وفتح الباء وكسر الشين المشددة والمخفف بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين المخففة

سدنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم، فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي، فقالوا: لا حتى نقترع فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاهُ) ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب زكريا ممدوداً ومقصوراً والفاعل الله (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاهُ الْمِحْرَابَ) الغرفة وهي أشرف المجالس (وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى) من أين (لَكِ هَٰذَا؟ قَالَتْ) وهي صغيرة (هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) يأتيني به من الجنة (إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) رزقا واسعا بلا تبعة (هُنَالِكَ) أي لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا (دَعَا زَكَرِيَّاهُ رَبَّهُ) لما دخل المحراب للصلاة جوف الليل (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) ولداً صالحاً (إِنَّكَ سَمِيعُ) مجيب (الدُّعَاءِ. فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ) أي جبريل (وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ) أي المسجد (أَنَّ) أي بأن وفي قراءة بالكسر بتقدير القول (اللَّهَ يُبَشِّرُكَ) مثقلا ومخففا،

(قوله بيحيى) قيل إنه منقول من الفعل فيكون ممنوعا من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويكون عربيا وسمى بذلك لأنه يحيى القلوب الميتة ، وقيل أعجمى فيكون ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة ويجمع فى حالة الرفع على يحيون وفى حالة النصب على يحيين وتثنيته فى حالة الرفع يحيان وفى النصب والجر يحيين (قوله مصدقا) هو ومابعده أحوال من يحيى (قوله أنه روح الله) أى سر نشأ من الله (قوله لأنه خالقه بكلمة كن) وقيل لأن الكلمة التى قالها لها الله وهى كذلك الله يخلق مايشاء ، وقيل لأنه الكلمة التى قالها الله لجبريل حيث أمره بالنفخ فى جيبها (قوله متبوعا) أى إماما يقتدى به ، قيل إنه أعطى النبوّة من حين الولادة (قوله ممنوعا من النساء) أى اختيارا اشتغاله بربه وهذا هو المراد بالحصور هنا وإلا فمعناه الممنوع من النساء مطلقا سواء كان اضطرارا أو اختيارا (قوله ونبيا من الصالحين) أى من كبار المرسلين القائمين بحقوقك وحقوق عبادك (قوله روى أنه لم يعمل خطيئة الخ) هذا لايخصه بل كذلك غيره من الأنبياء (قوله أنى يكون) تستعمل أنى شرطية كقول الشاعر :

فأصبحت أنى تأتها تستجر بها تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

وتستعمل اسم استفهام كما هنا ولذا فسرها بكيف ويكون ناقصة وغلام اسمها وخبرها أنى التقدير رب يكون لى غلام على أى حالة فالاستفهام عن أحوال الغلام لاعن ذاته (قوله وقد بلغنى الكبر) هنا أسند البلوغ للكبر وفيما يأتى فى سورة مريم أسنده لنفسه وكلاهما صحيح لأن البلوغ من الطرفين والجملة حالية وكذا مابعدها (١٤٣) (قوله أى بلغت نهاية السن)

(بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ) كائنة (مِنَ اللَّهِ) أى عيسى أنه روح الله ، وسمى كلمة لأنه خلق بكلمة كن (وَسَيِّدًا) متبوعا (وَحَصُورًا) ممنوعا من النساء (وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلَامٌ) ولد (وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ) أى بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة (وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ) بلغت ثمانيا وتسعين سنة (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق الله غلاما منكما (اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) لا يعجزه عنه شىء ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بها. ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) أى علامة على حمل امرأتى (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أَ) ن (لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ) أى تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) أى بلياليها (إِلَّا رَمْزًا) إشارة (وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ) صل (بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) أواخر النهار وأوائله (وَ) اذكر (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ)

أى بالنسبة لأهل زمانى فلا ينافى أن المتقدمين كان الواحد منهم يعمر الألف (قوله كذلك) خبر لمحذوف قدره بقوله الأمر وقوله من خلق غلام بيان لمرجع اسم الإشارة والكاف فى كذلك يحتمل أن تكون صلة ، والمعنى قال الله الأمر ذلك واسم الاشارة راجع إلى خلق الولد ويحتمل أن تكون أصلية ، والمعنى قال الله الأمر كذلك أى كما قلت لاتغيير فيه ولاتبديل فاسم الاشارة راجع إلى القول (قوله ألهمه السؤال) أى بقوله أنى يكون لى غلام (قوله ليجاب بها) علة للالهام وقوله لاظهار علة لقوله ليجاب فهو علة مقدمة على معلولها . إن قلت ماالحكمة فى قوله فى قصة زكريا الله يفعل مايشاء وفى قصة مريم الله يخلق مايشاء ؟ . قلت الحكمة أن خرق العادة فى عيسى أعظم من يحيى فان عيسى لم يكن له أب مع كون أمه عذراء . وأما يحيى فأبواه موجودان وإن كان هناك مانع من الحمل فعبر فى جانب عيسى بالخلق الذى هو إنشاء واختراع دون الفعل (قوله ولما تاقت نفسه) أى اشتاقت (قوله قال رب اجعل لى آية) أى لأزداد بها شكرا على ما أعطيتنى وسرورا به (قوله علامة على حمل امرأتى) أى فان الحمل فى مبدئه خفى فطلب علامة على ظهور علوقها به (قوله أن لاتكلم الناس) أى بأن يأتيك مانع من الله يمنعك من الكلام بغير ذكر الله (قوله أى بلياليها) أخذ ذلك مما يأتى فى سورة مريم جمعا بين الموضعين والقصتين ومن ذلك اختار بعض أكابر الصوفية أن الخلوة مع الرياضة لبلوغ المراد ثلاثة أيام بلياليها يجعل ذكر الله فيها شعاره ودثاره ولايتكلم فيها (قوله إلا رمزا) استثناء منقطع على التحقيق لأن الرمز لايقال له كلام اصطلاحا وإن كان كلاما لغة لكن ليس مرادا هنا (قوله إشارة) أى وكانت بسبابته اليمنى (قوله أواخر النهار) راجع للعشى وقوله وأوائله راجع للابكار فهو لف ونشر مرتب وخص هذين الوقتين لفرضية الصلاة عليه فيهما (قوله وإذ قالت الملائكة) عطف على قوله إذ قالت امرأة عمران والمناسبة بينهما ظاهرة فان تلك قصة الأم وهذه قصة البنت . وأما قصة زكريا فذكرت بينهما لأن رؤية العجائب فى الأولى هى الحاملة لزكريا على طلب الولد .

أى جبريل (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ) اختارك (وَطَهَّرَكِ) من مسيس الرجال (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) أى أهل زمانك (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ) أطيعيه (وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) أى صلى مع المصلين (ذَلِكَ) المذكور من أمر زكريا ومريم (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) أخبار ما غاب عنك (نُوحِيهِ إِلَيْكَ) يا محمد (وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ) فى الماء يقترعون ليظهر لهم (أَيُّهُمْ يَكْفُلُ) يربى (مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فى كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحى . اذكر (إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ) أى جبريل (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ) أى ولد (اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) خاطبها بنسبته إليها تنبيها على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ، (وجيها)

(قوله أى جبريل) أشار بذلك إلى أنه من باب تسمية الخاص باسم العام تعظيما له (قوله يامريم) الحكمة فى أن الله لم يذكر فى القرآن امرأة باسمها إلا هى الإشارة بطرف خفى إلى ردّ ماقاله الكفار من أنها زوجته فان العظيم علىّ الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس فكأن الله يقول لوكانت زوجة لى لما صرّحت باسمها (قوله من مسيس الرجال) أى ومن الحيض والنفاس وكل قذر (قوله أى أهل زمانك) أشار بذلك إلى أن العالمين عام مخصوص بما عدا خديجة وفاطمة وعائشة وهذه طريقة مرجوحة ، والحق أن مريم أفضل النساء على الاطلاق ثم فاطمة ثم خديجة ثم عائشة ، قال بعضهم فى ذلك :

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة   خديجة ثم من قد برأ الله

وبالجملة فأفضل النساء خمسة: مريم وخديجة وفاطمة وعائشة وآسية بنت مزاحم زوجة فرعون ، وهى زوجة النبىّ صلى الله عليه وسلم فى الجنة وكذلك مريم (قوله يامريم اقنتى) تكرار الخطاب باسمها يفيد ماقلناه أوّلا من أنه إشارة لردّ ماقيل إنها زوجته (قوله واسجدى واركعى) قدم السجود لشرفه والواو لاتقتضى ترتيبا إن كانت صلاتهم كصلاتنا من تقديم الركوع على السجود وإن كانت بالعكس فالأمر ظاهر (قوله مع الراكعين) لم يقل مع الراكعات إما لدخول جمع المؤنث فى المذكر بالتغليب أو المعنى صلى كصلاة الرجال من حيث الخشية وعلوّ الهمة لا كصلاة النساء من حيث التفريط وعدم الخشية (قوله نوحيه) أى المذكور فالضمير عائد على اسم الاشارة لافراده (قوله إذ يلقون أقلامهم) أى وقت إلقائهم أقلامهم (قوله وما كنت لديهم إذ يختصمون) هذا بمعنى ماقبله والمعنى يختصمون قبل إلقاء الأقلام (قوله فتعرف ذلك الخ) مسبب عن النفى أى ما كنت حاضرا حتى تعرف ذلك وتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحى لامن جهة غيره لان بلده ليست بلد علم ولم يجالس بين يدى معلم ولم يقرأ كتابا ولم يكن هو ولا أحد من أجداده حاضرا وقت حصول تلك الوقائع فتعين أن يكون ذلك بوحى من الله ، قال العارف :

كفاك بالعلم فى الأمىّ معجزة   فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(قوله إذ قالت الملائكة) قدّر المفسر اذكر إشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف وهذا شروع فى ذكر قصة عيسى ومافيها من العجائب (قوله أى جبريل) أى فهو من باب تسمية الخاص باسم العام (قوله يبشرك) البشارة هى الخبر السارّ وضدها النذارة وهى الخبر الضارّ (قوله بكلمة منه) أى الله (قوله أى ولد) أى مولود وعبر عنه بالكلمة لأنه بقول كن من غير واسطة مادة . واتفق أن نصرانيا قدم على الرشيد فوجد عنده الحسن بن على الواقدى فقال النصرانى للخليفة والعالم إن فى كلام الله آية تدل على أن عيسى جزء من الله فقال له وماتلك الآية ؟ فقال النصرانى إن الله يبشرك بكلمة منه فمن للتبعيض فمقتضى ذلك أنه جزء منه فقال الشيخ إذا كانت من للتبعيض هنا فكذلك هى فى قوله تعالى ـ وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه ـ إذ لافرق بينهما فبهت النصرانى وأسلم وأغدق الخليفة على الشيخ إغداقا عظيما وكان يوما مشهودا، وإنما من للابتداء على حدّ إن الله خلق نور نبيك من نوره والمعنى خلقه بلاواسطة مادة . واعلم أن تلك البشارة تضمنت خمسة عشر وصفا (قوله اسمه المسيح عيسى ابن مريم) ظاهره أن هذه الأشياء كلها جعلت اسما واحدا. له مع أن المسيح لقبه وابن مريم كنيته وإنما الاسم عيسى فقط . ويجاب بأنه لما كان لايتميز إلا بهذه الأشياء كلها جعلت اسما واحدا . والمسيح فعيل إما بمعنى فاعل لأنه مامسح على ذى عاهة إلا برئ أو لأنه كان يمسح الأرض فى الزمن القليل بهداية الخلق أو مفعول لأنه ممسوح بالبركة أو ممسوح القدم بمعنى أنها لا أخمص لها . وأما الدجال فيلقب بالمسيح إما لأنه يمسح الأرض فى القليل لاضلال الناس أو لأنه ممسوح العين فهو من تسمية الأضداد ومن الأسماء المشتركة . وعيسى من العيس وهو البياض المشرب بحمرة لأن لونه كان كذلك (قوله إذ عادة الرجال) أى والنساء .

(وَجِيهاً) ذا جاه (فِي الدُّنْيَا) بالنبوة (وَالآخِرَةِ) بالشفاعة والدرجات العلا (وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) عند الله (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ) أى طفلا قبل وقت الكلام (وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ . قَالَتْ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ) بتزوج ولا غيره (قَالَ) الأمر (كَذَٰلِكِ) من خلق ولد منك بلا أب (اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا) أراد خلقه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون (وَنُعَلِّمُهُ) بالنون والياء (الْكِتَابَ) الخط (وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ . وَ) نجعله (رَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ) فى الصبا أو بعد البلوغ ، فنفخ جبريل فى جيب درعها فحملت وكان من أمرها ما ذكر فى سورة مريم ، فلما بعثه الله إلى بنى إسرائيل قال لهم : إنى رسول الله إليكم (أَنِّي) أى بأنى (قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ) علامة على صدق (مِنْ رَبِّكُمْ) هى (أَنِّي) وفى قراءة بالكسر استئنافا (أَخْلُقُ) أصور (لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ) مثل صورته فالكاف اسم مفعول (فَأَنْفُخُ فِيهِ) الضمير للكاف (فَيَكُونُ طَيْرًا) وفى قراءة طائرا (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته فخلق لهم الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا ، فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا (وَأُبْرِئُ) أشفى (الْأَكْمَهَ) ،

(قوله وجيها) حال من المسيح (قوله ذا جاه) أى عز وسودد (قوله بالنبوة) أى والمعجزات الباهرة والحكمة التى لا تضاهى (قوله والدرجات العلا) أى من حيث إنه من أولى العزم (قوله عند الله) عندية مكانة لا مكان أى قرب ومنزلة (قوله فى المهد) أى زمنه والمهد فراش الصبى زمن طفوليته وورد أنه كان تكلم حين ولادته كما قص الله فى سورة مريم (قوله قبل وقت الكلام) أى وانقطع إلى وقته المعتاد وكان يحدث أمه وهو فى بطنها فاذا اشتغلت أمه بكلام إنسان اشتغل هو بالتسبيح (قوله وكهلا) أى بين الثلاثين والأربعين والمقصود بشارة أمه بطول عمره لا كون كلامه حينئذ خرق عادة (قوله ومن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح وهم سادات الرسل فأل فى الصالحين للكمال (قوله بتزوج ولا غيره) أى كالزنا وقد صرح به فى سورة مريم بقوله ولم أك بغيا وهذا استفهام عن الحالة التى يأتى عليها ذلك الولد وإنما استفهمت عن ذلك لأنها جازمة أنها منذورة لخدمة بيت المقدس وأنها مقبولة، وكانت عاداتهم أن المنذور لا يتزوج فهذا هو حكمة استعظامها ذلك (قوله كذلك) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله الأمر والكاف يحتمل زيادتها والأصل الأمر ذلك ويحتمل أصالتها وقد تقدم ذلك (قوله إذا قضى أمرا) القضاء هو تعلق إرادة الله بالأشياء أزلا (قوله أراد خلقه) أى تعلقت إرادته بخلقه تعلقا تنجيز يا قديما (قوله أى فهو يكون) أشار بذلك إلى أن جملة يكون خبر لمحذوف (قوله بالنون والياء) أى قراءتان سبعيتان فعلى الياء الأمر ظاهر وعلى النون فهو التفات من الغيبة للخطاب (قوله الخط) ورد أنه كان حسن الخط جدا وكان يعلمه للصغار فى المكتب (قوله والحكمة) أى النبوة (قوله والتوراة) إن قلت إنها كتاب موسى أجيب بأنه كان يحفظها ويتعبد بها إلا ما نسخ منها فى الإنجيل (قوله ورسولا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله نجعله لأنه المناسب له (قوله فى الصبا) أى وهو ابن ثلاث سنين وقوله أو بعد البلوغ أى وهو ابن ثلاثين سنة وكلا القولين ضعيف والمعتمد أنه نبىء على رأس الأربعين وعاش نبيا ورسولا ثمانين سنة فلم يرفع إلا وهو ابن مائة وعشرين سنة (قوله فنفخ جبريل فى جيب درعها) أى وكان عمرها إذ ذاك قيل عشر سنين وقيل ثلاثة عشر وقيل ست عشرة سنة (قوله ما ذكر فى سورة مريم) أى فى قوله تعالى ـ واذكر فى الكتاب مريم ـ الآيات . واختلف فى مدة حملها فقيل تسعة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة وهو المشهور (قوله أنى قد جئتكم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فلما بعثه الله الخ وهو إشارة لقصة رسالته بعد أن ذكر قصة بشارته وحمله وولادته (قوله أصور) دفع بذلك ما يقال إن الخلق هو الإيجاد بعد العدم وهو مخصوص بالله تعالى . فأجاب بأن معنى الخلق هو التصوير (قوله مفعول) أى لأخلق (قوله الضمير للكاف) ويصح أن يعود على الطين وحكمة المغايرة بين ما هنا وبين ما يأتى فى آخر المائدة أن المتكلم هنا عيسى وهناك الله (قوله وفى قراءة طائرا) أى بالإفراد وأما الأولى فهو اسم جمع وهما سبعيتان (قوله الخفاش) أى الوطواط وقوله لأنه أكمل الطير خلقا أى لأن له أسنانا وثديا ويحيض كالنساء ويطير من غير ريش ولا يبصر إلا فى ساعة بعد المغرب وبعد الصبح وما بقى من الزمن هو فيه أعمى (قوله سقط ميتا) أى ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق

الذى ولد أعمى (وَالأَبْرَصَ) وخصا بالذكر لأنهما دا آ إعياء ، وكان بعثه فى زمن الطب فأبرأ فى يوم خمسين ألفا بالدعاء بشرط الإيمان (وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) كرره لنفى توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات فى الحال (وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ) تخبئون (فِي بُيُوتِكُمْ) مما لم أعاينه فكان يخبر الشخص بما أكل وبما لم يأكل بعد (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَ) جئتكم (مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبلى (مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) فيها ، فأحل لهم من السمك والطير مالا صيصية له ، وقيل أحل الجميع فبعض بمعنى كل (وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) كرره تأكيداً وليبنى عليه (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته (إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا) الذى آمركم به (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) فكذبوه ولم يؤمنوا به .

(قوله الذى ولد أعمى) أى ممسوح العين أم لا و إبراؤه للطارئ أولى (قوله والأبرص) هو من به داء البرص وهو داء عظيم يشبه البهق إذا نخس نزل منه ماء (قوله لأنهما دا آ إعياء) أى أعييا الأطباء الذين كانوا فى زمنه فإن معجزة كل نبى على شكل أهل زمانه كموسى فإنه بعث فى زمن كثرت فيه السحرة فأعياهم بالعصا واليد البيضاء ، وسيدنا محمد فإنه بعث فى زمن العرب البلغاء فأعياهم بالقرآن (قوله بشرط الإيمان) أى بالقلب واللسان فإن آمن بلسانه فقط لم يشف (قوله لنفى توهم الألوهية فيه) أى فى عيسى بهذا الوصف الذى لم يشارك الله فيه أحد صورة فقوله بإذن الله رد عليهم فالمعنى لو كان دليلا على ألوهيته لكان بإذنه (قوله عازر) بفتح الزاى وقوله صديقا له أى عيسى وكان قد تمرض فأرسلت أخته لعيسى فأخبرته بمرضه وكان على مسافة ثلاثة أيام فجاء فوجده قد مات ودفن فذهب مع أخته إلى قبره فدعا بالاسم الأعظم فأحيي وعاش إلى أن ولد له (قوله وابن العجوز) أى وأحياه قبل دفنه حين مر به على عيسى وهو على أعناق الرجال فدعا الله فجلس ولبس ثيابه وأتى أهله وقوله وابنة العاشر أى الذى كان يأخذ العشر من الناس وقوله وسام بن نوح أى وكان قد مات من نحو أربعة آلاف سنة فدعا الله فأحياه فقام وقد شاب نصف رأسه ثم قال له مت بإذن الله فقال نعم لكن لا أذوق حرارة الموت ثانيا فقال له كذلك (قوله وأنبئكم بما تأكلون) ورد أنه كان يخبر الصبيان الذين يعلمهم الخط بما فى بيوت آبائهم من المدخرات فتذهب الأولاد و يخبرون آباءهم بذلك ثم إنهم تجمعوا وحبسوا أولادهم عنه فجاء إليهم وسأل عنهم فأنكروهم فقال لهم من الذين خلف الأبواب؟ فقالوا هم خنازير فقال كذلك إن شاء الله ففتحوا عليهم فوجدوهم كذلك فكربوا وتجمعوا على قتله فحملته أمه على حمار لها وجاءت به مصر . فإن قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق . أجيب بأن المنجم والكاهن لابد لكل واحد من مقدمات يرجع إليها و يعتمد عليها فى أخباره فالمنجم يستعين بواسطة الكواكب والكاهن يستعين بخبر من الجن وقد يخطئان كثيرا ، وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس إلا بالوحى السماوى وهو من عند الله لا بواسطة حساب ولا غيره فتأمل (قوله إن فى ذلك لآية لكم) هذه الجملة يحتمل أن تكون من كلام عيسى أو من كلام الله وقوله – إن كنتم مؤمنين – جوابه محذوف أى انتفعتم بهذه الآية (قوله ومصدقا) حال معطوفة على حال مقدرة وهى متعلق قوله بآية التقدير جئتكم حال كونى ملتبسا بآية وحال كونى مصدقا و يشعر بذلك تقدير المفسر قوله جئتكم وليس معطوفا على وجيها لأن وجيها من جملة المبشر به وهو من كلام الله وأما قوله مصدقا فهو من كلام عيسى (قوله قبلى من التوراة) أى وهى كتاب موسى وكان بينه و بين عيسى ألف سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة وأول أنبياء بنى إسرائيل يوسف بن يعقوب وآخرهم عيسى (قوله ولأحل لكم) معمول لمحذوف تقديره وجئتكم لأجل التحليل ولا يصح عطفه على مصدقا لأن ذاك حال وذا تعليل (قوله بعض الذى حرم عليكم) أى بسبب ظلمكم كذى الظفر وشحوم البقر والغنم (قوله مالا صيصية له) أى شوكة يؤذى بها وأما ماله صيصية فهو باق على حله لم يحرم (قوله فبعض بمعنى كل) استشكل بأنه يلزم عليه تحليل كالزنا والقتل . وأجيب بأن المراد جميع ما طرأ تحريمه من أجل التشديد لا ما كان محرما بالأصالة (قوله وليبنى عليه فاتقوا الله) أى لحيث أمرتكم بما ذكر مع ظهور الآيات فاتقوا الله الخ (قوله وطاعته) معطوف على توحيد الله من عطف العام على الخاص (قوله إن الله ربى وربكم) هذا رد لدعواهم بنوته لله و إلا لقال إن الله أبى (قوله طريق مستقيم) أى دين قيم من تمسك به فقد نجا ومن حاد عنه وقع فى الردى .

(قوله فلما أحس عيسى منهم الكفر) أحس يتعدّى بنفسه و بحرف الجر،والاحساس الادراك بأحد الحواسّ الخمس السمع والبصر والذوق والشم واللمس والمعنى أدركه منهم عنادا بعد ظهور تلك الآيات البينات (قوله قال من أنصارى) أى من ينصرنى وقوله إلى الله جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من الياء فى أنصارى قدره المفسر بقوله ذاهبا (قوله أعوان دينه) أى أهل دينه فنصرة الدين كناية عن نصرة أهله (قوله وكانوا اثنى عشر) أى وكان لهم كبيران اسمهما شمعون ويعقوب (قوله وهو البياض الخالص) أى لبياض قلوبهم وثيابهم فأعطاهم الله بياض بواطنهم وظواهرهم (قوله وقيل كانوا قصارين) وقيل لأنهم حوّروا النبي بمعنى نصروه وقيل كانوا صيادين للسمك وقيل كانوا صباغين وقيل كانوا ملوكا،ورد أن عيسى مرّ على هؤلاء وهم يصطادون السمك فقال لهم اذهبوا بنا لنصطاد الخلق فقالوا كيف ذلك؟ فقال ندلهم على عبادة الله فقالوا له ومن أنت؟ فقال روح الله فقالوا له وما آيتك على ذلك؟ وكانوا طول نهارهم يطرحون الشبك لايخرج لهم شىء من السمك فأمر أن يطرح الشبكة واحد منهم ففعل فخرج لهم سمك ملأ مركبين فآمنوا به وساروا بسيره، وقيل إن شمعون كان ملكا فرأى عيسى ذات يوم يأكل من إناء هو والناس ولايفرغ ذلك الطعام فآمن به ونزل عن ملكه وتبعه أقاربه، وقيل كان فى صغره عند صباغ فأمره بصبغ ثياب متعدّدة ألوانا متغايرة وذهب لحاجة فوضع تلك الثياب فى دنّ واحد وقال أيتها الثياب كونى كما أريد فجاء الصباغ وسأله عن الثياب فقال هاهى فى هذا الدنّ فحزن حزنا عظيما فأخرجها من الدنّ فوجدها كما أمره الصباغ فآمن به هو وأقاربه،وقيل إن الاثنى عشر كانوا لاصنعة لهم حين آمنوا بعيسى (١٤٧) وكانوا سياحين معه وكانوا كلما جاءوا شكوا لعيسى فينزل لهم كل واحد رغيفان وكلما ظمئوا شكوا له فتنبع لهم عين فى أى محل كانوا فيه فقال لهم يوما هناك من هو أفضل منكم فقالوا من؟فقال الذين يأكلون من كسب أيديهم فاستعملوا قصارة الثياب وقد يجمع بين الروايات المختلفة بأن بعض

(فَلَمَّا أَحَسَّ) علم (عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ) وأرادوا قتله (قَالَ مَنْ أَنْصَارِى) أعوانى ذاهباً (إِلَى اللهِ) لأنصر دينه (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ) أعوان دينه، وهم أصفياء عيسى وأول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا، من الحور وهو البياض الخالص،وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أى يبيضونها (آمَنَّا) صدقنا (بِاللهِ وَاشْهَدْ) ياعيسى. (بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ) من الإنجيل (وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ) عيسى (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) لك بالواحدانية ولرسولك بالصدق، قال تعالى (وَمَكَرُوا) أى كفار بنى إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة (وَمَكَرَ اللهُ) بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورفع عيسى إلى السماء (وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) أعلمهم به. اذكر (إِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى إِنِّى مُتَوَفِّيكَ)

الاثنى عشر كان من الملوك و بعضهم من الصيادين و بعضهم من القصارين و بعضهم من الصباغين (قوله فاكتبنا مع الشاهدين) أى الموحدين مطلقا أو الذين فضلتهم بالشهادة وهم محمد وأمته لأنهم يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب (قوله ومكروا) المكر هو الخديعة و إظهار خلاف مايبطن (قوله غيلة) هى بكسر الغين المعجمة وسكون الياء التحتية أى يخدع الرجل فيذهب به إلى موضع لايراه به أحد و يقتله (قوله ومكر الله) أى جازاهم على مكرهم لحيث أضمروا على أخذ عيسى من حيث لايحتسب جازاهم على ذلك وأخذهم من حيث لم يحتسبوا (قوله بأن ألقى شبه عيسى الخ). حاصل ذلك أنهم لما تجمعوا على قتله جاءه جبريل فوجده فى مكان فى سقفه فرجة فرفعه من تلك الفرجة إلى السماء وأمر ملك اليهود رجلا اسمه ططيانوس أن يدخل على عيسى فيقتله فلما دخل فلم يجده خرج وقد ألقى الله شبه عيسى عليه فلما رأوه ظنوه عيسى فقتلوه وفتشوا على عيسى فلم يجدوه ثم قالوا إذا كان هذا عيسى فأين صاحبنا و إذا كان صاحبنا فأين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم (قوله والله خير الماكرين) أى أقواهم مكرا بحيث يقدر على إيصال الضرر لهم من حيث لم يحتسبوا كما أضمروا ذلك لعيسى ولايقال لله ماكر أو مكار إلا مشاكلة و يؤول بماعلمت لأن أصل المكر يستعمل فى المحتال لأخذ صاحبه لعجزه عنه وهو مستحيل على الله (قوله اذكر إذ قال الله) أشار بذلك إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف والمعنى أن اليهود لما تجمعوا على قتله وتحيلوا على أخذه جعل الله كيدهم فى نحورهم وقال الله ياعيسى الخ فهو من تفصيل قوله ومكر الله (قوله إنى متوفيك) اختلف فى التوفى فقيل معناه مبلغك الأمل بأن تبلغ عمرك بتمامه ولاتموت بقتل أحد بل من الله وقيل معناه بالنوم أى فرفع إلى السماء وهو نائم فلم يحصل له انزعاج

وقيل معناه مميتك وقابض روحك. لايقال إنه يقتضي أنه يموت قبل الرفع إلى السماء لأنه يقال إن الواو لاتقتضي ترتيبا ولاتعقيبا فالكلام على التقديم والتأخير والمعنى إني رافعك إليّ ومتوفيك بعد ذلك والمقصود بشارته بنجاته من اليهود ورفعه إلى السماء. واعلم أن الأنبياء الذين أمروا بالقتال معصومون من القتل فلا خصوصية لعيسى ، وأما من لم يؤمر به فلامانع من كون الكفار يقتلونه لأنه مأمور بالصبر وذلك كما وقع لزكريا حين نشروه بالشجرة (قوله قابضك ورافعك) أشار بذلك إلى أن عطف ورافعك على متوفيك للتفسير وهو تقرير آخر غير ماتقدم (قوله ورافعك إليّ) أي إلى كرامتي وأهل قربي وقوله من الدنيا أراد بها الأرض (قوله وجاعل الذين اتبعوك) أي أحبوك وانتسبوا لك فان صدقوا بمحمد أيضا وأحبوه أو ماتوا قبل بعثته فقد تم لهم العز دنيا وأخرى وإن لم يصدقوا بمحمد ولم يحبوه فقدحازوا عز الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق فالنصارى لهم عز في الدنيا وسلطنة على اليهود إلى يوم القيامة (قوله وهم اليهود) أي فهو عز على خصوص اليهود لامطلقا ما داموا كفارا وذلك أنه لما رفع الله عيسى افترق أصحابه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية وقالت أخرى : كان فينا ابن الله ثم رفعه إليه وهم النسطورية ، وقالت أخرى : كان فينا عبد الله ورسوله ثم رفعه الله إليه وهذه الفرقة هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الإسلام منطمسا إلى أن بعث محمد (قوله يعلونهم بالحجة) أي يغلبونهم بالأدلة (قوله إلى يوم القيامة) أي طائفة بعد طائفة (قوله ثم إليّ مرجعكم) خطاب

قابضك (وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) من الدنيا من غير موت (وَمُطَهِّرُكَ) مبعدك (مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ) صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى (فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بك وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين (فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسبي والجزية (وَالْآخِرَةِ) بالنار (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منه (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ) بالياء والنون (أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أي يعاقبهم . روى أن الله أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين وروى الشيخان حديث إنه ينزل قرب الساعة ،

لجميع المخلوقات (قوله فأما الذين كفروا) تفصيل لما يؤول أمر الناس إليه في الآخرة (قوله بالقتل والسبي) أي مع الذل والهوان (قوله مانعين منه) أي من العذاب (قوله بالياء والنون) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعلقت به أمه) اعلم أنه بعد رفعه بسبعة أيام قال الله له اهبط إلى مريم فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها ويحكم

ثم لتجمعن الحواريين فبثهم في الأرض دعاة إلى الله فأهبطه الله عز وجل فاجتمعت له الحواريون فبثهم في الأرض فلما أصبح الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى إليه إذا علمت ذلك فقوله تعلقت به أمه محمول على هذا الصعود الثاني وإلا فالأول لم تعلم به هي ولا أصحابه (قوله وبكت) أي على فراقه (قوله وكان ذلك ليلة القدر) . إن قلت إن ليلة القدر من خصائص هذه الأمة . أجيب بأن الذي من خصائص هذه الأمة فضلها من كونها خيرا من ألف شهر وكونها تنزل فيها الملائكة من الغروب إلى طلوع الفجر وكون الدعاء فيها مجابا بعين المطلوب فلاينافي ثبوتها في الأمم السابقة لكن لابهذا الفضل (قوله وله ثلاث وثلاثون سنة) أي وعليه فقيل جاءته النبوة من حين الولادة ، وقيل على رأس الثلاثين وبعد هذا فما قاله المفسر ضعيف رجع عنه كما قاله سيدي محمد الزرقاني في شرح المواهب ، والحق الذي اعتمده الأشياخ أنه مارفع إلا بعد مضي مائة وعشرين سنة وجاءته النبوة على رأس الأربعين كغيره ، وعمر أمه حين رفع على الأول ست وأربعون سنة وعاشت بعده ست سنين فيكون عمرها اثنتين وخمسين وعلى الثاني مائة وتسعة وثلاثين . واعلم أنه لما رفع كساه الله خلعة النور وسلبه شهوة الطعام والشراب والنوم وجعل له ريشا يطير به كالملائكة فهو في حكمهم (قوله أنه ينزل) أي على منارة بني أمية حين يضايق الدجال المهدي والخلق جميعا فيهرعون إلى دمشق الشام وهو محتاط بهم فينزل عند إقامة الصلاة فيريد المهدي التأخر فيأمره عيسى بالتقدم فبعد الصلاة يتوجهون إلى الدجال وهو بلد فاذا رأى عيسى ذاب كالملح فيهزمه الله ثم يظهر العدل والصلاح في الأرض .

(قوله ويحكم بشريعة نبينا) إن قلت إن وضع الجزية ليس من شرع نبينا . أجيب بأنه منه غير أن أحدها مغيا بنزول عيسى كما أخبر بذلك نبينا فوضعها أيضا من شرعنا (قوله سبع سنين) أى فوق الثلاث والثلاثين وهو ضعيف (قوله أربعين سنة) قيل من ولادته فيكون مكثه بعد النزول سبع سنين كالرواية الأولى ، وقيل مبدأ الأربعين من نزوله وعلى كونها من نزوله فعلى كونه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين يكون عمره ثلاثا وسبعين سنة ، وعلى أنه رفع وهو ابن مائة وعشرين فيكون عمره مائة وستين (قوله ويصلى عليه) أى يصلى عليه المسلمون ويدفن فى السهوة الشريفة فاذا جاء يوم القيامة قام أبو بكر وعمر بين رسولين سيدنا محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام (قوله ذلك) اسم الإشارة عائد على ما تقدم من عجائب عيسى وأفرد باعتبار ماذكر كما أشار لذلك المفسر (قوله وعامله ما فى ذلك الخ) لأنه مضمن معنى أشير . واعترض ذلك بأن العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها وصاحبها هو الهاء فى تتلوه فالعامل فيه هو تتلوه ، قال بعضهم معتذرا عن المفسر بأنه خلط إعرابا بآخر . وحاصل ذلك أن قوله ذلك مبتدأ وقوله تتلوه خبره ، وقوله من الآيات حال من الهاء وعامله هو تتلو أو من الآيات خبره وتتلوه حال وعاملها ما فى ذلك من معنى الاشارة وهذا هو الذى يشير له المفسر على قول بعضهم (قوله والذكر الحكيم) عطف على الآيات للتفسير (قوله إن مثل عيسى) سبب نزولها أن وفد نجران قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له

تراك تسب صاحبنا، فقال من هو ؟ قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله ، فقال رسول الله أجل إنه عبد الله ورسوله فقالوا هل له مثل من الخلق خلق من غير أب فنزلت الآية (قوله الغريب) أى وهو عيسى ، وقوله بالأغرب : أى وهو آدم وأغربيته من وجوه منها أنه لم يسبق له مثال أصلا ومنها وجود الأم لعيسى دون آدم . إن قلت وجه الشبه بينهما ليس بتام . أجيب بأنه يكفى وجه واحد وهو عدم الأبوة الكل

ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ، وفى حديث مسلم إنه يمكث سبع سنين ، وفى حديث عند أبى داود الطيالسى أربعين سنة ويتوفى ويصلى عليه فيحتمل أن المراد مجموع لبثه فى الأرض قبل الرفع وبعده (ذَٰلِكَ) المذكور من أمر عيسى (نَتْلُوهُ) نقصه (عَلَيْكَ) يا محمد (مِنَ الْآيَاتِ) حال من الهاء فى نتلوه وعامله ما فى ذلك من معنى الاشارة (وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ) المحكم أى القرآن (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ) شأنه الغريب (عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ) كشأنه فى خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع فى النفس (خَلَقَهُ) أى آدم ، أى قالبه (مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن) بشرا (فَيَكُونُ) أى فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير أب ، فكان (الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) خبر لمبتدإ محذوف أى أمر عيسى (فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه (فَمَنْ حَاجَّكَ) جادلك من النصارى (فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) بأمره (فَقُلْ) لهم (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ) فنجمعهم ،

(قوله خلقه من تراب) جملة مفسرة لما قبلها لا محل لها من الاعراب (قوله اى قالبه) بفتح اللام وهو الجسم ، وأما الروح فمن نور نبينا صلى الله عليه وسلم ، وإنما حمل الخلق على القالب لا على صورة الجسم الشاملة للروح نظرا لقوله – ثم قال له كن – الخ وإلا لكان ضائعا (قوله وكذلك عيسى الخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه بينهما ، واتفق أن عالما أسر فى بلاد الروم فوجدهم يعبدون عيسى ، فقال لهم لم تعبدون عيسى؟ فقالوا لأنه لا أب له فقال لهم آدم أولى لأنه معدوم الأبوين فقالوا له آدم وإن كان بلا أب إلا أنه لا يحيى الموتى ، فقال لهم إذا كان كذلك فحزقيل أولى لأنه أحيا ثمانية آلاف وقيل أكثر بدعوته وعيسى أحيا أربعة أنفار ، فقالوا إن عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ، فقال جرجيس أحرق وطبخ ولم يضره الحرق ولا الطبخ (قوله أى أمر عيسى) أى الذى قصه الله فى كتابه (قوله فلا تكن من الممترين) خطاب له والمراد أمته على حد – لئن أشركت ليحبطن عملك – لأنه معصوم من الامتراء والشرك وكل كبيرة وصغيرة (قوله من النصارى) أى نصارى نجران أو غيرهم (قوله بأمره) أى أنه عبد الله ولم يكن ابنه (قوله تعالوا) أصله تعاليوا تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان الألف والواو وحذفت الألف لالتقائهما وهو فعل أمر على الصحيح مبنى على حذف النون والواو فاعل وهو مفتوح اللام دائما لمذكر أو مؤنث (قوله أبناءنا وأبناءكم) أى الذكور ، وقوله ونساءنا ونساءكم : أى الاناث منهم والحكمة فى حضور الأولاد زيادة التغليظ فى اليمين

وتأكيد لمزيد صدقه وكذبهم ولما كانت المباهلة أمرا عظيما لم تشرع بعد النبي إلا فى اللعان بين الزوجين (قوله ثم نبتهل) الابتهال من البهلة بفتح الباء وضمها هى اللعنة فى الأصل ثم استعمل فى كل دعاء مجتهد فيه و إن لم يكن التعانا (قوله لذلك) أى للتضرع والدعاء (قوله فقال ذوو رأيهم) أى فرجعوا إليهم وشاوروهم فقال الخ (قوله لقد عرفتم نبوته) أى نبوة محمد ، وقوله ماباهل : أى نازع (قوله فوادعوا الرجل) أى صالحوه على مال يأخذه منكم (قوله وقد خرج) الجملة حالية (قوله وصالحوه على الجزية) ورد أنها ألفا حلة نصفها فى صفر ونصفها فى رجب وثلاثون درعا وثلاثون بعيرا وثلاثون فرسا وثلاثون من كل صنف من أصناف السلاح وقد ثبتت هذه الرواية فى بعض نسخ الجلال القديمة (قوله وعن ابن عباس الخ) أى وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال « والذى نفسى بيده إن الهلاك قد تولى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم عليهم الوادى نارا ولم يبق نصرانى على وجه الأرض إلى يوم القيامة » (قوله إن هذا لهو القصص الحق) هذا نتيجة ماقبله واسم الاشارة عائد على ما ذكر من أمر عيسى وأنه ليس ابن الله وأكد الجملة بإن واللام وكونها معرفة الطرفين لشدة إنكارهم (قوله زائدة) أى و إله مبتدأ و الله خبره وهو قصر إفراد (قوله

وفيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة فى التبكيت عليهم (قوله قل يا أهل الكتاب) سبب نزولها أن نصارى نجران اختصموا مع اليهود فى شأن إبراهيم فزعمت النصارى أنه كان نصرانيا وهم على دينه وزعمت اليهود أنه كان يهوديا وهم على دينه فقدموا امتحاكمين إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين كاذب فقالت النصارى ما تريد إلا أن نتخذك معبودا كما اتخذت اليهود العزير ربا وقالت اليهود ما تريد إلا أن نتخذك معبودا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فنزلت

(ثُمَّ نَبْتَهِلْ) نتضرع فى الدعاء (فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ ٱللهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ) بأن نقول : اللهم العن الكاذب فى شأن عيسى ، وقد دعا صلى الله عليه وسلم وفد نجران لذلك لما حاجوه فيه فقالوا حتى ننظر فى أمرنا ثم نأتيك فقال ذوو رأيهم لقد عرفتم نبوته وأنه ماباهل قوم نبيًّا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوه وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلىّ وقال لهم إذا دعوت فأمّنوا فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه أبو نعيم ، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لايجدون مالاً ولا : أهلاً وروى لو خرجوا لاحترقوا (إِنَّ هٰذَا) المذكور (لَهُوَ ٱلْقَصَصُ) الخبر (ٱلْحَقُّ) الذى لاشك فيه (وَمَا مِنْ) زائدة (إِلٰهٍ إِلاَّ ٱللهُ وَإِنَّ ٱللهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ) فى ملكه (ٱلْحَكِيمُ) فى صنعه (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الإيمان (فَإِنَّ ٱللهَ عَلِيمٌ بِٱلْمُفْسِدِينَ) فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر (قُلْ يَا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ) اليهود والنصارى (تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) مصدر بمعنى مستو أمرها (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) هى (أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ ٱللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ ٱللهِ) كما اتخذتم الأحبار والرهبان (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن التوحيد (فَقُولُوا) أنتم لهم ،

(قوله إلى كلمة) متعلق بتعالوا وذكر التعلق هنا لأن المقصود الاجتماع على هذه الكلمة بخلاف التى قبلها فإن المقصود منها مجرد الاقبال أوحذفه من الأول وتقديره إلى المباهلة لدلالة الثانى عليه (قوله أن لا نعبد إلا الله) هذه الجملة فى محل رفع خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هى و إنما أطلق عليها كلمة مع أنها جمل لارتباط بعضها ببعض . قال ابن مالك ❊ وكلمة بها كلام قد يؤمّ ❊ نظير قوله تعالى ـ كلا إنها كلمة هو قائلها ـ (قوله كما اتخذتم الأحبار) أى وهم علماء اليهود والرهبان عباد النصارى واتخاذهم أربابا من حيث إنهم ينسبون التحليل والتحريم والاقالة من الذنوب لهم ولايتبعون ما أنزل الله بل الدار عندهم على ما حللته الأحبار والرهبان أوحرّموه. وهذه الآية و إن كانت خطابا لليهود والنصارى إلا أنها تجرّ بذيلها على من يشرك بالله غيره من المسلمين كضعفاء الإيمان الذين يعتقدون فى الأولياء أنهم يضرون و ينفعون بذواتهم ويحلون ماحرم الله ويحرّمون ما أحلّ الله ومع ذلك يحدثون بدعا عظيمة ما أنزل الله بها من سلطان ويجعلون تلك البدع طرقا لهؤلاء الأولياء ويزعمون أنها منجية و إن كانت مخالفة للشرع ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون (قوله أعرضوا عن التوحيد) أى ولم يمتثلوا أمرك واتبعوا أحبارهم ورهبانهم فيما يأمرونهم به .

(اشهدوا

(قوله اشهدوا بأنا مسلمون) أى منقادون لله و بريئون منكم ومن عقائدكم (قوله ونزل لما قال اليهود الخ) أى وتحاكموا عند النبى صلى الله عليه وسلم ليفصل بينهما (قوله وقالت النصارى كذلك) أى هو نصرانى ونحن على دينه (قوله يا أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (قوله لم تحاجون) أى يحاجج بعضكم بعضا والاستفهام تو بيخى إنكارى (قوله فى إبراهيم) أى فى دينه فهو على حذف مضاف و إليه يشير المفسر بقوله بزعمكم أنه على دينكم (قوله بزمن طويل) أى فكان بين التوراة و إبراهيم ألف سنة و بينه و بين الانجيل ألفا سنة وتسعمائة وخمسة وسبعون سنة (قوله و بعد نزولهما الخ) بهذا التقدير تمت الحجة عليهم فالمعنى أن المانع من كونهم على دين إبراهيم تغييرهم وتبديلهم و إلا فلو تمسكوا بالتوراة والانجيل حقيقة لما اختلفوا ولكانوا على دين إبراهيم (قوله حدثت اليهودية والنصرانية) أى اللتان ابتدعوهما حيث غيروا التوراة وسموها اليهودية وغيروا الانجيل وسموه النصرانية (قوله أفلا تعقلون) أى أغفلتم عما زعمتم فلا تعقلون ما تقولونه (قوله ها أنتم) يقرأ إما بألف و بعدها همزة إما محققة أو مسهلة أو بدون ألف والهمزة إما محققة أو مسهلة أو بألف فقط بدون همزة أصلا فالقراءات خمس وكلها سبعية (قوله من أمر موسى وعيسى) أى الذى نطقت به

التوراة والانجيل من أنهما عبدان ورسولان لله يأمران بعبادة الله وحده ولا يشركان به غيره (قوله من شأن إبراهيم) أى لكونه لم يذكر فى كتبكم ما كان إبراهيم عليه فكيف تدعون أنكم على دينه مع جهلكم به (قوله إلى الدين القيم) أى المستقيم الذى لا اعوجاج فيه (قوله موحدا) أى منقادا ممتثلا أوامر ربه مجتنبا نواهيه (قوله وما كان من المشركين) أى معه غيره (قوله للذين اتبعوه) زيدت اللام للتقوية وهى لام الابتدام زحلقت للخبر كما قال فى الخلاصة : وبعد ذات الكسر تصحب الخبر لام ابتداء نحو إنى لوزر (قوله فى زمانه) أى وهم أولاده كاسماعيل واسحق و يعقوب وأولادهم إلى يوم القيامة قال تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب الآية (قوله لموافقته له فى أكثر شرعه) أى فعقائد محمد التى هو عليها لا تخالف ماقصه الله فى كتابه عن إبراهيم إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول لموافقته له فى الأصول أو يقال إن الموافقة فى الفروع من حيث السهولة فان شريعة محمد سهلة سهلة كشريعة إبراهيم لا كشريعة موسى فانها صعبة التكاليف بسبب عناد بنى إسرائيل وهذا هو محمل المفسر (قوله من أمته) أى أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ناصرهم) أى على أعدائهم وقوله وحافظهم أى واقيهم من أعدائهم (قوله ودت) أى أحبت ولو مصدرية والمعنى أحبت جماعة من اليهود والنصارى إضلالكم أى رجوعكم عن الاسلام إلى الكفر وكانوا يودون إليهم بالهدايا (قوله لأن إثم اضلالهم عليهم) أى لأن الدال على الشر كفاعله ، و يؤخذ من ذلك أن المقوى لشوكة الكفر بالشبه الباطلة والحجج العاطلة عليه إثم كفره وإثم كفر من تبعه إلى يوم القيامة (قوله بذلك) أى بكون إثم الضلال لاحقا بهم قساوة قلوبهم فلم يعرفوا أنهم لا يضرون إلا أنفسهم .

(أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) موحدون . ونزل لما قال اليهود : إبراهيم يهودى ونحن على دينه وقال النصارى كذلك (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ) تخاصمون (فِي إِبْرَاهِيمَ) بزعمكم أنه على دينكم (وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ) بزمن طويل و بعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بطلان قولكم (هَا) للتنبيه (أَنتُمْ) مبتدأ ، يا (هَٰؤُلَاءِ) والخبر (حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ) من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما (فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ) من شأن إبراهيم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) شأنه (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)هُ قال تعالى تبرئة لإبراهيم (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا) مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم (مُّسْلِمًا) موحداً (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ) أحقهم (بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ) فى زمانه (وَهَٰذَا النَّبِيُّ) محمد لموافقته له فى أكثر شرعه (وَالَّذِينَ آمَنُوا) من أمته فهم الذين ينبغى أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم (وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ) ناصرهم وحافظهم . ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم (وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) لأن إثم إضلالهم عليهم . والمؤمنون لا يطيعونهم فيه (وَمَا يَشْعُرُونَ) بذلك (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) ،

(قوله القرآن المشتمل على نعت محمد) أى وقيل هى التوراة والانجيل فانهما مشتملان على نعته أيضا قال تعالى ـ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الآية (قوله تعلمون أنه حق) أى من التوراة والانجيل (قوله الحق) أى وهو نعت محمد وأصحابه المذكور فى التوراة والانجيل وقوله بالباطل أى وهو التغيير لتلك النعوت (قوله بالتحريف والتزوير) أى الكذب فى تلك الصفات (قوله أنه حق) أى أنه نبي حقا وما جاء به من عند ربه حق (قوله وقالت طائفة) شروع فى بيان تلبيسات اليهود،ورد أنه اجتمع اثنا عشر من أحبار خيبر وأجمع رأيهم على أنهم يظهرون الاسلام فى أول النهار وفى آخره يرجعون لدينهم و يأمرون الناس بذلك وقصدهم بذلك دخول الشك على من آمن به صلى الله عليه وسلم فلما أجمعوا وصمموا على ذلك جعل الله كيدهم فى نحورهم ولم يفعلوا شيئا من ذلك ولو فعلوه لعاد شؤمه عليهم وقتلوا إن لم يتوبوا لأن المرتد لايبقى على ردته فمن نكث فانما ينكث على نفسه (قوله آمنوا) أى صدقوا ظاهرا باللسان (قوله أى القرآن) هذا هو المشهور فى تفسير الآية وقيل الذى أنزل على الذين آمنوا هو القبلة حين أمر النبي بالتحول للكعبة ثانيا بعد استقباله بيت المقدس فحينئذ حصل لليهود غيظ وحزن عظيم فأجمع رأيهم على موافقة المؤمنين أول النهار ومخالفتهم آخره لعله يحصل الشك لأصحابه فيرجعوا عن دينهم (قوله أوله) أشار بذلك إلى أن وجه النهار ظرف زمان لقوله آمنوا (قوله لعلهم يرجعون) علة لقوله آمنوا بالذى أنزل الخ (قوله إذ يقولون) علة للعلة (قوله ولا تؤمنوا) هذا من جملة تلبيساتهم وحاصل إعراب هذه الآية أن يقال لا ناهية وتؤمنوا مجزوم بها وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وقوله أن يؤتى أن حرف مصدرى ونصب و يؤتى منصوب بها وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وهو فى تأويل مصدر

القرآن المشتمل على نعت محمد (وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ) تعلمون أنه حق (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ) تخلطون (الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ) بالتحريف والتزوير (وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ) أى نعت النبي (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه حق (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) اليهود لبعضهم (آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا) أى القرآن (وَجْهَ النَّهَارِ) أوله (وَاكْفُرُوا) به (آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ) أى المؤمنين (يَرْجِعُونَ) عن دينهم إذ يقولون مارجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه ،وقالوا أيضا (وَلَا تُؤْمِنُوا) تصدقوا (إِلَّا لِمَنْ) اللام زائدة (تَبِعَ) وافق (دِينَكُمْ) قال تعالى (قُلْ) لهم يا محمد (إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ) الذى هو الإسلام وما عداه ضلال والجملة اعتراض (أَنْ) أى بأن (يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ) من الكتاب والحكمة والفضائل وأن مفعول تؤمنوا والمستثنى منه أحد قدم عليه المستثنى ، والمعنى لاتقروا بأن أحدا يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم (أَوْ) بأن (يُحَاجُّوكُمْ) أى المؤمنون يغلبوكم (عِنْدَ رَبِّكُمْ) يوم القيامة لأنكم أصح دينا ،

معمول لقوله ولا تؤمنوا وأحد نائب فاعل يؤتى وهو مفعول أول ومثل مفعول ثان وقوله إلا أداة وفى استثناء ولمن اللام زائدة ومن منصوب على الاستثناء والمستثنى منه قوله أحد وما اسم موصول وأوتيتم صلتها والعائد محذوف والمعنى لاتصدقوا إتيان أحد من الفضائل والكمالات مثل الذى أوتيتموه إلا من تبع دينكم وأما من لم يتبعه كمحمد فلا تصدقوه وهذا الوجه و إن كان صحيحا من جهة المعنى إلا أنه مشكل من جهة الصناعة لأن فيه تقديم المستثنى على المستثنى منه ومعمول الصلة عليها (قوله والجملة اعتراض) أى بين العامل والمعمول (قوله وأن مفعول تؤمنوا) أى مع صلتها (قوله والمعنى لاتقروا الخ) إيضاحه أنهم قالوا انظروا فيمن ادعى شيئا من النبوة والفضائل والكمالات فان كان متبعا لدينكم فصدقوه و إلا فكذبوه والمناسب للمفسر أن يقول والمعنى لاتصدقوا الخ. وحاصل هذا المعنى الذى أشار له المفسر أنه ضمن تؤمنوا معنى تقروا لتكون اللام أصلية والمستثنى منه محذوف تقديره لأحد والمعنى لاتقروا ولا تعترفوا لأحد بأنه يؤتى أحد مثل الذى أوتيتموه من الفضائل والكمالات إلا لشخص تبع دينكم وهذا كله كناية عن نفى النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم وهذا المعنى صحيح من جهة العربية والمعنى، والمفسر من شدة اختصاره خلط هذا التقرير بالتقرير المتقدم وقد علمتهما (قوله أو يحاجوكم) معطوف على يؤتى والضمير عائد على أحد المتقدم وإنما جمعه لأن أحدا فى معنى الجمع والمعنى على الأول لاتصدقوا أن أحدا يحاجكم و يغلبكم عند ربكم يوم القيامة إلا لمن تبع دينكم وأما من لم يتبعه فلا حجة له عليكم وعلى الثانى لاتقروا بأن أحدا يغلبكم و يحاجكم عند ربكم إلا لمن تبع دينكم وأما غيره فلا تقروا ولا تعترفوا له بذلك

(قوله وفى قراءة أأن) وهى سبعية لابن كثير لكن بتسهيل الثانية (قوله بهمزة التوبيخ) الاستفهام التوبيخى والكلام قدتم قبل الاستفهام والمستثنى منه محذوف على كلا التقديرين المتقدمين والمعنى لاتصدقوا أحدا فى دعواه النبوة والفضائل إلا من تبع دينكم أو لاتقروا لأحد من الناس أنه على هدى وخير إلا لمن تبع دينكم وقوله ـ قل إن الهدى هدى الله ـ رد لمقالتهم وجملة الاستفهام استئنافية فالمعنى أيؤتى أحد مثل الذى أوتيتموه أو يكون له محاججة عند ربكم وجوابه لا يكون ذلك وهو استبعاد منهم لفضل الله (قوله أى أإيتاء أحد الخ) أشار بذلك إلى أن قوله أن يؤتى فى تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره تقرون به (قوله قل إن الفضل بيد الله) رد عليهم حيث استبعدوا أن الله لا يؤتى أحدا مثل ما آتاهم من الفضل والنبوة وفى الحقيقة هو رد لدعواهم من أولها إلى آخرها (قوله والله ذو الفضل العظيم) أى فيعطيه لمن يشاء (قوله ومن أهل الكتاب) شروع فى بيان قبائحهم فى أمور الدنيا بعد أن ذكر قبائحهم فى أمور الدين والجار والمجرور خبر مقدم ومن اسم موصول أو نكرة موصوفة مبتدأ مؤخر وقوله إن تأمنه ويؤده جملة شرطية إما صلة أو صفة وراعى فى إفراد الضمير فى تأمنه لفظ من ولو راعى معناها لقال تأمنهم (قوله أى بمال كثير) أشار بذلك إلى بيان شأن هذا المؤتمن وإن كان سبب النزول فى قنطار حقيقة فالمقصود بيان شرفه من جهة الأمانة فلا مفهوم للقنطار بل لو اتمن على

وفى قراءة أأن بهمزة التوبيخ أى أإيتاء أحد مثله تقرون به قال تعالى (قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) فمن أين لكم أنه لايؤتى أحد مثل ما أوتيتم (وَاللَّهُ وَاسِعٌ) كثير الفضل (عَلِيمٌ) بمن هو أهله (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ) أى بمال كثير (يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفا ومائتى أوقية ذهباً فأداها إليه (وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ) لخيانته (إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا) لاتفارقه فتى فارقته أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشى ديناراً فجحده (ذَلِكَ) أى ترك الأداء (بِأَنَّهُمْ قَالُوا) أى بسبب قولهم (لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ) أى العرب (سَبِيلٌ) أى إثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه تعالى، قال تعالى (وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) فى نسبة ذلك إليه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون (بَلَى) عليهم فيهم سبيل (مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ) الذى عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه،

قناطير متعددة لم يخنه فيها (قوله يؤده) يقرأ بالسكون وبالكسر مع الاشباع وتركه فهى ثلاث سبعيات (قوله أودعه رجل) أى قرشى (قوله بدينار) أصله دننار بنونين قلبت الأولى ياء دفعا للثقل والباء فى قوله بدينار وبقنطار بمعنى فى وهو على حذف مضاف أى فى حفظ قنطار وفى حفظ دينار ويصح أن تكون بمعنى على لتعدى الأمانة بها فى القرآن كثيرا نحو لاتأمنا على يوسف، هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل. والدينار أربعة وعشرون قيراطا والقيراط وزنه ثلاث شعيرات فوزن الدينار بالشعير اثنان وسبعون شعيرة (قوله إلا مادمت عليه قائما) مامصدرية ظرفية ودام فعل ماض والتاء اسمها وقائما خبرها والتقدير إلا مدة دوامك قائما عليه والمعنى لايؤده إليك فى حال من الأحوال إلا فى حال ملازمتك له وإشهادك عليه (قوله فجحده) أى أنكره (قوله أى بسبب قولهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالباء (قوله أى العرب) أى وغيرهم ممن ليس من أهل كتابهم (قوله لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم الخ) روى أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وجميع مافى الأرض ملك لأبينا وأولاد السيد يتصرفون فى ملك أبيهم وقيل إنهم قالوا المال لنا وظلمنا فيه العرب وقيل إنهم قالوا إن الله أباح لنا مال من خالف ديننا وادعوا أن ذلك فى التوارة. ورد أن النبى لما قالوا ذلك قال كذبوا مامن شىء إلا وهو تحت قدمى يعنى منسوخ ماعدا الأمانة فانها مؤداة للبر والفاجر (قوله وهم يعلمون) هذا بالنسبة لعلمائهم وماعداهم مقلدون لهم فى ذلك (قوله بلى) إضراب إبطالى وهو مغن عن جملة قدرها المفسر بقوله عليهم فيهم سبيل (قوله من أوفى بعهده) جملة مستأنفة مؤكدة للابطال الأول (قوله الذى عاهد الله عليه) أى فهو من إضافة المصدر لفاعله وقوله أو بعهد الله إليه أى فهو من اضافة المصدر لمفعوله فكل من العبد والمولى معاهد ومعاهد فعهد الله للعبد إثابته وعهد العبد لمولاه عدم مخالفته له

من أداء الأمانة وغيره (وَاتَّقَى) الله بترك المعاصى وعمل الطاعات (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر أى يحبهم بمعنى يثيبهم . ونزل فى اليهود لما بدلوا نعت النبى وعهد الله إليهم فى التوراة أو فيمن حلف كاذبا فى دعوى أو فى بيع سلعة (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ) يستبدلون (بِعَهْدِ اللَّهِ) إليهم فى الإيمان بالنبى وأداء الأمانة (وَأَيْمَانِهِمْ) حلفهم به تعالى كاذبين (ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا (أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ) نصيب (لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ) غضبا عليهم (وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) يرحمهم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ) يطهرهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَإِنَّ مِنْهُمْ) أى أهل الكتاب (لَفَرِيقًا) طائفة ككعب بن الأشرف (يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ) أى يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبى ونحوه (لِتَحْسَبُوهُ) أى المحرف (مِنَ الْكِتَابِ) الذى أنزله الله (وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون . ونزل لما قال نصارى نجران : إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا ، أولما طلب بعض المسلمين السجود له صلى الله عليه وسلم : (مَا كَانَ) ينبغى (لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ) أى الفهم للشريعة (وَالنُّبُوَّةَ ،

(قوله من أداء الأمانة الخ) ورد فى الحديث «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه واحدة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان و إذا حدث كذب و إذا وعد أخلف و إذا عاهد غدر و إذا خاصم فجر» (قوله فيه وضع الظاهر موضع المضمر) أى وكان مقتضى الظاهر أن يقول فان الله يحبه وفيه أيضا مراعاة معنى من (قوله لما بدلوا الخ) شروع فى سبب نزول الآية وقد ذكره على ثلاثة أوجه (قوله نعت النبى) من الجماعة الذين بدلوا نعته حيى بن أخطب وكعب بن الأشرف (قوله فى دعوى) أى كانت بين رجلين فى بئر أحدهما الأشعث بن قيس فاختصما إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقال الأشعث بن قيس إذا يحلف كاذبا ولا يبالى وقوله أو بيع سلعة أى فيمن أراد بيعها وحلف لقد أعطى فيها كذا كاذبا (قوله بعهد الله) الباء داخلة على المتروك أى يتركون الوفاء به فى نظير الثمن القليل (قوله أولئك لا خلاق لهم) أى فهم مخلدون فى النار إن استحلوا ذلك (قوله ولا يكلمهم الله) إن قلت إن قوله تعالى فى سورة المؤمنون قال ـ اخسئوا فيها ولا تكلمون ـ الآية يقتضى أن الله يقع منه كلام لهم فكيف الجمع بين الآيتين . أجيب بأن قوله تعالى ـ ولا يكلمهم الله أى كلام رضا فلا ينافى أنه يكلمهم كلام غضب أولا يكلمهم أصلا وآيات الكلام على لسان الملائكة و يشهد لذلك قوله تعالى ـ ونادوا يامالك ليقض علينا ربك ـ (قوله ولا ينظر إليهم) أى نظر رحمة وإلا فهو ناظر لكل شىء (قوله يطهرهم) أى من الذنوب ولا يثنى عليهم وهذا استخفاف بهم (قوله و إن منهم لفريقا) هذا من جملة قبائحهم وتلبيساتهم وأكدت الجملة بإن واللام اشارة إلى أن ذلك محقق منهم (قوله ككعب بن الأشرف) أدخلت الكاف مالك بن الصيف وحيى بن أخطب وأبى بن ياسر وشعبة ابن عمرو الشاعر (قوله يلوون ألسنتهم) فى محل نصب صفة لفريقا وقوله منهم متعلق بمحذوف خبر إن وراعى فى الجمع معنى فريقا لأنه اسم جمع كرهط وقوم قال بعضهم يجوز ثم مراعاة اللفظ، وألسنتهم جمع لسان وهذا على أنه مذكر وأما على أنه مؤنث فهو جمع لألسن كذراع وأذرع والمراد من الألسنة الكلام ففيه إطلاق الشىء على آلته والباء فى بالكتاب بمعنى فى أى يلفتون ألسنتهم فى حال قراءة الكتاب (قوله أى يعطفونها) أى يلفتونها (قوله عن المنزل) متعلق بيعطفونها وكذا قوله إلى ماحرفوه وقوله من نعت النبى بيان لما (قوله ونحوه) أى كآية الرجم وغيرها مما يشهد للنبى بالتصديق (قوله لتحسبوه) أى أيها المؤمنون فالمقصود من ذلك إدخال اللبس على المؤمنين (قوله من الكتاب) فى محل نصب مفعول ثان لتحسبوه والهاء مفعول أول (قوله وماهو من الكتاب) أى لا فى الواقع ولا فى اعتقادهم وأظهر فى محل الاضمار فى الموضعين زيادة فى التبكيت عليهم (قوله وهم يعلمون) الواو للحال وقوله أنهم كاذبون اشارة إلى مفعول يعلمون (قوله ونزل لما قال نصارى نجران) أى حين قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم فالمراد بالبشر على هذا هو عيسى و بالكتاب الانجيل وقوله أولما طلب بعض المسلمين الخ أو لتنويع الخلاف فالمراد بالبشر على ذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم و بالكتاب القرآن وآخر الآية يؤيد هذا السبب (قوله ما كان الخ) هذه الصيغة يؤتى بها للنفى العام الذى لا يجوز عقلا ثبوته وهو المراد هنا

وكذلك قوله تعالى ـ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ـ أى لا يمكن ولا يتصور عقلا صدور دعوى الألوهية من نبيّ قط ويؤتى بها للنفي الخاص كقول أبي بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدّم في الصلاة بين يدى رسول الله أى ماينبغى له ذلك فقول المفسر ينبغى أى يمكن وقد فسره المحلى في سورة يسۤ في قوله تعالى ـ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ـ بذلك (قوله ثم يقول) معطوف على يؤتى وهذا العطف لازم يتوقف صحة المعنى عليه لأن مصب النفى المعطوف والمعطوف عليه (قوله للناس) أى أمة محمد على الثانى ونصارى نجران على الأول (قوله من دون الله) أى من غير أن يقصرهم على الله بأن يشرك نفسه مع الله في العبادة أو يفرد نفسه بالعبادة وهذه الجملة حال من الواو في كونوا : أى حال كونكم متجاوزين الله إشراكا أو إفرادا (قوله ولكن) استدراك على ماتقدم (قوله بزيادة ألف ونون) أى كرقبانى وشعرانى ولحيانى وقوله تفخيما أى للمبالغة (قوله بما كنتم) الباء سببية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان فالعلم سبب للعمل فقبيح على العالم تركه العمل وأقبح منه أن يرشد الناس ويهديهم مع كونه غير مهتد في نفسه ، قال بعضهم : وعالم بعلمه لن يعملن معذب من قبل عباد الوثن

فمثل العالم الذى يعلم الناس وهو غير عامل كشمعة موقودة تضىء للناس وتحرق نفسها ، وفى هذا المعنى قال بعضهم :

أتنهى الأناس ولا تنتهى متى تلحق القوم يا لكع

ويا حجر السنّ ماتستحى تسنّ الحديد ولا تقطع

(قوله أى الله) أشار بذلك إلى أن فاعل يأمر ضمير مستتر عائد على الله (قوله عطفا على يقول) أى لأنه في حيز النفى وتكون لازائدة لتأكيد النفى والمعنى لايمكن لبشر أن يأمر بعبادة الناس له ولا بعبادة الملائكة والنبيين وقوله أى البشر

ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ) يقول (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ) علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيما (بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) بالتخفيف والتشديد (الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) أى بسبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا (وَلَا يَأْمُرَكُمْ) بالرفع استئنافا، أى الله . والنصب عطفا على يقول أى البشر (أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً) كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى (أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) لاينبغى له هذا (وَ) اذكر (إِذْ) حين (أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ)

أى ففاعله ضمير يعود على البشر ولا يصح كون الفاعل ضميرا يعود على الله (قوله أربابا) أى بل نحبهم ونعتقد أنهم عبيد مكرمون لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون لايضرون ولا ينفعون فنتوسل بهم إلى الله لذلك لا لكونهم أربابا (قوله كما اتخذت الصابئة الخ) هم فرقة من اليهود صبأوا بمعنى مالوا عن دين موسى إلى عبادة الملائكة وقالوا إنهم بنات الله (قوله واليهود عزيرا) أى حيث رأوه يحفظ التوراة (قوله والنصارى عيسى) أى حيث رأوه جاء من غير أب ويحيى الموتى (قوله لاينبغى له هذا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى تعجبى نظير قوله تعالى ـ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ـ (قوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين) إذ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والمراد ذكر العهد نفسه لاذكر وقته . والميثاق هو عهد مؤكد باليمين . واختلف فيه هل كان ذلك فى عالم الذر وعليه يكون قوله آتيتكم من كتاب وحكمة فى عالم الأشباح فالمعاهدة لما يأتى أوكان ذلك فى عالم الأشباح وكانت تلك المعاهدة تنزل فى كتبهم وعليه تكون المعاهدة فى الحالة الراهنة . واختلف فى الرسول المعاهد عليه فى جميع الأنبياء فذهب جماعة من الصحابة والتابعين منهم سعيد بن جبير وطاوس إلى أن كلّ نبي يعاهد على من يأتى بعده من الأنبياء فأخذ العهد على آدم إن جاءه رسول مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه وكذلك شيث أخذ عليه العهد وهكذا إلى إبراهيم إلى موسى إلى بقية أنبياء بنى إسرائيل إلى عيسى فهو صلى الله عليه وسلم معاهد عليه مع كل نبى فى عموم الأنبياء ومع عيسى عوهد عليه بالخصوص وهى حكمة قوله تعالى ـ ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ـ وذهب جماعة أخرى من الصحابة منهم ابن عباس وعلى بن أبى طالب والسدى وقتادة إلى أن المراد بالرسول المعاهد عليه هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأخذ الله العهد على كل نبى بانفراده لئن جاءه محمد وهو حى مصدق لما معه ليؤمنن به ولينصرنه وعليه فلو ظهر محمد فى زمن أىّ نبى من الأنبياء لبطل شرع ذلك النبى وكان هو وأمته من أتباعه واقتصر على هذا القول المفسر . قال السبكى يؤخذ من الآية على هذا التفسير أنه نبى الأنبياء وأن الأنبياء نوّابه والحكمة فى تلك المعاهدة ارتباط أولهم بآخرهم و بيان عصمتهم من داء الحسد وظهور الحسد من الأمم التى تكفر بالرسول المبعوث .

عهدهم (لَمَا) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذى فى أخذ الميثاق ، وكسرها متعلقة بأخذ وما موصولة على الوجهين أى للذى (آتَيْتُكُمْ) إياه ، وفى قراءة آتيناكم (مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ) من الكتاب والحكمة ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) جواب القسم إن أدركتموه وأممهم تبع لهم فى ذلك (قَالَ) تعالى لهم (ءَأَقْرَرْتُمْ) بذلك (وَأَخَذْتُمْ) قبلتم (عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي) عهدى (قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا) على أنفسكم وأتباعكم بذلك (وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) عليكم وعليهم (فَمَنْ تَوَلَّى) أعرض (بَعْدَ ذَٰلِكَ) الميثاق (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ) بالياء أى المتولون والتاء . (وَلَهُ أَسْلَمَ) انقاد (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا) بلا إباء (وَكَرْهًا) بالسيف ومعاينة ما يلجئ إليه (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء والهمزة للانكار (قُلْ) لهم يا محمد (آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) أولاده (وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ)

(قوله وتوكيد معنى القسم) أى مؤكدة لليمين المأخوذ من الميثاق فانه تقدّم أن معنى الميثاق عهد مؤكد بيمين (قوله متعلقة بأخذ) أى على أنها للتعليل مع حذف المضاف أى لرعاية وحفظ ما آتيتكم (قوله وما موصولة) على الوجهين وهى على الأول مبتدأ وآتيتكم صلتها وقوله من كتاب بيان لما وحكمة معطوف على كتاب وقوله ثم جاءكم معطوف على آتيتكم ومصدق صفة لرسول وقوله لتؤمنن به جواب القسم وخبر المبتدأ محذوف تقديره تؤمنون به وتنصرونه والضميران فى لتؤمنن به ولتنصرنه راجعان للرسول. واستشكل عود الضمير على الرسول مع أن المبتدإ فى الحقيقة الكتاب والحكمة وانظرما الجواب (قوله أأقررتم) بتخفيف الهمزتين بألف بينهما وتركها وتسهيل الثانية بألف وبدونها ، بابدال الثانية ألفا فالقراءات خمس (قوله عهدى) سمى العهد بالإصر لأن فيه مشقة (قوله قالوا أقررنا) جواب عن سؤال تقديره ماذا قالوا حينئذ وثمرة المعاهدة على محمد مع علم الله أنه لايأتى فى زمن نبى من الأنبياء الثواب على العزم بالاتباع والعقاب على العزم بعدم الايمان لجميع الأنبياء يثابون على الايمان بمحمد ومن عزم على عدم الايمان به لوظهر عوقب (قوله فمن تولى بعد ذلك) إن قلت إن الأنبياء معصومون من ذلك . أجيب بأن الشرطية لاتقتضى الوقوع أوخطاب لهم والمراد أممهم (قوله أفغير دين الله يبغون) هذا رد على اليهود والنصارى حيث ادّعى كلّ دين إبراهيم واختصموا إلى النبي فقال النبي كلا الفريقين برىء من دين إبراهيم، والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا فغير دين الله يبغون (قوله وله أسلم) جملة حالية (قوله طوعا) راجع لجميع أهل السماء وبعض أهل الأرض وقوله وكرها راجع لبعض أهل الأرض فطوعا وكرها مصدران فى موضع الحال والتقدير طائعين وكارهين (قوله ومعاينة ما يلجئ إليه) أى إلى الاسلام كنتق الجبل وإدراك فرعون وقومه الغرق قال تعالى ـ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده ـ الآية (قوله والهمزة للانكار) أى التوبيخى وقدم المفعول لأن المقصود إنكاره بالتصديق (قوله قل آمنا) لما تقدم أن الله أمر الأنبياء بالايمان بمحمد على أرجح التفسيرين ذكر هنا أمره بالايمان وأفرد فى قوله قل وجمع فى قوله آمنا لأن النبي هو المخاطب بالوحى والتبليغ فقط وأما الايمان فمخاطب به هو وأتباعه (قوله بالله) أى صدقنا بأن الله متصف بكل كمال ومستحيل عليه كل نقص (قوله وما أنزل علينا) أى وهو القرآن وعبرهنا بعلى وفى سورة البقرة بالى لأن مادّة النزول تتعدى بهما غير أنه بالنظر للمبدإ يعدى بعلى كما هنا لأن المخاطب بذلك هو الموحى إليه وهو محمد والأنبياء بعده وبالنظر للمنتهى كما فى البقرة يعدى بالى لأن المأمور بذلك الأمم (قوله وما أنزل على إبراهيم) إنما صرح بأسماء هؤلاء لأن أهل الكتاب يعترفون بكتبهم ونبوّتهم (قوله وإسماعيل الخ) أى وما أنزل على هؤلاء من الوحى وكانوا يتعبدون بشرع إبراهيم بوحى من الله، وإسماعيل أبو العرب وإسحاق أبو الأعجم ويعقوب بن إسحق والأسباط أولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر رجلا يوسف وإخوته، ويؤخذ من الآية أنهم أنبياء يجب الايمان بهم وهو المعتمد وما يأتى فى سورة يوسف من الوقائع العظيمة الموهمة عدم عصمتهم فمؤول بأنهم مأمورون بذلك باطنا من حضرة الله كأفعال الخضر عليه السلام قال تعالى فى حقه ـ وما فعلته عن أمرى ـ ويقال فيهم ما قيل فيه بالأولى فان المعتمد أن الخضر ليس بنبي والأسباط أنبياء على المعتمد وموافقة ظاهر الشرع إنما تلزم الرسول المشرع فتأمل (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب فهم أسباط لإبراهيم بمعنى أولاد بنيه لا بالمعنى المصطلح عليه وهو أولاد البنت (قوله وما أوتى موسى وعيسى) أى التوراة والانجيل ومعجزاتهما (قوله والنبيون) عطف عام على خاص

أى تجب الإيمان بالنبيين عموما إجمالا فى الاجمالى وتفصيلا فى التفصيلى فيجب الايمان تفصيلا بخمسة وعشرين نبيا ثمانية عشر فى سورة الأنعام ومحمد وآدم وهود وصالح وشعيب و إدريس وذوالكفل من أنكر أى واحد منهم بعد علمه فقد كفر ويجب الإيمان الاجمالى بما عدا هؤلاء ولايعلم عدّتهم إلا الله (قوله بالتصديق والتكذيب) أى بالتصديق لبعض والتكذيب للبعض الآخر كما فعلت اليهود والنصارى (قوله مخلصون فى العبادة) أشار بذلك إلى أن المراد بالاسلام هنا حقيقته وهو الانقياد الظاهرى (قوله فيمن ارتد) أى وهم اثناعشر أسلموا بالمدينة ولحقوا بأهل الكفر فى مكة منهم الحرث بن سويد الأنصارى ولكنه أسلم بعد ذلك (قوله ومن يبتغ غير الاسلام) اعلم أن جمهور السبعة على الفك لوجود الفاصل الحكمى وهو الياء التى حذفها الجازم لأن المحذوف علة كالثابت وقرأ أبوعمرو فى أحد وجهيه بالادغام نظرا للصورة الظاهرية ونظيره فى القرآن كل مثلين بينهما فاصل حكمى ففيه الوجهان نحو: يخل لكم وجه أبيكم، وإن يك كاذبا، ومن اسم شرط و يبتغ فعله وغير مفعول ودينا تمييز لغير أو بدل منه أو مفعول وغير حال لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله فلن يقبل منه) أى ولايقرّ عليه (قوله كيف) استفهام إنكارى بمعنى النفى كما يشير له المفسر بقوله أى لايهدى وقيل إنه استبعادى أى فهداهم مستبعد قال العارف البوصيرى :

بالتصديق والتكذيب (وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) مخلصون فى العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) لمصيره إلى النار المؤبدة عليه (كَيْفَ) أى لا (يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا) أى وشهادتهم (أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَ) قد (جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) الحجج الظاهرات على صدق النبى (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) أى الكافرين (أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. خَالِدِينَ فِيهَا) أى اللعنة أو النار المدلول بها عليها (لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم. ونزل فى اليهود (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعيسى (بَعْدَ إِيمَانِهِمْ) بموسى (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً) بمحمد (لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ) إذا غرغروا وماتوا كفارا (وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ) مقدار ما يملؤها (ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ) أدخل الفاء فى خبر إنّ لشبه الذين بالشرط وإيذانا بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منه (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ) أى ثوابه وهو الجنة (حَتَّى تُنْفِقُوا) تصدقوا (مِمَّا تُحِبُّونَ)،

وإذا البينات لم تغن شيئا
فالتماس الهدى بهن عناء

(قوله أى وشهادتهم) أشار بذلك إلى أن الفعل مؤول باسم لصحة عطفه على الاسم الذى هو الايمان (قوله والناس أجمعين) أى حتى أهل النار فى النار قال تعالى - كلما دخلت أمة لعنت أختها - (قوله أى اللعنة) أى ومن لوازمها الخلود فى النار وقوله المدلول بها أى باللعنة وقوله عليها أى على النار (قوله إلا الذين تابوا) أى كالحرث بن سويد فانه لما ارتد وذهب لمكة مع الكفار وأراد الله له بالهدى بعث لأخ له بالمدينة وكان مسلما يقول له: أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى إذا تبت هل أقبل؟ فأخبر رسول الله بذلك فنزلت هذه الآية فبعثها له بمكة فأتى طائعا وأسلم وحسن إسلامه. وهذا شروع فى تقسيم الكفار إلى ثلاثة أقسام: قسم منهم كفر ولم يعد، وقسم كفر ثم عاد للاسلام ظاهرا فقط، وقسم كفر ثم أسلم ظاهرا وباطنا (قوله من بعد ذلك) أى الكفر (قوله رحيم بهم) أى حيث قبل توبتهم (قوله بعيسى) أى والانجيل وقوله بموسى أى والتوراة وقوله بمحمد أى والقرآن (قوله إذا غرغروا) أشار بذلك إلى أن الآية مقيدة بذلك وهذا فى الكافر، وأما العاصى فتقبل منه عند الغرغرة (قوله أوماتوا كفارا) أى بأن تابوا عند معاينة العذاب (قوله ملء الأرض) أى مشرقها ومغربها (قوله ذهبا) تمييز وخصه بالذكر لأنه أحسن الأموال وأغلاها (قوله ولوافتدى به) أى هذا إذا تصدّق به بل ولو افتداء أهله به فالصدقة لاتنفعه منه أومن غيره لأجله (قوله لن تنالوا البرّ) لما ذكر أن صدقة الكافر لاتنفعه ذكر هنا أن صدقة المسلم وجميع طاعاته تنفعه (قوله أى ثوابه) أى البرّ أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف (قوله تصدّقوا) بحذف إحدى التاءين على التخفيف أو بدون حذف على التشديد بقلب إحدى التاءين صادا وإدغامها فى الصاد.

(قوله من أموالكم) أى وغيرها من الأنفس والجاه (قوله فإن الله به عليم) هذه الجملة فى محل الجواب أى فحيث كان عليما بذلك لايضيع من جزائه شئ وقد أشار لذلك المفسر بقوله فيجازى عليه (قوله ونزل لما قال اليهود الخ) أى سبب نزولها قول اليهود ماذكر (قوله وكان لايأكل لحوم الابل) أى زعموا أن ماذكر حرام على إبراهيم فلوكنت على ملته لما كان ذلك حلا لك فرد الله عليهم زعمهم (قوله كل الطعام) أى الذى هو حلال فى شرعنا فما هوحلال فى شرعنا كان حلالا فى شرعه (قوله حلالا) أشار بذلك إلى أنه يقال حل وحلال وكذلك حرم وحرام (قوله إلا ماحرم إسرائيل) معناه بالعربية عبدالله وهو اسمه ويعقوب لقبه (قوله عرق النسا) أى وهو عرق ينفر فى باطن الفخذ يعجز صاحبه وورد فى دوائه عن أنس « عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه يؤتى بكبش عربى ويذبح ويؤخذ أليته وتقطع ثم تسلى بالنار ثم يؤخذ ذلك ويقسم ثلاثة أجزاء ويشرب كل جزء على الريق قال أنس فمازلت أصف ذلك لمن نزل به فشفى به أكثر من مائة » (قوله فنذر إن شفى لايأكلها) أى وكان لحمها أحب المأكول إليه ولبنها أحب المشروب إليه ومثل هذا النذر لايلزم فى شرعنا لأن النذر إنما يلزم به ماندب وترك ماذكر ليس مندوبا (قوله لحرم عليه) قيل حرمت أيضا على أولاده تبعا له وقيل هو حرمها على نفسه وعلى ذريته

من أموالكم (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) فيجازى عليه . ونزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لايأكل لحوم الإبل وألبانها (كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا) حلالاً (لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ) يعقوب (عَلَى نَفْسِهِ) وهو الإبل لما حصل له عرق النسا بالفتح والقصر فنذر إن شفى لا يأكلها لحرم عليه (مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ) وذلك بعد إبراهيم ولم تكن على عهده حرامًا كما زعموا (قُلْ) لهم (فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا) ليتبين صدق قولكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه فبهتوا ولم يأتوا بها ، قال تعالى (فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ) أى ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لاعلى عهد إبراهيم (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) المتجاوزون الحق إلى الباطل (قُلْ صَدَقَ اللَّهُ) فى هذا كجميع ما أخبر به (فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) التى أنا عليها (حَنِيفًا) مائلا عن كل دين إلى الإسلام (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) . ونزل لما قالوا : قبلتنا قبل قبلتكم (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ) متعبدا (لِلنَّاسِ) فى الأرض (لَلَّذِي بِبَكَّةَ) بالباء لغة فى مكة سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما فى حديث الصحيحين ، وفى الحديث أنه أول ماظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته (مُبَارَكًا) حال من الذى أى ذا بركة (وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)

(قوله من قبل) ظرف متعلق بحلا مع ملاحظة الاستثناء ويحتمل أنه متعلق بقوله إلا ماحرم (قوله وذلك بعد إبراهيم) أى بألف سنة (قوله صدق قولكم) أى إخباركم عنه بأن ماذكر حرام عليه (قوله فبهتوا) من باب علم أو نصر أوكرم أوزهى ، والمعنى دهشوا وتحيروا وانقطعت حجتهم (قوله فمن افترى على الله الكذب) أى اختلقه من عند نفسه (قوله بأن التحريم) أى لخصوص لحوم الابل وألبانها

(قوله قل صدق الله) أى ثبت وتقرر صدقه وظهر كذبكم لأنه (قوله كجميع ماأخبر به) أى كصدقه فى جميع أخباره التى جاءت بها الرسل (قوله التى أنا عليها) أى وجميع المؤمنين (قوله وما كان من المشركين) تعريض لهم بأنهم هم المشركون وبيان أن النبى على ملة إبراهيم من حيث السهولة وأصول الدين (قوله ونزل لما قالوا الخ) أى حين حولت القبلة قالوا لم تحولت عن قبلتنا مع كونها أقدم وأفضل (قوله لغة فى مكة) أى فأبدلت الميم باء (قوله لأنها تبك أعناق الجبابرة) أى وسميت مكة لأنها من المك وهو الازالة فانها تزيل الذنوب ونحوها (قوله بناه الملائكة) ورد « أن الله لما خلق البيت المعمور وكانت ملائكة السماء تطوف به اشتاقت ملائكة الأرض لبيت مثله فأمرهم ببناء بيت محاذ للبيت الذى فى السماء وكان من درة بيضاء وطافت به قبل آدم ألفى سنة » (قوله ووضع بعده) أى بعد بنائه ظاهره أنه وضع بعد بناء الملائكة بأربعين سنة فيكون من وضع الملائكة ويكون متقدما على آدم وليس كذلك بل الحق أن بيت المقدس وضعه آدم بعد بنائه هو البيت الحرام بأربعين سنة (قوله زبدة) بالتحريك رغوة بيضاء (قوله ذا بركة) أى من حيث الحج به وتكفير السيئات لمن دخله بذل وانكسار .

لأنه قبلتهم (فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ) منها (مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ) أى الحجر الذى قام عليه عند بناء البيت فأثر قدماه فيه و بقى إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدى عليـــه ومنها تضعيف الحسنات فيه وأن الطير لا يعلوه (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ) واجب ، بكسر الحاء وفتحها لغتان فى مصدر حج بمعنى قصد ، ويبدل من الناس(مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) طريقاً فسره صلى الله عليه وسلم بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره (وَمَنْ كَفَرَ) بالله أو بما فرضه من الحج (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَاتَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه (قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ) تصرفون (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى دينه (مَنْ آمَنَ) بتكذيبكم النبى وكتم نعته (تَبْغُونَهَا) أى تطلبون السبيل (عِوَجًا) مصدر بمعنى معوجة ، أى مائلة عن الحق (وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ) عالمون بأن الدين المرضى القيم هو دين الإسلام كما فى كتابكم(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) من الكفر والتكذيب و إنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم . ونزل لما مر بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تألفهم ،

(قوله لأنه قبلتهم) أى يتوجهون إليه عند الصلاة وعموم الآية يشهد بأنه قبلة حتى للجمادات ، ولذلك ترى الأشجار عند انحنائها تكون لجهته (قوله و بقى إلى الآن) أشار بذلك إلى أن فى الحجر آيتين غوص قدمى إبراهيم فيه وصعوده به ونزوله به وكونه باقيا إلى الآن (قوله تضعيف الحسنات فيه) أى فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة (قوله وأن الطير لايعلوه) أى لايمر على ظهره إلا إذا كان بالطير مرض فيمر ليشتفى بهوائه (قوله بقتل) أى ولو قصاصا هذا ما كان فى الجاهلية فكان الرجل يقتل و يدخله فلا يتعرض له مادام فيه ، وأما بعد الإسلام فعند مالك والشافعى إن قتل اقتص منه فيه ، وعند أبى حنيفة لايقتص منه فيه مادام فيه و إنما يضيق عليه حتى يخرج وهذا هو الأمن فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فبتكفير السيآت ومضاعفة الحسنات (قوله ولله على الناس) خبر مقدم وحج البيت مبتدأ مؤخر. والحج لغة القصد واصطلاحا عبادة يلزمها طواف بالبيت سبعا وسعى بين الصفا والمروة كذلك ووقوف بعرفة ليلة عاشر ذى الحجة على وجه مخصوص وهو فرض عين فى العمر مرة وواجب كفاية كل عام إن قصد إقامة للموسم ومندوب إن لم يقصد ذلك (قوله لغتان) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله و يبدل من الناس) أى بدل بعض من كل والعائد محذوف تقديره منهم (قوله من استطاع إليه سبيلا) أى على سبيل العادة فلا يجب بطيران ولا خطوة لكن لو فعل سقط الفرض، وأما المشى فيجب به عند مالك إن قدر عليه (قوله ومن كفر بالله) أى أنكر وحدانيته أوجحد شيئا من أحكامه ، وقوله أو بما فرضه تفسير ثان (قوله فان الله غنى عن العالمين) أى فلا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم قال تعالى ــ فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد (قوله قل ياأهل الكتاب) أى اليهود والنصارى وخصهم بالذكر لأن كفرهم محض عناد (قوله القرآن) أى وما ألحق به من المعجزات الباهرة (قوله على ماتعملون) أى من الكفر (قوله تصرفون) أى تمنعون (قوله أى دينه) أى المعتدل (قوله من آمن) يحتمل أن المعنى من آمن بالفعل تسعون فى رده عن الايمان إلى الكفر ، ويحتمل أن المراد من أراد الايمان تصدوه عن كونه يؤمن بالله (قوله تبغونها) الجملة حالية من الواو فى تصدون (قوله عوجا) هو بكسر العين فى المعانى و بفتحها فى الأجسام ، يقال اعوجت الطريق واعوجت الحائط بمعنى قام بالأول العوج بالكسر و بالثانى العوج بالفتح ، والمعنى تتركون السبيل المعتدلة وتطلبون السبيل المعوجة . قال تعالى ــ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين ــ (قوله مصدر) أى حال من ضمير تبغونها (قوله وأنتم شهداء) الجملة حالية من الواو فى تبغونها (قوله كما فى كتابكم) المراد به الجنس الصادق بالتوراة والانجيل (قوله وما الله بغافل عما تعملون) دفع بذلك توهم أن الله حيث أمهلهم فهو غافل عنهم ، وقال تعالى أيضا ــ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ــ الآيات (قوله من الكفر الخ) بيان لما (قوله ونزل لما مر بعض اليهود) أى واسمه شاس (قوله فغاظه تألفهم) أى تودّدهم ومحبة بعضهم لبعض بعد أن كان ما كان بينهم من الشحناء والبغضاء .

(قوله فذكرهم) ورد أنه كان معه شاب يهودى ، فقال له اذهب إلى بنى قيلة هؤلاء وقل لهم أتذكرون يوم بعاث واذكر لهم ماتناشدوه بينهم من الأشعار التى فيها الهجو لبعضهم بعضا ، وكان يوم بعاث عظيما فى اقتتال الأوس والخزرج وكانت الغلبة فيه للخزرج ، فذهب ففعل كما أمره فقالوا السلاح السلاح فنزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم بالآيات إلى قوله ـ لعلكم تهتدون ـ فخرج النبى مع بعض أصحابه فوجدهم فى الصحراء مصطفين للقتال فقال . يامعشر المسلمين أتدعون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم إصر الجاهلية وألف بين قلوبكم وقرأ عليهم الآيات فعلموا أنها نزغة من عدوهم فألقوا السلاح وصار يعانق بعضهم بعضا . قال جابر بن عبدالله : مارأيت يوما أشأم منه ولاأسر منه كان أوله شؤما وآخره سرورا (قوله فريقا) هو شاس وأتباعه (قوله يردوكم) أى يصيروكم فالكاف مفعول أول وكافرين مفعول ثان فرد تنصب مفعولين كقول الشاعر :

فرد وجوههن البيض سودا ... ورد شعورهن السود بيضا

(قوله وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله) هاتان الجملتان حالان ، والمعنى كيف يحصل منكم الكفر والحال أنكم تتلى عليكم آيات الله : أى القرآن وفيكم رسوله محمد فهذا الأمر مستبعد أيكون بعد تمام الهدى الكفر والضلال (قوله إلى صراط مستقيم) أى دين قيم لاعوجاج فيه وهو دين الاسلام (قوله حق تقاته) صفة لمصدر محذوف : أى تقوى

فذكرهم بما كان بينهم فى الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ . وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ) استفهام تعجيب وتوبيخ (وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ) يتمسك (بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) بأن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى فقالوا يارسول الله ومن يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » (وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) موحدون (وَاعْتَصِمُوا) تمسكوا (بِحَبْلِ اللهِ) أى دينه (جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) بعد الإسلام (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ) إنعامه (عَلَيْكُمْ) يا معشر الأوس والخزرج (إِذْ كُنْتُمْ) قبل الإسلام (أَعْدَاءً فَأَلَّفَ) جمع (بَيْنَ قُلُوبِكُمْ) بالإسلام (فَأَصْبَحْتُمْ) فصرتم (بِنِعْمَتِهِ) إخوانا)

حق تقاته (قوله بأن يطاع الخ) تصوير للتقوى حق التقوى وهذه أخلاق الأنبياء والمرسلين لعصمتهم وتكون لخواص عباد الله الذين على قدم الأنبياء ، ولذلك قال بعض العارفين

ولو خطرت لى فى سواك إرادة ... على خاطرى يوما حكمت بردتى

ولكن ليس معنى ذلك أنه يكون كافرا يستحق الخلود فى النار بل هذا لسان محب عاشق وردته نقصه عن مرتبة حبه إلى مرتبة أدنى منها فى الحب ، وأما القرآن فنزل على أخلاق العوام لتعليمهم مايحتاجون إليه من أمر الدين فنسخ الآية من حيث التكليف بهذا المعنى على سبيل الوجوب ، وأما الرقى لتلك المراتب فمما يتنافس فيه المتنافسون على سبيل التطوع والتقرب فتدبر (قوله فنسخ بقوله الخ) أى فيقال فى قوله بأن يطاع بحسب الطاقة ، وقوله فلايعصى يعنى أصلا وكذا قوله ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ويناسب الناسخة قوله تعالى ـ إن الله يحب التوابين ـ وقيل إن الآية ليست منسوخة بل آية فاتقوا الله ما استطعتم مبينة للمراد منها (قوله ولا تموتن) أى يابنى قيلة الأوس والخزرج (قوله إلا وأنتم مسلمون) أى فلا يكن منكم موت على حالة دون حالة الإسلام ، والمعنى دوموا على الاسلام إلى الممات ولاتغيروا ولاتبدلوا لئلايصادفكم الموت فى حالة التغيير. قال المفسر فى بعض كتبه وماشاع من تفسير قوله تعالى ـ إلاوأنتم مسلمون ـ متزوجون فهو باطل لاأصل له ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى ، وخص حالة الموت بذلك لأن ثمرة الأعمال تظهر فى تلك الحالة والمدار عليها (قوله واعتصموا بحبل الله) أى حين الدخول فى الاسلام وقوله ولاتفرقوا : أى فدوموا على الاجتماع ولا يكن منكم تفرقة (قوله أى دينه) أى أو القرآن وفى الكلام استعارة حيث شبه الدين أو القرآن بالحبل واستعير اسم المشبه به وهو الحبل للمشبه وهو الدين أو القرآن على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية والجامع بينهما التوصل للمقصود فى كل و إضافته للفظ الجلالة قرينة مانعة والاعتصام ترشيح وفيه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الوثوق بالاعتصام واستعار الاعتصام للوثوق واشتق من الاعتصام اعتصموا بمعنى ثقوا .

(قوله إخوانا) خبر ثان لأصبحتم وقوله والولاية أى النصرة أى ينصر بعضكم بعضا (قوله يبين الله لكم آياته) اى يزيدكم بيانا مادام رسول الله فيكم (قوله لعلكم تهتدون) أى تدومون على الهداية وتزيدون فيها (قوله ولتكن منكم أمة) يحتمل أنها ناقصة وأمة اسمها ويدعون خبرها ومنكم إما ظرف لغو متعلق بتكن أو حال من أمة أو من الواو فى يدعون أو تامة وأمة فاعلها وجملة يدعون صفة لأمة ومنكم حال أو متعلق بتكن (قوله يدعون إلى الخير) مفعوله هو ومابعده من يأمرون وينهون محذوف تقديره الناس (قوله الاسلام) إنما قصره عليه لأنه رأس الأمور ولأجل قوله بعد ويأمرون بالمعروف (قوله بالمعروف) المراد به ماطلبه الشارع إما على سبيل الوجوب كالصلوات الخمس وبر الوالدين وصلة الرحم ، أو الندب كالنوافل وصدقات التطوع ، وقوله عن المنكر المراد به مانهى عنه الشارع إما على سبيل الحرمة كالزنا والقتل والسرقة أو على سبيل الكراهة (قوله ومن للتبعيض) أى بناء على أن المخاطب بفرض الكفاية بعض غير معين أو معين فى علم الله (قوله كالجاهل) أى فلا يأمر ولاينهى لأنه ربما أمر بمنكر أونهى عن معروف لعدم علمه بذلك (قوله وقيل زائدة) أى بناء على أن المخاطب بفرض الكفاية الجميع ويسقط بفعل بعضهم (قوله أى لتكونوا أمة) أى دعاة للخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر (قوله وهم اليهود والنصارى) أى فافترقت اليهود إحدى وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار والنصارى اثنين وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة واحدة ناجية والباقون فى النار وهذا التفرق من بعد الصحابة فالناجى من كان على قدم النبى وأصحابه ويختلف فى كل زمن بالقلة والكثرة ففى الصدر الأول كانوا ظاهرين أقوياء وكلما تقادم الزمان ازدادوا فى الاختفاء لكن لا تنقطع الفرقة الناجية مادام القرآن موجودا قال الله تعالى — الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم — الآية فلولا أن أهل القرآن الذين يتدبرونه موجودون لما بقى القرآن . إن قلت إن دعاءهم مستجاب فهلا دعوا بإصلاح العالم مثلا . أجيب بأنهم لايلهمون الدعاء بغير مافى علم الله فاذا علم الله أن العالم لايصلح مثلا فلا يلهمون ولايوفقون للدعاء بإصلاحه بل هم أشد الناس صبرا وتحملا للمكاره ورضا بالقضاء والقدر وفى ذلك قلت :

(١٦١)

إِخْوَانًا) فى الدين والولاية (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا) طرف (حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفارا (فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) بالإيمان (كَذَٰلِكَ) كما بين لكم ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) الإسلام (وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ) الداعون الآمرون الناهون (هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون ، ومن للتبعيض لأن ماذكر فرض كفاية لايلزم كل الأمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل ، وقيل زائدة أى لتكونوا أمة (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا) عن دينهم (وَاخْتَلَفُوا) فيه (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) وهم اليهود والنصارى (وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ) أى يوم القيامة (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) وهم الكافرون ،

أرح قلبك العانى وسلم له القضا تفز بالرضا فالأصل لايتحول
علامة أهل الله فينا ثلاثة أمان وتسليم وصبر مجمل

والتفرق المذموم إنما هو فى العقائد لا فى الفروع فانه رحمة لعباد الله (قوله وأولئك) مبتدأ وعذاب مبتدأ ثان ولهم متعلق بمحذوف خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول وقوله يوم تبيض وجوه ظرف متعلق بما تعلق به الجار والمجرور تقديره وأولئك الذين تفرقوا فى العقائد عذاب عظيم مستقر لهم يوم تبيض وجوه الخ يعنى أنه يكون ويحصل ذلك العذاب حينئذ ويحتمل أن قوله يوم مفعول لمحذوف تقديره اذكر يوم تبيض وجوه ، وبياض الوجه إما حقيقة فقد ورد أن وجه المؤمن يكون أضوأ من الشمس فى رابعة النهار، وإما كناية عن الفرح والسرور ، ومثله يقال فى اسوداد الوجه وذلك حين تطاير الصحف فالمؤمن يأخذ كتابه بيمينه ويقول هاؤم اقرءوا كتابيه الآية ، والكافر يأخذ كتابه بشماله ويقول ياليتنى لم أوت كتابيه الآية (قوله فأما الذين اسودت وجوههم) تفصيل لما أجمل أولا والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن أردت تفصيل ماتقدم فأقول لك أما الذين اسودت وجوههم وقدم فى التفصيل هذا القسم مبادرة بالتحذير وليكون فى الكلام حسن ابتداء وحسن اختتام فابتدأ الآية بالبشرى وختمها كذلك .

(قوله فيلقون فى النار) أى و إلقاؤهم مختلف فمنهم من يؤخذ بالكلاليب ومنهم من يؤخذ بالنواصى والأقدام وعلى كل حال فهم يسحبون فى النار على وجوههم وهذه الجملة خبر المبتدإ قدرها المفسر وذلك لأن الجزاء فى المقابل هو الكون فى الجنة فالمناسب هنا أن يكون هو الكون فى النار وتقدير القول هنا لأجل أن يكون حذف الفاء فى جواب أما مقيسا (قوله و يقال لهم) يحتمل أن ذلك من كلام الله لهم و يحتمل أن ذلك على لسان الملائكة (قوله يوم أخذ الميثاق) دفع بذلك ما يقال إن الآية ظاهرة فيمن ارتد بعد إيمانه لا فيمن كان كافرا واستمر على كفره . وأجيب أيضا بأن هذا يحمل على اليهود والنصارى فانهم كانوا مؤمنين برسول الله قبل البعثة ثم كفروا به بعدها . وأجيب أيضا بأن قوله بعد إيمانكم أى بعد ظهور الأدلة التى توجب الايمان (قوله فذوقوا العذاب) فيه استعارة بالكناية حيث شبه العذاب بشىء مر يذاق وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الإذاقة فاثباتها تخييل (قوله بما كنتم تكفرون) الباء سببية فالكفر سبب فى إذاقة العذاب بخلاف الطاعات فلم يجعلها الله سببا لدخول الجنة بل دخول الجنة بمحض فضل الله، و إنما كان جزاء الكفار الخلود فى النار لأن الكفر إنكار لكمالات الله وهى لا تتناهى فكان جزاؤه عذابا لا يتناهى وذلك يتحقق بالخلود بخلاف معصية المؤمن (قوله أى جنته) أى ففيه إطلاق الحال و إرادة المحل فالجنة محل هبوط الرحمة والرحمة ناشئة عن ذات الله فقولهم اللهم اجمعنا فى مستقر رحمتك فالمراد بالمستقر محل هبوط الرحمة وهى الجنة لا ذات الله (قوله بالحق) أى الصدق (قوله وما الله يريد ظلما للعالمين) أى فحيث انتفت إرادة الظلم فالظلم منفى بالأولى لأن تعلق الارادة فى التعقل سابق على الفعل (قوله ولله ما فى السموات وما فى الأرض)

فيلقون فى النار ، ويقال لهم توبيخاً (أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) يوم أخذ الميثاق (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ) وهم المؤمنون (فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ) أى جنته (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ) يا محمد (بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ) بأن يأخذهم بغير جرم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ) تصير (الْأُمُورُ . كُنْتُمْ) يا أمة محمد فى علم الله تعالى (خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ) أظهرت (لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ) الإيمان ،

أى فيتصرف فى ملكه كيف شاء (قوله و إلى الله ترجع الأمور) أى فلا مفر منه ولا محيص عنه (قوله كنتم خير أمة) هذا مدح عظيم وتفضيل من الله لهذه الأمة المحمدية وفيه إعلام بتثبيتهم على تلك الأوصاف العظيمة . واعلم أن المخاطب مشافهة الصحابة ونبت لهم هذه الصفات المرضية فمدحهم الله على ذلك ومن تمسك بأوصافهم وأخلاقهم كان ممدوحا مثلهم وهذا المدح يدل على أن أوصافهم مرضية لله فشرفهم الله بشرف نبيهم ، قال صاحب البردة :

لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأشرف الرسل كنا أكرم الأمم

وقال فى الهمزية :

ولك الأمة التى غبطتها ... بك لما أتيتها الأنبياء

ومدحهم الله سابقا بقوله ـ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ـ الآية و بالجملة فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الاطلاق وأمته أفضل الأمم على الاطلاق وكان فعل ناقص يفيد الاتصاف فى الماضى لكن المراد هنا الدوام على حد وكان الله غفورا رحيما والتاء اسمها وخير خبرها وقوله أخرجت للناس صفة لأمة (قوله فى علم الله) أى وقيل فى اللوح المحفوظ وقيل فى كتب الأمم السابقة (قوله للناس) إنما عبر باللام دون من إشارة إلى أن هذه الأمة نفع ورحمة لنفسها وللخلق عموما فى الدنيا بالدعاء لجميع الأمم وفى الآخرة بالشهادة للأنبياء (قوله تأمرون بالمعروف) إما خبر بعد خبر لكان والمقصود منه تفصيل ما أجمل أوّلا أو صفة لخير (خيرا) أو استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ما وجه الخيرية وراعى فى الخطاب لفظ كنتم ولو راعى الخبر لقال يأمرون لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة واختيرت صيغة الخطاب تشريفا لهم و إشارة إلى رفع الحجب عنهم حيث خاطبهم ولم يخبر عنهم وأنهم مقربون من حضرة الله . إن قلت إن الايمان هو الأصل فلم لم يقدم . أجيب بأنه عبر بخصوص بهم و إنما الفضل الثابت لهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذه الأمة لما شبه بالأنبياء من حيث إنها مهتدية فى نفسها هادية لغيرها (قوله ولو آمن أهل الكتاب) أى اليهود والنصارى .

(قوله خيرا لهم) أى من الايمان بموسى وعيسى فى زمانهما أى أن من آمن بمحمد أعلى وأفضل ممن أدرك موسى أو عيسى وآمن به لدخوله فى هذا المدح العظيم أو المعنى خيرا لهم مما هم عليه فى زعمهم و إن كان فى الواقع ما هم عليه ليس بخير أو ذلك تهكم بهم أو أن أفعل التفضيل ليس على بابه أى لكان هو الخير لهم. (قوله منهم المؤمنون) استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر نشأ من قوله ولو آمن أهل الكتاب كأن قائلا قال وهل آمن منهم أحد أولا فأجاب بذلك (قوله كعبد الله بن سلام) أى من اليهود وأدخلت الكاف النجاشى وغيره من النصارى (قوله الكافرون) أى وسماهم فاسقين لأنهم فسقوا فى دينهم فليسوا عدولا فيه (قوله إلا أذى) قيل استثناء منقطع وهو المتبادر من المفسر والمعنى لا يصل لكم منهم ضرر بشىء أصلا لكن يقع منهم أذى باللسان قال تعالى - ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا - ففى الحقيقة لا ضرر فى ذلك وقيل الاستثناء متصل والمعنى لن يصل لكم منهم ضرر فى حال من الأحوال إلا فى حال الضرر اللسانى (قوله من سب) أى للنبى وأصحابه وقوله ووعيد أى للمؤمنين بقولهم إنا نغلبهم وستكون العزة لنا والذلة لهم (قوله ثم لا ينصرون) ليس معطوفا على جواب الشرط والا لأوهم أنهم قد ينصرون من غير قتال بل هو مستأنف ليفيد سلب النصرة عنهم فى جميع الأحوال (قوله أينما ثقفوا) أين اسم شرط وثقفوا فعل الشرط وجوابه محذوف لدلالة ضربت عليهم الذلة عليه التقدير أينما ثقفوا تضرب عليهم الذلة (قوله فلا عز لهم) أى ولذا لم يوجد منهم سلطان أصلا فالذل قد علاهم للمؤمنين والنصارى لقوله

تعالى - وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا - (قوله ولا اعتصام) معطوف على قوله فلا عز لهم وقدر ذلك ليرتب قوله إلا بحبل من الله عليه إشارة إلى أنه مستثنى من محذوف (قوله بحبل من الله) أى وهو الايمان (قوله أى لا عصمة لهم غير ذلك) أى لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم و إن كان من الناس فقد

(خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ) كعبد الله بن سلام رضى الله عنه وأصحابه (وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) الكافرون (لَنْ يَضُرُّوكُمْ) أى اليهود يا معشر المسلمين بشىء (إِلَّا أَذًى) باللسان من سب ووعيد (وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ) منهزمين (ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) عليكم بل لكم النصر عليهم (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا) حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام (إِلَّا) كائنين (بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ) المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أى لا عصمة لهم غير ذلك (وَبَاءُوا) رجعوا (بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ) تأكيد (بِمَا عَصَوْا) أمر الله (وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) يتجاوزون الحلال إلى الحرام (لَيْسُوا) أى أهل الكتاب (سَوَاءً) مستوين (مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ) مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضى الله عنه وأصحابه (يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ)،

عصموا نفوسهم وأموالهم وعاشوا فى الذل (قوله ذلك) أى المذكور من ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله (قوله و يقتلون الأنبياء) أى فقتلوا أول النهار سبعين نبيا وآخره أربعمائة عابد. إن قلت إن القاتل للأنبياء أجدادهم فلم أوخذوا بفعل أصولهم. أجيب بأن رضا الفروع بقتل أصولهم الأنبياء صيره كأنه واقع منهم فالقتل وقع من أصولهم بالفعل ومنهم بالعزم والتصميم فهم الآن لو تمكنوا من النبى والمسلمين ما أبقوا واحدا (قوله بغير حق) أى حق فى اعتقادهم فاعتقادهم عدم الحقية مطابق للواقع غير أنه عناد منهم (قوله تأكيد) أى فالعصيان والاعتداء هو عين الكفر وقتل الأنبياء ويحتمل أنه ليس تأكيدا بل هو علة للعلة أى فعلة ضرب الذلة والمسكنة والغضب من الله كفرهم وقتلهم الأنبياء وعلة الكفر والقتل عصيانهم أمر الله وتجاوزهم الحد (قوله ليسوا سواء) هذه الجملة راجعة لجميع أهل الكتاب أى هم غير مستوين فى العقيدة بل منهم من هو على حق ومنهم من هو على باطل (قوله مستوين) دفع بذلك ما يقال إن سواء خبر عن الواو فى ليسوا فكان حقه أن يجمع مطابقة له فأجاب بأن سواء مصدر من التسوية بمعنى مستوين (قوله من أهل الكتاب أمة) هذا كالتفصيل لقوله ليسوا سواء (قوله كعبد الله بن سلام وأصحابه) أى من اليهود وكالنجاشى وأربعين من نصارى نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثلاثة من الروم وكجماعة من الأنصار كأسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة وصرمة بن أنس كانوا يتعبدون بما يعرفون من الشرائع القديمة فلما بعث النبى صدقوه ونصروه (قوله آناء الليل) إما جمع أنى كعصا أو إنى كمعى أو أنى كظبى أو إنى كحمل أو أنو كجرو

(قوله أى فى ساعاته) أى الليلية وهى دقائقه ولحظاته . قال تعالى . تتجافى جنوبهم عن المضاجع - (قوله يصلون) سمى الصلاة سجودا لأنه أشرف أجزائها وقوله حال أى من قوله يتلون أى يقرءون القرآن فى حال صلاتهم (قوله يؤمنون بالله) أى يصدقون بأن الله متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص وقوله واليوم الآخر أى ومافيه من النعيم والعقاب فيصدقون بأنه حق (قوله ويأمرون) مفعوله هو وينهون محذوف تقديره الناس (قوله ويسارعون) أى يبادرون بامتثال أمر الله . إن قلت إن العجلة مذمومة ففى الحديث «العجلة من الشيطان» إلا فى أمور . وأجيب بأن معنى المسارعة أنه إذا تعارض حق لله وحظ لنفسه بادر لحق الله وترك حظه . وأما العجلة فهى المبادرة لشىء مطلقا كأن يبادر للصلاة قبل وقتها أو فى الصلاة بأن لايتقن ركوعها ولاسجودها فان ذلك مذموم إلا فى أمور فهى مسارعة لاعجلة كالتوبة وتقديم الطعام للضيف وتجهيز الميت وزواج البكر والصلاة فى أول وقتها (قوله ومنهم من ليسوا كذلك) قدر ذلك إشارة إلى أن فى الآية حذف المقابل (قوله وبالياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من خير) أى قليل أو كثير قال تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - (قوله بالوجهين) أى التاء والياء (قوله بل تجازون عليه) أى فى الآخرة (قوله إن الذين كفروا) قيل نزلت فى قريظة وبنى النضير وقيل فى مشركى العرب وقيل فيما هو أعم وهو الأقرب (قوله شيئا) أى قليلا كان أو كثيرا (قوله يدفع عن نفسه) أى فى الدنيا (قوله مثل ماينفقون) يحتمل أن ما اسم موصول وينفقون صلتها والعائد محذوف ويحتمل أنها مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر تقدير الأول مثل المال الذى ينفقونه وتقدير الثانى مثل إنفاقهم

أى فى ساعاته (وَهُمْ يَسْجُدُونَ) يصلون حال (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ) الموصوفون بما ذكر (مِنَ الصَّالِحِينَ) ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين (وَمَا تَفْعَلُوا) بالتاء أيتها الأمة وبالياء أى الأمة القائمة (مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ تُكْفَرُوهُ) بالوجهين ، أى تعدموا ثوابه بل تجازون عليه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ) تدفع (عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ) أى من عذابه (شَيْئًا) وخصهما بالذكر لأن الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد (وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . مَثَلُ) صفة (مَا يُنْفِقُونَ) أى الكفار (فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فى عداوة النبى أو صدقة ونحوها (كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ) حر أو برد شديد (أَصَابَتْ حَرْثَ) زرع (قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر والمعصية (فَأَهْلَكَتْهُ) فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بضياع نفقاتهم (وَلَٰكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر الموجب لضياعها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً) أصفياء تطلعونهم على سركم (مِنْ دُونِكُمْ) أى غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) نصب بنزع الخافض ، أى لا يقصرون لكم فى الفساد (وَدُّوا) تمنوا (مَا عَنِتُّمْ) أى عنتكم وهو شدة الضرر (قَدْ بَدَتِ) ظهرت (الْبَغْضَاءُ) العداوة لكم (مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) بالوقيعة فيكم و إطلاع المشركين على سركم (وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ) من العداوة (أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ) على عداوتهم (إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ذلك ، فلا

(قوله فى عداوة النبى) أى فى مثل حرو به وقوله أو صدقة أى على فقرائهم أو فقراء المسلمين (قوله ونحوها) أى كصلة الرحم ومواساة الفقراء (قوله كمثل ريح) أى كمثل مهلك ريح فالكلام على حذف مضاف (قوله حر) أى ويسمى بالسموم وقوله أو برد شديد أى ويسمى بالزمهرير (قوله أصابت) أى تلك الريح (قوله أى زرع) سماه حرثا لأنه يحرث (قوله قوم ظلموا أنفسهم) هذا وصف المشبه به (قوله ولكن أنفسهم يظلمون) هذا فى جانب المشبه فلاتكرار (قوله ياأيها الذين آمنوا) نزلت فى قوم من المؤمنين كان لهم أقارب من المنافقين والكفار وكانوا يواصلونهم (قوله أصفياء) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة حيث شبه الأصفياء ببطانة الثوب الملتصقة به واستعير اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والجامع شدة الالتصاق على حد: الناس دثار والأنصار شعار (قوله أى لايقصرون فى الفساد) أى فليس عندهم تقصير فى ذلك بل هو شأنهم (قوله ماعنتم) مامصدرية تسبك بمصدر أى ودوا عنتكم بمعنى تعبكم ومشقتكم (قوله بالوقيعة فيكم) أى فى أعراضكم بالغيبة وغيرها

(قوله فلا توالوهم) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله بالكتاب) أى جنسه ، وقوله ـ ولا يؤمنون بكتابكم ـ أى القرآن (قوله و إذا خلوا) أى خلا بعضهم ببعض (قوله عليكم) أى من أجلكم (قوله قل موتوا بغيظكم) أى مصاحبين له وهو دعاء عليهم بذلك (قوله وجدب) هو ضدّ الخصب (قوله وجملة الشرط) أى وهى إن تمسسكم الخ ، وقوله بالشرط وهو قوله ـ و إذا لقوكم ـ وقوله ـ وما بينهما ـ أى وهو قوله ـ قل موتوا ـ الآية (قوله بكسر الضاد) أى فهما قراءتان سبعيتان : الأولى من ضار يضير، والثانية من ضرّ يضرّ والفعل من كليهما مجزوم جوابا للشرط وجزمه على الأولى ظاهر وعلى الثانية بسكون مقدّر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الاتباع (قوله كيدهم) الكيد احتيال الشخص ليوقع غيره فى مكروه (قوله بالياء) أى وقد اتفق عليها العشرة ، وقوله والتاء : أى وهى شاذة فكان على المفسر أن ينبه على شذوذها كأن يقول وقرئ بالتاء كما هو عادته (قوله و إذ غدوت) جمهور المفسرين على أن هذه الآية متعلقة

فلا توالوهم (هَا) للتنبيه (أَنْتُمْ) يا (أُولَاءِ) المؤمنين (تُحِبُّونَهُمْ) لقرابتهم منكم وصداقتهم (وَلَا يُحِبُّونَكُمْ) لمخالفتهم لكم فى الدين (وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ) أى بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم (وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ) أطراف الأصابع (مِنَ الْغَيْظِ) شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ، و يعبر عن شدة الغضب بعضّ الأنامل مجازا و إن لم يكن ثم عضّ (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ) أى ابقوا عليه إلى الموت فلن تروا مايسركم (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب ومنه مايضمره هؤلاء (إِنْ تَمْسَسْكُمْ) تصبكم (حَسَنَةٌ) نعمة كنصر وغنيمة (تَسُؤْهُمْ) تحزنهم (وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ) كهزيمة وجدب (يَفْرَحُوا بِهَا) وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض ، والمعنى أنهم متناهون فى عداوتكم فلم توالونهم فاجتنبوهم (وَإِنْ تَصْبِرُوا) على أذاهم (وَتَتَّقُوا) الله فى موالاتهم وغيرها (لَا يَضِرْكُمْ) بكسر الضاد وسكون الراء وضمها وتشديدها (كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (مُحِيطٌ) عالم فيجازيهم به (وَ) اذكر يامحمد (إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ) من المدينة (تُبَوِّئُ) تنزل (الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ) مراكز يقفون فيها (لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لأقوالكم (عَلِيمٌ) بأحوالكم، وهو يوم أحد خرج النبى صلى الله عليه وسلم بألف أو إلا خمسين رجلا والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره

بغزوة أحد ، وقيل بغزوة بدر وقيل بغزوة الأحزاب والصحيح الأول ولذا مشى المفسر عليه (قوله من أهلك) أى من بيت أهلك وهى زوجته عائشة وكان قدوم جيش الكفار يوم الأربعاء رابع شوال وأميرهم إذ ذاك أبوسفيان فجمع صلى الله عليه وسلم الأنصار والمهاجرين وشاورهم فى الخروج لهم أو المكث فى المدينة ينتظرونهم فأشار عبدالله ابن أبىّ ابن سلول رئيس المنافقين هو وجماعة من الأنصار بعدم الخروج فان أبوا قاتلهم الرجال والنساء وأشار جماعة بالخروج فدخل صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته وخرج فقال هلموا إلى الخروج ، فقالوا يارسول الله مالنا رأى معك ، فقال ما من نبى يلبس لامته ويرجع حتى يحكم الله له بين عدوّه ، وكان قد رأى فى المنام بقرا ودرعا حصينا وضع يده فيه وثلما فى ذبابة سيفه ، فقالوا ما أوّلته ؟ فقال أما البقر فخير ، وأما الدرع الحصين فهى المدينة ، وأما الثلم فى السيف فهزيمة ، فخرج صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه بعد صلاة الجمعة ، فلما أصبحوا جعل الجيش خمسة أقسام جناحان ومقدّم وساقة ووسط وأنزل كلا فى منزلته وأمرهم أن يثبتوا مكانهم ولايتحولوا وأخبرهم أنه بمجرد ملاقاة الصفوف تحصل الهزيمة للكفار ، فلما التقى الصفان ولى عبدالله بن أبى ابن سلول هو وجماعته الثلثمائة ، وقالوا لونعلم قتالا لاتبعناكم ولم يبق إلا ستمائة وخمسون فهزم الصحابة الكفار أوّلا واشتغلوا بالغنيمة فنزع الله من قلوب الكفار الرعب فكرّوا عليهم مرة واحدة ففر المسلمون ما عدا النبى و بعض الصحابة فبعد ذلك اجتمع المسلمون للقتال فقتل من كل سبعون وكانت العزة لله ورسوله (قوله وهو يوم أحد) أى وهو قول جمهور المفسرين وهو المعتمد (قوله أو إلا خمسين) أى فهما قولان (قوله سابع شوال) وقيل كان فى نصفه فيكون قدوم الكفار يوم اثنى عشر منه .

(قوله وعسكره) بالجر معطوف على الضمير المجرور فى ظهره : أى وجعل ظهر عسكره (قوله وأجلس جيشا من الرماة) أى وهم المسمون بالساقة (قوله وقال انضحوا) أى فرقوا من النضح وهو الرش ، والمعنى فرقوا الأعداء عنا بالنبل (قوله ولا تبرحوا) هذا فى الحقيقة خطاب وأمر للجميع (قوله همت طائفتان) أى أرادت ولما كان الهمّ بالمعصية لا يكتب مدحهم الله بقوله: والله وليها ، وأما بالطاعة فيكتب ، وأما العزم فيكتب خيرا أوشرا وما دون ذلك من مراتب القصد لا يكتب أصلا لا خيرا ولا شرا . قال بعضهم :

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا ... فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همّ فعزم كلها رفعت ... سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

(قوله بنو سلمة) أى وهم من الخزرج ، وقوله و بنو حارثة : أى وهم من الأوس (قوله وأصحابه) أى وكانوا ثلثمائة (قوله علام نقتل أنفسنا وأولادنا) أى لأى شىء نقتل (قوله وقال) أى عبدالله بن أبى ومقول القول قوله لونعلم قتالا الخ (قوله القائل له) صفة لأبى جابر (قوله أنشدكم الله) أى أحلفكم بالله ، وقوله فى نبيكم وأنفسكم : أى فى حفظهما (قوله فثبتهما الله) أى الطائفتين بعد أن حصلت لهما التفرقة أوّلا ، وشج وجه رسول الله وكسرت رباعيته وضرب نيفا وسبعين ضربة مابين سهم وسيف وطلحة بن عبد الله أحد العشرة يلقاها عن رسول الله وحينئذ نادى إبليس والمنافقون فى الناس

وعسكره إلى أحد وسوّى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال انضحوا عنا بالنبل لايأتونا من ورائنا ولا تبرحوا : غلبنا أو نصرنا (إذْ) بدل من إذ قبله (هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ) بنو سلمة و بنو حارثة جناحا العسكر (أَنْ تَفْشَلَا) تجبنا عن القتال وترجعا لما رجع عبد الله بن أبىّ المنافق وأصحابه وقال علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبى جابر السلمى القائل له: أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم لو نعلم قتالا لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا (وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) ناصرهما (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) ليثقوا به دون غيره . ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ) موضع بين مكة والمدينة (وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ) بقلة العدد والسلاح (فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمه (إذْ) ظرف لنصركم (تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ) توعدهم تطميناً (أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ) يعينكم (رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ) بالتخفيف والتشديد (بَلَى) يكفيكم ذلك وفى الأنفال بألف لأنه أمدهم أوّلاً بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى (إِنْ تَصْبِرُوا) على لقاء العدو (وَتَتَّقُوا) الله فى المخالفة (وَيَأْتُوكُمْ) أى المشركون ، (من

أن محمدا قد مات وكان صلى الله عليه وسلم فى محل منخفض فأراد الصعود ليراه المسلمون فلم ينهض فحمله طلحة على ظهره وقد كان على المصطفى درعان فلما رآه المسلمون فرحوا وصاروا يأتون إليه من كل فج كالناقة الغائب عنها ولدها إذا رأته فحصل الثبات والنصر وباتت الهزيمة على الكفار (قوله ناصرهما) أى ولم يؤاخذهما بذلك الهمّ (قوله ولقد نصركم) هذا الكلام تسلية للنبى وأصحابه فيما وقع لهم فى غزوة أحد ، يعنى أنه سبق لكم النصر فلا تحزنوا بحصول تلك الشدة وحكمتها تمييز المنافق من المؤمن لا الهزيمة كما قال تعالى ـ وما أصابكم يوم التقى الجمعان الآية ـ (قوله موضع بين مكة والمدينة) أى سميت الوقعة باسم الموضع ، وقيل إن بدرا اسم بئر حفرها رجل يقال له بدر فسمى المكان باسم ذلك الرجل (قوله بقلة العدد والسلاح) أى فلم يكن معهم إلا ثلاثة أفراس وثلاثة سيوف وكان عدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر وعدة الكفار نحو ألف (قوله لعلكم تشكرون نعمه) أى حيث نصركم مع كونكم أذلة فظفروا بهم وأخذوا شجعانهم مابين قتيل وأسير (قوله إذ تقول للمؤمنين) سبب هذا القول أنه لما تلاقى الصفان جاء للصحابة خبر بأن كرز بن جابر يمد الكفار و يعينهم فحزنت الصحابة حزنا شديدا فأنزل الله تلك الآية (قوله ألن يكفيكم) الاستفهام إنكارى نظير: ألست بربكم (قوله يعينكم) أى يزيدكم (قوله بثلاثة آلاف من الملائكة) إن قلت ما الحاجة إلى ذلك العدد الكثير فان جبريل وحده أو أى ملك كاف فى قتال الكفار . أجيب بأن ذلك ينسب النصر لرسول الله والمؤمنين لقوله تعالى ـ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ـ فلو أهلكوا بشىء مما هلك به الأمم السابقة لم يكن فى ذلك مزيد فخر للمؤمنين ولا شفاء لغيظهم لكونه خارجا عن اختيارهم (قوله بلى) حرف جواب : أى وهو إيجاب للنفى فى قوله تعالى ـ ألن يكفيكم ـ وأما جواب الشرط فهو قوله يمددكم (قوله لأنه أمدهم أوّلا بها) هذا إشارة لوجه الجمع بين

(مِنْ فَوْرِهِمْ) وقتهم (هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) بكسر الواو وفتحها أي معلمين، وقد صبروا وأنجز الله وعدهم بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أي الامداد (إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ) بالنصر (وَلِتَطْمَئِنَّ) تسكن (قُلُوبُكُمْ بِهِ) فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند (لِيَقْطَعَ) متعلق بنصركم، أي ليهلك (طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر (أَوْ يَكْبِتَهُمْ) يذلهم بالهزيمة (فَيَنْقَلِبُوا) يرجعوا (خَائِبِينَ) لم ينالوا ماراموه. ونزل لما كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يوم أحد وقال: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) بل الأمر لله فاصبر (أَوْ) بمعنى إلى أن (يَتُوبَ عَلَيْهِمْ) بالإسلام (أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) بالكفر (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بأهل طاعته،

ماهنا و بين ما يأتي (قوله من فورهم) يطلق الفور على قوة الغليان يقال فار القدر: غلا و يطلق على الوقت الحاضر وهو المراد هنا (قوله بكسر الواو) أي اسم فاعل، والمعنى معلمين أنفسهم آداب الحرب، وقوله وفتحها: أي اسم مفعول بمعنى أن الله علمهم آدابه (قوله وأنجز الله وعدهم) أي فكما حصل للمؤمنين ضعف زادهم الله من الملائكة (قوله على خيل بلق) أي وجوهها وأيديها وأرجلها بيض، وقوله وعليهم عمائم صفر أو بيض: أي فيهما روايتان، وجمع بأن جبريل كانت عمامته صفراء وباقيهم بيض (قوله أرسلوها) أي طرفها، وردعن علي أنه قال: كنت في قليب بدر فاشتدت ريح عظيمة فرأيت جبريل نزل بألفين من الملائكة فسار أمام المصطفى، ثم اشتدت ريح فرأيت إسرافيل نزل بألفين من الملائكة فسار على يمينه، ثم اشتدت ريح فرأيت ميكائيل نزل بألف فسار على يساره. واعلم أن قتال الملائكة من خصائص هذه الأمة وليس مخصوصا بواقعة بدر بل ورد أن جبريل وميكائيل قاتلا مع النبي في أحد حين فرت أصحابه (قوله أي الامداد) أي المفهوم من قوله يمددكم (قوله إلا بشرى) البشارة هي الخبر السار ولا تطلق على الضد إلا مقيدة كقوله تعالى ـ فبشرهم بعذاب أليم ـ (قوله ولتطمئن) معطوف على بشرى الواقع مفعولا لأجله وجر باللام لعدم استيفائه شروط المفعول من أجله فان فاعل الجعل الله وفاعل الطمأنينة القلوب فلم يتحدا في الفاعل وشرطه الاتحاد (قوله فلا تجزع من كثرة العدو) ورد أن الملائكة كانت تقاتل وتقول للمؤمنين اثبتوا فان عدوكم قليل والله معكم (قوله وليس بكثرة الجند) أي فلا تتوهموا أن النصر بكثرة العدد (قوله متعلق بنصركم) أي المتقدم في قوله ـ ولقد نصركم الله ببدر (قوله أي ليهلك) إنما فسره بذلك لأن القطع يأتي لمعان منها التفريق كقوله تعالى ـ وقطعناهم في الأرض أمما ـ وليس مرادا هنا، ومنها الهلاك وهو المراد (قوله بالقتل) أي وكانوا سبعين، وقوله والاسر: أي وكانوا كذلك (قوله أو يكبتهم) الكبت بمعنى الكبد فتاؤه مبدلة من الدال وهو الغيظ الذي يحرق الكبد (قوله لم ينالوا ماراموا) أن ماقصدوه (قوله لما كسرت رباعيته) أي السنة التي بين الثنايا والناب، وقوله وشج وجهه: أي غاصت فيه حلقة المغفر (قوله يوم أحد) أي وقيل نزلت في أهل بئر معونة وهم سبعون رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان ليعلموا الناس القرآن والعلم وأمر عليهم المنذر بن عمرو، وكان ذلك في صفر سنة أربع من الهجرة، فخانهم عامر بن الطفيل وقتلهم عن آخرهم فاشتد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلاه الله بذلك (قوله وقال كيف يفلح قوم الخ) أي وقد عزم على أن يدعو عليهم كذا قيل والأقرب أن مقالة النبي حزنا على عدم إيمانهم فان قصد النبي هداهم وحيث وقع منهم ذلك الفعل فهو دليل على عدم إيمانهم فيفوت مقصد النبي فسلاه الله بالآية كما سلاه بقوله ـ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ـ و بقوله ـ إنك لا تهدي من أحببت ـ (قوله ليس لك من الأمر شيء) أي لا تملك لهم نفعا فتصلحهم ولا ضرا فتهلكهم فنفى ذلك من حيث الايجاد والإعدام، وأما من حيث الدلالة والشفاعة فهو الدليل الشفيع المشفع جعل الله مفاتيح خزائنه بيده، فمن زعم أن النبي كآحاد الناس لا يملك شيئا أصلا ولا نفع به لا ظاهرا ولا باطنا فهو كافر خاسر الدنيا والآخرة واستدلاله بهذه الآية ضلال مبين (قوله فإنهم ظالمون) علة لقوله أو يعذبهم (قوله ولله ما في السموات وما في الأرض) هذا كالدليل لما قبله .

(قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا) سبب نزول هذه الآية أن الرجل كان فى الجاهلية إذا كان له دين على آخر وحل الأجل ولم يقدر الغريم على وفائه قال له صاحب الدين زدنى فى الدين وأزيدك فى الأجل فكانوا يفعلون ذلك مرارا فربما زاد الدين زيادة عظيمة (قوله وتؤخروا الطلب) أى فى نظير تلك الزيادة والواجب إنظار المعسر من غير شىء والتشديد على الموسر المماطل (قوله بتركه) أى الربا وكذا كل مانهى الله عنه (قوله أن تعذبوا بها) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف أى اتقوا تعذيب النار أى اجعلوا بينكم و بينه وقاية (قوله وسارعوا) أى بادروا (قوله بواو ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو تكون الجملة معطوفة على جملة واتقوا النار وعلى عدمها تكون الجملة استئنافية كأن قائلا قال وما كيفية تقوى النار و بأى شىء يكون تقواها فأجاب بقوله سارعوا الخ. إن قلت إن ماخالف الرسم العثمانى شاذ فمقتضاه أن أحد القراءتين مخالف للرسم. أجيب بأن المصاحف العثمانية تعددت فبعضها بالواو و بعضها بدونها ولا يرد هذا الاشكال إلا لو كان واحدا (قوله إلى مغفرة) أى إلى أسبابها وهو الانهماك فى الطاعات والبعد عن المعاصى (قوله وجنة) عطفها على المغفرة من عطف المسبب على السبب ومرادنا بالسبب الظاهرى و إلا فالسبب الحقيقى هو فضل الله (قوله كعرضهما) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف وأداة التشبيه وقد صرح بهما فى سورة الحديد قال تعالى ــ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ــ واختلف هل هذا التشبيه حقيقى والمعنى لو بسطت السموات كل واحدة بجانب الأخرى وكذلك الأرض لكان ماذكر مماثلا لعرض الجنة، وأما طولها فلايعلمه إلا الله، و إنما لم يقل طولها لأنه يلزم من سعة الطول سعة العرض بخلاف العكس وهذا تفسير ابن عباس، أو مجازى وهو كناية عن عظم سعتها و إلا فالسموات والأرض لو اتصلت بعضها ببعض كان ماذكر أقل مما يعطاه أبو بكر الصديق فضلا عن غيره لما ورد أن جبريل يسير بأجنحته الستمائة فى ملكه شهرا إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول أو العرض السعة ليفيد أنه تفسير آخر (قوله أعدت للمتقين) أى هيئت وأحضرت وقدم هذا الوصف لأنه مستلزم لجميع الأوصاف والمتقين جمع متق وهو المنهمك فى الطاعات المجتنب المعاصى (قوله اليسر والعسر) أى الرخاء والشدة (والذين وذلك لثقته بربه واعتماده عليه فينفق فى كل زمن على حسب حاله فيه قليلا أوكثيرا ولايستخف بالصدقة ففى الحديث «اتقوا النار ولو بشق تمرة» وفى رواية «ولو بظلف محرق» (قوله والكاظمين الغيظ) أى وهو نار تحل فى القلب تظهر آثارها على الجوارح (قوله الكافين عن إمضائه مع القدرة) أى الكاتمين الغضب مع القدرة على العمل بمقتضاه بظواهرهم و بواطنهم وكظم الغيظ من أعظم العبادة، ورد «من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمنا و إيمانا». إن قلت ورد عن الشافعى أنه قال من استغضب ولم يغضب فهو حمار، فمقتضاه أنه مذموم ومقتضى الآية أنه من المتقين. أجيب بأن كلام الشافعى يحمل على إذا مارأى حرمات الله تفعل ولم ينه عنها ولم يغضب لأجلها. وقد اتفق للامام الحسن زمن خلافته وكان حليما جدا أن رجلا قدم عليه ليمتحنه فصار يسبه و يتكلم فيه وهو يتبسم فقال له الرجل إن شتمتنى واحدة شتمتك مائة فقال له الحسن إن شتمتنى مائة ماشتمتك واحدة فوقع على قدمه وقبلها وقال أشهد أنك على خلق رسول الله (قوله والعافين عن الناس) عطف على الكاظمين من عطف العام على الخاص لأن العفو أعم من أن يكون معه كظم غيظ أولا كما إذا سبه وهو غائب فبلغه ذلك فعفا عنه من غير أن يستفزه الغضب. واتفق للامام زين العابدين أن جاريته كانت تصب عليه ماء الوضوء فسقط الابريق على رأسه فشج وجهه فرفع بصره لها فقالت له والكاظمين الغيظ فقال كظمت غيظى فقالت والعافين عن الناس فقال عفوت عنك فقالت والله يحب المحسنين

(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً) بألف ودونها بأن تزيدوا فى المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب (وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ) بتركه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ) أن تعذبوا بها (وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. وَسَارِعُوٓا۟) بواو ودونها (إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ) أى كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى والعرض السعة (أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) الله بعمل الطاعات وترك المعاصى (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ) فى طاعة الله (فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ) اليسر والعسر (وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ) الكافين عن إمضائه مع القدرة (وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ) ممن ظلمهم، أى التاركين عقوبتهم (وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ) بهذه الأفعال، أى يثيبهم.

فقال أنت حرة لوجه الله (قوله والذين إذا فعلوا) شروع فى ذكر التوابين بعد أن ذكر المطهرين و بقى قسم ثالث وهم الذين أصروا على المعاصى وماتوا من غير توبة فأمرهم مفوض لله إما أن يدخلهم الجنة من غير سابقة عذاب أو يعذبهم بقدر الجرم ثم يدخلهم الجنة خلافا للمعتزلة حيث منعوا غفران الذنوب لهم (قوله والذين) مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وجزاؤهم مبتدأ ثالث ، وقوله مغفرة خبر الثالث وهو وخبره خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول ، وقوله كالزنا أى وغيره من الكبائر (قوله ذنبا قبيحا) أى كبيرا وقوله بما دونه أى كالصغائر وهذه الآية نزلت فى حق رجل تمار مرت عليه امرأة وأرادت أن تشترى منه تمرا فأعجبته فقال لها إن التمر الجيد داخل الحانوت فدخل معها الحانوت وفعل معها ماعدا الايلاج وأعطاها التمر فتذكر هيبة الله وعقابه فجاء لرسول الله يبكى فنزلت الآية (قوله أى وعيده) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فاستغفروا لذنوبهم) أى أقلعوا عنها وتابوا (قوله ومن يغفر الذنوب إلا الله) جملة معترضة بين الحال وصاحبها قصد بها التعليل (قوله ولم يصروا) جملة حالية من الواو فى استغفروا (قوله وهم يعلمون) جملة حالية أيضا وقوله أن الذى أتوه معصية إشارة لمفعول يعلمون والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها والنهى عنها والوعيد عليها لأنه قد يقدم على الذنب من لايعلم أنه ذنب ولايؤاخذ بذلك كالمجتهدين من الصحابة فى قتال بعضهم ولذلك كان الواحد منهم إذا ظهر له الخطأ أقلع فى الحال (قوله تجرى من تحتها الأنهار) المعنى أن القصور والأشجار مشرفة على الأنهار (قوله ونعم أجر العاملين) نعم فعل ماض وأجر فاعل (١٦٩) والمخصوص بالمدح محذوف قدره المفسر بقوله هذا الأجر الذى هو المغفرة أو الجنة (قوله ونزل فى هزيمة أحد) أى تسلية للنبى وأصحابه على ما أصابهم من الحزن الذى وقع لهم فى تلك الغزوة فكأن الله يقول لهم لا تحزنوا فان هذه سنن من قبلكم والعبرة بالخواتم وقد تم النصر لكم على أعدائكم (قوله قد خلت) من الخلو بمعنى المضى (قوله فى الكفار) أى كعاد مع هود

(وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) ذنباً قبيحا كالزنا (أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بما دونه كالقبلة (ذَكَرُوا اللَّهَ) أى وعيده (فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ) أى لا (يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا) يديموا (عَلَى مَا فَعَلُوا) بل أقلعوا عنه (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أن الذى أتوه معصية (أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة أى مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها (وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) بالطاعة هذا الأجر . ونزل فى هزيمة أحد (قَدْ خَلَتْ) مضت (مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ) طرائق فى الكفار بإمهالهم ثم أخذهم (فَسِيرُوا) أيها المؤمنون (فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الرسل ، أى آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فإنما أمهلهم لوقتهم (هَٰذَا) القرآن (بَيَانٌ لِلنَّاسِ) كلهم (وَهُدًى) من الضلالة (وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ) منهم (وَلَا تَهِنُوا) تضعفوا عن قتال الكفار (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما أصابكم بأحد ،

وكثمود مع صالح وكقوم نوح معه وكقوم لوط معه وكالنمروذ مع إبراهيم وكفرعون مع موسى فان الله أمهل هؤلاء ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر فكذلك هؤلاء قال تعالى - وأملى لهم إن كيدى متين - وقال عليه الصلاة والسلام « إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » (قوله بإمهالهم) أى على سبيل الاستدراج والمعنى فلاتحزنوا مما وقع لكم فان الله يمهل ولايهمل (قوله فسيروا) إنما قرن الفعل بالفاء لما فى الجملة الأولى من معنى الشرط كأن الله يقول إن كنتم فى شك مما ذكرته لكم فسيروا فى الأرض لتروا آثارهم (قوله أى آخر أمرهم) أى وهو الهلاك الأخروى بإخبار الله ورسله والدنيوى بالمشاهدة (قوله فإنما أمهلهم لوقتهم) أى المقدر لهم ولايعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات (قوله بيان) إما باق على مصدريته مبالغة أو بمعنى مبين أوذو بيان على حد زيد عدل ولذلك يسمى القرآن أيضا فرقانا لأنه يفرق بين الحق والباطل (قوله كلهم) أى مسلمين أوكفارا وإنما كان بيانا للجميع لاقامة الحجة على الكافر يوم القيامة وتعذيبه (قوله وهدى من الضلالة) أى هاد من الكفر أوالمعصية (قوله للمتقين) راجع لقوله وهدى وموعظة وخصهم لأنهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى - إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب - (قوله ولا تهنوا) هذا من جملة التسلية للنبى وأصحابه وأصله توهنوا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها . وسبب ذلك أنه لما حصلت التفرقة لأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقتل منهم سبعون وجرح منهم ناس كثير وقتل من الكفار نيف وعشرون وجرح منهم ناس كثيرون ،

قال أبو سفيان رئيس الكفار مناديا للنبيّ وأصحابه أفى القوم محمد ثلاث مرات ؟ فنهى النبيّ القوم أن يجيبوه فقال أفى القوم ابن أبى قحافة ثلاث مرات ثم قال أفى القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع إلى أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله ياعدوّ الله إن الذين عددت أحياء كلهم وقد بقى لك مايسوءك ثم أخذ أبوسفيان يرتجز بقوله : اعل هبل اعل هبل ، فقال عليه الصلاة والسلام ألاتجيبوه قولوا : الله أعلى وأجلّ ، قال أبوسفيان : إن لنا عزى ولاعزى لكم . فقال عليه الصلاة والسلام : قولوا الله مولانا ولامولى لكم . وفى رواية قال أبوسفيان يوم بيوم و إن الأيام دول والحرب سجال فقال عمر لاسواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ، ثم أمر النبى أصحابه جميعا بالاقبال على قتال الكفار ثانيا فصار الجريح منهم يزحف على الركب ووقع الحرب بينهم و باتت الهزيمة على الكفار فنزلت الآية تسلية للنبيّ وأصحابه (قوله وأنتم الأعلون) أصله الأعلوون استثقلت الضمة على الواو فحذفت ثم تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما و بقيت الفتحة لتدل عليها (قوله مجموع ماقبله) أى وهوقوله : ولاتهنوا ولاتحزنوا (قوله بفتح القاف وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان وجواب الشرط محذوف تقديره فلاتحزنوا وقوله فقد مسّ القوم الخ مفرع عليه (قوله ببدر) أى فكانت الغلبة فيه للمؤمنين من أوله إلى آخره وقال بعضهم بل فى أحد أيضا لأن الغلبة آخرا كانت للمؤمنين . وأما غزوة بدر فكانت للمؤمنين خاصة (قوله نداولها) المداولة نقل الشىء من واحد لآخر ، والمعنى إنما جعلنا الأيام دولا بين الناس يوما للكفار ويوما للمسلمين لتتعظوا وليعلم الله الخ (قوله علم ظهور) جواب عن سؤال مقدّر حاصله إن علم الله قديم لا يتجدّد فكيف

(وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) بالغلبة عليهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) حقا وجوابه دل عليه مجموع ماقبله (إِنْ يَمْسَسْكُمْ) يصبكم بأحد (قَرْحٌ) بفتح القاف وضمها: جهد من جرح ونحوه (فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ) الكفار (قَرْحٌ مِثْلُهُ) ببدر (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا) نصرفها (بَيْنَ النَّاسِ) يومًا لفرقة ويوما لأخرى ليتعظو (وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ) علم ظهور (الَّذِينَ آمَنُوا) أخلصوا فى إيمانهم من غيرهم (وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) يكرمهم بالشهادة (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) الكافرين، أى يعاقبهم، ومانعم به عليهم استدراج (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم (وَيَمْحَقَ) يهلك (الْكَافِرِينَ. أَمْ) بل أ (حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا) لم (يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) علم ظهور (وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) فى الشدائد (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ) فيه حذف إحدى التاءين فى الأصل (الْمَوْتَ ،

ذلك . فأجاب بأن المراد ليظهر متعلق علمه بتمييز المؤمن من غيره ، والمعنى أن نصرة الكافر تارة ليست لمحبة الله بل ليتميز المؤمن من المنافق وليتخذ منكم شهداء و إلا فالله لايحب الكافرين (قوله أى يعاقبهم) تفسير لعدم محبة الله للظالمين (قوله ومانعم به عليهم استدراج) جواب عن سؤال مقدّر تقديره إنا نرى الله ينصرهم تارة وينعم عليهم بالدنيا من وزينتها . فأجاب بأنها نقم فى صورة نعم (قوله وليمحص الله الخ) هذه حكمة ثالثة ، والمعنى إنما جعلنا الغلبة أولا للكفار ليتميز المؤمن من الكافر ويتخذ منهم شهداء ويخلص المؤمنين من الذنوب ويأخذ الكفار شيئا فشيئا (قوله بما يصيبهم) أى بسبب مايصيبهم من الجهد والمشقة (قوله ويمحق الكافرين) أى يأخذهم ويهلكهم شيئا فشيئا لأن المحق الاهلاك شيئا فشيئا (قوله أم حسبتم) أم منقطعة فلذا فسرها ببل التى للاضراب الانتقالى والهمزة التى قدّرها المفسر للاستفهام الانكارى ، والمعنى لاتظنوا ياأيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة مع السابقين بمجرد الايمان من غير جهاد وصبر بل مع الجهاد والصبر ، وهو خطاب لأهل أحد حيث أمروا بالقتال مع كونهم جرحى وتشديد عليهم فى ذلك ، والمقصود من ذلك تعليم من يأتى بعدهم و إلا فهم قد جاهدوا فى الله حقّ جهاده وصبروا صبرا جميلا (قوله ولما يعلم الله) لما حرف نفى وجزم وقلب تفيد توقع الفعل فلذا عبر بها دون لم وقد حصل ذلك ويعلم مجزوم بلما وعلامة جزمه السكون وحرك بالكسر تخلصا من التقاء الساكنين والله فاعل يعلم وذلك كناية عن عدم حصول الجهاد والصبر لأن مالم يعلمه الله لم يكن حاصلا (قوله ويعلم الصابرين) هكذا بالنصب باتفاق القراء بأن مضمرة بعد واو المعية على حد لاتأكل السمك وتشرب اللبن (قوله فى الشدائد) أى البلايا كالأمراض والفقر والمحن فيكون عن الله راضيا فى السرّاء والضرّاء وقوله : الذين جاهدوا يدخل فيه جهاد النفس بمخالفة شهواتها لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب قال تعالى ـ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فانّ الجنة هى المأوى ـ (قوله فيه حذف إحدى التاءين) أى تخفيفا قال ابن مالك :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

(قوله من قبل أن تلقوه) يحتمل أن الضمير عائد على الموت بمعنى سببه وهو الحرب أو على العدو نفسه وهو وإن كان غير متقدم ذكر لكنه معلوم من السياق (قوله ما نال شهداؤه) أي من الأجر العظيم ففي الحديث «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (قوله أي سببه) ويحتمل أن الضمير عائد على العدو (قوله أي بصراء) أشار بذلك إلى أن نظر بصرية تنصب مفعولا واحدا قدره بقوله الحال ويحتمل أنها علمية ومفعولاها محذوفان تقديرها تعلمون إخوانكم ما بين مقتول ومجروح (قوله ونزل في هزيمتهم) أي في أحد حين تفرقوا (قوله لما أشيع) أي أشاع المنافقون (قوله أن النبي قتل) أي وكذا أبو بكر وعمر (قوله وما محمد إلا رسول) أي لا رب معبود فالقصر قصر قلب، والمقصود من ذلك الرد على المنافقين حيث قالوا لضعفاء المسلمين: إن كان محمد قتل فارجعوا إلى دينكم ودين آبائكم فأفاد أن محمدا عبد مرسل يجوز عليه الموت لا رب معبود حتى تتركوا عبادة الله من أجل موته لأن المقصود من وجوده تبليغ رسالة ربه ولذلك نزل قرب وفاته - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا - ولكن يجب علينا تعظيمه واحترامه حيا وميتا واعتقاد أن معجزاته باقية واتباعه وطاعته قال تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - ولم يقل وهو حي وقال تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ولم يقل لأصحابك وقال عليه الصلاة والسلام «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» فمن اعتقد أن النبي لا نفع به بعد الموت بل هو كآحاد الناس فهو الضال المضل (قوله أو قتل) أي فرضا (قوله رجعتم إلى الكفر) أشار بذلك

إلى أن قوله انقلبتم على أعقابكم كناية عن الرجوع للكفر لا حقيقة الانقلاب على الأعقاب الذي هو السقوط إلى خلف وهذه الآية قالها أبو بكر الصديق يوم وفاته صلى الله عليه وسلم حين طاشت عقول الصحابة وارتد من ارتد حتى قال عمر: كل من قال إن محمدا قد مات رميت عنقه بسيفي فبلغ أبا بكر الخبر فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وكشف اللثام عن وجهه وقبله بين عينيه وقال طبت يا حبيبي حيا وميتا كنت أود لو افديك بنفسي ومالي ولكن قال الله إنك ميت وإنهم ميتون وخرج وجمع الصحابة وصعد المنبر وخطب خطبة عظيمة قال فيها: أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقد قال تعالى: وما محمد إلا رسول الآية فثبت الناس حتى قال عمر والله كأن هذه الآية لم أسمعها إلا من أبي بكر (قوله والجملة الأخيرة) أي التي هي قوله انقلبتم على أعقابكم (قوله وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) هذا رد لمن يفر من القتال خوفا على نفسه من الموت (قوله لا يتقدم ولا يتأخر) أي لقوله تعالى: فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (قوله ومن يرد ثواب الدنيا) أي بصرف نيته للدنيا وزخارفها تاركا الآخرة وما فيها (قوله ما قسم له) هذا هو مفعول نؤته الثاني والأول هو الهاء (قوله أي من ثوابها) أي وما قسم له من الدنيا يأتيه على كل حال فلا فرق بين من يطلبها ومن لا يطلبها فلا تجعل الدنيا أكبر همك ولا مبلغ علمك بل اجعل مطمح نظرك عبادة ربك قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وما قدر لك فلا بد من وصوله إليك طلبته أولا (قوله وكأين من نبي قتل) هذا من جملة التسلية لأهل أحد على ما أصابهم وفيه توبيخ لمن انهزم منهم وتحريض على القتال وأصل كأين أي الاستفهامية دخلت عليها كاف التشبيه فأكسبتها معنى كم الخبرية فلذا فسرها بها وكأين مبتدأ ومن نبي مميزها وجملة قتل خبرها ونائب فاعل قتل ضمير يعود على كأين المفسر بقوله من نبي وعلى القراءة الثانية يكون الضمير فاعل قاتل وقوله معه ربيون مبتدأ وخبر والجملة حالية. واستشكلت القراءة الأولى بأنه لم يرد أن نبيا قتل في حال الجهاد بل من أمر النبي بالجهاد عصم من القتل ومقتضى الآية وقوع ذلك. وأجيب بأن المعنى قتله قومه ظلما في غير حرب ولكن الأحسن أن نائب الفاعل قوله ربيون ومعه ظرف متعلق بقتل فالقتل واقع

(مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ) حيث قلتم: ليت لنا يوما كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه (فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ) أي سببه وهو الحرب (وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) أي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلم انهزمتم. ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قتل وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ) كغيره (انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) رجعتم إلى الكفر والجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكاري أي ما كان معبودا فترجعوا (وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا) وإنما يضر نفسه (وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) نعمه بالثبات (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بقضائه (كِتَابًا) مصدر أي كتب الله ذلك (مُؤَجَّلًا) مؤقتا لا يتقدم ولا يتأخر فلم انهزمتم والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة (وَمَنْ يُرِدْ) بعمله (ثَوَابَ الدُّنْيَا) أي جزاءه منها (نُؤْتِهِ مِنْهَا) ما قسم له ولا حظ له في الآخرة (وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا) أي من ثوابها (وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ. وَكَأَيِّنْ) كم (مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ) وفي قراءة قاتل

الربيين لا للأنبياء وهو رد لقول الكفار لوكان نبيا ماقتلت أصحابه وهو بينهم وهذا الاعراب يجري في القراءة الثانية أيضا والضمير في أصابهم يعود على الأمم ويتفرع على هذين الاعرابين صحة الوقف على قتل أوقاتل على الاعراب الأول دون الثاني (قوله والفاعل) أي حقيقة على القراءة الثانية أو حكما على القراءة الأولى (قوله ربيون) هذا بكسر الراء جمع ربي نسبة للرب على غير قياس ومعناه العالم الرباني أو منسوب للربة بالكسر بمعنى الجماعة وعليه مشى المفسر وقياس الأول فتح الراء وقد قرأ بها ابن عباس وقرئ بضم الراء بمعنى الجماعة الكثيرة أيضا والقراءتان شاذتان والمعنى لاتحزنوا على ماوقع لكم فكم من نبي قتل والحال أن معه أصحابه فلم يضعفوا الخ ورد أنه لما نزلت الآية أخذ النبي وأصحابه في التوجه خلف الأعداء فساروا ثمانية أميال صحيحهم وجريحهم وباتت الهزيمة على الكفار (قوله فما وهنوا) هكذا بفتح الهاء وقرئ بسكون الهاء وكسرها (قوله وما استكانوا) قيل أصله استكنوا زيد في الفتحة فصارت ألفا وقيل أصله استكونوا نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها فتحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا (قوله وما كان قولهم) أي الربيين وهذا بيان لمحاسن أقوالهم بعد بيان محاسن أفعالهم (قوله عند قتل نبيهم) ظاهره حق في جهاد الكفار وتقدم مافيه (قوله فآتاهم الله)

والفاعل ضميره (مَعَهُ) خبر مبتدؤه (رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ) جموع كثيرة (فَمَا وَهَنُوا) جبنوا (لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم (وَمَا ضَعُفُوا) عن الجهاد (وَمَا اسْتَكَانُوا) خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل النبي (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) على البلاء أي يثيبهم (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ) عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم (إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا) تجاوزنا الحد (فِي أَمْرِنَا) إيذانا بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضما لأنفسهم (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) بالقوة على الجهاد (وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا) النصر والغنيمة (وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ) أي الجنة وحسنه التفضل فوق الاستحقاق (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا) فيما يأمرونكم به (يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) إلى الكفر (فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ) ناصركم (وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) فأطيعوه دونهم (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) بسكون العين وضمها : الخوف وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرعبوا ولم يرجعوا (بِمَا أَشْرَكُوا) بسبب إشراكهم (بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا) حجة على عبادته وهو الأصنام (وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (الظَّالِمِينَ) الكافرين هي (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ) إياكم بالنصر (إِذْ تَحُسُّونَهُمْ) تقتلونهم (بِإِذْنِهِ) بإرادته (حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ) ،

أي بسبب دعائهم وحسن أفعالهم (قوله والغنيمة) إن قلت إنها لم تحل إلا لهذه الأمة المحمدية . أجيب بأن المراد بالغنيمة ملك أموال الكفار ورقابهم ولايلزم من الملك حل أكلها (قوله وحسنه التفضل فوق الاستحقاق) يعني أن ثواب الآخرة هو الجنة وهو حسن وأحسن منه الزيادة لهم فوق مايستحقون (قوله يأيها الذين آمنوا) نزلت في أهل أحد حين تفرقوا وصار عبد الله ابن سلول يقول لضعفائهم امضوا بنا إلى أبي سفيان لنأخذ لكم منه عهدا ألم أقل لكم إنه ليس بنبي (قوله الذين كفروا) أي كعبد الله ابن سلول وغيره من المنافقين (قوله فتنقلبوا خاسرين) أي للدنيا بالأسر والخزي والآخرة بالعذاب الدائم (قوله والله خير الناصرين) أفعل التفضيل ليس على بابه (قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) هذا وعد حسن من الله بنصر المسلمين وخذلان الكفار (قوله بسبب إشراكهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية ومامصدرية (قوله حجة) سماها سلطانا لقوتها ونفوذها (قوله وهو) أي مالم ينزل به سلطانا (قوله ومأواهم النار) هذا بيان لحالهم في الآخرة بعد أن بين حالهم في الدنيا وكل ذلك مسبب عن الاشراك بالله فهم في الدنيا مرعوبون وفي الآخرة معذبون (قوله ولقد صدقكم الله وعده) سبب نزولها أن أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم لما رجعوا إلى المدينة تذاكروا ما وقع في تلك الغزوة حيث قالوا إن الله وعدنا بالنصر على لسان نبيه فلأي شئ غلبنا فنزلت الآية ردا عليهم (قوله وعده) مفعول ثان لصدق لأنه يتعدى لمفعولين الأول بنفسه والثاني إما كذلك كما هنا أو بحرف الجر وهو في (قوله إذ تحسونهم) ظرف لقوله صدقكم وحس يطلق بمعنى علم ووجد وطلب وقتل وهو المراد هنا (قوله حتى إذا فشلتم) حتى ابتدائية بمعنى أن مابعدها مستأنف ويصح أن تكون غائية بمعنى إلى والمعنى

ولقد استمر معكم النصر إلى أن فشلتم وتنازعتم وعصيتم فتخلف وعده ومنعكم النصر و إذا على الأول ظرف لما يستقبل من الزمان وعصيتم معطوف على فشلتم وجواب إذا محذوف قدره المفسر بقوله منعكم نصره وقوله ثم صرفكم معطوف على ذلك المحذوف وقوله منكم من يريد الدنيا الخ معترض بين المعطوف والمعطوف عليه (قوله جبنتم عن القتال) أى بسبب الالتفات للغنيمة (قوله فتركتم المركز) أى الموضع الذى أقامكم فيه رسول الله فانه تقدم أنه قسم الجيش خمسة أقسام: ساقة ومقدم وجناحان وقلب وأمرهم بالثبات سواء حصل النصر أو الهزيمة فظهرت لهم أمارات النصر أولا فبعضهم ترك مركزه وذهب للغنيمة والبعض ثبت (قوله من بعد ما أراكم) تنازعه كل من فشلتم وتنازعتم وعصيتم فأعمل الأخير وأضمر فى الأولين وحذف (قوله ماتحبون) مفعول ثان لأرى والكاف مفعول أول (قوله من النصر) أى أولا فلما وقع الاختلاف تغير الحال (قوله دل عليه ماقبله) أى وهو قوله ولقد صدقكم الله وعده (قوله كعبد الله بن جبير) أى وكان أميرا على الرماة (قوله ولقد عفا عنكم) أى عن المؤمن منكم بعد توبته (قوله اذكروا) قدره اشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف ويصح أنه ظرف لقوله عصيتم التقدير عصيتم وقت بعدكم الخ (قوله إذ تصعدون) فعله رباعى بمعنى تبعدون وقرىء تصعدون من الثلاثى بمعنى تذهبون متفرقين فى البرية (قوله ولاتلوون) الجمهور على أنها بواوين وقرىء شذوذا بابدال الواو الأولى همزة وأصلها تلويون بواوين

(١٧٣)

جبنتم عن القتال (وَتَنَازَعْتُمْ) اختلفتم (فِي الْأَمْرِ) أى أمر النبى بالمقام فى سفح الجبل للرمى فقال بعضكم نذهب فقد نصر أصحابنا وبعضكم لانخالف أمر النبى صلى الله عليه وسلم (وَعَصَيْتُمْ) أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة (مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ) الله (مَا تُحِبُّونَ) من النصر وجواب إذا دل عليه ماقبله أى منعكم نصره (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا) فترك المركز للغنيمة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) فثبت به حتى قتل كعبد الله بن جبير وأصحابه (ثُمَّ صَرَفَكُمْ) عطف على جواب إذا المقدر: ردكم بالهزيمة (عَنْهُمْ) أى الكفار (لِيَبْتَلِيَكُمْ) ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره (وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ) ماارتكبتموه (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) بالعفو . اذكروا (إِذْ تُصْعِدُونَ) تبعدون فى الأرض هاربين (وَلَا تَلْوُونَ) تعرجون (عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ) أى من ورائكم يقول إلىّ عباد الله إلىّ عباد الله (فَأَثَابَكُمْ) فجازاكم (غَمًّا) بالهزيمة (بِغَمٍّ) بسبب غمكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على، أى مضاعفا على غم فوت الغنيمة (لِكَيْلَا) متعلق بعفا أو بأثابكم فلا زائدة (تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ) من الغنيمة (وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) من القتل والهزيمة (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً) أمنا (نُعَاسًا) بدل ،

بينهما ياء هى لام الكلمة فأعل بحذفها وقرأ الحسن شاذا بواو واحدة (قوله تعرجون) أى لاتقيمون مع أحد بل كل واحد ذاهب على حدة (قوله يدعوكم) أى يناديكم ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا وقيل ثمانية عشر رجلا وقيل لم يبق معه إلا طلحة عن يساره وجبريل عن يمينه وجمع بين الأقوال بأن ذلك بحسب اختلاف الأوقات حين احتاطت به الكفار

(قوله أى من ورائكم) أشار بذلك إلى أن أخرى بمعنى آخر وفى بمعنى من ويصح أن يبقى الكلام على ماهو عليه ويكون المعنى والرسول يدعوكم فى ساقتكم وجماعتكم الأخرى (قوله يقول إلىّ عباد الله) تمامه: أنا رسول الله من يكر فله الجنة (قوله فجازاكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالثواب مطلق المجازاة و إلا فالثواب هو ما يكون فى نظير الأعمال الصالحة وإنما سماه ثوابا لأن عاقبته محمودة (قوله أى مضاعفا) أى زائدا (قوله متعلق بعفا) أى وتكون لا أصلية والمعنى عفا عنكم ليذهب عنكم الحزن (قوله أو بأثابكم) أى فيكون المعنى أثابكم غما بغم لأجل حزنكم على فوات الغنيمة وعلى قتل أصحابكم فقوله فلا زائدة أى على هذا الثانى فقط (قوله والله خبير بما تعملون) أى فيعلم المخلص من غيره فان منهم من لزم رسول الله ولم ينتقل من موضعه أبدا وهو طلحة بن عبد الله ومنهم من ثبت لولا غلبة الكفار كبقية الاثنى عشر أو الثمانية عشر ومنهم من فر خوفا من القتل ومنهم من فر ابتداء لاظهار هزيمة المؤمنين وهؤلاء منافقون وقد ظهروا فى تلك الغزوة وافتضحوا، وأما المؤمنون فتقدم لهم النصر وعفا الله عن مسيئهم (قوله ثم أنزل عليكم) ثم للترتيب بدليل تصريحه بالبعدية بعد ذلك بقوله من بعد الغم (قوله أمنا) أشار بذلك إلى أن الأمنة والأمن بمعنى واحد وهو الطمأنينة زال سبب الخوف أولا وقيل إن الأمن هو الطمأنينة مع زوال سبب الخوف والأمنة الطمأنينة مع وجود أسبابه (قوله بدل) أى بدل كل من كل وهو ظاهر لأن الأمنة هى النعاس بعينها وقيل بدل اشتمال لأن الأمنة لها اشتمال بالنعاس وهو له اشتمال بها لأنه لايحصل النعاس إلا للآمن

(قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء الضمير عائد على النعاس وعلى التاء الضمير عائد على الأمنة (قوله يميدون) أى يميلون وقوله تحت الحجف بفتحتين وتقديم الحاء جمع حجفة كقصبة وقصب اسم للترس والدرقة كما فى المصباح (قوله وتسقط السيوف منهم) أى المرة بعد المرة وكلما سقطت أخذوها (قوله وطائفة) أى من غيركم وهم المنافقون (قوله قد أهمتهم أنفسهم) أهمّ فعل ماض والتاء علامة التأنيث وأنفسهم فاعل والمعنى أنهم يحرصون على نجاة أنفسهم من الموت لاتشييدا للدين (قوله ظنا غير الظن الحق) أشار بذلك إلى أن قوله غير الحق صفة لموصوف محذوف مفعول ليظنون وقوله الحق صفة لمصدر محذوف مضاف لغير وقوله ظن الجاهلية صفة ثانية وهو منصوب بنزع الخافض والمعنى أن هذه الطائفة حملتهم أنفسهم على الهزيمة لنجاتها ومن أوصافهم أنهم يظنون فى ربهم ظنا باطلا مثل ظن الجاهلية بمعنى أهل الجهل والكفر حيث ظنوا أن النبى قتل وأن دينه قد بطل قال تعالى ـ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ـ وقال تعالى ـ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ـ فحسن الظن بالله من علامات الايمان قال تعالى فى الحديث القدسى «أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ماشاء» وبالجملة فمن أراد أن يعلم عاقبة أمره فلينظر إلى ظنه بربه (قوله يقولون) أى اعتراضا على رسول الله

(يَغْشَى) بالياء والتاء (طَائِفَةً مِنْكُمْ) وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحجف وتسقط السيوف منهم (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ) أى حملتهم على الهمّ فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبى وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ) ظنا (غَيْرَ) الظن (الْحَقِّ ظَنَّ) أى كظن (الْجَاهِلِيَّةِ) حيث اعتقدوا أن النبى قتل أولا ينصر (يَقُولُونَ هَلْ) ما (لَنَا مِنَ الْأَمْرِ) أى النصر الذى وعدناه (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ، قُلْ) لهم (إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ) بالنصب توكيد أو بالرفع مبتدأ خبره (لِلَّهِ) أى القضاء له يفعل ما يشاء (يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَالَا يُبْدُونَ) يظهرون (لَكَ يَقُولُونَ) بيان لما قبله (لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَاقُتِلْنَا هَٰهُنَا) أى لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرها (قُلْ) لهم (لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ) وفيكم من كتب الله عليه القتل (لَبَرَزَ) خرج (الَّذِينَ كُتِبَ) قضى (عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ) منكم (إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة (وَ) فعل مافعل بأحد (لِيَبْتَلِيَ) يختبر (اللَّهُ مَافِي صُدُورِكُمْ) قلوبكم من الاخلاص والنفاق (وَلِيُمَحِّصَ) يميز (مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب لايخفى عليه شىء وإنما يبتلى ،

وتكذيبا له (قوله هل لنا) استفهام انكارى بمعنى النفى أى ماثبت لنا من النصر شىء فلنا خبر مقدم وشىء مبتدأ مؤخر ومن زائدة فيه ومن الأمر حال من شىء (قوله بالنصب توكيد) أى للأمر وخبر إن قوله لله (قوله أو بالرفع مبتدأ الخ) أى والجملة خبر إن والقراءتان سبعيتان (قوله أى القضاء له) تفسير للأمر والمعنى أن النصر بيد الله والله هو الفاعل المختار وليس النصر بكثرة العدد والعدد (قوله بيان لما قبله) أى استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما الذى يظهر يخفونه (قوله لو كان لنا من الأمر) أى الاختيار والرأى (قوله لكن أخرجنا كرها) أى فحصل القتل فينا (قوله قل لهم) أى ردا لمقالتهم واعتقادهم دفع قضاء الله المبرم (قوله لو كنتم فى بيوتكم) أى لو لم تخرجوا إلى أحد ومكثتم فى بيوتكم وقوله لبرز جواب لو والمعنى لخرج من قضى عليه بالموت إلى المحل الذى مات به لسبب من الأسباب ونفذ حكم الله فيه . ومما اتفق أن سليمان بن داود عليهما السلام كان جالسا وإذا بملك الموت أقبل عليه ونظر إلى رجل فى مجلسه فارتعدت فرائص الرجل فلما ذهب ملك الموت قال الرجل يانبى الله إنى خفت من نظرة هذا الرجل فقال هو ملك الموت قال الرجل مر الرياح لتذهب بى إلى أقصى البلاد ففعل فبعد لحظة وإذا بملك الموت قد أقبل على سليمان فقال له إن الله أمرنى أن أقبض روح ذلك الرجل بتلك الأرض فلما وجدته فى مجلسك تحيرت فكان منه ما كان فهو قد خرج هاربا وفى الواقع خرج لمصرعه (قوله وفعل مافعل) أشار بذلك إلى أن قوله ليبتلى علة لمحذوف والواو عاطفة لذلك المحذوف على أنزل (قوله وليمحص) عطف على ليبتلى من عطف المسبب على السبب

(قوله ليظهر للناس) أى المؤمن الخالص من غيره (قوله إلا اثنى عشر) منهم أبو بكر وعلى طلحة وسعد بن أبى وقاص وعبدالرحمن ابن عوف وتقدم فى رواية أن من بقى ثمانية عشر وقيل لم يبق إلا طلحة وتقدم الجمع بين هذه الروايات (قوله وهو مخالفة أمر النبى) أى حيث قسمهم خمسة أقسام وأقام كلا فى مركزه وقال لهم لا تبرحوا عن مكانكم غلبنا أو نصرنا فبعضهم تفرق للغنيمة والبعض فرقه الأعداء (قوله ولقد عفا الله عنهم) أى عن الجماعة الذين تفرقوا للغنيمة وعصوا أمر النبى (قوله إن الله غفور حليم) هذه الجملة تأكيد وعلة لما قبلها أى إنما عفا عنهم لأنه كثير المغفرة للذنوب واسع الحلم فلا يعجل بالعقوبة على العاصى لأن الكل فى قبضته ولا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوات (قوله لا تكونو كالذين كفروا) يعنى لا تشبهوهم فى قولهم فى شأن من مات أو قتل لو كانوا عندنا ماماتوا وما قتلوا فهم يعتقدون أن الفرار نافع من قضاء الله (قوله لاخوانهم) أى فى النسب أو الكفر والضلال والمعنى لا تكونوا مثلهم فى كفرهم ولا فى قولهم لاخوانهم الخ (قوله إذا ضربوا) إذا هنا لمجرد الزمان وأتى باذا إشارة إلى أن هذا الأمر محقق منهم (قوله سافروا) أى مطلقا لغزو أولا (قوله فماتوا) أخذه من قوله الآتى ماماتوا (قوله غزى) خبر كان منصوب بفتحة مقدرة على الألف المنقلبة عن الواو (قوله جمع غاز) أى على غير قياس وقياس المعتل غزاة كقضاة (قوله فقتلوا) أخذه من قوله وما قتلوا (قوله ما ماتوا) راجع لقوله إذا ضربوا (١٧٥) فى الأرض وقوله وماقتلوا راجع لقوله أو كانوا غزى (قوله أى لا تقولوا كقولهم) أى فانه شائبة من الكفر والضلال واعتقاده كفر (قوله ليجعل) اللام للعاقبة والصيرورة كهى فى قوله تعالى - فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى أن الكفار قصدوا بهذا الكلام اللوم على من خرج ومنع من يريد الخروج فكان عاقبة ذلك كونه يجعل حسرة فى قلوبهم (قوله فلا يمنع عن الموت قعود) أى عن الغزو والسفر ولا يجلب الغزو والسفر موتا بل لكل أجل كتاب فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء يكون وعيدا للكفار وعلى التاء يكون تحذيرا للمؤمنين (قوله فيجازيكم به) أى إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله لام قسم) أى موطئة له تقديره والله لئن قتلتم (قوله بضم الميم وكسرها) قراءتان سبعيتان وقوله من مات يموت راجع للضم ووزنه قال يقول وأصله يموت بسكون الميم وضم الواو نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها (قوله ويمات) راجع لقوله وكسرها فسكون من باب خاف يخاف وأصله يموت بسكون الميم وفتح الواو نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها ثم تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا (قوله أى أتاكم الموت فيه) أى فى السفر (قوله لمغفرة) أى تأتيه وقوله ورحمة أى إحسان فالموت خير من الحياة إن كان فى سفر غير معصية أو جهاد فانه شهادة على كل حال (قوله جواب القسم) أى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم لقول ابن مالك: * واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت (قوله وهو فى موضع الفعل) أى فتقديره لغفرت لكم ورحمتكم وظاهره أن جواب القسم لابد وأن يكون جملة فعلية وليس كذلك بل يكون جملة اسمية وقدم القتل هنا على الموت لأنه أهم وأشرف وقدم الموت أولا لمراعاة الترتيب وآخرا لأنه أعم من القتل (قوله مما تجمعون) يحتمل أن ما مصدرية والمعنى خير من جمعكم للدنيا أو موصولة والعائد محذوف تقديره خير من الذى تجمعونه من الدنيا.

ليظهر للناس (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ) عن القتال (يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ) جمع المسلمين وجمع الكفار بأحد وهم المسلمون إلا اثنى عشر رجلا (إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ) أزلهم (ٱلشَّيْطَانُ) بوسوسته (بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا) من الذنوب وهو مخالفة أمر النبى (وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (حَلِيمٌ) لا يعجل على العصاة (يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا) أى المنافقين (وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) أى فى شأنهم (إِذَا ضَرَبُوا) سافروا (فِى ٱلْأَرْضِ) فماتوا (أَوْ كَانُوا غُزًّى) جمع غاز فقتلوا (لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا) أى لا تقولوا كقولهم (لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ) القول فى عاقبة أمرهم (حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِى وَيُمِيتُ) فلا يمنع عن الموت قعود (وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء (بَصِيرٌ) فيجازيكم به (وَلَئِن) لام قسم (قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ) أى الجهاد (أَوْ مُتُّمْ) بضم الميم وكسرها من مات يموت و يمات أى أتاكم الموت فيه (لَمَغْفِرَةٌ) كائنة (مِّنَ ٱللَّهِ) لذنوبكم (وَرَحْمَةٌ) منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهو فى موضع الفعل مبتدأ خبره (خَيْرٌ مِّمَّا تَجْمَعُونَ) من الدنيا ،

(قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالوجهين) أى السابقين من ضم الميم وكسرها (قوله لإلى الله تحشرون) قال بعضهم إن الآية تشير إلى مقامات العبودية الثلاثة: الأول من يعبد الله خوفا من ناره وإليه الإشارة بقوله لمغفرة. الثانى من يعبد الله شوقا إلى جنته وإليه الإشارة بقوله ورحمة. الثالث من يعبد الله لذاته لا طمعا ولا خوفا وإليه الإشارة بقوله لإلى الله تحشرون وفى الحقيقة الثالث قد حاز جميعها لكن من غير قصد منه لأن مشاهدة الله لا تكون إلا فى الجنة ولابد، ومن ذلك قول بعض العارفين :

ليس قصدى من الجنان نعيما ... غير أنى أريدها لأراك

(قوله ما زائدة) أى للتوكيد والمعنى فبسبب رحمة من الله كنت لينا سهل الخلق . قال أنس بن مالك : خدمت رسول الله عشر سنين فما لامنى على شئ فعلته أو تركته (قوله رحمة من الله) التنوين للتعظيم (قوله ولو كنت فظا) أى صعب القول والفعل ومن سهولته قبول توبة وحشى قاتل عمه حمزة (قوله سيئ الخلق) المناسب أن يفسره بصعوبة القول والفعل (قوله غليظ القلب) أى قاسيه (قوله لانفضوا من حولك) أى ذهبوا إلى الكفار ولم يبق منهم أحد وأما من قبله من الأنبياء فقد عاملوا قومهم بالجلال كنوح حين قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وكهود وصالح فنبينا

رحمة للعالمين ولولا رحمته بنا ما بقى منا أحد فكان شفيعا عند ربه لنا فى كل بلاء عام طلبته الأنبياء لأممهم (قوله فاعف عنهم) شروع فى ذكر ترقيقه لهم فذكر أولا العفو عنهم ثم الاستغفار لهم ليطهرهم ربهم من الذنوب فإذا طهروا وصاروا أصفياء خلفاء شاورهم فى الأمر (قوله تطييبا لقلوبهم) أى تونيسا وجبرا لها لئلا ينفر ضعفاء المؤمنين لو لم تحصل المشاورة منه فلا

بالتاء والياء (وَلَئِنْ) لام قسم (مُتُّمْ) بالوجهين (أَوْ قُتِلْتُمْ) فى الجهاد أو غيره (لَإِلَى اللهِ) لا إلى غيره (تُحْشَرُونَ) فى الآخرة فيجازيكم (فَبِمَا) ما زائدة (رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ) يا محمد (لَهُمْ) أى سهلت أخلاقك إذ خالفوك (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا) سيىء الخلق (غَلِيظَ الْقَلْبِ) جافيا فأغلظت لهم (لَانْفَضُّوا) تفرقوا (مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ) تجاوز (عَنْهُمْ) ما أتوه (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) ذنوبهم حتى أغفر لهم (وَشَاوِرْهُمْ) استخرج آراءهم (فِي الْأَمْرِ) أى شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك، وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم (فَإِذَا عَزَمْتَ) على إمضاء ما تريد بعد المشاورة (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) ثق به لا بالمشاورة (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) عليه (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ) يعنكم على عدوكم كيوم بدر (فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ) يترك نصركم كيوم أحد (فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد خذلانه أى فلا ناصر لكم (وَعَلَى اللهِ) لا غيره (فَلْيَتَوَكَّلِ) ليثق (الْمُؤْمِنُونَ). ونزل لما فقدت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس لعل النبى أخذها (وَمَا كَانَ) ما ينبغى (لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ) يخون فى الغنيمة

(قوله وليستن بك) أى ليصير سنة لمن يأتى بعدك وليظهر صاحب الرأى السديد من غيره ولذا قدموا بعد النبى أبا بكر لأنه كان يشاوره كثيرا ثم عمر لأن القرآن كان ينزل على طبق ما يقول. واختلف هل كانت المشاورة فى أمر الدين والدنيا أو الدنيا فقط فقيل بالأول ولكن لا يتبع إلا الوحى وإنما المشاورة تطييبا لخاطرهم وقيل بالثانى وهو الظاهر (قوله ثق به) أى فلا يردك عنه أحد (قوله إن الله يحب المتوكلين) أى يثيب المفوضين الأمور إليه (قوله إن ينصركم الله) هذا خطاب تشريف للمؤمنين المجاهدين (قوله يعنكم) أشار بذلك إلى أن النصر بمعنى الإعانة ويطلق بمعنى المنع قال تعالى: فمن ينصرنى من الله إن عصيته، وبمعنى الانتقام قال تعالى: فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر (قوله فلا غالب لكم) أى ولو اجتمعت عليكم أهل الأرض جميعا (قوله أى بعد خذلانه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والضمير عائد على الله (قوله أى فلا ناصر لكم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى ولم يقل فلا ناصر لكم إشارة لعدم تقنيطهم من النصر تلطفا بهم أى فارجعوا إليه ينصركم قال تعالى: وكان حقا علينا نصر المؤمنين (قوله فليتوكل المؤمنون) أى المصدقون بأن النصر والخذلان من عند الله والمعنى فإذا علمتم أيها المؤمنون أن من نصره الله فلا يغلبه أحد ومن خذله لا ناصر له سواه فثقوا به واعتمدوا عليه (قوله لما فقدت قطيفة) أى من الغنيمة (قوله فقال بعض الناس) أى من المنافقين (قوله ينبغى) أى يمكن والمعنى لا يتأتى ذلك لأن الأنبياء معصومون

من الذنوب كبيرها وصغيرها ، وأما قوله تعالى ـ قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل ـ حكاية عن سيدنا يوسف فقال بعض المفسرين إن يوسف وهو صغير وجد صنما عند جده فأخذه خفية وكسره ووضعه فى محل القذر (قوله فلا تظنوا به ذلك) أى لأنها خيانة وهى محرمة والنبى معصوم من ذلك فمن جوّز المعصية على النبى فقد كفر لمنافاته للعصمة الواجبة (قوله ومن يغلل) كلام مستأنف قصد به التحذير لغير المعصومين (قوله حاملا له على عنقه) أى والناس ناظرون له فضيحة له ، روى الشيخان عن أبى هريرة قال « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئا » والرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت الذهب والفضة والحمحمة صوت الفرس وقوله لا ألفين نفى معناه النهى

فلا تظنوا به ذلك وفى قراءة بالبناء للمفعول أى ينسب إلى الغلول (وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) حاملا له على عنقه (ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ) الغالّ وغيره جزاء (مَا كَسَبَتْ) عملت (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئا (أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ) فأطاع ولم يغل (كَمَنْ بَاءَ) رجع (بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ) لمعصيته وغلوله (وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى ، لا (هُمْ دَرَجَاتٌ) أى أصحاب درجات (عِنْدَ اللَّهِ) أى مختلفو المنازل ، فلمن اتبع رضوانه الثواب ، ولمن باء بسخطه العقاب (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم به (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) أى عربيا مثلهم ليفهموا عنه ويشرفوا به لا ملكا ولا عجميا (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الذنوب (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة (وَإِنْ) مخففة أى إنهم (كَانُوا مِنْ قَبْلُ) أى قبل بعثه (لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيّن

أى لا يغل أحدكم حتى ألفاه هكذا (قوله أفمن) الهمزة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصدارة (قوله ولم يغل) أى لم يسرق ولم يخن (قوله بسخط) مصدر قياسى لسخط بكسر الخاء وله مصدر سماعى وهو سخط بضم السين وسكون الخاء (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم وقوله لا جواب الاستفهام (قوله هم درجات) أى رتب فمنهم المقبول فله الدرجات العلا ومنهم المردود فله الدركات السفلى وفيه تغليب الدرجات على الدركات لشرفها (قوله لقد منّ الله) هذا ترق فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم فنزهه أولا عن الغلول ثم بين أن وجوده بينهم نعمة عظيمة أنعم بها عليهم وفى الحقيقة هو نعمة حتى على الكفار وإنما خص المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بها وتدوم عليهم وأما الكفار وإن أمنوا به من الخسف والمسخ وكل بلاء عام ورزقوا به إلا أن عاقبتهم الخلود فى دار البوار ويتبرأ منهم ولا يشفع لهم فى النجاة من العذاب :

بشرى لنا معشر الاسلام إن لنا ... من العناية ركنا غير منهدم

(قوله لا ملكا) أى لعدم إطاقة البشر له قال تعالى ـ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ـ (قوله ولا عجميا) أى لعدم فهمهم عنه ما أرسل به ومن نعم الله أيضا كون القرآن عربيا قال تعالى ـ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى ـ الآية (قوله ويعلمهم الكتاب) أى بنفسه أو بواسطة كالعلماء (قوله السنة) العلم النافع (قوله مخففة) أى من الثقيلة لا عمل لها لقول ابن مالك :

وخففت إن فقل العمل ... وتلزم اللام إذا ما تهمل

(قوله لفى ضلال مبين) أى كفر واضح ظاهر . قال العارف البرعى :

أتى والجاهلية فى ضلال ... وكفر نعبد الحجر الأصنا ... وتأكل ميتة ودما وتسطو

على موءودة لأطفال دفنا ... فجاء بملة الاسلام يتلو ... مثانى فى صلاة الخمس مثنى

(قوله أولما أصابتكم) الهمزة داخلة على قوله قلتم أى هذا التقدير أقلتم أنى هذا حين أصابتكم الخ (قوله وأسر سبعين) لأن الفخر بالمأسور أعظم من المقتول لدلالته على عظم الشجاعة فلذلك قال قد أصبتم مثليها والمقصود من ذلك التسلية للمؤمنين (قوله والجملة الأخيرة) أى وهى قوله قلتم (قوله محل الاستفهام الانكارى) أى فهو بمعنى النفى والمعنى لا تقولوا ذلك حين أصابتكم مصيبة لأنه من عند أنفسكم فسببه ظاهر فلا يتعجب منه (قوله بخلافكم) أى مخالفتكم والمعنى جازاكم عليها (قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان) شروع فى بيان الحكم التى ترتبت على هزيمة المؤمنين بأحد (قوله علم ظهور) أى بالنسبة للخلق (قوله وأصحابه) أى وكانوا ثلاثمائة (قوله تعالوا قاتلوا) أى إما فى المقدم بالسيف أو فى المؤخر بالسهام (قوله بتكثير سوادكم) أى عددكم وأشخاصكم (قوله بما أظهروا) أى بسببه أى فاظهارهم الخذلان للمؤمنين سبب فى كونهم أقرب للكفر من الايمان (بدل من الذين قبله) أى وهو قوله الذين نافقوا (قوله وقعدوا) الجملة حالية فلذا قدر المفسر قد (قوله قل فادرءوا عن أنفسكم الموت) ورد أنه نزل بهم الموت وهم فى دورهم فمات منهم سبعون من غير قتال فى يوم واحد (قوله ونزل فى الشهداء) قيل شهداء بدر وقيل أحد وقيل شهداء بئر معونة وهم سبعون أرسلهم النبى صلى الله عليه وسلم لأهل نجد يعلمونهم القرآن فقتلوهم عن آخرهم ولم ينج منهم إلا واحد فر هاربا وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قتل فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله وسبب ذلك أن الشهداء الذين قتلوا لما رأوا ما رأوا من الحياة والرزق والنعيم الدائم قالوا يا ربنا ومن يوصل خبرنا لاخواننا الأحياء فقال لهم الله أنا أبلغ خبركم لإخوانكم فقال تعالى ـ ولا تحسبن ـ الآية (قوله ولا تحسبن) الخطاب قيل للنبى وقيل لكل من يصلح للخطاب والذين مفعول أول وأمواتا مفعول ثان و بل للاضراب الانتقالى وأحياء خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فى سبيل الله) أى طاعته والمعنى لم يكن لهم قصد إلا إعلاء دينه (قوله بل أحياء) بل للعطف وما بعدها خبر لمحذوف والجملة معطوفة على ما قبلها وهذه الحياة ليست كحياة الدنيا بل هى أعلى وأجل منها لأنهم يسرحون حيث شاءت أرواحهم (قوله عند ربهم) خبر ثان والمعنى أنهم فى كرامة ربهم وضيافته، وقوله يرزقون خبر ثالث .

(أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) بأحد بقتل سبعين منكم (قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا) ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم (قُلْتُمْ) متعجبين (أَنَّى) من أين لنا (هٰذَا) الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا والجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى (قُلْ) لهم (هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) لأنكم تركتم المركز فخذلتم (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) بأحد (فَبِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (وَلِيَعْلَمَ) الله علم ظهور (الْمُؤْمِنِينَ) حقا (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا، وَ) الذين (قِيلَ لَهُمْ) لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أبىّ وأصحابه (تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أعداءه (أَوِ ادْفَعُوا) عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا (قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ) نحسن (قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ) قال تعالى تكذيباً لهم (هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ) بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) ولو علموا قتالا لم يتبعوكم (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ) من النفاق (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله أو نعت (قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ) فى الدين (وَ) قد (قَعَدُوا) عن الجهاد (لَوْ أَطَاعُونَا) أى شهداء أحد أو إخواننا فى القعود (مَا قُتِلُوا، قُلْ) لهم (فَادْرَءُوا) ادفعوا (عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن القعود ينجى منه . ونزل فى الشهداء (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا) بالتخفيف والتشديد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لأجل دينه (أَمْوَاتًا، بَلْ) هم (أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أرواحهم فى حواصل طيور خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ،

كما

(قوله كما ورد في الحديث) أي وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله جعل أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش » انتهى، وأما أجسادهم فمحلها القبور غير أن الأرواح لما تعلق بها فلذلك لا يحصل لأجسادهم بلاء فأرواحهم لها جولان عظيم من البرزخ إلى أعلى السموات إلى داخل الجنان والطيور الخضر لها كالهوادج مع كونها متصلة بجسم صاحبها وما وصل للروح من النعيم يحصل للجسم أيضا وذلك نظير النائم فان النائم يرى أن روحه في المشرق أوفي المغرب مع كونها متصلة بجسمه وكالأولياء الذين أعطاهم الله التصريف فان الواحد منهم يكون جالسا في مكان وروحه تسرح في أمكنة متعددة وربك على كل شيء قدير ، ولذلك قال الله تعالى في آية البقرة - ولكن لاتشعرون - ومثل الشهداء الأنبياء بل حياة الأنبياء أجل وأعلى ، وأما المؤمنون غير الشهداء والأنبياء فأرواحهم تسرح من القبر إلى باب الجنة وتنظر ما أعد لها من النعيم المقيم لكن لاتدخلها إلى يوم القيامة وذلك يسمى عالم البرزخ واتساعه بالنسبة للدنيا كاتساع الدنيا بالنسبة لبطن الأم (قوله بما آتاهم) متعلق بقوله فرحين ، والذي آتاهم الله من فضله هو حياتهم ورزقهم (قوله وهم يستبشرون) أشار بذلك إلى أن يستبشرون خبر لمحذوف والجملة إما حالية من الضمير في فرحين أو مستأنفة (قوله بالذين لم يلحقوا بهم) أي في الموت والمعنى أنهم يفرحون بما أعطاهم الله و يفرحون بما أعد لاخوانهم الذين لم يموتوا الآن سواء كانوا موجودين أو سيوجدون إلى يوم القيامة لدخولهم الجنة واطلاعهم على منازل المؤمنين فيها (قوله من خلفهم) حال من الواو في يلحقوا أي حال كون الذين لم يلحقوا بهم متخلفين عنهم (قوله المعنى يفرحون) أي المتقدمون وقوله بأمنهم أي المتأخرين (قوله بنعمة من الله) أي لهم ولاخوانهم (قوله بالفتح عطفا على نعمة) أي و يكون المعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل و بأن الله لا يضيع الخ ، وقوله والكسر استئنافا أي في معنى العلة لما قبله والقراءتان سبعيتان (قوله الذين استجابوا) نزلت في أهل أحد حين دعاهم للقتال ثانيا بعد حصول التفرقة لهم فخرجوا وساروا خلف العدو ثمانية أميال ، فوقع بينهم ماوقع في مكان يقال له حمراء الأسد فحصل التوافق بين أبي سفيان والنبي أن يرفعوا القتال إلى العام القابل والموعد بدر الصغرى فسار أبو سفيان وأصحابه ومكث النبي بحمراء الأسد من يوم الأحد إلى يوم الجمعة إذا علمت ذلك فقول المفسر بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان الخ ليس بسديد فان الآية نزلت مدحا لمن أجاب الرسول للقتال ثانيا في غزوة أحد يوم الأحد بعد الواقعة التي كانت يوم السبت وتسمى غزوة يوم الأحد غزوة حمراء الأسد وهي التي مدحهم الله بها وأنجز خلاهم بها (قوله بأحد) المناسب أن يقول بعد ذلك يوم السبت واستجابوا له يوم الأحد (قوله منهم) من بيانية على حد فاجتنبوا الرجس من الأوثان (قوله الذين قال لهم الناس) شروع في ذكر غزوة بدر الثالثة وتسمى بدرا الصغرى وكانت في السنة الرابعة في شعبان وهو يوم موسم عظيم لقبائل العرب كل عام فخرج أبو سفيان حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي فقال أبو سفيان يانعيم إني قد واعدت محمدا أن نلتقي بموعد بدر وهذا عام جدب فأحب أن يكون الخلف منه لا مني فاذهب إلى المدينة فثبطهم عن الخروج ولك عندي عشرة من الإبل فانطلق نعيم إلى المدينة فوجد النبي وأصحابه يتجهزون فقال لهم ماتريدون ؟ فقالوا لميعاد أبي سفيان فقال لهم لاتقدروا عليهم فانهم قد جمعوا لكم فاخشوهم فقال النبي لأخرجن إليهم ولو وحدي فخرج النبي في ألف وخمسمائة مقاتل حتى بلغوا بدرا وكانت موضع سوق للعرب يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام فصادفوا الموسم و باعوا ما كان معهم من التجارات فربحوا في الدرهم درهمين ولم يأتهم أحد من المشركين فرجعوا بربح وأجر عظيمين وأسلم كثير من أهل القبائل حينئذ .

كما ورد في الحديث (يُرْزَقُونَ) يأكلون من ثمار الجنة (فَرِحِينَ) حال من ضمير يرزقون (بِمَا آتَيٰهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ،وَ) هم (يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون (بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ) من إخوانهم المؤمنين و يبدل من الذين (أَنْ) أي بأن (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) أي الذين لم يلحقوا بهم (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ) ثواب (مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ) زيادة عليه (وَأَنَّ) بالفتح عطفاً على نعمة والكسر استئنافاً (اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ) بل يأجرهم (الَّذِينَ) مبتدأ (اسْتَجَابُوا لِلهِ وَالرَّسُولِ) دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العود وتواعدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم سوق بدر العام المقبل من يوم أحد (مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ) بأحد وخبر المبتدإ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ) بطاعته (وَاتَّقَوْا) مخالفته (أَجْرٌ عَظِيمٌ) هو الجنة (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله أو نعت (قَالَ لَهُمُ النَّاسُ)

أى نعيم بن مسعود الأشجعى (إِنَّ النَّاسَ) أبا سفيان وأصحابه (قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ) الجموع ليستأصلوكم (فَاخْشَوْهُمْ) ولا تأتوهم (فَزَادَهُمْ) ذلك القول (إِيمَانًا) تصديقاً بالله ويقيناً (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ) كافينا أمرهم (وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) المفوّض إليه الأمر هو. وخرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب فى قلب أبى سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا، قال تعالى (فَانْقَلَبُوا) رجعوا من بدر (بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ) بسلامة وربح (لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ) من قتل أو جرح (وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ) بطاعته ورسوله فى الخروج (وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) على أهل طاعته (إِنَّمَا ذَلِكُمُ) أى القائل لكم إن الناس الخ (الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ)كم (أَوْلِيَاءَهُ) الكفار (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ) فى ترك أمرى (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) حقاً (وَلَا يَحْزُنْكَ) بضم الياء وكسر الزاى وبفتحها وضم الزاى من حزنه لغة فى أحزنه (الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) يقعون فيه سريعاً بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أى لاتهتم لكفرهم (إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا) بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم (يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا) نصيباً (فِي الْآخِرَةِ) أى الجنة فلذلك خذلهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى النار (إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ) أى أخذوه بدله (لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ) بكفرهم (شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَلَا يَحْسَبَنَّ) بالياء والتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي) أى إملاءنا (لَهُمْ) بتطويل الأعمار وتأخيرهم (خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ) وأنّ ومعمولاها سدت مسد المفعولين فى قراءة التحتانية ومسد الثانى فى الأخرى

(قوله أى نعيم بن مسعود) أى فأطلق الكل وأراد البعض وقد أسلم بعد ذلك عام الخندق (قوله ذلك القول) أشار بذلك إلى فاعل زاد على حد: اعدلوا هو أقرب للتقوى (قوله هو) أى الله وهو إشارة المخصوص بالمدح، وهذه الدعوة من أفضل الدعوات وقد استعملها العارفون للمهمات وجعلوا عدتها أربعمائة وخمسين فمن فعلها كفاه الله ما أهمه (قوله فلم يأتوا) أى أبوسفيان وأصحابه وقد أسلم هو يوم الفتح بعد أن أسر (قوله وربحوا) أى فى الدرهم درهمين (قوله بسلامة وربح) راجع للنعمة والفضل (قوله أى القائل لكم) أى وهو نعيم بن مسعود الأشجعى (قوله يخوفكم أولياءه) أشار بذلك إلى أن يخوف ينصب مفعولين الكاف المقدرة مفعول أول وأولياءه مفعول ثان، والمعنى يخوفكم شرّ أوليائه وهم الكفار (قوله ولايحزنك) نزلت تسلية للنبىّ صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين (قوله بضم الياء الخ) قراءتان سبعيتان ولغتان مشهورتان الأولى من أحزن والثانية من حزن (قوله يقعون فيه) أشار بذلك إلى أن يسارعون مضمن معنى يقعون فعداه بفى إشارة إلى أنهم تلبسوا بالكفر وليسوا بخارجين عنه (قوله بنصرته) أى الكفر بمقاتلة النبى وأصحابه (قوله إنهم لن يضرّوا الله شيئا) علة للنهى وهو على حذف مضاف تقديره لن يضروا أولياء الله شيئا وإنما أسند الضرر لنفسه تشريفا لهم كأن محاربة المسلمين محاربة له. إن قلت إن قتلهم للمؤمنين مشاهد وهو ضرر فكيف ينفى. أجيب بأنه ليس بضرر بل هو شهادة فالمؤمنون فائزون على كل حال قتلوا أو قتلوا والكافرون خاسرون على كل حال قتلوا أو قتلوا (قوله ولهم عذاب عظيم) أى جزاء لمسارعتهم فى الكفر ونصرتهم له (قوله إن الذين اشتروا الكفر بالايمان) هذه الجملة مؤكدة لما قبلها (قوله أى أخذوه بدله) يعنى تركوا الايمان واختاروا الكفر (قوله ولهم عذاب أليم) إنما وصف العذاب هنا بكونه أليما لأن من اشترى سلعة وخسر فيها تألم منها ووصفه فيما تقدم بالعظيم لأن المسارعة للشئ تقتضى عظمه (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء الخطاب للنبى وقوله الذين كفروا مفعول أول لتحسبن وقوله أنما نملى لهم فى محل المفعول الثانى وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم. والمعنى لاتظن أن إمهال الكافر بطول عمره وأكله من رزق الله ومقاتلته فى أولياء الله خير له وإنما إمهاله ازدياد إثما وجرما قال تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - الآية، وعلى الياء فقوله الذين كفروا فاعل تحسبن وقوله أنما نملى لهم خير سد مسد مفعوليها كما قال المفسر. والمعنى لايظن الكفار أن إملاءنا أو إمهالنا لهم خير لهم بل هو شر لهم لأننا إنما نملى لهم ليزدادوا إثما (قوله أى إملاءنا) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر اسم أن (قوله ومسد الثانى فى الأخرى) أى ومفعولها الأول

هم الذين كفروا (قوله إنما نملى لهم) تعليل لما قبله (ولهم عذاب مهين) وصفه بالإهانة لأن من شأن من طال عمره فى الكفر أن تنفذ كلمته و يزداد عزا فعومل بضد مالقى فى الدنيا (قوله ما كان الله ليذر المؤمنين) هذا وعد من الله لنبيه بأنه سيميز له المؤمن من المنافق (قوله أيها الناس) أى المؤمنون والكفار (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفعل ذلك يوم أحد) أى حيث امتحنهم بالقدوم على العدوّ و بذل الأموال وكذلك فى غزوة الأحزاب وكذلك فى ميعاد أبى سفيان فى العام القبل من أحد ففضحهم الله وميزهم فى مواضع عديدة (قوله على الغيب) أى ماغاب عنهم (قوله ولكن الله) استدراك على ماتقدم فى قوله :وما كان الله ليطلعكم على الغيب كأنه قال إلا الرسل فانه يطلعهم على الغيب (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى بزكاته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى بزكاة ما آتاهم الله من فضله (قوله مقدّرا قبل الموصول) أى فتقديره ولاتحسبن بخل الذين يبخلون الخ خبرا لهم إذا علمت ذلك فقول المفسر

بخلهم فيه تسمح لأن المقدر قبل الموصول

(إِنَّمَا نُمْلِي) نمهل (لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا) بكثرة المعاصى (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة فى الآخرة (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ) ليترك (الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ) أيها الناس (عَلَيْهِ) من اختلاط المخلص بغيره (حَتَّى يَمِيزَ) بالتخفيف والتشديد : يفصل (الْخَبِيثَ) المنافق (مِنَ الطَّيِّبِ) المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك وفعل ذلك يوم أحد (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ) فتعرفوا المنافق من غيره قبل التميز (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي) يختار (مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ) فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي صلى الله عليه وسلم على حال المنافقين (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) النفاق (فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ. وَلَا يَحْسَبَنَّ) بالياء والتاء (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) أى بزكاته (هُوَ) أى بخلهم (خَيْرًا لَهُمْ) مفعول ثان والضمير للفصل والأول بخلهم مقدراً قبل الموصول على الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية (بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ) أى بزكاته من المال (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بأن يجعل حية فى عنقه تنهشه كما ورد فى الحديث (وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) يرثهما بعد فناء أهلهما (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء والياء (خَبِيرٌ) فيجازيكم به (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ) وهم اليهود قالوه لما نزل «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً» وقالوا لو كان غنياً ما استقرضنا (سَنَكْتُبُ) نأمر بكتب (مَا قَالُوا) فى صحائف أعمالهم ليجازوا عليه ، وفى قراءة بالياء مبنياً للمفعول (وَ) نكتب (قَتْلَهُمُ)،

يكون مضافا له لا للضمير وإنما المضاف للضمير هو ماقدر قبل الضمير (قوله وقبل الضمير) أى فتقديره ولايحسبن الذين يبخلون الخ بخلهم خيرا لهم (قوله كما ورد فى الحديث) أى وهو قوله عليه الصلاة والسلام «يمثل مال مانع الزكاة بشجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه و يقول أنا كنزك أنا مالك ثم تلا ولاتحسبن الذين يبخلون الآية» وقال تعالى ـ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم الآية ـ وهذا إذا كان المال من حلال فما بالك إذا كان من حرام و بخل به (قوله ولله ميراث السموات والأرض) هذا كالدليل لما قبله كأنه قال لامعنى للبخل بالمال فانه لله يعطيه لمن يشاء ليصرفه فيما أمر به مدة حياته فاذا مات رجع المال لصاحبه . قال الشاعر : وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوما أن تردّ الودائع

(قوله لقد سمع الله) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد سمع الخ . وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالدخول فى الاسلام و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا قال كبراء اليهود كحيى بن أخطب وكعب بن الأشرف وفنحاص ابن عاذوراء لأبى بكر الصديق حين أمرهم بما ذكر على لسان رسوله: إن الله فقير ونحن أغنياء ولوكان غنيا ما استقرضنا ، ومعنى سمعه له علمه و إحصاؤه والمجازاة عليه (قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) هذا من تلطف الله بعباده وتنزله لهم و إلا فالملك لله وحده ، و إنما سماه قرضا لأن جزاءه عليه كمجازاة المقترض أوأعظم فمن إحسانه علينا خلق ونسب إلينا وليس معناه أقرضوا الله لينتفع به بل معناه أعطوا الفقراء لأجلى ومجازاتكم علىّ (قوله وفى قراءة بالياء) أى فهما قراءتان سبعيتان ، فعلى هذه القراءة يكون الموصول وصلته نائب الفاعل وعلى الأولى يكون مفعولا والفاعل ضمير يعود على الله .

بالنصب والرفع (الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ) بالنون والياء ، أى الله هم فى الآخرة على لسان الملائكة (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) النار، ويقال لهم إذا ألقوا فيها (ذَٰلِكَ) العذاب (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) عبر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تزاول بها (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أى بذى ظلم (لِلْعَبِيدِ) فيعذبهم بغير ذنب (الَّذِينَ) نعت للذين قبله (قَالُوا) لمحمد (إِنَّ اللَّهَ) قد (عَهِدَ إِلَيْنَا) فى التوراة (أَ) ن (لَا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ) نصدقه (حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ) فلا نؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قُبِل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقى مكانه وعهد إلى بنى إسرائيل ذلك إلا فى المسيح ومحمد قال تعالى (قُلْ) لهم توبيخاً (قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (وَبِالَّذِي قُلْتُمْ) كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به (فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنكم تؤمنون عند الإتيان به (فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات(وَالزُّبُرِ) كصحف إبراهيم (وَالْكِتَابِ) وفى قراءة بإثبات الباء فيهما (الْمُنِيرِ) الواضح كالتوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ) جزاء أعمالكم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ) بعد (عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)نال غاية مطلوبه (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أى العيش فيها (إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) ، الباطل

(قوله بالنصب والرفع) لف ونشر مرتب وهو معطوف على محل الموصول وصلته ومحله إما نصب على قراءة النون أو رفع على قراءة الياء (قوله بغير حق) أى حتى فى اعتقادهم . إن قلت إن ذلك كان فى أجدادهم فلم أوخذوا به . أجيب بأن رضاهم به صيره كأنه واقع منهم لأن الرضا بالكفر كفر (قوله أى الله) هذا تفسير لقراءة الياء ويحتمل أنه راجع لقراءة النون ويكون حل معنى وإلا فمقتضى حلها أن يقول أى نحن (قوله عبر بها عن الانسان الخ) أى فهو من باب تسمية الكل باسم جزئه وقوله لأن أكثر الأفعال تزاول بها علة لارتكاب المجاز (قوله وأن الله) معطوف على الموصول عطف علة على معلول التقدير ذلك العذاب بما قدمت أيديكم لأن الله ليس بظلام للعبيد (قوله أى بذى ظلم) دفع بذلك ما يقال إن المنفى كثرة الظلم فيفيد أن أصل الظلم ثابت فأجاب بأن هذه الصيغة للنسب لا للمبالغة كتمار . قال ابن مالك : ومع فاعل وفعال فعل فى نسب أغنى عن اليا فقبل (قوله نعت للذين قبله) أى وهو قوله : الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء فقد وصفهم بأوصاف زادتهم قبحا وشناعة (قوله فى التوراة) أى على لسان موسى ،

قيل إن تلك المقالة لم تقع أصلا فهى كذب محض ، وقيل إنها موجودة فى التوراة إلا فى حق المسيح ومحمد ، وأما هما فمعجزاتهما غير ذلك فهم قد كذبوا على التوراة على كل حال (قوله من نعم) أى إبل وبقر وغنم وقوله وغيرها أى كخيل وبغال وحمير وأمتعة (قوله بيضاء) أى لادخان لها ولها دوى (قوله إلا فى المسيح ومحمد) هذه طريقة والطريقة الأخرى أن هذا العهد باطل وكذب من أصله (قوله كزكريا ويحيى) أى جاءوا بقربان وأكلته النار (قوله لرضاهم به) أى والرضا بالكفر كفر (قوله فلم قتلتموهم) أى فلأى شئ قتلتموهم (قوله فان كذبوك) أى داموا على تكذيبك وجواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله فاصبر كما صبروا والمناسب ذكره بلصقه وأما فقد كذب رسل فدليل الجواب ولا يصح أن يكون جوابا لأنه ماض بالنسبة للشرط وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله المعجزات) أى الظاهرة الباهرة (قوله والزبر) جمع زبور وهو كل كتاب اشتمل على المواعظ من الزبر وهو الموعظة والزجر (قوله والكتاب) عطف خاص على عام وإنما خصهما لشرفهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله كل نفس ذائقة الموت) هذا أيضا من جملة التسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى كل روح ذائقة الموت لجسمها وإلا فالروح لا تموت وعموم الآية يشمل حق الشهداء والأنبياء والملائكة وأما قوله تعالى : ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء فمعناه ترد بعد خروجها لهم وكذلك الأنبياء والملائكة ، وأما ماعداهم فلا ترد لهم إلا عند النفخة الثانية (قوله جزاء أعمالكم) أى خيرها وشرها (قوله يوم القيامة) أى وما ألحق به لما ورد « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » (قوله وأدخل الجنة) أى مع السابقين أو بعد الخروج من النار (وما الحياة الدنيا) أى القريبة وهى التى نحن ملتبسون بها .

(قوله الباطل) أى الزائل الذى لايبقى ويصح أن يراد بالغرور مصدر بمعنى اسم المفعول : أى المخدوع بالشىء الحسن ظاهره القبيح باطنه بمعنى أنه لا يدرى العواقب . قال الامام الشافعى :

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحىّ وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

(قوله لتبلونّ) إخبار من الله للمؤمنين بأنه سيقع لهم بلايا من الله بلاواسطة ومن الكفار أذى كثير فى أموالهم وأعراضهم وأنفسهم وأمر منه لهم بالصبر حين وقوع ذلك لأن الجنة حفت بالمكاره والللام موطئة لقسم محذوف وتبلون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالى النونات والواو نائب فاعل والنون للتوكيد وأصله تبلوون أكد فصار تبلوونن ثم أتى باللام لتدل على القسم المحذوف تحركت الواو الأولى التى هى لام الكلمة وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقاء الساكنين ثم حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال ثم حركت الواو بحركة مجانسة لها (قوله لالتقاء الساكنين) علة لمحذوف تقديره وحذفت الألف المنقلبة عن الواو الأولى لالتقاء الساكنين (قوله لتختبرنّ) حل لمعنى لتبلونّ ، والمعنى يعاملكم معاملة المختبر و إلا فهو أعلم بكم من أنفسكم (قوله بالفرائض فيها) أى كالزكاة والكفارات والنذور ، وقوله والجوائح : أى الأمور السماوية التى تهلك الزرع كالجراد والفأر

الباطل يتمتع به قليلاً ثم يفنى (لَتُبْلَوُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: لتختبرن (فِي أَمْوَالِكُمْ) بالفرائض فيها والجوائح (وَأَنْفُسِكُمْ) بالعبادات والبلاء (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) اليهود والنصارى (وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) من العرب (أَذًى كَثِيراً) من السبّ والطعن والتشبيب بنسائكم (وَإِنْ تَصْبِرُوا) على ذلك (وَتَتَّقُوا) الله (فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى من معزوماتها التى يعزم عليها لوجوبها (وَ) اذكر (إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أى العهد عليهم فى التوراة (لَيُبَيِّنُنَّهُ) أى الكتاب (لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ) أى الكتاب بالياء والتاء فى الفعلين (فَنَبَذُوهُ) طرحوا الميثاق (وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ) فلم يعملوا به (وَاشْتَرَوْا بِهِ) أخذوا بدله (ثَمَناً قَلِيلاً) من الدنيا من سفلتهم برياستهم فى العلم فكتموه خوف فوته عليهم (فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ) شراؤهم هذا (لَا تَحْسَبَنَّ) بالتاء والياء (الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا) فعلوا من إضلال الناس (وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا) من التمسك بالحق وهم على ضلال (فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ) ،

والظلمة (قوله بالعبادات) أى التكاليف بها ، وقوله والبلاء : أى الذى يصيب الانسان فى نفسه كالعمى والجراحات وغير ذلك (قوله من قبلكم) جار ومجرور حال من قوله الذين أوتوا الكتاب وأصل لتسمعن تسمعون أكد بالنون ولام القسم حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ولوجود الضمة التى تدلّ عليها (قوله والتشبيب بنسائكم) أى بذكر محاسنهنّ وأوصافهنّ بالقصائد وتناشدها بينهم ، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف لعنه الله (قوله على ذلك) أى المذكور من الابتلاء فى الأموال والأنفس وسماع الأذى من أهل الكتاب (قوله لوجوبها) أى فالصبر على ماذكر والتقوى لله من الأمور الواجبة فان من علامة الإيمان الصبر والتقوى وقبيح على الانسان يدعى محبة الله ثم لم يصبر على أحكامه . قال العارف :

تدعى مذهب الهوى ثم تشكو ... أين دعواك فى الهوى يامعنى
لو وجدناك صابرا لبلانا ... لعطيناك كلّ ما تتمنى

(قوله بالياء والتاء فى الفعلين) أى وهما ليبيننه ولا يكتمونه وهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء إخبار عنهم وعلى التاء حكاية للحال الماضية (قوله فنبذوه وراء ظهورهم) كناية عن عدم التمسك به لأن من لم يتمسك بشىء ولم يعتنه طرحه خلف ظهره (قوله شراؤهم) أشار به إلى أن ما مؤولة بمصدر فاعل بئس ، وقوله هذا هو المخصوص بالذم وهذه الآية و إن وردت فى الكفار تجرّ بذيلها على عصاة المؤمنين الذين يكتمون الحقّ وينصرون الباطل (قوله بالتاء والياء) فعلى التاء الخطاب للنبى أو لمن يصلح له الخطاب والذين مفعول أوّل والمفعول الثانى محذوف دلّ عليه قوله بمفازة من العذاب تقديره ناجين من عذاب الله وعلى الياء فقوله الذين فاعل ومفعولاها محذوفان تقديرها أنفسهم ناجين من عذاب الله وسيأتى يشير لذلك المفسر

(قوله بالوجهين) أى الياء والتاء لكن على قراءة التاء الباء مفتوحة وهذه الآية تجر بذيلها على من يكون خبيث الباطن وعجب زينة الظاهر كأن يظهر العلم والصلاح والتقوى مع كونه فى الباطن ضالا مضلا (قوله ولله ملك السموات والأرض) أى التصرف فيما فى السموات وما فى الأرض لأن ذات السموات والأرض لا نزاع فى أنهما مملوكان لله (قوله ومنه) أى من الشىء المقدور عليه (قوله إن فى خلق السموات والأرض) سبب نزولها أن كفار مكة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ائتنا بآية تدل على أن الله واحد ، فقال تعالى ردا عليهم – إن فى خلق السموات والأرض – الآيات و إن حرف توكيد ونصب وفى خلق جار ومجرور خبرها مقدّم وخلق مضاف والسموات مضاف إليه ، وقوله لآيات اسمها مؤخر (قوله وما فيهما من العجائب) أشار بذلك إلى أن خلق باق على مصدريته بمعنى الإيجاد ويحتمل أن يكون بمعنى اسم المفعول : أى مخلوقات السموات والأرض ، وقوله من العجائب : أى كالنجوم والشمس والقمر والسحاب بالنسبة للسموات ، والبحار والجبال والنباتات والحيوانات بالنسبة للأرض . قال تعالى – أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ، والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج – وبالجملة : ففى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

بالوجهين تأكيد (بِمَفَازَةٍ) بمكان ينجون فيه (مِنَ الْعَذَابِ) فى الآخرة بل هم فى مكان يعذبون فيه وهو جهنم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فيها ومفعولا تحسب الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية ، وعلى الفوقانية حذف الثانى فقط (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) وما فيهما من العجائب (وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالمجىء والذهاب والزيادة والنقصان (لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) لذوى العقول (الَّذِينَ) نعت لما قبله أو بدل (يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ) مضطجعين أى فى كل حال ، وعن ابن عباس يصلون كذلك حسب الطاقة (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا) الخلق الذى نراه (بَاطِلًا) حال : عبثا بل دليلا على كمال قدرتك (سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن العبث (فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ) ،

ثالخلود

(قوله بالمجىء والذهاب) أى بمجىء الليل عقب النهار والنهار عقب الليل فليس أحد يقدر على إتيان الليل فى النهار ولا العكس (قوله والزيادة والنقصان) أى زيادة أحدهما بقدر ما نقص من الآخر (قوله دلالات) أى براهين قطعية دالة على كونه متصفا بالكمالات منزها عن النقائص (قوله ذوى العقول) أى أصحاب العقول الكاملة (قوله نعت لما قبله) أى وهو أولى فهو فى محل جر (قوله مضطجعين) أشار بذلك إلى أن قوله : وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف حال فهو حال مؤوّلة بعد حال صريحة (قوله أى فى كل حال) تفسير لقوله – قياما وقعودا وعلى جنوبهم – (قوله يصلون كذلك) أى قياما إن قدروا فان لم يقدروا فقعودا فان لم يقدروا فعلى جنوبهم (قوله ليستدلوا به على قدرة صانعهما) أى واتصافه بالكمالات فالتفكر مورث للعلم والمعرفة . قال العارف أبو الحسن الشاذلى : ذرة من عمل القلوب خير من مثاقيل الجبال من عمل الأبدان (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أنه حال من الواو فى يتفكرون ، والمعنى يتفكرون قائلين ربنا الخ وهو إشارة لثمرة الفكر فثمرة الفكر الاستدلال والمعرفة بالله (قوله حال) أى من قوله هذا ، وهذه الحال لا يستغنى عنها فهى واجبة الذكر كقوله تعالى – وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين – (قوله سبحانك) مصدر منصوب بفعل محذوف وجوبا تقديره أسبح سبحانك ، وهذه الجملة معترضة بين قوله – ربنا ما خلقت هذا باطلا – وبين قوله – فقنا عذاب النار – (قوله فقنا عذاب النار) هذا مسبب عن قوله – ربنا ما خلقت هذا باطلا – أى حيث وحدناك ونزهناك عن النقائص فقنا عذاب النار لأن النار جزاء من عصى ولم يوحد (قوله إنك من تدخل النار الخ) هذا علة لما قبله ، والمعنى إنما طلبنا الوقاية من عذاب النار لأن من أدخلته النار فقد أخزيته .

(قوله للخلود فيها) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن قوله تعالى - يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه - يقتضى أن جميع المؤمنين غير مخزيين مع أن بعض العصاة منهم يدخل النار تطهيرا لما اقترفه وهذه الآية تدل على أن من دخل النار مخزى و إن مؤمنا . فأجاب المفسر بحمل الآية على الكفار (قوله زائدة) أى للتوكيد فى المبتدإ المؤخر وقوله للظالمين خبر مقدم (قوله مناديا) أى داعيا وهو على حذف مضاف، أى نداء مناد (قوله ينادى) صفة لمناديا على الصحيح خلافا لمن جعله مفعولا ثانيا لسمع لأنها لا تنصب إلا مفعولا واحدا على الصحيح (قوله وهو محمد) أى فاسناد النداء إليه حقيقى وقوله أو القرآن أى فاسناد النداء إليه مجازى والمعنى منادى به (قوله أن آمنوا) أن تفسيرية، وقوله بربكم أى صدقوا بأنه يجب له كل كمال و يستحيل عليه كل نقص (قوله فاغفر لنا ذنوبنا) أى استرها عن أعين الخلق وقوله وكفر عنا سيئاتنا أى غطها عنا فلا تؤاخذنا بها وامحها من الصحف وهو ترق عظيم فى طلب المغفرة فهو من عطف الخاص على العام (قوله بالعقاب عليها) أى ولا بالعتاب عليها (قوله وتوفنا مع الأبرار) أى احشرنا معهم واجعلنا فى زمرتهم ، والمراد بالأبرار المطهرون الذين لم يفعلوا ذنوبا (قوله وآتنا) معطوف على محذوف تقديره حقق لنا ما ذكر وآتنا (قوله من الرحمة والفضل) بيان لما (قوله وسؤالهم ذلك الخ) أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله أن يقال إن وعد الله لا يتخلف قال تعالى - وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما - فلا فائدة فى ذلك السؤال أجاب المفسر بقوله سؤال أن يجعلهم الخ . وحاصل ذلك الجواب أن العاقبة مجهولة ووعد الله لا يخلف لمن

للخلود فيها (فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) أهنته (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) الكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزى بهم (مِنْ) زائدة (أَنْصَارٍ) يمنعونهم من عذاب الله تعالى (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي) يدعو الناس (لِلْإِيمَانِ) أى إليه وهو محمد أو القرآن (أَنْ) أى بأن (آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا) به (رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ) غط (عَنَّا سَيِّئَاتِنَا) فلا تظهرها بالعقاب عليها (وَتَوَفَّنَا) اقبض أرواحنا (مَعَ) فى جملة (الْأَبْرَارِ) الأنبياء والصالحين (رَبَّنَا وَآتِنَا) أعطنا (مَا وَعَدْتَنَا) به (عَلَى) ألسنة (رُسُلِكَ) من الرحمة والفضل ، وسؤالهم ذلك وإن كان وعده تعالى لا يخلف سؤال أن يجعلهم من مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير ربنا مبالغة فى التضرع (وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) الوعد بالبعث والجزاء (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) دعاءهم (أَنِّي) أى بأنى (لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى) ،

حمدت عاقبته ومن أين لنا حسن العاقبة ففائدة السؤال أن الله يحسن عاقبتهم فاذا حسنت تحقق وعده تعالى: إن قلت لا يخلو الأمر إما أن تكون العاقبة فى نفس الأمر محمودة فوعد الله له محقق ولا بد و إما أن تكون غير محمودة فليس له عند الله وعد أصلا فلا فائدة فى الدعاء. وأجيب بأن توفيقه للدعاء دليل على أن الله لا يخلف وعده الذى وعده إياه . قال بعضهم ما وفقك للدعاء إلا ليعطيك فحيث وفق العبد للدعاء كان دليلا على قبوله و إثابته وحسن عاقبته ولذا لم يوفق إبليس للتوبة ولا للدعاء (قوله وتكرير ربنا الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله أنه لم كرر لفظ ربنا خمس مرات فأجاب بأنه مبالغة فى التضرع: أى الخضوع والتذلل ولما ورد أنه الاسم الأعظم، وعن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد ، قيل وكيف ذلك قال اقرءوا قوله تعالى - إن فى خلق السموات والأرض - الآيات، وهى من أوراد الصالحين تقرأ إلى آخر السورة عند الاستيقاظ من النوم ليلا فمن لازم عليها تحقق بما فيها وحصل له ثواب من قام الليل (قوله يوم القيامة) ظرف لقوله ولا تخزنا أى لا تفضحنا فى ذلك اليوم (قوله إنك لا تخلف الميعاد) علة لقوله آتنا ما وعدتنا الخ (قوله فاستجاب لهم) أى لأولى الألباب الموصوفين بما تقدم واستجاب بمعنى أجاب فالسين والتاء زائدتان للتأكيد وهو يتعدى بنفسه واللام (قوله ربهم) إنما عبر به دون غيره من الأسماء لمناسبة دعائهم به (قوله أى بأنى) أشار بذلك إلى أن أن بفتح الهمزة باتفاق السبعة وفيه حذف الجار وهو مطرد إذا أمن اللبس، قال ابن مالك :

. . . وفى أن وأن يطرد ... مع أمن لبس كعجبت أن يدوا

وهذه الباء للسببية وقرئ شذوذا باثباتها وقرئ شذوذا أيضا بكسر الهمزة على تقدير القول (قوله لا أضيع) هكذا بسكون الياء من أضاع وقرئ بتشديد الياء من ضيع

 (قوله منكم) جار ومجرور صفة لعامل وقوله من ذكر أو أنثى من بيانية وقيل زائدة

وذكر أو أنثى بدل من عامل وقيل إن الجار والمجرور بدل من الجار والمجرور قبله بدل كل من كل (قوله بعضكم من بعض) هذه الجملة قصد بها التعليل والتعميم ، والمعنى لاأضيع عمل عامل منكم جميعا ذكر أو أنثى لأن ربكم واحد وأصلكم واحد ودينكم واحد وبعضكم متناسل من بعض (قوله مؤكدة لما قبلها) أى قصد بها التعميم (قوله نزلت) أى هذه الآية من هنا إلى قوله والله عنده حسن الثواب (قوله من مكة إلى المدينة) أى أو إلى الحبشة كما كان فى صدر الاسلام فكان من أسلم ولم يأمن على نفسه يأمره النبى صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة إلى أن جاءه الاذن بالهجرة إلى المدينة (قوله وأخرجوا من ديارهم) يشير بذلك إلى أن الاخراج قهرى لأنه وإن كان فى الظاهر طائعا إلا أنه فى الباطن مكره (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان وقوله وفى قراءة بتقديمه أى المبنى للمفعول لكن بالتخفيف فالقراءات ثلاث وتكون الواو على هذه القراءة بمعنى مع أى قتلوا مع كونهم قاتلوا فلم يفروا بل قتلوا فى حال مقاتلتهم الأعداء (قوله لأكفرن) اللام موطئة لقسم محذوف أى وحق وجلالى لأكفرن والقسم وجوابه فى محل رفع خبر قوله فالذين هاجروا الخ وهذا الوعد الحسن لمن اتصف بجميع تلك الصفات أو ببعضها (قوله أسترها بالمغفرة) أى عن الخلق وأبدلها حسنات (قوله ثوابا) هو فى الأصل مقدار من الجزاء أعده الله لعباده المؤمنين فى الآخرة فى نظير أعمالهم الحسنة لكن المراد به هنا الاثابة فهو مصدر مؤكد كما قال المفسر ويصح أن يكون حالا من جنات : أى لأدخلنهم جنات حال كونها ثوابا بمعنى مثابا بها أى فى نظير أعمالهم الحسنة (قوله من معنى لأكفرن) أى وما بعده وهو لأدخلنهم فهما فى معنى لأثيبنهم (قوله من عند الله) جار ومجرور متعلق بمحذوف صفة لثوابا (قوله فيه التفات عن التكلم) أى وكان مقتضى الظاهر أن يقول ثوابا من عندى وإنما أظهر فى محل الاضمار تشريفا لهم (قوله والله عنده

بَعْضُكُمْ) كائن (مِنْ بَعْضٍ) أى الذكور من الإناث وبالعكس والجملة مؤكدة لما قبلها أى هم سواء فى المجازاة بالأعمال وترك تضييعها . نزلت لما قالت أم سلمة يا رسول الله إنى لا أسمع ذكر النساء فى الهجرة بشيء (فَالَّذِينَ هَاجَرُوا) من مكة إلى المدينة (وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي) دينى (وَقَاتَلُوا) الكفار (وَقُتِلُوا) بالتخفيف والتشديد وفى قراءة بتقديمه (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) أسترها بالمغفرة (وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا) مصدر من معنى لأكفرن مؤكد له (مِنْ عِنْدِ اللهِ) فيه التفات عن التكلم (وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) الجزاء . ونزل لما قال المسلمون : أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن فى الجهد (لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا) تصرفهم (فِي الْبِلَادِ) بالتجارة والكسب هو (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) يتمتعون به يسيراً فى الدنيا ويفنى (ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفرش هى (لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) أى مقدرين الخلود (فِيهَا نُزُلًا) هو ما يعدّ للضيف ونصبه على الحال من جنات والعامل فيها معنى الظرف ،

حسن الثواب) لفظ الجلالة مبتدأ وقوله حسن الثواب مبتدأ ثان وقوله عنده خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول ويحتمل أن يكون حسن الثواب فاعلا بالظرف قبله والجملة خبر المبتدإ وإضافة حسن للثواب من إضافة الصفة للموصوف أى الثواب الحسن كالجنة ومافيها وأتى بهذه الآية تعليلا لما قبلها (قوله لايغرنك) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره لأن هذه المقالة واقعة من ضعفاء المسلمين ولا ناهية ويغرنك فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف مفعوله والمعنى لاتغتر بتقلبهم الخ (قوله متاع قليل) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله يتمتعون) أى ينتفعون ويتنعمون به (قوله هى) أشار به إلى أنه المخصوص بالذم (قوله لكن الذين اتقوا) إنما أتى بالاستدراك دفعا لمايتوهم من أن الدنيا مذمومة ومتاع قليل مطلقا للمؤمن والكافر فأفاد أن المؤمن وإن أخذ فى التجارة والتكسب لايضره ذلك بل له فى الآخرة الدرجات العلا فذم الدنيا ومعيشتها للكافر خاصة ، قال العارف :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... لا بارك الله فى دنيا بلا دين

(قوله تجرى من تحتها الأنهار) صفة لجنات (قوله أى مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة لأن وقت دخولهم الجنة لم يبسوا بخالدين فيها (قوله ونصبه على الحال) أى لهم جنات حال كونها مهيأة ومعدة للمؤمنين كما يقرى الانسان ضيفه

بأعز ماعنده (قوله من عند الله) هذه الجملة صفة لنزلا و إنما سمى نزلا لأنه ارتفع عنهم تكاليف السعى والكسب فهو شئ سهل مهيأ لهم من غير تعب ولذلك حين دخولها يقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن (قوله للأبرار) أى المتقين (قوله وإن من أهل الكتاب) سبب نزولها أنه يوم موت النجاشى ملك الحبشة واسمه أصحمة ومعناه عطية الله أسلم من غير أن يرى النبي صلى الله عليه وسلم ودخلت رعيته فى الاسلام تبعا له جاء جبريل وأخبره بأنهم متوجهون بجنازته ليصلوا عليه فخرج النبي وأصحابه إلى الصحراء فكشف للنبي عنه فصلى عليه هو وأصحابه فلما فرغوا قال المنافقون انظروا إلى هذا الرجل يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فنزلت الآية (قوله كعبد الله بن سلام) أى وأربعين من نصارى نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم، وراعى فى الصلة لفظ من وفى قوله خاشعين وما بعده معناها (قوله بأن يكتموها) تصوير للشراء المنفى (قوله يؤتونه مرتين) أى لإيمانهم بكتابهم والقرآن (قوله كما فى القصص) أى فى سورة القصص قال تعالى ـ أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ـ (قوله إن الله سريع الحساب) أى المجازاة على الخير والشر (قوله يأيها الذين آمنوا اصبروا) لما بين فى هذه السورة فضل الجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من الأحكام العظيمة ختمت بما يفيد المحافظة على ذلك (قوله على الطاعات الخ) أشار بذلك إلى مراتب الصبر الثلاثة وأعظمها الصبر عن المعصية (قوله فلا يكونوا أشد صبرا منكم) أى فلا تفروا من الأعداء واصبروا على الجهاد وخصه و إن دخل فى عموم الصبر لأنه أعظم أنواعه وجامع لها فانه صبر على الطاعة وهو الجهاد وعن المعصية وهو الفرار من العدو وعلى المصيبة وهى القتل والجرح (قوله ورابطوا) أصل المرابطة أن يربط كل من الخصمين خيولهم بحيث يكونون مستعدين للقتال ثم توسع فيه وجعل كل مقيم فى الثغر لحراسة العدو مرابطا و إن لم يكن عدو ولا مركوب مربوط (قوله فى جميع أحوالكم) أى حالاتكم من رخاء وشدة وعسر ويسر وصحة ومرض (قوله لعلكم تفلحون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق. والفلاح هو الفوز والظفر، ورد أن من قرأ سورة آل عمران أعطاه الله بكل آية منها أمانا على جسر جهنم.

(مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ) من متاع الدنيا (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ) كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشى (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) أى القرآن (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ) أى التوراة والإنجيل (خَاشِعِينَ) حال من ضمير يؤمن مراعى فيه معنى من، أى متواضعين (لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) التى عندهم فى التوراة والإنجيل من نعت النبي (ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا بأن يكتموها خوفا على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود (أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ) ثواب أعمالهم (عِنْدَ رَبِّهِمْ) يؤتونه مرتين كما فى القصص (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا) على الطاعات والمصائب وعن المعاصى (وَصَابِرُوا) الكفار فلا يكونوا أشد صبرا منكم (وَرَابِطُوا) أقيموا على الجهاد (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فى جميع أحوالكم (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

(سورة النساء)

(مدنية مائة وخمس أوست أوسبع وسبعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة ،

[سورة النساء] مدنية أى كلها و إن خوطب بعطامها أهل مكة لأن القاعدة أنه متى قيل فى القرآن يأيها الناس كان خطابا لأهل مكة ومتى قيل يأيها الذين آمنوا كان خطابا لأهل المدينة (قوله وخمس أوست) أو لتنويع الخلاف فهى مائة وسبعون جزما والخلاف فيما زاد (قوله يأيها الناس) الخطاب للمكلفين عموما ذكورا وإناثا إنسا أوجنا لأن لهم مالنا وعليهم ماعلينا وليس مخصوصا بمن كان موجودا وقت النزول لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال تعالى ـ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ـ .

(قوله اتقوا ربكم) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وذلك يحصل بالاسلام فان المسلم العاصى قد اتقى الشرك وهو أعظم المنهيات بالايمان وهو أعظم المأمورات لكن يقال لها تقوى عامة ، وتقوى الخواص هى اجتناب المنهيات جميعها وامتثال المأمورات على حسب الطاقة ، وتقوى خواص الخواص هى الانهماك فى طاعة الله وعدم الشغل بغيره ولو مباحا والآية صادقة بهذه المراتب كلها (قوله الذى خلقكم) تأكيد للأمر المتقدم فالمعنى اتقوا الله لأنه مالككم ومربيكم ومن أوصافه أنه خلقكم وأنشأكم من نفس واحدة فمن كان بهذه الصفات فهو أحق بأن يتقى لأنه لا استغناء عنه بل كل من خلقه مفتقر إليه فى كل لمحة وطرفة ولحظة ، وفى ذلك إشارة إلى أن التقوى تكون فى حق بعضنا بعضا لأن أصلنا واحد فالواجب علينا اتقاء ربنا لأنه الخالق لنا واتقاء بعضنا بعضا لأننا كلنا من أصل واحد (قوله وخلق منها) أى من تلك النفس الواحدة (قوله زوجها) يقال فى الأنثى زوج وزوجة والأفصح الأول (قوله حواء) بالمد سميت بذلك لأنها خلقت من حى (قوله من ضلع من أضلاعه) أى بعد أن أخذه النوم ولم يشعر بذلك ولم يتألم فلما استيقظ من النوم وجدها فمال إليها فأراد أن يمد يده إليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها قال فما مهرها قالوا حتى تصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فى رواية ثلاث صلوات وفى رواية سبعة عشر وفى ذلك اشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة لكل موجود حتى أبيه آدم . إن قلت حيث كانت حواء مخلوقة من ضلع آدم فهى أخت لأولاده فمقتضاه أنه يحل لمن يخلق منها التزوج بها فى شرعه . أجيب بأن تفرع حواء من آدم ليس كتفرع الولد من الوالد بل نباتها من الضلع كما تنبت النخلة من النواة فلا يحكم عليها بأنها بنت آدم ويقال لها أخت أولاده بل هى أمهم لا غير . واختلف هل كان خلق حواء خارج الجنة وبه قال جماعة ، وقال ابن عباس وجماعة إنه كان داخل الجنة ولا مانع من كونه أخذه النوم فيها لأن الممنوع النوم بعد دخولها يوم القيامة (قوله ونساء كثيرة) أشار بذلك الى أن فى الآية اكتفاء ، ورد أن حواء حملت من آدم عشرين بطنا أو أربعين بطنا فى كل بطن ذكر وأنثى وكان يزوج ذكر هذه البطن لأنثى البطن الأخرى فنزل اختلاف البطون منزلة اختلاف الآباء والأمهات وما مات حتى اجتمع من ذريته مباشرة وبواسطة فوق المائة ألف وكانوا يشتغلون بأنواع الصنائع والتجارة (قوله واتقوا الله) معطوف على قوله اتقوا ربكم (قوله الذى تساءلون به) أى يقسم بعضكم على بعض به لأنه عظيم جليل فحيث كان كذلك فهو أحق بأن يتقى (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى فأصله تتساءلون به قلبت التاء سينا ثم أدغمت فى السين وإنما قلبت التاء سينا لقرب مخرجيهما (قوله بحذفها) أى التاء الثانية وحذفت تخفيفا . قال ابن مالك :

(اتَّقُوا رَبَّكُمُ) أى عقابه بأن تطيعوه (الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) آدم (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى (وَبَثَّ) فرق ونشر (مِنْهُمَا) من آدم وحواء (رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) كثيرة (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى السين وفى قراءة بالتخفيف بحذفها أى تتساءلون (بِهِ) فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله وأنشدك بالله (وَ) اتقوا (الْأَرْحَامَ) أن تقطعوها، وفى قراءة بالجر عطفا على الضمير فى به ،

ومابتاءين ابتدى قد يقتصر ... فيه على تا كتبين العبر

(قوله حيث يقول بعضكم الخ) أى فيدخل الحى ولا يتعرض له وكان ذلك فى الجاهلية والمعنى اتقوا الله لأنه ربكم وخالقكم من نفس واحدة ولأنه عظيم يقسم به وتقضى الحوائج باسمه (قوله والأرحام) هكذا بالنصب معطوف على لفظ الجلالة والعامل فيه اتقوا ولذا قدره المفسر وقوله أن تقطعوها إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره واتقوا قطع الأرحام لما فى الحديث «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله» ومواصلة الأرحام تختلف باختلاف الناس فمنهم الغنى والفقير فالواجب على الغنى المواصلة بالهدايا والتحف والكلام اللين وعلى الفقير بالاين والسعى لهم ومعاشرتهم بالمعروف ولا فرق بين الأحياء والأموات (قوله وفى قراءة بالجر) أى مع تخفيف تساءلون وهى لحمزة وأما قراءة النصب فبالتشديد والتخفيف فالقراآت ثلاثة وكلها سبعية (قوله عطفا على الضمير فى به) أى من غير عود الخافض وهى وإن كانت لغة فصيحة إلا أنها خلاف الكثير ، وقد أشار لذلك ابن مالك بقوله :

وعود خافض لدى عطف على ... ضمير خفض لازما قد جعلا

وليس عندى لازما إذ قد أتى ... فى النظم والنثر الصحيح مثبتا

فأشار بالنثر الصحيح إلى الآية، وبالنظم إلى قول الشاعر:

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا ... فاذهب فما بك والأيام من عجب

بجر الأيام (قوله وكانوا يتناشدون بالرحم) هذا مرتب على القراءة الثانية أى فالمعنى اتقوا الله لأنكم تتناشدون به واتقوا الأرحام لأنكم تتناشدون بها ومن التناشد بها قول هرون لأخيه موسى صلوات الله وسلامه عليهما: يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى (قوله إن الله كان عليكم رقيبا) هذا تعليل لقوله - اتقوا ربكم - والرقيب لغة من ينظر فى الأمور ويتأمل فيها واصطلاحا الحفيظ الذى لا يغيب عن حفظه شىء وهذا المعنى هو المراد فى حق الله تعالى (قوله حافظا لأعمالكم) أى جميعها خيرها وشرها سرها وجهرها، قال تعالى - سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور - (قوله أى لم يزل متصفا بذلك) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن لفظ كان يفيد الانقطاع فيفيد أن الله اتصف بالحفظ فيما مضى وانقطع. فأجاب بأن كان هنا للاستمرار أى هو متصف بذلك أزلا وأبدا (قوله ونزل فى يتيم) أى بحسب ما كان وإلا فوقت طلبه كان رشيدا (قوله طلب من وليه) أى وكان عما لذلك اليتيم (قوله فمنعه) أى فلما منعه شكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها الولى قال أطعت الله وأطعت رسوله ونعوذ بالله من الحوب الكبير (قوله وآتوا اليتامى) شروع فى ذكر مواطن التقوى وقدم مال اليتيم لأن فيه وعيدا عظيما وتحذيرا شديدا، واليتامى جمع يتيم ويجمع أيضا على أيتام

(١٨٩)

وكانوا يتناشدون بالرحم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) حافظا لأعمالكم فمجازيكم بها أى لم يزل متصفا بذلك. ونزل فى يتيم طلب من وليه ماله فمنعه (وَآتُوا الْيَتَامَى) الصغار الأُلى لا أب لهم (أَمْوَالَهُمْ) إذا بلغوا (وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ) الحرام (بِالطَّيِّبِ) الحلال، أى تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الردىء من مالكم مكانه (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ) مضمومة (إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ) أى أكلها (كَانَ حُوبًا) ذنبا (كَبِيرًا) عظيما. ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى. وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل

من اليتم وهو لغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة بمعنى عديمة المثيل ومنه يتم سيد الكائنات عليه أفضل الصلاة والسلام قال العارف:

أخذ الاله أبا النبى ولم يزل ... برسوله الفرد الكريم رحيما

نفسى الفداء لمفرد فى يتمه ... والدر أحسن ما يكون يتيما

واصطلاحا أشار له المفسر بقوله الأُلى لا أب لهم أى ولو كانت أمهم موجودة فاليتيم فى الآدمى من كان معدوم الأب وهو صغير وفى غيره من كان معدوم الأم فان مات الأبوان قيل للصغير لطيم وإن ماتت أمه فقط قيل له عجمى (قوله الأُلى) بضم الهمزة وفتح اللام اسم موصول جمع الذى كالذين (قوله إذا بلغوا) أى وكانوا راشدين بدليل قوله تعالى - فإن آنستم منهم رشدا الآية (قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) هذا نهى آخر وكان ولى اليتيم فى الجاهلية يأخذ مال اليتيم الجيد ويدفع بدله الردىء كشاة هزيلة يدفعها ويأخذ شاة سمينة ودرهم زائف يتركه لليتيم ويأخذ بدله الجيد ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم (قوله الحرام) أى وإن كان جيدا وقوله الحلال أى وإن كان رديئا (قوله أى تأخذوه بدله) أشار بذلك إلى أن الباء داخلة على المتروك (قوله مضمومة) أى بأن تجمعوا ماله على أموالكم وتصرفوا من الجميع وقصده بذلك أكل الجميع وهذا نهى ثالث لأن الأمر الأول تضمن نهيا أى لا تمنعوا اليتامى من أموالهم إذا رشدوا ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم. إن قلت مقتضى الآية أن أكل مال اليتيم منفردا ليس بذلك عظيم. أجيب بأنه نص على مستقبح الأوصاف زيادة فى التشنيع على من يأكله مع الاستغناء وإلا فأكله منفردا كأكله مضموما لماله فى ارتكاب الاثم الكبير (قوله حوبا) بضم الحاء باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بفتح الحاء وسكون الواو وقلبها ألفا والمعنى واحد (قوله ولما نزلت) أى آيات اليتيم التى ورد النهى فيها (قوله تحرجوا) أى شق عليهم وطلبوا الخروج من الحرج الذى هو الاثم (قوله من الأزواج) أى اليتامى فكان الواحد منهم إذا وجد يتيمة ذات مال وجمال رغب فيها لأجل مالها فلما نزلت آية النهى عن أكل مال اليتيم شق عليهم ذلك فنزلت وإن خفتم فالنهى فى الأولى عام فى اليتامى مطلقا أزواجا أولا، والثانى خاص بالأزواج اليتامى.

(قوله أن لاتقسطوا) من أقسط بمعنى عدل واما القاسط فمعناه الجائر وقرئ تقسطوا بفتح التاء ويحمل على أن لازائدة أولغة في أقسط بمعنى عدل فتكون مستعملة في الشيء وضده (قوله في اليتامى) أي في نكاحهم (قوله فتحرجتم) أي طلبتم الخروج من الحرج الذي هو الاثم وقوله فخافوا جواب الشرط، قالت عائشة هذه الآية في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا في إكمال الصداق وأمروا بالنكاح من غيرهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فأنزل الله عز وجل و يستفتونك في النساء إلى قوله وترغبون أن تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الآية أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بأمثالها في إكمال الصداق و بين في تلك الآية أن اليتيمة إذا كانت مرغوبا عنها لقلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال أي الله فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها أو يعطوها حقها الأوفى من الصداق ، وقال الحسن كان الرجل من أهل المدينة تكون عنده الأيتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لأجل مالها وهي لاتعجبه و إنما تزوجها كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها و يتربص إلى أن تموت فيرثها فعاب الله عليهم ذلك وأنزل هذه الآية (قوله بين النساء) أي اليتامى (قوله بمعنى من) أي الواقعة على العاقل وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره أن ما لغير العاقل ولا شك أن النساء عقلاء . فأجاب بأن ما بمعنى من وعبر عنهن بما لنقص عقلهن عن الرجال . وأجيب أيضا

بأن ما واقعة على الأوصاف والمعنى وانكحوا الوصف الذي يعجبكم

(وَإِنْ خِفْتُمْ أَ) نْ (لَا تُقْسِطُوا) تعدلوا (فِي الْيَتَامَى) فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضا أن لاتعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن (فَانْكِحُوا) تزوجوا (مَا) بمعنى مَن (طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) أي اثنين اثنين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا ولاتزيدوا على ذلك (فَإِنْ خِفْتُمْ أَ) نْ (لَا تَعْدِلُوا) فيهن بالنفقة والقسم (فَوَاحِدَةً) انكحوها (أَوْ) اقتصروا على (مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من الإماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات (ذَلِكَ) أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسري (أَدْنَى) أقرب إلى (أَلَّا تَعُولُوا) تجوروا (وَآتُوا) أعطوا (النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ) جمع صدقة: مهورهن (نِحْلَةً) مصدر : عطية عن طيب نفس (فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا) تمييز محول عن الفاعل ،

من النساء كالحسب والنسب والجمال وفي الحديث «تخيروا لنطفكم فان العرق دساس» (قوله من النساء) أي الغير اليتامى وقد تضمنت هذه الآية النهي عن نكاح اليتامى من أجل أموالهن والزيادة على أربع (قوله مثنى وثلاث ورباع) بدل من النساء (قوله أي اثنين اثنين) المعنى أباح لكم في الاختيار اثنين أو ثلاثا أو أربعا أي فالواو ليست للعطف و إلا لزم أنه يباح جمع تسع و به قالت الظاهرية ولا بمعنى أو، و إلا لزم أن من اختار اثنين لايجوز له أن ينتقل إلى ثلاث أو أربع (قوله ولا تزيدوا على ذلك) هذا محط السياق (قوله إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات) أي فلا يجب العدل بينهن لا في القسم ولا في النفقة ولا في الكسوة (قوله أدنى) يتعدى بإلى واللام تقول دنوت إليه وله (قوله أن لاتعولوا) العول في الأصل معناه الميل من قولهم عال الميزان عولا أي مال وعال في الحكم إذا جار (قوله تجوروا) أي تظلموا وفي الحديث «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط» (قوله وآتوا النساء) أتى بهذه الآية استطرادا بين أحكام اليتامى لمناسبة ذكر النساء ، وآتى بالمد مصدره الايتاء بمعنى الاعطاء فلذا فسره به ، وأما بالقصر فمصدره الاتيان بمعنى المجيء (قوله جمع صدقة) إما بضم الدال أوفتحها أو إسكانها و يقال أيضا صداق بفتح الصاد وكسرها ومعنى الجميع المهر الذي يجعل للمرأة في نظير البضع وأقله عند المالكية ربع دينار شرعي أو ثلاث دراهم شرعية أومتقوم بأحدهما وعند الشافعي يكفي أي شيء متمول ولو خاتما من حديد وعند الحنفية عشرة دراهم شرعية وأكثره لاحد له بل بحسب ما تراضوا عليه والأمر للأزواج والمعنى لاتنكحوا النساء إلا بالمهر وخصصت السنة نكاح التفويض وهو العقد من غير تسمية مهر فهو صحيح لكن يلزمه بعد الدخول صداق المثل (قوله مصدر) أي مؤكد لقوله آتوا من معناه كجلست قعودا و يسمى ذلك المصدر معنويا (قوله عن طيب نفس) أي خالصا لامنة للزوج به عليها (قوله فان طبن) أي النسوة وقوله منه الضمير عائد على الصداق المعلوم من قوله صدقات

ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو البيان فيحل للمرأة الرشيدة بعد الدخول أن تعطى زوجها المهر كله أو بعضه عند جميع الأئمة إلا الليث فعنده لا يحل أن تعطيه جميعه فمن على ذلك يتعين أن تكون للتبعيض لا للبيان (قوله أى طابت أنفسهن) هذا بيان لكون نفسا فى الأصل فاعلا (قوله فوهبنه لكم) أى اختيارا لا قهرا و إلا فلا يحل أخذه ويشترط أيضا أن تكون المرأة رشيدة بالغة و إلا فلا يحل أخذه (قوله فكلوه) أى انتفعوا به فأطلق الأكل وأراد مطلق الانتفاع (قوله مريئا) أى ممروءا لا غصة فيه ولا عقبة من قولهم جرى الطعام فى المرىء أى العرق الأحمر الكائن تحت الحلقوم المسمى بالبلعوم وهنيئا مريئا حالان من مفعول كلوه والمعنى كلوه حال كونه هنيئا حلالا مريئا سائغا لا نكد فيه (قوله فى الآخرة) أى ولا فى الدنيا فليس لورثتها طلبه (قوله على من كره ذلك) أى استنكافا عنه وجعله كالرجوع فى الهبة (قوله ولا تؤتوا السفهاء) هذا رجوع لتتميم أحكام اليتامى وأصل تؤتوا تؤتيوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان الياء والواو حذفت الياء لالتقائهما (قوله والصبيان) معطوف على المبذرين (قوله أى أموالهم) أى و إنما نسبها للأولياء لأنهم هم المتصرفون فيها فالاضافة ليست للملك و إنما هى لأدنى ملابسة (قوله التى جعل الله لكم قياما) جعل بمعنى صير ولفظ الجلالة فاعله وقياما مفعول ثان والمفعول الأول محذوف تقديره جعلها والضمير عائد على الأموال و يحتمل أن جعل بمعنى خلق فقياما حال والمعنى لا تعطوا المبذرين

أى طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم (فَكُلُوهُ هَنِيئًا) طيبا (مَرِيئًا) محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم فى الآخرة، نزلت ردا على من كره ذلك (وَلَا تُؤْتُوا) أيها الأولياء (السُّفَهَاءَ) المبذرين من الرجال والنساء والصبيان (أَمْوَالَكُمُ) أى أموالهم التى فى أيديكم (الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا) مصدر قام أى تقوم بمعاشكم وصلاح أودكم فيضيعوها فى غير وجهها . وفى قراءة قِيَمًا جمع قيمة ماتقوم به الأمتعة (وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا) أى أطعموهم منها (وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) عدوهم عدة جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا (وَابْتَلُوا) اختبروا (الْيَتَامَى) قبل البلوغ فى دينهم وتصرفهم فى أحوالهم (حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ) أى صاروا أهلا له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعى (فَإِنْ آنَسْتُمْ) أبصرتم (مِنْهُمْ رُشْدًا) صلاحا فى دينهم ومالهم (فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا) أيها الأولياء (إِسْرَافًا) بغير حق حال (وَبِدَارًا) أى مبادرين إلى إنفاقها مخافة (أَنْ يَكْبَرُوا) رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم (وَمَنْ كَانَ)،

والصبيان أموالهم التى جعلها الله مقومة لمعاشهم وصلاحهم (قوله أودكم) الأود بفتحتين و بفتح فسكون معناه العوج (قوله وفى قراءة قيما) أى وهى سبعية أيضا وقرئ شذوذا قواما بفتح القاف وكسرها وقوما كعنبا وعموم الآية يشمل من أعطى مال اليتيم لسفيه مبذر يتجر له فيه وهو مشهور بالسفه والتبذير فان الولى منهى عن ذلك و يضمنه لفهمه بالأولى (قوله وارزقوهم فيها) حكمة التعبير بفى أنه ينبغى للولى أن يعطى مال اليتيم لرجل أمين يتجر فيه و يكون مصرفه من الربح لا من أصل المال . وفى الحديث «اتجروا فى أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة» فالتجارة فى أموال اليتامى مطلوبة عند جميع الأئمة (قوله عدوهم عدة جميلة) أى كأن يقول له مالك عندى وأنا أمين عليه فاذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وهكذا تطييبا لخاطرهم وجدهم فى أسباب الرشد (قوله وابتلوا اليتامى) أى ولا تتركوهم هملا بل علموهم الصنائع وأمور الدنيا والدين ولا تفرطوا فى ذلك حتى يبلغوا (قوله بالاحتلام) أى نزول المنى (قوله حتى إذا بلغوا) حتى ابتدائية و إذا شرطية وفعل الشرط قوله بلغوا وجوابها قوله فان آنستم الخ فشرط إعطاء الولى المال لليتيم بلوغ النكاح وعلم الرشد (قوله عند الشافعى) أى وعند مالك وأبى حنيفة ثمانية عشر . ومن علامات البلوغ الحيض وكبر الثدى للأنثى ونبات العانة ونتن الابط وفرق الأرنبة وغلظ الحنجرة فاذا وجدت تلك العلامات حكم ببلوغه عند مالك ، وأما عند الشافعى فلا يحكم بالبلوغ إلا بالاحتلام أو الحيض أو بلوغ خمسة عشر سنة وماعدا ذلك علامة على البلوغ ولا يحكم عليه به (قوله أبصرتم) المناسب أن يقول علمتم لأن الرشد يعلم ولا يشاهد بالبصر (قوله صلاحا فى دينهم ومالهم) هذا مذهب الشافعى و يكفى عند مالك فى الرشد إصلاح المال فقط (قوله فادفعوا) جواب الشرط الثانى (قوله حال) أى من الواو فى تأكلوا مؤولا بمسرفين (قوله مخافة أن يكبروا) قدره إشارة إلى أن قوله أن يكبروا مفعول لأجله ومفعول بدارا محذوف تقديره ولا تأكلوها حال كونكم مسرفين فيها مبادرين لأكلها مخافة طرو كبرهم عليكم فيأخذوها منكم (قوله أن يكبروا) مضارع كبر بوزن علم ومصدره كبرا كعنبا .

من الأولياء (غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ) أي يعفّ عن مال اليتيم ويمتنع من أكله (وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ) منه (بِالْمَعْرُوفِ) بقدر أجرة عمله (فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) أي إلى اليتامى (أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ) أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة وهذا أمر إرشاد (وَكَفَى بِاللَّهِ) الباء زائدة (حَسِيبًا) حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم . ونزل ردّاً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (لِلرِّجَالِ) الأولاد والأقرباء (نَصِيبٌ) حظ (مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) المتوفون (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ) أي المال (أَوْ كَثُرَ) جعله الله (نَصِيبًا مَفْرُوضًا) مقطوعاً بتسليمه إليهم (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ) للميراث (أُولُوا الْقُرْبَى) ذوو القرابة ممن لا يرث (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ) شيئاً قبل القسمة (وَقُولُوا) أيها الأولياء (لَهُمْ) إذا كان الورثة صغاراً (قَوْلًا مَعْرُوفًا) جميلا بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار ، وهذا قيل إنه منسوخ ، وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب ، وعن ابن عباس واجب .

(وليخش)

(قوله من الأولياء) أي أولياء الأيتام (قوله أي يعف عن مال اليتيم) أي يتباعد عنه لما فيه من الوعيد العظيم الآتي في قوله تعالى: إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا، فالواجب على الولي إن كان غنيا التباعد عن مال اليتيم بالمرة بل ينبغي له أن لا يخلط ماله بماله بل يعطيه لغيره ليتجر له فيه ويكون هو ناظرا عليه (قوله ويمتنع من أكله) أي فاذا أكله أو أطعمه لغيره ولو لمن يصنع سبحا أو جمعا لوالد اليتيم ضمنه إذا لم يوص الميت بذلك ، وأما إن لم يكن لليتامى وليّ وليس فيهم كبير رشيد حرم الأكل من مالهم وكل من أكل شيئا لزمه عوضه (قوله بقدر أجرة عمله) أي مالم تزد على كفايته وإلا فله كفايته فقط وهذا مذهب الشافعي وعند مالك له أجرة مثله مطلقا زادت عن كفايته أولا (قوله فاذا دفعتم) مرتب على قوله فادفعوا إليهم أموالهم والمعنى فاذا أردتم الدفع فأشهدوا لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة هذا هو المشهور في المذاهب أن الوليّ لا يصدق في الدفع إلا ببينة تشهد أنه دفعه لهم بعد رشدهم فان لم تكن بينة غرمه وهناك قول ضعيف عند مالك وهو أنه يصدق في الدفع بيمين فعلة الاشهاد على هذا القول لئلا يحلف الولي، والفرق بين الأمين والوصي أن الوصي لما كان له التصرف في مال اليتيم كان ضامنا له إلا ببينة تشهد بالدفع والأمين لاتصرف له في الأمانة فصدق بيمين في الدفع ولذا إذا تصرف فيها كانت متعلقة بذمته فلا يصدق في دفعها إلا ببينة كالدين (قوله وهذا أمر إرشاد) أي تعليم لمصالح الدنيا فهو أمر ندب (قوله الباء زائدة) أي في فاعل كفى فلفظ الجلالة فاعل مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد ، وفي قوله وكفى بالله حسيبا وعد حسن لمن كان سليما ولم يلتمس من مال اليتيم شيئا ولو اتهمه اليتيم بأكله ظلما وعدوانا ، ووعيد لمن أكله وظلمه وإن لم يثبت عليه ذلك (قوله للرجال نصيب) سبب نزولها أن أوس بن ثابت توفي وترك امرأته واسمها أم كحة وثلاث بنات وأقام وصيين واسمهما سويد وعرفجة ولدا عمه فأخذا المال جميعه فجاءت المرأة للنبي صلى الله عليه وسلم وقالت مات أوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وأنا امرأته ولم يكن عندي ما أنفقه عليهن وترك مالا حسنا فأخذه سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا لبناته شيئا فدعاهما النبيّ فقالا أولادها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فنزلت هذه الآية ، وبين أن الارث غير مختص بالرجال البالغين وأوقف النبي التركة حتى نزلت يوصيكم الله الآية فأعطى الزوجة الثمن والبنات الثلثين وابني عمه مابقي (قوله الأولاد) أخذه من قوله الوالدان وقوله والأقرباء أخذه من قوله والأقربون (قوله مما قل منه) بدل من قوله مما ترك (قوله نصيبا مفروضا) مفعول ثان لفعل محذوف قدره بقوله جعله الله (قوله . إذا حضر القسمة أولوا القربى) معنى ذلك إذا مات الميت وترك من يرث ومن لا يرث وحضر جميعهم قسمة الميراث طلب الشارع إعطاء من لا يرث وكذا المساكين واليتامى شيئا قبل القسمة جبرا لخاطرهم باجتهاد من يقسم التركة بحسب قلة المال وكثرته. واختلف هل هذا منسوخ وهو الحق وقيل ليس بمنسوخ واختلف على هذا هل الأمر للوجوب أو الندب وهو المعتمد على هذا القول (قوله إذا كانت الورثة صغارا) أي أو التركة قليلة .

(قوله وليخش) قرأ السبعة بسكون اللام وغيرهم بكسرها وعلى كل اللام للأمر . وسبب نزولها أنه كان فى الجاهلية إذا حضر أحدهم الموت وقد حضره جماعة حملوه على تفرقة ماله للفقراء والمساكين ويحرمون أولاده منه فيترتب على ذلك كونهم بعد موته عالة على الناس ويضيعون فنزلت الآية تحذيرا لمن يحمل الميت على ذلك من وصى أو غيره فانه كما يدين الفتى يدان فكما يتقى الله فى يتامى غيره فجزاؤه أن يقيض الله له من يتقى الله فى أولاده (قوله أى ليخف على اليتامى) المعنى ليخف الله على اليتامى (قوله الذين لو تركوا) لو شرطية بمعنى إن فنقلت الماضى للاستقبال كما قال ابن مالك وجماعة فتركوا فعل الشرط وقوله خافوا جوابه وقوله فليتقوا مرتب عليه (قوله خافوا عليهم الضياع) . إن قلت ماذنب اليتيم حتى يعاقب بالضياع . أجيب بأن ذلك تعذيب لأبيه لأن مايؤذى الحى يؤذى الميت وليس تعذيبا لهم بل قد يكون رفعة لهم إن اتقوا الله (قوله وليأتوا إليهم مايحبون الخ) أى يفعلوا بهم مايحبون أن يفعل بذريتهم بعد موتهم (قوله للميت) ويحتمل أن يكون لليتامى بأن يقولوا لهم لاتخافوا ولا تحزنوا فنحن مثل آبائكم (قوله ولا يتركهم عالة) أى فقراء يتكففون وجوه الناس (قوله إن الذين يأكلون) نزلت فى حق رجل من غطفان مات أخوه وترك ولدا يتيما فأكل عمه ماله ، والمعنى يتلفون أموالهم (١٩٣) فالتعبير بالأكل عن الاتلاف

(وَلْيَخْشَ) أى ليخف على اليتامى (الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا) أى قاربوا أن يتركوا (مِنْ خَلْفِهِمْ) أى بعد موتهم (ذُرِّيَّةً ضِعَافًا) أولاداً صغاراً (خَافُوا عَلَيْهِمْ) الضياع (فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ) فى أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذريتهم من بعدهم (وَلْيَقُولُوا) للميت (قَوْلاً سَدِيداً) صوابا بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقى لورثته ولا يتركهم عالة (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا) بغير حق (إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ) أى ملئها (نَاراً) لأنه يؤول إليها (وَسَيَصْلَوْنَ) بالبناء للفاعل والمفعول : يدخلون (سَعِيراً) نارا شديدة يحترقون فيها (يُوصِيكُمُ) يأمركم (اللَّهُ فِي) شأن (أَوْلَادِكُمْ) بما يذكر (لِلذَّكَرِ) منهم (مِثْلُ حَظِّ) نصيب (الْأُنْثَيَيْنِ) أى إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال (فَإِنْ كُنَّ) أى الأولاد (نِسَاءً) فقط (فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ) الميت وكذا الاثنتان لأنه للأختين بقوله فلهما الثلثان مما ترك فهما أولى ، ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى ، وفوق قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فهم استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ،

مجاز (قوله ظلما) يحتمل أن يكون مفعولا لأجله أى لأجل الظلم ويحتمل أن يكون حالا من يأكلون أى حال كون الآكل ظالما (قوله إنما يأكلون) هذه الجملة خبر إن الأولى، والتعبير بالأكل مجاز باعتبار ما يؤول إليه او المعنى يأكلون سبب النار (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله نارا شديدة) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد خصوص الطبقة المسماة بذلك لأنها لعباد الوثن خاصة وربما مات آكل مال اليتيم مسلما. والحاصل أنه تارة تطلق تلك الأسماء على ما يعم جميع الطبقات وتارة تطلق على مسمياتها خاصة (قوله يحترقون فيها) أى إن لم يتوبوا ، روى أن آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فمه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا (قوله يوصيكم الله فى أولادكم) هذا شروع فى تفصيل ما أجمل أولا فى قوله للرجال نصيب الخ (قوله يأمركم) أى على سبيل الوجوب (قوله للذكر مثل حظ الأنثيين) هذا كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر (قوله فله نصف المال الخ) أى إن لم يكن معهم صاحب فرض وإلا فيأخذ فرضه ثم الباقى يقسم للذكر مثل حظ الأنثيين (قوله فان كن نساء) إن حرف شرط وكن فعل الشرط ونساء خبركن واسمها النون وفوق اثنتين صفة لنساء وقوله فلهن جواب الشرط (قوله أى الأولاد) أى بعضهم ففى الكلام استخدام فذكر الأولاد بمعنى وأعاد الضمير عليه بمعنى آخر نظير قوله تعالى - وبعولتهن أحق بردهن - بعد قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء (قوله لأنه للأختين) أى الفرض المذكور وهذان وجهان : أحدهما القياس على الأختين . والثانى القياس على البنت الواحدة وهما على كون فوق ليست صلة (قوله وقيل لدفع توهم زيادة النصيب) هذا القيل محتمل لأن تكون أصلية أو زائدة فالمعنى أن

مافوق البنتين حكمهما حكم البنتين (قوله وفي قراءة بالرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ذكر أو أنثى) أي فان كان الولد ذكرا أخذ مافضل عن سدس سهما وإن كانت أنثى أخذت النصف فرضها والأم سدسها والأب الباقي فرضا وتعصيبا (قوله وألحق بالولد ولد الابن الخ) أي بالقياس المساوي (قوله بضم الهمزة وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فرارا) راجع للكسر وقوله في الموضعين أي في قوله فلأمه الثلث وقوله فلأمه السدس : أي وما بقي بعد الزوج أي أو الزوجة وهما الغراوان ، وقد أشار لهما صاحب الرحبية بقوله :

وإن يكن زوج وأم وأب فثلث الباقي لها مرتب
وهكذا مع زوجة فصاعدا فلا تكن عن العلوم قاعدا

وثلث الباقي في الحقيقة إما ربع أو سدس وقد انعقد الاجماع على ذلك (قوله فان كان له إخوة) تقدم أن الأم يعرض لها ثلث جميع المال أو ثلث الباقي إن لم يكن للميت فرع وارث وأفاد هنا أنه مع وجود الاخوة يفرض لها السدس فيفهم منه أنه عند عدم الاخوة أيضا يكون لها الثلث فتحصل أن لها الثلث بشرطين عدميين وهما عدم الاخوة وعدم الفرع الوارث (قوله ذكورا وإناثا) أي أشقاء أو لأب أو لأم (قوله ولا شيء للاخوة) أي مطلقا لكونهم محجوبين بالأب، ولذلك قال في التلمسانية :

وفيهم في الحجب أمر عجب لكونهم قد حجبوا وحجبوا

فلو كان بدل الأب جد لكان مثله عند أبي حنيفة وعند الأئمة الثلاثة يشترك مع الاخوة على تفصيل في ذلك مذكور في الفروع (قوله من بعد وصية) متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وإرث من ذكر الخ وهو قيد في جميع ماتقدم (قوله تنفيذ وصية) أي وتخرج من رأس المال إن حملها الثلث وشرطها أن لاتكون في معصية فلو أوصى بمال يصرف على الكنيسة أو على من يشرب الخمر أو غير ذلك فلا تنفذ (قوله بالبناء للمفعول والفاعل) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الأولى نائب الفاعل الجار والمجرور

(وَإِنْ كَانَتْ) المولودة (وَاحِدَةً) وفي قراءة بالرفع فكان تامة (فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ) أي الميت ويبدل منهما (لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ) ذكر أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه ، وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ) فقط أو مع زوج (فَلِأُمِّهِ) بضم الهمزة وكسرها فرارا من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين (الثُّلُثُ) أي ثلث المال أو مايبقى بعد الزوج والباقي للأب (فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ) أي اثنان فصاعدا ذكوراً وإناثاً (فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ) والباقي للأب ولا شيء للاخوة ، وإرث من ذكر ماذكر (مِنْ بَعْدِ) تنفيذ (وَصِيَّةٍ يُوصِي) بالبناء للفاعل والمفعول (بِهَا أَوْ) قضاء (دَيْنٍ) عليه ، وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ) مبتدأ خبره (لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا) في الدنيا والآخرة فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالم بذلك الله ففرض لكم الميراث ،

(فريضة

قال ابن مالك :

وقابل من ظرف او من مصدر أو حرف جر بنيابة حري

وعلى الثانية الفاعل ضمير يعود على الميت (قوله وتقديم الوصية) أي في اللفظ وإلا فأو لأحد الشيئين لاتقتضي ترتيبا ولاتعقيبا والمعنى وإرث ماذكر يحصل من بعد وصية إن كانت أو دين إن كان فان اجتمعت الوصية والدين قدم الدين (قوله للاهتمام بها) أي وشأن الورثة الشح بها ومنازعة الموصى له بخلاف الدين (قوله آباؤكم وأبناؤكم) هذه الجملة معترضة بين قوله من بعد وصية وقوله فريضة من الله (قوله أيهم) اسم استفهام مبتدأ وأقرب خبره ولكم جار ومجرور متعلق بأقرب ونفعا تمييز والجملة في محل نصب سدت مسد مفعولي تدرون والمعنى لاتدرون أقربية نفعهم لكم ويحتمل أنها اسم موصول مفعول أول لتدرون والمفعول الثاني محذوف والمعنى لاتدرون الذي هو أقرب لكم نفعا الآباء أو الأبناء (قوله في الدنيا) أي كحسن القيام بالمصالح والاحسان إليه بعد موته وقوله أو الآخرة أي كالشفاعة أو في الدنيا والآخرة لما ورد أن أحد الوالدين أو الولدين إذا كان أرفع درجة من الآخر في الجنة سأل أن يرفع إليه فيرفع الآخر بشفاعته (قوله فظان) إما بالرفع صفة لموصوف محذوف مبتدأ أي ففريق ظان أو بالجر مجرور برب وقوله فيكون الأب أنفع أي في الواقع ونفس الأمر (قوله وبالعكس) أي وفريق ظان أن أباه أنفع فيعطيه الميراث فيكون الابن أنفع

(قوله فريضة) مفعول لفعل محذوف قدره بقوله ففرض لكم الميراث وهو راجع لقوله يوصيكم فيحتمل أنه مصدر مؤكد لعامله من لفظه ودرج على ذلك المفسر أومن معناه تقديره يوصيكم فريضة لأن الإيصاء معناه الأمر (قوله أى لم يزل متصفا بذلك) دفع به ماقد يتوهم من كان الاتصاف بذلك فى الزمن الماضى وانقطع فأفاد أن صفات الله لاتتقيد بزمان فهى للاستمرار و بعضهم يجعلها فى صفات الله زائدة (قوله ولكم نصف) هذا أيضا من جملة التفصيل لما أجمل فى قوله أولا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون - (قوله إن لم يكن لهنّ) أى للزوجات والمراد الجنس وقوله ولد أى واحد أومتعدد ذكر أوأنثى فالزوج يأخذ النصف بشرط عدمى (قوله أومن غيركم) أى ولومن زنا فان ولد الزنا ينسب لأمه (قوله فان كان لهنّ ولد) هذا مفهوم قوله: إن لم يكن لهنّ ولد، صرّح به لإفادة الحكم فيه (قوله من بعد وصيه) تقدم أنه متعلق بمحذوف تقديره وهذا الاستحقاق يكون بعد تنفيذ وصية (قوله ولد الابن) أى ذكرا كان ذلك الولد أوأنثى فان بنت الابن كابن الابن. وأما أولاد البنت ذكورا أو إناثا فلايحجب الزوج بهم عن نصفه ولذلك قال شاعرهم:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ... بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد

(فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً) بخلقه (حَكِيماً) فيما دبره لهم، أى لم يزل متصفاً بذلك (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ) منكم أو من غيركم (فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) وألحق بالولد فى ذلك ولد الابن بالاجماع (وَلَهُنَّ) أى الزوجات تعددن أولا (الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ) منهن أو من غيرهن (فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ) وولد الابن فى ذلك كالولد إجماعاً (وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ) صفة والخبر (كَلَالَةً) أى لا والد له ولا ولد (أَوِ امْرَأَةٌ) تورث كلالة (وَلَهُ) أى للموروث كلالة (أَخٌ أَوْ أُخْتٌ) أى من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره (فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ) مما ترك (فَإِنْ كَانُوا) أى الإخوة والأخوات من الأم (أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ) أى من واحد (فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ) يستوى فيه ذكرهم وأنثاهم (مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ) حال من ضمير يوصى أى غير مدخل الضرر على الورثة،

وكلام المفسر فى غاية الحسن حيث قال وولد الابن ولم يقل كالخازن وولد الولد لأنه يشمل أولاد البنات وهو غير صحيح (قوله إن لم يكن لكم ولد) أى ذكر أوأنثى واحد أومتعدد (قوله منهن أومن غيرهن) المناسب تقديمه عند قوله إن لم يكن لكم ولد ليكون على منوال ماتقدم له فى نظيره وقوله أومن غيرهن أى نسيب فان كان ابن زنا فلايحجب الزوجة من الربع إلى الثمن لأنه لايلحق بأبيه ولايرث منه ومن لايرث لايحجب وارثا (قوله وولد الابن كالولد) أى وأما أولاد البنات فليسوا مثلهم لأنهم من ذوى الأرحام (قوله يورث صفة) أى ويصح أن يكون خبرا وقوله كلالة حال من الضمير فى يورث (قوله والخبر كلالة) أى واسمها رجل وهذا على أنها ناقصة، وأما على أنها تامة فرجل فاعل ويورث صفته وكلالة حال (قوله أى لاوالد له ولاولد) هذا هو أرجح الأقوال فى تفسير الكلالة. والحاصل أنه اختلف الناس فى معنى الكلالة فقال جمهور اللغويين إنه الميت الذى لاولد له ولا والد، وقيل الذى لاوالد له فقط، وقيل الذى لاولد له فقط، وقيل هو من لايرثه أب ولاأم وعلى هذه الأقوال كلها فالكلالة واقعة على الميت، وقيل الكلالة الورثة ماعدا الأبوين والولد، وسموا بذلك لأن الميت بذهاب طرفيه تكلله الورثة أى أحاطوا به من جميع نواحيه ويؤيد القول الذى مشى عليه المفسر أن الآية نزلت فى جابر رضى الله عنه ولم يكن له يوم نزلت أب ولاابن (قوله وقرأ به ابن مسعود وغيره) أى قراءة شاذة وإنما استدل بهذه القراءة لأنها بمنزلة رواية الآحاد ورواية الآحاد يستدل بها لأنها منقولة عن النبىّ صلى الله عليه وسلم (قوله أى من واحد) أى لأن أو فى الآية لأحد الشيئين فاذا اجتمع ذكر وأنثى من ولد الأم كان لهما الثلث وكذا إن زادوا عن ذلك ويسقط الإخوة للأم بستة: الابن وابن الابن والبنت وبنت الابن والأب والجدّ (قوله من ضمير يوصى) أى وهو عائد على الميت (قوله أى غير مدخل الضرر) أشار بذلك إلى أن مضار اسم فاعل.

بأن يوصى بأكثر من الثلث (وَصِيَّةً) مصدر مؤكد ليوصيكم (مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ) بما دبره لخلقه من الفرائض (حَلِيمٌ) بتأخير العقوبة عمن خالفه وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رق (تِلْكَ) الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده (حُدُودُ اللهِ) شرائعه التى حدها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ) فيما حكم به (يُدْخِلْهُ) بالياء والنون التفاتا (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ) بالوجهين (نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ) فيها (عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة روعى فى الضمائر فى الآيتين لفظ مَن وفى خالدين معناها (وَاللاَّتِى يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ) الزنا (مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ) أى من رجالكم المسلمين (فَإِنْ شَهِدُوا) عليهن بها (فَأَمْسِكُوهُنَّ) احبسوهن (فِى الْبُيُوتِ) وامنعوهن من مخالطة الناس (حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ) أى ملائكته (أَوْ) إلى أن (يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً) طريقاً إلى الخروج منها، أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلا بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً ورجم المحصنة وفى الحديث لما بيّن الحد قال «خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا» رواه مسلم (وَالَّذَانِ) بتخفيف النون وتشديدها (يَأْتِيَانِهَا) أى الفاحشة الزنا أو اللواط (مِنْكُمْ) أى الرجال

(فآذوهما)

(قوله بأن يوصى بأكثر من الثلث) هذا تصوير لادخال الضرر ويبطل مازاد على الثلث إن لم يجز الورثة (قوله من قتل) أى فلا يرث القاتل من تركة المقتول شيئا كما فى الحديث (قوله أواختلاف دين) أى بالاسلام والكفر فلا يرث المسلم الكافر ولا العكس (قوله أو رق) أى فلا يرث الرقيق من تركة الحر شيئا ولا العكس (قوله وما بعده) أى من المواريث والوصايا (قوله التى حدها لعباده) أى بينها وفصلها (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان وقوله التفاتا راجع للنون وهو التفات من الغيبة للتكلم (قوله من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها (قوله بالوجهين) أى الياء والنون (قوله خالدا فيها) المراد بالخلود طول المكث إن مات مسلما وعلى حقيقته إن مات كافرا، وحكمة الافراد فى جانب العذاب أنه كما يعذب بالنار يعذب بالغربة، وحكمة الجمع فى جانب النعيم أنه كما ينعم بالجنة ينعم باجتماعه مع أحبابه فيها ويزورهم ويزورونه (قوله لفظ من) أى فأفرد فى قوله يدخله فى الموضعين وفى قوله وله (قوله وفى خالدين معناها) أى فجمع (قوله واللاتى الخ) جمع التى وهو اسم موصول مبتدأ وقوله : يأتين الفاحشة صلته وقوله فاستشهدوا خبره وقرن بالفاء لأن المبتدأ أشبه الشرط فى العموم لأن المبتدأ إذا وقع اسما موصولا ووصل بجملة فعلية أشبه الشرط فيقرن خبره بالفاء خصوصا إذا أخبر عنه بجملة طلبية (قوله من نسائكم) بيان للاتى (قوله أربعة منكم) أى عدولا والعدل هو الذكر الحر المكلف الذى لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة ولا مايخل بالمروءة وهذه الشهادة على رؤية الزنا . وأما الاقرار فيكفى اثنان عليه ، والخطاب فى قوله فاستشهدوا لولاة الأمور كالقضاة والحكام (قوله أى من رجالكم المسلمين) أى الأحرار . وأما النساء والأرقاء والصبيان فلا تقبل شهادتهم يشترط فى الشهادة أن تكون متحدة وقتا ورؤية ومكانا فلو اختلف شىء من ذلك حد الشهود

(قوله وامنعوهن من مخالطة الناس) أى الرجال وهو عطف علة على معلول (قوله أى ملائكته) دفع بذلك مايقال إن التوفى هو الموت ففيه إسناد الشىء لنفسه (قوله أو يجعل الله) أو حرف عطف ويجعل معطوف على يتوفى فهو داخل فى الغاية وأشار المفسر لذلك بقوله إلى أن يجعل ويصح أن تكون أو بمعنى إلا كما فى قوله لألزمنك أو تقضينى حقى فهو مخرج من قوله حتى يتوفاهن الموت فالمعنى إلا أن يجعل الله لهن سبيلا فلا تمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت (قوله ثم جعل لهن سبيلا) أى بنزول آية النور . واختلف فى هذه الآية قيل منسوخة بآية النور أو مفصلة لها وهو الحق وقد مشى عليه المفسر (قوله بجلد البكر مائة وتغريبها عاما) هذا هو مذهب الامام الشافعى وعند مالك التغريب خاص بالذكر ، وأما الأنثى فلا تغرب (قوله رواه مسلم) وتمامه الثيب ترجم والبكر تجلد (قوله بتخفيف النون وتشديدها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو اللواط) أو لتنويع الخلاف فى تفسير الفاحشة هنا وسيرجح الثانى بقوله وإرادة اللواط أظهر الخ ، ويصح أن يراد بالفاحشة الزنا واللواط معا الواقعان من الرجال ، وأما الزنا من النساء فقد تقدم حكمه .

(قوله فآذوهما) أى مالم يتوبا (قوله وهذا منسوخ بالحد) أى فالبكر يجلد مائة ويغرب عاما والمحصن يرجم إلى أن يموت (قوله عند الشافعى) أى وعند مالك يرجم اللائط مطلقا فاعلا أومفعولا أحصنا أولم يحصنا حيث كانا بالغين مختارين ، وعند أبى حنيفة حده رميه من شاهق أورمى حائط عليه (قوله لكن المفعول به الخ) أى وأما الفاعل عنده فكالزانى إن كان محصنا يرجم وإن كان غير محصن جلد مائة وغرب عاما (قوله بل يجلد ويغرب) أى إن كان بالغا مختارا (قوله بدليل تثنية الضمير) أى فى قوله واللذان وقد يقال إن فيه تغليب الذكر على الأنثى (قوله وهو مخصوص) أى ماذكر من الأذى والتوبة والاعراض (قوله إنما التوبة على الله) هذا حسن ترتيب حيث ذكر الذنب ثم أردفه بذكر التوبة وقوله على الله أى التزمها تفضلا منه وإحسانا لأن وعد الكريم لايتخلف على حد : كتب ربكم على نفسه الرحمة (قوله المعصية) أى ولوكانت كفرا (قوله أى جاهلين) إنما قرن العصيان بالجهل لأن العصيان لايتأتى مع العلم بل حين وقوع المعصية يسلب العلم لأن أشد الناس خشية العلماء قال تعالى : إنما يخشى الله من عباده العلماء (قوله قبل أن يغرغروا) أى قبل أن تبلغ الروح الحلقوم وإنما كان الزمن الذى بين وقوع المعصية والغرغرة قريبا لأن كل ماهو آت قريب

(فَآذُوهُمَا) بالسب والضرب بالنعال (فَإِنْ تَابَا) منها (وَأَصْلَحَا) العمل (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا) ولاتؤذوهما (إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا) على من تاب (رَحِيمًا) به وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعى لكن المفعول به لايرجم عنده وإن كان محصنا بل يجلد ويغرب وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والأول أراد الزانى والزانية ويرده تبيينهما بمن المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما فى الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم فى النساء من الحبس (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ) أى التى كتب على نفسه قبولها بفضله (لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ) المعصية (بِجَهَالَةٍ) حال أى جاهلين إذا عصوا ربهم (ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ) زمن (قَرِيبٍ) قبل أن يغرغروا (فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) يقبل توبتهم (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فى صنعه بهم (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) الذنوب (حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) وأخذ فى النزع (قَالَ) عند مشاهدة ماهو فيه (إِنِّي تُبْتُ الْآنَ) فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه (وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ) إذا تابوا فى الآخرة عند معاينة العذاب لاتقبل منهم (أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا) أعددنا (لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ) أى ذاتهن (كَرْهًا) بالفتح والضم لغتان أى مكرهين على ذلك

والعمر وإن طال قليل وفيه إشارة إلى أنه ينبغى للانسان أن يجدد التوبة فى كل لحظة لأن الموت متوقع فى كل لحظة ، ولذا قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ماخرج منى نفس وانتظرت عوده ، وورد « أنه مامن نفس يخرج من ابن آدم إلا باذن من الله فى العود ثانيا وعمر جديد » (قوله وليست التوبة) أى قبولها (قوله وأخذ فى النزع) أى بلغت الروح الحلقوم وغرغر الميت لأن الانسان عند الغرغرة يرى مقعده فى الجنة أو النار فيظهر عليه علامة البشرى أو الحزن فلاينفعه الندم إذ ذاك (قوله ولا الذين) معطوف على قوله للذين يعملون السيئات ، المعنى ليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فهو فى محل جر (قوله أولئك أعتدنا) أصله أعددنا قلبت الدال الأولى تاء وقد أشار لذلك المفسر بقوله أعددنا والمعنى أحضرنا وهيأنا (قوله ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم الخ) سبب نزولها أنه كان فى الجاهلية وصدر الاسلام إذا مات الرجل وترك امرأة جاء ابنه من غيرها أوقريبه فرمى عليها ثوبه فيخير فيها بعد ذلك فاما أن يتزوجها بلا مهر أو يزوجها لغيره ويأخذ مهرها أو يعضلها حتى تفتدى منه أوتموت ويأخذ ميراثها ثم لما توفى أبوقيس وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية قام ابن له قيل اسمه قيس فطرح عليها ثوبه ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أباقيس توفى وأخذنى ابنه فلم ينفق على ولم يخل سبيلى فقال امكثى فى بيتك حتى يأتى أمر الله فيك فنزلت هذه الآية (قوله أى ذاتهن) دفع بذلك مايقال إن ميراث الرجل من المرأة قد تقدم وهو إما النصف أوالربع وليس بمنهى عنه (قوله لغتان) المناسب قراءتان (قوله أى مكرهين) بكسر الراء اسم فاعل ومفعوله محذوف تقديره مكرهين لهن على ذلك .

(قوله كانوا فى الجاهلية) أى وصدر الاسلام وهو إشارة لسبب نزول الآية وقد أجمل فيه (قوله بلا صداق) أى اتكالا على الصداق الذى دفعه أبوه (قوله ولا تعضلوهن) معطوف على قوله لا يحل لكم الخ والمعنى لا يحل لكم ميراث النساء ولا عضلهن وهو خطاب للأزواج ، كان الرجل يكره المرأة ولها عليه المهر فيسىء عشرتها ويضاررها لتفتدى منه (قوله أى تمنعوا أزواجكم) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على النساء لا بالمعنى الأول فإن المراد بالنساء فيما تقدم نساء غيركم وفيما هنا نساؤكم ففى الكلام استخدام (قوله لتذهبوا) علة لقوله ولا تعضلوهن (قوله ببعض ما آتيتموهن) أى ومن باب أولى أخذ الجميع (قوله إلا أن يأتين بفاحشة) هذا استثناء من عموم الأحوال والمعنى لا يحل عضل النساء لأجل أخذ بعض ما آتيتموهن فى حال من الأحوال إلا فى حال إتيانهن بفاحشة مبينة (قوله بفتح الياء وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو نشوز) أى خروج عن طاعة الزوج (قوله فلكم أن تضاروهن) . إن قلت إن المضاررة لا تجوز فكيف ذلك . أجيب بأن هذا منسوخ أو بأن المراد بها الوعظ والهجر والضرب على طبق ما يأتى فى قوله تعالى - واللاتى تخافون نشوزهن - الآيات وتسميته حينئذ مضاررة مشاكلة نظير فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه

كانوا فى الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاءوا تزوجوها بلا صداق أو زوجوها وأخذوا صداقها أو عضلوها حتى تفتدى بما ورثته أو تموت فيرثوها فنهوا عن ذلك (وَلاَ) أن (تَعْضُلُوهُنَّ) أى تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا (لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ) من المهر (إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها أى بينت أو هى بينة: أى زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) أى بالإجمال فى القول والنفقة والمبيت (فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ) فاصبروا (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولدا صالحا (وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ) أى أخذها بدلها بأن طلقتموها (وَ) قد (آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ) أى الزوجات (قِنْطَاراً) مالا كثيرا صداقا (فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً) ظلما (وَإِثْماً مُبِيناً) بينا ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللانكار فى (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ) أى بأى وجه (وَقَدْ أَفْضَى) وصل (بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) بالجماع المقرر للمهر (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً) عهدا (غَلِيظاً) شديدا وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان (وَلاَ تَنْكِحُوا مَا) بمعنى من (نَكَحَ آبَاؤُكُمْ ،

(قوله وعاشروهن) قيل معطوف على قوله فيما تقدم - وآتوا النساء صدقاتهن نحلة - وقيل معطوف على قوله ولا تعضلوهن وعليه فالعطف للتوكيد والمعنى لا تضاروهن وعاشروهن بالمعروف بأن تطيبوا لهن القول والفعل ومن ذلك تعليمهن مصالح دينهن ودنياهن (قوله أى بالإجمال فى القول) أى بالقول الجميل الخ (قوله فإن كرهتموهن) أى طبعا من غير ظهور ما يوجب الكراهة منهن (قوله فاصبروا) هذا هو جواب الشرط ، وقوله فعسى أن تكرهوا شيئا علة له (قوله ولدا صالحا) أى ذكرا أو أنثى ففى الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به من أو ولد صالح يدعو له» وبالجملة فالاحسان إلى النساء من مكارم الأخلاق وإن وقعت منهن الاساءة لما فى الحديث «يغلبن كريما ويغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولا أحب أن أكون لئيما غالبا» (قوله بأن طلقتموها) أى بعد الدخول وأما قبله فليس لها عنده إلا نصف المهر (قوله مالا كثيرا) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالقنطار الحديد (قوله ظلما) أشار بذلك إلى أنه أطلق البهتان وهو فى الأصل الكذب وأراد به الظلم مجازا (قوله والاستفهام للتوبيخ والانكار فى وكيف تأخذونه) أى وفيما قبله (قوله بالجماع) هكذا فسره به الشافعى وقال مالك بالخلوة التى يتأتى فيها الوطء (قوله المقرر للمهر) أى وهو الواقع من بالغ فى مطيقة وقال الشافعى بل ولو لم تكن مطيقة (قوله وأخذن) أى النساء والآخذ فى الحقيقة هو الله وإنما أسند للنساء مجازا عقليا من الاسناد للسبب (قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم) شروع منه سبحانه وتعالى فى المحرمات من النساء على الرجال وابتدأ بتحريم زوجة الأب اعتناء بها فإن الجاهلية كانوا يفعلون ذلك كثيرا ولما كان ذلك الأمر قبيحا شرعا وطبعا أفرده بالنهى ولم يدرجه فى جملة المحرمات الآتية (قوله ما نكح آباؤكم) المراد بالنكاح العقد وبالآباء الأصول وإن علوا فمن عقد أحد

مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا) لكن (مَا قَدْ سَلَفَ) من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه (إِنَّهُ) أى نكاحهن (كَانَ فَاحِشَةً) قبيحاً (وَمَقْتاً) سبباً للمقت من الله وهو أشد البغض (وَسَاءَ) بئس (سَبِيلاً) طريقاً ذلك (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) أن تنكحوهن وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم (وَبَنَاتُكُمْ) وشملت بنات الأولاد و إن سفلن (وَأَخَوَاتُكُمْ) من جهة الأب أو الأم (وَعَمَّاتُكُمْ) أى أخوات آبائكم وأجدادكم (وَخَالَاتُكُمْ) أى أخوات أمهاتكم وجداتكم (وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ) ويدخل فيهن أولادهم (وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ) قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث (وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ) و يلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوءته والعمات والخالات و بنات الأخ و بنات الأخت منها لحديث «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» رواه البخارى ومسلم (وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ) جمع ربيبة وهى بنت الزوجة من غيره ،

من أصولك على امرأة فلا يحل لك ولا لأحد من ذريتك تزوجها بحال وهذه إحدى المحرمات بالصهر وهن أربع والباقى زوجة الابن وأم الزوجة و بنت الزوجة وكل ذلك يحصل التحريم فيه بمجرد العقد إلا بنت الزوجة فلا يحرمها إلا الدخول بأمها ، والمراد بالدخول عند مالك التلذذ مطلقا و إن لم تكن خلوة وعند الشافعى لابد من الوطء وأما جارية الأب فلا تحرم على الابن إلا إن تلذذ بها الأب وسيأتى فى الآية تحريم باقى الأصهار (قوله من النساء) بيان لما التى بمعنى من وعبر بما التى لغير العاقل غالبا إشارة إلى أن النساء ناقصات عقل (قوله إلا لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن النهى مستقبل والاستثناء ماض ولا يستثنى الماضى من المستقبل وفى الحقيقة الاستثناء من قوله بعد إنه كان فاحشة الخ وحكمة هذا الاستثناء دفع توهم أن من فعله ولو قبل التحريم يحصل له هذا الوعيد الشديد (قوله إنه كان فاحشة) علة لقوله ولا تنكحوا وكان إما صلة أو مجردة عن معنى الزمان الماضى فهى بمعنى صار (قوله وساء سبيلا) مقول لقول محذوف معطوف على فاحشة أى ومقولا فيه ساء سبيلا ، ويحتمل أنه كلام مستأنف لإنشاء الذم (قوله ذلك) قدره إشارة إلى المخصوص بالذم والمعنى أن من تزوج بزوجة الأب بعد التحريم ارتكب أمرا قبيحا واستحق أشد البغض من الله وسلك طريقا قبيحا خبيثا (قوله حرمت عليكم أمهاتكم) شروع فى ذكر المحرمات بالنسب وأمهات جمع أم فالهاء زائدة فى الجمع للفرق بين جمع من يعقل ومن لا يعقل وهذا على أن المفرد أم وأما على أن المفرد أمهة فليست زائدة وقد يتعاكس على الأول فيقال فى العقلاء أمات وفى غيرهم أمهات (قوله أن تنكحوهن) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن الذوات لا تحرم و إنما التحريم متعلق بالفعل (قوله وشملت بنات الأولاد) أى ذكورا و إناثا (قوله وأخواتكم) جمع أخت يقال فى الأنثى أخت وفى الذكر أخ وجمع الأول أخوات والثانى إخوة (قوله من جهة الأب أو الأم) أى ومن باب أولى الشقيقات (قوله أى أخوات آبائكم) أى مطلقا شقيقات أو لأب أو لأم (قوله وأجدادكم) أى و إن علوا (قوله أى أخوات أمهاتكم) أى مطلقا شقيقات أو لأب أو لأم (قوله وجداتكم) أى و إن علون (قوله و يدخل فيهن بنات أولادهن) أى الأخوات ذكورا أو إناثا و إن سفلن وفيه تغليب الأخت على الأخ لقربها وفى نسخة أولادهم بميم الجمع و يكون عائدا على الأخ وغلبه على الأخت تشريفا (قوله وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) شروع فى ذكر المحرمات بالرضاع (قوله قبل استكمال الحولين) ظاهره ولو كان مستغنيا عن اللبن ولكن يقيد عند مالك بما إذا لم يستغن عن اللبن داخل الحولين و إلا فلا يحرم كبعد الحولين (قوله خمس رضعات) أى متفرقات وهذا مذهب الامام الشافعى وابن حنبل ، وأما مذهب مالك وأبى حنيفة فالمصة الواحدة كافية فى التحريم (قوله كما بينه الحديث) أى الصحيح لأن من قواعد الشافعى كلما صح الحديث كان مذهبا له ، وأما مالك فكذلك ما لم يعارضه عمل أهل المدينة و إجماعهم و إلا حمل الحديث عنده على أنه منسوخ فعمل أهل المدينة حجة عند مالك دون غيره (قوله وأخواتكم من الرضاعة) أى وسواء كانت تلك الأخت بنتا لمن أرضعتك أولا كما إذا أرضعت امرأة ابن عمر و بنت زيد فإنها تصير أختا له من الرضاعة (قوله ويلحق بذلك) أى بما ذكر من الأمهات والأخوات من الرضاعة (قوله من أرضعتهن موطوءته) ظاهره ولو بزنا وهو كذلك عند مالك ، وأما عند الشافعى فيقيد الوطء بكونه من نكاح أو شبهته أو ملك أو شبهته ، وأما بالزنا فلا يحرم عنده .

(قوله اللاتى فى حجوركم) جمع حجر وهو فى الأصل مقدم الثوب أطلق وأريد به كونهم فى تربيته (قوله موافقة للغالب) أى فإن الغالب عدم استغناء الربيبة عن أمها فهى فى حجر زوجها (قوله أى جامعتموهن) هذا مذهب الشافعى وعند مالك يكفى مطلق التلذذ فى التحريم (قوله الذين من أصلابكم) نزلت ردا لقول بعض المنافقين حين تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حليلة زيد وكان متبنيا له: إن محمدا تزوج حليلة ابنه (قوله بين الأختين) أى مطلقا شقيقتين أو لأب أو لأم (قوله الجمع بينها وبين عمتها الخ) أى وضابط ذلك أن يقال كل اثنتين لو قدرت أية ذكرا حرم فانه يحرم جمعهما ، وأما لو كان التقدير فى أحد الجانبين يحرم وفى الآخر لا يحرم فانه لا يحرم كجمع المرأة وأم زوجها أو بنته من غيرها أو المرأة وجاريتها كما قال الأجهورى :

وجمع مرأة وأم البعل ... أو بنته أو رقها ذو حل

(قوله ويطأ واحدة) أى ويحرم الأخرى (قوله إلا لكن ماقد سلف) هذا استثناء منقطع كالأول ولم يقل هنا إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا لعله بالقياس على ماتقدم (قوله بعض ماذكر) أى وهو نكاح الأختين (قوله والمحصنات) معطوف على قوله أمهاتكم فهو مندرج فى سلك المحرمات ولذا قدر المفسر قوله حرمت عليكم ، والمحصنات بفتح الصاد هنا باتفاق السبعة ، وأما فى غير هذا الموضع فقرأ الكسائى بالكسر فعلى الفتح هو اسم مفعول وفاعل الاحصان إما الأزواج أو الأولياء أو الله وعلى الكسر اسم فاعل بمعنى أنهن أحصن أنفسهن . واعلم أن الاحصان يطلق على التزوج كما فى هذه الآية وعلى الحرية كما فى قوله ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات وعلى الاسلام كما فى قوله فاذا أحصن وعلى العفة كما فى قوله محصنات غير مسافحات (قوله أن تنكحوهن) أى تعقدوا عليهن فى العصمة وما ألحق بها كالعدة وقد أشار لذلك بقوله قبل مفارقة بالوطء

(اللاتى فى حجوركم) تربونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) أى جامعتموهن (فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) فى نكاح بناتهن إذا فارقتموهن (وحلائل) أزواج (أبنائكم الذين من أصلابكم) بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم (وأن تجمعوا بين الأختين) من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها . ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معا ويطأ واحدة (إلا) لكن (ما قد سلف) فى الجاهلية من نكاحكم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه (إن الله كان غفورا) لما سلف منكم قبل النهى (رحيما) بكم فى ذلك (و) حرمت عليكم (المحصنات) أى ذوات الأزواج (من النساء) أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر مسلمات كن أولا (إلا ما ملكت أيمانكم) من الإماء بالسبى فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج فى دار الحرب بعد الاستبراء (كتاب الله) نصب على المصدر أى كتب ذلك (عليكم وأحل) بالبناء للفاعل والمفعول (لكم ما وراء ذلكم) أى سوى ما حرم عليكم من النساء (أن تبتغوا) تطلبوا النساء (بأموالكم) بصداق أو ثمن (محصنين) متزوجين (غير مسافحين) زانين (فما) أى من (استمتعتم) تمتعتم (به منهن) ممن تزوجتم ،

أزواجهن (قوله أولا) أى بل كن إماء أو كتابيات (قوله إلا ما ملكت أيمانكم) الاستثناء متصل ويشير له قول المفسر وإن كان لهن أزواج ولكن فيه شائبة انقطاع من وجهين : الأول أن المستثنى الوطء والمستثنى منه العقد . الثانى أن المستثنى منه المتزوجات بالفعل والمستثنى من كن متزوجات فانه بمجرد السبى تنقطع عصمة الكافر (قوله نصب على المصدر) أى المؤكد لعامله المعنوى المستفاد من قوله حرمت فان التحريم والفرض والكتب بمعنى واحد (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان والفاعل هو الله وحذف للعلم به (قوله ماوراء ذلكم) أى غير ماذكر لكم وهذا عام مخصوص بغير ماحرم بالسنة كباقى المحرمات من الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها واللاعنة على ملاعنها والمعتدة فقوله أى سوى ماحرم عليكم من النساء أى كتابا وسنة (قوله أن تبتغوا) علة لقوله وأحل لكم أى أحل لكم لأجل أن تبتغوا (قوله بصداق) أى بالتزوج وقوله أو ثمن أى بالملك (قوله متزوجين) أى أو متملكين بدليل قوله أو ثمن وقوله غير مسافحين حال أخرى وسمى الزنا سفاحا لأن الزانيين لا يقصدان إلا صب الماء ولا يقصدان نسلا فان الأصل فى السفح الصب (قوله فما استمتعتم) أشار المفسر بقوله أى من إلى أن ماواقعة

على من يعقل وهن الزوجات والمراد الزوجات اللاتى تمتعتم به منهن فالآية واردة فى النكاح الصحيح فهو بمعنى قوله تعالى - وآتوا النساء صدقاتهن نحلة - الآية وكرره لتعميم حكم الحل وقيل إن الآية وردت فى نكاح المتعة وكان فى صدر الاسلام حلالا فكان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ثم يسرحها وقد نسخ هذا فعلى هذا الآية منسوخة (قوله بالوطء) أى أومقدماته (قوله مهورهن) سمى المهر أجرا لأنه فى مقابلة الاستمتاع لا الذات (قوله التى فرضتم لهن) أشار بذلك إلى أن فريضة مفعول لمحذوف وهو متصل بما قبله فان لم يكن فرض لها شيئا وقد دخل بها فانه يلزمه مهر مثلها (قوله ولاجناح عليكم) أى ولا عليهن (قوله أنتم وهن) أى إن كن رشيدات أو أولياؤهن إن كن سفيهات (قوله من حطها الخ) بيان لما والكلام موزع ، والمعنى فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الحط ولا جناح عليهن فيما تراضين من أخذ الزيادة (قوله ومن لم يستطع) من شرطية أو موصولة ويستطع إما فعل الشرط أوصلة الموصول وقوله منكم : أى الأحرار وهو شروع فى بيان حكم نكاح الاماء للأحرار فأفاد أنه لايجوز للحر أن ينكح الأمة إلا بشروط ثلاثة أن لايجد للحرائر طولا وأن تكون تلك الأمة مؤمنة وأن يخشى على نفسه العنت وذلك الحكم يخصص ماتقدم فى قوله فانكحوا ماطاب لكم من النساء وقوله - وأحل لكم ما وراء ذلكم - وعلة حرمة نكاح الأمة لئلا يصير الولد رقيقا لسيد الأمة فان كان لا يولد له أو لها أو كان ولده يعتق على سيدها مثل أمة الجد فانه يجوز له تزوج الأمة بشرط كونها مؤمنة (قوله أن ينكح المحصنات) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لقوله طولا على حد أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما (قوله فلا مفهوم له) أى فاذا وجد طولا لحرة كتابية فلا يجوز له أن يتزوج بالأمة (قوله فمما ملكت أيمانكم)

بالوطء (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن التى فرضتم لهن (فَرِيضَةً وَلَاجُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ) أنتم وهن (بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) من حطها أو بعضها أو زيادة عليها (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فيما دبره لهم (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا) أى غنى لـ(أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ) الحرائر (الْمُؤْمِنَاتِ) هو جرى على الغالب فلا مفهوم له (فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) ينكح (مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ) فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر إليه فانه العالم بتفصيلها ورب أمة تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء (بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ) أى أنتم وهن سواء فى الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن (فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ) مواليهن (وَآتُوهُنَّ) أعطوهن (أُجُورَهُنَّ) مهورهن (بِالْمَعْرُوفِ) من غير مطل ونقص (مُحْصَنَاتٍ) عفائف حال (غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ) زانيات جهرا (وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ) أخلاء يزنون بهن سرا (فَإِذَا أُحْصِنَّ) زوجن وفى قراءة بالبناء للفاعل تزوجن (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ) زنا (فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ) الحرائر الأبكار إذا زنين (مِنَ الْعَذَابِ) الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ،

إما جواب الشرط أو خبر المبتدأ وقدر المفسر العامل مؤخرا لافادة الحصر (قوله من فتياتكم) جمع فتاة وهى الشابة من النساء (قوله تفضل الحرة فيه) أى الايمان بأن تكون من كبار الأولياء وأرباب الأسرار مثلا (قوله بعضكم من بعض) أى من جنس بعض فى الدين والنسب كقول على كرم الله وجهه بيت شعر من البسيط :

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء

(قوله من غير مطل) أى عدم أداء مع القدرة عليه (قوله حال) أى من قوله فانكحوهن أى حال كونهن عفائف من الزنا وهذا شرط كمال على المعتمد (قوله غير مسافحات) حال مؤكدة (قوله ولا متخذات أخدان) جمع خدن بالكسر وهو الصاحب والخليل وإنما ذكره بعده لأنه كان فى الجاهلية الزنا قسمان: جهرا وسرا فكان الأكابر منهم يحرمون القسم الأول ويحلون القسم الثانى (قوله وفى قراءة بالبناء للفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان والمعنى على هذه القراءة أحصن أنفسهن (قوله فان أتين) شرط فى الشرط وقوله فعليهن الخ جواب الثانى والثانى وجوابه جواب الأول على حد إن جئتنى فان لم أكرمك فعبدى حر (قوله الأبكار) إنما قيد بذلك لأن حد غير البكر من الأحرار الرجم وهو لايتنصف (قوله ويغربن نصف سنة) هذا مذهب الامام الشافعى ، وأما عند مالك فلا تغريب على الرقيق ذكرا أو أنثى

(قوله ولم يجعل الاحصان الخ) إنما احتاج للسؤال والجواب لأنه فسر الاحصان بالتزوج و إلا فلو فسره بالاسلام كما فعل غيره لما احتاج لذلك كله (قوله وأصله المشقة) أى أصله الثانى و إلا فأصله الأول الكسر بعد الجبر ثم نقل لكل مشقة تحصل للانسان (قوله والعقوبة فى الأخرى) أى إن لم يقم عليه الحد فى الدنيا على المعتمد من أن الحدود جوابر (قوله فلا يحل له نكاحها) محل ذلك إن لم يخف العنت فى أمة معينة ولم يجد من يكفه عنها من الحرائر فعند مالك يجوز له نكاحها لأنه عادم للحرائر حكما (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك وأحمد وقال أبو حنيفة بجواز نكاح الأمه لمن ليس تحته حرة بالفعل ولو كان واجدا لمهرها وخالف فى اشتراط إسلام الأمة (قوله ولو عدم) أى الطول وخاف العنت (قوله وأن تصبروا خير لكم) أى فالصبر أجمل حيث أمكن التحيل على ذلك لقوله فى الحديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء» ولقوله تعالى ـ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ـ (قوله بالتوسعة فى ذلك) أى فى نكاح الأمة (قوله ليبين لكم) أى يفصل و يظهر (قوله فتتبعوهم) أى على منوال شرعكم (قوله و يتوب عليكم) أى يقبل توبتكم

ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب الحد بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلا (ذَٰلِكَ) أى نكاح المملوكات عند عدم الطول (لِمَنْ خَشِيَ) خاف (الْعَنَتَ) الزنا وأصله المشقة سمى به الزنا لأنه سببها بالحد فى الدنيا والعقوبة فى الآخرة (مِنْكُمْ) بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طول حرة وعليه الشافعى، وخرج بقوله من فتياتكم المؤمنات الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف (وَأَنْ تَصْبِرُوا) عن نكاح المملوكات (خَيْرٌ لَكُمْ) لئلا يصير الولد رقيقاً (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بالتوسعة فى ذلك (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ) شرائع دينكم ومصالح أمركم (وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ) طرائق (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) من الأنبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم (وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ) يرجع بكم عن معصيته التى كنتم عليها إلى طاعته (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بكم (حَكِيمٌ) فيما دبره لكم (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) كرره ليبنى عليه (وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ) اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة (أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) تعدلوا عن الحق بارتكاب ماحرم عليكم فتكونوا مثلهم (يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ) يسهل عليكم أحكام الشرع (وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) لا يصبر عن النساء والشهوات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) بالحرام فى الشرع كالربا والغصب (إِلَّا) لكن (أَنْ تَكُونَ) تقع (تِجَارَةٌ) وفى قراءة بالنصب،

إذا تبتم (قوله عن معصيته) أى اللغوية و إلا فقبل التشريع لم تكن معصية (قوله والله يريد أن يتوب عليكم) أى يحب ذلك ويرضاه وليست الارادة على حقيقتها لأنه يقتضى أن إرادة الله متعلقة بتوبة كل عاص مع أنه ليس كذلك فالمعنى الله يحب توبة العبد فيتوب عليه ومن هنا قيل إن قبول التوبة قطعى (قوله أو المجوس) أى فكانوا يجوزون نكاح الأخوات من الأب و بنت الأخ فلما حرمهن الله صاروا يقولون للمؤمنين إنكم تحلون نكاح بنت العمة وبنت الخالة فلا فرق بينهما وبين بنت الأخ والأخت (قوله فتكونوا مثلهم) أى لأن المصيبة أى إذا عمت هانت (قوله يسهل عليكم أحكام الشرع) أى فلم يجعلها ثقيلة عسرة كما كان فى الأمم السابقة قال تعالى ـ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ـ وقال تعالى ـ ماجعل عليكم فى الدين من حرج ـ (قوله وخلق الانسان) هذا كالتعليل لقوله يريد الله أن يخفف عنكم (قوله لايصبر عن النساء) أى لما فى الحديث «لاخير فى النساء ولا صبر عنهن يغلبن كريما ويغلبهن لئيم فأحب أن أكون كريما مغلوبا ولا أحب أن أكون لئيما غالبا» وقوله أوالشهوات أى مطلقا ومن جملتها النساء وفى الحديث «إن لنفسك عليك حقا» (قوله يأيها الذين آمنوا الخ) لما بين النهى عن بعض الفروج و إباحة بعضها شرع يبين النهى عن بعض الأموال والأنفس (قوله لاتأكلوا أموالكم) أى بانفاقها فى المعاصى والمراد بالأكل مطلق الأخذ و إنما عبر بالأكل لأنه معظم المقصود من الأموال (قوله كالربا والغصب) أى والسرقة والرشوة وغير ذلك من المحرمات (قوله إلا لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع (قوله وفى قراءة بالنصب) أى على أن تكون ناقصة وتجارة خبرها واسمها محذوف وأما على الرفع فتكون تامة

والقراءتان سبعيتان (قوله عن تراض منكم) أى وأما إذا لم تكن عن تراض بل كانت غصبا أو غشا أو خديعة فليست حلالا ويشترط أيضا أن تكون على الوجه المرضى فى الشرع وخص التجارة بالذكر لأن غالب التصرف فى الأموال بها ولذوى المروءات (قوله أيا كان فى الدنيا الخ) أى بأن يزنى وهو محصن فيترتب عليه الرجم أو يقتل أحدا فيقتل أو يقتل نفسه غما وأسفا لما روى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فهو يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا فيها أبدا» (قوله أى ما نهى عنه) أى وهو قتل النفس أو أكل الأموال بالباطل (قوله تأكيد) أى لأن الظلم والعدوان بمعنى واحد وهو تجاوز الحد (قوله وكان ذلك) أى الاصلاء المذكور (قوله وهى ماورد عليها وعيد) أى أو حد ولا تحد بالعد (قوله أقرب) أى منها للسبعين التى قيل بها (قوله بالطاعات) أى بفعلها زيادة على الاجتناب كذا قيل وقيل لا يشترط ذلك بل تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فقط فان اجتناب الكبائر من أعظم الطاعات وهو المعتمد (قوله بضم الميم) أى فيكون مصدرا على صورة المفعول لأن مصدر الرباعى يأتى على صورة اسم المفعول ومفعوله محذوف أى ندخلكم الجنة إدخالا وقوله وفتحها أى فيكون اسم مكان فقوله أى إدخالا أو موضعا لف ونشر مرتب ويحتمل أن كلا لكل لكن الأول أقرب وهما قراءتان سبعيتان إلا فى الاسراء فبالضم لا غير (قوله هو الجنة) هذا يناسب كونه اسم مكان وأما على كونه مصدرا، فالمراد أن قرار الادخال الكريم الجنة ومعنى كونه كريما أنه لا نكد فيه ولا تعب بل فيه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله ولا تتمنوا) سيأتى فى المفسر

أى تكون الأموال أموال تجارة صادرة (عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ) وطيب نفس فلكم أن تأكلوها (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) بارتكاب ما يؤدى إلى هلاكها أيا كان فى الدنيا أو الآخرة بقرينة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا) فى منعه لكم من ذلك (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) أى ما نهى عنه (عُدْوَانًا) تجاوزا للحلال حال (وَظُلْمًا) تأكيد (فَسَوْفَ نُصْلِيهِ) ندخله (نَارًا) يحترق فيها (وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) هينا (إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ) وهى ماورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة، وعن ابن عباس هى إلى السبعمائة أقرب (نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) الصغائر بالطاعات (وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا) بضم الميم وفتحها أى إدخالا أو موضعا (كَرِيمًا) هو الجنة (وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ) من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدى إلى التحاسد والتباغض (لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ) ثواب (مِمَّا اكْتَسَبُوا) بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره (وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ) من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالا فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال،

سبب نزولها وهو تمنى أم سلمة كونها من الرجال وذلك لأن الله فضل الرجال على النساء بأمور: منها الجهاد والجمعة والزيادة فى الميراث وغير ذلك والتمنى هو التعلق بحصول أمر فى المستقبل عكس التلهف لأنه التعلق بحصول أمر فى الماضى فان تعلق بانتقال مالغيره له أو لغيره مع زواله عنه فهو حسد مذموم وهو معنى قوله تعالى - أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله - وفى ذلك قال ابن حنبل:

ألا قل لمن بات لى حاسدا ... أتدرى على من أسأت الأدب ... أسأت على الله فى فعله
كأنك لم ترض لى ماوهب ... فكان جزاؤك أن خصنى ... وسد عليك طريق الطلب

وإن تعلق بمثل مالغيره مع بقاء نعمته فان كان تقوى أو صلاحا أو إنفاق مال فى الخير فهو مندوب وهو المعنى بقوله عليه الصلاة والسلام «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس» وأما إن كان تمنى المال لمجرد التنعم فهو جائز (قوله وغيره) أى من أنواع البر كالصلاة والصوم وغيرهما (قوله من طاعة أزواجهن) أى لما فى الحديث «لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» وفى الحديث «إذا بات الرجل غضبانا على زوجته باتت الملائكة تلعنها إلى الصباح» (قوله أم سلمة) أى وهى زوج النبى صلى الله عليه وسلم وقد ترتب على تمنيها نزول تلك الآية ونزول قوله تعالى - إن المسلمين والمسلمات - إلى قوله: أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما - (قوله ليتنا كنا رجالا) أى ينتقل لنا وصفهم

ولا خصوصية لأم سلمة بهذا التمني فقد تمنى مثلها جماعة من النسوة ، وقيل سبب نزولها تمني الرجال أن الله كما فضلهم على النساء في الدنيا يفضلهن عليهن في الآخرة (قوله بهمزة ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان . والحاصل أن هذه المادة إن وردت في القرآن بواو أوفاء لنير غائب ففيها القراءتان نحو : فاسئلوا أهل الذكر، واسئلوا الله من فضله و إن وردت بنيرهما فالقراءة بدون الهمزة لاغير نحو : سل بني إسرائيل و إن وردت لغائب مع الواو أوالفاء نحو : وليسئلوا ما أنفقوا فالقراءة بالهمزة لاغير (قوله ولكل) أي لكل من مات من الرجال أوالنساء موالي: أي ورثة يرثونهم ، وقوله مما ترك الوالدان والأقربون : أي من المال الذي تركه الوالدان والأقربون إن ماتوا وهذا حل المفسر، وقال غيره إن قوله الوالدان والأقربون بيان للموالي فيكونون وارثين لاموروثين وكل صحيح والأقرب الأول ، وعليه ابن عباس والقصد بذلك نسخ ما كانت عليه الجاهلية من توريث الحلفاء فكان الواحد منهم يأخذ بيمين صاحبه ويقول له دمي دمك وهدمي هدمك أعقل عنك وتعقل عني وأرثك وترثني ، وقد كان في صدر الاسلام لكل واحد من صاحبه السدس ثم نسخ بهذه الآية أو بقوله تعالى ـ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ـ كما يأتي ، وقوله دمي دمك : أي أنت ولي دمي وأنا ولي دمك ، وقوله هدمي هدمك بفتح الهاء وسكون الدال : أي إذا وقع بيننا قتل كان المقتول منا هدرا ، وقوله أعقل عنك وتعقل عني : أي إذا لزمتك دية شاركتك فيها وأنت كذلك (قوله والذين عاقدت أيمانكم) مبتدأ خبره قوله فآتوهم وقد فرضه المفسر في تحالف الجاهلية و بعضهم فرضه في مؤاخاة النبي بين المهاجرين والأنصار وكل صحيح وعلى كل فالميراث لهم منسوخ (قوله بألف ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان. وروى عن حمزة التشديد مع حذف الألف (قوله فآتوهم الآن) أي في صدر الاسلام ، وقد علمت أن المفسر فرضه في محالفة المهاجرين مع الأنصار (قوله وهذا منسوخ) أي قوله ـ والذين عقدت أيمانكم ـ الآية (قوله بقوله وأولوا الأرحام) وقيل منسوخ بالآية قبلها والواقع أن كلا ناسخ لها (قوله الرجال قوامون) سبب نزولها أن سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار نشزت زوجته واسمها حبيبة بنت زيد فلطمها فانطلق بها أبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له قد لطم كريمتي فقال النبي لتقتص من زوجها فذهبت مع أبيها ، فقال عليه الصلاة والسلام ارجعوا إن جبريل أتاني وقرأ الآية ، ثم قال أردنا أمرا وأراد الله أمرا وما أراده الله خير ، وهذا كلام مستأنف قصد به بيان تفضيل الرجال على النساء ، وأفاد أن التفضيل لحكمتين الأولى وهبية والثانية كسبية . واعلم أن جنس الرجال أفضل من جنس النساء فلا ينافي أن بعض أفراد النساء أفضل من بعض أفراد الرجال كمريم بنت عمران وفاطمة الزهراء وخديجة وعائشة (قوله مسلطون) أي قيام سلطنة كقيام الولاة على الرعايا فالمرأة رعية زوجها ، وفي الحديث «كل راع مسئول عن رعيته» (قوله و يأخذون على أيديهن) أي يمنعونهن من كل مكروه كالخروج من المنزل (قوله بما فضل) الباء سببية وما مصدرية : أي بتفضيل الله والبعض الأول الرجال والثاني النساء وأبهم البعض إشارة إلى أن التفضيل بالجملة لا بالتفصيل (قوله بالعلم الخ) أشار المفسر لبعض الأمور التي فضلت الرجال بها على النساء ومنها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وكون الأنبياء والسلاطين من الرجال ومنها كون الرجل يتزوج بأربع في الدنيا و بأكثر في الجنة دون المرأة وكون الطلاق والرجعة بيد الرجل (قوله وبما أنفقوا) يقال فيه ما قيل في قوله بما فضل الله : أي وبإنفاقهم ومن جملة الانفاق دفع المهر (قوله مطيعات لأزواجهن) أي

(وَاسْأَلُوا) بهمزة ودونها (اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ) ما احتجتم إليه يعطكم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ومنه محل الفضل وسؤالكم (وَلِكُلٍّ) من الرجال والنساء (جَعَلْنَا مَوَالِيَ) عصبة يعطون (مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ) لهم من المال (وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ) بألف ودونها (أَيْمَانُكُمْ) جمع يمين بمعنى القسم أو اليد أي الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والارث (فَآتُوهُمْ) الآن (نَصِيبَهُمْ) حظوظهم من الميراث وهو السدس (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) مطلعا ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ) مسلطون (عَلَى النِّسَاءِ) يؤدبونهن و يأخذون على أيديهن (بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) أي بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك (وَبِمَا أَنْفَقُوا) عليهن (مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ) منهن (قَانِتَاتٌ) مطيعات لأزواجهن (حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ) أي لفروجهن وغيرها ،

في غيرمعصية الله (قوله في غيبة أزواجهن) أي عنهن (قوله بما حفظ الله) أشار المفسر إلى أن ما اسم موصول أو نكرة موصوفة والعائد محذوف قدره بقوله هن والباء سببية: أي بسبب الذي أو شيء حفظهن الله به ولفظ الجلالة فاعل حفظ، والمعنى أن الله كما أوصى الأزواج بحفظ النساء كذلك لا تسمى النساء صالحات إلا إذا حفظهن الأزواج لأنه كما تدين الفتى يدان ويحتمل أن ما مصدرية، والمعنى بحفظ الله: أي توفيق الله لهن (قوله عصيانهن لكم) أي فيما تأمرونهن به (قوله بأن ظهرت أماراته) أي النشوز بأن ظننتم ذلك (قوله فعظوهن) أي بنحو اتقي الله واحذري عقابه فان الرجل له حق على المرأة وهذا الترتيب واجب وأخذ وجوبه من السنة (قوله غير مبرح) أي وهو الذي لا يكسر عظما ولا يشين جارحة. واعلم أن الهجر والضرب لا يسوغ فعلهما إلا إذا تحقق النشوز ويزاد في الضرب ظن الافادة، وأما الوعظ فلا يشترط فيه تحقق النشوز ولا ظن الافادة (قوله طريقا إلى ضربهن ظلما) أي كأن توبخوهن على ما كان منهن فيلجأ الأمر إلى الخصام والضرب فان عدن للنشوز رجع الترتيب الأول ولا يضربن من أول وهلة (قوله فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن) أي فالمطلوب أن تستوصوا بهن خيرا لما في الحديث «استوصوا بالنساء خيرا فان المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا» (قوله وإن خفتم) الخطاب لولاة الأمور أو لأشراف البلدة التي هما بها (قوله والاضافة للاتساع) أي والأصل شقاقا بينهما فأضيف المصدر إلى ظرفه مثل مكر الليل (قوله حكما من أهله وحكما من أهلها) أي إن وجد كل من الأهلين معا فان لم يوجدا أو وجد أحدهما دون الآخر اختار ولي الأمر رجلين و بعثهما واحدا عنها وواحدا عنه.

في غيبة أزواجهن (بِمَا حَفِظَ) هن (اللّهُ) حيث أوصى عليهن الأزواج (وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) عصيانهن لكم بأن ظهرت أماراته (فَعِظُوهُنَّ) فخوفوهن الله (وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ) اعتزلوا إلى فراش آخر إن أظهرن النشوز (وَاضْرِبُوهُنَّ) ضربا غير مبرح إن لم يرجعن بالهجران (فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ) فيما يراد منهن (فَلاَ تَبْغُوا) تطلبوا (عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً) طريقا إلى ضربهن ظلما (إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً) فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن (وَإِنْ خِفْتُمْ) علمتم (شِقَاقَ) خلاف (بَيْنِهِمَا) بين الزوجين والإضافة للاتساع أي شقاقا بينهما (فَابْعَثُوا) إليهما برضاهما (حَكَماً) رجلا عدلاً (مِنْ أَهْلِهِ) أقاربه (وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا) ويوكل الزوج حكمه في طلاق وقبول عوض عليه، وتوكل هي حكمها في الاختلاع فيجتهدان ويأمران الظالم بالرجوع أو يفرقان إن رأياه قال تعالى (إِن يُرِيدَا) أي الحكمان (إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا) بين الزوجين أي يقدرهما على ماهو الطاعة من إصلاح أوفراق (إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيماً) بكل شيء (خَبِيراً) بالبواطن كالظواهر (وَاعْبُدُواْ اللّهَ) وحدوه (وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً، وَ) أحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً) ؛

واعلم أن كون الحكمين من الأهلين عند وجودهما مندوب عند الشافعي وواجب عند مالك (قوله إن رأياه) أي صوابا ومصلحة (قوله أي الحكمان) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين، والمعنى إن يرد الزوجان إصلاحا معاشرة بالمعروف وترك ما يسيء تحصل الموافقة بينهما، وقوله بين الزوجين ويحتمل أن يعود على الحكمين، والمعنى لا يحصل اختلاف بين الحكمين بل تحصل الموافقة بينهما فيحكمان بما أنزل الله فتحصل أن الضميرين يصح عودهما معا على الزوجين أو الحكمين أو الأول للزوجين والثاني للحكمين وبالعكس، وقوله إصلاحا: أي مصلحة، وإليه يشير قول المفسر بعد ذلك من إصلاح أوفراق (قوله واعبدوا الله) الخطاب للمكلفين لأن العبادة تتوقف على معرفة المعبود والنية، ولكن المراد ما يشمل القربة التي هي ماتتوقف على معرفة المتقرب إليه والطاعة التي لا تتوقف على شيء (قوله وحدوه) حيث فسر العبادة بالتوحيد كان قوله بعد ذلك ولا تشركوا تأكيدا ولكن الأولى التعميم كما قدمناه فيكون قوله ولا تشركوا تأسيسا وهذا نظير قوله تعالى - فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (قوله ولا تشركوا به شيئا) يحتمل أن شيئا مفعول به، والمعنى لا تشركوا به شيئا من الأشياء صنما أوغيره، ويحتمل أنه مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف، والمعنى إشراكا شيئا جليا أوخفيا كالرياء والسمعة (قوله وبالوالدين) قرن بر الوالدين بعبادة الله إشارة لتأكد حقهما وتخويفا من عقوقهما وقدر المفسر

أحسنوا إشارة إلى أن إحسانا مفعول مطلق لفعل محذوف والجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلقا بأحسنوا المقدر وإليه يشير المفسر . ويحتمل أنه متعلق باحسانا ولا يقال إن المصدر لا يعمل فى متقدّم لأنه يقال محله فى غير الجار والمجرور والظرف (قوله برّا ولين جانب) أى بأن يعظمهما ويخدمهما ويفعل معهما أنواع البرّ ، وقد بين أنواعه فى قوله تعالى - إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أوكلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما - الآية ، وإنما خص حالة الكبر لأن عندها يثقلان وإنما تكررت الآيات المتعلقة بالوصية على الوالدين دون العكس لأن الله جبل الرأفة القائمة بقلوب الوالدين على الأولاد مغنية عن التكاليف بالقيام بحقوق الأولاد بخلاف الأولاد فلذا شدّد على الأولاد دون الوالدين (قوله وبذى القربى) كرر الباء إشارة إلى تأكيد حق القرابة لما فى الحديث «الرحم معلقة بالعرش تقول يارب من وصلنى فأوصله ومن قطعنى فاقطعه» (قوله واليتامى) جمع يتيم وهو من مات أبوه ويستمر يتمه إلى البلوغ فاذا بلغ زال يتمه (قوله والمساكين) جمع مسكين وهو من التصقت يده بالتراب والمراد مايشمل الفقير (قوله أو النسب) أو مانعة خلو تجوز الجمع لما فى الحديث «الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق: حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام ، وجار له حقان: حق الجوار وحق الاسلام ، وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب»

برًّا ولين جانب (وَبِذِى الْقُرْبَى) القرابة (وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى) القريب منك فى الجوار أو النسب (وَالْجَارِ الْجُنُبِ) البعيد عنك فى الجوار أو النسب (وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) الرفيق فى سفر أو صناعة ، وقيل الزوجة (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع فى سفره (وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من الأرقاء (إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا) متكبرا (فَخُورًا) على الناس بما أوتى (الَّذِينَ) مبتدأ (يَبْخَلُونَ) بما يجب عليهم (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) به (وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) من العلم والمال وهم اليهود وخبر المبتدإ لهم وعيد شديد (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ) بذلك وبغيره (عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة (وَالَّذِينَ) عطف على الذين قبله (يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ) مرائين لهم (وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) كالمنافقين وأهل مكة (وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا) صاحبا يعمل بأمره كهؤلاء (فَسَاءَ) بئس (قَرِينًا) هو (وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ) أى أىّ ضرر عليهم فى ذلك ؟ والاستفهام للانكار ولو مصدرية ، أى لاضرر فيه وإنما الضرر فيما هم عليه (وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيمًا) فيجازيهم بما عملوا (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ) أحدا (مِثْقَالَ) وزن (ذَرَّةٍ) :

(قوله الرفيق فى سفر) ومثله الملاصق لك فى نحو درس علم أو صلاة (قوله المنقطع فى سفره) المناسب تفسيره بالغريب كان منقطعا أولا (قوله من الأرقاء) لامفهوم له بل مثله الدواب المملوكة وإنما خص الأرقاء لقوله تعالى - ولقد كرمنا بنى آدم - فالاحسان إليهم متأكد لقوله فى الحديث «إن الله ملككم إياهم ولوشاء ملكهم إياكم» (قوله إن الله) علة لمحذوف تقديره أمركم الله بذلك فلا تفخروا إن الله الخ (قوله متكبرا) أى معجبا لنفسه مستحقرا لغيره (قوله بما أوتى) أى من النعم (قوله بما يجب عليهم) أى من الزكاة وغيرها (قوله بالبخل به) أى بما يجب (قوله من العلم) أى كصفات النبى الموجودة فى التوراة والانجيل (قوله وأعتدنا للكافرين) علة لخبر المبتدأ المحذوف (قوله مرائين لهم) أشار به إلى أن رئاء حال من الواو فى ينفقون (قوله كهؤلاء) أى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ومن ينفق ماله مرائيا ومن لايؤمن بالله ولا باليوم الآخر (قوله فساء قرينا) ساء بمعنى بئس تساق للذم فهى نظيرتها فى المعنى والعمل وقرينا تمييز والأصل فساء القرين قرينهم وقدر المخصوص بالذم بقوله هو . واعلم أن كل إنسان له قرين من الشياطين يوسوس له فى الدنيا ويكون معه فى النار فى سلسلة ، واختلف فقيل الذم فى الدنيا على مطاوعته فيما يأمره به ، وقيل فى الآخرة على مقارنته له فى السلسلة فى النار (قوله أى أىّ ضرر) أشار بذلك إلى أن ماذا استفهام وهو للانكار والتوبيخ (قوله ولو مصدرية) أى والكلام على تقدير فى وإليه يشير المفسر بقوله : أى لاضرر عليهم فيه فالتقدير وماذا عليهم فى إيمانهم (قوله إن الله لايظلم مثقال ذرة) المقصود من ذلك إظهار العدل فى المجازاة على السيآت وكمال الفضل فى المجازاة على الحسنات

(قوله أصغر نملة) وقيل هو الهباء الذى يكون فى الشمس فقوله من مؤمن أى لامن كافر بل تكون هباء منثورا (قوله وفى قراءة بالرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يضاعفها) أى يضاعف ثوابها (قوله لا يقدره) أى لايحصره ولايعده بل من محض فضله وكرمه (قوله فكيف) خبر لمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله حال الكفار وهو استفهام تعجبى استعظامى أى تعجب من حالهم فانه بلغ الغاية فى الفظاعة والشناعة لعظيم ماراوه من الأهوال العظيمة (قوله إذا جئنا) ظرف متعلق بالمبتدا المحذوف (قوله على هؤلاء) أى أمم الأنبياء الكفار حين ينكرون تبليغ أنبيائهم لهم الرسالة . وحاصل ذلك أنه بعد انفضاض الوقف تحضر الأنبياء مع أممهم فيقول الله للأمم ألم تبلغكم الرسل الشرائع فيقولون يار بنا مابلغونا فيسأل الله الرسل ألم تبلغوهم ما أرسلتكم به فيقولون بلى فيقول الله للرسل هل لكم شهود فيقولون محمد وأمته فيؤتى بهم فيشهدون على الأمم بالتكذيب وللأنبياء بالبراءة ثم بعد ذلك إن وقع منهم إنكار تنطق عليهم ألسنتهم بل وجميع أعضائهم والأزمنة والأمكنة بتكذيبهم وهذا الاحتمال هو الأظهر، و يحتمل أن اسم الاشارة عائد على المشركين مطلقا من أول الزمان إلى آخره أو عائد على الكفار والمنافقين من أمته صلى الله عليه وسلم و إنما رجع للنبى وأمته على الاحتمال الأول و إن كانت الدعوى من معصوم تبكيتا

أصغر نملة بأن ينقصها من حسناته أو يزيدها فى سيآته (وَإِنْ تَكُ) الذرة (حَسَنَةً) من مؤمن وفى قراءة بالرفع فكان تامة (يُضَاعِفْهَا) من عشر إلى أكثر من سبعمائة وفى قراءة يضعفها بالتشديد (وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ) أى من عنده مع المضاعفة (أَجْرًا عَظِيمًا) لا يقدره أحد (فَكَيْفَ) حال الكفار (إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ) يشهد عليها بعملها وهو نبيها (وَجِئْنَا بِكَ) يا محمد (عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ) يوم المجىء (يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ) أى أن (تُسَوَّى) بالبناء للمفعول وللفاعل مع حذف إحدى التاءين فى الأصل ومع إدغامها فى السين أى تتسوى (بِهِمُ الْأَرْضُ) بأن يكونوا ترابا مثلها لعظم هوله كما فى آية أخرى «ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا» (وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا) عما عملوه وفى وقت آخر يكتمونه و يقولون: والله ربنا ما كنا مشركين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ) أى لاتصلوا (وَأَنْتُمْ سُكَارَى) من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة فى حال السكر (حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) بأن تصحوا (وَلَا جُنُبًا) بإيلاج أو إنزال ،

لكفار الأمم السابقة و إظهارا لشرف هذه الأمة وعظم قدرها (قوله يوم المجىء) أشار بذلك إلى أن التنوين فى يومئذ عوض عن جملة جئنا من كل أمة إلى آخرها (قوله يود الذين كفروا) أى يتمنى الكفار مطلقا (قوله وعصوا الرسول) أى رسول كل أمة فأل فيه للجنس (قوله أى أن) أشار بذلك إلى أن لو مصدرية (قوله بالبناء للمفعول) أى مع تخفيف السين وقوله وللفاعل الخ هذه قراءة ثانية وقوله ومع إدغامها قراءة ثالثة . فالحاصل أن القراآت ثلاث البناء للمفعول مع تخفيف السين والبناء للفاعل مع التخفيف بحذف احدى التاءين والتشديد بقلب التاء سينا وادغامها فى السين (قوله بأن يكونوا ترابا مثلها) أو بأن تنشق الأرض وتبتلعهم أو يدفنون فيها والأقرب ماذكره المفسر لأن خير مافسرته بالوارد (قوله ولا يكتمون) معطوف على يود فأخبر عنهم بأنهم يوم القيامة يقع منهم شيئان تمنى أن الأرض تسوى بهم وعدم كتمانهم عن الله حديثا (قوله وفى وقت آخر) جواب عن سؤال وهو أن هذه الآية أفادت عدم الكتمان وآية الأنعام أفادت اثباته . وحاصل الجواب أن الكتمان يقع منهم ابتداء وعدمه انتهاء (قوله لاتقربوا الصلاة) إنما نهى عن القربان للمبالغة فى النهى وقوله وأنتم سكارى . إن قلت ان السكران لاعقل عنده فكيف ينهى . أجيب بأن المراد لاتسكروا فى أوقات الصلوات (قوله لأن سبب نزولها) اختصر المفسر السبب وحاصله أنه روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فأكلنا وأسقانا خمرا قبل أن تحرم الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة أى صلاة المغرب فقدمونى فقرأت قل يأيها الكافرون أعبد ماتعبدون ونحن نعبد ماتعبدون فنزلت الآية فحرمت فى أوقات الصلاة حتى نزلت آية المائدة فحرمت مطلقا (قوله حتى تعلموا ماتقولون) حتى جارة بمعنى إلى والفعل بعدها منصوب بأن مضمرة ومايجوز فيها أن تكون بمعنى الذى أو نكرة موصوفة والعائد على كل محذوف أو مصدرية ولاحذف .

(قوله ونصبه على الحال) أى فهو معطوف على قوله وأنتم سكارى (قوله وهو يطلق) أى لفظ جنب (قوله إلا عابرى سبيل) الأحسن أن إلا بمعنى غير صفة لجنبا ومفهومه أن الجنب المسافر يكفيه التيمم وهو كذلك (قوله سيأتى) أى فى قوله أو على سفر الخ (قوله وقيل المراد النهى الخ) هذا تفسير آخر للآية و به أخذ الامام الشافعى وقال مالك بحرمة مرور الجنب فى المسجد إذا كان غير مضطر (قوله يضره الماء) أى فيتيمم و يصلى ولا إعادة عليه عند مالك وأبى حنيفة وقال الشافعى بالاعادة (قوله أى مسافرين) أى ولو كان غير قصر (قوله أو محدثون) أى بالريح مثلا (قوله وهو المكان المعد لقضاء الحاجة) أى فى الأصل ثم أطلق على نفس الحاجة من إطلاق المحل وإرادة الحال يدل عليه قوله أى أحدث (قوله وهو الجس باليد) أى ولو كان من غير قصد أو وجدان لغير محرم وعليه الشافعى وقال مالك يقيد بالقصد أو الوجدان وأخذ أبو حنيفة بكلام ابن عباس فالجس باليد عنده لا يوجب الوضوء مطلقا (قوله وهو راجع إلى ماعدا المرضى) أى وأما المرضى فيتيممون مع وجوده لأنهم لا يقدرون على استعماله أو يراد بعدم الوجود حقيقة أو حكما فيشمل المرضى لأن المعدوم شرعا كالمعدوم حسا (قوله بعد دخول الوقت) إنما قيد بذلك لأن التيمم لا يصح قبله (قوله ترابا طاهرا) هكذا فسره به الشافعى وقال مالك الصعيد هو ما صعد على وجه الأرض من أجزائها ولم يحرق بالنار ولم يكن من الجواهر النفيسة كالتراب أو الرمل أو الحجارة أو غير ذلك (قوله مع المرفقين) أى فمسحهما واجب و به أخذ الشافعى وقال مالك إن التكميل للمرفقين سنة وإنما الفرض عنده مسح اليدين للكوعين كما هو ظاهر الآية (قوله منه) قدره لبيان الممسوح به كما صرح به فى آية المائدة (قوله ومسح يتعدى بنفسه) أى فعليه تكون الباء زائدة وقوله و بالحرف أى وعليه تكون (من

ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره (إلا عابرى) مجتازى (سبيل) طريق، أى مسافرين (حتى تغتسلوا) فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر لأن له حكما آخر سيأتى، وقيل المراد النهى عن قربان مواضع الصلاة أى المساجد إلا عبورها من غير مكث (وإن كنتم مرضى) مرضا يضره الماء (أو على سفر) أى مسافرين وأنتم جنب أو محدثون (أو جاء أحد منكم من الغائط) هو المكان المعد لقضاء الحاجة، أى أحدث (أو لامستم النساء) وفى قراءة بلا ألف وكلاهما بمعنى اللمس وهو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعى وألحق به الجس بباقى البشرة وعن ابن عباس هو الجماع (فلم تجدوا ماء) تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ماعدا المرضى (فتيمموا) اقصدوا بعد دخول الوقت (صعيدا طيبا) ترابا طاهرا فاضربوا به ضربتين (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) مع المرفقين منه ومسح يتعدى بنفسه وبالحرف (إن الله كان عفوا غفورا . ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا) حظا (من الكتاب) وهم اليهود (يشترون الضلالة) بالهدى (ويريدون أن تضلوا السبيل) تخطئوا الطريق الحق لتكونوا مثلهم (والله أعلم بأعدائكم) منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم (وكفى بالله وليا) حافظا لكم منهم (وكفى بالله نصيرا) مانعا لكم من كيدهم ،

الباء للتعدية لأن سيبويه حكى مسحت رأسه و برأسه (قوله إن الله كان عفوا غفورا) تعليل للترخيص المستفاد مما قبله (قوله ألم تر) كلام مستأنف سيق لتعجيب النبى والمؤمنين من سوء حالهم (قوله إلى الذين) أبهمهم لفظاعة حالهم وشناعته (قوله من الكتاب) أى التوراة (قوله وهم اليهود) أى بعض علمائهم (قوله بالهدى) قدره اشارة إلى أن المقابل محذوف . والمعنى أنهم يأخذون الضلالة بدل الهدى والمراد بالضلالة الكفر وتكذيب سيدنا محمد والمراد بالهدى الايمان وتصديقه (قوله ويريدون أن تضلوا السبيل) هذا ترق فى التعجيب ، والمعنى أنهم اختاروا الضلالة لأنفسهم ومع ذلك يحبونها لغيرهم قال تعالى ــ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ــ روى عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت فى حبرين من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبى ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه أيضا أنها نزلت فى رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه (قوله لتجتنبوهم) أى لتتحرزوا منهم (قوله وكفى بالله) الباء حرف جر زائد ولفظ الجلالة فاعل كفى (قوله وكفى بالله نصيرا) تأكيد لما قبله وهو بمعنى قوله تعالى ــ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ــ

(قوله من الذين هادوا) خبر مقدم لمبتدإ محذوف قدّره المفسر بقوله قوم وقوله يحرّفون نعت لذلك المحذوف وحذف المنعوت كثير إن تقدمه من التبعيضية على حد منا ظعن ومنا أقام، أى فريق ظعن وفريق أقام وهذا الكلام تفصيل لبعض قبائحهم (قوله الكلم) أى الكلام (قوله من نعت محمد) أى من كونه أبيض مشربا بحمرة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير مثلا فقد حرّفوه وقالوا أسود اللون طويل جدا حرصا على الرياسة وعلى ما يأخذونه من سفلتهم ومن جملة ما غيروه آية الرجم بالجلد، ومن ذلك أنه فى كتبهم من خالف محمدا خلد فى النار فغيروه وقالوا لن تمسنا النار إلا أربعين يوما مدة عبادة العجل (قوله وعصينا أمرك) هذا بحسب باطنهم. وأما بحسب ظاهرهم فمعناه عصينا قول غيرك وكذا قوله واسمع غير مسمع أى اسمع الخير منا غير سامع ما يؤذيك وكذا قوله وراعنا أى امهلنا بنظرك فهذا من الكلام الموجه الذى يحتمل معنيين مختلفين فى المدح والذم (قوله أى لا سمعت) يحتمل أن المعنى لا سمعت خيرا أو لا سمعت شيئا أصلا بأن تبتلى بالصمم أو الموت (قوله وقد نهى عن خطابه بها) أى فى قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا (قوله وهى كلمة سب بلغتهم) يحتمل أنها موضوعة للسب فى لغتهم ويحتمل أنهم قصدوا بها السب وإن كانت تحتمل الدعاء بخير من الرعاية وهى الحفظ و بشرّ ومعناها الرعونة وهى الطيش فى العقل كأنهم يقولون امهلنا برعونتك

(مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) قوم (يُحَرِّفُونَ) يغيّرون (الْكَلِمَ) الذى أنزل الله فى التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم (عَنْ مَوَاضِعِهِ) التى وضع عليها (وَيَقُولُونَ) للنبى صلى الله عليه وسلم إذا أمرهم بشىء (سَمِعْنَا) قولك (وَعَصَيْنَا) أمرك (وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ) حال بمعنى الدعاء، أى لا سمعت (وَ) يقولون له (رَاعِنَا) وقد نهى عن خطابه بها وهى كلمة سبّ بلغتهم (لَيًّا) تحريفا (بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا) قدحا (فِى الدِّينِ) الإسلام (وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) بدل وعصينا (وَاسْمَعْ) فقط (وَانْظُرْنَا) انظر إلينا بدل راعنا (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ) مما قالوه (وَأَقْوَمَ) أعدل منه (وَلَٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته (بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا) من القرآن (مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ) من التوراة (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا) نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب (فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا) فنجعلها كالأقفاء لوحا واحدا (أَوْ نَلْعَنَهُمْ) نمسخهم قردة (كَمَا لَعَنَّا) مسخنا (أَصْحَابَ السَّبْتِ) منهم (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) قضاؤه (مَفْعُولًا) ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقيل كان وعيدا بشرط فلما أسلم بعضهم رفع وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ) أى الاشراك (بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ)

(قوله ليا بألسنتهم) أى صرفا للكلام عن ظاهره وأصله لويا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وهو فى الأصل فتل الحبل فشبه به الكلام الذى قصد منه غير ظاهره وطوى ذكر المشبه به وهو الحبل المفتول ورمز له بشىء من لوازمه وهو اللىّ فاثباته تخييل (قوله لكان خيرا لهم) هذا جواب لو واسم التفضيل ليس على بابه ويحتمل أنه على بابه على حسب ما زعموا من أن حرصهم على الكفر يبقى لهم حظ الرياسة والدنيا التى يأخذونها من عوامهم وهو خير دنيوى (قوله إلا قليلا) صفة لموصوف محذوف أى الا فريقا قليلا (قوله نمحو) أى نزيل ما فيها (قوله فقيل كان وعيدا بشرط) أى لأن رحمة الله تسبق غضبه. والحاصل أنه اختلف فى ذلك الوعيد هل كان معلقا ثم ارتفع وقيل إنه واقع لكن فى آخر الزمان، وقيل إنه واقع فى الآخرة فيقومون من قبورهم ممسوخة صورهم ولا مانع من إرادتها كلها وليس فى القرآن وعيد لأمة محمد بتعجيل العقوبة مثل هذا لأنهم بالغوا فى الكفر وإيذاء النبىّ صلى الله عليه وسلم وقوله بشرط أى وهو عدم إيمان أحد منهم ويؤيده ما روى أن عبدالله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع بهذه الآية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتى أهله وقال يارسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يتحوّل وجهى إلى قفاى، وكذا ما روى أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال كعب الأحبار يارب آمنت يارب أسلمت مخافة أن تصيبه وعيدها (قوله وقيل يكون) أى يحصل وقوله قبل قيام الساعة أى زمن عيسى (قوله إنّ الله لا يغفر أن يشرك به) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر أشار له المفسر بقوله أى الإشراك، والمعنى أن الله لا يغفر للكافر إشراكا أو غيره فالمراد بالشرك الكفر لا الشرك الأصغر الذى هو الرياء فانه من جملة الذنوب التى تغفر، وهذا ردّ على اليهود حيث زعموا أن الشرك لا يضرهم لكون أجدادهم أنبياء وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه

(قوله من الذنوب) بيان لما (قوله لمن يشاء المغفرة له) أى إن مات من غير توبة وإلا فالتائب من الذنب كمن لاذنب له وهذا معنى قول صاحب الجوهرة : ومن يمت ولم يتب من ذنبه فأمره مفوّض لربه

والغالب المغفرة لأن فضل الله واسع ورحمته تغلب غضبه ، وكل ذلك مالم يمت هديما أوغريقا أومقتولا ظلما مثلا وإلا فيقوم مقام التوبة (قوله ألم تر) كالدليل لما قبله (قوله وهم اليهود) وقيل هم والنصارى لأن هذه المقالة وقعت منهما لقوله تعالى : وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه (قوله حيث قالوا نحن أبناء الله) أى كالأبناء من حيث إن منزلتنا عنده عظيمة وقائل هذه اللفظة كافر ولو على سبيل المجاز (قوله أى ليس الأمر بتزكيتهم الخ) أى ليس الأمر منوطا ومعتبرا بتزكيتهم أنفسهم وهذا تمهيد لقوله تعالى : بل الله يزكى من يشاء (قوله بالايمان) أى وجميع الأعمال الصالحة وإنما اقتصر عليه لأن مدار النجاة عليه (قوله ولايظلمون) يحتمل أن الضمير عائد على المؤمنين أى فيجازيهم على أعمالهم الصالحة ولا ينقص منه شىء ولوكان أقل قليل وهذا هو المتبادر من المفسر ، وقيل إنه عائد على الكفار أى فيعذبهم بذنوبهم ولاينقصون شيئا من أعمالهم ويحتمل العموم وهو الأولى (قوله قدر قشر النواة) هذا سبق قلم والمناسب قدر الخيط الذى يكون فى بطن النواة ، وأما القطمير فهو قشرة النواة ، والنقير النقرة التى تكون فى وسطها ، والثفروق

سوى (ذَٰلِكَ) من الذنوب (لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا) ذنبا (عَظِيمًا) كبيرا (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ) وهم اليهود حيث قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه أى ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم (بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي) يطهر (مَنْ يَشَاءُ) بالايمان (وَلَا يُظْلَمُونَ) ينقصون من أعمالهم (فَتِيلًا) قدر قشرة النواة (انْظُرْ) متعجبا (كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بذلك (وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُبِينًا) بينا . ونزل فى كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبى صلى الله عليه وسلم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) صنمان لقريش (وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أبى سفيان وأصحابه حين قالوا لهم : أنحن أهدى سبيلا ونحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفكّ العانى ونفعل أم محمد وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم (هَٰؤُلَاءِ) ،

هو مابين النواة والقمع وذكر فى القرآن الثلاثة الأول ، وعادة العرب تمثل بأحد الأربعة لأقل قليل (قوله متعجبا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تعجبى (قوله وكفى به) أى بالافتراء (قوله ونزل فى كعب ابن الأشرف الخ) حاصل ماذكره الخازن أنه بعد وقعة بدر ضاق صدر كعب بن الأشرف فركب مع سبعين راكبا من اليهود حتى قدموا مكة فنزلوا على أبى سفيان وأصحابه أى فأحسنوا مثواهم ثم قال لهم أبوسفيان وأصحابه ماذا تريدون ؟ فقالوا نريد حرب محمد ونقض عهده فقال أبوسفيان وأصحابه لانأمن أن يكون هذا مكرا منكم فان كان ماتقولون حقا فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ثم قال كعب ليأت منكم ثلاثون رجلا ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب البيت لنجهدنّ فى قتال محمد ففعلوا ثم قال أبوسفيان لكعب إنك امرؤ تقرأ الكتاب ونحن أميون فأينا أهدى سبيلا أنحن أم محمد ؟ فقال كعب اعرض علىّ دينكم فقال أبوسفيان نحن ننحر للحجيج ونسقيهم الماء ونقرى الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن من أهل الحرم ، ومحمد فارق دين آبائه والحرم وقطع الرحم وديننا القديم ودين محمد حادث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما عليه محمد فنزلت الآية (قوله ونحوه من علماء اليهود) أى وكانوا سبعين راكبا (قوله وحرّضوا المشركين) أى أباسفيان وأصحابه (قوله بثأرهم) بالهمز وتركه (قوله ألم تر) أى تعلم وتنظر لفعلهم (قوله من الكتاب) أى التوراة (قوله يؤمنون بالجبت والطاغوت) أى بسجودهم لهما (قوله صنمان لقريش) وقيل الجبت اسم لكل صنم يعبد ، والطاغوت : الشيطان الذى يلبس الصنم ويكلم الناس فلكل صنم شيطان يغرّ الناس (قوله ونفك العانى) أى الأسير (قوله ونفعل) يحتمل أنه بالفاء والعين أى نفعل غير ماذكر من الأمور الجميلة المستحسنة أو بالعين ثم القاف أى نؤدى العقل بمعنى الدية عن حلفائنا

(قوله أى أنتم) أشار بذلك إلى أنه خطاب لهم وإنما المولى حكاه عنهم بالمعنى (قوله أى ليس لهم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله فإذا) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أشار له المفسر بقوله ولو كان وإنما قدر لو دون إن لأن الجواب مرفوع لا مجزوم وهذا ذم لهم بالبخل بعد ذمهم بالجهل وسيأتى ذمهم بالحسد (قوله بل) الاضراب انتقالى من صفة لصفة أخرى أقبح منها (قوله أى النبى) أى فهو من باب تسمية الخاص باسم العام إشارة إلى أنه جمعت فيه كمالات الأولين والآخرين قال الشاعر .

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

(قوله جده) بيان لابراهيم فهو بالجر (قوله تسع وتسعون امرأة) أى غير امرأة وزيره فقد أخذها بعد موته فتكامل له مائة (قوله فمنهم من آمن به) أى كعبدالله بن سلام وأضرابه (قوله فلم يؤمن) أى ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما (قوله بأن تعاد إلى حالها) ورد أنها تعاد فى الساعة الواحدة مائة مرة بل ورد أنها تعاد فى اليوم الواحد

أى أنتم (أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً) أقوم طريقاً (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً) مانعاً من عذابه (أَمْ) بل أ (لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ) أى ليس لهم شىء منه ولو كان (فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً) أى شيئاً تافهاً قدر النقرة فى ظهر النواة لفرط بخلهم (أَمْ) بل أ (يَحْسُدُونَ النَّاسَ) أى النبى صلى الله عليه وسلم (عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ) من النبوة وكثرة النساء أى يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ) جده كموسى وداود وسليمان (الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) النبوة (وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً) فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حرة وسرية (فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ) أعرض (عَنْهُ) فلم يؤمن (وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً) عذاباً لمن لا يؤمن (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ) ندخلهم (نَاراً) يحترقون فيها (كُلَّمَا نَضِجَتْ) احترقت (جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا) بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة (لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) ليقاسوا شدته (إِنَّ اللهَ كَانَ عَزِيزاً) لا يعجزه شىء (حَكِيماً) فى خلقه (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ) من الحيض وكل قذر (وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلاً) دائماً لا تنسخه شمس هو ظل الجنة (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ) أى ما اؤتمن عليه من الحقوق (إِلَىٰ أَهْلِهَا) نزلت لما أخذ علىّ رضى الله عنه مفتاح الكعبة

سبعين ألف مرة وورد أن بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع وورد أن ضرس الكافر يكون كأحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام (قوله والذين آمنوا) ذكر للمقابل وهو راجع لقوله فمنهم من آمن به كما أن قوله إن الذين كفروا راجع لقوله ومنهم من صد عنه على عادته سبحانه إذا ذكر الوعيد أعقبه بالوعد (قوله وكل قذر) أى كالنفاس وغيره (قوله لا تنسخه شمس) أى لعدم وجودها . قال تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا (قوله إن الله يأمركم) الخطاب للمكلفين لما سيأتى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله أن تؤدوا الأمانات) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان ليأمر والأصل يأمركم تأدية الأمانات أو منصوب بنزع الخافض لأن حذفه مع أنّ وأن مطرد ويقال فى وأن تحكموا بالعدل ماقيل فيه لأنه معطوف عليه وقوله إذا حكمتم ظرف له ولا يقال يلزم عليه تقديم معمول الصلة عليها لأنه يقال إنه ظرف ويغتفر فيه مالا يغتفر فى غيره (قوله من الحقوق). اعلم أن الأمانات ثلاثة أقسام : الأول عبادات الله بأن يفعل المأمورات ويجتنب المنهيات . الثانى نعمه التى أنعم بها كالسمع والبصر والعافية وغير ذلك فلا يصرفها فيما يغضب الله الثالث حقوق العباد كالودائع وغيرها فيجب على الانسان تأدية الأمانات مطلقا كانت قولية أو فعلية أو اعتقادية ، فالقولية كحفظ القرآن والفعلية كحفظ الودائع والعوارى والاعتقادية كالتوحيد وحسن الظن بالخلق وبالجملة فهذه الآية من جوامع الكلم وهى بمعنى قوله تعالى ـ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض ـ الآية على التحقيق (قوله نزلت لما أخذ علىّ مفتاح الكعبة الخ) قال البغوى نزلت فى عثمان بن طلحة الحجبى من بنى عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبى صلى الله عليه وسلم

من عثمان بن طلحة الحجبى سادنها قسراً لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برده إليه وقال هاك خالدة تالدة فعجب من ذلك فقرأ له علىّ الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه شيبة فبقى فى ولده والآية و إن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ) يأمركم (أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا) فيه إدغام ميم نعم فى ما النكرة الموصوفة أى نعم شيئاً (يَعِظُكُمْ بِهِ) تأدية الأمانة والحكم بالعدل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً) لما يقال (بَصِيراً) بما يفعل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي) أصحاب (الْأَمْرِ) أى الولاة (مِنْكُمْ) أى إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ) اختلفتم (فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ) أى إلى كتابه (وَالرَّسُولِ) مدة حياته و بعده إلى سنته أى اكشفوا عليه منهما (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ) أى الرد إليهما (خَيْرٌ) لكم من التنازع والقول بالرأى (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) مآلاً. ونزل لما اختصم يهودى ومنافق فدعا إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأتياه فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وأتيا عمر فذكر له اليهودى ذلك فقال للمنافق أكذلك؟ فقال نعم فقتله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ)

مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له إنه مع عثمان وطلب منه فأبى، وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى علىّ بن أبى طالب يده وأخذ المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح لتجتمع له السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان و يعتذر له ففعل ذلك فقال عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علىّ لقد أنزل الله فى شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فأسلم فكان المفتاح معه إلى أن مات فدفعه إلى أخيه شيبة فهى فى أولادهم إلى يوم القيامة (قوله الحجبى) أى الذى يحجب الناس بمعنى يمنعهم من الدخول (قوله سادنها) أى خادمها وقوله قسرا أى قهرا (قوله لما قدم النبى) ظرف لأخذ وكان ذلك فى رمضان وقوله عام الفتح أى وهو سنة ثمان (قوله وقال لو علمت الخ) أى فهو غير مصدق برسالته و إلا فذاته إذ ذاك غير خافية على أحد (قوله خالدة تالدة) أى مخلدة فى المستقبل كما كانت متأصلة فيكم (قوله فعمومها معتبر الخ) أشار بذلك لما قيل العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومحل ذلك إن لم توجد قرينة الخصوص فيكون معتبرا كالنهى عن قتل النساء فان سببه أن رسول الله رأى امرأة حربية مقتولة فذلك يدل على اختصاصه بالحربيات فلا يدخل فيه المرتدة ولا الزانية المحصنة (قوله وإذا حكمتم) فيه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه وهو جائز إذا كان ظرفا (قوله نعما) بكسر النون إتباعا لكسرة العين وأصله نعم على وزن علم (قوله أى نعم شيئا) أشار بذلك إلى أن ما تمييز ويكون الفاعل مستترا وجوبا تقديره نعم هذا الشىء شيئا والمخصوص بالمدح محذوف قدره بقوله تأدية الأمانة وقيل ان ما فاعل وقد ذكر القولين ابن مالك بقوله : وما مميز وقيل فاعل ۝ فى نحو نعم ما يقول الفاضل (قوله يأيها الذين آمنوا) هذا خطاب لسائر الناس بعد أن خاطب ولاة الأمور بالحكم بالعدل وفى هذه الآية إشارة لأدلة الفقه الأربعة فقوله أطيعوا الله إشارة للكتاب وقوله وأطيعوا الرسول إشارة للسنة وقوله وأولى الأمر إشارة للاجماع وقوله فان تنازعتم الخ إشارة للقياس (قوله وأولى الأمر) يدخل فيه الخلفاء الراشدون والأئمة المجتهدون والقضاة والحكام (قوله أى إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله) أى لا بمعصية فلا يطاعون فى ذلك لما فى الحديث «لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق» (قوله فى شىء) أى غير منصوص عليه (قوله مدة حياته) أى بسؤاله وقوله إلى سنته أى فيعرض عليها (قوله إن كنتم تؤمنون) أى فردوه (قوله ذلك خير) اسم التفضيل ليس على بابه بقرينة إن كنتم تؤمنون فمخالفة ما ذكر ليس فيها خير بل هى شر وضلال (قوله مآلا) أى عاقبة (قوله ونزل لما اختصم يهودى الخ) حاصلها تفصيلا، قال ابن عباس : نزلت فى رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه و بين يهودى خصومة، فقال اليهودى ننطلق إلى محمد، وقال المنافق ننطلق إلى كعب بن الأشرف وهو الذى سماه الطاغوت فأبى اليهودى أن يخاصمه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى فلما خرجا من عنده لزمه المنافق

وقال انطلق بنا إلى عمر فأتيا عمر فقال اليهودى اختصمت أنا وهذا إلى محمد فقضى عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه يخاصمنى إليك فقال عمر للمنافق أكذلك ؟ فقال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد أى مات وقال هكذا أقضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق وإنما دعا المنافق لكعب بن الأشرف لأنه يقبل الرشوة والنبى لايقبلها بل يحكم بالحق وكان الحق إذ ذاك مع اليهودى (قوله يزعمون) أى يقولون قولا كذبا لأن الزعم مطية الكذب (قوله وما أنزل من قبلك) أى وهو جميع الكتب السماوية (قوله الكثير الطغيان) وقيل إنه صنم يعبد من دون الله وقيل اسم لكل من يعبد من دون الله صنما أوغيره (قوله بعيدا) يحتمل أنه صفة كاشفة لأن الضلال هو البعد ، ويحتمل أنه صفة مخصصة ويكون معنى بعده أنه لايهتدى بعد ذلك أصلا وهذا هو مراد الشيطان ويؤيده قول المفسر عن الحق (قوله رأيت المنافقين) رأى بصرية والمنافقين مفعول لها وجملة يصدون حال (قوله

يعرضون) أشار بذلك إلى أن

يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ) الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف (وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) ولا يوالوه (وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الحق (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) فى القرآن من الحكم (وَإِلَى الرَّسُولِ) ليحكم بينكم (رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ) يعرضون (عَنْكَ) إلى غيرك (صُدُودًا. فَكَيْفَ) يصنعون (إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ) عقوبة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من الكفر والمعاصى أى أيقدرون على الإعراض والفرار منها ؟ لا (ثُمَّ جَاءُوكَ) معطوف على يصدون (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ) ما (أَرَدْنَا) بالمحاكمة إلى غيرك (إِلَّا إِحْسَانًا) صلحا (وَتَوْفِيقًا) تأليفا بين الخصمين بالتقريب فى الحكم دون الحمل على مر الحق (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من النفاق وكذبهم فى عذرهم (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) بالصفح (وَعِظْهُمْ) خوفهم من الله (وَقُلْ لَهُمْ فِي) شأن (أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا) مؤثرا فيهم ، أى ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ) فيما يأمر به ويحكم (بِإِذْنِ اللَّهِ) بأمره لا ليعصى ويخالف (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بتحاكمهم إلى الطاغوت (جَاءُوكَ) تائبين (فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ) فيه التفات عن الخطاب تفخيما لشأنه (لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا) عليهم (رَحِيمًا) بهم (فَلَا وَرَبِّكَ) لا زائدة (لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ) :

الصد هنا بمعنى الاعراض فهو لازم لابمعنى المنع فيكون متعديا فقوله صدودا مفعول مطلق لقوله يصدون (قوله فكيف) يصح أن تكون مفعولا لمحذوف تقديره يصنعون كما قدره المفسر ويصح أن تكون خبرا لمحذوف تقديره صنعهم (قوله إذا أصابتهم مصيبة) أى عاجلة أوآجلة (قوله لا) هذا هو جواب الاستفهام (قوله ثم جاءوك) أى أهل المنافق يعتذرون إليك ويسترون على أنفسهم النفاق ويحتمل أنهم جاءوا مطالبين بدمه مثبتين إسلامه فلولا هذه الآية لربما اقتص من عمر لعدم البينة على كفر المنافق (قوله بالتقريب) أى التساهل فى الحكم كأن يعمل صلحا ويقسم المدعى به بين الخصمين (قوله فأعرض عنهم) أى ولا تقتلهم وهذا قبل الأمر باخراجهم وقتلهم والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا كان حالهم كذلك فأعرض عن قبول عذرهم (قوله فى شأن أنفسهم) أى فى حقها وما انطوت عليه ويحتمل أن المعنى خاليا بهم ليس معهم غيرهم (قوله ليرجعوا) أى لعله أن يترتب على ذلك رجوعهم عما هم عليه (قوله بأمره) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالاذن الارادة وإلا فيلزم عليه أن لايتخلف عن طاعته أحد لأن ما أراد الله وقوعه واقع ولا بد مع أن الواقع خلافه فدفع ذلك المفسر بقوله بأمره لأنه لايلزم من الارادة الأمر ولا عكس (قوله بتحاكمهم) الباء سببية (قوله فاستغفروا الله) أى بالتوبة والاخلاص (قوله واستغفر لهم الرسول) أى سامحهم وعفا عنهم وطلب لهم المغفرة لأنه تعلق بهم حقان حق لله وحق لرسوله (قوله فيه التفات) أى وحقه واستغفرت لهم (قوله لازائدة) أى لتأكيد القسم وهو اختيار الزمخشرى فى الكشاف وهو الأحسن ولذا اقتصر عليه المفسر (قوله حتى يحكموك الخ) هذه شروط ثلاثة لكمال الايمان وهذه الآية بمعنى قوله تعالى — وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق

اختلط (بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا) ضيقا أو شكا (مِمَّا قَضَيْتَ) به (وَيُسَلِّمُوا) ينقادوا لحكمك (تَسْلِيمًا) من غير معارضة (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ) مفسرة (اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ) كما كتبنا على بنى إسرائيل (مَا فَعَلُوهُ) أى المكتوب عليهم (إِلَّا قَلِيلٌ) بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء (مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ) من طاعة الرسول (لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) تحقيقا لإيمانهم (وَإِذًا) أى لو ثبتوا (لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (أَجْرًا عَظِيمًا) هو الجنة (وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا). قال بعض الصحابة للنبى صلى الله عليه وسلم: كيف نراك فى الجنة وأنت فى الدرجات العلى ونحن أسفل منك فنزل (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ) فيما أمرا به (فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ) أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم فى الصدق والتصديق (وَالشُّهَدَاءِ) القتلى فى سبيل الله (وَالصَّالِحِينَ) غير من ذكر (وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) رفقاء فى الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم فى الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم (ذَلِكَ) أى كونهم مع من ذكر مبتدأ خبره (الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ) تفضل به عليهم،

يأتوا إليه مذعنين - الآيات (قوله اختلط) أى أشكل والتبس (قوله من غير معارضة) أى بأن ينقادوا للأحكام من غير توقف (قوله ولو أنا كتبنا عليهم) بيان لسوء حالهم وأنهم لو شدد عليهم كما شدد على من قبلهم لم يفعل ذلك إلا ماقل منهم (قوله مفسرة) أى بمعنى أى وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه نظير وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وانطلق الملأ منهم أن امشوا، ويحتمل أن تكون مصدرية وعليه فيكون كتبنا بمعنى ألزمنا التقدير ولو أنا ألزمناهم قتل أنفسهم (قوله أن اقتلوا) جمهور القراء على ضم النون والواو من أو اخرجوا، وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما، وقرأ أبو عمرو بكسر النون وضم الواو وأما ضم النون وكسر الواو فلم يقرأ به أحد (قوله على البدل) أى وهو المختار عند النحاة قال ابن مالك :

* وبعد نفى أو كنفى انتخب * اتباع ما اتصل، وقوله والنصب على الاستثناء أى فهما قراءتان سبعيتان على حد سواء وإن كان الرفع أرجح عند النحاة من النصب فالمنزه عنه القرآن كونه ليس على قواعد النحاة وأما كون بعض القراآت له وجه قوى فى العربية دون بعض فلا مانع منه (قوله لكان خيرا لهم) اسم التفضيل ليس على بابه إذ ما هم عليه ليس بخير (قوله أى لو ثبتوا) ليس تفسيرا لإذا بل إشارة إلى أن إذا واقعة فى جواب سؤال مقدر، وقوله لآتيناهم جواب الشرط وأصل الكلام فما جزاؤهم لو ثبتوا إذا لآتيناهم الخ فالحامل للمفسر على تقدير لو ثبتوا قوله بعد لآتيناهم، والحامل لنا على تقدير السؤال قوله إذا وهى هنا ملغاة عن عمل النصب لفقد شرطها (قوله صراطا مستقيما) أى دينا قيما لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام فتحصل أنهم لو امتثلوا لأعطاهم الله خير الدنيا والآخرة (قوله وأنت فى الدرجات العلى) أى التى ليس فوقها درجة وهذا السؤال كما توجه من الصحابة يتوجه أيضا من الأنبياء فإنه أعلى من جميع المخلوقات على الاطلاق حتى الأنبياء قال البوصيرى :

لا أنهم

كيف ترقى رقيك الأنبياء   يا سماء ما طاولتها سماء

(قوله فيما أمرا به) أى ونهيا عنه فالطاعة امتثال المأمورات واجتناب المنهيات (قوله من النبيين الخ) بيان للذين، والمعنى أن من أطاع الله كان رفيقا لمن ذكر وليس ذلك بسفر ولا مشقة بل يكشف له عمن ذكر ويحادثه مع كون كل فى درجته لا يصعد هذا لهذا ولا ينزل هذا لهذا قال تعالى - إخوانا على سرر متقابلين - فإذا تمنى الشخص مشاهدة النبى ومحادثته حصل ذلك من غير مشقة ولا انتقال (قوله أفاضل أصحاب الأنبياء) أى فالصديقية تحت مرتبة النبوة (قوله والصالحين) أى القائمين بحقوق الله وحقوق عباده (قوله غير من ذكر) أتى به دفعا للتكرار لأن جميع من تقدم صالحون أيضا (قوله وحسن أولئك رفيقا) حسن كنعم تستعمل للمدح وفيها معنى التعجب وأولئك فاعل ورفيقا تمييز والمخصوص بالمدح محذوف تقديره هؤلاء (قوله رفقاء) أشار بذلك إلى أن رفيقا فعيل يستوى فيه الواحد وغيره، ويحتمل أنه أفرد نظرا لكل واحد ممن ذكر (قوله والحضور معهم) أى مجالستهم حينما أحب (قوله مبتدأ خبره الفضل) ويحتمل أن الفضل نعت لاسم الاشارة أو بدل، وقوله من الله خبره .

(قوله لا أنهم نالوه بطاعتهم) أى نالوا ذلك الرفق بسبب طاعتهم ففى الحقيقة دخول الجنة وارتقاء منازلها ومرافقة من ذكر بمحض فضل الله و إلا فأى طاعة يستحق بها الانسان شيئا من ذلك (قوله أى فثقوا) أى اعتمدوا على ذلك الخبر ولا تشكوا (قوله ولا ينبئك مثل خبير) أى لايخبرك بأحوال الجنة وغيرها مثل خبير عالم ببواطن الأشياء كظواهرها الذى هو الله تعالى (قوله حذركم) هو والحذر بفتحتين مصدران بمعنى التحفظ والتيقظ وهو مبالغة كأنه جعل حفظ النفس آلة تؤخذ، و بعضهم فسر الحذر بآلة الحرب وعليه فلا مبالغة فى قوله خذوا (قوله فانفروا) فعله نفر ينفر من باب ضرب وقعد ومصدره النفر والنفور والنفير (قوله ثبات) جمع ثبة وهى الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة، والسرية الجماعة أقلها مائة وغايتها أربعمائة والمنسر من أربعمائة إلى ثمانمائة، والجيش من ثمانمائة إلى أربعة آلاف والجحفل مازاد على ذلك (قوله سرية بعد أخرى) أى جماعات بعد جماعات سرية أوغيرها (قوله أوانفروا جميعا) هذا التخيير لولاة الأمور بحسب اجتهادهم (قوله لمن) اللام لام ابتداء دخلت على اسم إن لوقوع الخبر فاصلا ، وقوله ليتأخرن أشار بذلك إلى أن بطأ لازم بمعنى قام به البطء وهو التأخر و يصح أن يكون متعديا والمفعول محذوف أى غيره فالمعنى يكسلن غيره عن القتال

(٢١٥)

لا أنهم نالوه بطاعتهم (وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً) بثواب الآخرة، أى فثقوا بما أخبركم به، ولا ينبئك مثل خبير (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ) من عدوكم، أى احترزوا منه وتيقظوا له (فَانْفِرُوا) انهضوا إلى قتاله (ثُبَاتٍ) متفرقين سرية بعد أخرى (أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً) مجتمعين (وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ) ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أبى المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام فى الفعل للقسم (فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ) كقتل وهزيمة (قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً) حاضرا فأصاب (وَلَئِنْ) لام قسم (أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ) كفتح وغنيمة (لَيَقُولَنَّ) نادما (كَأَنْ) مخففة واسمها محذوف أى كأنه (لَمْ يَكُنْ) بالياء والتاء (بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ) معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله قد أنعم الله على اعترض به بين القول ومقوله وهو (يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً) آخذ حظا وافرا من الغنيمة، قال تعالى (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لإعلاء دينه (الَّذِينَ يَشْرُونَ) يبيعون (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ) يستشهد (أَوْ يَغْلِبْ) يظفر بعدوه (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) ثوابا جزيلا (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ) استفهام توبيخ، أى لامانع لكم من القتال (فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَ) فى تخليص (الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ،

(قوله من حيث الظاهر) أى و إلا ففى نفس الأمر ليس منهم بل هو عدو لهم (قوله وهزيمة) أى لبعض الجيش و إلا فمن قال إن رسول الله هزم فقد كفر وما وقع فى أحد وهوازن كان لأطراف الجيش من حيث الغنيمة (قوله فأصاب) هو بالنصب بأن مضمرة بعد فاء السببية بعد الأمر (قوله ولئن أصابكم فضل من الله) هذه الآية معنى قوله تعالى ــ إن تصبك حسنة تسؤهم و إن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل و يتولوا وهم فرحون ــ (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء الأمر ظاهر وعلى الياء فالمودة بمعنى الود (قوله وهذا راجع) أى قوله كأن لم يكن بينكم و بينه مودة والمعنى حاله فى الفرح بمصيبة المسلمين كحال من لم يكن بينكم و بينه مودة (قوله للتنبيه) أى لدخولها على الحرف و يحتمل أنها للنداء والمنادى محذوف أى ياهؤلاء (قوله فأفوز) منصوب بأن مضمرة فى جواب التمنى بعد فاء السببية (قوله فليقاتل) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا ترك المنافقون القتال وتأخروا عنه فليقاتل الخ (قوله يبيعون) دفع بذلك مايقال إن القاعدة دخول الباء فى الشراء على المتروك ولا يصح ذلك هنا لأنه يصير ذما فأجاب بأن الشراء بمعنى البيع نظير ــ وشروه بثمن بخس ــ (قوله ومن يقاتل الخ) من اسم شرط مبتدأ و يقاتل فعل الشرط ، وقوله فيقتل أو يغلب معطوف على يقاتل عطف مسبب على سبب ، وقوله ــ فسوف نؤتيه أجرا عظيما ــ جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه خبر المبتدا (قوله وما لكم الخ) ما اسم استفهام مبتدأ ولكم جار ومجرور خبره وجملة لاتقاتلون فى محل نصب على الحال : والمعنى أى شىء ثبت لكم حال كونكم غير مقاتلين وهذا أحسن الأعاريب (قوله وفى تخليص المستضعفين) أشار بذلك إلى أن قوله والمستضعفين معطوف على سبيل الله لكن على حذف مضاف .

وسبب نزولها أنه كان قبل الهجرة لم يشرع الجهاد فلما هاجر عليه الصلاة والسلام أمر بالجهاد فتكاسل بعض ضعفاء المؤمنين وجميع المنافقين فنزلت الآية توبيخا لهم على ترك القتال لاعلاء كلمة الله وتخليص المستضعفين (قوله والولدان) قيل جمع وليد بمعنى ولد وقيل جمع ولد أى الصغار (قوله الذين حبسهم الكفار) أى بمكة (قوله كنت أنا وأمى) أى وأخى الفضل (قوله الذين) صفة للمستضعفين و يقولون صلة الذين (قوله الظالم) نعت القرية وأهلها فاعل الظالم وذكر النعت و إن كان المنعوت مؤنثا لأنه نعت سببى رفع اسما ظاهرا فذكر نظرا لذلك الاسم الظاهر (قوله إلى أن فتحت مكة) أى فى السنة الثامنة من الهجرة (قوله عتاب بن أسيد) أى وكان عمره ثمان عشرة سنة فكان ينصر المظلومين من الظالمين و يأخذ للضعيف من القوى والدعاء بهذه الآية مستجاب لمن وقع فى بلدة كثر ظلم أهلها (قوله الذين آمنوا الخ) المقصود من ذلك تحريض المؤمنين على القتال وترغيبهم فيه (قوله فى سبيل الله) أى فى مرضاته لإعلاء دينه وقوله فى سبيل الطاغوت أى فى مرضاته (قوله تغلبوهم) مجزوم فى جواب الأمر وقوله لقوتكم علة له (قوله كان ضعيفا) أى بالنسبة إلى كيد الله تعالى ، وأما عظم كيد النساء فى آية يوسف فبالنسبة إلى الرجال فضعف كيد الشيطان لمقابلته بكيد الله ، وعظم كيد النساء لمقابلته بكيد الرجال و إلا

وَالْوِلْدَانِ) الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم ، قال ابن عباس رضى الله عنهما: كنت أنا وأمى منهم (الَّذِينَ يَقُولُونَ) داعين : يا (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ) مكة (الظَّالِمِ أَهْلُهَا) بالكفر (وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (وَلِيًّا) يتولى أمورنا (وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا) يمنعنا منهم ، وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج و بقى بعضهم إلى أن فتحت مكة ، وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) الشيطان (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ) أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ) بالمؤمنين (كَانَ ضَعِيفًا) واهيا لايقاوم كيد الله بالكافرين (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ) عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ) فرض (عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ) يخافون (النَّاسَ) الكفار أى عذابهم بالقتل (كَخَشْيَةِ) هم عذاب (اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً) من خشيتهم له ونصب أشد على الحال وجواب لما دل عليه إذا وما بعدها أى فاجأهم الخشية (وَقَالُوا) جزعا من الموت

فأصل كيد النساء من الشيطان وفى الحديث «النساء حبائل الشيطان» (قوله واهيا) أى لاضرر فيه أصلا ولذا خذل الشيطان أولياءه لما رأى الملائكة نزلت يوم بدر وكان النصر لأولياء الله وحزبه (قوله ألم تر) الاستفهام تعجبى أى تعجب يا محمد من قومك كيف يكرهون القتال مع كونهم قبل ذلك كانوا طالبين له وراغبين فيه (قوله وهم جماعة من الصحابة) منهم عبد الرحمن ابن عوف والمقداد بن الأسود وسعد بن أبى وقاص وقدامة بن مظعون وجماعة كانوا بمكة يتحملون أذى الكفار كثيرا والله يأمرهم بالتحمل والكف عن القتال فى نيف وسبعين آية فكانوا يقولون لولا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وأمر بالقتال كرهوا ذلك فنزلت الآية وقوله بمكة متعلق بطلبوه وليس ذلك نفاقا منهم وإنما كراهتهم ذلك إما لغلبة الرأفة عليهم أو لمحبتهم المعيشة فى طاعة الله و إلا لذمهم الله على ذلك ولما نزلت الآية أقلعوا عما خطر ببالهم وشمروا عن ساعد الجد والاجتهاد وجاهدوا فى الله حق جهاده (قوله إذا فريق) قيل إذا ظرف مكان وقيل ظرف زمان وقيل حرف والأولى الأول وعليه فاذا خبر مقدم وفريق مبتدأ مؤخر ومنهم صفة لفريق وكذلك جملة يخشون ويصح أن تكون حالا لوجود المسوغ والتقدير فى الحضرة فريق كائن منهم خاشون أو خاشين ، قوله كخشية الله مفعول مطلق أى خشية كخشية الله (قوله أى عذابهم بالقتل) ويحتمل أن المراد بخشيتهم احترامهم القرابة (قوله ونصب أشد على الحال) أى من خشية الثانى لأنه نعت نكرة تقدم عليها (قوله دل عليه إذا الخ) المناسب أن يقول وجواب لما إذا وما بعدها (قوله أى فاجأهم الخشية) الأوضح أن يقول أى فاجأ كتب القتال عليهم الخشية لأن الخشية فاجأت كتب القتال لاذواتهم (قوله جزعا من الموت) يحتمل أنهم قالوا ذلك لاعتقادهم أن القاتل يقطع على المقتول أجله فأعلمهم الله تعالى أن الأجل محتم لايزيد بالبعد عن القتال ولا ينقص به،

(ربنا

وليس ذلك نصا فيهم قال تعالى ـ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون شيئا ـ وقال تعالى ـ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ـ ويحتمل أنهم قالوا ذلك بحسب الطبيعة البشرية وليس عندهم اعتقاد ذلك (قوله قل لهم) أى ليزدادوا رغبة فى دار البقاء وزهدا فى دار الفناء (قوله خير لمن اتقى) أى لأنه لا كدر فيها ولا نصب ولذلك حين دخولها يقولون : الحمدلله الذى أذهب عنا الحزن (قوله بترك معصيته) أى كالشرك وغيره ومعلوم أن كل من زادت تقواه كان نعيمه فى الآخرة أكبر (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا لهم وعلى الياء يكون تحديثا عنهم والمعنى بلغهم يامحمد أنهم لايظلمون فتيلا (قوله قدر قشر النواة) تقدم أنه غير مناسب والمناسب تفسيره بالخيط الذى يكون فى باطن النواة (قوله أينما تكونوا) هذا تسلية لهم أيضا وأين اسم شرط جازم وماصلة وتكونوا فعل الشرط مجزوم بحذف النون والواو اسمها و يدرككم جواب الشرط والموت فاعله ، والمعنى أن الموت يدرككم أينما تكونوا فى أى زمان أو مكان متى حضر الأجل (قوله فى بروج) جمع برج وهو القلعة والحصن (قوله مرتفعة) أى عالية البناء أوالمعنى مطلية بالشيد أى الجص (قوله أى اليهود) أى والمنافقين

(٢١٧)

(رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلاَ) هلا (أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ. قُلْ) لهم (مَتَاعُ الدُّنْيَا) ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها (قَلِيلٌ) آيل إلى الفناء (وَالآخِرَةُ) أى الجنة (خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى) عقاب الله بترك معصيته (وَلاَ تُظْلَمُونَ) بالتاء والياء تنقصون من أعمالكم (فَتِيلاً) قدر قشرة النواة، فجاهدوا (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ) حصون (مُشَيَّدَةٍ) مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت (وَإِنْ تُصِبْهُمْ) أى اليهود (حَسَنَةٌ) خصب وسعة (يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) جدب و بلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة (يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ) يا محمد أى بشؤمك (قُلْ) لهم (كُلٌّ) من الحسنة والسيئة (مِنْ عِنْدِ اللهِ) من قبله (فَمَالِ هٰؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ) أى لايقاربون أن يفهموا (حَدِيثًا) يلقى إليهم وما استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفى مقاربة الفعل أشد من نفيه (مَا أَصَابَكَ) أيها الإنسان (مِنْ حَسَنَةٍ) خير (فَمِنَ اللهِ) أتتك فضلا منه (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ) بلية (فَمِنْ نَفْسِكَ) أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب (وَأَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (لِلنَّاسِ رَسُولاً) حال مؤكدة (وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا) على رسالتك (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى) أعرض عن طاعته فلا يهمنك (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) حافظا لأعمالهم ،

(قوله عند قدوم النبىّ المدينة) أى حيث دعاهم إلى الإيمان فكفروا فحصل لهم الجدب فقالوا هذا شؤمه والشؤم ضد اليمن والبركة (قوله من عندالله) أى خلقا و إيجادا (قوله فمال هؤلاء القوم الخ) أى أى شىء ثبت لهؤلاء لايقربون من فهم الحديث والموعظة (قوله وما استفهام تعجيب) أى وتوبيخ (قوله أيها الانسان) أى فهو خطاب عام لكل أحد وقيل الخطاب للنبى والمراد به غيره (قوله فمن نفسك) أى من شؤمك وسوء كسبك فنسبة ذلك إلى النفس مجاز باعتبار سوء الكسب والشؤم من إسناد الشىء لسببه و بهذا اندفع التنافى بين هذه الآية وبين قوله تعالى ـ قل كل من عند الله ـ فنسبة الأشياء جميعها إلى الله من حيث الايجاد ونسبة الشر إلى العبد فباعتبار أن سوء كسبه سبب فى ذلك، عن عائشة رضى الله عنها قالت « مامن مسلم يصيبه وصب ولا نصب ولا الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر » وأماحديث «أشدكم بلاء الأنبياء» الخ فمعناه أن الله امتحنهم بالبلايا وألقى عليهم الصبر والمحبة فشاهدوا إعطاء الله فى تلك البلايا فصارت البلايا عطايا ، فتحصل أن البلاء إما أن يكون من شؤم الذنب وذلك للعصاة الذين لم يتلقوه بالرضا والتسليم وإما أن يكون اختبارا وامتحانا وذلك للأنبياء والصالحين ليرقيهم به أعلى الدرجات ، ولذلك قال العارف الجيلى :

تلذ لى الآلام مذ أنت مسقمى وإن تمتحنى فهى عندى صنائع

(قوله وأرسلناك للناس رسولا) والمعنى حيث ثبتت رسالته بشهادة الله اتضح من ذلك أن من أطاعه فقد أطاع الله (قوله فلا يهمنك) بضم الياء من أهم أو بفتحها من همّ ، ومعناه لايحزنك إعراضهم وقدره المفسر إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فما أرسلناك الخ علة للجواب المحذوف .

(قوله بل نذيرا) اقتصر عليه لأنه فى سياق من أعراض ولا يناسبه إلا الأنذار و إلا فرسول الله بعث بشيرا ونذيرا (قوله أمرنا طاعة) أشار بذلك إلى أن طاعة خبر مبتدإ محذوف واجب الحذف لأن الخبر مصدر بدل من لفظ الفعل فهو نائب عن أطعنا ويصح أن يكون مبتدأ والخبر محذوف أى منا طاعة (قوله بادغام التاء فى الطاء) أى بعد قلبها طاء وقوله وتركه أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أضمرت) المعنى أظهرت ما أضمرته و إلا فالاضمار كان واقعا منهم قبل الخروج من عند النبى صلى الله عليه وسلم (قوله من الطاعة) بيان للذى تقول (قوله أى عصيانك) تفسير لقوله غير الذى تقول (قوله ليجازوا عليه) أى فى العاجل والآجل (قوله فأعرض عنهم) أى لا تقتلهم ولا تفضحهم وهذا قبل الأمر بقتالهم و إخراجهم (قوله ثق به) أى اعتمد عليه (قوله أفلا يتدبرون) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أيعرضون عنك فلا يتدبرون وهو استقباح لحالهم وتشنيع عليهم والتدبر فى الأصل النظر فى عواقب الأمور لتقع على الوجه الأكمل والمراد هنا مطلق التأمل والتفكر (قوله تناقضا فى معانيه) أى بأن يكون بعض أخباره غير مطابق لبعض

وقوله وتباينا فى نظمه أى بأن يكون بعضه فصيحا بليغا و بعضه ليس

بل نذيراً و إلينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَيَقُولُونَ) أى المنافقون إذا جاءوك: أمرنا (طَاعَةٌ) لك (فَإِذَا بَرَزُوا) خرجوا (مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) بادغام التاء فى الطاء وتركه أى أضمرت (غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ) لك فى حضورك من الطاعة: إى عصيانك (وَاللَّهُ يَكْتُبُ) يأمر بكتب (مَا يُبَيِّتُونَ) فى صحائفهم ليجازوا عليه (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) بالصفح (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به فإنه كافيك (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) مفوضاً إليه (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ) يتأملون (الْقُرْآنَ) وما فيه من المعانى البديعة (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) تناقضاً فى معانيه وتبايناً فى نظمه (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ) عن سرايا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما حصل لهم (مِنَ الْأَمْنِ) بالنصر (أَوِ الْخَوْفِ) بالهزيمة (أَذَاعُوا بِهِ) أفشوه، نزل فى جماعة من المنافقين أو فى ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين و يتأذى النبى (وَلَوْ رَدُّوهُ) أى الخبر (إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ) أى ذوى الرأى من أكابر الصحابة، أى لو سكتوا عنه حتى يخبروا به (لَعَلِمَهُ) هل هو مما ينبغى أن يذاع أولا (الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ) يتتبعونه و يطلبون علمه وهم المذيعون (مِنْهُمْ) من الرسول وأولى الأمر (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام (وَرَحْمَتُهُ) لكم بالقرآن (لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ) فيما يأمركم به من الفواحش،

كذلك فلما كان جميعه على منوال واحد ليس بعضه مناقضا لبعض بل أخباره كلها متوافقة وهو فصيح بليغ ليس فيه ما ينافى ذلك ثبت أنه من عند الله لأن هذا الأمر لا يقدر عليه غيره ولو ثبت فرضا أنه من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا فى المعنى أو اللفظ. إن قلت إن قوله كثيرا ربما يوهم أن فيه اختلافا قليلا. أجيب بأن التقييد بالكثرة للمبالغة والمعنى أن القرآن ليس فيه اختلاف أصلا فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فضلا عن القليل فهو من عند الله فلم يكن فيه اختلاف أصلا لا كثير (إلا ولا قليل (قوله و إذا جاءهم أمر الخ) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا الكفار أو غلبوهم بادر المنافقون للاستخبار عن حالهم ثم يتحدثون بذلك و يشيعونه قبل أن يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو كبار أصحابه وقصدهم بذلك افتتان ضعفاء المؤمنين (قوله من الأمن الخ) بيان للأمر (قوله من المنافقين) أى وقصدهم بذلك فتنة الضعفاء وقوله أو ضعفاء المؤمنين: أى جهلا منهم بذلك وهما قولان والراجح الأول (قوله فتضعف قلوب المؤمنين) هذا ظاهر بالنسبة للهزيمة، وأما إشاعة النصر فالضعف فيه من حيث إن هذا الخبر ربما وصل للكفار فيتجهزون و يعيدون الحرب ثانية ففيه فتنة للضعفاء على كل حال (قوله من أكابر الصحابة) أى كأبى بكر وعمر ونظائرهما (قوله حتى يخبروا به) بالبناء للمفعول أى حتى يخبرهم النبى به (قوله هل هو مما ينبغى الخ) أى لعلموا صفته وكيفيته و إلا فهم عالمون به قبل ذلك (قوله وهم المذيعون) أى المنافقون أو ضعفاء المؤمنين وهو تفسير للذين يستنبطونه وهو إظهار فى محل الاضمار أى لعلموه وقوله منهم من ابتدائية والجار والمجرور متعلق يستنبطون والمعنى يتلقونه من جهة الرسول أو كبار الصحابة (قوله بالاسلام) أى بسبب إرسال محمد صلى الله عليه وسلم

(إِلَّا قَلِيلًا . فَقَاتِلْ) يا محمد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ) فلا تهتم بتخلفهم عنك ، المعنى قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر (وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ) حثهم على القتال ورغبهم فيه (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ) حرب (الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا) منهم (وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا) تعذيبا منهم ، فقال صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده لأخرجن ولو وحدى» فخرج بسبعين راكبا إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب فى قلوبهم ومنع أبى سفيان عن الخروج كما تقدم فى آل عمران (مَنْ يَشْفَعْ) بين الناس (شَفَاعَةً حَسَنَةً) موافقة للشرع (يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ) من الأجر (مِنْهَا) بسببها (وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً) مخالفة له ،

(قوله إلا قليلا) اعلم أن فى هذا الاستثناء ستة أوجه : أحدها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم ، والمعنى لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم فانه لم يتبعه كقس بن ساعدة وعمرو بن نفيل وورقة بن نوفل ممن كان على دين عيسى قبل بعثة محمد ، والمراد بالفضل والرحمة المنتفيين على هذا بعثة محمد والقرآن . ثانيها أنه مستثنى من فاعل اتبعتم أيضا لكنه واقع على من لم يبلغ التكليف ويكون الاستثناء منقطعا . ثالثها أنه مستثنى من فاعل أذاعوا ، والمعنى أظهروا خبر الأمن أو الخوف إلا قليلا فلم يظهروه . رابعها أنه مستثنى من فاعل علمه : أى علمه الذين يستنبطونه إلا قليلا فلم يعلموه . خامسها أنه مستثنى من فاعل وجدوا : أى إلا قليلا فلم يجدوا فيه اختلافا كثيرا لبلادتهم وعدم معرفتهم . سادسها أن قوله لاتبعتم خطاب لجميع الناس عموما ، والمراد بالقليل أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأحسن هذه الأوجه أولها وهو المأخوذ من سياق المفسر وأبعدها الأخير تأمل (قوله فقاتل فى سبيل الله) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا تكاسلوا عن القتال فقاتل الخ فانك منصور على كل حال ولو اجتمعت عليك أهل الأرض جميعا (قوله لا تكلف إلا نفسك) هذه الجملة حال من فاعل قاتل ، والمعنى قاتل فى سبيل الله ولا تنظر لكسلهم حال كونك غير مكلف إلا نفسك فلا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم عن القتال ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شدة الحرب لا يتغير وجهه أبدا بل كان يتبسم إذ ذاك ولا يكترث بملاقاة الأعداء . قال البوصيرى :

مسفر يلتقى الكتيبة بسا ما إذا أسهم الوجوه اللقاء

(قوله المعنى قاتل ولو وحدك) أى فكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أنه إذا هم بالحرب لايرجع حتى يحكم الله بينه و بين عدوه (قوله

وحرض المؤمنين) أى بالآيات الواردة فى فضل الجهاد فإن تخلفوا بعد ذلك فلا يضرونك وإنما وبالهم على أنفسهم (قوله عسى الله الخ) هذا وعد من الله بكفهم وهو وإن ورد بصيغة الترجى فهو فى المعنى محقق لتعلق قدرته وإرادته بذلك ويستحيل تخلف ماتعلقا به لأنه يصير عاجزا فلا فرق فى تحقق وعد الله بين أن يرد بصيغة الترجى أو غيره (قوله والله أشد بأسا) أى قوة وسطوة (قوله تنكيلا) من النكل وهو فى الأصل القيد ثم أطلق على العذاب (قوله والذى نفسى بيده) إنما أقسم بذلك لأنه دائما فى حضرة ربه ، وقوله بيده : أى قدرته وكان عليه الصلاة والسلام كثيرا مايحلف بذلك (قوله فخرج بسبعين راكبا) أى فى السنة الرابعة لأن أحدا كانت فى الثالثة فلما انصرف منها أبوسفيان نادى بأعلى صوته يامحمد ، موعدك العام القابل فى بدر ، فقال عليه الصلاة والسلام إن شاء الله تعالى فلما جاء العام القابل طلب المؤمنين للخروج فتقاعد المنافقون وتبعهم بعض ضعفاء المؤمنين بسبب تثبيط نعيم بن مسعود الأشجعى لهم ، قال تعالى حكاية عنه ـ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ـ الآيات ، وقوله بسبعين راكبا تبع فى ذلك بعض السير وهو ضعيف ، والراجح أنه خرج معه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة فأقاموا على بدر ينتظرون أباسفيان فألقى الله فى قلوب الأعداء الرعب ولم ينتقلوا من محل يسمى الآن بوادى فاطمة فاجتمعت قبائل العرب من كل جهة لاقامة السوق فى بدر فصارت الصحابة يتجرون إلى أن ربحوا ربحا عظيما فمكثوا فى بدر ثمانية أيام فلم تأت الكفار ولم يحصل بينهم حرب أصلا . قال تعالى ـ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ـ وتقدم بسط القصة فى آل عمران (قوله ومنع أبى سفيان) معطوف على إلقاء فهو مصدر (قوله من يشفع شفاعة حسنة) هذه الجملة أفادت أن تحريض النبى للمؤمنين على القتال شفاعة حسنة فله حظ وافر فى نظير ذلك . والشفاعة هى سؤال الخير للغير و يندرج فى ذلك الدعاء للمسلم بظهر الغيب ، فقد ورد « من دعا لأخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك » وفى الحديث أيضا « ادعونى بألسنة ما عصيتمونى بها » قال العلماء : هو الدعاء للغير (قوله ومن يشفع شفاعة سيئة) إنما أطلق

عليها شفاعة مشاكلة لأن حقيقة الشفاعة لا تكون إلا فى الخير . قال بعضهم : هى النميمة وهى نقل الكلام لإيقاع العداوة بين الناس ، وقيل هى السعى بالفساد مطلقا (قوله نصيب) أشار بذلك إلى أن الكفل مرادف للنصيب و إنما غاير تفننا (قوله مقيتا) هو فى الأصل معناه الموصل لكل أحد قوته ، ومعلوم أن هذا لا يكون إلا من المقتدر أطلق وأريد منه المقتدر بمعنى القادر الذى لا يعجزه شئ (قوله بما عمله) أى من خير أو شر (قوله و إذا حييتم بتحية) هذا من جملة أفراد الشفاعة الحسنة وفيه تعليم محاسن الأخلاق وهو أنه ينبغى للانسان أن يجازى على المعروف بأحسن منه أو بمثله. والتحية فى الأصل الدعاء بطول الحياة وكانت العرب إذا لقى بعضهم بعضا يقول له حياك الله ثم استعملت فى الاسلام ، و إنما اختير لفظ السلام على لفظها الأصلى لأنه أتم وأنفع لأن السلام معناه السلامة من الآفات الدنيوية والأخروية ورحمة الله إنعامه و إحسانه و بركاته حفظه من الزوال ، وأما طول الحياة فلا يلزم منه السلامة من الآفات بل قد يكون طول الحياة مذموما كما إذا كان فى المعاصى فكان السلام بهذا المعنى أتم وأكمل ، وأصل تحية تحيية كتزكية نقلت حركة الياء الأولى إلى ما قبلها ثم أدغمت فيما بعدها (قوله كأن قيل لكم سلام عليكم) أى بهذا اللفظ وما شابهه كالسلام عليكم أو سلامى عليكم أو سلام الله عليكم والأولى أن يأتى بميم الجمع ولو كان المسلم عليه واحدا أو مثنى أو جمع نسوة نظرا للملائكة المصاحبين للمسلم عليه فاذا سلم بغير هذا اللفظ كأمان الله عليكم أو غير ذلك فلا يجب عليه الرد ومن المطلوب المصافحة لما ورد أنها تذهب الغل من القلوب ، وأما تقبيل اليد فهو مكروه إلا لمن ترجى بركته كشيخ أو والد ، وأما المعانقة فمكروهة إلا لشوق كقدوم من سفر ونحوه . واعلم أن ابتداء السلام سنة ورده فرض كفاية

(يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ) نصيب من الوزر (مِنْهَا) بسببها (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا) مقتدرا فيجازى كل أحد بما عمله (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ) كأن قيل لكم سلام عليكم (فَحَيُّوا) المحيي (بِأَحْسَنَ مِنْهَا) بأن تقولوا له عليك السلام ورحمة الله و بركاته (أَوْ رُدُّوهَا) بأن تقولوا له كما قال أى الواجب أحدهما والأول أفضل (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) محاسبا فيجازى عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلم على قاضى الحاجة ومن فى الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره فى غير الأخير و يقال للكافر وعليك ،

(اللهُ

ولكن الابتداء أفضل من الرد لما ورد أن للبادئ تسعين حسنة وللراد عشرة ومثله الوضوء قبل الوقت فانه مندوب لكنه أفضل من الوضوء بعده الواجب و إبراء المعسر مندوب وهو أفضل من إنظاره الواجب وجمع ذلك بعضهم فى قوله :

الفرض أفضل من تطوع عابد ... حتى ولو قد جاء منه بأكثر

إلا التطهر قبل وقت وابتدا ... ء للسلام كذاك إبرا المعسر

وقد تقدم فى آخر البقرة (قوله فحيوا) أصله حييوا استثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة فالتقى ساكنان الياء والواو فحذفت الياء وضم ما قبل الواو (قوله بأن تقولوا عليك السلام ورحمة الله و بركاته) أى فاذا اقتصر البادئ على السلام زاد الراد الرحمة والبركة. روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك ، فقال وعليك السلام ورحمة الله ، وقال آخر السلام عليك ورحمة الله ، فقال وعليك السلام ورحمة الله و بركاته ، وقال آخر السلام عليك ورحمة الله و بركاته ، فقال وعليك السلام ورحمة الله و بركاته ، فقال الرجل نقصتنى الفضل عن سلامى فأين ما قال الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله ، ولا يزاد على البركة شئ لا من البادئ ولا من الراد لما ورد أن رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ثم زاد شيئا ، فقال ابن عباس : إن السلام انتهى إلى البركة (قوله أو ردوها) أى ردوا مثلها على حذ واسئل القرية لأن رد عينها محال (قوله والمبتدع) أى صاحب البدعة التى تخالف الشرع (قوله والفاسق) أى بالجارحة المتجاهر (قوله على قاضى الحاجة) أى ومن فى حكمه كمن فى محل مستقذر أو فى حال الاستنجاء (قوله ومن فى الحمام) أى فى محل الحرارة لا خارجه فى محل نزع الثياب (قوله والآكل) أى بالفعل بأن كان فمه مشغولا بالمضغ لا وقت خلوه منه فيجب الرد (قوله بل يكره فى غير الأخير) أى الآكل بالفعل (قوله و يقال للكافر وعليك) أى لأنه يقول فى سلامه السام عليك والسام الموت فيرد عليه بقوله وعليك ومحل ذلك ما لم يتحقق منهم النطق بالسلام بلفظه و إلا فيرد .

(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) والله (لَيَجْمَعَنَّكُمْ) من قبوركم (إِلَى) فى (يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ وَمَنْ) أى لا أحد (أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا) قولا . ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم فقال فريق اقتلهم وقال فريق لا ، فنزل (فَمَا لَكُمْ) أى ما شأنكم صرتم (فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) فرقتين (وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ) ردهم (بِمَا كَسَبُوا) من الكفر والمعاصى (أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ) ه (اللَّهُ) أى تعدوهم من جملة المهتدين والاستفهام فى الموضعين للانكار (وَمَنْ يُضْلِلِ) ه (اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا) طريقا إلى الهدى (وَدُّوا) تمنوا (لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ) أنتم وهم (سَوَاءً) فى الكفر (فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ) توالونهم وإن أظهروا الإيمان (حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هجرة صحيحة تحقق إيمانهم (فَإِنْ تَوَلَّوْا) وأقاموا على ما هم عليه (فَخُذُوهُمْ) بالأسر (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا) توالونه (وَلَا نَصِيرًا) تنتصرون به على عدوكم (إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ) يلجئون (إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم كما عاهد النبى صلى الله عليه وسلم هلال بن عويمر الأسلمى ،

(قوله الله) مبتدأ ولا إله إلا هو خبر أول وليجمعنكم خبر ثان ورد بالخبر الأول على منكرى التوحيد و بالثانى على منكرى البعث (قوله والله) أشار بذلك إلى أن اللام فى ليجمعنكم موطئة لقسم محذوف (قوله ليجمعنكم) أى يحشركم بعد تفرقكم قال تعالى : وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (قوله إلى فى) أشار بذلك إلى أن إلى المضمنة معنى فى ويصح بقاؤها على أصلها و يضمن الفعل معنى يحشر وهو الأقرب لأن التجوز فى الفعل أكثر من التجوز فى الحرف (قوله لا ريب فيه) أى لا تردد ولا تحير فى ذلك اليوم (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله حديثا) تمييز (قوله ولما رجع ناس) هذا إشارة لسبب نزول الآية والمراد بالناس عبد الله بن أبى وأصحابه الثلثمائة وكانوا منافقين (قوله اختلف الناس) أى الصحابة وقوله اقتلهم أى للأمارة الدالة على كفرهم وقوله وقال فريق لا : أى لنطقهم بالشهادتين واللوم فى الحقيقة راجع على الفريق الثانى القائل لا تقتلهم (قوله فما لكم فى المنافقين) ما مبتدأ ولكم جار ومجرور خبر وفى المنافقين متعلق بما تعلق به الخبر أو متعلق بمحذوف حال من فئتين لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو متعلق بفئتين لتأويله بمشتق أى مفترقين وقوله فئتين خبر لصار المحذوفة كما قدره المفسر (قوله والله أركسهم) الركس فى الأصل النكس وهو قلب الشىء على رأسه فمعناه على هذا ردهم من حالة العلو وهو عز الاسلام إلى حالة السفل وهو ذل الكفر بالسبى والقتل (قوله ردهم) أى عن القتال ومنعهم منه ولم يجر على أيديهم خير بسبب كسبهم لما فى الحديث « إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه » وفى نسخة بددهم أى فرق شملهم وجمعهم (قوله من الكفر الخ) بيان لما كسبوا وقوله والمعاصى عطف عام على خاص (قوله للانكار) أى مع التوبيخ ، والمعنى لا تفترقوا فى قتلهم ولا تجعلوهم من المهتدين ولا تعدوهم منهم وهذا إشارة لليأس من هداهم فلم يهتدوا بعد ذلك أبدا (قوله كما كفروا) نعت لمحذوف والتقدير ودوا لو تكفرون كفرا مثل كفرهم (قوله فلا تتخذوا منهم أولياء) مفرع على قوله ودوا لو تكفرون والجمع باعتبار الأفراد (قوله حتى يهاجروا) غاية فى عدم اتخاذ الأولياء منهم ، والمعنى امتنعوا من اتخاذ الأولياء منهم إلى أن تقع منهم الهجرة بمعنى الجهاد فى سبيل الله مخلصين له الدين . واعلم أن الهجرة ثلاثة أقسام : هجرة المؤمنين فى أول الاسلام وهى قوله تعالى : للفقراء المهاجرين ، وهجرة المنافقين وهى خروجهم للقتال مع رسول الله صابرين محتسبين لا لأغراض الدنيا وهى المرادة هنا ، وهجرة عن جميع المعاصى وهى التى قال فيها عليه الصلاة والسلام « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (قوله فان تولوا) أى أعرضوا عما أمرتهم به وقوله وأقاموا على ما هم عليه دفع به ما يتوهم من قوله تولوا أنه كان حصل منهم إقبال ثم أعرضوا . فأجاب بأن المراد أقاموا وداموا على ما هم عليه (قوله حيث وجدتموهم) أى فى حل أو حرم لأنهم من جملة الكفار فيفعل بهم ما فعل بسائر الكفار (قوله إلا الذين يصلون) هذا استثناء من الأخذ والقتل فقط ولا يرجع للموالاة فإنها لا تجوز مطلقا (قوله إلى قوم بينكم و بينهم ميثاق) أى وهم الأسلميون فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه إلى مكة قد وقع بينه و بين هلال ابن عويمر الأسلمى عهد أن لا يعين على النبى ولا يعينه وعلى أن من لجأ إليه لا يتعرض له وكذلك بنو بكر بن زيد وخزاعة .

(أو) الذين (جاءوكم) وقد (حصرت) ضاقت (صدورهم) عن (أن يقاتلوكم) مع قومهم (أو يقاتلوا قومهم) معكم أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل، وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف (ولو شاء الله) تسليطهم عليكم (لسلطهم عليكم) بأن يقوي قلوبهم (فلقاتلوكم) ولكنه لم يشأه فألقى في قلوبهم الرعب (فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم) الصلح أي انقادوا (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) طريقا بالأخذ والقتل (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم) بإظهار الإيمان عندكم (ويأمنوا قومهم) بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان (كلما ردوا إلى الفتنة) دعوا إلى الشرك (أركسوا فيها) وقعوا أشد وقوع (فإن لم يعتزلوكم) بترك قتالكم (و) لم (يلقوا إليكم السلم و) لم (يكفوا أيديهم) عنكم (فخذوهم) بالأسر (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) برهانا بينا ظاهرا على قتلهم وسبيهم لغدرهم (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا) أي ماينبغي أن يصدر منه قتل له (إلا خطأ) مخطئا في قتله من غير قصد (ومن قتل مؤمنا خطأ) بأن قصد رمي غيره كصيد أوشجرة فأصابه أو ضربه بما لايقتل غالبا (فتحرير) عتق (رقبة) نسمة (مؤمنة) عليه (ودية مسلمة) مؤداة (إلى أهله) أي ورثة المقتول

(قوله أوجاءوكم) معطوف على يصلون كما قدرالموصول المفسر فالمستثنى فريقان: فريق التجأ للمعاهدين وفريق ترك قتالنا مع قومه وقتال قومه معا (قوله وقد حصرت صدورهم) أي وهم بنومدلج جاءوا لرسول الله غير مقاتلين (قوله وهذا) أي قوله إلا الذين يصلون وقوله أوجاءوكم وقوله ومابعده أي وهو قوله فإن اعتزلوكم الخ (قوله منسوخ بآية السيف) أي التي نزلت في براءة وهي قوله تعالى: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآيات فصار بعد نزول آية السيف لايقبل منهم عهد أبدا إلى أن انتشر الاسلام فخصصت آية السيف بالجزية والعهود (قوله ولوشاء الله الخ) هذا تسلية للمؤمنين وتذكير لنعم الله عليهم (قوله لسلطهم) هذا تمهيد لجواب لو وجوابها قوله فلقاتلوكم (قوله ولكنه لم يشأ الخ) أشار بهذا الاستدراك إلى تميم القياس لأنه ذكر المقدم بقوله: ولوشاء الله، والتالي بقوله: لسلطهم عليكم فذكر المفسرنقيض المقدم بقوله لكن والنتيجة بقوله: فألقى في قلوبهم الرعب (قوله فإن اعتزلوكم) أي بوجه من الوجوه المتقدمة وهي التجاؤهم إلى من بيننا وبينه عهد، أوتركهم القتال منا ومع قومهم (قوله أي انقادوا) للصلح والأمان ورضوا به (قوله آخرين) أي قوما آخرين من المنافقين وسيأتي أنهم أسد وغطفان كانوا حول المدينة فأسلموا ظاهرا ليأمنوا من القتل والأسر وكانوا إذا خلوا بالكفار يقولون آمنا بالقرد والعقرب والخنفساء وإذا لقوا النبي وأصحابه يقولون إنا على دينكم ليأمنوا من الفريقين (قوله وقعوا أشد وقوع) أي رجعوا إلى الشرك أعظم رجوع (قوله لغدرهم) أي خيانتهم (قوله وما كان لمؤمن) أي لايسوغ ولايصح لمتصف بالايمان أن يقتل أخاه في الايمان، والمعنى يبعد كل البعد لأن شأن الايمان الرأفة والرحمة بالاخوان قال تعالى مدحا في أصحاب رسول الله: أشداء على الكفار رحماء بينهم (قوله إلا خطأ) الاستثناء منقطع لأن ماقبله محمول على العمد (إلا) والمعنى لكن قديقع خطأ ويصح أن يكون متصلا والمعنى لاينبغي أن يقع القتل من المؤمن للمؤمن في حال من الأحوال إلا في حالة الخطأ (قوله مخطئا) أشار بذلك إلى أن خطأ حال إلا أنه مؤول باسم الفاعل (قوله من غير قصد) أي للضرب من أصله أوضرب من يجوز له ضربه فصادف غيره (قوله ومن قتل مؤمنا خطأ) حاصل ماذكره في الخطأ ثلاثة أقسام: لأن المقتول إما مؤمن وورثته مسلمون أومؤمن وورثته حربيون أومعاهد، فالأول فيه الدية والكفارة وكذا الثالث. وأما الثاني ففيه الكفارة فقط ومن إما اسم موصول مبتدأ وقتل صلتها وقوله فتحرير خبره وقرن بالفاء لشبهه بالشرط، وإما اسم شرط وقتل فعله وقوله فتحرير جوابه والجملة خبره من حيث كونه مبتدأ (قوله عليه) أشار بذلك إلى أن قوله فتحرير مبتدأ خبره محذوف ويصح أن يكون خبرا لمحذوف والتقدير فالواجب عليه تحرير الخ أوفاعل بفعل محذوف أي فيجب عليه تحرير (قوله ودية) معطوف على تحرير والدية في الأصل مصدر أطلقت على المال المأخوذ في نظير القتل وهوالمراد هنا ولذا وصفها بمسلمة وأصلها ودي حذفت الواو وعوض عنها تاء التأنيث.

(قوله إلا أن يصدقوا) أصله يتصدقوا قلبت التاء صادا وأدغمت فى الصاد وهو حال من آهله والمعنى إلا متصدقين (قوله بأن يعفوا) أى أهله وسمى العفو عنها صدقة تنبيها على فضله لأن كل معروف صدقة (قوله أنها مائة من الابل) هذا مخصوص بأهل الابل وأما على أهل الذهب فألف دينار وعلى أهل الورق اثنا عشر ألف درهم (قوله بنت مخاض) أى وهى ما أوفت سنة ودخلت فى الثانية (قوله وكذا بنات لبون) أى وابن اللبون ما أوفى سنتين ودخل فى الثالثة (قوله وحقاق) الحقة ما أوفت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة وقوله وجذاع الجذعة ما أوفت أربع سنين ودخلت فى الخامسة (قوله وأنها على عاقلة القاتل) أى وهو إن كان غنيا كواحد منهم عند مالك وعند الشافعى ليس عليه شئ منها وهذه دية الخطأ وأما دية العمد فمغلطة من أربعة أنواع باسقاط ابن اللبون من كل نوع خمس وعشرون عند مالك إلا إذا قتل الأب ابنه عمدا غير قاصد إزهاق روحه بأن لم يذبحه فعليه ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفة والخلفة الناقة الحامل والتغليظ عند الشافعى يكون بتلك الأنواع الثلاثة لا غير (قوله إلا الأصل والفرع) هذا مذهب الشافعى وأما عند مالك فلا فرق بين الأصل والفرع وغيرهما فى أن كلا منهما يدفع كغيره (قوله على الغنى منهم نصف دينار) يؤخذ منه أن العاقلة غير

(إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا) يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها و بينت السنة أنها مائة من الإبل عشرون بنت مخاض وكذا بنات لبون و بنولبون وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته إلا الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغنى منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن تعذر فعلى الجانى (فَإِن كَانَ) المقتول (مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ) حرب (لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ) على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم (وَإِن كَانَ) المقتول (مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ) عهد كأهل الذمة (فَدِيَةٌ) له (مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ) وهى ثلث دية المؤمن إن كان يهوديًا أو نصرانيًا وثلثا عشرها إن كان مجوسياً (وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ) على قاتله (فَمَن لَّمْ يَجِدْ) الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ) عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار و به أخذ الشافعى فى أصح قوليه (تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ) مصدر منصوب بفعله المقدر (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فيما دبره لهم (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا) بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالماً بإيمانه (فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ

محدودة بعدد وهومذهب الشافعى وعند مالك تفرض الدية على مازاد على ألف من أقاربه وقيل على سبعمائة (قوله و إن كان من قوم عدو لكم) أى بأن جاء من بلاد الكفر وأسلم عندنا ثم قتل خطأ (قوله حرب) بكسر الحاء أى محارب (قوله و إن كان من قوم الخ) أى بأن كان يهوديا أو نصرانيا أومجوسيا (قوله وهى ثلث دية المؤمن) هذا مذهب الامام الشافعى وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم كأنثى الحر المسلم (قوله وثلثا عشرها إن كان مجوسيا) هذا باتفاق بين مالك والشافعى وأنثاه على النصف منه (قوله الرقبة) قدره اشارة إلى أن مفعول يجد محذوف (قوله فصيام شهرين متتابعين) يقال فيه من الاعراب ما قيل فى فتحرير رقبة (قوله و به أخذ الشافعى) أى ومالك (قوله المقدر) أى وتقديره تاب الله عليكم توبة و يصح أن يكون مفعولا لأجله أى شرع لكم ذلك لأجل التوبة عليكم هو الأحسن. إن قلت إن الخطأ ليس بذنب فما معنى التوبة منه . أجيب بأن ذلك لجبر الخلل الذى حصل منه فى عدم إمعان النظر والتحفظ (قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا) مقابل قوله ومن قتل مؤمنا خطأ وقوله متعمدا أى وعدوانا ليخرج المقتول قصاصا أو حدا كالزانى المحصن والمحارب . وسبب نزولها أن رجلا يقال له مقيس ابن صبابة أسلم هو وأخوه هشام على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم إن مقيسا وجد أخاه مقتولا فى بنى النجار فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسل معه رجلا يقال له فهر من بنى مهران إلى بنى النجار فقال لهم إن رسول الله يأمركم أنكم إذا عرفتم عين القاتل فسلموه لمقيس و إن لم تعرفوه فأعطوا له الدية فقالوا سمعا وطاعة إنا لا نعرف عين القاتل وأعطوا مائة بعير فلما ذهب من عندهم سول الشيطان لمقيس أن يقتل فهرا بدل أخيه فتأخر عنه وضربه فقتله وركب بعيرا

وساق باقيها راجعا إلى مكة ، وقال شعرا فى ذلك :

قتلت به فهرا وأحملت عقله   سراة بنى النجار أرباب فارع
وأدركت ثارى واضطجعت توسدا   وكنت إلى الأصنام أول راجع

فنزلت فيه الآية ولما كان عام الفتح استثناه النبى ممن أمنه فقتله الصحابة وهو متعلق بأستار الكعبة فعلى هذا الخلود فى الآية على ظاهره (قوله خالدا) حال من الضمير فى جزاؤه (قوله وغضب الله عليه) معطوف على محذوف والتقدير حكم الله عليه بذلك وغضب الله عليه (قوله ولعنه) عطف على غضب الله عليه مرادف لأن اللعنة هى الغضب (قوله وهذا مؤول الخ) شرع فى ذكر الأجوبة عن السؤال الوارد على الآية ، وحاصله أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وظاهر الآية يقتضى أن جزاء القاتل عمدا الخلود فى النار ولو مات مؤمنا وليس كذلك ، فأجاب المفسر عن ذلك بثلاثة أجوبة: الأول أنه محمول على المستحل لذلك، الثانى أن هذا جزاؤه إن جوزى أى إن عامله الله بعدله جازاه بذلك و إن عامله بفضله فجائز أن لا يدخله النار ولكن فى هذا الجواب شىء لأن فيه تسليم أنه إذا جوزى يخلد فى النار وهو غير سديد للقواطع الدالة على أنه لا يخلد فى النار إلا من مات على الكفر ، وقد أجاب البيضاوى بجواب آخر وهو أنه يحمل الخلود على طول المكث، الثالث أشار له المفسر بقوله وعن ابن عباس الخ (قوله وأنها ناسخة) الأولى مخصصة وكلام ابن عباس خارج مخرج الزجر والتشديد وليس على حقيقته على مقتضى مذهب أهل السنة (قوله وسبق قدرها) أى فى تفسير الآية التى قبلها (قوله أن بين العمد والخطأ الخ) سبق للمفسر أنه أدخله فى الخطأ بقوله أو ضربه بما لا يقتل غالبا (قوله يسمى شبه العمد) أى فأشبه العمد من حيث تغليظ الدية بكونها من ثلاثة أنواع ثلاثين حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلفة وأشبه الخطأ من حيث كونه لا قصاص فيه وهذا مذهب

خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ) أبعده من رحمته (وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) فى النار وهذا مؤول بمن يستحله ، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزى ، ولا بدع فى خلف الوعيد لقوله « ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » وعن ابن عباس أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة و بينت آية البقرة أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفى عنه وسبق قدرها و بينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلا يسمى شبه العمد ، وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً فلا قصاص فيه بل دية كالعمد فى الصفة والخطأ فى التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطإ . ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بنى سليم وهو يسوق غنما فسلم عليهم فقالوا ماسلم علينا إلا تقية فقتلوه واستاقوا غنمه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ) سافرتم للجهاد (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فتبينوا)

الشافعى ، وعند أبى حنيفة لا يقتص من القاتل إلا إذا قتله بآلة محددة كسيف و بندق و إلا فيلزمه الدية وعند مالك يقتص من القاتل إذا قتل بأى آلة ولو بضرب كف أو سوط لا بكروحة (قوله فى الصفة) أى من حيث كونها من ثلاثة أنواع (قوله فى التأجيل) أى كونها على ثلاث سنين وقوله والحمل أى كون العاقلة تحملها (قوله وهو) أى شبه العمد وقوله أولى بالكفارة أى فتجب وهذا مذهب الشافعى وعند مالك ليس كالخطأ بل تستحب الكفارة فقط (قوله ونزل لما مر نفر الخ) هذه رواية ابن عباس فى سبب نزول الآية وروى عنه أيضا أنها نزلت فى رجل من بنى مرة بن عوف يقال له مرادس بن نهيك وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فلما سمعوا بسرية رسول الله صلى الله عليه وسلم هربوا و بقى ذلك الرجل فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم من أصحاب رسول الله فكبر ونزل وهو يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى رسول الله فأخبروه الخبر فوجد رسول الله من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم الخبر فقال عليه الصلاة والسلام « أقتلتموه إرادة ما معه » ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة هذه الآية فقال أسامة استغفر لى يارسول الله فقال كيف أنت بلا إله إلا الله يقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال رسول الله يكررها حتى وددت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر له رسول الله وقال أعتق رقبة » وروى عن أسامة أنه قال: قلت يارسول الله إنما قالها خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا.

فَتَبَيَّنُوا) وفى قراءة بالمثلثة فى الموضعين (وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ) بالألف ودونها أى التحية أو الانقياد بقوله : كلمة الشهادة التى هى أمارة على الإسلام (لَسْتَ مُؤْمِنًا) وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه (تَبْتَغُونَ) تطلبون بذلك (عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) متاعها من الغنيمة (فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ) تغنيكم عن قتل مثله لماله (كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ) تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ) بالاشتهار بالإيمان والاستقامة (فَتَبَيَّنُوا) أن تقتلوا مؤمنا وافعلوا بالداخل فى الإسلام كما فعل بكم (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به (لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) عن الجهاد (غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانة أو عمى أو نحوه (وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ) لضرر (دَرَجَةً) فضيلة لاستوائهما فى النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة (وَكُلًّا) من الفريقين (وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) الجنة (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ) لغير ضرر (أَجْرًا عَظِيمًا) ويبدل منه (دَرَجَاتٍ مِنْهُ) منازل بعضها فوق بعض من الكرامة (وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً) منصوبان بفعلهما المقدر (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لأوليائه (رَحِيمًا) بأهل طاعته . ونزل فى جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ،

(قوله فتبينوا) أى تمهلوا حتى يكشف لكم حقيقة الأمر وما وقع من الصحابة اجتهاد غير أنهم مخطئون فيه حيث اعتمدوا على مجرد الظن فلذا عاتبهم الله على ذلك وهذا مرتب على وعيد القاتل عمدا أى حيث ثبت الوعيد العظيم للقاتل عمدا فالواجب التثبت والتحفظ فرتب على ذلك ماوقع من الصحابة (قوله فى الموضعين) أى هنا وقوله فيما يأتى فمن الله عليكم فتبينوا و بقى موضع ثالث فى الحجرات وهوقوله تعالى إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وفيه القراءتان و يحتمل أن قوله فى الموضعين أى ماهنا بشقيه والحجرات والأول أقرب (قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان وروى عن عاصم كسر السين وسكون اللام وهى بمعنى المفتوحة (قوله أى التحية أو الانقياد) لف ونشر مرتب (قوله التى هى أمارة على إسلامه) تقدم أنه وقع منه الأمران (قوله تبتغون) النهى منصب على القيد والمقيد معا وليس كقولهم لاتطلب العلم تبتغى به الدنيا (قوله فعند الله) تعليل للنهى المذكور (قوله كذلك كنتم من قبل) أى كنتم مثله فى مبدإ الاسلام (قوله فمن الله عليكم) أى قبل منكم النطق بالشهادتين ولم يأمر بالبحث عن سرائركم (قوله فتبينوا) أى فى المستقبل فى مثل هذه الواقعة فهو تأكيد لفظى وقيل ليس تأكيدا لاختلاف متعلقيهما لأن الأول فيمن تقتلونه والثانى فى شأن نعمة الله عليكم بالاسلام لتشكروه (قوله من المؤمنين) متعلق بمحذوف حال من القاعدون (قوله بالرفع صفة) أى لقوله القاعدون إما لأن غير إذا وقعت بين ضدين قد تتعرف أو لأن أل فى القاعدون للجنس فأشبه النكرة والأظهر أنه مرفوع على البدلية من القاعدون لأنه لايشترط استواء البدل والمبدل منه تعريفا أوتنكيرا (قوله والنصب استثناء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من زمانة) بيان للضرر وهى المرض وقوله أونحوه أى كالعرج (قوله فضيلة) أى فى الآخرة والمعنى أن من تقاعد عن القتال لمرض ونحوه فهو ناقص عن المباشرين للجهاد درجة لأنهم استووا معهم فى الجهاد بالنية وإنما زاد المجاهدون بالمباشرة وكل من القسمين وعده الله بالجنة (قوله الجنة) أى لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم (قوله درجات) قيل سبعة وقيل سبعون وقيل سبعمائة كل درجة كما بين السماء والأرض (قوله بفعلهما المقدر) أى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة (قوله فقتلوا يوم بدر) أى وهل ماتوا عصاة أو كفارا خلاف لأن الهجرة كانت ركنا أو شرطا فى صحة الاسلام قال تعالى: والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا، وهذا كان قبل الفتح ثم نسخ بعده والقائل لهؤلاء الملائكة لعلمهم بأن الله لم يقبل منهم الاسلام لفقد شرطه وهو الهجرة مع قدرتهم عليها وليس التخلف من أجل صيانة المال والعيال عذرا والتبادر من ذلك أنهم ماتوا كفارا (قوله إن الذين توفاهم) يصح أن يكون ماضيا ولم يؤنث فيه بعلامة التأنيث لأن التأنيث مجازى ويصح أن يكون مضارعا حذفت منه إحدى التاءين والأصل تتوفاهم ، قال ابن مالك :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر   فيه على تا كتبين العبر

(قوله الملائكة) يعنى ملك الموت وهو عزرائيل و إنما جمع تعظيما وقيل المراد أعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يقضبون أرواح المؤمنين وثلاثة منهم يقبضون أرواح الكفار (قوله قالوا لهم موبخين) أى عند قبض أرواحهم (قوله فيم كنتم) ما اسم استفهام حذفت ألفها لجرها بالحرف . قال ابن مالك :

وما فى الاستفهام إن جرت حذف   ألفها وأولها الها إن تقف

(قوله أى فى أى شئ كنتم) أى أكنتم مؤمنين أم كفارا (قوله قالوا كنا مستضعفين) هذا اعتذار غير صحيح فلذا ردت الملائكة عليهم هذا الاعتذار (قوله فأولئك مأواهم جهنم) هذا هو خبر إن وقرن بالفاء لأنه فى الأصل خبر عن الموصول وهو يشبه الشرط (قوله هى) هذا هو المخصوص بالذم (قوله إلا المستضعفين) هذا الاستثناء منقطع على التحقيق (قوله من الرجال) هو وما بعده بيان للمستضعفين وذلك كعباس بن ربيعة وسلمة بن هشام وغيرهما وقوله والنساء والولدان ، قال ابن عباس : كنت وأنا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان (قوله لايستطيعون حيلة) هذه الجملة إما مستأنفة مبينة للاستضعاف جواب سؤال مقدر تقديره ماوجه استضعافهم أو صفة للمستضعفين (قوله فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) عسى فى كلام الله بمنزلة التحقيق لعلمه بعواقب الأمور وقدرته على كل شئ ، وأما فى كلام غيره فللرجاء لجهله بعواقب الأمور وعجزه (قوله ومن يهاجر) هذا ترغيب فى الهجرة (قوله مهاجرا) بالفتح أى أماكن يهاجر إليها وعبر عنها بالمراغم إشارة إلى أن من فعل ذلك أرغم الله به أنف عدوه أى يقهره و يذله . والرغام فى الأصل التراب

الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بالمقام مع الكفار وترك الهجرة (قَالُوا) لهم موبخين (فِيمَ كُنْتُمْ) أى فى أى شئ كنتم فى أمر دينكم (قَالُوا) معتذرين (كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ) عاجزين عن إقامة الدين (فِي الْأَرْضِ) أرض مكة (قَالُوا) لهم توبيخا (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم ، قال الله تعالى (فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) هى (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ) الذين (لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً) لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة (وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) طريقا إلى أرض الهجرة (فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا . وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا) مهاجرا (كَثِيرًا وَسَعَةً) فى الرزق (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ) فى الطريق كما وقع لجندع بن ضمرة الليثى (فَقَدْ وَقَعَ) ثبت (أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا . وَإِذَا ضَرَبْتُمْ) سافرتم (فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) فى (أَنْ تَقْصُرُوا

فأطلق وأريد لازمه وهو الذل والهوان لأن من التصق أنفه بالتراب فقد ذل وصغر (قوله كما وقع لجندع بن ضمرة الليثى) وذلك أنه لما نزل قوله تعالى - إن الذين توفاهم الملائكة - الآيات بعث بها صلى الله عليه وسلم إلى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك فسمعها رجل من بنى ليث شيخ مريض كبير يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما أنا ممن استثنى الله فإنى لأجد حيلة ولى من من المال مايبلغنى إلى المدينة وأبعد منها والله لا أبيتن بمكة أخرجونى فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على مابايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره أصحاب رسول الله فقالوا لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك منه المشركون وقالوا ما أدرك ماطلب فنزلت الآية (قوله فقد وقع أجره على الله) أى تفضلا منه وكرما ويدخل فى ذلك من قصد أى طاعة ثم عجز عن إتمامها فيكتب له ثوابها كاملا وقوله على الله أى عنده وفى علمه (قوله وإذا ضربتم فى الأرض) ذكر هذه الآية عقب الهجرة للترغيب فيها فكأنه قال لا بأس فى الهجرة ولا مشقة فيها لكون الصلاة تقصر فيها فهذا من جملة السعة التى يرونها فى السفر (قوله سافرتم) أى سفرا طويلا وسيأتى أن أقله أربعة برد عند الشافعى والبريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع والذراع ستة وثلاثون أصبعا والأصبع ست شعيرات والشعيرة ست شعرات من شعر البرذون وكذا عند مالك وعند أبى حنيفة ثلاثة أيام من أقصر الأيام مع الاستراحات فلا يصح القصر فى أقل من أربعة برد عند مالك والشافعى ولا فى أقل من ثلاثة أيام عند أبى حنيفة إلا فى مناسك الحج فإنهم يقصرون فى أقل من ذلك للسنة (قوله فى أن تقصروا) قدر المفسر فى إشارة إلى أن قوله أن تقصروا أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالحرف والجار والمجرور متعلق بجناح أى ليس عليكم جناح فى القصر .

(قوله من الصلاة) يصح أن تكون تبعيضية وأل فى الصلاة للجنس أى وهو الرباعيات ويصح أن تكون زائدة على مذهب الأخفش وأل للجنس والمراد جنس مخصوص وهو الرباعية وقد بين بالسنة (قوله بأن تردوها من أربع إلى اثنتين) هذا أحد أقوال ثلاثة لأنه اختلف هل فرضت الصلاة كاملة ثم نقصت فى السفر وبقيت فى الحضر على حالها أو فرضت ناقصة فبقيت فى السفر وزيدت فى الحضر وقيل فرض كل مستقلا (قوله بيان للواقع) أى قوله إن خفتم الخ أى لأن غالب أسفار نبينا وأصحابه لم تخل من خوف العدو لكثرة المشركين حينئذ وقوله فلا مفهوم له أى لأنه يكون فى سفر التجارة وغيرها من كل سفر مأذون فيه واجبا كان أو مندوبا أو مباحا (قوله وهى مرحلتان) أى سير يومين معتدلين كل يوم اثنا عشر ساعة بسير الجمال المثقلة بالأحمال (قوله أنه رخصة) أى جائز مالم يبلغ سفره ثلاث مراحل وإلا كان أفضل للخروج من خلاف أبى حنيفة فانه قال بوجوبه وعند مالك سنة مؤكدة (قوله عدوا مبينا) العدو يقع بلفظ واحد على المذكر والمؤنث والمجموع والمثنى (قوله وإذا كنت فيهم) شروع فى ذكر صلاة القسمة فى الخوف . واعلم أن صلاة الخوف على أقسام فتارة يكون العدو فى غير تجاه القبلة وفى هذا القسم تكون صلاة القسمة وهى على كيفيتين الأولى أن يقسم الجيش طائفتين فطائفة تقف تجاه العدو وطائفة تصلى مع الامام الصلاة بتمامها فبعد السلام تنصرف للعدو وتأتى الطائفة الثانية فيعيد الامام بهم الصلاة ثانيا فصلاة الطائفة الأولى فرض خلف فرض والثانية فرض خلف نفل وهذه الكيفية انفرد بها الامام الشافعى الثانية أن يصلى بكل طائفة ركعة فى الثنائية وركعتين فى الرباعية وبالطائفة الأولى ركعتين فى الثلاثية وبالثانية ركعة وبها قال مالك والشافعى أيضا لكن مالك يقول بها وإن كان العدو تجاه القبلة وتارة يكون العدو تجاه القبلة وهى على قسمين أيضا إما

مِنَ الصَّلَوٰةِ) بأن تردوها من أربع إلى اثنتين (إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ) أى ينالكم بمكروه (الَّذِينَ كَفَرُوا) بيان للواقع إذ ذاك فلا مفهوم له وبينت السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة برد وهى مرحلتان ، ويؤخذ من قوله فليس عليكم جناح أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعى (إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا) بين العداوة (وَإِذَا كُنْتَ) يا محمد حاضرا (فِيهِمْ) وأنتم تخافون العدو (فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ) وهذا جرى على عادة القرآن فى الخطاب فلا مفهوم له (فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ) وتتأخر طائفة (وَلْيَأْخُذُوا) أى الطائفة التى قامت معك (أَسْلِحَتَهُمْ) معهم (فَإِذَا سَجَدُوا) أى صلوا (فَلْيَكُونُوا) أى الطائفة الأخرى (مِنْ وَرَائِكُمْ) يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس (وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ) معهم إلى أن تقضوا الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم كذلك ببطن نخل رواه الشيخان (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ،

أن يتقدم الامام ويقف الجيش خلفه صفوفا فعند ركوع الامام تركع طائفة مع الامام وتسجد معه فبعد وقوفهم تركع الطائفة الأخرى وتسجد وبهذه الكيفية أخذ الامام الشافعى وإما أن يتقدم الامام ويصلون جميعا معه ويركعون ويسجدون وبها أخذ مالك وتارة يلتحم القتال فيصلون كيف شاءوا وحل للضرورة مشى وركض وإمساك ملطخ وهذه الكيفية عند مالك والشافعى وعند أبى حنيفة إن ضاق الوقت قدموا القتال وأخروا الصلاة ثم يقضونها وتفاصيل هذه الأقسام مبينة عند أرباب المذاهب (قوله وتتأخر طائفة) أى بازاء العدو (قوله أى صلوا) أى شرعوا فى الصلاة (قوله طائفة أخرى) أى وهى الواقفة تجاه العدو (قوله فليصلوا معك) أى صلاة ثانية أو يتموا معك الصلاة الأولى (قوله وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم) إنما زاد هنا الأمر بالحذر لكونها مظنة تنبه الكفرة على تلك الطائفة ، وأما فى الطائفة الأولى فلم يتنبهوا لهم (قوله ببطن نخل) سببه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى مع أصحابه جميعا الظهر فتنبه المشركون ، وقال بعضهم لبعض إنا نظفر بهم فى أوقات الصلاة وتحزب المشركون على ذلك فنزل جبريل على رسول الله بالآية وعلمه صلاة القسمة ففعلها فى صلاة العصر وقد مشى المفسر على أن هذه الآية فى صلاة بطن نخل وهو موضع من نجد إلى أرض غطفان بينه وبين المدينة يومان . وقال غيره إنها فى صلاة أرض عسفان ، وقال آخرون إنها فى ذات الرقاع (قوله ود الذين كفروا الخ) سبب نزولها كما قال ابن عباس

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بنى محارب و بنى أنمار فنزلوا ولايرون من العدوّ أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته حتى قطع الوادى والسماء ترش بالمطر فسال الوادى فحال السيل بين رسول الله و بين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربى فقال قتلنى الله إن لم أقتله ، ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله إلاوهو قائم على رأسه وقد سلّ سيفه من غمده ، وقال يامحمد من يمنعك منى الآن ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال : اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت ، فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله به فأكب بوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده ، فقام رسول الله وأخذ السيف ثم قال ياغورث من يمنعك منى الآن ؟ فقال لا أحد ، فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ؟ فقال لا ولكن أشهد أن لاأقاتلك ولا أعين عليك عدوّا فأعطاه رسول الله سيفه فقال غورث أنت خير منى ، فقال رسول الله أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له و يلك ياغورث ما منعك منه ، فقال والله لقد أهويت إليه بالسيف لاضربه به فوالله ما أدرى من زلخنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر لهم حاله

لَوْ تَغْفُلُونَ) إذا قمتم إلى الصلاة (عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً) بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الأمر بأخذ السلاح (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ) فلا تحملوها وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعى ، والثانى أنه سنة ورجح (وَخُذُوا حِذْرَكُمْ) من العدو أى احترزوا منه ما استطعتم (إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ) فرغتم منها (فَاذْكُرُوا اللَّهَ) بالتهليل والتسبيح (قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) مضطجعين أى فى كل حال (فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ) أمنتم (فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) أدّوها بحقوقها (إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا) مكتوبا أى مفروضا (مَوْقُوتًا) أى مقدرا وقتها فلا تؤخر عنه . ونزل لما بعث صلى الله عليه وسلم طائفة فى طلب أبى سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات (وَلَا تَهِنُوا) تضعفوا (فِي ابْتِغَاءِ) طلب (الْقَوْمِ) الكفار لتقاتلوهم (إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ) تجدون ألم الجراح (فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ) أى مثلكم ولا يجبنوا عن قتالكم (وَتَرْجُونَ) أنتم (مِنَ اللَّهِ) من النصر والثواب عليه (مَا لَا يَرْجُونَ) هم ، فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغى أن تكونوا أرغب منهم فيه (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بكل شىء (حَكِيمًا) فى صنعه .

مع رسول الله قال وسكن الوادى فقطع رسول الله الوادى إلى أصحابه وأخبرهم الخبر، وقرأ هذه الآية . والزلخة : الدفعة (قوله لو تغفلون) أى غفلتكم (قوله فيميلون) أى يشتدون (قوله من مطر) أى لأنه يفسد بالماء (قوله (قوله أو كنتم مرضى) أى لاطاقة لكم على حمله (قوله فاذاقضيتم الصلاة) أى صلاة الخوف : أى أى تممتموها على الوجه المبين (قوله فاذ كروا الله) الأمر للندب لأنه فى الفضائل ، وقوله بالتهليل والتسبيح: أى والتحميد والتكبير (قوله فى كل حال) أى فالمراد من قوله قياما وقعودا وعلى جنوبكم عموم الأحوال (قوله فأقيموا الصلاة) أى التى دخل وقتها حينئذ ومعنى إقامتها أداؤها بالشروط والأركان (قوله مقدّرا وقتها) أى مفروضا وقتا بعد وقت (قوله لما بعث) الناسب أن يقول لماخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر من حضر بالخروج لطلب أبى سفيان وأصحابه ، وقوله طائفة : أى وهى جميع من حضر أحدا من المؤمنين الخالصين وكانوا ستمائة وثلاثين (قوله لمارجعوا من أحد) أى فرغوا من وقعتها والضمير عائد على الصحابة فحينئذ همّ أبوسفيان وتشاور مع أصحابه فى العود إلى المدينة ليستأصلوا المسلمين فبلغ ذلك رسول الله فنادى فى اليوم الثانى من وقعة أحد ليخرج من كان معنا بالأمس ولا يخرج معنا غيرهم فخرجوا حتى بلغوا إلى حمراء الأسد وتقدّم ذلك فى آل عمران (قوله ولا تهنوا) الجمهور على كسر الهاء وقرىء شذوذا بفتحها من وهن بالكسر أو الفتح (قوله فى ابتغاء القوم) أى قتالهم (قوله إن تكونوا تألمون) تعليل للنهى وتشجيع لهم، والمعنى ليس الألم مختصا بكم بل هم كذلك (قوله ولا يجبنوا) الناسب يجبنون بالنون إلا أن يقال حذفت تخفيفا (قوله والثواب عليه) أى على الجهاد فانكم تقاتلون فى سبيل الله وهم يقاتلون فى سبيل الطاغوت فأنتم أحق بالشجاعة والقدوم عليهم .

(قوله وسرق طعمة) بتثليث الطاء والكسر أفصح وأبيرق بضم الهمزة وفتح الباء بعدها راء مكسورة تصغير أبرق وطعمة من الأنصار من بني ظفر سرق الدرع من دار جاره قتادة وكان في جراب فيه دقيق فصار الدقيق يتناثر منه فاتهم طعمة بها فحلف كاذبا أنه ما أخذها وماله بها علم وكان ودعها عند يهودي يقال له زيد بن السمين، فقال أصحاب الدرع نتبع أثر الدقيق فتبعوه حتى وصل إلى دار اليهودي فأخبر أنه ودعه عنده طعمة وشهد به قومه، فقال قوم طعمة نذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشهد أن اليهودي هو السارق فذهبوا وشهدوا زورا ولم يظهروا زورا ولم يظهر له صلى الله عليه وسلم قادح فيهم فهمّ بقطع اليهودي فنزلت الآية فأراد أن يقطع طعمة فهرب إلى مكة وارتد فنقب حائطا ليسرق متاع أهله فوقع عليه فمات مرتدا (قوله وخبأها) أي الدرع (قوله عند يهودي) أي واسمه زيد بن السمين (قوله متعلق بأنزل) أي على أنه حال منه (قوله لتحكم) متعلق بأنزلنا (قوله بما أراك) رأى عرفانية تتعدى بالهمزة لمفعولين الكاف

مفعول أول والمفعول الثاني

وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف إنه ماسرقها فسأل قومه النبي صلى الله عليه وسلم أنه يجادل عنه ويبرئه فنزل (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ) أعلمك (اللَّهُ) فيه (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ) كطعمة (خَصِيمًا) مخاصما عنهم (وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ) مما هممت به (إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ) يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا) كثير الخيانة (أَثِيمًا) أي يعاقبه (يَسْتَخْفُونَ) أي طعمة وقومه حياء (مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ) بعلمه (إِذْ يُبَيِّتُونَ) يضمرون (مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ) من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) علماً (هَا أَنْتُمْ) يا (هَؤُلَاءِ) خطاب لقوم طعمة (جَادَلْتُمْ) خاصمتم (عَنْهُمْ) أي عن طعمة وذويه وقرئ عنه (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) إذا عذبهم (أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) يتولى أمرهم ويذبّ عنهم؟ أي لا أحد يفعل ذلك (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا) ذنباً يسوء به غيره كرمي طعمة اليهوديّ (أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ) بعمل ذنب قاصر عليه (ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ) منه أي يتب (يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا) له (رَحِيمًا) به (وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا) ذنباً (فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ) لأن وباله عليها ولا يضر غيره (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) في صنعه (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً) ذنباً صغيراً (أَوْ إِثْمًا) ذنباً كبيراً،

محذوف تقديره إياه إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول عرفك (قوله للخائنين) اللام للتعليل ومفعول خصيما محذوف تقديره شخصا بريئا فاللام على بابها لا بمعنى عن فقول المفسر مخاصما عنهم إيضاح للمعنى (قوله بما هممت به) أي من القضاء على اليهودي فانه ذنب صورة على حد وعصى آدم ربه فغوى فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله عن الذين يختانون) أي كطعمة وقومه المعينين فانهم شركاء في الاثم (قوله من كان خوانا) صيغة مبالغة بمعنى كثير الخيانة

لأنه وقعت منهم خيانات كثيرة أولا السرقة ثم اتهام اليهودي ثم الحلف كاذبا ثم الشهادة زورا. إن قلت إن مقتضى الآية أن الله يحب من كان عنده أصل الخيانة مع أنه ليس كذلك. أجيب بأن ذلك بالنظر لمن نزلت فيهم وهو طعمة وقومه فالواقع أن عندهم خيانات كثيرة (قوله أي يعاقبه) تفسير لعدم محبة الله له (قوله يستخفون) أي يطلبون الخفاء والستر وهذه الجملة مستأنفة بيان لطلبهم الستر من الناس (قوله وهو معهم) الجملة حالية (قوله يضمرون) هذا هو المراد من التبييت هنا وإلا فهو في الأصل تدبير الأمر ليلا (قوله علما) تمييز محول عن الفاعل (قوله ها أنتم) ها للتنبيه: أي تنبهوا يا مخاطبون في المجادلة عن السارق (قوله وقرئ) أي شذوذا (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله ومن يعمل سوءا) حث وتحريض لطعمة على التوبة ومع ذلك لم يتب (قوله اليهودي) مفعول لرمي وطعمة فاعله (قوله قاصر عليه) كاليمين الكاذبة (قوله أي يتب) المراد التوبة الصادقة بشروطها فليس المراد مجرد الاستغفار باللسان مع الاصرار فانه توبة الكذابين (قوله ذنبا) أي متعلقا به أو بغيره (قوله ولا يضر غيره) إن قلت إن معصية طعمة أصابت قومه فضرتهم. أجيب بأن ضررهم إنما جاء من كذبهم لمعاونتهم له

وشهادتهم الزور معه وعزمهم على الحلف كذبا (قوله ثم يرم به) أى بالخطيئة والاثم وإنما أفرد الضمير لأن العطف بأو (قوله بريئا) صفة لموصوف محذوف : أى شخصا بريئا (قوله ولولا فضل الله الخ) جوابها قوله لهمت. واستشكل بأن الهم قد وقع منهم والمأخوذ من لولا أنه لم يقع لوجود فضل الله ورحمته. وأجيب بأن المراد هم يحصل معه الاضلال، فالمنفى الهم فى إضلالك الذى هو ابه لوجود فضل الله ورحمته (قوله بالعصمة) أى الحفظ من المعاصى والمخالفات صغيرها وكبيرها (قوله زائدة) أى فى مفعول يضرونك المطلق (قوله والغيب) أى علم الغيب وهو ماغاب عنا (قوله بذلك) أى بإنزال الكتاب والحكمة وتعليمه مالم يكن يعلم، وقوله وغيره : أى كالفضائل التى اختص بها مما لايعلم كنهه إلا الله تعالى (قوله لاخير فى كثير) لا نافية للجنس وخير اسمها وفى كثير متعلق بمحذوف خبرها، وقوله من نجواهم متعلق بمحذوف حال من متعلق الخبر (قوله أى الناس) أشار بذلك إلى أن الآية عامة وليست مخصوصة بقوم طعمة المتقدم (قوله أى مايتناجون فيه ويتحدثون) أشار بذلك إلى أن معنى النجوى الحادثة من بعض القوم لبعض اثنان فوق. قال تعالى ـ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ـ الآية. والنجوى ضد السر وهو محادثة الانسان نفسه وعطف قوله يتحدثون على يتناجون للتفسير (قوله إلامن أمر) يحتمل أنه استثناء منقطع إن أبقينا الكلام على ظاهره لأن المستثنى الشخص والمستثنى منه الكلام ولا شك أنه غيره ويحتمل أنه متصل وهو على حذف مضاف وإليه يشير المفسر بقوله إلا نجوى الخ (قوله بصدقة) أى واجبة أومندوبة (قوله أومعروف) المراد به كل طاعة لله فيدخل فيه جميع أعمال البر فهو من عطف العام على الخاص، وقوله أو إصلاح بين الناس معطوف على قوله أو معروف من عطف الخاص على العام اعتناء بشأنه واهتماما به وإنما خصت الثلاثة لأن الأمر المرضى لله إما إيصال نفع وهو إما جسمانى أوروحانى فالأول كالصدقات والثانى كالأمر بالمعروف أو دفع ضرر كالاصلاح بين الناس لأن المفاسد مترتبة على التشاحن وبالاصلاح يحصل الخير والبركة ودفع الشرور ولذا حث عليه صلى الله عليه وسلم بقوله «امش ميلا عد مريضا امش ميلين أصلح بين اثنين» وبالجملة فكثرة الكلام لاخير فيها. قال بعضهم من كثر لغطه كثر سقطه، وفى الحديث «وهل يكب الناس فى النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم» (قوله ومن يفعل ذلك) اسم الاشارة عائد على الثلاثة وإنما أفرد لأن العطف بأو. إن قلت مقتضى السياق ومن يأمر بذلك؟ أجيب بأن هذا راجع للمأمور به فاسم الاشارة عائد على المأمور به تقديره ومن يفعل المأمور به من صدقة أومعروف أو إصلاح فاستفيد من الآية أولا وآخرا ثواب الآمر والفاعل، وفى الحديث «الدال على الخير كفاعله». وأجيب أيضا بأنه عبر عن الأمر بالفعل لأنه فعل لسانى والأقرب الأول (قوله لاغيره من أمور الدنيا) أى لأن ثواب الأعمال الصالحة منوط بالاخلاص كان من الآمر أو الفاعل فلو كان الفعل أو الأمر رياء وسمعة أو لغرض دنيوى لم يستحق عند الله أجرا (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وفى قراءة النون التفات من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله أجرا عظيما) أى وهو الجنة ومافيها. قال تعالى ـ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ـ وفى التعبير بسوف إشارة إلى أن جزاء الأعمال الصالحة فى الآخرة لا الدنيا لأنها ليست دار جزاء بل عطاء الدنيا لكل من وجد فيها أطاع أو عصى كافرا أو لا (قوله ومن يشاقق الرسول الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى المطيعين وما أعد لهم فى الآخرة ذكر وعيد الكفار وعاقبة أمرهم على عادته سبحانه فى كتابه (قوله فيما جاء به من الحق) أى من الأمور التكليفية والأحكام الشرعية .

(ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا) منه (فَقَدِ احْتَمَلَ) تحمل (بُهْتَانًا) برميه (وَإِثْمًا مُبِينًا) بينا بكسبه (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ) يا محمد (وَرَحْمَتُهُ) بالعصمة (لَهَمَّتْ) أضمرت (طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) من قوم طعمة (أَنْ يُضِلُّوكَ) عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك (وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) لأن وبال إضلالهم عليهم (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ) من الأحكام والغيب (وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ) بذلك وغيره (عَظِيمًا. لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ) أى الناس، أى ما يتناجون فيه ويتحدثون (إِلَّا) نجوى (مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ) عمل بر (أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) المذكور (ابْتِغَاءَ) طلب (مَرْضَاتِ اللَّهِ) لا غيره من أمور الدنيا (فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ) بالنون والياء أى الله (أَجْرًا عَظِيمًا. وَمَنْ يُشَاقِقِ) يخالف (الرَّسُولَ) فيما جاء به من الحق (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى) ظهر له الحق بالمعجزات

(ويتبع)

(قوله ويتبع) عطف لازم على ملزوم (قوله أى طريقهم) أى اعتقاداً وعملا (قوله نوله) هو ونصله إمابسكون الهاء أوكسرها بدون إشباع وهوالمسمى بالاختلاس أو بالاشباع فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله بأن نخلى بينه) أى الشاقق وقوله وبينه أى الضلال ، والمعنى أن من خالف ماأمر الله به فان الله يستدرجه بالنعم ويمهله ولايعجل عقوبته قال تعالى : قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدًا الآية (قوله وساءت مصيرا) ساء كبئس للذم فاعلها مستتر وجوبا يعود على جهنم ومصيرا تمييز والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله هى (قوله أن يشرك به) أى إذا مات على ذلك لقوله تعالى : قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف (قوله لمن يشاء) أى إن مات من غيرتوبة (قوله فقد ضلّ ضلالا بعيدا) أى فالشرك أعظم أنواع الضلال . إن قلت قدقال فيما سبق فقد افترى إثما عظيما وهنا فقد ضلّ ضلالا بعيدا فما الحكمة فى ذلك ؟ . قلت إن ماتقدم فى شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق وإنما كفرهم عناد فسماه الله افتراء أى كذبا،وماهنا فى شأن مشركى العرب وهم ليس لهم علم بذلك إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ فلذا سماه الله ضلالا بعيدا (قوله إن يدعون) هذا كالدليل والتعليل لقوله : إنّ الله لايغفر أن يشرك به

(قوله مايدعون) أشار بذلك إلى أن

(وَيَتَّبِعْ) طريقا (غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ) أى طريقهم الذى هم عليه من الدين بأن يكفر (نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى) نجعله وليا لما تولاه من الضلال بأن نخلى بينه وبينه فى الدنيا (وَنُصْلِهِ) ندخله فى الآخرة (جَهَنَّمَ) فيحترق فيها (وَسَاءَتْ مَصِيراً) مرجعا هى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً) عن الحق (إِنْ) ما (يَدْعُونَ) يعبد المشركون (مِنْ دُونِهِ) أى الله أى غيره (إِلَّا إِنَاثاً) أصناما مؤنثة كاللات والعزى ومناة (وَإِنْ) ما (يَدْعُونَ) يعبدون بعبادتها (إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً) خارجا عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس (لَعَنَهُ اللَّهُ) أبعده عن رحمته (وَقَالَ) أى الشيطان (لَأَتَّخِذَنَّ) لأجعلن لى (مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً) حظا (مَفْرُوضاً) مقطوعا أدعوهم إلى طاعتى (وَلَأُضِلَّنَّهُمْ) عن الحق بالوسوسة (وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ) ألقى فى قلوبهم طول الحياة وأن لابعث ولا حساب (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ) يقطعن (آذَانَ الْأَنْعَامِ) وقد فعل ذلك بالبحائر (وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ) دينه بالكفر وإحلال ماحرم وتحريم ما أحل (وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً) يتولاه ويطيعه (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (فَقَدْ خَسِرَ ،

إن نافية بمعنى ما (قوله يعبد المشركون) أطلق الدعاء على العبادة لأنه منها وكثيرا مايطلق الدعاء عليها (قوله أصناما مؤنثة) أى لتأنيث أسمائها ورد : أنه مامن مشرك إلا وكان له صنم قد سماه باسم أنثى من العرب وحلاه بأنواع الحلى وكانوا يقولون هم بنات الله (قوله كاللات والعزى ومناة) اللات مأخوذ من إله والعزى من العزيز ومناة من المنان فاقتطعوها وسموا بها أصنامهم (قوله بعبادتها) الباء سببية أى فالمسوّل لهم على عبادتها الشيطان فعبادتها لازمة لعبادة الشيطان لأنه يحضر عندهم فهم فى الصورة يعبدون الأصنام وفى الحقيقة العبادة للشيطان (قوله مريدا) أى متمردا بمعنى بلغ الغاية فى العتو والفجور لخروجه عن طاعة ربه حتى أمر الناس بعبادة غيرالله (قوله لعنه الله) صفة ثانية لشيطانا (قوله عن رحمته) أى جنته ومافيها (قوله وقال الخ) الجملة إما صفة لشيطانا أوحال منه أى مايدعون إلاشيطانا موصوفا بكونه مريدا وبكونه مطرودا عن رحمته وبكونه قائلا أوحال كونه قائلا وهذا القول قد وقع منه عند قول الله تعالى له : فاخرج إنك من الصاغرين (قوله نصيبا مفروضا) ورد أنهم تسعمائة وتسعة وتسعون من كل ألف لما فى الحديث « ماأنتم فيمن سواكم إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود » وورد « أن يوم القيامة يقول الله لآدم أخرج من ذريتك بعث النارفيقول يارب ومابعث النارفيقول الله تعالى أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعند ذلك تشيب الأطفال من شدة الهول» (قوله ولأضلنهم عن الحق) أى أميلن قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد (قوله وقد فعل ذلك بالبحائر) جمع بحيرة وهى أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتى فى الخامس بذكر فكانوا لايعملون عليها ولايأخذون نتاجها ويجعلون لبنها للطواغيت ويشقون آذانها علامة على ذلك (قوله فليغيرنّ خلق الله) أى ماخلقه ومن ذلك تغييرصفات نبينا الواقع من اليهود والنصارى وتغيير كتبهم ومن ذلك تغيير الجسم بالوشم وتغيير الشعر بالوصل لما فى الحديث « لعن الله الواشمة والمستوشمة

والواصلة والمستوصلة » (قوله خسرانا مبينا) أى لأنه ضيع رأس ماله وهى طاعة الله وعبادته (قوله إلا غرورا) أى مزين الظاهر فاسد الباطن (قوله أولئك) أى أولياء الشيطان (قوله معدلا) أى منفذا ومهربا (قوله والذين آمنوا) بيان لوعد المؤمنين إثر بيان وعيد الكفار (قوله أى وعدهم الله ذلك وعدا) أشار بذلك إلى أن وعدا وحقا منصوبان بفعلين محذوفين من لفظهما ويصح أن يكون حقا صفة لوعدا (قوله أى لاأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى وهو كالدليل لما قبله (قوله لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب) أى حيث قال المسلمون نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضى على سائر الكتب ونحن آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن أولى بالله منكم وقال أهل الكتاب كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن أولى منكم وقيل سبب نزول الآية افتخار أهل الكتاب ومشركى العرب وعليه فلا يحتاج لتأويل فى قوله يجزبه بل يحمل الجزاء لكل من الفريقين على الخلود فى النار (قوله ليس الأمر منوطا) أشار بذلك إلى أن اسم ليس ضمير عائد على الأمر وقوله بأمانيكم متعلق بمحذوف خبرها أى منوطا بمعنى متعلقا ومرتبطا (قوله من يعمل سوءا) أى من مؤمن وكافر (قوله إما فى الآخرة) أى وهو محتم فى حق من مات كافرا، وأما من مات عاصيا ولم يتب فتحت المشيئة (قوله كما ورد فى الحديث) أى وهو أن أبا بكر لما نزلت قال « يارسول الله وأينا لم يعمل السوء وإنا لمجزيون بكل سوء عملناه؟ فقال صلى الله

خُسْرَاناً مُبِيناً) بينا لمصيره إلى النار المؤبدة عليه (يَعِدُهُمْ) طول العمر (وَيُمَنِّيهِمْ) نيل الآمال فى الدنيا وأن لابعث ولا جزاء (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ) بذلك (إِلاَّ غُرُوراً) باطلا (أُولٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً) معدلا (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللّٰهِ حَقًّا) أى وعدهم الله ذلك وعدا وحقه حقا (وَمَنْ) أى لا أحد (أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيلاً) أى قولا. ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب (لَيْسَ) الأمر منوطا (بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ) بالعمل الصالح (مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ) إما فى الآخرة أو فى الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد فى الحديث (وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ) أى غيره (وَلِيًّا) يحفظه (وَلاَ نَصِيراً) يمنعه منه (وَمَنْ يَعْمَلْ) شيئا (مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ) بالبناء للمفعول والفاعل (الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً) قدر نقرة النواة (وَمَنْ) لا أحد (أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ) أى انقاد وأخلص عمله (لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد،

عليه وسلم أما أنت وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك فى الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب، وأما الآخرون فيجتمع لهم ذلك حتى يجزوا به يوم القيامة » وفى رواية قال أبو بكر: فمن ينجو مع هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام أما تمرض أو يصيبك البلاء قال بلى قال هو ذلك (قوله ومن يعمل) هذا مقابل قوله - من يعمل سوءا يجزبه - (قوله شيئا) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض لأنه لا يمكن استيفاء جميع الأعمال الصالحة (قوله من الصالحات) الجار والمجرور متعلق بشيئا الذى قدره المفسر (قوله من ذكر أو أنثى) حال من الضمير فى يعمل وكذا قوله وهو مؤمن، وأما الكافر فأعماله الصالحة ضائعة قال تعالى: وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (قوله فأولئك) هذه الجملة جواب الشرط (قوله بالبناء للمفعول) أى والجنة مفعول ثان والواو نائب الفاعل مفعول أول لأنه من أدخل الرباعى فهو ينصب مفعولين وقوله والفاعل أى من دخل فهو ينصب مفعولا واحدا فمفعوله الجنة والواو فاعله وهما قراءتان سبعيتان (قوله ولايظلمون نقيرا) أى لاينقصون شيئا أبدا لاقليلا ولا كثيرا، ويؤخذ من الآية أن جزاء الأعمال الصالحة فى الآخرة، وأما النعم التى يعطاها المؤمن فى الدنيا من عافية ورزق وغيرذلك فليست جزاء لأعماله الصالحة بل تكفل الله بها لكل حىّ فى الدنيا مسلما أوكافرا بل بعض العبيد من أهل المحبة فى الله لاينتظر بعمله الجنة بل يقول إنما عبدناك لذاتك لالشىء آخر. قال العارف ابن الفارض حين كشف له عن الجنة وماأعدّ له فيها فى مرض موته:

إن كان منزلتى فى الحب عندكم ... ماقد رأيت فقد ضيعت أيامى

(قوله أى لاأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ممن أسلم وجهه) أى نفسه وذاته وعبر عنها بالوجه لأنه أشرف أعضاء الانسان (قوله وهومحسن) الجملة حال من ضمير أسلم.

(قوله واتبع) إما عطف لازم على ملزوم أو علة على معلول أو حال ثانية ، والقصد بذلك إقامة الحجة على المشركين جميعا فى عدم اتباعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم لأن إبراهيم متفق على مدحه حتى من اليهود والنصارى فالمعنى ماتقولون فيمن اتبع ملة إبراهيم فيقولون لاأحد أحسن منه فيقال لهم إن محمدا على ملة إبراهيم فلم لم تتبعوه وتتركوا ماأنتم عليه من عبادة غير الله (قوله حال) أى إما من ضمير اتبع أومن إبراهيم ولصحة هذين المعنيين أجمل المفسر فى الحال (قوله خالص المحبة له) أى لم يجعل فى قلبه غير محبة ربه لتخللها فى حشاشته وانطباعها فى مهجته وقوله : واتخذ الله إبراهيم خليلا كالدليل لما قبله أى من اتخذه الله خليلا فهو جدير بأن تتبع ملته (قوله ولله مافى السموات ومافى الأرض) هذا دليل لما تقدم أى حيث كانت السموات ومافيها والأرض ومافيها لله وحده ولامشارك له فى شئ من ذلك فما معنى إشراك من لايملك لنفسه شيئا مع من له جميع المخلوقات وهو آخذ بناصيتها ، وقيل أتى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن اتخاذ إبراهيم خليلا عن احتياج كما هو شأن الآدميين بل ذلك من فضله وكرمه (قوله علما وقدرة) أشار بذلك لقولين فى تفسير قوله محيطا قيل علما وقيل قدرة وكل صحيح (قوله أى لم يزل) أشار بذلك إلى أن كان للاستمرار لاللانقطاع (قوله يطلبون منك الفتوى) أى بيان ماحكم الله به فى شأنهن والفتوى بالواو فتفتح الفاء وبالياء فتضم وجمعها فتاوى بكسر الواو ويجوز الفتح للخفة (قوله فى شأن النساء) أى مايتعلق بهن من دفع المهر لهن وعدم إيذائهن (قوله وميراثهن) عطف خاص ردا على من كان يمنعه من الجاهلية (قوله يفتيكم) أى يبين لكم تلك الأحكام (قوله ومايتلى عليكم) يحتمل أن مامعطوف على لفظ الجلالة أو على الضمير المستتر فى يفتيكم والفاصل موجود وهو الكاف لقول ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل
أو فاصل ما ، وعلى كل فيكون المفتى اثنين

(وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ) الموافقة لملة الاسلام (حَنِيفاً) حال أى مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) صفيًّا خالص المحبة له (وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيداً (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُحِيطًا) علما وقدرة أى لم يزل متصفا بذلك (وَيَسْتَفْتُونَكَ) يطلبون منك الفتوى (فِى) شأن (النِّسَاءِ) وميراثهن (قُلِ) لهم (اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ) القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضاً (فِى يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ) فرض (لَهُنَّ) من الميراث (وَتَرْغَبُونَ) أيها الأولياء عن (أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) ،

الله سبحانه وتعالى وكتابه والتغاير بالاعتبار فالمعنى يفتيكم بنفسه على لسان نبيه وبكتابه على لسان نبيه فتأمل وفيه مزيد اعتناء بتلك الفتوى (قوله من آية الميراث) أى وهى قوله تعالى : يوصيكم الله فى أولادكم الآيات وكذلك الوصية التى تقدمت فى أوائل السورة كقوله : وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، فالمناسب للمفسر أن لايقتصر على آية الميراث (قوله ويفتيكم أيضا) أشار بذلك إلى أن قوله فى يتامى النساء متعلق بمحذوف معطوف على الضمير فى قوله فيهن والعاطف محذوف ، التقدير الله وكتابه يفتيكم فى شأن النساء عموما والله وكتابه يفتيكم فى يتامى النساء فهو من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بشأنهن (قوله فى يتامى النساء) الاضافة على معنى من أى اليتامى من النساء أو من إضافة الصفة للموصوف أى النساء اليتامى (قوله من الميراث) أى وباقى الحقوق كالمهور (قوله عن أن تنكحوهن) معلوم أن حذف الجار مع أن وأن مطرد وانما قدر عن إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الزهد فتتعدى بعن وبعضهم قدر فى إشارة إلى أن الرغبة بمعنى الحب والمعنى تحبون وترغبون فى نكاحهن لمالهن ولولا ذلك ماتزوجتموهن وهو مذموم أيضا بل الواجب تقوى الله فيهن فان أكل مال اليتيم فيه الوعيد الشديد فضلا عن كون اليتيم امرأة لاناصر لها روى مسلم عن عائشة قالت : هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى جمالها ومالها ويريد أن ينقص صداقها فنهوا عن نكاحهن إلا أن يقسطوا لهن فى إكمال الصداق وأمروا بنكاح من سواهن ، قالت عائشة رضى الله عنها فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عزوجل : ويستفتونك فى النساء إلى قوله : وترغبون أن تنكحوهن ، فبين لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال رغبوا فى نكاحها ولم يلحقوها بسنتها فى إكمال الصداق وإذا كانت مرغوبا عنها فى قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها ، قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها إلا أن يقسطوا لها ويعطوها حقها الأوفى من الصداق وقد تقدم بسط ذلك أول السورة .

(قوله لدمامتهن) أي قبحهن (قوله وتعضلوهن) أي تمنعوهن وهذا التخويف للأولياء كما هو مقتضى المفسر وفي الحقيقة هو عام للأولياء ومن يتزوج بها فتخويف الولي من حيث عضلهن عن الزواج لأخذ مالهن وتخويف الزوج من حيث تزوجها لأخذ مالها أو بغير مهر مثلها وعدم إعطائها إياه و بالجملة فلا يجوز لولي ولا زوج أكل مال اليتيم ميراثا أو مهرا (قوله والمستضعفين) معطوف على يتامى عطف عام على خاص (قوله من الولدان) أي ذكورا أو إناثا وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقا ولا النساء وإنما كانوا يقولون لا نورث إلا من يحمي الحوزة ويذب عن الحرم فيحرمون المرأة والصبي (قوله وأن تقوموا لليتامى) معطوف على قوله في يتامى من عطف العام أيضا ويصح نصبه باضمار فعل وهو الذي مشى عليه المفسر بقوله ويأمركم وهو خطاب للأولياء والحكام، والمراد باليتامى مطلقا ذكورا أو إناثا (قوله من خير) بيان لما (قوله مرفوع بفعل يفسره خافت) أي فهو من باب الاشتغال ولا يصح جعله مبتدأ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقديرا ونظيره وإن أحد من المشركين استجارك (قوله خافت) الخوف توقع الأمر المكروه فقوله توقعت أي انتظرته (قوله زوجها) أي ويقال له سيد أيضا قال تعالى - وألفيا سيدها - والسيد والبعل مختصان بالرجل والزوج كما يطلق على الرجل يطلق على المرأة (قوله بترك مضاجعتها) الباء سببية والمراد بالترك التقليل

من ذلك (قوله والتقصير في نفقتها) أي التقليل منها مع كونه لم يكن ترك الحقوق الواجبة وإلا فصالحه بالمال على ترك الحقوق الواجبة يحرم عليه ولا يحل له أخذه مع أن الموضوع أنه لا جناح عليه ولا عليها فيه فتأمل (قوله وطموح عينه) أي تلفته ونظره إلى غيرها (قوله إلى أجمل منها) أي ولو بحسب ما اعتقده (قوله أو إعراضا) معطوف على نشوزا، والمراد بالاعراض عنها بوجهه عدم البشاشة معها ولقاؤها بوجه عبوس

قال الشاعر: وللغدر عين لن تزال عبوسة وعين الرضا مصحوبة بالتبسم (قوله فلا جناح عليهما) أي لا إثم (وإن في ذلك على المرأة إذا صالحته على ترك القسم أو النفقة أو الكسوة ولا على الرجل في قبول ذلك منها ونفي الجناح عن الرجل ظاهر لأنه يأخذ منها شيئا فهو مظنة الجناح وأما نفي الجناح عن المرأة فمن حيث دفع ذلك لأنه ربما يقال إنه كالربا فانه حرام على الدافع والآخذ (قوله فيه إدغام التاء) أي بعد قلبها صادا وتسكينها (قوله وفي قراءة يصلحا) أي وهي سبعية أيضا، وقوله صلحا مفعول مطلق على كلا القراءتين ويصح على القراءة الثانية جعله مفعولا به إن ضمن يصلحا معنى يوفقا، وقوله بينهما حال من قوله صلحا لأنه نعت نكرة قدم عليها وأقحمه إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون ذلك الصلح سرا لا يطلع عليه إلا أهلهما (قوله بأن تترك له شيئا) أي مما لها عليه من الحقوق كالنفقة والكسوة والمبيت (قوله فان رضيت بذلك) جواب الشرط محذوف تقديره لزمها ذلك (قوله والصلح خير) هذه الجملة كالتي بعدها معترضة بين جملة الشرط الأولى والثانية، وقوله خير اسم تفضيل والمفضل عليه محذوف قدره المفسر بقوله من الفرقة. لا يقال الفرقة لا خير فيها إلا أن يقال قد يكون في الفرقة خير أيضا لكنه متوهم، وأما خيرية الصلح فمحققة وقيل إنه ليس على بابه بل المعنى الصلح خير من الخيور كما أن النشوز شر من الشرور (قوله وأحضرت الأنفس الشح) الأنفس نائب فاعل أحضرت مفعول أول والشح مفعول ثان، والمعنى أحضر الله الأنفس الشح أي جبلها عليه فمتى تعلقت الأنفس بشيء فلا ترجع عنه إلا بمشقة (قوله والمعنى) أي المراد من الآية وفي ذلك ترغيب في الصلح وترك هوى النفس،

لدمامتهن وتعضلوهن أن يتزوجن طمعا في ميراثهن، أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك (وَ) في (الْمُسْتَضْعَفِينَ) الصغار (مِنَ الْوِلْدَانِ) أن تعطوهم حقوقهم (وَ) يأمركم (أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ) بالعدل في الميراث والمهر (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا) فيجازيكم به (وَإِنِ امْرَأَةٌ) مرفوع بفعل يفسره (خَافَتْ) توقعت (مِنْ بَعْلِهَا) زوجها (نُشُوزًا) ترفعا عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها (أَوْ إِعْرَاضًا) عنها بوجهه (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَّالَحَا) فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي قراءة يصلحا من أصلح (بَيْنَهُمَا صُلْحًا) في القسم والنفقة بأن تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها (وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) من الفرقة والنشوز والاعراض، قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان (وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ) شدة البخل، أي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه والمعنى أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها،

(وَإِنْ تُحْسِنُوا) عشرة النساء (وَتَتَّقُوا) الجور عليهن (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به (وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا) تسووا (بَيْنَ النِّسَاءِ) في المحبة (وَلَوْ حَرَصْتُمْ) على ذلك (فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ) إلى التي تحبونها في القسم والنفقة (فَتَذَرُوهَا) أي تتركوا الممال عنها (كَالْمُعَلَّقَةِ) التي لا هي أيم ولا ذات بعل (وَإِنْ تُصْلِحُوا) بالعدل في القسم (وَتَتَّقُوا) الجور (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لما في قلبكم من الميل (رَحِيمًا) بكم في ذلك (وَإِنْ يَتَفَرَّقَا) أي الزوجان بالطلاق (يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا) عن صاحبه (مِنْ سَعَتِهِ) أي فضله بأن يرزقها زوجا غيره ويرزقه غيرها (وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا) لخلقه في الفضل (حَكِيمًا) فيما دبره لهم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (مِنْ قَبْلِكُمْ) أي اليهود والنصارى (وَإِيَّاكُمْ) يا أهل القرآن (أَنِ) أي بأن (اتَّقُوا اللَّهَ) خافوا عقابه بأن تطيعوه (وَ) قلنا لهم ولكم (إِنْ تَكْفُرُوا) بما وصيتم به (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقا وملكا وعبيدا فلا يضره كفركم (وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا) عن خلقه وعبادتهم (حَمِيدًا) محمودا في صنعه بهم (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) كرره تأكيدا لتقرير موجب التقوى (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) شهيدا بأن ما فيهما له (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) يا (أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ) بدلكم (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا. مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) لمن أراده لا عند غيره فلم يطلب أحدهما الأخس وهلا طلب الأعلى باخلاصه له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده (وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ) قائمين (بِالْقِسْطِ) بالعدل (شُهَدَاءَ) بالحق (لِلَّهِ،

(قوله عشرة النساء) قدره إشارة إلى أن مفعول تحسنوا محذوف (قوله بما تعملون) أي بعملكم مع النساء خيرا أو شرا (قوله في المحبة) أي والمحادثة والمضاجعة (قوله فلا تميلوا كل الميل) أي فلا تعرضوا كل الأعراض بل يلزمكم العدل في المبيت وتركه حرام لما في الحديث «من لم يعدل بين نسائه جاء يوم القيامة وشقه ساقط» وأما الميل القلبي إلى إحداها فلا حرج فيه ولذا قال عليه الصلاة والسلام «اللهم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك» (قوله الممال عليها) على بمعنى عن أي الممال عنها بمعنى المبغوضة (قوله كالمعلقة) الكاف بمعنى مثل مفعول ثان لتذروا والهاء مفعول أول لأنها إذا كانت بمعنى ترك تنصب مفعولين (قوله التي لا هي أيم) الأيم هي التي لا زوج لها كان سبق لها زواج أو لم تزوج أصلا (قوله وإن يتفرقا) مقابل قوله فلا جناح عليهما أن يصالحا (قوله بأن يرزقها زوجا غيره) أي وإن كان لأحدهما عشق في الآخر يغنيه الله بأن يرد قلبه من ذلك (قوله في الفضل) متعلق بواسعا (قوله ولله ما في السموات الخ) هذا كالعلة والدليل لقوله وكان الله واسعا حكيما (قوله فلا يضره كفركم) أي فليس أمرهم بالطاعة عن احتياج تنزه الله عن أن يصل له نفع من طاعتهم أو ضرر من كفرهم وهذا هو جواب الشرط، وقوله فإن لله ما في السموات وما في الأرض دليل الجواب (قوله إن يشأ يذهبكم) أي يستأصلكم بالمرة، وقوله ويأت بآخرين أي بقوم آخرين دفعة مكانكم (قوله من كان يريد ثواب الدنيا) جواب الشرط محذوف تقديره فقد ساء عمله وخاب نظره، وقوله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة مرتب على محذوف التقدير فلا يقصر نظره وطلبه على أحدهما فعند الله الخ (قوله لمن أراده) متعلق بقوله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وهذا معنى قوله تعالى — فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق — الآية (قوله وهلا طلب الأعلى باخلاصه) أي فالواجب على المكلف أن لا يطلب بعمله الصالح إلا الآخرة لأن الدنيا مضمونة لكل حيوان (قوله يا أيها الذين آمنوا) قيل سبب نزولها أن غنيا وفقيرا اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى أن الفقير لا يظلم الغني فنزلت الآية فالخطاب للنبي وأمته (قوله قائمين) هذا بيان لأصل المادة وإلا فالمراد مديمين القيام لأن صيغة المبالغة لا تتحقق إلا بالدوام على القيام بالقسط يقال قسط يقسط: جار وعدل، والمراد هنا العدل بقرينة المقام، وأما أقسط فمعناه عدل لا غير واسم الفاعل من الأول قاسط ومن الثاني مقسط، وقوله شهداء خبر ثان لكونوا والواو اسمها وقوامين خبر أول (قوله بالحق) أي لا بالباطل فلا تجوز الشهادة به، وقوله لله أي لمحض وجهه لا لغرض آخر .

(وَلَوْ) كانت الشهادة (عَلَى أَنْفُسِكُمْ) فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه (أَوِ) على (الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ) المشهود عليه (غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا) منكم وأعلم بمصالحهما (فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى) في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رحمة له لـ(أَنْ) لا (تَعْدِلُوا) تميلوا عن الحق (وَإِنْ تَلْوُوا) تحرفوا الشهادة وفي قراءة بحذف الواو الأولى تخفيفاً (أَوْ تُعْرِضُوا) عن أدائها (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) فيجازيكم به (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا) داوموا على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن (وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ) على الرسل بمعنى الكتب وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الحق (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) بموسى وهم اليهود (ثُمَّ كَفَرُوا) بعبادة العجل (ثُمَّ آمَنُوا) بعده (ثُمَّ كَفَرُوا) بعيسى (ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا) بمحمد (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ) ما أقاموا عليه (وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا) طريقاً إلى الحق ،

(بشر)

(قوله ولو على أنفسكم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لكان المحذوفة لأن حذف كان مع اسمها بعد لو كثير . قال ابن مالك :

ويحذفونها ويبقون الخبر ... وبعد إن ولو كثيرا ذا اشتهر

أي هذا إذا كانت الشهادة على الغير بل ولو على النفس (قوله بأن تقروا بالحق) أي فالمراد بالشهادة الاقرار ، ويحتمل أن تكون الشهادة على حقيقتها وهي الاخبار عن الغير بأمر كأن يكون شاهدا على ابنه مثلا بحق فالواجب أداؤها ولو حصل منها ضرر للنفس (قوله أو الوالدين) في حيز المبالغة ولاعبرة بغضبهما حينئذ إذا كان الولد شاهدا عليهما بحق (قوله إن يكن المشهود عليه) أي من الوالدين والأقربين والأجانب (قوله فالله أولى بهما) استشكل تثنية الضمير مع كون العطف بأو . وأجيب بأن الضمير ليس عائدا على الغني والفقير المتقدمين بل هو عائد على جنسهما المدلول عليه بالمذكورين ويدل على ذلك قراءة أبي: فالله أولى بهم . وأجيب أيضا بأن أو للتقسيم للمشهود له والمشهود عليه لأنهما إما أن يكونا غنيين أو فقيرين أو المشهود له غنيا والمشهود عليه فقيرا أو بالعكس فالضمير في الحقيقة عائد على المشهود له والمشهود عليه . وقد يجاب أيضا بأن أو بمعنى الواو (قوله لرضاه) أي الغني فربما واساكم ، وقوله بأن تحابوا تصوير للمنفي (قوله لأن لاتعدلوا) تعليل للنهي لأن من اتبع الهوى فقد اتصف بالجور ومن ترك اتباعه فلا يتصف به فيصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل أن لا يحصل منكم جور وهذا مامشى عليه المفسر من أن العدل بمعنى الجور فاحتاج إلى تقدير لا ، وقال في الكشاف إن العدل ضد الجور وعليه فليس فيه تقدير لا ويصير المعنى انتهوا عن اتباع الهوى لأجل اتصافكم بالعدل وكل صحيح والثاني أقرب لعدم الكلفة (قوله تحرفوا الشهادة) أي بأن يشهد على خلاف مايعلم من الدعوى (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا وأصل تلووا تلويون استثقلت الضمة على الياء فنقلت للواو قبلها بعد سلب حركتها فحذفت الياء التي هي لام الكلمة وحذفت النون للجازم فصار وزنه تفعوا وعلى القراءة الثانية حذفت عين الكلمة التي هي الواو الأولى بعد نقل ضمتها إلى اللام فصار وزنه تفوا وفيه إجحاف لأنه لم يبق إلا فاؤها (قوله أو تعرضوا) أي بأن تنكروها من أصلها فالعطف مغاير خلافا لمن قال بالترادف (قوله فإن الله) دليل الجواب والجواب محذوف تقديره يعاقبكم على ذلك لأن الله كان بما تعملون خبيرا (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) ذكر هذه الآية بعد الأمر بالعدل من ذكر السبب بعد المسبب لأن الايمان سبب للعدل (قوله داوموا الخ) دفع بذلك مايقال إن فيه تحصيل الحاصل والمعنى داوموا على الايمان بفعل الطاعات لأن فعلها يزيد في الايمان ولا تكونوا ممن بدل وغير ممن سيأتي ذكرهم والتشنيع عليهم (قوله بمعنى الكتب) أي فأل للجنس (قوله في الفعلين) أي نزل وأنزل وفاعل الانزال هو الله تعالى (قوله ومن يكفر بالله وملائكته) أي بشيء من ذلك بأن أنكر صفة من صفات الله أو سب ملائكته أو أنكر الكتب السماوية أو سب رسله أو أنكر رسالتهم أو لم يصدق باليوم الآخر فالكفر بواحد من هذه المذكورات كاف في استحقاق الوعيد لأن الايمان بكل واحد أصل من أصول الدين (قوله بعده) أي بعد رجوعه إليهم من المناجاة (قوله ما أقاموا عليه) أي مدة إقامتهم عليه ودفع بذلك مايقال إن ظاهر الآية يقتضي عدم المغفرة لهم ولو تابوا فأفاد أن عدم المغفرة لهم مقيد بمدة إقامتهم على الكفر أما إن تابوا ورجعوا عنه فإن الله يقبل توبتهم

(بَشِّرِ) أخبر يا محمد (الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو عذاب النار (الَّذِينَ) بدل أو نعت للمنافقين (يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) لما يتوهمون فيهم من القوة (أَيَبْتَغُونَ) يطلبون (عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ) استفهام إنكارى أى لايجدونها عندهم (فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) فى الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه (وَقَدْ نَزَّلَ) بالبناء للفاعل والمفعول (عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ) القرآن فى سورة الأنعام (أَنْ) مخففة واسمها محذوف أى أنه (إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ) أى الكافرين والمستهزئين (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا) إن قعدتم معهم (مِثْلُهُمْ) فى الاثم (إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) كما اجتمعوا فى الدنيا على الكفر والاستهزاء (الَّذِينَ) بدل من الذين قبله (يَتَرَبَّصُونَ) ينتظرون (بِكُمْ) الدوائر (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ) ظفر وغنيمة (مِنَ اللَّهِ قَالُوا) لكم (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) فى الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة (وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ) من الظفر عليكم (قَالُوا) لهم (أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ)

قال تعالى – قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف – وخبر كان فى الآية محذوف وهو متعلق اللام تقديره لم يكن الله مريدا ليغفر لهم والفعل منصوب بأن مضمرة بعد هذه اللام لأنها لام الجحود والفعل فى تأويل مصدر معمول لمريدا التقدير لم يكن الله مريدا غفران كفرهم (قوله بشر) البشارة فى الأصل هى الخبر السار سمى بذلك لأنه يغير البشرة : أى الجلد (قوله أخبر) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة هنا مطلق الاخبار وسماه بشارة تهكما بهم وإشارة إلى أن وعيدهم بالعذاب لايتخلف كما أن وعد المؤمن بالخير لايتخلف وفى الكلام استعارة تبعية حيث شبهت النذارة بالبشارة واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من البشارة بشر بمعنى أنذر والجامع التأثر فى كل لأن من سمع الخبر الضار تأثر به ومن سمع الخبر السار تأثر به (قوله المنافقين) أى وهم الذين يسرون الكفر ويظهرون الاسلام . والنفاق قسمان : عملى واعتقادى ، فالعملى أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله « إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » والاعتقادى هو إظهار الاسلام وإخفاء الكفر (قوله أولياء) أى أصحابا يوالونهم ويستعزون بهم لزعمهم أن الكفار لهم اليد العليا وأن الاسلام سيهدم لقلة أهله (قوله استفهام إنكارى) أى بمعنى النفى (قوله إلا أولياؤه) أى المؤمنون ، قال تعالى – ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون – (قوله وقد نزل عليكم) أى يأيها المؤمنون والذى نزل هو قوله تعالى – وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره – وهذا نزل بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون فى القرآن ويستهزئون به ، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة صار اليهود يفعلون مثل المشركين وكان المنافقون يجلسون إليهم ويسمعون منهم الخوض ويستهزئون معهم ، فنهى الله تعالى المؤمنين عن مجالستهم والقعود معهم (قوله بالبناء للفاعل) أى والفاعل ضمير يعود على الله تعالى وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعوله وهذا على كونه مشددا وقرئ بالبناء للفاعل مخففا فأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل وقوله والمفعول : أى مشددا وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل (قوله يكفر بها) أى إما من غير استهزاء وهو الواقع من المشركين واليهود أو مع الاستهزاء وهو الواقع من المنافقين (قوله أى الكافرين) أى كالمشركين واليهود وقوله والمستهزئين : أى وهم المنافقون وسموا مستهزئين لقولهم إذا خلوا بشياطينهم إنا معكم إنما نحن مستهزئون (قوله فى حديث غيره) أى غير الحديث المتقدم من الكفر والاستهزاء (قوله إنكم إذا مثلهم) أى مشاركون لهم فى الاثم ، قال بعضهم :

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه

(قوله فى الاثم) أى كفرا أو غيره فالراضى بالكفر كافر والراضى بالمحرم عاص وبالجملة فجليس الطائع مثله وجليس العاصى مثله (قوله إن الله جامع المنافقين الخ) هذا كالعلة والدليل لقوله إنكم إذا مثلهم (قوله من الذين قبله) أى وهو قوله الذين يتخذون الكافرين أولياء والأحسن أنه نعت ثان للمنافقين (قوله فان كان لكم فتح) أى بأن كانت الغلبة للمؤمنين والخذلان للكفار (قوله من الظفر عليكم) أى كما وقع فى أحد (قوله ألم نستحوذ) الاستحواذ الاقتدار والاستيلاء .

(قوله فأبقينا عليكم) أى رفقنا بكم ورحمناكم (قوله فلنا عليكم المنة) أى فأعطونا نصيبا من الدنيا فهم لاحظ لهم بغير أخذ المال (قوله بالاستئصال) دفع بذلك مايقال إن الكفار بالمشاهدة لهم سبيل على المؤمنين فى الدنيا . فأجاب المفسر بأن معنى ذلك أن الكفار لايستأصلون المؤمنين . ويجاب أيضا بأن المراد فى القيامة فلا يطالبونا بشئ يوم القيامة أو المراد سبيلا بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة إلى يوم القيامة فمن ذلك أن الكافر لايرث المسلم وليس له أن يملك عبدا مسلما ولا يقتل المسلم بالذمى (قوله يخادعون الله) أى رسوله وهذا بيان لبعض قبائحهم (قوله باظهارهم خلاف ما أبطنوه) أى من إظهار الايمان و إخفاء الكفر (قوله فيفتضحون فى الدنيا) أى و يفتضحون فى الآخرة أيضا لما روى أنه يوم القيامة حين يمتاز الكفار من المؤمنين تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيتجلى الله لهم فيخر المؤمنون سجدا والمنافقون تصير ظهورهم طبقا فلايستطيعون السجود وروى أنهم يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم و يبقى نور المؤمنين فينادون المؤمنين

نستول (عَلَيْكُمْ) ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم (وَ) ألم (نَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم فلناعليكم المنة قال تعالى (فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) و بينهم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار (وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً) طريقا بالاستئصال (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ) باظهارهم خلاف ماأبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية (وَهُوَ خَادِعُهُمْ) مجازيهم على خداعهم فيفتضحون فى الدنيا باطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون فى الآخرة (وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ) مع المؤمنين (قَامُوا كُسَالَى) متثاقلين (يُرَاءُونَ النَّاسَ) بصلاتهم (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ) يصلون (إِلَّا قَلِيلاً) رياء (مُذَبْذَبِينَ) مترددين (بَيْنَ ذَٰلِكَ) الكفر والايمان (لَا) منسوبين (إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ) أى الكفار (وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ) أى المؤمنين (وَمَنْ يُضْلِلِ) ه (اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً) طريقا إلى الهدى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ) بموالاتهم (سُلْطَانًا مُبِينًا) برهانا بينا على نفاقكم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ) المكان (الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) وهو قعرها (وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) مانعا من العذاب (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) من النفاق (وَأَصْلَحُوا) عملهم (وَاعْتَصَمُوا) وثقوا (بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) من الرياء (فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) فيما يؤتونه (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) فى الآخرة هو الجنة (مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ) نعمه ،

(وآمنتم)

انظرونا نقتبس من نوركم وهو معنى قوله تعالى ــ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ــ الآية (قوله كسالى) أى لعدم الداعية فى قلوبهم وهو نصب على الحال والكسل الفتور والتوانى وقوله يراءون الناس أى النبى وأصحابه ، والمعنى أنهم يقصدون بصلاتهم النجاة من النبى وأصحابه والجملة حال من كسالى (قوله يصلون) إنما سميت الصلاة ذكرا لأنها اشتملت عليه (قوله مذبذبين) حال من فاعل يراءون وحقيقة الذبذب مايذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد أخرى وقد أفاده المفسر بقوله مترددين (قوله لاإلى هؤلاء الخ) متعلق فى الموضعين بمحذوف حال من مذبذبين قدره المفسر بقوله منسوبين (قوله أى الكفار) أى فيقتلون و يترتب عليهم أحكامه وقوله أى المؤمنين أى فينجون فى الدنيا والآخرة (قوله ياأيها الذين آمنوا) خطاب للمؤمنين الخاص (قوله لاتتخذوا الكافرين) أى كما فعل المنافقون فترتب عليه الوعيد العظيم فاحذروا ذلك (قوله أتريدون) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى لاتريدون ذلك (قوله فى الدرك الأسفل) الدركات بالكاف منازل أهل النار والدرجات بالجيم منازل أهل الجنة (قوله وهو قعرها) أى لأنها سبع طبقات العليا لعصاة المؤمنين وتسمى جهنم والثانية لظى للنصارى والثالثة الحطمة لليهود والرابعة السعير للصابئين والخامسة سقر للمجوس والسادسة الجحيم للمشركين والسابعة الهاوية للمنافقين وفرعون وجنوده لقوله تعالى ــ أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ــ (قوله إلا الذين) استثناء من قوله إن المنافقين (قوله مايفعل الله بعذابكم) ما استفهامية والباء سببية والاستفهام إنكارى بمعنى النفى : أى لايفعل بعذابكم شيئا حيث حسنت توبتكم

ويصح أن تكون ما نافية والباء زائدة ومدخولها مفعول لقوله يفعل ، والمعنى مايفعل عذابكم أى لايعذبكم حين صدقت التوبة فالمآل فى المعنيين واحد (قوله وآمنتم) عطف خاص على عام أومسبب على سبب لأن الشكر سبب فى الايمان فإن الانسان إذا تذكر نعم الله حملته على الايمان (قوله لايحب الله الجهر بالسوء) هذا مرتب على ماتقدم من ذكر أحوال المنافقين أى فلا تتوهم أيها العاقل من تقبيح الله لبعض عبيده أنه يجوز لكل أحد التقبيح لمن علم منه سوءا أوظنه فيه ، وسبب نزولها أن رجلا استضاف قوما فلم يحسنوا ضيافته فلما خرج تكلم فيهم جهرا بسوء ، وقيل إن سبب نزولها أن رجلا نال من أبى بكر والنبى صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه مرارا ثم رد عليه فقام النبى صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يارسول الله شتمنى فلم تقل شيئا حتى إذا رددت عليه قمت فقال له إن ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت فنزلت . وقوله بالسوء هو اسم جامع لكل فحش كالبر فانه اسم جامع لكل خير وقوله من القول بيان للجهر بالسوء ومثل القول الفعل فلا مفهوم للجهر ولا للقول وإنما خصا لأنهما سبب النزول ولكونهما الغالب (قوله من أحد) قدره إشارة إلى أن فاعل المصدر محذوف وهو من المواضع التى ينقاس فيها حذف الفاعل وقد جمعها بعضهم بقوله :

عند النيابة مصدر وتعجب ومفرغ ينقاس حذف الفاعل

(قوله أى يعاقب) دفع بذلك مايقال إن الحب والبغض معنى قائم بالقلب وهو مستحيل على الله تعالى . فأجاب بأن المراد لازمه وهو العقاب لأن من غضب من أحد عاقبه ، ودخل فى الجهر بالسوء التعريض والسخرية به والغيبة والنميمة

(وَآمَنْتُمْ) به والاستفهام بمعنى النفى ، أى لايعذبكم (وَكَانَ اللهُ شَاكِراً) لأعمال المؤمنين بالاثابة (عَلِيماً) بخلقه (لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ) من أحد ، أى يعاقب عليه (إِلَّا مَنْ ظُلِمَ) فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه (وَكَانَ اللهُ سَمِيعاً) لما يقال (عَلِيماً) بما يفعل (إِنْ تُبْدُوا) تظهروا (خَيْراً) من أعمال البر (أَوْ تُخْفُوهُ) تعملوه سرا (أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ) ظلم (فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيراً. إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ) بأن يؤمنوا به دونهم (وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ) من الرسل (وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ) منهم (وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ) الكفر والإيمان (سَبِيلاً) طريقاً يذهبون إليه (أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً) ذا إهانة هو عذاب النار ،

قال تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم ـ الآية وقال تعالى ـ ولا يغتب بعضكم بعضا ـ إلى غير ذلك، وفى الحديث «إن الرجل ليتكلم بالكلمة الواحدة يهوى بها فى النار سبعين خريفا» (قوله بأن يخبر عن ظلم ظالمه) أى لمن ينصفه بأن يقول شتمنى أو غصبنى أو أخذ مالى أو ضربنى مثلا (قوله ويدعو عليه) أى بدعاء جائز مثل اللهم خلص حقى منه أو جازه أوانتقم ممن ظلمنى أوخذ لى بثأرى منه ولايجوز الدعاء على الظالم بسوء الخاتمة على المعتمد ولو بلغ فى الظلم مهما بلغ ولابخراب دياره أوهلاكه مثلا والصبر وعدم الدعاء أجمل وهومقام عظيم ولذا أمر به صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل وقوله إلا من ظلم أى مثلا ومثله المستفتى والمستغيث والمحذر والمعرف والمتجاهر ، وقد جمعها بعضهم بقوله :

تظلم واستغث واستفت حذر وعرف بدعة فسق المجاهر

وجمعت أيضا فى قول بعضهم : لقب ومستفت وفسق ظاهر متظلم ومعرف ومحذر

(قوله لما يقال) أى من الظالم والمظلوم وقوله بما يفعل أى من الظالم والمظلوم (قوله من أعمال البر) أى كالصلاة والصدقة وفعل المعروف وحسن الظن (قوله أوتعفوا عن سوء) هذا هو محط الفائدة بدليل قوله فان الله كان عفوا قديرا وهذا بيان للخلق الكامل فالعفو والمسامحة أجل وأعلى من الانتصار (قوله فان الله الخ) دليل الجواب والجواب محذوف تقديره يعف عنكم (قوله ويريدون أن يفرقوا الخ) عطف سبب على مسبب أى فكفرهم بالتفرقة لاباعتقاد الشريك لله مثلا (قوله من الرسل) أى كموسى وعيسى (قوله ونكفر ببعض) أى كمحمد (قوله طريقا يذهبون إليه) أى واسطة بين الايمان والكفر وهو الايمان ببعض الأنبياء والكفر ببعض (قوله مصدر مؤكد) أى وعامله محذوف ويقدر مؤخرا عن الجملة المؤكدة لها تقديره أحقه حقا نظير زيد أبوك عطوفا . قال ابن مالك :

وإن تؤكد جملة فمضمر عاملها ولفظها يؤخر

و يصح أن يكون حالا من قوله هم الكافرون أى حال كون كفرهم حقا أى لاشك فيه (قوله والذين امنوا) مقابل قوله إن الذين يكفرون وقوله ولم يفرقوا مقابل قوله ويريدون أن يفرقوا (قوله بين أحد منهم) أى فى الايمان بأن يؤمنوا بجميعهم (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وعلى النون فيكون فيه التفات من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله يسئلك) أى سؤال تعنت وعناد فلذا لم يبلغهم الله مرادهم ولو كان سؤالهم لطلب الاسترشاد لأجيبوا (قوله اليهود) أى أحبارهم (قوله أن تنزل عليهم كتابا من السماء) أى فقالوا إن كنت نبيا فائتنا بكتاب محرر بخط سماوى فى ألواح كما أنزلت التوراة (قوله تعنتا) مفعول لأجله أى فالحامل لهم على السؤال التعنت والعناد لا الاسترشاد و إلا لأجيبوا (قوله فان استكبرت ذلك) قدره إشارة إلى أن قوله فقد سألوا موسى جواب شرط محذوف والمعنى إن استعظمت سؤالهم فقد وقع من أصولهم ماهو أعظم من ذلك (قوله أى آباؤهم) أى و إنما نسب السؤال لهم لأنهم راضون بها فكأنها وقعت منهم (قوله فقالوا) تفسير لسألوا على حد توضأ فغسل وجهه (قوله عيانا) أى معاينين له وذلك أن موسى عليه السلام اختار من قومه سبعين من بنى اسرائيل خرج معهم إلى الجبل ليستغفروا لقومهم حيث عبدوا العجل فقالوا أرنا الله جهرة (قوله فأخذتهم الصاعقة)

(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) كلهم (وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ) بالنون والياء (أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لأوليائه (رَحِيمًا) بأهل طاعته (يَسْأَلُكَ) يا محمد (أَهْلُ الْكِتَابِ) اليهود (أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ) جملة كما أنزل على موسى تعنتا فإن استكبرت ذلك (فَقَدْ سَأَلُوا) أى آباؤهم (مُوسَىٰ أَكْبَرَ) أعظم (مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً) عيانا (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) الموت عقابا لهم (بِظُلْمِهِمْ) حيث تعنتوا فى السؤال (ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ) المعجزات على وحدانية الله (فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ) ولم نستأصلهم (وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا) تسلطا بينا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ) الجبل (بِمِيثَاقِهِمْ) بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه (وَقُلْنَا لَهُمُ) وهو مظل عليهم (ادْخُلُوا الْبَابَ) باب القرية (سُجَّدًا) سجود انحناء (وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا) وفى قراءة بفتح العين وتشديد الدال وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الدال أى لا تعتدوا (فِي السَّبْتِ) باصطياد الحيتان فيه

(وأخذنا

أى ثم أحيوا بعد ذلك حين قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى (قوله ثم اتخذوا العجل) ثم للترتيب الذكرى الاخبارى (١) لأن عبادة العجل كانت قبل ذلك (قوله المعجزات) أى كالعصا واليد البيضاء والسنين وفلق البحر (قوله فعفونا عن ذلك) أى قبلنا توبتهم بقتل أنفسهم والمقصود من ذلك استدعاؤهم إلى التوبة كأنه قيل إن هؤلاء مع قبح فعلهم قبل الله توبتهم تتوبوا أنتم أيضا حتى يعفو عنكم (قوله سلطانا) أى قهرا عظيما وسلطنة جليلة (قوله فأطاعوه) أى فقتل منهم سبعون ألفا فى يوم واحد (قوله بميثاقهم) أى حين جاءهم موسى بالتوراة وفيها الأحكام فامتنعوا من قبولها فرفع الله فوقهم الطور فخافوا من وقوعه عليهم فقبلوه وسجدوا على جبينهم وأعينهم تنظر له فصار ذلك فيهم إلى الآن (قوله فيقبلوه) أى الميثاق ولاينقضوه (قوله وهو مظل عليهم) أى مرفوع عليهم والتقييد بذلك سبق قلم لأن القول لهم حين دخول القرية كان بعد مدة التيه، وتلك القرية قيل هى بيت المقدس وقيل أريحاء والقول قيل على لسان موسى وقيل على لسان يوشع بن نون وهى قرية الجبارين وأما رفع الجبل فكان قبل دخولهم التيه حين جاءتهم التوراة فلم يؤمنوا بها (قوله سجود انحناء) أى خضوع وتذلل فخالفوا ودخلوا يزحفون على أستاههم وتقدم بسط ذلك فى البقرة (قوله لاتعدوا) بسكون العين وضم الدال من عدا يعدو بمعنى جار وأصله تعدووا بضم الواو الأولى وهى لام الكلمة استثقلت الضمة عليها فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ووزنه تفعوا (قوله وفى قراءة بفتح العين) أى فأصله تعتدوا

(١) قول المحشى ثم للترتيب الذكرى الخ هكذا فى بعض النسخ وفى نسخة ثم للترتيب لأن سؤال هؤلاء السبعين كان قبل عبادة العجل وهم غير السبعين الذين اختارهم للشفاعة فى قبول توبة من عبد العجل وتقدم ذلك فى سورة البقرة فانظره .

قلبت التاء دالا ثم أدغمت فى الدال والمعنى أنهم نهوا عن الاعتداء فى السبت بصيد السمك فخالف بعضهم واصطاد وامتنع بعضهم من غير نهى للآخرين وامتنع بعضهم مع نهى من اصطاد فحل بمن اصطاد العذاب ونجا من نهى وسيأتى بسط ذلك فى سورة الأعراف (قوله ميثاقا غليظا) أى أنهم إن خالفوا عذبهم الله بأى نوع من العذاب أراده (قوله بآيات الله) أى القرآن أو كتابهم (قوله بغير حق) أى حق فى زعمهم أى فهم مقرون بأن القتل بغير وجه (قوله بل طبع الله عليها) أى غشيت وغطيت بغطاء معنوى لاحسى كما قالوا تهكما بمعنى أنهم صم بكم عمى لايهتدون للحق ولايعونه (قوله إلا قليلا) قيل إنه مستثنى من فاعل يؤمنون ورد بأن من آمن لم يطبع على قلبه والأحسن أنه مستثنى من الهاء فى قوله بل طبع الله عليها أى إلا قليلا فلم يطبع على قلوبهم (قوله ثانيا بعيسى) أى وأولا بموسى (قوله وكرر الباء) أى فى قوله وبكفرهم (قوله للفصل) أى بأجنبى وهو قوله بل طبع الله (قوله حيث رموها بالزنا) أى منكرين تعلق قدرة الله تعالى بخلق ولد من غير والد ومعتقد ذلك كافر لأنه يلزم عليه القول بقدم العالم لأن كل ولد لابد له من والد وهكذا (قوله رسول الله)

(وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) على ذلك فنقضوه (فَبِمَا نَقْضِهِم) ما زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف ، أى لعناهم بسبب نقضهم (مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ) للنبى صلى الله عليه وسلم (قُلُوبُنَا غُلْفٌ) لاتعى كلامك (بَلْ طَبَعَ) ختم (اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) فلا تعى وعظا (فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (وَبِكُفْرِهِمْ) ثانيا بعيسى ، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه (وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) حيث رموها بالزنا (وَقَوْلِهِمْ) مفتخرين (إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ) فى زعمهم ، أى بمجموع ذلك عذبناهم ، قال تعالى تكذيبا لهم فى قتله (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ) المقتول والمصلوب وهو صاحبهم بعيسى ، أى ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) أى فى عيسى (لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ) من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول : الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به ، وقال آخرون : بل هو هو (مَا لَهُم بِهِ) بقتله (مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) استثناء منقطع أى لكن يتبعون فيه الظن الذى تخيلوه (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) حال مؤكدة لنفى القتل (بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى ملكه (حَكِيمًا) فى صنعه (وَإِن) ما (مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أحد (إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ) بعيسى (قَبْلَ مَوْتِهِ) أى الكتابى حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه ،

إن قلت إنهم لم يعترفوا برسالته بل كفروا به وقالوا هو ساحر ابن ساحرة . أجيب بأنهم قالوا ذلك تهكما به نظير قول فرعون لموسى: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون ، وقول مشركى العرب فى حق محمد : ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون. وأجيب أيضا بأنه من كلامه تعالى مدحا له وتنزيها له عن مقالتهم فيكون منصوبا بفعل محذوف أى أمدح رسول الله (قوله فى زعمهم) متعلق بقوله قتلنا والمناسب حذفه لأن تكذيبهم فى القتل معلوم من قوله بعد وماقتلوه وفى نسخة فى زعمه بالافراد يكون متعلقا بقوله رسول الله وهى أولى (قوله ولكن شبه لهم) روى أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بذلك وكان له صاحب منافق فقالوا له اذهب إلى عيسى وأخرجه لنا فلما دخل دار عيسى ألقى شبهه عليه ورفع عيسى إلى السماء فلما خرج إليهم قتلوه (قوله بعيسى) متعلق بشبه وقوله عليه أى الصاحب وقوله شبهه أى شبه عيسى (قوله استثناء منقطع) أى لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم (قوله مؤكدة لنفى القتل) أى انتفى قتلهم له انتفاء يقينا لاشك فيه فيلاحظ القيد بعد وجود النفى فهو من باب تيقن العدم لامن عدم التيقن وحصله أنه نفى للقيد الذى هو اليقين والمقيد الذى هو القتل ويصح أن يكون حالا من فاعل قتلوه أى مافعلوا القتل فى حال تيقنهم له بل فعلوه شاكين فيه ، وقيل منصوب بما بعد بل من قوله بل رفعه الله إليه ، ورد بأن ماجد بل لايعمل فيما قبلها (قوله بل رفعه الله إليه) أى إلى محل رضاه وانفراد حكمه وهو السماء الثالثة كما فى الجامع الصغير أو الثانية كما فى بعض المعاريج (قوله حين يعاين ملائكة الموت) روى أن اليهودى إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا له ياعدو الله أتاك عيسى

نبيا فكذبت به فيقول آمنت بأنه عبد الله ورسوله ويقال للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله وابن الله فيقول امنت بأنه عبد الله فأهل الكتاب يؤمنون به ولكن لاينفعهم إيمانهم لحصوله وقت معاينة العذاب (قوله أو قبل موت عيسى) هذا تفسير آخر وهو صحيح أيضا والمعنى أن عيسى حين ينزل إلى الأرض مامن أحد يكون من اليهود أو النصارى أو ممن يعبد غير الله إلا آمن بعيسى حتى تصير الملة كلها إسلامية (قوله شهيدا) أي فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بأنهم اعتقدوا فيه أنه ابن الله (قوله فبظلم) الجار والمجرور متعلق بحرمنا والباء سببية (قوله هم اليهود) سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى تابوا ورجعوا عن عبادة العجل (قوله أحلت لهم) صفة لطيبات أي طيبات كانت حلالا لهم فلما حرمت عليهم صاروا يقولون لسنا بأول من حرمت عليه بل كانت حراما على من قبلنا فرد الله عليهم بقوله: كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ماحرم اسرائيل على نفسه الآية (قوله و بصدهم) هذا تفصيل لبعض أنواع الظلم وكرر الجار للفصل بين العاطف والمعطوف بقوله حرمنا ولم يكرره في قوله وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس لعدم الفاصل (قوله صدا كثيرا) أشار بذلك إلى أن كثيرا صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله صدهم ويصح أن يكون المحذوف مفعولا به والتقدير خلقا كثيرا (قوله وقد نهوا عنه) الجملة حالية (قوله بالرشا في الحكم) جمع رشوة وهي مايعطيه الشخص للحاكم ليحكم له والمقصود من ذكر هذه الأمور الاتعاظ بها و بيان أنها حرام في شرعنا أيضا ففي الحديث «كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به قالوا وما السحت قال الرشوة في الحكم» فالحاكم لايجوز له

أو قبل موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في الحديث (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ) عيسى (عَلَيْهِمْ شَهِيداً) بما فعلوه لما بعث إليهم (فَبِظُلْمٍ) أي فبسبب ظلم (مِنَ الَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) هي التي في قوله تعالى: حرمنا كل ذي ظفر الآية (وَبِصَدِّهِمْ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه صدا (كَثِيراً وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ) في التوراة (وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) بالرشا في الحكم (وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) مؤلما (لَكِنِ الرَّاسِخُونَ) الثابتون (فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ) كعبد الله ابن سلام (وَالْمُؤْمِنُونَ) المهاجرون والأنصار (يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) من الكتب (وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ) نصب على المدح وقرئ بالرفع (وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ) بالنون والياء (أَجْراً عَظِيماً) هو الجنة ،

(إنا

أن يأخذ شيئا على حكمه ومثله الضامن وذو الجاه والقرض ففي الحديث «ثلاثة لاتكون إلا لله القرض والضمان والجاه» (قوله منهم) أي وممن حذا حذوهم (قوله عذابا أليما) أي وهو الخلود في النار (قوله لكن الراسخون) استدراك على قوله وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما والمعنى من كان من اليهود وفعل تلك الأفعال المتقدمة وأصر على الكفر ومات عليه أعتدنا لهم عذابا أليما ، وأما من كان من اليهود غير أنه رسخ في العلم وآمن وعمل صالحا فأولئك سنؤتيهم أجرا عظيما والراسخون مبتدأ وفي العلم متعلق به وقوله منهم متعلق بمحذوف حال من الراسخون وقوله أولئك مبتدأ وسنؤتيهم خبره والجملة خبر الراسخون (قوله والمؤمنون) عطف على الراسخون عطف مفصل على مجمل لأن الايمان وما بعده متنوع ولازم للرسوخ في العلم فنزل التغاير الاعتباري منزلة التغاير الذاتي وهذا على أن المراد المؤمنون منهم وأما على أن المراد المؤمنون من غيرهم أو ماهو أعم فالمغايرة ظاهرة وقوله يؤمنون الخ حال من المؤمنون والراسخون (قوله بما أنزل إليك) أي وهو القرآن وهذه الصفات للايمان الكامل فلا يكون الانسان كامل الايمان حتى يتصف بجميعها (قوله نصب على المدح) أي فتكون جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وإنما نصبهم تعظيما لشأنهم وما قاله المفسر هو أحسن الأجوبة عن الآية ويصح أنه معطوف على الكاف في إليك ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء ويصح أنه معطوف على ما أنزل ويكون المراد بالمقيمين الأنبياء أو الملائكة ويصح أن يكون معطوفا على الهاء في منهم أي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين (قوله وقرئ بالرفع) أي وعليها فلا إشكال وهي شاذة وإن وردت عن كثير (قوله والمؤمنون بالله) أي المصدقون بأن الله يجب له كل كمال ويستحيل عليه كل نقص وقوله واليوم الآخر أي يصدقون بأنه حق ومايقع فيه صدق (قوله هو الجنة) أي الخلود فيها وهو مقابل قوله : وأعتدنا لهم عذابا أليما .

(قوله إنا أوحينا إليك) قيل سبب نزولها أن مسكينا وعدى بن زيد قالا يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شئ من بعد موسى وقيل هو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء جملة واحدة ، فالمعنى أنكم تقرّون بنبوّة نوح وجميع الأنبياء المذكورين فى الآية ولم ينزل على أحد من هؤلاء كتابا جملة مثل ما أنزل على موسى فعدم إنزال الكتاب جملة ليس قادحا فى نبوّتهم فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم (قوله كما أوحينا) يحتمل أن تكون ما مصدرية ، والمعنى كوحينا وأن تكون اسم موصول والعائد محذوف والتقدير كالذى أوحيناه : أى الأحكام التى أوحيناها إلى نوح الخ (قوله إلى نوح) قدّمه لأنه أوّل نبى أرسله الله لينذر الناس من الشرك، وعاش ألف سنة وخمسين عاما وهو صابر على أذى قومه لم يشب فيها ولم تنتقص قواه وهو أول الأنبياء أولى العزم وكان أبا البشر بعد آدم لانحصار الناس فى ذرّيته (قوله إلى إبراهيم) خصه بعد نوح لأن أكثر الأنبياء من ذرّيته وهو ابن تارخ ، قيل هو آزر ، وقيل هو أخوه فآزر عم إبراهيم (قوله وإسمعيل) كان نبيا ورسولا بمكة ثم لما مات نقل إلى الشام (قوله وإسحق) كان رسولا بالشام بعد إسمعيل ومات بها (قوله ابنيه) أى إبراهيم: إسماعيل من هاجر وإسحق من سارة (قوله ويعقوب) هو إسرائيل ثم يوسف ابنه ثم شعيب بن نويب ثم هود بن عبد الله ثم صالح بن أسف ثم موسى وهرون ابنا عمران ثم أيوب ثم الخضر ثم داود بن إيشا ثم سليمان بن داود ثم يونس بن متى ثم إلياس ثم ذو الكفل ، وكل نبىّ ذكر فى القرآن فهو من ولد إبراهيم غير إدريس ونوح وهود ولوط وصالح ، ولم يكن نبى من العرب إلا خمسة هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد صلى الله عليهم وسلم (قوله أولاده) أى أولاد يعقوب منهم يوسف

(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَ) كما (أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) ابنيه (وَيَعْقُوبَ) ابن إسحاق (وَالْأَسْبَاطِ) أولاده (وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا) أباه (دَاوُدَ زَبُوراً) بالفتح اسم للكتاب المؤتى وبالضم مصدر بمعنى مزبوراً أى مكتوباً (وَ) أرسلنا (رُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبىّ: أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ فى سورة غافر (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى) بلا واسطة (تَكْلِيماً . رُسُلاً) بدل من رسلا قبله (مُبَشِّرِينَ) بالثواب من آمن (وَمُنْذِرِينَ) بالعقاب من كفر أرسلناهم

نبى ورسول باتفاق وباقيهم فيه الخلاف والصحيح نبوّتهم وليسوا رسلا مشرعين ولذلك وقع منهم ما يخالف الشرع ظاهرا للمصالح التى ترتبت على تلك المخالفة وسيأتى ذلك فى سورة يوسف (قوله ويونس) أى ابن متى وفيه لغات ست بالواو والهمزة مع تثليث النون والذى قرئ به فى السبع ضم النون أو كسرها مع الواو ، وقوله وهرون : أى أخى موسى (قوله اسم للكتاب المؤتى) أى وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل هو تسبيح وتقديس وتحميد وثناء ومواعظ ، وكان داود عليه السلام يخرج إلى البرية فيقوم و يقرأ الزبور وتقوم علماء بنى إسرائيل خلفه و يقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التى فى الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطيور على رءوس الناس وهم يستمعون لقراءة داود و يتعجبون منها لأن الله أعطاه صوتا حسنا ، وقد ورد: أن أبا موسى الأشعرى كان يقرأ القرآن ليلا بصوت حسن فلما أصبح قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أعجبتنى قراءتك الليلة كأنك أعطيت مزمارا من مزامير داود ، فقال أبو موسى: لو علمت بك لحبرته لك تحبيرا (قوله وبالضم) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ورسلا قد قصصناهم عليك الخ) هذا ردّ لقول اليهود للمصطفى عليه السلام إنك لم تذكر موسى مع ما عددته من الأنبياء فهذا دليل على عدم رسالتك فردّ ذلك الله بهذه الآية وما بعدها (قوله روى أنه تعالى الخ) هذه الرواية ضعيفة فلذا تبرأ منها المفسر، والرواية المشهورة أن الأنبياء مائة ألف وفى رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر و بعد ذلك فالحق أنهم لم يبلغنا عددهم على الصحيح وإنما هى أحاديث مختلفة تقبل الطعن كما أفاده الأشياخ (قوله قاله الشيخ) أى الجلال المحلى ، وقوله فى سورة غافر : أى فى قوله تعالى ـ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ـ (قوله وكلم الله موسى) أى أزال عنه الحجاب فسمع كلام الله وليس المراد أن الله كان ساكتا ثم تكلم لأن ذلك مستحيل على الله تعالى (قوله تكليما) مصدر مؤكد لقوله كلم وإنما أكد رفعا لاحتمال المجاز لأن الله كلم موسى بكلامه الأزلى القديم من غير حرف ولا صوت ولا كيف ولا انحصار ولا يعلمه إلا الله .

(قوله لئلا يكون) هذه اللام لام كى متعلقة بمنذرين وأضمر فى الأول وحذف وهذا هو الأولى ويحتمل أنه متعلق بمحذوف تقديره أرسلناهم وعلى ذلك درج المفسر إلا أن يقال إنه حل معنى لاحل إعراب (قوله حجة) أى معذرة يعتذرون بها وسماها الله حجة تفضلا منه وكرما فأهل الفترة ناجون ولو بدلوا وغيروا . قال تعالى ــ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ــ وقال تعالى ــ ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ــ الآية ، وماورد من تعذيب بعض أفراد من أهل الفترة فأحاديث آحاد لاتقاوم القطعيات كما أفاده أشياخنا المحققون (قوله بعد الرسل) أى و إنزال الكتب ، والمعنى لو لم يرسل الله رسولا لكان للناس عذر فى ترك التوحيد فقطع الله عذرهم بإرسال الرسل والظرف متعلق بالنفى : أى انتفت حجتهم واعتذارهم بعد إرسال الرسل ، وأما قبل الارسال فكانوا يعتذرون . فان قلت كيف يكون للناس حجة قبل الرسل مع قيام الأدلة التى تدل على معرفة الله ووحدانيته كما قيل :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

أجيب بأن الله لم يكلفنا بذلك بمجرد العقل بل لابد من ضميمة الرسل التى تنبه على الأدلة وشاهده هذه الآية وقوله تعالى ــ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ــ فلذلك قال أهل السنة : إن معرفة الله لا تثبت إلا بالشرع خلافا للمعتزلة (قوله لولا أرسلت) لولا للتحضيض وهو الطلب بحث و إزعاج ولكن المراد بها هنا العرض وهو الطلب بلين ورفق (قوله عزيزا) أى غالبا قاهرا لغيره منفردا بالايجاد والاعدام وقوله (٢٤٤) حكيما : أى يضع الشىء فى محله (قوله ونزل لما سئل اليهود) أى حين قال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود « أنتم تشهدون بأنى مذكور فى كتبكم ؟ فقالوا لا نشهد بذلك وما نعلم من بشر أوحى إليه بعد موسى » وقيل إن السائل مشركو العرب حيث قالوا للنبى إنا نسأل اليهود عنك وعن صفتك فى كتابهم فزعموا أنهم لايعرفونك فنزلت والمعنى إن أنكروك وكفروا بما أنزل إليك فقد كذبوا

(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ) تقال (بَعْدَ) إرسال (الرُّسُلِ) إليهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فبعثناهم لقطع عذرهم (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى ملكه (حَكِيمًا) فى صنعه . ونزل لما سئل اليهود عن نبوته صلى الله عليه وسلم فأنكروه (لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ) يبين نبوتك (بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ) من القرآن المعجز (أَنْزَلَهُ) ملتبسا (بِعِلْمِهِ) أى عالما به أو وفيه علمه (وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ) لك أيضا (وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) على ذلك (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (وَصَدُّوا) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دين الإسلام بكتمهم نعت محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود (قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا) عن الحق (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالله (وَظَلَمُوا) نبيه بكتمان نعته (لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا) من الطرق (إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ) أى الطريق المؤدى إليها (خَالِدِينَ) مقدرين الخلود (فِيهَا) إذا دخلوها (أَبَدًا

فيما قالوا لأن الله يشهد لك بالنبوة والرسالة و يشهد بما أنزل إليك (قوله لكن الله يشهد) استدراك على ماذكر فى سبب النزول (قوله من القرآن المعجز) أى لكل مخلوق ولم ينزل كتاب معجز يتحدى به على نبى من الأنبياء غير نبينا (قوله أنزله بعلمه) أشار المفسر إلى أن الباء للملابسة أو بمعنى فى والمعنى على الأول أنزله ملتبسا بعلمه : أى وهو عالم به لأن التأليف يحسن على قدر علم مؤلفه فحيث كان هذا القرآن ناشئا عن علم الله التام المتعلق بكل شىء كان فى أعلى طبقات البلاغة فلا يمكن أحدا غيره الاتيان بشىء منه ، والمعنى على الثانى أنزله والحال أن فيه علمه : أى معلوماته الغيبية بمعنى أنه مشتمل على المغيبات وعلى مصالح الخلق وما يحتاجون إليه فحيث اشتمل على ذلك فهو شاهد صدق على أنه من عند الله و إنما خص القرآن بالذكر لأن إنكارهم وتعرضهم كان له ولأنه أكبر معجزاته (قوله وكفى بالله شهيدا) لفظ الجلالة فاعل كفى والباء زائدة وشهيدا حال ، وقوله على ذلك : أى على صحة نبوتك ، والمعنى أن شهادة الله تغنيك وتكفيك (قوله وصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس من طريق الهدى (قوله ضلالا بعيدا) أى لأنهم ضلوا فى أنفسهم وأضلوا غيرهم ومن كان هذا وصفه يبعد عنه الهدى (قوله إن الذين كفروا وظلموا) أى وهم اليهود (قوله لم يكن الله ليغفر لهم) أى مريدا ليغفر لهم حيث ماتوا على الكفر (قوله إلا طريق جهنم) استثناء متصل لأنه مستثنى من عموم الطرق والمراد بجهنم الدار المسماة الحطمة ، والمعنى أنهم لايهتدون إلى طريق الرشاد أبدا ، بل دائما أعمالهم تجرهم إلى طريق جهنم .

(قوله وكان ذلك على الله يسيرا) ردّ بذلك عليهم حيث زعموا وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ولا يهون عليه أن يعذب أحباءه (قوله أى أهل مكة) جرى على القاعدة وهو أن المخاطب بيأيها الناس أهل مكة ولكن المراد العموم (قوله بالحق) متعلق بجاء وقوله من ربكم متعلق بمحذوف حال من الحق : أى جاءكم بالحق حال كونه من ربكم (قوله واقصدوا خيرا) أشار بذلك إلى أن قوله خيرا مفعول لمحذوف ويصح أن يكون خبرا لكان المحذوفة والتقدير آمنوا يكن الإيمان خيرا وهو الأقرب (قوله مما أنتم فيه) أى وهو الكفر على حسب زعمكم أن فيه خيرا وإلا فالكفر لاخير فيه (قوله فلا يضرّه كفركم) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف ، وقوله فان لله ما فى السموات والأرض دليل الجواب (قوله حكيما فى صنعه) أى لا يصنع شيئا إلا محكما متقنا (قوله الانجيل) أى فالخطاب للنصارى فقط ويحتمل أنه خطاب لليهود والنصارى لأنّ غلو اليهود بتنقيص عيسى حيث قالوا إنه ابن زانية وغلو النصارى بالمبالغة فى تعظيمه حيث جعلوه ابن الله (قوله إلا القول الحق) أشار بذلك إلى أنه صفة لمصدر محذوف (قوله إنما المسيح عيسى ابن مريم) المسيح مبتدأ وعيسى بدل أو عطف بيان عليه وابن مريم صفته ورسول الله خبره (قوله وكلمته) أى أنه نشأ بكلمة كن من غير واسطة أب ولا نطفة ، وقوله

وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً) هينا (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ) محمد صلى الله عليه وسلم (بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا) به واقصدوا (خَيْرًا لَكُمْ) مما أنتم فيه (وَإِنْ تَكْفُرُوا) به (فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلكا وخلقا وعبيداً فلا يضره كفركم (وَكَانَ اللهُ عَلِيماً) بخلقه (حَكِيماً) فى صنعه بهم (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) الإنجيل (لَا تَغْلُوا) تتجاوزوا الحد (فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا) القول (الْحَقَّ) من تنزيهه عن الشريك والولد (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا) أوصلها الله (إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ) أى ذو روح (مِنْهُ) أضيف إليه تعالى تشريفا له ، وليس كما زعمتم أنه ابن الله أو إلها معه أو ثالث ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه (فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا) الآلهة (ثَلَاثَةٌ) الله وعيسى وأمه (انْتَهُوا) عن ذلك وائتوا (خَيْرًا لَكُمْ) منه وهو التوحيد (إِنَّمَا اللهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن (أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) خلقاً وملكا وعبيداً والملكية تنافى البنوة (وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً) شهيداً على ذلك (لَنْ يَسْتَنْكِفَ) يتكبر ويأنف (الْمَسِيحُ) الذى زعمتم أنه إله ،

ألقاها : أى بنفخ جبريل فى جيب درعها فوصل النفخ إلى فرجها فحملت به (قوله وروح منه) سمى بذلك لأنه حصل من الريح الحاصل من نفخ جبريل روى أن الله تعالى لما خلق أرواح البشر جعلها فى صلب آدم عليه السلام وأمسك عنده روح عيسى فلما أراد الله أن يخلقه أرسل بروحه مع جبريل إلى مريم ينفخ فى جيب درعها فحملت بعيسى (قوله منه) أى نشأت وخلقت فمن ابتدائية لا تبعيضية كما زعمت النصارى . حكى أن طبيبا حاذقا نصرانيا جاء للرشيد فناظر على بن الحسين الواقدى ذات يوم فقال له إن فى كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا هذه الآية فقرأ الواقدى له ـ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ـ فقال إذن يلزم أن تكون جميع الأشياء جزءا منه سبحانه فبهت النصرانى وأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا وأعطى الواقدى صلة فاخرة (قوله أنه ابن الله الخ) أشار بذلك إلى أنهم فرق ثلاثة : فرقة تقول إنه ابن الله ، وفرقة تقول إنهما إلهان الله وعيسى ، وفرقة تقول الآلهة ثلاثة الله وعيسى وأمه (قوله لأن ذا الروح مركب) أشار بذلك إلى قياس من الشكل الأوّل ، وتقريره أن تقول : عيسى ذو روح وكل ذى روح مركب وكل مركب لا يكون إلها ينتج عيسى لا يكون إلها (قوله الآلهة ثلاثة) أشار بذلك إلى أن ثلاثة خبر لمحذوف والجملة مقول القول (قوله وائتوا خيرا) أى اقصدوه ويصح أن يكون خبرا لكان المحذوفة : أى يكن الانتهاء خيرا (قوله منه) أى مما ادعيتموه ، وقوله وهو التوحيد بيان للخير (قوله له ما فى السموات وما فى الأرض) أى فاذا كان يملك جميع ما فيهما ومن جملة ذلك عيسى فكيف يتوهم كون عيسى ابن الله فهذه الجملة تعليل لقوله سبحانه (قوله لن يستنكف المسيح) سبب نزولها أن وفد نجران قالوا يا محمد إنك تعيب صاحبنا فتقول إنه عبد الله ، فقال رسول الله « إنه ليس بعار على عيسى أن يكون عبدا لله » فنزلت .

(قوله عن أن يكون) أشار بذلك إلى أنه حذف الجر من أن ، والمعنى لن يستنكف المسيح عن كونه عبدا لله (قوله وهذا من أحسن الاستطراد) أى قوله ولا الملائكة المقربون لأن الاستطراد ذكر الشىء فى غير محله لمناسبة وللمناسبة هنا الرد على النصارى فى عيسى فناسب أن يرد على المشركين فى قولهم الملائكة بنات الله (قوله ومن يستنكف) من اسم شرط ويستنكف فعل الشرط ويستكبر معطوف عليه وقوله : فسيحشرهم إليه جميعا جوابه ، ولكن لما كان فيه إجمال فصله بما بعده وجميعا حال من الهاء فى يحشرهم ، والمعنى أنه يحشر المستنكفين وغيرهم (قوله ويزيدهم من فضله) أى فوق مضاعفة أعمالهم (قوله ياأيها الناس) العبرة بعموم اللفظ وإن كان السياق لأهل مكة (قوله من ربكم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لبرهان أو ظرف لغو متعلق بجاء (قوله عليكم) أى إن خالفتم ولكم إن أطعتم (قوله وهو القرآن) أى فالعطف مغاير ويصح أن يراد بالبرهان النبى وماجاء به ويراد بالنور المبين القرآن ويكون عطف خاص على عام والنكتة الاعتناء بشأن القرآن ومامشى عليه المفسر أسهل لعدم الكلفة (قوله فأما الذين آمنوا الخ) أى فمنهم من آمن ومنهم من كفر فأما الذين آمنوا الخ وترك الشق الثانى لأنهم مهملون ولايعتنى بهم ، وأيضا قد تقدم ذكرهم فتركهم اتكالا على ماتقدم وأعاد ذكر المؤمنين ثانيا تعجيلا للمسرة والفرح وتعظيما لشأنهم (قوله واعتصموا به) أى تمسكوا به (قوله فى رحمة منه) أى وهى الجنة من باب تسمية المحل باسم الحال فيه وقوله وفضل أى إحسان وإكرام وزيادة إنعام وهو رؤية وجه الله الكريم ودوام رضاه (قوله ويهديهم) عطف سبب على مسبب لأن سبب الجنة هو الهدى فى الدنيا (قوله يستفتونك) ختم هذه السورة بهذه الآية لاشتمالها على الميراث كما ابتدأها بذلك للمشاكلة بين المبدإ والختام وجملة ماذكر فى هذه السورة من المواريث ثلاثة مواضع : الأول فى ميراث الأصول والفروع أى وهو قوله : يوصيكم الله فى أولادكم إلى آخر الربع . الثانى ميراث الزوجين والإخوة والأخوات للأم وهو قوله : ولكم نصف ماترك إلى قوله : غير مضار . الثالث ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب وهو هذه الآية ، وأما أولوا الأرحام فسيأتى ذكرهم فى آخر الأنفال . وسبب نزول هذه الآية أن جابر بن عبد الله تمرض فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ليعوداه ماشيين فلما دخلا عليه وجداه مغمى عليه فتوضأ رسول الله ثم صب عليه من وضوئه فأفاق فقال يارسول الله كيف أصنع فى مالى فلم يرد عليه حتى نزلت الآية وكان له تسع أخوات وقيل سبع (قوله فى الكلالة) تنازعه كل من يستفتونك ويفتيكم فأعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف وهكذا كل ماجاء فى القرآن من التنازع كقوله تعالى : آتونى أفرغ عليه قطرا . هاؤم اقرءوا كتابيه ، وبهذا أخذ البصريون وتقدم أن الكلالة هى أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل وهو أصح الأقوال فيها (قوله إن امرؤ) هذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره وماتفسير الكلالة وما الحكم فيها فالوقف على الكلالة (قوله مرفوع بفعل يفسره هلك) أى فهو من باب الاشتغال وإنما لم يجعل امرؤ مبتدأ وجملة هلك خبره لأن إن الشرطية لايليها إلا الفعل ولو تقديرا (قوله ليس له ولد) الجملة فى محل رفع صفة لامرؤ ولايصح أن تكون حالا منه لأنه نكرة ولم يوجد له مسوغ لأن هلك ليس صفة له وإنما هو مفسر للفعل المحذوف فتأمل .

عن (أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) عند الله لايستنكفون أن يكونوا عبيداً وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم (وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا) فى الآخرة (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا) عن عبادته (فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما هو عذاب النار (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَلِيًّا) يدفعه عنهم (وَلَا نَصِيرًا) يمنعهم منه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ) حجة (مِنْ رَبِّكُمْ) عليكم وهو النبى صلى الله عليه وسلم (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا) بينا وهو القرآن (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا) طريقا (مُسْتَقِيمًا) هو دين الإسلام (يَسْتَفْتُونَكَ) فى الكلالة (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ) مرفوع بفعل يفسره (هَلَكَ) مات (لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ)

(قوله أى ولا والد) أخذ هذا من توريث الأخت لأنها ترث مع وجوده (قوله من أبوين) أى وهى الشقيقة (قوله وهو) الضمير عائد على لفظ امرؤ لا على معناه على حد عندى درهم ونصفه ، والمعنى أن ذاك على سبيل الفرض ، والتقدير أى إن فرض موته دونها فلها النصف وإن فرض موتها دونه فله المال كله إن لم يكن لها فرع وارث (قوله أو أنثى) أى واحدة أو متعددة وقوله فله مافضل عن نصيبها أى وهو النصف فى الأولى والثلث فى الثانية (قوله كما تقدم أول السورة) أى فى قوله وإن كان رجل يورث كلالة الآية (قوله وقد مات عن أخوات) جملة مستأنفة مقيدة لما قبلها لأنها حالية لأن جابرا عاش بعده صلى الله عليه وسلم بل ، قيل إنه آخر الصحابة موتا بالمدينة وقوله عن أخوات قيل تسع وقيل سبع (قوله وإن كانوا إخوة) أى وأخوات ففيه تغليب الذكور على الاناث (قوله شرائع دينكم) قدره إشارة إلى أن مفعول يبين محذوف (قوله لأن لاتضلوا) أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله ولامقدرة ، والمعنى يبين لكم الشرائع لأجل عدم ضلالكم نظير قوله تعالى : إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، أى لئلا تزولا ، ويصح أن يكون المحذوف مضافا والتقدير كراهة أن تضلوا (قوله والله بكل شىء عليم) كالعلة لما قبله ، وقد ختم هذه السورة ببيان كمال العلم وسعته كما ابتدأها بسعة قدرته وكمال تنزهه وذلك يدل على اختصاصه بالربوبية والألوهية (قوله أى من الفرائض) دفع بذلك مايقال إن آخر آية نزلت على الاطلاق : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فانها نزلت قبل موت رسول الله بأحد وعشرين يوما ونزل قبلها آية الربا وقبلها : اليوم أكملت لكم دينكم وقبلها آية الكلالة فهى من الأواخر إذا علمت ذلك فقول المفسر أى من الفرائض غير متعين بل يصح أن يكون آخرا نسبيا .

أى ولا والد وهو الكلالة (وَلَهُ أُخْتٌ) من أبوين أو أب (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ، وَهُوَ) أى الأخ كذلك (يَرِثُهَا) جميع ما تركت (إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ) فإن كان لها ولد ذكر فلا شىء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة (فَإِنْ كَانَتَا) أى الأختان (اثْنَتَيْنِ) أى فصاعداً لأنها نزلت فى جابر وقد مات عن أخوات (فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) الأخ (وَإِنْ كَانُوا) أى الورثة (إِخْوَةً رِجَالاً وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ) منهم (مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ) شرائع دينكم لـ(أَنْ) لا (تَضِلُّوا، وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه الميراث . روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت أى من الفرائض .

(سورة المائدة)

(مدنية مائة وعشرون أو وثنتان أو وثلاث آية)

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) :

[سورة المائدة]

وجه المناسبة بينها وبين ماقبلها أنه حيث وعدنا الله بالبيان كراهة وقوع الضلال منا تمم ذلك الوعد بذكر هذه السورة فان فيها أحكاما لم تكن فى غيرها قال البغوى عن ميسرة قال إن الله تعالى أنزل فى هذه السورة ثمانية عشر حكما لم تنزل فى غيرها من سور القرآن وهى المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ماذكيتم وماذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام وماعلمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر فى قوله : إذا قمتم إلى الصلاة ، والسارق والسارقة ، ولاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولاوصيلة ولاحام ، وقوله : شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت (قوله مدنية) أى نزلت بعد الهجرة وإن كان بعضها نزل بمكة كقوله تعالى : يأيها الذين آمنوا لاتحلوا شعائر الله فانها نزلت عام الفتح وقوله تعالى : اليوم أكملت لكم دينكم ، فانها نزلت بعرفة فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبى فى خطبته وقال يأيها الناس إن سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها ، وإنما خصها بذلك ، وإن كان كل سورة يجب تحليل حلالها وتحريم حرامها اعتناء بشأنها (قوله يأيها الذين آمنوا) العبرة بعموم اللفظ وإن كان الخطاب لأهل المدينة (قوله أوفوا بالعقود) أى ماعقده الله وعهده عليكم من التكاليف والأحكام الدينية ، ومن هنا قالوا : أمور الدين أربعة: الصحة فى العقد والصدق فى القصد والوفاء بالعهد واجتناب الحد .

العهود المؤكدة التي بينكم و بين الله والناس (أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم
أكلا بعد الذبح (إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ) تحريمه في حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع
ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ)
أي محرمون ونصب غير على الحال من ضمير لكم (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) من التحليل
وغيره لا اعتراض عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ) جمع شعيرة ، أي معالم دينه
بالصيد في الإحرام (وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ) بالقتال فيه (وَلَا الْهَدْيَ) ما أهدى إلى الحرم من
النعم بالتعرض له (وَلَا الْقَلَائِدَ) جمع قلادة وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن ،

(قوله العهود) أشار بذلك إلى أن المراد بالعقد العقد المعنوى وهو العهد المشبه بعقد الحبل وقوله المؤكدة أخذ ذلك من قوله
المعقود لأن معنى العقد هو العهد المؤكد (قوله التي بينكم و بين الله) أي كالمأمورات والمنهيات فالوفاء بالمأمورات فعلها والوفاء
بالمنهيات تركها ودخل في قوله و بين الله العهد الواقع بين العبد و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجب على الإنسان الوفاء
به بأن يؤمن به و يصدق بما جاء به و يعظمه و يحترمه ولا يخالف ما أمره به أصلا (قوله و بين الناس) أي كالمعاملات من بيع
وشراء ونكاح وطلاق وتمليك وتخيير وعتق ودين ووديعة وصلح ، ومن ذلك أيضا احترام المؤمنين وتعظيمهم وعدم غيبتهم
و إيذائهم والنميمة والكذب عليهم ، ومن ذلك أيضا وفاء المريدين بعهود المشايخ على مصطلح الصوفية (قوله أحلت لكم
بهيمة الأنعام) كلام مستأنف مسوق لبيان امتنان الله علينا حيث أحلّ لنا أشياء لم تكن لليهود و بنى الفعل للمجهول للعلم
بفاعله وهو الله و إضافة بهيمة للأنعام على معنى من كثوب خز لأن البهيمة كما في القاموس كل ذات أربع قوائم ولو من
حيوان الماء أوكل حيّ لايميز (قوله بعد الذبح) مراده مايشمل النحر ولوقال بعد التذكية لكان أشمل (قوله إلاما يتلى
عليكم) أي وهو عشرة أشياء أولها الميتة وآخرها وماذبح على النصب فقوله الآية أي إلى قوله وماذبح على النصب (قوله
فالاستثناء منقطع) أي لأن ماقبل إلا فيما أحلّ ومابعدها فيما حرّم وقوله والتحريم لما عرض أي فهو كان حلالا بحسب الأصل
فهو استثناء حلال من حلال هكذا يؤخذ من عبارة المفسر وفيه أنه يلزم عليه أن كل استثناء منقطع لأن مابعد إلا دائما
مخالف لما قبلها منقطعا أومتصلا مع أنهم قالوا إن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى
منه والمنقطع أن يكون من غير جنسه والمخالفة في الحكم لابد منها على كل فالأحسن أن يقال إن الانقطاع من حيث إن المستثنى لفظ وهو قوله مايتلى عليكم والمستثنى منه ذات وهو بهيمة الأنعام ولاشك أنه من غير جنسه ويمكن
أن يكون متصلا بتقدير مضاف والتقدير إلا محرم مايتلى (قوله غير محلى الصيد) أي غير محلين للصيد أي
بمعنى معتقدين حله وقوله أي محرمون أي أوفي الحرم فيحرم صيد الأنعام الوحشية بل الصيد مطلقا أنعاما أوغيرها وهو تقييد
لقوله : أحلت لكم بهيمة الأنعام كأن الله قال أحلّ الله لكم بهيمة الأنعام كلها والوحشية أيضا من الظباء والبقر والحمر إلا صيد
الوحشي منها أومن غيرها وأنتم محرمون فلا يجوز فعله ولا اعتقاد حله (قوله ونصب غير على الحال من ضمير لكم) أي وقوله
وأنتم حرم حال من الضمير في محلي (قوله إنّ الله يحكم مايريد) كالعلة لماقبله أي فالأحكام صادرة من الله تعالى على حسب إرادته
فلا اعتراض عليه ولامعقب لحكمه وهذا مما يرد على المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح والأصلح (قوله أي معالم دينه) أي العلامات
الدالة على دينه من مأمورات ومنهيات ، والمعنى لاتتهاونوا بمعالم دينه وقوله بالصيد في الإحرام خصه لقرينة ماقبله ومابعده
و إلا فاللفظ عام كقوله أوفوا بالعقود فأولا أمرنا بالوفاء بها وثانيا نهانا عن التفريط والتهاون بالشعائر وهي كناية عن معالم الدين
والإحلال تارة يكون بالفعل أو الاعتقاد (قوله ولاالشهر الحرام) هو ومابعده من عطف الخاص على العام اعتناء بشأن تلك الأمور (قوله
بالقتال فيه) سيأتي للمفسر أنه منسوخ بآية براءة وان حمل على غير القتال كالظلم مثلا فليس بمنسوخ قال تعالى : فلا تظلموا فيهن
أنفسكم (قوله ماأهدى إلى الحرم) إن حمل على هدايا الكفار فهو منسوخ بقوله تعالى : فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
و بقوله : فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . وسبب ذلك أن رجلا من ربيعة يقال له الحطم شريح بن هند أتى المدينة وترك خيله
وجيوشه وجاء رسول الله بنفسه وقد كان أخبرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم به فقال الوجه وجه كافر والقفا قفا غادر فلما وصل النبي
صلى الله عليه وسلم قال له يامحمد ماتأمرنا به ؟ فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة

أى فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها (وَلَاَ) تحلوا (آمِّينَ) قاصدين (الْبَيْتَ الْحَرَامَ) بأن تقاتلوهم (يَبْتَغُونَ فَضْلاً) رزقا (مِنْ رَبِّهِمْ) بالتجارة (وَرِضْوَاناً) منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية براءة (وَإِذَا حَلَلْتُمْ) من الإحرام (فَاصْطَادُوا) أمر إباحة (وَلَاَ يَجْرِمَنَّكُمْ) يكسبنكم (شَنَآنُ) بفتح النون وسكونها : بغض (قَوْمٍ) لأجل (أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا) عليهم بالقتل وغيره (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ) فعلَ ما أمرتم به (وَالتَّقْوَى) بترك مانهيتم عنه (وَلَاَ تَعَاوَنُوا) فيه حذف إحدى التاءين فى الأصل (عَلَى الْإِثْمِ) المعاصى (وَالْعُدْوَانِ) التعدى فى حدود الله (وَاتَّقُوا اللَّهَ) خافوا عقابه بأن تطيعوه (إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) أى أكلها (وَالدَّمُ) أى المسفوح كما فى الأنعام (وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) ،

فقال حسن إلا أن لى أمراء لا أقطع أمرا دونهم ولعلى أسلم وآتى بهم فلما خرج استاق جملة من غنم أهل المدينة و إبلهم فلما كان فى العام القابل جاء ومعه تلك الابل والغنم قد ساقها هدايا وهو مع بنى بكر وهم أصحاب حلف النبى عليه الصلاة والسلام فأحب أصحاب رسول الله أن يأخذوها منه فنزلت الآية (قوله أى فلا تتعرضوا لها) أى للقلائد وهى ماقلد به من شجر الحرم وقوله ولا لأصحابها أى الهدايا المقلدات والنهى عن التعرض للقلائد مبالغة عن التعرض للهدايا على حد ولا يبدين زينتهن لأنه إذا نهى عن إبداء الزينة فما بالك بالجسم الموضوع فيه الزينة، ويحتمل أن معنى قوله أولأصحابها أى الرجال المقلدين لأنهم كانوا فى الجاهلية إذا أرادوا الخروج من الحرم قلدوا أنفسهم بخشبة من شجر الحرم فلا يتعرض لهم فتحصل أن المعنى لاتتعرضوا للهدى و إن لم يكن مقلدا ولا للقلادة من المقلد بل ولا للمقلد من الهدايا أوالرجال (قوله آمين) أى قوما آمين (قوله يبتغون فضلا) حال من الضمير فى آمين (قوله وهذا منسوخ) أى قوله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام وقوله بآية براءة أى جنسها إذ الناسخ أكثر من آية فالمنسوخ ماعدا قوله لا تحلوا شعائر الله فليست منسوخة إن حملت على معالم دينه كما تقدم وأما إن حملت على شعائر الكفار و إحرامهم بمعنى لا تبطلوه ولا تهدموه كان أيضا منسوخا وليس فى المائدة منسوخ غير هذه الآية (قوله أمر إباحة) دفع بذلك مايقال إن الأمر يقتضى الوجوب على المحرم إذا حل من إحرامه أن يصطاد (قوله ولا يجرمنكم) هذه الآية نزلت عام الفتح حين تمكن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة وأهلها فنهاهم الله تعالى عن التعرض للكفار بالقتال والايذاء والمعنى لاتعاملوهم مثل ما كانوا يعاملونكم به ولذا ورد أن رسول الله لما دخل مكة قال اذهبوا أنتم الطلقاء أنا قائل لكم كما قال أخى يوسف لاخوته: لاتثريب عليكم اليوم وبسبب ذلك صاروا مؤمنين ولذا قال البوصيرى :

ولو أن انتقامه لهوى النفـ ـس لدامت قطيعة وجفاء

وقرأ الجمهور بفتح الياء من جرم الثلاثى واختلفوا فى معناه فقيل معناه لا يكسبنكم وقيل معناه لايحملنكم (قوله بفتح النون وسكونها) أى فهو مصدر شنئ كعلم فهو سماعى ومن المادة قول العرب: مشنوء من يشنؤك أى مبغوض من يبغضك وقوله تعالى إن شانئك هو الأبتر أى باغضك (قوله لأجل أن صدوكم) أشار بذلك إلى أنه مفعول لأجله فهو علة للشنآن أى لايحملنكم بغضكم لقوم لأجل صدهم إياكم عن المسجد الحرام (قوله أن تعتدوا) أى بأن تعتدوا أو على أن تعتدوا لحق أسلموا فهم إخوانكم فلا تتعرضوا لهم (قوله فعل ما أمرتم به) قال ابن عباس البر متابعة السنة (قوله إن الله شديد العقاب) فى الآية وعيد وتهديد عظيم (قوله حرمت عليكم الميتة) هذا شروع فى بيان ما أجمل أولا فى قوله إلا مايتلى عليكم وذكر فى هذه الجملة العظيمة أحد عشر كلها محرمة منها عشرة مطعومة وواحد غير مطعوم وهو قوله : وأن تستقسموا بالأزلام (قوله الميتة) فيه رد على جاهلية العرب حيث قالوا كما حكى الله عنهم وقالوا مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا و إن يكن ميتة فهم فيه شركاء ، وعلى المشركين حيث أحلوا أكلها مطلقا (قوله أى المسفوح) أى السائل (قوله كما فى الأنعام) أى فى قوله تعالى: إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا الآية وأما غير المسفوح كالكبد والطحال والدم الباقى فى العروق فهو طاهر ويجوز أكله (قوله ولحم الخنزير) أى ولو ذكى فهو نجس كله ماعدا الشعر إن جز عند مالك فهو طاهر ويجوز استعماله (قوله وما أهل لغير الله به) الاهلال رفع الصوت والأظهر أن اللام بمعنى الباء والباء بمعنى عند والمعنى ومارفع الصوت عند ذكاته بغير الله أى باسم غير الله

كما إذا قال باسم اللات أو العزى قال تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق فان جمع بين اسم الله واسم غيره غلب اسم الله وتؤكل لأنه يعلو ولا يعلى عليه والموضوع أن ذلك وقع من كتابى وأما من مسلم فهو مرتد لاتؤكل ذبيحته وهذا مذهب مالك بن أنس ومراد مالك بأهل الكتاب الذين تؤكل ذبيحتهم إن لم يذكروا اسم غير الله عليه اليهود والنصارى ولو غيروا وبدلوا (قوله بأن ذبح على اسم غيره) المناسب أن يقول بأن صرح عند ذبحها باسم غيره ليندفع التكرار بين ماهنا وبين مايأتى فى قوله وما ذبح على النصب (قوله والمنخنقة) كانوا فى الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذامانت أكلوها فحرم الله ذلك (قوله والموقوذة) كانوا فى الجاهلية يضربون الشاة بنحو العصا حتى تموت ويأكلونها (قوله والنطيحة) فعيلة بمعنى مفعولة (قوله وما أكل السبع) كانوا فى الجاهلية إذاجرح السبع شيئا وأكل منه أكلوا مابقى. والسبع اسم لكل مايفترس من ذى الناب كالأسد والذئب ونحوهما (قوله أى أدركتم فيه الروح) أى مع بقاء الحياة المستقرة بحيث يتحرك بالاختيار أو يبصر بالاختيار ولو نفذت مقاتله ، وهذا مذهب الشافعى ومذهب مالك لابد من استقرار الحياة مع عدم إنفاذ المقاتل فما أدرك بذكاة وهو مستقر الحياة وكان قبل إنفاذ مقتله أكل وإلا فلا يؤكل ولو ثبتت له حياة مستقرة. والمقاتل هى قطع النخاع ونثر الدماغ وفرى الودج وثقب المصران ونثر الحشوة وفى شق الودج قولان والاستثناء راجع للمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وهو متصل على كلا المذهبين مع مراعاة الشرط المتقدم عند كل (قوله وما ذبح على النصب) أى ذكر اسم الصنم على ذلك المذبوح فان فعل ذلك مسلم لولى

وقصد التقرب له كما يتقرب لله فهو مرتد لاتؤكل ذبيحته وأما إن قصد أن الذبح لله وثوابه للولى فلا بأس بذلك فان نذر ذبيحة لولى ميت كالسيد البدوى مثلا فان قصد انتفاعه بها كالحى فهو نذر باطل وأما إن قصد أنها تذبح فى محله من غير قصد فقراء ذلك المحل فلا يسوقها لذلك المحل بل يذبحها بأى محل شاء قال مالك سوق الهدايا لغير مكة ضلال وإما إن قصد بسوقها فقراء ذلك المحل لزمه سوقها

بأن ذبح على اسم غيره (وَالْمُنْخَنِقَةُ) الميتة خنقاً (وَالْمَوْقُوذَةُ) المقتولة ضربا (وَالْمُتَرَدِّيَةُ) الساقطة من علو إلى سفل فماتت (وَالنَّطِيحَةُ) المقتولة بنطح أخرى لها (وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ) منه (إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ) أى أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه (وَمَا ذُبِحَ عَلَى) اسم (النُّصُبِ) جمع نصاب وهى الأصنام (وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا) تطلبوا القسم والحكم (بِالْأَزْلَامِ) جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام: قدح بكسر القاف صغير لاريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكمونها فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهتهم انتهوا (ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ) خروج عن الطاعة . ونزل بعرفة عام حجة الوداع (الْيَوْمَ ،

(قوله وهى الأصنام) سميت الأصنام نصبا لأنها تنصب وترفع لتعظم وتعبد (قوله تطلبوا القسم) بالكسر ماقسم لكم من خير أو شر وبالفتح أى تمييزه لأن القسم بالفتح تمييز الأنصباء وبالكسر الحظ والنصيب (قوله مع فتح اللام) راجع لكل منهما (قوله وكانت سبعة) أى وكانت أزلامهم سبعة قداح مستوية مكتوب على واحد منها أمرنى ربى وعلى واحد نهانى ربى وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل وواحد غفل أى ليس عليه شىء وكانوا فى الجاهلية إذا أرادوا أمرا من سفر أو غيره جاءوا إلى هبل وهو أعظم صنم بمكة وكان فى الكعبة وأعطوا صاحب القداح مائة درهم فان خرج أمرنى ربى فعلوا ذلك الأمر وإن خرج نهانى ربى لم يفعلوا وإذا كان ذلك لنسب فان خرج منكم ألحقوه بهم وإن خرج من غيركم لم يلحقوه وإن خرج ملصق كان على حاله وإن اختلفوا فى العقل وهو الدية فمن خرج عليه العقل تحمله وإن خرج الغفل فعلوا ثانيا حتى يخرج المكتوب فنهاهم الله عن ذلك (قوله عند سادن الكعبة) أى خادمها (قوله عليها أعلام) أى كتابة (قوله وكانوا يحكمونها) فى نسخة يجيبونها أى يجيبون حكمها (قوله ذلكم فسق) أى الاستقسام المذكور خروج عن طاعة الله.

إن قلت إن هذه بعينها هى القرعة الجائزة فى الاسلام . أجيب بأن تحريم هذه إنما جاء من إحالتها للصنم وتفويض الأمر له ولذا لو فعلت القرعة بحضرة ولى ميت مثلا وفوض الأمر له لكان الحكم الحرمة كالاستقسام بالأزلام واسم الاشارة مبتدأ وفسق خبر وهو راجع إلى الاستقسام بالأزلام كما هو مروى عن ابن عباس، وقيل راجع إلى جميع ماتقدم وكل صحيح (قوله ونزل بعرفة) أى والنبى قائم يخطب بها فأل فى اليوم للعهد الحضورى والمعنى اليوم الحاضر وهو يوم عرفة وكان يوم جمعة

وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها أحدا وثمانين يوما (قوله ييئس) اليأس ضد الرجاء والمعنى انقطع طمع الكفار فى إبطال دينكم لما شاهدوا من دخول الناس فيه أفواجا وذلك أن قبل حجة الوداع حج أبو بكر بالناس وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم عليا خلفه ينادى : لايحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ففى حجة الوداع تفرد النبي وأصحابه بالحج فحينئذ نزلت الآية المشرفة (قوله لما رأوا) علة لقوله ييئس وقوله بعد طمعهم متعلق بيئس أيضا (قوله فلا تخشوهم) أى لاتخافوهم لاظاهرا ولا باطنا (قوله واخشون) بحذف الياء وصلا ووقفا بخلاف واخشونى فى البقرة فانها بثبوت الياء وصلا ووقفا اتفاقا وبخلاف الآتية فى يأيها الرسول لايحزنك ففيها الحذف والاثبات والمعنى لاتخافوا من الكفار وخافون لأنى مالك الدنيا والآخرة عزا وذلا ولا يملك ذلك غيرى فمن شهد ذلك وكمل دينه فلا يخاف إلا مولاه ولا يرجو سواه فانه المعطى المانع الضار النافع (قوله اليوم) بدل من اليوم قبله (قوله أحكامه وفرائضه) دفع بذلك ما يقال إنه قد نزل بعدها : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فيكون حينئذ الكمال نسبيا . فأجاب بأن المراد إكمال الأحكام والفرائض التى أرسل بها رسول الله وأما آية واتقوا يوما فهى موعظة ولا حكم فيها . إن قلت إن قوله أكملت لكم دينكم يقتضى نقصانه قبل ذلك . وأجيب بأن القرآن نزل جملة فى بيت العزة فى سماء الدنيا وصار ينزل بعد ذلك مفرقا فحين نزول هذه كأن الله تعالى يقول لاتنتظروا بعد ذلك حكما فانى قد أتممت لكم ماقدرته لكم وادخرته عندى ولذلك حين نزلت بكى عمر فقال له رسول الله ما يبكيك فقال ☆ إذا تم شيء بدا نقصه ☆ فقال له صدقت فكانت هذه الآية

نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن عمر بن الخطاب أن رجلا يهوديا قال له يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال له أى آية ؟ قال : اليوم أكملت لكم دينكم الآية فقال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى أنزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر اه وقد تضمن جواب عمر أنهم جعلوا صبيحتها عيدا (قوله بإكماله) أى الدين والأحسن أن يراد بإتمام النعمة ماهو أعم (قوله ورضيت) هذه الجملة مستأنفة لبيان الحال وليست معطوفة على أكملت لأنه يقتضى أنه لم يرض الاسلام دينا إلا اليوم ولم يرضه قبل ذلك وليس كذلك لأن الاسلام لم يزل مرضيا لله وللنبي وأصحابه منذ أرسله ، ورضى متعد لواحد الاسلام مفعوله ودينا تمييز (قوله فمن اضطر) مفرع على حرمت عليكم الميتة فقوله اليوم ييئس الذين كفروا من دينكم إلى قوله دينا معترض بينهما لبيان أن الأسلام حنيفية سمحاء لاصعوبة فيه كالأديان المتقدمة ومن اسم شرط واضطر فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فلا إثم عليه وقد صرح به فى آية البقرة (قوله أى أكل شىء) أى بقدر الضرورة وسد الرمق و بذلك قال الشافعى ، وقال مالك يأكل المضطر من الميتة ويشبع ويتزود فان استغنى عنها طرحها وقدم مال الغير على الميتة عند مالك إن لم يخف الضرر وقدم المختلف فيه على المتفق على حرمته (قوله غير متجانف لاثم) أى بأن كان اضطراره ناشئا عن إثمه فلا يجوز له الأكل هكذا حمل الآية مالك ، وقال الشافعى غير متجانف لاثم بأن كان عاصيا بسفره كالآبق وقاطع الطريق فقول المفسر كقاطع الطريق والباغى أى المسافرين ، وأما الحاضرون فيباح لهم أكل الميتة ، وأما عند مالك فلا فرق بين العاصى بالسفر والطائع به فانهما كالحاضر فيأكلان منها إذا اضطرا حيث لم يكن إصراره على المعصية موقعا له فى الاضطرار (قوله يسئلونك) هذه الآية مرتبة على قوله حرمت عليكم الميتة الخ ، فلما بين المحرمات سألوا عن الحلال وصورة السؤال ماذا أحل الله لنا وروى فى سبب نزولها أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال له النبي

يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) أن ترتدوا عنه بعد طمعهم فى ذلك لما رأوا من قوته (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) بإكماله وقيل بدخول مكة آمنين (وَرَضِيتُ) أى اخترت (لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ، فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ) مجاعة إلى أكل شىء مما حرم عليه فأكله (غَيْرَ مُتَجَانِفٍ) مائل (لِإِثْمٍ) معصية (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) له ما أكل (رَحِيمٌ) به فى إباحته له بخلاف المائل لإثم أى المتلبس به كقاطع الطريق والباغى مثلا فلا يحل له الأكل (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ) من الطعام ،

قد أذنا لك يارسول الله قال أجل ولكنا لاندخل بيتا فيه كلب فأمر صلى الله عليه وسلم أبا رافع بقتل كل كلب فى المدينة ففعل حتى انتهى إلى امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركه رحمة لها ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فأمره بقتله فرجع إلى الكلب فقتله فجاءوا إلى رسول الله فقالوا له مايحلّ لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله فنزل ـ يسئلونك ماذا أحلّ لهم ـ الآية فعند ذلك أذن رسول الله فى اقتناء الكلاب التى ينتفع بها ، ونهى عن إمساك مالا نفع فيه منها ، روى الشيخان عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أمسك كلبا فانه ينقص من عمله كل يوم قيراط » وفى رواية « قيراطان إلا كلب حرث أوماشية » ويؤخذ من هذا الحديث أن قتل غير النافع من الكلاب مندوب إن لم يكن عقورا يخشى منه الضرر ولايندفع إلا بالقتل وإلا وجب قتله عند مالك (قوله المستلذات) أى الشرعية وهى مالم يثبت تحريمها بكتاب أوسنة فلا يرد لحم الخنزير مثلا إذا أتقن طبخه (قوله وصيد ماعلمتم) قدره إشارة إلى أن مامعطوف على الطيبات لكن على حذف مضاف وصيد بمعنى مصيد ومن الجوارح بيان لما (قوله مكلبين حال) أى من التاء فى علمتم (قوله من كلبت) أى مأخوذ من كلبت (قوله أرسلته على الصيد) أى فمعنى مكلبين مرسلين بمعنى قاصدين إرساله احترازا عما لوذهب من غير إرسال وأتى بصيد فلايؤكل وفسره غيره بالتعليم فيكون حالا مؤكدة لعاملها وماقاله المفسر أوجه وإن ردّ بأنه لامستند له فى ذلك لأن المفسر حجة،وعبر عن الارسال بالتكليب إما إشارة إلى أن ذلك غالب فى الكلاب أوأن

(قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) المستلذات (وَ) صيد (مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ) الكواسب من الكلاب والسباع والطير (مُكَلِّبِينَ) حال من كلبت الكلب بالتشديد أى أرسلته على الصيد (تُعَلِّمُونَهُنَّ) حال من ضمير مكلبين أى تؤدبونهن (مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ) من آداب الصيد (فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ) وإن قتلته بأن لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تسترسل إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبها فلا يحل أكله كما فى حديث الصحيحين ، وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلّم من الجوارح (وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ) عند إرساله (وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ) المستلذات (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ)

الكلب يطلق على كل مايصاد به من سبع وطير (قوله حال من ضمير مكلبين) أى مؤكدة إن فسر مكلبين بمعلمين ومؤسسة إن فسر بمرسلين ويصح أن يكون جملة مستأنفة موضحة لما قبلها (قوله مما علمكم الله) من للتبعيض ، وقوله من آداب الصيد بيان لما (قوله فكلوا مما أمسكن عليكم) نتيجة قوله وما علمتم من الجوارح ، وقوله عليكم أى لكم (قوله بأن لم يأكلن منه) أى فان أكلن منه فلايؤكل وهو داخل فى قوله وما أكل السبع ، وهذا الشرط اعتبره الشافعى وعند مالك يؤكل ولو أكل منه الجارح فان أدرك حيا فلا بدّ من ذكاته الشرعية ، فقوله بأن لم يأكلن تفسير لقوله أمسكن عليكم لأنه إن أكل منه فليس ممسكا لصاحبه بل لنفسه وقد علمت أن هذا التقييد مذهب الشافعى وسيأتى إيضاحه فى آخر عبارة المفسر (قوله وعلامتها الخ) ذكر أربع علامات وهى معتبرة فى الكلب والسبع ، وأما فى الطير كالصقر فلا يعتبر فيه إلا قيدان أن لايأكل منه وأنه إذا أرسل استرسل . والحاصل أن المدار عند مالك فى الصقر أنه إذا أرسل استرسل وزاد الشافعى فيه أن لايأكل مما أمسك ، وأما فى الكلب والسبع ففيه القيود الأربعة التى ذكرها المفسر ماعدا الأكل عند مالك (قوله كما فى حديث الصحيحين) أى ولكن هذا الحديث لم يأخذ به مالك (قوله وفيه) أى فى الحديث (قوله وذكر اسم الله عليه) أى وهو سنة عند الشافعى وعند مالك واجب مع الذكر والقدرة ، وأما النية فلابد منها لأنها شرط صحة (قوله كصيد المعلم من الجوارح) ألحق مالك بالسهم ماصيد ببندق الرصاص لأن قوته تقوم مقام حد السهم (قوله عليه) اختلف فى مرجع الضمير فقيل عائد على ماعلمتم من الجوارح وإليه يشير المفسر بقوله عند إرساله وقيل عائد على ما أمسكن عليكم أى سموا الله إذا أدركتم ذكاته (قوله واتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه حيث بين لكم الحلال والحرام (قوله سريع الحساب) ورد أنه يحاسب الخلق فى قدر نصف يوم من أيام الدنيا (قوله اليوم) يحتمل أن المراد باليوم المتقدم فى قوله اليوم يئس الذين كفروا وهو يوم عرفة ، ويحتمل أن المراد يوم نزولها ويحتمل

أن المراد به الزمن مطلقا (قوله أى ذبائح اليهود والنصارى) أى إن ذبح ماهو حلّ لهم فى شرعنا ولم يذكر اسم غير الله عليه وتؤكل ذبائحهم ولوغيروا اليهودية بالنصرانية وعكسه عند مالك واشترط الشافعى عدم التغيير والتبديل (قوله وطعامكم إياهم) أى بمعنى إطعامكم إياهم ومعنى حلّ لهم أى لايحرم عليهم بشرعهم ولايحرم علينا أن نطعمهم من ذبائحنا (قوله والمحصنات من المؤمنات) أى الحرائر منهن وأما الاماء فتقدم أنهن حلّ بالشروط (قوله الحرائر) أى وأما الاماء فلايحلّ نكاحهن إلا بالملك وأما حرائرنا فلايحلّ لهم نكاحهن بل ولا إماؤنا فتحصل أن طعامنا حلّ لهم وطعامهم حلّ لنا ونساؤهم حلّ لنا ونساؤنا لسن حلا لهم (قوله إذا آتيتموهن أجورهن) بيان للأكمل واحترز عن الدخول على إسقاطه فلا يحلّ والظرف متعلق بالخبر المحذوف الذى قدره المفسر بقوله حلّ لكم (قوله محصنين) حال من آتيتموهن أى حال كونكم محصنين ، وقوله غير مسافحين نعت لمحصنين (قوله أخدان) جمع خدن وهو الخليل والصاحب الذى يزنى بالمرأة سرّا (قوله بالايمان) الباء بمعنى عن والكفر بمعنى الردّة أى يرتدّ عن الايمان (قوله حبط عمله الصالح) أى والسيء إن عاد للاسلام بمعنى بطل كل منهما فلو عاد للاسلام فلا عقاب عليه فى السيء ولا ثواب له فى الصالح والمرتد لايقضى الصلاة ولا الصوم ولا الزكاة إذا فاته جميع ذلك فى زمن الردّة أو قبل زمنها مالم يرتد بقصد إسقاط ذلك ولايقضى إلا ما أسلم فى وقته لعموم آية ـ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ـ عند مالك وعند الشافعى يقضى جميع ذلك ، وأما الحج فوقته وهو العمر باق فيقضيه (قوله إذا مات عليه) أى الكفر وهو راجع لقوله وهو فى الآخرة من الخاسرين لا لما قبله فانه يحبط عمله زمن الردّة مطلقا مات على الكفر

أى ذبائح اليهود والنصارى (حِلٌّ) حلال (لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ) إياهم (حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ) الحرائر (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ) حل لكم أن تنكحوهن (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن (مُحْصِنِينَ) متزوجين (غَيْرَ مُسَافِحِينَ) معلنين بالزنا بهن (وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ) منهن تسرون بالزنا بهن (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ) أى يرتد (فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه (وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) إذا مات عليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ) أى أردتم القيام (إِلَى الصَّلَاةِ) وأنتم محدثون (فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) أى معها كما بينته السنة (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) ،

أو الاسلام (قوله يا أيها الذين آمنوا) إنما وجه الخطاب للمؤمنين وإن كان الكفار مخاطبين بفروع الشريعة أيضا على الصحيح لعدم صحتها منهم إلا بالاسلام (قوله إذا قمتم) أى اشتغلتم بها قولا أو فعلا من قيام أو غيره (قوله أى أردتم القيام) دفع بذلك مايقال إن مقتضى الآية أن الطهارة لاتجب إلا بعد الشروع فى الصلاة فأجاب بأن المراد أردتم القيام أى قصدتموه وعزمتم عليه وشرعت الطهارة قبل الصلاة لأن المصلى يناجى ربه وهو فى حضرته فيحتاج قبل ذلك للنظافة من الحدثين الأصغر والأكبر ومن الخبثين الحسى والمعنوى كالذنوب ليترتب على ذلك قبول طاعاته (قوله وأنتم محدثون) أى حدثا أصغر وأخذ المفسر هذا من قوله فيما يأتى: وإن كنتم جنبا وفيه إشارة للجواب عن إشكال البيضاوى حيث قال ظاهر الآية أن كل قائم إلى الصلاة يجب عليه الوضوء وإن لم يكن محدثا ، وقوله وأنتم محدثون أى ممنوعون من الصلاة لعدم وجود الطهارة فيشمل من ولد ولم يحصل منه مايوجب الوضوء إلى أن بلغ فيجب عليه الوضوء لأنه كان ممنوعا من الصلاة قبل ذلك لعدم وجود الطهارة ولذا علق الوضوء بالقيام للصلاة (قوله وجوهكم) أى ليغسل كل منكم وجهه ولو تعدد وحدّه طولا من منابت شعر الرأس المعتاد لآخر الذقن وعرضا مابين وتدى الأذنين ويخلل لحيته إن كانت خفيفة وإلا غسل ظاهرها فقط ويتتبع أسارير جبهته والوترة ولايلزمه غسل داخل العينين وأما المضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين فسنة (قوله أى معها) أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى مع وهذا أسهل ماقيل وقيل إن إلى على بابها من الانتهاء والغاية داخلة وقيل خارجة وقيل إن كان مابعدها من جنس ماقبلها دخلت وإلا فلا والأصح أن إلى لايدخل مابعدها فيما قبلها عكس حتى ، قال سيدى على الأجهورى

وفى دخول الغاية الأصح لا تدخل مع إلى وحتى دخلا

وأما فى الآية فاما أن يقال إنها بمعنى مع أو الغاية داخلة على خلاف القاعدة لوجود القرينة فغسل المرافق واجب لذاته وليس من باب مالايتم الواجب إلا به فهو واجب (قوله كما بينته السنة) أى فبينت السنة أن المرافق تغسل مع الأيدى ويجب تخليل أصابع الأيدى عند مالك لوجوب الدلك عنده .

الباء للالصاق ، أى ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفى أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعرة وعليه الشافعى (وَأَرْجُلَكُمْ) بالنصب عطفا على أيديكم و بالجر على الجوار (إِلَى الْكَعْبَيْنِ) أى معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان فى كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدى والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب فى طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعى ، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) فاغتسلوا (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى) مرضا يضره الماء (أَوْ عَلَى سَفَرٍ) أى مسافرين (أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ) أى أحدث (أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ) سبق مثله فى آية النساء (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً) بعد طلبه (فَتَيَمَّمُوا) اقصدوا (صَعِيدًا طَيِّبًا) ترابا طاهرا (فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ) مع المرفقين (مِنْهُ) بضربتين والباء للالصاق و بينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح (مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ) ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم (وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ) ،

(قوله الباء للالصاق) وقيل للتبعيض لدخولها على متعدد ، وأما فى: وليطوفوا بالبيت فللالصاق لدخولها على غير متعدد وأورد على ذلك آية التيمم فان قيل إنها للالصاق يقال أى فرق بينهما ولما كان هذا المعنى معترضا عدل عنه المفسر وجعلها للالصاق فى كل وأحال بيان ذلك للسنة (قوله أى ألصقوا المسح بها) لعل فى كلام المفسر تسامحا لأن المسح معنى من المعانى لايلصق لأن الالصاق لا يكون إلا بين جسمين إلا أن يقال المراد بالمسح آلته وهى اليد (قوله من غير إسالة ماء) بيان لحقيقة المسح من حيث هو لا لما يكفى فى الوضوء فانّ الغسل يكفى أيضا (قوله وهو) أى المسح (قوله وهو مسح بعض شعرة) وقال أبو حنيفة يجب مسح ربع الرأس ، وقال مالك وأحمد يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه فى التيمم (قوله بالنصب) أى لفظا وهى قراءة نافع وابن عامر والكسائى وحفص عن عاصم وقوله والجر أى وهى لباقى السبعة (قوله على الجوار) أى فهو فى المعنى منصوب بفتحة مقدّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المجاورة. واعترض هذا الحل بأنه لم يرد الجر بالمجاورة إلا فى النعت ومع ذلك هو ضعيف والأولى أن يقال إنه مجرور لفظا ومعنى معطوف على الرءوس والمسح مسلط عليه و يحمل على حالة لبس الخف، أو يقال إن المراد بالمسح الغسل الخفيف وسماه مسحا رداً على من يتتبع الشك و يسرف فى الماء وهو بعيد (قوله وهما) أى الكعبان (قوله عند مفصل) بفتح الميم وكسر الصاد وأما بكسر الميم وفتح الصاد فهو اللسان و يجب على الانسان فى غسل رجليه أن يتتبع العقب بالغسل لما فى الحديث «ويل للأعقاب من النار» وتسنّ الزيادة على محلّ الفرض عند الشافعى وفسر بها الغرّة والتحجيل الواردين فى الحديث وكره مالك ذلك وفسر الغرّة والتحجيل بادامة الطهارة (قوله والفصل) هو مبتدأ وخبره يفيد وقصده بذلك تتميم الفرائض الستة عند الشافعى ومحصل ذلك أن الواو و إن كانت لاتقتضى ترتيبا لكن وجدت قرينة تفيد الترتيب من وهو الفصل بين المغسولات بالرأس الممسوح لكن يقال إن ذلك ظاهر فى غير الوجه مع الأيدى وعند مالك ليس الترتيب فرضا وإنما هو سنة إبقاء للواو على ظاهرها ولم يعتبر تلك القرينة (قوله وجوب النية فيه) أى لأنه عبادة وكلّ عبادة تحتاج لنية فتحصل أن فرائض الوضوء عند الامام الشافعى ستة الأربعة القرآنية والنية والترتيب ، وعند مالك سبعة الأربعة والنية والموالاة بأن لايفرق بين أجزائه تفريقا متفاحشا والتدليك وهو إمرار باطن الكف على الأعضاء وعند الحنفية الأربعة القرآنية لاغير (قوله و إن كنتم جنبا) أى بمغيب الحشفة أو خروج المنى بلذة معتادة فى اليقظة أو مطلقا فى النوم أو الحيض أو النفاس لأن الخطاب عام للذكور والاناث (قوله أى أحدث) أى فالمجىء من الغائط كناية عن الحدث وعبر عنه بالغائط لأن العادة قضاء الحاجة فى الغائط بمعنى المكان المنخفض (قوله سبق مثله) أى فيقال هنا جامعتم أوجستم باليد (قوله مع المرفقين) أى فهو فرض عند الشافعى حملا على آية الوضوء وعند مالك مسح المرفقين سنة و إنما الفرض للكوعين (قوله بضربتين) أى فهما فرض عند الشافعى وعند مالك الأولى فرض والثانية سنة (قوله و بينت السنة الخ) جواب من الشافعية والحنفية عن التعارض الواقع بين آية الوضوء وآية التيمم (قوله من الوضوء والغسل والتيمم) أى فأوجب ماذكر عند القدرة عليه ووجود الماء أو الصعيد فان فقدا معا سقطت عنه الصلاة وقضاؤها على المعتمد عند مالك و يصلى و يقضى عند الشافعى .

(قوله من الأحداث والذنوب) أى فاذا تطهر الانسان فقد خلص من الحدث والذنوب لأنه ورد أن الذنوب تتساقط مع غسل الأعضاء (قوله بالاسلام) الباء للتعدية والجار والمجرور متعلق بنعمة فهو أعظم النعم لأنه به ينال كل خير (قوله إذ قلتم) ظرف لقوله: واثقكم به (قوله حين بايعتموه) أى عند العقبة سنة الهجرة لما جاءه سبعون من الأنصار ورئيسهم إذ ذاك البراء بن معرور وكان له اليد البيضاء فى الميثاق حتى أنه قال والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب كابرا عن كابر، وبايعوه على أن يقاتلوا معه الأسود والأبيض وكذلك بيعة الرضوان تحت الشجرة حين صده المشركون عن البيت وأشاع إبليس أن عثمان قتل فبايع النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة على عدم الرجوع حتى يقتلوا أو يدخلوا مكة، هكذا حمل المفسر العهد على عهد النبى أصحابه، ويحتمل أن المراد العهد الواقع يوم ألست بربكم فيكون المعنى اذكروا نعمة الله عليكم حيث خلقكم على التوحيد فى عالم الأرواح وجعل عالم الأجساد موافقا له فالايمان نعمة عظيمة لموافقته للاجابة الواقعة يوم ألست بربكم وكل صحيح لكن إن كان المراد عهد الله الأزلى فالنسبة له ظاهرة و إن كان المراد عهد النبى لأصحابه فاسناد العهد لله لأنه هو المعاهد حقيقة قال تعالى ـ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ـ الآية (قوله سمعنا) أى سماع قبول (قوله بما نحب) أى بأن كان موافقا لما تهواه نفوسهم وقوله ونكره أى بأن لم يكن موافقا كالجهاد وأداء الزكاة مثلا (قوله بما فى القلوب) أى من الاخلاص وغيره فذات الصدور صفة لموصوف (٢٥٥) محذوف تقديره بالأمور الخفية صاحبات الصدور التى لايطلع عليها إلا الله (قوله يأيها الذين آمنوا الخ) شروع فى بيان الحقوق الواجبة على العباد وهى قسمان متعلق بالخالق وهو قوله قوامين لله و بالمخلوق وهو قوله شهداء بالقسط وقد تقدمت هذه الآية فى النساء وكررها اعتناء بشأنها فان مقام القيام بحق الله وحق عباده عظيم وهو حقيقة التوفيق فليس كل من آمن قام بالحقين وقوله قوامين خبر لكونوا وشهداء خبر ثان (قوله بحقوقه) أى الخاصة به كالصلاة والصوم والحج وغير ذلك (قوله شهداء بالقسط) أى فلا تشهدوا بخلاف الواقع بل بما فى نفس الأمر وهو المراد بقوله بالعدل (قوله يحملنكم) هو معنى يجرمنكم ومن ثم عداه بعلى ويجوز أن يفسر بيكسبنكم وهما متقاربان (قوله شنآن) بفتح النون وسكونها سبعيتان (قوله أى الكفار) أشار به إلى أنها نزلت فى قريش لما صدوا النبى صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام ولكن العبرة بعموم اللفظ (قوله على أن لاتعدلوا) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بعلى أى على عدم العدل كنقض العهد و إيذاء من أسلم منهم (قوله فتنالوا منهم) أى مقصودكم من القتل وأخذ المال (قوله فى العدو والولى) أى فسووا بين المحب والمبغض فى العدل ولا تؤثروا المحب (قوله اعدلوا) تصريح بما علم من النهى عن ترك العدل اعتناء بشأن العدل (قوله أى العدل) أى المأخوذ من قوله اعدلوا فان الضمير لابد أن يرجع لمذكور ولو ضمنا كما هنا (قوله أقرب للتقوى) أى أقرب مايدل على التقوى لأنها فى القلب والعدل أكبر دليل عليها فعند القدرة يظهر الحال فمن ظهر العدل على يديه كان دليلا على تقواه ومن لا فلا ومنه ماورد: الظلم كمين فى النفس القوة تظهره والعجز يخفيه (قوله واتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله إن الله خبير بما تعملون) فيه وعد ووعيد و بين الوعد بقوله: وعد الله الذين آمنوا، و بين الوعيد بقوله: والذين كفروا الخ (قوله وعد الله الذين آمنوا) تفصيل لما أجمل فى قوله إن الله خبير بما تعملون والذين مفعول أول لوعد وقدر المفسر المفعول الثانى بقوله وعدا حسنا أى موعودا فأطلق

من الأحداث والذنوب (وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) بالإسلام ببيان شرائع الدين (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمه (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ) بالإسلام (وَمِيثَاقَهُ) عهده (الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ) عاهدكم عليه (إِذْ قُلْتُمْ) للنبى صلى الله عليه وسلم حين بايعتموه (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) فى كل ما تأمر به وتنهى مما نحب ونكره (وَاتَّقُوا اللهَ) فى ميثاقه أن تنقضوه (إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب فبغيره أولى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ) قائمين (لِلَّهِ) بحقوقه (شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ) يحملنكم (شَنَآنُ) بغض (قَوْمٍ) أى الكفار (عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا) فتنالوا منهم لعداوتهم (اعْدِلُوا) فى العدو والولى (هُوَ) أى العدل (أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وعدا حسنا (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ)

الصدر وأراد اسم للفعول وقوله لهم مغفرة وأجر عظيم جملة مستأنفة بيان للموعود به الحسن (قوله الجنة) تفسير للأجر العظيم فيكون عطف الأجر العظيم على المغفرة من عطف السبب على السبب (قوله والذين كفروا) مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان وأصحاب خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول والجملة مستأنفة لبيان وعيد الكفار ولم يقل في جانب الكفار لهم عذاب الجحيم مثلا قطعا لرجائهم لأن صاحب الشيء لاينفك عنه (قوله يأيها الذين آمنوا) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج هو وأصحابه لعسفان في غزوة ذي أنمار وهي غزوة ذات الرقاع قاموا إلى الظهر جميعا فلما صلوا ندم المشركون على عدم المكر بهم في الصلاة فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون بها صلاة العصر وهموا أن يقعوا بهم إذا قاموا إليها فرد الله كيدهم بنزول آية صلاة الخوف وقيل ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني قريظة ومعه أبو بكر وعمر وعليّ يستقرض منهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا ياأبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ماسألت فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله تعالى يده ونزل جبريل عليه وأخبره فخرج هو وأصحابه ونقض عهدهم حينئذ وأقام الحرب عليهم ،وقيل هو ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرق أصحابه في الشجر يستظلون به فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وعلق سيفه بها ونام فجاء أعرابي وأخذ السيف من الشجره وسله فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فوجده في يده فقال له الأعرابي يامحمد من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لاأحد،أشهد أن لاإله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . والأحسن أن يراد بقوله إذ همّ قوم ماهو أعم فيشمل هذه الوقائع وغيرها كواقعة السم

هو الجنة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ . يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ) هم قريش (أَنْ يَبْسُطُوا) يمدوا (إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) ليفتكوا بكم (فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ) وعصمكم مما أرادوا بكم (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بما يذكر بعد (وَبَعَثْنَا) فيه التفات عن الغيبة أقمنا (مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا) من كل سبط نقيب يكون كفيلا على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ،

(قوله أن يبسطوا الخ) يقال بسط إليه يده إذا بطش به و بسط إليه لسانه إذا شتمه والمراد مدوا إليكم أيديهم بالقتل (قوله واتقوا الله) أى دوموا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله وعلى الله) أى لاعلى غيره فلا يعتمد الانسان على سبب ولا غيره بل يثق بالله و يفوض أمره إليه (قوله ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لبيان تحريض المؤمنين على الوفاء بالعقود فان المقصود من ذكر الأمم السابقة ونقضهم عهود أنبيائهم تذكير هذه الأمة بأن الوفاء بالعهود أمره عظيم وأجره جسيم ونقضه فيه الوبال الكبير ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي : فالويل لمن لم يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقرّ بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك (قوله بما يذكر بعد) أى من قوله إني معكم لئن أقمتم الصلاة الخ فعهد الله هو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات والدال على ذلك تجب مطاوعته فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله القائم بحقوق الله وحقوق عباده إذا أخذ العهد بذلك على إنسان وجب عليه اتباعه ونقض عهده إما كفر إذا قصد نقض ماهو عليه من التوحيد وغيره أو ضلال مبين إذا قصد عدم الالتزام بأوراده،وأما من خالف الشرع واتبع هوى نفسه فالواجب نقض عهده لأن من لاعهد له مع الله لاعهد له مع خلقه قال تعالى ـ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ـ هكذا ينبغي (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى وكان مقتضى الظاهر و بعث و إنما التفت اعتناء بشأن البعث (قوله أقمنا) أشار بذلك إلى أن المراد بالبعث الجعل والاقامة لا الارسال و إلا لكانوا معصومين من النقض (قوله منهم) إما متعلق ببعثنا أو بمحذوف حال من اثنى عشر وقوله نقيبا تمييز والنقيب فعيل إما بمعنى فاعل لأنه يفتش على أحوال القوم أو بمعنى مفعول لأنهم فتشوا عليه واختاروه نقيبا عليهم مشتق من التنقيب وهو التفتيش ومنه فنقبوا في البلاد سمي بذلك لأنه يفتش عن أحوال القوم و يسعى في مصالحهم (قوله من كل سبط نقيب) أى فالنقباء على عدد الأسباط وهم أولاد يعقوب وكانوا اثنى عشر كل أولاد واحد منهم سبط (قوله توثقة عليهم) أى تأكيدا عليهم .

(قوله وقال لهم) أى للنقباء وعهد النقباء هو عهد بنى إسرائيل أو الضمير عائد على بنى إسرائيل عموما. وسبب ذلك أن بنى إسرائيل لما رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله تعالى بالسير إلى أريحاء بأرض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم إنى كتبتها لكم دارا وقرارا فأخرجوا من فيها و إنى ناصركم وأمر موسى أن يأخذ من كل سبط نقيبا أمينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به ، فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بنى إسرائيل وسار بهم ، فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء إليهم يتجسسون أحوالهم فرأوا خلقا أجسامهم عظيمة ولهم قوة وشوكة فهابوهم فرجعوا ، وكان موسى قد نهاهم أن يتحدثوا بما يرون من أحوال الكنعانيين فنكثوا الميثاق وتحدثوا إلا اثنين منهم ، قيل لما توجه النقباء لتجسس أحوال الجبارين لقيهم عوج ابن عنق وعنق أمه إحدى بنات آدم لصلبه وكان عمره ثلاثة آلاف سنة وطوله ثلاثة آلاف وثلثمائة وثلاثين ذراعا وكان على رأسه حزمة حطب فأخذ النقباء وجعلهم فى الحزمة وانطلق بهم إلى امرأته فطرحهم بين يديها وقال اطحنيهم بالرحى ، فقالت لا بل نتركهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا فجعلوا يتعرفون أحوالهم ، وكان من أحوالهم أن عنقود العنب عندهم لا يحمله إلا خمسة رجال منهم و إن قشرة الرمانة تسع خمسة منهم ، فلما خرج النقباء من أرضهم قال بعضهم لبعض إن أخبرتم بنى إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموه إلا عن موسى وهرون ثم انصرفوا (٢٥٧) إلى موسى وكان معهم حبة

(وَقَالَ) لهم (اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ) بالعون والنصرة (لَئِنْ) لام قسم (أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ) نصرتموهم (وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بالانفاق فى سبيله (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) الميثاق (مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أخطأ طريق الحق، والسواء فى الأصل الوسط فنقضوا الميثاق قال الله تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِمْ) ما زائدة (مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ) أبعدناهم عن رحمتنا (وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) لا تلين لقبول الإيمان (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) الذى فى التوراة من نعت محمد وغيره (عَنْ مَوَاضِعِهِ) التى وضعه الله عليها أى يبدلونه (وَنَسُوا) تركوا (حَظًّا) نصيبا (مِمَّا ذُكِّرُوا) أمروا (بِهِ) فى التوراة من اتباع محمد (وَلَا تَزَالُ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (تَطَّلِعُ) تظهر (عَلَى خَائِنَةٍ) أى خيانة (مِنْهُمْ) بنقض العهد وغيره (إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ) ممن أسلم (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) وهذا منسوخ بآية السيف ،

من عنبهم فنكثوا عهدهم وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه عن القتال ويخبره بما رأى إلا كالب ويوشع وكان عسكر موسى فرسخا فى فرسخ فجاء عوج ابن عنق حتى نظر إليهم فجاء إلى جبل وأخذ منه صخرة على قدر عسكر موسى ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقر وسط الصخرة المحاذى لرأسه فوقعت فى عنقه وطوقته فصرعته وأقبل موسى فقتله فأقبلت جماعته حتى حزوا رأسه ، وهذه القصة ذكرها كثير من المفسرين . قال المحققون : الحق أنه لا عوج ولا عنق و إنما الصحيح من القصة وجود الجبارين وقريتهم وأنهم عظام الأجسام ، و بالجملة فالصحيح هو ما قصه الله علينا فيما يأتى فى هذا الربع (قوله لام قسم) أى والله وجوابه هو قوله لأكفرن وحذف جواب الشرط لتأخره عن القسم اكتفاء بجواب القسم . قال ابن مالك :

* واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أخرت (قوله وآمنتم برسلى) أخره عن الصلاة والزكاة مع أنهما من الفروع لأن بعضهم كان يفعلهما مع كونه يكذب ببعض الرسل ، فأفاد الله تعالى أن عدم الايمان لا ينفع مع فعل الطاعات (قوله وعزرتموهم) من التعزير يطلق على التعذيب وعلى التعظيم والتوقير والنصرة وهو المراد هنا (قوله بالانفاق فى سبيله) أى واجبا أو مندوبا وهو أعم من الزكاة (قوله فنقضوا الميثاق) أى بتكذيبهم الرسل وقتلهم الأنبياء وتضييعهم الفرائض (قوله يحرفون الكلم) بيان لقسوة قلوبهم (قوله تركوا) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك من إطلاق الملزوم و إرادة اللازم (قوله خيانة) أشار بذلك إلى أن خائنة بمعنى خيانة فالتاء للتأنيث بدليل القراءة الأخرى خيانة (قوله وهذا) أى الأمر بالعفو والصفح منسوخ إن أريد مع بقائهم على الكفر ، وأما إن أريد إن تابوا فلا نسخ .

(قوله ومن الذين قالوا إنا نصارى) شروع في بيان قبائح النصارى إثر بيان قبائح اليهود والحكمة في قوله قالوا ولم يقل ومن النصارى أن هذه التسمية واقعة منهم لأنفسهم ولم يسمهم الله تعالى بذلك والجار والمجرور متعلق بأخذنا ، والأصل وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وهو الأحسن ، ولذا مشى عليه المفسر وقدم الجار والمجرور على قوله ميثاقهم هروبا من عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة وهو غير جائز إلا في مواضع ليس هذا منها ، ونصارى نسبة للنصر لأنهم يزعمون أنهم أنصار الله ومفرده نصران ونصرانة ولكن ياء النسب لاتفارقه ، وقيل نسبة لقرية اسمها نصرة فيكون مفرده نصرى ثم أطلق على كل من تعبد بهذا الدين (قوله ميثاقهم) أي عهدهم المؤكد (قوله فنسوا حظا) أي تركوه (قوله من الايمان) أي بمحمد وبجميع الأنبياء ، وقوله وغيره : أي غير الايمان كبشارة عيسى بمجيء محمد بعده رسولا (قوله ونقضوا الميثاق) أي بتكذيب الأنبياء وتحريف ما في الانجيل . وهذا مرتب على قوله فنسوا حظا وكذا قوله فأغرينا وهو من غرا بالشيء إذا لصق به ، يقال غروت الجلد ألصقته بالغراء وهو كناية عن إيقاع العداوة بينهم والتعبير بالاغراء أبلغ كأن العداوة لاصقة بهم كالغراء اللاصق بالجلد (قوله بينهم) متعلق بأغرينا والضمير عائد على اليهود والنصارى : أي ألقينا العداوة بين اليهود والنصارى فكل من الفريقين تلعن الأخرى ، وقيل الضمير عائد على النصارى فقط باعتبار فرقهم لأنهم ثلاث فرق : الملكانية واليعقوبية والنسطورية فكل فرقة تلعن الأخرى وإنما لم يظهروا ذلك بين المسلمين خوفا من الشماتة بهم فكل فرقة تكفر الأخرى : أي في الدنيا وفي الآخرة كلما دخلت أمة لعنت أختها (قوله وسوف ينبئهم الله في الآخرة) أي بقوله يوم القيامة ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ـ الآية

(وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى) متعلق بقوله (أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ) كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود (فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ) في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق (فَأَغْرَيْنَا) أوقعنا (بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بتفرقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تكفر الأخرى (وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ) في الآخرة (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد (يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ) تكتمون (مِنَ الْكِتَابِ) التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته (وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) هو نور النبي صلى الله عليه وسلم (وَكِتَابٌ) قرآن (مُبِينٌ) بين ظاهر (يَهْدِي بِهِ) أي بالكتاب (اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) بأن آمن (سُبُلَ السَّلَامِ) طريق السلامة (وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (بِإِذْنِهِ) بإرادته (وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) دين الإسلام (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) حيث جعلوه إلها وهم اليعقوبية فرقة من النصارى (قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ) أن يدفع (مِنَ) عذاب (اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا) أي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلها لقدر عليه ،

(قوله يا أهل الكتاب) خطاب للفريقين جميعا بعد أن ذكر كل فرقة على حدة (قوله كآية الرجم وصفته) أي فقد أخفوهما وأطلع الله نبيه على أنهما في التوراة فبين ذلك وأظهره وهو معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ كتابهم ولم يجالس بين يدي معلم ، وهذا مثال لما في التوراة ولم يمثل لما في الانجيل ولو مثل له لقال وكبشارة عيسى بمحمد (قوله ويعفو عن كثير) أي من قبائحهم كسبه فيما بينهم والكلام في شأنه هو والقرآن فلم يتعرض لهم في ذلك (قوله هو النبي) أي وسمي نورا لأنه ينور البصائر ويهديها للرشاد ولأنه أصل كل نور حسي ومعنوي (قوله من اتبع رضوانه) أي من سبق في علم أنه يتبع رضوانه (قوله طرق السلامة) أي من العذاب والنجاة من العقاب وسبل السلام منصوب بنزع الخافض وإيضاحه أن يتعدى إلى المفعول الثاني بإلى أو باللام . قال تعالى ـ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم (قوله وهم اليعقوبية) أي القائلون بالاتحاد (قوله ومن في الأرض جميعا) هذا ترق في الرد عليهم (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي .

(ولله

(قوله ولله ملك السموات والأرض) ترق فى الرد عليهم أيضا (قوله شاءه) أى تعلقت به إرادته وهى الممكنات خرج بذلك ذاته وصفاته والمستحيلات فلا تتعلق القدرة والارادة بشىء من ذلك (قوله أى كأبنائه فى القرب) أى فالمعنى على التشبيه وهذا هو الصحيح، وقيل المعنى أبناء أنبياء الله فالكلام على حذف مضاف. وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه وهذه مقالة اليهود، وأما النصارى فقالوا مثلهم زاعمين أن الله قال فى الانجيل إن المسيح قال لهم إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم (قوله قل لهم يا محمد) أى إلزاما لهم وتبكيتا إن صح ما زعمتم فلأى شىء يعذبكم فى الدنيا بالقتل والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم فى الآخرة بالنار أياما بعدد أيام عبادة العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر منكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع (قوله لا اعتراض عليه) أى لأنه القادر الفعال بالاختيار (قوله على فترة من الرسل) أى فى وقت لا تعرفون فيه توحيدا فعليكم باتباعه (قوله إذ لم يكن بينه و بين عيسى رسول الخ) هذا هو الصحيح، وقيل كان بين محمد وعيسى أربعة رسل ثلاثة من بنى إسرائيل وواحد من حمير وهو خالد بن سنان (قوله ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة) وقيل خمسمائة وخمسة وستون، وقيل خمسمائة وأربعون، وقيل أربعمائة و بضع وثلاثون والصحيح أنها ستمائة ومدة ما بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة لكنها ليست فترة لبعثة كثيرين من الأنبياء بينهما و يتعبدون بشريعة موسى كداود وسليمان وزكريا ويحيى (قوله لئلا تقولوا) أشار بذلك إلى أن أن المصدرية دخلت عليها اللام ولا النافية مقدرة بعدها، والتقدير لعدم قولكم ما جاءنا الخ (قوله زائدة) أى فى فاعل جاء (قوله واذكر إذ قال موسى) أشار بذلك إلى

(وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ) شاءه (قَدِيرٌ. وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى) أى كل منهما (نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ) أى كأبنائه فى القرب والمنزلة وهو كأبينا فى الرحمة والشفقة (وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ) لهم يا محمد (فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ) إن صدقتم فى ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون (بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ) من جملة مَن (خَلَقَ) من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم (يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له (وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه لا اعتراض عليه (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا) محمد (يُبَيِّنُ لَكُمْ) شرائع الدين (عَلَى فَتْرَةٍ) انقطاع (مِنَ الرُّسُلِ) إذ لم يكن بينه و بين عيسى رسول، ومدة ذلك خمسمائة وستون سنة لـ(أَنْ) لا (تَقُولُوا) إذا عذبتم (مَا جَاءَنَا مِنْ) زائدة (بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ) فلا عذر لكم إذاً (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ) أى منكم (أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً) أصحاب خدم وحشم (وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ) من المنّ والسلوى وفلق البحر وغير ذلك،

أن إذ ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر، والمقصود من ذلك توبيخ اليهود الذين فى زمنه صلى الله عليه وسلم وتسليته على عدم إيمانهم به و بيان نقضهم العهد تفصيلا، والمعنى تسلّ ولا تحزن من عدم إيمانهم بك ومن تكذيبك فانهم كذبوا من يدعون أنه نبيهم إلى الآن (قوله اذكروا نعمة الله) أى تذكروها واشكروا عليها (قوله إذ جعل فيكم أنبياء) أى بكثرة ولم تكن فى غيركم (قوله وجعلكم ملوكا) أى ببسط الدنيا لكم وذلك بعد إغراق فرعون (قوله خدم) جمع خادم وهو صادق بالذكر والأنثى، وقوله وحشم هم الخدم لكن من الرجال، ورد أن أوّل من ملك الخدم بنو إسرائيل وكان يقال من كانت عنده دابة وجارية وزوجة فهو ملك، وقيل الملك من اتسعت داره وكان فيها النهر يجرى، وقيل جعلكم ملوكا: أى أحرارا بعد استرقاق فرعون لكم (قوله من العالمين) أى مطلقا لأن فلق البحر والمنّ والسلوى لم يكن لأحد غيرهم ولا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا حاجة هنا للتأويل بعالمى زمانهم (قوله من المنّ والسلوى) بيان لما. إن قلت إن هذه المقالة وقعت حين أخذ الميثاق عليهم فى قتال الجبارين فلا يظهر قول المفسر من المنّ والسلوى لأنه لم ينزل عليهم إلا فى التيه وذلك بعد توجههم من مصر لقتال الجبارين فحينئذ كان المناسب للمفسر أن يقول من النبوة والملك وفلق البحر. وقد يجاب بأنه لا مانع من ذكر هذه الكلمة فى التيه أيضا.

(قوله ياقوم) الجمهور على كسر الميم من غير ياء وقرئ بضم الميم إجراء له مجرى المفرد و بالياء مفتوحة لأنه منادى مضاف لياء التكلم ، قال ابن مالك : واجعل منادى صح إن يضف ليا كعبد عبدى عبد عبدا عبديا

(قوله المطهرة) إنما سميت مطهرة لسكنى الأنبياء المطهرين فيها فشرفت وطهرت بهم فالظرف طاب بالمظروف . إن قلت إن الجبارين كانوا فيها وهم غير مطهرين . أجيب بأن الخير يغلب الشر والنور يغلب الظلمة (قوله أمركم بدخولها) دفع بذلك مايقال كيف الجمع بين الكتابة التى تفيد تحتم الدخول و بين قوله قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة. فأجاب بأن المراد بالكتب الأمر بالدخول . وأجيب أيضا بأن قوله التى كتب الله لكم أى قدرها فى اللوح المحفوظ إن لم تقع منكم مخالفة وقد وقعت فحرمت عليهم أربعين سنة فهو قضاء معلق (قوله ولا ترتدوا على أدباركم) أى ترجعوا إلى مصر فانهم لما سمعوا بأخبار الجبارين قالوا نجعل لنا رئيسا ينصرف بنا إلى مصر وصاروا يبكون و يقولون ليتنا متنا بمصر (قوله فتنقلبوا خاسرين) أى لأن الفرار من الزحف من الكبائر (قوله قال رجلان) وصفهما بصفتين الأولى قوله من الذين يخافون والثانية قوله أنعم الله عليهما وهو حسن لأن فيه الوصف بالجملة بعد الوصف بالجار والمجرور وهو من قبيل المفرد (قوله وهما يوشع) أى ابن نون وهو الذى نبئ بعد موسى وقوله وكالب بكسر اللام وفتحها ابن يوقنا (قوله بقية النقباء) أى الاثنى عشر وقوله فأفشوه أى خبر الجبارين وقوله فجبنوا أى بنو إسرائيل (قوله ادخلوا عليهم الباب) أى امنعوهم من الخروج لئلا يجدوا فى أنفسهم قوة للحرب بخلاف ما إذا دخلتم عليهم القرية بغتة فانهم لايقدرون على الكر والفر

(يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) المطهرة (الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ) أمركم بدخولها وهى الشام (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ) تنهزموا خوف العدو (فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) فى سعيكم (قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) من بقايا عاد طوالا ذوى قوة (وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ) لها (قَالَ) لهم (رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ) مخالفة أمر الله وهما يوشع وكالب من النقباء الذين بعثهم موسى فى كشف أحوال الجبابرة (أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا) بالعصمة فكتما ما اطلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا (ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ) باب القرية ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب (فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ) قالا ذلك تيقنا بنصر الله و إنجاز وعده (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا) هم (إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) عن القتال (قَالَ) موسى حينئذ (رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ) إلا (أَخِي) ولا أملك غيرهما فاجبرهم على الطاعة (فَافْرُقْ) فافصل (بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ) تعالى له (فَإِنَّهَا) أى الأرض المقدسة (مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ) أن يدخلوها (أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ) يتحيرون (فِي الْأَرْضِ)،

(قوله بلا قلوب) أى قوية نافعة (قوله تيقنا بنصر الله) أى فانهما مصدقان بذلك لأخبار موسى وهى لهما بذلك (قوله وعلى الله فتوكلوا) أى بعد ترتيب الأسباب ولا تعتمدوا عليها فانها غير مؤثرة (قوله ماداموا فيها) أى مدة إقامتهم فيها (قوله أنت وربك) قيل إن الواو للعطف وربك معطوف على الضمير المستتر فى اذهب وقد وجد الفاصل بالضمير المنفصل . قال ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أى وليذهب ربك. واختلف فى الرب فقيل هو المولى جل وعلا فاسنادهم الذهاب إليه على حقيقته لأنهم كانوا يعتقدون التجسيم وقيل المراد به هرون وسموه ربا لأنه كان أكبر من موسى بسنة وهو الأحسن ويدل عليه السياق وقيل الواو للحال وربك مبتدأ خبره محذوف تقديره يعينك (قوله لا أملك غيرهما) إن قلت إن يوشع وكالب كانا فى طاعته أيضا . أجيب بأنه لم يثق بهما (قوله فافرق بيننا) أى احكم لنا بما نستحقه ، احكم لهم بما يستحقونه وكان الأمر كذلك فصار التيه رحمة لموسى وهرون وعذابا على بنى إسرائيل (قوله أربعين سنة) يصح أن يكون ظرفا لقوله يتيهون وعلى هذا فهى محرمة عليهم أبدا لأنهم انقرضوا ومادخلها إلا من لم يبلغ العشرين حين الميثاق وقيل ظرف لقوله محرمة وعلى هذا فالتحريم مقيد بتلك المدة وقيل ظرف لهما معا .

(قوله وهى تسعة فراسخ) أى عرضا وطولها ثلاثون فرسخا (قوله فلا تأس على القوم الفاسقين) أى وذلك أنه ندم على دعائه عليهم فقيل له لا تأس فانهم أحق بذلك (قوله ومات هرون وموسى فى التيه) ومات موسى بعد هرون بسنة ، وقيل إن موسى هو الذى ملك الشام وكان يوشع على مقدمته وعاش فيها زمنا طويلا ومات ولم يعلم له قبر وهما طريقتان قيل إن موسى وهرون توجها إلى البرية فمات هرون فدفنه أخوه موسى ثم رجع إلى قومه فقالوا قتلته لحبنا إياه فتضرع موسى إلى ربه فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى هرون فانى باعثه فانطلق بهم إلى قبره فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض رأسه قال أنا قتلتك ؟ قال لا ولكننى مت قال فعد إلى مضجعك ، وروى أن موسى خرج ليقضى حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا أحسن منه ولا مثل مافيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ فقالوا لعبد كريم على ربه فقال إن هذا العبد لمن الله بمنزلة مارأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة ياصفى الله أتحب أن يكون لك ؟ قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك قال فنزل فاضطجع فيه وتوجه إلى ربه ثم تنفس أسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب ، وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه ، وقيل إنه روى أن ملك الموت جاءه وقال له أجب أمر ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها فقال ملك الموت يارب إنك أرسلتنى إلى عبد لايريد الموت وقد فقأ عينى قال فرد الله تعالى عينه وقال له ارجع إلى عبدى فقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بكل شعرة سنة قال ثم ماذا ؟ قال ثم تموت قال فالآن من قريب ، قال رب أدننى من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله لو أنى عنده لأريتكم قبره إلى جانب الطور عند الكثيب الأحمر ورواية فقء عين ملك الموت متكلم فيها وعلى فرض ورودها ففقء عين الملك من خصوصيات موسى لأن الملك

وهى تسعة فراسخ قاله ابن عباس (فَلَا تَأْسَ) تحزن (عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) روى أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذاهم فى الموضع الذى ابتدءوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين ، قيل وكانوا ستمائة ألف ، ومات هرون وموسى فى التيه وكان رحمة لهما وعذابا لأولئك ، وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه كما فى الحديث ، ونبئ يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقى معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وروى أحمد فى مسنده حديث « إن الشمس ،

لا تحكم عليه الصورة ولا يقال إن هذا جناية حرام . لأننا نقول إنه فقأ عين الصورة المتشكل فيها لا الصورة الأصلية وقصده بتلك الفعلة نهيه عن أن يأتى للمؤمن فى صورة فظيعة كما قرره أشياخنا (قوله وكان رحمة لهما) أى وكذا يوشع وكالب وذلك كنار إبراهيم فانها جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وعذابا لأولئك) أى من حيث السير وقد أنعم الله عليهم فى التيه بنعم عظيمة منها أنهم شكوا لموسى حالهم من الجوع والعرى فدعا الله تعالى فأنزل عليهم المن والسلوى وأعطاهم من الكسوة مايكفيهم كل واحد على مقدار هيئته وشكوا له العطش فأتى موسى بحجر من جبل الطور فكان يضرب بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا وشكوا الحر فأرسل الله عليهم الغمام يظلهم وكان يطلع لهم عمود من نور يضىء لهم بالليل ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله ويتسع بقدره (قوله أن يدنيه) أى يقربه من الأرض المباركة أى يدفن بقربها لكونها مطهرة مباركة ويؤخذ من ذلك أن الانسان ينبغى له أن يتحرى الدفن فى الأرض المباركة بقرب نبى أو ولى وإنما لم يسأل الدفن فيها خوفا من أن يعرف قبره فيفتتن به الناس (قوله بعد الأربعين) أى مدة التيه (قوله بمن بقى) أى وهم أولادهم الذين لم يبلغوا العشرين سنة حين أخذ الميثاق (قوله وقاتلهم) روى أن الله نبأ يوشع بعد موت موسى وأخبرهم أن الله قد أمرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه فتوجه ببنى إسرائيل إلى أريحاء ومعه تابوت الميثاق وأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر وفتحوها فى الشهر السابع ودخلوها فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس على وقال للشمس إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد فى النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين ثم تتبع ملوك الشام فقتل منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت الشام كلها لبنى إسرائيل وفرق عماله فى نواحيها ثم مات يوشع ودفن بجبل إبراهيم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره أمر بنى إسرائيل بعد موسى سبعا وعشرين سنة .

(قوله لم تحبس على بشر) أى قبل يوشع و إلا فقد حبست لنبينا مرتين يوم الخندق حين شغل هو وأصحابه عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر وصبيحة ليلة الاسراء حين انتظر قدوم العير وز بدفى رواية مرة لعلى بن أبى طالب حين كان النبى نائما على فخذه ولم يكن صلى العصر فما استيقظ حتى غربت الشمس فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم إن عليا فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس حتى يصلى العصر (قوله ليالى سار) أى أيام سيره أى توجهه لقتالهم (قوله واتل عليهم) معطوف على العامل المحذوف فى قوله ــ و إذ أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل ــ عطف قصة على قصة أى اذكر ماوقع من بنى إسرائيل واتل عليهم نبأ ابنى آدم الخ (قوله على قومك) أى سواء كانوا يهودا أونصارى أومشركين (قوله خبر ابنى آدم) أى قصتهما وما وقع لهما (قوله هابيل) هو السعيد المقتول وقابيل هو الشقى القاتل وظاهر الآية أنهما من أولاد آدم لصلبه وهو التحقيق و يؤيده قوله فيما يأتى فبعث الله غرابا وقيل لم يكونا لصلبه بل هما رجلان من بنى إسرائيل بدليل قوله فى آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل والأول هو الصحيح وقابيل هو أول أولاده وهابيل بعده بسنة وكلاهما بعد هبوطه إلى الأرض بمائة سنة ، وقيل إن قابيل هو وأخته ولدا فى الجنة ولم تر حوّاء لهما وحما ولا وصبا ولا دما نفاس وأما بقية أولاده فبالأرض ولذا كان يفتخر قابيل على هابيل و يقول له إنى ابن الجنة وأنت ابن الأرض فأنا خير منك . وحاصل ذلك أن حوّاء ولدت لآدم عشرين بطنا فى كل بطن ذكر وأنثى فصار الذكور عشرين والإناث كذلك فلما قتل قابيل هابيل نقصت الذكور عن الاناث فرزقه الله بشيث ومعناه هبة الله فتماثل الذكور مع الاناث (قوله بالحق) الجار والمجرور يحتمل أن يكون متعلقا بمحذوف صفة لمصدر محذوف تقديره اتل تلاوة ملتبسة بالحق أوحال من فاعل

اتل أى اتل عليهم حال كونك ملتبسا بالحق أى الصدق أوحال من المفعول وهو نبأ أى اتل نبأهما حال كونه ملتبسا بالحق وكل صحيح والمقصود من ذكر هذه القصص الاخبار بما فى الكتب القديمة لتقوم الحجة على أربابها وغيرهم فالاخبار بها من جملة المعجزات (قوله إذ قربا قربانا) أى قرّب كل واحد قربانا والقربان مايتقرّب به إلى الله . وسبب ذلك الذى أنه كان فى شرع آدم إذا كبر أولاده زوّج ذكر هذه البطن لأنثى بطن أخرى فأمره الله أن يزوّج قابيل أخت هابيل وكانت دميمة وهابيل أخت قابيل وكانت جميلة فرضى هابيل وأبى قابيل وقال إنك ما أمرتنا برأيك لامن عند الله فقال لهما قرّبا قربانا فأيكما تقبل منه فهو أحق بالجميلة فذهب هابيل وأخذ كبشا من أحسن غنمه وقرّبه وذهب قابيل لصبرة قمح من أردإ ماعنده وقيل قت ردىء حتى إنه وجد سنبلة جيدة ففركها وأكلها وكان علامة قبول القربان نزول نار من السماء تحرقه فنزلت على كبش هابيل فأحرقته وقيل رفع إلى السماء حتى نزل فداء للذبيح ولم يتقبل من قابيل (قوله فغضب) أى لأمرين فوزه بالجميلة و بقبول قربانه (قوله إنما يتقبل الله من المتقين) أى ولم يكن عندك تقوى لعقوقك لأبيك وعدم إخلاصك فى القربان (قوله لتقتلنى) اللام للتعليل أى لأجل قتلى (قوله ما أنا بباسط) جواب القسم لتقدمه وحذف جواب الشرط لتأخره قال ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

والباء فى بباسط زائدة فى خبرما على أنها حجازية وفى خبر المبتدإ على أنها تميمية (قوله إنى أخاف الله) أى فالمانع لى من قتلك خوف الله وكان فى شرعهم لايجب دفع الصائل بل يجب الاستسلام له وأما فى شرعنا فعند الشافعى يسنّ الاستسلام للمسلم الصائل و يجب قتل الكافر وعند مالك دفع الصائل واجب ولو بالقتل مسلما أوكافرا (قوله إنى أريد أن تبوء بإثمى) هذا تخويف من هابيل لقابيل لعله ينزجر . إن قلت إنه لاتحل إرادة المعصية من الغير . أجيب بأجوبة منها أن الهمزة محذوفة والاستفهام للانكار والأصل أإنى أريد والمعنى لا أريد و يؤيد هذا قراءة أنى بفتح النون بمعنى كيف ، ومنها أن لا محذوفة أى أن لاتبوء على حد إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا

لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالى سار إلى بيت المقدس» (وَاتْلُ) يا محمد (عَلَيْهِمْ) على قومك (نَبَأَ) خبر (ابْنَىْ آدَمَ) هابيل وقابيل (بِالْحَقِّ) متعلق باتل (إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا) إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل (فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا) وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه (وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ) وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد فى نفسه إلى أن حج آدم (قَالَ) له (لَأَقْتُلَنَّكَ) قال لم ؟ قال لتقبل قربانك دونى (قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ . لَئِنْ) لام قسم (بَسَطْتَ) مددت (إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) فى قتلك (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ) ترجع (بِإِثْمِي) بإثم قتلى (وَإِثْمِكَ) ،

الذى ارتكبته من قبل (فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم ، قال تعالى (وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ . فَطَوَّعَتْ) زينت (لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ) فصار (مِنَ الْخَاسِرِينَ) بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بنى آدم فحمله على ظهره (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ) ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب ميت معه حتى واراه (لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي) يستر (سَوْءَةَ) جيفة (أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ) عن (أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ) على حمله وحفر له وواراه (مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ) الذى فعله قابيل (كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ) أى الشأن (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ) قتلها (أَوْ) بغير (فَسَادٍ) أتاه (فِي الْأَرْضِ) من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه (فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا) بأن امتنع من قتلها (فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) قال ابن عباس من حيث انتهاك حرمتها وصونها (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ) أى بنى إسرائيل (رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ) مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك . ونزل ،

(قوله الذى ارتكبته) أى كالحسد ومخالفة أمر أبيه (قوله وذلك) أى المذكور وهو النار (قوله زينت) أى سهلت عليه القتل (قوله فقتله) قيل لما قصد قتله لم يدر كيف يقتله فتمثل له إبليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وقابيل ينظر فتعلم القتل فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو صابر ، واختلف فى موضع قتله فقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الأعظم (قوله فحمله على ظهره) أى فى جراب قيل أربعين يوما وقيل سنة . روى لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الأرض بمن عليها سبعة أيام وشربت دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله يا قابيل أين أخوك هابيل فقال ما أدرى ما كنت عليه رقيبا فقال الله له إن دم أخيك ليناديني من الأرض فلم قتلت أخاك ؟ فقال فأين دمه إن كنت قتلته فحرم الله على الأرض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا . ويروى أنه لما قتل قابيل هابيل كان آدم بمكة فاشتاك الشجر أى ظهر له شوك وتغيرت الأطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الأرض فقال آدم قد حدث فى الأرض حادث ، فلما رجع آدم سأل قابيل عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك فغضب عليه فذهب قابيل مطرودا فأخذ أخته وهرب بها إلى عدن فأتاه إبليس وقال له إنما أكلت النار قربان هابيل لأنه كان يعبد النار فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به أحد إلا رماه بالحجارة فأقبل ابن لقابيل أعمى ومعه ابنه فقال ابن الأعمى لأبيه هذا أبوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الأعمى لأبيه قتلت أباك قابيل فرفع الأعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الأعمى ويل لى قتلت أبى برميتى وابنى بلطمتى واستمرت ذرية قابيل يفسدون فى الأرض إلى أن جاء طوفان نوح فأغرقهم جميعا فلم يبق منهم أحد ولله الحمد وأبقى الله ذرية شيث إلى يوم القيامة وما مات آدم حتى رأى من ذريته أربعين ألفا (قوله ويثيره على غراب ميت معه) أى بعد أن وضعه فى الحفرة التى نبشها (قوله يا ويلتى) كلمة تحسر والألف بدل من ياء المتكلم أى هذا أوانك فاحضرى (قوله أعجزت) تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب (قوله فأصبح) أى صار وقوله من النادمين على حمله أى أو على عدم اهتدائه للدفن أولا فلا يقال إن الندم توبة فيقتضى أنه تاب فلا يخلد فى النار (قوله الذى فعله قابيل) أى من الفساد (قوله كتبنا على بنى إسرائيل) إنما خصهم بالذكر وإن كان القصاص فى كل ملة لأن اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة أقدموا على قتل الأنبياء والأولياء وذلك يدل على قسوة قلوبهم (قوله ومن أحياها) أى تسبب فى بقائها إما بنهى قاتلها عن قتلها أو بإطعامها وحفظها من الأسباب المهلكة (قوله أى من حيث انتهاك حرمتها) أى النفوس المقتولة ولذا ورد فى الحديث «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» فقابيل عليه وزر كل من وقع منه القتل من بنى آدم لتسببه فى ذلك فإنه أول من وقع منه القتل (قوله ونزل) وجه المناسبة بينها وبين قصة ابنى آدم ظاهرة لأن قابيل قتل وأفسد فى الأرض هو وذريته .

(قوله في العرنيين) جمع عرني نسبة لعرينة قبيلة من العرب كجهني نسبة لجهينة وكانوا ثمانية رجال قدموا المدينة وأظهروا الاسلام وكانوا مرضى فاشتكوا له صلى الله عليه وسلم من مرضهم فأمرهم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة وكانت خمسة عشر ترعى في الجبل مع عتيق للمصطفى يقال له يسار النوبي فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الإبل وارتدوا عن الاسلام فقد وقع منهم المحاربة والقتل والسرقة والارتداد فبلغ رسول الله خبرهم فأرسل خلفهم نحو عشرين فارسا فأتوا بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمر أعينهم أي كحلهم بالنار وتركهم بالحرة يعضون الحجارة ويستسقون فلم يسقهم أحد . إن قلت إن تسمير الأعين وموتهم بالجوع والعطش مثلة ، ورسول الله نهى عنها ؟ أجيب بأجوبة منها أنهم فعلوا بالراعي كذلك ، ومنها أن ذلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم فيهم ، ومنها أن ذلك كان جائزا ثم نسخ (قوله ويشربوا من أبوالها) أخذ مالك من ذلك طهارة فضلة مأكول اللحم (قوله بمحاربة المسلمين) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله وهم المسلمون وأفاد به أن هذا الأمر مستمر إلى يوم القيامة (قوله ويسعون في الأرض) هذا تصوير للمحاربة وقوله فسادا مفعول لأجله أي يسعون لأجل الفساد (قوله بقطع الطريق) أي لأخذ المال أوهتك الحريم أوقتل النفوس (قوله أن يقتلوا) أي من غير صلب

وقوله أو يصلبوا أي مع القتل في محل مشهور لزجر غيره والتفعيل للتكثير لكثرة المحاربين (قوله أو ينفوا من الأرض) أي إلى مسافة القصر فما فوقها (قوله أولترتيب الأحوال) أي التقسيم فيها ، والمعنى أن هذه العقوبات على حسب أحوال المحاربين وبين المفسر ذلك ، قال بعض العلماء : أو في جميع القرآن للتخيير إلا هذه (قوله وعليه الشافعي) أي موافقا في الاجتهاد لابن عباس لامقلدا له وعند مالك أو على بابها للتخيير لكن بحسب مايراه الحاكم ليفيد

في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى الابل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الابل (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ) بمحاربة المسلمين (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) بقطع الطريق (أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ) أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى (أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ) أولترتيب الأحوال فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل واخذ المال ، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل والنفي لمن أخاف فقط ، قاله ابن عباس وعليه الشافعي وأصح قوليه أن الصلب ثلاثا بعد القتل وقيل قبله قليلا . ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره (ذَلِكَ) الجزاء المذكور (لَهُمْ خِزْيٌ) ذل (فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هو عذاب النار (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا) من المحاربين والقطاع (مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ) لهم ما أتوه (رَحِيمٌ) بهم ، عبر بذلك دون فلا تحدوهم ،

حدود المحارب أربعة لايجوز الخروج عنها وإنما الامام مخير في فعل أيها شاء بالمحارب مالم يقتل المحارب مسلما مكافئا ولم يعف وليه فانه يتعين قتله فان عفا الولي رجع التخيير للامام فما أوجبه الشافعي استحسنه مالك للامام وجاز غيره مثلا يجب على الامام قتل القاتل ولايجوز غيره من الصلب والقطع من خلاف عند الشافعي واستحسنه مالك للامام ويجوز غيره من الحدود (قوله أن الصلب ثلاثا) أي لاأقل إلا أن يخاف التغير ، وقيل يطال به حتى يتقطع جسده (قوله وقيل قبله قليلا) أي بحيث يحصل الزجر به وهذا مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة وعليه فيقتل وهو مصلوب (قوله ويلحق بالنفي ما أشبهه) أي لأن المقصود من النفي البعد عن الخلق وذلك كما يحصل بابعاده من الأرض التي هو بها يحصل بحبسه ولو في الأرض التي هو بها وهذا مذهب الشافعي ووافقه أبو حنيفة، وقال مالك : النفي إبعاده من الأرض على مسافة القصر ولا يكفي حبسه بأرضه (قوله ذلك لهم خزي) اسم الاشارة مبتدأ ولهم خبر مقدم وخزي مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدأ وفي الدنيا صفة لخزي وهذا أحسن الأعاريب (قوله ولهم في الآخرة عذاب عظيم) هذ محمول على من مات كافرا . وأما حدود المسلمين فالمعتمد أنها جوابر (قوله إلا الذين تابوا) استثناء منقطع أي لكن التائب يغفر له .

(قوله ليفيد أنه لايسقط الخ) حاصل ذلك أنه إن كان كافرا وتاب سقطت عنه جميع التبعات حدودا أو غيرها . وأما إن كان مسلما سقط عنه حقوق الله لاحقوق الآدميين، مثلا إن قتل وجاء تائبا فالنظر للولى إن شاء عفا و إن شاء اقتص (قوله كذا ظهر لى) أى فهمه من الآية وقوله ولم أر من تعرض له أى من المفسرين و إن كان مذكورا فى كتب الفقه (قوله يقتل و يقطع) هذا سبق قلم والمناسب حذف قوله ويقطع . والحاصل عند الشافعى أنه إذا قتل وتاب فان عفا الولى سقط القتل و إلا فيقتل فقط . وأما إن أخذ المال وتاب فانه يؤخذ منه المال ولايقطع خلافا لما ذكره المفسر من أنه إذا قتل وأخذ المال ثم تاب فانه يجمع له بين القتل والقطع ، و إنما المنفى عنه الصلب وماذكرناه من المعتمد عند الشافعى يوافقه مالك (قوله وهو أصح قولى الشافعى) أى ومقابله أنه يصلب (قوله ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) لما ذكر سبحانه وتعالى أن التوبة من الذنوب نافعة وكانت التوبة من جملة التقوى حث على طلبها هنا (قوله إليه) متعلق بابتغوا (قوله مايقربكم إليه) أى يوصلكم إليه ، وقوله من طاعته بيان لما سواء كانت تلك الطاعة فرضا أونفلا لما فى الحديث « ولايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به » الحديث ، فالتقوى هنا ترك المخالفات ، وابتغاء الوسيلة فعل المأمورات ، و يصح أن المراد بالتقوى امتثال المأمورات الواجبة وترك المنهيات المحرمة وابتغاء الوسيلة مايقرب إليه مطلقا ، ومن جملة ذلك محبة أنبياء الله وأوليائه والصدقات وزيارة أحباب الله وكثرة الدعاء وصلة الرحم وكثرة الذكر وغير ذلك ، فالمعنى كل مايقربكم إلى الله فالزموه واتركوا مايبعدكم عنه ، إذا علمت ذلك فمن الضلال البين والخسران الظاهر تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله كلا بل هى من جملة المحبة فى الله التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا لا إيمان لمن لامحبة له » والوسيلة له التى قال الله فيهـا : وابتغوا إليه الوسيلة

ليفيد أنه لايسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لى ولم أر من تعرض له والله أعلم ، فإذا قتل وأخذ المال يقتل و يقطع ولا يصلب وهو أصح قولى الشافعى ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئا وهو أصح قوليه أيضا (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) خافوا عقابه بأن تطيعوه (وَابْتَغُوا) اطلبوا (إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) مايقربكم إليه من طاعته (وَجَاهِدُوا فِى سَبِيلِهِ) لإعلاء دينه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ) ثبت (أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . يُرِيدُونَ) يتمنون (أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) دائم (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) ،

(قوله وجاهدوا فى سبيله) عطف خاص على عام إشارة إلى أن الجهاد من أعظم الطاعات وهوقسمان : أصغر وهوقتال المشركين، وأكبر وهو الخروج عن الهوى والنفس والشيطان وكان قتال المشركين جهادا أصغر لأنه يحضر تارة و يغيب أخرى ، و إذا قتلك الكافر كنت شهيدا و إن قتلته صرت سعيدا بخلاف النفس فلاتغيب عنك وإذا قتلتك صرت من الأشقياء ، نسأل الله السلامة (قوله تفوزون) أى تظفرون بسعادة الدارين (قوله إن الذين كفروا) هذا كالدليل لما قبله كأن الله يقول الزموا التقوى ليحصل لكم الفوز لأن من لم تكن عنده التقوى كالكفار لاينفعه الفداء من العذاب الخ (قوله لوأن لهم) لوشرطية وفعل الشرط محذوف قدره المفسر بقوله ثبت وأن ومادخلت عليه فاعل ثبت ولهم خبر أن مقدم ومافى الأرض اسمها مؤخر وجميعا توكيد له أو حال منه ومثله معطوف على اسم أن وقوله ليفتدوا علة له وقوله به أى بما ذكر وهومافى الأرض ومثله أوحذفه من الأول لدلالة الثانى عليه على حد * فانى وقيار بها لغريب * والتقدير لوأن لهم مافى الأرض جميعا ليفتدوا به ومثله معه ليفتدوا به وقوله ماتقبل منهم جواب الشرط ولو مع مدخولها فى محل رفع خبر أن الأولى ، والمعنى لوثبت أن للكفار مافى الأرض جميعا ومثله معه و يريدون الافتداء بذلك من العذاب مانفعهم ذلك وهو كناية عن عدم قبولهم وعدم نفع عز الدنيا لهم (قوله يتمنون) أى حيث يقولون يامالك ليقض علينا ربك (قوله ولهم عذاب مقيم) دفع بذلك مايتوهم من قوله ولهم عذاب أليم أنه ربما ينقطع (قوله والسارق والسارقة) جمهور القراء على الرفع على الابتداء ولايصح النصب على الاشتغال لأن مابعد فاء الجزاء لايعمل فيما قبلها ومالايعمل لايفسر عاملا وهذه الفاء تشبه فاء الجزاء وصرح بالسارقة لكون السرقة معهودة منهن أيضا وقدم سبحانه وتعالى السارق على السارقة هنا وقدم الزانية على الزانى فى سورة النور لأن الرجال فى السرقة أقوى من النساء والزنا من النساء أقوى من الرجال

(قوله أل فيهما موصولة) أى وصلتها الصفة الصريحة أى الذى سرق والتى سرقت (قوله مبتدأ) أى وهو مرفوع بضمة ظاهرة لأن إعرابهما ظهر فيما بعدها (قوله دخلت الفاء فى خبره وهو فاقطعوا) أى لجملة فاقطعوا أيديهما خبر المبتدإ ولا يضر كونه جملة طلبية على المعتمد وقيل الخبر محذوف تقديره مما يتلى عليكم حكمهما ومابعد الفاء تفصيل له (قوله ربع دينار) أى أو ثلاثة دراهم شرعية أو مقوم بهما ويشترط فى القطع إخراجه من حرز مثله غير مأذون له فى دخوله ويثبت القطع ببينة أو باقراره طائعا فان أقر ثم رجع لزمه المال دون القطع فان سرق ولم تثبت عليه السرقة وجب عليه الستر على نفسه ورد المال والتوبة منه وكذا كل معصية فمن الجهل قول بعض من يدعى التصوف لو اطلعتم علىّ لرجمتمونى وبالجملة من ستر على نفسه ستره الله (قوله نصب على المصدر) أى والعامل محذوف تقديره جازاه الله جزاء ويصح أن يكون مفعولا لأجله أى اقطعوا أيديهما لأجل الجزاء وقوله بما كسبا الباء سببية أى بسبب كسبهما وقوله نكالا علة للعلة فالعامل فيه جزاء (قوله غالب على أمره) أى فلا معقب لحكمه لأنه القاهر على كل شىء (قوله حكيم) أى يضع الشىء فى محله فلم يحكم بقطع يده ظلما لأن السارق لما خان هان ولذا أورد بعض اليهود على القاضى عبد الوهاب البغدادى سؤالا حيث قال: يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت فى ربع دينار

(٢٦٦)

أل فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) أى يمين كل منهما من الكوع وبينت السنة أن الذى يقطع فيه ربع دينار فصاعدا وأنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر (جَزَاءً) نصب على المصدر (بِمَا كَسَبَا نَكَالاً) عقوبة لهما (مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) فى خلقه (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ) رجع عن السرقة (وَأَصْلَحَ) عمله (فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فى التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط بتوبته حق الآدمى من القطع ورد المال ، نعم بينت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع وعليه الشافعى (أَلَمْ تَعْلَمْ) الاستفهام فيه للتقرير (أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه (وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ) المغفرة له (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه التعذيب والمغفرة (يٰأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ) صنع (الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ) يقعون فيه بسرعة أى يظهرونه إذا وجدوا فرصة (مِنَ) للبيان (الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ) بألسنتهم متعلق بقالوا (وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) وهم المنافقون (وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا) قوم ، (سماعون

فأجاب رضى الله عنه بقوله :
عزّ الأمانة أغلاها وأرخصها
ذلّ الخيانة فافهم حكمة البارى
(قوله من بعد ظلمه) أى من بعد تعديه وأخذه المال وظلمه للناس (قوله فى التعبير بهذا) أى قوله فان الله يتوب عليه دون أن يقول فلا تحدوه (قوله وعليه الشافعى) أى وعند مالك فلا ينفع عفوه عنه مطلقا قبل الرفع أو بعده حيث ثبتت السرقة ببينة أو إقرار ولم يرجع بل يقطع لأنه حق الله وقوله قبل الرفع أى وأما بعده فلا بد من قطعه اتفاقا

(قوله يعذب من يشاء) أى إن لم يتب فالميت المصر على الذنب تحت المشيئة خلافا للمعتزلة (قوله ومنه التعذيب والمغفرة) أى من الشىء المقدور عليه (قوله يا أيها الرسول) أل للعهد الحضورى : أى الرسول الحاضر وقت نزول القرآن وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولم يخاطب بيا أيها الرسول إلا فى موضعين هذا وما يأتى فى هذه السورة (قوله لايحزنك) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاى والباقون بفتح الياء وضم الزاى والمقصود نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الحزن الناشىء عن مسارعتهم إلى الكفر رفقا به وتسلية له (قوله إذا وجدوا فرصة) أى زمنا يتمكنون فيه من الظفر بمطلوبهم ، فالكفر حاصل منهم على كل حال غير أنهم إذا وجدوا زمنا أو مكانا يتمكنون فيه من إظهاره فعلوا قال تعالى ـ قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفى صدورهم أكبر ـ (قوله من للبيان) أى لقوله الذين يسارعون على حد ـ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ـ (قوله متعلق بقالوا) أى لا بآمنا ، والمعنى أن إيمانهم لم يجاوز أفواههم وقوله ولم تؤمن قلوبهم الجملة حالية (قوله وهم المنافقون) أى ويسمون الآن زنادقة (قوله ومن الذين هادوا) يحتمل أنه معطوف على من الذين قالوا آمنا فيكون بيانا للذين يسارعون فى الكفر أيضا وهو الأقرب وعليه فقوله سماعون حال من الذين هادوا ويحتمل أنه خبر مقدم وقوله سماعون صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر فيكون

كلاما مستأنفا وقد مشى عليه المفسر وعلى كل فقوله لهم فى الدنيا خزى الخ راجع للفريقين (قوله سماعون للكذب) أى من أحبارهم ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة وقع بينه و بين قريظة صلح فصاروا يترددون عليه و بينه و بين يهود خيبر حرب فاتفق أنه زنى منهم محصنان شريف بشريفة فأفتوهم الأحبار بأنهما يجلدان مائة سوط و يسوّدان بالفحم و يركبان على حمار مقلوبين ثم إنهم بعثوا قريظة للنبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن ذلك وقالوا لهم إن قال لكم مثل ذلك فهو صادق وقوله حجة لنا عند ربنا و إلا فهو كذاب فأتوه فأخبرهم بأنهما يرجمان وفى التوراة كذلك ، فقالوا إن أحبارنا أخبرونا بأنهما يجلدان ، فقال جبريل للنبيّ صلى الله عليه وسلم اجعل بينك و بينهم ابن صوريا ووصفه له ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أبيض أعور يقال له ابن صوريا ؟ قالوا نعم هو أعلم يهودى على وجه الأرض بما فى التوراة ، قال فأرسلوا إليه فأحضروه ففعلوا ، فأتاهم فقال له النبيّ عليه الصلاة والسلام أنت ابن صوريا ؟ قال نعم ، قال وأنت أعلم اليهود ؟ قال كذلك يزعمون ، قال النبي لهم أترضون به حكما ؟ قالوا نعم ، قال النبي له

(سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ) الذى افترته أحبارهم سماع قبول (سَمَّاعُونَ) منك (لِقَوْمٍ) لأجل قوم (آخَرِينَ) من اليهود (لَمْ يَأْتُوكَ) وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن حكمهما (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ) الذى فى التوراة كآية الرجم (مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ) التى وضعه الله عليها أى يبدلونه (يَقُولُونَ) لمن أرسلوهم (إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا) الحكم المحرف أى الجلد أى أفتاكم به محمد (فَخُذُوهُ) فاقبلوه (وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ) بل أفتاكم بخلافه (فَاحْذَرُوا) أن تقبلوه (وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ) إضلاله (فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) فى دفعها (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ) من الكفر ولو أراده لكان (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) ذل بالفضيحة والجزية (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هم (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ) بضم الحاء وسكونها أى الحرام كالرشا (فَإِنْ جَاءُوكَ) لتحكم بينهم (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ) هذا التخيير منسوخ بقوله : وأن احكم بينهم الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا وهو أصح قولى الشافعى فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعا (وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ) بينهم (فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) بالعدل (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين فى الحكم أى يثيبهم (وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ) بالرجم ،

أنشدك لله الذى لا إله إلا هو الذى فلق البحر وأنجاكم وأغرق آل فرعون هل تجدون فى كتابكم الرجم على من أحصن ؟ قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت أن تحرقنى التوراة إن كذبت أو غيرت ما اعترفت فوثب عليه سفلة اليهود فقال أنا خفت إن كذبت ينزل علينا العذاب ثم سأل النبي عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فأجابه عنها فأسلم وأمر النبي بالزانيين فرجما عند باب المسجد ، هكذا ذكر شيخنا الشيخ الجمل هنا عن أبى السعود ولم نرها فيه ولكن تقدم لنا أن ابن صوريا أتى بالتوراة وقرأ ماقبل آية الرجم وما بعدها ووضع يده عليها ولم يقرأها ، فنبهه عليها عبد الله بن سلام فافتضح هو وأصحابه فلعلهما روايتان فى إسلامه وعدمه (قوله أى يبدلونه) أى بأن يضعوا مكانه غيره (قوله يقولون) أى يهود خيبر وقوله لمن أرسلوهم أى وهم قريظة (قوله الحكم المحرف) أى فى الواقع وليس المراد أنهم يقولون لهم ذلك بل التحريف واقع من الأحبار سرّا (قوله فلن تملك له من الله شيئا) فيه رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه (قوله ذل بالفضيحة) أى للمنافقين بظهور نفاقهم بين المسلمين وقوله والجزية أى لليهود (قوله سماعون للكذب) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم وكرره تأكيدا (قوله بضم الحاء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان وسمى سحتا لأنه يسحت البركة أى يمحقها و يذهبها (قوله كالرشا) أى والربا (قوله أو أعرض عنهم) أى بأن تردهم لأهل دينهم (قوله منسوخ الخ) وليس فى هذه السورة منسوخ إلا هذا وقوله ولا آمين البيت الحرام (قوله وهو أصح قولى الشافعى) أى ومقابله التخيير باق وليس بمنسوخ وهو مشهور مذهب مالك (قوله مع مسلم) أى بأن كانت الدعوى بين مسلم وكافر (قوله وجب إجماعا) أى باجماع الأئمة (قوله فلن يضروك شيئا) أى لأن الله عاصمك وحافظك من الناس (قوله وعندهم) خبر مقدم والتوراة مبتدأ مؤخر والجملة حال من الواو فى يحكمونك

(قوله استفهام تعجيب) أى إيقاع المخاطب فى العجب (قوله بل ماهو أهون عليهم) أى وهو الجلد (قوله وماأولئك بالمؤمنين) أى لا بكتابهم لاعراضهم عنه وتحريفه ولا بك لعدم الانقياد لك فى أحكامك (قوله إنا أنزلنا التوراة) كلام مستأنف مسوق لبيان فضل التوراة وأنها كتاب عظيم كله هدى ونور (قوله فيها هدى) أى لمن أراد الله هدايته وأما من أراد الله شقاوته فلا تنفعه التوراة ولا غيرها ، قال البوصيرى : وإذا ضلت العقول على علـــم فماذا تقوله النصحاء

(قوله ونور) فى الكلام استعارة مصرحة حيث شبهت الأحكام بالنور بجامع الاهتداء فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه وحيث أريد بالنور الأحكام ، فالمراد بالهدى التوحيد فالعطف مغاير (قوله يحكم بها النبيون) كلام مستأنف لبيان المنتفع بالتوراة وهم الأنبياء والعلماء والمراد بالأنبياء مايشمل المرسلين فحكم المرسلين ظاهر وحكم الأنبياء بالقضاء بها لاعلى أنها شرع لهم (قوله الذين أسلموا) أى كمل إسلامهم وهو وصف كاشف لأن كل نبى منقاد لله وحكمة الوصف بذلك التعريض باليهود حيث افتخروا بأصولهم ولم يسلموا بل حرفوا التوراة وبدلوها (قوله للذين هادوا) اللام للاختصاص أى أحكام التوراة مختصة بالذين هادوا أعم من أن تكون أحكاما لهم أو عليهم (قوله والربانيون) معطوف على النبيون (قوله العلماء منهم) وقيل الزهاد وقيل الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره وهذا لاينافى كلام المفسر بل يقال سموا ربانيين لكونهم منسوبين للرب لزهدهم ماسواه أوللتربية لكونهم يربون الخلق (قوله والأحبار) جمع حبر بالفتح والكسر وأما المداد فبالكسر لاغير من التحبير وهو التحسين يقال حبره إذا حسنه سموا بذلك لأنهم يزينون الكلام ويحسنونه وهو عطف على النبيون أيضا وقد وسط بين المعطوفات الذين هم الحكام بالمحكوم لهم وذكر الأحبار بعد الربانيين من ذكر العام بعد الخاص لأن الحبر العالم كان ربانيا أولا (قوله أى بسبب الذى) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما اسم موصول بمعنى الذى والعائد محذوف أى بسبب الذى استحفظوه وفاعل الحفظ هو الله

استفهام تعجيب أى لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم (ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ) يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم (مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ) التحكيم (وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى) من الضلالة (وَنُورٌ) بيان للأحكام (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ) من بنى إسرائيل (الَّذِينَ أَسْلَمُوا) انقادوا لله (لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ) العلماء منهم (وَالْأَحْبَارُ) الفقهاء (بِمَا) أى بسبب الذى (اسْتُحْفِظُوا) استودعوه أى استحفظهم الله إياه (مِن كِتَابِ اللَّهِ) أن يبدلوه (وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ) أنه حق (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ) أيها اليهود فى إظهار ما عندكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والرجم وغيرهما (وَاخْشَوْنِ) فى كتمانه (وَلَا تَشْتَرُوا) تستبدلوا (بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا تأخذونه على كتمانها (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) به (وَكَتَبْنَا) فرضنا (عَلَيْهِمْ فِيهَا) أى التوراة (أَنَّ النَّفْسَ) تقتل (بِالنَّفْسِ) إذا قتلتها (وَالْعَيْنَ) تفقأ (بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ) يجدع (بِالْأَنفِ والأذن)

أى بسبب الشرع الذى أمرهم الله بحفظه وقوله من كتاب الله بيان لما فالأنبياء والعلماء أمناء الله على خلقه يحكمون بين الناس بأحكام الله التى علمها الله لهم ومن لم يحكم بذلك فقد خان الله فى أمانته وكذب على ربه فحينئذ يستحق الوعيد (قوله فلاتخشوا الناس) تفريع على قوله والربانيون والأحبار والخطاب لعلماء اليهود الذين فى زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله وغيرهما) أى كقوله تعالى ـ أن النفس بالنفس ـ فغيروها وقالوا ما لم يكن القاتل شريفا وإلا فلايقتل بالوضيع (قوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) نزلت فى قريظة وبنى النضير فكان الواحد من بنى النضير إذا قتل واحدا من قريظة أدى إليهم نصف الدية وإذا قتل الواحد من قريظة واحدا من بنى النضير أدى إليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذى أنزله فى التوراة وكل آية وردت فى الكفار تجر بذيلها على عصاة المؤمنين (قوله وكتبنا عليهم فيها) هذا شرع من قبلنا وهو شرع لنا ولم يرد ماينسخه ففى هذه الآية دليل لمذهب مالك حيث قال شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ناسخ (قوله أن النفس) أن حرف توكيد ونصب والنفس اسمها وقوله بالنفس الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر أن قدره المفسر بقوله تقتل وهو حل معنى لاحل إعراب لأن الخبر يقدر كونا عاما لاخاصا فالمناسب تقديره تؤخذ ليصلح للجميع والجملة من أن واسمها وخبرها فى محل نصب على المفعولية بكتبنا . واعلم أنه قرئ بنصب الجميع وهو ظاهر لأنه معطوف على اسم أن وقرئ برفع الأربعة مبتدأ وخبر معطوف على جملة أن واسمها وخبرها ويؤول كتبنا

بقلنا فالجمل كلها فى محل نصب مقول القول وهو الأحسن وقرئ بنصب الجميع ماعدا الجروح فبالرفع مبتدأ وخبر معطوف على أن واسمها وخبرها (قوله والأذن بالأذن) بضم الذال وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله بالوجهين) أى الرفع والنصب عند نصب الجميع وأما عند رفع ماقبله فبالرفع لاغير (قوله ومالايمكن) ما اسم موصول مبتدأ وقوله فيه الحكومة خبر (قوله فيه الحكومة) أى بأن يقدر رقيقا سالما من العيوب ثم ينظر لما نقصه فيؤخذ بنسبته من الدية وظاهر المفسر أن كل ما لايمكن فيه القصاص فيه الحكومة ولعله مذهبه وإلا فمذهب مالك الحكومة فى كل مالم يرد فيه شئ مقرر فى الخطأ وإلا ففيه ماقرر فى الخطأ كرض الأنثيين وكسر الصلب ففيه الدية كاملة وفى نحو الجائفة والآمة ثلثها على ماهو مبين فى المذهب (قوله بأن مكن) أى القاتل من نفسه للقصاص ويحتمل أن المعنى فمن تصدق به أى القصاص بأن عفا الولى عن القاتل فهو كفارة لما عليه من الذنوب . والحاصل أن القاتل تعلق به ثلاثة حقوق : حق لله وحق للولى وحق للمقتول فان سلم القاتل نفسه طوعا تائبا سقط حق الله وحق الولى ويرضى الله المقتول من عنده وأما إن أخذ القاتل كرها وقتل من غير توبة فقد سقط حق الولى وبقى حق الله وحق المقتول هكذا ذكره ابن القيم وهو مبنى على أن الحدود زواجر وأما على ما مشى عليه مالك من أن الحدود جوابر فمتى قتل ولو من غير توبة فقد سقطت الحقوق كلها لأن السيف يجب ماقبله (قوله فأولئك هم الظالمون) أى لمخالفة شرع الله مع عدم استحلاله لذلك وعبر فيما تقدم بالكافرون لتبديلهم وتغييرهم ما أنزل الله واستحلالهم لذلك (قوله وقفينا) شروع فى ذكر ما يتعلق بفضل عيسى وكتابه بعد ذكر فضل موسى وكتابه وقفينا من التقفية وهى الاتيان فى القفا ومعناه العقب وقد ضمن قفينا معنى جئنا فلا يقال يلزم عليه أن التضعيف كالهمز فمقتضاه أن تعدى لمفعولين بأن يقال مثلا وقفيناهم عيسى (قوله أتبعنا) أى جئنا بعيسى تابعا لآثارهم (قوله أى النبيين) أى المتقدم ذكرهم فى قوله يحكم بها النبيون فالأنبياء الذين بين موسى وعيسى يعملون بالتوراة ويحكمون بها بين الناس فلما جاء عيسى نسخ العمل بالتوراة وصار الحكم للانجيل (قوله مصدقا) حال من عيسى وقوله من التوراة بيان لما (قوله وآتيناه الانجيل) معطوف على قفينا (قوله فيه) خبر مقدم وهدى مبتدأ مؤخر ونور معطوف عليه والجملة حال من الانجيل والمراد بالهدى التوحيد وبالنور الأحكام فالعطف مغاير (قوله ومصدقا لما بين يديه) أى معترفا بأنها من عند الله وإن نسخت أحكامها لأن الله سبحانه وتعالى كلف أمة كل عصر بأحكام تناسبها فالنسخ فى الأحكام الفرعية لا الأصول كالتوحيد فلا نسخ فيه بل ما كان عليه آدم من التوحيد هو ماعليه باقى الأنبياء (قوله وهدى) أى ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى مبالغة على حد زيد عدل ، وعبر أولا بقوله فيه هدى وثانيا بقوله وهدى مبالغة (قوله وموعظة) أى أحكاما يتعظون بها والحكمة فى زيادة الموعظة فى الانجيل دون التوراة لأن التوراة كان فيها الأحكام الشرعية فقط وإنما المواعظ كانت فى الألواح وقد تكسرت وأما الانجيل فهو مشتمل على الأحكام والمواعظ (قوله للمتقين) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك (قوله وقلنا) قدره المفسر إشارة إلى أن الواو حرف عطف والمعطوف محذوف وقوله ليحكم اللام لام الأمر والفعل مجزوم بها والجملة مقول القول والمحذوف معطوف على آتينا والمعنى آتينا عيسى ابن مريم الانجيل وأمرناه ومن تبعه بالحكم به (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بنصب يحكم) أى بأن مضمرة بعد لام كى (قوله عطفا على معمول آتيناه) فيه شئ لأنه إن أراد معموله الذى هو الانجيل فهو غير ظاهر وإن أراد معموله الذى هو قوله هدى وموعظة، والمعنى آتيناه الانجيل لأجل الهدى والموعظة ولحكم أهل الانجيل فهو صعب التركيب والأحسن

وَالْأُذُنَ) تقطع (بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ) تقلع (بِالسِّنِّ) وفى قراءة بالرفع فى الأربعة (وَالْجُرُوحَ) بالوجهين (قِصَاصٌ) أى يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لايمكن فيه الحكومة ، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر فى شرعنا (فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ) أى بالقصاص بأن مكن من نفسه (فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ) لما أتاه (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) فى القصاص وغيره (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . وَقَفَّيْنَا) أتبعنا (عَلَىٰ آثَارِهِمْ) أى النبيين (بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله (مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى) من الضلالة (وَنُورٌ) بيان للأحكام (وَمُصَدِّقًا) حال (لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ) لما فيها من الأحكام (وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ . وَ) قلنا (لْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ) من الأحكام وفى قراءة بنصب يحكم وكسر لامه عطفا على معمول آتيناه (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ،

أن قوله ليحكم متعلق بمحذوف والواو للاستئناف والمعنى وآتيناه ذلك ليحكم (قوله فأولئك هم الفاسقون) عبر بالفسق هنا لأنه خروج عن أمره تعالى وطاعته لأنه تقدمه أمر وهو قوله وليحكم وفى الحقيقة الفسق يرجع للظلم لأنه مخالفة الأمر فتعبيره بالظلم أولا و بالفسق ثانيا تفنن (قوله وأنزلنا إليك) معطوف على أنزلنا التوراة (قوله متعلق بأنزلنا) المناسب أن يقول متعلق بمحذوف حال من الكتاب وقوله مصدقا حال من الكتاب أيضا (قوله من الكتاب) بيان لما وأل فى الكتاب للجنس فيشمل جميع الكتب السماوية (قوله ومهيمنا) المهيمن معناه الحاضر الرقيب فالقرآن شاهد على سائر الكتب وعلى من آمن من أصحابها ومن كفر (قوله والكتاب بمعنى الكتب) أى فأل للجنس (قوله ولا تتبع أهواءهم) الخطاب للنبى والمراد غيره والمعنى لا يميل الحاكم بين الناس لأهوائهم بأن يحكم بها ويترك ما أنزل الله (قوله من الحق) بيان لما (قوله أيها الامم) أى من لدن آدم إلى محمد فكل أمة لها شرع مختص بها والاختلاف إنما هو فى الفروع لا الأصول فكل ما ورد دالا على اختلاف الشرائع كهذه الآية فباعتبار الفروع وما ورد دالا على الاتحاد كقوله ـ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ـ وقوله ـ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ـ فمحمول على الأصول (قوله شرعة) أى أحكاما شرعها و بينها للتعبد بها والشريعة فى كلام العرب مورد الماء الذى يقصد للشرب منه استعير للطريقة الالهية قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارة عن معنى واحد والتكرار للتأكيد (قوله أمة واحدة) أى جماعة متفقة على دين واحد من

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ) يامحمد (الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزلنا (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله (مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا) شاهدا (عَلَيْهِ) والكتاب بمعنى الكتب (فَاحْكُم بَيْنَهُم) بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك (بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ) إليك (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) عادلا (عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ) أيها الأمم (شِرْعَةً) شريعة (وَمِنْهَاجًا) طريقا واضحا فى الدين يمشون عليه (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) على شريعة واحدة (وَلَٰكِن) فرقكم فرقا (لِّيَبْلُوَكُمْ) ليختبركم (فِي مَا آتَاكُمْ) من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) سارعوا إليها (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا) بالبعث (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين ويجزى كلا منكم بعمله (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ) لـ(أن) لا (يَفْتِنُوكَ) يضلوك (عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا) عن الحكم المنزل وأرادوا غيره (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم) بالعقوبة فى الدنيا ،

غير نسخ (قوله ولكن ليبلوكم) هـذا هو حكمة تفرق الشرائع فى الفروع (قوله لينظر المطيع) أى ليظهر أمر المطيع من العاصى (قوله فاستبقوا الخيرات) أى بادروا إلى وجوه البر والطاعات (قوله جميعا) حال من الكاف فى مرجعكم ولا يقال هو حال من المضاف إليه وهو لا يجوز لأنه يقال المضاف مقتض للعمل فى المضاف إليه قال ابن مالك :

ولا تجز حالا من المضاف له   إلا إذا اقتضى المضاف عمله

(قوله فينبئكم) أى يخبركم بالذى كنتم تختلفون فيه فيترتب على ذلك الثواب للمطيع والعقاب للعاصى (قوله وأن احكم بينهم) الواو حرف عطف وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على الكتاب التقدير وأنزلنا إليك الكتاب والحكم والفعل و إن كان أمرا لفظا إلا أنه فى معنى المضارع ليفيد استمرار الحكم وليس هذا مكررا مع قوله فاحكم بينهم بما أنزل الله لأن ما تقدم فى شأن رجم المحصنين وما هنا فى شأن الدماء والديات لأن سبب نزولها أن بنى النضير كانوا إذا قتلوا من قريظة قتيلا أعطوهم سبعين وسقا من تمر و إذا قتلت قريظة قتيلا من بنى النضير أعطوهم مائة وأربعين وسقا فقال لهم رسول الله أنا أحكم أن دم القرظى كدم النضيرى ليس لأحدهم فضل على الآخر فى دم ولا عقل ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك تريد صغارنا (قوله واحذرهم أن يفتنوك) سبب نزولها أن كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا يامحمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وأن بيننا و بين قومنا خصومة فنتحاكم إليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فأبى رسول الله فنزلت الآية وقوله أن يفتنوك مفعول لأجله على تقدير لام العلة ولا النافية وهو ما مشى عليه المفسر ويحتمل أنه بدل اشتمال من الهاء فى احذرهم والمعنى احذرهم فتنتهم والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لعصمته من الفتنة .

(قوله ببعض ذنوبهم) أى لا بجميعها نعاقبهم فى الدنيا بالقتل والسبي والجلاء إنما هو ببعض ذنوبهم وأما فى الآخرة فيجازيهم على الجميع كما قال المفسر لأن العذاب المنقضى وإن طال لا يكفى جزاء لذنوب الكافر جميعها كما أن نعيم الدنيا وإن كثر ليس جزاء لأعمال المؤمن الصالحة وإن عذب فى الدنيا بمرض أو غيره فهو جزاء لأعمال المؤمن السيئة والنعيم فى الدنيا للكافر قد يكون جزاء لما عمل من الصالحات كالصدقات مثلا (قوله ومنها التولى) أى الاعراض عن حكمه صلى الله عليه وسلم (قوله وإن كثيرا من الناس لفاسقون) أى خارجون عن دائرة الحق، وتقدم أن بعث النار من كل ألف واحد ناج والباقى خارج عن حدود الله، والمعنى تسل يا محمد فان الغالب فى الناس الفسق فلا خصوصية لليهود بذلك (قوله أفحكم الجاهلية) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أيتولون عنك فيبغون حكم الجاهلية فحكم مفعول ليبغون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله استفهام إنكارى) أى فهو بمعنى النفى، والمعنى لا يبغون حكم الجاهلية منك على سبيل الظفر به لعصمتك (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى والآية كالدليل لما قبلها (قوله عند قوم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى عند (قوله به) قدره إشارة إلى أن مفعول يوقنون محذوف والضمير عائد على حكم الله (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ) النهى لكل من أظهر الايمان وإن كان فى الباطن خاليا من الايمان، وسبب نزولها أن عبادة بن الصامت رضى الله عنه وعبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين اختصما فقال عبادة إن لى أولياء من اليهود كثيرا عددهم شديدة شوكتهم وإنى أبرأ إلى الله وإلى رسوله من ولاية اليهود ولا مولى لى إلا الله ورسوله فقال عبد الله بن أبى إنى لا أبرأ من ولاية اليهود فإنى أخاف الدوائر ولا بد لى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت هو لك دونه، فقال إذا أقبل فنزلت. واتخذ ينصب مفعولين اليهود والنصارى مفعول أول وأولياء مفعول ثان (قوله بعضهم أولياء بعض) جملة مستأنفة، والمعنى بعض كل فريق أولياء البعض الآخر من ذلك الفريق لأن بين اليهود والنصارى العداوة الكبرى (قوله فانه منهم) أى لأنه لا يوالى أحد أحدا إلا وهو عنه راض فاذا رضى عنه وعن دينه صار من أهل ملته، وأما معاملتهم مع كراهتهم فلا ضرر فى ذلك (قوله إن الله لا يهدى القوم الظالمين) علة لكون من تولاهم منهم (قوله كعبد الله بن أبى) أى وأصحابه (قوله معتذرين عنها) أى الموالاة (قوله دائرة) أى أمر مكروه فالدوائر هى حوادث الدهر وشروره، والدولة هى العز والنصر فالمؤمن لا ينتظر إلا الدولة لا الدائرة (قوله أو غلبة) أى للكفار على المسلمين (قوله فلا يميرونا) أى يعطونا الميرة وهى الطعام (قوله قال تعالى) أى ردا لقول المنافقين نخشى أن تصيبنا دائرة وبشارة للمؤمنين لاعتقادهم أن الله ناصرهم، فى الحديث «أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما يشاء» (قوله أو أمر من عنده) أو مانعة خلو تجوز الجمع وقد حصل الأمران معا، فقد روى أن رسول الله أمر وهو على المنبر باخراجهم من المسجد واحدا واحدا ونزلت سورة براءة بفضيحتهم وذمهم ظاهرا وباطنا، ولذا تسمى الفاضحة. وعسى وإن كانت للترجى إلا أنها فى كلام الله للتحقيق لأن كلامه موافق لعلمه وهو لا يتخلف.

(بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ) التى أتوها ومنها التولى ويجازيهم على جميعها فى الأخرى (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا، استفهام إنكارى (وَمَنْ) أى لا أحد (أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ) عند قوم (يُوقِنُونَ) به خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ) توالونهم وتوادونهم (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) لاتحادهم فى الكفر (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) من جملتهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) بموالاتهم الكفار (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد كعبد الله بن أبى المنافق (يُسَارِعُونَ فِيهِمْ) فى موالاتهم (يَقُولُونَ) معتذرين عنها (نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا قال تعالى (فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ) بالنصر لنبيه بإظهار دينه (أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ) بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم،

(قوله فيصبحوا) عطف على يأتى وفاء السببية مغنية عن الرابط (قوله نادمين) أى على تخلف مرادهم وحسرتهم من أجل نصر محمد وأصحابه وخذلان الكفار وليس المراد نادمين على ماتقدم منهم من الذنوب تائبين من ذلك و إلافيكون حينئذ ندما محمودا لغلبة رحمة الله على غضبه (قوله بالرفع استئنافا) أى نحويا أو بيانيا واقعا فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يقول المؤمنون حينئذ بناء على جواز اقتران البيانى بالواو ، وأما على قراءة عدم الواو فيكون بيانيا لاغير (قوله عطفا على يأتى) أى مسلط عليه عسى ، والمعنى فعسى الله أن يأتى بالفتح و يقول الذين آمنوا تعجبا من كذب المنافقين هكذا ذكر المفسر ، والمناسب أن يقول عطفا على فيصبحوا لأنه نتيجة ماقبله لأن تعجب المؤمنين ناشئ عن الفتح لهم والفضيحة للمنافقين (قوله أهؤلاء) الهمزة للاستفهام التعجبى والهاء للتنبيه وأولاء اسم إشارة مبتدأ والذين خبره وأقسموا صلته ، وقوله إنهم لمعكم جملة تفسيرية لمعنى أقسموا لأن يمينهم إنا معكم (قوله غاية اجتهادهم) أشار بذلك إلى أن جهد صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لأقسموا ، والتقدير إقساما جهد أيمانهم : أى أغلظها (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله حبطت أعمالهم من كلامه تعالى إخبار عن المنافقين لامن كلام المؤمنين لأنهم لاعلم لهم بذلك (قوله الصالحة) أى بحسب الظاهر (قوله يا أيها الذين آمنوا) هذا تحذير عام لكل مؤمن من موالاة الكفار و بيان عاقبة من والاهم ومال إلى دينهم (قوله من يرتد) من اسم شرط جازم و يرتد فعل الشرط وجوابه قوله فسوف يأت الله الخ والجملة خبر المبتدإ (قوله بالفك والادغام) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد ارتد جماعة بعد موت النبى) أى وهم ثمان فرق سبعة فى خلافة أبى بكر وفرقة فى زمن عمر وارتد ثلاث فرق أيضا فى زمن رسول الله بنو مدلج ورئيسهم ذوالحمار لقب به لأنه كان له حمار يأتمر بأمره و ينتهى بنهيه وهو الأسود العنسى بفتح العين وسكون النون وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده وأخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاذ ابن جبل وسادات اليمن فأهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمى فبيته وقتله ، فأخبر رسول الله بقتله ليلة قتله فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله من الغد ، وأتى خبر قتله فى آخر ربيع الأول ، و بنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب إلى رسول الله من مسيلمة رسول الله : أما بعد فان الأرض نصفها لى ونصفها لك ، فكتب إليه رسول الله : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وهلك فى خلافة أبى بكر على يد وحشى غلام مطعم بن عدى قاتل حمزة فكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام . و بنو أسد وهم قوم طلحة بن خويلد تنبأ فبعث إليه رسول الله خالد بن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم أسلم بعدذلك وحسن اسلامه . والسبع اللاتى فى خلافة أبى بكر الصديق هم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزارى وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى و بنوسليم وبنو يربوع قوم مالك بن بريدة اليربوعى و بعض تميم وكندة قوم الأشعث بن قيس الكندى وبنو بكر بن وائل فكفى الله أمرهم على يد أبى بكر الصديق حين خرج لقتالهم حيث منعوا الزكاة فكره ذلك الصحابة وقالوا هم أهل القبلة فكيف نقاتلهم فتقلد أبو بكر بسيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على أثره ، فقال ابن مسعود كرهنا ذلك فى الابتداء وحمدناه فى الانتهاء وقال بعض الصحابة ماولد بعد النبيين أفضل من أبى بكر لقد قام مقام نبى من الأنبياء فى قتال أهل الردة ، والفرقة التى ارتدت فى زمن عمر بن الخطاب هم غسان فكفى الله أمرهم على يد عمر رضى الله عنه (قوله بدلهم) أى بدل المرتدين فالضمير عائد على من باعتبار معناها وأشار به الى الرابط بين المبتدإ وخبره وهذا لايحتاج له الا على القول بأن الجزاء وحده هو الخبر ، وأما على القول بأن الخبر هو مجموع فعل الشرط والجزاء أو الفعل وحده فلاحاجة لتقديره لأنه موجود فى يرتد .

(فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ) من الشك وموالاة الكفار (نَادِمِينَ . وَيَقُولُ) بالرفع استئنافا بواو ودونها و بالنصب عطفاً على يأتى (الَّذِينَ آمَنُوا) لبعضهم إذا هتك سترهم تعجباً (أَهٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غاية اجتهادهم فيها (إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ) فى الدين ، قال تعالى (حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) الصالحة (فَأَصْبَحُوا) صاروا (خَاسِرِينَ) الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ) بالفك والادغام : يرجع (مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ) إلى الكفر إخبار بما علم الله تعالى وقوعه ، وقد ارتد جماعة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم (فَسَوْفَ يَأْتِ اللهُ) بدلهم ، (بقوم

(قوله يحبهم ويحبونه) معنى محبة الله لهم إقامتهم له فى خدمته مع الرضا والاثابة ومعنى محبتهم لله موالاة طاعته وتقديم خدمته على كل شئ ولما كانت محبتهم لله ناشئة عن محبة الله لهم قدم محبة الله لهم. قال العارف رضى الله عنه على لسان الحضرة العلية :

أيها المعرض عنا   إن إعراضك منا   لو أردناك جعلنا   كل ما فيك يردنا

(قوله وأشار إلى أبى موسى الأشعرى) أى فالقوم هم الأشعريون ، وقيل هم أبو بكر وأصحابه الذين باشروا قتال المرتدين والأقرب أن الآية عامة لأصحاب رسول الله ومن كان على قدمهم إلى يوم القيامة بقرينة التسويف (قوله أذلة) جمع ذليل ، وقوله عاطفين أشار به إلى أن أذلة مضمن معنى عاطفين لتعديته بعلى ، والمعنى متواضعين لإخوانهم مغاظين على الكفار ، ومن هذا المعنى قوله تعالى - أشداء على الكفار رحماء بينهم - (قوله يجاهدون فى سبيل الله) أى لإعلاء دينه (قوله ولا يخافون لومة لائم) تعريض بالمنافقين فانهم كانوا إذا خرجوا فى جيش المسلمين خافوا أولياءهم اليهود لئلا يحصل منهم اللوم لهم (قوله ذلك المذكور) أى من الأوصاف الستة (قوله ونزل لما قال ابن سلام الخ) أى لما أسلم هجره قومه قريظة و بنو النضير (قوله إنما وليكم) الخطاب لعبد الله ابن سلام وأتباعه الذين هداهم الله إلى الإسلام فلما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن سلام رضيت بالله ربا و برسوله نبيا و بالمؤمنين أولياء ، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من انتسب لله فهو وليه . قال تعالى - الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور (قوله ورسوله) أى لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة ، وقوله

(بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) قال صلى الله عليه وسلم : هم قوم هذا وأشار إلى أبى موسى الأشعرى رواه الحاكم فى صحيحه (أَذِلَّةٍ) عاطفين (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ) أشداء (عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار (ذَٰلِكَ) المذكور من الأوصاف (فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) كثير الفضل (عَلِيمٌ) بمن هو أهله . ونزل لما قال ابن سلام يارسول الله إن قومنا هجرونا (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) خاشعون أو يصلون صلاة التطوع (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) فيعينهم وينصرهم (فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) لنصره إياهم أوقعه موقع فانهم بيانا لأنهم من حزبه أى أتباعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا) مهزوءا به (وَلَعِبًا مِنَ) للبيان (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ) ،

والذين آمنوا : أى لكونهم الاخوان لمن تخلى عنه رسول الله أو المؤمنون فهو هالك لأن موالاة الثلاثة شرط فى صحة الايمان (قوله الذين يقيمون الصلاة) بدل من الذين قبله ومعنى إقامة الصلاة أداؤها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله و يؤتون الزكاة) أى الحقوق التى عليهم فى أموالهم (قوله وهم راكعون) الجملة حالية من يقيمون و يؤتون ، وقوله خاشعون : أى فأطلق الركوع وأراد لازمه وهو الخشوع (قوله أو يصلون صلاة التطوع) أى فالمراد بالركوع صلاة النوافل وخصها بالذكر لأن نفل الصلاة أفضل من نفل غيرها وعليه فجملة وهم راكعون معطوفة على ماقبلها فتحصل أنه وصفهم بأوصاف ثلاثة : إقامة صلاة الفرائض و إيتاء الزكاة وصلاة النوافل ، وقيل قوله وهم راكعون حال من فاعل يؤتون الزكاة ، والمراد بها مايشمل صدقة التطوع والركوع على حقيقته ، والمراد كمال رغبتهم فى الاحسان ومسارعتهم إليه ، روى أنها نزلت فى على كرم الله وجهه حين سأله سائل وهو فى الصلاة فنزع خاتمه وأعطاه له (قوله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) من اسم شرط و يتول فعله والله مفعول يتول ، والمعنى يختار الله وليا يعبده و يلتجئ إليه و يختار رسوله وليا بأن يؤمن به و يتوسل به و يعظمه و يوقره و يختار الذين آمنوا أولياء بأن يعينهم و ينصرهم و يوقرهم إذا حضروا و يحفظهم إذا غابوا ، وقوله فان حزب الله الخ يحتمل أنها جواب الشرط ، و إنما أوقع الظاهر موقع المضمر لنكتة التشريف و يؤخذ ذلك من عبارة المفسر ، و يحتمل أنها دليل الجواب ، والجواب محذوف تقديره يكن من حزب الله (قوله هم الغالبون) أى القاهرون لأعدائهم (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) لا ناهية وتتخذوا مجزوم بلا الناهية والذين مفعول أول للاتتخذوا الأولى واتخذوا الثانية صلة الذين ومفعولها الأول قوله دينكم ومفعولها الثانى هزوا ولعبا ، وقوله أولياء مفعول ثان للا تتخذوا الأولى (قوله من للبيان) أى فهو بيان للذين اتخذوا دينكم ، فالمعنى لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا وهم الذين أوتوا الكتاب .

(قوله المشركين) إنما اقتصر عليهم و إن كان الجميع كفارا لتحصل المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه (قوله بالجر) أى عطف على مجرور من وقوله والنصب أى عطف على الذين الواقع مفعولا به فعلى الأول الاستهزاء واقع من الفريقين وعلى الثانى واقع من أهل الكتاب فقط وثبوت الاستهزاء لغيرهم مأخوذ من آية أخرى (قوله إن كنتم مؤمنين) أى فاتركوا موالاتهم فيؤخذ من الآية أن من والاهم فليس بمؤمن فهو وعيد عظيم لمن اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين (قوله و إذا ناديتم) يحتمل أنه معطوف على الذين المجرور بمن وعليه فالمستهزئون ثلاث فرق، و يحتمل أنه معطوف على الذين الواقع مفعولا ، فيكون من جملة أوصاف الفريق الأول (قوله بالأذان) ورد أن المنافقين والكفار كانوا إذا سمعوا الأذان ضحكوا وقالوا يا محمد لقد ابتدعت شيئا لم يسمع بمثله فيما مضى قبلك من الأمم فان كنت تدعى النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك ولو كان فيك خير لكان أولى الناس به الأنبياء فمن أين لك صياح العير فما أقبح هذا الصوت وهذا الأمر فنزلت آية ومن أحسن قولا وهذه الآية (قوله لايعقلون) أى لايعون ولايتأملون جلال الله وهيبته ولو عقلوه ماوسعهم الاستهزاء ولذا ورد أن رسول الله كان إذا نودى بالصلاة تغيرت حالته قال بعض الصحابة كأنه لايعرفنا ولانعرفه وكان علىّ إذا سمع النداء ينتقع لونه ، وهذا الوعيد يجر بذيله على من يتعاطى الضحك وأسبابه فى الصلاة ولذلك جعله أبو حنيفة من مبطلات الوضوء والصلاة وجعله غيره من مبطلات الصلاة فقط و إنما لم يكفروا فاعله لأنه لم يكن مستهزئا بأمر الله حقيقة و إلا كان كافرا إجماعا وداخلا فى عموم الكفار (قوله ونزل لما قال اليهود) أى سبب نزولها قول طائفة من اليهود كأبى ياسر ورافع بن أبى رافع وآزر بن آزر وقصدهم بهذا السؤال اختباره صلى الله عليه وسلم هل هو مؤمن بعيسى فيخالفوه أولا فيتبعوه لكراهتهم له (قوله بمن تؤمن من الرسل) أى بأىّ رسول تؤمن (قوله فقال بالله) متعلق بمحذوف تقديره نؤمن بالله وقوله الآية أى إلى قوله مسلمون وتلك الآية هى آية البقرة التى أولها قولوا آمنا الآية (قوله هل تنقمون) جمهور القراء على كسر القاف من نقم بفتحها وهو الفصيح وقرئ شذوذا بفتح القاف وماضيه نقم بكسرها وهو فى الأصل النقض ثم أطلق على الكراهية والانكار ولذا عدى بمن دون على (قوله منا) أى من أوصافنا وأخلاقنا (قوله إلا أن آمنا) استثناء مفرغ وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول لتنقموا والاستفهام انكارى بمعنى النفى والمعنى لاتنكرون ولاتكرهون من أوصافنا إلا إيماننا بالله الخ (قوله وماأنزل من قبل) أى من سائر الكتب السماوية (قوله وأن أكثركم) قرأ الجمهور بفتح الهمزة وقرئ شذوذا بكسرها على الاستئناف (قوله عطف على أن آمنا) أى فهو فى محل نصب على حذف مضاف تقديره واعتقادنا أن أكثركم فاسقون ، و إنما قدرنا المضاف لصحة العطف فان المعطوف على الصفة صفة وكون أكثرهم فاسقين وصف لهم لالنا فقدر المضاف لذلك و يصح أنه منصوب على المعية والمعنى إلا إيماننا مع كون أكثركم فاسقين مع تقدير المضاف أى مع اعتقادنا أن أكثركم فاسقون ، و يحتمل أن أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر فى محل الرفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره وفسق أكثركم ثابت عندنا و يحتمل أنه فى محل جر معطوف على لفظ الجلالة مسلط عليه آمنا التقدير وما تكرهون منا إلا إيماننا بالله وإيماننا بأن أكثرهم فاسقون (قوله المعنى ماتنكرون الخ) إنما أتى بذلك جوابا عن سؤال مقدر تقديره إن قوله وأن أكثركم فاسقون وصف لهم وأما الايمان فهو وصف لنا فيشكل عطف ماليس وصفا لنا على ماهو وصف لنا فلذلك حول المفسر العبارة (قوله ومخالفتكم) من اضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره مخالفتنا إياكم .

المشركين بالجر والنصب (أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ) بترك موالاتهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) صادقين فى إيمانكم (وَ) الذين (إِذَا نَادَيْتُمْ) دعوتم (إِلَى الصَّلَاةِ) بالأذان (اتَّخَذُوهَا) أى الصلاة (هُزُوًا وَلَعِبًا) بأن يستهزئوا بها و يتضاحكوا (ذَلِكَ) الاتخاذ (بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) . ونزل لما قال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم بمن تؤمن من الرسل ؟ فقال بالله وما أنزل إلينا الآية فلما ذكر عيسى قالوا لانعلم دينا شرا من دينكم (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ) تنكرون (مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ) إلى الأنبياء (وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ) عطف على أن آمنا ، المعنى ماتنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم فى عدم قبوله ،

المعبر

(قوله المعبرعنه بالفسق) أى فأطلق اللازم وهو الفسق وأراد الملزوم وهو عدم قبول الايمان ثم أطلق وأريد لازمه وهو مخالفتنالهم فى اتصافنا بقبول الايمان وهم بعدمه وقوله فى عدم قبوله أى الايمان (قوله وليس هذامما ينكر) تتميم للكلام اشارة إلى أن الاستفهام انكارى (قوله قل هل أنبئكم بشر) هذا الكلام من باب المقابلة لأنه فى مقابلة قول اليهود لا نعلم دينا شرا من دينكم (قوله الذى تنقمونه) أى وهو ديننا (قوله مثوبة) تمييز لشر (قوله بمعنى جزاء) أى بالعقاب وكان على المفسر أن يزيده فتسمية الجزاء بالعقاب ثوابا تهكم بهم على حد: فبشرهم بعذاب أليم (قوله هو من لعنه الله) أشار بذلك إلى أن قوله من لعنه خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره ومن الأشر (قوله وغضب عليه) أى انتقم منه على سبيل الأبد (قوله بالمسخ) أى فجعل شبابهم قردة ومشايخهم خنازير (قوله الشيطان) تقدم أنه أحد تفاسير فى الطاغوت وقيل هو كل ما أوقع فى الضلال وعابده هو التابع له فى الضلال (قوله وفيما قبله) أى وهو لعنه وغضب عليه وكذلك راعى لفظها فى وعبد الطاغوت (قوله وفى قراءة) أى سبعية لحمزة وقوله اسم جمع لعبد أى لا جمع له بل جمعه أعبد قال ابن مالك :

* افعل اسما صح عينا أفعل * (قوله ونصبه بالعطف على القردة) أى فتكون الصلات ثلاثا وهى لعنه

المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أخبركم (بِشَرٍّ مِنْ) أهل (ذَٰلِكَ) الذين تنقمونه (مَثُوبَةً) ثوابا بمعنى جزاء (عِنْدَ اللَّهِ) هو (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ) أبعده عن رحمته (وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ) بالمسخ (وَ) من (عَبَدَ الطَّاغُوتَ) الشيطان بطاعته . وراعى فى منهم معنى من وفيما قبله لفظها وهم اليهود . وفى قراءة بضم باء عبد و إضافته إلى ما بعده اسم جمع لعبد ونصبه بالعطف على القردة (أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا) تمييز لأن مأواهم النار (وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) طريق الحق وأصل السواء الوسط ، وذكر شر وأضل فى مقابلة قولهم لا نعلم دينا شرا من دينكم (وَإِذَا جَاءُوكُمْ) أى منافقو اليهود (قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا) إليكم متلبسين (بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا) من عندكم متلبسين (بِهِ) ولم يؤمنوا (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ) ـه من النفاق (وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ) أى اليهود (يُسَارِعُونَ) يقعون سريعا (فِي الْإِثْمِ) الكذب (وَالْعُدْوَانِ) الظلم (وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ) الحرام كالرشا (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ـه عملهم هذا (لَوْلَا) هلا (يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ) منهم (عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ) الكذب (وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) ـه ترك نهيهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ) لما ضيق عليهم .

وغضب عليه وجعل والرابعة على القراءة الأولى عبد (قوله تمييز) أى تمييز نسبة ونسب الشر للمكان وحقه لأهله كناية عن نهايتهم فى ذلك (قوله وذكر شر) أى المجرور فى قوله بشر والمرفوع فى قوله أولئك شر وقوله فى مقابلة قولهم الخ جواب عن سؤال مقدر تقديره كيف ذلك مع أن المؤمنين لا شر عندهم . فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضا بأن شر المؤمنين باعتبار تعبهم فى الدنيا فعذاب الآخرة للكفار أشر من ضيق الدنيا على المؤمنين . وأجيب أيضا بأن المفضل عليه جماعة من الكفار فيكون المعنى هؤلاء المتصفون بتلك الأوصاف شر من غيرهم من الكفرة الذين لم يجمعوا بين هذه الخصال (قوله وإذا جاءوكم) الخطاب للنبى فجمعه للتعظيم أوله ومن عنده من المؤمنين فالجمع ظاهر (قوله وقد دخلوا) الجملة حالية من فاعل قالوا وكذا قوله وهم قد خرجوا به (قوله متلبسين) قدره إشارة إلى أن قوله بالكفر متعلق بمحذوف حال من فاعل دخلوا وكذا قوله به حال من فاعل خرجوا (قوله وترى كثيرا) رأى بصرية تنصب مفعولا واحدا وهو قوله كثيرا وقوله يسارعون حال من قوله كثيرا (قوله كالرشا) بضم الراء وكسرها من الرشوة بضم وكسر فالمضموم للمضموم والمكسور للمكسور وأدخلت الكاف الربا (قوله عملهم هذا) قدره إشارة للمخصوص بالذم (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض والتوبيخ لعلمائهم حيث لم ينهوهم عما ارتكبوه من المخالفات (قوله لبئس ما كانوا يصنعون) عبر فى جانب العوام بيعملون وفى جانب العلماء بيصنعون لأن الصنع أبلغ من العمل إذ هو عمل مع إتقان فذمهم بأبلغ وجه وكل آية وردت فى الكفار فانها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين . قال ابن عباس هذه أشد آية فى القرآن يعنى فى حق العلماء ، وقال الضحاك مافى القرآن أخوف آية عندى منها (قوله وقالت اليهود) أى بعضهم وهو فنحاص بن عازوراء وإنما نسب القول لهم عموما لرضاهم به ولم ينهوه عنه

(قوله بتكذيبهم) الباء سببية (قوله بعد أن كانوا أكثر الناس مالا) أى وأخصب أرضا (قوله مقبوضة) أى ممسوكة عن بسط العطاء لنا (قوله كنوا به عن البخل) أى لأنه يلزم من قبض اليد عن الإعطاء للمستحقين البخل (قوله تعالى الله عن ذلك) أى تنزه سبحانه عن ماوصفوه به من البخل لأن البخل هو منع المستحق من حقه وليس لأحد حق على الله تعالى بل هو الكريم الحقيقى الذى عمّ عطاؤه الطائع والعاصى لالغرض ولا لعوض (قوله دعاء) إما بالرفع خبر لمحذوف والتقدير هو دعاء أى طلب من نفسه بنفسه غلول أيديهم ، ويصح النصب على أنه مفعول لأجله أى قال تعالى لأجل الدعاء عليهم (قوله ولعنوا) معطوف على غلت فهو فى حيز الدعاء فبسبب هذه المقالة صاروا أشقياء آيسين من رحمة الله فلم يوفقوا لفعل خير بعد ذلك أبدا وطردوا عن رحمة الله فى الدنيا والآخرة (قوله بل يداه) إضراب إبطالى ويداه مبتدأ ومبسوطتان خبره وجملة ينفق إما خبر ثان أو استئناف بيانى . وكيف اسم شرط ويشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف تقديره الانفاق له وجواب الشرط محذوف دلّ عليه قوله ينفق (قوله مبالغة فى الوصف بالجود) أى الاعطاء الكثير الذى عمّ الطائع والعاصى . واعلم أن معاملة الله للمؤمنين بالفضل إعطاء أومنعا لأنه مامنعهم عطاء الدنيا إلا لكونه ادّخر لهم ماهو أعظم منه فى الآخرة . وأما معاملته للكفار فبالفضل عند الإعطاء وبالعدل عند المنع فلايوصف بالبخل على كل حال تنزه الله عنه لأن البخل هو منع المستحق من حقه وتعالى الله عن أن يكون لأحد حق عليه (قوله وثنى اليد الخ) أى فذكر اليدين : مشاكلة والتثنية كناية عن كثرة العطاء لكن على مراده هو لا على مراد عبيده لأنه ليس لأحد حق عليه يطلبه منه ثم فى إطلاق اليد على الله طريقتان : طريقة السلف أن اليد صفة من صفاته أزلية كالسمع والبصر ينشأ عنها الخير لا الشرّ وهى أخصّ من القدرة لأن القدرة ينشأ عنها

بتكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً (يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ) مقبوضة عن إدرار الرزق علينا ، كنّوا به عن البخل . تعالى الله عن ذلك . قال تعالى (غُلَّتْ) أمسكت (أَيْدِيهِمْ) عن فعل الخيرات دعاء عليهم (وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) مبالغة فى الوصف بالجود وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطى بيديه (يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) من القرآن (طُغْيَانًا وَكُفْرًا) لكفرهم به (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فكل فرقة منهم تخالف الأخرى (كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ) أى لحرب النبى صلى الله عليه وسلم (أَطْفَأَهَا اللَّهُ) أى كلما أرادوه ردهم (وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) أى مفسدين بالمعاصى (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم ، (ولو

جميع الممكنات إيجادا وإعداما خيرا أوشرا ولايعلمها إلا هو ، ويشهد لما قلنا قوله تعالى - قال مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ - أى اصطفيته ولم يقل بقدرتى ، وطريقة الخلف أن اليد تطلق بمعنى الجارحة وهى مستحيلة على الله وتطلق على القدرة والنعمة والملك ويصح إرادة كل منها فى حق الله . إن قلت على تفسيرها بالقدرة أوالنعمة لم ثنيت ثانيا بعد إفرادها أوّلا ؟ . أجيب بأن التثنية لإفادة كثرة الكرم والعطاء كماقال المفسر . إن قلت على تفسيرها بالنعمة فمقتضاه جمعها لأن النعم كثيرة قال تعالى - وإن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها - . أجيب بأن التثنية بحسب الجنس لأن النعم جنسان مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة الاعطاء ونعمة المنع وتحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة وماقلناه عقائد المؤمنين وعقيدة اليهود أنها الجارحة لأنهم مجسمة (قوله من توسيع وتضييق) أى على مقتضى المصلحة والحكمة الالهية فى الحديث « إن من عبادى من لايصلح له إلا الفقر فلو أغنيته لفسد حاله وإن من عبادى من لايصلح له إلا الغنى فلو أفقرته لفسد حاله » (قوله فكل فرقة منهم) أى اليهود كالجبرية والقدرية والمشبهة والمرجئة والنصارى كذلك فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية . إن قلت إن المسلمين فرق أيضا . أجيب بأن افتراق المسلمين فى الفروع لا الأصول وكلهم على خير مسلمين لبعضهم . وأما من خرج عن ذلك فهوضال مضلّ (قوله كلما أوقدوا نارا للحرب) أى بتعاطى أسبابه ومباديه (قوله ردهم) أى قهرهم وجعلهم أذلة خاسئين (قوله أى مفسدين) أشار بذلك إلى أنه حال من فاعل يسعون ويصح أن يكون مصدرا مؤكدا ليسعون

من معناه (قوله ولو أن أهل الكتاب) بين الحلم فى الآخرة فهو تردد لهم لأنهم يهتدون ومن هنا لايجوز لعن كافر معين حى لأنه يحتمل أنه يهتدى (قوله من الكتب) أى ككتاب شعياء وكتاب دانيال وكتاب أرمياء ففى هذه الكتب أيضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد بإقامة الكتب الايمان به صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بما أنزل إليهم من ربهم القرآن لأنهم مأمورون بالايمان به لأنهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم ولعل هذا هو الأقرب (قوله بأن يوسع عليهم الرزق) أى بأن يفيض عليهم بركات السماء والأرض ، و يؤخذ من هذه الآية أن طاعة الله سبب فى بسط الرزق ومعاصيه سبب فى قبضه قال تعالى : ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لايحتسب . وقال تعالى : من عمل صالحا من ذكر أوأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة . وقال عليه الصلاة والسلام : « إذا رأيت قساوة فى قلبك وحرمانا فى رزقك ووهنا فى بدنك فاعلم أنك تكلمت فيما لايعنيك » (قوله مقتصدة) أى معتدلة ليست مفرطة ولا مفرطة وقوله تعمل به أى بالقرآن أو بما ذكر من التوراة ومابعدها (قوله ومنهم من آمن) الأوضح أن يحذف قوله ومنهم من آمن و يقتصر على قوله كعبد الله الخ كما قال غيره من المفسرين وفى نسخة وهم من آمن وهى الصواب (قوله وكثير) مبتدأ وجملة ساء مايعملون خبره وساء كلمة ذم * وماتمييز وقيل فاعل * وجملة يعملون إما صلة إن جعلت ماموصولة أو صفة إن جعلت نكرة والعائد محذوف قدره المفسر (قوله ياأيها الرسول بلغ) . سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث ضاق ذرعا لعلمه أن قوما يكذبونه ولابد فنزلت الآية تسلية له ، وفى ندائه بياأيها الرسول شهادة له بالرسالة وأل فى الرسول للعهد الحضورى أى الرسول الحاضر وقت نزولها وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله جميع) قدره إشارة إلى أن ما اسم موصول بمعنى الذى ولايصح تقديرها نكرة لأنه يصدق بتبليغ البعض مع أنه غير مكلف . واعلم أن ما أوحى إلى رسول الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام : ما أمر بتبليغه وهو القرآن

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وَاتَّقَوْا) الكفر (لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ) بالعمل بما فيهما ومنه الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ) من الكتب (مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) بأن يوسع عليهم الرزق و يفيض من كل جهة (مِنْهُمْ أُمَّةٌ) جماعة (مُقْتَصِدَةٌ) تعمل به وهم من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم كعبدالله بن سلام وأصحابه (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ) بئس (مَا) شيئا (يَعْمَلُونَ) . (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ) جميع (مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ولا تكتم شيئا خوفا أن تنال بمكروه (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ) أى لم تبلغ جميع ما أنزل إليك (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) بالإفراد والجمع لأن كتمان بعضها ككتمان كلها (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)

والأحكام المتعلقة بالخلق عموما فقد بلغه ولم يزد عليه حرفا ولم يكتم منه حرفا ولوجاز عليه الكتم لكتم آيات العتاب الصادرة له من الله كآية : عبس وتولى ، وآية : ما كان لنبى أن يكون له أسرى ، وسورة تبت يدا أبى لهب ، والحظ قل من قل ياأيها الكافرون وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ، وقد شهد له بتمام التبليغ حيث أنزل قبيل وفاته : اليوم أكملت لكم دينكم ، وورد أنه قال لعزرائيل حين قبض روحه : اقبض فقد بلغت ، وما أمر بكتمه فقد كتمه ولم يبلغ منه حرفا وهو جميع الأسرار التى لاتليق بالأمة ، وماخير فى تبليغه وكتمه فقد كتم البعض وبلغ البعض وهو الأسرار التى تليق بالأمة ولذا ورد عن أبى هريرة أنه قال « أعطانى حبيبى جرابين من العلم لو بثثت لكم أحدهما لقطع منى هذا الحلقوم » (قوله خوفا أن تنال بمكروه) أى يمنعك عن مطلوبك كالقتل والأسر ومنع الحق عنك فانك معصوم من ذلك ، وأما مثل السب فتحمله ولايكن مانعا لك من التبليغ وهذا إخبار من الله بأن رسوله لم يكتم شيئا فهو معصوم من الكتمان لاستحالته عليه (قوله بالافراد والجمع) أى فهما قراءتان سبعيتان ، وعلى كل فهو مفعول لبلغت فعلى الافراد منصوب بالفتحة الظاهرة وعلى الجمع منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم والمعنى واحد على كل لأن المفرد المضاف يفيد العموم (قوله لأن كتمان بعضها الخ) أشار بذلك إلى دفع سؤال ورد على الآية وحاصله أن ظاهر قوله وإن لم تفعل فما بلغت رسالته اتحاد الشرط والجواب لأنه ينحل المعنى إن لم تبلغ فما بلغت . وحاصل الجواب أن المعنى وإن تركت شيئا مما أمرت بتبليغه ولو حرفا فقد تركت الكل وصار مابلغته غير معتد به لأن كتمان بعضه ككتمان كله (قوله والله يعصمك) أى يحفظك وهو من تمام الأمر بالتبليغ .

(قوله أن يقتلوك) دفع ماقيل إنه قد أوذى أشد الإيذاء قولا وفعلا فأجاب بأن المراد العصمة من القتل ومافى معناه من كل مايعطل عليه التبليغ ، وهكذا كل نبي أمر بالقتال وماورد من قتل بعض الأنبياء فلم يكونوا مأمورين بالقتال (قوله وكان صلى الله عليه وسلم يحرس الخ) عن عائشة رضى الله عنها قالت « سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقدمه المدينة ليلة فقال ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة قال فبينما نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح قال من هذا ؟ قال سعد بن أبى وقاص فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك ؟ فقال وقع فى نفسى خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أحرسه فدعا له رسول الله ثم نام » وفى رواية : أن الذى جاء سعد وحذيفة بن اليمان قالا جئنا نحرسك فنام عليه الصلاة والسلام حتى سمعت غطيطه ونزلت هذه الآية فأخرج رأسه من قبة أدم وقال انصرفوا أيها الناس فقد عصمنى الله ، ورد أنه كان يحفظه سبعون ألف ملك لايفارقونه فى نوم ولايقظة (قوله إن الله لايهدى القوم الكافرين) أى لبلوغ مطلوبهم فيك لعصمتك منهم ، ولذلك فى بعض الغزوات حين احتاطت به الأعداء صار يقول : أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب ، و يرميهم بالتراب فى وجوههم وكان يمر بين صفى القتال على بغلة لاتصلح لكر ولافر (قوله قل ياأهل الكتاب) أى اليهود والنصارى (قوله معتد به) أى عند الله وهو الهدى والحق وهذا جواب عن سؤال كيف يقول لستم على شىء مع أنهم على شىء وهو الدين الباطل (قوله حتى تقيموا التوراة والانجيل) أى تأتمرون بأمرها وتنتهون بنهيها لأن فيهما بيان أن دينه هو الدين القيم وأن وجوده ناسخ لجميع الشرائع (قوله كثيرا منهم) أى كعلمائهم ورؤسائهم . وأما القليل منهم كعبد الله بن سلام والنجاشى وأضرابهما فقد زادهم القرآن اهتداء ونورا (قوله ماأنزل إليك) نسب الانزال أولا إليهم لأنهم مأمورون باتباعه ونسب الانزال ثانيا إليه لأنه منزل إليه حقيقة فيصح نسبة الانزال إليهم باعتبار أنهم مأمورون بالعمل به ، و إليه باعتبار أنه يبلغه

أن يقتلوك وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال انصرفوا فقد عصمنى الله ، رواه الحاكم (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَافِرِينَ . قُلْ يَٰأَهْلَ ٱلْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ) من الدين معتد به (حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَاةَ وَٱلْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) بأن تعملوا بما فيه ومنه الإيمان بى (وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) من القرآن (طُغْيَانًا وَكُفْرًا) لكفرهم به (فَلَا تَأْسَ) تحزن (عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَافِرِينَ) إن لم يؤمنوا بك ، أى لاتهتم بهم (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود مبتدأ (وَٱلصَّابِئُونَ) فرقة منهم (وَٱلنَّصَارَىٰ) ويبدل من المبتدإ (مَنْ آمَنَ) منهم (بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة خبر مبتدإ ودال على خبر إن (لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِىٓ إِسْرَائِيلَ) على الإيمان بالله ورسله (وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ)

منهم

(قوله طغيانا وكفرا) قيل الطغيان والكفر مترادفان ، وقيل الطغيان أعم لأنه مجاوزة الحد (قوله إن الذين آمنوا) إن حرف توكيد ونصب والذين اسمها وآمنوا صلته وخبرها محذوف دل عليه قوله فلاخوف عليهم الخ وقوله والذين هادوا الواو للاستئناف أو عطف جمل والذين مبتدأ والصابئون والنصارى معطوفان عليه وقوله من آمن بدل من الذين هادوا وماعطف عليه بدل بعض من كل وقوله فلاخوف عليهم خبر المبتدأ وهذا أحد أوجه تسعة وهوأحسنها ولذا درج عليه المفسر (قوله آمنوا) أى حقيقة بقلوبهم وألسنتهم خرج المنافقون (قوله فرقة منهم) أى اليهود وقيل من النصارى وقيل طائفة يعبدون الكواكب السبعة وقيل يعبدون الملائكة (قوله وعمل صالحا) أى فان مات ولم يكن عمل صالحا غير الايمان فهو تحت المشيئة (قوله منهم) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف (قوله لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل) أى فى التوراة ، والمقصود من ذلك إقامة الحجة على من كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى وتقدم أن الميثاق هو العهد المؤكد باليمين (قوله وأرسلنا) معطوف على أخذنا (قوله رسلا) أى كشعياء وأرمياء ويوشع (قوله كلما جاءهم رسول) كلما شرطية وجاءهم فعل الشرط وقوله بما لاتهوى متعلق بجاء وما اسم موصول وقوله لاتهوى صلته والعائد محذوف تقديره لاتهواه وجواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله كذبوه والأوضح له أن يقول عادوه وعصوه وقوله فريقا كذبوا الخ كلام مستأنف بيان لوجه العصيان والمعاداة

(قوله منهم) قدره إشارة إلى أن الجملة الشرطية صفة لرسلا والعائد محذوف ولوجعلت استئنافية لما احتيج لتقديره (قوله من الحق) بيان لما (قوله كذبوا) أى من غير قتل كداود وسليمان و يوشع وعيسى ومحمد (قوله كزكريا و يحيى) أى وشعياء (قوله دون قتلوا) أى لمراعاة كذبوا (قوله حكاية للحال الماضية) أى كأنها حاصلة الآن (قوله للفاصلة) أى المحافظة على رءوس الآى وتناسبها مع بعضها ولعل فيه حذف الواو ويكون علة ثانية (قوله وحسبوا) سبب هذا الحسبان أنهم كانوا يعتقدون أنهم يقربون لكونهم من ذرية الأنبياء فلا يضرهم تكذيب الأنبياء وقتلهم إياهم بل سلفهم يدفعون عنهم عذاب الآخرة (قوله بالرفع فأن مخففة) أى واسمها محذوف تقديره أنه وقوله لا تكون خبرها قال ابن مالك :

و إن تخفف أن فاسمها استكن والخبر اجعل جملة من بعد أن وقوله والنصب أى فهما قراءتان سبعيتان . واعلم أن أن إن وقعت بعد مايفيد اليقين كانت مخففة من الثقيلة لا غير نحو علم أن سيكون ، و إن وقعت بعد مايفيد الظن كانت ناصبة لا غير نحو وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، و إن وقعت بعد مايحتملهما كان فيها الأمران كهذه الآية فالرفع على تأويل حسب بمعنى علم والنصب على تأويلها بالظن . إن قلت مقتضى هذه القاعدة أن كل مايفيد الأمرين يجوز فيه الرفع والنصب مع أنه لم يسمع فى: أحسب الناس أن يتركوا الرفع، ولا النصب فى : أفلا يرون أن لايرجع . أجيب بأن القراءة سنة متبعة لأنه ليس كل ماجاز نحوا جاز قراءة وجملة أن لاتكون فتنة فى محل نصب سدت مسد مفعولى حسب على كلا القراءتين عند جمهور البصريين وقيل مسد مفعولها الأول ومفعولها الثانى محذوف تقديره حاصلة (قوله فتنة) بالرفع فاعل تكون لأنها بمعنى توجد فهى تامة (قوله فعموا وصموا) معطوف على حسبوا وهذا إشارة إلى ماوقع منهم فى المرة الأولى من الفساد والقتل فى زمن شعياء وأرمياء حتى قتلوا

منهم (بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ) من الحق كذبوه (فَرِيقاً) منهم (كَذَّبُوا وَفَرِيقاً) منهم (يَقْتُلُونَ) كزكريا ويحيى والتعبير به دون قتلوا حكاية للحال الماضية للفاصلة (وَحَسِبُوا) ظنوا (أَ) ن (لَا تَكُونُ) بالرفع فأن مخففة ، والنصب فهى ناصبة أى تقع (فِتْنَةٌ) عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم (فَعَمُوا) عن الحق فلم يبصروه (وَصَمُّوا) عن استماعه (ثُمَّ تَابَ اللهُ عَلَيْهِمْ) لما تابوا (ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا) ثانياً (كَثِيرٌ مِنْهُمْ) بدل من الضمير (وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم به (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) سبق مثله (وَقَالَ) لهم (الْمَسِيحُ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ) فإنى عبد ولست بإله (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ) فى العبادة غيره (فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ) منعه أن يدخلها (وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ) زائدة (أَنْصَارٍ) يمنعونهم من عذاب الله (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ) آلهة (ثَلَاثَةٍ) أى أحدها ، والآخران : عيسى وأمه .

شعياء وحبسوا أرمياء فسلط الله عليهم بختنصر ففرق جمعهم وأسرهم وخرب بيت المقدس وصاروا فى غاية الذل والهوان فلما تابوا توجه ملك من ملوك فارس فعمر بيت المقدس وقتل بختنصر وردهم إلى وطنهم فكثروا وكانوا أحسن ما كانوا عليه فمكثوا ثلاثين سنة ثم عموا وصموا ثانيا وقتلوا زكريا ويحيى وإلى هذه القصة الاشارة بقوله تعالى فى سورة الاسراء ـ لتفسدن فى الأرض مرتين ـ الآيات وهذا هو الصحيح فالمراد بنى إسرائيل من كان فى زمن شعياء وأرمياء لا من كان فى زمن موسى وهرون (قوله بدل من الضمير) أى فى قوله عموا وصموا والضمير هو الفاعل وهذا هروب من تخريج الآية على لغة أكلونى البراغيث فانها ضعيفة ودفع بقوله كثير منهم مايتوهم أنهم عموا وصموا جميعهم وعطف قوله ثم عموا وصموا بثم المفيدة للتراخى لأن بين التوبة والعمى ثلاثين سنة (قوله لقد كفر الذين قالوا) وهم اليعقوبية من النصارى وهو شروع فى ذكر قبائح النصارى بعد ذكر قبائح اليهود (قوله إن الله هو المسيح) معنى ذلك عندهم أن الله حل فى ذات عيسى واتحد بها (قوله وقال المسيح) الجملة حالية من الواو فى قالوا وهو رد لما ادعوه من ألوهيته أى فلاعذر لهم فى تلك الدعوى فان عيسى تبرأ منها و بين لهم طريق الهدى (قوله إنه من يشرك بالله) كالعلة لقوله اعبدوا الله (قوله منعه أن يدخلها) أى فالمراد بالتحريم مطلق المنع (قوله وما للظالمين) أى المشركين (قوله أنصار) أى أعوان يحفظونهم من غضب الله (قوله والآخران عيسى الخ) هذا وجه فى التثليث عندهم وهناك وجه آخر عندهم وهو أن الاله مركب من ثلاثة الأب والابن وروح القدس

فرادهم بالأب ذات الله و بالابن صفة الكلام و بروح القدس الحياة فاختلطت صفة الكلام بجسد عيسى كاختلاط الماء باللبن وزعموا أن الأب إله والابن إله والروح إله والكل إله واحد . واعلم أن النصارى فى اعتقاد التثليث على أربع فرق : واحدة تقول كل من ذات الله تعالى وذات عيسى وذات مريم إله ، وأخرى تقول الإله مجموع صفات ثلاث الوجود والعلم والحياة وعيسى ابنه ، وأخرى تقول الإله مجموع ذات وصفتين ذات الله ويسمونها الأب وصفة كلامه ويسمونها الابن وصفة الحياة ويسمونها روح القدس والكل إله واحد ، وأخرى تقول الإله مجموع ذاتين وصفة الله وذات عيسى والحياة الحالة فى جسد عيسى (قوله وهم فرقة من النصارى) أى وهم النسطورية والمرقوسية (قوله ومامن إله إلا إله واحد) الواو إما حالية أو استئنافية وما نافية ومن زائدة لاستغراق النفى و إله مبتدأ والخبر محذوف تقديره كائن فى الوجود و إلا ملغاة و إله بدل من الضمير فى الخبر نظير لا إله إلا الله والمقصود من ذلك التشنيع والردّ عليهم فى دعواهم التثليث لأن حقيقة الإله هو المستغنى عما سواه المفتقر إليه كل ماعداه وليس شىء من ذلك وصفا لعيسى ولا لأمه ولا لأحد أبدا سواه سبحانه وتعالى (قوله ليمسن الذين كفروا) جواب لقسم محذوف وجواب الشرط محذوف لدلالة هذا عليه والتقدير والله إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا الخ نظير قوله تعالى - و إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين - (قوله أى ثبتوا على الكفر) أشار بذلك إلى أن

وهم فرقة من النصارى (وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلاَّ إِلٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ) من التثليث و يوحّدوا (لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى ثبتوا على الكفر (مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم هو النار (أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ) مماقالوه ، استفهام توبيخ (وَاللهُ غَفُورٌ) لمن تاب (رَحِيمٌ) به (مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ) مضت (مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) فهو يمضى مثلهم وليس بإله كما زعموا و إلا لما مضى (وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ) مبالغة فى الصدق (كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ) كغيرهما من الحيوانات ومن كان كذلك لا يكون إلهاً لتركبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط (انْظُرْ) متعجباً (كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ) على وحدانيتنا (ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى) كيف (يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق مع قيام البرهان (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم (الْعَلِيمُ) بأحوالكم والاستفهام للانكار (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) اليهود والنصارى (لاَ تَغْلُوا) تجاوزوا الحد (فِي دِينِكُمْ) غلوا (غَيْرَ الْحَقِّ) بأن تضعوا عيسى أو ترفعوه فوق حقه (وَلاَ تَتَّبِعُوا أهواء

من فى منهم للتبعيض لأن كثيرا منهم تابوا (قوله توبيخ) أى وانكار وهذا استدعاء لهم الى التوبة (قوله والله غفور رحيم) الجملة حالية كالتعليل لما قبلها (قوله ما المسيح ابن مريم الخ) هذا استئناف مسوق لبيان إقامة الحجة عليهم و بطلان دعاويهم الباطلة وما نافية والمسيح مبتدأ و إلا أداة حصر ورسول خبره وهو من حصر المبتدأ فى الخبر أى ان عيسى محصور فى وصف الرسالة وليس بإله فالمقصود من ذلك نفى الألوهية عنه (قوله قد خلت) أى ذهبت وفنيت (قوله صديقة) أى ملازمة للصدق وهذان الوصفان لعيسى وأمه مختصان بهما شرفهما الله بهما ثم وصفهما بعد ذلك بوصف البشرية الذى لايميزهم عن الحيوانات غير العاقلة فضلا عن العاقلة (قوله كيف نبين) كيف معمول لنبين لا لانظر لأن اسم الاستفهام لايعمل فيه ماقبله لأن له الصدارة (قوله ثم انظر) هذا ترق فى التعجب ولذا أتى بثم المفيدة للتراخى (قوله مع قيام البرهان) أى الدليل الواضح على باهر قدرتنا وكمال صفاتنا (قوله قل أتعبدون) هذا تبكيت لهم و إلزامهم الحجة (قوله مالايملك لكم ضرّا ولا نفعا) أى وهو عيسى والمعنى لايملك بذاته شيئا أصلا لاضرّا ولا نفعا ، وأما اجراء النفع أوالضرّ على يديه فبخلق الله لذلك ولوشاء لم يخلقه (قوله والله هو السميع العليم) أى فهو أحق بالعبادة (قوله للانكار) أى مع التوبيخ (قوله قل ياأهل الكتاب) شروع فى ذكر قبائحهم جميعا بعد أن ذكر كل فريق منهم على حدة (قوله غلوا) قدره المفسر اشارة الى أن غير الحق صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله تغلوا ويصح أن يكون غير الحق حالا من فاعل تغلوا (قوله غير الحق) أى وأما الغلوّ فى الحق كالتشديد على النفس بأن يصوم النهار و يقوم الليل مثلا فليس بحرام ولا ضلال (قوله بأن تضعوا عيسى) أى تنقصوه عن مرتبته كقول اليهود انه ابن زنا ، وقوله أو ترفعوه فوق حقه كقول النصارى : انه ابن الله أوهو الله فكل من الفريقين قد غلا فى دينه غير الحق .

(قوله أهواء قوم) الأهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس إليه وما ذكر فى القرآن إلا على وجه الذم لأنه لا يقال فلان يهوى الخير وإنما يقال يحبه ويريده (قوله من قبل) أى من قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فالخطاب لمن كان فى زمنه (قوله بغلوهم) الباء سببية : أى بسبب غلوهم فى عيسى حيث رفعوه جدا ووضعوه جدا (قوله وهم أسلافهم) جمع سلف وهو المتقدم عليهم فى الزمن وهم اليهود والنصارى (قوله وأضلوا كثيرا) أى بهذا الاعتقاد الفاسد (قوله عن سواء السبيل) السواء فى الأصل الوسط والسبيل الطريق، والمراد الدين الحق فشبه التمسك بالدين الحق بالمشى فى وسط الطريق بجامع أن كلا سالم من العطب (قوله عن طريق الحق) أى وهو دين الاسلام . إن قلت إنه قد تقدم ضلالهم فى قوله قد ضلوا من قبل . أجيب بأنه يحمل الضلال الأول على الكفر بموسى وعيسى، والضلال الثانى على الكفر بمحمد (قوله لعن الذين كفروا) أى اليهود والنصارى فلعن اليهود على لسان داود ولعن النصارى على لسان عيسى (قوله على لسان داود) اختلف فى المراد باللسان فقيل هو الجارحة فداود وعيسى صرحا بلعنهم وقيل هو الكتاب، والمعنى أنزل الله لعنتهم فى كتاب داود وعيسى وهو الأقرب، وكلام المفسر يفيد الأول (قوله فمسخوا قردة) أى وخنازير وقوله وهم أصحاب أيلة أى الذين اعتدوا فى السبت واصطادوا السمك فيه وستأتى قصتهم فى سورة الأعراف (قوله فمسخوا خنازير) أى وقردة فقد حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر وهذا على المشهور من أن كلا مسخوا قردة وخنازير وقيل إن أصحاب السبت مسخوا قردة وأصحاب المائدة مسخوا خنازير وهو ظاهر المفسر (قوله وهم أصحاب المائدة) أى وسيأتى أنهم ثلثمائة وثلاثون رجلا (قوله بما عصوا) الباء سببية وما مصدرية وقوله وكانوا يعتدون معطوف على عصوا والمعطوف على الصلة صلة، والمعنى ذلك بسبب عصيانهم وكونهم معتدين (قوله عن معاودة منكر) إنما قدر المفسر هذا المضاف لدفع ما أورد بأن المنكر الذى فعل لا معنى للنهى عنه لأن رفع الواقع محال فأجاب بأن المعنى النهى عن المعاودة (قوله فعلهم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله ترى) أى تبصر وقوله كثيرا منهم أى أهل الكتاب (قوله يتولون الذين كفروا) أى يوالونهم ويصادقونهم (قوله بغضا لك) مفعول لأجله أى من أجل بغضك (قوله لبئس ما قدمت) اللام موطئة للقسم وبئس كلمة ذم وما فاعل وقدمت صلته والعائد محذوف أى قدمته وأنفسهم فاعل قدمت وقوله أن سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم لكن على حذف مضاف تقديره موجب أن سخط الله والمعنى أن ما قدمت لهم أنفسهم من الضلال تسبب عن سخط الله وتسبب عن سخط الله الخلود فى النار (قوله من العمل) بيان لما (قوله وفى العذاب هم خالدون) هذه الجملة معطوفة على جملة أن سخط الله عليهم فهى من جملة المخصوص بالذم فالمعنى موجب سخط الله والخلود فى النار (قوله وما أنزل إليه) أى وهو القرآن (قوله ما اتخذوهم أولياء) أى أنصارا يوالونهم وقد فعلوا ذلك فكانوا يأخذون الهدايا لكفار مكة ويصادقونهم ويتوددون إليهم خوفا من زوال عزهم ورياستهم (قوله لتجدن أشد الناس عداوة) كلام مستأنف سيق للتقبيح على اليهود والتشنيع عليهم واللام موطئة لقسم محذوف وأشد مفعول أول لتجدن وعداوة منصوب على التمييز وللذين آمنوا متعلق بعداوة أو بمحذوف صفة لعداوة واليهود مفعول ثان هكذا أعربوا والأقرب أن أشد مفعول ثان مقدم واليهود مفعول أول مؤخر (قوله والذين أشركوا) معطوف على اليهود وقوله لتضاعف كفرهم علة

أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ) بغلوهم وهم أسلافهم (وَأَضَلُّوا كَثِيرًا) من الناس (وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) عن طريق الحق والسواء فى الأصل الوسط (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ) بأن دعا عليهم فمسخوا قردة وهم أصحاب أيلة (وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) بأن دعا عليهم فمسخوا خنازير وهم أصحاب المائدة (ذَلِكَ) اللعن (بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ) أى لا ينهى بعضهم بعضا (عَنْ) معاودة (مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ه فعلهم هذا (تَرَى) يا محمد (كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة بغضا لك (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ) من العمل لمعادهم الموجب لهم (أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ . وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِىِّ) محمد (وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ) أى الكفار (أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) خارجون عن الإيمان (لَتَجِدَنَّ) يا محمد (أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا) من أهل مكة لتضاعف كفرهم وجهلهم ،

اتوله أشد وقوله وجهلهم أى وتضاعف جهلهم (قوله وانهما كهم فى اتباع الهوى) عطف على تضاعف عطف علة على معلول والهوى بالقصر ما تهواه النفس وتميل إليه (قوله ولتجدن أقربهم) يقال فى إعرابه ماقيل فى الذى قبله من أن أقرب مفعول ثان والذين قالوا مفعول أول ومودة تمييز وللذين صفة للمودة أومتعلق به (قوله الذين قالوا إنا نصارى) أى أنصار دين الله . إن قلت مقتضى الآية مدح النصارى وذم اليهود مع أن كفر النصارى أشد لأنهم ينازعون فى الربوبية واليهود أخف منهم لأنهم ينازعون فى النبوة . أجيب بأن مدح النصارى من جهة قرب مودتهم للمسلمين وذم اليهود من حيث إنهم أشد عداوة للمسلمين وذلك لايقتضى شدة الكفر ولا عدمها وأيضا الحرص فى اليهود دون النصارى وأيضا مذهب اليهود أن إيصال الشر والأذى إلى من خالفهم فى الدين قربة ومذهب النصارى أنه حرام (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ و بأن منهم خبر وقسيسين اسم أن ومنهم متعلق بمحذوف خبر أن ورهبانا معطوف على قسيسين وقوله وأنهم لايستكبرون معطوف على قسيسين (قوله أى قرب مودتهم) أشار بذلك إلى مرجع اسم الاشارة (قوله بسبب) أشار بذلك إلى أن الباء سببية (قوله قسيسين) جمع قسيس من تقسس الشىء إذا تتبعه يقال قس الأثر قصه فهو أعجمى معرب و يقال قس وقس بفتح القاف وكسرها وهو عالم النصارى (قوله ورهبانا) جمع راهب وهو الزاهد التارك للدنيا وشهواتها (قوله نزلت فى وفد النجاشى) أى واسمه أصحمة وقيل أصمحة وقيل صحمة . وحاصل ذلك أنه سنة خمس من البعثة اشتد أذى الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن أسلم ولم يكن أمر بجهاد فأمر الصحابة الذين لاعزوة لهم بالخروج إلى أرض الحبشة وهى الهجرة الأولى وقال إن بها ملكا صالحا لايظلم ولايظلم عنده أحد فاخرجوا إليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج إليها أحد عشر رجلا وأربع نسوة سرا منهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا إلى البحر وأخذوا سفينة بنصف

وانهما كهم فى اتباع الهوى ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ ﴾ أى قرب مودتهم للمؤمنين ﴿ بِأَنَّ ﴾ بسبب أن ﴿ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ ﴾ علماء ﴿ وَرُهْبَانًا ﴾ عُبَّادا ﴿ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة ، نزلت فى وفد النجاشى القادمين عليهم من الحبشة قرأ صلى الله عليه وسلم عليهم سورة يٰس فبكوا وأسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ، قال تعالى :

(و إذا

دينار إلى أرض الحبشة وذلك فى رجب ثم تتابع المسلمون فكانوا اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار قال كفار قريش إن ثأركم بأرض الحبشة فأهدوا إلى النجاشى وابعثوا إليه رجلين من ذوى رأيكم لعله يعطيكم من عنده لتقتلوهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن العاصى وعبد الله بن ربيعة فقالا له أيها الملك إنه قد خرج فينا رجل سفه عقول قريش وأحلامها وزعم أنه نبى و إنه قد بعث إليك برهط من أصحابه ليفسدوا عليك قومك فأحببنا أن نأتيك ونخبرك خبرهم وإن قومنا يسألونك أن تردهم إليهم فقال حتى نسألهم فأمر بهم فأحضروا فلما أتوا باب النجاشى قالوا يستأذن أولياء الله فقال ائذنوا لهم فمرحبا بأولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط من المشركين أيها الملك ألاترى أنا صدقناك إنهم لم يحيوك بتحيتك التى تحيا بها فقال لهم الملك مامنعكم أن تحيونى قالوا إنا حييناك بتحية أهل الجنة وتحية الملائكة فقال لهم النجاشى مايقول صاحبكم فى عيسى وأمه فقال جعفر بن أبى طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم العذراء ويقول فى مريم إنها العذراء البتول قال فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال والله مازاد صاحبكم على ماقال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما أنزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرءوا فقرأ جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبانيون وسائر النصارى فعرفوا ماقرأ فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فأنزل الله تعالى فيهم ذلك بأن منهم قسيسين الخ الآيتين فقال النجاشى لجعفر وأصحابه اذهبوا فأنتم بأرضى آمنون ، وفى بعض الروايات أن عمرا أسلم على يد النجاشى ، و بذلك يلغز فيقال صحابى أسلم على يد تابعى لأن النجاشى لم يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو اجتمع به بعد مقدمه من الحبشة وأقام المسلمون عند النجاشى بخير دار وخير جوار إلى أن هاجر رسول الله إلى المدينة وعلا أمره وقهر أعداءه وذلك سنة ست من الهجرة وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى على يد عمرو بن أمية الضمرى أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فأرسل النجاشى جارية يقال لها أبرهة إلى أم حبيبة يخبرها أن رسول الله قد خطبها فسرت بذلك وأعطت الجارية أوضاحا كانت لها وأذنت

لخالد بن سعيد فى نكاحها فأنكحها لرسول الله على صداق مبلغه أربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله النجاشى فأرسل إليها بجميع الصداق على يد جاريته أبرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تأخذها وقالت إن الملك أمرنى أن لا آخذ منك شيئا وقالت أنا صاحبة ذهب الملك وثيابه وقد صدقت بمحمد وآمنت به وحاجتى إليك منى أن تقرئيه منى السلام قالت نعم وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاصر خيبر قالت أم حبيبة فخرجنا إلى المدينة ورسول الله بخيبر فخرج من قدم معى وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله فدخلت عليه فكان يسألنى عن النجاشى فقرأت عليه السلام من أبرهة جارية الملك فرد رسول الله عليها السلام وأنزل الله عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة يعنى أباسفيان وذلك بتزوج رسول الله أم حبيبة ولما بلغ أباسفيان تزوج رسول الله بأم حبيبة قال ذلك الفحل لايجدع أنفه وبعث النجاشى بعد خروج جعفر وأصحابه إلى رسول الله ابنه أزهى فى ستين من أصحابه وكتب إليه يارسول الله إنى أشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك و بايعت ابن عمك جعفرا وأسلمت لله رب العالمين وقد بعثت إليك ابنى أزهى و إن شئت أن آتيك بنفسى فعلت والسلام عليك يارسول الله فركبوا فى سفينة فى أثر جعفر حتى إذا كانوا فى وسط البحر غرقوا ووافى جعفر وأصحابه رسول الله وهو بخيبر ووافى جعفر فى سبعين رجلا عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرأ عليهم رسول الله سورة يس إلى آخرها فبكى القوم حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فأنزل الله هذه الآية فيهم ولذلك قال

(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ) من القرآن (تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا) صدقنا بنبيك وكتابك (فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) المقرين بتصديقهما (وَ) قالوا فى جواب من عيرهم بالاسلام من اليهود (مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ) القرآن أى لامانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه (وَنَطْمَعُ) عطف على نؤمن (أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ) المؤمنين الجنة، قال تعالى (فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) بالإيمان (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) . ونزل لما هم قوم من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام ولا يقربوا النساء والطيب ولا يأكلوا اللحم ولا يناموا على الفراش،

قتادة نزلت فى ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث صلى الله عليه وسلم آمنوا به وصدقوه فأثنى الله عليهم (قوله و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) صنيع المفسر يقتضى أنه مستأنف حيث قال قال تعالى ــ ولذلك جعله بعضهم أول الربع ويصح أن يكون عطفا على لايستكبرون (قوله تفيض) أى تمتلىء بالدمع حتى يسيل (قوله من الدمع) من ابتدائية وقوله مما عرفوا من تعليلية ومن الحق بيانية (قوله يقولون) استئناف مبنى على سؤال كأنه قيل فماذا يقولون (قوله ومالنا لانؤمن بالله) جملة مستأنفة جوابا للسؤال الوارد عليهم (قوله وماجاءنا من الحق) معطوف على لفظ الجلالة أى لامانع لنا من الإيمان بالله و بما جاءنا من الحق و يراد بالحق القرآن (قوله عطف على نؤمن) أى مسلطة عليه لاعلى سبيل الاستفهام الانكارى والمعنى أى شىء ثبت لنا فى كوننا لانؤمن بالله ولا بالقرآن ولا نطمع فى أن يدخلنا ربنا الخ مع وجود مقتضى ماذكر (قوله بما قالوا) أى بسبب قولهم ورتب الثواب على القول لأنه قد سبق بما يدل على إخلاصهم فيه (قوله والذين كفروا) لما ذكر الله تعالى الوعد لمؤمنى النصارى ذكر الوعيد لمن بقى منهم على الكفر جمعا بين الترغيب والترهيب (قوله ونزل لما هم قوم) أى وهم عشرة اجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون الجمحى وسبب اجتماعهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظ الناس يوما حتى أبكاهم فرقت أفئدتهم وعزموا على الترهب وهم أبو بكر وعلى بن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأبو ذر الغفارى وسالم مولى أبى حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن وعثمان بن مظعون فتشاوروا واتفقوا على أنهم يلبسون المسوح ويجبون مذاكيرهم ويصومون الدهر و يقومون الليل ولاينامون على الفراش ولايأكلون اللحم والودك ولايقربون النساء ولا الطيب وأن يسيحوا فى الأرض فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته أحق مابلغنى عن زوجك وأصحابه فكرهت أن تكذب وكرهت أن تفشى سر زوجها فقالت يارسول الله إن كان قد أخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما جاء عثمان أخبرته بذلك فأتى هو وأصحابه العشرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ألم أخبر أنكم اتفقتم على كذا . كذا فقالوا بلى يارسول الله وما أردنا إلا الخير فقال رسول الله إنى لم أومر بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم إن لأنفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال مابال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب وشهوات الدنيا و إنى لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع و إن سياحة أمتى ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم فى الديارات والصوامع فنزلت تلك الآية (قوله يأيها الذين آمنوا) هـذا هو فاعل نزل (قوله لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أى لاتجعلوها حراما على أنفسكم فمن حرم حلالا فلا يحرم عليـه إلا الزوجة لأن الله جعل بيده تحريمها وتحليلها دون ماسواها واعتقاد التحريم من غير إنشاء منه كفر (قوله تتجاوزوا أمر الله) أى ونهيه فلا تفعلوا مانهى الله عنه ولا تفرطوا فيما أمر به (قوله إن الله لايحب المعتدين) أى المتجاوزين الحد ومن جملة ذلك قطع المذاكير والشهوة والاسراف فى المطاعم والمشارب قال تعالى : كلوا واشربوا ولا تسرفوا (قوله حال) أى من حلالا لأنه فى الأصل نعت نكرة قدم عليها وطيبا صفته (قوله واتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه فتقوى الله لا تتوقف على الرهبانية كما كان

فى الأمم السابقة (قوله لايؤاخذكم الله باللغو) هذا مرتب على قوله

(يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا) تتجاوزوا أمر الله (إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلاَلاً طَيِّبًا) مفعول والجار والمجرور قبله حال متعلق به (وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ . لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ) الكائن (فِي أَيْمَانِكُمْ) هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف كقول الإنسان لا والله و بلى والله (وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ) بالتخفيف والتشديد وفى قراءة عاقدتم (الْأَيْمَانَ) عليه بأن حلفتم عن قصد (فَكَفَّارَتُهُ) أى اليمين إذا حنثتم فيه (إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ) لكل مسكين مدّ (مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ) منه (أَهْلِيكُمْ) أى أقصده وأغلبه لا أعلاه ولا أدناه (أَوْ كِسْوَتُهُمْ)

لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم لأن بعض الصحابة حلف على الترهب لظن أنه قربة فلما نزلت الآية شكوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمين فنزلت هذه الآية (قوله هو مايسبق إليه اللسان لابقصد الحلف) أى بل بقصد التبرر أولاقصد له وهذا مذهب الشافعى وأما عند مالك وأبى حنيفة فاللغو أن يحلف على ظنه فيتبين خلافه وهذا فى غير الطلاق وأما هو فلا ينفع فيه اللغو ، واللغو عند مالك وأبى حنيفة تكفر إن تعلقت بمستقبل فقط لا إن تعلقت بحال أو ماض . والحاصل أنه إن قصد باليمين التبرر فهو لغو عند الشافعى لاعند مالك وأبى حنيفة وأما إن سبق لسانه باليمين من غير قصد أصلا فهو لغو اتفاقا والحلف على ظن شئ فتبين خلافه لغو اتفاقا أيضا (قوله وفى قراءة عاقدتم) والثلاث سبعيات فالتخفيف ظاهر والتشديد للمبالغة وما مصدرية أى بتعقيدكم الايمان (قوله فكفارته) مبتدأ و إطعام خبره وهو مضاف لمفعوله الأول والمفعول الثانى قوله من أوسط والفاعل محذوف قياسا يعود على الحالف تقديره إطعامه عشرة مساكين (قوله أى اليمين) إن قلت إن اليمين مؤنثة فلم عاد الضمير عليها مذكرا . أجيب بأنها تذكر بمعنى الحلف (قوله إذا حنثتم فيه) أى وهو الحلف بالله أو بصفة من صفاته القديمة ، وأما الحلف بغير ذلك فلا حنث فيه ثم هو إن كان مما يعظم شرعا كالكعبة والنبى فقيل مكروه وقيل حرام و إلا فهو ممنوع لما فى الحديث «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (قوله عشرة مساكين) المراد مايشمل الفقراء والفقير هو من لايملك قوت عامه ، والمسكين من التصقت يده بالتراب عند مالك (قوله لكل مسكين مد) أى وهو رطل وثلث بالبغدادى و بالمصرى رطل وأوقيتان وربع أوقية (قوله ماتطعمون أهليكم) قدر المفسر المفعول الثانى بقوله منه والأوضح أن يقدره متصلا به وأهليكم مفعوله الأول (قوله أغلبه) هذا تفسير لأوسط فان كان القمح غالب اقتياتهم مثلا أخرج منه ولو كان هو يقتات ذرة مثلا وهل المراد بالغالب وقت الاخراج وهو مذهب مالك أو فى السنة وهو مذهب الشافعى وقوله لاأعلاه ولا أدناه أى لاتفهم أن المراد بالأوسط ماقابل الأعلى كالقمح والأدنى كالدخن بل المراد به

الغالب فى الاقتيات كان هو فى نفسه أعلى أو أدنى أو أوسط ويكفى بدل الأمداد عند مالك لكل واحد رطلان من خبز أو إطعام العشرة غداء وعشاء أو غداءين أو عشاءين (قوله بما يسمى كسوة) أى و إن لم يكن من غالب كسوة الناس لأن قيد الأوسطية مخصوص بالاطعام واشترط مالك كون الكسوة تستر البدن للرجل ثوب وللمرأة درع وخمار (قوله وعمامة و إزار) الواو بمعنى أو ويكفى المنديل عند الشافعى (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك (قوله كما فى كفارة القتل والظهار) أى كما ثبت عند الفقهاء فى كفارة القتل بالتصريح بمؤمنة والظهار بحمل المطلق على المقيد وهذا مذهب مالك والشافعى وعند أبى حنيفة لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب وأماهنا فقد اختلف السبب فلا حمل فيكفى فى اليمين والظهار عنده عتق الكافرة (قوله فمن لم يجد) أى بأن لم يكن عنده ما يباع على المفلس بأن لم يكن عنده أزيد من قوت يومه وهو مذهب مالك والشافعى فى القديم وقال فى الجديد ينتقل للصيام إن لم يكن عنده ما يكفيه العمر الغالب (قوله فصيام ثلاثة أيام) أى فالكفارة مخير فيها ابتداء فى الثلاثة مرتب انتهاء فى الصيام وأفضلها فى التخيير عند مالك الاطعام ثم الكسوة ثم العتق وعند الشافعى العتق ثم الكسوة ثم الاطعام (قوله كفارته) أشار بذلك إلى أن صيام مبتدأ خبره محذوف والأوضح أن يقدر المحذوف هو المبتدأ (قوله وعليه الشافعى) أى ومالك خلافا لأبى حنيفة فى اشتراطه التتابع (قوله ما لم يكن على فعل بر) أى فالحنث أفضل (قوله كما فى سورة البقرة) أى فى قوله تعالى ولا تجعلوا

بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وإزار ولا يكفى دفع ما ذكر إلى مسكين واحد وعليه الشافعى (أَوْ تَحْرِيرُ) عتق (رَقَبَةٍ) أى مؤمنة كما فى كفارة القتل والظهار حملا للمطلق على المقيد (فَمَنْ لَمْ يَجِدْ) واحداً مما ذكر (فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ) كفارته وظاهره أنه لا يشترط التتابع وعليه الشافعى (ذَٰلِكَ) المذكور (كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ) وحنثتم (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) أن تنكثوها مالم تكن على فعل برّ أو إصلاح بين الناس كما فى سورة البقرة (كَذَٰلِكَ) أى مثل مابين لكم ما ذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ه على ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ) المسكر الذى يخامر العقل (وَالْمَيْسِرُ) القمار (وَالْأَنْصَابُ) الأصنام (وَالْأَزْلَامُ) قداح الاستقسام (رِجْسٌ) خبيث مستقذر (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) الذى يزينه (فَاجْتَنِبُوهُ) أى الرجس المعبر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) إذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن (وَيَصُدَّكُمْ) بالاشتغال بهما (عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ)

الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس فمن حلف على شىء وكان فعله خيرا من تركه فالأفضل حنثه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك (قوله ماذكر) أى وهو حكم اليمين (قوله على ذلك) أى البيان فانه من أعظم النعم (قوله يا أيها الذين آمنوا) سبب نزولها دعاء عمر رضى الله عنه بقوله اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا وذلك أنه لما نزل قوله تعالى: يسئلونك عن الخمر والميسر الآية أحضر رسول الله عمر وقرأها عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ثم نزلت يأيها الذين آمنوا لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى فأحضره رسول الله وقرأها عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الآية فأحضره وقرأها عليه فقال انتهينا يارب وذكرت عقب ماقبلها لأنه لما نهى فيما قبلها عن تحريم الطيبات مما أحل الله وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم ربما يتوهم أنهما داخلان فى جملة الطيبات فأفاد أنهما ليسا كذلك (قوله الذى يخامر العقل) أى يستره ويغطيه ولو كان متخذا من غير العنب (قوله القمار) من المقامرة وهى المغالبة لأن كلا يريد المغالبة لصاحبه والمراد بالقمار اللعب بالملاهى كالطاب والطولة والمنقلة فيحرم اللعب بذلك إذا كان بمال إجماعا و بغيره ففيها الخلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة مالم يضيع بسببها الفرائض و إلا فالحرام إجماعا وسمى ميسرا لأن فيه أخذ المال بيسر (قوله والأنصاب) جمع نصب سميت بذلك لأنها تنصب وترفع للعبادة (قوله قداح الاستقسام) تقدم أنها سبعة (قوله رجس) خبر عن كل واحد مما تقدم من الخمر وما بعده وحيث قرن الخمر والميسر بالأنصاب والأزلام فهو دليل على أنهما من الكبائر وقوله خبيث مستقذر تفسير للرجس وأما الرجز فهو العذاب وأما الركس فهو العذرة والشىء النتن (قوله الذى يزينه) أى يأمر به ويحسنه وليس المراد من عمل يده (قوله لعلكم تفلحون) الترجى فى كلام الله تعالى للتحقيق (قوله فى الخمر والميسر) إنما أعادهما ثانيا لأنهما اللذان كانا فى المسلمين بخلاف الأنصاب والأزلام

خصها بالذكر تعظيما لها (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) عن إتيانهما ، أى انتهوا (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا) المعاصى (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن الطاعة (فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الإبلاغ البين وجزاؤكم علينا (لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا) أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم (إِذَا مَا اتَّقَوْا) المحرمات (وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا) ثبتوا على التقوى والإيمان (ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا) العمل (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) بمعنى أنه يثيبهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ) ليختبرنكم (اللَّهُ بِشَيْءٍ) يرسله لكم (مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ) أى الصغار منه (أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ) الكبار منه ، وكان ذلك بالحديبية وهم محرمون فكانت الوحوش والطير تغشاهم فى رحالهم (لِيَعْلَمَ اللَّهُ) علم ظهور (مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ) حال أى غائبا لم يره فيجتنب الصيد (فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ) النهى عنه فاصطاده (فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وذكرهما أوّلا لمزيد التنفير عنهما وأكد التحريم بأمور إنما وجمعهما مع الأنصاب والأزلام وكونهما رجسا من عمل الشيطان وكون اجتنابهما موجبا للفلاح وكونهما يصدان عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقعان فى العداوة والبغضاء والاستفهام التهديدى (قوله خصها بالذكر) أى الصلاة مع دخولها فى الذكر (قوله أى انتهوا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام بمعنى الأمر وهو استفهام تهديدى وهو أبلغ من الأمر صريحا كأنه قيل قد بينت لكم مافى هذه الأمور من القبائح فهل أنتم منتهون عنها أم أنتم مقيمون عليها فلكم الوعيد (قوله وأطيعوا الله) معطوف على معنى الاستفهام أى انتهوا وأطيعوا (قوله واحذروا المعاصى) أى فإنها تجر إلى الكفر (قوله أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى وقد فعله فلم ينتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى حتى بلغ ماأمر بتبليغه ففى الحديث «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لايضل عنها إلا هالك» (قوله وجزاؤكم علينا) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله ليس على الذين آمنوا) سبب نزولها أنه لما نزل تحريم الخمر والميسر قال أبو بكر وبعض الصحابة يارسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت (قوله أكلوا من الخمر والميسر) أى تناولوا ذلك شربا للخمر وانتفاعا بمال القمار عاشوا أو ماتوا (قوله إذا مااتقوا) ظرف لقوله - ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح - . والحاصل أنه كرر سبحانه وتعالى قوله اتقوا ثلاثا فقيل الأول محمول على مبدإ العمر والثانى على وسطه والثالث على آخره ، وقيل الأول اتقوا المحرمات خوف الوقوع فى الكفر والثانى الشبهات خوف الوقوع فى المحرمات والثالث بعض المباحات خوف الوقوع فى الشبهات وقيل الأول تقوى العبد بينه وبين ربه والثانى تقوى العبد بينه وبين نفسه والثالث تقوى العبد بينه وبين الناس لأن العبد لايكمل إلا إذا كان طائعا فيما بينه وبين ربه مجاهدا فيما بينه وبين نفسه محافظا على حقوق العباد (قوله ثبتوا على التقوى) هذا إشارة للمعنى الأول وهو أن المراد بالأول التقوى فى أول العمر الخ (قوله يأيها الذين آمنوا) نزلت عام الحديبية حين أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا ألفا وأربعمائة بالعمرة من ذى الحليفة وأرسل عثمان لأهل مكة يخبرهم بأن رسول الله قاصد زيارة بيت الله فجلسوا ينتظرون عثمان فكانت وحوش البر والطيور تأتى إليهم من كل فج فنزلت الآية (قوله ليختبرنكم) أى يعاملكم معاملة المختبر (قوله من الصيد) أى المصيد وهو وحوش البر والطيور وهذا الابتلاء نظير ابتلاء قوم موسى بتحريم صيد السمك يوم السبت ولكن الله حفظ الأمة المحمدية من الوقوع فيما يخالف أمر ربهم فتم له السعد والعز فى الدنيا والآخرة ، وأما أمة موسى فتعدوا واصطادوا فمسخوا قردة وخنازير (قوله أيديكم ورماحكم) هو على التوزيع فالأيدى راجع للصغار والرماح راجع للكبار (قوله بالحديبية) أى سنة ست وقوله وهم محرمون : أى بالعمرة وأشيع قتل عثمان فبايع النبى أصحابه تحت الشجرة على أنهم يدخلون مكة حربا ثم حصل صلح بين الكفار وبين رسول الله فأمرهم رسول الله بالتحلل من العمرة بالحلاق وذبح الهدايا (قوله علم ظهور) أى للخلق أى ليظهرلهم المطيع من العاصى (قوله حال) أى من فاعل يخاف أى حال كون العبد غائبا عن الله أى محجوبا عنه لم يره (قوله بعد ذلك النهى) أى المستفاد من قوله ليبلونكم مع علته التى هى قوله ليعلم الله .

(قوله يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم) لما كان قتل الصيد فى حال الاحرام مشددا فى النهى عنه كرر فى هذه السورة أربع مرات : أولها فى قوله غير محلى الصيد وأنتم حرم ، ثانيها ليبلونكم الله بشئ من الصيد الآية ثالثها لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ، رابعها وحرم عليكم صيد البر الآية (قوله لاتقتلوا الصيد) أتى به و إن علم من قوله فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ليرتب عليه قوله ومن قتله منكم متعمدا الآية (قوله وأنتم حرم) الجملة حالية من فاعل تقتلوا وحرم جمع حرام يقع على المحرم و إن كان فى الحل وعلى من فى الحرم و إن كان حلالا فهما سيان فى النهى عن قتل الصيد (قوله ومن قتله) من اسم شرط جازم وقتل فعل الشرط وقوله فجزاء مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله فعليه وقوله مثل خبر لمحذوف تقديره هو مثل والجملة جواب الشرط ، والمعنى أن ماقتله المحرم أو من فى الحرم أوله مدخل فى قتله فعليه جزاؤه وهو ميتة لايجوز أكله ويقدم المضطر ميتة غيره عليه (قوله متعمدا) سيأتى للمفسر أنه لامفهوم له بل الخطأ والنسيان كذلك إلا أن الحرمة مختصة بالمتعمد (قوله من النعم) أى الإنسية وهى الابل والبقر والغنم والجار والمجرور حال من مثل أوصفة له (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بإضافة جزاء) إن قلت على هذه

القراءة يقتضى أن الجزاء لمثل المقتول لاللمقتول نفسه مع أنه ليس كذلك . أجيب بأجوبة منها أن الاضافة بيانية ومنها أن مثل زائدة ومنها أن جزاء مصدر مضاف لمفعوله أى أن يجازى القاتل مثل المقتول حال كون المثل من النعم (قوله رجلان) قدره اشارة إلى أن ذوا صفة لموصوف محذوف (قوله ذوا عدل) أى عدل شهادة (قوله يميزان بها) أى بتلك الفطنة أى العقل الذكى (قوله وقد حكم ابن عباس) أى وحكم الصحابة المذكور بين أصول المماثلة وأما جزئيات الوقائع فلا بد لكل واحدة من حكم إلى يوم القيامة لاختلاف الصيد بالكبر والصغر ولا بد من كون الجزاء المحكوم به يجزئ ضحية عند مالك (قوله فى النعامة) أى ومثلها الزرافة والفيل وقوله فى الظبي أى ومثله الضب (قوله لأنه يشبهها فى العب) أى شرب الماء بلا مص وهذا التعليل للامام الشافعى ، وقال مالك بوجوب الشاة فى خصوص حمام مكة و يمامه تعبدا فان لم يكن شاة فصيام عشرة أيام من غير تقويم ولا حكم وحمام غيرها وسائر الطيور ليس فيه إلا قيمته طعاما أو عدله صياما (قوله حال من جزاء) و يصح أن يكون تمييزا وأن يكون مفعولا مطلقا والتقدير يهديه هديا (قوله فعليه قيمته) أى طعاما لكل مسكين مد أو يصوم عن كل مد يوما فهو مخير بين أمرين فيما لامثل له و بين ثلاثة فيما له مثل (قوله و إن وجده) أى الجزاء وهو مبالغة فى الكفارة أى الكفارة عليه هذا إذا لم يجد الجزاء بل و إن وجده (قوله لكل مسكين) أى من مساكين المحل الذى هو به وأما الصيام فلا يختص بزمان ولا بمكان (قوله وجب ذلك) أى الجزاء بأقسامه الثلاثة وقوله ليذوق متعلق بقوله وجب وكان المناسب أن يأتى بالواو ليفيد أنه كلام مستأنف وليس جوابا لقوله فان وجده لفساد ذلك (قوله و بال أمره) أى جزاء ذنبه الصادر منه و يؤخذ من ذلك أن قتل الصيد متعمدا للمحرم أومن فى الحرم كبيرة ولو أخرج الجزاء فيحتاج لتوبة .

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا ٱلصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ) محرمون بحج أو عمرة (وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ) بالتنوين ورفع مابعده أى فعليه جزاء هو (مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ) أى شبهه فى الخلقة ، وفى قراءة بإضافة جزاء (يَحْكُمُ بِهِ) أى بالمثل رجلان (ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ) لهما فطنة يميزان بها أشبه الأشياء به ، وقدحكم ابن عباس وعمر وعلىّ رضى الله عنهم فى النعامة ببدنة، وابن عباس وأبو عبيدة فى بقر الوحش وحماره ببقرة ، وابن عمر وابن عوف فى الظبي بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما فى الحمام لأنه يشبهها فى العبّ (هَدْيًا) حال من جزاء (بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ) أى يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز أن يذبح حيث كان ونصبه نعتاً لما قبله و إن أضيف لأن إضافته لفظية لاتفيد تعريفاً فإن لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته (أَوْ) عليه (كَفَّٰرَةٌ) غير الجزاء و إن وجده هى (طَعَامُ مَسَٰكِينَ) من غالب قوت البلد ما يساوى قيمة الجزاء لكل مسكين مد وفى قراءة بإضافة كفارة لما بعده وهى للبيان (أَوْ) عليه (عَدْلُ) مثل (ذَٰلِكَ) الطعام (صِيَامًا) يصومه عن كل مد يوما و إن وجده وجب ذلك عليه (لِيَذُوقَ وَبَالَ):

(قوله ثقل جزاء أمره) أى لأن إخراج المال ثقيل على النفس والصوم فيه إنهاك للبدن فهو ثقيل أيضا (قوله عفا الله عما سلف) أى لايؤاخذ به فلا يرد أن ماقبل التحريم لاذنب فى قتله (قوله فينتقم الله منه) أى يعاقبه (قوله فيما ذكر) أى فى لزوم الجزاء وإن كان لا إثم فيه (قوله الخطأ) أى والغلط والنسيان (قوله كالسمك) أى وغيره من دواب البحر وإن كان على صورة آدمى أوخنزير (قوله كالسرطان) أى والضفدع والتمساح (قوله وهومايعيش فيه) الأولى ما لايعيش إلا فيه (قوله من الوحش) استثنى الشارع الفأرة والحية والعقرب والكلب العقور والحدأة والعادى من السباع (قوله فلوصاده حلال) أى لنفسه أوحلال وأما ذبحه لمحرم من غير دلالة من المحرم عليه فميتة عند مالك وعند الشافعى ليس بميتة (قوله كما بينته السنة) أى كما روى عن أبى قتادة الأنصارى قال كنت جالسا مع رجال من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى منزل فى طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم أمامنا والقوم محرمون وأنا غير محرم وذلك عام الحديبية فأبصروا حمارا وحشيا وأنا مشغول أخصف النعل فلم يؤذنونى وأحبوا لوأبصرته فالتفت فأبصرته فقمت إلى الفرس فأسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوهما لى فقالوا والله لا نعينك عليه فغضبت ونزلت فأخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه يأكلون ثم إنهم شكوا فى أكلهم إياه وهم حرم فرحنا وخبأت العضد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال هل منكم شىء منه ؟ فقلت نعم فناولته العضد فأكل منها وهو محرم زاد فى رواية أن النبى قال لهم إنما هى طعمة أطعمكموها الله (قوله الذى إليه تحشرون) أى لا إلى غيره فلا أحد غير الله يلتجأ إليه حتى يتوهم الفرار من وعيد الله (قوله جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) يحتمل أن جعل بمعنى صير فيكون قوله الكعبة مفعولا أول وقياما مفعول ثان ، ويحتمل أنها بمعنى خلق فيكون قياما حالا والبيت الحرام عطف بيان على الكعبة . إن قلت إن عطف البيان إنما يكون مبينا أوموضحا وهنا ليس كذلك إذ من المعلوم أن الكعبة هى البيت الحرام . أجيب بأنه للاحتراز عن بيت خثعم الذى سموه الكعبة اليمانية فهو هنا للتوضيح لدفع الالباس بغيره . وأجيب أيضا بأنه جىء به لمجرد المدح إذ الكعبة عند العرب لا تنصرف إلا للبيت الحرام على حد الحمد لله رب العالمين إذ من المعلوم أن الله هو رب العالمين . إن قلت إن البيت جامد والمدح لايكون الا بمشتق . أجيب بأنه وصف بمشتق وهو الحرام . والكعبة لغة بيت مربع فسميت الكعبة لذلك (قوله قياما) أصله قواما وقعت الواو بعد كسرة قلبت ياء (قوله بالحج اليه) أى فهو أحد أركان الدين فلا يكمل الا به لأن من أتى بأركان الدين ماعداه مع القدرة عليه فلم يكمل دينه وقد حرم نفسه من الرحمات المشار اليها بقوله صلى الله عليه وسلم « ينزل من السماء كل يوم وليلة مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين » (قوله بأمن داخله) أى الحرم لاخصوص الكعبة (قوله وعدم التعرض له) أى للداخل عاقلا أوغيره (قوله وجبى ثمرات كل شىء اليه) أى نقلها له وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام حين قال وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ، وقال تعالى فى مقام الامتنان يجبى اليه ثمرات كل شىء (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قيما) أى على وزن عنب (قوله مصدر قام) أى أيضا إذ قياما مصدر له أيضا (قوله غير معل) أى الآن بقلب واوه ياء فلا ينافى أن أصله معل وهو قياما فالياء الثابتة فى قياما هى الموجودة فى قيما غير أن ألفه حذفت فيلاحظ أن قيما فرع عن قياما فلم يحصل فيه تغير الا حذف الألف (قوله والشهر الحرام) معطوف

ثقل جزاء (أَمْرِهِ) الذى فعله (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ) من قتل الصيد قبل تحريمه (وَمَنْ عَادَ) إليه (فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره (ذُو انْتِقَامٍ) ممن عصاه وألحق بقتله متعمداً فيما ذكر الخطأ (أُحِلَّ لَكُمْ) أيها الناس حلالا كنتم أو محرمين (صَيْدُ الْبَحْرِ) أن تأكلوه وهو مالايعيش إلا فيه كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفى البر كالسرطان (وَطَعَامُهُ) ما يقذفه ميتاً (مَتَاعًا) تمتيعاً (لَكُمْ) تأكلونه (وَلِلسَّيَّارَةِ) المسافرين منكم يتزودونه (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ) وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه (مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) فلو صاده حلال فللمحرم أكله كما بينته السنة (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ . جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) المحرم (قِيَامًا لِلنَّاسِ) يقوم به أمر دينهم بالحج إليه ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له وجبى ثمرات كل شىء إليه وفى قراءة قِيَماً بلا ألف مصدر قام غير معل (وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ) بمعنى الأشهر الحرم : ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم ورجب .

على الكعبة وأل فيه للجنس فيشمل الأشهر الأربعة ولهذا أشار المفسر بقوله يعني الأشهر الخ (قوله قياما) قدره إشارة إلى أنه محذوف من الثاني لدلالة الأول عليه (قوله بأمنهم القتال فيها) أي فكانت العرب يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا إلا في الأشهر الحرم (قوله والهدى) أي فهو من مصالح الدين لجبره نقص الحج والدنيا لحصول البركة فيما بقي من ماله بسبب إنفاقه الهدى في سبيل الله وهكذا كل صدقة بها مصالح الدين بتكفير الذنوب ومصالح الدنيا بنمو المال ووقاية صاحبها مصارع السوء (قوله والقلائد) أي التي كانوا يقلدون بها أنفسهم إذا خرجوا من مكة لمصالحهم فكانوا يأخذون من شجر الحرم شيئا ويضعونه في عنقهم إذا خرجوا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم (قوله ذلك لتعلموا) اسم الاشارة مبتدأ ولتعلموا خبره وأن واسمها وخبرها في محل نصب سدت مسد مفعولي تعلموا، وقوله وأن الله بكل شيء عليم معطوف على أن الأولى من عطف العام على الخاص (قوله فان جعله ذلك) أي المتقدم ذكره وهو الكعبة والشهر الحرام والهدى والقلائد (قوله لجلب المصالح) علة لما قبله وقوله دليل الخ خبر إن (قوله وماهو كائن) أي الآن أو في المستقبل (قوله شديد العقاب لأعدائه) أي الذين بطروا نعمته وسماهم أعداء لمخالفتهم أمره فكل من خالفه فهو كالعدو له والمعنى يعامله معاملة العدو (قوله لأوليائه) أي أحبابه الذين يشكرون نعمه وإنما قدم شديد العقاب لأنه تقدم ذكر النعم فحذر من الاغترار بها والطغيان فيها لأن الفقر مع الشكر خير من الغنى مع البطر (قوله ما على الرسول إلا البلاغ) هو بالرفع فاعل لفعل محذوف أو مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله والمعنى ليس على الرسول إلا تبليغ أمر دينكم لاجزاؤكم (قوله الابلاغ) أشار بذلك الى أنه استعمل مصدر المجرد موضع المزيد في الآية لمزيد البلاغة لأن زيادة البنية تدل على زيادة المعنى ففيه الاشارة الى أنه بلغ البلاغ الكامل (قوله

قياما لهم بأمنهم القتال فيها (وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ) قياما لهم بأمن صاحبهما من التعرض له (ذَٰلِكَ) الجعل المذكور (لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فإن جعله ذلك لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن (اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لأعدائه (وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأوليائه (رَحِيمٌ) بهم (مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) الابلاغ لكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون من العمل (وَمَا تَكْتُمُونَ) تخفون منه فيجازيكم به (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ) الحرام (وَالطَّيِّبُ) الحلال (وَلَوْ أَعْجَبَكَ) أي سرك (كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ) في تركه (يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون. ونزل لما أكثروا سؤاله صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ) تظهر (لَكُمْ تَسُؤْكُمْ) لما فيها من المشقة،

فيجازيكم به) أي ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله ولو أعجبك كثرة الخبيث) معطوف على محذوف تقديره هذا اذا لم يعجبك بل ولو أعجبك وجواب الشرط محذوف تقديره فلا يستويان لأن الله طيب لا يقبل الا طيبا والمقصود من ذلك أمره صلى الله عليه وسلم أن يخاطب بذلك أمته فليس الخطاب له لأنه قد زهد الحلال فضلا عن كونه يعجبه كثرة الحرام (قوله فاتقوا الله في تركه) أي ولا تتعرضوا لأخذ الحرام فانه يورث غضب الله ولا لأخذ الشبهات أيضا فانها تورث قسوة القلب (قوله تفوزون) أي تظفرون برضا الله فان العز كل العز للمتقي (قوله ونزل لما أكثروا سؤاله) أي عن أمور لو أجابهم عنها لشق عليهم وعن أمور لو أجابهم بها لساءتهم. فالأول كسؤالهم عن الحج هل هو واجب في العمر مرة أو كل عام مرة. والثاني كسؤال رجل عن أبيه بعد موته أين هو فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه في النار (قوله عن أشياء) أصله شيئاء على وزن فعلاء كحمراء استثقلت العرب النطق في كلمة يكثر استعمالها بألف بين همزتين خصوصا قبل الهمزة الأولى ياء فقلبوها قلبا مكانيا فقدموا الهمزة الأولى التي هي لام الكلمة قبل الشين فصار وزنه لفعاء وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة (قوله لما فيها من المشقة) علة لقوله تسؤكم والمشقة اما لحصول التكليف بها أو لحصول الاساءة والفضيحة بها ففي الحديث « ان الله أحل لكم أشياء وحرم أشياء وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها ».

(قوله و إن تسألوا عنها) إن حرف شرط وتسألوا فعل الشرط وعنها متعلق بتسألوا والضمير عائد على الأشياء المتقدمة وقوله حين ينزل القرآن ظرف متعلق بتسألوا وقوله تبد لكم جواب الشرط (قوله المعنى إذا سألتم الخ) حاصل ما أفاده المفسر أن هنا جملتين شرطيتين ونهي فالأصل تأخير النهي عن الجملتين وتأخير الجملة الأولى عن الثانية و إنما قدم النهي ونتيجته وهي الاساءة اعتناء بزجر عباده وهذا التقديم والتأخير باعتبار المعنى و إلا فالواو لاتقتضي ترتيبا ولا تعقيبا (قوله إذا سألتم عن أشياء) هو معنى الجملة الثانية وقوله متى أبداها ساءتكم هو معنى الجملة الأولى وقوله فلاتسألوا عنها هو معنى النهي وماذكره المفسر أحد احتمالات في الآية وهو أحسنها (قوله عفا الله عنها) أي لم يؤاخذكم بذلك (قوله عن مسئلتكم) أي عن جوابها والمعنى لم يجبكم بالتشديد مع استحقاقكم إياه بالسؤال عما لايعنيكم فضلا منه ولطفا بكم (قوله فلا تعودوا) أي لمثل هذه الأسئلة (قوله والله غفور حليم) في معنى العلة لقوله عفا الله عنها أي عفا عنها لأنه غفور يستر الذنوب و يمحوها حليم لايعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله قد سألها) هذا امتنان من الله تعالى على هذه الأمة حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم رحمة منه وزجرا لهم عن وقوع مثل ذلك منهم (قوله أي الأشياء) أي نوع الأشياء وهو مافيه الاساءة كسؤال قوم صالح أن يأتي لهم من الجبل بناقة وكسؤال قوم عيسى المائدة وكسؤال قوم موسى رؤية الله جهرة فأجاب سؤالهم بالتشديد عليهم في التكاليف فخالفوا فحل بهم ماحل من العذاب و إنما قال هنا قد سألها ولم يقل عنها إشارة إلى أن السؤال كما يتعدى بالحرف يتعدى بنفسه (قوله ببيان أحكامها) أي أحكام الأشياء التي سألوها مع التشديد عليهم (قوله بتركهم العمل) أشار بذلك إلى أن الكفر إنما هو بترك العمل لابنفس تلك الأشياء فالكلام على حذف مضاف (قوله ماجعل الله) ردّ و إبطال لما كان عليه الجاهلية (قوله شرع) إن قلت إنه لم يرد في اللغة جعل بمعنى شرع فالمناسب أن يفسرها يضرب بصير و يكون المفعول الثاني محذوفا والتقدير مشروعة (قوله من بحيرة) من زائدة في المفعول ووجد شرطها وهو كون مدخولها نكرة في سياق نفي (قوله درها) أي لبنها وقوله للطواغيت أي خدمتها وهذا أحد أقوال في تفسير البحيرة ومابعدها وهو أصحها وقيل البحيرة هي الناقة التي تنتج خمسة أبطن في آخرها ذكر فتشق أذنها وتترك فلاتركب ولا تحلب ولا تطرد عن مرعى ولا ماء و إذا لقيها الضعيف لم يركبها وقيل هي الأنثى الخامسة في النتاج وقيل هي بنت السائبة ، وسبب هذا الاختلاف اختلاف العرب في البحيرة ، فبعضهم يطلقها على واحد من الأمور المتقدمة ، وبعضهم على واحد آخر منها وهكذا (قوله والسائبة كانوا الخ) وقيل هي الناقة تنتج عشر إناث فلاتركب ولايشرب لبنها إلا الضعيف أو ولد ، وقيل هي الناقة تترك ليحج عليها حجة (قوله والوصيلة الناقة البكر الخ)وقيل هي الشاة التي تنتج سبعة أبطن عناقين عناقين ، فاذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فجرت مجرى السائبة ، وقيل هي الشاة تنتج سبعة أبطن فاذا كان السابع أنثى لم ينتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت فيأكلها الرجال والنساء ، و إن كان ذكرا ذبحوه وأكلوه جميعا ، و إن كان ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فيتركونها معه فلا ينتفع بها إلا الرجال دون النساء وقالوا خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وقيل هي الشاة تنتج عشر إناث متواليات في خمسة أبطن ثم ماولدت بعد ذلك فللذكور دون الاناث وقيل غير ذلك (قوله والحام فحل الابل) وقيل هو الفحل ينتج له سبع إناث متواليات فيحمى ظهره وقيل هو الفحل الذي ينتج من بين أولاده ذكورها و إناثها عشر إناث وقيل غير ذلك ،

(وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ) أي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (تُبْدَ لَكُمْ) المعنى إذا سألتم عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بابدائها ومتى أبداها ساءتكم فلا تسألوا عنها قد (عَفَا اللَّهُ عَنْهَا) عن مسئلتكم فلا تعودوا (وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ . قَدْ سَأَلَهَا) أي الأشياء (قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ) أنبياءهم فأجيبوا ببيان أحكامها (ثُمَّ أَصْبَحُوا) صاروا (بِهَا كَافِرِينَ) بتركهم العمل بها (مَا جَعَلَ) شرع (اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) كما كان أهل الجاهلية يفعلونه . روى البخاري عن سعيد بن المسيب قال : البحيرة التي يمنح درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس . والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء . والوصيلة الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بأخرى ليس بينهما ذكر . والحام فحل الإبل ،

يضرب الضراب المعدود فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلا يحمل عليه شيء وسموه الحامي (وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) في ذلك ونسبته إليه (وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) أن ذلك افتراء لأنهم قلدوا فيه آباءهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ) أي إلى حكمه من تحليل ما حرمتم (قَالُوا حَسْبُنَا) كافينا (مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من الدين والشريعة ، قال تعالى (أ)حسبهم ذلك (وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) إلى الحق والاستفهام للإنكار (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ) أي احفظوها وقوموا بصلاحها (لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) قيل المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب ،

وقد علمت أن اختلاف تلك الأقوال لاختلاف اصطلاح الجاهلية فيها ولم يجعل الله سبحانه وتعالى شيئا منها في دين الاسلام على جميع الأقوال (قوله الضراب المعدود) أي وهو عشر مرات ينشأ عن كل مرة حمل (قوله ولكن الذين كفروا) أي علماءهم وقوله وأكثرهم لايعقلون أي عوامهم فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله وإذا قيل لهم) الضمير عائد على قوله وأكثرهم الذين هم عوامهم ، والقائل يحتمل أنه النبي صلى الله عليه وسلم أو أصحابه (قوله تعالوا) فعل أمر بمعنى أقبلوا وأصله تعالوون تحركت الواو الأولى وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فصار تعالاون التقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما وحذفت النون لأن فعل الأمر يبنى على مايجزم به مضارعه وهو يجزم بحذف النون وهو بفتح اللام لكل مخاطب ولوأنثى قال تعالى ـ فتعالين ـ (قوله إلى ما أنزل الله) أي إلى الذي أنزله الله وهو القرآن ، وقوله وإلى الرسول معطوف على ما أي وتعالوا إلى الرسول أي ليبين لكم أحكام الله (قوله أي إلى حكمه) أشار بذلك إلى أن قوله وإلى الرسول على حذف مضاف ، وقوله من تحليل ماحرمتم بيان لحكمه وهو البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ومثل ذلك في الحرمة مايفعله بعض سفهاء العوام من كونهم يرسلون عجلا أو شاة على اسم ولي من الأولياء تأكل من أموال الناس ولايتعرض لها أحد فاذا نصحهم إنسان وقال لهم إن ذلك حرام أساءوا به الظن وقالوا إنه لايحب الأولياء فاذا اعتقدوا أن ذلك قربة وطاعة فقد كفروا وإلافهو من جملة المحرمات ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون (قوله قالوا حسبنا ماوجدنا) حسبنا مبتدأ وماوجدناه خبره (قوله أحسبهم ذلك ولو كان الخ) الواو في أولو للحال وهمزة الانكار الواقعة قبلها داخلة على محذوف قدره المفسر والمعنى أكافيهم دين آبائهم ولو كانوا الخ ويصح أن تكون للعطف على جملة شرطية مقدرة قبلها والتقدير أيقولون ذلك ولو كان آباؤهم يعلمون شيئا ويهتدون بل ولو كانوا لايعلمون الخ نظير أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أي أحسن إليه في حال عدم إساءته بل ولو في حال إساءته (قوله لايعلمون شيئا) عبر هنا بيعلمون وفي البقرة بيعقلون وقال هنا ما وجدنا وهناك ما ألفينا تفننا (قوله للانكار) أي والتوبيخ (قوله ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) قيل إنه مرتبط بما قبله فيكون قوله لايضركم من ضل يعني من أهل الكتاب ، والمعنى أن الله كلفنا بقتال الكفار حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية فاذا أدوها كففنا أنفسنا عنهم ولايضرنا كفرهم وقيل مستأنفة نزلت في العصاة فالمعنى عليك بحفظ نفسك ولاتتعرض لغيرك فلايضرك ضلال من ضل . إن قلت إن هذا يوهم أن المدار على هدى الانسان في نفسه ولا يلزمه الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر ، وهو خلاف النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث النبوية . أجيب بحمل ذلك على من عجز عن ذلك وإلى هذين القولين أشار المفسر فيما يأتي بقوله قيل المراد الخ وفي الحقيقة المراد ماهو أعم ، فاذا امتثل العبد ما أمره الله به وترك مانهاه عنه فلايضره مخالفة من خالف (قوله عليكم أنفسكم) بنصب أنفسكم على الاغراء لأن عليكم اسم فعل بمعنى الزموا والفاعل مستتر وجوبا تقديره أنتم ، والمعنى الزموا حفظ أنفسكم وهدايتها ووقايتها من النار والكاف في عليكم ونظيره من أسماء الأفعال كإليك ولديك قيل في محل جر بعلى بحسب الأصل وقيل في محل نصب ولاوجه له وقيل في محل رفع توكيد للضمير المستتر ، وذهب ابن بابشاذ إلى أنها حرف خطاب وقرئ شذوذا برفع أنفسكم وخرجت على أحد وجهين : الأول كونها مبتدأ وعليكم خبر مقدم والمعنى على الاغراء على كل حال فان الاغراء جاء بالجملة الابتدائية ، ومنه قراءة بعضهم ناقة الله وسقياها بالرفع . الثاني أنه توكيد للضمير المستتر في عليكم وإن كان خلاف القياس لأن القياس لايؤكد بالنفس الضمير المتصل إلا بعد الضمير المنفصل لقول ابن مالك :

وإن تؤكد الضمير المتصل بالنفس والعين فبعد المنفصل (قوله وقيل المراد غيرهم) أى غير أهل الكتاب من العصاة وليس فيها دليل على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ قد ورد أن الصديق قال يوما على المنبر: يأيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها فى غير موضعها ولا تدرون ما هى و إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل - يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم - فيقول أحدكم علىّ نفسى والله لتأمرنّ بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليستعملنّ الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم» وعنه صلى الله عليه وسلم قال «ما من قوم عمل فيهم منكر وسنّ فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق الله أن يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم» وقال الصديق أيضا إن هذه الآية تعدّونها رخصة والله ما أنزل آية أشدّ منها (قوله سألت عنها) أى عن هذه الآية وقوله فقال أى فى بيان معناها (قوله شحا مطاعا) الشح نهاية البخل وقوله مطاعا أى يطيعه صاحبه (قوله وهوى) بالقصر ما تميل إليه النفس من القبائح (قوله متبعا) أى يتبعه صاحبه (قوله ودنيا مؤثرة) بهمزة ودونها أى يقدمها صاحبها على الآخرة (قوله وإعجاب كل ذى رأى برأيه) أى فلا يعجبه رأى غيره ولا يقبل نصيحته زاد الخازن فى تلك الرواية بعد قوله فعليك بنفسك «ودع العوام فان من ورائكم أيام الصبر فمن صبر فيهنّ قبض على الجمر للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم» اه (قوله إلى الله مرجعكم جميعا) فيه وعد لمن أطاع ووعيد لمن اغترّ وعصى (قوله يأيها الذين آمنوا) لما بين سبحانه ما يتعلق بمصالح الدين شرع يبين ما يتعلق بمصالح الدنيا إشارة إلى أن الانسان ينبغى له أن يضبط مصالح دينه ودنياه لأنه مكلف بحفظهما (قوله شهادة) مبتدأ وبينكم مضاف إليه وإذا ظرف

وقيل المراد غيرهم لحديث أبى ثعلبة الخشنى «سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك» رواه الحاكم وغيره (إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ) أى أسبابه (حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ) خبر بمعنى الأمر أى ليشهد وإضافة شهادة لبين على الاتساع وحين بدل من إذا أو ظرف لحضر (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) أى غير ملتكم

لشهادة وحضر فعل ماض وأحدكم مفعول مقدم والموت فاعل مؤخر وحين بدل من الظرف قبله وقوله اثنان خبره. إن قلت إن الذات لا يخبر بها عن المعنى ولا عكسه. أجيب بأن الكلام على حذف مضاف إما فى الأول تقديره ذوا شهادة أحدكم اثنان أو فى الثانى تقديره (إن) شهادة اثنين وقوله ذوا عدل صفة لاثنان، والعدل هو الذكر البالغ العاقل غير مرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة وغير مصرّ على صغيرة غيرها (قوله خبر بمعنى الأمر) أى فهى جملة خبرية لفظا إنشائية معنى (قوله أى ليشهد) بضم الياء من أشهد الرباعى وتلك الشهادة يحتمل أن تكون حقيقية واشتراط العدالة ظاهر ويحتمل أن المراد بالشهادة الوصية والمعنى إذا حضر أحدكم الموت فليوص اثنين وعلى هذا فاشتراط العدالة من حيث الوصية أى كونه عدلا فى الوصية بأن يحسن التصرف فيما ولى عليه وأما كونهما اثنين فشرط كمال ولكون سبب النزول كذلك كما سيأتى (قوله على الاتساع) أى التسمح والتجوّز وكان حقها أن تضاف إلى الأموال وإنما أضيفت إلى البين لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين (قوله بدل من إذا) أى فكل منهما ظرف لشهادة وقوله أو ظرف لحضر أى فقوله إذا ظرف لشهادة أى فعلى هذا تغاير متعلق الظرفين (قوله أو آخران) معطوف على اثنان أى فان لم يجد العدلين لكون رفقته فى السفر كفارا كما هو سبب النزول فليشهد أو يوص آخرين. وحاصله لأجل اتضاح المعنى أن بزيلا السهمى مولى عمرو بن العاص وقيل بديل بالدال وعدىّ بن بداء وتميما الدارى سافروا من المدينة إلى الشام بتجارة فحضرت بزيلا السهمى الوفاة وكان مسلما وعدىّ وتميم نصرانيان فكتب متاعه فى وثيقة ومن جملة ما كتب فى الوثيقة جام من الفضة قدره ثلثمائة مثقال مخوص بالذهب وأمرهما أن يسلما متاعه لورثته ثم قضى عليه ففتشا متاعه فوجدا ذلك الجام فأخذاه وباعاه بألف درهم فلما حضرا سلما متاعه لورثته فوجدوا فيه صحيفة مكتوبا فيها جميع المتاع ومن جملته جام من فضة ففتشوا عليه فلم يجدوه فجاءوهما فقالوا لهما صاحبنا قد تمرض وأنفق على نفسه قالا لا قالوا فهل باع من متاعه شيئا قالا لا قالوا فأين الجام قالا لا علم لنا به فترتفع أقارب بزيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بالواقعة فأحضر عديا وتميما فسألهما عنه

فقالا لاعلم لنا به فنزلت الآية فأحضرهما بعد صلاة العصر عند المنبر وحلفهما ثم بعد ذلك ظهر الجام قيل بمكة مع رجل وقيل بيدهما فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت الآيتان الأخيرتان فأحضر رسول الله عمرو بن العاصي والمطلب بن أبي وداعة وحلفهما خلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا فأعطى الجام لهما (قوله إن أنتم) شرط في المعطوف وقوله أنتم فاعل بفعل محذوف يفسره قوله ضربتم فجملة ضربتم لامحل لها من الاعراب لأنها مفسرة للمحذوف وقوله فأصابتكم معطوف على ضربتم (قوله صفة آخران) أي وجملة الشرط وجوابه معترضة بين الصفة والموصوف (قوله أي صلاة العصر) أي فأل للعهد لأن وقت العصر معظم في جميع الملل وإنما كان معظما لأنه وقت نزول ملائكة الليل وصعود ملائكة النهار (قوله إن ارتبتم) شرط في تحليفهما (قوله ويقولان لانشترى الخ) بيان

لكيفية يمينهما (قوله بأن نحلف به

(إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ) سافرتم (فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا) توقفونهما صفة آخران (مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ) أي صلاة العصر (فَيُقْسِمَانِ) يحلفان (بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ) شككتم فيها ويقولان (لَا نَشْتَرِي بِهِ) بالله (ثَمَنًا) عوضا نأخذه بدله من الدنيا بأن نحلف به أو نشهد كاذبا لأجله (وَلَوْ كَانَ) المقسم له أو المشهود له (ذَا قُرْبَىٰ) قرابة منا (وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ) التي أمرنا بها (إِنَّا إِذًا) إن كتمناها (لَّمِنَ الْآثِمِينَ. فَإِنْ عُثِرَ) اطلع بعد حلفهما (عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا) أي فعلا مايوجبه من خيانة أو كذب في الشهادة بأن وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا أنهما ابتاعاه من الميت أو وصى لهما به (فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا) في توجه اليمين عليهما (مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ) الوصية وهم الورثة ويبدل من آخران (الْأَوْلَيَانِ) بالميت أي الأقربان إليه وفي قراءة الأولين جمع أول صفة أو بدل من الذين (فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ) على خيانة الشاهدين ويقولان (لَشَهَادَتُنَا) يميننا (أَحَقُّ) أصدق (مِن شَهَادَتِهِمَا) يمينهما (وَمَا اعْتَدَيْنَا) تجاوزنا الحق في اليمين (إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) المعنى ليشهد المحتضر على وصيته اثنين أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه فإن ارتاب الورثة فيهما فادعوا أنهما خانا بأخذ شيء أو دفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به فليحلفا إلى آخره فإن اطلع على أمارة تكذيبهما فادعيا دافعا له حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ماادعوه والحكم ثابت في الوصيين منسوخ في الشاهدين وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها وهي مارواه البخاري أن رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري

أو نشهد الخ) أشار بذلك إلى قولين قيل قالوا لاعلم لنا به وقيل قالوا أوصى به للغير وأعطيناه له وسياق الآية في يمينهما يشهد للثاني (قوله كاذبا) المناسب كذبا (قوله ولانكتم) معطوف على لانشترى (قوله بأن وجد عندهما) أي وقيل عند رجل مكي باعاه له بألف درهم كما سيأتي (قوله وادّعيا أنهما ابتاعاه الخ) إشارة لوجهين في دعواهما وسيأتي الثالث في قوله ودفعه إلى شخص زعما أن الميت أوصى له به (قوله من الذين استحق عليهم) أي لهم ونائب الفاعل قدره المفسر بقوله الوصية أي الايصاء (قوله

الأوليان) تثنية أولى بمعنى أقرب كما قال المفسر (قوله جمع أول) بمعنى أسبق وهي بمعنى القراءة الأولى من حيث إنهم أقارب الميت (قوله فيقسمان) عطف على يقومان (قوله يميننا) أي فالمراد بالشهادة اليمين (قوله وما اعتدينا) هذا من جملة اليمين (قوله المعنى) أي معنى الآيتين (قوله أو يوصي) إشارة إلى التفسير الثاني (قوله إن فقدهم) أي أهل دينه (قوله بأخذ شيء) أي وقد ادعيا أنهما اشترياه من الميت أو أنه أوصى لهما به (قوله دافعا له) أي لما ادّعي عليهما به من الخيانة (قوله منسوخ في الشاهدين) أي عند من يشترط في الشهود الاسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما عند من لم يشترط ذلك عند الفقد فلا نسخ (قوله للتغليظ) أي لأن اليمين تغلظ بالزمان كـكونها بعد العصر والمكان كـكونها في المسجد في الحقوق المهمة من الأموال وغيرها (قوله وتخصيص الحلف في الآية باثنين) أي مع أنه يصح من واحد أو أكثر ممن يظن به العلم من المستحقين (قوله أن رجلا) تقدم أن اسمه بزيل وقيل بديل بالزاي أو الدال (قوله مع تميم) أي وقد أسلم بعد ذلك وصار من مشاهير الصحابة وكان يحدث بالواقعة.

(قوله وعدى بن بداء) ولم يثبت إسلامه وبداء بفتح الموحدة والدال المشددة بعدها ألف ثم همزة (قوله جاما) الجام فى الأصل الكأس ولكن المراد به هنا إناء كبير من فضة وزنه ثلثمائة مثقال (قوله مخوصا بالذهب) أى منقوشا به (قوله فأحلفهما) أى بعد العصر عند المنبر (قوله فقال) أى الرجل وقوله ابتعناه أى بألف درهم (قوله فقام رجلان) سيأتى فى الرواية الأخرى اسم أحدهما وهو عمرو بن العاص والثانى هو المطلب بن أبى وداعة (قوله من رد اليمين على الورثة) أى توجهها عليهم بعد أن حلف تميم وعدى وظهر كذبهما (قوله أن يأتوا) المقام للتثنية وكذا قوله أو يخافوا أيضا وإنما جمع لأن المراد مايعم الشاهدين المذكورين وغيرهما وإنما ردت اليمين على الوارث مع أن حقها أن تكون من الوصيين لاغير لأنه مدعى عليهما إما لظهور خيانتهما فبطل تصديقهما باليمين أو لتغير الدعوى أى انقلابها لأنه صار المدعى عليه مدعيا حيث ادعى الملك (قوله فلايكذبوا) أى فلايأتوا باليمين كاذبة ، والمعنى أنه إنما شرع الله رد اليمين على الورثة فى مثل هذه الواقعة ليتحفظ الشاهد أو الوصى من اليمين الكاذبة أو يبنى على حصول الفضيحة (قوله إلى سبيل الخير) متعلق بيهدى وفى بعض النسخ إلى سبيل الشر فيكون متعلقا بالخارجين .

وعدى بن بداء أى وهما نصرانيان فمات السهمى بأرض ليس فيها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جامًا من فضة مخوصا بالذهب فرفعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت فأحلفهما ثم وجد الجام بمكة فقال ابتعناه من تميم وعدى فنزلت الآية الثانية فقام رجلان من أولياء السهمى فحلفا وفى رواية الترمذى فقام عمرو بن العاصى ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه وفى رواية فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله فلما مات أخذا الجام ودفعا إلى أهله ما بقى (ذَٰلِكَ) الحكم المذكور من رد اليمين على الورثة (أَدْنَىٰ) أقرب إلى (أَنْ يَأْتُوا) أى الشهود أو الأوصياء (بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا) الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة (أَوْ) أقرب إلى أن (يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ) على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا (وَاتَّقُوا اللَّهَ) بترك الخيانة والكذب (وَاسْمَعُوا) ما تؤمرون به سماع قبول (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير . اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ) هو يوم القيامة (فَيَقُولُ) لهم توبيخا لقومهم (مَاذَا) أى الذى (أُجِبْتُمْ) به حين دعوتم إلى التوحيد (قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا) بذلك (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ماغاب عن العباد وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم ثم يشهدون على أممهم لما يسكنون ،

اذكر

[تنبيه] ما كتبناه فى تفسير تلك الآيات الثلاث هو جهد المقل وإلا فلم يزل العلماء يستشكلونها إعرابا وتفسيرا وأحكاما وقالوا إنها من أصعب آى القرآن وأشكله (قوله اذكر) قدره المفسر إشارة إلى أن يوم ظرف متعلق بمحذوف (قوله يوم يجمع الله الرسل) أى الثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر ، والحق أنه لايعلم عدتهم إلا الله تعالى (قوله فيقول) مقتضى الآية أنه يجمعهم فى سؤال واحد ولكن يرى كل واحد منهم أنه المسئول لاغيره وترى كل أمة أن رسولها هو المسئول ولامانع من ذلك فان الله يحول بين المرء وقلبه (قوله توبيخا لقومهم) دفع بذلك مايقال كيف يسأل الله الرسل مع أنه العالم بالحقيقة ؟ فأجاب بأن حكمة السؤال توبيخ الأمم على ماوقع منهم من الكفر والعصيان وليس المقصود أن الله يعلم شيئا لم يكن عالما به من قبل ، تنزه الله عن ذلك ، يوضح هذا الجواب قوله تعالى : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، إلى أن قال : يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولايكتمون الله حديثا (قوله أى الذى) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام مبتدأ وذا اسم موصول خبر وأجبتم صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به قال ابن مالك :

ومثل ماذا بعد ما استفهام ... أو من إذا لم تلغ فى الكلام

(قوله بذلك) أى بما أجبنا به (قوله إنك أنت علام الغيوب) علة لما قبله أى فعلمنا فى جانب علمك كلاشىء لأنك تعلم ماغاب عنا وماظهر ، وأما علمنا فهو قاصر على بعض ماظهر (قوله وذهب عنهم علمه الخ) جواب عما يقال كيف يقولون لاعلم لنا مع أنهم عالمون بذلك فيلزم عليه الاخبار بخلاف الواقع . فأجاب بأن فى ذلك الوقت يتجلى الله بالجلال على كل أحد حتى ينسى الرسل العصمة والمغفرة وتذهل كل مرضعة عما أرضعت . وأما قوله تعالى

ـ لايحزنهم الفزع الأكبر ـ أى انتهاء وأما فى ابتداء الموقف فلشدة الهول يكونون جثيا على الركب يقولون : رب سلم سلم ثم يحصل لهم ذهول ونسيان لما أجيبوا به فاذا أمنوا وسكن روعهم شهدوا على أممهم فلامنافاة . وأجيب أيضا بأن معنى قولهم لاعلم لنا تفويض الحكم والعلم لله تعالى كأنهم يقولون أنت الحكم العدل وهم عبيدك فلاعلاقة لنا بهم . وأجيب أيضا بأن المراد نفى العلم الحقيقى إذ هو لايكون إلا لله تعالى لأنه المطلع على السرائر والظواهر ، وأما نحن فانما نعلم منهم ماظهر وماذكره المفسر من أن الأنبياء يحصل لهم الفزع ابتداء حتى يذهلوا عن جواب أممهم لهم ثم يسكنون إحدى الطريقتين والطريقة الثانية وعليها المحققون أن الرسل ومن كان على قدمهم آمنون ابتداء وانتهاء وإنما الفزع والهول للكفار والفساق . وأما قول الرسل حينئذ : نفسى نفسى لا أملك غيرها فلا يقتضى حصول الفزع وإنما معنى ذلك أنه يقول ليست الشفاعة العظمى لى وإنما هى لغيرى فلا أملك إلا نفسى ولم يجعل الله لى الشفاعة العامة وذهاب الأمم للرسل وردهم إياهم إنما هو لإظهار لفضله صلى الله عليه وسلم وذلك هو المقام المحمود فالأحسن الجواب الثانى أو الثالث (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف متعلق بمحذوف وليس متعلقا بما قبله لأن هذه القصة مستقلة (قوله ياعيسى ابن مريم) يا حرف نداء وعيسى منادى مبنى على ضم مقدر على الألف منع من ظهوره التعذر فى محل نصب وابن نعت له باعتبار المحل (قوله اذكر نعمتى) المقصود من ذلك توبيخ الكفرة حيث فرطوا فى حقه وأفرطوا وليس المراد تكليفه بالشكر فى ذلك اليوم لانقطاع التكاليف بالموت

اذكر (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ) بشكرها (إِذْ أَيَّدْتُكَ) قويتك (بِرُوحِ الْقُدُسِ) جبريل (تُكَلِّمُ النَّاسَ) حال من الكاف فى أيدتك (فِي الْمَهْدِ) أى طفلا (وَكَهْلًا) يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة كما سبق فى آل عمران (وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ) كصورة (الطَّيْرِ) والكاف اسم بمعنى مثل مفعول (بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي) بإرادتى (وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى) من قبورهم أحياء (بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ) حين هموا بقتلك (إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ) ما (هَذَا) الذى جئت به (إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) وفى قراءة ساحر أى عيسى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ) أمرتهم على لسانه (أَنْ) أى بأن (آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) عيسى (قَالُوا آمَنَّا) بهما (وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ).

(قوله قويتك بروح القدس) أى فكان يسير معه حيث سار يعينه على الحوادث التى تقع ويلهمه العلوم والمعارف (قوله فى المهد) تقدم أن المهد فراش الصبى ولكن المراد منه الطفولية فتكلم بقوله إنى عبد الله إلى آخر مافى سورة مريم (قوله وكهلا) إنما ذكر ذلك إشارة إلى أن كلامه على نسق واحد فى ذكاء العقل وغزارة العلم (قوله كما سبق فى آل عمران) الذى سبق له فيها أنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وهو سن الكهولة لأن من الثلاثين للأربعين هو سن الكهولة فقول الله تعالى وكهلا صادق بكلامه قبل الرفع وبعده فلايصح قوله هنا لأنه رفع قبل الكهولة ولكن الذى تقدم لنا أنه بعث على رأس الأربعين كغيره ومكث ثمانين بعد البعثة ورفع وهو ابن مائة وعشرين سنة فاذا نزل عاش أربعين فيكون مدة عمره مائة وستين سنة فيكون معنى قوله فى المهد وكهلا صغيرا وكبيرا فعلى هذا ليس فى الآية دليل على نزوله وإنما نزوله مأخوذ من غير هذا المحل (قوله الكتاب) أى الكتابة وقوله والحكمة أى العلم النافع وقوله والتوراة أى كتاب موسى والانجيل كتابه هو وهو ناسخ لبعض مافى التوراة وهو مكلف بالعمل بما فى التوراة ماعدا مانسخه الانجيل منها فيكون العمل بما فى الانجيل (قوله كهيئة الطير) تقدم أنه الخفاش (قوله الأكمه) هو من خلق من غير بصر (قوله وإذ تخرج الموتى) تقدم أنه أحيا سام بن نوح ورجلين وامرأة وقيل وجارية فيكون جميع من أحياهم خمسة (قوله حين هموا) أى اليهود بقتلك فرفعتك إلى السماء وألقيت شبهك على صاحبهم فقتلوه (قوله الذى جئت به) أى ويحتمل أن اسم الاشارة عائد على عيسى مبالغة على حد زيد عدل (قوله أمرتهم على لسانه) دفع بذلك مايقال إن الايحاء لايكون إلا للرسل والحواريون ليسوا رسلا . فأجاب بأن المراد بالوحى الأمر على لسان عيسى . وأجاب غيره بأن المراد بالوحى الالهام على حد : وأوحينا إلى أم موسى (قوله أن آمنوا) أن تفسيرية بمعنى أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه :

(قوله إذ قال) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهو كلام مستأنف لا ارتباط له بما قبله لأن المقصود مما تقدم تعداد النعم على عيسى ، والمقصود مما هنا إعلام هذه الأمة بما وقع لأمة عيسى من التعنت فى السؤال وما ترتب عليه وإن كان فيها نعمة لعيسى أيضا لكنها غير مقصودة بالذكر (قوله الحواريون) هم أول من آمن بعيسى (قوله أى يفعل) أى فأطلق اللازم وهو الاستطاعة وأراد الملزوم وهو الفعل ودفع بذلك مايقال إن الحواريين مؤمنون فكيف يشكون فى قدرة الله تعالى ، وشذ من قال بكفرهم كالزمخشرى (قوله وفى قراءة) وهى سبعية أيضا (قوله ونصب مابعده) أى على التعظيم (قوله أى تقدر أن تسأله) أى فالكلام على حذف مضاف فى هذه القراءة الثانية والتقدير هل تستطيع سؤال ربك وإنما قالوا ذلك خوفا من أن تكون هذه المسئلة كسؤال موسى الرؤية فلم تحصل وكسؤال قومه الرؤية أيضا فأخذتهم الصاعقة وهذه القراءة للكسائى وكانت عائشة رضى الله عنها تقرأ بها وتقول جل الحواريون عن كونهم يشكون فى قدرة الله تعالى (قوله مائدة) هى مايبسط على الأرض من المناديل ونحوها وأما الخوان فهى مايوضع على الأرض وله قوائم وأما السفرة فهى ما كانت من جلد مستدير ، فالخوان فعل الملوك والمناديل فعل العجم والسفر فعل العرب والمقصود هنا الطعام الذى يؤكل كان على خوان أو غيره . والمائدة إما من الميد وهو التحرك كأنها تميد بما عليها من الطعام وعليه فهى اسم فاعل على أصلها أو من ماده بمعنى أعطاه فهى فاعلة بمعنى مفعولة أى معطاة (قوله اتقوا الله) أى تأدبوا فى السؤال ولا تخترعوا أمورا خارجة عن العادة فان الأدب فى السؤال أن يسأل أمرا معتادا

اذكر (إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ) أى يفعل (رَبُّكَ) وفى قراءة بالفوقانية ونصب مابعده أى تقدر أن تسأله (أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ) لهم عيسى (اتَّقُوا اللَّهَ) فى اقتراح الآيات (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَالُوا نُرِيدُ) سؤالها من أجل (أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ) تسكن (قُلُوبُنَا) بزيادة اليقين (وَنَعْلَمَ) نزداد علما (أَنْ) مخففة أى أنك (قَدْ صَدَقْتَنَا) فى أدعاء النبوة (وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ . قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا) أى يوم نزولها (عِيدًا) نعظمه ونشرفه (لِأَوَّلِنَا) بدل من لنا بإعادة الجار (وَآخِرِنَا) ممن يأتى بعدنا (وَآيَةً مِنْكَ) على قدرتك ونبوتى (وَارْزُقْنَا) إياها (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ . قَالَ اللَّهُ) مستجيبا له (إِنِّي مُنَزِّلُهَا) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ) أى بعد نزولها (مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)

ومن هنا حرم العلماء الدعاء بما تحيله العادة (قوله فى اقتراح الآيات) أى اختراعها (قوله إن كنتم مؤمنين) جواب الشرط محذوف دل عليه قوله اتقوا الله (قوله أن نأكل منها) قيل اقتياتا وقيل تبركا وهو المتبادر (قوله بزيادة اليقين) أى لأن الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين أقوى فى الايمان (قوله أى أنك قد صدقتنا) قدر المفسر اسم أن غير ضمير شأن وهو شاذ فالمناسب أن يقول فنزلت

أى أنه لأن أن إذا خففت كان اسمها ضمير شأن (قوله عليها) متعلق بالشاهدين والمعنى ونكون من الشاهدين عليها عند من لم يحضرها ليزداد من آمن بشهادتنا يقينا وطمأنينة (قوله قال عيسى) أى حين أبدوا هذه الأمور فقام واغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره وقال اللهم ربنا الخ وهذه الآداب لا تخص عيسى بل ينبغى لكل داع فعلها لأن إظهار الذل والفاقة فى الدعاء من أسباب الاجابة (قوله أى يوم نزولها) أى وقد نزلت يوم الأحد فاتخذه النصارى عيدا (قوله عيدا) هو مشتق من العود وهو الرجوع لأنه يعود وجمعه أعياد وتصغيره عييد وكان قياسه أعوادا وعويدا وإنما فعلوا ذلك فرقا بينه وبين عود الخشب (قوله بدل من لنا) أى بدل كل من كل (قوله وارزقنا) أى انفعنا بها وهو مغاير لما قبله لأنه لا يلزم من الانزال انتفاعهم بها (قوله وأنت خير الرازقين) تتميم لما قبله على وجه الاستدلال كأنه قال وارزقنا لأنك خير الرازقين واسم التفضيل على بابه من حيث إن أسباب الرزق كثيرة والله خير من يأتى بالرزق لأنه الخالق له والموجد له وأما غيره فهو رازق باعتبار أنه سبب فى الرزق وجار على يديه (قوله قال الله) أى على لسان ملك أو إلهاما له (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد) مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله بعد نزولها) إشارة إلى تقدير المضاف إليه (قوله لا أعذبه) الضمير عائد على العذاب والمعنى لا يكون ذلك العذاب لأحد من العالمين من حيث شدته وقبحه والجملة صفة لعذابا (قوله من العالمين)

أى عالمى زمانهم أو مطلقا والشدة فى الدنيا والآخرة لما قيل : إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون (قوله فنزلت الملائكة) روى أنها نزلت سفرة حمراء مدورة وعليها منديل بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال: بسم الله خير الرازقين كلوا مما سألتم فقالوا ياروح الله كن أنت أول من يأكل منها فقال معاذ الله أن آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرض والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وهم ألف وثلثمائة رجل وامرأة وفى رواية سبعة آلاف وثلثمائة فلما أتموا الأكل طارت المائدة وهم ينظرون حتى توارت عنهم ولم يأكل منها مريض أو زمن أو مبتلى إلا عوفى ولا فقير إلا استغنى وندم من لم يأكل منها فمكثت تنزل أربعين صباحا متوالية وقيل يوما بعد يوم (قوله عليها سبعة أرغفة الخ) هذه أشهر الروايات وفى رواية خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد وسمكة مشوية بلافلوس ولاشوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من أصناف البقول ماخلا الكراث فقال شمعون رأس الحواريين ياروح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شئ اخترعه الله بالقدرة العالية وفى رواية نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شئ (قوله خبزا ولحما) جمع بأن اللحم لحم سمك (قوله فخانوا وادخروا الخ) أى فسبب مسخهم خيانتهم وادخارهم أى مع كفرهم وفى رواية أن سبب مسخهم أنه بعد تمام الأربعين يوما من نزولها أوحى الله إلى عيسى أن اجعل مائدتى هذه للفقراء دون الأغنياء فتمارى الأغنياء فى ذلك وعادوا الفقراء (قوله فمسخوا) أى فمسخ الله منهم ثلثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم ثم أصبحوا خنازير فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعل يدعوهم بأسمائهم فيشيرون برءوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل أربعة ثم هلكوا (قوله و إذ قال الله) معطوف على قوله إذ قال الحواريون عطف قصة على قصة وفى الحقيقة هو من أفراد سؤال الرسل فهو داخل تحت قوله يوم يجمع الله الرسل الخ و إنما خصه بالذكر تقبيحا وتشنيعا عليهم لبشاعة عقيدتهم فى نبيهم (قوله فى القيامة) مشى المفسر والجمهور على أن ذلك القول إنما يقع يوم القيامة وعليه فاذ بمعنى إذا وقال بمعنى يقول وإنما عبر بالماضى لاستواء الأزمان فى علمه حالها وماضيها ومستقبلها لأنه أحاط بكل شئ علما فلذا أتى بالماضى الذى يدل على تحقق الحصول وقيل إن السؤال وقع فى الدنيا بعد رفعه إلى السماء وعليه فاذ وقال على بابهما (قوله توبيخا لقومه) جواب عما يقال إن الله تعالى عالم بكل شئ فلم كان هذا السؤال. فأجاب بأن المقصود منه توبيخ من كفر وهذا يؤيد ماقاله الجمهور و يضعف الاحتمال الثانى (قوله من دون الله) متعلق بمحذوف صفة لإلهين أى إلهين كائنين من غير الله فالله ثالثهما وليس المعنى أن عيسى وأمه إلهان فقط والله ليس بإله فإنهم لم يقولوا ذلك (قوله وقد أرعد) أى أخذته الرعدة حتى خرج من كل شعرة عين دم كما فى رواية (قوله من الشريك وغيره) أى كالصاحبة والولد (قوله ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق) ما نافية و يكون فعل مضارع ولى جار ومجرور خبرها مقدم وأن أقول فى محل رفع اسمها مؤخر وما اسم موصول وليس فعل ماض ناقص واسمها مستتر هو عائد الموصول تقديره هو و بحق خبرها ، ولى للتبيين على حد سقيا لك ورعيا ، والمعنى لاينبغى ولا يجوز على لأنك عصمتنى أن أقول ماليس حقا منسوبا لى وهذا أحسن الأعاريب (قوله إن كنت قلته فقد علمته) إن قلت إن مدخول إن لابد من كونه مستقبلا والقول والعلم متعلقهما ماض . أجيب بأن الكلام على التقدير ، والمعنى إن يثبت

فنزلت الملائكة بها من السماء عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات فأكلوا منها حتى شبعوا قاله ابن عباس . وفى حديث أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً فأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فمسخوا قردة وخنازير (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ) أى يقول (اللهُ) لعيسى فى القيامة توبيخاً لقومه (يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ) عيسى وقد أرعد (سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره (مَا يَكُونُ) ما ينبغى (لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) خبر ليس ولى للتبيين (إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ

أى قلته فقد تبين وظهر أن علمك متعلق به لأنه يستحيل وقوع شئ لم يتعلق علم الله به بحيث لم يتعلق علمه بما قال فلم يحصل ذلك منه لأنه لايقع شئ فى ملكه إلا وهو عالم به (قوله تعلم مافى نفسى) ليست علم هنا عرفانية لأن المعرفة تستدعى سبق الجهل فهى هنا على بابها ومفعولها الثانى محذوف تقديره منطويا وثابتا والنفس بمعنى الذات والمعنى تعلم حقيقة ذاتى وما انطوت عليه (قوله ولاأعلم مافى نفسك) أى لاأعلم حقيقة ذاتك ولا ما احتوت عليه من الصفات لأن من جهل ماقام بالذات فقد جهل الذات فلا يعلم الله إلا الله . واعلم أنهم اختلفوا فى إطلاق النفس على الله تعالى فقيل لايجوز إطلاقها عليه إلا فى مقام المشاكلة والحق أنه يجوز إطلاق النفس على الله من غير مشاكلة إذ ورد إطلاقها فى غير المشاكلة قال تعالى ـ كتب ربكم على نفسه الرحمة ، ويحذركم الله نفسه ـ (قوله أى ما تخفيه من معلوماتك) أى كذاتك وصفاتك فان معلومات الله منها ماهوظاهر لنا كالحوادث ومنها ما هو خفى عنا ولا يحيط بجميع ذلك إلا الله تعالى (قوله إنك أنت علام الغيوب) دليل للدليل لأن قوله إن كنت قلته فقد علمته دعوى من عيسى ثم استدل عليها بقوله تعلم مافى نفسى ولاأعلم مافى نفسك ودليل هذا أنه علام الغيوب وأكدهذه الجملة بإنّ والضمير المنفصل وصيغة المبالغة والجمع مع أل الاستغراقية (قوله إلا ما أمرتنى به) هذا استثناء مفرّغ وما اسم موصول فى محلّ نصب هى وصلتها بالقول (قوله وهو أن اعبدوا الله) أشار بذلك إلى أن قوله أن اعبدوا الله فى محلّ رفع خبر لمحذوف تقديره وهو أن اعبدوا (قوله وكنت عليهم شهيدا) الجملة حالية (قوله أمنعهم مما يقولون) أى فلم تقع هذه المقالة منهم وهو بينهم وإنما ابتدعوها بعد رفعه (قوله مادمت فيهم) مامصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف إلى زمان وصلتها دام ويجوز فيها التمام والنقصان فان كانت تامة كان معناها الاقامة وفيهم متعلق بها وإن كانت ناقصة يكون قوله فيهم خبرها فعلى الأول يصير المعنى وكنت عليهم شهيدا مدّة إقامتى فيهم وعلى الثانى وكنت عليهم شهيدا مدّة دوامى مستقرّا فيهم

(٢٩٨)

تَعْلَمُ مَا) أخفيه (فِي نَفْسِي وَلَاأَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) أى ما تخفيه من معلوماتك (إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ) وهو (أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا) رقيباً أمنعهم مما يقولون (مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي) قبضتنى بالرفع إلى السماء (كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) الحفيظ لأعمالهم (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من قولى لهم وقولهم بعدى وغير ذلك (شَهِيدٌ) مطلع عالم به (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ) أى من أقام على الكفر منهم (فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ) وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ) أى لمن آمن منهم (فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْحَكِيمُ) فى صنعه (قَالَ اللهُ هَذَا) أى يوم القيامة (يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ) فى الدنيا كعيسى (صِدْقُهُمْ) لأنه يوم الجزاء (لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بطاعته ، (ورضوا

(قوله فلما توفيتنى) يستعمل التوفى فى أخذ الشئ وافيا أى كاملا والموت نوع منه قال تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها وليس المراد الموت بل المراد الرفع كما قال المفسر (قوله قبضتنى بالرفع إلى السماء) حاصل مافى المقام أن هذه العقيدة وقعت منهم بعد رفعه إلى السماء وتستمر إلى نزوله ولم تقع منهم قبل رفعه وأما بعد نزوله فلم يبق نصرانى أبدا بل إما الاسلام أو السيف فتعين أن يكون معنى توفيتنى رفعتنى إلى السماء ولو على القول بأن هذا السؤال واقع يوم القيامة بل ذلك مما يؤيده تأمل (قوله أى لمن آمن منهم) دفع بذلك مايقال إن المغفرة لاتكون للمشركين . فأجاب بأن المعنى وإن تغفر لمن آمن منهم ولذا قال عيسى فيما تقدّم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار (قوله يوم ينفع) قرأ الجمهور برفعه من غير تنوين وقرأ نافع بنصبه من غير تنوين ونقل عن الأعمش النصب مع التنوين وعن الحسن الرفع مع التنوين فتوجيه القراءة الأولى أن هذا مبتدأ ويوم خبره وجملة ينفع الصادقين صدقهم فى محل جر باضافة يوم إليها وكذا القراءة الثانية غير أن الظرف مبنى لاضافته إلى الجملة الفعلية وهومذهب الكوفيين ومذهب البصريين أنه منصوب على الظرفية متعلق بمحذوف خبره تقديره يقع يوم ينفع وأما قراءة التنوين فالرفع على الخبرية والنصب على الظرفية كما قال البصريون والجملة فى محل رفع على الأول أو نصب على الثانى صفة لما قبلها (قوله الصادقين فى الدنيا) أى فالصدق فى الدنيا نافع فى الآخرة وأما الصدق فى الآخرة فلا يفيد شيئا لتقدم الكذب فى الدنيا كما سيأتى (قوله بطاعته) أى باقامته لهم فى الطاعة أو بسبب تلبسهم بامتثال مأموراته واجتناب

(وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) ولا ينفع الكاذبين فى الدنيا صدقهم فيه كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها (وَمَا فِيهِنَّ) أتى بما تغليبا لغير العاقل (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه إثابة الصادقين وتعذيب الكاذبين، وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر .

تم الجزء الأول، ويليه الجزء الثانى

وأوله :

ســـورة الأنعام

بلوائه فرضا الله على عبده توفيقه لخدمته فى الدنيا وإدخاله جنته فى الآخرة ورضا العبد عن ربه فى الدنيا صبره على أحكام ربه وفى الآخرة قناعته بما أعطاه له من النعيم الدائم (قوله بثوابه) أى أى برؤية ثوابه لهم فى الجنة حيث أعطاهم ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله ذلك الفوز العظيم) اسم الاشارة يعود على الجنات وما بعدها (قوله لما يؤمنون الخ) أى كما فى قوله تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده (قوله لله ملك السموات والأرض) تنبيه على فساد زعم الكفار أن لله شريكا فالمعنى أن الله مالك السموات والأرض ومافيهن فأين الشريك له ولا يليق أن يكون شىء من ملكه شريكا له (قوله تغليبا لغير العاقل) أى وإشارة إلى أن ما سواه فى رتبة العبودية سواء إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا فلا فرق بين عاقل وغيره فى كونه مملوكا لايملك لنفسه نفعا ولاضرا

(قوله وخص العقل ذاته الخ) دفع بذلك ما يقال إن من جملة الأشياء ذاته فيقتضى أنه قادر على ذاته فأجاب بذلك لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات لا بالواجبات ولا بالمستحيلات فالمراد بالشىء الموجود الممكن .

فهرس

الجزء الأول

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمد الصاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلى والجلال السيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الثاني

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية

دار الجيل

بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم سميت بذلك لذكر الأنعام فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وهذه السورة نزلت جملة واحدة ماعدا الست آيات ونزل معها سبعون ألف ملك ولهم زجل بالتسبيح ونزلت ليلا فأمر صلى الله عليه وسلم بكتابتها حينئذ وحين نزولها صار صلى الله عليه وسلم يسبح ويسجد حينئذ وكل ذلك تعظيما لشأنها لأن ما اشتملت عليه من التوحيد وعدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(ســـورة الأنعام)

مكية إلا « وما قدروا الله » الآيات الثلاث ، وإلا « قل تعالوا » الآيات الثلاث وهى مائة وخمس أوست وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) وهو الوصف بالجميـل ثابت (لِلَّهِ) وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما احتمالات أفيدها الثالث قاله الشيخ فى سورة الكهف (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين (وَجَعَلَ) خلق (الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) أى كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة أسبابها وهذا من دلائل وحدانيته (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) مع قيام هذا الدليل ،

جملة من الرسل وتبيين الحلال من الحرام فى الأنعام لم يوجد فى غيرها ، وورد أنها فاتحة التوراة وخاتمتها قيل (بربهم

آخر هود ، وقيل آخر الإسراء وفيها آية نزلت ومعها أربعون ألف ملك وهى وعنده مفاتح الغيب الآية . وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام الى ـ ويعلم ما تكسبون ـ وكل الله له أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة من حديد فاذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحى فى قلبه شيئا ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجابا فاذا كان يوم القيامة قال الله امش فى ظلى يوم لاظل إلا ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من الكوثر واغتسل من السلسبيل فأنت عبدى وأنا ربك » (قوله الآيات الثلاث) أى إلى قوله تستكبرون (قوله وإلا قل تعالوا) أى إلى قوله لعلكم تتقون هكذا مشى المفسر (قوله وهو) أى الحمد بالمعنى اللغوى ، وأما بالمعنى الاصطلاحى فهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما على الحامد أوغيره (قوله الوصف بالجميل) زاد بعضهم على جهة التعظيم والتبجيل لاخراج التهكم كقوله تعالى ـ ذق إنك أنت العزيز الكريم ـ (قوله ثابت) قدره إشارة إلى أن لله جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ الذى هو الحمد (قوله وهل المراد به الاعلام بذلك) أى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى ، وقوله أو الثناء به : أى فهى خبرية لفظا إنشائية معنى (قوله أوهما) أى فهى مستعملة فى حقيقتها ومجازها فالقصد إعلام العبيد للإيمان به وإنشاء الثناء به وهذا هو حمد القديم للقديم ، وأل فى الحمد يصح أن تكون للاستغراق أو الجنس أو العهد واللام فى لله للاستحقاق (قوله قاله الشيخ) أى الجلال المحلى (قوله الذى خلق) صفة لله وتعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كأنه قيل الوصف بالجميل ثابت له لأنه الخالق للسموات والأرض والمراد بالسموات ماعلا فيشمل العرش ، والمراد بالأرض ماسفل فيشمل ما تحتها وقدم السموات لأنها أشرف من الأرض لكونها مسكن المطهرين لاغير والأرض وإن كان فيها الأنبياء لكنها احتوت على الأشرار والمفسدين ولأنها سابقة على الأرض كما فى سورة النازعات . قال تعالى ـ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ـ إلى أن قال ـ والأرض بعد ذلك دحاها ـ ولامنافاة بين آية فصلت وبين آية النازعات فان الأرض خلقت أولا كرة ثم خلقت السموات من دخان كما دلت عليه آية فصلت ثم بنى السماء ورفعها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها ، وإنما جمع السموات لاختلاف أجناسها ، فان الأولى من موج مكفوف ، والثانية من مرمرة بيضاء ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء . وأما الأرض وإن كانت سبعا أيضا إلا أنها من جنس واحد ، واختلف هل الأرض مداد وهو الصحيح فالتعدد باعتبار أقطارها ، وقيل طباق كالسماء ، وأما السماء فهى طباق باتفاق (قوله خلق) أشار بذلك إلى أن جعل بمعنى خلق فتنصب مفعولا واحدا (قوله أى كل ظلمة) أى حسية كظلمة الليل والأجرام الكثيفة أو معنوية كالشرك والمعاصى (قوله ونور) أى حسى كالشمس والقمر والنجوم أو معنوى كالاسلام (قوله لكثرة أسبابها) أى الظلمة وأما النور فسببه واحد لايتعدد لأنه إما معنوى وسببه الاسلام أو حسى وسببه النار (قوله ثم الذين كفروا) ثم للترتيب الرتبى : أى فبعد أن عرفوا الحق سووا به

لغيره فهو استبعاد لما وقع منهم (قوله بربهم) يحتمل أنه متعلق بكفروا ، وقوله يعدلون مفعوله محذوف قدّره المفسر بقوله غيره ومعناه التسوية كما قاله المفسر ، ويحتمل أن بربهم متعلق بيعدلون والباء بمعنى عن ، والتقدير يميلون عن ربهم لغيره من العدول وهو الميل عن طريق الهدى (قوله هو الذى خلقكم) هذا من جملة الأدلة على كونه مستحقا للحمد كأنه قيل الوصف بالجميل لله لا لغيره لأنه خالق السموات والأرض والظلمات والنور ولأنه خلقكم الخ (قوله من طين) من لابتدا الغاية : أى مبتدئا نشأتكم من طين (قوله بخلق أبيكم آدم منه) دفع بذلك مايقال إنهم مخلوقون من النطفة لا من الطين ، فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف وذلك الطين الذى خلق منه آدم فيه من كلّ لون وعجن بكل ماء فخلق الله أولاده مختلفة الألوان والأخلاق فاختلاف الألوان من اختلاف ألوان طينة أبيهم واختلاف الأخلاق من اختلاف المياه التى عجنت بها تلك الطينة فما من أحد إلا وله جزء سرى له من أبيه ، فالطبائع والأخلاق أصلها من آدم فنسبة الطين لأولاده باعتبار نشأتها منه وسريانها فيهم ، وقيل لا حذف فى الآية بل كلّ إنسان مخلوق من الطين لأنه ورد « ما من مولود إلا ويذر على نطفته شىء من تراب تربته » فالنطفة عجنت بذلك التراب فصدق على كل إنسان أنه مخلوق من الطين ، وقيل إنه من الطين باعتبار أن النطفة ناشئة عن الغذاء وهو ناشىء عن الطين (قوله ثم قضى) يصح أن يكون بمعنى أظهر فثم للترتيب الزمانى : أى فبعد تمام خلقه يظهر أجله للملك الموكل بالرحم أو بمعنى قدر فثم للترتيب الذكرى لأن التقدير هو الارادة المتعلقة بالأجل أزلا فهى متقدمة على وجوده فالترتيب فى الذكر فقط. واعلم أن كل إنسان له أجلان : أجل ينقضى بموته ، وأجل ينقضى ببعثه فابتداء أجل الموت من حين وجوده وابتداء أجل البعث من حين موته ومجموع الأجلين محتم لايزيد ولا ينقص ، وما ورد من زيادة العمر للبارّ الواصل للرحم ونقصه للعاصى القاطع للرحم قيل محمول على البركة وعدمها وقيل بتداخل أحدهما فى الآخر فالطائع يزاد له فى أجل الدنيا وينقص من أجل البرزخ وبالعكس للعاصى وبه فسر قوله تعالى — وما يعمر من معمر ولا

(٣)

(بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يسوّون غيره فى العبادة (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ قَضَى أَجَلاً) لكم تموتون عند انتهائه (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) مضروب (عِنْدَهُ) لبعثكم (ثُمَّ أَنْتُمْ) أيها الكفار (تَمْتَرُونَ) تشكون فى البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم ومن قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر (وَهُوَ اللَّهُ) مستحق للعبادة (فِى السَّمٰوَاتِ وَفِى الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ) ما تسرون وما تجهرون به بينكم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) تعملون من خير وشر ،

ينقص من عمره إلا فى كتاب — ويؤيد ذلك ما حكى أن داود عليه السلام كان له صديق قد دنا أجله فأخبره جبريل بأنه لم يبق من أجله إلا خمسون يوما فأخبر داود صديقه بذلك فتأهب حتى إذا جاء اليوم المتمم للخمسين أخذ غداءه وذهب لداود ليودعه فمرّ بفقير فأعطاه غداءه فنزل جبريل على داود وأخبره أن الله زاد فى عمره خمسين سنة بسبب صدقته فى ذلك اليوم فلما ذهب إليه وجده مسرورا فأخبره بذلك (قوله وأجل مسمى عنده) أجل مبتدأ ومسمى صفته وعنده خبره وأضيف له سبحانه لأنه لايعلم انتهاءه أحد غيره ، وأما أجل الدنيا فهو فى علم الملك وبانقضائه يظهر للمخلوقات أيضا (قوله لبعثكم) أى ينتهى إليه وما وراء ذلك لا نهاية له (قوله ثم أنتم تمترون) أى ثم بعد ظهور تلك الآيات العظيمة تشكون فى البعث وتنكرونه ، وأفاد المفسر أن هذه الآية ردّ لما أنكروه من البعث وما قبلها ردّ للشرك الواقع من الكفار (قوله فهو على الاعادة أقدر) هذا بحسب العادة الجارية بأن القادر على الابتداء قادر على الاعادة بالأولى وإلا فالكل فى قبضة قدرته سواء لامزية للاعادة على الابتداء لأنه إذا أراد شيئا قال له كن فيكون (قوله وهو الله) مبتدأ وخبر والضمير عائد على المتصف بالأوصاف المتقدمة وفى السموات وفى الأرض متعلق بوصف تضمنه ذلك العلم لأن الله موضوع للذات الواجبة الوجود المستحقة لجميع المحامد فيكون المعنى وهو الله المستحق للعبادة فى السموات الخ ، وهذا ما درج عليه المفسر وبذلك يجاب عن آية — وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله — وقيل متعلق بنعت محذوف تقديره وهو الله المعبود فى السموات الخ على حد قول ابن مالك * وما من المنعوت والنعت عقل * يجوز حذفه ، وقيل متعلق بيعلم والتقدير يعلم سركم وجهركم فى السموات والأرض ، وقيل متعلق بسركم وجهركم ولكن لزم عليه تقديم معمول المصدر عليه إلا أن يقال يغتفر فى الظروف والمجرورات ما لا يغتفر فى غيرها (قوله ويعلم ما تكسبون) إن قلت إن الكسب لايخرج عن السرّ والجهر والعطف يقتضى المغايرة . أجيب بأن المراد بالكسب مايترتب عليه من الثواب والعقاب ، والمعنى يعلم أفعالكم وأقوالكم السرّية والجهرية ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب .

(قوله وما تأتيهم من آية) كلام مستأنف بيان لزيادة قبحهم وكفرهم بعد ظهور الآيات البينات (قوله من آيات ربهم) من تبعيضية والآيات يحتمل أن يكون المراد بها القرآن فاتيانها نزولها على رسول الله وعليه اقتصر المفسر، أوالكونية كالمعجزات والمراد باتيانها ظهورها والأحسن أن يراد ماهو أعم (قوله إلا كانوا عنها معرضين) الجملة حالية من الضمير فى تأتيهم ، وقوله معرضين ضمنه معنى غافلين فعداه بعن وإلا فالاعراض بمعنى الترك لايتعدّى بعن (قوله فقد كذبوا) تفريع على ماقبله وتفصيل لبعضه (قوله بالقرآن) أى وغيره من بقية المعجزات (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله كذبوا (قوله فسوف يأتيهم) وعيد عظيم مرتب على تكذيبهم وهو لايتخلف لأن وعيد الكفار وعد حسن للمؤمنين فهو وعد باعتبار ووعيد باعتبار آخر فعدم تخلفه باعتبار كونه وعدا ، قال تعالى ـ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ـ (قوله أنباء) جمع نبأ وهو الخبر العظيم المزعج وجمعه إشارة إلى تكرّر الجزاء لهم فى الدنيا ويوم القيامة (قوله ما كانوا به يستهزئون) ما اسم موصول وكانوا صلته ، والمعنى فسوف يأتيهم جزاء الذى كانوا يستهزئون به فى العاجل بالقتل والأسر والآجل بالعذاب الدائم فى النار (قوله ألم يروا) هذا إخبار من الله ببذل النصح لهم ومع ذلك فلم يهتدوا والهمزة داخلة على محذوف تقديره أعموا ورأى إما بصرية وعليه درج المفسر حيث قال فى أسفارهم إلى الشام وغيرها وعليه فقوله كم أهلكنا سدّت مسد مفعولها أو علمية فتكون الجملة سدّت مسدّ مفعوليها والأحسن الأوّل (قوله وغيرها) أى كاليمن فانه كان لهم رحلتان رحلة فى الصيف للشام ورحلة فى الشتاء لليمن كما يأتى فى سورة قريش (٤)

(وَمَا تَأْتِيهِمْ) أى أهل مكة (مِنْ) زائدة (آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ) من القرآن (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ) عواقب (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ . أَلَمْ يَرَوْا) فى أسفارهم إلى الشام وغيرها (كَمْ) خبرية بمعنى كثيراً (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) أمة من الأمم الماضية (مَكَّنَّاهُمْ) أعطيناهم مكانا (فِي الْأَرْضِ) بالقوة والسعة (مَا لَمْ نُمَكِّنْ) نعط (لَكُمْ) فيه التفات عن الغيبة (وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ) المطر (عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا) متتابعا (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ) تحت مساكنهم (فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) بتكذيبهم الأنبياء (وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ . وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا) مكتوبا (فِي قِرْطَاسٍ) رق كما اقترحوه (فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) أبلغ من عاينوه لأنه أنفى للشك (لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ) ما (هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) تعنتا وعنادا ، (وقالوا

(قوله خبرية) أى وهى مفعول مقدم لأهلكنا (قوله من قبلهم) أى قبل وجودهم أو قبل زمانهم فالكلام على حذف مضاف (قوله من قرن) بيان لكم والقرن يطلق على الأمة وعليه درج المفسر ويطلق على الزمان واختلف فى حده فقيل مائة سنة وهو الأشهر ، وقيل مائة وعشرون ، وقيل ثمانون ، وقيل ستون ، وقيل أربعون ، وقيل غير ذلك (قوله مكناهم) وصف للقرن وجمعه باعتبار معناه لأن القرن اسم جمع كرهط وقوم لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله بالقوّة والسعة) أى فى الدنيا حتى صاروا ذوى شهامة وغنى عظيم ومع ذلك فلم تغن عنهم أموالهم ولا أنفسهم من الله شيئا (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى ونكتته الاعتناء بشأن المخاطبين حيث خاطبهم مشافهة (قوله وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) وصف ثان للقرن ، وقوله وجعلنا الأنهار وصف ثالث له ، والمعنى أن من مضى من قبلكم من الأمم أعطيناهم القوة الشديدة فى الجسم والسعة فى الأموال والأولاد ومع ذلك فلم ينفعهم من ذلك شىء بل لاتأمنوا سطوتى الأولى منهم . قال الشاعر: لايأمن الدهر ذو بغى ولو ملكا جنوده ضاق عنها السهل والجبل (قوله وأنشأنا من بعدهم قرنا) كلام مستأنف دفع به مايقال حيث هلك من هلك فقد خرب الكون . فأجاب بأنه كلما أهلك جماعة أتى بغيرهم فانه قادر على ذلك والقادر لايعجزه شىء (قوله قرنا) هنا بالافراد وفى بعض الآيات بالجمع والمعنى واحد فان المراد به الجنس وجمع آخرين باعتبار معنى القرن (قوله ولو نزلنا) شروع فى بيان زيادة كفرهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم إيمانهم به وهو رد لقول النضر بن الحرث وعبد الله بن أبى أمية ونوفل بن خويلد لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومعه أربعة من الملائكة يشهدون بأنك صادق (قوله مكتوبا) إشارة إلى أنه أطلق المصدر وأراد اسم المفعول (قوله قرطاس) القراءة بكسر القاف لاغير ويجوز فى غير القرآن فتح القاف وضمها ويقال قرطس كجعفر ودرهم ما يكتب فيه مطلقا ورقا أوغيره فتفسيره له بالرق بفتح الراء على الأفصح تفسير بالأخص (قوله كما اقترحوه) أى اخترعوه من الآيات (قوله إن هذا إلا سحر مبين) إن نافية بمعنى ما وهذا مبتدأ وسحر خبره ومبين

(وَقَالُوا لَوْلَا) هلا (أُنزِلَ عَلَيْهِ) على محمد صلى الله عليه وسلم (مَلَكٌ) يصدقه (وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا) كما اقترحوا فلم يؤمنوا (لَّقُضِيَ الْأَمْرُ) بهلاكهم (ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ) أي المنزل إليهم (مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ) أي الملك (رَجُلًا) أي على صورته ليتمكنوا من رؤيته إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك (وَ) لو أنزلناه وجعلناه رجلا (لَلَبَسْنَا) شبهنا (عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) على أنفسهم بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فَحَاقَ) نزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قُلْ) لهم (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) الرسل من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا (قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ) إن لم يقولوه لا جواب غيره (كَتَبَ) قضى (عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) فضلا منه وفيه تلطف في دعائهم إلى الإيمان (لَيَجْمَعَنَّكُمْ)

صفته والجملة مفعول القول (قوله وقالوا لولا أنزل عليه ملك) هذا من جملة عنادهم وكفرهم (قوله فلم يؤمنوا) مرتب على قوله ولو أنزلنا فهو من تتمة الشرط . والمعنى أن الله لو أجابهم بإنزال ملك ولم يؤمنوا لأهلكهم كمن قبلهم مع أنه قال : وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم فعدم إجابتهم رحمة بهم (قوله ولو جعلناه ملكا) رد لقولهم هلا كان رسولنا من الملائكة لا من البشر (قوله أي على صورته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي صورة رجل فالشبه في الصورة فقط (قوله إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك) أي ولذلك كان يأتي الأنبياء على صورة رجل ولم ير الملك على صورته الأصلية أحد من البشر إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في الأرض عند غار حراء ومرة في السماء عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء (قوله وللبسنا) جعله المفسر جواب شرط محذوف والواو داخلة على فعل الشرط المحذوف قدره بقوله ولو جعلناه رجلا والمناسب للمفسر الاقتصار على ذلك ويحذف قوله ولو أنزلناه . ولبس فتح الباء يلبس بكسرها خلط يخلط والتبس اختلط واشتبه ، وأما لبس بكسر الباء يلبس بفتحها سلك الثوب في العنق (قوله ولقد استهزئ برسل من قبلك) أي فلا تحزن واصبر على أذاهم فان الله كافيك شرهم (قوله فكذا يحيق بمن استهزأ بك) أي لكن لا على الوجه الذي حاق بهم من عموم العذاب بل يأخذ المتمرد بخصوصه وقد فعل الله له ذلك ، قال تعالى : إنا كفيناك المستهزئين (قوله قل (٥) سيروا في الأرض) هذا استشهاد على ما تقدم كأنه قيل إن لم تصدقوا خبر ربكم بأنه حاق بالذين سخروا وكذبوا أنبياءهم العذاب فسيروا وعاينوا آثارهم (قوله ثم انظروا) أتى بثم لأنه لا يحسن التذكر والاستدلال ولا يتم إلا بعد تمام السير ومعاينة الآثار (قوله كيف) اسم استفهام خبر كان وعاقبة اسمها وإنما قدم الخبر عليها وعلى اسمها لأن اسم الاستفهام له الصدارة (قوله ليعتبروا) أي يتعظوا فبالسير والتفكر يحصل الاستدلال والنور التام . ومن هنا أخذت الصوفية السياحة لأن من جملة ما يعين على الوصول إلى الله والترقي إلى المعارف النظر والتفكر في مصنوعاته قال تعالى : سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (قوله قل لمن ما في السموات والأرض) الجار والمجرور خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وفي السموات والأرض صلة الموصول والأصل قل ما في السموات والأرض لمن ؟ وإنما قدم الخبر لأن اسم الاستفهام له الصدارة وهذه حجة قاطعة لا يمكن ردها أبدا (قوله قل لله) أي تقرير لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق لقوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله (قوله لا جواب غيره) في معنى التفريع أو التعليل فالمناسب أن يقول فلا أو لأنه لا جواب غيره (قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة) أي ألزم نفسه الرحمة لأنه وعدها ووعده لا يتخلف فهي واجبة شرعا لا عقلا . والرحمة هي النعمة وهي عامة لكل مخلوق في الدنيا قال تعالى : ورحمتي وسعت كل شيء ، فمن رحمته إمهال العصاة والكفار وترادف الرزق عليهم ، وأما بعد استقرار الخلق في الدارين فتختص الرحمة بأهل الجنة ويختص غضب الله بأهل النار (قوله فضلا منه) رد بذلك على المعتزلة القائلين بأن الرحمة واجبة عقلا على الله يستحيل تخلفها إذ هو نقص والنقص عليه محال (قوله وفيه تلطف في دعائهم إلى الايمان) أي في ذكر الرحمة بهذا العنوان فلا تقنطوا بل إذا تبتم قبلكم (قوله ليجمعنكم) اللام موطئة لقسم محذوف وهو كلام مستأنف مؤكد بالقسم والنون إشارة إلى أن ذلك الأمر لا بد منه .

(قوله إلى يوم القيامة) يحتمل أن إلى على بابها متعلقة بمحذوف تقديره ليجمعنكم فى القبور ويحشرنكم إلى يوم القيامة ويحتمل أنها بمعنى اللام أو فى أو زائدة (قوله لا ريب فيه) أى فى الجمع يوم القيامة أو فى يوم القيامة الذى يحصل فيه الجمع (قوله الذين خسروا أنفسهم) الذين مبتدأ وخسروا صلته وأنفسهم مفعول لخسروا وقوله فهم لا يؤمنون مبتدأ وخبر والجملة خبر المبتدا . إن قلت إن ظاهر الآية أن عدم الإيمان مسبب عن الخسران مع أن الخسران مسبب عن عدم الإيمان . أجيب بأن المعنى الذين خسروا أنفسهم فى علم الله أى قضى عليهم بالخسران أزلا فهم لا يؤمنون فيما لا يزال فالآية باعتبار ما فى علم الله وأما تسبب الخسران عن عدم الإيمان فبحسب ما يظهر للعباد (قوله وله ما سكن) هذا أيضا من جملة أدلة التوحيد زيادة فى التشنيع على من كفر (قوله حل) أشار بذلك إلى أنه لا حذف فى الآية وعليه جمهور المفسرين فمعنى حل وجد فيشمل الساكن والمتحرك وقيل إن سكن من السكون ضد الحركة وعليه ففى الآية حذف تقديره وما تحرك (قوله قل أغير الله) رد لقولهم له كيف تترك دين آبائك وغير مفعول أول لأتخذ وقدمه اعتناء بنفى الغيرية ووليا مفعول ثان (قوله أعبده) تفسير لأتخذ فالمراد بالولى هنا المعبود ويطلق بالاشتراك على معان منها المعبود ولا يكون إلا الله وهو معنى قوله تعالى : فالله هو الولى ، الله ولى الذين آمنوا ويطلق على القريب والصاحب وعلى المنهمك فى طاعة الله (قوله فاطر) بدل من لفظ الجلالة أو نعت . إن قلت إن فاطر اسم فاعل وإضافته لفظية لا تفيده التعريف ولفظ الجلالة أعرف المعارف وشرط النعت موافقته لمنعوته فى التعريف . أجيب بأن محل كون إضافته لفظية إن كان معناه التجدد والحدوث وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة فيكون وصفا ثابتا له وهذه الجملة كالدليل لما قبلها (قوله مبدعهما) أى موجدهما على غير مثال سبق ففاطر من الفطرة وهى الخلقة وفطر خلق وأنشأ قال ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى فطر وفاطر حتى اختصم إلى أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى أنشأتها وابتدأتها (قوله أى يرزق) تفسير بالأعم لأن المعنى يرزق مطعوما أو غيره فليس المراد من الآية قصره على المطعوم (قوله ولا يطعم) أى لأن المرزوق محتاج لمن يرزقه وتنزه الله عن الاحتياج (قوله أول من أسلم) يحتمل أن من نكرة موصوفة فجملة أسلم صفة ، والمعنى أن أكون أول فريق أسلم أو اسم موصول وما بعدها صلة والتقدير أول الفريق الذى أسلم وقوله أمرت أن أكون الخ أى أمرنى ربى أن أكون أول المسلمين لأنه يجب عليه الإيمان بأنه رسول وبما جاء به من الشرع والأحكام فهو أول المسلمين على الإطلاق (قوله وقيل لى الخ) أشار بذلك إلى أن قوله ولا تكونن معمول لقول محذوف والجملة معطوفة على جملة أمرت والمعنى أمرنى ربى بأن أكون أول من أسلم ونهانى بقوله ولا تكونن من المشركين وهذه الجملة لازمة لما قبلها (قوله عذاب يوم عظيم) معمول لأخاف وجملة إن عصيت ربى شرطية وجوابها محذوف دل عليه قوله أخاف وهى معترضة بين الفعل وهو أخاف ومعموله وهو عذاب (قوله من يصرف عنه) من اسم شرط ويصرف فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر يعود على العذاب على القراءة الأولى والفاعل الله على القراءة الثانية وعنه جار ومجرور متعلق بيصرف وقوله فقد رحمه جواب الشرط وهو معنى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز (قوله وللفاعل) أى والمفعول محذوف تقديره العذاب والمعنى من يصرف الله العذاب عنه يوم القيامة فقد رحمه وفى ذلك تعريض بأن الكفار لا يرحمون لأنه لا يصرف عنهم العذاب (قوله والعائد محذوف) الأوضح أن يقول والمفعول محذوف وهو ضمير يعود على العذاب لأن الضمير العائد على من مذكور بقوله عنه وأيضا لا يحتاج للعائد إلا الموصول ومن هنا شرطية لا موصولة (قوله وذلك) أى النجاة يوم القيامة

(٦)

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ليجازيكم بأعمالكم (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) بتعريضها للعذاب مبتدأ خبره (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . وَلَهُ) تعالى (مَا سَكَنَ) حل (فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أى كل شىء فهو ربه وخالقه ومالكه (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْعَلِيمُ) بما يفعل (قُلْ) لهم (أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) أعبده (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (وَهُوَ يُطْعِمُ) يرزق (وَلَا يُطْعَمُ) يرزق ، لا (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) لله من هذه الأمة (وَ) قيل لى (لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) به (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي) بعبادة غيره (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة (مَنْ يُصْرَفْ) بالبناء للمفعول أى العذاب وللفاعل أى الله والعائد محذوف (عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) تعالى ، أى أراد له الخير (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) النجاة الظاهرة

(و إن

(قوله وإن يمسسك الله بضر) هذا تأييد من الله لرسوله فالمعنى لاتخش لومهم بل بلغ ما أنزل إليك من ربك فان الله متولى أمرك بيده الضر والنفع والمنع والاعطاء فهم عاجزون لايقدرون على إيصال ضر ولاجلب نفع (قوله كمرض وفقر) أى وغلبة واحتياج (قوله فلا كاشف له) جواب الشرط وفعله قوله يمسسك ولا نافية للجنس وكاشف اسمها مبنى معها على الفتح فى محل نصب وخبرها محذوف تقديره أحد ، وقوله إلاهو إلاأداة حصر وهو بدل من الضمير المستتر فى الخبر (قوله وإن يمسسك بخير) جواب الشرط محذوف تقديره فلا رادّ لفضله كما فى آية يونس : وإن يردك بخير فلا راد لفضله (قوله فهو على كل شئ قدير) دليل لكل من الجملتين (قوله ومنه ماسك به) أى من النبوّة وغيرها (قوله مستعليا) أشار بذلك إلى أن قوله فوق عبادة ظرف متعلق بمحذوف حال من القاهر (قوله فوق عباده) أى فوقية مكانة لامكان ، والمعنى أن صفاته فوق صفات غيره لأن أوصافه كمالية وأوصاف غير ناقصة فوصفه العز والعلم والاقتدار ووصف غيره الذل والجهل والعجز فكل وصف شريف كامل فهو لله وكل وصف خسيس ناقص فهو لغيره (قوله وهو الحكيم فى خلقه) أى يضع الشئ فى محله (قوله الخبير) أى فيعامل كل شخص بما يليق به (قوله ونزل لما قالوا) أى أهل مكة فقالوا يامحمد أرنا من يشهد لك بالرسالة فانا سألنا اليهود والنصارى عنك فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر (قوله إيتنا) بقلب الهمزة الثانية ياء . قال ابن مالك :

ومدا بدل ثانى الهمز من كلمة ان يسكن كآثر وائتمن (قوله تمييز محوّل عن المبتدأ) أى والأصل شهادة

(وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ) بلاء كمرض وفقر (فَلَا كَاشِفَ) رافع (لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ) كصحة وغنى (فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه ماسك به ولا يقدر على رده عنك غيره (وَهُوَ الْقَاهِرُ) القادر الذى لا يعجزه شىء مستعلياً (فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى خلقه (الْخَبِيرُ) ببواطنهم كظواهرهم. ونزل لما قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم إيتنا بمن يشهد لك بالنبوة فإن أهل الكتاب أنكروك (قُلْ) لهم (أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً) تمييز محول عن المبتدإ (قُلِ اللَّهُ) إن لم يقولوه لاجواب غيره ، هو (شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على صدقى (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ) أخوفكم يا أهل مكة (بِهِ وَمَنْ بَلَغَ) عطف على ضمير أنذركم أى بلغه القرآن من الإنس والجن (أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ) استفهام إنكارى (قُلْ) لهم (لَا أَشْهَدُ) بذلك (قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) معه من الأصنام (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ) أى محمداً بنعته فى كتابهم (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) منهم

أى شئ أكبر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وجعل مبتدا وجعل المضاف تمييزا (قوله قل الله) مبتدأ خبره محذوف أى أكبر شهادة ، وقوله شهيد خبر لمحذوف قدره المفسر فالكلام جملتان ويحتمل أن الله مبتدأ خبره شهيد فالكلام جملة واحدة (قوله شهيد بينى وبينكم) المراد بشهادة الله إظهار المعجزات على يده فان المعجزات منزلة منزلة قول الله : صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى (قوله وأوحى إلىّ هذا القرآن) هذا دليل لشهادة الله ، والمعنى أن الله شهيد لأن هذا القرآن ناطق بالحجج القاطعة وهو من عنده فلا يرد كيف اكتفى منه عليه الصلاة والسلام بقوله : الله شهيد مع أن ذلك لايكفى من غيره والاقتصار على الانذار لأن الكلام مع الكفار وبنى أوحى للمجهول للعلم بفاعله (قوله عطف على ضمير أنذركم) أى ومن موصولة وبلغ صلتها والعائد محذوف والتقدير وأنذر الذى بلغه القرآن (قوله من الانس والجن) أى إلى يوم القيامة وفيه دلالة على عموم رسالته واستمرارها من غير ناسخ إلى يوم القيامة (قوله أئنكم لتشهدون) اللام لام الابتداء زحلقت للخبر (قوله استفهام إنكارى) أى والمعنى لايصح منكم هذه الشهادة لأن المعبود واحد (قوله قل إنما هو إله واحد) إنما أداة حصر وما كافة وهو مبتدأ وإله خبره وواحد صفته وهو زيادة فى الرد عليهم وهو من حصر المبتدأ فى الخبر (قوله الذين آتيناهم الكتاب) أى اليهود والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل (قوله أى محمدا) تفسير للضمير فى يعرفونه ويصح أن يرجع الضمير للقرآن أولجميع ماجاء به رسول الله من التوحيد وغيره (قوله كما يعرفون أبناءهم) أى معرفة كمعرفتهم لأبنائهم وهذا من التنزلات الربانية وإلا فهم يعرفونه أشد من معرفتهم لأبنائهم لما روى أن عمر بن الخطاب سأل عبد الله بن سلام بعد إسلامه عن هذه المعرفة فقال ياعمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابنى ولأنا أشد معرفة بمحمد منى بابنى فقال عمر كيف ذلك ؟ فقال أشهد أنه رسول الله حقا ولا أدرى ماتصنع النساء (قوله الذين خسروا أنفسهم) مبتدأ والجملة نعت

الذين آتيناهم الكتاب ويؤيده قوله المفسر منهم (قوله فهم لا يؤمنون) خبر المبتدأ وقرن الخبر بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط وهو العموم . والمعنى أن من سبق في علم الله خسرانه فلا يتأتى له الايمان في الدنيا وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل أهل النار في الجنة ولأهل النار منازل أهل الجنة في النار وقد علمت بما تقدم أن المؤمنين واحد من ألف فتكون منازل الكفار التي ترثها المؤمنون في الجنة لكل واحد تسعمائة منزل وتسعة وتسعون تضم لمنزله ومنازل المؤمنين التي تركت لأهل النار منزل من ألف يزاد لهم فيؤخذ منه أن الجنة واسعة جدا وأن النار ضيقة جدا لاسيما مع عظم جسم الكافر فيها حيث يكون ضرسه كأحد قال تعالى ـ وجنة عرضها السموات والأرض ـ وقال تعالى ـ وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين ـ (قوله به) أي بمحمد أو بالله أو بالقرآن أو بما جاء به محمد (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي ، والمعنى ليس أحد أظلم ممن فعل واحدا من الأمرين الافتراء والتكذيب فما بالك بمن جمع بينهما كالمشركين وأهل الكتاب فان كلا منهما وقع منه الأمران (قوله إنه لا يفلح الظالمون) أي لا يفوزون بمطلوبهم ، وقوله بذلك أي بسبب ما ذكر وهو الافتراء أو التكذيب (قوله ويوم نحشرهم) ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر والضمير في نحشرهم عائد على الخلق مسلمهم وكافرهم ويصح عوده على المشركين فقوله بعد ذلك ثم نقول للذين أشركوا إظهار في محل الاضمار زيادة في التشنيع عليهم (قوله جميعا) حال من ضمير نحشرهم (قوله ثم نقول) أتى بثم إشارة إلى أن السؤال بعد الحشر والحشر يطول على الكفار قدر خمسين ألف سنة والمقصود من ذلك ردعهم وزجرهم لعلهم يؤمنون في الدنيا فيأمنون من ذلك اليوم وهوله والقول إن كان على ألسنة الملائكة فظاهر وإن كان من الله مباشرة ورد علينا قوله تعالى ـ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ـ وقد يجاب بأن المعنى لا يكلمهم كلام رضا ورحمة (قوله أين شركاؤكم) إن قلت مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا حاضرين معهم ومقتضى قوله تعالى : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله أنهم حاضرون معهم فكيف الجمع بينهما .

(8)

(فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (وَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ) القرآن (إِنَّهُ) أي الشأن (لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) بذلك (وَ) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا) توبيخا (أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) أنهم شركاء الله (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ) بالتاء والياء (فِتْنَتُهُمْ) بالنصب والرفع أي معذرتهم (إِلَّا أَنْ قَالُوا) أي قولهم (وَاللَّهِ رَبِّنَا) بالجر نعت والنصب نداء (مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) قال تعالى (انْظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) بنفي الشرك عنهم (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) ه على الله من الشركاء (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) إذا قرأت (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً)

أجيب بأن هذا السؤال هنا واقع بعد التبري الكائن من الجانبين وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم لأن شركتها بتسميتهم وتقولهم قال تعالى ـ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ـ الآية (قوله أنهم شركاء لله) قدره إشارة إلى أن مفعولي تزعمون محذوفان وهذه الجملة سدت مسدها (قوله بالتاء والياء) فعلى قراءة التاء يصح رفع فتنتهم اسم تكن وإلا أن قالوا خبرها ونصبها خبر تكن مقدم وإلا أن قالوا اسمها مؤخر ويتعين جر ربنا وعلى قراءة الياء فليس إلا نصب فتنتهم خبر يكن مقدم وإلا أن قالوا اسمها مؤخر ويتعين نصب ربنا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية خلافا لما يوهمه المفسر (قوله أي معذرتهم) أي جوابهم وسماه فتنة لأنه كذب محض لا نفع به بل به الفضائح (قوله ما كنا مشركين) إن قلت كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثا . قلت أولا ينكرون الاشراك ويحلفون على عدم وقوعه منهم ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح فحينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا فهم أولا يظنون أن إنكارهم نافع فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون أن لو كانوا ترابا ولم يكتموا شيئا (قوله على أنفسهم) إنما نسبه لهم وإن كان في الحقيقة كذبا على الله لأن ضرره عاد إليهم (قوله من الشركاء) بيان لما (قوله ومنهم من يستمع إليك) سبب نزولها أنه اجتمع أبو سفيان وأبو جهل والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية ابن خلف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد ؟ قال ما أدري ما يقول غير أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان إني أرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا نقر بشيء من هذا وفي رواية الموت أهون علينا من هذا وأفرد يستمع مراعاة للفظ من وسيأتي في يونس مراعاة معناها والحكمة في مراعاة لفظها هنا أن ما هنا في قوم قليلين وفيما يأتي في الكفار جميعا .

(قوله أكنة) جمع كنان وهو الوعاء الجامع الذى يحفظ فيه الشيء ويجمع على أكنان والمراد بها هنا الغطاء الساتر (قوله فلا يسمعونه) أى القرآن (قوله حتى إذا جاءوك) حتى ابتدائية وقوله يجادلونك حال من الواو فى جاءوك وقوله يقول الذين كفروا جواب إذا (قوله كالأضاحيك) جمع أضحوكة بالضم وكذا الأعاجيب أى فالمشهور أن أساطير فى جمعه ومفرده كالأضاحيك والأعاجيب (قوله وهم ينهون) أى إن الكفار ينهون عن اتباع النبي أو عن سماع القرآن (قوله أى عن اتباع النبي) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله وقيل نزلت فى أبى طالب) أى وعليه فجمع الضمير باعتبار أتباعه (قوله كان ينهى عن أذاه) أى وكان يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام بقوله :

ولقد علمت (١) بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارى سبة ... لوجدتنى سمحا بذاك مبينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... حتى أوسد فى التراب رهينا

وهذا القول لابن عباس وعمرو بن دينار وسعيد بن جبير ، والقول بأنها نزلت فى المشركين لجماعة منهم الكلبي والحسن والأقرب لسياق ماقبلها وما بعدها للمعنى الأول فتأمل (قوله بذلك) أى باهلاكهم أنفسهم (قوله ولو ترى) المقصود من ذلك حكاية ماسيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية للنبي وأصحابه والمعنى لو تبصر بعينك يا محمد مايقع لهؤلاء فى الآخرة لرأيت أمرا عظيما تسلى به عن الدنيا فالخطاب لسيدنا محمد كما قال المفسر . إن قلت هذا يقتضى أن رسول الله (٩) لم يطلع على ذلك مع أنه لم يخرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة . وأجيب بأن هذا قبل إعلام الله له بالآخرة . وأجيب أيضا بأن الخطاب له والمراد غيره ، ورأى إما بصرية وهو الأقرب أوقلبية والمعنى لو صرفت فكرك الصحيح فى تدبير حالهم لازددت يقينا ، ولو يحتمل أنها حرف امتناع فيكون قوله ترى بمعنى رأيت و إذ على بابها من المعنى فيكون عبر بالماضى لتحقق الحصول ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية و إذ بمعنى إذا فيكون مستقبلا والأقرب الأول

أكنة) أغطية لـ(أن) لا (يفقهوه) يفهموا القرآن (وفى آذانهم وقرا) صمما فلا يسمعونه سماع قبول (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن) ما (هذا) القرآن (إلا أساطير) أكاذيب (الأولين) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم (وهم ينهون) الناس (عنه) عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم (وينأون) يتباعدون (عنه) فلا يؤمنون به ، وقيل نزلت فى أبى طالب كان ينهى عن أذاه ، ولا يؤمن به (وإن) ما (يهلكون) بالنأى عنه (إلا أنفسهم) لأن ضرره عليهم (وما يشعرون) بذلك (ولو ترى) يا محمد (إذ وقفوا) عرضوا (على النار فقالوا يا) للتنبيه (ليتنا نرد) إلى الدنيا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) برفع الفعلين استئنافا ونصبهما فى جواب التمنى ، ورفع الأول ونصب الثانى ، وجواب لو لرأيت أمرا عظيما ، قال تعالى (بل) للاضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمنى (بدا) ظهر (لهم)

(قوله للتنبيه) أى لدخولها على الحرف (قوله ليتنا نرد) ليت حرف تمن ونا اسمها وجملة نرد خبرها (قوله برفع الفعلين استئنافا) أى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا تفعلون لو رددتم فقوله ولا نكذب خبر لمحذوف تقديره ونحن لانكذب وكذا قوله ونكون (قوله و بنصبهما فى جواب التمنى) أى بأن مضمرة بعد واو المعية وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق وتقدير الكلام فقالوا نتمنى على الله ردنا مع عدم تكذيب منا وحصول إيمان (قوله ورفع الأول) أى على الاستئناف وقوله ونصب الثانى أى بأن مضمرة وجوبا بعد واو المعية فى جواب التمنى وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على مصدر مصيد من الكلام السابق تقديره نتمنى على الله ردنا مع كوننا من المؤمنين وجملة ولا نكذب معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه فهذه قراآت ثلاث وكلها سبعية وقرىء شذوذا بنصب الأول ورفع الثانى وتوجيهه كما علمت (قوله للاضراب) أى الابطالى والمعنى ليس الأمر كما قالوا من أنهم لوردوا لآمنوا بل إنما حملهم على ذلك فضيحتهم بشهادة أعضائهم .

(١) (قوله ولقد علمت الخ) كذا بالنسخ التى بأيدينا و بالوقوف على المقصد الأول من المواهب يعلم ما فيه اهـ مصححه .

(قوله ما كانوا يخفون) أى وهو الشرك. (قوله بقولهم) الباء سببية (قوله بشهادة جوارحهم) متعلق ببدا (قوله فتمنوا ذلك) أى فرارا من العذاب لا محبة فى الايمان (قوله لعادوا) جواب لو (قوله فى وعدهم بالايمان) أى الذى وقع منهم بالتمنى (قوله وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا) يحتمل أنه معطوف على لعادوا فهو من جملة جواب لو ويحتمل أنه كلام مستأنف فى خصوص منكرى البعث وهذا هو المتبادر من المفسر وإن نافية بمعنى ما وهى مبتدأ وحياتنا خبره والمعنى أنهم قالوا ليس لنا حياة غير هذه الحياة التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين بعد الموت (قوله على ربهم) أى على حسابه وسؤاله فالكلام على حذف مضاف (قوله قال لهم) أى لمنكرى البعث الذين قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا (قوله على لسان الملائكة) دفع بذلك مايقال إن الله لا ينظر إليهم ولا يكلمهم (قوله قالوا بلى وربنا) جواب مؤكد باليمين (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب الذى كنتم تكفرون به أو بسبب كفركم (قوله غاية للتكذيب) أى لا للخسران فانه لا غاية له (قوله الساعة) المراد بها مقدمات الموت فالمراد أن حزنهم الدائم يحصل لهم عند خروج أرواحهم (قوله بغتة) حال من فاعل جاءتهم والتقدير جاءتهم مباغتة أو من مفعوله والتقدير جاءتهم حال كونهم مبغوتين (قوله ياحسرتنا) يا حرف نداء وحسرتنا

(١٠)

مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ) يكتمون بقولهم : والله ربنا ما كنا مشركين بشهادة جوارحهم فتمنوا ذلك (وَلَوْ رُدُّوا) إلى الدنيا فرضا (لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) من الشرك (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى وعدهم بالإيمان (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (إِنْ) ما (هِيَ) أى الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ . وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا) عرضوا (عَلَى رَبِّهِمْ) لرأيت أمرا عظيما (قَالَ) لهم على لسان الملائكة توبيخا (أَلَيْسَ هَٰذَا) البعث والحساب (بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا) إنه لحق (قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) به فى الدنيا (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) بالبعث (حَتَّى) غاية للتكذيب (إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ) القيامة (بَغْتَةً) فجأة (قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا) هى شدة التألم ونداؤها مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (عَلَى مَا فَرَّطْنَا) قصرنا (فِيهَا) أى الدنيا (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ) بأن تأتيهم عند البعث فى أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فتركبهم (أَلَا سَاءَ) بئس (مَا يَزِرُونَ) يحملونه حملهم ذلك (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أى الاشتغال بها (إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) ، وأما الطاعات ومايعين عليها فمن أمور الآخرة (وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ) وفى قراءة ولدار الآخرة أى الجنة (خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الشرك (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بالياء والتاء ذلك فيؤمنون (قَدْ) للتحقيق (نَعْلَمُ ،

منادى منصوب بفتحة ظاهرة لأنه مضاف لنا (قوله هى شدة التألم) أى التلهف والتحسر على مافات (قوله ونداؤها مجاز) أى تنزيلا لها منزلة العاقل لأنه لا ينادى حقيقة إلا العاقل والمقصود التنبيه على أن هذا الكافر من شدة هوله لم يفرق بين خطاب العاقل وغيره ومثله ياويلنا فتأمل (قوله على مافرطنا) أى من الأعمال الصالحة فى الدنيا (قوله وهم يحملون أوزارهم) الجملة حالية من الواو فى قالوا (قوله بأن تأتيهم الخ) ورد أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله إنه أحسن شئ صورة وأطيبه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح فاركبنى فقد طالما ركبتك فى الدنيا فذلك قوله تعالى ـ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ـ يعنى ركبانا ، وأما الكافر فيستقبله أقبح شئ صورة وأنتنه ريحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتنى فى الدنيا فأنا أركبك فذلك قوله تعالى ـ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ـ (قوله أى الاشتغال فيها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمعنى أن الاشتغال فى الحياة الدنيا عن خدمة الله وطاعته لعب ولهو وليس المراد أن مطلق الحياة الدنيا لعب ولهو بل ماقرب منها إلى الله فهو مزرعة للآخرة ، وما أبعد منها عنه فهو حسرة وندامة (قوله خير للذين يتقون) أى لأن منافعها خالصة من الكدرات وعزها دائم (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير ألا يتفكرون فلا يعقلون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قد نعلم) المقصود من هذه الآية ومابعدها تسلية النبى صلى الله عليه وسلم على ماوقع من الكفار من التكذيب وغيره وتهديد لهم لعلهم يرجعون وقد للتحقيق نظير قوله تعالى ـ قد يعلم الله المعوقين ـ .

(قوله إنه ليحزنك) بكسر الهمزة لدخول اللام المعلقة لنعلم عن العمل فى حيزها ، قال ابن مالك :

وكسروا من بعد فعل علقا   باللام كاعلم إنه لذو تقى

و إن حرف توكيد والهاء اسمها واللام لام الابتداء زحلقت للخبر لئلا يتوالى حرفا تأكيد و يحزنك خبرها والذى فاعل يحزن و يقولون صلتها والعائد محذوف تقديره يقولونه والجملة من إن واسمها وخبرها فى محل نصب سدت مسد مفعولى نعلم فان التعليق إبطال العمل لفظا لامحلا كما هو مقرر (قوله فانهم لايكذبونك) الفاء للتعليل والمعنى لاتحزن من تكذيبهم لك واصبر ولاتكن فى ضيق مما يمكرون فانهم لا يكذبونك فى الباطن بل يعتقدون صدقك و إنما تكذيبهم عناد وجحود (قوله فى السر) دفع بذلك مايقال إن بين ماهنا و بين قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون تنافيا.وحاصل الجواب أن المنفى التكذيب فى السر والمثبت التكذيب فى العلانية (قوله وفى قراءة بالتخفيف) أى مع ضم الياء وسكون الكاف وهى سبعية أيضا (قوله أى لاينسبونك إلى الكذب) هذا يناسب كلا من القراءتين والمعنى لايعتقدون تكذيبك باطنا ، ولذا قال أبوجهل للنبى صلى الله عليه وسلم إنا لانكذبك ولكن نكذب الذى جئت به (قوله وضعه موضع المضمر) أى زيادة فى التقبيح والتشنيع عليهم(قوله يجحدون) الجحد الانكار مع العلم والمعنى أنهم أنكروا آيات الله مع علمهم بأن ماجاء به صدق (قوله يكذبون) أى فى العلانية (قوله فيه تسلية) أى زيادة تسلية وذلك لأن البلوى إذا عمت هانت (قوله فصبروا) الفاء سببية وصبروا معطوف على كذبت وقوله على ما كذبوا متعلق بصبروا والمعنى صبروا على تكذيبهم (قوله وأوذوا) يصح عطفه على كذبت والمعنى كذبت وأوذوا فصبروا ويصح عطفه على صبروا والمعنى كذبت رسل فصبروا وأوذوا مع حصول الصبر منهم ويصح عطفه على قوله ما كذبوا والمعنى صبروا على تكذيبهم و إيذائهم (قوله حتى أتاهم نصرنا) غاية فى الصبر والمعنى غاية صبرهم نصر الله لهم (قوله مواعيده)

(١١)

إِنَّهُ) أى الشأن (لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ) لك من التكذيب (فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ) فى السر لعلمهم أنك صادق . وفى قراءة بالتخفيف أى لا ينسبونك إلى الكذب (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ) وضعه موضع المضمر (بِآيَاتِ اللهِ) القرآن (يَجْحَدُونَ) يكذبون (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَيهُمْ نَصْرُنَا) بإهلاك قومهم فاصبر حتى يأتيك النصر بإهلاك قومك (وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ)مواعيده (وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِى الْمُرْسَلِينَ) ما يسكن به قلبك (وَإِنْ كَانَ كَبُرَ) عظم (عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ) عن الإسلام لحرصك عليهم (فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً) سربا (فِى الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً) مصعداً (فِى السَّماء ،

أى مواعيد الله بالنصر،قال تعالى ـ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ـ وقال تعالى ـ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى (قوله ولقد جاءك) اللام موطئة لقسم محذوف وجاء فعل ماض والفاعل محذوف يعلم من السياق قدره المفسر بقوله مايسكن به قلبك وقوله من نبأ المرسلين بيان للمحذوف و يحتمل أن من زائدة على مذهب الأخفش ونبأ المرسلين فاعل و يحتمل أن من اسم بمعنى بعض هى الفاعل والمعنى ولقد جاءك بعض أخبار المرسلين الذين كذبوا وأوذوا فصبروا فتسل ولاتحزن فان الله ناصرك كما نصرهم (قوله و إن كان كبر عليك إعراضهم) سبب نزولها أن الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من قريش فقالوا يامحمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الأنبياء تفعل فانا نصدقك فأبى الله أن يأتيهم بآية مما اقترحوا فأعرضوا عنه فشق ذلك عليه لما أنه شديد الحرص على إيمان قومه فكان إذا سألوه آية يود أن ينزلها الله طمعا فى إيمانهم فنزلت و إن حرف شرط وكان فعل ماض فعل الشرط واسمها ضمير الشأن وكبر فعل ماض و إعراضهم فاعله والجملة خبر كان والأقرب أن إعراضهم اسم كان مؤخر وجملة كبر خبرها مقدم وفاعل كبر ضمير يعود على إعراضهم وهو و إن كان مؤخرا لفظا إلا أنه مقدم رتبة (قوله فان استطعت) هذه الجملة شرطية وجوابها محذوف تقديره فافعل والشرط وجوابه جواب الشرط الأول والمعنى إن عظم عليك إعراضهم ولم تكتف بالمعجزات التى ظهرت على يديك فان استطعت أن تأتيهم بآية فافعل (قوله سربا) بفتحات:شق فى الأرض والنفق السرب النافذ فى الأرض ومنه النافقاء أحد أبواب جحرة اليربوع وذلك أن اليربوع يحفر فى الأرض سربا و يجعل له بابين أوثلاثة : النافقاء والقاصعاء والراهياء ثم يدقق بالحفر مايقارب وجه الأرض فاذا نابه أمر دفع تلك القشرة الدقيقة وخرج والمعنى إن شئت أن تتحيل على إتيان آية لقومك على طبق

ما اقترحوا فافعل وهذا عتاب لرسول الله على التعلق بإيمانهم وترقٍّ له إلى المقام الأكمل الذى هو التسليم (قوله فتأتيهم بآية) أى من تحت الأرض أو من فوق السماء (قوله هدايتهم) أى جمعهم على الهدى (قوله ولكن لم يشأ ذلك) هذا استثناء نقيض المقدم فينتج نقيض التالى إن كان بينهما تساو كما هنا نظير لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا وقد أشار لمعنى النتيجة بقوله فلم يؤمنوا وإلا فالنتيجة فلم يجمعهم على الهدى (قوله فلا تكوننّ من الجاهلين) أى الذين لا تسليم لهم فلا تتعب نفسك فى تطلب ما اقترحوه فإنهم لا يؤمنون (قوله إنما يستجيب الذين يسمعون) هذا من جملة التسلية لرسول الله والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فإنما يستجيب لك ويمتثل أمرك ويقبل المواعظ الذين يسمعون سماع قبول والذين لا يسمعون يبعثهم الله فيجازيهم على ما صدر منهم فللنار أهل وللجنة أهل ، فمن خلق الله فيه الهدى انتفع بالمواعظ وآمن ، ومن خلق فيه الضلال فلا تزيده المواعظ والآيات إلا ضلالا ، وهذه الآية فى الحقيقة استدراك على قوله : ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فالمعنى لم يشأ جمعهم على الهدى بل قسم الخلق قسمين : قسم للجنة وقسم للنار (قوله دعاءك إلى الإيمان) هذا هو مفعول يستجيب والسين والتاء لتأكيد الإجابة والمراد بالذين يسمعون من سبقت لهم السعادة فى الأزل فما يظهر منهم من الإيمان هو على طبق ما سبق (قوله أى الكفار) أشار بذلك إلى أن قوله والموتى مقابل قوله الذين يسمعون (قوله يبعثهم الله) أى يحييهم وقوله فى الآخرة إشارة للحشر وأن المراد بالبعث الإحياء بعد الموت وهذا هو الأقرب ، وقيل معنى يبعثهم يحيي قلوبهم بالإيمان فهو بشارة لرسول الله بأن أعداءه يؤمنون ولكن يردّه الحصر للتقدم وأيضا من آمن فهو داخل فى قوله الذين يسمعون (قوله بأعمالهم) الباء إما سببية أو بمعنى على والمراد بالأعمال الكفر والمعاصى وقوله ثم إليه يرجعون أى يوقفون للحساب والجزاء ، وأما البعث فهو الإحياء بعد الموت فتغايرا (قوله وقالوا) هذا إنكار منهم لما جاء به من المعجزات

(١٢)

فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ) مما اقترحوا فافعل ، المعنى أنك لا تستطيع ذلك فاصبر حتى يحكم الله (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) هدايتهم (لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى) ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بذلك (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ) دعاءك إلى الإيمان (الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) سماع تفهم واعتبار (وَالْمَوْتَى) أى الكفار شبههم بهم فى عدم السماع (يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) فى الآخرة (ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) يردون فيجازيهم بأعمالهم (وَقَالُوا) أى كفار مكة (لَوْلَا) هلا (نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كالناقة والعصا والمائدة (قُلْ) لهم (إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ) بالتشديد والتخفيف (آيَةً) مما اقترحوا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها (وَمَا مِنْ) زائدة (دَابَّةٍ) تمشى (فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ) فى الهواء (بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ)

فى الباهرة حيث جعلوا ما جاء به سحرا وكهانة وطلبوا غيره (قوله كالناقة والعصا) أى والنار لإبراهيم وإلانة الحديد لداود وغير ذلك من معجزات الأنبياء الظاهرة فنزلوا معجزاته صلى الله عليه وسلم منزلة العدم حتى طلبوا معجزة على صدقه ولكنهم من عمى قلوبهم لم يفرقوا بين معجزاته ومعجزات غيره فإن معجزاته أعلى وأجلّ ، قال العارف البرعى :

وإن قابلت لفظة لن ترانى ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى ... وقال أيضا : وإن يك خاطب الأموات عيسى * فإنّ الجذع حنّ له وأنّا ... إلى آخر ما قال

(قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أن نزولها الخ) هذه الجملة فى محل نصب مفعول يعلمون (قوله بلاء عليهم) أى لعدم إيمانهم وانتفاعهم بها (قوله لوجوب هلاكهم) أى بحسب جرى عادة الله بأن من اقترح آية وجاءته ولم يؤمن بها أهلكه الله فعدم إجابتهم لما اقترحوا رحمة بالأمة المحمدية جميعا لأن الله منّ على نبيه ببقائها إلى يوم القيامة ولو أجاب المتعنتين بعين ما طلبوا لانقرضت الأمة كما انقرض من تعنت قبلهم (قوله وما من دابة) كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته تعالى وسعة علمه وتدبيره (قوله تمشى) قدره خاصا لدلالة مقابله وهو قوله يطير عليه ، قال العلماء جميع ما خلقه الله عز وجل لا يخرج عن المشى والطيران وألحقوا حيوان البحر بالطير لأنه يسبح فى الماء كما أن الطير يسبح فى الهواء (قوله فى الأرض) خصها بالذكر لأن المشاهد أقطع لحجة الخصم وإلا فسكان السماء كذلك (قوله بجناحيه) صفة كاشفة نظير قوله : نظرت بعينى وسمعت بأذنى (قوله إلا أمم) أى طوائف وجماعات أمثالكم أى كل

نوع على صفة وطريقة وشكل كما أنكم كذلك فمن الدواب العزيز والذليل والمرزوق بسهولة و بتعب والقوىّ والضعيف والكبير والصغير والمتحيل فى الرزق وغير التحيل كبنى آدم (قوله فى تدبير خلقها) أى وتصريفه فيها فى كل لحظة بجلب المنافع لها ودفع المضار عنها ولطفه بها فلا يشغله شأن عن شأن ، قال تعالى ـ ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ـ (قوله وأحوالها) أى من إحيائها و إماتتها و إعزازها و إذلالها ونحو ذلك وكذلك تعرف ربها وتوحده كما أنتم تعرفون ربكم وتوحدونه ولم يوجد كافر إلا من الجنّ والآدميين و إلا فجميع المخلوقات عقلاء وغيرهم مجبولون على التوحيد قال تعالى ـ وإن من شىء إلا يسبح بحمده ـ و إنما كفر من كفر من الجن والإنس عنادا (قوله اللوح المحفوظ) أى من الشيطان ومن التغيير والتبديل، وهو من درة بيضاء فوق السماء السابعة طوله مابين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب فحيث أريد بالكتاب اللوح المحفوظ فالعموم ظاهر فان فيه تبيان كل شىء ما كان وما يكون وماهو كائن ، وقيل المراد بالكتاب القرآن وعليه فالمراد بقوله مافرطنا فى الكتاب من شىء أى يحتاج إليه الخلق فى أمورهم (قوله ثم إلى ربهم يحشرون) أى يجمعون وهذا بيان لأحوالهم فى الآخرة إثر بيان أحوالهم فى الدنيا (قوله فيقضى بينهم) أى الأمم عقلاء أو غيرهم (قوله للجماء) أى وهى معدومة القرون وهذا كله لاظهار العدل فحيث لم يترك غيرالعقلاء فكيف بالعقلاء فلابدّ من الحشر والحساب والجزاء إما بالعدل و إما بالفضل (قوله والذين كذبوا بآياتنا) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (قوله فى الظلمات) هو معنى قوله فى الآية الأخرى عمى ، فهم صم القلوب عميها بكمها فلايتأتى منهم انتفاع (١٣) ولااعتبار ولايصل إليهم نور أبدا (قوله الكفر) أى فهو ظلمات معنوية فمثل الكافر كمثل رجل أعمى أصم أبكم فى ظلمات فلايهتدى إلى مقصوده كما أن الكافر كذلك (قوله من يشأ الله يضلله) هذا دليل لما قبله ومفعول يشأ فى كلّ محذوف قدره المفسر بقوله إضلاله و بقوله هدايته والمعنى أن الاضلال

فى تدبير خلقها ورزقها وأحوالها (مَا فَرَّطْنَا) تركنا (فِي الْكِتَابِ) اللوح المحفوظ (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) فلم نكتبه (ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) فيقضى بينهم و يقتص للجماء من القرناء ثم يقول لهم كونوا ترابا (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (صُمٌّ) عن سماعها سماع قبول (وَبُكْمٌ) عن النطق بالحق (فِي الظُّلُمَاتِ) الكفر (مَنْ يَشَإِ اللَّهُ) إضلاله (يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ) هدايته (يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) دين الاسلام (قُلْ) يامحمد لأهل مكة (أَرَأَيْتَكُمْ) أخبرونى (إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ) فى الدنيا (أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ) القيامة المشتملة عليه بغتة (أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ) لا (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أن الأصنام تنفعكم فادعوها

والاهتداء بتقدير الله فمن أراد الله هدايته سهل له أسبابها وجعله منهمكا فى طاعته و إن وقعت منه معصية وفق للتوبة منها ومن أراد الله إضلاله حجبه عن نوره وتعسرت عليه أسباب الطاعة حتى لو وقعت منه طاعة تكون معلولة غير مقبولة وما فى هذه الآية هو معنى قوله تعالى فى الآية الأخرى ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ـ الآية (قوله قل يامحمد) أى على سبيل التخويف والتوبيخ على الكفر بالله (قوله أخبرونى) هكذا فسرت الرؤية فى هذه الآية ونظائرها بالاخبار والأصل فى الرؤية العلم أوالابصار فأطلق العلم أو الابصار وأريد لازمه وهوالاخبار لأن الانسان لايخبر إلا بما علمه أوأبصره واستعملت الهمزة التى هى فى الأصل لطلب العلم أو الابصار فى طلب الاخبار ففيه مجازان ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مفعول أوّل على حذف مضاف والجملة الاستفهامية فى محل المفعول الثانى والتقدير أرأيتم عبادتكم غير الله هل تنفعكم ، والمعنى أخبرونى يا أهل مكة إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة بسرعة أتدعون إلها غير الله يكشف عنكم مانزل بكم وجواب الاستفهام لايدعون غير الله فاذا كان كذلك فهو أحق بأن يفرد بالعبادة (قوله إن أتاكم) جواب الشرط محذوف تقديره فمن تدعون (قوله فى الدنيا) أى كالصاعقة والصيحة (قوله المشتملة عليه) أى على العذاب لأن الكافر لايشاهد من حين موته إلا العذاب الدائم وأسهله خروج الروح (قوله بغتة) أى سرعة (قوله أغير الله تدعون) الهمزة للاستفهام الانكارى وغير معمول لتدعون وهو صفة لموصوف محذوف والتقدير أتدعون إلها غير الله (قوله فادعوها) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف .

(بَـــلْ إِيَّاهُ) لا غيره (تَدْعُونَ) فى الشدائد (فَيَكْشِفُ مَاتَدْعُونَ إِلَيْهِ) أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه (إِنْ شَاءَ) كشفه (وَتَنْسَوْنَ) تتركون (مَاتُشْرِكُونَ) معه من الأصنام فلا تدعونه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ) زائدة (قَبْلِكَ) رسلا فكذبوهم (فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ) شدة الفقر (وَالضَّرَّاءِ) المرض (لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) يتذللون فيؤمنون (فَلَوْلَا) فهلا (إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا) عذابنا (تَضَرَّعُوا) أى لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضى له (وَلَـٰكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) فلم تلن للايمان (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من المعاصى فأصروا عليها (فَلَمَّا نَسُوا) تركوا (مَا ذُكِّرُوا) وُعظوا وخوفوا (بِهِ) من البأساء والضراء فلم يتعظوا (فَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) من النعم استدراجا لهم (حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) فرح بطر (أَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (بَغْتَةً) فجأة (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أى آخرهم بأن استؤصلوا (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصر الرسل و إهلاك الكافرين (قُلْ) لأهل مكة (أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ) أصمكم (وَأَبْصَارَكُمْ) أعماكم (وَخَتَمَ) طبع (عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ) فلا تعرفون شيئا (مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) بما أخذه منكم، بزعمكم

(قوله بل إياه) إضراب انتقالى عن النفى الذى علم من الاستفهام (قوله فى الشدائد) أى كالمرض والفقر وغير ذلك (قوله إن شاء) جوابه محذوف لفهم المعنى ودلالة ماقبله عليه أى إن شاء أن يكشفه كشفه و إن لم يشأ كشفه فلا يكشفه فليست إجابة الدعاء وعدا لايخلف وهذا مخصوص بدعاء الكفار، وأما دعاء المؤمنين فهو مجاب بالوعد الذى لايخلف لكن على مايريد الله إما بعين المطلوب أو بغيره فلامنافاة بين ماهنا و بين قوله تعالى: ادعونى أستجب لكم (قوله وتنسون ماتشركون) أى حين نزول الشدائد بهم لايلتفتون إلى أصنامهم بل لايدعون إلا الله (قوله ولقد أرسلنا) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فكذبوهم) قدّره إشارة إلى أن قوله فأخذناهم مرتب على محذوف (قوله يتضرّعون) من التضرّع وهو التذلل والخضوع (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض (قوله أى لم يفعلوا ذلك) أى التضرّع وأشار بذلك إلى أن التحضيض بمعنى النفى (قوله مع قيام المقتضى له) أى وهو البأساء والضرّاء (قوله ولكن قست قلوبهم) أى لم يقع منهم تضرّع ولاخضوع بل ظهر منهم خلاف ذلك بسبب قسوة قلوبهم (قوله فلم تلن للايمان) أشار بذلك إلى أن القسوة نشأ عنها الكفر كما أن التضرّع ينشأ (١٤) عنه الايمان (قوله وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) أى الذى كانوا يعملونه أوعملهم (قوله فأصرّوا عليها) أى على المعاصى ولم يتعظوا بما نزل بهم من البأساء والضرّاء (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حتى إذا فرحوا) غاية للفتح، والمعنى أن من خالف أمر الله وطغى يستدرجه الله بالنعم ويمدّه بالعطايا الدنيوية فاذا فرح بذلك كان عاقبة أمره أخذه أخذ عزيز مقتدر (قوله فاذا هم مبلسون) إذا فجائية أى فاجأهم الابلاس بمعنى اليأس من كل خير (قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا) الدابر التابع من خلف، يقال دبر الولد والده ودبر فلان القوم: تبعهم، فمعنى دابرهم آخرهم وهو كناية عن الاستئصال فلذلك قال بأن استؤصلوا أى فلم يبق منهم أحد (قوله والحمد لله رب العالمين) هذا حمد من الله لنفسه على هلاك الكفار ونصر الرسل وفيه تعليم للمؤمنين أنهم يشكرون الله على ذلك إذ هو نعمة عظيمة (قوله قل أرأيتم) هذا نزل من الله سبحانه وتعالى لكفار مكة لاقامة الحجة عليهم قبل أخذهم (قوله أخبرونى) تقدم أن استعمال رأى فى الاخبار مجاز وأصل استعمالها فى العلم أوفى الابصار وتقدم أنها تطلب مفعولين: الأول محذوف لدلالة مفعول أخذ وهو سمعكم وأبصاركم عليه فهو من باب التنازع أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف لأنه فضلة، والمفعول الثانى هو قوله من إله غير الله الخ (قوله سمعكم) أفرده وجمع مابعده لأن السمع مصدر لايثنى ولايجمع كما تقدم فى البقرة (قوله وختم على قلوبكم) المراد بالقلوب العقول، أى أذهب عقولكم وصيركم كالبهائم فلاتعقلون شيئا (قوله بما أخذه) أشار بذلك إلى أنه أفرد باعتبار ماذكر، والمعنى من إله غير الله بزعمكم يأتيكم بأىّ واحد مما أخذ منكم؟

(قوله بزعمكم) متعلق بقوله من إله غير الله فالمناسب تقديمه (قوله انظر كيف نصرّف الآيات) هذا تعجيب لرسول الله من عدم اعتبارهم بتلك الآيات الباهرة وكيف منصوب على التشبيه بالحال . والمعنى انظر يامحمد تصريفنا الآيات على أى كيفية (قوله أرأيتكم) أى أخبرونى والمفعول الأوّل الكاف على حذف مضاف أى أنفسكم والمفعول الثانى جملة الاستفهام (قوله عذاب الله) أى كالصيحة والصواعق (قوله ليلا أونهارا) لف ونشر مرتب وهذا التفسير لابن عباس ، وقيل البغتة الذى يأتى من غير سبق علامة والجهر الذى يأتى مع سبق علامة كان كل بالليل أو بالنهار (قوله الكافرون) أشار بذلك إلى أن المراد هلاك سخط وغضب فاندفع مايقال إن المصيبة إذا أتت فلاتخص الكافر بل تعم الطائع . فالجواب أن هلاك الكفار سخط وغضب وهلاك المؤمن إثابة ورفع درجات والاستثناء مفرغ والاستفهام إنكارى بمعنى النفى كما أشار له المفسر (قوله ومانرسل المرسلين) هذا بيان لوظائف المرسلين ، والمعنى أن المرسلين منصبهم البشارة لمن آمن والنذارة لمن كفر وليسوا قادرين على إيجاد نفع أوضرّ و إنما جعلهم الله سببا لذلك (قوله فى الآخرة) احتراس لبيان أن عدم الخوف والحزن هو فى الآخرة فقط وأما الدنيا فهى محل الخوف والحزن لأنها سجن المؤمن (قوله والذين كذبوا) مقابل قوله فمن آمن كأنه قال فالذين آمنوا وأصلحوا الخ وهذا يؤيد أن من موصولة (قوله بما كانوا يفسقون) الباء سببية ومامصدرية أى بسبب فسقهم . والفسق الخروج عن الطاعة كلا أو بعضا فالكافر فاسق لخروجه عن طاعة الله بالكلية (قوله قل لاأقول لكم) هذا مرتب على قوله : ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ، كأنه قال ليس على الرسول إلا البشارة والنذارة وليس من وظيفته إجابتهم عما سألوه عنه ولافعل ماطلبوه منه لأنه ليس عنده خزائن الله الخ (قوله خزائن الله) أى لاأدّعى أن مقدورات الله من أرزاق وغيرها مفوّضة إلىّ حتى تطلبوا منى قلب الجبال ذهبا وغير ذلك (قوله ولاأعلم الغيب) أى ماغاب عنى من أفعال الله حتى تسألونى عن وقت الساعة أووقت نزول العذاب (قوله ولاأقول لكم إنى ملك) أى حتى تكلفونى بصفات الملائكة كالصعود للسماء وعدم المشى فى الأسواق وعدم الأكل والشرب ، وهذه الآية نزلت حين قالوا له : إن كنت رسولا فاطلب منه أن يوسع علينا ويغنى فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله لابيده بقوله: قل لاأقول لكم عندى خزائن الله ، وقالوا له أيضا : أخبرنا بمصالحنا ومضارّنا فى المستقبل حتى نتهيأ لذلك فتحصل المصالح وتدفع المضارّ فقال لهم ولاأعلم الغيب فأخبركم بما تريدون وقالوا له : مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويتزوّج النساء ؟ فقال لهم ولا أقول لكم إنى ملك (قوله أفلا تتفكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير ألاتسمعون الحق فلاتتفكرون (قوله فتؤمنون) معطوف على تتفكرون وليس جوابا للنفى و إلا لنصب (قوله وأنذر به الذين يخافون) محط الأمر قوله لعلهم يتقون ، والمعنى أن إنذارك لاينفع إلا المؤمن العاصى الخائف ، وأما الكافر المعاند فلا ينفع فيه الإنذار فلا ينافى أنه مأمور بإنذار كل مخالف أفاد الإنذار أولا و إنما ذلك بيان للذين ينفع فيهم الانذار (قوله والمراد بهم) أى بالذين يخافون (قوله ولا تطرد الذين يدعون) أى لاتبعدهم عن مجلسك ولاعن القرب منك (قوله يدعون) أى يعبدون .

(١٥)

بزعمكم (انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ) نبين (الْآيَاتِ) الدلالات على وحدانيتنا (ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) يعرضون عنها فلا يؤمنون (قُلْ) لهم (أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً) ليلا أو نهارا (هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ) الكافرون ، أى ما يهلك إلا هم (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) من آمن بالجنة (وَمُنْذِرِينَ) من كفر بالنار (فَمَنْ آمَنَ) بهم (وَأَصْلَحَ) عمله (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) يخرجون عن الطاعة (قُلْ) لهم (لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ) التى منها يرزق (وَلَا) إنى (أَعْلَمُ الْغَيْبَ) ماغاب عنى ولم يوح إلىّ (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) من الملائكة (إِنْ) ما (أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى) الكافر (وَالْبَصِيرُ) المؤمن ؟ لا (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) فى ذلك فتؤمنون (وَأَنْذِرْ) خوّف (بِهِ) أى بالقرآن (الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (وَلِيٌّ) ينصرهم (وَلَا شَفِيعٌ) يشفع لهم وجملة النفى حال من ضمير يحشروا وهى محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الله بإقلاعهم عماهم فيه وعمل الطاعات (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ ،

(قوله بالغداة والعشى) خص هذين الوقتين لأن فى الأول صلاة الصبح وفى الثانى صلاة العصر وقد قيل إن كلا هى الصلاة الوسطى (قوله لاشيئا) مفعول لمحذوف تقديره لايريدون شيئا (قوله من أعراض الدنيا) يصح ضبطه بالعين المهملة و بالغين المعجمة والثانى أولى لشموله للأموال وغيرها (قوله وهم الفقراء) أى كعمار بن ياسر و بلال وصهيب (قوله وكان المشركون طعنوا فيهم) هذا إشارة لسبب نزولها . وحاصله كما قال الخازن أنه جاء الأقرع بن حابس التيمى وعتبة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس وهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين كعمار بن ياسر وصهيب و بلال فلما رأوهم حوله حقروهم وقالوا يارسول الله لوجلست فى صدر المسجد وأبعدت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم وكانت عليهم جبب من صوف لها رائحة كريهة لمداومة لبسها لعدم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبى ماأنا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فانّ وفود العرب تأتيك فنستحى أن ترانا مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت قال نعم ، قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا فأتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب فنزل جبريل بقوله : ولاتطرد الذين يدعون ربهم الخ فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة ثم دعانا وهو يقول : سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ، فكنا نقعد معه و إذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله : واصبر نفسك الآية فكان يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم اهـ (قوله ماعليك من حسابهم من شىء) هذا كالتعليل لما قبله ، والمعنى لاتؤاخذ بذنوبهم ولا بمافى قلوبهم إن أرادوا بصحبتك غير وجه الله وهذا على فرض تسليم ما قاله المشركون و إلافقد شهد الله أوّلا لهم بالاخلاص وماأنافية مهملة وعليك جار ومجرور خبر مقدم وشىء مبتدأ مؤخر ومن صلة ومن حسابهم متعلق بمحذوف حال

(١٦)

بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وَجْهَهُ) تعالى لاشيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء ، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك طمعاً فى إسلامهم (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ) زائدة (شَىْءٍ) إن كان باطنهم غير مرضى (وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ) جواب النفى (فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) إن فعلت ذلك (وَكَذَلِكَ فَتَنَّا) ابتلينا (بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) أى الشريف بالوضيع والغنى بالفقير بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان (لِيَقُولُوا) أى الشرفاء والأغنياء منكرين (أَهَؤُلَاءِ) الفقراء (مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا) بالهداية أى لو كان ماهم عليه هدى ما سبقونا إليه ، قال تعالى (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ) له فيهديهم بلى (وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ) لهم (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ

وهذا نظير قوله فى الآية الأخرى : ولاتزر وازرة وزر أخرى . (قوله وما من حسابك عليهم من شىء) يقال فى إعرابها ماقيل فيما قبلها إلا أن قوله من حسابك بيان لقوله من شىء وليس حالا وفى هاتين الجملتين من أنواع البديع ردّ الصدر على العجز كقولهم ، عادات السادات سادات العادات ، والتتميم و الإفاصل التعليل قد حصل بالجملة الأولى (قوله جواب النفى) أى المرتب على النهى وقوله فتكون معطوفا على قوله فتطردهم (قوله إن فعلت ذلك) أى طردهم (قوله وكذلك) الكاف فى محل نصب نعت لمصدر محذوف ، والتقدير ومثل ذلك الفتون المتقدم من أخبار الأمم الماضية فتنا بعض هذه الأمة ببعض (قوله والغنى بالفقير) أى ففتنة الغنى بالفقير لسبق الفقير إلى الايمان وفتنة الفقير بالغنى زينة الدنيا التى يتمتع فيها مع كفره (قوله بأن قدمناه بالسبق إلى الايمان) بيان لفتنة الأغنياء بالفقراء (قوله ليقولوا) اللام يصح أن تكون لام كى أولام الصيرورة والعاقبة (قوله منكرين) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى على سبيل التهكم (قوله قال تعالى) أى ردّا عليهم (قوله بلى) جواب الاستفهام التقريرى (قوله و إذا جاءك هذا من تتمة مانزل فى الفقراء (قوله الذين يؤمنون) وصفهم أوّلا بالعبادة وثانيا بالايمان إظهارا لمزاياهم (قوله فقل سلام عليكم الخ) أى اذكر لهم هذه الآية إلى قوله : غفور رحيم فى وقت مجيئهم إليك ، وهذا السلام يحتمل أنه سلام التحية أمر أن يبدأهم به إذا قدموا عليه خصوصية لهم و إلافسنة السلام أن تكون أولا من القادم وعليه فتكون الجملة إنشائية ، ويحتمل أنه سلام الله عليهم إكراما لهم أمر بتبليغه لهم وعليه فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى وسلام مبتدأ وعليكم خبره وسوّغ الابتداء بالنكرة كونه دعاء والدعاء من المسوغات .

(قوله كتب ربكم) أى ألزم نفسه تفضلا منه وإحسانا (قوله وفى قراءة بالفتح) أى وهى سبعية أيضا. والحاصل أن القراآت ثلاث فتحهما وكسرهما وفتح الأولى وكسر الثانية وكلها سبعية، فأما الفتح فيهما فالأولى بدل من الرحمة والثانية فى محل رفع مبتدأ والخبر محذوف: أى فغفرانه ورحمته حاصلان له، وأما الكسر فيهما فالأولى مستأنفة جىء بها كالتفسير لما قبلها والثانية مستأنفة أيضا بمعنى أنها فى صدر جملة وقعت خبرا لمن الموصولة، وأما على فتح الأولى وكسر الثانية فالأولى بدل والثانية استئناف فتأمل فانه زبدة احتمالات كثيرة (قوله بدل من الرحمة) أى بدل شىء من شىء (قوله بجهالة) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل عمل، والتقدير عمل سوءا حال كونه جاهلا بما يترتب على معاصيه من العقاب غافلا عن جلال الله، وفيه إشارة إلى أن المؤمن لا يقع منه الذنب إلا فى حال جهله وغفلته، وهذه الآية لا تخص الفقراء الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم بل هى عامة لكل من تاب إلى يوم القيامة ولعموم بشارتها افتتح بها أبو الحسن الشاذلى حزبه (قوله ولتستبين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليظهر الحق فطريق الهدى واضحة وطريق الضلال واضحة لما فى الحديث «تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها لا يضل عنها إلا هالك» (قوله وفى قراءة بالتحتانية) أى ورفع سبيل فالقراآت ثلاث وكلها سبعية ففى الفوقانية الرفع والنصب وفى التحتانية الرفع لا غير (قوله خطاب للنبى) أى والمعنى لتعلم سبيلهم فتعاملهم بما يليق بهم (قوله قل إنى نهيت) هذا أمر من الله لنبيه أن يخاطب الكفار الذين طمعوا فى دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم ويرد عليهم بذلك (قوله نهيت) أى نهانى ربى بواسطة الدليل العقلى والسمعى لدلالة كل منهما على أن الله واحد لا شريك له متصف بكل كمال مستحيل عليه كل نقص (قوله تعبدون) هذا أحد إطلاقات الدعاء

(١٧)

(كَتَبَ) قضى (رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ) أى الشأن، وفى قراءة بالفتح بدل من الرحمة (مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ) منه حيث ارتكبه (ثُمَّ تَابَ) رجع (مِنْ بَعْدِهِ) بعد عمله عنه (وَأَصْلَحَ) عمله (فَإِنَّهُ) أى الله (غَفُورٌ) له (رَحِيمٌ) به، وفى قراءة بالفتح أى فالمغفرة له (وَكَذَلِكَ) كما بينا ما ذكر (نُفَصِّلُ) نبين (الْآيَاتِ) القرآن ليظهر الحق فيعمل به (وَلِتَسْتَبِينَ) تظهر (سَبِيلُ) طريق (الْمُجْرِمِينَ) فتجتنب، وفى قراءة بالتحتانية وفى أخرى بالفوقانية، ونصب سبيل خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ، قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ) فى عبادتها (قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا) إن اتبعتها (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ. قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّي، وَ) قد (كَذَّبْتُمْ بِهِ) بربى حيث أشركتم (مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) من العذاب (إِنِ) ما (الْحُكْمُ) فى ذلك وغيره (إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي) القضاء (الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ) الحاكمين وفى قراءة يقص أى يقول (قُلْ) لهم (لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ)

وبه فسر فى غالب القرآن لأنه يشمل الطلب وغيره (قوله قل لا أتبع أهواءكم) جمع هوى سمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه إلى المهالك وهذه الجملة تأكيد لما قبلها (قوله إذا) حرف جواب وجزاء ولا عمل لها لعدم وجود فعل تعمل فيه (قوله إن اتبعتها) أى الأهواء وهو بيان لمعنى إذا (قوله وما أنا من المهتدين) تأكيد لما قبلها (قوله قل إنى على بينة) هذا زيادة فى قطع طمعهم الفاسد والمعنى لا تطمعوا فى دخولى دينكم لأنى على بينة من ربى ومن كان كذلك كيف يخدع ويتبع الضلال، وهذا نظير قوله تعالى ـ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ـ (قوله بيان) أى دليل واضح (قوله وكذبتم به) أى بوحدانيته والجملة حالية ويشير لذلك تقدير المفسر قد (قوله ما عندى ما تستعجلون به) ما الأولى نافية والثانية موصولة وقوله من العذاب بيان لما الثانية، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون به استهزاء كما فى آية الأنفال ـ وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك ـ الآية (قوله يقضى الحق) قدر المفسر القضاء إشارة إلى أنه منصوب على أنه صفة لمصدر محذوف، ويحتمل أنه ضمنه معنى ينفذ فعداه إلى المفعول به ويحتمل أنه منصوب بنزع الخافض: أى بالحق (قوله وفى قراءة يقص الحق) من قص الأثر: تتبعه، وقص الحديث: قاله (قوله لو أن عندى) أى لو كان الأمر مفوضا إلى (قوله ما تستعجلون به) أى من العذاب (قوله بأن أعجله) بيان لقوله لقضى الأمر والضمير عائد على ما تستعجلون

(قوله متى يعاقبهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين ، والتقدير والله أعلم بوقت عقوبة الظالمين فلا يستعجلوا ذلك فانه لاحق بهم إن لم يتوبوا و إنما تأخيره من حلم الله عليهم فلولا حلمه مابقى أحد ، قال تعالى ـ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ـ فمن القبيح قول بعض العامة: حلم الله يفتت الكبود . إن قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمر مفوّضا له فى تعذيبهم لعجله واستراح ، ومقتضى ماورد من إتيان ملك الجبال يستشيره فى أنه يطبق عليهم الأخشبين أنه لم يرض وقال « أرجو أن يخرج من ذرّيتهم من يؤمن بالله » فحصل التنافى . أجيب بأن ما فى الآية بالنظر لأصل البشرية لأن البشر يتأثر بالضرّ والنفع، وما فى الحديث إنما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم بها ، قال تعالى ـ فبما رحمة من الله لنت لهم ـ فرجع الأمر لله فتدبر (قوله وعنده مفاتح الغيب) لما بين سبحانه وتعالى أوّلا أنه منفرد بإيجاد كل شىء خيرا كان أو شرا بقوله ـ إن الحكم إلا لله ـ الآية بين ثانيا أنه منفرد بعلم الغيب بقوله ـ وعنده مفاتح الغيب ـ فهو كالدليل لما قبله كأنه قال العذاب والرحمة بقدرة الله ولايعلم وقت مجىء ذلك إلا الله لأن عنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو وعنده خبر مقدّم ومفاتح الغيب مبتدأ مؤخر وتقديم الظرف يؤذن بالحصر وهو منصب على الجميع فلا ينافى أن بعض الأنبياء والأولياء يطلعه الله على بعض الغيبات الحادثة . قال تعالى ـ عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ـ وأما من قال إن نبينا أو غيره أحاط بالمغيبات علما كما أحاط علم الله بها فقد كفر (قوله خزائنه) أشار بذلك إلى أن مفاتح جمع مفتح بفتح فسكون كمخزن وزنا ومعنى:العلوم المخزونة ، وقوله أو الطرق : أى فهو جمع مفتح بكسر ففتح بمعنى الطرق التى توصل إلى تلك العلوم المخزونة الغيبية (قوله لايعلمها) أى الخزائن أو الطرق تفصيلا إلا هو ، وأما علمنا فيها فهو على سبيل الاجمال وهو تأكيد لما علم من تقديم الظرف (قوله علم الساعة) أى وقت مجيئها وتفصيل ما يحصل فيها (قوله الآية) أى وهى و ينزل الغيث : أى المطر : أى لا يعلم وقت مجيئه وعدد قطراته ونفع الناس به إلا الله ـ ويعلم مافى الأرحام ـ أى من كونه ذكرا أو أنثى شقيا أو سعيدا يعيش أو يموت ـ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ـ أى لاتعلم نفس مايعرض لها فى المستقبل من خير أوشر وغير ذلك من الأحوال التى تطرأ على الأنفس . قال الشاعر :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ... ولكننى عن علم مافى غد عمى

ـ وما تدرى نفس بأىّ أرض تموت ـ أى بأى محل يكون قبض روحها فيه أو دفنها فيه ـ إن الله عليم خبير ـ ببواطن الأشياء كظواهرها وهذا التفسير لابن عباس .وقال الضحاك ومقاتل : مفاتح الغيب خزائنه الخفية فى الأرض، والأقرب والأتم أن المراد بمفاتح الغيب الأمور المغيبة الخفية جميعها كانت الخمسة أوغيرها (قوله مايحدث فى البر) أى من خير وشر (قوله القرى التى على الأنهار) أى فيعلم رزق أهلها وعددهم وغيرذلك ، وقال جمهور المفسرين : المراد البر والبحر المعروفان لأن جميع الأرض إما بر أو بحر وفى كل عوالم وعجائب وسعها علمه وقدرته (قوله وما تسقط من ورقة) أى من الشجر إلا يعلمها : أى يعلم وقت سقوطها والأرض التى تسقط عليها (قوله ولاحبة فى ظلمات الأرض) أى وهى التى يضعها الزارع للنبات فيعلم موضعها وهل تنبت أولا ، وقيل المراد بالحبة التى فى الصخرة التى فى الأرض التى قال فيها الله ـ يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله ـ وكل صحيح (قوله ولارطب ولايابس) عطف عام لأن جميع الأشياء إما رطبة أو يابسة . فان قلت إن جميع هذه الأشياء داخل تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفردها بالذكر؟ أجيب بأنه من التفصيل بعد الاجمال وقدّم ذكر البر والبحر لما فيهما من جنس العجائب ثم الورقة لأنه يراها كل أحد لكن لايعلم عددها إلا الله ، ثم ماهو أضعف من الورقة وهو الحبة ثم ذكر مثالا يجمع الكل وهو الرطب واليابس (قوله عطف على ورقة) أى الثلاثة معطوفة على ورقة لكن لا يناسب تسليط السقوط عليها فيضمن السقوط بالنسبة للحبة والرطب واليابس معنى الثبوت (قوله بدل اشتمال من الاستثناء قبله) أى وهو قوله إلايعلمها وذلك لأن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح فذات الله وصفاته أحاط بها

متى يعاقبهم (وَعِنْدَهُ) تعالى (مَفَاتِحُ الْغَيْبِ) خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه (لاَ يَعْلَمُهَا إلاَّ هُوَ) وهى الخمسة التى فى قوله: إن الله عنده علم الساعة الآية كما رواه البخارى (وَيَعْلَمُ مَا) يحدث (فِي الْبَرِّ) القفار (وَالْبَحْرِ) القرى التى على الأنهار (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ) زائدة (وَرَقَةٍ إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ) عطف على ورقة (إلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ) يقبض

العلم لا اللوح والكائنات ومايتعلق بها أحاط بها اللوح والعلم ، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح كما أفاده المفسر وإن أريد بالكتاب علم الله يكون بدل كلّ من كل لزيادة التأكيد والايضاح (قوله يقبض أرواحكم) ماذكره المفسر بناء على أن الانسان له روحان روح تقبض بالنوم وتبقى روح الحياة فاذا أراد الله موته قبضهما جميعا وعليه جملة من المفسرين و يشهد له آية الزمر قال تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها ـ الآية ويقرّب هذا أحوال الأولياء لأن لهم حالة تسرح فيها أرواحهم وترى العجائب كالنائم والمشهور أنها روح واحدة ويكون معنى يتوفاكم يذهب شعوركم لأنهم عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك (قوله ويعلم ماجرحتم بالنهار) أى لأنه الخالق للأفعال والحركات والسكنات فهو المغير للأشياء ولا يتغير ، قال العارف :

ولى فى خيال الظل أكبر عبرة ... لمن كان فى بحر الحقيقة راقى

شخوص وأشكال تمرّ وتنقضى ... فتفنى جميعا والمحرّك باقى

(قوله ثم يبعثكم) ثم فى كلّ للترتيب الرتبى لأن بعد النوم البعث بالايقاظ إلى انقضاء الأجل ثم بعده البعث بالاحياء من القبور ثم الاخبار بما وقع من العباد (قوله ليقضى أجل) الجمهور على بناء يقضى للمجهول وأجل نائب فاعل والفاعل محذوف إما عائد على الله أوعلى الشخص ومعنى قضاء الشخص أجله استيفاؤه إياه وقرئ بالبناء للفاعل وأجلا مفعوله والفاعل مستتر عائد على الله (قوله فيجازيكم به) أى إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله وهو القاهر) أى المستعلى الغالب على أمره الحاكم فلامعقب لحكمه يعطى و يمنع ويصل و يقطع و يضرّ و ينفع فلاراد لما قضى ولاملجأ منه إلا إليه فهو المتصرف فى خلقه بجميع أنواع التصرفات من إيجاد و إعدام و إعزاز و إذلال وغير ذلك (قوله فوق عباده) أى فوقية مكانة أى شرف، ورفعة وعلوّ

يقبض أرواحكم عند النوم (وَيَعْلَمُ مَاجَرَحْتُمْ) كسبتم (بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) أى النهار بردّ أرواحكم (لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى) هو أجل الحياة (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) بالبعث (ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (وَهُوَ الْقَاهِرُ) مستعليا (فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) ملائكة تحصى أعمالكم (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ) وفى قراءة توفاه (رُسُلُنَا) الملائكة الموكّلون بقبض الأرواح ،

قدر نليق به لافوقية مكان لاستحالة اتصافه به (قوله ويرسل) معطوف على صلة أل كأنه قال زهو الذى يقهر ويرسل وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى (قوله ملائكة تحصى أعمالكم) أى من خير وشر لما ورد «إن كل إنسان له ملكان ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالا و إذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها فان لم يتب منها كتبها صاحب الشمال» . قال العلماء : يؤخر ست ساعات فلكية فان تاب فيها لم تكتب هكذا قال المفسر ، وقيل المراد بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار ، وقيل المراد ماهو أعم وهو الأتمّ . إن قلت إن الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص ؟. أجيب بأن ذلك تكرمة لبنى آدم و إظهار لفضلهم ، والحكمة فى كون الملائكة تكتب على الشخص ماصدر منه أنه إذا علم ذلك ربما كان ذلك داعيا للخوف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصى (قوله حتى إذا جاء) حتى ابتدائية والمعنى ينتهى حفظ الملائكة للأشخاص عند فراغ الأجل ، فالملائكة مأمورون بحفظ ابن آدم مادام حيا فاذا فرغ أجله فقد انتهى حفظهم له (قوله الموت) أى أسبابه (قوله وفى قراءة توفاه) أى بالإمالة المحضة وهى ما كانت للكسر أقرب وهو إما ماض وحذفت التاء لأنه مجازى التأنيث أو مضارع ويكون فيه حذف إحدى التاءين (قوله رسلنا) أى أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الأرواح إن قلت قال تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها ـ وقال فى الآية الأخرى ـ قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ـ فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه الآية ؟. أجيب بأن الله هو المتوفى حقيقة فاذا حضر أجل العبد اشتغلت أعوان ملك الموت بانتزاعها من الجسد فاذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده فهو القابض لجميع الأرواح . إن قلت ورد فى بعض الأحاديث «وتولّ قبض أرواحنا عند الأجل بيدك». أجيب بأن معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن إحساسه فلا يشاهد ملك الموت حين قبض الروح و إن كان هو القابض لها وذلك فى أهل محبة الله ومن يموت شهيد حرب أو غريقا أو حريقا ونحوهم .

(قوله وهم لايفرطون) هذه الجملة حالية من رسلنا أى والحال أنهم لايقصرون فى ذلك . فقد ورد « مامن أهل بيت شعر ولا مدر إلا وملك الموت يطوف بهم مرتين » . وورد أن الدنيا كلها بين ركبتى ملك الموت وجميع الخلائق بين عينيه ويداه يبلغان المشرق والمغرب ، وكل من نفد أجله يعرفه بسقوط صحيفته من تحت العرش عليها اسمه فعند ذلك يبعث أعوانه من الملائكة و يتصرفون بحسب ذلك . وورد أن ملك الموت يقبض الروح من الجسد و يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمنا ، أو إلى ملائكة العذاب إن كان كافرا ، و يقال معه سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب ، فاذا قبض نفسا مؤمنة دفعها إلى ملائكة الرحمة فيبشرونها بالثواب ويصعدون بها إلى السماء ، و إذا قبض نفسا كافرة دفعها إلى ملائكة العذاب فيبشرونها بالعذاب و يفزعونها ثم يصعدون بها إلى السماء ثم تردّ إلى سجين ، وروح المؤمن إلى عليين (قوله ثم ردّوا) معطوف على توفته وأفرد أوّلا لأن التوفى يكون لكل شخص على حدة وجمع ثانيا لأن الردّ يكون للجميع (قوله مالكهم) دفع بذلك مايقال إن بين هذه الآية وآية ـ وأن الكافرين لامولى لهم ـ تنافيا . فأجاب بأن المراد بالمولى هنا المالك و به هناك الناصر (قوله ألاله الحكم) أى لاغيره (قوله الحديث (٢٠) بذلك) وفى رواية أنه تعالى يحاسب الكل فى مقدار حلب شاة (قوله قل يامحمد) أى توبيخا لهم وردعا (قوله أهوالهما) أى فالظلمات كناية عن الأهوال والشدائد التى تحصل فى البر والبحر ومامشى عليه المفسر أتمّ لشمولها للحقيقة وغيرها وقيل المراد بالظلمات حقيقتها فظلمات البرّ هى مااجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب ، وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والأمواج الهائلة (قوله وخفية) الجمهور على ضم الخاء وقرأ أبو بكر بكسرها وقرأ الأعمش خيفة كالأعراف (قوله لئن أنجيتنا من هذه) الجملة فى محل نصب مقول القول كما قدره المفسر (قوله والشدائد) عطف تفسير (قوله بالتخفيف والتشديد) أى وكل منهما مع قراءة أنجيتنا بالتاء وأما من قرأ أنجانا فيقرأ بالتشديد هنا لاغير فالقراءات ثلاث وكلها سبعية (قوله قل هو القادر) هذا بيان لكونه قادرا على الاهلاك إثر بيان أنه المنجى من المهالك (قوله كالحجارة) أى التى نزلت على أصحاب الفيل وقوله والصيحة أى صرخة جبريل التى صرخها على ثمود قوم صالح (قوله كالخسف) أى الذى وقع لقارون (قوله شيعا) منصوب على الحال جمع شيعة وهى من يتقوّى بهم الانسان ويجمع على أشياع (قوله فرقا) جمع فرقة وهى الجماعة (قوله لما نزلت) أى آية أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض (قوله أهون وأيسر) أى مما قبله وهو رضا بقضاء الله و إلا فقد استعاذ منه أوّلا فلم يفد قوله ولما نزل ماقبله) أى قوله على أن يبعث عليكم الخ (قوله أعوذ بوجهك) أى فقال مرتين مرة عند نزول قوله عذابا من فوقكم ومرة عند نزول قوله أو من تحت أرجلكم (قوله فمنعنيها) أى منعنى هذه المسئلة بمعنى أنه لم يجبنى فى هذه الدعوة لما سبق فى علمه من حصولها فكان أوّل ابتداء إذاقة البعض بأس البعض بعد موته صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة فى واقعة علىّ ومعاوية ومازالت الفتن تتزايد إلى يوم القيامة (قوله لما نزلت) أى هذه الآية

(وَهُمْ لَايُفَرِّطُونَ) يقصرون فيما يؤمرون به (ثُمَّ رُدُّوا) أى الخلق (إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ) مالكهم (الْحَقِّ) الثابت العدل ليجازيهم (أَلَا لَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ فيهم (وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) يحاسب الخلق كلهم فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (قُلْ) يامحمد لأهل مكة (مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أهوالهما فى أسفاركم حين (تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا) علانية (وَخُفْيَةً) سرًّا تقولون (لَئِنْ) لام قسم (أَنْجَيْتَنَا) وفى قراءة أنجانا أى الله (مِنْ هَٰذِهِ) الظلمات والشدائد (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) المؤمنين (قُلِ) لهم (اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ) بالتخفيف والتشديد (مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ) غمّ سواها (ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ) به (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ) من السماء كالحجارة والصيحة (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) كالخسف أو (يَلْبِسَكُمْ) يخلطكم (شِيَعًا) فرقا مختلفة الأهواء (وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) بالقتال قال صلى الله عليه وسلم لما نزلت « هذا أهون وأيسر » ولما نزل ما قبله « أعوذ بوجهك » رواه البخارى وروى مسلم حديث « سألت ربى أن لا يجعل بأس أمتى بينهم فمنعنيها » وفى حديث لما نزلت ،

قال

(قوله قال أما إنها) أما أداة استفتاح و إنها بكسر الهمزة والضمير عائد على الأمور الأربعة: عذابا من فوقكم وعذابا من تحت أرجلكم وتفريقكم شيعا ونصب القتال بينكم فهذه الأربعة كائنة قبل يوم القيامة لكن الأخيران قد وقعا من منذ عصر الصحابة والأولان تفضل الله بتأخير وقوعهما إلى قرب قيام الساعة هكذا ورد ولكن قال العلماء وإن كان الأخيران يقعان قرب قيام الساعة لكن العذاب بهما ليس عاما كما وقع فى الأمم الماضية (قوله ولم يأت تأويلها) الضمير يعود على الآية أولا، والأربعة أى صرفها عن ظاهرها بل هى باقية على ظاهرها لكن بالوجه الذى علمته (قوله وكذب به قومك) أى أنكروه حيث قالوا إنه سحر أو شعر أو كهانة أوغير ذلك وماذكره المفسرمن أن الضمير عائد على القرآن هوأحد أقوال وهو أقربها وقيل الضمير عائد على العذاب وقيل على الحق وقيل على النبى وهو بعيد (قوله الصدق) أى لأنه منزل من عند الله وما كان من عند الله فهو صدق لامحالة (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أنه منسوخ بآيات القتال ولكن المناسب للمفسر أن يقول فأقاتلكم بدل قوله: فأجازيكم. والحاصل أن فى الآية تفسيرين: الأول أن الآية محكمة والمعنى لست مجازيا على أعمالكم فى الآخرة، والثانى أنها منسوخة والمعنى لست مقاتلا لكم إن حصلت منكم المخالفة إذا علمت ذلك فالمفسر لفق بين التفسيرين (قوله لكل نبأ مستقر) نزلت ردا لاستعجالهم العذاب الذى كان يعدهم به والمعنى لكل خبر من الأخبار رحمة أو عذابا زمن يقع فيه إما فى الدنيا أو الآخرة أو فيهما لايعلمه إلا الله (قوله وقت يقع فيه) أشار بذلك إلى أن مستقر اسم زمان و يصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان (قوله و إذا رأيت) رأى بصرية والذين مفعولها و يبعد كونها علمية لأنه يقتضى أن المفعول الثانى محذوف وحذفه إماشاذ أو ممنوع (قوله يخوضون) الخوض فى الأصل الدخول فى الماء فيستعار للشروع والدخول فى الكلام شبه آيات الله بالبحر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الخوض فاثباته تخييل والجامع بينهما التعرض للهلاك فى كل فان الخائض للبحر الغريق متعرض للهلاك فكذلك المتعرض للأباطيل فى كلام الله (قوله فأعرض عنهم) الخطاب له ولأصحابه فالنهى عام وهو منسوخ بآية القتال (قوله فى حديث غيره) الضمير عائد على الآيات وذكر باعتبار كونها حديثا (قوله و إماينسينك) الخطاب له والمراد غيره لأن إنساء الشيطان له مستحيل عليه (قوله بسكون النون والتخفيف) أى للسين من أنساه أوقعه فى النسيان وقوله وفتحها أى النون وقوله والتشديد أى للسين من نساه فيتعدى بالهمز والتضعيف وهما قراءتان سبعيتان ومفعول ينسينك محذوف تقديره النهى أوماأمرك الله به (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة فى التشنيع عليهم وأتى فى جانب الرؤية بإذا المفيدة للتحقيق وفى جانب الانساء بان المفيدة للشك إشارة إلى أن خوضهم فى الآيات محقق و إنساء الشيطان غير محقق بل قد يقع وقد لايقع (قوله وقال المسلمون الخ) بيان لسبب نزول الآية (قوله وما على الذين يتقون) الجار والمجرور خبر مقدم ومن شىء مبتدأ مؤخر (قوله إذا جالسوهم) أى فالجلوس مع الخائضين غير ممنوع لكن بشرط عدم مسايرتهم لما هم عليه و بشرط وعظهم ونهيهم عن المنكر فهو تخصيص للنهى المتقدم (قوله ولكن عليهم ذكرى) أشار بذلك إلى أن ذكرى مبتدأ خبره محذوف ويصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره ولكن يذكرونهم ذكرى .

قال: أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد (أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ) نبين لهم (الْآيَاتِ) الدلالات على قدرتنا (لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) يعلمون أن ماهم عليه باطل (وَكَذَّبَ بِهِ) بالقرآن (قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ) الصدق (قُلْ) لهم (لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال (لِكُلِّ نَبَإٍ) خبر (مُسْتَقَرٌّ) وقت يقع فيه و يستقر ومنه عذابكم (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) تهديد لهم (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) القرآن بالاستهزاء (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ولا تجالسهم (حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (يُنسِيَنَّكَ) بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد (الشَّيْطَانُ) فقعدت معهم (فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى) أى تذكره (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر، وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس فى المسجد وأن نطوف فنزل (وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ) الله (مِنْ حِسَابِهِمْ) أى الخائضين (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) إذا جالسوهم (وَلَٰكِن) عليهم (ذِكْرَىٰ) تذكرة لهم وموعظة ،

(قوله الذى كلفوه) أى وهو دين الاسلام ودفع بذلك مايقال المشركون لادين لهم من الأديان المشروعة فكيف أضيف إليهم دين وأخبر عنه أنهم اتخذوه لعبا ولهوا (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ بآياته. ويدخل فى عموم هذه الآية من اتخذ دين الاسلام لهوا ولعبا وأحدث فيه ماليس منه كالخوارج و بعض من يدّعى الانتساب إلى الصالحين حيث جعلوا الطريقة الموصلة إلى الله طبلا وزمرا وأحدثوا أمورا لاتحل فى دين الله (قوله أن تبسل) علة لقوله وذكر به على حذف لام العلة قدرها المفسر ولا مقدّرة والابسال هو تسليم النفس فى الحرب للقتال، والباسل الشجاع الذى يلقى بنفسه للهلاك (قوله ليس لها) إما استئناف أو حال من نفس أو صفة لها (قوله ولىّ) اسم ليس ولها خبر مقدم ومن دون الله حال من ولى (قوله تفد كل فداء) أى تفتد بكل فداء (قوله ماتفدى به) أشار بذلك إلى أن الضمير فى لايؤخذ عائد على الفداء بمعنى المفدى به فهو مصدر أريد به اسم المفعول (قوله أولئك الذين) اسم الاشارة مبتدأ خبره الاسم الموصول ولهم شراب مبتدأ وخبر والجملة إما خبر ثان أو حال من الضمير فى أبسلوا أو مستأنف بيان للابسال (قوله ماء بالغ نهاية الحرارة) أى يقطع الأمعاء كما قال فى الآية الأخرى ـ وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ـ (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والفعل فى تأويل مصدر مجرور بالباء (قوله قل أندعوا) قيل سبب نزولها أن عبد الرحمن بن أبى بكر الصدّيق قبل إسلامه دعا والده إلى عبادة الأصنام فنزلت الآية أمرا للنبى صلى الله عليه وسلم أن يرد على عبد الرحمن ومن يقول بقوله وفيه اعتناء بشأن الصدّيق وإظهار لفضله حيث وجه الأمر إلى الرسول وفى الواقع الأمر لأبى بكر والمعنى لايليق منا عبادة مالا ينفعنا إذا عبدناه ولا يضرنا إذا تركناه (قوله ونرد على أعقابنا) معطوف على ندعوا (وأمرنا

(لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الخوض (وَذَرِ) اترك (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ) الذى كلفوه (لَعِباً وَلَهْواً) باستهزائهم به (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا) فلا تتعرض لهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَذَكِّرْ) عظ (بِهِ) بالقرآن الناس لـ(أَنْ) لا (تُبْسَلَ نَفْسٌ) تسلم إلى الهلاك (بِمَا كَسَبَتْ) عملت (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (وَلِيٌّ) ناصر (وَلاَ شَفِيعٌ) يمنع عنها العذاب (وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ) تفد كل فداء (لاَ يُؤْخَذْ مِنْهَا) ما تفدى به (أُولٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ) ماء بالغ نهاية الحرارة (وَعَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بكفرهم (قُلْ أَنَدْعُوا) أنعبد (مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُنَا) بعبادته (وَلاَ يَضُرُّنَا) بتركها وهو الأصنام (وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا) نرجع مشركين (بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللهُ) إلى الإسلام (كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ) أضلته (الشَّيَاطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ) متحيرا لايدرى أين يذهب حال من الهاء (لَهُ أَصْحَابٌ) رفقة (يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى) أى ليهدوه إلى الطريق يقولون له (ائْتِنَا) فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه حال من ضمير نرد (قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ) الذى هو الإسلام (هُوَ الْهُدَى) وما عداه ضلال،

فهو داخل فى حيز الاستفهام (قوله بعد إذ هدانا الله) أى بعد وقت هداية الله لنا (قوله كالذى) صفة لموصوف محذوف أى نرد ردًّا مثل ردّ الذى استهوته. والاستهواء من الهوى وهو السقوط من علو إلى سفل سمى الاضلال بذلك لأن من سقط من علو إلى سفل ولم يجد محلا يستند عليه هلك فكذلك من ترك الدين القويم ولم يتدمه هلك ولا يجد ناصرا، وقد صرح بالمراد من هذا التشبيه فى قوله تعالى ـ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ـ. والحاصل أن المشرك بالله مع وجود من يدله على التوحيد مثله مثل من اختطفته الشياطين وسارت به فى المفاوز والمهالك مع سماعه مناداة من يأخذ بيده. يخاصه منهم وهو مفرط وراض لنفسه بذلك والمراد بالشياطين مايشمل شياطين الإنس (قوله فى الأرض) متعلق باستهوته (قوله حال من الهاء) أى فى استهوته (قوله له أصحاب) جملة فى محل نصب صفة لحيران (قوله والاستفهام الخ) أى وهو قوله أندعوا والمعنى لاينبغى أن نعبد غير الله بعد هدايته لنا لأن من عبد غير الله بعد إيمانه بالله كان كمثل من أخذته الشياطين فصار حيران لايدرى أين يتوجه مع سكون أصحابه يدعونه إلى الطريق المستقيم فلا يجيبهم (قوله هو الهدى) أى التوفيق والاستقامة والجملة المعرفة الطرفين

تقييد الحصر فهو بمعنى إن الدين عند الله الاسلام (قوله وأمرنا) أى أمرنا الله بأن نسلم بمعنى نوحد وننقاد لرب العالمين (قوله وأن أقيموا الصلاة) قدر المفسر الباء إشارة إلى أنه معطوف على أن نسلم فهو داخل تحت الأمر أيضا وفيه التفات من التكلم للخطاب وعطف التقوى عليه من عطف العام وخص الصلاة بعد الاسلام لأنها أعظم أركانه (قوله وهو الذى إليه تحشرون) هذا دليل للأمر المتقدم وموجب لامتثاله والمعنى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه لأنكم تجمعون إليه ويحاسبكم (قوله أى محقا) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال أى حال كونه محقا أى موصوفا بالحقية وهو وجوب الوجود الذى لايقبل الزوال، ويحتمل أن يكون المعنى محقا لاهازلا ولاعابثا بل خلقهما لحكم ومصالح لعباده ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى ـ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين (قوله ويوم) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والواو للاستئناف (قوله يقول كن) هذا كناية عن سرعة الايجاد وهو تقريب للعقول وإلا فلا كاف ولانون قال تعالى ـ وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ـ (قوله فيكون) كل من كن ويكون تام يكتفى بالمرفوع وهو ضمير يعود على جميع مايخلقه الله (قوله يقول للخلق) أى جميعهم من مبدأ الدنيا إلى منتهاها من العالم العلوى والسفلى (قوله قوله الحق) يصح أن يكون مبتدأ وخبرا أو مبتدأ والحق نعته وخبره قوله يوم يقول (قوله لامحالة) أى لابد من وقوعه وهو بفتح الميم مصدر ميمى وأما بضم الميم فمعناه الباطل وليس مرادا هنا (قوله يوم ينفخ) إما ظرف لقوله وله الملك وخص بذلك وإن كان الملك لله مطلقا لأنه فى ذلك الوقت لايملك أحد شيئا مما كان يملكه فى الدنيا قال تعالى ـ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقتمونا أول مرة ـ أو خبر عن **(٢٣)** الملك والتقدير والملك يوم ينفخ فى الصور له أو بدل من يوم يقول (قوله فى الصور) هو نائب الفاعل (قوله القرن) أى المستطيل قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق وفيه جميع الأرواح وفيه ثقب بعددها فاذا نفخ خرجت كل روح من ثقبة ووصلت لجسدها فتحله الحياة فالاحياء يحصل بايجاد الله عند

(وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ) أى بأن نسلم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ) أى بأن (أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ) تعالى (وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تجمعون يوم القيامة للحساب (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أى محقا (وَ) اذكر (يَوْمَ يَقُولُ) للشىء (كُنْ فَيَكُونُ) هو يوم القيامة يقول للخلق : قوموا فيقوموا (قَوْلُهُ الْحَقُّ) الصدق الواقع لامحالة (وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الثانية من إسرافيل لاملك فيه لغيره ، لمن الملك اليوم لله (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى خلقه (الْخَبِيرُ) بباطن الأشياء كظاهرها . (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ) هو لقبه واسمه تارخ (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً) تعبدها استفهام توبيخ (إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ) باتخاذها (فِي ضَلَالٍ) عن الحق (مُبِينٍ) :

النفخ لابالنفخ فهو سبب عادى (قوله النفخة الثانية) أى وأما الأولى فعندها يموت كل ذى روح . قال تعالى ـ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون (قوله ما غاب وما شوهد) أى أى بالنسبة للخلق وإلا فالكل عند الله شهادة ولايغيب عليه شىء بل مافى تخوم الأرضين والسموات بالنسبة له كما على ظهرها سواء بسواء (قوله وهو الحكيم الخبير) كالدليل لما قبله (قوله وإذ قال إبراهيم) الظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والجملة معطوفة على جملة قل أندعوا من دون الله والمعنى قل يامحمد لكفار مكة أندعوا من دون الله مالاينفعنا ولايضرنا واحتج عليهم بماوقع لابراهيم مع قومه حيث شنع على عبادة الأصنام (قوله واسمه تارخ) يقرأ بالخاء المعجمة والحاء المهملة وقيل إن آزر اسمه وتارخ لقبه وهو جمع بين قولين وتارخ بدل أو عطف بيان وآزر من الأزر وهو العيب لأنه قام به العيب حيث عبد الأصنام أوالعوج ولاشك أنه قام به الأمران العيب والعوج (قوله أصناما) المراد بها ماصور على هيئة الانسان وعبد من دون الله كانت من خشب أو حجر أو ذهب أو فضة أو غير ذلك وأصناما مفعول أول لتتخذ وآلهة مفعول ثان (قوله تعبدها) أى أنت وقومك الذين هم الكنعانيون (قوله استفهام توبيخ) أى على سبيل الانكار (قوله إنى أراك) أى أعلمك فالكاف مفعول أول وفى ضلال مبين مفعول ثان ومقتضى هذه الآية وآية مريم أن آزر أبا إبراهيم كان كافرا وهو يشكل على ماقاله المحققون إن نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم محفوظ من الشرك فلم يسجد أحد من آبائه من عبد الله إلى آدم لصنم قط وبذلك قال المفسرون فى قوله تعالى ـ وتقلبك فى الساجدين ـ . وقال البوصيرى فى الهمزية : وبدا للوجود منك كريم من كريم آباؤه كرماء

وأجيب عن ذلك بأن حفظهم من الاشراك مادام النور المحمدى فى ظهرهم فاذا انتقل جاز أن يكفروا بعد ذلك كذا قال المفسرون هنا وهذا على تسليم أن آزر أبوه . وأجاب بعضهم أيضا بمنع أن آزر أبوه بل كان عمه وكان كافرا وتارخ أبوه مات فى الفترة ولم يثبت سجوده لصنم و إنما سماه أبا على عادة العرب من تسمية العم أبا وفى التوراة اسم إبى إبراهيم تارخ (قوله بين) أى ظاهر لاشك فيه (قوله كما أريناه إضلال قومه) أى بسبب تعليمه التوحيد وكونه مجبولا عليه لما ورد أنه حين نزل من بطن أمه قام واقفا على قدميه وقال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى و يميت الحمد لله الذى هدانا لهذا (قوله ملك) أشار بذلك إلى أن المراد بالملكوت الملك والتاء فيه للمبالغة كالرغبوت والرهبوت والرحموت من الرغبة والرهبة والرحمة وعلى هذا فالملكوت والملك واحد وللصوفية فرق بين الملك والملكوت فالملك ماظهر لنا والملكوت ماخفى عنا كالسموات ومافيها إذا علمت ذلك فالأولى إبقاؤه على ظاهره لما ورد أنه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسى ومافى السموات من العجائب وحتى رأى مكانه فى الجنة فذلك قوله تعالى ـ وآتيناه أجره فى الدنيا ـ وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين ورأى مافيها من العجائب وهذا يفيد أن الرؤية بصرية لاعلمية (قوله ليستدل به على وحدانيتنا) أى ليعلم قومه كيفية الاستدلال على ذلك لالتوحيد نفسه فان توحيده بالمشاهدة لابالدليل (قوله وليكون من الموقنين) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله ليستدل الخ (قوله اعتراض) أى بين قوله وإذ قال إبراهيم وبين الاستدلال عليهم (قوله فلما جنّ) من الجن وهى الستر . وحاصل ذلك أن نمروذ ابن كنعان كان يدعو الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه يولد فى بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه فأمر بذبح كل غلام يولد فى تلك السنة وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلوا بينها و بين زوجها لأنهم كانوا لايجامعون فى الحيض فاذا طهرت من الحيض حالوا بينهما فخرج نمروذ بالرجال فى البرية وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة فلم يأمن عليها أحدا من قومه إلا آزر فبعث إليه فأحضره عنده وقال له إن لى إليك حاجة أحب أن أوصيك بها فلم

(٢٤)

بيّن (وَكَذَٰلِكَ) كما أريناه إضلال أبيه وقومه (نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ) ملك (السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) ليستدل به على وحدانيتنا (وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) بها وجملة وكذلك وما بعدها اعتراض ، وعطف على قال (فَلَمَّا جَنَّ) أظلم (عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً) قيل هو الزهرة (قَالَ) لقومه وكانوا نجامين (هَٰذَا رَبِّى) فى زعمكم (فَلَمَّا أَفَلَ) غاب (قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ) أن أتخذهم أربابا لأن الرب لايجوز عليه التغير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث ،

ولم أبعثك فيها إلا لثقتى بك فأقسمت عليك أن لاتدنو من أهلك فقال آزر أنا أشحّ على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم دخل على أهله فلم يتمالك نفسه حتى واقع زوجته فحملت من ساعتها بابراهيم فلما دنت ولادتها خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فلما وضعته جعلته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقة وتركته . قيل أخبرت أباه به وقيل لا وكانت تختلف إليه لتنظر مافعل فتجده حيا وهو يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا وكان إبراهيم يشب فى اليوم كالشهر وفى الشهر كالسنة فمكث خمسة عشر شهرا قالوا فلما شب إبراهيم وهو فى السرب قال لأمه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت اسكت ثم رجعت إلى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى كنا نحدث أنه يغير دين أهل الأرض ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال إبراهيم يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال له اسكت فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية . واختلف فى وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ والرسالة أو بعدهما والصحيح أنه بعد البلوغ و إيتاء الرسالة وماوقع من إبراهيم إنما هو مجاراة لقومه واستدراج لهم لأجل أن يعرفهم جهلهم وخطأهم فى عبادة غير الله وليس إثباته الربوبية لهذه الأجرام على حقيقته حاشاه من ذلك لأن الأنبياء معصومون من الجهل قبل النبوّة وبعدها لأن توحيدهم بالشهود على طبق ماجبلت عليه أرواحهم من يوم ألست بربكم (قوله قيل هو الزهرة) خصها لأنها أضوأ الكواكب وهى فى السماء الثالثة (قوله وكانوا نجامين) أى عالمين بالنجوم أو عابدين لها (قوله فى زعمكم) أى فالجملة خبرية على حسب زعمهم لاعلى حسب الواقع واعتقاد إبراهيم (قوله غاب) يقال أفل الشئ أفولا : غاب (قوله التغير والانتقال) أى لأن الأفول حركة والحركة تقتضى حدوث المتحرك و إمكانه فيمتنع أن يكون إلها .

فلم ينجع فيهم ذلك (فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغاً) طالعاً (قَالَ) لهم (هٰذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّى) يثبتنى على الهدى (لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك (فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا) ذكّره لتذكير خبره (رَبِّى هٰذَا أَكْبَرُ) من الكوكب والقمر (فَلَمَّا أَفَلَتْ) وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد قال (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ) قصدت بعبادتى (لِلَّذِى فَطَرَ) خلق (السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) أى الله (حَنِيفاً) مائلا إلى الدين القيم (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) به (وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ) جادلوه فى دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها (قَالَ أَتُحَاجُّونِّى) بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهى نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء : أتجادلوننى (فِى) وحدانية (اللهِ وَقَدْ هَدَانِ) تعالى إليها (وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ) ه (بِهِ) من الأصنام أن تصيبنى بسوء لعدم قدرتها على شىء (إِلَّا) لكن (أَنْ يَشَاءَ رَبِّى شَيْئاً) من المكروه ،

(قوله فلم ينجع) أى لم يؤثر ويفد وهو من باب خضع يقال نجع نجوعا : ظهر أثره (قوله بازغا) : حال من القمر والبزغ : الطلوع (قوله قال هذا ربى) أى بزعمكم كما تقدم (قوله يثبتنى على الهدى) إنما قال ذلك لأن أصل الهدى حاصل للأنبياء بحسب الفطرة والخلقة فلا يتصور نفيه (قوله تعريض لقومه) إنما عرض بضلالهم فى أمر القمر لأنه أيس منهم فى أمر الكواكب ولو قاله فى الأول لما أنصفوه ولهذا صرح فى الثالثة بالبراءة منهم وأنهم على شرك أى فالتعريض هنا لاستدراج الخصم إلى الاذعان والتسليم (قوله فلم ينجع فيهم ذلك) أى الدليل المذكور (قوله لتذكير خبره) أى وهو ربى وهذا كالمتعين لأن المبتدأ والخبر عبارة عن شىء واحد والرب سبحانه وتعالى مصان عن شبهة التأنيث ألا تراهم قالوا فى صفته علام ولم يقولوا علامة وإن كان علامة أبلغ تباعدا عن علامة التأنيث (قوله هذا أكبر) أى جرما وضوءا وسعة جرم الشمس مائة وعشرون سنة كما قاله الغزالى وفى رواية أنها قدر الأرض مائة وستين مرة والقمر قدرها مائة وعشرين مرة (قوله مما تشركون) ما مصدرية أى برىء من إشراككم أو موصولة أى من الذى تشركونه مع الله فحذف العائد (قوله والأجرام) عطف عام لأنها تشمل الأصنام والنجوم (قوله قصدت بعبادتى) أى فليس المراد بالوجه الجسم المعروف بل المراد به القلب وإنما عبر المفسر بالقصد لأن القصد والنية محلهما القلب وإنما انتفى الوجه الحسى لاستحالة الجهة على الله (قوله خلق السموات والأرض) أى وما فيهما ومن جملته معبوداتكم العلوية والسفلية فقد أبطل السفلية بقوله : إنى أراك وقومك فى ضلال مبين ، والعلوية بقوله فلما جن عليه الليل الخ (قوله حنيفا) حال من التاء فى وجهت (قوله وحاجه قومه) روى أنه لما شب إبراهيم وكبر جعل آزر يصنع الأصنام ويعطيها له ليبيعها فيذهب بها وينادى يامن يشترى ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر وضرب فيه رءوسها وقال لها اشربى استهزاء بقومه حتى إذا فشا فيهم استهزاؤه جادلوه فذلك قوله تعالى - وحاجه قومه - الخ (قوله وهددوه) عطف تفسير على جادلوه أى فمحاجتهم كانت بالتهديد لا بالبرهان لعدمه عندهم ومحاجة إبراهيم كانت بالبرهان ففرق بين المقامين (قوله أن تصيبه بسوء) أى كخبل وجنون (قوله قال أتحاجونى الخ) استئناف وقع جوابا لسؤال نشأ من حكاية محاجتهم كأنه قيل فماذا قال حين حاجوه (قوله بتشديد النون) أى لادغام نون الرفع فى نون الوقاية ، وقوله وتخفيفها أى تخلصا من اجتماع مشددين فى كلمة واحدة وهما الجيم والنون (قوله عند النحاة) أى كسيبويه وغيره من البصريين مستدلين بأنها نائبة عن الضمة وهى قد تحذف تخفيفا كما فى قراءة أبى عمرو وينصركم ويأمركم بالاسكان فكذا ما ناب عنها (قوله عند القراء) أى مستدلين بأن الثقل إنما حصل بها (قوله وقد هدان) يرسم بلا ياء لأنها من ياءات الزوائد وفى النطق يجب حذفها فى الوقف ويجوز إثباتها وحذفها فى الوصل وجملة وقد هدان فى محل نصب على الحال من الياء فى أتحاجونى والمعنى أتجادلوننى فى الله حال كونى مهديا من عنده وحجتكم لا تجدى شيئا لأنها داحضة (قوله ما تشركون به) أشار إلى أن ما موصولة فالهاء فى به تعود على ما ، والمعنى ولا أخاف الذى تشركون الله به أو تعود على الله والمحذوف هو العائد على ما (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن المشيئة ليست مما يشركون به

(قوله يصيبنى) صفة لشيئا وهو إشارة إلى تقدير مضاف أى إلا أن يشاء ربى إصابة شئ لى ، وقوله فيكون بالنصب عطف على مدخول أن أو بالرفع استئناف أى فهو يكون (قوله علما) تمييز محوّل عن الفاعل كما يفيده المفسر نحو اشتعل الرأس شيبا والجملة كالتعليل للاستثناء (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أتعرضون عن التأمل فى أن آلهتكم جمادات لاتضرّ ولا تنفع فلا تتذكرون بطلانها (قوله وكيف أخاف ما أشركتم) استئناف مسوق لنفى الخوف عنه بالطريق الالزامى بعد نفيه عنه بحسب الواقع فى قوله سابقا : ولا أخاف ما تشركون به والاستفهام للتعجب (قوله مالم ينزل به) مفعول لأشركتم (قوله فأىّ الفريقين) أى من الموحد والمشرك (قوله إن كنتم تعلمون) إن شرطية وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فاتبعوه (قوله الذين آمنوا الخ) يحتمل أن يكون من كلام إبراهيم أومن كلام قومه أومن كلام الله تعالى أقوال للعلماء فان قلنا إنها من كلام إبراهيم كان جوابا عن السؤال فى قوله فأىّ الفريقين الخ وكذا إن قلنا إنها من كلام قومه ويكونون أجابوا بما هو حجة عليهم وعلى هذين الاحتمالين فهو خبر لمحذوف وإن كان من كلام الله تعالى لمجرد الاخبار كان الموصول مبتدأ وأولئك مبتدأ ثان والأمن مبتدأ ثالث ولهم خبره والجملة خبر أولئك وأولئك وخبره خبر الأول (قوله فى حديث الصحيحين) أى ففيهما عن ابن مسعود قال : لما نزلت الذين آمنوا الخ شقّ ذلك على المسلمين وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا قول لقمان لابنه : يابنىّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم . وهذا

(٣٦)

ماذهب إليه أهل السنة وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم فى الآية المعصية لاالشرك بناء على أن خلط أحد الشيئين بالآخر يقتضى اجتماعهما ولا يتصوّر خلط الايمان بالشرك لأنهما ضدّان لايجتمعان . وأجاب أهل السنة بأن الايمان قد يجامع الشرك ويراد بالايمان مطلق التصديق سواء كان باللسان أو بغيره وكذا إن

يصيبنى فيكون (وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا) أى وسع علمه كل شىء (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ) بالله وهى لا تضر ولا تنفع (وَلَا تَخَافُونَ) أنتم من الله (أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ) فى العبادة (مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ) بعبادته (عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا) حجة وبرهانا وهو القادر على كل شىء (فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ) أنحن أم أنتم (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مَن الأحق به أى وهو نحن فاتبعوه قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا) يخلطوا (إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) أى شرك كما فسر بذلك فى حديث الصحيحين (أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) من العذاب (وَهُمْ مُهْتَدُونَ . وَتِلْكَ) مبتدأ ويبدل منه (حُجَّتُنَا) التى احتج بها إبراهيم على وحدانية الله من أفول الكواكب وما بعده ، والخبر (آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ) أرشدناه لها حجة (عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) بالاضافة والتنوين فى العلم والحكمة (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقه (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) ابنه ،

أريد به تصديق القلب لجواز أن يصدق المشرك بوجود الصانع دون وحدانيته كما قال تعالى ـ ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ـ أفاده زاده على البيضاوى (قوله وتلك حجتنا) أعرب المفسر اسم الاشارة مبتدأ وحجتنا بدل منه وجملة آتيناها خبر المبتدأ ، وقوله على قومه متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناها وهو أحسن الأعاريب ، وقيل إن تلك حجتنا مبتدأ وخبر وآتيناها خبر ثان وعلى قومه متعلق بحجتنا واسم الاشارة عائد على قوله فلما جنّ عليه الليل إلى هنا أومن قوله وكذلك نرى إبراهيم إلى هنا (قوله من أفول الكواكب) أى التى هى الزهرة والقمر والشمس (قوله ومابعده) أى وهو قوله وحاجه قومه الخ (قوله آتيناها إبراهيم) أى بوحى أو إلهام (قوله حجة على قومه) قدره المفسر إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء فى آتيناها (قوله نرفع درجات من نشاء) مفعول نشاء محذوف تقديره رفعها (قوله بالاضافة والتنوين) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الاضافة المفعول به هو درجات وعلى التنوين هو من نشاء ودرجات ظرف لنرفع والتقدير نرفع من نشاء فى درجات (قوله فى العلم والحكمة) قيل هى النبوّة فالعطف مغاير وقيل العلم النافع فالعطف خاص على عام اعتناء بشرف نفع العلم وإظهارا لفضله (قوله إن ربك حكيم) أى يضع الشئ فى محله وهو كالدليل لما قبله ، والمعنى أن الله يحكم لامعقب لحكمه فيرفع من يشاء ويضع من يشاء لا اعتراض عليه فانه حكيم يضع الشئ فى محله عليم لايخفى عليه شئ (قوله ووهبنا له اسحق الخ) لما أنعم الله على ابراهيم عليه السلام بالنبوّة والعلم ورفع درجاته حيث جاهد فى الله حق جهاده أتمّ الله عليه النعمة بأن وهب له

(كلا)

اسحق و يعقوب وإسمعيل وجعل فى ذريته النبوّة إلى يوم القيامة واسحق هو من سارة وجملة وهبنا معطوفة على قوله وتلك حجتنا عطف فعلية على اسمية ، والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد تشريفه لأن شرف الوالد يسرى للولد (قوله كلا هدينا) أى للشرع الذى أوتيه (قوله ونوحا هدينا من قبل) نوح هو ابن لمك بفتح اللام وسكون الميم و بالكاف وقيل ملكان بفتح الميم وسكون اللام و بالنون بعد الكاف ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء الفوقية والواو وسكون الشين المعجمة وكسر اللام و بالخاء المعجمة ابن إدريس (قوله ومن ذريته) يحتمل أن الضمير عائد على نوح لأنه أقرب مذكور واختاره المفسر و يحتمل أنه عائد على إبراهيم لأنه المحدث عنه و يبعده ذكر لوط فى الذرية مع أنه ليس من ذرية إبراهيم بل هو ابن هاران وهو أخو إبراهيم (قوله وأيوب) هو ابن أموص بن رازح بن عيص بن اسحاق (قوله وموسى) هو ابن عمران بن يصهر بن لاوى ابن يعقوب وقوله وهرون أى وهو أخو موسى وكان أسنّ منه بسنة (قوله نجزى المحسنين) أى المؤمنين أى فمن اتبعهم فى الايمان ألحق بهم ورفع الله درجاته (قوله يفيد أن الذرية الخ) أى لأن عيسى لا أب له (قوله و إلياس ابن أخى هرون) وقيل هو إدريس فله اسمان . وهو خلاف الصحيح لأن إدريس أحد **(٢٧)** أجداد نوح وليس من الذرية والياس بهمز أوله وتركه وهو ابن ياسين بن فنحاص ابن عيزار بن هرون ابن عمران وهذا هو الصحيح فالصواب للمفسر حذف لفظة أخى (قوله واليسع) الجمهور على أنه بلام واحدة ساكنة وفتح الياء وقرئ بلام مشددة و ياء ساكنة وهو ابن أخطوب ابن العجوز (قوله و يونس) هو ابن متى وهى أمه (قوله وكلا فضلنا على العالمين) أى على سائر الأولين والآخرين (قوله عطف على كلا) أى والعامل فيه فضلنا وقوله أو نوحا أى والعامل فيه هدينا والأقرب الأول (قوله ومن للتبعيض) هذا ظاهر فى الآباء والأبناء لا الاخوان فانهم كلهم مهديون (قوله لأن بعضهم لم يكن له ولد الخ) هذا تعليل لكون من للتبعيض وقد خصه المفسر بالذرية و يقال مثله فى الآباء . والحاصل أنه ذكر فى هذه الآيات من الأنبياء الذين يجب الايمان بهم تفصيلا ثمانية عشر ، و بقى سبعة وهم محمد صلى الله عليه وسلم و إدريس وشعيب وصالح وهود وذو الكفل وآدم فتكون الجملة خمسة وعشرين مذكورين فى القرآن يجب الايمان بهم تفصيلا . و بقى ثلاثة مذكورون فى القرآن واختلف فى نبوتهم لقمان وذو القرنين والعزير من أنكر وجودهم كفر ومن أنكر نبوتهم لا يكفر (قوله الذى هدوا إليه) أى وهو التوحيد (قوله ولو أشركوا فرضا) أشار بذلك إلى أن الشرك مستحيل عليهم فلو غير مقتضية للوقوع أو هو خطاب لهم والمراد غيرهم (قوله أولئك) أى الأنبياء المتقدمون وهم الثمانية عشر (قوله الحكمة) أى العلم النافع أو المراد بالحكم الفصل بين الناس والقضاء بينهم (قوله فقد وكلنا) أى وفقنا وأعددنا للقيام بحقوقها وهذا تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا ضرر عليك لأننا قد وكلنا الخ وفى هذه وعد من الله بنصره و إظهار دينه (قوله ليسوا بها بكافرين) أى بل هم مستمرون على الايمان بها والمعنى لا تحزن يا محمد على كفر أهل مكة فان من كفر منهم و باله على نفسه وأما آيات الله فقد جعل لها أهلا يؤمنون بها و يعملون بها إلى يوم القيامة .

(كُلًّا) منهما (هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبل إبراهيم (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ) أى نوح (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ) بن يعقوب (وَمُوسَى وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ) ابنه (وَعِيسَى) ابن مريم ، يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت (وَإِلْيَاسَ) ابن أخى هرون أخى موسى (كُلٌّ) منهم (مِنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ) ابن إبراهيم (وَالْيَسَعَ) اللام زائدة (وَيُونُسَ وَلُوطًا) بن هاران أخى إبراهيم (وَكُلًّا) منهم (فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) بالنبوة (وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ) عطف على كلا أو نوحا ومن للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد و بعضهم كان فى ولده كافر (وَاجْتَبَيْنَاهُمْ) اخترناهم (وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ذَٰلِكَ) الدين الذى هدوا إليه (هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا) فرضا (لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (وَالْحُكْمَ) الحكمة (وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا) أى بهذه الثلاثة (هَٰؤُلَاءِ) أى أهل مكة (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا) أرصدنا لها (قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ) هم المهاجرون والأنصار (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى) هم (اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ) طريقهم ،

(قوله من التوحيد الخ) دفع بذلك مايقال إن هذه الآية تقتضى أن رسول الله تابع لغيره من الأنبياء مع أن شرعه ناسخ لجميع الشرائع وأن كلهم ملتمسون منه . فأجاب بأن الاقتداء فى التوحيد والصبر على الأذى لا فى فروع الدين (قوله وقفا ووصلا) أما الوقف فظاهر وأما الوصل فاجراء له مجرى الوقف ، قال ابن مالك :

ور بما أعطى لفظ الوصل ما للوقف نثرا وفشا منتظما

(قوله الانس والجن) أى ففى الآية دليل على عموم رسالته للعالمين إلى يوم القيامة وقد احتج العلماء بهذه على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، و بيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال أذى على قومه و إبراهيم صاحب كرم و بذل ومجاهدة فى سبيل الله عزّ وجل واسحق و يعقوب وأيوب أصحاب صبر على البلاء والمحن وداود وسليمان أصحاب شكر على النعم و يوسف جمع بين الصبر والشكر وموسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزات الباهرة وزكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد فى الدنيا واسمعيل صاحب صدق الوعد ويونس صاحب تضرع وإخبات ثم إن الله أمر نبيه أن يقتدى بهم فى جميع تلك الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا أنه أفضل الأنبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال والله أعلم اهـ من الخازن لكن قد يقال إن المزية لا تقتضى الأفضلية ولذا قال أشياخنا المحققون : إنه و إن كان جامعا لجميع ما تفرق فى غيره فتفضيله من الله لا بتلك المزايا فقد فاقهم فضلا ومزايا .

تتمة : بين آدم ونوح ألف ومائة سنة وعاش آدم تسعمائة وستين سنة وكان بين إدريس ونوح ألف سنة و بعث نوح لأربعين سنة ومكث فى قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وقيل بعث نوح وهو ابن ثلثمائة وخمس وخمسين ، و إبراهيم ولد على رأس ألفى سنة من آدم و بينه و بين نوح عشرة قرون وعاش إبراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة وولده اسماعيل عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة وأخوه أسحق ولد بعده بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة و يعقوب ابن اسحق عاش مائة وسبعا وأربعين و يوسف بن يعقوب بن اسحق عاش مائة وعشرين سنة

(٢٨)

من التوحيد والصبر (اقْتَدِهْ) بهاء السكت وقفا ووصلا وفى قراءة بحذفها وصلا (قُلْ) لأهل مكة (لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى القرآن (أَجْرًا) تعطونيه (إِنْ هُوَ) ما القرآن (إِلاَّ ذِكْرَى) عظة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن (وَمَا قَدَرُوا) أى اليهود (اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ) أى ما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته (إِذْ قَالُوا) للنبى صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه فى القرآن (مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَىْءٍ ، قُلْ) لهم (مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جَاءَ بِهِ مُوسَى ، نورا

و بينه و بين موسى أربعمائة سنة و بين موسى و إبراهيم خمسمائة وخمس وستون سنة وعاش موسى مائة وعشرين سنة و بين موسى وداود خمسمائة وتسع وتسعون سنة وعاش مائة سنة وولده سليمان عاش نيفا وخمسين سنة و بينه و بين مولد النبى صلى الله عليه وسلم نحو ألف وسبعمائة سنة . وأيوب عاش ثلاثا وستين سنة وكانت مدة بلائه سبع سنين انتهى من التحبير فى علم التفسير للسيوطى (قوله وما قدروا الله حق قدره) استئناف مسوق لبيان أوصاف اليهود وقدر من باب نصر يقال قدر الشىء إذا سبره وحزره ليعرف مقداره والمعنى لم يعترفوا بقدر الله وهذا الكلام إنما هو تنزل مع اليهود و إلا فالخلائق لم يعظموا الله حق تعظيمه ولم يعرفوه حق معرفته . واعلم أن هنا معنيين الأول أن معنى وما قدروا الله حق قدره أى ماعرفوه المعرفة التى تليق به وهذه لا يصل إليها أحد أبدا ففى الحديث «سبحانك ماعرفناك حق معرفتك يامعروف لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وهذا منتف فى حق كل مخلوق فلا خصوصية لليهود . الثانى أن معنى وما قدروا الله حق قدره أنهم لم يعظموه ولم يعرفوه على حسب ما أمروا به وهذا لم يقع من اليهود و إنما هو واقع من المؤمنين وهذا هو المراد هنا (قوله إذ قالوا) إما ظرف لقدروا أو تعليل له (قوله وقد خاصموه فى القرآن) أى كفنحاص بن عازوراء ومالك بن الصيف فقد جاء يخاصم النبى صلى الله عليه وسلم فقال له النبى «أنشدك الله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله تعالى يبغض الحبر السمين» أى العالم الجسيم وكان مالك المذكور كذلك وكان فيها ما ذكر فقال نعم وكان يحب إخفاء ذلك لكن أقر لاقسام النبى عليه السلام فقال له النبى أنت حبر سمين فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شىء فقال أصحابه الذين معه و يحك ولا على موسى فقال والله ما أنزل الله على بشر من شىء فلما سمعت اليهود تلك المقالة غضبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت هذا قال أغضبنى محمد فقلته فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله

غير الحق فعزلوه من الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف (قوله نورا) حال إما من به والعامل فيها جاء أو من الكتاب والعامل فيه أنزل ومعنى نورا بينا فى نفسه وهدى مبينا لغيره وللناس متعلق بهدى (قوله يجعلونه) حال ثانية وجعل بمعنى صير فالهاء مفعول أول وقراطيس مفعول ثان على حذف مضاف أى ذا قراطيس أو فى قراطيس أو بولغ فيه (قوله بالياء والتاء) فعلى التاء يكون خطابا لليهود وعلى الياء التفات من الخطاب للغيبة (قوله فى المواضع الثلاثة) أى يجعلون و يبدون و يخفون (قوله مقطعة) أى مفصولا بعضها من بعض ليتمكنوا من إخفاء ما أرادوا إخفاءه (قوله و يخفون كثيرا) أى لم يظهروه بمعنى لم يكتبوه أصلا أو كتبوه وأخفوه عن ملوكهم وسفلتهم وجعلوا ذلك سرا بينهم (قوله كنعت محمد) أى وكآية الرجم وآية إن الله يبغض الحبر السمين (قوله وعلمتم) يحتمل أن الخطاب لليهود كما قال المفسر وتكون الجملة حالية ، والمعنى تبدونها وتخفون كثيرا والحال أن محمدا أعلمكم فى القرآن بأشياء فى التوراة مالم تكونوا تعلمونها أنتم ولا آباؤكم ويحتمل أن الخطاب لقريش وتكون الجملة مستأنفة معترضة بين السؤال والجواب (قوله قل الله) يحتمل أنه مبتدأ خبره محذوف تقديره أنزله وعليه درج المفسر وهو الأولى لأن السؤال جملة اسمية فيكون الجواب كذلك و يحتمل أنه فاعل بفعل محذوف تقديره أنزله الله وقد صرح بالفعل فى قوله تعالى : ليقولن خلقهن العزيز العليم (قوله فى خوضهم) إما متعلق بذرهم أو بيلعبون ومعنى يلعبون يستهزئون و يسخرون (قوله وهذا كتاب) مبتدأ وخبر وأنزلناه صفة أولى ومبارك صفة ثانية ومصدق الذى بين يديه صفة ثالثة (قوله القرآن) لغة من القرء وهو الجمع واصطلاحا اللفظ المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم للاعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته وهذا رد عليهم حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء (قوله مبارك) أى كله خير لمن آمن به وشر على من كفر به ، ومن بركته بقاء الدنيا و إنبات الأرض و إمطار السماء ولذا إذا رفع القرآن تأتى ريح لينة فيموت بها كل مؤمن و يبقى الكفار فبقاء الخير فى الأرض مدة بقاء القرآن فيها (قوله مصدق الذى بين يديه) أى موافق للكتب التى قبله فى التوحيد والتنزيه والمعنى أنه دال على صدقها وأنها من عند الله (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للنبى وعلى الياء يكون الضمير عائدا على القرآن (قوله أى أنزلناه للبركة) هذه العلة مأخوذة من الوصف بالمشتق لأن تعليق الحكم به يؤذن بالعلية (قوله أى أهل مكة) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى أهل أم القرى وهى مكة (قوله وسائر الناس) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بمن حولها ما قاربها من البلاد بل المراد جميع البلاد لأن مكة وسط الدنيا واقتصر على الانذار لأنه هو الموجود فى صدر الاسلام إذ ليس ثم مؤمن يبشر (قوله والذين) مبتدأ و يؤمنون صلته و بالآخرة متعلق بيؤمنون وقوله يؤمنون به خبره ولم يتحد المبتدأ والخبر لتغاير متعلقيهما والمعنى والذين يؤمنون بالآخرة إيمانا معتدا به محصورون فى الذى يؤمن بالقرآن فخرجت اليهود فلا يعتد بإيمانهم بالآخرة لعدم إيمانهم بالقرآن (قوله وهم على صلاتهم يحافظون) جملة حالية من فاعل يؤمنون وخص الصلاة بالذكر لأنها أشرف العبادات (قوله خوفا من عقابها) أى الآخرة (قوله ومن أظلم) من اسم استفهام مبتدأ وأظلم خبره وكذبا تمييز وأشار بقوله أى لا أحد إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله أو قال أوحى إلى) أو للتنويع والعطف مغاير وليس من عطف الخاص على العام ولا من عطف التفسير لأن ذلك لا يكون بأو .

نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ) بالياء والتاء فى المواضع الثلاثة (قَرَاطِيسَ) أى يكتبونه فى دفاتر مقطعة (يُبْدُونَهَا) أى ما يحبون إبداءه منها (وَيُخْفُونَ كَثِيراً) مما فيها كنعت محمد صلى الله عليه وسلم (وَعُلِّمْتُمْ) أيها اليهود فى القرآن (مَالَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ) من التوراة بيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه (قُلِ اللهُ) أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره . (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ) باطلهم (يَلْعَبُونَ . وَهٰذَا) القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب (وَلِتُنْذِرَ) بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أى أنزلناه للبركة والتصديق ولتنذر به (أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) أى أهل مكة وسائر الناس (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ) خوفا من عقابها (وَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً) بادعاء النبوة ولم ينبأ (أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ ،

(قوله ولم يوح إليه شيء) أي من قبل الله بل استهوته الشياطين وساب الله عقله وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة حيث قال لما نزلت سورة الكوثر: أنزلت عليّ سورة مثلها إنا أعطيناك المقعق فصلّ لربك وازعق إن شانئك هو الأبلق ، وغير ذلك من الخرافات التي قالها مسيلمة الكذاب فان الآية نزلت فيه كما قال المفسر ، وقد ورد أنه أرسل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا مع رسولين يذكر فيه : من عند مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد فان الأرض بيننا نصفين ، فلما وصله الكتاب قال للرسولين أتشهدان له بالرسالة ؟ فقالا نعم فقال رسول الله لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما . وكتب له : من عند محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (قوله ومن من قال) قدّر المفسر من إشارة إلى أنه معطوف على المجرور بمن (قوله وهم المستهزئون) أي كعقبة ابن أبي معيط وأبي جهل وأضرابهما وما ذكره المفسر هو المشهور ، وقيل نزلت في عبد الله بن أبي سرح كان من كتبة الوحي ثم ارتد وقال سأنزل مثل ماأنزل الله ثم رجع للإسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبيّ صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في أيّ زمان إلى يوم القيامة (قوله ولوترى) لوحرف شرط وجوابها محذوف قدّره المفسر فيما يأتي بقوله لرأيت أمرا فظيعا وترى بصرية ومفعولها محذوف تقديره الظالمين وإذ ظرف لترى ، والتقدير ولو ترى الظالمين وقت كونهم في غمرات الموت الخ (قوله المذكورون) أي مسيلمة الكذاب والمستهزئون والأحسن أن يراد ماهو أعمّ (٣٠) (قوله في غمرات) جمع غمرة من الغمر وهو الستر يقال غمره الماء إذا ستره

وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) نزلت في مسيلمة (وَ) مِن (مَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) وهم المستهزئون قالوا : لو نشاء لقلنا مثل هذا (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذِ الظَّالِمُونَ) المذكورون (فِي غَمَرَاتِ) سكرات (الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ) إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفا (أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ) إلينا لنقبضها (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ) بدعوى النبوة والإيحاء كذبا (وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون عن الإيمان بها ، وجواب لو ، لرأيت أمراً فظيعاً (وَ) يقال لهم إذا بعثوا (لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى) منفردين عن الأهل والمال والولد (كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي حفاة عراة غرلا

سميت السكرة بذلك لأنها تستر العقل وتدهشه (قوله والملائكة باسطوا أيديهم) تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملائكة يعذبونه عند خروج روحه لأن الكافر يكره لقاء الله فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرها . إن قلت إن المؤمن يكره الموت أيضا أجيب بأن المؤمن وان أحب الحياة وكره الموت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته ما أعدّ الله له من النعيم الدائم ، وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله . وأما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ماأعدّ له من العذاب الدائم يزداد كراهة في الموت وعلى ذلك يحمل ماورد « من أحب لقاء الله أحبّ الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » (قوله يقولون لهم تعنيفا) أي لأن الانسان لايقدر على إخراج روحه و إنما ذلك لأجل تعنيفهم ، ويحتمل أن معنى أخرجوا أنفسكم نجوها من العذاب الذي حلّ بكم تهكما بهم (قوله اليوم) ظرف لقوله تجزون فالوقف تمّ على قوله أنفسكم وأل في اليوم للعهد أي اليوم المعهود وهو يوم خروج أرواحهم ويحتمل أن المراد باليوم يوم القيامة والأحسن أن يراد ماهو أعمّ (قوله الهوان) أي الذل والصغار لاعذاب التطهير كما يقع لبعض عصاة المؤمنين لأن كل عذاب يعقبه عفو فلايقال له هون و إنما يقال لعذاب الكافر (قوله بما كنتم) الباء سببية وما مصدرية أي بسبب كونكم تقولون الخ (قوله بدعوى النبوّة الخ) هذا راجع لقوله : ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أوقال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء (قوله وكنتم عن آياته تستكبرون) أي و بسبب كونكم تستكبرون عن آياته فالجار والمجرور متعلق بتستكبرون وهو راجع لقوله : ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله ففيه لف ونشر مرتب وهذا باعتبار سبب النزول و إلا فكل كافر يقال له ذلك عند الموت (قوله و يقال لهم) اختلف في تعيين القائل فقيل الله سبحانه وقيل الملائكة ترجمانا عن الله وهذا مرتب على الخلاف هل الله يكلمهم أولا (قوله فرادى) جمع فرد أوفريد أوفردان بمعنى منفردين خالين عن الدنيا ومتاعها (قوله حفاة عراة) أي وذلك عند الحساب فلاينافي أنهم يخرجون من القبور بالأكفان فاذا حشروا ودنت الشمس من الرءوس تطايرت الأكفان .

(قولا غرلا) بضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة جمع أغرل كحمر جمع أحمر أى غير مقطوعين القلفة (قوله وتركتم ماخولناكم) الجملة حالية من فاعل جئتمونا وقوله: وراء ظهوركم متعلق بتركتم (قوله أى فى استحقاق عبادتكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضافين (قوله بينكم) على قراءة الرفع هو فاعل تقطع والبين بمعنى الوصل وهو المراد هنا ويطلق ويراد منه البعد من باب تسمية الأضداد (قوله وفى قراءة بالنصب) أى وهى سبعية أيضا والفاعل على هذه القراءة ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله شفعاء كم وشركاء لأن بين الشفيع والمشفوع له اتصال وبينكم ظرف له والتقدير تقطع الوصل فيما بينكم فقول المفسر أى وصلكم تفسير للضمير المستتر (قوله ما كنتم تزعمون) ما اسم موصول فاعل ضل وكنتم تزعمون صلته والعائد محذوف تقديره وضل عنكم الذى كنتم تزعمونه شفيعا ونافعا (قوله إن الله فالق الحب) لما تقدم ذكر التوحيد ومايتعلق به أتبعه بذكر مايدل على ذلك، والمراد بالحب مالانوى له يرمى كالقمح والشعير والفول وبالنوى ضد الحب كالرطب والمشمش والنبق فانحصر مايخرج من الأرض فى هذين النوعين وإضافة فالق للحب يحتمل أنها محضة ففالق بمعنى فلق فهو بمعنى الصفة المشبهة وهو الأقرب ويحتمل أنها لفظية والمراد فالق فى الحال والاستقبال (قوله شاق) فسر الفلق بالشق لأنه المشهور فى اللغة ولأنه أقرب عبرة وأكثر فائدة. وقال ابن عباس: إن فالق بمعنى خالق (قوله عن النخل) مراده به كل ماله نوى (قوله يخرج الحى من الميت) يحتمل أنه خبر ثان لإن ويحتمل أنه كلام مستأنف كالعلة لما قبله (٣١)

غرلا (وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ) أعطيناكم من الأموال (وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) فى الدنيا بغير اختياركم (وَ) يقال لهم توبيخا (مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ) الأصنام (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ) أى فى استحقاق عبادتكم (شُرَكَاءُ) لله (لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ) وصلكم أى تشتت جمعكم وفى قراءة بالنصب ظرف أى وصلكم بينكم (وَضَلَّ) ذهب (عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) فى الدنيا من شفاعتها (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ) شاق (الْحَبِّ) عن النبات (وَالنَّوَى) عن النخل (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ) النطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ) الفالق المخرج (اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) مصدر بمعنى الصبح أى شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل (وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا) تسكن فيه الخلق من التعب (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) بالنصب

والمراد بالحى كل ماينمو كان ذا روح أولا كالحيوان والنبات، وبالميت مالاينمو كان أصله ذا روح أم لا كالنطفة والحبة فتسمية النبات حبا مجاز بجامع قبول الزيادة فى كل (قوله من النطفة والبيضة) لف ونشر مرتب وأدخلت الكاف جميع مايخرج من النطفة والبيضة لجميع الحيوانات لاتخلو عن هذين الشيئين لجميع الطيور من البيض وماعداها من النطفة (قوله ومخرج الميت من الحى) إنما عبر باسم الفاعل مع العطف إشارة إلى أنه كلام آخر معطوف على فالق وليس بيانا له وإلا لأتى بالفعل (قوله من الحى) أى كالانسان والطائر ويشمل عموم هذه الآية المسلم والكافر فيخرج الحى كالمسلم من الميت كالكافر وبالعكس (قوله ذلكم الله) أى بذلك وإن علم من قوله إن الله فالق لأجل الرد على: من كفر بقوله: فأنى تؤفكون (قوله فكيف تصرفون عن الايمان) أى لاوجه لصرفكم عن الايمان بالله مع اعترافكم بأنه الخالق لجميع الأشياء فهو استفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله مصدر) أى لأصبح بمعنى الدخول فى الصباح وليس مرادا بل المراد الصبح نفسه فلذا فسره به حيث أطلق المصدر وهو الاصباح وأراد أثره وهو الصبح والاصباح بكسر الهمزة وقرئ شذوذا بفتحها وعليه يكون جمع صبح نحو قفل وأقفال وبرد وأبراد وظاهر الآية مشكل لأن الانفلاق يكون للظلمة لا للصبح. وأجيب بأن الكلام على حذف مضاف والأصل فالق ظلمة الاصباح بمعنى الصبح أو يراد فالق الاصباح بمعنى عمود الصبح وهو الفجر الكاذب عن ظلمة الليل ثم يعقبه الفجر الصادق فهو فالق الاصباح الأول عن ظلمة آخر الليل وعن بياض النهار أيضا ويفيد هذا المفسر أو يفسر فالق بخالق، وسماه فلقا مشاكلة لما قبله وكل صحيح (قوله وهو أول مايبدو من النهار) أى وهو الفجر الكاذب (قوله عن ظلمة الليل) متعلق بشاق (قوله سكنا) أى محل سكون واستراحة (قوله أتسكن فيه الخلق) أى جميعها حتى المياه والهوام.

(قوله عطفا على محل الليل) أى وهو النصب وحسبانا معطوف على سكنا ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جاعل والتقدير وجاعل الشمس والقمر حسبانا وذلك جائز باتفاق (قوله حسبانا) مصدر حسب وكذا الحسبان بكسر الحاء والحساب فله ثلاثة مصادر (قوله حسابا للأوقات) أى ضبطا لها أى علامة ضبط لكن الشمس يتم دورانها فى سنة والقمر فى شهر وذلك لنفع العباد دينا ودنيا قال تعالى ـ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ـ (قوله أو الباء محذوفة) أى فهو منصوب بنزع الخافض (قوله وهو حال من مقدر) لوقال متعلق بمقدر لكان أحسن لأنك إذا تأملت تجد المحذوف هو الحال على أن جاعل بمعنى خالق وأما إن جعل بمعنى مصير فهو مفعول ثان وهو اشارة لتقدير ثان فى الآية (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله العليم) أى ذى العلم التام (قوله وهو الذى جعل) أى خلق ولكم متعلق بجعل ولتهتدوا بدل من لكم بدل اشتمال فلم يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ونظيره قوله تعالى ـ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ، فلبيوتهم بدل من لمن يكفر باعادة العامل (قوله أنشأكم) إنما عبر به لموافقة ما يأتى فى قوله وأنشأنا من بعدهم وقوله وهو الذى أنشأ جنات (قوله هى آدم) أى فكل أفراد النوع الانسانى منه (قوله فمستقر) بالكسر اسم فاعل وصف والمعنى منكم من استقر فى الرحم وعبر فى جانبه بالاستقرار لأن زمن بقاء النطفة فى الرحم أكثر من زمن بقائها فى الصلب (قوله وفى قراءة بفتح القاف) أى وأما مستودع فليس فيه إلا فتح الدال لكن على قراءة الكسر يكون معنى مستودع شىء مودوع وهو النطفة وعلى الفتح مكان استيداع وهو الصلب (قوله يفقهون) أى يفهمون الأسرار والدقائق وعبر هنا بيفقهون اشارة إلى أن أطوار الانسان وما احتوى عليه الانسان أمر خفى تتحير فيه الألباب بخلاف النجوم فأمرها ظاهر مشاهد فعبر فيها بيعلمون (وقوله وهو الذى أنزل من السماء ماء) لما امتن سبحانه وتعالى على عباده أولا بالايجاد حيث قال وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة امتن ثانيا بانزال الماء الذى به حياة كل شىء ونفعه وهو الرزق المشار إليه بقوله تعالى ـ وفى السماء رزقكم ـ (قوله فيه التفات) أى ونكتته الاعتناء بشأن ذلك المخرج اشارة إلى أن نعمه عظيمة (قوله به) الباء السببية (قوله فأخرجنا) بيان لما أجمل أولا (قوله خضرا) يقال خضر الشىء فهو خضر وأخضر كعور فهو عور وأعور وقدر المفسر شيئا اشارة إلى أن خضرا صفة لموصوف محذوف (قوله ومن النخل) شروع فى تفصيل حال الشجر بعد ذكر عموم النبات لمزيد الرغبة فيه (قوله ويبدل منه) أى بدل بعض من كل (قوله أول ما يخرج منها) أى قبل انفلاق الكيزان عنه فاذا انفلقت عنه سمى عذقا (قوله قنوان) جمع قنو كصنو وصنوان وهذا الجمع يلتبس بالمثنى حالة الوقف ويميز المثنى بكسر نونه والجمع بتوارد حركات الاعراب عليه وبالاضافة فتحذف نون المثنى دون الجمع فتقول هذان قنواك وفى الجمع هذه قنوانك وبالنسب فاذا نسبت إلى المثنى رددته إلى المفرد فقلت قنوى وإذا نسبت إلى الجمع أبقيته على حاله فقلت قنوانى (قوله عراجين) جمع عرجون قيل هى الشماريخ وقيل هى السبائط ولاشك أن الشماريخ قريب بعضها من بعض والسبائط كذلك : واعلم أن أطوار النخل سبع كالانسان يجمعها قولك طاب زبرت فأولها الطلع ثم الاغريض ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر وفى الحديث أكرموا عمتكم النخلة ولهذه الأمور قدم على ما بعده

(٣٢)

عطفاً على محل الليل (حُسْبَانًا) حساباً للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أى يجريان بحسبان كما فى آية الرحمن (ذَٰلِكَ) المذكور (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) فى الأسفار (قَدْ فَصَّلْنَا) بينا (الْآيَاتِ) الدلالات على قدرتنا (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ) خلقكم (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) هى آدم (فَمُسْتَقَرٌّ) منكم فى الرحم (وَمُسْتَوْدَعٌ) منكم فى الصلب وفى قراءة بفتح القاف أى مكان قرار لكم (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) ما يقال لهم (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) فيه التفات عن الغيبة (بِهِ) بالماء (نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ) ينبت (فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ) أى النبات شيئاً (خَضِرًا) بمعنى أخضر (نُخْرِجُ مِنْهُ) من الخضر (حَبًّا مُتَرَاكِبًا) يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة ونحوها (وَمِنَ النَّخْلِ) خبر ويبدل منه (مِنْ طَلْعِهَا) أول ما يخرج منها ، والمبتدأ (قِنْوَانٌ) عراجين (دَانِيَةٌ) قريب بعضها من بعض

(قوله وجنات) معطوف على نبات من عطف الخاص على العام والنكتة مزيد الشرف لكونها من أعظم النعم وكذا قوله: والزيتون والرمان معطوفان على النبات ويكون قوله ومن النخل الخ معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه لاعتناء بشأن النخل لعظم منته ويصح عطف جنات على خضرا وهذا على قراءة الجمهور وقرى شذوذا برفع جنات والزيتون والرمان وخرّج على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن الكرم جنات (قوله مشتبها) يقال مشتبه ومتشابه بمعنى (قوله نظر اعتبار) أي تتفكر في مصنوعاته لتعلموا أن ربكم هو القادر المريد الخالق لما يشاء فتفردوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا (قوله وهو جمع ثمرة) أي المفتوح والمضموم وقوله كشجرة وشجر راجع للمفتوح وقوله وخشبة وخشب راجع للمضموم فهو لف ونشر مرتب (قوله وينعه) مصدر ينع بكسر النون ينع بفتحها كتعب يتعب ويصح العكس وقرئ بضم الياء والمعنى تفكروا وتأملوا ابتداء الثمر حيث يكون بعضه مرا وبعضه ملحا لاينتفع بشئ منه وانتهاؤه إذا نضج فانه يعود حلوا تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض فى الأكل (قوله إن فى ذلكم) الاشارة إلى جميع ماتقدم من قوله: إن الله فالق الحب والنوى إلى هنا (قوله لأنهم المنتفعون بها) أشار بذلك إلى أن ظهور الأدلة لاتفيد ولا تنفع إلا إذا كان العبد مؤمنا وأما من سبق له الكفر فلاتنفعه الآيات ولا يهتدى بها (قوله وجعلوا) الضمير لعبدة الأصنام وهذا اشارة إلى أنهم قابلوا نعم الله العظيمة بالاشراك (قوله مفعول ثان) هذه طريقة فى الاعراب وهناك طريقة أخرى وهى أن لله متعلق بمحذوف حال والجن مفعول أول مؤخر وشركاء مفعول ثان مقدم (قوله الجن) قيل المراد بهم الشياطين وإلى هذا يشير المفسر بقوله حيث أطاعوهم الخ وقيل المراد بهم نوع من الملائكة

(وَ) أخرجنا به (جَنَّاتٍ) بساتين (مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا) ورقهما حال (وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) ثمرهما (انْظُرُوا) يا مخاطبين نظر اعتبار (إِلَى ثَمَرِهِ) بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر وخشبة وخشب (إِذَا أَثْمَرَ) أول مايبدو كيف هو؟ (وَ) إلى (يَنْعِهِ) نضجه إذا أدرك كيف يعود (إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها فى الإيمان بخلاف الكافرين (وَجَعَلُوا لِلَّهِ) مفعول ثان (شُرَكَاءَ) مفعول أول ويبدل منه (الْجِنَّ) حيث أطاعوهم فى عبادة الأوثان (وَ) قد (خَلَقَهُمْ) فكيف يكونون شركاءه (وَخَرَقُوا) بالتخفيف والتشديد أى اختلقوا (لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) حيث قالوا: عزير ابن الله والملائكة بنات الله (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ) بأن له ولدا، هو (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما من غير مثال سبق (أَنَّىٰ) كيف (يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ) زوجة (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من شأنه أن يخلق (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ) وحدوه،

كانوا يعبدونهم لاعتقادهم أنهم بنات الله (قوله وخلقهم) الضمير يصح أن يكون عائدا على الجن وعليه المفسر ويصح أن يعود على الجميع والجملة حال من الجن ولذا قدر المفسر قد (قوله وخرقوا) الضمير عائد على اليهود والنصارى ومشركى العرب فاليهود والنصارى نسبوا له البنين ومشركو العرب نسبوا له البنات فالكلام على التوزيع (قوله اختلقوا) يقال اختلق وخلق وخرق وافترى وافتعل وخرص بمعنى كذب وقرئ شذوذا بالحاء المهملة والفاء من التحريف وهو التزوير لأن المحرف مزور مغير للحق بالباطل (قوله حيث قالوا عزير ابن الله) كان عليه أن يقول والمسيح ابن الله ليكون قد جمع مقالة الفرق الثلاثة فاليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله والمشركون قالوا الملائكة بنات الله (قوله بديع السموات) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله أنى يكون له ولد) أنى منصوبة على التشبيه بالحال وله خبر يكون مقدم وولد اسمها مؤخر ويصح أن تكون تامة وولد فاعلها والمعنى كيف يوجد له ولد والحال أنه لم تكن له صاحبة مع كونه الخالق لكل شئ (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك مايقال إن من جملة الشئ ذاته وصفاته فيقتضى أنها مخلوقة مع أن ذلك مستحيل. فأجاب المفسر بأن ذلك عام مخصوص بما من شأنه أن يخلق وهو ماعدا ذاته وصفاته (قوله ذلكم) مبتدأ والله خبر أول وربكم خبر ثان ولا إله إلا هو خبر ثالث وخالق كل شئ خبر رابع وقوله فاعبدوه مفرع على ماذكر من هذه

الأوصاف فالمعنى أن المتصف بالألوهية الخالق لكل شيء هو أحق بالعبادة وحده فقوله خالق كل شيء توطئة لقوله فاعبدوه وأما قوله وخالق كل شيء فهو رد لما زعموه من الولد له سبحانه وتعالى (قوله وهو على كل شيء وكيل) أي متصرف في خلقه ومتولى أمورهم فالواجب قصر العبادة عليه وتفويض الأمور إليه (قوله لاتدركه الأبصار) جمع بصر وهو حاسة النظر أي القوة الباصرة ويطلق على العين نفسها من إطلاق الحال وإرادة المحل (قوله وهذا مخصوص) أي نفي الرؤية عام مخصوص برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة لأن الفعل إذا دخل عليه النفي يكون من قبيل العام (قوله لرؤية المؤمنين) علة لقوله مخصوص وقوله لقوله تعالى علة للعلة (قوله ناضرة) أي قامت بها النضارة وهي البهجة والحسن وقوله ناظرة أي باصرة للذات المقدس (قوله ليلة البدر) أي ليلة أربعة عشر (قوله وقيل المراد الخ) أي وعلى هذا فالنفي باق على عمومه فلا يحيط به بصر أحد أبدا لا في الدنيا ولا في الآخرة فلا ينافي أن المؤمنين يرونه في الآخرة لكن بلا كيف ولا انحصار لوجود أدلة عقلية ونقلية أما النقلية فالكتاب والسنة والاجماع، والعقلية منها أن الله علق رؤيته على استقرار الجبل وهو جائز والمعلق على الجائز جائز ومنها لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها موسى عليه السلام إذ لا يجوز على النبي سؤال المحال إذ هو جهل ويستحيل على النبي الجهل ومنها أن يقال الله موجود وكل موجود يصح أن يرى فالله يصح أن يرى خلافا للمعتزلة والمرجئة والخوارج حيث أحالوا الرؤية مستدلين بظاهر هذه الآية وبقولهم إن الرؤية تستلزم المقابلة واتصال أشعة بصر الرائي بالمرئي فيلزم أن يكون المرئي جسما وتعالى الله عن الجسمية، ورد كلامهم بما علمت وبأن هذا التلازم عادى لا عقلي ويجوز تخلف العادة (قوله لاتحيط به)

(٣٤)

(وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حفيظ (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) أي لاتراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. وحديث الشيخين «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» وقيل المراد لاتحيط به (وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لايدركه أو يحيط به علما (وَهُوَ اللَّطِيفُ) بأوليائه (الْخَبِيرُ) بهم، قل يامحمد لهم (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ) حجج (مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ)ها فآمن (فَلِنَفْسِهِ) أبصر لأن ثواب إبصاره له (وَمَنْ عَمِيَ) عنها فضل (فَعَلَيْهَا) وبال إضلاله (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير (وَكَذَٰلِكَ) كما بينا ما ذكر (نُصَرِّفُ) :

أي لاتبلغ كنه حقيقة ذاته وصفاته أبصار ولا بصائر (قوله وهو يدرك الأبصار) فيه تفسيران أيضا: الأول يراها. الثاني يحيط بها على أسلوب ماتقدم (قوله ولا يجوز في غيره الخ) أي لأن رؤية كل منهما لصاحبه غير مستحيلة وما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر (قوله أو يحيط بها علما) هذا هو التفسير الثاني (قوله وهو اللطيف) من لطف نبين بمعنى احتجب فلا يحيط به بصر ولا بصيرة فهو راجع لقوله لاتدركه الأبصار وقوله الخبير راجع لقوله وهو يدرك الأبصار فهو لف ونشر مرتب وهذا هو المناسب هنا فقول المفسر بأوليائه يقتضي أن معنى اللطيف الرءوف المحسن وهو وإن كان مناسبا في نفسه إلا أنه غير ملائم هنا. فتحصل مما تقدم أن الرؤية بالبصر في الآخرة للمؤمنين وقع فيها خلاف بين المعتزلة وأهل السنة وتقدم أن الحق مذهب أهل السنة وأما رؤية قلوب العارفين له في الدنيا بمعنى شهود القلب له في كل شيء فهو جائز بل هو مطلبهم وغاية مقصودهم ومنهم قال العارف:

أثلنا مع الأحباب رؤيتك التي إليها قلوب الأولياء تسارع

وكذا رؤياه في المنام (قوله بصائر) جمع بصيرة وهي النور الباطني الذي ينشأ عنه العلوم والمعارف (قوله حجج) جمع حجة وهي الأدلة وسميت الحجج بصائر لأنها تنشأ عنها من باب تسمية المسبب باسم السبب (قوله فمن أبصرها) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن المفعول محذوف (قوله فلنفسه أبصر) قدر المفسر متعلق الجار والمجرور فعلا ماضيا مؤخرا وهو غير مناسب للزوم زيادة الفاء بل المناسب تقديره اسما مبتدأ والجار والمجرور خبره والتقدير فإبصاره لنفسه وكذا يقال في قوله ومن عمى فعليها (قوله لأن ثواب إبصاره) أي نفعه له فلا يعود على الله من الطاعة نفع ولايصل له من المعصية ضر (قوله ومن عمى عنها) أي عن البصائر بمعنى الحجج (قوله وكذلك نصرف الآيات) الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف تقديره نصرف الآيات في غير هذه السورة تصريفا مثل التصريف في هذه السورة (قوله كما بينا ماذكر) أي الأحكام المذكورة

(قوله نبين الآيات) هذا وعد من الله با كمال الدين و إظهاره فقد كان نزول قوله تعالى ـ اليوم أكملت لكم دينكم ـ من مبشرات الوفاة لرسول الله (قوله ليعتبروا) أى لتقوم بهم العبرة أى الاتعاظ فيميزوا الحق من الباطل وقدره المفسر لعطف قوله وليقولوا عليه (قوله في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام في وليقولوا لام العاقبة والصيرورة نظير قوله تعالى ـ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ـ وقيل إن اللام للعلة حقيقة ، والمعنى نصرّف الآيات ليعتبر الذين آمنوا و يزدادوا بها إيمانا وليقول الذين كفروا درست ليزدادوا كفرا ونظيره قوله تعالى ـ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض، فزادتهم رجسا إلى رجسهم (قوله دارست) كقاتلت من المدارسة ، والمعنى تذكرات مع أهل الكتاب فتعلمت منهم تلك القصص (قوله وفي قراءة درست) أى قرأت الكتب و بقي قراءة ثالثة سبعية أيضا رمى درست بفتح الدال والراء والسين أى عفت وبليت وتكررت على الأسماع (قوله وجئت بهذا منها) راجع لكل من القراءتين (ولنبينه) أى الآيات وذكر باعتبار معناها وهو القرآن (قوله اتبع ما أوحى إليك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى قبائح المشركين وتكذيبهم لرسول الله أخذ يسلى رسوله بقوله: اتبع أى دم على ذلك ولا تبال بكفرهم ولا تلتفت لقولهم ، وما اسم موصول، والعائد محذوف ونائب فاعل أوحى ضمير مستتر عائد على ما و إليك متعلق بأوحى ومن ربك متعلق بمحذوف حال ومن لابتداء الغاية والتقدير اتبع الذى أوحى إليك هو أى القرآن حال كونه ناشئا وصادرا من ربك و يصح أن تكون مصدرية ونائب الفاعل هو الجار والمجرور والتقدير اتبع الايحاء الجائى إليك من ربك (قوله لا إله إلا هو) جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد التوحيد (قوله وأعرض عن المشركين) أى لا تتعرض لهم ولا تقاتلهم وهذا على أنها منسوخة (٣٥) كما يأتى للمفسر وقيل إن الآية محكمة والمعنى لا تلتفت إلى رأيهم ولا تغتظ من أقوالهم و إشراكهم لأن ذلك بمشيئة الله ومثل ذلك يقال إذا أجمع خلق على ضلالة لا يستطاع ردّها ففي الحديث « إذا رأيتم الأمر لا تستطيعون ردّه

نبين (الآيَاتِ) ليعتبروا (وَلِيَقُولُوا) أى الكفار في عاقبة الأمر (دَارَسْتَ) ذاكرت أهل الكتاب ، وفي قراءة درست أى كتب الماضين ، وجئت بهذا منها (وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) رقيبا فتجازيهم بأعمالهم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فتجبرهم على الإيمان ، وهذا قبل الأمر بالقتال (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ) هم (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا) :

فاصبروا حتى يكون الله هو الذى يغيره» (قوله ولو شاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره عدم إشراكهم (قوله وما أنت عليهم بوكيل) تأكيد لما قبله أى لست حفيظا مراقبا لهم فتجبرهم على الإيمان (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة واسم الاشارة عائد على قوله: وأعرض عن المشركين الخ (قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى ـ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم كثر سب المسلمين للأصنام فتحزب المشركون على كونهم يسبون الله نظير سب المسلمين لأصنامهم فنزلت الآية ، وقيل إن أبا طالب حضرته الوفاة فقالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه فانا نستحى أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبىّ ابنا خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والأسود بن أبى البخترى إلى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا و إن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا وندعه و إلهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوطالب إن هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك و إلهك فقال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي أرأيتم إن أعطيتكم هذا فهل أنتم معطىّ كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم وأدت لكم الخراج قال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هى فقال قولوا: لا إله إلا الله فأبوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخى فقال ياعم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو آتونى بالشمس فوضعوها في يدى ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا ولنسبن من يأمرك فنزلت (قوله الذين يدعون) أى يعبدون وقدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول يدعون محذوف (قوله فيسبوا الله) أى فيترتب على ذلك سب الله فسب الأصنام و إن كان جائزا إلا أنه عرض له النهى بسبب ما ترتب عليه من سب الله ففي

الحقيقة النهى عن سب الله (قوله اعتداء) أشار بذلك إلى أن عدوا مصدر ويصح أن يكون حالا مؤكدة لأن السب لا يكون إلا عدوا (قوله أى جهلا منهم بالله) أى بما يجب فى حقه (قوله كذلك زينا) نعت لمصدر محذوف أى زينا لهؤلاء أعمالهم تزيينا مثل تزييننا لكل أمة عملهم (قوله من الخير والشر) أشار بذلك إلى أن الآية ردّ على المعتزلة الزاعمين أن الله لا يريد الشرور ولا القبائح (قوله ثم إلى ربهم مرجعهم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فأتوه (قوله وأقسموا) أى حلفوا (قوله غاية اجتهادهم) أى لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فإذا أرادوا تغليظ اليمين حلفوا بالله (قوله لئن جاءتهم آية) حكاية عنهم وإلا فلفظهم لئن جاءتنا آية (قوله مما اقترحوا) أى طلبوا وذلك أن قريشا قالوا يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا أن عيسى كان يحيى الموتى فائتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال رسول الله أى شىء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله إن فعلت ما تقولون تصدقونى قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يرضوا فقام رسول الله يدعو أن يجعل الصفا ذهبا فجاء جبريل وقال لك ما شئت إن شئت يصبح ذهبا ولكن إن لم يصدقوك لنعذبنهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله بل يتوب تائبهم فنزلت الآية. (قوله ليؤمنن بها) جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله قل إنما الآيات عند الله) أى لا عندى فالقادر على إنزالها هو الله وينزلها على حسب ما يريد (قوله وما يشعركم) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة يشعركم خبرها والكاف مفعول أول والثانى محذوف قدره المفسر بقوله بإيمانهم والخطاب للمؤمنين: أى وما يعلمكم أيها المؤمنون بإيمانهم وقوله إنها إذا جاءت بالكسر استئناف مسوق لقطع طمع المؤمنين من إيمان المشركين وتكذيب للمشركين فى حلفهم (قوله أى أنتم لا تدرون) أشار بذلك

(٣٦)

اعتداء وظلما (بِغَيْرِ عِلْمٍ) أى جهلا منهم بالله (كَذَٰلِكَ) كما زينا لهؤلاء ما هم عليه (زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ) من الخير والشر فأتوه (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ) فى الآخرة (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فيجازيهم به (وَأَقْسَمُوا) أى كفار مكة (بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أى غاية اجتهادهم فيها (لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ) مما اقترحوا (لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا، قُلْ) لهم (إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ) ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) يدريكم بإيمانهم إذا جاءت أى أنتم لا تدرون ذلك (إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) لما سبق فى علمى. وفى قراءة بالتاء خطابا للكفار وفى أخرى بفتح أن بمعنى لعل أو معمولة لما قبلها (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ) نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه (وَأَبْصَارَهُمْ) عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ) أى بما أنزل من الآيات (أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ) نتركهم (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالهم (يَعْمَهُونَ) يترددون متحيرين (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ) كما اقترحوا (وَحَشَرْنَا) جمعنا (عَلَيْهِمْ كل

إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله وفى قراءة بالتاء) ظاهره أن هذه القراءة مع كسر إن وليس كذلك بل هى مع الفتح، فالمناسب تأخيرها عن قوله وفى أخرى بفتح أن فالقراءات ثلاث: الكسر مع الياء لا غير والفتح إما مع الياء أو التاء (قوله بمعنى لعل) أى ومجىء أن بمعنى لعل كثير شائع فى كلام العرب والترجى فى كلام الله مثل التحقيق فهى مساوية لقراءة الكسر (قوله أو معمولة لما قبلها) أى على أنها المفعول الثانى ولا إما صلة أو داخلة على محذوف والتقدير إذا جاءت لا تعلمون أنهم يؤمنون أو المقابل محذوف والتقدير إذا جاءت لا يؤمنون أو يؤمنون وهو إخبار عن الكفار على قراءة الياء وخطاب لهم على قراءة التاء (قوله ونقلب أفئدتهم) استئناف مسوق لبيان أن خالق الهدى والضلال هو الله لا غيره فمن أراد الله له الهدى حول قلبه له ومن أراد الله شقاوته حوّل قلبه لها (قوله كما لم يؤمنوا به) مرتبط بمحذوف قدره المفسر بقوله فلا يؤمنون والمعنى نحوّل قلوبهم عن الإيمان ثانيا كما حوّلناها أولا عند نزول الآيات لو نزلت أى فهم لا يؤمنون على كل حال (قوله ونذرهم) عطف على لا يؤمنون (قوله يعمهون) إما حال أو مفعول ثان لأن الترك بمعنى التصيير، وعمه من باب تعب إذا تردّد متحيرا مأخوذ من قولهم أرض عمهاء إذا لم يكن فيها أمارات تدل على النجاة (قوله ولو أننا نزلنا) هذه زيادة فى الرد عليهم وتفصيل لما أجمل فى قوله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (قوله كما اقترحوا) أى طلبوا بقولهم: لولا أنزل علينا الملائكة، وقولهم: فائتوا بآبائنا.

(قوله كل شيء) أي من أصناف المخلوقات كالوحوش والطيور (قوله بضمتين جمع قبيل) أي كنصيب ونصب وقضيب وقضب (قوله أي فوجا فوجا) تفسير لقبيل وأما قبلا فمعناه أفواجا أفواجا وعلى هذه القراءة فنصب قبلا على الحال (قوله وبكسر القاف وفتح الباء) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي معاينة) أي فيقال فلان قبل فلان أي مواجهه ومعاينه وهو مصدر منصوب على الحال أي معاينين ومشافهين لكل شيء وصاحب الحال الهاء في عليهم (قوله ما كانوا ليؤمنوا) جواب لو واللام في ليؤمنوا لام الجحود ويؤمنوا منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد لام الجحود وخبر كان محذوف تقديره ما كانوا أهلا للايمان (قوله إلا أن يشاء الله) قدر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع كما هو عادته وذلك لأن المشيئة ليس من جنس إرادتهم ، وقال بعضهم إن الاستثناء متصل والمعنى ما كانوا ليؤمنوا في حال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله لهم بالايمان (قوله يجهلون ذلك) أي يجهلون أن ظهور الآيات يوجب الايمان ولو لم تصحبه مشيئة الله وهو توبيخ لهم حيث أقسموا بالله جهد أيمانهم إنه إذا جاءتهم الآيات يؤمنون مع أنه سبق في علم الله شقاؤهم ومن هنا لا ينبغي ترك المشيئة والاعتماد على الأسباب فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب (قوله وكذلك جعلنا) هذا تسلية لرسول الله على ما وقع منهم من العداوة والكاف داخلة على المشبه وهي بمعنى مثل . والمعنى مثل ما جعلنا لك أعداء من قومك جعلنا لكل نبي عدوا الخ فتسل ولا تحزن وجعل بمعنى صير فتنصب مفعولين الأول عدوا مؤخر والثاني لكل نبي مقدم وشياطين الانس والجن بدل وهذا ما درج عليه المفسر (٣٧) وقيل إن عدوا مفعول ثان وشياطين مفعول أول ولكل نبي متعلق بمحذوف حال من عدوا (قوله لكل نبي) أي وإن لم يكن رسولا ولذا ورد أن الكفار قتلوا في يوم واحد سبعين نبيا (قوله مردة) جمع مارد وهو المتمرد المستعد للشر وقدم شياطين الانس لأنهم أقوى في الايذاء . قال مالك بن دينار : إن شيطان الانس

كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا) بضمتين جمع قبيل أي فوجا فوجا وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا بصدقك (مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) لما سبق في علم الله (إِلَّا) لكن (أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) إيمانهم فيؤمنون (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) ذلك (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا) كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه (شَيَاطِينَ) مردة (الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي) يوسوس (بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ) مموهه من الباطل (غُرُورًا) أي ليغروهم (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ) أي الايحاء المذكور (فَذَرْهُمْ) دع الكفار (وَمَا يَفْتَرُونَ) من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَلِتَصْغَىٰ) عطف على غرورا أي تميل (إِلَيْهِ) أي الزخرف (أَفْئِدَةُ) قلوب (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا) يكتسبوا (مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ) من الذنوب فيعاقبوا عليه . ونزل لما طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل بينه وبينهم حكما قل

أشد علي من شيطان الجن وذلك إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن وشيطان الانس يجيئني فيجرني إلى المعاصي . وقال الغزالي : كن من شياطين الجن في أمان ، واحذر من شياطين الانس فان شياطين الانس أراحوا شياطين الجن من التعب وهذا على أن المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن ، وقيل إن الشياطين كلهم من إبليس وذلك أنه فرق أولاده فرقتين ففرقة توسوس للانس وتسمى شياطين الانس ، وفرقة توسوس لصحاء الجن وتسمى شياطين الجن وكل صحيح (قوله يوحي بعضهم) أي وهو شيطان الجن وقوله إلى بعض : أي وهو شيطان الانس قال تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك - (قوله من الباطل) بيان لزخرف القول وأشار به إلى أن المراد بالزخرف المموه الظاهر الفاسد الباطن (قوله أي ليغروهم) أشار بذلك إلى أن قوله غرورا مفعول لأجله (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم (قوله وما يفترون) ما اسم موصول أو نكرة موصوفة وجملة يفترون صلة أو صفة والعائد محذوف تقديره فذرهم والذي يفترونه أو مصدرية والتقدير فذرهم وافتراءهم (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهي منسوخة (قوله عطف على غرورا) أي فاللام للتعليل وما بين الجملتين اعتراض والتقدير يوحي بعضهم إلى بعض للغرور ولتصغى (قوله وليرضوه) أي يحبوه لأنفسهم (قوله من الذنوب) بيان لما وقوله فيعاقبوا أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير وليقترفوا عقاب ما هم مقترفون (قوله لما طلبوا) أي قريش (قوله أن يجعل بينه وبينهم حكما) أي من أحبار اليهود أو من أساقفة النصارى ليخبرهم بما في كتابهم من أوصاف النبي وأمره ،

(قوله أفغير الله) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أأميل لزخارفكم التي زينها الشيطان فغير الله أبتغي حكما وغير مفعول لأبتغي وحكما حال أو تمييز أو حكما مفعول وغير حال والحكم أبلغ من الحاكم لأن الحكم من تكرر منه الحكم وأما الحاكم فيصدق ولو بمرة أو لأن الحكم لا يجور أصلا والحاكم قد يجور (قوله وهو الذي أنزل) الجملة حالية كأنه قال أفغير الله أطلب حكما والحال أن الله هو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا فالذي يشهد لي هو القرآن وأما الكتب القديمة فإنها وإن كانت تشهد له أيضا لكن لما غيروا وبدلوا صارت غير معول عليها (قوله وأصحابه) أي ممن أسلم من علماء اليهود (قوله يعلمون أنه) أي الكتاب (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالحق) متعلق بمحذوف حال والتقدير أنه منزل من ربك حال كونه ملتبسا بالحق (قوله والمراد بذلك التقرير الخ) دفع بذلك ما يقال إن الشك مستحيل على النبي فكيف ينهى عما يستحيل وصفه به فأجاب بما ذكر. وأجيب أيضا بأنه من باب التعريض للكفار بأنهم هم الممترون فالخطاب له والمراد غيره (قوله وتمت كلمات ربك) أي القرآن وفيها قراءتان الجمع والإفراد فالجمع ظاهر والإفراد على إرادة الجنس والماهية وترسم بالتاء المجرورة على كل من القراءتين وهكذا كل ما قرئ بالجمع والإفراد إلا موضعين أحدهما في يونس في قوله تعالى - إن الذين حقت عليهم كلمة ربك - وثانيهما في غافر في قوله تعالى - وكذلك حقت كلمة ربك - فاختلف فيها المصاحف فبعضهم بالتاء المجرورة وبعضهم بالتاء المربوطة (قوله بالأحكام والمواعيد) راجع لقوله صدقا وعدلا على سبيل اللف والنشر المشوش ولو أخره لكان أحسن والمعنى تمت كلمات ربك من جهة الصدق كالأخبار والمواعيد والعدل كالأحكام فلا جور فيها. هذا إخبار من الله بحفظ القرآن من التغيير والتبديل كما وقع في الكتب المتقدمة وذلك سر قوله تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - وقوله تعالى - وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث - (قوله تمييز) أي على التوزيع أي صدقا في مواعيده وعدلا في أحكامه ويصح أن يكون حالا من ربك ويؤول المصدر باسم الفاعل أي حال كونه صادقا وعادلا (قوله لا مبدل لكلماته) هذا كالتوكيد لقوله وتمت كلمات ربك وقوله بنقض أو خلف راجع لقوله صدقا وعدلا على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله أي الكفار) تفسير للأكثر (قوله إن يتبعون) قدر المفسر ما إشارة إلى أن إن نافية بمعنى ما (قوله إذ قالوا الخ) إشارة لسبب نزول هذه الآية وما بعدها وذلك أن المشركين قالوا للنبي أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا أنت تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتلها الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فكيف تدعون أنكم تعبدون الله ولا تأكلون ما قتله ربكم فما قتله الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم أنتم (قوله إلا يخرصون) الخرص في الأصل الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة وقوله يكذبون سمي الخرص كذبا لأن فيه تتبع الظنون الكاذبة (قوله في ذلك) أي في قولهم ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (قوله أي عالم) دفع بذلك ما يقال إن أفعل التفضيل بعض ما يضاف إليه فأجاب بأن اسم التفضيل مؤول باسم الفاعل. وأجيب أيضا بأن قوله من يضل مفعول لمحذوف تقديره يعلم من يضل أو منصوب بنزع الخافض والتقدير بمن يضل يدل عليه قوله بعد: وهو أعلم بالمهتدين (قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) هذا رد لقولهم المتقدم فإن الميتة لم يذكر عليها اسم الله. واختلف في طلب ذكر اسم الله فعند مالك الوجوب مع الذكر وعند الشافعي السنية ،

(أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي) أطلب (حَكَمًا) قاضيا بيني وبينكم (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ) القرآن (مُفَصَّلًا) مبينا فيه الحق من الباطل (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ) بالأحكام والمواعيد (صِدْقًا وَعَدْلًا) تمييز (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) بنقض أو خلف (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْعَلِيمُ) بما يفعل (وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ) أي الكفار (يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَإِنْ) ما (هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يكذبون في ذلك (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ) أي عالم (مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فيجازي كلا منهم (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أي ذبح على اسمه (إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ).

وما لكم

والمراد بذكر اسم الله هنا عدم ذكر اسم غيره كالاصنام ليدخل ما إذا نسى التسمية فانها تؤكل وسيأتى ايضاح ذلك (قوله ومالكم ألاتأكلوا) هذا تأكيد لإباحة ماذبح على اسم الله وما استفهام مبتدأ ولكم خبره والتقدير أى شىء ثبت لكم فى عدم أكلكم الخ (قوله وقد فصل) أى بين وميز والواو للحال (قوله بالبناء للمفعول وللفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان وبقى ثالثة وهى بناء الأول للفاعل والثانى للمفعول (قوله فى الفعلين) أى فصل وحرم (قوله فى آية حرمت عليكم الميتة) أى التى ذكرت فى المائدة. وفى المقام إشكال أورده فخر الدين الرازى وهو أن سورة الأنعام مكية وسورة المائدة مدنية من آخر القرآن نزولا بالمدينة . وأجيب بأن الله علم أن سورة المائدة متقدمة على سورة الأنعام فى الترتيب لافى النزول فبهذا الاعتبار حسنت الحوالة عليها لسبقية علم الله بذلك ، وقال بعضهم الأولى أن يقال وقد فصل لكم الخ أى فى قوله قل لاأجد فيما أوحى إلىّ محرما الآية وهذه وإن كانت مذكورة بعد إلا أنه لايمنع الاستدلال بها للاتحاد فى وقت النزول (قوله إلا مااضطررتم إليه) استثناء منقطع لأن ما اضطر إليه ليس داخلا فى المحرم (قوله فهو أيضا حلال لكم) أى وهل يشبع ويتزود منها أو يقتصر على مايسدّ الرمق خلاف بين العلماء (قوله المعنى لامانع الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله وهذا ليس منه) أى من المحرم وأما مالم ينص على حرمته ولاحله فهو من قبيل الحل لأنه ذكر أشياء واستثنى الحرام منها فالحرام معدود معروف فمثل القهوة والدخان غيرمحرم إلا أن يطرأ له مايحرمه كالاسراف وتغييب العقل . وحاصل ذلك أن يقال إن اعتاد ذلك وصار دواء له فهو جائز لكن بقدر الضرورة وإن كان يضر جسمه أو يسرف فيه فهو حرام وإن اشتغل

وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) من الذبائح (وَقَدْ فَصَّلَ) بالبناء للمفعول والفاعل فى الفعلين (لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ) فى آية : حرمت عليكم الميتة (إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) منه فهو أيضا حلال لكم ، المعنى لا مانع لكم من أكل ماذكر وقد بين لكم المحرم أكله وهذا ليس منه (وَإِنَّ كَثِيراً لَيَضِلُّونَ) بفتح الياء وضمها (بِأَهْوَائِهِمْ) بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها (بِغَيْرِ عِلْمٍ) يعتمدونه فى ذلك (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) المتجاوزين الحلال إلى الحرام (وَذَرُوا) اتركوا (ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) علانيته وسره والاثم قيل الزنا وقيل كل معصية (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ) فى الآخرة (بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) يكتسبون (وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) بأن مات ،

به عن عبادة مندوبة فهو مكروه فكثرته إما حرام أو مكروه (قوله بفتح الياء) أى من ضل اللازم بمعنى قام به الضلال فى نفسه وقوله وضمها أى من أضل الرباعى بمعنى أوقع غيره فى الضلال (قوله بأهوائهم) الباء سببية وفى قوله بغير علم متعلق بمحذوف حال والمعنى يضلون فى أنفسهم أو يوقعون غيرهم فى الضلال بسبب اتباعهم هواءهم ملتبسين بغير علم (قوله وغيرها) أى كالدم ولحم الخنزير إلى آخر ماذكر فى آية المائدة (قوله إنّ ربك هو أعلم بالمعتدين) أى فيجازيهم على اعتدائهم (قوله وذروا) الأمر للمكلفين من الانس والجنّ وهو للوجوب (قوله علانيته وسره) لف ونشر مرتب (قوله قيل الزنا) أى وكان العرب يحبونه وكان الشريف منهم يستحى من إظهاره فيفعله سرّا وغير الشريف لايستحى من ذلك فيظهره فأنزل الله تحريمه ظاهرا وباطنا (قوله وقيل كل معصية) أى فالظاهر منها كالزنا والسرقة وبقية معاصى الجوارح الظاهرية والباطن منها كالكبر والحقد والحسد والعجب والرياء وحب الرياسة وغير ذلك من المعاصى القلبية وهذا التفسير هو الأقرب وإن كان الأول موافقا لسبب النزول لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله سيجزون فى الآخرة) أى بالعذاب الدائم إن كان مستحلا أو بالعذاب مدة ويخرج إن لم يكن مستحلا ومات من غير توبة ولم يعف الله عنه فان تاب الكافر قبل قطعا وإن تاب المسلم فقيل كذلك وقيل تقبل ظنا . إن قلت لأىّ شىء اختلف فى توبة المسلم دون الكافر . أجيب بأنّ رحمة الله سبقت غضبه فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر لكان مخلدا فى النار مع أن رحمته غلبت غضبه . وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة فلو لم يقبل توبته وعذبه فلابدّ له من الرحمة انتهاء غاية ماهناك عذابه تطهير له (قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) اختلف فى تفسير هذه الآية فقال بعض المجتهدين غير الأربعة الآية عامة فى كل شىء فأى شىء لم يذكر اسم الله عليه لايجوز أكله ، وقال بعضهم الآية مخصوصة بالذبيحة فمتى ترك التسمية عمدا أو نسيانا لا تؤكل ذبيحته ، وقال بعضهم إن تركها عمدا لا تؤكل وإن تركها نسيانا

أو عجزا كخرس أكلت وبه قال مالك وأبو حنيفة ، وقال بعضهم التسمية سنة فإن تركها عمدا أو نسيانا أكلت وبه قال الامام الشافعي ، وعن الامام أحمد روايتان الأولى يوافق فيها مالكا والثانية يوافق فيها الشافعي إذا علمت ذلك فمحمل الآية ماأهل به لغير الله فقط لأنه المفسر به الفسق فيما يأتي في قوله تعالى - أو فسقا أهل لغير الله به - وأما حكم الميتة فمعلوم من غير هذا الوضع وحملها المفسر عليهما معا وهما طريقتان (قوله أو ذبح على اسم غيره) أى وإن لم يذكر اسم غير الله وأما الكتابي إذا لم يذكر اسم الله ولم يهل به لغيره فانها تؤكل فان جمع الكتابي بين اسم الله واسم غيره أكلت ذبيحته عند مالك لأن اسم الله يعلو ولا يعلى عليه وأما المسلم إن جمع بينهما على وجه التشريك في العبودية فهو مرتد لا تؤكل ذبيحته (قوله وعليه الشافعي) أى فالتسمية عنده سنة (قوله أى الأكل منه) أى المفهوم من لاتأكلوا على حد اعدلوا هو أقرب للتقوى أى العدل المفهوم من اعدلوا (قوله وإن الشياطين) أى إبليس وجنوده من الجن (قوله الكفار) أى وهم شياطين الانس (قوله ليجادلوكم) تعليل ليوحون ، وذلك أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها ؟ فقال الله قتلها ، قالوا تزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الله حرام فنزلت (قوله إنكم لمشركون) أى لأن من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك لأنه أثبت حاكما غير الله ولا شك أنه إشراك (قوله وغيره) أى كعمر بن الخطاب أو حمزة أو عمار بن ياسر أو النبي صلى الله عليه وسلم ولكن العبرة بعموم اللفظ فهذا المثل للكافر والمسلم. وسبب نزولها على القول بأنها في أبي جهل وحمزة أن أبا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فأخبر حمزة بما فعل أبوجهل وكان حمزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحمزة لم يكن مؤمنا إذ ذاك فأقبل حمزة غضبان حتى علا أبا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبو جهل يتضرع إلى حمزة ويقول: يا أبا يعلى ألاترى ماجاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا ، فقال حمزة ومن أسفه

أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمداً أو نسياناً فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وَإِنَّهُ) أى الأكل منه (لَفِسْقٌ) خروج عما يحل (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ) يوسوسون (إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ) الكفار (لِيُجَادِلُوكُمْ) في تحليل الميتة (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) فيه (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) ونزل في أبي جهل وغيره (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً) بالكفر (فَأَحْيَيْنَاهُ) بالهدى (وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان (كَمَنْ مَثَلُهُ) مثل زائدة أى كمن هو (فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا) وهوالكافر ، لا (كَذَٰلِكَ) كما زين للمؤمنين الإيمان (زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الكفر والمعاصي (وَكَذَٰلِكَ) كما جعلنا فساق مكة أكابرها (جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا) ، (لِيَمْكُرُوا

منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، فأسلم حمزة يومئذ فنزلت الآية (قوله أو من كان ميتا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أيستويان ومن كان ميتا الخ ومن اسم شرط مبتدأ وكان فعل الشرط واسمها مستتر وميتا خبرها وقوله فأحييناه جواب الشرط وقوله كمن مثله خبر المبتدأ (قوله بالهدى) أى الايمان (قوله مثل زائدة) أى لأن المثل هو الصفة والمستقر في الظلمات ذواتهم لاصفاتهم (قوله ليس بخارج منها) هذا إخبار من الله بعدم إيمان أبي جهل رأسا ولكن تقدم أن العبرة بعموم اللفظ (قوله لا) أى لايستويان وأشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (كما زين للمؤمنين الايمان) أى لقوله تعالى - ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه في قلوبكم - (قوله زين للكافرين ما كانوا يعملون) أى والمزين لهم حقيقة هو الله ويصح نسبة التزيين إلى الشياطين من حيث الاغواء والوسوسة (قوله وكذلك) الكاف اسم بمعنى مثل ، والمعنى ومثل ماجعلنا في مكة كبراءها وعظماءها المجرمين جعلنا في كل قرية كبراءها وعظماءها مجرميها ، فذلك سنة الله أنه جعل أول من يقتدى بالرسل الضعفاء والمعارضين المنكرين الكبراء ليكون عز الرسل بربهم ظاهرا وباطنا وكل آية وردت في ذم الكفار تجر بذيلها على عصاة الأمة فان المباشر للظلم والفجور أكابر كل قرية ومدينة كما هو مشاهد (قوله فساق مكة) هو معنى مجرميها وحل المفسر يفيد أن مجرميها مفعول أول مؤخر وأكابر مفعول ثان مقدم وفي كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا وهو أحد أعاريب أربعة

الثانى أن قوله فى كل قرية مفعول ثان مقدم وأكابر مفعول أول مؤخر وهو مضاف لمجرميها وأخر المفعول الأول لأن فيه ضميرا يعود على المفعول الثانى فلو قدم لعاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة ، وقد أشار ابن مالك لذلك بقوله :

كذا إذا عاد عليه مضمر مما به عنه مبينا يخبر فيصير المعنى وكذلك جعلنا عظماء المجرمين كائنين فى كل قرية . الثالث أن فى كل قرية مفعول ثان وأكابر مفعول أول ومجرميها بدل من أكابر ولم يضف لئلا يلزم عليه إضافة الصفة للموصوف وهو لايجوز عند البصريين . الرابع أن أكابر مفعول أول مضاف لمجرميها وفى كل قرية ظرف لغو متعلق بجعلنا والمفعول الثانى محذوف تقديره فساقا ورد بأن هذا التقدير لافائدة فيه ولا محوج له فالأحسن الثلاثة الأول (قوله ليمكروا فيها) اللام إما لام العاقبة والصيرورة نظير ـ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ـ أو لام العلة بمعنى الحكمة ، وأما قولهم تنزه الله عن العلة فمعناه العلة الباعثة على الفعل ليتكمل به ، وأما الحكم فلا تخلو أفعال الله عنها سبحانك ماخلقت هذا عبثا والمكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور وترويج الباطل وهذه الأشياء لا تقبل عادة إلا من الكبراء (قوله بالصد عن الإيمان) أى لما ورد أن كل طريق من طرق مكة كان يجلس عليه أربعة يصرفون الناس عن الإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن (قوله لأن وباله عليهم) أى وبال مكرهم لاحق بهم. قال تعالى ـ ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ـ وقال أيضا ـ سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله ـ الآية (قوله وما يشعرون بذلك) أى لم يعلموا بأن وباله عليهم (قوله وإذا جاءتهم آية) نزلت فى الوليد بن المغيرة حيث قال للنبي : لو كانت النبوة حقا لكنت أنا أولى بها منك لأنى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا ، وقيل فى أبى جهل حيث قال : زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه (قوله آية) أى معجزة كانشقاق القمر وحنين الجذع ونبع الماء (قوله لن نؤمن) أى نصدق برسالته (قوله مثل ما أوتى رسل الله) قال بعضهم: يسن الوقف

(٤١)

لِيَمْكُرُوا فِيهَا) بالصد عن الإيمان (وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ) لأن وباله عليهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) بذلك (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ) أى أهل مكة (آيَةٌ) على صدق النبى صلى الله عليه وسلم (قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ) به (حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ) من الرسالة والوحى إلينا لأنا أكثر مالا وأكبر سنا ، قال تعالى (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ) بالجمع والافراد وحيث مفعول به لفعل دل عليه أعلم أى يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلا لها (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) بقولهم ذلك (صَغَارٌ) ذل (عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) أى بسبب مكرهم (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ ،

عليه هنا ويستجاب الدعاء بين هاتين الجلالتين ، وذكر بعضهم له دعاء مخصوصا وهو : اللهم من الذى دعاك فلم تجبه ومن الذى استجارك فلم تجره ومن الذى سألك فلم تعطه ومن الذى استعان بك فلم تعنه ومن الذى توكل عليك فلم تكفه ياغوثاه ياغوثاه ياغوثاه بك أستغيث أغثنى يا مغيث واهدنى هداية من عندك واقض حوائجنا واشف مرضانا واقض ديوننا واغفر لنا ولآبائنا ولأمهاتنا بحق القرآن العظيم والرسول الكريم برحمتك يا أرحم الراحمين اهـ (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله لفعل دل عليه أعلم) دفع بذلك مايقال مع أن حيث مفعول به وليست ظرفا لأنها كناية عن الذات التى قامت بها الرسالة واسم التفضيل لاينصب المفعول به فأجاب بما ذكر . وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه بل هو مؤول باسم الفاعل وهذا أولى لأن مالاتقدير فيه خير مما فيه تقدير وأيضا يدفع توهم المشاركة بين علم القديم والحادث ، والحاصل أن اسم التفضيل فى أسماء الله وصفاته كأكرم وأعلم وأعظم وأجل ليس على بابه (قوله الموضع الصالح لوضعها فيه) أى الذات التى تستحق الرسالة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله الذين أجرموا) أى وماتوا على الكفر (قوله صغار) كسحاب مصدر صغر كتعب معناه الذل والهوان ، وأما الصغر ضد الكبر فيقال فيه صغر بالضم كعظم فهو صغير (قوله عند الله) إما ظرف ليصيب أو لصغار والعندية مجازية كناية عن الحشر والوقوف بين يديه والحساب والجزاء (قوله أى بسبب مكرهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية (قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره) اعلم أن الله سبحانه وتعالى جعل خلقه فى الأزل قسمين شقى وسعيد وجعل لكل علامة تدل عليه فعلامة السعادة شرح الصدر للاسلام وقبوله لما يرد عليه من النور والأحكام وعلامة الشقاوة ضيق الصدر وعدم قبوله لذلك ، وجعل لكل قسم فى الآخرة دارا يسكنونها فلأهل السعادة الجنة ونعيمها ولأهل الشقاوة

النار وعذابها لما في الحديث « إن الله خلق خلقا وقال هؤلاء للجنة ولا أبالي وخلق خلقا وقال هؤلاء للنار ولا أبالي » فذكر في هذه الآية علامة كل قسم فاذا رزق الله العبد شرح الصدر وأسكنه حلاوة الايمان فليعلم أن الله أعظم عليه النعمة :

* و بضدها تتميز الأشياء

ومن اسم شرط ويرد فعل الشرط ويشرح جوابه (قوله يهديه) أي يوصله للمقصود وليس المراد الدلالة لأنها هي شرح الصدر (قوله يشرح صدره) الشرح في الأصل التوسيع والمراد هنا لازمه وهو أن يقذف الله في قلب الشخص النور حتى تكون أحواله مرضية لله لأنه يلزم من الوسع قبول مايحل فيه (قوله كما ورد في حديث) أي وهو أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال « هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفتح » قيل فهل لذلك أمارة ؟ قال نعم الانابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت » وفي رواية « قبل لقيّ الموت » (قوله ومن يرد أن يضله) أي يمنعه عن الوصول ويسكنه دار العقاب ويطرده عن رحمته ومن اسم شرط ويرد فعل الشرط ويجعل جوابه وجعل بمعنى صير فصدره مفعول أول وضيقا مفعول ثان وحرجا صفته ، والمعنى أن من أراد الله شقاوته وطرده عن رحمته ضيق قلبه فلا يقبل شيئا من أصول الاسلام ولامن فروعه ولوقطع إربا إربا وعلامة ذلك إذا ذكر التوحيد نفر قلبه واشمأز وإن نطق بلسانه كأهل النفاق . قال تعالى ـ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة ـ الآية (قوله بالتخفيف والتشديد) أي كميت وميت قراءتان سبعيتان (قوله شديد الضيق) أي زائده فلا يقبل شيئا من الهدى أصلا (قوله بكسر الراء صفة) أي اسم (٤٢) فاعل كفرح فهو فرح (قوله وصف به مبالغة) أي أو على حذف مضاف : أي ذا حرج على حد زيد عدل (قوله كأنما يصعد) أي يتكلف الصعود فلا يستطيعه (قوله وفيهما إدغام التاء في الأصل) أي بعد قلبها صادا فأصل الأولى يتصعد وأصل الثانية يتصاعد وهاتان القراءتان مع تشديد ضيقا وكسر راء حرجا أو فتحها ، وأما قوله وفي أخرى بسكونها فهي

يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ) بأن يقذف في قلبه نورا فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث (وَمَنْ يُرِدْ) الله (أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا) بالتخفيف والتشديد عن قبوله (حَرَجًا) شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وصف به مبالغة (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ) وفي قراءة يصاعد وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي أخرى بسكونها (فِي السَّمَاءِ) إذا كلف الإيمان لشدته عليه (كَذَلِكَ) الجعل (يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ) العذاب أو الشيطان أي يسلطه (عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . وَهَذَا) الذي أنت عليه يامحمد (صِرَاطُ) طريق (رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الاشارة (قَدْ فَصَّلْنَا) بينا (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظون وخصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون

قراءة من خفف ضيقا وفتح حرجا فالمخفف للمخفف والمشدد للمشدد (قوله لشدته عليه) (لم

أي لتعسر الايمان عليه فان القلب بيد الله يسكن فيه أي الأمرين شاء وليس مملوكا لصاحبه وحينئذ فلا ينبغي له أن يأمن لما هو في قلبه من الايمان ومحبة الله ورسوله ، ومن هنا علمنا الله طلب الهداية على سبيل الدوام مع كونها حاصلة بقوله ـ اهدنا الصراط المستقيم ـ وبقوله ـ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ـ الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم يامقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك » ولذا خاف العارفون ولم يسكنوا إلى علم ولا عمل لما علموا أن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ولا يأمنون حتى تقبض أرواحهم على الايمان ولكن شأن الكريم إن منّ تمم لأنه وعد منه وهو لايخلف (قوله أي يسلطه) أي الشيطان وهو تفسير للجعل على التفسير الثاني ، وأما تفسيره على الأول فمعناه يلقي ويصب (قوله الذي أنت عليه) أي وهو الاسلام (قوله صراط ربك) شبه دين الاسلام بالصراط المستقيم الذي لااعوجاج فيه واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية (قوله ونصبه على الحال المؤكدة للجملة) المناسب أن يقول المؤكدة لصراط لأن الحال المؤكدة للجملة عاملها مضمر قال ابن مالك :

وإن تؤكد جملة فمضمر   عاملها ولفظها يؤخر

فينافيه قوله والعامل فيها معنى الاشارة (قوله معنى الاشارة) المناسب أن يقول والعامل فيها اسم الاشارة باعتبار مافيه من معنى الفعل وهو أشير (قوله فيه إدغام التاء في الأصل) أي بعد قلبها ذالا (قوله وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون) أي المؤتمرون بأمره المنتهون بنهيه وهم الصالحون المتقون فبقاء القرآن دليل على بقاء جماعة على قدم النبي بدليل هذه الآية وآية ـ الله نزل أحسن

الحديث كتابا متشابها ـ ولاعبرة بمن يقول عدمت الصالحون وربما قال أنا لم أر أحدا منهم ، فقد قال ابن عطاء الله : أولياء الله عرائس مخدرة ولايرى العرائس المجرمون (قوله لهم دار السلام) الجار والمجرور خبر مقدّم ودار السلام مبتدأ مؤخر والجملة يحتمل أن تكون مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدّر تقديره وماجزاء من ينتفع بالذكرى فأجاب بقوله ـ لهم دار السلام ـ ويحتمل أن يكون حالا من القوم أو صفة لهم ، والتقدير قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون حال كونهم لهم دار السلام أو موصوفين بكونهم لهم دار السلام (قوله أى السلامة) أى من جميع المخاوف والمكاره لأن بدخولها يحصل الأمن التام من جميع المكاره حتى الموت ويصح أن المراد بالسلام التحية الواقعة من الله والملائكة . قال تعالى ـ تحيتهم فيها سلام ـ وقال ـ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ـ وقال ـ لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما ـ (قوله وهى الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بدار السلام ما يعم باقى الجنان ، وليس المراد خصوص الدار المسماة بدار السلام (قوله عند ربهم) العندية عندية شرف بمعنى أنها منسوبة لله خاصة وليس لأحد فيها منة أوالمعنى أن من دخلها كان فى حضرة ربه لايشهد شيئا سواه ولايحجب بنعيمها عن مولاه بل كلما ازداد من الجنة نعيما ازداد قربا من الله وزالت الحجب عن قلبه بخلاف الدنيا إذا اشتغل بشىء من زينتها بعد عن الله فكلما ازداد فيها شغلا ازداد بعدا عن الله فلايخلص منها إلا من جاهد نفسه وخرج عن هواه (قوله وهو وليهم) الجملة حالية ، والمعنى ناصرهم ومتولى أمورهم ، وقوله بما كانوايعملون الباء سببية وما مصدرية ، والتقدير بسبب عملهم السابق تولاهم وأدخلهم حضرة قربه (قوله ويوم نحشرهم) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى الله) تفسير للضمير على قراءة الياء والنون على القراءة الأخرى

(٤٣)

(لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ) أى السلامة وهى الجنة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَ) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) بالنون والياء أى الله الخلق (جَمِيعاً) ويقال لهم (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ) باغوائكم (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ) الذين أطاعوهم (مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات ، والجن بطاعة الإنس لهم (وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا) وهو يوم القيامة وهذا تحسر منهم (قَالَ) تعالى لهم على لسان الملائكة (النَّارُ مَثْوَاكُمْ) مأواكم (خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ) من الأوقات التى يخرجون فيها ،

(قوله الخلق) أى جميع الحيوانات عقلاء وغيرهم (قوله جميعا) توكيد للضمير أوحال منه (قوله يامعشر الجنّ) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقال لهم وليس معمولا لنحشرهم بل هما جملتان وهذا الخطاب بعد جمع الخلائق فى الموقف وتصيير غير العاقل ترابا ، وقوله يا معشر الجنّ المعشر الجماعة والجمع معاشر ، والمراد بالجنّ الشياطين (قوله قد استكثرتم) السين والتاء لتأكيد الكثرة (قوله باغوائكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير قد استكثرتم من إغواء الانس (قوله وقال أولياؤهم من الانس) لعل وجه الاقتصار على كلام الانس الاشارة إلى أن الجنّ بهتوا فلم يردّوا جوابا ، وقوله من الانس فى محل نصب على الحال (قوله ربنا) منادى حذف منه حرف النداء (قوله انتفع الإنس بتزيين الجنّ لهم الشهوات) أى التى تنوعت فيها الإنس من سحر وكهانة ودعوى ألوهية ودعوى نبوة وسائر الأديان والعقائد الباطلة ، ومن ذلك كان الرجل فى الجاهلية إذا سافر فنزل بأرض قفراء خاف على نفسه من الجن فقال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى جوارهم (قوله بطاعة الانس لهم) أى فى هذه الأمور المزينة ، فاستمتاع الجن بالانس بالسلطنة التى تولوها عليهم حيث امتثلوا أوامرهم وكانوا من حزبهم ودخلوا فى جاههم (قوله الذى أجلت لنا) أى الذى قدّرته لنا (قوله وهذا تحسر منهم) أى ما وقع منهم من تلك المقالة تحسر وتحزن على ماسلف منهم من طاعة الشيطان واتباع الهوى (قوله على لسان الملائكة) مرور على القول بأن الله لا يكلمهم يوم القيامة أصلا (قوله خالدين فيها) حال من الكاف فى مثواكم (قوله من الأوقات التى يخرجون فيها) تبع المفسر فى ذلك شيخه الجلال المحلى فى تفسير سورة الصافات وهو مخالف لظاهر قوله تعالى ـ يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها ـ والأحسن أن يقال إلا ما شاء الله من الأوقات التى ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير فينقلون من عذاب النار ويدخلون واديا فيه من الزمهرير ، وهو شدة البرد ما يقطع بعضهم من بعض ، فيطلبون الردّ إلى الجحيم كما ذكر فى حواشى البيضاوى .

(قوله لشرب الحميم) أى وهو ماء شديد الحرارة يقطع الأمعاء وذلك حين يستغيثون من شدة حرّ النار يطلبون الماء ليبرّد عنهم تلك الحرارة قال تعالى: وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه (قوله وعند ابن عباس الخ) أى فيحمل على من مات مؤمنا وهو مصرّ على المعاصى ونفذ فيه الوعيد ويكون المراد من النار دار العذاب وإن لم تكن دار خلود لجهنم لعصاة المؤمنين (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشىء فى محله (قوله عليم بخلقه) أى فيجازى كلا على عمله (قوله نولى) أى نسلط ونؤمر (قوله بما كانوا يكسبون) الباء سببية وما مصدرية. والمعنى كما متعنا الانس والجنّ بعضهم ببعض فسلط بعض الظالمين على بعض بسبب كسبهم من المعاصى فيؤخذ الظالم بالظالم لما فى الحديث «ينتقم الله من الظالم بالظالم ثم ينتقم من كليهما» ولما فى الحديث أيضا «كما تكونوا يولى عليكم» ومن هذا المعنى قول الشاعر:

وما من يد إلا يد الله فوقها ... وما ظالم إلا سيبلى بظالم

(قوله يامعشر الجنّ والانس) هذا زيادة فى التوبيخ عليهم لأن الله سبحانه وتعالى أوّلا وبخ الفريقين بتوجيه الخطاب للجنّ وثانيا خاطبهم جميعا ووبخهم (قوله أى من مجموعكم) دفع بذلك مايقال إن ظاهر الآية يقتضى أن من الجنّ رسلا مع أن الرسالة مختصة بالانس فليس من الجن بل ولا من الملائكة رسل. فأجاب بأن المراد من مجموعكم الصادق بالانس، ونظير ذلك قوله تعالى: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان، أى من أحدهما وهو الملح وقوله تعالى: وجعل القمر فيهنّ نورا أى فى إحداهن وهى سماء الدنيا (قوله أو رسل الجن ندرهم) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو تسليم أن هناك رسلا من الجن لكنهم رسل الرسل الذين يسمعون من النبى المواعظ والأحكام ويبلغون قومهم ذلك قال تعالى: وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قال أنصتوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين الآية وقال تعالى: قل أوحى إلىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد الآيات

لشرب الحميم فإنه خارجها كما قال: ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم. وعن ابن عباس أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فما بمعنى من (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقه (وَكَذَٰلِكَ) كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض (نُوَلِّي) من الولاية (بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا) أى على بعض (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من المعاصى (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) أى من مجموعكم أى بعضكم الصادق بالإنس أورسل الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم (يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا) أن قد بلغنا، قال تعالى (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) فلم يؤمنوا (وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ. ذَٰلِكَ) أى إرسال الرسل (أَنْ) اللام مقدرة وهى مخففة أى لأنه (لَمْ يَكُنْ

ربك

فيكون المعنى على ذلك ألم يأتكم رسل منكم أى من الانس يبلغونكم عن الله ومن الجن يبلغونكم عن الرسل، والمراد جنس الرسل الصادق بالواحد وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لم يرسل لهم غيره، وأما حكم سليمان فيهم فحكم سلطنة وملك لاحكم رسالة، وأما قوله تعالى حكاية عن الجن: ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى فلايلزم من علمهم بموسى وسماعهم لكتابه أن يكونوا مكلفين به (قوله يقصون عليكم آياتى) القص معناه الحديث أى يحدّثونكم بآياتى على وجه البيان (قوله وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى يخوّفونكم يوم القيامة، والمعنى يحذرونكم من مخالفة الله التى توجب الخوف يوم القيامة (قوله أن قد بلغنا) يصح بناؤه للفاعل والمفعول (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) عطف سبب على مسبب أوعلة على معلول (قوله وشهدوا على أنفسهم) كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به فأوّلا شهدوا بتبليغ الرسل لهم وثانيا شهدوا بكفرهم زيادة فى التقبيح عليهم، والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به والتحذير من فعل مثل ذلك. إن قلت إن شهادتهم بكفرهم تدل على أنهم أقروا به وهو مناف لقوله تعالى: والله ربنا ما كنا مشركين. أجيب بأن مواقف القيامة مختلفة فأوّلا حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم ويمشون على الصراط لدخول الجنة ينكرون الاشراك طمعا فى دخولهم فى زمرة المؤمنين، فحينئذ يختم على أفواههم وتنطق أعضاؤهم قهرا عليهم وتقر بالكفر (قوله ذلك أن لم يكن) اسم الاشارة مبتدأ وأن لم يكن خبره واللام محذوفة وأن مخففة من من الثقيلة واسمها ضمير الشأن كما قال المفسر والتقدير ذلك ثابت لأنه لم يكن الخ

(قوله لم يكن ربك مهلك القرى) أي لغلبة رحمته لا ينزل العذاب على من خالف وعصى حتى يتكرر عليهم الإنذار والتخويف (قوله بظلم منها) الباء سببية وقدّر المفسر قوله منها إشارة إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من القرى، والمعنى لم يكن مهلك أهل القرى بسبب وقوع ظلم منها والحال أن أهلها لم يرسل لهم رسول (قوله من العاملين) أي طائعين أوعاصين (قوله جزاء) دفع بذلك ما يقال إن الدرجات بالجيم للطائعين فينافي العموم المتقدم. فأجاب بأن المراد بالدرجات الجزاء وهو صادق بالدرجات والدركات. وأجيب أيضا بأن في الكلام اكتفاء أي ودركات على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وربك الغني) هذا مرتب على ما قبله جواب عما يقال حيث كان لكل من الطائعين والعاصين جزاء لا مفرّ لهم منه فما وجه إمهالهم وعدم تعجيل ذلك لهم؟. فأجاب بأنه الغني فلا ينتفع بطاعة الطائع ولا تضرّه معصية العاصي وربك مبتدأ والغني خبره وذو الرحمة خبر ثان ويصح أن يكون الغني وذو الرحمة صفتين له وجملة إن يشأ يذهبكم خبره (قوله ذو الرحمة) أي ومن أجل ذلك بقاء الخلق من غير استئصال الهلاك لهم (قوله بالاهلاك) أي جملة واحدة بحيث لم يبق منهم أحد كعاد وثمود (قوله ويستخلف من بعدكم ما يشاء) أي ينشئ ويوجد بعد إذهابكم ما يشاء (قوله من ذرّية قوم آخرين) أي وهم أهل سفينة نوح وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم (قوله ولكنه أبقاكم رحمة لكم) أي لوجود نبيكم لأنه بعث رحمة لاعذابا (قوله من الساعة) بيان لما (قوله لآت) خبر إن مرفوع بضمة (٤٥) مقدّرة على الياء المحذوفة لالتقاء

ربك مهلك القرى بظلم) منها (وأهلها غافلون) لم يرسل إليهم رسول يبين لهم (ولكلٍّ) من العاملين (درجات) جزاء (مما عملوا) من خير وشر (وما ربك بغافل عما يعملون) بالياء والتاء (وربك الغني) عن خلقه وعبادتهم (ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم) يا أهل مكة بالاهلاك (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) أذهبها ولكنه أبقاكم رحمة لكم (إنّ ما توعدون) من الساعة والعذاب (لآتٍ) لا محالة (وما أنتم بمعجزين) فائتين عذابنا (قل) لهم (يا قوم اعملوا على مكانتكم) حالتكم (إني عامل) على حالتي (فسوف تعلمون من) موصولة مفعول العلم (تكون له عاقبة الدار) أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم (إنه لا يفلح) يسعد (الظالمون) الكافرون (وجعلوا) أي كفار مكة (لله مما ذرأ) خلق (من الحرث) الزرع (والأنعام نصيبا) يصرفونه إلى الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلى سدنتها (فقالوا هذا لله بزعمهم)

الساكنين كقاض (قوله وما أنتم بمعجزين) أي فارين من عذابنا بل هو مدرككم لا محالة (قوله اعملوا على مكانتكم) هذا أمر تهديد وزجر نظير قوله تعالى: اعملوا ما شئتم وقوله عليه الصلاة والسلام «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» والمكانة إما من التمكن وهو الاستطاعة فتكون الميم أصلية أومن الكون بمعنى الحالة فتكون زائدة والمفسر جعلها بمعنى الحالة (قوله من موصولة مفعول العلم) أي وتكون صلتها وعاقبة الدار اسمها وله خبرها وعلم عرفانية متعدية لواحد ويصح أن تكون من استفهامية مبتدأ وجملة تكون مع اسمها وخبرها خبر المبتدأ والمبتدأ والخبر في محل نصب سدت مسد مفعول تعلمون (قوله أي العاقبة المحمودة في الدار) أشار بذلك إلى أن الاضافة على معنى في والمراد بالعاقبة المحمودة الراحة التامة والسرور الكامل (قوله أنحن أم أنتم) هذا يناسب كون من استفهامية لا موصولة وإلا لو جعلها موصولة لقال فسوف تعلمون الفريق الذي له عاقبة الدار (قوله إنه لا يفلح الظالمون) استئناف كأنه واقع في جواب سؤال مقدّر تقديره ما عاقبتهم فقال إنه لا يفلح الظالمون (قوله وجعلوا لله) هذا من جملة قبائحهم وخسران عقولهم وجعل فعل ماض والواو فاعل ولله جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم ونصيبا مفعول أول مؤخر ومما ذرأ متعلق بجعلوا (قوله من الحرث) متعلق بمحذوف حال من ماذرأ (قوله الزرع) أي ما يزرع كان حبا أوغيره (قوله والأنعام) أي الابل والبقر والغنم (قوله ولشركائهم) متعلق بمحذوف تقديره وجعلوا لشركائهم وأشار المفسر بذلك إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التفصيل بعد ذلك بقوله وهذا لشركائنا (قوله إلى سدنتها) أي خدمتها (قوله فقالوا) هذا تفريع على الشق المذكور والشق المطوي (قوله بزعمهم) الزعم الكذب ومصبه قوله بعد: وهذا لشركائنا فمحط الكذب التنصيف حيث جعلوا نصف ما خلق الله وأنشأه من الحرث والأنعام له ونصفه لشركائهم وحق الجميع أن يكون لله ويحتمل أن الزعم من حيث ادّعاؤهم الملك وإنشاء الجعل من عندهم لله والملك في الحقيقة لله

(قوله بالفتح والضم) أى فهما قراءتان سبعيتان الأولى لغة أهل الحجاز والثانية لغة بنى أسد وفى لغة بالكسر لكن لم يقرأ بها والكل بمعنى واحد (قوله فكانوا إذا سقط فى نصيب الله شىء من نصيبها التقطوه) أى وكانوا إذا رأوا ماعينوه لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم و إن رأوا مالآلهتهم أزكى تركوه حبا لها ، و إذا هلك ماجعلوه لها أخذوا بدله مما جعلوه لله ولايفعلون ذلك فيما جعلوه لله (قوله أى لجهته) أى لجهة مراضيه و إلا فيستحيل على الله الوصول والجهة (قوله ساء مايحكمون) ساء فعل ماض وما اسم موصول فاعل و يحكمون صلته والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله حكمهم وقوله هذا بدل من حكمهم لأن حكمهم مبتدأ والجملة قبله خبره (قوله وكذلك) الجملة معطوفة على الجملة قبلها والكاف بمعنى مثل (قوله زين لكثير من المشركين) زين بالبناء للفاعل ولكثير متعلق بزين ومن المشركين صفة لكثير وقتل بالنصب مفعول لزين وهو مضاف لأولادهم وشركاؤهم بالرفع فاعل زين وقرأ ابن عامر من السبعة زين بالبناء للمفعول وقتل بالرفع نائب فاعل زين وأولادهم بالنصب مفعول المصدر الذى هو قتل وقتل مضاف وشركائهم مضاف إليه ولايضر الفصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف لأنه ليس أجنبيا والمضر الفصل بالأجنبى وهذه القراءة متواترة صحيحة موافقة للنحو خلافا لمن شذ وعاب على من قرأ بها كيف وهو أعلى القراءة سندا وأقدمهم هجرة وقرأ أبوعبد الرحمن السلمى زين مبنيا للمفعول وقتل نائب الفاعل وأولادهم بالجر مضاف لقتل وشركاؤهم

بالرفع فاعل قتل . قال ابن مالك :

و بعد جره الذى أضيف له
كمل بنصب أو برفع عمله

وقرأ أهل الشام كقراءة ابن عامر إلا أنهم خفضوا الأولاد أيضا على أن شركائهم صفة لهم بمعنى أنهم يشركونهم فى المال والنسب وقرأ فرقة من أهل الشام زين بكسر الزاى بعدها ياء ساكنة مبنى للمفعول كقيل و بيع وقتل نائب الفاعل وأولادهم بالنصب وشركائهم بالجر وتوجيهها معلوم مما تقدم فجملة القراآت خمس اثنتان سبعيتان وهما اللتان مشى عليهما المفسر وثلاثة شواذ

بالفتح والضم (وَهٰذَا لِشُرَكَائِنَا) فكانوا إذا سقط فى نصيب الله شىء من نصيبها التقطوه، أو فى نصيبها شىء من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غنى عن هذا كما قال تعالى (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللهِ) أى لجهته (وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ) بئس (مَا يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا (وَكَذٰلِكَ) كما زين لهم ما ذكر (زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ) بالوأد (شُرَكَاؤُهُمْ) من الجن بالرفع فاعل زين . وفى قراءة ببنائه للمفعول ورفع قتل ونصب الأولاد به وجر شركائهم بإضافته . وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول ولا يضر . و إضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به (لِيُرْدُوهُمْ) يهلكوهم (وَلِيَلْبِسُوا) يخلطوا (عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَقَالُوا هٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ) حرام (لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ) من خدمة الأوثان وغيرهم (بِزَعْمِهِمْ) أى لا حجة لهم فيه (وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا) فلا تركب كالسوائب والحوامى (وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا) عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ، ونسبوا

(قوله بالوأد) هو دفن الإناث بالحياة مخافة الفقر والعار قال تعالى: و إذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت (قوله من الجن) أى الملابسين للأصنام (قوله ولايضر) رد على منع ذلك وعاب على ابن عامر (قوله وإضافة القتل) مبتدأ وقوله لأمرهم به خبره ومباشر القتل هو كثير من المشركين (قوله ليردوهم) علة للتزيين وقوله وليلبسوا معطوف على ليردوهم وهو من لبس بفتح الباء يلبس بكسرها لبسا بمعنى خلط (قوله ولوشاء الله مافعلوه) مفعول شاء محذوف تقديره عدم فعلهم والمعنى لوأراد الله عدم التزيين والقتل مافعلوه لأن الله هو الموجد للخير والشر وأعمال الخلق أسباب ظاهرية فى الخير والشر و إلا فمرجع الكل إلى الله ، ومن هنا قول سيدى إبراهيم الدسوقى : من نظر للخلق بعين الشريعة مقتهم ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم .

وقال بعض العارفين :

الكل تقدير مولانا وتأسيسه — فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك إذا زادت وساوسه — إبليس لما طغى من كان إبليسه

(قوله فذرهم وما يفترون) أى اتركهم وافتراءهم (قوله وقالوا) هذا نوع آخر من أنواع قبائحهم وقوله هذه أنعام الخ الاشارة إلى ماجعلوه لآلهتهم (قوله حجر) بمعنى محجور كذبح بمعنى مذبوح أى ممنوعة (قوله لايطعمها) أى لايأكلها والضمير عائد على الأنعام والحرث (قوله وغيرهم) أى من الرجال دون النساء (قوله بزعمهم) حال من فاعل قالوا (قوله كالسوائب والحوامى) أى والبحائر .

(قوله ونسبوا ذلك) أى التقسيم إلى الأقسام الثلاثة بأن قالوا قسم حجر أى ممنوع منه بالكلية ، وقسم لايركب و إن كان يجوز أخذ لبنه وأولاده ، وقسم لايذكر اسم الله عليه عنـد الذبح و إنما يذكر اسم الصنم وقوله افتراء معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ونسبوا ذلك (قوله بما كانوا يفترون) أى بسبب افترائهم (قوله وقالوا) هـذا إشارة لنوع آخر من أنواع قبائحهم (قوله مافى بطون هذه الأنعام) أى نتاج الأنعام السوائب والبحائر فما ولد منها حيا فهو حلال للذكور خاصة وما ولد منها ميتا فهو حلال للذكور والاناث (قوله خالصة) خبر عن ما باعتبار معناها وقوله ومحرم خبر عنها باعتبار لفظها (قوله مع تأنيث الفعل) أى باعتبار معنى ما وهو الأجنة وهـذا على النصب وأما على الرفع فباعتبار تأنيث الميتة وقوله وتذكيره أى باعتبار لفظ ما على قراءة النصب و باعتبار أن تأنيث الميتة مجازى على قراءة الرفع فالقراءات أربع وكلها سبعية وكان ناقصة فى النصب واسمها ضمير يعود على ما وتامة فى الرفع فاعلها ميتة (قوله فهم فيه) أى ذكورهم وإناثهم يأكلون منه جميعا (قوله وصفهم) أى جزاء وصفهم والمراد بوصفهم التحليل والتحريم الذى اخترعوه فالباء فى قوله بالتحليل والتحريم لتصوير الوصف (قوله إنه حكيم) تعليل لمجازاته إياهم أى فمن أجل حكمته وعلمه لايترك جزاءهم (قوله قد خسر الذين قتلوا) أى فى الدنيا باعتبار السعى فى نقص عددهم و إزالة ما أنعم الله به عليهم وفى الآخرة باستحقاق العـذاب الأليم (قوله بالتخفيف والتشـديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جهلا) روى البخارى عن ابن عباس قال إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ مافوق الثلاثين والمائة من الانعام: قد خسر الذين إلى قوله وما كانوا مهتدين (قوله وحرموا) معطوف على قتلوا فهو صلة ثانيـة (قـوله افتراء) معمول لحرموا (قوله قد ضلوا) أى عن الطريق المستقيم وقوله وما كانوا مهتدين

ونسبوا ذلك إلى الله (افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) عليه (وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ) المحرمة وهى السوائب والبحائر (خَالِصَةٌ) حلال (لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا) أى النساء (وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةٌ) بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره (فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ) الله (وَصْفَهُمْ) ذلك بالتحليل والتحريم أى جزاءه (إِنَّهُ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقه (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا) بالتخفيف والتشديد (أَوْلَادَهُمْ) بالوأد (سَفَهًا) جهلا (بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) مما ذكر (افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ) خلق (جَنَّاتٍ) بساتين (مَعْرُوشَاتٍ) مبسوطات على الأرض كالبطيخ (وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ) بأن ارتفعت على ساق كالنخل (وَ) أنشأ (النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ) ثمره وحبه فى الهيئة والطعم (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا) ورقهما حال (وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ) طعمهما (كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ) قبل النضج (وَآتُوا حَقَّهُ):

فيه إعلام بأن هؤلاء الذين فعلوا هذا الفعل يموتون على الضلال كأن الله يقول لنبيه لا تعلق آمالك بهداهم (قوله وهو الذى أنشأ جنات) هـذا امتنان من الله على عباده و بيان أن كل نعمة منه (قوله جنات) المراد بها جميع ماينبت أعم من أن يكون بساتين أولا بدليل مابعده من باب تسمية الكل باسم جزئه الأشرف أو أطلق الخاص وأراد العام فلا مفهوم لقول المفسر بساتين (قوله كالبطيخ) أى والعنب إذا لم يوضع على عريش (قوله كالنخل) أى وغيره مماله ساق يرتفع به كالجميز والنبق والعنب إذا وضع على عريش والحبوب وقيل المعروشات المرتفعات على ساق وغير المعروشات مالا ساق له عكس ما ذكر المفسر (قوله والنخل والزرع) قدر المفسر أنشأ إشارة إلى أنه معطوف على جنات عطف خاص على عام والنكتة عموم النفع بالنخل والزرع لاقامتهما بنية الآدمى فهما يغنيان عن غـيرهما وغيرهما لايغنى عنهما والمراد بالزرع جميع الحبوب التى يقتات بها (قوله مختلفا أكله) فالمعنى أنشأه مقدرا فى علمه سبحانه أن أكله مختلف والأكل بالضم المأكول أى مأكول كل منهما مختلف فى الصفة والطعم واللون والرائحة (قوله ثمره وحبـه) لف ونشر مرتب (قوله والزيتون والرمان) معطوف أيضا على جنات وخصهما لأنهما أشرف الثمار بعد النخل (قوله متشابها) هو بمعنى مشتبها المتقدم إلا أن القراءة سـنة متبعة (قوله طعمهما) أى ولونهما وريحهما وجرمهما (قوله كلوا من ثمره) هذا أمر إباحة (قوله قبل النضج) أى استوائه ووجوب الزكاة فيـه فلا تتوقف إباحة الأكل على الوصول إلى حد وجوب الزكاة فيه وهو النضج أو التهيؤ له ولا يحسب عليه شئ للفقراء أما بعد النضج

فكل ما أكله حسبت عليه زكاته (قوله زكاته) هذا تفسير ابن عباس وأنس بن مالك واستشكل بأن السورة مكية وفرض الزكاة كان بالمدينة فى السنة الثانية من الهجرة . وأجيب بأن الآية مدنية وقيل المراد بالحق إطعام من حضر وترك ماسقط من الزرع والثمر للفقراء وهو قول الحسن وعطاء ومجاهد وعلى هذا القول فقيل الأمر للوجوب ويكون منسوخا بآية الزكاة وقيل للندب ويكون محكما (قوله يوم حصاده) أى زمن تيسر الاخراج منه وهو ظاهر فيما لا يتوقف على تصفية كالعنب والزيتون والنخل وأما مايحتاج إلى تصفية كالحبوب فيقال إن يوم ظرف متسع فيشمل مدة الحصاد والدراس أو يقال إن يوم متعلق بمحذوف تقديره وآتوا حقه الذى وجب يوم حصاده وهو لاينافى أن إخراج الحق بعد التصفية إن توقف عليها (قوله بالفتح والكسر) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد (قوله من العشر) أى فيما سقى بالسيح وقوله أو نصفه أى فيما سقى بآلة (قوله ولا تسرفوا) أى تتجاوزوا الحد باخراجه كله للفقراء أو بعدم الاخراج من أصله أو بانفاقه فى المعاصى والأقرب الأول الذى اقتصر عليه المفسر لأن سبب نزولها أن ثابت بن قيس صرم خمسمائة نخلة يوم أحد ففرقها ولم يترك لأهله شيئا (قوله إنه لايحب المسرفين) أى يعاقبهم (قوله ومن الأنعام) معطوف على جنات وإليه يشير المفسر حيث قدر أنشأ وفى الحقيقة قوله من الأنعام متعلق (٤٨) بمحذوف حال من حمولة لأنه نعت نكرة تقدم عليها وحمولة هو المعطوف على جنات (قوله صالحة للحمل عليها) مشى المفسر على أن المراد بالحمولة الصالح للحمل والفرش ماعداه والأحسن تفسير الحمولة بالكبار أعم من أن تكون إبلا أو بقرا أوغنما والفرش بالصغار منها ويدل عليه قوله ثمانية أزواج وقيل الحمولة كل ماحمل عليه من إبل وغيرها والفرش ما اتخذ من الصوف والوبر والشعر (قوله سميت) أى الابل الصغار والغنم (قوله كلوا مما رزقكم الله) أى فان

زكاته (يَوْمَ حَصَادِهِ) بالفتح والكسر من العشر أو نصفه (وَلاَ تُسْرِفُوا) بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شىء (إِنَّهُ لاَيُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين ماحدّ لهم (وَ) أنشأ (مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً) صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار (وَفَرْشاً) لاتصلح له كالإبل الصغار والغنم سميت فرشا لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها (كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) طرائقه فى التحريم والتحليل (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) أصناف بدل من حمولة وفرشا (مِنَ الضَّأْنِ) زوجين (اثْنَيْنِ) ذكر وأنثى (وَمِنَ الْمَعْزِ) بالفتح والسكون (اثْنَيْنِ، قُلْ) يامحمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله (آلذَّكَرَيْنِ) من الضأن والمعز (حَرَّمَ) الله عليكم (أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ) منهما (أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ) ذكرا كان أو أنثى (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ) عن كيفية تحريم ذلك (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، المعنى من أين جاء التحريم ؟ ،

من جميع الثمار والأنعام والحرث (قوله فى التحريم والتحليل) أى فى الحرث والأنعام بأن تحلوا شيئا وتحرموا آخر كما يقول المشركون (قوله إنه لكم عدو) تعليل لماقبله (قوله بين العداوة) أى ظاهرها لوجود عداوته لأبينا آدم من قبل واتصالها بأبنائه من بعده ولذلك قيل إن المولود فى حال ولادته ينخسه الشيطان فيصرخ عند ذلك من شدة عداوته له (قوله ثمانية أزواج) يطلق الزوج على الشيئين المتلازمين اللذين يحصل بينهما التناسل وعلى أحدهما وهو المراد هنا (قوله بدل من حمولة وفرشا) أى بدل مفصل من مجمل (قوله من الضأن) بدل من ثمانية أزواج على جواز الابدال من البدل (قوله اثنين) أى وهما الكبش والنعجة ، وقوله ومن المعز اثنين أى التيس والمعز (قوله بالفتح والسكون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لمن حرم ذكور الأنعام) أى بعض ذكورها وقوله وإناثها أى بعض إناثها (قوله آلذكرين) بمد الهمزة الثانية مدا لازما قدر ثلاث ألفات أو تسهيلها وهو منصوب بالعامل الذى بعده وهو حرّم قدم لأن مدخول الاستفهام له الصدارة (قوله أم الأنثيين) أم عاطفة على آلذكرين وكذلك أم الثانية عاطفة على ما الموصولة على ماقبلها ومحلها نصب أيضا تقديره أم الذى اشتملت عليه وأم فى كل منهما متصلة مقابلة لهمزة الاستفهام (قوله نبئونى بعلم) أى أخبرونى خبرا ملتبسا بعلم ناشىء عن إخبار من الله بأنه حرم ماذكر وهى جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه قصد بها إلزام الحجة لهم (قوله عن كيفية تحريم ذلك) أى

جهته وسببه (قوله فإن كان من قبل الذكورة الخ) أى فإن كان سبب التحريم كورة لزمكم تحريم جميع الذكور وإن كانت الأنوثة لزمكم تحريم جميع الاناث وإن كان ما اشتملت عليه الأرحام لزمكم تحريم الجميع فلأى شىء خصصتم التحريم ببعض الذكور والإناث فمن أين التخصيص أى تخصيص تحريم البحائر والسوائب بالابل دون بقية النعم من البقر والغنم (قوله والاستفهام للانكار) أى فى المواضع الثلاثة (قوله أم كنتم) أم منقطعة فلذا فسرها ببل والهمزة لدخولها جملة مستقلة والمقصود بها التهكم بهم حيث نسبهم إلى الحضور فى وقت الإيصاء (قوله حضورا) أى حاضرين ومشاهدين تحريم البعض وتحليل البعض (قوله لا) أى لم تكونوا حاضرين ولم يدل دليل على تحريم البعض وتحليل البعض (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ليضل الناس) متعلق بافترى وقوله بغير علم متعلق بمحذوف حال من فاعل افترى أى افترى حال كونه ملتبسا بغير علم بل جاهلا (قوله إن الله لايهدى القوم الظالمين) تعليل لما قبله والمعنى لايرشد الذين تعدوا حدود الله بالتحليل والتحريم إلى الصراط المستقيم لسابق الشقاوة لهم (قوله قل لا أجد) لما ألزمهم الله الحجة بأن التحريم من عند أنفسهم لامن عند الله أخبرهم بما ثبت تحريمه عن الله فهو نتيجة ما قبله وثمرته والمعنى قل يامحمد لكفار مكة لا أجد فيما أوحى إلىّ الخ (قوله فيما أوحى إلى) ما اسم موصول وأوحى صلته والعائد محذوف والتقدير فى الذى أوحاه الله إلىّ وهو القرآن (قوله شيئا محرما) قدره المفسر إشارة إلى أن محرما صفة لموصوف (٤٩) محذوف (قوله على طاعم) متعلق

فإن كان من قِبَل الذكورة ، فجميع الذكور حرام ، أو الأنوثة فجميع الإناث ، أو اشتمال الرحم فالزوجان فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للانكار (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ ، أَمْ) بل (كُنْتُمْ شُهَدَاءَ) حضوراً (إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا) التحريم ، فاعتمدتم ذلك ؟ لا ، بل أنتم كاذبون فيه (فَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بذلك (لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ) شيئا (مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ) بالياء والتاء (مَيْتَةً) بالنصب وفى قراءة بالرفع مع التحتانية (أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا) سائلا بخلاف غيره كالكبد والطحال (أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) حرام (أَوْ) إلا أن يكون (فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) أى ذبح على اسم غيره (فَمَنِ اضْطُرَّ) إلى شىء مما ذكر فأكله (غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ

بمحرما وقوله يطعمه من باب فهم ومعنى طاعم آكل ويطعمه يأكله (قوله إلا أن يكون) اسمها ضمير مستتر عائد على الشىء المحرم وميتة بالنصب خبرها فذكر باعتبار ماعاد عليه الضمير وهذا على قراءة الياء وأما على التاء فالتأنيث باعتبار خبر يكون وهو ميتة وهاتان قراءتان على نصب ميتة وأما رفعها ففيه قراءة واحدة بالفوقانية فتكون تامة وميتة فاعل إذاعلمت ذلك فقول المفسر وفى قراءة بالرفع مع التحتانية سبق قلم والصواب الفوقانية وهذا الاستثناء يصح أن يكون متصلا باعتبار عموم الأحوال أو منقطعا لأنه مستثنى من محرما وهو ذات والمستثنى كونه ميتة وهو معنى فليس من جنس المستثنى منه والأقرب كونه متصلا (قوله أو دما) بالنصب عطف على ميتة فى قراءة النصب وعلى المستثنى فى قراءة الرفع (قوله مسفوحا) من السفح وهو السيلان أو الصب والدم المسفوح نجس من سائر الحيوانات ولو من سمك وذباب وعند أبى حنيفة لادم للسمك أصلا بدليل أنه إذا نشف صار أبيض (قوله كالكبد والطحال) أى فإنهما طاهران لما فى الحديث «أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال» (قوله فإنه) أى لحم الخنزير وخص اللحم بالذكر وإن كان باقيه كذلك لاعتنائهم به أكثر من باقيه (قوله حرام) الأوضح أن يقول نجس لأن التحريم علم من الاستثناء (قوله أو فسقا) عطف على ميتة وهو على حذف مضاف أى ذا فسق أو جعل نفس الفسق مبالغة على حد زيد عدل وقوله أهل لغير الله به صفة لفسقا (قوله أى ذبح على اسم غيره) أى قربانا كما يتقرب إلى الله كان ذلك الغير صنما أو غيره (قوله فمن اضطر) أى أصابته الضرورة (قوله مما ذكر) أى من الميتة ومابعدها (قوله غير باغ) تقدم فى سورة البقرة أنه فسر الباغى بالخارج على المسلمين والعادى بقاطع الطريق لأن مع كل مندوحة وهى التوبة فإذا تاب كل جاز له الأكل وتقدم الخلاف فى المضطر هل له أن يشبع ويتزود وهو مشهور

(فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ) له ما أكل (رَحِيمٌ) به ، ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا) أي اليهود (حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ) وهو مالم تفرق أصابعه كالإبل والنعام (وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا) الثروب وشحم الكلى (إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) أي ماعلق بها منه (أَوِ) حملته (الْحَوَايَا) الأمعاء جمع حاوياء أو حاوية (أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) منه وهو شحم الألية ، فإنه أحل لهم (ذَٰلِكَ) التحريم (جَزَيْنَاهُمْ) به (بِبَغْيِهِمْ) بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) في أخبارنا ومواعيدنا (فَإِنْ كَذَّبُوكَ) فيما جئت به (فَقُلْ) لهم (رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة ، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ) عذابه إذا جاء (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) . سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) نحن ،

مذهب مالك أو يقتصر على سد الرمق وهو مشهور مذهب الشافعي (قوله فإن ربك غفور) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلا إثم عليه (قوله ويلحق بما ذكر) كان المناسب تقديمه على قوله فمن اضطر (قوله كل ذي ناب) أي كالسبع والضبع والثعلب والهر والذئب وقوله ومخلب من الطير كالصقر والنسر والوطواط وهذا مذهب الامام الشافعي وأما عند مالك فجميع الطيور يجوز أكلها ماعدا الوطواط فيكره أكله وجميع السباع مكروهة ماعدا الكلب الانسي والقرد ففيهما قولان بالحرمة والكراهة وأما الخيل والبغال والحمير الانسية فمشهور مذهب مالك أنها محرمة ومشهور مذهب الشافعي إباحة الخيل دون البغال والحمير (قوله وعلى الذين هادوا) الجار والمجرور متعلق بحرمنا وهادوا صلة الذين سموا بذلك لأنهم هادوا بمعنى رجعوا عن عبادة العجل (قوله كل ذي ظفر) القراء السبعة على ضم الظاء والفاء وقرئ شذوذا بسكون الفاء وبكسر الظاء والفاء وبسكون الفاء وبقي في الظفر لغة خامسة لم يقرأ بها أظفور وجمع الأولى أظفار والأخيرة أظافير قياسا وأظافر سماعا (قوله كالابل) أدخلت الكاف الاوز والبط (قوله ومن البقر والغنم) متعلق بحرمنا (قوله الثروب) جمع ثرب كفلس شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء ولكن المراد بها هنا الشحم الذي على الكرش فقط وإلا ناقض مابعده (قوله وشحم الكلى) جمع كلوة أو كلية (قوله إلا ماحملت ظهورهما) ما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء أو نكرة موصوفة وجملة حملت ظهورهما صلة أو صفة والعائد محذوف (قوله أو الحوايا) معطوف على ظهورهما وسميت بذلك لأنها محتوية على الفضلات لأنها تنحل في الكرش ثم إذا صفيت استقرت في الأمعاء أو لأنها محتوية بمعنى ملتفة كالحلقة (قوله الأمعاء) أي المصارين . والمعنى أن الشحم الذي تعلق بالظهور أو احتوت عليه المصارين أو اختلط بعظم كلحم الألية جائز لهم (قوله جمع حاوياء) أي كقاصعاء وقواصع وقوله أو حاوية أي كزاوية وزوايا وقيل جمع حوية كهدية (قوله وهو شحم الألية) بفتح الهمزة (قوله بما سبق في سورة النساء) أي في قوله : فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله (ولا إلى أن قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم (قوله في أخبارنا ومواعيدنا) أي بأن سبب ذلك التحريم هو بغيهم لا كما قالوا حرمها إسرائيل على نفسه فنحن مقتدون به فقد كذبوا في ذلك بل لم يطرإ التحريم إلا بعد موسى ولم يكن ذلك محرما على أحد قبلهم لا في شرع إبراهيم ولا غيره وإنما حرم إسرائيل على نفسه بالخصوص الابل من أجل شفائه من عرق النسا الذي كان به وقد تقدم الرد عليهم أيضا في قوله تعالى ـ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل ـ (قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أي فامهاله للكافر من سعة رحمته فاذا تاب خلده في الرحمة (قوله وفيه تلطف الخ) دفع بذلك مايقال إن مقتضى الظاهر فقل ربكم ذو عقاب شديد . فأجاب بأنه تلطف بدعائهم إلى الايمان ليطمع التائب ولا ييأس (قوله ولايرد بأسه) هذا من جملة المقول أيضا والمعنى لايرد عذابه عمن لم يتب ومات على الكفر فأطمعهم في الرحمة بالجملة الأولى وبقي الاغترار بالجملة الثانية (قوله سيقول الذين أشركوا) هذا إخبار من الله لنبيه بما يقع منهم في المستقبل وقد وقع كما حكاه الله عنهم في سورة النحل بقوله تعالى ـ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ الخ وإنما قالوه إظهارا لكونهم على الحق لا اعتذارا من ارتكاب هذه القبائح مدعين أن المشيئة لازمة للرضا فلايشاء إلا مايرضاه وقد وقع الكفر بمشيئته فهو راض به فكيف تقول يامحمد إنا نعذب على شئ أراده الله منا ورضيه. وحاصل رد تلك الشبهة أن تقول لايلزم من المشيئة الرضا بل يشاء القبيح ولا يرضاه ويشاء الحسن ويرضاه فكل شئ بمشيئته تعالى (قوله لو شاء الله) أي عدم إشراكنا فمفعول المشيئة محذوف وهذه المقدمة صادقة لكنهم توصلوا بها إلى

مقلّمة كائنة قدرها المفسر بقوله فهو راض به (قوله ولا آباؤنا) معطوف على الضمير فى أشركنا والفاصل موجود وهو لا الثانية وتقدير المفسر نحن بيان للضمير فى أشركنا لا لصحة العطف إذ يكفى أىّ فاصل قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما (قوله فهو راض به) هذا هو نتيجة قولهم لوشاء الله ما أشركنا (قوله قال تعالى) أى تسلية له عليه الصلاة والسلام (قوله كما كذب هؤلاء) أى مثل ما كذبوك ولم يصدقوا بما جئت به كذب الأمم السابقة أنبياءهم (قوله حتى ذاقوا بأسنا) غاية للتكذيب : أى استمروا على التكذيب حتى ذاقوا الخ (قوله من علم) من زائدة وعلم مبتدأ مؤخر وعند ظرف خبر مقدّم ، والمعنى هل عندكم من شىء تحتجون به على ما زعمتم من أن الله راض بأفعالكم فتظهروه لنا (قوله أى لاعلم عندكم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله قل فلله الحجة البالغة) جواب شرط مقدّر قدره المفسر بقوله إن لم يكن لكم حجة (قوله التامة) أى وهى إرسال الرسل و إنزال الكتب ومعنى التامة الكاملة التى لايعتريها نقص ولا خفاء (قوله هدايتكم) قدره إشارة إلى أن مفعول شاء محذوف (قوله لهداكم أجمعين) أى ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل ومحطّ التعليق على هداية الجميع وأما هداية البعض فقد حصلت (قوله قل هلم) فيها لغتان لغة أهل الحجاز عدم إلحاقها شيئا من العلامات فهى بلفظ واحد للمذكر والمؤنث والمثنى والمجموع والقرآن جاء عليها وعلى ذلك فهى اسم فعل بمعنى أحضروا ولغة تميم وهى إلحاقها العلامات فتقول هلموا وهلمى وهلما وهلممن وعليها فهى فعل أمر ، وهذا الأمر لمزيد التبكيت لهم و إقامة الحجة عليهم

(٥١)

(وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَىْءٍ) فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به . قال تعالى : (كَذٰلِكَ) كما كذب هؤلاء (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم (حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا) عذابنا (قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ) بأن الله راض بذلك (فَتُخْرِجُوهُ لَنَا) أى لاعلم عندكم (إِنْ) ما (تَتَّبِعُونَ) فى ذلك (إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) تكذبون فيه (قُلْ) إن لم تكن لكم حجة (فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) التامة (فَلَوْ شَاءَ) هدايتكم (لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ . قُلْ هَلُمَّ) أحضروا (شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ هٰذَا) الذى حرمتموه (فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يشركون (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ) أقرأ (مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ،

(قوله فان شهدوا) أى بعد مجيئهم وحضورهم (قوله فلا تشهد معهم) أى لاتصدقهم ولا تمل لقولهم وهذا خطاب له والمراد غيره لاستحالته عليه (قوله والذين لايؤمنون بالآخرة) معطوف على قوله الذين كذبوا (قوله وهم بربهم يعدلون) الجملة حالية ومعنى يعدلون يسوون به غيره ، والمعنى لاتتبع الذين يجمعون بين التكذيب بآيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك بالله فى أهوائهم (قوله قل تعالوا) لما أقام الله سبحانه وتعالى الحجة على الكفار بأنه لاتحليل ولا تحريم إلا بما أحله الله أو حرّمه كأن سائلا قال وما الذى حرمه وأحله فقال سبحانه قل تعالوا الخ وتعالوا فعل أمر مبنى على حذف النون والواو فاعل وهو فى الأصل موضوع لطلب ارتفاع من مكان سافل إلى مكان عال ثم استعمل فى الاقبال والحضور مطلقا وآثرها إشارة إلى أنهم فى أسفل الدركات وهو يطلبهم للرفع والعلوّ من أخس الأوصاف إلى أكملها وأعلاها كأنه قال أقبلوا إلى المعالى لأن من سمع أحكام الله وقبلها بنصح كان فى أعلى المراتب (قوله أتل) جواب الأمر مجزوم بحذف الواو والضمة دليل عليها وقيل جواب لشرط محذوف تقديره إن تأتوا أتل : أى أقرأ ما حرّم الله عليكم (قوله ماحرّم ربكم) ما اسم موصول وحرم صلته والعائد محذوف وربكم فاعل حرم وقوله عليكم تنازعه كلّ من أتل وحرم أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف لأنه فضلة . وحاصل ماذكر فى هاتين الآيتين عشرة أشياء خمسة بصيغ النهى وخمسة بصيغ الأمر وقدم المنهى عنه لأنّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح ولأن المنهى عنه مأمور باجتنابه مطلقا والمأمور به على حسب الاستطاعة لما فى الحديث «مانهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فائتوا منه ما استطعتم» ووسط بينهما الأمر ببرّ الوالدين اعتناء بشأنه لكونه أعظم الواجبات بعد التوحيد وهذه العشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار بل أجمع عليها جميع أهل الأديان . قال ابن عباس هذه آيات محكمات لم ينسخهن شىء فى جميع الكتب وهن محرمات على بنى آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار

(قوله أن مفسرة) أى وضابطها موجود وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه ، واستشكل بأن هذا يقتضى أن جميع مايأتى محرم مع أن بعضه مأمور بفعله على سبيل الوجوب. أجيب بأجوبة منها أن التحريم فى النهى عنه ظاهر وفى المأمور به باعتبار أضدادها ، فالمعنى حرم فعلا وهى المنهيات أو تركا وهى المأمورات ، ومنها أن فى الكلام حذف الواو مع ما عطفت ، والتقدير ماحرم ربكم عليكم وما أمركم به . ثم فرع بعد ذلك على المذكور والمحذوف والأقرب الأول (قوله لا تشركوا به شيئا) أى لافى الأقوال ولا فى الأفعال ولافى الاعتقادات (قوله إحسانا) مفعول مطلق لفعل محذوف قدره المفسر بقوله أحسنوا ، والمراد بالوالدين الأب والأم وإن عليا (قوله بالوأد) تقدم أنه الدفن بالحياة (قوله من إملاق) يطلق بمعنى الفقر والافلاس والافساد ، والمراد هنا الأول (قوله نحن نرزقكم وإياهم) هذا فى معنى التعليل للنهى المتقدم ، والمعنى لاتقتلوا أولادكم من أجل حصول فقر لأن رزقكم ورزقهم علينا لاعلى غيرنا ، وقال هنا من إملاق ، وقال فى الاسراء خشية إملاق لأن ماهنا فى الفقر الحاصل بالفعل ومافى الاسراء فى الفقر المتوقع فهو خطاب للأغنياء وقدم هنا خطاب الآباء وهناك ضمير الأولاد ، قيل تفننا ، وقيل قدم هنا خطاب الآباء تعجيلا لبشارة الآباء الفقراء بأنهم فى ضمان الله وقدم هناك ضمير الأولاد لتطمئن الآباء بضمان رزق الأولاد فهذه الآية تفيد النهى للآباء عن قتل الأولاد وإن كانوا متلبسين بالفقر والأخرى عن قتلهم وإن كانوا موسرين ولكن يخافون وقوع الفقر (قوله ولاتقربوا الفواحش) هذا أعم مما قبله لأن من جملة الفواحش قتل الأولاد (قوله أى علانيتها) أى كالقتل والزنا والسرقة وجميع المعاصى الظاهرية ، وقوله وسرها: أى كالرياء والعجب والكبر والحسد وجميع المعاصى

(٥٢)

أَنْ) مفسرة (لاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَ) أحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ) بالوأد (مِنْ) أجل (إِمْلاَقٍ) فقر تخافونه (نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ) الكبائر كالزنا (مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) أى علانيتها وسرها (وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ) كالقود وحد الردة ورجم المحصن (ذٰلِكُمْ) المذكور (وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) تتدبرون (وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي) أى بالخصلة التى (هِيَ أَحْسَنُ) وهى ما فيه صلاحه (حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) بأن يحتلم (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) بالعدل وترك البخس (لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) طاقتها فى ذلك فإن أخطأ فى الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته فلا مؤاخذة عليه كما ورد فى حديث (وَإِذَا قُلْتُمْ) فى حكم أو غيره (فَاعْدِلُوا) بالصدق (وَلَوْ كَانَ) المقول له أو عليه (ذَا قُرْبَى) قرابة (وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ

لعلكم

القلبية (قوله ولا تقتلوا النفس) عطف خاص على عام ونكتته الاستثناء بعده (قوله التى حرم الله) مفعول حرم محذوف : أى قتلها (قوله إلا بالحق) فى محل نصب على الحال أو صفة لمصدر محذوف ، والتقدير ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا ملتبسين بالحق أو قتلا ملتبسا بالحق وهو استثناء مفرغ : أى لاتقتلوها فى حال من الأحوال إلا فى حال ملابستكم بالحق (قوله كالقود) أى القصاص ، وقوله وحد الردة : أى لما فى الحديث « من بدل دينه فاقتلوه » وقوله ورجم المحصن : أى بشروطه هو وماقبله المذكورة فى الفروع (قوله ذلكم وصاكم به) مبتدأ وخبر ، وقوله المذكور إشارة إلى أن اسم الاشارة عائد على ماتقدم من تلك الأمور (قوله لعلكم تعقلون) ختم هذه الآية بذلك لأنها اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ منها فى غيرها لعموم نفعها فى الدين والدنيا فختمها بالعقل الذى هو مناط التكاليف (قوله أى بالخصلة التى هى أحسن) أشار بذلك إلى أنه نعت لمصدر محذوف ، والمعنى لاتقربوا مال اليتيم فى حالة من الحالات إلا فى الحالة التى هى أحسن لليتيم (قوله حتى يبلغ أشده) غاية لمايفهم من النهى كأنه قال احفظوه إلى بلوغ أشده فسلموه له حينئذ (قوله بأن يحتلم) هذا تفسير لبلوغ الأشد باعتبار أول زمانه وسيأتى فى الأحقاف تفسيره باعتبار آخره وهو ثلاث وثلاثون سنة لأن الأشد هو قوة الانسان وشدته ومبدؤه البلوغ وينتهى لثلاث وثلاثين سنة (قوله بالقسط) متعلق بمحذوف إما حال من فاعل أوفوا أو من مفعوله : أى أوفوهما حال كونكم مقسطين أو حال كونهما تامين (قوله وترك البخس) أى النقص فى الكيل أو الوزن (قوله فلا مؤاخذة عليه) أى لاإثم ولكنه يضمن ما أخطأ فيه لأن العمد والخطأ فى أموال الناس سواء (قوله وإذا قلتم) المراد بالقول مايعم الفعل ، وقوله فاعدلوا بالصدق : أى لا تتركوه فى القول ولا فى الفعل وإنما خص القول تنبيها بالأدنى على الأعلى (قوله وبعهد الله) إما مضاف لفاعله : أى ماعهده إليكم أو لمفعوله : أى ماعاهدتم الله عليه .

لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ) بالتشديد تتعظون والسكون (وَأَنَّ) بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافا (هٰذَا) الذى وصيتكم به (صِرَاطِي مُسْتَقِيماً) حال فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) الطرق المخالفة له (فَتَفَرَّقَ) فيه حذف إحدى التاءين : تميل (بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) دينه (ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة وثم لترتيب الأخبار (تَمَاماً) للنعمة (عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ) بالقيام به (وَتَفْصِيلاً) بيانا (لِكُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه فى الدين (وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ) أى بنى إسرائيل (بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) بالبعث (يُؤْمِنُونَ . وَهٰذَا) القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ) يا أهل مكة بالعمل بما فيه (وَاتَّقُوا) الكفر (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أنزلناه ،

(قوله لعلكم تذكرون) ختمها بذلك لأن هذه الأمور خفية غامضة لابد فيها من الاجتهاد والتذكر (قوله والسكون) صوابه والتخفيف إذ لم يقرأ بسكون الذال فمن شدد قلب التاء ذالا وأدغمها فى الأخرى ومن خفف حذف إحدى التاءين (قوله بالفتح) أى مع التشديد أو التخفيف ، وقوله والكسر : أى مع التشديد لا غير فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله على تقدير اللام) أى على كل من الوجهين وحينئذ تكون الواو عاطفة من عطف العلة على المعلول ، والتقدير كلفتم بهذا الذى وصاكم به من أول الربع إلى هنا أو من أول السورة إلى هنا لأن هذا صراطى (قوله استئنافا) أى واقعا فى جواب سؤال مقدر ومع ذلك فيها معنى التعليل كأن قائلا قال لأى شئ كلفنا بما تقدم فقيل فى الجواب إن هذا صراطى مستقيما . ثم اعلم أنه على قراءة التشديد فاسم الاشارة اسم أن وصراطى خبرها وعلى قراءة التخفيف فاسمها ضمير الشأن واسم الاشارة مبتدأ وصراطى خبره والجملة خبر أن ومستقيما حال من صراطى على كل حال (قوله وأن هذا) يصح أن يرجع اسم الاشارة إلى ما تقدم من أول الربع أو من أول السورة (قوله صراطى مستقيما) أى دينى لا اعوجاج فيه فشبه الدين القويم بالصراط بمعنى الطريق بجامع أن كلا يوصل للمقصود واستعار اسم المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية (قوله فاتبعوه) أى اسلكوه ولا تحيدوا عنه فتقعوا فى المهالك ، روى الدارقطنى عن ابن مسعود قال « خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا ، ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وخطوطا عن شماله ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ هذه الآية » ، وفى رواية « أنه خط خطا وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن شماله ثم وضع يده فى الخط الأوسط فقال هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية» (قوله الطرق المخالفة) أى الأديان المباينة له فشبه الأديان الباطلة بالطرق المعوجة بجامع أن كلا يوصل صاحبه إلى المهالك واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فتفرق) بالنصب بأن مضمرة فى جواب النهى (قوله ذلكم) أى ما مر من اتباع دينه وترك غيره من الأديان (قوله لعلكم تتقون) أى تمتثلون المأمورات وتجتنبون المنهيات وأتى بالتقوى هنا لأن الصراط المستقيم جامع للتكاليف ، وقد أمر باتباعه ونهى عن الطرق المعوجة فناسب ذكر التقوى (قوله وثم لترتيب الأخبار) أى الترتيب فى الذكر لا فى الزمان وهو جواب عما يقال إن إيتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن فكيف يعطف بثم المفيدة للترتيب والتراخى . وأجيب أيضا بأن ثم لمجرد العطف كالواو فلا ترتيب فيها ولا تراخى (قوله تماما) مفعول لأجله : أى آتيناه الكتاب لأجل تمام النعمة الخ (قوله للنعمة) أى الدنيوية والأخروية (قوله على الذى أحسن) متعلق بتماما ومعنى أحسن قام به الحسن وهو الصفات الجميلة ، وقوله بالقيام به سبب لكونه قام به الحسن ، والمعنى تماما على المحسن منهم بسبب قيامه به : أى اتباعه له وامتثاله مأموراته واجتنابه منهياته (قوله وتفصيلا) عطف على تماما (قوله أى بنى إسرائيل) أى المدلول عليهم بذكر موسى والكتاب (قوله بلقاء ربهم) متعلق بيؤمنون قدم عليه للفاصلة (قوله وهذا كتاب) مبتدأ وخبر وجملة أنزلناه نعت أول لكتاب ومبارك نعت ثان له : أى كثير الخير والمنافع دينا ودنيا ، والمعنى وهذا القرآن العظيم كتاب أنزلناه من اللوح المحفوظ ليلة القدر إلى سماء الدنيا فى بيت العزة ، ثم نزل مفرقا على حسب الوقائع مبارك كثير الخير والمنافع فى الدنيا بالشفاء به والأمن من الخسف والمسخ والضلال والآخرة بتلقى السؤال عن صاحبه وشهادته له وكونه ظلة على رأسه فى حر الموقف والرقى به إلى الدرجات العلا (قوله يا أهل مكة) قصر الخطاب عليهم لأنهم هم المعاندون فى ذلك الوقت (قوله بالعمل بما فيه) بيان لاتباعه (قوله لعلكم ترحمون) أى تصيبكم الرحمة فى الدنيا والآخرة

(قوله أن تقولوا) مفعول لأجله والعامل محذوف قدّره المفسر بقوله أنزلناه ولا يصح أن يكون العامل أنزلناه المذكور لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو لفظ مبارك وقدر المفسر لا لأن الانزال علة لعدم القول لا للقول . وقال بعضهم : إن الكلام على حذف مضاف : أي كراهة أن تقولوا وكل صحيح (قوله إنما أنزل الكتاب) أي جنسه الصادق بالتوراة والانجيل (قوله و إن مخففة) أي من الثقيلة (قوله واسمها محذوف الخ) فيه شيء وذلك لأن إن المكسورة إذا خففت ودخلت على فعل ناسخ مثل كنا أهملت فلا عمل لها ووجب اقتران الخبر باللام وذلك كما في هذه الآية (قوله قراءتهم) أي لكتبهم ، والمعنى لانفهم معانيها لأنها بالعبرانية أوالسريانية ونحن عرب لانفهم إلا اللغة العربية (قوله لغافلين) أي لانعلمها والمقصود قطع حجتهم وعذرهم بانزال القرآن بلغتهم ، والمعنى أنزلنا القرآن بلغتهم لئلايقولوا يوم القيامة إن التوراة والانجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم نفهم ما فيهما (قوله أو تقولوا) عطف على النفي وهو قطع لعذرهم أيضا (قوله لكنا أهدى منهم) أي إلى الحق والطريق المستقيم (قوله فقد جاءكم بينة) أي لاتعتذروا بذلك فقد جاءكم (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله سوء العذاب) أي العذاب السيء بمعنى الشديد (قوله بما كانوا يصدفون) الباء سببية ومامصدرية : أي بسبب إعراضهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله هل ينظرون) استفهام إنكاري بمعنى النفي وهو مزيد تخويف وتحذير لمن بقي على الكفر . إن قلت إن ظاهر الآية يقتضى أنهم مصدقون بهذه الأشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدها. أجيب بأن هذه الأشياء لما كانت محتمة عوملوا معاملة المنتظر ولم يعوّل على اعتقادهم ، فالمعنى لامفر لهم من ذلك (قوله ماينتظر المكذبون) أي من أهل مكة وغيرهم (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان لأن جمع التكسير يجوز تأنيثه وتذكيره تقول قام الرجال وقامت الرجال (قوله الملائكة) أي عزرائيل وأعوانه أو ملائكة العذاب لما تقدم كما أن الكافر موكل بأخذ روحه سبع من ملائكة العذاب (قوله أي أمره) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ودفع بذلك توهم حقيقة الاتيان وهو الانتقال من مكان إلى آخر إذ هو مستحيل على الله تعالى (قوله بمعنى عذابه) أي المعجل لهم إما بالسيف أوغيره (قوله الدالة على الساعة) أي على قربها ، والعلامات الكبرى عشر وهي : الدجال والدابة وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر (قوله يوم يأتي بعض آيات ربك) يوم معمول لينفع على الصحيح من أن مابعدلا يعمل فيما قبلها (قوله وهو طلوع الشمس من مغربها) ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما «أتدرون أين تذهب هذه الشمس إذا غربت ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال إنها تذهب إلى مستقرّها تحت العرش فتخرّ ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فارجعي من حيث جئت فتصبح طالعة من مطلعها وهكذا كل يوم ، فاذا أراد الله أن يطلعها من مغربها حبسها ، فتقول يارب إن مسيرى بعيد ، فيقول لها اطلعي من حيث غربت ، فقال الناس يارسول الله هل لذلك من آية ؟ فقال آية تلك الليلة أن تطول قدر ثلاث ليال، فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى إذا استيقظوا والليل مكانه خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم فاذا أصبحوا طال عليهم طلوع الشمس فبيناهم ينتظرونها إذ طلعت عليهم من قبل المغرب » .

لـ(أَنْ) لا (تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ) اليهود والنصارى (مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ) مخففة واسمها محذوف أي إنا (كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ) قراءتهم (لَغَافِلِينَ) لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا (أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ) لجودة أذهاننا (فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ) بيان (مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ) لمن اتبعه (فَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللهِ وَصَدَفَ) أعرض (عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ) أي أشده (بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ . هَلْ يَنْظُرُونَ) ماينتظر المكذبون (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ) لقبض أرواحهم (أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ) أي أمره بمعنى عذابه (أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) أي علاماته الدالة على الساعة (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ) وهي طلوع الشمس من مغربها

كما فى حديث الصحيحين (لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ) الجملة صفة نفس (أَوْ) نفسا لم تكن (كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا) طاعة أى لاتنفعها توبتها كما فى الحديث (قُلِ انْتَظِرُوا) أحد هذه الأشياء (إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) ذلك (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيه ،

(قوله كما فى حديث الصحيحين) أى وهو كما فى البخارى عن أبى هريرة . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» وروى «أن أول الآيات ظهور الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج يأجوج ومأجوج ثم خروج الدابة ثم طلوع الشمس من مغربها وهو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى وذلك أن الكفار يسلمون فى زمن عيسى فاذا قبض ومن معه من المسلمين رجع أكثرهم إلى الكفر فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها **(قوله لاينفع نفسا)** أى كافرة أو مؤمنة عاصية ويكون قوله لم تكن آمنت راجعا للأولى وقوله أو كسبت راجعا للثانية ويكون التقدير لاينفع نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل إيمانها الآن ولاينفع نفسا مؤمنة توبتها من المعاصى فقوله أو كسبت معطوف على آمنت وحينئذ فيكون فى الكلام حذف قد علمته **(قوله الجملة صفة نفس)** أى جملة لم تكن آمنت من قبل وجاز الفصل بين الصفة والموصوف لأنه بالفاعل وهو ليس بأجنبى **(قوله أو نفسا لم تكن كسبت)** أشار بذلك إلى أن المعطوف فى الحقيقة محذوف وهو معطوف على المنفى **(قوله كما فى الحديث)** روى عن صفوان بن عسال المرادى . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «باب من قبل المغرب مسيرة عرضه أربعون أو سبعون سنة خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحا للتوبة لايغلق حتى تطلع الشمس منه» وورد أن من الأشراط العظام طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وهذان أيهما سبق الآخر فالآخر على أثره وورد «صبيحة تطلع الشمس من مغربها يصير فى هذه الأمة قردة وخنازير وتطوى الدواوين وتجف الأقلام لايزاد فى حسنة ولا ينقص من سيئة ولا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا» وورد «لاتزال الشمس تجرى من مطلعها إلى مغربها حتى يأتى الوقت الذى جعله الله غاية لتوبة عباده فتستأذن الشمس من أين تطلع ويستأذن القمر من أين يطلع فلايؤذن لهما فيحبسان مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلايعرف مقدار حبسهما إلا قليل من الناس وهم أهل الأوراد وحملة القرآن فينادى بعضهم بعضا فيجتمعون فى مساجدهم بالتضرع والبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ثم يرسل الله جبريل إلى الشمس والقمر فيقول إن الرب تعالى يأمركما أن ترجعا إلى مغاربكما فتطلعا منه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فتبكى الشمس والقمر من خوف يوم القيامة وخوف الموت فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما فبينما الناس كذلك يتضرعون إلى الله والغافلون فى غفلاتهم إذ نادى مناد ألا إن باب التوبة قد أغلق والشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس وإذا بهما أسودين كالعكمين : أى الغرارتين العظيمتين لاضوء لهما ولا نور فذلك قوله وجمع الشمس والقمر فيرتفعان مثل البعيرين المقرنين ينازع كل منهما صاحبه استباقا ويتصايح أهل الدنيا وتذهل الأمهات عن أولادها وتضع كل ذات حمل حملها فأما الصالحون والأبرار فانهم ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب عليهم حسرة فاذا بلغت الشمس والقمر وسط السماء جاءهما جبريل فأخذ بقرونهما فردهما إلى المغرب فيغربهما فى باب التوبة ثم يرد المصراعين فيلتئم ما بينهما ويصيران كأنهما لم يكن فيهما صدع ولا خلل فاذا أغلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولاتنفعه حسنة يعملها بعد ذلك إلا ما كان قبل ذلك فانه يجرى لهم» وورد «أن الدنيا تمكث بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة يتمتع المؤمنون فيها أربعين سنة لايتمنون شيئا إلا أعطوه ثم يعود فيهم الموت ويسرع فلا يبقى مؤمن ويبقى الكفار يتهارجون فى الطرق كالبهائم حتى ينكح الرجل المرأة فى وسط الطريق يقوم واحد عنها وينزل واحد وأفضلهم من يقول لو تنحيتم عن الطريق لكان أحسن فيكونون على مثل ذلك حتى لايولد لأحد من نكاح ثم يعقم الله النساء ثلاثين سنة ويكون كلهم أولاد زنا شرار الناس عليهم تقوم الساعة» **(قوله قل انتظروا)** أمر تهديد على حد اعملوا ماشئتم **(قوله إن الذين فرقوا دينهم)** الأقرب كما قال المفسر أنها نزلت فى اليهود والنصارى لما ورد «قام فينا رسول الله فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة» وفى رواية «من كان على ما أنا عليه وأصحابى» .

فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ فرقا في ذلك ، وفي قراءة فارقوا أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به ، وهذا منسوخ بآية السيف ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي لا إله إلا الله ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي جزاءه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيما ،

(قوله فأخذوا بعضه) أي كما حكاه الله عنهم بقوله في سورة النساء ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض **(قوله وفي قراءة)** أي وهي سبعية أيضا **(قوله لست منهم في شيء)** أي لست مأمورا بقتالهم وهذا ما مشى عليه المفسر من أنها منسوخة وقيل إنها محكمة والمعنى أنت بريء منهم ومن أفعالهم لقطع نسبهم منك بكفرهم **(قوله فيجازيهم به)** أي بفعلهم **(قوله وهذا)** أي قوله لست منهم في شيء **(قوله من جاء بالحسنة)** أي يوم القيامة **(قوله فله عشر أمثالها)** هذا إخبار بأقل المضاعفة وإلا فقد جاء مضاعفة الحسنة بسبعين وسبعمائة وبغير حساب . واعلم أن المضاعفة تابعة للاخلاص فكل من عظم اخلاصه كانت مضاعفة حسناته أكثر ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وفسر الحسنة بلا إله إلا الله وهو أحد تفسيرين والآخر أن المراد بها كل ما أمر الله به فيشمل الذكر والصلاة والصدقة وغير ذلك من أنواع البر وهو الأولى لأنه إن أراد خصوص ما ينجي من الشرك فذلك جزاؤه دخول الجنة وإن أراد الذكر بها فلا مفهوم لها لأن العبرة بعموم اللفظ وأفرد في الحسنة والسيئة لأنه لو جمع لربما توهم أن الجزاء اجمالي بحيث يعطى في نظير حسناته كلها عشرة أمثالها بل الجزاء لكل فرد من أفراد الحسنات والسيئات لأن الحسنات تتفاوت فربما جوزي على بعضها عشرا وعلى بعضها أكثر **(قوله أمثالها)** جمع مثل إن قلت إنه مذكر فكان مقتضاه تأنيث العدد قال ابن مالك :

ثلاثة بالتاء قل للعشره   في عدّ ما آحاده مذكره

في الضد جرد . وأجيب بأنه جرد (٥٦) التاء مراعاة لاضافة مثل لضمير الحسنة فكأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه أو يقال إن أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها فجرد العدد من التاء مراعاة للموصوف المحذوف وإلى هذا الثاني أشار المفسر بقوله أي جزاء عشر حسنات **(قوله ومن جاء بالسيئة)** أي الشرك على ما قاله المفسر حيث فسر الحسنة بلا إله إلا الله أو ما هو أعم وهو الأولى **(قوله فلا يجزى إلا مثلها)** أي إن مات غير تائب وجوزي وإلا فأمره مفوض لربه فإن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه وأما إن مات تائبا فلا سيئة له لأنه من المحبوبين لله والمحبوب لا سيئة له قال تعالى - إن الله يحب التوابين - وقال عليه الصلاة والسلام «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» **(قوله وهم لا يظلمون)** أي العاملون للحسنات والسيئات **(قوله ينقصون من جزائهم)** هذا بالنظر لجزاء الحسنات أي ولا يزاد في سيئات أهل العقاب فالظلم نقص المحسن والزيادة في المسيء وتسميته ظلما تنزل منه سبحانه وتعالى وإلا فالظلم التصرف في ملك الغير ولا ملك لأحد معه تبارك وتعالى وأما الزيادة في الحسنات فليس بظلم بل هو تفضل منه واحسان . واعلم أن الحسنة تتفاوت والسيئة كذلك فليس من تصدق بدرهم كمن تصدق بدينار وهكذا وليس من فعل صغيرة كمن فعل كبيرة وهكذا فعشرة أمثال الحسنة من شكلها ومثل السيئة من شكلها . واعلم أيضا أن هذا الجزاء لمن فعل الحسنة والسيئة وأما من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة ومن همّ بسيئة ولم يعملها فإن تركها خوف الله كتبت حسنة وإن تركها لا لذلك لم تكتب شيئا لما في الحديث قال الله تعالى «إذا تحدث عبدي بحسنة ولم يعملها فأنا أكتبها له حسنة حتى يعملها فإن عملها فأنا أكتبها له بعشر حسنات وإذا تحدث عبدي بسيئة ولم يعملها فأنا أغفرها له حتى يعملها فإن عملها فأنا أكتبها له بمثلها» **(قوله قل إنني هداني)** إن حرف توكيد ونصب والياء اسمها وجملة هداني ربي خبرها وهدى فعل ماض والياء مفعول أول وإلى صراط مستقيم مفعول ثان وربي فاعل . والمعنى قل يا محمد لكفار مكة إنني أرشدني ربي ووصلني إلى دين مستقيم لا اعوجاج فيه **(قوله ويبدل من محله)** أي محل إلى صراط مستقيم وهو النصب لأنه المفعول الثاني **(قوله قيما)** نعت لدينا أي لا اعوجاج فيه .

(ملة

(قوله ملة إبراهيم) بدل دينا أى دينه وشريعته وماأوحى به إليه (قوله حنيفا) حال من إبراهيم أى مائلا عن الضلال إلى الاستقامة (قوله وما كان من المشركين) عطف حال على أخرى وفيه تعريض بخروج جميع من خالف دين الاسلام عن ملة إبراهيم (قوله عبادتى) أشار بذلك إلى أن قوله ونسكى عطف عام على خاص (قوله ومحياى ومماتى) قرأ نافع بسكون ياء محياى وفتح ياء مماتى والباقون بالعكس (قوله لله رب العالمين) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إن ولكن يقدر بالنسبة للعبادة خالصة وبالنسبة للحياة والموت مخلوقة (قوله فى ذلك) أى الصلاة والنسك والمحيا والممات (قوله وأنا أول المسلمين) ى المنقادين لله . واستشكل بأنه تقدمه الأنبياء وأممهم . وأجاب المفسر بأن الأولية بالنسبة لأمته . وأجيب أيضا بأن الأولية بالنسبة لعالم الذر فهى حقيقية (قوله قل أغير الله) نزلت لما قال الكفار يامحمد ارجع إلى ديننا وغيرمنصوب بأبغى وربا تمييز وقوله إلها تفسير لربا (قوله أى لاأطلب) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله وهو رب كل شىء) الجملة حالية ، والمعنى لايليق أن أتخذ إلها غير الله والحال أنه مالك كل شىء (قوله ولاتكسب كل نفس إلا عليها) ردلقولهم : اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أى يكتب علينا ماعملتم من الخطايا (قوله إلاعليها) أى إلا فى حال كونه مكتوبا عليها لاعلى غيرها (قوله ولاتزر وازرة) أى ولاغير وازرة وإنما قيد بالوازرة موافقة لسبب النزول ، وهو أن الوليد بن المغيرة كان يقول للمؤمنين اتبعوا سبيلى أحمل عنكم أوزاركم وهو وازر (قوله وزر أخرى) إن قلت (٥٧) كيف هذا مع قوله تعالى : وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ، وقوله عليه الصلاة والسلام «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة» . وأجيب بأن ماهنا محمول على من لم يتسبب فيه بوجه وفى الآية الأخرى والحديث محمول على من تسبب فيه فعليه وزر المباشرة ووزر التسبب ووزر الفاعل لايفارقه

(مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) عبادتى من حج وغيره (وَمَحْيَايَ) حياتى (وَمَمَاتِي) موتى (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ) فى ذلك (وَبِذَلِكَ) أى التوحيد (أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) من هذه الأمة (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا) إلها أى لا أطلب غيره (وَهُوَ رَبُّ) مالك (كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) ذنبا (إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ) تحمل نفس (وَازِرَةٌ) آثمة (وِزْرَ) نفس (أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ) جمع خليفة أى يخلف بعضكم بعضا فيها (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) بالمال والجاه وغير ذلك (لِيَبْلُوَكُمْ) ليختبركم (فِي مَا آتَاكُمْ) أى أعطاكم إياه ليظهر المطيع منكم والعاصى (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ) لمن عصاه (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم .

(قوله فينبئكم) أى يخبركم ويعلمكم (قوله بما كنتم فيه تختلفون) أى من الاديان والملل (قوله أى يخلف بعضكم بعضا فيها) أشار بذلك إلى أن إضافة خلائف للأرض على معنى فى (قوله ورفع بعضكم فوق بعض) أى خالف بين أحوالكم حيث جعل منكم الحسن والقبيح والغنى والفقير والعالم والجاهل والقوى والضعيف ليبلوكم فيما آتاكم وليس عجزا عن مساواتكم فانه منزه عنه سبحانه (قوله ليختبركم) أى يعاملكم معاملة المختبر وإلافلايخفى عليه شىء (قوله أى أعطاكم إياه) أى من الغنى والفقر ليتبين الصابر والشاكر من غيرهما (قوله إن ربك سريع العقاب) إن قلت إن الله حليم لايعجل بالعقوبة على من عصاه فكيف وصف بكونه سريع العقاب ؟ . أجيب بأن كل آت قريب ، أوالمعنى سريع العقاب إذا جاء وقته وأكد الجملة الثانية هنا باللام وفى الأعراف الجملتين لأن الوعيد المتقدم هنا أخف من الوعيد المتقدم هناك فالوعيد هنا هوقوله : ومن جاء بالسيئة فلايجزى إلامثلها ، وأما فى الأعراف فهو قوله : وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس وقوله : كونوا قردة خاسئين فالمقام هنا لغلبة الرحمة فلذلك أكدت دون العقاب وأما هناك فالمقام لهما فلذلك أكدا معا (قوله وإنه لغفور رحيم) جعل خبر إن فى هذه الآية من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة وأكده باللام وجعل خبر إن السابقة صفة جارية على غير من هى له للتنبيه على أنه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما ومعاقب بالعرض مسامح فى العقوبة ، ومعنى بالذات أن مغفرته ورحمته لاتتوقف على تأهل من العبد ، ومعنى بالعرض أن عقابه لايكون إلا بعد صدور ذنب فتأمل .

سميت بذلك لذكر أهل الأعراف فيها من باب تسمية الشيء بجزئه (قوله مكية) تقدم أن للمكي ما نزل قبل الهجرة و إن نزل بأرض المدينة (قوله الثمان) أى ومنتهاها : إنا لانضيع أجر المصلحين ، وقوله أوالخمس أى ومنتهاها : و إنه لغفور رحيم (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا أحد أقوال تقدم جملة منها وقد ذكر هذا القول فى الخازن بقوله : هى حروف مقطعة استأثر الله بعلمها وهى سره فى كتابه العزيز (قوله هذا كتاب) قدره إشارة إلى أن كتاب خبر لمحذوف واسم الاشارة عائد على القرآن بمعنى القدر الذى نزل منه وجملة أنزل إليك نعت لكتاب قصد به تشريف النازل والمنزل عليه (قوله فلايكن فى صدرك حرج منه) لاناهية ويكن مجزوم بها وفى صدرك خبرها مقدم وحرج اسمها مؤخر ومنه صفة لحرج وهو نهى عن السبب وفى الحقيقة النهى عن أسباب الحرج ، والمعنى لاتتعاط أسبابا توجب الحرج (قوله أن تبلغه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى من تبليغه ويصح أن الضمير عائد على المنزل أو الانزال أو الانذار (قوله لتنذر) من الانذار وهو التخويف من عذاب الله بسبب مخالفته (قوله متعلق بأنزل) أى واللام للتعليل فهو مفعول لأجله و إنما جر باللام لفقد بعض الشروط لأنه اختلف مع عامله فى الزمان والفاعل لأن زمن الانزال غير زمن الانذار وفاعل الانزال الله تعالى وفاعل الانذار النبى صلى الله عليه وسلم (قوله وذكرى) إما فى محل نصب عطف على تنذر أوفى محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو ذكرى أوفى محل جر عطف على المصدر المنسبك من أن المقدرة بعد

اللام والفعل والتقدير أنزل للانذار والتذكير . ولما كان النبى مكلفا بالتبليغ للكفار و إن لم يتعظوا به أسند الانذار له ، ولما كانت الموعظة والتذكر قائمة بالمؤمنين عند سماعه أسندت لهم فالواعظ للكفار من غيرهم والواعظ للمؤمنين من أنفسهم وحيث كان القرآن منزلا لانذار الكفار واتعاظ المؤمنين به فلايحل إخراجه عما أنزل له أريد كأن يقرأه الشخص فى الطرقات لطلب الدنيا أوليتغنى به بحيث يكون المقصود من القرآن الدنيا أو التلذذ بالصوت الحسن كما يتلذذ بالغناء فان ذلك من الضلال المبين الموجب للعقوبة (قوله اتبعوا) أمر لجميع المكلفين أوللكافرين (قوله من ربكم) إما متعلق بأنزل أو بمحذوف حال من الموصول (قوله من دونه) إما متعلق بقوله لاتتبعوا ، والمعنى لاتعدلوا عنه إلى غيره من الشياطين أو الكهان أوحال من أولياء لأنه نعت نكرة قدم عليها ، والمعنى لاتتولوا من دونه أحدا من شياطين الانس والجن ليحملوكم على الأهواء والبدع (قوله بالتاء) أى مع تشديد الذال بعدها وقوله والياء أى قبل التاء مع تخفيف الذال وقوله وفيه إدغام التاء راجع إلى القراءة الأولى وقوله وفى قراءة بسكونها صوابه بتخفيفها وفيه حذف إحدى التاءين فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله ومازائدة لتأكيد القلة) أى وقليلا نعت مصدر محذوف أى تذكرا قليلا أونعت ظرف زمان محذوف أى زمانا قليلا والمصدر أوالظرف منصوب بالفعل بعده (قوله وكم خبرية) أى بمعنى كثيرا ولم ترد فى القرآن إلا هكذا ويجب لها الصدارة لكونها على صورة الاستفهامية (قوله مفعول) أى لفعل محذوف يفسره قوله أهلكناها من باب الاشتغال والتقدير وكم من قرية أهلكنا أهلكناها و يصح أن يكون كم مبتدأ وجملة أهلكناها خبر ومن قرية تمييز لكم على كل حال .

(سورة الأعراف)

مكية إلا « واسألهم عن القرية » ـ الثمان أو الخمس آيات ـ

مائتان وخمس أو ست آيات

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . المٓصٓ) الله أعلم بمراده بذلك ، هذا (كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ) ضيق (مِنْهُ) أن تبلغه مخافة أن تكذب (لِتُنْذِرَ) متعلق بأنزل أى للانذار (بِهِ وَذِكْرَى) تذكرة (لِلْمُؤْمِنِينَ) به قل لهم (اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) أى القرآن (وَلَا تَتَّبِعُوا) تتخذوا (مِنْ دُونِهِ) أى الله أى غيره (أَوْلِيَاءَ) تطيعونهم فى معصيته تعالى (قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) بالتاء والياء تتعظون وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال وفى قراءة بسكونها وما زائدة لتأكيد القلة (وَكَمْ) خبرية مفعول (مِنْ قَرْيَةٍ) ،

(قوله أريد أهلها) أى فأطلق المحل وأريد الحال فيه فهو مجاز مرسل (قوله أردنا إهلاكها) جواب عما يقال إن الاهلاك مسبب عن البأس الذى هو العذاب وظاهر الآية يقتضى أن العذاب مسبب عن الاهلاك فأجاب بأن الكلام فيه حذف (قوله بياتا) يحتمل أنه حال والتقدير جاءها بأسنا حال كونه بياتا أى فى البيات بمعنى الليل أو ظرف وهو المتبادر من عبارة المفسر (قوله أوهم قائلون) أو للتنويع والجملة حالية معطوفة على ماقبلها والواو مقدرة وإنما حذفت لدفع الثقل باجتماع حرفى عطف فى الصورة وقائلون من قال يقيل كباع يبيع فألفه منقلبة عن ياء بخلاف قال من القول فهى منقلبة عن واو (قوله والقيلولة استراحة نصف النهار) هذا قول ثان فى تفسيرها فتحصل أن القيلولة فيها قولان النوم وقت الظهر أوالاستراحة فى وسط النهار وإن لم يكن معها نوم (قوله أى مرة جاءها ليلا الخ) هذا تفسير مراد للآية وقوله جاءها أى جاء بعضها ليلا كقوم لوط وقوله ومرة نهارا أى كقوم شعيب (قوله فما كان دعواهم) أى استغاثتهم وتضرعهم أو المراد قولهم على سبيل التحسر والتندم (قوله إذ جاءهم) ظرف لقوله دعواهم (قوله إلا أن قالوا) أى إلا قولهم إنا كنا ظالمين والمعنى أنهم لم يقدروا على دفع العذاب عنهم وإنما ذلك تحسر وندامة طمعا فى الخلاص (قوله فلنسألن) اللام موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لنسألن وهذا إشارة لعذابهم فى الآخرة إثر بيان عذابهم فى الدنيا والمقصود من سؤال الأمم زيادة الافتضاح لهم ومن سؤال الرسل رفع قدرهم وزيادة شرفهم وتبكيت الأمم حيث كذبوهم (قوله بعلم) متعلق بمحذوف حال من فاعل نقصن والتقدير فلنقصن عليهم حال كوننا مصحوبين بعلم وهذا حيث سكتت الرسل عن الجواب وقالوا لاعلم لنا (٥٩) إلا ما علمتنا إنك أنت علام الغيوب

أريد أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) أردنا إهلاكها (فَجَاءَهَا بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَاتًا) ليلا (أَوْ هُمْ قَائِلُونَ) نائمون بالظهيرة والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم أى مرة جاءها ليلا ومرة نهارا (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ) قولهم (إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ) أى الأمم عن إجابتهم الرسل وعلمهم فيما بلغهم (وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) عن الإبلاغ (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ) لنخبرنهم عن علم بما فعلوه (وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ) عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا (وَالْوَزْنُ) للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد فى حديث، كائن (يَوْمَئِذٍ) أى يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة (الْحَقُّ) العدل صفة الوزن (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ)

(قوله وما كنا غائبين) توكيد لما قبله (قوله فيما عملوا) فى بمعنى عن أى عما عملوا (قوله والوزن) مبتدأ وقوله يومئذ خبره والحق نعته وهذا هو إعراب المفسر ويصح أن يكون الحق خبر المبتدأ ويومئذ ظرف منصوب على الظرفية وهذا الوزن بعد أخذ الصحف والحساب ثم بعد الوزن يكون المرور على الصراط وهو مختلف باختلاف أحوال العباد (قوله للأعمال أو لصحائفها) هذا إشارة لقولين فعلى الأول تصور الأعمال الصالحة بصورة نيرة حسنة وتوضع فى كفة الحسنات وتصور الأعمال السيئة بصورة مظلمة قبيحة وتوضع فى كفة السيئات. وبقى قول ثالث وهو أن الوزن للذوات لما فى الحديث «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة» (قوله وكفتان) بكسر الكاف وفتحها فى المثنى والمفرد والجمع كفف بالكسر لاغير (قوله فمن ثقلت موازينه الخ) اعلم أن الناس فى القيامة ثلاث فرق: متقون لاكبائر لهم، ومخلطون، وكفار فأما المتقون فان حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وصغائرهم إن كانت لهم فى الكفة الأخرى فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتكفر صغائرهم باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة وينعم كل على حسب أعماله، وأما الكفار فانهم يوضع كفرهم فى الكفة المظلمة ولا توجد لهم حسنة توضع فى الكفة الأخرى فتبقى فارغة فيأمر الله بهم إلى النار وهذان الصنفان هما المذكوران فى القرآن صراحة فى آيات الوزن، وأما الذين خلطوا فقد ثبت فى السنة أن حسناتهم توضع فى الكفة النيرة وسيئاتهم فى الكفة المظلمة فان كانت الحسنات أثقل ولو بأقل قليل أو ساوت أدخلوا الجنة، وإن كانت السيئات أثقل ولو بأقل قليل أدخلوا النار إلا أن يعفو الله، هذا إن كانت كبائرهم فيما بينهم وبين الله وأما إن كانت عليهم تبعات وكانت لهم حسنات كثيرة فانه يؤخذ من حسناتهم فيرد على المظلوم وإن لم يكن لهم حسنات أخذ من سيئات المظلوم فحمل على الظالم من أوزار من ظلمه ثم يعذب إلا أن يرضى الله عنه خصماءه.

(قوله بالحسنات) أى بسبب ثقلها فى الميزان ورجحانها على السيئات (قوله بالسيئات) أى بسبب رجحانها على الحسنات (قوله بما كانوا) متعلق بخسروا وما مصدرية و بآياتنا متعلق بيظلمون قدم عليه للفاصلة وقوله يجحدون أشار بذلك إلى أنه ضمن الظلم معنى الجحد فعداه بالباء (قوله ولقد مكنا كم الخ) لما بين سبحانه وتعالى عاقبة من استمر على الكفر ومن استمر على الايمان ذكر ما أفاض عليهم من النعم الموجبة للشكر (قوله معايش بالياء) أى باتفاق السبعة لأن الياء أصلية إذ هى جمع معيشة وأصلها معيشة بسكون العين وكسر الياء أوضمها نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها أوقلبت ضمة الياء كسرة ثم نقلت إلى ماقبلها وحيث كانت الياء فى المفرد أصلية فانها تبقى فى الجمع وقرئ شذوذا بالهمز تخريجا على زيادة الياء رأصالة الميم وأما إن كانت الياء فى المفرد زائدة فانها تكون فى الجمع همزة كصحائف وصحيفة. قال ابن مالك:

والمد زيد ثالثا فى الواحد همزا يرى فى مثل كالقلائد

(قوله أسبابا تعيشون بها) أى تحيون فيها كالمأكل والشرب وما به تكون الحياة (قوله لتأكيد القلة) أى زائدة لتأكيد القلة والمعنى أن الشاكر قليل قال تعالى ـ وقليل من عبادى الشكور ـ (قوله ولقد خلقناكم الخ) تذكير لنعمة عظيمة على آدم سارية إلى ذريته موجبة لشكرها (قوله أى أباكم آدم) أى حين كان طينا غير مصور (قوله أى صورناه) أى حين كان بشرا بتخطيطه وشق حواسه وإنما جعل المفسر الكلام على حذف مضاف لأجل أن يصح الترتيب بثم وإنما ينسب الخلق والتصوير للمخاطبين إعطاء لمقام الامتنان حقه وتأكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظا من خلق أبيهم وتصويره لأنهما من الأمور السارية فى الذرية جميعا (قوله أو أنتم فى ظهره) هكذا فى نسخة بأو وفى أخرى بالواو فعلى الأولى يكون جوابا ثانيا. والحاصل أن الناس اختلفوا فى ثم فى هذين الموضعين فمنهم من لم يلتزم فيها ترتيبا وجعلها بمنزلة الواو وأبقى الآية على ظاهرها ومنهم من قال هى للترتيب الزمانى وجعل الكلام على حذف مضاف فى الخلق والتصوير (قوله سجود تحية بالانحناء) أشار بذلك

(٦٠)

بالحسنات (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيئات (فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) بتصييرها إلى النار (بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) يجحدون (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ) يابنى آدم (فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) بالياء أسبابا تعيشون بها جمع معيشة (قَلِيلًا مَا) لتأكيد القلة (تَشْكُرُونَ) على ذلك (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ) أى أباكم آدم (ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ) أى صورناه وأنتم فى ظهره (ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود تحية بالانحناء (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) أبا الجن كان بين الملائكة (لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ. قَالَ) تعالى (مَا مَنَعَكَ أَ) ن (لَا) زائدة (تَسْجُدَ إِذْ) حين (أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ).

إلى أن المراد السجود اللغوى وهو الانحناء كسجود إخوة يوسف وأبويه له وقد كان تحية للملوك فى الأمم السابقة وعليه فلا إشكال وقال بعضهم إن السجود شرعى بوضع الجبهة على الأرض لله وآدم قبلة كالكعبة ويحتمل أن السجود على ظاهره لآدم، وقوله إن السجود لغير الله كفر محله إن كان من هوى النفس لا بأمر الله، ونظير ذلك تعظيمنا مشاعر الحج فتأمل (قوله فسجدوا) أى قبل دخول الجنة وأول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون، واختلف فى مدة السجود فقيل مائة سنة وقيل خمسمائة سنة وقيل غير ذلك (قوله أبا الجن) هذا أحد قولين والثانى هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وأنه ليس من الملائكة قال فى الكشاف لما اتصف بصفات الملائكة جمع معهم فى الآية واحتيج إلى استثنائه ويدل على ذلك قوله تعالى ـ إلا إبليس كان من الجن ـ وقال بعضهم: إنه من الملائكة فالاستثناء متصل. وقوله تعالى ـ كان من الجن ـ أى فى الفعل والمعول عليه الأول (قوله مامنعك) ما استفهامية للتوبيخ فى محل رفع بالابتداء والجملة بعدها خبر وأن فى محل نصب أو جر لأنها على حذف حرف الجر وإذ منصوب بتسجد والتقدير أى شىء منعك من السجود حين أمرتك (قوله زائدة) أى لتأكيد معنى النفى فى منعك فهو كما فى ص بحذفها وهو الأصل لأن القرآن يفسر بعضه بعضا (قوله خلقتنى من نار) هذه الجملة لامحل لها من الاعراب لأنها كالتفسير والبيان لما قبلها من دعوى الخيرية. فائدة: قال هنا ما منعك وفى سورة الحجر ـ قال ياإبليس مالك أن لاتكون مع الساجدين ـ وفى سورة ص ـ مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى ـ الآية اختلاف العبارات عند الحكاية دل على أن اللعين قد أدرج فى معصية واحدة ثلاث معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة

الجماعة والاستكبار مع تحقير آدم ، وشبهة الخيرية أن النار جسم لطيف نورانى والطين جسم كثيف ظلمانى وما كان لطيفا نورانيا خير مما كان كثيفا ظلمانيا ، ولما كان ما احتج به على ربه باطلا لكون الطين فيه منافع كثيرة وفوائد جمة و يتوقف عليه نظام العالم لاحتياجه إليه ولما ينشأ عنه من النبات والماء اللذين هما غذاء العالم السفلى والنار منافعها قليلة ولا يتوقف عليها نظام العالم لوجود كثير منه غير محتاج لها ولا لما يسوى بها ردّ عليه المولى بأشنع ردّ وأجابه بجواب السائل المتعنت المتكبر بقوله فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها الآية (قوله قال فاهبط منها) الفاء لترتيب الأمر على ماظهر من مخالفة اللعين (قوله أى من الجنة) أى وعليه فبقى فى السموات خارج الجنة (قوله وقيل من السموات) أى فلم يبق له استقرار فى العالم العلوى أصلا (قوله أن تتكبر فيها) أى ولا فى غيرها فى الكلام اكتفاء لأن الكبر مذموم مطلقا (قوله الذليلين) تفسير للصاغرين من الصغار وهو بالفتح الذل والضيم (قوله قال أنظرنى) لما كره اللعين إذاقة الموت طلب البقاء والخلود إلى يوم البعث ومن المعلوم أن لاموت بعده فقصد استمرار الحياة فى الدنيا والآخرة فأجابه الله لاعلى مراده بل أمهله إلى النفخة الأولى ولا نجاة له من الموت ولا من العذاب (قوله أى وقت النفخة الأولى) أى لا وقت النفخة الثانية التى طلبها اللعين (قوله قال فبما أغويتنى الخ) غرضه بهذا أخذ ثأره منهم لأنه لما طرد ومقت بسببهم أحب أن ينتقم (٦١) منهم أخذا بالثأر (قوله والباء للقسم) أى وما مصدرية وما بعدها مسبوك بها يشير له قول المفسر أى باغوائك لى ويصح أن تكون للسببية (قوله أى على الطريق الخ) أشار به إلى أن صراط منصوب على نزع الخافض (قوله من بين أيديهم ومن خلفهم) أى من الجهات التى يعتاد الهجوم منها وهى الجهات الأربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت أما الفوق فلكونه لم يمكنه أن يحول بين العبد ورحمة ربه كما قال ابن عباس وأما التحت فلكبره لا يرضى أن يأتى من ذلك ويكثر إتيانه من أمام وخلف ويضعف فى اليمين واليسار لحفظ الملائكة ، وذكر بعضهم حكمة أخرى لعدم مجيئه من تحت لكون الآتى من تحت إنما يريد الازعاج وهو يريد التأليف للغواية والأول أقرب وإنما عدى الفعل فى الأولين بمن الابتدائية لأن شأن التوجه منهما بخلاف الأخيرين فالآتى منهما كالمنحرف لليسار (قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين) يحتمل أنه من الوجدان بمعنى اللقاء فيتعدّى لواحد وشاكرين حال ويحتمل أنه بمعنى العلم فيتعدّى لاثنين (قوله قال اخرج منها مذءوما) تأكيد لما تقدّم والمذءوم بالهمزة من ذأمه يذأمه ذأما إذا عابه ومقته أى اخرج ممقوتا معابا عليك (قوله مبعدا عن الرحمة) أى لأن الدحر الطرد والابعاد يقال دحره يدحره دحرا ودحورا ، ومنه قوله تعالى ـ ويقذفون من كل جانب دحورا ـ وهما حالان من فاعل اخرج (قوله واللام للابتداء) أى داخلة على المبتدأ فمن اسم موصول مبتدأ وتبعك صلته ومنهم متعلق بتبعك وقوله لأملأنّ جواب قسم محذوف بعد قوله منهم والقسم وجوابه فى محل رفع خبر المبتدإ (قوله أو موطئة للقسم) والتقدير والله لمن تبعك ومن اسم شرط مبتدأ ولأملأنّ جواب القسم المدلول عليه بلام التوطئة وجواب الشرط محذوف لسدّ جواب القسم مسدّه (قوله وفيه تغليب الحاضر) أى وهو إبليس وقوله على الغائب أى وهو الناس (قوله وفى الجملة) أى وهى لأملأنّ وقوله معنى جزاء من أى على كونها شرطية وتقديره أعذبه .

(قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا) أى من الجنة وقيل من السموات (فَمَا يَكُونُ) ينبغى (لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ) منها (إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ) الذليلين (قَالَ أَنْظِرْنِي) أخرنى (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس (قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ) وفى آية أخرى إلى يوم الوقت المعلوم أى وقت النفخة الأولى (قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي) أى باغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ) أى لبنى آدم (صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) أى على الطريق الموصل إليك (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ) أى من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه قال ابن عباس ولا يستطيع أن يأتى من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) مؤمنين (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا) بالهمزة معيبا أو ممقوتا (مَدْحُورًا) مبعدا عن الرحمة (لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم ، وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ) أى منك بذريتك ومن الناس ، وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفى الجملة معنى جزاء من الشرطية أى من تبعك أعذبه ،

(قوله و يا آدم) تقدير للمفسر قال يفيد أنه معطوف على أخرج مسلط عليه عامله عطف قصة على قصة ويصح عطفه على قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا فيكون مسلطا عليه قلنا وربما كان هذا أقرب من حيث المناسبة ، والأول أقرب من حيث قرب المعطوف من المعطوف عليه ، وهذا القول يحتمل أنه واقع من الله مباشرة أو على لسان ملك (قوله تأكيد للضمير فى اسكن) أى وليس هو الفاعل لأن فاعل فعل الأمر واجب الاستتار ، وقوله ليعطف عليه وزوجك جواب عما يقال لم أتى بالضمير المنفصل (قوله حواء) سميت بذلك لأنها خلقت من حى وهو آدم ، وذلك أن آدم لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بها ، فلما استيقظ ورآها مال إليها ، فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدى مهرها ، فقال وما مهرها ؟ فقالوا ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم . إن قلت إن شرط المهر أن يكون متمولا وهذا ليس بمتمول . أجيب بأن هذا الشرط فى شرع محمد ولم يكن فى شرع آدم وأيضا الآمر هو الله وهو يحكم لامعقب لحكمه ، وأيضا من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج بلا مهر أصلا فلما كان هو الواسطة فى ذلك عد كأنه هو العاقد لهما وإنما كان خصوص الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لكل أحد حتى أبيه آدم ، وأمر الله آدم بالسكون فى الجنة قيل قبل دخول الجنة فتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم الله بها فانها لم تكن خلقت إذ ذاك وقيل بعد الدخول وهو المعتمد وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار (قوله فكلا من حيث شئتما) أى فى أى مكان وفى الكلام حذف بعد من والأصل فكلا من ثمارها حيث شئتما وترك رغدا من هنا اكتفاء بذكره فى البقرة وأتى بالفاء هنا وفى البقرة بالواو تفننا وإشارة إلى أن كلا من الحرفين بمعنى الآخر ، وقيل إن الواو تفيد الجمع المطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو فلا منافاة وما ذكره شيخ الاسلام من الجواب بعيد كما تقدم لنا فى البقرة فانظره . بقى شىء آخر وهو أنه وجه الخطاب أولا لآدم وثانيا لهما ، وحكمة ذلك أن حواء فى السكنى تابعة لآدم فوجه الخطاب من فى السكنى لآدم وأما فى الأكل من حيث شاءا والنهى عن قربان الشجرة فقد اشتركا فيه فلذا وجه الخطاب لهما معا (قوله ولا تقربا) يقال قربت الأمر أقربه من باب تعب وفى لغة من باب قتل قربانا بالكسر فعلته أو دانيته وحينئذ يكون النهى عن القربان أبلغ من النهى عن الأكل بالفعل (قوله وهى الحنطة) وقيل الكرم وقيل التين وقيل البلح وقيل الأترج والمشهور ما قاله المفسر (قوله من الظالمين) أى لأنفسهما (قوله فوسوس لهما الشيطان) الوسوسة الحديث الخفى الذى يلقيه الشيطان فى قلب الانسان على سبيل التكرار . إن قلت إن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان وظاهر الآية يقتضى أن الشيطان وسوس لآدم . أجيب بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة ، وإنما باشر حواء وهى باشرت آدم بذلك ، قال محمد بن قيس ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك ؟ قال أطعمتنى حواء ، قال لحواء لم أطعمتيه ؟ قالت أمرتنى الحية ، قال للحية لم أمرتيها ؟ قالت أمرنى إبليس ، قال الله : أما أنت ياحواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة ، وأما أنت ياحية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك ، وأما أنت يا إبليس فملعون إن قلت كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة . أجيب بأن وسوسته وإن كانت خارج الجنة إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله فى جوف الحية ووسوس لهما وقوله الشيطان من شاط بمعنى احترق أو من شطن بمعنى بعد (قوله إبليس) من أبلس إبلاسا بمعنى يأس لأنه آيس من رحمة الله ، وقد تقدم فى البقرة جملة أسمائه فانظرها (قوله ليبدى لهما) هذا من جملة أغراضه فى الوسوسة فتكون اللام للتعليل ويحتمل أنها للعاقبة وأن غرضه فى الوسوسة خصوص غضب الله عليهما وطردهما من الجنة (قوله ماوورى عنهما) أى غطى وستر عنهما . واختلف فى ذلك اللباس فقيل غطاء على الجسد من جنس الأظفار فنزع عنهما وبقيت الأظفار فى اليدين والرجلين تذكرة وزينة وانتفاعا ، ولذلك قالوا إن النظر للأظفار فى حال الضحك يقطعه وقيل كان نورا وقيل كان من ثياب الجنة (قوله فوعل) أشار بذلك

(وَ) قال (يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ) تأكيد للضمير فى اسكن ليعطف عليه (وَزَوْجُكَ) حواء بالمد (الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ) بالأكل منها وهى الحنطة (فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ . فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ) إبليس (لِيُبْدِيَ) يظهر (لَهُمَا مَا وُورِيَ) فوعل من المواراة (عَنْهُمَا ،

مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَانَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا) كراهة (أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ) وقرئ بكسر اللام (أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ) أى وذلك لازم عن الأكل منها كما فى آية أخرى : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (وَقَاسَمَهُمَا) أى أقسم لهما بالله (إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) فى ذلك (فَدَلَّاهُمَا) حطهما عن منزلتهما (بِغُرُورٍ) منه (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) أى أكلا منها (بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) أى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أخذا يلزقان (عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) ليستترا به (وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة والاستفهام للتقرير (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا) بمعصيتنا ،

إلى أن الواو الثانية زائدة وحينئذ فلا يجب قلب الأولى همزة وإنما يجب لو كانت الثانية أصلية (قوله من سوآتهما) أى عوراتهما سميت بذلك لأن كشفها يسىء صاحبها (قوله وقال مانهاكما) معطوف على وسوس بيان له (قوله إلا أن تكونا ملكين) بفتح اللام أى لم ينهكما عن الأكل منها إلا كراهة أن تكونا من الملائكة أو تكونا من الخالدين فى الجنة . فالمعنى الذى ادعاه لهما أن الأكل منها سبب لأن يكونا من الملائكة وسبب للخلود فيها (قوله كراهة) أفاد المفسر أن الاستثناء مفرغ وهو مفعول من أجله قدره البصريون إلا كراهة أن تكونا الخ وقدره الكوفيون أن لا تكونا وتقدير البصريين أولى لأن إضمار الاسم أحسن من إضمار الحرف (قوله وقرئ بكسر اللام) أى شذوذا ويؤيده قوله تعالى فى موضع آخر هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فالملك بالضم يناسب الملك بالكسر (قوله أى وذلك) أى أحد الأمرين ، وقوله لازم أى ناشئ عن الأكل منها وقضية هذه الآية على قراءة الكسر عدم اجتماع الأمرين وقضية الآية الأخرى وهى هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى اجتماعهما . وأجيب بأن أو بمعنى الواو وحكمة ترغيبهما فى الملكية أن الملائكة خصوا بالقرب من العرش ولهم المنزلة عند الله (قوله وقاسمهما) معطوف على فوسوس لهما الشيطان وإنما أقسم لهما لأجل تأكيد إضلاله فهو أول من حلف كاذبا بل هو أول من عصى الله مطلقا (قوله أى أقسم لهما بالله) أى وقبلا منه القسم فالمفاعلة باعتبار ذلك وإلا فالواقع ليست على بابها لأن الحالف هو فقط (قوله فى ذلك) أى ماذكر من كونهما يلحقان بالملائكة ويكونان من الخالدين (قوله فدلاهما) التدلى النزول من أعلى لأسفل (قوله حطهما عن منزلتهما) أى الحسية لأن غروره تسبب عنه نزولهما من الجنة إلى الأرض لا المعنوية بل رتبتهما عند الله لم تنقص بل ازدادت (قوله بغرور) الباء سببية والغرور تصوير الباطل بصورة الحق (قوله فلما ذاق الشجرة) من الذواق وهو تناول الشىء ليعرف طعمه وفيه إشارة إلى أنهما لم يتناولا منها كثيرا لأن شأن من ذاق الشىء أن يقتصر على ماقل منه (قوله بدت لهما سوآتهما) أى سقط عنهما لباسهما فبدت الخ (قوله ودبره) أى الآخر وأما دبر نفسه فلا يظهر له إلا إن التفت له وتعاناه (قوله يسوء صاحبه) أى يوقعه فى السوء (قوله وطفقا) من باب طرب أى شرعا وأخذا (قوله يخصفان) من خصف النعل خرزه والمراد يلزقان بعضه على بعض لأجل الستر (قوله عليهما) أى القبل والدبر (قوله من ورق الجنة) قيل ورق التين وقيل ورق الموز (قوله وناداهما ربهما) يحتمل على لسان ملك أو مباشرة (قوله ألم أنهكما) إما تفسير للنداء فلا محل له من الاعراب أو مقول لقول محذوف والتقدير قائلا ألم أنهكما الخ (قوله وأقل لكما) أى كما فى آية طه فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك الآية (قوله بين العداوة) أى حيث امتنع من السجود له ورضى بالطرد والبعد (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار والمعنى أقرا بذلك على حد ألم نشرح لك صدرك (قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) هذا إخبار من الله عن آدم وحواء باعترافهما وندمهما على ماوقع منهما وإنما عاتبهما الله على ذلك وإن كان ليس بمعصية حقيقية لأن حسنات الأبرار سيآت المقربين وليس ذلك بقادح فى عصمة آدم لأن المستحيل على الأنبياء تعمد المخالفة ، وأما الخطأ فى الاجتهاد والنسيان الرحمانى فهو جائز عليهم ، ونظير ذلك ماوقع فى قصة ذى اليدين حيث سلم رسول الله من ركعتين ، فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال كل ذلك لم يكن ، فقال بل بعض ذلك قد كان الحديث ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أنس ولكن أنسى لأسن ، وحكمة الأكل من الشجرة ماترتب على ذلك من وجود الخلق وعمارة الدنيا فأنساه الله لأجل حصول تلك الحكمة البالغة فمن نسب التعمد والتجرؤ لآدم

فقد كفر كما أن من نفى عنه اسم العصيان فقد كفر لمصادمة آية وعصى آدم ربه فغوى فالخلاص من ذلك أن يقال إن معصيته ليست كالمعاصي وتقدم تحقيق هذا المقام في سورة البقرة فانظره (قوله وإن لم تغفر لنا) شرط حذف جوابه اكتفاء بجواب القسم (قوله بما اشتملتما عليه من ذريتكما) أي فهذا هو وجه الجمع في الآية وقيل إن الجمع باعتبار آدم وحواء والحية وإبليس ويكون قوله بعضكم لبعض عدو باق على ظاهره لأن إبليس والحية عدو لآدم وحواء (قوله مكان استقرار) أي وهو المكان الذي يعيش فيه الانسان والمكان الذي يدفن فيه (قوله قال فيها تحيون) أصله تحييون كترضيون تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله بالبناء للفاعل الخ) أي في تخرجون وأما تحيون وتموتون فللفاعل لا غير (قوله يابني آدم) لما قدم قصة آدم وحواء وما أنعم به عليهما وفتنة الشيطان لهما خاطب أولاد آدم عموما بتذكير نعمه عليهم وحذرهم من اتباع الشيطان لأنه عدو لأبيهم والعداوة للآباء متصلة للأبناء (قوله قد أنزلنا عليكم لباسا) أي أنزلنا أسبابه من السماء وهو المطر فينشأ عنه النبات الذي يكون منه اللباس كالقطن والكتان وتعيش به الحيوانات التي يكون منها الصوف والشعر والوبر والحرير (قوله سوآتكم) أي عوراتكم أي فهو نعمة (قوله وريشا) معطوف على لباسا وعبر عنه بالريش لأن الريش زينة الطائر كما أن اللباس زينة الآدميين، والمعنى أن الله تعالى منّ على بني آدم بلباسين لباسا يواري سوآتهم ولباسا ريشا أي زينة ويصح أن يكون معطوفا على يواري فيكون وصف اللباس بشيئين كونه يواري سوآتكم وكونه زينة لكم ويؤخذ من الآية أن لبس لباس الزينة غير مذموم والمراد الزينة التي لم تخالف الشرع وهذا إن صح القصد بأن لم يقصد الفخر ولا العجب بها كما أن التقشف في اللباس غير مذموم إن كان خاليا من الأغراض الفاسدة بأن لم يقصد به دعوى الولاية أو إظهار الفقر لأجل أن يتصدق عليه، وبالجملة فالمدار على حسن القصد تجمل بالثياب أو تخشن فيها وفي هذا المعنى قال بعضهم :

(وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. قَالَ اهْبِطُوا) أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (بَعْضُكُمْ) بعض الذرية (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) من ظلم بعضهم بعضا (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) مكان استقرار (وَمَتَاعٌ) تمتع (إِلَى حِينٍ) تنقضي فيه آجالكم (قَالَ فِيهَا) أي الأرض (تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) بالبعث بالبناء للفاعل والمفعول (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا) أي خلقناه لكم (يُوَارِي) يستر (سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا) هو ما يتجمل به من الثياب (وَلِبَاسُ التَّقْوَى) العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطف على لباسا والرفع مبتدأ خبره جملة (ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دلائل قدرته (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب (يَا بَنِي آدَمَ ،

لا يفتننكم

ليس التصوف لبس الصوف والخلق ... بل التصوف حسن الصمت والخلق
فالبس من اللبس ما تختار أنت وقم ... جنح الظلام وأجر الدمع في الغسق
فرب لابس الديباج يشغله ... حب الذي خلق الانسان من علق
وكم فتى لابس للخيش تحسبه ... ناج وذلك عند العارفين شقي
فإن ذلك لم يحجبه ملبسه ... وذا مع اللبس مأسور فلم يفق

(قوله ولباس التقوى) أي الناشىء عنها أو الناشئة عنه (قوله العمل الصالح) أي المنجي من العذاب لأن الانسان يكسى من عمله يوم القيامة (قوله خبره جملة ذلك خير) أي فاسم الاشارة مبتدأ ثان وخير خبره والجملة من المبتدإ الثاني وخبره خبر الأول واسم الاشارة عائد على قوله ولباس التقوى وإنما كان خيرا لأنه يستر من فضائح الآخرة وفي الحديث «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فإذا كان كذلك فينبغي للانسان أن يشتغل بتحسين ظاهره بالأعمال الصالحة وباطنه بالاخلاص فإنه محل نظر الله منه، ولذلك قال العارف البكري إلهي زين ظاهري بامتثال ما أمرتني به ونهيتني عنه وزين سري بالأسرار وعن الأغيار فصنه (قوله ذلك من آيات الله) اسم الاشارة عائد على اللباس المنزل بأقسامه (قوله فيه التفات عن الخطاب) أي وكان مقتضى الظاهر لعلكم تذكرون ونكتته دفع الثقل في الكلام (قوله يابني آدم) لما ذكرهم نعمة اللباس نبههم على أن الشيطان

حسود وعدو لهم كما أنه حسود وعدو لأبيهم (قوله لايفتننكم الشيطان) هو نهى له صورة وفى الحقيقة نهى لبنى آدم عن الاصغاء لفتنه وأتباعه فليس المراد النهى عن تسلطه إذ لاقدرة لمخلوق على منع ذلك لأنه قضاء مبرم بل المراد النهى عن الميل إليه وإلى ذلك أشار المفسر بقوله أى لاتتبعوه فتفتنوا (قوله كما أخرج) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف وما مصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر والتقدير فتنة مثل فتنة إخراج أبويكم والجامع بينهما زوال النعم فى كل (قوله أبويكم) أى آدم وحواء (قوله بفتنته) الباء سببية (قوله حال) أى من أبويكم أومن ضمير أخرج وكل صحيح فان الجملة مشتملة على ضمير الأبوين وعلى ضمير الشيطان وإسناد النزع إليه باعتبار كونه سببا فيه والنزع أخذ الشىء بسرعة وقوةومنه قوله تعالى: تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر، وفيه إشارة إلى أن من اتبع الشيطان تزول نعمه بسرعة وقوة وأتى بالمضارع حكاية للحال الماضية استحضارا للصورة العجيبة (قوله إنه يراكم) تعليل للتحرز من الشيطان اللازم للنهى كأنه قيل فاحذروه لأنه يراكم الخ (قوله وقبيله) معطوف على الضمير المتصل فى يراكم وأتى بالضمير المنفصل وإن كان قد حصل الفصل بالكاف زيادة فى الفصاحة. والقبيل اسم لما اجتمع من شتات الخلق ولذلك فسره بالجنود والقبيلة الجماعة من أب واحد (قوله من حيث لاترونهم) من ابتدائية وحيث ظرف مكان والتقدير إنه يراكم رؤية مبتدأة من مكان لاترونهم فيه (قوله للطافة أجسادهم) أى فأجسامهم كالهواء نعلمه وتتحققه ولا نراه للطافته وعدم تلونه هذا وجه عدم رؤيتنا لهم، وأما وجه رؤيتهم لنا فكثافة أجسادنا وتلوننا وأما رؤية بعضهم لبعض فحاصلة لقوة فى أبصارهم وهذا حيث كانوا بصورتهم الأصلية، وأما إذا تصوروا

(لَا يَفْتِنَنَّكُمُ) يضلنكم (الشَّيْطَانُ) أى لاتتبعوه فتفتنوا (كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم) بفتنته (مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ) حال (عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ) أى الشيطان (يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ) جنوده (مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم (إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ) أعوانا وقرناء (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً) كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها (قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا) فاقتدينا بهم (وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) أيضاً (قُلْ) لهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) أنه قاله، استفهام إنكار (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) العدل (وَأَقِيمُوا) معطوف على معنى بالقسط أى قال أقسطوا وأقيموا أو قبله فاقبلوا مقدراً (وُجُوهَكُمْ) لله (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ).

بغيرها فنراهم لأن الله جعل لهم قدرة على التشكل بالصور الجميلة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة كما فى الأحاديث الصحيحة فالآية ليست على عمومها والفرق بينهم وبين الملائكة أن الملائكة لا يتشكلون إلا فى الصور الجميلة ولا تحكم عليهم بخلاف الجن وقد ورد إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بنى آدم مساكن لهم إلا من عصمه الله كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم وبنو آدم لايرونهم. قال مجاهد قال إبليس: جعل لنا أربع[1] نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا شابا. وقال مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المجاهدة إلا من عصمه الله (قوله إنا جعلنا الشياطين أولياء) أى صيرناهم أعوانا لغير المؤمنين ومكناهم من إغوائهم فتحرزوا منهم (قوله وإذا فعلوا فاحشة) هذه الآية نزلت فى كفار مكة كانوا يطوفون عراة رجالهم بالنهار ونساؤهم بالليل فكان أحدهم إذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لاينبغى أن أطوف فى ثوب قد عصيت فيه ربى فيقول من يعيرنى إزارا فان وجد وإلا طاف عريانا وإذا فرض وطاف فى ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه وحرمها على نفسه (قوله قالوا وجدنا الخ) أى محتجين بهذين الأمرين: تقليد الآباء، والافتراء على الله (قوله قل إن الله لايأمر بالفحشاء) أى ردا لمقالتهم الثانية وترك رد الأولى لوضوح فسادها (قوله أتقولون على الله مالاتعلمون) أى لأنكم لم تسمعوه مشافهة ولم تأخذوه عن الأنبياء الذين هم وسائط بين الله وخلقه (قوله استفهام إنكار) أى وتوبيخ وفيه معنى النهى (قوله معطوف على معنى بالقسط) دفع بذلك مايقال إن قوله أمر ربى بالقسط خبر وقوله وأقيموا إنشاء ولا يصح عطف الانشاء على الخبر. فأجاب بجوابين: الأول أن أقيموا معطوف على المعنى والتقدير قال أقسطوا وأقيموا. الثانى أن الكلام فيه حذف والتقدير قل أمر ربى بالقسط فاقبلوا وأقيموا.

---

(١) (قوله جعل لنا أربع) لم يذكر إلا ثلاثا. اهـ مصححه

(قوله أى أخلصوا له سجودكم) أى صلاتكم ففيه تسمية الكل باسم أشرف أجزائه لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله وادعوه) عطف عام (قوله كما بدأكم تعودون) كلام مستأنف مسوق للرد على منكرى البعث أى يعيدكم أحياء أى بالأرواح والأجساد بعينها (قوله فريقا هدى) فريقا معمول لهدى وفريقا الثانى معمول لمقدر من قبيل الاشتغال موافق فى المعنى ، والتقدير وأضل فريقا حق عليهم الضلالة أى ثبت فى الأزل ضلالهم (قوله إنهم اتخذوا) علة لقوله حق عليهم (قوله ويحسبون أنهم مهتدون) أى يظنون أنهم على هدى والحال أنهم ليسوا كذلك (قوله يابنى آدم الخ) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل يقولون لانطوف فى ثياب عصينا الله فيها وكانوا لايأكلون فى أيام حجهم إلا قوتا ولايأكلون لحما ولادسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون أن يفعلوا كفعلهم (قوله أى ما يستر عورتكم) راعى فى هذا المحل سبب النزول وأصل الواجب ، وعموم اللفظ يفيد أن المطلوب فى الصلاة والطواف ومشاهد الخير جميل الثياب كما هو المندوب شرعا تأمل (قوله عند كل مسجد) المسجد فى الأصل موضع السجود ثم أطلق وأريد منه نفس الصلاة والطواف من باب تسمية الحال باسم المحل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالذى ينبغى للأمة التجمل بالثياب عند حضور مشاهد الخير مع القدرة (قوله وكلوا واشربوا) أى من الحلال فإنه رأس التقوى (قوله ولا تسرفوا) أى بأن تحرموا الحلال كما كانوا يفعلون من امتناعهم من اللحم والدسم أو تحلوا الحرام أو تتجاوزوا الحد فى الأكل والشرب كالتعمق فى ذلك أو الاكثار المضر لما فى الحديث « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه » ولأن ما زاد على ثلث البطن لا يعود على الشخص إلا بالضرر لما ورد فى الحديث أيضا « أصل كل داء البردة » وهى إدخال الطعام على الطعام فالمناسب أن لا يأكل حتى يجوع وأن يقوم ونفسه تشتهى الطعام فإن ملك النفس عن الاسراف فى المباح أكبر دليل على ملكها عن الحرام كذلك

أى أخلصوا له سجودكم (وَادْعُوهُ) اعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (كَمَا بَدَأَكُمْ) خلقكم ولم تكونوا شيئا (تَعُودُونَ) أى يعيدكم أحياء يوم القيامة (فَرِيقًا) منكم (هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ . يَابَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ) ما يستر عورتكم (عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ) عند الصلاة والطواف (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا) ما شئتم (وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ) إنكارا عليهم (مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) من اللباس (وَالطَّيِّبَاتِ) المستلذات (مِنَ الرِّزْقِ ، قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم (خَالِصَةً) خاصة بهم بالرفع والنصب حال (يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،

(قوله إنه لا يحب المسرفين) أى يعاقبهم على ذلك ولا يرضى فعلهم (قوله إنكارا عليهم) أى وتوبيخا لهم وحيث كان إنكاريا فلا جواب له (قوله التى أخرج لعباده) أى التى خلقها لهم من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع وكلها جائزة للرجال والنساء ما عدا الحرير الخالص للرجال فإنه يحرم عليهم إجماعا ، وأما ما اختلط بالحرير وغيره ففيه خلاف بين العلماء بالكراهة والحرمة والجواز والمعتمد عدم الحرمة (قوله قل هى) أى الزينة من الثياب والطيبات من الرزق (قوله بالاستحقاق) أى الأصلى ، وأما مشاركة غيرهم لهم فهو بطريق التبع وهذا جواب عما يقال إن المشاهد أن الكافر يستمتع بالزينة والمستلذات أكثر من المسلم فكيف يقال إنها للذين آمنوا فى الحياة الدنيا ؟ . فأجاب بما ذكر ، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى : وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا الآية ولذا لا يعاقبون عليها لأن الله خلقها لهم بطريق الأصالة ليستعينوا بها على طاعاته ولذا إذا عدمت المؤمنون فى آخر الزمان تقوم القيامة إذ لم يبق مستحق للنعم (قوله خاصة بهم) أى لا يشاركهم فيها غيرهم (قوله بالرفع) أى خبر ثان (قوله والنصب حال) أى من الضمير فى الخبر المحذوف والتقدير هى كائنة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا حال كونها خالصة لهم يوم القيامة وإنما كانت خالصة للمؤمنين يوم القيامة لأن رحمة الله تنفرد بالمؤمنين وغضبه ينفرد بالكافرين قال تعالى : وامتازوا اليوم أيها المجرمون .

(كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ) نبينها مثل ذلك التفصيل (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون فإنهم المنتفعون بها (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ) الكبائر كالزنا (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) أي جهرها وسرها (وَالإِثْمَ) المعصية (وَالْبَغْيَ) على الناس (بِغَيْرِ الْحَقِّ) هو الظلم (وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ) بإشراكه (سُلْطَانًا) حجة (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ) من تحريم ما لم يحرم وغيره (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) مدة (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه (سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) عليه (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة (يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى) الشرك (وَأَصْلَحَ) عمله (فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ) في الآخرة (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا (عَنْهَا) فلم يؤمنوا بها (أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. فَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك والولد إليه (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ) القرآن (أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ) يصيبهم (نَصِيبُهُمْ) حظهم،

(قوله كذلك نفصل الآيات) أي نبينها ونوضحها في غير هذا الموضع مثل ذلك التفصيل والتوضيح في هذا الموضع (قوله لقوم يعلمون) أي أنه مستحق للعبادة (قوله فإنهم المنتفعون بها) أي وغيرهم لا يعبأ به ولا يخاطب (قوله كالزنا) أي والقتل وسلب الأموال وسائر أنواع الفسق بالجارحة (قوله أي جهرها وسرها) المراد بالجهر المعاصي الظاهرية كالقتل وشرب الخمر وبالسر المعاصي الباطنية القلبية كالعجب والكبر والرياء (قوله والإثم) عطف عام على خاص وما بعده عطف خاص على عام لمزيد الاعتناء بشأنه (قوله هو الظلم) أي للناس إما بالقتل أو سلب الأموال أو التكلم في أعراضهم أو غير ذلك وقوله بغير الحق إيضاح لمعنى البغي فهو صفة كاشفة (قوله ما لم ينزل به سلطانا) ما نكرة بمعنى شيء أي شيئا سواه تعالى (قوله حجة) أي دليلا لأن دليل الوحدانية قد أبطل الشرك لغيره (قوله وغيره) أي كتحليل الحرام ويدخل في ذلك الفتى بالكذب (قوله ولكل أمة أجل) أي لكل فرد من أفراد الأمة (قوله مدة) أي وقت معين (قوله ساعة) أي شيئا قليلا من الزمن فالمراد بالساعة الساعة الزمانية وقوله لا يستأخرون جواب إذا وقوله ولا يستقدمون مستأنف أو معطوف على الجملة الشرطية ولا يصح عطفه على قوله لا يستأخرون لأن المعطوف على الجواب جواب وجواب إذا يشترط أن يكون مستقبلا والاستقدام بالنسبة لمجيء الأجل ماض فلا يصح ترتبه على الشرط (قوله يا بني آدم) هذا خطاب عام لكل من لآدم عليه ولادة من أول الزمان لآخره ولكن المقصود من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية (٦٧) دليل على عموم رسالته لأن الله خاطب من أجله عموم بني آدم (قوله في ما المزيدة) أي للتأكيد (قوله يأتينكم) فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم وجملة فمن اتقى إلى خالدون جواب الشرط والرابط محذوف تقديره فمن اتقى منكم ومن يحتمل أن تكون شرطية واتقى فعل الشرط وجملة فلا خوف عليهم جوابه ويحتمل أنها موصولة واتقى صلتها وجملة فلا خوف عليهم خبرها وقرن بالفاء لما في المبتدإ من معنى العموم (قوله منكم) أي من جنسكم يا بني آدم وإنما كان من جنسهم لأنه أقطع لعذرهم وحجتهم (قوله يقصون) أي يقرءون ويتلون (قوله آياتي) أي القرآنية وغيرها (قوله فمن اتقى الشرك) أشار بذلك إلى أن المراد بالتقوى هنا التقوى العامة وهي اتقاء الشرك بالإيمان لقرينة قوله وأصلح وأعلى منها تقوى الخواص وهي ترك المعاصي وأعلى منها ترك الأغيار وهي كل مشغل عن الله، ولهذه المرتبة أشار العارف بقوله:

ولو خطرت لي في سواك إرادة ... على خاطري يوما حكمت بردتي

(قوله وأصلح عمله) أي بأن ترك المعاصي أو كل مشغل عن الله فهو صادق بتقوى الخواص وخواص الخواص (قوله في الآخرة) أي وأما في الدنيا فلا يفارقهم الخوف ولا الحزن لتذكرهم الموت وأحوال الآخرة ولو جاءتهم البشرى من الله فالحزن دأب الصالحين في الدنيا لزيادة درجاتهم (قوله فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أي تكبروا عن الإيمان بها (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله بنسبة الشريك) الباء سببية، والمعنى لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بسبب نسبة الشريك لله ككفار مكة حيث أشركوا مع الله الأصنام والنصارى واليهود حيث نسبوا له الولد (قوله أو كذب بآياته) أي وإن لم ينسب الشريك له لأنه لا يلزم من التكذيب بالآيات نسبة الشريك له، وأما نسبة الشريك له فيلزم منها التكذيب بالآيات (قوله أولئك ينالهم نصيبهم) أي في الدنيا.

(قوله من الكتاب) من ابتدائية متعلقة بمحذوف حال من نصيبهم وقوله مما كتب لهم بيان النصيب (قوله من الرزق) أى على حسبه من سعة وضيق وكونه من حلال أوحرام وقوله والأجل أى من قصر أوطول وقوله وغير ذلك أى كالعمل وكما أن ذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ مكتوب فى صحف الملائكة وهو فى بطن أمه فتحصل أن ماقسم له فى الحياة الدنيا لايغيره كفر ولا إسلام (قوله حتى إذا جاءتهم) حتى إما ابتدائية أو جارة (قوله الملائكة) قيل إنهم عزرائيل وأعوانه لقبض أرواحهم وقيل إنهم ملائكة العذاب وتقدم أنهم سبع موكلون بأخذ روح الكافر بعد قبضها للعذاب (قوله تبكيتا) أى توبيخا وتقريعا (قوله أين ما كنتم تدعون من دون الله) أى الآلهة التى كنتم تعبدونها فى الدنيا فتمنعكم الآن من العذاب (قوله فلم نرهم) أى مع شدة احتياجنا إليهم فى هذا الوقت (قوله وشهدوا على أنفسهم) كلام مستأنف إخبار من الله باقرارهم على أنفسهم بالكفر ولا تعارض بين هذا و بين قوله : والله ربنا ما كنا مشركين ؛ لأن مواقف القيامة مختلفة (قوله قال ادخلوا فى أمم) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله الكذب وكذبوا بآياته (قوله فى أمم) فى بمعنى مع أى ادخلوا مصاحبين لأمم وهو حال من فاعل ادخلوا وتسمى حالا منتظرة لأنهم عند الدخول لم يكونوا مصاحبين للأمم وقوله قد خلت صفة أولى لأمم وقوله من قبلكم صفة ثانية وقوله من الجن والانس صفة ثالثة وقوله فى النار فى للظرفية فاندفع مايقال يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد (قوله قد خلت) أى سبقت ومضت (قوله فى النار) المراد بها دار العقاب بجميع طباقها (قوله لعنت أختها) أى فى الدين (قوله التى قبلها) أى فى التلبس بذلك الدين فالنصارى تلعن النصارى واليهود تلعن اليهود والمجوس تلعن المجوس وهكذا كل من اقتدى بغيره فى دين باطل (قوله اداركوا) أصله تداركوا قلبت التاء دالا وأدغمت فى الدال وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله أخراهم) أى المتأخرون عنهم فى الزمن فأخرى تأنيث آخر مقابل أول لا تأنيث آخر الذى بمعنى غير (قوله وهم الأتباع) أى كانوا فى زمنهم أو تأخروا بعدهم (قوله أى لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام فى لأولاهم للتعليل وليست للتبليغ لأن الخطاب مع الله لا معهم (قوله وهم المتبوعون) أى الرؤساء (قوله ضعفا) ضعف الشئ فى الأصل أقل مايتحقق فيه مثل ذلك الشئ والمراد هنا الزيادة إلى غير نهاية بدليل قول المفسر مضعفا (قوله لكل ضعف) أما المتقدمون فلضلالهم وإضلالهم وأما المتأخرون فلكفرهم وتقليدهم (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى التاء يكون خطابا للأخرى أو للأحياء الذين فى الدنيا وعلى الياء يكون إخبارا عن المتقدمين والمتأخرين (قوله مالكل فريق) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله لأخراهم) اللام هنا للتبليغ لأن الخطاب معهم (قوله لأنكم لم تكفروا بسببنا) أى بل كفرتم اختيارا لا أنا حملناكم على الكفر وأكرهناكم عليه لأنه لا يمكن الجبر على الكفر لتعلقه بالقلب (قوله قال تعالى لهم) هذه إحدى طريقتين والأخرى أنه من كلام الرؤساء للاتباع (قوله بما كنتم تكسبون) أى بسبب كسبكم من الكفر والمخالفة (قوله إن الذين كذبوا بآياتنا) أى وماتوا على ذلك (قوله فلم يؤمنوا بها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير تكبروا عن الايمان بها .

(مِنَ الْكِتَابِ) مما كتب لهم فى اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا) أى الملائكة (يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا) لهم تبكيتا (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا) غابوا (عَنَّا) فلم نرهم (وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ) عند الموت (أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ . قَالَ) تعالى لهم يوم القيامة (ادْخُلُوا فِي) جملة (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ) متعلق بادخلوا (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ) النار (لَعَنَتْ أُخْتَهَا) التى قبلها لضلالها بها (حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا) تلاحقوا (فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ) وهم الأتباع (لِأُولَاهُمْ) أى لأجلهم وهم المتبوعون (رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا) مضعفا (مِنَ النَّارِ ، قَالَ) تعالى (لِكُلٍّ) منكم ومنهم (ضِعْفٌ) عذاب مضعف (وَلَٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) بالياء والتاء ـ مالكل فريق (وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء ، قال تعالى لهم (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ . إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا (عَنْهَا) فلم يؤمنوا بها ،

(قوله لاتفتح) بالبناء للمفعول إما بالتاء أو الياء مع التخفيف أو التشديد وكلها سبعية (قوله إذا عرج بأرواحهم) ومثلها دعاؤهم وأعمالهم (قوله إلى سجين) هو واد فى جهنم أسفل الأرض السابعة تسجن به أرواح الكفار وقيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة وأما عليون فقيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمنى الثقلين وقيل هو مكان فى الجنة فى السماء السابعة تحت العرش (قوله و يصعد بروحه إلى السماء السابعة) أى وترى مقعدها فى الجنة وترجع مسرورة فعند ذلك يرى البشر والنور على جسمها (قوله كما ورد فى حديث) أى وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبض روح الكافر «و يخرج معها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ماهذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون فلا يفتح لهم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتفتح لهم أبواب السماء» (قوله ولايدخلون الجنة) أى بعد الموت (قوله حتى يلج الجمل) الولوج الدخول بشدة والجمل الذكر من الابل وخص بذلك لأنه أعظم جسم عند العرب فجسم الجمل من أعظم الأجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ وهو تعليق جائز على مستحيل والمعلق على المستحيل مستحيل فاستفيد من ذلك أن دخول الكفار الجنة مستحيل (قوله فى سم الخياط) السم مثلث السين لكن القراء السبعة على الفتح وقرئ شذوذا بالضم والكسر وجمعه سمام وأما مايقتل فهو مثلث أيضا إلا أن جمعه سموم . والخياط هو الآلة التى يخاط بها و يقال لها مخيط أيضا (قوله وكذلك الجزاء) أى المتقدم وهو عدم فتح أبواب السماء لهم وعدم دخولهم الجنة (قوله نجزى المجرمين) أى كما جزينا هؤلاء نجزى كل من اتصف بالاجرام من مبدإ الزمان إلى منتهاه (قوله لهم) أى للذين كذبوا واستكبروا (قوله ومن فوقهم غواش) الجار والمجرور خبر مقدم وغواش مبتدأ مؤخر مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من

(٦٩)

(لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ) إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى سجين بخلاف المؤمن فتفتح له و يصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد فى حديث (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ) يدخل (الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم (وَكَذَٰلِكَ) الجزاء (نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) بالكفر (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ) فراش (وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) أغطية من النار جمع غاشية وتنوينه عوض من الياء المحذوفة (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مبتدأ وقوله (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) طاقتها من العمل اعتراض بينه و بين خبره وهو (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

ظهورها الثقل، والمعنى أن النار محيطة بهم من كل جانب وقد ورد أن سقف النار من نحاس وأرضها من رصاص وحيطانها من كبريت ووقودها الناس والحجارة (قوله وتنوينه عوض من الياء المحذوفة) هذا بناء على الصحيح من أن الاعلال مقدم على منع الصرف فأصله غواشى بالتنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت فاجتمع ساكنان الياء والتنوين فحذفت لالتقائهما ثم لوحظ أن الكلمة ممنوعة من الصرف فحذف تنوين الصرف فخيف من رجوع الياء فأتى بالتنوين عوضا عنها وأما تصريفها على أن منع الصرف مقدم على الاعلال فأصلها غواشى بترك التنوين استثقلت الضمة على الياء فحذفت ثم أتى بالتنوين عوضا عن الحركة التى هى الضمة فالتقى ساكنان الياء والتنوين حذفت الياء لالتقائهما (قوله وكذلك) أى مثل الجزاء المتقدم (قوله نجزى الظالمين) عبر عنهم أولا بالمجرمين وهنا بالظالمين اشارة إلى أنهم اتصفوا بالأمرين معا (قوله والذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكافرين أتبعه بذكر وعد المؤمنين على حكم عادته سبحانه فى كتابه والاسم الموصول مبتدأ وآمنوا صلته وعملوا الصالحات معطوف عليه وقوله لانكلف نفسا إلا وسعها اعتراض بين المبتدإ والخبر وهو قوله أولئك أصحاب الجنة وهذا مامشى عليه المفسر تبعا لأكثر علماء المعانى وقال بعضهم لانكلف نفسا إلا وسعها خبر والرابط محذوف أى لانكلف منهم (قوله لانكلف نفسا إلا وسعها) أى مايسعها من الأعمال وما يسهل عليها ودخل فى طوقها وقدرتها وكل هذا تفضل منه سبحانه وتعالى (قوله اعتراض) وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على أن الجنة مع عظم قدرها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا مشقة . إن قلت ورد أن الجنة حفت بالمكاره فكيف تقولون إن الجنة يتوصل إليها بالعمل السهل . أجيب بأن المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس وهى فى طاقة العبد فالمراد بالعمل السهل ما كان فى طاقة العبد كان فعلا أو تركا .

(قوله ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى خلقناهم فى الجنة مطهرين منه لا أنهم دخلوا الجنة به ثم نزع وحكمة نزع الغل من صدور أهل الجنة أن كل أحد منهم أعطى فوق أمانيه أضعافا مضاعفة (قوله حقد كان بينهم فى الدنيا) الحقد هو ضيق الصدر من الغير وهو أس الحسد وهو معصية قلبية تجب التوبة منه ومجاهدة النفس لتخلص منه ومن هنا افترق كبار الصالحين من صغارهم . واعلم أن الناس ثلاثة أقسام قسم خلصت قلوبهم من الأمراض الباطنية فهم فى الدنيا كأهل الجنة فى الجنة يحبون للناس مايحبونه لأنفسهم وهم الأنبياء ومن كان على قدمهم وقسم لم تخلص قلوبهم غير أنهم لم يرضوا لأنفسهم بذلك ويلومون أنفسهم على ما فى قلوبهم وهؤلاء المجاهدون لأنفسهم ولايؤاخذون بذلك حينئذ وقسم لم تخلص قلوبهم وهم راضون لأنفسهم بذلك وهؤلاء فسق يجب عليهم مجاهدة نفوسهم فى تخليصها من تلك الآفات (قوله تحت قصورهم) أى بجانب جدارها وليس المراد أنها تجرى من تحت الجدار (قوله الذى هدانا) أى أرشدنا ووفقنا (قوله العمل الذى هذا جزاؤه) كذا فى نسخة وفى نسخة أخرى لعمل هذا جزاؤه وفى أخرى لهذا العمل هذا جزاؤه (قوله وما كنا لنهتدى) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والجملة إما مستأنفة أو حالية على كل (قوله لدلالة ماقبله عليه) أى وهو قوله وما كنا لنهتدى والتقدير ولولا هداية الله لنا موجودة ما اهتدينا (قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) هذا إقسام من أهل الجنة شكرا لنعم الله وتحدثا بها ، والمعنى أن ما أخبرونا به فى الدنيا من الثواب حق وصدق لمشاهدتنا له عيانا (قوله ونودوا) يحتمل أن المنادى هو الله ويحتمل أنه الملائكة (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وخبرها الجملة بعدها (قوله أو مفسرة) أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله ونودوا (قوله فى المواضع الخمسة) أى من هنا إلى قوله أفيضوا علينا من الماء (قوله تلكم الجنة) اسم الاشارة مبتدأ والجنة خبر وقوله : أورثتموها حال من الجنة أو الجنة نعت لاسم الاشارة وأورثتموها خبره

(٧٠)

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم فى الدنيا ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ عند الاستقرار فى منازلهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ العمل الذى هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب لولا لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ﴾ مخففة أى أنه أو مفسرة فى المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريرا وتبكيتا ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أى يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ . وَبَيْنَهُمَا﴾ أى أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز قيل هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ ،

باسم الاشارة البعيدة إشارة لعظم رتبتها ومكانتها على حد ذلك الكتاب (قوله أورثتموها) أى من الكفار لأن الله استوت خلق فى الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة فكل واحد من أهل الجنة يأخذ منازل تسعمائة وتسعة وتسعين من أهل النار يضم لمنزله فيجتمع له ألف منزل فلما كان الغالب منها ميراثا أطلق على جميعها اسم الميراث وحكمة إطلاق اسم الارث عليها أن الكفار سماهم الله أمواتا بقوله أموات غير أحياء والمؤمنين أحياء ، ومن المعلوم أن الحى يرث الميت (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية ومامصدرية : أى بسبب عملكم . إن قلت ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لن يدخل الجنة أحد بعمله ، قيل ولا أنت يارسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » . أجيب بأن الآية محمولة على العمل المصحوب بالفضل والحديث محمول على العمل المجرد عنه (قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) إن قلت إذا كانت الجنة فى السماء والنار فى الأرض فكيف يسمعون النداء . أجيب بأن القيامة خارقة للعادة فلامانع من وصول النداء لهم وهذا النداء من كل فرد من أفراد أهل الجنة لكل فرد من أفراد أهل النار لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة على الآحاد (قوله ماوعدكم ربكم حقا) تسميته وعدا مشاكلة وإلا فالاخبار بالشر إيعاد لاوعد وقدر المفسر الكاف إشارة إلى أن مفعول وعد محذوف وقوله من العقاب بيان لما (قوله نادى مناد) قيل هو إسرافيل وقيل غيره من الملائكة (قوله أسمعهم) تفسير لقوله بينهم (قوله الذين يصدون) نعت للظالمين (قوله معوجة) أى مائلة عن الحق : والمعنى أنهم يغيرون دين الله وطريقته التى شرع لعباده (قوله حاجز) أى يمنع وصول كل منهما للآخر .

(قوله استوت حسناتهم وسيئاتهم) هذا قول من ثلاثة عشر قولا وقيل أولاد المشركين الذين ماتوا صغارا وقيل أناس خرجوا للغزو في سبيل الله من غير إذن آبائهم ثم قتلوا وقيل ناس بروا آباءهم دون أمهاتهم وبالعكس وقيل إنهم عدول القيامة يشهدون على الناس بأعمالهم وهم في كل أمة (قوله كما في الحديث) أي وهو أن الله يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر بواحدة دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الأعراف فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم سلام عليكم و إذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا (قوله ونادوا) أي أصحاب الأعراف (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن الوقف على قوله عليكم وقوله لم يدخلوها كلام مستأنف جواب عن سؤال مقدر كأن قائلا قال وماصنع بأهل الأعراف؟ فأجيب بأنهم لم يدخلوها (قوله إذ طلع عليهم ربك) أي أزال عنهم الحجب حتى رأوه وسمعوا كلامه (قوله فقال قوموا ادخلوا الجنة) أي فينطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فيلقون فيه فتصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين أهل الجنة (قوله و إذاصرفت أبصارهم) عبر بالصرف دون النظر إشارة إلى أن نظرهم إلى أهل النار غير مقصود لأن رؤية العذاب وأهله تسيء الناظرين بخلاف النظر للنعيم وأهله ففيه مسرة للناظرين فلذا لم يعبر في جانبه الصرف بل قيل ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم (قوله تلقاء) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان وهي ظرف مكان بمعنى جهة ويستعمل مصدرا كالتبيان ولم يجئ من المصادر على التفعال بالكسر غير التلقاء والتبيان والزلزال وبعضهم ألحق التكرار بذلك (قوله في النار) أي لاابتداء مع العصاة ولا دواما مع

(٧٣)

استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الحديث (يَعْرِفُونَ كُلًّا) من أهل الجنة والنار (بِسِيمَاهُمْ) بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال (وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) قال تعالى (لَمْ يَدْخُلُوهَا) أي أصحاب الأعراف الجنة (وَهُمْ يَطْمَعُونَ) في دخولها، قال الحسن لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم، وروى الحاكم عن حذيفة قال: بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقدغفرت لكم (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ) أي أصحاب الأعراف (تِلْقَاءَ) جهة (أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا) في النار (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ. وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا) من أصحاب النار (يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ) من النار (جَمْعُكُمْ) المال أو كثرتكم (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) أي واستكباركم عن الإيمان ، يقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين (أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) قد قيل لهم (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وقرئ أدخلوا بالبناء للمفعول ، ودخلوا ،

الكفار (قوله رجالا) أي كانوا عظماء في الدنيا كأبي جهل والوليد بن المغيرة وعقبة بن أبي معيط وأضرابهم (قوله بسيماهم) أي علامتهم وتقدم أنها سواد الوجه للكفار (قوله ما أغنى عنكم) يحتمل أن ما استفهامية أي أي شيء أغنى عنكم جمعكم ويحتمل أنها نافية أي لم يغن عنكم جمعكم ولا استكباركم شيئا من عذاب الله (قوله المال) أشار بذلك إلى أن جمع مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره بقوله المال وقوله أوكثرتكم إشارة لتفسير ثان لجمعكم فيكون معناه جماعتكم (قوله أي واستكباركم) سبك المصدر بما بعدكان جريا على قول من يقول إن كان تجردت عن معنى الحدث وصارت لمجرد الربط ولو مشى على مقابله المشهور لقال وكونكم مستكبرين و إنما حمل المفسر على ذلك الاختصار (قوله مشيرين) أي أهل الأعراف (قوله إلى ضعفاء المسلمين) أي الذين كانوا يعذبون في الدنيا وكان المشركون يسخرون بهم كصهيب و بلال وسلمان وخباب ونحوهم (قوله أهؤلاء) استفهام تقرير وتوبيخ (قوله أقسمتم) أي باللات والعزى وقوله لاينالهم الله برحمة هذا هو المقسم عليه ويؤخذ من الآية أن أهل الأعراف ناظرون لأهل الجنة وأهل النار وأن أهل النار ناظرون لأهل الأعراف وأهل الجنة وهذا لمزيد الحسرة لهم فهم يعذبون بالنار والتبكيت من أهل الأعراف (قوله قدقيل لهم) قدره إشارة إلى أن قوله ادخلوا الجنة مقول لذلك القول المحذوف ليصح جعلها خبرا ثانيا لأن الجملة الطلبية لايصح وقوعها خبرا إلا إذا أولت بخبر (قوله وقرئ أدخلوا الخ) هاتان شاذتان على عادته حيث يعبر عن الشاذ بقرئ وعن السبعي بوفي قراءة وعلى هاتين القراءتين فلا يحتاج لتقدير القول لأن الجملة خبرية .

(قوله فجملة النفى) أى جنسها الصادق بالجملتين وهما لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون (قوله حال) أى معمول لحال محذوفة ففى كلامه تسمح وهذا على القراءتين الشاذتين وأما على القراءة السبعية فلا يحتاج لذلك (قوله ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة طمع أهل النار فى الفرج عنهم فقالوا يارب إن لنا قرابات من أهل الجنة فائذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون إلى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فينادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم فينادى الرجل أباه وأخاه فيقول قد احترقت أفض علىّ من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون إن الله حرمهما على الكافرين (قوله من الطعام) أى الشامل للمشروب والمأكول وحينئذ فيضمن أفيضوا معنى ألقوا نظير : علفتها تبنا وماء باردا ، وأو بمعنى الواو بدليل قوله حرمهما وإلا لو بقيت على بابها من التخيير لأعيد الضمير مفردا (قوله منعهما) أى فالتعبير بالتحريم مجاز لانقطاع التكاليف بالموت ويعلم من هذا أنه لا يتأثر أهل الجنة بعذاب أهل النار لتقطع الأسباب بينهم ونزع الرحمة من قلوب أهل الجنة لأهل النار لاستحقاقهم ما هم فيه من العذاب (قوله الذين اتخذوا) هذا وصف للكافرين (قوله لهوا ولعبا) اللهو صرف الهمّ بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به (قوله وغرتهم الحياة الدنيا) أى شغلتهم بالطمع فى طول العمر وحسن العيش (قوله

فجملة النفى حال أى مقولا لهم ذلك (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) من الطعام (قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا) منعهما (عَلَى الْكَافِرِينَ . الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ) نتركهم فى النار (كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا) بتركهم العمل له (وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) أى وكما جحدوا (وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ) أى أهل مكة (بِكِتَابٍ) قرآن (فَصَّلْنَاهُ) بيناه بالأخبار والوعد والوعيد (عَلَىٰ عِلْمٍ) حال أى عالمين بما فصل فيه (هُدًى) حال من الهاء (وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (هَلْ يَنْظُرُونَ) ما ينتظرون (إِلَّا تَأْوِيلَهُ) عاقبة ما فيه (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ) هو يوم القيامة (يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ) تركوا الإيمان به (قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ، أَوْ) هل (نُرَدُّ) إلى الدنيا (فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) نوحد الله ونترك الشرك فيقال لهم لا ، قال تعالى (قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) أى صاروا إلى الهلاك (وَضَلَّ) ذهب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من دعوى الشريك ،

فاليوم ننساهم) ليس من كلام أهل الجنة وإنما هو قول الرب جل جلاله فالفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره فاذا كان هذا حال الكافرين فاليوم ننساهم (قوله نتركهم فى النار) أشار بذلك إلى أن النسيان مستعمل فى لازمه وهو الترك لأن حقيقته مستحيلة على الله فالمعنى نعاملهم معاملة الناسى من عدم الاعتناء بهم وتركهم فى النار (قوله كما نسوا) الكاف تعليلية وما مصدرية أى لأجل نسيانهم (قوله بتركهم العمل له) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف تقديره كما نسوا العمل للقاء يومهم هذا (قوله أى وكما جحدوا) أشار بذلك إلى أن ما معطوف على ما الأولى مسلط عليه كاف التعليل ، والمعنى نتركهم فى النار لتركهم العمل ولجحدهم آياتنا (قوله فصلناه) القراءة السبعية بالصاد وقرئ شذوذا بالضاد المعجمة أى فضلناه على غيره من الكتب السماوية (قوله بالأخبار والوعد) أى وكذا بقية الأنواع التسعة التى جمعها بعضهم فى قوله :

حلال حرام محكم متشابه ... بشير نذير قصة عظة مثل

(قوله حال) أى من الفاعل ويصح كونه حالا من المفعول والمعنى فصلناه حال كونه مشتملا على علم (قوله حال من الهاء) أى أومن كتاب وجاز ذلك لتخصيصه بالوصف (قوله هل ينظرون) أى أهل مكة (قوله عاقبة ما فيه) أى فهذا هو المراد بتأويله بمعنى مايؤول إليه وعيد القرآن لهم (قوله الذين نسوه) أى التأويل (قوله قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى تبين صدقهم فيما جاءوا به واعترفوا بذلك لمعاينة العذاب (قوله فيشفعوا) منصوب بأن مضمرة فى جواب الاستفهام فهو عطف اسم مؤول على اسم صريح (قوله أو هل نرد) أشار بذلك إلى أن جملة نرد معطوفة على التى قبلها والاستفهام مسلط عليها (قوله فنعمل) منصوب بأن مضمرة فى جواب الاستفهام الثانى والمعنى نطلب أحد أمرين إما الشفاعة لنا فيما سبق منا أو نرجع إلى الدنيا ونحسن العمل فيها (قوله من دعوى الشريك) أى من دعوى نفع الشريك لأنهم كانوا يدعون أن الأصنام تنفعهم .

(قوله إن ربكم الله) أى لاغيره (قوله فى ستة أيام) أى وأولها الأحد وآخرها الجمعة كما ورد أنه ابتدأ الخلق فى يوم الأحد وأنه خلق الأرض فى يومين الأحد والاثنين، والسموات فى يومين الخميس والجمعة، وأنه خلق الجبال والوحوش والأشجار والزروع فى الثلاثاء والأربعاء، وروى مسلم والحاكم عن ابن عباس أن الله خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال وما فيهن من منافع يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الصخر والماء والطين والعمران والخراب، وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقين منه، فخلق الله فى أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال، وفى الثانية ألقى الله الآفة على كل شىء مما ينتفع به الناس، وخلق فى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة. واستشكل ذلك بأنه لم يكن ثم شمس، والجواب بأن المراد فى قدرها لايجدى نفعا إلا أن يقال إن ذلك التقدير فى علم الله بحيث لو كانت الأيام موجودة لكانت كذلك، ثم اعلم أن ماهنا من الأحاديث موافق لما يأتى فى سورة فصلت من أن خلق الأرض مقدم على السماء ولاتنافى بينه و بين ما يأتى فى سورة النازعات فى قوله تعالى: والأرض بعد ذلك دحاها المقتضى تقديم السماء على الأرض لأن الدحى غير الخلق فان الأرض خلقت أولا كرة ثم بعد خلق السماء بسطت الأرض (قوله أى فى قدرها) جواب عن سؤال مقدر أفاده المفسر بقوله لأنه لم يكن ثم شمس (قوله التثبت) أى التمهل فى الأمور وعدم العجلة (قوله هو فى اللغة سرير الملك) أى وتسميته عرشا إنما هو بالنسبة لما عدا الراكب عليه لعلوه عليهم وأما المراد به هنا فهو الجسم النورانى المرتفع على كل الأجسام المحيط بكلها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى وهذا نظير ماوقع لمالك بن أنس أنه سأله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع. وأما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء بمعنى الملك والتصرف فالاستواء يطلق حقيقة على الركوب وهو مستحيل على الله وعلى الاستيلاء والتصرف وهو المراد. قال الشاعر:

(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى فى قدرها لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولو شاء خلقهن فى لحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) هو فى اللغة سرير الملك استواء يليق به (يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ) مخففاً ومشدداً، أى يغطى كلا منهما بالآخر (يَطْلُبُهُ) يطلب كل منهما الآخر طلباً (حَثِيثًا) سريعاً (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ) بالنصب عطفاً على السموات والرفع مبتدأ خبره (مُسَخَّرَاتٍ) مذللات (بِأَمْرِهِ) بقدرته (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ) جميعاً (وَالْأَمْرُ)،

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

وقد أشار صاحب الجوهرة للطريقتين بقوله:

وكل نص أوهم التشبيها   أوله أو فوض ورم تنزيها

(قوله مخففا ومشددا) أى فهما قراءتان سبعيتان وعليهما فالليل فاعل معنى والنهار مفعول لفظا ومعنى، ووجب تقديم ماهو فاعل معنى لئلا يلتبس نحو أعطيت زيدا عمرا (قوله أى يغطى كلا منهما بالآخر) يشير إلى أن فى الآية حذفا تقديره ويغشى النهار الليل ويؤيده آية يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل (قوله يطلبه حثيثا) أى ليس بينهما فاصل، والحث والحض بمعنى واحد وهو الطلب بسرعة وحثيثا نعت مصدر محذوف أى طلبا حثيثا (قوله بالنصب عطفا على السموات) أى ونصب مسخرات على الحال من الشمس والقمر والنجوم (قوله والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مذللات) أى مسيرات حيث سيرها سارت وفى هذا رد على الفلاسفة القائلين بتأثير الكواكب فى العالم السفلى فهى أسباب عادية توجد الأشياء عندها لابها (قوله ألا له الخلق والأمر) ألا للاستفتاح يؤتى بها فى مبدإ الكلام البليغ الذى يقصد به الرد على المنكر والمراد بالخلق الايجاد و بالأمر التصرف فهو منفرد بالايجاد والتصرف فلا شريك له فيهما وتصرف الحادث إنما هو بتصريف الله له وليس لمخلوق استقلال بتصريف أبدا و إنما العبيد مظاهر التصريف فمن أكرمه أجرى جلب الخير ودفع الشر على يديه كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ومن أهانه أجرى الشرور على يديه

كله (تَبَارَكَ) تعاظم (اللهُ رَبُّ) مالك (الْعَالَمِينَ . ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا) حال تذللا (وَخُفْيَةً) سرا (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) فى الدعاء بالتشدق ورفع الصوت (وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ) بالشرك والمعاصى (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) ببعث الرسل (وَادْعُوهُ خَوْفًا) من عقابه (وَطَمَعًا) فى رحمته (إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) المطيعين وتذكير قريب المخبر به عن رحمة لإضافتها إلى الله (وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) أى متفرقة قدام المطر ، وفى قراءة بسكون الشين تخفيفا وفى أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفى أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أى مبشرا ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير (حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ) حملت الرياح (سَحَابًا ثِقَالًا) بالمطر (سُقْنَاهُ) أى السحاب وفيه التفات عن الغيبة (لِبَلَدٍ مَيِّتٍ) لا نبات به أى لاحيائها (فَأَنْزَلْنَا بِهِ) بالبلد (الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ) بالماء (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) كذلك)

(قوله تبارك) فعل ماض جامد لا يتصرف ومعناه تمجد وتنزه عن صفات الحدوث (قوله ادعوا ربكم) أمر لجميع العباد بالتوجه فى الدعاء لله سبحانه وتعالى أى فحيث علمتم أن الله هو المتصرف فى خلقه إيجادا و إعداما و إعطاء ومنعا فوجهوا إليه قلوبكم واسألوه بألسنتكم وقد ذكر الله سبحانه وتعالى للدعاء أربعة شروط التضرع والخفية والخوف والطمع (قوله حال) أى من الفاعل فى ادعوا أى ادعوا حال كونكم متضرعين ومتذللين لأن الدعاء إذا كان مع التذلل كان للاجابة أقرب (قوله سرا) أى بإسماع نفسه لأن الله تعبدنا بالدعاء كما تعبدنا بالقراءة فلا يكفى مرور الدعاء على قلبه . واعلم أن الانسان إذا كان وحده فالسر أفضل له إن كان ينشط فى ذلك و إلا فالجهر أفضل له كالجماعة (قوله بالتشدق) هو كثرة الكلام من غير حضور فى القلب فهو راجع لقوله تضرعا وقوله ورفع الصوت هو راجع لقوله وخفية (قوله خوفا) الخوف غم يحصل من أمر مكروه يقع فى المستقبل (قوله وطمعا) الطمع توقع أمر محبوب يحصل فى المستقبل ومنه رجاء الاجابة ، ففى الحديث «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة» ، وفى الحديث أيضا «ما من عبد يرفع يديه و يقول يارب إلا و يستحى الله أن يردهما صفرين» فاستفيد من هذا أنه ينبغى للداعى الخوف والرجاء فيجعلهما كجناحى الطائر إن مال أحدهما سقط . (قوله المطيعين) أى ولو بالتوبة فالمطلوب تقديم التوبة على الدعاء ليقع الدعاء من قلب طاهر فيكون أقرب للاجابة (قوله وتذكير قريب) جواب عما يقال إن قريب فى الأصل وصف فى المعنى لرحمة وهى مؤنثة فكان حقه التأنيث . فأجاب بأنه اكتسب التذكير من المضاف إليه وهو لفظ الجلالة أو يقال إن رحمة مجازى التأنيث فيوصف بالمذكر أو يقال إن معنى الرحمة الثواب وهو مذكر فوصفه بالمذكر من حيث المعنى (قوله وهو الذى يرسل الرياح) معطوف على قوله إن ربكم الله الآية والرياح جمع ريح وهى أربعة : الصبا والدبور والجنوب والشمال ، فالصبا تثير السحاب وهى من مطلع الشمس ، والشمال تجمعه وهى من تحت القطب ، والجنوب تدره وهى من جهة القبلة ، والدبور تفرقه وهى من مغرب الشمس ، وفى رواية الرياح ثمانية : أربعة عذاب العاصف والقاصف والصرصر والعقيم ، وأربعة رحمة الناشرات والمرسلات والنازعات والمبشرات (قوله متفرقة) هذا التفسير لم يوافقه عليه أحد بل بعض المفسرين قال إن معنى نشرا منتشرة متسعة أو ناشرة للسحاب (قوله قدام المطر) فى الكلام استعارة مكنية حيث شبهت الرحمة بمعنى المطر بسلطان يقدم له مبشرات وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو قوله بين يدى فاثباته تخييل (قوله تخفيفا) أى بحذف ضمة الشين وهى سبعية أيضا كالتين بعدها (قوله بسكونها وفتح النون) أى و إفراد الريح (قوله مصدر) أى إما بمعنى اسم الفاعل أو اسم المفعول أى ناشرة للسحاب أو منشورة (قوله ومفرد الأولى) أى ضم الشين ومثلها سكونها لمفرد الاثنين واحد (قوله حتى إذا أقلت) غاية لارسال الرياح (قوله سحابا) هو ثمر شجرة فى الجنة (قوله بالمطر) متعلق بثقالا والباء للسببية (قوله عن الغيبة) أى إلى التكلم إذ كان مقتضى الظاهر فساقه (قوله لانبات به) أى فموت الأرض كناية عن عدم النبات بها (قوله بالبلد) أشار بذلك إلى أن الضمير فى به عائد على البلد والباء بمعنى فى وقوله بالماء يشير إلى أن الضمير عائد على الماء والباء سببية و يصح عوده على البلد وتكون الباء بمعنى فى

كَذٰلِكَ) الإخراج (نُخْرِجُ الْمَوْتَى) من قبورهم بالإحياء (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فتؤمنون (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ) العذب التراب (يَخْرُجُ نَبَاتُهُ) حسنا (بِإِذْنِ رَبِّهِ) هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها (وَالَّذِى خَبُثَ) ترابه (لَايَخْرُجُ) نباته (إِلَّا نَكِداً) عسرا بمشقة وهذا مثل للكافر (كَذٰلِكَ) كما بينا ما ذكر (نُصَرِّفُ) نبين (الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) الله فيؤمنون (لَقَدْ) جواب قسم محذوف (أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ) بالجر صفة لإله والرفع بدل من محله (إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غيره (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة (قَالَ الْمَلَأُ) الأشراف (مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَالَةٌ) هى أعم من الضلال فنفيها أبلغ من نفيه (وَلٰكِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ) بالتخفيف والتشديد (رِسَالَاتِ رَبِّى ،

(قوله كذلك الاخراج) أى فالتشبيه فى مطلق الاخراج من العدم فمن كان قادرا على إخراج الثمار من الأرض سيما أرض الجبال التى شأنها عدم إنبات شىء من الثمار قادر على إحياء الموتى من قبورهم فهو ردّ على منكرى البعث (قوله والبلد) أى الأرض (قوله حسنا) أخذه من قوله لايخرج إلا نكدا (قوله باذن ربه) أى بارادته ولم يذكر ذلك فى المقابل وإن كان باذنه أيضا تعليما لعباده الأدب حيث أسند لنفسه الخير دون الشر وإن كان منه أيضا لما ورد «إن الله جميل يحب الجمال» ولقوله تعالى ـ بيدك الخير ـ ولم يقل وبيدك الشر فلا يجوز أن يقال سبحان من خلق القرد ولاسبحان من دبب الشوك (قوله هذا مثل للمؤمن) أى ولعمله فمثل المؤمن كمثل الأرض الطيبة ومثل المواعظ والقرآن كمثل الماء فكما أن الماء إذا نزل على الأرض الطيبة أنبتت طيبا كذلك المواعظ والقرآن إذا نزلت على قلب المؤمن أنبتت الطاعات والصفات الحميدة (قوله إلا نكدا) أى إلا نباتا نكدا عديم النفع ونصب نكدا على الحال أو نعت مصدر محذوف أى إلا خروجا نكدا وهو من باب تعب (قوله لقد أرسلنا نوحا) المقصود من ذكر تلك القصص تسلية النبى صلى الله عليه وسلم وتركت الواو هنا وذكرت فى سورة هود والمؤمنون لعدم تقدّم مايعطف عليه هنا بخلاف مايأتى ونوح اسمه عبد الغفار بن لمك بفتح الميم وسكونها ابن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بعث على رأس أربعين سنة على الصحيح ، وقيل على رأس خمسين ، وقيل مائتين وخمسين ، وقيل مائة سنة ومكث فى قومه تسعمائة وخمسين ، وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين فجملة عمره ألف ومائتان وأربعون بناء على الصحيح من أنه بعث على رأس الأربعين وكان نجارا وصنع السفينة فى عامين ، ولقب بنوح لكثرة نوحه على نفسه حيث دعا على قومه فهلكوا وقيل لمراجعته ربه فى شأن ولده كنعان وقيل لأنه مرّ على كلب مجذوم فقال له : اخسأ ياقبيح ، فأوحى الله إليه أعبتنى أم عبت الكلب وقدم قصة نوح لأن قومه أول من كفر واستحق العذاب (قوله جواب قسم محذوف) إنما أتى بالقسم هنا للردّ على المنكرين وهو مما يجب التأكيد فيه (قوله إلى قومه) القوم فى الأصل قبيلة الرجل وأقاربه الذين اجتمعوا معه فى جدّ واحد ويطلق القوم مجازا على من عاشرهم الرجل وسكن عندهم وإن لم يكونوا أقارب له (قوله اعبدوا الله) أى وحدوه (قوله مالكم من إله غيره) استئناف مسوق لبيان وجه إفراده بالعبادة (قوله صفة لاله) أى مراعاة للفظه (قوله بدل من محله) أى لأن محله رفع بالابتداء أو من زائدة (قوله إنى أخاف) علة ثانية للأمر بالعبادة والمعنى اعبدوا الله لأنه ليس لكم إله غيره ولأنى أتحقق نزول عذاب الآخرة بكم إن خالفتم ذلك إما عاجلا فى الدنيا أو آجلا فى الآخرة (قوله قال الملأ) بالهمز والقصر سموا بذلك لأنهم يملأون المجالس بأجسامهم والقلوب بهيبتهم والعيون بأبهتهم (قوله من قومه) لم يقل الذين كفروا مثل ماقيل فى قوم هود لأن ذلك كان فى مبدإ رسالته ولم يكن ثم مؤمن هكذا قيل والأحسن أن يقال حذفه منه لعلمه مما يأتى فى الآية الأخرى (قوله فى ضلال مبين) أى حيث عدل عن عبادة آلهتهم المجمعين عليها المذكورين فى سورة نوح فى قوله تعالى ـ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ـ الآية (قوله هى أعم من الضلال) أى لأن الضلال هو الخروج عن الحق من كل وجه والضلالة هى الخروج عن الحق ولو بوجه (قوله فنفيها أبلغ) أى لأنها نكرة فى سياق النفى فتعم (قوله ولكنى رسول) قد وقع الاستدراك أحسن موقع لكونه وقع بين ضدّين نفى الضلالة المتوهم ثبوتها وثبوت الرسالة المتوهم نفيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله رسالات ربى) الجمع باعتبار تعدّد الأزمنة أو المراد بالرسالات المرسل بها التى هى الأحكام .

(قوله وأنصح لكم) النصح يتعدى بنفسه وباللام وهو إرادة الخير للغير كما يريده لنفسه (قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون) أى من الأحكام التى تأتيه عن الله أو من العذاب الذى يحل بهم إن لم يؤمنوا (قوله أكذبتم) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله موعظة) أى تخوفكم من عذاب الله إن لم تؤمنوا (قوله لينذركم) علة للمجىء وقوله ولتتقوا مرتب على الانذار وقوله ولعلكم ترحمون مرتب على التقوى فهذا الترتيب فى أحسن البلاغة وعبر فى جانب الرحمة بالترجى إشارة إلى أن الرحمة أمرها عزيز لاتنال بالعمل بل بفضل الله (قوله العذاب) قدره إشارة إلى أن مفعول ينذر محذوف (قوله ولتتقوا الله) قدره إشارة إلى أن مفعول تتقوا محذوف أيضا (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله والذين معه) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة أولاده الثلاثة: سام وهو أبو العرب، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك وستة من غيرهم (قوله فى الفلك) يطلق على المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ووزن المفرد قفل والجمع أسد (قوله السفينة) وكان طولها ثلثمائة ذراع وسمكها ثلاثين ذراعا وعرضها خمسين وطبقاتها ثلاث السفلى للوحوش والدواب والوسطى للإنس والعليا للطيور وركبها فى عاشر رجب واستوت على الجودى فى عاشر المحرم (قوله بآياتنا) أى الدالة على التوحيد وهى معجزات نوح (قوله عمين) أصله عميين حذفت الياء الأولى تخفيفا وهو جمع عم يقال لأعمى البصيرة وأما عميان فجمع أعمى يقال لأعمى البصر (قوله وإلى عاد) جرت عادة الله فى كتابه أنه إذا كان للرسل إليهم اسم ذكرهم به وإلا عبر بقوله قومه وقدر المفسر أرسلنا إشارة إلى أن أخاهم معطوف على نوحا والعامل فيه أرسلنا المتقدم

وَأَنْصَحُ) أريد الخير (لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ . أَ) كذبتم (وَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ) موعظة (مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى) لسان (رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ) العذاب إن لم تؤمنوا (وَلِتَتَّقُوا) الله (وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) بها (فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ) من الغرق (فِي الْفُلْكِ) السفينة (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) بالطوفان (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) عن الحق (وَ) أرسلنا (إِلَى عَادٍ) الأولى (أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافونه فتؤمنون (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ) جهالة (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فى رسالتك (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ)

والجار والمجرور معطوف على قوله إلى قومه فتكون الواو عاطفة عطف قصة على قصة وهكذا يقال فى باقى القصص (قوله الأولى) يحترز به عن عاد الثانية فإنها قوم صالح (قوله أخاهم هودا) سمى أخاهم لأنه من جنسهم واجتمع معهم فى جد لأن عادا بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح فسميت القبيلة باسم جدهم وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص ابن إرم بن سام بن نوح، وقيل هو ابن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح، فعلى الأول قد اجتمع معهم فى عاد، وعلى الثانى لا وإنما اجتمع معهم فى سام، وكان بين هود ونوح ثمانمائة سنة وبين القبيلتين مائة سنة وعاش أربعمائة وأربعا وستين سنة، وعاد يجوز صرفه باعتبار كونه اسما للحى ومنعه باعتبار كونه اسما للقبيلة وهذا من حيث العربية وأما فى القرآن فلم يقرأ بمنع الصرف (قوله قال ياقوم) أتى فى قصة نوح بالفاء لأنه كان مسارعا فى دعوتهم إلى الله غير متوان كما حكى فى سورة نوح قال تعالى - قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا - بخلاف هود (قوله مالكم من إله غيره) أى لأنه الخالق للعالم المتصرف فيه (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التفكر فى مصنوعات الله فلا تتقون (قوله الذين كفروا) صفة للملأ كاشفة لأن هذه المقالة لاتقع من مؤمن ولذا تركت من قصة نوح لعلمها مما هنا (قوله إنا لنراك) رأى هنا علمية فمفعولها الأول الكاف والثانى متعلق الجار والمجرور (قوله فى سفاهة) الحكمة فى تعبير قوم هود بالسفاهة وقوم نوح بالضلال أن نوحا لما خوف قومه بالطوفان وجعل يصنع الفلك نسبوه للضلال حيث أتعب نفسه فى عمل سفينة فى أرض لا ماء بها ولا طين، وهود لما نهاهم عن عبادة الأصنام التى سموها صمودا وصمدا وهبا ونسب من يعبدها للسفه خاطبوه بمثل ما خاطبهم به (قوله ولكنى رسول) تقدم أن مثل هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لكونه وقع بين ضدين (قوله أبلغكم) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله وأنا لكم ناصح) الحكمة فى تعبير هود بالجملة الاسمية ونوح بالجملة الفعلية أن هودا كان نصوحا مع التراخى

مأمون

مأمون على الرسالة (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى) لسان (رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ) فى الأرض (مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً) قوة وطولا وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين (فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ) نعمه (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ) نترك (مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) به من العذاب (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى قولك (قَالَ قَدْ وَقَعَ) وجب (عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ) عذاب (وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا) أى سميتم بها (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أصناما تعبدونها (مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا) أى بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة و برهان (فَانْتَظِرُوا) العذاب (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ) ذلك بتكذيبكم لى فأرسلت عليهم الريح العقيم (فَأَنْجَيْنَاهُ) أى هوداً (وَالَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين (بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ) القوم (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أى استأصلناهم (وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) عطف على كذبوا (وَ) أرسلنا (إِلَى ثَمُودَ) بترك الصرف مراداً به القبيلة (أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ) معجزة (مِنْ رَبِّكُمْ) على صدقى (هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً) حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم

ومعلوم أن ذلك يدل عليه بالجملة الاسمية ونوح كان مكررا النصح وذلك يدل عليه بالجملة الفعلية لأن الفعل للتجدد (قوله مأمون على الرسالة) أى فلا أزيد ولاأنقص (قوله أوعجبتم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أكذبتمونى وعجبتم (قوله ذكر) أى موعظة تخوفكم من عذاب الله (قوله إذ جعلكم خلفاء) إذ ظرف معمول لاذكروا أى اذكروا وقت جعلكم والمقصود ذكر النعمة لا ذكر وقتها (قوله بسطة) بالسين والصاد قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد (قوله قوة وطولا) أى ومالا (قوله مائة ذراع الخ) الذى قاله المحلى فى سورة الفجر إن طويلهم كان أربعمائة ذراع بذراع نفسه ، وفى رواية خمسمائة ذراع وقصيرهم ثلثمائة ذراع ، وكان رأس الواحد منهم قدر القبة العظيمة وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع (قوله آلاء الله) جمع إلى بكسر الهمزة وضمها كحمل وقفل أو بكسر ففتح كضلع أو بفتحتين كقفا (قوله تفوزون) أى برضا الله وزيادة النعم لأن شكر النعم مما يديمها ويزيدها (قوله قالوا أجئتنا) أى جوابا لنصحه لهم (قوله وجب) أى حق وثبت والتعبير بالماضى إشارة إلى أنه واقع لامحالة (قوله وغضب) عطف سبب على مسبب (قوله فى أسماء) أى مسميات (قوله أصناما) قدره إشارة إلى مفعول سميتموها الثانى (٧٧) (قوله فأرسلت عليهم الريح العقيم) وكانت باردة ذات صوت شديد لامطر فيها وكان وقت مجيئها فى عجز الشتاء وابتدأتهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوّال وسخرت عليهم سبع ليال وثمانية أيام فأهلكت رجالهم ونساءهم وأولادهم وأموالهم بأن رفعت ذلك فى الجوّ فمزقته وفى رواية بعث الله عز وجل الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا إلى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والأرض فلما رأوها بادروا الى البيوت فدخلوها وأغلقوا الأبواب فجاءت الريح فقلعت أبوابهم ودخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فنقلتهم إلى البحر فألقتهم فيه وقيل إن الله تعالى أمر الريح فأهالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمال سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر (قوله والذين معه) أى وكانوا شرذمة قليلة يكتمون إيمانهم وسبب نجاتهم أنهم دخلوا فى حظيرة فصار يدخل عليهم من الريح مايلتذون به ثم بعد ذلك أتوا مكة مع هود فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (قوله أى استأصلناهم) أى لم نبق منهم أحدا (قوله عطف على كذبوا) أى وفائدته وإن علم منه الاشارة إلى أن الله علم عدم إيمانهم وأنهم لو بقوا ما آمنوا أى فلا تحزن عليهم أيها السامع (قوله و إلى ثمود) تقدم أنه معطوف على قوله لقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة وثمود قبيلة سموا باسم جدهم ثمود بن عاد بن عابر بن سام بن نوح (قوله بترك الصرف) أى للعلمية والتأنيث ولو أريد به الحى لصرف (قوله أخاهم) أى فى النسب لأنه ابن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود المتقدم وكان بين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله صالحا) بدل من أخاهم أو عطف بيان عليه (قوله مالكم من إله غيره) علة لقوله اعبدوا الله وقوله قد جاءتكم علة لمحذوف والتقدير امتثلوا ما أمرتكم به لأنه قد جاءتكم بينة على صدقى (قوله هذه ناقة الله لكم آية) كلام مستأنف بيان للمعجزة والاضافة للتشريف واسم الاشارة مبتدأ وناقة الله خبر ومضاف إليه ولكم جار ومجرور متعلق بمحذوف

حال من آية لأنه نعت نكرة تقدم عليها أو خبر ثان وآية حال والعامل فيها محذوف تقديره أشير وقد أشار له المفسر بقوله حال عاملها معنى الاشارة وهذا القول وقع من صالح بعد نصحهم كما قال تعالى فى سورة هود : هو أنشأ كم من الأرض واستعمركم فيها الآيات (قوله من صخرة عينوها) وكان يقال لها الكاثبة وكانت منفردة فى ناحية الجبل فقالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تكون على شكل البخت وتكون عشراء جوفاء و براء أى ذات جوف واسع وو بر وصوف ، فدعا الله فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء و براء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى فعند خروجها ولدت ولدا مثلها فى العظم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى وتشرب إلى أن عقروها (قوله فذروها) مرتب على كونها آية من آيات الله (قوله تأكل فى أرض الله) أى وتشرب (قوله فيأخذكم) بالنصب فى جواب النهى والتعقيب ظاهر لأنهم لم يلبثوا إلا ثلاثة أيام رأوا فيها أمارات العذاب كما يأتى فى سورة هود (قوله عذاب أليم) أى مؤلم (قوله واذكروا إذ جعلكم خلفاء) تذكير لهم بنعم الله التى أنعمها عليهم (قوله فى الأرض) قدره المفسر إشارة إلى أن فى الآية الحذف من الأول لدلالة الثانى عليه (قوله و بوأكم فى الأرض) أى أرض الحجر بكسر الحاء مكان بين الحجاز والشام (قوله تتخذون) أى تعملون وتصنعون واتخذ يصح أن يكون متعديا لواحد فمن سهولها متعلق باتخذ أو لاثنين فمن سهولها متعلق بمحذوف مفعول ثان (قوله من سهولها) جمع سهل وهو المكان المتسع الذى لا جبل به ومن بمعنى فى أى تصنعون فى الأرض السهلة القصور و يصح أن تكون من للابتداء أى تتخذون من السهول أى الأراضى اللينة القصور أى طوبها وطينها والأقرب الأول ، وسميت القصور بذلك لقصر أيدى الفقراء عن تحصيلها (قوله وتنحتون الجبال بيوتا) يصح أن يكون المعنى على إسقاط الخافض أى من الجبال و بيوتا مفعول تنحتون ، و يصح أن يكون الجبال مفعولا به و بيوتا حال مقدرة كما قال المفسر لأن الجبال لا تصير بيوتا إلا بعد نحتها

(٧٨)

من صخرة عينوها (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) بعقر أو غيره (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ) فى الأرض (مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ) أسكنكم (فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا) تسكنونها فى الصيف (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) تسكنونها فى الشتاء ونصبه على الحال المقدرة (فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) تكبروا عن الإيمان به (لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ) أى من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ) إليكم (قَالُوا) نعم (إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) وكانت الناقة لها يوم فى الماء ولهم يوم فملوا ذلك (فَعَقَرُوا النَّاقَةَ) ،

وهو و إن كان جامدا إلا أنه مؤول بالمشتق أى مساكن (قوله مفسدين) حال مؤكدة لعاملها لأن العثو هو الفساد (قوله تكبروا) أشار بذلك إلى أن السين زائدة (قوله عن الايمان به) أى بصالح (قوله بدل مما قبله باعادة الجار) أى بدل كل من كل إن كان الضمير فى منهم عائدا على القوم و يكون جميع المستضعفين آمنوا ، و بدل بعض من كل إن كان الضمير عائدا على المستضعفين و يكون بعض المستضعفين آمنوا والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أتعلمون) مقول قول المستكبرين (قوله قالوا نعم) قدره المفسر إشارة إلى أن هذا حق الجواب و إنما عدلوا عنه مسارعة إلى تحقيق الحق و إظهار إيمانهم وتنبيها على أن رسالته واضحة لا تخفى فلا ينبغى السؤال عنها فهذا الجواب تبكيت لهم (قوله قال الذين استكبروا) إظهار فى محل الاضمار تبكيتا لهم (قوله إنا بالذى آمنتم) لم يقولوا إنا بما أرسل به إظهارا لمخالفتهم إياهم وتعنتا وعنادا (قوله وكانت الناقة لها يوم فى الماء) أى فاذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب جميع ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاءوا حتى يملؤا أوانيهم فيشربون و يدخرون (قوله فعقروا الناقة) أى فى يوم الأربعاء فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة ثم تصبحون فى يوم الجمعة وجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم السبت وجوهكم مسودة ، فأصبحوا يوم الخميس قد اصفرت وجوههم فأيقنوا بالعذاب ثم احمرت فى يوم الجمعة فازداد خوفهم ثم اسودت يوم السبت فتجهزوا للهلاك ، فأصبحوا يوم الأحد وقت الضحى فكفنوا أنفسهم وتحنطوا كما يفعل بالميت وألقوا بأنفسهم إلى الأرض فلما اشتد الضحى أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت فى ذلك الوقت كل شئ له صوت مما فى الأرض ثم تزلزلت بهم الأرض حتى هلكوا جميعا . وأما ولد الناقة فقيل إنه فر هاربا فانفتحت له الصخرة التى خرجت منها أمه

لدخلها وانطبقت عليه قال بعض المفسرين . إنه الدابة التي تخرج قرب يوم القيامة ، وقيل إنهم أدركوه وذبحوه (قوله عقرها قدار) أي ابن سالف وكان رجلا أحمر أزرق العينين قصيرا وكان ابن زانية ولم يكن لسالف وهو أشقى الأولين كما ورد في الحديث (قوله بأن قتلها بالسيف) أي فالمراد بالعقر النحر ففيه إطلاق السبب على المسبب لأن العقر ضرب قوائم البعير أو الناقة لتقع فتنحر (قوله وقالوا ياصالح) أي على سبيل التهكم والاستهزاء (قوله بما تعدنا به) قدره إشارة إلى أن العائد محذوف وكان الأولى أن يقدر ضمير نصب بأن يقول تعدناه لئلا يلزم حذف العائد المجرور بالحرف من غير اتحاد متعلقهما (قوله فأخذتهم الرجفة) أي بعد مضي ثلاثة أيام والتعقيب ظاهر لأن الثلاثة أيام مقدمات الهلاك (قوله والصيحة من السماء) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء لأن عذابهم كان بهما معا (قوله في دارهم) أي أرضهم فالمراد بها الجنس (قوله فتولى عنهم) أي بعد أن هلكوا وماتوا توبيخا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا في القليب فقال عمر يارسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال صلى الله عليه وسلم ماأنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لايجيبون ، وقيل خاطبهم قبل موتهم وقت ظهور العلامات فيهم وعليه يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (قوله واذكر) خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقدره ولم يقدر أرسلنا مع أنه يكون موافقا لما قبله ومابعده لأنه يوهم أن وقت الإرسال قال لقومه ماذكر مع أنه ليس كذلك بل أمرهم أولا بالتوحيد ثم بين لهم فروع شريعته . ولوط بن هاران أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام وكان إبراهيم ولوط

عقرها قدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف (وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) به من العذاب على قتلها (إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ . فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (فَتَوَلَّى) أعرض صالح (عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ . وَ) اذكر (لُوطًا) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أي أدبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن (أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) متجاوزون الحلال إلى الحرام (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ) أي لوطا وأتباعه

ببابل بالعراق فهاجرا إلى الشام فنزل إبراهيم بأرض فلسطين ونزل لوط بالأردن وهي قرية بالشام فأرسله الله إلى أهل سذوم بالذال المعجمة على وزن رسول وهي بلد بحمص (قوله أتأتون الفاحشة) استفهام توبيخ وتقريع لأنها من أعظم الفواحش ولذا كان حدها عند أبي حنيفة الرمي من شاهق جبل وعند مالك الرجم مطلقا فاعلا أو مفعولا أحصنا أو لم يحصنا (قوله ماسبقكم الخ) تأكيد للإنكار عليهم لأن مباشرة القبيح قبيحة واختراعه أقبح (قوله الإنس والجن) أي وجميع البهائم بل هذه الفعلة لم توجد في أمة إلا في قوم لوط وفساق هذه الأمة المحمدية وكان قوم لوط يتباهون بالضراط في المجالس أيضا كما قال تعالى : وتأتون في ناديكم المنكر وهو فاحشة عظيمة أيضا (قوله بتحقيق الهمزتين) حاصل ماأفاده المفسر أن القراآت أربع تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية من غير إدخال ألف بين الهمزتين أو بإدخالها ولكن الحق أن إدخال الألف بين الهمزتين المحققتين غير سبعية وإنما هي لهشام وبقي قراءة سبعية أيضا وهي بهمزة واحدة على الخبر المستأنف بيان لتلك الفاحشة وهي لنافع وحفص عن عاصم فتحصل أن القراآت خمس أربع سبعية وواحدة غير سبعية (قوله شهوة) أي لأجل الشهوة (قوله من دون النساء) إما حال من الرجال أو من الواو في تأتون وحكمة التوبيخ على هذا الفعل القبيح أن الله تعالى خلق الإنسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة والنسل فإذا تركهن الإنسان فقد عدل عما أحل له وتجاوز الحد لوضعه الشيء في غير محله لأن الأدبار ليست محلا للولادة التي هي المقصودة بالذات (قوله وما كان جواب قومه) القراء على نصب جواب خبرا لكان واسمها أن ومادخلت عليه وقرأ الحسن بالرفع اسم كان وأن ومادخلت عليه خبرها ومامشى عليه الجماعة أفصح عربية لأن الأعرف وقع اسما والواو هنا للتعقيب لحلولها محل الفاء في النمل والعنكبوت لأن جوابهم لم يتأخر عن نصيحته والحصر نسبي والمراد أنه لم يقع منهم جواب عن نصح وموعظة فلا ينافي أنهم زادوا في الجواب من الكلام القبيح .

(قوله من قريتكم) أى سذوم (قوله إنهم أناس يتطهرون) قالوا ذلك استهزاء (قوله فأنجيناه وأهله) أى ابنتيه لأنه لم ينج من العذاب إلا هو وابنتاه لإيمانهمابه فخرج لوط من أرضه وطوى الله له الأرض فى وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم ، وسيأتى تمام القصة فى سورة هود وإنما ذكرت هنا اختصارا (قوله الباقين فى العذاب) أى لأن الغبور من باب قعد يستعمل بمعنى البقاء فى الزمان المستقبل و بمعنى المكث فى الزمان الماضى والمراد الأول (قوله وأمطرنا) يقال غالبا فى الرحمة مطر وفى العذاب أمطر وعلى كل هو متعد ينصب المفعول (قوله هو حجارة السجيل) أى وكانت معجونة بالكبريت والنار وهلكوا أيضا بالخسف . قال تعالى ـ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ـ ورد أن جبريل رفع مدائنهم إلى السماء وكانت خمسة وأسقطها مقلوبة إلى الأرض وأمطر عليهم الحجارة متتابعة فى النزول عليها اسم كل من يرمى بها ، وقيل إن الحجارة لمن كان مسافرا منهم والخسف لمن كان فى المدائن (قوله فانظر) الخطاب لكل سامع يتأتى منه النظر والتأمل ليحصل الاعتبار بما وقع لهؤلاء القوم (قوله و إلى مدين) معطوف على قوله لقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة ، ولذا قدر المفسر أرسلنا ومدين اسم قبيلة شعيب واسم لقريته أيضا بينها و بين مصر ثمانية مراحل سميت باسم أبيهم مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام وشعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن إبراهيم الخليل فشعيب أخوهم فى النسب وليس من أنبياء بنى إسرائيل ، وقوله شعيبا بدل من أخاهم أوعطف بيان عليه وأرسل شعيب أيضا إلى أصحاب الأيكة وهى شجر ملتف بعضه ببعض بالقرب من مدين . قال تعالى ـ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ـ (قوله معجزة) لم تذكر تلك المعجزة فى القرآن ، وقيل المراد بها نفسه بمعنى أن أوصافه لا يمكن معارضتها وقيل المراد بها قوله ـ فأوفوا الكيل والميزان ـ الخ بمعنى ما يترتب عليها من العز للطيع والذل والعقاب للمخالف (قوله فأوفوا الكيل والميزان) أى وكانت عادتهم نقص الكيل والميزان

(مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من أدبار الرجال (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين فى العذاب (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) هو حجارة السجيل فأهلكتهم (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ . وَ) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ) معجزة (مِنْ رَبِّكُمْ) على صدق (فَأَوْفُوا) أتموا (الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا) تنقصوا (النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالكفر والمعاصى (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) ببعث الرسل (ذَٰلِكُمْ) المذكور (خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) مريدى الإيمان فبادروا إليه (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ) طريق (تُوعِدُونَ) تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم (وَتَصُدُّونَ) تصرفون (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (مَنْ آمَنَ بِهِ) بتوعدكم إياه بالقتل (وَتَبْغُونَهَا) تطلبون الطريق (عِوَجًا) معوجة (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) قبلكم بتكذيبهم رسلهم أى آخر أمرهم من الهلاك (وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ

(قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم) هذا لازم لقوله فأوفوا الكيل والميزان لأن الشخص إذا لم يوف الكيل والميزان لغيره فقد نقصه من الثمن وكذلك إذا استوفى الكيل والميزان لنفسه فقد نقص الغير من الثمن (قوله بعد إصلاحها) ورد أنه قبل بعث شعيب لهم كانوا يفعلون المعاصى و يستحلون المحارم و يسفكون الدماء فلما بعث شعيب أصلح الله به الأرض وهكذا كل نبى بعث إلى قومه (قوله مريدى الإيمان) جواب عما يقال إنهم لم يكونوا مؤمنين إذ ذاك (قوله فبادروا إليه) جواب الشرط وما قبله دليل الجواب (قوله بكل صراط) أى محسوس بدليل ما بعده (قوله تخوفون الناس) قدره إشارة إلى أن مفعول توعدون محذوف (قوله بأخذ ثيابهم) ورد أنهم كانوا يجلسون على الطريق و يقولون لمن يريد شعيبا إنه كذاب ارجع لا يفتنك عن دينك فان آمنت به قتلناك (قوله من آمن) هذا مفعول تصدون (قوله تطلبون الطريق) أى المعبر عنه بالسبيل وهو الطريق المعنوى الذى هو الدين ، والمعنى تعدلوا عن الصراط المستقيم إلى الاعوجاج (قوله واذكروا إذ كنتم) إذ ظرف معمول لقوله اذكروا : أى اذكروا وقت كونكم قليلا الخ ، والمراد اذكروا تلك النعمة العظيمة (قوله قليلا) أى فى العدة والعدد والضعف ، وقوله فكثركم أى فزاد عددكم وقوتكم فكانوا أغنياء أقوياء ذوى عدد كثير بوجود شعيب بينهم ، ولذا لما فر موسى هاربا من فرعون نزل عند شعيب فطمنه وأمن روعه . قال تعالى حكاية عن شعيب ـ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ـ (قوله عاقبة المفسدين)

وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا) به (فَاصْبِرُوا) انتظروا (حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا) و بينكم بانجاء المحق و إهلاك المبطل (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) أعدلهم (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) عن الإيمان (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ) ترجعنّ (فِي مِلَّتِنَا) ديننا وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن فى ملتهم قط وعلى نحوه أجاب (قَالَ أَ) نعود فيها (وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) لها ، استفهام إنكار (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ) ينبغى (لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا) ذلك فيخذلنا (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) أى وسع علمه كل شىء ومنه حالى وحالكم (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ) احكم (بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) الحاكمين (وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) أى قال بعضهم لبعض (لَئِنِ) لام قسم (اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ . فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً) مبتدأ خبره (كَأَنْ) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لَمْ يَغْنَوْا) يقيموا (فِيهَا) فى ديارهم (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ) التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم فى قولهم السابق (فَتَوَلَّى) أعرض (عَنْهُمْ ،

أى وأقر بهم إليكم قوم لوط فانظروا مانزل بهم (قوله وطائفة لم يؤمنوا) فى الكلام الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه ، والتقدير وطائفة منكم لم يؤمنوا بالذى أرسلت به (قوله فاصبروا) يجوزأن يكون الضمير للمؤمنين من قومه وأن يكون للكافرين منهم وأن يكون للفريقين وهذا هو الظاهر فأمر المؤمنين بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة والكافرين بالصبر لسوء عاقبة أمرهم وهو نظير قوله تعالى ـ فتربصوا إنامعكم متربصون ـ (قوله و بينكم) لاحاجة له لأن الضمير عائد على شعيب وعليهم ، والمعنى حتى يقضى الله بين الفريقين المؤمنين والكفار (قوله وهو خير الحاكمين) التعبير باسم التفضيل باعتبار أنه الحاكم حقيقة وغيره حاكم مجازا ومن كان له الحكم بالأصالة والحقيقة خير ممن كان له الحكم مجازا (قوله قال الملأ) أى جوابا لما قاله لهم (قوله ياشعيب) إنما وسطوا اسمه بين المعطوف والمعطوف عليه زيادة فى القباحة والشناعة منهم (قوله وغلبوا فى الخطاب الجمع على الواحدالخ) جواب عمايقال إن شعيبا لم يسبق له الدخول فى ملتهم و إنما حمل المفسر على هذا الجواب تفسيره العود بالرجوع ، وقال بعضهم: إن عادتأتى بمعنى صار وعلى هذا فلاإشكال ولاجواب (قوله وعلى نحوه) أى التغليب (قوله أنعود فيها) أشار بذلك إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله أولو كنا كارهين) الهمزة لانكار الوقوع وكلمة لو فى مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشىء فى الزمن الماضى لانتفاء غيره فيه بل هى لمجرد الربط والمبالغة فى الانتهاء العود ، والمعنى لا يطمعوا فى عودنا مختارين ولا مكرهين فتأمل (قوله إن عدنا فى ملتكم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله قد افترينا عليه (قوله وما يكون لنا) أى لا يصح ولا يليق لنا أن نعود فيها فى حال من الأحوال إلا فى حال مشيئة الله لنا (قوله إلاأن يشاء الله ربنا) يصح ان يكون متصلا والمستثنى منه عموم الاحوال اومنقطعا وهذا الاستثناء محض رجوع إلى الله وتفويض الأمر إليه وقد جازاهم الله بأن كفاهم شرّ أعدائهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر (قوله أى وسع علمه) أشار بذلك إلى أن علما تمييز محوّل عن الفاعل (قوله و بين قومنا) أى الكفار و إنما أعرض عن مكالمتهم ورجع لله متضرعا لماظهر له من شدّة عنادهم وتعنتهم فى كفرهم (قوله وقال الملأ الذين كفروا الخ) إنماقال بعضهم لبعض هذه المقالة خوفا على بعضهم من الميل لشعيب حيث توعدوه بما تقدّم فلم يبال بهم (قوله إنكم إذا لخاسرون) أى فى الدنيا بفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف ، وجملة إنكم إذا لخاسرون جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه (قوله فأخذتهم الرجفة) ذكر هنا وفى العنكبوت الرجفة وذكر فى سورة هود ـ وأخذ الذين ظلموا الصيحة ـ أى صيحة جبريل عليهم من السماء وجمع بينهما بأن الرجفة فى المبدإ والصيحة فى الأثناء فتأمل ، وأما أهل الأيكة فأهلكوا بالظلة كماسيأتى فى سورة الشعراء (قوله كأن لم يغنوا فيها) أى كأنهم لم يلبثوا فى ديارهم أصلا لأنهم استؤصلوا بالمرة (قوله وغيره) أى وهوضمير الفصل

(قوله وقال ياقوم) ماتقدم من لون القول بعد هلاكهم أوقبله فى قصة صالح يجرى هنا (قوله فكيف آسى) أصله أأسى بهمزتين قلبت الثانية ألفا (قوله وما أرسلنا فى قرية من نبي) جملة مستأنفة قصد بها التعميم بعد ذكر بعض الأمم بالخصوص وإنما خص ماتقدم بالذكر لمزيد تعنتهم وكفرهم (قوله فكذبوه) قدره إشارة إلى أن الكلام فيه حذف لأن قوله إلا أخذنا أهلها لايترتب على الارسال وإنما يترتب على التكذيب (قوله لعلهم يضرعون) أصله يتضرعون قلبت التاء ضادا وأدغمت فى الضاد وإنما قرئ بالفك فى الأنعام لأجل مناسبة الماضى فى قوله تضرعوا بخلاف ماهنا لجيء به على الأصل (قوله ثم بدلنا) أى استدراجا لهم (قوله العذاب) أى الفقر والمرض (قوله الغنى والصحة) لف ونشر مرتب (قوله كفرا للنعمة) أى وتكذيبا لأنبيائهم (قوله وهذه عادة الدهر) هذا من جملة مقولهم (قوله فكونوا على ما أنتم عليه) هذا من جملة قول بعضهم لبعض (قوله فأخذناهم بغتة) مرتب على قوله ـ وقالوا قد مس آباءنا ـ الخ (قوله وهم لايشعرون) أى لعدم تقدم أسبابه لهم وهذه الآية بمعنى آية

وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ) فلم تؤمنوا (فَكَيْفَ آسَى) أحزن (عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) استفهام بمعنى النفى (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ) فكذبوه (إِلَّا أَخَذْنَا) عاقبنا (أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ) شدة الفقر (وَالضَّرَّاءِ) المرض (لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) يتذللون فيؤمنون (ثُمَّ بَدَّلْنَا) أعطيناهم (مَكَانَ السَّيِّئَةِ) العذاب (الْحَسَنَةَ) الغنى والصحة (حَتَّى عَفَوْا) كثروا (وَقَالُوا) كفرا للنعمة (قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى (فَأَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئه قبله (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى) المكذبين (آمَنُوا) بالله ورسلهم (وَاتَّقَوْا) الكفر والمعاصى (لَفَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (وَلَكِنْ كَذَّبُوا) الرسل (فَأَخَذْنَاهُمْ) عاقبناهم (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى) المكذبون (أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَاتًا) ليلا (وَهُمْ نَائِمُونَ) غافلون عنه (أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى) نهارا (وَهُمْ يَلْعَبُونَ . أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ) استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ . أَوَلَمْ يَهْدِ) يتبين (لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ) بالسكنى (مِنْ بَعْدِ) هلاك (أَهْلِهَا أَنْ) فاعل مخففة واسمها محذوف أى أنه (لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ) بالعذاب (بِذُنُوبِهِمْ) كما أصبنا من قبلهم والهمزة فى المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو،

الأنعام . قال تعالى ـ فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء الآية ـ (قوله ولو أن أهل القرى) جمع قرية والمراد جميع القرى المتقدم ذكرهم وغيرهم (قوله ورسلهم) أى أهل القرى وفى نسخة ورسله : أى الله (قوله واتقوا) عطف على آمنوا عطف عام على خاص لأن التقوى امتثال المأمورات ومن جملتها الايمان (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بركات) جمع بركة وهى زيادة الخير فى الشىء (قوله ولكن كذبوا) أى لم يؤمنوا ولم يتقوا (قوله بما كانوا يكسبون) أى بسبب كسبهم من الكفر والمعاصى (قوله أفأمن) الهمزة مقدمة من تأخير الداخلة والفاء عاطفة على قوله ـ فأخذناهم بغتة ـ ومابينهما اعتراض وهذه طريقة الجمهور ، وعند الزمخشرى أن الهمزة داخلة على محذوف وما بعدها معطوف على ذلك المحذوف ولكنه فى هذا الموضع وافق الجمهور فى كشافه (قوله بياتا) حال من بأسنا ، وجملة وهم نائمون حال من ضمير يأتيهم (قوله وهم يلعبون) أى يشتغلون بما لايعنيهم (قوله مكر الله) المكر فى الأصل الخديعة والحيلة وذلك مستحيل على الله وحينئذ فالمراد بالمكر أن يفعل بهم فعل الماكر بأن يستدرجهم بالنعم أولا ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر (قوله الذين يرثون) أى وهم كل قوم جاءوا بعد هلاك من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين والأمة المحمدية فإن كل فرقة من هؤلاء تبين لها الاصابة بذنوبهم حيث شاء الله ذلك (قوله فاعل) أى المصدر المأخوذ منها ومن جواب لو هو الفاعل والتقدير أولم يتبين إصابتنا بالعذاب لو شئنا الاصابة (قوله لو نشاء) أى إصابتهم مفعول نشاء محذوف (قوله فى المواضع الأربعة) أى وأولها أفأمن أهل القرى وآخرها أولم يهد فاثنان بالفاء والاثنان بالواو .

الداخلة عليهما للعطف وفى قراءة بسكون الواو فى الموضع الأول عطفا بأو (وَ) نحن (نَطْبَعُ) نختم (عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) الموعظة سماع تدبر (تِلْكَ الْقُرَى) التى مر ذكرها (نَقُصُّ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْ أَنْبَائِهَا) أخبار أهلها (وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) عند مجيئهم (بِمَا كَذَّبُوا) كفروا به (مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئهم بل استمروا على الكفر (كَذَلِكَ) الطبع (يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ. وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ) أى الناس (مِنْ عَهْدٍ) أى وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق (وَإِنْ) مخففة (وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ. ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ) أى الرسل المذكورين (مُوسَى بِآيَاتِنَا) التسع (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) قومه (فَظَلَمُوا) كفروا (بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) بالكفر من إهلاكهم (وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك فكذبه فقال أنا (حَقِيقٌ) جدير (عَلَى أَنْ) أى بأن (لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) وفى قراءة بتشديد الياء فحقيق مبتدأ خبره أن وما بعده (قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ) إلى الشام (بَنِي إِسْرَائِيلَ) وكان استعبدهم (قَالَ) فرعون له (إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ) على دعواك (فَأْتِ بِهَا

(قوله الداخلة) أى الهمزة وقوله عليهما أى الفاء والواو (قوله فى الموضع الأول) أى من موضعى الواو (قوله ونطبع) قدر المفسر نحن إشارة إلى أنه مستأنف منقطع عما قبله (قوله تلك القرى نقص) اسم الاشارة مبتدأ والقرى بدل أو عطف بيان ونقص خبره (قوله التى مر ذكرها) أى وهى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (قوله من أنبائها) أى بعض أخبارها وماوقع لها (قوله ليؤمنوا) اللام زائدة لتوكيد النفى (قوله عند مجيئهم) أى الرسل (قوله قبل مجيئهم) أى بالمعجزات بعد إرسالهم للخلق (قوله أى الناس) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة غير مرتبطة بما قبلها ويصح أن الضمير عائد على الأمم فيكون بينهما ارتباط (قوله وإن وجدنا) أى علمنا أكثر مفعول أول وفاسقين مفعول ثان واللام فارقة والمراد ليظهر متعلق علمنا للخلق على حد: لنعلم أى الحزبين أحصى (قوله لفاسقين) أى خارجين عن طاعتنا بترك الوفاء بالعهد (قوله أى الرسل المذكورين) أى وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب (قوله موسى) وعاش مائة وعشرين سنة وبينه وبين يوسف أربعمائة سنة وبين موسى وإبراهيم سبعمائة سنة (قوله التسع) أى وهى العصا واليد البيضاء والسنون المجدبة والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكلها مذكورة فى هذه السورة إلا الطمس فى سورة يونس قال تعالى - ربنا اطمس على أموالهم - (قوله إلى فرعون) هذا لقبه واسمه الوليد بن مصعب بن الريان ففرعون فى الاصل علم شخص ثم صار لقبا لكل من ملك مصر فى الجاهلية وعاش من العمر ستمائة وعشرين سنة ومدة ملكه أربعمائة سنة لم ير مكروها قط وكنيته أبو مرة وقيل أبو العباس وهو فرعون الثانى وفرعون الأول أخوه واسمه قابوس بن مصعب ملك العمالقة وفرعون إبراهيم النمروذ وفرعون هذه الامة أبو جهل (قوله فظلموا بها) ضمن ظلموا معنى كفروا فعداه بالباء ويصح أن تكون الباء سببية والمفعول محذوف تقديره ظلموا أنفسهم بسببها أى بسبب تكذيبهم بها (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف اسم استفهام خبر كان مقدم عليها وعاقبة اسمها وإنما قدم لأن الاستفهام له الصدارة (قوله وقال موسى) تفصيل لما أجمل أولا لأن التفصيل بعد الاجمال أوقع فى النفس وهذا القول وما بعده إنما وقع بعد كلام طويل حكاه الله فى سورة الشعراء بقوله تعالى - فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين - الآيات وقوله تعالى قال فرعون ومارب العالمين الآيات وفى طه أيضا (قوله فكذبه) قدره إشارة إلى أن جملة حقيق مرتبة على محذوف (قوله حقيق) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أنا (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن على بمعنى الباء (قوله إلا الحق) مقول القول وهو مفرد فى معنى الجملة ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق تقديره إلا القول الحق (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مبتدأ) أى وسوغ الابتداء به العمل فى الجار والمجرور فإن على متعلق بحقيق (قوله فأرسل معى إلى الشام) أى وسبب سكناهم بمصر مع أن أصلهم من الشام أن الأسباط أولاد يعقوب جاءوا مصر لأخيهم يوسف فمكثوا وتناسلوا فى مصر فلما ظهر فرعون استعبدهم واستعملهم فى الأعمال الشاقة فأحب موسى أن يخلصهم من ذلك الأسر (قوله استعبدهم) أى جعلهم عبيدا أرقاء بسبب استخدامه إياهم.

(قوله إن كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله ثعبان مبين) الثعبان ذكر الحيات وصفت هنا بكونها ثعبانا وفي آية أخرى كأنها جان والجان الحية الصغيرة ووجه الجمع أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة ورد أنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاتحة فمها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض قدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب هاربا وأحدث أي تغوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم أربعمائة مرة واستمر معه هذا المرض وهو الاسهال إلى أن غرق مع كونه كان لايتغوط إلا في كل أربعين يوما مرة وقيل إنها أدخلت قبة القصر بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى أنشدك بالذى أرسلك أن تأخذها وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأمسكها بيده فعادت كما كانت (قوله ونزع يده) أي الیمنى (قوله ذات شعاع) أي نور يغلب على ضوء الشمس (قوله من الأدمة) أي السمرة (قوله وفي الشعراء أنه) أي هذا القول (قوله فكأنهم قالوه معه) هذا بيان لوجه الجمع بين ماهنا و بين مايأتي في الشعراء (٨٤) (قوله فماذا تأمرون) يصح أن يكون من كلام فرعون ويكون معناه تشيرون و يصح أن يكون من كلام الملأ له والجمع للتعظيم على عادة خطاب الملوك والأول أقرب (قوله أرجئه) فيه ست قراآت سبعية ثلاثة مع الهمز وهي كسر الهاء من غير إشباع وضمها مع الاشباع وعدمه وثلاث من غير همز وهي إسكان الهاء وكسرها باشباع و بدونه (قوله وأرسل في المدائن) أي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة بأقصى صعيد مصر (قوله وفي قراءة سحار) أي بالامالة وتركها فتكون القراآت ثلاثا وكلها سبعية (قوله فجمعوا) أي وكانوا اثنين وسبعين وقيل اثنى عشر ألفا وقيل خمسة عشر ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل بضعا وثمانين ألفا (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) كلامه يفيد أن هنا قراءتين فقط مع أنها أربع فكان عليه أن يقول و إدخال ألف بينهما وتركه و بقيت خامسة وهي أن بهمزة واحدة (قوله قال نعم) أي لكم الأجر (قوله و إنكم لمن المقربين) أي في المنزلة عندي بحيث تكونون أول من يدخل عندي وآخر من يخرج (قوله قالوا ياموسى الخ) إما أن يكون ذلك تأدبا من السحرة مع موسى، وقد جوزوا عليه بالايمان والنجاة من النار و إما أن يكون ذلك على عادة أهل الصنائع أوعدم مبالاة بموسى لاعتمادهم على غلبتهم (قوله إما أن تلقي الخ) أن ومادخلت عليه في تأويل مصدر مفعول لمحذوف تقديره اختر إما إلقاءنا أو إلقاءك (قوله أمر للاذن) جواب عما يقال كيف أمرهم بالسحر وأقرهم عليه . فأجاب بأن ذلك للتوصل إلى إظهار الحق (قوله عن حقيقة إدراكها) أي عن ادراك حقيقتها (قوله بسحر عظيم) أي عند السحرة وفي باب السحر و إن كان حقيرا في نفسه وذلك أنهم ألقوا حبالا غلاظا وأخشابا طوالا وطلوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك الأخشاب الزئبق أيضا فلما أثر فيها حر الشمس تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات وكانت سعة الأرض ميلا في ميل وكانت الواقعة في سكندرية فلما ألقى موسى عصاه بلغ ذنبها وراء البحر ، ثم فتحت

إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيها (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) حية عظيمة (وَنَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ) ذات شعاع (لِلنَّاظِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) فائق في علم السحر وفي الشعراء إنه من قول فرعون نفسه ، فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ . قَالُوا أَرْجِئْهُ وَأَخَاهُ) أخر أمرهما (وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ) وفي قراءة سحار (عَلِيمٍ) يفضل موسى في علم السحر فجمعوا (وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَئِنَّ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين (لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ . قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . قَالُوا يَامُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ) عصاك (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) ماممنا (قَالَ أَلْقُوا) أمر للاذن بتقديم إلقائهم توصلا به إلى إظهار الحق (فَلَمَّا أَلْقَوْا) حبالهم وعصيهم (سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ) صرفوها عن حقيقة إدراكها (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) خوفوهم حيث خيلوها حيات تسعى (وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ .

وأوحينا

(وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ) بحذف إحدى التاءين فى الأصل تبتلع (مَا يَأْفِكُونَ) يقلبون بتمويههم (فَوَقَعَ الْحَقُّ) ثبت وظهر (وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من السحر (فَغُلِبُوا) أى فرعون وقومه (هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ) صاروا ذليلين (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ) لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لايتأتى بالسحر (قَالَ فِرْعَوْنُ ءَآمَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (بِهِ) بموسى (قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا) الذى صنعتموه (لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ماينالكم منى (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) أى يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا) بعد موتنا بأى وجه كان (مُنْقَلِبُونَ) راجعون فى الآخرة (وَمَا تَنْقِمُ) تنكر (مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) عند فعل ماتوعده بنا لئلا نرجع كفارا (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ).

فاها ثمانين ذراعا فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك الجمع ففزعوا ووقع الزحام فمات منهم خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى فصارت فى يده عصا كما كانت فلما رأى السحرة ذلك عرفوا أنه أمر من السماء وليس بسحر فخروا لله ساجدين وقالوا لوكان ماصنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وكانت حمل ثلثمائة بعير فعدمت بقدرة الله تعالى (قوله وأوحينا إلى موسى) أى بعد أن ألقى السحرة حبالهم وعصيهم أوحى الله إلى موسى على لسان جبريل حيث قال له كما فى سورة طه: قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى الآية (قوله تلقف) أى تأخذ وتبتلع بسرعة (قوله فى الأصل) أى وأصلها تتلقف حذفت إحدى التاءين تخفيفا وهذه قراءة الجمهور وفى قراءة بادغام التاء فى التاء وفى قراءة تلقف من لقف كعلم فتكون القراآت ثلاثا وكلها سبعية (قوله مايأفكون) أى يكذبون فالافك الكذب (قوله بتمويههم) أى تزيينهم الباطل بصورة الحق (قوله وبطل ماكانوا يعملون) أى ظهر بطلانه (قوله هنالك) أى فى ذلك المكان وهو سكندرية (قوله وانقلبوا صاغرين) أى فرعون وقومه غير السحرة فانهم لم يصبهم صغار بل أصابهم العز الأبدى بإيمانهم بالله وحده (قوله ساجدين) حال من السحرة وقوله: قالوا آمنا فى موضع الحال من الضمير فى ساجدين والتقدير قائلين فى حال سجودهم آمنا الخ (قوله رب موسى وهرون) بدل من رب العالمين أو عطف بيان أو نعت جيء به لدفع إيهام فرعون الناس أنه هو رب العالمين حيث قال للسحرة إياى تعنون فدفعوا ذلك بقولهم: رب موسى وهارون (قوله بتحقيق الهمزتين) أى همزة الاستفهام والهمزة الزائدة فى الفعل وقوله وإبدال الثانية أى فى الفعل وان كانت ثالثة فهى فاء الكلمة وفى قراءة سبعية أيضا بحذف همزة الاستفهام وفى قراءة بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية وإبدال الثالثة ألفا وفى قراءة بقلب الأولى واوا فى الوصل وتسهيل الثانية وقلب الثالثة ألفا فالقراآت أربع وكلها سبعية (قوله قبل أن آذن لكم) أصله أأذن أبدلت الثانية ألفا على القاعدة المشهورة، والمعنى أحصل منكم الايمان قبل حصول الاذن منى لايليق منكم ذلك والفعل مضارع منصوب بأن (قوله إن هذا لمكر) أى حيلة وخديعة (قوله مكرتموه) أى تواطأتم عليه قبل مجيئكم إلينا وقصد بذلك اللعين تثبيت القبط بهاتين الشبهتين اللتين ألقاهما عليهم وهما قوله: إن هذا لمكر وقوله: لتخرجوا منها أهلها (قوله ماينالكم منى) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف (قوله لأقطعن أيديكم) هذا بيان لوعيده الذى توعدهم به وهل فعل ماتوعدهم به أولا؟ خلاف بل قال بعضهم إنه لم يفعل بدليل قوله تعالى: أنتما ومن اتبعكما الغالبون (قوله من خلاف) الجار والمجرور فى محل نصب على الحال أى مختلفة (قوله بأى وجه كان) أى سواء كان بقتلك أولا وفى آية طه: إنما تقضى هذه الحياة الدنيا (قوله وماتنقم منا) أى تنكره منا فقوله إلا أن آمنا أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول به لتنقم، والمعنى وماتنكره منا إلا إيماننا ويصح أن يكون المعنى وماتعذبنا بشيء من الأشياء إلا لأجل إيماننا فيكون مفعولا لأجله (قوله لما جاءتنا) أى حين أتتنا من عنده (قوله عند فعل ماتوعده بنا) أى ماتوعدنا به وهو القطع من خلاف والتصليب ففى العبارة قلب (قوله لئلا نرجع كفارا) علة لقوله ـ ربنا أفرغ علينا صبرا ـ (قوله وتوفنا مسلمين) أى ثابتين على الدين الحق غير مغيرين ولامبدلين.

(قوله وقال الملأ) أى المصرّون على الكفر فانه حين آمنت به السحرة آمن من بنى إسرائيل ستمائة ألف (قوله و يذرك) معطوف على ليفسدوا ، والمعنى أتترك موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض وليتركك وآلهتك والاستفهام إنكارى ، والمعنى لايليق ذلك (قوله وآلهتك) بالجمع فى قراءة الجمهور لأنه جعل آلهة يعبدها قومه وجعل نفسه هو الإله الأعلى قال تعالى : فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى ، وقرئ شذوذا و إلهتك بتاء التأنيث لأنه كان يعبد الشمس (قوله أصناما صغارا) أى على صور الكواكب (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله المولودين) أى الصغار (قوله ونستحيي نساءهم) أى للخدمة (قوله من قبل) أى قبل مولد موسى (قوله قال موسى لقومه) أى تسلية لهم (قوله استعينوا بالله) أى اطلبوا الاعانة منه سبحانه (قوله يورثها) الجملة حالية من لفظ الجلالة وقوله من يشاء مفعول ثان والمفعول الأول الهاء (قوله للمتقين الله) قدره إشارة إلى أن مفعول المتقين محذوف (قوله قالوا أوذينا) أى بالقتل الأولاد واستبقاء النساء للخدمة (قوله من قبل أن تأتينا) أى بالرسالة وكان فرعون يستعملهم فى الأعمال الشاقة نصف النهار فلما بعث موسى وجرى بينهم ماجرى استعملهم جميع النهار وأعاد القتل فيهم (قوله كيف تعملون فيها) أى من الاصلاح والافساد (قوله ولقد) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله لقد أخذنا أى ابتلينا وهذا شروع فى تفصيل مبادى هلاك فرعون وقومه لتكذيبهم بالآيات البينات (قوله بالسنين) جمع سنة ومن المعلوم أنه يجرى مثل جمع المذكر السالم فى إعرابه بالواو رفعا و بالياء نصبا وجرا وتحذف نونه للاضافة ففى الحديث « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » ويقل إعرابه كحين (قوله بالقحط) أى احتباس المطر (قوله ونقص من الثمرات) أى إتلافها بالآفات (قوله فاذا جاءتهم الحسنة) أشار بذلك إلى أنهم باقون فى غيهم وضلالهم لم يتعظوا ولم ينزجروا عما هم عليه (قوله أى نستحقها) أى بحولنا وقوتنا (قوله يطيروا) أصله يتطيروا أدغمت التاء فى الطاء والتطير فى الأصل أن يفرق الشئ بين القوم و يطير لكل واحد مايخصه فيشمل النصيب الحسن والسيئ ثم غلب على الحظ والنصيب السيئ ، والحكمة فى التعبير فى جانب الحسنة باذا المفيدة للتحقيق وتعريفها وفى جانب السيئة بان المفيدة للشك وتنكيرها الاشارة إلى أن رحمة الله تغلب غضبه وأنها صادرة منه سبحانه وتعالى و إن لم يتأهل لها العبد بخلاف السيئة فصدورها منه نادر ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون (قوله ألا إنما طائرهم) ألا أداة استفتاح يؤتى بها اعتناء بما بعدها للرد عليهم (قوله شؤمهم) أى عذابهم الذى تشاءموا به (قوله عند الله) أى لاعند موسى فليس له مدخل فى إيجاد ذلك (قوله يأتيهم به) أى جزاء لأعمالهم السيئة (قوله ولكن أكثرهم لايعلمون) يفيد أن الأقل يعلم أن فرعون كاذب وموسى صادق و إنما كفرهم محض عناد (قوله وقالوا) أى فرعون وقومه (قوله مهما تأتنا به الخ) مهما اسم شرط جازم وتأت فعل الشرط مجزوم بحذف الياء والكسرة دليل عليها والمفعول ومن آية بيان لمهما و به متعلق بتأت وضميرها راجع لمهما ولتسحرنا متعلق بتأتنا و بها متعلق بتسحرنا وقوله فما الفاء واقعة فى جواب الشرط ومانافية ونحن مبتدأ و بمؤمنين

(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ) له (أَتَذَرُ) تترك (مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بالدعاء إلى مخالفتك (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) وكان صنع لهم أصناما صغارا يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال أنا ربكم الأعلى (قَالَ سَنُقَتِّلُ) بالتشديد والتخفيف (أَبْنَاءَهُمْ) المولودين (وَنَسْتَحْيِي) نستبقى (نِسَاءَهُمْ) كفعلنا بهم من قبل (وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا) على أذاهم (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا) يعطيها (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ) الله (قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ، قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فيها (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) بالقحط (وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ) الخصب والغنى (قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ) أى نستحقها ولم يشكروا عليها (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) جدب وبلاء (يَطَّيَّرُوا) يتشاءموا (بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ) من المؤمنين (أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ) شؤمهم (عِنْدَ اللَّهِ) يأتيهم به (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن مايصيبهم من عنده (وَقَالُوا) لموسى (مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) ،

فدعا

خبر مرفوع بواو مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالياء التي جلبها حرف الجر الزائد والجملة في محل جزم جواب الشرط (قوله فدعا عليهم) قال سعيد بن جبير لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر والتمادى على الشر فتابع الله عليهم الآيات فأخذهم الله أولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب إن عبدك فرعون علا في الأرض و بغى وعتا وإن قومه قد نقضوا العهد فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم آية وعبرة ففعل الله بهم ماسيذكر (قوله فأرسلنا عليهم الطوفان) أى ما من السماء والحال أن بيوت القبط مشتبكة ببيوت بنى إسرائيل فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بنى إسرائيل شيء وركب ذلك الماء على أرضهم فلم يقدروا على الحرث ودام عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فاستغاثوا بموسى فأزال الله عنهم المطر وأرسل الريح فجفف الأرض وخرج من النبات مالم ير مثله قط فقالوا هذا الذى جزعنا منه خير لنا لكنا لم نشعر فلا والله لانؤمن بك ولا نرسل معك بنى إسرائيل فأقاموا شهرا في عافية (قوله إلى حلوق الجالسين) في كلام غيره إلى حلوق القائمين ومن جلس غرق كما علمت (قوله والجراد) أى واستمر من السبت إلى السبت يأكل زروعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وابتلى الجراد بالجوع فكانت لاتشبع ولم تصب بنى إسرائيل فعظم الأمر عليهم فضجوا من ذلك وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل فأشار موسى بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت فأقاموا شهرا في عافية ثم رجعوا إلى أعمالهم الخبيثة (قوله والقمل) مشى المفسر على أنه السوس أو نوع من القراد وقيل إنه القمل المعروف بدليل قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم وقيل هو البراغيث فأكل ما أبقاه الجراد وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيمصه وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلأ قملا

(٨٧)

فدعا عليهم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام (وَالْجَرَادَ) فأكل زرعهم وثمارهم كذلك (وَالْقُمَّلَ) السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد (وَالضَّفَادِعَ) فملأت بيوتهم وطعامهم (وَالدَّمَ) في مياههم (آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ) مبينات (فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها (وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ) العذاب (قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) من كشف العذاب عنا إن آمنا (لَئِنْ) لام قسم (كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا) بدعاء موسى (عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم .

فاستمر ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت فضجوا واستغاثوا فرفع عنهم ثم أقاموا شهرا في عافية ثم رجعوا لأخبث ما كانوا عليه (قوله والضفادع) جمع ضفدع كدرهم وزبرج (قوله فملأت بيوتهم وطعامهم) أى وكان الواحد منهم يجلس في الضفادع إلى رقبته ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكان يملأ قدورهم ويطفئ نيرانهم وكان أحدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لايستطيع أن ينقلب إلى شقه الآخر ، وورد أن الضفادع كانت برية فلما أرسلها الله سمعت وأطاعت فجعلت تلقى نفسها في القدور وهى تغلى وفى التنانير وهى تفور فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء فصارت من حينها تسكن الماء ، ثم ضجوا وشكوا لموسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقى إلا أن نتوب ولانعود بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فدعا الله موسى فكشف الله عنهم ذلك واستمروا شهرا في عافية ثم عادوا (قوله والدم) أى وكان أحمر خالصا فصارت مياههم كلها دما فما يستقون من بئر ولا نهر إلا وجدوه دما فأجهدهم العطش جدا حتى إن القبطية تأتى المرأة من بنى إسرائيل فتقول لها اسقينى من مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الاناء دما حتى كانت القبطية تقول للاسرائيلية اجعليه في فيك ثم مجيه في فيّ فتأخذه في فيها ماء وإذا مجته في فيها صار دما واعترى فرعون العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأحجار الرطبة فاذا مضغها صار دما فمكثوا على ذلك سبعة أيام من السبت إلى السبت فشكوا لموسى ذلك فكشف عنهم (قوله آيات) حال من الخمسة المذكورة (قوله مفصلات) أى مفرقات فكانت كل واحدة تمكث سبعة أيام وبين كل واحدة وأخرى شهر (قوله ولما وقع عليهم الرجز) هذا موزع على الخمسة فكانوا كلما ضجوا قالوا هذه المقالة (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله فلما كشفنا) أى في كل واحدة من الخمس (قوله إلى أجل هم بالغوه)

أى وهو وقت إغراقهم (قوله فانتقمنا منهم) اى أردنا الانتقام منهم لان الانتقام هو الاغراق فلا يحسن دخول الفاء بينهما (قوله مشارق الأرض ومغاربها) أى نواحيها وجميع جهاتها (قوله صفة للأرض) فيه أنه يلزم عليه الفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف وهو أجنبي والأولى أن يكون صفة للمشارق والمغارق (قوله وهو الشام) الحامل له على هذا التفسير قوله تعالى : التى باركنا فيها وهذا الوصف لايعين هذا المعنى بل يمكن تفسير الأرض بأرض مصر كما هو السياق وقد بارك الله فيها بالنيل وغيره ويؤيده قوله تعالى : كم تركوا من جنات وعيون إلى أن قال : كذلك وأورثناها قوما آخرين وكذلك آية الشعراء وقد اختار ماقلناه جملة من المفسرين وقال بعضهم المراد بمشارق الأرض الشام ومغاربها مصر فانهم ورثوا العمالقة فى الشام وورثوا الفراعنة فى مصر (قوله كلمت) ترسم هذه بالتاء المجرورة لاغير وما عداها فى القرآن بالهاء على الأصل (قوله بما صبروا) أى بسبب صبرهم (قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه) أى أهلكنا وخربنا الذى كان يصنعه فرعون وقومه (قوله وما كانوا يعرشون) هذا آخر قصة فرعون وقومه (قوله بكسر الراء وضمها) قراءتان سبعيتان (قوله من البنيان) أى كصرح هامان وغيره من جميع ما أسسوه بأرض مصر (٨٨) (قوله وجاوزنا) شروع فى قصة بنى إسرائيل وما وقع منهم من كفر النعمة والقبائح والمقصود من ذلك تسلية النبى صلى الله عليه وسلم وتخويف أمته من أن يفعلوا مثل فعلهم (قوله عبرنا) العبر هو الانتقال من جانب لآخر لانتقالهم من الجانب الغربى إلى الشرقى (قوله بضم الكاف وكسرها) أى من بابى نصر وضرب وهما قراءتان سبعيتان (قوله على أصنام لهم) قيل هى حجارة على صور البقر وقيل بقر حقيقة وكان هؤلاء القوم العاكفون من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم بعد ذلك (قوله قالوا ياموسى) القائل بعضهم لاجميعهم (قوله اجعل لنا إلها) قيل إنهم مرتدون بهذه المقالة لقصدهم و يستحيون بذلك عبادة الصنم حقيقة وقيل ليس وامر تدين بل هم جاهلون جهلا مركبا لاعتقادهم أن عبادة الصنم بقصد التقرب إلى الله تعالى لا تضرهم فى الدين وعلى كل فهذه المقالة فى شرعنا ردة والجار والمجرور مفعول ثان والهاء مفعول أول وقوله كما لهم آلهة صفة لالها وما اسم موصول ولهم صلتها وآلهة بدل من الضمير المستتر فى لهم والتقدير اجعل إلها لنا كالذى استقر لهم الذى هو آلهة (قوله إن هؤلاء متبر ماهم فيه) جملة مستأنفة قصد بها توبيخهم وزجرهم (قوله ماهم فيه) أى من الدين الباطل وهو عبادة الأصنام (قوله قال أغير الله) الاستفهام للانكار والتوبيخ (قوله أبغيكم) أى أطلب وأقصد لكم (قوله وأصله أبغى لكم) أى فحذف الجار فاتصل الضمير (قوله وهو فضلكم) الجملة حالية من لفظ الجلالة (قوله فى زمانكم) أى بانجائكم و إغراق عدوكم و إنزال المن والسلوى عليكم وليس تفضيلهم على جميع العالمين فان أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأمم (قوله و إذ أنجيناكم) هذا من كلام موسى فاسناد الانجاء إليه مجاز لكونه على يده وسببا فيه حيث ضرب بعصاه البحر فانفلق (قوله وفى قراءة أنجاكم) أى وهى ظاهرة فان الفاعل ضمير عائد على الله وهما قراءتان سبعيتان (قوله يسومونكم) من السوم وهو الاذاقة (قوله يقتلون أبناءكم) قدر المفسر هم إشارة إلى أن يقتلون بيان ليسومونكم .

(فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ) البحر الملح (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) لا يتدبرونها (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ) بالاستعباد وهم بنو إسرائيل (مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر صفة للأرض وهى الشام (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى) وهى قوله : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض الخ (عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا) على أذى عدوهم (وَدَمَّرْنَا) أهلكنا (مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) من العمارة (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) بكسر الراء وضمها : يرفعون من البنيان (وَجَاوَزْنَا) عبرنا (بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا) فمروا (عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ) بضم الكاف وكسرها (عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ) يقيمون على عبادتها (قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا) صنما نعبده (كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ) هالك (مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا) معبودا وأصله أبغى لكم (وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) فى زمانكم بما ذكره فى قوله (وَ) اذكروا (إِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ) وفى قراءة أنجاكم (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ) يكلفونكم ويذيقونكم (سُوءَ الْعَذَابِ) أشده وهو (يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ ،

(وَيَسْتَحْيُونَ) يستبقون (نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ) الانجاء أو العذاب (بَلَاءٌ) إنعام أو ابتلاء (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ) أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم (وَوَاعَدْنَا) بألف ودونها (مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً) نكلمه عند انتهائها بأن يصومها وهى ذو القعدة فصامها، فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى: (وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) من ذى الحجة (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ) وقت وعده بكلامه إياه (أَرْبَعِينَ) حال (لَيْلَةً) تمييز (وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ) عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة (اخْلُفْنِي) كن خليفتى (فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ) أمرهم (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) بموافقتهم على المعاصى (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا) أى للوقت الذى وعدناه بالكلام فيه (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) بلا واسطة كلاما سمعه من كل جهة (قَالَ رَبِّ أَرِنِي) نفسك (أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي) أى لاتقدر على رؤيتى والتعبير به دون لن أرى يفيد إمكان رؤيته تعالى (وَلَٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ)،

(قوله ويستحيون نساءكم) أى لخدمتهم (قوله الانجاء أو العذاب) أشار بذلك إلى أن اسم الاشارة يصح عوده على الأنجاء، ومعنى كونه بلاء أنه يختبرهم هل يشكرون فيؤجروا أو يكفرون فيعاقبوا وعوده على العذاب ظاهر فالابتلاء كما يكون فى الشر يكون فى الخير. قال تعالى — ونبلوكم بالشر والخير فتنة — فالشكر على النعمة موجب لزيادتها كما أن الصبر على البلايا موجب لرضا الله - قال تعالى — وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون — (قوله بألف ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الألف من المواعدة وهى مفاعلة من الجانبين فمن الله الأمر ومن العبد القبول وعلى حذف الألف فالوعد من الله لاغير وهو ظاهر (قوله ثلاثين ليلة) إنما عبر بالليالى دون الأيام مع أن الصيام فى الأيام لأن موسى كان صائما تلك المدة ليلا ونهارا مواصلا وحرمة الوصال على غير الأنبياء فعبر بالليالى لدفع توهم اقتصاره على صوم النهار فقط. قال المفسرون: إن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل إذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله فرعون سأل موسى ربه أن ينزل عليه الكتاب الذى وعد به بنى إسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت أنكر خلوف فمه فاستاك بعود خرنوب، وقيل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك، فأمره الله أن يصوم عشر ذى الحجة فكانت فتنة بنى إسرائيل فى تلك العشر (قوله أنكر خلوف فمه) أى كره رائحة فمه من أثر الصوم وهو بضم الخاء واللام معناه الرائحة (قوله وأتممناها) أي المواعدة المأخوذة من قوله وواعدنا (قوله أربعين حال) أى من ميقات (قوله وقال موسى) الواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا لأن تلك الوصية كانت قبل ذهابه وصيامه (قوله وأصلح أمرهم) أى أمر بنى إسرائيل ولا تغفل عنهم (قوله ولما جاء موسى لميقاتنا) قال أهل التفسير لما جاء موسى لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم أتى طور سيناء فأنزل الله ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الأرض ونحى عنه الملكين وكشط له السماء، فرأى الملائكة قياما فى الهواء ورأى العرش بارزا، وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح وكلمه، وكان جبريل معه فلم يسمع ذلك الكلام فاستحلى موسى كلام ربه فاشتاق إلى رؤيته فقال رب أرنى الخ (قوله أى للوقت) أى وكان يوم الخميس يوم عرفة فكلمه الله فيه وأعطاه التوراة صبيحة يوم الجمعة يوم النحر (قوله وكلمه ربه) أى أزال الحجاب عنه حتى سمع كلامه بجميع أجزائه من جميع جهاته لاأن الله أنشأ له الكلام لأن الله سبحانه وتعالى دائما متكلم يستحيل عليه السكوت والآفة ولم يصل لنا معنى مافهمه موسى من تلك المكالمة (قوله قال رب أرنى) لما سمع الكلام هام واشتاق إلى رؤية الذات فسأل الله أن يزيل عنه حجاب البصر كما أزال الله عنه حجاب السمع إذ لافرق بين الحاستين فقد سأل جائزا لأن كل من جاز سماع كلامه جازت رؤية ذاته (قوله نفسك) قدره إشارة إلى أن مفعول أرنى محذوف (قوله أنظر إليك) جواب الشرط، لا يقال إن الشرط قد اتحد مع الجواب لأن المعنى هيئنى لرؤيتك ومكنى منها فان تفعل بى ذلك أنظر إليك (قوله قال لن ترانى) أى لاطاقة لك على رؤيتى فى الدنيا، وهذا لايقتضى أنها مستحيلة عقلا وإلا لما علقت على جائز وهو استقرار الجبل (قوله ولكن انظر إلى الجبل) هذا من تنزلات الحق لموسى وتسلية له على مافاته من الرؤية وهذا الجبل كان أعظم الجبال واسمه زبير.

(قوله الذى هو أقوى منك) أى لحجبه عن الرؤية رحمة به لعدم طاقة الجبل على ذلك فضلا عن موسى (قوله أى ظهر من نوره) أى نور جلال عرشه ، وفى رواية « أمر الله ملائكة السموات السبع بحمل عرشه فلما بدا نورعرشه انصدع الجبل من عظمة الربّ سبحانه وتعالى » (قوله نصف أنملة الخنصر) وفى رواية « قدر منخر الثور » وفى رواية « قدر سم الخياط » وفى رواية « قدر الدرهم » (قوله بالقصر والمدّ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستويا بالأرض) أى بعد أن كان عاليا مرتفعا وقيل تفرّق ستة أجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهى أحد وورقان ورضوى ، وثلاثة بمكة ثبير وثور وحراء (قوله وخرّ موسى صعقا) أى سقط مغشيا عليه ذاهبا عن حواسه ولذا لايصعق عند النفخة (قوله فلما أفاق) أى بردّ حواسه له (قوله من سؤال مالم أومر به) أى وليس المراد أن طلب الرؤية معصية وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين (قوله فى زمانى) دفع بذلك مايقال إن قبله من المؤمنين كثيرا من الأنبياء والأمم ، وفى القصة أن موسى عليه السلام كان بعد مارجع من المكالمة لايستطيع أحد أن ينظر إليه لماغشى وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات ، وقالت له زوجته أنالم أرك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه ، فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرّت ساجدة وقالت ادع الله أن يجعلنى زوجتك فى الجنة . قال ذلك لك إن لم تتزوجى بعدى فإن المرأة لآخر أزواجها ، وورد أيضا « أنه مكث زمنا طويلا كلما سمع كلام الناس

نفر منه » (قوله قال ياموسى) هذا تسلية له على مافاته من الرؤية (قوله أهل زمانك) دفع بذلك مايقال إن من جملة الناس سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإبراهيم الخليل فيقتضى أنه مختار عليهما فأجاب بأن المراد بالناس أهل زمانه أنبياء أو غيرهم ، ولذلك كانت أنبياء بنى إسرائيل يتعبدون بالتوراة (قوله بالجمع) أى باعتبار تعدد الأحكام الموحى بها (قوله والافراد) أى مرادا بها المعنى المصدرى أى إرسالى وهما قراءتان سبعيتان

الذى هو أقوى منك (فَإِنِ اسْتَقَرَّ) ثبت (مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) أى تثبت لرؤيتى وإلا فلا طاقة لك (فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ) أى ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما فى حديث صححه الحاكم (لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا) بالقصر والمد أى مدكوكا مستويا بالأرض (وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا) مغشيا عليه لهول مارأى (فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ) تنزيها لك (تُبْتُ إِلَيْكَ) من سؤال مالم أومر به (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) فى زمانى (قَالَ) تعالى له (يَامُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ) اخترتك (عَلَى النَّاسِ) أهل زمانك (بِرِسَالَاتِي) بالجمع والإفراد (وَبِكَلَامِي) أى تكليمى إياك (فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ) من الفضل (وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لأنعمى (وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ) أى ألواح التوراة ، وكانت من سدر الجنة ، أو زبرجد ، أو زمرد سبعة أو عشرة (مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه فى الدين (مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا) تبيينا (لِكُلِّ شَيْءٍ) بدل من الجار والمجرور قبله (فَخُذْهَا) قبله قلنا مقدرا (بِقُوَّةٍ) بجد واجتهاد (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا ، بأحسنها

(قوله وبكلامى) اسم مصدر بمعنى التكليم : أى تكليمى إياك مباشرة بلا واسطة ويصح أن يراد بالكلام التوراة كما يقال للقرآن كلام الله يقال للتوراة أيضا كلام الله لأنها أفضل كتاب أنزل من السماء بعد القرآن (قوله لأنعمى) جمع نعمة ويجمع أيضا على نعم (قوله وكتبنا له فى الألواح) أى وكان طول اللوح منها اثنى عشر ذراعا ، وقيل عشرة على طول موسى والكاتب لها هو الله بلا واسطة (قوله من سدر الجنة) أى خشبها المسمى بالسدر والشاقق لها هو الله بلا واسطة (قوله أو زمرد) وقيل من ياقوتة حمراء (قوله سبعة أو عشرة) وقيل تسعة ، وقيل اثنان ويكون المراد بالجمع مافوق الواحد قال الربيع بن أنس : نزلت التوراة وهى وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها فى سنة ولم يحفظها إلا أربعة موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم السلام ، وقال الحسن : هذه الآية فى التوراة بألف آية (قوله بدل) أى قوله موعظة وتفصيلا بدل من محلّ قوله من كلّ شئ وهو النصب ، وقوله لكل شئ متعلق بتفصيلا (قوله قبله قلنا مقدرا) أشار بذلك إلى أن هذا المحذوف معطوف على كتبنا (قوله بجد واجتهاد) أى لابتراخ وكسل فإن العلم لايأتى إلا للجد المشتاق كان كسبيا أو وهبيا فلابد لمتعاطى العلم من الكد والتعب ومخالفة النفس . قال بعضهم :

بقدر الكدّ تكتسب المعالى ... ومن طلب العلا سهر الليالى
تروم العزّ ثم تنام ليلا ... يغوص البحر من طلب اللآلى

وقال بعض الظرفاء :

تجد بالروح والدنيا خليلى ... كذا الأوطان كى تدرك سناه

وهذا الخطاب لموسى والمراد غيره لأنه هو آخذ لها بقوة واجتهاد (قوله بأحسنها) أى بالأحوط منها لأن فيها عزائم ورخصا وفاضلا ومفضولا وجائزا ومندوبا فأمر قومك يأخذوا بأحوطها بأن يتبعوا العزائم ويتركوا الرخص ، وذلك كالقود والعفو ، والانتصار والصبر فالأخذ بالعفو أحسن من القود والصبر أحسن من الانتصار أو يقال إن اسم التفضيل ليس على بابه : أى بحسنها ، الاضافة بيانية ، والمعنى يعملون بجميع مافيها (قوله سأريكم) الخطاب لموسى ومن تبعه فالكاف مفعول أول ودار مفعول ثان ، والمعنى أملككم إياها بدليل قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة (قوله وهى مصر) هذا هو الأقرب ، وقيل المراد بدار الفاسقين ديار عاد وثمود وقوم لوط وقوم نوح (قوله ليعتبروا بهم) أى فى الآية إشارة إلى أنهم إن خالفوا فعل بهم كما فعل بفرعون وقومه ، وهكذا كل ظالم فاجر ولو من المسلمين إذا بغى واعتدى وتكبر وتجبر يمهل مدة ثم تصير دياره بلاقع فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، ويؤيده قوله تعالى ـ فأصبحوا لايرى إلا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ـ (قوله سأصرف عن آياتى) أى أقسى قلوبهم وأطمسها عن فهم آياتى فلا يتفكرون ولا يتدبرون (قوله بغير الحق) حال من الذين يتكبرون : أى حال كونهم متلبسين بالدين الغير الحق (قوله وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها) أى لوجود الطبع على قلوبهم وفى الآية إشارة إلى أن التكبر المعترض لايستفيد نورا ولا خيرا من الذى اعترض وتكبر عليه (قوله بأنهم كذبوا) أى بسبب تكذيبهم (قوله تقدم مثله) أى فى قوله ـ فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ـ (قوله والذين كذبوا) مبتدأ وجملة

(٩١)

بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ) فرعون وأتباعه وهى مصر لتعتبروا بهم (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ) دلائل قدرتى من المصنوعات وغيرها (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بأن أخذلهم فلا يتفكرون فيها (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ) طريق (الرُّشْدِ) الهدى الذى جاء من عند الله (لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) يسلكوه (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ) الضلال (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، ذَٰلِكَ) الصرف (بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) تقدم مثله (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) البعث وغيره (حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) ماعملوه فى الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من التكذيب والمعاصى (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد ذهابه إلى المناجاة (مِنْ حُلِيِّهِمْ) الذى استعاروه من قوم فرعون بعلة عرس فبقى عندهم (عِجْلًا) صاغه لهم منه السامرى (جَسَدًا) ،

حبطت أعمالهم خبره (قوله لعدم شرطه) أى الثواب وهو الايمان فالايمان شرط فى الثواب لأنه مقدار من الجزاء يعطى للمؤمنين فى مقابلة أعمالهم الحسنة فأعمال الكفار الحسنة لاتتوقف على نية يجازون عليها فى الدنيا أو يخفف عنهم من عذاب غير الكفر لكنه لايقال له ثواب كذا قرر الأشياخ (قوله هل يجزون) استفهام إنكارى بمعنى النفى ، ولذا أشار له المفسر بقوله ما (قوله واتخذ قوم موسى) عطف قصة على قصة والواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا لأن عبادتهم العجل كانت زمن المكالمة فى مدة العشرة الأيام الزائدة فوق الثلاثين (قوله من حليهم) جمع حلى بفتح فسكون وأصله حلوى اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وقلبت ضمة اللام كسرة لتصح الياء (قوله الذى استعاروه من قوم فرعون) أى قبل غرقهم (قوله فبقى عندهم) أى ملكا لبنى إسرائيل كما ملكوا غيره من أموالهم وديارهم ولذا أضافه الله لهم ، وأما قول المفسر استعاروه فهو باعتبار ما كان (قوله عجلا) وهذا العجل قد حرقه موسى عليه السلام ونسفه فى البحر كما قصه الله تعالى فى سورة طه (قوله صاغه لهم منه السامرى) واسمه موسى وكان ابن زنا وضعته أمه فى جبل فأرسل الله إليه جبريل فصار يرضعه من أصبعه فكان يعرفه إذا نزل إلى الأرض فلما نزل جبريل يوم غرق فرعون وكان راكبا فرسا فكان كل شىء وطئته بحافرها يخضر ويثمر ففطن موسى السامرى لذلك وعلم أن هذا التراب له أثر فأخذ شيئا منه وادخره فلما توجه موسى للمناجاة صنع لهم العجل ووضع التراب فى فيه فصار له خوار فقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فنسى كما فى سورة طه وكان موسى السامرى منافقا ، وانظر إلى من رباه جبريل حيث كان منافقا وإلى من رباه فرعون حيث كان مرسلا فان هذا دليل على أن السعادة والشقاوة بيد الله ، فقد قال بعضهم :

إذا المرء لم يخلق سعيدا من الأزل ❊ فقد خاب من ربى وخاب المؤمل

فموسى الذى رباه جبريل كافر ❊ وموسى الذى رباه فرعون مرسل

(قوله بدل) أي من عجلا أو عطف بيان (قوله لحما ودما) تفسير لجسدا (قوله له خوار) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا له جؤار بجيم فهمزة وهو الصوت الشديد (قوله فان أثره الحياة) أي بتأثير الله له (قوله ألم يروا) استفهام توبيخ وتقريع (قوله اتخذوه) كرره لمزيد التشنيع عليهم (قوله وكانوا ظالمين) أي أنفسهم أشد الظلم حيث عبدوا غير الله (قوله ولما سقط في أيديهم) فعل مبني للمجهول والجار والمجرور نائب الفاعل وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل فالفاعل ضمير يعود على الندم وقرئ شذوذا أيضا أسقط بضم الهمزة والضمير عائد على الندم والأصل على القراءة السبعية سقطت أفواههم على أيديهم في بمعنى على وذلك من شدة الندم فان العادة أن الانسان إذا ندم على شيء عض بفمه على يده فسقوط الفم على اليد لازم للندم فأطلق اللازم وأريد الملزوم على سبيل الكناية ولم تعرف هذه الكناية في لغة العرب إلا في القرآن (قوله ورأوا) الجملة حالية (قوله وذلك) أي الندم (قوله بعد رجوع موسى) أي وإنما قدم ليتصل ما قالوه بما فعلوه (قوله لئن لم يرحمنا ربنا الخ) فيها قراءتان سبعيتان بالياء والتاء فعلى قراءة الياء يكون ربنا مرفوعا على الفاعلية وعلى قراءة التاء يكون منصوبا على النداء (قوله ولما رجع موسى) أي من المناجاة (قوله غضبان) أي لما فعلوه

من عبادة العجل وقد أخبره بذلك الولي حيث قال له كما في طه فانا قد فتنا قومك من بعدك الآية (قوله أسفا) حال وكذا غضبان فتكون حالا متداخلة (قوله بئسما خلفتموني) بئس فعل ماض لانشاء الذم وما تمييز وقيل فاعل وجملة خلفتموني صفة لما والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله خلافتكم هذه والمعنى بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه (قوله من بعدي) متعلق بخلفتموني (قوله أعجلتم أمر ربكم) أي تركتموه غير تام على تضمين عجل

بدل لحما ودما (لَهُ خُوَارٌ) أي صوت يسمع انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه ومفعول اتخذ الثاني محذوف أي إلها (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) فكيف يتخذ إلها (اتَّخَذُوهُ) إلها (وَكَانُوا ظَالِمِينَ) باتخاذه (وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ) أي ندموا على عبادته (وَرَأَوْا) علموا (أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا) بها وذلك بعد رجوع موسى (قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) بالياء والتاء فيهما (لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ) من جهتهم (أَسِفًا) شديد الحزن (قَالَ) لهم (بِئْسَمَا) أي بئس خلافة (خَلَفْتُمُونِي) ها (مِنْ بَعْدِي) خلافتكم هذه حيث أشركتم (أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ) ألواح التوراة غضبا لربه فتكسرت (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) أي بشعره بيمينه ولحيته بشماله (يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) غضبا (قَالَ) يا (ابْنَ أُمَّ) بكسر الميم وفتحها أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا) قاربوا (يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ) تفرح (بِيَ الْأَعْدَاءَ) بإهانتك إياي (وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) بعبادة العجل في المؤاخذة ،

معنى سبق أو المعنى أعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الأربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم (قال (قوله وألقى الألواح) أي وكان حاملا لها (قوله فتكسرت) هذا أحد الأقوال وقيل إنه تكسر البعض وبقي البعض وقيل المراد بالقائها وضعها ليتفرغ لمكالمة أخيه فلما فرغ أخذها بعينها ولم يذهب منها شيء كما حققه زاده على البيضاوي (قوله أي بشعره بيمينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يجره إليه) حال من فاعل أخذ (قوله بكسر الميم وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان فأما قراءة الفتح فعند البصريين مبني على الفتح لتركبه تركيب خمسة عشر وعند الكوفيين ابن منادى منصوب بفتحة ظاهرة وهو مضاف لأم مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا المحذوفة للتخفيف وبقيت الفتحة لتدل عليها وأما على قراءة الكسر فعند البصريين هو منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة تخفيفا فهو كسر بناء وعند الكوفيين كسرة إعراب وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة (قوله وذكرها أعطف) جواب عما يقال إن هرون شقيق موسى فلم اقتصر في خطابه على الأم وكان هرون كثير الحلم محببا في بني إسرائيل وهو أكبر من موسى بثلاث سنين (قوله وكادوا يقتلونني) أي بذلت وسعي في نصيحتهم حتى قهروني وقاربوا قتلي (قوله فلا تشمت بي الأعداء) الشماتة فرح العدو بما ينال الشخص من المكروه .

قوله قال رب اغفرلى) أى لما تبين له عذر أخيه جمعه معه فى الدعاء استعطافا و إرضاء له (قوله إن الذين اتخذوا العجل) أى وكانوا ستمائة ألف وثمانية آلاف و بقى اثنا عشر ألفا لم يعبدوه لأن جملة من عبر البحر مع موسى ستمائة ألف وعشرون ألفا (قوله إلها) قدره إشارة إلى أن مفعول اتخذوا محذوف (قوله سينالهم) الاستقبال بالنسبة لخطاب موسى به وأما بالنسبة لنزوله على نبينا فهو ماض (قوله رجعوا عنها) أى عن السيئات التى منها عبادة العجل (قوله ولما سكت عن موسى الغضب) أى بمراجعة هرون له حيث ألان له الكلام واعتذر له وفى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الغضب بأمير قام على موسى فأمره بالقاء الألواح والأخذ برأس أخيه وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو السكوت فاثباته تخييل وفى السكوت استعارة تبعية حيث شبه السكون بالسكوت واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من السكوت سكت بمعنى سكن على طريق الاستعارة التصريحية التبعية وما وقع من موسى عليه السلام من الغضب ليس ناشئا عن سوء خلق وعدم حلم و إنما هو غضب لانتهاك حرمات الله ولا ينافى الحلم قال بعضهم :

إذا قيل حلم قل فللحلم موضع وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي) ما صنعت بأخى (وَلِأَخِي) أشركه فى الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة به (وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ) عذاب (مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة (وَكَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) على الله بالاشراك وغيره (وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا) رجعوا عنها (مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا) بالله (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) أى التوبة (لَغَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم (وَلَمَّا سَكَتَ) سكن (عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ) التى ألقاها (وَفِي نُسْخَتِهَا) أى ما نسخ فيها أى كتب (هُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه (وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ) أى من قومه (سَبْعِينَ رَجُلًا) ممن لم يعبد العجل بأمره تعالى (لِمِيقَاتِنَا) أى للوقت الذى وعدناه باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل فخرج بهم (فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لأنهم ،

وماقيل إن موسى لما كان قليل الحلم أمره الله بالإلانة الكلام لفرعون حيث قال له فقولا له قولا لينا ومحمد عليه السلام لما كان كامل الحلم أمره الله بالاغلاظ على الكفار حيث قال واغلظ عليهم فهو باطل لا أصل له و إنما الذى يقال إن كلا كامل فى الحلم وكلا مأمور بالإلانة أولا فاذا تقرر الدين وثبت وأمروا بالجهاد أمروا بالاغلاظ هذا هو الحق ومن نفى عن أحد منهم الحلم فقد كفر (قوله وفى نسختها) أى كتابتها وتسميتها نسخة باعتبار كتابتها من اللوح المحفوظ وهذا على ما قاله زاده من أن الألواح لم تتكسر وأما على ماقاله ابن عباس من أنها تكسرت فصام موسى أربعين يوما فردت عليه فى لوحين فمعنى قوله وفى نسختها أى ما نسخ من الألواح التى كسرت فى ألواح أخر فتسميتها نسخة ظاهر لأن نسخ الشيء نقله (قوله للذين هم لربهم يرهبون) أى وأما لغيرهم فليس فيه هدى ورحمة و إنما هو وبال وخسران فهى نظير القرآن مع المؤمن والمنافق قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (قوله وأدخل اللام على المفعول لتقدمه) أى فضعف عن العمل فقوى باللام والمعنى للذين هم يخافون ربهم أى يخافون عقابه (قوله أى من قومه) أشار بذلك إلى أن قوله من قومه مفعول ثان مقدم منصوب بنزع الخافض والمفعول الأول قوله سبعين (قوله سبعين رجلا) أى من شيوخهم روى أنه لم يجد إلا ستين شيخا فأوحى الله إليه أن يختار من الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا فأمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا و يتطهروا و يطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى الميقات وهو طور سيناء فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا فى الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يأمره و ينهاه فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى المرادة بالرجفة هنا وماتوا يوما وليلة وسبب أخذ الصاعقة لهم سؤالهم الرؤية وهذاقول غير ابن عباس وقال ابن عباس إن السبعين الذين سألوا الرؤية غير السبعين

الذين ذهبوا الشفاعة فالأولى أخذتهم الصاعقة بسبب سؤالهم الرؤية والثانية أخذتهم الرجفة بسبب معاشرتهم لمن عبدوا العجل وسكوتهم عليهم و إلى هذا القول يشير المفسر بقوله قال وهم غير الذين سألوا الرؤية الخ (قوله لم يزايلوا) أى لم يفارقوا قومهم (قوله وهم غير الذين سألوا الرؤية) أى لأنهم لم يكونوا فى ذلك الميعاد بل كانوا مع موسى حين أخذ التوراة فلما سمعوا كلام الله لموسى أقبلوا عليه وقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة (قوله لو شئت أهلكتهم) مفعول المشيئة محذوف تقديره إهلاكهم (قوله استفهام استعطاف) أى طلب العطف والرحمة من الله (قوله ابتلاؤك) أى اختبارك ليتبين المطيع من العاصى (قوله وأنت خير الغافرين) اسم التفضيل ليس على بابه أو على بابه باعتبار أن الغفر ينسب لغيره تعالى لكونه سببا وهو الغافر الحقيقى (قوله واكتب) أى حقق وأثبت وهذا من جملة دعاء موسى فأوله أنت ولينا وآخره إنا هدنا إليك وحينئذ فلا ينبغى جعل قوله واكتب لنا أول الربع (قوله فى هذه الدنيا حسنة) أى ماتحمد عاقبته كالعافية والايمان والمعرفة وقوله وفى الآخرة حسنة أى وهى الجنة وما احتوت عليه من اللقاء والمشاهدة (قوله إنا هدنا إليك) استئناف مسوق لتعليل الدعاء أى لأننا هدنا إليك أى رجعنا من هاد يهود إذا رجع ولذلك سميت اليهود بذلك وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم و بعد ذلك صار ذما (قوله قال عذابى) جواب من الله لموسى (قوله أصيب به من أشاء) أى فى الدنيا كقتل الذين عبدوا العجل أنفسهم وفى الآخرة بالنار لمن كفر (قوله ورحمتى وسعت كل شىء) ورد أنه لما نزلت هذه الآية فرح إبليس وقال قد

لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سألوه الرؤية وأخذتهم الصاعقة (قَالَ) موسى (رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ) أى قبل خروجى بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهمونى (وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) استفهام استعطاف أى لاتعذبنا بذنب غيرنا (إِنْ) ما (هِيَ) أى الفتنة التى وقعت فيها السفهاء (إِلَّا فِتْنَتُكَ) ابتلاؤك (تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ) إضلاله (وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ) هدايته (أَنْتَ وَلِيُّنَا) متولى أمورنا (فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَاكْتُبْ) أوجب (لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ) حسنة (إِنَّا هُدْنَا) تبنا (إِلَيْكَ قَالَ) تعالى (عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) تعذيبه (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ) عمت (كُلَّ شَيْءٍ) فى الدنيا (فَسَأَكْتُبُهَا) فى الآخرة (لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ) محمداً صلى الله عليه وسلم (الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ) باسمه وصفته،

دخلت فى رحمة الله فلما نزل فسأكتبها الخ أيس من ذلك وفرحت اليهود وقالوا نحن من المتقين الذين يؤتون الزكاة المؤمنين فأخرجهم الله منها وأثبتها لهذه الأمة بقوله الذين يتبعون الرسول الخ (قوله فى الدنيا) أى فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب فى الرحمة (قوله فسأكتبها) أى أثبتها

(قوله للذين يتقون) أى يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهى (قوله ويؤتون الزكاة) بأمرهم خصها بالذكر لمشقتها على النفوس من حيث إن المال محبوب (قوله الذين يتبعون الرسول) أى بالايمان به بعد بعثته والعمل بشريعته ورد أن الله قال لموسى أجعل لك الأرض مسجدا وطهورا تصلون حيث أدركتكم الصلاة وأجعلكم تقرءون التوراة عن ظهر قلب يحفظها الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد أن نصلى الا فى الكنائس ولا نستطيع أن نقرأ التوراة عن ظهر قلب ولا نقرؤها إلا نظرا قال فسأكتبها إلى قوله هم المفلحون فجعل هذه الأمور لهذه الأمة (قوله الأمى) أى الذى لايقرأ ولا يكتب نسب إما للأم لأنه باق على حالته التى ولد عليها أو لأم القرى وهى مكة لكونه ولد بها (قوله باسمه وصفته) أى من كونه محمدا ولد بمكة وهاجر إلى المدينة يقبل الهدية و يرد الصدقة وهكذا من أوصافه وأخلاقه العظيمة قال الخميس فى تاريخه: إن محمدا مذكور فى التوراة باللغة السريانية بلفظ المنحمنا بضم الميم وسكون النون وفتح الحاء وكسر الميم الثانية و بعدها نون مشددة بعدها ألف ومعناه محمد وذكر الحسن عن كعب الأحبار أن اسم النبى صلى الله عليه وسلم عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد المجيد وعند سائر الملائكة عبد الحميد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشياطين عبد القاهر وعند الجن عبد الرحيم وفى الجبال عبد الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وفى التوراة موذموذ وفى الانجيل طاب طاب وفى الصحف عاقب وفى الزبور فاروق وعند الله طه و محمد صلى الله عليه وسلم اه بحروفه

(قوله يأمرهم بالمعروف الخ) هذا وما بعده إلى المفلحون من جملة أوصافه المكتوبة فى التوراة والأنجيل (قوله مما حرم فى شرعهم) أى وهى لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر (قوله من الميتة ونحوها) أى كالدم ولحم الخنزير (قوله كقتل النفس) أى وتعيين القصاص فى القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل يوم السبت وكون صلاتهم لاتجوز إلا فى الكنائس ونحو ذلك من الأمور الشاقة التى كلفوا بها وتسميتها أغلالا مجاز لأن التحريم يمنع من الفعل كما أن الأغلال تمنع منه (قوله وقروه) أى عظموه (قوله ونصروه) أى أيدوه (قوله الذى أنزل معه) أى مقارنا لزمانه ومصحوبا به (قوله أى القرآن) تفسير للنور سمى القرآن بذلك لأنه ظاهر فى نفسه مظهر لغيره يهدى من الضلال المعنوى كما أن النور يهدى من الضلال الحسى (قوله أولئك هم المفلحون) أى الموصوفون بهذه الصفات فائزون ظافرون بالنجاة من الأهوال دنيا وأخرى (قوله قل يأيها الناس) أتى بهذه الآية دفعا لما يتوهم أن الفوز مخصوص بمن تبعه من أهل الكتابين فأفاد هنا أن الفوز ليس قاصرا عليهم بل كل من تبعه حصل له الفوز كان من أهل الكتابين أولا والناس اسم جنس واحده إنسان (قوله جميعا) حال من ضمير إليكم (قوله الذى له ملك السموات) يصح رفع الذى ونصبه على أنه نعت مقطوع وجره على أنه نعت متصل وقوله له ملك السموات والأرض صلة الموصول لا محل لها من الاعراب وقوله لا إله إلا هو بيان للصلة وقوله يحيي ويميت بيان لقوله لا إله إلا هو فكل واحدة من هذه الجمل كالدليل لما قبلها ولا محل لكل من الاعراب لأن الصلة لا محل لها فكذا مبينها (قوله فآمنوا بالله) تفريع على ما تقدم أى فحيث علمتم أن محمدا مرسل لجميع الناس وأن الله له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت وجب عليكم الايمان بالله ورسوله وفيه التفات من التكلم للغيبة ونكتته التوطئة للاتصاف بقوله النبى الأمى الخ (قوله الذى يؤمن بالله وكلماته) أى لأنه مرسل لنفسه (قوله لعلكم تهتدون) أى تفلحون والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق فهو بمعنى قوله فيما سبق أولئك هم المفلحون (قوله ترشدون) من باب تعب ونصر (قوله ومن قوم موسى أمة) استئناف مسوق لدفع توهم أن قوم موسى لم يحصل لهم هدى بل استمروا على ضلالهم فدفع ذلك بأن بعضهم آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وهم شرذمة قليلة كعبد الله بن سلام وأضرابه (قوله وقطعناهم) الهاء مفعوله واثنتى عشرة حال وأسباطا بدل كما قال المفسر وتمييز العدد محذوف تقديره فرقة ويصح أن قطع بمعنى صير فالهاء مفعول أول واثنتى عشرة مفعول ثان وأسباطا بدل وسبب تفرقهم كذلك أن أولاد يعقوب كانوا كذلك فكل سبط ينتمى لواحد منهم والأسباط جمع سبط وهو ولد الولد مرادف للحفيد هكذا فى كتب اللغة وتفرقة بعض العلماء بين السبط والحفيد بأن السبط ولد البنت والحفيد ولد الولد اصطلاح (قوله أى قبائل) أى كالقبائل فى التفرق والتعدد (قوله بدل مما قبله) أى فهو بدل من البدل (قوله وأوحينا إلى موسى) أى حيث أمر بقتال الجبارين هو ومن معه من بنى إسرائيل ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا وأرسلهم يأتون له بأخبار الجبارين فاطلعوا على أوصاف مهولة لهم فرجعوا وأخبروا موسى عليه السلام فأمرهم بالكتم عن قومهم فخانوا إلا اثنين منهم يوشع وكالب فجبنوا فحرم الله عليهم دخول القرية أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلما طالت عليهم المدة فى التيه عطشوا فطلبوا منه السقيا فدعا الله موسى فأمره بضرب الحجر بعصاه وهذا الحجر هو الذى فر بثوبه حين اتهموه بالأدرة خفيف مربع كرأس الرجل (قوله فانبجست) أى انفجرت .

(يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) مما حرم فى شرعهم (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) من الميتة ونحوها (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) ثقلهم (وَالْأَغْلَالَ) الشدائد (الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) كقتل النفس فى التوبة وقطع أثر النجاسة (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ) منهم (وَعَزَّرُوهُ) وقروه (وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ) أى القرآن (أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (قُلْ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) القرآن (وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ترشدون (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ) جماعة (يَهْدُونَ) الناس (بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) فى الحكم (وَقَطَّعْنَاهُمُ) فرقنا بنى إسرائيل (اثْنَتَيْ عَشْرَةَ) حال (أَسْبَاطًا) بدل منه أى قبائل (أُمَمًا) بدل مما قبله (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ) فى التيه (أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ) فضرب به (فَانْبَجَسَتْ) انفجرت (مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا) بعدد الأسباط

(قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ) سبط منهم (مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ) فى التيه من حر الشمس (وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . وَ) اذكر (إِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ) بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا) أمرنا (حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ) أى باب القرية (سُجَّدًا) سجود انحناء (نَغْفِرْ) بالنون والتاء مبنيًّا للمفعول (لَكُمْ خَطَايَاكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) بالطاعة ثوابًا (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) فقالوا حبة فى شعرة ودخلوا يزحفون على أستاههم (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا) عذابا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ . وَسْئَلْهُمْ) يا محمد توبيخًا (عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) مجاورة لبحر القلزم وهى أيلة ماوقع بأهلها (إِذْ يَعْدُونَ) يعتدون (فِي السَّبْتِ) بصيد السمك المأمورين بتركه فيه (إِذْ) ظرف ليعدون (تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا) ظاهرة على الماء .

(ويوم

(قوله مشربهم) أى عينهم الخاصة بهم (قوله وظللنا عليهم الغمام) أى السحاب يسير بسيرهم ويضيء لهم بالليل يسيرون بضوئه (قوله الترنجبين) هو شيء حلو كان ينزل عليهم مثل الثلج من الفجر إلى طلوع الشمس فيأخذ كل إنسان صاعا (قوله والطير السمانى) أى فكانت ريح الجنوب تسوقه إليهم فيأخذ كل منهم ما يكفيه (قوله مارزقناكم) أى وهو المن والسلوى (قوله وماظلمونا) أى لم يصل لنا منهم ظلم بفعلهم ذلك فان ذلك مستحيل (قوله واذكر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (قوله وإذ قيل لهم) أى بعد خروجهم من التيه (قوله بيت المقدس) وقيل أريحا وقد ذكر القولين فى البقرة فعلى الأول يكون القائل الله على لسان موسى وهم فى التيه وعلى الثانى يكون على لسان يوشع وهو المعتمد كما تقدم فى البقرة (قوله وقولوا حطة) قدر المفسر أمرنا إشارة إلى أن حطة خبر لمحذوف ومعنى أمرنا حطة أى طلبنا حطة الذنوب ومغفرتها (قوله سجود انحناء) أى فالمراد السجود اللغوى بأن يكونوا على هيئة الراكعين (قوله بالنون والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان ولكن على النون يقرأ خطايا وخطيئات وعلى التاء يقرأ خطيئاتكم وخطيئتكم بالجمع والافراد فالقراآت أربع (قوله قولا غير الذى قيل لهم) أى وفعلا غير ماأمروا به (قوله فقالوا حبة الخ) يحتمل أنه مجرد هذيان قصدوا به إغاظة موسى ويحتمل أن يكون له معنى صحيح كأنهم قالوا مطلوبنا حبة يعنى قمح فى زكائب من شعر ، وقد تقدم بسطه فى البقرة (قوله على أستاههم) جمع سته وهو الدبر (قوله عذابا) أى وهو الطاعون ومات منهم فى وقت واحد سبعون ألفا (قوله بما كانوا يظلمون) أى بسبب ظلمهم وقد غايرت هذه القصة مافى البقرة من عشرة أوجه قد تقدمت مفصلة فراجعه إن شئت (قوله واسألهم) أى اليهود الذين فى المدينة وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوبخ اليهود على كفرهم ويقول لهم أنتم قد تبعتم أصولكم فى الكفر بأنبيائهم فكانوا يقولون إن أصولنا لم تقع منهم مخالفة لربهم ولا كفر بأنبيائهم وكانوا يعرفون ماوقع لهذه القرية ويخفونه ويعتقدون أنه لاعلم لأحد غيرهم به فنزلت الآية فقصها رسول الله عليهم فبهتوا . إن قلت إن السورة مكية وهذا خطاب لأهل المدينة فالجواب أنها مكية ماعدا تلك الآيات الثمانية التى أولها واسألهم الخ فانها مدنية كما تقدم (قوله توبيخا) أى وتقريعا وتبكيتا (قوله عن القرية) أى أهلها (قوله مجاورة لبحر القلزم) أى عند العقبة بجانب القلعة (قوله إذ يعدون) أى يتعدون الحدود وكانوا فى زمن داود عليه السلام وسبب نهيهم عن الصيد يوم السبت أن الله أمرهم على لسان داود أن يتخذوا يوم الجمعة عيدا ينقطعون فيه لعبادة الله فكرهوا ذلك واختاروا السبت ومعناه فى اللغة القطع فهو إشارة إلى أنهم منقطعون عن كل خير فلما شددوا امتحنهم الله بأن حرم عليهم صيد السمك يوم السبت وأحله لهم باقى الأسبوع فكانوا يوم السبت يجدون السمك مترا كما وباقى الجمعة لم يجدوا منه شيئا ثم إن إبليس علمهم أن يصنعوا جداول حول البحر يوم السبت فاذا جاء العصر وملئت الجداول بالسمك سدوا عليه وأخذوه يوم الأحد فافترقت القرية ثلاث فرق وكانوا سبعين ألفا ففرقة اصطادت وفرقة نهتهم وضربوا بينهم وبينهم سورا وفرقة لم تصد ولم تنه فبعد أيام قلائل مسخ من اصطاد قردة وخنازير ومكثوا ثلاثة أيام وماتوا وأنجى الله الفرقة الناهية والفرقة الثالثة وقع فيها خلاف بالانجاء والاهلاك والصحيح نجاتهم (قوله حيتانهم) جمع حوت وأصل حيتان حوتان وقعت الواو ساكنة بعد كسرة قلبت ياء (قوله شرعا) حال من فاعل تأتيهم أى قريبة من الساحل .

(قوله و يوم لا يسبتون) أى لا يملون يوم سبت ، والمعنى تأتيهم حيتانهم يوم السبت ظاهرة وغير يوم السبت لا تأتيهم ، ولما كانت العبارة موهمة قال المفسر أى سائر الأيام أى باقيها (قوله ابتلاء من الله) علة لقوله تأتيهم وقوله لا تأتيهم (قوله كذلك) أى الابتلاء المتقدم (قوله بما كانوا يفسقون) أى يتجاوزون الحد (قوله ثلث صادوا معهم) المناسب حذف قوله معهم (قوله عطف على إذ قبله) أى وهو إذ يعدون (قوله لم تعظون قوما) إنما قصدوا بذلك اللوم على الناهين حيث وعظوهم فلم يقبلوا منهم (قوله أو معذبهم عذابا شديدا) أو مانعة خلو تجوز الجمع ، والمعنى مهلكهم فى الدنيا ومعذبهم فى الآخرة (قوله قالوا معذرة) قدّر المفسر موعظتنا إشارة إلى أن معذرة خبر لمحذوف وفى قراءة بالنصب على المفعول من أجله أى وعظناهم لأجل المعذرة (قوله لئلا ننسب إلى تقصير) أشار بذلك إلى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب عليهم ، ولذا ورد أنه مجمع عليه فى جميع الشرائع (قوله ولعلهم يتقون) إشارة إلى أنهم ظانون إفادة الوعظة وهو عطف على المعنى إذ التقدير موعظتنا للاعتذار ولعلهم يتقون (قوله فلما نسوا ما ذكروا به) فى الكلام حذف دلّ عليه قوله : أنجينا الذين ينهون الخ والتقدير فلما ذكر من تذكر ونسى من نسى أنجينا الخ (قوله بئيس) فعيل من بؤس إذا اشتدّ وقرئ بيئس على وزن ضيغم و بئس بكسر الباء وسكون الهمزة أو قلبها ياء و بيس بفتح الباء وتشديد الياء مكسورة و بيس بفتح الباء وسكون الياء و بائس على وزن فاعل هكذا فى البيضاوى وليست كلها سبعية (قوله كونوا) أمر تكوين لا قول فهو كناية عن سرعة التصيير إذ لا يكلف الشخص إلا بما يقدر عليه وكونهم قردة

(٩٧)

(وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ) لا يعظمون السبت أى سائر الأيام (لَا تَأْتِيهِمْ) ابتلاء من الله (كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثا ثلث صادوا معهم وثلث نهوهم وثلث أمسكوا عن الصيد والنهى (وَإِذْ) عطف على إذ قبله (قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ) لم تصد ولم تنه لمن نهى (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا) موعظتنا (مَعْذِرَةً) نعتذر بها (إِلَىٰ رَبِّكُمْ) لئلا ننسب إلى تقصير فى ترك النهى (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الصيد (فَلَمَّا نَسُوا) تركوا (مَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهِ) فلم يرجعوا (أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالاعتداء (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) شديد (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . فَلَمَّا عَتَوْا) تكبروا (عَن) ترك (مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله قال ابن عباس ما أدرى ما فعل بالفرقة الساكتة وقال عكرمة لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت لم تعظون الخ وروى الحاكم عن ابن عباس أنه رجع إليه وأعجبه (وَإِذْ تَأَذَّنَ) أعلم (رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) أى اليهود (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) بالذل وأخذ الجزية فبعث عليهم سليمان بعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم (إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ) لمن عصاه (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ) لأهل طاعته (رَّحِيمٌ) بهم .

ليس فى طاقتهم (قوله فكانوها) أى قردة ، وقيل إن شبابهم مسخوا قردة وشيوخهم خنازير ، وقيل إنّ الذين مسخوا خنازير هم أصحاب المائدة (قوله وهذا) أى قوله فلما عتوا تفصيل لما قبله وهو قوله : وأخذنا الذين ظلموا الخ (قوله لأنها كرهت ما فعلوه) أى فهى داخلة تحت قوله : أنجينا الذين ينهون عن السوء فهى وإن لم تنه صريحا لكنها نهت ضمنا (قوله أنه رجع إليه) أى إلى قول عكرمة (قوله وإذ تأذن) إذ ظرف لمحذوف تقديره اذكر وقت إذ تأذن (قوله أعلم) مفعوله محذوف والتقدير أعلم ربك أسلافهم (قوله ليبعثن) أى ليسلطنّ عليهم (قوله من يسومهم) أى يذيقهم (قوله بختنصر) علم مركب تركيبا مزجيا كبعلبك فاعرابه على الجزء الثانى والأوّل ملازم للفتح وهو غير منصرف للعلمية والتركيب المزجى ، وبخت معناه فى الأصل ابن ونصر اسم صنم ، سمى بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحا عند ذلك الصنم (قوله وسباهم) أى سبى نساءهم وصغارهم (قوله وضرب عليهم الجزية) أى على من لم يقاتل منهم (قوله فضربها عليهم) أى ولا تزال كذلك إلى نزول عيسى فلا يقبل منهم إلا الاسلام (قوله إن ربك لسريع العقاب) أى إذا تعلقت إرادته به و إلا فهو واسع الحلم .

(قوله وقطعناهم) أى بنى إسرائيل الكائنين قبل زمن النبىّ صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم دون ذلك) قدّر المفسر ناس إشارة إلى أن دون نعت لمنعوت محذوف وهو كثير إذا كان التفصيل بمن كقولهم : منا ظعن ومنا أقام ، أى منا فريق ظعن ومنا فريق أقام (قوله و بلوناهم بالحسنات والسيئات) أى اختبرناهم بالعطايا كالنعم والعافية والبلايا كالنقم والأسقام والشدائد لعلهم يرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصى إلى طاعة ربهم فلم يرجعوا (قوله فخلف من بعدهم خلف) بسكون اللام للشر و بفتحها للخير يقال خلف سوء وخلف صالح وهذه صفة من كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم إثر بيان صفات أسلافهم (قوله التوراة) أشار بذلك إلى أن أل فى الكتاب للعهد (قوله عن آبائهم) أى أسلافهم سواء كانوا صلحاء أولا (قوله عرض هذا الأدنى) سمى عرضا لتعرضه للزوال ففى الكلام استعارة تصريحية حيث شبه متاع الدنيا بالعرض الذى لايقوم بنفسه بجامع الزوال فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله و يقولون) أى زيادة على طمعهم فى الدنيا (قوله سيغفر لنا) أى لأنا أبناء الله وأحباؤه وشأن الحبيب أن لايعذب حبيبه (قوله مصرّون عليه) أى لم يقلعوا عنه فقد طمعوا فى المغفرة مع فقد شروطها إذ من أكبر شروطها الندم والإقلاع (قوله ميثاق الكتاب) أى التوراة ، والمعنى أخذ عليهم الميثاق فى التوراة أنهم لايكذبون على الله ولا يقولون إلا الحق (قوله إلا الحق) صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق لقوله أن لايقولوا والتقدير أن لايقولوا على الله إلا القول الحق (قوله فلم كذبوا عليه) أى الله (قوله أفلايعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركوا التدبر والتفكر فلايعقلون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء يكون إخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله بالتشديد) أى يمسكون غيرهم بالكتاب ويدلونه على طريق الهدى (قوله والتخفيف) أى يمسكون بالكتاب بمعنى يهتدون فى أنفسهم (قوله منهم) أى من بنى إسرائيل (قوله وأقاموا الصلاة) خصها بالذكر لأنها أعظم أركان الدين بعد التوحيد (قوله وفيه وضع الظاهر موضع المضمر) أشار بذلك إلى أن الرابط هو لفظ المصلحين لقيامه مقام الضمير على حد قول الشاعر : * سعاد التى أضناك حب سعادا * ونكتة ذلك الاشارة إلى شرفهم والاعتناء بهم (قوله وإذ نتقنا) إذ ظرف معمول لمحذوف قدّره المفسر بقوله اذكر والمقصود من ذلك الردّ على اليهود والتقبيح عليهم حيث قالوا إن بنى إسرائيل لم تصدر عنهم مخالفة لله (قوله الجبل) قيل هو الطور وقيل هو جبل من جبال فلسطين ، وقيل من جبال بيت المقدس وفى آية النساء التصريح بالطور . وسبب رفع الجبل فوقهم أنّ موسى لما جاءهم بالتوراة وقرأها عليهم فلما سمعوا مافيها من التغليظ أبوا أن يقبلوا ذلك ، فأمر الله الجبل فانقلع من أصله حتى قام على رءوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وكان ارتفاعه على قدر قامتهم محاذيا لرءوسهم كالسقيفة فلما نظروا إلى الجبل فوقهم على رءوسهم خرّوا سجدا فسجد كل واحد على خدّه وحاجبه الأيسر وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوف أن يسقط عليه ، ولذلك لاتسجد اليهود إلا على شق وجوههم الأيسر .

(وَقَطَّعْنَاهُمْ) فرقناهم (فِي الْأَرْضِ أُمَمًا) فرقا (مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ) ناس (دُونَ ذَٰلِكَ) الكفار والفاسقون (وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ) بالنعم (وَالسَّيِّئَاتِ) النقم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن فسقهم (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ) التوراة عن آبائهم (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ) أى حطام هذا الشيء الدنيء أى الدنيا من حلال وحرام (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) ما فعلناه (وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) الجملة حال أى يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرّون عليه وليس فى التوراة وعد المغفرة مع الإصرار (أَلَمْ يُؤْخَذْ) استفهام تقرير (عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ) الاضافة بمعنى فى (أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا) عطف على يؤخذ قرءوا (مَا فِيهِ) فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الاصرار (وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الحرام (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالياء والتاء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ) بالتشديد والتخفيف (بِالْكِتَابِ) منهم (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) كعبد الله بن سلام وأصحابه (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) الجملة خبر الذين وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أى أجرهم (وَ) اذكر (إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ) رفعناه من أصله ، (فوقهم

(فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا) أيقنوا (أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ) ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبوها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) بجد واجتهاد (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) بالعمل به (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَ) اذكر (إِذْ) حين (أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ) بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار (ذُرِّيَّاتِهِمْ) بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو مايتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) قال (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) أنت ربنا (شَهِدْنَا) بذلك والاشهاد (أَنْ) لا (يَقُولُوا) بالياء والتاء فى الموضعين أى الكفار (يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا) التوحيد (غَافِلِينَ) لانعرفه (أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ) أى قبلنا (وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ) فاقتدينا بهم (أَفَتُهْلِكُنَا) تعذبنا (بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) من آبائنا بتأسيس الشرك ، المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره فى النفوس (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ) نبينها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ،

(قوله فوقهم) إما حال منتظرة أو ظرف لنتقنا (قوله كأنه ظلة) حال من الجبل (قوله وظنوا) الجملة حالية من الجبل والتقدير رفعناه فوقهم والحال أنه مظنون وقوعه عليهم ومعنى الظن اليقين كما قال المفسر (قوله وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله خذوا معمول لمحذوف وهو معطوف على نتقنا (قوله لعلكم تتقون) أى تتصفون بالتقوى وهى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات أو تجعلون بينكم و بين النار وقاية تحفظكم منها (قوله وإذ أخذ ربك) عطف على قوله وإذ نتقنا عطف قصة على قصة وقدر المفسر اذكر اشارة إلى أن إذ ظرف معمول لمحذوف والحكمة فى تخصيص بنى إسرائيل بهذه القصة الزيادة فى إقامة الحجة عليهم حيث أعلمهم الله بأنه أعلم نبيه بمبدإ العالم فضلا عن وقائعهم (قوله بدل اشتمال) أى من قوله بنى آدم والأوضح أنه بدل بعض من كل لأن الظهور بعض بنى آدم كضربت زيدا يده (قوله بأن أخرج بعضهم من صلب بعض) أى فأخرج أولاد آدم لصلبه من ظهره ثم أخرج من ظهر أولاده لصلبه أولادهم وهكذا على حسب الظهور الجسمانى إلى يوم القيامة وميز المسلم من الكافر بأن جعل ذر المسلم أبيض وذر الكافر أسود . روى أنهم لما اجتمعوا قال لهم اعلموا أنه لا إله غيرى وأنا ربكم لارب لكم غيرى فلا تشركوا بى شيئا فانى سأنتقم ممن أشرك بى ولم يؤمن وإنى مرسل إليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتابا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لارب لنا غيرك فأخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب الله آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم فنظر إليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال إنى أحب أن أشكر فلما قررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض ودوّن ذلك أعادهم إلى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ منه الميثاق (قوله كالذر) قيل هو صغار النمل وقيل هو الهباء الذى يطير فى الشمس وقيل غير ذلك (قوله بنعمان) مكان بجنب عرفة (قوله وركب فيهم عقلا) أى وسمعا وروحا (قوله وأشهدهم على أنفسهم) أى قررهم فان الشهادة على النفس معناها الاقرار (قوله بلى) هى جواب للنفى ولكنها تفيد اثباته كان مجردا أو مقرونا بالاستفهام التقريرى كما هنا ولذلك قال ابن عباس لو قالوا نعم لكفروا لأن نعم لتقرير ماقبلها مثبتا أو منفيا فكأنهم أقروا بأنه ليس بربهم وإلى ذلك أشار العارف الأجهورى رضى الله عنه بقوله :

بلى جواب النفى لكنه يصير اثباتا كذا قرروا ... نعم لتقرير الذى قبلها اثباتا أونفيا كذا حرروا

(قوله شهدنا) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة الذين استشهدهم الله على ذلك فيكون الوقف على قوله بلى ، و يحتمل أن يكون من كلام الذرية و يكون المعنى أقررنا بذلك وحينئذ فلا يصح الوقف على بلى (قوله فى الموضعين) أى قوله أن يقولوا أو يقولوا والمناسب تأخير قوله فى الموضعين فعلى الياء يكون إخبارا عنهم وعلى التاء يكون خطابا لهم (قوله فاقتدينا بهم) أى نهم مؤاخذون بذلك ونحن معذورون (قوله المعنى لايمكنهم) أى معنى الجملتين (قوله مع إشهادهم على أنفسهم) أى إقرارهم عليها (قوله على لسان صاحب المعجزة) أى وهم المرسلون وهو جواب عما يقال إن هذا العهد لايذكره أحد اليوم .

(قوله ولعلهم يرجعون) عطف على ماقدره المفسر. [فائدة حسنة] ذكر القطب الشعرانى فى رسالة سماها القواعد الكشفية فى الصفات الالهية : قد ذكر العلماء فى قوله تعالى ـ و إذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ـ الآية اثنى عشر سؤالا ونحن نوردها عليك مع الجواب عنها بما فتح الله به . الأول أين موضع أخذ الله تعالى هذا العهد . والجواب أن الله أخذ ذلك عليهم ببطن نعمان وهو واد بجنب عرفة قاله ابن عباس وغيره وقال بعضهم أخذه بسرنديب من أرض الهند وهو الموضع الذى هبط آدم فيه من الجنة وقال الكلبى كان أخذ العهد بين مكة والطائف ، وقال الامام على بن أبى طالب كان أخذ العهد فى الجنة وكل هذه الأمور محتملة ولا يضرنا الجهل بالمكان بعد صحة الاعتقاد بأخذ العهد . الثانى كيف إستخرجهم من ظهره . والجواب ورد فى الصحيح أنه تعالى مسح ظهر آدم وأخرج ذريته منه كلهم كهيئة الذر ثم اختلف الناس هل شق ظهره واستخرجهم منه أو استخرجهم من بعض ثقوب رأسه وكلا الوجهين بعيد والأقرب كما قيل أنه استخرجهم من مسام شعر ظهره إذ تحت كل شعرة ثقبة دقيقة يقال لها سم مثل سم الخياط فى النفوذ لا فى السعة فتخرج الذرة الضعيفة منها كما يخرج الصئبان من العرق السائل وهذا غير بعيد فى العقل فيجب اعتقاد اخراجها من ظهر آدم كما شاء الله ولا يجوز اعتقاد أنه تعالى مسح ظهر آدم على وجه المماسة إذ لا اتصال بين الحادث والقديم . الثالث كيف أجابوه تعالى ببلى هل كانوا أحياء عقلاء أم أجابوه بلسان الحال . والجواب أنهم أجابوه بالنطق وهم أحياء عقلاء إذ لا يستحيل فى العقل أن الله يعطيهم الحياة والعقل والنطق مع صغرهم فان بحار قدرته تعالى واسعة وغاية وسعنا فى كل مسئلة أن نثبت الجواز ونكل علم كيفيتها إلى الله تعالى . الرابع فاذا قال الجميع بلى فلم قبل قوما ورد آخرين . والجواب كما قال الحكيم الترمذى أن الله تعالى تجلى للكفار بالهيبة فقالوا بلى مخافة فلم يك ينفعهم إيمانهم فكان إيمانهم كايمان المنافقين وتجلى للمؤمنين بالرحمة فقالوا بلى مطيعين مختارين فنفعهم إيمانهم . الخامس إذا سبق لنا عهد وميثاق مثل هذا فلأى شىء لا نذكره اليوم . والجواب أنا لم نتذكر هذا العهد لأن تلك البنية قد انقضت وتغيرت أحوالها بمرور الزمان عليها فى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات ثم استحال تصويرها فى الأطوار الواردة عليها من العلقة والمضغة واللحم والعظم وهذا كله مما يوجب النسيان . وكان على كرم الله وجهه يقول إنى لأذكر العهد الذى عهد إلى ربى وكان سهل التسترى يقول إنى لأعرف تلامذتى من ذلك اليوم ولم أزل أربيهم فى الأصلاب حتى وصلوا إلى . السادس هل كانت تلك الذوات مصورة بصورة الانسان أم لا والجواب لم يبلغنا فى ذلك دليل إلا أن الأقرب للعقول عدم الاحتياج إلى كونها بصورة الانسان إذ السمع والنطق لا يفتقران إلى الصورة بل يقتضيان محلا حيا لا غير . السابع متى تعلقت الأرواح بالذوات التى هى الذرية هل قبل خروجها من ظهره أم بعد خروجها منه . والجواب قال بعضهم إن الظاهر أنه تعالى استخرجهم أحياء لأنه سماهم ذرية والذرية هم الأحياء لقوله تعالى ـ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ـ فيحتمل أن الله تعالى أدخل فيهم الأرواح وهم فى ظلمات ظهر أبيهم ثم أدخلها مرة أخرى وهم فى ظلمات بطون أمهاتهم ثم أدخلها مرة ثالثة وهم فى ظلمات بطون الأرض هكذا جرت سنة الله فسمى ذلك خلقا . الثامن ما الحكمة فى أخذ الميثاق منهم . والجواب أن الحكمة فى ذلك اقامة الحجة على من لم يوف بذلك التاسع هل أعادهم إلى ظهر آدم أحياء أم استرد . أرواحهم ثم أعادهم إليه أمواتا . والجواب أن الظاهر أنه لما ردهم إلى ظهره قبض أرواحهم قياسا على مايفعله بهم إذا ردهم إلى الأرض بعد الموت فانه يقبض أرواحهم و يعيدهم فيها . العاشر أين رجعت الأرواح بعد رد الذرات إلى ظهره . والجواب أن هذه مسئلة غامضة لا يتطرق إليها النظر العقلى عندى بأكثر من أن يقال رجعت لما كانت عليه قبل حلولها فى الذرات فمن رأى فى ذلك شيئا فليلحقه بهذا الموضع . الحادى عشر قوله و إذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم والناس يقولون إن الذرية أخذت من ظهر آدم . والجواب أنه تعالى أخرج من ظهر آدم بنيه لصلبه ثم أخرج بنى بنيه من ظهور بنيه فاستغنى عن ذكر اخراج بنى آدم من آدم بقوله من بنى آدم إذ من المعلوم أن بنى بنيه لا يخرجون إلا من بنيه ومثال ذلك من أودع جوهرة فى صدفة ثم أودع الصدفة فى خرقة ثم أودع الخرقة مع الجوهرة فى حقة ثم أودع الحقة فى درج ثم أودع الدرج فى صندوق فأخرج منه تلك الأشياء بعضها من بعض ثم أخرج الجميع من الصندوق فهذا لا تناقض فيه . الثانى عشر فى أى مكان أودع كتاب العهد والميثاق والجواب قد جاء فى الحديث أنه مودع فى باطن الحجر الأسود وأن للحجر الأسود عينين وفما ولسانا فان قال قائل هذا غير متصور فى العقل فالجواب أن كل ما عسر على العقل تصوره يكفينا فيه الايمان به ورد معناه إلى الله تعالى اه ملخصا .

(وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن كفرهم ،

(واتل)

(قوله واتل عليهم) عطف على واسألهم عطف قصة على قصة (قوله آياتنا) أى وهى علوم الكتب القديمة ومعرفة الاسم الأعظم فكان يدعو به حيث شاء فيحصل بعينه وكان يرى العرش وهوجالس مكانه وكان فى مجلسه اثنا عشرألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه . وحاصل قصته على ماذكره ابن عباس وغيره أن موسى عليه السلام لما قصد قتال الجبارين ونزل أرض الكنعانيين من أرض الشام أتى قوم بلعم إليه وكان عنده الاسم الأعظم فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويخليها لبنى إسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج فادع الله أن يردهم عنا ، فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله مالا تعلمون وإنى إن فعلت ذلك ذهبت دنياى وآخرتى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤامر ربى ، وكان لايدعو حتى ينظر مايؤمر به فى المنام فآمر ربه فى الدعاء عليهم ، فقيل له فى المنام لاتدع عليهم ، فقال لقومه إنى قد آمرت ربى وإنى نهيت أن أدعو عليهم ، فأهدوا إليه هدية فقبلها وراجعوه فقال حتى أؤامر ربى فآمره فلم يؤمر بشىء ، فقال قد آمرت ربى فلم يأمرنى بشىء ، فقالوا له لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الأولى ، فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن ، فركب أتانا له متوجها إلى جبل يطلعه على عسكر بنى إسرائيل يقال له حسبان ، فلما سار على أتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها وهكذا مرارا ، فأذن الله تعالى لها فى الكلام فأنطقها له فكلمته حجة عليه ، فقالت :

(وَاتْلُ) يامحمد (عَلَيْهِمْ) أى اليهود (نَبَأَ) خبر (الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بنى إسرائيل سئل أن يدعو على موسى وأهدى إليه شىء فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ) فأدركه فصار قرينه (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ) إلى منازل العلماء (بِهَا) بأن نوفقه للعمل (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ) سكن (إِلَى الْأَرْضِ) أى الدنيا ومال إليها (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فى دعائه إليها فوضعناه (فَمَثَلُهُ) صفته (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ) بالطرد والزجر (يَلْهَثْ) يدلع لسانه (أَوْ) إن (تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) وليس غيره من الحيوانات كذلك وجملتا الشرط حال أى لاهثا ذليلا بكل حال والقصد التشبيه فى الوضع والخسة بقرينة الفاء المشعرة بترتب مابعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة قوله :

ويحك يا بلعم ! أين تذهب ؟ أماترى الملائكة أمامى تردنى عن وجهى ، ويحك تذهب إلى نبى الله والمؤمنين فتدعو عليهم فلم ينزجر فخلى الله سبيل الأتان ، فانطلقت حتى أشرف على جبل حسبان فجعل يدعو عليهم فلا يدعو بشر إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ولا يدعو بخير لقومه إلا صرف الله به لسانه إلى بنى إسرائيل ، فقال له قومه : يابلعم ، أتدرى ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم وتدعو علينا ، فقال هذا ما لاأملكه ، هذا شىء قد غلب الله عليه فاندفع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم الآن قد ذهب منى الدنيا والآخرة ولم يبق إلا المكر والخديعة فسأمكر لكم وأحتال ، احملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن إلى عسكر بنى إسرائيل يبعنها فيه ، ومروهن أن لاتمنع امرأة نفسها من رجل راودها ، فانه إن زنى رجل بواحدة كفيتموهم ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين على رجل من عظماء بنى إسرائيل وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب ، فقام إلى المرأة وأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف على موسى ، وقال إنى أظنك أن تقول هذه حرام عليك ، قال أجل هى حرام عليك لاتقربها . قال فوالله لانطيعك ثم دخل بها قبته فوقع عليها ، فأرسل الله عليهم الطاعون فى الوقت فهلك منهم سبعون ألفا فى ساعة من النهار (قوله من علماء بنى إسرائيل) أى بل قيل بنبوته والحق خلافه لأن الأنبياء معصومون من كل مايغضب الله تعالى (قوله وأهدى إليه شىء) أى فى نظير الدعاء عليهم وتسمى تلك الهدية رشوة وهى محرمة فى شرعنا لذى الجاه والمنصب (قوله واندلع لسانه) أى تدلى (قوله فأتبعه الشيطان) هذا مبالغة فى ذمه حيث كان عالما عظيما ثم صار الشيطان من أتباعه (قوله ولو شئنا لرفعناه) مفعول المشيئة محذوف تقديره رفعته (قوله بها) أى بسبب تلك الآيات (قوله ولكنه أخلد) أى مال واطمأن (قوله كمثل الكلب) أى الذى هو أخس الحيوانات (قوله إن تحمل عليه) أى تشدد عليه وتجهده يلهث أى يخرج لسانه (قوله أو تتركه) أى من غير تشديد عليه (قوله وليس غيره من الحيوانات كذلك) أى بل غيره يلهث فى حال التعب فقط (قوله ما بعدها) أى وهو الانسلاخ وقوله من

لليل الخ بيان لما قبلها (قوله ذلك مثل القوم) أي اليهود الذين أوتوا التوراة وفيها صفات النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وشمائله فتغيروا و بدلوا (قوله فاقصص القصص) أي الذى أوحي إليك ليعلموا أنك علمته من الوحي فيؤمنون (قوله على اليهود) لامفهوم له بل المراد اقصص القصص على أمتك ليتعظوا بذلك (قوله ساء مثلا القوم) ساء فعل ماض لانشاء الذم ومثلا تمييز والقوم فاعل على حذف مضاف تقديره مثل القوم والمخصوص بالذم محذوف تقديره مثلهم (قوله من يهد الله) هذا رجوع للحقيقة وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فهو المهتدى) باثبات الياء وصلا ووقفا باتفاق القراء هنا (قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا) أى بحكم القبضة الالهية حين قبض قبضة وقال هذه للجنة ولا أبالى ، وقبض قبضة وقال هذه للنار ولا أبالى ، وقوله كثيرا يؤخذ منه أن أهل النار أكثر من أهل الجنة وهو كذلك لما تقدم من أن من كل ألف واحدا للجنة والباقى للنار (قوله الحق) قدره هو ونظيره فى يبصرون و يسمعون إشارة إلى أن مفعول كل محذوف (قوله بل هم أضل) إضراب انتقالى ونكتة الاضراب أن الأنعام لاتدرى العواقب والعقلاء تعرفها فقدومهم على الضار مع علمهم بعواقبها أضل من قدوم الأنعام على مضارها (قوله أولئك هم الغافلون) أى قلبا وسمعا و بصرا وهذه علامة أهل النار المخلدين فيها (قوله ولله الأسماء الحسنى) ذكرت فى أربعة مواضع من القرآن هنا وفى آخر الإسراء وفى أول طه وفى آخر الحشر (قوله الوارد بها الحديث) أى وقد ورد بطرق مختلفة منها قوله صلى الله عليه وسلم « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد إنه وتر يحب الوتر وما من عبد يدعو بها إلا وجبت له الجنة » ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » ومنها « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد إن الله وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة » ومنها « إن لله مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له » (ومن

(١٠٢)

(ذَٰلِكَ) المثل (مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ) على اليهود (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) يتدبرون فيها فيؤمنون (سَاءَ) بئس (مَثَلًا الْقَوْمُ) أى مثل القوم (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ) بالتكذيب (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَلَقَدْ ذَرَأْنَا) خلقنا (لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا) الحق (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا) دلائل قدرة الله بصر اعتبار (وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا) الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ (أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ) فى عدم الفقه والبصر والاستماع (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة (أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ . وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن (فَادْعُوهُ) سموه (بِهَا وَذَرُوا) اتركوا (الَّذِينَ يُلْحِدُونَ) من ألحد ولحد : يميلون عن الحق (فِي أَسْمَائِهِ) حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم كاللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان (سَيُجْزَوْنَ) فى الآخرة جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهذا قبل الأمر بالقتال ،

وكلها مذكورة فى الجامع الصغير عن على وعن أبى هريرة ، والأسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على المسمى إما على الذات فقط أو الذات والصفات والاخبار بأنها تسع وتسعون ليس حصرا و إنما ذلك إخبار عن دخول الجنة باحصائها أو استجابة الدعاء بها و إلا فأسماء الله كثيرة قال بعضهم إن لله ألف اسم وقال بعضهم إن أسماءه على عدد أنبيائه فكل نبى يستمد من اسم ونبينا يستمد من الجميع (قوله والحسنى مؤنث الأحسن) أى ككبرى وصغرى مؤنث الأكبر والأصغر و إنما كانت حسنى لأن الدال يشرف بشرف مدلوله (قوله سموه بها) أى وقت دعائكم وندائكم وأذكاركم (قوله وذروا) أمر للمكلفين (قوله من ألحد ولحد) أى رباعيا وثلاثيا وهما قراءتان سبعيتان (قوله يميلون عن الحق) تفسير لكل من القراءتين ومنه لحد الميت لأنه يمال بحفره إلى جنب القبر بخلاف الضريح فانه الحفر فى الوسط (قوله حيث اشتقوا) أى اقتطعوا وهذا الإلحاد كفر و يطلق الالحاد على التسمية بما لم يرد وهو بهذا المعنى حرام لأن أسماءه توقيفية فيجوز أن يقال ياجواد ولا يجوز أن يقال ياسخى و يقال ياعالم دون عاقل وحكيم دون طبيب وهكذا (قوله جزاء ما كانوا يعملون) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف قدر ليصح الكلام إذ لا معنى لكونهم يجزون الذى كانوا يعملونه من الالحاد بل المراد جزاؤه (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) اسم الاشارة راجع لقوله وذروا الذين

يلحدون فى أسمائه فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله وممن خلقنا) الجار والمجرور خبر مقدم وأمة مبتدأ مؤخر (قوله بالحق) الباء للملابسة: أى يهدون الناس ويرشدونهم ملتبسين بالحق (قوله وبه يعدلون) أى بالحق يجعلون لأمور متعادلة مستوية لاإفراط فيها ولا تفريط (قوله كما فى الحديث) أى وهو قوله صلى الله عليه وسلم «لا تزال من أمتى طائفة على الحق إلى أن يأتى أمر الله» وعن معاوية قال وهو يخطب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «لا تزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لايضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك» وهذه الطائفة لا تختص بزمان دون زمان ولا مكان دون مكان بل هم فى كل مكان وفى كل زمان، فالاسلام دائما يعلو ولا يعلى عليه وإن كثر الفساق وأهل الشر فلا عبرة بهم ولا صولة لهم وفى هذا بشارة لهذه الأمة المحمدية بأن الاسلام فى علو وشرف وأهله كذلك إلى قرب يوم القيامة حتى تموت حملة القرآن والعلماء وينزع القرآن من المصاحف وتأتى الريح اللينة فيموت كل من كان فيه مثقال ذرة من الايمان ولا يكون هذا الأمر إلا بعد وفاة عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله والذين كذبوا بآياتنا) مبتدأ خبره الجملة الاستقبالية بعده (قوله سنستدرجهم) الاستدراج هو الاستصعاد درجة فدرجة أو الاستنزال درجة بعد درجة (قوله نأخذهم قليلا قليلا) أى نمدهم بالعطايا شيئا فشيئا وهم مقيمون على المعاصى حتى ينتهى بهم الأمر إلى الهلاك فهم يظنون أنهم فى نعم وهم فى نقم، ولذا قيل إذا رأيت الله أنعم على عبده وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج له (قوله إن كيدى متين) الكيد فى الأصل المكر والخديعة وذلك

(١٠٣)

(وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما فى الحديث (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن من أهل مكة (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نأخذهم قليلا قليلا (مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ) أمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شديد لا يطاق (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا) فيعلموا (مَا بِصَاحِبِهِمْ) محمد صلى الله عليه وسلم (مِنْ جِنَّةٍ) جنون (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الانذار (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ) ملك (السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ) فى (مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ) بيان لما فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته (وَ) فى (أَنْ) أى أنه (عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ) قرب (أَجَلُهُمْ) فيموتوا كفارا فيصيروا إلى النار فيبادروا إلى الايمان (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) أى القرآن (يُؤْمِنُونَ. مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ) بالياء والنون مع الرفع استئنافا والجزم عطفا على محل ما بعد الفاء (فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون تحيرا (يَسْأَلُونَكَ) أى أهل مكة (عَنِ السَّاعَةِ) القيامة،

مستحيل على الله، بل المراد الاستدراج وكان شديدا لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (قوله أولم يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف، والتقدير أعموا ولم يتفكروا (قوله ما بصاحبهم من جنة) سبب نزولها ماروى أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يابنى فلان يابنى فلان يحذرهم بأس الله، فقال بعضهم إن صاحبكم لمجنون بات يهوت إلى الصباح، ومعنى يهوت يصوت، وإنما نسبوه إلى الجنون لمخالفته لهم فى الأقوال والأفعال فانه كان موحدا مقبلا على الله بكليته معرضا عن الدنيا وشهواتها وهم ليسوا كذلك (قوله ملك السموات والأرض) إنما فسر الملكوت بالملك لأن الملكوت ماغاب عنا كالملائكة والعرش والكرسى والمأمور بالنظر فيه عالم الملك وهو ماظهر لنا (قوله وماخلق الله) قدر المفسر فى إشارة إلى أنه معطوف على ملكوت السموات والأرض (قوله وأن عسى) قدّر المفسر فى إشارة إلى أن الجملة فى محل جر عطفا على ماقبلها وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، وجملة عسى أن يكون قد اقترب أجلهم خبرها (قوله فبأى حديث الخ) متعلق بيؤمنون وهو استفهام تعجبى، والمعنى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن الذى هو أعظم المعجزات فبأى آية ومعجزة يؤمنون بها (قوله من يضلل الله) تذييل لما قبله خارج مخرج المثل (قوله بالياء والنون) أى مع الرفع وبالياء لاغير مع الجزم فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فعلى النون يكون التفاتا من الغيبة للتكلم لأن الاسم الظاهر من قبيل الغيبة (قوله على محل مابعد الفاء) أى وهو الجزم لأن جملة فلا هادى له جواب الشرط فى محل جزم (قوله يسئلونك) الضمير عائد على أهل مكة كما قال المفسر لأن السورة مكية إلا ماتقدم من الثمان آيات، وهذا استئناف مسوق لبيان تعنتهم فى كفرهم لأنه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم من الساعة وأهوالها (قوله القيامة) سميت ساعة إما لسرعة مجيئها قال تعالى - وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب - أو لسرعة حسابها لأن الخلق جميعا يحاسبون

فى قدر نصف نهار أو لأنها ساعة عند الله لخفتها و إن كانت فى نفسها طويلة لأن الأزمان عنده مستوية ، ولها أسماء كثيرة منها القيامة لقيام الناس لرب العالمين فيها والقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها والحاقة لأنها ثابتة والخافضة والرافعة لأنها تخفض أقواما وترفع آخرين والطامة لأنه لايمكن ردّها والصامة لأنها تصم الآذان والزلزلة لتزلزل الأرض والقلوب و يوم الفرقة لتفرقهم فى الجنة والنار واليوم الموعود لأن الله وعد فيه أقواما بالجنة وأوعد أقواما بالنار ويوم العرض لعرض الناس على ربهم ويوم المفر لقول الانسان الكافر يومئذ أين المفر واليوم العسير لشدّة الحساب فيه وزحمة الناس بعضهم على بعض حتى يكون على القدم ألف قدم ، وفى رواية: سبعون ألف قدم على قدم ، وتدنو الشمس من الرءوس حتى يكون بينها و بين الرءوس قدر المرود إلى غير ذلك من أسمائها (قوله أيان مرساها) فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الساعة بسفينة فى البحر وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشىء من لوازمه وهو الارساء فذكره تخييل ، وهذه الجملة من المبتدإ والخبر بدل من الجار والمجرور قبله ، والمعنى يسألونك عن وقت مجيء الساعة وهو فى محل نصب لأن الجار والمجرور فى محل نصب معمول ليسألونك (قوله متى تكون) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه حذف مضاف ، والتقدير إنما علم وقتها عند الله (قوله على أهلهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وفى بمعنى على و يصح أن تبقى الآية على ظاهرها لأنه لايطيقها شىء من السموات لطيها ولا الأرض لتبدلها فهى شاقة مفزعة لكل ماسوى الله (قوله لاتأتيكم إلا بغتة) أى على حين غفلة والحكمة فى إخفائها ليتأهب لها كل أحد كما أخفيت ساعة الاجابة يوم الجمعة ليعتنى باليوم كله وليلة القدر فى سائر الليالى ليعتنى بجميع الليالى والرجل الصالح فى جميع الخلق ليعتقد الجميع والصلاة الوسطى فى جميع الصلوات للمحافظة على الجميع (قوله كأنك حفى عنها) عن بمعنى الباء ، والمعنى كأنك عالم بها ومتيقن لها (قوله تأكيد) أى لما قبله لبيان أنها من الأمر المكتوم الذى استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدا إلا من ارتضاه من الرسل والذى يجب الايمان به أن رسول الله لم ينتقل من الدنيا حتى أعلمه الله أى

(١٠٤)

(أَيَّانَ) متى (مُرْسَاهَا ، قُلْ) لهم (إِنَّمَا عِلْمُهَا) متى تكون (عِنْدَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا) يظهرها (لِوَقْتِهَا) اللام بمعنى فى (إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ) عظمت (فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) على أهلهما لهولها (لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً) فجأة (يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ) مبالغ فى السؤال (عَنْهَا) حتى علمتها (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ) تأكيد (وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن علمها عنده تعالى (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا) أجلبه (وَلَا ضَرًّا) أدفعه (إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) ما غاب عنى (لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوءُ) من فقر وغيره لاحترازى عنه باجتناب المضار (إِنْ) ما (أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ) بالنار للكافرين (وَبَشِيرٌ) بالجنة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . هُوَ) أى الله (الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) ،

بجميع المغيبات التى تحصل فى الدنيا والآخرة فهو يعلمها كما هى عين يقين لما ورد « رفعت لى الدنيا فأنا أنظر فيها كما أنظر إلى كفى هذه » وورد أنه اطلع على الجنة ومافيها والنار ومافيها وغير ذلك مما تواترت به الأخبار ولكن أمر بكتمان البعض (قوله لنفسى) معمول لأملك (قوله إلاماشاء الله) أى تمليكه لى فأنا أملكه (قوله ولوكنت أعلم الغيب الخ) إن قلت إن هذا يشكل على ماتقدم لنا أنه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة ، والجواب أنه قال ذلك تواضعا أوأن علمه بالمغيب كلا علم من حيث إنه لاقدرة له على تغيير ماقدر الله وقوعه فيكون المعنى حينئذ لوكان لى علم حقيقى بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ إن قلت إن دعاءه مستجاب لايرد . أجيب بأنه لايشاء إلامايشاؤه الله فلو اطلع على أن هذا الشىء مثلا لا يكون كذا لايوفق للدعاء له إذ لايشفع ولايدعو إلا بما فيه إذن من الله واطلاع منه على أنه يحصل مادعا به ، وهو سر قوله تعالى ـ من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ، وفى ذلك المعنى قال العارف : وخصك بالهدى فى كل أمر فلست تشاء إلا مايشاء

وللخواص من أمته حظ من هذا المقام ، ولذا قال العارف أبوالحسن الشاذلى : إذا أراد الله أمرا أمسك ألسنة أوليائه عن الدعاء سترا عليهم لئلا يدعو فلا يستجاب لهم فيفتضحوا (قوله للكافرين) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بذلك لأنهم المنتفعون بذلك (قوله هو الذى خلقكم) الخطاب لأهل مكة المعارضين المعاندين (قوله من نفس واحدة) أى لأنه المالك المتصرف وهذا أعظم دليل على انفراده بالوحدانية .

(قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله سواء عليكم) استئناف مقرر لمضمون ماقبله أى سواء عليكم فى عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم عنهم فانه لايتغير حالكم فى الحالين كما لايتغير حالهم عن حكم الجمادية (قوله مملوكة) دفع بذلك مايقال إن الأصنام جمادات لاتعقل فكيف توصف بأنها مثلكم . وأجيب بأن المراد بكونهم أمثالكم أنهم مملوكون مقهورون لايملكون ضرا ولا نفعا فالتشبيه من هذه الحيثية لامن كل وجه (قوله وفضل عابديهم) إما بتشديد الضاد عطف على بين أو بسكون الضاد عطف على غاية ومعنى فضلهم زيادتهم عليهم بهذه المنافع المذكورة (قوله أم لهم) أشار المفسر إلى أن أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاضراب انتقالى من توبيخ لتوبيخ آخر (قوله يبطشون) من باب ضرب وبها قرأ السبعة وقرىء شذوذا من باب قتل والبطش هو الأخذ بعنف (قوله استفهام انكارى) أى فى المواضع الأربعة أى ليس لهم شىء من المنافع المذكورة (قوله قل ادعوا شركاءكم) أى واستعينوا بهم فى عداوتى (قوله ثم كيدون) قرىء باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا وباثباتها فى الحالين وبحذفها فى الحالين وكلها سبعية ، وفى القرآن كيدن فى ثلاثة مواضع هنا وفى هود باثبات الياء عند السبع فى الحالين وفى المرسلات بحذفها عند السبع فى الحالين (قوله إن ولى) العامة على تشديد الولى مضافا لياء المتكلم المفتوحة وفى وفى بعض الطرق بياء واحدة مشددة مفتوحة (قوله والذين تدعون من دونه) من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (قوله وإن تدعوهم) أى أيها المشركون أى تدعوا أصنامكم إلى أن يهدوكم لايسمعوا دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا أبلغ من نفى الاتباع وقوله وتراهم ينظرون الخ بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل ورأى بصرية (قوله خذ العفو) هذا أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الأخلاق وحسن معاملة الكفار إثر بيان زجرهم وإفحامهم بالخطاب ، وورد لما نزلت هذه الآية سأل النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عن معناها فقال حتى أسأل ربى فذهب ثم رجع فقال يامحمد ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، قال جعفر الصادق ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية (قوله أى اليسر من أخلاق الناس) أى ماسهل منها (قوله ولا تبحث عنها) أى لاتفتش عن الأخلاق بل اقبل ماظهر ودع ما بطن لله (قوله وأمر بالعرف) أى ماعرف حسنه فى الشرع (قوله وأعرض عن الجاهلين) إن كان المراد بالجاهلين الكفار وبالاعراض عدم مقاتلتهم فالآية منسوخة بآية القتال ، وإن كان المراد بالجاهلين ضعفاء الاسلام وأجلاف العرب وبالاعراض عدم تعنيفهم والاغلاظ عليهم فالآية محكمة وكلام المفسر يشهد للثانى ، ومن معنى ذلك قوله تعالى : فاصفح الصفح الجميل ، وهو الذى لاعتاب بعده : وفى هذه الآية تعليم مكارم الأخلاق للعباد فليس هذا الأمر من خصوصياته صلى الله عليه وسلم .

بالتخفيف والتشديد (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ) إليه (أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) عن دعائهم لا يتبعوه لعدم سماعهم (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ) مملوكة (أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) دعاءكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنها آلهة ثم بيّن غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَهُمْ أَيْدٍ) جمع يد (يَبْطِشُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ، أَمْ) بل أ (لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) استفهام إنكارى أى ليس لهم شىء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالا منهم (قُلِ) يا محمد (ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) إلى هلاكى (ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ) تمهلون فإنى لا أبالى بكم (إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ) متولى أمورى (الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ) القرآن (وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ) بحفظه (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) فكيف أبالى بهم (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ) أى الأصنام (إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ) أى الأصنام يا محمد (يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ) أى يقابلونك كالناظر (وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ خُذِ الْعَفْوَ) أى اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها (وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ) المعروف (وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) فلا تقابلهم بسفههم ،

(وإما)

(قوله أى آدم) أى وهو مخلوق من الماء والطين والماء والطين موجودان من عدم فآل الأمر إلى أن آدم وأولاده موجودون من عدم (قوله وجعل منها زوجها) أى من الضلع الأيسر فنبتت منه كما تنبت النخلة من النواة (قوله حواء) تقدم أنها سميت حواء لأنها خلقت من حى وهو آدم (قوله ليسكن إليها) هذا هو حكمة كون حواء من آدم : أى فالحكمة فى كونها منه كونه يسكن إليها و يألفها لأنها جزء منه (قوله و يألفها) عطف تفسير (قوله فلما تغشاها) التغشى كناية عن الجماع وعبر به تعليما لعباده الأدب (قوله هو النطفة) إن قلت إن الجنة لاحمل فيها ولا ولادة . أجيب بأن ذلك بعد هبوطهما إلى الأرض ، وأما جماعه لها فى الجنة فبغير نطفة ولاحمل منها ولا ولادة (قوله فمرت به) أى ترددت بذلك الحمل لعدم المشقة الحاصلة منه (قوله لما أثقلت) أى صارت ذات ثقل أودخلت فى الثقل كأصبح إذا دخل فى الصباح (قوله وأشفقا) أى خافا ، ورد أنه لما جاءها إبليس وقال لها ماهذا الذى فى بطنك فقالت لاأدرى فقال لها يحتمل أن يكون كلبا أو حمارا أو غير ذلك ، ويحتمل أن يخرج من عينك أو فمك أو تشق بطنك لإخراجه خوفها بهذا كله ، فعرضت الأمر على آدم فدعوا ربهما إلى آخر الدعاء المذكور (قوله لئن) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره والله (قوله ولدا قدره) إشارة إلى أن صالحا صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لآتيتنا لأنه بمعنى أعطيتنا (قوله لنكونن من الشاكرين) أى نزيد فى الشكر لأن الشكر يزيد و يعظم بزيادة النعم (قوله شركاء) جمع شريك ، والمراد بالجمع المفرد بدليل القراءة الثانية (قوله أى شريكا) تفسير لكل من القراءتين (قوله بتسميته عبد الحرث) أى والحرث كان اسما لإبليس فقصد اللعين بذلك انتسابه له وأنه عبده (قوله وليس بإشراك فى العبودية)

(١٠٥)

أى آدم (وَجَعَلَ) خلق (مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) و يألفها (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا) جامعها (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً) هو النطفة (فَمَرَّتْ بِهِ) ذهبت وجاءت لخفته (فَلَمَّا أَثْقَلَتْ) بكبر الولد فى بطنها وأشفقا أن يكون بهيمة (دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا) ولداً (صَالِحًا) سويًّا (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) لك عليه (فَلَمَّا آتَاهُمَا) ولدا (صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء) وفى قراءة بكسر الشين والتنوين أى شريكا (فِيمَا آتَاهُمَا) بتسميته عبد الحرث ولا ينبغى أن يكون عبدا إلا لله وليس بإشراك فى العبودية لعصمة آدم ، وروى سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لايعيش لها ولد فقال سميه عبد الحرث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحى الشيطان وأمره رواه الحاكم وقال صحيح والترمذى وقال حسن غريب (فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) أى أهل مكة به من الأصنام والجملة مسببة عطف على خلقكم وما بينهما اعتراض (أَيُشْرِكُونَ) به فى العبادة (مَالاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ) أى لعابديهم (نَصْراً وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ) بمنعها ممن أراد بهم سوءا من كسر أوغيره والاستفهام للتوبيخ (وَإِنْ تَدْعُوهُمْ) أى الأصنام (إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ)

المناسب أن يقول فى العبادة أو فى المعبودية و إنما هو إشراك فى التسمية وهو ليس بكفر بل تعمده حرام لعدم تعظيمه شرعا ، وأما النسبة للمعظم شرعا كعبد النبى وعبد الرسول فقيل بالكراهة ، والحاصل أن النسبة للمعظم شرعا لاحرمة فيها ولغيره حرام إن لم يعتقد للعبودية و إلا كان كفرا فى الجميع (قوله وروى سمرة) الحكمة فى ذكر هذه الرواية أن هذا المقام زلت فيه أقدام العلماء فمنهم من أصاب ومنهم من أخطأ ، فذكر هذه الرواية ليتضح المقام و يظهر الغث من السمين (قوله وكان لايعيش لها ولد) وذلك أنها ولدت قبل ذلك عبد الله وعبيد الله وعبيد الرحمن فأصابهم الموت وكان يلح عليها كل مرة فألح عليها فى الأخير فسمته عبدالحرث كما أفادته رواية المفسر (قوله والجملة) أى قوله ـ فتعالى الله عما يشركون ـ (قوله مسببة) عطف على قوله خلقكم أى وليس لها تعلق بقصة آدم وحواء أصلا ، و يؤيد ذلك الجمع بعد التثنية ولو كان راجعا لها لثنى الضمير وقال يشركان ، وفى قوله يشركون التفات من الخطاب إلى الغيبة (قوله أيشركون) شروع فى تو بيخ أهل مكة على الاشراك (قوله و إن تدعوهم) هذا بيان لعجز الأصنام عما هو أدنى من النصر المنفى عنها ، والخطاب للمشركين بطريق الالتفات اعتناء بمزيد التوبيخ ، وقوله الى الهدى : أى لكم : أى إن تدعوهم الى أن يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله

(وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما المزيدة (يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) أي إن يصرفك عما أمرت به صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أي يدفعه عنك (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للقول (عَلِيمٌ) بالفعل (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ) أصابهم (طَيْفٌ) وفي قراءة طائف: أي شيء ألم بهم (مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا) عقاب الله وثوابه (فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) الحق من غيره فيرجعون (وَإِخْوَانُهُمْ) أي إخوان الشياطين من الكفار (يَمُدُّونَهُمْ) أي الشياطين (فِي الْغَيِّ ثُمَّ) هم (لَا يُقْصِرُونَ) يكفون عنه بالتبصر كما تبصّر المتقون (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ) أي أهل مكة (بِآيَةٍ) مما اقترحوا (قَالُوا لَوْلَا) هلا (اجْتَبَيْتَهَا) أنشأتها من قبل نفسك (قُلْ) لهم (إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي) وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء (هَذَا) القرآن (بَصَائِرُ) حجج (مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) عن الكلام (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه وقيل في قراءة القرآن مطلقاً (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ) أي سراً (تَضَرُّعاً) تذللا (وَخِيفَةً) خوفا منه (وَ) فوق السر (دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ) أي قصداً بينهما ،

(قوله وإما ينزغنك) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر بأخذ العفو والأمر بالعرف والاعراض عن الجاهلين قال وكيف بالغضب فنزلت هذه الآية . والنزغ هو النخس وهو في الأصل حث السائق للدابة على السير والمراد منه الوسوسة فشبهت الوسوسة بالنزغ بمعنى الحث على السير واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من النزغ ينزغنك بمعنى يوسوس لك والخطاب للنبي والمراد غيره لأن الشيطان لا تسلط له عليه (قوله فاستعذ بالله) أي اطلب الاستعاذة بالله بأن تقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (قوله جواب الشرط) أي وقرن بالفاء لأنه جملة طلبية (قوله إنه سميع عليم) أي فيجيبك لما طلبت (قوله إن الذين اتقوا) أي الذين اتصفوا بامتثال الأوامر واجتناب النواهي (قوله أي شيء ألم بهم) تفسير للقراءتين أي خاطر قليل من الشيطان فاذا وسوس الشيطان لهم بفعل المعاصي أو ترك الطاعات تذكروا عقاب الله وثوابه فرجعوا لما أمر الله به ونهى عنه (قوله عقاب الله) أي في متابعة الشيطان وقوله وثوابه أي في مخالفته (قوله وإخوانهم) مبتدأ وجملة يمدونهم خبر (قوله أي إخوان الشياطين من الكفار) أي والفساق أشار بذلك إلى أن المراد بالاخوان الكفار والفساق والضمير عائد على الشياطين (قوله يمدونهم) الواو عائدة على الشياطين والهاء عائدة على الكفار والفساق فقد عاد ضمير الخبر على غير المبتدأ في المعنى (قوله ثم هم) أي الاخوان (قوله لا يقصرون) أي لا يبعدون عن الغي (قوله بالتبصر) أي التأمل والتفكر والمعنى أن الشياطين يمدون الكفار والفساق في الغي حتى لا يكفون عنه ولا يتركونه فجعل الله في هذه الآية للمتقين علامة ولغيرهم علامة (قوله وإذا لم تأتهم) رجوع لخطاب كفار مكة (قوله مما اقترحوا) أي طلبوا (قوله لولا اجتبيتها) أشار المفسر إلى أن لولا تحضيضية حيث قال هلا (قوله أنشأتها) أي اخترعتها واختلقتها (قوله وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء) أي لا يمكنني ذلك (قوله بصائر) أي سبب فيها فسمى السبب وهو القرآن باسم المسبب وهو الحجج (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بذلك لأنهم المنتفعون به (قوله فاستمعوا له) أي للقرآن (قوله نزلت في ترك الكلام في الخطبة) أي وهو واجب عند مالك والشافعي في القديم ومذهب الشافعي في الجديد الانصات سنة والكلام مكروه (قوله وقيل في قراءة القرآن مطلقا) أي فيحرم الكلام في مجلس القرآن للتخليط على القارىء ، بل يجب الانصات والاستماع فان أمن التخليط فلا حرمة وما ذكره المفسر قولان من أربع ، وثالثها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة لأنهم كانوا يتكلمون في الصلاة ، رابعها أنها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام (قوله واذكر ربك في نفسك) أي بأي نوع من أنواع الذكر كالتسبيح والتهليل والدعاء والقرآن وغير ذلك ، وقوله سرا أي إن لم يلزم عليه الكسل و إلا جهر (قوله تضرعا وخيفة) مفعولان لأجله أو حالان أي متضرعين خائفين (قوله ودون الجهر) معطوف على قوله في نفسك .

(قوله بالغدو) جمع غدوة وهى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، والآصال جمع أصيل وهو من العصر إلى الغروب وإنما خص هذين الوقتين بالذكر لأن الانسان يقوم من النوم عند الغداة فطلب أن يكون أول صحيفته ذكر الله ، وأما وقت الآصال فلأن الانسان يستقبل النوم وهو أخو الموت فينبغى له أن يشغله بالذكر خيفة أى يموت فى نومه ، فيبعث على مامات عليه ، وقيل إن الأعمال تصعد فى هذين الوقتين وقيل لكراهة النفل فى هذين الوقتين فطلب الذكر فيهما لئلا يضيع على الانسان وقته (قوله ولا تكن من الغافلين) خطاب للنبي والمراد غيره (قوله عند ربك) العندية عندية مكانة لامكان أو المراد عند عرش ربك ، وهذا كالدليل لما قبله أى فاذا كان دوام الذكر دأب من لم يجعل لهم على أعمالهم جنة ولا نار فلتكونوا كذلك بالأولى (قوله ينزهونه) أى يعتقدون تنزيهه (قوله أى يخصونه) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول (قوله بالخضوع) تفسير للسجود ، أى فالمراد بالسجود مطلق العبادة لاخصوص السجود المعروف ، وإنما خص السجود لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وهذه أول سجدات القرآن المأمور بها عند التلاوة ، والله أعلم .

[سورة الأنفال] (قوله سورة الأنفال) مبتدأ ومضاف إليه ، ومدنية خبر أول وخمس الخ

(بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ) أوائل النهار وأواخره (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) عن ذكر الله (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى الملائكة (لَا يَسْتَكْبِرُونَ) يتكبرون (عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ) ينزهونه عما لا يليق به (وَلَهُ يَسْجُدُونَ) أى يخصونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم .

(سـورة الأنفال)

(مدنية أو إلا : وإذ يمكر بك الآيات السبع فمكية خمس أو ست أو سبع وسبعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) لما اختلف المسلمون فى غنائم بدر فقال الشبان هى لنا لأنا باشرنا القتال . وقال الشيوخ كنا ردءا لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها ، نزل (يَسْأَلُونَكَ) يا محمد (عَنِ الْأَنْفَالِ) الغنائم لمن هى (قُلِ) لهم (الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) يجعلانها حيث شاءا ، فقسمها صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ، رواه الحاكم فى المستدرك (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أى حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

خبرثان (قوله أو إلا) أو لحكاية الخلاف فانه اختلف هل هى مدنية كلها وهو الصحيح أو إلا سبع آيات أولها وإذ يمكر بك الذين كفروا وآخرها بما كنتم تكفرون فمكيات وهو ضعيف ، ولا يلزم من كونها فى شأن أهل مكة أنها نزلت بها بل نزلت بالمدينة حكاية عما وقع فى مكة (قوله فى غنائم بدر) أى لأنها أول غنيمة فى الاسلام (قوله وقال الشيوخ) أى وكانوا محدقين برسول الله خوفا عليه من العدو (قوله كنا ردءا) أى عونا لكم (قوله ولو انكشفتم) أى انهزمتم حقا (قوله لفئتم) أى رجعتم (قوله يسئلونك) السؤال ان كان عن تعيين الشئ وتبيينه تعدى للمفعول الثانى بعن كما هنا ، وإن كان بمعنى طلب الاعطاء تعدى للمفعولين بنفسه كسألت زيدا مالا خلافا لمن فهم أن ما هنا من الثانى وادعى زيادة عن (قوله عن الأنفال) جمع نفل مثل سبب وأسباب ، ويقال نفل بسكون الفاء أيضا وهى الزيادة لزيادة هذه الأمة بها عن الأمم السابقة فانها لم تكن حلالا لهم بل كانوا إذا غنموا غنيمة وضعوها فى مكان ، فان قبلها الله منهم أنزل عليها نارا أحرقتها والا بقيت (قوله لله والرسول) قيل إن معنى ذلك أنها مملوكة لله وأعطاها ملكا لرسوله يتصرف فيها كيف يشاء ، وعلى هذا فقوله : واعلموا أنما غنمتم الآية ناسخة لها ، وقيل إن ما يأتى توضيح لما هنا وتفصيل له والآية محكمة فيكون المعنى لله والرسول من حيث قسمتها على المجاهدين (قوله يجعلانها حيث شاآ) أى فامتثلوا ما يأمركم به (قوله فاتقوا الله) أى امتثلوا أمره وأمر نبيه (قوله وأصلحوا ذات بينكم) أى الحالة التى بينكم وهى الوصلة الاسلامية فالمعنى اتركوا النزاع والشحناء والتزموا المودة والمحبة بينكم ليحصل النصر والخير لكم (قوله وأطيعوا الله ورسوله) أى فيما يأمركم به (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه

(قوله حقا) أى كاملين فى الإيمان فعلامة كمال الايمان طاعة الله والرسول ، وعدم وجود الحرج فى النفس . قال تعالى : فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلموا تسليما (قوله إنما المؤمنون) استئناف مسوق لبيان صفات المؤمنين فهو كالدليل لما قبله (قوله الكاملون الايمان) بالنصب على نزع الخافض أى فيه ، وفى بعض النسخ بحذف النون فيكون مضافا للايمان (قوله الذين إذا ذكر الله) وصل الذين بثلاث صلات كلها متعلقة بالقلب (قوله وجلت قلوبهم) أى فزعت لاستيلاء هيبته على قلوبهم (قوله تصديقا) أشار بذلك إلى أن التصديق يقبل الزيادة إذ لايصح أن يكون إيمان الأنبياء كإيمان الفساق ، وما قبل الزيادة قبل النقص و بذلك أخذ مالك والشافعى وجمهور أهل السنة (قوله به يثقون) أشار بذلك إلى أن على بمعنى الباء ، و يتوكلون بمعنى يثقون وقوله لابغيره حصر أخذ من تقديم المعمول والمعنى أن ثقتهم بالله لابغيره فلايعتمدون على عمل ولا على مال ولا يخافون من غيره (قوله الذين يقيمون الصلاة) أى يلازمونها فى أوقاتها مستوفية الشروط والأركان والآداب (قوله ينفقون) أى النفقة الواجبة كالزكاة أو المندوبة كالصدقة (قوله حقا) صفة لمصدر محذوف أى إيمانا حقا (قوله بلا شك) أى لظهور علامة الايمان الكامل فيهم (قوله عند ربهم) العندية عندية مكانة لا مكان (قوله ومغفرة) أى غفران لذنوبهم (قوله ورزق كريم) أى دائم مستمر لا نكد فيه ولا تعب مقرون بالتعظيم والتكريم (قوله كما أخرجك) الكاف بمعنى مثل وما مصدرية خبر لمحذوف والتقدير قسم الغنائم عموما والحال أن بعض الصحابة كارهون لذلك مثل إخراجك من بيتك والحال أنهم كارهون لذلك فهو تشبيه حكم بحكم ، أو قصة

حقا (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) الكاملون الإيمان (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ) أى وعيده (وَجِلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) تصديقا (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) به يثقون لا بغيره (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يأتون بها بحقوقها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله (أُولَئِكَ) الموصوفون بما ذكر (هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) صدقا بلا شك (لَهُمْ دَرَجَاتٌ) منازل فى الجنة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) فى الجنة (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ) متعلق بأخرج (وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ) الخروج والجملة حال من كاف أخرجك وكما خبر مبتدإ محذوف أى هذه الحال فى كراهتهم لها مثل إخراجك فى حال كراهتهم وقد كان خيراً لهم فكذلك أيضا ، وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها ، وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لأبى جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر ،

بقصة وهذا أحسن الأعاريب ولذا درج عليه المفسر ، فالمشبه قسم الغنائم عموما ، والمشبه به الخروج لقتال ذى الشوكة بجامع أن كلا كان فيه كراهة لبعض المؤمنين بحسب الصورة الظاهرية ، وفى الواقع ونفس الأمر خير ومصلحة للعموم فى كل لأن الأول ترتب عليه إصلاح ذات البين . والثانى ترتب عليه عز الاسلام ونصره (قوله من بيتك)أى الكائن المدينة أو المراد بالبيت نفس المدينة (قوله متعلق بأخرج) أى والباء سببية ، والمعنى أخرجك من بيتك بسبب الحق أى إظهار الدين ورفع شأنه و يصح أن الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الكاف فى أخرجك . أى أخرجك متلبسا بالحق أى الوحى لاعن هوى نفسك (قوله والجملة حال) أى مقدرة لأنهم وقت الخروج لم يكونوا كارهين ، و إنما طرأت الكراهة عند الأمر بقتال ذى الشوكة (قوله أى هذه الحال) أى وهى قسم الغنائم على العموم (قوله فى كراهتهم لها) هذا هو وجه المماثلة والمشابهة بينهما (قوله فكذلك أيضا) أى قسم الغنائم كان خيرا انتهاء لما فيه من إصلاح ذات البين (قوله قدم بعير) أى إبل حاملة تجارة ، وكان فيها أموال كثيرة ، ورجال قليلة نحو الأربعين (قوله فعلمت قريش) أى بإخبار ضمضمة بن عمرو الغفارى الذى اكتراه أبو سفيان ليعلم قريشا بذلك (قوله ومقاتلو مكة) أى وكانوا ألفا إلا خمسين (قوله وأخذ أبو سفيان) أى عدل عن الطريق المعتاد للمدينة وسار بساحل البحر .

(قوله فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه) أى فى المضى إلى بدر لقتال النفير (قوله فوافقوه) أى آخرا بعد أن توقف بعضهم محتجا بعدم التهيؤ، وكان إذ ذاك صلى الله عليه وسلم بوادى دقران بدال وقاف وراء بوزن سلمان واد قريب من الصفراء، وعند المشاورة قام أبو بكر وعمر فأحسنا فى القول، ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت إلى عدن ماتخلف عنك رجل من الأنصار، ثم قال مقداد بن عمرو: امض كما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أيها الناس! أشيروا علىّ وهو يريد الأنصار، فقام سعد بن معاذ فقال: كأنك تريدنا يارسول الله؟ قال أجل. قال انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق فامض يارسول الله لما أردت فانا لاننكره أن تلقى بنا عدونا وإنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك مناما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله، ثم قال رسول الله سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم (قوله يجادلونك فى الحق) أى يقيمون حجة قبالة حجة، فليس المراد بالجدال الجدال فى الباطل (قوله ظهر لهم) أى تحتم القتال (قوله كأنما يساقون إلى الموت) أى كأنهم مثل من يساق إلى القتل وهو ينظر بعينه أسبابه (قوله فى كراهتهم له) هذا هو وجه المشابهة، وسبب تلك الكراهة قلة عددهم وعددهم فقد ورد انهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكل رجال وليس فيهم إلا فرسان (قوله بخلاف النفير) أى فانه كثير العدد والعدد (قوله يظهره) جواب عما يقال إن فيه تحصيل الحاصل، وكذا يقال فى قوله ويبطل الباطل (قوله ليحق الحق) ليس مكررا مع ماقبله لأن المراد بالأول تثبيت ماوعده به فى هذه الواقعة من النصرة والظفر بالأعداء، والمراد بالثانى تقوية الدين، وإظهار الشريعة مدى الأيام (قوله إذ تستغيثون) إما خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم فقط فيكون الجمع للتعظيم، أو خطاب للنبى وأصحابه، روى عن ابن عباس قال: حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا، فاستقبل نبى الله القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه يقول: اللهم أنجز لى ماوعدتنى، اللهم آتنى ماوعدتنى، اللهم أن تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتعبد فى الأرض فمازال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ماوعدك فنزلت هذه الآية (قوله تطلبون منه الغوث) أشار بذلك إلى أن السين والتاء للطلب (قوله ممدكم بألف) ورد أن جبريل نزل بخمسمائة وقاتل بها فى يمين العسكر وفيه أبو بكر ونزل ميكائيل بخمسمائة وقاتل بها فى يسار الجيش، وفيه علىّ ولم يثبت أن الملائكة قاتلت فى وقعة إلا فى بدر، وأما فى غيرها فكانت تنزل لتكثير عدد المسلمين ولا تقاتل (قوله يردف بعضهم بعضا) أى يعقبه فى المجىء (قوله وعدهم بها أولا) أشار بذلك إلى الجمع بين ماهنا وبين ما فى آل عمران (قوله وقرىء) أى شذوذا.

(١١٠)

فشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال: إن الله وعدنى إحدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعد له كما قال تعالى (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ) القتال (بَعْدَ مَاتَبَيَّنَ) ظهر لهم (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ) إليه عيانا فى كراهتهم له (وَ) اذكر (إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ) العير أو النفير (أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ) تريدون (أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ) أى البأس والسلاح وهى العير (تَكُونُ لَكُمْ) لقلة عددها وعُددها بخلاف النفير (وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ) يظهره (بِكَلِمَاتِهِ) السابقة بظهور الإسلام (وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ) يمحق (الْبَاطِلَ) الكفر (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) المشركون ذلك. اذكر (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي) أى بأنى (مُمِدُّكُم) معينكم (بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) متتابعين يردف بعضهم بعضا، وعدهم بها أولا ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما فى آل عمران، وقرىء بآلف، كأفلس

كأفلس جمع (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أى الإمداد (إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) اذكر (إِذْ يَغْشَاكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً) أمنا مما حصل لكم من الخوف (مِنْهُ) تعالى (وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ) من الأحداث والجنابات (وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء (وَلِيَرْبِطَ) يحبس (عَلَى قُلُوبِكُمْ) باليقين والصبر (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) أن تسوخ فى الرمل (إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ) الذين أمد بهم المسلمين (أَنِّي) أى بأنى (مَعَكُمْ) بالعون والنصر (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) بالاعانة والتبشير (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) الخوف (فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) أى الرءوس (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) أى أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه، ورماهم صلى الله عليه وسلم بقبضة من الحصى فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه منها شىء فهزموا (ذَلِكَ) العذاب الواقع بهم (بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا) خالفوا (اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له ،

(قوله كأفلس) أى فأبدلت الهمزة الثانية ألفا (قوله إلا من عند الله) أى فلايتوقف على تهيؤ بعدد ولاعدد (قوله إذ يغشاكم النعاس) أى دفعة واحدة فناموا كلهم وهـذا على خلاف العادة فهى معجزة لرسول الله حيث غشى الجميع النوم فى وقت الخوف وفيه ثلاث قراآت سبعية يغشاكم كيلقاكم والنعاس مرفوع على الفاعلية ، و يغشيكم بتشديد الشين وضم ياء المضارعة و يغشيكم بتخفيف الشين وضم ياء المضارعة والنعاس منصوب على المفعولية فى هاتين القراءتين (قوله أمنة) منصوب على الحال على القراءة الأولى أوالمفعول لأجله على القراءتين الأخيرتين . قال عبد الله بن مسعود : النعاس فى القتال أمنة من الله وفى الصلاة من الشيطان . قيل إنهم لما خافوا على أنفسهم لكثرة عدد العدوّ وعددهم وقلة المسلمين وعطشوا عطشا شديدا ألقى الله عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم العطش وتمكنوا من قتال عدوّهم فكان ذلك النوم نعمة فى حقهم لأنه كان خفيفا بحيث لوقصدهم العدوّ لتنبهوا له وقدروا على دفعه (قوله من الخوف) بيان لما (قوله ليطهركم الخ) أى وذلك أنهم وقفوا فى كثيب رمل فشقّ المشى عليهم فيه من لينه ونعومته واشتدّ عليهم الخوف من أن يأتيهم العدوّ فى تلك الحالة فألقى الله عليهم النعاس فاحتلم معظمهم فاشتدّ احتياجهم إلى الماء فوسوس لهم الشيطان بما ذكره المفسر فردّ الله كيده بإنزال المطر الكثير عليهم فشربوا وتطهروا وملئوا القرب وتلبد الرمل حتى سهل المشى عليه (قوله إذ يوحى ربك) معمول لمحذوف أى اذكر ولم يقدره المفسر اتكالا على تقديره فيما سبق (قوله إلى الملائكة) أل للعهد الذكرى أى المذكورين فيما سبق فى قوله : أنى ممدكم بألف من الملائكة كما أشار إليه المفسر (قوله أنى معكم) الجملة فى محل نصب مفعول ليوحى (قوله فثبتوا الذين آمنوا) أى قووا قلوبهم ، واختلف فى كيفية هذه التقوية فقيل إن الشيطان كما أن له قوة فى إلقاء الوسوسة فى قلب ابن آدم بالسوء كذلك الملك له قوة فى إلقاء الإلهام فى قلب ابن آدم بالخير ويسمى مايلقيه الملك إلهاما ، وقيل إن ذلك التثبيت حضورهم القتال معهم ومعونتهم لهم بالقتال بالفعل ، وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى فى صفة رجل أمام الصف ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عليهم (قوله سألقى فى قلوب الذين كفروا) كالتفسير لقوله : أنى معكم وقوله فاضربوا الخ كالتفسير لقوله فثبتوا فهو لف ونشر مرتب (قوله الرءوس) تفسير للفظ فوق وقد توسع فيه حيث استعملوه مفعولا به وإن كان أصله ظرف مكان ملازما للظرفية وقيل إن لفظة فوق زائدة وقد أشار له المفسر بقوله يقصد ضرب رقبة الكافر الخ فقد أشار المفسر إلى قولين، وقيل إن فوق باقية على ظرفيتها والمفعول محذوف أى فاضربوهم فوق الأعناق ، وقيل إن فوق بمعنى على والمفعول محذوف أيضا أى فاضربوهم على الأعناق (قوله أى أطراف اليدين والرجلين) فى المصباح البنان الأصابع قيل أطرافها والواحدة بنانة (قوله إلا دخل فى عينيه) أى وفى فمه وأنفه (قوله ذلك العذاب) أى من إلقاء الرعب والقتل والأسر وقوله بأنهم الباء سببية (قوله خالفوا الله ورسوله) أصل معناها المجانبة لأنهم صاروا فى شق وجانب عن النبىّ والمؤمنين (قوله فإن الله شديد العقاب) أى وما نزل بهم فى هذا اليوم قليل بالنسبة لما ادّخر لهم عند الله .

(قوله ذلكم العذاب) اسم الاشارة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر وقوله فذوقوه لاتعلق له بما قبله من جهة الاعراب (قوله وأن للكافرين) عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه (قوله ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم) خطاب لكل من يحضر القتال (قوله زحفا) حال من المفعول به وهو الذين فهو مؤول بالمشتق أى حال كونهم زاحفين (قوله أى مجتمعين الخ) أى فالمعنى على التشبيه بالزاحفين على أدبارهم فى بطء السير وذلك لأن الجيش إذا كثر والتحم بعضه ببعض يتراءى أن سيره بطىء وإن كان فى نفس الأمر سريعا ، وفى المصباح زحف القوم زحفا من باب نفع (قوله فلاتولوهم الأدبار) ويطلق الدبر على مقابل القبل ويطلق على الظهر وهو المراد هنا والمقصود ملزوم تولية الظهر وهو الانهزام فهذا اللفظ استعمل فى ملزوم معناه كما أشار له المفسر بقوله منهزمين والأدبار مفعول ثان لتولوهم وكذا دبره مفعول ثان ليولهم وفى الآية تعريض حيث ذكر لهم حالة تستهجن من فاعلها فى تعبيره بلفظ الدبر دون الظهر (قوله أى يوم لقائهم) حل معنى وإلا فمقتضى التنوين فى إذ أن يقول يوم لقيتموهم لأنه عوض عن جملة (قوله إلا متحرفا) فى نصبه مع ماعطف عليه وجهان أحدهما أنه حال والثانى أنه مستثنى من ضمير المؤمنين (قوله الفرة) بفتح الفاء وهى المرة من الفر بمعنى الفرار أى الهرب وقوله مكيدة أى خديعة ومكرا وقوله وهو يريد الكرة أى الرجعة لأن الكرة المرة من الرجوع والكر الرجوع وهذا أحد أبواب الحرب ومكايدها (قوله أومتحيزا) التحيز والتحوز الانضمام وأصل تحيز تحيوز اجتمعت

الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت الياء

(ذَٰلِكُمْ) العذاب (فَذُوقُوهُ) أيها الكفار فى الدنيا (وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ) فى الآخرة (عَذَابَ النَّارِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا) أى مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون (فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) منهزمين (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ) أى يوم لقائهم (دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا) منعطفا (لِقِتَالٍ) بأن يريهم الفرة مكيدة وهو يريد الكرة (أَوْ مُتَحَيِّزًا) منضما (إِلَىٰ فِئَةٍ) جماعة من المسلمين يستنجد بها (فَقَدْ بَاءَ) رجع (بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ) ببدر بقوتكم (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) بنصره إياكم (وَمَا رَمَيْتَ) يا محمد أعين القوم (إِذْ رَمَيْتَ) بالحصى لأن كفا من الحصى لايملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ) بايصال ذلك إليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً) عطاء (حَسَنًا) هو الغنيمة (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لأقوالهم (عَلِيمٌ) بأحوالهم (ذَٰلِكُمْ) الإبلاء حق (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ) مضعف (كَيْدِ الْكَافِرِينَ ، إِنْ تَسْتَفْتِحُوا)

فى الياء (قوله يستنجد) أى يستنصر ويستعين (قوله فقد باء بغضب) جواب الشرط وهو من والباء للملابسة أى ملتبسا ومصحوبا بغضب (قوله ومأواه) أى مسكنه وفى الآية وعيد عظيم ولذلك قيل إن الفرار أكبر الكبائر بعد الكفر (قوله مخصوص) أى مقصور أى فان زادت عن الضعف كما إذا كان المسلمون ربع الكفار فلايحرم الفرار (قوله فلم تقتلوهم) نزلت هذه الآية لما افتخر المسلمون أيها

بعد رجوعهم من بدر فكان الواحد منهم يقول: أنا قتلت كذا أسرت كذا فعلمهم الله الأدب بقوله فلم تقتلوهم الخ والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم (قوله ولكن الله قتلهم) قرئ بتشديد لكن وتخفيفها فعلى التخفيف تكون مهملة ولفظ الجلالة مرفوع على الابتداء وعلى التشديد تكون عاملة عمل إن ولفظ الجلالة منصوب على أنه اسمها وهما قراءتان سبعيتان (قوله ومارميت إذ رميت) ظاهره التناقض حيث جمع بين النفى والاثبات والجواب أن المنفى الرمى بمعنى إيصال الحصى لأعينهم والمثبت فعل الرمى كما أشار لهذا الجواب المفسر بقوله بايصال ذلك إليهم (قوله ولكن الله رمى) فيه القراءتان المتقدمتان وقد علمت أن حكمة قوله تعالى : فلم تقتلوهم التأديب لبعض المؤمنين ، وأما حكمة قوله تعالى : ومارميت فاثبات أنها معجزة من الله لنبيه لتذكر من جملة معجزاته التى أمر بالتحدث بها قال تعالى : وأما بنعمة ربك فحدث ، وقال البوصيرى :

ورمى بالحصى فأقصد جيشا   ما العصا عنده وما الإلقاء

(قوله فعل) أى الله ذلك أى القتل والرمى وقوله ليقهر الخ قدره ليعطف عليه وليبلى (قوله عطاء) أى فالمراد من الإبلاء الاعطاء فهو إبلاء بخير لا بشر فان البلاء يقع على النعمة وعلى المحنة لأن أصله الاختبار وذلك كما يكون بالمحنة لاظهار الصبر يكون بالنعمة لاظهار الشكر (قوله ذلكم) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله حق ، وقوله

وأن الله يجوز أن يكون معطوفا على ذلكم ليكون فى محل رفع بالابتداء وخبره محذوف أيضا ، والمعنى ذلكم الابلاء للمؤمنين حق وتوهين كيد الكافرين حق وموهن بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين فكيد منصوب على المفعولية به ويقرأ بسكون الواو وتخفيف الهاء من أوهن كأكرم منونا أو مضافا إلى كيد فالقراءات ثلاث وكلها سبعية (قوله أيها الكفار) أى فهو خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم لأنهم الذين وقع بهم الهلاك والفتح وقع لغيرهم (قوله أى القضاء) أى الحكم بينكم وبين محمد بنصر الحق وخذلان المبطل (قوله حيث قال أبوجهل) أى وغيره من قريش حين أرادوا الخروج إلى بدر تعلقوا بأستار الكعبة ودعوا بما ذكره المفسر (قوله أينا) أى الفريقين يعنى نفسه ومن معه ومحمدا ومن معه وهو يزعم أن محمدا هو القاطع للرحم حيث خرج من بلده وترك أقاربه (قوله فأحنه الغداة) الحين بالفتح الهلاك يقال حان الرجل هلك وأحانه الله أهلكه والغداة ظرف للحين أى أهلكه فيما يستقبل (قوله وفتحها على تقدير اللام) أى فهما قراءتان سبعيتان أى واللام المقدرة للتعليل (قوله يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله) أى دوموا على طاعته وعلى عدم التولى يدم لكم العز الذى حصل ببدر (قوله إن شر الدواب الخ) نزلت فى جماعة من بنى عبد الدار بن قصى كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد وتوجهوا مع أبى جهل حاملين اللواء لقتال النبى وأصحابه ببدر فقتلوا جميعا ولم يسلم منهم إلا اثنان مصعب بن عمير وسبيط بن حرملة والدواب فى اللغة مادب على وجه الأرض عاقلا أو غيره وفى العرف مخصوص بالخيل والبغال والحمير وفى الآية غاية الذم لهم بأنهم أشر من الكلب والخنزير والحمير (قوله ولو علم الله فيهم خيرا) هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم على عدم إيمانهم ولو

أيها الكفار أى تطلبوا الفتح أى القضاء حيث قال أبو جهل منكم : اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرفه فأحنه الغداة أى أهلكه (فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ) القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وَإِنْ تَنْتَهُوا) عن الكفر والحرب (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا) لقتال النبى صلى الله عليه وسلم (نَعُدْ) لنصره عليكم (وَلَنْ تُغْنِيَ) تدفع (عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ) جماعاتكم (شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) بكسر إن استئنافا ، وفتحها على تقدير اللام (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا) تعرضوا (عَنْهُ) بمخالفة أمره (وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ) القرآن والمواعظ (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ) عن سماع الحق (الْبُكْمُ) عن النطق به (الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا) صلاحا بسماع الحق (لَأَسْمَعَهُمْ) سماع تفهم (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ) فرضا وقد علم أن لاخير فيهم (لَتَوَلَّوْا) عنه (وَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن قبوله عنادا وجحودا (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ) بالطاعة (إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) ،

حرف امتناع لامتناع ، والمعنى امتنع سماعهم الخير سماع تفهم لامتناع علم الخير فيهم (قوله ولو أسمعهم) هذا ترق فى التسلية والمعنى لو فرض أن الله أسمعهم سماع تفهم لتولوا وهم معرضون عنه عنادا فلا تحزن على كفرهم فإن كفرهم ثابت مطلقا فهموا الحق أولا هذا حاصل معنى الآية . واستشكل ظاهرها بأن الآية دلت على قياس حاصله لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا ينتج لو علم الله فيهم خيرا لتولوا وهو فاسد إذ لو علم الله الخير فيهم لآمنوا ولم يكفروا. وأجيب بجوابين الأول أن الحد المكرر لم يتحد معنى وشرط الانتاج اتحاده معنى لأن المراد بالاسماع الأول الموجب للفهم والاذعان والاسماع الثانى للفهم من غير إذعان . الثانى أن الكلام تم عند قوله لأسمعهم وقوله ولو أسمعهم ترق فى التشنيع عليهم فالمعنى هم لم يؤمنوا ولم ينقادوا عند التفهم على فرض حصوله فعدم إيمانهم عند عدمه أولوى نظير لو لم يخف الله لم يعصه ولكن توليهم عند ظهور الحق عناد وجحود وعند عدمه جهل (قوله استجيبوا) السين والتاء زائدتان للتوكيد (قوله إذا دعاكم) أفرد لأن دعوة الرسول فى الحقيقة هى لله وذكر الرسول أولا لأنه المبلغ عن الله فعدم طاعته مخالفة لله (قوله لما يحييكم) ما إما نكرة وجملة يحييكم صفة لها أو اسم موصول وما بعدها صلة والمعنى لما فيه حياتكم الأبدية

(قوله من أمر الدين) أى وهو الايمان والاسلام وقيل هو القرآن لأنه حياة القلوب و به النجاة من أهوال الدنيا والآخرة وقيل هو الحق مطلقا ، وقيل الجهاد فى سبيل الله وأتمها ماقاله المفسر (قوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه وذلك كناية عن كونه أقرب للشخص من قلبه ومن قلبه لذاته بل هو أقرب من السمع للأذن ومن البصر للعين ومن اللمس للجسد ومن الشم للأنف ومن الذوق للسان فشبه القرب بالحيلولة واستعير اسم المشبه به وهو الحيلولة للمشبه وهو القرب واشتق من الحيلولة يحول بمعنى يقرب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية (قوله فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته) تقدم أنه لامفهوم للكفر والايمان بل السمع والبصر والشم والذوق واللمس فى قبضة الله سبحانه إن شاء أبقاه و إن شاء أذهبه و إنما خص الايمان والكفر لأن مناط السعادة والشقاوة بهما (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله واتقوا فتنة) أى سبب فتنة وهى المعاصى فانها سبب لنزول المصائب الدنيوية (قوله لاتصيبن) الجملة صفة لفتنة ولانافية وتصيبن فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة وهو واقع فى جواب شرط مقدرقدره المفسر بقوله إن أصابتكم وليس جوابا للأمر لأن المرتب على تقواها عدم إصابتها أحدا لاخصوصا ولا عموما و إنما أكد الفعل المضارع المنفى بالنون إجراء له مجرى النهى (قوله بل تعمهم وغيرهم) أى فالظالم لظلمه وغير الظالم لاقراره وسكوته وعدم نهيه عن المنكر وفى الحديث

مامعناه «مثل الظالم كمثل جماعة فى أسفل مركب ومثل غير الظالم كمثل جماعة فى أعلى المركب فأراد أهل الأسفل أن يخرقوا خرقا يستقون منه فان سلم لهم أهل الأعلى هلكوا جميعا ، و إن قاموا عليهم نجوا جميعا » قال ابن عباس أمر الله المؤمنين أن لايقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم ، وفى الحديث «إن الله لايعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلاينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة» وورد «إذا عملت الخطيئة فى الأرض كان من شهدها فأنكرها كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها » إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة فى ذلك فاذا علمت ذلك فلا تشكل هذه بقوله تعالى ـ ولا تزر وازرة وزر أخرى ـ لما علمت أن الساكت على المنكر مؤاخذ بوزر نفسه لا بوزر المباشر (قوله واذكروا) خطاب للنبى وأصحابه نزلت بعد غزوة بدر (قوله مستضعفون) أى مظهرون الضعف لعدم أمركم بالقتال (قوله الغنائم) أى فلما هاجروا وأمروا بالقتال تركوا التجارة وصار رزقهم من الغنائم ، وفى الحديث «جعل رزقى تحت ظل رمحى» (قوله لعلكم تشكرون) أى فتزدادوا من النعم لأن بالشكر تزداد النعم قال تعالى : لئن شكرتم لأزيدنكم (قوله ونزل فى أبى لبابة) اسمه مروان كما فى بعض النسخ وقيل رفاعة (قوله وقد بعثه الخ) . حاصل قصته أن رسول الله حاصر قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر وقيل بضعة عشر يوما ، فلما اشتد عليهم الأمر قام عليهم رئيسهم كعب بن أسد وعرض عليهم الايمان فقال يامعشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ماترون و إنى أعرض عليكم خصالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وما هى ؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقدتبين أنه نبى مرسل وأنه الذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فأبوا فقال هلم نقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مجردين السيوف من أغمادها لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا و بين محمد فقالوا أى عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا فقال إن هذه الليلة ليلة السبت

من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) فيجازيكم بأعمالكم (وَاتَّقُوا فِتْنَةً) إن أصابتكم (لَاتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً) بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن خالفه (وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ) أرض مكة (تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) يأخذكم الكفار بسرعة (فَآوَاكُمْ) إلى المدينة (وَأَيَّدَكُمْ) قواكم (بِنَصْرِهِ) يوم بدر بالملائكة (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الغنائم (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) نعمه . ونزل فى أبى لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه صلى الله عليه وسلم إلى بنى قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ،

(يأيها

وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة فقالوا نفسد سبتنا وقد علمت مسخ من خالف السبت فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث لنا أبا لبابة نستشيره فى أمرنا فأرسله إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وفزع النساء والصبيان يبكون فى وجهه فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح فقال أبو لبابة فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى خنت الله ورسوله ثم انطلق وسلك طريقا أخرى فلم يأت رسول الله حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكانى هذا حتى يتوب الله على مما صنعت فلما بلغ خبره رسول الله وقد استبطأه قال أما لو جاءنى لاستغفرت له وأما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه فأقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال وقيل بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره وكانت امرأته تأتيه فى وقت كل صلاة فتحله للصلاة ثم تربطه ثم نزلت توبته فى بيت أم سلمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم سحرا فقام يضحك فقالت أم سلمة مم تضحك ؟ أضحك الله سنك قال تيب على أبى لبابة قالت أفلا أبشره يارسول الله قال بلى إن شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فتسارع إليه الناس ليطلقوه ، فقال لا والله حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقنى بيده فلما أصبح الصبح أطلقه فلما اشتد الحصار على بنى قريظة أطاعوا وانقادوا أن ينزلوا على حكم رسول الله فحكم فيهم سعد بن معاذ وكان فى خيمة فى المسجد الشريف لامرأة من أسلم يقال لها رفيدة وكانت تداوى الجرحى حسبة فأتى به فلما حضر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا لسيدكم فقاموا إليه فقالوا إن رسول الله ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فقال سعد إنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة والرقيع السماء ففعل بهم كما قال سعد (قوله يأيها الذين آمنوا) إنما عمم الخطاب إشارة إلى الستر عليه وأن العبرة بعموم

(١١٥)

(يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ، وَ) لا (تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ) ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ . وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) لكم صادة عن أمور الآخرة (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم . ونزل فى توبته (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ) بالإنابة وغيرها (يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا) بينكم وبين ماتخافون فتنجون (وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَ) اذكر يا محمد (إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) وقد اجتمعوا للمشاورة فى شأنك

اللفظ لا بخصوص السبب (قوله وتخونوا) معطوف على الفعل قبله فهو فى حيز النهى ، ولذا قدر المفسر لا فهو نهى عن الخيانتين (قوله وأنتم تعلمون) الجملة حالية من فاعل تخونوا (قوله صادة) أى مانعة (قوله فلا تفوتوه بمراعاة الأموال الخ) أى لأنها أمور زائلة فانية وسعادة الآخرة لانهاية لها فهى أولى بتقديمها على مايفنى (قوله فرقانا) أى نجاة مما تخافون وقد أشار لهذا المفسر بقوله فتنجون ، وقيل المراد بالفرقان النور الكائن فى القلب الذى يفرق به بين الحق والباطل وهو أولى (قوله ويكفر عنكم سيئاتكم) أى يمحها فقوله ويغفر لكم عطف مرادف عليه (قوله وإذ يمكر بك) إذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهذا تذكير لنعمة الله على نبيه إثر تذكير نعمة الله على المؤمنين بقوله : واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض . والمكر الاحتيال على إيصال الضرر للغير . وحاصل ذلك أن قريشا عرفوا لما أسلم الأنصار أن أمر رسول الله يتفاقم ويظهر فاجتمع نفر من كبار قريش فى دار الندوة ليتشاوروا فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رؤساؤهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل وأبو سفيان وطعمة بن عدى والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود فجاءهم إبليس فى صورة شيخ نجدى ، فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ قال أنا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ، ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا له ادخل فدخل ، فقال أبو البخترى أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا وتحبسوه فى بيت مقيدا وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه حتى يهلك فصرخ ذلك الشيخ النجدى وقال بئس الرأى إن أصحابه يقاتلونكم ويخرجونه قهرا عليكم فقالوا صدق الشيخ النجدى فقال هشام بن عمرو إنى أرى أن تحملوه على بعير فتخرجوه من بين أظهركم بلا يضركم ماصنع فقال ذلك الشيخ النجدى ماهذا برأى تعمدون إلى رجل قد اتبعه سفهاؤكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم ألم تروا إلى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين فيسير بهم إليكم ليخرجكم من بلادكم فقال أبو جهل إنى أرى

أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابا نسيبا ويعطى كل شاب سيفا صارما ثم يضربونه ضربة واحدة فإذا قتل تفرق دمه فى القبائل ولا أظن أن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها غايته يطلبون ديته وهو أمر سهل فقال إبليس إنه أجودكم رأيا فتفرقوا على ذلك فأتى جبريل وأخبر رسول الله بذلك وبأن الله أذن له فى الخروج إلى المدينة فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فأمر رسول الله عليا أن يبيت بمضجعه، وقال له تسج ببردتى فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أخذ الله أبصارهم فلم يره منهم أحد ونثر على رءوسهم التراب وهو يتلو قوله تعالى ـ يس ـ إلى قوله ـ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ـ ثم أتاهم آت فقال لهم إن محمدا خرج عليكم ووضع التراب على رءوسكم فما من رجل منهم أصابه ذلك التراب إلا قتل يوم بدر كافرا (قوله بدار الندوة) أى بالدار التى يقع فيها الحديث والاجتماع وهى أول دار بنيت بمكة فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدرى بمائة ألف درهم ثم صارت كلها بالمسجد الحرام وهى فى جانبه الشمالى (قوله ليثبتوك) هذا إشارة لرأى أبى البخترى (قوله أو يقتلوك) أى شبان القبائل كلهم قتلة رجل واحد وهو إشارة لرأى أبى جهل (قوله أو يخرجوك) هو إشارة لرأى هشام بن عمرو (قوله ويمكرون بك) أى يحتالون ويتدبرون فى أمرك (قوله بتدبير أمرك) جواب عما يقال إن حقيقة المكر محالة على الله تعالى لأنه الاحتيال على الشىء من أجل حصول العجز عنه. وأجيب أيضا بأن المراد

بمكر الله معاملته لهم معاملة الماكر حيث خيب سعيهم وضيع أملهم أو المراد جازاهم على مكرهم فسمى الجزاء مكرا لأنه فى مقابلته (قوله أعلمهم به) دفع بذلك ما يقال إن المكر لا خير فيه. وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه (قوله وإذا تتلى عليهم) هذا من جملة قبائح أهل مكة (قوله مثل هذا) تنازعه كل من سمعنا وقلنا (قوله الحيرة) بلدة بقرب الكوفة (قوله أخبار الأعاجم) أى كالفرس والروم (قوله إلا أساطير) جمع أسطورة كأكاذيب حيث جمع أكذوبة وزنا ومعنى وقد ردّ الله عليهم تلك المقالة بقوله تعالى ـ قل فأتوا بعشر سور مثله ـ وقال أيضا ـ قل فأتوا بسورة مثله ـ فعجزوا عن ذلك، وقال البوصيرى:

سور منه أشبهت صورا منـا ومثل النظائر النظراء

(قوله وإذ قالوا) هذا من جملة قبائحهم الشنيعة (قوله هو الحق) القراء السبعة على نصب الحق خبرا لكان وهو ضمير فصل لا محل له من الإعراب وقرئ شذوذا برفعه على أنه خبر للضمير والجملة خبر لكان (قوله من عندك) حال من الحق (قوله حجارة من السماء) أى من سجيل مسومة كما أرسلتها على أصحاب الفيل (قوله بعذاب أليم) أى كالصيحة والخسف (قوله قاله النضر) أى ابن الحارث وقوله أو غيره أى وهو أبو جهل ولا مانع من أن كلا قال ذلك (قوله استهزاء) أى سخرية به صلى الله عليه وسلم (قوله وإيهاما أنه على بصيرة) أى لأن أصعب الأيمان الدعاء على النفس (قوله بما سألوه) أى وهو الحجارة أو العذاب الأليم ولا بالعذاب العام لرفعه ببركته صلى الله عليه وسلم (قوله وأنت فيهم) أى فى بلدهم فإن خرجت منها أنت والمؤمنون عذبهم الله على أيديكم عذابا خاصا بهم (قوله وما كان الله معذبهم) أى عذابا عاما ولا خاصا (قوله وهم يستغفرون) الجملة حالية من الضمير فى معذبهم، والمعنى أن الله لا يعذبهم والحال أنهم يستغفرون فاستغفارهم نافع لهم بعدم نزول العذاب عليهم. إن قلت يشكل على هذا قوله تعالى ـ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ـ وقوله تعالى ـ وما دعاء الكافرين إلا فى تباب ـ. أجيب بأن استغفارهم نافع لهم فى الدنيا فقط وأما هاتان الآيتان

بدار الندوة (لِيُثْبِتُوكَ) يوثقوك ويحبسوك (أَوْ يَقْتُلُوكَ) كلهم قتلة رجل واحد (أَوْ يُخْرِجُوكَ) من مكة (وَيَمْكُرُونَ) بك (وَيَمْكُرُ اللَّهُ) بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) أعلمهم به (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) القرآن (قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا) قاله النضر بن الحرث لأنه كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة (إِنْ) ما (هَٰذَا) القرآن (إِلَّا أَسَاطِيرُ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ. وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا) الذى يقرؤه محمد (هُوَ الْحَقَّ) المنزل (مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم على إنكاره قاله النضر أو غيره استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة وجزم ببطلانه قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ) بما سألوه (وَأَنْتَ فِيهِمْ) لأن العذاب إذا نزل عم ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)،

فالمراد منهما مايحصل فى الآخرة فأعمال الكفار الصالحة التى لاتفتقر إلى نية كالصدقات وفعل المعروف والاستغفار تنفعهم فى الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها ولا تنفعهم فى الآخرة (قوله وقيل هم المؤمنون) أى فضمير معذبهم يعود إلى أهل مكة وقوله وهم الضمير عائد على أهل مكة باعتبار مجموعهم وهم المؤمنون (قوله لو تزيلوا) أى تميز المؤمنون عن الكفار (قوله ومالهم أن لايعذبهم الله) أى أى شىء ثبت لهم فى عدم تعذيب الله لهم أى لامانع لهم منه (قوله والمستضعفين) أى وخروج المستضعفين أيضا (قوله وعلى القول الأول) أى وهو كون الضمير عائدا على الكفار (قوله هى ناسخة لما قبلها) أى وهى قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون لأنه أخبر أولا أنه لايعذبهم مع استغفارهم وأخبر ثانيا أنه يعذبهم ولا يبالى باستغفارهم، والوجه أنها ليست منسوخة لأنها خبر والأخبار لاتنسخ وأيضا استغفارهم قد انقطع بخروجهم للمقاتلة لارتباط استغفارهم بالبيت (قوله وهم يصدّون) الجملة حالية من ضمير يعذبهم (قوله أن يطوفوا به) أى النبى والمؤمنون (قوله وما كانوا أولياءه) ردّ لقولهم نحن ولاة البيت فنصدّ من نشاء وندخل من نشاء (قوله إن أولياؤه إلا المتقون) أى المجتنبون

حيث يقولون فى طوافهم غفرانك غفرانك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال: لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هى ناسخة لما قبلها وقد عذبهم الله ببدر وغيره (وَهُمْ يَصُدُّونَ) يمنعون النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين (عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أن يطوفوا به (وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ) كما زعموا (إِنْ) ما (أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن لاولاية لهم عليه (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً) صفيرا (وَتَصْدِيَةً) تصفيقا أى جعلوا ذلك موضع صلاتهم التى أمروا بها (فَذُوقُوا الْعَذَابَ) ببدر (بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ) فى حرب النبى صلى الله عليه وسلم (لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ) فى عاقبة الأمر (عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) ندامة لفواتها وفوات ماقصدوه (ثُمَّ يُغْلَبُونَ) فى الدنيا (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (إِلَىٰ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (يُحْشَرُونَ) يساقون (لِيَمِيزَ) متعلق بتكون بالتخفيف والتشديد أى يفصل (اللَّهُ الْخَبِيثَ) الكافر (مِنَ الطَّيِّبِ) المؤمن (وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا) يجمعه متراكما بعضه على بعض (فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) كأبى سفيان وأصحابه،

الشرك (قوله أن لاولاية لهم عليه) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله إلا مكاء) استثناء من الصلاة على حسب زعمهم حيث ادعوا أن المكاء والتصدية من جنس الصلاة فالاستثناء زيادة فى التشنيع عليهم (قوله صفيرا) أى فكان الواحد منهم يشبك أصابع إحدى كفيه بأصابع الأخرى ويضمهما وينفخ فيهما فيظهر من ذلك صوت (قوله تصفيقا) أى ضربا لإحدى اليدين على الأخرى (قوله أى جعلوا ذلك الخ) جواب عما يقال إن المكاء والتصدية ليسا من جنس الصلاة فكيف يصح استثناؤهما منها فأجاب بأنهم كانوا يعتقدون أنهما من جنسها فجرى الاستثناء على معتقدهم وكانوا يفعلون ذلك حين يشتغل النبي والمؤمنون بالصلاة وقراءة القرآن كما حكى الله عنهم قوله وقال ـ الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ـ (قوله إن الذين كفروا) نزلت فى كفار مكة ولكن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فإن الشاهد فى الكفار ذلك إلى يوم القيامة (قوله فسينفقونها) أى يعلمون عاقبة إنفاقها (قوله ثم تكون فى عاقبة الأمر) أى وهى عدم وصولهم لمقصودهم (قوله ثم يغلبون) التعبير بثم إشارة إلى أنهم يمهلون استدراجا لهم وزيادة حسرة لهم فى العاقبة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جميعا) إما حال من الهاء فى فيركمه أو توكيد لها (قوله يجمعه متراكما بعضه على بعض) ظاهر الآية أن هذا الجمع قبل دخولهم النار وحينئذ فيكون بيانا لحالهم فى الموقف لما تقدم أنه يكون سبعون ألف قدم على قدم (قوله أولئك هم الخاسرون) أى الخائبون فى الدنيا والآخرة (قوله قل للذين كفروا) أمر للنبى صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الكفار ما ذكر (قوله كأبى سفيان وغيره) إنما خصهم لأنهم هم الباقون من كفار مكة لأن الآية نزلت

بعد بدر وفيها قتل من قتل من صناديدهم و بقى من بقى فالخطاب لمن بقى (قوله إن ينتهوا عن الكفر) أى بأن ينطقوا بالشهادتين صادقين مصدّقين فكلمة التوحيد سبب للانتقال من ديوان الأشقياء لديوان السعداء، إذا علمت أن هذا الفضل لمن سبق له الكفر فما بالك بمن لم يسبق له الكفر وعاش مؤمنا ومات كذلك قال السنوسى فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعانى حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الأسرار والعجائب مالايدخل تحت حصر (قوله من أعمالهم) أى السيئة وأعظمها الكفر (قوله و إن يعودوا) وأصل العود الرجوع عن الشىء بعد التلبس به وحينئذ فيكون المعنى و إن يرتدّوا عن الاسلام بعد تلبسهم به و يصح أن يفسر العود بالاستمرار على الكفر (قوله فقد مضت سنة الأولين) أى كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن هلك. إن قلت إن هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمحفوظة منه. أجيب بأن التشبيه فى مطلق هلاك و إن كان ماسبق عاما وهذا خاص، والأقرب أن يراد بالأولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر وجملة فقد مضت سنة الأولين تعليل لمحذوف. ولا يصلح للجواب وتقدير الجواب و إن يعودوا نهلكهم كما أهلكنا الأولين (قوله وقاتلوهم) أى الكفار مطلقا مشركين أو غيرهم (قوله حتى لا تكون فتنة) أى شوكة لأهل الشرك أى بأن ينقرضوا رأسا أو بدخولهم فى الاسلام أو بأن يؤدّوا الجزية بدليل قوله تعالى - قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر - إلى أن قال - حتى يعطوا الجزية - فالمكلف به مأخوذ من مجموع الآيتين (قوله توجد) أشار بذلك إلى أن كان تامة وفتنة بالرفع فاعلها (قوله ويكون الدين كله لله) يكون ناقصة والدين اسمها ولله متعلق بمحذوف خبرها (قوله بما يعملون) القراء السبعة على الياء التحتية وقرأ يعقوب من العشرة بالتاء الفوقية (قوله فيجازيكم به) أى بالذى تعملونه من خير وشر (قوله و إن تولوا) أى أعرضوا

(١١٨)

(إِنْ يَنْتَهُوا) عن الكفر وقتال النبى صلى الله عليه وسلم (يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) من أعمالهم (وَإِنْ يَعُودُوا) إلى قتاله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ) أى سنتنا فيهم بالاهلاك فكذا نفعل بهم (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ) توجد (فِتْنَةٌ) شرك (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) وحده ولا يعبد غيره (فَإِنِ انْتَهَوْا) عن الكفر (فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيهم به (وَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الايمان (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (نِعْمَ الْمَوْلَى) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر لكم (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ) أخذتم من الكفار قهرا (مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) يأمر فيه بما يشاء (وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى) قرابة النبى صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم و بنى المطلب (وَالْيَتَامَى) أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء (وَالْمَسَاكِينِ) ذوى الحاجة من المسلمين (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع فى سفره من المسلمين أى يستحقه النبى صلى الله عليه وسلم والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من

ولم يمتثلوا (قوله نعم المولى) هذا ثناء من الله على نفسه فهو حمد قديم لقديم والمعنى أن الله ينصر العبد و يشكره ولايضيعه بخلاف الناصر من الخلق ينصر ويمنّ بذلك النصر (قوله هو) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله واعلموا أنما غنمتم) تقدّم أن الحق أن هذه الآية مفصلة لآية - يسألونك عن الأنفال - (قوله من شىء) بيان لما ونكره ليشمل الجليل والحقير والشريف والوضيع (قوله فأن لله خمسه) بفتح الهمزة خبر لمحذوف والتقدير فحكمه أن خمسه لله (قوله يأمر فيه بما يشاء) أى فالخمس يقسم ستة أقسام قسم لله يصرف فى الكعبة والخمسة أقسام للنبى ولآله واليتامى والمساكين وابن السبيل، و بذلك قال بعض الأئمة غير الأربعة، وقال الأئمة الأربعة: إنه يقسم خمسة أقسام فقط للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم، وهذا ما كان فى زمنه وأما بعد وفاته فالخمس الذى كان يأخذه النبى يوضع فى بيت المال يصرف فى مصالح المسلمين وهو كواحد منهم و بهذا قال الشافعى وقال مالك النظر فيه للامام وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم القربى بوفاته وصار الكل للثلاثة فقط (قوله من بنى هاشم والمطلب) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الآل بنو هاشم فقط، وعند أبى حنيفة فرق خمسة: آل على، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، وآل الحارث (قوله والمساكين) المراد بهم ما يشمل الفقراء (قوله المنقطع فى سفره) أى المحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أى يستحقه النبى) إنما لم يقل الله

من أن لـكلٍ خمس الخمس والأخماس الأربعة الباقية للغانمين (إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ) فاعلموا ذلك (وَمَا) عطف على بالله (أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا) محمد صلى الله عليه وسلم من الملائكة والآيات (يَوْمَ الْفُرْقَانِ) أى يوم بدر الفارق بين الحق والباطل (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) المسلمون والـكفار (وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم (إِذْ) بدل من يوم (أَنْتُمْ) كائنون (بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا) القربى من المدينة وهى بضم العين وكسرها جانب الوادى (وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ) البعدى منها (وَالرَّكْبُ) العير كائنون بمكان (أَسْفَلَ مِنْكُمْ) مما يلى البحر (وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ) أنتم والنفير للقتال (لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـٰكِنْ) جمعكم بغير ميعاد (لِيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا) فى علمه وهو نصر الاسلام ومحق الـكفر فعل ذلك (لِيَهْلِكَ) يكفر (مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ) أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الـكثير (وَيَحْيَىٰ) يؤمن (مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّٰهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ) اذكر (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّٰهُ فِي مَنَامِكَ) أى نومك (قَلِيلًا) فأخبرت به أصحابك فسروا (وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ) جبنتم (وَلَتَنَازَعْتُمْ) اختلفتم (فِي الْأَمْرِ) أمر القتال (وَلَـٰكِنَّ اللّٰهَ سَلَّمَ) كم من الفشل والتنازع (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ)،

والنبي اشارة إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك كما هو التحقيق (قوله من أن لـكل) أى من الأصناف الخمسة (قوله والأخماس الأربعة) بيان لمفهوم قوله خمسة (قوله فاعلموا ذلك) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه والمراد علم ذلك مع العمل بمقتضاه لأن العلم المجرد لاثمرة له (قوله عطف على بالله) أى على مدخول الباء وهو لفظ الجلالة (قوله من الملائـكة الخ) بيان لما (قوله الفارق بين الحق) أى بظهوره واتضاحه وقوله والباطل أى بخموده وذهابه (قوله يوم التقى الجمعان) بدل من يوم الأول (قوله والله على كل شىء قدير) كالتذييل والدليل لما قبله (قوله بدل من يوم) أى الثانى بدل اشتمال (قوله بضم العين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان والعـدوة الشاطىء والشفير والجانب سميت بذلك لأن السيل يعدوها ويتجاوزها املوها عن الوادى، والمعنى أنتم بالجانب القريب من المدينة وهم بالجانب الآخر وبينهما مقدار الرمى (قوله كائنون بمكان أسفل منـكم) أشار المفسر إلى أن الركب مبتدأ خـبره محذوف وقوله أسفل ظرف صفة لمحذوف، والمعنى أن الركب فى مكان أسـفل منـكم بحيث لو استغاثوا بقومهم لأغاثوهم (قوله ولو تواعـدتم) أى أعـلم كل منـكم الآخر بالخروج للقتال (قوله لاختلفتم فى الميعاد) أى لأمكن اختـلافكم فى التواعد بمعنى أنـكم لم توفوا بذلك بل قـد تتخلفون عن الخروج (قوله ليهلك) علـة لمحذوف قدره المفسر بقوله فعل ذلك وهو جمعهم بغير ميعاد وإخراجهم بغير تأهل (قوله يكفر) أى يستمر على كفره (قوله أى بعد حجة) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد على حد قوله تعالى ــ لتركبن طبقا عن طبق ــ والمعنى أنه لم يبق لهم عذر فى عدم إيمانهم بل صار كفرهم عنادا (قوله ويحيا) أى يستمر على الحياة وهى الايمان (قوله من حى) بالفك والادغام قراءتان سبعيتان (قوله وإن الله لسميع) أى بأقوالـكم عليم بأحوالـكم فيجازيكم عليها (قوله قليلا) مفعول ثالث لأن رأى الحلمية تنصب مفعولين بلا همز فاذا دخلت عليها الهمزة نصبت ثلاثة والمعنى اذكر يامحمد هذه النعمة العظيمة وهى رؤيتك إياهم فى المنام قليلا تشجيعا لأصحابك وتثبيتا لهم واشارة إلى ضعف الـكفار وأنهم يهزمون وبهذا اندفع مايقال إن رؤيا الأنبياء حق فـكيف يراهم قليـلا مع كثرتهم (قوله ولو أراكهم كثيرا) أى وأخـبرت أصحابك بذلك (قوله ولتنازعتم) عطف على فشلتم عطف سبب على مسبب (قوله ولـكن الله سلم) مفعوله محذوف قدره المفسر وقوله من الفشل الخ متعلق بسلم (قوله بما فى القلوب) أى بالخطرات والسرائر التى احتوت عليها القلوب فالمراد بصاحبات الصدور السرائر والصدور القلوب من باب تسمية الحال باسم محله (قوله وإذ يريكموهم) هذه الرؤية بصرية فتنصب مفعولا واحدا إن لم تدخل عليها الهمزة وإلا نصبت مفعولين فالـكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان وقليلا حال .

(قوله أيها المؤمنون) تفسير للكاف (قوله وهم ألف) أى فى الواقع ونفس الأمر (قوله لتقدموا عليهم) علة لقوله يريكموهم الخ (قوله ليقدموا) علة لقوله و يقللكم (قوله وهذا) أى تقليلكم فى أعينهم (قوله أراهم) أى الكفار إياهم أى المسلمين مثليهم أى مثلى الكفار وكانوا ألفا فرأوا المسلمين قدر ألفين لتضعف قلوبهم و يتمكن المسلمون منهم فلا تنافى بين ماهنا و بين ماتقدم (قوله ليقضى الله أمرا) علة لمحذوف تقديره فعل ذلك ليقضى الخ (قوله ترجع) بالبناء للفاعل أو للمفعول قراءتان سبعيتان والأمور فاعل على الأول ونائب فاعل على الثانى (قوله تصير) هذا على قراءة البناء للفاعل وأما على قراءة البناء للمفعول فمعناه ترد (قوله إذا لقيتم فئة) أى حاربتم جماعة والفئة اسم جمع لاواحد له من لفظه (قوله فاثبتوا) أمر للمؤمنين فى أى زمان (قوله ادعوه بالنصر) أى فالمراد بالذكر مايشمل الدعاء ويصح أن يبقى الذكر على إطلاقه فيشمل ملاحظته تعالى بالقلوب وأنه معهم بالعون والنصر (قوله لعلكم تفلحون) الترجى بمنزلة التحقق لأنه وعد ووعد الله لايخلف (قوله وأطيعوا الله ورسوله) أى فيما يأمركم به (قوله فتفشلوا) عطف مسبب على سبب (قوله تجبنوا) أى عن الحرب (قوله وتذهب ريحكم) عطف مسبب على سبب أيضا وهذا على الترتيب فالاختلاف ينشأ عنه الجبن والجبن ينشأ عنه ذهاب الريح (قوله قوتكم)

أى و يطلق على الغلبة والرحمة والنصرة (قوله ودولتكم) الدولة فى الحرب بفتح الدال وجمعها دول بكسر الدال وأما دولة المال فبضم الدال وجمعها دول بضم الدال (قوله واصبروا) أى على قتالهم (قوله كالذين خرجوا من ديارهم) أى وهم أبوجهل ومن معه وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبى سفيان وقال لهم ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان فيتسامع و إني

بذلك الناس و يهابوننا (قوله ليمنعوا عيرهم) أى ليمنعوا المسلمين عن قافلتهم التى كانت مع أبى سفيان (قوله ولم يرجعوا بعد نجاتها) قدره المفسر اشارة إلى أن بطرا وما عطف عليه علة لمحذوف لالقوله خرجوا لأن خروجهم ليس للبطر بل لمنع الناس عن العير والبطر علة لعدم رجوعهم بعد نجاتها (قوله بطرا) هو وما بعده مفعول لأجله والبطر كفران النعمة وعدم شكرها (قوله القيان) جمع قينة وهى الجارية المغنية. قال ابن مالك: فعل وفعلة فعال لهما * (قوله فيتسامع بذلك الناس) أى القبائل فيهابوننا وقد بدلهم الله شرب الخمور بشرب كأس الموت وضرب القيان بنوح النائحات ونحر الجزور بنحر رقابهم (قوله ويصدون) عطف على بطرا فهو فى قوة المصدر: أى وصدا. قال ابن مالك: واعطف على اسم شبه فعل فعلا (قوله بالياء والتاء) ظاهره أنهما سبعيتان وليس كذلك بل التاء الفوقية لم يقرأ بها السبعة ولا العشرة فذكرها سبق قلم (قوله وإذ زين) عطف على ولا تكونوا عطف قصة على قصة وإذ ظرف معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله لما خافوا الخروج) أى لما خافوا من أعدائهم حين الخروج من مكة لقتالهم (قوله بنى بكر) أى وهم قبيلة كنانة وكانت قريبة من قريش و بينهم الحروب الكثيرة .

أيها المؤمنون (إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً) نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم (وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ) ليقدموا ولايرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما فى آل عمران (لِيَقْضِىَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ) تصير (الْأُمُورُ. يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) جماعة كافرة (فَاثْبُتُوا) لقتالهم ولا تنهزموا (وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً) ادعوه بالنصر (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون (وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا) تختلفوا فيما بينكم (فَتَفْشَلُوا) تجبنوا (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) قوتكم ودولتكم (وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) بالنصر والعون (وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ) ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها (بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ) حيث قالوا لانرجع حتى نشرب الخمور وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس (وَيَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء (مُحِيطٌ) علما فيجازيهم به (وَ) اذكر (إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ) إبليس (أَعْمَالَهُمْ) بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بنى بكر (وَقَالَ) لهم (لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ ،

(قوله وإنى جار لكم) أى مجير ومعين (قوله وكان أتاهم الخ) قال ابن عباس جاء إبليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه راية فى صورة رجل من رجال بنى مدلج سراقة بن مالك فقال للمشركين لاغالب لكم اليوم من الناس (قوله ورأى الملائكة) أى نازلين من السماء (قوله أتخذلنا) أى تترك نصرتنا فى هذه الحالة فعلى بمعنى فى (قوله أن يهلكنى) أى بتسليط الملائكة علىّ . إن قلت أنه من المنظرين فكيف يخاف الهلاك حينئذ . أجيب بأنه لشدة مارأى من الهول نسى الوعد بأنه من المنظرين وما أشار له المفسر جواب عما يقال إن الشيطان لاخوف عنده وإلا لما كفر وأضل غيره . وأجيب أيضا بأن قوله إنى أخاف الله كذب ولا مانع من ذلك (قوله والله شديد العقاب) يصح أن يكون من جملة قول الشيطان واعتذاره أو مستأنف تهديد له من كلام الله تعالى (قوله إذ يقول المنافقون) أى الكائنون بالمدينة وقوله والذين فى قلوبهم مرض أى الكائنون بمكة إذلم يحضر وقعة بدر منافق إلا عبدالله بن أبىّ فقط ولم يكن فيها ضعيف إيمان (قوله توهما) مفعول لخرجوا والضمير فى بسببه عائد على الدين (قوله يغلب) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فان الله عزيز حكيم دليل عليه (قوله ولوترى) الرؤية بصرية ومفعولها محذوف تقديره حال الكفار وقت الموت ولو حرف شرط تقلب المضارع ماضيا عكس إن

وَإِنِّى جَارٌ لَكُمْ) من كنانة وكان أتاهم فى صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية (فَلَمَّا تَرَاءَتِ) التقت (الْفِئَتَانِ) المسلمة والكافرة ورأى الملائكة وكان يده فى يد الحرث بن هشام (نَكَصَ) رجع (عَلَى عَقِبَيْهِ) هاربا (وَقَالَ) لما قالوا له : أتخذلنا على هذا الحال (إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكُمْ) من جواركم (إِنِّى أَرَى مَالاَ تَرَوْنَ) من الملائكة (إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ) أن يهلكنى (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ . إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (غَرَّ هٰؤُلاَءِ) أى المسلمين (دِينُهُمْ) إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهما أنهم ينصرون بسببه ، قال تعالى فى جوابهم (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يثق به يغلب (فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) فى صنعه (وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذْ يَتَوَفَّى) بالياء والتاء (الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ) حال (وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) بمقامع من حديد (وَ) يقولون لهم (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى النار ، وجواب لو لرأيت أمرا عظيما (ذٰلِكَ) التعذيب (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ) أى بذى ظلم (لِلْعَبِيدِ) فيعذبهم بغير ذنب ،

(قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الياء الأمر ظاهر وعلى التاء فلأن الجمع يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله الذين كفروا) قيل المراد جميع الكفار من وجد ومن سيوجد وقيل المراد الكفار الذين قتلوا ببدر . واختلف أيضا فى وقت الضرب فقيل عند الموت تعجيلا للمساءة وقيل ذلك يوم القيامة ولا مانع من الجميع (قوله حال) أى من الملائكة (قوله وجوههم وأدبارهم) المراد أمامهم وخلفهم فيعمون جميع أجسادهم بالضرب (قوله بمقامع من حديد) جمع مقمعة بكسر الميم وهى العصا من الحديد المحماة بالنار لو وضعت على جبال الدنيا لدكت (قوله وذوقوا) قدر المفسر يقولون إشارة إلى أنه معطوف على يضربون فهو حال أيضا (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ وقوله بما قدمت أيديكم متعلق بمحذوف خبر والباء سببية (قوله عبر بها الخ) دفع بذلك مايقال إن إذاقة العذاب حاصلة بسبب مافعلوا بجميع أعضائهم فلم خصت الأيدى فأجاب بما ذكر وبعضهم فسر الأيدى بالقدر جمع قدرة فيكون المعنى ذلك بسبب ماقدمته قدرتكم وكسبكم فان اليد تطلق ويراد بها القدرة ، قال تعالى : يد الله فوق أيديهم (قوله وأن الله) معطوف على ماقدمت أيديكم والمعنى ذلك بسبب ماقدمت أيديكم وبسبب أن الله ليس بظلام للعبيد ونفى الظلم عن الله كناية عن العدل فكأنه قال ذلك بسبب الذى قدمته أيديكم وبسبب عدل الله فيكم (قوله أى بذى ظلم) دفع بذلك مايتوهم من ظاهر الآية أن أصل الظلم ثابت لله والمنفى كثرته فأجاب المفسر بأن هذه الصيغة ليست للمبالغة بل للنسب ، قال ابن مالك :

ومع فاعل وفعال فعل فى نسب أغنى عن اليا فقبل

وحينئذ فقد انتفى أصل الظلم بل لايريده أصلا ، قال تعالى وما الله يريد ظلما للعباد لأن الارادة لا تتعلق إلا بالجائز والظلم من الله مستحيل عقلا لأن حقيقته التصرف فى ملك الغير من غير إذنه ، ولا يتصور العقل ملكا لغير الله

(قوله كدأب آل فرعون) الكاف متعلقة بمحذوف خبر لمبتدا محذوف قدّره المفسر بقوله دأب هؤلاء ، وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كفروا بآيات الله) تفصيل للدأب وتفسيره كما قال المفسر. (قوله فأخذهم الله) أى أهلكهم لكن هلاك غيرهذه الأمة بالرجفة والزلزلة والخسف والمسخ من كل عذاب عام وهلاك كفار هذه الأمة بالسيف فالمماثلة فى مطلق الهلاك (قوله بذنوبهم) الباء سببية (قوله إن الله قوى شديد العقاب) كالدليل لما قبله (قوله أى تعذيب الكفرة) أى بسبب ماقدمت أيديهم (قوله بأن الله) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن اسم الاشارة والجملة تعليل لمجموع المعلول وعلته السابقين (قوله لم يك) مجزوم بسكون النون المحذوفة تخفيفا . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

وأصله يكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ثم حذفت النون تخفيفا (قوله يبدلوا نعمتهم كفرا) أى يتركوا مايجب للنعم من شكرها والقيام بحقها وبرتكبوا عدم الشكر وعدم القيام بحقها ، (١٢٢)

دأب هؤلاء (كَدَأْبِ) كعادة (آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ) بالعقاب (بِذُنُوبِهِمْ) جملة كفروا وما بعدها مفسرة لما قبلها (إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ) على مايريده (شَدِيدُ الْعِقَابِ . ذَٰلِكَ) أى تعذيب الكفرة (بِأَنَّ) أى بسبب أنّ (اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ) مبدلا لها بالنقمة (حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) يبدلوا نعمتهم كفرا كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف و بعث النبى صلى الله عليه وسلم إليهم بالكفر والصدّ عن سبيل الله وقتال المؤمنين (وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (وَكُلٌّ) من الأمم المكذبة (كَانُوا ظَالِمِينَ) . ونزل فى قريظة (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ) أن لايعينوا المشركين (ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ) عاهدوا فيها (وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) الله فى غدرهم (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (تَثْقَفَنَّهُمْ) تجدنهم (فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ) فرق (بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ) من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة (لَعَلَّهُمْ) أى الذين خلفهم (يَذَّكَّرُونَ) يتعظون بهم (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ) عاهدوك (خِيَانَةً) فى عهد بأمارة تلوح لك (فَانْبِذْ) اطرح عهدهم (إِلَيْهِمْ ،

والمعنى يبدّلون مابهم من الحال إلى حال أسوأ منه فتغيرت نعمة إمهالهم بمعاجلة العذاب لهم (قوله وأن الله سميع) أى لأقوالكم عليم بأحوالكم (قوله كدأب آل فرعون الخ) كرره تفصيلا لماقبله لأنه مقام ذم وهو كالمدح البلاغة فيه الاطناب (قوله والذين من قبلهم) أى كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم (قوله فأهلكناهم بذنوبهم) أى بسببها (قوله قومه معه) أشار بذلك إلى أن المراد بآل فرعون هو وآله (قوله كانوا ظالمين) فيه مراعاة معنى كل ولو روعى لفظها لقيل وكل كان ظالما وكلّ صحيح ، و إنما روعى معناها على مراعاة للفواصل (قوله ونزل فى قريظة) أى حين قدم رسول الله المدينة وعاهدهم أن لايحاربوه ولايمالئوا عليه فنقضوا عهده وأعانوا عليه مشركى مكة بالسلاح ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا أيضا وتمالئوا مع الكفار عليه فى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق (قوله إن شرّ الدواب) فى ذلك إشارة إلى أنهم بمعزل من جنسهم و إنما هم من جنس الدواب ومع ذلك هم شر من جميع أفرادها. قال تعالى - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل - (قوله الذين عاهدت منهم) بدل من الموصول قبله أونعت أوعطف بيان (قوله أن لايعينوا المشركين) أى كفار مكة فنقضوا أوّلا وثانيا (قوله فاما تثقفنهم) أى تظفرن بهم (قوله فشرد بهم) الباء سببية والكلام على حذف مضاف : أى بسبب عقوبتهم وتنكيلهم (قوله من خلفهم) مفعول لشرد والمراد بمن خلفهم كفار مكة ، والمعنى إذا ظفرت بقريظة فعاقبهم ليتفرق كفار مكة وغيرهم ممن نقض عهدك و يتعظوا بهم فيصيرهم عبرة لغيرهم حتى لا يكون لهم قوة على محاربتك (قوله و إما تخافن) خطاب عام للمسلمين وولاة الأمور و إن كان أصل نزولها فى قريظة (قوله فانبذ إليهم) أى أعلمهم بأن لاعهد لهم بعد اليوم فشبه العهد بالشىء الذى يرمى وطوى ذكر المشبه به ورمز له

عَلَى سَوَاءٍ) حال أى مستويًا أنت وهم فى العلم بنقض العهد بأن تُعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ) . ونزل فيمن أفلت يوم بدر (وَلَا تَحْسَبَنَّ) يا محمد (الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) الله أى فاتوه (إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) لا يفوتونه . وفى قراءة بالتحتانية فالمفعول الأول محذوف أى أنفسهم . وفى أخرى بفتح أن على تقدير اللام (وَأَعِدُّوا لَهُمْ) لقتالهم (مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) قال صلى الله عليه وسلم : هى الرمى رواه مسلم (وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) مصدر بمعنى حبسها فى سبيل الله (تُرْهِبُونَ) تخوفون (بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) أى كفار مكة (وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ) أى غيرهم وهم المنافقون أو اليهود (لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) جزاؤه (وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) تنقصون منه شيئا (وَإِنْ جَنَحُوا) مالوا (لِلسَّلْمِ) بكسر السين وفتحها : الصلح (فَاجْنَحْ لَهَا) وعاهدهم ، قال ابن عباس : هذا منسوخ بآية السيف ، ومجاهد : مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت فى بنى قريظة ،

شيء من لوازمه وهو النبذ فاثباته تخييل (قوله بأن تعلمهم به) أى إن لم يكن غدرهم ظاهرا ظهورا بينا و إلا فلا يحتاج للاعلان . والحاصل أنه إذا ظهرت أمارات نقض العهد وجب على الامام أن ينبذ عهدهم و يعلمهم بالحرب قبل الركوب عليهم بحيث لا يعد الامام غادرا لهم و إن ظهرت الخيانة ظهورا مقطوعا به فلا حاجة إلى نبذ العهد ولا الاعلام بل يبادرهم بالقتال (قوله إن الله لا يحب الخائنين) تعليل للأمر بنبذ العهد (قوله ونزل فيمن أفلت) أى فى الكفار الذين خلصوا وهربوا وهذا تسلية لرسول الله وأصحابه حيث حزنوا على نجاة من نجا من الكفار وكان غرضهم استئصالهم بالقتل والأسر (قوله ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله ، والمعنى لا تظنن يا محمد الذين كفروا فاتين الله وفارين من عقابه إنهم لا يعجزونه وهذا و إن كان فى أهل بدر إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وحسب تتعدى لمفعولين الأول الذين كفروا والثانى جملة سبقوا ، وهذا على قراءة التاء الفوقية ، وأما على قراءة الياء التحتية فالذين كفروا فاعل والمفعول الأول محذوف تقديره أنفسهم كما قال المفسر والمفعول الثانى جملة سبقوا (قوله وفى قراءة بفتح أن) أى مع الياء التحتية لا غير فالقراآت ثلاث خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع . وحاصلها أن التاء فيها وجهان فتح أن وكسرها والياء فيها وجه واحد وهو فتح أن لا غير (قوله على تقدير اللام) أى التى للتعليل (قوله وأعدوا لهم) أى للكفار مطلقا أو لناقضى العهد (قوله من قوة) بيان لما (قوله هى الرمى) هذا الحديث رواه عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمى ثلاثا » أخرجه مسلم ، وقيل المراد بالقوة جميع ما يتقوى به فى الحرب على العدو من سلاح ورمى وخيل ورجال ودروع وغير ذلك ولا منافاة بين هذا و بين قوله عليه الصلاة والسلام « ألا إن القوة الرمى » لأن المراد معظم القوة الرمى حد « الحج عرفة والندم توبة » وهذا هو الأحسن (قوله مصدر) أى سماعى و إلا فالقياسى لما يقتضى الاشتراك كقاتل وخاصم وضارب (قوله ترهبون به) أى بالرباط الذى هو بمعنى الربط (قوله أى كفار مكة) هذا باعتبار سبب نزول الآية و إلا فالعبرة بعموم اللفظ فالمراد جميع الكفار فى أى زمان (قوله وهم المنافقون) أورد عليه أن المنافقين لا يقاتلون . أجيب بأن المراد بارهابهم إدخال الرعب والحزن فى قلوبهم لأنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وشهامتهم كان ذلك مرهبا ومخوفا لهم (قوله أو اليهود) أو مانعة خلو فتجوز الجمع (قوله لا تعلمونهم) أى لا تعلمون بواطنهم وما انطووا عليه (قوله وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله) أى فى جهاد الكفار (قوله يوف إليكم جزاؤه) أى فالحسنة بسبعمائة . قال تعالى ـ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ـ الآية (قوله تنقصون منه شيئا) أى وسماه ظلما لأن وعده بالخير لا يتخلف فكأنه واجب وضده مستحيل ، وليس المراد الظلم الحقيقى لأنه التصرف فى ملك الغير ولا ملك لأحد معه (قوله و إن جنحوا) أى الكفار مطلقا أو بنو قريظة ، وعلى هذين القولين يتخرج القول بالنسخ والقول بالتخصيص الذى أشار له المفسر بقوله : قال ابن عباس الخ وهذا مبنى على أن المراد بالصلح عقد الجزية ، وأما إن أريد بالصلح غيره من الهدنة والأمان فلا نسخ إذ يصح عقد ذلك لكل كافر ، وهذا التقرير مرور على مذهب الشافعى من أن الجزية لا تضرب إلا على أهل الكتاب فقط ، وقال مالك : إن الجزية تضرب على كل كافر صح سباؤه كان من أهل الكتاب أولا فعلى مذهب ليس فى الآية نسخ أصلا (قوله بكسر السين وفتحها) أى فيهما قراءتان سبعيتان .

(قوله وتوكل على الله) أى فوض أمورك له (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله (قوله وإن يريدوا أن يخدعوك) شرط حذف جوابه تقديره فصالحهم ولا تخف من غدرهم (قوله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) أى قواك بأسباب باطنية وهى نصره لك من غير واسطة وبأسباب ظاهرية وهم المؤمنون (قوله بعد الإحن) جمع إحنة وهى العداوة والشحناء التى كانت بين الأوس والخزرج (قوله وألف بين قلوبهم) أى بعد أن كان ما كان بينهم من البغضاء والعداوة والحروب العظيمة مائة وعشرين سنة حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة لقاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم فلما آمنوا برسول الله زالت تلك الحالة وانقلبت العداوة محبة فى الله ورسوله فكان معجزة عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لو أنفقت ما فى الأرض الخ) هذا امتنان من الله على نبيه بتلك النعمة العظيمة (قوله يا أيها النبى حسبك الله) قيل نزلت ببدر فالمراد بالمؤمنين الذين كانوا حاضرين وقعتها فيكون فى ذلك مدح عظيم لهم ودليل على شرفهم ، ويؤخذ من ذلك أن المؤمنين إذا اجتمعت قلوبهم مع شخص لا يخذلون أبدا وليس فى ذلك اعتماد على غير الله لأن المؤمنين ما التفت لهم إلا لإيمانهم وكونهم حزب الله فرجع الأمر لله ، وقيل نزلت

الآية فى إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد إسلام ثلاثة وثلاثين رجلا وست نسوة فيكون هو متمما للأربعين فعلى الأول الآية مدنية كبقيتها وعلى الثانى تكون الآية مكية أثناء سورة مدنية ولا مانع أنها نزلت مرتين مرة بمكة يوم إسلام عمر ومرة بالمدينة فى أهل بدر (قوله ومن اتبعك) معطوف على لفظ الجلالة (قوله حرض المؤمنين على القتال) أى أمرهم أمرا أكيدا أو رغبهم فيه (قوله إن يكن منكم) إما تامة وفاعلها عشرون ومنكم حال وإما ناقصة فعشرون اسمها ومنكم خبرها وهكذا يقال فيما بعدها ويكن وقع هنا خمس مرات : الأول والرابع بالياء لاغير ، والثانى والثالث والخامس بالياء والتاء كما سيأتى للمفسر فما سكت عنه فبالياء لاغير وما نبه عليه ففيه الوجهان (قوله صابرون) أى محتسبون أجرهم عند الله وهذا خبر بمعنى الأمر لقلة المسلمين وكثرة الكافرين ، وحكمة ذلك التكليف أن المسلمين وليهم الله فهم معتمدون عليه ومتوكلون عليه ، فبذلك الوصف كان الواحد مكلفا بقتال عشرة ، وأما الكفار فلا ناصر لهم وهم معتمدون على قوتهم وذلك داع للضعف والهزيمة ، وفى الآية من المحسنات البديعية الاحتباك وهو الحذف من كل نظير ما أثبت فى الآخر فقد أثبت صابرون فى الأول وحذف الذين كفروا منه وأثبت الذين كفروا فى الثانى وحذف لفظ الصبر منه (قوله وهذا خبر بمعنى الأمر) أى وقد كان هذا فى صدر الاسلام وكان فرار المائة من الألف حراما ثم نسخ (قوله بضم الضاد وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان ، والمراد الضعف فى الأبدان لكثرة العبادة والتعب فرحمهم الله وأكرمهم ، وأيضا علم الله ضعف من يأتى بعد الصدر الأول عن القتال فخفف الله عن الجميع (قوله وهو خبر بمعنى الأمر) أى وقد استمر ذلك الأمر إلى يوم القيامة .

(وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ) بالصلح ليستعدوا لك (فَإِنَّ حَسْبَكَ) كافيك (اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ) جمع (بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) بعد الإحن (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) بقدرته (إِنَّهُ عَزِيزٌ) غالب على أمره (حَكِيمٌ) لا يخرج شىء عن حكمته (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ، وَ) حسبك (مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ) حث (الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) للكفار (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) منهم (وَإِنْ يَكُنْ) بالياء والتاء (مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) وهذا خبر بمعنى الأمر ، أى ليقاتل العشرون منكم المائتين منهم والمائة الألف ويثبتوا لهم ، ثم نسخ لما كثروا بقوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا) بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم (فَإِنْ يَكُنْ) بالياء والتاء (مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ) منهم (وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أى لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم (وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) بعونه ،

ونزل

(قوله ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر) أى وكانوا سبعين من صناديدهم . «روى أنه لما جىء بالأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتقولون فى هؤلاء ؟ فقال أبو بكر يارسول الله أهلك وقومك استبقهم لعلّ الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فداء يكون لنا قوة على الكفار ، وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس يضرب عنقه فانّ هؤلاء أئمة الكفر ، وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبى بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنّ الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن و يشدّ قلوب رجال حتى تكون أشدّ من الحجارة و إن مثلك ياأبا بكر مثل إبراهيم قال ـ فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ـ ومثل عيسى قال إن تعذبهم فانهم عبادك و إن تغفرلهم فانك أنت العزيز الحكيم ـ ومثلك ياعمر مثل نوح قال ـ ربّ لاتذرعلى الأرض من الكافرين ديارا ـ ومثل موسى قال ـ ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم ـ الآية ، ثم قال رسول الله : اليوم أنتم عالة فلا يفلتنّ أحدمنهم إلا بفداء أوضرب عنقه ، قال عمر بن الخطاب فهوى رسول الله ماقاله أبو بكر ولم يهو ماقلت وأخذ منهم الفداء وهو عن كل واحد عشرون أوقية من الذهب وقيل أربعون أوقية إلا العباس فأخذ منه ثمانون أوقية عن نفسه وعن ابنى أخيه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث ثمانون وأخذ منه وقت الحرب عشرون فجملة ماأخذ منه مائة وثمانون أوقية قال عمر فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله وأبو بكر يبكيان قلت يارسول الله أخبرنى من أى شىء تبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت و إن لم أجد تباكيت لبكائكما فقال رسول الله

ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ) بالتاء والياء (لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) يبالغ فى قتل الكفار (تُرِيدُونَ) أيها المؤمنون (عَرَضَ الدُّنْيَا) حطامها بأخذ الفداء (وَاللَّهُ يُرِيدُ) لكم (الْآخِرَةَ) أى ثوابها بقتلهم (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) وهذا منسوخ بقوله : فإما منًّا بعدُ و إما فداء (لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ) بإحلال الغنائم والأسرى لكم (لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ) من الفداء (عَذَابٌ عَظِيمٌ . فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ ،

أبكى للذى عرض لأصحابى من أخذهم الفداء فقد عرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية » وهذا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فرسول الله لم يفعل إلا ماأبيح له و إنما عتابه تعليما لمن يتولى الأمور من أمته حسن السياسة من أنه لايقبل الفداء من الكفار حتى يكون قادرا عليهم وظافرا بهم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكن على الفوقية تتعين الامالة فى أسرى وعلى التحتية تجوز الامالة وعدمها (قوله حتى يثخن فى الأرض) أى حتى تظهر شوكة الاسلام وقوّته وذل الكافرين (قوله عرض الدنيا) أى متاعها ، سمى عرضا لزواله وعدم ثباته (قوله والله يريد الآخرة) أى يرضاها لكم (قوله وهومنسوخ) أى قوله : ما كان لنبىّ أن تكون له أسرى هكذا مشى المفسر على هذا القول وهوضعيف بل ماهنا مقيد بالاثخان أى كثرة القتال المترتب عليها عز الاسلام وقوّته ومايأتى فى سورة القتال من التخيير محله بعد ظهور شوكة الاسلام حيث قال ـ فاذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق ـ فاذا علمت ذلك فالآيتان متوافقتان فى أن كلا يدل على أنه لابد من تقديم الاثخان ثم بعده الفداء (قوله لولا كتاب) لولا حرف امتناع لوجود وكتاب مبتدأ وجملة من الله صفة له وكذا قوله سبق والخبر محذوف تقديره موجود والمعنى لولا وجود حكم من الله مكتوب باحلال الغنائم لمسكم الخ فهو عتاب على ترك الأولى لاعلى فعل منهى عنه تنزيها لرسول الله عن مثل ذلك (قوله فيما أخذتم) أى بسبب ماأخذتم ففى للسببية (قوله حلالا) أى أكلا حلالا (قوله طيبا) أى خالصا لاشبهة فيه (قوله ياأيها النبىّ قل لمن فى أيديكم من الأسارى) نزلت فى العباس عم رسول الله وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة لبدر وكان معه عشرون أوقية من ذهب فلما أخذ أسيرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسبها من فدائه فأبى وقال له شىء خرجت به لتستعين به علينا فلا نتركه لك فقال العباس يامحمد أتتركنى أتكفف قريشا مابقيت فقال رسول الله فأين الذهب الذى وضعته عند أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها إنى لاأدرى مايصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حادث فهذا المال لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل فقال العباس

ومايدريك يا ابن أخي فاني أعطيتها إياه في سواد الليل ولم يطلع عليه أحد إلا الله فقال أخبرني به ربي فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأنك صادق ، وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل بن الحارث فأسلما فنزل قوله تعالى : يا أيها النبي الآية فكان العباس يقول أبدلني الله خيرا مما أخذ مني عشرين عبدا تجارا يضربون بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألفا مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي (قوله من الأسارى) بالامالة لاغير (قوله وفي قراءة الأسرى) أي بالامالة وتركها فالقراآت ثلاث وكلها سبعية (قوله من الفداء) بيان لما (قوله خيانتك) أي بنقض العهد الذي عاهدوك عليه وهو أن لايحاربوك ولا يعاونوا عليك المشركين (قوله بما أظهروا من القول) أي قولهم رضينا بالاسلام (قوله فليتوقعوا) هذا في الحقيقة جواب الشرط الذي هو قوله : وإن يريدوا خيانتك (قوله إن الذين آمنوا وهاجروا) أي سبق لهم الايمان والانتقال مع رسول الله من مكة إلى المدينة وهم السابقون الأولون الذين حضروا الغزوات قبل الفتح الذين قال الله فيهم : للفقراء

المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون (قوله بأموالهم وأنفسهم) متعلق بجاهدوا أي بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله (قوله والذين آووا النبي) أي والمهاجرين ولم يذكرهم المفسر لأنهم تبع لرسول الله (قوله وهم الأنصار) أي الذين قال الله فيهم : والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله في النصر والارث) أي فكان الأنصار ينصرون المهاجرين وبالعكس وكان المهاجري يرث الأنصاري الذي آخاه معه (والذين رسول الله وبالعكس (قوله ولم يهاجروا) أي بأن أقاموا بمكة (قوله بكسر الواو وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من شيء) من زائد وشيء مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله فلا إرث بينكم وبينهم) أي لا إرث بين المهاجرين والأنصار وبين الذين لم يهاجروا (قوله ولا نصيب لهم في الغنيمة) اعترض بأن الغنيمة لا يأخذها إلا من قاتل وهؤلاء لم يقاتلوا فالأولى حذف هذه العبارة (قوله وهذا منسوخ) اسم الاشارة عائد على ما تقدم من أن الارث بين المهاجرين والأنصار ثابت بالايمان والهجرة ومنفي بين من لم يهاجر وبين الأنصار والمهاجرين (قوله بآخر السورة) أي وهو قوله : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (قوله وإن استنصروكم في الدين) أي طلبوا منكم النصرة لأجل إعزاز الدين والضمير عائد على الذين آمنوا ولم يهاجروا (قوله إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي من الكفار وهم أهل مكة (قوله وتنقضوا عهدهم) أي الصلح الكائن بالحديبية سنة ست على ترك القتال عشر سنين (قوله في النصرة والارث) أي فهما ثابتان بين الكفار بعضهم لبعض (قوله فلا إرث بينكم وبينهم) أي ولا نصرة (قوله إلا تفعلوه) إن شرطية مدغمة في لا النافية تفعلوه فعل الشرط وتكن جواب الشرط ، والمعنى إن لم تفعلوا ما ذكر من تولي المؤمنين وقطع الكفار بل توليتم الكفار

مِنَ الْأَسَارَى) وفي قراءة الأسرى (إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا) إيمانا وإخلاصا (يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ) من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَإِنْ يُرِيدُوا) أي الأسرى (خِيَانَتَكَ) بما أظهروا من القول (فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ) قبل بدر بالكفر (فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) ببدر قتلا وأسرا فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) في صنعه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وهم المهاجرون (وَالَّذِينَ آوَوْا) النبي صلى الله عليه وسلم (وَنَصَرُوا) وهم الأنصار (أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) في النصرة والإرث (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ) بكسر الواو وفتحها (مِنْ شَيْءٍ) فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة (حَتَّى يُهَاجِرُوا) وهذا منسوخ بآخر السورة (وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) لهم على الكفار (إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ) عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم (إِلَّا تَفْعَلُوهُ) أي تولي المسلمين وقطع الكفار (تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) بقوة الكفر وضعف الإسلام

وقطعتم المؤمنين تـكن فتنة فى الأرض وفساد كبير لأنه يترتب على ذلك قوة الـكفار وضعف المسلمين ، وهذا ماحل به المفسر ويحتمل أن لازائدة . والمعنى إن تفعلوا ما نهيتم عنه من مـوالاة الـكفار وقطع المؤمنين (قوله والذين آمنوا وهاجروا الخ) ليس مكررا مع ماتقدم لأن ماهنا بيان لفضلهم ، وماتقدم بيان لـكونهم أولياء بعض وأيضا ماتقدم فى الهجرة قبل عام الحديبية وما هنا فى الهجرة قبل الفتح كان قبل الحديبية أو بعدها (قوله أولئك هم المؤمنون حقا) أى الـكاملون فى الإيمان بلا شك (قوله لهم مغفرة) أى لذنوبهم (قوله ورزق كريم) أى لاتعب فيه ولا مشقة ، ويؤخذ من هذه الآية أن جميع المهاجرين والأنصار مبشرون بالجنة من غير سابقة عذاب ، وأما ماورد من أن المبشرين عشرة فلأنهم جمعوا فى حديث واحد (قوله من بعد) أى بعد الحديبية وقبل الفتح لأنه بعد الفتح لاهجرة (قوله فأولئك منكم) أى محسوبون منكم وفى الآية دليل على أن المهاجرين الأولين أعلى وأجل من المتأخرين بالهجرة لأن الله ألحقهم بهم ، ومن المعلوم أن المفضول يلحق بالفاضل (قوله وأولوا الأرحام) هذه الآية نزلت بعد الفتح وهى ناسخة للآية المتقدمة وهى ميراث المهاجرين للأنصار (قوله من التوارث) متعلق بأولى (قوله أى اللوح المحفوظ) وقيل المراد به القرآن لأن قسمة المواريث مذكورة فى سورة النساء

(١٢٧)

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) فى الجنة (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ) أى بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة (وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ) أيها المهاجرون والأنصار (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) ذوو القرابات (بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ) فى الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكور فى الآية السابقة (فِي كِتَابِ اللهِ) اللوح المحفوظ (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه حكمة الميراث .

(سورة التوبة)

(مدنية ـ أو إلا الآيتين آخرها ـ مائة وثلاثون ، أو إلا آية)

ولم تكتب فيها البسملة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج فى معناه عن علىّ أن البسملة أمان وهى نزلت لرفع الأمن بالسيف ، وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وهى سورة العذاب . وروى البخارى عن البراء :

من كتاب الله وهو القرآن (قوله ومنه حكمة الميراث) أى التوارث بمقتضى الإيمان والهجرة بدون قرابة ونسخه ، والتوارث بالقرابة .

[سورة التوبة] مبتدأ ومدنية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله أو إلا الآيتين) إشارة إلى قول آخر (قوله آخرها) حال من الآيتين وأولهما : لقد جاءكم رسول فعلى أنهما مكيتان يكون معنى قوله فقل حسبى الله اكتف بالله واترك قتالهم ويكون منسوخا بآية السيف ، وعلى أنهما مدنيتان يكون المعنى كن مستعينا بالله واثقا به فى قتالهم ولا نسخ وهذه السورة من آخر القرآن نزولا لأنها نزلت بعد عزة الاسلام وانتشاره (قوله ولم تكتب فيها البسملة الخ) جواب عما يقال إن كل سورة مبتدأة بالبسملة إلا هذه السورة فما الحكمة فى ذلك ، فأجاب بأن رسول الله لم يأمر بذلك أى لـكونه لم ينزل عليه وحى بها ، وهذا أصح الأقوال ولذا صدّر به المفسر ، وحاصل الخلاف فى حكمة عدم الاتيان بالبسملة خمسة أقوال : أولها ما قاله المفسر ، الثانى أنه سئل عثمان عن ذلك ، فأجاب بأنه ظن أنها مع الأنفال سورة لأن قصتها تشبه قصتها فعلى هذا القول تكون مع الأنفال تمام السبع الطوال ، الثالث أنها نزلت لنقض عهد الـكفار ، وفضيحة المنافقين فهى سورة عذاب والبسملة رحمة ولا تجتمع رحمة مع عذاب ، وتسمى أيضا الفاضحة لفضيحة المنافقين بها وسورة العذاب ، وسورة التوبة لاشتمالها على ذكرها وغير ذلك من أسمائها . الرابع تركت البسملة لاختلاف الصحابة فى أن الأنفال وبراءة سورة واحدة أو سورتان ، فتركت البسملة لقول من قال هما سورة واحدة ، وتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان . الخامس : أن ذلك على عادة العرب فى الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد ، فأرادوا نقضه كتبوا إليهم كتابا ولم يكتبوا فيه البسملة وهذه السورة نزلت لنقض عهود المشركين فلم تكتب فيها ، ثم اختلف العلماء فى ابتداء تلك السورة بها ، فقال ابن حجر من الشافعية :

بالحرمة ، وقال الرملى بالكراهة وفى الاثناء يكره عند الأول ، ويجوز عند الثانى ، ومذهب مالك كذلك ، وقد أشار لذلك صاحب الشاطبية بقوله : ومهما تصلها أو بدأت براءة لتنزيلها بالسيف لست مبسملا
ولا بدّ منها فى ابتدائك سورة سواها وفى الاجزاء خير من تلا

(قوله أنها آخر سورة نزلت) أى من الآخر وإلا فالمائدة متأخرة عنها ، وهذه السورة نزلت كاملة لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل علىّ القرآن إلا آية آية وحرفا حرفا إلا سورة براءة وسورة قل هو الله أحد ، فانهما نزلتا ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة (قوله براءة) أشارة المفسر إلى أن براءة خبر لمحذوف قدره بقوله هذه (قوله إلى الذين عاهدتم) متعلق بمحذوف صفة لبراءة قدره المفسر بقوله واصلة والمعنى هذه قطع وصلة صادرة من الله ورسوله واصلة إلى الذين عاهدتم من المشركين (قوله ونقض العهد) أى فى السور الثلاثة (قوله فسيحوا) أمر إباحة للمشركين وهو مقول لقول محذوف والتقدير فقولوا لهم سيحوا وهذا بيان لعقد الأمان لهم أربعة أشهر وإنما اقتصر عليها لقوة الاسلام وكثرة المسلمين بخلاف صلح الحديبية ، فكان عشر سنين لضعف المسلمين إذ ذاك (قوله أولها شوّال) أى وآخرها المحرم ، وقيل أولها عشر ذى القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج فى تلك السنة كان فى العاشر من ذى القعدة بسبب النسىء ثم صار فى السنة القابلة فى العاشر من ذى الحجة ، وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله الحديث ، وقيل أولها عاشر ذى الحجة وآخرها عاشر ربيع الثانى (قوله بدليل ماسيأتى) أى فى قوله : فاذا انسلخ الأشهر الحرم (قوله واعلموا أنكم الخ) أى فلا تغتروا بعقد الأمان لكم (قوله وأذان) معطوف على قوله براءة من الله ورسوله عطف مفصل على مجمل (قوله إعلام) أى فالمراد الأذان اللغوى لا الشرعى الذى هو الاعلام بألفاظ مخصوصة (قوله يوم النحر) إنما سمى يوم الحج الأكبر لأن معظم أفعال الحج يكون فيه كالطواف والرمى والنحر والحلق واحترز بالحج الأكبر عن العمرة فهى الحج الأصغر لأن أعمالها أقل من أعمال الحج لأنه يزيد عليها بأمور كالرمى والمبيت والوقوف (قوله أن الله برىء الخ) هذه الجملة خبر عن قوله وأذان ، وقوله يوم الحج الأكبر ظرف للأذان والمعنى وإعلام من الله ورسوله إلى الناس كائن فى يوم الحج الأكبر بأن الله برىء الخ (قوله ورسوله) القراء السبعة بل العشرة على الرفع عطف على الضمير المستتر فى برىء ووجد الفاصل وهو قوله من المشركين ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره برىء منهم أيضا ، وقرئ شاذا بالنصب ووجهت بوجهين الأول أن الواو بمعنى مع ورسوله مفعول معه الثانى أنه معطوف على اسم أن وهو لفظ الجلالة ، وقرئ شاذا أيضا بالجر ووجهت بأن الواو للقسم ، واستبعدت تلك القراءة لايهام عطفه على المشركين حتى أن بعض الأعراب سمع رجلا يقرأ بها ، فقال الأعرابى : إن كان الله بريئا من رسوله فأنا برىء منه فلببه القارئ إلى عمر ، فحكى الأعرابى الواقعة فأمر عمر بتعليم العربية وتحكى هذه أيضا عن علىّ وأبى الأسود الدؤلى (قوله وقد بعث الخ) حاصل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشا يوم الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ، ودخلت خزاعة فى عهد رسول الله ، ودخلت بنو بكر فى عهد قريش ، ثم عدت بنو بكر على خزاعة ، وأعانتهم قريش بالسلاح ، فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعى ، ووقف على رسول الله وأخبره الخبر ، فقال رسول الله : لا نصرت إن لم أنصرك وتجهز إلى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة

أنها آخر سورة نزلت ، هذه (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) واصلة (إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر فى قوله (فَسِيحُوا) سيروا آمنين أيها المشركون (فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) أوّلها شوال بدليل ماسيأتى ولا أمان لكم بعدها (وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ) أى فائتى عذابه (وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ) مذلهم فى الدنيا بالقتل والأخرى بالنار (وَأَذَانٌ) إعلام (مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ) يوم النحر (أَنَّ) أى بأن (اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وعهودهم (وَرَسُولُهُ) برىء أيضاً ، وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليًّا من السنة ، وهى سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى ،

فلما كان سنة تسع أراد رسول الله أن يحج فقيل إن المشركين يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من صدر براءة آخرها ـ ولو كره المشركون ـ ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس صدر براءة فلحق أبا بكر بالعرج بفتح العين وسكون الراء قرية جامعة بينها وبين المدينة ستة وسبعون ميلا ، فلما تلاقيا ظن أبو بكر أنه معزول ، فرجع إلى رسول الله فقال يارسول الله أأنزل فى شأنى شىء ؟ فقال لا ، ولكن لاينبغى لأحد أن يبلغ هذا إلا رجل من أهلى ، أماترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار وأنك معى على الحوض ؟ فقال بلى يارسول الله ، فسار أبو بكر أميرا على الحاج وعلىّ بن أبى طالب يؤذن ببراءة ، فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدّثهم عن مناسكهم وأقام للناس الحج حتى إذا كان يوم النحر قام علىّ فأذن بما أمر به وهو لايطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبى عهد فهو منقوض ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولايدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولايجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا فى الحج ، ثم حج رسول الله سنة عشر حجة الوداع ، إذا علمت ذلك تعلم أن هذه الآيات نزلت بعد فتح مكة فى نقض عهود ماعدا قريش فإن قريشا تمّ أمرهم بفتح مكة ، وفى ذلك قال المفسرون : لما خرج رسول الله إلى تبوك فكان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى ـ وإما تخافن من قوم خيانة ـ الآية ففعل رسول الله ما أمر به ونبذ لهم عهودهم (قوله بهذه الآيات) أى وهى ثلاثون أو أربعون آية آخرها ـ ولو كره المشركون ـ (قوله وأن لايحج) أى

(١٢٩)

بهذه الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان » رواه البخارى (فَإِنْ تُبْتُمْ) من الكفر (فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن الإيمان (فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ وَبَشِّرِ) أخبر (الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم وهو القتل والأسر فى الدنيا والنار فى الآخرة (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا) من شروط العهد (وَلَمْ يُظَاهِرُوا) يعاونوا (عَلَيْكُمْ أَحَدًا) من الكفار (فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى) انقضاء (مُدَّتِهِمْ) التى عاهدتم عليها (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) باتمام العهود (فَإِذَا انْسَلَخَ) خرج (الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) وهى آخر مدة التأجيل (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) فى حل أو حرم (وَخُذُوهُمْ) بالأسر (وَاحْصُرُوهُمْ) فى القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ)طريق يسلكونه ونصب كل على نزع الخافض (فَإِنْ تَابُوا)من الكفر (وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) ولاتتعرضوا لهم (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لمن تاب (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) مرفوع بفعل يفسره (اسْتَجَارَكَ)استأمنك من القتل (فَأَجِرْهُ) أمنه ،

وبان لايحج فهو ومابعده من جملة ماأذن به (قوله فهو) أى التوبة المفهومة من قوله تبتم (قوله خير لكم) أى من بقائكم على الكفر الذى هو خير فى زعمكم أو اسم التفضيل ليس على بابه (قوله أخبر) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الاخبار وعبر عنه بالبشارة تهكما بهم (قوله إلا الذين عاهدتم) استثناء من المشركين فى قوله ـ براءة من الله ورسوله ـ إلى الذين عاهدتم من المشركين ـ وهو منقطع والتقدير لكن الذين عاهدتم فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم وهذا أولى من جعله متصلا لما يلزم عليه من الفصل بين المستثنى والمستثنى منه (قوله ثم لم ينقصوكم) قرأ الجمهور بالصاد المهملة من النقصان وهو يتعدى لواحد واثنين فالكاف مفعول أول وشيئا إما مفعول ثان أو مصدر أى لاقليلا ولا كثيرا من النقصان وقرىء شذوذا بالضاد والمعنى لم ينقضوا عهدكم وهى مناسبة لذكر العهد والقراءة الأولى مناسبة لذكر التمام فى مقابلتها (قوله ولم يظاهروا) أى هؤلاء المشركون وهم بنو ضمرة حى من كنانة (قوله إلى مدتهم) أى وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر (قوله فاذا انسلخ الأشهر الحرم) أى انقضت وفرغت وتقدم للمفسر أن هذا يدل على أن أول المدة شوّال وهو أحد أقوال ثلاثة تقدمت (قوله حيث وجدتموهم) أى فى أى مكان (قوله واقعدوا لهم كل مرصد) أى لئلا ينتشروا فى البلاد (قوله وأقاموا الصلاة الخ) المراد أتوا بأركان الاسلام وإنما اقتصر على الصلاة والزكاة لأنهما رأس الأعمال البدنية والمالية (قوله ولاتتعرضوا لهم) أى لا لأنفسهم ولا لأموالهم فلاتأخذوا منهم جزية ولاأعشارا ولاغيرذلك (قوله وإن أحد من المشركين)

إن حرف شرط جازم وأحد فاعل بفعل محذوف يفسره قوله استجارك وهو فعل الشرط وقوله فأجره جواب الشرط وإنما أعرب أحد فاعلا بفعل محذوف لأن أدوات الشرط لايليها إلا الأفعال لفظا أو تقديرا سيما إن (قوله حتى يسمع كلام الله) أي فيتدبره ويعلم كيفية الدين وما انطوى عليه من المحاسن (قوله ثم أبلغه مأمنه) أي إن أراد الانصراف ولم يسلم وصله إلى قومه ليتدبر في أمره ثم بعد ذلك يجوز لك قتالهم لقيام الحجة عليهم (قوله المذكور) أي من الاجارة والابلاغ (قوله يعلموا) أي مالهم من الثواب إن آمنوا وما عليهم من العقاب إن لم يؤمنوا (قوله أي لا يكون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب بمعنى النفي وهذا تأكيد لإبطال عهدهم ونقضه في الآية المتقدمة (قوله إلا الذين عاهدتم) يصح أن يكون الاستثناء منقطعا أو متصلا فعلى الانقطاع يكون الموصول مبتدأ خبره جملة الشرط وهي قوله فما استقاموا لكم الخ وعلى الاتصال يكون الموصول منصوبا على الاستثناء (قوله يوم الحديبية) اسم مكان بينه وبين مكة ستة فراسخ (قوله وهم قريش المستثنون من قبل) أي في قوله: إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا، وقد تبع المفسر في ذلك ابن عباس وهو مشكل لأن هذه الآيات نزلت في شوال في السنة التاسعة وقريش إذ ذاك مسلمون لأنها كانت نقضت في السنة السابعة وحصل الفتح في الثامنة فالصواب كما قال الخازن أن ذلك محمول على بني ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية مع جملة من القبائل فكلهم نقضوا إلا بني ضمرة فلم ينقضوا فلذا أمر رسول الله بإتمام عهدهم إلى مدتهم (قوله وماشرطية) أي بمعنى إن ويصح كونها مصدرية ظرفية أي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم (قوله حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة) هذا مبنى على مافهمه أولا ولو مشى على الصواب لقال حتى فرغت مدتهم (وإن

(قوله كيف يكون لهم عهد) كرر الاستفهام زيادة في التأكيد (قوله إلا) مفعول ليرقبوا وجمعه إلال كقداح (قوله قرابة) وقيل المراد به العهد وقيل المراد به الله تعالى وقيل الجؤار وهو رفع الصوت عند المحالفة لأنهم كانوا يفعلون ذلك عند المحالفة والأقرب ماقاله المفسر (قوله عهدا) أي فالعطف للتفسير على تفسير الإل بالعهد (قوله يرضونكم) هذا بيان لحالهم عند عدم الظفر بالمسلمين إثر بيان حالهم عند الظفر بهم (قوله وتأبى قلوبهم) أي تمتنع من الاذعان والوفاء بما أظهروه (قوله اشتروا بآيات الله) أي استبدلوا آيات الله بالأعراض الفانية والشهوات الزائلة (قوله فصدوا عن سبيله) أي منعوا الناس من اتباع دين الاسلام والإيمان (قوله إنهم ساء ما كانوا يعملون) أي لضلالهم وكفرهم وإضلالهم غيرهم (قوله لا يرقبون في مؤمن) كرر ذلك لمزيد التشنيع والتقبيح عليهم لأن مقام الذم كمقام المدح البلاغة فيه الاطناب (قوله فان تابوا الخ) ليس فيه تكرار مع ماتقدم لاختلاف جواب الشرط لأن الأول أفاد تخلية سبيلهم، وهنا أفاد أنهم إخواننا في الدين (قوله أي فهم إخوانكم) أشار بذلك إلى أن إخوانكم خبر لمحذوف والجملة في محل جزم جواب الشرط (قوله يتدبرون) أي يتعقلون فيؤمنون وإنما فسر العلم بالتدبر لأن المراد به علم يحصل معه الاذعان لامطلق علم.

(حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) القرآن (ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ) أي موضع أمنه وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره (ذَٰلِكَ) المذكور (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ) دين الله فلابد لهم من سماع القرآن ليعلموا (كَيْفَ) أي لا (يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ) وهم كافرون بهما غادرون (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل (فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ) أقاموا على العهد ولم ينقضوه (فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) على الوفاء به وما شرطية (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا بإعانة بني بكر على خزاعة (كَيْفَ) يكون لهم عهد (وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) يظفروا بكم (لَا يَرْقُبُوا) يراعوا (فِيكُمْ إِلًّا) قرابة (وَلَا ذِمَّةً) عهدا بل يؤذوكم مااستطاعوا وجملة الشرط حال (يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ) بكلامهم الحسن (وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ) الوفاء به (وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ) ناقضون للعهد (اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (ثَمَنًا قَلِيلًا) من الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى (فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ) دينه (إِنَّهُمْ سَاءَ) بئس (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) عملهم هذا (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ. فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ) أي فهم إخوانكم (فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ) نبين (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون

(قوله وإن نكثوا) النكث في الأصل الرجوع إلى خلف ثم استعمل في النقض مجازا بجامع أن كلا متأخر عن مطلوبه وهو مقابل قوله فإن تابوا الخ . والمعنى فإن أظهروا ما في ضمائرهم من الشر فقاتلوا الخ (قوله وطعنوا في دينكم) عطفه تفسير أو سبب على مسبب والأقرب الأول (قوله فقاتلوا) أمر لسيدنا محمد وأمته (قوله أئمة الكفر) بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما وتركه وتسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما وتركه وبإبدال الثانية ياء فهذه خمس قراآت غير شاذة هنا وفي الأنبياء وفي موضعي القصص وفي السجدة ، وأصله أأممة بوزن أفعلة أريد إدغام إحدى الميمين في الأخرى فنقلت حركة الميم الأولى للساكن قبلها وهو الهمزة الثانية . (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أي زيادة في التقبيح عليهم حيث وصفهم بكونهم رؤسا في الكفر وكان مقتضى الظاهر فقاتلوهم (قوله لا أيمان لهم) بفتح الهمزة جمع يمين بمعنى الحلف والمعنى لا عهود لهم متممة (قوله وفي قراءة بالكسر) أي فيكون مصدر آمن بمعنى أعطاه الأمان أو من الإيمان وهو التصديق (قوله ألا للتحضيض) أي وهو الطلب بحث وإزعاج لاتصافهم بصفات ثلاثة كل واحد منها يقتضي القتال (قوله وهموا بإخراج الرسول) إنما اقتصر على الاخراج مع أنه وقع منهم الهم بالقتل والهم بالايثاق أيضا لأن أثر الاخراج ظهر عقبه وهو خروجه منها

(وَإِنْ نَكَثُوا) نقضوا (أَيْمَانَهُمْ) مواثيقهم (مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) عابوه (فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) رؤساءه فيه وضع الظاهر موضع المضمر (إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ) عهود (لَهُمْ) وفي قراءة بالكسر (لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ) عن الكفر (أَلَا) للتحضيض (تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا) نقضوا (أَيْمَانَهُمْ) عهودهم (وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ) من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة (وَهُمْ بَدَءُوكُمْ) بالقتال (أَوَّلَ مَرَّةٍ) حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر فما يمنعكم أن تقاتلوهم (أَتَخْشَوْنَهُمْ) أتخافونهم (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ) في ترك قتالهم (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ) يقتلهم (بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ) يذلهم بالأسر والقهر (وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) بما فعل بهم هم بنو خزاعة (وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) كربها (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ) بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا) لم (يَعْلَمِ اللَّهُ) علم ظهور (الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ) بإخلاص (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً) بطانة وأولياء ، المعنى ولم يظهر المخلصون وهم الموصوفون بما ذكر من غيرهم (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ) ،

باذن ربه لاخوفا منهم ، ولذا ورد : اللهم كما أخرجتني من أحب البلاد إلي فأسكني في أحب البلاد إليك (قوله بدار الندوة) تقدم أنها مكان اجتماع القوم للمشاورة والحديث والباني لها قصي ، وقد أدخلت الآن في المسجد فهي في مقام الحنفي (قوله حيث قاتلوا خزاعة) أي أعانوهم بالسلاح ثم اعلم أن صريح المفسر حمل ذلك على قريش وهو مناف لما تقدم من أن السورة نزلت سنة تسع وقريش إذ ذاك مسلمون

(قوله فما يمنعكم أن تقاتلوهم) أشار بذلك إلى أن المراد من التحضيض الأمر مع التوبيخ (قوله في ترك قتالهم) متعلق بقوله أتخشونهم (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله قاتلوهم) هذا أمر ذكر في جوابه خمسة أمور (قوله هم بنو خزاعة) يؤخذ من ذلك أنهم مؤمنون إذ ذاك (قوله ويتوب الله) بالرفع استئناف ولم يجزم لأن التوبة على من يشاء ليست جزاء على قتال الكفار (قوله بمعنى همزة الانكار) الحق أنها بمعنى بل والهمزة معا كما تقدم له (قوله أن تتركوا) أي يترككم الله من غير قتال (قوله ولما يعلم الله) الجملة حالية (قوله علم ظهور) دفع بذلك ما يقال كيف ينفي علم الله مع أنه متعلق بكل شيء وجد أو لم يوجد (قوله بإخلاص) أي مع إخلاص (قوله وليجة) من الولوج وهو الدخول والمعنى بل أظننتم أن تتركوا من غير قتال بمجرد قولكم آمنا بل حتى يظهر المجاهد منكم مع الاخلاص من غيره ولم تتخذوا في الله ولا رسوله ولا المؤمنين شيئا تدخلونه في قلوبكم غير محبة الله ورسوله وللمؤمنين (قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مسجد الله الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن جماعة من رؤساء قريش أسروا يوم بدر منهم العباس عم رسول الله فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوبخ العباس بسبب قتال رسول الله وقطيعة الرحم ،

قال العباس مالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن ؟ قال نعم نحن أفضل منكم نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة أى نخدمها ونسقى الحجيج ونفك العانى (قوله بالافراد والجمع) أى فهما قراءتان سبعيتان فالافراد إما على أن المراد المسجد الحرام أو على أن المسجد اسم جنس فيدخل فيه جميع المساجد والجمع إما على أن كل بقعة من المسجد الحرام يقال لها مسجد أوالجمع باعتبار أنه قبلة لسائر المساجد (قوله شاهدين على أنفسهم بالكفر) قيل المراد به السجود للأصنام لأن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للأصنام فلم يزدادوا بذلك إلا بعدا من الله (قوله أولئك حبطت أعمالهم) أى الحسنة التى افتخروا بها من خدمة المساجد وفك الأسير وسقاية الحاج وغير ذلك (قوله إنما يعمر مساجد الله) بالجمع باتفاق السبعة وعمارتها تكون ببنائها من المال الحلال والصلاة فيها وغير ذلك (قوله أن يكونوا من المهتدين) أى أن يحشروا فى زمرتهم يوم القيامة (قوله أجعلتم سقاية الحاج) ردّ على العباس وغيره كما يأتى للمفسر حيث افتخروا بذلك وقالوا إن هذا شرف لايضاهى ، والسقاية فى الأصل هى المحل الذى يجعل فيه الشراب فى الموسم كانوا ينبذون الزبيب فى ماء زمزم ويسقونه الناس أيام الحج وكان الفاعل لذلك العباس فى الجاهلية واستمرت معه السقاية فى الاسلام فهى لآل العباس أبدا (قوله أى أهل ذلك) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضاف والتقدير أجعلتم أهل سقاية الحاج الخ وقد دفع بذلك مايقال كيف يشبه المعنى وهو السقاية بالذات وهو من آمن (قوله لايستوون عند الله فى الفضل) أى الأخروى لأن فضل أهل السقاية والعمارة دنيوى (قوله أوغيره) أو بمعنى الواو لأن أهل مكة كانوا يفتخرون بذلك ويزعمون أن هذا فخر لايضاهى (قوله الذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وما عطف عليه وهو الهجرة والجهاد (قوله من غيرهم) يدخل فيه أهل السقاية والعمارة من الكفار فمقتضاه أن لهم درجة لكنها ليست أعظم ، والجواب أن ذلك إما باعتبار مايعتقدونه من أن لهم درجة ورتبة أو اسم التفضيل باعتبار المؤمنين الذين لم يستكملوا الأوصاف الثلاثة (قوله وأولئك هم الفائزون) أى الكاملون فى الفوز بالنسبة للمؤمن الذى لم يستكمل الأوصاف الثلاثة أو المراد الذين لهم أصل الفوز بالنسبة لأهل السقاية والعمارة (قوله يبشرهم ربهم برحمة الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى ثلاثة أشياء جزاء على الصفات الثلاثة فالرحمة فى مقابلة الايمان لتوقف الرحمة عليه ، والرضوان فى مقابلة الجهاد لأنه بذل الأموال والأنفس فى مرضاة الله ، والرضوان نهاية الاحسان فكان فى مقابلته والجنة فى مقابلة الهجرة لأن فى الهجرة ترك الأوطان فبدلوا وطنا فى الآخرة أعلى وأجلّ مما تركوه ، وإنما قدمت الرحمة والرضوان إشارة إلى أنهما يكونان فى الدنيا والآخرة وأخرت الجنة إشارة إلى أنها مختصة بالآخرة ولأنها آخر العطايا (قوله حال مقدرة) أى لأنهم حين الدخول ليسوا خالدين وإنما هم منتظرون (قوله ونزل فيمن ترك الهجرة) قال ابن عباس « لما أمر النبىّ صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون ننشدك بالله أن لاتضيعنا فيرقّ لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فأنزل الله تعالى هذه الآية » .

بالإفراد والجمع بدخوله والقعود فيه (شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ) بطلت (أَعْمَالُهُمْ) لعدم شرطها (وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ . إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ) أحداً (إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى أهل ذلك (كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) فى الفضل (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين ، نزلت ردًّا على من قال ذلك وهو العباس أو غيره (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً) رتبة (عِنْدَ اللَّهِ) من غيرهم (وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) الظافرون بالخير (يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ) دائم (خَالِدِينَ) حال مقدرة (فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا) اختاروا (الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ .

(قوله قل إن كان آباؤكم) نزلت لما قال الذين أسلموا ولم يهاجروا نحن إن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وتخربت ديارنا وتقطعت أرحامنا ، ويؤخذ من ذلك أنه إذا تعارض أمر من أمور الدين مع مصالح الدنيا يقدم أمر الدين ولو لزم عليه تعطيل أمر الدنيا (قوله وإخوانكم) أى حواشيكم ، والمراد بهم هنا إخوان النسب وإن شاع جمع أخ النسب على إخوة وأخ الدين على إخوان (قوله أقرباؤكم) وقيل هم من بينك وبينهم معاشرة مطلقا ولو غير قريب فهو عطف عام على ماقبله على كل حال (قوله وفى قراءة عشيراتكم) أى وهى سبعية وقرأ الحسن عشائركم (قوله ترضونها) أى ترضون الإقامة فيها (قوله أحب إليكم) خبر كان واسمها آباؤكم وماعطف عليه (قوله فقعدتم لأجله) قدره ليترتب عليه قوله فتربصوا وجملة فتربصوا جواب الشرط (قوله حتى يأتى الله بأمره) قال ابن عباس هو فتح مكة اهـ ، إذا علمت ذلك تعلم أن هذا مشكل مع ماتقدم ومع مايأتى من أن السورة نزلت بعد الفتح إلا أن يقال إن بعض السورة نزل قبل الفتح بحسب الوقائع والسورة بتمامها نزلت بعد الفتح ولاغرابة فى ذلك فتدبر (قوله تهديد لهم) أى تخويف (قوله الفاسقين) عبر عنهم أولا بالظالمين إشارة إلى أن الكفار موصوفون بكل وصف قبيح (قوله لقد نصركم الله) الخطاب للنبى وأصحابه بتعداد النعم عليهم (قوله فى مواطن) جمع موطن كمواعد وموعد ويرادفه الوطن وهو محل السكنى (قوله وقريظة والنضير) الكلام على حذف مضاف أى وموطن قريظة وموطن النضير (قوله ويوم حنين) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وقيل معطوف على مواطن من عطف ظرف الزمان على ظرف المكان ورد بأنه يقتضى أن قوله إذ أعجبتكم كثرتكم يرجع لقوله مواطن أيضا لأنه بدل من يوم حنين ولايصح ذلك لأن كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن بل فى خصوص حنين فتعين ماقدره المفسر (قوله وادبين مكة والطائف) أى وبينهما ثمانية عشر ميلا وفى بعض العبارات ثلاث ليال (قوله هوازن) أى وهم قبيلة حليمة السعدية (قوله سنة ثمان) أى من الهجرة وهى سنة فتح مكة لأن مكة فتحت فى رمضان وغزوة هوازن فى شوال عقبه (قوله من قلة) أى من عدد قليل (قوله وكانوا اثنى عشر ألفا) عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وألفان من الذين أسلموا فى مكة بعد فتحها (والكفار أربعة آلاف) الذى فى شرح المواهب أنهم أكثر من عشرين ألفا (قوله فلم تغن عنكم شيئا) أى لم تنفعكم ولم تدفع عنكم شيئا (قوله أى مع رحبها) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع والجملة حال أى ملتبسة برحبها والرحب بالضم السعة وبالفتح الواسع (قوله وليس معه غير العباس) أى وقد كان آخذا بلجام بغلته (قوله وأبوسفيان) أى ابن الحارث بن عبد المطلب وقد أسلم هو والعباس يوم الفتح ، وفى بعض السير أن الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حنين مائة ، ثلاثة وثلاثون من المهاجرين وستة وستون من الأنصار ، ويجمع بين ماقاله المفسر وغيره بأنه لم يبق متصلا بالبغلة إلا اثنان والباقون مشتغلون بالحرب لم يفروا (قوله فردوا) أى رجعوا جميعا كالفصيل الضال عن أمه إذا وجدها (قوله لما ناداهم العباس) أى وكان صيتا يسمع صوته من نحو ثمانية أميال .

قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ) أقرباؤكم وفى قراءة عشيراتكم (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا) اكتسبتموها (وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) عدم نفاقها (وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ) فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد (فَتَرَبَّصُوا) انتظروا (حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ) تهديد لهم (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ . لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ) للحرب (كَثِيرَةٍ) كبدر وقريظة والنضير (وَ) اذكر (يَوْمَ حُنَيْنٍ) وادٍ بين مكة والطائف أى يوم قتالكم فيه هوازن وذلك فى شوال سنة ثمان (إِذْ) بدل من يوم (أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) فقلتم لن نغلب اليوم من قلة وكانوا اثنى عشر ألفا والكفار أربعة آلاف (فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ما مصدرية أى مع رحبها أى سعتها فلم تجدوا مكانا تطمئنون إليه لشدة مالحقكم من الخوف (ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ) منهزمين وثبت النبى صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس ، وأبوسفيان آخذ بركابه (ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) طمأنينته (عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فردوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا (وَأَنْزَلَ جُنُودًا

(قوله لم تروها) قيل كانوا خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا ولم يقاتلوا بل نزلوا لتقوية قلوب المسلمين ، وروى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال : لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة ، فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم فى آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا ، وروى أن الملائكة الذين نزلوا يوم حنين عليهم عمائم حمر راكبين خيلا بلقا (قوله بالقتل) أى لبعضهم وهم أكثر من سبعين (قوله والأسر) أى للنساء والذرارى وكانوا ستة آلاف ولم تقع غنيمة أعظم منها ، فقد كان فيها من الابل اثنا عشر ألفا وقيل أربعة وعشرون ألفا ومن الغنم ما لا يحصى وكان فيها غير ذلك ولما هزمهم قصد إلى الطائف وأمر بجعل الغنائم فى الجعرّانة حتى يأتى إليهم ، فلما رجع صلى الله عليه وسلم من الطائف انتظر هوازن بضعة عشر يوما ليقدموا عليه مسلمين ثم أخذ فى قسمة الغنائم ، وكان فى السبى أخت رسول الله من الرضاع وهى بنت حليمة السعدية فأطلقها رسول الله وأكرمها وردها لقومها فأخبرتهم بما وقع لها من رسول الله من الاكرام ، فكان ذلك باعثا على إسلامهم ، فأتى منهم جماعة وقالوا يارسول الله : أنت خير الناس وأبرّهم فاردد علينا أموالنا وأهالينا ؟ فقال لهم : إن خير القول أصدقه اختاروا إما أموالكم وإما ذراريكم ونساءكم قالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فقال لهم أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وأما ما كان لغيرهم فسأطلب فيه معروفهم ثم قال لهم إذا أنا صليت فتقدموا إلىّ وأخبرونى بذلك ففعلوا كما أمروا ، فقال صلى الله عليه وسلم من طابت

لَمْ تَرَوْهَا) ملائكة (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر (وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ) منهم بالإسلام (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) قذر لخبث باطنهم (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) أى لا يدخلوا الحرم (بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا) عام تسع من الهجرة (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) فقرا بانقطاع تجارتهم عنكم (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ) وقد أغناهم بالفتوح والجزية (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) وإلا لآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم (وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) ،

نفسه بشىء أن يرده فليفعل ، فقالوا رضينا بذلك وسلموه الأموال والأسارى (قوله إنما المشركون نجس) القراءة السبعية بفتحتين ، وفيه لغات أخرى ككتف وعضد والمعنى أنهم نجس نجاسة معنوية لا حسية ، وقال ابن عباس أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير ، وقال الحسن من صافح مشركا توضأ كالخمر

وأهل المذاهب على خلاف ذلك فإنهم طاهرون لأنهم داخلون فى آية ولقد كرمنا بنى آدم (قوله فلا يقربوا المسجد الحرام الخ) قال العلماء جملة بلاد الاسلام فى حق الكفار ثلاثة أقسام : أحدها الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال . وجوّز أبو حنيفة دخول المعاهد ، الثانى الحجاز فلا يجوز للكافر دخوله إلا بالاذن ولا يقيم فيه أكثر من ثلاثة أيام لما فى الحديث « لا يبقين دينان فى جزيرة العرب » وحدّها طولا من أقصى عدن إلى ريف العراق ، وعرضا من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام ، الثالث سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر أن يقيم فيها بذمة أو أمان ولكن لا يدخل المساجد إلا لغرض شرعى (قوله عام تسع) أى وهو عام نزول جملة السورة على الصحيح وما يوهم خلاف ذلك يجب تأويله (قوله و إن خفتم عيلة الخ) سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر عليا أن يقرأ على المشركين أول براءة خاف أهل مكة الفقر وضيق العيش لامتناع المشركين من دخول الحرم واتجارهم فيه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله فقرا) فى المصباح العيلة بالفتح الفقر وهى مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة ، وفى المختار وعيال الرجل من يعولهم وواحد العيال عيل كجيد والجمع عيائل كجيائد وأعال الرجل كثرت عياله (قوله وقد أغناهم بالفتوح) أى فأسلم أهل صنعاء وجدة وتبالة بفتح التاء وجرش بضم الجيم وفتح الراء بعدها شين معجمة قريتان من قرى اليمن وجابوا إليهم الميرة وصاروا فى أرغد عيش (قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله الخ) شروع فى ذكر قتال أهل الكتابين إثر بيان قتال مشركى العرب وهذه الآية نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فلما نزلت توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة تبوك (قوله و إلا لآمنوا بالنبى) جواب عما يقال إن ظاهر الآية يقتضى نفى إيمانهم بالله

واليوم الآخر مع أنهم يزعمون الايمان بالله واليوم الآخر ، وفى كلام المفسر إشارة لقياس استثنائى وتقريره أن يقال لو آمن اليهود والنصارى بالله واليوم الآخر لآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكنهم لم يؤمنوا بالنبي فلم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر وأيضا دعواهم الايمان بالله باطلة لأنهم يعتقدون التجسيم والتشبيه ولا شك فى كونه كفرا وكذلك دعواهم الايمان باليوم الآخر باطلة لأنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد وأن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون، فتحصل أن كفرهم بهذه الأمور و بتكذيبهم النبي ، ومن كذب نبيا فقد كفر بالله واليوم الآخر . قال تعالى : إن الذين يكفرون بالله ورسله و يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله و يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض و يريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا (قوله كالخمر) أى والخنزير والربا وكل محرم فى شرعنا فانهم مخاطبون بفروع الشريعة و يعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله دين الحق) من إضافة الموصوف لصفته (قوله الناسخ لغيره) أى الماحى له فمن اتبع غير الاسلام فهو كافر قال تعالى : إن الدين عند الله الاسلام . وقال تعالى : ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ، و يصح أن يراد بالحق الله سبحانه وتعالى لأن من أسمائه الحق والمراد بدين الله الاسلام (قوله حتى يعطوا الجزية) غاية لقتالهم وسميت جزية لأنها جزاء لكف القتال عنهم وتأمينهم (قوله الخراج المضروب عليهم) أى الذى يجعله الامام على ذكورهم الأحرار البالغين الموسرين (قوله أى منقادين) تفسير باللازم أى فاليد كناية عن الانقياد (قوله لا يوكلون بها) أى فاليد على حقيقتها وهذا التفسير يناسب مذهب مالك لأن عنده لا يجوز التوكيل فى دفعها بل كل واحد يدفع جزيته بيده ، وحين دفعها يبسط الكافر يده بها و يأخذها المسلم من يده لتكون يد المسلم هى العليا ثم بعد أخذها يصفعه المسلم على قفاه وعند الشافعى يجوز التوكيل فى دفعها (قوله وقالت اليهود الخ) هذا من تفصيل عدم إيمانهم بالله واليوم (١٣٥) الآخر، وعزير بالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان فالصرف على أنه عربى فلم توجد فيه إلا علة واحدة وعدمه على أنه أعجمى ففيه العلتان وابن خبر عزير فيرسم بالألف لأنه ليس بصفة للعلم . وسبب تلك المقالة على ماقاله ابن عباس أن عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فأضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ومسحها من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل إليه أن يرد إليه التوراة فبينما هو يصلى مبتهلا إلى الله نزل نور من السماء فدخل جوفه فعادت إليه فأذن فى قومه وقال ياقوم قد آتانى الله التوراة وردها على فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ماشاء الله ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما فى التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما أوتى عزير هذا إلا لأنه ابن الله (قوله وقالت النصارى المسيح ابن الله) المسيح لقب له إما لأنه مامسح على ذى عاهة إلا برىء أو لأنه ممسوح بالبركة. وسبب مقالتهم أنهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام إحدى وثمانين سنة يصلون إلى القبلة و يصومون حتى وقع بينهم و بين اليهود حرب وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة فانى سأحتال وأضلهم حتى يدخلوا النار معنا ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولص قد نوديت من السماء أنه ليست لك توبة حتى تتنصر وقد تبت وأتيتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه ودخل بيتا فيها فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت أن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم إنه عهد إلى ثلاثة رجال اسم واحد نسطورا والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطورا أن عيسى ومريم والله آلهة ثلاثة، وعلم يعقوب أن عيسى ليس بانسان وأنه ابن الله، وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم يزل ولا يزال ، فلما تمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خالصتى وادع الناس لما علمتك وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ثم قال لهم إنى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم إنى سأذبح نفسى تقربا إلى عيسى ثم ذهب إلى المذبح فذبح نفسه وتفرقو

كالخمر (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام (مِنَ) بيان للذين (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أى اليهود والنصارى (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) الخراج المضروب عليهم كل عام (عَنْ يَدٍ) حال أى منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها (وَهُمْ صَاغِرُونَ) أذلاء منقادون لحكم الإسلام (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ) عيسى (ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ ،

أولئك الثلاثة مذهب واحد إلى الروم وواحد إلى بيت المقدس والآخر إلى ناحية اخرى واظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس إليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا (قوله بأفواههم) من المعلوم أن القول لا يكون إلا بالأفواه فذكرها مبالغة فى الرد عليهم (قوله يضاهون) بضم الهاء بعدها واو و بكسر الهاء بعدها همزة مضمومة ثم واو قراءتان سبعيتان (قوله قاتلهم الله) أى أبعدهم عن رحمته فهو دعاء عليهم (قوله أنى يؤفكون) استفهام تعجب والاستفهام راجع إلى الخلق لأن الله يستحيل عليه التعجب (قوله اتخذوا) أى اليهود والنصارى (قوله أحبارهم) جمع حبر بالفتح والكسر والثانى أفصح العالم الماهر (قوله حيث اتبعوهم) أشار بذلك إلى أنهم لم يتخذوهم أربابا حقيقة بل للعنى كالأرباب فى شدة امتثالهم أمرهم (قوله والمسيح ابن مريم) بالنصب عطف على أحبارهم والمفعول الثانى محذوف لدلالة ماقبله عليه تقديره ربا (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية (قوله لا إله إلا هو) صفة ثانية لإلها (قوله شرعه وبراهينه) أى الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وهى ثلاثة أمور: أحدها المعجزات الظاهرات، ثانيها القرآن العظيم، ثالثها كون دينه الذى أمر باتباعه وهو دين الاسلام ليس فيه شئ سوى تعظيم الله والانقياد لأمره ونهيه والتبرى من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة واضحة فى صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فمن أراد إبطال ذلك فقد خاب سعيه (قوله إلا أن يتم نوره) أى يعليه ويرفع شأنه (قوله ولو كره الكافرون) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير ولو كره الكافرون إتمامه لأتمه ولم يبال بهم (قوله بالهدى) أى القرآن (قوله ودين الحق) أى دين الاسلام (قوله جميع الأديان المخالفة له) أى بنسخه لها (قوله ولو كره المشركون) كرر لمزيد التهكم بهم والرد عليهم ووصفهم أولا بالكفر وثانيا بالاشراك إشارة إلى أنهم اتصفوا بكل منهما (قوله يا أيها الذين آمنوا إنّ كثيرا من الأحبار الخ) لما بين عقائد الأتباع وصفاتهم أى شرع فى بيان صفات الرؤساء، والأحبار علماء اليهود والرهبان عباد النصارى وفى قوله كثيرا إشارة إلى أن الأقل من الأحبار والرهبان لم يكونوا كذلك كعبد الله بن سلام وأضرابه من الأحبار والنجاشى وأضرابه من الرهبان (قوله يأخذون) أشار بذلك إلى أن المراد بالأكل الأخذ فأطلق الخاص وأريد العام من باب تسمية الشئ باسم جزئه الأعظم لأن معظم المقصود من أخذ الأموال أكلها (قوله بالباطل) قيل هو تخفيف الشرائع والتساهل فيها لسفلتهم، وقيل هو تغيير صفات المصطفى صلى الله عليه وسلم الكائنة فى التوراة والانجيل، وقيل ماهو أعم وهو الأحسن والباعث لهم على ذلك حب الرياسة وأخذ الأموال (قوله كالرشا) بضم الراء وكسرها جمع رشوة بالضم على الأول والكسر على الثانى وفى القاموس الرشوة مثلثة وهى الجعل على الحكم وهى حرام ولو على الحكم بالحق فما بالك بأخذها على الحكم بالباطل أما حبل الاستقاء فيقال فيه رشاء بالكسر والمد (قوله ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام (قوله والذين يكنزون) الكنز فى الأصل جمع المال ودفنه وعدم الانفاق منه. واختلف فى المراد بالذين يكنزون الذهب والفضة فقيل المراد بهم أهل الكتاب لأن شأنهم الحرص وكنز المال وقال ابن عباس نزلت فى مانعى الزكاة من المسلمين والحقوق الواجبة وقال أبو ذر نزلت فى أهل الكتاب والمسلمين الذين يمنعون

بِأَفْوَاهِهِمْ) لامستند لهم عليه بل (يُضَاهِئُونَ) يشابهون به (قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ) من آبائهم تقليداً لهم (قَاتَلَهُمُ) لعنهم (اللهُ أَنَّى) كيف (يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق مع قيام الدليل (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ) علماء اليهود (وَرُهْبَانَهُمْ) عباد النصارى (أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ) حيث اتبعوهم فى تحليل ما حُرّم وتحريم ما أحل (وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا) فى التوراة والانجيل (إِلاَّ لِيَعْبُدُوا) أى بأن يعبدوا (إِلَٰهًا وَاحِدًا لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ) تنزيها له (عَمَّا يُشْرِكُونَ . يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ) شرعه وبراهينه (بِأَفْوَاهِهِمْ) بأقوالهم فيه (وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ) يظهر (نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ذلك (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ) محمداً صلى الله عليه وسلم (بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) يعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) جميع الأديان المخالفة له (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ذلك (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ) يأخذون (أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ) كالرشا فى الحكم (وَيَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللهِ) دينه (وَالَّذِينَ) مبتدأ (يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا)،

الزكاة والحقوق الواجبة ، روى أن أبا ذر اختلف مع معاوية فى هذه الآية فقال معاوية نزلت فى أهل الكتاب وقال أبو ذر نزلت فينا وفيهم فكتب معاوية وكان أميرا على الشام إلى عثمان يشكوه فكتب عثمان إلى أبى ذر أن اقدم إلى المدينة فقدم فازدحم عليه الناس حتى كأنهم لم يروه قبل ذلك فأخبر عثمان بذلك فقال له إن شئت تنحيت فكنت قريبا منا فنزل بالربذة وقال ولو أمر علىّ عبدا حبشيا لسمعت وأطعت (قوله أى الكنوز) أى المدلول عليها بقوله يكنزون ودفع بذلك ما يقال إن المتقدم شيئان الذهب والفضة فكان مقتضاه تثنية الضمير فلم أفرد ؟ فأجاب بأنه عائد على الكنوز المفهومة من السياق (قوله فبشرهم) إنما سمى بشارة تهكما بهم و إشارة إلى أنه بمنزلة الوعد فى عدم تخلفه (قوله يوم يحمى عليها) ظرف لقوله بعذاب أليم ويحمى يجوز أن يكون من حميته وأحميته ثلاثيا ورباعيا يقال حميت الحديدة وأحميتها أوقدت عليها لتحمى والفاعل محذوف تقديره يوم تحمى النار عليها أى تتقد على تلك الكنوز فتكوى بها جباههم الخ ، فلما حذف الفاعل ذهبت علامة التأنيث ولذلك قرئ بالتاء من فوق وأنيب الجار والمجرور منابه ولتضمنه معنى الايقاد عدى بعلى (قوله جباههم) المراد بها جهة الأمام بدليل المقابلة (قوله وتوسع جلودهم) أى حتى لايوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم وذلك بعد جعلها صفائح من نار (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن الكنوز لاتذاق وهذا عذابه فى الآخرة ، وورد أنه يصور ماله فى قبره بصورة شجاع أقرع له زبيبتان يأخذ بلهزمتيه أى شدقيه ويقول له أنا كنزك أنا مالك فلا مانع من حصول الجميع له أجارنا الله من أسباب ذلك

(١٣٧)

أى الكنوز (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى لايؤدون منها حقه من الزكاة والخير (فَبَشِّرْهُمْ) أخبرهم (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى) تحرق (بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم (هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) أى جزاءه (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ) المعتد بها للسنة (عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ) اللوح المحفوظ (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا) أى الشهور (أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) محرمة : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب (ذَٰلِكَ) أى تحريمها (الدِّينُ الْقَيِّمُ) المستقيم (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ) أى الأشهر الحرم (أَنفُسَكُمْ) بالمعاصى فإنها فيها أعظم وزرا ، وقيل فى الأشهر كلها (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) جميعا فى كل الشهور (كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) ،

(قوله إن عدة الشهور الخ) المقصود من ذلك الرد على الجاهلية حيث يزيدون فى الأشهر بحسب أهوائهم الفاسدة فرارا من القتال فى الأشهر الحرم فإنهم كانوا يعظمون الأشهر الحرم فلا يقاتلون فيها فكانوا إذا اضطروا للقتال فيها ادعوا أنها لم تأت وقاتلوا فيها فربما جعلوا السنة أربعة عشر شهرا أو أزيد بحسب ما تسوله عقولهم الفاسدة (قوله عند الله) ظرف متعلق بمحذوف صفة للشهور (قوله اثنا عشر شهرا) وهذه شهور السنة القمرية العربية التى يعتد بها المسلمون فى عباداتهم كالصيام والحج وسائر أمورهم ، وأيام هذه الشهور ثلثمائة وخمسة وخمسون يوما ، والسنة الشمسية وتسمى القبطية ، وهى عبارة عن دور الشمس فى الفلك دورة تامة ، وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية إما عشرة أيام أو أحد عشر يوما خمسة أيام نقص الشهور العربية وخمسة أيام النسىء إن كانت السنة بسيطة وستة أيام إن كانت كبيسة فكل أربع سنين تأتى فيها سنة كبيسة فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة فى الشتاء وتارة فى الصيف (قوله فى كتاب الله) صفة لاثنا عشر (قوله محرمة) أى معظمة محترمة تتضاعف فيها الطاعات (قوله ذو القعدة) بفتح القاف وكسرها والفتح أفصح عكس الحجة (قوله بالمعاصى) أى فظلم النفس يكون بمخالفة الله لأنه بسبب ذلك تعرض لغضب الله الموجب لدخول النار (قوله فإنها فيها أعظم وزرا) أى أشد إثما منه فى غيرها (قوله وقاتلوا المشركين كافة) هذه الآية ناسخة لآية البقرة المفيدة حرمة القتال فى الأشهر الحرم ، قال تعالى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير الآية وقوله كافة مصدر فى موضع الحال من فاعل قاتلوا أو من المشركين ولا يثنى ولا يجمع ولا تدخل عليه أل ولا يتصرف فيه بغير الحال

(قوله بالعون والنصر) أى لمعيته مع المتقين زائدة على معيته مع الخلق أجمعين المشار لها بقوله تعالى - ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا - لأنها معية تصريف وتدبير وذلك لا يختص بالانسان بل مع كل مخلوق حيوانا وجمادا (قوله إنما النسيء) فعيل بمعنى مفعول والمراد به تأخيرهم حرمة المحرم إلى صفر كما فى المختار وهذه قراءة الجمهور بهمزة بعد الياء وفى قراءة سبعية بابدال الهمزة ياء و إدغام الياء فيها وقرئ شذوذا بسكون السين و بفتح النون و بضم السين بوزن فعول (قوله كما كانت الجاهلية تفعله) أى لأن الجاهلية كانت تعتقد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها وكانت معايشهم من الغزو وكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية فأخروا تحريم شهر إلى شهر آخر فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فاذا احتاجوا إلى القتال أخروا التحريم إلى ربيع الأول وهكذا حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين والمحرم كذلك وهكذا باقى الشهور فوافقت حجة أبى بكر فى السنة التاسعة ذا القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فوافقت شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة فى اليوم التاسع وخطب الناس فى اليوم العاشر بمنى حيث قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان أى شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أى بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلدة قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم قال محمد وأحسبه قال وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم بعضا ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى وكانوا له من بعض من سمعه ثم قال ألا هل بلغت ألا هل بلغت مرتين (قوله إذا هل) بالبناء للفاعل وللمفعول ويقال استهل وهل إذا رفع الصوت عند ذكره وبذلك سمى الهلال (قوله بضم الياء) أى مع فتح الضاد مبنيا للمفعول فى السبعة ومع كسر الضاد مبنيا للفاعل فى العشرة (قوله وفتحها) أى مع كسر الضاد لا غير وهى سبعية أيضا فتكون القراآت ثلاثا واحدة عشرية واثنتان سبعيتان (قوله أى النسيء) المراد به هنا اسم المفعول أى المنسوء أى المؤخر وهو تحريم بعض الشهور (قوله يحلونه عاما) فيه وجهان أحدهما أن الجملة تفسيرية للضلال الثانى أنها حالية (قوله ليواطئوا) تنازعه كل من يحلونه و يحرمونه فيجوز إعمال الثانى أو الأول (قوله إلى أعيانها) أى الأربعة التى اشتهر تحريمها لأنهم لو التزموا أعيانها لم يضلوا (قوله زين لهم سوء أعمالهم) بالبناء للمفعول والمزين لهم الشيطان (قوله لا يهدى القوم الكافرين) أى لا يوصلهم للسعادة (قوله ونزل لما دعا الخ) أى من هنا إلى قوله إنما الصدقات فهذه الآيات متعلقة بغزوة تبوك والمتخلفين عنها من منافقين وغيرهم (قوله إلى غزوة تبوك) بالصرف على إرادة البقعة ومنعه للعلمية والتأنيث وكانت فى السنة التاسعة من الهجرة بعد رجوعه من الطائف. وسبب توجهه لها أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هرقل جمع أهل الروم وأهل الشام وأنهم قدموا مقدماتهم إلى البلقاء وكان صلى الله عليه وسلم قليلا ما يخرج فى غزوة إلا ورّى عنها بغيرها إلا ما كان من غزوة تبوك وذلك لبعد المسافة لأنها على طرف الشام بينها و بين المدينة أربع عشرة مرحلة فأمرهم بالجهاد و بعث إلى مكة وقبائل العرب وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وأنفق عثمان نفقة عظيمة فجهز عشرة آلاف وأنفق عليها عشرة آلاف دينار غير تسعمائة بعير ومائة فرس وما يتعلق بذلك وجاء

بالعون والنصر (إِنَّمَا النَّسِيءُ) أى التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم إذا هلّ وهم فى القتال إلى صفر (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) لكفرهم بحكم الله فيه (يُضَلُّ) بضم الياء وفتحها (بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ) أى النسيء (عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا) يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله (عِدَّةَ) عدد (مَا حَرَّمَ اللَّهُ) من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها (فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ) فظنوه حسنا (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) ونزل لما دعا صلى الله عليه وسلم الناس إلى غزوة تبوك،

أبو بكر بجميع ماله أربعة آلاف درهم وجاء عمر بنصف ماله وجاء ابن عوف بمائة أوقية وجاء العباس بمال كثير وكذا طلحة و بعثت النساء بكل مايقدرن عليه من حليهن فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس خلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى وقيل على بن أبى طالب وتخلف عبد الله بن أبى ومن كان معه من المنافقين فبعد أن خرج بهم إلى ثنية الوداع متوجها إلى تبوك عقد الألوية والرايات فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكر ورايته العظمى للزبير وراية الأوس لأسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الأنصار ومن قبائل العرب لواء وراية ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وارتووا هم وخيلهم وركابهم وأقام بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة فأتاه يحنة بضم التحتية وفتح الحاء المهملة والنون المشددة ثم تاء تأنيث ابن رؤبة بضم الراء فهمزة ساكنة فموحدة صاحب أيلة وأهدى له بغلة بيضاء فكساه النبى رداء وصالحه على إعطاء الجزية بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولأهل أيلة كتابا تركه عندهم ليعملوا به وقد استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه فى مجاوزة تبوك فأشاروا عليه بعدم مجاوزتها فانصرف هو والمسلمون راجعين إلى المدينة ولما دنا من المدينة تلقاه المتخلفون فقال لأصحابه لاتكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فصار الرجل يعرض عن أبيه وأخيه (قوله وكانوا فى عسرة) أى قحط وضيق عيش حتى إن الرجلين ليجتمعان على التمرة الواحدة (قوله وشدة حر) أى حتى كانوا يشربون الفرث (قوله فشق عليهم) أى فتخلف

وكانوا فى عسرة وشدة حر فشق عليهم (يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنْفِرُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ) بادغام التاء فى الأصل فى المثلثة واجتلاب همزة الوصل أى تباطأتم وملتم عن الجهاد (إِلَى ٱلْأَرْضِ) والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ (أَرَضِيتُمْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) ولذاتها (مِنَ ٱلْآخِرَةِ) أى بدل نعيمها (فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى) جنب متاع (ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ) حقير (إِلَّا) بادغام لا فى نون إن الشرطية فى الموضعين (تَنْفِرُوا) تخرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم للجهاد (يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أى يأت بهم بدلكم (وَلَا تَضُرُّوهُ) أى الله أو النبى صلى الله عليه وسلم (شَيْئًا) بترك نصره فإن الله ناصر دينه (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) ومنه نصر دينه ونبيه (إِلَّا تَنْصُرُوهُ) أى النبى صلى الله عليه وسلم (فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ) حين (أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) من مكة أى ألجئوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة (ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ)،

عنهم عشر قبائل ويقال لها غزوة العسرة والفاضحة لأنها أظهرت حال المنافقين (قوله مالكم) مامبتدأ ولكم خبره واثاقلتم حال و إذا ظرف لتلك الحال مقدم عليها والتقدير أى شىء ثبت لكم من الضرر حال كونكم متثاقلين وقت قول الرسول لكم انفروا الخ (قوله بادغام التاء الخ) أى فالأصل تثاقلتم أبدلت التاء ثاء وأدغمت فيها وأتى بهمزة الوصل توصلا للنطق بالساكن (قوله وملتم) قدره اشارة إلى أنه ضمن اثاقلتم معنى ملتم فعداه بالى (قوله أرضيتم) الاستفهام للتوبيخ والتعجب (قوله حقير) أى لأن لذات الدنيا خسيسة مشوبة بالكدرات والآفات سريعة الزوال بخلاف لذات الآخرة فهى شريفة منزهة عن الأقذار والأكدار باقية لامنتهى لها (قوله بادغام لا فى إن) العبارة فيها قلب والأصل بادغام إن فى لام لا (قوله فى الموضعين) أى هذا وقوله إلا تنصروه (قوله يعذبكم عذابا أليما) قيل المراد فى الآخرة وقيل المراد فى الدنيا باحتباس المطر لما روى أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (قوله و يستبدل قوما غيركم) قيل المراد بهم أبناء فارس وقيل أهل اليمن (قوله ومنه نصر دينه) أى ولو من غير واسطة (قوله إلا تنصروه) شرط حذف جوابه تقديره فسينصره الله وأما قوله فقد نصره الله فتعليل للجواب ولا يصلح أن يكون جوابا لأنه ماض. قوله إذ أخرجه ظرف لقوله نصره الله وهذا خطاب لمن تثاقل عن تلك الغزوة (قوله بدار الندوة) تقدم إيضاح ذلك فى سورة الأنفال فى قوله تعالى - و إذ يمكر بك

الذين كفروا ـ الخ (قوله حال) أي من الهاء في أخرجه والتقدير إذ أخرجه الذين كفروا حال كونه منفردا عن جميع الناس إلا أبا بكر (قوله بدل من إذ قبله) أي بدل بعض من كل لأن الاخراج زمنه ممتد فيصدق على زمن استقرارهما في الغار وإلا فزمن الاخراج مباين لزمن حصولهما في الغار لأن بين الغار ومكة مسيرة ساعة (قوله لاتحزن) أي لاتهتم وكان حزن الصديق على رسول الله لاعلى نفسه ورد أنه قال له إذا مت أنا فأنا رجل واحد وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين (قوله إن الله معنا) أي معية معنوية خاصة (قوله قيل على النبي) أي فيكون المراد زاده سكينة وطمأنينة حتى عمت أبا بكر وإلا فرسول الله لم يسبق له انزعاج لمزيد ثقته بربه (قوله وقيل على أبي بكر) أي لأنه هو المنزعج (قوله ملائكة في الغار) أي يحرسونه من أعدائه (قوله ومواطن قتاله) الواو بمعنى أو لأنه تفسير ثان (قوله أي دعوة الشرك) أي دعوة أهل الشرك الناس إليه أو المراد عقيدة أهل الشرك (قوله وكلمة الله هي العليا) القراء السبعة على الرفع مبتدأ وهي إما ضمير فصل أو مبتدأ ثان والعليا

حال أي أحد اثنين والآخر أبو بكر، المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها (إذ) بدل من إذ قبله (هُمَا فِي الْغَارِ) نقب في جبل ثور (إِذْ) بدل ثان (يَقُولُ لِصَاحِبِهِ) أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) بنصره (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) طمأنينته (عَلَيْهِ) قيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل على أبي بكر (وَأَيَّدَهُ) أي النبي صلى الله عليه وسلم (بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا) ملائكة في الغار ومواطن قتاله (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي دعوة الشرك (السُّفْلَى) المغلوبة (وَكَلِمَةُ اللَّهِ) أي كلمة الشهادة (هِيَ الْعُلْيَا) الظاهرة الغالبة (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) في ملكه (حَكِيمٌ) في صنعه (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) نشاطا وغير نشاط وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية: ليس على الضعفاء (وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فلا تثاقلوا. ونزل في المنافقين الذين تخلفوا (لَوْ كَانَ) ما دعوتهم إليه (عَرَضًا) متاعا من الدنيا (قَرِيبًا) سهل المأخذ (وَسَفَرًا قَاصِدًا) وسطا (لَاتَّبَعُوكَ) طلبا للغنيمة (وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) المسافة فتخلفوا (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ) إذا رجعتم إليهم (لَوِ اسْتَطَعْنَا) الخروج (لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ) بالحلف الكاذب (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) في قولهم ذلك. وكان صلى الله عليه وسلم أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه فنزل عتابا له وقدم العفو تطمينا لقلبه (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ)،

إما خبر عن كلمة أو عن الضمير والجملة خبر كلمة وقرئ شذوذا بالنصب معطوفا على مفعول جعل (قوله انفروا خفافا وثقالا) ذكر المفسر في معنى ذلك ثلاثة أقوال وهي من جملة أقوال كثيرة ذكرها المفسرون فقيل الخفيف الذي لاضيعة له والثقيل الذي له الضيعة وقيل الخفيف الشاب والثقيل الشيخ وقيل غير ذلك فالمقصود تعميم الأحوال أي انفروا على أي حال كنتم عليه وهذا الحكم باق إذا تعين الجهاد بأن فجأ العدو وأما في حال كونه فرض كفاية فليس حكم العموم باقيا بل منسوخ إما بآية: وما كان المؤمنون لينفروا كافة، أو بآية: ليس على الضعفاء ولا على المرضى الخ (قوله نشاطا) بكسر النون جمع نشيط ككرام وكريم (قوله وهي منسوخة) أي على القولين الأخيرين لا على الأول فهي محكمة (قوله أنه خير) مفعول تعلمون (قوله فلا تثاقلوا) جواب الشرط (قوله في المنافقين) أي كعبد الله بن أبي وأضرابه (قوله متاعا من الدنيا) سمي عرضا لسرعة زواله كالعرض (قوله المسافة) أي التي تقطع بالمشقة فهي مشتقة من المشقة (قوله وسيحلفون) هذا إخبار من الله بالغيب فإن هذه الآية نزلت قبل رجوعه من تبوك (قوله لخرجنا معكم) هذه الجملة سدت مسد جواب القسم والشرط (قوله يهلكون أنفسهم) هذا مرتب على قوله وسيحلفون المعنى يزدادون بها هلاكا لأنهم هالكون بالكفر ويزيدون هلاكا باليمين الكاذبة لما في الحديث «اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع» (قوله لجماعة) أي من المنافقين (قوله باجتهاد منه) هذا أحد قولين والآخر أنه لايجتهد. والحاصل أنه اختلف هل يجوز على النبي الاجتهاد في غير الأحكام التكليفية الصادرة من الله تعالى أولا يجوز والصحيح الأول ولكنه في اجتهاده دائما مصيب وعتاب الله إنما هو على فعل أمر مباح له فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين لا على وزر فعله فاعتقاد ذلك كفر (قوله عفا الله عنك) أي عن هذا الأمر الذي فعلته.

(قوله لم أذنت لهم) اللام الأولى للتعليل والثانية للتبليغ وكلاهما متعلق بأذنت فلم يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد ، والمعنى لأى شىء أذنت لهم فى التخلف عن الجهاد (قوله وهلا تركتهم) قدره إشارة إلى أن قوله حتى يتبين الخ غاية فى ذلك المحذوف (قوله لايستأذنك الذين يؤمنون) أى لايليق منهم وليس من عادتهم الاستئذان فى الواجب عليهم بل الخالص فى الايمان يبادر إليه من غير توقف فحيث وقع من هؤلاء الاستئذان كان دليلا على نفاقهم (قوله فى التخلف) أى من غير عذر (قوله وارتابت قلوبهم) إنما أسند الريب للقلب لأنه محله كما أنه محل الايمان والمعرفة (قوله ولو أرادوا الخروج الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على عدم خروج المنافقين معه إذ لافائدة فيه ولا مصلحة وعتاب الله له على الاذن لهم فى التخلف إنما هو لأجل إظهار حالهم وفضيحتهم كأن الله يقول لنبيه كان الأولى لك عدم الاذن لهم فى التخلف ليظهر حالهم فان القرائن دالة على أنهم لايريدون الخروج لعدم التأهب له (قوله ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك على قوله ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة لأنه فى معنى النفى فهو استدراك على مايتوهم ثبوته وهو محبة الله منهم الخروج ، والمعنى لو أرادوا الخروج لأعدوا ولكن لم يريدوه لكراهة الله انبعاثهم لما فيه من المفاسد فلم يعدوا له عدة وهذا أحسن مايقال (قوله أى قدر الله تعالى ذلك) جواب عما يقال حيث أمرهم الله بالقعود كان قعودهم محمودا لامذموما فأجاب بأنه ليس المراد بالقول حقيقته بل المراد به الارادة والتقدير . وأجيب أيضا بأن القائل الشيطان وهو يأمر بالفحشاء والمنكر . وأجيب أيضا بأن القائل الله حقيقة والقول على حقيقته وهو أمر تهديد على حد : اعملوا ما شئتم (قوله لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا) هذا بيان للمفاسد التى تترتب على خروجهم . إن قلت ان مقتضى العتاب المتقدم أن خروجهم فيه مصلحة ومقتضى ما هنا أن خروجهم مفسدة فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن خروجهم مفسدة عظيمة ، وعتاب الله لنبيه إنما هو على عدم التأنى حتى يظهر نفاقهم وفضيحتهم وليس فى خروجهم مصلحة أصلا كما علمت (قوله ما زادوكم إلا خبالا) أى ما أحدثوا فيكم إلا الخبالا ، وليس المراد أن الخبال كان حاصلا من قبل وإنما حصل منهم زيادته (قوله إلا خبالا) يصح أن يكون استثناء منقطعا ، والمعنى ما زادوكم قوة ولكن خبالا أو متصلا من عموم الأحوال ، والمعنى ما زادوكم شيئا أصلا إلا خبالا (قوله ولأوضعوا خلالكم) الإيضاع فى الأصل سرعة سير البعير ثم استعير الإيضاع لسرعة الإفساد ، ففى الكلام استعارة تبعية حيث شبه سرعة الإفساد بسرعة سير الركائب ثم اشتق منه أوضعوا بمعنى أسرعوا ، وفى الخلال استعارة مكنية حيث شبه الخلال بركائب تسرع فى السير وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو أوضعوا بمعنى أسرعوا فإثباته تخييل (قوله يبغونكم الفتنة) حال من فاعل أوضعوا ، والتقدير طالبين لكم الفتنة (قوله وفيكم سماعون لهم) يحتمل أن يكون المراد جواسيس منهم يتسمعون لهم الأخبار منكم ، ويحتمل أن يكون الضمير فى فيكم عائدا على المؤمنين ، والمعنى أن فى المؤمنين ضعفاء قلوب يصغون الى قول المنافقين بالتخذيل والإفساد لظنهم صحة إيمانهم (قوله من قبل) أى قبل هذه الغزوة كالواقع من المنافقين فى أحد وفى الأحزاب .

لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) فى التخلف وهلا تركتهم (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا) فى العذر (وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) فيه (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فى التخلف عن (أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ . إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ) فى التخلف (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ) شكت (قُلُوبُهُمْ) فى الدين (فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) يتحيرون (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ) معك (لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً) أهبة من الآلة والزاد (وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ) أى لم يرد خروجهم (فَثَبَّطَهُمْ) كسلهم (وَقِيلَ) لهم (اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ) المرضى والنساء والصبيان أى قدر الله تعالى ذلك (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا) فسادا بتخذيل المؤمنين (وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ) أى أسرعوا بينكم بالمشى بالنميمة (يَبْغُونَكُمُ) يطلبون لكم (الْفِتْنَةَ) بالقاء العداوة (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ) ما يقولون سماع قبول (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . لَقَدِ ابْتَغَوُا) لك (الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ) أول ما قدمت المدينة (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) أى أجالوا الفكر فى كيدك و إبطال دينك ،

(حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ) النصر (وَظَهَرَ) عز (أَمْرُ اللهِ) دينه (وَهُمْ كَارِهُونَ) له فدخلوا فيه ظاهرا (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي) فى التخلف (وَلاَ تَفْتِنِّي) وهو الجد بن قيس قال له النبى صلى الله عليه وسلم: هل لك فى جلاد بنى الأصفر فقال إنى مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن قال تعالى (أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) بالتخلف وقرئ سقط (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) لامحيص لهم عنها (إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ) كنصر وغنيمة (تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ) شدة (يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا) بالحزم حين تخلفنا (مِنْ قَبْلُ) قبل هذه المصيبة (وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ) بما أصابك (قُلْ) لهم (لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا) إصابته (هُوَ مَوْلاَنَا) ناصرنا ومتولى أمورنا (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ) فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أى تنتظرون أن يقع (بِنَا إِلاَّ إِحْدَى) العاقبتين (الْحُسْنَيَيْنِ) تثنية حسنى تأنيث أحسن: النصر، أو الشهادة (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ) ننتظر (بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ) بقارعة من السماء (أَوْ بِأَيْدِينَا) بأن يؤذن لنا فى قتالكم (فَتَرَبَّصُوا) بنا ذلك (إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) عاقبتكم (قُلْ أَنْفِقُوا) فى طاعة الله (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ) ما أنفقتموه (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ) والأمر هنا بمعنى الخبر (وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ) بالتاء والياء (مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ) فاعل وأن تقبل مفعول (كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى) متثاقلون (وَلاَ يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ) النفقة لأنهم يعدونها مغرما (فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ) أى لاتستحسن نعمنا عليهم فهى استدراج (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ) أى أن يعذبهم (بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بما يلقون فى جمعها من المشقة وفيها من المصائب (وَتَزْهَقَ) تخرج (أنفسهم

(قوله حتى جاء الحق) أى استمروا على تقليب الأمور حتى الخ (قوله وهو الجد بن قيس) وهو منافق عنيد حتى إنه من قباحته امتنع من مبايعة رسول الله تحت الشجرة فى بيعة الرضوان واختفى تحت بطن ناقته (قوله فى جلاد بنى الأصفر) أى ضربهم بالسيوف وفى نسخة جهاد وهى ظاهرة ، و بنو الأصفرهم ملوك الروم أولاد الأصفر بن روم بن عيص بن إسحق (قوله وقرئ سقط) أى بالافراد مراعاة للفظ من والضمير عائد على الجد بن قيس وهى شاذة كما هى قاعدته (قوله إن تصبك حسنة) أى فى بعض الغزوات (قوله و إن تصبك مصيبة) أى فى بعضها وقابل الحسنة بالمصيبة إشارة إلى أن الثواب مترتب على كل منهما وإنما قابلها بالسيئة فى آل عمران لأنها خطاب للمؤمنين وفيهم من براهاسيئة (قوله يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أى أدركنا ما أهمنا من الأمور وهو موالاة الكفار واعتزال المسلمين وغير ذلك من أنواع النفاق (قوله وهم فرحون) الجملة حالية من فاعل يتولوا (قوله قل لن يصيبنا) أى ردا لقولهم قد أخذنا أمرنا من قبل (قوله الحسنيين) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله العاقبتين (قوله ونحن نتربص بكم) أى إحدى العاقبتين السيئتين (قوله بقارعة) أى صاعقة (قوله فتربصوا الخ) أى فانا منتظرون مايسرنا وأنتم منتظرون مايسوؤكم (قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها الخ) نزلت فى الجد ابن قيس حيث قال للنبى صلى الله عليه وسلم ائذن لى فى القعود وأنا أعطيك مالى ، والمعنى قل لهم اتصافكم بصفات المؤمنين فى الانفاق والصلاة لايفيدكم شيئا (قوله طوعا) أى من غير إلزام ، وقوله أو كرها : أى بالزام (قوله انكم كنتم قوما فاسقين) أى ولم تزالوا كذلك فالمراد فاسقون فيما مضى وفى المستقبل (قوله والأمر هنا بمعنى الخبر) أى فالمعنى نفقتكم طوعا أو كرها غيرمقبولة (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا أنهم كفروا) استثناء من عموم الأشياء كأنه قيل مامنعهم قبول نفقاتهم لشئ من الأشياء الا لثلاثة أمور: كفرهم بالله ورسوله، و إتيانهم الصلاة فى حال كسلهم، و إنفاقهم مع الكراهة (قوله لأنهم يعدونها مغرما) أى لأنهم لايرجون عليها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا (قوله فهى استدراج) أى ظاهرها نعمة وباطنها نقمة (قوله بما يلقون فى جمعها من المشقة) جواب عما يقال: إن المال والولد سرور فى الدنيا ، فأجاب بأن المراد بكونهما عذابا باعتبار ما يترتب عليهما

من المشقة . إن قلت إن هذا ليس مختصا بالمنافق بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار . أجيب بأن المؤمن يرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب المشقات فكأنها ليست مشقة والمنافق ليس كذلك فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة (قوله أنفسهم) أي أرواحهم (قوله يفرقون) الفرق بالتحريك الخوف (قوله لو يجدون ملجأ الخ) أي لو قدروا على الهروب منكم ولو في شر الأمكنة وأخسها لفعلوا لشدة بغضهم لكم ، والمعنى أنهم وإن كانوا يحلفون لكم إنهم منكم فهم كاذبون في ذلك لأنهم لو وجدوا مكانا يلجئون إليه من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة أو مغارات وهي الأماكن المنخفضة في الأرض أو في الجبل أو سراديب : أي أماكن ضيقة لفروا إليها (قوله وهم يجمحون) في المصباح جمح الفرس براكبه يجمح : استعصى حتى غلبه اهـ ففيه إشارة إلى أنهم كالدابة الجموح التي لا تقبل الانقياد بوجه من الوجوه (قوله ومنهم من يلمزك) هذا بيان لحال بعض المنافقين ، وقوله يلمزك من باب ضرب واللمز الاشارة بعين ونحوها على سبيل التنقيص فهو أخص من الغمز إذ هو الاشارة بعين ونحوها مطلقا ، والمراد هنا الاعابة بالقول ، قيل نزلت في أبي الجواظ المنافق بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء ، ومعناه الضخم المتكبر الكثير الكلام حيث قال : ألا ترون إلى صاحبكم يقسم صدقاتكم على رعاء الغنم ويزعم أنه يعدل ، وقيل نزلت في ذي الخويصرة التميمي ، وقيل اسمه حرقوص ابن زهير وهو أصل الخوارج (قوله في الصدقات) المراد بها قيل الزكاة ، وقيل

الغنائم ، وقيل ماهو أعم وهو الأولى بدليل ما يأتي للمفسر (قوله فان أعطوا منها) أي ما يريدون (قوله إذا هم يسخطون) إذا الفجائية قامت مقام الفاء والأصل فهم (قوله ما آتاهم الله ورسوله) نسبة الاعطاء لله حقيقية وللرسول مجازية وفيه إشارة إلى أن ما فعله الرسول إنما هو على طبق ما أمر الله به (قوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا (قوله أن يغنينا) أي في أن يغنينا وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بفي متعلقة بيغنينا ، ويؤخذ من الآية تعليم العباد التعفف والاعتماد على الله تعالى وتفويض الأمور إليه فان الأرزاق بيده تعالى متكفل بها لا يقطعها عن عباده ولو خالفوه (قوله إنما الصدقات للفقراء) ردّ على المنافقين الذين يزعمون أن رسول الله يأخذ الصدقات لنفسه ولأهل بيته فبين في هذه الآية أن المستحق لها الأصناف الثمانية ورسول الله وأهل بيته محرّمة عليهم تشريفا لهم وتطهيرا والآية من قصر الموصوف على الصفة : أي الصدقات مقصورة على الاتصاف بصرفها لهؤلاء الثمانية (قوله مصروفة) قدره ليتعلق به الجار والمجرور (قوله الذين لا يجدون ما يقع موقعا من كفايتهم) صادق بأن لا يجدوا شيئا أصلا أو لا يجدوا شيئا لا يقع الموقع من كفايتهم (قوله والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم) صادق بأن لا يجدوا شيئا أصلا أو يجدوا شيئا لا يقع الموقع أو يقع ولكن لا يكفيهم فالفقير على هذا أسوأ حالا من المسكين ، وهذا مذهب الإمام الشافعي وعند مالك بالعكس فالمسكين من لا يملك شيئا أصلا والفقير من عنده شيء لا يكفيه ، والمراد بالكفاية عند مالك كفاية سنة وعند الشافعي كفاية العمر الغالب وهو ستون سنة (قوله من جاب الخ) أي وهو الذي يجمع الزكوات من أربابها ، والقاسم الذي يقسمها على المستحقين ، والكاتب الذي يكتب ما أعطاه أرباب الأموال ، والحاشر الذي يجمع أرباب الأموال ليأخذ منهم الجابي الزكاة (قوله ليسلموا) أي يرجى باعطائهم إسلامهم .

(أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب (وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ) أي مؤمنون (وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً) يلجئون إليه (أَوْ مَغَارَاتٍ) سراديب (أَوْ مُدَّخَلاً) موضعاً يدخلونه (لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ) يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعا لا يرده شيء كالفرس الجموح (وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ) يعيبك (فِي) قسم (الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ) من الغنائم ونحوها (وَقَالُوا حَسْبُنَا) كافينا (اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ) من غنيمة أخرى ما يكفينا (إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ) أن يغنينا وجواب لو لكان خيراً لهم (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ) الزكوات مصروفة (لِلْفُقَرَاءِ) الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم (وَالْمَسَاكِينِ) الذين لا يجدون ما يكفيهم (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) أي الصدقات من جابٍ وقاسم وكاتب وحاشر (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) ليسلموا ،

(قوله أو يثبت إسلامهم) أى فهم حديثو عهد بالاسلام فنعطيهم ليتمكن الاسلام من قلوبهم (قوله أو يسلم نظراؤهم) أى فهم كبار قبيلة أسلموا فيعطون ليسلم نظراؤهم من الكفار (قوله أو يذبوا عن المسلمين) أى يدفعوا الكفار ويردوهم عن المسلمين والحال أنهم مسلمون (قوله والأول والأخير) أى الكافر ليسلم والذاب عن المسلمين (قوله لايعطيان) هذا ضعيف عندهم والمعتمد عندهم إعطاء الأول (قوله بخلاف الآخرين) أى الثانى والثالث وهذا مذهب الشافعى وعند مالك المؤلفة قلوبهم إما كفار يعطون ليسلموا أو مسلمون يعطون ليثبت إسلامهم (قوله وفى الرقاب) إنما أضيفت الصدقات إلى الأصناف الأربعة الأول باللام و إلى الأربعة الأخيرة بفى إشارة إلى أن الأربعة الأول يملكونها و يتصرفون فيها كيف شاءوا بخلاف الأربعة الأخيرة فيقيد بما إذا صرفت فى مصارفها فاذا لم يحصل نزعت منهم (قوله أى المكاتبين) أى ليستعينوا بها على فك رقابهم وهذا التفسير على مذهب الامام الشافعى ، وعند مالك وأحمد أن معناه يشترى بها رقيق كامل الرق و يعتق وولاؤه للمسلمين ، وعند أبى حنيفة يشترى بها بعض رقبة و يعان بها مكاتب لأن قوله وفى الرقاب يقتضى التبعيض (قوله لغير معصية) أى بأن استدانوا لمباح ولو صرفوه فى معصية وهذا مذهب الشافعى ، وعند مالك إذ صرفوه فى معصية لايعطون منها إلا إذا تابوا (قوله وتابوا) أى ظهرت توبتهم لا بمجرد قولهم تبنا مثلا (قوله أولإصلاح ذات البين) أى كأن خيف فتنة بين قبيلتين تنازعتا فى قتيل لم يظهر قاتله فتحملوا الدية تسكينا للفتنة (قوله أى القائمين بالجهاد الخ) أى ويشترى منها آلته من سلاح ودرع وفرس ومذهب مالك أن طلبة العلم المنهمكين فيه لهم الأخذ من الزكاة ولو أغنياء إذا انقطع حقهم من بيت المال لأنهم مجاهدون (قوله وابن السبيل) الاضافة لأدنى ملابسة أى الملازم للطريق (قوله المنقطع فى سفره) أى إن كان سفره فى غير معصية و إلا فلا يعطى ولو خيف عليه الموت مالم يتب و يعطى بشرط أن لايجد مسلفا وهو ملىء ببلده (قوله فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء) أخذ ذلك من الحصر وهو محل وفاق (قوله ولا يمنع صنف منهم) هذا مذهب الشافعى وعندمالك لايلزم تعميم الأصناف فاللام فى للفقراء الخ لبيان المصرف لا للاستحقاق (قوله فيقسمها الامام عليهم على السواء) هذا مذهب الشافعى وعند مالك لايلزم ذلك بل يندب إيثار المضطر (قوله لعسره) علة لعدم وجوب الاستغراق (قوله الاسلام) هذا فى غير المؤلفة قلوبهم (قوله وأن لا يكون هاشميا ولا مطلبيا) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الذين تحرم عليهم الزكاة بنو هاشم فقط وهذا إن كان حقهم من بيت المال جاريا و إلا فهم أولى من غيرهم فاعطاؤهم أسهل من تعاطيهم خدمة الذمى والفاجر (قوله ومنهم الذين يؤذون النبى) سبب نزولها أن جماعة من المنافقين تكلموا فى حقه صلى الله عليه وسلم بما لايليق فقال بعضهم لبعض كفوا عن ذلك الكلام لئلا يبلغه ذلك فيقع لنا منه الضرر فقال الجلاس بضم الجيم وفتح اللام المخففة ابن سويد نقول ماشئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا فيما نقول فانما محمد أذن (قوله أى يسمع كل قيل) أى من غير أن يتأمل فيه و يميز باطنه من ظاهره فقصدوا بذلك

أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام ، والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعى رضى الله تعالى عنه لعز الاسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح (وَفِي الرِّقَابِ) أى المكاتبين (وَالْغَارِمِينَ) أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء (وَفِي سَبِيلِ اللهِ) أى القائمين بالجهاد ممن لا فىء لهم ولو أغنياء (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع فى سفره (فَرِيضَةً) نصب بفعله المقدر (مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء . وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره بل يكفى إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفى دونها كما أفادته صيغة الجمع و بينت السنة أن شرط المعطى منها الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً (وَمِنْهُمْ) أى المنافقين (الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ) بعيبه و بنقل حديثه (وَيَقُولُونَ) إذا نهوا عن ذلك لئلا يبلغه (هُوَ أُذُنٌ) أى يسمع كل قيل و يقبله فإذا حلفنا له إنا لم نقل صدقنا ،

(قل)

وصفه صلى الله عليه وسلم بالأذن لأنه كان لا يقابلهم بسوء أبدا و يتحمل أذاهم و يصفح عنهم فحملوه على عدم التنبه والغفلة وهو إنما كان يفعل ذلك رفقا بهم وتغافلا عن عيوبهم وفى تسميته أذنا مجاز مرسل من إطلاق الجزء على الكل للمبالغة فى استماعه حتى صار كأنه هو آلة السماع كما يسمى الجاسوس عينا (قوله قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير ولا يسمع الشر (قوله يؤمن بالله الخ) هذا إيضاح لكونه أذن خير (قوله واللام زائدة) جواب عما يقال لم زيدت اللام مع أن الايمان يتعدى بالباء ؟. فأجاب بأنها زيدت للفرق بين إيمان التسليم وهو قوله و يؤمن للمؤمنين أى يسلم لهم قولهم و يصدقهم فيما يقولونه و بين إيمان التصديق المقابل للكفر وهو قوله يؤمن بالله أى يصدق بالله و يوحده (قوله ورحمة للذين آمنوا) أى أظهروا الايمان منكم وهذه الرحمة بمعنى الرفق بهم وعدم كشف أسرارهم لا بمعنى التصديق لهم فان رحمته فى الدنيا عامة للبر والفاجر وفى الآخرة مختصة بالبر دون الفاجر إذ هى تابعة لرحمة الله تعالى و إحسانه (قوله يحلفون بالله لكم) أى يحلف المنافقون للمؤمنين إنه ماوقع منهم الايذاء للنبى وقصدهم بذلك إرضاء المؤمنين ليذبوا عنهم إذا أراد رسول الله أن يفتك بهم وسبب نزولها أنه اجتمع ناس من المنافقين منهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا فى رسول الله قالوا إن كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام يقال له عامر بن قيس ثم أتى النبى صلى الله (١٤٥) عليه وسلم وأخبره فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا أن عامرا كذاب وحلف عامر إنهم كذبوا فصدقهم النبى صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو و يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب (قوله ما أتوه) أى ما فعلوه وفى نسخة آذوه (قوله ليرضوكم) علة لقوله يحلفون (قوله والله ورسوله أحق أن يرضوه) الجملة حالية من ضمير يحلفون والمعنى يحلفون لكم لارضائكم والحال أن الله ورسوله أحق بالارضاء (قوله إن كانوا مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه أى فليرضوا الله ورسوله (قوله وتوحيد الضمير الخ) أشار المفسر لثلاثة أجوبة عن سؤال وارد على الآية . حاصله أن لفظ الجلالة مبتدأ ورسوله مبتدأ ثان معطوف عليه وجملة أحق أن يرضوه خبر والضمير مفرد وما قبله مثنى فلم أفرد الضمير ؟. فأجاب المفسر بأنه أفرده لأن الرضاءين واحد لأن رضا رسول الله تابع لرضا الله ولازم له فالكلام جملة واحدة أو الجملة خبر عن رسوله وحذف خبر لفظ الجلالة لدلالة مابعده عليه أو خبر عن لفظ الجلالة وخبر رسوله محذوف لدلالة ماقبله عليه ففيه إما الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه أو بالعكس (قوله ألم يعلموا) الاستفهام للتوبيخ (قوله من يحادد الله) من شرطية مبتدأ وقوله فأن الخ خبر لمحذوف أى فحق أن له الخ والجملة جواب الشرط وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من ومجموع اسم الشرط وفعله وجزائه خبر أن الأولى وجملة أن الأولى من اسمها وخبرها سدت مسد مفعولى يعلم (قوله جزاء) تمييز (قوله خالدا فيها) حال مقدرة (قوله أن تنزل عليهم) أى على المؤمنين وقوله تنبئهم أى تخبر المؤمنين وقوله بما فى قلوبهم أى المنافقين من الحقد والحسد للمؤمنين (قوله قل استهزئوا الخ) نزلت هذه الآية فى اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا علاها وتنكروا عليه فى ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله بما قد أضمروا وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم وكان معه عمار بن ياسر يقود ناقة

(قُلْ) هو (أُذُنُ) مستمع (خَيْرٍ لَكُمْ) لامستمع شر (يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ) يصدق (لِلْمُؤْمِنِينَ) فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره (وَرَحْمَةٌ) بالرفع عطفا على أذن والجر عطفا على خير (لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ) أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول إنهم ما أتوه (لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) بالطاعة (إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ) حقا وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أو خبر الله أو رسوله محذوف (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ) أى الشأن (مَنْ يُحَادِدِ) يشاقق (اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ) جزاء (خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ . يَحْذَرُ) يخاف (الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ) أى المؤمنين (سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ) من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون (قُلِ اسْتَهْزِئُوا) أمر تهديد (إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ) مظهر (مَا تَحْذَرُونَ) إخراجه من نفاقكم (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) عن استهزائهم بك والقرآن

رسول الله وسراقة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاها عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة هل عرفت من القوم أحدا فقال لم أعرف منهم أحدا يارسول الله فقال رسول الله إنهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا يبعث إليهم من يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم بل يكفينا الله بالدبيلة وهى خراج من نار يظهر فى أكتافهم حتى ينجم من صدورهم (قوله وهم سائرون معك) أى فكانوا يقولون هيهات هيهات يريد هذا الرجل أن يفتح حصون الشام وقصورها فأطلع الله نبيه على ماقالوه فقال لهم هل قلتم كذاوكذافقالوا لا والله ما كنا فى شىء من أمرك ولامن أمر أصحابك ولكن كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بنا السفر (قوله أبالله) أى بفرائضه وحقوقه (قوله وآياته) أى كلماته القرآنية (قوله ورسوله) أى محمد صلى الله عليه وسلم (قوله عنه) أى الاستهزاء (قوله مبنيا للمفعول الخ) أى ونائب الفاعل عن طائفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله كمخشى بن حمير) وفى بعض النسخ كجحش بن حمير أسلم وحسن إسلامه كان يضحك ولا يخوض وكان ينكر بعض مايسمع فلما نزلت هذه الآية تاب

وهم سائرون معك إلى تبوك (لَيَقُولُنَّ) معتذرين (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) فى الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك (قُلْ) لهم (أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا) عنه (قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) أى ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان (إِنْ يُعْفَ) بالياء مبنيا للمفعول والنون مبنيا للفاعل (عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ) باخلاصها وتوبتها كمخشى ابن حمير (تُعَذَّبْ) بالتاء والنون (طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) مصرين على النفاق والاستهزاء (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ) أى متشابهون فى الدين كأبعاض الشىء الواحد (يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ) الكفر والمعاصى (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) الإيمان والطاعة (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) عن الانفاق فى الطاعة (نَسُوا اللَّهَ) تركوا طاعته (فَنَسِيَهُمْ) تركهم من لطفه (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ) جزاء وعقابا (وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ) أبعدهم عن رحمته (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ) دائم، أنتم أيها المنافقون (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا) تمتعوا (بِخَلَاقِهِمْ) نصيبهم من الدنيا (فَاسْتَمْتَعْتُمْ) أيها المنافقون (بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ) فى الباطل والطعن فى النبى صلى الله عليه وسلم (كَالَّذِي خَاضُوا)،

من نفاقه وقال اللهم إنى لا أزال أسمع آية تقرأ تقشعرمنها الجلود وتخفق منها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لايقول أحد أناغسلت أنا كفنت أنادفنت فأصيب يوم اليمامة فلم يعرف أحد من المسلمين مصرعه (قوله المنافقون) أى وكانوا ثلثمائة (قوله والمنافقات) أى وكن مائة وسبعين (قوله أى متشابهون فى الدين) أى الذى هو النفاق فهم على أمر واحد مجتمعون عليه (قوله ويقبضون أيديهم) كناية عن عدم الانفاق لأن شأن المعطى بسط اليد وشأن الممسك قبضها (قوله تركوا طاعته) أى جواب عما يقال إن النسيان لايؤاخذ به الانسان . فأجاب بأن المراد به الترك (قوله تركهم) جواب عما يقال إن النسيان مستحيل على الله تعالى . فأجاب بأن المراد به الترك (قوله هم الفاسقون) أى الكاملون فى التمرد والفسق والاظهار فى موضع الاضمار لزيادة التقريع (قوله وعد الله المنافقين) يستعمل وعد فى الخير والشر وإنما يفترقان فى المصدر فمصدر الأول وعد والثانى وعيد (قوله والكفار) أى المتجاهرون بالكفر فهوعطف مغاير (قوله خالدين فيها) حال مقدرة (قوله ولهم عذاب مقيم) أى غير النار كالزمهرير أو المراد عذاب فى الدنيا (قوله كالذين من قبلكم) الجار والمجرور خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أنتم وهذا خطاب للمنافقين ففيه التفات من الغيبة للخطاب والمثلية فى الأوصاف المتقدمة وهى الأمر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض اليد ونسيان حقوق الله والآتية بقوله فاستمتعوا الخ (قوله فاستمتعوا بخلاقهم) أى بحظوظهم الفانية والتشاغل بها عما يرضى الله تعالى .

(قوله أى كخوضهم) مشى المفسر على أن الذى حرف مصدرى وهى طريقة ضعيفة لبعض النحاة وعليه فيقدر فى الكلام مفعول مطلق ليكون مشبها بالمصدر المأخوذ من الذى والتقدير وخضتم خوضا كخوضهم والصحيح أن الذى اسم موصول صفة لموصوف محذوف والعائد محذوف تقديره كالخوض الذى خاضوه (قوله ألم يأتهم) أى المنافقين والاستفهام للتقرير (قوله قوم نوح الخ) أى وقد أهلكوا بالطوفان وعاد أهلكوا بالريح العقيم وثمود أهلكوا بالرجفة وقوم إبراهيم أهلكوا بسلب النعمة عنهم و بالبعوض وأصحاب مدين أهلكوا بالظلة (قوله والمؤتفكات) أى المنقلبات التى جعل الله عاليها سافلها (قوله فما كان الله ليظلمهم) معطوف على مقدر قدره المفسر بقوله فكذبوهم فأهلكوا (قوله بأن يعذبهم بغير ذنب) تفسير للظلم المنفى : أى الواقع أن الله لم يعذبهم بغير ذنب بل لوفرض أنه عذبهم بغير ذنب لم يكن ظلما لأن الظلم هو التصرّف فى ملك الغير من غير إذنه ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى لكن تفضل الله بأنه لايعذب بغير ذنب ولايجوز عليه شرعا أن يعذب فى الآخرة عبدا بغير ذنب و إن جاز عقلا (قوله والمؤمنون والمؤمنات الخ) لما بين حال المنافقين والمنافقات عاجلا وآجلا ذكر حال المؤمنين والمؤمنات عاجلا وآجلا (قوله أولياء بعض) أى فى الدين وعبر عنهم بذلك دون المنافقين فعبر فى شأنهم بمن إشارة أن نسبة المؤمنين فى الدين كنسبة القرابة ، وأما المنافقون فنسبتهم طبيعية نفسانية فهم جنس واحد

أى كخوضهم (أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ) خبر (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ) قوم هود (وَثَمُودَ) قوم صالح (وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ) قوم شعيب (وَالْمُؤْتَفِكَاتِ) قرى قوم لوط أى أهلها (أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات فكذبوهم فأهلكوا (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) بأن يعذبهم بغير ذنب (وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب الذنب (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شىء عن إنجاز وعده ووعيده (حَكِيمٌ) لايضع شيئا إلا فى محله (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ) أعظم من ذلك كله (ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ).

(قوله يأمرون بالمعروف) أى يحبونه لأنفسهم ولإخوانهم والمعروف كل ماعرف فى الشرع وهو كل خير (قوله و ينهون عن المنكر) أى ينفرون منه ولايرضون به ، والمراد بالمنكر كل ماخالف الشرع (قوله و يطيعون الله ورسوله) أى باللسان والجنان وسائر الأعضاء (قوله سيرحمهم الله) أى فى الدنيا بالإيمان والمعرفة وفى الآخرة بالخلود فى الجنة ونعيمها ورضا الله عنهم ، وهذه الأوصاف مقابلة لأوصاف المنافقين المتقدمة (قوله عن إنجاز وعده) أى للمؤمنين والمؤمنات (قوله ووعيده) أى للمنافقين والمنافقات فهو لف ونشر مشوش (قوله وعد الله المؤمنين والمؤمنات) هذا تفصيل لما أجمل فى قوله أولئك سيرحمهم الله (قوله جنات) أى بساتين لكل مؤمن ومؤمنة ليس فيها شركة لأحد (قوله تجرى من تحتها) أى بأرضها (قوله خالدين فيها) حال من المؤمنين والمؤمنات (قوله ومساكن طيبة) أى تستطيبها النفوس وتألفها ، فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر (قوله فى جنات عدن) أى فى بساتين إقامة لاتحول ولا تزول . « روى أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى ــ ومساكن طيبة فى جنات عدن ــ قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين » وفى رواية « فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام » (قوله ورضوان من الله أكبر) التنوين للتقليل أى أقل رضوان يأتيهم من الله أكبر من ذلك كله فضلا عن أكثره . ورد « أن الله تعالى يقول لأهل الجنة : هل رضيتم ؟ فيقولون مالنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأى شىء أفضل من ذلك ؟ قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » (قوله ذلك) أى الرضوان (قوله هو الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الذى لايضاهى .

(قوله بالسيف) المراد به جميع آلات الحرب (قوله باللسان والحجة) أى لا بالسيف لنطقهم بالشهادتين فالمراد بجهادهم بذل الجهد فى نصيحتهم وتخويفهم (قوله بالانتهار والمقت) المراد به القتل بالنسبة للكفار والاهانة والزجر بالنسبة للمنافقين (قوله ومأواهم جهنم) جملة مستأنفة بيان لعاقبة أمرهم (قوله يحلفون بالله ماقالوا) هذا بيان لقبحهم وخباثة باطنهم (قوله كلمة الكفر) قيل هى كلمة الجلاس بن سويد حيث قال : إن كان محمدا صادقا فيما يقول فنحن شر من الحمير ، وقيل هى كلمة ابن أبى ابن سلول حيث قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (قوله أظهروا الكفر الخ) دفع بذلك مايقال إن ظاهر الآية يقتضى أنهم مسلمون ثم كفروا بعد ذلك مع أنهم لم يسلموا أصلا . فأجاب بأن المراد أظهروا الكفر بعد أن أظهروا الاسلام (قوله من الفتك) مثلث الفاء : الأخذ على حين غفلة (قوله ليلة العقبة) أى التى بين تبوك والمدينة (قوله وهم بضعة عشر رجلا) قيل اثناعشر وقيل أكثرمن ذلك لكن لم يبلغوا العشرين وقد أجمع رأيهم على أن يفتكوا بالنبى فى العقبة ليقع فى الوادى فيموت فأخبره الله بما دبروه فلما وصل إلى العقبة نادى منادى رسول الله بأمره أن رسول الله يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد غيره واسلكوا يامعشرالجيش بطن الوادى فانه أسهل لكم وأوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك النبى العقبة وكان ذلك فى ليلة مظلمة فجاء المنافقون وتلثموا وسلكوا العقبة فلما ازدحموا على رسول الله نفرت ناقته حتى سقط بعض متاعه فصرخ بهم فولوا مدبرين وأمر عمار ابن ياسر وقيل حذيفة بضرب وجوه رواحلهم فانحطوا من العقبة مسرعين إلى بطن الوادى واختلطوا بالناس فقال له النبى هل عرفت أحدا منهم ؟ قال لا كانوا متلثمين والليلة مظلمة قال هم فلان وفلان حتى عدهم قال هل عرفت مرادهم قال لا قال إنهم مكروا وأرادوا الفتك بى وإن الله أخبرنى بمكرهم فلما أصبح جمعهم ويؤدى وأخبرهم بما مكروا فحلفوا بالله ماقالوا ولا أرادوا فنزلت الآية و يؤخذ من ذلك أنهم سافروا مع رسول الله إلى تبوك وتقدم أنهم تخلفوا و يمكن الجمع بأن البعض سافر والبعض تخلف (قوله فضرب عمار بن ياسر) وقيل حذيفة (قوله ومانقموا أنكروا) أى ما كرهوا وماعابوا وفى الآية تأكيد المدح بما يشبه الذم كأنه قيل ليس له صفة تكره وتعاب إلا اغناءهم من فضله بعد أن كانوا فقراء وهذه ليست صفة ذم فحينئذ ليس له صفة تذم أصلا (قوله وليس مما ينقم) أى يعاب ويكره (قوله و إن تولوا) أى داموا عليه (قوله ومنهم) أى المنافقين وظاهر الآية أنه حين المعاهدة كان منافقا وليس كذلك بل كان مسلما صحيحا وكان يلزم المسجد والجماعة حتى لقب بحمامة المسجد فجعله منهم باعتبار ما آل إليه أمره ففيه مجاز الأول (قوله لئن آتانا) تفسير لقوله عاهد واللام موطئة لقسم محذوف وان شرطية وآتانا فعل الشرط وجملة لنصدقن جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالته عليه ولتأخره على حد قول ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم   جواب ما أخرت فهو ملتزم

(قوله فيه إدغام التاء الخ) أى والأصل لنتصدقن قلبت التاء صادا ثم أدغمت فى الصاد (قوله ولنكونن من الصالحين) أى فى صرف المال بأن نصل به الأرحام وننفقه فى وجوه البر والخير (قوله وهو ثعلبة بن حاطب) كان أولا صحابيا جليلا ملازما للجمعة والجماعة والمسجد ثم رآه النبى يسرع بالخروج إثر الصلاة

بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) باللسان والحجة (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) بالانتهار والمقت (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هى (يَحْلِفُونَ) أى المنافقون (بِاللَّهِ مَا قَالُوا) ما بلغك عنهم من السب (وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ) أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) من الفتك بالنبى ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلا فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا (وَمَا نَقَمُوا) أنكروا (إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) بالغنائم بعد شدة حاجتهم ، المعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما ينقم (فَإِنْ يَتُوبُوا) عن النفاق ويؤمنوا بك (يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا) بالقتل (وَالْآخِرَةِ) بالنار (وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ) يحفظهم منه (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعهم (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الصاد (وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ) وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو له أن يرزقه الله مالا ،

و يؤدى منه كل ذى حق حقه فدعا له فوسع عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى (فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا) عن طاعة الله (وَهُمْ مُعْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ) أى فصير عاقبتهم (نِفَاقًا) ثابتا (فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) أى الله وهو يوم القيامة (بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) فيه ، فجاء بعد ذلك إلى النبى صلى الله عليه وسلم بزكاته فقال إن الله منعنى أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها إلى أبى بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات فى زمانه (أَلَمْ يَعْلَمُوا) أى المنافقون (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ) ما أسروه فى أنفسهم (وَنَجْوَاهُمْ) ما تناجوا به بينهم (وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ما غاب عن العيان . ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشىء كثير فقال المنافقون مراء ،

فقال له رسول الله لم تفعل فعل المنافقين ؟ فقال إنى افتقرت ولى ولامرأتى ثوب أجىء به للصلاة ثم أذهب فأنزعه لتلبسه وتصلى به فادع الله أن يوسع فى رزقى . وحاصل قصته : أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ادع الله أن يرزقنى مالا ، فقال رسول الله ويحك ياثعلبة ! قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال له مثل ذلك فقال له رسول الله أما لك فىّ أسوة حسنة ؟ والذى نفسى بيده لو أردت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ، ثم أتاه بعد ذلك فقال له : والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لأعطين كل ذى حق حقه ، فقال رسول الله : اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهى تنمو كما ينمو الدود فكان يصلى مع رسول الله الظهر والعصر و يصلى فى غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لايشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة فصار لايشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم الجمعة يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله ذات يوم فقال مافعل ثعلبة ؟ فقالوا له يارسول الله اتخذ ثعلبة غنما مايسعها واد ، فقال رسول الله : ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة ! فلما نزلت آية الصدقة بعث رسول الله رجلا من بنى سليم ورجلا من بنى جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما مرّا على ثعلبة بن حاطب وعلى رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وقرآ عليه كتاب رسول الله فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلىّ فانطلقا وسمع بهما السليمى فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياه قالا ماهذا عليك . قال خذاه فان نفسى بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أرونى كتابكما فقرأه فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيى فانطلقا ، فلما رآهما رسول الله قال قبل أن يتكلما ياويح ثعلبة ياويح ثعلبة ثم دعا للسليمى بخير فأخبراه بالذى صنع ثعلبة فنزلت الآية (قوله ويؤدى منه الخ) الجملة حالية من فاعل سأل (قوله فدعا له) أى فى المرة الثالثة (قوله فوسع عليه) أى بأن رزق غنما فصارت تنمو كالدود (قوله بخلوا به) أى حيث منع الزكاة لما جاءه السعاة لأخذها وقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية (قوله فأعقبهم نفاقا) أى فأورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم (قوله إلى يوم يلقونه) غاية لتمكن النفاق فى قلوبهم وحكمة الجمع فى هذه الضمائر مع أن سبب نزولها فى شخص واحد الاشارة إلى أن حكم هذه الآية باق لكل من اتصف بهذا الوصف من أول الزمان لآخره وليس مخصوصا بثعلبة (قوله بما أخلفوا الله) الباء سببية وما مصدرية والمعنى ذلك بسبب إخلافهم الله الوعد ورد «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، و إذا وعد أخلف ، و إذا ائتمن خان» (قوله فجاء بعد ذلك) أى غير تائب فى الباطن و إنما ذلك خوفا من أن يحكم بردته فيقتل و يؤخذ ماله كله ففعله ذلك لأجل حفظ دمه وماله لاتوبة من ذنبه و إلا لقبله الله (قوله يحثو التراب) أى يهيله على رأسه (قوله ثم جاء إلى أبى بكر) أى فى خلافته وكذا فى خلافة عمر وعثمان (قوله أى المنافقون) أى لابقيد كونهم الذين عاهدوا الله لأن آيتهم قد انقضت بقوله يكذبون (قوله ما أسروه) أى أخفوه (قوله ما غاب عن العيان) أى بالنسبة للعباد لا بالنسبة لله فان الكل عنده عيان وليس شىء غائبا عن علمه سبحانه وتعالى (قوله جاء رجل) هو عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت ربى أربعة فاجعلها يارسول الله فى سبيل الله وأمسكت لعيالى أربعة ، فقال له النبى بارك الله

لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبورك له حتى صولحت إحدى زوجاته الاربع بعد وفاته عن ربع الثمن ثمانين ألفا وأعتق من الرقاب ثلاثين ألفا وأوصى بخمسين ألف دينار و بألف فرس فى سبيل الله وأوصى لمن بقى من البدريين إذ ذاك وكان الباقى مائة أوصى لكل منهم بأربعمائة دينار وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف (قوله وجاء رجل فتصدق بصاع) أى وهو أبو عقيل الأنصارى جاء بصاع تمر وقال: بتّ ليلتى أجرّ بالجرير أى الحبل الذى يستقى به الماء وكان أجيرا يسقى الزرع بالماء من البئر قال وكانت أجرتى صاعين من تمر فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره النبى أن ينثره على الصدقات (قوله فقالوا إنّ الله غنىّ الخ) أى وإنما أتى به تعريضا بفقره ليعطى من الصدقات (قوله الذين يلمزون) مبتدأ خبره سخر الله منهم والذين لايجدون عطف على الذين الأول وقوله فيسخرون عطف على قوله يلمزون (قوله المطوّعين) أصله المتطوّعين أبدلت التاء طاء ثم أدغمت فى الطاء (قوله إلا جهدهم) الجهد الشىء اليسير الذى يعيش به المقلّ (قوله استغفر لهم الخ) خبر جىء به فى صورة الأمر والمعنى استغفارك لهم وعدمه سواء (قوله قال صلى الله عليه وسلم) دليل على التخيير (قوله قيل المراد بالسبعين الخ) هذا بناء على أن العدد لامفهوم له (قوله غفر) جواب لو الثانية وقوله لزدت جواب لو الأولى (قوله وقيل المراد الخ) بناء على أن العدد له مفهوم (قوله لحديثه) أى البخارى (قوله حسم المغفرة) أى قطعها (قوله ذلك) أى عدم المغفرة لهم (قوله بأنهم كفروا) الباء سببية وأن مصدرية والتقدير بسبب كفرهم (قوله والله لايهدى القوم الفاسقين) أى لايوصلهم لما فيه رضاه (قوله فرح المخلفون) جمع مخلف اسم مفعول والفاعل الكسل أى الذين خلفهم الكسل

وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله غنى عن صدقة هذا فنزل (الَّذِينَ) مبتدأ (يَلْمِزُونَ) يعيبون (الْمُطَّوِّعِينَ) المتنفلين (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ) طاقتهم فيأتون به (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) والخبر (سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ) جازاهم على سخريتهم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. اسْتَغْفِرْ) يا محمد (لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) تخيير له فى الاستغفار وتركه قال صلى الله عليه وسلم: إنى خيرت فاخترت يعنى الاستغفار رواه البخارى (إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) قيل المراد بالسبعين المبالغة فى كثرة الاستغفار، وفى البخارى حديث: لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها، وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضا وسأزيد على السبعين فبين له حسم المغفرة بآية: سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ) عن تبوك (بِمَقْعَدِهِمْ) أى بقعودهم (خِلَافَ) أى بعد (رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (لَا تَنْفِرُوا) تخرجوا إلى الجهاد (فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا) من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف (لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) يعلمون ذلك ما تخلفوا (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا) فى الدنيا (وَلْيَبْكُوا) فى الآخرة (كَثِيرًا) جزاء

وكانوا اثنى عشر (قوله أى بعد) أشار بذلك إلى أن خلاف ظرف زمان أو مكان و يصح أن يكون مصدرا بمعنى مخالفة، والمعنى على الأوّل فرحوا بقعودهم فى خلاف رسول الله أى بعد سفره أو بمكانه الذى سافر منه وعلى الثانى فرحوا بمخالفة رسول الله حيث اتصفوا بالقعود واتصف هو بالسفر (قوله وكرهوا أن يجاهدوا) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول كرهوا والمعنى كرهوا الجهاد لأن الانسان بطبعه ينفر من إتلاف النفس والمال سيما من ينكر الآخرة (قوله وقالوا) أى قال بعضهم لبعض (قوله لاتنفروا) أى إلى تبوك لأنها كانت فى شدة الحر والقحط (قوله أشدّ حرا) أى لأن حر الدنيا يزول ولايبقى وحر جهنم دائم لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون فمن آثر الشهوات على مايرضى مولاه كان مأواه جهنم ومن آثر رضا ربه على شهوته كان مأواه الجنة ولذا ورد «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» (قوله ما تخلفوا) جواب لو (قوله فليضحكوا قليلا) أى بالنسبة لبكاء الآخرة و إن كان فى نفسه كثيرا (قوله وليبكوا كثيرا) أى على مافاتهم من النعيم الدائم. ورد عن أنس بن مالك قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ياأيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى تسيل دموعهم

في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت» (قوله جزاء) إما مفعول لأجله أو مصدر منصوب بفعل مقدّر تقديره يجزون جزاء (قوله خبر عن حالهم) أي العاجل والآجل وإنما جيء به على صورة الأمر إشارة إلى أنه لايتخلف لأن الأمر المطاع مما لايكاد يتخلف عنه المأمور (قوله فان رجعك الله) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدم جمعهم معه في مشاهد الخير بعد ذلك، ويؤخذ من ذلك أن أهل الفسوق والعصيان لايرافقون ولايشاورون (قوله ممن تخلف) بيان للضمير في منهم (قوله من المنافقين) بيان للطائفة (قوله أول مرة) أي وهو الخروج لغزوة تبوك (قوله وغيرهم) أي كالمرضى (قوله على ابن أبيّ) اسمه عبد الله وأبيّ اسم أبيه وسلول اسم أمه وكان رئيس الخزرج وكان له ولد مسلم صالح فدعا النبي ليصلي عليه وسأله أن يكفنه في قميصه ففعل، ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كلم فيما فعل بعبد الله بن أبيّ فقال صلى الله عليه وسلم ومايغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه ويروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم (قوله منهم) صفة لأحد وكذا قوله مات أبدا (قوله ولاتقم على قبره) أي لاتتول دفنه (قوله إنهم كفروا) علة لما قبله ولما نزلت هذه الآية ماصلى على منافق ولا قام على قبره بعدها (قوله كافرون) أي وإنما عبر عنهم بالفسق إشارة إلى أن الكافر قد يكون عدلا في دينه بخلاف الفاسق فأفعاله خبيثة لاترضى أحدا وليس له دين يقر عليه فعبر عنهم بالفسق بعد التعبير عنهم بالكفر إشارة إلى أنهم جمعوا بين الوصفين الكفر وخسة الطبع (قوله ولا تعجبك أموالهم وأولادهم الخ) الحكمة في تكرارها المبالغة في التحذير من هذا الشيء الذي وقع الاهتمام به وعبر في الآية الأولى بالفاء وهنا بالواو لأن ماسبق له تعلق بما قبله فحسن العطف بخلاف ماهنا فلا تعلق له بما قبله وأتى بلا فيما تقدم وأسقط من هنا اعتناء بنفي الأولاد هناك وبين هنا أنهم سواء وأتى باللام في ليعذبهم هناك وبأن هنا إشارة إلى أن اللام بمعنى أن وليست للتعليل وأتى فيما تقدم بالحياة وهنا بإسقاطها إشارة إلى خسة حياة الدنيا حيث لاتستحق أن تذكر وقال هناك كارهون وهنا كافرون إشارة إلى أنهم يعلمون كفرهم قبل موتهم ويشاهدون الأماكن التي أعدت لهم في نظيره فمن حيث تلك المشاهدة تزهق أرواحهم وهم كافرون كارهون بخلاف المؤمن فإنه يشهد مقعده في الجنة ولاتخرج روحه إلا وهو كاره للدنيا محب للآخرة (قوله وهم كافرون) الجملة حالية (قوله أي طائفة من القرآن) أي سواء كانت تلك الطائفة سورة كاملة أو بعضها (قوله ذو والغنى) أي السعة من المال وقيل الرؤساء وخصوا بالذكر لأنهم قادرون على السفر وتركوه نفاقا إذ العاجز لايحتاج لاستئذان (قوله وقالوا) عطف على استأذنك (قوله أي النساء) ويصح أن يراد بهم الرجال الذين لاخير فيهم من قولهم رجل خالفة أي لاخير فيه (قوله لكن الرسول) استدراك على ماقد يتوهم أن كل هؤلاء جر غيرهم (قوله الخيرات في الدنيا والآخرة) أي بالنصر والغنيمة والجنة والكرامة (قوله أعد الله لهم) أي هيأ وأحضر ويؤخذ من ذلك أن الجنة موجودة الآن

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) خبر عن حالهم بصيغة الأمر (فَإِنْ رَجَعَكَ) ردك (اللهُ) من تبوك (إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ) ممن تخلف بالمدينة من المنافقين (فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ) معك إلى غزوة أخرى (فَقُلْ) لهم (لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ) المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم. ولما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على ابن أبيّ نزل (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) لدفن أو زيارة (إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ) كافرون (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ) تخرج (أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ. وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) أي طائفة من القرآن (أَنْ) أي بأن (آمِنُوا بِاللهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ) ذو والغنى (مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ. رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) جمع خالفة أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت (وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) الخير (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ) في الدنيا والآخرة (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أي الفائزون (أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا،

(قوله ذلك) أى الجنة المستفادة من قوله أعد الله لهم جنات (قوله وجاء المعذرون) أى الطالبون قبول العذر وهذا شروع فى ذكر أحوال منافقى الأعراب بعد بيان أحوال منافقى المدينة (قوله بادغام التاء فى الأصل) أى وأصله المعتذرون أبدلت التاء ذالا وأدغمت فى الذال ، وقيل إنه لاأصل له بل هو جمع معذر بالتشديد بمعنى متكلف العذر كذبا وليس بمعذور (قوله من الأعراب) أى سكان البوادى الناطقون بالعربية والعربى من نطق بالعربية مطلقا سكن البوادى أم لا فهو أعم من الأعراب (قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) أى فهم فريقان فريق جاء واعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم كذبا وهم أسد وغطفان اعتذروا بالجهد وكثرة العيال وفريق لم يأت أصلا وكذبوا بالتخفيف باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله الذين كفروا) أى استمروا عليه وأتى بمن إشارة إلى أن بعضهم أسلم وهو كذلك (قوله عذاب أليم) أى فى الدنيا بالقتل والأسر والآخرة بالخلود فى النار (قوله ليس على الضعفاء) هذا تخصيص لقوله فيما تقدم انفروا خفافا وثقالا والضعفاء جمع ضعيف وهو ضعيف البنية النحيف (قوله كالشيوخ) أى والنساء والصبيان (قوله والزمنى) من الزمانة وهى العجز والابتلاء (قوله ولا على الذين لايجدون ماينفقون) أى لفقرهم وعجزهم كجهينة ومزينة و بنى عذرة (قوله حرج) اسم ليس حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه (قوله إذا نصحوا) شرط

فى قوله حرج ، والمعنى ليس على هؤلاء حرج وقت نصحهم لله ورسوله (قوله بعدم الارجاف) أى إثارة الفتن (قوله والتثبيط) أى تكسيل من أراد الخروج (قوله والطاعة) معطوف على عدم الارجاف، والمعنى ان نصحهم كائن بالطاعة لله ورسوله بأن يخلصوا الايمان و يسعوا فى إيصال الخير إلى المجاهدين ويقوموا بمصالح بيوتهم و بعدم إثارة الفتن و بعدم تكسيل غيرهم بل لينشطوا و يرغبوا فى الجهاد ، و ينهوا من أراد التخلف

ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ بادغام التاء فى الأصل فى الذال أى المعتذرون بمعنى المعذورين وقرئ به (مِنَ الْأَعْرَابِ) إلى النبى صلى الله عليه وسلم (لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) فى القعود لعذرهم فأذن لهم (وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى ادعاء الايمان من منافقى الأعراب عن المجىء للاعتذار (سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ) كالشيوخ (وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ) كالعمى والزمنى (وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ) فى الجهاد (حَرَجٌ) إثم فى التخلف عنه (إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) فى حال قعودهم بعدم الارجاف والتثبيط والطاعة (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) بذلك (مِنْ سَبِيلٍ) طريق بالمؤاخذة (وَاللَّهُ غَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم فى التوسعة فى ذلك (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مقرن (قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ) حال (تَوَلَّوْا) جواب إذا أى انصرفوا (وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ) تسيل (مِنَ) للبيان (الدَّمْعِ حَزَنًا) لأجل (أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) فى الجهاد

(قوله ماعلى المحسنين من سبيل) إنما أظهر فى مقام الاضمار إشارة (إنما
إلى انتظامهم بنصحهم فى سلك المحسنين ومن زائدة للتأكيد والجار والمجرور خبر مقدم ومن سبيل مبتدأ مؤخر و يصح أن يكون فاعلا بالجار والمجرور لاعتماده على النفى (قوله ولا على الذين) أى ليس عليهم سبيل (قوله إذا ما أتوك) ما إذا وقعت بعد إذا تكون صلة (قوله إلى الغزو) أى وهى غزوة تبوك (قوله وهم سبعة من الأنصار) أى و يقال لهم البكاءون فحمل العباس منهم اثنين وعثمان ثلاثة زيادة على الجيش الذى جهزه وحمل يامين بن عمرو النضرى اثنين (قوله وقيل بنو مقرن) أى وكانوا ثلاثة إخوة معقل وسويد والنعمان وقيل هم أصحاب أبى موسى الأشعرى وقد كان حلف أن لايحملهم ثم أتى له صلى الله عليه وسلم بابل من السبى فأرسلها لهم ليحملوا عليها فقالوا لا نركب حتى نسأل رسول الله فانه قد حلف أن لايحملنا فلعله نسى اليمين فجاءوه فقال مامعناه لاأرى خيرا مما حلفت عليه إلا فعلته ، ومثل هذه اليمين لاتكفر عند مالك لوجود بساط اليمين حين الحلف فكأن يمينه مقيدة بعدم وجود ما يحملهم عليه وتكفر عند الشافعى (قوله قلت لاأجد) أى ليس عندى ماتحملون عليه وفى هذا التعبير مزيد لطف بهم (قوله حال) أى من الكاف فى أتوك و يصح أن تكون هى الجواب وجملة تولوا مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا حصل لهم (قوله وأعينهم) الجملة حالية من فاعل تولوا (قوله للبيان) أى لجنس الفائض (قوله ألا يجدوا ماينفقون) أشار المفسر إلى أنه مفعول لأجله والعامل فيه حزنا الواقع مفعولا له أو حالا

(قوله إنما السبيل) أى طريق العتاب (قوله وهم أغنياء) الجملة حالية من فاعل يستأذنوك (قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) إما مستأنف أو حال وقد مقدرة (قوله تقدم مثله) أى فذكره هنا للتأكيد وعبر هنا بالعلم وهناك بالفقه إشارة إلى أن معناهما واحد إذ الفقه هو العلم والعلم هو الفقه (قوله يعتذرون) أى المتخلفون بالباطل والأكاذيب استئناف لبيان اعتذارهم عند العود إليهم روى أنهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا يعتذرون إليه و إلى أصحابه بالباطل (قوله قل لاتعتذروا) أى جوابا لهم (قوله لن نؤمن لكم) تعليل للنهى وقوله قد نبأنا الله علة للعلة (قوله وسيرى الله عملكم) أى السيئ ومفعول يرى الثانى محذوف تقديره مستمرا والمعنى سيظهر تعلق علمه بأعمالكم لعباده (قوله أى الله) أشار بذلك إلى أنه إظهار فى موضع الاضمار زيادة فى التشديد عليهم (قوله بما كنتم تعملون) أى بعملكم أو بالذى كنتم تعملونه (قوله سيحلفون بالله) تأكيد لعذرهم بالكذب (قوله إنهم معذورون فى التخلف) هذا هو المحلوف عليه (قوله فأعرضوا عنهم) أى غير راضين بفعلهم (قوله إنهم رجس) علة لقوله فأعرضوا عنهم (قوله فان ترضوا عنهم) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فان الله لايرضى الخ . أشار له المفسر بقوله ولا ينفع رضاكم الخ (قوله أى عنهم) أشار بذلك إلى أن المقام للاضمار و إنما أظهر زيادة فى التشنيع والتقبيح عليهم بحيث وصفهم بالخروج عن الطاعة (قوله الأعراب) أى جنسهم وهو اسم جمع لاجمع عرب لئلا يلزم عليه كون الجمع أخص من مفرده فان الأعراب سكان البوادى والعرب المتكلمون باللغة العربية سكنوا البوادى أم لا (قوله لجفائهم) علة لقوله أشد كفرا ونفاقا (قوله من الأحكام والشرائع) بيان للحدود (قوله لأنه لايرجو ثوابه) أى لعدم إيمانه بالآخرة وهو تعليل للاتخاذ المذكور (قوله ويتربص) عطف على يتخذ (قوله الدوائر) جمع دائرة وهى مايحيط بالانسان من المصائب (قوله فيتخلصوا) أى من الانفاق (قوله بالضم والفتح) أى فهما قراءتان سبعيتان وهذا دعاء عليهم بنظير ما أرادوه للمسلمين (قوله ومن الأعراب الخ) اعلم أن الأعراب أقسام منهم المنافقون ، وقد تقدم ذكرهم فى قوله ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مغرما ومنهم مؤمنون وقد ذكروا هنا (قوله كجهينة ومزينة) أى وكغفار وأسلم قبائل عظام (قوله ويتخذ) فعل مضارع ينصب مفعولين الأول الاسم الموصول والثانى قربات على حذف مضاف أى سبب قربات وقوله عند الله ظرف متعلق بمحذوف صفة لقربات وقوله وصلوات الرسول معطوف على قربات : أى وسبب صلوات الرسول .

(١٥٣)

(﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ﴾) فى التخلف (﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾) تقدم مثله (﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾) فى التخلف (﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾) من الغزو (﴿قُلْ﴾) لهم (﴿لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾) نصدقكم (﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾) أى أخبرنا بأحوالكم (﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾) بالبعث (﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾) أى الله (﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾) فيجازيكم عليه (﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾) رجعتم (﴿إِلَيْهِمْ﴾) من تبوك وأنهم معذورون فى التخلف (﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾) بترك المعاتبة (﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾) قذر لخبث باطنهم (﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾) أى عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله (﴿الْأَعْرَابُ﴾) أهل البدو (﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾) من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم و بعدهم عن سماع القرآن (﴿وَأَجْدَرُ﴾) أولى (﴿أَنْ﴾) أى بأن (﴿لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾) من الأحكام والشرائع (﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾) بخلقه (﴿حَكِيمٌ﴾) فى صنعه بهم (﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾) فى سبيل الله (﴿مَغْرَمًا﴾) غرامة وخسرانا لأنه لايرجو ثوابه بل ينفقه خوفا وهم بنو أسد وغطفان (﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾) ينتظر (﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾) دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلصوا (﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾) بالضم والفتح أى يدور العذاب والهلاك عليهم لاعليكم (﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾) لأقوال عباده (﴿عَلِيمٌ﴾) بأفعالهم (﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾) كجهينة ومزينة (﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾) فى سبيل الله ،

(قوله قربات) بضمّ الراء باتفاق السبعة جمع قربة بضمّ الراء وسكونها فعلى الضمّ الأمر ظاهر وعلى السكون فضمّ راء الجمع للاتباع لضم فائه أوجمعا لمضموم الراء وقد قرئ بهما فى السبع ، ومعنى كونها قربات أنها تقرّب العبد لرضا الله عليه وليس معناه أن الله فى مكان وتلك النفقة تقرّبه من ذلك المكان فانه مستحيل تعالى الله عنه (قوله وصلوات الرسول) أى دعواته لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة فتجب ملاحظته فى كل عمل لله لأن الله تعبدنا بالتوسل به . قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله - فمن زعم أنه يصل إلى رضا الله بدون اتخاذه صلى الله عليه وسلم واسطة ووسيلة بينه و بين الله تعالى ضلّ سعيه وخاب رأيه . قال العارف بن مشيش : ولا شئ إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط ، وقال بعضهم

وأنت باب الله أىّ امرئ أتاه من غيرك لايدخل

فهو باب الله الأعظم وسره الأفخم والوصول إليه وصول إلى الله لأن الحضرتين واحدة ومن فرق لم يذق للمعرفة طعما (قوله ألا إنها) ألا أداة استفتاح يؤتى بها لأجل الاعتناء بمابعدها (قوله قربة) أى تقربهم لرضا ربهم حيث أنفقوها مخلصين فيها متوسلين بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله جنته) أشار بذلك إلى أن المراد بالرحمة الجنة من إطلاق الحال و إرادة المحل لأن الجنة محل الرحمة (قوله والسابقون) مبتدأ والأوّلون صفته ، وقوله من المهاجرين والأنصار حال والذين اتبعوهم معطوف على السابقون والخبر قوله رضى الله عنهم الخ (قوله والأنصار) أى وهم الأوس والخزرج (قوله وهم من شهد بدرا) أى لأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين وعليه تكون من للتبعيض (قوله أو جميع الصحابة) أى فتكون من بيانية ، وقيل المراد بهم أهل بيعة الرضوان وكانوا ألفا وخمسمائة ، وقيل المراد بهم أهل أحد ، وقيل كل من دخل الإسلام قبل الفتح لقوله تعالى - لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى - (قوله إلى يوم القيامة) أى فيشمل صلحاء كل زمان (قوله رضى الله عنهم) أى قبل أعمالهم وأثابهم عليها وأعطاهم مالم يعط أحدا من خلقه (قوله ورضوا عنه) أى قبلوا ما أعطاهم الله لما فى الحديث « مالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون وأى شئ أفضل من هذا ؟ فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط بعده أبدا » (قوله وفى قراءة بزيادة من) أى وهى سبعية لابن كثير ومعلوم أنه يقرأ بالصلة فمن قرأ بقراءته وصل اتبعوهم وعنهم ولهم بأن يشبع ضمة الميم فى الجميع (قوله ذلك) أى ماتقدم من الرضا والجنان (قوله الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الذى لايضاهى (قوله وممن حولكم) خبر مقدم ومنافقون مبتدأ مؤخر ومن الأعراب بيان لمن ومن أهل المدينة خبر مقدم والمبتدأ محذوف تقديره منافقون أيضا وجملة مردوا على النفاق صفة لذلك المحذوف فيكون من عطف الجمل أو خبر بعد خبر توسط بينهما المبتدأ ويكون من عطف المفردات (قوله كأسلم الخ) أى بعض هذه القبائل فلاينافى ماتقدم من مدحهم فى قوله ومن الأعراب من يتخذ ماينفق قربات (قوله مردوا على النفاق) أى تمرنوا عليه ولم يتوبوا منه (قوله لا تعلمهم) إن قلت كيف نفى علمه بحال المنافقين هنا وأثبته فى قوله ولتعرفنهم فى لحن القول ، فالجواب أن آية النفى نزلت قبل آية الاثبات (قوله بالفضيحة أو القتل) أشار بذلك إلى أنه اختلف فى المرة الأولى ولكن القول الأول هو الصحيح لأن أحكام الاسلام فى الظاهر جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يؤسروا والفضيحة باخراجهم من المسجد لما فى الحديث عن ابن مسعود « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(قُرُبَاتٍ) تقربه (عِندَ اللَّهِ وَ) وسيلة إلى (صَلَوَاتِ) دعوات (الرَّسُولِ) له (أَلَا إِنَّهَا) أى نفقتهم (قُرْبَةٌ) بضم الراء وسكونها (لَّهُمْ) عنده (سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ) جنته (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لأهل طاعته (رَّحِيمٌ) بهم (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ) وهم من شهد بدرا أو جميع الصحابة (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم) إلى يوم القيامة (بِإِحْسَانٍ) فى العمل (رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ) وفى قراءة بزيادة من (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمِمَّنْ حَوْلَكُم) ياأهل المدينة (مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ) كأسلم وأشجع وغفار (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) منافقون أيضا (مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) لجوا فيه واستمروا (لَا تَعْلَمُهُمْ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) بالفضيحة أوالقتل فى الدنيا ، وعذاب

إن منكم منافقين فمن سميته فليقم ثم قال قم يافلان فانك منافق حتى سمى ستة وثلاثين » (قوله وعذاب القبر) هذه هى المرة الثانية ، وستأتى الثالثة فى قوله ثم يردّون إلى عذاب عظيم فقد صار عذاب المنافقين ثلاث مرات (قوله وآخرون) حاصله أن من تخلف عن تبوك ثلاثة أقسام : قسم منافقون استمروا على النفاق وقد تقدم ذكرهم فى قوله وممن حولكم من الأعراب إلى قوله عظيم ، وقسم تائبون اعترفوا بذنوبهم و بادروا بالعذر لرسول الله وقد ذكرهم فى قوله ـ وآخرون اعترفوا ـ إلى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون ـ وقسم لم يبادروا بالعذر وقد ذكرهم الله بقوله ـ وآخرون مرجون ـ إلى قوله ـ حكيم ـ (قوله اعترفوا بذنوبهم) أى أقروا بذنوبهم لربهم وتابوا منها ، وليس المراد اعترفوا للناس وهتكوا أنفسهم فان ذلك أمر لايجوز (قوله وهو جهادهم قبل ذلك) أى قبل هذا التخلف (قوله وآخر سيئا) الواو بمعنى الباء ، والمعنى أنهم جمعوا بين العمل الصالح والعمل السيء (قوله وهو تخلفهم) أى من غير عذر واضح (قوله عسى الله أن يتوب عليهم) أى يقبل توبتهم والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق لأن عسى ونحوها تفيد الاطماع ومن أطمع إنسانا فى شيء ثم حرمه منه كان عارا عليه والله أكرم من أن يطمع أحدا فى شيء ثم لايعطيه إياه لأنه وعد وهو لايتخلف وهذه الجملة مستأنفة ويصح أن تكون خبرا وجملة خلطوا حالية وقد مقدّرة (قوله نزلت فى أبى لبابة) وهو رفاعة بن عبد المنذر كان من أهل الصفة ربط نفسه ثنتى عشرة ليلة فى سلسلة ثقيلة وكانت له ابنة تحله للصلاة وقضاء الحاجة ، وتقدم فى سورة الأنفال أنه أوثق نفسه مرة أخرى بسبب قريظة حتى نزلت توبته (قوله وجماعة) قيل عشرة ، وقيل ثمانية ، وقيل خمسة ، وقيل ثلاثة وقد كانوا تخلفوا عن تبوك ثم ندموا بعد ذلك فلما قدم رسول الله من المدينة حلفوا ليربطن أنفسهم بالسوارى ولا يطلقونها حتى يكون رسول الله هو الذى يطلقها ففعلوا فلما رجع رسول الله رآهم ، فقال من هؤلاء فقيل له هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تطلقهم أنت وترضى عنهم

(١٥٥)

وعذاب القبر (ثُمَّ يُرَدُّونَ) فى الآخرة (إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) هو النار (وَ) قوم (آخَرُونَ) مبتدأ (اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) من التخلف نعته والخبر (خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا) وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك (وَآخَرَ سَيِّئًا) وهو تخلفهم (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) نزلت فى أبى لبابة وجماعة أو ثقوا أنفسهم فى سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين وحلفوا لايحلهم إلا النبى صلى الله عليه وسلم فحلهم لما نزلت (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) أى ادع لهم (إِنَّ صَلَوَاتِكَ سَكَنٌ) رحمة (لَهُمْ) وقيل طمأنينة بقبول توبتهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

فقال وأنا أقسم بالله لاأطلقهم ولاأعذرهم حتى أومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فعذرهم وأطلقهم (قوله ما نزل فى المتخلفين) أى من الوعيد الشديد حيث قال الله فيهم: فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الآية (قوله فحلهم لما نزلت) أى آية وآخرون اعترفوا بذنوبهم (قوله خذ من أموالهم) من للتبعيض والجار والمجرور حال من صدقة ووجد المسوغ وهو وصفها بقوله تطهرهم وتزكيهم بها ، والمعنى خذ بعض الأموال التى خرجوا عنها لله ورسوله ، وذلك أنه لما نزلت فيهم الآية وحلهم رسول الله أتوا وقالوا هذه أموالنا التى خلفتنا عنك خذها فتصدق بها وطهرنا واستغفر لنا فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزلت ـ خذ من أموالهم ـ الآية (قوله تطهرهم وتزكيهم) الأقرب أن التاء للخطاب وحذف قوله بها من الأول لدلالة الثانى عليه ، والمعنى خذ يامحمد بعض أموالهم صدقة حال كونك مطهرا لهم بها ومزكيهم بها ومعنى تزكيهم تنميهم وتزيدهم بسبب أخذها خيرا (قوله فأخذ ثلث أموالهم) أى كفارة لذنوبهم، ويؤخذ من ذلك أن من قال مالى صدقة فى سبيل الله أوللفقراء يكفيه ثلثه وهومذهب مالك وعموم الآية يشمل الصدقة الواجبة والمندوبة (قوله إن صلواتك) بالجمع والافراد هنا وفى هود فى قوله ـ أصلواتك تأمرك ـ قراءتان سبعيتان والمعنى دعواتك رحمة لهم وطمأنينة وهذا فى حياة رسول الله ، وأما بعد وفاته فدعاء الخليفة يقوم مقام دعاء النبى وأيضا الأعمال تعرض عليه صباحا ومساء فان رأى خيرا حمد الله وإن رأى غير ذلك استغفر لنا كما ورد فى الحديث « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تعرض على أعمالكم فى الصباح وفى المساء فان وجدت خيرا حمدت الله وإن وجدت سوءا استغفرت لكم» فدعاء رسول الله حاصل فى حياته و بعد موته ولا عبرة بمن ضل وزاغ عن الحق وخالف فى ذلك (قوله والله سميع عليم) أى

بالأقوال والأفعال (قوله ألم يعلموا) أى التائبون (قوله أن الله هو يقبل التوبة) هو مبتدأ وجملة يقبل خبره والجملة خبر أن وجملة أن واسمها وخبرها ستت مسدّ مفعولى يعلم أو مفعولها (قوله عن عباده) متعلق بيقبل وعن بمعنى من ويجوز أن تكون باقية على معناها للمجاوزة ، والمعنى يتجاوز عن عباده بقبول توبتهم (قوله و يأخذ الصدقات) أى يثيب صاحبها عليها وعبر عن القبول بالأخذ ترغيبا لهم فى بذل الأموال (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله تهييجهم) أى حثهم وترغيبهم (قوله لهم أو للناس) تفسيران فى الآية (قوله اعملوا ماشئتم) فى ذلك وعد عظيم للطائعين ووعيد للعاصين، والمعنى اعملوا أيها التائبون أو أيها الناس عموما ماشئتم من خير فيجازيكم عليه بالثواب أو شرّ فيجازيكم عليه بالعقاب أو يعفو الله عنكم (قوله فسيرى الله عملكم) أى يحصيه ويجازيكم عليه فالاستقبال بالنظر للجزاء (قوله ورسوله) أى لأن الأعمال تعرض عليه (قوله والمؤمنون) أى فيكون ذلك الجزاء إما فرحا وسرورا بين أهل الموقف أو حزنا وسوءا بينهم (قوله فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيحاسبكم على جميع ما قدّمتموه (قوله بالهمز) أى المضموم وتركه : أى مع سكون الواو قراءتان سبعيتان (قوله عن التوبة) أى عن قبولها و إلا فقد وقعت منهم التوبة غير أنهم لم يعتذروا للنبى صريحا و إنما ندموا وحزنوا وصمموا على التوبة سرا (قوله إما يعذبهم)

إما للابهام بالنسبة للمخاطبين ، والمعنى أن الله أبهم على المخاطبين أمرهم (قوله و إما يتوب عليهم) أى يقبل توبتهم (قوله حكيم فى صنعه) أى لايسأل عما يفعل فلا يعترض على أحكامه سبحانه وتعالى (قوله وهم الثلاثة) أى وكانوا من أهل المدينة (قوله مرارة) بضم الميم (قوله إلى الدعة) أى الراحة والكسل (قوله ولم يعتذروا) أى لشدّة ما نزل بهم من الحزن والأسف على ما فرطوا (قوله فوقف أمرهم خمسين ليلة) أى فى نظير مدة التخلف لأنها كانت خمسين ليلة ، فلما تمتعوا بالراحة فيها مع تعب غيرهم فى السفر

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ يقبل (الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ) على عباده بقبول توبتهم (الرَّحِيمُ) بهم والاستفهام للتقرير والقصد به تهييجهم إلى التوبة والصدقة (وَقُلْ) لهم أو للناس (اعْمَلُوا) ما شئتم (فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ) بالبعث (إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى الله (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (وَآخَرُونَ) من المتخلفين (مُرْجَؤْنَ) بالهمز وتركه مؤخرون عن التوبة (لِأَمْرِ اللهِ) فيهم بما يشاء (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ) بأن يميتهم بلا توبة (وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه بهم وهم الثلاثة الآتون بعد : مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية تخلفوا كسلا وميلا إلى الدعة لانفاقا ولم يعتذروا إلى النبى صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد (وَ) منهم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا) وهم اثنا عشر من المنافقين (ضِرَارًا) مضارة لأهل مسجد قباء (وَكُفْرًا) لأنهم بنوه بأمر أبى عامر الراهب ليكون معقلا له يقدم فيه من يأتى من عنده وكان ذهب ليأتى بجنود من قيصر لقتال النبى صلى الله عليه وسلم ،

(وتفريقا

عوقبوا بهجرهم تلك المدة (قوله والذين اتخذوا) بالواو ودونها قراءتان سبعيتان والأحسن إعراب الاسم الموصول مبتدأ وعلى كل خبره محذوف قدره المفسر بقوله منهم والواو إما للعطف على الجمل المتقدمة كقوله تعالى ـ ومنهم من يلمزك فى الصدقات ، ومنهم الذين يؤذون النبى ، ومنهم من عاهد الله ـ عطف قصة على قصة أو للاستئناف (قوله ضرارا) إما مفعول لأجله أو مفعول ثان لاتخذوا (قوله لأهل مسجد قباء) أشار بذلك إلى أن متعلق الضرار محذوف (قوله بأمر أبى عامر الراهب) أى وهو والد حنظلة غسيل الملائكة (قوله معقلا له) أى ملجأ (قوله وكان ذهب الخ) حاصل ذلك أن أبا عامر قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح وتنصر ، فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة . قال له أبو عامر ماهذا الدين الذى جئت به ؟ قال النبى صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين إبراهيم . قال أبو عامر فأنا عليها قال له النبى إنك لست عليها . قال أبو عامر بلى ولكنك أدخلت فى الحنيفية ماليس منها فقال النبى صلى الله عليه وسلم مافعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية . قال أبو عامر أمات الله الكاذب منا طريدا غريبا وحيدا فقال النبى صلى الله عليه وسلم آمين وسماه أبا عامر الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبى لاأجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يئس أبو عامر وخرج هاربا إلى الشام فأرسل إلى المنافقين أن أعدوا

ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار إلى جنب مسجد قباء فلما فرغوا من بنائه آتوا رسول الله وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا يارسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة و إنا نحب أن تأتينا وتصلى لنا فيه وتدعو بالبركة ، فقال رسول الله إنى على جناح سفر ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا فيه ، فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من تبوك راجعا نزل بذى أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه أن يأتى مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه و يأتيهم فنزلت هذه الآية وأخبره جبريل خبر مسجد الضرار وما هموا به فدعا رسول الله مالك بن الدخشم ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه فخرجوا مسرعين حتى آتوا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك ابن الدخشم ، فقال مالك أنظرونى حتى أخرج إليكم بنار فدخل على أهله فأخذ من سعف النخل فأوقده ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فأحرقوه وهدموه وتفرق أهله وأمر رسول الله أن يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام طريدا وحيدا غريبا (قوله (١٥٧) إلا الحسنى) صفة لموصوف

(وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم فى مسجدهم (وَإِرْصَادًا) ترقبا (لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ) أى قبل بنائه وهو أبو عامر المذكور (وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ) ما (أَرَدْنَا) ببنائه (إِلَّا) الفعلة (الْحُسْنَى) من الرفق بالمسكين فى المطر والحر والتوسعة على المسلمين (وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى ذلك ، وكانوا سألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يصلى فيه فنزل (لَا تَقُمْ) تصل (فِيهِ أَبَدًا) فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة تلقى فيها الجيف (لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ) بنيت قواعده (عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) وضع يوم حللت بدار الهجرة وهو مسجد قباء كما فى البخارى (أَحَقُّ) منه (أَنْ) أى بأن (تَقُومَ) تصلى (فِيهِ ، فِيهِ رِجَالٌ) هم الأنصار (يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) أى يثيبهم وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الطاء . روى ابن خزيمة فى صحيحه عن عويمر بن ساعدة «أنه صلى الله عليه وسلم أتاهم فى مسجد قباء فقال إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذى تطهرون به قالوا والله يارسول الله مانعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا . وفى حديث رواه البزار فقالوا : نتبع الحجارة بالماء فقال هو ذاك فعليكموه »

محذوف قدره المفسر بقوله الفعلة (قوله يشهد) أى يعلم (قوله فى ذلك) أى الحلف (قوله وكانوا سألوا النبى الخ) أى بعد فراغهم من بنائه وكان متجهزا لغزوة تبوك فوعدهم بذلك حين يقدم (قوله لمسجد) اللام للابتداء ومسجد مبتدأ وأسس نعته وأحق خبره (قوله يوم حللت بدار الهجرة) أى وهو يوم الاثنين فأقام فيه الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج صبيحة الجمعة فدخل المدينة وقيل صلى به الجمعة وهى أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا على القول بأنه أقام بقباء أربعة أيام وقيل أقام أربعة عشر وقيل اثنين وعشرين يوما (قوله أحق أن تقوم فيه) اسم التفضيل ليس على بابه أو باعتبار زعم المنافقين أو باعتبار ذات المسجد فان الخبث فى نيتهم لافى ذات المسجد (قوله فيه رجال) هم بنو عامر بن عوف (قوله يحبون أن يتطهروا) يحتمل أن المراد الطهارة المعنوية من الذنوب والقبائح وذلك موجب للثناء والمدح والقرب من الله ، وقيل المراد الطهارة الحسية من النجاسات والأحداث وهو الأقرب لأن مزيتهم التى مدحوا عليها مبالغتهم فى طهارة الظاهر وأما طهارة الباطن فأمر مشترك بين المؤمنين ، وقيل المراد ماهو أعم فقد حازوا طهارة الظاهر والباطن (قوله وفيه إدغام التاء الخ) أى فأصله المتطهرين أبدلت التاء طاء وأدغمت فى الطاء (قوله فى الطهور) بضم الطاء فى هذا وفيما يأتى لأن المراد به الفعل (قوله فغسلنا كما غسلوا) أى بعد المسح بالأحجار بدليل الرواية الثانية (قوله نتبع الحجارة بالماء) أى وهذا هو الأكمل فى الاستنجاء فان لم يوجد حجر فالمدر يقوم مقامه و إلا فالماء فقط أو الحجر فقط أو المدر فقط (قوله فعليكموه) أى الزموه .

(قوله أفمن أسس بنيانه على تقوى الخ) فى الكلام استعارة مكنية حيث شبهت التقوى والرضوان بأرض صلبة يعتمد عليه البنيان وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو التأسيس فاثباته تخييل والتأسيس كناية عن إحكام أمور الدين والأعمال الصالحة (قوله أم من أسس بنيانه) أى أحكم أمور دينه على ضلال وكفر ونفاق (قوله بضم الراء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جانب) الأحسن ماقاله غيره أن المراد به البئر التى لم تطو (قوله هار) إما أصله هاور أوهاير فقدمت اللام على العين فصار كقاض فاعرابه بحركات مقدرة أو حذفت عينه تخفيفا بعدقلبها همزة فاعرابه بحركات ظاهرة وإما أصله هور أوهير تحركت الواو أوالياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا مثل باب واعرابه بحركات ظاهرة كالذى قبله (قوله فى نار جهنم) ورد أنهم رأوا الدخان حين حفروا أساسه (قوله خير) قدره اشارة إلى أن خبر من الثانية محذوف (قوله ريبة) أى سبب ريبة أو بولغ فيه حتى جعل نفس الريبة (قوله إلا أن تقطع قلوبهم) مستثنى من محذوف والتقدير لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم فى كل وقت أو كل حال إلا وقت أو حال تقطيع قلوبهم وفيها قراءتان سبعيتان الأولى بفتح التاء وتشديد الطاء بحذف إحدى التاءين وقلوبهم فاعل الثانية بضم التاء وقلوبهم نائب فاعل وقرىء شذوذا تقطع بالتخفيف وقرىء أيضا إلا أن تقطع بضم التاء وكسر الطاء المشددة وقلوبهم مفعول به والفاعل ضمير يعود على النبى (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الأشياء فى محالها ومنه جريان عادة الله فى كل حسود لأهل الدين والصلاح أنه لايزال الكمد به حتى يموت على أسوإ الأحوال (قوله إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم الخ) لما ذكر قبائح المتخلفين لغير عذر ومافاتهم من الخير العظيم ذكر فضل المجاهدين وما أعد لهم من الفوز الأكبر حيث عظم أنفسهم وأموالهم بأن جعل الجنة ثمنا لهما ومن المعلوم أن الثمن أغلى من المثمن وإشارة إلى أن الجنة خلقت لهم ولم يخلقوا لأجلها (قوله يبذلوها فى طاعته) أى يصرفوها فى مرضاته (قوله بأن لهم الجنة) أى

(١٥٨)

(أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى) مخافة (مِنَ اللهِ، وَ) رجاء (رِضْوَانٍ) منه (خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا) طرف (جُرُفٍ) بضم الراء وسكونها جانب (هَارٍ) مشرف على السقوط (فَانْهَارَ بِهِ) سقط مع بانيه (فِي نَارِ جَهَنَّمَ) خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير، أى الأول خير وهو مثال مسجد قباء، والثانى مثال مسجد الضرار (وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً) شكا (فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ) تنفصل (قُلُوبُهُمْ) بأن يموتوا (وَاللهُ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه بهم (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ) بأن يبذلوها فى طاعته كالجهاد (بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) جملة استئناف بيان للشراء وفى قراءة بتقديم المبنى للمفعول أى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف (فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ)،

لم يقل بالجنة اشارة إلى أن الجنة مختصة بهم وواصلة إليهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم ثم إن قوله اشترى من المؤمنين الخ كناية عن التعويض عن بذل النفوس والأموال بالجنة وإلا فحقيقة الشراء أخذ ما لايملك بعوض وهذا مستحيل فى حق الله تعالى بل معناه أثابهم وقبلهم فى نظير خدمتهم فشبهت الاثابة والقبول بالشراء واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الشراء اشترى بمعنى أثابهم وقبلهم وإنما عبر عنه بالشراء تلطفا ورفقا بهم (قوله بيان للشراء) الأوضح أن يقول بيان للبيع الذى يستلزمه الشراء (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى فيقتل بعضهم ويقاتل الباقى) أشار بذلك إلى أنه لايتوقف الفضل على الجمع بين الأمرين معا بل المدار على نية إعلاء كلمة الله حصلا أو أحدهما أولا ولا (قوله بفعلهما المحذوف) أى والتقدير وعده وعدا وحقه حقا (قوله فى التوراة الخ) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لوعدا والمعنى وعدا مذكورا فى التوراة والانجيل والقرآن وخص التوراة والانجيل بالذكر لاقامة الحجة على من عارض من اليهود والنصارى وحينئذ فلاينافى أن هذا الوعد مذكور فى الكتب السماوية قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الأنصار رسول الله ليلة العقبة وكانوا سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ماشئت قال أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قال إذا فعلنا ذلك ماذا لنا قال الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولانستقيل فنزلت هذه الآية بشارة لهم

(قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله فاستبشروا) خطاب للمؤمنين لمزيد الاعتناء بهم والسين والتاء للتصيير أى صرتم لكم البشرى بذلك فى الدنيا والآخرة (قوله التائبون الخ) هذه أوصاف تسعة للمؤمنين الستة الأولى متعلقة بحقوق الله وحده والاثنان بعدها متعلقان بحقوق الخلق والأخير عام (قوله بتقدير مبتدأ) أى هم التائبون (قوله من الشرك والنفاق) متعلق بالتائبون والتوبة شرطها الندم على ما وقع والعزم على عدم العود والاقلاع ورد المظالم إلى أهلها (قوله المخلصون العبادة لله) أى المنهمكون فى طاعة الله سرا وجهرا (قوله الحامدون له على كل حال) أى فى السراء والضراء. قال عليه الصلاة والسلام «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله على كل حال فى السراء والضراء» أى بأن يكون عن الله راضيا فى جميع الأحوال كالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك (قوله السائحون) من السياحة وهى فى الأصل الذهاب فى الأرض للعبادة سمى الصائمون بذلك لأن من شأن السائح ترك اللذات كلها من المطعم والمشرب والملبس والمنكح ولا شك أن الصائم كذلك والصيام عند العامة ترك شهوتى البطن والفرج وعند الخاصة ترك ما سوى الله تعالى. قال العارف الجيلى:

صيامى هو الامساك عن رؤية السوى ... وفطرى أنى نحو وجهك راجع

(قوله أى المصلون) أشار بذلك إلى أنه أطلق الجزء وأراد الكل وخص (١٥٩) الركوع والسجود بالذكر من دون أركانها لأن بهما التقرب إلى الله تعالى لما فى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» والركوع يلى السجود فى التواضع والذل (قوله والناهون عن المنكر) إنما عطف هذا بالواو على ما قبله لوجود المضادة بينهما لأن الأمر طلب الفعل والنهى طلب الترك (قوله والحافظون لحدود الله) هذا

أى لا أحد أوفى منه (فَاسْتَبْشِرُوا) فيه التفات عن الغيبة (بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ) البيع (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) المنيل غاية المطلوب (التَّائِبُونَ) رفع على المدح بتقدير مبتدإ من الشرك والنفاق (الْعَابِدُونَ) المخلصون العبادة لله (الْحَامِدُونَ) له على كل حال (السَّائِحُونَ) الصائمون (الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ) أى المصلون (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) لأحكامه بالعمل بها (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالجنة. ونزل فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ) ذوى قرابة (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار بأن ماتوا على الكفر (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) بقوله: سأستغفر لك ربى رجاء أن يسلم (فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ

أعم الأوصاف المتقدمة ولذا عطف بالواو وهذا معنى التقوى إذ هى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات ولذا حكى أن السرى السقطى سأل ابن أخته الجنيد عن التقوى وهو صغير فقال له أن لا يراك حيث نهاك وأن لا يفقدك حيث أمرك فقال له أخاف أن يكون حظك من الله لسانك (قوله و بشر المؤمنين) اظهار فى مقام الاضمار اعتناء بهم وتشريفا لقدرهم وحذف المبشر به اشارة إلى أنه لا يدخل تحت حصر بل لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله لعمه أبى طالب) أى لأنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب حين حضرته الوفاة: ياعم قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى، فقال النبى لا أزال أستغفر لك مالم أنه عن الاستغفار فنزلت وقصد النبى بهذا الاستغفار تأليفه للاسلام لعله يهتدى و إلا فرسول الله يعلم أن الله لا يغفر أن يشرك به (قوله ما كان للنبى) أى لا ينبغى ولا يصح (قوله بأن ماتوا على الكفر) أى فلا يجوز لهم الاستغفار حينئذ، أما الاستغفار للكافر الحى ففيه تفصيل فان كان قصده بذلك الاستغفار هدايته للاسلام جاز و إن كان قصده أن تغفر ذنوبه مع بقائه على الكفر فلا يجوز (قوله وما كان استغفار إبراهيم الخ) هذه الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا واقعا فى جواب سؤال مقدر تقديره إن شرعنا هو بعينه شرع إبراهيم وقد استغفر إبراهيم لأبيه. فأجاب الله عن إبراهيم بما ذكر (قوله لأبيه) تقدم الخلاف فى كونه أباه أو عمه و إنما سمى أبا لأن عادة العرب تسمى العم أبا والقرآن نزل بلغة العرب (قوله وعدها إياه) أى أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار قبل تبين أنه لا ينفع فيه الاستغفار لاصراره على الكفر.

(قوله أنه عدو لله) أى أنه مصر ومستمر على الكفر والعداوة لأن الذى تبين بالموت إنما هو إصراره على الكفر وإلا فأصله كان حاصلا ومتبينا من قبل (قوله إن إبراهيم) هذا بيان للحامل له على الاستغفار قبل التبين (قوله لأواه) من التأوه وهو التوجع والاكثار من قول آه ، واختلف فى معناه فقيل هو الخاشع المتضرع وقيل كثير الدعاء وقيل المؤمن التواب ، وقيل الرحيم بعباد الله وقيل الموقن وقيل المسبح وقيل المعلم للخير وقيل الراجع عما يكرهه الله الخائف من النار (قوله حليم) معناه صفوح عن المسىء له مقابل له باللطف والرفق وذلك كما فعل إبراهيم مع أبيه حين قال له : لئن لم تنته لأرجمنك الخ ، فأجابه إبراهيم بقوله : سلام عليك سأستغفر لك ربى وكعدم دعائه على النمروذ حيث ألقاه فى النار (قوله وما كان الله ليضل قوما) سبب نزولها أن بعض الصحابة كانوا يستغفرون لآبائهم الكفار وماتوا قبل نزول آية النهى فظن بعض الصحابة أن الله يؤاخذهم فبين الله أنه لا يؤاخذ أحدا بذنب إلا بعد أن يبين حكمه فيه (قوله بعد إذ هداهم) أى بعد وقت هدايتهم وتوفيقهم للايمان (قوله ومنه) أى من الشىء (قوله إن الله له ملك السموات والأرض) أى ففوضوا أموركم إليه لأنه الموجد لكل شىء الذى منه العون والنصر (قوله لقد تاب الله) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله أى أدام توبته) جواب عما يقال إن النبى معصوم من الذنوب والمهاجرون والأنصار لم يفعلوا ذنبا بل سافروا معه واتبعوه من غير امتناع . وأجيب أيضا بأن معنى توبته على النبى عدم مؤاخذته فى إذنه للمتخلفين حتى يظهر المؤمن من المنافق ومعنى توبته على المهاجرين والأنصار من أجل ماوقع فى قلوبهم من الخواطر والوساوس فى تلك الغزوة فإنها كانت فى شدة الحر والعسر وقيل إن ذكر النبى تشريف لهم وإنما المقصود ذكر قبول توبتهم لأنه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم ذنب أصلا حتى يحتاج التوبة منه (قوله الذين اتبعوه) أى وكانوا سبعين ألفا مابين راكب وماش من المهاجرين والأنصار وغيرهم من سائر القبائل (قوله أى وقتها) أشار بذلك إلى أن المراد بالساعة الزمانية لا الفلكية والعسرة عن الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة وجيشها يسمى جيش العسرة لأنه كان عليهم عسرة فى المركب والزاد والماء فكان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان تمرهم يسيرا جدا حتى إن أحدهم إذا جهده الجوع يأخذ التمرة فيلوكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها لصاحبه حتى تأتى على آخرهم ولا يبقى إلا النواة وكانوا من شدة الحر والعطش يشربون الفرث ويجعلون مابقى على كبدهم . قال أبو بكر : يارسول الله إن الله قد عودك خيرا فادع الله قال أتحب ذلك قال نعم فرفع رسول الله يديه فلم يرجعا حتى قالت السماء فأظلت ثم سكبت فملئوا مامعهم من الأوعية ثم ذهبنا ننظرها فلم نجدها جاوزت العسكر (قوله من بعد ما كاد) هذا بيان لبلوغ الشدة حدها حتى إن بعضهم أشرف على الميل إلى التخلف واسم كاد ضمير الشأن وجملة تزيغ فى محل نصب خبرها (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم تاب عليهم) ذكر التوبة أولا قبل الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكرها بعده تعظيما لشأنهم وتأكيدا لقبول توبتهم (قوله إنه بهم رءوف رحيم) هذا تأكيد لما تقدم ، والرءوف الرفيق بعباده اللطيف بهم ، والرحيم المحسن المتفضل (قوله وعلى الثلاثة) قدر المفسر تاب إشارة إلى أنه معطوف على قوله على النبى ويصح عطفه على الضمير فى قوله ثم تاب عليهم وهو الأقرب لاعادة الجار قال ابن مالك :

وعود خافض لدى عطف على ضمير خفض لازما قد جعلا
وإن كان يمكن أن يقال إنما أعاده تأكيدا (قوله على الثلاثة)

(١٦٠)

أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ) بموته على الكفر (تَبَرَّأَ مِنْهُ) وترك الاستغفار له (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) كثير التضرع والدعاء (حَلِيمٌ) صبور على الأذى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ) للاسلام (حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ) من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الاضلال (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه مستحق الاضلال والهداية (إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ) أيها الناس (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ) يحفظكم منه (وَلَا نَصِيرٍ) يمنعكم عن ضرره (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ) أى أدام توبته (عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) أى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يعتقبون البعير الواحد واشتد الحر حتى شربوا الفرث (مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ) بالتاء والياء : تميل (قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ) عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) بالثبات (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . وَ) تاب (عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا)

إنما لم يسمهم الله لكونهم معلومين بين الصحابة والتوبة هنا على حقيقتها . بمعنى أنه قبل عذرهم وسامحهم وغفر لهم ماسلف منهم وأما التوبة فيما تقدم فمستعملة فى مجازها بمعنى دوام العصمة للنبي والحفظ للمهاجرين والأنصار ، ففى الآية استعمال التوبة فى حقيقتها ومجازها (قوله عن التوبة عليهم) أى عن قبولها من الله وسبب تأخير القبول من الله عدم إظهار توبتهم كما فعل أبو لبابة وقيل المراد خلفوا عن الغزو ولم يخرجوا مع رسول الله وفى صحيح البخارى مانصه :

باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله عز وجل : وعلى الثلاثة الذين خلفوا

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان يقود كعبا حين عمى قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها إلا فى غزوة تبوك وكان من خبرى أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لى ذلك ولم يذكرنى رسول الله حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك مافعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يارسول الله حبسه برداه ونظره فى عطفيه فقال معاذ بن جبل بئس ماقلت والله يارسول الله ماعلمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب بن مالك فلما بلغنى أنه توجه قافلا حضرنى همى فطفقت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما أى قرب قدومه انزاح عنى الباطل وعرفت أنى لن أخرج منه أبدا بشىء فيه كذب فأجمعت الصدق وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل رسول الله منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى (١٦١) حتى جلست بين يديه فقال لى ماخلفك ألم تكن قد ابتعت مركوبك فقلت بلى إنى والله يارسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلا أى فصاحة ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد أى تغضب على فيه إنى لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لى من عذر ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وبادر رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر إليه المخلفون قد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله مازالوا يلوموننى لوما عنيفا حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسى ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد قالوا نعم رجلان قالا مثل ماقلت فقيل لهما مثل ماقيل لك فقلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العمرى وهلال بن أمية الواقفى فذكروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدرا لى فيهما أسوة فمضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس فتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف فى الأسواق ولا يكلمنى أحد وآتى رسول الله فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتى أقبل إلى فإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله مارد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى أحب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت أطلقها أم ماذا أفعل قال بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبى مثل ذلك فقلت لامرأتى الحقى بأهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت بفتح الميم لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال

عن التوبة عليهم بقرينة ،

أى ذكر الله قد ضاقت على نفسى وضاقت على الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله أى أعلم الناس بتوبة الله علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبى مبشرون وركب رجل إلى فرسا وركضها وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك من الثياب غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله فتلقانى الناس فوجا فوجا يهنونى بالتوبة يقولون لتهنك بفتح التاء توبة الله عليك ، قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنانى ، والله ماقام إلى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة ، قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال لا بل من عند الله ، وكان رسول الله إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسول الله قال رسول الله أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ، قلت فانى أمسك سهمى الذى بخيبر وأنزل الله على رسوله : لقد تاب الله على النبى إلى قوله

وكونوا مع الصادقين فوالله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدق لرسول الله اه

(قوله حتى إذا ضاقت عليهم الأرض الخ) أى لم يطمئنوا ولم يسكنوا إلى شىء منها وإذا صلة أو ثم ليستقيم المعنى (قوله أى مع رحبها) بضم الراء وأما بفتحها فمعناه المكان المتسع (قوله فلا يسعها سرور) العبارة فيها قلب أى فلا تسع سرورا

(حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) أى مع رحبها أى سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون إليه (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ) قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس (وَظَنُّوا) أيقنوا (أَنْ) مخففة (لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) وفقهم للتوبة (لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) بترك معاصيه (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) فى الايمان والعهود بأن تلزموا الصدق (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ) إذا غزا (وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ) بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد وهو نهى بلفظ الخبر (ذَلِكَ) أى النهى عن التخلف (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ) عطش (وَلَا نَصَبٌ) تعب (وَلَا مَخْمَصَةٌ) جوع (فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا) مصدر بمعنى وطأ (يَغِيظُ) يغضب (الْكُفَّارَ ، وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ) لله (نَيْلًا) قتلا أو أسرا أو نهبا (إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ) ليجازوا عليه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) ،

(قوله أن مخففة) أى واسمها ضمير الشان (قوله لاملجأ الخ) لا نافية للجنس أى وملجأ اسمها ومن الله خبرها والجملة سدت مسد مفعولى ظنوا (قوله من الله إلا إليه) أى من سخطه إلا بالتضرع إليه (قوله ثم تاب عليهم) أى قبل توبتهم (قوله ليتوبوا) أى ليحصلوا التوبة و ينشئوها (قوله ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) خطاب عام لكل مؤمن (قوله مع الصادقين) مع بمعنى من بدليل القراءة الشاذة المروية عن ابن مسعود (قوله ما كان لأهل المدينة) أى لايصح ولا ينبغى ولا يجوز لهم التخلف عن رسول الله الخ ، والمعنى إذا خرج رسول الله بنفسه للغزو فلا يجوز لأحد من المؤمنين التخلف بل ينفرون كافة (قوله ولا يرغبوا بأنفسهم) يجوز فيه النصب عطفا على يتخلفوا والجزم على أن لا ناهية (قوله بأن يصونوها الخ) هذا بيان لحاصل المعنى و إيضاحه أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط وأن يتلقوا الشدائد معه صلى الله عليه وسلم علما بأنه أعز نفس وأكرمها عند الله فاذا تعرضت مع عزتها وكرامتها للخوض فى شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتعرض مثلها (قوله وهو نهى بلفظ الخبر) أى ما ذكر من قوله ما كان لأهل المدينة الخ أى فكأنه قيل لايتخلف واحد منهم (قوله ظمأ) أى ولو يسيرا وكذا يقال فيما بعده (قوله ولا يطئون موطئا) أى لا يدوسون بأرجلهم وحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم دوسا (قوله يغيظ) بفتح الياء باتفاق السبعة وإن كان يجوز فى اللغة ضمها (قوله ولا ينالون) أى يصيبون (قوله قتلا أو أسرا أو نهبا) أمثلة للنيل بسبب جعله مصدرا و يصح أن يكون بمعنى المفعول أى المأخوذ (قوله إلا كتب لهم)

أي بكل واحد من الأمور الخمسة (قوله أي أجرهم) غرضه بهذا أن المقام للاضمار والعدول عنه لأجل مدحهم وليفيد العموم وعدم الخصوصية بالمخاطبين بل هذا الفضل العظيم باق ومستمر إلى يوم القيامة (قوله واديا) المراد به هنا مطلق الأرض وإن كان في الأصل المكان المنفرج بين الجبال (قوله ذلك) أي ماذكر من كل من النفقة وقطع الوادي (قوله أي جزاؤه) يشير بهذا إلى تقدير مضاف أي جزاء أحسن ما كانوا الخ (قوله ولما وبخوا على التخلف الخ) أي سبب نزولها أنه لما وبخهم الله على التخلف وظهرت فضيحة المنافقين وتاب الله على من تاب أجمع رأيهم وحلفوا إنهم لايتخلفون عن رسول الله ولا عن سرية بعثها فلما رجعوا من تبوك وبعث السرايا تهيأ المسلمون جميعا إلى الغزو (قوله سرية) قيل هي اسم لما زاد على المائة إلى الخمسمائة وما زاد إلى ثمانمائة يقال له منسر وما زاد عليها إلى أربعة آلاف يقال له جيش ومازاد عليها يقال له جحفل وجملة السرايا التي أرسلها رسول الله ولم يخرج معها سبعة وأربعون، وغزواته التي خرج فيها بنفسه سبعة وعشرون قاتل في ثمانية منها فقط (قوله وما كان المؤمنون) أي لاينبغي ولا يجوز لهم أن ينفروا جميعا بل يجب عليهم أن ينقسموا قسمين طائفة تكون مع رسول الله لتلقي الوحي وطائفة تخرج للجهاد (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض (قوله ومكث الباقون) قدره إشارة إلى أن قوله ليتفقهوا الخ علة لمحذوف ولا يصح أن يكون علة لقوله نفر من كل

أي أجرهم بل يثيبهم (وَلَا يُنْفِقُونَ) فيه (نَفَقَةً صَغِيرَةً) ولو تمرة (وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا) بالسير (إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ) ذلك (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أي جزاءه. ولما وبخوا على التخلف وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم سرية نفروا جميعاً فنزل (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا) إلى الغزو (كَافَّةً فَلَوْلَا) فهلا (نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ) قبيلة (مِنْهُمْ طَائِفَةٌ) جماعة ومكث الباقون (لِيَتَفَقَّهُوا) أي الماكثون (فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) من الغزو بتعليمهم ماتعلموه من الأحكام (لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) عقاب الله بامتثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) أي الأقرب فالأقرب منهم (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) شدة، أي أغلظوا عليهم (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالعون والنصر (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) من القرآن (فَمِنْهُمْ) أي المنافقين (مَنْ يَقُولُ):

فرقة منهم طائفة (قوله ولينذروا قومهم) عطف على قوله ليتفقهوا وفيه إشارة إلى أنه ينبغي لطالب العلم تحسين مقصده بأن يقصد بطلبه العلم تعليم غيره وانعاظه هو في نفسه لا التكبر على العباد والتشدق بالكلام (قوله إذا رجعوا) أي من كان في الغزو وقوله إليهم أي إلى من مكث ليتفقه في الدين (قوله قال ابن عباس الخ) المقصود من ذلك دفع التعارض بين هذه الآية وما قبلها (قوله مخصوصة بالسرايا) أي وهي التي أرسلها ولم يخرج معها (قوله فيما إذا خرج النبي) أي لأنه لاعذر حينئذ في التخلف لأن صاحب الشريعة الذي يتعلمونها منه مصاحب لهم (قوله قاتلوا الذين يلونكم) ليست هذه الآية ناسخة لآية وقاتلوا المشركين كافة على التحقيق بل هذه الآية تعليم لآداب الحرب وهو أن يبدءوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فبهذا يتمكنون من قتالهم كافة لأن قتلهم دفعة واحدة لايتصور ولذا قاتل رسول الله أولا قومه ثم انتقل إلى سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب ثم إلى قتال الروم والشام ثم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم انتقل أصحابه إلى قتال العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار (قوله يلونكم) من الولي وهو القرب وفي فعله لغتان وليه يليه وهو الأكثر والثانية من باب وعد والآية منها وهي قليلة الاستعمال فأصله يوليون حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها ثم نقلت ضمة الياء إلى اللام بعد سلب حركتها فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما (قوله شدة) أي صبرا وتحملا (قوله أي أغلظوا عليهم) أشار بذلك إلى أن في الآية استعمال المسبب في السبب لأن وجدان الكفار الغلظة مسبب عن إغلاظ المسلمين عليهم (قوله وإذا ما أنزلت) المعنى إذا أنزلت سورة من القرآن والحال أن المنافقين ليسوا حاضرين وقت النزول وليس فيها فضيحة لهم وأما ما يأتي فيحمل على ما إذا كانوا حاضرين ذلك والحال أن فيها بيان أحوالهم فلا تنافي بين المحلين كما يأتي.

(قوله لأصحابه) أى أولضعفاء المؤمنين .(قوله يفرحون بها) أى لأنه كلما نزل شئ من القرآن ازدادوا إيمانا وهذا الحكم باق إلى الآن فمن يفرح بكلام الله و بحامليه فهو من المؤمنين الصادقين ومن ينفر من سماعه ومن حامليه فهو إما كافر أوقريب من الكفر (قوله كفرا إلى كفرهم) أشار بذلك إلى أنه ضمن الزيادة معنى الضم والمعنى زادتهم كفرا مضموما إلى كفرهم لأن كفرهم يزيد بزيادة جحدهم المنزل ، وسمى الكفر رجسا لكونه أقبح الأشياء ، والرجس هو الشئ المستقذر (قوله بالياء) أى فالاستفهام حينئذ للتوبيخ وقوله والتاء أى فالاستفهام للتعجب لأن الخطاب حينئذ للصحابة (قوله ثم لايتوبون) أى لايرجعون عما هم عليه (قوله فيها ذكرهم) أى بيان أحوالهم (قوله نظر بعضهم إلى بعض) أى يتغامزون بالعيون (قوله يريدون الهرب) أى خوفا من الفضيحة التى تحصل لهم (قوله ويقولون) أشار بذلك إلى أن قوله هل يراكم من أحد مقول لقول محذوف (قوله ثم انصرفوا على كفرهم) عبارته تفيد أن قوله ثم انصرفوا ليس مرتبا على كونهم لم يرهم احد وليس كذلك فكان المناسب أن يقول قاموا وهو بمعنى ثم انصرفوا (قوله صرف الله قلوبهم) إخبار أودعاء

(١٦٤)

لأصحابه استهزاء (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا) تصديقاً ، قال تعالى (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا) لتصديقهم بها (وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون بها (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) كفرا إلى كفرهم لكفرهم بها (وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ . أَوَلَا يَرَوْنَ) بالياء أى المنافقون ، والتاء أيها المؤمنون (أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ) يبتلون (فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ) بالقحط والأمراض (ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ) من نفاقهم (وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون (وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكرهم وقرأها النبى صلى الله عليه وسلم (نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) يريدون الهرب يقولون (هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ) إذا قمتم فإن لم يرهم أحد قاموا وإلا ثبتوا (ثُمَّ انْصَرَفُوا) على كفرهم (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) عن الهدى (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ) الحق لعدم تدبرهم (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ) أى منكم محمد صلى الله عليه وسلم (عَزِيزٌ) شديد (عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) أى عنتكم أى مشقتكم ولقاؤكم المكروه (حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ) أن تهتدوا (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ) شديد الرحمة (رَحِيمٌ) يريد لهم الخير (فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن الإيمان بك (فَقُلْ حَسْبِيَ) كافىّ (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) به وثقت لابغيره (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ) الكرسى (الْعَظِيمِ) .

(قوله لايفقهون الحق) أى لايفهمونه (قوله لقد جاءكم) اللام موطئة لقسم محذوف أى وعزتى وجلالى لقد جاءكم الخ (قوله من أنفسكم) خطاب للعرب قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبىّ صلى الله عليه وسلم وله فيها نسب وأنفسكم بضم الفاء باتفاق السبعة وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة ، والمعنى جاءكم رسول من أشرفكم وأرفعكم قدرا لما فى الحديث « إنّ الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى بنى هاشم من قريش واصطفانى من بنى هاشم خصه فأنا خيار من خيار » (قوله عزيز عليه ماعنتم) يصح أن يكون عزيز صفة لرسول وما مصدرية أو بمعنى الذى ، والمعنى يعزّ عليه عنتكم أوالذى عنتموه ويصح أن يكون عزيز خبرا مقدما وماعنتم مبتدأ مؤخرا (قوله حريص عليكم) أى محافظ على هداكم لتكون لكم السعادة الكاملة (قوله أن تهتدوا) أشار بذلك إلى أنّ الكلام على حذف مضاف أى حريص على هدايتكم (قوله رءوف) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان ، والرءوف أخصّ من الرحيم . قال الحسن بن المفضل لم يجمع الله لأحد من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالى إلا للنبىّ صلى الله عليه وسلم فسماه رءوفا رحيما وقال : إنّ الله بالناس لرءوف رحيم (قوله فان تولوا) أى جميع الخلق مؤمنهم ومنافقهم وكافرهم (قوله لاإله إلا هو) هذا كالدليل لما قبله (قوله لابغيره) أخذ هذا الحصر من تقديم المعمول (قوله الكرسى) مرور على القول باتحاد العرش مع الكرسى وهو خلاف الصحيح ، والصحيح أنّ العرش غير الكرسى فالعرش جسم عظيم محيط بجميع المخلوقات والكرسى أقلّ منه (قوله العظيم) بالجر باتفاق السبعة صفة للعرش وقرئ شذوذا بالرفع صفة للرب .

(قوله خصه بالذكر) جواب عما يقال إن الله رب كل شيء فلم خص العرش بالذكر (قوله آخر آية) مراده الجنس و إلا فهما آيتان وهذا القول ضعيف لما تقدم أن آخر آية نزلت ـ واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ـ وعلى ماقاله المفسر يكونان مدنيتين وهو أحد قولين حكاهما للمفسر أول السورة . وهاتان الآيتان بهما الأمان من كل مكروه ، وقد ورد : من قرأهما ويكرر الآية الثانية سبعا صباحا وسبعا مساء أمن من كل مكروه حتى الموت فاذا أراد الله موته أنساه قراءتهما .

[سورة يونس] سميت السورة بذلك لذكر اسمه فيها وقصته وقد جرت عادة الله بتسمية السورة ببعض أجزائها (قوله مكية) أى لنزولها قبل الهجرة (قوله أو الثلاث) أو لتنويع الخلاف وسببه الخلاف فى أن آخر الآية الثانية من الخاسرين أو الأليم (قوله أو ومنهم الخ) أى فيكون المدنى إما ثلاثا أو أربعا بزيادة ومنهم الخ ، وقال القرطبى نقلا عن فرقة إن من أولها نحوا من أربعين آية مكى و باقيها مدنى (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا أحد أقوال تقدمت فى البقرة وهو أتمها وأسلمها (قوله أى هذه الآيات) يحتمل أن اسم الاشارة عائد على ماتقدم من أول القرآن إلى هنا و يحتمل أنه عائد إلى الآيات التى ستذكر فى هذه السورة وأتى باسم الاشارة البعيد إشارة إلى بعد رتبته عن كلام البشر ورفعة قدره

خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات وروى الحاكم فى المستدرك عن أبى بن كعب قال: آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول إلى آخر السورة .

(سورة يونس)

مكية إلا فإن كنت فى شك الآيتين أو الثلاث ، أو ومنهم من يؤمن به الآية : مائة وتسع أو عشر آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . الر) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والاضافة بمعنى من (الْحَكِيمِ) المحكم (أَكَانَ لِلنَّاسِ) أى أهل مكة استفهام إنكارى والجار والمجرور حال من قوله (عَجَبًا) بالنصب خبر كان و بالرفع اسمها والخبر وهو اسمها على الأولى (أَنْ أَوْحَيْنَا) أى إيحاؤنا (إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم (أَنْ) مفسرة (أَنْذِرْ) خوف (النَّاسَ) الكافرين بالعذاب (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ) أى بأن (لَهُمْ قَدَمَ) سلف (صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) أى أجرا حسنا بما قدموه من الأعمال (قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هٰذَا) القرآن المشتمل على ذلك (لَسِحْرٌ مُبِينٌ) بين ،

(قوله آيات الكتاب) خبر اسم الاشارة (قوله والاضافة) أى فى قوله آيات الكتاب ، والمعنى تلك آيات من الكتاب لأن المشار إليه بعض القرآن (قوله المحكم) أشار بذلك إلى أن فعيلا بمعنى مفعول ومعناه الذى لايتطرق إليه الفساد ولا تغيره الدهور ولا يعتريه الكذب ولا التناقض ويصح أن يكون بمعنى فاعل أى الحاكم أى ذو الحكم لاشتماله على الأحكام الدينية المتعبد بها

(قوله استفهام إنكارى) أى والمعنى لايليق ولاينبغى لأهل مكة أن يتعجبوا من إرساله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا : العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب (قوله عجبا) العجب استعظام أمر خفى سببه (قوله خبر كان) أى مقدم عليها (قوله و بالرفع اسمها) هذه القراءة شاذة فكان المناسب للمفسر أن ينبه عليها (قوله والخبر) مبتدأ وجملة : أن أوحينا خبره وقوله وهو اسمها على الأولى اعتراض بين المبتدإ والخبر (قوله مفسرة) أى بمعنى أى وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله أنذر الناس) أى إن استمروا على الكفر (قوله قدم صدق) من إضافة الموصوف للصفة ، وسمى الأجر الحسن قدم صدق لأن الخير قد سبق لهم عند الله والشأن أن السعى يكون بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى بها (قوله أجرا حسنا) هذا أحد أقوال فى تفسير قوله ـ قدم صدق ـ وهو لابن عباس ، وقيل هو الأعمال الصالحة ، وقيل شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل السعادة المكتوبة لهم أزلا فى اللوح المحفوظ ، وقيل منزلة رفيعة فى الجنة وكل هذه التفاسير ترجع إلى ماقاله المفسر (قوله قال الكافرون) أى حيث رد عليهم فى تعجبهم بأبلغ رد (قوله المشتمل على ذلك) أى الانذار والتبشير .

(قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله المشار إليه) أى على القراءة الثانية (قوله إن ربكم الله) هذا رد عليهم فى تعجبهم ، والمعنى لاينبغى لكم التعجب من إرسال الرسول لأن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض الخ فمن كان قادرا على ذلك فلايستغرب عليه إرسال رسول (قوله أى فى قدرها) جواب عن قوله لأنه لم يكن ثم شمس الخ (قوله لتعليم خلقه التثبت) أى التأنى والتمهل فى الأمور وتخصيص الستة بذلك ولم تكن أقل ولا أكثر مما استأثر الله بعلمه (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف فى تفويض علم المتشابه إلى الله تعالى وطريقة الخلف يؤولونه بالاستيلاء والقهر والتصرف و إلى هذين الطريقتين أشار صاحب الجوهرة بقوله :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

فالاستواء كما يطلق على الركوب يطلق على الاستيلاء وهو المراد هنا ، ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

(قوله يدبر الأمر) أى يتصرف فى الخلائق بأمرها ولا يشغله شأن عن شأن (قوله مامن شفيع إلا من بعد إذنه) أى لايشفع أحد عنده إلا أن يأذن له فى الشفاعة (قوله ربكم) أى خالقكم ومربيكم (قوله بادغام التاء فى الأصل) أى فأصله تتذكرون قلبت التاء ذالا

وفى قراءة لساحر والمشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى فى قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولا قمر ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) استواء يليق به (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) بين الخلائق (مَا مِنْ) زائدة (شَفِيعٍ) يشفع لأحد (إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ) رد لقولهم إن الأصنام تشفع لهم (ذَٰلِكُمُ) الخالق المدبر (اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ) وحدوه (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء فى الأصل فى الذال (إِلَيْهِ) تعالى (مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) مصدران منصوبان بعملهما المقدر (إِنَّهُ) بالكسر استئنافا والفتح على تقدير اللام (يَبْدَأُ الْخَلْقَ) أى بدأه بالانشاء (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بالبعث (لِيَجْزِيَ) يثيب (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ) ماء بالغ نهاية الحرارة (وَعَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) أى بسبب كفرهم (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً) ذات ضياء أى نور (وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ) من حيث سيره (مَنَازِلَ) ،

وأدغمت فى الذال (قوله إليه مرجعكم جميعا) رد على منكرى البعث حيث قالوا ماهى إلاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر (قوله بفعلهما المقدر) أى وعدكم وعدا وحقه حقا (قوله بالكسر) أى وهى القراءة السبعية (قوله والفتح) أى وهى شاذة فكان عليه أن ينبه عليها (قوله بالقسط) أى العدل المصحوب بالفضل أو المراد بالقسط عدل العبيد بامتثالهم المأمورات واجتنابهم النهيات فتكون الباء سببية (قوله والذين كفروا) غاير الأسلوب إشارة إلى أنهم مستحقون العذاب بسبب أعمالهم وأما المؤمنون فثوابهم بفضل الله و إلى أن المقصود من البدء والاعادة إنما هو الثواب وأما العقاب فكأنه عرض للكفار من سوء اعتقادهم وأفعالهم (قوله وعذاب أليم) أى غير الشراب (قوله أى بسبب كفرهم) أشار بذلك إلى أن الباء سببية وما مصدرية (قوله هوالذى جعل الشمس ضياء) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله ذات ضياء) أشار بذلك إلى أن ضياء مصدر ويحتمل أنه جمع ضوء ، والمعنى ذات أضواء كثيرة والضوء النور القوى العظيم فهو أخص من مطلق نور وقيل الضياء ما كان ذاتيا والنور ما كان مكتسبا من غيره فما قام بالشمس يقال له ضياء وما قام بالقمر يقال له نور . واعلم أن الشعاع الفائض من الشمس قيل جوهر وقيل عرض والحق أنه عرض لقيامه بالأجرام (قوله والقمر) معطوف على الشمس ونورا معطوف على ضياء ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز بلا خلاف (قوله وقدره) الضمير عائد على القمر وخص بالذكر و إن كانت الشمس لها منازل أيضا لأن سير القمر فى المنازل أسرع و به يعرف انقضاء الشهور والسنين لأن المعتبر فى مثل الصيام والحج السنة القمرية ويحتمل أن الضمير عائد على كل من الشمس والقمر وأفرد باعتبار ماذكر والأقرب الأول .

(قوله ثمانية وعشرين منزلا) أي وهي منقسمة على اثنى عشر برجا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلث فيكون إقامته فى كل برج ستة وخمسين ساعة وانتقالات الشمس فى هذه الأبراج مرتبة على الشهور القبطية لكن الشهر نصفه الأول من آخر برج ونصفه الآخر من أول برج آخر فتوت نصفه الأول من نصف السنبلة الأخير ونصفه الأخير من نصف الميزان الأول وهكذا (قوله ويستتر ليلتين) أى لايرى وإن كان سائرا (قوله لتعلموا) هذا هو حكمة التعدير (قوله والحساب) معطوف على عدد مسلط عليه تعلموا ولا يجوز جره عطفا على السنين لأن الحساب لايعلم عدده، ولذا سئل أبو عمرو عن الحساب أتنصبه أم تجره؟ فقال ومن يدرى ماعدد الحساب كناية عن كونه لايجوز جره (قوله المذكور) أى من كونه جعل الشمس ضياء والقمر نورا (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان وعلى النون فيه التفات من الغيبة إلى التكلم (قوله لقوم يعلمون) خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك (قوله إن فى اختلاف الليل والنهار) أى فى كون أحدهما يخلف الآخر ويعقبه

(١٦٧)

ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوما (لِتَعْلَمُوا) بذلك (عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ) المذكور (إِلَّا بِالْحَقِّ) لاعبثا تعالى عن ذلك (يُفَصِّلُ) بالياء والنون يبين (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالذهاب والمجىء والزيادة والنقصان (وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ) من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك (وَ) فى (الْأَرْضِ) من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها (لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) هـ فيؤمنون خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) بالبعث (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بدل الآخرة لانكارهم لها (وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) سكنوا إليها (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا) دلائل وحدانيتنا (غَافِلُونَ) تاركون للنظر فيها (أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الشرك والمعاصى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ) يرشدهم (رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) به بأن يجعل لهم نورا يهتدون به يوم القيامة (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ دَعْوَاهُمْ فِيهَا) طلبهم لما يشتهونه فى الجنة أن يقولوا (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أى يا الله فاذا ما طلبوه بين أيديهم

(قوله بالذهاب والمجىء) تصوير للاختلاف (قوله والزيادة والنقصان) أى فكل واحد يزيد بقدر مانقص من الآخر (قوله إن الذين لايرجون لقاءنا) أى لايخافونه ولايؤمنون به (قوله واطمأنوا بها) أى فعلوا فعل المخلدين فيها (قوله أولئك) مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول والجملة خبر إن (قوله بما كانوا يكسبون) أى بسبب كسبهم (قوله من الشرك والمعاصى) بيان لقوله يكسبون (قوله إن الذين آمنوا) هذا مقابل قوله إن الذين لايرجون لقاءنا الخ، إن حرف توكيد ونصب الذين اسمها آمنوا صلته وجملة يهديهم ربهم خبر إن (قوله آمنوا) أى صدقوا بالله ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله وعملوا الصالحات) أى الأعمال المرضية لله ورسوله (قوله يهديهم ربهم) أى يوصلهم لدار السعادة وحذف المعمول للعلم به (قوله بإيمانهم) أى بسبب تصديقهم بالله ورسله أى وبسبب أعمالهم الصالحة أيضا فالايمان والأعمال الصالحة سببان موصلان لدار السعادة أو المراد بالايمان الكامل ليشمل الأعمال (قوله بأن يجعل لهم نورا يهتدون به) أى وتصور لهم الأعمال الصالحة بصورة حسنة عند خروجهم من القبور وتقول لصاحبها كنت أسهرك فى الدنيا وأتعبك فيها فاركب على ظهرى وذلك قوله تعالى ـ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ـ بخلاف الكافر فيحشر يوم القيامة أعمى لايهتدى إلى مقصوده ويأتيه عمله السيء فيقول له كنت متلذذا بى فى الدنيا فأنا أركبك اليوم، وذلك قوله تعالى ـ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ـ (قوله فى جنات النعيم) أى بساتين التنعم وهذا الاسم يطلق على جميع الجنات والمعنى أن المؤمنين العاملين للصالحات يوصلهم ربهم لدار كرامته ومحل سعادته تجرى الأنهار بجانب قصورهم ينظرون إليها من أعلى أماكنهم (قوله طلبهم لما يشتهونه فى الجنة أن يقولوا الخ) أى فهذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم فى جميع

مايطلبونه فاذا أرادوا الأكل مثلا قالوا : سبحانك اللهم فيأتونهم بالطعام على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لايشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ماأعطاهم وذلك قوله ـ وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ـ والمراد بما يشتهونه فى الجنة ما كان محمودا فى الدنيا فلا يقال إن نفوس الفساق قد تشتهي اللواط مثلا فيفيد أنه يحصل فى الجنــة لأنه يقال المراد بما يشتهونه ما ليس بشهوات شيطانية لأنهم عصموا منها بالموت فلا تخطر ببالهم فى الجنة ولايميل إليهاطبعهم وكذلك يقال فى شهوة المحارم كالأم والبنت وأيضا أهل الجنة لاأدبارلهم ولايتغوّطون فيها المنافى الحديث «أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولايتفلون ولايبولون ولايتغوّطون ولايمتخطون. قالوا فما بال الطعام؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» (قوله وتحيتهم فيهاسلام) التحية مايحيا به الانسان من الكلام الطيب (قوله فيما بينهم) أى أو تحية الملائكة لهم قال تعالى ـ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ـ أو تحية الله لهم . قال تعالى ـ سلام قولا من ربّ رحيم ـ (قوله وآخر دعواهم) أى خاتمة تسبيحهم فى كل مجلس أن يقولوا : الحمد لله رب العالمين وليس معناه انقطاع الحمد فان أقوال أهل الجنة وأحوالها لا آخر لها (قوله مفسرة) اعترض بأن ضابط المفسرة مفقود هنا إذ ضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وهنا تقدمها مفرد فكان المناسب أن يقول مخففة من الثقيلة ويكون اسمها ضمير الشــأن وجملة الحمد لله رب العالمين خبرها (قوله أن الحمد لله رب العالمين) أى فأهل الجنــة يبتدئون مطالبهم بالتسبيح ويختمونها بالتحميد فتلذذهم بالأكل والشرب وسائر النعيم لايشغلهم عن ذكر الله وشكره (قوله ونزل لما استعجل المشركون العذاب) أى لما بين

الله سبحانه وتعالى أنه يجيب الداعى بالخير أدب عباده بأنهم لايطلبون الشر بل يطلبون الخــير فيعطون وقــوله لما استعجل المشركون قيل هم النضر بن الحــارث وغيره حيث قالوا : اللهم إن كان هــذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (قوله ولو يعجل الله للناس الشر) أى الذى طلبوه لأنفسهم (قوله أى كاستعجالهم) أشار بذلك

(وَتَحِيَّتُهُمْ) فيما بينهم (فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ) مفسرة (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ونزل لما استعجل المشركون العذاب (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ) أى كاستعجالهم (بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ) بالبناء للمفعول وللفاعل (إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) بالرفع والنصب بأن يهلكهم ولكن يمهلهم (فَنَذَرُ) نترك (الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون متحيرين (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) الكافر (الضُّرُّ) المرض والفقر (دَعَانَا لِجَنْبِهِ) أى مضطجعا (أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) أى فى كل حال (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ

مر)

إلى أن استعجالهم مصدر والأصل استعجالا مثل استعجالهم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليــه مقامه (قوله لقضى إليهم أجلهم) أى لهلكوا جميعا والمعنى أن الناس عنــد الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعونه بالرزق والرحمة فلو أجابهم الله إذا دعوه بالشر الذى يســتعجلونه به مثل مايجيبهم إذا دعوه بالخير لأهلكهم ولــكنه من فضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له بالشر فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله بالبناء للمفعول وللفاعل) أى فهما قراءتان ســبعيتان (قوله بالرفع والنصب) لف ونشر مرتب فالرفع نائب فاعل والنصب مفعول به (قوله بأن يهلكهم) أى قبل وقتهم (قوله ولكن يمهلهم) أى فضلا منه وكرما إلى أن يأتى أجلهم فاذا جاء لايستأخرون ساعة ولايستقدمون فالمؤمن يلقى النعيم الدائم والكافر يلقى العذاب الدائم (قوله الذين لايرجون لقاءنا) أى الذين لايخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت (قوله فى طغيانهم) أى الذى هو إنكار البعث والمقالات الشنيعة (قوله يعمهون) حال من فاعل يرجون (قوله يترددون متحيرين) أى فى الفرار من العذاب فلا يجدون لهم مفرا (قوله وإذا مسّ الإنسان الضرّ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما وبخهم على الدعاء بالشر لأنفسهم بين هنا غاية عجزهم وضعفهم وأنهم لايقدرون على إيجاد شيء ولا إعدامه (قوله الكافر) مثله ناقص الإيمان المنهمك فى المعاصى (قوله لجنبه) حال من فاعل دعانا واللام بمعنى على (قوله أوقاعدا أوقائما) يحتمل أن أو على بابها لأن المضار إماثقيلة تمنعه القيام والقعود أوخفيفة لاتمنع ذلك أومتوسطة تمنعه القيام دون القعود ويحتمل أن أو بمعنى الواو فهو إشارة لتنويع الأحوال ،

وإلى هذا أشار المفسر بقوله أى فى جميع الأحوال (قوله مر على كفره) أى استمر عليه (قوله كأن لم يدعنا) الجملة فى محل نصب حال من فاعل مر والمعنى استمر هو على كفره مشبها بمن لم يدعنا أصلا أى رجع إلى حالته الأولى وترك الالتجاء إلى ربه (قوله المسرفين) أى المتجاوزين الحد (قوله ما كانوا يعملون) أى عملهم فالواجب على الانسان دوام الدعاء والتضرع والالتجاء لجناب الله فى كل حال سيما فى حال الصحة والغنى لأنه يشدد عليه فيهما مالا يشدد عليه فى غيرهما (قوله ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) أى كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (قوله لما ظلموا) أى حين ظلمهم (قوله وجاءتهم) قدر المفسر قد إشارة إلى أن الجملة حالية من فاعل ظلموا (قوله عطف على ظلموا) أى كأنه قيل حين ظلموا وحين لم يكونوا مؤمنين ، والمعنى أن سبب إهلاكهم شيئان ظلمهم وعدم إيمانهم (قوله ثم جعلناكم) عطف على أهلكنا (قوله خلائف فى الأرض) أى متخلفين من بعد القرون بسبب أن الله أورثكم أرضهم وديارهم فمن يوم بعث الله محمدا لجميع الخلق الموجودين من يومئذ إلى يوم القيامة من أمته مسلمهم وكافرهم وهم خلفاء الأرض (قوله لننظر) أى ليظهر

متعلق علمنا ونعاملهم معاملة من

مَرَّ) على كفره (كَأَنْ) مخففة واسمها محذوف أى كأنه (لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذٰلِكَ) كما زين له الدعاء عند الضر والإعراض عند الرخاء (زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ) المشركين (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ) الأمم (مِنْ قَبْلِكُمْ) يا أهل مكة (لَمَّا ظَلَمُوا) بالشرك (وَ) قد (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الدالات على صدقهم (وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) عطف على ظلموا (كَذٰلِكَ) كما أهلكنا أولئك (نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ) يا أهل مكة (خَلَائِفَ) جمع خليفة (فِى الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فيها وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لايخافون البعث (ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا) ليس فيه عيب آلهتنا (أَوْ بَدِّلْهُ) من تلقاء نفسك (قُلْ) لهم (مَا يَكُونُ) ينبغى (لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ قِبَلِ (نَفْسِى إِنْ) ما (أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَىَّ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى) بتبديله (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) هو يوم القيامة (قُلْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ) أعلمكم (بِهِ) ولا نافية عطف على ما قبله وفى قراءة بلام جواب لو أى لأعلمكم به على لسان غيرى (فَقَدْ لَبِثْتُ) مكثت (فِيكُمْ عُمُرًا) ،

ينظر ، وفى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه حال العباد مع ربهم بحال رعية مع سلطانها فى إمهالهم لينظر ماذا تفعل واستعير الاسم الدال على المشبه به للمشبه على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الأعلى (قوله كيف تعملون) أى فهل تصدقون رسلنا ، أو تكذبونهم (قوله وإذا تتلى عليهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة (قوله ائت بقرآن غير هذا) أى من عند ربك إن كنت صادقا فى أنه من عند الله (قوله أو بدله) أى بأن تجعل مكان سب آلهتنا مدحهم ومكان الحرام حلالا وهذا الكلام من الكفار يحتمل أن يكون على سبيل الاستهزاء والسخرية ويحتمل أنه على سبيل الامتحان ليعلموا كونه من عند الله فلا يقدر على تغييره ولا تبديله أو من تلقاء نفسه فيقدر على ذلك والأول هو المتبادر من حالهم (قوله قل ما يكون لى أن أبدله الخ) أى لايليق منى ولا يصح (قوله إنى أخاف) تعليل لما قبله (قوله قل لو شاء الله) مفعول شاء محذوف أى عدم إنزاله (قوله ولا أدراكم) أدرى فعل ماض وفاعله مستتر يعود على الله والكاف مفعول به (قوله ولا نافية) أى وجملة لا أدراكم مؤكدة لما قبلها عطف عام على خاص ، والمعنى لو شاء الله عدم إنزاله ماتلوته عليكم ، ولا أعلمكم به منى ولا من غيرى (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بلام) أى وهى للتأكيد ، والمعنى على هذا لو شاء الله عدم تلاوتى ماتلوته عليكم ولأعلمكم به غيرى بأن ينزله على لسان نبى غيرى ونتيجة هذا القياس محذوفة تقديره لكن شاء الله إنزاله على فأنا أتلوه عليكم وأنا أعلمكم به (قوله فقد لبثت فيكم عمرا) هذا هو وجه الاحتجاج عليهم والمعنى أن كفار مكة شاهدوا رسول الله قبل مبعثه وعلموا أحواله وأنه كان أميا لم يقرأ كتابا ولا تعلم من أحد وذلك مدة أربعين سنة ثم بعدها جاءهم بكتاب عظيم الشأن مشتمل على نفائس

العلوم والأحكام والآداب ومكارم الأخلاق فكل من له عقل سليم وفهم ثابت يعلم أن هذا القرآن من عند الله لامن عند محمد (قوله سنينا) منصوب بفتحة ظاهرة وقد مر المفسر على طريقة من يجعله مثل حين ومنه حديث اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فى إحدى الروايتين (قوله أفلا تعقلون) أى أعميتم عن الحق فلا تعقلونه (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله بنسبة الشريك إليه) أشار المفسر إلى أن الخطاب متوجه لهم والمعنى على ذلك أنكم افتريتم على الله الكذب فزعمتم أن له شريكا والله منزه عنه وثبت عندكم صدقى بالقرآن فكذبتم بآياته (قوله ويعبدون) عطف على ماتقدم عطف قصة على قصة بيان لقبائحهم وفى الحقيقة عبادتهم غير الله تسبب عنه ماتقدم من افترائهم وتكذيبهم بآيات الله (قوله مالايضرهم ولا ينفعهم) ماسم موصول أو نكرة موصوفة ونفى الضر والنفع هنا باعتبار ذواتهم وإثباتهما فى قوله تعالى : يدعو لمن ضره أقرب من نفعه باعتبار السبب (قوله وهو الأصنام) بيان لما (قوله ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعانى توهموا أن عبادتها أشد فى تعظيم الله من عبادتهم إياه وقالوا لسنا بأهل أن نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة هذه الأصنام فإنها تكون شافعة لنا عند الله قال تعالى إخبارا عنهم : مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

سنيناً أربعين (مِنْ قَبْلِهِ) لا أحدثكم بشىء (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أنه ليس من قِبَلى (فَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً) بنسبة الشريك إليه (أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ) القرآن (إِنَّهُ) أى الشأن (لَا يُفْلِحُ) يسعد (الْمُجْرِمُونَ) المشركون (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (مَا لَا يَضُرُّهُمْ) إن لم يعبدوه (وَلَا يَنْفَعُهُمْ) إن عبدوه وهو الأصنام (وَيَقُولُونَ) عنها (هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ ، قُلْ) لهم (أَتُنَبِّئُونَ اللهَ) تخبرونه (بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى السَّمٰوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ) استفهام إنكار إذ لو كان له شريك لعلمه إذ لايخفى عليه شىء (سُبْحَانَهُ) تنزيهاً له (وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به معه (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً) على دين واحد وهو الإسلام من لدن آدم إلى نوح ، وقيل من عهد إبراهيم إلى عمرو بن لحى (فَاخْتَلَفُوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة (لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ) أى الناس فى الدنيا (فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من الدين بتعذيب الكافرين (وَيَقُولُونَ) أى أهل مكة (لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) على محمد صلى الله عليه وسلم (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد ،

إن قلت إنهم ينكرون البعث فنى أى وقت يشفعون لهم على زعمهم أجيب بأنهم يرجون شفاعتهم فى الدنيا فى إصلاح معاشهم (قوله بما لايعلم) المقصود نفى وجود الشريك بنفى لازمه لأن علمه تعالى محيط بكل شىء فلو كان موجودا لعلمه الله وحيث كان غير معلوم لله وجب أن لا يكون موجودا وهذا مثل مشهور فان الانسان إذا أراد نفى شىء وقع منه يقول ماعلم الله ذلك منى أى لم يحصل ذلك منى قط (قوله فى السموات ولا فى الأرض) حال من العائد المحذوف فى يعلم (قوله استفهام إنكار) أى بمعنى النفى (قوله إلا أمة واحدة) أى متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف (قوله من لدن آدم إلى نوح الخ) ويجمع بينهما بأن عبادة الله وحده استمرت من آدم إلى نوح فظهر فى أمة نوح من يعبد غير الله ، قال تعالى : فى شأنهم وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودّا ولا سواعا الآية فأخذوا بالطوفان واستمر من يعبد الله وحده إلى زمن إبراهيم فظهر فى أمته من يعبد غير الله فأهلكوا بالبعوض واستمر من يعبد الله وحده إلى أن ظهر عمرو بن لحى ، وهو أول من بحر البحائر ، وسيب السوائب فى الجاهلية إلى أن ظهر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ولولا كلمة) المراد بها حكمه الأزلى بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة (قوله فيما فيه يختلفون) أى فى الدين الذى يختلفون بسببه (قوله بتعذيب الكافرين) متعلق بقضى (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله آية من ربه) أى معجزة كما كان للأنبياء ، قال تعالى حكاية عنهم : وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآية .

(قوله فقل إنما الغيب لله) أى مختص به لايقدر على الاتيان بشىء منه إلا الله وإنما لم يجابوا بعين مطلوبهم لعلمه ببقاء هذه الأمة وهذا الدين إلى يوم القيامة . وقد جرت عادته سبحانه وتعالى : أن القوم الذين يطلبون الآيات إذا جاءت ولم يؤمنوا بها يعجل لهم الهلاك فعدم إجابتهم على طبق ماطلبوا رحمة بهم (قوله إنى معكم من المنتظرين) أى لما يفعله بكم (قوله وإذا أذقنا الناس رحمة) هذا جواب آخر عن قول أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه وذلك أنه لما اشتد من أهل مكة العناد وعدم الاذعان ابتلاهم الله بالقحط سبع سنين ثم رحمهم بعد ذلك بإنزال المطر والخصب فجعلوا ذلك هزوا وسخرية وأضافوا المنافع إلى الأصنام وقالوا لو كان القحط بسبب ذنوبنا كما يقول محمد ماحصل لنا بعد ذلك الخصب لأنا لم نتب فاذا كان كذلك فعلى تقدير أن يعطوا ماسألوا من إنزال ماطلبوه لايؤمنون (قوله بالاستهزاء الخ) تفسير للمكر (قوله أسرع مكرا) أى أعجل عقوبة من سرعة مكرهم وتسمية عقوبة الله مكرا مشاكلة (قوله إن رسلنا) تعليل لأسرعية مكره وتنبيه على أن مادبروه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير (قوله بالتاء والياء) أى لكن الأولى سبعية والثانية عشرية (قوله هو الذى يسيركم) الجملة المعرّفة الطرفين تفيد الحصر أى لا مسير لكم فى البر والبحر إلا هو وهذا من جملة أدلة توحيده (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا من النشر وهو البث والتفريق والمعنى يفرقكم و يبثكم فى البر والبحر والرسم متقارب لكن طولت السنة الثانية وهى النون فى القراءة الثانية وطولت السنة التى قبل الراء وهى الياء على القراءة الأولى (قوله فى البر) أى مشاة وركبانا (قوله حتى إذا كنتم فى الفلك) غاية للسير فى البحر والفلك يستعمل مفردا وجمعا فحركته فى المفرد كحركة قفل وحركته فى الجمع كحركة بدن وهنا مستعمل فى الجمع بدليل وجرين وفى آية : فى الفلك المشحون مستعمل مفردا (قوله فيه التفات عن الخطاب) أى إلى الغيبة وحكمته زيادة التقبيح على الكفار لأن شأنهم عدم شكر النعمة وأما الخطاب أولا فهو لكل شخص مسلم أوكافر بتعداد النعم عليهم (قوله بريح طيبة) أى توصل للمقصود بلطف (قوله وفرحوا بها) الجملة حالية من ضمير بهم وقد مقدّرة (قوله وظنوا) أى أيقنوا (قوله أى أهلكوا) أى ظنوا الهلاك لقيام الأسباب بهم (قوله مخلصين) أى غير مشركين معه شيئا من آلهتهم (قوله لئن أنجيتنا) هذا مقول لقول محذوف بيان لمحصل الدعاء والتقدير قائلين وعزتك وجلالك لئن أنجيتنا (قوله من الشاكرين) أى على نعمائك الموحدين لك (قوله إذا هم يبغون) إذا للمفاجأة والمعنى فحين أنجاهم فاجأوا الفساد وبادروا إليه (قوله بغير الحق) إما وصف كاشف أواحترز به عن البغى بحق كاستيلاء المسلمين على الكفار وتخريب دورهم وإتلاف أموالهم كما فعل رسول الله بقريظة (قوله إنما بغيكم على أنفسكم) الكلام على حذف مضاف أى إثم بغيكم كما يشير له المفسر بقوله لأن إثمه عليها والمعنى أن وبال بغيكم راجع لأنفسكم لايضر الله منه شىء كما لاتنفعه طاعة المطيع قال تعالى : إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها . وقال العارف ماذا يضرك وهو عاص أو يفيدك وهو طائع فاشراك المشرك لايثبت لله شريكا بل هو محض افتراء وكذب ووباله على صاحبه وتوحيد الموحد لايثبت لله وحدة بل هى ثابتة أزلا وأبدا بل معنى وحدت ربى قمت وحدته بقلبى وامتزجت بلبى وليس المعنى أنه أثبت له وحدة لم تكن فان هذا هو الكفر بعينه . وفى ذلك قال العارف :

ما وحد الواحد من واحد   إذ كل من وحده جاحد

(فَقُلْ) لهم (إِنَّمَا الْغَيْبُ) ما غاب عن العباد أى أمره (لِلَّهِ) ومنه الآيات فلا يأتى بها إلا هو ، وإنما على التبليغ (فَانْتَظِرُوا) العذاب إن لم تؤمنوا (إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ . وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) أى كفار مكة (رَحْمَةً) مطرا وخصبا (مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ) بؤس وجدب (مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِى آيَاتِنَا) بالاستهزاء والتكذيب (قُلِ) لهم (اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) مجازاة (إِنَّ رُسُلَنَا) الحفظة (يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) بالتاء والياء (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ) وفى قراءة ينشركم (فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ) السفن (وَجَرَيْنَ بِهِمْ) فيه التفات عن الخطاب (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) لينة (وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) شديدة الهبوب تكسر كل شىء (وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) أى أهلكوا (دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) الدعاء (لَئِنْ) لام قسم (أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ) الأهوال (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) الموحدين (فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بالشرك (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ) ظلمكم (عَلَى أَنْفُسِكُمْ) لأن إثمه عليها ،

(قوله متاع الحياة الدنيا) قدّر المفسر هو إشارة إلى أنه بالرفع خبر لمحذوف (قوله تمتعون فيها قليلا) أى زمنا قليلا (قوله ثم إلينا مرجعكم) أى لامفرّ لهم من ذلك و إنما إمهالهم وتأخيرهم من حلمه سبحانه وتعالى (قوله فنجازيكم عليه) أى على ماعملتم من خير وشرّ (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بنصب متاع) أى مفعول لفعل محذوف قدّره المفسر بقوله أى تمتعون. (قوله إنما مثل الحياة الدنيا) بيان لشأن الدنيا وأن مدّتها قصيرة ، والمعنى صفتها فى سرعة انقضائها وكونكم متعززين بها كماء الخ (قوله كماء أنزلناه من السماء) حكمة تشبيهها بماء السماء دون ماء الأرض إشارة إلى أن الدنيا تأتى بلا كسب من صاحبها ولاتعان منه كماء السماء بخلاف ماء الأرض فينال بالآلات (قوله وغيرهما) أى كالذرة والحمص واللوبياء والفول ونحو ذلك (قوله من الكلأ) هو العشب رطبا أو يابسا (قوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) غاية لمحذوف أى مازال ينمو ويزهو حتى الخ ، والمعنى حتى استوفت واستكملت الأرض زخرفها من النبات وتمّ سرور أهلها بها أتاها أمرنا الخ (قوله بالزهر) أى أنواعه من أحمر وأصفر وأبيض وأخضر وغير ذلك (قوله وأدغمت فى الزاى) أى بعد تسكينها وأتى بهمزة الوصل لأجل النطق بالساكن فلما دخلت الواو حذفت للاستغناء عنها (قوله متمكنون من تحصيل ثمارها) أى من أخذ ماأنبتته من ثمار وزروع و بقول (قوله أتاها أمرنا) جواب إذا (قوله كالمحصود) أى المقطوع (قوله كأن لم تغن بالأمس) أى كأن لم تكن تلك الأشجار والنباتات والزروع ثابتة قائمة على ظهر الأرض وهذا مثل للراغب فى زهرة الدنيا و بهجتها الراكن لها المعرض عن الآخرة فكما أن النبات الذى عظم الرجاء فيه والانتفاع به أتته المتلفات بغتة و يئس منه كذلك المتمسك بالدنيا إذا افتخر بها وتعزز يأتيه الموت بغتة فيسلب ما كان فيه من نعيم الدنيا ولذتها (قوله بالأمس) المراد به الزمن الماضى لاخصوص اليوم الذى قبل يومك (قوله كذلك) أى كما فصلنا فى ضرب المثل

هو (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) تمتعون فيها قليلا (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ) بعد الموت (فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فنجازيكم عليه وفى قراءة بنصب متاع أى تمتعون (إِنَّمَا مَثَلُ) صفة (الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ) مطر (أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ) بسببه (نَبَاتُ الْأَرْضِ) واشتبك بعضه ببعض (مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ) من البرّ والشعير وغيرهما (وَالْأَنْعَامُ) من الكلإ (حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) بهجتها من النبات (وَازَّيَّنَتْ) بالزهر وأصله تزينت أبدلت التاء زايا وأدغمت فى الزاى (وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا) متمكنون من تحصيل ثمارها (أَتَاهَا أَمْرُنَا) قضاؤنا أو عذابنا (لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا) أى زرعها (حَصِيدًا) كالمحصود بالمناجل (كَأَنْ) مخففة أى كأنها (لَمْ تَغْنَ) تكن (بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ) نبين (الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ) أى السلامة وهى الجنة بالدعاء إلى الإيمان (وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) هدايته (إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) دين الاسلام ،

(للذين

(قوله نفصل الآيات لقوم يتفكرون) أى فليس هذا المثل قاصرا على شخص دون شخص بل هو عبرة لمن كان له بصيرة وتدبر فينبغى للإنسان أن ينزل القرآن فى خطاباته على نفسه ويتأمل فيها ويتدبر ليأتمر بأوامره و ينتهى بنواهيه (قوله والله يدعوا إلى دار السلام) لما ذكر سبحانه وتعالى صفة الدنيا ورغب فى الزهد فيها والتجنب لزخارفها رغب فى الآخرة ونعيمها حيث أخبر أنه بعظمته وجلاله وكبريائه يدعو إلى دار السلام ، والسلام اسم من أسمائه تعالى ومعناه المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال وأضيفت الدار للسلام لأنها سالمة من الآفات والكدرات كما أن معنى السلام السالم من كل نقص ، وقيل المراد بالسلام السلامة من الآفات والنقائص وعليه درج المفسر (قوله وهى الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بهذا الاسم مايشمل جميع الجنات لاخصوص المسماة بهذا الاسم من باب تسمية الكل باسم البعض وكذا يقال فى باقى دورها كدار الجلال وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة المأوى والفردوس جنة عدن ، فهذه الأسماء كما تطلق على مسمياتها يطلق كل اسم منها على جميع دورها لصدق الاسم على المسمى فى كل (قوله بالدعاء للايمان) أى فهو سبب لدخول الجنة وان كان صاحبه عاصيا فالمدار فى استحقاق الجنة على مجرد الايمان (قوله ويهدى من يشاء) أى يوصله إلى السعادة الكاملة (قوله هدايته) هذا هو مفعول يشاء (قوله إلى صراط مستقيم) أى طريق قويم لااعوجاج فيه وحذف مقابل و يهدى من يشاء الخ تقديره ويضلّ من يشاء عنه فالضلال والهدى بيد الله

يعطى أيهما شاء لمن شاء (قوله للذين أحسنوا) خبر مقدم والحسنى مبتدأ مؤخر (قوله بالإيمان) أى ولوصحبه ذنوب فعصاة المؤمنين لهم الحسنى وزيادة وإن كانت مراتب أهل الجنة متفاوتة فليس المنهمكون فى طاعة الله كغيرهم (قوله هى النظر إليه تعالى) هذا قول جمهور الصحابة والتابعين، وقيل المراد بالزيادة رضوان الله الأكبر، وقيل مضاعفة الحسنات، وقيل الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب ولكن القول الأول هو الذى عليه المعول لأن النظر إليه تعالى يستلزم جميع ذلك، ويدل له ماورد «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما يعطون شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى» زاد فى رواية: ثم تلا - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة -. واعلم أن الناس جميعا فى الجنة ينظرون إليه سبحانه وتعالى فى مثل يوم الجمعة من الأسبوع وفى مثل يوم العيد من السنة وهذه هى الرؤية العامة لجميع أهل الجنة، وللخواص مراتب متفاوتة فمنهم من يراه فى كل صباح ومساء، ومنهم من يراه فى مثل أوقات الصلوات الخمس، ومنهم من لا يحجب عن الرؤية أبدا لما قيل: إن لله رجالا لو حجبوا عن الرؤية طرفة عين لتمنوا الخروج من الجنة (قوله ولا يرهق) الجملة مستأنفة (قوله سواد) أى وغبار فأهل الجنة بيض الوجوه فى غاية من البسط والجمال فلا يعتريهم نكد ولا كدر قال تعالى: وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة (قوله أولئك) أى المحدث عنهم أن لهم الحسنى وزيادة (قوله هم فيها خالدون) أى لا يخرجون منها أبدا (قوله والذين كسبوا السيئات) شروع فى ذكر صفات أهل النار إثر ذكر صفات أهل الجنة (قوله عطف على للذين أحسنوا)

(لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالإيمان (الْحُسْنَى) الجنة (وَزِيَادَةٌ) هى النظر إليه تعالى كما فى حديث مسلم (وَلَا يَرْهَقُ) يغشى (وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ) سواد (وَلَا ذِلَّةٌ) كآبة (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَالَّذِينَ) عطف على للذين أحسنوا، أى وللذين (كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ) عملوا الشرك (جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ) زائدة (عَاصِمٍ) مانع (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ) ألبست (وُجُوهُهُمْ قِطَعًا) بفتح الطاء جمع قطعة وإسكانها أى جزءا (مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. وَ) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) أى الخلق (جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ) نصب بالزموا مقدرا (أَنْتُمْ) تأكيد للضمير المستتر فى الفعل المقدر ليعطف عليه (وَشُرَكَاؤُكُمْ) أى الأصنام،

أى ويكون فيه العطف على معمولى عاملين مختلفين لأن الذين معطوف على الذين الأول والعامل فيه المبتدأ الذى هو الحسنى وقوله: جزاء سيئة معطوف على الحسنى والعامل فيه الابتداء وهذا الوجه فيه خلاف بين النحويين ولذا حاول بعضهم إعراب الآية حتى ذكر فيه سبعة أوجه أحسنها أن قوله الذين مبتدأ أول وجزاء سيئة مبتدأ ثان وبمثلها خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول والباء زائدة ويدل لزيادتها قوله تعالى: وجزاء سيئة سيئة مثلها (قوله بمثلها) أشار بذلك إلى الفرق بين الحسنات والسيئات فالحسنات مضاعفة بفضل الله والسيئات جزاؤها مثلها عدلا منه سبحانه وتعالى قال صاحب الجوهرة: فالسيئات عنده بالمثل ﴿ والحسنات ضوعفت بالفضل (قوله وترهقهم ذلة) أى يغشاهم الذل والكآبة (قوله ما لهم من الله) أى من عذابه وسخطه (قوله كأنما أغشيت) أى غطيت (قوله وإسكانها) أى فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى على الأولى كأن أجزاء الليل غطتهم ولبستهم وعلى الثانية كأن جزءا من الليل غشيهم وغطى وجوههم وهذه الآية بمعنى الآية الأخرى وهى قوله تعالى: ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة، وما مشى عليه المفسر من أن القطع بالسكون الجزء هو أحد أقوال فى تفسيره، وقيل هو سواد الليل، وقيل هو ظلمة آخر الليل (قوله مظلما) حال من الليل (قوله أولئك) أى الموصوفون بما ذكر (قوله أصحاب النار) أى المستحقون لها (قوله هم فيها خالدون) أى ما كثون على سبيل الخلود والتأبيد (قوله ويوم نحشرهم) شروع فى ذكر محاجة أهل الشرك مع معبوداتهم إثر بيان أصحاب النار ويوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله نصب بالزموا) أى على أنه مفعول به، والمعنى الزموا هذا المكان ولا تبرحوا عنه أو ظرف بجعل الزموا بمعنى قفوا (قوله تأكيد للضمير المستتر) أى الذى هو الواو وتسميته مستترا فيه مسامحة إذ الواو من الضمائر البارزة وقد يجاب بأن المراد بالاستتار عدم الذكر بالفعل (قوله المقدر) أى الذى هو الزموا والاخبار بهذا الأمر للتهديد يصدر من الله على لسان ملك لا مباشرة لقوله تعالى - ولا يكلمهم الله يوم القيامة -.

(قوله فزيلنا) من التزييل وهو التفريق والتمييز ، يقال زل ضأنك من معزك : أى فرق بينهما وميز هذا من هذا ووزنه فعل بالتضعيف فهو من باب ذوات الياء أوفيعل ، وأصله زيول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء فهو من باب ذوات الواو (قوله بينهم و بين المؤمنين) هكذا فهم المفسر وهو بعيد من سابق الكلام ولاحقه ، وقيل ميزنا بينهم و بين معبوداتهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل فى الدنيا وهو الأقرب لأن الكلام فيه (قوله وقال شركاؤهم) إنما أضيفت الشركاء لهم لأنهم اتخذوها شركاء لله فى العبادة (قوله ما كنتم إيانا تعبدون) قال مجاهد : تكون فى القيامة ساعة فيها شدة تنصب لهم الآلهة التى كانوا يعبدونها من دون الله ، فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم أنكم كنتم تعبدوننا ، فيقولون والله إياكم كنا نعبد ، فتقول الآلهة لهم ـ فكفى بالله شهيدا بيننا و بينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين ـ (قوله للفاصلة) أى تناسب رءوس الآى (قوله لغافلين) أى لا علم لنا بذلك (قوله هنالك) إشارة للمكان البعيد وهو الوقف الذى يدهش العقول (قوله تبلو) أى تختبر وتعلم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا من التلاوة : أى تقرأ ما أسلفته وقدمته فتجده مسطرا فى صحف الملائكة . قال تعالى ـ ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك ـ أومن التلو : أى تتبع وتطلب ما أسلفته من أعمالها ، وفى قراءة أيضا نبلو بالنون بعدها باء موحدة : أى نختبر نحن وكل بالنصب مفعول به عليها وهى شاذة (قوله وردوا) أى المشركون (قوله الثابت الدائم) أى الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى غاب عنهم افتراؤهم بظهور الحق فلا ينافى أنهم معهم فى النار ، وهكذا كل من اعتمد على غير الله يقال له ـ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ـ الآية فينبغى للانسان أن يسعى فى خلاص قلبه

(١٧٤)

(فَزَيَّلْنَا) ميزنا (بَيْنَهُمْ) و بين المؤمنين كما فى آية : وامتازوا اليوم أيها المجرمون (وَقَالَ) لهم (شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) ما نافية وقدم المفعول للفاصلة (فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ) مخففة أى إنا (كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ . هُنَالِكَ) أى ذلك اليوم (تَبْلُوا) من البلوى وفى قراءة بتاءين من التلاوة (كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ) قدمت من العمل (وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ) الثابت الدائم (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) عليه من الشركاء (قُلْ) لهم (مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ) بمعنى الأسماع أى خلقها (وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

من الوهم الذى يلجئه إلى الاعتماد على غير الله من جاه أو مال أو علم أو عمل أو غير ذلك ليرى الحق حقا والباطل باطلا فيتبع الحق ويجتنب الباطل ، وبهذا الأمر يتبين الولى من العامى فالولى يرى الأشياء كلها ظاهرا و باطنا من الله فهو دائما مطمئن ساكن مسلم لله ومن فى كل ما يفعله والعامى يعتقد ذلك بقلبه غير أن الوهم يخيل له أن لغير الله ضرا أو نفعا فيكون دائما فى تعب ونصب ، وقد أشار العارف لذلك بقوله .

وما الخلق فى التمثال إلا كثلجة ... لها صورة لكن تبدت عن الماء
فذو الكشف لم يشهد سوى الماء وحده ... تبدى بوصف الثلج من غير إخفاء
ومن حجبته صورة الثلج جاهل ... تغطى عليه الأمر من لمع أضواء

(قوله قل لهم من يرزقكم الخ) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقيم الحجة على المشركين ويبطل ما هم عليه من الإشراك بأسئلة ثمانية أجاب المشركون عن الخمسة الأولى وأجاب رسول الله عن الاثنين بعدها بتعليم الله له ، وجواب الأخير لم يذكر للعلم به وقد صرح به المفسر (قوله من السماء والأرض) أى رزقا مبتدأ من السماء والأرض (قوله بالمطر) أى فهو سبب لاخراج نبات الأرض فصح كون الرزق من السماء (قوله أمن يملك السمع) أى يخلقه ويحفظه من الآفات فى كل لحظة إذ هو معرض للزوال لولا حفظ الله له ما ثبت (قوله بمعنى الأسماع) إنما قال ذلك ليوافق الأبصار (قوله والأبصار) جمع بصر ، والمعنى أن الله تعالى هو الخالق للأبصار الواضع للنور فيها الذى به الإبصار وهو الحافظ له (قوله ومن يخرج الحى من الميت الخ) تقدم أن المراد بالحى الانسان والطير ، و بالميت النطفة والبيضة .

(قوله ومن يدبر الأمر) عطف عام على خاص لأن تدبير الأمر عام في كل شيء (قوله فسيقولون الله) أي جوابا لمن تقلّم (قوله أفلا تتقون) أي أدمتم على الشرك فلا تتقونه ، ويؤخذ من هذا أن المعرفة ليست هي الايمان إذ لو كانت هي الايمان لكان إقرارهم بأن الله هو الفعال لهذه الأشياء توحيدا وإيمانا بل الايمان هو حديث النفس التابع للمعرفة : أي قول النفس آمنت وصدقت على التحقيق (قوله الثابت) أي الذى لايقبل الزوال أزلا ولاأبدا (قوله استفهام تقرير) المناسب إنكار بدليل قوله : أي ليس بعده غيره (قوله وقع في الضلال) أي الباطل وهو الشرك لأنه لاواسطة بين الحقّ والباطل (قوله فأنى تصرفون) أي تمنعون وهو استفهام تعجبي (قوله كذلك) الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف ، والتقدير مثل صرفهم عن الحقّ بعد الاقرار به حقت الخ (قوله وهي لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي فالمراد نفذ القضاء والقدر بأن جهنم تملئ من الجنّ والانس حتى تقول قط قط (قوله أوهي أنهم لايؤمنون) أو لتنويع الخلاف : أي فالمراد بكلمة الله على هذا القول نفوذ قضاء الله وقدره بعدم إيمانهم (قوله قل هل من شركائكم الخ) هذا هو السؤال السادس (قوله من يبدأ) أي ينشئ الخلق من العدم (قوله ثم يعيده) أي الخلق في القيامة للحساب والجزاء

وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) بين الخلائق (فَسَيَقُولُونَ) هو (اللهُ فَقُلْ) لهم (أَفَلَا تَتَّقُونَ) ه فتؤمنون (فَذَلِكُمُ) الفعال لهذه الأشياء (اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ) الثابت (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) استفهام تقرير : أي ليس بعده غيره فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال (فَأَنَّى) كيف (تُصْرَفُونَ) عن الايمان مع قيام البرهان (كَذَلِكَ) كما صرف هؤلاء عن الايمان (حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) كفروا وهي لأملأن جهنم الآية أو هي (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) بنصب الحجج وخلق الاهتداء (قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) وهو الله (أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي) يهتدى (إِلَّا أَنْ يُهْدَى) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ أي الأول أحق (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لايحق اتباعه (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ) في عبادة الأصنام (إِلَّا ظَنًّا) حيث قلدوا فيه آباءهم

وإنما لم يجيبوا عن هذا السؤال وتولى الله الجواب عنه لأنهم منكرون البعث فلو أجابوا لكان ذلك إقرارا منهم بالبعث وصح أن يكون حجة عليهم لقيام الأدلة والبراهين عليه فلا يستطيعون أن ينازعوا في ذلك (قوله قل هل من شركائكم) هذا هو السؤال السابع . والمعنى هل من شركائكم من يقيم الحجج ويرسل الرسل ويوفق العبيد لرشادهم ولما لم يكونوا مسلمين ذلك تولى الله جوابه أيضا (قوله قل الله يهدى للحق) أي فهو أحق بالاتباع لاهذه الأصنام التي لاتهتدى بنفسها (قوله أفمن يهدى إلى الحق) هذا هو السؤال الثامن ، وقد ذكر المفسر جوابه بقوله الأول أحق (قوله أحق أن يتبع) خبر قوله أفمن يهدى ، والمعنى أفمن يهدى إلى الحق حقيق بالاتباع أم من لايهدى إليه (قوله أم من لايهدى) أصله يهتدى نقلت فتحة التاء إلى الهاء وأبدلت التاء دالا وأدغمت في الدال ويهدى بفتح الهاء وكسرها وبكسر الياء والهاء معا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية فكسر الهاء للتخلص من التقاء الساكنين وكسر الياء اتباعا لكسر الهاء (قوله إلا أن يهدى) استثناء من أعم الأحوال ، والمعنى لايهتدى في حال من الأحوال إلا في حال إهداء الغير إياه . ومعنى هداية الأصنام كونها تنقل من مكان لآخر ، فالمعنى لاتنتقل من مكان لآخر إلا أن تحمل وتنقل وهذا ظاهر في الأصنام ، وأما مثل عيسى والعزير فمعنى لايهدى لا يخلق الهدى لافي نفسه ولا في غيره فالخلق كلهم عاجزون إذ لايملكون لأنفسهم شيئا فضلا عن غيرهم (قوله فمالكم) أي أيّ شيء ثبت لكم في هذه الحالة (قوله كيف تحكمون) أي بالباطل وتجعلون لله شركاء (قوله وما يتبع أكثرهم) يفيد أن الأقل يعرفون أن الله منزه عن كل نقص متصف بكل كمال غير أنهم يكفرون عنادا (قوله حيث قلدوا فيه آباءهم) أي فقالوا ـ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ـ .

(قوله إن الظن لايغنى من الحق شيئا) المراد بالظن خلاف التحقيق فيشمل الشك والوهم ، وهذا الكلام فى حق الكفار الذين اتبعوا غيرهم فى الكفر وقلدوهم فيه فلاعذر لهم فى التقليد دنيا ولا أخرى ، وأما المؤمن الخالص الذى امتلأ قلبه بالإيمان حيث عجز عن قيام الأدلة على التوحيد وقلد العارف فيه فليس من هذا القبيل بل هو مؤمن جزما لأنه ليس عنده ظن بل جزم مطابق الواقع وربما إن دام على الصدق ومتابعة من يقلده يرتقى فى التوحيد إلى مقام أعلى وأجل من مقام من قلده ، وأما القول بأنه كافر فإنما يعرف لأبى هاشم الجبائى من المعتزلة فلا يعول عليه (قوله إن الله عليم بما يفعلون) هذا تهديد لهم على ما وقع منهم من الأفعال الشنيعة والأحوال القبيحة (قوله وما كان هذا القرآن) المقصود من هذا الكلام الرد على من كذب بالقرآن وزعم أنه ليس من عند الله ، والمعنى لاينبغى لهذا القرآن أن يختلق و يفتعل لأن تراكيبه الحسنة أعجزت العالمين وذلك لأن حسن الكلام على حسب سعة علم المتكلم واطلاعه ولاأحد أعلم من رب العالمين فلذلك أعجز الخلائق جميعا لكونه فى أعلى طبقات البلاغة ولذلك قال صاحب الهمزية :

أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتى به البلغاء

إلى أن قال :

سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

(قوله أى افتراء) أشار بذلك إلى أن خبر كان أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر (قوله ولكن تصديق الذى بين يديه) هذا الاستدراك وقع أحسن موقع لأنه وقع بين نقيضين الكذب والصدق وتصديق بالنصب خبر لكان مقدرة والتقدير ولكن كان تصديق الخ أو مفعول لأجله بفعل محذوف قدره المفسر بقوله أنزل وتصديق بمعنى مصدق أو بولغ فيه حق جعل نفس التصديق على حد زيد عدل وكذا يقال فى قوله وتفصيل الكتاب (قوله من الكتب) أى السماوية المنزلة على الأنبياء (قوله وتفصيل الكتاب) أى مفصل لما فى الكتاب وهو اللوح المحفوظ فالقرآن مفصل لما كتب فى اللوح المحفوظ من علم ما كان وما يكون وماهو كائن فى الدنيا والآخرة فمن أعطى شيئا من أسرار القرآن فلا يحتاج للاطلاع على اللوح المحفوظ بل يأخذ منه ما أراده (قوله وغيرها) أى من المغيبات (قوله لاريب فيه) حال من التصديق والتفصيل وهذا هو الأظهر (قوله متعلق بتصديق أو بأنزل) أى ويكون قوله لاريب فيه معترضا بين المتعلق والمتعلق (قوله وقرئ) أى شاذا (قوله أم يقولون افتراه) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة ، والمعنى أنهم أصروا على تلك المقالة ولم يذعنوا للحق (قوله اختلقه محمد) أى افتعله وليس من عند الله (قوله قل فأتوا بسورة) هذا تبكيت لمقالتهم الفاسدة وهو جواب شرط مقدر والتقدير إن كان الأمر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله . واعلم أن مراتب تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن أربعة : أولها أنه تحداهم بجميع القرآن . قال تعالى - قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن - ثانيها أنه تحداهم بعشر سور . قال تعالى - قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات - ثالثها أنه تحداهم بسورة واحدة . قال تعالى - قل فأتوا بسورة مثله - رابعها أنه تحداهم بحديث مثله كما قال تعالى - فليأتوا بحديث مثله - (قوله من استطعتم من دون الله) أى من آلهتكم وغيرها من جميع المخلوقات (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه : أى فأتوا بسورة وادعوا الخ (قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى بفهم ألفاظه ومعانيه العظيمة فتكذيبهم لعدم فهمهم معناه وجهلهم بفضله ففى المثل : من جهل شيئا عاداه . وقال البوصيرى :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

(قوله ولما يأتهم تأويله) أى لم ينزل بهم الوعيد فيحملهم على التصديق قهرا فتكذيبهم لأمرين جهلهم بفضله وعدم إتيان الوعيد لهم عاقبة

(إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) فيما المطلوب منه العلم (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) فيجازيهم عليه (وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ) أى افتراء (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَلَٰكِنْ) أنزل (تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب (وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ) تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) متعلق بتصديق أو بأنزل المحذوف وقرئ برفع تصديق وتفصيل بتقدير هو (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) اختلقه محمد (قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) فى الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء فانكم عربيون فصحاء مثلى (وَادْعُوا) للاعانة عليه (مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنه افتراء فلم يقدروا على ذلك قال تعالى (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ) أى القرآن ولم يتدبروه (وَلَمَّا) لم (يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ)

(قوله من الوعيد) أى وهو العذاب الموعود به (قوله كذلك التكذيب) أشار بذلك إلى أن الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف أى مثل ذلك التكذيب كذبوا رسلهم (قوله فكذلك نهلك هؤلاء) أى بأن نسلطكم عليهم فتقتلوهم وليس المراد الهلاك العام بالخسف والمسخ مثلا فان ذلك مرفوع ببركته صلى الله عليه وسلم (قوله ومنهم) أى من أهل مكة المكذبين (قوله من يؤمن به) أى فى المستقبل والمعنى أن أهل مكة المكذبين للقرآن انقسموا قسمين قسم آمن بعد وقسم لم يؤمن (قوله و إن كذبوك) أى داموا على تكذيبك (قوله أى لكل جزاء عمله) أى جزاء ماعمله من خير أو شر (قوله وهذا منسوخ بآية السيف) أى نبعد نزولها لم يقل ذلك وفيه إن شرط الناسخ أن يكون رافعا الحكم المنسوخ ومدلول الآية ثابت لم ترفعه آية السيف إذ مدلول هذه الآية اختصاص كل بعمله وبراءة كل من عمل الآخر وهذا حاصل مطلقا فالوجه أنه لا نسخ فى هذه الآية (قوله ومنهم من يستمعون إليك) أى من كفار مكة المكذبين للقرآن فريق يصغون إلى قراءتك بآذانهم ولم يذعنوا بقلوبهم فلا تطمع فى إيمانهم لوجود الختم على قلوبهم فلا يفقهوا الحق ولايتبعوه وفى هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لاتحزن على عدم إيمانهم فانك لاتقدر أن تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى والمعنى أنت لاتقدر أن تسمع من سلبه الله السمع (قوله شبههم) أى الكفار وقوله بهم أى بالصم وقوله فى عدم الانتفاع

عاقبة ما فيه من الوعيد (كَذَٰلِكَ) التكذيب (كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) بتكذيب الرسل أى آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء (وَمِنْهُمْ) أى أهل مكة (مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ) لعلم الله ذلك منه (وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ) أبداً (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) تهديد لهم (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ) لهم (لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ) أى لكل جزاء عمله (أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) وهذا منسوخ بآية السيف (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) إذا قرأت القرآن (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ) شبههم بهم فى عدم الانتفاع بما يتلى عليهم (وَلَوْ كَانُوا) مع الصمم (لَا يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ) شبههم بهم فى عدم الاهتداء بل أعظم ـ فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ـ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ) أى كأنهم (لَمْ يَلْبَثُوا) فى الدنيا أو القبور (إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ)،

هذا هو وجه الشبه أى فكما أن معدوم السمع لاينتفع بالأصوات فكذلك الكفار لاينتفعون بسماع القرآن لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله ولو كانوا لايعقلون) أى ولو كان مع الصمم عدم العقل وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله وجملة الشرط معطوفة على محذوف تقديره أأنت تسمع الصم إن عقلوا بل ولو كانوا لايعقلون فأنت لاتسمعهم فيكون المعنى أنت لاتسمع الصم عقلوا أو لم يعقلوا فهم كالأنعام بل هم أضل (قوله ومنهم من ينظر إليك) أى يبصرك بعينه (قوله أفأنت تهدى العمى) يقال فيه ماقيل فيما قبله (قوله ولو كانوا لايبصرون) أى لايتأملون ولايتفكرون بقلوبهم فيما جئت به من الدلائل العظيمة والشمائل الفخيمة، والمعنى أنت لاتهدى عمى القلوب أبصروا أولم يبصروا (قوله بل أعظم) أى لأنهم عدموا البصيرة والمشبه بهم عدموا البصر وفقد البصيرة أعظم فى الضرر من فقد البصر (قوله إن الله لايظلم الناس شيئا) هذه الآية سيقت لدفع توهم أن الله حيث سلبهم العقل والسمع والبصر فتعذيبهم على عدم الهدى ظلم فدفع ذلك بأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير ولا ملك لأحد معه سبحانه وتعالى فتقديره الشقاوة على أهلها ليس بظلم منه لأنه هو المالك الحقيقى وهو يتصرف فى ملكه كيف يشاء (قوله ولكن الناس أنفسهم يظلمون) إنما قال ذلك لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب الاختيارى فالله سبحانه وتعالى يعذب الشقى على ما اقترفه بالنظر للكسب الاختيارى . فان قيل هو الخالق لذلك الكسب . يقال لايسئل عما يفعل (قوله ويوم نحشرهم) أى نجمعهم للحساب والضمير عائد على المشركين المنكرين للبعث والمعنى ويوم نجمع المشركين فى القيامة ويعرف بعضهم بعضا حال كونهم فى وقت حشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا زمنا قليلا من النهار .

(قوله لهول مارأوا) أى فبسبب ذلك يعد الزمن السابق عليه يسيرا وإن كان فى نفسه طويلا (قوله حال من الضمير) أى فى يحشرهم (قوله إذا بعثوا) دفع بذلك مايقال إن هذا معارض لقوله فلا أنساب بينهم . وحاصل الجواب أنهم يتعارفون أولا فاذا اشتد الهول نسى بعضهم بعضا (قوله والجملة حال) أى من الواو فى يلبثوا أو من الضمير فى نحشرهم وعلى هذا فالظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر (قوله أو متعلق الظرف) أى فهو معمول له والتقدير يتعارفون وقت حشرهم (قوله قد خسر الذين كذبوا) هذا إخبار من الله بحالهم الشنيع (قوله وما كانوا مهتدين) معطوف على جملة قد خسر والمعنى وما كانوا واصلين الجنة أبدا (قوله وإما نرينك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لاتحزن فإما نرينك عقوبتهم فى حياتك أو نؤخرهم إلى يوم القيامة فهم لايفلتون من عذابنا على كل حال فاصبر ولا تستعجل فان الأمر لنا فيهم (قوله فذاك) أى هو المراد وقد حصل ذلك بأن بلغ الله نبيه الآمال فيمن عاداه بسبب تسليمه الأمر فيهم لمالكهم وهكذا يفعل الله بالظالم إذا سلم المظلوم أمره لسيده ولم يعترض على أفعاله وصبر على أحكامه فبهذا ينال رضا الله ويظفر بمطلوبه ممن ظلمه وفى هذا المعنى قلت :

أرح قلبك العانى وسلم له القضا
تفز بالرضا فالأصل لايتحول
علامة أهل الله فينا ثلاثة
إيمان وتسليم وصبر مجمل

(قوله فالينا مرجعهم) هذا هو جواب الشرط (قوله ثم الله شهيد) ثم لترتيب الأخبار لا للترتيب الزمانى (قوله رسول) أى أرسله الله لهم (قوله فكذبوه) قدره إشارة إلى أن قوله قضى بينهم بالقسط مرتب على محذوف لاعلى قوله فإذا جاء رسولهم (قوله وهم لايظلمون) أى لأن تعذيبهم

لهول مارأوا وجملة التشبيه حال من الضمير (يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) يعرف بعضهم بعضا إذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال والجملة حال مقدرة أو متعلق الظرف (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ) بالبعث (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ . وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف أى فذاك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ) مطلع (عَلَى مَا يَفْعَلُونَ) من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) من الأمم (رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ) إليهم فكذبوه (قُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ) بالعدل فيعذبون وينجى الرسول ومن صدقه (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا) أدفعه (وَلَا نَفْعًا) أجلبه (إِلَّا مَاشَاءَ اللهُ) أن يقدرنى عليه فكيف أملك لكم حلول العذاب (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) مدة معلومة لهلاكهم (إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ) يتأخرون عنه (سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) يتقدمون عليه (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ) أى الله (بَيَاتًا) ليلا (أَوْ نَهَارًا مَاذَا) أى شىء (يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ) أى العذاب (الْمُجْرِمُونَ) المشركون ، فيه وضع الظاهر موضع

بسبب كسبهم لما تقدم أن الرحمة قد تأتى من غير سابقة مقتضيها ، وأما العذاب فلا بد وأن يكون بسبب فعل يقتضيه (قوله ويقولون) أى كفار مكة (قوله متى هذا الوعد) أى الذى تعدنا به وهذا القول منهم على سبيل الاستهزاء والسخرية (قوله إن كنتم صادقين) خطاب للنبى والمؤمنين (قوله قل لا أملك لنفسى ضرا الخ) أى لا أستطيع أن أدفع الضر عن نفسى إن أراد الله نزوله بى ولا أستطيع جلب نفع أراد الله منعه عنى (قوله إلا ماشاء الله) يحتمل أن يكون متصلا والتقدير إلا ماشاء أن أملكه وأقدر عليه ، أو منقطعا والتقدير لكن ماشاء الله من ذلك فانى أملك لكم الضر وأجلب العذاب (قوله لكل أمة أجل) هذا من جملة ما أجابهم به والمعنى حيث كان لكل أمة أجل محدود لاتتعداه فلا معنى لاستعجالكم العذاب (قوله يتأخرون الخ) أشار بذلك إلى أن السين فى يستأخرون ويستقدمون زائدة والمعنى أنه إذا جاء الأجل الذى قدره الله لكل أمة فلا يتأخرون عنه ولا يتقدمون عليه إن لم يجئ . إن قلت ورد أن الصدقة تزيد فى العمر فالجواب أن المراد بالزيادة البركة لأن الأجل الذى سبق فى علم الله لايتغير (قوله قل أرأيتم) أى قل للذين يستعجلون العذاب .

(قوله موضع المضمر) أى وهو الواو التى مع تاء المخاطب والتقدير ماذا تستعجلون وعدل عنه لأجل الوصف بالاجرام تبكيتا عليهم (قوله وجملة الاستفهام جواب الشرط) أى على تقدير الفاء لأن الجملة اسمية (قوله والمراد به) أى بالاستفهام (قوله لانكار التأخير) أى المستفاد من ثم والتقدير أأخرتم ثم آمنتم به إذا وقع . والمعنى لاينبغى هذا التأخير لأن الإيمان فى هذه الحالة غير نافع (قوله آلآن) منصوب على الظرفية والعامل فيه محذوف قدره المفسر بقوله تؤمنون والفعل المقدر ومعموله على إضمار القول وهو يقال لكم وآلآن بهمزتين الأولى همزة الاستفهام والثانية همزة أل المعرفة فاذا اجتمع هاتان الهمزتان وجب فى الثانية إما تسهيلها أو مدها بقدر ثلاث ألفات وهما قراءتان سبعيتان وقد وقع ذلك فى القرآن فى ستة مواضع اثنان فى الأنعام آلذكرين مرتين وثلاثة فى هذه السورة آلآن مرتين وآلله أذن لكم وواحد فى النمل آلله خير . وأما تحقيق الهمزتين فلا يجوز (قوله وقد كنتم به تستعجلون) الجملة حالية من فاعل آمنتم (قوله استهزاء) أى تستعجلون على سبيل الاستهزاء (قوله ثم قيل للذين ظلموا) إخبار عما يقع لهم فى القيامة (قوله هل تجزون) الواو نائب الفاعل مفعول أول وقوله بما كنتم تكسبون مفعول ثان وقوله إلا جزاء مفعول مطلق لتجزون . والمعنى لاتجزون إلا جزاء الذى كنتم تكسبونه من الكفر والتكذيب (قوله ويستنبئونك) السين والتاء للطلب والمعنى يسئلونك أن تخبرهم عما وعدتهم به من العذاب أحق هو الخ ويستنبئونك فعل مضارع والواو فاعل والكاف مفعول أول وجملة أحق هو فى محل المفعول الثانى وحق مبتدأ وهو خبر أو بالعكس أو هو فاعل بحق أغنى عن الخبر والشرط موجود وهو اعتماد المبتدإ على الاستفهام (قوله قل إى وربى الخ) هذا أمر من الله لرسوله بأن يجيبهم بثلاثة أشياء إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين (قوله نعم) أشار المفسر بذلك إلى أن

موضع المضمر وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك إذا أتيتك ماذا تعطينى والمراد به التهويل أى ما أعظم ما استعجلوه (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ) حلّ بكم (آمَنْتُمْ بِهِ) أى الله أو العذاب عند نزوله والهمزة لإنكار التأخير فلا يقبل منكم ، ويقال لكم (آلْآنَ) تؤمنون (وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) استهزاء (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) أى الذى تخلدون فيه (هَلْ) ما (تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ . وَيَسْتَنْبِئُونَكَ) يستخبرونك (أَحَقٌّ هُوَ) أى ماوعدتنا به من العذاب والبعث (قُلْ إِي) نعم (وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين العذاب (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ) كفرت (مَا فِي الْأَرْضِ) جميعا من الأموال (لَافْتَدَتْ بِهِ) من العذاب يوم القيامة (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ) على ترك الإيمان (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) أى أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلوهم مخافة التعيير (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين الخلائق (بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئا ،

إى من أحرف الجواب ولكنها مختصة بالقسم لاتستعمل فى غيره ومنه قول الناس إى والله وقولهم إيوه فالواو للقسم والهاء مأخوذة من الله ويحتمل أن الهاء للسكت والقسم به محذوف للعلم به تقديره إى والله وهذا هو الأقرب لأن تقطيع اسم الجلالة غير لائق (قوله إنه لحق) جواب القسم (قوله وما أنتم بمعجزين) يصح أن يكون معطوفا على إى فيكون من جملة مقول القول ويصح أن يكون جملة مستأنفة خطابا من الله لهم وليس من جملة مقول القول وما يحتمل أنها حجازية فاسمها الضمير وبمعجزين خبرها أو تميمية ومابعدها مبتدأ وخبر (قوله بفائتين العذاب) أى فارين منه بل هو مدرككم لامحالة (قوله ولو أن لكل نفس ظلمت الخ) المعنى امتنع افتداء كل نفس من العذاب لامتناع ملكها لما تفتدى به وهو جميع مافى الأرض (قوله كفرت) أى وماتت على كفرها (قوله لافتدت به) أى لجعلته فداء لها من العذاب لكنه لايحصل ذلك (قوله وأسروا الندامة) الضمير عائد على الرؤساء والإسرار على حقيقته . والمعنى أن الرؤساء حين يرون العذاب يخفون الندامة خوف التعيير هذا ماشى عليه المفسر وقيل إن أسروا بمعنى أظهروا من تسمية الأضداد ولعل هذا هو الأقرب قال تعالى ـ أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله ـ الآية (قوله لما رأوا العذاب) ظرف لأسروا بمعنى حين أو شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله مخافة التعيير) أى التوبيخ الواقع من الأتباع لهم (قوله بين الخلائق) أى فيقضى للمسلمين بالجنة وللكفار بالنار ويصح أن يكون المعنى بين الظالمين والمظلومين (قوله العدل) أى وهو عدم الجور والظلم .

(قوله ألا) أداة تنبيه يؤتى بها للاعتناء بما بعدها ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أن كل نفس كافرة تمنى أنها لو تملك ما فى الأرض لافتدت به بين هنا أنه لا يمكن ذلك لعدم ملكها فان لله ما فى السموات والأرض (قوله ألا إن وعد الله حق) أى لامحيص عنه بل هو واقع ولابد (قوله ولكن أكثرهم لايعلمون) أى لقصور عقولهم بسبب استيلاء الغفلة عليهم فينكرون ذلك والتعبير بأكثر اشارة إلى أن الأقل يعلم ذلك وهو واحد من ألف لما تقدم فى الحديث : يا آدم أخرج بعث النار من ذريتك فيخرج من كل ألف واحداً للجنة والباقى للنار (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى خيرها وشرها (قوله أى أهل مكة) أشار بذلك إلى أن الخطاب لهم ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله موعظة) مصدر وعظ بمعنى ذكر وأرشد لما ينفع من محاسن الأعمال وزجر عما يضر من قبائحها (قوله من ربكم) صفة لموعظة وفى هذا تنزل من الله لعباده كأن الله يقول الفداء فى الآخرة لاينفع وأما فى الدنيا فذلك نافع (قوله وشفاء لما فى الصدور) المراد بها القلوب من باب تسمية الحال باسم المحل ، والمعنى أن القرآن مذكر وواعظ وبه الشفاء لما فى القلوب من الحقد والحسد والبغض والعقائد الفاسدة (قوله وهدى) أى نور يقذف فى قلوب الكاملين يميزون به بين الحق والباطل وفى هذه الآية اشارة إلى الشريعة والطريقة والحقيقة فأشار للشريعة بقوله : موعظة من ربكم لأن الشريعة بها تطهير الظواهر وأشار للطريقة بقوله : وشفاء لما فى الصدور لأن الطريقة بها تطهير البواطن عن كل ما لاينبغى وأشار للحقيقة بقوله : وهدى ورحمة للمؤمنين لأن بالحقيقة التحلى بالأنوار الساطعة فى القلوب التى يرى بها الأشياء على ما هى عليه عياناً فعند ذلك يرى الله فى كل شىء وأقرب إليه من كل شىء علماً ذوقياً لا علماً يقينياً فالحقيقة ثمرة الطريقة لاتحصل إلا بعد التخلق بالطريقة والشريعة ولذا قيل: حقيقة بلا شريعة باطلة وشريعة بلا حقيقة عاطلة (قوله قل بفضل الله الخ) متعلق بمحذوف دل عليه ما بعده والأصل ليفرحوا بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة الحصر ثم دخلت الفاء لافادة السببية والمعنى أن من اتصف بهذه الصفات المتقدمة فينبغى له أن يفرح ويشكر ما أنعم الله به عليه ويجود بروحه وجسمه فى خدمة ربه ولا يتوانى فمن قذف الله فى قلبه نور محبته فالواجب عليه إفناء جسمه فى خدمته كى يتم له ذلك النور ويزداد السرور وهذه المحبة هى التى يعبر عنها العارفون بالخمرة والشراب والحيا لأن بها السكر والفناء عما سوى الله تعالى . قال العارف رضى الله عنه :

(١٨٠)

(أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث والجزاء (حَقٌّ) ثابت (وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أى الناس (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فى الآخرة فيجازيكم بأعمالكم (يٰأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) كتاب فيه مالكم وعليكم وهو القرآن (وَشِفَاءٌ) دواء (لِمَا فِي الصُّدُورِ) من العقائد الفاسدة والشكوك (وَهُدًى) من الضلال (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) به (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ) الاسلام (وَبِرَحْمَتِهِ) القرآن (فَبِذٰلِكَ) الفضل والرحمة (فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) من الدنيا بالياء والتاء (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) خلق (لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا) كالبحيرة والسائبة والميتة (قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ) فى ذلك التحريم والتحليل

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ... سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

وقال العارف :

ولا تنظر لجسمى يا عذولى ... فان الجسم مطلوبى سلاه

ولا تنكر شراب حىّ قلبى ... فان القلب محبوبى سقاه

وقال العارف موضحاً لهذه الخمرة : فتلك خمر الشهود تدعى ... لا خمرة الكرم والدنان

ومن ذلك المعنى قوله تعالى ـ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه ـ فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل محبته وأن يحشرنا فى زمرة أهل قربه ومودته (قوله هو خير مما يجمعون) أى من الدنيا وزخارفها وأبهمها اشارة إلى أنها خسيسة لاتساوى جناح بعوضة (قوله بالياء والتاء) راجع لقوله يجمعون وأما فليفرحوا فالتاء عشرية والياء سبعية (قوله قل أرأيتم) أشار المفسر إلى أن أرأيتم بمعنى أخبرونى وحينئذ فتنصب مفعولين الأول الموصول وصلته والثانى جملة آلله أذن لكم وقل تأكيد للأولى وليست من جملة المفعول الثانى (قوله كالبحيرة والسائبة) مثالان للحرام وتقدم أن البحائر والسوائب ثم يوقفونها على الأصنام

يحرمون ظهورها وتتاجها وألبانها ولحومها وقوله والميتة مثال للحلال (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكارى بمعنى النفى (قوله أم بل) أشار المفسر إلى أنها منقطعة بمعنى بل ويصح أن تكون متصلة معادلة للهمزة والمعنى أخبرونى أحصل إذن من الله لكم أم ذلك افتراء منكم وكذب فهو استفهام لطلب التعيين وهو الأولى (قوله وماظن الذين) مااسم استفهام مبتدأ وظن خبره ويوم ظرف متعلق بظن والمعنى أى شىء ظنهم بالله يوم القيامة (قوله أيحسبون الخ) قدر المفسر هذه الجملة اشارة إلى أن مفعولى الظن محذوفان فهذه الجملة سدت مسدهما (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام انكارى أى لاينبغى هذا الظن ولا يليق ولاينفع وأما قوله فى الحديث «أنا عند ظن عبدى بى» فذلك فى حق المؤمن فظن الخير بالله ينفع المؤمن وأما الكافر فلا ينفعه ذلك مادام على كفره (قوله لذو فضل على الناس) أى الطائع منهم والعاصى وذلك فى الدنيا فنعم الدنيا ليست تابعة للتقوى بل هى ثابتة بالقسمة الأزلية للمؤمن والكافر (قوله بامهالهم) أى تأخير عذابهم (قوله والانعام عليهم) أى بأنواع النعم كالعقل والسمع والبصر وغير ذلك (قوله لايشكرون) أى لايصرفون النعم فى مصارفها وحينئذ فلاتنفعهم تلك النعم إلا إذا صحبها الايمان والشكر فان عدموا الايمان صارت النعم نقما وقوله ولكن أكثرهم يفيد أن القليل هو الشاكر وهو كذلك قال تعالى ـ وقليل من عبادى الشكور ـ (قوله وماتتلوا منه) الضمير إما عائد على الشأن أو على الله كما قال المفسر فعلى الأول تكون من التعليل وعلى الثانى تكون ابتدائية وقوله من قرآن من صلة والمعنى وماتتلو من أجل هذا الشأن قرآنا أو وماتتلو قرآنا مبتدأ وصادرا من الله (قوله إلا كنا عليكم شهودا) استثناء من أعم الأحوال والمعنى ماتتلبسون بشىء من هذه الثلاثة فى حال من الأحوال إلا فى حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له إذا علمت ذلك فكان المناسب للمفسر أن يعيد الضمير فى فيه لكل من الثلاثة وقد يجاب بأنه أعاده على العمل لعمومه وشموله لباقى الثلاثة (قوله إذ تفيضون) ظرف لقوله شهودا (قوله وما يعزب) بضم الزاى وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله عن ربك) أى عن علمه (قوله أصغر نملة) وقيل هو الهباء وقيل أصغر بعوضة (قوله فى الأرض ولا فى السماء) أى فى سائر الموجودات وعبر عنه بالسماء والأرض لمشاهدة الخلق لهما . واعلم أن عالم الملك مايشاهده الخلق كالأرض وماحوته وماظهر من السماء ، وعالم الملكوت مالايشاهد كما فوق السماء من العرش والكرسى والملائكة وغير ذلك ، وعالم الجبروت هو عالم الأسرار وعالم العزة هو ما استأثر الله بعلمه كعلم ذاته وصفاته ومراداته (قوله ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع إما على الابتداء والخبر أو على أن لاعاملة عمل ليس والخبر على كلا الاعرابين قوله إلا فى كتاب مبين فتكون الجملة مستأنفة منقطعة عما قبلها والنصب على أنها عاملة عمل إن لأن أصغر وأكبر شبيهان بالمضاف تعلق بهما شىء من تمام معناهما وهو العمل فى الجار والمجرور وهاتان القراءتان هنا فقط وأما فى سبأ فبالرفع باتفاق السبعة (قوله إلا فى كتاب مبين) الاستثناء منقطع والمعنى لكن جميع الأشياء فى كتاب مبين فهو استدراك على مايتوهم نفيه لأن قوله لا يعزب عن ربك الخ ربما يتوهم منه أنه لم يحط بها غير علم الله فدفع ذلك بقوله الا فى كتاب مبين : أى لكن جميع الأشياء مثبتة فى كتاب مبين أيضا ولايصح أن يكون متصلا لأنه يصير المعنى لايغيب عن علمه شىء فى حال من الأحوال إلا فى حال كونه مثبتا فى كتاب مبين فيغيب فيفيد أن مافى الكتاب المبين غائب عن علم الله وذلك باطل وهذا الاشكال لايرد إلا على جعل قوله ولا أصغر ولا أكبر معطوفا على مثقال وأما إن جعل مستأنفا كما تقرر فلا يرد الاشكال فتأمل (قوله ألا) أداة تنبيه يؤتى بها ليتنبه السامع لما بعدها ويعتنى به لعظمه .

لا (أَمْ) بل (عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ) تكذبون بنسبة ذلك إليه (وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) أى أىّ شىء ظنهم به (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أيحسبون أنه لايعاقبهم ؟ لا (إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) بإمهالهم والانعام عليهم (وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ . وَمَا تَكُونُ) يا محمد (فِي شَأْنٍ) أمر (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ) أى من الشأن أو الله (مِنْ قُرْآنٍ) أنزله عليك (وَلَا تَعْمَلُونَ) خاطبه وأمته (مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) رقباء (إِذْ تُفِيضُونَ) تأخذون (فِيهِ) أى العمل (وَمَا يَعْزُبُ) يغيب (عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ) وزن (ذَرَّةٍ) أصغر نملة (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ (أَلَا إِنَّ

(قوله أولياء الله) جمع ولىّ من الولاء وهو العز والنصر سموا بذلك لأنهم هم المنصورون بالله العززون به لايطمعون فى شىء سوى القرب منه وولىّ فعيل إما بمعنى فاعل أى متولى خدمة ربه بكل ما أمكنه بروحه وجسمه ودنياه أو بمعنى مفعول أى تولى الله إكرامه وعطاياه ونفحاته فلم يكله لشىء سواه فحيث تولى الخدمة تولاه الله بالنعمة والمنحة وهو سر قوله فى الحديث « يادنيا من خدمنى فاخدميه » فحينئذ صار معنى الولىّ المنهمك فى طاعة ربه الذى أفيضت عليه الأنوار والأسرار لما ورد « من تقرّب منى شبرا تقرّبت منه ذراعا، ومن تقرّب منى ذراعا تقرّبت منه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » وعلامة الولىّ كما فى الحديث « سئل رسول الله عن علامة الأولياء فقال هم الذين إذا رؤوا ذكر الله تعالى » وسبب ذلك ظهور أنوار المعرفة الكائنة فى قلوبهم على ظواهرهم، وذلك سرّ قوله تعالى ـ سيماهم فى وجوههم من أثر السجود. وقال أبو بكر الأصم: أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله تعالى والدعوة إليه، والولىّ من الولاء وهو القرب والنصرة، فولىّ الله هو الذى يتقرب إلى الله بكل ماافترض الله عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب فى نور معرفة جلال الله تعالى، فان رأى رأى دلائل قدرة الله، وإن سمع سمع آيات الله، وإن نطق نطق بالثناء على الله، وإن تحرك تحرك فى طاعة الله، وإن اجتهد اجتهد فيما يقربه إلى الله لايفتر عن ذكر الله ولايرى بقلبه غير الله فهذه صفات أولياء الله. وإذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه. قال تعالى ـ الله ولىّ الذين آمنوا ـ وروى عن أبى مالك الأشعرى قال: « كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة، قال وفى ناحية القوم أعرابى فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال: حدّثنا يارسول الله عنهم من هم؟ قال فرأيت فى وجه رسول الله البشرى فقال: هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون » وروى عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنّ من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله، قالوا يارسول الله تخبرنا بأمرهم؟ قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لايخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية ـ ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « قال الله تعالى ـ إنّ أوليائى من عبادى الذين يذكرون بذكرى وأذكر بذكرهم » (قوله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) لحفظ الله لهم فى الدنيا من الأسباب التى توجب الخوف والحزن فى الآخرة (قوله فى الآخرة) أى لما فى الحديث « لايخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس » (قوله الذين آمنوا) قدر المفسر هم إشارة إلى أن الاسم الموصول خبر لمبتدإ محذوف وهذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره ماصفات أولياء الله. فأجاب بأنهم الذين اتصفوا بالإيمان والتقوى، والمعنى أن أولياء الله هم الذين اتصفوا بالايمان وهو الاعتقاد الصحيح المبنى على الدلائل القطعية والتقوى وهى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات على طبق الشرع، ولذا قال القشيرى: شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع. وقال الامام الشافعى وأبو حنيفة: إذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولىّ وذلك فى العالم العامل بعلمه (قوله فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة الخ) أى لأنه لم يبق من النبوّة إلا المبشرات وهى الرؤيا الصالحة، وفى الحديث: « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوّة » وقيل المراد بالبشرى فى الحياة الدنيا نزول الملائكة بالبشارة من عند الله عند الموت، ويدل عليه قوله تعالى ـ تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ـ وقيل البشرى فى الحياة الدنيا الثناء الحسن ومحبة الخلق لهم لما ورد عن أبى ذرّ: « قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم

(١٨٢)

أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فى الآخرة هم (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الله بامتثال أمره ونهيه (لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) فسرت فى حديث صححه الحاكم بالرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له (وَفِي الْآخِرَةِ) بالجنة والثواب، (لا تبديل

أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه ؟ قال عاجل بشرى المؤمن » ، وورد أيضا : « إذا أحب الله عبدا نادى جبريل فيقول له إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض » قال بعض المحققين : إذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلأ نورا فيفيض من ذلك النور الذى فى قلبه على وجهه فيظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون عليه فذلك عاجل بشراه بمحبة الله له ورضوانه عليه وقيل البشرى فى الحياة الدنيا ظهور الكرامات وقضاء الحوائج بسهولة فكلما توجه العبد المحبوب لشىء من أموره قضى عاجلا والأحسن أن يراد بالبشرى فى الدنيا جميع ماتقدم وأعظمها التوفيق لخدمة الله وراحة الجسد فى طاعة الله وانشراح الصدر لذلك ، وأما البشرى فى الآخرة فالجنة وما فيها من النعيم الدائم قال تعالى ـ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم ـ (قوله لاخلف لمواعيده) أى التى وعدالله بها أولياءه وأهل طاعته فى كتابه وعلى ألسنة رسله والمعنى لاتغيير لذلك الوعد (قوله ذلك) أى الوعد المتقدم من كونهم لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ولهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وكون هذا الوعد لايتغير ولايتبدل (قوله هو الفوز العظيم) أى الظفر بالمقصود الكامل الذى لايضاهى (قوله ولا يحزنك) إما بفتح الياء وضم الزاى من باب نصر أو بضم الياء وكسر الزاى من باب أكرم قراءتان سبعيتان والمعنى لاتهتم بأقوالهم ولاتحزن لها فإن الله معزك وناصرك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من أذاهم وتبشير له بالنصر والظفر بالمقصود (قوله استئناف) أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله قولهم وقوله إن العزة الخ كلام مستأنف من كلام الله تعالى فى قوة التعليل لقوله ـ ولا يحزنك قولهم ـ أو واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره إن الله أمره بعدم الحزن من أجل قولهم مع أن أقوالهم توجب الحزن فأجاب الله تعالى بأن العزة لله يعطيها لمن يشاء فأقوالهم لاتفيد شيئا فحينئذ لايبالى بهم ولا بقولهم

(لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ) لا خلف لمواعيده (ذَٰلِكَ) المذكور (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) لك : لست مرسلا وغيره (إِنَّ) استئناف (الْعِزَّةَ) القوة (لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل فيجازيهم وينصرك (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) عبيدا وملكا وخلقا (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره أصناما (شُرَكَاءَ) له على الحقيقة ، تعالى عن ذلك (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فى ذلك (إِلَّا الظَّنَّ) أى ظنهم أنها آلهة تشفع لهم (وَإِنْ) ما (هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) .

(قوله إن العزة لله) أى الغلبة والسلطنة الكاملة ثابتة لله يعطيها على من يشاء ولذا قال فى سورة المنافقون ـ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ـ (قوله جميعا) حال من العزة (قوله فيجازيهم) أى على ماقدموا من خير وشر (قوله وينصرك) أى على من عاداك وهذا يقال لكل من سلك طريقة سيد المرسلين وعمل بمقتضاها وتعرض له الحساد بالايذاء فيقال له لايحزنك قولهم وعيبهم وحسدهم لأن العزة مملوكة وثابتة لله يعطيها لمن أراد فلا تنزعج منهم ولا تلتفت لهم (قوله ألا) أداة تنبيه (قوله من فى السموات ومن فى الأرض) من واقعة على العاقل فالمراد بمن فى السموات الملائكة وبمن فى الأرض الانس والجن وخصهم بالذكر لشرفهم ، وليعلم أن غيرهم من باقى المخلوقات مملوكون لله بالطريق الأولى وهذا هو الحكمة فى تعبيره فى الآية الأولى بما وفى هذه الآية بمن أو يقال فى الحكمة إن التغاير إشارة إلى أن الخلق جميعا فى قبضته ومملوكون له سبحانه وتعالى فان ما مستعملة فى غير العاقل كثيرا ومن بالعكس فأفاد أن جميع مافى السموات ومافى الأرض مملوكون له حقيقة (قوله وما يتبع الذين) مانافية ويتبع فعل مضارع والذين فاعل ويدعون صلته ومن دون الله متعلق بيدعون وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف قدره المفسر بقوله أصناما والمعنى لايتبع الذين يعبدون غير الله أصناما شركاء حقيقة فالمنفى كونها شركاء حقيقة وأما ادعاؤهم الشركة لله فثابت ، وهذا نتيجة قوله : ألا إن لله من فى السموات ومن فى الأرض فيصير المعنى حيث ثبت أن له جميع مافى السموات وما فى الأرض عقلاء وغيرهم تحقق وثبت أنه ليس شريك أصلا إذ ليس شىء مما جعلوه إلها خارجا عن السموات والأرض فكيف يكون المملوك شريكا ، تعالى الله عن ذلك (قوله إن يتبعون إلا الظن) أى لأنهم مقلدون لآبائهم حيث قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون (قوله وإن هم إلا يخرصون) هذا من حصر الموصوف فى الصفة

أى ليس لهم صفة إلا الكذب والخرص فى الأصل الحزر والتخمين والمراد منه هنا الكذب كما أفاده المفسر (قوله يكذبون فى ذلك) أى اتباعهم الظن (قوله هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) هذا من جملة الأدلة القطعية على أنه واحد لا شريك له وفى هذه الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر فحذف من الأول وصف الليل وهو مظلما وذكر حكمته وحذف من الثانى الحكمة وذكر وصفه والأصل هو الذى جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا وتتحركوا فيه (قوله لتسكنوا فيه) أى لتستريحوا من تعب النهار (قوله مجاز) أى عقلى من الاسناد للظرف (قوله إن فى ذلك) أى الجعل المذكور (قوله لقوم يسمعون) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله أى اليهود) أى حيث قالوا عزير ابن الله وقوله والنصارى أى حيث قالوا المسيح ابن الله وقوله ومن زعم أى وهم مشركو العرب (قوله سبحانه) أى تقدس وتنزه عن ذلك قال تعالى: تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا الآية (قوله هو الغنى) أى المستغنى عن كل ماسواه المفتقر إليه كل ما عداه وهو دليل لما قبله (قوله له ما فى السموات الخ) دليل لقوله هو الغنى (قوله استفهام توبيخ) أى تقريع وتهديد لهم (قوله قل) أمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن ينبههم على سوء عاقبتهم لعلهم ينزجرون عما هم عليه (قوله لايسعدون) أى لايفوزون بمطلوبهم بل هم خائبون خاسرون وإن تكاثرت عليهم النعم فمآلها للزوال (قوله متاع) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وحينئذ فالوقف على قوله لايفلحون وهذا جواب عما يقال إنا نراهم فى حظوظ كثيرة وسعة عيش وسلامة بدن وغير ذلك من أنواع النعم الدنيوية فدفع ذلك بقوله متاع قليل أى فلا يستمر وليس بنافع فى الآخرة (قوله بما كانوا يكفرون) أى بسبب كفرهم (قوله واتل عليهم) لما ذكر سبحانه وتعالى أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من القبائح وما وعظهم الله به على لسانه صلى الله عليه وسلم شرع فى ذكر ماوقع للأنبياء مع أممهم ليكون ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وعبرة للكفار لعلهم يؤمنون (قوله نبأ نوح) أى بعض نبئه إذ لم يذكر جميع خبره وتقدم أن اسمه عبد الغفار بن لمك بن متوشلخ بن إدريس ونوح لقبه و بينه و بين إدريس ألف سنة وقدم قصة قوم نوح لأنهم أول الأمم هلاكا وأشدهم كفرا (قوله كبر) بضم الباء فى المعانى وأما فى الأجسام فهو بكسر الباء (قوله مقامى) بفتح الميم باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بضمها فالأول ثلاثى والثانى رباعى وهو من باب الاسناد المجازى وحق الاسناد أن يكون للذات نظير ثقل على ظله (قوله لبثى فيكم) أى مكثى بينكم وقوله وتذكيرى الخ الواو بمعنى مع والمعنى إن كان عظم عليكم مكثى بينكم مع تذكيرى بآيات الله فأجمعوا أمركم الخ وذلك لأنه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى توحيد الله فى الحقيقة الذى شق عليهم إنما هو دعاؤه إلى التوحيد ونصيحته لهم لأن النصيحة لايقبلها إلا الطبع السليم (قوله فعلى الله توكلت) أى وثقت به لا بغيره وفوضت أمورى إليه (قوله فأجمعوا) هذا هو جواب الشرط وجملة فعلى الله توكلت اعتراض بين الشرط وجوابه ولا يصح أن تكون جوابا لأنه لايحسن ترتبها على الشرط

يكذبون فى ذلك (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) إسناد الابصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ (قَالُوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) قال تعالى لهم (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن الولد (هُوَ الْغَنِيُّ) عن كل أحد و إنما يطلب الولد من يحتاج إليه (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (إِنْ) ما (عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) حجة (بِهَٰذَا) الذى تقولونه (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) استفهام توبيخ (قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بنسبة الولد إليه (لَا يُفْلِحُونَ) لايسعدون، لهم (مَتَاعٌ) قليل (فِي الدُّنْيَا) يتمتعون به مدة حياتهم (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) بالموت (ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ) بعد الموت (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ. وَاتْلُ) يا محمد (عَلَيْهِمْ) أى كفار مكة (نَبَأَ) خبر (نُوحٍ) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ) شق (عَلَيْكُمْ مَقَامِي) لبثى فيكم (وَتَذْكِيرِي) وعظى إياكم (بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ)، اعزموا

أعزموا على أمر تفعلونه بى (وَشُرَكَاءَكُمْ) الواو بمعنى مع (ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) مستوراً بل أظهروه وجاهرونى به (ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ) امضوا فىّ ما أردتموه (وَلَا تُنْظِرُونِ) تمهلون فإنى لست مبالياً بكم (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ) عن تذكيرى (فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) ثواب عليه فتتولوا (إِنْ) ما (أَجْرِيَ) ثوابى (إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ) السفينة (وَجَعَلْنَاهُمْ) أى من معه (خَلَائِفَ) فى الأرض (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) بالطوفان (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذبك (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ) أى نوح (رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ) كإبراهيم وهود وصالح (فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) أى قبل بعث الرسل إليهم (كَذَلِكَ نَطْبَعُ) نختم (عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ) فلا تقبل الايمان كما طبعنا على قلوب أولئك (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) قومه (بِآيَاتِنَا)

إذ هو متوكل على الله دائما وأجمعوا بهمزة القطع هنا باتفاق السبعة وهو يتعدى بنفسه وبحرف الجر، وأما ما يأتى فى طه فى قوله فأجمعوا كيدكم فبهمزة الوصل والقطع قراءتان سبعيتان فأجمع بهمزة القطع مستعمل فى المعانى كثيرا و بهمزة الوصل فى الأجسام كثيرا يقال أجمعت أمرى وجمعت جيشى (قوله اعزموا) أى صمموا ولا ترددوا (قوله على أمر تفعلونه) أى كهلاكى (قوله الواو بمعنى مع) أى فشركاءكم منصوب على المعية لا معطوف على أمركم لأن الشركاء ذوات لا يتسلط عليه أجمعوا إلا بقلة ويصح النصب بإضمار فعل لائق والتقدير فأجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم بهمزة الوصل على حد علفتها تبنا وماء باردا أو يقدر مضاف فى المعطوف والتقدير أمر شركائكم (قوله ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أى لا يكن أمركم مخفيا بل أظهروا ما فى ضمائركم فإنى لست مباليا بكم لأن توكلى على ربى. فالغمة مأخوذة من قولهم غم الهلال إذا خفى على الناس (قوله ثم اقضوا إلىّ) أى أدوا إلى ما أردتموه وأوصلوه لى وقرئ شذوذا ثم أفضوا إلىّ بقطع الهمزة و بالفاء من أفضى بالشئ إذا انتهى إليه وأسرع والمعنى ثم أسرعوا إلى بما عزمتم عليه (قوله فإن توليتم) أى دمتم على التولى والكفر وجواب الشرط محذوف تقديره فلا ضرر على وقوله فما سألتكم الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله ثواب عليه) أى على التذكير (قوله فتتولوا) منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية وفيه حذف إحدى التاءين والأصل فتتولوا (قوله إن أجرى إلا على الله) أى ثوابى عليه لا على غيره فأطلبه منه (قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أى المنقادين لامتثال (١٨٥) أوامره واجتناب نواهيه فى نفسى وتبليغ غيرى (قوله فكذبوه) أى داموا واستمروا على تكذيبه (قوله فنجيناه) أى أعقبنا تكذيبه النجاة له ولمن آمن معه (قوله ومن معه) أى من الانس وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة (قوله فى الفلك) تقدم أنه يستعمل مفردا وجمعا (قوله وجعلناهم) أى صيرناهم (قوله وأغرقنا) إنما أخر ذكره عن الانجاء إشارة إلى أن الرحمة سابقة على الغضب ولتعجيل المسرة لمن يمتثل الأمر (قوله فكذلك نفعل بمن كذبك) هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص (قوله رسلا إلى قومهم) أى فكل رسول بعث إلى قومه (قوله كإبراهيم) أى فكذبوه وآذوه حتى رموه فى النار (قوله وهود) أى فكذبوه وآذوه فأهلكهم الله (قوله فجاءوهم) أى جاء الأنبياء لأقوامهم ملتبسين بالآيات (قوله فما كانوا ليؤمنوا) أى لا يصح ولا يستقيم لهؤلاء الايمان فالمراد بعدم الايمان الاصرار على الكفر والتكذيب (قوله كذلك) أى مثل هذا الطبع (قوله فلا تقبل الايمان) أى لوجود الحجاب المانع منه ففى الحقيقة لا يمكنهم الايمان وإن كانوا فى الظاهر مختارين (قوله ثم بعثنا من بعدهم) هذا عطف قصة على قصة وخاص على عام لمزيد الغرابة فى وقائع موسى مع فرعون وكل هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله موسى وهرون) أى فكل منهما رسول إلى فرعون وقومه لكن هرون وزير لموسى ومعين له قال تعالى حكاية عن موسى: وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فأرسله معى ردءا يصدقنى الآية وهذا لا ينافى أن كلا منهما رسول من عند الله فمن أنكر رسالة واحد منهما كفر (قوله وملئه) تقدم أن الملأ بالقصر والهمز الأشراف الذين يملئون العيون بمهابتهم والمجالس بأجسامهم والقلوب بجلالتهم، ولكن المفسر فسرهم هنا بالقوم فحينئذ يكون المراد بهم ما يشمل الاتباع وقيل المراد بالملأ خصوص الأشراف وخصوا بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فإذا آمن الرؤساء آمن الأتباع و إذا كفروا كفر الأتباع.

(قوله التسع) تقدم منها فى الأعراف ثمانية : العصا واليد والسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وثمانى التاسعة هنا فى قوله : ربنا اطمس على أموالهم الآية (قوله فاستكبروا) الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق له (قوله عن الايمان بها) أى بتلك الآيات التسع وفى نسخة بهما أى موسى وهرون (قوله فلما جاءهم الحق) أى الآيات التسع ففيه إظهار فى مقام الاضمار وفى الحقيقة أصل نزاعهم ودعواهم أن ماجاء به سحر إنما هو فى اليد والعصا (قوله قالوا إن هذا لسحر مبين) هذه المقالة وقعت منهم بعد مجىء السحرة وابتلاع العصا حبال السحرة وعصيهم (قوله قال موسى) أى ردا عليهم بثلاث جمل الأولى أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر الثانية أسحر هذا الثالثة ولا يفلح الساحرون (قوله إنه لسحر) مقول لقوله أتقولون حذف لدلالة ماقبله عليه ولأنه لاينبغى أن يذكر (قوله وقد أفلح من أتى به) الجملة حالية (قوله ولا يفلح الساحرون) أى لايفوزون بمطلوبهم والجملة حالية من فاعل أتقولون (قوله للانكار) أى فالمعنى لايليق ولاينبغى أن يقال هذا الكلام (قوله قالوا أجئتنا) لما لم يجدوا حجة يعارضونه بها رجعوا للتقليد المحض فقالوا ماذكر (قوله عما وجدنا عليه آباءنا) أى من عبادة الأصنام (قوله وتكون) معطوف على تلفتنا أى ولتكون (قوله الملك) أى وسمى بالكبرياء لأنه أكبر مايطلب من أمور الدنيا ولأنه يورث الكبرياء والعز (قوله وقال فرعون) ليس هذا مرتبا على ماتقدم فان هذا القول وقع فى ابتداء القصة فالمقصود هنا بيان ذكر لقصة لابقيد ترتيبها فان الواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا (قوله فلما جاء السحرة) عطف على محذوف تقديره فأتوا بالسحرة (قوله بعدماقالوا له الخ) أشار بذلك إلى أنه معطوف على محذوف وأصل الكلام فلما جاء السحرة وجمعوا حبالهم وعصيهم وقالوا لموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين قال موسى الخ (قوله ما أنتم ملقون) أبهمه إشارة إلى تحقيره (قوله فلما ألقوا) أى السحرة وتقدم أنهم كانوا ثمانين ألفا (قوله حبالهم وعصيهم) أى وتقدم أنها كانت حمل ثلثمائة بعير (قوله استفهامية) أى أى شىء جئتم به للتوبيخ والتحقير (قوله بدل) أى من ما الاستفهامية وأعيدت همزة الاستفهام لتكشف استفهام المبدل منه على حد قول ابن مالك :

و بدل المضمن الهمز يلى همزا كمن ذا أسعيد أم على

(قوله بهمزة واحدة إخبار) أى باسقاط همزة الاستفهام ووجهت هذه القراءة بأن ما اسم موصول مبتدأ وصلتها جئتم به والخبر السحر . والحاصل أن فى همزة السحر الثانية وجهين التسهيل والمد اللازم بقدر ثلاث ألفات وهاتان القراءتان على جعل ما استفهامية وخبرها جئتم به والسحر بدل من ما وأما على إسقاطها فالجملة خبرية وما اسم موصول مبتدأ وجئتم به صلته والسحر خبر وتحذف همزة أل عند الدرج (قوله سيمحقه) أى فلا يبقى له أثر أصلا (قوله إن الله الخ) تعليل لقوله سيبطله (قوله ويحق الله الحق) عطف على قوله سيبطله (قوله ولو كره المجرمون) أى الكافرون (قوله فما آمن لموسى إلا ذرية) الذرية اسم يقع على القليل من القوم (قوله أى فرعون) أشار بذلك إلى أن الضمير فى قومه عائد على فرعون والمراد بذرية قومه ناس يسير منهم

التسع (فَاسْتَكْبَرُوا) عن الايمان بها (وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هٰذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ) بيّن ظاهر (قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ) إنه لسحر (أَسِحْرٌ هٰذَا) وقد أفلح من أتى به ، وأبطل سحر السحرة (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) والاستفهام فى الموضعين للانكار (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا) لتردنا (عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ) الملك (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) مصدقين (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) فائق فى علم السحر (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ) بعد ما قالوا له : إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ . فَلَمَّا أَلْقَوْا) حبالهم وعصيهم (قَالَ مُوسَىٰ مَا) استفهامية مبتدأ خبره (جِئْتُمْ بِهِ آلسِّحْرُ) بدل ، وفى قراءة بهمزة واحدة إخبار فما موصول مبتدأ (إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ) أى سيمحقه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ . وَيُحِقُّ) يثبت ويظهر (اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) بمواعيده (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ . فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ) طائفة (مِنْ) أولاد (قَوْمِهِ) أى فرعون ،

امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وأولاد خازنه وماشطته ، وقيل إن الضمير عائد على موسى وهم ناس من بنى إسرائيل نجوا من قتل فرعون ، وذلك أن فرعون لما أمر بقتل بنى إسرائيل كانت المرأة من بنى إسرائيل إذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشأوا بين القبط ، فلما كان اليوم الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به ، وقيل هم بنو إسرائيل وهو الأقرب (قوله على خوف) أى مع خوف (قوله وملئهم) أى ملأ الذرية الذين نشأوا بينهم على التفسير الثانى وأقاربهم حقيقة على التفسير الاول الذى ذكره المفسر (قوله أن يفتنهم) أى فرعون وأفرد لأنه هو المباشر للفتنة ، والخوف من الملأ إنما كان بواسطته هو (قوله وقال موسى) أى تطمينا لقلوبهم وهذا يؤيد أن الضمير فى قومه عائد على موسى . وقد يجاب عن المفسر بأنه سماهم قومه من حيث إنه مرسل لهم (قوله إن كنتم آمنتم) جوابه : فعليه توكلوا وقوله : إن كنتم مسلمين شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير توكلتم عليه أو هو شرط فى الشرط لأن الشرطين متى لم يترتبا فى الوجود فالشرط الثانى شرط فى الأول (قوله إن كنتم مسلمين) أى منقادين لأحكام الله (قوله فقالوا) أى جوابا لموسى (قوله ربنا لاتجعلنا الخ) دعاء منهم لله سبحانه وتعالى (قوله أى لاتظهرهم علينا) أى لاتجعلهم ظاهرين علينا وغالبين لنا (قوله ونجنا) أى خلصنا (قوله برحمتك) أى إحسانك وإنعامك (قوله من القوم الكافرين) أى الجاحدين لآياتك (قوله أن تبوّآ) يحتمل أن أن تفسيرية لوجود ضابطها وهو أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه ويحتمل أنها مصدرية أى أوحينا التبوّأ ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى وأخيه أن يتخذا لقومهما مساكن بأرض مصر يتوطنون بها ويعبدون الله فيها رغما على أنف عدوّهم فرعون وهذا طمأنينة للقوم فإنهم كانوا خائفين من فرعون (قوله لقومكما) الأقرب أن اللام زائدة فى المفعول الأول و بيوتا مفعول ثان (قوله بمصر) متعلق بتبوّآ ، والمراد بمصر مصر القديمة (قوله واجعلوا بيوتكم قبلة) أى اجعلوا مساكنكم مصلى ، والمراد بالقبلة مكان التوجه لله لاخصوص الجهة المعلومة . واختلف فى قبلتهم قيل هى الكعبة ، وقيل بيت المقدس (قوله وكان فرعون منعهم من الصلاة) أى فى أول أمرهم فأمر الله موسى ومن معه أن يصلوا فى بيوتهم خفية لئلا يظهروا عليهم و يؤذوهم و يفتنوهم عن دينهم وذلك كما كان عليه المسلمون فى أول الاسلام بمكة (قوله أتموها) أى بشروطها وأركانها المعلومة عندهم (قوله و بشر المؤمنين) أى قومك الذين آمنوا بك وهذا خطاب لموسى وحده لأن البشارة على لسانه وماقبله من قوله واجعلوا وأقيموا خطاب لموسى وقومه لاشتراكهم فى ذلك (قوله وقال موسى) أى لما رأى فرعون وقومه طغوا و بغوا ولم ينقادوا للاسلام واستمروا على الكفر والعناد جاءه الإذن من الله بالدعاء عليهم ، وقدم سبب الدعاء وهو بطر النعم إذ هو من أعظم المعاصى الموجبة لغضب الله وسلب النعم (قوله زينة) هى عبارة عما يتزين به من اللباس والمال والأمور الجميلة قال ابن عباس : كان من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها ذهب وفضة وزبرجد و ياقوت (قوله ربنا) كرّره تأكيدا للأول وتلذذا بخطاب الله (قوله ليضلوا) متعلق بآتيت فى كلام الله ، وأما قول المفسر آتيتهم ذلك إنما هو تتميم للجملة المؤكدة واللام للعاقبة والصيرورة ، و إلى هذا أشار المفسر بقوله فى عاقبته (قوله عن سبيلك) أى طاعتك وتوحيدك (قوله ربنا اطمس على أموالهم) أى أزل صورها وهيئاتها . قال قتادة : بلغنا أن أموالهم وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة ودنانيرهم ودراهمهم صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا ، وهذا الطمس آخر الآيات التسع .

(عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ) يصرفهم عن دينه بتعذيبه (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ) متكبر (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية (وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ . فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أى لاتظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ . وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ) اتخذا (لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) مصلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف وكان فرعون منعهم من الصلاة (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) أتموها (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالنصر والجنة (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا) آتيتهم ذلك (لِيُضِلُّوا) فى عاقبته (عَنْ سَبِيلِكَ) دينك (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ) امسخها ،

(قوله واشدد على قلوبهم) أى اربط عليها حتى لاتلين ولاتنشرح للايمان وإنما دعا بذلك لما علم أن سابق قضاء الله وقدره فيهم أنهم لايؤمنون فوافق دعاء موسى ماقدر وقضى عليهم فكان ترجمانا عن مراد الله ، وأما الدعاء على الكافر المجهول العاقبة بموته على الكفر فلا يحل (قوله فلايؤمنوا) عطف على ليضلوا فيكون منصوبا أوهو مجزوم بجعل لادعائية (قوله دعاء عليهم) الأقرب أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا دعاء عليهم أى قوله فلايؤمنوا الخ ودفع بذلك ماقيل إنه خبر وليس من جملة الدعاء فتأمل (قوله وأمن هرون على دعائه) أى والمؤمن أحد الداعيين فصحت التثنية فى قوله دعوتكما وهوجواب عما يقال إن الداعى موسى فلم ثنى الضمير فى دعوتكما (قوله فمسخت أموالهم) أى الدنانير والدراهم والنخيل والزروع والثمار والخبز والبيض وغير ذلك ، وقيل مسخت صورهم أيضا فكان الرجل مع أهله فصارا حجرين والمرأة قائمة تخبز صارت حجرا وهذا قول ضعيف لأن موسى دعا على أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ (قوله فاستقيما) أى دوما على الاستقامة (قوله ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) خطاب لموسى وهرون ، والمراد غيرهما على حد : لئن أشركت ليحبطن عملك ، والمعنى لاتسلكا طريق الجاهلين الذين يظنون أنه متى دعا الانسان أجيب بعين مطلوبه فى الحال لأن الإجابة على مراد الله فربما يجاب الشخص بغير مطلوبه أوتتأخر إجابته لحكم يعلمها الله وفى تتبعان ثلاث قراآت سبعيات تشديد النون مع تشديد التاء فقط وتخفيفها مع تشديد التاء وتخفيفها فعلى الأولى تكون النون للتوكيد الثقيلة وكسرت تشبيها بنون المثنى والفعل مجزوم بحذف النون وعلى الثانية والثالثة تكون الجملة اسمية والنون نون الرفع والتقدير وأنتما لاتتبعان (قوله روى أنه) أى نزول العذاب بهم مكث أربعين سنة من حين الدعوة وهذا التأخير لحكمة يعلمها الله (قوله وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر الخ) لما استجاب الله دعاء موسى وهرون بالطمس على أموالهم والربط على قلوبهم أوحى الله إلى موسى وهرون أن أسر بعبادى واخرج بهم من أرض مصر . ورد أن يعقوب لما دخل مصر مع ذريته لاجتماعهم بيوسف كانوا اثنين وسبعين فلما خرج موسى بهم كانوا ستمائة ألف وكان فرعون غافلا عن ذلك من فلما سمع أنهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج فى عقبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين الخلاص والبحر أمامنا والعدو وراءنا ؟ فلما قربوا أوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقطعه موسى و بنو إسرائيل فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر الألوان وكان يقدمهم جبريل على فرس أنثى وميكائيل يسوقهم حتى لايبقى منهم أحد فدنا جبريل بفرسه ، فلما وجد الحصان ريح الأنثى لم يتمالك فرعون نفسه فنزل البحر وتبعه جنوده حتى إذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج انطبق عليهم وحصان بوزن كتاب وجمعه حصن ككتب كذا فى القاموس فقوله وجاوزنا من المجاوزة وهى التخطية والتعدية ، والمعنى جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقوله البحر أى بحر السويس (قوله لحقهم) أى مشى خلفهم (قوله بغيا) أى فى الأقوال وعدوا أى فى الأفعال ففرعون متعد على بنى إسرائيل بالأقوال الكاذبة والأفعال الجائرة (قوله مفعول له) أى لأجله ويصح نصبهما على الحال أى باغين ومعتدين (قوله حتى إذا أدركه الغرق) غاية لاتباعه (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله استئنافا) أى واقعا فى جواب سؤال مقدر أوعلى إضمار القول والتقدير قائلا إنه الخ (قوله كرره ليقبل منه) أى كرر الاقرار بالايمان ثلاث مرات : قوله آمنت وقوله أنه الخ وقوله وأنا من المسلمين (قوله فلم يقبل) أى فمات على كفره وهذا مادلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وماقيل من أنه مات مؤمنا فلا يلتفت له (قوله ودس جبريل) أى بأمر من الله وهو لايسأل عما يفعل وذلك نظير أمرنا بقتل الكفار وبهذا تعلم جواب إشكال الفخر الرازى فى هذا المقام .

(وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) اطبع عليها واستوثق (فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) المؤلم دعاء عليهم وأمن هرون على دعائه (قَالَ) تعالى (قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) فمسخت أموالهم حجارة ولم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق (فَاسْتَقِيمَا) على الرسالة والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب (وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فى استعجال قضائى ، روى أنه مكث بعدها أربعين سنة (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ) لحقهم (فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا) مفعول له (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ) أى بأنه وفى قراءة بالكسر استئنافا (لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) كرره ليقبل منه فلم يقبل ، ودس جبريل فى فيه ،

(قوله من حمأة البحر) بسكون الميم وتحريكها وهى الطين الأسود (قوله مخافة أن تناله الرحمة) أى وليس من أهلها لسابق علم الله بعدم إيمانه. إن قلت ما الحكمة فى عدم قبوله مع كون الايمان وقع منه ثلاث مرات. أجيب بأجوبة منها أنه إنما آمن عند نزول العذاب وهو حينئذ غير نافع. قال تعالى: فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا، ومنها أن الايمان بالله من غير إقرار للرسول بالرسالة غير نافع وفرعون لم يقر برسالة موسى عليه السلام فلم يصح إيمانه، ومنها أن قوله: آمنت ليس قاصدا به الايمان حقيقة بل قصد به النجاة من البحر على حكم عادته إذا أصابته مصيبة رجع واستجار. وحكى أن جبريل عليه السلام أتى لفرعون بفتوى: ما قول الأمير فى عبد نشأ فى مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون فيه: يقول أبوالعباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته أن يغرق فى البحر فلما غرق رفع جبريل إليه خطه (قوله وقال له) معطوف على قوله ودس وقدره إشارة إلى أن قوله آلآن ظرف لمحذوف والجملة مقول لذلك القول المقدر (قوله آلآن) استفهام توبيخ وتقريع (قوله وقد عصيت قبل) الجملة حالية والمعنى آلآن تتوب وقد ضيعت الايمان فى وقته الذى يقبل فيه وهو غير وقت العذاب (قوله فاليوم ننجيك) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله ببدنك) حال من الضمير فى ننجيك، والمعنى فاليوم نخرجك من البحر ملتبسا

من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة وقال له (آلْآنَ) تؤمن (وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) بضلالك وإضلالك عن الإيمان (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ) نخرجك من البحر (بِبَدَنِكَ) جسدك الذى لا روح فيه (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ) بعدك (آيَةً) عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بنى إسرائيل شكوا فى موته فأخرج لهم ليروه (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) أى أهل مكة (عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ) لا يعتبرون بها (وَلَقَدْ بَوَّأْنَا) أنزلنا (بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) منزل كرامة وهو الشام ومصر (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا) بأن آمن بعض وكفر بعض (حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين بانجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين (فَإِنْ كُنْتَ) يا محمد (فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) من القصص فرضا (فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ قَبْلِكَ) فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه قال صلى الله عليه وسلم: لا أشك ولا أسأل (لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ

ببدنك فقط لامع روحك كما هو مطلوبك وقيل المراد بالبدن الدرع لأن له درعا كان يعرف بها فلما ألقى على وجه الأرض وعليه درعه عرفوه (قوله فيعرفوا عبوديتك) أى ويبطلوا دعوى ألوهيتك لأن الاله لا يموت ولا يتغير (قوله شكوا فى موته) إنما وقع منهم الشك لشدة ما حصل فى قلوبهم من الرعب منه فأمر الله البحر فألقاه على الساحل أحمر قصيرا كأنه ثور فرآه بنو إسرائيل فعرفوه، فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبدا (قوله ولقد بوأنا بنى إسرائيل) هذا امتنان من الله تعالى على بنى إسرائيل بنعم عظيمة (قوله مبوأ صدق) أى أنزلناهم منزلا حميدا صالحا، وإنما وصف المكان بالصدق لأن عادة العرب إذا مدحت شيئا أضافته إلى الصدق يقولون: هذا قدم صدق ورجل صدق (قوله وهو الشام ومصر) أى، وقيل مصر فقط لأنها التى كانت تحت أيدى فرعون وقومه (قوله فما اختلفوا) أى من فعلنا بهم هذا الفعل من بنى إسرائيل، وذلك أنهم كانوا قبل مبعث النبى مؤمنين به غير مختلفين فى نبوته لما يجدونه مكتوبا عندهم، فلما بعث اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأضرابه، وكفر بعض (قوله حتى جاءهم العلم) أى القرآن، وذلك أن اليهود كانوا يخبرون بمبعثه وصفته ويفتخرون بذلك على المشركين، فلما بعث اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر (قوله فرضا) جواب عما يقال إن الشك محال على رسول الله، فأجاب بأنه على فرض المحال، وأجيب أيضا بأن الخطاب له والمراد غيره، وهذا هو الأتم فى تلك الآيات (قوله فاسئل الذين يقرءون الخ) أى فان ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم (قوله يخبروك) مجزوم فى جواب الأمر وهو اسأل (قوله لقد جاءك الحق) أى اليقين من الخبر بأنك رسول الله حقا، وهذا كلام منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديره والله لقد جاءك الحق الخ.

(قوله فلا تكونن من الممترين) أى دم على ما أنت عليه من عدم الشك والامتراء (قوله إن الذين حقت عليهم كلمت ربك) أى ثبت حكمه وقضاؤه بموتهم على الكفر فلا يتأتى منهم الايمان أصلا إذ لامعقب لحكمه سبحانه وتعالى (قوله حتى يروا) غاية فى النفى (قوله فلا ينفعهم حينئذ) أى كفرعون وأضرابه (قوله فلولا) أشار المفسر بقوله هلا إلى أنها تحضيضية وهو للتوبيخ مع النفى وكان فعل ماض تام ، وقرية فاعلها وآمنت صفة قرية ، وقوله فنفعها معطوف على آمنت عطف مسبب على سبب ، والمعنى لم تكن قرية من تلك القرى التى تقدمت قوم يونس كقوم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى آمنت فيتسبب على إيمانها كونه نافعا لها . والحاصل أن الآية تضمنت تحضيضا وتوبيخا ونفيا . فالنفى راجع لمن مضى والتوبيخ والتحضيض راجعان لمن يسمع (قوله أريد أهلها) أشار بذلك إلى أن فى الكلمة مجازا مرسلا من باب تسمية الحال باسم المحل لا مجازا بالحذف (قوله إلا قوم يونس) أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع حيث عبر بلكن ، وضابط الاستدراك وجود وهو رفع مايتوهم ثبوته أو نفيه ، فأتى به هنا لدفع توهم أنهم كغيرهم لم يؤمنوا حتى نزل بهم العذاب فرفع ذلك التوهم بأن قوم يونس آمنوا قبل نزول العذاب بل عند حضور أماراته ولذلك نفعهم إيمانهم ، وأما غيرهم فلم يؤمن قبل نزوله أعم من أن يكون آمن وقت نزوله أو لم يؤمن أصلا (قوله ولم يؤخروا إلى حلوله) أى بل عجلوا الايمان عند ظهور أماراته . وحاصل قصتهم على ماذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا : إن قوم يونس كانوا بقرية تسمى نينوى من أرض الموصل ، وكانوا أهل كفر وشرك ، فأرسل الله عز وجل إليهم يونس عليه السلام يدعوهم إلى الايمان بالله وترك عبادة الأصنام فدعاهم فأبوا عليه فقيل له أخبرهم أن العذاب يصبحهم إلى ثلاث فأخبرهم بذلك فقالوا إنا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب ، فكان فوق رءوسهم . قال ابن عباس : إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلا قدر ثلثى ميل فلما دعوا كشفه الله عنهم ، وقال قتادة : قدر ميل

فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ . إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ) وجبت (عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) بالعذاب (لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فلا ينفعهم حينئذ (فَلَوْلَا) فهلا (كَانَتْ قَرْيَةٌ) أريد أهلها (آمَنَتْ) قبل نزول العذاب بها (فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا) لكن (قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا) عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله (كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) ، انقضاء

وقال سعيد بن جبير : غشى قوم يونس العذاب كما يغشى الثوب القبر ، وقال وهب : غامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا العذاب أيقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله فى قلوبهم التوبة فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن البعض للبعض فحنت الأولاد إلى الأمهات والأمهات إلى الأولاد وعلت الأصوات ولجئوا جميعا إلى الله تعالى وتضرعوا إليه وقالوا آمنا بما جاء به يونس وتابوا إلى الله وأخلصوا النية فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف مانزل بهم من العذاب بعد ما أظلهم ، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم أنهم ردوا المظالم فيما بينهم حتى إنه كان الرجل يأتى إلى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقلعه فيرده ، وروى الطبرانى بسنده قال لما غشى قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له إنه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا : ياحى حين لاحى ، وياحى يحيى الموتى وياحى لا إله إلا أنت ، فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا إلى حين ، وقال الفضيل ابن عياض إنهم قالوا : اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولاتفعل بنا ما نحن أهله فلما خرج يونس جعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل له ارجع إلى قومك قال وكيف أرجع إليهم فيجدونى كذابا وكان كل من كذب ولا بينة له قتل فانصرف عنهم مغاضبا فنزل فى سفينة فلما بلغت وسط البحر وقفت وكان من عادتهم أن السفينة لاتقف إلا إذا كان فيها عبد آبق فضربوا القرعة فخرجت على يونس فألقوه فى البحر فالتقمه الحوت فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجاب الله نداءه وأخرجه من بطن الحوت ضعيفا فأنبت الله عليه شجرة القرع ورجع إلى قومه وكانوا يزيدون عن مائة ألف

فرحوا به وأخبروه وآمنوا به، فهنيئا لمن رجع إلى مولاه وندم على ماجناه فان الله يقبل التوبة عن عباده و يعفوعن السيئات
(قوله انقضاء آجالهم) تفسير للحين ودفع بذلك ماقيل إن قوم يونس من المنظرين لايموتون إلا عند النفخة الأولى فأجاب المفسر بأن معنى الحين انقضاء آجالهم (قوله ولو شاء ربك) مفعول شاء محذوف أى إيمان جميع الناس (قوله كلهم) توكيد لمن وجميعا حال منها والمعنى لو أراد الله إيمان من فى الأرض لآمنوا كلهم حال كونهم مجتمعين (قوله أفأنت تكره الناس) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتحزن على عدم إيمانهم وتتأسف عليه أفأنت تكره الخ (قوله لا) أى لست بمكره الناس على الايمان والمعنى ليس عليك إلا البلاغ لاخلق الايمان فى قلوبهم و إكراههم عليه فان الأمر لله لاخالق سواه (قوله وما كان لنفس أن تؤمن الخ) بيان وتعليل لما قبله ، والمعنى ماثبت لنفس من الأنفس أن تؤمن فى حال من الأحوال إلا فى حال إرادة الله الايمان لها (قوله ويجعل الرجس) معطوف على محذوف والتقدير فيريد الله الايمان للبعض ، ويجعل الرجس الخ (قوله قل انظروا) بضم اللام وكسرها قراءتان سبعيتان فالضم على نقل ضمة الهمزة إلى اللام والكسر على أصل التخلص ، والمعنى تفكروا وتأملوا واتعظوا (قوله من الآيات) بيان لما (قوله وما تغنى الآيات)

انقضاء آجالهم (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ) بما لم يشأه الله منهم (حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) لا (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) بإرادته (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ) العذاب (عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) يتدبرون آيات الله (قُلِ) لكفار مكة (انْظُرُوا مَاذَا) أى الذى (فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى (وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ) جمع نذير أى الرسل (عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) فى علم الله أى ما تنفعهم (فَهَلْ) فما (يَنْتَظِرُونَ) بتكذيبك (إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم ، أى مثل وقائعهم من العذاب (قُلْ فَانْتَظِرُوا) ذلك (إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ . ثُمَّ نُنَجِّي) المضارع لحكاية الحال الماضية (رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا) من العذاب (كَذٰلِكَ) الانجاء (حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ) النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين تعذيب المشركين (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي) أنه حق (فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره وهو الأصنام لشككم فيه (وَلٰكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ) يقبض أرواحكم (وَأُمِرْتُ أَنْ) أى بأن (أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . وَ) قيل لى (أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً) مائلا إليه (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .

أى المذكورة فى قوله : ماذا فى السموات والأرض ففى الكلام إظهار فى مقام الاضمار ، والمعنى لاتنفع الآيات والنذر قوما لايؤمنون (قوله أى مثل وقائعهم من العذاب) أى وهو القتل بالسيف (قوله فانتظروا ذلك) أى مثل وقائع الأمم السابقة (قوله ثم ننجى) بالتشديد باتفاق العشرة و بثبوت الياء لفظا وخطا (قوله رسلنا) أى من سبق على محمد (قوله كذلك) صفة لمصدر محذوف أى انجاء مثل ذلك الانجاء والعامل فيه ننج المؤمنين وحقا علينا جملة معترضة بين العامل والمعمول (قوله ننج المؤمنين) بالتخفيف والتشديد وتحذف منه الياء لفظا وخطا (قوله حين تعذيب المشركين) أى فى الدنيا والآخرة (قوله أى أهل مكة) أى الكفار المعارضون (قوله من دينى) أى الذى جئت به عن ربى (قوله أنه حق) بدل من دينى، والمعنى إن كنتم فى شك من حقيقة دينى وصحته فلا أعبد الخ (قوله لشككم فيه) أى فى دينى الحق أى فالحامل لكم على عبادة غير الله شككم فى حقية دينى، وأما أنا فليس عندى شك فى حقيته فلذلك لاأعبد غير الله فكفرهم بالشك لأنه لايتأتى منهم إنكار كون الله حقا ودين الاسلام حقا على سبيل الجزم بذلك لقيام الأدلة العقلية القطعية على ذلك (قوله الذى يتوفاكم) خص هذا الوصف بالذكر تهديدا وتخويفا لهم (قوله أن أكون) أن مصدرية مجرورة بالباء المقدرة كما قال المفسر أى بكونى من المؤمنين المصدقين بما جاء من عند الله لأنه مرسل لنفسه فهو واجب عليه الايمان بما أرسل به (قوله وأن أقم) قدر المفسر القول إشارة إلى أن أن وما دخلت عليه فى محل نصب مقول لذلك القول (قوله مائلا إليه) أى مخلصا له العمل ظاهرا وباطنا فعلى المكلف أن يتخلق بخلق رسول الله، بأن لايميل لغير الله ظاهرا و باطنا بل يكون كله لله فلا يشرك معه غيره أصلا لا فى الظاهر ولا فى الباطن فكما أن الخالق لاشريك له فيما خلقه كذلك ينبغى للمخلوق أن لايشرك فى عبادته غيره .

(قوله ولاتدع من دون الله) أى غيره (قوله فرضا) جواب عما يقال إن عبادة النبي غير الله مستحيلة فكيف يخاطب بذلك أجاب المفسر بأن ذلك على سبيل الفرض والتقدير. وأجيب بأن الخطاب له والمراد غيره (قوله فلا كاشف له إلا هو) أى لادافع ولامانع له إلا الله حقيقة فنسبة النفع أو الضر لغير الله باعتبار أن الله أجرى على أيديهم ذلك لاباعتبار أنهم الخالقون له فان نسبة ذلك لهم من هذه الحيثية كفر (قوله وإن يردك بخير) عبر في جانب الخير بالارادة دون المس إشارة إلى أن الخير لايتوقف إتيانه على سبب وتهيؤ من العبد بخلاف الضر فلابد من تقدم سببه قال تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم - (قوله وهو الغفور) أى الستار للذنوب الماحى لها (قوله الرحيم) أى المنعم المحسن فالغفور المنجى من النار بسبب محو الذنوب والرحيم المدخل للجنة بسبب الانعام والإحسان (قوله الحق) أى القرآن ومن جاء به وهو النبي صلى الله عليه وسلم (قوله لأن ثواب اهتدائه له) فلا يصل لله ممن كفر ضر ولا ممن آمن نفع تنزه سبحانه وتعالى عن أن يتكمل بمخلوق (قوله لأن وبال ضلاله عليها) أى عذاب ضلاله على نفسه فلا يشاركه أحد لافى هداية نفسه ولافى ضلاله بل كل امرىء بما كسب رهين (قوله بوكيل) أى بحفيظ موكول إلىّ أمركم وإنما أنا بشير ونذير (قوله فأجبركم على الهدى) أى أكرهكم عليه (قوله مايوحى إليك) أى من القرآن (قوله على الدعوة) أى دعائك إياهم للايمان (قوله وأذاهم) أى لك فكان رسول الله يسمع سبه بأذنه ولا يتكلم (قوله أعدلهم) أى فلايخطىء فى حكمه أصلا وأما غيره فتارة يخطىء فى حكمه وتارة يعدل، فأفعاله سبحانه وتعالى دائرة بين الفضل والعدل فاثابته المؤمن بالفضل وتعذيبه العاصى بالعدل (قوله بالقتال) أى الجهاد، وأشار بذلك إلى قول ابن عباس إن هذه الآية منسوخة بآية القتال، والله أعلم.

(١٩٣)

(وَلاَ تَدْعُ) تعبد (مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ) إن عبدته (وَلاَ يَضُرُّكَ) إن لم تعبده (فَإِنْ فَعَلْتَ) ذلك فرضاً (فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ. وَإِنْ يَمْسَسْكَ) يصبك (اللهُ بِضُرٍّ) كفقر ومرض (فَلاَ كَاشِفَ) رافع (لَهُ إِلاَّ هُوَ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ) دافع (لِفَضْلِهِ) الذى أرادك به (يُصِيبُ بِهِ) أى بالخير (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرحِيمُ. قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) لأن ثواب اهتدائه له (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) لأن وبال ضلاله عليها (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) فأجبركم على الهدى (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ) من ربك (وَاصْبِرْ) على الدعوة وأذاهم (حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ) فيهم بأمره (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) أعدلهم وقد صبر حتى حكم على المشركين بالقتال وأهل الكتاب بالجزية.

(سورة هود)

مكية إلا أقم الصلوة الآية، أو إلا فلعلك تارك الآية وأولئك يؤمنون به بالآية: مائة واثنتان أو ثلاث وعشرون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ. الٓر) الله أعلم بمراده بذلك، هذا (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ)

[سورة هود] بجيب بالصرف وتركه فان لوحظ أنه اسم للسورة منع الصرف وإن لوحظ أن المراد السورة المذكورة فيها هود صرف ومثل ذلك يقال فى سورة نوح لأن هذه الأسماء مصروفة وسورة مبتدأ أخبر عنه بخبرين قوله مكية وقوله مائة الخ (قوله إلا أقم الصلاة) التلاوة بالواو فالصواب أن يقول إلا وأقم الصلاة الخ وهذا قول ابن عباس وقوله أو إلا فلعلك الخ هو قول مقاتل فالحاصل أن المدنى عند ابن عباس آية واحدة وهى وأقم الصلوة الآية وعند مقاتل آيتان: قوله فلعلك تارك بعض مايوحى إليك الآية وقوله أولئك يؤمنون به الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا هو الأسلم فى تفسير الحروف المقطعة (قوله كتاب) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا يدل عليه قوله فى آية أخرى ذلك الكتاب واسم الاشارة يصح عوده على ماذكر فى هذه السورة فقط أو على جميع القرآن وتقدم ذلك (أحكمت) صفة لكتاب إما من الإحكام أى الاتقان ففعله متعد والمعنى أتقنت آياته لفظا ومعنى فلا يحيط بمعنى آيات القرآن غيره تعالى ولم يوجد تركيب بديع الصنع عديم النظير نظير القرآن، أو الهمزة للنقل من حكم بضم الكاف بمعنى جعلت حكيمة.

(قوله ثم فصلت) يحتمل أن ثم لمجرد الأخبار والمعنى أخبرنا الله بأن القرآن محكم أحسن الاحكام مفصل أحسن التفصيل كما تقول فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل ويحتمل أنها للترتيب الزمانى بحسب النزول لأنها أحكمت أوّلا حين نزلت جملة واحدة ثم فصلت ثانيا بحسب الوقائع (قوله من لدن حكيم خبير) صفة ثانية لكتاب وفيه طباق حسن لأن حكيم يناسب أحكمت وخبير يناسب فصلت ويصح أن يكون من باب التنازع أعمل الأوّل وهو أحكمت وأضمر فى الثانى وحذف والأحسن الأول (قوله أن لاتعبدوا) الأحسن أنّ أن تفسيرية لوجود ضابطها وهو تقدّم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهى قوله ثم فصلت (قوله منه) يصح عود الضمير على الله أو على الكتاب (قوله إن كفرتم) أى دمتم على الكفر (قوله وأن استغفروا) عطف على قوله أن لاتعبدوا والسين والتاء للطلب والمعنى اسألوه الغفران لذنوبكم فيما مضى وقوله ثم توبوا إليه أى فى المستقبل لأن شرط التوبة الندم على مافات والاقلاع فى الحال والعزم على عدم العود فى المستقبل فلا يقال إن الاستغفار هو التوبة بل بينهما التغاير (قوله يمتعكم) جواب الأمر (قوله بطيب عيش) أى فى أمن وراحة ورضا فمن تاب من ذنوبه وأخلص عبادة ربه عاش فى أمن وراحة ورضا ، وإن ضيقت عليه الدنيا فهى رفع درجات له بوجود رضا الله عليه ، ومن لم يتب وأصر على المعاصى والكفر عاش فى خوف ونصب وسخط ، وإن وسعت عليه ملاذ الدنيا إذ لاخير فى عيش بعده النار وحينئذ فلا ينافى هذا كون الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (قوله فيه حذف إحدى التاءين) أى والأصل تتولوا (قوله أى تعرضوا) أى عن الأوامر والنواهى وتدوموا على الكفر ، وجواب الشرط محذوف والتقدير فلا تلوموا إلا أنفسكم وقوله فإنى أخاف الخ تعليل للجواب المحذوف (قوله إلى الله مرجعكم) أى فلا مفرّ لكم منه (قوله ومنه الثواب) أى من الشىء المقدور عليه (قوله فيمن كان يستحي) أى من المسلمين (قوله أن يتخلى) أى يقضى حاجته من البول والغائط (قوله فيفضى) معطوف على يتخلى وتنزيل الآية على حكم هذا القول باعتبار تعليم التوحيد والمراقبة كأن الله يقول لهم : لاتظنوا أن تغطيتكم تحجبكم عن الله بل الله يعلم ماتسرون وما تعلنون فلا ينافى أن التغطية عند التخلى والجماع مندوبة وليس المراد ذمهم على هذا الفعل إذ هو مطلوب حياء من الله والجنّ والملائكة (قوله وقيل فى المنافقين) قال ابن عباس «نزلت فى الأخنس بن شريق من منافقى مكة وكان رجلا طلق الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله بما يحب وينطوى بقلبه على مايكره » ، وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستره ويحنى ظهره ويستغشى بثوبه ويقول الكفر ويظنّ أن الله لايعلمه فى تلك الحالة (قوله ألا إنهم يثنون صدورهم) من الثنى وهو طى الشىء ليكون مستورا فالمراد يعطفون صدورهم على مافيها من الكفر ليكون مخفيا مستورا وأصله يثنيون نقلت ضمة الياء إلى ماقبلها ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع الواو ، وهذا المعنى على أن سبب النزول فى المنافقين ، وأما على أنه فيمن يستحى حال قضاء الحاجة والجماع فالمراد بثنى الصدر انحناؤه بظهره حال قضاء الحاجة وتغطيته بثوبه حين قضاء الحاجة والجماع فتأمل (قوله ليستخفوا منه) هذا هو علة ثنى الصدر على مافيه (قوله ألا حين يستغشون ثيابهم) أى يأوون إلى فراشهم ويرتدون ثيابهم (قوله مايسرّون) أى فى قلوبهم وقوله وما يعلنون أى بأفواههم .

بعجيب النظم وبديع المعانى (ثُمَّ فُصِّلَتْ) بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) أى الله (أَنْ) أى بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ) بالعذاب إن كفرتم (وَبَشِيرٌ) بالثواب إن آمنتم (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (ثُمَّ تُوبُوا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (يُمَتِّعْكُمْ) فى الدنيا (مَتَاعًا حَسَنًا) بطيب عيش وسعة رزق (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) هو الموت (وَيُؤْتِ) فى الآخرة (كُلَّ ذِي فَضْلٍ) فى العمل (فَضْلَهُ) جزاءه (وَإِنْ تَوَلَّوْا) فيه حذف إحدى التاءين أى تعرضوا (فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) هو يوم القيامة (إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه الثواب والعذاب. ونزل كما رواه البخارى عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى أو يجامع فيفضى إلى السماء وقيل فى المنافقين (أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) أى الله (أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يتغطون بها (يَعْلَمُ) تعالى (مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) فلايغنى استخفاؤهم (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

(قوله أى بما فى القلوب) أى فالمراد بالصدور القلب ومافيها هو الخواطر فتعلق المحل وأريد الحال فيه (قوله ومامن دابة) النكرة فى سياق النفى تعم فدخلت جميع الدواب عاقلة وغير عاقلة (قوله هى مادبّ عليها) أى مشى وسار (قوله إلا على الله رزقها) ليس المراد أن ذلك واجب عليه تنزه سبحانه وتعالى بل المراد أنه التزم به وتكفل به التزاما لايتخلف ففى الحقيقة على بمعنى من وإنما التعبير بعلى ليزداد العبد ثقة بربه وتوكلا عليه وإن أخذ فى الأسباب فلا يعتمد عليها بل يثق بالله ويعتمد عليه وليكن أخذه فى الأسباب امتثالا لأمره تعالى لأن الله يكره العبد البطال وخص دواب الأرض بالذكر لأنهم المحتاجون للأرزاق ، وأما دواب السماء كالملائكة والحور العين فليسوا محتاجين لذلك بل قوتهم التسبيح والتهليل (قوله ويعلم مستقرها ومستودعها) أتى بذلك دفعا لما يتوهم من كونه متكفلا لكل دابة فى الأرض برزقها أنه ربما يخفى عليه بعض أماكن تلك الدواب فدفع ذلك التوهم بأنه يعلم مكان كل دابة فلا تخفى عليه خافية والمعنى أنه أحاط علمه بمكان كل دابة وزمانها (قوله بعد الموت) أى وهو القبر (قوله كل مما ذكر) أى من الدابة ورزقها ومستقرها ومستودعها فاللوح المحفوظ أحاط بجميع أرزاق الدواب وأمكنتها وأزمنتها وأحوالها وهذا من باهر قدرته تعالى لزيادة طمأنينة العبيد ومراجعة الملائكة الوكلين بالأرزاق لا خوفا من نسيانه إذ هو مستحيل عليه (قوله وهو الذى خلق السموات) هذا بيان لكونه قادرا على جميع الممكنات وماتقدم بيان لكونه عالما بالمعلومات كلها (قوله والأرض) أى ومافيها من الأقوات والحيوانات وغير ذلك والكلام على التوزيع إذ خلق السموات فى يومين ، والأرض فى يومين ، والأقوات فى يومين كما يأتى فى سورة فصلت (قوله أولها الأحد) تقدم أن هذا مشكل لأنه لم يكن ثم زمان فضلا عن تفصيله أياما فضلا عن تخصيص كل يوم باسم وتقدم الجواب عنه بأن ذلك باعتبار ماتعلق به علمه سبحانه وتعالى لأن كل شىء كان أو يكون فهو فى علمه على ماهو عليه فالمعنى أولها الأحد الذى علم الله أنه يكون (قوله على الماء) أى لم يكن بينهما حائل بل هو فى مكانه الذى هو فيه الآن وهو مافوق السموات السبع والماء فى المكان الذى هو فيه الآن وهو ماتحت الأرضين السبع ، وذلك أن أول ماخلق الله النور المحمدى ثم خلق منه العرش ونشأ الماء من عرق العرش فخلق الله منه الأرضين والسموات فالأرضون من زبده والسموات من دخانه (قوله ليختبركم) أى ليتميز المحسن من المسىء بتلك النعم فمن شكر فهو المحسن ومن كفر فهو المسىء والمعنى ليظهر بين الناس المطيع فيثيبه فى الآخرة على طاعته والعاصى فيعاقبه فى الآخرة على عصيانه (قوله أيكم أحسن عملا) مبتدأ وخبر والجملة فى محل نصب معمولة ليبلوكم علق عنها بالاستفهام (قوله ولئن قلت) اللام موطئة لقسم محذوف وإن حرف شرط وقوله ليقولن جواب القسم .وحذف جواب الشرط لتأخره . قال ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم   جواب ما أخرت فهو ملتزم

وكذا يقال فيما بعده (قوله إلا سحر) أى كالسحر فالكلام على التشبيه البليغ من حيث إنه كلام مزين الظاهر فاسد الباطن (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ولئن أخرنا عنهم العذاب) أى الذى استعجلوه (قوله إلى أمة) أى طائفة من الأزمنة .

أى بما فى القلوب (وَمَا مِنْ) زائدة (دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ) هى مادبّ عليها (إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) تكفل به فضلا منه تعالى (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) مسكنها فى الدنيا أو الصلب (وَمُسْتَوْدَعَهَا) بعد الموت أو فى الرحم (كُلٌّ) مما ذكر (فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بيّن هو اللوح المحفوظ (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (وَكَانَ عَرْشُهُ) قبل خلقهما (عَلَى الْمَاءِ) وهو على متن الريح (لِيَبْلُوَكُمْ) متعلق بخلق أى خلقهما وما فيهما منافع لكم ومصالح ليختبركم (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) أى أطوع لله (وَلَئِنْ قُلْتَ) يامحمد لهم (إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ) ما (هَذَا) القرآن الناطق بالبعث أو الذى تقوله (إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) بيّن وفى قراءة ساحر والمشار إليه النبى صلى الله عليه وسلم (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى) مجىء (أُمَّةٍ) أوقات (معدودة

(قوله معدودة) أي قليلة (قوله ليقولنّ) الفعل مرفوع بالنون المحذوفة لتوالى الأمثال والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعله وأعرب مع وجود نون التأكيد ولم يبن لأن نون التوكيد لم تباشره إذ الأصل ليقولونن حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال، فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما والمحذوف لعلة كالثابت وهذا بخلاف ليقولنّ المتقدم فانه مبنى لمباشرة النون فى اللفظ والتقدير (قوله ما يحبسه) أى أىّ شئ يمنعه من النزول وهذا الاستفهام على سبيل السخرية (قوله ألا يوم يأتيهم) ألا أداة افتتاح داخلة على ليس فى المعنى ويوم معمول لخبر ليس واسمها ضمير فيها يعود على العذاب وكذلك فاعل يأتيهم ضمير يعود على العذاب، والتقدير ألا ليس هو: أى العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم العذاب، ففى هذه الآية تقدم معمول خبر ليس عليها (قوله من العذاب) بيان لما (قوله ثم نزعناها منه) أى أخذناها قهرا (قوله قنوط) أى لقلة صبره وعدم رجائه فى ربه (قوله ليقولنّ ذهب السيئات عنى) أى على حسب عادة الدهر ولا ينظر لفضل الله فى ذلك فهو مغضوب عليه على كلّ حال (قوله إلا الذين صبروا) مستثنى من قوله: ولئن أذقنا الانسان الخ، وقد أشار المفسر إلى أن هذا الاستثناء منقطع حيث عبر بلكن ويصحّ أن يكون متصلا باعتبار أن المراد بالانسان الجنس لا واحد بعينه (قوله لهم مغفرة) أى لذنوبهم (قوله وأجر كبير) أى عظيم مدخر لهم فى الآخرة (قوله فلعلك تارك) لعل تأتى للترجى فى الأمر المحبوب كما تقول لعل الحبيب قادم وتأتى للتوقع فى الأمر المكروه كما تقول لعل العدو قادم والآية من هذا الثانى غير أن التوقع ليس على بابه إذ مستحيل على رسول الله كتم بعض ما أمر بتبليغه والعزم على ذلك بل المقصود منه الاستفهام الانكارى والتحضيض على التبليغ مع عدم المبالاة بمن عاداه كأن الله

(مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ) استهزاء (مَا يَحْبِسُهُ) ما يمنعه من النزول؟ قال تعالى (أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا) مدفوعا (عَنْهُمْ، وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) من العذاب (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ) الكافر (مِنَّا رَحْمَةً) غنى وصحة (ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ) قنوط من رحمة الله (كَفُورٌ) شديد الكفر به (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ) فقر وشدة (مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ) المصائب (عَنِّي) ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها (إِنَّهُ لَفَرِحٌ) بطر (فَخُورٌ) على الناس بما أوتى (إِلَّا) لكن (الَّذِينَ صَبَرُوا) على الضراء (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فى النعماء (أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هو الجنة (فَلَعَلَّكَ) يا محمد (تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ) فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به (وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ) بتلاوته عليهم لأجل (أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ) يصدقه كما اقترحنا (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ) فلا عليك إلا البلاغ، لا الإتيان بما اقترحوه (وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) حفيظ فيجازيهم (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أى القرآن (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ) فى الفصاحة والبلاغة (مُفْتَرَيَاتٍ) فانكم عربيون فصحاء مثلى،

يقول لنبيه بلغ ما أمرت به ولو كره المشركون ذلك ولا تترك التبليغ محافظة على عدم استهزائهم، وذلك أن رسول الله كان إذا قرأ آية فيها سبّ المشركين وآلهتهم نفروا وقالوا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ونحن نتبعك فردّ الله عليهم ذلك حيث حضه على التبليغ ونهاه عن الكتم (قوله بعض ما يوحى إليك) أى وهو ما فيه سبّ آلهتهم (قوله وضائق به صدرك) أى لا يكن منك ضيق صدر بسبب استهزاء الكفار بك فان الله حافظك وناصرك عليهم ومخذلهم (قوله أن يقولوا) أى فقد قالوا إن كنت صادقا فى الرسالة من عند الله الذى تصفه بالقدرة التامة وأنك حبيبه وعزيز عنده مع أنك فقير فهلا أنزل عليك ما تستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملك يشهد لك بالرسالة (قوله كنز) أى مال كثير وسمى بذلك لأن شأنه أن يكنز (قوله فلا عليك إلا البلاغ) أى فلا تبال بقولهم ولا تغتمّ منهم (قوله حفيظ) أى فيحفظك ويجازيهم (قوله أم يقولون) أم منقطعة بمعنى بل والهمزة، والاضراب انتقالى والهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب (قوله افتراه) أى اختلقه من عند نفسه (قوله قل فأتوا الخ) ردّ لما قالوه، والمعنى أنكم عربيون مثلى فأتوا بكلام مثل هذا الكلام الذى جئت به فانكم تقدرون على ذلك بل أقدر منى لممارستكم الأشعار والوقائع (قوله مثله) نعت لسور وإن كان بلفظ الافراد فانه يوصف به المثنى والجمع والمذكر والمؤنث.

(قوله تحداهم بها أولا) أى بعد أن تحداهم بجميع القرآن كما فى سورة الاسراء . قال تعالى ـ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ـ الآية ، ثم تحداهم بعشر سور كما هنا ثم بسورة كما فى البقرة ويونس فالاسراء قبل هود نزولا ثم هود ثم يونس ثم البقرة (قوله على ذلك) أى الاتيان (قوله أى غيره) أى من الأصنام أو من جميع المخلوقات (قوله فان لم يستجيبوا لكم) أى أيها المشركون ، وقوله : أى من دعوتموهم تفسير للواو فى يستجيبوا (قوله بعلم الله) أى فكما أن علمه لا يشابهه علم كذلك كلامه لا يشابهه كلام لأن الكلام على حسب علم المتكلم فكلما كان المتكلم متسع العلم كان كلامه فصيحا بليغا ولا أوسع من علم الله لأنه أحاط بكل شئ علما (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن (قوله أى أسلموا) أى فهو استفهام فيه معنى الطلب لزوال العذر المانع من ذلك (قوله من كان يريد الحيوة الدنيا) اختلف فى سبب نزولها فقيل فى اليهود والنصارى ، وقيل فى المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة ، وقيل فى المرائين والحمل على العموم أولى فيندرج فيه الكافر والمنافق والمؤمن الذى يأتى بالطاعات على وجه الرياء والسمعة (قوله وزينتها) أى ما يتزين به فيها من الصحة والأمن والسعة والرياسة وغير ذلك (قوله بأن أصروا على الشرك) هذا شامل للقولين المتقدمين (قوله وقيل هى فى المرائين) أى ومعنى قوله : أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار : أى ابتداء ثم بعد استيفاء ما عليه يخرج منها ، ويدل على أن له هذا الوعيد الشديد ما روى «يقول الله أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه» وهذا القول اختاره البيضاوى لحديث «يقال لأهل الرياء حججتم وصليتم وتصدقتم وجاهدتم وقرأتم ليقال ذلك فقد قيل ذلك ، ثم قال إن هؤلاء أول من تسعر بهم النار» رواه أبو هريرة ثم بكى بكاء شديدا ثم قال صدق رسول الله من كان يريد الحياة الدنيا الخ (قوله نوف) بالنون مبنيا للفاعل وفيه ضمير يعود على الله وبالياء مبنيا للمفعول وأعمالهم بالرفع نائب فاعل والفاء مشددة على كل حال قراءتان الأولى سبعية والثانية شاذة (قوله أى جزاء ما عملوه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بأن نوسع عليهم رزقهم) أى فهذا جزاء أعمالهم الحسنة فى الدنيا وأما فى الآخرة فليس لهم فى نظير ذلك شئ . قال تعالى ـ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ـ فجزاء الآخرة بالجنة ونعيمها مخصوص بالمؤمن (قوله فلا ثواب له) أى لأنهم قد استوفوا فى الدنيا جزاء أعمالهم الحسنة فليس لهم فى الآخرة إلا العذاب . قال تعالى ـ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب ـ (قوله وباطل ما كانوا يعملون) أى فى الدنيا من الخيرات (قوله أفمن كان على بينة من ربه) لما تقدم ذكر أوصاف أهل الدنيا الغافلين عن الآخرة وعاقبة أمرهم ذكر أوصاف أهل الآخرة الذين يريدون بأعمالهم وجه ربهم ، واسم الموصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر فيما يأتى بقوله كمن ليس كذلك وجواب الاستفهام محذوف قدره بقوله لا وقد صرح بهذين المحذوفين فى قوله تعالى ـ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ـ (قوله بيان) أى نور واضح ودليل ظاهر وذلك نظير قوله تعالى ـ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ـ (قوله وهو النبى) أى وعليه فالجمع للتعظيم فى قوله ـ أولئك يؤمنون به ـ وقوله أو المؤمنون والجمع فيها ظاهر وفى نسخة والمؤمنون وهى ظاهرة (قوله وهو القرآن) تفسير للبينة ، وقد أخذ هذا التفسير مما يأتى فى سورة البينة فى قوله تعالى ـ حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة ـ .

تحداهم بها أولا ثم بسورة (وَادْعُوا) للمعاونة على ذلك (مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى أنه افتراء (فَإِ) ن (لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ) أى من دعوتموهم للمعاونة (فَاعْلَمُوا) خطاب للمشركين (أَنَّمَا أُنْزِلَ) ملتبسا (بِعِلْمِ اللَّهِ) وليس افتراء عليه (وَأَنْ) مخففة أى أنه (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) بعد هذه الحجة القاطعة أى أسلموا (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا) بأن أصر على الشرك ، وقيل هى فى المرائين (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ) أى جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم (فِيهَا) بأن نوسع عليهم رزقهم (وَهُمْ فِيهَا) أى الدنيا (لَا يُبْخَسُونَ) ينقصون شيئا (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ) بطل (مَا صَنَعُوا) ه (فِيهَا) أى الآخرة فلا ثواب له (وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّهِ) وهو النبى صلى الله عليه وسلم أو المؤمنون وهى القرآن

(ويتلوه)

(قوله و يتلوه) الضمير عائد على من (قوله وهو جبريل) تفسير للشاهد ، والمعنى من كان متمسكا بالحق والحال أنه يتبعه شاهد من الله يصدقه على ذلك وهو جبريل لأنه مقوّ ومصدّق للرسول ويصحّ أن يكون المراد بالشاهد معجزات القرآن والضمير فى منه إماعائد على الله أوعلى القرآن ، والمعنى على هذا و يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله وهوالاعجاز فى نظمه واشتماله على عجائب المغيبات فى معناه فلايستطيع أحدأن يأتى بمثله كلا أو بعضا ، و يصحّ أن يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يد رسول الله مطلقا (قوله ومن قبله) الجار والمجرور حال من كتاب موسى الواقع معطوفا على شاهد (قوله شاهد له أيضا) الأوضح أن يقول يتلوه أيضا إذ هو المسلط عليه (قوله إماما) أى مقتدى به (قوله ورحمة) أى إحسانا ولطفا لمن أنزل إليهم (قوله أى من كان على بينة من ربه) أشار بذلك إلى أن اسم الاشارة عائد على قوله أفمن كان على بينة (قوله ومن يكفر به) اسم الموصول راجع لقوله كمن ليس كذلك فهو لف ونشر مرتب (قوله فلا تك) أصله تكون دخل الجازم فسكنت النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وحذفت النون تخفيفا (قوله فى مرية) بكسر الميم باتفاق السبعة وقرئ شذوذا بضمها وهى لغة تميلة وهوخطاب للنبى والمراد غيره (قوله إنه الحق) أى الثابت الذى لامحيص عنه (قوله ولكن أكثر الناس) يفيد أن الأقلّ مؤمن وهو كذلك فى كل زمن إلى يوم القيامة وإنما خصّ المفسر أهل مكة لكون أصل الخطاب لهم (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى وهذا شروع فى ذكر أوصافهم وقد ذكرمنها هنا أربعة عشر وصفا أولها قوله ومن أظلم وآخرها قوله لاجرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون (قوله أولئك يعرضون على ربهم) أى عرض فضيحة وهتك ستر (قوله وهم الملائكة) أى والنبيون والأصفياء (قوله ألا لعنة الله) هذا من كلام الله تعالى يقوله لهم يوم القيامة فيطردون بذلك عن الرحمة الحاصلة فى الآخرة ، وليس المراد أنهم يطردون عن رحمة الدنيا (قوله الذين يصدّون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدخول فى دين الاسلام ، والمعنى أنهم كما ضلوا فى أنفسهم يضلون غيرهم (قوله و يبغونها عوجا) أى ينسبونها للاعوجاج والحال أنه قائم بقلوبهم (قوله أولئك لم يكونوا معجزين) أى فارين من عذاب الله لأن الله و إن أمهلهم لايهملهم (قوله من أولياء) من زائدة فى اسم كان ، والمعنى ليس لهم أنصار من غير الله يمنعون عذاب الله عنهم (قوله باضلالهم غيرهم) أشار بذلك إلى جواب سؤال وارد على الآية . وحاصله أن المضاعفة مخصوصة بالحسنات ، وأما السيئات فلا تضاعف . قال تعالى ـ ومن جاء بالسيئة فلايجزى إلامثلها ـ فأجاب المفسر بأن معنى المضاعفة الشدة لأنهم يعذبون عذابين عذابا على ضلالهم فى أنفسهم وعذابا على إضلالهم غيرهم (قوله ما كانوا يستطيعون السمع) أى لم يقبلوه لوجود الحجاب على قلوبهم (قوله وما كانوا يبصرون) أى لم يقدروا على ذلك (قوله أولئك) أى الذين لايستطيعون السمع ولا الابصار (قوله من دعوى الشريك) بيان لما .

(وَيَتْلُوهُ) يتبعه (شَاهِدٌ) له يصدقه (مِنْهُ) أى من الله وهو جبريل (وَمِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (كِتَابُ مُوسَى) التوراة شاهد له أيضا (إِمَامًا وَرَحْمَةً) حال كمن ليس كذلك ؟ لا (أُولَٰئِكَ) أى من كان على بينة من ربه (يُؤْمِنُونَ بِهِ) أى بالقرآن فلهم الجنة (وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ) جميع الكفار (فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْهُ) من القرآن (إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى أهل مكة (لَا يُؤْمِنُونَ. وَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك والولد إليه (أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ) يوم القيامة فى جملة الخلق (وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ ، وعلى الكفار بالتكذيب (هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) المشركين (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) دين الاسلام (وَيَبْغُونَهَا) يطلبون السبيل (عِوَجًا) معوجة (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ. أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ) الله (فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ أَوْلِيَاءَ) أنصار يمنعونهم من عذابه (يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ) باضلالهم غيرهم (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) للحق (وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) ه أى لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) على الله من دعوى الشريك

(قوله لاجرم) اختلف العلماء فى معنى لاجرم على ثلاثة أوجه: أولها أن لانافية لأمانى الكفار وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وقوله أنهم فى الآخرة هم الأخسرون الجملة فى محل رفع فاعل بجرم ويصير المعنى لاعبرة بأمانيهم بل حق وثبت خسرانهم فى الآخرة وهذا الوجه أحسنها. ثانيا أن لا كذلك وجرم بمعنى كسب وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعوله والفاعل مادل عليه السياق والمعنى ما كسب لهم كفرهم وأمنياتهم إلا خسرانهم فى الآخرة. ثالثها أن لاجرم بمعنى لابد أى لابد أنهم فى الآخرة هم الأخسرون فلا نافية للجنس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وجملة أنهم فى محل رفع خبرها إذا علمت ذلك فقول المفسر حقا لم يوافق واحدا من هذه الثلاثة إلا أن يقال إنه مرّ على الأول ويكون حقا مفعولا مطلقا لفعل محذوف والتقدير حق حقا، وقد وردت هذه اللفظة فى القرآن فى خمسة مواضع ويقال فى كل واحد منها ماقيل هنا (قوله إن الذين آمنوا) لما ذكر الله أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعهم بذكر المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وأخبتوا) من الاخبات وهو الخشوع والخضوع ويتعدى باللام وإلى فان عدى باللام فمعناه خشع وخضع وإن عدى بالى فمعناه اطمأن وسكن وقد اقتصر المفسر على هذا الثانى (قوله أولئك أصحاب الجنة) التعبير بأصحاب إشارة إلى أن أهل الجنة مالكون لمنازلها ملكا لايحول ولايزول (قوله مثل الفريقين) لما ذكر أحوال الكفار وماهم عليه من الصمم والعمى عن اتباع الحق وذكر أحوال المؤمنين وماهم عليه من التبصر وسماع الحق واتباعه أتبع ذلك بذكر مثل لكل فريق (قوله كالأعمى والأصم) هذا كناية عن كون الله سلبهم الانتفاع بالحق لسبق شقاوتهم فى علم الله، والمراد من الأعمى والأصم ذات واحدة اتصفت بهذين الوصفين فانه هو الذى لايقبل الهدى لمقصوده بأى وجه كان ومثل ذلك يقال فى نظيره وهو البصير والسميع (قوله مثلا) تمييز محول عن الفاعل والأصل هل يستوى مثلهما (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أفلا تذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعميتم وتركتم الهدى

(١٩٨)

(لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا) سكنوا واطمأنوا أو أنابوا (إِلَى رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. مَثَلُ) صفة (الْفَرِيقَيْنِ) الكفار والمؤمنين (كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ) هذا مثل الكافر (وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) هذا مثل المؤمن (هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) لا (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال: تتعظون (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنِّي) أى بأنى وفى قراءة بالكسر على حذف القول (لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الإنذار (أَنْ) أى بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غيره (عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) مؤلم فى الدنيا والآخرة (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) وهم الأشراف (مَا نَرَاكَ

إلا

فلا تذكرون وهو خطاب للمشركين الذين كانوا فى زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله فيه إدغام التاء الخ) أى والأصل تتذكرون أبدلت التاء الثانية ذالا وأدغمت فى الذال وفى قراءة سبعية بحذف إحدى التاءين تخفيفا (قوله ولقد أرسلنا نوحا) جرت عادة الله فى كتابه العزيز أنه إذا أقام الحجج على الكفار ووبخهم وضرب لهم الأمثال يذكر لهم بعض قصص الأنبياء المتقدمين وأممهم لعلهم يهتدون وفى هذه السورة سبع قصص: الأولى قصة نوح مع قومه. الثانية قصة هود مع قومه. الثالثة قصة صالح مع قومه. الرابعة قصة إبراهيم مع الملائكة. الخامسة قصة لوط مع قومه. السادسة قصة شعيب مع قومه. السابعة قصة موسى مع فرعون، وذكر هذه القصص على حسب الترتيب الزمانى وتقدم أن نوحا اسمه عبد الغفار ونوح لقبه سمى بذلك لكثرة نوحه لما ورد أنه رأى كلبا مجذوما فقال له اخسأ ياقبيح فأوحى الله إليه أعبتنى أم عبت الكلب فكان ذلك عتابا له فاستمر ينوح صلى الله عليه وسلم على نفسه فسمى بذلك (قوله أى بأنى) أشار بذلك إلى أن قراءة الفتح على إضمار حرف الجر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله على حذف القول) أى ومتى وقعت إن بعد القول كسرت (قوله مبين) أى بين الانذار وواضحه (قوله إنى أخاف عليكم) هذا فى قوة التعليل لقوله ألا تعبدوا إلا الله (قوله أليم) صفة لليوم وأسنده له مبالغة على سبيل المجاز العقلى وحق الإسناد للعذاب (قوله مانراك) اعلم أنهم احتجوا عليه بثلاث حجج أولها قوله مانراك إلا بشرا مثلنا وآخرها قوله بل نظنكم كاذبين وقد أجابهم عنها إجمالا بقوله أرأيتم إن كنت على بينة من ربى الخ وتفصيلا بقوله

ولا أقول لكم عندى خزائن الله الخ (قوله إلا بشرا مثلنا) أى آدميا مثلنا (قوله ولا فضل لك علينا) أى لا مزية لك علينا وهذا من فرط جهلهم حيث استبعدوا فضل الله على البشر وظنوا أن الرسل لا يكونون إلا من الملائكة (قوله أراذلنا) إما جمع الجمع فهو جمع أرذل بضم الدال جمع رذل بسكونها ككلب وأكلب وأكالب أو جمع المفرد وهو أرذل كأكبر وأكابر وأبطح وأباطح (قوله كالحاكة) جمع حائك وهو القزاز (قوله والأساكفة) جمع إسكاف وهو صانع النعال وهذه عادة الله فى الأنبياء والأولياء أن أول من يتبعهم ضعفاء الناس لذلهم فلا يتكبرون عن الاتباع (قوله بالهمز وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من غير تفكر فيك) أى ولو تفكروا لما اتبعوك (قوله من فضل) أى مزية من مال وغيره (قوله فى الخطاب) أى فى قوله وما نرى لكم بل نظنكم (قوله قال يا قوم هذا خطاب فيه غاية التلطف بهم (قوله بيان) أى حجة وبرهان (قوله فعميت) أى النبوة أى خفيت عليكم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله والبناء للمفعول) أى والأصل أعماها الله عليكم أى أخفاها فأطاق العمى وأريد لازمه وهو الخفاء لأن الأعمى تخفى عليه الأشياء فلا يهتدى ولا يهدى غيره (قوله أنجبركم على قبولها) أى لا قدرة لنا على إلزامكم إياها والحال أنكم كارهون لها بل الإيمان إنما هو بالرضا والتسليم الباطنى والمعنى أخبرونى إن كنت على حجة ظاهرة من ربى وأعطانى نبوة من عنده فأخفاها عليكم أأجبركم على قبولها والإيمان بها والحال أنكم كارهون منكرون لها لا أستطيع ذلك بل لا قدرة لى إلا على البلاغ (قوله إلا على الله) أى فهو التكفل لى بالثواب والعطايا (قوله كما أمرتمونى) أى فقد قالوا له امنع واطرد هؤلاء

(١٩٩)

(إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا) ولا فضل لك علينا (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا) أسافلنا كالحاكة والأساكفة (بَادِئَ الرَّأْيِ) بالهمز وتركه أى ابتداء من غير تفكر فيك ونصبه على الظرف أى وقت حدوث أول رأيهم (وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ) فتستحقون به الاتباع منا (بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) فى دعوى الرسالة أدرجوا قومه معه فى الخطاب (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً) نبوة (مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ) خفيت (عَلَيْكُمْ) وفى قراءة بتشديد الميم والبناء للمفعول (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) أنجبركم على قبولها (وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) لا نقدر على ذلك (وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة (مَالًا) تعطونيه (إِنْ) ما (أَجْرِيَ) ثوابى (إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا) كما أمرتمونى (إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ) بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم (وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) عاقبة أمركم (وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي) يمنعنى (مِنَ اللَّهِ) أى عذابه (إِنْ طَرَدْتُهُمْ) أى لا ناصر لى (أَفَلَا) فهلا (تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء الثانية فى الأصل فى الذال: تتعظون (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا) إنى (أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) بل أنا بشر مثلكم (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي) تحتقر (أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) قلوبهم (إِنِّي إِذًا) إن قلت ذلك (لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا) خاصمتنا (فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا)

الأسافلة عنك ونحن نتبعك فانا نستحيى أن نجلس معهم فى مجلسك وهذا كما قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم كما فى سورة الأنعام فنزل ردا عليهم: ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية (قوله فيجازيهم) أى على ما قدموا من الأعمال الصالحة (قوله تجهلون) أى لا تحسنون خطابا (قوله أى لا ناصر لى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أفلا تذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتأمرونى بطردهم فلا تذكرونى (قوله ولا أقول لكم عندى خزائن الله) هذا رد لقولهم وما نرى لكم علينا من فضل والمراد بخزائن الله مغيباته التى لا يعلمها ولا يطلع عليها إلا هو (قوله ولا أعلم الغيب) رد لقولهم وما نراك اتبعك الخ، والمعنى ما قلت لكم إنى أعلم الغيب فأطلع على بواطنكم (قوله ولا أقول إنى ملك) رد لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا (قوله تزدرى) أصله تزترى فقلبت تاء الافتعال دالا (قوله لن يؤتيهم الله خيرا) أى توفيقا وهدى (قوله الله أعلم بما فى أنفسهم) أى من إيمان وكفر (قوله قد جادلتنا) أى شرعت فى جدالنا

(قوله به) قدره إشارة إلى ان عائد الموصول محذوف و يصح ان تكون ما مصدرية والمعنى بوعدك إيانا (قوله فيه) أى فى الوعد (قوله تعجيله) أشار بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف (قوله بفائتين الله) أى بفارين من عذابه (قوله وجواب الشرط) أى الأول وهذا مرور على مذهب البصريين القائلين إن جواب الشرط لايتقدم عليه وجوزه الكوفيون وحينئذ يكون تقدير الكلام إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم فلاينفعكم نصحى وذلك لأن القاعدة إذا اجتمع فى الكلام شرطان وجواب يجعل الجواب للثانى والشرط الثانى وجوابه جوابا عن الأول (قوله أى كفار مكة) هذا أحد قولين والثانى وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية من جملة قصة نوح ويكون الضمير فى افتراه عائدا على الوحى الذى جاءهم به نوح (قوله أى عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله وأوحى) الجمهور على أنه مبنى للمفعول وأنه بالفتح فى تأويل مصدر نائب فاعل وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل و إنه بالكسر إما على إضمار القول أى أوحى الله إلى نوح قائلا له إنه الخ أو بتضمين الايحاء معنى القول (قوله أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) أى لن يستمر على الايمان إلا من ثبت إيمانه وحصل فاندفع مايقال إن فيه تحصيل الحاصل (قوله فدعا عليهم) أى بعد اليأس من إيمانهم وحصول غاية المشقة له منهم فكانوا يضربونه حتى يسقط فيلفونه فى اللبد ويلقونه فى بيت يظنون موته فيخرج فى اليوم الثانى ويدعوهم إلى الله وكانوا يخنقونه حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لايعلمون وكان الوالد منهم يوصى أولاده بعدم اتباعه ويقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا فلما أوحى إليه بعدم إيمانهم دعا عليهم كما قال المفسر (قوله واصنع الفلك) يطلق مفردا وجمعا والمراد هنا المفرد وكان طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وطولها لجهة العلو ثلاثين ذراعا والذراع إلى المنكب وهذه أشهر الروايات وقيل كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل غير ذلك وجعلها ثلاث طبقات فالسفلى للوحوش والسباع والهوام وفى الوسطى الدواب والأنعام وركب هو ومن معه فى العليا وقيل السفلى للدواب والوحوش والوسطى للانس والعليا للطير وأول ماحمله نوح الدرة وآخر ماحمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق إبليس بذنبه فاستثقل رجلاه وجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل ولو كان الشيطان معك فدخل فقال له نوح ماذا أدخلك علىّ ياعدو الله قال ألم تقل ادخل و إن كان الشيطان معك قال اخرج عنى ياعدو الله قال لابد أن تحملنى معك هكذا قيل ، وقيل إنه لم يحمله معه فى السفينة وهو الصحيح لأنه لم يثبت فى حمله خبر صحيح ومكث فى صنع السفينة مائتى سنة مائة فى غرس الأشجار ومائة فى عملها وهى من خشب الساج (قوله بمرأى منا وحفظنا) دفع بذلك مايقال إن ظاهره مستحيل لاستحالة الأعين بمعنى الجارحة المعلومة على الله . فأجيب بأنه أطلق الملزوم وأراد اللازم لأنه يلزم من كون الشئ بالأعين أنه مبالغ فى حفظه (قوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لاتراجعنى فى شأنهم فإن الهلاك لابد لهم منه (قوله حكاية حال ماضية) أى فالمضارع بمعنى الماضى

به من العذاب (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللهُ إِنْ شَاءَ) تعجيله لكم فإن أمره إليه لا إلىّ (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين الله (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) أى إغواءكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحى (هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قال تعالى (أَمْ) بل أ (يَقُولُونَ) أى كفار مكة (افْتَرَاهُ) اختلق محمد القرآن (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي) إثمى أى عقوبته (وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ) من إجرامكم فى نسبة الافتراء إلىّ (وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ) تحزن (بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) من الشرك فدعا عليهم بقوله : رب لاتذر على الأرض الخ فأجاب الله دعاءه وقال (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ) السفينة (بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا وحفظنا (وَوَحْيِنَا) أمرنا (وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بترك إهلاكهم (إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ . وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ) حكاية حال ماضية ،

(وكلما

(قوله وكلما مرّ عليه ملأ) الجملة حالية والتقدير يصنع الفلك والحال أنه كلما مرّ الخ استهزءوا به أى فقالوا صرت نجارا بعد أن كنت نبيا وكان يعمل السفينة فى برية لاماء فيها ، واستهزاؤهم إما لكونهم لايعرفون السفينة ولا الانتفاع بها أو لكونهم يعرفونها غير أنهم تعجبوا من صنعه لها فى أرض لاماء بها (قوله فإنا نسخر منكم) أى أنتم محل السخرية والاستهزاء لأن من كان على أمر باطل فهو أحق بالاستهزاء والسخرية ولاحاجة لكون الكلام من باب المشاكلة (قوله موصولة) أى وعلم عرفانية تنصب مفعولا واحدا و صح أن تكون استفهامية وعلم على بابها من كونها متعدية لاثنين ويكون الثانى محذوفا (قوله عذاب) أى وهو الغرق (قوله غاية للصنع) أى فى قوله ويصنع الفلك (قوله وفار التنور) وكان من حجارة ورثه من أمه حواء والأشهر أنه كان بالكوفة على يمين الداخل مما يلى باب كندة ، والتنور مما اتفق فيه لغة العرب والعجم كالصابون (قوله للخباز) أى وهى امرأة نوح وكان فورانه وقت طلوع الفجر (قوله وكان ذلك) أى فوران التنور وغليانه (قوله علامة لنوح) أى على الطوفان وكان فى الثالث والعشرين من أبيب فى شدة القيظ (قوله من كل زوجين) المراد بالزوجين كل اثنين لايستغنى أحدهما عن الآخر كالذكر والأنثى ويقال لكل منهما زوج ، والمعنى من كل صنف زوجين ذكر وأنثى . قال الحسن : لم يحمل نوح معه إلا مايلد أو يبيض . وأما ماسوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض فلم يحمل (٢٠١) منه شيئا . وروى بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحا وقالا احملنا معك فقال إنكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالا احملنا ونحن نضمن لك أن لانضرّ أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما : سلام على نوح فى العالمين لم يضرّ (قوله وهو مفعول) أى لفظ اثنين وقوله من كل زوجين حال منه مقدم عليه (قوله أى زوجته) أى التى أسلمت لأنه كان له زوجتان إحداهما آمنت فحملها والأخرى لم تؤمن فتركها (قوله وأولاده) أى الثلاثة وزوجاتهم (قوله إلا من سبق عليه القول) أى القضاء بالغرق (قوله أى منهم) أخذ هذا التقييد من سورة المؤمنون (قوله وهو زوجته) أى التى لم تؤمن واسمها واعلة وقيل واعكة . ورد أنه قبل مجىء الطوفان بأربعين سنة أصيبوا بالعقم فلم يلدوا فى تلك المدة كى لاتصيبهم الرحمة من أجل وجود الصغار بينهم (قوله بخلاف سام) وهو أبو العرب وحام وهو أبو السودان و يافث وهو أبو الترك (قوله ثمانون) أى اثنان وسبعون من الأمة وهو وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله وقال اركبوا) خطاب لمن معه (قوله بسم الله مجريها ومرساها) حال من الواو فى اركبوا والتقدير قائلين بسم الله الخ و بسم الله خبر مقدم وقوله مجراها ومرساها مبتدأ مؤخر . روى أنه كان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست (قوله بفتح الميمين) سبق قلم إذ فتح مرساها شاذ فالصواب أن يقول بضم الميمين أو فتح الأولى مع ضم الثانية (قوله مصدران) راجع لكل من الفتح والضم (قوله أى جريها) هذا يناسب الفتح ، وأما الضم فيقال فى تفسيره أى إجراؤها و إرساؤها (قوله كالجبال) روى أن الله أرسل المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الأرض قال تعالى ـ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ـ وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا حتى أغرق كل شىء . وروى أنه لما كثر الماء فى السكك

(وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ) جماعة (مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) استهزءوا به (قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) إذا نجونا وغرقتم (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعول العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) دائم (حَتَّى) غاية للصنع (إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (وَفَارَ التَّنُّورُ) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا) فى السفينة (مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ) أى ذكر وأنثى أى من كل أنواعهما (اثْنَيْنِ) ذكرا وأنثى وهو مفعول ، وفى القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما فى السفينة (وَأَهْلَكَ) أى زوجته وأولاده (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) أى منهم بالاهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة (وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) قيل كانوا ستة رجال ونساءهم وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَقَالَ) نوح (ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا) بفتح الميمين وضمهما مصدران أى جريها ورسوها أى منتهى سيرها (إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) حيث لم يهلكنا (وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) فى الارتفاع والعظم

فخافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه لحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء إلى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فأغرقهما فلو رحم الله منهم أحدا لرحم أمّ الصبي . ولا ينافى ماتقدم من أنهم أصابهم العقم أربعين سنة لجواز أن يكون هذا الولد ابن أ كثر من أربعين (قوله ونادى نوح ابنه) أي قبل سير السفينة (قوله وكان فى معزل) الجملة حالية من ضمير ابنه وقوله يابنى الخ هذا هو المنادى به و بنىّ بثلاث ياآت الأولى ياء التصغير والثانية لام الكلمة والثالثة ياء المتكلم تحركت ياء المتكلم وانفتح ماقبلها (١) قلبت ألفا فالتقي ساكنان حذفت لالتقائهما وأدغمت إحدى الياءين فى الأخرى فيقرأ بفتح الياء وكسرها قراءتان سبعيتان ، وقوله اركب معنا بإظهار الباء و إدغامها فى الميم سبعيتان (قوله ولاتكن مع الكافرين) أى فى البعد عن الركوب معنا . إن قلت لايخلو الحال إما أن يكون هذا الولد مسلما أوكافرا فان كان مسلما فيبعده كونه فى معزل و إن كان كافرا فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره ؟ . أجيب بأنه ذكر العلماء أنه كان منافقا يظهر الاسلام ويخفى الكفر فعند مجيء الطوفان أظهر ماكان يخفيه ولامانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن و بالعكس ، وهذا الولد قيل كان من صلبه وهو الراجح ، وقيل ابن زوجته من نكاح غيره ، وقيل كان ولد خبث ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به وهذا القول غير وجيه لقول ابن عباس : مابغت امرأة نبىّ قط (قوله سآوى) أى ألتجىء (قوله إلا من رحم) عبر المفسر بلكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن مابعد إلا هو المعصوم وماقبلها هوالعاصم ولا شك أنه غيره (قوله وحال بينهما) أى بين نوح وابنه (قوله فكان من المغرقين) أى الهالكين بالماء . ورد أنه أوى إلى جبل عال فدخل فى غار منه وسدّ على نفسه من كل جهة فغرق فى بوله وغائطه (قوله وقيل ياأرض الخ) أى أمر الله الأرض بذلك ، والمراد تعلقت قدرته بزوال الماء على حد قوله تعالى: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، وهذا القول وقع يوم عاشوراء فقال

(وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) كنعان (وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) عن السفينة (يَابُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ . قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي) يمنعنى (مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) عذابه (إِلَّا) لكن (مَنْ رَحِمَ) الله فهو المعصوم ، قال تعالى (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ . وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ) الذى نبع منك فشربته دون مانزل من السماء فصار أنهاراً و بحاراً (وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي) أمسكى عن المطر فأمسكت (وَغِيضَ) نقص (الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ) تمّ أمر هلاك قوم نوح (وَاسْتَوَتْ) وقفت السفينة (عَلَى الْجُودِيِّ) جبل بالجزيرة بقرب الموصل (وَقِيلَ بُعْداً) هلاكا (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الكافرين (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ،

ونزل نوح السفينة لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة أشهر فلما نجوا صاموا جميعا حتى الطيور والوحوش يوم عاشوراء شكرا لله على النجاة ومرّت السفينة بهم بالبيت الحرام فطافت به سبع مرات وأودع الله الحجر الأسود فى جبل أبى قبيس وورد أن نوحا حمل أباه آدم معه فى السفينة (قوله فصار أنهارا و بحارا) أى فماء السماء بقى فى أماكن من الأرض أنهارا و بحارا وماء الارض ابتلعته الأرض فصار فى باطنها (قوله نقص) أى ولم يذهب بالكلية لما علمت من بقاء ماء السماء (قوله جبل بالجزيرة) هى مدينة بالعراق . روى أن الله أوحى إلى الجبال أن السفينة ترسى على واحد منها فتطاولت و بقى الجودى لم يتطاول تواضعا لله فاستوت السفينة عليه و بقيت على أعوادها ، وفى الحديث : لقد بقى منها شىء أدركه أوائل هذه الأمة . ورد أنهم لما خرجوا من السفينة بنوا قرية وسموها الثمانين لأنهم كانوا ثمانين (قوله وقيل بعدا) منصوب على المصدر بفعل مقدّر أى بعدوا بعدا فهو مصدر بمعنى الدعاء عليهم (قوله للقوم الظالمين) أى فهلكوا جميعا حتى البهائم والطيور والأطفال على القول بأنهم لم يعقموا ولايسئل عما يفعل ، وهذا الغرق عقوبة للمكلفين لالغيرهم . قال بعضهم : هذه الآية أبلغ آية فى القرآن لاحتوائها على أحد وعشرين نوعا من أنواع البديع والحال أن كلماتها تسعة عشر وخوطبت الأرض أولا بالبلع لأن الماء نبع منها أولا قبل أن تمطر السماء (قوله ونادى نوح ربه) أى قبل سير السفينة .

---

(١) قوله وانفتح ماقبلها أى بحسب الآن وقوله فالتقى ساكنان أى بحسب الأصل إذ أصله بنيو بسكون الواو لأن الكلمات قبل دخول العوامل موقوفة ومثل هذا كثير فى كلام الصرفيين اه .

(قوله فقال) هذا تفصيل للنداء (قوله وقد وعدتنى بنجاتهم) أى المدلول عليها بقوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك (قوله الناجين أو من أهل دينك) أشار المفسر إلى أن الكلام إما على حذف الصفة أو على حذف المضاف (قوله أى سؤالك) أشار بذلك إلى أن الضمير فى إنه عائد على نوح على حذف مضاف والمعنى قال الله له يانوح إن سؤالك عمل غير صالح أى غير مقبول لأن الله لايقبل الشفاعة إلا فى المسلمين فسؤالك خطأ ، وذلك نظير استغفار إبراهيم لأبيه وهذا غير قادح فى منصب النبوّة لأن نوحا كان يظن إسلام ولده لأنه كان يظهره ، ومن المعلوم أن الرسل يحكمون بالظاهر ، وقيل إن الضمير عائد على الولد ويقال فى الإخبار عنه بعمل ماقيل فى زيد عدل وهو الراجح (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ونصب غير) أى على المفعولية لعمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فعلى التخفيف تسكن اللام وعلى التشديد تفتح اللام ، وفى قراءة التخفيف وجهان حذف الياء وإثباتها وفى قراءة التشديد ثلاث فتح النون مع حذف الياء لاغير وكسر النون مع حذف الياء وإثباتها وكل هذا فى حال الوصل ، وأما عند الوقف فلا تثبت أصلا (قوله ماليس لك به علم) أى ما لاتعلم أنه صواب أم لا (قوله إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) هذا العتاب فيه رفق وتلطف والمعنى كأن الله يقول له إن مقامك عظيم فشأنك أن لاتسأل ولا تشفع إلا فيمن يرجى فيه النجاة وأما فيمن نجها. قبول الشفاعة فيه فلا يليق منك أن تقدم على السؤال فيه (قوله إنى أعوذ بك) أى أتحصن بك (قوله أن أسألك) أى بعد

ذلك (قوله مافرط منى) أى تقدم

(فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي) كنعان (مِنْ أَهْلِي) وقد وعدتنى بنجاتهم (وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) الذى لاخلف فيه (وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) أعلمهم وأعدلهم (قَالَ) تعالى (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) الناجين ، أو من أهل دينك (إِنَّهُ) أى سؤالك إياى بنجاته (عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) فإنه كافر ولا نجاة للكافرين وفى قراءة بكسر ميم عمل فعل ونصب غير فالضمير لابنه (فَلَا تَسْأَلْنِ) بالتخفيف والتشديد (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) من إنجاء ابنك (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) بسؤالك ما لم تعلم (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ) من (أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي) ما فرط منى (وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ . قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ) انزل من السفينة (بِسَلَامٍ) بسلامة أو بتحية (مِنَّا وَبَرَكَاتٍ) وخيرات (عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ) فى السفينة أى من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون (وَأُمَمٌ) بالرفع ممن معك (سَنُمَتِّعُهُمْ) فى الدنيا (ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة وهم الكفار ،

وسلف وهو الاقدام على سؤال ماليس لى به علم وهذا لا يقتضى صدور ذنب من نوح إذ هو معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها لأن الله وعد نوحا عليه السلام بأن ينجيه وأهله فأخذ نوح بظاهر اللفظ واتبع التأويل حيث ظن أن ولده من جملة أهله الناجين فلما عاتبه ربه رجع على نفسه باللوم والندم عما وقع منه وسأله المغفرة والرحمة وذلك كما وقع لآدم فى الأكل من الشجرة وليست هذه ذنوبا بل هى من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله قيل يانوح اهبط بسلام) أى سلامة وأمن ودخل فى هذا السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وكافرة إلى يوم القيامة (قوله انزل من السفينة) ورد أنه لما نزل منها أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض فقال له الدجاج أنا فأخذه وختم على جناحه وقال لها أنت مختومة بخاتمى لاتطيرى أبدا تنتفع بك أمتى فبعث الغراب فأصاب جيفة فوقع عليها فاحتبس فلعنه ودعا عليه بالخوف فلذلك يقتل فى الحل والحرم ولا يألف البيوت وبعث الحمامة فلم تجد قرارا فوقفت على شجرة بأرض سبأ فحملت ورقة زيتون ورجعت إلى نوح فعلم أنها لم تتمكن من الأرض ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقفت بوادى الحرم فإذا الماء قد ذهب من موضع الكعبة وكانت طينتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءت إلى نوح فقالت بشراى منك أن تهب لى الطوق فى عنقى والخضاب فى رجلى وأن أسكن الحرم فمسح يده على عنقها وطوقها ووهب لها الحمرة فى رجليها ودعا لها ولذريتها بالبركة (قوله أى من أولادهم الخ) أشار بذلك إلى أن من تبعيضية والكلام على حذف مضاف والمعنى وعلى أمم من ذرية من معك (قوله وأمم سنمتعهم) يقال فيه ماقيل فيما قبله أى وأمم من ذرية من معك سنمتعهم الخ ، والمعنى أن ذرية الأمم الذين معه بعضها مؤمن فعليه السلام وبعضها كافر فيمتع فى الدنيا ثم يمسه العذاب الأليم فى الآخرة ، والذرية المذكورة لم تكن إلا من أولاده الثلاثة كما تقدم فهو الأب الثانى للخلق بعد آدم .

(قوله تلك) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أخبار (قوله ما كنت تعلمها) أى تفصيلا (قوله فاصبر) هذا هو المقصود من ذكر تلك القصة أى فتسل ولا تحزن على عدم إيمان المشركين ولا تنزعج من أذاهم (قوله وإلى عاد) الجملة معطوفة على جملة ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه عطف قصة على قصة وأخر هودا لأنه متأخر عن نوح فى الزمن إذ هو من أولاد سام بن نوح و بين هود ونوح ثمانمائة سنة وعاد اسم قبيلة تنسب إلى أبيها عاد من ذرية سام بن نوح وهود ينسب له لأنه من تلك القبيلة لأن عاد ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد وعاش هود أربعمائة سنة وأربعا وستين سنة (قوله وحده) أى وسمى التوحيد عبادة لأنه أساسها ورأسها (قوله مالكم من إله غيره) ما نافية ولكم خبر مقدم و إله مبتدأ مؤخر وغيره صفته ومن زائدة كما قال المفسر (قوله كاذبون على الله) أى حيث ادعيتم أن لله شركاء وعبدتموهم (قوله لا أسألكم عليه أجرا) أى ليس مقصدى من تبليغ التوحيد والأحكام لكم أنكم تعطونى أجرا على ذلك من مال أوغيره والمقصود من ذلك الخطاب إراحة

(٢٠٤)

قلوبهم والتلطف بهم عسى أن يقبلوا ما جاءبه بقلب سليم وعبرهنا بأجرا وفى قصة نوح بمالا تفننا (قوله إن أجرى إلا على الذى فطرنى) أى لأنه هو المعطى المانع الضار النافع المقدم المؤخر فلا أطلب من غيره (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم وعميتم فلا تعقلون (قوله استغفروا ربكم) أى من كل ذنب مضى وقوله : وتوبوا إليه أى أقلعوا واعزموا على عدم الرجوع فى المستقبل (قوله وكانوا قد منعوه) أى ثلاث سنين (قوله مدرارا) حال من السماء أى كثيرة النزول والتتابع

(تِلْكَ) أى هذه الآيات المتضمنة قصة نوح (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) أخبار ما غاب عنك (نُوحِيهَا إِلَيْكَ) يا محمد (مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا) القرآن (فَاصْبِرْ) على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح (إِنَّ الْعَاقِبَةَ) المحمودة (لِلْمُتَّقِينَ . وَ) أرسلنا (إِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ) من القبيلة (هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَا لَكُمْ مِنْ) زائدة (إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ) ما (أَنْتُمْ) فى عبادتكم الأوثان (إِلَّا مُفْتَرُونَ) كاذبون على الله (يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على التوحيد (أَجْرًا إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي) خلقنى (أَفَلَا تَعْقِلُونَ . وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (ثُمَّ تُوبُوا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (يُرْسِلِ السَّمَاءَ) المطر وكانوا قد منعوه (عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) كثير الدرور (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى) مع (قُوَّتِكُمْ) بالمال والولد (وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ) مشركين (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) برهان على قولك (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ) أى لقولك (وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . إِنْ) ما (نَقُولُ) فى شأنك (إِلَّا اعْتَرَاكَ) أصابك (بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) فخبلك لسبك إياها فأنت تهذى (قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ) علىّ (وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ) ـه به (مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي) احتالوا فى هلاكى (جَمِيعًا) أنتم وأوثانكم (ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ) تمهلون (إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ) ربى

(قوله كثير الدرور) أى فيقال درّ يدرّ درّا ودرورا فهو مدرار (قوله بالمال والولد) أى وكانت قد عقمت نساؤهم ثلاثين سنة لم تلد (قوله قالوا ياهود) أى استهزاء وعنادا (قوله ببينة) أى معجزة وكانت معجزته التى قامت بها الحجة عليهم ما يأتى فى قوله فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون فعصمته منهم هى معجزته وكذا معجزة نوح التى قامت بها الحجة عليهم هى قوله: فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة الآية، وأما الريح والطوفان و إن كان كل معجزة فيهما هلاكهم لا لإقامة الحجة عليهم (قوله برهان) أى دليل واضح على صحته (قوله أى لقولك) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى لام التعليل (قوله إن نقول) أى فى شأنك (قوله فخبلك) أى أفسد عقلك (قوله لسبك) علة لقوله فخبلك (قوله فأنت تهذى) أى تتكلم بالهذيان وهو الكلام الساقط الذى لامعنى له (قوله أنى برىء مما تشركون) أى أنا بعيد ومتبرىء من جميع ما تشركونه مع الله (قوله فكيدونى) باثبات الياء وصلا ووقفا هنا لجميع القراء والتى فى المرسلات بحذفها لجميعهم، وأما التى فى الأعراف فمن ياآت الزوائد فتحذف وقفا و يجوز حذفها واثباتها فى الوصل (قوله ثم لاتنظرون) أى لاتؤخرون حتى آتى بشىء يحفظنى من قراءة أو سلاح أوغير ذلك وهذا من شدة وثوقه بربه واعتماده عليه (قوله انى توكلت)

أى فوضت أمورى إليه واعتمدت عليه (قوله ربى وربكم) هذا تبكيت عليهم (قوله فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه) أى وأنتم من جملة الدواب فليس لكم تأثير فى شىء أصلا (قوله فإن تولوا) شرط حذف جوابه لدلالة قوله فقد أبلغتكم الخ عليه والتقدير فلا عذر لكم ولا مؤاخذة على فقد أبلغتكم الخ (قوله ويستخلف ربى الخ) هذا وعيد شديد مترتب على إعراضهم ، والمعنى فإن تعرضوا عن الايمان فلا مؤاخذة على بل يقبلنى ربى ويهلككم ويستخلف غيركم ولا تضرونه شيئا بإعراضكم بل ما ضر إلا أنفسكم (قوله إن ربى على كل شىء حفيظ) أى فلا تخفى عليه أحوالكم بل يجازى كل أحد بعمله (قوله عذابنا) أى وهو الريح الصرصر المذكور فى قوله تعالى : سخرها عليهم سبع ليال الآية فأصابهم صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال وكان يدخل فى أنف الواحد ويخرج من دبره فيرفعه فى الجو فيسقط على الأرض فتتقطع أعضاؤه وقد تقدم بسطها فى الأعراف (قوله والذين آمنوا معه) أى وكانوا أربعة آلاف (قوله وتلك عاد) مبتدأ وخبر على حذف مضاف **(٢٠٥)** كما أشار له المفسر أى آثار عاد

رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ) زائدة (دَابَّةٍ) نسمة تدب على الأرض (إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) أى مالكها وقاهرها فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه وخص الناصية بالذكر لأن من أخذ بناصيته يكون فى غاية الذل (إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أى طريق الحق والعدل (فَإِنْ تَوَلَّوْا) فيه حذف إحدى التاءين ، أى تعرضوا (فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا) بإشراككم (إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) رقيب (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) عذابنا (نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ) هداية (مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد (وَتِلْكَ عَادٌ) إشارة إلى آثارهم أى فسيحوا فى الأرض وانظروا إليها ثم وصف أحوالهم فقال (جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ) جمع لأن من عصى رسولا عصى جميع الرسل لاشتراكهم فى أصل ما جاءوا به وهو التوحيد (وَاتَّبَعُوا) أى السفلة (أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) معاند للحق من رؤسائهم (وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) من الناس (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) لعنة على رؤوس الخلائق (أَلاَ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا) جحدوا (رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا) من رحمة الله (لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ . وَ) أرسلنا (إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ) ابتدأ خلقكم (مِنَ الأَرْضِ) بخلق أبيكم آدم منها (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) جعلكم عمارا تسكنون بها (فَاسْتَغْفِرُوهُ) من الشرك (ثُمَّ تُوبُوا) ارجعوا (إِلَيْهِ) بالطاعة (إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ) من خلقه ،

(قوله فى الأرض) أى أرضهم (قوله وانظروا إليها) أى لتعتبروا وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وأمته ولكن المراد الأمة (قوله لأن من عصى رسولا الخ) جواب عما يقال لم جمع الرسل مع أنهم عصوا رسولا واحدا وهو هود (قوله عنيد) أى معاند متجاوز فى الظلم (قوله لعنة) أى طردا وبعدا (قوله ويوم القيامة لعنة) أى طردا عن رحمة الله وهى الجنة وما فيها لاتصافهم بالشقاوة الدائمة الموجبة للخلود فى النار (قوله ألا إن عادا كفروا ربهم) هذا بيان سبب استحقاقهم للعنتين

(قوله ألا بعدا لعاد) هذا هو معنى قوله : وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة وذكر تأكيدا وإشارة إلى أنهم مستحقون لذلك (قوله قوم هود) بدل من عاد واحترز به عن عاد الثانية المساة بثمود وهى قوم صالح الآتية قصتهم بعد (قوله وإلى ثمود) عطف على قوله ولقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة وقدر المفسر أرسلنا إشارة إلى أن قوله أرسلنا الأول مسلط عليه فهو من عطف الجمل وثمود هنا بمنع الصرف باتفاق القراء العشرة وقرئ شاذا بالصرف بخلاف ما يأتى فى قوله ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود فبالصرف وعدمه قراءتان سبعيتان وثمود اسم أبى القبيلة سميت باسمه لشهرته وبين صالح وبينه خمسة أجداد وبين صالح وهود مائة سنة وعاش صالح مائة سنة وثمانين سنة (قوله هو أنشأكم) هذا دليل على كونه هو المستحق للعبادة دون غيره (قوله من الأرض) أى مباشرة أو بواسطة فالأول خلق أبينا آدم منها والثانى خلق مواد النطف التى منها النوع الانسانى (قوله جعلكم عمارا تسكنون بها) أى خلفاء فى الأرض ويصح أن يكون المعنى جعلكم معمرين لها بعد أن خربت (قوله فاستغفروه) أى من الذنوب التى مضت (قوله ثم توبوا إليه) أى أقلعوا عن الذنوب فى المستقبل

بعلمه (مُجِيبٌ) لمن سأله (قَالُوا يَاصَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا) نرجو أن تكون سيدا (قَبْلَ هٰذَا) الذى صدر منك (أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَايَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الأوثان (وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ) من التوحيد (مُرِيبٍ) موقع فى الريب (قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ) بيان (مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً) نبوة (فَمَنْ يَنْصُرُنِي) يمنعنى (مِنَ اللّٰهِ) أى عذابه (إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي) بأمركم لى بذلك (غَيْرَ تَخْسِيرٍ) تضليل (وَيَاقَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً) حال عاملها الاشارة (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّٰهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ) عقر (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) إن عقرتموها (فَعَقَرُوهَا) عقرها قدار بأمرهم (فَقَالَ) صالح (تَمَتَّعُوا) عيشوا (فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) ثم تهلكون (ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) فيه (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) باهلاكهم (نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ) وهم أربعة آلاف (بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ) نجيناهم (مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ) بكسر الميم إعرابا وفتحها بناء لإضافته إلى مبنى وهو الأكثر (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) الغالب (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (كَأَنْ) مخففة واسمها محذوف أى كأنهم (لَمْ يَغْنَوْا) يقيموا (فِيهَا) فى دارهم (أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ)،

(قوله بعلمه) أى فالمراد قرب مكانة ورفعة والمعنى أن الله قريب من خلقه قربا معنويا منزها عن الاحاطة والجهة فهو أقرب من نور العين لها ومن سمع الأذن لها ومن لمس الجسم له ومن شم الأنف له سبحانه وتعالى (قوله مجيب) أى فلا يخيب سائلا (قوله نرجو أن تكون سيدا) أى لأنه كان يعين ضعيفهم ويعطى فقيرهم وكانوا يرجعون إليه فى الأمور قبل تلك المقالة فلما حصلت قالوا قد انقطع رجاؤنا فيك (قوله الذى صدر منك) أى وهو نهيهم عن عبادة الأوثان (قوله أتنهانا أن نعبد) أى أتنهانا عن عبادة الذى كان يعبده آباؤنا وقوله من الأوثان بيان لما (قوله وإننا) هذا هو الأصل ويصح وإنا بنون واحدة مشددة ولذا قرئ به فى سورة إبراهيم (قوله مريب) وصف لشك والاسناد مجازى وحق الاسناد لصاحبه (قوله موقع فى الريب) أى الدائم (قوله أرأيتم) أى أخبرونى (قوله إن كنت على بينة) أتى بإن مشاكلة لاعتقادهم فيه ومسايرة لخطابهم (قوله بيان) أى برهان وحجة واضحة (قوله أى عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن عصيته) أى على فرض وقوع المعصية منى وإلا فهى مستحيلة عليه كبيرها وصغيرها قبل النبوة وبعدها (قوله بأمركم لى بذلك) أى بعصيانه وموافقتكم (قوله تضليل) أى لى إن اتبعتكم والمعنى أخبرونى إن كنت على بينة ونبوة من ربى فلا أحد يمنعنى من عذاب الله إن اتبعتكم وعصيته وحينئذ أكون خاسرا مضيعا لما أعطانى الله من الحق وهل رأيتم نبيا صار كافرا وكل هذا تنزل منه لهم (قوله هذه ناقة الله) أى وقد طلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة عينوها حيث قالوا أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة وبراء عشراء فدعا الله فتمخضت الصخرة كما تتمخض النساء عند الولادة فخرجت منها ناقة كما وصفوا فولدت الناقة فى الحال فصيلا قدرها فى الجثة يشبهها وأضيفت الناقة لله تشريفا أى لا اختصاص ألا لأحد بها (قوله تأكل فى أرض الله) أى من العشب والنبات وفى الكلام اكتفاء أى وتشرب من ماء الله على حد سرابيل تقيكم الحر أى والبرد (قوله قريب) أى عاجل لا يتأخر عنهم إلا ثلاثة أيام (قوله عقرها قدار) أى ابن سالف حيث ضربها فى رجليها فذبحوها واقتسموا لحمها، وقدار هذا من أشقى الأشقياء (قوله فى داركم) أى أرضكم (قوله ثلاثة أيام) والحكمة فى ذلك بقاء الفصيل ينوح على أمه ثلاثة أيام ثم فتحت له الصخرة ودخل فيها قالوا وما العلامة قال تصبحون فى اليوم الأول وجوهكم مصفرة وفى اليوم الثانى وجوهكم محمرة وفى اليوم الثالث وجوهكم مسودة (قوله غير مكذوب فيه) أشار المفسر بتقدير فيه إلى أنه من باب الحذف والايصال (قوله برحمة منا) أى وهى الايمان (قوله ومن خزى يومئذ) أى يوم إهلاكهم بالصيحة (قوله لاضافته إلى مبنى) أى فهى من أسباب البناء (قوله وهو الأكثر) أى عربية وأما فى القراءة فمستويان (قوله وأخذ الذين ظلموا) حذفت تاء التأنيث من الفعل إما لكون المؤنث مجازيا كما يقال طلع الشمس أو للفصل بالمفعول كأتى القاضى بنت الواقف (قوله الصيحة) أى مع الزلزلة فتقطعت قلوبهم والمراد صيحة جبريل عليهم من السماء فسمعوا فيها صوت كل شئ فماتوا جميعا.

أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ) بالصرف وتركه على معنى الحي والقبيلة (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) باسحاق و يعقوب بعده (قَالُوا سَلَامًا) مصدر (قَالَ سَلَامٌ) عليكم (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) مشوى (فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) بمعنى أنكرهم (وَأَوْجَسَ) أضمر فى نفسه (مِنْهُمْ خِيفَةً) خوفا (قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ) لنهلكهم (وَامْرَأَتُهُ) أى امرأة إبراهيم سارة (قَائِمَةٌ) تخدمهم (فَضَحِكَتْ) استبشارا بهلاكهم (فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ) بعد (إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ) ولده تعيش إلى أن تراه (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى) كلمة تقال

(قوله ألا بعدا) أى طردا دائما عن رحمة الله فقد نزعوا من دائرة الحلم والرحمة (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على معنى الحى) راجع للصرف وقوله والقبيلة راجع لتركه فهو لف ونشر مرتب وقد تقدم بسط تلك القصة فى الأعراف (قوله ولقد جاءت رسلنا) أتى هنا بقصة إبراهيم توطئة لقصة لوط لا استقلالا لأن الهلاك هنا لم يكن لقوم إبراهيم ولذا غاير الأسلوب فلم يقل وأرسلنا إبراهيم إلى قومه مثلا ورسلنا بضم السين واسكانها قراءتان سبعيتان فى جميع القرآن متى أضيفت رسل للضمير فان أضيفت للظاهر قرىء بضم السين لاغير . واختلف فى عدة الرسل الذين جاءوه فعن ابن عباس ثلاثة جبريل وميكائيل و إسرافيل وقيل تسعة وقيل اثنا عشر وقيل غير ذلك وعاش إبراهيم من العمر مائة وخمسا وسبعين سنة و بينه و بين نوح ألفا سنة وستمائة وأر بعون سنة وابنه إسحق عاش مائة وثمانين سنة ويعقوب بن إسحق عاش مائة وسبعا وأر بعين سنة (قوله بالبشرى) هى الخبر السار سميت بذلك لانبساط البشرة عند حصولها (قوله باسحاق و يعقوب بعده) أفاد المفسر أن المراد بالبشرى هنا هى ما يأتى فى قوله فبشرناها باسحاق الخ ويحتمل أن المراد بقوله هنا بالبشرى ماهو أعم من ذلك فيشمل بشراه بنجاة لوط وهلاك الكافرين وغير ذلك (قوله قالوا سلاما) هذه تحيتهم الواقعة منهم وهو منصوب بفعله المحذوف والتقدير سلمنا عليك سلاما (قوله مصدر) أى نائب عن لفظ الفعل (قوله قال سلام) إنما أتى إبراهيم بالجملة الاسمية فى الرد لتفيد الدوام والثبوت فيكون الرد أحسن من الابتداء لأن الجملة الاسمية أشرف من الفعلية وقوله عليكم قدره المفسر إشارة إلى أن سلام مبتدأ والخبر محذوف والمسوغ للابتداء بالنكرة التعظيم على حد شر أهرذا ناب أوالدعاء (قوله فما لبث أن جاء بعجل) مانافية ولبث فعل ماض وأن جاء فى تأويل مصدر فاعل والمعنى لم يتأخر مجيئه بعجل حنيذ (قوله مشوى) أى على الحجارة المحماة فى حفرة فى الأرض وهو من فعل أهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك كما فى آية الذاريات وكان عامة مال إبراهيم البقر (قوله فلما رأى أيديهم) هذا مرتب على محذوف كما فى الآية الأخرى : فقربه إليهم فقال ألا تأكلون فلما رأى الخ فى بعض الروايات قالوا لا نأكل طعاما إلا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل قال وحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا (قوله خوفا) أى من أجل امتناعهم من طعامه فخاف منهم الخيانة على عادة الخائن أنه لا يأكل طعام من أراد خيانته إن قلت كيف يخاف إبراهيم منهم مع كونه خليل الرحمن وهم محصورون فى بيته . أجيب بأن خوفه لما رأى فيهم من جلال الله وهيبته فخوفه من ربه لا من ذواتهم (قوله قالوا لا تخف) أى جوابا لقوله لهم كما فى سورة الحجر : انا منكم وجلون (قوله إلى قوم لوط) أى وهو ابن أخى إبراهيم الخليل وهو أول من آمن به وأبوه هاران أخو إبراهيم (وقوله لنهلكهم) أخذ هذا القدر من قوله فى سورة الذاريات لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة الخ (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد وهى بنت عمه (قوله تخدمهم) أى على عادة نساء العرب لا يتحاشون خدمة الضيوف (قوله فضحكت) فى سبب ذلك الضحك أقوال : قيل للبشرى بهلاك قوم لوط كما قال المفسر ، وقيل من خوف إبراهيم وهو فى خدمه وحشمه ، وقيل سرورا بالولد ، وقيل تعجبا من إتيان الولد على كبر ، وقيل لموافقة مجىء الملائكة بهلاك قوم لوط لما قالته لابراهيم فانها قالت له قبل مجىء الملائكة اضمم إليك ابن أخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه وقيل غير ذلك (قوله فبشرناها) إنما نسبت البشارة لها دونه لأنها كانت أشوق منه إلى الولد لأنه لم يأتها ولد قط بخلافه هو فقد أتاه إسماعيل قبل اسحاق بثلاث عشرة سنة (قوله باسحق) ولد بعد البشارة بسنة فاسماعيل أسن منه بأربع عشرة سنة (قوله يعقوب) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان (قوله كلمة تقال) أى على سبيل التعجب من مخالفة العادة لا من قدرة الله فان ذلك كفر حاشاها منه .

(قوله عند أمر عظيم) أى خيرا كان أو شرا ولكن المراد هنا الخير (قوله والألف مبدلة من ياء الاضافة) أى فيقال فى إعرابها و يا ويلتى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا منع من ظهورها اشتغال المحل بالفتحة النائبة عن الكسرة لمناسبة الألف وويل مضاف والألف مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر وترسم بالياء وتقرأ بالألف والامالة (قوله وهذا بعلى) سمى الزوج بذلك لأن البعل هو المستعلى على غيره ولاشك أن الزوج مستعل على المرأة قائم بأمورها (قوله رحمت الله وبركاته) هذا دعاء من الملائكة لهم (قوله أهل البيت) أشار المفسر بتقديريا إلى أن أهل البيت منصوب على النداء ويصح أن يكون منصوبا على الاختصاص (قوله حميد) أى كثير الحمد (قوله مجيد) أى عظيم شريف (قوله فلما ذهب) جوابها محذوف قدره المفسر بقوله أخذ (قوله وجاءته البشرى) أى بعد الروع (قوله يجادل رسلنا) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن إبراهيم لحليم) أى فالحامل له على المجادلة حلمه ورقة قلبه فغرضه تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما

عليه من القبائح (قوله كثير الأناة) أى التأنى فى الأمور وعدم العجلة

عند أمر عظيم والألف مبدلة من ياء الاضافة (ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) لى تسع وتسعون سنة (وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا) له مائة أو وعشرون سنة ونصبه على الحال والعامل فيه مافى ذا من الاشارة (إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ) أن يولد ولد لهرمين (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قدرته (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ) يا (أَهْلَ الْبَيْتِ) بيت إبراهيم (إِنَّهُ حَمِيدٌ) محمود (مَجِيدٌ) كريم (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ) الخوف (وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ) بالولد أخذ (يُجَادِلُنَا) يجادل رسلنا (فِي) شأن (قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ) كثير الأناة (أَوَّاهٌ مُنِيبٌ) رجاع فقال لهم أتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً قالوا لا، قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا؟ قالوا لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا. قال: إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها الخ، فلما أطال مجادلتهم قالوا (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا) الجدال (إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) بهلاكهم (وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ. وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) حزن بسببهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدرا لأنهم حسان الوجوه فى صورة أضياف فخاف عليهم قومه (وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) شديد (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ)

(قوله أواه) فى تفسيره أقوال كثيرة تقدم بعضها فى سورة براءة (قوله فقال لهم) هذه صورة المجادلة والحاصل أنه سألهم خمسة أسئلة وأجابوه عنها (قوله إلى آخره) أى إلى آخر مافى سورة العنكبوت (قوله أمر ربك) أى قضاؤه وحكمه (قوله غير مردود) أى غير مصروف عنهم فانه قضاء مبرم لامحيص عنه (قوله ولما جاءت رسلنا) أى الملائكة الذين كانوا عند إبراهيم، والمعنى أنهم لما ارتحلوا من عند إبراهيم حتى أتوا قرية لوط وتسمى سدوم بلد بحمص وبينها وبين الخليل أربعة فراسخ نصف النهار فوجدوا لوطا يعمل فى أرض له، وقيل كان يحتطب وقد قال الله للملائكة لاتهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى بهم ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله إنها لشر قرية فى الأرض عملا قال ذلك أربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله، وقيل إنه مر مع الملائكة على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط إن قومى شر خلق الله فقال جبريل هذه واحدة فمر على جماعة أخرى فتغامزوا فقال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك فقال لوط مثل ماقال أولا حتى قال ذلك أربع مرات وكلما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا، وقيل إن الملائكة جاءوا إلى بيت لوط فوجدوه فى داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم إلا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فأخبرت قومها وقالت إن فى بيت لوط رجالا مارأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (قوله وضاق بهم ذرعا) الأصل فيه أن البعير يذرع بيديه فى سيره ذرعا على قدر سعة خطوته فاذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعه فأطلق الذرع وأريد منه الصدر فالمراد ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه (قوله فخاف عليهم قومه) منصوب بنزع الخافض أى من قومه (قوله عصيب) مأخوذ من العصب وهو الشدة ومنه العصابة التى يشد بها الرأس

(قوله علموا بهم) أى إما لأنهم رأوهم مع لوط فى الطريق أو أعلمتهم زوجته (قوله يهرعون) أى يسوق بعضهم بعضا (قوله كانوا يعملون السيئات) أى فلا حياء عندهم منها لاعتيادهم لها (قوله قال ياقوم) هذا الخطاب وقع من لوط وهم خارج الباب (قوله هؤلاء بناتى فتزوجوهن) أى وكان فى شرعه يجوز تزوج الكافر بالمسلمة . وقيل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام . وقيل قال ذلك لتخليص أضيافه لا لإباحة تزويجهم بهن لعلهم إذا رأوه قد فدى أضيافه ببناته ينزجروا و يرتدعوا و يتركوا هذا الأمر . وقيل المراد ببناته نساء قومه وأضافهن إليه لأن كل نبى لقومه كالأب لأولاده فى الشفقة واللطف بهم (قوله هن أطهر لكم) إن قلت إن تلك الفعلة لاطهارة فيها . أجيب بأن أفعل التفضيل ليس على بابه نظير قوله تعالى - أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم - (قوله تفضحون) أى تعيبونى (قوله فى ضيفى) أى فى شأنه (قوله أليس منكم) استفهام توبيخ (قوله قال لو أن لى بكم قوة) أى لو ثبت أن لى بكم قوة أو أنى آوى وجواب لو محذوف قدره المفسر بقوله لبطشت بكم و إنما قال ذلك لأنه لم يكن من قومه نسبا بل كان غريبا فيهم لأنه كان أولا بالعراق مع إبراهيم ببابل (٢٠٩) فهاجر إلى الشام بأمر من

لما علموا بهم (يُهْرَعُونَ) يسرعون (إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ) قبل مجيئهم (كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) وهى إتيان الرجال فى الأدبار (قَالَ) لوط (يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي) فتزوجوهن (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ) تفضحون (فِي ضَيْفِي) أضيافى (أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ) يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) حاجة (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) من إتيان الرجال (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً) طاقة (أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) عشيرة تنصرنى لبطشت بكم ، فلما رأت الملائكة ذلك (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ) بسوء (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ) طائفة (مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم (إِلَّا امْرَأَتُكَ) بالرفع بدل من أحد ، وفى قراءة بالنصب استثناء من أهل أى فلا تسر بها (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) فقيل لم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها ، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) فقال أريد أعجل من ذلك ، قالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ . فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (جَعَلْنَا عَالِيَهَا) أى قراهم (سَافِلَهَا) أى بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) طين طبخ بالنار (مَنْضُودٍ) متتابع (مُسَوَّمَةً) معلمة ،

الله فنزل إبراهيم بأرض فلسطين ونزل لوط بالأردن فأرسله إلى أهل سدوم فمن ذلك الوقت لم يرسل الله رسولا إلا من قومه (قوله قالوا يالوط إنا رسل ربك) أى فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب ودخلوا فاستأذن جبريل ربه فى عقوبتهم فأذن له فتحول إلى صورته التى يكون فيها ونشر جناحيه فضرب بهما وجوههم فأعماهم وطمس أعينهم حتى ساوت وجوههم فصاروا لايعرفون الطريق فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة فى بيت لوط سحرة قد سحرونا يالوط سترى منا غدا ماترى (قوله فأسر) بقطع الهمزة ووصلها وفعله أسرى وسرى ، وهما قراءتان سبعيتان (قوله بأهلك) أى وهم بنتاه فخرجوا وطوى الله لهم الأرض حتى وصلوا إلى إبراهيم فى وقته (قوله بقطع) الباء للمصاحبة ، والمعنى نصف الليل (قوله ولايلتفت منكم) خطاب له ولبنتيه (قوله بالرفع) بدل من أحد أى والمعنى ولايلتفت منكم أحد إلا امرأتك فانها تلتفت (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فقيل لم يخرج بها) راجع لقراءة الرفع (قيل خرجت والتفتت) راجع لقراءة النصب (قوله بأن رفعها جبريل إلى السماء) أى بأن أدخل جناحيه تحتها وهى خمس مدائن أكبرها سدوم وهى المؤتفكات المذكورة فى سورة براءة ويقال كان فيها أربعة آلاف ألف فرفع جبريل المدن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ولم ينكب لهم إناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها (قوله وأمطرنا عليها) أى على أهلها الخارجين عنها فى الأسفار وغيرها . وقيل على القرى بعد قلبها فمن جملة ماوقع أن رجلا منهم كان فى الحرم فجاءه حجر ووقف فى الهواء أربعين يوما ينتظر ذلك الرجل حتى خرج من الحرم فسقط عليه فقتله (قوله متتابع) أى فى النزول

(قوله عليها اسم من يرمى بها) أى مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذى يرمى به (قوله الحجارة أو بلادهم) هذان تفسيران فى مرجع الضمير . قيل يعود على الحجارة لأنها أقرب مذكور وقيل يعود على القرى المهلكة وعلى الأول فهو وعيد عظيم لكل ظالم من هذه الأمة فنى الحديث « سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عن المراد بالظالمين ، فقال له جبريل يعنى ظالمى أمتك مامن ظالم منهم إلاوهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة (قوله ببعيد) أى بمكان بعيد بل بمكان قريب يمرون عليها فى أسفارهم (قوله و إلى مدين) معطوف على قوله ولقد أرسلنا نوحا عطف قصة على قصة ومدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم مدين بن إبراهيم ويسمى شعيب خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه (قوله أخاهم شعيبا) أى فى النسب لا الدين لأنه ابن ميكائيل ابن يشجر بن مدين بن إبراهيم (قوله اعبدوا الله) أمرهم بالتوحيد أولا لأنه أهم الأشياء وأصلها وغيره فرع فاذا صلح الأصل صلح الفرع (قوله ولاتنقصوا المكيال والميزان) نقص يتعدى لمفعولين فالمفعول الأول قوله المكيال والميزان والمفعول الثانى محذوف تقديره شيئا ، والمعنى لاتنقصوهما شيئا أصلا عند الأخذ ولا عند الدفع فنقصهما عند الدفع ظاهر ونقصهما عند الأخذ بأن تزيد على حقه فى المبيع وهو فى الحقيقة نقص من الثمن قال تعالى - ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون - (قوله إنى أراكم بخير) أى فاقنعوا بما أعطاكم الله ولا تطففوا الكيل والميزان (قوله ووصف اليوم به) أى بقوله محيط (قوله مجاز) أى عقلى فى الاسناد للزمان (قوله ولا تبخسوا) كرر ذلك ثلاث مرات أولها قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان . وثانيها قوله ويا قوم أوفوا المكيال والميزان . وثالثها قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم تأكيدا لكونهم مصرين على ذلك العمل القبيح منهمكين فيه (قوله أشياءهم) أى أموالهم ودخل فى ذلك من يسوم السلع و ينقص قيمتها وهو مشهور تقتدى به الناس فالواجب إعطاء كل سلعة قيمتها و إعطاء كل ذى حق حقه وحينئذ فهو عطف عام على خاص (قوله ولاتعثوا فى الأرض مفسدين) هذا أعم مما قبله ، والمعنى لاتكونوا من المفسدين فى الأرض بالمعاصى بل كونوا مصلحين لدينكم ودنياكم (قوله بقيت الله) ترسم بالتاء المجرورة وعند الوقف عليها للاضطرار يجوز بالتاء المجرورة أو المربوطة وليس فى القرآن غيرها (قوله خير لكم) أى لوجود البركة فيه (قوله إن كنتم مؤمنين) أى مصدقين بما أمرتكم به ونهيتكم عنه وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه : أى فارضوا بما قسم الله لكم من الحلال (قوله وما أنا عليكم بحفيظ) أى حافظ لكم من القبائح ولا حافظ عليكم النعم إنما أنا مبلغ لكم الأحكام (قوله ياشعيب) خاطبوه باسمه من غير اقتران بالتعظيم لقباحتهم وسوء فعالهم (قوله أصلواتك تأمرك) أى وكان كثير الصلاة . وقيل المراد بها الدين وخصت بالذكر لأنها أعظم الشعائر (قوله بتكليف) قدره دفعا لما يقال إن الترك من وصفهم وفعلهم لا فعل شعيب والانسان يؤمر بفعل نفسه لافعل غيره (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله أو أن نفعل) قدر المفسر نترك إشارة إلى أنه معطوف على مايعبد آباؤنا (قوله قالوا ذلك استهزاء الخ) أى أو أرادوا السفيه الغاوى من باب تسمية الأضداد أو المراد الحليم الرشيد فى زعمك

عليها اسم من يرمى بها (عِنْدَ رَبِّكَ) ظرف لها (وَمَا هِيَ) الحجارة أو بلادهم (مِنَ الظَّالِمِينَ) أى أهل مكة (بِبَعِيدٍ . وَ) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ) نعمة تغنيكم عن التطفيف (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن لم تؤمنوا (عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ) بكم يهلككم ووصف اليوم به مجاز لوقوعه فيه (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) أتموهما (بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) لاتنقصوهم من حقوقهم شيئا (وَلاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة : أفسد ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها تعثوا (بَقِيَّتُ اللَّهِ) رزقه الباقى لكم بعد إيفاء الكيل والوزن (خَيْرٌ لَكُمْ) من البخس (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) رقيب أجازيكم بأعمالكم إنما بعثت نذيرا (قَالُوا) له استهزاء (يَا شُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ) بتكليف (أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الأصنام (أَوْ) نترك (أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ) المعنى هذا أمر باطل لايدعو إليه داع بخير (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) قالوا ذلك استهزاء (قَالَ يَا قَوْمِ ،

أرأيتم

(قوله أرأيتم) أى أخبرونى (قوله على بينة) أى نبوة وصدق (قوله أفأشوبه) أى أخلطه (قوله من البخس والتطفيف) بيان للحرام (قوله وما أريد أن أخالفكم) أى فأنا آمركم بما آمر به نفسي وليس قصدى أن أنهاكم عن شيء وأفعله (قوله ما استطعت) أى مدة استطاعتى (قوله وما توفيقى) أى وما كونى موفقا (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى إليه (قوله يكسبنكم) أى فهو متعد لمفعولين : الأول الضمير والثانى أن وما دخلت عليه والمعنى لا يكن شقاقى مكسبا لكم إصابة مثل ما ذكر فلا تستمروا على مخالفتى حتى يصيبكم بسبب تلك المخالفة مثل ما أصاب الخ (قوله أى منازلهم) أى لأنهم كانوا مجاورين لقوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم وقوله أو زمن هلاكهم

أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا) حلالا أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ) وأذهب (إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) فأرتكبه (إِنْ) ما (أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ) لكم بالعدل (مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي) قدرتى على ذلك وغيره من الطاعات (إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع (وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ) يكسبنكم (شِقَاقِي) خلافى فاعل يجرم والضمير مفعول أول ، والثانى (أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ) من العذاب (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ) أى منازلهم أو زمن هلاكهم (مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ) فاعتبروا (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ) بالمؤمنين (وَدُودٌ) محب لهم (قَالُوا) إيذانا بقلة المبالاة (يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ) نفهم (كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا) ذليلا (وَلَوْلَا رَهْطُكَ) عشيرتك (لَرَجَمْنَاكَ) بالحجارة (وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) كريم عن الرجم وإنما رهطك هم الأعزة (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ) فتتركوا قتلى لأجلهم ولا تحفظونى لله (وَاتَّخَذْتُمُوهُ) أى الله (وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) منبوذا خلف ظهوركم لا تراقبونه (إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) علما فيجازيكم (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتى (سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعول العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا) انتظروا عاقبة أمركم (إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ) منتظر (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) صاح بهم جبريل (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (كَأَنْ) مخففة أى كأنهم (لَمْ يَغْنَوْا) يقيموا (فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا ،

أى فقد كان زمن هلاك قوم لوط قريبا من قوم شعيب (قوله واستغفروا ربكم) أى اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم (قوله ثم توبوا إليه) أى ارجعوا إليه بفعل الطاعات (قوله ودود) صيغة مبالغة إما بمعنى فاعل أى محب لهم كما قال المفسر أو بمعنى مفعول أى إن عباده يحبونه ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه (قوله ضعيفا) أى لاقوة لك (قوله لرجمناك) أى رميناك بالحجارة وقيل المعنى لشتمناك وأغلظنا عليك القول (قوله هم الأعزة) أى لموافقتهم لهم فى الدين (قوله ظهريا) منسوب للظهر والكسر من تغييرات النسب والقياس فتح الظاء والهاء مفعول أول وظهريا مفعول ثان لاتخذوا ووراءكم ظرف له (قوله منبوذا خلف ظهوركم) أى جعلتموه نسيا منسيا (قوله اعملوا على مكانتكم) هذا وعيد عظيم وتهديد لهم (قوله سوف تعلمون) استئناف بيانى كأن قائلا قال فماذا يكون بعد ذلك (قوله موصولة) أى بمعنى الذى (قوله ومن هو كاذب) معطوف على قوله من يأتيه والمعنى سوف تعلمون الذى يأتيه عذاب يخزيه وتعلمون الكاذب (قوله صاح بهم جبريل) أى فخرجت أرواحهم جميعا وهذا فى أهل قريته وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بعذاب الظلة وهى سحابة فيها ريح طيبة باردة فأظلتهم حتى اجتمعوا جميعا فألهبها الله عليهم نارا ورجفت الأرض من تحتهم فاحترقوا وصاروا رمادا (قوله ألا بعدا) أى هلاكا (قوله كما بعدت ثمود) أى كما هلكت ثمود والتشبيه من حيث إن هلاك كل بالصيحة (قوله ولقد أرسلنا موسى) هذه هى القصة السابعة (قوله بآياتنا) أى التسع تقدم منها ثمانية فى الأعراف والتاسعة فى يونس وتقدم الكلام عليها .

(قوله وسلطان مبين) قيل المراد به العصا وخصت بالذكر لكونها أكبر الآيات وأعظمها وقيل المراد به المعجزات الباهرة والحجج الظاهرة وسميت الحجة سلطانا لأن بها قهر الخصم كما أن السلطان به قهر غيره فيكون عطف عام (قوله وملئه) أى جماعته وأتباعه (قوله فاتبعوا أمر فرعون) أى ماهو عليه من الكفر بتلك الآيات العظيمة (قوله سديد) أى صاحب محمود العاقبة بل لايدعو إلى خير (قوله يقدم) مضارع قدم كنصر ومصدره قدم كقفل وقدوم بمعنى يتقدم (قوله كما اتبعوه فى الدنيا) أى فى دخول البحر والكفر والضلال (قوله فأوردهم النار) الورود فى الأصل يقال للمرور على الماء للاستقاء منه فشبه النار بماء يورد وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الورود فاثباته تخييل وشبه فرعون فى تقدمه على قومه إلى النار بمن يتقدم على الواردين إلى الماء ليكسر العطش على سبيل التهكم (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله لعنة) أى طردا و بعدا عن الرحمة (قوله ويوم القيامة) هذا وقف تام وقدر المفسر لعنة إشارة إلى أن فيه الحذف من الآخر لدلالة الأول عليه (قوله بئس الرفد المرفود)

وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) برهان بيّن ظاهر (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) سديد (يَقْدُمُ) يتقدم (قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيتبعونه كما اتبعوه فى الدنيا (فَأَوْرَدَهُمُ) أدخلهم (النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ) هى (وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ) أى الدنيا (لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ) لعنة (بِئْسَ الرِّفْدُ) العون (الْمَرْفُودُ) رفدهم (ذَٰلِكَ) المذكور مبتدأ خبره (مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ) يا محمد (مِنْهَا) أى القرى (قَائِمٌ) هلك أهله دونه (وَ) منها (حَصِيدٌ) هلك بأهله فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) باهلاكهم بغير ذنب (وَلَٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالشرك (فَمَا أَغْنَتْ) دفعت (عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) عذابه (وَمَا زَادُوهُمْ) بعبادتهم لها (غَيْرَ تَتْبِيبٍ) تخسير (وَكَذَٰلِكَ) مثل ذلك الأخذ (أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ) أريد أهلها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) بالذنوب أى فلا يغنى عنهم من أخذه شىء (إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) روى الشيخان عن أبى موسى الأشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك الآية» (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور من القصص (لَآيَةً) لعبرة (لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ) أى يوم القيامة (يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ) فيه (النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ) يشهده جميع الخلائق (وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ)

المراد بالرفد اللعنة الأولى وقوله المرفود أى المعان باللعنة الثانية والمعنى أن اللعنة الأولى أرفدت بلعنة أخرى تقويها وتعاونها وتسميتها رفدا تهكم (قوله ذلك) أى ماتقدم فى هذه السورة من القصص (قوله من أنباء القرى) أى أخبار أهل القرى وهم الأمم الماضية (قوله نقصه عليك) أى لتخبر به قومك ليعتبروا (قوله منها قائم) أى أثر قائم موجود (قوله حصيد هلك بأهله) أى محى فلم يبق له أثر وفيه تشبيه القائم والحصيد بالزرع الذى بعضه قائم على ساقه و بعضه قد حصد وذهب أثره (قوله لما جاء) لوقت أى حين جاء (قوله وما زادوهم) الضمير المرفوع للأصنام والمنصوب لعابديها وعبر عنها بواو العقلاء لتنزيلهم منزلتهم (قوله غير تتبيب) التباب الخسران يقال تببته وتبت يده تتب بمعنى خسرت (قوله وهى ظالمة) الجملة حالية (قوله أليم شديد) أى غير مرجو الخلاص منه (قوله إن الله ليملى للظالم) أى يمده بطول العمر وسعة الرزق ونفوذ الكلمة (قوله ثم قرأ الخ) أى فيؤخذ من ذلك أن من قدم على ظلم يجب عليه أن يتوب ويرجع عما هو عليه ويرد المظالم لأهلها لئلا يقع فى هذا الوعيد العظيم فان هذه الآية ليست مخصوصة بالأمم الماضية بل هى عامة فى كل ظالم غير أن هذه الأمة المحمدية لاينزل بها عذاب على سبيل الاستئصال إكراما لنبيها صلى الله عليه وسلم (قوله من القصص) أى السبع (قوله لمن خاف عذاب الآخرة) أى لأنه إذا تأمل ماحصل لهؤلاء فى الدنيا من العذاب كان ذلك باعثا له على الخوف من ذلك اليوم (قوله فيه) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى فى والمعنى أن يوم القيامة تجمع فيه الخلائق من الإنس والجن وغيرهما (قوله يشهده) أى يحضره (قوله ومانؤخره) أى ذلك اليوم وهو يوم القيامة

(قوله لوقت معلوم) أى وهو مدة الدنيا (قوله يوم يأت ذلك اليوم) إن قلت إن اليوم لايصلح أن يكون ظرفا لليوم وإلا لزم تعيين الشيء بنفسه . أجيب بأن الكلام على حذف مضاف أى هوله وعذابه أو المعنى حين يأتى ذلك اليوم الخ (قوله لاتكلم نفس إلا باذنه) أى لجميع الخلائق يسكتون فى ذلك اليوم فلا يتكلم أحد إلا باذنه . إن قلت كيف يجمع بين ماهنا وبين قوله تعالى - يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها - وقوله تعالى حكاية عن الكفار - والله ربنا ما كنا مشركين - . أجيب بأن القيامة مواطن مختلفة فى بعضها لايقدرون على الكلام لشدة الهول ، وفى بعضها يتحاجون ويتجادلون أو المراد لاتكلم نفس بما ينفع وينجى بل قد يتكلم الكفار بكلام لانفع به بل لاظهار بطلان حججهم (قوله كتب كل فى الأزل) أى وظهرت الخاتمة على طبق ما كتب (قوله فى علمه) أى وهم من ماتوا كفارا وإن تقدم منهم إيمان (قوله لهم فيها زفير وشهيق) الزفير فى الأصل ترديد النفس فى الصدر حتى تنتفخ منه الأضلاع والشهيق ردّ النفس إلى الصدر وهذا التفسير الذى ذكره المفسر لابن عباس وقيل الزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره وقيل الزفير صوت الحمار والشهيق صوت البغل وقيل غير ذلك (قوله أى مدة دوامهما) أشار بذلك إلى أن مامصدرية ظرفية ودام تامة لأنها بمعنى بقيت أو مقدار دوامهما (قوله فى الدنيا) أى فالمراد سموات الدنيا وأرضها (قوله غير ماشاء ربك) أفاد أن إلا بمعنى غير والمعنى أنهم يخلدون فى النار مقدار مكث الدنيا غير الزيادة التى شاءها الله وماشاءه الله قد بين فى آيات أخر منها قوله خالدين فيها أبدا ، ومنها : وماهم بخارجين من النار ، ومنها قوله : لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون (قوله إن ربك فعال

لما يريد) دفع بذلك مايتوهم من التعبير بالمشيئة أنها قد تتخلف فأجاب بقوله إن ربك فعال لما يريد فلا تخلف لمشيئة الله بخلود الكفار لأنه متى أراد شيئا حصل ولابد وما قيل إن وعيده قد يتخلف فالمراد وعيد العاصى لاوعيد الكافر (قوله وأما الذين سعدوا) هذا مقابل قوله فأما الذين شقوا وفى هذه الآية من المحسنات البديعية الجمع والتفريق والتقسيم فالجمع فى قوله يوم يأت لاتكلم نفس إلا باذنه والتفريق فى قوله فمنهم شقىّ وسعيد والتقسيم فى قوله فأما الذين شقوا الخ وأما الذين سعدوا الخ (قوله بفتح السين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح من قولهم سعد الرجل بمعنى قامت به السعادة والضم من قولهم سعده الله أى أسعده فالأول قاصر والثانى متعد ، والمعنى إن الذين سبقت لهم السعادة من الله بموتهم على الايمان وإن سبق منهم الكفر فى الدنيا فهم فى الجنة ، والمراد بالسعادة رضا الله على العبد وعلامة ذلك أن يكون العبد محبا لربه ساعيا فى مرضاته دائم الاقبال على طاعاته راضيا بأحكامه (قوله ففى الجنة) المراد بها دار النعيم بجميع دورها فشمل جنة الفردوس وغيرها (قوله ما دامت السموات والأرض) أى مدة دوامهما فى الدنيا ، والمعنى قدر مكث السموات والأرض من أول الدنيا إلى آخرها (قوله كما تقدم) أى فيقال غير ماشاء ربك من الزيادة التى لامنتهى لها فالمعنى خالدين فيها أبدا ، ويدلّ على ذلك قوله تعالى - خالدين فيها أبدا - فالزيادة التى شاءها الله فسرت فى آيات أخر بالخلود المؤبد (قوله ودلّ عليه) أى على الخلود المؤبد وقوله فيهم أى السعداء (قوله عطاء) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره أعطاهم ذلك عطاء وعطاء اسم مصدر أعطى والمصدر إعطاء (قوله مقطوع) أى ولا ممنوع بل هو عطاء دائم لايزول ولا يحول (قوله هو الذى ظهر) أى من نحو عشرين وجها فى تفسير تلك الآية : منها أن المراد بالسموات والأرض سقف الجنة والنار وأرضهما ، ويحتمل الاستثناء فى جانب أهل الشقاوة على عصاة الأمة فيكون المعنى خالدين فيها أبدا إلا عصاة المؤمنين الذين نفذ فيهم الوعيد فلا يخلدون أبدا بل

لوقت معلوم عند الله (يَوْمَ يَأْتِ) ذلك اليوم (لَاتَكَلَّمُ) فيه حذف إحدى التاءين (نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) تعالى (فَمِنْهُمْ) أى الخلق (شَقِيٌّ وَ) منهم (سَعِيدٌ) كتب كل فى الأزل (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا) فى علمه تعالى (فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) صوت شديد (وَشَهِيقٌ) صوت ضعيف (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ) أى مدة دوامهما فى الدنيا (إِلَّا) غير (مَا شَاءَ رَبُّكَ) من الزيادة على مدتهما مما لامنتهى له والمعنى خالدين فيها أبدا (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا) بفتح السين وضمها (فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا) غير (مَاشَاءَ رَبُّكَ) كما تقدم ودل عليه فيهم قوله (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) مقطوع وما تقدم من التأويل هو الذى ظهر وهو خال من التكلف والله أعلم بمراده

يخرجون بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم والاستثناء حينئذ إما منقطع لعدم دخول هؤلاء فى الاشقياء أو متصل بجعل هؤلاء أشقياء باعتبار وسعداء باعتبار آخر وفى جانب أهل السعادة على عصاة المؤمنين أيضا لكن باعتبار تعذيبهم أولا فيتأخرون فى الدخول مع السابقين فتحصل أن الاستثناء فى كل محمول على العصاة لكن فى جانب أهل الشقاوة مستثنون من الخلود وفى جانب أهل السعادة مستثنون من المبدإ كأنه قال فأما الذين سعدوا ففى الجنة من أول الأمر إلا ماشاء ربك من العصاة فليسوا فى الجنة من أول الأمر بل هم فى النار يعذبون ثم يخرجون ، ومنها أن المراد بالذين شقوا الكفار وبالذين سعدوا المؤمنون والاستثناء باعتبار أن بعض الكفار قد ينقل من النار إلى غيرها كالزمهرير و بعض المؤمنين قد ينقل من النعيم فيما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين إلى أعلى منه وهو رؤية وجه الله الكريم ومخاطبته ، ومنها أن الاستثناء راجع لمدة تأخرهم عن دخول الجنة والنار كمدة الدنيا والبرزخ لأنهم لم يدخلوها حين خلقوا سعداء وأشقياء ومنها غير ذلك . وماتقدم من أن نعيم الجنان وعذاب النار دائم هو مادلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ووراء ذلك أقوال يجب تأويلها والأخذ بظاهرها كفر ، فمنها ما قيل إن الجنة والنار ينقضيان بدليل ظاهر هذه الآية ، ومنها أن أهل النار تنقلب عليهم النار نعيما حتى لوصب عليهم ماء الجنة يتأذون ، ومنها أن النار تخرب حتى لايصير فيها أحد، ومنها غير ذلك ، وهذه الأقوال باطلة ونسبتها لمحيى الدين بن العربي كذب وعلى فرض صحة نقلها عنه يجب تأويلها (قوله فلا تك فى مرية) هذا شروع فى ذكر أحوال المخالفين من هذه الأمة إثر بيان المخالفين من غيرهم وهذا الخطاب للنبي والمراد غيره (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله ما يعبدون) أى فليس لهم فى ذلك إلا محض تقليد آبائهم (قوله وقد عذبناهم) أى آباءهم وإنما قدره لتتم المشابهة (قوله وإنا لموفوهم) أى هؤلاء (قوله أى تاما) أشار بذلك إلى أن قوله غير منقوص حال من نصيب مبينة له (قوله فاختلف فيه) هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم : أى فلاتحزن على ماوقع لك فانه قد وقع لغيرك (قوله لقضى بينهم) أى لجوزى المحسن على إحسانه والمسىء على إساءته فى الدنيا (قوله أى المكذبين به) أى بالقرآن (قوله لفى شك منه) أى من القرآن (قوله موقع فى الريبة) أى لأنهم إذا نظروا لآبائهم وما كانوا عليه قالوا لو كان ماهم عليه ضلالا ما اجتمعوا عليه وإذا نظروا إلى النبي ومعجزاته الظاهرة قالوا إنه لحق وماجاء به صدق فهم فى شك ولاشك أنه كفر وكل هذا ناشئ من الطبع على قلوبهم وإلا فالحق ظاهر لمن تدبره (قوله وإن كلا) أى من الطائعين والعاصين وأتى بالجملة الاسمية المؤكدة بإن ولام القسم زيادة فى تأكيد بشرى المطيع ووعيد العاصى (قوله بالتخفيف والتشديد) أى ولما كذلك فتكون القراآت أربعا وكلها سبعية (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله ما زائدة) أى والأصل لليوفينهم فاستثقل اجتماع اللامين فوسطت بينهما ما لدفع ذلك الثقل (قوله واللام موطئة) أى والأخرى للتأكيد (قوله أوفارقة) أى آتى بها فرقا بين المهملة والنافية وفيه أن إن عاملة على كل حال فليست حينئذ فارقة فكان المناسب حذف قوله أو فارقة إلا أن يقال إنها مهملة وكلا منصوب بفعل مقدر تقديره وإن يرى كلا وفيه أن هذا تكلف وما لا كلفة فيه خير مما فيه كلفة وما ذكره المفسر من الاعراب مبنى على قراءة تشديد إن وتخفيفها مع تخفيف لما ، وتوضيحه أن يقال إن حرف توكيد ونصب وكلا اسمها واللام موطئة لقسم محذوف وما زائدة واللام الثانية للتأكيد ويوفينهم فعل مضارع مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والهاء مفعول وربك فاعل وجملة القسم فى محل رفع خبر إن .

(فَلَا تَكُ) يامحمد (فِي مِرْيَةٍ) شك (مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ) من الأصنام أنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ) أى كعبادتهم (مِنْ قَبْلُ) وقد عذبناهم (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ) مثلهم (نَصِيبَهُمْ) حظهم من العذاب (غَيْرَ مَنْقُوصٍ) أى تاما (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَاخْتُلِفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) فى الدنيا فيما اختلفوا فيه (وَإِنَّهُمْ) أى المكذبين به (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (وَإِنْ) بالتخفيف والتشديد (كُلًّا) أى كل الخلائق (لَمَّا) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر ، أو فارقة وفى قراءة بتشديد لما ،

(قوله بمعنى إلا فان نافية) هذا ظاهر على قراءة تخفيف إن وحينئذ فيقال إن نافية وكلا منصوب بفعل مقدر، والتقدير وإن يرى كلا إلا ليوفينهم الخ ولم يتكلم على تشديدها . هذا حاصل تقرير المفسر ولا يخفى عليك ما فيه من المناقشة والكلفة ، والاعراب السالم من ذلك كله أن يقال إن القراآت السبعية أربع تخفيفهما وتشديدهما وتخفيف إن فقط وتخفيف لما فقط مع نصب كلا في الجميع فعلى الأولى إن مخففة من الثقيلة وكلا اسمها واللام الأولى لام الابتداء وما اسم موصول واللام الثانية موطئة لقسم محذوف ويوفينهم جواب القسم وجملة القسم وجوابه صلة الموصول والموصول وصلته خبر إن وعلى الثانية إن عاملة ولما أصله لمن ما بدخول اللام على من الجارة قلبت النون ميما فتوالى الأمثال حذفت إحدى الميمات وأدغمت إحدى الميمين في الأخرى فما اسم موصول وجملة ليوفينهم قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر إن وعلى الثالثة فان المخففة عاملة وأصل لما لمن ما فعل بها ما تقدم وعلى الرابعة إن المشددة عاملة واللام لام الابتداء وما اسم موصول وليوفينهم جملة قسمية صلة الموصول وهو وصلته خبر إن فتحصل أن إن عاملة وما اسم موصول في جميع الأوجه كلها واللام الثانية موطئة للقسم والأولى لام الابتداء فتأمل وما قررناه زبدة كلام طويل في هذا المقام فليحفظ (قوله أي جزاءها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فاستقم) أي دم على الاستقامة التي أمرت بها في خاصة نفسك كقيام الليل وتبليغ ما أمرت بتبليغه للخلق وعدم فرارك من قتال الكفار ولو اجتمعت أهل الدنيا وغير ذلك من التكاليف العامة له ولغيره والخاصة به (قوله ومن تاب معك) قدر المفسر قوله ليستقم جوابا

بمعنى إلا فان نافية (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ) أي جزاءها (إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) عالم ببواطنه كظواهره (فَاسْتَقِمْ) على العمل بأمر ربك والدعاء إليه (كَمَا أُمِرْتَ ، وَ) ليستقم (مَنْ تَابَ) آمن (مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا) تجاوزوا حدود الله (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فيجازيكم به (وَلَا تَرْكَنُوا) تميلوا (إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) بمودة أو مداهنة أو رضا بأعمالهم (فَتَمَسَّكُمُ) تصيبكم (النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (مِنْ) زائدة (أَوْلِيَاءَ) يحفظونكم منه (ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) تمنعون من عذابه (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) الغداة والعشي أي الصبح والظهر والعصر (وَزُلَفًا) جمع زلفة أي طائفة (مِنَ اللَّيْلِ) أي المغرب والعشاء (إِنَّ الْحَسَنَاتِ) كالصلوات الخمس (يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) الذنوب الصغائر . نزلت فيمن قبّل أجنبية فأخبره صلى الله عليه وسلم فقال أَلِي هذا فقال لجميع أمتي كلهم رواه الشيخان (ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) عظة للمتعظين ،

عما يقال إن قوله من تاب معطوف على الضمير المستتر في استقم فيلزم عليه أن فعل الأمر قد رفع الظاهر فأجاب المفسر بأن ذلك من عطف الجمل والمحذور إنما يلزم لو كان من عطف المفردات ، ويجاب أيضا بأنه قد يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع (قوله ولا تطغوا) خطاب للنبي والأمة ولكن المراد الأمة فان الطغيان مستحيل على النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية صعبة التكاليف ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « شيبتني هود وأخواتها » (قوله إلى الذين ظلموا) أي بالكفر أو المعاصي (قوله بموادة) مصدر وادد كقاتل: أي محبة (قوله أو مداهنة) أي مصانعة فالمداهنة بذل الدين لاصلاح الدنيا (قوله أو رضا بأعمالهم) أي وتزيينها لهم ولا عذر في الاحتجاج بضرورات الدنيا فان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (قوله فتمسكم النار) أي لأن المرء يحشر مع من أحب (قوله يحفظونكم منه) أي من عذاب النار (قوله طرفي النهار) منصوب على الظرفية لإضافته إلى الظرف (قوله الغداة والعشي) تفسير للطرفين (قوله أي الصبح) راجع للغداة ، وقوله والظهر والعصر راجع للعشي (قوله وزلفا) بضم ففتح كغرف ، وقوله جمع زلفة : أي كغرفة (قوله إن الحسنات) أي الواجبة أو المندوبة (قوله نزل فيمن قبل أجنبية) أي وهو أبو اليسر قال «أتتني امرأة تبتاع تمرا فقلت لها إن في البيت تمرا أطيب من هذا ، فدخلت معي البيت فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك له ، فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا ، فأتيت عمر فذكرت ذلك له ، فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر أحدا ، فلم أصبر حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال : أخلفت رجلا غازيا في سبيل الله في أهله بمثل هذا وأطرق طويلا حتى أوحى إليه ـ وأقم الصلاة ـ إلى ـ الذاكرين ـ فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ، فقلت ألي هذا خاصة أم للناس عامة ؟ فقال بل للناس عامة » (قوله ذلك) أي المذكور من الأمر بالاستقامة وما بعده .

(قوله واصبر) أى ولاتنزعج من قومك (قوله فان الله لايضيع أجر المحسنين) أى بل يعطيهم فوق مايطلبون (قوله فلولا كان من القرون الخ) لما بين سبحانه وتعالى ماحل بالأمم الماضية من عذاب الاستئصال بين هنا أن السبب فى ذلك أمران : الأول عدم وجود من ينهى عن الفساد . الثانى عدم رجوعهم عما هم فيه (قوله فهلا) أفاد المفسر أن لولا تحضيضية والمراد بها النفى (قوله من قبلكم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للقرون وأولوا فاعل كان ، وقوله من القرون حال من فاعل كان (قوله أصحاب دين وفضل) أى وسموا أولو بقية لأن أهل البقاء بربهم لايتحولون عماهم عليه من الدين والصلاح فلهم البقاء والنجاة من الهلاك (قوله المراد به) أى بالتحضيض المستفاد من لولا (قوله إلاقليلا) هذا استثناء منقطع ، ولذاعبر المفسر بلكن فالمستثنى منه القرون المهلكة بالعذاب لعدم نهيهم عن المنكر والمستثنى من أنجاه الله من العذاب بسبب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر (قوله واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) أى داموا على شهواتهم ولم يتذكروا عذاب الله (قوله نعموا) أى من النعيم الذى يغضب الله تعالى ، فالمعنى أن سبب هلاكهم اشتغالهم بالشهوات المغضبة لله تعالى وعدم رجوعهم عنها (قوله وكانوا مجرمين) الجملة حالية : أى والحال أنهم فاعلون الجرائم مصرون عليها (قوله وما كان ربك ليهلك القرى) هذا كالدليل لما قبله ، والمعنى ماصح أن يهلك القرى بظلم منه لها والحال أن أهلها مصلحون وسمى الأخذ من غير ذنب ظلما تكرما منه وإلا فحقيقة الظلم التصرف فى ملك الغير من غير إذنه ولا ملك لأحد معه وهو بهذا المعنى مستحيل عقلا على الله ، وأما أخذه بغير ذنب فهو وإن كان جائزا عقلا فمستحيل شرعا لأنه سماه ظلما تفضلا منه ونزه نفسه سبحانه عنه كما ألزم نفسه بالرحمة تفضلا منه (قوله منه لها) ويصح أن يكون المعنى بظلم منهم ويراد بالظلم الشرك ، والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى بمجرد شركهم إذا كانوا مصلحين فيما بينهم لفرط مساهلته تعالى فى حقوقه ولذلك تقدم حقوق العباد على حقوق خالقهم (قوله ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) أى لكنه لم يشأ ذلك فلم يجعلهم أمة واحدة فلو امتناعية ، والمعنى امتنع ذلك لعدم مشيئة الله له (قوله أهل دين واحد) أى وهو دين الاسلام (قوله ولايزالون مختلفين) أى على أديان شتى . واستفيد من هذا أن الاختلاف كما كان حاصلا فى الأمم الماضية لايزال مستمرا فى هذه الأمة فمنهم الكافر والمؤمن والطائع والعاصى ، ولذلك ورد فى الحديث « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وستفترقون ثلاثا وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة » والمراد بالفرقة الواحدة أهل السنة والجماعة (قوله فلايختلفون فيه) بل هم على دين واحد لايتفرقون . قال تعالى ــ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ــ (قوله ولذلك خلقهم) اللام للعاقبة والصيرورة ، والمعنى خلق أهل الاختلاف لتكون عاقبة أمرهم هو الاختلاف وخلق أهل الرحمة لتكون عاقبة أمرهم الرحمة (قوله وتمت) أى حقت ووجبت (قوله لأملأن جهنم) أى حتى تقول قط قط بمعنى يكفى يكفى كما فى الحديث ، وذلك بعد أن تمد أعناقها وتطلب الزيادة فيتجلى الله عليها بصفة الجلال فتخضع وتذل وتقول قط قط (قوله من الجنة والناس) أى الكفار منهم لأن الامتلاء على سبيل الخلود لا يكون إلا من الكفار (قوله نصب بنقص) أى على أنه مفعول له (قوله من أنباء الرسل) أى أخبارهم (قوله ماتثبت به فؤادك) أى القصص والأخبار التى بها يزداد فؤادك ثباتا على أداء الرسالة وتحمل أذى قومك وعلما بفضل أمتك وشرفها حيث انقاد منها خلق كثير فى مدة يسيرة بخلاف الأمم الماضية .

(وَاصْبِرْ) يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة (فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) بالصبر على الطاعة (فَلَوْلَا) فهلا (كَانَ مِنَ الْقُرُونِ) الأمم الماضية (مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ) أصحاب دين وفضل (يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) المراد به النفى أى ما كان فيهم ذلك (إِلَّا) لكن (قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ) نهوا فنجوا ومن للبيان (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالفساد وترك النهى (مَا أُتْرِفُوا) نعموا (فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ) منه لها (وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) مؤمنون (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) أهل دين واحد (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) فى الدين (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه (وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) أى أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) وهى (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الجن (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ . وَكُلًّا) نصب بنقص وتنوينه عوض عن المضاف إليه أى كل مايحتاج إليه (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا) بدل من كلا (نُثَبِّتُ) نطمئن (بِهِ فُؤَادَكَ) قلبك (وجاءك

(قوله الأنباء) أى الأخبار وقوله أو الآيات تفسير ثان ، والمراد بالآيات آيات هذه السورة وخصت بالذكر وإن كان جاءه الحق فى جميع السور تشريفا لها لكونها جمعت من قصص الأمم الماضية مالم يكن فى غيرها (قوله وموعظة) أى اتعاظ وقوله وذكرى أى تذكر وتدبر (قوله حالتكم) أى وهى الكفر (قوله على حالتنا) أى وهى الإيمان (قوله تهديد لهم) أى تخويف وليس المراد الأمر بدوامهم على الكفر بل هو على حد: إذا لم تستح فاصنع ما شئت (قوله إنا منتظرون ذلك) أى عاقبة أمركم (قوله ولله غيب السموات والأرض) قال كعب الأحبار خاتمة التوراة هى خاتمة سورة هود (قوله أى علم ما غاب فيهما) أى فلم يكلفنا بمعرفته (قوله وللمفعول) أى فيهما قراءتان سبعيتان والمعنى واحد (قوله الأمر كله) أى أمر الخلائق كلهم فى الدنيا والآخرة من خير وشر (قوله فينتقم ممن عصى) أى ويثيب من أطاع (قوله فاعبده) هذا مفرع على قوله: ولله غيب السموات والأرض الخ أى فحيث كان هو العالم بما غاب فى السموات والأرض وإليه مرجع الأمور كلها فهو حقيق بعبادته هو لا غيره وحقيق بالتوكل عليه وتفويض الأمور إليه (قوله ثق به) أى اعتمد عليه ولا تلتفت لغيره فإنه لا يضر ولا ينفع بل الضار النافع المعطى المانع هو الله وبهذا تعلم أن التوكل أمر زائد على التوحيد فالتوحيد ينفى الشرك والتوكل ينفى الأوهام المعطلة عن مراتب الأخيار (قوله وما ربك بغافل عما يعملون) ما حجازية وربك اسمها وبغافل خبرها منصوب بفتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بالفوقانية) أى خطابا للنبى والمؤمنين.

(وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ) الأنباء أو الآيات (الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الإيمان بخلاف الكفار (وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنَّا عَامِلُونَ) على حالتنا تهديد لهم (وَانْتَظِرُوا) عاقبة أمركم (إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) ذلك (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى علم ما غاب فيهما (وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ) بالبناء للفاعل: يعود وللمفعول: يرد (الْأَمْرُ كُلُّهُ) فينتقم ممن عصى (فَاعْبُدْهُ) وحده (وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) ثق به فإنه كافيك (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) وإنما يؤخرهم لوقتهم، وفى قراءة بالفوقانية

(سورة يوسف)

مكية مائة وإحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. الر) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) المظهر للحق من الباطل (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلغة العرب،

[سورة يوسف عليه السلام]

مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الأنبياء فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء وهذه من محاسن قصص الأنبياء وأيضا ليتسلى النبى صلى الله عليه وسلم بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد على ما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد، وحكمة قص القصص عليه ليتأسى بهم ويتخلق بأخلاقهم فيكون جامعا لكمالات الأنبياء. وسبب نزول هذه السورة أن اليهود سألت النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف، وهذه السورة فيها من الفوائد الشريفة والحكم المنيفة ما لا يدخل تحت حصر ولذا قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم تتفكه بهما أهل الجنة فى الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها (قوله مكية) خبر أول عن سورة وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله تلك آيات الكتاب) مبتدأ وخبر وأشير إليها بإشارة البعيد إشارة لبعد رتبتها عن كلام الحوادث وعلو شأنها (قوله هذه الآيات) أى آيات هذه السورة (قوله المظهر للحق) أى فهو مأخوذ من أبان المتعدى ويصح أخذه من اللازم ويكون المعنى البين حلاله وحرامه (قوله إنا أنزلناه) أى نحن بعظمتنا وجلالنا (قوله عربيا) نعت للقرآن والعربى منسوب للعرب لكونه نزل بلغتهم، والمعنى أن القرآن نزل بلغة العرب فليس فيه شىء غير عربى. فإن قلت قد ورد فيه شىء غير عربى كسجيل ومشكاة وإستبرق وغير ذلك. أجيب بأن هذا مما توافقت فيه اللغات أو المراد أن تراكيبه وأساليبه عربية وإن ورد فيه غير عربى فهو على أسلوب العرب لا على أسلوب غيرهم وإنما كان عربيا لأن تلك اللغة أفصح اللغات ولأنها

لنة أهل الجنة في الجنة (قوله لعلكم تعقلون) علة لكونه عربيا ، والمعنى لكي تفهموا معانيه وتتأملوا فيها فتعلموا أنه من عندالله (قوله أحسن القصص) صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق والتقدير قصصا أحسن القصص ، والقصص في اللغة من قص الأثر: تتبعه سمي الكلام الذي يحكي عن الغير بذلك لأن المتكلم يقص الخبر شيئا فشيئا ، والمعنى نحن نبين لك أخبار الأمم السابقة أحسن البيان وقيل المراد خصوص قصة يوسف وإنما كانت أحسن القصص لما فيها من الحكم والنكت وسير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على الأذى والتجاوز عنه أحسن التجاوز وغير ذلك من المحاسن (قوله بإيحائنا) الباء سببية وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية والجار والمجرور متعلق بنقص (قوله هذا القرآن) اسم الاشارة مفعول لأوحينا والقرآن بدل من اسم الاشارة أو عطف بيان أو نعت (قوله وإن كنت من قبله) الجملة حالية (قوله لمن الغافلين) أي لم تخطر ببالك تلك القصة ولم تسمعها قط بل كنت خالي الذهن منها وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم حيث يخبر عن المتقدمين والمتأخرين بأحسن تعبير وأبلغ وجه ولذا قال البوصيري : كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

فأكبر دليل على فضل الانسان غزارة علمه وسعة اطلاعه على ما أعطاه الله من العلوم اللدنية والمعارف الربانية (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف وقيل معمول لقوله تعالى يابني وهو الأولى لما فيه من عدم الحذف (قوله يوسف) اسم عبراني ممنوع من الصرف وعاش من العمر مائة وعشرين سنة وعاش أبوه مائة وسبعا وأربعين سنة وعاش جده اسحاق مائة وثمانين سنة وعاش جده إبراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة (قوله بالكسر) أي وأصلها يا أبي حذفت

(لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَعْقِلُونَ) تفهمون معانيه (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا) بإيحائنا (إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ) مخففة أي وإنه (كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) اذكر (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ) يعقوب (يَا أَبَتِ) بالكسر دلالة على ياء الاضافة المحذوفة ، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الياء (إِنِّي رَأَيْتُ) في المنام (أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ) تأكيد (لِي سَاجِدِينَ) جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء (قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا) يحتالوا في هلاكك حسدا لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب ، والشمس

الياء وعوض عنها تاء التأنيث ونقلت كسرة ماقبلها لها وفتحت الباء لمناسبة تاء التأنيث وتقول في إعرابها يا حرف نداء وأبت منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المعوض عنها تاء التأنيث (قوله والفتح) أي وأصلها أبي بكسر الباء وفتح الياء ففتحت الباء ثم تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فحذفت الالف وعوض عنها تاء التأنيث وفتحت للدلالة على الألف المحذوفة، وتعويض تاء التأنيث عن ياء المتكلم مختص بلفظين أبت وأمت وهذان الوجهان زائدان على أوجه المنادى المضاف لياء المتكلم وهي خمس جمعها ابن مالك في قوله :

واجعل منادى صح إن يضف ليا كعبد عبدي عبد عبدا عبديا فيكون في أبت وأمت سبعة أوجه يجوز منها وجهان قراءة لاغير (قوله إني رأيت) هذه الرؤية كانت ليلة الجمعة ليلة القدر وكان سنه إذ ذاك اثنتي عشرة سنة وقيل سبع سنين وقيل سبع عشرة سنة و بين هذه الرؤية واجتماعه بأبيه وإخوته في مصر أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل اثنان وعشرون وقيل ثمانية عشر وسيأتي تحقيق ذلك ، والمراد بالسجود هنا قيل الخضوع والانحناء وقيل حقيقة السجود (قوله أحد عشر كوكبا) أي وهو جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والصروخ والفرع ووثاب وذو الكتفين قد رأى الجميع نزلن من السماء وسجدن له ، وجريان بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد الياء التحتية وقابس بقاف وموحدة وسين مهملة وعمودان تثنية عمود والفليق بفاء آخره قاف والمصبح اسم مفعول والفرع بفاء وراء مهملة ساكنة وعين مهملة ووثاب بتشديد المثلثة وذو الكتفين تثنية كتف (قوله تأكيد) أي هذه الجملة تأكيد للجملة الأولى و يصح أن يكون قوله رأيتهم لي جوابا لسؤال مقدر نشأ من قوله : إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كأن قائلا قال وما كيفية رؤياك فيهم فقال رأيتهم لي ساجدين (قوله جمع بالياء والنون) أي قوله ساجدين (قوله لا تقصص رؤياك على إخوتك) إنما نهاه أبوه عن ذلك لأنه فهم من رؤياه أن الله تعالى يصطفيه لرسالته و يفوق إخوته فخاف عليه حسدهم ، و يؤخذ من ذلك أن الانسان إذا رأى خيرا في منامه فلا يخبر به إلا حبيبا أو لبيبا غير حسود لما قيل : إن الرؤيا على رجل طائر متى قصت وقعت

بخلاف رؤيا المكروه فلا يقصها لما فى الحديث « إذا رأى أحدكم مايحب فلا يحدّث بها إلا من يحب وإذا رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوّذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره» (قوله والشمس أمك والقمر أبوك) حكمة تأويل أمه بالشمس لأنها يظهر منها الإقمار وهم الأنبياء وأبيه بالقمر لأن القمر يهتدى به فى الظلم ، فكذلك الرسل يهتدى بهم فى ظلمات الجهل والشرك والاخوة بالكواكب لأن نورهم لايبلغ نور أبيهم إما لأنهم أنبياء فقط وليسوا برسل أو أولياء فقط وليسوا بأنبياء . ومامشى عليه المفسر من أن المراد بالشمس أمه أحد قولين ، وقيل إن أمه راحيل قد ماتت والمراد بالشمس خالته ليا (قوله إن الشيطان للانسان عدو مبين) أى فيوقع الانسان فى المعاصى لفرط عداوته له . واعلم أن ما وقع من إخوة يوسف معه مما يأتى فى القصة باق على ظاهره ولا تأويل فيه على القول بعدم نبوّتهم لأن الولى تجوز عليه المعصية ولكن لايصرّ عليها بل يتوب وهؤلاء آل أمرهم لحسن التوبة ، وأما على القول بنبوّتهم فهومشكل غاية الاشكال إذ كيف يقع ذلك من الأنبياء . فأجاب العلماء عن ذلك بأن هذا مبنى على أن النبى معصوم بعد النبوّة لاقبلها أو كانوا لم يبلغوا الحلم وكل هذا ليس بسديد بل الحق أن النبىّ معصوم ظاهرا وباطنا قبل النبوّة وبعدها وإنما الجواب الذى يشفى الغليل ويريح العليل أن يقال إن الله أطلعهم على أن يوسف يعطى النبوة والملك بمصر ولايتصوّر ذلك إلا بهذا الفعل فهم مأمورون به باطنا مخالفون ظاهرا إذ ليسوا مشرّعين فلايكلفون إلا بخلوص بواطنهم مع ربهم ، ونظير ذلك قصة الخضر مع موسى حيث قال بعدمافعل مافعل وما فعلته عن أمرى فهم مأمورون بحكم الباطن مخالفون بحكم الظاهر وقصة آدم فى أكله من الشجرة وتقدم مايفيدذلك فى البقرة بأبلغ وجه (قوله وكذلك

والشمس أمك والقمر أبوك (إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) ظاهر العداوة (وَكَذَلِكَ) كما رأيت (يَجْتَبِيكَ) يختارك (رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ) تعبير الرؤيا (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) بالنبوة (وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ) أولاده (كَمَا أَتَمَّهَا) بالنبوة (عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ) بخلقه (حَكِيمٌ) فى صنعه بهم (لَقَدْ كَانَ فِي) خبر (يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) وهم أحد عشر (آيَاتٌ) عبر (لِلسَّائِلِينَ) عن خبرهم ، اذكر (إِذْ قَالُوا) أى بعض إخوة يوسف لبعضهم (لَيُوسُفُ) مبتدأ (وَأَخُوهُ) شقيقه بنيامين (أَحَبُّ) خبر (إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) جماعة (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ)

يجتبيك ربك) أى كما رفع منزلتك بهذه الرؤيا العظيمة يختارك ويصطفيك ربك (قوله تعبير الرؤيا) أى تفسيرها (قوله ويتم نعمته عليك) أى يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (قوله وعلى آل يعقوب) لم يقل بالنبوة إشارة للخلاف فى نبوتهم

(قوله إبراهيم وإسحق) إمابدل من أبويك أوعطف بيان عليه (قوله عليم بخلقه) أى فيصطفى من يشاء وقوله حكيم فى صنعه أى فيضع الأشياء فى محالها (قوله لقد كان) اللام موطئة لقسم محذوف والتقدير والله لقد كان الخ (قوله وهم أحد عشر) أى وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر وهؤلاء الستة من بنت خال يعقوب ليا ثم بعد موتها تزوج أختها راحيل وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع بين الأختين محرما فى شرعه فولدت له بنيامين ويوسف ، وأما الأربعة الباقون دان ونفتالى وجاد وآشر فمن سريتين زلفة وبلهة (قوله آيات للسائلين) أى وغيرهم ففيه اكتفاء وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف ، وقيل سألوا عن انتقال أولاد يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر فذكر لهم تلك القصة فوجدوها مطابقة لما فى التوراة وحينئذ فهى من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم حيث قص عليهم تلك القصة بأبلغ وجه مع كونه لم يسبق له تعلم من أحد ولا قرأ ولا كتب (قوله ليوسف) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله بنيامين) بكسر الباء وفتحها وهو أصغر من يوسف (قوله أحبّ خبر) أى عن يوسف وأخوه ولم تحصل المطابقة لأنه اسم تفضيل مجرّد وهو يلزم التذكير والتوحيد قال ابن مالك :

وإن لمنكور يضف أوجردا ... ألزم تذكيرا وأن يوحدا

وأحب مصوغ من حب المبنى للمفعول وهو سماعى ولوجاء على القياس لتوصل إليه بأشد . قال ابن مالك :

وأشدد او أشد أو شبههما ... يخلف ما بعض الشروط عدما

واعلم أن مادة الحب والبغض إذا بنى أفعل التفضيل منها تعدى للفاعل بالى وللمفعول باللام أو بفى والآية الكريمة من الأول فان الأب هوفاعل المحبة وإذاقلت زيد أحب لى من عمرو وأحب فى منه كان معناه أن زيدا يحبنى أكثر من عمرو (قوله ونحن عصبة)

الجملة حالية والعصبة قيل من العشرة إلى الأربعين وقيل من ثلاثة إلى عشرة وقيل من عشرة إلى خمسة عشر وقيل غير ذلك (قوله خطأ) أي في أمر الدنيا ومايصلحها لأنا أشد قوة وأكبر سنا وأكثر منفعة من يوسف فلم آثره علينا في المحبة إن هذا لخطأ بين وليس المراد الخطأ في الدين فإن اعتقاده كفر (قوله بإيثارهما) أي تقديمهما (قوله اقتلوا يوسف الخ) إنما قالوا ذلك لأن خبر المنام بلغهم فتشاوروا في كيده بين أحد أمرين إما قتله أو تغريبه بأرض بعيدة (قوله أي بأرض) أشار بذلك إلى أن قوله أرضا منصوب على نزع الخافض ويصح نصبه على الظرفية لأن المقصود أي أرض بعيدة (قوله وجه أبيكم) أي قلبه والمعنى لا يكون لكم منازع في محبته فيكم حينئذ (قوله بأن تتوبوا) أي تصلحوا دينكم بعد هذه الفعلة (قوله قال قائل) هذا رأى ثالث أرفق بيوسف مما تقدم من الخصلتين (قوله هو يهودا) بدال مهملة وأصله بالعبرانية بالمعجمة لكن لما استعملته العرب أهملته وكان أكبرهم سنا وأحسنهم رأيا وقيل القائل روبيل (قوله في غيابت الجب) الغيابة الشيء المظلم والجب البئر التي لم تطو، والمعنى اطرحوه في قعر البئر المظلم وكان بأرض بيت المقدس وقيل بالأردن وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب (قوله يلتقطه بعض السيارة) أي لأن هذا الجب كان يرد عليه كثير من المسافرين (قوله فاكتفوا بذلك) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله قالوا يا أبانا) هذا مرتب على محذوف وذلك أنهم قالوا أولا ليوسف اخرج معنا إلى الصحراء إلى مواشينا فنستبق ونصيد وقالوا له سل أباك أن يرسلك معنا فسأله فتوقف يعقوب فقالوا مالك الخ، والمعنى أي شيء ثبت لك في عدم أمننا (قوله تأمنا) اتفق القراء على إخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضا على إدغامها مع الاشمام كما في الخطيب ومن الشواذ ترك الادغام كما في أبي السعود (قوله لقائمون بمصالحه) أي لعاطفون عليه حافظون له (قوله غدا) منصوب على الظرفية ثم والغد اليوم الذي بعد يومك (قوله بالنون والياء فيهما) أي في نرتع ونلعب وهما قراءتان سبعيتان والرتع التمتع في أكل الفواكه ونحوها واللعب بالاستباق والانتضال تمرينا لقتال الأعداء وهو غرض صحيح مباح لما فيه من تعلم المحاربة والاقدام على العدو (قوله ليحزنني) الحزن ألم القلب بفراق المحبوب (قوله وأخاف أن يأكله الذئب) بالهمز وتركه قراءتان سبعيتان وسبب خوفه أنه كان رأى في المنام أن ذئبا تعرض ليوسف فكان يخاف عليه الذئب (قوله قالوا لئن أكله الذئب) هذا جواب عن عذره الثاني وهو قوله وأخاف أن يأكله الذئب وأما الأول وهو قوله إني ليحزنني الخ فلم يجيبوا عنه لأن غرضهم حصوله (قوله ونحن عصبة) الجملة حالية (قوله عاجزون) أي فالخسران مجاز عن الضعف والعجز لأنه يشبهه (قوله فلما ذهبوا به) تقدم أنه كان بين ذهابهم به واجتماعه بأبيه أربعون سنة وقيل ثمانون سنة لم تجف فيها عينا يعقوب (قوله بأن نزعوا قميصه الخ) روي أنهم لما برزوا به إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فصار يصيح ويستغيث فقال يهودا أما عاهدتموني على أن لاتقتلوه فأتوا به إلى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقال ياإخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به فقالوا له ادع الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسونك ويؤنسونك وفي القصص أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار

خطأ (مُبِينٍ) بين بإيثارهما علينا (اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا) أي بأرض بعيدة (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم (وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ) أي بعد قتل يوسف أو طرحه (قَوْمًا صَالِحِينَ) بأن تتوبوا (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ) هو يهودا (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ) اطرحوه (فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) مظلم البئر وفي قراءة بالجمع (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) المسافرين (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك (قَالُوا يَا أَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) لقائمون بمصالحه (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا) إلى الصحراء (نَرْتَعْ وَنَلْعَبْ) بالنون والياء فيهما ننشط ونتسع (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا) أي ذهابكم (بِهِ) لفراقه (وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ) المراد به الجنس وكانت أرضهم كثيرة الذئاب (وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ) مشغولون (قَالُوا لَئِنْ) لام قسم (أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) جماعة (إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ) عاجزون ، فأرسله معهم (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا) عزموا (أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ) وجواب لما محذوف أي فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه فلما وصل إلى نصف البئر ألقوه ليموت فسقط في الماء

جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق ودفعه إسحاق إلى يعقوب فجعله فى قصبة من فضة وجعلها فى عنق يوسف فألبسه الملك إياه حين ألقى فى الجب فأضاء له الجب وسيأتى أنه القميص الذى أرسله مع البشير بأمر جبريل وأخبره أنه لايلقى على مبتلى إلا عوفى (قوله ثم أوى إلى صخرة) أى جاء له بها الملك فأجلسه عليها ، قال الحسن لما ألقى يوسف فى الجب عذب ماؤها فكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه جبريل فأنس به فلما أمسى نهض ليذهب فقال إنك إذا خرجت استوحشت فقال إذا رهبت من شئ فقل : ياصريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين ويامفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعلم حالى ولا يخفى عليك شئ من أمرى فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستأنس فى الجب وفرج الله عنه بخروجه من ليلته ، وقيل إنه مكث فى الجب ثلاثة أيام فكان إخوته يرعون حوله وكان يهودا يأتيه بالطعام (قوله أو دونها) قيل خمسة عشر .قيل اثنى عشر وقيل سبعة (قوله لتنبئنهم) أى كما سيأتى فى قوله وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه الآية (قوله عشاء) أى ليكونوا فى الظلمة ليقبل اعتذارهم فلما بلغوا منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وسألهم فأجابوه بما ذكر (قوله وما أنت بمؤمن

ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم يهودا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ) فى الجب وحى حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطمينا لقلبه (لَتُنَبِّئَنَّهُمْ) بعد اليوم (بِأَمْرِهِمْ) بصنيعهم (هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بك حال الإنباء (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً) وقت المساء (يَبْكُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ) نرمى (وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا) ثيابنا (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ) بمصدق (لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) عندك لاتهمتنا فى هذه القصة لمحبة يوسف فكيف وأنت تسىء الظن بنا (وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ) محله نصب على الظرفية أى فوقه (بِدَمٍ كَذِبٍ) أى ذى كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا إنه دمه (قَالَ) يعقوب لما رآه صحيحا وعلم كذبهم (بَلْ سَوَّلَتْ) زينت (لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) ففعلتموه به (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) لاجزع فيه وهو خبر مبتدإ محذوف أى أمرى (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ) المطلوب منه العون (عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) تذكرون من أمر يوسف (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريبا من جب يوسف (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) الذى يرد الماء ليستقى منه ،

لنا الخ) فى هذا الكلام فتح باب اتهام لهم كما لايخفى (قوله لاتهمتنا الخ) قدره المفسر إشارة إلى أن لو شرطية وجوابها محذوف والأسهل من هذا جعل الواو حالية ولو زائدة والتقدير وما أنت بمؤمن لنا والحال أنا كنا صادقين فى نفس الأمر (قوله محله نصب) أى فعلى ظرف بمعنى فوق (قوله أى ذى كذب) أشار بذلك إلى أن وصف الدم بالكذب على حذف مضاف ويصح أن يكون مبالغة على حد زيد عدل (قوله سخلة) هى الصغيرة من الغنم (قوله وذهلوا عن شقه) أى عن تمزيقه لأن العادة أن الذئب إذا أكل الانسان يشق قميصه وقد ذهلوا عن هذه الحيلة كى لاتتم لهم (قوله لما رآه صحيحا) روى أنه قال ما أحلم هذا الذئب يأكل ابنى ولا يقد قميصه وقيل إنهم أتوه بذئب وقالوا هذا أكله فقال يعقوب أيها الذئب أنت أكلت ولدى وثمرة فؤادى فأنطقه الله قال والله ما أكلت ولدك ولا رأيته قط ولا يحل لنا أن نأكل لحوم الأنبياء ، فقال له يعقوب فكيف وقعت بأرض كنعان فقال جئت لصلة الرحم فأخذونى وأتوا بى إليك فأطلقه يعقوب (قوله بل سولت) أى سهلت لكم أنفسكم أمرا عظيما فعملتموه بيوسف وهونتموه فى أعينكم (قوله لاجزع فيه) فسر المفسر الصبر الجميل بأنه الذى لاجزع فيه والأولى أن يفسره كما فى الحديث بأنه الذى لاشكوى فيه لغير الله وأما الهجر الجميل فهو الذى لاإيذاء معه وأما الصفح الجميل فهو الذى لاعتاب بعده وقد تحقق بجميعها كل من يوسف ويعقوب (قوله المطلوب منه العون) أى فالسين والتاء للطلب (قوله على ماتصفون) أى على تحمل المكاره التى تذكرونها فى أمر يوسف (قوله وجاءت سيارة) جمع سائر أى مسافر سموا بذلك لسيرهم فى الأرض (قوله من مدين إلى مصر) أى فأخطئوا الطريق ونزلوا بأرض قفراء قريبا من الجب (قوله فأرسلوا) ذكر باعتبار المعنى ولو راعى اللفظ لقال فأرسلت واردها (قوله واردهم) وهو مالك بن ذعر الخزاعى وهو من أهل مدين

(قوله فأدلى دلوه) يقال أدلى بالهمز إذا أرسل الدلو فى البئر ودلاه بالتضعيف إذا نزعه والدلو مؤنث وقد يذكر (قوله فأخرجه) أى بعد أن مكث فيها ثلاثة أيام على ماقيل ولما أخرج صارت جدران البئر تبكى عليه (قوله قال يابشراى) منادى مضاف لياء المتكلم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله ونداؤها مجاز) أى لتنزيلها منزلة العاقل (قوله هذا غلام) التنكير للتعظيم لأنه كان عليه السلام حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلق أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم ظهر النور من ضواحكه وإذا تكلم ظهر من ثناياه وبالجملة لم يكن أحسن منه إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإن يوسف أعطى شطر الحسن ورسول الله أعطى الحسن كاملا . قال البوصيرى :

منزه عن شريك فى محاسنه ... فجوهر الحسن فيه غير منقسم

إن قلت إذا كان كذلك فلم لم تفتتن النساء بجمال محمد النبى صلى الله عليه وسلم كما افتتن بجمال يوسف . أجيب بأن جمال محمد قد ستره الله بالجلال كالشمس لايستطيع أحد أن يتأمل فيها إذا قرب منها ولذا لم ترو الشمائل الشريفة إلا عن صغار الصحابة كالحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم لا عن كبارهم لقيام الجلال بقلوبهم فيمنعهم من وصفه وأما جمال يوسف فهو ظاهر لم يستتر بجلال كالبدر فحينئذ يتأمل فيه المتأمل ويصفه الواصف غير أنه يعجز عن استيعاب محاسنه ، ومن هذا المعنى قول ابن الفارض :

لو أسمعوا يعقوب بعض ملاحة ... فى وجهه نسى الجمال اليوسفى

(قوله فعلم به إخوته) أى حين نظروا إلى القافلة واجتماعها على البئر فأتوهم وقد ظنوا موت يوسف فرأوه أخرج حيا فضربوه وشتموه وقالوا هذا عبد

(فَأَدْلَى) أرسل (دَلْوَهُ) فى البئر فتعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه (قَالَ يَابُشْرَايَ) وفى قراءة بشرى ونداؤها مجاز أى احضرى فهذا وقتك (هٰذَا غُلَامٌ) فعلم به إخوته فأتوهم (وَأَسَرُّوهُ) أى أخفوا أمره جاعليه (بِضَاعَةً) بأن قالوا هذا عبدنا أبق وسكت يوسف خوفا أن يقتلوه (وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ . وَشَرَوْهُ) باعوه منهم (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) ناقص (دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ) عشرين أو اثنين وعشرين (وَكَانُوا) أى إخوته (فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذى اشتراه بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ) وهو قطفير العزيز (لِامْرَأَتِهِ) ، زليخاء

أبق منا فإن أردتم بعناه لكم ثم قالوا له بالعبرانية لاتنكر العبودية نقتلك فأقر بها فاشتراه مالك ابن ذعر الخزاعى (قوله وأسروه) الضمير عائد على السيارة بمعنى بعضهم وهو مالك بن ذعر والمعنى أن البائع والمشترى أخفوا أمره وجعلوه بضاعة أى قالوا إنه بضاعة استبضعناه لبعض أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وإنما قالوا ذلك خيفة أن يطلبوا منه الشركة فيه ، وقوله جاعليه حال من فاعل أسروه ، وقوله بضاعة معمول لتلك الحال وهذا فى الحقيقة وأما بحسب الظاهر فهو حال من الواو فى أسروه ، ومعنى قوله بضاعة أنه ملك للغير أعطوه له ليبيعه لهم ويصح أن يعود الضمير على الاخوة ويكون معنى البضاعة الشىء المتمول الذى يباع ويشترى وعليه درج المفسر (قوله بما يعملون) أى من العمل الذى ظاهره قبيح وباطنه حسن حيث ترتب عليه من الأسرار والفوائد العظيمة ما لايدخل تحت حصر وهذا تعليم من الله لعباده التفويض والتسليم له فى شأن إخوة يوسف والمعنى لاتخض أيها السامع فى شأنهم بسوء فإن الله عليم بما يعملون (قوله باعوه) أى إخوته ، وقوله منهم أى السيارة والمعنى باعه إخوته للسيارة أى لبعضهم وهو مالك بن ذعر الخزاعى (قوله ناقص) أى عن قيمته لوكان رقيقا وقيل إن البخس معناه الحرام لأنه ثمن حر وهو حرام (قوله معدودة) أشار بذلك إلى أنها قليلة لأنهم كانوا لايزنون ماقل عن أربعين درهما ويأخذونها عدا ويزنون مابلغها وهو أوقية (قوله أى إخوته) ويصح أن يعود الضمير على السيارة وإنما زهدوا فيه لخوفهم منه حيث وصف لهم بالاباق (قوله الذى اشتراه) أى وهو مالك بن ذعر الخزاعى (قوله بعشرين دينارا الخ) وقيل لما عرض للبيع ترافع الناس فى ثمنه حتى أبلغ وزنه ذهبا وقيل فضة وقيل مسكا وقيل حريرا وكان وزنه أربعمائة رطل (قوله وهو قطفير العزيز) أى وكان وزيرا للريان ملك مصر وقد آمن بيوسف ومات فى حياته وقد اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث يوسف فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة

(قوله زليخاء) بفتح الزاى وكسر اللام والمد أو بضم الزاى وفتح اللام (قوله عسى أن ينفعنا) أى يكفينا بعض أمورنا إذا قوى وبلغ أو ربح إذا أردنا بيعه (قوله أو نتخذه ولدا) أى نتبناه وأو مانعة خلو تجوز الجمع وهو المقصود لهما (قوله وكان حصورا) أى لايأتى النساء أو عقيا (قوله وكذلك) إلى قوله نجزى المحسنين معترض بين وصية العزيز وما وقع من زوجته (قوله من القتل) أى الذى عزم عليه إخوته وقوله والجب أى الذى رموه فيه (قوله وعطفنا عليه قلب العزيز) أى خلقنا فيه الميل والمحبة حيث دفع فيه المال الكثير وأوصى زوجته عليه (قوله مكنا ليوسف) أى أعطيناه مكانة ورتبة عالية فى الأرض (قوله حتى بلغ مابلغ) أى من السلطنة والعز (قوله لنملكه) إما من الملك بكسر الميم أى نجعله مالكا لما فيها أو من الملك بضمها أى نجعله سلطانا على أهلها (قوله أو الواو زائدة) أى والمعنى مكنا ليوسف فى الأرض لنعلمه الخ (قوله لايعجزه شىء) أى لأنه يحكم مايشاء ويفعل مايريد فلا راد لما قضاه (قوله ولما بلغ أشده) جمع شدة كنعمة وأنعم ولم يقل هنا واستوى كما قال فى حق موسى لأن موسى بلغ الأربعين وهى سن النبوة فقد استوى وتهيأ لحمل أسرار النبوة وأما يوسف فلم يكن إذ ذاك بلغ هذا السن (قوله حكمة) هى العلم مع العمل (قوله وعلما) عطف عام (قوله كما جزيناه) أى بكل خير (قوله نجزى المحسنين) أى فاعلى الاحسان والمعنى لاخصوصية ليوسف بذلك بل سنة الله فى خلقه أن كل محسن له من الله الجزاء الحسن (قوله وراودته) هذه الآية مرتبطة بقوله — وقال الذى اشتراه من مصر — الخ

(٢٢٣)

زليخاء (أَكْرِمِي مَثْوَاهُ) مقامه عندنا (عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) وكان حصوراً (وَكَذَٰلِكَ) كما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر حتى بلغ ما بلغ (وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تعبير الرؤيا عطف على مقدر متعلق بمكنا أى لنملكه أو الواو زائدة (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ) تعالى لايعجزه شىء (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) حكمة (وَعِلْمًا) فقها فى الدين قبل أن يبعث نبياً (وَكَذَٰلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا) هى زليخاء (عَنْ نَفْسِهِ) أى طلبت منه أن يواقعها (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ) للبيت (وَقَالَتْ) له (هَيْتَ لَكَ) أى هلم واللام للتبيين وفى قراءة بكسر الهاء وأخرى بضم التاء (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) أعوذ بالله من ذلك (إِنَّهُ) أى الذى اشترانى (رَبِّي) سيدى

وما بينهما اعتراض قصد به بيان عواقب صبر يوسف من السيادة والخير العظيم والمراودة مفاعلة وهى فى الأصل تكون من الجانبين ولكنها هنا من جانب واحد ولما كان الجانب الآخر سببا فى حصول الفعل نزل منزلته فقيل فيه مفاعلة وذلك أن جمال يوسف سبب لميلها وطلبها له ، فالمفاعلة ليست على بابها نظير مداواة المريض فمن سبب المداواة المرض انتقم بالمريض (قوله هى زليخاء) أى ولم يصرح باسمها استهجانا له وسترا وتعليما للأدب كأن الله يقول من الآداب أن لايذكر أحد زوجته باسمها بل يكنى عنها ولم يذكر فى القرآن اسم امرأة إلا مريم وتقدم الجواب عنه بأن النصارى زعموا أنها زوجة الله فذكرها باسمها ردا عليهم كأنه يقول : إن أحدكم يستنكف عن ذكر اسم زوجته بين الناس فلو كانت زوجة له كما تزعمون لكنى عنها كما يكنى الرجل عن زوجته (قوله أى طلبت منه) أشار بذلك إلى أن المراودة من جانبها فقط (قوله وغلقت الأبواب) أى وكانت سبعة (قوله هيت لك) أى بفتح الهاء والتاء ككيف (قوله وفى قراءة بكسر الهاء) أى مع فتح التاء كقيل وقوله وأخرى بضم التاء أى مع فتح الهاء كحيث فهذه ثلاث قراآت وبقى قراءتان وهما هئت بكسر الهاء وبالهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها وكلها سبعية (قوله واللام للتبيين) أى تبيين المفعول الذى هو المخاطب كأنها تقول الخطاب لك نظير سقيالك ورعيالك (قوله معاذ الله) منصوب على أنه مصدر نائب عن الفعل ، والأصل أعوذ بالله معاذا كسبحان الله بمعنى أسبح الله (قوله إنه ربى) الهاء اسم إن وربى خبرها وأحسن جملة حالية أو خبر ثان وما درج عليه المفسر من أن الضمير للحال والشأن[1] ومراده بربه الذى اشتراه أحد تفسيرين والآخر أن الضمير يعود على الله تعالى وهو الأقرب والأظهر .

---

(١) قوله الضمير للحال والشأن لايناسبه الاعراب الذى قبله وعبارة الجلال بعيدة من ذلك اه .

(قوله أحسن مثواى) تعهدى حيث أمرك باكرامى فلا يليق منى أن أخونه وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بلطف (قوله قصدت منه الجماع) أى مع العزم والتصميم (قوله قصد ذلك) أى بمقتضى الطبع البشرى من غير رضا ولا تصميم كميل الصائم للماء البارد ولكن يمنعه دينه عنه ، وهذا لا يؤاخذ به الانسان بل فى مدافعته الثواب الجزيل والأجر الجميل ، فمخالفة النفس عن شهواتها مع وجود ميل الطبع أعلى وأجل من تركها لعدم الميل لها ، ولذا يباهى الله بالشاب التارك لشهواته للملائكة الكرام قال تعالى ـ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى ـ (قوله قال ابن عباس الخ) أى وفى رواية : أنه انفرج سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه ، وفى رواية : أنه نودى يايوسف أتواقعها إنما مثلك مالم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لايطاق عليه وإنما مثلك إن واقعتها مثل الطير إذا وقع على الأرض لايستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا ومثلك مالم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لايطاق ومثلك إذا واقعتها كمثله إذا مات ودخل النمل فى قرنه لايستطيع أن يدفع عن نفسه وبالجملة فقد كثرت عليه الواردات فى هذا الشأن (قوله وجواب لولا لجامعها) أى فيكون المعنى امتنع جماعه لها لرؤيته برهان ربه وقيل إن قوله وهم بها هو الجواب والمعنى ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها أى امتنع همه بها لرؤيته برهان ربه فلم يقع منه هم أصلا وحينئذ فالوقف على قوله ولقد همت به وهذا هو الأحسن فى هذا المقام لخلوه من الكلفة والشبهة (قوله كذلك أريناه الخ) أشار

بذلك إلى أن الكاف مع مجرورها فى محل نصب معمول لمحذوف وقوله

(أَحْسَنَ مَثْوَايَ) مقامى فلا أخونه فى أهله (إِنَّهُ) أى الشأن (لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الزناة (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) قصدت منه الجماع (وَهَمَّ بِهَا) قصد ذلك (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ) قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله وجواب لولا لجامعها (كَذَلِكَ) أريناه البرهان (لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ) الخيانة (وَالْفَحْشَاءَ) الزنا (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) فى الطاعة وفى قراءة بفتح اللام أى المختارين (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ) بادر إليه يوسف للفرار وهى للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبته إليها (وَقَدَّتْ) شقت (قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا) وجدا (سَيِّدَهَا) زوجها (لَدَى الْبَابِ) فنزهت نفسها ثم (قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا) زنا (إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ) يحبس أى سجن (أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم بأن يضرب (قَالَ) يوسف متبرئا (هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا) ابن عمها روى أنه كان فى المهد فقال (إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ) قدام (فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ) خلف

لنصرف متعلق بذلك المحذوف (قوله المخلصين فى الطاعة) أى الذين لايشركون فى طاعته غيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بفتح اللام) أى اسم مفعول من أخلصه أى اجتباه واختاره (قوله واستبقا الباب) حكمة إفراد الباب هنا وجمعه فيما تقدم أنها لم تتمكن من المراودة إلا بعد غلق تلك الأبواب وأما فراره وتسابقهما فلم يكن إلا عند باب من تلك الأبواب إن قلت مقتضى قوة الرجولية أنه يسبقها ولم يعقه عائق . أجيب بأن الذى عاقه عن السبق إنما هو الاشتغال بفتح الأبواب (قوله للتشبث) أى التعلق (قوله فأمسكت ثوبه) أى وقطعت منه قطعة بقيت فى يدها (قوله لدى الباب) أى البرانى الأقصى (قوله فنزهت نفسها) أى بادرت بذلك (قوله ماجزاء من أراد الخ) مايحتمل أن تكون نافية أو استفهامية ومن إما موصولة أو نكرة موصوفة (قوله إلا أن يسجن أو عذاب أليم) فى ذلك إشارة لطيفة إلى أن زليخا لشدة حبها ليوسف بدأت بذكر السجن لخفته وأخرت العذاب لشدته لأن المحب لايسعى فى إيلام المحبوب وأيضا فإن قولها إلا أن يسجن فيه إشارة إلى أنها أرادت تخفيف السجن وإلا فلو أرادت التطويل والتعذيب بالسجن لقالت إلا أن يجعل من المسجونين كما قال فرعون لموسى لأجعلنك من المسجونين (قوله قال هى راودتنى الخ) إنما قال ذلك لكونها اتهمته وإلا فلو سكتت لما كان يوسف متكلما بشىء من ذلك (قوله من أهلها) أى ليكون أقوى فى نفى التهمة عن يوسف وهى منفية عنه بأمور منها أنه خرج هاربا والطالب لايهرب ومنها كونها متزينة بأكمل الوجوه ومنها شقها للقميص من خلف (قوله ابن عمها) وقيل ابن خالها (قوله روى أنه كان فى المهد) أى فى الأحاديث الصحيحة وهو أحد قولين وقيل كان كبيرا حكيما وكان فى ذلك الوقت جالسا مع الملك فلما رآهما خارج الباب وحصل منهما ما حصل قال إن كان الخ فكان ذلك على سبيل الفتيا (قوله إن كان قميصه الخ) إن قلت إن قد القميص أمر ثابت من قبل فلا معنى للتعليق عليه والجواب أن يقال إن المعنى إن ثبت أن قميصه قد من قبل الخ (قوله فصدقت)

الكلام على تقدير قد لتصحيح دخول الفاء في الجواب لأن جواب الشرط لا يقرن بالفاء إلا إذا كان لا يصلح لمباشرة الأداة وهذا ماض متصرف يصلح لمباشرتها (قوله إن كيدكن عظيم) أي فيما يتعلق بأمر الجماع والشهوة وإلا فالرجال أعظم في الحيل والمكايد وإنما وصف كيد النساء بالعظم وكيد الشيطان بالضعف لأن كيد النساء أقوى بسبب أنهن حبائل الشيطان فكيدهن مقرون بكيد الشيطان فهما كيدان بخلاف كيد الشيطان دونهن فكيد واحد ، ولذا قال بعضهم : أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى يقول : إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال في حق النساء : إن كيدكن عظيم (قوله واستغفري لذنبك) إن قلت إنهم قوم مشركون فلا يعرفون ذنبا مع خالقهم فما الذنب الذي يطلب الاستغفار منه ؟ . أجيب بأن المراد بالذنب خيانتها لزوجها وفي هذا إشارة إلى أن العزيز قليل الغيرة ، ولذا قال بعضهم : إن تربة مصر تقتضي ذلك ولذا لا ينشأ فيها الأسد ولو دخل فيها لا يبقى (قوله الآثمين) أي برئ يوسف وهو برىء (قوله واشتهر الخبر) قدّره إشارة إلى أن قوله وقال نسوة مرتب على محذوف وهذا الاشتهار منها وذلك أنها أخبرت بعض النساء بذلك وأمرتهن بالكتم فلم يكتمن (قوله وقال نسوة في المدينة) اختلف في عدتهن فقيل خمس وقيل أربعون وجمع بينهما بأن أصل الاشاعة كان من خمس وهنّ امرأة صاحب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه ، ونسوة اسم جمع لا واحد له من لفظه (قوله امرأة

خلف (فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى) زوجها (قميصه قدّ من دبر قال إنه) أي قولك ما جزاء من أراد الخ (من كيدكن إن كيدكن) أيها النساء (عظيم) ثم قال يا (يوسف أعرض عن هذا) الأمر ولا تذكره لئلا يشيع (واستغفري) يا زليخا (لذنبك إنك كنت من الخاطئين) الآثمين ، واشتهر الخبر وشاع (وقال نسوة في المدينة) مدينة مصر (امرأت العزيز تراود فتاها) عبدها (عن نفسه قد شغفها حبا) تمييز أي دخل حبه شغاف قلبها أي غلافه (إنا لنراها في ضلال) خطإ (مبين) بين بحبها إياه (فلما سمعت بمكرهن) غيبتهن لها (أرسلت إليهن وأعتدت) أعدت (لهن متكأ) طعاما يقطع بالسكين للاتكاء عنده وهو الأترج (وآتت) أعطت (كل واحدة منهن سكينا وقالت) ليوسف (اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) أعظمنه (وقطعن أيديهن) بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف (وقلن حاش لله) تنزيها له (ماهذا) أي يوسف (بشرا

العزيز) مبتدأ وقوله تراود فتاها خبر أول وقوله : قد شغفها حبا خبر ثان وحبا تمييز محول عن الفاعل والأصل قد شغف حبه قلبها (قوله فتاها) الفتى هو الشاب القوي (قوله أي دخل حبه شغاف قلبها) الشغاف جلدة رقيقة على القلب تمنع أذى الطعام والشراب عن القلب وحينئذ يكون المعنى أن حبه خرق تلك الجلدة ووصل للقلب وسكنه ، وقيل إن معنى شغفها صار محيطا بقلبها كما يحيط الشغاف بالقلب حتى لا تكاد تنظر لغيره (قوله خطأ مبين) أي حيث تركت ما يليق بها من العفة والستر وأحبت غير زوجها (قوله بمكرهن) أي حديثهن ، وسمي مكرا لأنهن طلبن بذلك رؤية يوسف لأنه قد وصف لهن حسنه وجماله فتعلقن به وأحببن أن يرينه (قوله غيبتهن) إنما سميت الغيبة مكرا لإخفائها عن المغتاب كما يخفى المكر (قوله أرسلت إليهن) أي وكن أربعين امرأة من أشراف المدينة فصنعت لهن ضيافة عظيمة (قوله وأعتدت) أي هيأت وأحضرت (قوله متكأ) سمي الطعام بذلك لأنه يتكأ عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء (قوله وهو الأترج) بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم جمع أترجة ويقال فيه ترنج والأولى هي الفصحى (قوله سكينا) أي خنجرا وكان من عادتهن أكل الفواكه واللحم بالسكين (قوله وقالت اخرج عليهن) أي وقد زينته بأحسن الزينة وحبسته في مكان آخر (قوله فلما رأينه) مرتب على محذوف تقديره فخرج فلما رأينه الخ (قوله أعظمنه) أي هبنه ودهشن عند رؤيته من شدة حسنه وجماله ، يقال إنه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عزوجل قبل أن يخرج من الجنة وقيل إنهن أعظمنه لأنهن رأين عليه آثار النبوة والمهابة وعدم الالتفات إليهن فوقع الرعب في قلوبهن وتعجبن منه (قوله وقطعن أيديهن) أي جرحنها حتى سال الدم قال وهب : ماتت منهن جماعة (قوله وقلن حاش) بإثبات ألف بعد الشين وحذفها قراءتان سبعيتان وهذا بالنظر للنطق وأما في الرسم فلا تكتب فيه ألف بعد الشين (قوله ماهذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون

هذا بشرا إنما هذا ملك كريم على ربه (قوله إن هذا إلا ملك كريم) المقصود من هذا إثبات الحسن العظيم ليوسف لسامعهم أنه لاشيء أحسن من الملك ولأنه لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة مهابا لاتحكم عليه الصورة شبه به (قوله شطر الحسن) أي نصفه ، والمعنى أن الله خلق حسنا فأعطى يوسف نصفه وقسم نصفه بين الخلائق (قوله فذلكن) ذا اسم إشارة القريب لحضوره بالمجلس وقرن باللام للفيدة البعد إشارة لبعد رتبته عن غيره ولذا فسرها المفسر بهذا الذي القريب (قوله الذي لمتنني فيه) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو (قوله امتنع) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان (قوله ولئن لم يفعل) اللام موطئة لقسم محذوف و إن شرطية وقوله ليسجنن جواب القسم وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم أنه يحذف جواب المتأخر منهما (قوله فقلن له أطع مولاتك) ورد : أنه مامن امرأة إلادعته لنفسها (قوله قال رب) لما اشتد به الكرب توجه لربه فى الفرج (قوله أحب إلى) اسم التفضيل ليس على بابه إذ ليس له فيما يدعونه إليه محبة ورغبة . إن قلت هو مجاب الدعوة فلم طلب النجاة بالسجن ولم يطلب النجاة العامة ؟ . أجيب بأنه اطلع على أن السجن محتم عليه فدعا به لأن النبي لاينطق عن الهوى (قوله مما يدعوننى) فعل مضارع مبنى على سكون الواو والنون الأولى النسوة فاعل والثانية نون الوقاية وهو مثل النسوة يعفون فالواو ليست ضميرا بل هى لام الكلمة (قوله والقصد بذلك)

إن) ما (هٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) لما حواه من الحسن الذى لايكون عادة فى النسمة البشرية وفى الصحيح أنه أعطى شطر الحسن (قَالَتْ) امرأة العزيز لما رأت ماحل بهن (فَذٰلِكُنَّ) فهذا هو (الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ) فى حبه بيان لعذرها (وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) امتنع (وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ) به (لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ) الذليلين فقلن له أطع مولاتك (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ) أمل (إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ) أصر (مِنَ الْجَاهِلِينَ) المذنبين والقصد بذلك الدعاء فلذا قال تعالى (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ) دعاءه (فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (ثُمَّ بَدَا) ظهر (لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ) الدالات على براءة يوسف أن يسجنوه دل على هذا (لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى) إلى (حِينٍ) ينقطع فيه كلام الناس فسجن (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) غلامان للملك أحدهما ساقيه والآخر صاحب طعامه فرأياه يعبر الرؤيا فقالا لنختبرنه ،

أى بقوله : و إلا تصرف عنى الخ كأنه قال اللهم اصرف عنى كيدهن لأجل أن لاأصير من الجاهلين لأنك إن لم تصرفه عنى صرت منهم إذ لاقدرة لى على الامتناع إلا باعانتك لى (قوله ثم بدا لهم) أى للعزيز وأصحابه وذلك أن زليخا قالت لزوجها إن هذا العبد العبرانى قد فضحنى عند الناس يخبرهم أنى قد راودته عن نفسه فاما أن تأذن لى فأخرج وأعتذر إليهم و إما أن تسجنه فظهر لهم سجنه لما فيه من المصلحة بحسب رأيهم مع علمهم ببراءته ونزاهته (قوله أن يسجنوه) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل بدا (قوله ليسجننه) اللام موطئة لقسم محذوف والجملة فى محل نصب مقول لقول محذوف والتقدير ثم ظهر لهم سجنه قائلين والله ليسجننه (قوله حتى حين) أى وهو سبع سنين أو اثنتا عشرة سنة وسيأتى ذلك (قوله ودخل معه) أى صحبته ، والمعنى كانا مقارنين له فى الدخول وهذا مرتب على قول المفسر فسجن (قوله غلامان) تثنية غلام وهو اسم للشخص من حين ولادته إلى أن يشب وقوله للملك أى ملك مصر وهو الريان بن الوليد العمليق (قوله أحدهما ساقيه) أى واسمه سرهم وقوله والآخر صاحب طعامه أى واسمه برهم . وسبب سجنهما أن جماعة من أهل مصر أرادوا قتل الملك فجعلوا لهما رشوة على أن يسما الملك فى طعامه وشرابه فأجابا ثم إن الساقى ندم ورجع والخباز قبل الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدى الملك قال الساقى لاتأكل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز لاتشرب أيها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب من الشراب فشرب وقال للخباز كل من الطعام فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهما فاتفق أنهما دخلا مع يوسف (قوله فرأياه يعبر الرؤيا) أى ينشر علمه ويقول إنى أعبر الأحلام (قوله لنختبرنه) أى لنمتحننه ليظهر لنا حاله .

(قال

(قَالَ أَحَدُهُمَا) وهو الساقى (إِنِّىَ أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً) أى عنباً (وَقَالَ الآخَرُ) وهو صاحب الطعام (إِنِّى أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا) خبرنا (بِتَأْوِيلِهِ) بتعبيره (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ . قَالَ) لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا (لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ) فى منامكما (إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) فى اليقظة (قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا) تأويله (ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّى) فيه حث على إيمانهما ثم قواه بقوله (إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ) دين (قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ . وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَاءِى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ) ينبغى (لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللهِ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) لعصمتنا (ذٰلِكَ) التوحيد (مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لاَ يَشْكُرُونَ) الله فيشركون ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال (يَا صَاحِبَيِ) ساكنى (السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) خبر استفهام تقرير (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (إِلاَّ أَسْمَاء

(قوله قال أحدهما) أى بعد مضى خمس سنين من دخولهم السجن (قوله إنى أرانى) أرى تنصب مفعولين الياء مفعول أول وجملة أعصر خمرا مفعول ثان (قوله أى عنبا) أى فتسميته خمرا من باب مجاز الأول أى عنبا يؤول إلى كونه خمرا وفى القصة أنه قال رأيت فى المنام كأنى فى بستان وفيه شجرة وعليها ثلاثة عناقيد من العنب وكأن كأس الملك فى يدى فعصرتها فيه وسقيت الملك (قوله إنى أرانى) أى رأيتنى فالتعبير بالمضارع استحضار للحال الماضية (قوله أحمل فوق رأسى خبزا) وذلك أنه قال رأيت فى المنام كأن فوق رأسى ثلاث سلال وفيها الخبز وألوان الأطعمة وسباع الطير تنهش منها (قوله إنا نراك من المحسنين) أى العالمين بتعبير الرؤيا وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه فى السجن يعود المرضى ويقوم الليل ويصوم النهار ويصبر أهل السجن ويبشرهم ويواسى فقيرهم فكان يقول اصبروا وأبشروا فيقولون بارك الله لنا فيك يافتى ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك فمن أين أنت قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله إسحق ابن خليل الله إبراهيم فقال له صاحب السجن يافتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأرفق بك وأحسن جوارك واختر أى بيوت السجن شئت (قوله مخبرا أنه عالم) أى لأجل أن يقبلوا عليه ويؤمنوا به وهكذا ينبغى للعالم الخامل أن يظهر نفسه ليقتدى به ويؤخذ عنه وإنما أخبرهما بذلك توطئة لدعائهما إلى الايمان (قوله فى منامكما) أى فالمعنى أىّ طعام رأيتماه فى المنام وأخبرتمانى به إلا فسرته لكما قبل أن يقع فى الخارج وخص رؤية الطعام لأنهما من أهل الطعام والشراب والشأن أن رؤيا المنام تتعلق باشتغال الشخص فى اليقظة ، وقيل المراد إتيان الطعام لهما فى اليقظة والمعنى لا يأتيكما طعام ترزقانه من منازلكما إلا أخبرتكما بقدره وكيفيته والوقت الذى يأتى فيه قبل أن يصلكما فهو إشارة إلى أن من معجزاته الإخبار بالمغيبات ، وهذا مثل معجزة عيسى حيث قال : وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فقالا ليوسف هذا من علم العرافين والكهنة فمن أين لك هذا العلم فقال ذلكما مما علمنى ربى الخ (قوله فيه حث) أى تعريض لطلب الايمان (قوله إنى تركت) المراد بالترك عدم التلبس بالشئ من أول الأمر (قوله واتبعت ملة آبائى) لما بين أنه ادعى النبوّة وأظهر المعجزة بين هنا أنه لاغرابة فى ذلك لأنه من بيت النبوّة ، وذلك لأن إبراهيم واسحاق ويعقوب كانوا مشهورين بالرسالة ، وذكر الفخر الرازى أنه نبئ فى السجن ولا مانع أنه نبئ قبل الأربعين كيحيى وعيسى وذلك لأن إخوته رموه فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة ومكث تحت يد العزيز ثلاث عشرة سنة من جملتها مدة السجن فتكون الجملة ثلاثين سنة (قوله ما كان لنا) أى لايصح ولايليق منا معشر الأنبياء أن نشرك بالله شيئا مع اصطفائه لنا وانعامه علينا بأنواع النعم وفى هذا تعريض لهم بترك ماهم عليه من الشرك كأنه قال لايصح للعبد الضعيف العاجز المفتقر أن يعبد غير من هو مفتقر إليه ومنعم عليه (قوله لعصمتنا) أى فليس المراد أنه حرم ذلك عليهم بل المراد أنه طهرهم من الكفر (قوله من فضل الله علينا) أى بالوحى ، وقوله وعلى الناس : أى بارشادهم (قوله ياصاحبى السجن) قدر المفسر ساكنى إشارة إلى أن الاضافة لأدنى ملابسة ويصح أن يكون المعنى ياصاحبىّ فى السجن فالاضافة للظرف (قوله متفرقون) أى من ذهب وفضة وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك (قوله ماتعبدون) خطاب لأهل السجن جميعا .

(قوله سميتموها) أى فكأنكم لاتعبدون إلا الأسماء المجردة والمعنى أنكم سميتم مالم يدل على استحقاقه للألوهية عقل ولا نقل ثم أخذتم تعبدونها قوله المستقيم أى الذى لااعوجاج فيه (قوله مايصيرون) قدره إشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله ياصاحبى السجن) هذا شروع فى تعبير رؤياهما (قوله فيخرج بعد ثلاث) أى من الأيام وهى العناقيد الثلاثة التى عصرها (قوله سيده) أى وهو الملك (قوله وأما الآخر فيخرج بعد ثلاث) أى من الأيام وهى السلال الثلاث (قوله فقالا مارأينا شيئا) هذا أحد قولين وقيل إنهما رأيا ذلك حقيقة فرآهما مهمومين فسألهما عن شأنهما فذكر كل واحد له رؤياه (قوله قضى الأمر) المراد به الجنس أى قضى أمر كل واحد وما يؤول إليه شأنه كذب أوصدق (قوله سألتما) تفسير لتستفتيان فالمراد من المضارع الماضى (قوله وقال للذى ظن أنه ناج) إن كان الظن واقعا من الساقى فالأمر ظاهر وإن كان من يوسف فهو بمعنى اليقين كما قال المفسر على حد الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم (قوله سيدك) أى وهو الملك (قوله محبوسا) أى طال حبسه ظلما خمس سنين (قوله أى الساقى) أى والمعنى أنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك وذلك للحكم الباهرة التى ستظهر وهذا أحد قولين وقيل إن الضمير عائد على يوسف والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف ذكر ربه عز وجل حين استغاث بمخلوق واسناد الانساء للشيطان لأنه يفرح به ويحبه ظانا أن يوسف يطرد بذلك وإلا فالذى أنساه ذلك ربه لا الشيطان فانه لاتسلط له على المرسلين قال تعالى: إن عبادى ليس لك عليهم سلطان، فلما وقع من يوسف ذلك عوتب ببقائه فى السجن تلك المدة من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله قيل سبعا) أى وهى مدة مكث أيوب فى البلاء وقوله وقيل اثنتى عشرة هذا قول ثان فى مدة السجن وقيل خمسا ونصفا قبل قوله اذكرنى وسبعا بعده وقيل أربع عشرة سنة خمس قبل القول وتسع بعده وحكمة مكثه تلك المدة فى السجن ليؤمن أهل السجن وليصل أمره للملك فيخرج والحال أنه مطلوب لاطالب فيتحقق له العز الذى بشر به سابقا فترتب على طلبه السجن وإبقائه فيه الزمن الطويل من الحكم العظيمة والأسرار الفخيمة والعز والسودد مالاتحيط به العبارة ولاتحصيه الاشارة فأمور يوسف صلوات الله وسلامه عليه ظاهرها ذل وباطنها غاية العز على حد قول البوصيرى:

لو يمس النضار هون من النا ... ر لما اختير النضار الصلاء

فبلايا الأنبياء والمقربين لاتزيدهم إلا رفعة وعزا (قوله وقال الملك الخ) أى لما أراد الله الفرج عن يوسف وإخراجه من السجن رأى ملك مصر رؤيا عجيبة أهالته فجمع سحرته وكهنته ومعبريه وأخبرهم بما رأى فى منامه وسألهم عن تأويلها فأعجزهم الله جميعا ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف من السجن (قوله أى رأيت) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى استحضارا للحال الماضية. وحاصل رؤياه أنه رأى فى منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج بعدهن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال والضعف فابتلعت العجاف السمان ودخلت فى بطونها ولم ير منهن شىء ولم يتبين على العجاف شىء منها ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدن فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتهن شىء

سَمَّيْتُمُوهَا) سميتم بها أصناما (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا) بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة وبرهان (إِنْ) ما (الْحُكْمُ) القضاء (إِلاَّ لِلَّهِ) وحده (أَمَرَ أَ) ن (لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ) التوحيد (الدِّينُ الْقَيِّمُ) المستقيم (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لاَ يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا) أى الساقى فيخرج بعد ثلاث (فَيَسْقِي رَبَّهُ) سيده (خَمْرًا) على عادته (وَأَمَّا الآخَرُ) فيخرج بعد ثلاث (فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ) هذا تأويل رؤياكما فقالا مارأينا شيئا فقال (قُضِيَ) تم (الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) سألتما عنه صدقتما أم كذبتما (وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ) أيقن (أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا) وهو الساقى (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) سيدك فقل له إن فى السجن غلاما محبوسا ظلما فخرج (فَأَنْسَاهُ) أى الساقى (الشَّيْطَانُ ذِكْرَ) يوسف عند (رَبِّهِ فَلَبِثَ) مكث يوسف (فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) قيل سبعا وقيل اثنتى عشرة (وَقَالَ الْمَلِكُ) ملك مصر الريان بن الوليد (إِنِّي أَرَى) أى رأيت (سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ) يبتلعهن (سَبْعٌ) من البقر (عِجَافٌ) جمع

(قوله جمع عجفاء) أى جمع سماعي والقياس عجف . قال ابن مالك * فعل لنحو أحمر وحمرا * (قوله خضر) أى انعقد حبها وقوله وأخر يابسات : أى بلغت أوان الحصد وهو معطوف على سبع ويكون قد حذف اسم العدد منه لدلالة ماقبله عليه (قوله يا أيها الملأ) أى السحرة والمعبرون (قوله تعبرون) من عبر بالتخفيف يقال عبر البحر جاوزه وعبر الرؤيا فسرها كأن المعبر لما فسر الرؤيا خاص من ورطتها كالذى يجاوز البحر وزيدت اللام فى للرؤيا تقوية للعامل لتأخره عن معموله (قوله فاعبروها لى) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف دلّ عليه ماقبله (قوله أضغاث أحلام) أى تخاليطها جمع ضغث وأصله ماجمع وحزم من النبات كالحزمة من الحشيش استعير للرؤيا الكاذبة ، والمعنى أنهم قالوا إن هذه الرؤيا أخلاط أحلام من الشيطان فلا تعبر ، وهذا لفرط عجزهم وجهلهم بتعبيرها على العادة أن من جهل شيئا عاداه (قوله وقال الذى نجا الخ) أى بعد أن جلس بين يدى الملك وقال له إن فى السجن رجلا عالما بتعبير الرؤيا (قوله وادكر) إما حال من الذى أو عطف على نجا (قوله فيه إبدال التاء) أى تاء الافتعال والأصل اذتكر بتاء بعد الذال قلبت التاء دالا فاجتمع متقاربان أبدل الأول من جنس الثانى وأدغم (قوله و إدغامها فى الدال) المناسب قلب العبارة بأن يقول و إدغام الدال فى الدال

أى بعد قلبها دالا (قوله بعد أمة) بضم الهمزة وتشديد الميم هى فى الأصل الجماعة من الناس ثم أطلق على الجماعة من الأيام (قوله حين) أى وهو سنتان أو سبع أو تسع (قوله حال يوسف) أى من كونه عالما بتعبير الرؤيا (قوله فأرسلون) إنما جمع و إن كان الخطاب لواحد لأجل التعظيم (قوله فأرسلوه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف ثلاث جمل وجملة مجىء الرسول ليوسف فى السجن أربع مرات الأولى فى قوله ـ فأرسلون يوسف ـ الخ

جمع عجفاء (وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ) أى سبع سنبلات (يَابِسَاتٍ) قد التوت على الخضر وعلت عليها (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ) بينوا لى تعبيرها (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) فاعبروها لى (قَالُوا) هذه (أَضْغَاثُ) أخلاط (أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ . وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا) أى من الفتيين وهو الساقى (وَادَّكَرَ) فيه إبدال التاء فى الأصل دالا و إدغامها فى الدال أى تذكر (بَعْدَ أُمَّةٍ) حين حال يوسف (أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) فأرسلوه فأتى يوسف فقال يا (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ) الكثير الصدق (أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) أى الملك وأصحابه (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) تعبيرها (قَالَ تَزْرَعُونَ) أى ازرعوا (سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا) متتابعة وهى تأويل السبع السمان (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ) أى اتركوه (فِي سُنْبُلِهِ) لئلا يفسد (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ) فادرسوه (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى السبع المخصبات (سَبْعٌ شِدَادٌ) مجدبات صعاب وهى تأويل السبع العجاف (يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) من الحب المزروع فى السنين المخصبات أى تأكلونه فيهن (إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ) تدخرون (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أى السبع المجدبات (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ) بالمطر (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)

والثانية فى قوله ـ فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك ـ والثالثة فى قوله ـ ذلك ليعلم أنى لم أخنه ـ الخ ، والرابعة فى قوله ـ وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ـ الخ (قوله الكثير الصدق) وصفه بذلك لأنه جرب به فى السجن فى تعبير الرؤيا وغيره (قوله أى الملك) أى ومن عنده (قوله أى ازرعوا) إنما حمله على الأمر مناسبة قوله فذروه و إلا فالمناسب إبقاؤه على حاله من الاخبار لأنها تفسير الرؤيا وفيه إشارة إلى أن الله أمر بذلك لتحتم حصوله فى علمه تعالى (قوله دأبا) بفتح الهمزة وسكونها قراءتان سبعيتان وهو مصدر واقع موقع الحال (قوله وهى تأويل السبع السمان) أى والسبع الخضر (قوله لئلا يفسد) أى يأكله السوس كما هو شأن غلال مصر ونواحيها ومنعه من الفساد ببقائه فى سنبله من خصوصيات يوسف و إلا ففى زمننا بقاؤه فى سنبله لايدفع عنه الفساد (قوله وهى تأويل السبع العجاف) أى والسبع اليابسات (قوله أى تأكلونه فيهن) أشار بذلك إلى أن الاسناد مجازى من الاسناد للظرف كما فى نهاره صائم (قوله تدخرون) أى للبذر (قوله ثم يأتى من بعد ذلك عام الخ) هذه بشارة لهم زيادة على تعبير الرؤيا (قوله يغاث الناس) إما من الغوث وهو الفرج وزوال الكرب أو من الغيث وهو المطر ، والمعنى فيه ينزل كرب الناس ويفرج عنهم بنزول المطر وتتابع الخير عليهم .

(قوله الأعناب) أى يعصرونها خمرا ، وقوله وغيرها : أى كالزيتون والسمسم والكتان والقصب وغيرذلك (قوله وقال الملك) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله لما جاءه الرسول الخ ، وذلك أن الساقى لما رجع إلى الملك وأخبره بما عبر به يوسف رؤياه واستحسنه الملك وعرف أن الذى قاله كائن لامحالة قال ائتونى به حتى أبصره فرجع الساقى وقال له أجب الملك فقال له ارجع الخ (قوله فلما جاءه الرسول) مرتب على محذوف : أى فذهب الرسول إلى طلبه فلما جاءه الخ (قوله إظهار براءته) أى لتظهر براءة ساحته و يعلم أنه سجن ظلما (قوله إلى ربك) أى وهو الملك (قوله إن ربى سيدى) أى فالمراد به العزيز وهو استشهاد بكونه يعلم مكرهن وكيدهن ويصح أن يكون المراد بالرب الله تعالى وحينئذ يكون فى كلامه التفويض لله تعالى وهو الأقرب (قوله لجمعهن) أى وكانت زليخاء معهن وخاطبهن جميعا ولم يخص زليخاء بالخطاب سترا عليها (قوله من سوء) أى خيانة (قوله قالت امرأت العزيز) هذا إقرار منها بالحق والحامل لها على ذلك كون يوسف راعى جانبها حيث قال مابال النسوة الخ ولم يذكرها مع أن الفتن كلها إنما نشأت من جهتها فكافأته بأن اعترفت بأن الذنب منها (قوله وضح) أى اتضح (قوله فأخبر يوسف بذلك) أى بجواب النسوة المذكور (قوله فقال) أى يوسف وهذا أحد قولين ، وقيل إن قوله ذلك ليعلم من كلام زليخا ويكون المعنى ذلك الذى قلته ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه وجئت بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسى من

الخيانة إن النفس لأمارة بالسوء إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (قوله ليعلم العزيز) أى زوج زليخا (قوله حال) أى إما من الفاعل : أى وأنا غائب عنه أو من المفعول : أى وهو غائب عنى (قوله لايهدى كيد الخائنين) أى لا يسدده (قوله ثم تواضع لله) أى فوقع منه هذا القول على سبيل التواضع وإلا فيستحيل فى حقه أن تأمره نفسه بالسوء لعصمته

الأعناب وغيرها لخصبه (وَقَالَ الْمَلِكُ) لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها (ائْتُونِي بِهِ) أى بالذى عبرها (فَلَمَّا جَاءَهُ) أى يوسف (الرَّسُولُ) وطلبه للخروج (قَالَ) قاصدا إظهار براءته (ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ) أن يسأل (مَا بَالُ) حال (النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي) سيدى (بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) فرجع فأخبر الملك فجمعهن (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ) شأنكن (إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ) هل وجدتن منه ميلا إليكن (قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ) وضح (الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فى قوله هى راودتنى عن نفسى فأخبر يوسف بذلك فقال (ذَٰلِكَ) أى طلب البراءة (لِيَعْلَمَ) العزيز (أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ) فى أهله (بِالْغَيْبِ) حال (وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) ثم تواضع لله فقال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) من الزلل (إِنَّ النَّفْسَ) الجنس (لَأَمَّارَةٌ) كثيرة الأمر (بِالسُّوءِ إِلَّا مَا) بمعنى من (رَحِمَ رَبِّي) فعصمه (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) أجعله خالصا لى دون شريك فجاءه الرسول وقال أجب الملك فقام وودع أهل السجن ودعا لهم ثم اغتسل ، ولبس

(قوله وما أبرئ نفسى) هذه الجملة حالية من محذوف ، والتقدير طلبت البراءة ليعلم الخ والحال أنى لم أقصد بذلك تنزيه نفسى ولا براءتها الخ (قوله الجنس) أى جنس النفوس (قوله كثيرة الأمر) أى لصاحبها . واعلم أن النفس واحدة ولها صفات : فأول أمرها تكون أمارة بالسوء تدعو إلى الشهوات وتميل إليها ولا تبالى ، وهذه نفس الكفار والعصاة المصرين فإذا أراد الله لها بالهدى جعل لها واعظا يأمرها و ينهاها ، فحينئذ تصير لوامة تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل ، فينشأ عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه لخالقه ، فإذا كثر عليها ذلك واستمر صارت مطمئنة ساكنة تحت قضاء الله وقدره راضية بأحكامه فتستحق من الله العطايا والتحف . قال تعالى ـ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ـ وهذا هو مقام الواصلين وقبل ذلك يسمى مقام السائرين (قوله وقال الملك) أى وهو الريان بن الوليد وذلك أنه لما ظهر له فى يوسف من المزايا التى لم توجد فى غيره قال ماذكر (قوله فجاءه الرسول الخ) قدر المفسر هذه الجمل وهى ثمانية إشارة إلى أن قوله تعالى ـ فلما كلمه ـ مرتب على محذوف (قوله ودعا لهم) أى بقوله : اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار (قوله ثم اغتسل) أى فلما خرج من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبر الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء .

ولبس ثياباً حسانا ودخل عليه (فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ) له (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) ذو مكانة وأمانة على أمرنا فماذا ترى أن نفعل ؟ قال اجمع الطعام وازرع زرعا كثيراً فى هذه السنين المخصبة وادخر الطعام فى سنبله فيأتى إليك الخلق ليمتاروا منك فقال ومن لى بهذا (قَالَ) يوسف (اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ) أرض مصر (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) ذو حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب حاسب (وَكَذَٰلِكَ) كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (يَتَبَوَّأُ) ينزل (مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ) بعد الضيق والحبس وفى القصة أن الملك توجه وختمه وولاه مكان العزيز وعزله

(قوله ولبس ثيابا حسانا) يؤخذ من هذا أن مما ينبغى عند الدخول على السلاطين الطهارة وتحسين الهيئة وهذه الثياب يحتمل أنها كانت عنده أو أرسلها له الملك (قوله ودخل عليه) ورد أنه لما دخل سلم عليه بالعربية ، فقال الملك ما هذا اللسان ؟ قال لسان عمى إسماعيل ، ثم دعا له بالعبرانية ، فقال له ماهذا اللسان أيضا ؟ فقال هذا لسان آبائى ، وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا ولم يعرف هذين اللسانين ، وكان كلما تكلم بلسان أجابه يوسف به فتعجب الملك من أمره مع صغر سنه لأنه كان إذ ذاك ابن ثلاثين سنة ثلاث عشرة منها مدة إقامته مع زليخا والسجن وسبع عشرة قبلها ، وعلى هذا فدعواه لعبادة الله فى السجن إما نبوة قبل الأربعين أو نصيحة منه لدين آبائه على عادة العلماء وتأسيسا لنبوته (قوله مكين أمين) أى قريب المنزلة رفيع الرتبة مؤتمن على سرنا (قوله قال فماذا ترى أن نفعل الخ) روى أن الملك قال ليوسف عليه السلام: أحب أن أسمع تأويل رؤياى منك شفاها. قال نعم: أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن النيل فطلعن من شاطئه تشخب أخلافهن لبنا فبينا أنت تنظر إليهن وقد أعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمئه سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضرع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسن السمان افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن ، فبينا أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن وإذا سبع سنبلات خضر وسبع سنبلات أخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء ، فبينا أنت تقول فى نفسك أى شىء هذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد أصولهن فى الثرى والماء إذ هبت ريح فردت أوراق اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحترقن فصرن سودا فهذا ما رأيت أيها الملك ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما أخطأت فيها شيئا فما شأن هذه الرؤيا وإن كانت عجبا فما هى بأعجب مما سمعت منك وما ترى من تأويل رؤياى أيها الصديق ؟ . قال يوسف عليه السلام : أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتجعل ما يتحصل من ذلك الطعام فى الخزائن بقصبه وسنبله فانه أبقى له فيكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتأمر الناس أن يدفعوا الخمس من زرعهم أيضا فيكفيك ذلك الطعام الذى جمعته لأهل مصر ومن حولها وتأتيك الخلق من سائر النواحى للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والأموال مالم يجتمع لأحد من قبلك فقال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه لى ويبيعه لى ولو جمعت أهل مصر ما أطاقوا ذلك ولم يكونوا فيه أمناء ، فقال يوسف عند ذلك اجعلنى الخ (قوله قال اجعلنى على خزائن الأرض) إن قلت إن فى ذلك القول طلب التقدم والامارة وهو لا يليق بالأخيار . أجيب بأن محل هذا مالم يتعين عليهم وإلا فحينئذ يجب طلبها وأيضا ذلك بوحى من الله وكان بين ذلك القول وتوليته على الخزائن سنة وإنما أخره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع مزيد رغبته فيه ليشتهر قبل التولية بين أهل المملكة فى أطراف القطر ويصير معروفا للخاص والعام وأنه ذو المكانة والأمانة عند الملك (قوله إنى حفيظ عليم) تعليل لما قبله ومفعول اجعل الثانى محذوف ، والتقدير اجعلنى أمينا على خزائن الأرض فإنى حفيظ عليم . إن قلت إن فى هذا تزكية للنفس وقد نهى الله عن ذلك بقوله ـ فلا تزكوا أنفسكم ـ أجيب بأن محل النهى حيث قصد بها الفخر والكبر على خلق الله بخلاف ما إذا قصد بها إيصال النفع للغير والاخبار بالواقع فلا ضرر فى ذلك بل ذلك من باب التحدث بالنعم وهو مأمور به شرعا (قوله مكنا ليوسف فى الأرض) أى مكناه إياها (قوله بعد الضيق والحبس) أى بعد صبره على الضيق حين وضع فى الجب وحين حبس (قوله وفى القصة أن الملك الخ) قال ابن عباس وغيره : لما انقضت السنة من يوم سؤال يوسف الامارة دعاه الملك فتوجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع ووضع له ثلاثين فراشا وستين مأدبة وضرب له عليه حلة من إستبرق وأمره أن يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه ، فانطلق

حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الأكبر إليه ملكه وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه. قال الزمخشري: إن يوسف قال للملك أما السرير فأشد به ملكك، وأما الخاتم فأدبر به أمرك، وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي، فقال له الملك قد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك، وكان للملك مصر خزائن كثيرة فسلمها ليوسف وسلم له سلطانه كله وجعل أمره وقضاءه نافذا حتى بمملكته ثم هلك قطفير عزيز مصر في تلك الليالي فزوج الملك يوسف امرأة العزيز بعد هلاكه، فلما دخل يوسف عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين؟ قالت له أيها الصديق لا تلمني فإني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك فغلبتني نفسي وعصمك الله. قالوا فوجدها يوسف عذراء فأصابها فولدت له ولدين ذكرين افرائيم وميشا وبنتا واسمها رحمة زوجة أيوب عليه السلام وميشا هو جد يوشع ابن نون وأقام في مصر العدل وأحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام أحسن التدبير فبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة، وأنفق المال بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول وشدة لم ير الناس مثله. وقيل إنه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم أكلة واحدة نصف النهار، فلما دخلت سنة القحط كان أول من أصابه الجوع الملك، فجاع نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع، فقال يوسف هذا أوان القحط فهلك في السنة الأولى من سني القحط كل ما أعدوه في السنين المخصبة، فجعل أهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الأولى بالنقود حتى لم يبق بمصر درهم ولا دينار إلا أخذه منهم، وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر في أيدي الناس منهما شيء، وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي والأنعام حتى لم تبق دابة ولا ماشية إلا احتوى عليها، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق بأيدي الناس عبد ولا أمة، وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى أتى عليها كلها، وباعهم في السنة السادسة بأولادهم حتى استرقهم، وباعهم في السنة السابعة برقابهم

ومات بعد فزوجه امرأته فوجدها عذراء وولدت له ولدين وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) من أجر الدنيا (لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) ودخلت سنو القحط وأصاب أرض كنعان والشام (وجاء

حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة إلا ملكه فصاروا جميعا عبيدا ليوسف عليه السلام، فقال أهل مصر ما رأينا كاليوم ملكا أجل ولا أعظم من يوسف، فقال يوسف للملك: كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى في هؤلاء؟ قال الملك الرأي رأيك ونحن لك تبع، قال فإني أشهد الله وأشهدك أني قد أعتقتهم عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم، ولم يزل يوسف يدعو الملك إلى الاسلام ويتلطف به حتى أسلم هو وكثير من الناس ومات في حياة يوسف، وأما العزيز فلم يثبت إسلامه (قوله ومات بعد) أي مات العزيز بعد عزله (قوله فزوجه امرأته) أي بعد أن ذهب مالها وعمي بصرها من بكائها على يوسف، فصارت تتكفف الناس وكان يوسف يركب في كل أسبوع في موكب زهاء مائة ألف من عظماء قومه، فقيل لها لو تعرضت له لعله يسعفك بشيء، فلما ركب في موكبه قامت فنادت بأعلى صوتها: سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم، فقال يوسف ما هذه؟ فقدمت إليه فعرفها فرق لها وبكى بكاء شديدا، ثم دعاها للزواج وأمر بها فهيئت ثم زفت إليه فقام يوسف يصلي ويدعو الله وقامت وراءه، فسأل الله تعالى أن يعيد لها شبابها وجمالها وبصرها، فرد الله عليها ذلك حتى عادت أحسن ما كانت يوم راودته إكراما له عليه السلام لما عف عن محارم الله، فأصابها فإذا هي عذراء فعاشا في أرغد عيش. روى أن الله ألقى في قلب يوسف محبتها أضعاف ما كان في قلبها، فقال لها ما شأنك لا تحبيني كما كنت أول مرة؟ فقالت لما ذقت محبة الله شغلني ذلك عن كل شيء (قوله ولدين) أي وبنتا (قوله ودانت له الرقاب) أي خضعت له الناس (قوله نصيب برحمتنا من نشاء) أي نخص بنعمتنا من أردنا (قوله ولا نضيع أجر المحسنين) أي بل نضاعفه لهم (قوله ولأجر الآخرة خير) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للذين آمنوا) أي اتصفوا بالايمان وقوله وكانوا يتقون: أي يمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي (قوله ودخلت سنو القحط الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله وجاء إخوة يوسف مرتب على محذوف أي سبب مجيئهم أنه لما فرغت سنو الخصب وأتت سنو القحط والجدب واحتاجت الناس الطعام فبلغ يعقوب أن بمصر ملكا يبيع الطعام للمحتاجين فبعثهم ليبتاعوا منه

(قوله وجاء إخوة يوسف) أى وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالقربات من أرض فلسطين وهى ثغور الشام وكانوا أهل بادية و إبل وشياه ، وحكمة ذهاب العشرة جميعا أنه بلغهم أن الملك لايزيد الواحد عن حمل بعير قصدا للعدل بين الناس فغرضهم بذلك أن تكون الأحمال عشرة (قوله ليمتاروا) أى ليحملوا الميرة وهى الطعام المجلوب من بلد آخر (قوله لبعد عهدهم به) قال أبو صالح عن ابن عباس كان بين أن ألقوه فى الجب و بين دخولهم عليه اثنتان وعشرون سنة فلذا أنكروه ولأنه كان على سرير الملك وكان على رأسه تاج الملك وزى الملوك (قوله فقالوا للميرة) أى لأخذها (قوله لعلكم عيون) أى جواسيس تطلعون على عوراتنا وتخبرون بها أعداءنا (قوله ولما جهزهم بجهازهم) أى هيأ لهم الطعام وأكرمهم فى النزول وأحسن ضيافتهم وأعطاهم مايحتاجون إليه فى سفرهم (قوله قال ائتونى بأخ لكم) أى إن كنتم صادقين فى ذلك فأنا أكتفى منكم بذلك قالوا إن أبانا يحزن لفراقه قال فاتركوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى به فاقترعوا فيما بينهم فأصابت (٢٣٣) القرعة شمعون فخلفوه عنده

(وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ) إلا بنيامين ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطى الطعام بثمنه (فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ) أنهم إخوته (وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) لا يعرفونه لبُعد عهدهم به وظنهم هلاكه فكلموه بالعبرانية فقال كالمنكر عليهم ما أقدمكم بلادى ؟ فقالوا : للميرة . فقال : لعلكم عيون قالوا : معاذ الله . قال : فمن أين أنتم ؟ قالوا :من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبى الله . قال : وله أولاد غيركم ؟ قالوا : نعم كنا اثنى عشر فذهب أصغرنا هلك فى البرية وكان أحبنا إليه وبقى شقيقه فاحتبسه ليتسلى به عنه فأمر بانزالهم وإكرامهم (وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ) ووفى لهم كيلهم (قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ) أى بنيامين لأعلم صدقكم فيما قلتم (أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ) أتمه من غير بخس (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ . فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي) أى ميرة (وَلَا تَقْرَبُونِ) نهى أو عطف على محل فلا كيل أى تحرموا ولا تقربوا (وَقَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) سنجتهد فى طلبه منه (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) ذلك (وَقَالَ لِفِتْيَتِهِ) وفى قراءة لفتيانه : غلمانه (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ) التى أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم (فِي رِحَالِهِمْ) أوعيتهم (لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ) وفرغوا أوعيتهم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إلينا لأنهم لايستحلون إمساكها (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ) إن لم ترسل أخانا إليه (فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ)

وقوله بأخ لكم إنما لم يقل بأخيكم زيادة فى الابهام عليهم وذلك للفرق بين قولك رأيت غلامك وغلاما لك فان الأول يقتضى أن عندك به نوع معرفة دون الثانى (قوله ألا ترون الخ) غرضه بذلك الترغيب فى العود مرة أخرى (قوله وأنا خير المنزلين) أى خير من يكرم الضيفان (قوله فلا كيل لكم عندى) أى إذا عدتم مرة أخرى (قوله أى ميرة) أشار بذلك إلى أن المراد بالكيل المكيل (قوله نهى) أى والفعل مجزوم بحذف النون وحذفت ياء المتكلم تخفيفا وهذه النون للوقاية (قوله أو عطف على محل فلا كيل) أى وهو الجزم لأنه جواب الشرط وحينئذ فلا ناهية ونون الرفع محذوفة للجازم على كل حال وعليه فيكون المعنى فلا كيل ولا قرب (قوله وإنا لفاعلون ذلك) أى المراودة والاجتهاد (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وكل من فتيته وفتيانه جمع لفتى لكن الأول جمع قلة والثانى جمع كثرة (قوله اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أى فقد وكل بكل رحل واحدا من غلمانه يضع فيه ثمن الطعام الذى فى هذا الرحل (قوله وكانت دراهم) وقيل كانت نعالا وجلودا والأقرب الأول لأن شأن الدراهم أن تخفى ولاشك أنهم لم يعلموا بها إلا عند تفريغ أوعيتهم (قوله لأنهم لايستحلون إمساكها) أى لأن دياناتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة إليه إذا وجدوها لأنهم مطهرون من أكل مالايحل لهم ، وقيل قصد يوسف بذلك مواساة أبيه إخوته خوفا أن لا يكون عندهم شىء من المال . وقيل أراد أن يريهم بره وكرمه ليكون ذلك باعثا لهم على الرجوع ، وقيل رأى أن أخذ ثمن الطعام من أبيه وإخوته لؤما، وقيل أراد أن يحسن إليهم على وجه لايلحقهم فيه منة ولا عيب (قوله فلما رجعوا) أى التسعة لما تقدم أنه أخذ شمعون رهينة على أن يأتوه ببنيامين (قوله منع منا الكيل) أى بعد هذه المرة

(قوله بالنون والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان وأصل نكتل نكتيل تحرك الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين (قوله هل آمنكم) الاستفهام إنكاري ولذا فسر هل بما ، والمعنى كيف آمنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف مافعلتم و إنكم ذكرتم مثل هذا في شأن يوسف حيث قلتم : وانا له لحافظون ، فلما لم يحصل الحفظ هناك فكيف آمنكم هنا (قوله إلا كما أمنتكم) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف والتقدير إلا ائتمانا مثل ائتماني لكم على أخيه الخ (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله تمييز) أي على كل من القراءتين (قوله فأرجو أن يمن بحفظه) أي ولا يجمع علي مصيبتين . قال كعب الأحبار لما قال يعقوب ذلك قال الله له لأردن عليك كليهما حيث توكلت علي واستحفظتني عليه (قوله ولما فتحوا متاعهم) أي بحضرة أبيهم (قوله وجدوا بضاعتهم) أي وهي ثمن الميرة (قوله أعظم من هذا) ورد أنهم قد كانوا ذكروا ليعقوب إحسان ملك مصر إليهم وحثوا يعقوب على إرساله بنيامين معهم فلما وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا أي شيء نطلب بعد هذا الاكرام أوفى لنا الكيل ورد لنا الثمن ، لوكان رجلا من أولاد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب إذا رجعتم إلى مصر فاقرئوه مني السلام وقولوا له إن أبانا يصلي عليك ويدعو لك بما أوليتنا (قوله وتزداد كيل بعير) أي على أحمالنا (قوله لتأتنني به) هذا هو جواب القسم (قوله إلا أن يحاط بكم) استثناء من عموم الأحوال والتقدير لتأتنني به في كل حال إلا حال الاحاطة بكم (قوله فلما آتوه موثقهم) أي بقولهم بالله رب محمد لنأتينك به. والموثق العهد المؤكد باليمين (قوله من أبواب متفرقة) أي وكانت أبواب مصر إذ ذاك أربعة (قوله لئلا تصيبكم العين) إنما خاف عليهم العين لكمالهم وجمالهم وقوتهم واشتهارهم بين أهل مصر بإكرام الملك لهم واحترامهم فأمرهم بالتفرق من

بالنون والياء (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ . قَالَ هَلْ) ما (آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ) يوسف (مِنْ قَبْلُ) وقد فعلتم به ما فعلتم (فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا) وفي قراءة حافظا تمييز كقولهم لله دره فارسا (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فأرجو أن يمن بحفظه (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي) ما استفهامية أي أي شيء نطلب من إكرام الملك أعظم من هذا وقرئ بالفوقانية خطابا ليعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم (هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) نأتي بالميرة لهم وهي الطعام (وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) لأخينا (ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) سهل على الملك لسخائه (قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا) عهدا (مِنَ اللَّهِ) بأن تحلفوا (لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ) بأن تموتوا أو تغلبوا فلا تطيقوا الإتيان به فأجابوه إلى ذلك (فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) بذلك (قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ) نحن وأنتم (وَكِيلٌ) شهيد وأرسله معهم (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا) مصر (مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ) لئلا تصيبكم العين (وَمَا أُغْنِي) أدفع (عَنْكُمْ) بقولي ذلك (مِنَ اللَّهِ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) قدره عليكم وإنما ذلك شفقة (إِنِ) ما (الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ) وحده (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) به وثقت (وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) قال تعالى (وَلَمَّا دَخَلُوا ،

ليسلموا من إصابة العين فإنها كما قال أهل السنة سبب عادي للضرر كالسم والسيف يوجد الضرر عندها لا بها وقالت الفلاسفة إن العائن ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعيون فيهلك أو يفسد فأثبتوا للعين تأثيرا بنفسها وهو كلام باطل واعتقاده كفر ، وأعظم نافع في الرقى من العين سورتا المعوذتين (قوله من الله) أي من قضائه (قوله وإنما ذلك) أي القول (قوله شفقة) أي رأفة بكم . إن قلت لم أمرهم بذلك في هذه المرة ولم يأمرهم في المرة الأولى . أجيب بجوابين الأول لكون معهم بنيامين وهو عزيز عليه فخاف عليهم من أجل كونه معهم والثاني أنهم اشتهروا في مصر بأنهم أولاد رجل واحد وفيهم نور النبوة والشهامة والجمال سيما وقد كانوا عند الملك بمنزلة بخلاف المرة الأولى (قوله عليه توكلت) أي فوضت أموري واعتمدت عليه لا على ماأمرتكم به لأن الأخذ في الأسباب مع التوكل أفضل من ترك الأسباب (قوله ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) اختلف في جواب لما فقيل هو قوله ما كان يغني الخ والمعنى أن دخولهم من أبواب متفرقة لا يدفع عنهم مما قدره الله شيئا بل الدخول متفرقا كالدخول مجتمعا بالنسبة لقضاء الله وقيل هو قوله آوى

إليه أخاه وهو جواب لما الثانية أيضا لأن المقصود بدخول المدينة الدخول على يوسف والمقصود به إيواء الأخ فلما الثانية مرتبة على لما الأولى فصلح أن يكون جوابهما واحدا (قوله من حيث أمرهم أبوهم) أى من أبواب متفرقة (قوله ما كان يغنى) أى يدفع عنهم التفرق ففاعل يغنى ضمير يعود على التفرق (قوله إلا حاجة) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن، والمعنى لم يكن تفرقهم دافعا عنهم من قدر الله شيئا لكن حاجة فى نفس يعقوب قضاها وهى دفع العين عنهم التى كانت تصيبهم عند دخولهم مجتمعين فان التفرق فى الدخول دفعها بإرادة الله (قوله لتعليمنا إياه) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية (قوله ولما دخلوا على يوسف) أى منزله ومحل حكمه وهذا الدخول غير الدخول السابق فان المراد به دخول المدينة قال المفسرون لما دخلوا عليه قالوا أيها الملك هذا أخونا الذى أمرتنا أن نأتيك به فقد جئناك به فقال أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندى ثم أنزلهم وأكرم نزلهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين على مائدة فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيا لأجلسنى معه فقال لهم يوسف لقد بقى هذا وحده فقالوا كان له أخ فهلك قال لهم فأنا أجلسه معى فأخذه فأجلسه معه على المائدة وجعل يواكله فلما دخل الليل أمر لهم بمثل ذلك من الفراش وقال كل اثنين ينامان على فراش واحد فبقى بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندى على فراشى فقام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه إليه ويشم ريح أبيه منه حتى أصبح فلما أصبح قال لهم إنى أرى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثان فانا أضمه إلىّ فيكون معى فى منزلى ثم إنه

مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ) أى متفرقين (مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللهِ) أى قضائه (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ إلَّا) لكن (حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا) وهى إرادة دفع العين شفقة (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ) لتعليمنا إياه (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم الكفار (لَا يَعْلَمُونَ) إلهام الله لأصفيائه (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى) ضم (إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ) تحزن (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده (فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ) هى صاع من ذهب مرصع بالجواهر (فِي رَحْلِ أَخِيهِ) بنيامين (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) القافلة (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ. قَالُوا وَ) قد (أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا) ما الذى (تَفْقِدُونَ) ه (قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ) صاع (الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ) من الطعام (وَأَنَا بِهِ) بالحمل (زَعِيمٌ) كفيل (قَالُوا تَاللهِ) قسم فيه معنى التعجب (لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ) ماسرقنا قط (قَالُوا) أى المؤذن وأصحابه (فَمَا جَزَاؤُهُ) أى السارق (إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ) فى قولكم: ما كنا سارقين،

أنزلهم وأجرى لهم الطعام فقال روبيل ما رأينا مثل هذا فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال فهل لك من ولد قال عشرة بنين قال فهل لك من أخ لأم قال كان لى أخ فهلك قال يوسف أتحب أن أكون أنا أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال إنى أنا أخوك الخ وقال كعب لما قال له يوسف إنى أنا أخوك قال بنيامين أنا لا أفارقك فقال يوسف قد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك عندى ازداد غمه ولا يمكننى هذا إلا بعد أن أشهرك بأمر فظيع وأنسبك إلى ما لا يحمد فقال لا أبالى افعل ما بدا لك فانى لا أفارقك قال يوسف فانى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بالسرقة لأحتال فى ردك بعد إطلاقك قال فافعل ما شئت فذلك قوله تعالى فلما جهزهم الخ (قوله فلما جهزهم) عبر هنا بالفاء اشارة إلى طلب سرعة سيرهم وذهابهم لبلادهم بخلاف المرة الأولى فان المطلوب طول إقامتهم ليتعرف حالهم (قوله هى صاع من ذهب) كان يشرب فيه الملك فسمى سقاية باعتبار أول حاله وصاعا باعتبار آخر أمره لأن الصاع آلة الكيل (قوله مرصع بالجواهر) أى مزين ومحلى بها (قوله بعد انفصالهم عن مجلس يوسف) أى خروجهم وسيرهم بل قيل إنهم وصلوا إلى بلبيس وردوا من عندها (قوله أيتها العير) هى فى الأصل كل ما يحمل عليه من إبل وحمير ويقال أطلقت وأريد أصحابها فهو مجاز علاقته المجاورة (قوله وأقبلوا) قدر المفسر قد اشارة إلى أن الجملة حالية والمعنى أنهم التفتوا إليهم وخاطبوهم بما ذكر (قوله ماذا تفقدون) أى أى شىء ضاع منكم (قوله صواع الملك) أى آلة كيله وإنما اتخذ آلة كيل لعزة ما يكال به فى ذلك الوقت وفيه قراآت كثيرة السبعية منها واحدة وهى صواع وما عداها شاذ (قوله حمل بعير) أى جعلا له (قوله قالوا تالله الخ) إنما قالوا ذلك لما ظهر من أحوالهم ما يدل على صدقهم حيث كانوا مواظبين على الطاعات والخيرات حتى بلغ من أمرهم أنهم سدوا أفواه دوابهم لئلا تأكل شيئا من أموال الناس (قوله لقد علمتم) اللام موطئة لقسم

محذوف تأكيد لما قبله (قوله ووجد فيكم) الجملة حالية، والمعنى فما جزاؤه إن كنتم صادقين في قولكم والحال أنه ظهر خلاف قولكم (قوله خبره من وجد) أي فمن اسم موصول ووجد صلتها والكلام على حذف مضاف أي استرقاق من وجد أشار له المفسر بقوله يسترق (قوله وكانت سنة آل يعقوب) أي طريقتهم وشريعتهم يسترق السارق سنة (قوله كذلك الجزاء) أي المذكور هو استرقاق السارق (قوله فصرفوا) أي ردوا من المكان الذي لحقهم فيه جماعة الملك (قوله فبدأ بأوعيتهم) أي فكان يفتح وعاء وعاء ويفتشه ثم بعد فراغه منه يستغفر الله مما قذفهم به إلى أن وصل إلى رحل بنيامين فقال: ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركك حتى تنظر في رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه (قوله ثم استخرجها من وعاء أخيه) أي فلما أخرجها منه نكس الاخوة رءوسهم من الحياء وأقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له فضحتنا وسودت وجوهنا يابني راحيل مازال لنا منكم بلاء فقال بنيامين بل بنو راحيل مازال لهم منكم بلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية إن الذي وضع هذا الصواع في رحلي هو الذي وضع البضاعة في رحالكم (قوله كذلك الكيد) أي الحيلة وهي استفتاء يوسف من إخوته (قوله كدنا ليوسف) أي ألهمناه أن يضع الصاع في رحل أخيه ليضمه إليه على ماحكم به إخوته (قوله علمنا الاحتيال الخ) أي فما وقع من يوسف في تلك الواقعة

بوحي من الله تعالى وحينئذ فلا يقال كيف نادى على إخوته بالسرقة واتهمهم بها مع أنهم بريئون (قوله لأن جزاءه عنده الضرب الخ) أي وهذه الطريقة لا توصله إلى أخذ أخيه (قوله مثلى المسروق) أي مثلى قيمته (قوله إلا أن يشاء الله) استثناء منقطع والمعنى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك ولكن أخذه بشريعة يعقوب لمشيئة الله لأخذه إذ لو شاء عدم أخذه لما علمه تلك الحيلة (قوله بحكم أبيه) أي شريعته (قوله بالاضافة والتنوين) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفوق) خبر مقدم وعليم

ووجد فيكم (قَالُوا جَزَاؤُهُ) مبتدأ خبره (مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ) يسترق ثم أكد بقوله (فَهُوَ) أي السارق (جَزَاؤُهُ) أي المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب (كَذَٰلِكَ) الجزاء (نَجْزِي الظَّالِمِينَ) بالسرقة فصرفوا ليوسف لتفتيش أوعيتهم (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ) ففتشها (قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ) لئلا يتهم (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا) أي السقاية (مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ) قال تعالى (كَذَٰلِكَ) الكيد (كِدْنَا لِيُوسُفَ) علمناه الاحتيال في أخذ أخيه (مَا كَانَ) يوسف (لِيَأْخُذَ أَخَاهُ) رقيقا عن السرقة (فِي دِينِ الْمَلِكِ) حكم ملك مصر لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلى المسروق لا الاسترقاق (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أخذه بحكم أبيه أي لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤال إخوته وجوابهم بسنتهم (نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) بالإضافة والتنوين في العلم كيوسف (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ) من المخلوقين (عَلِيمٌ) أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى. (قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ) أي يوسف وكان سرق لأبي أمه صنما من ذهب فكسره،

لئلا

مبتدأ مؤخر، والمعنى أن إخوة يوسف وإن كانوا علماء إلا أن الله جعل يوسف فوقهم في العلم بل فضله عليهم بمزايا عظيمة منها الرسالة والملك والانعام عليهم وغير ذلك (قوله قالوا إن يسرق الخ) سبب هذه المقالة أنه لما خرج الصاع من رحل بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا رءوسهم فقالوا تبرئة لساحتهم إن يسرق الخ وأتوا بان المفيدة للشك لأنه ليس عندهم تحقق سرقته بمجرد إخراج الصاع من رحله وبالمضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وكان سرق لأبي أمه صنما الخ) هذا أحد أقوال في السرقة التي نسبوها له، وقيل جاءه سائل يوما فأخذ بيضة من البيت فناولها للسائل وقيل أخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاها سائلا وقيل كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقيل لم يسرق أصلا لا ظاهرا ولا باطنا وإنما كانت تهمة فقط وذلك أن عمته حضنته بعد موت أمه فأحبته حبا شديدا، فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فأحبه فقال لأخته يا أختاه سلمي إلي يوسف فوالله ما أقدر أن يغيب عني ساعة واحدة فقالت لا أعطيكه فقال والله ما أنا بتاركه عندك فقالت دعه عندي أياما أنظر إليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت إلى منطقة كانت لإسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت أكبر أولاد إسحق وكانت عندها فشدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت لقد فقدت منطقة إسحاق ففتشوا أهل البيت فوجدوها مع يوسف فقال يعقوب إن كان فعل ذلك فهو سلم لك فأمسكته عندها حتى مات .

لئلا يعبده (فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا) يظهرها (لَهُمْ) والضمير للكلمة التى فى قوله (قَالَ) فى نفسه (أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا) من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له (وَاللهُ أَعْلَمُ) عالم (بِمَا تَصِفُونَ) تذكرون فى أمره (قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا) يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه (فَخُذْ أَحَدَنَا) استعبده (مَكَانَهُ) بدلاً منه (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) فى أفعالك (قَالَ مَعَاذَ اللهِ) نصب على المصدر حذف فعله وأضيف إلى المفعول أى نعوذ بالله من (أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ) لم يقل من سرق تحرزاً من الكذب (إِنَّا إِذًا) إن أخذنا غيره (لَظَالِمُونَ. فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا) يئسوا (مِنْهُ خَلَصُوا) اعتزلوا (نَجِيًّا) مصدر يصلح للواحد وغيره أى يناجي بعضهم بعضاً (قَالَ كَبِيرُهُمْ) سناً روبيل، أو رأياً يهوذا (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا) عهداً (مِنَ اللهِ) فى أخيكم (وَمِنْ قَبْلُ مَا) زائدة (فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ) وقيل ما مصدرية مبتدأ خبره من قبل (فَلَنْ أَبْرَحَ) أفارق (الْأَرْضَ) أرض مصر (حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي) بالعود إليه (أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي) بخلاص أخى (وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) أعدلهم (ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا،

(قوله لئلا يعبده) أى يدوم على عبادته (قوله والضمير للكلمة الخ) أى فهو عائد على متأخر لفظا ورتبة وحينئذ يكون فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير قال أنتم شر مكانا وأسرّها فى نفسه وهذا أحد قولين وقيل إنه عائد على قوله فقد سرق أخ له من قبل، ومعنى قوله أسرّها لم يرد لها جوابا (قوله أنتم شرّ مكانا) أى منزلة والمعنى أن ماظهرتم به شر مما ظهر به يوسف وأخوه فانهما اتهما بالسرقة ظاهرا وأنتم سرقتم يوسف من أبيه وفعلتم به مافعلتم (قوله لسرقتكم أخاكم من أبيكم) أى وهو يوسف (قوله عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه إذ لامشاركة بين الحادث والقديم (قوله قالوا يأيها العزيز الخ) سبب هذه المقالة أنه لما استخرج الصاع من رحل بنيامين غضب روبيل لذلك وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء وكان إذا صاح ألقت كل حامل حملها إذا سمعت صوته وكان مع ذلك إذا مسه أحد من ولد يعقوب يسكن غضبه وكان أقوى الاخوة وأشدّهم، وقيل كان هذا صفة شمعون بن يعقوب فقال لإخوته: كم عدد الأسواق بمصر؟ قالوا عشرة قال اكفونى أنتم الأسواق وأنا أكفيكم الملك أو اكفونى أنتم الملك وأنا أكفيكم الأسواق فدخلوا على يوسف فقال روبيل أيها الملك لتردنّ علينا أخانا أو لأصيحنّ صيحة لايبقى بمصر امرأة حامل إلا وضعت حملها وقامت كل شعرة فى جسد روبيل حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن صغير له: قم الى جنب هذا فمسه أو خذ بيده فأتى له، فلما مسه سكن غضبه فقال لإخوته من مسنى منكم؟ فقالوا لم يصبك منا أحد فقال روبيل إن هنا بذرا من بذر يعقوب فغضب ثانيا فقام يوسف إليه فوكزه برجله وأخذ يدا من يديه فوقع على الأرض وقال لهم: أنتم يامعشر العبرانيين تزعمون أن لا أحد أشدّ منكم، فلما رأوا مانزل بهم ورأوا أن لا سبيل إلى الخلاص خضعوا ودلوا وقالوا يأيها العزيز الخ (قوله كبيرا) أى فى السنّ أو القدر لأنه نبي من أولاد الأنبياء (قوله استعبده) أى استرقه (قوله مكانه) منصوب على الظرفية أو ضمن خذ معنى اجعل فمكانه مفعول ثان (قوله من المحسنين) أى فى أفعالك وإلينا فى توفية الكيل وحسن الضيافة وغير ذلك (قوله إنا إذا لظالمون) أى فى أخذ أحدكم مكانه (قوله يئسوا) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان (قوله اعتزلوا) أى مجلس الملك (قوله نجيا) هو حال والمعنى خلصوا حال كونهم متناجين ومتشاورين فى أمر هذه القضية (قوله فى أخيكم) أى فى ردّه (قوله ما زائدة) أى والجار والمجرور متعلق بفرطتم (قوله وقيل ما مصدرية مبتدأ) أى وهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ فالمبتدأ فى الحقيقة المصدر المنسبك والمعنى وتفريطكم كائن من قبل تفريطكم فى بنيامين. واعترض هذا الاعراب بأن الظروف المنقطعة عن الاضافة لاتقع خبرا. ويجاب بأن محل ذلك مالم يتعين المضاف إليه كما هنا (قوله فلن أبرح الأرض) أشار بذلك إلى أن أبرح ضمنت معنى أفارق فالأرض مفعول به وأبرح تامة (قوله أو يحكم الله) إما معطوف على يأذن أو منصوب بأن مضمرة فى جواب النفى كأنه قال فلن أبرح الأرض إلا أن يحكم الله كقولهم لألزمنك أو تقضينى حقى أى إلا أن تقضينى حقى (قوله فقولوا يا أبانا الخ) إنما أمرهم بذلك لتزول التهمة عنهم عند أبيهم

(قوله إن ابنك سرق) إنما نسبوه للسرقة لأنهم شاهدوا الصواع قد أخرج من متاعه فغلب على ظنهم أنه سرق ، فلذلك نسبوه إلى السرقة فى ظاهر الحال لا فى الحقيقة (قوله وما كنا للغيب حافظين) أى وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق أنه سيسرق وتصاب به كما أصبت بيوسف (قوله أى أرسل إلى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وكذا فى قوله والعير (قوله وهم قوم من كنعان) أى وكانوا جيرانا ليعقوب (قوله وإنا لصادقون) أى سواء نسبتنا إلى التهمة أم لا وليس غرضهم أن يثبتوا صدق أنفسهم بهذه المقالة لأن دعوى الخصم لاتثبت بنفسها (قوله فرجعوا) أى الفسحة وقدره إشارة إلى أن قوله قال بل سولت الخ مرتب على محذوف (قوله فصبر جميل) خبر لمبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله صبرى ، وتقدم أن الصبر الجميل هو الذى لاشكوى معه لمخلوق ولاجزع من فعل الخالق ولذلك فوض أمره لله ولم يسأل العير ولم يرسل يستخبر من القرية التى كانوا فيها بل استسلم للقضاء ولم يقطع الرجاء (قوله عسى الله أن يأتينى بهم) إنما قال ذلك لأنه لما طال حزنه واشتد كربه علم أن الله سيجعل له فرجا ومخرجا لأنه إذا اشتد الكرب كان إلى الفرج أسرع وقيل إن يعقوب أطلعه الله على باطن الأمر وأن أولاده أحياء لم يصابوا بشىء وأنه سيجتمع عليهم غير أنه أمر بكتم ذلك فلوح بتلك الاشارة إلى ماعلمه (قوله وأخويه) أى بنيامين وكبيرهم (قوله الحكيم فى صنعه) أى لأنه يضع الأشياء فى محالها

إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا) عليه (إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) تيقنا من مشاهدة الصاع فى رحله (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ) لما غاب عنا حين إعطاء الموثق (حَافِظِينَ) ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه (وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا) هى مصر أى أرسل إلى أهلها فاسألهم (وَٱلْعِيرَ) أى أصحاب العير (ٱلَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا) وهم قوم من كنعان (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فى قولنا فرجعوا إليه وقالوا له ذلك (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ) زينت (لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا) ففعلتموه اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) صبرى (عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِى بِهِمْ) بيوسف وأخويه (جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ) بحالى (ٱلْحَكِيمُ) فى صنعه (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ) تاركا خطابهم (وَقَالَ يَا أَسَفَى) الألف بدل من ياء الإضافة أى يا حزنى (عَلَى يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ) انمحق سوادهما وبدل بياضا من بكائه (مِنَ ٱلْحُزْنِ) عليه (فَهُوَ كَظِيمٌ) مغموم مكروب لا يظهر كربه (قَالُوا تَٱللَّهِ) لا (تَفْتَؤُا) تزال (تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا) مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوى فيه الواحد وغيره (أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ) الموتى ،

(قوله وتولى عنهم) مرتب على ماذكروه له (قوله الألف بدل من ياء الاضافة) أى والأصل يا أسفى بكسر الفاء وفتح الياء قلبت الكسرة فتحة ثم تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فيقال فى إعرابها أسفى منادى منصوب بفتحة مقدرة على ماقبل ياء المتكلم المنقلبة ألفا (قوله على يوسف) إنما تجدد حزنه على يوسف عند إخباره بواقعة بنيامين لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر كان أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن وليس فى هذا إظهار جزع بل هو شكوى لله لا للخلق فمعنى يا أسفى أشكو إلى الله شدة حزنى فلا ينافى قوله فصبر جميل (قوله وابيضت عيناه) قيل معناه عمى فلم يبصر شيئا ست سنين وهذا بناء على جواز مثل هذا على الأنبياء بعد التبليغ واشتهار الأمر وقيل معناه ضعف بصره من كثرة البكاء واتصال الدمع بعضه ببعض ولم يكن عمى حقيقة بل من كثرة البكاء صار على إنسان العين غشاوة مانعة له من النظر ولم يذهب أصلا وهذا هو الأقرب (قوله فهو كظيم) أى مكظوم ممتلىء من الحزن ممسك عليه لايذكره لأحد قال قتادة : الكظيم الذى يرد حزنه فى جوفه ولم يقل إلا خيرا (قوله قالوا تالله) أى تسلية له على مانزل به من الحزن العظيم . إن قلت كيف حلفوا على شىء لايعلمون حقيقته . أجيب بأنهم حلفوا على غلبة الظن وهى بمنزلة اليقين فهو من لغو اليمين الذى لايؤاخذ به العبد (قوله تفتؤا تذكر يوسف الخ) إنما قدر المفسر لا لأن القسم المثبت جوابه مؤكد بالنون أو اللام عند الكوفيين أو بهما عند البصريين فلما رأينا الجواب هنا خاليا منهما علمنا أن القسم على النفى بمعنى أن جوابه منفى لامثبت فلو قيل والله أحبك كان المراد لا أحبك وهو من قبيل التورية ومن ذلك إذا قال والله أجيئك غدا فيحنث بالمجىء بخلاف ما إذا قال لأجيئنك فيحنث بعدمه (قوله حتى تكون حرضا) هو من باب تعب يقال حرض حرضا أشرف على الهلاك (قوله وغيره) أى المثنى والمجموع والمذكر والمؤنث .

(قال)

(قوله قال لهم) أى جوابا لقولهم (قوله إنما أشكو بثى) البث تفريق الحزن و إظهاره لأن الانسان إذا ستر الحزن وكتمه كان هما و إذا ذكره لغيره كان بثا فالبث أشد الحزن وهذه المقالة قالها لجبريل عليه السلام لما ورد أنه كان ليعقوب شخص مؤاخ له فقال له ذات يوم يايعقوب ماالذى أذهب بصرك، وما الذى قوس ظهرك؟ قال أما الذى أذهب بصرى فالبكاء على يوسف، وأما الذى قوس ظهرى فالحزن على بنيامين، فأتاه جبريل فقال له يايعقوب إن الله يقرئك السلام و يقول لك أما تستحى أن تشكو إلى غيرى؟ فقال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله، فقال جبريل الله أعلم بما تشكو، و إنما عوتب يعقوب بهذا لأن حسنات الأبرار سيئات للمقربين لأن العتاب على قدر الرتبة (قوله وأعلم من الله مالا تعلمون) أى من رحمته و إحسانه (قوله وهو حى) أى لما روى أن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب أيها الملك الطيب ريحه الحسن صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابنى يوسف قال لا فطابت نفس يعقوب وطمع فى رؤيته (قوله يابنى اذهبوا الخ) سبب تلك المقالة أن أولاده لما أخبروه بسيرة ملك مصر وكمال حاله فى جميع أقواله وأفعاله أحست نفس يعقوب وطمع أن يكون هو يوسف فعند ذلك قال يابنى الخ (قوله فتحسسوا) هو بالحاء المهملة طلب الخبر بالحاسة والتجسس بمعناه، روى أن يعقوب حين أمر أولاده أن يذهبوا ليأتوا بخبر يوسف وأخيه كتب لهم كتابا إلى يوسف لما حبس عنده بنيامين: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله إلى ملك مصر، أما بعد فانا أهل بيت وكل بنا البلاء، أما جدى

إبراهيم فشدت يداه ورجلاه وألقى فى النار فصبر لأمر الله، وأما عمى إسماعيل فابتلى بالغربة فى صغره فصبر لأمر الله، وأما أبى إسحاق فابتلى بالذبح ووضع السكين على قفاه ففداه الله، وأما أنا فكان لى ابن وكان أحب أولادى إلى فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى ثم كان لى ابن آخر وكان أخاه من أمه فكنت أتسلى به و إنك حبسته وزعمت أنه سرق و إنا أهل بيت لانسرق ولا نلد سارقا فان رددته إلى و إلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك، فلما قرأ يوسف كتاب أبيه اشتد بكاؤه وقل صبره وأظهر نفسه لاخوته (قوله وأخيه) لم يقل وأخويه لأنه كان يعلم أن الثالث مقيم بمصر فلم يخف عليه حاله (قوله اطلبوا خبرهما) أى بالحاسة كما أن التجسس طلب الخبر بالحاسة أيضا فهما بمعنى واحد ولذا قرئ هنا بالجيم شذوذا (قوله من روح الله) بالفتح مصدر بمعنى الرحمة وهو فى الأصل استراحة القلب من غمه والمعنى لاتقنطوا من راحة تأتيكم من الله (قوله فانطلقوا نحو مصر) قدره إشارة إلى أن قوله فلما دخلوا عليه مرتب على محذوف (قوله مدفوعة) أى مردودة (قوله وكانت دراهم زيوفا) أى معيبة (قوله أوغيرها) أولتنويع الخلاف فقيل كانت نعالا وقيل صوفا (قوله فأوف لنا الكيل) أى أعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن الجيد فانا نريد أن تقيم لنا الناقص مقام الزائد (قوله بالمسامحة) وقيل برد أخينا بنيامين. إن قلت إن مافعلوه خلاف ماأمرهم به أبوهم من التحسس من يوسف وأخيه. أجيب بأن أبواب التحسس كثيرة وهذا منها لأن الاعتراف بالعجز وضيق اليد وشدة الحاجة مما يرقق القلب فان كان يوسف فسيظهر لهم حاله لحصول الرقة والعطف منه لهم و إن كان غيره فلا يرق ولا يعطف (قوله ورفع الحجاب الخ) قيل هو اللثام الذى كان يتلثم به وقيل هو الستر الذى كان يكلمهم من خلفه وقيل هو تاج الملك الذى كان يضعه على رأسه وكان له فى قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب مثلها ولإسحاق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها (قوله قال هل علمتم مافعلتم بيوسف وأخيه) أى هل علمتم عاقبة مافعلتم بهما من تسليم الله إياهما من كل مكروه و إنعام الله عليهما بتلك النعم العظيمة

(قَالَ) لهم (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّى) هو عظيم الحزن الذى لايصبر عليه حتى يبث إلى الناس (وَحُزْنِى إِلَى اللهِ) لا إلى غيره فهو الذى تنفع الشكوى إليه (وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ) من أن رؤيا يوسف صدق وهو حى ثم قال (يَا بَنِىَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ) اطلبوا خبرهما (وَلاَ تَيْأَسُوا) تقنطوا (مِنْ رَوْحِ اللهِ) رحمته (إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) فانطلقوا نحو مصر ليوسف (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ) الجوع (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) مدفوعة يدفعها كل من رآها لرداءتها وكانت دراهم زيوفا أو غيرها (فَأَوْفِ) أتم (لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (إِنَّ اللهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ) يثيبهم، فرق عليهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه و بينهم ثم (قَالَ) لهم توبيخا (هَلْ عَلِمْتُمْ مَافَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ) من الضرب والبيع وغير ذلك (وَأَخِيهِ)

(قوله من هضمكم له) أى ظلمكم وإذايتكم له (قوله إذ أنتم جاهلون) أى وقت جهلكم بعاقبة أمرهما (قوله من شمائله) أى أخلاقه (قوله وإدخال ألف بينهما الخ) أى فالقراآت أربع التحقيق والتسهيل للثانية مع الألف بينهما وبدونها و بقى قراءة خامسة سبعية أيضا وهى إنك بهمزة واحدة (قوله قال أنا يوسف) إنما عرض باسمه تعظيما لما نزل به من ظلم إخوته ولما عوضه الله من النصر والملك (قوله إنه من يتق) بإثبات الياء وصلا ووقفا و بحذفها فيهما قراءتان سبعيتان فعلى الاثبات تكون من موصولة والفعل مرفوعا وعلى الحذف تكون شرطية والفعل مجزوم بحذفها (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى والأصل لا يضيع أجرهم (قوله وغيره) أى كالصبر والصفح والحلم (قوله لخاطئين) يقال خطئ إذا كان عن عمد وأخطأ إذا لم يكن عن عمد ولذا عبر بخاطئين دون مخطئين (قوله قال لا تثريب) اى لا توبيخ ولا لوم عليكم (قوله اليوم) خبر ثان أو متعلق بالخبر فالوقف عليه وهو الأقرب ولذا مشى عليه المفسر وقوله يغفر الله لكم استئناف و يصح أن يكون ظرفا لقوله يغفر فالوقف على قوله عليكم (قوله يغفر الله لكم) الجملة دعائية (قوله وهو أرحم الراحمين) أى يقبل التوبة و يعفو عن المذنبين ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه قالوا له إنك تدعونا بكرة وعشيا إلى الطعام ونحن نستحى منك لما تقدم منا فقال إن أهل مصر كانوا ينظرون إلىّ بعين العبودية

و يقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا أنكم إخوتي وأني من حفدة إبراهيم عليه السلام (قوله وسألهم عن أبيه) أى حين وقع التعارف وهو تمهيد لقوله اذهبوا بقميصى (قوله وهو قميص إبراهيم الذى لبسه حين ألقى فى النار) أى لأنه لما ألقى فيها عريانا أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فكان ذلك القميص عند إبراهيم فلما مات ورثه إسحاق فلما مات ورثه يعقوب وجعله فى قصبة من فضة وسد رأسها وعلقها فى عنق يوسف حفظا من العين فلما ألقى فى الجب عريانا أتاه جبريل وأخرج له ذلك القميص من القصبة وألبسه إياه (قوله وقال) أى جبريل أوصلته

من هضمكم له بعد فراق أخيه (إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) ما يؤول إليه أمر يوسف (قَالُوا) بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين (أَإِنَّكَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين (لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ) أنعم (اللَّهُ عَلَيْنَا) بالاجتماع (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ) يخف الله (وَيَصْبِرْ) على ما يناله (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ) فضلك (اللَّهُ عَلَيْنَا) بالملك وغيره (وَإِنْ) مخففة أى إنا (كُنَّا لَخَاطِئِينَ) آثمين فى أمرك فأذللناك (قَالَ لَا تَثْرِيبَ) عتب (عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) خصه بالذكر لأنه مظنة التثريب فغيره أولى (يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) وسألهم عن أبيه فقالوا ذهبت عيناه فقال (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا) وهو قميص إبراهيم الذى لبسه حين ألقى فى النار كان فى عنقه فى الجب وهو من الجنة أمره جبريل بارساله وقال إن فيه ريحها ولا يلقى على مبتلى إلا عوفى (فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ) يصر (بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ . وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) خرجت من عريش مصر (قَالَ أَبُوهُمْ) لمن حضر من بنيه وأولادهم (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) ،

(قوله يأت بصيرا) يحتمل أن يأت بمعنى يصير فبصيرا مفعول ثان وهو الذى درج عليه المفسر و يحتمل أنها بمعنى يجىء فبصيرا حال (قوله بأهلكم أجمعين) أى وكانوا اثنين وسبعين ما بين رجل وامرأة وقيل ثلاثا وسبعين فأرسل لهم مائتى راحلة وكانوا حين خرجوا من مصر مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة و بضعة وسبعين رجلا سوى الذرارى والضعفاء وكانت الذرية إذ ذاك ألف ألف ومائتى ألف فقد بورك فيهم حتى بلغوا هذا العدد فى تلك المدة اليسيرة لأنه كان بين يعقوب وموسى أربعمائة سنة (قوله خرجت من عريش مصر) أى متوجهة إلى أرض كنعان والعريش بلدة معروفة آخر بلاد مصر وأول بلاد الشام وما ذكره المفسر أحد قولين والآخر أن المراد خرجت من نفس مصر (قوله لمن حضر من بنيه وأولادهم الخ) مقتضى هذا أن الأولاد لم يذهبوا جميعا لمصر بل بقى بعضهم وقال غيره إن الأولاد ذهبوا جميعا وهذا الخطاب لأولادهم (قوله إنى لأجد ريح يوسف) أى ريح الجنة من قميص يوسف فالاضافة لأدنى ملابسة وفى هذا دليل على أن كل سهل فهو فى مدة المحنة صعب وكل صعب فهو فى زمان الاقبال سهل حيث وصل إليه ريح القميص من المكان البعيد عند انقضاء مدة الفراق ومنع من وصول خبره إليه مع قرب احدى البلدتين من الأخرى فى تلك المدة العظيمة ، ومن ذلك قول العارف ابن الفارض رضى الله عنه :

أعوام إقباله كاليوم فى قصر   ويوم إعراضه فى الطول كالحجج   (قوله أوصلته إليه الصبا) هى ريح تهب من مطلع الشمس . إن قلت إن ريح الصبا تقابل الذاهب من مصر إلى الشام فاذا كانت تقابله فكيف تحمل الريح من القميص الذى معه إلى جهة الشام فمقتضى العادة أن التى حملت هى الدبور لأنها هى التى تذهب من جهة مصر إلى الشام . أجيب بأن هذا خرق عادة أو يقال إن هذا ظاهر إذا كانت حملته لمقابلتها فقط ، وأما ماحصل فقد فاح شذاه على جميع الدنيا ولذا قال مجاهد : هبت ريح فصفقت القميص ففاحت روائح الجنة فى الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة من ذلك القميص وحينئذ فحمل الصبا لريحه ظاهر لأنها لم تحمل ريحه ليعقوب فقط بل حملته لأهل الدنيا ، وقد بالغ الناس فى مدح الصبا حتى قال بعض الحكماء : لو توالت على الأرض سبعة أيام لأنبتت الزعفران ، وقال بعضهم مادحا لها :

أياجبلى نعمان بالله خليا   نسيم الصبا يخلص إلىّ نسيمها
فانّ الصبا ريح إذا ماتنسمت   على نفس مهموم تجلت همومها
أجد بردها أوتشف منى حرارة   على كبد لم يبق إلا رسومها

(قوله أو أكثر) قيل عشرة وقيل شهر (قوله لولا أن تفندون) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف وجوبا وجواب لولا محذوف أيضا وتقدير الكلام لولا تفنيدكم لى موجود لصدقتمونى ، والتفنيد هو تضعيف الرأى (قوله قالوا) أى من حضر عنده من أولاد بنيه (قوله لفى ضلالك القديم) أى   من ذكر يوسف وعدم نسيانك إياه

أوصلته إليه الصبا بإذنه تعالى مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر (لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ) تسفهون لصدقتمونى (قَالُوا) له (تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ) خطئك (الْقَدِيمِ) من إفراطك فى محبته ورجاء لقائه على بُعد العهد (فَلَمَّا أَنْ) زائدة (جَاءَ الْبَشِيرُ) يهوذا بالقميص وكان قد حمل قميص الدم فأحب أن يفرحه كما أحزنه (أَلْقَيهُ) طرح القميص (عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ) رجع (بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَتَعْلَمُونَ . قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ . قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أخر ذلك إلى السحر ليكون أقرب إلى الاجابة أو إلى ليلة الجمعة ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر لتلقيهم

لأنه كان عندهم قد مات وهلك (قوله فأحب أن يفرحه) أى فقال لاخوته إنى ذهبت بالقميص ملطخا بالدم فأنا أذهب بهذا القميص فأفرحه كما أحزنته فحمله وخرج به حافيا حاسرا ومعه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى أتى أباه وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما وصل إليه علمه فى نظير تلك البشارة كلمات كان ورثها عن أبيه إسحاق وهو عن أبيه إبراهيم وهى : يالطيفا فوق كل لطيف الطف بى فى أمورى كلها كما أحب ورضى فى دنياى وآخرتى (قوله فارتد بصيرا) أى رجع بصره لحالته الأولى (قوله قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله مالاتعلمون) أى من أمور باطنية لاتعلمونها فأنتم تنظرون للظاهر وأنا أنظر للباطن (قوله قالوا ياأبانا الخ) أى لما ظهر الحق وتبين اعتذروا لأبيهم عما وقع منهم (قوله استغفر لنا) أى اطلب لنا من ربنا غفران ذنوبنا (قوله إنا كنا خاطئين) أى آثمين (قوله أخر ذلك إلى السحر) أى فلما انتهى إلى وقت السحر قام إلى الصلاة متوجها إلى الله فلما فرغ منها رفع يديه وقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لأولادى ماأتوا إلىّ و إلى أخيهم يوسف فأوحى الله إليه أنى قد غفرت لك ولهم أجمعين (قوله أو إلى ليلة الجمعة) أى وقيل إلى الاجتماع بيوسف ليجتمع معه على الاستغفار والدعاء لهم ويؤيده ماروى أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمّن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام وقال إن الله قدأجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوّة ، وهذا إن صحّ فهو دليل على نبوّتهم . ويجاب عما وقع منهم بما مرّ (قوله ثم توجهوا إلى مصر) قال أصحاب الأخبار : لما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الأكبر وأخبره بمجىء أبيه وأهله فخرج يوسف فى أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهم يتلقون يعقوب عليه السلام وكان يعقوب يمشى وهو يتوكأ على يد ابنه يهوذا فلما نظر إلى الخيل والناس قال يايهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد من صاحبه أراد يوسف أن يبدأ يعقوب بالسلام فقال له جبريل تمهل حتى يبدأك بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يامذهب الأحزان

     وقيل إنهما نزلا وتعانقا وفعلا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده و بكيا ، وقيل إن يوسف

قال لأبيه يا أبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بينى و بينك وخرج يوسف للقاء أبيه فى أربعة آلاف من الجند لكل واحد منهم جبة من فضة وراية خز وقصب فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفا ولما صعد يعقوب ومعه أولاده وحفدته نظر إلى الصحراء مملوءة بالفرسان مزينة بالألوان فنظر إليهم متعجبا فقال جبريل انظر إلى الهواء فان الملائكة قد حضرت سرورا بحالك كانوا باكين محزونين مدة لأجلك وهاجت الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضربت الطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة ، قيل وكان دخولهم يوم عاشوراء (قوله فلما دخلوا) أى يعقوب وأولاده (قوله فى مضربه) أى خيمته وكان ذلك خارج المدينة على عادة الملوك (قوله آوى إليه أبويه) أى قربهما منه (قوله وأمه) أى على القول بحياتها حينئذ وقوله أوخالته أى واسمها ليا وهذا على القول بموت أمه راحيل ، وقيل المراد بخالته امرأة أخرى غير ليا تزوجها يعقوب بعدها ، وقيل أحيا الله أمه بعد موتها وسجدت له تحقيقا لرؤياه والله أعلم بحقيقة الحال (قوله ادخلوا مصر) هذا الدخول غير الدخول الأول لأن المراد به هنا دخول نفس المدينة ، وأما الأول فالمراد به دخول خيمته خارج البلد (قوله إن شاء الله آمنين) أى من كل مكروه لأن الناس كانوا يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها أحد إلا بجوارهم فقال لهم يوسف ادخلوا مصر آمنين على أنفسكم وأهليكم لأنكم أنتم ملوكها فلا تخافون من أحد (قوله فدخلوا الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله : ورفع أبويه مرتب على محذوف (قوله وخروا له سجدا) يحتمل أن يكون ذلك السجود خارج البلد عند أول اللقاء ويحتمل أنه بعد الدخول وجلوس يوسف وأبويه على السرير (قوله سجود انحناء) أى على عادة تحية الملوك وهذا أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقته وهو وضع الجبهة على الأرض ولا يشكل على هذا أن حقيقة السجود لا تكون إلا لله لأنه يقال إن يوسف جعل كالقبلة لذلك السجود ، وما قيل فى سجود الملائكة لآدم يقال هنا . إن قلت كيف رضى يوسف بسجود أبيه له مع كونه أكبر منه وكان الواجب مراعاة الأدب ؟. أجيب بأن هذا بأمر من الله تحقيقا لرؤيا يوسف لأن رؤيا الأنبياء وحى (قوله هذا) أى السجود (قوله حقا) أى صدقا حيث وجدت وتحققت فى الخارج على طبق مافى النوم (قوله وقد أحسن بى) أى أنعم على (قوله لئلا تخجل إخوته) أى ولأن نعمة الله عليه فى الخروج من السجن كانت سببا لوصوله إلى الملك بخلاف إخراجه من الجب فانه أعقبها الرق والتهمة والسجن وليس فى ذلك إدخال سرور على أبويه (قوله وجاء بكم من البدو) عطف على أخرجنى ، والمعنى وقد أنعم على وقت إخراجى من السجن ووقت مجيئكم من البدو (قوله إن ربى لطيف) ضمنه معنى مدبر فعداه باللام ، واللطيف معناه الرفيق المحسن (وكانت مدة فراقه ثمانى عشرة الخ) حاصله أنه اختلف فى مدة فراق يوسف لأبيه فذكر المفسر ثلاثة أقوال ، وقيل اثنان وعشرون ، وقيل ست وثلاثون ، وقيل خمس وثلاثون ، وقيل سبعون ولا يعلم الحقيقة إلا الله ، واتفقوا على أن عمر يوسف مائة وعشرون سنة (قوله فوصى يوسف أن يحمله الخ) أى وقد فعل فحمله فى تابوت من ساج حتى قدم به الشام فوافق ذلك موت عيصو أخى يعقوب وكانا قد ولدا فى بطن واحد فدفنا فى قبر واحد (قوله ولما تم أمره) أى فى ملكه .

(٢٤٢)

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ) فى مضربه (آوَىٰ) ضم (إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ) أباه وأمه أو خالته (وَقَالَ) لهم (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) فدخلوا وجلس يوسف على سريره (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ) أجلسهما معه (عَلَى الْعَرْشِ) السرير (وَخَرُّوا) أى أبواه وإخوته (لَهُ سُجَّدًا) سجود انحناء لا وضع جبهة وكان تحيتهم فى ذلك الزمان (وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي) إلى (إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) لم يقل من الجب تكرما لئلا تخجل إخوته (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) البادية (مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ) أفسد (الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بخلقه (الْحَكِيمُ) فى صنعه وأقام عنده أبوه أربعا وعشرين سنة أو سبع عشرة سنة ، وكانت مدة فراقه ثمانى عشرة أو أربعين أو ثمانين سنة ، وحضره الموت فوصى يوسف أن يحمله ويدفنه عند أبيه فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة . ولما تم أمره

(قوله وعلم أنه) أى الملك (قوله إلى الملك الدائم) أى وهو نعيم الآخرة (قوله فقال) أى طلب الملك الدائم بوفاته على الاسلام وما قبل ذلك فهو ثناء على الله قدّم على الدعاء لمراعاة الأدب إشارة إلى أن الانسان ينبغى له إذا أراد أن يدعو يقدّم الثناء على الله اعترافا بالنعم ثم بعد ذلك يسأل مطلوبه (قوله من الملك) أى بعضه وهو ملك مصر إذ لم يملك جميع الأقطار إلا أربعة اثنان مسلمان: إسكندر ذوالقرنين وسليمان بن داود ، واثنان كافران بختنصر وشدّاد بن عاد (قوله فاطر السموات والأرض) يصح أن يكون نعتا لرب أو بدلا أو عطف بيان أو نداء ثانيا (قوله توفنى مسلما) إن قلت كيف يطلب الموت مع أن تمنيه لايجوز . أجيب بأنه علم بالوحى قرب أجله فطلب ما يكون عند الموت وهو اللحوق بالصالحين فمحط طلب الموت على مابعده . إن قلت إن كل نبىّ مقطوع بموته على الاسلام فلم طلب ذلك . أجيب بأن الله تجلى على يوسف بخوف الاجلال فطلب ذلك لأن المعصوم عند ذلك ينسى العصمة (قوله من آبائى) أى إبراهيم و إسحق و يعقوب فالمراد لحوقا خاصا الذى هو أعلى المراتب (قوله ومات) أى وقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعد يوسف مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا من دين يوسف وآبائه إلى أن بعث الله موسى عليه السلام وأغرق فرعون وقومه فقطع الله الفراعنة منها وأورثها الله بنى إسرائيل (قوله وتشاح المصريون فى قبره) أى حتى هموا أن يقتتلوا ثم اصطلحوا على أن يدفنوه فى أعلى النيل

من جهة الصعيد لتعم بركته الجميع فجعلوه فى صندوق من مرمر وهو نوع من أجود الرخام ودفنوه فى الجانب الأيمن فأخصب وأجدب الجانب الأيسر فنقل له فأخصب وأجدب الجانب الأيمن فدفنوه فى وسط النيل وربطوه بسلسلة فأخصب الجانبان فبقى أربعمائة سنة فلما أمر الله موسى بالخروج من مصر أمره بأخذ يوسف معه ودفنه فى الأرض المقدسة بقرب آبائه فلم يهتد إلى مكانه فدلته عليه عجوز قيل إنها من أولاد يعقوب وشرطت عليه أن تكون معه فى الجنة فضمن لها ذلك وشرطت عليه أيضا أن يدعو لها أن ترجع شابة كلما هرمت فدعا لها فكانت كلما وصلت فى السنّ خمسين سنة رجعت بنت ثلاثين فعاشت ألفا وستمائة سنة فحمله موسى ودفنه بالأرض المقدسة فهوالآن هناك . وأما إخوته فلم يثبت فى محل دفنهم شئ وماقيل من أنهم مدفونون فى المحل المعروف بالقرافة الكبرى فهو بالظن فقط (قوله المذكور) أى من أمر يوسف وقصته (قوله من أنباء الغيب) أى الأخبار المغيبة التى لم تكن تعلمها قبل الوحى (قوله وما كنت لديهم) كالعلة لقوله من أنباء الغيب ولقوله نوحيه إليك (قوله وهم يمكرون) أى يحتالون فيما دبروه (قوله و إنما حصل لك علمها من جهة الوحى) أى فيكون إخباره بها معجزة لأنه لم يطالع الكتب القديمة ولم يأخذ عن أحد من البشر فاتيانه بتلك القصة العظيمة على أبلغ وجه من غير غلط ولاتحريف غاية الاعجاز (قوله وما أكثر الناس الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله ولو حرصت) هذه الجملة معترضة بين ما وخبرها (قوله وكأين) مبتدأ ومن آية تمييز وهو تسلية أخرى له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تتعجب من إعراضهم عنك فان إعراضهم عن هذا لآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته أغرب وأعجب (قوله كم) أشار بذلك إلى أن كأين بمعنى كم الخبرية التى للتكثير (قوله فى السموات والأرض) صفة لآية وقوله يمرون عليها خبر المبتدإ (قوله وهم عنها معرضون) الجملة حالية

وعلم أنه لايدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم فقال (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تعبير الرؤيا (فَاطِرَ) خالق (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي) متولى مصالحى (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) من آبائى فعاش بعد ذلك أسبوعا أو أكثر ، ومات وله مائة وعشرون سنة ، وتشاحا المصريون فى قبره فجعلوه فى صندوق من مرمر ودفنوه فى أعلى النيل لتعمّ البركة جانبيه فسبحان من لاانقضاء لملكه (ذَلِكَ) المذكور من أمر يوسف (مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ) أخبار ماغاب عنك يامحمد (نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ) لدى إخوة يوسف (إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ) فى كيده ، أى عزموا عليه (وَهُمْ يَمْكُرُونَ) به أى لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها و إنما حصل لك علمها من جهة الوحى (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ) أى أهل مكة (وَلَوْ حَرَصْتَ) على إيمانهم (بِمُؤْمِنِينَ . وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ) أى القرآن (مِنْ أَجْرٍ) تأخذه (إِنْ) ما (هُوَ) أى القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ . وَكَأَيِّنْ) وكم (مِنْ آيَةٍ) دالة على وحدانية الله (فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) يشاهدونها (وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيها ،

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ) حيث يقرّون بأنه الخالق الرازق (إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) به بعبادة الأصنام ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، يعنونها (أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ) نقمة تغشاهم (مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانها قبله (قُلْ) لهم (هَذِهِ سَبِيلِي) وفسرها بقوله (أَدْعُو إِلَى) دين (اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ) حجة واضحة (أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) آمن بي عطف على أنا المبتدأ المخبر عنه بما قبله (وَسُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له عن الشركاء (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) من جملة سبيله أيضا (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَى) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِمْ) لاملائكة (مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) الأمصار لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أي أهل مكة (فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) أي الجنة (خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الله (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) بالياء والتاء أي ياأهل مكة هذا فتؤمنون (حَتَّى) غاية لما دل عليه : وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا أي فتراخى نصرهم حتى (إِذَا اسْتَيْأَسَ) يئس (الرُّسُلُ وَظَنُّوا) أيقن الرسل (أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا) بالتشديد تكذيبا لا إيمان بعده ، والتخفيف أي ظن الأمم أن الرسل أخلفوا ما وعدوا به من النصر (جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُنَجِّي) بنونين مشددا ومخففا وبنون مشددا ماض (مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا) عذابنا (عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) المشركين (لَقَدْ كَانَ ،

(قوله وما يؤمن أكثرهم بالله) أي وما يعترف أكثرهم بالتوحيد حيث يقولون الله هو الخالق الرازق المعطي المانع وغير ذلك (قوله يعنونها) أي الأصنام بقولهم إلا شريكا هو لك (قوله نقمة تغشاهم) أي عقوبة تشملهم وتحيط بهم (قوله هذه سبيلي) أي طريقي وشريعتي (قوله أدعوا إلى الله) أي أدل الناس على طاعته ودينه (قوله حجة واضحة) أي بها يميز الحق من الباطل (قوله عطف على أنا المبتدأ الخ) أي فأنا مبتدأ ومن اتبعني عطف عليه وقوله : على بصيرة جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم فالوقف على قوله أدعو إلى الله ويكون في المقام جملتان الأولى تنتهي لقوله أدعوا إلى الله والثانية مبدؤها قوله على بصيرة الخ وهذا ماجرى عليه المفسر في الاعراب (قوله من جملة سبيله) راجع لقوله وسبحان الله وما أنا من المشركين فهما معطوفان على قوله ادعوا إلى الله كأنه قال شريعتي أدعوا إلى الله وأسبح الله وكوني لست من المشركين على بصيرة أنا ومن اتبعني (قوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) رد على أهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله لنا ملكا ، والمعنى كيف يتعجبون من ذلك مع أن جميع رسل الله الذين كانوا من قبلك بشر مثلك (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله لجفائهم) أي غلظ طبعهم وهو مقابل لقوله وأحلم وقوله وجهلهم مقابل لقوله وأعلم فهو لف ونشر مشوش (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يسيروا الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله في الأرض) أي في أسفارهم (قوله الذين من قبلهم) أي كقوم هود وصالح ولوط وغيرهم ممن هلكوا (قوله من إهلاكهم) بيان لآخر أمرهم (قوله ولدار الآخرة) أي الدار الآخرة (قوله خير للذين اتقوا) أي وأما لغيرهم فليست خيرا لهم في لحرمانهم من نعيمها (قوله الله) قدره إشارة إلى أن مفعول اتقوا محذوف (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ياأهل مكة) راجع لقراءة التاء فيكون خطابا لهم وعلى الياء يكون إخبارا عنهم (قوله غاية لما دل عليه وما أرسلنا الخ) أي وحينئذ يكون المعنى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فكذبهم أممهم فتراخى نصرهم حتى الخ (قوله أيقن الرسل) هذا راجع لقراءة التشديد ، والمعنى أيقن الرسل بالوحي من الله بأن قومهم يكذبونهم تكذيبا لا إيمان بعده وأما قراءة التخفيف فالظن على بابه (قوله والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من النصر) بيان لما (قوله بنونين مشددا الخ) حاصل ماذكره ثلاث قراءات التشديد والتخفيف مع النونين والتشديد مع النون الواحدة وظاهر كلامه أن جميعها سبعي وليس كذلك بل التشديد مع النونين قراءة شاذة (قوله ماض) أي مبني للمفعول ومن نشاء نائب فاعل .

فِى قَصَصِهِمْ) أى الرسل (عِبْرَةٌ لِأُولِى الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (مَا كَانَ) هذا القرآن (حَدِيثًا يُفْتَرَى) يختلق (وَلَـٰكِنْ) كان (تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) قبله من الكتب (وَتَفْصِيلَ) تبيين (كُلِّ شَىْءٍ) يحتاج إليه فى الدين (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم ،

(سـورة الرعد)

مكية إلا : ولا يزال الذين كفروا الآية ، ويقول الذين كفروا لست مرسلا الآية ، أو مدنية إلا : ولو أن قرآنا الآيتين : ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ . الۤمۤرٰ) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (وَالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن مبتدأ خبره (الْحَقُّ) لا شك فيه (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى أهل مكة (لَا يُؤْمِنُونَ) بأنه من عنده تعالى (اللَّهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَـٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أى العمد جمع عماد وهو الاسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلا ،

(قوله فى قصصهم) القصص بالفتح مصدر قص إذا تتبع الأثر والخبر ، والمراد الأخبار (قوله الرسل) أى كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم ويحتمل أن الضمير عائد على يوسف و إخوته بدليل قوله تعالى فى أول السورة ـ نحن نقص عليك أحسن القصص ـ والمعنى أن الذى قدر على إخراج يوسف من الجب والسجن ومن عليه بالعز والملك وجمع شمله بأبيه و إخوته بعد المدة الطويلة قادر على إعزاز محمد صلى الله عليه وسلم و إعلاء كلمته و إظهار دينه رغما على أنف كل معارض (قوله عبرة) أى تفكر واتعاظ (قوله لأولى الألباب) تعريض بأنهم ليسوا بأولى ألباب (قوله هذا القرآن) أى الذى تقدم ذكره فى قوله ـ إنا أنزلناه قرآنا عربيا (قوله تصديق الذى بين يديه) هذه أخبار أربعة أخبر بها عن كان المحذوفة التى قدرها المفسر ، والمعنى أن هذا القرآن مصدق لما تقدم قبله من الرسل ومن الكتب التى جاءوا بها فقول المفسر من الكتب لامفهوم له (قوله فى الدين) أى من الحلال والحرام والمواعظ وغير ذلك (قوله ورحمة) أى إنعاما و إحسانا .

[سورة الرعد] مبتدأ وقوله مكية خبر أول وقوله ثلاث الخ خبر ثان (قوله مكية إلا ولايزال الذين كفروا الآية) وقيل المدنى منها قوله تعالى ـ هو الذى يريكم البرق إلى قوله له دعوة الحق (قوله أو مدنية إلا ولو أن قرآنا الآيتين) وقيل مدنية كلها وقيل مكية كلها فتحصل أن فيها خمسة أقوال وسميت بالرعد لذكره فيها . ومن فضائلها أن قراءتها عند المحتضر تسهل خروج الروح (قوله ثلاث أو أربع الخ) حاصل ما ذكره من الخلاف فى عدد آياتها أربعة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول هو الأسلم فى تفسير تلك الأحرف المقطعة (قوله هذه الآيات) أى آيات السورة وأشير لها باعتبار علم الله بها أو باعتبار وجودها فى اللوح المحفوظ فلايقال إن اسم الاشارة لابد أن يكون لحاضر وهى لم توجد فى الخارج ويصح أن يعود اسم الاشارة على مامضى من أول القرآن إلى هنا (قوله والذى أنزل إليك) اسم الموصول مبتدأ وأنزل صلته ومن ربك متعلق به أو حال وقوله الحق خبر كما قال المفسر ، والمعنى أن القرآن الذى أنزل عليك ربك هو الحق الذى لاشك فيه (قوله أى أهل مكة) هذا تفسير للناس باعتبار النزول و إلافالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فأكثر الناس لايؤمنون فى كل زمان (قوله لايؤمنون) أى لايصدقون بذلك ، والمعنى لا تعتبرهم فانهم لايعول عليهم (قوله الله الذى رفع الخ) هذا شروع فى ذكر الأدلة على وجوب وجوده تعالى واتصافه بالكمالات ، وبدأ بأدلة من العالم العلوى وأعقبها بأدلة من العالم السفلى بقوله وهو الذى مد الأرض الخ (قوله جمع عماد) أى على غير قياس وقياسه أن يجمع على عمد بضمتين وقد قرئ به شاذا ، وقيل جمع عمود (قوله وهو الأسطوانة) ويقال له سارية (قوله وهو صادق بأن لاعمد أصلا) أى وهو المراد فالنفى منصب على المقيد بقيده أى لم تروها لعدم وجودها ، وقيل إن لها عمدا على جبل قاف وهو جبل من زمرذ محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة ، فالنفى منصب على القيد دون المقيد ، وعلى ذلك فجملة ترونها صفة لعمد والضمير عائد عليها ، وقيل إن ترونها حال من السموات

والتقدير رفع السموات حال كونها مرئية لكم بغير عمد ، وقيل إنها جملة مستأنفة لاعمل لها من الاعراب وعلى هذين القولين فالضمير عائد على السموات (قوله ثم استوى على العرش) ثم لمجرد العطف لا للترتيب إذ لا ترتيب بين رفع السموات والاستواء على العرش والاستواء فى الأصل الركوب والتمكن وذلك مستحيل عليه تعالى لاستلزامه الجسمية والجهة والمراد به هنا القهر والغلبة والاستيلاء لأن من شأن من ركب على شئ أن يكون قاهرا غالباله ، ومن ذلك قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وهذه طريقة الخلف وما مشى عليه المفسر طريقة السلف وكل من الطريقتين صحيح (قوله وسخر الشمس والقمر) أى لنفع العالم بهما (قوله يوم القيامة) أى وحينئذ فيلقيان فى النار بعد ذهاب نورهما ليعذب بهما عبادهما ومادرج عليه المفسر من أن المراد بالأجل المسمى هو يوم القيامة أحد تفسيرين والآخر أن المراد الوقت المعين لقطع الفلك فان الشمس تقطعه فى سنة واحدة والقمر فى شهر لايختلف جرى واحد منهما قال تعالى : والشمس تجرى لمستقر لها الخ وكل صحيح (قوله يدبر الأمر) أى أمر العالم العلوى والسفلى وذلك بالاحياء والاماتة

والاعزاز والاذلال وغير ذلك من أنواع التصرفات (قوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون) أى لأن من قدر على ذلك كله فهو قادر على إحياء الانسان بعد موته (قوله وهو الذى مد الأرض) شروع فى ذكر أدلة من العالم السفلى (قوله بسط الأرض) أى طولا وعرضا ليرتاح الحيوان عليها (قوله ثوابت) أى لتمسكها عن الاضطراب بأهلها وفى الحديث «أول بقعة وضعت من الأرض موضع البيت ثم مدت منها الأرض وأول جبل وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس ثم مدت منه الجبال» (قوله ومن كل الثمرات) متعلق بجعل ومفعولها الثانى محذوف تقديره لكم (قوله بضم

زوجين اثنين) بيان لأقل مراتب العدد و إلا فقد يكون أكثر من نوعين كما هو معلوم بالمشاهدة والمراد بالثمر مايشمل الحب وتعداد الأصناف المذكورة إما باعتبار الألوان كالبياض والسواد أو الطعوم كالحلاوة والملوحة والحموضة والمزوزة أو القدر كالكبر والصغر أو الكيفية كالحرارة والبرودة والنعومة والخشونة وغير ذلك (قوله يغطى الليل بظلمته النهار) أى و يزيل ظلمة الليل بضياء النهار فيعدم كلا بوجود الآخر ففى الآية اكتفاء (قوله يتفكرون) أى يتأملون فيستدلون بتلك الصنعة على وجود صانعها ويعرفون أن لها صانعا حكيما قادرا متصفا بالكمالات وخص المتفكرون بالذكر لأنهم هم الذين يحصل لهم الاعتبار والايمان (قوله طيب) أى ينبت وقوله وسبخ أى لاينبت شيئا (قوله وهو) أى هذا الاختلاف (قوله بالرفع) أى له وللثلاثة بعده وقوله والجر أى كذلك فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهى النخلات) أى الصنوان (قوله بالتاء) أى وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون والياء وقوله والياء أى وحينئذ فيقرأ نفضل بالنون لاغير فالقراءات ثلاث وكلها سبعية خلافا لمايوهمه المفسر من أنها أربع (قوله فى الأكل) أى وغيره كاللون والرائحة والقدر والحلاوة والحموضة وغير ذلك وهذا كمثل بنى آدم منهم الصالح الهين اللين والخبيث الغليظ الطبع خلقوا من آدم وفضل الله من شاء على من شاء ، ولذا قال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب

(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) استواء يليق به (وَسَخَّرَ) ذلل (الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ) منهما (يَجْرِي) فى فلكه (لِأَجَلٍ مُسَمًّى) يوم القيامة (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) يقضى أمر ملكه (يُفَصِّلُ) يبين (الْآيَاتِ) دلالات قدرته (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ) بالبعث (تُوقِنُونَ . وَهُوَ الَّذِي مَدَّ) بسط (الْأَرْضَ وَجَعَلَ) خلق (فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) من كل نوع (يُغْشِي) يغطى (اللَّيْلَ) بظلمته (النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ) دلالات على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى صنع الله (وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ) بقاع مختلفة (مُتَجَاوِرَاتٌ) متلاصقات فمنها طيب وسبخ وقليل الريع وكثيره وهو من دلائل قدرته تعالى (وَجَنَّاتٌ) بساتين (مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ) بالرفع عطفا على جنات والجر على أعناب وكذا قوله (وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ) جمع صنو وهى النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها (وَغَيْرُ صِنْوَانٍ) منفردة (تُسْقَى) بالتاء أى الجنات وما فيها والياء أى المذكور (بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ) بالنون والياء (بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ) ،

بضم الكاف وسكونها ، فمن حلو وحامض وهو من دلائل قدرته تعالى (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَإِنْ تَعْجَبْ) يامحمد من تكذيب الكفار لك (فَعَجَبٌ) حقيق بالعجب (قَوْلُهُمْ) منكرين للبعث (أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على إعادتهم . وفى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها وفى قراءة بالاستفهام فى الأول والخبر فى الثانى وأخرى عكسه (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) ونزل فى استعجالهم العذاب استهزاء (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ) العذاب (قَبْلَ الْحَسَنَةِ) الرحمة (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ) جمع المثلة بوزن السمرة أى عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها (وَإِنَّ رَبَّكَ ،

بنى آدم كانت الأرض طينة واحدة فى يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وتخرج هذه نباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد كذلك الناس خلقوا من آدم فينزل الله عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم وتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع (قوله بضم الكاف وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى مأكول (قوله لقوم يعقلون) خصوا بالذكر لأنهم الذين ينتفعون بالتفكر والاعتبار (قوله وإن تعجب) بادغام الباء فى الفاء و بتحقيقها قراءتان سبعيتان والعجب استعظام أمر خفى سببه (قوله من تكذيب الكفار لك) أى مع كونك كنت مشهورا بينهم بالأمانة والصدق فلما جئت بالرسالة كذبوك (قوله فعجب قولهم) لابد هنا من صفة محذوفة لتتم الفائدة والتقدير فعجب عظيم أو أى عجب وعجب خبر مقدم وقولهم مبتدأ مؤخر (قوله منكرين للبعث) حال من الضمير فى قولهم (قوله أئذا كنا ترابا) هذه الجملة فى محل نصب مقول القول وهو أحسن مايقال (قوله لأن القادر الخ) تعليل لقوله تعالى فعجب قولهم (قوله وما تقدم) أى من رفع السموات بغير عمد وتسخير الشمس والقمر وغير ذلك من الأمور المتقدمة (قوله قادر على إعادتهم) أى لأنه إذا تعلقت قدرته بشىء كان فلافرق بين الابتداء والاعادة وأما قوله تعالى : وهو أهون عليه فذلك باعتبار عادة المخلوقات أن القادر على الابتداء تسهل عليه الاعادة بالأولى و إلا فالكل فى قدرته تعالى سواء (قوله وفى الهمزتين فى الموضعين الخ) من هنا إلى قوله وتركها أربع قراءات (قوله وفى قراءة بالاستفهام فى الأول الخ) وفى ذلك ثلاث قراءات تحقيق الهمزتين من غير إدخال ألف بينهما وتحقيق الأولى تسهيل الثانية مع إدخال ألف بينهما وبدونها وقوله وأخرى عكسه قراءتان التحقيق مع الألف ودونها ولا يجوز تسهيل الثانية فتكون القراءات تسعا وكلها سبعية واختلاف القراء فى هذا الاستفهام المكرر اختلافا منتشرا وهو فى أحد عشر موضعا فى تسع سور من القرآن فأولها مافى هذه السورة . والثانى والثالث فى الاسراء بلفظ واحد أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا . والرابع فى المؤمنون أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون والخامس فى النمل أئذا كنا ترابا أئنا لمخرجون . والسادس فى العنكبوت أئنكم لتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال . والسابع فى الم السجدة أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد . والثامن والتاسع فى الصافات أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون . والعاشر فى الواقعة أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون . والحادى عشر فى النازعات أئنا لمردودون فى الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة ، والوجه فى الاستفهام فى الموضعين أن الأول للانكار والثانى تأكيد له ، والوجه فى كونه فى موضع واحد حصول الانكار به و إحدى الجملتين مرتبطة بالأخرى فاذا أنكر فى إحداهما حصل الانكار فى الأخرى (قوله الأغلال) جمع غل وهو طوق من حديد يجعل فى أعناقهم (قوله أصحاب النار) أى لامحيص لهم عنها فهم ملازمون لها كالصاحب الملازم لصاحبه (قوله ونزل فى استعجالهم العذاب) أى وذلك أن مشركى مكة كانوا يطلبون تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (قوله قبل الحسنة) أى وهى تأخير العذاب عنهم (قوله وقد خلت من قبلهم) الجملة حالية (قوله جمع المثلة) بفتح الميم وضم المثلثة أى وهى النقمة تنزل بالشخص فيجعل مثلا يرتدع به غيره (قوله بوزن السمرة) أى وهو شجر الطلح أى للوزن .

(قوله لذو مغفرة) المراد ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها حالا بل يؤخر الأخذ بها فإن تاب الشخص ورجع دام ذلك الستر عليه وإلا أخذه أخذ عزيز مقتدر (قوله على ظلمهم) الجملة حالية أى والحال أنهم ظالمون لأنفسهم بالمعاصى (قوله لمن عصاه) أى ودام على ذلك فرحمة الله فى الدنيا غلبت غضبه لجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم ، وأما فى الآخرة فقد انفردت رحمته للمؤمنين خاصة (قوله ويقول الذين كفروا) أى تعنتا (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض (قوله كالعصا واليد) أى وغير ذلك مما اقترحوا قال تعالى حكاية عنهم وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآية (قوله إنما أنت منذر) أى ليس عليك إلا الانذار بما أوحى إليك لأنهم معاندون كفار ليس قصدهم بذلك الايمان بل التعنت فى الكفر (قوله ولكل قوم هاد) الجملة مستأنفة وهاد باثبات الياء وحذفها فى الوقف و بحذفها فى الوصل لاغير ثلاث قراءات سبعية ، وأما فى الرسم فهى محذوفة (قوله الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أى لأنه الخالق المصور فلا تخفى عليه خافية و يعلم عرفانية متعدية لواحد وما اسم موصول مفعوله والعائد محذوف (قوله وغير ذلك) أى من أوصاف الحمل من كونه أبيض أو أسود قصيرا أو طويلا سعيدا أو شقيا قويا أو ضعيفا (قوله تنقص الأرحام من مدة الحمل) أى المعتادة وهى تسعة أشهر فهو يعلم الحمل الناقص عن تلك المدة وقوله وما تزداد أى وما تزيد فهو يعلم الناقص عن تلك المدة والزائد عليها لايخفى عليه شىء من أوقات الحمل ولا من أحواله وقيل النقصان السقط والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وأقل مدة الحمل ستة أشهر ، وقد يولد لهذه المدة و يعيش (قوله وكل شىء عنده بمقدار) هذا أعم مما قبله فالشىء يشمل الحمل وغيره من أفعال العباد وأحوالهم وخواطرهم فقد دبر سبحانه وتعالى العالم بأسره على طبق ما تعلقت به قدرته و إرادته ولا يعجزه شىء ولا يشغله شأن عن شأن قال تعالى : ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، فينبغى للانسان أن لا يدبر لنفسه شيئا ولا يشتغل بشىء تكفل به غيره بل يعتمد على من يدبر الأمور و يفوض له أحواله و يترك الأوهام التى حجبت القلوب عن مطالعة الغيوب (قوله بقدر وحد لا يتجاوزه) أى لا يتخلف شىء عن الحد الذى قدره الله من سعادة وشقاوة ورزق وغير ذلك (قوله ما غاب وما شوهد) أى ما غاب عنا وما شوهد لنا وإلا فكل شىء بالنسبة له مشاهد فلا فرق بين ما فى أعلى السموات وما فى تخوم الأرضين (قوله الكبير) أى الذى يصغر كل شىء عند ذكره وليس المراد به كبر الجثة إذ هو مستحيل عليه تعالى فالمراد بالكبير المتصف بكل كمال أزلا وأبدا (قوله المتعال) أى المنزه عن كل نقص (قوله بياء ودونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فى الوصل والوقف وأما فى الرسم فالياء محذوفة لاغير (قوله سواء منكم الخ) سواء خبر مقدم ومن أسر القول ومن جهر به مبتدأ مؤخر ولم يثن الخبر لأنه فى الأصل مصدر وهو لا يثنى ولا يجمع ومنكم حال من الضمير المستتر فى سواء لأنه بمعنى مستو (قوله فى علمه تعالى) أى فهو يعلم الجميع على حد سواء لا يتفاوت من جهر على من أسر (قوله من أسر القول) أى فى نفسه فلم يسمعه غيره (قوله ومن جهر به) أى سمعه غيره ، والمعنى سواء ما أضمرته القلوب وما نطقت به الألسنة (قوله ومن هو مستخف بالليل) أى وسواء من استخفى فى ظلام الليل ومن هو ظاهر فى النهار لأنه الخالق لليل وظلمته والنهار ونوره وما تفعله العبيد فيهما من خير وشر وهذه الآية من تدبرها وعمل بمقتضاها ورثته الاخلاص فى أعماله فيستوى عنده أسرار العبادة وإظهارها ليلا أو نهارا والمراقبة لأنه إذا علم أن هذه الأشياء مستوية عنده ولا يخفى عليه شىء منها فلا يستطيع أن يقدم على ما نهى عنه لا ظاهرا ولا باطنا

لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى) مع (ظُلْمِهِمْ) و إلا لم يترك على ظهرها دابة (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) لمن عصاه (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) على محمد (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كالعصا واليد والناقة قال تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ) مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) نبى يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يقترحون (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى) من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك (وَمَا تَغِيضُ) تنقص (الْأَرْحَامُ) من مدة الحمل (وَمَا تَزْدَادُ) منه (وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ) بقدر وحد لا يتجاوزه (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد (الْكَبِيرُ) العظيم (الْمُتَعَالِ) على خلقه بالقهر بياء ودونها (سَوَاءٌ مِنْكُمْ) فى علمه تعالى (مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ) مستتر (بِاللَّيْلِ) بظلامه (وَسَارِبٌ) ظاهر بذهابه

(قوله فى سربه) بفتح السين وسكون الراء ، يقال سرب فى الأرض سروبا ذهب فيها ذهابا والسرب بفتحتين بيت فى الأرض لامنفذ له وهو الوكر وليس مرادا هنا بل المراد الطريق الظاهرة وهى بفتح السين وسكون الراء (قوله للإنسان) أى مؤمن أو كافر وهذا من مزيد التكرمة للنوع الإنسانى و إلافهو الحافظ لكل شىء (قوله ملائكة) قيل خمسة بالليل وخمسة بالنهار واحد على اليمين يكتب الحسنات ، وواحد على الشمال يكتب السيئات ، وواحد موكل بناصيته فاذا تواضع رفعه و إذا تكبر وضعه ، وواحد موكل بعينيه يحفظهما من الأذى ، وواحد موكل بفمه يمنع عنه الهوام ، والصحيح أنهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار كما فى شراح الجوهرة نقلا عن حديث البخارى ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين كانوا من قبل فيسألهم الله و يقول : كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ولا يفارقون الشخص أبدا إلى الممات فاذا مات فقد فرغ حفظهم له وهم واحد على يمينه وآخر على شماله وآخر أمامه وآخرخلفه واثنان على عينيه وواحد على شفتيه واثنان على فمه يحفظان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وواحد آخذ بناصيته فان تواضع رفعه و إن تكبر خفضه . وهؤلاء العشرة غير رقيب وعتيد كاتبى الحسنات والسيئات على المعتمد ، وحكمة هذا السؤال و إن كان الله عالما بكل شىء تشريف بنى آدم بين أهل الملأ الأعلى ، وحكمة إجابة الملائكة بقولهم تركناهم وهم يصلون ولم يذكروا الكافر والتارك للصلاة أن العمل الصالح يرفع لأهل السماء فيتشرف بنو آدم على العموم وتنزل عليهم الرحمة وتكثر أرزاقهم لأن الرحمة تعم الطائع والعاصى فاخبار الملائكة بطاعة بنى آدم على العموم لاستجلاب الرحمة لهم من عالم الغيب (قوله من أمر الله) اختلف المفسرون فى من فقيل بمعنى الباء والمحفوظ منه محذوف ، والتقدير يحفظونه بأمر الله من الحوادث ، وقيل إن من على حقيقتها والمحفوظ منه مذكور بقوله من أمر الله : أى يحفظونه من الجن والحوادث وغير ذلك إذ اعلمت ذلك فالمفسر قد أفاد القول الأول (قوله من الحالة الجميلة) أى وهى الطاعة ، والمعنى أنه جرت

(٢٤٩)

فى سَرْبِهِ أى طريقه (بِالنَّهَارِ ، لَهُ) للانسان (مُعَقِّبَاتٌ) ملائكة تعتقبه (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) قدامه (وَمِنْ خَلْفِهِ) ورائه (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) أى بأمره من الجن وغيرهم (إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ) لايسلبهم نعمته (حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) من الحالة الجميلة بالمعصية (وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا) عذابا (فَلَا مَرَدَّ لَهُ) من المعقبات ولا غيرها (وَمَا لَهُمْ) لمن أراد الله بهم سوءا (مِنْ دُونِهِ) أى غير الله (مِنْ) زائدة (وَالٍ) يمنعه عنهم (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا) للمسافرين من الصواعق (وَطَمَعًا) للمقيم فى المطر (وَيُنْشِئُ) يخلق (السَّحَابَ الثِّقَالَ)

عادة الله أنه لايقطع نعمة عن قوم إلا إذا بدلوا أحوالهم الجميلة بأحوال قبيحة و بمعنى هذه الآية قوله تعالى ـ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ـ وقوله عليه الصلاة والسلام « إذا رأيت قسوة فى قلبك وحرمانا فى رزقك ووهنا فى بدنك فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك » فالنعم تأتى من الله بلا سبب وسلبها يكون بسبب المعاصى (قوله و إذا أراد الله بقوم سوءا) إذا شرطية وجوابها قوله فلا مرد له والعامل فيها محذوف لدلالة الجواب عليه تقديره لم يرد أو واقع ، والمعنى متى سبق فى علم الله نزول بلاء بقوم فلا يقدر على دفعه أحد من الملائكة ولا من غيرهم إذا علمت ذلك تعلم جهل من يقول لو كانت الأولياء موجودين لما نزل علينا بلاء (قوله وما لهم من دونه من وال) أى ناصر يدفعه . قال تعالى ـ وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ـ فلا دافع لما قضاه ولا راد لما قدره (قوله هو الذى يريكم البرق) لما أخبر سبحانه وتعالى بقوله ـ و إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ـ رتب عليه قوله : هو الذى يريكم البرق الخ إشارة إلى أنه سبحانه وتعالى منه الرحمة والعقاب (قوله البرق) هو لمعان يظهر من خلال السحاب ، وقيل لمعان المطراق الذى يزجر به السحاب (قوله خوفا وطمعا) منصوبان على الحال من الكاف فى يريكم وليس مفعولا لأجله لعدم اتحاد الفاعل فان فاعل الاراءة الله وفاعل الخوف والطمع العبيد و بعضهم جعله مفعولا لأجله بتأويل يريكم بيجعلكم رائين فتخافون وتطمعون (قوله للمسافرين) لامفهوم له بل المقيمون الذين يضرهم المطر كمن يجفف الثمار والحبوب كذلك ، وقوله وطمعا للمقيم الخ لامفهوم له أيضا بل المسافر المحتاج للمطر للشرب مثلا كذلك فالبرق تارة يكون خيرا وتارة يكون شرا للمسافرين والمقيمين ، فينبغى للانسان أن يكون دائما خائفا راجيا لأن الله تعالى قد يأتى بالخير فيما ظاهره شر و يأتى بالشر فيما ظاهره خير (قوله و ينشىء السحاب)

هو ثمر شجرة فى الجنة يخلقه الله و ينزل فيه الماء من السماء فالسحاب من الجنة وماؤه من الجنة تهب الريح من تحت ساق العرش فتخرج الحامل والمحمول من الجنة وهذا مذهب أهل السنة ، وقالت المعتزلة : إن السحاب له خراطيم كالابل فينزل فيشرب من البحر المالح ويرتفع فى الجو فتنسفه الرياح فيحلو فينزله الله على من أراد من خلقه (قوله هو ملك موكل بالسحاب الخ) هذا هو المشهور بين المفسرين وعليه فما نسمعه هو صوت تسبيح الملك الموكل بالسحاب فاذا سمعته الملائكة ضجت معه بالتسبيح فعندها ينزل المطر ، وقيل هو صوت الآلة التى يضرب بها السحاب (قوله أى يقول سبحان الله و بحمده) أى تنزيها له عن النقائص واتصافا له بالكمالات (قوله ملتبسا) أشار بذلك إلى أن الباء للملابسة (قوله والملائكة) قيل المراد بهم أعوان ملك السحاب ، وقيل المراد جميع الملائكة (قوله من خيفته) أى هيبته وجلاله (قوله وهى نار الخ) وقيل هى الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار (قوله تخرج من السحاب) أى فاذا نزلت من السماء فربما تغوص فى البحر فتقتل الحيتان (قوله نزل فى رجل) أى من طواغيت العرب وقد اختصرها المفسر ، وحاصلها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليه نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله تعالى ورسوله ، فقال لهم أخبرونا من رب محمد الذى يدعونى إليه فهل هو من ذهب أم فضة أم حديد أم نحاس فاستعظم القوم كلامه فانصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا أكفر قلبا ولا أجرأ على الله تعالى من هذا الرجل ، فقال ارجعوا إليه فرجعوا فلم يزدهم على مقالته الأولى شيئا بل قال أخبث منها فرجعوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم ارجعوا إليه فرجعوا فبينما هم عنده يدعونه و ينازعونه ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت و برقت ورمت بصاعقة فأحرقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبى صلى الله عليه وسلم فبادرهم وقال لهم احترق صاحبكم ، فقالوا من أين علمت ؟ قال قد أوحى إلى – ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء – (قوله بقحف رأسه) بكسر القاف عظم الرأس الذى فوق الدماغ (قوله وهو شديد المحال) بكسر الميم من المماحلة وهى المكايدة ، وقيل من المحل وهو القوة والأخذ وهو الأولى ، ولذا مشى عليه المفسر (قوله له دعوة الحق) أى شرعها وأمرها (قوله وهى لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى كلمة الحق جعلت مفتاحا للاسلام فلا يقبل من أحد إلا بالاقرار بها (قوله بالياء والتاء) أما الياء فمتواترة وأما التاء فشاذة وكان المناسب للمفسر التنبيه عليها (قوله لا يستجيبون لهم) أى لا يجيبونهم (قوله إلا استجابة) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير مصدر مضاف إلى المفعول ، والمعنى أن الأصنام التى يعبدها الكفار لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر فلا تجيب عابديها بشىء أصلا وقد ضرب الله مثلا لعدم إجابتهم بقوله – إلا كباسط الخ – والمعنى أن من بسط كفيه للماء ليدخل فى فيه لا يجيبه الماء لعدم إشعاره ببسط كفيه وعطشه وعدم قدرته على ذلك فكذلك من يدعو الأصنام لتدفع عنه كربة أو توليه نعمة لا تجيبه بشىء لعدم قدرتها على ذلك لنفسها فضلا عن غيرها (قوله وما هو) أى الماء (قوله عبادتهم الأصنام أو حقيقة) هذان قولان فى تفسير الدعاء والأقرب الأول بدليل قوله أولا والذين يدعون يعبدون (قوله ضياع) إنما كان دعاؤهم ضائعا لأنه طلب من غير من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأما دعاؤهم لله فليس بضائع بل يستجيب لهم إن شاء فان كان بأمور الدنيا فظاهر و إن كان بالجنة فيهديهم للايمان ، هذا هو الذى يجب المصير إليه و يؤيده قوله تعالى – وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون – فانها فى مشركى مكة وجملة وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال نتيجة ماقبلها

بالمطر (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ) هو ملك موكل بالسحاب يسوقه ملتبسا (بِحَمْدِهِ) أى يقول سبحان الله و بحمده (وَ) يسبح (الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) أى الله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ) وهى نار تخرج من السحاب (فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ) فتحرقه ، نزل فى رجل بعث إليه النبى صلى الله عليه وسلم من يدعوه فقال من رسول الله وما الله أمن ذهب هو أم فضة أم نحاس فنزلت به صاعقة فذهبت بقحف رأسه (وَهُمْ) أى الكفار (يُجَادِلُونَ) يخاصمون النبى صلى الله عليه وسلم (فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) القوة أو الأخذ (لَهُ) تعالى (دَعْوَةُ الْحَقِّ) أى كلمته وهى لا إله إلا الله (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) بالياء والتاء يعبدون (مِنْ دُونِهِ) أى غيره وهم الأصنام (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ) مما يطلبونه (إِلَّا) استجابة (كَبَاسِطِ) أى كاستجابة باسط (كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ) على شفير البئر يدعوه (لِيَبْلُغَ فَاهُ) بارتفاعه من البئر إليه (وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) أى فاه أبدا فكذلك ما هم بمستجيبين لهم (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ) عبادتهم الأصنام أو حقيقة الدعاء (إِلَّا فِي ضَلَالٍ) ضياع ،

(قوله ولله يسجد من فى السموات) أى وهم الملائكة ولا يكون إلا طوعا وقوله والأرض أى من الانس والجن وقوله طوعا وكرها حالان من الفاعل أى طائعين ومكرهين والكره فى المنافقين كما قال المفسر ، وأما باقى الكفار فلم يكن منهم سجود وهذا إن حمل السجود على حقيقته وهو وضع الجبهة على الأرض بالفعل وإن أريد من السجود الأمر به بقيت من على عمومها فيندرج تحتها الإنس والجن والملك ويصح حمله على معناه المجازى وهو الخضوع والانقياد والمعنى ولله خضع وانقاد وذل من فى السموات والأرض جميعا وهو بمعنى قوله تعالى - إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا - وعلى هذا فالمراد بمن فى السموات والأرض السموات والأرض ومن فيهن وغلب العاقل لشرفه ولأنه المكلف بالسجود الحقيقى واللغوى فالعارف بربه المسلم لأحكامه ولوغير عاقل بدليل قالتا أتينا طائعين خضع طوعا إجلالا لهيبة الله وجلاله والجاهل خضع كرها بمعنى جرت المقادير عليه رغما على أنفه (قوله وظلالهم) معطوف على من مسلط عليه يسجد كما قدره المفسر ومعنى سجود الظل سجوده حقيقة تبعا لصاحبه إن أريد بالسجود حقيقته وخضوعه ، وانقياده إن أريد به المعنى المجازى وسجود الظلال كلها طوعا لخلوها عن النفس التى تحمل الانسان على عدم الرضا ففى الحقيقة الكاره إنما هو النفس التى حواها الجسم وأما الجسم والظل فخضوعهما طوعا ، ولذا قيل إن الكافر إذا سجد للصنم سجد ظله لله (قوله البكر) جمع بكرة وهى من أول النهار (قوله والآصال) جمع أصيل ، وهو من بعد العصر إلى الغروب فالمراد جميع

الأوقات إن أريد بالسجود الخضوع والانقياد وأوقات الصلوات إن أريد بالسجود حقيقته

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا) كالمؤمنين (وَكَرْهًا) كالمنافقين ومن أكره بالسيف (وَ) يسجد (ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ) البكر (وَالْآصَالِ) العشايا (قُلْ) يا محمد لقومك (مَنْ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ) إن لم يقولوه لاجواب غيره (قُلْ) لهم (أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (أَوْلِيَاءَ) أصناما تعبدونها (لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) وتركتم مالكهما استفهام توبيخ (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) الكافر والمؤمن (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ) الكفر (وَالنُّورُ) الايمان؟ لا (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ) أى خلق الشركاء بخلق الله (عَلَيْهِمْ) فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم استفهام إنكار أى ليس الأمر كذلك ولا يستحق العبادة إلا الخالق (قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) لاشريك له فيه فلا شريك له فى العبادة (وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) لعباده ثم ضرب مثلا للحق والباطل فقال (أَنْزَلَ) تعالى (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا ،

(قوله قل من رب السموات والأرض) هذا مرتب على ماقبله (قوله لا جواب غيره) أى لتعينه عليه لاعترافهم به وإنما يتركون هذا الجواب عنادا (قوله قل أفاتخذتم الخ) المعنى أبعد قراركم بأنه رب السموات والأرض واعترافكم به يليق بكم أن تتخذوا من دونه من لايملك لنفسه نفعا ولاضرا (قوله وتركتم مالكهما) أى وهو الله (قوله استفهام توبيخ) أى الثانى وأما الأول فهو للتقرير (قوله قل هل يستوى الأعمى والبصير) هذا ترق فى الرد عليهم (قوله الكافر والمؤمن) أى فالمراد بالأعمى أعمى القلب والبصير بصيره (قوله الكفر) أى وعبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد أنواعه بخلاف الايمان فهو متحد فلذا عبر عنه بالنور مفردا وسمى الكفر ظلمات لأنه موصل لدار الظلمات وهى النار وسمى الايمان بالنور لأنه موصل لدار النور وهى الجنة (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى وبمعنى هذه الآية قوله تعالى - مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية - وقوله تعالى - أوكظلمات فى بحر لجى - الآية (قوله أم جعلوا) أى بل أجعلوا فأم منقطعة تفسر ببل والهمزة (قوله شركاء) أى الأصنام (قوله خلقوا) أى الأصنام وقوله كخلقه أى الله ، والمعنى هل لهذه الأصنام خلق كخلق الله فاشتبه بخلقه فاستحقت العبادة لذلك وهو إنكار عليهم أى لم يخلقوا أصلا بل ولايستطيعون دفع مايتنزل بهم فكيف العاجز يعبد (قوله أى ليس الأمر كذلك) أى لم يخلقوا كخلق الله حتى يشتبه بخلق الله بل الكفار يعلمون بالضرورة أن هذه الأصنام يصدر عنها فعل ولا خلق ولا أثر أصلا وإذا كان كذلك فجعلهم إياها شركاء لله فى الألوهية محض جهل وعناد (قوله وهو الواحد القهار) أى المنفرد بالإيجاد والاعدام القاهر لعباده المختار فى أفعاله فلا يسئل عما يفعل (قوله ثم ضرب مثلا) أى بينه ، والمراد بالمثل الجنس لأن المذكور للحق مثلان وللباطل كذلك .

(قوله فسالت أودية) أى أنهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل فيه الماء بكثرة وحينئذ فهو مجاز عقلى من إسناد الشيء لمكانه والأصل فسال الماء فى الأودية (قوله بقدرها) بفتح الدال باتفاق السبعة ، وقرئ شذوذا بسكونها (قوله بمقدار ملئها) أى ما يملأ كل واحد بحسبه صغرا وكبرا (قوله زبدا) الزبد مايظهر على وجه الماء من الرغوة أو على وجه القدر عند غليانه وقد تم المثل الأول (قوله ومما توقدون) الجار والمجرور خبر مقدم وزبد مثله مبتدأ مؤخر (قوله بالتاء والياء) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله فى النار) متعلق بتوقدون وقوله ابتغاء حلية علة لتوقدون (قوله كالأوانى) أى والسكوك الذى ينتفع به الناس فى معايشهم (قوله زبد مثله) أى فى كونه يصعد ويعلو على أصله (قوله الكير) هو منفاخ الحداد وأما الكور فهو الموضع الذى توقد فيه النار كالكانون (قوله المذكور) أى من الأمور الأربعة التى للحق والباطل (قوله فأما الزبد) لف ونشر مشوش (قوله مرميا به) أى يرميه الماء إلى الساحل ويرميه الكير فلا ينتفع به (قوله والحق ثابت) أى ماكث كما أن الماء والجوهر ثابتان وإنما يرمى بزبدهما والمعنى أن مثل الباطل كمثل الرغوة التى تعلو على وجه الماء وخبث الجوهر الذى يصعد على وجهه عند نفخ النار عليه ومثل الحق كمثل الماء الصافى والجوهر الصافى كما أن الرغوة فى كل لا قرار لها ولا ينتفع بها بل ترمى كذلك الباطل يضمحل ولا يبقى والحق ثابت ينتفع به كالجوهر والماء الصافيين وفى هذه الآية بشرى للأمة المحمدية بأنها ثابتة على الحق لا يضرهم من خالفهم فى العقائد بل وإن علا وارتفع لابد من اضمحلاله وزواله (قوله يضرب الله الأمثال) أى لارشاد عبيده باللطف والرفق فان من جملة ما جاء به القرآن الأمثال (قوله للذين استجابوا) خبر مقدم وقوله الحسنى مبتدأ مؤخر (قوله الجنة) أى وزيادة

(فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) بمقدار ملئها (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا) عاليا عليه هو ماعلى وجهه من قذر ونحوه (وَمِمَّا تُوقِدُونَ) بالتاء والياء (عَلَيْهِ فِى النَّارِ) من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس (ابْتِغَاءَ) طلب (حِلْيَةٍ) زينة (أَوْ مَتَاعٍ) ينتفع به كالأوانى إذا أذيبت (زَبَدٌ مِثْلُهُ) أى مثل زبد السيل وهو خبثه الذى ينفيه الكير (كَذَٰلِكَ) المذكور (يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) أى مثلهما (فَأَمَّا الزَّبَدُ) من السيل وما أوقد عليه من الجواهر (فَيَذْهَبُ جُفَاءً) باطلا مرميا به (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ) من الماء والجواهر (فَيَمْكُثُ) يبقى (فِى الْأَرْضِ) زمانا كذلك الباطل يضمحل وينمحق وإن علا على الحق فى بعض الأوقات والحق ثابت باق (كَذَٰلِكَ) المذكور (يَضْرِبُ) يبين (اللَّهُ الْأَمْثَالَ . لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ) أجابوه بالطاعة (الْحُسْنَىٰ) الجنة (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ) وهم الكفار (لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ) من العذاب (أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ) وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لايغفر منه شيء (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش هى . ونزل فى حمزة وأبى جهل (أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ) فآمن به (كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ) لايعلمه ولا يؤمن به ؟ لا (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ)

بدليل الآية الأخرى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله والذين) مبتدأ أخبر عنه بثلاثة أمور الأول قوله لوأن لهم الثانى قوله أولئك لهم الخ الثالث قوله ومأواهم الخ ، والمعنى أن الكفار يتمنون أن لو كان لهم قدر مافى الأرض جميعا مرتين ويفتدون به من العذاب النازل بهم يوم القيامة (قوله سوء الحساب) أى الحساب السيء فهو من إضافة الصفة للموصوف والمراد أنهم يناقشون الحساب ويسئلون عن النقير والقطمير ولذا ورد فى الحديث «من نوقش الحساب هلك» (قوله ومأواهم جهنم) أى منزلهم المعد لهم (قوله وبئس المهاد) هو مايمهد أى يفرش وقدرهى إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله ونزل فى حمزة وأبى جهل) أى سبب نزول هذه الآيات مدح حمزة بالصفات الجميلة والوعد عليها بالخير وذم أبى جهل بالصفات القبيحة والوعيد عليها بالشر ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فآيات الوعد لحمزة ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة وآيات الوعيد لأبى جهل ومن كان على قدمه وخلقه إلى يوم القيامة (قوله أفمن يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أيستوى المؤمن والكافر فمن يعلم الخ (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى .

أصحاب العقول (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ) المأخوذ عليهم وهم فى عالم الذر أو كل عهد (وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) بترك الإيمان أو الفرائض (وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ) من الإيمان والرحم وغير ذلك (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أى وعيده (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) تقدم مثله (وَالَّذِينَ صَبَرُوا) على الطاعة والبلاء وعن المعصية (ابْتِغَاءَ) طلب (وَجْهِ رَبِّهِمْ) لاغيره من أعراض الدنيا (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا) فى الطاعة (مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ) يدفعون (بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) كالجهل بالحلم والأذى بالصبر (أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة هى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) هم (وَمَنْ صَلَحَ) آمن

(قوله أصحاب العقول) أى السليمة الكاملة (قوله الذين يوفون) بدل من من ، وحاصل ماذكره من الصفات لهم ثمانية أولها قوله يوفون بعهد الله وآخرها قوله ويدرؤن بالحسنة السيئة (قوله المأخوذ عليهم وهم فى عالم الذر) أى بالتوحيد وهو قول الله لهم ألست بربكم (قوله أوكل عهد) أى كل ميثاق أخذ عليهم كان للخالق أو للمخلوق ولو كافرا فيجب الوفاء بالعهد ولاتجوز الخيانة ولما كانت الأوصاف الآتية لازمة للموفى بالعهد قدم عليها وجعل ما بعده تفصيلا له وحينئذ فالمراد بالوفاء بالعهد امتثال المأمورات على حسب الطاقة واجتناب المنهيات (قوله ولا ينقضون الميثاق) تأكيد لما قبله ولازم له لأن الموفى بالعهد غير ناقض للميثاق فالعهد هو الميثاق وقيل الميثاق هو التزام المخلوق بالوفاء بأمر الخالق والعهد هو أمر الله (قوله بترك الايمان) راجع للأول وقوله أو الفرائض راجع للثانى فى تفسير العهد (قوله من الايمان) بيان لما والمعنى أنهم يأتون بالايمان بشروطه وأركانه وآدابه (قوله والرحم) أى القرابة لما فى الحديث يقول الله تعالى «أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» وقال عليه الصلاة والسلام «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى قطعه الله» وصلة الرحم تكون ببذل المعروف والانفاق بحسب الاستطاعة (قوله وغير ذلك) أى كالتوادد للناس وعيادة المريض وغير ذلك لما فى الحديث «التوادد مع الناس نصف العقل» وفى الحديث «وخالق الناس بخلق حسن» والتوادد باعطاء من حرمك ووصل من قطعك والعفو عمن ظلمك (قوله ويخشون ربهم) أى يهابونه إجلالا وتعظيما فلايخشون غيره ولايلتفتون لما سواه (قوله ويخافون سوء العذاب) أى يخافون الحساب السيء المؤدى لدخول النار (قوله والذين صبروا على الطاعة الخ) أشار المفسر إلى أن مراتب الصبر ثلاثة أعلاها الصبر عن المعصية وهو عدم فعلها رأسا ويليها الصبر على الطاعات أى دوام فعلها على حسب الطاقة ويليها الصبر على البلاء وأعلى الجميع الصبر عن الشهوات لأنه مرتبة الأولياء والصديقين (قوله ابتغاء وجه ربهم) أى طالبا لمرضاته (قوله لاغيره من أعراض الدنيا) أى كالصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته أولئلا يعاب على الجزع أولئلا تشمت به الأعداء وغير ذلك من الأمور التى تكون لغير وجه الله وفضل الصبر لوجه الله عظيم جدا قال تعالى ـ وبشر الصابرين ـ الآية ، وورد «إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فتقول إلى أين ؟ فيقولون إلى الجنة . قالوا قبل الحساب ؟ قالوا نعم ، فيقولون من أنتم ؟ فيقولون نحن أهل الصبر . قالوا وما كان صبركم ؟ قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصى الله وصبرناها على البلايا والمحن فى الدنيا ، فتقول لهم الملائكة سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (قوله وأقاموا الصلاة) أى فرضا أو نفلا بالاتيان بها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله وأنفقوا فى الطاعة) أى إنفاقا واجبا كالزكاة والنفقات الواجبة أو مندوبا كالتطوعات (قوله سرا وعلانية) أى لم يعلم به أحد أو علم فالمدار على الاخلاص فى النفقة أسر بها أو أعلن (قوله كالجهل بالحلم) أى فيدفع السفه والتعدى بالحلم وعدم المؤاخذة (قوله والأذى بالصبر) أى فلا يكافئون الشر بالشر بل يدفعون الشر بالخير والصبر (قوله أولئك) مبتدأ وقوله لهم خبر مقدم وعقبى الدار مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدإ الأول وهى مستأنفة لبيان جزاء من ذكر (قوله أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة) أشار بذلك إلى أن النعت محذوف والاضافة على معنى فى فالعقبى المحمودة هى الجنة (قوله جنات عدن) قدر المفسر هى إشارة إلى أن جنات عدن خبر مبتدإ محذوف ، والمراد بجنات عدن الجنة بجميع دورها لاخصوص الدار المسماة بذلك (قوله هم ومن الخ) قدر الضمير للايضاح وإلا فالفصل حاصل بالضمير المنصوب

(قوله من آبائهم) أى أصولهم و إن علوا ذكورا و إناثا (قوله وأزواجهم) أى اللاتى متن فى عصمتهم (قوله وذرياتهم) أى فروعهم و إن سفلوا (قوله و إن لم يعملو) أى الآباء والأزواج والذريات (قوله تكرمة لهم) أى لأن الله جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه فى أهله ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم تكن فى ذلك كرامة للمطيع إذ كل من كان صالحا فى عمله فله الدرجات العلية استقلالا (قوله أوالقصور) جمع قصر وهوكما ورد خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها ألف باب مصار يعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب بالتحف والهدايا يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله أول دخولهم للتهنئة) هذا التفسير لم ير لغيره بل فى كلام غيره مايدل على خلاف ذلك قال مقاتل إن الملائكة يدخلون فى مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله تعالى سلام عليكم فى محل نصب مقول لقول محذوف (قوله سلام عليكم) أى سلمكم الله من آفات الدنيا فهو دعاء لهم وتحية (قوله بما صبرتم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا الثواب الخ (قوله بصبركم) أشار بذلك إلى أن مامصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر (قوله فنعم عقبى الدار) المراد بالدار قيل الدنيا وقيل الآخرة (قوله عقباكم) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله والذين ينقضون) جرت عادة الله فى كتابه أنه إذا ذكر أوصاف أهل السعادة أتبعه بذكر أوصاف أهل الشقاوة وهذه أوصاف أبى جهل ومن حذا حذوه الى يوم القيامة (قوله من بعد ميثاقه) أى من بعد الاعتراف والقبول (قوله أولئك) أى من هذه صفاته (قوله وهى جهنم) تفسير للعاقبة السيئة (قوله الله يبسط الرزق الخ) هذا جواب عن شبهة الكفار حيث قالوا لو كان الله غضبان علينا كما زعمتم أيها المؤمنون لما بسط لنا الأرزاق ونعمنا فى الدنيا فرد الله عليهم شبهتهم بذلك والمعنى أن بسط الرزق فى الدنيا ليس تابعا للايمان بل ذلك بتقدير الله فى الأزل لمن يشاء فقد يبسط الرزق للكافر استدراجا و يضيقه على المؤمن امتحانا (قوله يوسعه لمن يشاء) أى مؤمن أوكافر وقوله يضيقه لمن يشاء أى مؤمن أوكافر (قوله وفرحوا بالحياة الدنيا) هذا بيان لقبيح أحوالهم فهو مستأنف (قوله فرح بطر) أى لا فرح سرور وشكر نعم الله (قوله فى الآخرة) أى منسوبة للآخرة والمعنى وما الحياة الدنيا منسوبة فى جنب الحياة الآخرة الامتاع (قوله يتمتع به و يذهب) أى فلا بقاء لها قال تعالى لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل (قوله هلا) أشار بذلك الى أن لولا تحضيضية (قوله آية من ربه) أى غير ماجاء به من نبع الماء وتسبيح الحصى وغير ذلك (قوله فلا تغنى عنه الآيات شيئا) أى مجيئها لا يفيدهم شيئا اذ ما جاز على أحد المثلين يجوز على الآخر فما قالوه فى حق ماجاء به من كونه سحرا أوكهانة يقولون فى حق مالم يأت به على فرض اتيانه به قال تعالى وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون (قوله و يهدى اليه) أى يوصله لمرضاته و لما يحبه (قوله ويبدل من من) أى بدل كل و يصح جعله مبتدأ خبره الموصول الثانى ومابينهما اعتراض (قوله الذين آمنوا) أى اتصفوا بالتصديق الباطنى الناشىء عن إذعان وقبول (قوله وتطمئن قلوبهم) هذه علامة المؤمن الكامل والطمأنينة بذكر الله هى ثقة القلب بالله والاشتغال به عمن سواه ثم اعلم أن هذه الآية تفيد أن ذكر الله تطمئن به القلوب وآية الأنفال تفيد أن ذكر الله يحصل به الوجل والخوف، فمقتضى ذلك أنه بين الآيتين تناف . وأجيب بأن الطمأنينة هنا معناها السكون إلى الله والوثوق به فينشأ عن

(مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ) و إن لم يعملوا بعملهم يكونون فى درجاتهم تكرمة لهم (وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) من أبواب الجنة أو القصور أول دخولهم للتهنئة يقولون (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) هذا الثواب (بِمَا صَبَرْتُمْ) بصبركم فى الدنيا (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) عقباكم (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالكفر والمعاصى (أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) البعد من رحمة الله (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) العاقبة السيئة فى الدار الآخرة وهى جهنم (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء (وَفَرِحُوا) أى أهل مكة فرح بطر (بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى بما نالوه فيها (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي) جنب حياة (الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ) شىء قليل يتمتع به ويذهب (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) على محمد (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) كالعصا واليد والناقة (قُلْ) لهم (إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ) إضلاله فلا تغنى عنه الآيات شيئا (وَيَهْدِي) يرشد (إِلَيْهِ) إلى دينه (مَنْ أَنَابَ) رجع إليه و يبدل من من (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ) تسكن (قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ) أى وعده (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ) تطمئن

ذلك عدم خوف غيره وعدم الرجاء فى غيره فلا ينافى حصول الخوف من الله والوجل منه وهذا معنى آية الأنفال وحينئذ فصار الغير عنده هباء منثورا ليس معدا لدفع ضر ولا لجلب نفع و بمعنى الآيتين قوله تعالى: الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله فتحصل أن المؤمن الكامل هو المطمئن بالله الواثق به الخائف من هيبته وجلاله فلا يشاهد غيره لا فى جلب نفع ولا دفع ضر لأن الله هو المالك المتصرف فى الأمور خيرها وشرها فحيث شاهد المؤمن وحدانية الله فى الوجود أعرض عما سواه واكتفى به فلا يعرج على غيره أصلا وهذا أتم مما ذكره المفسر حيث دفع التنافى بأن معنى الطمأنينة سكون القلب بذكر الوعد والبشارات والوجل بذكر الوعيد والنذارات (قوله تطمئن القلوب) أى الكاملة فى الايمان (قوله طوبى) أصله طيبى وقعت الياء ساكنة بعد ضمة قلبت واوا والمعنى عيشة طيبة لهم وقد فسرت فى آية أخرى بقوله تعالى فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية (قوله أو شجرة فى الجنة) أى وأصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى كل دار وغرفة فى الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور والسلسبيل كل ورقة منها تظل أمة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها فتنبت الحلل والحلى و يخرج منها الخيل المسرجة الملجمة والابل برحالها وأزمتها وما ذكره المفسر فى تفسير طوبى قولان من أقوال كثيرة وقيل إنه دعاء من الله لهم والتقدير طيب عيشكم وقيل غير ذلك (قوله وحسن مآب) أى ولهم حسن مرجع ومنقلب فى الآخرة وهى الجنة (قوله كذلك أرسلناك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أى فلا تحزن على عدم إيمان قومك فانا أرسلنا الأنبياء

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) أى قلوب المؤمنين (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) مبتدأ خبره (طُوبَى) مصدر من الطيب أو شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام ما يقطعها (لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ) مرجع (كَذَلِكَ) كما أرسلنا الأنبياء قبلك (أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَا) تقرأ (عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) أى القرآن (وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ) حيث قالوا لما أمروا بالسجود له وما الرحمن (قُلْ) لهم يا محمد (هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ) ونزل لما قالوا له إن كنت نبيا فسير عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس ونزرع وابعث لنا آباءنا الموتى يكلمونا أنك نبى (وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) نقلت عن أماكنها (أَوْ قُطِّعَتْ) شققت (بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى) بأن يحيوا لما آمنوا (بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) لا لغيره فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره، و إن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابة إظهار ما اقترحوا طمعا فى إيمانهم (أَفَلَمْ يَيْأَسِ) يعلم (الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ) مخففة أى أنه

إلى قومهم فكفروا ولم يطيعوا فليس من كذبك بأول مكذب (قوله فى أمة) أى إلى أمة (قوله قد خلت من قبلها أمم) أى سبقت ومضت (قوله وهم يكفرون بالرحمن) الجملة حالية (قوله لما أمروا بالسجود له) أى كما ذكر فى سورة الفرقان بقوله تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وهذا القول منهم على سبيل العناد ويسمى عند أرباب المعانى تجاهل العارف فان الرحمن هو المنعم على عباده وهم يشاهدون نعمه عليهم ومع ذلك قالوا وما الرحمن وهذا كقول فرعون وما رب العالمين (قوله هو ربى) أى الرحمن الذى أنكرتموه هو خالقى (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى إليه (قوله متاب) أى توبتى ومرجعى (قوله ونزل لما قالوا) أى كفار مكة منهم أبو جهل وعبد الله بن أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأتاهم وقيل إنه مر بهم وهم جلوس فدعاهم إلى الله فقال عبد الله بن أمية إن سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تفسح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا لنغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح لنركبها إلى الشام لميرتنا وحوائجنا ونرجع فى يومنا كما سخرت لسليمان الريح كما زعمت فلست أهون على ربك من سليمان وأحى لنا جدك قصيا فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه فنزلت هذه الآية (قوله أو قطعت به الأرض) أى من خشية الله عند قراءته فجعلت أنهارا وعيونا (قوله لما آمنوا) جواب لو والمعنى لو فعل الله ما ذكر وأجابهم لم يحصل منهم إيمان لأن الله علم عدم هداهم (قوله بل لله الأمر جميعا) أى القدرة على كل شىء وهو إضراب عما تضمنته الجملة الشرطية من معنى النفى والمعنى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه إلا أن إرادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون (قوله و إن أوتوا ما اقترحوا) أى أعطوا ما طلبوه (قوله لما أراد الصحابة الخ) أى فقالوا يا رسول الله إنك مجاب الدعوة فاطلب لهم ما اقترحوا عسى أن يؤمنوا (قوله يعلم) يطلق اليأس على العلم فى لغة هوزان ونخع لتضمنه معناه فان اليائس من الشىء عالم بأنه لا يكون (قوله أن مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وجملة لو يشاء الخ خبر أن.

(قوله لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أى ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق مشيئته باهتدائهم . إن قلت لم لم يجب الله نبيه بعين ماطلبوا كما أجاب صالحا فى الناقة وعيسى فى المائدة مع علمه بأنهم لايؤمنون ؟ . أجيب بأنه جرت عادة الله فى عباده الكفار أنهم متى طلبوا شيئا من المعجزات وعاهدوا نبيهم على الإيمان عند مجيئها ولم يؤمنوا أنه يهلكهم و يقطع دابرهم عن آخرهم وقد أراد الله إبقاء هذه الأمة المحمدية وعدم استئصالها بالهلاك إكراما لنبيها فلم تحصل الاجابة بعين ماطلبوا رحمة بهم و إكراما لنبيهم (قوله ولايزال الذين كفروا) إخبار من الله لنبيه بالنصر المرتب على صبره وقوله تصيبهم خبر يزال (قوله بصنعهم) أشار بذلك إلى أن مامصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر والباء سببية أى بسبب صنعهم (قوله قارعة) التنوين للتنكير إشارة إلى أنها ليست مخصوصة بشىء معين بل هى عامة فى كل مايهلكهم (قوله تقرعهم) أى تهلكهم (قوله أوتحل قريبا) معطوف على قارعة ، والمعنى تصيبهم بما صنعوا قارعة أوحلولك قريبا من دارهم والعطف يقتضى المغايرة فالمراد بالقارعة غير حلوله وإن كان من أعظم القوارع وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى اصبر فانك منصور ومؤيد وهم مخذولون فان الدواهى مسلطة عليهم (قوله قريبا) أى مكانا قريبا وهوالحديبية (قوله بالنصرعليهم) أى بفتح مكة (قوله وقد حل بالحديبية) أى مرتين الأولى سنة ست حين أراد العمرة و بعث عثمان وقد صدوا النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن البيت فصالح الكفار النبى على أن يمكنوه من الدخول فى السنة السابعة فدخلها واعتمر ، والثانية سنة ثمان حين أراد فتح مكة فانه حل بها هو وجيشه وأمرهم أن يتفرقوا و يوقد كل شخص نارا على حدة إرهابا للعدو فنى صبيحتها حصل الفتح العظيم ودخلوا مكة (قوله فأمليت للذين كفروا) هذا تنزل من الله سبحانه وتعالى حيث عامل عباده معاملة ملك عدل فى رعيته حيث أمرهم بطاعته المرة بعد المرة وأغدق عليهم النعم وكلما عصوه سترهم وأمدهم بالعطايا فلما تكرر منهم العصيان وعدم الخوف أخذهم بالعقاب فهل هذا ظلم منه أوعدل وجواب الاستفهام أنه عدل ولوكان صادرا من سلطان فى رعيته فكيف من الخالق الذى يستحيل عليه الظلم عقلا (قوله فكذلك أفعل بمن استهزأ بك) أى لاعلى العموم إكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله أفمن هوقائم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعميتم وسويتم بين الله و بين خلقه فمن هوقائم الخ ، والمعنى أفمن كان حافظا للنفوس وأرزاقها وعالما بها كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن القيام بنفسه فضلا عن غيره (قوله لا) هذا هوجواب الاستفهام (قوله دل على هذا) أى على الجواب المحذوف وهذا نظير قوله تعالى : أفمن شرح الله صدره للاسلام أى كمن قسا قلبه يدل عليه قوله تعالى : فويل للقاسية قلوبهم ، ونظيرقوله تعالى : أفمن يخلق كمن لايخلق ، ولكنه صرح فيها بالمقابل (قوله قل سموهم) أى صفوهم وانظروا هل بتلك الأوصاف تستحق العبادة (قوله من هم) أى بينوا حقيقتهم من أى جنس ومن أى نوع (قوله أم تنبئونه الخ) أم منقطعة فلذا فسرها ببل والهمزة ، والمعنى أتخبرون الله بشريك لايعلمه فى الأرض لعدم وجوده إذ لووجد لعلمه وخص الأرض لكون آلهتهم التى جعلوها شركاء كائنين فيها (قوله أم بظاهر) أم هنا للاضراب الابطالى ولذا فسرها ببل فقط . والمعنى أن تسميتهم شركاء ظن باطل فاسد لايعتبر وإنما هو اسم من غير مسمى

(لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً) إلى الإيمان من غير آية (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا) بصنعهم أى كفرهم (قَارِعَةٌ) داهية تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدب (أَوْ تَحُلُّ) يا محمد بجيشك (قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ) مكة (حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ) بالنصر عليهم (إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) وقد حل بالحديبية حتى أتى فتح مكة (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) كما استهزئ بك وهذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم (فَأَمْلَيْتُ) أمهلت (لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) بالعقوبة (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) أى هو واقع موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ) رقيب (عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) عملت من خير وشر وهو الله كمن ليس كذلك من الأصنام ؟ لا . دل على هذا (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ) له من هم ؟ (أَمْ) بل أ (تُنَبِّئُونَهُ) تخبرون الله (بِمَا) أى بشريك (لَا يَعْلَمُ) هُ (فِي الْأَرْضِ) استفهام إنكار أى لا شريك له إذ لو كان لعلمه ، تعالى عن ذلك (أَمْ) بل تسمونهم شركاء (بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ) بظن باطل لا حقيقة له فى الباطن .

(قوله بل زين للذين كفروا) إضراب عن محاجتهم كأنه قال لاتلتفت لهم ولاتعتبر بهم فإنهم لافائدة فيهم لأنهم زين لهم ماهم عليه من المكر والكفر (قوله وصدوا) بضم الصاد وفتحها قراءتان سبعيتان ، والمعنى منعوا عن طريق الهدى أومنعوا الناس عنه .

فائدة — قال الطيبي : في هذه الآية احتجاج بليغ مبني على فنون من علم البيان . أولها : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كمن ليس كذلك احتجاج عليهم وتوبيخ لهم على القياس الفاسد لفقد الجهة الجامعة لهما . ثانيها : وجعلوا لله شركاء من وضع الظاهر موضع الضمير للتنبيه على أنهم جعلوا شركاء لمن هو فرد واحد لايشاركه أحد في اسمه . ثالثها قوله : قل سموهم أي عينوا أسماءهم فقولوا فلان وفلان فهو إنكار لوجودها على وجه برهاني كما تقول، إن كان الذي تدعيه موجودا فسمه لأن المراد بالاسم العلم . رابعها قوله : أم تنبئونه بما لا يعلم احتجاج من باب نفي الشيء بنفي لازمه وهو العلم وهو كناية . خامسها قوله : أم بظاهر من القول احتجاج من باب الاستدراج والهمزة للتقرير لبعثهم على التفكر، المعنى أتقولون بأفواهكم من غير روية فتفكروا فيه لتقفوا على بطلانه . سادسها التدريج في كل من الاضرابات على ألطف وجه وحيث كانت الآية مشتملة على هذه الأساليب البديعة مع اختصارها كان الاحتجاج المذكور منادياً على نفسه بالاعجاز وأنه ليس من كلام البشر اهـ (قوله وما لهم) خبر مقدم وواق مبتدأ مؤخر ومن الله متعلق به أي ليس لهم مانع من عذاب الله إذا جاءهم (قوله مثل الجنة)

(بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) كفرهم (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) طريق الهدى (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالقتل والأسر (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) أشد منه (وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ) أي من عذابه (مِنْ وَاقٍ) مانع (مَثَلُ) صفة (الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) مبتدأ خبره محذوف أي فيما نقصّ عليكم (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا) ما يؤكل فيها (دَائِمٌ) لا يفنى (وَظِلُّهَا) دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها (تِلْكَ) أي الجنة (عُقْبَى) عاقبة (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ . وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) لموافقته ما عندهم (وَمِنَ الْأَحْزَابِ) الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود (مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ) كذكر الرحمن وما عدا القصص (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ) فيما أنزل إليّ (أَنْ) أي بأن (أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ) مرجعي (وَكَذَلِكَ) الإنزال (أَنْزَلْنَاهُ) أي القرآن

مبتدأ والتي صفته ووعد المتقون صلة الموصول والخبر محذوف والتقدير كائن فيما نقص عليك كما قال المفسر (قوله تجري من تحتها) أي من تحت قصورها وغرفها (قوله الأنهار) فسرت في آية أخرى في قوله تعالى : مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن الخ (قوله أكلها دائم) أي كل شيء يؤكل يتجدد غيره فلا تنقطع أنواع مأكولاتها فليست كثمار الدنيا تنقطع في بعض الأحيان (قوله وظلها دائم) المراد بالظل فيها عدم الشمس فلا ينافي أنها نور ونورها حاصل من نور العرش لأنه سقفها ومع ذلك فأنوار أهلها تغلب على ضوء العرش (قوله عقبى الذين اتقوا) أي مآلهم ومنتهاهم (قوله الذين اتقوا الشرك) تقدم أن هذا أدنى مراتب التقوى (قوله وعقبى الكافرين النار) أي مآلهم ومنتهاهم (قوله والذين آتيناهم الكتاب) أي التوراة والانجيل فأل في الكتاب للجنس (قوله من مؤمني اليهود) أي ومؤمني النصارى كأهل نجران والحبشة واليمن فإنهم كانوا إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول فاضت أعينهم دموعا كما تقدم في المائدة (قوله لموافقته ماعندهم) أي في التوراة والانجيل (قوله من ينكر بعضه) أي فكانوا إذا سمعوا شيئا يوافق هواهم سلموه وأقروا به وإذا خالف هواهم أنكروه فمثل القصص لاينكرونها ومثل الدعاء إلى التوحيد ينكرونه (قوله كذكر الرحمن) أي بالنسبة إلى مشركي العرب ، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كتب لهم كتاب الصلح يوم الحديبية قال فيه بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ومانعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة ، يعنون مسيلمة الكذاب لقول بعضهم مادحا له :

سميت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا ... وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

وقد هجاه بعض الصحابة بقوله :

سميت بالخبث يا ابن الأخبثين أبا ... وأنت شر الورى لازلت شيطانا

(قوله أعبد الله) أي أوحده (قوله إليه أدعو) أي إلى عبادته وشريعته (قوله مرجعي) أي في الآخرة (قوله وكذلك) أي مثل إنزال الكتب السابقة

(قوله حكما عربيا) حالان من الضمير فى أنزلناه والمعنى أنزلناه حاكما بين الناس بلغة العرب وأسند الحكم له لأنه ترجمان عن الله فطاعته طاعة الله (قوله فيما يدعونك إليه من ملتهم) أى كقولهم له اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة وكالصلاة إلى بيت المقدس بعد ماحولت عنه (قوله فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدير والمقصود تحذير من يجوز عليه اتباع الهوى لأن المعصوم إذا خوطب بمثل ذلك كان المقصود غيره (قوله ولا واق) أصله واقى استثقلت الكسرة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما (قوله لما عيروه بكثرة النساء) أى حيث قالوا لو كان مرسلا حقا لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا والنساء فرد الله تعالى عليهم مقالتهم بقوله ولقد أرسلنا الخ فقد كان لسليمان ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة سرية وكان لأبيه داود مائة امرأة ومع ذلك فلم يقدح فى نبوتهما فكيف يجعلون ذلك قادحا فى نبوتك. واعلم أن القوم كانوا يذكرون أنواعا من الشبهات فى إبطال النبوة. فالشبهة الأولى قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق وسيأتى ذكرها فى الفرقان الثانية قولهم رسول الله إلى الخلق لابد وأن يكون من جنس الملائكة كما قالوا لولا أنزل عليه ملك وقالوا لو ماتأتينا بالملائكة وستأتى أيضا. الثالثة قولهم لو كان رسولا من عند الله لما اشتغل بالنساء. فأجاب الله بقوله: ولقد أرسلنا رسلا من قبلك الآية. الرابعة قولهم لو كان رسولا من عند الله لكان أى شىء طلبناه من المعجزات أتى به فأجاب تعالى بقوله: وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله الآية. الخامسة قولهم لو كان رسولا لحصل ماأوعدنا به من نزول

(٢٥٨)

العذاب فأجاب الله تعالى بقوله لكل أجل كتاب أى لكل حادث وقت معين لايتأخر عنه ولا يتقدم عليه السادسة قولهم لو كان صادقا ما نسخ الأحكام التى هى ثابتة فى التوراة والانجيل وما نسخ بعض الأحكام التى جاء بها فأجاب الله تعالى عنه بقوله ــ يمحوا الله مايشاء و يثبت ــ (قوله وذرية) أى وقد كان لرسول الله سبعة أولاد ثلاثة ذكور وأربع إناث وترتيبهم فى الولادة هكذا القاسم فزينب فرقية ففاطمة فأم كلثوم فعبدالله فابراهيم وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية وكلهم ماتوا فى حياته إلا فاطمة فماتت بعده بستة أشهر (قوله وما كان لرسول الخ) أى لم يجعل الله للرسول الإتيان بآية مما اقترحه قومه إلا بارادته تعالى (قوله مربوبون) أى مقهورون مغلوبون (قوله لكل أجل كتاب) رد لاستعجالهم العذاب فانه كان يخوفهم بذلك فاستعجلوه عنادا (قوله مكتوب فيه) أى فى ذلك الكتاب وهو اللوح المحفوظ (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهو ما كتبه فى الأزل) أى قدره بمعنى تعلق به علمه وارادته ومامشى عليه المفسر من أن الصحف واللوح المحفوظ يقع فيها التغيير والتبديل والمراد بأم الكتاب علم الله المتعلق بالأشياء أزلا هو أحد تفسيرين. إن قلت يرد على هذا ماورد أن الله لما خلق اللوح والقلم وأمره بكتابة ما كان وما يكون وهو كائن قال رفعت الأقلام وجفت الصحف. أجيب بأن المراد رفعت الأقلام عما هو مطابق لعلم الله والتفسير الآخر أن المحو والاثبات يقعان فى صحف الملائكة فقط والمراد بقوله وعنده أم الكتاب اللوح المحفوظ وهو لا يقبل التغيير ولا التبديل. والحاصل أن مافى علم الله لايقبل التغيير جزما ومافى الصحف يقبل التغيير جزما والخلاف فى اللوح المحفوظ والآية محتملة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله و إما نرينك) إن شرطية مدغمة فى ما الزائدة كما قال المفسر ونرينك فعل الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول أول و بعض الذى مفعول ثان والمفعول الثالث محذوف قدره المفسر بقوله فى حياتك (قوله أى فذاك) مبتدأ خبره محذوف تقديره شاف صدرك من أعدائك (قوله أو نتوفينك) معطوف على نرينك فهو شرط أيضا وجوابه محذوف والتقدير فلا لوم عليك وقوله فانما عليك

(حُكْمًا عَرَبِيًّا) بلغة العرب تحكم به بين الناس (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ) أى الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضا (بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) بالتوحيد (مَالَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ) زائدة (وَلِيٍّ) ناصر (وَلاَ وَاقٍ) مانع من عذابه. ونزل لما عيروه بكثرة النساء (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) أولادا وأنت مثلهم (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) منهم (أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّٰهِ) لأنهم عبيد مربوبون (لِكُلِّ أَجَلٍ) مدة (كِتَابٌ) مكتوب فيه تحديده (يَمْحُوا اللّٰهُ) منه (مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) بالتخفيف والتشديد فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) أصله الذى لايتغير منه شىء وهو ما كتبه فى الأزل (وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما المزيدة (نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف أى فذاك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ) لاعليك إلا التبليغ (وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) إذا صاروا إلينا فنجازيهم

البلاغ دليل المحذوف (قوله فنجازيهم) أى على أعمالهم خيرها وشرها وقد جمع المحلى لتنبيه بين تعذيبهم على يده فى الدنيا ومجازاة الله لهم فى الآخرة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أينكرون ما وعدناهم به من العذاب ولم يروا الخ (قوله نقصد أرضهم) أى أرض أهل مكة فالمقصود نصر النبي بزوال نعمة الكفار وملكه إياهم قال تعالى ـ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم ـ الآية فالمراد بنقص أطراف الأرض ملك كبرائها وخذلانهم وما ذكره المفسر هو أحد قولين والآخر أن المراد بالأرض جميعها لا خصوص أرض الكفار و بنقص أطرافها موت العلماء والأشراف والكبراء والصلحاء وحينئذ فوجه مناسبة هذا لما قبله كأن الله يقول ألم ينظروا إلى التغيرات الحاصلة فى الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والذل بعد العز فاذا كان هذا مشاهدا لهم فما المانع من أن الله يصير الكفار أذلاء بعد عزهم ومقهورين بعد قدرتهم (قوله لا معقب لحكمه) أى لامغير ولاناقض له (قوله وهو سريع الحساب) أى فيحاسبهم فى زمن يسير

(قوله وقد مكر الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فلله المكر جميعا) أى لأنه الخالق لهم العالم بأحوالهم فهو يوصل إليهم العذاب من جهة لايعلمون بها (قوله فيعد لها) أى يهيء ويحضر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قل كفى بالله شهيدا) أى لأنه الخالق للمعجزات على يدى (قوله ومن عنده علم الكتاب) معطوف على لفظ الجلالة. والمعنى أن الله ومن عنده علم الكتاب فيهم الكفاية فى الشهادة بينى وبينكم وأل فى الكتاب للجنس فيشمل التوراة والإنجيل والفرقان فقوله من مؤمنى اليهود والنصارى أى أو مطلقا فهو نظير قوله تعالى ـ ياأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ـ .

[سورة إبراهيم عليه السلام] سميت بذلك لذكر قصته فيها . إن قلت إن قصة إبراهيم قد ذكرت فى غير هذه السورة كالأنبياء والبقرة . أجيب بأن علة التسمية لاتقتضى اطراد التسمية بل التسمية أمر توقيفى (قوله الآيتين) أى إلى قوله تعالى ـ قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار ـ (قوله احدى الخ) أى ففى آياتها أربعة أقوال (قوله هذا القرآن) قدره اشارة إلى أن قوله كتاب خبر لمحذوف (قوله أنزلناه) أى لفظا ومعنى (قوله لتخرج الناس) هذا هو حكمة الانزال (قوله الكفر) عبر عنه بالظلمات جمعا لتعدد طرقه بخلاف الايمان فهو متحد لاتعدد فيه وحكمة التعبير عن الكفر بالظلمات أنه يوصل لدار الظلمات وهى النار وعن الايمان بالنور لأنه يوصل إلى دار النور وهى الجنة (قوله باذن ربهم) فسره بالأمر اشارة إلى أن المعنى لتأمرهم بالخروج من الظلمات إلى النور (قوله و يبدل من إلى النور) أى باعادة الجار وهو بدل كل من كل (قوله طريق العزيز) أى وهو الاسلام وسمى بذلك لأنه الموصل لدار السعادة .

فنجازيهم (أَوَلَمْ يَرَوْا) أى أهل مكة (أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) نقصد أرضهم (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بالفتح على النبي صلى الله عليه وسلم (وَاللَّهُ يَحْكُمُ) فى خلقه بما يشاء (لَا مُعَقِّبَ) لاراد (لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ . وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك (فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا) وليس مكرهم كمكره لأنه تعالى (يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ) فيعد لها جزاءها وهذا هو المكر كله لأنه يأتيهم به من حيث لايشعرون (وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ) المراد به الجنس ، وفى قراءة الكفار (لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة ألهم أم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا) لك (لَسْتَ مُرْسَلًا ، قُلْ) لهم (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على صدقى (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) من مؤمنى اليهود والنصارى .

(سورة إبراهيم)

مكية إلا ألم تر إلى الذين بدلوا الآيتين : إحدى أو اثنتان أو أربع أو خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الر) الله أعلم بمراده بذلك ، هذا القرآن (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يا محمد (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الايمان (بِإِذْنِ) بأمر (رَبِّهِمْ) ويبدل من إلى النور (إِلَىٰ صِرَاطِ) طريق (الْعَزِيزِ) الغالب (الْحَمِيدِ) المحمود (اللَّهِ) بالجر

(قوله بدل أو عطف بيان) أى من العزيز وهذا على القاعدة من أن نعت المعرفة إذا تقدم عليها يعرب بحسب العوامل وتعرب هى بدلا منه أو عطف بيان وحينئذ فالأصل إلى صراط الله العزيز الحميد (قوله والرفع مبتدأ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) أى فلا شريك له فى شئ من ذلك (قوله وويل) قيل معناه دمار وهلاك للكافرين ، وقيل واد فى جهنم لو وضعت فيه جبال الدنيا لذابت من حره وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله نعت) أى للكافرين وفيه الفصل بين النعت والمنعوت بأجنبى وهو قوله من عذاب شديد فالأوضح أن يكون مبتدأ خبره أولئك فى ضلال بعيد (قوله يستحبون الحياة الدنيا) أى يحبونها ويألفونها زيادة على الآخرة ، والمعنى يقدمون الحياة الدنيا على الآخرة (قوله ويصدون عن سبيل الله) أى يمنعون الناس عن الدين الحق (قوله ويبغونها عوجا) أى يطلبون العدول والانحراف عنها ، والمعنى أنهم يضلون غيرهم ويضلون فى أنفسهم (قوله فى ضلال بعيد) أى كفر مبعد لهم عن الرحمة والخير (قوله وما أرسلنا من رسول) أى محمدا أو غيره . إن قلت إن كان المراد بقومه الذين نشأ فيهم فظاهر وإن كان المراد الذين أرسل لهم فرسول الله أرسل لكافة الخلق مع أنه لم يظهر منه إلا اللسان العربى وهو لسان بعض قومه أجيب بأن الله علمه جميع اللغات فكان يخاطب كل قوم بلغتهم وإن لم يثبت أنه تكلم باللغة التركية لأنه لم يتفق أنه خاطب أحدا من أهلها ولو خاطبه لكلمه بها (قوله فيضل الله من يشاء) استئناف مفصل لقوله ليبين لهم (قوله وهو العزيز) أى الغالب على أمره وهو كالعلة لقوله فيضل الله من يشاء الخ (قوله الحكيم) أى الذى يضع الشئ فى محله (قوله ولقد أرسلنا موسى) تفصيل لما أجمل فى قوله : وما أرسلنا من رسول الآية (قوله التسع) تقدم منها ثمانية فى الأعراف والتاسعة فى يونس (قوله وقلنا له) لا حاجة لتقديره بل المناسب أن يفسر أن بأى التفسيرية لأن ضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو أرسلنا ويصح جعلها مصدرية : أى بإخراج قومك وهذه الباء للتعدية وفى بآياتنا للحال (قوله بنعمه) أى فالمراد بالأيام النعم وعبر عنها بالأيام لحصولها فيها (قوله لكل صبار) أى كثير الصبر ، وقوله شكور : أى كثير الشكر وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها (قوله واذكر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمعنى اذكر لقومك ما وقع لموسى وقومه لعلهم يعتبرون (قوله يسومونكم) أى يذيقونكم (قوله سوء العذاب) أى العذاب السيئ وهو الشديد (قوله ويذبحون أبناءكم) عطفه بالواو هنا إشارة إلى أنه غير العذاب السيء المذكور وأما فى البقرة فهو تفسير لسوء العذاب فصح التغاير بهذا الاعتبار وإن كانت القصة واحدة (قوله ويستحيون نساءكم) أى للخدمة فكانوا يستخدمونهن ويمنعونهن عن أزواجهن (قوله لقول بعض الكهنة) جمع كاهن وهو المخبر عن المغيبات المستقبلة وأما العراف فهو المخبر عن الأمور الماضية (قوله وفى ذلكم بلاء من ربكم) أى فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده بالخير والشر قال تعالى -ونبلوكم بالشر والخير فتنة- لأن النعمة أو البلية إذا أصابت الشخص فهو معرض إما لرضا الله إن شكر وصبر، أو لغضبه إن جزع وكفر (قوله وإذ تأذن ربكم) من جملة كلام موسى لقومه كأنه قيل واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين

بدل أو عطف بيان وما بعده صفة ، والرفع مبتدأ خبره (الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ . الَّذِينَ) نعت (يَسْتَحِبُّونَ) يختارون (الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللهِ) دين الاسلام (وَيَبْغُونَهَا) أى السبيل (عِوَجًا) معوجة (أُولٰئِكَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ) عن الحق (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ) بلغة (قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ليفهمهم ما أتى به (فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا) التسع وقلنا له (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ) بنى إسرائيل (مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) بنعمه (إِنَّ فِى ذٰلِكَ) التذكير (لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ) على الطاعة (شَكُورٍ) للنعم (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ) المولودين (وَيَسْتَحْيُونَ) يستبقون (نِسَاءَكُمْ) لقول بعض الكهنة إن مولودا يولد فى بنى إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون (وَفِى ذٰلِكُمْ) الانجاء أو العذاب (بَلَاءٌ) إنعام أو ابتلاء (مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ . وَإِذْ تَأَذَّنَ) أعلم (رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ) نعمتى ، بالتوحيد

تأذن ربكم (قوله بالتوحيد والطاعة) أى بأن وحدتمونى ودمتم على طاعتى (قوله لأزيدنكم) أى من خيرى الدنيا والآخرة فيحصل لكم النعم والرضا فتظفرون بالسعادتين (قوله ولئن كفرتم) لم يصرح بالجواب فى جانب الوعيد وصرح به فى جانب الوعد إشارة إلى كرمه سبحانه وتعالى وأن رحمته سبقت غضبه ، ونظير ذلك قوله تعالى ـ بيدك الخير ـ ولم يقل و بيدك الشر (قوله لأعذبنكم) هذا هو جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة أنه عند اجتماعهما يحذف جواب المتأخر (قوله وقال موسى) أى بعد أن أيس من إيمانهم (قوله فان الله لغنى) أى عن شكركم وإيمانكم (قوله حميد) أى مستحق للحمد ، والمعنى أن كفركم بالله أنتم وأهل الأرض جميعا لاينقص من ملكه شيئا وإيمانكم لايزيد فى ملكه شيئا بل على حد سواء وإنما ذلك راجع إلى أنفسكم وهو غنى عنكم (قوله ألم يأتكم) من كلام موسى أيضا أو من كلام الله (قوله والذين من بعدهم) إما مبتدأ خبره قوله لايعلمهم إلا الله أو معطوف على قوله قوم نوح ، وقوله لايعلمهم إلا الله اعتراض (قوله جاءتهم رسلهم) مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماقصتهم وماشأنهم (قوله فردوا أيديهم فى أفواههم) أى لكراهتهم ذلك فان شأن الانسان إذا كره شيئا واغتاظ منه ولم يقدر على دفعه يعض على يديه (قوله ليعضوا عليها) بفتح (٢٦١) العين وضمها (قوله على زعمكم)

بالتوحيد والطاعة (لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ) جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم دل عليه (إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ . وَقَالَ مُوسَى) لقومه (إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود فى صنعه بهم (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) استفهام تقرير (نَبَأُ) خبر (الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ) قوم هود (وَثَمُودَ) قوم صالح (وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) لكثرتهم (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الواضحة على صدقهم (فَرَدُّوا) أى الأمم (أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ) أى إليها ليعضوا عليها من شدة الغيظ (وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) على زعمكم (وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ) استفهام إنكار ، أى لاشك فى توحيده للدلائل الظاهرة عليه (فَاطِرِ) خالق (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ) إلى طاعته (لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) من زائدة فإن الإسلام يغفر به ماقبله ، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد (وَيُؤَخِّرَكُمْ) بلا عذاب (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أجل الموت (قَالُوا إِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) من الأصنام (فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حجة ظاهرة على صدقكم (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ) ما (نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) كما قلتم ،

أى و إلا فلم يعترفوا برسالة رسلهم (قوله و إنا لفى شك الخ) أى والشك كفر فلا ينافى قولهم : إنا كفرنا بما أرسلتم به (قوله فى الريبة) أى وهى عدم اطمئنان النفس الى الشىء (قوله قالت رسلهم) أى جوابا لقول الأمم إنا كفرنا بما أرسلتم به (قوله أفى الله شك) الهمزة للاستفهام والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره أثبت ، وشك فاعل بالجار والمجرور لاعتماده على الاستفهام أو الجار والمجرور خبر مقدم وشك مبتدأ مؤخر والأولى الأول لسلامته من الفصل بين الصفة وهو فاطر والموصوف وهو لفظ الجلالة بأجنبى وهو المبتدأ (قوله للدلائل الظاهرة) أى العقلية والنقلية (قوله فاطر السموات والأرض) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله يدعوكم) الجملة حالية (قوله ليغفر لكم) أى لايتكمل بطاعتكم بل ثمرة امتثالكم وطاعتكم عائدة عليكم (قوله من زائدة) هذا مبنى على مذهب الأخفش من أنها تزاد فى الاثبات وهى طريقة ضعيفة فلايناسب تخريج القرآن عليها ، وقوله أو تبعيضية فيه أنه ظاهر فى المسلم الأصلى ، وأما الكافر إذا أسلم فلايظهر لأن الاسلام يجب ماقبله ولو حقوق العباد ، وحينئذ فالجواب الأتم أن تجعل من بمعنى بدل : أى يغفر لكم بدل عقوبة ذنوبكم أو ضمن يغفر معنى يخلص ومن على بابها للتعدية ، والتقدير ليخلصكم من ذنوبكم ولعل هذا الجواب هو الأقرب (قوله ويؤخركم) معطوف على يغفر ، والمعنى يدعوكم الى طاعته لأمرين غفران ذنوبكم وتأخير العذاب الى أجل مسمى بأن تعيشوا فى الدنيا سالمين من الخزى كالخسف والمسخ فاذا متم على الإيمان دخلتم الجنة ففزتم بالسعادتين (قوله قالوا) أى الأمم جوابا لمقالة الرسل (قوله إلا بشر مثلنا) أى فلامزية لكم علينا فلم اختصصتم بالنبوة دوننا (قوله أن تصدونا) أن مصدرية وتصدوا منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ونا مفعوله (قوله من الأصنام) بيان لما (قوله حجة ظاهرة) أى غير ماجئتم به (قوله قالت لهم رسلهم) أى جوابا لمقالتهم .

(قوله ولكن الله يمن على من يشاء) أى فاننا وإن كنا بشرا مثلكم إلا أن الله فضلنا عليكم بالنبوة وأعطانا المعجزات على مراده
فان آمنتم فهو خير لكم وإن كفرتم فهو شر لكم فلا قدرة لنا على إتيان ماتطلبونه لأننا عبيد مقهورون (قوله بأمره) المناسب
أن يقول بإرادته (قوله فليتوكل المؤمنون) أى يفوضوا أمورهم إليه ويصبروا على ما أصابهم (قوله وما لنا) أى أى شيء ثبت
لنا (قوله أى لامانع لنا من ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله وقد هدانا سبلنا) أى أرشدنا إلى
طرقنا الموصلة للسعادة العظمى (قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا) أى فلا نبالى بكم ولا بإذايتكم (قوله على أذاكم) أشار بذلك
إلى أن ما مصدرية (قوله فليتوكل المتوكلون) أى يدوموا على التوكل (قوله وقال الذين كفروا) أى المتعنتون المتمردون
(قوله لنخرجنكم من أرضنا) أى فلا تخالطونا بل أريحونا من هذا التعب (قوله لتصيرن) دفع بذلك ما يقال إن العود يقتضى
أنه سبق لهم التلبس بملتهم مع أن الرسل معصومون من ذلك . فأجاب المفسر بأن المراد بالعود الصيرورة أى لتصيرن داخلين فى ملتنا
(قوله فأوحى إليهم) أى إلى الرسل بعد هذه المقالات لليأس من إيمانهم (قوله لنهلكن الظالمين) أى

(وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) بالنبوة (وَمَا كَانَ) ماينبغى (لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بأمره لأنا عبيد مربوبون (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) يثقوا به (وَمَا لَنَا أَ) نْ (لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ) أى لامانع لنا من ذلك (وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا) على أذاكم (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ) لتصيرن (فِي مِلَّتِنَا) ديننا (فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ) أرضهم (مِنْ بَعْدِهِمْ) بعد هلاكهم (ذَٰلِكَ) النصر وإيراث الأرض (لِمَنْ خَافَ مَقَامِي) أى مقامه بين يدىّ (وَخَافَ وَعِيدِ) بالعذاب (وَاسْتَفْتَحُوا) استنصر الرسل بالله على قومهم (وَخَابَ) خسر (كُلُّ جَبَّارٍ) متكبر عن طاعة الله (عَنِيدٍ) معاند للحق (مِنْ وَرَائِهِ) أى أمامه (جَهَنَّمُ) يدخلها (وَيُسْقَىٰ) فيها (مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ) هو مايسيل من جوف أهل النار مختلطا بالقيح والدم (يَتَجَرَّعُهُ) يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته (وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ) يزدرده لقبحه وكراهته (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ) أى أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ) بعد ذلك العذاب (عَذَابٌ غَلِيظٌ) قوى متصل (مَثَلُ) صفة (الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) مبتدأ ويبدل منه (أَعْمَالُهُمْ) الصالحة كصلة وصدقة ،

نستأصلهم بالهلاك فلا يبقى منهم أحد (قوله ذلك) مبتدأ خبره قوله لمن خاف الخ (قوله أى مقامه بين يدى) أى موقفه عندى يوم القيامة (قوله وخاف وعيد بالعذاب) فى هذه الآية إشارة إلى أن الخوف من الله غير الخوف من وعيده لأن العطف يقتضى المغايرة (قوله واستفتحوا) أى طلب الرسل الفتح من الله لما أيسوا من إيمان قومهم (قوله استنصر الرسل) أى طلبوا من الله النصر (قوله وخاب) معطوف على مقدر ، والتقدير فنصروا وخاب
الخ (قوله خسر) أى فى الدنيا والآخرة (قوله متكبر عن طاعة الله) أى متعظم فى
فى نفسه محتقر لما سواه (قوله أى أمامه) أى فالوراء يستعمل فى الأمام والخلف فهو من الأضداد ، وقيل هو اسم لما توارى
عنك سواء كان من خلفك أو من أمامك (قوله صديد) بدل أو عطف بيان (قوله هو مايسيل الخ)) وقيل هو مايسيل من
فروج الزناة يسقاه الكافر (قوله يتجرعه) أى يكلف تجرعه ويقهر عليه (قوله ولا يكاد يسيغه) أى لايقرب من إساغته قال
عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ـ ويسقى من ماء صديد يتجرعه ـ قال يقرب إلى فيه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه
ووقعت فروة رأسه أى جلدتها بشعرها فإذا شرب به قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره كما قال وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال
ـ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ـ (قوله وما هو بميت) أى فيستريح قال ابن
جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة (قوله بعد ذلك العذاب)
أشار بذلك إلى أن الضمير فى ورائه عائد على العذاب وقيل عائد على كل جبار ، فالمعنى ويستقبل فى كل وقت عذابا أشد مما هو
فيه كالحيات والعقارب والزمهرير وغير ذلك أجارنا الله من ذلك (قوله متصل) أى لاينقطع بل هو دائم مستمر (قوله ويبدل منه)

فى عدم الانتفاع بها (كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ) شديد هبوب الريح فجعلته هباء منثورا لا يقدر عليه والمجرور خبر المبتدإ (لَا يَقْدِرُونَ) أى الكفار (مِمَّا كَسَبُوا) عملوا فى الدنيا (عَلَى شَيْءٍ) أى لايجدون له ثوابا لعدم شرطه (ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ) الهلاك (الْبَعِيدُ . أَلَمْ تَرَ) تنظر يامخاطب استفهام تقرير (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) أيها الناس (وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) بدلكم (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) شديد (وَبَرَزُوا) خرجوا أى الخلائق والتعبير فيه وفيما بعده بالماضى لتحقق وقوعه (لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ) الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) المتبوعين (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جمع تابع (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) دافعون (عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) من الأولى للتبيين والثانية للتبعيض (قَالُوا) أى المتبوعون (لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ) لدعوناكم إلى الهدى (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ) زائدة (مَحِيصٍ) ملجإ (وَقَالَ الشَّيْطَانُ) إبليس (لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ) بالبعث والجزاء فصدقكم (وَوَعَدْتُكُمْ) أنه غير كائن (فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ) زائدة (سُلْطَانٍ) قوة وقدرة أقهركم على متابعتى (إِلَّا) لكن ،

أى من الموصول ، والأصل مثل أعمال الذين كفروا (قوله فى عدم الانتفاع بها) أى فهى ، وإن كانت أعمال بر إلا أنها لاتنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها ، وإنما جزاؤها إن كانت لاتتوقف على الاسلام يكون فى الدنيا بتوسيع الرزق والعافية فى البدن (قوله اشتدت به الريح) أى حملته وذهبت به (قوله لعدم شرطه) أى وهو الايمان (قوله البعيد) أى الذى لايرجى زواله (قوله ألم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر فليس خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم (قوله تنظر) أى تبصر وتتأمل ببصيرتك فتستدل على أن الخالق متصف بالكمالات (قوله استفهام تقرير) أى والمعنى أقر يامخاطب بذلك واعترف ولا تعاند فان القادر على خلق السموات لايعجزه شىء فهو حقيق بالعبادة دون غيره (قوله بالحق) الباء إما للسببية أو للملابسة ، والمعنى خلق السموات والأرض بسبب الحق أو ملتبسا بالحق أى الحكمة الباهرة لاعبثا (قوله متعلق بخلق) أى أو بمحذوف حال من فاعل خلق (قوله إن يشأ يذهبكم) أى يعدمكم فان القادر لايصعب عليه شىء قال تعالى — إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين — (قوله وما ذلك) أى الاذهاب والاتيان بشديد على الله قال تعالى — ماخلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة — (قوله وبرزوا) هذا

إخبار من الله تعالى عن محاجة الكفار مع بعضهم ومع إبليس يوم القيامة والبروز الظهور والمعنى يظهرون بين الخلائق فلايغيب لهم شىء من أوصافهم أبدا (قوله خرجوا) أى من القبور للحساب والجزاء (قوله والتعبير الخ) جواب عما يقال إن هذه الأشياء لم تحصل . فأجاب بأن ذلك لتحقق الوقوع أى لأن الله سبحانه وتعالى عالم بما كان وما يكون وما هو كائن فالماضى والمستقبل فى علمه على حد سواء (قوله فقال الضعفاء) أى فى الرأى (قوله إنا كنا لكم تبعا) أى فى تكذيب الرسل والدخول فى دينكم (قوله من الأولى للتبيين الخ) أى والكلام فيه تقديم وتأخير والتقدير فهل أنتم مغنون عنا بعض الشىء الذى هو عذاب الله (قوله قالوا) أى جوابا لهم واعتذارا عما فعلوا بهم (قوله لوهدانا الله) أى لو وصلنا الله لدار السعادة فى الدنيا بالايمان لهديناكم لكن حصل لنا الضلال فأضللناكم فاخترنا لكم ما لأنفسنا (قوله سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) هذا من كلام جميع الكفار الأتباع والرؤساء ويؤيده ماروى أنهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم ثم يقولون سواء علينا الخ ، والجزع القلق وعدم تحمل الشدائد (قوله ملجأ) أى محل هروب نلتجىء له (قوله وقال الشيطان الخ) أى حين يوضع له منبر من نار فى النار فيجتمع عليه أهل النار يلومونه فيقول لهم إن الله وعدكم الخ (قوله لما قضى الأمر) أى نفذ قضاؤه باستقرار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (قوله وعد الحق) أى الوعد الثابت الناجز وليس المراد الوعد بالخبر بل المراد به الجزاء والبعث (قوله فصدقكم) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذفا بدليل قوله فأخلفتكم (قوله أنه غير كائن) قدره إشارة إلى أن معمول وعد الثانى محذوف (قوله فأخلفتكم) أى تبين خلافه (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن دعوته ليست من جنس السلطان .

(قوله فلا تلوموني) أي على وسوستي لكم (قوله ولوموا أنفسكم) اي ونجوها على اتباعي فأني لم أكن مكرها لكم على اتباعي بل جاءتكم البينات والرسل وسمعتم الدلائل الظاهرة على توحيد الله فتركتموها واتبعتموني (قوله على إجابتي) أي ومخالفة ربكم (قوله بمغيثكم) أي من العذاب (قوله بفتح الياء وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان والأصل بمصرخين لي حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة فاجتمع مثلان أدغم أحدهما في الآخر فحركت ياء الاضافة بالفتح طلبا للخفة على إحدى القراءتين وكسرت على أصل التخلص من التقاء الساكنين على الأخرى (قوله إني كفرت بما أشركتمون) أي تبرأت وأنكرت إشراككم إياي مع الله حيث أطعتموني في وسوستي لكم بالشرك فكأنهم أشركوه مع الله (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أنه ليس من كلام إبليس وقيل من كلامه (قوله وأدخل الذين آمنوا) لما ذكر أحوال الأشقياء شرع في ذكر أحوال السعداء (قوله حال مقدرة) أي مقدرين الخلود فيها وتقدير الخلود عند الدخول من تمام النعيم (قوله باذن ربهم) متعلق بأدخل (قوله من الله) قال تعالى سلام قولا من رب رحيم (قوله ومن الملائكة) قال تعالى : والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم (قوله ألم تر) الخطاب إما للنبي أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله مثلا) المثل تشبيه مجهول بمعلوم ليقاس عليه (قوله أي لا إله إلا الله) خصها بالذكر لأنها مفتاح الجنة ولا يقبل من أحد الايمان إلا بها . وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار وغير ذلك (قوله أصلها ثابت) أي عروقها ثابتة في الأرض ماكثة فيها حتى أنها لاتحتاج لسقي بل تشرب من عروقها (قوله وفرعها في السماء) أي لجهة العلو (قوله كل حين) اختلف في مقداره فقيل الحين كل سنة لأن النخلة تثمر في كل سنة مرة وقيل ستة أشهر لأنه من وقت طلعها إلى طيبها كذلك وقيل ثمانية أشهر لأن حملها ظاهرا وباطنا كذلك وقيل أربعة أشهر لأنه من حين ظهورها إلى إدراكها كذلك وقيل شهران

(أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ) على إجابتي (مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ) بمغيثكم (وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ) بفتح الياء وكسرها (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ) باشراككم إياي مع الله (مِنْ قَبْلُ) في الدنيا ، قال تعالى (إِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) حال مقدرة (فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا) من الله ومن الملائكة وفيما بينهم (سَلَامٌ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ويبدل منه (كَلِمَةً طَيِّبَةً) أي لا إله إلا الله (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) هي النخلة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) في الأرض (وَفَرْعُهَا) غصنها (فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي) تعطي (أُكُلَهَا) ثمرها (كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا) بإرادته كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن وعمله يصعد إلى السماء ويناله بركته وثوابه في كل وقت (وَيَضْرِبُ) يبين (اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) هي كلمة الكفر (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) هي الحنظل (اجْتُثَّتْ) استؤصلت (مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ) مستقر وثبات،

كذلك لأنه من وقت أكلها إلى قطع ثمرها كذلك وقيل كل وقت لأن ثمر النخل يؤكل دائما فيؤكل منها الطلع والبلح والبسر والرطب والتمر وهو الأولى (قوله وعمله يصعد إلى السماء) قال تعالى : إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ، ووجه الشبه بين الإيمان والشجرة أن الشجرة لها عرق راسخ وفرع عال وثمر يؤكل والايمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان فإذا أكثر الانسان من ذكر هذه الكلمة ظهرت عليه أنوارها ولمعت في فؤاده أسرارها فدام نفعه بها في العاجل والآجل ومن هنا اختص الصوفية بها بمعنى أنهم تلقوها عن أشياخهم بالسند المتصل وتعلقوا بها فصارت شعارهم ودثارهم ، ولذا قال السنوسي فعلى العاقل أن يكثر من ذكرها مستحضرا لما احتوت عليه من المعاني حتى تمتزج مع معناها بلحمه ودمه فانه يرى لها من الأسرار والعجائب مالايدخل تحت حصر (قوله هي كلمة الكفر) أي كل مايدل عليه (قوله هي الحنظل) حكمة التشبيه بها أنها لاتغوص في الأرض بل عروقها في وجه الأرض ولا غصون لها تصعد إلى جهة السماء بل ورقها يمتد على الأرض كشجر البطيخ وثمرها رديء وتسميتها شجرا مشاكلة لأنها من النجم لامن الشجر لأن الشجر ماله ساق والنجم مالاساق له (قوله اجتثت) أي قلعت جثتها ، والمعنى على التشبيه أي كأنها لعدم ثبات أصلها وامتداده في الأرض كالشيء المقلوع جثته .

(قوله يثبت الله الذين آمنوا) هذا راجع لمثل الأول (قوله فى الحيوة الدنيا) أى فلا يتزلزلون عن الدين إذا ابتلوا بالمصائب كالقتل وأخذ المال وفقد الأحباب والفتانات عندالممات وغير ذلك وهذه بشرى للمؤمنين بأن إيمانهم ثابت فى قلوبهم لايتزلزل أبدا بل يثبتهم الله دنيا وأخرى (قوله أى فى القبر) خصه بالذكر لأنه بعد سؤاله لايفتنون فى التوحيد وإنما يكون حسابهم فى الوقف على فروع الدين (قوله لما يسألهم الملكان) أى حين يحيي الله الميت حتى يسمع قرع نعال من كان ماشيا فى جنازته فيقعدانه ويقولان له مار بك وما دينك وما نبيك ، فأما المؤمن فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فيقولان له نم نومة العروس قد علمنا أن كنت لموقنا ، وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئا فقلت مثل مايقولون فيضربانه بمطراق من نار فيصيح صيحة يسمعه من فى الأرض غير الثقلين ويقولان له لادريت ولا تليت (قوله ويفعل الله مايشاء) أى يحكم لامعقب لحكمه وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم هدى هؤلاء وأضل هؤلاء فأجاب بأنه يفعل مايشاء فلا يسئل عما يفعل (قوله ألم تر) استفهام تعجيب وهو خطاب لرسول الله ولكل عاقل (قوله أى شكرها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله هم كفار قريش) أى فنعم الله التى بدلوا شكرها كفرا كون نسبهم أشرف الأنساب وبلدهم أشرف البلاد وكون الخلق تسعى إليهم ولا يسعون فبدلوا ذلك حيث كذبوا خير الخلق

(٣٦٥)

كذلك كلمة الكفر لاثبات لها ولا فرع ولا بركة (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) هى كلمة التوحيد (فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) أى فى القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم فيجيبون بالصواب كما فى حديث الشيخين (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ) الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون لاندرى كما فى الحديث (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ) أى شكرها (كُفْرًا) هم كفار قريش (وَأَحَلُّوا) أنزلوا (قَوْمَهُمْ) باضلالهم إياهم (دَارَ الْبَوَارِ) الهلاك (جَهَنَّمَ) عطف بيان (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (وَبِئْسَ الْقَرَارُ) المقر هى (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا) شركاء (لِيَضِلُّوا) بفتح الياء وضمها (عَنْ سَبِيلِهِ) دين الاسلام (قُلْ) لهم (تَمَتَّعُوا) بدنياكم قليلا (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ) مرجعكم (إِلَى النَّارِ . قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ) ،

وعبدوا الأصنام (قوله قومهم) أى أتباعهم (قوله دارالبوار) يقال بار يبور بوارا بالضم: هلك، وبار الشىء بوارا: كسد فأطلق اللازم وأريد الملزوم لأنه يلزم من الكساد الهلاك (قوله يصلونها) حال من القوم (قوله وجعلوا) عطف على بدلوا (قوله أندادا) جمع ند بمعنى النظير (قوله ليضلوا) اللام للعاقبة والصيرورة لأن اتخاذهم الأنداد ليس لأجل الضلال بل لكونهم يقربونهم إلى الله زلفى (قوله بفتح الياء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان . والمعنى ليضلوا فى أنفسهم وهذا على الفتح أوليضلوا غيرهم وهذا على الضم (قوله بدنياكم) أى أو بعبادتكم الأصنام لأنها من جملة الشهوات التى يتمتع بها والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فان هذا تهديد لكل ظالم (قوله فان مصيركم إلى النار) أى مآلكم إليها (قوله قل لعبادى) بثبوت الياء مفتوحة وبحذفها لفظا لاخطا قراءتان سبعيتان هنا ، وفى أربعة مواضع من القرآن فى سورة الأنبياء فى قوله أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ، وفى العنكبوت فى قوله ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة وقوله فى سبأ : وقليل من عبادى الشكور وقوله فى سورة الزمر: قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، والاضافة فى عبادى للتشريف ، ولذا قال العارف :

ومما زادنى شرفا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

(قوله الذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وفى ذلك إشارة إلى أن الصلاة والزكاة وغيرهما من وجوه البر لاتكون إلا لمن اتصف بالايمان فلا تنفع الكافر فى حال كفره فلا ينافى أنه مخاطب بفروع الشريعة لكن لا تصح منه إلا بالاسلام وفائدة خطابه بها أنه يعذب عليها زيادة على عذاب الكفر بدليل قوله تعالى : ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الآية (قوله وينفقوا مما رزقناهم) أى النفقة الواجبة كالزكاة والمندوبة كالتطوع

وقوله سرا وعلانية أى فالانسان مخير فى الانفاق إماسرا أوجهرا لكن الأفضل فى الواجبة الجهر لئلا يتهم بقلة الدين وفى التطوعات السر لكونه أقرب إلى الاخلاص (قوله فداء) مشى المفسر على أن المراد بالبيع الفداء ومشى غيره على إبقاء البيع على ظاهره أى لاشىء يباع فيه الفداء (قوله مخالة) أشار المفسر إلى أن قوله خلال مصدر بمعنى المخالة ، وقال غيره إن خلال جمع خلة كقلال جمع قلة (قوله أى صداقة تنفع) هذا محمول على الكفار بدليل آية الزخرف : الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فالمتقون لهم الأخلاء يوم القيامة وفى القبور وفى كل موطن مخوف والكفار قد تقطعت بهم الأسباب فليس لهم أخلاء نافعون أصلا (قوله الله الذى خلق) شروع فى ذكر دلائل وحدانيته تعالى واتصافه بالكمالات وهذه الآية مشتملة على عشرة أدلة (قوله من السماء ماء) أى فماء المطر من السماء كما ذكره أهل السنة (قوله من الثمرات) المراد بها مايشمل المطعوم والملبوس (قوله رزقا لكم) حال من الثمرات (قوله السفن) أى الكبار والصغار وقوله بالركوب أى على ظهرها وقوله والحمل أى حمل الأثقال من محل إلى آخر (قوله وسخر لكم الأنهار) جمع نهر أى ذللها لكم فى جميع الأرض على ماتشتهى أنفسكم (قوله دائبين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان من يوم خلقهما الله لايخلقان ولا يفتران عن سيرهما إلى آخر الدهر فالشمس نعمة النهار والقمر نعمة الليل وهمامنافع للعالم بهمايهتدون و يعرفون السنين والحساب وتطيب ثمارهم وزروعاتهم فهما سبب عادى لنفع العالم يوجد النفع عندهما لابهما (قوله لايفتران) أى لايضعفان ولاينكسران (قوله فى فلكهما) أى محلهما ومقرهما وهو السماء الرابعة للشمس وسماء الدنيا للقمر (قوله لتسكنوا فيه) أى تطمئنوا فيه من تعب النهار (قوله لتبتغوا من فضله) أى تسعوا فى معايشكم ومعادكم قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله (قوله وآتاكم من كل ماسألتموه) عطف عام على خاص، ومن قيل صلة على مذهب الأخفش من زيادتها فى الاثبات أى آتاكم كل ماسألتموه وقيل تبعيضية أى آتاكم بعض كل ماسألتموه أى احتجتم إليه ولولم يحصل سؤال بالفعل فالمراد شأنكم تسألون عنه لاحتياجكم إليه فان الله أعطانا النعم من غير سؤال منا ، والمعنى أعطى الله كل فرد فرد بعض كل مايحتاج إليه العالم فأصول النعم اشترك فيها جميع العالم عقلاء وغيرهم مسلمين وكفارا ، وما يحتمل أنها موصولة وهو الأتم والتقدير بعض كل الذى سألتموه أومصدرية والتقدير بعض كل مسئول لكم (قوله على حسب مصالحكم) جواب عما يقال إن الانسان لم يعط بعض كل ماسأل فانه قد يسأل السلطنة مثلا ولا يعطاها فأجاب بأن هذه العطية ليست على حسب مايصلح للعبد بل على حسب مراد الله تعالى فعطاياه سبحانه وتعالى على حسب مراده فى خلقه فمنهم من جعل رزقه واسعا ومنهم من جعل رزقه ضيقا وهكذا (قوله و إن تعدوا نعمت الله) أى أفرادها فانها غير متناهية (قوله بمعنى إنعامه) أشار بذلك إلى أن المراد بالنعمة الانعام وهو صفة فعل ودفع بذلك مايقال كيف يقول الله و إن تعدوا نعمة الله لاتحصوها مع أن كل نعمة دخلت الوجود متناهية و يمكن عدها فأجاب بأن المراد بالنعمة الانعام بمعنى تجددها شيئا فشيئا (قوله الكافر) المراد به أبو جهل لأنها نزلت فيه والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله و إذ قال إبراهيم) إذ ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أى اذكر لهم قصة إبراهيم ودعواته لساكنى البيت الحرام ولبنيه لعلهم يعتبرون فينزجروا عما هم عليه فان لم يعتبروا فقد تعرضوا لما يحل بهم (قوله هذا البلد) قال الأشياخ حكمة تعريف البلد هنا وتنكيرها فى البقرة أن إبراهيم تكرر منه الدعاء فما فى البقرة كان قبل بنائها فطلب من الله أن تجعل بلدا وأن تكون آمنا وما هنا بعد بنائها فطلب من الله أن تكون آمنا

فداء (فِيهِ وَلَا خِلَالٌ) مخالة أى صداقة تنفع هو يوم القيامة (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ) السفن (لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ) بالركوب والحمل (بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ) جاريين فى فلكهما لايفتران (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ) لتسكنوا فيه (وَالنَّهَارَ) لتبتغوا فيه من فضله (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ) على حسب مصالحكم (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ) بمعنى إنعامه (لَا تُحْصُوهَا) لاتطيقوا عدها (إِنَّ الْإِنْسَانَ) الكافر (لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ) مكة (آمِنًا) ذا أمن ، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما ،

(قوله لايسفك فيه دم إنسان) أى لايتمكن منه جبار بقصد إهانة البيت وأهله وماوقع من الحجاج فى مقاتلته لابن الزبير وهدمه البيت إنما كان بقصد التعظيم للبيت بسبب دعواه أن ابن الزبير كان مخطئا فى بنائه البيت على قواعد إبراهيم وقوله لايسفك فيه دم إنسان أى ولو قصاصا وهو مذهب أبى حنيفة و إنما يضيق عليــه ليخرج فاذا خرج اقتص منه (قوله ولا يظلم فيه أحد) أى ومن تجرأ وظلم فيه فقد تعرض لعذاب الله قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (قوله ولا يصاد صيده) أى يحرم صيد البر فى الحرم على كل شخص محرما أوغيره (قوله ولا يختلى خلاه) أى لايقطع حشيشه النابت بنفسه واستثنى العلماء من ذلك الإذخر والسنا والسواك والعصا وقطع الشجر للبناء محله لأنه ينبغى توسعته . إن قلت إن قوله آمنا يعارضه ماروى أن ذا السويقتين يخرب البيت ويخيف أهله فى آخر الزمان . أجيب بأن معنى الأمن الطمأنينة ظاهرا و باطنا من سطوات الخالق والمخلوق للحيوان العاقل وغيره غالبا فلا ينافى حدوث النوادر من بعض الجبابرة . وأجيب أيضا بأن المراد الأمن من الخراب إلى قرب الساعة فان ذا السويقتين يخرب الكعبة قرب الساعة بعد موت عيسى عليه الصلاة والسلام .

فائدة : قول إبراهيم رب اجعل هذا البلد الخ يقتضى أن دأبه الدعاء ، وما ورد من قوله حين ألقى فى النار : حسبى من سؤالى علمه بحالى يقتضى أنه لم يكن دأبه الدعاء فما السر فى ذلك . أجيب بأنه كان فى زمن إلقائه فى النار فى مقام الفناء والسكر وهو الغيبة عن شهود الخلق بشهود الحق فلا يشهد أثرا ، وفى زمن دعائه فى مقام البقاء وجمع الجمع وهو البقاء بالله بمعنى شهود الآثار بعــد شهود مؤثرها فمقامه فى حال دعائه أعلى وأجل من مقامه فى حال تركه له ولا يقاس بمقامات الأنبياء مقام بل بدايتهم أعلى وأجل من نهاية غيرهم فالأولياء و إن عظموا لايصلون لأدنى رتب الأنبياء ، وأما قول أبى الحسن الشاذلى واقرب منى بقدرتك قربا تمحق به عنى كل حجاب محقته عن إبراهيم خليلك الخ فمعناه قربا يليق بى لا كقرب الخليــل فقد طلب من الله أن يذيقه قطرة من بحار تجلياته التى تجلى بها على الخليل حتى أسكره فلم يشهد شيئا سواه

لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يختلى خلاه (وَاجْنُبْنِي) بعِّدنى (وَبَنِيَّ) عن (أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ) أى الأصنام (أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) بعبادتهم لها (فَمَنْ تَبِعَنِي) على التوحيد (فَإِنَّهُ مِنِّي) من أهل دينى (وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) هذا قبل علمه أنه تعالى لايغفر الشرك (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي) أى بعضها وهو إسمعيل مع أمه هاجر (بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) هو مكة (عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) الذى كان قبل الطوفان ،

(قوله واجنبنى و بنى) المراد أولاده وأولاد أولاده كاسمعيل وإسحاق و يعقوب والأسباط . إن قلت إن الأنبياء معصومون من الشرك فنى دعائه تحصيل الحاصل . والجواب الأتم أن دعاءه تشريع وتعليم وتذلل وتواضع مع كونه يعلم عصمة نفسه ويقال مثل هذا فى دعوات باقى الأنبياء بالنجاة مما هم معصومون منه كعذاب النار وغضب الجبار ونحو ذلك (قوله رب انهن) كرر النداء تأكيدا (قوله بعبادتهم لها) أشار بذلك إلى أن نسبة الاضلال للأصنام مجاز لأنها سبب فى الضلال بسبب عبادتها (قوله فانه منى) أى منسوب لى وملحق بى (قوله هــذا قبل علمه الخ) جواب عما يقال إن الله لايغفر الشرك فكيف يقول فانك غفور رحيم . وأجيب أيضا بأن قوله ومن عصانى أى بغير الكفر و بأن طلب الغفران لذريته الكفار إن ماتوا على الاسلام (قوله وهو اسمعيل مع أمه هاجر) وسبب ذلك الاسكان أن هاجر كانت جارية لسارة فوهبتها لابراهيم فولدت منه اسمعيل فغارت سارة منها لأنها لم تكن قد ولدت قط فأنشدته بالله أن يخرجهما من عندها فأمره الله تعالى بالوحى أن ينقلها إلى أرض مكة وأتى له بالبراق فركب عليه هو وهاجر والطفل فأتى من الشام ووضعهما فى مكة عند البيت مكان زمزم وليس بمكة أحد ولا بناء ولا ماء ثم قام إبراهيم منطلقا فتبعته هاجر وقالت أين تذهب وتتركنى بهذا الوادى الذى ليس به أنيس ولا شىء فلم يلتفت فقالت آلله أمرك بهــذا قال نعم قالت إذا لايضيعنى ثم رجعت فانطلق إبراهيم ثم رفع يديه إلى السماء وقال ربنا إنى أسكنت الخ (قوله بواد) أى فى واد والوادى هو المنخفض بين الجبلين (قوله غير ذى زرع) أى لايصلح للزرع به لكونه أرضا حجرية لا تنبت شيئا (قوله الذى كان قبل الطوفان) أشار بذلك إلى أن تسميته بيتا محرما فيه مجاز باعتبار ما كان و يصح أن يكون مجازا باعتبار ما يؤول إليه الأمر لأن الله أوحى إليه وأعلمه أن هناك بيتا حراما وأنه سيعمره .

(قوله ربنا) كرر النداء لأن الدعاء ينبغى فيه الاطناب وكثرة الابتهال (قوله ليقيموا الصلاة) اللام لام كى متعلقة بأسكنت ، والمعنى أسكنتهم بهذا الوادى الخالى من كلّ مرتفق ليشتغلوا بأشرف العبادات فى أشرف الأماكن ، والمراد من الدعاء بإقامة الصلاة توفيقهم لأدائها على الوجه الأكمل (قوله تهوى) القراء السبعة على كسر الواو: أى تسرع وتطير شوقا إليهم وقرئ شذوذا بفتح الواو وخرجت على زيادة إلى: أى تهواهم وخصّ الأفئدة بالذكر لأن القلوب سلاطين الأعضاء فإذا حنت إليهم القلوب سعت لهم الأجسام قهرا (قوله تميل وتحن) أشار بذلك إلى أنه ضمن تهوى معنى تميل فعداه بإلى و إلا فهو يتعدّى باللام ، وفى هذا دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم الله حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذرّيته بميل الناس إليهم ليرتفقوا و ينتفعوا بهم فقد جمع فى هذا الدعاء بين أمر الدين والدنيا للناس ولذريته (قوله لو قال أفئدة الناس الخ) أى ولكنه لم يقل ذلك فلم يحصل لسابقة علم الله تعالى أنه لايحن إليهم جميع الناس لوجود الكفار منهم فابراهيم دعا بما سيحصل فى الخارج المطابق لما علمه الله (قوله لعلهم يشكرون) أى يصرفون النعم فى مصارفها (قوله وقد فعل بنقل الطائف إليه) أى وهو قطعة من أرض الشام من مكان يقال له حوران بدلت بقطعة من الحجاز فصارت العيون والأشجار بالطائف والحجارة والحصى والقفر بأرض حوران يشاهده كلّ من رآه وهو إجابة قوله - وارزقهم من الثمرات - وأما قوله - فاجعل أفئدة من الناس - الخ فقد حصل مبدأ إجابته بجرهم . وذلك أن إبراهيم لما وضع إسماعيل وأمه تركهما ومعهما جراب من تمر وسقاء من ماء فلما نفد الماء عطشت هى وولدها فصعدت على الصفا لتنظر هل ترى أحدا

فلم تر أحدا فهبطت ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات ولذلك شرع السعى بينهما سبعا فعند ذلك جاء جبريل وضرب زمزم بجناحه فخرج الماء فجعلت تحوط عليه وتقول زمى زمى وفى الحديث «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم لكانت عينا معينا» فجعلت تشرب منه فمكثوا كذلك حتى مرت

(رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً) قلوبا (مِنَ النَّاسِ تَهْوِى) تميل وتحن (إِلَيْهِمْ) قال ابن عباس : لو قال أفئدة الناس لحنت إليه فارس والروم والناس كلهم (وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) وقد فعل بنقل الطائف إليه (رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى) نسر (وَمَا نُعْلِنُ ، وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ) زائدة (شَىْءٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى السَّمَاءِ) يحتمل أن يكون من كلامه تعالى أو كلام إبراهيم (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى وَهَبَ لِى) أعطانى (عَلَى) مع (الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ) ولد وله تسع وتسعون سنة (وَإِسْحَاقَ) ولد وله مائة واثنتا عشرة سنة (إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ . رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ ، وَ) اجعل (مِن ذُرِّيَّتِى) من يقيمها وأتى بمن لإعلام الله تعالى له أن منهم كفارا (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) المذكور (رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ)

بهم قبيلة من جرهم كانوا ذاهبين إلى الشام فعطشوا فرأوا الماء عندها فقالوا لها هذا

أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت نعم ولكن لاحقّ لكم فى الماء ، فقالوا لها أشركينا فى مائك نشركك فى ألباننا ففعلت ، فنزلوا وأرسلوا إلى أهليهم فلما شبّ إسماعيل تعلم منهم العربية وكان أنفسهم فزوّجوه بامرأة منهم وماتت أمه بعد ما تزوّج (قوله ربنا إنك تعلم ما نخفى وما نعلن) أى تعلم ما نسرّه من جميع أمورنا وما نظهره منها ، أو المعنى تعلم ما نخفى من الوجد بفرقة اسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذى زرع وما نعلن : أى من قول هاجر آلله آمرك بهذا وقولى لها نعم (قوله يحتمل أن يكون) أى قوله وما يخفى على الله من شئ الخ ، فعلى الأوّل هو اعتراض بين كلامى ابراهيم وعلى الثانى ففيه وضع الظاهر موضع المضمر (قوله الحمد لله الخ) هذا قاله إبراهيم فى وقت آخر بعد الدعاء فانه حين الدعاء لم يكن اسحاق موجودا بل كان إسماعيل فقط طفلا وحين الحمد كان اسحق موجودا ومعلوم أن بينهما ثلاث عشرة سنة (قوله إن ربى لسميع الدعاء) أى مجيبه (قوله مقيم الصلاة) أى مواظبا عليها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله واجعل من ذرّيتى) أشار المفسر إلى أن قوله - ومن ذرّيتى - معطوف على الياء فى اجعلنى فيكون الفعل مسلطا عليه (قوله وتقبل دعائى) بثبوت الياء وصلا ووقفا وحذفها كذلك قراءتان سبعيتان (قوله ربنا اغفر لى) إن قلت كيف يطلب المغفرة مع أنه نبى معصوم من جميع الذنوب . أجيب بأن المغفرة لاتستدعى سبق ذنب بل تكون من الطاعات كما إذا ارتقى مقاما أعلى مما كان فيه فيستغفر الله مما كان فيه على حدّ ماقيل فى قوله صلى الله عليه وسلم «انى ليغان على قلبى فأستغفر الله سبعين مرّة» .

(قوله هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله) جواب عما يقال كيف ساغ لابراهيم طلب المغفرة لأبويه وهما كافران (قوله وقرئ) أي شذوذا في هذه والتي بعدها وقرئ شذوذا أيضا وولدي بضم الواو وسكون اللام فالقراآت الشواذ ثلاث والدي مفردا وولدي بالتثنية وولدي جمع ولد (قوله يثبت) أي يوجد ويظهر وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله لا يرد دعاء خليله إبراهيم ففيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة (قوله ولا تحسبن) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان في هذه وفي قوله الآتي ـ فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ـ وفي هذه الآية تسلية لكل مظلوم ووعيد عظيم لكل ظالم فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانها وإن كان نزولها في حق كفار قريش إلا أن المراد عمومها لكل ظالم لأن كل آية وردت في الكفار فانها تجر بذيلها على عصاة المؤمنين (قوله غافلا) الغفلة في الأصل معنى يعتري الإنسان من قلة التحفظ، وقيل معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور، وهذا المعنى في حق الله مستحيل فظنه كفر بل المراد لازم الغفلة وهو عدم المجازاة لأنه يلزم من الغفلة عن الشيء تركه فالمعنى لا تحسبن الله يا مخاطب تاركا مجازاة الظالمين بل مجازيهم ولا بد وإمهالهم مدة حلم منه وسيخرجهم منه في الآخرة لما ورد « الظلمة وأعوانهم كلاب النار » (قوله من أهل مكة) خصهم بالذكر وإن كان المراد العموم لأن الآية نزلت فيهم (قوله إنما يؤخرهم) في معنى التعليل لقوله ـ ولا تحسبن الله غافلا ـ الخ، والتقدير لا تظنن أن الله تارك مجازاتهم ولا تحزن بتأخير العذاب لأن تأخيره للتشديد والتغليظ (قوله ليوم) أي لأجل حصول يوم أو اللام بمعنى إلى التي للغاية (قوله تشخص فيه الأبصار) أي فلا تقر في أماكنها (قوله مسرعين) أي إلى الداعي وهو إسرافيل، وقيل جبريل حيث ينادي على صخرة بيت المقدس وهي أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فعند ذلك ينفخ إسرافيل في الصور (قوله حال) أي من المضاف المحذوف، والتقدير تشخص فيه أبصارهم حال كون أصحاب الأبصار مهطعين الخ (قوله لا يرتد إليهم طرفهم) أي لا ينطبق لهم جفن لعظم الهول وهو تأكيد لشخوص البصر (قوله وأفئدتهم هواء) إما مستأنف أو حال (قوله خالية من العقل لفزعهم) أي خالية من الفهم لشدة الحيرة والدهشة والمعنى أن القلوب حينئذ تكون فارغة من الادراك والفهم، والأبصار شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدته (قوله يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لأنذر على حذف مضاف: أي أنذرهم هوله وشدته (قوله فيقول الذين ظلموا) فيه إظهار في مقام الاضمار لزيادة التشنيع عليهم (قوله إلى أجل قريب) أي أخر العذاب عنا وردنا إلى الدنيا مدة من الزمان نستدرك فيها ما فات (قوله نجب دعوتك) مجزوم في جواب الأمر (قوله فيقال لهم) القائل لهم الملائكة أو الله (قوله حلفتم) أي كما حكى الله عنهم ذلك في سورة النحل بقوله ـ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ـ (قوله وسكنتم) معطوف على أقسمتم (قوله في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) المراد بمساكنهم دار الدنيا لا خصوص منازل الذين ظلموا فان كفار قريش لم يسكنوا ديار الكفار الذين هلكوا قبلهم (قوله السابقة) أي كقوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم (قوله وتبين لكم) أي حالهم وخبرهم (قوله من العقوبة) بيان لقوله كيف فعلنا بهم

هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل، وقيل أسلمت أمه وقرئ والدي مفرداً وولدي ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾ يثبت ﴿الْحِسَابُ﴾ قال تعالى ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى يقال شخص بصر فلان أي فتحه فلم يغمضه ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين حال ﴿مُقْنِعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾ خالية من العقل لفزعهم ﴿وَأَنْذِرِ﴾ خوف يا محمد ﴿النَّاسَ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ بأن تردنا إلى الدنيا ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيقال لهم توبيخاً ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾ حلفتم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إلى الآخرة ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بينا ﴿لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ في القرآن فلم تعتبروا،

(قوله وقد مكروا) أى أهل مكة (قوله حيث أرادوا قتله الخ) أى حين اجتمعوا بدار الندوة يتشاورون فى شأنه وقد تقدم ذلك فى الأنفال فى قوله تعالى - وإذ يمكر بك الذين كفروا - الخ (قوله ماكان) فسر إن لأن اللام فى لتزول لام الجحود وهى لا تقع إلا بعد كون منفى بما أولم (قوله لايعبأ به) أى لايلتفت إليه (قوله والمراد بالجبال هنا) أى ففيها قولان قيل المراد حقيقتها وقيل شرائع الاسلام فهى مستعملة فى مجازها (قوله فى القرار والثبات) هذا هو وجه الشبه بينهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فإن مخففة) أى واللام فى لتزول فارقة (قوله والمراد تعظيم مكرهم) أى على هذه القراءة الثانية فتحصل أن المعنى على القراءة الأولى ماكان مكرهم مزيلا للجبال لضعفه وعدم العبرة به وعلى الثانية والحال أن مكرهم لتزول منه الجبال لعظمه وشدته والمكر على القراءتين قيل تشاورهم فى شأن النبى وقيل كفرهم ولكن القول الثانى يوافق القراءة الثانية بدليل آية تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا (قوله وعلى الأولى) أى القراءة الأولى وهى النافية (قوله ماقرئ) أى الذى قرئ وهى قراءة شاذة (قوله فلا تحسبن الله) هذا مفرع على قوله ولا تحسبن الله غافلا وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتهديد للظالمين (قوله مخلف وعده رسله) القراءة السبعية باضافة مخلف إلى وعده ورسله بالنصب وقرئ شذوذا باضافته إلى رسله ونصب وعده فيكون قد فصل بين المتضايفين بالمفعول وهذا نظير قراءة ابن عامر فى الأنعام قتل أولادهم شركائهم (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله يوم ظرف معمول لمحذوف ويصح أن يكون معمولا لقوله: فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ويصح أن يكون بدلا من يوم الأول فى قوله يأتيهم العذاب (قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) اختلف المفسرون فى هذا التبديل فقيل المراد تبدل صفاتهما فتسوى الجبال وتقلع الأشجار وتنشق الأنهار وتذهب الكواكب من السموات وتكسف شمسها ويخسف قمرها وقيل تبدل ذاتهما فتبدل الأرض بأرض نقية بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم وتبدل السموات بسماء من ذهب

(وَقَدْ مَكَرُوا) بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم (مَكْرَهُمْ) حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه (وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ) أى علمه أو جزاؤه (وَإِنْ) ما (كَانَ مَكْرُهُمْ) وإن عظم (لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) المعنى لايعبأ به ولا يضر إلا أنفسهم، والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل شرائع الاسلام المشبهة بها فى القرار والثبات. وفى قراءة بفتح لام لتزول ورفع الفعل فإن مخففة والمراد تعظيم مكرهم، وقيل المراد بالمكر كفرهم ويناسبه على الثانية «تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا» وعلى الأول ما قرئ: وما كان (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ) بالنصر (إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ) غالب لا يعجزه شىء (ذُو انْتِقَامٍ) ممن عصاه، اذكر (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰوَاتُ) هو يوم القيامة فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما فى حديث الصحيحين. وروى مسلم حديث «سئل النبى صلى الله عليه وسلم: أين الناس يومئذ؟ قال على الصراط»،

(وبرزوا)

وعلى هذا القول فالخلائق يكونون قبل على الصراط ومازاد منهم يكون على متن جهنم وقيل يكون فى ظلمة قبل الحشر وقيل على أكف ملائكة سماء الدنيا وجمع بين القولين بأن تبديل الصفات يكون أولا قبل نفخة الصعق وتبديل الذات يكون بعد النفخة الثانية (قوله فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية) أى ويؤيد ذلك ماروى عن ابن عباس والضحاك أن الخلائق إذا جمعوا فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من المبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وحولوهم إلى الأرض التى تبدل وهى أرض بيضاء من فضة نورانية وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فاذاهم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله يأمر بملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة وإذا هم مثلهم عشرين مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذاهم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس فى العرق

غل، أنواع مختلفة إلى الأذقان و إلى الصدور و إلى الحقوين و إلى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ومنهم من يصيبه البلة كالعاطش إذا شرب الماء وكيف لا يكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رءوسهم حتى لومد أحد يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الأرض وذاب الصخر ونشفت الأنهار (قوله وبرزوا) عطف على تبدل فهو بمعنى المضارع أى يوم تبدل الأرض وتبرز الخلائق (قوله وترى) معطوف على تبدل أيضا (قوله مشدودين مع شياطينهم) أى فتجمع أيديهم وأرجلهم فى أعناقهم و يشد كل واحد مع شيطانه الذى كان معه فى الدنيا (قوله فى الأصفاد) جمع صفد بفتحتين وهو القيد (قوله والأغلال) جمع غل بالضم وهو طوق من حديد (قوله سرابيلهم من قطران) أى جلودهم تطلى بالقطران حتى يكون الطلاء كالقميص (قوله وتغشى وجوههم) أى وتعلو بهم (قوله متعلق ببرزوا) أى وما بينهما اعتراض (قوله فى قدر نصف نهار)

(وَبَرَزُوا) خرجوا من القبور (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ . وَتَرَى) يا محمد : تبصر (الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ) مشدودين مع شياطينهم (فِي الْأَصْفَادِ) القيود والأغلال (سَرَابِيلُهُمْ) قمصهم (مِنْ قَطِرَانٍ) لأنه أبلغ لاشتعال النار (وَتَغْشَى) تعلو (وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ) متعلق ببرزوا (اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) من خير وشر (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (هَٰذَا) القرآن (بَلَاغٌ لِلنَّاسِ) أى أنزل لتبليغهم (وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا) بما فيه من الحجج (أَنَّمَا هُوَ) أى الله (إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ) بادغام التاء فى الأصل فى الذال : يتعظ (أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول .

(سورة الحجر)

مكية تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الر) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن والإضافة بمعنى من (وَقُرْآنٍ مُبِينٍ) مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة (رُبَمَا) بالتشديد والتخفيف (يَوَدُّ) يتمنى (الَّذِينَ كَفَرُوا) يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين (لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) ورب للتكثير فإنه يكثر منهم تمنى ذلك ،

أى وكل واحد يرى أنه يحاسب وحده (قوله هذا بلاغ للناس) فى هذه الآية من المحسنات البديعية رد العجز على الصدر فقد افتتحت هذه السورة بقوله كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور (قوله لتبليغهم) أى توصيلهم إلى ما فيه صلاحهم ورشدهم . [سورة الحجر مكية] أى باجماع وسميت بالحجر لذكره فيها وهو واد بين المدينة والشام وستأتى قصة أصحابه (قوله الله أعلم بمراده) تقدم أن هذا هو التحقيق عند ذوى التحقيق (قوله هذه الآيات) أى آيات السورة

(قوله والاضافة بمعنى من) أى لأن الآيات بعض الكتاب (قوله عطف) أى مرادف و إنما سوغه وحسنه تغاير اللفظ وزيادة الصفة فى المعطوف فحينئذ يؤخذ من الآية أنه كما يسمى كتابا يسمى قرآنا (قوله بزيادة صفة) أى وهى قوله مبين (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فيهما قراءتان سبعيتان لغتان فى رب (قوله الذين كفروا) أى من أهل مكة وغيرهم (قوله إذا عاينوا حالهم) أى من العذاب (قوله وحال المسلمين) أى من النعيم المقيم (قوله لو كانوا مسلمين) يصح فى لو أن تكون امتناعية وجوابها محذوف تقديره لسروا بذلك أو مصدرية تسبك مع ما بعدها بمصدر معمول ليود والتقدير ربما يود الذين كفروا كونهم مسلمين (قوله ورب للتكثير) أى وما كافة لها عن الجر . إن قلت إن رب إذا دخلت عليها ما الكافة اختصت بالفعل الماضى وهنا قد دخلت على المضارع . أجيب بأن المضارع بالنسبة لعلم الله واقع ولا شك فلا تفاوت بين ماض ومستقبل بالنسبة لعلمه تعالى و إنما ذلك بالنظر لعقولنا .

(قوله وقيل للتقليل) أى باعتبار الأوقات التى يفيقون فيها من الدهشة فالكفار من شدة الهول يدهشون فلا يفيقون إلا فى بعض الأوقات فإذا أفاقوا كثر منهم التمنى (قوله ذرهم) لم يستعمل لهذا الأمر ماض استغناء عنه بترك بل يستعمل منه المضارع وقد جاء منه الماضى قليلا قال عليه الصلاة والسلام «ذروا الحبشة ما وذرتكم» (قوله يأكلوا) مجزوم بحذف النون فى جواب الأمر وكذا قوله ويتمتعوا (قوله ويلههم) مجزوم أيضا بحذف الياء وفيه ثلاث قراآت سبعية كسر الهاء الثانية والميم وضمهما وكسر الهاء وضم الميم وأما الهاء الأولى فمكسورة لاغير لأنها من بنية الكلمة (قوله الأمل) فاعل يلههم (قوله عاقبة أمرهم) قدره إشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى قوله ذرهم الخ فهذه الآية منسوخة بآية القتال (قوله زائدة) أى فى المفعول (قوله أريد أهلها) أى ففيه مجاز إما بالحذف أو مرسل من اطلاق المحل وإرادة الحال فيه (قوله إلا ولها كتاب معلوم) الجملة حالية والمعنى وما أهلكنا قرية فى حال من الأحوال إلا فى حال أن يكون لها كتاب أى أجل مؤقت لهلاكها وجعلنا الواو حالية أسهل من جعلها زائدة بين الصفة والموصوف (قوله من أمة) فاعل تسبق ومن زائدة فى الفاعل للتأكيد (قوله أجلها) أى وهو الكتاب المتقدم (قوله يتأخرون عنه) أى الأجل (قوله وقالوا يأيها الذى نزل عليه الذكر) نادوه صلى الله عليه وسلم بذلك على سبيل التهكم والاستهزاء لا اقرارا بأنه نزل عليه الذكر ولذا قال المفسر فى زعمه فدفع به ما قد يقال إن فى الآية مضاربة أولها لآخرها (قوله إنك لمجنون) أى إنك لتقول قول المجانين حيث تدعى أن الله

وقيل للتقليل فإن الأهوال تدهشهم فلا يفيقون حتى يتمنوا ذلك إلا فى أحيان قليلة (ذَرْهُمْ) اترك الكفار يا محمد (يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا) بدنياهم (وَيُلْهِهِمُ) يشغلهم (الْأَمَلُ) بطول العمر وغيره عن الإيمان (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم وهذا قبل الأمر بالقتال (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ) زائدة (قَرْيَةٍ) أريد أهلها (إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ) أجل (مَعْلُومٌ) محدود لإهلاكها (مَا تَسْبِقُ مِنْ) زائدة (أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) يتأخرون عنه (وَقَالُوا) أى كفار مكة للنبى صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) القرآن فى زعمه (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ. لَوْمَا) هلا (تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى قولك: إنك نبى وإن هذا القرآن من عند الله قال تعالى (مَا تَنَزَّلُ) فيه حذف إحدى التاءين (الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ) بالعذاب (وَمَا كَانُوا إِذًا) أى حين نزول الملائكة بالعذاب (مُنْظَرِينَ) مؤخرين (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد لاسم إنّ أو فصل (نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) القرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) من التبديل والتحريف والزيادة والنقص،

نزل عليك الذكر وقولهم هذا كقول فرعون: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون. والحاصل أنهم قالوا مقالتين الأولى يأيها الذى نزل عليه الذكر والثانية لوما تأتينا بالملائكة وقد رد الله ذلك على سبيل اللف والنشر المشوش فقوله ما تنزل الملائكة رد للثانية وقوله إنا نحن نزلنا الذكر رد للأولى (قوله لوما تأتينا) تستعمل لوما حرف تحضيض وحرف امتناع لوجود فالتحضيضية لا يليها إلا الفعل ظاهرا أو مضمرا والامتناعية لا يليها إلا الأسماء لفظا أو تقديرا إذا علمت ذلك فهى هنا للتحضيض ولذا فسرها بهلا (قوله بالملائكة) أى لتخبرنا بصدقك (قوله فيه حذف إحدى التاءين) أى والأصل تتنزل وفى قراءة سبعية أيضا تنزل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاى المشددة ونصب الملائكة على المفعولية وقرئ شذوذا ما تنزل بفتح التاء وسكون النون وكسر الزاى والملائكة فاعل (قوله إلا بالحق) أى إلا تنزيلا ملتبسا بالحق لا بما قلتم واقترحتم والمعنى جرت عادة الله فى خلقه أنه لا يظهر الملائكة إلا لمن يريد إهلاكهم وهو لا يريد ذلك مع أمته صلى الله عليه وسلم لعلمه بقاءها وأنه يخرج منها من يعبد الله ويوحده إلى يوم القيامة فهم لا يجابون لما اقترحوا (قوله وما كانوا إذا منظرين) أصل إذن إذ بمعنى حين فضمت لها أن فصار إذ أن فاستثقلوا الهمزة فحذفوها فصار إذن ومجىء لفظة أن دليل على اضمار فعل بعدها والتقدير وما كانوا إذ كان ما طلبوه الخ (قوله إنا نحن نزلنا الذكر) أى وليس انزاله بزعمك كما اعتقدوا (قوله أو فصل) أى ضمير فصل واعترض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين وهنا ليس كذلك وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقتصر على الأول (قوله وإنا له لحافظون) أى حيث جعله معجزا للبشر مغايرا لكلامهم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه باق على ممر الدهور سيما وقد جعل الله له خدمة من البشر يحفظونه فترى الكبير العظيم إذا غلط وهو يقرأ يرده أصغر صغير فى المجلس مع عدم العيب فى ذلك

(ولقد

بخلاف الكتب السماوية فقد دخل فيها التبديل والتغيير والزيادة والنقص، ومن معنى هذه الآية قوله تعالى - وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث - الآية (قوله ولقد أرسلنا) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله رسلا) قدره إشارة إلى أن مفعول أرسلنا محذوف، وعدتهم ثلثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر، وقيل لايعلم عدتهم إلا الله تعالى (قوله فى شيع) جمع شيعة والمراد بها هنا الفرقة المتفقة فى مذهب كان حقا أو باطلا وإضافة شيع للأولين على حذف مضاف أى فى شيع الأمم الأولين (قوله ومايأتيهم) قدر المفسر كان إشارة إلى أن المضارع بمعنى الماضى وأتى به مضارعا استحضارا للحال الماضية للتعجب منها (قوله يستهزئون) أى يسخرون (قوله وهذا تسلية له) أى فاصبر ولاتحزن فلست بأول من سخر به قومه بل وقع لمن قبلك مثلك (قوله كذلك نسلكه) السلك بالفتح إدخال الخيط فى اللؤلؤة، وبالكسر نفس الخيط (قوله أى مثل إدخالنا التكذيب) أى الذى دل عليه بقوله يستهزئون (قوله وقد خلت سنة الأولين) أى طريقتهم والجملة مستأنفة (قوله وهؤلاء مثلهم) أى فانتظر ماينزل بالمكذبين من العذاب (قوله ولو فتحنا عليهم) أى على كفار مكة (قوله فظلوا) الضمير إما عائد على المشركين والمعنى لو فتحنا باب السماء لهؤلاء المشركين وصعدوا إلى السماء ورأوا عجائبها لقالوا الخ، أو على الملائكة والمعنى لو كشفنا عن أبصار الكفار فرأوا باب السماء مفتوحا والملائكة تصعد منه لما آمنوا (قوله إنما سكرت) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله سدت) أى فيقال سكرت النهر من باب قتل سددته والسكر بالكسر مايسد به، والمعنى يسد أبصارنا عن محسوساتنا المعتادة بتلك التخيلات (قوله بل نحن قوم مسحورون) إضراب انتقالى عما أفاده أولا من خصوص سحر العين بالحصر، والمعنى أنهم يقولون إنما سدت أبصارنا تخيل لما أمر لاحقيقة له ولم يتجاوزها لقلوبنا ثم أضربوا عن ذلك وجعلوا السحر واصلا لقلوبهم (قوله ولقد جعلنا فى السماء بروجا) هذا من أدلة توحيده سبحانه وتعالى، والبروج جمع برج والمراد منازل وطرق تسير فيها الكواكب السبعة (قوله اثنى عشر برجا) أى وقد جمعها بعضهم فى قوله:

(٢٧٣)

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ) رسلا (فِي شِيَعِ) فرق (الْأَوَّلِينَ . وَمَا) كان (يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) كاستهزاء قومك بك. وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ) أى مثل إدخالنا التكذيب فى قلوب أولئك ندخله (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أى كفار مكة (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالنبى صلى الله عليه وسلم (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) أى سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم وهؤلاء مثلهم (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ) فى الباب (يَعْرُجُونَ) يصعدون (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ) سدت (أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) يخيل إلينا ذلك (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) اثنى عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة: المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشترى وله القوس والحوت، وزحل وله الجدى والدلو.

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدى نزح الدلو بركة الحيتان

(قوله وهى منازل الكواكب) أى محل سيرها (قوله المريخ) بكسر الميم نجم فى السماء الخامسة وقد جمع الكواكب بعضهم فى قوله: زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الأقمار فزحل فى السماء السابعة، والمشترى فى السادسة، والمريخ فى الخامسة، والشمس فى الرابعة، والزهرة فى الثالثة، وعطارد فى الثانية، والقمر فى الأولى وهى سماء الدنيا (قوله والشمس ولها الأسد) أى بيتها المنسوب لها فلاينافى أنها تسير فى البروج كلها المنقسمة لثمان وعشرين منزلة لكل برج منزلتان وثلث وتقطعها الشمس فى سنة والقمر فى شهر وقد جعل الله بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالأكل والشرب يوجد النفع عندها لا بها فهى أسباب عادية

(قوله وزيناها بالكواكب) أى جعلنا الكواكب زينة للسماء وحل الكواكب فى السماء الدنيا أو ثوابت فى العرش قولان للعلماء (قوله للناظرين) أى المتأملين بأبصارهم و بصائرهم (قوله وحفظناها) أى السماء (قوله من كل شيطان رجيم) أى وذلك لأن الشياطين كانوا لايحجبون عن السموات فيدخلونها و يأتون بأخبارها إلى الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات، ولما ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها ، ولما بعث رميت عليهم الشهب فكانت تخطئ وتصيب ، فلما عرج به صلى الله عليه وسلم صارت لاتخطئهم أبدا (قوله إلا من استرق السمع) استثناء منقطع لأن ماقبل الاستثناء دخولهم السماء ومابعده استراقهم من خارجها والمعنى أن الشياطين يركب بعضهم بعضا يريدون الاستراق فتكون الشهب بالمرصاد لهم كما صرحت به سورة الجن فى قوله تعالى ـ وأنا كنا نقعد منها ـ الخ (قوله كوكب مضىء) وقيل الشهاب شعلة نار تنفصل من الكوكب وهو الصحيح (قوله أو يخبله) أى يفسد أعضاءه فيصير غولا فى الوادى يضل الناس (قوله والأرض مددناها) الأرض منصوب بفعل محذوف يفسره مددناها (قوله بسطناها) أى على الماء (قوله لئلا تتحرك بأهلها) أى لأن الله لما خلقها وبسطها على الماء تحركت واضطربت فثبتها بالجبال الرواسى فسكنت (قوله معلوم) أى لله فيعلم قدر مايحتاج إليه الخلق فى معاشهم (قوله معايش) جمع معيشة وهى مايعيش بها الانسان من المأكل والمشرب والملبس وغيرذلك (قوله بالياء) أى باتفاق السبعة لأنها فى المفرد أصلية فلا تقلب فى الجمع همزا بل تبقى على حالها بخلاف المد الزائد فى المفرد فانه يقلب همزة فى الجمع . قال ابن مالك : والمد زيد ثالثا فى الواحد همزا يرى فى مثل كالقلائد وقرىء شذوذا بالهمز على التشبيه بشمائل (قوله ومن لستم له برازقين) مشى المفسر على أنه معطوف على معايش حيث قدر قوله جعلنا لكم (قوله من العبيد) أى والخدم وغيرهم فأنتم تنتفعون بتلك الأشياء ولستم برازقين لها وإنما رزقها على خالقها (قوله وإن من شىء إلا عندنا خزائنه) كالدليل لقوله وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ، فهو إعلام بسعة فضله سبحانه وتعالى أى وقوله شىء نكرة فى سياق النفى فتعم كل شىء كان فى الدنيا أوالآخرة جليلا أوحقيرا (قوله إلا عندنا خزائنه) أى إلا يوجده الله إذا تعلقت قدرته و إرادته به ففى الكلام مجاز حيث شبه سرعة إيجاده الأشياء بحصولها بالفعل وجعلها فى خزائن والجامع بينهما سرعة الحصول فى كل فالمعنى بيده الأشياء كلها خيرها وشرها جليلها وحقيرها فاذا أراد الله شيئا حصل فلايطلب الانسان من غيره بل يطلب المفاتيح ممن بيده الخزائن والمفاتيح كناية عن التسهيل فمن أراد الله له شيئا أعطاه مفتاحه بمعنى سهل أسبابه (قوله إلا بقدرمعلوم) أى فيسعدهذا و يشقى هذا و يفقرهذا و يغنى هذا على حسب ماقدره الله إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقول على حسب تقديرالله فان الله تعالى ليس مراده مقيدا بمصالح عباده بل أفعاله على حسب ماأراده وعلمه و إلا فنجد الكافر يطول عمره وهوفى فقر ومرض ثم يختم له بالكفر ويكون فى النار فأى مصلحة فى ذلك (قوله وأرسلنا الرياح) جمع ريح وهو جسم لطيف منبث فى الجو سريع المرور (قوله لواقح) إما جمع ملقح من ألقح وحينئذ فجمعه ملاقح حذفت الميم تخفيفا أوجمع لاقح يقال لقحت الريح إذا حملت الماء إلى السحاب . واعلم أن سبحانه وتعالى يرسل الرياح الأربعة لخدمة المطر فريح الصبا تثير السحاب من ثمر شجرة فى الجنة ، وريح الشمال تجمعه ، وريح الجنوب تدره ، وريح الدبور تفرقه (قوله تلقح السحاب) أى تمج الماء فيه (قوله السحاب) أى فالمراد بالسماء كل ماعلا وارتفع ويصح أن يراد بالسماء حقيقتها لأن أصل ماء المطرمن السماء (قوله فأسقيناكموه) الكاف مفعول أول والهاء مفعول ثان ، والمعنى جعلناه سقيا لكم ولأرضكم ومواشيكم .

(وَزَيَّنَّاهَا) بالكواكب (لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا) بالشهب (مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ) مرجوم (إِلَّا) لكن (مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) خطفه (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ) كوكب مضىء يحرقه أو يثقبه أو يخبله ((وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) بسطناها (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت لئلا تتحرك بأهلها (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ) معلوم مقدر (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ) بالياء : من الثمار والحبوب (وَ) جعلنا لكم (مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله (وَإِنْ) ما (مِنْ) زائدة (شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ) مفاتيح خزائنه (وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) على حسب المصالح (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) تلقح السحاب فيمتلىء ماء (فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ) السحاب (مَاءً) مطرا (فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)

(قوله أى ليست خزائنه بأيديكم) أى بل خزائنه عند الله فهو من مشمولات قوله : و إن من شئ إلا عندنا خزائنه (قوله وإنا لنحن نحيي) أى جميع الخلق وإنّ حرف توكيد ونصب ونا اسمها وجملة نحيي خبرها وقوله لنحن ضمير منفصل توكيد لنا لاضمير فصل لما تقدم أنه مردود بأن ضمير الفصل لايقع إلا بين اسمين وهنا ليس كذلك (قوله ونحن الوارثون) الوارث فى الأصل هو الذى يأخذ المال بعد موت مورثه ثم أطلق الإرث وأريد لازمه وهو البقاء بعد فناء غيره فانه يلزم من أخذ الوارث مال المورث بقاؤه بعد موت صاحبه فهوسبحانه وتعالى وارث جميع الخلق بمعنى أنه يبقى بعدفنائهم (قوله ولقد علمنا المستقدمين منكم) أى علما تفصيليا لايخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء (قوله المتأخرين) أشار بذلك إلى أن السين والتاء فى المستقدمين والمستأخرين زائدتان ، والمعنى أن علمه محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لايخفى عليه شئ من أحوال خلقه (قوله وإن ربك هو يحشرهم) أى يجمعهم للحساب ثم بعد ذلك ينقسمون فريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير (قوله من صلصال) الصلصال بمعنى المصلصل كالزلزال بمعنى المزلزل ووزنه فعلال بتكرار اللام فقلبت الأولى منهما من جنس فاء الكلمة ، والصلصال طور رابع من أطوار آدم الطينية لأنه كان أولا ترابا ثم عجن بأنواع المياه فصار طينا ثم ترك حتى أنتن واسودّ فصار حمأ مسنونا ثم يبس بعد تصويره فصار صلصالا ثم نفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين سنة :

أى ليست خزائنه بأيديكم (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) الباقون نرث جميع الخلق (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ) أى مَن تقدم من الخلق من لدن آدم (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) المتأخرين إلى يوم القيامة (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ) فى صنعه (عَلِيمٌ) بخلقه (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) آدم (مِن صَلْصَالٍ) طين يابس يسمع له صلصلة أى صوت إذا نقر (مِّنْ حَمَإٍ) طين أسود (مَّسْنُونٍ) متغير (وَالْجَانَّ) أبا الجن وهو إبليس (خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ) أى قبل خلق آدم (مِن نَّارِ السَّمُومِ) هى نار لادخان لها تنفذ فى المسامّ (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ. فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتممته (وَنَفَخْتُ) أجريت (فِيهِ مِن رُّوحِي) فصار حيًّا وإضافة الروح إليه تشريف لآدم (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية بالانحناء (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه تأكيدان (إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة ،

أربعين وهو طين وأربعين وهو حمأ مسنون وأربعين وهو صلصال مصوّر وهكذا أطوار أولاد آدم تمكث النطفة فى الرحم أربعين يوما ثم تصير علقة مثل ذلك ثم تصير مضغة مثل ذلك ثم تنفخ فيه الروح بعد مائة وعشرين يوما (قوله متغير) أى من طول مكثه حتى يتخمر (قوله أبا الجن وهو إبليس) هذا أحد قولين ، وقيل هو أبو الشياطين فرقة من الجن لم يؤمن منهم أحد والجانّ هو أبو الجن وعلى هذا تكون الأصول ثلاثة : آدم وهو أبو البشر وإبليس وهو أبو الشياطين ، والجانّ وهو أبو الجن ، وعلى ما مشى عليه المفسر يكونان أصلين فقط آدم و إبليس (قوله هى نار لادخان لها) أى ومنها تكون الصواعق (قوله تنفذ فى المسام) أى تدخل فيها للطف المسام وشدة حرارة النار فاذا دخلت فى الانسان قتلته (قوله و إذ قال ربك) إذ ظرف معمول لمحذوف قدّره المفسر بقوله اذكر (قوله من صلصال) من لابتداء الغاية (قوله فاذا سوّيته) أى صوّرته إنسانا كاملا معتدل الأعضاء والطبائع (قوله ونفخت فيه من روحى) أى أفضت عليه روحا من الأرواح التى خلقتها فصار بها حيا ، وليس المراد النفخ حقيقة لاستحالته على الله (قوله وإضافة الروح إليه) أى كما يقال بيت الله وناقة الله (قوله فقعوا) الفاء واقعة فى جواب إذا وقعوا فعل أمر من وقع يقع بمعنى سقط وخرّ (قوله بالانحناء) أى لابوضع الجبهة وهذا أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقته ، وآدم كالقبلة والسجود لله ، أو يقال إن السجود لذات آدم وقولهم السجود لغير الله كفر محله فى غير ما أمر الله به ، وأما فى مثل هذا فالكفر فى المخالفة (قوله فيه تأكيدان) أى للمبالغة وزيادة الاعتناء فبالتأكيد الأول اندفع توهم المجاز وبالثانى استفيد أنهم سجدوا جملة واحدة (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى صحة الاستثناء ثم هو يحتمل أن يكون منقطعا لأنه لم يكن منهم حقيقة أومتصلا باعتبار أنه كان متصفا بصفاتهم وقيل إنه منهم والتحقيق خلافه .

(قوله أبى أن يكون مع الساجدين) استئناف مبين لكيفية عدم السجود (قوله قال تعالى) . إن قلت إن مكالمة الله تعالى بدون واسطة شرف وتعظيم ، و إبليس ليس من أهل ذلك . أجيب بأن محل كونها شرفا إن كانت على سبيل الاكرام ، وأما كلام الله تعالى لإبليس فهو على سبيل الاهانة والطرد فلم يكن تشريفا (قوله ما منعك الخ) حمله على هذا التفسير قوله فى الآية الأخرى : ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدىّ ، ولذا قال لا زائدة و يصح أن تكون غير زائدة ، والمعنى أىّ شئ ثبت لك فى عدم كونك مع الساجدين (قوله لا ينبغى لى) أى لا يصح ولا يليق (قوله لبشر خلقته الخ) أى وخلقتنى من نار فأنا خير منه لأن النار جسم لطيف نورانى والصلصال جسم كثيف ظلمانى والنورانى خير من الظلمانى ، هذا وجه تكبره عن السجود وادّعائه الخيرية وهى مردودة بأن آدم مركب من العناصر الاربع بخلاف إبليس وأيضا فالفضل بيد الله يعطيه لمن يشاء (قوله وقيل من السموات) وهذا الخلاف مرتب على الخلاف فى أن السجود لآدم هل كان فى الجنة أو خارجها فمن قال بالأول جعل الضمير فى منها عائدا على الجنة ، ومن قال بالثانى جعله عائدا على السموات (قوله فإنك رجيم) أى مرجوم والرجم كما فى القاموس اللعن والشتم والطرد والهجران (قوله إلى يوم الدين) أى و بعد ذلك يزداد عذابا على اللعنة التى هو فيها (قوله إلى يوم يبعثون) قصد اللعين بذلك أنه لا يموت أبدا لأنه إذا أمهل إلى يوم البعث الذى هو يوم النفخة الثانية فقد أمهل

(أبى) امتنع من (أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ) تعالى (يَا إِبْلِيسُ مَالَكَ) ما منعك (أَنْ لَا) زائدة (تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ) لا ينبغى لى أن أسجد (لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ . قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) أى من الجنة وقيل من السموات (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وقت النفخة الأولى (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي) أى بإغوائك لى والباء للقسم وجوابه (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) المعاصى (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين (قَالَ) تعالى (هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ) وهو (إِنَّ عِبَادِي) أى المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) قوة (إِلَّا) لكن (مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) الكافرين (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) أى من تبعك معك (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ) أطباق (لِكُلِّ بَابٍ) منها (مِنْهُمْ جُزْءٌ) نصيب (مَقْسُومٌ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وعيون)

إلى الأبد لانقطاع الموت حينئذ وقصد أيضا الفسحة فى الأجل لأجل الاغواء فأجابه الله إلى الثانية دون الأولى (قوله وقت النفخة الأولى) أى فيموت فى جملة الخلائق ثم يبعث مع الناس فمدة موته أربعون سنة ولم يكن هذا الامهال إكراما له بل إهانة وشقاء ليزداد عذابه (قوله والباء للقسم) وقيل للسببية (قوله لأزيننّ لهم) الضمير عائد على أولاد آدم وإن لم يتقدم لهم ذكر للعلم بهم (قوله المخلصين) أى الذين أخلصوا فى أعمالهم فلا تسلط لى عليهم (قوله قال هذا صراط علىّ مستقيم) أى هذا دين مستقيم لا اعوجاج فيه فعلىّ حفظه تفضلا و إحسانا (قوله إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان) حاصل ذلك أن إبليس لما قال : لأزيننّ لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين أوهم بذلك أن له سلطانا على غير المخلص فبين تعالى أنه ليس له سلطان على أحد من العباد لا من المخلصين ولا من غيرهم بل من اتبعه فهو من طرد الله له لا من سلطنة إبليس ، و يؤيده قوله فى الآية الأخرى : إن كيد الشيطان كان ضعيفا وتقييد المفسر بالمؤمنين نظرا للصورة (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع (قوله لها سبعة أبواب) أى وأعلاها جهنم وهى لعصاة المؤمنين ثم لظى لليهود ثم الحطمة للنصارى ثم السعير للصابئين ثم سقر للمجوس ثم الجحيم لعباد الوثن ثم الهاوية للمنافقين (قوله لكل باب) أى طبقة من أطباقها (قوله جزء مقسوم) أى حزب معدّ لها (قوله إنّ المتقين) أى الذين اتقوا الشرك وهم المؤمنون ولو عصاة لأن المتقى هو الآتى بالتقوى ولو مرة واحدة غير أن العاصى إذا مات مصرّا على المعاصى تحت المشيئة إن شاء عذبه مدة ثم يعفو عنه بشفاعة النبىّ صلى الله عليه وسلم و إن شاء لم يعذبه ، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وقال أبو هاشم الجبائى وجمهور المعتزلة : إن المتقين هم الذين اتقوا جميع المعاصى فلا يثبت دخول الجنة إلا لمن ترك جميع المعاصى

وهذا مذهب باطل لمخالفته النصوص القرآنية والأحاديث النبويه . والذى يجب الإيمان به أن الجنة تملك بالموت على كلمة التوحيد ولو صحبها أمثال الجبال من المعاصى غير أن أهل الجنة مراتب (قوله وعيون) يحتمل أن المراد بها الأنهار التى قال الله فيها - مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن - الآية ، ويحتمل أن تكون زيادة عليها وهل كل مؤمن له عدة بساتين وعدة أنهار ، أو كل له بستان ونهر لمقابلة الجمع بالجمع (قوله ويقال لهم) أى إذا أرادوا الانتقال من محل إلى آخر وإلا فهم مستقرون فيها فأمرهم حينئذ بالدخول تحصيل حاصل ، والقائل يحتمل أن يكون الملائكة أو الله تعالى (قوله بسلام) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الواو فى ادخلوها : أى ادخلوها حال كونكم مصحوبين بسلامة من الله من جميع المخاوف والمكاره وهذا على المعنى الأول الذى ذكره المفسر ، ويقال على المعنى الثانى ادخلوها مصحوبين بسلام من بعضكم لبعض ومن الملائكة أى يسلم بعضكم على بعض وتسلم الملائكة عليكم (قوله أى سلموا) تفسير للمعنى الثانى (قوله آمنين) قدر المفسر ادخلوا إشارة إلى أنه حال ثانية وهى مرادفة للأولى ولا حاجة لهذا التقدير (قوله من كل فزع) أى ومنه زوال ماهم فيه من النعيم المقيم وقوله بسلام آمنين زيادة فى سرور أهل الجنة لأن النعيم إذا لوحظ فيه عدم الانقطاع كان فى غاية السرور ولا شك أن الجنة كذلك بخلاف الدنيا فإن نعيمها ملاحظ فيه الانقطاع عند حصوله فلذلك كانت دار همّ وغمّ (قوله من غل) الغل هو من أمراض القلب كالحسد والكبر والعجب والشحناء والبغضاء . روى أن المؤمنين يوقفون على باب الجنة وقفة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى الجنة ، وقد نقى الله قلوبهم من الغلّ والغشّ والحقد والحسد فهم يحبون بعضهم بحبهم لربهم وشأن المحبّ أن لا يكون لمحبوبه غلّ فى قلبه بل بينهم الصفاء والوفاء (قوله حال من هم) أى من ضمير صدورهم المضاف إليه والشرط موجود لأن المضاف جزء المضاف إليه ، والمعنى ونزعنا مافى صدورهم من غل حال كونهم متآخين فى المودة والمحبة (قوله على سرر) جمع سرير وهو كما قال ابن عباس من ذهب مكلل بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل مابين صنعاء إلى الجابية (قوله حال أيضا) أى من الضمير فى إخوانا (قوله لدوران الأسرة بهم) أى أنهم إذا اجتمعوا وتلاقوا ثم أرادوا الانصراف يدور سرير كل واحد منهم بحيث يبقى مقابلا بوجهه لمن كان عنده وقفاه إلى الجهة التى يسير لها السرير وهذا أبلغ فى الأنس والاكرام (قوله لايمسهم فيها نصب) أى إعياء بخلاف الدنيا ففيها الاعياء والتعب والكدرات والمشقات (قوله وما هم منها بمخرجين) أى بل هم خالدون فيها لايزولون ولايحولون فالجنة خلود بلا زوال و بقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان (قوله نبئ عبادى الخ) أى أخبر يامحمد عبادى المؤمنين العاصين بأنى أنا الغفور الرحيم فلا يقنطون من رحمتى ولايخافون عذابى وهذا من الله تعطف لعباده واستجلابهم للتوبة وقد أكد هذه الجملة بألفاظ ثلاثة أولها أنى وثانيها أنا وثالثها تعريف الجلة بأل، ولما ذكر العذاب لم يقل وأنى أنا المعذب وهذا يدل على أن الرحمة تغلب الغضب فلايستبعد العاصى رحمة الله بل يقبل على سيده بالتوبة والانابة فانه هو الغفور الرحيم فمتى كان فى العبد أوصاف متعددة تقتضى الغضب ووصف واحد يقتضى الرحمة فان وصف الرحمة يغلب (قوله وأن عذابى هو العذاب الأليم) أتى بهذه الآية لمناسبة ذكر النار أولا فقد ذكر النار والجنة ثم ذكر مايناسب كلا على سبيل اللف والنشر المشوش . واستفيد من هذه الآية أن العبد يكون بين الرجاء والخوف ففى الحديث عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال «بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لو يعلم العبد قدر عفو الله ماتورّع ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه إلى قتله» وعنه صلى الله عليه وسلم «أنه مر بنفر من أصحابه وهم يضحكون فقال أتضحكون و بين أيديكم النار ؟ فنزل نبئ عبادى» الخ (قوله ونبئهم عن ضيف إبراهيم) معطوف على قوله نبئ عبادى الخ ، والمعنى وأخبر عبادى عن قصة ضيوف إبراهيم الخ . واعلم أنه فى هذه السورة أثبت نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أولا ثم أتبع ذلك بذكر أدلة التوحيد ، ثم خلق آدم وما يتعلق به ثم بين أهل السعادة وأهل الشقاوة ثم أتبع ذلك بذكر قصص بعض الأنبياء

(وَعُيُونٍ) تجرى فيها ، ويقال لهم (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) أى سالمين من كل مخوف أومع سلام أى سلموا وادخلوا (آمِنِينَ) من كل فزع (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ) حقد (إِخْوَانًا) حال من هم (عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) حال أيضا ، أى لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ) تعب (وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ) أبدا (نَبِّئْ) خبر يامحمد (عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ) للمؤمنين (الرَّحِيمُ) بهم (وَأَنَّ عَذَابِي) للعصاة (هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) المؤلم (وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة

ليكون عبرة للمعتبرين وأوقع في نفس المتعظين ، وقد ذكر هنا أربع قصص قصة إبراهيم ثم قصة لوط ثم قصة شعيب ثم صالح على سبيل الاختصار وقد تقدمت في سورة هود بأبسط مما هنا (قوله عن ضيف إبراهيم) الضيف في الأصل الميل سمي النازل للقرى بذلك لميله إليك ونزوله عندك وهو مصدر يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقد يجمع ويثنى (قوله منهم جبريل) أي على كل من الأقوال الثلاثة (قوله إذ دخلوا) إذ ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر (قوله أي هذا اللفظ) أي لفظ سلاما وهو مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سلمنا عليك أوسلم الله عليك سلاما ، ولم يذكر هنا رد السلام ولا بقية القصة اختصارا (قوله إنا منكم وجلون) تقدم أن سبب خوفه منهم أنه رأى فيهم جلال الله وهيبته (قوله قالوا لا توجل) قرأ السبعة بفتح التاء والجيم وفعله وجل كعلم وقرئ شذوذا بالبناء للمفعول ولا تاجل بقلب الواو ألفا ولا تواجل بضم التاء وزيادة ألف بعد الواو فالقراءات الشاذة ثلاث (قوله أبشرتموني) هكذا بهمزة الاستفهام في قراءة الجمهور وقرئ شذوذا بحذفها فيحتمل الاخبار والاستفهام وحذفت أداته للعلم بها (قوله على أن مسني الكبر) أي فكان عمره إذ ذاك مائة واثنتي عشرة سنة (قوله فبم تبشرون) الجار والمجرور متعلق بتبشرون

وقدم لأن الاستفهام له صدر الكلام وقرأ العامة بفتح النون مخففة على أنها نون الرفع وقرأ نافع بكسرها مخففة وابن كثير بكسرها مشددة (قوله استفهام تعجب) أي من أن يولد له ولد مع مس الكبر إياه وتعجبه بالنظر للعادة لا بالنظر لقدرة الله ولذا دفع ذلك بقوله: ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون (قوله قالوا بشرناك بالحق) أي اليقين الذي لا لبس فيه (قوله أي لا يقنط) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله بكسر النون وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بضم النون (قوله قال فما خطبكم)

منهم جبريل (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) أي هذا اللفظ (قَالَ) إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا (إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ) خائفون (قَالُوا لَا تَوْجَلْ) تخف (إِنَّا) رسل ربك (نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) ذي علم كثير هو إسحق كما ذكر في هود (قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي) بالولد (عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ) حال أي مع مسه إياي (فَبِمَ) فبأي شيء (تُبَشِّرُونِ) استفهام تعجب (قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ) بالصدق (فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ) الآيسين (قَالَ وَمَنْ) أي لا (يَقْنَطُ) بكسر النون وفتحها (مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) الكافرون (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) شأنكم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ . قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ) كافرين أي قوم لوط لإهلاكهم (إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ) لإيمانهم (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين في العذاب لكفرها (فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ) أي لوطا (الْمُرْسَلُونَ . قَالَ) لهم (إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) لا أعرفكم (قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا) أي قومك (فِيهِ يَمْتَرُونَ) يشكون وهو العذاب (وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) في قولنا (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) امش خلفهم (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ) ،

لئلا

أي الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة فإن البشارة يكفي فيها واحد فلا تحتاج لعدد (قوله إلا آل لوط) يحتمل أن يكون مستثنى من الارسال ، والمعنى إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط فلم نرسل لهلاكهم بل أرسلنا لنجاتهم وحينئذ يكون الاستثناء متصلا ، أو مستثنى من قوم مجرمين فهو منقطع لأنهم لم يدخلوا في القوم المجرمين ، ويشير للثاني قول المفسر لإيمانهم (قوله إلا امرأته) الأقرب أنه مستثنى من ضمير منجوهم (قوله قدرنا) إسناد التقدير للملائكة مجاز إذ المقدر حقيقة هو الله تعالى وهذا كما يقول خواص الملك : أمرنا بكذا والآمر هو الملك (قوله الباقين في العذاب) أي فيقال غبر الشيء : بقي ، ويقال أيضا مضى فهو من الأضداد (قوله فلما جاء آل لوط) أي بعد أن خرجوا من عند إبراهيم وسافروا لقرية لوط وكان بينهما أربعة فراسخ (قوله أي لوطا) أشار بذلك إلى أن لفظة آل زائدة بدليل الآية الأخرى ـ ولما جاءت رسلنا لوطا ـ (قوله منكرون) أي تنكركم نفسي وتجزع منكم ، وإنما جزع منهم لخوفه من قومه عليهم بدليل آية هود: ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب (قوله وأتيناك بالحق) الباء للملابسة أي متلبسين بالحق (قوله فأسر بأهلك) أي وهم بنتاه فلم يخرج من قريته إلا هو وبنتاه (قوله بقطع من الليل) أي في جزء منه (قوله امش خلفهم) لكي تطمئن عليهم .

لئلا يرى عظيم ماينزل بهم (وَٱمْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) وهو الشأم (وَقَضَيْنَا) أوحينا (إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ) وهو (أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ) حال أى يتم استئصالهم فى الصباح (وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ) مدينة سذوم وهم قوم لوط لما أخبروا أن فى بيت لوط مُرداً حساناً وهم الملائكة (يَسْتَبْشِرُونَ) حال طمعاً فى فعل الفاحشة بهم (قَالَ) لوط (إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ . وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ) بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم (قَالُوٓا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ) عن إضافتهم (قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ) ما تريدون من قضاء الشهوة فتزوجوهن ، قال تعالى (لَعَمْرُكَ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، أى وحياتك (إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) يترددون (فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ) صيحة جبريل (مُشْرِقِينَ) وقت شروق الشمس (فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا) أى قراهم (سَافِلَهَا) بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ) طين طبخ بالنار (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) المذكور (لَءَايَٰتٍ) دلالات على وحدانية الله (لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) للناظرين المعتبرين (وَإِنَّهَا) أى قرى قوم لوط (لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ) طريق قريش إلى الشأم لم تندرس أفلا يعتبرون بهم (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً) لعبرة (لِّلْمُؤْمِنِينَ . وَإِن) مخففة أى إنه (كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ) هى غيضة شجر بقرب مدين وهم قوم شعيب (لَظَٰلِمِينَ) بتكذيبهم شعيباً (فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ) بأن أهلكناهم بشدة الحر (وَإِنَّهُمَا) أى قرى قوم لوط والأيكة (لَبِإِمَامٍ) :

(قوله لئلا يرى عظيم ماينزل بهم) أى فينزعج من ذلك (قوله وهو الشأم) أى فطوى الله لهم الأرض فى الوقت حتى نجوا ووصلوا إلى إبراهيم (قوله أوحينا) أشار بذلك إلى أن قضينا ضمن معنى أوحينا فعدى بما تعدى به (قوله وجاء أهل المدينة) الواو لاتقتضى ترتيبا ولا تعقيبا فإن هذا المجىء قبل إعلام الملائكة له بأنهم رسل الله فالقصة هنا على خلاف الترتيب الواقعى بخلافها فى هود (قوله مدينة سذوم) بالسين المهملة والذال المعجمة وأخطأ من قال بالمهملة (قوله يستبشرون) أى يبشر بعضهم بعضا بأضياف لوط وتقدم أن المخبر لهم بالضيوف امرأة لوط (قوله فلا تفضحون) أى لاتسيئونى فيهم (قوله واتقوا الله) أى خافوا عقابه (قوله عن العالمين) أى عن تضييف أحد من الغرباء وكانوا يمنعونه من مخالطة الناس و إضافتهم خوفا من أن يؤلفهم ويستعين بهم عليهم (قوله فتزوجوهن) أى إن أسلمتم ويحتمل أنه كان فى شريعته يحل تزوج الكافر بالمسلمة وتقدم فى هود أنه يحتمل أن المراد نساء أمته (قوله لعمرك) بفتح العين لغة فى العمر بضمتين وهو مدة حياة الانسان فى الدنيا ولكن لم يرد القسم فى كلام العرب إلا بالفتح (قوله إنهم) أى قوم لوط ، وقيل المراد قريش وعلى كل حال فهذه الجملة معترضة بين قصة قوم لوط (قوله أى وقت شروق الشمس) أى طلوعها وهذا بيان لانتهاء العذاب وابتداؤه كان وقت الصباح (قوله فجعلنا عاليها) أى وجه الأرض وماعليه (قوله أى قراهم) أى وكانت أربعة فيها أربعمائة ألف مقاتل ، وقيل خمسة وفيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) تقدم فى هود أنه يحتمل أن المطر كان على من كان غائبا عن القرى ويحتمل أنه عليهم بعد قلبها بهم (قوله إن فى ذلك المذكور) أى من قصة إبراهيم ولوط (قوله للمتوسمين) أى المتفكرين الذين يتأملون الشىء فيعرفون حقيقته (قوله لم تندرس) أى آثارهم (قوله لعبرة للمؤمنين) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله و إن كان أصحاب الأيكة) شروع فى ذكر قصة شعيب مع قومه أصحاب الأيكة وذكرت هنا مختصرة وسيأتى بسطها فى سورة الشعراء (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وكان ناقصة وأصحاب الأيكة اسمها ولظالمين خبرها واللام للتوكيد والجملة خبر إن (قوله هى غيضة شجر) الغيضة فى الأصل اسم للشجر الملتف ، والمراد بها هنا المكان الذى فيه الشجر الكثير . ونسبوا لها لملازمتهم لها و إقامتهم عندها وكان عامة شجرهم المقل :أى الدوم (قوله بتكذيبهم شعيبا) أى و بخسهم الكيل والميزان وقطعهم الطريق (قوله بشدة الحر) أى فسلطها الله عليهم سبعة أيام حتى قربوا من الهلاك فبعث الله لهم سحابة كالظلة فالتجأوا إليها واجتمعوا تحتها للتظلل بها فبعث الله عليهم منها نارا فأحرقتهم جميعا فاهلاكهم أولا بشدة الحر وتم بالظلة ، وأما أهل مدين فأهلكوا بالصيحة كما تقدم فى سورة هود من أنه أرسل لأهل مدين ولأصحاب الأيكة .

(قوله طريق مبين) أى وسمى الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع لأن الانسان إذا أراد الانتقال من موضع لآخر فانه يأتم بالطريق حتى يصل الى الموضع الذى يريده (ولقد كذب أصحاب الحجر) شروع فى قصة صالح (قوله واد بين المدينة والشام) أى وآثاره باقية يمرّ عليها الذاهب من الشام للحجاز (قوله لأنه تكذيب لباقى الرسل) جواب عما يقال لم جمع الرسلين مع أنهم لم يكذبوا إلا رسولا واحدا (قوله وآتيناهم) أضاف الإيتاء لهم وإن كان لصالح لأنه مرسل لهم (قوله فى الناقة) أشار بذلك إلى أن الناقة وإن كانت آية واحدة إلا أنها اشتملت على آيات كخروجها من الصخرة وعظم جثتها وغزارة لبنها وولادتها فصيلا قدرها (قوله لا يتفكرون) أى لا يتأملون ولا ينظرون فيها (قوله وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) أى ينقرون الجبال بالمعاويل حتى تصير بيوتا من غير بنيان (قوله آمنين) أى من وصول اللصوص لهم ومن تخريب الأعداء لبيوتهم لشدّة إتقانها (قوله فأخذتهم الصيحة) أى من السماء والزلزلة من الأرض لما عقروا الناقة، وتقدّم فى هود أن صالحا قال لهم قبل نزول العذاب بهم: تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (قوله وقت الصباح) أى بعد مضىّ الثلاثة الأيام (قوله ما كانوا يكسبون) ما اسم موصول أو مصدرية أو نكرة موصوفة فاعل أغنى، والتقدير الذى كانوا يكسبونه أو كسبهم أو شىء يكسبونه (قوله من بناء الحصون الخ) بيان لما (قوله إلا بالحق) أى إلا خلقا ملتبسا بالحكمة والمصلحة والنافع للعباد ودلائل على وحدانية الله (قوله وإن الساعة) أى القيامة (قوله فيجازى كل واحد بعمله) أى فينتقم من المسىء وينعم على المحسن (قوله وهذا منسوخ) أى قوله ـ فاصفح الصفح الجميل ـ وهو أحد قولين، والثانى أن الآية محكمة، ولا ينافى أمره بالقتال فان المقصود أمره بأن يصفح عن الخلق الصفح الجميل ويعاملهم بالخلق الحسن فيعفو عن المسىء ويسامح المذنب وإن كان مأمورا بقتال المشركين فقتاله للأمر به لا لهوى نفسه، ولذا قال البوصيرى :

طريق (مُبِينٍ) واضح أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ) وادٍ بين المدينة والشام وهم ثمود (الْمُرْسَلِينَ) بتكذيبهم صالحا لأنه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجىء بالتوحيد (وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا) فى الناقة (فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) لا يتفكرون فيها (وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ . فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ) وقت الصباح (فَمَا أَغْنَى) دفع (عَنْهُمْ) العذاب (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من بناء الحصون وجمع الأموال (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ) لا محالة فيجازى كل أحد بعمله (فَاصْفَحِ) يا محمد عن قومك (الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) أعرض عنهم إعراضا لا جزع فيه وهذا منسوخ بآية السيف (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ) لكل شىء (الْعَلِيمُ) بكل شىء (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي) قال صلى الله عليه وسلم: هى الفاتحة رواه الشيخان؛ لأنها تثنى فى كل ركعة (وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ) .

ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء لا

(قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى) سبب نزولها أن سبع قوافل أتت من بصرى وأذرعات فى يوم واحد ليهود قريظة والنضير فيها أنواع من البز والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوّينا بها وأنفقناها فى سبيل الله فنزلت، والمعنى قد أعطيتكم سبع آيات هى خير لكم من سبع قوافل. إن قلت إن مقتضى ذلك أن تكون الآية مدنية مع أنه تقدّم أن السورة مكية بإجماع. أجيب بأنه لا مانع أن هذه الآية نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة (قوله هى الفاتحة) أى لأنها سبع آيات، فمن عدّ البسملة آية منها تكون الآية الأخيرة ـ صراط الذين ـ الخ، ومن لم يعدها آية تكون السابعة قوله ـ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ـ وهذا القول هو الراجح وعليه فيكون عطف قوله ـ والقرآن العظيم ـ من عطف الكل على الجزء أو من عطف العام على الخاص، وقيل المراد بالسبع المثانى الحواميم، وقيل السبع الطوال أولها البقرة وآخرها مجموع الأنفال مع براءة، وقيل جميع القرآن وعليه يكون العطف مرادفا (قوله لأنها تثنى فى كل ركعة) أى تعاد فى كل ركعة، وهذا أحد الوجوه فى سبب تسميتها بالمثانى، وقيل سميت بذلك لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأول ثناء على الله ونصفها الثانى دعاء، وقيل لأن كلماتها مثناة مثل قوله ـ الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين ـ الى آخرها، وقيل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك .

(قوله لا تمدن عينيك) أى لا ترغب فيما متعنا به أصنافا من الكفار فإنه مستحقر ، وفى الحديث عن أبى بكر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا » (قوله ولا تحزن عليهم) أى لأجلهم (قوله ألن جانبك) أى تواضع لهم وارحمهم كالطائر الذى يخفض جناحه على أفراخه رحمة بها وشفقة عليها ، وقد فعل صلى الله عليه وسلم ما أمر به . قال البوصيرى فى هذا المعنى :

أحل أمته فى حرز ملته ... كالليث حل مع الأشبال فى أجم

(قوله كما أنزلنا) الكاف حرف تشبيه وجر وما اسم موصول فى محل جر والجار والمجرور متعلق بمحذوف ، والتقدير وقل إنى أنا النذير لكم بالعذاب كالعذاب الذى أنزلناه على المقتسمين والماضى بمعنى المستقبل إذ الذى نزل بأهل مكة لم يكن واقعا حين نزول الآية بل وقع بعد الهجرة وكذا ما وقع للمقتسمين طرق مكة لم يكن واقعا حينئذ بل وقع يوم بدر . إن قلت إن العذاب المنذر به يذبغى تشبيهه بشىء قد وقع ليحصل به الاتعاظ . أجيب بأنه سهل ذلك تحتم نزوله فكأنه واقع ولا بد وقد تحقق ذلك يوم بدر (قوله اليهود والنصارى) أى حيث اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها الذى وافق هواهم وكفروا بالبعض الذى خالفه (قوله الذين جعلوا) بيان للمقتسمين (قوله القرآن) المراد به على هذا التفسير معناه اللغوى فحينئذ صح تفسير المفسر له بكتبهم المنزلة عليهم (قوله عضين) جمع عضة وأصلها قيل عضو ، وقيل عضه فعلى الأول يكون من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء : أى أجزاء متفرقة وعلى الثانى يكون من عضه إذا كذب ، والمعنى جعلوا القرآن أجزاء متفرقة أو جعلوه أكاذيب (قوله وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة) أى وهم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد ابن المغيرة أيام الموسم فاقتسموا أعتاب مكة وأنقابها وفجاجها يقولون

(٢٨١)

لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) إن لم يؤمنوا (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ) ألن جانبك (لِلْمُؤْمِنِينَ. وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ) من عذاب الله أن ينزل عليكم (الْمُبِينُ) البين الانذار (كَمَا أَنْزَلْنَا) العذاب (عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ) اليهود والنصارى (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ) أى كتبهم المنزلة عليهم (عِضِينَ) أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وقيل المراد بهم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون الناس عن الاسلام وقال بعضهم فى القرآن سحر و بعضهم كهانة و بعضهم شعر (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) سؤال توبيخ (عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَاصْدَعْ) يا محمد (بِمَا تُؤْمَرُ) أي اجهر به وأمضه (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) هذا قبل الأمر بالجهاد (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) بك بإهلاك كنا كلا منهم بآفة ،

لمن سلكها لا تغتروا بهذا الخارج فينا يدعى النبوة فإنه مجنون وربما قالوا ساحر وربما قالوا شاعر وربما قالوا كاهن ، وسموا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا هذه الطرق فأماتهم الله شر ميتة وكانوا نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد فإذا سألوه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صدق أولئك ، وما ذكره المفسر قولان من سبعة ذكرها القرطبى (قوله وقال بعضهم) معطوف على اقتسموا فالضمير فى بعضهم عائد على الذين اقتسموا وهو إشارة إلى أن المراد بالقرآن على هذا القول الكتاب المنزل على سيدنا محمد فجعلوه أجزاء حيث اختلفت أقوالهم فيه فقال بعضهم سحر و بعضهم كهانة أو المراد جعلوه أكاذيب فلم يؤمنوا به (قوله سؤال توبيخ) جواب عما يقال إنه أثبت سؤالهم هنا ونفاه فى سورة الرحمن حيث قال - فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان - فحاصل الجواب أن المنفى هناك سؤال الاكرام والاحترام والمثبت هنا سؤال التوبيخ والتقريع (قوله فاصدع بما تؤمر) سبب نزولها أن رسول الله أول أمره كان يدعو الى الله مختفيا و يأمر كل من آمن به بالاختفاء فلما نزلت هذه الآية أظهر أمره و بالغ فى إظهاره (قوله هذا قبل الأمر بالجهاد) أى فتكون الآية منسوخة ، وقيل ليست منسوخة بل هى محكمة ، والمعنى لا تلتفت لهم ولا تبال بهم (قوله إنا كفيناك المستهزئين) أى وهم جماعة من قومه كانوا يسخرون به و يبالغون فى إيذائه وإنما عجلت لهؤلاء العقوبة لشدة إيذائهم لرسول الله و بغضهم له و إلا فالمستهزئون كثير كأبى لهب وزوجته وولده وأبى جهل

(قوله وهم الوليد بن المغيرة) أى وقد مرّ برجل نبال وهو يجرّ إزاره فتعلقت قطعة من النبل بإزار الوليد فمنعه الكبر أن يطاطئ رأسه وينزعها فجعلت تضرب فى ساقه فخدشته فمرض منها فمات ، وقوله والعاصى بن وائل خرج على راحلته يتنزه بدخل شعبا فدخلت شوكة فى أخمص رجله فانتفخت حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ، وقوله وعدى بن قيس الصواب الحرث بن قيس بن الطلاطلة كما ذكره فى الهمزية وشراحها والخازن وغيرهم من كتب التفسير وقد هلك بأن صار القيح يجرى من أنفه وعينه وفمه حتى مات ، وقوله والأسود بن المطلب رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك ، وقوله والأسود بن عبد يغوث أصابه مرض الاستسقاء فمات به ، وقيل إن النبيّ صلى الله عليه وسلم شكا هؤلاء الخمسة لجبريل عليه السلام فكفاه الله شرّهم ، وقد أجاد صاحب الهمزية حيث قال فى حقهم

وكفاه المستهزئين وكم سا ء نبيا من قومه استهزاء
ورماهم بدعوة من فناء البيت فيها للظالمين فناء
خمسة كلهم أصيبوا بداء والردى من جنوده الأدواء
فدهى الأسود بن مطلب أىّ عمى ميت به الأحياء
ودهى الأسود بن عبد يغوث أن سقاه كاس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا (٢٨٢) ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحرث القيوح وقد سا ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الأر ض فكف لأذى بهم شلاء

وهم الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل وعدى بن قيس والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ) صفة وقيل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم (وَلَقَدْ) للتحقيق (نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) من الاستهزاء والتكذيب (فَسَبِّحْ) ملتبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ) أى قل سبحان الله وبحمده (وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) المصلين (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) الموت

(سورة النحل)

مكية إلا : وإن عاقبتم إلى آخرها : مائة وثمان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

(قوله الذين يجعلون مع الله إلها آخر) أى يشركون فى عبادته غيره (قوله فسوف يعلمون) هذا تهديد ووعيد لهم (قوله بما يقولون) أى بسبب قولهم وتكلمهم فى شأنك فان شأن ذلك يضيق منه الصدر بحسب الطبيعة البشرية (قوله فسبح بحمد ربك) أى فافزع إلى ربك والتجئ إليه يكفك مايهمك من أمور الدنيا والآخرة لما فى الحديث « اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه » (قوله أى قل سبحان الله وبحمده) أى تنزيها له عن كل نقص واتصافا له بكل كمال (قوله المصلين) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه مجاز من اطلاق الجزء على الكل وخصّ السجود بالذكر لأنه أشرف أركانها (قوله واعبد ربك) عطف عام على خاص ، والمعنى دم على عبادته (قوله حتى يأتيك اليقين) أى اعبد ربك فى جميع زمن حياتك ولا تخل لحظة من عمرك من غير عبادة فان العمر ساعة فاجعله طاعة ، وهذا الخطاب وإن كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد منه العموم (قوله الموت) أى وسمى يقينا لأنه متيقن الوقوع والنزول .

[سورة النحل مكية] سميت بذلك لذكر قصة النحل فيها على سبيل العبرة العظيمة ، وتسمى أيضا سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها ، والمقصود من ذكر هذه السورة الدلالة على اتصافه تعالى بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص ، وأدلّ مافيها على هذا المعنى أمر النحلة وشأنها فى دقة فهمها واتخاذها البيت واختلاف ألوان مايخرج منها وجعله شفاء مع أكلها من كل الثمرات النافعة والضارّة الحلوة والمرة وغير ذلك (قوله إلا وإن عاقبتم) فانها نزلت بالمدينة فى قتل حمزة وظاهر المفسر أنه لم يكن منها مدنى إلا تلك الآيات وهو المشهور ، وقيل مكية إلا خمس آيات هؤلاء الثلاثة وقوله : والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا ، وقوله : ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا ، وقيل غير ذلك .

لما استبطأ المشركون العذاب نزل (أَتَى أَمْرُ اللهِ) أي الساعة وأتى بصيغة الماضي لتحقق وقوعه ، أي قرب (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) تطلبوه قبل حينه فإنه واقع لا محالة (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به غيره (يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ) أي جبريل (بِالرُّوحِ) بالوحي (مِنْ أَمْرِهِ) بإرادته (عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) وهم الأنبياء (أَنْ) مفسرة (أَنْذِرُوا) خوّفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) خافون (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أي محقا (تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به من الأصنام (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ) منيّ إلى أن صيره قويا شديدا (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) شديد الخصومة (مُبِينٌ) بيّنها في نفي البعث قائلا من يحيي العظام وهي رميم (وَالْأَنْعَامَ) الإبل والبقر والغنم ونصبه بفعل مقدر يفسره (خَلَقَهَا لَكُمْ) في جملة الناس (فِيهَا دِفْءٌ) ما تستدفئون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها (وَمَنَافِعُ) من النسل والدرّ والركوب (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) قدم الظرف للفاصلة ،

(قوله لما استبطأ المشركون العذاب الخ) قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى ـ اقتربت الساعة وانشق القمر ـ قال الكفار بعضهم لبعض إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم عليه حتى تنظروا ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئاً فنزل ـ اقترب للناس حسابهم ـ فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزل ـ أتى أمر الله ـ فوثب النبيّ صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رءوسهم وظنوا أنها قد جاءت حقيقة فنزل ـ فلا تستعجلوه ـ فاطمأنوا (قوله أي الساعة) مشى المفسر على أن المراد بأمر الله القيامة وهو أحد قولين ، وقيل المراد بأمر الله عقوبة المكذبين في الدنيا بالسيف (قوله وأتى بصيغة الماضي) أي على سبيل المجاز في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الإتيان في المستقبل بالاتيان في الماضي بجامع تحقق الحصول في كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاتيان في الماضي أتى بمعنى يأتي (قوله فانه واقع لا محالة) أي ولا مفرّ لكم منه (قوله عما يشركون) تنازعه كل من سبحانه وتعالى وقوله غيره قدره إشارة إلى أن مفعول يشركون محذوف (قوله أي جبريل) أي وجمع تعظيما له (قوله بالوحي) أي وسمي روحا لأن به حياة القلوب الناشىء عنه السعادة الأبدية ومن حاد عنها فهو هالك كما أن الروح بها حياة الأجسام وهي بدونها هالكة (قوله بارادته) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمر الارادة ومن بمعنى الباء

(قوله أن مفسرة) أي وضابطها تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله : ينزل الملائكة بالروح (قوله خوفوا الكافرين) أي بعد إعلامهم بالتوحيد (قوله بالعذاب) قدره إشارة إلى أن معمول الانذار محذوف وقوله أنه لا إله إلا أنا معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله وأعلموهم (قوله فاتقون) أي امتثلوا أوامري واجتنبوا نواهيّ ففيه تنبيه على الأحكام الفرعية بعد التنبيه على التوحيد (قوله أي محقا) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور في محل نصب على الحال (قوله تعالى عما يشركون) أي تنزه عن إشراكهم به غيره (قوله خلق الانسان) أي غير آدم (قوله من نطفة) من لابتداء الغاية وقوله إلى أن صيره قويا شديدا قدّره جوابا عما يقال إن كونه خصيما مبينا لا يكون عقب خلقه من نطفة بل بعد قوّته وشدته (قوله في نفي البعث) في للسببية ، والمعنى أنه يخاصم ويجادل بسبب كونه منكرا للبعث (قوله قائلا من يحيي العظام الخ) أشار بذلك إلى ما روي « أن أبيّ بن خلف جاء بالعظم الرميم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أتظن أن الله يحيي هذا بعد ما رم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم » ففي هذه الآية ردّ على هذا الكافر ومن حذا حذوه (قوله والأنعام خلقها) هذا من جملة أدلة توحيده وتعداد نعمه ، وذلك أن الله تعالى لما ذكر خلق السموات والأرض أتبعه بذكر خلق الانسان ثم بذكر ما يحتاج إليه في ضروراته من أكل ولبس فذكر الأنعام التي يكون منها ذلك (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أن الخطاب في لكم لقريش ولو حمل على العموم كما هو الواقع لاستغنى عن ذلك (قوله فيها دفء) هو بوزن حمل يطلق على كل ما يستدفأ به من ملبوس ومأكول (قوله وأصوافها) أي وأوبارها (قوله ومنافع) عطف عام على خاص (قوله والدرّ) أي اللبن (قوله والركوب) أي بالنسبة للمجموع (قوله للفاصلة) أي لا للحصر فان الانسان قد يأكل من غيرها وليس منهيا عنه قال تعالى : قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق .

(قوله ولكم فيها) أي الأنعام (قوله حين تريحون) قدم الإراحة على التسريح مع أنه خلاف الواقع لأن الجمال في الرواح أعظم منه في وقت التسريح لأن النعم تقبل من المرعى مملوءة البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى المرعى فإنها تخرج جائعة البطون ضامرة الضروع وأكثر ما تكون هذه الإراحة أيام الربيع لحسن النعم إذ ذاك (قوله وتحمل) أي النعم والمراد بها خصوص الإبل (قوله أثقالكم) جمع ثقل وهو ما يحتاج إليه من آلات السفر والأحمال الثقيلة (قوله إلى بلد لم تكونوا بالغيه الخ) المراد أي بلد بعيد مكة أو غيرها . وقال ابن عباس أريد بها اليمن ومصر والشام . وقال عكرمة مكة والظاهر أنه عام لكل بلد بعيد كما علمت (قوله إلا بشق الأنفس) أي تعبها (قوله والخيل) معطوف على الأنعام ولذا قدر المفسر خلق (قوله والبغال) جمع بغل وهو المتولد بين الخيل والحمير (قوله مفعول له) أي لأجله وجر الأول باللام لأن الفاعل مختلف ففاعل الخلق هو الله وفاعل الركوب المخلوق (قوله بهما) أي الركوب والزينة (قوله لا ينافي خلقها لغير ذلك) أي فلا يفيد الحصر في الركوب والزينة بل خلقها للأكل أيضا وبذلك أخذ الشافعي ، وأما عند الأئمة الثلاثة فأكل الخيل حرام كباقي الدواب ، واستدلوا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب ، فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان أولى بالذكر فلما لم يذكره الله علمنا تحريمه ولأن الله خص الأنعام بالأكل حيث قال ـ ومنها تأكلون ـ وخص هذه بالركوب فقال ـ لتركبوها ـ فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل وفي الحقيقة الآية ليست صريحة في نهي ولا جواز

وإنما مستند الأئمة السنة فمن حرم لحم الخيل حمل الحديث الصحيح على النسخ أو الاضطرار ومن جوزها قال الأصل عدم الاضطرار أو النسخ (قوله بحديث الصحيحين) أي وهو ما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت : نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه (قوله من الأشياء العجيبة) أي كالطيور والسباع والوحوش وغيرها من الحيوانات (قوله وعلى الله) أي تفضلا وإحسانا (قوله أي الطريق المستقيم) أي طريق الهدى والحق وتبيينها بإرسال الرسل وإنزال الكتب (قوله ومنها جائر) أي سبيل جائر وهو سبيل الضلال والكفر والجور العدول عن الاستقامة (قوله ولو شاء لهداكم أجمعين) أي وصلكم إلى الطريق المستقيم بأجمعكم ولكنه لم يشأ ذلك فلم يحصل لما سبق في علمه أن الجنة لها أهل وأن النار لها أهل (قوله هو الذي أنزل من السماء ماء) لما ذكر سبحانه وتعالى منته على بني آدم بخلق الحيوانات الخاصة بهم أعقبه بذكر نعمة عامة لكل الحيوانات آدميين وغيرهم وهي إنزال الماء من السماء الناشىء عنه النباتات التي ينتفع بها جميع الحيوانات (قوله لكم) الجار والمجرور صفة لماء وقوله : منه شراب مبتدأ وخبر . إن قلت إنه ليس خاصا ببني آدم بل هو عام لكل حيوان . أجيب بأن بني آدم هم المقصودون بالذات وغيرهم بالتبع والضمير في منه عائد على الماء : أي تشربون من ماء السماء . إن قلت إن غالب الشرب يكون من السحاب والأنهار والعيون وهي بالأرض . أجيب بأن أصل الماء الكائن في الأرض من السماء لقوله تعالى ـ وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض ـ (قوله ومنه شجر) المراد بالشجر هنا مطلق النبات سواء كان له ساق أم لا (قوله ينبت بسببه) أشار بذلك إلى أن من الثانية للسببية وأما الأولى فهي ابتدائية (قوله ينبت لكم به الزرع) المراد به الحب الذي يقتات وقدمه لأن به قوام البدن وثنى بالزيتون لأنه إدام ودهن وثلث بذكر النخيل لأنه غذاء وتفكه ، وأخر الأعناب لأنها تشبه النخيل في ذلك .

(وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ) زينة (حِينَ تُرِيحُونَ) تردونها إلى مراحها بالعشي (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) تخرجونها إلى المرعى بالغداة (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ) أحمالكم (إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ) واصلين إليه على غير الإبل (إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) بجهدها (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) بكم حيث خلقها لكم (وَ) خلق (الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً) مفعول له والتعليل بهما لتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) من الأشياء العجيبة الغريبة (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) أي بيان الطريق المستقيم (وَمِنْهَا) أي السبيل (جَائِرٌ) حائد عن الاستقامة (وَلَوْ شَاءَ) هدايتكم (لَهَدَاكُمْ) إلى قصد السبيل (أَجْمَعِينَ) فتهتدون إليه باختيار منكم (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ) تشربونه (وَمِنْهُ شَجَرٌ) ينبت بسببه (فِيهِ تُسِيمُونَ) ترعون دوابكم (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ)

ومن

(قوله ومن كل الثمرات) عطف عام على خاص (قوله المذكور) أى من إنزال الماء وإنبات النبات (قوله لآية) ذكر لفظ الآية في هذه السورة سبع مرات خمس بالافراد وثنتان بالجمع ، والحكمة فى ذلك أن ما جاء بلفظ الافراد فباعتبار المدلول الذى هو وحدانية الحق ، وما جاء بلفظ الجمع فباعتبار الدليل فان فى كل شىء آية تدل على أنه الواحد (قوله وسخر لكم الليل والنهار) لما ذكر النعم الكائنة فى العالم السفلى أعقبه بذكر النعم الكائنة فى العالم العلوى وكل ذلك لنفع العالم وتمام نظامه (قوله بالنصب) أى فى الشمس والقمر والنجوم مسخرات قراءتان سبعيتان الرفع والنصب (قوله مسخرات بأمره) أى مذللات بارادته فهو سبحانه وتعالى المؤثر فى العالم العلوى والسفلى فلا تتحرك ذرة فى الدنيا ولا تسكن إلا بتأثير الله فيها ، وإنما هذه الأشياء أسباب عادية يوجد النفع عندها لابها ، ففى هذه الآية رد على القائلين إن العالم العلوى هو المؤثر فى العالم السفلى بطبع أو علة (قوله بالنصب حال) أى مؤكدة لعاملها وهو سخر (قوله لقوم يعقلون) عبرهنا بالعقل إشارة إلى أن العالم العلوى مغيب عن الأبصار فيحتاج المتأمل فيه لمزيد العقل بخلاف العالم السفلى فهو مشاهد فيكفى فيه أدنى تأمل وتعقل والأسلم أن يقال إن التغاير فى هذا وما قبله وما بعده تفنن فى التعبير دفعا للثقل وإشارة إلى أن من اتصف بواحد منها فقد اتصف بجميعها (قوله وما ذرأ) معطوف على الليل ولذا قدر المفسر الفعل (قوله من الحيوان والنبات) فهى مذللة لبنى آدم ينتفعون بها ولا يعجزون عنها (قوله وغير ذلك) أى كالأحجار والمعادن والأنهار (قوله مختلفا ألوانه) أى وطعومه (قوله وهو الذى سخر البحر) أى عذبا وملحا (قوله لركوبه) أى بالسفن والعوم (قوله والغوص) أى النزول فيه (قوله لحما طريا) وصف بالطراوة لانه يسرع إليه الفساد وحكمة ذلك انتفاع الناس به وعدم عزته عن الفقراء وإلا فلو كان يمكث من غير فساد لادخره الأغنياء وحرموا منه الفقراء (قوله وتستخرجون منه) أى البحر وهو المالح فقط (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف (قوله عطف على لتأكلوا) أى وما بينهما اعتراض (قوله بالتجارة) أى فيسافرون لها فى البحر ويقدمون فى أقل زمن (قوله أن تميد) قدر المفسر لا ، ليصح الكلام لأن جعل الجبال فى الأرض لأجل عدم الميد لا لأجل حصوله ، والمراد بالميد الميل والتحرك والاضطراب (قوله طرقا) أى فى الجبال (قوله وعلامات) أى أمارات (قوله وبالنجم) المراد به الثريا وبنات نعش والفرقدان والجدى فيهتدى بها إلى الطريق والقبلة (قوله أفمن يخلق كمن لايخلق) أى أتسوون بين الخالق لتلك الأشياء العظيمة والنعم الفخيمة وبين من لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره والكلام على القلب ، والتقدير أفمن لايخلق كمن يخلق لأنهم يشبهون من لايخلق بمن يخلق فى العبادة وإنما أتى بالعبارة مقلوبة زيادة فى التشنيع عليهم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى .

وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَةً) دالة على وحدانيته تعالى (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى صنعه فيؤمنون (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ) بالنصب عطفا على ماقبله والرفع مبتدأ (وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ) بالوجهين (مُسَخَّرَاتٍ) بالنصب حال والرفع خبر (بِأَمْرِهِ) بإرادته (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَ) سخر لكم (مَاذَرَأَ) خلق (لَكُمْ فِي الْأَرْضِ) من الحيوان والنبات وغير ذلك (مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ) كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ) ذلله لركوبه والغوص فيه (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) هى اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى) تبصر (الْفُلْكَ) السفن (مَوَاخِرَ فِيهِ) تمخر الماء أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (وَلِتَبْتَغُوا) عطف على لتأكلوا : تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت لـ(أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِكُمْ ، وَ) جعل فيها (أَنْهَارًا) كالنيل (وَسُبُلًا) طرقا (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم (وَعَلَامَاتٍ) تستدلون بها على الطرق كالجبال بالنهار (وَبِالنَّجْمِ) بمعنى النجوم (هُمْ يَهْتَدُونَ) إلى الطرق والقبلة بالليل (أَفَمَنْ يَخْلُقُ) وهو الله (كَمَنْ لَا يَخْلُقُ) وهو الأصنام حيث تشركونها معه فى العبادة ؟ لا (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون

(قوله وإن تعدوا نعمة الله) هذا تذكير إجمالى بعد تفصيل بعض النعم (قوله حيث ينعم عليكم مع تقصيركم) أى ولم يقطع نعمه عنكم بسبب ذلك بل وسعها عليكم (قوله والله يعلم ما تسرّون وما تعلنون) أى ما تخفون من العقائد والأعمال وما تظهرونه من ذلك (قوله بالتاء والياء) فهما قراءتان سبعيتان فى قوله تدعون فقط، وأما تسرّون وتعلنون فبالتاء الفوقية سبعية والياء التحتية شاذة (قوله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) ليس تكرارا مع قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لأنه أوّلا أفاد أنهم لا يخلقون شيئا، وهنا أفاد أنهم مع كونهم لم يخلقوا شيئا هم مخلوقون ففيه زيادة فائدة (قوله خبر ثان) أى والأول قوله يخلقون وقوله وما يشعرون خبر ثالث (قوله أى الخلق) ويصح أن يعود الضمير على الأصنام، والمعنى أن الأصنام لا تشعر متى يبعثها الله قال ابن عباس: إن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فتتبرأ من عابديها، فيأمر الله بالكل إلى النار (قوله إلهكم إله واحد) هذا نتيجة ما قبله أى فحيث ثبت أنه الخالق لتلك الأشياء المتقدم ذكرها فقد تقرر أنه المعبود المتصف بالوحدة فى الذات والصفات والأفعال فلا شريك له فيها (قوله فالذين لا يؤمنون بالآخرة) أى لا يصدقون بها وبما يحصل فيها من بعث وحساب وجزاء وهذا نتيجة (٢٨٦) قوله آتى أمر الله فلا تستعجلوه وحينئذ فيكون المعنى آتى أمر الله فآمنوا وصدقوا أخبارنا ولا تنكروها فالذين لا يؤمنون الخ (قوله متكبرون) أشار بذلك إلى أن السين مزيدة للتوكيد (قوله لاجرم) تقدم أن فيها ثلاثة أوجه أحسنها أن لا نافية ومنفيها محذوف وجرم فعل ماض بمعنى حق وثبت وأن وما دخلت عليه فى محل رفع فاعل وحينئذ يصير المعنى لا عبرة بإنكار الكفار واستكبارهم بل حق وثبت علم الله بما يسرّونه وما يعلنونه وعلى هذا فقول المفسر حقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله بمعنى أنه يعاقبهم) روى عن الحسين ابن على أنه مر بمساكين قد قدموا كسرا لهم وهم يأكلون، فقالوا الغداء يا أبا عبد الله فنزل وجلس معهم، وقال إنه لا يحب المستكبرين ثم أكل فلما فرغوا قال قد أجبتكم فأجيبونى، فقاموا معه إلى منزله فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم فانصرفوا، وفى الحديث «إن المتكبرين يحشرون أمثال الذر يوم القيامة تطؤهم الناس بأقدامهم لتكبرهم» (قوله ونزل فى النضر بن الحرث) أى فى شأنه وسببه وكان عنده كتب التواريخ ويزعم أن حديثه أحسن مما أنزل على محمد (قوله وإذا قيل لهم) القائل يحتمل أن يكون المسلمين أو الوافد عليهم أو بعضهم لبعض على سبيل التهكم فإن الكفار لا يقرّون بأنه منزل من عند الله (قوله أساطير الأولين) جمع أسطورة كأحاديث وأكاذيب وأعاجيب جمع أحدوثة وأكذوبة وأعجوبة (قوله إضلالا للناس) علة للقول (قوله فى عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام فى ليحملوا لام العاقبة والصيرورة، والمعنى أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كان عاقبتهم بذلك حملهم ذنوبهم (قوله كاملة) أى وبلاياهم التى أصابتهم فى الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون على جميع أوزارهم بخلاف بلايا المؤمنين فإنها تكفير لذنوبهم أو رفع درجات لهم فالبلايا للمجرمين عقوبات وللأبرار مكفرات وللعارفين درجات فقد يكون السابق فى علمه تعالى أن العارف لا ينال تلك الدرجة إلا بمحنة فيوصلها الله له لينال تلك الدرجة.

(وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) تضبطوها فضلا عن أن تطيقوا شكرها (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) حيث ينعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ. وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) بالتاء والياء: تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) وهم الأصنام (لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) يصورون من الحجارة وغيرها (أَمْوَاتٌ) لا روح فيهم خبر ثان (غَيْرُ أَحْيَاءٍ) تأكيد (وَمَا يَشْعُرُونَ) أى الأصنام (أَيَّانَ) وقت (يُبْعَثُونَ) أى الخلق فكيف يعبدون إذ لا يكون إلها إلا الخالق الحى العالم بالغيب (إِلَٰهُكُمْ) المستحق للعبادة منكم (إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) لا نظير له فى ذاته ولا فى صفاته وهو الله تعالى (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ) جاحدة للوحدانية (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) متكبرون عن الإيمان بها (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) فيجازيهم بذلك (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم. ونزل فى النضر بن الحرث (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا) استفهامية (ذَا) موصولة (أَنْزَلَ رَبُّكُمْ) على محمد (قَالُوا) هو (أَسَاطِيرُ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ) إضلالا للناس (لِيَحْمِلُوا) فى عاقبة الأمر (أَوْزَارَهُمْ) ذنوبهم (كَامِلَةً) لم يكفر منها شىء (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ)

(قوله ومن أوزار الذين يضلونهم) أى ويحصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم بعض أوزار الأتباع وهو السبب هذا ماقرره المفسر تبعا للبيضاوى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أن من بمعنى مثل ، والمعنى أن على الرؤساء مثل أوزار الأتباع ، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من يتبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا » (قوله بغير علم) إما حال من المفعول أى يضلون الأتباع حال كون الأتباع غير عالمين بأن الرؤساء فى ضلال بل يعتقدون أنهم على خير حيث قلدوهم أو من الفاعل والمعنى يضلون غيرهم حال كونهم غير عالمين بما يستحقونه من العذاب فى مقابلة ضلالهم وإضلالهم (قوله فاشتركوا فى الاثم) أى العقوبة فعقوبة المتبوعين بضلالهم و إضلالهم وعقوبة التابعين بالمطاوعة والتقليد ولا يعذرون بالجهل (قوله ألا ساء مايزرون) ساء فعل ماض لانشاء الذم كبئس وما اسم موصول ويزرون صلته أو نكرة موصوفة ويزرون صفة لها والعائد على كل محذوف والتقدير يزرونه والمخصوص بالذم محذوف كما أشار له المفسر بقوله حملهم هذا (قوله قد مكر الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وهو نمروذ) بضم النون وبالذال المعجمة وهو ابن كنعان وكان يدعى الألوهية وكان أعظم أهل الأرض تجبرا (قوله بنى صرحا طويلا) أى ببابل وكان طوله لجهة السماء خمسة آلاف ذراع وقيل كان طوله فرسخين (قوله الاساس) بكسر الهمزة جمع أس بضمها كرماح جمع رمح أو فتحها جمع أسس بضمتين كعنق وأعناق (قوله فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها) أى فقصفته وألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقى فأهلكهم وهم تحته (قوله فخر عليهم السقف من فوقهم)

وَمِنْ) بعض (أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ) لأنهم دعوهم إلى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا فى الاثم (أَلَا سَاءَ) بئس (مَا يَزِرُونَ) يحملونه حملهم هذا (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) وهو نمروذ بنى صرحا طويلا ليصعد منه إلى السماء ليقاتل أهلها (فَأَتَى اللَّهُ) قصد (بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ) الأساس فأرسل عليه الريح والزلزلة فهدمتها (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ) أى وهم تحته (وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من جهة لاتخطر ببالهم. وقيل هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ) يذلهم (وَيَقُولُ) لهم الله على لسان الملائكة توبيخا (أَيْنَ شُرَكَائِيَ) بزعمكم (الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ) تخالفون المؤمنين (فِيهِمْ) فى شأنهم (قَالَ) أى يقول (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) من الأنبياء والمؤمنين (إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) يقولونه شماتة بهم (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) بالكفر (فَأَلْقَوُا السَّلَمَ) انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ) شرك فتقول الملائكة (بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به .

أى سقط ونزل عليهم (قوله أى وهم تحته) تفسير لقوله من فوقهم ودفع بقوله من فوقهم مايتوهم أنهم لم يكونوا تحته (قوله وقيل هذا تمثيل لافساد ماأبرموه) أى فان الآية محمولة على العموم وليس هناك بناء حقيقة بل هو مثل ضربه الله للذين مكروا بأنبياء الله فأهلكهم الله بمكرهم فمثلهم بقوم بنوا بنيانا شديدا فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فأهلكهم (قوله على لسان الملائكة) مرور منه على القول بأن الله لا يكلم الكفار وقيل إن الله يكلمهم وقوله تعالى ـ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ـ أى كلام رحمة وتعظيم (قوله أين شركائى) أى مالهم لايحضرون معكم ليدفعوا عنكم مانزل بكم من العذاب (قوله تشاقون) بفتح النون وكسرها قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بكسر النون مع التشديد والأصل تشاقوننى فأدغم (قوله تخالفون المؤمنين) أى تنازعونهم فى شأنهم (قوله قال الذين أوتوا العلم) أى وهم فى الموقف (قوله شماتة بهم) أى فرحا بما حصل لهم جزاء لاستهزائهم بالمؤمنين فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة وظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات وعذب أهل الباطل بأنواع العذاب فعند ذلك يفرح المؤمنون بذلك و يقول رؤساء المؤمنين إن الخزى اليوم والسوء على الكافرين (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكنه مع الياء يقرأ بالامالة والملائكة فاعل والمراد بهم عزرائيل وأعوانه و إنما أنث الفعل على قراءة التاء لأن لفظ الجمع مؤنث (قوله ما كنا نعمل من سوء) إنما أنكروا ذلك رجاء أن ينفعهم

(قوله ويقال لهم) أى عند خروج أرواحهم وحينئذ فيكون المراد بالدخول شهود أرواحهم دار العذاب أو يوم القيامة والدخول على حقيقته (قوله أبواب جهنم) أى طبقاتها والمعنى ليدخل كل صنف الطبقة التى أعدت له (قوله فلبئس مثوى المتكبرين) أى مقامهم ومنزلهم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هو (قوله وقيل للذين اتقوا) مقابل قوله وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين والقائل وفود العرب القادمين على مكة للبحث عن حال القرآن وحال محمد فكانوا إذا صادفوا المسلمين سألوهم وقالوا لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا خيرا، وإذا صادفوا الكفار سألوهم وقالوا ماذا أنزل ربكم؟ قالوا أساطير الأولين، فكل إناء بالذى فيه ينضح (قوله ماذا أنزل ربكم) ماذا بجمعها اسم استفهام مفعول مقدم لأنزل وحينئذ فتكون الجملة فعلية وهو أنسب ليطابق الجواب السؤال فان الجواب جملة فعلية أيضا لأن خيرا مفعول بفعل محذوف تقديره أنزل خيرا بخلاف ما تقدم فان ما اسم استفهام وذا اسم موصول وأنزل صلته فالجملة اسمية لمطابقة الجواب فانه مرفوع باتفاق السبع وماهنا منصوب باتفاق السبع والحكمة فى رفع الأول ونصب الثانى الفرق بين جواب المقر حيث طابق بين السؤال والجواب فجعلهما من جنس واحد وجواب الجاحد حيث عدل عن السؤال فقال هو أساطير الأولين وليس من الانزال فى شىء (قوله للذين أحسنوا) هذا بيان لقوله خيرا كأنهم قالوا أنزل ربنا من أحسن فى الدنيا بالطاعة فله حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة (قوله حياة طيبة) أى وهى تختلف باختلاف الاقبال على الله وعدمه فكلما زاد العبد فى الاقبال على ربه طابت حياته فيزداد ترقيا فى القرب والمحبة والعلوم والمعارف والمشاهدة وغير ذلك من الكرامات التى تحصل له فى الدنيا وماخفى كان أعظم قال تعالى ـ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ـ (قوله ولدار الآخرة) اللام موطئة لقسم محذوف أو للابتداء مؤكدة (قوله خير من الدنيا وما فيها) أى ولو حصل له فى الدنيا غاية الرفعة والعز واسم التفضيل على بابه إن أعطى العبد النعيم فى الجنة وليس على بابه إن لم يكن من أهل الجنة إذ لاخير فى لذة بعدها النار بل كل من عظم تنعمه فى الدنيا ولم يكن مرضيا عليه فتنعمه زيادة فى عذابه قال تعالى ـ يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ـ وقال تعالى ـ ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم (قوله قال تعالى) إنما قال ذلك إشارة إلى أن جواب المؤمنين تم بقوله ولدار الآخرة خير وقوله ولنعم دار المتقين ثناء ومدح من الله لدار الآخرة التى هى خير (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله جنات عدن) أى إقامة لايطرأ عليها زوال ولافناء بل هى دائمة بأهلها على سبيل التأبيد (قوله تجرى من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها وغرفها، قال تعالى ـ من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار ـ والمراد بالأنهار المذكورة فى قوله تعالى ـ فيها أنهار من ماء غير آسن ـ الخ (قوله مايشاءون) أى يطلبون مما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين (قوله كذلك) الكاف بمعنى مثل نعت لمصدر محذوف معمول ليجزى والتقدير يجزى الله المتقين جزاء مثل ذلك الجزاء (قوله المتقين) أى الذين اجتنبوا الشرك وأل فى المتقين للاستغراق (قوله نعت) أى للمتقين (قوله تتوفاهم الملائكة) أى تقبض أرواحهم (قوله طيبين) حال من ضمير تتوفاهم وحينئذ تبشرهم الملائكة عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة فلو خير المؤمن بين الرجوع إلى الدنيا ويعطى جميع مايشتهى فيها وبين الموت لاختار الموت ولايرجع إلى الدنيا لشهوده حقارة الدنيا بالنسبة لما رآه مهيأ له (قوله عند الموت) أى لما ورد « إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال له السلام عليك ياولى الله، الله يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة »

ويقال لهم (فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ . وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالإيمان (فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ) حياة طيبة (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ) أى الجنة (خَيْرٌ) من الدنيا وما فيها ، قال تعالى فيها (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) هى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة مبتدأ خبره (يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ) الجزاء (يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ) نعت (تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ) طاهرين من الكفر (يَقُولُونَ) لهم عند الموت (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) .

ويقال

(قوله فى الآخرة) هذا أحد قولين وقيل إن القول المذكور يكون عند خروج الروح ويكون الأمر بالدخول للروح دون الجسم ويشهد له قوله تعالى: ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك الآية بناء على أن هذه المقالة تقال للمؤمن عند خروج روحه (قوله بما كنتم تعملون) الباء سببية وما اسم موصول والعائد محذوف والتقدير بسبب الذى كنتم تعملونه (قوله هل ينظرون) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى ولذا فسره بما النافية والمعنى لاينتظر الكفار إلا أحد أمرين إما نزول الموت بهم أوحلول العذاب وأو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أو القيامة) أولحكاية الخلاف (قوله وما ظلمهم الله) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله كذبوا رسلهم فأهلكوا (قوله فأصابهم) معطوف على فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض (قوله أى جزاؤها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والأصل فأصابهم جزاء سيئات ماعملوا (قوله ما كانوا به يستهزءون) أى جزاء الذين كانوا به يستهزءون (قوله وقال الذين أشركوا الخ) هذا كلام صحيح فى حد ذاته لكنهم توصلوا به إلى أمر باطل. وحاصل ذلك أنهم قالوا لو شاء الله عدم عبادتنا لغيره لحصل لكن وقعت منا العبادة لغيره فهى بمشيئته فهو راض بها واعتقدوا أن الارادة لازمة للرضا فى حقه تعالى وهو اعتقاد باطل. وحاصل الرد عليهم أن يقال إن الارادة لاتستلزم الرضا بل قد يريد شيئا ولايرضى به لتنزهه عن الأغراض فى الأحكام والأفعال فلا تقاس أفعال الله على أفعال العباد وذلك لأن ما يغضب الله لايصل له منه ضرر وما يرضيه لايصل له منه نفع بل معنى ذلك أنه يعاقب على مايغضبه و يثيب على مايرضيه بخلاف العباد فرضاهم لازم لارادتهم لأن مايرضيهم يحصل لهم به النفع فهو واقع منهم بارادتهم وما يغضبهم يحصل لهم به الضرر فهو غير واقع بارادتهم والكفار قد سوّوا بين الخالق والمخلوق فقالوا ماقالوا والمقصود من هذه الشبهة إبطال إرسال الرسل وجعله عبثا تعالى الله عن ذلك (قوله من دونه من شىء) من الأولى ابتدائية والثانية زائدة (قوله فهو راض به) هذا هو محط شبهتهم التى رتبوا ماذكر عليها (قوله الابلاغ البين) أشار بذلك إلى أن البلاغ مصدر بمعنى الابلاغ (قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) أى فلاخصوصية لك (قوله أى بأن اعبدوا) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية والضابط موجود لتضمن البعث معنى القول (قوله واجتنبوا الطاغوت) أى تباعدوا عن عبادة الطاغوت والمراد بالطاغوت قيل كل مايعبد من دون الله وقيل الشيطان (قوله فلم يؤمن) أفرد باعتبار لفظ من وفى نسخة فلم يؤمنوا بالجمع مراعاة للمعنى (قوله فسيروا) أمر لأهل مكة بالسير والنظر فى أحوال من تقدمهم (قوله كيف كان عاقبة المكذبين) أى مآلهم وآخر أمرهم على أى كيفية (قوله رسلهم) قدره إشارة إلى أن قوله للمكذبين مفعوله محذوف (قوله وقد أضلهم الله) الجملة حالية.

(٢٨٩)

ويقال لهم فى الآخرة (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. هَلْ) ما (يَنْظُرُونَ) ينتظر الكفار (إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ) لقبض أرواحهم (أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ) العذاب أو القيامة المشتملة عليه (كَذَٰلِكَ) كما فعل هؤلاء (فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بإهلاكهم بغير ذنب (وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) أى جزاؤها (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى العذاب (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا) من أهل مكة (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) من البحائر والسوائب فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به، قال تعالى (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أى كذبوا رسلهم فيما جاءوا به (فَهَلْ) فما (عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الابلاغ البين وليس عليهم هداية (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا) كما بعثناك فى هؤلاء (أَنِ) أى بأن (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) الأوثان أن تعبدوها (فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ) فآمن (وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ) وجبت (عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ) فى علم الله فلم يؤمن (فَسِيرُوا) يا كفار مكة (فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) رسلهم من الهلاك (إِنْ تَحْرِصْ) يا محمد (عَلَىٰ هُدَاهُمْ) وقد أضلهم الله،

(قوله لاتقدر على ذلك) هذا هو جواب الشرط وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله لايهدى من يضل) الجملة خبر إن والرابط ضمير مقدر فى يضل تقديره من يضله والظاهر أن هذا الرابط هو فاعل يضل العائد على الله وأما الضمير المفعول الذى هو الهاء فانه عائد على من ولا ربط فيه (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان ، والمعنى أن من أراد الله إضلاله فلا تمكن هدايته فلا تتعب نفسك فى هداه . إن قلت إن التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليف بالمستحيل . أجيب بأنه لايسئل عما يفعل (قوله وما لهم من ناصرين) أى من يريد إضلاله لامانع له من عذاب الله إذا نزل به (قوله وأقسموا بالله) أى حلفوا به وقوله جهد أيمانهم أى لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وآلهتهم فاذا كان الأمر عظيما حلفوا بالله (قوله أى غاية اجتهادهم) أى فالمراد بالجهد بالفتح الطاقة فقولهم الجهد بالفتح المشقة و بالضم الطاقة بحسب الغالب (قوله قال تعالى) أى ردا لمقالتهم (قوله مصدران مؤكدان) أى للجملة القدرة بعد بلى (قوله أى وعد ذلك الخ) الأوضح أن يقول أى وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله لايعلمون ذلك) أى أنهم يبعثون لجهلهم (قوله المقدر) أى بعد بلى (قوله من أمر الدين) أى وهو البعث (قوله بتعذيبهم الخ) متعلق بيبين والمعنى ليميز لهم الأمر الذى يختلفون فيه باثابة المطيع وتعذيب العاصى (قوله وليعلم) معطوف على ليبين (قوله لشىء) تسميته شيئا باعتبار مايئول إليه و إلا فالمعدوم لايسمى شيئا (قوله والآية لتقرير القدرة على البعث) أى فهى رد على من قال إن الله لايبعث من يموت والأمر كناية عن سرعة الايجاد عند تعلق الارادة بالايجاد وليس ثم كاف ولا نون و إلا لزم إما خطاب المعدوم حال عدمه وهو لا يعقل أو تحصيل الحاصل إن كان الخطاب له بعد وجوده وكلا الأمرين محال

لاتقدر على ذلك (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي) بالبناء للفاعل والمفعول (مَنْ يُضِلُّ) من يريد إضلاله (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من عذاب الله (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) أى غاية اجتهادهم فيها (لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ) قال تعالى (بَلَى) يبعثهم (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر أى وعد ذلك وحقه حقا (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (لِيُبَيِّنَ) متعلق بيبعثهم المقدر (لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ) مع المؤمنين (فِيهِ) من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) فى إنكار البعث (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ) أى أردنا إيجاده وقولنا مبتدأ خبره (أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون وفى قراءة بالنصب عطفا على نقول والآية لتقرير القدرة على البعث (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) لاقامة دينه (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) بالأذى من أهل مكة وهم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) ننزلهم (فِي الدُّنْيَا) دارا (حَسَنَةً) هى المدينة (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ) أى الجنة (أَكْبَرُ) أعظم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أى الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ماللمهاجرين من الكرامة لوافقوهم ، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث لايحتسبون (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) لاملائكة ، (فسئلوا

(قوله والذين هاجروا) أى انتقلوا من مكة للمدينة (قوله لإقامة دينه) أشار بذلك إلى أن فى بمعنى اللام والكلام على حذف مضافين (قوله أكبر) أى من دار الدنيا (قوله أو المتخلفون) تفسير ثان للضمير فى يعلمون (قوله لوافقوهم) جواب الشرط (قوله الذين صبروا) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أى يثقون به ويفوضون أمورهم إليه والتعبير بالمضارع لاستحضار الحال الماضية إشارة إلى أن توكلهم كان أعظم توكل وذلك أنهم خرجوا عن أموالهم وأنفسهم فى مرضاة ربهم ورضوا بالذل بدل العز وبالفقر بدل الغنى فجازاهم الله بابدال الذل عزا والفقر غنى فصاروا سادات الناس فى الدنيا والآخرة . قال البوصيرى رضى الله عنه :

مالموسى ولا لعيسى حوا ريون فى فضلهم ولا نقباء

(قوله فيرزقهم من حيث لايحتسبون) نتيجة التوكل وليست معنى التوكل (قوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) سبب نزولها أن كفار مكة قالوا ما كان الله أن يرسل رسولا من الرجال بل اللائق أن يرسل ملكا .

(قوله فاسئلوا أهل الذكر) جواب شرط مقدر دل عليه قوله إن كنتم لاتعلمون تقديره إن شككتم فى ذلك فاسئلوا (قوله إن كنتم لاتعلمون) أى على سبيل الفرض والتقدير و إلا فهم عالمون بذلك و إنما كفرهم عناد (قوله أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد) أى لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب عندهم علم بالكتب القديمة وقد أرسل الله لهم رسلا كموسى وعيسى وداود وسليمان وغيرهم وكانوا بشرا فاذا سألوهم فلا بد أن يجيبوا بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشرا فحينئذ يزول عن قلوبهم الريب والشك (قوله متعلق بمحذوف) أى جوابا لسؤال مقدر كأنه قال لم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر وهذا أحسن ماقيل هنا (قوله القرآن) إنما سمى القرآن ذكرا لأنه مشتمل على المواعظ التى بها يتذكر العاقل و يتنبه الغافل (قوله لتبين للناس مانزل إليهم) أى ما أجمل من الأحكام فبيان المجمل من القرآن تكفل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحاديثه كالشرح والتفسير للقرآن (قوله أفأمن الذين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف تقديره أعموا ولم يتفكروا فأمن الذين الخ (قوله السيئات) صفة لمقدر محذوف قدره المفسر بقوله المكرات بفتح الكاف جمع مكرة بسكونها المرة من المكر (قوله أن يخسف) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر معمول لأمن والتقدير أفأمنوا خسف الله بهم الأرض (قوله وقد أهلكوا ببدر) أى أهلك صناديدهم وهم الذين اجتمعوا فى دار الندوة (قوله يقدروا ذلك) أى الهلاك أى يعتقدوه و يظنوه وهو بدل من يكونوا والمبدل من المجزوم مجزوم أو حذفت النون تخفيفا (قوله فى تقلبهم) أى حال كونهم متقلبين فى أسفارهم (قوله أو يأخذهم على تخوف) أى يهلكهم فى حال خوفهم أو المراد بالتخوف التنقص كما قال المفسر من تخوفته إذا انتقصته ، روى أن عمر رضى الله عنه قال على المنبر ماتقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال نعم . قال شاعرنا أبو بكر يصف ناقته :

(فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم (بِالْبَيِّنَاتِ) متعلق بمحذوف أى أرسلناهم بالحجج الواضحة (وَالزُّبُرِ) الكتب (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) القرآن (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) فيه من الحلال والحرام (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فى ذلك فيعتبرون (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا) المكرات (السَّيِّئَاتِ) بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر فى الأنفال (أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) كقارون (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) أى من جهة لاتخطر ببالهم وقد أهلكوا ببدر ولم يكونوا يقدروا ذلك (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) فى أسفارهم للتجارة (فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين العذاب (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) تنقص شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع حال من الفاعل أو المفعول (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) حيث لم يعاجلهم بالعقوبة (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ) له ظل كشجر وجبل (تَتَفَيَّأُ) تميل (ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ) جمع شمال أى عن جانبيهما أول النهار وآخره (سُجَّدًا لِلَّهِ)

تخوّف الرحل منها تامكا قردا ... كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لاتضلوا قالوا وماديوانناقال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم والرحل بالحاء المهملة رحل الناقة والتامك بالفوقية السنام والقرد بفتح القاف وكسر الراء هو المرتفع أو المتراكم والنبع شجر تتخذ منه القسى والسفن بفتحتين وهو المبرد أو القدوم . والمعنى أن الرحل أثر فى سنام تلك الناقة فأكله وانتقصه كما ينتقص المبرد أو القدوم العود من الشجر (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا ولم يروا والاستفهام للتوبيخ (قوله له ظل) خرج الملك والجن (قوله تتفيؤ) أى تنتقل من جانب إلى آخر واختلف فى الفئ فقيل هو مطلق الظل قبل الزوال أو بعده وهو الموافق لمعنى الآية هنا وقيل الظل ما كان قبل الزوال والفئ ما كان بعده وقيل غير ذلك (قوله عن اليمين والشمائل) أى يمين المستقبل القبلة وشماله ، وذلك أن الشمس إذا طلعت من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فاذا ارتفعت واستوت فى وسط السماء كان ظلك خلفك فاذا مالت إلى الغروب كان ظلك عن يسارك وأفرد اليمين وجمع الشمال تفننا (قوله أى عن جانبيهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف

مضاف (قوله حال) أى من قوله ظلاله (قوله بما يراد منهم) أى من طول وقصر وتحول من جانب لآخر (قوله وهم داخرون) الجملة حالية من الضمير فى سجدا (قوله نزلوا) أى فى جمعهم بالواو والنون كالعقلاء وذلك لاتصافها بالطاعة والانقياد لله وذلك من وصف العقلاء فجمعت بالواو والنون (قوله ولله يسجد مافى السموات وما فى الأرض) أى طوعا وكرها فسجود الملائكة وغير العاقل طوعا فقط وسجود الآدميين والجن طوعا من مؤمنهم وكرها من كافرهم (قوله أى يخضع له) أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود معناه اللغوى (قوله والملائكة) عطف على مافى قوله مافى السموات (قوله تفضيلا) أى تشريفا وتعظيما (قوله يستكبرون عن عبادته) أى لايتركون عبادة ربهم ولا يتكبرون عنها (قوله حال من هم) صوابه من ربهم بدليل قوله عاليا الخ . والمعنى يخافون الله حال كونه سبحانه وتعالى مستعليا عليهم وقاهرا لهم ، فالمراد بالفوقية الاستعلاء والقهر لا الجهة لأنها مستحيلة عليه تعالى (قوله ويفعلون مايؤمرون) أى فلا يعصون ربهم أبدا بل هم ممتثلون لأمره مجتنبون لنهيه (قوله وقال الله) أى لعباده (قوله لاتتخذوا إلهين اثنين) لاناهية وتتخذوا مجزوم بحذف النون والواو فاعل وإلهين مفعول أول واثنين تأكيد له والمفعول الثانى محذوف تقديره معبودا ويعلم من النهى عن اتخاذ اثنين النهى عن اتخاذ الأكثر بالأولى (قوله إنما هو إله واحد) أتى به لاثبات الألوهية والوحدانية ، والمعنى أن المعبود لايكون إلا واحدا وإلا لم يوجد شىء من العالم قال تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقال تعالى: ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (قوله فاياى فارهبون) إياى مفعول لفعل محذوف يفسره قوله ارهبون أى ارهبوا إياى فارهبون والمعنى لاتخافوا غيرى فان النفع والضر بيدى والألوهية وصفى فلا تخشوا غيرى ولا ترجوا غيرى (قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى إلى التكلم لأنه أبلغ فى التخويف (قوله وله مافى السموات والأرض) فيه التفات من التكلم للغيبة وهذا دليل على أنه المنفرد بالألوهية والوحدانية إذ غيره لايخلو إما أن يكون فى السموات أو الأرض وكل بما فيها مملوك لله فلا يصح ولا يليق اتخاذ غيره إلها (قوله ملكا وخلقا وعبيدا) أى فجميع مافى السموات والأرض مملوكون مخلوقون له يتصرف فيهم كيف يشاء (قوله وله الدين) أى التدين والانقياد لالغيره فالطاعة لاتكون إلا لله وحده وطاعة الرسول والوالدين وأولى الأمر من طاعة الله لأمره بها (قوله والعامل فيه معنى الظرف) أى الاستقرار المفهوم من الجار والمجرور ، والمعنى استقر الدين له حال كونه دائما وهذا ظاهر على أن الدين فاعل بالجار والمجرور وأما إن جعل الدين مبتدأ مؤخرا والجار والمجرور خبرا مقدما فلا يصح ما قاله المفسر لأن العامل فى الحال هو العامل فى صاحبها والمبتدأ ليس معمولا للخبر وحينئذ فالأولى أن يجعل حالا من الضمير الكائن فى الظرف والتقدير والدين ثابت له حال كونه واصبا (قوله أفغير الله تتقون) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتركتم عبادة الله ومخافته فغير الله تتقون (قوله والاستفهام للانكار) أى والمعنى لايليق منكم أن تتقوا غيره ولا تطيعوا غيره إلا إذا كان الآمر بذلك هو الله كطاعة الوالد والرسول فى الحقيقة التقوى لله (قوله وما بكم من نعمة) أى دنيوية أوأخروية (قوله وماشرطية) أى وفعل الشرط محذوف والتقدير أيما نزل بكم وقوله فمن الله جواب الشرط وقوله من نعمة بيان لما ويرد عليه أنه لايحذف فعل الشرط إلا بعد إن فى موضعين الأول فى باب الاشتغال نحو وإن أحد من المشركين استجارك فأجره الثانى أن تكون لا النافية تالية لإن مع وجود مايدل على الشرط كقول الشاعر :

حال أى خاضعين بما يراد منهم (وَهُمْ) أى الظلال (دَاخِرُونَ) صاغرون نزلوا منزلة العقلاء (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ) أى نسمة تدب عليها أى يخضع له بما يراد منهم ، وغلب فى الاتيان بما مالايعقل لكثرته (وَالْمَلَائِكَةُ) خصهم بالذكر تفضيلاً (وَهُمْ لَايَسْتَكْبِرُونَ) يتكبرون عن عبادته (يَخَافُونَ) أى الملائكة حال من ضمير يستكبرون (رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) حال من هم أى عالياً عليهم بالقهر (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) به (وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ) تأكيد (إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ) أتى به لاثبات الالهية والوحدانية (فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) خافون دون غيرى وفيه التفات عن الغيبة (وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلكاً وخلقاً وعبيداً (وَلَهُ الدِّينُ) الطاعة (وَاصِباً) دائما حال من الدين والعامل فيه معنى الظرف (أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ) وهو الإله الحق ولا إله غيره والاستفهام للانكار والتوبيخ (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ) لا يأتى بها غيره وما شرطية ،

فإن لم توجد لا أو كانت الأداة غير إن لم يحذف إلا لضرورة فالأحسن الاعراب الثانى (قوله أو موصولة) أى بمعنى الذى والجار والمجرور متعلق بمحذوف صلة ما ومن نعمة بيان لما وهو مبتدأ وخبره قوله ـ فمن الله ـ والفاء زائدة فى الخبر لتضمن المبتدإ معنى الشرط ، والمعنى أن الله هو مولى النعم لا غيره وتسمية غيره منعما باعتبار أن النعم أجريت على يده وهو مظهر لها (قوله تجأرون) من الجؤار بوزن غراب وهو رفع الصوت بالدعاء فى كشف مانزل من الضر (قوله ثم إذا كشف الضر عنكم) أى أزاله بإيصال النفع لكم (قوله ليكفروا) اللام لام كى وهى متعلقة يشركون أولام العاقبة والصيرورة أولام الأمر للتهديد (قوله أمر تهديد) أى تخويف (قوله عاقبة ذلك) أى وهى الخلود فى النار (قوله لأنها لاتضر ولا تنفع) أشار بذلك إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وهى الأصنام) تفسير لما ، والمعنى ويجعل المشركون للأصنام التى لايعلمون

أو موصولة (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ) أصابكم (الضُّرُّ) الفقر والمرض (فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ) ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره (ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعمة (فَتَمَتَّعُوا) باجتماعكم على عبادة الأصنام أمر تهديد (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك (وَيَجْعَلُونَ) أى المشركون (لِمَا لَا يَعْلَمُونَ) أنها لاتضر ولا تنفع وهى الأصنام (نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) من الحرث والأنعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا (تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ) سؤال توبيخ وفيه التفات عن الغيبة (عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ) على الله من أنه أمركم بذلك (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ) بقولهم الملائكة بنات الله (سُبْحَانَهُ) تنزيها له عما زعموا (وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ) أى البنون والجملة فى محل رفع أو نصب بيجعل ، المعنى يجعلون له البنات التى يكرهونها وهو منزه عن الولد ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونها فيختصون بالأسنى كقوله : فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى) تولد له (ظَلَّ) صار (وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) متغيرا تغير مغتم (وَهُوَ كَظِيمٌ) ممتلئ غما فكيف تنسب البنات إليه تعالى (يَتَوَارَى) يختفى (مِنَ الْقَوْمِ) أى قومه (مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ) خوفا من التعيير مترددا فيما يفعل به (أَيُمْسِكُهُ) يتركه بلا قتل (عَلَى هُونٍ) هوان وذل (أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ) بأن يئده (أَلَا سَاءَ) بئس (مَا يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتى هى عندهم بهذا المحل (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) أى الكفار (مَثَلُ السَّوْءِ) أى الصفة السوأى بمعنى القبيحة وهى وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ،

منها نفعا ولا ضرا نصيبا الخ (قوله من الحرث) بيان لما والمراد بالحرث الزرع (قوله بقولهم) متعلق بيجعلون (قوله وفيه التفات عن الغيبة) أى لزيادة التوبيخ عليهم (قوله بقولهم الملائكة بنات الله) أى وليس المراد بالبنات بناتهم التى يلدونها لأنهم يعترفون بأنها منسوبة لهم فلايضيفونها لله وإنما البنات التى يضيفونها لله هى الملائكة والقائل ذلك كنانة وخزاعة (قوله والجملة فى محل رفع) المناسب أن يقول مستأنفة لأن لهم خبر متقدم ومامبتدأ مؤخر لامحل لها من الاعراب (قوله أونصب بيجعل) أى بالعطف على معمولى يجعل فإن قوله لهم معطوف على لله ومامعطوفة على البنات مسلط عليهما يجعل وفيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز باتفاق (قوله بالأسنى) أى الأرفع والأشرف (قوله وإذا بشر أحدهم) الجملة فى محل نصب حال من الواو فى يجعلون والمراد بالبشارة الإخبار (قوله صار) أشار بذلك إلى أن ظل ليست على بابها من أنها تدل على الاقامة على تلك الصفة نهارا بل المراد منها الانتقال من حالة لأخرى (قوله من سوء مابشر به) أى من أجل سوء الأنثى التى بشر بها وسوؤها من حيث إنه يخاف عليها الزنا ويتحمل عارها وكونها لاتكتسب وغير ذلك (قوله مترددا) قدره اشارة إلى أن قوله أيمسكه الخ معمول لحال محذوفة ولايصلح أن يكون حالا لأنه جملة طلبية (قوله على هون) حال من المفعول والمعنى أيمسكه مهينا له (قوله أم يدسه) أى يخفيه (قوله بأن يئده) الوأد دفن البنت حية (قوله بهذا المحل) أى الرتبة وهى الحقارة والذل (قوله أى الصفة السوأى) أشار بذلك إلى أن قوله مثل السوء من اضافة الموصوف لصفته والسوأى بضم السين والقصر بوزن طوبى .

(قوله ولله المثل الأعلى) أى فصفات الله أعلى الصفات وصفات الكفار أخسها حيث ينسبون لله ما يكرهون لأنفسهم مع كونه منزها عن صفات الحوادث (قوله وهو العزيز فى ملكه) أى الغالب فلا يعجزه شىء (قوله الحكيم فى خلقه) أى يضع الشىء فى محله (قوله ولو يؤاخذ الله الناس الخ) أى لو يعجل الله للناس العقوبة بسبب عصيانهم لم يبق أحدا (قوله ماترك عليها) الضمير عائد على الأرض المفهومة من السياق لأن الدابة مادب على وجه الأرض (قوله من دابة) من زائدة فى المفعول ووجه هلاك الجميع أن الله تعالى يمسك السماء عن المطر والأرض عن النبات فاذا حصل ذلك هلك كل مرزوق لأن كل دابة محتاجة للقوام فاذا أمسك قوامها هلكت عن آخرها وهو أقرب مايقال فى ذلك (قوله ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أى ولكن سبقت حكمة الله بأن الدنيا تصير عمارا إلى أن تنقضى المدة التى قدرها الله تعالى فاذا كان كذلك فلا يعاجلهم بالعقوبة بل يوفيهم أرزاقهم وآجالهم لغلبة الرحمة على الغضب فلو عاجلهم بالعقوبة لكان الغضب غالبا على الرحمة وهو خلاف ماسبق علمه به (قوله ولايستقدمون) أى لايتقدمون على الأجل المعين الذى حضر . إن قلت إنه لايحسن ترتبه على الشرط لأن الأجل إذا جاء لايتوهم التقدم عليه إذ هو مستحيل ولا ينفى إلا مايتوهم ثبوته . أجيب بأن قوله ولايستقدمون معطوف على جملة الشرط وجوابه كأنه قال فاذا جاء أجلهم لايستأخرون عنه ساعة و إذا لم يجىء لايستقدمون عليه (قوله ويجعلون لله ما يكرهون) هذا من جملة صفات السوء (قوله والشريك فى الرياسة) أى وهو الأصنام جعلوها شركاء لله فى الألوهية التى هى أعلى أوصاف الرياسة (قوله واهانة الرسل) أى كما أهانوا رسول الله فهم يكرهون البنات والشريك فى الرياسة واهانة رسلهم ويجعلون ما يكرهونه لله فينسبون لله البنات و يشركون مع الله

(وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) الصفة العليا وهو أنه لا إله إلا هو (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى خلقه (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ) بالمعاصى (مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا) أى الأرض (مِن دَابَّةٍ) نسمة تدب عليها (وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه (سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) عليه (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) لأنفسهم من البنات والشريك فى الرياسة و إهانة الرسل (وَتَصِفُ) تقول (أَلْسِنَتُهُمْ) مع ذلك (الْكَذِبَ) وهو (أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ) عند الله أى الجنة لقوله : ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى . قال تعالى (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ) متروكون فيها أو مقدمون إليها وفى قراءة بكسر الراء أى متجاوزون الحد (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ) رسلا (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) السيئة فرأوها حسنة فكذبوا الرسل (فَهُوَ وَلِيُّهُمُ) متولى أمورهم (الْيَوْمَ) أى فى الدنيا (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الآخرة ، وقيل المراد باليوم يوم القيامة على حكاية الحال الآتية أى لاولىّ لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه ،

فكيف

فى الألوهية غيره و يهينون رسول الله (قوله الكذب) مفعول به وقوله أن لهم الحسنى بدل كل من كل . والمعنى وتقول ألسنتهم زيادة على ماسبق منهم إن لهم الحسنى (قوله لقوله) دليل لقوله عند الله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم وتبكيتا لهم (قوله لاجرم) تقدم أن لانافية لمعنى ماقبلها وجرم بمعنى حق وثبت وأن وما دخلت عليه فى محل رفع فاعل . والمعنى لاعبرة بقولهم الكذب بل حق وثبت كون النار لهم وتركهم فيها وتقدم أن قول المفسر حقا مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره حق حقا (قوله أو مقدمون إليها) أى معجلون إليها قبل غيرهم (قوله وفى قراءة) وهى سبعية أيضا (قوله تالله لقد أرسلنا) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فزين لهم الشيطان أعمالهم) أى جعلها حسنة ليضلهم بها (قوله أى فى الدنيا) هذا أحد قولين ذكرهما المفسر وعلى هذا القول فلا يحتاج لتأويل لأن مدة الدنيا كالوقت الحاضر بالنسبة للآخرة ، وقيل المراد باليوم يوم القيامة الخ أى وعليه فاليوم مستعمل فى غير معناه الأصلى لأنه حقيقة فى الزمان الحاضر المقارن للتكلم ولذا أوله المفسر بقوله على حكاية الحال الآتية أى فعبر عن الزمان الذى لم يحصل بما هو موضوع للحاضر المقارن لتحقق حصوله فكأنه حاضر الآن (قوله أى لاولىّ لهم) أى لاناصر ولامغيث لهم غيره (قوله وهو عاجز الخ) الجملة حالية .

(قوله فكيف ينصرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالولى على هذا القول الثانى الناصر وأما على الأول فمعناه القرين المتولى إغواءهم (قوله وما أنزلنا الخ) هذا من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله من أمر الدين) أى كالتوحيد وأحكام العبادات والمعاملات وغير ذلك (قوله وهدى) أى من الضلال (قوله ورحمة) أى إحسانا (قوله لقوم يؤمنون) خصهم لأنهم المنتفعون به دون غيرهم . قال تعالى — وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلاخسارا — (قوله والله أنزل من السماء ماء) شروع فى ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله دالة على البعث) أى لأن القادر على إحياء الأرض بالماء بعد يبسها قادر على إعادة الأجسام بعد تفرقها وانعدامها (قوله سماع تدبر) أى فالمراد بالسماع سماع القلوب لاسماع الآذان (قوله وإن لكم فى الأنعام) فى للسببية . والمعنى وإن لكم بسبب الأنعام لعبرة الخ (قوله لعبرة) أى اتعاظا وتذكارا يعتبر بها المعتبر ويستدل على أن الله هو الرحمن الرحيم الفعال لما يريد (قوله بيان للعبرة) أى لمتعلقها وهو المعتبر به (قوله مما فى بطونه) من للتبعيض وقوله من بين فرث من ابتدائية كما قال المفسر . والمعنى نسقيكم بعض الذى فى بطونه لبنا خالصا ناشئا من بين فرث ودم وذكر الضمير فى بطونه هنا مراعاة للفظ الأنعام وأنثه فى سورة المؤمنون مراعاة للمعنى الذى هو جماعة الأنعام لأن الأنعام اسم جمع (قوله ثفل الكرش) بضم المثلثة وسكون الفاء والكرش بوزن الكبد (قوله لبنا) مفعول ثان لنسقيكم والأول هوالكاف (قوله وهو بينهما) وذلك لأن البهيمة إذا أكلت العلف طبخه الكرش فيجعل الله أسفله فرثا وأوسطه لبنا خالصا لايشوبه شىء وأعلاه دما وبينهما حاجز بقدرة الله تعالى ثم يسلط الكبد عليه فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى الكرش فينزل من مخرجه روثا (قوله سهل المرور) أى ولذا جعل غذاء لصغار الحيوانات التى ترضعها أمهاتها ولعظم مزيته يقال عقب أكله اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه بخلاف غيره من الأطعمة فيقال وعوضنا خيرا منه (قوله ومن ثمرات النخيل) خبر مقدم والمبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله ثمر وقوله تتخذون نعت لذلك المحذوف والضمير فى منه عائد على ذلك المحذوف (قوله خمرا) أى وقيل إنه اسم للخل بلغة الحبشة وقيل اسم للعصير مادام حلوا وتسميته سكرا باعتبار مايئول إليه وعلى هذين التفسيرين فالامتنان به باق لم ينسخ (قوله سميت بالمصدر) أى فالسكر مصدر سكر من باب فرح (قوله وهذا قبل تحريمها) أى لأن هذه السورة مكية وتحريم الخمر كان بالمدينة ونزلت به سورة المائدة وهى مدنية (قوله والدبس) هو عسل الرطب ويطلق على عسل العنب (قوله المذكور) أى من إخراج اللبن على هذه الكيفية واتخاذ السكر والرزق من الثمرات (قوله وأوحى ربك إلى النحل) لما ذكر سبحانه وتعالى مايدل على باهر قدرته وعظيم حكمته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب ذكر اخراج العسل الذى جعله شفاء للناس من النحل وهى دابة ضعيفة لما فيه من العجائب البديعة والأمور الغريبة وكل هذا يدل على وحدانية الصانع وقدرته وعظمته (قوله إلى النحل) هو اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالتاء كنمل ونملة وشجر وشجرة ويذكر ويؤنث فمن التأنيث قوله هنا أن اتخذى ويجوز فى غير القرآن تذكيره فيقال أن اتخذ .

فكيف ينصرهم (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ) يامحمد (الْكِتَابَ) القرآن (إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ) للناس (الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ) من أمر الدين (وَهُدًى) عطف على لتبين (وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَةً) دالة على البعث (لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً) اعتبارا (نُّسْقِيكُم) بيان للعبرة (مِّمَّا فِي بُطُونِهِ) أى الأنعام (مِنْ) للابتداء متعلقة بنسقيكم (بَيْنِ فَرْثٍ) ثفل الكرش (وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا) لايشوبه شىء من الفرث والدم من طعم أو ريح أو لون وهو بينهما (سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ) سهل المرور فى حلقهم لايغص به (وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ) ثمر (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) خمرا يسكر سميت بالمصدر وهذا قبل تحريمها (وَرِزْقًا حَسَنًا) كالتمر والزبيب والخل والدبس (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَةً) على قدرته تعالى (لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)

وحى إلهام (أن) مفسرة أو مصدرية (اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) تأوين إليها (وَمِنَ الشَّجَرِ) بيوتا (وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) أى الناس يبنون لك من الأماكن وإلا لم تأو إليها (ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى) ادخلى (سُبُلَ رَبِّكِ) طرقه فى طلب المرعى (ذُلُلًا) جمع ذلول حال من السبل أى مسخرة لك فلا تعسر عليك وإن توعرت ولا تضلى عن العود منها وإن بعد، وقيل من الضمير فى اسلكى أى منقادة لما يراد منك (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ) هو العسل (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) من الأوجاع قيل لبعضها كما دل عليه تنكير شفاء أو لكلها بضميمته إلى غيره، أقول وبدونها بنيته، وقد أمر به صلى الله عليه وسلم من استطلق بطنه رواه الشيخان (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى صنعه تعالى (والله

(قوله وحى إلهام) أى هداية ورشد لاوحى نبوة إذ هى مستحيلة على غير المختصين من بنى آدم فمن أثبتها لغير النوع الانسانى فقد كفر (قوله مفسرة) أى لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه وهو قوله: أوحى (قوله أو مصدرية) أى فهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالباء، والتقدير أوحى ربك إلى النحل باتخاذها (قوله من الجبال بيوتا) أى أماكن ومن بمعنى فى: أى اتخذى فى الجبال أماكن تأوين إليها الخ، ومن عجيب قدرته تعالى أن ألهمها باتخاذ بيوت على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض وليس فيه فرج خالية ولا خلل، وألهمها الله تعالى أن تجعل عليها أميرا كبيرا نافذا حكمه فيها وهى تطيعه وهذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها خلقة يسمى يعسوب، وألهمها سبحانه وتعالى أن تجعل على كل باب خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها، وألهمها أن تخرج من بيوتها فتدور وترعى ثم ترجع إلى بيوتها ولاتضل عنها (قوله ومما يعرشون) أى وفيما يبنون لك: أى فالنحل تارة تبنى بيوتها التى هى من الشمع والماء تارة فى الجبال وتارة فى الأشجار وذلك فى النحل الوحشى وتارة تبنيه فى الخلايا وهذا فى النحل الأهلى (قوله وإلا لم تأو إليها) أى وإلا بأن لم يلهمها الله اتخاذ البيوت فى الأماكن الثلاثة لم تأو إليها فيضيع عسلها ولاينتفع به (قوله من كل الثمرات) أى حلوها ومرها طيبها ورديئها (قوله وإن توعرت) أى صعبت (قوله ولا تضلى) معطوف على قوله فلا تعسر عليك (قوله أى منقادة لما يراد منك) أى ممتثلة ولذا يقسم يعسوبها أعمالها بينها فالبعض يعمل الشمع والبعض يعمل العسل والبعض يأتى بالماء ويصبه فى البيت والبعض يبنى البيوت (قوله شراب مختلف ألوانه) أى ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من ألوان العسل، واختلف فى سبب اختلاف ألوانه فقيل بسبب اختلاف المرعى، وقيل بسبب اختلاف سن النحل فالأبيض لصغيرها والأصفر لكهلها والأحمر لمسنها ورد هذا بأنه لادليل عليه (قوله قيل لبعضها) أى الأوجاع كالبلغم والبرودة وباقى الأمراض الباردة (قوله أو لكلها) أى الأوجاع جميعها فالأمراض التى شأنها البرودة هو نافع لها بنفسه والأمراض التى شأنها الحرارة ينفع فيها مضموما لغيره ولذلك تجد غالب المعاجين لا تخلو عنه (قوله أقول وبدونها بنيته) أى بنية الشفاء الجازمة أن الله يخلق الشفاء عند استعماله لاخباره تعالى بذلك فتحصل أن فى قوله تعالى ـ فيه شفاء للناس ـ أقوالا ثلاثة: قيل شفاء لبعض الأوجاع التى شأنها البرودة، وقيل شفاء لجميعها لكن فى الأمراض الباردة يستعمل خالصا والحارة يستعمل مشوبا بغيره، وقيل شفاء لجميعها بالنية فى كل حال ولكل أحد، ولذا روى عن ابن عمر أنه كان لايشكو قرحة ولاشيئا إلا جعل عليها عسلا حتى الدمل إذا خرج طلا عليه عسلا، وحكى النقاش عن أبى وجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويتنشق بالعسل ويتداوى بالعسل (قوله وقد أمر به صلى الله عليه وسلم الخ) قد اختصر المفسر الحديث، ونصه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال «جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن أخى استطلق بطنه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال إنى سقيته عسلا فلم يزده إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال أسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ» ولاعبرة باعتراض الملحدين الذين فى قلوبهم مرض على هذا الحديث حيث قالوا: إن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال لأن الاسهال يكون من أنواع كثيرة منها الإسهال الحادث من التخم والأخلاط، وقد أجمع الأطباء على أن علاجه بالمعين على الاسهال إذ حبس الطبيعة مضر فهذ الحديث محمول على ذلك، ولذا نفعه آخرا حين نظفت المعدة وخلصت من الفضول (قوله إن فى ذلك لآية) أى دلالة على وحدانية الصانع

الحكيم القادر (قوله والله خلقكم) أى أنشأكم وأوجدكم (قوله ثم يتوفاكم) أى يميتكم (قوله ومنكم من يرد الخ) معطوف على محذوف ، والتقدير فمنكم من يبقى على قوة جسمه وعقله إلى أن يموت ومنكم الخ (قوله إلى أرذل العمر) أى أضعفه . قال بعض العلماء : عمر الانسان له أربع مراتب : أولها سن النشوء والنماء وهو من أول العمر الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد ، ثم المرتبة الثانية سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ، ثم المرتبة الثالثة سن الكهولة وهى من الأربعين إلى ستين سنة ، وفى هذه المرتبة يشرع الانسان فى النقص غير أنه يكون خفيا ، ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقد استعاذ منه صلى الله عليه وسلم حيث قال « اللهم إنى أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات » (قوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اللام لام التعليل وكى مصدرية ولا نافية وشيئا تنازعه الفعل والمصدر فأعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف ، والمعنى لأجل انتفاء علمه بالأشياء التى كان يعلمها قبل هذه الحالة فيرجع إلى مبدئه فى عدم المعرفة والعلم كالطفل الذى لايدرى شيئا (قوله من قرأ القرآن) أى عاملا به وكذلك العلماء العاملون لايصيرون بهذه الحالة بل كلما ازدادوا فى العمر ازدادوا فى العلم والمعرفة والعقل كما هو مشاهد ، ولذا قالوا أعلى كلام العارفين ماصدر منهم فى آخر عمرهم بل قالوا الرد لأرذل العمر يكون للكفار والمنهمكين فى الشهوات من عوام المؤمنين (قوله والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) المقصود من ذلك الرد على الكفار حيث جعلوا لله شريكا فى ألوهيته كأنه قال الله جعل منكم أغنياء وفقراء فالأغنياء لا ترضى أن تشرك الفقراء فى أوصافهم فكيف يجعلون لله شريكا فى صفاته مع أنه الغنى المطلق عما سواه وهذا من ثمرات قوله ويجعلون لله ما يكرهون (قوله أى الموالى) المراد بهم السادة (قوله المعنى ليس لهم شركاء) أشار بذلك إلى أن قوله فهم فيه سواء حذف منه أداة الاستفهام ، والتقدير أفهم فيه سواء ومعناه النفى : أى ليسوا مستوين فيه : أى لاترضى الأغنياء بتسوية الفقراء معهم فى غناهم ولا الموالى بتسوية العبيد معهم فى سيادتهم فكيف يجعلون وصف الألوهية لغيره تعالى (قوله أفبنعمة الله) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف وهى داخلة على الفعل ، والمعنى أيشركون به فيجحدون نعمته (قوله يكفرون) أشار بذلك إلى أنه ضمن قوله يجحدون معنى يكفرون فعداه بالباء وإلا فالجحد يتعدى بنفسه (قوله من أنفسكم) أى نوعكم وجنسكم (قوله فخلق حواء من ضلع آدم) أى الأيسر القصير (قوله بنين) لم يذكر البنات لكراهتهم لهن فلم يمتن عليهم الابما يحبونه (قوله أولاد الأولاد) أى وسموا حفدة لأنهم يخدمون أجدادهم ويسارعون فى طاعتهم لأن الحافد معناه الخادم (قوله أفبالباطل يؤمنون) يقال فيه ماقيل فيما قبله فيكون التقدير أبعد تحقق ماذكر من نعم الله يؤمنون بالباطل وهو استفهام توبيخ وتقريع (قوله ويعبدون) عطف على يكفرون (قوله مالا يملك الخ) أى أصناما لاتستطيع جلب نفع ولا دفع ضر

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ) ولم تكونوا شيئا (ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) عند انقضاء آجالكم (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) أى أخسه من الهرم والخرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بتدبير خلقه (قَدِيرٌ) على مايريده (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) فمنكم غنى وفقير ومالك ومملوك (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا) أى الموالى (بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى بجاعلى ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم (فَهُمْ) أى المماليك والموالى (فِيهِ سَوَاءٌ) شركاء ، المعنى ليس لهم شركاء من مماليكهم فى أموالهم فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) يكفرون حيث يجعلون له شركاء (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) فخلق حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً) أولاد الأولاد (وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) من أنواع الثمار والحبوب والحيوان (أَفَبِالْبَاطِلِ) الصنم (يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) باشراكهم (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ) ،

بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (شَيْئًا) بدل من رزقا (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) يقدرون على شيء وهو الأصنام (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) لاتجعلوا لله أشباها تشركونهم به (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) أن لامثل له (وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) و يبدل منه (عَبْدًا مَمْلُوكًا) صفة تميزه من الحرّ فإنه عبد الله (لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) لعدم ملكه (وَمَنْ) نكرة موصوفة أى حرا (رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا) أى يتصرف فيه كيف يشاء والأول مثل الأصنام والثانى مثله تعالى (هَلْ يَسْتَوُونَ) أى العبيد العجزة والحر المتصرف، لا (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أى أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) و يبدل منه (رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) ولد أخرس (لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) لأنه لايفهم ولا يفهم (وَهُوَ كَلٌّ) ثقيل (عَلَى مَوْلَاهُ) ولى أمره (أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ) يصرفه (لَا يَأْتِ) منه (بِخَيْرٍ) بنجح وهذا مثل الكافر (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ) أى الأبكم المذكور (وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) أى ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به و يحث عليه (وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) وهو الثانى المؤمن؟ لا، وقيل هذا مثل لله والأبكم للأصنام

(قوله بالمطر) أى بإنزاله (قوله بدل من رزقا) أى على أن الرزق اسم عين بمعنى المرزوق وفيه أن البدل إما للتوكيد أو للبيان وشيئا لايصلح لذلك، وحينئذ فالمناسب جعله صفة لمصدر محذوف مفعول مطلق لقوله يملك والتقدير مالايملك لهم ملكا شيئا أى قليلا أو كثيرا جليلا أو حقيرا (قوله تشركونهم به) أى فإن ضرب المثل تشبيه حال بحال والله منزه عن الأحوال والكيفيات، وأما ضرب المثل بمعنى تشبيه حال بعض المخلوقات بحال بعض لأجل الاستدلال على اتصافه بالكمالات فلا ينهى عنه بل ذكره الله تعالى فى كتابه وعلمنا كيفية ضربه، قال تعالى ـ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ـ الخ وقال هنا ـ ضرب الله مثلا عبدا مملوكا الخ ـ (قوله أن لامثل له) وقيل المراد أن الله يعلم كيفية ضرب الأمثال وأنتم لاتعلمون كيفيتها (قوله ضرب الله مثلا) هذا مرتب على قوله فلا تضربوا لله الأمثال، لأن المنهى عنه الأمثال التى تفيد تشبيه الله بغيره، وأما المثل الذى يفيد التوحيد فقد ضربه الله بقوله: ضرب الله مثلا الخ (قوله صفة تميزه من الحر) جواب عما يقال إن كل شخص مملوك لله حرا كان أو عبدا. فأجاب بأن المراد به الرقيق إذ الحرّ لايسمى مملوكا عرفا و إن كان يسمى عبدا لله (قوله لايقدر على شئ) أى من التصرفات. واختلف العلماء فى العبد هل يملك ماتحت يده من الأموال أولا يملكها فقال مالك إنه يملك غير أن ملكه غير تامّ، وقال الشافعى لايملك أصلا و إنما الذى تحت يده ملك سيده والآية مفروضة فى عبد لايقدر على شئ وكون العبد يملك أولا شئ آخر (قوله ومن) معطوف على عبدا (قوله حسنا) أى حلالا (قوله والأوّل مثل الأصنام والثانى مثله تعالى) أى فالمقصود من ذلك التوصل إلى إبطال الشريك والردّ على الكفار كأن الله يقول أتم لاتسوون العبد المملوك العاجز بالحرّ الغنىّ والذى

الذى يتصرّف فى ماله كيف يشاء فكيف تشركون الأصنام التى هى أضعف من العبد المملوك مع الله القادر المتصرف فى خلقه (قوله هل يستوون) أى فى الإجلال والتعظيم ولم يقل يستويان نظرا إلى تعدد أفراد كل قسم وإنما لم يجمع المفسر الحر كما جمع العبيد إشارة إلى أنه مثل متوصل به إلى توحيد الله والله تعالى واحد فأفرده تأدبا (قوله لا) هو جواب الاستفهام (قوله الحمد لله) هذا حمد من الله لنفسه فى مقام الرد على المشركين أى هو المستحق لجميع المحامد المنعم المتفضل الخالق الرازق، وأما هذه الأصنام فلا تستحق ذلك لأنها جمادات عاجزة لاتنفع ولاتضرّ (قوله فيشركون) أى يعبدون غير الله مع ظهور البراهين والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى (قوله أحدهما أبكم) أى والآخر ناطق قادر خفيف على مولاه أينما يوجهه يأت بخير وقد حذف هذا المقابل لدلالة قوله: ومن يأمر بالعدل الخ عليه (قوله ولد أخرس) المناسب تفسيره بالذى لايسمع ولايبصر ليظهر قوله لأنه لايفهم ولايفهم (قوله أينما يوجهه الخ) أين اسم شرط جازم و يوجهه فعل الشرط وقوله لايأت جواب الشرط مجزوم بحذف الياء (قوله بنجح) بضم النون بوزن قفل أى لايأت بشئ نافع (قوله ومن يأمر بالعدل) معطوف على الضمير فى يستوى والشرط موجود وهو الفصل بالضمير المنفصل (قوله وقيل هذا) أى من يأمر بالعدل.

(قوله والذى قبله) أى وهو قوله : عبدا مملوكا ومن رزقناه ، وقيل كل فى الكافر والمؤمن ، وقيل كل فى المعبود بحق والمعبود بباطل فتكون الأقوال أربعة (قوله فى الكافر والمؤمن) قيل محمول على العموم ، وقيل المراد بالكافر أبوجهل والمؤمن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وقيل غير ذلك (قوله ولله غيب السموات) هذا دليل على كمال علمه وقدرته (قوله أى علم ماغاب) أى خفى و بطن (قوله وما أمر الساعة) أى قيام الخلق من القبور (قوله إلا كلمح البصر) أى انطباق جفن العين أوفتحه (قوله لأنه بلفظ كن فيكون) فيه تسامح إذ ليس ثم كاف ولانون بل المراد سرعة الإيجاد فاذا أراد شيئا أوجده سريعا (قوله لاتعلمون) أى لاتعرفون (قوله حال) أى من الكاف فى أخرجكم (قوله وجعل لكم السمع) أفرده باعتبار كونه مصدرا فى الأصل (قوله ألم يروا) أى ينظروا بأبصارهم (قوله مسخرات) هو حال من الطير (قوله فى جو السماء) الجوّ الفضاء الكائن بين السماء الأرض . قال كعب الأحبار: إنّ الطير يرتفع فى الجوّ مسافة اثنى عشر ميلا ولايرتفع فوق ذلك (قوله عند قبض أجنحتهن) هذا يفيد أنها فى حال الطيران تقبض أجنحتها مع أنه خلاف المشاهد فالمناسب أن يقول مايمسكهن فى حال طيرانهن إلا الله فان ثقل أجسادها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا شىء تحتها يمسكها (قوله من جلود الأنعام بيوتا) أى وذلك فى بعض الناس كأهل السودان

والذى قبله فى الكافر والمؤمن (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى علم ماغاب فيهما (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) منه لأنه بلفظ كن فيكون (إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) الجملة حال (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ) بمعنى الاسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)ـه على ذلك فتؤمنون (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ) مذللات للطيران (فِي جَوِّ السَّمَاءِ) أى الهواء بين السماء والأرض (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عند قبض أجنحتهن و بسطها أن يقعن (إِلَّا اللَّهُ) بقدرته (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) هى خلقها بحيث يمكنها الطيران ، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) موضعاً تسكنون فيه (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) كالخيام والقباب (تَسْتَخِفُّونَهَا) للحمل (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) سفركم (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا) أى الغنم (وَأَوْبَارِهَا) أى الإبل (وَأَشْعَارِهَا) أى المعز (أَثَاثًا) متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية (وَمَتَاعًا) تتمتعون به (إِلَىٰ حِينٍ) يبلى فيه (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ) من البيوت والشجر والغمام (ظِلَالًا) جمع ظل تقيكم حر الشمس (وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) جمع كن وهو ما يستكن فيه كالغار والسرب (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ) قمصاً (تَقِيكُمُ الْحَرَّ) أى والبرد (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ) حربكم أى الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (كَذَٰلِكَ) كما خلق هذه الأشياء (يُتِمُّ نِعْمَتَهُ) فى الدنيا (عَلَيْكُمْ) بخلق ما تحتاجون إليه (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تُسْلِمُونَ) توحدونه (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الاسلام (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ) يا محمد (الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الابلاغ البين

فانهم يتخذون خيامهم من الجلود (قوله كالخيام) جمع خيمة والقباب جمع قبة وهى دون الخيمة (قوله تستخفونها) أى يخف عليكم حملها فى رحيلكم و إقامتكم فلاينقل عليكم حملها فى الحالين (قوله ومن أصوافها) معطوف على من جلود الأنعام وقوله أثاثا معطوف على بيوتا ولم يذكر القطن والكتان لأنهما لم يكونا ببلاد العرب (قوله كبسط) بضم الباء والسين وقد تسكن (قوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أى ماتستظلون به وذكر فى مقام الامتنان لأن بلاد العرب شديدة الحر فحاجتهم للظلال ومايدفع عنهم شدة الحر وقوله أكثر (قوله والغمام) أى السحاب (قوله جمع كن) أى غطاء ، والأكنة الأغطية ومنه : وجعلنا على قلوبهم أكنة (قوله أى والبرد) أشار بذلك إلى أن فيه حذف الواو مع ماعطفت و يسمى عند أهل المعانى اكتفاء (قوله كالدروع) أى دروع الحديد وقوله والجواشن جمع جوشن وهو الدرع فالعطف للتفسير (قوله فان تولوا) أى داموا على التولى والاعراض .

وهذا قبل الأمر بالقتال (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ) أى يقرّون بأنها من عنده (ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا) بإشراكهم (وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ. وَ) اذكر (يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) هو نبيُّها يشهد لها وعليها وهو يوم القيامة (ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) فى الاعتذار (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لايطلب منهم العتبى أى الرجوع إلى مايرضى الله (وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (الْعَذَابَ) النار (فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ) العذاب (وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون عنه إذا رأوه (وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ) من الشياطين وغيرها (قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا) نعبدهم (مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ) أى قالوا لهم (إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ) فى قولكم إنكم عبدتمونا كما فى آية أخرى: ما كانوا إيانا يعبدون، سيكفرون بعبادتهم (وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ) أى استسلموا لحكمه (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من أن آلهتهم تشفع لهم (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا) الناس (عَنْ سَبِيلِ اللهِ) دينه (زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) الذى استحقوه بكفرهم قال ابن مسعود

(قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) مراده أن هذه الآية منسوخة وفيه أنه لايظهر إلا لو قدر جواب الشرط فلا تقاتلهم مثلا، وأما لو قدر فلا عتب عليك ولا مؤاخذة لأنك لاقدرة لك على خلق الإيمان فى قلوبهم فلا يظهر النسخ لأنه لاينافى الأمر بقتالهم (قوله يعرفون نعمت الله) أى وهى ماتقدم من أول السورة إلى هنا من النعم العظيمة يقرون بأنها من عند الله ولايصرفونها فى مصارفها (قوله ثم ينكرونها) أتى بثم إشارة إلى أن إنكارهم مستبعد بعد المعرفة لأن من عرف النعمة حقه أن لاينكرها بعد ذلك (قوله وأكثرهم الكافرون) أى يموتون كفارا وأقلهم يهتدى للاسلام فإن أكثر صناديدهم مات كافرا والأقل منهم أسلم (قوله ويوم نبعث) يوم منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اذكر، والمعنى اذكر يامحمد لقومك يوم نجعل لكل أمة شهيدا أو المراد بالبعث الاحياء أى يوم نحيى من كل أمة شهيدا والأول أقرب (قوله يشهد عليها) أى بالتكذيب والكفر، وقوله ولها أى بالتصديق والايمان (قوله وهو يوم القيامة) أى لأنه ورد «أنه يؤتى بالأمم الماضية وأنبيائهم فيقال للأنبياء هل بلغتم أممكم؟ فيقولون نعم بلغنا، فيقال للأمم هل بلغكم رسلكم؟ فيقولون يا ربنا ماجاءنا من نذير فيؤتى بالأمة المحمدية فتشهد للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب، فتقول الأمم من أين آتى لكم ذلك وأنتم آخر الأمم؟ فيقولون أخبرنا نبينا بذلك عن ربنا وهو صادق عن صادق فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيزكى أمته» وأما الكفار من أمته فحين يقول يارب قد بلغتهم تنقطع حجتهم فهو مخصوص بأنه مقبول الشهادة من غير مزكٍ له (قوله ثم لايؤذن للذين كفروا) اختلف فى متعلق الاذن المنفى فقال المفسر فى الاعتذار ويدل له قوله تعالى ولايؤذن لهم فيعتذرون وقيل لايؤذن لهم فى كثرة الكلام وقيل فى الرجوع إلى الدنيا والتكاليف وقيل فى التكلم وقت شهادة الشهود بل يسكتون وقتها ولايقدر أحد منهم على التكلم إذ ذاك (قوله ولاهم يستعتبون) أى لاأزال عتباهم وهى مايعتبون ويلامون عليها يقال استعتبت فلانا بمعنى أزلت عتباه فالسين والتاء للسلب نظير الهمزة فى أعذر إليه على ألسنة المرسلين (قوله إلى مايرضى الله) أى من الرجوع إلى الدنيا والعبادة فيها (قوله فلا يخفف عنهم) أى فهم لايخفف عنهم وإنما احتيج لتقدير المبتدإ لصحة دخول الفاء لأن الفعل المضارع الصالح لمباشرة الأداة لايقرن بالفاء فاحتيج لجعلها جملة اسمية لوجود الفاء (قوله العذاب) تفسير للضمير المستتر فى الفعل (قوله وإذا رأى) أى أبصر (قوله شركاءهم) مفعول به والاضافة لأدنى ملابسة لكون الاشراك نشأ منهم وكذا يقال فى قوله هؤلاء شركاؤنا (قوله قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا) إنما قصدوا بذلك توزيع العذاب بينهم (قوله فألقوا إليهم القول) المعنى فيخلق الله الحياة والعقل والنطق فى تلك الأصنام ويقولون إنكم قد كذبتم فى عبادتكم لنا فإنكم ماعبدتمونا بل عبدتم هواكم وإنما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم لأن الأوثان لم يكونوا راضين بذلك فكأنهم لم يعبدوهم (قوله أى استسلموا) أى انقادوا بعد أن كانوا فى الدنيا متكبرين ولكن هذا الانقياد لاينفعهم (قوله من أن آلهتهم تشفع لهم) أى حيث قالوا مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى (قوله الذين كفروا) مبتدأ خبره قوله زدناهم (قوله وصدوا عن سبيل الله) أى منعوا الناس عن الدخول فى الايمان وهذه الآية تعم من يحمل الناس على الكفر ولو يقول لا إله إلا الله (قوله قال ابن مسعود) أى فى تفسير العذاب الزائد وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها ألمها

أو صيف خريفا ، وقال ابن عباس ومقاتل يعنى بزيادة العذاب خمسة أنهار من أصفر مذاب كالنار يسيل من تحت الفرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار ، وقيل إنهم يخرجون من حرّ النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدّة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها (قوله أنيابها كالنخل الطوال) أى وجسمها بالنسبة لأنيابها كجسم أعدائنا بالنسبة إلى نابه فتكون عظيمة الجثة جدّا أجارنا الله والمسلمين منها (قوله بما كانوا يفسدون) الباء سببية وما مصدرية أى بسبب كونهم مفسدين (قوله ويوم نبعث) كرر لزيادة التهديد (قوله أى قومك) هذا أحد تفسيرين ، وقيل المراد بهؤلاء الأنبياء لاستجماع شرعه لشرائعهم ، وأما كونه شهيدا على أمته فقد علم مما تقدّم لحملها عليه فيه تكرار إلا أن يقال المراد بشهادته على أمته تزكيته وتعديله لهم حق شهدوا على تبليغ الأنبياء وهذا لم يعلم مما مر مع أنه الوارد فى الحديث (قوله ونزلنا عليك) أى فى الدنيا فهو كلام مستأنف (قوله تبيانا) حال أو مفعول لأجله وهو مصدر ولم يجىء من المصادر على وزن تفعال بالكسر إلا تبيان وتلقاء وفى الأسماء كثير نحو التمساح والتمثال (قوله تبيانا) أى بيانا شافيا بليغا لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى (قوله لكل شىء) محتاج إليه من أمر الشريعة . إن قلت إنا نجد كثيرا من أحكام الشريعة لم يعلم من القرآن تفصيلا كعدد ركعات الصلاة ونصاب الزكوات وغير ذلك فكيف يقول الله تبيانا لكل شىء . أجيب بأن البيان إما فى ذات الكتاب أو بإحالته على السنة . قال تعالى ـ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ـ أو بإحالته على الاجماع . قال تعالى ـ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ـ الآية أو على القياس . قال تعالى ـ فاعتبروا يا أولى الأبصار ـ والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس فهذه أربعة طرق لا يخرج شىء من أحكام الشريعة عنها وكلها مذكورة فى القرآن فكان تبيانا لكل شىء بهذا الاعتبار (قوله للمسلمين) تنازعه كل من هدى ورحمة وبشرى

عقارب أنيابها كالنخل الطوال (بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) بصدهم الناس عن الإيمان (وَ) اذكر (يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) هو نبيهم (وَجِئْنَا بِكَ) يا محمد (شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ) أى قومك (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (تِبْيَاناً) بيانا (لِكُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةً وَبُشْرَى) بالجنة (لِلْمُسْلِمِينَ) الموحدين (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) التوحيد أو الانصاف ،

(قوله الموحدين) أى وأما الكفار فهو لهم خسران وعذاب وإنذار (قوله إن الله يأمر بالعدل) هذه الآية من ثمرات قوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء حق قال العلماء : إن لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لكفت فى البيان والهدى والرحمة لأنها آمرة بكل خير ناهية عن كل شر (قوله التوحيد) أى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وهذا التفسير وارد عن ابن عباس ، وفى رواية عنه أيضا : العدل خلع الأنداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للمرء ما تحب لنفسك ، فان كان مؤمنا تحب أن يزداد إيمانا ، وإن كان كافرا تحب أن يكون أخاك فى الاسلام وفى رواية : العدل التوحيد والاحسان الاخلاص ، وكل هذا أفاده المفسر بقوله التوحيد والانصاف أى فى كل الأمور فالانصاف فى التوحيد اعتقاد أن الله متصف بكل كمال منزه عن كل نقص والانصاف فى الاعتقاد نسبة الأفعال كلها لله ، ونسبة الكسب للعبيد خلافا للجبرية والمعتزلة ، فالفرقة الأولى نفت الكسب أصلا وقالوا العبد كالخيط المعلق فى الهواء لا فعل له أصلا وتعذيب الله له ظلم وهؤلاء كفار ، والفرقة الثانية قالوا العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية وهؤلاء فساق . وكلا المذهبين جور ، والانصاف نسبة الأفعال كلها لله خيرها وشرّها ، ظاهرها وباطنها ، ولكن من الأفعال ماهو جبرى . وهذه لا كسب للعبد فيها ، ولذا لا يثاب عليها ولا يعاقب ، ومنها ماهو اختيارى وهذه للعبد فيها نوع كسب ولذا يثاب عليه إن كان خيرا ويعاقب عليه إن كان شرا ، وهذا مذهب أهل السنة خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين والانصاف فى العبادات عدم التفريط والافراط فيها بل يكون بين ذلك قواما ، والانصاف فى النفقات أن لا يسرف ولا يقتر . قال تعالى ـ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ـ والانصاف بين عباد الله يقسم لزوجاته وينصر مظلومهم على الظالم ويعامل الخلق باللطف والرفق وغير ذلك

(قوله والاحسان) أى مع الله ومع عباده فالاحسان مع الله أداء فرائضه على الوجه الأكمل والاحسان مع عباده أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك (قوله كما فى الحديث) أى فقد سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان؟ فقال له عليه الصلاة والسلام أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك. والمعنى أن تعبد الله ملاحظا لجلاله كأنك تراه ببصرك وهذا مقام المشاهدة فان لم تصل لهذه الرتبة فلاحظ أنه يراك وأنك فى حضرته وهذا مقام المراقبة فمثل الشاهد كالبصير الجالس فى حضرة الملك فأدبه من جهتين كونه رائيا الملك وكون الملك رائيا له، ومثل المراقب كمثل الأعمى الجالس فى حضرة الملك فأدبه من جهة ملاحظته كون الملك رائيا له (قوله وإيتاء ذى القربى) أى التصدق على القريب وهو آكد من التصدق على غيره لأن فيه صدقة وصلة. قال عليه الصلاة والسلام «إن أعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم» (قوله من الكفر والمعاصى) أى فيدخل فيه الزنا وغيره فهو تعميم بعد تخصيص (قوله اهتماما به) أى لأنه أعظم المعاصى بعد الكفر، ولذا قال بعض العلماء أعجل العقوبة على المعاصى العقوبة على البغى وفى الحديث «لو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر لانتقم الله من الباغى» وفيه أيضا «الظلمة وأعوانهم كلاب النار» (قوله كما بدأ بالفحشاء كذلك) أى اهتماما به لأن فيه ضياع الأنساب والأعراض ويترتب عليه المقت والعقوبة من الله. قال تعالى ـ ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ـ (قوله يعظكم) حال من فاعل يأمر وينهى أى يأمركم وينهاكم حال كونه واعظا لكم

(وَالْإِحْسَانِ) أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه كما فى الحديث (وَإِيتَاءِ) إعطاء (ذِى الْقُرْبَى) القرابة خصه بالذكر اهتماما به (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) الزنا (وَالْمُنْكَرِ) شرعا من الكفر والمعاصى (وَالْبَغْيِ) الظلم للناس خصه بالذكر اهتماما كما بدأ بالفحشاء كذلك (يَعِظُكُمْ) بالأمر والنهى (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) تتعظون وفيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال وفى المستدرك عن ابن مسعود وهذه أجمع آية فى القرآن للخير والشر (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ) من البيع والأيمان وغيرها (إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) توثيقها (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا) بالوفاء حيث حلفتم به والجملة حال (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) تهديد لهم (وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ) أفسدت (غَزْلَهَا) ما غزلته (مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ) إحكام له وبرم (أَنْكَاثًا) حال جمع نكث وهو ما ينكث أى يحل إحكامه وهى امرأة حمقاء من مكة كانت

(قوله فى الأصل) أى فأصله تتذكرون قلبت التاء ذالا وأدغمت فى الذال (قوله هذه أجمع آية الخ) روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال أعدها يا محمد فلما قرأها قال إن له حلاوة وإن عليه طلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر» ولكونها أجمع آية استعملها الخطباء فى آخر الخطبة (قوله وأوفوا بعهد الله) هذا من جملة المأمور به على سبيل التفصيل وبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه آكد الحقوق وهذه الآية نزلت فى الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله من البيع) بكسر الباء جمع بيعة وهى المعاهدة على أمر شرعى (قوله والأيمان) جمع يمين أى وأوفوا بما حلفتم عليه ولا تحنثوا فى أيمانكم أى إذا كان فيها صلاح وإلا فالحنث خير لقوله عليه الصلاة والسلام «من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه» فهو عام مخصوص (قوله وغيرها) أى كالمواعيد فالمراد من العهد كل ما يلزم الانسان الوفاء به سواء أوجبه الله على الشخص أو التزمه الشخص من نفسه كعهود المشايخ التى يأخذونها على المريدين بأنهم يلازمون طاعة الله ولا يخالفونه فى أمر ما فالواجب على المريدين الوفاء بها حيث كانت المشايخ موزونين بميزان الشرع متصفين بالأخلاق الحميدة والأفعال السديدة (قوله بعد توكيدها) أى تغليظها والتوكيد مصدر وكد بالواو ويقال أكد بالهمزة فمصدره التأكيد وهما لغتان (قوله كفيلا) أى شهيدا (قوله والجملة حال) أى من فاعل تنقضوا (قوله ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) أى لا تنقضوا العهود التى عاهدتم عليها الخالق أو المخلوق فى غير معصية فتكونوا كالتى نقضت غزلها (قوله حال) أى أو منصوب على المصدرية لأن معنى نقضت نكثت فهو مطابق لعامله فى المعنى (قوله جمع نكث) بكسر النون (قوله وهى امرأة حمقاء) أى واسمها ريطة بنت سعد بن تيم قرشية قد اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل الأصبع

والسلام عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلنه . وقوله حمقاء أي قليلة العقل (قوله كانت تغزل) أي الصوف والوبر والشعر (قوله تتخذون) أى تصيرون وأيمانكم مفعول أول ودخلا مفعول ثان (قوله دخلا) أصل الدخل العيب فان شأنه أن يدخل فى الشئ وليس من جنسه ، والمراد به هنا الفساد والخديعة كما قال المفسر (قوله أي لأن تكون) أشار بذلك إلى أن النصب على وجه التعليل : أي لأجل أن تكون وأمة فاعل تكون على أنها تامة أو اسمها على أنها ناقصة وجملة هي أربى خبرها (قوله وكانوا) أي قريش وهو مشاهد فى أهل زماننا حيث يلتجئون لأرباب المناصب مادامو فى مناصبهم فاذا عزلوا أو نقصت مرتبتهم تركوهم ولم يلتفتوا لهم وكأنهم لم يعرفوهم وليس هذا من الايمان بل الايمان الوفاء بالعهد وعدم نقضه إن لم يكن فى بقائه عصيان الله (قوله فاذا وجدوا أكثر منهم) أي مالا أوجاها (قوله حلف أولئك) الحلف بكسر فسكون العهد يكون بين القوم (قوله لينظر المطيع) أى ليظهر لكم المطيع من غيره فان المطيع يدوم على العهد والود وان ذهبت من حليفه حظوظ المظاهر وغيره يدور مع المظاهر (قوله أو بكون) معطوف على قوله بما أمر به وعليه فالضمير عائد على المصدر المنسبك من أن تكون والمعنى لاتتخذوا عهودكم

كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه (تَتَّخِذُونَ) حال من ضمير تكونوا أي لا تكونوا مثلها فى اتخاذكم (أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً) هو مايدخل فى الشيء وليس منه أي فساداً وخديعة (بَيْنَكُمْ) بأن تنقضوها (أَنْ) أي لأن (تَكُونَ أُمَّةٌ) جماعة (هِيَ أَرْبَى) أكثر (مِنْ أُمَّةٍ) وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم (إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ) يختبركم (اللهُ بِهِ) أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصى أو بكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) فى الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافى (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أهل دين واحد (وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ) يوم القيامة سؤال تبكيت (عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) لتجازوا عليه (وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ) كرره تأكيداً (فَتَزِلَّ قَدَمٌ) أي أقدامكم عن محجة الاسلام (بَعْدَ ثُبُوتِهَا) استقامتها عليها (وَتَذُوقُوا السُّوءَ) أي العذاب (بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) أي بصدكم عن الوفاء بالعهد أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم (وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللهِ ثَمَناً قَلِيلاً) من الدنيا بأن تنقضوه لأجله

حيلة وخداعا من أجل كون تلك الأمة التى عاهدتموها ذات مال أو جاه فان انتقل المال أو الجاه لغيرهم نقضتم عهود الأوائل فصاحب هذه الأوصاف خائن لله ولعباده (قوله فيه تختلفون) أى ترددون (قوله ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله سؤال تبكيت) أى لاتفهم وقد أشار بذلك إلى وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولا جان ، فالمثبت سؤال التبكيت والمنفى سؤال التفهم (قوله ولا تتخذوا أيمانكم) أى عهودكم (قوله دخلا بينكم) أى فسادا وخديعة (قوله كرره تأكيدا) أى كرر النهى عن اتخاذ الأيمان خديعة وحيلة تأكيدا للاشارة إلى أن هذا أمر فظيع جدا فان نقض العهد فيه فساد الدين والدنيا والعرض والوفاء به فيه خير الدنيا والآخرة (قوله فتزل قدم) منصوب باضمار أن فى جواب النهى وأفرد القدم ونكره إشارة إلى أن زلة القدم ولو مرة واحدة أو أى قدم مضرة لأن من زل به القدم فقد طرد عن باب الله (قوله عن محجة الاسلام) أى طريقه ومثل ذلك من زل به القدم فى عهد شيخه فنقضه فانه مطرود عن طريقته ومتى طرد عن طريقته فقد سلب ماوهبه الله له من النور الالهى فلا يرجى له الفتح فى طريقة أخرى لأن غاية الطرق واحدة وهو قد طرد عن الغاية (قوله العذاب) أى فى الدنيا بدليل قوله ولكم عذاب عظيم فى الآخرة (قوله عن سبيل الله) أى دينه الموصل لمرضاته (قوله أى بصدكم عن الوفاء) هو من صد اللازم أى امتناعكم وإعراضكم عن الوفاء (قوله أو بصدكم غيركم عنه) هو من صد المتعدى أى منعكم غيركم (قوله لأنه) أى ذلك الغير (قوله يستن) أى يقتدى بكم فى نقض العهود (قوله ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) أى لاتتركوا عهد الله فى نظير عرض قليل تأخذونه (قوله بأن تنقضوه) أى

العهد وقوله لأجله أى الثمن القليل وظاهره ولو من حلال و إنما كان نقض العهد لأجل القليل من الحلال مذموما فالحرام أولى بالذم والمراد بالثمن القليل أعراض الدنيا و إن كثرت (قوله إنما عند الله هو خير لكم) علة لما قبله و إن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول اسمها وعند الله صلته وجملة هو خير لكم خبرها ، وقوله من الثواب بيان لما (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه وقدره المفسر بقوله فلا تنقضوا (قوله ما عندكم ينفد) مبتدأ وخبر والنفاد بالفتح الفناء والذهاب يقال نفد بالكسر ينفد بالفتح : فنى وفرغ ، وأما نفذ بالفتح والمعجمة ينفذ بالضم فمعناه مضى يقال نفذ حكم الأمير بمعنى مضى (قوله باق) يصح الوقف عليه بثبوت الياء وحذفها مع سكون القاف قراءتان سبعيتان (قوله دائم) أى لايفرغ ولا يفنى (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على الوفاء بالعهود) أى أو المراد مشاق التكاليف (قوله أجرهم) مفعول ثان ليجزى وقوله بأحسن الباء بمعنى على (قوله أحسن بمعنى حسن) أشار بذلك إلى أن أفعل التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك مايتوهم من قصر المجازاة على الأحسن الذى هو الواجبات مع أنهم يجازون على الواجبات والمندوبات . وهناك تقرير آخر فى الآية : وهو أن الأحسن صفة لموصوف محذوف أى بثواب أحسن من عملهم أى أكثر منه تفضلا و إحسانا قال تعالى ـ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ـ والباء لمجرد التعدية (قوله من عمل صالحا) من اسم شرط مبتدأ وعمل فعل الشرط ، وقوله فلنحيينه جوابه (قوله قيل هى حياة الجنة) هذا القول لمجاهد وقتادة ورواه عوف عن الحسن ، وقال لايطيب لأحد الحياة إلا فى الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلاك وسعادة بلا شقاوة (قوله وقيل فى الدنيا بالقناعة) هذا القول للحسن وقوله أو الرزق الحلال هو لسعيد بن جبير وعطاء ، وزيد على ماذكره المفسر ماقيل هى حلاوة الطاعة ، وقيل رزق يوم بيوم وقيل الحياة الطيبة تحصل فى القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقيل ماهو أعم فالحياة الطيبة فى الدنيا بالتوفيق للطاعة والرزق الحلال وفى القبر بالراحة من النكد والتعب وفى الجنة بالنعيم المقيم (قوله ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) من أى فى الجنة ، واستفيد من هذا أن الحياة الطيبة ليست هى الجزاء لأنه قد قيل بأنها تكون فى الدنيا أو القبر وليس النعيم فى ذلك بجزاء بل الجزاء ما كان فى الآخرة بالجنة وما فيها (قوله فاذا قرأت القرآن) حكمة التفريع على ماتقدم أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال فطلب بالاستعاذة عند قراءته ليحفظ من الضياع المترتب على الوساوس الشيطانية ، والمعنى إذا علمت مماتقدم أن عظم الجزاء على محاسن الأعمال فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن الذى هو أحسن الأعمال وأزكاها (قوله أى أردت قراءته) أشار بذلك إلى أن الأمر بالاستعاذة قبل القراءة و إليه ذهب أكثر الفقهاء والمحدثين ووجهه أن الاستعاذة تذهب الوسوسة فتقديمها أولى وذهب الأقل إلى إبقاء الآية على ظاهرها وأن الأمر بالاستعاذة بعد تمام القراءة ووجه بأن القارئ يستحق الثواب العظيم على قراءته وربما حصلت له الوسوسة فى قلبه هل حصل له ذلك أم لا فأمر بالاستعاذة لتذهب تلك الوسوسة ويبقى الثواب خالصا لأن التردد فى صدق الوعد بالثواب من أسباب منعه (قوله فاستعذ) السين والتاء للطلب أى اطلب من الله التعوذ والتحصن من شره والأمر للاستحباب وظاهر الآية أن الاستعاذة مطلوبة عند قراءة القرآن مطلقا فى الصلاة وغيرها وبه أخذ الشافعى ووافقه مالك فى النفل وكره الاستعاذة فى صلاة الفرض لدليل أخذه من السنة (قوله أى قل أعوذ بالله الخ) هذا بيان للأفضل و إلا فامتثال الأمر يحصل بأى صيغة كانت ، وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ وأراد بالقلم الذى نسخ به من اللوح المحفوظ ونزل به جبريل دفعة إلى سماء الدنيا ، وليس المراد به القلم الذى كتب فى اللوح المحفوظ فانه مقدم الرتبة على اللوح

(٣٠٤)

(إِنَّمَا عِنْدَ اللهِ) من الثواب (هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) مما فى الدنيا (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذلك فلا تنقضوا (مَا عِنْدَكُمْ) من الدنيا (يَنْفَدُ) يفنى (وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ) دائم (وَلَيَجْزِيَنَّ) بالياء والنون (الَّذِينَ صَبَرُوا) على الوفاء بالعهود (أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أحسن بمعنى حسن (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) قيل هي حياة الجنة ، وقيل فى الدنيا بالقناعة أو الرزق الحلال (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) أى أردت قراءته (فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) أى قل أعوذ بالله

(قوله من الشيطان الرجيم) هو من شطن إذا بعد أو من شاط إذا احترق والرجيم بمعنى المرجوم: أى المطرود عن رحمة الله (قوله إنه ليس له سلطان) تعليل لمحذوف والتقدير فاذا استعذت بالله كفيت شره ودخلت فى أمان الله لأنه الخ (قوله تسلط) أى استيلاء وقهر (قوله على الذين يتولونه) مقابل قوله وعلى ربهم يتوكلون وقوله والذين هم به مشركون مقابل قوله على الذين آمنوا (قوله أى الله) أشار بذلك إلى أن الضمير راجع لربهم والباء للتعدية ويصح أن يعود على الشيطان وتكون الباء سببية وهى أولى لعدم تشتيت الضمائر (قوله وإذا بدلنا آية الخ) سبب نزولها أن المشركين من أهل مكة قالوا إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ماهذا إلا مفترى يتقوله من تلقاء نفسه (قوله والله أعلم بما ينزل) هذه الجملة معترضة بين الشرط وجوابه أتى بها تسلية له صلى الله عليه وسلم، والمعنى والله أعلم بالناسخ والمنسوخ فيكفيك علمه فلايحزنك ماقالوه (قوله تقوله من عندك) أى تختلقه من عند نفسك وليس بقرآن (قوله حقيقة القرآن) أى وهو أنه اللفظ المنزل من عند الله على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بأقصر سورة منه المتعبد بتلاوته (قوله وفائدة النسخ) أى وهى المصالح التى تعود على العباد (قوله روح القدس) بضم الدال وسكونها قراءتان سبعيتان: أى الروح المقدس بمعنى المطهر المنزه عن الرذائل فهو من إضافة الموصوف للصفة (قوله بالحق) الباء للملابسة أى نزله تنزيلا ملتبسا بالحق (قوله بإيمانهم به) أى بسبب إيمانهم بالقرآن (قوله للمسلمين) أى وأما لغيرهم فهو خسران لايزيدون به إلا ضلالا فهو تعريض بحصول ضد ذلك لغير المسلمين (قوله ولقد نعلم) أى علما مستمرا لاتجدد فيه (قوله إنما يعلمه) إنما أداة حصر أى لايعلم محمدا القرآن إلا بشر لاجبريل كما يقول (قوله

(٣٠٥)

من الشيطان الرجيم (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ) تسلط (عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) بطاعته (وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ) أى الله (مُشْرِكُونَ . وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ) بنسخها، وإنزال غيرها لمصلحة العباد (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا) أى الكفار للنبى صلى الله عليه وسلم (إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ) كذاب تقوله من عندك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) حقيقة القرآن وفائدة النسخ (قُلْ) لهم (نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ) جبريل (مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ) متعلق بنزل (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا) بإيمانهم به (وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ . وَلَقَدْ) للتحقيق (نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ) القرآن (بَشَرٌ) وهو قين نصرانى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدخل عليه قال تعالى (لِسَانُ) لغة (الَّذِي يُلْحِدُونَ) يميلون (إِلَيْهِ) أنه يعلمه (أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا) القرآن (لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) ذو بيان وفصاحة فكيف يعلمه أعجمى (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن بقولهم هذا من قول البشر (وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) التأكيد بالتكرار وإن وغيرهما رد لقولهم إنما أنت مفتر (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ) ،

وهو قين) أى حداد وكان روميا وفى نسخة قن اى عبد واسمه جبر وهو غلام عامر بن الحضرمى، وقيل يعنون جبرا و يسارا كانا يصنعان السيوف بمكة و يقرآن التوراة والانجيل باللغة التى نزلا بها وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما و يسمع مايقرآنه ليتسلى بما وقع للأنبياء قبله وقيل غير ذلك وعلى كل فقد ورد أنه أسلم ذلك البشر الذى نسبوا لرسول الله التعلم منه (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله يميلون إليه) أى ينسبون إليه أنه يتعلم منه (قوله أعجمى) الأعجمى الذى لم يتكلم بالعربية (قوله وهذا لسان عربى) أى ولا يكون العربى متلقيا من العجمى (قوله فكيف يعلمه أعجمى) أى لايصح ولا يليق ذلك لاستحالته عادة (قوله إن الذين لايؤمنون بآيات الله) أى فى علمه وقوله لايهديهم الله أى فى الخارج (قوله وأولئك هم الكاذبون) أى فى قولهم إنما يعلمه بشر (قوله والتأكيد) مبتدأ وقوله رد خبر (قوله من كفر بالله من بعد إيمانه) نزلت هذه الآية فى عمار ابن ياسر وذلك أنه من جملة السبعة السابقين للاسلام وهم عمار وأبوه ياسر وأمه سمية وصهيب و بلال وخباب وأبو بكر الصديق رضى الله عنهم وذلك أن الكفار أخذوهم وعذبوهم ليرجعوا عن الايمان فأما سمية أم عمار فربطوها بين بعيرين وضربها أبو جهل بحربة فى فرجها فماتت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين فى الاسلام

وأما عمار فانه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه وقلبه كاره لذلك فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماوراءك ؟ فقال شر يارسول الله نلت منك وذكرت قلبك قال مطمئن بالايمان فجعل النبي يمسح عينيه وقال له إن عادوا لك فقل لهم ماقلت ، وأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحد أحد حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وأما خباب فقد أوقدوا له نارا فلم يطفئها الا ودك ظهره، وأما أبو بكر فحفظه الله بقومه وعشيرته ، وفيما فعله عمار دليل على جواز التلفظ بالكفر عند خوف القتل ولكن القتل أجمل كما وقع من أبويه ، ولما روى أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ماتقول فى محمد قال رسول الله قال ماتقول فىّ قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ماتقول فى محمد قال رسول الله قال ماتقول فىّ قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له (قوله على التلفظ بالكفر) أى أو فعله (قوله والخبر أو الجواب الخ) الأولى تقدير هذا قبل الاستثناء (قوله لهم وعيد) الأولى أن يقدره بالفاء لأن الجواب إذا وقع جملة اسمية يقرن بالفاء والمبتدأ الذى يشبه الشرط يقرن خبره بالفاء أيضا لشبهه بالشرط (قوله دل على هذا) أى على

الجواب أو الخبر (قوله ولكن من شرح) أتى بالاستدراك لأنه ربما يتوهم من قوله إلا من أكره أنه حين الاكراه يجوز التكلم بالكفر ولو انشرح صدره له فى بعض الأحيان فدفع ذلك التوهم بالاستدراك ولا يبعد الوهم قوله مطمئن بالايمان ومن إما شرطية أو موصولة ولا يلزم تقدير مبتدإ قبل من وماقيل إن الاستدراك لايقع فى الشروط ممنوع (قوله بمعنى طابت به نفسه) أى قبله ومال إليه (قوله فعليهم) جمع مراعاة لمعنى من (قوله ذلك بأنهم)

على التلفظ بالكفر فتلفظ به (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) ومَن مبتدأ أو شرطية والخبر أو الجواب لهم وعيد شديد دل على هذا (وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا) له أى فتحه ووسعه بمعنى طابت به نفسه (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَٰلِكَ) الوعيد لهم (بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) اختاروها (عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ، أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) عما يراد بهم (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا) إلى المدينة (مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا) عذبوا وتلفظوا بالكفر وفى قراءة بالبناء للفاعل : أى كفروا أو فتنوا الناس عن الايمان (ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا) على الطاعة (إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) أى الفتنة (لَغَفُورٌ) لهم (رَّحِيمٌ) بهم وخبر إن الأولى دل عليه خبر الثانية اذكر (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ) ،

تحاج

أى حاصل وثابت بسبب أنهم الخ فاسم الاشارة مبتدأ والجار والمجرور فى محل رفع خبره (قوله لايهدى القوم الكافرين) أى لايوصلهم إلى الايمان ولايعصمهم من الزيغ (قوله أولئك الذين طبع الله على قلوبهم الخ) أى جعل عليها غلافا معنويا بحيث لاتذعن للحق ولا تسمعه ولا تبصره (قوله الخاسرون) أى لأنهم ضيعوا أعمارهم فى غير منفعة تعود عليهم والموجب لخسرانهم أن الله تعالى وصفهم بست صفات تقدمت:الغضب والعذاب العظيم واختيار الدنيا على الآخرة وحرمانهم من الهدى والطبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وجعلهم من الغافلين (قوله ثم إن ربك) نزلت هذه الآية فى عياش بن ربيعة وكان أخا أبى جهل من الرضاعة وقيل من أمه وفى أبى جندل بن سهل بن عمرو والوليد ابن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقفى فتنهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلموا من شرهم ثم هاجروا وجاهدوا (قوله للذين هاجروا) متعلق بمحذوف هو خبر إن أى لغفور رحيم للذين هاجروا بهذا معنى قوله الآتى وخبر إن الأولى الخ (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وعليها فيحتمل أن الفعل لازم فيكون معنى قوله فتنوا افتتنوا بمعنى قامت بهم الفتنة وقد أشار له المفسر بقوله أى كفروا أو متعد كما قال أو فتنوا الناس عن الايمان (قوله يوم تأتى) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر والأمر للنبي صلى الله عليه وسلم أى اذكر يامحمد لقومك أهوال الآخرة وما

يجمع فيها لعلهم يعتبرون (قوله تحاج) أى تخاصم وتسعى فى خلاصها (قوله عن نفسها) إن قلت إن ظاهر الآية مشكل لأنه يقتضى أن النفس لها نفس وليس كذلك. أجيب بأن المراد بالنفس الأولى الانسان المركب من جسم وروح وحقيقة والمراد بالنفس الثانية الذات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة فاختلفا بالاعتبار فكأنه قال يوم يأتى كل إنسان يجادل من ذاته ولا يهمه غيره والمراد بالمجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين روى عن ابن عباس أنه قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يارب لم يكن لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فضعف عليه العذاب فيقول الجسد يارب أنت خلقتنى كالخشبة ليس لى يد أبطش بها ولا رجل أمشى بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فبه نطق لسانى و به أبصرت عيناى و به مشت رجلاى فيضرب الله لهم مثلا أعمى ومقعدا دخلا حائطا أى بستانا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يتناوله فحمل الأعمى المقعد فأصابا الثمر فعلى من يكون العذاب قالا عليهما قال عليكما جميعا العذاب إذا علمت ذلك تعلم أن هذا الوعيد خاص بالكافر وأما المؤمن فهو فى أمن وأمان لا يحزنه الفزع الأكبر و إن كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته لأن الله سبحانه وتعالى فى ذلك اليوم يتجلى بالجلال على عباده فيخاف المسلمون والمشركون فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم والمسلمون يخافون من هيبته تعالى و إن كانوا مطمئنين بالايمان (قوله لا يهمها غيرها) أى لشغلها بهمها (قوله وهم لا يظلمون شيئا) أى لا يعذبون من غير ذنب أو المراد لا ينقصون من أجورهم شيئا والأول أولى لأن نفى النقص من الأجر علم من قوله وتوفى كل نفس ما عملت (قوله وضرب الله مثلا) المثل تشبيه قول بقول آخر بينهما مشابهة ليتبين أحدهما ويظهر (قوله هى مكة) هذا هو المشهور بين المفسرين وهو الصحيح وعليه فالآية مدنية لأن الله تعالى وصف القرية بصفات ست كانت هذه الصفات فى أهل مكة حين كان النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعلى القول بأنها مكية يكون إخبارا بالغيب تنزيلا لما سيقع منزلة الواقع لتحقق الحصول (قوله رغدا) بفتح الراء والغين المعجمة يقال رغد العيش بالضم رغادة: اتسع (قوله من كل مكان) أى من كل جهة من البر والبحر (قوله بأنعم الله) جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعماء كأبؤس و بأساء (قوله بتكذيب النبى) الباء سببية (قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أى وذلك أن الله ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت العرب عنهم الميرة حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة وشربوا الدماء واشتد بهم الأمر حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقالوا له ما هذا دأبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فى حمل الطعام إليهم، وفى رواية أنهم أرسلوا إليه أبا سفيان بن حرب فى جماعة فقدموا عليه المدينة وقال له أبو سفيان يا محمد إنك جئت تأمر بصلة الرحم والعفو و إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن للناس بحمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون. واعلم أن العلماء ذكروا فى هذه الآية ثلاث استعارات. الأولى تصريحية أصلية فى الجوع والخوف من حيث إضافة اللباس إليهما، وتقريرها أن يقال شبه ما غشيهم من اصفرار اللون ونحولة البدن وسوء الحال باللباس بجامع الظهور فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه. الثانية مكنية، وتقريرها أن يقال شبه ذلك اللباس من حيث الكراهية بالطعم المر البشع وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الاذاقة فاثباتها تخييل. الثالثة تبعية، وتقريرها أن يقال شبه الابتلاء بالاذاقة واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاذاقة أذاقهم بمعنى ابتلاهم (قوله بسرايا النبى) الباء سببية والمراد بسراياه جماعته التى كان يبعثها للاغارة عليهم فكان أهل مكة يخافونهم (قوله بما كانوا يصنعون) أى بسبب صنعهم أو بسبب الذى كانوا يصنعونه

تحاج (عَنْ نَفْسِهَا) لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة (وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ) جزاء (مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئا (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا) و يبدل منه (قَرْيَةً) هى مكة والمراد أهلها (كَانَتْ آمِنَةً) من الغارات لا تهاج (مُطْمَئِنَّةً) لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) واسعا (مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ) بتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم (فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ) فقحطوا سبع سنين (وَالْخَوْفِ) بسرايا النبى صلى الله عليه وسلم (بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ).

(قوله ولقد جاءهم)أى أهل مكة (قوله رسول منهم) أى من جنسهم (قوله وهم ظالمون) الجملة حالية والمراد بالظالمين الكافرون (قوله فكلوا) مفرع على التمثيل أى، فاذا علمتم ماحصل للكفار من الحرمان وماحل بهم بسبب كفر النعم فدوموا أيها المؤمنون على حالتكم المرضية وكلوا الخ (قوله حلالا طيبا) حالان من ما أى كلوا مما رزقكم الله به حال كونه حلالا طيبا (قوله تعبدون) أى تطيعون (قوله إنما حرّم عليكم الميتة الخ) شروع فى ذكر المحرمات ليعلم أن ماعدا ذلك حلال طيب (قوله فمن اضطر غير باغ) أى خارج على الامام كالبغاة وقوله ولا عاد أى قاطع للطريق فلايباح لهم تعاطى الميتة إذا اضطروا مالم يتوبوا ، وأما المضطر غير ماذكر فيحلّ له الأكل منها والشبع والتزود عند مالك وعند الشافعى لا يحلّ له إلا مايسدّ رمقه (قوله ولا تقولوا) لاناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل وقوله هذا حلال الخ مقول القول وقوله لما تصف اللام للتعليل وما مصدرية والكذب مفعول لتصف وقوله لتفتروا بدل من التعليل الأول ، والمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لأجل وصف ألسنتكم الكذب افتراء على الله بنسبة ذلك إليه (قوله بنسبة ذلك) أى التحليل والتحريم (قوله لايفلحون) أى لايفوزون ولايظفرون بمطلوبهم لافى الدنيا ولافى الآخرة والوقف

هنا ، وقوله متاع قليل كلام مستأنف (قوله متاع قليل) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وقدره مقدما ليكون مسوّغا للابتداء بالنكرة (قوله وعلى الذين هادوا) شروع فى ذكر مايخص اليهود من التحريم إثر بيان مايحل لأهل الاسلام وما يحرم عليهم وتحريم الشىء إما لضرر فيه وإما لبغى المحرم عليهم فأشار للأول بقوله إنما حرم عليكم الميتة الخ ، وأشار للثانى بقوله وعلى الذين هادوا الخ (قوله ثم إن ربك) لما بالغ فى تهديد المشركين وبين ماأحلّ وما حرّم ذكر أن فعل تلك القبائح لايمنع من التوبة والرجوع والإنابة بل باب التوبة مفتوح لكل كافر مالم يغرغر فهو ترغيب للكافر فى الاسلام وللعاصى فى التوبة والاقلاع عن الذنوب (قوله للذين) متعلق بمحذوف دل عليه خبر إن الآتية تقديره ثم إن ربك لغفور رحيم للذين عملوا السوء الخ (قوله بجهالة) أى بسبب جهل العواقب وجلال الله إذ لايقع الذنب إلا من جاهل بالعواقب أو جاهل بجلال الله ولو علم قدر العقاب المدخر للعاصى ماقدم على معصية قط (قوله من بعد ذلك) أى الشرك (قوله أو التوبة) أو لتنويع الخلاف فى مرجع الضمير (قوله إن إبراهيم كان أمة) للمفسرين فى معنى هذه اللفظة أقوال : قيل الأمة معلم الخير أى أنه كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا ، وقيل إنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة وحده ، وقيل الأمة الذى يقتدى به ويؤتم به لأنه كان إماما يقتدى به ، وفى الأصل الأمة الجماعة وإطلاق الأمة بمعنى الجماعة عليه لجمعه أوصاف الكمالات التى تفرقت فى الخلق ، ومنه قول الشاعر :

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم فى واحد

وقد ذكر الله فى هذه الآيات من صفات إبراهيم عشرة أوصاف حميدة (قوله مائلا إلى الدين القيم) أى تاركا لما عداه من الأديان

وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) الجوع والخوف (وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَكُلُوا) أيها المؤمنون (مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّباً وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ) أى لوصف ألسنتكم (الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ) لما لم يحله الله ولم يحرمه (لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) بنسبة ذلك إليه (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) لهم (مَتَاعٌ قَلِيلٌ) فى الدنيا (وَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا) أى اليهود (حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ) فى آية : وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر إلى آخرها (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ) بتحريم ذلك (وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب المعاصى الموجبة لذلك (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ) الشرك (بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا) رجعوا (مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا) أى الجهالة أو التوبة (لَغَفُورٌ) لهم (رَحِيمٌ) بهم (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) إماما قدوة جامعاً لخصال الخير (قَانِتاً) مطيعاً (لِلَّهِ حَنِيفاً) مائلا إلى الدين القيم ،

الباطلة (قوله ولم يك من المشركين) هذا الوصف قد علم التزاما من قوله حنيفا و إنما ذكره ردّا على المشركين حيث زعموا أنهم على ملة إبراهيم (قوله شاكرا لأنعمه) أى صارفا جميع ما أنعم الله به عليه إلى ماخلق لأجله فهو معصوم عن الغفلة وعن كلّ شاغل يشغله عن الله ظاهرا و باطنا (قوله اجتباه) أى اختاره من دون خلقه وهذا الوصف ومابعده ناشئ من الله خاصة لم يكن له فيه كسب إشارة إلى أن مانشأعنه من الأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة باختيار الله له لا بنفسه (قوله إلى صراط مستقيم) أى أى دين قويم لااعوجاج فيه (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى إلى التكلم إشارة إلى زيادة الاعتناء بشأنه (قوله هى الثناء الحسن) أى الذكر بخير (قوله فى كل أهل الأديان) أى عند كل أهل الملل لجميعهم يرضون عنه ولا يكفرون به و يزعمون أنهم على ملته (قوله لمن الصالحين) أى من أكملهم وأعلاهم درجة وهذا تتميم لقوله ـ وآتيناه فى الدنيا حسنة ـ فان حسنة الدنيا لاتتم إلا بحسنة الآخرة (قوله ثم أوحينا إليك) هذا هو الوصف العاشر، ولما كان أعلى الأوصاف لابراهيم وأجلها وأكلها اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته فصله عما قبله حيث عطفه بثم (قوله أن اتبع) يصح أن تكون أن تفسيرية أومصدرية فتكون مع مادخلت عليه فى محل نصب مفعول لقوله أوحينا (قوله ملة إبراهيم) أى شريعته ومعنى اتباع النبى فيها اتباعه فى الأصول وهى عقائد التوحيد فرسول الله أمر باتباع إبراهيم بل وباتباع من تقدمه من الأنبياء فى التوحيد لأنهم مشتركون فيه قال تعالى ـ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ـ الآية (قوله حنيفا) حال من إبراهيم وهو وإن كان مضافا إليه إلا أن شرطه موجود وهو أن المضاف كالجزء من المضاف إليه لأنه يصح الاستغناء بالثانى عن الأول (قوله ردّا على زعم اليهود والنصارى) المناسب أن يقول ردا على المشركين لأن اليهود والنصارى لم يكونوا مدّعين الاشراك (قوله إنما جعل السبت الخ) هذا رد على اليهود حيث كانوا يدعون أن تعظيم السبت من شريعة إبراهيم وهم متبعون له فرد الله عليهم بأنه ليس السبت

(وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ) اصطفاه (وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَآتَيْنَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) هى الثناء الحسن فى كل أهل الأديان (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلى (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يامحمد (أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ) دين (إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) كرر ردا على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ) فرض تعظيمه (عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) على نبيهم وهم اليهود أمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فقالوا لا نريده واختاروا السبت فشدد عليهم فيه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمره بأن يثيب الطائع ويعذب العاصى بانتهاك حرمته (ادْعُ) الناس يامحمد (إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) دينه (بِالْحِكْمَةِ) بالقرآن (وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) مواعظه

من ملة إبراهيم التى زعمتم أنكم متبعون لها بل كان من شريعته تعظيم يوم الجمعة، ولذا اختاره الله للأمة المحمدية لأنه يوم تمام النعمة ويوم المزيد فى الجنة (قوله على الذين اختلفوا فيه) أى خالفوا ربهم حيث أمرهم على لسان نبيهم أن يعظموا يوم الجمعة بالتفرغ للعبادة فيه فأبوا واختاروا السبت فشدد عليهم بتحريم الاصطياد فيه عليهم، وليس المراد بالاختلاف أن بعضهم رضى به والبعض لم يرض بل المراد امتناع الجميع (قوله واختاروا السبت) أى وقالوا لأنه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والأرض ومافيهما، فنحن نوافق ربنا فى ترك الأعمال يوم السبت، واختارت النصارى يوم الأحد وقالوا لأنه مبدأ الخلق فنجعله عيدا لنا (قوله من أمره) أى السبت (قوله بأن يثيب الطائع) أى وهو من لم يصطد به وعظمه (قوله ويعذب العاصى) أى وهو من صنع الحيلة واصطاد فيه فعذبوا فى الدنيا بمسخهم قردة وخنازير وفى الآخرة بالعذاب الدائم (قوله ادع) فعل أمر وفاعله مستتر وجوبا تقديره أنت ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله الناس وفى هذا إشارة إلى أن بعثته عامة وعبر بالناس وإن كان داعيا للجن أيضا باعتبار ماظهر لنا فقط (قوله دينه) سمى الدين سبيلا لأنه الموصل لدار السعادة الأبدية والسيادة السرمدية (قوله بالقرآن) أى وسمى حكمة لأنها العلم النافع (قوله والموعظة الحسنة) عطف خاص على عامّ لأن القرآن مشتمل على مواعظ وغيرها، والمراد بالموعظة الحسنة الترغيب والترهيب، والحكمة فى ذكر الموعظة الحسنة التشويق للعبادة والنشاط لها وسهولة البعد عن المخالفات لما فى الحديث «كان صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا» أى يخلل كلامه بالترغيب والترهيب فى بعض الأحيان لئلا يحصل لنا الملل من توالى الأمر والنهى وتتابعهما من غير

تحملها بشيء يروّح النفوس ويشوّقها ويحثها على فعل الطاعات واجتناب المنهيات (قوله أو القول الرفيق) تفسير ثان للموعظة الحسنة ، والمراد بالقول الرفيق الألفاظ التي فيها اللين والرفق كقوله تعالى - قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى - وقوله تعالى حكاية عن مؤمن آل فرعون - وياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعوننى إلى النار - الآيات (قوله بالتى هى أحسن) أى ليترتب على ذلك حصول الفائدة لهم والانقياد للطريق القويم (قوله بآياته) أى كقصة إبراهيم مع قومه حيث قال لهم حين جنّ عليه الليل ورأى كوكبا : هذا ربى الخ (قولهوالدعاء إلى حججه) أى براهينه ودلائله قال تعالى - قل انظروا ماذا فى السموات والأرض - الآية (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه ودفع بذلك مايقال إن اسم التفضيل يقتضى المشاركة مع أن صفات الله قديمة لامشارك له فيها (قوله بمن ضل عن سبيله) أى حاد وزاغ عنه (قوله وهوأعلم بالمهتدين) حكمة التعبير فى جانب أهل الهدى بصيغة الاسم وفى جانب أهل الضلال بالفعل الاشارة إلى أن أهل الهدى استمرّوا على الفطرة الأصلية وأهل الضلال غيروا تلك الفطرة وبدلوهاباحداث الضلال . إن قلت قوله تعالى - إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا - الخ يقتضى أن الأصل فى الإنسان الضلال والهدى طارىء عليه . أجيب بأنه محمول على العالم الجسمانى : أى أن الأصل فى الانسان باعتبار عالم الأجساد الخسران والضلال ، والهدى طارىء ببعثة الرسل ، وما فى هذه الآية محمول على عالم الأرواح وهو الأصل الأصيل لأن الله لما خاطب الأرواح فى عالم الذر وقال لهم ألست بربكم قالوا جميعا بلى فالمهتدى فى عالم الأجساد استصحب ذلك الأصل ومن ضل فى عالم الأجساد فقد نسى ذلك العهد واتبع شهوات نفسه . ثم اعلم أن مقتضى حل المفسر يقتضى أن المدعو بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن واحد وقال بعضهم الناس خلقوا ثلاثة أقسام: الأول العلماء الراسخون فهم المشار إليهم بقوله - ادع إلى سبيل ربك بالحكمة - أى العلم النافع لينتفعوا به وينفعوا الناس . الثانى الذين لم يبلغوا حد الكمال وكانوا دون الأوائل وهى المشار إليهم بقوله : والموعظة الحسنة . أى الثالث الكفار وأصحاب الجدال والخصام وهم المشار إليهم بقوله وجادلهم بالتى هى أحسن لينقادوا للحق ويرجعوا إليه (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أشار بذلك إلى أن الآية منسوخة وقيل ليست بمنسوخة لأن الأمر بالمجادلة الحسنة ليس فيها نهى عن القتال بل المراد ادعهم وجادلهم برفق فى أول الأمر فان امتثلوا فواضح وإلافشىء آخر (قوله ونزل) أى بالمدينة (قوله لما قتل حمزة) أى فى السنة الثانية فى أحد . وحمزة عم رسول الله وأخوه من الرضاع وقريبه من الأم وكان أسنّ من النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين (قوله ومثل به) أى مثل به المشركون فقطعوا أنفه وأذنيه وذكره وأنثييه وبقروا بطنه (قوله وقد رآه) الجملة حالية (قوله والله لأمثلن الخ) فى كلام المفسر اختصار للحديث ولفظه: أما والله لئن ظفرنى الله بهم لأمثلن الخ (قوله و إن عاقبتم) أن أردتم المعاقبة (قوله ولئن صبرتم) أى عفوتم وتركتم القصاص (قوله لهو) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله فكفّ) أى عن التمثيل بهم (قوله واصبر) الخطاب للنبى ، والمراد به العموم تعليما للأمة حسن الأدب (قوله وما صبرك إلا بالله) أى باقداره لك عليه لا بنفسك فان الصبر كالحب والبغض قائم بالقلب والقلب بيد الله يقلبه كيف يشاء فمن خلق الله فيه الصبر صبر ومن لا فلا فليس للعبد مدخل فيه (قوله ولا تحزن عليهم) أى لاتتأسف على إعراضهم عن الهدى (قوله ولاتك فى ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى لايكن فيك ضيق فالكلام على القلب ، وإنما أتى به مقلوبا إشارة إلى أن الضيق إذا اشتد كان كالشىء المحيط . وأتى هنا بحذف نون تك وفى النمل باثباتها تفننا لأن حذفها للتخفيف وهو حذف غير لازم . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم   تحذف نون وهو حذف ما التزم

أو القول الرفيق (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى) أى بالمجادلة التى (هِىَ أَحْسَنُ) كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) فيجازيهم ، وهذا قبل الأمر بالقتال . ونزل لما قتل حمزة ومثّل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه: والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ) عن الانتقام (لَهُوَ) أى الصبر (خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ) فكفّ صلى الله عليه وسلم وكفّر عن يمينه رواه البزار (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ) بتوفيقه (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) أى الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم (وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ)

لأن أصل يك يكون دخل الجازم فسكن النون فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وحذفت النون تخفيفا (قوله أى لاتهتم بمكرهم) أشار بذلك الى أن ما مصدرية تسبك مع مابعدها بمصدر (قوله بالعون والنصر) أشار بذلك الى أن المعية مع المتقين والمحسنين معية معنوية خاصة، وهذا لاينافى قوله تعالى - ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا - لأن المعية خاصة وعامة فالعامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق والخاصة بالاعانة والنصر والرضا للمتقين والمحسنين أحياء وأمواتا فرضا الله على المتقين والمحسنين دائم مستمر لاينقطع، فاذا كان كذلك فينبغى زيارة الصالحين وخدمتهم لكونهم فى حضرة الرضا أحياء وأمواتا لاينقطع عنهم مدد ربهم، وقوله فى الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به» الخ المراد ثواب أعمالهم التجدد فلا يتجدد لهم ثواب عمل، وأما ماثبت لهم فى نظير العمل السابق فهو دائم مستمر وإنما يتجدد لهم ثواب علم خلفوه أوولد صالح إلى آخر مافى الحديث، ومن هنا زيارة الصالح الحى أفضل من زيارة الصالح الميت لأن الحى أعماله كلها مستمرة الصعود مادام حيا ويتجدد له ثوابها ولذلك تضن روح المؤمن الصالح بالحياة فلا تحب الموت لأن فيه عزلها عن خدمة ربها التى هى أشرف الأشياء وأفضلها. [سورة الإسراء] مكية، وتسمى سورة بنى إسرائيل وتسمى سورة سبحان لأنه جرت عادة الله فى كتابه أنه يسمى السورة باسم بعضها وسورة مبتدأ ومكية خبر أول وقوله مائة الخ خبر ثان (قوله إلا وإن كادوا الخ) وقيل كلها مكية (قوله الآيات الثمان) أى وآخرها قوله تعالى - سلطانا نصيرا - لكن بحث البيضاوى فيه بأن قوله تعالى - وقل رب أدخلنى مدخل صدق - الخ نزلت بمكة حين أمر صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقد يجاب عن بحثه بأنها لما نزلت بعد الأمر بالهجرة التحقت بالمدنى خصوصا، وقد قال العلماء: المدنى مانزل بعد الهجرة وإن بأرض مكة (قوله سبحان) هو فى الأصل مصدر سماعى لسبح المشدد أواسم مصدر له ثم صار علما على التنزيه: أى وعلى كل فهو مفعول مطلق لفعل محذوف

أى لاتهتم بمكرهم، فأنا ناصرك عليهم (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا) الكفر والمعاصى (وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) بالطاعة والصبر بالعون والنصر.

(سـورة الإسراء)

مكية إلا: وإن كادوا ليفتنونك الآيات الثمان: مائة وعشر آيات أو وإحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. سُبْحَانَ) أى تنزيه (الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) محمد صلى الله عليه وسلم (لَيْلًا) نصب على الظرف، والاسراء سير الليل، وفائدة ذكره الاشارة بتنكيره،

تقديره أسبح فالمقصود منه إما التنزيه فقط: أى تنزيه من هذا وصفه عن كل نقص لأن هذه معجزة لم تسبق لغيره صلى الله عليه وسلم أو المقصود التعجب فقط على حد سبحان الله المؤمن لاينجس: أى عجبا لباهر قدرة فاعل هذا الفعل وكماله أوالتنزيه مع التعجب كأنه قال عجبا لتنزيه الله تعالى عن كل نقص حيث صدر منه هذا الفعل العجيب الخارق للعادة (قوله الذى) اسم موصول مضاف لسبحان والموصول وإن كان مبهما إلا أنه تميز بالصلة فان هذه الصلة ليست لغيره تعالى سيما مع تصدير الجملة بالتسبيح الذى هو مختص بالله (قوله أسرى) هو وسرى فعل لازم بمعنى سار فى الليل فالهمزة ليست للتعدية إلى المفعول (قوله بعبده) لم يقل بنبيه ولا برسوله إشارة إلى أن وصف العبودية أخص الأوصاف وأشرفها لأنه إذا صحت نسبة العبد لربه بحيث لايشرك فى عبادته له أحدا فقد فاز وسعد، ولذا ذكره الله فى المقامات الشريفة كما هنا وفى مقام الوحى، قال تعالى - فأوحى إلى عبده ما أوحى - وفى مقام الدعوة، قال تعالى - وأنه لما قام عبد الله يدعوه - الخ، ولذا قال القاضى عياض:

ومما زادنى شرفا وتيها وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

وهناك وجه آخر وهو خوف ضلال أمته به كما ضلت أمة عيسى حيث قالوا ابن الله، وقوله بعبده: أى بروحه وجسمه على الصحيح خلافا لمن قال إن الاسراء بالروح فقط، ونقل عن عائشة وهو مردود بأنها كانت حديثة السن إذ ذاك ولم تكن فى عصمته صلى الله عليه وسلم (قوله محمد) إنما لم يصرح به لعلمه من السياق ومن سبب النزول (قوله وفائدة ذكره) أى مع علمه من ذكر الاسراء.

(قوله إلى تقليل مدته) أى فقيل قدر أربع ساعات وقيل ثلاث وقيل قدر لحظة . قال السبكى فى تائيته : وعدت وكل الأمر فى قدر لحظة (قوله من المسجد الحرام) من لابتداء الغاية (قوله أى مكة) إنما فسره بذلك ليصدق بكل من القولين وهما هل كان مضطجعا فى المسجد أو فى بيت أم هانىء وفى الحقيقة لا تخالف لأنه على القول بأنه كان فى بيت أم هانىء فقد احتملته الملائكة وجاءوا به إلى المسجد وشقوا صدره هناك ثم أتوا له بالبراق بعد ذلك فلم يحصل الاسراء إلا من المسجد فالأولى للمفسر أن يبقى الآية على ظاهرها ، وكان المسجد إذ ذاك بقدر المطاف ثم وسعه الملوك ، وأول من وسع فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه كانوا يشترون دور مكة ويدخلونها فيه (قوله إلى المسجد الأقصى) هو أول مسجد بنى فى الأرض بعد الكعبة بناه آدم بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة ، والحكمة فى الاسراء به إلى بيت المقدس بظهر شرفه على جميع الأنبياء والمرسلين لأنه صلى بهم إماما فى مكانهم وشأن الذى يتقدم على الانسان فى بيته يكون هو السلطان لأن السلطان له التقدم على غيره مطلقا وليسهل على أمته المحشر حيث وضع قدمه فيه فان الخلق يحشرون هناك (قوله بيت المقدس) من إضافة الموصوف لصفته : أى البيت المقدس : أى المطهر عن عبادة غيره تعالى ولذا لم يعبد فيه صنم قط (قوله الذى باركنا حوله) أى بركة دنيوية بالثمار والأنهار كما قال المفسر وأما فى داخله فليست مختصة به بل البركة فى كلا المسجدين بل هى أتم فى المسجد الحرام (قوله لنريه) اللام للحكمة : أى حكمة إسرائنا به رؤيته من آياتنا وعامة القراء على قراءته بالنون وقرأ الحسن ليريه بالياء فعلى الأول يكون فى الكلام التفاتان الأول من الغيبة للتكلم فى قوله باركنا ولنريه الثانى فى قوله ـ إنه هو السميع البصير ـ ، وعلى الثانى يكون فيه أربع التفاتات : الأول من الغيبة فى قوله بعبده إلى التكلم فى قوله باركنا . الثانى من التكلم إلى الغيبة فى ليريه . الثالث من الغيبة إلى التكلم فى قوله من آياتنا . الرابع من التكلم إلى الغيبة فى قوله ـ إنه هو السميع البصير ـ ومن فى قوله من آياتنا للتبعيض أى لنريه بعض آياتنا وإنما أتى بها تعظيما لآيات الله : أى أن محمدا وإن رأى ما رأى من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة فهو بعض بالنسبة لآيات الله وعجائب قدرته وجلائل حكمته . إن قلت إن ما هنا يقتضى التبعيض ، وقوله تعالى فى حق إبراهيم آتيت ـ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض ـ أنه لا تبعيض فظاهر هذا أن ما رآه إبراهيم أكثر مما رآه محمد وهو خلاف الاجماع . أجيب بأن ملكوت السموات والأرض بعض الآيات العظيمة التى رآها محمد فابراهيم رأى بعض البعض

إلى تقليل مدته (مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى مكة (إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى) بيت المقدس لبعده منه (الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ) بالثمار والأنهار (لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا) عجائب قدرتنا (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) أى العالم بأقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال :

(قوله إنه هو السميع البصير) المشهور أن الضمير عائد على الله تعالى : أى هو السميع للأقوال البصير بالأحوال والأفعال ، وقيل الضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وحكمة الاتيان بهذين الوصفين الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شاهد ما شاهد وسمع ما سمع ولم يزغ بصره ولم يدهش سمعه فهو نظير قوله تعالى ـ ما زاغ البصر وما طغى ـ إشارة إلى علو مقامه ورفعة شأنه ، ولذا قال العارف البرعى :

وإن قابلت لفظة لن ترانى ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فان الله كلم ذاك وحيا ... وكلم ذا مشافهة وأدنى

إلى أن قال :

فموسى خر مغشيا عليه ... وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

(قوله على اجتماعه بالأنبياء) أى الرسل وغيرهم وصلوا خلفه (قوله وعروجه إلى السماء) أى صعوده إليها محفوفا بالملائكة الكرام (قوله ورؤية عجائب الملكوت) أى كالملائكة والجنة والنار . واعلم أن العوالم أربع : عالم الملك وهو ما نشاهده ، وعالم الملكوت وهو ما خفى عنا ، وعالم الجبروت وهو العلوم والأسرار ، وعالم العزة وهو ما لا يمكن التعبير عنه كذات الله ويسمى سر سر السر . قال السيد البكرى : وبسر سر سرك الذى لا فى بالافصاح عن حقيقته الرقائق (قوله ومناجاته له تعالى) أى شفاها مع رفع الحجاب (قوله فانه صلى الله عليه وسلم الخ) القصد من ذلك تفصيل ما أجمل فى الآية الكريمة ، وقد اختلفت الروايات فى الاسراء والمعراج جدا ، وقد اقتصر المفسر على هذه الرواية لكونها رواية البخارى ومسلم .

(قوله أتيت بالبراق) أى بعد أن جاءه جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر فاحتملاه حتى جاءا به زمزم فأضجعوه وشقوا من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه وأخرجوا قلبه وغسلوه ثلاث مرات ثم ملئوه حلما وعلما ويقينا وإسلاما ثم أطبقوه وختموا بين كتفيه بخاتم النبوة ، ثم أتى بالبراق بضم الباء مأخوذ من البرق لسرعة سيره أومن البريق لشدة صفاء لونه ولمعانه وهو من جملة أربعين ألف براق ترتع فى رياض الجنة معدة له صلى الله عليه وسلم (قوله دابة) أى ليست ذكرا ولا أنثى ، وفى الاستعمال يجوز التذكير باعتبار كونه مركوبا ويؤنث باعتبار كونه دابة (قوله فوق الحمار ودون البغل) أى فهو متوسط بينهما (قوله عند منتهى طرفه) هو بسكون الراء البصر (قوله فركبته) أى وكان جبريل عن يمينه آخذا بركابه وميكائيل عن يساره آخذا بزمام البراق (قوله حتى أتيت بيت المقدس) فى هذه الرواية اختصار وزيد فى غيرها «أنه نزل بالمدينة ومدين وطورسيناء وبيت لحم فصلى فى كل موضع ركعتين بأمر من جبريل عن الله لتحصل زيادة بركته لتلك الأماكن وليقتدى به غيره فى العبادة بالأماكن المشرفة ورأى بين كل موضع والآخر عجائب وغرائب مذكورة فى قصة النجم الغيطى (قوله فربطت الدابة) يقال ربط يربط من باب ضرب شده (قوله بالحلقة) بسكون اللام ويجوز فتحها والربط تعليما للاحتياط فى الأمور وإشارة إلى أن الأخذ فى الأسباب لاينافى التوكل (قوله التى تربط فيها الأنبياء) أى الذين كانوا يأتون بيت المقدس لزيارته ، وفى رواية «أن جبريل أخذ البراق من الباب وأدخله المسجد وخرق الصخرة بأصبعه وربط البراق فيها» (قوله فصليت فيه ركعتين) أى إماما بالأنبياء أجسادا وأرواحا والملائكة وأرواح المؤمنين ، وهذه الصلاة لم يعلم كونها فرضا أو نفلا غاية مايقال إنه أمر بها وهو مطيع وفى الحديث اختصار لأنه طوى ذكر صلاة الركعتين تحية المسجد حين اجتمع جميع الأنبياء والملائكة وأرواح المؤمنين ، ويحتمل (٣١٣) أن يقال إن الركعتين المذكورتين فى الحديث هما تحية المسجد وطوى ذكر الركعتين اللتين أم فيهما الناس (قوله فجاءنى جبريل) أى حين أخذنى من العطش أشد ما أخذنى (قوله أصبت الفطرة) أى الخلقة الأصلية وهى فطرة الإسلام ، وفى بعض الروايات أن جبريل قال له «ولو اخترت الخمر لغوت أمتك ولم يتبعك منهم إلا القليل» وفى رواية : «أن الآنية كانت ثلاثا والثالث فيه ماء وأن جبريل قال له : ولو اخترت الماء لغرقت أمتك» (قوله قال) أى الراوى وهو أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله ثم عرج بى) أى بعد أن أتى بالمعراج ووضع على صخرة بيت المقدس وهو سلم له عشر مراق إحداها من ذهب والأخرى من فضة وأحد جانبيه من ياقوتة حمراء والآخر من ياقوتة بيضاء وهو مكلل بالدر سبع منها للسموات السبع والثامنة للسدرة والتاسعة للكرسى والعاشرة إلى العرش ، فلما هم بالصعود نزلت المرقاة التى عند السماء الدنيا فركبها وصعدت بهما إلى محلها ثم نزلت الثانية لهما وهكذا (قوله إلى السماء الدنيا) أى وهى من موج مكفوف والثانية من مرمرة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء والكرسى من ياقوتة بيضاء والعرش من ياقوتة حمراء وأبواب السماء كلها من ذهب وأقفالها من نور ومفاتيحها اسم الله الأعظم (قوله فاستفتح جبريل) أى طلب الفتح من الملك الموكل بالباب وحكمة غلقها إذ ذاك لزيادة الإكرام بالسؤال والترحيب له صلى الله عليه وسلم (قوله قيل من أنت الخ) فيه اختصار ، وفى الرواية المشهورة «قيل مرحبا به وأهلا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء» (قوله قيل وقد أرسل إليه) المعنى أجاء وقد أرسل إليه . إن قلت إن رسالته ليست خافية عليهم حتى يسألوا عنها . أجيب بأن المراد أرسل إليه للعروج إلى السموات والمكالمة (قوله فإذا أنا بآدم) فى بعض الروايات «وعن يمينه أسودة وباب يخرج منه ريح طيبة وعن يساره أسودة وباب يخرج منه ريح خبيثة ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر قبل شماله حزن وبكى ، فسأل جبريل عن ذلك ، فقال هذه الأسودة نسم بنيه والباب الذى عن يمينه باب الجنة والذى عن يساره باب النار فإذا رأى من يدخل قبل يمينه ضحك وإذا رأى من يدخل قبل يساره بكى

«أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الأنبياء ، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل أصبت الفطرة . قال : ثم عرج بى إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم ،

(قوله فرحب بى) أى قال مرحبا بالابن الصالح والنبى صالح (قوله ثم عرج بنا) أى أنا مع جبريل (قوله بابنى الخالة) فيه مساعة إذ عيسى ابن بنت خالة يحيى و يحيى ابن الخالة أم عيسى لأن عيسى ابن مريم وهى بنت حنة وحنة أخت إشاع و إشاع أم يحيى وقد اتصف عيسى بصفات للملائكة لايأكل ولا يشرب ولاينام (قوله شطر الحسن) أى نصفه والنصف الآخر قسم بين جميع الخلق وحسنه صلى الله عليه وسلم غير ذلك الحسن الذى أعطى يوسف شطره إذ هو غير منقسم ولم يعط منه شئ لغيره ، قال البوصيرى : منزه عن شريك فى محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

(قوله بإدريس) وهو أول من خاط الثياب وقبل ذلك كانوا يلبسون الجلود (قوله بهرون) فى بعض الروايات «ونصف لحيته سوداء ونصف لحيته بيضاء» وذلك من (٣١٤) مسك أخيه موسى لها حين جاء ووجد قومه قد عبدوا العجل (قوله فإذا أنا بموسى) فى بعض الروايات «وحوله نفر من قومه فلما جاوزته بكى فقيل له مايبكيك ؟ قال أبكى لأن غلاما بعث من بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل الجنة من أمتى فلو أنه فى نفسه لم أبال» وفى رواية «أنه سأل الله تعالى أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فأجابه الله» (قوله بإبراهيم) أى خليل الرحمن «فقال لى مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح ودعا لى بخير وقال أقرئ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» (قوله و إذا هو) القصد من ذلك بيان أن الملائكة لايعلم عدتهم إلا الله قال تعالى : وما يعلم جنود ربك إلا هو

فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل ومن معك ؟ قال : محمد. قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة يحيى وعيسى فرحبابى ودعوا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال محمد . فقيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف و إذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل . فقيل: من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل . فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل : فقيل ومن معك ؟ قال : محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهرون فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال محمد . فقيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذ أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت فقال : جبريل . فقيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور و إذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة و إذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلىّ ما أوحى ،

وفرض

(قوله ثم ذهب بى) أى عرج بى لأن هذا هو المعراج الثامن (قوله إلى سدرة المنتهى) أى إلى أعلاها فإن السدرة أصلها فى السماء السادسة وأغصانها وفروعها فوق السماء السابعة (قوله كآذان الفيلة) أى فى الشكل و إلا فكل ورقة تظل هذه الأمة (قوله كالقلال) جمع قلة وكانت معلومة عند المخاطبين ، وفى بعض الروايات «كقلال هجر» وهى بلدة القلة منها كالزير الكبير (قوله فلما غشيها) أى قام بها من الحسن والبهاء (قوله قال فأوحى) فيه اختصار أى ثم رفع إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام وهو المعراج التاسع ثم دلى الرفرف فزج به فى النور ، فعند ذلك تأخر جبريل فقال له أهنا يفارق الخليل خليله ؟ فقال له هذا مكانى فلو فارقته لاحترقت من النور أى ذهب نورى وتلاشيت لشدة الأنوار وظهورها ، قال رسول الله فخاطبنى ربى ورأيته بعينى بصرى وأوحى إلىّ الخ (قوله ما أوحى) أبهم ذلك إشارة إلى عظم ما أوحى به إليه وعدم إحاطة جميع الخلق به ، قال البوصيرى .

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم (قوله وفرض علىّ الخ) عطف خاص على عام و إنما صرّح به لتعلقه بالأمة ، وأما عطاياه التى تخصه فلم يعبر عنها إذ لاتحيط بها العبارة ولاتحصيها الاشارة وقوله علىّ أى وعلى أمتى لأن الأصل عدم الخصوصية إلابدليل يدل على التخصيص فذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على أمته (قوله فنزلت) أى ومررت على إبراهيم فلم يقل شيئا (قوله إلى موسى) أى فى السماء السادسة ، والحكمة فى أن موسى اختص بالمراجعة دون غيره من الأنبياء أن أمته كلفت من الصلوات بما لم يكلف به غيرها فثقلت عليهم فرفق موسى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم لكونه طلب أن يكون منها وأيضا فقد طلب موسى الرؤية فلم ينلها ومحمد نالها من غير طلب فأحب مراجعته وتردّده ليزداد من نور الرؤية فيقتبس موسى من تلك الأنوار ليكون رائيا من رأى ، قال ابن الفارض :

أبق لى مقلة لعلى يوما قبل موتى أرى بها من رآك

وفى هذا المعنى قال ابن وفا :

والسرّ فى قول موسى إذ يردده ليجتلى النور فيه حيث يشهده
يبدو سناه على وجه لرسول فيا لله حسن جمال كان يشهده (٣١٥)

وفرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ، فقال : مافرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لاتطيق ذلك وإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم . قال فرجعت إلى ربى فقلت: أى رب خفف عن أمتى فحط عنى خمسا فرجعت إلى موسى قال : مافعلت ؟ فقلت : قد حط عنى خمسا قال : إن أمتك لاتطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال : فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى ويحط عنى خمسا خمسا حتى قال : يامحمد هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة ، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا . ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب ، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فقلت : قد رجعت إلى ربى حتى استحييت » رواه الشيخان واللفظ لمسلم . وروى الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ربى عزّ وجلّ » . قال تعالى:

(قوله وخبرتهم) أى جربتهم حيث كلفهم الله ركعتين فى الغداة وركعتين فى وقت الزوال وركعتين فى العشىّ فلم يطيقوا ذلك وعجزوا عنه (قوله قال فرجعت إلى ربى) أى إلى المكان الذى ناجيت فيه ربى وليس المراد أن الله فى ذلك المكان ورجع له فان اعتقاد ذلك كفر بل المراد أن الله جعل هذا المكان محلا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يناجيه فيه ليجمع له بين الرفعتين الحسية والمعنوية (قوله ويحط عنى) أى الله تعالى فجملة المرات تسع وكل مرة يرى فيها ربه كما رآه فى المرة الأولى فقد رأى ربه فى تلك الليلة عشر مرات (قوله حتى قال الخ) هذا حديث قدسى من هنا إلى قوله : كتبت سيئة واحدة (قوله بكل صلاة عشر) أى فى المضاعفة والثواب فقد تفضل سبحانه وتعالى بتكثير الثواب على تلك الخدمة القليلة (قوله ومن همّ بحسنة) المراد بالهمّ ترجيح الفعل دون عزم وتصميم لأنه الذى يكتب فى الخير ولايكتب فى الشر ، وأما العزم والتصميم فيكتب فى الخير والشر ، وأما الهاجس والخاطر وحديث النفس فلايؤاخذ الانسان بها لا فى خير ولاشر ، وقد نظم بعضهم الخمسة بقوله :

مراتب القصد خمس هاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعا
يليه همّ فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

(قوله فنزلت) فى بعض الروايات أن الله قال له « قد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » (قوله استحييت) بياءين بعد الحاء المهملة (قوله رواه الشيخان) أى البخارى ومسلم ، والمعنى رويا معنى حديث الاسراء واتفقا عليه (قوله واللفظ لمسلم) أى وأما البخارى ففيه تغيير لبعض الألفاظ (قوله رأيت ربى) أى بعينى رأسى وأتى بهذا الحديث تتميما للقصة ثم بعد تمام الأمر هبط من

السموات السبع إلى بيت المقدس فركب البراق وأتى مكة قبيل الصبح فلما أصبح قطع وعرف أن الناس تكذبه فقعد حزينا فمرّ به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسرى بى الليلة قال إلى أين ؟ قال إلى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فقال أبو جهل إذا دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى به ؟ قال نعم فقال يامعشر بنى كعب بن لؤى هلموا فجاءوا حتى جلسوا إليهما فحدثهم صلى الله عليه وسلم بذلك ، فبقى الناس بين مصفق وواضع يديه على رأسه متعجبا وضجوا لذلك وعظموه فجاء أبو بكر فحدثه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صدقت صدقت فقالوا أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح فقال نعم إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء فى غدوة أوروحة فلذلك سمى الصديق فقال القوم صف لنا بيت المقدس فشرع فى وصفه حتى إن جبريل نقله من مكانه ووضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم وجعل ينظر إليه و يصف لهم فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم عنها تفصيلا فقالوا إن هذا لسحر مبين فأنزل الله تعالى : وماجعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس (قوله وآتينا موسى) معطوف على جملة : سبحان الذى أسرى بعبده ومناسبته لما قبلها أن كلا متعلقة بعطايا نبى فالأولى متعلقة بعطايا سيدنا محمد وهذه متعلقة بعطايا موسى عليهما الصلاة والسلام بجامع أن موسى أعطى التوراة بسيره إلى الطور وهو بمنزلة معراجه صلى الله عليه وسلم لأنه منح ثمة التكليم وشرف باسم الكليم (قوله وجعلناه) أى موسى أو الكتاب (قوله هدى) أى هاديا من الضلالة والشرك (قوله أن لا يتخذوا) أن مصدرية ولا نافية والفعل منصوب بحذف النون ولام التعليل مقدرة كما زادها المفسر وهذا على قراءة التحتية وأما على قراءة التاء الفوقية فالفعل مجزوم بلا الناهية وأن زائدة والقول مقدر والتقدير

(وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) لـ(أ) ن (لاَ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً) يفوضون إليه أمرهم . وفى قراءة تتخذوا بالفوقانية التفاتا فأن زائدة والقول مضمر . يا (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) فى السفينة (إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً) كثير الشكر لنا حامداً فى جميع أحواله (وَقَضَيْنَا) أوحينا (إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ) التوراة (لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ) أرض الشام بالمعاصى (مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً) تبغون بغياً عظيما (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا) أولى مرتى الفساد (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) أصحاب قوة فى الحرب والبطش (فَجَاسُوا) ترددوا لطلبكم (خِلَالَ الدِّيَارِ) وسط دياركم ليقتلوكم و يسبوكم (وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً) وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا ،

وقلت لهم لاتتخذوا الخ وقوله من دونى فى محل المفعول الثانى ووكيلا مفعول أول وهو مفرد فى اللفظ جمع فى المعنى أى لا تتخذوا وكلاء غيرى تلتجئون إليهم وتفوضون أموركم إليهم (قوله فأن زائدة) المناسب أنها هنا مفسرة لأن هذا ليس من مواضع زيادتها وحينئذ فيقدر جملة فيها معنى القول دون حروفه ، ولما كان وجه زيادتها ظاهرا بحسب الصورة حملها المفسر عليه فتبعه (قوله ذرّية الخ) أعربه المفسر منادى وحرف النداء محذوف وحينئذ فالمعنى ياذرّية من حملنا مع نوح وحدوا الله واعبدوه واشكروه فى جميع حالاتكم كما كان نوح إنه كان عبدا شكورا فقوله إنه كان الخ تعليل لمحذوف وهذا هو الأقرب والأسهل و بعضهم أعرب ذرّية مفعولا ثانيا لتتخذوا ووكيلا مفعولا أول أو ذرّية بدل من وكيلا أو منصوب على الاختصاص فتحصل أن فى إعراب ذرية أربعة أقوال أسهلها مامشى عليه المفسر (قوله أوحينا) فسر القضاء بالوحى لتعديه بإلى فإن قضى يتعدى بنفسه أو بعلى وهاهنا فهو مضمن معنى الإيحاء ، والمراد بالكتاب التوراة و يصح أن يبقى القضاء على بابه من أن معناه التقدير والحكم وتكون إلى بمعنى على أى حكمنا وقدّرنا على بنى إسرائيل ، وحينئذ فالمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (قوله مرتين) تثنية مرة وهى الواحدة من المرّ أى المرور (قوله تبغون) أى تظلمون وتطغون (قوله وعد أولاهما) المراد بالوعد الوعيد أى جاء وقت عقاب الموعود به (قوله بعثنا عليكم عبادا لنا) أى جالوت وجنوده كما يأتى للمفسر ، وقيل بختنصر (قوله فجاسوا) هو بالجيم باتفاق الجمهور وقرئ شذوذا بالحاء المهملة ، والمعنى على كل نقبوا وفتشوا (قوله خلال الديار) إما مفرد بمعنى وسط كما قال المفسر أو جمع خلل كجبل وجبال (قوله وكان) أى البعث المذكور وتفتيش الأعداء عليهم (قوله بقتل زكريا الخ) مشى المفسر على أن المرة الأولى هى قتل زكريا والثانية هى قتل ولده يحيى ، ومشى غيره على أن المرة الأولى مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء وقيل أرمياء ، والثانية قتل زكريا و يحيى وقصد قتل عيسى .

(قوله فبعث عليهم جالوت وجنوده) الصحيح ان الذى بعث عليهم فى المرة الأولى بختنصر، قيل وقد كانت مدة ملكه سبعمائة سنة. وأما جالوت وجنوده فلم يقع منهم تخريب لبيت المقدس بل جاءوا لغزوهم فخرج إليهم داود وطالوت بجيوشهم فقتل الله جالوت على يد داود كما تقدم مفصلا فى سورة البقرة (قوله الدولة) فى المصباح تداول القوم الشئ وهو حصوله فى يد هذا تارة وفى يد هذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر كقصعة وقصع وجمع المضموم دول كغرفة وغرف اه (قوله والغلبة) تفسير (قوله وأمددنا كم بأموال و بنين) أى بعد النهب والقتل الأول (قوله أكثر نفيرا) أى أكثر الناس اجتماعا وذهابا للعدو، ونفيرا منصوب على التمييز (قوله إن أحسنتم) الخطاب لبنى إسرائيل (قوله أحسنتم لأنفسكم) أى فلا يصل إلىّ شئ من طاعتكم إذ مستحيل على الله تعالى أن يصل له من عباده نفع أو ضر وحينئذ فلا ينبغى للانسان أن يفتخر بطاعته بل يعمل الطاعة وهو راج قبولها من ربه لأنها علامة على دوام السعادة لصاحبها وأنه من أهل النعيم ففى الحديث «ياعبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى وإنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». وقال العارف:

ماذا يضرك وهو عاص أو يفيدك وهو طائع

(٣١٧)

فبعث عليهم جالوت وجنوده بقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ) الدولة والغلبة (عَلَيْهِمْ) بعد مائة سنة بقتل جالوت (وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) عشيرة وقلنا (إِنْ أَحْسَنْتُمْ) بالطاعة (أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ) لأن ثوابه لها (وَإِنْ أَسَأْتُمْ) بالفساد (فَلَهَا) إساءتكم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ) المرة (الْآخِرَةِ) بعثناهم (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ) يحزنوكم بالقتل والسبى حزنا يظهر فى وجوهكم (وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ) بيت المقدس فيخربوه (كَمَا دَخَلُوهُ) وخربوه (أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا) يهلكوا (مَا عَلَوْا) غلبوا عليه (تَتْبِيرًا) هلاكا وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى، فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس، وقلنا فى الكتاب (عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ) بعد المرة الثانية إن تبتم (وَإِنْ عُدْتُمْ) إلى الفساد (عُدْنَا) إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فسلط عليهم بقتل قريظة ونفى النضير وضرب الجزية عليهم (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا) محبسا وسجنا،

فمن ظن أن الله ينتفع بالعبادة فقد كفر لنسبته الافتقار له، تعالى الله عنه (قوله فلها) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر واللام بمعنى على وإنما عبر بها للمشاكلة (قوله فاذا جاء) جواب الشرط محذوف قدره المفسر بقوله بعثناهم دل عليه جواب إذا الأولى (قوله الآخرة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله المرة (قوله ليسوءوا وجوهكم) متعلق بهذا الجواب المحذوف وفيها ثلاث قراءات سبعية الأولى بضمير الجماعة مع الياء فالواو فاعل الثانية بنون العظمة وفتح الهمزة آخرا والفاعل هو الله الثالثة بالياء المفتوحة والهمزة المفتوحة والفاعل إما الله وإما الوعد وإما البعث وإما النفير تأمل (قوله بقتل يحيى) أى وقيل بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى (قوله فبعث عليهم بختنصر) هو بضم الباء وسكون الخاء المعجمة والتاء المثناة معناه ابن ونصر بفتح النون وتشديد الصاد والراء المهملة اسم صنم وهو علم أعجمى مركب، وسمى بذلك لأنه وجد وهو صغير مطروحا عند صنم ولم يعرف له أب فنسب إليه، قيل إنه ملك الأقاليم كلها، وقيل المسلط عليهم فى المرة الثانية خردوش ملك من ملوك بابل وسيأتى فى السيرة (قوله ألوفا) أى نحو الأربعين (قوله وسبى ذريتهم) أى نحو السبعين ألفا (قوله وقلنا فى الكتاب) أى التوراة (قوله وضرب الجزية عليهم) أى على باقيهم كأهل خيبر (قوله وسجنا) تفسير فيكون معنى حصيرا محلا حاصرا لهم وقيل حصيرا فرشا كالحصير فيكون بمعنى قوله تعالى - لهم من جهنم مهاد - [تتمة] يذكر فيها تلخيص القصة التى ذكرها المفسرون فى هذه الآيات قال محمد بن إسحق: كانت بنو إسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله متجاوزا عنهم ومحسنا إليهم وكان أول مانزل بهم أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله إذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا يسدده ويرشده ويتبع الأحكام التى تنزل عليه فبعث الله معه شعيا بن أمضيا عليه السلام وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى، ففى آخر مدة صديقة عظمت الأحداث

فيهم والمعاصي فبعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة ألف راية فنزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاء شعيا إليه وقال ياملك بني إسرائيل إن سنحاريب نزل بك هو وجنوده فقال يانبي الله هل أتاك من الله وحي فيما حدث فتخبرنا به فقال لم يأتني وحي في ذلك فبينماهم على ذلك أوحى الله إلى شعياء أن ائت إلى ملك بني إسرائيل فمره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فانه ميت فأخبره شعيا بذلك فأقبل الملك على القبلة وصار يصلي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص فاستجاب الله دعاء الملك وأوحى إلى شعياء أن أخبر صديقة أن ربه استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنحاريب فلما قال له ذلك انقطع عنه الحزن وخر ساجدا شاكرا لله متضرعا فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك يأتي بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فأخبره ففعل فشفاه الله ، فقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لشعيا سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه فلما أصبح وجدوا الأمر كما ذكر فخرج الملك يلتمس سنحاريب فلم يجده في الموتى فبعث في طلبه فأدركه ومعه خمسة نفر أحدهم بختنصر فجعلوهم في أطواق الحديد ، وقال الملك لسنحاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ونحن وأنتم غافلون فقال سنحاريب قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم قبل أن أخرج من بلادي فلم أطع مرشدا وأوقعني في الشقوة قلة العقل ، فقال الملك لسنحاريب إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة بك عليه وإنما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم ثم إن الملك أطال عليهم العذاب ، فقال سنحاريب له القتل خير مما يفعل فأوحى الله إلى شعيا أن يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ففعل فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل فأخبروهم الخبر فقال له قومه نهيناك فلم تطعنا وهي أمة لايستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب تخويفا لبني إسرائيل ثم كفاهم الله تعالى شرهم تذكرة وعبرة ثم إن سنحاريب لبث سبع سنين ومات فاستخلف على ملكه بختنصر (٣١٨) فعمل بعمله واستمر متباعدا عن بني إسرائيل حتى مات ملكهم فتنافسوا في الملك وقتل بعضهم بعضا وشعيا ينهاهم فلم يقبلوا فأوحى الله لشعيا قم في قومك اوح على لسانك فلما قام وأؤلف

... ...

أنطق الله لسانه بالوحي فقال ياسماء استمعي ويا أرض أنصتي فان الله يريد أن يقضي شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطنعهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها وضرب الله لهم مثلا ثم قال إنه مثل ضربته لهم يتقربون إليّ بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا إليّ بالتقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمتها وأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها يشيدون لي بالبيوت مساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويزوّقون لي المساجد ويزينونها ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها وأي حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لايستجاب لنا . قال لله فسلهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي أم كيف تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما آجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب دعاءهم وإنما هو قول بألسنتهم والفعل من ذلك بعيد إلى أن قال وإني قدقضيت يوم خلقت السموات والأرض أن أجعل النبوة في الأجراء وأن أجعل الملك في الرعاء والعز في الأذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحلم في الأميين فسلهم متى هذا ومن القائم بها من أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون فاني باعث نبيا أميا ليس أعجميا من عميان ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولاصخاب في الأسواق ولا متزين بالفحش ولاقوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة

وألف به بين قلوب مختلفة وأهواء مشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر توحيداً لى و إيماناً بى و إخلاصاً لى يصلون لى قياماً وقعوداً وركعاً وسجوداً يقاتلون فى سبيلى صفوفاً وزحوفاً و يخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والمدحة لى والتمجيد لى فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم قربانهم دماؤهم وأناجيلهم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى أوتيه من أشاء والله ذو الفضل العظيم ، فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله عليهم ملكاً يقال له ناشئة بن أموص و بعث لهم أرميا بن حلقيا نبياً ثم عظمت الأحداث وارتكاب المعاصى فأوحى الله إلى أرميا أن ائت قومك من بنى إسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به الى أن قال و إنى حلفت بعزتى لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسلطن عليهم جباراً قاسياً ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ، وكان من أجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام سخر له الجن فأتوه بالذهب والفضة والمعادن وأتوه بالجوهر والياقوت والزمرد و بنوه بهذه الأصناف فاحتمل تلك المعادن والأموال على سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة فأودعها ببابل وأقاموا يستخدمون بنى إسرائيل بالخزى والنكال مائة عام إلى أن قال فذلك قوله تعالى ــ فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد ــ يعنى بختنصر وأصحابه ثم إن بختنصر قام فى سلطانه ماشاء الله ، ثم رأى رؤيا عجيبة إذ رأى شيئاً أصابه فأنساه الذى رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاز يا وميشايل وكانوا من ذرارى الأنبياء وسألهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها قال ماأذكرها ولئن لم تخبرونى بها و بتأويلها لأنزعن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله فأعلمهم بالذى سألهم فجاءوا فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس و بطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه **(٣١٩)** من حديد قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك أرسل الله

... ...

عليه صخرة فدقته فهى التى أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا إنك أريت ملك الملوك بعضهم كان ألين ملكاً و بعضهم كان أحسن ملكاً و بعضهم كان أشد ملكاً فالفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك والذهب أحسن من الفضة ثم الحديد ملكك فهو أشد مما كان قبله والصخرة التى رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبى يبعثه الله فيدق ذلك أجمع و يصير الأمر إليه فلما تجبر بختنصر على أهل الأرض ظن أنه بحوله وقوته فقال لأصحابه قد ملكت الأرض فأخبرونى كيف لى أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً فبعث الله عز وجل إليه بعوضة فدخلت فى منخره حتى عضت على أم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى مات فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه وارتحل من بقى من بنى إسرائيل إلى الشام وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه وكانت التوراة قد حرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل ، فلما رجع إلى الشام جعل يبكى ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك إذا جاءه ملك على صورة رجل ، فقال له ياعزير مايبكيك . قال أبكى على كتاب الله وعهده الذى لايصلح ديننا وآخرتنا غيره . قال أفتحب أن يرد إليك ارجع فصم وتتطهر وطهر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً ففعل فأتى ذلك الرجل بإناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة فى صدره فرجع إلى بنى إسرائيل فأملاها لهم وعادت كما كانت ورجعت بنو اسرائيل لكثرة الأحداث والمعاصى يكذبون الأنبياء ويقتلونهم ، وكان آخر من بعث إليهم زكريا ويحيى وعيسى فقتلوا زكريا ويحيى وقصدوا إلى قتل عيسى فرفعه الله ، والسبب فى قتل يحيى أن ملك بنى إسرائيل كان يكرمه ويدنى مجلسه وأن الملك هوى بنت امرأته ، وقيل بنت أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثياباً رقاقاً حمراً وطيبتها وألبستها الحلى وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ماتسأله فسألته أن يأتيها برأس يحيى فى طشت ففعل ، وفى الحديث « لاخير فى الدنيا فان يحيى بن زكريا قتلته امرأة » فسلط الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش فسار إليهم بأهل بابل فدخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤساء جنوده يقال له بيروزاذان فدخل بيت المقدس .

فقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه ، فقال يابنى إسرائيل: ماشأن هذا الدم يغلى أخبرونى خبره ؟ فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلى ، فقال ماصدقتمونى وقتل منهم سبعمائة وسبعين روحا فلم يهدأ الدم ، فأمر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فقال لهم يابنى إسرائيل ويلكم أصدقونى قبل أن لا أترك منكم نافخ نار من ذكر ولا أنثى إلا قتلته فأخبروه أنه دم يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى لمثل هذا ينتقم منكم ربكم وآمن بالتوراة وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان هنا من جيش خردوش ، ثم قال يايحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ الدم باذن الله ورفع القتل عن بنى إسرائيل ، وقال لهم إن خردوش أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكرى وإنى لا أستطيع أن أعصيه ، فأمرهم فحفروا خندقا وأتوا بالخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم ، فأمر بذبحها حتى سال الدم فى العسكر ، وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ماقتل من المواشى ، فلم يظن خردوش إلا أن مافى الخندق من دماء بنى إسرائيل فاكتفى بذلك وأمر برفع القتل ، وهذه هى الواقعة الأخيرة التى أنزل الله فيها ـ فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم ـ الخ ثم انتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونان إلا أن بقايا بنى إسرائيل كثير وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على وجه الملك وكانوا فى نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا ، فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوش الرومى فخرب بلادهم وطردهم عنها ، ونزع الله منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا فى أمة إلا وعليهم الصغار والجزية وبقى بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره اه (قوله إن هذا القرآن) أى الذى أنزل على محمد (قوله يهدى) أى يرشد و يوصل (قوله للتى هى أقوم) أى فمن تمسك به نجا ومن حاد عنه هلك ففى الحديث « إنى تارك فيكم ثقلين ماإن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتى» (قوله أجرا كبيرا) أى لايعلم قدره غيره تعالى

(٣٢٠)

(إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى) أى للطريقة التى (هِىَ أَقْوَمُ) أعدل وأصوب (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً . وَ) يخبر (أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا) أعددنا (لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) مؤلما هو النار (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ) على نفسه وأهله إذا ضجر (دُعَاءَهُ) أى كدعائه له (بِالْخَيْرِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ) الجنس (عَجُولاً) بالدعاء على نفسه وعدم النظر فى عاقبته (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ) دالتين على قدرتنا (فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ) طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه والإضافة للبيان (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) أى مبصرا فيها بالضوء ،

وهذا الأجر ثابت لمن عمل الصالحات و إن لم يكن حافظا لألفاظ القرآن بل المدار على امتثال الأوامر واجتناب النواهى (قوله ويخبر) أشار بذلك إلى أن قوله وأن الذين لايؤمنون الخ معطوف على يبشر فهو غير داخل فى حيز البشارة (قوله أعددنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله ويدع الانسان) حذفت الواو لالتقاء الساكنين وحذفت من الخط تبعا لحذفها من اللفظ (قوله إذا ضجر) أى أصابه شدة الغم والغيظ (قوله أى كدعائه) أشار بذلك إلى أن الكلام على التشبيه ، والمعنى أن الانسان إذا أصابه الغم يدعو على نفسه وأهله بالشر كما يدعو لهم بالخير إذا كان منبسطا راضيا ، وتقدم فى قوله تعالى ـ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم ـ الآية أن الله يستجيب الدعاء بالخير ولايستجيب الدعاء بالشر (قوله عجولا) أى لايتأمل فى عاقبة مايريد فعله بل يقدم على فعل كل ماخطر بباله ، فاذا كان كذلك فينبغى للانسان التأنى فى الأمور وتفويضها إلى الله تعالى ليحصل له الراحة فى الدنيا والسعادة فى العقبى ولا يتعجل فى الأمور بحيث يسارع إلى الانتقام ممن ظلمه والدعاء على من أساء عليه بل الواجب إما التفويض أو الدعاء للظالم بالهداية والتوفيق للخير (قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين) أى علامتين على عظيم قدرتنا وباهر حكمتنا حيث جعلناهما على منوال واحد ينقص هـذا و يزيد هذا (قوله فمحونا آية الليل) أى خلقناه على هذه الحالة ، وليس المراد أنه كان مضيئا ثم محى ضوءه ، وفى الحقيقة فى الكلام حكمتان : الأولى ذكر خلق الليل والنهار من حيث ذاتهما وهى الدلالة على باهر قدرة صانعهما . الثانية حكمة كون الليل خلق مظلما والنهار خلق مضيئا ، وهى لتسكنوا فى الليل ولتبتغوا من فضله فى النهار (قوله لتسكنوا فيه) قدره أخذا له من مقابله وهو قوله فى جانب النهار لتبتغوا الخ (قوله والاضافة للبيان) أى آية هى الليل وكذا يقال فى آية النهار (قوله أى مبصرا فيها) هو بفتح الصاد وأشار بذلك إلى أن الكلام فيه الحذف والايصال حذف الجار فاتصل الضمير فيكون فيه مجاز عقلى من إسناد الحدث إلى زمانه (لتبتغوا)

(لتبتغوا) فيه (فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ) بالكسب (وَلِتَعْلَمُوا) بهما (عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) للأوقات (وَكُلَّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) بيناه تبييناً (وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ) عمله يحمله (فِي عُنُقِهِ) خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد. وقال مجاهد : مامن مولود يولد إلا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شقى أو سعيد (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً) مكتوبا فيه عمله (يَلْقَاهُ مَنْشُوراً) صفتان لكتابا و يقال له (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) محاسبا (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) لأن ثواب اهتدائه له (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) لأن إثمه عليها (وَلَا تَزِرُ) نفس (وَازِرَةٌ) آثمة ، أى لا تحمل (وِزْرَ) نفس (أُخْرَى) .

(قوله لتبتغوا) أى تطلبوا (قوله ولتعلموا بهما) أى فهو متعلق بكل من محونا وجعلنا لأن علم عدد السنين والحساب بمرور الليل والنهار جميعا (قوله والحساب) هو معطوف على عدد ولا يقال هو تكرار لأنه يقال إن العدد موضوع الحساب (قوله وكل شيء فصلناه) الأحسن أنه من باب الاشتغال فكل منصوب بفعل محذوف يفسره قوله فصلناه وكذا يقال فى قوله وكل إنسان ألزمناه (قوله للأوقات) أى كآجال الديون وأوقات الصلاة والحج والصوم والزكاة وغير ذلك من أمور الدين والدنيا (قوله تفصيلا) مصدر مؤكد لعامله إشارة إلى أن الله لم يترك شيئا من أمور الدين والدنيا إلا بينه نظير قوله تعالى - مافرطنا فى الكتاب من شيء - (قوله وكل إنسان ألزمناه طائره) فسر المفسر الطائر بالعمل وفسره غيره بالكتاب و إليه يشير بقول مجاهد وسمى العمل طائرا ، إما لأن العرب إذا أرادوا فعل أمر نظروا إلى الطير إذا طار فان طار متيامنا قدموا على ذلك الأمر وعرفوا أنه خير و إن طار متياسرا تأخروا وعرفوا أنه شر فلما كثر ذلك منهم سموا نفس الخير والشر بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه (قوله خص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد) أى ولأن العنق إما محل الزينة كالقلادة ونحوها أو الشين كالأغلال ونحوها فان كان عمله خيرا كان كالقلادة فى عنقه وهو مما يزينه و إن كان شرا كان كالغل فى عنقه وهو مما يشينه (قوله مكتوب فيها شقى أو سعيد) خص مجاهد السعادة والشقاوة و إن كان الرزق والأجل مكتوبين فيها أيضا ، لأن السعادة أو الشقاوة هما اللذان يبقيان معه فى الآخرة ، وأما الرزق والأجل فينقضيان بموته (قوله ونخرج له يوم القيامة كتابا) قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك ، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن يسارك فيحفظ عليك سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (قوله اقرأ كتابك) روى أن الانسان يقرأ كتابه وان لم يكن قارئا فى الدنيا (قوله كفى بنفسك) الباء زائدة فى فاعل كفى وحسيبا تمييز وعليك متعلق به وحسيبا إما بمعنى حاسب او كاف أو محاسب كما قال المفسر ، والمعنى أنه يكتفى بمحاسبة الشخص لنفسه فلا يحتاج لأحد يحاسبه بل إذا أنكر تشهد عليه أعضاؤه بما عملت ، ثم ماشى عليه المفسر من أن المراد بالطائر العمل يكتب و يوضع فى عنقه وهو فى بطن أمه فيلزمه مادام فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة يخرج له كتابا من خزانة تحت العرش وهو الصحيفة التى كانت الملائكة تكتب عليه فى الدنيا فيأخذها إما بيمينه إن كان مسلما أو بشماله إن كان كافرا فيقابله على مافى عنقه هو أحد تفسيرين فى الآية . والآخر أن الكتاب واحد تكتبه الملائكة عليه مادام فى الدنيا فاذا مات طوى ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة أخرج من تلك الخزانة وألزمه فى عنقه ، فيكون معنى ألزمناه طائره فى عنقه : أى فى يوم القيامة عند تطاير الصحف و يكون عطف قوله ونخرج له يوم القيامة على ما قبله من عطف السبب على المسبب (قوله فإنما يهتدى لنفسه) أى فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه لا تتعداه إلى غيره (قوله فإنما يضل عليها) أى فإنما و بال ضلاله على نفسه لا على من عداه ممن لم يباشر وهذا تحقيق لمعنى قوله تعالى - وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه - (قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس مذنبة بل ولا غير مذنبة ذنوب نفس أخرى . إن قلت ورد فى الحديث « من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة » فمقتضاه أنه يحمل وزره فيكون منافيا لهذه الآية . أجيب بأن المراد بالوزر الذى يحمله فى الحديث وزر التسبب ولا شك أن التسبب من فعل الشخص ومع ذلك فلا ينقص من وزر الفاعل شيء فالمتسبب الفاعل يعاقب على فعله وتسببه والفاعل بدون تسبب يعاقب على فعله فقط .

(قوله وما كنا معذبين) أى ولا مثيبين على الأعمال لأن شرط صحة العبادات ووجوبها بلوغ الدعوة فمن لم تبلغه الدعوة لاتجب عليه عبادة ولا تصح منه لو فعلها فلا يثاب عليها ، وعموم هذه الآية يدل على أن أهل الفترة جميعا ناجون بفضل الله ولو غيروا و بدلوا ؛ وما ورد من تخصيص بعض أفراد كحاتم الطائى وامرىء القيس بدخولهم النار فهى أحاديث آحاد لاتعارض القطعى (قوله مترفيها) الترفه بالضم النعمة والطعام الطيب والشىء الظريف (قوله منعميها) أى المنهمكين فى شهواتها الغافلين عن الآخرة (قوله بالطاعة) متعلق بأمرنا (قوله بإهلاك أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف : أى دمرنا أهلها (قوله وكم أهلكنا) كم خبرية منصوبة بأهلكنا ومن القرون تمييز لكم (قوله من بعد نوح) خصّ بالذكر لأنه أول من كذبه قومه (قوله وكفى بربك) الباء زائدة فى الفاعل وخبيرا بصيرا تمييزان و بذنوب متعلق بخبيرا بصيرا وقوله عالما ببواطنها وظواهرها لف ونشر مرتب ، فالعلم بالبواطن هو معنى الخبير ، و بالظواهر هو معنى البصير (قوله و به يتعلق بذنوب) هكذا فى النسخ التى بأيدينا ولعلّ فيه تحريفا ، والأصل و بذنوب متعلق بخبيرا بصيرا (قوله من كان يريد العاجلة) أى من كان حظه الدنيا فهو صادق بالكافر والمنافق و يدخل فى ذلك المراءون بأعمالهم إذ لولا المدحة والثناء عليهم مافعلوا الطاعات (قوله عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) أى أعطينا لمن نريد فى الدنيا الذى نشاؤه من سعة رزق وعافية وغير ذلك ، والمعنى لانزيده على ما قدر له أزلا بل مايعطى إلا ماسبق فى علمه تعالى أنه يعطاه فمحبته فى الدنيا لم تزده شيئا منها فينبغى الاخلاص فى العبادة والتوجه لله تعالى والاقبال عليه ليحظى بسعادة الدارين (قوله بدل من له) أى أن قوله لمن نريد بدل من قوله له بدل بعض من كل بإعادة اللام وقوله عجلنا جواب الشرط وهو من وكان فعله و يريد خبر كان واسمها ضمير مستتر (قوله ثم جعلنا) أتى بثم إشارة إلى أن دخول النار متأخر (قوله ملوما) أى أن الخلق كيف

وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ) أحداً (حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) يبين له ما يجب عليه (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) منعميها بمعنى رؤسائها بالطاعة على لسان رسلنا (فَفَسَقُوا فِيهَا) فخرجوا عن أمرنا (فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) بالعذاب (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها (وَكَمْ) أى كثيراً (أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً) عالما ببواطنها وظواهرها . و به يتعلق بذنوب (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (الْعَاجِلَةَ) أى الدنيا (عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ) التعجيل له بدل من له بإعادة الجار (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ) فى الآخرة (جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا) يدخلها (مَذْمُوماً) ملوما (مَدْحُوراً) مطروداً عن الرحمة (وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا) عمل عملها اللائق بها (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) حال (فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً) عند الله أى مقبولا مثابا عليه (كُلًّا) من الفريقين (نُمِدُّ) نعطى (هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ) بدل (مِنْ) متعلق بنمد (عَطَاءِ رَبِّكَ) فى الدنيا (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ) فيها (مَحْظُوراً) ممنوعا عن أحد (انْظُرْ ،

فى القيامة يلومونه على ماحصل منه فى الدنيا (قوله مدحورا) من دحر يدحر من باب خضع فهو مدحور بمعنى أن الله طرده وأبعده عن جنته (قوله ومن أراد الآخرة) أى من كان حظه و بغيته ومنتهى آماله الدار الآخرة بأن لم يجعل الدنيا قرارا له ولا وطنا بل جعلها سفينة موصلة لمقصوده (قوله سعيها) إما مفعول به أو مفعول مطلق ، والمعنى كما قال المفسر عمل عملها الذى يليق بها كأعمال البرّ والطاعات واجتناب المنهيات (قوله حال) أى من ضمير سعى (قوله فأولئك) جواب الشرط وفيه مراعاة معنى من وفيما قبله مراعاة لفظها ، وهو إشارة إلى أن من جمع ثلاث خصال فهو من أهل الجنة الإيمان والعمل الصالح والاخلاص ، ولذا قال بعضهم : من لم تكن معه ثلاث لم ينفعه عمله : إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب ، وتلا هذه الآية وهذا هو كمال الايمان (قوله مثابا عليه) أى فشكر الله لعباده قبولهم وإثابتهم على أعمالهم (قوله كلا) مفعول لنمد (قوله من الفريقين) أى مريد الدنيا ومريد الآخرة (قوله بدل) أى من كلا بدل كل من كل كأنه قال : نمد هؤلاء وهؤلاء الأول للفريق الأول والثانى للفريق الثانى فهو لف ونشر مرتب (قوله فى الدنيا) أى كسعة الرزق والجاه والعافية وغير ذلك (قوله ممنوعا عن أحد) أى مؤمن أو كافر ، وأما فى الآخرة فعطاؤه ممنوع عن الكافر وهو مختص بالمؤمن

(قوله كيف) منصوب على الحال من فضلنا كأنه قال انظر تفضيلنا بعضهم على بعض كائنا على أى حالة (قوله من الدنيا) أى من درجاتها لأن فضل الآخرة عظيم لاينقطع بل هو دائم لايفنى (قوله فينبغى الاعتناء بها) أى بالآخرة وقوله دونها أى الدنيا (قوله لاتجعل مع الله إلها آخر) الخطاب إما للنبى والمراد غيره أو لكل مكلف وهو الأولى ، والمعنى لاتشرك أيها المكلف غير الله مع الله لافى ظاهرك ولا باطنك بل خلص قلبك من التعلق بغيره والمحبة لسواه ولا تجعل الغير فى خيالك فانه نقص من مراتب الأخيار ، ولذا قال ابن الفارض : ولو خطرت لى فى سواك إرادة على خاطرى يوما حكمت بردتى

(قوله فتقعد مذموما مخذولا) يصح أن تكون قعد بمعنى عجز فمذموما مخذولا حالان ويصح أن تكون بمعنى صار فمذموما مخذولا خبران لها (قوله لاناصر لك) تفسير لمخذولا وتقدم تفسير مذموما بملوما . والمعنى ملوما من الخلق مخذولا من الخالق لم يجعل له ناصرا (قوله وقضى ربك الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات جملة من التكاليف نحو خمسة وعشرين حكما بعضها أصلى و بعضها فرعى وابتدأ منها بالتوحيد بقوله لاتجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا وختم به بقوله ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا إشارة إلى أنه رأس الأمور وأساسها وما عداه من الأحكام مبنى عليه ، ولما كان حق الوالدين آكد الحقوق بعد حق الله ورسوله ذكر بعد التوحيد وشدد فيه فوق بقية التكاليف لأن أمر العقوق فظيع وفيه الوعيد الشديد ففى الحديث «قل لعاق والديه يفعل مايشاء فان مصيره إلى النار» (قوله أمر) أى أمرا جازما وقيل إن قضى بمعنى أوصى وقيل بمعنى حكم وقيل بمعنى ألزم وقيل بمعنى أوجب وكل صحيح (قوله (٣٢٣) ألا تعبدوا إلا إياه) بأن لا تشركوا معه فى العبادة غيره فتمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه ودخل فى ذلك الاقرار لرسول الله بالرسالة ومحبته وتعظيمه لأن ذلك من جملة المأمور به قال تعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية

كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ) فى الرزق والجاه (وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ) أعظم (دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً) من الدنيا فينبغى الاعتناء بها دونها (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولاً) لاناصر لك (وَقَضَى) أمر (رَبُّكَ أَنْ) أى بأن (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ، وَ) أن تحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) بأن تبروهما (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا) فاعل (أَوْ كِلَاهُمَا) وفى قراءة يبلغان فأحدهما بدل من ألفه (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ) بفتح الفاء وكسرها منونا وغير منون مصدر بمعنى تبا وقبحا (وَلَا تَنْهَرْهُمَا) تزجرهما (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا) جميلا لينا ،

ويكون الفعل منصوبا بحذف النون ويصح أن أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولا ناهية والفعل مجزوم بحذف النون والواو فاعل على كل حال (قوله وبالوالدين) متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وأن تحسنوا والجملة معطوفة على جملة أن لاتعبدوا (قوله بأن تبروهما) أى تطيعوا أمرهما فى غير معصية الله (قوله إما يبلغن) إن شرطية مدغمة فى ما الزائدة والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة فى محل جزم وأحدهما فاعل وكلاهما معطوف عليه وجواب الشرط هو قوله فلا تقل لهما أف وما عطف عليه من بقية الخمسة التى كلف بها الانسان فى حق والديه (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وعليها فالفعل مجزوم بحذف نون الرفع والألف فاعل والنون المشددة المكسورة للتوكيد والتقييد بحالة الكبر خرج مخرج الغالب لأن الولد غالبا إنما يتهاون بوالديه عند حصول الكبر لهما ومعنى قوله عندك أن يكون فى منزلك وكفالتك ومعدودا من عيالك وهذا بحسب الغالب وإلا فالولد مطلوب ببر والديه مطلقا كانا عنده أولا (قوله بفتح الفاء) أى من غير تنوين وقوله وكسرها أى منونا وغير منون فالتعميم راجع لقراءة الكسر خلافا لما يوهمه المفسر فالقراءات السبعية ثلاث وقرئ شذوذا بالرفع مع التنوين وتركه و بالفتح مع التنوين وسكون الفاء فتكون الشواذ أربعا فجملة القراءات سبع هنا وفى الأنبياء وفى الأحقاف ولغاتها أربعون لغة ذكرها ابن عطية فى تفسيره (قوله مصدر بمعنى تبا) بفتح التاء وضمها أى خسرانا وقوله وقبحا أى لاتقل لهما قبحا لكما ولا لأفعالكما والأوضح أن يقول اسم فعل مضارع أى لا تقل لهما أنا أتضجر من شئ يصدر منكما (قوله تزجرهما) أى عما لايعجبك منهما باغلاظ بأن لا تأمرهما ولا تنهاهما ولو كان ذلك الأمر غير مناسب بل إذا أحب أن يأمرهما أو ينهاهما فليكن على سبيل المشاورة باللطف والرفق (قوله وقل لهما قولا كريما) أى حسنا كأن يقول لهما يا أبتاه يا أماه ولا يسميهما .

(قوله واخفض لهما جناح الذل) فى الكلام استعارة تبعية فى الفعل حيث شبهت إلانة الجانب بخفض الجناح والجامع الرأفة فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الخفض اخفض بمعنى ألن، وفى الجناح أصلية حيث شبه الجانب بالجناح واستعير اسم المشبه به للمشبه و إضافة جناح الذل من إضافة الموصوف للصفة : أى جانبك الذليل ، وقد أشار لذلك كله المفسر (قوله اى لرقتك عليهما) أشار بذلك إلى أن من للتعليل. والمعنى من أجل الرحمة لاخوفا من العار مثلا (قوله وقل رب ارحمهما) أى ادع لهما بالرحمة ولو فى كل يوم وليلة خمس مرات ولو كافرين إذا كانا حيين لأن من الرحمة أن يهديهما للاسلام (قوله كما ربيانى صغيرا) الكاف للتعليل أى من أجل أنهما رحمانى حين ربيانى صغيرا. روى «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أبوىّ بلغا منى فى الكبر أنى ألى منهما ماوليا منى فى الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهم يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما» (قوله ربكم أعلم بما فى نفوسكم) هذا وعد ووعيد والمعنى لاعبرة بادعاء البر باللسان فان الله عالم بالسرائر (قوله طائعين لله) أى فى حق الوالدين (قوله فانه كان للأوابين) مرتب على محذوف والتقدير وفعلتم معهما خلاف الأدب (قوله الرجاعين إلى طاعته) وقيل هم الذين يذكرون ذنوبهم فى الخلاء ثم يستغفرون منها وقيل غير ذلك وفى الحقيقة الأواب هو التواب (قوله من بادرة) البادرة الذلة تقع خطأ (قوله وهم لايضمرون عقوقا) الجملة حالية (قوله وآت ذا القربى) لما قدم حق الله وحق الوالدين ذكر حق الأقارب وغيرها وحق المساكين وأبناء السبيل الأجانب والخطاب فى هذه الآيات إما للنبى والمراد هو وأمته لأن الأصل عدم الخصوصية أو للمكلف والأمر للوجوب عند أبى حنيفة فعنده يجب على الموسر مواساة أقارب به المحارم كالأخ والأخت وللندب عند غيره ومحل الخلاف فى المواساة بالمال بأن ينفق عليهم وأما صلتهم بمعنى عدم مقاطعتهم ومعاداتهم فواجبة إجماعا كنفقة الأصول والفروع والآية شاملة لذلك كله (قوله من البر) أى الاحسان بالمال وقوله والصلة أى مطلقا فهو عطف عام على خاص

(وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ) ألن لهما جانبك الذليل (مِنَ الرَّحْمَةِ) أى لرقتك عليهما (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا) رحمانى حين (رَبَّيَانِي صَغِيرًا. رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) من إضمار البر والعقوق (إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ) طائعين لله (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ) الرجاعين إلى طاعته (غَفُورًا) لما صدر منهم فى حق الوالدين من بادرة وهم لايضمرون عقوقا (وَآتِ) أعط (ذَا الْقُرْبَى) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) بالانفاق فى غير طاعة الله (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ) أى على طريقتهم (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) شديد الكفر لنعمه فكذلك أخوه المبذر (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ) أى المذكورين من ذى القربى وما بعده فلم تعطهم ،

(قوله والمسكين) المراد به مايشمل الفقير والمعنى وآت المسكين حقه من البرّ والاحسان على حسب الطاقة فان ذلك من أوصاف المتقين قال تعالى: إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إلى أن قال ، والذين فى أموالهم حق للسائل والمحروم (قوله وابن السبيل) أى الغريب وسمى بذلك لأنه ملازم للطريق فكأنه ابن لها (قوله فى غير طاعة الله) أى كالمعاصى والشهوات المستغنى عنها بأن يزيد فى الانفاق على المباح وهذا مذموم إذا كان المال حلالا أما إن كان حراما فلا يجوز له الانفاق منه أصلا بل يجب عليه أن يرده لأربابه (قوله إن المبذرين الخ) هذا غاية فى الذم (قوله كانوا إخوان الشياطين) أى ولم يزالوا كذلك . والمعنى أن المبذرين يشبهون الشياطين فى أن كلا منهما ضل فى نفسه وأضل غيره فالشياطين صرفوا هممهم وقوتهم وما أنعم الله عليهم به فى معاصى الله ولم يصلحوا ، والمبذرون صرفوا أموالهم فيما يغضب الله تعالى وأفسدوا ولم يصلحوا (قوله أى على طريقتهم) أى المقتدين بهم وملازمين لأفعالهم لأن الملازم للشئ يسمى أخاله (قوله شديد الكفر لنعمه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير وكان الشيطان لنعم ربه كفورا (قوله فكذلك أخوه المبذر) أى فقد كفر نعم ربه حيث صرفها فى غير طاعة الله (قوله وإما تعرضن) معطوف على محذوف تقديره وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل إن كان بيدك شئ وإما تعرضن الخ . والمعنى لا تقطع رجاء الفقير منك بل إما أن تعطيه إن كان معك شئ أو ترده بلطف كما كان من خلقه صلى الله عليه وسلم فكان إذا سئل أعطى أو وعد بالعطاء (قوله وما بعده) أى المسكين وابن السبيل .

(قوله ابتغاء رحمة) مفعول لأجله وهو علة مقدمة على المعلول . والمعنى وإما تعرضن عنهم لأجل عسرك فقل لهم قولا ميسورا اعتمادا على الله وطلبا لرحمة من ربك ترجوها ، وفى ذلك إشارة إلى أن الانسان لا ينبغى له قطع رجائه من الله بل يعتمد على الله دائما فى عسره ويسره فان الغنى هو وثوق القلب بالله فلا يعتمد على سبب من الأسباب بل يتوكل على الله ولا يقطع رجاءه منه ولارجاء غيره فيه ثقة بربه (قوله بأن تعدهم) أى أو تدعو لهم بأن تقول أغناكم الله سهل لكم أسباب الخير وغير ذلك (قوله ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أى مضمومة ومجموعة معه فى الغل وهو بضم الغين المعجمة طوق من حديد يجعل فى العنق (قوله أى لا تمسكها عن الانفاق) أى فهو نهى عن البخل على سبيل الكناية لأن شأن من جعل يده مغلولة إلى عنقه عدم القدرة على التصرف وشأن البخيل عدم التصرف فى المال بالانفاق وغيره (قوله كل المسك) المناسب الامساك لأن الفعل رباعى وكأنه شاكل قوله البسط (قوله كل البسط) أى بأن تنفق زيادة على مايجب وما يندب (قوله فتقعد) أى تصير فقوله ملوما خبر لتقعد ومحسورا معطوف عليه (قوله راجع للأول) أى البخيل (قوله منقطعا لاشىء عندك) أى فهو من حسره السفر إذا أثر فيه ويصح أن يكون من الحسرة بمعنى الندامة أى نادما على ماحصل منك (قوله راجع للثانى) أى وهو من بسط يده كل البسط ولا تشكل هذه الآية على ماورد من فعل السلف الذين خرجوا عن أموالهم فى محبة الله ورسوله وصاروا فقراء لأن النهى محمول على من كان يعقبه الندم والتحسر، وأما من فعل ذلك من السلف وأقره عليه رسول الله كأبى بكر وغيره من الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ومدحهم الله على ذلك فلم يوجد منهم التحسر على فوات الدنيا لفنائهم عنها و بقائهم بالله وخطاب تلك الآيات إنما هو على حسب أخلاق العامة (قوله إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء الخ) أى فانظر لما رزقك الله به

(٣٢٥)

(ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) أى لطلب رزق تنتظره تأتيك فتعطيهم منه (فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً) لينا سهلا بأن تعدهم بالاعطاء عند مجىء الرزق (وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ) أى لا تمسكها عن الانفاق كل المسك (وَلاَ تَبْسُطْهَا) فى الانفاق (كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا) راجع للأول (مَحْسُوراً) منقطعاً لاشىء عندك راجع للثانى (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً) عالما ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم (وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ) بالوأد (خَشْيَةَ) مخافة (إِمْلاَقٍ) فقر (نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً) إثما (كَبِيراً) عظيما (وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا) أبلغ من لا تأتوه (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً) قبيحا (وَسَاءَ) بئس (سَبِيلاً) طريقا هو (وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ،

وأنفق على حسبه وارض بما قسم الله لك فوسع عند سعة الرزق وضيق عند ضيقه وكن حيث أقامك الله (قوله ببواطنهم وظواهرهم) لف ونشر مرتب (قوله ولا تقتلوا أولادكم) سبب ذلك أن بعض الجاهلية كانوا يقتلون البنات خوف الفقر وبعضهم خوف العار فحصل النهى عن ذلك لما فيه من سوء الظن بالله وتخريب العالم وكل منهما مذموم وهو خطاب للموسرين بدليل قوله خشية إملاق فلذلك قدم الأولاد وما تقدم فى الأنعام خطاب للمعسرين ، ولذلك قدم ذكر الآباء وأخر ذكر الأولاد (قوله بالوأد) أى الدفن بالحياة وخص بالذكر وإن كان القتل بأى شىء حراما لأنه الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية (قوله كان خطأ) إما بكسر الخاء وسكون الطاء بوزن حمل مصدر خطىء كعلم وبفتحتين اسم مصدر لأخطأ رباعيا أو بكسر الخاء وفتح الطاء ممدودا مصدر لخاطأ كقاتل ثلاث قراءات وكلها سبعية (قوله ولا تقربوا الزنا) هو بالقصر فى القراءة الشائعة وقرىء شذوذا بالمد وخرجت على وجهين أحدهما أنه لغة فى المقصور والثانى أنه مصدر زانى كقاتل لأنه يكون من اثنين (قوله أبلغ من لا تأتوه) أى لأنه يفيد النهى عن مقدماته كاللمس والمباشرة والقبلة صريحا النهى عن الفعل بالأولى (قوله وساء سبيلا) أى لأنه طريق من طرق النار وخص الزنا بالنهى وإن كان اللواط أشنع وأقبح لأنه كان ساريا فى العرب بخلاف اللواط فقد كان فى قوم لوط وتنوسى ثم ظهر فى هذه الأمة بعد قرن الصحابة والتابعين (قوله التى حرم الله) أى حرم قتلها بأن عصمها منه وهو المسلم أو الكافر الذى تحت ذمتنا (قوله إلا بالحق) مستثنى من النهى والمعنى لاتقتلوا النفس المعصومة إلا بالقتل بالحق وهو أحد ثلاث : كفر بعد إيمان وزنا بعد إحصان وقتل مؤمن معصوم عمدا كما فى الحديث .

(قوله ومن قتل مظلوما) أى وهو المؤمن المعصوم (قوله تسليطا على القاتل) أى فحيث ثبت القتل عمدا عدوانا وجب على الحاكم الشرعى أن يمكن ولىّ المقتول من القاتل فيفعل فيه الحاكم مايختاره الولىّ من القتل أو العفو أو الدية ولا يجوز للولى التسلط على القاتل من غير إذن الحاكم لأن فيه فسادا وتخريبا (قوله غير قاتله) أى غير قاتل المقتول (قوله أو بغير ماقتل به) يستثنى منه من قتل بمحرّم كلواط وسحر فانه لا يجوز القتل بذلك بل يقتل بالسيف (قوله إنه كان) أى الولىّ منصورا : أى من الله ومن الحاكم (قوله ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن) أى لا تقربوه بحال من الأحوال إلا بالخصلة التى هى أحسن من جميع الخصال وهى تنميته له والانفاق عليه منه بالمعروف (قوله حتى يبلغ أشدّه) غاية لقوله إلا بالتى هى أحسن كأنه قال فاقربوه بالتى هى أحسن إلى أن يبلغ أشده : أى رشده فاذا بلغ أشده فادفعوا إليه المال ولا تصرّف لكم فيه بوجه ، وأشد إما مفرد بمعنى القوة أوجمع لاواحد له من لفظه أوجمع شدة أوشد بكسر الشين فيهما أوشد بفتحها وعلى كل فالمراد به القوة بأن يبلغ عاقلا رشيدا وإن كان الأشد فى الأصل بلوغ ثلاث وثلاثين سنة (قوله إذا عاهدتم الله أو الناس) أى أو ماعاهدكم الله عليه من التكاليف (قوله كان مسئولا عنه) أى هل وفى به صاحبه أم لا وقدر المفسر عنه إشارة إلى أن المسئول صاحب العهد لا نفس العهد إذ لا يتأتى سؤاله (قوله وأوفوا الكيل) خطاب للبائعين . قال بعضهم : يؤخذ من الآية أن أجرة الكيال على البائع لأنها من تمام التسليم مالم تشترط أو يجر عرف بأنها على المشترى (قوله بالقسطاس) بضم القاف وكسرها قراءتان سبعيتان رومى استعملته العرب فى لغتهم وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب ونحوه فصار عربيا (قوله ذلك) أى المذكور من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى هنا، والمعنى امتثال المأمورات واجتناب المنهيات خير فى الدنيا وأحسن تأويلا: أى عاقبة فى الآخرة ويحتمل عود اسم الاشارة على خصوص إيفاء الكيل والميزان خيره فى الدنيا لما فيه من إقبال المشترى على البائع وفى الآخرة بحسن العاقبة (قوله ولا تقف (ولا ماليس لك به علم) أى لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم (قوله كل أولئك) أى الحواس الثلاثة (قوله كان عنه مسئولا) أى فى الآخرة فلا يجوز للانسان أن يتكلم فى غيره بمجرّد الظنّ ومن ذلك الفتوى بغير علم وشهادة الزور وظنّ السوء بالناس وغير ذلك (قوله مرحا) مصدر مرح كفرح وزنا ومعنى (قوله إنك لن تخرق الأرض) أى بكبرك وفخرك فلست أعلى من الأرض حتى تدرك حدودها وتبلغ منتهاها (قوله تنقبها) بالثاء المثلثة والنون (قوله طولا) تمييز محوّل عن الفاعل : أى ولن يبلغ طولك الجبال وهذا تهكم على العبد المتكبر كأن الله يقول له شأن المتكبر أن يرى كل شىء أحقر منه وأنت ترى كل شىء أعظم منك لأنك بمشيك على الأرض لن تخرقها حتى تدركها ولن يبلغ طولك الجبال حتى تكون أعلى منها فلا يليق منك التكبر (قوله كل ذلك) أى المذكور من الخمس والعشرين المذكورة فى قوله تعالى ـ لا تجعل مع الله إلها آخر ـ إلى قوله ـ ولا تمش فى الأرض مرحا ـ (قوله كان سيئة) بالتاء والهاء قراءتان سبعيتان فعلى الأولى يكون المراد من قوله كل ذلك المنهيات وهى اثنتا عشرة خصلة والتأنيث فى سيئة باعتبار معنى كلّ وتذكير مكروها باعتبار لفظها ، وعلى الثانية يكون المراد جميع ماتقدم من المأمورات والمنهيات ، وقوله كان سيئه : أى السيء منه وهو المنهيات الاثنتا عشرة ويكون فى الآية اكتفاء : أى وكان حسنه محمودا (قوله ذلك مما أوحى) أى ماتقدم من المأمورات والمنهيات بعض ما أوحى إليك .

وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ) لوارثه (سُلْطَانًا) تسليطا على القاتل (فَلَا يُسْرِفْ) يتجاوز الحد (فِي الْقَتْلِ) بأن يقتل غير قاتله أو بغير ما قتل به (إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) إذا عاهدتم الله أو الناس (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) عنه (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ) أتموه (إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) الميزان السوى (ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) مآلا (وَلَا تَقْفُ) تتبع (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ) القلب (كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) صاحبه ماذا فعل به (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى ذا مرح بالكبر والخيلاء (إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ) تثقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك (وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال (كُلُّ ذَٰلِكَ) المذكور (كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا . ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ) يا محمد (رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ) الموعظة ،

(قوله ولا تجعل مع الله إلها آخر) ختم به الأحكام كما ابتدأها به إشارة إلى أن التوحيد مبدأ الأمور ومنتهاها وهو رأس الأشياء وأساسها والأعمال بدونه باطلة لاتفيد شيئا (قوله أفأصفاكم ربكم) لما أمر بالتوحيد ونهى عن الاشراك أتبعه بذكر التقبيح والتشنيع على من ينسب لله الولد خصوصا أخس الأولاد فى زعمهم وهى البنات فالاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أخلصكم) بيان لمعنى الصفاء اللغوى يقال صفاه بمعنى خلصه ، والمعنى أخصكم ربكم بالبنين الذين تدعون أنهم أشرف الأولاد وجعل لنفسه البنات الذين تدعون خستها عن الذكور إن هذا الرأى شنيع من وجوه : أولها نسبة الولد من حيث هو لله . ثانيها نسبة الخسيس له . ثالثها الحكم على الملائكة الكرام بالأنوثة مع أنهم عباد مكرمون لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة وكل ذلك موجب للخلود فى النار (قوله بنات لنفسه) فى بعض النسخ بإسقاط الألف بعد التاء وهى الصحيحة لأن من المعلوم أن بنات جمع مؤنث سالم ينصب بالكسرة وفى بعض النسخ بثبوتها ولعلها من سهو الناسخ أومخرجة على لغة قليلة تنصبه بالفتحة (قوله قولا عظيما) أى كبيرا لأن نسبة الولد إليه تستلزم حدوثه وهو محال فى حقه تعالى (قوله ولقد صرفنا) أى أظهرنا ووضحنا (قوله من الأمثال الخ) بيان للمفعول ومن زائدة ، والمعنى بينا فى هذا القرآن الأمثال والوعد والوعيد (قوله إلا نفورا) أى إعراضا واستكبارا عن الهدى .

قال البوصيرى : عجبا للكفار زادوا ضلالا بالذى فيه للعقول اهتداء

(قوله قل لهم) أى فى الاستدلال على إبطال التعدد وإثبات الوحدانية له تعالى (قوله لو كان معه آلهة) هذا إشارة إلى قياس استثنائى يستثنى فيه نقيض التالى لينتج نقيض المقدم وقد حذف منه الاستثنائية والنتيجة والأصل لكنهم لم يطلبوا طريقا لقتاله فلم يكن معه آلهة ، والمعنى لوفرض أن له شريكا فى الملك لنازعه وقاتله واستعلى عليه لكنه لم يوجد من هو بهذه المثابة فبطل التعدد وثبتت الوحدانية

(٣٢٧)

(وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا) مطرودا عن رحمة الله (أَفَأَصْفَاكُمْ) أخلصكم يا أهل مكة (رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا) بنات لنفسه بزعمكم (إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ) بذلك (قَوْلًا عَظِيمًا . وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِى هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ) من الأمثال والوعد والوعيد (لِيَذَّكَّرُوا) يتعظوا (وَمَا يَزِيدُهُمْ) ذلك (إِلَّا نُفُورًا) عن الحق (قُلْ) لهم (لَوْ كَانَ مَعَهُ) أى الله (آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا) طلبوا (إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ) أى الله (سَبِيلًا) ليقاتلوه (سُبْحَانَهُ) تنزيها له (وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ) من الشركاء (عُلُوًّا كَبِيرًا . تُسَبِّحُ لَهُ) تنزهه (ٱلسَّمَٰوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ) ما (مِنْ شَىْءٍ) من المخلوقات (إِلَّا يُسَبِّحُ) ملتبسا (بِحَمْدِهِ) أى يقول سبحان الله وبحمده (وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ) تفهمون (تَسْبِيحَهُمْ) لأنه ليس بلغتكم (إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ ،

والكبرياء له سبحانه وتعالى (قوله ليقاتلوه) أى على عادة ملوك الدنيا عند تعددهم (قوله وتعالى) عطف على ما تضمنه قوله سبحانه كأنه قال تنزه وتعالى (قوله تسبح له السموات السبع الخ) القصد من ذلك التوبيخ والتقريع على من أثبت لله شريكا ، والمعنى كيف يشركون مع الله غيره وكل شىء ينزهه عن كل نقص (قوله والأرض) أفردها مع أنها سبع كالسموات لكون جنسها واحدا وهو التراب (قوله من المخلوقات) أى الانس والجن والملك وسائر الحيوانات والجمادات (قوله أى يقول سبحان الله وبحمده) أى أعتقد تنزيه الله وأصفه بحمده : أى بكل كمال (قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم) هذا يقتضى أن تسبيح الجمادات والحيوانات غير العاقلة بلسان المقال وهو الذى اختاره جمهور السلف وذهب الأقل إلى أنه بلسان الحال بمعنى أنها تدل تلك المخلوقات على أن لها صانعا متصفا بالكمالات منزها عن النقائص فكان ذلك تسبيحا لها . قال العارف :

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

(قوله حيث لم يعاجلكم بالعقوبة) أى مع غفلتكم وعدم تدبركم فى آياته ونظركم فى مصنوعاته (قوله وإذا قرأت القرآن) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم حين أراد الكفار قتله على حين غفلة وأل فى القرآن إما للجنس الصادق بأى آية بهو الحق لما فى الحديث « خذ من القرآن ماشئت لما شئت » وكون القرآن حجابا ساترا ليس من خصوصياته صلى الله عليه وسلم بل له ولأمته المؤمنين به المخلصين كما هو مشاهد ومجرب بين العارفين وأدلة السنة فى ذلك أشهر من أن تذكر، أو للعهد والمراد ثلاث آيات مشهورات من النحل والكهف والجاثية وهى قوله تعالى فى سورة النحل ـ أولئك الذين طبع الله على

قلوبهم وسمعهم - وفي سورة الكهف - وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه - وفي الجاثية - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم - الآية وزاد العلماء أول سورة يس إلى قوله - فهم لا يبصرون - لما ورد أنه قرأها حين اجتمعوا على بابه لإرادة قتله وأذن الله له في الهجرة فأخذ حفنة من تراب في يده وخرج وهو يتلو يس إلى قوله - فأغشيناهم فهم لا يبصرون - وجعل ينثر التراب على رؤوسهم ثم انصرف فلم يره أحد منهم بل أخذ الله أبصارهم (قوله و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي وهم المنكرون للبعث (قوله أي ساترا) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله فيمن أراد الفتك به) أي كأبي جهل وأم جميل زوجة أبي لهب ويهود خيبر ويهود المدينة والمنافقين، والفتك بتثليث الفاء هو القتل على غفلة (قوله أغطية) أي حجبا معنوية تمنعهم من إدراكه (قوله فلا يسمعونه) أي إما أصلا كما وقع لبعض الكفار حيث كان النبي يقرأ القرآن وهم لا يسمعونه أو المنفي سماع التدبر والاتعاظ وهو موجود في جميع الكفار والمنافقين (قوله وحده) حال من قوله ربك بمعنى منفردا في الألوهية (قوله ولوا على أدبارهم نفورا) أي أعرضوا ولم يؤمنوا (قوله نحن أعلم بما يستمعون به) المقصود من هذه الآية تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما وقع من المشركين وتهديد لهم حيث كانوا يجالسون عند النبي مظهرين الاستماع وفي الواقع قاصدين

(وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) أي ساترا لك عنهم فلا يرونك، نزل فيمن أراد الفتك به صلى الله عليه وسلم (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) من أن يفهموا القرآن أي فلا يفهمونه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا فلا يسمعونه (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا) عنه (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ) بسببه من الهزء (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) قراءتك (وَإِذْ هُمْ نَجْوَى) يتناجون بينهم أي يتحدثون (إِذْ) بدل من إذ قبله (يَقُولُ الظَّالِمُونَ) في تناجيهم (إِنْ) ما (تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ) بالمسحور والكاهن والشاعر (فَضَلُّوا) بذلك عن الهدى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طريقا إليه (وَقَالُوا) منكرين للبعث (أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ) لهم (كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ) يعظم عن قبول الحياة فضلا عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم (فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا) إلى الحياة (قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ) خلقكم (أَوَّلَ مَرَّةٍ) ولم تكونوا شيئا لأن القادر على البدء قادر على الإعادة بل هي أهون،

(فسينغضون)

الاستهزاء (قوله من الهزء) بيان لما (قوله إذ يستمعون) ظرف لأعلم وكذا قوله - وإذ هم نجوى - والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون بسببه وقت استماعهم إليك ووقت تناجيهم (قوله نجوى) إما مصدر أو جمع نجي (قوله بدل من إذ قبله) أي وهو قوله وإذ هم نجوى (قوله يقول الظالمون) أي لبعضهم أو لمن كان قريبا منهم في المجلس من المؤمنين (قوله كيف ضربوا لك الأمثال) أي حيث شبهوك بالأوصاف الناقصة كالمسحور والشاعر والكاهن (قوله فضلوا بذلك عن الهدى) أي لأن الهدى تابع للتسليم وحسن العقيدة وهؤلاء بريئون من ذلك (قوله طريقا إليه) أي إلى الهدى لعدم تيسير أسبابه لهم (قوله منكرين للبعث) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للانكار والاستبعاد (قوله ورفاتا) هو ما بولغ في تفتيته ودقه حتى يصير كالتراب، وقيل هو التراب يؤيده أنه تكرر في القرآن ترابا وعظاما (قوله قل كونوا حجارة) أي جوابا عن إنكارهم البعث، والمعنى قل لهم لو صرتم حجارة أو حديدا أو خلقا آخر غيرهما كالسموات والأرض والجبال فلابد من إيجاد الحياة فيكم فإن قدرة الله لا تعجز عن إحيائكم وإعادتكم للجسمية والروحية فكيف إذا كنتم عظاما ورفاتا، وليس المراد الأمر بل المراد أنكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله عن الاعادة (قوله مما يكبر في صدوركم) أي اعتقادكم، والمعنى لو كنتم أشياء يعظم في اعتقادكم قبولها الحياة لكونها بعيدة منها لأحياكم الله إذ القادر لا يعجزه شيء (قوله قل الذي فطركم) أي يعيدكم الذي فطركم (قوله بل هي أهون) أي لأن البدء لم يكن على مثال سابق بخلاف الاعادة، وذلك بالنظر لعقولنا وأفعالنا وإلا فالبدء والإعادة بالنسبة إليه تعالى على حد سواء، فخلق الجبل العظيم عنده مساو لخلق الذرة. قال تعالى - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة -.

(قوله فسينغضون إليك رءوسهم) يقال نغض الشيء تحرك وأنغض رأسه حركه كالمتعجب من الشيء (قوله أن يكون قريبا) هو في محل نصب خبر عسى على أنها ناقصة واسمها ضمير يعود على البعث أو في محل رفع فاعل بها على أنها تامة (قوله يوم يدعوكم) ظرف لقوله قريبا (قوله على لسان إسرافيل) هو أحد قولين والآخر أن المنادي جبريل والنافخ إسرافيل، وصورة النداء أنه يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فتجيبون) أي تبعثون (قوله بحمده) حال من الواو في تستجيبون أي تجيبونه حال كونكم حامدين له على ذلك لما قيل إنهم ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (قوله بأمره) تفسير آخر لمعنى الحمد هنا وعليه فالباء سببية (قوله وقيل وله الحمد) أي ورد: أنهم يقولون نعم وله الحمد وهو إخبار عن جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم فالمؤمنون يحمدون الله شكرا على ما أولاهم من النعم والكفار يحمدونه رجاء أن ينفعهم ذلك الشكر وهو لا ينفعهم، وقيل هو في خصوص المؤمنين (قوله في الدنيا) أي أو في القبور لأنها من جملة عمر الدنيا (قوله يقولوا) مجزوم في جواب الأمر (قوله التي هي أحسن) أي ولا يغلظوا عليهم فان ذلك داع إلى الشر كأن يقولوا لهم إنكم من أهل النار ومن الأشقياء وغير ذلك (قوله إن الشيطان الخ) تعليل لمفهوم قوله يقولوا التي هي أحسن كأنه قال ولا يقولوا غيرها مما (٣٢٩) ينفر النفوس لأن الشيطان الخ

(فَسَيُنْغِضُونَ) يحركون (إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) تعجبا (وَيَقُولُونَ) استهزاء (مَتَى هُوَ) أي البعث (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا. يَوْمَ يَدْعُوكُمْ) يناديكم من القبور على لسان إسرافيل (فَتَسْتَجِيبُونَ) فتجيبون دعوته من القبور (بِحَمْدِهِ) بأمره، وقيل وله الحمد (وَتَظُنُّونَ إِنْ) ما (لَبِثْتُمْ) في الدنيا (إِلَّا قَلِيلًا) لهول ما ترون (وَقُلْ لِعِبَادِي) المؤمنين (يَقُولُوا) للكفار الكلمة (الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ) يفسد (بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا) بين العداوة، والكلمة التي هي أحسن هي (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ) بالتوبة والإيمان (أَوْ إِنْ يَشَأْ) تعذيبكم (يُعَذِّبْكُمْ) بالموت على الكفر (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا) فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فيخصهم بما شاء على قدر أحوالهم (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالاسراء (وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا.

(قوله بينهم) أي بين المؤمنين والمشركين (قوله يفسد بينهم) أي لأن الاغلاظ عليهم ربما يثير الفساد ويؤدي لزيادة الفساد (قوله هي ربكم أعلم الخ) أي وما بينهما اعتراض، والمعنى ربكم أعلم بعاقبة أمركم (قوله بالتوبة والايمان) أي بسببهما (قوله وما أرسلناك عليهم وكيلا) أي وما جعلنا أمرهم موكولا لك بل ليس عليك إلا البلاغ فدارهم ومر أصحابك بتحمل أذاهم (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهو منسوخ بآية: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومقتضى العلة أنه حيث أدى الاغلاظ إلى زيادة الفساد وجب تركه في أي زمن (قوله بمن في السموات والأرض) أي بأحوالهم فيخص بالنبوة من شاء من خلقه وبولايته وسعادته من شاء منهم، وفي هذه الآية رد على المشركين حيث استبعدوا النبوة على رسول الله بقولهم: كيف يكون يتيم أبي طالب نبيا وكيف يكون العراة الجياع أصحابه، وهذه العبارة لا يجوز إطلاقها على النبي إلا في مقام الحكاية عن الكفار، ولذا أفتى بعض المالكية بقتل قائلها في مقام التنقيص والباء متعلقة بأعلم ولا يلزم عليه قصر علمه على من في السموات والأرض لأنه مفهوم لقب وهو لا يعتبر، وقد رد العلماء على من اعتبره كأبي بكر الدقاق (قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) أي بتفضيل من الله ومزايا خصهم بها وميز بعضهم عن بعض (قوله وآتينا داود زبورا) خص بالذكر لأن اليهود زعمت أنه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة وقصدهم بذلك إنكار نبوة محمد وإنكار كتابه فرد الله عليهم بقوله ـ وآتينا داود زبورا ـ لأنهم يعترفون بنبوة داود ونزول الزبور عليه مع أنه جاء بعد موسى، والزبور كتاب أنزل على داود مشتمل على مائة وخمسين سورة أطولها قدر ربع من القرآن وأقصرها قدر سورة إذا جاء نصر الله وكلها دعاء وتحميد ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام، وفي هذه الآية إشارة إلى أن تفضيل الأنبياء بالفضائل النفسانية والتخلي عن العلائق الجسمانية والتحلي بالأخلاق الرحمانية

لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما أوحى الله إليه من الكتاب لابما أوتيه من الملك فالعز والتفضيل في المزايا الأخروية لاالدنيوية فانها تكون في المؤمن والكافر فلايمتنّ الله بها على أحبابه وأصفيائه (قوله قل لهم) أى قل يامحمد ردّا على من اعتقد مع الله شريكا (قوله أنهم آلهة) أشار بذلك إلى أن مفعولى زعم محذوفان (قوله من دونه) أى غيره وفي الآية تقديم وتأخير والتقدير قل ادعوا الذين من دونه زعمتم أنهم آلهة فالمعنى أنهم يعبدونها كما يعبدون الله فاندفع مايقال إن المشركين إنما يعتقدون الشركة مع الله لا أن الآلهة غيره وهو ليس باله (قوله كالملائكة الخ) أى وكريم فالكلام في خصوص العقلاء بدليل قوله : أولئك الذين يدعون (قوله فلا يملكون كشف الضرّ عنكم) أى لايستطيعون إزالته لعجزهم وحينئذ فهؤلاء ليسوا بآلهة لأن الاله هو القادر الذى لايعجزه شئ والجملة جواب الأمر (قوله أولئك الذين يدعون) هذا من تتمة ماقبله واسم الاشارة مبتدأ وجملة يبتغون وماعطف عليه خبر والذين بدل من اسم الاشارة أوعطف بيان عليه و يدعون صلته وقدر المفسر مفعوليه ، والمعنى أن العقلاء الذين زعمتموهم آلهة وعبدتموهم يطلبون من الله القرب بسبب طاعتهم وخضوعهم وذلهم لربهم و يرجون رحمته و يخافون عقابه بل كل من كان أقرب منهم في الدرجة فهو أشدّ خضوعا وخوفا ولا يرضون بكونهم معبودين من دون الله (قوله بدل من واو يبتغون) أى وأقرب خبر مبتدإ محذوف والجملة صلة أى كما أشار

(قُلِ) لهم (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) أنهم آلهة (مِنْ دُونِهِ) كالملائكة وعيسى وعزير (فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا) له إلى غيركم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) هم آلهة (يَبْتَغُونَ) يطلبون (إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) القربة بالطاعة (أَيُّهُمْ) بدل من واو يبتغون أى يبتغيها الذى هو (أَقْرَبُ) إليه فكيف بغيره (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) كغيرهم فكيف تدعونهم آلهة (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا . وَإِنْ) ما (مِنْ قَرْيَةٍ) أريد أهلها (إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) بالموت (أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا) بالقتل وغيره (كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ) اللوح المحفوظ (مَسْطُورًا) مكتوبا (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ) التى اقترحها أهل مكة (إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واستحقوا الإهلاك وقد حكمنا بامهالهم لإتمام أمر محمد (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ) آية (مُبْصِرَةً) بينة واضحة (فَظَلَمُوا) كفروا (بِهَا) فأهلكوا (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ) المعجزات (إِلَّا تَخْوِيفًا) للعباد فيؤمنوا ،

له المفسر بقوله يبتغيها الذى هو أقرب (قوله فكيف تدعونهم آلهة) أى مع كونهم راجين خائفين محتاجين لربهم والاله لايكون كذلك (قوله كان محذورا) أى مخافا منه ، والمعنى هو حقيق بأن يخاف منه كل أحد (قوله وان من قرية) أى طائعة أوعاصية وقوله : إلانحن مهلكوها أى الطائعة وقوله أو معذبوها أى العاصية ، والمعنى أن كل أحد يفنى قبل يوم القيامة قال تعالى - كل من عليها فان - ولكن الفناء مختلف فمنهم من يموت ميتة حسنة ومنهم من يموت ميتة سوء (قوله بالموت) أى فالهلاك قد يستعمل في الموت قال تعالى : إن امرؤ هلك (قوله كان ذلك) أى ماذكر من الاهلاك والتعذيب (قوله مسطورا) أى فلايغير ولايبدّل (قوله ومامنعنا أن نرسل الخ) سبب نزول هذه الآية أنهم قالوا للنبيّ صلى الله عليه وسلم اقلب لنا الصفا ذهبا وسير لنا هذه الجبال عن مكة لنزرع مكانها وأحى لنا آباءنا الموتى فان فعلت ذلك آمنا بك فشرع النبيّ يسأل الله تعالى في ذلك فنزلت هذه الآية ، والمعنى ماكان السبب في تركنا إجابتهم عجزا منا بل السبب في ترك الاجابة غلبة رحمتنا بهم فانهم قد جرت عادتنا من أول الزمان إلى وقتك هذا أن كل أمة طلبت من نبيها آية نأتيهم بها فاذا كفروا استأصلناهم بالهلاك وقد سبق في علمنا أن أمتك تبقى على وجه الأرض إلى يوم القيامة ولوآتيناهم ماطلبوه ولم يؤمنوا لاستأصلناهم بالهلاك فلم يتم ماسبق في علمنا فمنعهم مماطلبوه رحمة بأمتك جميعا (قوله التى اقترحوها) أى كقلب الصفا ذهبا وغير ذلك ممايأتى في قوله : وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات (قوله مبصرة) بكسر الصاد باتفاق السبعة واسناد الابصار لها مجاز لأنها سبب في التبصر والاعتبار والاهتداء ، وخصت معجزة صالح بالذكر هنا لأن المكذبين لها ديارهم المهلكة قريبة منهم يبصرونها في أسفارهم ذهابا وإيابا (قوله المعجزات) دفع بذلك مايقال إن في الآية تعارضا حيث نفى إرسال الآيات أولا وأثبته ثانيا .

(و)

وحاصل الجواب أن يقال إن النفي أولا الآيات المقترحة والمثبت ثانيا المعجزات غير المقترحة (قوله و إذ قلنا لك) إذ ظرف متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله فهو يعصمك منهم) أي من قتلهم لامن أذاهم فانه حاصل (قوله وماجعلنا الرؤيا) المراد الرؤية بالبصر واستعمالها بالألف قليل والكثير استعمال البصرية بالتاء والحلمية بالألف وإنما عبر عنها بالألف لوقوعها بالليل ولسرعة تقضيها كأنها منام (قوله والشجرة) معطوفة على الرؤيا (قوله الملعونة) إسناد اللعن لها إما حقيقة باعتبار أنها مؤذية ومذمومة ومطرودة عن رحمة الله لأنها تخرج في أصل الجحيم أومجاز والمراد ملعون آكلوها (قوله في القرآن) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للشجرة أي المذكورة في القرآن (قوله وهي الزقوم) هي أخبث الشجر المرّ تنبت بتهامة وتكون في أصل الجحيم طعام أهل النار (قوله إذ قالوا النار تحرق الشجر الخ) أي فقصدوا بذلك إنكار قدرة الله تعالى و إثبات العجز له والاستهزاء بقول الرسول وهو غفلة منهم عن قدرة الله معتمدين على الأمر العادي مع أنه شوهد تخلفه في مثل النعامة فانها تبتلع الجمر والحديد المحمي بالنار ولايحرقها وطير السمندل يتخذ من وبره مناديل فاذا اتسخت ألقيت في النار فيزول وسخها وتبقى بحالها (قوله وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) كرر قصة آدم مع إبليس في القرآن مرارا لابتناء السعادة والشقاوة عليها وإشارة إلى أن السعيد هو من تبع آدم والشقي هو من تبع إبليس ليحصل ماترتب على ذلك من النعيم المقيم لأهل السعادة والعذاب الأليم لأهل الشقاوة (قوله اسجدوا لآدم) أي بعد أن قال لهم: إني جاعل في الأرض

خليفة فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ، قال لهم إني أعلم مالاتعلمون ثم علمه أسماء الأشياء كلها ، ثم عرض الله على الملائكة المسميات وأمر آدم أن يقول للملائكة أنبئوني بأسماء هؤلاء قالوا لاعلم لنا إلا ماعلمتنا قال الله يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم صار شيخا لهم فوجب تعظيمه واحترامه فأمروا بالسجود له وفاء ببعض حقوقه عليهم (قوله سجود تحية بالانحناء) دفع بذلك مايقال إن السجود لغير الله كفر والملائكة يبرءون منه ويدفع أيضا بأن السجود لآدم حقيقة بوضع الجبهة وآدم كالقبلة كالمصلين للكعبة ، وأيضا محل كون السجود لغير الله كفرا مالم يكن الآمر به هو الله و إلا فيجب امتثاله وقد تقدم ذلك (قوله فسجدوا) أي الملائكة جميعا (قوله إلا إبليس) أي امتنع من السجود قولا وفعلا (قوله قال ءأسجد الخ) الاستفهام إنكاري فهو بمعنى النفي (قوله قال أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ) الهمزة للاستفهام ورأى فعل ماض والتاء فاعل والكاف مؤكدة لتاء الخطاب واسم الاشارة مفعول أول والذي بدل منه أوصفة له وكرّمت صلة الموصول والعائد محذوف تقديره كرمته والمفعول الثاني محذوف تقديره لم كرّمته عليّ ولم يجبه الله عن هذا السؤال تحقيرا له حيث اعترض على مولاه وتكبر وحسد عباد الله ، والإراءة هنا بمعنى الاخبار ففيه مجاز مرسل من باب إطلاق السبب على المسبب لأن شأن من كان رائيا لشيء أن يخبر به وأطلق الاستفهام وأريد منه الطلب ففيه مجاز مرسل على مجاز وتقدم نظائر هذه الآية في الأنعام وسيأتي في القصص (قوله خلقتني من نار) أي وهي أفضل العناصر الأربع (قوله لام قسم) أي مقدر تقديره والله وقوله لأحتنكن جواب القسم والجملة مستأنفة مرتبة على محذوف والتقدير فطرده الله فطلب اللعين الإمهال للنفخة الثانية فأجابه الله بخلاف ماطلب فقال : لئن أخرتن الخ ، والاحتناك في الأصل مأخوذ من حنك الدابة إذا جعل الرسن في حنكها واحتنك الجراد الأرض أكل ماعليها والياء في أخرتني ثابتة لبعض القراء وصلا ووقفا ومحذوفة لبعضهم كذلك وثابتة لبعضهم وصلا وحذفها وقفا فالقراآت ثلاث وكلها سبعية هنا ، وأما التي تأتي في المنافقين فالياء ثابتة للكل لثبوتها في الرسم .

(وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ) علما وقدرة ، فهم في قبضته فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ) عيانا ليلة الاسراء (إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) أهل مكة إذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما أخبرهم بها (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ) وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم جعلناها فتنة لهم إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (وَنُخَوِّفُهُمْ) بها (فَمَا يَزِيدُهُمْ) تخويفنا (إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود تحية بالانحناء (فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا) نصب بنزع الخافض أي من طين (قَالَ أَرَأَيْتَكَ) أي أخبرني (هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ) فضلت (عَلَيَّ) بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتني من نار (لَئِنْ) لام قسم (أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ) لأستأصلن (ذُرِّيَّتَهُ) بالاغواء (إِلَّا قَلِيلًا) منهم ،

(قوله ممن عصمته) أى عصمة واجبة كالأنبياء أو جائزة كالصلحاء (قوله قال تعالى له اذهب) هذا تهديد له وليس الأمر فى المواضع الخمسة على حقيقته بل هو استدراج وتهديد لأنه معصية والله لايأمر بها على حد « إذا لم تستح فاصنع ماشئت » (قوله إلى وقت النفخة الأولى) هذا جواب له على خلاف ما طلب فانه طلب الانظار إلى النفخة الثانية ليفر من الموت فانه يعلم أن لاموت بعد النفخة الثانية (قوله جزاؤكم) غلب المخاطب لأنه سبب فى الاغواء (قوله جزاء) منصوب بالمصدر قبله (قوله وافرا) أشار بذلك إلى أن اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله بالغناء) بكسر الغين والمد وهو تطريب الصوت بما يهيج الشهوات المحرمة (قوله وكل داع إلى معصية) كالكلام مع الأجنبية ونحوه (قوله بخيلك) الباء للملابسة ، والمعنى صح عليهم حال كونك ملتبسا بجنودك الركاب والمشاة ، فالمراد بالخيل ركابها وذلك كقطاع الطريق الذين يركبون الخيل ويأخذون الأموال ويقتلون النفوس (قوله وشاركهم فى الأموال) أى بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها فيما لاينبغى (قوله من الزنا) أى ومثله ما لو طلق الرجل امرأته ثلاثا وأتى منها بأولاد فان الشيطان شريكه فيهم (قوله وعدهم) أى احملهم على اعتقاد عدم البعث والجزاء (قوله إن عبادى) الاضافة للتشريف (قوله ليس لك عليهم سلطان) أى بل هم محفوظون منك (قوله وكفى بربك وكيلا) أى إن الشيطان وإن كان قادرا على الوسوسة باقدار الله له فالله أرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيده وشره ، فالمعصوم من عصمه الله وليس للعبد قدرة على دفع الوساوس عنه .

ممن عصمته (قَالَ) تعالى له (اذْهَبْ) مُنظَرا إلى وقت النفخة الأولى (فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ) أنت وهم (جَزَاءً مَوْفُوراً) وافراً كاملا (وَاسْتَفْزِزْ) استخف (مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى معصية (وَأَجْلِبْ) صح (عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) وهم الركاب والمشاة فى المعاصى (وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ) المحرمة كالربا والغصب (وَالْأَوْلَادِ) من الزنا (وَعِدْهُمْ) بأن لابعث ولا جزاء (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ) بذلك (إِلَّا غُرُوراً) باطلا (إِنَّ عِبَادِي) المؤمنين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) تسلط وقوة (وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً) حافظاً لهم منك (رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي) يجرى (لَكُمُ الْفُلْكَ) السفن (فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً) فى تسخيرها لكم (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ) الشدة (فِي الْبَحْرِ) خوف الغرق (ضَلَّ) غاب عنكم (مَنْ تَدْعُونَ) تعبدون من الآلهة فلا تدعونه (إِلَّا إِيَّاهُ) تعالى فإنكم تدعونه وحده لأنكم فى شدة لا يكشفها إلاهو (فَلَمَّا نَجَّاكُمْ) من الغرق وأوصلكم (إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ) عن التوحيد ،

[فائدة] ذكر اليافعى عن الشاذلى أن مما يعين على دفع وسوسة الشيطان أنك عند وسوسته لك تضع يدك اليمنى على جانب صدرك الأيسر بحذاء القلب وتقول سبحان الملك القدوس الخلاق الفعال سبع مرات ثم تقرأ قوله تعالى - إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وماذلك على الله بعزيز - اهـ

(قوله ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر) لما أخبر الله سبحانه وتعالى (وكان بأن الشيطان مسلط على بنى آدم إلا من عصمه منهم وحفظه بين أوصاف الحافظ للخلق من تسلط الشيطان كأنه قال ربكم الحافظ لكم هو الذى يزجى والازجاء الاجراء يقال زجاه وأزجاه بمعنى أجراه والفلك السفينة يستعمل مفردا وجمعا ووزن المفرد قفل والجمع بدن ويذكر باعتبار المركب ويؤنث باعتبار السفينة (قوله السفن) يشير إلى أن الفلك مستعمل فى الجمع (قوله فى البحر) أى عذبا وملحا (قوله لتبتغوا من فضله) أى الوصول إلى المقاصد دنيوية وأخروية فبالسفن يتوصل إلى التجارات والمكاسب والحج وزيارة الصالحين (قوله إنه كان بكم رحيما) تعليل ثان لقوله يزجى (قوله الشدة) أى من أجل هبوب الريح (قوله خوف الغرق) أى من أجل خوفه (قوله ضل من تدعون) أى ذهب عن قلوبكم وخواطركم كل معبود سواه فلاتدعون غير الله لكشفه (قوله إلا إياه) يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا بحمل قوله من تدعون على جميع المعبودات بحق أو بباطل ، ويحتمل أن يكون منقطعا بحمله على المعبود بباطل وتكون على هذا إلا بمعنى لكن (قوله من الغرق) الجار والمجرور متعلق بنجاكم وقوله إلى البر متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله وأوصلكم (قوله أعرضتم عن التوحيد) أى تركتموه فالكافر يرجع لعبادة الأصنام والعاصى يرجع لغفلاته وشهواته بعد أن كان الجميع آيبين متوجهين إلى الله خائفين منه .

(وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً) جحودا للنعم (أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ نَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) أى الأرض كقارون (أَوْ نُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً) أى يرميكم بالحصباء كقوم لوط (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً) حافظا منه (أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ نُعِيدَكُمْ فِيهِ) أى البحر (تَارَةً) مرة (أُخْرَى فَنُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ) أى ريحا شديدة لاتمر بشىء إلا قصفته فتكسر فلككم (فَنُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ) بكفركم (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً) ناصرا أو تابعا يطالبنا بما فعلنا بكم (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا) فضلنا (بَنِي آدَمَ) بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك ومنه طهارتهم بعد الموت (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ) على الدواب (وَالْبَحْرِ) على السفن (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا) كالبهائم والوحوش (تَفْضِيلاً) فمن بمعنى ما أو على بابها وتشمل الملائكة والمراد تفضيل الجنس ولايلزم تفضيل أفراده إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء. اذكر (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) نبيهم فيقال يا أمة فلان أو بكتاب أعمالهم،

(قوله وكان الانسان كفورا) كالتعليل لقوله أعرضتم (قوله أفأمنتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أنجوتم من الغرق فأمنتم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أن نخسف بكم جانب البر) أى نخفيكم فى بطون الأرض، والمعنى أنتم وإن أمنتم من الغرق فى البحر لا تأمنون من الخسف فى البر، والأفعال الخمسة تقرأ بالنون والياء سبعيتان (قوله كقارون) أى فقد وقع به الخسف، قال الله تعالى - فخسفنا به وبداره الأرض - (قوله أى نرميكم بالحصباء) أى بسبب ريح تأتيكم (قوله كقوم لوط) أى فقد نزلت عليهم حجارة من السماء أهلكتهم (قوله حافظا منه) أى مما ذكر من الخسف وإرسال الحصباء (قوله تارة) مصدر يجمع على تيرة وتارات (قوله إلا قصفته) أى كسرته (قوله فنغرقكم) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فتكسر فلككم (قوله بكفركم) أى بسببه وأشار بذلك إلى أن ما مصدرية، ويصح أن تكون اسم موصول أى بسبب الذى كفرتم به (قوله نصيرا) أى ناصرا لكم علينا فيحفظكم ويمنع عنكم ما فعلناه بكم (قوله أو تابعا يطالبنا الخ) تفسير ثان لتبيعا، والمعنى عليه لاتجدوا لكم مطالبا يأخذ ثأركم منا (قوله ولقد كرمنا بنى آدم) أى شرفناهم على جميع المخلوقات بأمور جليلة عظيمة: منها يأكلون بأيديهم لا بأفواههم، ومنها كونهم معتدلى القامة على شكل حسن وصورة جميلة، ومنها أن الله خلق لهم ما فى الأرض جميعا، ومنها إخدام الملائكة الكرام لهم حتى جعل منهم حفظة وكتبة لهم وغير ذلك (قوله بالعلم) أى والعقل (قوله ومنه طهارتهم بعد الموت) أى فذوات بنى آدم طاهرة بعد الموت ونجاسة الكفار منهم معنوية لخبث باطنهم وعليه يحمل قوله تعالى - إنما المشركون نجس - (قوله على الدواب) أى الابل والخيل والبغال والحمير (قوله من الطيبات) أى المستلذات كاللحم والسمن واللبن والحبوب والفواكه فى جميع الأزمان (قوله وفضلناهم على كثير الخ) أى ميزناهم بفضائل ليست فى كثير من غيرهم (قوله فمن بمعنى ما) أى فهى مستعملة فى غير العقلاء، ويكون المراد بالكثير جميع ما سواهم من غير الملائكة (قوله أو على بابها) أى فهى مستعملة فى العقلاء وغلبوا على غيرهم (قوله والمراد تفضيل الجنس) أى لجنس الانسان أفضل من جنس الملائكة، وهذا جواب عما يقال لانسلم أن جميع البشر أفضل من جميع الملائكة. فأجاب بأن التفضيل بالجنس فلا ينافى أن رؤساء الملائكة أفضل من عامة البشر (قوله إذ هم) أى الملائكة (قوله أفضل من البشر) ظاهره مطلقا، وهو خلاف التحقيق، والتحقيق الذى عليه الأشاعرة أن خواص البشر كالأنبياء والرسل أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وعوام البشر، وهم الصلحاء أفضل من عوام الملائكة، وهم ماعدا الرؤساء الأربعة (قوله يوم ندعوا) يوم معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله: اذكر. والمعنى اذكر يا محمد هذا اليوم وهوله لأمتك ليكون داعيا إلى الاتعاظ والخوف فيحملهم على الاستعداد (قوله كل أناس) وزنه فعال، ويجوز حذف همزته فيقال ناس فيصير وزنه عال (قوله نبيهم) أى لما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «فينادى يوم القيامة يا أمة إبراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ثم ينادى الأتباع يا أتباع نمروذ يا أتباع فرعون يا أتباع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكابر الكفار، فيأخذون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم» (قوله أو بكتاب أعمالهم) أى لقوله تعالى - وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين - وما ذكره المفسر

فيقال ياصاحب الخير يا صاحب الشر وهو يوم القيامة (فَمَنْ أُوتِيَ) منهم (كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ) وهم السعداء أولو البصائر فى الدنيا (فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ) ينقصون من أعمالهم (فَتِيلًا) قدر قشرة النواة (وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ) أى الدنيا (أَعْمَىٰ) عن الحق (فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ) عن طريق النجاة وقراءة الكتاب (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) أبعد طريقا عنه . ونزل فى ثقيف وقد سألوه صلى الله عليه وسلم أن يحرم واديهم وألحوا عليه (وَإِنْ) مخففة (كَادُوا) قاربوا (لَيَفْتِنُونَكَ) يستنزلونك (عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا) لوفعلت ذلك (لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا . وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ) على الحق بالعصمة (لَقَدْ كِدْتَ) قاربت (تَرْكَنُ) تميل (إِلَيْهِمْ شَيْئًا) ركونا (قَلِيلًا) لشدة احتيالهم و إلحاحهم وهو صريح فى أنه صلى الله عليه وسلم لم يركن ولا قارب (إِذًا) لو ركنت (لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ) عذاب (الْحَيَاةِ وَضِعْفَ) عذاب (الْمَمَاتِ) ،

قولان فى تفسير الامام و بقى أقوال أخر. قيل المراد به الكتاب الذى أنزل عليهم ، فينادى فى القيامة يا أهل التوراة يا أهل الانجيل يا أهل القرآن ماذا عملتم فى كتابكم هل امتثلتم أوامره هل اجتنبتم نواهيه ؟ وقيل المراد به المذهب الذى كانوا يعبدون الله عليه فيقال ياحنفى ياشافعى يامعتزلى ياقدرى ونحو ذلك . وقيل المراد به عمل البر الذى اشتهر به فى الدنيا فينادى أهل الصدقات وأهل الجهاد وأهل الصيام وغير ذلك . وقيل المراد به الأمهات لأن الامام جمع أم كخفاف جمع خف فينادى الخلق بأمهاتهم فيقال يا ابن فلانة سترا على ولد الزنا ورعاية حق عيسى و إظهار شرف الحسن والحسين ، ورد هذا القول الزمخشرى وقال إنه من بدع المفسرين (قوله فيقال ياصاحب الخير) هو على حذف مضاف أى ياصاحب كتاب الخير (قوله وهو يوم القيامة) وله أسماء كثيرة : منها الساعة والحاقة والقارعة والواقعة ويوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحشر وغير ذلك (قوله فمن أوتى كتابه) من إما شرطية أو موصولة ودخلت الفاء فى خبرها لشبهها بالشرط (قوله فأولئك يقرءون كتابهم) أى و إن لم يكونوا قارئين فى الدنيا وحين يقرءون كتابهم يظهرونه لأهل الموقف قال تعالى حكاية عنهم – فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه – الخ (قوله قدر قشرة النواة) الصواب أن يقول قدر الخيط الذى فى قلب النواة ، وأما القشرة التى ذكرها فهى القطمير وأما النقير فهو النقرة التى فى ظهرها ، والثلاثة مذكورة فى القرآن (قوله ومن كان فى هذه أعمى) أى وهو الذى يعطى كتابه بشماله تسود وجهه حينئذ و يحصل له الندم قال تعالى – وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله أعمى عن الحق) أى فالمراد أعمى القلب لايبصر رشده (قوله وقراءة الكتاب) أى قراءة سارة وإلا فهو يقرؤه قراءة يحصل له بها الندم والحسرة والحزن (قوله وأضل سبيلا) أى لأنهم حينئذ لاينفعهم الايمان (قوله عنه) أى عن طريق النجاة (قوله ونزل فى ثقيف) أى وهم قبيلة يسكنون الطائف. وحاصله أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : لاندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا ، فالمراد بقولهم لا نعشر لا نعطى العشر من الزكاة و بقولهم لانحشر لا نؤمر بالجهاد و بقولهم لا نجبى بضم النون وفتح الجيم وتشديد الباء الموحدة مكسورة لانركع ولا نسجد فى صلاتنا ، والمراد لانصلى وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة حتى نأخذ مايهدى لها . فاذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ، وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك ؟ فقل إن الله أمرنى فسكت النبى وطمع القوم فى سكوته أن يعطيهم ذلك فأنزل الله و إن كادوا الخ (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن (قوله يستنزلونك) أى يطلبون نزولك عن الحكم الذى أوحيناه إليك من الأوامر والنواهى (قوله لتفترى) أى تختلق وتكذب (قوله غيره) أى غير ما أوحيناه إليك (قوله و إذا) هى حرف جواب وجزاء تقدر بلو الشرطية كما قال المفسر (قوله لاتخذوك) جواب قسم محذوف تقديره والله لاتخذوك وهو مستقبل فى المعنى لاقتضاء المجازاة الاستقبال (قوله وهو صريح) أى قوله لقد كدت تركن إليهم (قوله لم يركن) أى بالطريق الأولى وقوله ولا قارب أى بمنطوق التركيب . والمعنى امتنع قربك من الركون لوجود تثبيتنا إياك و إذا امتنع القرب من الركون فامتناع الركوع أولى (قوله لو ركنت) المناسب أن يقول لوقاربت الركون لأن جواب لولا هو المقاربة ولأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فان المقاربة من فعل القبيح لاعقاب عليها عموما والكاملون يشدد عليهم

على قدر مقامهم . قال العارف :

وإذا صحت القرب فاعرف قدره   إن السخىّ لمن يحبّ شحيح

(قوله أى مثلى مايعذب غيرك) أى من جميع الخلق، والمعنى لوقاربت الركون لأنزلنا عليك عذابا فى الدنيا والآخرة مثل عذاب الخلق مرّتين (قوله مانعا منه) أى من العذاب المضاعف (قوله لما قال له اليهود الخ) وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم للمدينة كره اليهود مقامه فيها حسدا فأتوه فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ماهذه بأرض الأنبياء فان أرض الأنبياء الشام وهى الأرض المقدّسة وكان بها إبراهيم والأنبياء فان كنت نبيا مثلهم فائت الشام وإنما يمنعك من الخروج إليها مخافة الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله ، فسار النبى بجيشه على ثلاثة أميال من المدينة ، وفى رواية إلى ذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويأتى الإذن من الله فيخرج فنزلت هذه الآية فرجع وسلطه الله عليهم فقتل منهم بنى قريظة وأجلى بنى النضير بعد زمن قليل وهذا مبنى على أن الآية مدنية وأما على أن الآية مكية فالمراد بالأرض أرض العرب ، والمعنى همّ المشركون أن يخرجوه منها فمنعهم الله عنه ولم ينالوا منه ما أملوه (قوله ليستفزونك) أى يزعجونك بمكرهم وعداوتهم (قوله وإذا لايلبثون) العامة على ثبوت النون ورفع الفعل لعطفه على قوله ليستفزونك وقرئ شذوذا بحذف النون وخرجت على أنه منصوب بإذن (قوله خلفك) وفى قراءة خلافك وهما سبعيتان والمعنى واحد (قوله إلا قليلا) صفة لمصدر أو لزمان محذوف : أى إلا لبثا أو زمانا قليلا (قوله سنة من قد أرسلنا) سنة منصوب بنزع الخافض كما أشار له المفسر بقوله : أى كسنتنا ، والمعنى نفعل باليهود من إهلاكهم لو أخرجوك كسنتنا فيمن قد مضى من الرسل حيث نهلك من أخرجهم وهذا على أن الآية مدنية ، وعلى أنها مكية فالمعنى نفعل بأهل مكة الذين عزموا على إخراجك كما فعلنا بمن مضى قبلهم وقد قطع الله دابرهم بسيفه صلى الله عليه وسلم فى بدر وغيرها (قوله اقم الصلاة) أى دم على أداء الصلاة التى فرضها الله عليك وهى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وآدابها (قوله لدلوك الشمس) مادة الدلوك تدلّ على التحوّل والانتقال ومنه الدلاك لعدم استقرار يده وفى الزوال انتقال الشمس من وسط السماء إلى مايليه ويستعمل فى الغروب أيضا (قوله أى من وقت زوالها) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى من الابتدائية والكلام على حذف مضاف والدلوك بمعنى الزوال ويصحّ أن تكون اللام على بابها التعليل ويصحّ أن تكون بمعنى بعد والأسهل ما قاله المفسر (قوله إلى غسق الليل) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فاعل أقم ، والتقدير أقم الصلاة مبتدئا من دلوك الشمس منتهيا إلى غسق الليل (قوله وقرآن الفجر) بالنصب عطف على الصلاة (قوله صلاة الصبح) أى وسميت قرآنا لأنه أحد أركانها فسميت باسم بعضها (قوله تشهده ملائكة الليل الخ) أى تحضره الملائكة الحفظة لما فى الحديث «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم فيقول ماذا تركتم عبادى ؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون » وأخذ مالك من الآية أن الصلاة الوسطى هى الصبح (قوله ومن الليل) الجار والمجرور متعلق بتهجد ومن بمعنى بعض ، والتهجد فى الأصل من الهجود وهو النوم بالليل ثم استعمل فى الصلاة بالليل بعد الانتباه من النوم فهو من تسمية الأضداد يستعمل فى النوم وضدّه ، والمعنى انتبه من نومك وصلّ فى جوف الليل والناس نيام (قوله بالقرآن) أى فالضمير عائد على القرآن لا بالمعنى المتقدّم ففيه استخدام .

أى مثلى مايعذب غيرك فى الدنيا والآخرة (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا) مانعاً منه ، ونزل لما قال له اليهود إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء (وَإِنْ) مخففة (كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ) أرض المدينة (لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا) لو أخرجوك (لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ) فيها (إِلَّا قَلِيلًا) ثم يهلكون (سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا) أى كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم (وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) تبديلا (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) أى من وقت زوالها (إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ) إقبال ظلمته أى الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ) صلاة الصبح (إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ) فصلّ (بِهِ) بالقرآن (نَافِلَةً لَكَ) :

(قوله فريضة زائدة لك) هذا مبنى على أن قيام الليل كان واجبا عليه دون أمته وحينئذ فيكون معنى النافلة الزيادة اللغوية (قوله أو فضيلة) تفسير ثان وهو مبنى على أنه فى حقه مندوب فالنافلة على بابها. إن قلت على هذا التفسير لاخصوصية للنبى صلى الله عليه وسلم بذلك بل هو مندوب لأمته كذلك. أجيب بأنها له علوّ درجات وشكر لله على نعمائه لما فى الحديث «كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه، فقالت له عائشة أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ماتقدّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال أفلا أكون عبدا شكورا» ولغيره تكفير لذنوبه وخطراته وتهجده صلى الله عليه وسلم لم يزد فى رمضان ولا فى غيره على ثلاث عشرة ركعة اثنتان خفيفتان وما بقى طوال (قوله عسى أن يبعثك الخ) عسى فى كلام الله للتحقيق لأنه وعد كريم وهو لايتخلف (قوله مقاما) منصوب بيبعثك لأنه مضمن معنى يقيمك، و إليه يشير المفسر بقوله يقيمك فى الآخرة مقاما (قوله وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء) أى حين يجمع الله الناس فى صعيد واحد وتدنو الشمس حتى يكون بينها و بين رؤوس الخلائق قدر الرود وتحيط النار بهم والملائكة تحدق بهم سبع صفوف حتى يكون على القدم ألف قدم أو مائة ألف قدم على قدم فيشتد الكرب على الخلائق فيذهبون إلى آدم فيسئلونه الشفاعة، فيقول إنى أكلت من الشجرة ولكن ائتوا نوحا فيأتونه فيسئلونه الشفاعة، فيقول إنى دعوت على قومى ولكن ائتوا إبراهيم فيأتونه، فيقول إنى كذبت ثلاث كذبات ولكن ائتوا موسى فيأتونه، فيقول إنى قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيأتونه، فيقول إن قومى عبدونى من دون الله ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتونه، فيقول أنا لها أنا لها فيستأذن الله فيؤذن له ثم يخرّ ساجدا و يثنى على الله بثناء عظيم، فيقال له ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعط فيرفع رأسه فحينئذ ينفض الموقف و يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يشفع ثانيا فيخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرّة من إيمان»، وفى الحديث «أنا سيد ولد آدم ولا فخر و بيدى لواء الحمد ولا فخر آدم فمن دونه تحت لوائى» (قوله لما أمر بالهجرة) فيه أن الآية مدنية

فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة (عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ) يقيمك (رَبُّكَ) فى الآخرة (مَقَامًا مَحْمُودًا) يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة فى فصل القضاء. ونزل لما أمر بالهجرة (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي) المدينة (مُدْخَلَ صِدْقٍ) إدخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره (وَأَخْرِجْنِي) من مكة (مُخْرَجَ صِدْقٍ) إخراجا لا ألتفت بقلبى إليها (وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) قوة تنصرنى بها على أعدائك (وَقُلْ) عند دخولك مكة (جَاءَ الْحَقُّ) الاسلام (وَزَهَقَ الْبَاطِلُ) بطل الكفر (إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) مضمحلا زائلا «وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول ذلك حتى سقطت». رواه الشيخان.

(ونزل) إلا أن يقال إن ماهنا مرور على القول بأن السورة كلها مكية وهو مامشى عليه البيضاوى أوّل السورة كما تقدّم (قوله أدخلنى المدينة) أى وتسمى طيبة وقبة الاسلام وقد استنارت به صلى الله عليه وسلم (قوله مدخل صدق) المدخل بضم الميم والمخرج كذلك لأن فعلهما رباعى مصدران بمعنى الادخال والإخراج (قوله مرضيا) أى تطمئن به نفسى بحيث لايزعجنى شىء (قوله لا ألتفت بقلبى إليها) أى إلى مكة لبلوغ الآمال بغيرها وما تقدّم من شرح تلك الآية هو ما مشى عليه المفسر، وقيل أدخلنى فى أمرك الذى أرسلتنى به من النبوة مدخل صدق وأخرجنى من الدنيا وقد قمت بما وجب علىّ من حق النبوة مخرج صدق وقيل أدخلنى فى طاعتك مدخل صدق وأخرجنى من المناهى مخرج صدق، وقيل أدخلنى حيثما أدخلتنى بالصدق وأخرجنى بالصدق ولا تجعلنى ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فإن ذا الوجهين لا يكون أمينا عند الله ولورود تلك المعانى استعملتها الصوفية على حسب مقاصدهم لأن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله قوة تنصرنى بها على أعدائك) أى وقد أجاب الله دعاءه فوعده بملك فارس والروم وقال له ـ والله يعصمك من الناس ـ وقال ـ ليظهره على الدين كله ـ (قوله وقل عند دخولك مكة) أى يوم الفتح (قوله وزهق الباطل) يقال زهق اضمحل وزهقت روحه خرجت (قوله يطعنها) أى يطعن كلا منها فى عينه (قوله حتى سقطت) أى مع أنها كانت مثبتة بالحديد والرصاص و بقى منها صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من نحاس أصفر، فقال النبى ياعلى ارم به فصعد فرمى به فكسره.

(قوله من للبيان) أى لبيان الجنس وقدم على المبين اهتماما بشأنه فالقرآن قليله وكثيره شفاء من الأمراض الحسية الظاهرية بدليل ماورد فى حديث الفاتحة «ومايدريك أنها رقية» وشفاء من الأمراض المعنوية الباطنية كالاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة كالكبر والعجب والرياء وحب الدنيا والحرص والبخل وغير ذلك لاشتماله على التوحيد وأدلته وعلى مكارم الأخلاق وأدلتها، ومامشى عليه المفسر من أن من للبيان هو التحقيق لما ورد «خذ من القرآن ماشئت» وورد «من لم يستشف بالقرآن لاشفاه الله» وقيل إنها للتبعيض، والمعنى أن منه مايشفى من الأمراض كالفاتحة وآيات الشفاء (قوله من الضلالة) أى سوء الاعتقاد وخصت بالذكر مع أنه شفاء من الأمراض الحسية أيضا لأن الضلالة رأس الأمراض (قوله ورحمة) أى بركة دنيوية وأخروية فهو عطف عام (قوله للمؤمنين) أى فهم المنتفعون به دون غيرهم ولكن يشترط حسن النية والاعتقاد والجزم بالاجابة (قوله ولايزيد الظالمين إلا خسارا) أى نقصا وطغيانا لأنهم لايصدقون به فحرموا من الانتفاع به (قوله وإذا أنعمنا على الانسان) أى بأن أعطيناه الصحة والغنى (قوله الكافر) أى فهذه الأوصاف فى حقه وكل ماورد فى حق الكفار من الذم فانه يجرى بذيله على عصاة الأمة المتصفين بتلك الأوصاف (قوله أعرض عن الشكر) أى عن صرف النعم فى مصارفها وتكبر وتعاظم (قوله ثنى عطفه) أى لوى جانبه (قوله متبخترا) أى متكبرا (قوله كان يئوسا) أى غير راج رحمة الله، ولا ينافى ماهنا قوله تعالى فى الآية الأخرى - وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض - لأن الكفار مختلفون فبعضهم فى حال الشر يكثر الدعاء وبعضهم يقنط من رحمة الله أو يقال إنهم وإن أكثروا الدعاء ظاهرا، هم قانطون فى الباطن من رحمة الله (قوله على شاكلته) أى كل واحد منا ومنكم يعمل على حالته وطبيعته وروحه التى جبل عليها فالروح السعيدة صاحبها يعمل عمل السعداء وتظهر منه الأخلاق المرضية والأفعال الجميلة وصاحب الروح الشقية يعمل عمل الأشقياء وتظهر منه الأخلاق القبيحة والأفعال الخبيثة وفى هذه الآية دليل على أن الظاهر عنوان الباطن (قوله أهدى

(وَنُنَزِّلُ مِنَ) للبيان (الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) به (وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ) الكافرين (إِلَّا خَسَارًا) لكفرهم به (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ) الكافر (أَعْرَضَ) عن الشكر (وَنَأَى بِجَانِبِهِ) ثنى عطفه متبخترا (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) الفقر والشدة (كَانَ يَئُوسًا) قنوطا من رحمة الله (قُلْ كُلٌّ) منا ومنكم (يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ) طريقته (فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا) طريقا فيثيبه (وَيَسْأَلُونَكَ) أى اليهود (عَنِ الرُّوحِ) الذى يحيا به البدن (قُلِ) لهم (الرُّوحُ،

يجوز أن يكون من اهتدى على حذف الزوائد وأن يكون من هدى المتعدى وأن يكون من هدى القاصر بمعنى اهتدى وسبيلا تمييز على كل حال وفى الآية اكتفاء أى وبمن هو أضل سبيلا (قوله ويسألونك عن الروح) سبب نزولها كما قال ابن عباس أن قريشا اجتمعوا وقالوا إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم فقالت سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن شىء منها فليس بنبى وإن أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد فهو نبى فاسألوه عن فتية فقدوا فى الزمن الأول ما كان أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ماخبره وعن الروح فسألوا النبى صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحى اثنى عشر وقيل خمسة عشر وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لايخبرنا بشىء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحى وشق عليه مايقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى - ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله - ونزل فى الفتية: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف - الآيات، ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب - ويسألونك عن ذى القرنين - الآيات، ونزل فى الروح قوله تعالى - ويسألونك عن الروح - الآية فأصل السؤال من اليهود والناقل له قريش (قوله عن الروح) أى عن حقيقة الروح الذى به حياة البدن وهذا هو الأصح، وقيل الروح التى سألوه عنها هو جبريل وقيل ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح لله تعالى بجميع ذلك فيخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكا وقيل إنهم جند من جنود الله على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورءوس ليسوا بملائكة ولا أناس يأكلون الطعام، وقيل ملك عظيم عن يمين العرش لوشاء أن يبتلع السموات السبع فى لقمة واحدة لابتلعها ليس شىء أعظم منه إلا العرش

يشفع يوم القيامة – أهل التوحيد متحجب عن الملائكة لو كشف لهم عنه لاحترقوا من نوره، وقيل عيسى، وقيل القرآن (قوله من أمر ربي) أي مما استأثر الله بعلمه وهذا هو الصحيح وقيل الروح هي الدم وقيل النفس ونقل عن بعض أصحاب مالك أنها صورة كجسد صاحبها ، وفي الآية اقتصار على وصف الروح كما اقتصر موسى في جواب قول فرعون ومارب العالمين على ذكر صفاته فإن إدراكه بالكنه على ماهو عليه لايعلمه إلا الله (قوله وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) رد لقول اليهود أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير بدليل القراءة الشاذة وما أوتوا ، وقيل الخطاب عام لجميع الخلق أي إن الخلق عموما و إن أعطوا من العلم ما أعطوا فهو قليل بالنسبة لعلمه تعالى (قوله ولئن شئنا) هذا امتنان من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بالقرآن وتحذيره عن التفريط فيه والمقصود غيره ، والمعنى حافظوا على العمل بالقرآن واحذروا من التفريط فيه فإننا قادرون على إذهابه من صدوركم ومصاحفكم ولكن إبقاؤه رحمة بكم (قوله لام قسم) أي وجوابه قوله لنذهبن وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه (قوله لكن أبقيناه) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وقدره بلكن على طريقة البصريين وعند الكوفيين يقدر ببل وقوله أبقيناه أي إلى قرب قيام الساعة فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور لما في الحديث « لاتقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش فيقول الله مالك فيقول أتلى فلايعمل بي ولا يرفع القرآن حتى تموت حملته العاملون به ولايبقى إلا لكع ابن لكع فعند ذلك يرفع من المصاحف والصدور ويفيضون في الشعر فتخرج الدابة وتقوم القيامة بأثر ذلك» (قوله حيث أنزله) علة لقوله إن فضله كان عليك كبيرا (قوله وغير ذلك) أي ككونك خاتم المرسلين وسيد ولد آدم ونحو ذلك (قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن) اللام موطئة لقسم محذوف جوابه قوله لايأتون بمثله ولم يقل والملائكة مع أنه معجز لهم أيضا لأنهم مسلمون منقادون فلا يحتاج للرد عليهم (قوله لايأتون بمثله) أي لأنه خارج عن طوق البشر لأن الكلام على حسب علم المتكلم وهو قد أحاط بكل شيء علما وقوله بمثله أي كلا أو بعضا قال بعضهم إن أقل الاعجاز يقع بآية . قال البوصيري:

أعجز الجن آية منه والانـ ـس فهلا تأتي به البلغاء

وقال بعضهم : إن أقل الاعجاز يكون بأقصر سورة لأنه لم يكن في القرآن آية مفردة بل الآية تستلزم مناسبة لما قبلها وما بعدها فتكون ثلاث آيات (قوله ولو كان بعضهم الخ) عطف على محذوف تقديره لايأتون بمثله لو لم يكن بعضهم لبعض ظهيرا ، ولو كان الخ (قوله نزل ردا الخ) مرتبط بما قبله (قوله ولقد صرفنا للناس) أي كررنا وأظهرنا ، ومن زائدة في المفعول ، أي صرفنا للناس كل مثل ، والمثل المعنى الغريب (قوله فأبى أكثر الناس) أي امتنعوا (قوله جحودا للحق) الجحود الانكار مع العلم والمعاندة فهو أخص من مطلق انكار (قوله وقالوا لن نؤمن لك الخ) لما أقام الحجة عليهم ولم يستطيعوا ردها أخذوا يطلبون أشياء على وجه العناد فقالوا لن نؤمن لك الخ روى عكرمة عن ابن عباس « أن نفرا من قريش اجتمعوا بعد غروب الشمس عند الكعبة وطلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم فقالوا يامحمد إن كنت جئت بهذا الحديث يعنون القرآن تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا و إن كنت تريد الشرف سوّدناك علينا و إن كنت تريد ملكا ملكناك علينا و إن كان هذا الذي بك رئيا من الجن تراه قد غلب عليك لاتستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مابي شيء مما تقولون

مِنْ أَمْرِ رَبِّي) أي علمه لاتعلمونه (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) بالنسبة إلى علمه تعالى (وَلَئِنْ) لام قسم (شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) أي القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف (ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً . إِلاَّ) لكن أبقيناه (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيراً) عظيما حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ) في الفصاحة والبلاغة (لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) معينا ، نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) صفة لمحذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ) أي أهل مكة (إِلاَّ كُفُوراً) جحودا للحق (وَقَالُوا) عطف على أبى (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ،

حتى

حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا) عيناً ينبع منها الماء (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ) بستان (مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا) وسطها (تَفْجِيرًا . أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا) قطعاً (أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا) مقابلة وعياناً فنراهم (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ) ذهب (أَوْ تَرْقَى) تصعد (فِي السَّمَاءِ) بسلم (وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) لو رقيت فيها (حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا) منها (كِتَابًا) فيه تصديقك (نَقْرَؤُهُ ، قُلْ) لهم (سُبْحَانَ رَبِّي) تعجب (هَلْ) ما (كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) كسائر الرسل ولم يكونوا يأتوا بآية إلا بإذن الله (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا) أي قولهم منكرين (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا) ولم يبعث ملكا (قُلْ) لهم (لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ) بدل البشر (مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) إذ لا يرسل إلى قوم رسول إلا من جنسهم ليمكنهم مخاطبته والفهم عنه (قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على صدقي (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا) عالماً ببواطنهم وظواهرهم (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ) يهدونهم (مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ماشين (عَلَى وُجُوهِهِمْ ،

ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله عز وجل حتى يحكم الله بيني وبينكم ، فقالوا يا محمد إن كنت صادقا فيما تقول فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذا الجبل الذي قد ضيق علينا ويبسط لنا بلادا ويفجر لنا فيها الأنهار » إلى آخر ماقص الله عنهم (قوله حتى تفجر) بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم مكسورة وبفتح التاء وضم الجيم مخففة قراءتان سبعيتان هنا فقط ، وأما قوله فتفجر فالقراءة الأولى لا غير (قوله ينبوعا) أي عينا لايغور ماؤها ولا يذهب (قوله جنة) أي بستان (قوله كما زعمت) أي قلت : إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (قوله كسفا) بسكون السين وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله قبيلا) حال من الله والملائكة أي حال كونهم مرئيين لنا (قوله أو ترقى) هو بفتح القاف مضارع رقي بكسرها والمصدر رقيا ومعناه الصعود الحسي ، وأما في المعاني فبفتح القاف في الماضي والمضارع يقال رقى في الخير ، وأما الرقيا للمريض فماضيها رقى كرمى (قوله لو رقيت) بكسر القاف (قوله نقرؤه) حال مقدرة من الضمير في علينا أو نعت لكتاب (قوله تعجب) أي من اقتراحاتهم وتنزيه له سبحانه وتعالى عن أن يشاركه أحد في ألوهيته (قوله هل كنت إلا بشرا رسولا) أي وليس في طاقتي الاتيان بما تطلبونه (قوله وما منع الناس أن يؤمنوا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لمنع والتقدير وما منع الناس الايمان وقوله إلا أن قالوا في تأويل مصدر فاعل منع وقوله إذ جاءهم الهدى ظرف لقوله منع والمعنى لايمنع الناس من الايمان وقت مجيء الهدى لهم إلا قولهم أبعث الله بشرا رسولا وخص بالذكر مع أن الموانع لهم كثيرة لأنه أعظمها (قوله قل لهم) أي ردا لشبهتهم (قوله لو كان في الأرض ملائكة الخ) أي جرت عادة الله في خلقه أنه لايرسل لخلقه رسولا إلا من جنسهم لأنهم يألفونه ويستطيعون خطابه بخلاف ما إذا أرسل لهم رسولا من غير جنسهم فانهم لايستطيعون رؤيته ولا خطابه لعدم الألفة بينهم فلو كان في الأرض ملائكة يمشون مثلكم وتألفونهم لأنزل عليكم ملكا رسولا (قوله مطمئنين) أي مستوطنين بها لايعرجون إلى السماء (قوله شهيدا) أي على أني رسول الله إليكم وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم (قوله إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) فيه تسلية له صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار (قوله من يهد الله) أي من يخلق فيه الهدى ، وقوله فهو المهتد أي يكون كذلك في الدنيا بمعنى أنه يكون حاله في الدنيا مطابقا لما قدره الله له أزلا وبذلك اندفع مايقال إن فيه اتحاد الشرط والجزاء ، والمهتد بحذف الياء من الرسم هنا وفي الكهف فانها في الموضعين من ياءات الزوائد وأما في النطق فتحذف وصلا ووقفا عن بعض القراء ووقفا لاوصلا عند بعضهم (قوله فلن تجد لهم أولياء) أي أنصارا (قوله على وجوههم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الهاء في نحشره قدره المفسر بقوله ماشين ، روي عن أنس « أن رجلا قال : يارسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة» ، وروى أيضا «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا راكبا وصنفا على وجوههم. قيل يارسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يلقون بوجوههم كل حدب وشوك» والحدب ما ارتفع من الأرض (قوله عميا و بكما وصما) أى لايبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون . إن قلت كيف وصفهم الله بذلك هنا وأثبت لهم ضد تلك الأوصاف فى قوله: ورأى المجرمون النار، دعوا هنالك ثبورا ، سمعوا لها تغيظا وزفيرا . أجيب بأن المعنى عميا لايرون مايسرهم و بكما لايتكلمون بحجة وصما لايسمعون مايسرهم ، أو المعنى يحشرون معدومى الحواس ثم تعاد لهم (قوله مأواهم جهنم) أى مسكنهم ومقرهم (قوله كلما خبت) أصله خبوت كقعدت تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقائهما (قوله سكن لهبها) أى بأن أكلت جلودهم ولحومهم (قوله زدناهم سعيرا) أى بدلناهم جلودا غيرها فتعود ملتهبة متسعرة (قوله ذلك) أى ماذكر من أن مأواهم جهنم و إعادتهم بعد فنائهم (قوله وقالوا) معطوف على كفروا (قوله خلقا جديدا) إما مصدر من معنى الفعل أو حال أى مخلوقين (قوله أو لم يروا) رد لانكارهم البعث (قوله قادر على أن يخلق مثلهم) أى فلا يستبعد عليه إعادتهم بأعيانهم (قوله أى الأناسى) جمع إنسى وهو البشر (قوله وجعل لهم أجلا) معطوف على جملة أولم يروا فليس داخلا فى حيز الانكار (قوله لاريب فيه) أى لاشك فى ذلك الأجل (قوله قل لهم) أى شرحا لحالهم التى يدعون خلافها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الخ أى لأجل أن نتبسط ونتسع فى الرزق ونوسع على المقلين فبين الله لهم أنهم لو ملكوا خزائن الله لداموا على بخلهم وشحهم (قوله لو أنتم تملكون) يجوز أن المسئلة من باب الاشتغال وأنتم مرفوع بفعل مقدر يفسره الظاهر لأن لو لايليها إلا الفعل ظاهرا أو مضمرا والاصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة ما بعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو (قوله إذا لأمسكتم) أى منعتم حق الله فيها (قوله خشية الانفاق) علة للامساك (قوله بخيلا) أى ممسكا عن بذل ماينبغى فيما ينبغى فالأصل فى الانسان الشح والخارج عنه خالف أصله كما قال تعالى: ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون (قوله ولقد آتينا) اللام موطئة لقسم محذوف (قوله بينات) إما منصوب بالكسرة صفة لتسع أو مجرور بها صفة لآيات (قوله واضحات) أى ظاهرات دالة على صدقه (قوله وهى اليد) أى التى كان يضمها إليه و يخرجها فتخرج بيضاء لها شعاع (قوله والعصا) أى التى كان يلقيها فتصير حية عظيمة (قوله والطوفان) أى الماء حتى ملأ بيوتهم ومساكنهم فكانوا لايستطيعون أن يوقدوا نارا أصلا (قوله والجراد) أى فأكل زروعهم وحبوبهم (قوله والقمل) تقدم أنه قيل هو السوس ، وقيل هو القمل المعروف (قوله والضفادع) أى فملأ بيوتهم وطعامهم وشرابهم (قوله والدم) أى فانقلبت مياههم دما حتى كادوا يموتون عطشا (قوله والطمس) أى مسخ الأموال حجارة (قوله والسنين ونقص الثمرات) هذان شىء واحد لأن نقص الثمرات لازم للسنين ، وماذكره المفسر فى عد الآيات التسع هو المشهور لأن هذه التسع هى التى ظهرت على يد موسى تهديدا لفرعون وقومه رجاء إيمانهم ، وقيل إن التسع هى اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل ، وفيه بعد لأن انفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الجبل لم تكن مقصودة لفرعون بل البحر كان لهلاكه والباقى بعده ، وقيل إن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا

عُمْياً وبُكْماً وَصُمًّا مَأْوٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ) سكن لهبها (زِدْنَاهُمْ سَعِيراً) تلهبا واشتعالا (ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا) منكرين للبعث (أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً . أَوَ لَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ) مع عظمهما (قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أى الأناسى فى الصغر (وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً) للموت والبعث (لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً) جحوداً له (قُلْ) لهم (لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى) من الرزق والمطر (إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ) لبخلتم (خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ) خوف نفادها بالانفاق فتفتقروا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً) بخيلا (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات ، وهى : اليد والعصا والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والسنين ونقص الثمرات .

ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولاتمشوا ببرىء إلى ذى سلطان ليقتله ولاتقذفوا محصنة ولاتفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لاتعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله ، وعلى هذا فالمراد بالآيات الأحكام التى كلفوا بها وهى عامة ثابتة فى جميع الشرائع وقوله وعليكم الخ حكم زائد مخصوص باليهود (قوله فسئل يامحمد بنى إسرائيل) أى ليكون قولهم الموافق لك حجة على المشركين ، وعلى هذا فالجملة معترضة بين قصة موسى وفرعون (قوله عنه) أى عن ماجرى بين موسى وفرعون (قوله سؤال تقرير) أى سؤالا يترتب عليه التقرير من بنى إسرائيل وقوله للمشركين اللام للتعليل أى لأجل المشركين ، والمعنى اسئل يامحمد بنى إسرائيل عن ماجرى بين موسى وفرعون ليكون ذلك داعيا لايمان المشركين وانقيادهم (قوله أوفقلنا له) معطوف على قوله يامحمد ، والمعنى أن الخطاب لموسى وحينئذ فيكون القول مقدرا والمفعول محذوف والتقدير اسئل فرعون بنى إسرائيل أى اطلبهم منه لتذهب بهم إلى الشام يدل عليه قوله فى الآية الأخرى : فأرسل معى بنى إسرائيل (قوله وفى قراءة) المناسب أن يقول وقرئ لأنها شاذة وإنما القراءة السبعية بالأمر وفيها وجهان الهمز وتركه بنقل حركة الهمزة إلى الساكن (قوله بلفظ الماضى) أى بلاهمز بوزن قال (قوله إذ جاءهم) ظرف لآتينا على الاحتمال الأول وعلى الثانى فقد تنازعه كل من آتينا وقلنا (قوله فقال له فرعون) معطوف على مقدر والتقدير إذ جاءهم فبلغهم الرسالة ووقع بينهم ماوقع من المحاورات فقال الخ (قوله مغلوبا على عقلك) أشار بذلك إلى أن مسحورا باق على معناه الأصلى أى أنك سحرت فغلب على عقلك ويصح أن يكون بمعنى فاعل كمشئوم أى أظنك ساحرا لإتيانك بالغرائب والعجائب (قوله لقد علمت) هو بفتح التاء خطاب لفرعون أى فقال له موسى يافرعون والله لقد علمت إن هذه الآيات ماأنزلها إلا رب السموات والأرض عبرا

(فَسْئَلْ) يا محمد (بَنِي إِسْرَائِيلَ) عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك فقلنا له اسأل ، وفى قراءة بلفظ الماضى (إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُوراً) مخدوعا مغلوبا على عقلك (قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ) الآيات (إِلَّا رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ) عبرا ولكنك تعاند وفى قراءة بضم التاء (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً) هالكا أو مصروفا عن الخير (فَأَرَادَ) فرعون (أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ) يخرج موسى وقومه (مِنَ الْأَرْضِ) أرض مصر (فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً . وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ) أى الساعة (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً) جميعا أنتم وهم (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن (وَبِالْحَقِّ) المشتمل عليه (نَزَلَ) كما أنزل لم يعتره تبديل (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (إِلَّا مُبَشِّراً) من آمن بالجنة (وَنَذِيراً) من كفر بالنار (وَقُرْآناً) ،

وإنما كفرك عناد خوفا على ضياع ملكك ورياستك (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وقوله بضم التاء أى والضمير لموسى ويكون المعنى لقد أيقنت وتحققت أن هذه الآيات التى جئت بها منزلة من عند الله تعالى (قوله وإنى لأظنك) أى أتحققك وعبر بالظن مشاكلة فان ظن فرعون كذب وظن موسى حق وصدق لظهور أماراته (قوله أومصروفا عن الخير) أى ممنوعا منه (قوله يخرج موسى وقومه) أى بقتلهم جميعا (قوله فأغرقناه ومن معه) أى نفعلنا بهم ماأرادوه بموسى وقومه (قوله من بعده) أى بعد إغراقه (قوله اسكنوا الأرض) أى أرض مصر والشام (قوله أى الساعة) أى القيامة ووعدها وقتها وهو النفخة الثانية (قوله جئنا بكم) أى أحييناكم وأخرجناكم من القبور (قوله جميعا) أشار بذلك إلى أن لفيفا اسم جمع لاواحد له من لفظه وقيل مصدر لف لفيفا ، والمعنى جئنا بكم منضما بعضكم لبعض (قوله وبالحق أنزلناه) معطوف على قوله : ولقد صرفنا وهذا على أسلوب العرب حيث ينتقلون مما كانوا بصدده لشىء آخر ثم يرجعون له . واختلف المفسرون فى الحق الأول والثانى فمشى المفسر على أن المراد بهما الحكم والمواعظ والأمثال التى اشتمل عليها القرآن وإنما التكرير للتأكيد إشارة إلى أنه لم يتغير ولم يتبدل إلى يوم القيامة كما تغيرت التوراة والانجيل ، وقيل المعنى وماأنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لانزاله لاعبثا ومانزل إلا بالحكم والمواعظ لاشتماله على الهداية إلى سبيل الرشاد فالحق الأول كناية عن سبب نزوله والحق الثانى هو ماشتمل عليه من المعانى (قوله المشتمل عليه) أى المحتوى عليه القرآن (قوله إلا مبشرا ونذيرا) حالان من الكاف فى أرسلناك .

(قوله منصوب بفعل) أى فهو من باب الاشتغال وعليه فجملة فرقناه لامحل لها من الاعراب والتنوين للتعظيم أى قرآنا عظيما (قوله فرقناه) هو بالتخفيف فى القراءة المشهورة وقرئ شذوذا بالتشديد (قوله نزلناه مفرقا) هذا أحد أقوال فى تفسير قوله فرقناه ، وقيل بينا حلاله وحرامه ، وقيل فرقنا به بين الحق والباطل (قوله أو وثلاث) أو لحكاية الخلاف أى أنه اختلف فى مدة نزول القرآن هل هى عشرون سنة أو ثلاث وعشرون وهو المبنى على الخلاف فى تعاقب النبوّة والرسالة وتقارنهما (قوله لتقرأه) متعلق بفرقنا وقوله : على الناس متعلق بتقرأه وكذا قوله : على مكث ولا يلزم عليه تعلق حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى بعامل واحد لأن الأوّل فى محل المفعول به والثانى فى محل الحال أى متمهلا فاختلف المعنى (قوله مهل وتؤدة) أى سكينة وتأنّ (قوله ليفهموه) أى ليسهل حفظه وفهمه (قوله على حسب المصالح) أى الوقائع التى تقتضى نزوله . فالحاصل أنه نزل مفرقا لحكمتين : الأولى ليسهل حفظه وفهمه . والثانية اقتضاء الوقائع لذلك قال تعالى : ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (قوله تهديد لهم) أى فالمعنى أن إيمانكم لا يزيد القرآن كمالا وامتناعكم لا يورثه نقصا (قوله إنّ الذين أوتوا العلم) تعليل لقوله : آمنوا به أو لا تؤمنوا ، والمعنى إن لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم أى لا تحزن على إعراضهم وعدم إيمانهم وتسلّ بإيمان هؤلاء العلماء (قوله وهم مؤمنو أهل الكتاب) أى كعبد الله بن سلام وسلمان والنجاشى وأقرانهم (قوله للأذقان) اللام بمعنى على أو على بابها متعلقة بيخرّون و يكون بمعنى يدلون وخصت

الأذقان بالذكر لأنها أوّل جزء من الوجه تقرب من الأرض عند السجود وسجدا حال أى ساجدين لله على إنجاز وعده الذى وعدهم به فى الكتب القديمة أنه يرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وينزل عليه القرآن (قوله ويقولون) أى فى حال سجودهم (قوله عن خلف الوعد) أى الذى رأيناه فى كتبنا بإنزال القرآن و إرسال محمد صلى الله عليه وسلم (قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن وقوله : لمفعولا أى موفى ومنجزا (قوله بزيادة صفة) أى وهى البكاء ومراده بهذا دفع التكرار وهو معنى قوله تعالى فى سورة المائدة : و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ (قوله ويزيدهم القرآن) أى فالضمير يعود على القرآن ويصح عوده على البكاء (قوله وكان صلى الله عليه وسلم) أشار بذلك إلى سبب نزولها . وحاصله أنه سجد صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده يا ألله يا رحمن فقال أبو جهل إن محمدا ينهانا عن آلهتنا زعمو يدعو إلهين (قوله إلها آخر) أى وهو الرحمن ظنا منهم أن المراد به مسيلمة الكذاب لأن قومه كانوا يسمونه رحمن اليمامة . قال بعضهم فى حقه :

سميت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا ... وأنت غيث الورى لازلت رحمانا

وهجاه بعض المسلمين بقوله :

سميت بالخبث يا ابن الأخبثين أبا ... وأنت شرّ الورى لازلت شيطانا

(قوله أى سموه بأيهما) أى اذكروا اسمه فى غير نداء (قوله أو نادوه) تفسير ثان لقوله ادعوا فعلى الأول يكون ناصبا لمفعولين أولهما محذوف تقديره معبودكم وعلى الثانى يكون ناصبا لمفعول واحد (قوله بأن تقولوا يا ألله يا رحمن) أشار بذلك إلى أن أسماء الله توقيفية فلا يجوز لنا أن نسميه باسم غير وارد فى الشرع . قال صاحب الجوهرة : * واختير أن أسماه توقيفيه *

منصوب بفعل يفسره (فَرَقْنَاهُ) نزلناه مفرقا فى عشرين سنة أو وثلاث (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ) مهل وتؤدة ليفهموه (وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) شيئا بعد شىء على حسب المصالح (قُلْ) لكفار مكة (آمِنُوا بِهِ أَوْلاَ تُؤْمِنُوا) تهديد لهم (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ) قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب (إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا) تنزيها له عن خلف الوعد (إنْ) مخففة (كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا) بنزوله و بعث النبى صلى الله عليه وسلم (لَمَفْعُولاً . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) عطف بزيادة صفة (وَيَزِيدُهُمْ) القرآن (خُشُوعاً) تواضعا لله ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول يا ألله يا رحمن فقالوا ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها آخر معه فنزل (قُلِ) لهم (ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ) أى سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا يا ألله يا رحمن ،

(قوله أيا شرطية) أى منصوبة بتدعوا فهى عاملة ومعمولة والمضاف إليه محذوف قدّره المفسر بقوله : أى هذين (قوله فله الأسماء الحسنى) هذه الجملة جواب الشرط وهو ما اشتهر على ألسنة المعربين وقدّر المفسر جوابه بقوله فهو حسن فتكون الجملة دليل الجواب، والأسماء جمع اسم وهو اللفظ الدال على ذات المسمى ، وأسماؤه تعالى كثيرة ، قيل ثلاثمائة ، وقيل ألف وواحد ، وقيل مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأن كلّ نبى تمدّه حقيقة اسم خاص به مع إمداد بقية الأسماء له لتحققه بجميعها ، وقيل ليس لها حدّ ولا نهاية لها على حسب شئونه فى خلقه وهى لانهاية لها والحسنى إما مصدر وصف به أو مؤنث أحسن كأفضل وفضلى فأفرد لأنه وصف جمع قلة لما لايعقل فيجوز فيه الافراد والجمع وإن كان الأحسن الجمع . قال الأجهورى :

وجمع كثرة لما لا يعقل الأفصح الافراد فيه يافل
وغيره فالأفصح المطابقه نحو هبات وافرات لائقه

وحسن أسمائه تعالى لدلالتها على معان شريفة هى أحسن المعانى لأن معناها ذات الله أوصفاته (قوله كما فى الحديث) أى ونصه « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هو الله الذى لا إله إلا هو » إلى آخر الرواية التى ذكرها المفسر واختارها وإن كان الحديث واردا بأوجه خمسة لكونها أصحّ الروايات الواردة ، ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد إنه وتر يحب الوتر ومامن عبد يدعو بها إلاوجبت له الجنة » ومنها « إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها كلها دخل الجنة أسأل الله تعالى الرحمن الرحيم الإله الربّ » إلى آخره ، ومنها « إن لله عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة الله الواحد الصمد » الخ ، ومنها « إن لله تعالى مائة اسم غير اسم من دعا بها استجاب الله له » وكلها فى الجامع الصغير فى حرف الهمزة مع النون عن على وعن أبى هريرة ، والحفظ والاحصاء عند أهل الظاهر معرفة ألفاظها ومعانيها ، وعند أهل الله هو الاتصاف بها والظهور بحقائقها والعثور على مدارج نتائجها

(أيًّا) شرطية و (مَا) زائدة أى أىّ هذين (تَدْعُوا) فهو حسن ، دل على هذا (فَلَهُ) أى لمسماها (الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) وهذان منها فإنها كما فى الحديث . « هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار

(قوله هو) ليس من الأسماء الحسنى بل هو عند أهل الظاهر ضمير شأن يفسره مابعده ، وعند أهل الله اسم ظاهر يتعبدون بذكره وعلى كل فهو زائد على التسعة والتسعين (قوله الله) هو أعظم الاسماء المذكورة لكونه جامعا لجميع الأسماء والصفات وهو علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأل لازمة له لا للتعريف ولا غيره وهو ليس بمشتق على الصحيح (قوله الذى لا إله إلا هو) نعت للاسم الجليل : أى الذى لا معبود غيره (قوله الرحمن) أى المنعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيوية وأخروية ظاهرية وباطنية (قوله الرحيم) أى المنعم بدقائق النعم كما وكيفا دنيوية وأخروية ظاهرية وباطنية والدقائق ما تفرعت عن الجلائل كالزيادة فى الايمان والعلم والمعرفة والتوفيق والعافية والسمع والبصر (قوله الملك) أى المتصرف فى خلقه بالايجاد والاعدام وغير ذلك وتسمية غيره تعالى به مجاز (قوله القدوس) أى المنزه عن صفات الحوادث وأتى به عقب الملك لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أى المؤمن من المخاوف والمهالك أو الذى يسلم على عباده (قوله المؤمن) أى المصدق لرسله بالمعجزات ولأوليائه بالكرامات ولعباده المؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم لأنه لا يطلع على الاخلاص نبى مرسل ولا ملك مقرّب وإنما يعلم من الله (قوله المهيمن) أى المطلع على خطرات القلوب (قوله العزيز) من عز بمعنى غلب وقهر فهو من صفات الجلال أو من عز بمعنى قلّ فلم يوجد له مثيل ولا نظير فهو من صفات السلوب (قوله الجبار) أى المنتقم القهار فيكون من صفات الجلال أو المصلح للكسر يقال جبر الطبيب الكسر أصلحه فيكون من صفات الجمال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهو التعالى فى العظمة وهى مختصة به تعالى لما فى الحديث القدسى « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته » (قوله الخالق) أى الموجد للمخلوقات من العدم (قوله البارئ) أى المبرئ من الأسقام أو المظهر لما فى الغيب من برئ بمعنى أظهر ما كان خفيا فيرجع لمعنى الخالق (قوله المصور) أى المبدع للأشكال على حسب إرادته فأعطى كل شئ من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله الغفار) إما مأخوذ من الغفر بمعنى الستر لأنه يستر على عباده قبائحهم فيحجبها فى الدنيا عن الآدميين وفى الآخرة عن الملائكة ولو كانت موجودة فى الصحف أو من الغفر بمعنى المحو من الصحف وهو مرادف الغفور والغافر ، وقيل إن الغافر هو الذى يغفر بعض الذنوب والغفور الذى يغفر أكثرها والغفار الذى يغفر جميعها ، والصحيح

الأول لأنه لامبالغة فى أسماء الله بل صيغتها صيغة نسبة كتمار نسبة التمر (قوله القهار) أى ذو البطش الشديد فهو من صفات الجلال (قوله الوهاب) أى ذو الهبات العظيمة لغير غرض ولاعلة فالطاعات لاتزيد فى ملكه شيئا و إنما رتب الثواب عليها من فضله وكرمه وهذا الاسم من صفات الجمال (قوله الرزاق) أى معطى الأرزاق لعباده دنيا وأخرى . قال تعالى ـ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ـ وهو بمعنى الرازق والرزق قسمان ظاهر وهو الأقوات من طعام وشراب ونحوذلك و باطن وهو العلوم والأسرار والمعارف فالأول رزق الأبدان والثانى رزق الأرواح وكلّ من عند ربنا (قوله الفتاح) أى ذوالفتح لما كان مغلوقا حسيا أو معنويا فهو المسهل لكل عسير من خيرى الدنيا والآخرة فضلا منه و إحسانا وهذاوماقبله من صفات الجمال (قوله العليم) أى ذوالعلم وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق إحاطة وانكشاف لا يوصف بنظر ولاضرورة ولا كسب (قوله القابض) أى ذوالقبض ضدّ البسط فهوجلّ وعز قابض للأرزاق والأرواح وغيرذلك فيكون من صفات الجلال (قوله الباسط) أى ذوالبسط ضدّ القبض فهوسبحانه وتعالى باسط الأرزاق فى الدنيا والآخرة والقلوب وغير ذلك . قال تعالى ـ والله يقبض و يبسط ـ وهذان الاسمان يظهرأثرهما فى العبيد ، وللعارفين مقامات فى القبض والبسط فالمبتدئ يسمون تجليه قبضا و بسطا والمتوسط يسمونه أنسا وهيبة والكامل يسمونه جلالا وجمالا (قوله الخافض) أى لمن أراد خفضه : أى فهوخافض لكلمة الكفر وللظالمين ولكل متكبر وغيرذلك (قوله الرافع) أى ذوالرفع لأهل الاسلام والعلماء والصدّيقين والأولياء والسموات والجنة وغير ذلك من الحسى والمعنوى والأوّل من صفات الجلال والثانى من صفات الجمال (قوله المعز) أى خالق العز لمن يشاء من خلقه (قوله المذلّ) أى خالق الذل لمن أراد من عباده والأوّل من صفات الجمال والثانى من صفات الجلال (قوله السميع)أى ذوالسمع ، وهو صفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق إحاطة وانكشاف (قوله البصير) أى ذوالبصر وهوصفة أزلية تتعلق بجميع الموجودات تعلق إحاطة وانكشاف فهى مساوية فى التعلق لصفة السمع ولايعلم حقيقة اختلافهما إلا الله تعالى وهما مخالفان لتعلق العلم لأن العلم يتعلق بالمعدومات والموجودات وهما إنما يتعلقان بالموجودات فقط وكل منها منزه عن صفات الحوادث . قال بعض العارفين : من أراد خفاء نفسه عن أعين الناس بحيث لا يرونه ، فليقرأ عند مروره عليهم

القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعزّ المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور ،

العليّ

ـ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ـ تسع مرات (قوله الحكم) أى ذو الحكم التام (قوله العدل) أى ذو العدل أو العادل فلا يظلم مثقال ذرّة فأحكام الله لاجور فيها بل دائرة بين الفضل والعدل لأن الجور التصرّف فى ملك الغير بغير إذنه ولاملك لأحد معه وأردف الحكم بالعدل دفعا لتوهم أن حكمه تارة يكون بالعدل وتارة يكون بالجور (قوله اللطيف) أى العالم بخفيات الأمور أومعطى الإحسان فى صورة الامتحان كاعطاء يوسف الصديق الملك فى صورة الابتلاء بالرقية وآدم الفوز الأكبر فى صورة ابتلائه بأكله من الشجرة و إخراجه من الجنة ، ونبينا صلى الله عليه وسلم الفتح والنصر المبين فى صورة ابتلائه باخراجه من مكة وهى سُنة الله فى عباده الصالحين .

[فائدة] من قرأ قوله تعالى ـ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوىّ العزيز ـ فى كل يوم تسع مرات لطف الله به فى أموره و يسرله رزقا حسنا وكذلك من أكثر من ذكر اللطيف (قوله الخبير) أى المطلع على خفيات الأشياء فيرجع لمعنى اللطيف على التفسير الأول أو القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات . قال بعضهم : من أراد أن يرى شيئا فى منامه فليقرأ قوله تعالى ـ ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ـ تسع مرات عند نومه (قوله الحليم) هوالذى لايعجل بالعقوبة على من عصاه وكفر به بل يمهله فان تاب عفا عنه خطاياه ، ومن أقبح ما تقول العامة : حلم ربنا يفتت الكبود إذ معناه الاعتراض على سعة حلمه ولا يدرون أنه لولاحلمه علينا لخسف بنا فسعة حلمه بنا من أجل النعم علينا. قال العارف : الحمد لله على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته (قوله العظيم) أى الذى يصغر كلّ شئ عند ذكره ولا يحيط به إدراك ولا يعلم كنه حقيقته سواه . فى الحديث « سبحان من لايعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته » فهو من الصفات الجامعة (قوله الغفور) تقدّم معناه عند تفسير اسمه الغفار (قوله الشكور) أى الذى يشكر عباده : أى يثنى عليهم فى الدنيا والآخرة فيعطى الثواب الجزيل على العمل القليل و يرفع ذكرهم فى الملأ الأعلى .

(قوله العلى) أى المرتفع المنزه عن كل نقص المتصف بكل كمال المستغنى عن كل ماسواه المفتقر إليه كل ماعداه (قوله الكبير) هو والعظيم بمعنى واحد (قوله الحفيظ) أى الحافظ العالم العلوى والسفلى دنيا وأخرى قال تعالى ـ إن ربى على كل شئ حفيظ ـ (قوله المقيت) أصله المقوت نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها فقلبت الواو ياء لمناسبة ماقبلها أى خالق القوت للأجساد والأرواح دنيا وأخرى وقوت الأجساد الطعام والشراب ونفعها بذلك وتغذيها به وقوت الأرواح الايمان والأسرار والمعارف وانتفاعها بها والكافر لاقوت لروحه (قوله الحسيب) أى الكافى من توكل عليه أو الشريف الذى كل من دخل حماه تشرف أو المحاسب لعباده على النقير والفتيل والقطمير فى قدر نصف يوم من أيام الدنيا أو أقل (قوله الجليل) أى العظيم فى الذات والصفات والأفعال فيرجع لمعنى العظيم والكبير (قوله الكريم) أى المعطى من غير سؤال أو الذى عم عطاؤه الطائع والعاصى (قوله الرقيب) أى المراقب الحاضر المشاهد لكل مخلوق المتصرف فيه وهو أعم من المهيمن لأنه المطلع على خطرات القلوب والرقيب المطلع على الظاهر والباطن (قوله المجيب) أى لدعوة الداعى قال تعالى ـ ادعونى أستجب لكم ـ وفى الحديث «مامن عبد يقول يارب إلا قال الله لبيك ياعبدى» (قوله الواسع) السعة فى حقه تعالى ترجع لنفى الأولية والآخرية والاحاطة فهو من صفات السلوب أو يراد منها أن رحمته وسعت كل شئ فيكون من صفات الجمال (قوله الحكيم) أى ذو الحكمة وهى العلم التام والصنع المتقن (قوله الودود) أى المحب لعباده الصالحين المحبين الراضى عليهم قال تعالى ـ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان، أو الودود بمعنى المحبوب لأنه محب ومحبوب ، فمحبته لعباده إنعامه عليهم أو إرادة إنعامه فترجع لمعنى الرضا ومحبة عباده له ميلهم إليه وشغلهم به عمن سواه (قوله المجيد) أى الشريف ومثله الماجد (قوله الباعث) أى الذى يبعث الأموات أى يحييهم للحساب ويبعث الرسل لعباده لاقامة الحجج عليهم والأرزاق الدنيوية والأخروية (قوله الشهيد) أى المطلع على الظاهر والباطن فيرجع لمعنى الرقيب وأما قوله تعالى ـ عالم الغيب والشهادة ـ فتسميته غيبا بالنسبة لنا و إلا فالكل شهادة عنده (٣٤٥) (قوله الحق) أى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا فيرجع لمعنى واجب الوجوب (قوله الوكيل) أى المتولى أمور خلقه دنيا وأخرى (قوله القوى)

> العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود
> مجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحيى المميت
> الحى القيوم الواجد الماجد الواحد ،

أى ذو القدرة التامة التى يوجد بها كل شئ ويعدمه على طبق مراده (قوله المتين) أى صاحب القوة العظيمة التى لاتعارض ولا يعتريها نقص ولا خلل (قوله الولى) أى الموالى والمتابع للاحسان لعبيده ، أو المتولى للخير والشر بمعنى صدور الكل منه فيرجع لمعنى الوكيل ويشهد للأول قوله تعالى ـ الله ولى الذين آمنوا ـ الآية ، وللثانى قوله تعالى : أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى . وأما الولى من الخلق فمعناه الموالى لطاعة ربه المداوم عليها ، أو من تولى الله أمره فلم يكله لغيره (قوله الحميد) أى المحمود أى مستحق الحمد كله ، أو الحامد لعبيده الصالحين ولنفسه بنفسه (قوله المحصى) أى الضابط لعدد مخلوقاته جليلها وحقيرها . قال تعالى ـ وأحصى كل شئ عددا ـ (قوله المبدئ) بالهمزة أى المنشئ من العدم إلى الوجود ، وأما بغير همز فمعناه المظهر وليس مرادا هنا لكون الرواية بالهمز (قوله المعيد) أى الذى يعيد الخلق بعد انعدامهم قال تعالى : وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه . واختلف أهل السنة فى تلك الاعادة ، قيل عن عدم محض ، وقيل عن تفريق أجزاء . قال صاحب الجوهرة :

وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

(قوله المحيى) أى المقوم للأبدان بالأرواح للخلائق من العدم أى الناقل لهم من حالة العدم لحالة الحياة (قوله المميت) أى الخالق للموت وهو عدم الحياة عما من شأنه الحياة قال تعالى ـ خلق الموت والحياة ـ (قوله الحى) أى ذو الحياة وهى فى حقه تعالى صفة أزلية قائمة بذاته يستلزمها اتصافه بالمعانى والمعنوية (قوله القيوم) أى القائم بذاته تعالى المستغنى عن غيره ، أو المقوم لغيره بقدرته فهو المتصرف فى العالم دنيا وأخرى (قوله الواجد) أى الغنى من الوجدان وهو عدم نفاد الشئ بمعنى أنه لو أغنى الخلق جميعا وأعطاهم سؤلهم لم ينقص من ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر (قوله الماجد) هو بمعنى المجيد المتقدم ، وهو الشريف أو واسع الكرم (قوله الواحد) أى الذى لاثانى له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله فهو مستلزم لنفى الكموم الخمسة المتصل والمنفصل فى الذات والمتصل والمنفصل فى الصفات والمنفصل فى الأفعال والمتصل فيها لا ينفى

بل هو تعلق القدرة والارادة فى سائر الكائنات إيجادا وإعداما فلا غاية له ولا نهاية قال تعالى ـ كل يوم هو فى شأن ـ أى كل لحظة ولمحة فى شؤون يبديها ولا يبتديها والوحدة فى غيره نقص وفى حقه كمال ، كما ورد أنه واحد لا من قلة بل وحدة تعزز وانفراد وتكبر لانعدام الشبيه والنظير والمثيل ، وفى بعض النسخ زيادة لفظ الأحد وهو بمعنى الواحد والصواب إسقاطه لأنه ليس ثابتا فى حديث الترمذى الذى نسب الحديث إليه (قوله الصمد) أى الذى يقصد فى الحوائج فهو كالدليل للوحدانية (قوله القادر) أى ذو القدرة التامة وهى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالممكنات إيجادا وإعداما على وفق الارادة (قوله المقتدر) مبالغة فى القدرة أى العظيم القدرة التى لا شبيه لها ولا مثيل ولا نظير فيرجع لمعنى القوى المتين (قوله المقدم) بكسر الدال أى لمن أراد من عباده (قوله المؤخر) أى لمن أراد تأخيره قال تعالى ـ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ـ الآية (قوله الأول) أى الذى لا افتتاح لوجوده (قوله الآخر) أى الذى لا انتهاء لوجوده (قوله الظاهر) أى الذى ليس فوقه شئ ولا يغلبه شئ ، أو الظاهر بآثاره وصنعه . ومن الحكم هذه آثارنا تدل علينا قال تعالى ـ كل يوم هو فى شأن ـ (قوله الباطن) أى الذى ليس أقرب منه شئ أو الذى تحجب عنا بجلاله وهيبته فلا تراه الأبصار فى الدنيا ولا تدرك حقيقته لأحد دنيا ولا أخرى . وقد جمعت هذه الأسماء الأربعة فى قوله صلى الله عليه وسلم « اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » (قوله الوالى) أى المتولى على عباده بالتصرف والقهر والايجاد والاعدام فيرجع لمعنى الملك (قوله المتعالى) أى المنزه عن صفات الحوادث فيرجع لمعنى القدوس وأتى به عقب الوالى لدفع توهم طرو نقص عليه كالولاة (قوله البر) أى المحسن لعباده الطائعين والعاصين (قوله التواب) أى كثير التوبة لعباده المذنبين أى يقبل توبتهم إن تابوا أو الذى يخلق التوبة فى العبد فتظهر فيه قال تعالى ـ ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ـ وقال تعالى ـ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ـ (قوله المنتقم) أى المرسل للنقم والعذاب على الكفار والجبابرة الذين ماتوا مصرين على ذلك فهو من صفات الجلال كقهار (قوله العفو) أى الذى لا يؤاخذ المذنب بالذنوب بل يمحوها ويبدلها بحسنات (قوله الرءوف) من الرأفة وهى شدة الرحمة

الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور » رواه الترمذى .

قال ومعناها فى حقه تعالى الانعام أو إرادته (قوله مالك الملك) أى المتصرف فيه على ما يريد ويختار قال تعالى ـ يحكم لا معقب لحكمه ـ (قوله ذو الجلال) أى صاحب الهيبة والعظمة ، وقوله والاكرام أى الانعام والاحسان (قوله المقسط) أى الذى يحكم بالانصاف بين خلقه وضده القاسط بمعنى الجائر (قوله الجامع) أى لكل كمال أو للخلق يوم القيامة قال تعالى : وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ، أو ما هو أعم وهو أولى (قوله الغنى) أى ذو الغنى المطلق وهو المستغنى عن كل ما سواه المفتقر إليه كل ما عداه (قوله المغنى) أى المعطى الغنى لمن يشاء دنيا وأخرى قال تعالى ـ وأنه هو أغنى وأقنى ـ (قوله المانع) أى الرافع عن عبيده المضار الدنيوية والأخروية قال تعالى ـ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض (قوله الضار) أى خالق الضر ضد النفع وهو إيصال الشر لمن شاء من عباده (قوله النافع) أى خالق النفع ضد الضر وهو إيصال الخير لمن شاء من عباده دنيا وأخرى (قوله النور) أى الظاهر فى نفسه المظهر لغيره أو خالق النور (قوله الهادى) أى خالق الهدى والرشاد الموصل له من أحب من عباده (قوله البديع) أى المبدع والمحكم كل شئ صنعه أو المخترع الأشياء على غير سابقة مثال قال تعالى ـ بديع السموات والأرض ـ أى محكمهما ومتقنهما ومخترع لهما على غير مثال سابق (قوله الباقى) أى الدائم الذى لا يزول ولا يحول (قوله الوارث) أى الباقى بعد فناء خلقه ، أو الذى يرجع إليه كل شئ قال تعالى : إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ، كل شئ هالك إلا وجهه ، ألا إلى الله تصير الأمور ـ (قوله الرشيد) أى صاحب الرشد وهو الذى يضع الشئ فى محله ، أو خالق الرشد فى عباده فيرجع لمعنى الهادى (قوله الصبور) أى الذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه فيرجع لمعنى الحليم ، والله أعلم بحقيقة معانى أسمائه وأسرارها (قوله رواه الترمذى) أى عن أبى هريرة . واعلم أن للعارفين فى استعمال هذه الأسماء طرقا : فمنهم من يستعملها نثرا ، ومنهم من يستعملها نظما كالشيخ الدمياطى وسيدى مصطفى البكرى وغيرهما ، وأجل ما تلقيناه منظومة أستاذنا بركة

الوقت والزمان وإمام العصر الأوان القطب الشهير والمنهل المنير ابى البركات مهبط الرحمات الذى عم فضله الكبير والصغير شيخنا الشيخ أحمد بن محمد الدردير ، فانها عديمة النظير لاحتوائها على الدعوات الجامعة والأسرار اللامعة بمظاهر تلك الأسماء وهى آخر العلوم الالهية التى ظهرت على لسانه وقد ألقيت عليه فى ليلة واحدة فقام من فراشه وكتبها وكان يقرؤها فى كل يوم وليلة ثلاث مرات، فمن أراد الفوز الأكبر والظفر بالمقصود من خير الدنيا والآخرة فعليه بحفظها والمواظبة عليها صباحا ومساء ، ومن أراد الاطلاع على بعض معانيها وفوائدها فعليه بشرحنا عليها فان فيه النفع التام إن شاء الله تعالى (قوله ولا تجهر بصلاتك) سبب نزولها كما قال ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مختفيا بمكة ، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله لنبيه ـ ولا تجهر بصلاتك ـ أى بقراءتك ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا وهذا الأمر قد زال من يوم إسلام عمر والحمزة فهو منسوخ فالمصلى الجهر فى الصلاة الجهرية ولو يزيد على سماع المأمومين ، وقيل نزلت فى الدعاء . وروى عن عائشة وجماعة ومثل الدعاء سائر الأذكار فلا يجهر بها ولا يخافت بها بل يكون بين ذلك قواما ، وعلى هذا القول فالآية غير منسوخة بل العمل بها مستمر (قوله ولا تخافت بها) المخافتة عدم رفع الصوت يقال خفت الصوت إذا سكن (قوله لينتفع أصحابك) علة للنهى عن المخافتة

قال تعالى (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) بقراءتك فيها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله (وَلَا تُخَافِتْ) تسر (بِهَا) لينتفع أصحابك (وَابْتَغِ) اقصد (بَيْنَ ذَٰلِكَ) الجهر والمخافتة (سَبِيلًا) طريقا وسطا (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) فى الألوهية (وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ) ينصره (مِّنَ) أجل (الذُّلِّ) أى لم يذل فيحتاج إلى ناصر (وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا) عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكل ما لايليق به ، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده فى صفاته.

روى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه كان يقول : آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك إلى آخر السورة» والله تعالى أعلم.

قال مؤلفه : هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الامام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله عنه ، وقد أفرغت فيه جهدى ، وبذلت فكرى فيه فى نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدى . وألفته فى مدة ،

(قوله وقل الحمد لله) أى الثناء بالجميل واجب لله (قوله الذى لم يتخذ ولدا) أى لم يكن له ولد لاستحالته عليه (قوله الألوهية) أى لم يكن له مشارك فى ألوهيته إذ لو كان معه مشارك فيها لما وجد شئ من العالم قال تعالى ـ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ـ وقال تعالى ـ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض (قوله ولم يكن له ولى من الذل) أى لم يكن له ناصر يمنع عنه الذل لاستحالته عليه عقلا، واستفيد من الآية أن له أولياء لامن أجل الذل بل بمعنى أنه ينصرهم ويتولى أمورهم مع استغنائه عنهم كاستغنائه عن الكفار وإنما اختيارهم وتسميتهم أولياء وأحبابا فمن فضله وإحسانه، وكما أنه يستحيل عليه الولى بمعنى الناصر له من الذل يستحيل عليه العدو بمعنى الموصل الأذى إليه. وأما بمعنى أنه مغضوب عليه وليس راضيا بأفعاله فهو واقع (قوله أى لم يذل) أى لم يجر عليه وصف الذل لابالفعل ولا بالقوة (قوله عظمه عظمة) اى نزهه عن كل نقص (قوله وترتيب الحمد الخ) دفع بذلك مايقال إن المقام للتنزيه لاللحمد لأن الحمد يكون فى مقابلة نعمة وهنا ليس كذلك أجيب بأن الله كما يستحق الحمد لأوصافه يستحقه لذاته (قوله آية العز) أى التى من قرأها مؤمنا بها حصل له العز والرفعة وورد فى عدة استعمالها أنها ثلاثمائة وأحد وخمسون كل يوم ويقول قبلها توكلت على الحى الذى لايموت الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا إلى آخرها (قوله جلال الدين المحلى) كان على غاية من العلم والعمل والزهد والورع والحلم حتى كان من أخلاقه أنه يقضى حوائج بيته بنفسه مع كونه كان عنده الخدم والعبيد (قوله وقد أفرغت فيه) الضمير عائد على ما فى قوله آخر ما كملت به وكذا بقية الضمائر (قوله جهدى) بفتح الجيم وضمها أى طاقتى (قوله وبذلت فكرى) الفكر قوة فى النفس يحصل بها التأمل (قوله فى نفائس) أى دقائق ونكات مرضية (قوله أراها) بفتح الهمزة وضمها (قوله تجدى) أى تنفع .

(قوله قدر ميعاد الكليم) أى وهو أربعون يوما لأنه سيأتى أنه ابتدأ فيه أول يوم من رمضان وختمه لعشرة من شوال وفى ذلك إشارة إلى أن فى هذه المدة حصل لموسى الفتح و إعطاء التوراة وهى كلام الله فقد خلعت على خلعة من خلعه حيث فتح على فى تلك المدة بخدمة كلام الله، والإخبار بذلك من باب التحدث بالنعمة فان هذا الزمن عادة لايسع التأليف إلا بعناية من الله سيما مع صغر سن الشيخ حينئذ فانه كان عمره أقل من ثنتين وعشرين سنة بشهور (قوله وهو) أى ما كملت به (قوله مستفاد من الكتاب المكمل) هذا تواضع من الشيخ و إشارة إلى أنه حذا حذوه واقتفى أثره فالشيخ المحلى قدس الله روحه قد سن سنة حسنة للشيخ السيوطى فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة (قوله وعليه) أى الشيخ أو الكتاب المكمل وهومتعلق بمحذوف خبر مقدم والاعتماد مبتدأ مؤخر وقوله فى الآى الخ متعلق بالاعتماد والمعول معطوف على الاعتماد عطف مرادف (قوله بعين الانصاف) إما على حذف مضاف أى بعين صاحب الانصاف أو فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه الانصاف بانسان ذى عين وطوى ذكر المشبه به ورمزله بشئ من لوازمه وهو العين فاثباته تخييل واحترز بعين الانصاف من عين الاعتساف فانها لا ترى محاسن أصلا كما قال العارف :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدى المساويا

(قوله ووقف فيه على خطأ) أى اطلع عليه (قوله فأطلعنى) أى دلنى عليه وعرفنى به (قوله وقد قلت)

قدر ميعاد الكليم ، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم ، وهو فى الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل . وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد والمعول . فرحم الله امرأ نظر بعين الانصاف إليه . ووقف فيه على خطإ فأطلعنى عليه ، وقد قلت :

حمدت الله ربى إذ هدانى ... لما أبديت مع عجزى وضعفى

فمن لى بالخطا فأرد عنه ... ومن لى بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط فى خلدى أن أتعرض لذلك لعلمى بالعجز عن الخوض فى هذه المسالك . وعسى الله أن ينفع به نفعا جما ، ويفتح به قلوبا غلفا وأعينا عميا وآذانا صما . وكأنى بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسما ، وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقهما فهما ، ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى . رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقا ، واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا ،

أى شاكرا الله سالكا سبيل الاعتذار (قوله إذ هدانى) أى لأجل هدايته لى (قوله لما أبديت) متعلق بهدانى (قوله فمن لى بالخطأ) أى من يتكفل لى باظهار الخطأ (قوله فأرد عنه) أى أجيب عنه أو أصلحه (قوله ومن لى بالقبول) أى من يبشرنى بالقبول من الله لهذا التأليف ولو حرفا لأن القبول من رحمة الله ومن رحمه لايعذبه (قوله هذا) أى افهم وتأمل ماذكرته لك

وجعلنا

(قوله فى خلدى) بفتحتين معناه البال والقلب (قوله لذلك) أى لتأليف تلك التكملة (قوله المسالك) أى مسالك التفسير الذى هو أصعب العلوم لاحتياجه إلى الجمع بين المعقول والمنقول (قوله وعسى الله) هذا ترج من الشيخ رضى الله عنه وقد حقق الله رجاءه (قوله جما) بفتح الجيم أى كثيرا (قوله غلفا) أى مغطاة ممنوعة من فهم علم التفسير لصعوبته (قوله عميا) أى لاتبصر فاذا نظرت فيه وتأملته فأرجو أن يزول عنها العمى لتبصره وتدركه (قوله وآذانا صما) أى فبسماعه يزول عنها الصمم وتصير مستمعة لدقائق التفسير (قوله وكأنى بمن اعتاد المطولات) أى ملتبس بمن اعتاد فالباء للملابسة ويصح أن تكون بمعنى من ، والمعنى وكأنى قريب ممن اعتاد الخ (قوله وقد أضرب) أى أعرض (قوله وأصلها) أى وهى قطعة الجلال المحلى (قوله حسما) الحسم المنع والقطع وهومفعول مطلق مؤكد لعامله المعنوى الذى هوأعرض كأنه قال وقد أعرض إعراضا (قوله وعدل) أى مال (قوله إلى صريح العناد) من إضافة الصفة للموصوف أى العناد الصريح (قوله ومن كان فى هذه) أى التكملة مع أصلها وفى بمعنى عن وقوله أعمى أى معرضا عنها وغير واقف على دقائقها وقوله فهو فى الآخرة المراد بها المطولات وقوله أعمى أى غير تام لها وهو اقتباس من الآية الشريفة، والاقتباس تضمين الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لاعلى أنه منه (قوله رزقنا الله به الخ) هذا الضمير وما بعده لما كمل به (قوله هداية) أى وصولا للمقصود (قوله على دقائق كلماته) أى القرآن

وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وفرغ من تأليفه يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة ، وكان الابتداء فيه يوم الأربعاء مستهل رمضان من السنة المذكورة ، وفرغ من تبييضه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة والله أعلم .

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر الخطيب الطوخى : أخبرنى صديقى الشيخ العلامة كمال الدين المحلى أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلى رحمهما الله تعالى أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطى مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيهما أحسن وضعى أو وضعك ؟ فقال وضعى : فقال انظر وعرض عليه مواضع فيها ، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يتبسم ويضحك .

قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى مصنف هذه التكملة : الذى أعتقده وأجزم به أن الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى قطعته أحسن من وضعى أنا بطبقات كثيرة ، كيف وغالب ما وضعته هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامرية عندى فى ذلك . وأما الذى رؤى فى المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة وهى يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع: منها أن الشيخ قال فى سورة ص : والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذه فيه ، وكنت تبعته أولا فذكرت هذا الحد فى سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى : ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى الآية فهى صريحة أو كالصريحة فى أن الروح من علم الله تعالى لانعلمه فالإمساك عن تعريفها أولى . ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكى فى جمع الجوامع : والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فنمسك عنها ومنها أن الشيخ قال فى سورة الحج: الصابئون فرقة من اليهود فذكرت ذلك فى سورة البقرة وزدت أو النصارى بيانا لقول ثان فإنه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء . وفى المنهاج وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى فى أصل دينهم حرمن، وفى شروحه أن الشافعى رضى الله عنه نص على أن الصابئين فرقة من النصارى ، ولا أستحضر الآن موضعا ثالثا فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

تم الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث

وأوله :

سورة الكهف

كان كل فى منزلته (قوله وفرغ من تأليفه) أى جمعه وتسويده بدليل قوله وفرغ من تبييضه (قوله سنة سبعين وثمانمائة) أى وذلك بعد وفاة الجلال المحلى بست سنين (قوله وفرغ من تبييضه) أى تحريره ونقله من المسودة (قوله سادس صفر) أى فكانت مدة تحريره أربعة أشهر إلا أربعة أيام (قوله السيوطى) بضم السين نسبة لسيوط قرية بصعيد مصر. واعلم أنه قد وجد بعد ختم هذه التكملة مما هو منقول عن خط السيوطى ما نصه : قال الشيخ شمس الدين محمد ابن أبى بكر الخطيب الطوخى أخبرنى صديقى الشيخ العلامة كمال الدين المحلى الخ فليس من أصل تأليف السيوطى والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

قال مؤلفه : وكان الفراغ من تسويد هذا الجزء يوم الخميس المبارك ثالث عشر شعبان سنة خمس وعشرين ومائتين وألف من هجرة من له العز والشرف عليه أفضل الصلاة والسلام بمشهد الامام الحسين رضى الله تعالى عنه وعنا وأمدنا من مدده آمين .

فهـــرس

الجزء الثاني

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له
أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي
١١٧٥ - ١٢٤١ هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّى والجلال السيوطي
رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الثالث

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها
فضيلة الشيخ علي محمد الضباع
شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية

دار الجيل
بيروت

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الطاهر الفاخر ، وعلى آله وأصحابه ذوى العلا والمفاخر.

وبعد : فلما انتهى الكلام على تكملة الجلال السيوطى فلنشرع الآن فى الكلام على تأليف شيخه الجلال محمد ابن أحمد المحلى نفعنا الله بهما و بعلومهما فى الدنيا والآخرة ونسأل الله تعالى الاعانة على البدء والختام والموت على كمال الإيمان والاسلام . قال نفعنا الله به :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ســـورة الـكهف)

مكية إلا : واصبر نفسك الآية ، مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) هو الوصف بالجميل ثابت (لِلَّهِ) تعالى ، وهل المراد الإعلام بذلك للايمان به ، أو الثناء به ، أوهما ؟ احتمالات أفيدها الثالث (الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ) محمد (الْكِتَابَ) القرآن (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ) أى فيه (عِوَجًا) اختلافا وتناقضاً والجملة حال من الكتاب ، (قيما)

[سورة الكهف مكية] سميت بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف فيها من باب تسمية الشىء باسم بعضه ، وسورة مبتدأ ومكية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله ثابت) قدره إشارة إلى أن الجار والمجرور فى لله متعلق بمحذوف خبر المبتدإ والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار أزلا وأبدا فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث فوصف القديم بالكمالات أزلى مستمر وكمال الحادث عارض (قوله الاعلام بذلك) أى الاخبار بأن وصفه الكمالى أزلى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى ، والمقصود منها كونها عقيدة للعباد وشرطا فى إيمانهم والمخبر بالحمد حامد (قوله أوالثناء به) أى إنشاء الثناء بمضمون تلك الجملة لا انشاء للمضمون فانه ثابت أزلا يستحيل إنشاؤه فتكون على هذا خبرية لفظا إنشائية معنى كأنه قال أجدّد وأنشىء حمدا لنفسى بنفسى لعجز خلقى عن كنه حمدى ، ولذا حكى عن أبى العباس المرسى أنه سأل ابن النحاس النحوى عن أل فى الحمد لله هل هى جنسية أوعهدية فقال يقولون إنها جنسية فقال لا بل هى عهدية لأن الله لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه وأبقاه لهم يحمدونه به (قوله أوهما) أى الاعلام والثناء ويكون هذا من باب استعمال الجملة فى الخبر والانشاء على سبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز فاستعمالها فى الخبر حقيقة واستعمالها فى الانشاء مجاز وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين الاعلام للايمان والتصديق وإنشاء الثناء (قوله أفيدها الثالث) أى أكثرها فائدة لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالذات . إن قلت إن إنشاء الثناء يستلزم الاعلام والاعلام يستلزم إنشاء الثناء . قلنا نعم لكن فرق بين الحاصل المقصود والحاصل غير المقصود فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبرية فقط كان الثناء حاصلا غير مقصود وإن جعلت إنشائية فقط كان الايمان بها حاصلا غير مقصود وإن استعملت فيهما كان كل مقصودا لذاته (قوله الذى أنزل) تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بالعلية كأنه قال الحمد لله لأجل إنزاله الخ وإنما جعل الانزال سببا فى الحمد لأنه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى إذ به تنال سعادة الدارين إذ فيه صلاح المعاد والمعاش ، قال تعالى : وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء (قوله على عبده) الاضافة لتشريف المضاف ، ولذا قال القاضى عياض :

ومما زادنى شرفا وتيها ... وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى ... وأن صيرت أحمد لى نبيا

(قوله ولم يجعل له) الجملة إما معطوفة على قوله أنزل فتكون من جملة المحمود عليه أوحال كما قال المفسر (قوله اختلافا) أى فى اللفظ والمعنى ، والعوج بالكسر الفساد فى المعانى و بالفتح فى الأجسام (قوله تناقضا) نعت لاختلافا على حذف مضاف أى ذا تناقض .

(قَيِّماً) مستقيما حال ثانية مؤكدة (لِيُنْذِرَ) يخوف بالكتاب الكافرين (بَأْساً) عذابا (شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ) من قِبَل الله (وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً . مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا) هو الجنة (وَيُنْذِرَ) من جملة الكافرين (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً . مَا لَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لِآبَائِهِمْ) من قبلهم القائلين له (كَبُرَتْ) عظمت (كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) كلمة تمييز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالذم محذوف أى مقالتهم المذكورة (إِنْ) ما (يَقُولُونَ) فى ذلك (إِلاَّ) مقولا (كَذِباً . فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ) مهلك (نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) بعدهم أى بعد توليهم عنك (إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ) القرآن (أَسَفاً) غيظا وحزنا منك لحرصك على إيمانهم ونصبه على المفعول له (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) من الحيوان والنبات والشجر والأنهار ،

(قوله قيما) إن أريد به الإستقامة فى المعنى كان حالا مؤكدة كما قال المفسر وإن أريد به الاستقامة مطلقا كان حالا مؤسسة (قوله مستقيما) أى معتدلا قائما بمصالح العباد دنيا وأخرى فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته من حيث إنه يؤنسه فى قبره ويتلقى عنه السؤال ويكون نورا على الصراط ويوضع فى الميزان ويرقى به درجات الجنة وهذا للعامل به وقائم على غير العامل به بمعنى أنه يكون حجة عليه ، أوالمعنى قيما حسن الألفاظ والمعانى لكونه فى أعلى طبقات الفصاحة والبلاغة . فان قلت مافائدة التأكيد ؟ قلنا دفع توهم أن نفى العوج عن غالبه لأن الحكم للغالب (قوله لينذر) متعلق بأنزل وهو ينصب مفعولين قدر المفسر الأول بقوله الكافرين والثانى هو قوله بأسا وقوله وينذر معطوف على قوله لينذر الأول وحذف مفعوله الثانى لدلالة ماهنا عليه وذكر مفعوله الأول فنى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ماأثبته فى الآخر (قوله الكتاب) هو فاعل ينذر ، وفى بعض النسخ بالكتاب وحينئذ فيكون فاعل الإنذار إما ضمير عائد على الله أو على محمد (قوله الذين يعملون الصالحات) نعت للمؤمنين وقوله : أن لهم أى بأن لهم وإنما ذكر المفعولين معا لعدم النظير لهم بخلاف أهل الانذار فأنواعهم مختلفة (قوله ماكثين) أى مقيمين فيه (قوله هو الجنة) أى الأجر الحسن (قوله من جملة الكافرين) أشار بذلك إلى أن قوله وينذر معطوف على ينذر الأول عطف خاص على عام والنكتة التشنيع والتقبيح عليهم حيث نسبوا لله الولد وهو مستحيل عليه قال تعالى : تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا (قوله الذين قالوا اتخذ الله ولدا) أى مولودا ذكرا أوأنثى فيشمل النصارى واليهود ومشركى العرب (قوله مالهم به من علم) أى لاستحالته عليه عقلا (قوله بهذا القول) هذا أحد أوجه فى مرجع الضمير : والثانى أنه راجع للولد أى أنهم نسبوا له الولد مع عدم علمهم به لاستحالته وعدم وجوده . والثالث أنه راجع لله أى ليس لهم علم بالله إذ لوعلموه لما نسبوا له الولد (قوله من قبلهم) بفتح الميم بدل من آبائهم أى فالمراد بآبائهم من تقدمهم عموما ، وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة (قوله كبرت كلمة) كبر فعل ماض لانشاء الذم والتاء علامة التأنيث والفاعل مستتر تقديره هى وكلمة تمييز له والمخصوص بالذم محذوف قدره المفسر بقوله مقالتهم ، وهذه الجملة مستأنفة لانشاء ذمهم ونظيرها قوله تعالى : كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون (قوله تخرج من أفواههم) أى من غير تأمل وتدبر فيها بل جرت على ألسنتهم من غير سند (قوله فى ذلك) أى فى هذا المقام وهو نسبة الولد لله (قوله إلا كذبا) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله مقولا (قوله فلعلك باخع الخ) لعلّ تأتى للترجى وللاشفاق وكل ليس مقصودا هنا بل المراد هنا النهى ، والمعنى لاتبخع نفسك أى لاتهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم إيمانهم (قوله بعدهم) تفسير لآثارهم أى فالآثار جمع أثر والمراد منه البعدية (قوله إن لم يؤمنوا) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير فلا تهلك ، والمقصود منه تسلية النبىّ صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لاتحزن على عدم إيمانهم حزنا يؤدّى لاهلاك نفسك ، وأما أصل الحزن والغم فهو شرط فى الايمان لاينهى عنه لأن الرضا وشرح الصدر بالكفر كفر (قوله لحرصك) علة للعلة (قوله ونصبه على المفعول) أى والعامل فيه باخع (قوله إنا جعلنا) كالتعليل لما قبله فهو من جملة تسليته صلى الله عليه وسلم وجعل إن كانت بمعنى صير فزينة مفعول ثان وان كانت بمعنى خلق فزينة حال أومفعول لأجله وعلى كل فقوله : ماعلى الأرض مفعول .

(قوله وغير ذلك) أى من باقى النعم التى خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن (قوله زينة لها) أى يتزين بها و يتنعم ، قال تعالى: زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية (قوله لنختبر الناس) أى نعاملهم معاملة المختبر (قوله ناظرين إلى ذلك) حال من الناس أى لنختبر الناس فى حال نظرهم إلى الزينة (قوله أيهم) مبتدأ وأحسن خبر وعملا تمييز والجملة فى محل نصب سدت مسد مفعولى نبلو (قوله أى أزهد له) تفسير لقوله: أحسن عملا ، والمعنى نميز بين حسن العمل وسيئه بتلك الزينة فمن زهدها كان من أهل الحسن ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر (قوله لجاعلون) أى مصيرون وصعيدا مفعول ثان (قوله فتاتا) بضم الفاء مصدر كالحطام والرفات أى ترابا (قوله جرزا) نعت لصعيدا ، والمعنى إنا لنعيد ما على وجه الأرض من الزينة ترابا مستويا بالأرض كصعيد أملس لانبات به . إن قلت إن قوله ماعليها صريح فى أن الأرض تستمر فيكون منافيا لقوله فى الآية الأخرى: يوم تبدل الأرض غير الأرض . أجيب بأنه خص ماعلى الأرض من الزينة لأنه الذى به الغرور والفتنة (قوله أم حسبت) أم منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب: مذهب الجمهور تفسر ببل والهمزة ، وعند طائفة تفسر بالهمزة وحدها وعليه درج المفسر ، وعند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها (قوله أى أظننت) الاستفهام إنكارى أى لاتظن أن قصة أهل الكهف عجيبة دون باقى الآيات فان غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله كالليل والنهار والسموات والارض أعجب منها (قوله الكهف) مفرد وجمعه كهوف وأكهف (قوله الغار فى الجبل) أى و إن لم يكن متسعا وهوقول ، وقيل إن الكهف الغار المتسع فان لم يتسع سمى غارا فقط (قوله والرقيم) هو بمعنى مرقوم (قوله اللوح) أى وكان من رصاص ، وقيل من حجارة وهومدفون عند باب الغارتحت البناء الذى عليه ، وقيل إن الرقيم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف ، وقيل اسم القرية، وقيل اسم للجبل ، وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذى تمسكوا به من دين عيسى ، وقيل دراهمهم التى كانت معهم ، وقيل كلبهم (قوله فيه أسماؤهم) أى ففيه فلان ابن فلان من مدينة كذا خرج فى وقت كذا من سنة كذا (قوله فى قصتهم) أى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الأمر كذلك) أى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله إذ أوى الفتية إلى الكهف) أى نزلوه وسكنوه . وحاصل قصتهم كما قال محمد ابن إسحق: لما طغى أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها و بقى فيهم من هو على دين عيسى مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ملك يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك و يقتل من خالفه فمر بمدينة أصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس واسمها عند العرب طرسوس فاستخفى منه أهل الايمان فصار يرسل أعوانه فيفتشون عليهم و يحضرونهم له فيأمرهم بعبادة الأصنام و يقتل من يخالفه ، فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنوا حزنا شديدا وكانوا من أشراف الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسى ، فأخبر الملك بهم و بعبادتهم فبعث إليهم فأحضروا بين يديه يبكون فقال مامنعكم أن تذبحوا لآلهتنا وتجعلوا أنفسكم كأهل المدينة فاختاروا إما أن تكونوا على ديننا و إما أن نقتلكم فقال له أكبرهم إن لنا إلها عظمته ملء السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها أبدا اصنع مابدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فأمر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين ومطوقين وكانوا غلمانا مردا حسانا جدا وقال سأتفرغ لكم وأعاقبكم ومايمنعنى من فعل ذلك بكم إلا أنى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلككم وانى قد جعلت لكم أجلا تدبرون فيه أمركم وترجعون إلى عقولكم ، ثم إنه سافر لغرض من أغراضه فخافوا أنه إذا رجع من سفره يعاقبهم أو يقتلهم فاشتوروا فيما بينهم ، واتفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق ببعضها و يتزود بالباقى ، ففعلوا ذلك وانطلقوا إلى جبل قريب من مدينتهم يقال له ينجلوس فيه كهف ومروا فى طريقهم بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا

(٤)

وغير ذلك (زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ) لنختبر الناس ناظرين إلى ذلك (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فيه أى أزهد له (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا) فُتاتا (جُرُزًا) يابسا لاينبت (أَمْ حَسِبْتَ) أى ظننت (أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ) الغار فى الجبل (وَالرَّقِيمِ) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم ، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم (كَانُوا) فى قصتهم (مِنْ) جملة (آيَاتِنَا عَجَبًا) خبر كان وماقبله حال أى كانوا عجبا دون باقى الآيات أو أعجبها ، ليس الأمر كذلك . اذكر (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ) ، جمع

فقال لهم الكلب أنا أحب أحباب الله عز وجل فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وجعلوا نفقتهم تحت يد واحد منهم اسمه تمليخا كان يأتي المدينة يشتري لهم الطعام سرا و يتجسس لهم الخبر فلبثوا بذلك الغار ماشاء الله ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة وكان تمليخا يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاما فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عز وجل و يتضرعون إليه في دفع شره عنهم وذلك عند غروب الشمس ، فقال لهم تمليخا يا إخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم فأكلوا وجلسوا يتحدثون و يتواصون فبينماهم كذلك إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف وألقاه أيضا على كلبهم وهو باسط ذراعيه على باب الكهف ففتش عليهم الملك فدل عليهم فتحير فيما يصنع بهم فألقى الله في قلبه أن يسد عليهم باب الغار وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس وأن يبين لهم أن الساعة آتية وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت فأمر الملك بسده وقال دعوهم في كهفهم يموتوا جوعا وعطشا و يكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون مايصنع بهم ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة نوم ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية فكتبا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم وممن فروا في لوحين من رصاص وجعلاهما في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ، ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ومن بعده سنون وقرون وتغايرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس واختلف الناس عليه فمنهم المؤمن بالساعة ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمعهم يقولون لاحياة إلا حياة الدنيا و إنما تبعث الأرواح دون الأجساد فجعل يتضرع و يقول رب أنت تعلم اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف و يبين للناس شأنهم و يجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فألقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية أن يهدم ذلك البناء الذي على باب الكهف و يبني بحجارته حظيرة لغنمه

(٥)

جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار (فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ) من قبلك (رَحْمَةً وَهَيِّئْ) أصلح (لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) هداية (فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أي أنمناهم (فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) :

فهدمه و بنى به حظيرة لغنمه ، فلما انفتح باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيئتهم فلم يتغير منها شيء فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا كهيئتهم وقت أن رقدوا ثم أرسلوا تمليخا إلى المدينة ليشتري لهم الطعام فذهب فرأى المدينة قد تغير حالها وأهلها وملكها وقد أخذه أهل المدينة وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن فأخبره تمليخا بقصته وقصة أصحابه ، فقال بعض الحاضرين ياقوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وأسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم فأول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران فوجدا في أثر البناء تابوتا من نحاس ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما قصتهم ، فلما قرءوهما عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم أرسلوا قاصدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل بالحضور إلينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة فإن فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلثمائة سنة وأكثر فلما جاءه الخبر ذهب همه وقال أحمدك رب السموات والأرض تفضلت على ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي فركب وتوجه نحو الكهف فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الأرض يسبحون الله و يحمدونه فقالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مضجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب ، فلما مشى ونام أتوه في منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكنا خلقنا من التراب و إلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه و يسد به باب الغار فلا يراهم أحد وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة اهـ ملخصا من الخازن (قوله جمع فتى) أي كصبي وصبية (قوله أصلح) أي أو يسر (قوله هداية) أي تثبيتا على الايمان وتوفيقا للأعمال الصالحة (قوله فضربنا على آذانهم) مفعوله محذوف تقديره حجابا مانعا لهم من السماع وهذا هو

المعنى الحقيقى وليس مرادا بل المراد أنمناهم ففى الكلام تجوز حيث شبه إلقاء النوم بضرب الحجاب واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الضرب ضربنا بمعنى أنمنا استعارة تصريحية تبعية (قوله معدودة) أشار بذلك إلى أن عددا مصدر بمعنى معدودة نعت لسنين وسيأتى عدها فى الآية (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال كيف قال تعالى لنعلم مع أنه تعالى عالم بكل شىء أزلا فأجاب بقوله علم مشاهدة، والمعنى ليظهر ويشاهد ويحصل لهم ماتعلق به علمنا أزلا من ضبط مدتهم (قوله الفريقين المختلفين) قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف لافتراقهم فرقتين فرقة تقول يوم وفرقة تقول بعض يوم وقيل هم أهل المدينة افترقوا فرقتين فى قدر مدتهم بالتخمين والظن (قوله فعل) أى ماض وليس اسم تفضيل لأنه لايبنى من غير الثلاثى (قوله للبثهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية مراعى فيها اعتبار المدة، وقوله متعلق بما بعده أى حال منه وأمدا مفعول أحصى (قوله نحن نقص عليك نبأهم) أى نفصل لك يا محمد خبرهم (قوله بالحق) الباء للملابسة والجار والمجرور حال من نبأ (قوله إنهم فتية) أى شباب كانوا من عظماء أهل تلك المدينة وأحدهم كان وزيرا للملك (قوله آمنوا بربهم) أى صدقوا به وانقادوا لأحكامه (قوله قوينا ها على قول الحق) أى حيث خالفوا الملك (٦) ولم يحصل لهم منه رعب ولاخوف (قوله إذ قاموا) ظرف لربطنا أى ربطنا على قلوبهم وقت قيامهم (قوله بين يدى ملكهم) أى واسمه دقيانوس (قوله فقالوا) أى خطابا للملك ثلاث جمل وآخرها قوله شططا (قوله لن ندعو) أى نعبد (قوله أى قولا ذا شطط) أشار بذلك إلى أن شططا منصوب على المصدرية صفة لمحذوف على حذف مضاف أى إفراط فى الكفر أى مجاوزة الحد فيه (قوله هؤلاء قومنا) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك وآخرها قوله كذبا (قوله عطف بيان) أى أو بدل (قوله اتخذوا) خبر المبتدأ (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للتحضيض والمقصود (رهم
من ذكرهذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية أنفسهم عليه (قوله على عبادتهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله قال بعض الفتية لبعض) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف منصوب بمحذوف أى قال بعضهم لبعض وقت اعتزالهم (قوله وما يعبدون إلا الله) ما موصولة أو مصدرية، والمعنى و إذ اعتزلتموهم والذى يعبدونه غير الله أو معبوداتهم غير الله (قوله ينشر لكم) أى يبسط و يوسع (قوله و بالعكس) أى فهما قراءتان سبعيتان، وأما الجارحة فبكسر الميم فقط (قوله من غداء وعشاء) أى وغير ذلك (قوله وترى الشمس) الخطاب للنبى أو لكل أحد، والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم لرأيت الشمس إذا طلعت الخ (قوله بالتشديد) أى فأصله تتزاور قلبت التاء زايا وأدغمت فى الزاى (قوله والتخفيف) أى بحذف إحدى التاءين وهما قراءتان سبعيتان (قوله ناحيته) أشار بذلك إلى أن ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال والمراد يمين الداخل للكهف وشماله وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش فتميل عنهم الشمس طالعة وغاربة لئلا تؤذيهم بحرها ولا ينافى هذا ما تقدم فى القصة أنه سد

معدودة (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِنَعْلَمَ) علم مشاهدة (أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم (أَحْصَى) فعل بمعنى أضبط (لِمَا لَبِثُوا) للبثهم متعلق بما بعده (أَمَدًا) غاية (نَحْنُ نَقُصُّ) نقرأ (عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) قوّيناها على قول الحق (إِذْ قَامُوا) بين يدى ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام (فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ) أى غيره (إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا) أى قولا ذا شطط : أى إفراط فى الكفر إن دعونا إلها غير الله فرضا (هٰؤُلَاءِ) مبتدأ (قَوْمُنَا) عطف بيان (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا) هلا (يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ) على عبادتهم (بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) بحجة ظاهرة (فَمَنْ أَظْلَمُ) أى لا أحد أظلم (مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه تعالى .قال بعض الفتية لبعض (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء وبالعكس : ماترتفقون به من غداء وعشاء (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ) بالتشديد والتخفيف : تميل (عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) ناحيته (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ) تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة ،

باب الكهف و بنى عليه مسجد لأن الكهف له محل منفتح من أعلاه جهة بنات نعش (قوله وهم فى فجوة منه) أى وسطه والجملة حالية (قوله المذكور) أى من نومهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم (قوله من يهد الله فهو المهتد) جملة معترضة فى أثناء القصة لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فلن تجد له وليا) أى معينا (قوله مرشدا) أى هاديا (قوله وتحسبهم) خطاب للنبى أو لكل أحد (قوله بكسر القاف) أى كفخذ وأفخاذ و يضم أيضا كعضد وأعضاد (قوله ونقلبهم الخ) قيل يقلبون فى كل سنة مرة فى يوم عاشوراء وقيل يقلبون مرتين وقيل كل تسع سنين والمقلب لهم قيل الله وقيل ملك يأمره الله تعالى (قوله وكلبهم) وكان أصفر اللون وقيل أحمر وقيل كلون السماء واسمه قطمير وقيل ريان ، وهو من جملة الحيوانات التى تدخل الجنة و بهذا تعلم أن حب الصالحين والتعلق بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم (قوله ذراعيه) منصوب بباسط وهو ليس بمعنى الماضى المنقطع بل المستمر وقولهم اسم الفاعل لا يعمل إن كان بمعنى الماضى لا بمعنى المستقبل (قوله بفناء الكهف) أى رحبته ، وقيل المراد بالوصيد العتبة وقيل الباب وقيل التراب (قوله لو اطلعت عليهم) الخطاب للنبى أو لكل أحد (قوله فرارا) منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله أو على الحال أى فارا (قوله رعبا) أى فزعا . وروى عن سعيد بن

(٧)

(وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها (ذَلِكَ) المذكور (مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دلائل قدرته (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَتَحْسَبُهُمْ) لو رأيتهم (أَيْقَاظًا) أى منتبهين لأن أعينهم منفتحة ، جمع يقظ بكسر القاف (وَهُمْ رُقُودٌ) نيام جمع راقد (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) يديه (بِالْوَصِيدِ) بفناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم فى النوم واليقظة (لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِّئْتَ) بالتشديد والتخفيف (مِنْهُمْ رُعْبًا) بسكون العين وضمها منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم (وَكَذَلِكَ) كما فعلنا بهم ما ذكرنا (بَعَثْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ) عن حالهم ومدة لبثهم (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس و بعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ، ثم (قَالُوا) متوقفين فى ذلك (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ) بسكون الراء وكسرها بفضتكم (هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) يقال إنها المسماة :

جبير عن ابن عباس قال : غزونا مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع من ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية أناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم (قوله بسكون العين وضمها) ظاهره أن القراءات أربع وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات لأن اللام إن خففت جاز فى العين السكون والضم و إن شددت تعين فى العين السكون فقط (قوله كما فعلنا بهم ما ذكرنا) أى من إلقاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة فيكون إيقاظهم آية أخرى يعتبر بها هم وغيرهم (قوله ليتساءلوا) اللام للسببية أو للعاقبة والصيرورة (قوله قال قائل منهم) أى واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكسلمينا (قوله كم لبثتم) كم منصوبة على الظرفية ومميزها محذوف تقديره كم يوما (قوله أو بعض يوم) أو للشك منهم لترددهم فى غروب الشمس وعدمه (قوله لأنهم دخلوا الكهف الخ) ظاهره أنهم ناموا فى يوم دخولهم وتقدم أنهم مكثوا مدة فى الكهف قبل نومهم يتعبدون و يأكلون و يشربون فكان المناسب أن يقول لأنهم ناموا طلوع الشمس الخ (قوله قالوا) أى بعضهم لبعض (قوله متوقفين فى ذلك) أى فى قدر مدة لبثهم (قوله ربكم أعلم بما لبثتم) هذا تفويض منهم لأمر الله احتياطا وحسن أدب (قوله فابعثوا) أى أرسلوا (قوله أحدكم) أى وهو تمليخا (قوله بورقكم) قيل الورق الفضة المضروبة وقيل الفضة مطلقا وتحذف فاء الكلمة فيقال رقة (قوله بسكون الراء وكسرها) سبعيتان (قوله هذه) أى الدراهم التى كانت معهم من بيوت آبائهم فانهم أنفقوا بعضها قبل نومهم و بقى بعضها معهم فوضعوه عند رءوسهم حين ناموا وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس وكان الواحد منها قدر خف ولد الناقة الصغير .

(قوله الآن) أى فى الاسلام وأما فى الجاهلية فكانت تسمى أفسوس وقيل آفسوس من أعمال طرسوس (قوله أحل) أى أحل ذبيحة لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين (قوله وليتلطف) أى يترفق فى ذهابه ورجوعه لئلا يعرف (قوله ولايشعرن بكم أحدا) أى لايفعلن مايؤدى إلى شعور أحد بكم (قوله إنهم) أى أهل المدينة (قوله إن يظهروا عليكم) أى يغلبوكم ويطلعوا عليكم (قوله أو يعيدوكم فى ملتهم) أى يصيروكم إليها (قوله ولن تفلحوا إذا أبدا) أى لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرها . إن قلت كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود فى ملتهم مع الاكراه المستفاد من قوله إنهم إن يظهروا عليكم الخ مع أن المكره غير مؤاخذ بما أكره عليه. أجيب بأن هذا مخصوص بشريعتنا ، وأما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالاكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» (قوله وكذلك) أى كما أنمناهم وبعثناهم (قوله قومهم والمؤمنين) قدر ذلك

(٨)

الآن طرسوس بفتح الراء (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) أى أى أطعمة المدينة أحل (فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ) يقتلوكم بالرجم (أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا) أى إن عدتم فى ملتهم (أَبَداً. وَكَذَٰلِكَ) كما بعثناهم (أَعْثَرْنَا) أطلعنا (عَلَيْهِمْ) قومهم والمؤمنين (لِيَعْلَمُوا) أى قومهم (أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ) بطريق أن القادر على إنامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غذاء قادر على إحياء الموتى (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا إِذْ) معمول لأعثرنا (يَتَنَازَعُونَ) أى المؤمنون والكفار (بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ) أمر الفتية فى البناء حولهم (فَقَالُوا) أى الكفار (ابْنُوا عَلَيْهِمْ) أى حولهم (بُنْيَانًا) يسترهم (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ، قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ) أمر الفتية وهم المؤمنون (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ) حولهم (مَسْجِداً) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف (سَيَقُولُونَ) أى المتنازعون فى عدد الفتية فى زمن النبى أى يقول بعضهم : هم (ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ) أى بعضهم (خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ) والقولان لنصارى نجران (رَجْماً بِالْغَيْبِ) أى ظنا فى الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً ونصبه على المفعول له أى لظنهم ذلك (وَيَقُولُونَ) أى المؤمنون (سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) الجملة من المبتدإ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو ، وقيل تأكيداً ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضى وصحيح (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال ابن عباس : أنا من القليل وذكرهم سبعة (فَلَا تُمَارِ) تجادل (فِيهِمْ

اشارة إلى أن مفعول أعثرنا محذوف (قوله أى قومهم) أى ذرية قومهم لأن قومهم قد انقرضوا (قوله بلاغذاء) أى قوت (قوله وأن الساعة) أى القيامة (قوله معمول لأعثرنا) المناسب جعله ظرفا لمحذوف تقديره اذكر أو لقوله : قال الذين غلبوا (قوله أى المؤمنون والكفار) أى فقال المؤمنون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا وقال الكفار نبنى عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا (قوله ربهم أعلم بهم) يحتمل أن يكون من كلام الله أو من كلام المتنازعين (قوله وهم المؤمنون) أى الذين كانوا فى زمن الملك بيدروس الرجل الصالح (قوله وفعل ذلك على باب الكهف) أى إلا وبقى ظهر الكهف منفتحا كما تقدم (قوله أى المتنازعون) أى وهم النصارى والمؤمنون (قوله ثلاثة) خبر مبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله رابعهم كلبهم) مبتدأ وخبر والجملة صفة لثلاثة وكذا يقال فى قوله ويقولون خمسة ويقولون سبعة (قوله نجران) موضع بين الشام واليمن والحجاز (قوله رجما بالغيب) أى ظنا من غير دليل ولابرهان (قوله أى المؤمنون) أى قالوا ذلك بإخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام (قوله بزيادة الواو) أى من غير ملاحظة معنى التوكيد (قوله وقيل تأكيد) أى زائدة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف وحكمة زيادتها الاشارة إلى تصحيح هذا القول دون ماقبله (قوله ودلالة على لصوق الصفة الخ) العطف للتفسير على ماقبله فهما قولان فقط (قوله قل ربى أعلم بعدتهم) أى من غيره (قوله مايعلمهم إلا قليل) أى وهو النبى ومن صح منه (قوله وذكرهم سبعة) أى وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ونينوس وسارينونس وذو نوانس

وفليسطيونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير وقيل حمران وقيل ريان قال بعضهم: علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والهرب ولاطفاء الحريق تكتب على خرقة وترمى فى وسط النار تطفأ باذن الله ، ولبكاء الأطفال والحمى المثلثة وللصداع تشد على العضد الأيمن ولأم الصبيان وللركوب فى البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الآثمين اه (قوله إلا مراء ظاهرا) أى غير متعمق فيه بل تقص عليهم مافى القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم (قوله بما أنزل إليك) أى وهو القرآن (قوله ولاتستفت فيهم منهم أحدا) أى لاتسأل أحدا عن قصتهم فان فيما أوحى إليك الكفاية (قوله اليهود) المناسب عدم التقييد بذلك بل يقيد بالنصارى لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهى عن ذلك (قوله وسأله أهل مكة) أى بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسألوه عنها فقال أبقونى غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما أو أربعين حتى شق عليه وتمارت قريش فى ذلك (قوله فنزل) أى بعد انقضاء تلك المدة تعليما لأمته الأدب وتفويض الأمور إلى الله تعالى فان الانسان لايدرى مايفعل به فاذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق فما بالك بغيره (قوله أى لأجل شئ) أى تهتم به وتريد القدوم عليه (قوله إنى فاعل ذلك) المراد بالفعل مايشمل القول (قوله أى فيما يستقبل من الزمان) أشار بذلك إلى أن المراد بالغد مايستقبل كان فى يومك أو بعده بقليل أوكثير لاخصوص اليوم الذى بعد يومك (قوله إلا أن يشاء الله) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال لاتقولن لشئ فى حال من الأحوال إلا فى حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله (قوله ويكون ذكرها بعد النسيان الخ)

(٩)

إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا) بما أنزل عليك (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ) تطلب الفتيا (مِنْهُمْ) من أهل الكتاب اليهود (أَحَدًا) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غداً ولم يقل إن شاء الله فنزل (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ) أى لأجل شىء (إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا) أى فيما يستقبل من الزمان (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أى إلا ملتبسا بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله (وَاذْكُرْ رَبَّكَ) أى مشيئته معلقا بها (إِذَا نَسِيتَ) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره مادام فى المجلس (وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا) من خبر أهل الكهف فى الدلالة على نبوتى (رَشَدًا) هداية وقد فعل الله تعالى ذلك (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ) بالتنوين (سِنِينَ) عطف بيان لثلثمائة ، وهذه السنون الثلثمائة عند أهل الكتاب شمسية ، وتزيد القمرية عليها عند العرب ،

أى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال إن شاء الله (قوله قال الحسن وغيره مادام فى المجلس) أى ولو انفصل عن الكلام السابق . وقال ابن عباس يجوز انفصاله إلى شهر وقيل إلى سنة وقيل أبدا وقيل إلى أربعة أشهر وقيل إلى سنتين ، وقيل مالم يأخذ فى كلام آخر وقيل يجوز بشرط أن ينوى فى الكلام وقيل يجوز انفصاله فى كلام الله تعالى لأنه أعلم بمراده لا فى كلام غيره وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله فان شرط حل الأيمان بالمشيئة أن تتصل وأن يقصد بها حل اليمين ولا يضر الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس ولا يجوز تقليد ماعدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية ، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر (قوله وقل) أى لأهل مكة (قوله أن يهدين) أى يدلنى (قوله فى الدلالة) متعلق بأقرب (قوله رشدا) إما مفعول مطلق ليهدينى لموافقته له فى المعنى وإليه يشير المفسر بقوله هداية ويصح أن يكون تمييزا لأقرب أى لأقرب هداية من هذا (قوله وقد فعل الله تعالى ذلك) أى هداه لما هو أعجب وأطلعه على ماهو أغرب حيث شاهد ماشاهد فى ليلة الاسراء وأعطاه علوم الأولين والآخرين وفاق عليهم بعلوم لم يطلع عليها أحد سواه وأشار المفسر بذلك إلى أن الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقق (قوله ولبثوا فى كهفهم) هذا رد على أهل الكتاب حيث اختلفوا فى مدة لبثهم (قوله عطف بيان) أى لأن تمييز المائة فى الكثير مفرد مجرور وفى قراءة بالاضافة وعليها فتكون من القليل . قال ابن مالك :

ومائة والألف لله د أضف ومائة بالجمع نزرا قد ردف

(قوله تسع سنين) أى لأن كل ثلاث وثلاثين سنة وثلث سنة شمسية تزيد سنة قمرية (قوله أى تسع سنين) أشار بذلك إلى أن حذف المميز من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله قل الله أعلم بما لبثوا) إن قلت مافائدة الاخبار بذلك بعد أن بين الله ذلك أجيب بأوجه أحدها أن المعنى قل الله أعلم بأن الثلثمائة سنة والتسع قمرية لا شمسية خلافا لزعم بعض الكفار أنها شمسية ثانيها أن المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته . ثالثها أن المعنى الله أعلم بمدة لبثهم قبل البعث و بعده . واعلم أنه اختلف فى أصحاب الكهف هل ماتوا ودفنوا أوهم نيام وأجسامهم محفوظة ، والصحيح أنهم نيام و يستيقظون عند نزول عيسى و يحجون معه و يموتون قبل يوم القيامة حين تأتى الريح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم «ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد» ذكره ابن عيينة ، وفى رواية «مكتوب فى التوراة والانجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وأنه يمر بالروحاء حاجا ومعتمرا و يجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا» اه (قوله أى علمه) أى علم السموات والأرض وماغاب فيهما (قوله على جهة المجاز) أى لأن التعجب استعظام أمر خفى سببه، وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لايخفى فاحاطته بالموجودات سمعا و بصرا وعلما أمر ثابت بالبرهان وصار كالضرورى ، و إنما المقصود ذكر العظمة لاحقيقة التعجب (١٠) (قوله من ولى) إما مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف (قوله فى حكمه) أى قضائه

تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وَازْدَادُوا تِسْعًا) أى تسع سنين فالثلثمائة الشمسية ثلثمائة وتسع قمرية (قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) أى علمه (أَبْصِرْ بِهِ) أى بالله هى صيغة تعجب (وَأَسْمِعْ) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وهما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لايغيب عن بصره وسمعه شىء (مَا لَهُمْ) لأهل السموات والأرض (مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ) ناصر (وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) لأنه غنى عن الشريك (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ) احبسها (مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وَجْهَهُ) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء (وَلاَ تَعْدُ) تنصرف (عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) عبر بهما عن صاحبهما (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) أى القرآن ،

(قوله واتل ما أوحى إليك) أى ولا تعتبر بهم (قوله لامبدل لكلماته) أى لايقدر أحد أن يغير شيئا من القرآن فلا تخش من قراءتك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة (قوله ملجأ) أى تلتجىء إليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى (قوله واصبر نفسك) فى هذه الآية أمر للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم وهى أبلغ من آية الأنعام لأن تلك إنما نهى فيها عن طردهم وهذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم كأن الله يقول له احبس نفسك على ما يكرهه غيرك من رثاثة ثياب الفقراء وروائحهم الكريهة ، ولا تلتفت لجمال الأغنياء وحسن ثيابهم فان حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع . قال الشاعر :

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجوس

(قوله مع الذين يدعون ربهم) أى يعبدونه (قوله بالغداة والعشى) المراد بالغداة أوائل النهار وأواخر الليل و بالعشى أوائل الليل وأواخر النهار وحينئذ فقد استغرقوا أوقاتهم فى العبادة (قوم يريدون وجهه) أى يقصدون بعبادتهم ذات ربهم ورضاه عليهم (قوله لاشيئا من أعراض الدنيا) أى ولا شيئا من نعيم الجنة وهذا مقام الكمل والصحابة به أحرى (قوله تنصرف عيناك عنهم) هو كناية عن الاعراض عنهم أى لاتعرض عنهم بل أقبل عليهم وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولا تعد عينيك بالنصب لأنه فعل متعد مع أن التلاوة بالرفع لاغير فأجاب المفسر بأنها و إن كانت بالرفع إلا أنها راجع لمعنى النصب لأن الفعل مسند للعينين وهو فى الحقيقة مسند لصاحبهما ولذلك عبر بتنصرف لتصحيح رفع العينين دون تصرف (قوله تريد زينة الحياة الدنيا) الجملة حال من الكاف فى عيناك والشرط موجود وهو كون المضاف جزءا من المضاف إليه والمعنى لاتنصرف عيناك عنهم حال كونك طالبا زينة الدنيا بمجالسة

الأغنياء ومحبة أهل الدنيا والخطاب للنبي والمراد هو وغيره ، وإنما نوطب النبي وإن كان معصوما من ذلك تسلية للفقراء وتطمينا لقلوبهم (قوله وهو عيينة بن حصن) أى الفزارى أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه ، فقال عيينة للنبي أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها إن أسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم عنك حتى نتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان فى حنين من المؤلفة قلوبهم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها مائة بعير وكذلك أعطى الأقرع بن حابس وأعطى للعباس بن مرداس أربعين بعيرا ، وقيل نزلت فى أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لايخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى ، فلما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم » (قوله فرطا) مصدر فرط صماحى أى متجاوزا فيه الحدّ (قوله وقل له) أى لعيينة بن حصن (قوله الحق) خبر مبتدإ محذوف قدره المفسر بقوله هذا القرآن (قوله تهديد لهم) أى تخويف وردع لا تخيير وإباحة لذكره الوعد الحسن على الايمان والوعيد بالنار على الكفر فالعاقل لايرضى بفوات النعيم واختيار العذاب (قوله إنا أعتدنا) راجع لقوله – ومن

(١١)

وهو عيينة بن حصن وأصحابه (وَاتَّبَعَ هَوِيهُ) فى الشرك (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) إسرافا (وَقُلْ) له ولأصحابه هذا القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) تهديد لهم (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ) أى الكافرين (نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا) ما أحاط بها (وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) كعكر الزيت (يَشْوِى الْوُجُوهَ) من حره إذا قرب إليها (بِئْسَ الشَّرَابُ) هو (وَسَاءَتْ) أى النار (مُرْتَفَقاً) تمييز منقول عن الفاعل أى قبح مرتفقها وهو مقابل لقوله الآتى فى الجنة وحسنت مرتفقا وإلا فأى ارتفاق فى النار (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً) الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرهم أى نثيبهم بما تضمنه (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) قيل من زائدة ، وقيل للتبعيض وهى جمع أسورة كأحمرة جمع سوار (مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً ،

شاء فليكفر – وقوله – إن الذين آمنوا – راجع لقوله – فمن شاء فليؤمن – فهو لف ونشر مشوّش (قوله أحاط بهم سرادقها) صفة لنار والسرادق كناية عن السور وهو نار أيضا لما ورد : أن أرضها من رصاص وحيطانها من نحاس وسقفها من كبريت ووقودها الناس والحجارة فاذا أوقدت فيها النار صار الكل نارا أجارنا الله منها بمنه وكرمه (قوله يغاثوا) فيه مشاكلة لقوله – وإن يستغيثوا – وتهكم بهم إذ لا إغاثة فيه لأنه لاينقذ من المهالك (قوله كعكر الزيت) بفتحتين هو اسم لما يبقى فى إناء الزيت بعد أخذ الصافى منه وهو تشبيه فى الصورة وإلا فهو نار كما وصفه بقوله – يشوى الوجوه – (قوله أى قبح مرتفقها) أى لحول الاسناد إلى النار ونصب مرتفقا على التمييز لأن ذكر الشئ مبهما ثم مفسرا أوقع فى النفس (قوله وهو مقابل) أى ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتى فى الجنة (قوله وإلا) أى إلا نقل إنه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة (قوله وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر) أى وهو الرابط لأنه بمعنى الموصول الذى هو اسم إن على حدّ

* سعاد الذى أضناك حبّ سعادا *

(قوله أى نثيبهم) تفسير لقوله لانضيع (قوله بما تضمنه) أى بثواب تضمنه أولئك إلى قوله – وحسنت مرتفقا – وقد اشتملت هذه الآية على خمسة أنواع من الثواب الأوّل – جنات عدن – الثانى – تجرى من تحتهم الأنهار – الثالث – يحلون فيها – الرابع – ويلبسون ثيابا – الخامس – متكئين – الخ (قوله تجرى من تحتهم) أى تحت مساكنهم (قوله قيل من زائدة) أى بدليل آية هل أتى وحلوا أساور (قوله وهى جمع أسورة) أى فأساور جمع الجمع (قوله من ذهب) جاء فى آية أخرى من فضة وفى أخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبس كل واحد الأساور الثلاثة لما ورد « أنه يسور المؤمن فى الجنة بثلاث أسورة من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفى الصحيح « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

(قوله من سندس و إستبرق) جمع سندسة و إستبرقة ، وقيل ليسا بجمعين (قوله من الديباج) أى الحرير (قوله بطائنها) أى الفرش (قوله متكئين فيها) حال عاملها محذوف : أى يجلسون متكئين (قوله جمع أريكة) أى كسفينة ولايقال له أريكة إلا إذا كان فى داخل الحجلة و بدونها سرير وتقدم أن السرير عليه سبعون فراشا كل فراش عليه زوجة من الحور العين (قوله فى الحجلة) بفتحتين فى محل نصب على الحال (قوله العروس) يستعمل فى الرجل والمرأة لكن الجمع مختلف فيقال رجال عرس ونساء عرائس (قوله الجنة) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله مرتفقا) أى منتفعا ومسكنا (قوله واضرب لهم مثلا) قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسود وكان مؤمنا وأخوه الأسود ابن عبد الأسود وكان كافرا فشبههما الله برجلين من بنى إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تمليخا والآخر كافر واسمه قيطوس وهما اللذان وصفهما الله فى سورة الصافات بقوله ـ قال قائل منهم إنى كان لى قرين ـ الآيات وكانت قصتهما على ماذكره عطاء الخراسانى قال : كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار ، وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتسماها فاشترى أحدهما أرضا بألف دينار ، فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشترى منك أرضا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار ، فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار و إنى اشتريت منك دارا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ، ثم تزوج امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا : اللهم إنى أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها ، ثم إن صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا : اللهم إنى أشترى منك خدما ومتاعا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام إليه فنظره صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم . قال ما شأنك ؟ قال أصابتنى حاجة بعد فأتيتك لتعيننى بخير . قال فما فعل بمالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فقص

(١٢)

مِنْ سُنْدُسٍ) مارق من الديباج (وَإِسْتَبْرَقٍ) ماغلظ منه ، وفى آية الرحمن : بطائنها من إستبرق (مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع أريكة وهى السرير فى الحجلة وهى بيت يزين بالثياب والستور للعروس (نِعْمَ الثَّوَابُ) الجزاء الجنة (وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا . وَاضْرِبْ) اجعل (لَهُمْ) الكفار مع المؤمنين (مَثَلًا رَجُلَيْنِ) بدل وهو وما بعده تفسير للمثل (جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا) الكافر (جَنَّتَيْنِ) بستانين (مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا) يقتات به (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ) كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ (آتَتْ) خبره (أُكُلَهَا) ثمرها (وَلَمْ تَظْلِمْ) تنقص (مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا) أى شققنا (خِلَالَهُمَا نَهَرًا) يجرى بينهما (وَكَانَ لَهُ) مع الجنتين (ثَمَرٌ) بفتح الثاء والميم وبضمهما و بضم الأول وسكون الثانى وهو جمع ثمرة ، كشجرة

عليه قصته ، فقال و إنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى عليهما فتوفيا فنزل فيهما ـ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ـ الخ ، وليس هذا مخصوصا بأبى سلمة وأخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله بدل) أى و يصح أن يكون مفعولا ثانيا لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنين (قوله وحففناهما بنخل) أى جعلنا النخل حولهما ومحيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زرعا) أى ليكون جامعا للأقوات والفواكه (قوله مفرد) أى باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية : أى باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فأفرد والمعنى أخرى فثنى (قوله مبتدأ) أى وهو مرفوع بضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلتا مضاف والجنتين مضاف إليه وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر فإن أضيف لضمير كان ملحقا بالمثنى فيعرب بالحروف (قوله آتت آكلها الخ) هذا كناية عن نموها وزيادتها فليست كالأشجار يتم ثمرها فى بعض السنين و ينقص فى بعض (قوله وفجرنا) أى شققنا (قوله يجرى بينهما) أى ليسقى أرضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) أى لأحدهما (قوله ثمر) المراد به أمواله التى هى من غير الجنتين كالنقد والمواشى وسمى ثمرا لأنه يثمر : أى يزيد (قوله بفتح الثاء والميم الخ) القراآت الثلاث سبعية (قوله وهو جمع ثمرة) أى بفتحتين وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف و إنما الاختلاف فى الجمع فقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب .

(قوله فقال لصاحبه) حاصل مقالات الكافر لصاحبه المؤمن ثلاث وكلها شنيعة . الأولى أنا أكثر منك الخ . والثانية ودخل جنته الخ . الثالثة وما أظن الساعة قائمة الخ (قوله يفاخره) أى يراجعه بالكلام الذى فيه الافتخار (قوله أنا أكثر منك مالا الخ) أنا مبتدأ وأكثر خبره ومنك متعلق بمحذوف حال من مالا ومالا تمييز محول عن المبتدإ والأصل مالى أكثر منك فحذف المبتدأ وأقيم المضاف إليه مقامه فانفصل وجعل المبتدأ فى الأصل تمييزا و يقال فى قوله وأعز نفرا ماقيل هنا (قوله ويريه آثارها) أى بهجتها وحسنها ، وفى نسخة أثمارها وهى ظاهرة (قوله وهوظالم لنفسه) الجملة حالية من فاعل دخل ولنفسه مفعوله واللام زائدة (قوله قائمة) أى كائنة وحاصلة (قوله على زعمك) دفع بهذا مايقال إنه ينكر البعث فكيف يقول ذلك ؟ فأجاب بأنه مجاراة له فى زعمه (قوله مرجعا) أشار بذلك إلى أن منقلبا تمييز وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى الرجوع والمراد عاقبة المآل

(قوله قال له صاحبه) أى وهو المؤمن وقد رد المقالات الثلاث على طريق اللف والنشر المشوش (قوله أكفرت) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى لاينبغى ولا يليق منك الكفر بالذى خلقك الخ وهذا رد للمقالة الأخيرة (قوله رجلا) مفعول ثان لسوّاك لأنه بمعنى صيرك كما قال المفسر (قوله لكنا) استدراك على قوله أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكن أنا مؤمن . واختلف القرّاء فى وصل لكنا فبعضهم يثبت ألفا بعد النون وبعضهم يحذفها وفى الوقف تثبت قولا واحدا لثبوتها فى الرسم (قوله أو حذفت الهمزة) أى من غير نقل فقوله ثم أدغمت النون أى بعد تسكينها بالنسبة للنقل وعلى الثانى فهى ساكنة

كشجرة وشجر وخشبة وخشب وبدنة وبدن (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) المؤمن (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يفاخره (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا) عشيرة (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ) بصاحبه يطوف به فيها ويريه أثمارها ، ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالكفر (قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ) تنعدم (هٰذِهِ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّى) فى الآخرة على زعمك (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) مرجعا (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ) يجاوبه (أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) لأن آدم خلق منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) منى (ثُمَّ سَوَّاكَ) عدلك وصيرك (رَجُلاً . لٰكِنَّا) أصله لكن أنا نقلت حركة الهمزة إلى النون أو حذفت الهمزة ثم أدغمت النون فى مثلها (هُوَ) ضمير الشأن تفسره الجملة بعده ، والمعنى أنا أقول (اللهُ رَبِّى وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا . وَلَوْلاَ) هلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ) عند إعجابك بها هذا (مَا شَاءَ اللهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ) وفى الحديث « من أعطى خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يرفيه مكروها » (إِنْ تَرَنِ أَنَا) ضمير فصل بين المفعولين (أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا . فَعَسَى رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ) جواب الشرط (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) جمع حسبانة أى صواعق (مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا) أرضا ملساء لايثبت عليها قدم (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا) بمعنى غائرا عطف على يرسل دون تصبح لأن غور الماء لايتسبب عن الصواعق (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) حيلة تدركه بها ،

فتدغم حالا (قوله ضمير الشأن) أى فهو مبتدأ والجملة بعده خبر ولا تحتاج لرابط لأنها عينه فى المعنى وهو معها خبر عن أنا والرابط الياء من ربى (قوله ولا أشرك بربى أحدا) مراده لا أكفر به لأن إنكار البعث كفر (قوله ولولا إذ دخلت جنتك) هذا ردّ للمقالة الثانية ولولا تحضيضية داخلة على قلت وإذ ظرف لقلت مقدّم عليه وجملة ما شاء الله خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا (قوله لم ير فيه مكروها) أى لم يصب فيه بمصيبة (قوله إن ترن) هذا رد للمقالة الأولى (قوله ضمير فصل) أى وأقل مفعول ثان وقرئ بالرفع فيكون خبرا عن أنا ومالا وولدا تمييزان وقوله فعسى الخ جواب الشرط (قوله أن يؤتين) يحتمل أن يكون فى الدنيا أو الآخرة (قوله جمع حسبانة) أى فهو اسم جنس جمعى يفرّق بينه و بين واحده بالتاء (قوله بمعنى غائرا) أى ذاهبا فى الأرض (قوله لأن غور الماء الخ) أى أو يقال إنه يفسر الحسبان بالقضاء الالهى وهو عام يتسبب عنه إما إصباح الجنة صعيدا زلقا أو ماؤها غورا وعلى هذا فيكون معطوفا على يصبح .

(قوله وأحيط بثمره) أى أمواله بدليل قول المفسر مع جنته (قوله بأوجه الضبط) أى الثلاثة (قوله وهى خاوية) الجملة حالية (قوله على عروشها) جمع عرش وهو بيت من جريد أو خشب يجعل فوقه الثمار (قوله دعائمها) جمع دعامة وهى الخشب ونحوه الذى ينصب ليمد الكرم عليه (قوله ويقول ياليتنى) أى تحسرا وندما على تلف ماله لاتوبة بدليل قوله ولم تكن له فئة الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ينصرونه) أى يدفعون عنه الهلاك (قوله وما كان منتصرا) أى قادرا على ذلك (قوله هنالك) يصح أن يكون خبرا مقدما والولاية مبتدأ مؤخر أو تكون هذه الجملة مستقلة أو معمولا لمنتصرا وقوله الولاية لله مبتدأ وخبر (قوله الملك) أى القهر والسلطنة (قوله بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرها وكذا قوله وبالجر فالقراءات أربع سبعيات (قوله خير ثوابا) أى إثابة (قوله لوكان يثيب) أى فاسم التفضيل على بابه على فرض أن غير الله يثيب (قوله وخير عقبا) أى أن عاقبة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره (قوله بضم القاف وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صير) أى شبه (قوله مثل الحياة الدنيا) أى صفتها وحالها وهيئتها (قوله كماء) أى كصفة وحال وهيئة ماء الخ وهذه الآية نظير قوله تعالى ـ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ـ (قوله تكاثف) أى غلظ والتف بعضه على بعض (قوله أو امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك إلى أنه تفسير ثان لاختلط ومن المعلوم أن الامتزاج من الجانبين فصح نسبته إلى النبات وإن كان فى عرف اللغة والاستعمال أن الباء تدخل على الكثير غير الطارئ وقد دخلت هنا على الكثير الطارئ مبالغة فى كثرة الماء حتى كأنه الأصل (قوله فروى) بفتح الراء وكسر الواو أى ارتوى (قوله هشيما) أى مهشوما مكسورا (قوله وتفرقه) عطف تفسير (قوله المعنى) أى معنى المثل (قوله شبه) فعل أمر وفاعله مستتر عائد على النبى صلى الله عليه وسلم والدنيا مفعوله (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وكان الله) أى ولم يزل (قوله قادرا) للناسب أن يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة (قوله المال) أى وهو الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث (قوله زينة) هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله يتجمل بهما فيها، ولذا صح الاخبار به عن الاثنين (قوله هى سبحان الله الخ) أى وتسمى غراس الجنة أى أن بكل واحدة من هذه الكلمات تغرس له شجرة فى الجنة فيها ماتشتهى الأنفس وتلذ الأعين. وقيل إن المراد بالباقيات الصالحات الصلوات الخمس وقيل أركان الاسلام وقيل كل مايثاب عليه العبد فى الدار الآخرة وهو الأتم وإنما خص المفسر سبحان الله الخ بالباقيات الصالحات لمزيد فضلها وثوابها، ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التسابيح ولو فى العمر مرة، وأوصى الخليل رسول الله بأن يأمر أمته أن يكثروا من غراس الجنة كما فى حديث الاسراء

(وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ) بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلك (فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) ندما وتحسرا (عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا) فى عمارة جنته (وَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم (وَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً. وَلَمْ تَكُنْ) بالتاء والياء (لَهُ فِئَةٌ) جماعة (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ) عند هلاكها (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) عند هلاكها بنفسه (هُنَالِكَ) أى يوم القيامة (الْوَلَايَةُ) بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك (لِلَّهِ الْحَقِّ) بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة (هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وَخَيْرٌ عُقْبًا) بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبهما على التمييز (وَاضْرِبْ) صير (لَهُمْ) لقومك (مَثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) مفعول أول (كَمَاءٍ) مفعول ثان (أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ) تكاثف بسبب نزول الماء (نَبَاتُ الْأَرْضِ) أو امتزج الماء بالنبات فروى وحسن (فَأَصْبَحَ) صار النبات (هَشِيماً) يابساً متفرقة أجزاؤه (تَذْرُوهُ) تنثره وتفرقه (الرِّيَاحُ) فتذهب به، المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقته الرياح وفى قراءة الريح (وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) قادرا (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) يتجمل بهما فيها (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، زاد بعضهم: ولا حول ولا قوة إلا بالله،

(قوله خير عند ربك) التفضيل ليس على بابه لأن زينة الدنيا ليس فيها خير ولا يرد علينا أن السعى على العيال من الخير لأنه من حيز الباقيات الصالحات لامن حيز الزينة ، أو يقال إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل (قوله ويرجوه) عطف تفسير (قوله ويوم تسير الجبال) هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة (قوله هباء) أى غبارا وقوله منبثا أى مفرقا كما فى سورة الواقعة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وترى الأرض) أى تبصرها (قوله ولا غيره) أى من بناء وشجر وبحار وغير ذلك (قوله وحشرناهم) أتى به ماضيا إشارة إلى أن الحشر مقدم على تسيير الجبال والبروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك وعلى هذا فتبديل الأرض يحصل وهم ناظرون لذلك ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط وقيل على أجنحة الملائكة كما تقدم (قوله فلم نغادر) عطف على قوله حشرناهم والمغادرة من جانب ولذا فسرها بقوله نترك (قوله حال) أى من الواو فى عرضوا وصفا مفرد وقع موقع الجمع ، فالمعنى جميعا ونظيره قوله تعالى ـ ثم ائتوا صفا ـ أى جميعا أو المراد صفوفا لما ورد «أهل الجنة مائة وعشرون أتم منها ثمانون» ، وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تبارك وتعالى ينادى بصوت رفيع غير فظيع ياعبادى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) أى مايأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى (وَ) اذكر (يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا وفى قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال (وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ظاهرة ليس عليها شىء من جبل ولا غيره (وَحَشَرْنَاهُمْ) المؤمنين والكافرين (فَلَمْ نُغَادِرْ) نترك (مِنْهُمْ أَحَدًا . وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا) حال أى مصطفين كل أمة صف ويقال لهم (لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى فرادى حفاة عراة غرلا ، ويقال لمنكرى البعث (بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ) مخففة من الثقيلة أى أنه (لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) للبعث (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب كل امرئ فى يمينه من المؤمنين وفى شماله من الكافرين (فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ) عند معاينتهم مافيه من السيئات (يَا) للتنبيه (وَيْلَتَنَا) هلكتنا وهو مصدر لافعل له من لفظه (مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) من ذنوبنا (إِلَّا أَحْصَاهَا) عدها وأثبتها تعجبوا منه فى ذلك (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) مثبتا فى كتابهم (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) لايعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن (وَإِذْ) منصوب باذكر (قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود انحناء لاوضع جبهة تحية له ،

ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولاأنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فانكم مسئولون محاسبون ياملائكتى أقيموا عبادى صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب» (قوله ويقال لهم) أى توبيخا وتقريعا (قوله أى فرادى) أى منفردين عن المال والبنين (قوله غرلا) جمع أغرل أى غير مختونين (قوله بل زعمتم) أى قلتم قولا كذبا (قوله أى أنه) أى الحال والشأن (قوله موعدا) أى مكانا تبعثون فيه (قوله ووضع الكتاب) هو بالبناء للمفعول فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وهو الله أو الملك (قوله فى يمينه) أى فحين يقرؤه يبيض وجهه ويقول هاؤم اقرءوا كتابيه إلى آخر ما فى سورة الحاقة (قوله وفى شماله من الكافرين) أى فحين يقرؤه يسود وجهه ويقول ياليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله هلكتنا) أى هلاكنا والمقصود التحسر والتندم ، وقيل الياء حرف نداء وويلتنا منادى تنزيلا لها منزلة العاقل فكأنه يقول ياهلاك احضرى فهذا أوانك (قوله وهو مصدر) أى الويل وقوله لافعل له من لفظه أى بل من معناه وهو هلك (قوله مال هذا الكتاب) ما استفهامية مبتدأ ولهذا الكتاب خبره : أى أى شىء ثبت لهذا الكتاب (قوله لايغادر) الجملة حالة من الكتاب (قوله تعجبوا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب (قوله منه) أى الكتاب (قوله فى ذلك) أى الاحصاء المذكور (قوله ولا يظلم ربك أحدا) أى لايعامله معاملة الظالم بحيث يعذبه من غير ذنب أو ينقص من أجره (قوله منصوب باذكر) أى فاذ ظرف لذلك المقدر . والمعنى اذكر يامحمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ والمراد اذكر لهم تلك القصة وقد كررت فى القرآن مرارا لأن معصية إبليس أول معصية ظهرت فى الخلق (قوله سجود انحناء) جواب عما يقال إن السجود لغير الله كفر ، وتقدم الجواب بأن السجود لله وآدم كالقبلة أو أن محل كون السجود لغير الله كفرا إن لم يكن هو الآمر به و إلا فالكفر فى المخالفة

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل ، وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لاذرية لهم (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ) الخطاب لآدم وذريته والهاء فى الموضعين لإبليس (أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) تطيعونهم (وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) أى أعداء حال (بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) إبليس وذريته فى طاعتهم بدل إطاعة الله (مَا أَشْهَدْتُهُمْ) أى إبليس وذريته (خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) أى لم أحضر بعضهم خلق بعض (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ) الشياطين (عَضُدًا) أعوانا فى الخلق فكيف تطيعونهم (وَيَوْمَ) منصوب باذكر (يَقُولُ) بالياء والنون (نَادُوا شُرَكَائِيَ) الأوثان (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) ليشفعوا لكم بزعمكم (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) لم يجيبوهم (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين الأوثان وعابديها (مَوْبِقًا) واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا) أى أيقنوا (أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا) أى واقعون فيها (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) معدلا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) صفة لمحذوف أى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) : خصومة

(قوله فسجدوا) أى جميعا (قوله قيل هم نوع من الملائكة) أى وعلى هذا القول فهم ليسوا معصومين كالملائكة بل يتوالدون ويعصون (قوله وإبليس أبو الجن) هذا توجيه لكونه منقطعا وهو الحق وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة فالجن من نار والملائكة من نور (قوله فله ذرية) تفريع على كونه أبا إذ الأب يستلزم ابنا (قوله ففسق عن أمر ربه) أى تكبرا وحسدا (قوله أفتتخذونه) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والاستفهام توبيخى ، والمعنى أبعد ماحصل منه ماحصل يليق منكم اتخاذه الخ (قوله وذريته) عطف على الضمير فى تتخذونه . قال مجاهد : من ذرية إبليس لاقس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع و بتر وهو صاحب المصائب يزين خدش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ فى إحليل الرجل وعجيزة المرأة ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها فى أفواه الناس لايجدون لها أصلا وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسم (١٦) ولم يذكر الله دخل معه اهـ قال القرطبى : واختلف هل لإبليس أولاد من صلبه فقال الشعبى سألنى رجل فقال هل لإبليس زوجة ؟ فقلت إن ذلك عرس لم أشهده ثم ذكرت قوله تعالى : أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى ، فعلمت أنه لاتكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم . وقال مجاهد إن إبليس أدخل فرجه فى فرج نفسه فباض خمس بيضات ، فهذه أصل ذريته ، وقيل إن الله خلق له فى فخذه اليمنى ذكرا وفى فخذه اليسرى فرجا فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانة فهو يفرخ ويطير وأعظمهم عند أبيهم منزلة أعظمهم فى بنى آدم فتنة وقال قوم ليس له أولاد ولا ذرية وإنما المراد بذريته أعوانه من الشياطين (قوله تطيعونهم) أى بدل طاعتى (قوله حال) أى من مفعول تتخذون (قوله للظالمين) متعلق ببدلا الواقع تمييزا للفاعل المستتر وقوله إبليس وذريته بيان للمخصوص بالذم المحذوف والأصل بئس البدل إبليس وذريته (قوله أى إبليس وذريته) تفسير للضمير فى أشهدتهم فالمعنى لم أحضرهم حين خلقت السموات والأرض ولاحين خلقت أنفسهم فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم (قوله وماكنت متخذ المضلين) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (قوله عضدا) هو فى الأصل العضو الذى هو من المرفق إلى الكتف ثم أطلق على المعين والناصر والمراد هنا مقدما لهم فى مناصب خير بل هم مطرودون عنها فكيف يطاعون (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الذين زعمتم) أى زعمتموهم شركاء فالمفعولان محذوفان (قوله ليشفعوا لكم) متعلق بنادوا (قوله وجعلنا بينهم) أى مشتركا (قوله واديا من أودية جهنم) قال أنس بن مالك هو واد فى جهنم من قيح ودم (قوله من وبق بالفتح) أى كوعد (قوله ورأى المجرمون النار) أى عاينوها من مسيرة أربعين عاما (قوله مصرفا) أى مكانا يعدلون فيه غيرها (قوله من كل مثل) أى معنى غريب بديع يشبه

المثل فى غرابته (قوله خصومة فى الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا وفيه إشارة إلى أن المؤمن ليس كثير الجدل فى الباطل بل هو شديد الخصومة فى الحق (قوله ويستغفروا) عطف على أن يؤمنوا (قوله إلا أن تأتيهم سنة الأولين) الكلام على حذف مضاف أى إلا انتظارهم وطلبهم اتيان مثل سنة الاولين بقولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله وهى الاهلاك) أى الذى يستأصلهم (قوله المقدر) أى فى الأزل وقوله عليهم أى الأولين (قوله أو يأتيهم) أى الناس (قوله مقابلة وعيانا) تفسير لقبلا بكسر ففتح (قوله أى أنواعا) تفسير لقبلا بضمتين فكل من القراءتين له معنى يخصه (قوله القرآن) المناسب أن يقول أى جميع ماجاءت به الرسل (قوله آياتى) المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لاخصوص القرآن لأنه فى كل كافر من هذه الأمة وغيرها (قوله وما أنذروا) ماموصولة والعائد محذوف أى الذى أنذروا به أومصدرية أى إنذارهم (قوله هزوا) يقرأ بالهمزة والواو سبعيتان (قوله فأعرض عنها) أى لم يتدبرها وقت تذكيره بها (قوله إنا جعلنا) بمنزلة التعليل لقوله فأعرض (قوله ولايسمعونه) أى سماع تفهم وانتفاع (قوله لعجل لهم العذاب) أى المستأصل لهم (قوله وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أن المراد بالموعد الزمان المعد لهم ويصح أن يراد به المكان (قوله لن يجدوا من دونه) أى العذاب (قوله موئلا) الموئل المرجع من وأل يئل أى رجع ويقال للملجأ أيضا ، يقال وأل فلان إلى فلان إذا لجأ إليه ، والمعنى لن يجدوا غير العذاب ملجأ يلتجئون إليه كناية عن عدم خلوصهم منه (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أهلكناهم) أى فى الدنيا كما قال تعالى : فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا الخ (قوله وجعلنا لمهلكهم) أى لهلاكهم المذكور وقتا معينا نزل بهم فيه فكذلك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه وهو معنى قوله موعدا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها فمجموع القراآت السبعية ثلاثة ضم الميم مع فتح اللام وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحذوف ، والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لفتاه الخ ، والمراد اذكر لهم قصته وماوقع له مع الخضر عليهما السلام (قوله هو ابن عمران) أى رسول بنى إسرائيل من سبط لاوى بن يعقوب وهذا هو الصحيح الذى أجمعت عليه الآثار الصحيحة ولايقدح فيه كونه يتعلم من الخضر لأن الكامل يقبل الكمال سواء قلنا إن الخضر نبى أو ولى فاستفادته منه لاتقدح فى كونه أفضل منه لأن تلك مزية وهى لاتقتضى الأفضلية ، يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه أعلم الناس أمره الله بالاستزادة من العلم بقوله ـ وقل رب زدنى علما ـ خلافا لمن زعم أنه موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب وادعى أنه نبى قبل موسى بن عمران

خصومة فى الباطل ، وهو تمييز منقول من اسم كان . المعنى وكان جدل الانسان أكثر شىء فيه (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ) أى كفار مكة (أَنْ يُؤْمِنُوا) مفعول ثان (إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى) القرآن (وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) فاعل : أى سنتنا فيهم وهى الإهلاك المقدر عليهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قِبَلًا) مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر ، وفى قراءة بضمتين جمع قبيل أى أنواعا (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) للمؤمنين (وَمُنْذِرِينَ) مخوفين للكافرين (وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) بقولهم أبعث الله بشرا رسولا ونحوه (لِيُدْحِضُوا بِهِ) ليبطلوا بجدالهم (الْحَقَّ) القرآن (وَاتَّخَذُوا آيَاتِي) أى القرآن (وَمَا أُنْذِرُوا) به من النار (هُزُوًا) سخرية (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ما عمل من الكفر والمعاصى (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) أى من أن يفقهوا القرآن أى فلا يفهمونه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا فلا يسمعونه (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا) أى بالجعل المذكور (أَبَدًا . وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ) فى الدنيا (بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ) فيها (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) وهو يوم القيامة (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا) ملجأ (وَتِلْكَ الْقُرَى) أى أهلها كعاد وثمود وغيرهما (أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) كفروا (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ) لإهلاكهم وفى قراءة بفتح الميم أى لهلاكهم (مَوْعِدًا . وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى) هو ابن عمران (لِفَتَاهُ) ،

عنتحا بأن الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة وكلمه بلا واسطة وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة يبعد أن يستفيد من مطلق نبي أو ولي ، وهذا القول خلاف الصحيح (قوله يوشع بن نون) هو ابن إفرائيم بن يوسف أرسله الله بعد موسى لقتال الجبارين وردت له الشمس وتقدمت قصته فى سورة المائدة (قوله كان يتبعه) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى وكان ابن أخته ، وقيل كان عبدا له وهو بعيد لأن شرط النبي الحرية (قوله لا أبرح) هي من أخوات كان اسمها مستتر وجوبا وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله أسير أى لا أبرح سائرا (قوله ملتقى بحر الروم الخ) أى وملتقاهما عند البحر المحيط (قوله مما يلي المشرق) أى وذلك بأفريقية (قوله دهرا طويلا) وقيل الحقب ثمانون سنة ، وقيل سنة واحدة بلغة قريش ، وقيل سبعون ويجمع على أحقاب كعنق وأعناق (قوله إن بعد) أى إن لم أدركه ، والمعنى لابد من سيرى إلى أن أبلغ مجمع البحرين أو أسير زمنا طويلا حتى أيأس من الوصول (قوله بين البحرين) أشار بذلك إلى أن بين ظرف وهو الموضع الذى وعد موسى أن يجتمع فيه بالخضر (قوله نسيا حوتهما) قيل كان مشويا ، وقيل كان مملحا وقد أكلا منه زمنا طويلا قبل أن يدركا الصخرة (قوله نسى يوشع حمله) هذا يقتضى أنه كان موجودا على البر حين نسيه يوشع ، ولكن الموجود فى القصة أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التى عندها عين الحياة ناما ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء فهذا يقتضى أنه نسى إخبار موسى بما رأى فالمناسب للمفسر أن يقول نسى يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب . إن قلت إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه ؟ . أجيب بأنه أدهش من عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته للحكمة التى ترتبت على ذلك

(١٨)

يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم (لَآ أَبْرَحُ) لا أزال أسير (حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ) ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق أى المكان الجامع لذلك (أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا) دهرا طويلا فى بلوغه إن بعد (فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا) بين البحرين (نَسِيَا حُوتَهُمَا) نسى يوشع حمله عند الرحيل ونسى موسى تذكيره (فَاتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُۥ فِى الْبَحْرِ) أى جعله بجعل الله (سَرَبًا) أى مثل السرب ، وهو الشق الطويل لا نفاذ له . وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت جرى الماء فانجاب عنه فبقى كالكوة لم يلتئم وجمد ما تحته منه (فَلَمَّا جَاوَزَا) ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثانى يوم (قَالَ) موسى (لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا) هو ما يؤكل أول النهار (لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا) تعبا وحصوله بعد المجاوزة (قَالَ أَرَءَيْتَ) أى تنبه (إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى الصَّخْرَةِ) بذلك المكان (فَإِنِّى نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا الشَّيْطَٰنُ) يبدل من الهاء (أَنْ أَذْكُرَهُۥ) بدل اشتمال أى أنسانى ذكره (وَاتَّخَذَ) الحوت (سَبِيلَهُۥ فِى الْبَحْرِ عَجَبًا) مفعول ثان أى يتعجب منه موسى وفتاه ،

لما (قوله فاتخذ سبيله) هذا الاتخاذ قبل النسيان فيكون فى الآية تقديم وتأخير ، والأصل فأدركته الحياة فخرج من المكتل وسقط فى البحر فاتخذ سبيله (قوله سربا) مفعول ثان لاتخذ (قوله وذلك) أى سبب ذلك (قوله فانجاب) أى انقطع الماء وانكشف (قوله فبقى) أى صار (قوله كالكوة) هى بالفتح نقب البيت والجمع كوى بكسر الكاف ممدودا ومقصورا (قوله لم يلتئم) أى يلتصق حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه (قوله وجمد ما تحته) أى جعل الحوت لا يمس شيئا فى البحر إلا يبس (قوله ذلك المكان) أى مجمع البحرين (قوله من سفرنا هذا) أى الذى وقع بعد مجاوزتهما الموعد (قوله نصبا) مفعول بلقينا (قوله وحصوله بعد المجاوزة) إنما كان حصول النصب بعد المجاوزة لحصول السفر مع الانتظار والتشوق ، وأما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصودا دفعة فلا مشقة فيه (قوله أى تنبه) أى تذكر واستمع لما ألقيه إليك من شأن الحوت (قوله فإنى نسيت الحوت) أى نسيت إخبارك بما شاهدته منه كما تقدم (قوله وما أنسانيه إلا الشيطان) . إن قلت إن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء ؟ أجيب بأنه أضاف النسيان إليه هضما لنفسه (قوله أى يتعجب منه موسى وفتاه) أى حيث أكلا من الحوت شقه الأيسر ثم حيى بعد ذلك .

(قوله لما تقدم فى بيانه) أى وهو قوله وذلك أن الله أمسك عن الحوت جري الماء الخ (قوله من نطلبه) وهو الخضر (قوله فوجدا عبدا) قيل دخلا السرب مكان الحوت فوجداه جالسا على جزيرة فى البحر، وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بثوب أبيض طرفه تحت رأسه والآخر تحت رجليه فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبى بنى إسرائيل، فقال له موسى ومن أخبرك أنى نبى بنى إسرائيل، فقال الذى أدراك بى ودلك على ثم قال لقد كان لك فى بنى إسرائيل شغل قال موسى إن ربى أرسلنى إليك لأتبعك وأتعلم منك (قوله من عبادنا) الإضافة لتشريف المضاف : أى من عبيدى الخصوصيين (قوله هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الضاد أوسكونها وبكسر الخاء مع سكون الضاد ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحتية آخره ألف مقصورة ومعناه بالعربية أحمد بن ملكان وكنيته أبو العباس. قال بعض العارفين: من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الاسلام ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فاخضرت تحته، وقيل لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك (قوله نبوة فى قول) أى وقد صححه جماعة والجمهور على أنه حى إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الأولياء (١٩) ويأخذون عنه . قال العارف السيد البكرى صاحب ورد السحر فى توسلاته : بنقيبهم فى كل عصر الخضر أبى العباس من أحياءه وصاله حى وحقك لم يقل بوفاته إلا الذى لم يلق نور جماله فعليه منى كلما هب الصبا أزكى سلام طاب فى إرساله وقد اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ عنه فهو صحابى (قوله من لدنا) أى مما يختص بنا ولا يعلم بواسطة معلم من أهل الظاهر (قوله خطيبا) أى واعظا يذكر الناس حتى فاضت العيون ورقت القلوب وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى إلى مصر (قوله إذ لم يرد العلم إليه) أى فكان عليه أن يقول مثلا الله أعلم، وهذا من باب عتاب الأحباب تأديبا لموسى وإلا فالواقع أن موسى أعلم من الخضر (قوله هو أعلم منك) أى فى خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة وهو بالنسبة للعلم الذى أوحاه الله إلى موسى قليل فلذلك رغب موسى فى حيازته لعلمه (قوله فكيف لى به) أى فلما سمع موسى هذا تشوقت نفسه الزكية وهمته العلية لتحصيل علم ما لم يعلم (قوله قال تأخذ معك حوتا) لعل الحكمة فى تخصيصه ماظهر بعد من حياته ودخوله فى البحر (قوله فتجعله فى مكتل) هو الزنبيل بكسر الزاى من خوص النخل ويقال له القفة تسع خمسة عشر صاعا (قوله فهو ثم) أى هناك (قوله جرية الماء) بكسر الجيم (قوله مثل الطاق) هو البناء المقوس كالقنطرة (قوله أن يخبره بالحوت) أى بما حصل من أمره (قوله قال موسى) أى بعد أن صليا الظهر من اليوم الثانى (قوله قال) أى النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن تفسير الآية (قوله قال له موسى) أى بعد أن تلاقيا وحصل الوصول (قوله هل أتبعك) استفهام تعطف رعاية للأدب فى حق العلم وبذلك الأدب يحصل النفع والسوود .

لما تقدم فى بيانه (قَالَ) موسى (ذَٰلِكَ) أى فقدنا الحوت (مَا) أى الذى (كُنَّا نَبْغِ) نطلبه فإنه علامة لنا على وجود من نطلبه (فَارْتَدَّا) رجعا (عَلَىٰ آثَارِهِمَا) يقصانها (قَصَصًا) فأتيا الصخرة (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا) هو الخضر (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) نبوة فى قول، وولاية فى آخر وعليه أكثر العلماء (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من قبلنا (عِلْمًا) مفعول ثان أى معلوما من المغيبات، روى البخارى حديث «إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم؟ فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لى به؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم فأخذ حوتا فجعله فى مكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا إلى قوله واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال وكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا» الخ (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ)،

(قوله على أن تعلمنى) أى ليس لى قصد فى اتباعك إلا تعليمك إياى لاشيئا من الأغراض غير التعليم (قوله رشدا) مفعول ثان لتعلمنى : أى لتعلمنى صوابا من الذى علمكه الله (قوله وفى قراءة) أى وعليها فيكون من باب قتل وقياس مصدره بفتح الراء فيكون بضمها اسم مصدر وعلى الأولى فيكون من باب طرب (قوله وسأله ذلك) جواب عما يقال إن موسى من أولى العزم ونبى ورسول جزما وأسمعه الله كلامه وأعطاه التوراة وهو أفضل من الخضر فكيف يسعى إليه ويتعلم منه ، فأجاب بأن الزيادة فى العلم مطلوبة على أن علم الخضر لايحتاج إليه موسى فى شرعه وإنما هى مزية خص بها الخضر وأمر الله موسى أن يأخذها عن الخضر ويكتمها لتكمل له جميع المزايا ولايقتضى أن الخضر أعلم منه لأن موسى كامل فى علمه لاتحتاج شريعته إلى شىء من علم الخضر وإنما علمه مزية خصه الله بها لايقتدى به فيها (قوله قال إنك لن تستطيع معى صبرا) أى لما ترى من مخالفة شرعك ظاهرا لأن المتعلم قسمان : متعلم ليس عنده شىء من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه سهل ويقبل كل ما ألقى إليه ، ومتعلم مارس الاستدلال وحصل العلوم غير أنه يريد أن يزداد علما على علمه وهذا تعليمه شاق شديد لأنه إذا رأى شيئا أو سمع كلاما عرضه على ماعنده فإن وافقه وإلا ناقش فيه (قوله وكيف تصبر) الاستفهام تعجبى (قوله إنى على علم) أى وهو علم الكشف (قوله وأنت على علم) أى وهو علم ظاهر الشريعة (قوله مصدر) أى مفعول مطلق مؤكد لعامله فى المعنى لأن لم تحط بمعنى لم تخبر والخبر بالضم معناه العلم والأوضح أنه تمييز نسبة : أى لم تحط به من جهة العلم (قوله أى وغير عاص) أشار بذلك إلى أن قوله ولا أعصى معطوف على صابرا ولا بمعنى غير (قوله لأنه لم يكن على ثقة من نفسه) أى فكأنه قال ستجدنى صابرا إن وافق شرعى أو أوحى الله إلىّ فى شأنه فأنا لا أدرى مايفعله الله

(٢٠)

عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً) أي صوابا أرشد به وفى قراءة بضم الراء وسكون الشين وسأله ذلك لأن الزيادة فى العلم مطلوبة (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَالَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً) فى الحديث السابق عقب هذه الآية : ياموسى إنى على علم من الله علمنيه لاتعلمه وأنت على علم من الله علمكه الله لاأعلمه ، وقوله خبرا مصدر بمعنى لم تحط أى لم تخبر حقيقته (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً وَلاَ أَعْصِي) أى وغير عاص (لَكَ أَمْراً) تأمرنى به ، وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لايثقوا إلى أنفسهم طرفة عين (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي) وفى قراءة بفتح اللام وتشديد النون (عَنْ شَيْءٍ) تنكره منى فى علمك واصبر (حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً) أى أذكره لك بعلته ، فقبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم (فَانْطَلَقَا) يمشيان على ساحل البحر (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ) التى مرت بهما (خَرَقَهَا) الخضر بأن اقتلع لوحا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج (قَالَ) له موسى (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا) وفى قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً) أى عظيما منكرا

روى

ولم يقل الخضر إن شاء الله لأن الله أطلعه على أن موسى لايصبر على أمر يخالف شرعه فحينئذ جزم بأنه لايستطيع معه صبرا (قوله أن لايثقوا إلى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا أو يركنوا فعداه بإلى (قوله فلا تسألنى) أى لا تبادرنى بالسؤال عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) أى مع الهمز وهما قراءتان سبعيتان وبدون الهمز مع تشديد النون لغير السبعة (قوله فى علمك) أى بحسب ظاهر علمك (قوله واصبر) قدره إشارة إلى أنه المغيا بحتى (قوله بعلته) أى حكمته وسببه (قوله فانطلقا) أى ومعهما يوشع وإنما لم يذكر فى الآية لأنه تابع والمقصود ذكر موسى والخضر ، وقيل لم يكن معهما بل رده موسى حين التقى مع الخضر (قوله يمشيان على ساحل البحر) أى يطلبان سفينة فوجدا سفينة فركباها فقال أهلها هؤلاء لصوص لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع ، فقال صاحب السفينة ماهم بلصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء ، وعن أبىّ بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلموا أهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة فحملوهم بغير نول : أى عوض (قوله بفأس) بالهمزة وجمعه فؤوس : أى القدوم (قوله لما بلغت اللجج) اللج بالضم جمع لجة وهو الماء الغزير (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان .

(قوله روى أن الماء لم يدخلها) وقيل إن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله فى الخرق (قوله بما نسيت) أى بالأمر الذى غفلت عنه لقيام حمية الشرع بى ، وقيل أراد بالنسيان الترك (قوله عسرا) مفعول ثان لترهقنى (قوله غلاما) قيل كان اسمه شمعون (قوله لم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على المعصية وعلى مخالفة اليمين ، والمراد لم يبلغ حدّ التكليف من باب إطلاق اللزوم و إرادة اللازم (قوله مع الصبيان) أى وكانوا عشرة (قوله أو اقتلع رأسه بيده) أى بعد أن لوى عنقه (قوله لأن القتل عقب اللقى) أى بخلاف السفينة فان الخرق لم يكن عقب ركوبها فلذا لم يأت بالفاء (قوله وفى قراءة) وهما سبعيتان (قوله بغير نفس) أى من غير استحقاقها للقتل والجار والمجرور متعلق بقتلت (قوله لقد جئت) أى فعلت (قوله نكرا) هو أعظم من الامر لأن فيه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فانه يمكن تداركه ، وقيل بالعكس لأن الامر قتل أنفس متعددة بسبب الخرق فهو أعظم من قتل الغلام وحده (قوله بسكون الكاف وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لعدم العذر هنا) لأنه لم يبد هنا عذرا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان والنون للوقاية أتى بها لتقى الفعل من الكسر كما أتى بها فى من وعن محافظة على تسكين النون (قوله حتى إذا أتيا أهل قرية) أى وكان إتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة (قوله هى إنطاكية) بتخفيف الياء (قوله طلبا منهم الطعام) روى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم لم يطعموهما واستضافاهم لم يضيفوهما فأطعمتهم امرأة من أهل بربرة فدعوا لنسائهم ولعنا

(٢١)

روى أن الماء لم يدخلها (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ) أى غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك (وَلَا تُرْهِقْنِي) تكلفنى (مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) مشقة فى صحبتى إياك أى عاملنى فيها بالعفو واليسر (فَانْطَلَقَا) بعد خروجهما من السفينة يمشيان (حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجها (فَقَتَلَهُ) الخضر بأن ذبحه بسكين مضطجعا أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال ، وأتى هنا بالفاء العاطفة لأن القتل عقب اللقىّ ، وجواب إذا (قَالَ) له موسى (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً) أى طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفى قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف (بِغَيْرِ نَفْسٍ) أى لم تقتل نفسا (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضمها أى منكرا (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زاد لك على ماقبله لعدم العذر هنا ولهذا (قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا) أى بعد هذه المرة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) لا تتركنى أتبعك (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي) بالتشديد والتخفيف من قِبَلى (عُذْرًا) فى مفارقتك لى (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) هى انطاكية (اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا) طلبا منهم الطعام بضيافة (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا) ارتفاعه مائة ذراع (يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) أى يقرب أن يسقط لميلانه (فَأَقَامَهُ) الخضر بيده (قَالَ) له موسى (لَوْ شِئْتَ لَتَخِذْتَ) وفى قراءة لاتخذت (عَلَيْهِ أَجْرًا) جُعلا حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام (قَالَ) له الخضر (هَذَا فِرَاقُ) أى وقت فراق (بَيْنِي وَبَيْنِكَ) فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها تكريره بالعطف بالواو (سَأُنَبِّئُكَ) قبل فراقى لك (بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا).

رجالهم ، وعن قتادة شرّ القرى من لاتضيف الضيف (قوله مائة ذراع) أى وعرضه خمسون وامتداده على وجه الأرض خمسمائة ذراع (قوله فأقامه الخضر بيده) قيل مسه بها فاستقام ، وقيل أقامه بعمود ، وقيل نقضه و بناه (قوله لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى كان ينبغى لك أخذ جعل منهم على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا فقد فعلت المعروف مع غير أهله (قوله وفى قراءة) أى باظهار الذال و إدغامها فى التاء على كلّ فتكون القراآت أربعا سبعيات (قوله بتأويل) أى تفسير هذه الآيات التى وقعت لموسى مع الخضر ، وحكمة تخصيص الخضر لموسى تلك الثلاثة ماورد «أنه لما أنكر خرق السفينة نودى ياموسى أين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوت مطروحا فى اليمّ ، فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين إنكارك هذا من وكزك القبطى وقضائك عليه ، فلما أنكر إقامة الجدار نودى أين هذا من رفعك حجر البئر لبنتى شعيب دون أجر» .

(قوله أما السفينة) شروع فى وفاء ماوعد الخضر به موسى على سبيل اللف والنشر المرتب. والسفينة تجمع على سفين وسفائن ويجمع السفين على سفن بضمتين مأخوذة من السفن كأنها تسفن الماء : أى تقشره وصاحبها سفان (قوله لمساكين عشرة) أى وكانوا اخوة ورثوها عن أبيهم خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر ، وقيل بكلّ واحد زمانة ليست بالآخر ، فأما العمال منهم فأحدهم مجذوم ، والثانى أعور ، والثالث أعرج ، والرابع آدر ، والخامس محموم لاتنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لايطيقون العمل أعمى وأصمّ وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذى يعملون فيه مابين فارس إلى الروم (قوله فأردت أن أعيبها) أى فاذا رآها الملك معيبة تركها فاذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها (قوله وكان وراءهم) الجملة حالية على إضمار قد (قوله إذا رجعوا) من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون فى حال توجههم أمامهم فقد اتحد هذا القول مع مابعده ، وقد يجاب بأن قوله : وكان وراءهم : أى فى حال توجههم لكنهم فى حال رجوعهم يمرون عليه وحينئذ فلا يكون أمامهم الآن ، وقوله أو أمامهم الآن : أى ووراء بمعنى أمام. قال تعالى ـ من ورائه جهنم ـ (قوله ملك كافر) أى وكان ملك غسان واسمه جيسور (قوله صالحة) أى صحيحة (قوله فخشينا) أى أن الله أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله (قوله أن يرهقهما) أى يكلفهما و يوقعهما فى الكفر (قوله طبع كافرا) أى خلق مجبولا على الكفر وحينئذ فيكون مستثنى من حديث «كل مولود يولد على فطرة الاسلام» (قوله لمحبتهما له) علة لايقاعه لهما فى الكفر (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله خيرا (٢٢) منه) اسم التفضيل ليس على بابه إذ لم يكن فى الغلام خير أو على بابه باعتبار

أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ) عشرة (يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ) بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ) إذا رجعوا ، أو أمامهم الآن (مَلِكٌ) كافر (يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ) صالحة (غَصْبًا) نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ (وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا) فإنه كما فى حديث مسلم : طبع كافرا ولو عاش لأرهقهما ذلك لمحبتهما له يتبعانه فى ذلك (فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا) بالتشديد والتخفيف (رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوٰةً) أى صلاحا وتقى (وَأَقْرَبَ) منه (رُحْمًا) بسكون الحاء وضمها رحمة وهى البر بوالديه فأبدلهما تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ) مال مدفون من ذهب وفضة (لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) فحفظا بصلاحه

زعمهما (قوله زكاة) تمييز وكذا قوله رحما (قوله جارية) أى بنتا (قوله فولدت نبيا) وقيل اثنى عشر نبيا ، وقيل ولدت سبعين نبيا ومافعله الخضر من قتل الغلام إنما هو جار على شرعه لاعلى شرعنا فانه لايجوز قتل الصبيان الكفار إلا أن يقاتلوا بالسلاح فى الحرب ولو اطلع شخص على ما اطلع عليه الخضر فلا يجوز له قتل الغلمان ، فى

وقد أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل أولاد الكفار فضلا عن أولاد المؤمنين ، فكتب إليه على سبيل المجاراة والتسليم لدعواه إن علمت من حال الولدان ماعلمه عالم موسى فلك أن تقتلهم ، وروى أن موسى لما قال للخضر أقتلت نفسا زكية الآية غضب الخضر واقتلع كتف الصبى الأيسر وقشر اللحم عنه وإذا فيه مكتوب كافر لايؤمن بالله أبدا (قوله فكان لغلامين) اسم أحدهما أصرم والآخر صريم (قوله فى المدينة) هى المعبر عنها أوّلا بالقرية تحقيرا لها لكون أهلها لم يضيفوهما وعبر عنها بالمدينة تعظيما لها من حيث اشتمالها على هذين الغلامين وعلى أبيهما (قوله مال مدفون من ذهب وفضة) هذا أحد أقوال فى تفسير الكنز ، وقيل كان علما فى صحف مدفونة ، وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فى أحد جانبيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لاإله إلا الله محمد رسول الله ، وفى الجانب الآخر مكتوب : أنا الله لاإله إلا أنا وحدى لاشريك لى خلقت الخير والشرّ فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه ، والويل لمن خلقته للشرّ وأجريته على يديه (قوله وكان أبوهما صالحا) قيل إنه أبوهما مباشرة ، وقيل هو الأب السابع ، وقيل العاشر ، وكان يسمى كاشحا واسم أمهما دنيا ، وفيه دليل على أن تقوى الأصول تنفع الفروع .

(قوله أى إيناس رشدهما) أى حتى يبلغا أى يعلم إيناس أشدهما : أى قوتهما وكمالهما (قوله ويستخرجا كنزهما) أى من تحت الجدار ولولا فعلى ذلك لضاع (قوله بل بأمر إلهام من الله) لم يقل بوحى لعدم الجزم بنبوته (قوله ذلك) أى ماذكر من الأجوبة الثلاثة (قوله ونوعت العبارة) أى أن هذا التغاير تنويع فى العبارة وبعضهم أبدى حكمة فى اختلاف التعبير وهى أن الأولى لما كان ظاهرها إفسادا محضا أضافه لنفسه حيث قال فأردت أدبا مع الله وإن كان الكل منه ، والثانى لما كان فيه نوع إصلاح ونوع إفساد عبر فيه بقوله فأردنا ، والثالث لما كان إصلاحا محضا أضافه لله بقوله : فأراد ربك ، قيل إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصنى . قال كن بساما ولاتكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة ولا تعب على الخاطئين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (قوله ويسئلونك) أى المشركون بأمر اليهود فاليهود سبب فى السؤال وإن لم تقع منهم المباشرة له فصح قول المفسر اليهود (قوله عن ذى القرنين) لقب بذلك لما قيل إن له قرنين صغيرين فى رأسه ، وقيل لأنه أعطى علم الظاهر والباطن ، وقيل لأنه ملك فارس والروم (قوله اسمه الاسكندر) أى وهو الذى بنى الاسكندرية وسماها باسمه (قوله ولم يكن نبيا) أى على الصحيح وإنما كان وليا فقط وما يأتى مما يوهم نبوته فمؤول ومحمول على الالهام والالقاء فى القلب وذلك غير مخصوص بالأنبياء وإسكندر هذا من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجوز ليس لها غيره وكان أسود اللون وكان على شريعة إبراهيم الخليل فانه أسلم على يديه ودعا له وأوصاه بوصايا وكان يطوف معه وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان يسير معه على مقدمة جيشه ، وهذا بخلاف ذى القرنين الأصغر فانه من ولد العيص بن اسحق وكان كافرا عاش ألفا وستمائة سنة وكان قبل المسيح بثلثمائة سنة ، وفى القرطبى قال وهب بن منبه : كان ذوالقرنين رجلا من (٢٣) الروم ابن عجوز من عجائزهم

فى أنفسهما ومالهما (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) أى إيناس رشدهما (وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) مفعول له عامله أراد (وَمَا فَعَلْتُهُ) أى ماذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار (عَنْ أَمْرِى) أى اختيارى بل بأمر إلهام من الله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقال اسطاع واستطاع بمعنى أطاق ففى هذا وما قبله جمع بين اللغتين ونوعت العبارة فى فأردت فأردنا فأراد ربك (وَيَسْأَلُونَكَ) أى اليهود (عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ) اسمه الاسكندر ولم يكن نبيا (قُلْ سَأَتْلُو) سأقص (عَلَيْكُمْ مِنْهُ) من حاله (ذِكْرًا) خبرا

ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا. قال الله تعالى أى على لسان نبى كان موجودا أو بالهام ياذا القرنين إنى باعثك : أى سلطانا إلى أمم الأرض وهم أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع الأرض وهم أصناف أمتان بينهما طول الأرض كلها وأمتان بينهما عرض الأرض كلها وأمم فى وسط الأرض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج ، فأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة فى قطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها هاويل ، وأمة فى قطر الأرض الأيسر ويقال لها تاويل ، وأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مطلع الشمس يقال لها منسك ، وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك ، فقال ذو القرنين إلهى لقد ندبتنى لأمر عظيم لايقدر قدره إلا أنت فأخبرنى عن هذه الأمم بأى قوة أكاثرهم وبأى صبر أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم ، وكيف لى بأن أفقه لغتهم وليس لى قوة ، فقال الله تعالى سأظفرك بما حملتك أشرح لك صدرا فتسمع كل شئ ، وأثبت لك فهما فتفقه كل شئ ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شىء ، وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك ، فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق إلى الأمة التى عند مغرب الشمس لأنها كانت أقرب الأمم منه وهى ناسك ، فوجد جنودا لايحصيها إلا الله وقوة وبأسا لايطيقه إلا الله تعالى وألسنة مختلفة وأهواء مشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر من جنود الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ، ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، فأدخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فدخلت فى أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتحيروا وهاجوا وأشفقوا أن يهلكوا فعجوا إلى الله بصوت واحد إنا آمنا ، فكشفها عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا فى دعوته ، فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير فى ناحية الأرض اليمنى يريد هاويل ، وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطىء إذا عمل عملا ، فاذا أتوا مخاضة أو بحرا بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال فيضمها فى ساعة ثم يحمل عليها جميع من

خه من تلك الأمم فاذاقطع البحار والأنهار فتقها ودفع إلى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فأتهى إلى هاو يل ففعل بهم كفعله ناسك فآمنوا فأخذ جيوشا منهم فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله فى الأول ، ثم كر مقبلا حتى أخذ بناحية الأرض اليسرى يريد تاو يل ، وهى الأرض التى تقابل هاو يل بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ، ثم عطف على الأمم التى فى وسط الأرض من الانس والجن و يأجوج ومأجوج ، فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت أمة صالحة من الانس : ياذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحش كما تفترسها السباع و يأكلون دواب الأرض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذى روح مما خلق الله فى الأرض وليس لله خلق ينمى نماءهم فى العام الواحد ، فاذا طالت المدة سيملؤن الأرض و يخرجون أهلها منها — فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا — إلى آخر ما يأتى فى الآية ، و بالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك ، فقد روى « أن الذين ملكوا الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمان بن داود والأسكندر ، والكافران نمروذ و بختنصر وسيملكها من هذه الأمة خامس وهو المهدى » (قوله إنا مكنا له فى الأرض) أى بالتصرف فيها حيث شاء (قوله طريقا) أى كآلات السير وكثرة الجنود (قوله إلى مراده) أى وهو جميع الأرض (قوله فأتبع سببا) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله موضع غروبها) أى فالمراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل إلى ساحل البحر المحيط ، فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها رأى الشمس كأنها تغرب فيه وسماه الله عينا لأنه بالنسبة إلى ما هو أعظم منه فى علم الله كالعين

(٢٤)

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ) بتسهيل السير فيها (وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (سَبَبًا) طريقا يوصل إلى مراده (فَأَتْبَعَ سَبَبًا) سلك طريقا نحو المغرب (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ) موضع غروبها (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ذات حمأة وهى الطين الأسود وغروبها فى العين فى رأى العين و إلا فهى أعظم من الدنيا (وَوَجَدَ عِنْدَهَا) أى العين (قَوْمًا) كافرين (قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ) بالإلهام (إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ) القوم بالقتل (وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) بالأسر (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ) بالشرك (فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) نقتله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضمها : شديدا فى النار (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ) أى الجنة والإضافة للبيان ، وفى قراءة بنصب جزاء وتنوينه ، قال الفراء ونصبه على التفسير أى لجهة النسبة (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) أى نأمره بما يسهل عليه (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) نحو المشرق (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ) موضع طلوعها (وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ) ،

و إن كان عظيما فى نفسه (قوله حمئة) بالهمزة بدون ألف و بألف بعدها ياء قراءتان سبعيتان ، فأما الأولى فهى من الحمأة وهى الطين الأسود ، وأما الثانية فهى اسم فاعل من حمى يحمى ، والمعنى فى عين حارة ولا تنافى بين القراءتين لأن العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكون أرضها من طين (قوله وغروبها فى العين الخ) جواب عما يقال إن الشمس فى السماء الرابعة وهى قدر كرة الأرض مائة وستين مرة فكيف تسعها عين فى الأرض تغرب فيها ، فأجاب بأن هذا الوجدان باعتبار ما رأى لا حقيقة كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه (قوله كافرين) أى وكانوا فى مدينة لها اثنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك وكان لباسهم جلود الوحوش (قوله قلنا) أى بالإلهام (قوله بالأسر) أى وسمى إحسانا بالنسبة للقتل (قوله أما من ظلم) أى استمر على ظلمه (قوله ثم يرد) أى فى الآخرة (قوله بسكون الكاف وضمها) أى فهما سبعيتان (قوله أى لجهة النسبة) أى نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى المبتدأ المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالحسنى كائنة له من جهة الجزاء (قوله وسنقول له) أى لمن آمن (قوله موضع طلوعها) أى الموضع الذى تطلع الشمس عليه أولا ، قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة ، وقيل أقل لأنه سخر له السحاب وطويت له الأرض .

(قوله ثم الزنج) بفتح الزاى وكسرها (قوله سترا) هو بالفتح المصدر و بالكسر الاسم وحرف فى الآية بالكسر (قوله ولا سقف) أى ولا أشجار لأن أرضهم رخوة لاتحمل بناء لعدم الجبال فيها فتميد بأهلها ولا تستقر (قوله و يظهرون عند ارتفاعها) أى مغيبها يسعون فى تحصيل مهمات معاشهم فحالهم بالضد من أحوال الخلق فمادامت الشمس طالعة فهم فى السراديب و إذا غربت خرجوا لتكسباتهم (قوله أى الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وقد أحطنا الخ) الجملة مستأنفة من كلام الله وفائدة الاخبار بذلك الاعتناء بشأن ذى القرنين وأن الله معه بالنصر والعون أينما حل (قوله ثم أتبع) تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف (قوله سببا) أى طريقا آخر توصله لجهة الشمال لأن يأجوج ومأجوج و إن كانوا فى وسط الأرض إلا أنهم لجهة الشمال لأن أرضهم واسعة جدا تنتهى إلى البحر المحيط . قال بعضهم : مسافة الأرض تمامها خمسمائة عام ثلثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج تبقى عشرة للحبشة منها سبعة وثلاثة لجملة الخلق غيرهم (قوله هنا و بعد) أى فى هذه الآية ، وفى قوله الآتى : على أن تجعل بيننا و بينهم سدا ، وفى يس : وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ، فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان (قوله جبلان) أى عاليان جدا أملسان (قوله بمنقطع) بفتح الطاء أى آخر بلاد الترك (قوله سد الاسكندر ما بينهما) أى الفتحة التى بين الجبلين (٢٥) وقدرها مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة

هم الزنج (لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا) أى الشمس (سِتْرًا) من لباس ولا سقف ؛ لأن أرضهم لاتحمل بناء ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس و يظهرون عند ارتفاعها (كَذَلِكَ) أى الأمر كما قلنا (وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ) أى عند ذى القرنين من الآلات والجند وغيرهما (خُبْرًا) علما (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ) بفتح السين وضمها هنا و بعد ، هما جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر ما بينهما كما سيأتى (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا) أى أمامهما (قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) أى لايفهمونه إلا بعد بطء وفى قراءة بضم الياء وكسر القاف (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) بالهمز وتركه هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالنهب والبغى عند خروجهم إلينا (فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) جعلا من المال وفى قراءة خراجا (عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا) حاجزا فلا يصلون إلينا (قَالَ مَا مَكَّنِّي) ،

ونصف فتكون مسيرة مائة وخمسين ساعة مسيرة اثنى عشر يوما ونصف فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر (قوله أى أمامهما) أى بقربهما (قوله قوما) أى وهم الترك والروم (قوله لا يكادون يفقهون قولا) أى لغرابة لغتهم و بطء فهمهم (قوله وفى القراءة) أى وهما سبعيتان والمعنى لايفهمون غيرهم لشدة عجمتهم فكلامهم مغلق (قوله قالوا) أى قال مترجمهم لأنهم من أولاد يافث بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم و إنما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين ، وقيل خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم أن الله جعل له فهما يفقه به كل شئ وهو الأقرب . قال أهل التواريخ : أولاد نوح ثلاثة سام وحام و يافث ، فسام أبو العجم والعرب والروم ، وحام أبو الحبشة و الزنج والنوبة ، و يافث أبو الترك والبربر وصقالبة و يأجوج ومأجوج . قال ابن عباس : هم عشرة أجزاء ولد آدم كلهم جزء (قوله إن يأجوج ومأجوج) روى أن كلا من الجيلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لايموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، وهم أصناف صنف منهم طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه و يلتحف بالأخرى لايمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم إلى الايمان ليلة الاسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أعجميان) أى لا اشتقاق لهما ومنعا من الصرف للعلمية والعجمة (قوله بالنهب والبغى) أى فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم (قوله عند خروجهم) أى من هذه الفتحة (قوله وفى قراءة خراجا) أى وهى سبعية أيضا

(قوله وفي قراءة بنونين) أي وهي سبعية أيضا (قوله وغيره) أي كالملك (قوله وأجعل لكم السد تبرعا) روى أنه قال لهم أعدوا لي الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا ، لهم مخالب وأضراس كالسباع ، ولهم شعر يوارى أجسادهم و يتقون به من الحر والبرد ، ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما و يلتحف بالأخرى يصيف في واحدة و يشتى في الأخرى يتسافدون تسافد البهائم فلما عاين ذوالقرنين ذلك اهتم بالسد فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب ، فلما وصل إلى ظاهر الأرض بنى بقطع الحديد وأفرغ عليه النحاس المذاب ولا يشكل هذا على ماتقدم من أنهم أصناف لأنه رأى صنفا من الأصناف (قوله آتونى) بفتح الهمزة وكسرها مع المدّ فيهما قراءتان سبعيتان فزبر على الفتح منصوب على المفعولية وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض (قوله زبر الحديد) جمع زبرة كغرف وغرفة (قوله بضم الحرفين الخ) أي فالقراءات السبعية ثلاث (قوله بالبناء) متعلق بساوى (قوله ووضع المنافخ) جمع منفخ كمنبر ويقال منفاخ كمفتاح ويجمع على منافيخ (قوله فنفخوا) أي وهذه كرامة لذى القرنين حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون ويفرغون النحاس مع أنه أصعب من النار مع قربهم من ذلك (قوله وحذف من الأول) أي هو وضميره لأنه فضلة والأصل آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا (قوله بين زبره) أي مكان الحطب والفحم الذى كان بينهما فلما أكلته النار بقى ما بينهما خاليا فأفرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد (قوله لارتفاعه) أي فكان لكثرتهم ارتفاعه مائتى ذراع (قوله وملاسته) أي فكان لايثبت عليه قدم ولا غيره (قوله وما استطاعوا له نقبا) أي خرقا بالفعل كما يشهد له ماروى الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحضرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيده الله كأشد مما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون منه إلى الناس فيستقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله فاذا جاء وعد ربى) أي وقت وعده (قوله بخروجهم) أي فيخرجون على الناس فينفرون منهم فيرمون بسهام إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الأرض ومن في السماء فيزدادون قوة وقسوة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن كلام ذى القرنين تم عند قوله حقا وهذا من كلام الله (قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) أي لشدة الازدحام عند خروجهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور

وفي قراءة بنونين من غير إدغام (فِيهِ رَبِّي) من المال وغيره (خَيْرٌ) من خرجكم الذى تجعلونه لي فلا حاجة بي إليه وأجعل لكم السد تبرعا (فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ) لما أطلبه منكم (أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا) حاجزا حصينا (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ) قطعه على قدر الحجارة التى يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ) بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثانى أي جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك (قَالَ انْفُخُوا) فنفخوا (حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ) أي الحديد (نَارًا) أي كالنار (قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثانى فأفرغ النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار شيئا واحدا (فَمَا اسْطَاعُوا) أي يأجوج ومأجوج (أَنْ يَظْهَرُوهُ) يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا) خرقا لصلابته وسمكه (قَالَ) ذو القرنين (هَذَا) أي السد أي الإقدار عليه (رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي) نعمة لأنه مانع من خروجهم (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم القريب من البعث (جَعَلَهُ دَكَّاءَ) مدكوكا مبسوطا (وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي) بخروجهم وغيره (حَقًّا) كائنا ، قال تعالى (وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم خروجهم (يَمُوجُ فِي بَعْضٍ) يختلط به ،

فرارا منهم ثم يسلط الله عليهم دودا فى آنوفهم فيموتون به فتنتن الأرض منهم فتأتى طيور ترميهم فى البحر بدعاء عيسى عليه السلام ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن بورد أو ذكر (قوله لكثرتهم) أى وضيق الأرض فان أرضنا بالنسبة لأرضهم ضيقة جدا (قوله ونفخ فى الصور) أى النفخة الثانية بدليل التعقيب فى قوله فجمعناهم وأما النفخة الأولى فعندها تخرج روح كل ذى روح واختلف فى القدر الذى بين النفختين والصحيح أنه أربعون عاما (قوله أى القرن) وهو بيد إسرافيل عليه السلام (قوله قربنا) أى أظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها (قوله يومئذ) إن كان المراد به يوم الموقف فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والاظهار وإن كان المراد بعد انفضاضه ، فالمراد بالعرض امتزاجها بهم فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها وفائدة التأكيد على الأول الاشارة إلى أنه لم يكن بينهم و بينها حجاب (قوله أعينهم) أى بصائرهم (قوله لايهتدون به) أى لايتعظون ولا يؤثر فى قلوبهم (قوله لايستطيعون سمعا) أى سماع قبول وفهم لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك (قوله أفحسب الذين كفروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أكفروا فحسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أى ملائكتى وعيسى وعزيرا) أشار بذلك إلى تنوعهم فى الكفر فالمشركون يعبدون الملائكة والنصارى يعبدون عيسى واليهود يعبدون العزير (قوله وعزيرا) هذا لقبه واسمه قطفير أو إطفير (قوله من دونى) أى غيرى وهو صادق بكونهم يشركونهم معه فى العبادة أو خصوهم بالعبادة دونه (قوله مفعول ثان ليتخذوا) أى والأول قوله عبادى فمفعولا اتخذ مذكوران (قوله والمفعول الثانى لحسب محذوف) أى والأول قوله أن يتخذوا

(٢٧)

لكثرتهم (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) أى القرن للبعث (فَجَمَعْنَاهُمْ) أى الخلائق فى مكان واحد يوم القيامة (جَمْعًا. وَعَرَضْنَا) قربنا (جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا. الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ) بدل من الكافرين (فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي) أى القرآن فهم عمى لايهتدون به (وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا) أى لا يقدرون أن يسمعوا من النبى ما يتلو عليهم بغضاً له فلا يؤمنون به (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي) أى ملائكتى وعيسى وعزيراً (مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ) أربابا مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثانى لحسب محذوف ، المعنى أظنوا أن الاتخاذ المذكور لايغضبنى ولا أعاقبهم عليه ؟ كلا (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ) هؤلاء وغيرهم (نُزُلًا) أى هى معدة لهم كالمنزل المعد للضيف (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) تمييز طابق المميز وبينهم بقوله (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بطل عملهم (وَهُمْ يَحْسَبُونَ) يظنون (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملا يجازون عليه (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) بدلائل توحيده من القرآن وغيره (وَلِقَائِهِ) أى وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ،

الخ والتقدير أظن الكافرون اتخاذهم عبادى من دونى أربابا لايغضبنى ، بل هو مغضب لى وأعاقبهم عليه ، و بتفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فمسلم أنه إشراك ، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهالك ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم فى دار السلام ، لما ورد « المرء مع من أحب » (قوله كلا) هى كلمة ردع وزجر (قوله إنا أعتدنا) أى هيأنا وأحضرنا (قوله هؤلاء) أى الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيرا (قوله وغيرهم) أى من بقية الكفار (قوله كالمنزل المعد للضيف) أى فهو استهزاء وسخرية بهم حيث سمى محل عذابهم نزلا والنزل اسم لمكان الضيف أو لما يهيأ له (قوله بالأخسرين) جمع أخسر إما بمعنى أشد الناس خسرانا أو بمعنى خاسر (قوله طابق المميز) جواب عما يقال كيف جمع التمييز مع أن أصله الافراد ولم جمع المصدر مع أنه لايثنى ولا يجمع فأجاب بأنه جمع لمشاكلة مميزه (قوله الذين ضل سعيهم) خبر مبتدإ محذوف أى هم الذين الخ (قوله بطل عملهم) أى لأن شرط الثواب الاسلام والكفر لاتنفع معه طاعة (قوله وهم يحسبون) الجملة حالية من فاعل ضل (قوله أى و بالبعث) أى فالمراد بلقاء الله لقاء بعثه وحسابه الخ

(قوله فحبطت) أي فبسبب ذلك (قوله أي لانجعل لهم قدرا) أي منزلة وإنما قال ذلك لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم وبعضهم أجاب بأن الآية فيها حذف النعت والتقدير وزنا نافعا (قوله ذلك أي الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمحذوف (قوله الذي ذكرت) تفسير لاسم الاشارة (قوله وابتدأ) أشار بذلك إلى أن جملة جزاؤهم جهنم مستأنفة وهو صادق بأن يكون جزاؤهم مبتدأ وجهنم خبرا وبالعكس ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول (قوله بما كفروا) الباء سببية ومامصدرية أي بسبب كفرهم واتخاذهم (قوله في علم الله) أي قبل أن يخلقوا وهو جواب عما يقال إنهم يدخلونها في المستقبل فلم عبر بالماضي ؟ . فأجاب بأن المراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم فهو نظير قوله تعالى ـ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى ـ الآية (قوله هو وسط الجنة) إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات أو بفتحها بمعنى خيارها . قال كعب : ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والفردوس الجنة من الكرم خاصة أوماغالبها كرم ، واختلف فيه فقيل هو عربي ، وقيل أعجمي ، وقيل هو رومي ، وقيل فارسي ، وقيل سرياني (قوله منزلا) أي وقيل هو مايهيأ للضيف (قوله خالدين) حال مقدرة (قوله لايبغون) حال أخرى (قوله تحولا) أي انتقالا عنها إلى غيرها لأن فيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين (قوله لوكان البحر مدادا) سبب نزولها أن اليهود قالت يامحمد إننا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير فكيف تقول : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ، وقصدهم بذلك الانكار عليه وإثبات الفضل لهم

(فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) بطلت (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) أي لا نجعل لهم قدراً (ذَٰلِكَ) أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره وابتدأ (جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا) أي مهزوءا بهما (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ) في علم الله (جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ) هو وسط الجنة وأعلاها والاضافة إليه للبيان (نُزُلًا) منزلا (خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ) يطلبون (عَنْهَا حِوَلًا) تحولاً إلى غيرها (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ) أي ماؤه (مِدَادًا) هو مايكتب به (لِكَلِمَاتِ رَبِّي) الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به (لَنَفِدَ الْبَحْرُ) في كتابتها (قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ) بالتاء والياء تفرغ (كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ) أي البحر (مَدَدًا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي ونصبه على التمييز (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) آدمي (مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) أن المكفوفة بما باقية على مصدريتها ، والمعنى يوحى إلي وحدانية الإله (فَمَنْ كَانَ يَرْجُو) يأمل (لِقَاءَ رَبِّهِ) بالبعث والجزاء (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ) أي فيها بأن يرائي (أَحَدًا) .

(قوله أي ماؤه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله لكلمات ربي) أي النفسية القائمة بذاته ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة ويكون المراد بعدم تناهيها باعتبار مدلولاتها (قوله لنفد البحر) أي فرغ (قوله قبل أن تنفد) إن قلت إن الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها لأن مقتضى قوله ـ قبل أن تنفد كلمات ربي ـ أنها تفرغ بعد فراغ المداد . وأجيب بأن قبل بمعنى غير (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لنفد) قدره إشارة إلى أن لوشرطية جوابها محذوف ، ويوضح هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان : ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله (قوله ونصبه) أي مدادا وقوله على التمييز أي لمثل (قوله باقية على مصدريتها) أي لما وإن كفتها عن العمل لاتخرجها عن المصدرية (قوله والمعنى) أي المأخوذ من التركيب (قوله عملا صالحا) أي بشروطه وأركانه (قوله بأن يرائي) هذا قدر زائد على التوحيد والعمل وحينئذ فيكون بيانا للايمان الكامل الذي يرقى به صاحبه للمراتب العلية واللقى خاص وإلا فالمراتب ثلاث : من أراد بعمله الحظ الفاني فهو في أدنى المراتب ، ومن أراد به الخوف من العقاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه ، ومن أراد وجه الله فهو في أعلى المراتب .

(سورة

[سورة مريم مكية] سميت بذلك لذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها وفى بعض النسخ عليها السلام ولاضرر فيها وإن كان المقصود ذكر اسم السورة لاالعلم المشهور ولم تذكر امرأة باسمها صريحا فى القرآن إلا مريم فذكرت فيه فى ثلاثين موضعا ، وحكمة ذلك التبكيت لمن يزعم من الكفار أنها زوجة الله لأن العظيم يأنف من ذكر زوجته باسمها فكأن الله يقول لهم لوكان ماتزعمون حقا ماصرحت باسمها (قوله أو إلا فخلف من بعدهم خلف الخ) تحصل أن الأقوال ثلاثة : قيل مكية بتمامها ، وقيل المدنى منها آية السجدة فيها ، وقيل المدنى منها آيتان قوله : فخلف من بعدهم خلف إلى قوله : شيئا (قوله كهيعص) اعلم أن الكاف والصاد يمدان لازما باتفاق السبعة وهو قدر ثلاث ألفات والهاء والياء يمدان مدا طبيعيا باتفاقهم وهو قدر ألف ويجوز فى العين المد اللازم المذكور والقصر بقدر ألفين قراءتان سبعيتان ويتعين فى النون من عين إخفاؤها فى الصاد وغنتها وفتح العين ويجوز فى الدال الإظهار والادغام فى ذال ذكر والقراءتان سبعيتان (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا هوالحق ، وللسلف أقوال أخر منها ماقاله ابن عباس أنه اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن ، وقيل هو اسم الله الأعظم ولذا يذكره العارفون فى أحزابهم كالسيد إبراهيم الدسوقى وأبى الحسن الشاذلى ، وقيل هو اسم السورة ، وقيل قسم أقسم الله به وعن الكلبى هوثناء أثنى الله به

(سورة مريم)

مكية ، أو إلا سجدتها فمدنية ، أو إلا : فخلف من بعدهم خلف الآيتين فمدنيتان وهى ثمان أو تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . كۤهيٰعۤصۤ) الله أعلم بمراده بذلك هذا (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ) مفعول رحمة (زَكَرِيَّا) بيان له (إِذْ) متعلق برحمة (نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً) مشتملا على دعاء (خَفِيًّا) سرا جوف الليل لأنه أسرع للإجابة (قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ) ضعف (الْعَظْمُ) جميعه (مِنِّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ) منى (شَيْبًا) تمييز محول عن الفاعل أى انتشر الشيب فى شعره كما ينتشر شعاع النار فى الحطب وإنى أريد أن أدعوك (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ) أى بدعائى إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أى خائبا فيما مضى فلا تخيبنى فيما يأتى (وَإِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ) أى الذين يلونى فى النسب ،

على نفسه ، وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده ، فكل حرف يشير لمعنى من هذه المعانى ، وقيل غير ذلك (قوله هذا) قدره إشارة إلى أن ذكر خبر لمحذوف (قوله ذكر رحمت) هومصدرمضاف لمفعوله والفاعل محذوف أى ذكر الله رحمته عبده زكريا (قوله مفعول رحمة) أى ورحمة من إضافة المصدر لفاعله وهذه التاء لاتمنع عمل المصدر لأنها من بنية الكلمة لاللوحدة ، ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها لعبده زكريا بمعنى عامله بالرحمة والنعمة لابالغضب والنقمة وليس المراد بالذكر حقيقته وهو ضد النسيان لأنه مستحيل (قوله متعلق برحمة) أى على أنه ظرف له أى رحمة الله إياه وقت أن ناداه (قوله مشتملا على دعاء) أى وهوقوله : رب إنى وهن العظم إلى قوله : واجعله رب رضيا ، فجملة النداء ثمان جمل والدعاء منه هوقوله : فهب لى من لدنك الخ (قوله جوف الليل) أى فى جوفه (قوله لأنه أسرع للاجابة) أى ماذكر من كونه خفيا حاصلا فى جوف الليل فتحصل أن إخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من أسباب الاجابة سيما إذا كان فى جوف الليل (قوله قال رب) أى يامالكى ومربى (قوله وهن) من باب وعد بفتح الهاء للسبعة وقرئ بضمها وكسرها (قوله جميعه) أشار بذلك إلى أن أل فى العظم للاستغراق (قوله أى انتشر) أشار بذلك إلى أن فى اشتعل استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار فى الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع أن كلا يضعف مانزل به وأعاد الضمير على الرأس مذكرا لأنها تذكر لاغير (قوله وإنى أريد أن أدعوك) تمهيد لقوله ولم أكن الخ (قوله أى بدعائى إياك) أشار بذلك إلى أن دعاء مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف (قوله فيما مضى) أى أنت قد أجبتنى فى الزمان الماضى حال شبوبيتى وعودتنى منك الإحسان والاجابة فلا تخيبنى فيما يأتى فى حال شيخوختى (قوله وإنى خفت الموالى) جمع مولى وهو العاصب .

(قوله كبنى العم) أى لأنهم كانوا شرار بنى إسرائيل فخاف أن يبدلوا دينهم (قوله من ورائى) متعلق بمحذوف أى جور الموالى من ورائى (قوله على الدين) متعلق بخفت (قوله من تبديل الدين) بيان لما (قوله وكانت امرأتى) أى وهى إشاع أخت حنة كانتا بنتا فاقود فولد لاشاع يحيى ولحنة مريم (قوله لاتلد) أى لم تلد أصلا لافى صغرها ولا فى كبرها (قوله وبالرفع صفة وليا) هى سبعية أيضا وهى أظهر معنى لأنها تفيد أن هذا الوصف من جملة مطلوبه (قوله العلم والنبوة) أى لا المال لأن الأنبياء لايورثون درهما ولا دينارا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله ولاينافيه ماتقدم فى سورة آل عمران من أنه من كلام الملائكة لأنه يمكن أن يكون الخطاب وقع مرتين أو المعنى على لسان الملائكة (قوله الحاصل به) نعت للابن (قوله إنا نبشرك بغلام) بين هذه البشارة ووجود الولد فى الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة (قوله اسمه يحيى) إنما سماه بذلك، لأن رحم أمه حيى به بعد موته بالعقم أو لحياة القلوب به وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وتقول فى تثنيته يحييان رفعا ويحيين نصبا وجرا وتقول فى جمعه للسلامة يحيون رفعا ويحيين نصبا وجرا (قوله أى مسمى بيحيى) أى لم يسم يحيى قبله (قوله كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك بحسب العادة لا بحسب القدرة الالهية أو استفهام تعجب وسرور فى هذا الأمر العجيب (قوله وكانت امرأتى عاقرا) أى ولم تزل (قوله يبس) بالياء المثناة بعدها باء موحدة من اليبس يقال عتا العود بمعنى يبس وجف ومعناه هنا يبس العظم والعصب والجلد (قوله عتوو) هو بضمتين وواوين (قوله كسرت التاء الخ) اشتمل كلامه على أربع إعمالات فى

(٣٠)

كبنى العم (مِنْ وَرَائِى) أى بعد موتى على الدين أن يضيعوه كما شاهدته فى بنى إسرائيل من تبديل الدين (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) لاتلد (فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ) من عندك (وَلِيًّا) ابنا (يَرِثُنِي) بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة وليا (وَيَرِثُ) بالوجهين (مِنْ آلِ يَعْقُوبَ) جدى العلم والنبوة (وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) أى مرضيًّا عندك، قال تعالى فى إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته (يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ) يرث كما سألت (اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا) أى مسمى بيحيى (قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) من عتا: يبس، أى نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانيا وتسعين سنة، وأصل عتى عتوو كسرت التاء تخفيفاً وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء (قَالَ) الأمر (كَذَٰلِكَ) من خلق غلام منكما (قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) أى بأن أرد عليك قوة الجماع وأفتق رحم امرأتك للعلوق (وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشر به (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً) أى علامة على حمل امرأتى (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أَ)نْ (لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ) أى تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (ثَلَاثَ لَيَالٍ) أى بأيامها كما فى آل عمران ثلاثة أيام (سَوِيًّا).

الكلمة كسر التاء وقلب الواو الأولى ياء وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو وسبق إحداهما حال بالسكون وإدغام الياء فى الياء وهذا على غير قراءة حفص وأما على قراءته من كسر العين اتباعاً للتاء ففيه خمس إعمالات (قوله الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) أى على لسان ملك أو إلقاء فى القلب وأما الخطاب جهرا مشافهة فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام (قوله وأفتق) من باب نصر أى أشق (قوله للعلوق) بفتح العين أى الحبل ويصح ضمها مصدر علق (قوله وقد خلقتك) الجملة حالية (قوله ولما تاقت نفسه) أى تطلعت وتشوقت وأشار بذلك إلى أن قوله قال رب اجعل لى آية مرتب على محذوف (قوله إلى سرعة المبشر به) أى بعلامة تدل على حصوله بالفعل وليس عند زكريا شك فى إجابة الله دعاءه بل قصد تعجيل المسرة ليزداد فرحا وشكرا (قوله أى تمتنع) أى قهرا بلا آفة (قوله أى بأيامها) أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ماهنا وبين آية آل عمران وحكمة ذكر الليالى هنا أن الليل سابق على النهار وهذه السورة مكية والمكى مقدم على المدنى وآل عمران مدنية فأعطى السابق للسابق والمتأخر للمتأخر.

(قوله حال من فاعل تكلم) أي ينعدم منك الكلام حال كونك سليما لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام ، ويصح أن يكون صفة لثلاث أي ثلاثا كاملات لانقص فيهن (قوله فخرج على قومه) أي متغير اللون عاجزا عن الكلام فأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك فأشار إليهم أن صلوا بكرة وعشيا (قوله من المحراب) يطلق على الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه فالمحراب المعروف الآن يوافق اللغة قديما (قوله أي المسجد) أي موضع الصلاة (قوله وكانوا ينتظرون فتحه) أي فكان هو مقيما به ولايفتحه إلا وقت الصلاة ولا يدخلونه إلا باذنه (قوله أشار إليهم) أي بأصبعه وقيل كتب لهم (قوله أوائل النهار وأواخره) أي فالمراد بالصلاة فى هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر والمعنى صلوا صلاتكم على عادتكم ولا تنتظرونى أكلمكم بل دعونى وحالى (قوله فعلم) أي زكريا (قوله وبعد ولادته الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله يايحيى الخ مرتب على محذوف (قوله قال تعالى له) أي على لسان الملك (قوله خذ الكتاب) أي اعمل بأحكامه وليس المراد اشتغل بحفظه فى المكتب مثلا لأن الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله خذ الكتاب (قوله بقوة) أي بجد واجتهاد وإنما أمر بذلك لأن كلام الله عظيم جليل القدر فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه ومن هنا ينبغى لطالب العلم الجد والاجتهاد فيه ولايتراخى فى طلبه فانك إن أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه وإن أعطيته بعضك لم يعطك شيئا منه ، ولذا قال الامام الشافعي رضي الله عنه :

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عنها مجبرا ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان

(٣١)

حال من فاعل تكلم أي بلا علة (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) أي المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة (فَأَوْحَى) أشار (إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا) صلوا (بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أوائل النهار وأواخره على العادة ، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيى ، وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ) أي التوراة (بِقُوَّةٍ) بجد (وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ) النبوة (صَبِيًّا) ابن ثلاث سنين (وَحَنَانًا) رحمة للناس (مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (وَزَكَاةً) صدقة عليهم (وَكَانَ تَقِيًّا) روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ) أي محسنا إليهما (وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا) متكبرا (عَصِيًّا) عاصيا لربه (وَسَلَامٌ) منا (عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) أي فى هذه الأيام المخوفة التى يرى فيها مالم يره قبلها فهو آمن فيها (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ) القرآن (مَرْيَمَ) أي خبرها ،

ولم يأمر الله سيدنا محمدا بتلقى ما أوحى إليه بقوة لأن الله أعطاه عزما وقوة عظيمة فلم يحتج للأمر بذلك بل قيل له : إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا (قوله ابن ثلاث سنين) أي فأحكم الله عقله وقوى فهمه وقولهم النبوة على رأس الأربعين محله فى غير يحيى وعيسى على مايأتى وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها وأما النبوة فتأخرت للأربعين كغيره (قوله وحنانا) أي رحمة ورقة فى قلبه وتعطفا على الناس (قوله صدقة عليهم) أي توفيقا للتصدق وقيل المراد بالزكاة طهارته من الأوساخ أو طهارة من اتبعه أو المراد أن الله تصدق به على والديه (قوله وكان تقيا) أي مجبولا على التقوى ومن جملة تقواه أنه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لدمعه مجار على خده (قوله ولم يهم بها) أي لم تخطر بباله ولاخصوصية له بذلك بل جميع الأنبياء كذلك (قوله عاصيا لربه) أشار بذلك إلى أن المبالغة ليست مرادة بل المنفى أصل العصيان لاالمبالغة فيه (قوله وسلام عليه) أي أمان له من المخاوف ونكر هنا وعرف فى قصة عيسى لأن ماهنا حاصل من الله والقليل منه كثير وماذكر فى قصة عيسى أل فيه للعهد أي السلام المعهود وهو الكائن من الله (قوله يوم ولد) أي من أن يناله الشيطان بمكروه (قوله ويوم يموت) أي من عذاب القبر (قوله ويوم يبعث حيا) أي من هول الموقف ولاينافى هذا ماورد «أن الأنبياء يوم القيامة يجثون على الركب ويقولون رب سلم سلم» لأن جلال الله محيط بهم فهم خائفون من هيبته وجلاله لامن عذابه وعقابه لصدق وعد الله فى تأمينهم فلايخلف وعده . بقى شىء آخر وهو أنه ورد أن يحيى قتل فى حياة والده فكيف ذلك مع طلبه ولدا يرثه وإجابة الله له بقوله كذلك هو على هين . أجيب بأن هذه الرواية ضعيفة والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل وحينئذ فقد سقط السؤال والجواب (قوله واذكر فى الكتاب مريم) أي قصة ولادتها لعيسى وحملها به فانها من الآيات الكبرى وتقدم أن معنى مريم العابدة خادمة الرب (قوله القرآن) أشار بذلك إلى أن أل فى الكتاب للعهد .

(قوله إذ انتبذت) ظرف لمحذوف قدره المفسر بقوله أى خبرها وهو بدل اشتمال وليس المراد خصوص الخبر الواقع فى وقت الانتباذ بل هو ومابعده إلى آخر القصة (قوله أى اعتزلت فى مكان) أشار بذلك إلى أن مكانا منصوب على الظرفية ويصح أن يكون مفعولا به على أن معنى انتبذت أتت مكانا (قوله من الدار) أى دار زوج خالتها وهو زكريا القيم عليها ، وفى بعض النسخ أو شرق بيت القدس أى فقوله فى الآية شرقيا يحتمل أن يكون شرقيا من دارها أو من بيت القدس (قوله أوتغتسل من حيضها) أى لأنها كانت تتحوّل من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت وقد حاضت قبل حملها بعيسى مرتين (قوله روحنا) سمى بذلك لأن الله أحيا به القلوب والأديان كما أن الروح به حياة الأجساد أو كناية عن محبة الله له كما يقول الانسان لمن يحبه : أنت روحى (قوله فتمثل لها) اختلف فى كيفية تمثل الملك فى غير صورته الأصلية هل تنعدم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل مع كونها باقية أو لاتنفصل وإنما تخفى عن الرائى وهو الذى ندين الله به لأن لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم (قوله بعد لبسها ثيابها) جواب عما يقال إن الملك لايدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلا عن كونها مكشوفة البدن فكيف أتى مريم وهى تغتسل . فأجاب المفسر بأنه إنما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها (قوله بشرا سويا) أى بصورة شاب أمرد معتدل الخلقة لتأنس بكلامه ولعله يهيج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها ، ولايقال إن النظر المهيج للشهوة حرام لأن ذلك إذا كان مع اختيار وأما الميل الطبيعى فلايؤاخذ به الانسان (قوله بالرحمن) خصته بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه لعدم التغيث لها من الخلق (قوله إن كنت تقيا) أى عاملا بمقتضى تقواك وإيمانك (قوله فتنتهى عنى) هو جواب الشرط وقدره فعلا مضارعا مقرونا بالفاء فهو على تقدير المبتدإ ليكون الجواب جملة اسمية حتى يسوغ اقترانه بالفاء أى فأنت تنتهى عنى

(٣١/٢)

(إذ) حين (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) أى اعتزلت فى مكان نحو الشرق من الدار (فاتخذت من دونهم حجابا) أرسلت سترا تستتر به لتفلى رأسها أو ثيابها أو تغتسل من حيضها (فأرسلنا إليها روحنا) جبريل (فتمثل لها) بعد لبسها ثيابها (بشرا سويا) تام الخلق (قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) فتنتهى عنى بتعوذى (قال إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) بالنبوة (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) بتزوج (ولم أك بغيا) زانية (قال) الأمر (كذلك) من خلق غلام منك من غير أب (قال ربك هو على هين) أى بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملى به ولكون ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (ولنجعله آية للناس) على قدرتنا (ورحمة منا) لمن آمن به (وكان) خلقه (أمرا مقضيا) به فى علمى فنفخ جبريل فى جيب درعها

(قوله رسول ربك) أى جبريل وقولهم إنّ الوحى لم ينزل على امرأة قط أى رسالة وأما بغيرها فلا مانع منه (قوله ليهب لك) بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان فعلى الأولى الاسناد لله وعلى الثانية الاسناد لجبريل لكونه سببا فيه (قوله غلاما زكيا) فيه مجاز الأول لأنه حينئذ لم يكن غلاما (قوله بتزوج) دفع به مايقال إن قولها لم يمسسنى بشر يدخل تحته ولم أك بغيا فأجاب بأن المس عبارة عن النكاح فى الحلال والزنا ليس كذلك بل يقال فجر بها وما أشبهه (قوله بغيا) لم يقل بغية لأن بغيا غالب فى النساء فأجروه إجراء حائض وطامث وعاقر أو يقال إن أصله بغويا بوزن فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وكسرت الغين لتصح الياء وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء كما قال ابن مالك :

ولا تلى فارقة فعولا أصلا ولا المفعال والمفعيلا

وهذا ليس استبعادا منها لقدرة الله وإنما هو تعجب من مخالفة العادة (قوله الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) بمنزلة العلة كأنه قيل الأمر كذلك لأنه علينا هين ولنجعله الخ (قوله على قدرتنا) أى كمال قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حوّاء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى (قوله أمرا مقضيا) أى لا يتغير ولا يتبدّل (قوله فنفخ جبريل) أى نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها ، وليس المراد أنه نفخ فى فرجها مباشرة .

(قوله درعها) أى قميصها (قوله مكانا قصيا) أى بعيدا من أهلها وهو بيت لحم فرارا من تعيير قومها بولادتها من غير زوج (قوله فأجاءها المخاض) أى ألجأها (قوله لتعتمد عليه) أى فاعتمدت عليه وقيل حضنته وكان يابسا فاخضر وأثمر لوقته (قوله فولدت) أى ببيت لحم فخافت عليه فجاءت به إلى بيت المقدس فوضعته على صخرة فانخفضت الصخرة له وصارت كالمهد وهى الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه وهو اليوم الذى يتخذه النصارى عيدا ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه فى ذلك اليوم تقدست فلذلك يغطسون فى كل ماء (قوله فى ساعة) هو الصحيح وقيل حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة، وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وسنها إذ ذاك عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة (قوله ليتنى مت قبل هذا) إنما تمنت الموت لئلا تقع المصيبة بمن تكلم فى شأنها بسوء وإلا فهى راضية بما بشرت به (قوله وكنت نسيا) بكسر النون وفتحها قراءتان سبعيتان وقوله منسيا تأكيد لنسيا (قوله فناداها) أى لما شق عليها الأمر وعلمت أنها تتهم ولابد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها. قيل أول من علم بها يوسف النجار وكان رفيقا لها يخدمان المسجد ولايعلم من أهل زمانهما أحد أشد عبادة واجتهادا منهما فبقى متحيرا فى أمرها، ثم قال لها قد وقع فى نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت أن أتكلم به أشفى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال أخبرينى يامريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الشجر بالقدرة من غير بذر ولاغيث أو تقول إن الله تعالى لايقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا (٣٣) لك لم يقدر على إنباتها قال يوسف لا أقول هذا ولكنى أقول إن الله يقدر على مايشاء يقول له كن فيكون قالت مريم ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولاأنثى فعند ذلك زال ما فى نفسه من التهمة وكان ينوب عنها فى خدمة المسجد مدة نفاسها (قوله من تحتها) بفتح الميم وكسرها قراءتان سبعيتان فعلى الأولى الفاعل هو الموصول وتحتها صلته وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر والجار والمجرور متعلق بنادى (قوله أى جبريل) تفسير لمن على الفتح وللضمير المستتر فى نادى على الكسر وقيل المنادى لها عيسى ومعنى كونه تحتها أسفل ثيابها وحينئذ فيكون قوله أن لاتحزنى إلى قوله فلن أكلم اليوم إنسيا أول كلام عيسى (قوله وكان أسفل منها) أى كان جبريل فى مكان أسفل من مريم (قوله أن لاتحزنى) يحتمل أن تكون أن مفسرة وقد وجد شرطها وهو تقدم ماهو بمعنى القول ولا ناهية وحذفت النون للجازم أو ناصبة ولا نافية وحذفت النون للناصب (قوله نهرماء) أى وجمعه سريان كرغيف ورغفان ويطلق السرى على الشريف الرئيس وأصله سريو اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء كسيد ويكون المراد به عيسى ومامشى عليه المفسر أظهر لمناسبة قوله فكلى واشربى (قوله كان انقطع) أى ثم جرى وامتلأ ماء ببركة عيسى وأمه (قوله والباء زائدة) أى ويصح أن تكون أصلية والمفعول محذوف والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لرطبا والتقدير وهزى إليك رطبا كائنا بجذع النخلة (قوله وفى قراءة بتركها) أى التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقى قراءة سبعية أيضا وهى ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط فرطبا مفعول به (قوله تمييز) أى على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر لا على الثالثة (قوله جنيا) أى تاما نضجه صالحا للاجتناء (قوله وقرى عينا) العامة على فتح القاف من قر يقر بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع من باب تعب وقرئ شذوذا بكسر القاف وهى لغة نجد بفتح العين فى الماضى وكسرها فى المضارع من باب ضرب .

درعها فأحست بالحمل فى بطنها مصورا (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ) تنحت (بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا) بعيدا من أهلها (فَأَجَاءَهَا) جاء بها (الْمَخَاضُ) وجع الولادة (إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لتعتمد عليه فولدت، والحمل والتصوير والولادة فى ساعة (قَالَتْ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا) الأمر (وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا) شيئا متروكا لايعرف ولا يذكر (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) أى جبريل وكان أسفل منها (أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) نهر ماء كان انقطع (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) كانت يابسة والباء زائدة (تَسَّاقَطْ) أصله بتاءين قلبت الثانية سينا وأدغمت فى السين وفى قراءة تركها (عَلَيْكِ رُطَبًا) تمييز (جَنِيًّا) صفته (فَكُلِي) من الرطب (وَاشْرَبِي) من السرى (وَقَرِّي عَيْنًا) بالولد تمييز محول من الفاعل أى لتقر عينك به :

(قوله أى تسكن) أى فهو من القرار بمعنى عدم الحركة ويصح أن يكون من القر وهو البرد لأن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها باردا وإذا حزن كان دمعها حارا كأنه قال اتركى الحزن وافرحى بما أعطاك ربك (قوله حذفت منه لام الفعل) أى وأصله ترأيين بهمزة هى عين الكلمة وياء مكسورة هى لامها وأخرى ساكنة هى ياء الضمير والنون علامة الرفع نقلت حركة الهمزة إلى الراء فسقطت الهمزة فتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت لالتقائهما ثم أكد بالنون وحرك بالكسر ففيه ست إعمالات نقل الحركة وسقوط الهمزة وقلب الياء ألفا وحذفها وتأكيده بالنون وتحريكه بالكسر وإن نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة أفاد المفسر منها خمسا ولم يرتبها كما يعلم بالتأمل (قوله فيسألك عن ولدك) جواب عما يقال إن قولها فلن أكلم اليوم إنسيا كلام فقد حصل التناقض. فأجاب بأن المراد إذا رأيت أحدا من البشر وسألك عن أمرك فقولى الخ ويكون انشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة (قوله صوما) قيل كان فى بنى إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسى وفى هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فانه أغيظ لهم (قوله مع الأناسى) أى لامع الله كالذكر ولامع الملائكة لما ورد أنها كانت تكلم الملائكة ولاتكلم الانس والأناسى بفتح الهمزة جمع إنسى أو إنسان وأصله على هذا أناسين قلبت النون ياء وأدغمت فى الياء (قوله

أى تسكن فلا تطمح إلى غيره (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (تَرَيِنَّ) حذفت منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً) فيسألك عن ولدك (فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً) أى إمساكا عن الكلام فى شأنه وغيره من الأناسى بدليل (فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا) أى بعد ذلك (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ) حال فرأوه (قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا) عظيما حيث أتيت بولد من غير أب (يَا أُخْتَ هَارُونَ) هو رجل صالح أى يا شبيهته فى العفة (مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ) أى زانيا (وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) زانية فمن أين لك هذا الولد؟ (فَأَشَارَتْ) لهم (إِلَيْهِ) أن كلموه (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ) أى وجد (فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا . قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ) أى الإنجيل (وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ) أى نفاعا للناس إخبار بما كتب له (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) أمرنى بهما (مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي) منصوب بجعلنى مقدرا (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً) متعاظما (شَقِيًّا) عاصيا لربه ،

أى بعد ذلك) أى بعد قولها إنى نذرت للرحمن صوما (قوله فأتت به) أى فى يوم وضعه وقيل بعد أربعين يوما لما طهرت من نفاسها (قوله فرأوه) أى أبصروه (قوله قالوا) أى أهلها وكانوا أهل بيت صالحين بمصدوق قوله تعالى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض - (قوله لقد جئت) أى فعلت وأتيت (قوله فريا) من فريت الجلد قطعته أى شيئا قاطعا وخارقا للعادة ومقطعا للعرض له (قوله هو رجل صالح) أى فى بنى إسرائيل شبهت به فى عفتها وصلاحها. قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى إسرائيل كلهم يسمون هرون سوى سائر الناس (قوله ما كان أبوك) أى عمران وقوله وما كانت أمك أى حنة (قوله فأشارت إليه) أى وحينئذ غضب القوم وقالوا أتسخرين بنا ثم قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا (قوله وجد) أشار المفسر الى أن كان تامة وحينئذ فصبيا حال ويصح أن تكون ناقصة وصبيا خبرها (قوله فى المهد) قيل المراد به حجرها وقيل هو المهد بعينه ، ورد أنه لما أشارت إليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه وقال إنى عبد الله الخ (قوله عبد الله) وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ إلها وكل هذه الأوصاف تقتضى براءة أمه لأن هذه أوصاف الكاملين المطهرين من الأرجاس (قوله وجعلنى نبيا) أى فى الحال وقيل المراد سيجعلنى بعد الأربعين قولان للعلماء والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أى نفاعا للناس) أى لأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ويهدى من ضل (قوله إخبار بما كتب له) أى فالماضى بمعنى المستقبل وقيل على حقيقته (قوله أمرنى بهما) أى بفعلهما (قوله وبرا) العامة على فتح الباء وقرئ بكسرها إما على حذف مضاف أى ذابر أو مبالغة (قوله متعاظما) أى بل جعلنى متواضعا ومن تواضعه أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا .

(والسلام)

(قوله والسلام) أل فيه للعهد أى السلام الحاصل ليحيى حاصل لى فلا يقال إن يحيى سلم عليه ربه وعيسى سلم على نفسه بل هو حاك السلام عن الله (قوله ويوم أبعث حيا) هذا آخر كلامه، ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الأطفال (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله تعالى وأما كلام عيسى فقد انتهى الى قوله حيا (قوله ذلك) أى المذكور بتلك الأوصاف واسم الأشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفته وقول الحق خبر مبتدإ محذوف أى قول ابن مريم قول الحق وهو من اضافة الموصوف للصفة : أى القول الحق، والمعنى أن الموصوف بما ذكر من الأوصاف هو عيسى ابن مريم وقوله القول الحق أى الصدق المطابق للواقع (قوله وبالنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بتقدير قلت) أى فهو مصدر مؤكد لعامله (قوله والمعنى) أى على كل من القراءتين فعلى الرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق وعلى النصب يكون المعنى قلت حاكيا عن عيسى القول الحق والقائل ذلك هو الله تعالى (قوله الذى فيه يمترون) خبر لمحذوف أى هو عيسى الذى فيه يترددون ويتحيرون (قوله قالوا إن عيسى ابن الله) أى وقالوا غير هذه المقالة كما يأتى فى قوله فاختلف الأحزاب من بينهم، وإنما اقتصر على هذه هنا لأنها التى يتضح إبطالها بقوله ما كان لله الخ (قوله ما كان لله) أى لايمكن ولا يتأتى لأنه مستحيل لا تتعلق به القدرة (قوله أن يتخذ من ولد) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان، والمعنى ما كان اتخاذ الولد من صفته بل هو ٣٥ محال قال تعالى ـ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ـ (قوله عن ذلك) أى اتخاذ الولد (قوله إذا قضى أمرا) هذا كالدليل لما قبله كأنه قال إن اتخاذ الولد والسعى فى أسبابه شأن العاجز الضعيف المحتاج الذى لايقدر على شىء وأما القادر الغنى الذى يقول للشىء كن فيكون

(وَالسَّلَامُ) من الله (عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) يقال فيه ما تقدم فى السيد يحيى. قال تعالى (ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ ٱلْحَقِّ) بالرفع خبر مبتدإ مقدر أى قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت، والمعنى القول الحق (ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) من المرية أى يشكون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله، كذبوا (مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا) أى أراد أن يحدثه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن، ومن ذلك خلق عيسى من غير أب (وَأَنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ) بفتح أن بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل : ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم (هَٰذَا) المذكور (صِرَاطٌ) طريق (مُّسْتَقِيمٌ) مؤد إلى الجنة (فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ) أى النصارى فى عيسى أهو ابن الله أو إله معه أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ).

فلا يحتاج فى اتخاذ الولد إلى إحبال الأنثى وحيث أوجده بقول كن لايسمى ابنا له بل هو عبده ومخلوقه فهو تبكيت وإلزام لهم بالحجج الباهرة (قوله بتقدير أن) أى بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر (قوله وإن الله ربى وربكم) هذا من كلام عيسى سواء قرئ بكسر إن أوفتحها فهو من تعلقات قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة الخ (قوله بتقدير اذكر) أى اذكر ياعيسى أن الله الخ (قوله بتقدير قل) أى وإن تكسر بعد القول (قوله هذا صراط مستقيم) من كلام عيسى أيضا (قوله المذكور) يعنى القول بالتوحيد ونفى الولد (قوله فاختلف الأحزاب) أى أن النصارى تحزبوا وتفرقوا فى شأن عيسى بعد رفعه إلى السماء أربع فرق اليعقوبية والنسطورية والملكانية والاسلامية، لما روى أنه اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر من كل قوم عالمهم فامتروا فى شأن عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم أتباع على ماقال فاقتتلوا وظهروا على المسلمين وكفر الفرقة الأخيرة بعدم اتباعهم لنبينا صلى الله عليه وسلم من حين البعث وأما الذين اتبعوه منهم فهم الذين يعطون أجرهم مرتين كالنجاشى وأتباعه وهم الذين قال تعالى فيهم ـ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الآيات ـ .

(قوله فشدة عذاب) وقيل المراد بالويل واد فى جهنم يأكل الحجارة والحديد قوتهم فيه الجيف (قوله من مشهد يوم عظيم) يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور وهو المراد هنا وسمى بذلك لشهادة الأعضاء عليهم بما كسبوا قال تعالى ـ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ـ (قوله أسمع بهم وأبصر) هو فعل ماض جاء على صورة الأمر ومعناه التعجب ، وإعرابه أسمع فعل ماض للتعجب والباء زائدة والضمير فاعله وأبصر مثله وحذف بهم من الثانى لدلالة الأول عليه ، وليس المراد التعجب من المتكلم وهو الله لاستحالته عليه بل المراد التعجيب وهو حمل المخاطب على التعجب أى اعجبوا ياعبادى من شدة سمعهم و بصرهم فى ذلك اليوم (قوله من إقامة الظاهر مقام المضمر) أى إشارة إلى أن من اتصف بصفاتهم يسمى ظالما (قوله فى ضلال) أى خطأ وعدم اهتداء للحق (قوله به صموا) أى بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ فى الدنيا فالعجب منهم فى الحالتين شدة الاسماع والابصار فى الآخرة وضدها فى الدنيا (قوله هو يوم القيامة) أى وله أسماء كثيرة منها يوم الدين ويوم الجزاء و يوم الحساب والحاقة والقارعة واليوم الموعود وغير ذلك (قوله يتحسر فيه المسىء الخ) أى والمحسن على ترك الزيادة فى الاحسان كما فى الحديث (قوله إذ قضى الأمر) أى أحكم وأمضى ، وذلك أنه ورد «إذا استقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار يؤتى بالموت فى صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ، وينادى المنادى يا أهل الجنة خلود بلاموت ويا أهل النار خلود بلا موت فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة على حسرتهم وأهل الجنة فرحا على فرحهم» (قوله وهم فى غفلة) الجملة حالية

فشدة عذاب (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بما ذكر وغيره (مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى حضور يوم القيامة وأهواله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يَوْمَ يَأْتُونَنَا) فى الآخرة (لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ) من إقامة الظاهر مقام المضمر (الْيَوْمَ) أى فى الدنيا (فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) أى بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أى اعجب منهم يامخاطب فى سمعهم وإبصارهم فى الآخرة بعد أن كانوا فى الدنيا صما عميا (وَأَنْذِرْهُمْ) خوف يامحمد كفار مكة (يَوْمَ الْحَسْرَةِ) هو يوم القيامة يتحسر فيه المسىء على ترك الاحسان فى الدنيا (إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) لهم فيه بالعذاب (وَهُمْ) فى الدنيا (فِى غَفْلَةٍ) عنه (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد (نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) من العقلاء وغيرهم باهلاكهم (وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فيه للجزاء (وَاذْكُرْ) لهم (فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) أى خبره (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) مبالغا فى الصدق (نَبِيًّا) ويبدل من خبره (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) آزر (يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة

وكذا قوله وهم لا يؤمنون وهذا الأنذار لكل مكلف وإنما خصه المفسر بأهل مكة لأنهم سبب نزولها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله باهلاكهم) أى فلا يبقى حى سوى الله تعالى لما ورد «إن الله تعالى ينادى بعد انقراض الدنيا بأهلها لمن الملك اليوم ؟ فيجيب نفسه بقوله : لله الواحد القهار» (قوله وإلينا يرجعون) أى يردون فيجازى كل أحد بما قدمه من خير وشر ولا (قوله واذكر فى الكتاب إبراهيم) يحتمل أنه معطوف على قوله وأنذرهم يوم الحسرة ، والمعنى واذكر لأهل مكة قصة إبراهيم لعلهم يعتبرون فيؤمنوا و يحتمل أنه معطوف على قوله واذكر فى الكتاب مريم عطف قصة على قصة وهو الأقرب (قوله مبالغا فى الصدق) أى فى أقواله وأفعاله وأحواله (قوله نبيا) وصف خاص لأن كل نبى صديق ولا عكس و بين الولاية والصديقية عموم وخصوص مطلق أيضا فكل صديق ولى ولاعكس لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله و يبدل منه) أى بدل اشتمال وحينئذ فقوله إنه كان صديقا نبيا معترض بين البدل والمبدل منه (قوله لأبيه) قيل حقيقة وهو ما مشى عليه السيوطى فى سورة الأنعام تبعا للمفسر هنا ولا يضر كفر أصول الأنبياء فان الله يخرج الحى من الميت ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم «مازلت أنتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الفاخرة» لأن المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية و إن كانوا كفارا أو يقال إن آزر لم يتحقق كفره إلا بعد بعثة إبراهيم وحينئذ فقد انتقل منه النور المحمدى إلى ولده ، وهو فى حالة الفترة وقيل هو عمه واسم أبيه تارخ وسمى أبا على عادة الأكابر من تسمية العم أبا وعليه فلا يرد الحديث المتقدم وهما قولان للمفسرين (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) أى فأصله أبى فيقال فى إعرابه يا حرف نداء وأب منادى منصوب بفتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة والتاء عوض عن الياء .

(قوله ولا يجمع بينهما) أى فلا يقال يا أبتى لأن فيه الجمع بين العوض والمعوض ويقال يا أبتا لأن الألف فيه عوض عن الياء أيضا ففيه جمع بين عوضين (قوله لم تعبد ما لا يسمع) أى لأى سبب تعبد ما لاسمع فيه ولا بصر (قوله أو ضر) أى أو دفع ضرّ (قوله من العلم) أى العلم بالتوحيد والشرع (قوله فاتبعنى) أى امتثل أمرى فيما آمرك به (قوله مستقيما) أى لا اعوجاج فيه (قوله بطاعتك إياه) أى فالمراد بعبادته امتثال أمره فى عبادة الأصنام حيث حسنها له بوسوسته (قوله عصيا) أى وطاعة العاصى عصيان (قوله إنى أخاف أن يمسك عذاب) أى فى المستقبل إن لم ترجع و إنما عبر بالخوف لأنه لم يكن قاطعا بموته على الكفر بل كان مترجيا إيمانه ، وقيل المراد بالخوف العلم والأقرب الأول لأنه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا الخطاب اللطيف (قوله ناصرا وقرينا) المناسب الاقتصار على تفسيره بالقرين لأنه بعد الدخول فى العذاب لايتأتى معاونة ولا مناصرة (قوله أراغب) مبتدأ وأنت فاعل سد مسد الخبر وسوّغه اعتماده على الاستفهام وهو أولى من جعله خبرا مقدما وأنت مبتدأ مؤخرا لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو أراغب والمعمول وهو عن آلهتى بأجنبى وهو أنت لأن المبتدأ غير معمول للخبر (قوله لئن لم تنته الخ) قابل التعطف واللطافة فى الخطاب بالفظاظة والغلظة فناداه باسمه وصدر كلامه بالانكار وهدده بقوله لئن لم تنته لأرجمنك .

(٣٧)

ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام (لِمَ تَعْبُدُ مَالاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنْكَ) لايكفيك (شَيْئًا) من نفع أو ضر (يَا أَبَتِ إِنِّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَالَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَهْدِكَ صِرَاطًا) طريقا (سَوِيًّا) مستقيما (يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) بطاعتك إياه فى عبادة الأصنام (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا) كثير العصيان (يَا أَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ) إن لم تتب (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) ناصرا وقرينا فى النار (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِى يَا إِبْرَاهِيمُ) فتعيبها (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ) عن التعرض لها (لَأَرْجُمَنَّكَ) بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرنى (وَاهْجُرْنِى مَلِيًّا) دهرا طويلا (قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ) منى أى لا أصيبك بمكروه (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّى إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيًّا) من حفى أى بارا فيجيب دعائى وقد وفى بوعده المذكور فى الشعراء : واغفر لأبى ، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره فى براءة (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَأَدْعُو) أعبد (رَبِّى عَسَى) أن (لاَ أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى) بعبادته (شَقِيًّا) كما شقيتم بعبادة الأصنام (فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ) بأن ذهب إلى الأرض المقدسة (وَهَبْنَا لَهُ) ابنين يأنس بهما (إِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ) منهما (جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمْ) للثلاثة (مِنْ رَحْمَتِنَا) المال والولد (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) رفيعا هو الثناء الحسن ،

وكل إناء بالذى فيه ينضح (قوله بالحجارة) أى حتى تموت أو تخلى سبيلى (قوله أو بالكلام القبيح) أى الشتم والذم (قوله فاحذرنى) قدره إشارة إلى أن قوله واهجرنى معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه فان جملة اهجرنى إنشائية وجملة لئن لم تنته الخ خبرية ولا يصح عطف الانشاء على الخبر (قوله مليا) إما منصوب على الظرفية و إليه يشير المفسر بقوله دهرا طويلا أو على الحال من فاعل اهجرنى أى اعتزلنى سالما لايصيبك منى مضرة (قوله أى لا أصيبك بمكروه) أى فهو سلام متاركة ومقاطعة (قوله سأستغفر لك ربى) أى أطلب غفرانه لك المترتب على هدايتك و إسلامك (قوله حفيا) أى مبالغا فى إكرامى والتلطف بى والاعتناء بشأنى و يطلق الحفى على المستقصى فى السؤال ومنه قوله تعالى - كأنك حفى عنها - (قوله وهذا قبل أن يتبين له أنه عدوّ لله) هذا جواب عما يقال كيف يجوز الاستغفار للكفار . فأجاب بأنه استغفر له قبل علمه أنه عدو لله فلما علم ذلك تبرأ منه ، و بهذا تعلم أنه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر إن قصد بها هدايته و إسلامه ، فان قطع بكفره فلا يجوز (قوله وأعتزلكم) أى أرتحل من أرضكم و بلادكم وقد فعل ذلك (قوله بأن ذهب) أى من بابل العراق إلى الأرض المقدسة (قوله يأنس بهما) استفيد منه أنه رأى يعقوب وهو كذلك لما تقدم أنه بشر باسحق ومن وراء إسحق يعقوب وقد عاش إبراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة و بينه و بين آدم ألفا سنة و بينه و بين نوح ألف سنة (قوله إسحق و يعقوب) خصهما لأنه سيذكر إسمعيل بمزايا تخصه (قوله للثلاثة) أى إبراهيم وولديه (قوله المال والولد) أى فبسط لهم الدنيا ووسع لهم الأرزاق

وأكثر لهم الأولاد فجميع الأنبياء الذين جاءوا بعده من ذريته (قوله في جميع أهل الأديان) أي كل أهل دين يترضون عن إبراهيم وإسحق ويعقوب ويذكرونهم بخير إلى يوم القيامة (قوله واذكر في الكتاب موسى) معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف قصة على قصة . والحاصل أن الله تعالى ذكر في هذه السور أسماء عشرة من الأنبياء زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسمعيل وموسى وهرون وإدريس ، وذكر لكل أوصافا ومناقب يجب الإيمان بها تنبيها على عظيم شأنها وتعليما للأمة المحمدية ليقتدوا بهم ، وكذا يقال في جميع قصص الأنبياء المذكورة في القرآن (قوله بكسر اللام وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من أخلص في عبادته) أي لم يلتفت لغير مولاه وهذا راجع لقراءة الكسر (قوله وأخلصه الله) أي صفاه ونقاه وهو راجع لقراءة الفتح فيكون لفا ونشرا مرتبا ، فموسى عليه السلام صفاه مولاه واختاره لخدمته ومحبته فتسبب عن ذلك إخلاصه في عبادته (قوله وكان رسولا نبيا) أي ثبت واستقر أزلا في علمنا نبوته ورسالته وإلا فرسالته الخارج حين المناداة (قوله بقول ياموسى) أي في سورة القصص في قوله تعالى ـ فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ـ الآيات (قوله اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر (قوله الذي يلي يمين موسى) هذا صريح في أن المراد به الطور الذي عند بيت المقدس لا الطور الذي عند السويس لأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد والأيمن صفة للجانب بدليل تبعيته له في الاعراب في قوله تعالى ـ وواعدناكم جانب الطور الأيمن ـ والمعنى أنه سمع النداء في ذلك المكان بجميع أجزائه من كل جهة (قوله وقربناه) أي تقريب شرف ومكانة لامكان (قوله من كل جهة) أي بكل جارحة (قوله بدل أو عطف بيان) أي وأخاه مفعول به وقوله من رحمتنا أي من أجل رحمتنا (قوله هي المقصودة بالهبة) جواب عما يقال ما معنى هبته له مع كونه أسن منه والموهوب يكون متأخرا عن الموهوب له . فأجاب بأن المراد جعله نبيا يعينه هو ويشد عضده (قوله إجابة لسؤاله) تعليل لقوله وهبنا حيث قال ـ واجعل لي وزيرا من أهلي ـ (قوله وكان أسن منه) أي بسنة وقيل بأربع سنين (قوله إسمعيل) أي ابن إبراهيم وكان من هاجر جارية سارة التي وهبتها له فلما ولدت له اسمعيل نقلها إلى الحجاز قبل بناء البيت ، فتربى إسمعيل بين جرهم عرب من اليمن فزوجوه منهم ، فلما كبر أرسله الله إليهم كما قال المفسر ثم تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاه بهذا فخرا ، ولما كان أعظم مزية من أولاد إبراهيم أفرده بالذكر والثناء (قوله صادق الوعد) خص بهذا الوصف وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء لأنه المشهور بين خصاله (قوله وانتظر من وعده) أي شخصا وعده إسماعيل وكان عليه إبراز الضمير لأن الصلة جرت على غير من هي له ، والمعنى أن إسماعيل وعد شخصا أن ينتظره في مكان ليذهب الرجل ويأتي له فمكث ثلاثة أيام أوحولا (قوله وكان رسولا) أي بشريعة أبيه (قوله قلبت الواوان الخ) أي فوقعت الواو الثانية متطرفة قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ، وهذا الوصف جامع لكل خير لأن من كانت أفعاله مرضية لربه لايصدر عنه إلا كل بر وإحسان ولاشك أن الأنبياء كذلك لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته (قوله إدريس) هذا لقبه واسمه أخنوخ بن شيث بن آدم ، ولقب بذلك لأنه أول من درس الكتب ، لأن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هي التي نزلت على أبيه وقيل غيرها ، وهو أول من خط بالقلم وخاط الثياب واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر في علم النجوم والحساب

في جميع أهل الأديان (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا) بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وأخلصه الله من الدنس (وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا . وَنَادَيْنَاهُ) بقول : ياموسى إني أنا الله (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (الْأَيْمَنِ) أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) مناجيا بأن أسمعه الله تعالى كلامه (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا) نعمتنا (أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (نَبِيًّا) حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه ، وكان أسن منه (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) لم يعد شيئا إلا وفى به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع إليه في مكانه (وَكَانَ رَسُولًا) إلى جرهم (نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أي قومه (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) أصله مرضوو قلبت الواوان ياءين والضمة كسرة (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ) ،

(قوله هو جد أبي نوح) لأن نوحا بن لمك بفتح اللام وسكون الميم ابن متوشلخ بن إدريس (قوله ورفعناه مكانا عليا) اختلف المفسرون فى المكان العلىّ ، فقيل المراد به المكان المعنوى وهو الرفعة وعلوّ المنزلة ، وقيل المراد به المكان الحسى ، وعليه فقيل هو السماء الرابعة ، وقيل الجنة . واختلفوا فى سبب رفعه ، فقيل إنه كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لجميع أهل الأرض فى زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ثلاث ليال فأنكره إدريس وقال له فى الليلة الثالثة إنى أريد أن أعلم من أنت ؟ قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أصحبك فقال إدريس لى إليك حاجة قال ماهى ؟ قال تقبض روحى ، فأوحى الله إليه أن اقبض روحه فقبضها وردّها إليه فى ساعة ، فقال له ملك الموت ماالفائدة فى سؤالك قبض الروح ؟ قال لأذوق الموت وغمته فأكون أشدّ استعدادا ، ثم قال له إدريس إن لى إليك حاجة قال وماهى ؟ قال ترفعنى إلى السماء لأنظر إليها و إلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لى إليك حاجة قال وما تريد ؟ قال تسأل مالكا حتى يفتح أبوابها ففعل ، فقال له كما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود إلى مقرّك فتعلق بشجرة وقال ماأخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لاتخرج ؟ قال لأن الله تعالى قال : كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال : و إن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال : وماهم منها بمخرجين ولست أخرج ، فأوحى الله إلى ملك الموت باذنى دخل الجنة و بأمرى لايخرج منها فهو حىّ هناك . وقيل سببه أنه نام ذات يوم فاشتدّ عليه حرّ الشمس فقال اللهم خفف عن ملك الشمس وأعنه فانه يمارس نارا حامية فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسى من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه ومثلها عن يساره يخدمونه و يتولون عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من أين لى هذا ؟ قال دعا لك رجل من بنى آدم يقال له إدريس فقال يارب اجعل بينى و بينه خلة فأذن له فى ذلك فصار يتردّد على إدريس، فقال له إنك أكرم الملائكة عند ملك الموت فاشفع لى عنده ليؤخر أجلى فأزداد عبادة وشكرا ، فقال الملك لايؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، فرفعه فى مكانه ثم أتى ملك الموت فقال له لى صديق من من بنى آدم يتشفع بى إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إلىّ ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه ، قال نعم فنظر فى ديوانه فقال إنك كلمتنى فى إنسان يموت الساعة عند مطلع الشمس قال إنى أتيتك وتركته هناك فانطلق فوجده قد مات ثم أحياه الله فهو يرفع فى الجنة تارة و يعبد الله مع الملائكة فى السماء الرابعة تارة أخرى . قال العلماء : أربعة من الأنبياء أحياء اثنان فى الأرض وهما الخضر و إلياس واثنان فى السماء وهما عيسى و إدريس (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على الأنبياء المذكورين فى هذه السورة وهم عشرة أوّلهم زكريا وآخرهم إدريس كما تقدم (قوله صفة له) أى لاسم الاشارة أى أولئك الموصوفون بانعام الله عليهم ، وذلك أن الله لما وصف كلا من الأنبياء بأوصاف تخصه أوّلا ذكر ثانيا لهم صفة تعمهم (قوله بيان لهم) أى للنعم عليهم (قوله أى إدريس) تفسير للذرية أى إن إدريس من ذرّية آدم لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم (قوله وممن حملنا) أى ومن ذرية من حملنا (قوله أى إبراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح لأن من حمل معه أولاده الثلاثة وابراهيم من ذرية أحدهم وهو سام لكن بوسائط فان بين إبراهيم ونوح عشرة قرون (قوله وعيسى) أى فأولاد البنات من الذرية . والحاصل أن من ذرية آدم لصلبه إدريس ومن ذرّية نوح بوسائط إبراهيم ومن ذريته إسماعيل وإسحق و يعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى .

هو جد أبي نوح (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو حى فى السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو فى الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيى ولم يخرج منها (أُولَٰئِكَ) مبتدأ (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) صفة له (مِنَ النَّبِيِّينَ) بيان له وهو فى معنى الصفة وما بعده إلى جملة الشرط صفة للنبيين ، فقوله (مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ) أى إدريس (وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) فى السفينة أى إبراهيم ابن ابنه سام (وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) أى إسمعيل و إسحق و يعقوب (وَ) من ذرية (إِسْرَائِيلَ) وهو يعقوب ، أى موسى وهرون وزكريا ويحيي وعيسى ،

(قوله وممن هدينا) عطف على من ذرية آدم زيادة فى تمجيدهم (قوله خرّوا سجدا وبكيا) أى أن الأنبياء إذا سمعوا آيات الله التى خصهم بها من الكتب المنزلة عليهم سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا (قوله وباك) أى على غير قياس وقياسه بكاة كقاض وقضاة (قوله فكونوا مثلهم) أى فى السجود والخشوع والخضوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما فى الحديث «اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا» (قوله فخلف من بعدهم) أى وجد من بعد النبيين (قوله خلف) هو بالسكون فى الشر وبالفتح فى الخير يقال خلف سوء وخلف صدق (قوله هو واد فى جهنم) أى تستعيذ من حرّه أوديتها (قوله إلا من تاب) قدّر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن المستثنى المؤمنون والمستثنى منه الكفار (قوله بدل من الجنة) قال بعضهم إنه بدل كل من بعض لأن الجنة بعض الجنات . ورد بأن أل فى الجنة جنسية فهو بدل كل من كل (قوله أى غائبين عنها) أى غير مشاهدين لها لأن الوعد حاصل فى الدنيا ومن فيها لايشاهد الجنة (قوله أى موعوده) أى الذى وعد به من الجنة وغيرها (قوله بمعنى آتيا) أى فاسم المفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله أوموعوده الخ) أشار لتفسير آخر وعليه فاسم المفعول باق على ماهو عليه وحينئذ فيكون المراد بالموعود خصوص الجنة (قوله لغوا) هو الكلام الزائد المستغنى عنه

(وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) أى من جملتهم ، وخبر أولئك (إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) جمع ساجد وباك أى فكونوا مثلهم وأصل بكىّ بكوى قلبت الواو ياء والضمة كسرة (فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) بتركها كاليهود والنصارى (وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) من المعاصى (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) هو واد فى جهنم أى يقعون فيه (إِلَّا) لكن (مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ) ينقصون (شَيْئًا) من ثوابهم (جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة بدل من الجنة (الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) حال أى غائبين عنها (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ) أى موعوده (مَأْتِيًّا) بمعنى آتيا وأصله مأتوى أو موعده هنا الجنة يأتيه أهله (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) من الكلام (إِلَّا) لكن يسمعون (سَلَامًا) من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض (وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) أى على قدرهما فى الدنيا وليس فى الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ) نعطى وننزل (مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) بطاعته ، ونزل لما تأخر الوحى أياما وقال النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل : ما يمنعك أن تزورنا ،

(قوله لكن يسمعون سلاما) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن السلام ليس من جنس اللغو (قوله وليس فى الجنة نهار ولا ليل) أى وإنما يعرفون الليل بارخاء الحجب وغلق الأبواب والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روى وليس معرفة الليل الاستراحة فيه والنوم إذ لانوم ولا تعب فيها بل ذلك على عادة الملوك فى الدنيا من تهيئة تحف فى الصباح والمساء ليتم نظامهم (قوله تلك الجنة)

أكثر

اسم الاشارة عائد على الجنة فى قوله : فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئا وأتى باسم الاشارة البعيد إشارة لعلو رتبتها ورفيع منزلتها (قوله نورث من عبادنا) عبر بالميراث إشارة إلى أنهم يعطونها عطاء لايرد ولا يبطل كالميراث (قوله من كان تقيا) أى سعيدا وهو من مات على كلمة الاخلاص ولومصرا على الكبائر فمآله للجنة وإن أدخل النار وعذب فيها بقدر جرمه لأن الجنة جعلت مسكنا للموحدين والنار جعلت مسكنا للمشركين ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى فى سورة فاطر ـ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ـ إلى أن قال ـ جنات عدن يدخلونها ـ وقوله صلى الله عليه وسلم «من مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر» ولكن الجنة مراتب ودرجات على حسب التفاوت فى الأعمال الصالحة (قوله بطاعته) أى ولو بمجرد الاسلام (قوله ونزل لما تأخر الوحى) أى حين سأله اليهود عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فتأخر جبريل حتى شقّ على النبىّ صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أربعين يوما ، وقيل خمسة عشر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت علىّ حتى ساءنى واشتقت إليك فقال له جبريل إنى كنت أشوق ولكنى عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست .

(قوله أكثر مما تزورنا) هذا عتاب من رسول الله لجبريل كأنه قال له إن شوقي إليك في ازدياد فكان الرجاء فيك الزيارة لا الهجر (قوله وما نتنزل إلا بأمر ربك) هذا على لسان جبريل أمره الله تعالى بذلك اعتذارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابا لسؤاله المذكور والتنزل النزول شيئا فشيئا (قوله من أمور الآخرة) بيان لما و يصح أن يحمل قوله مابين أيدينا على ما يأتي ، وقوله وماخلفنا على ماسبق ، وقوله ومابين ذلك على الحالة الراهنة (قوله له علم ذلك جميعه) أي تفصيلا ، وأما علم بعضه إجمالا فيكون لبعض الحوادث كالأنبياء والأولياء بإلهام من الله تعالى ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه إلا ما أذن لهم فيه ، إذا علمت ذلك فالتشدق بالتجرؤ على المغيبات من الضلال المبين لأنه لو استند لقواعد فهي كاذبة ولو صادفت الحق بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم « كذب المنجمون ولو صدقوا » و إن استند لكشف فصاحبه لا يطلع إلا على بعض جزئيات ومع ذلك هو مأمور بكتمها لأن الله قال لنبيه على لسان جبريل ـ له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ـ فكيف بغيره من آحاد الخلق (قوله أي تاركا لك) أي إن عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركا لك وهجرانا، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ـ ما ودعك ربك وما قلى ـ (قوله هو) قدره إشارة إلى أن ربّ خبر لمحذوف (قوله فاعبده) أي دم على عبادته ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفرة (قوله أي مسمى بذلك) أي بلفظ الجلالة أو برب السموات والأرض وقيل معنى سميا مثلا يستحق أن يسمى إلها واحدا يسمى بالله فإن المشركين و إن سموا الصنم إلها لم يسموه الله قط لظهور أحديته وأنه ربّ السموات والأرض وما بينهما. قال تعالى ـ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ـ وقد ورد أن امرأة سمت ولدها الله فنزلت عليه نار فأحرقته ـ (قوله المنكر للبعث) أشار بذلك إلى أن المراد بالانسان

(٤١)

أكثر مما تزورنا (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) أي أمامنا من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَنَا) من أمور الدنيا (وَمَا بَيْنَ ذٰلِكَ) أي ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أي له علم ذلك جميعه (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) بمعنى ناسيا أي تاركا لك بتأخير الوحي عنك ، هو (رَبُّ) مالك (السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) أي اصبر عليها (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أي مسمى بذلك ؟ لا (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ) المنكر للبعث أبيّ بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أَءِذَا) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها و إدخال ألف بينها بوجهيها و بين الأخرى (مَا مُتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي أي لا أحيا بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام وردّ عليه بقوله تعالى (أَوَلَا يَذَّكَّرُ الْإِنْسَانُ) أصله يتذكر أبدلت التاء ذالا وأدغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف (أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) فيستدل بالابتداء على الاعادة (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ) أي المنكرين للبعث (وَالشَّيَاطِينَ) أي نجمع كلا منهم وشيطانه في سلسلة (ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ) من خارجها (جُثِيًّا) على الركب جمع جاث وأصله جثوو أو جثوي من جثا يجثو أو يجثي لغتان (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) فرقة منهم (أَيُّهُمْ

خصوص الكافر المنكر للبعث (قوله أو الوليد) أو لتنويع الخلاف في المراد بالانسان الذي قال تلك المقالة وفي الحقيقة كل من الشخصين قد قالها (قوله أئذا) منصوبة بقوله أخرج حيا ، ولا يقال إن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لأن ذلك في لام الابتداء وأما هذه فهي زائدة كما قال المفسر (قوله و إدخال ألف بينها) أي الثانية وقوله و بين الأخرى : أي الأولى . وكان المناسب أن يقول وتركه فتكون القراآت أربعا وهي سبعيات (قوله أولا يذكر) الاستفهام للتوبيخ (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله من قبل) أي من قبل بعثه (قوله فيستدلّ بالابتداء على الاعادة) أي لأنها أهون . قال تعالى ـ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ـ (قوله فوربك) أضاف اسمه تعالى إليه صلى الله عليه وسلم تشريفا وتعظيما (قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا) أي وهو الموقف (قوله وأصله جثوو) أي بواوين قلبت الثانية ياء لتطرفها فاجتمعت مع الواو الساكنة قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله أو جثوي) أي بياء بعد الواو قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وعلى كل كسرت الثاء لتصح الياء (قوله ثم لننزعن من كل شيعة) أي من كلّ أمة (قوله أيهم) موصولة بمعنى الذي بنيت على الضم لاضافتها وحذف صدر صلتها وقوله أشدّ خبر لمحذوف والجملة صلتها وهي وصلتها في محل نصب مفعول لننزعن وعتيا تمييز محول

فعن المبتدإ المحذوف : أى عتوه أشد، والمعنى أنه يميز طوائف الكفار فيطرح الأعتى فالأعتى على الترتيب لأن عذاب الضال المضل يكون فوق عذاب من يضل تبعا لغيره وليس عذاب من يتمرد و يتجبر كعذاب المقلد (قوله صليا) بضم الصاد وكسرها قراءتان سبعيتان جمع صال كجثيا جمع جاث (قوله فنبدأ بهم) أى بالذين هم أولى بها (قوله من صلى بكسر اللام) أى كرضى ، وقوله وفتحها : أى كرمى (قوله و إن منكم إلا واردها) أى مسلما أو كافرا . والحاصل أنه اختلف المفسرون فى المراد بالورود فقيل الدخول ، وقيل الحضور معها فى الموقف والذى عوّل عليه الأشياخ أن المراد به المرور على الصراط وهو على ظهرها أحدّ من السيف وأرق من الشعرة و يتسع للمؤمن بقدر عمله ومن هنا تقول النار للمؤمن جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبى وهم فى المرور مختلفون لما فى الحديث « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البصر ثم كالريح ثم كعدو الفرس ثم كالراكب المجد ثم كشد الرجل فى مشيه » (قوله أى داخل جهنم) أى وتسكون على المؤمنين ولو ماتوا عصاة غير من تحقق فيهم الوعيد برداوسلاما لدخولهم فيها وهى خامدة فلايشعرون بها (قوله كان) أى الورود (قوله حتما مقضيا) أى بمقتضى حكمته لا بإيجاب عليه (قوله ثم ننجى الذين اتقوا) أى نخرجهم منها من غير أن يمسهم عذابها وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد أو بعد العذاب وهم من نفذ فيهم الوعيد (قوله ونذر الظالمين) أى نتركهم فيها على سبيل الخلود ، وقوله جثيا حال من الظالمين (قوله و إذا تتلى عليهم الخ) أى حين نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم آيات القرآن وتلاها على المؤمنين والكافرين وعجزوا عن معارضتها أخذ أغنياء الكفار فى الافتخار على فقراء المؤمنين بمالهم من حظوظ الدنيا حيث قالوا لهم انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم و إلى مجالسنا فتروها أحسن من مجالسكم نجلس فى صدر المجلس وتجلسون فى طرفه الحقير ، فاذا كان ذلك لنا فى الدنيا فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لأكرمكم كما أكرمنا وقصدهم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا . قال تعالى ـ و إن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ـ (قوله قال الذين كفروا) أى أغنياؤهم (قوله للذين آمنوا) أى الفقراء منهم (قوله نحن وأنتم) بيان للفريقين (قوله بالفتح وبالضم) أى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح على أنه من قام ثلاثيا والضم على أنه من أقام رباعيا وكل يحتمل أن يكون اسم مكان أو اسم مصدر (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله هم أحسن) مبتدأ وخبره والجملة صفة لقرن وأثاثا ورئيا تمييزان (قوله ورئيا) أى مرئيا كالذبح بمعنى المذبوح ، وقوله منظرا: أى هيئة وصورة (قوله قل) أى للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين (قوله فى الضلالة) أى الكفر والغفلة عن عواقب الأمور (قوله بمعنى الخبر) أى وأتى به على صورة الأمر إعلاما بأنه يحصل ولابد بمقتضى حكمته كأنه ألزم نفسه بذلك (قوله أى يمد له الرحمن) إنما ذكر الرحمن إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه (قوله يستدرجه) أى بأن يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (قوله حتى إذا رأوا ما يوعدون) غاية فى قوله ـ فليمدد له الرحمن ـ (قوله و إما الساعة) إما حرف تفصيل وهى مانعة خلو تجوز الجمع

أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمٰنِ عُتِيًّا) جراءة (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا) أحق بجهنم الأشد وغيره منهم (صُلِيًّا) دخولا واحتراقا فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها (وَإِنْ) أى ما (مِنْكُمْ) أحد (إِلَّا وَارِدُهَا) أى داخل جهنم (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) حتمه وقضى به لايتركه (ثُمَّ نُنَجِّي) مشدداً ومخففاً (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك والكفر منهما (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ) بالشرك والكفر (فِيهَا جِثِيًّا) على الركب (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ) أى المؤمنين والكافرين (آيَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ) نحن وأنتم (خَيْرٌ مَقَامًا) منزلا ومسكنا بالفتح من قام و بالضم من أقام (وَأَحْسَنُ نَدِيًّا) بمعنى النادى وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه يعنون نحن فنكون خيراً منكم قال تعالى (وَكَمْ) أى كثيراً (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية (هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا) مالا ومتاعا (وَرِئْيًا) منظرا من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ) شرط جوابه (فَلْيَمْدُدْ) بمعنى الخبر أى يمد (لَهُ الرَّحْمٰنُ مَدًّا) فى الدنيا يستدرجه (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ) كالقتل والأسر (وَإِمَّا السَّاعَةَ) المشتملة على جهنم فيدخلونها ، (فسيعلمون

والعذاب والساعة بدلان من ما ، والمعنى يستمرون فى الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أوالساعة من هوشرٌ مكانا وأضعف جندا (قوله فسيعلمون) جواب إذا ، وقوله ـ من هو شر مكانا ـ راجع لقوله ـ خيرمقاما ـ وقوله ـ وأضعف جندا ـ راجع لقوله ـ وأحسن نديا ـ على طريق اللف والنشر المرتب (قوله أهم أم المؤمنون) أشار بذلك إلى أن من استفهامية ويصحّ كونها موصولة مفعول يعلمون (قوله عليهم) متعلق بجندا لتضمينه معنى المعاونين وذلك كما وقع لهم فى بدر فالكفار كان جندهم إبليس وأعوانه جاءوا إليهم ليعينوهم ثم انخذلوا عنهم ، والمؤمنون كان جندهم الملائكة التى قاتلت معهم كما تقدم فى الأنفال وآل عمران (قوله ويزيد الله) هذه الجملة مستأنفة أو معطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول كأنه قال قل لهم من كان فى الضلالة الخ وقل لهم يزيد الله الذين اهتدوا الخ (قوله بما ينزل عليهم من الآيات) أى فكلما نزلت عليهم آية من القرآن ازدادوا بها هدى وإيمانا . قال تعالى ـ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ـ (قوله هى الطاعة) تقدم أن هذا أحد تفاسير فى الباقيات الصالحات وهو الأحسن (قوله خير عند ربك) أى من زينة الدنيا التى يتنعم بها الكفار (قوله بخلاف أعمال الكفار) أى فإنها شر مردًّا لكونهم يردّون إلى جهنم ، فتحصل أن الأعمال كلها باقية لأصحابها فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة فيتنعمون بها فى الجنة والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة فيعذبون بها فى النار فالعاقل يختار لنفسه أى العملين يبقى له (قوله والخيرية الخ) أى فأفعل التفضيل

(فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) أعوانا أهم أم المؤمنون وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة (وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا) بالإيمان (هُدًى) بما ينزل عليهم من الآيات (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هى الطاعات تبقى لصاحبها (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) أى ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار ، والخيرية هنا فى مقابلة قولهم : أى الفريقين خير مقاما (أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِآيَاتِنَا) العاصى بن وائل (وَقَالَ) لخباب بن الأرت القائل له تبعث بعد الموت والمطالب له بمال (لَأُوتَيَنَّ) على تقدير البعث (مَالًا وَوَلَدًا) فأقضيك قال تعالى (أَطَّلَعَ الْغَيْبَ) أى أعلمه وأن يؤتى ما قاله واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت (أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمٰنِ عَهْدًا) بأن يؤتى ما قاله (كَلَّا) أى لا يؤتى ذلك (سَنَكْتُبُ) نأمر بكتب (مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا) نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره (وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ) من المال والولد (وَيَأْتِينَا) يوم القيامة ،

ذكر على سبيل المشاكلة للكلام السابق فاندفع ما يقال إن أعمال الكفار لاخير فيها أصلا فكيف تصح المفاضلة (قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الاستفهام تعجبى : أى تعجب يا محمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة (قوله العاص بن وائل) هو أبو سيدنا عمرو الذى فتح مصر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو والد عبد الله أحد العبادلة المشهورة (قوله لخباب بن الأرت) هو بدرى من فقراء الصحابة ، وذلك أن خبابا كان صائغا فصاغ للعاصى حليا ثم طالبه بأجرته ، فقال له لن أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقال خباب لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث . قال وإنى لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد (قوله واستغنى بهمزة الاستفهام الخ) أى فأصله أأطلع حذفت همزة الوصل تخفيفا (قوله كلا) ذكر النحويون فى هذه اللفظة ستة مذاهب : أحسنها أنها حرف ردع وزجر . والثانى أنها حرف تصديق بمعنى نعم . الثالث أنها بمعنى حقا . الرابع أنها ردّ لما قبلها . الخامس أنها صلة فى الكلام بمعنى أى . السادس أنها حرف استفتاح ، وذكرت فى القرآن فى ثلاثة وثلاثين موضعا وكلها فى النصف الثانى منه فى خمس عشرة سورة كلها مكية ترجع إلى ثلاثة أقسام قسم يجوز الوقف عليها وعلى ماقبلها فيبتدأ بها وذلك فى خمسة مواضع اللتان فى هذه السورة واللتان فى الشعراء وواحدة فى سبأ ، وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يتعين على ما قبلها ، وذلك فى تسعة مواضع واحدة فى المؤمنون واثنتان فى سأل سائل والأولى والثالثة فى المدثر والأولى فى سورة القيامة والثانية فى سورة ويل للمطففين والأولى فى سورة الفجر والتى فى سورة ويل لكل ، وقسم لايجوز الوقف عليها باتفاق وهو التسع عشرة الباقية (قوله سنكتب ما يقول) أى نظهره له ونعلمه أنا كتبناه فاندفع ما يقال إن الكتابة لاتتأخر عن القول . قال تعالى ـ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (قوله نزيده بذلك عذابا الخ) أى لما تقدم أن كل من كان أشد كفرا كان أعظم عذابا (قوله ونرثه ما يقول) أى نسلبه ونأخذه منه بأن يخرج من الدنيا خاليا من ذلك .

(قوله فردا) أي منقطعا عن ماله وولده بالكلية فلا يلقى مالا ولا ولدا أصلا لا في البعث ولا في الحشر لانقطاع الأسباب بينهم و بين أولادهم بل و بين مايشتهون كما قال تعالى : وحيل بينهم و بين مايشتهون . وأما المؤمنون و إن كانوا يبعثون فرادى إلا أنهم يلاقون أحبابهم وأولادهم ومايشتهونه (قوله واتخذوا) حكاية عما وقع من الكفار عموما (قوله الأوثان) هومفعول أول وآلهة مفعول ثان (قوله سيكفرون الخ) في معنى التعليل (قوله ضدا) أي أضدادا و إنما أفرده إما لكونه مصدرا في الأصل أولأنه مفرد في معنى الجمع (قوله على الكافرين) أي وأما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل قال تعالى إن عبادي ليس لك عليهم سلطان (قوله تهيجهم إلى المعاصي) أي تغريهم بتزيين الشهوات لهم (قوله أزا) مفعول مطلق لتؤزهم ، والأز يطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهيج والإزعاج وهو المراد هنا (قوله فلاتعجل عليهم) أي لتستريح أنت والمؤمنون من شرهم وتطهر الأرض من فسادهم لأن لهم أياما محصورة وأنفاسا معدودة يعيشونها ثم يردون إلى عذاب النار (قوله إنما نعد لهم عدا) أي نضبط مايقع منهم ولانهمل منه شيئا ليؤاخذوا به (قوله أوالأنفاس) تفسير ثان (قوله إلى وقت عذابهم) أي وهو موتهم لأن بموتهم تصير قبورهم حفرة من حفر النار فيعذبون فيها إلى قيام الساعة فيقذفون في النار (قوله يوم نحشر) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر أي اذكر يامحمد لقومك هذا اليوم العظيم فانه يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار (قوله بمعنى راكب) هذا المعنى (٤٤) ليس مأخوذا من معنى الوفد لأن الوفد في اللغة الجماعة الذين يقدمون على الملوك للعطايا من غير تقييد بركوب بل هو مأخوذ من قرينة مدح المتقين لما ورد : أنهم يحشرون ركبانا على نجائب سرجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب وأزمتها من زبرجد . واختلف في وقت ركوبهم فقيل من أول خروجهم من القبور ، وقيل من منصرفهم من الموقف وعلى كل فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة ، وجمع بأنهم يركبون من أول خروجهم ولا من القبور حتى يأتوا الموقف ثم بعد انفضاض الموقف يركبون حتى يدخلوا الجنة . وعن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد إلى الله تعالى على خيل لاتروث ولاتبول لجمها من الياقوت الأحمر ومن الزبرجد الأخضر ومن الدر الأبيض وسرجها السندس والإستبرق ، ومن كان يحب ركوب الإبل فعلى نجائب لاتبعر ولا تبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ، ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الغرق وأمنوا الأهوال . وورد أيضا « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير » (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمجرمين الكفار (قوله وردا) أي مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ومع ذلك يحملون أوزارهم على ظهورهم لما ورد « أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفني ؟ فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتك وأتعبتك في الدنيا اركبني اليوم ، وأن الكافر يستقبله عمله في أقبح صورة وأنتنها ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لافيقول أنا عملك السيء طالما ركبتني وأتعبتني في الدنيا وأنا اليوم أركبك قال تعالى: وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم» (قوله لايملكون) أي الخلق عموما مؤمنهم وكافرهم وقوله الشفاعة أي كونه يشفع لغيره أويشفع غيره فيه (قوله إلا من اتخذ) مستثنى من العموم المتقدم وهومتصل (قوله عند الرحمن) كرر لفظ الرحمن في هذه السورة ست عشرة مرة إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أي شهادة أن لاإله إلا الله) أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فَرْدًا) لا مال له ولا ولد (وَاتَّخَذُوا) أي كفار مكة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأوثان (آلِهَةً) يعبدونهم (لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) شفعاء عند الله بأن لايعذبوا (كَلَّا) أي لامانع من عذابهم (سَيَكْفُرُونَ) أي الآلهة (بِعِبَادَتِهِمْ) أي ينفونها كما في آية أخرى : ما كانوا إيانا يعبدون (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أعوانا وأعداء (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ) سلطناهم (عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ) تهيجهم إلى المعاصي (أَزًّا . فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) بطلب العذاب (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ) الأيام والليالي أو الأنفاس (عَدًّا) إلى وقت عذابهم ، اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ) بإيمانهم (إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا) جمع وافد بمعنى راكب (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ) بكفرهم (إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان (لَا يَمْلِكُونَ) أي الناس (الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا) أي شهادة أن لا إله إلا الله ،

(قوله ولاحول ولا قوّة إلا بالله) فى رواية : والتبرّى من الحول والقوّة لله وعدم رجاء غيره (قوله ومن زعم أن الملائكة بنات الله) أى وهم مشركو العرب وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار إثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين (قوله قال تعالى) أى تقريعا وتوبيخا (قوله منكرا عظيما) أى فظيعا شديدا (قوله تكاد السموات الخ) هذا بيان لكون ذلك الشئ منكرا عظيما (قوله ينفطرن) أى يتفتتن ويقطعن (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وظاهره أن القراآت أربع وليس كذلك بل هى ثلاث فقط لأن فى قراءة التاء من تكاد وجهين التاء والنون من ينفطرن وفى قراءة الياء وجها واحدا وهو التاء من يتفطرن والثلاث سبعيات (قوله وتنشق الأرض) أى تنخسف بهم (قوله من أجل أن دعوا للرحمن ولدا) المعنى أن هذه المقالة منهم موجبة للغضب عليهم الذى ينشأ عنه نزول السماء قطعا قطعا عليهم وخسف الأرض بهم وسقوط الجبال عليهم لولا حلمه وسبق رحمته ، أوالمعنى أن هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفزع منها السموات والأرض والجبال وتتمنى أنها لوأهلكت من تفوّه بها لولا رحمة الله (قوله قال تعالى) أى ردّا عليهم (قوله ومايبنغى (٤٥) للرحمن) أى لايليق به ذلك ولايتأتى لاستحالته عليه عقلا ونقلا لأن الولد علامة الضعف والحدوث (قوله لقد أحصاهم) أى أحاط بهم علمه (قوله وعدّهم عدّا) أى عدّ أشخاصهم وأنفاسهم وأفعالهم فلا يخفى عليه شئ من أمورهم (قوله مبلغ جميعهم) راجع لقوله وعدّهم وقوله ولا واحد منهم راجع لقوله وأحصاهم فكأنه قال أحاط بهم علمه جمعا وفرادى (قوله فردا) أى منفردا (قوله سيجعل لهم الرحمن ودّا) أى فى الدنيا والآخرة

ولا حول ولا قوّة إلا بالله (وَقَالُوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا) قال تعالى لهم (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) أى منكرا عظيما (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَاوَاتُ يَنْفَطِرْنَ) بالنون وفى قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق (مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا) أى تنطبق عليهم من أجل (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا) قال تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أى ما يليق به ذلك (إِنْ) أى ما (كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزير وعيسى (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) بلا مال ولا نصير يمنعه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) أى القرآن (بِلِسَانِكَ) العربى (لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) الفائزين بالإيمان (وَتُنْذِرَ) تخوف (بِهِ قَوْمًا لُدًّا) جمع ألد أى جدل بالباطل وهم كفار مكة (وَكَمْ) أى كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل (هَلْ تُحِسُّ) تجد (مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتا خفيا ؟ لا ، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء .

والتنوين للتعظيم أى ودّا عظيما فكلما عظمت طاعاتهم عظم ودّهم لربهم ولأحبابه وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة فانّ المحبة رأس الايمان وأساسه لما فى الحديث « ألا لاإيمان لمن لامحبة له » فمن أعطى المحبة لله ولأحبابه فقد أعطى خيرالدنيا والآخرة لأن المحبة حكمة إيجاد الخلق لما فى الحديث القدسى « فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى » وبالجملة فالمحبة أمرها عظيم ولذا كان تنافس العارفين فيها كبيرا ، فكل من عظمت معرفته ازداد محبة وشغفا ، وعبر بأداة الاستقبال لأن المؤمنين كانوا بمكة فى مبدإ الاسلام مفرّقين فوعد الله رسوله بأن يؤلف بين قلوب المؤمنين و يضع فيها المحبة فهذه الآية نزلت فى مبدإ الاسلام تسلية له صلى الله عليه وسلم ، وودّا بضم الواو للسبعة وقرئ بفتحها وكسرها فهو مثلث (قوله فانما يسرناه) أى أنزلناه ميسرا (قوله العربى) أى فالمراد باللسان اللغة العربية (قوله جمع ألد) أى شديد الخصومة (قوله وكم أهلكنا الخ) تخويف لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هل تحس) بضم التاء وكسر الحاء من أحسّ رباعيا والاستفهام إنكارى كما أشار إليه بقوله لا وقرئ شذوذا بفتح التاء وضم الحاء أوكسرها (قوله منهم) حال من أحد لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا خفيا) أى والمعنى استأصلناهم بالهلاك جميعا حتى لايرى منهم أحد ولايسمع لهم صوت خفىّ

[سورة طه مكية] أى كلها وقيل إلا فاصبر على مايقولون الآية وهذه السورة نزلت قبل إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت سببا فيه (قوله أو أربعون الخ) أى فالخلاف فى سبع آيات أو خمس (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بذلك إلى أن طه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها ، وقيل إن طه اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حذف منه حرف النداء ، وقيل إنه فعل أمر وأصله طأها ، والمعنى طإ الأرض بقدميك معا خوطب به لما كان يشدد على نفسه فى تهجده حيث كان يقوم الليل كله ويقف على إحدى رجليه ويريح الأخرى من شدة التعب فأمره الله بالتخفيف على نفسه ، فكان يصلى وينام ويقوم على رجليه معا (قوله من طول قيامك) بيان لما ، وقيل إن معنى لتشقى لتتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر ، فإنما عليك البلاغ فأرح نفسك من هذا التعب فانا أنزلنا القرآن لمن يذكر ويخشى ، وقيل إنه رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته إنك لتشقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشقى به (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن التذكرة ليست من جنس الشقاء (قوله تذكرة) مفعول لأجله ولتشقى كذلك وإنما نصب الثانى دون الأول لأن فاعل الذكرى والانزال هو الله بخلاف الأول (قوله لمن يخشى) أى لمن فى قلبه رقة يتأثر بالمواعظ

(قوله بدل من اللفظ) أى عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر والأصل نزلناه تنزيلا فحذف الفعل وجوبا لنيابة المصدر عنه فى المعنى والعمل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن الرحمن خبر لمحذوف وحينئذ فيكون نعتا مقطوعا قصد به المدح (قوله سرير الملك) أى الذى يجلس عليه الملك قال تعالى فى حق بلقيس: قال نكروا لها عرشها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين يفوضون علم المتشابه لله تعالى ومن ذلك جواب الامام مالك رضى الله عنه فلا

(سورة طه مكية)

مائة وخمس وثلاثون آية أو أربعون أو واثنتان

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . طه) الله أعلم بمراده بذلك (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) يا محمد (لِتَشْقَىٰ) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل ، أى خفف عن نفسك (إِلَّا) لكن أنزلناه (تَذْكِرَةً) به (لِّمَن يَخْشَىٰ) يخاف الله (تَنزِيلًا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى) جمع عليا ككبرى وكبر ، هو (الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ) وهو فى اللغة سرير الملك (اسْتَوَىٰ) استواء يليق به (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) من المخلوقات (وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ) هو التراب الندى ، والمراد الأرضون السبع لأنها تحته (وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ) فى ذكر أو دعاء فالله غنى عن الجهر به (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) منه ، أى ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به ،

عن معنى الاستواء على العرش فى حقه تعالى حيث قال للسائل : الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع . وأما الخلف وهم من بعد الخمسمائة فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون إن المراد بالاستواء الاستيلاء بالتصرف والقهر فالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والاستيلاء بالقهر والتصرف وكلا المعنيين وارد فى اللغة يقال استوى السلطان على الكرسى بمعنى جلس واستوى على الأقطار بمعنى ملك وقهر ، ومن الثانى قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وحينئذ فالمتعين إطلاقه عليه تعالى بهذا المعنى هو الثانى (قوله من المخلوقات) بيان للثلاثة (قوله هو التراب الندى) أى الذى فيه نداوة فان لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له ثرى (قوله وإن تجهر بالقول) المقصود منه النهى عن الجهر لغير أمر شرعى كأنه يقول إن الله غنى عن الجهر فلا تجهد نفسك به فالجهر بالذكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إسماع الله تعالى إما جهل أو كفر وأما لغرض آخر كارشاد العباد وحضور القلب ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب (قوله فالله غنى الخ) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فانه يعلم السر الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله وأخفى) هو أفعل تفضيل أى والذى هو أخفى من السر (قوله أى ما حدثت به النفس الخ) هذا أحد أقوال فى تفسير السر وأخفى ، وقال ابن عباس : السر ما أسره ابن آدم

فى نفسه وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لايعلمه فالله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك ومايستقبل علم واحد وجميع الخلائق فى علمه كنفس واحدة (قوله فلا تجهد) بفتح التاء والهاء أوضم التاء وكسر الهاء من جهد وأجهد : أى لاتتعب نفسك بالجهر بقصد إسماع الله تعالى ، وهذا نهى له صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (قوله والحسنى مؤنث الأحسن) أى فهى اسم تفضيل يوصف بها الواحد من المؤنث والجمع من المذكر غير العاقل كاهنا (قوله وهل أتاك حديث موسى) الاستفهام للتشويق والتقرير فى ذهن السامع والجملة مستأنفة خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له إنا أرسلناك بالتوحيد ولا غرابة فى ذلك فانه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كابرا عن كابر ، وقد خوطب به موسى حيث قيل له : إننى أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدنى، وبه ختم موسى مقالته حيث قال: إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو فالمقصود من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ماذكر بتطلع والتفات وحضور قلب لاحقيقته فانه مستحيل عليه تعالى أو أن هل بمعنى قد كما قال المفسر (قوله إذ رأى نارا) ظرف لحديث (قوله امرأته) أى وهى بنت شعيب واسمها صفورا وقيل صفوريا وقيل صفورة واسم أختها ليا ، وقيل شرفا وقيل عبدا واختلف فى التى تزوجها فقيل هى الصغرى ، وقيل الكبرى وتقدم ذلك (قوله امكثوا) إنما أتى بجمع الذكور وإن كان الخطاب لامرأته تعظيما أومراعاة لمن معها من الخدم والأولاد (قوله وذلك فى مسيره الخ) روى أنه عليه السلام استأذن شعيبا عليه السلام فى الخروج إلى أمه وأخيه بمصر فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام

فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور الذى هو بفلسطين لأنه هو الذى على يمين المتوجه من مدين وقيل هو الذى بين مصر وأيلة وردّ بأنه على يسار المتوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى وناديناه من جانب الطور الأيمن ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية باردة وكانت ليلة الجمعة وقد أخطأ الطريق وتفرقت ماشيته ولاماء عنده وقدح زنده فلم يخرج نارا فبينما هو فى ذلك إذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور نارا فأمر أهله بالمكث لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا إلى موضع آخر فانه مما لايخطر بالبال ، فلما وصل إلى تلك النار التى أبصرها خاطبه الله وأرسله إلى فرعون وخلف أهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم إلى شعيب فمكثوا عنده حتى جاوز موسى ببنى إسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر (قوله إنى آنست) من الايناس وهو الابصار ومنه إنسان العين لأنه يبصر الأشياء (قوله أو أجد على النار هدى) أو مانعة خلو تجوز الجمع وعلى بمعنى عند أى عند النار (قوله وكان أخطأها) أى لأنه سلك على غير الطريق مخافة من ملوك الشام (قوله لعدم الجزم بوفاء الوعد) لأنه لايدرى مايفعل الله به (قوله فلما أتاها) أى النار التى آنسها (قوله وهى شجرة عوسج) هذا أحد أقوال فيها وقيل عليق وقيل عناب (قوله نودى ياموسى إنى أنا ربك) هذا أول المكالمة بينه و بين الله تعالى وآخرها قوله فيما يأتى أنّ العذاب على من كذب وتولى ، وهذا بالنسبة لهذه الواقعة و إلا فله مكالمات أخر وسمع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته حتى إن كل جارحة منه كانت أذنا (قوله فاخلع نعليك) أى تواضعا لله ومن ثم كان السلف يطوفون بالكعبة حفاة وقيل أمر بخلعهما لنجاستهما لأنهما كانا من جلد حمار ميت لم يدبغ ، روى أنه خلعهما وألقاهما خلف الوادى (قوله بالتنوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان .

فلا تجهد نفسك بالجهر (اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث والحسنى مؤنث الأحسن (وَهَلْ) قد (أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ . إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ) لامرأته (امْكُثُوٓا) هنا وذلك فى مسيره من مدين طالبا مصر (إِنِّىٓ ءَانَسْتُ) أبصرت (نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ) شعلة فى رأس فتيلة أو عود (أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى) أى هاديا يدلنى على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل ، وقال : لعلّ لعدم الجزم بوفاء الوعد (فَلَمَّآ أَتَىٰهَا) وهى شجرة عوسج (نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ) بكسر الهمزة بتأويل نودى بقيل و بفتحها بتقدير الباء (أَنَا) تأكيد لياء المتكلم (رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) المطهر أو المبارك (طُوًى) بدل أو عطف بيان بالتنوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية ،

(قوله وأنا اخترتك) أى للنبوة والرسالة وكان عمره إذ ذاك أربعين سنة كما سيأتى عند قوله تعالى ثم جئت على قدر ياموسى : (قوله إننى أنا الله) بدل مما يوحى وهو إشارة للعقائد العقلية وقوله : فاعبدنى إشارة للأعمال الفرعية ، وقوله إن الساعة آتية إشارة للعقائد السمعية فقد اشتمل ذلك على جملة الدين (قوله وأقم الصلاة) خصها بالذكر وإن كانت داخلة فى جملة العبادات لعظم شأنها واحتوائها على الذكر وشغل القلب واللسان والجوارح فهى أفضل أركان الدين بعد التوحيد (قوله لذكرى فيها) أى لتذكرنى فيها لأنها مشتملة على كلامى وغيره من أنواع الذكر (قوله إن الساعة آتيه) أى حاصلة ولا بد وسميت ساعة لأنها تأتى فى ساعة أى قطعة من الزمان (قوله أكاد أخفيها) أى أريد إخفاء وقتها ، والحكمة فى إخفاء وقتها وإخفاء الموت أن الله تعالى حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفى الغرغرة فلو عرف الخلق وقتها لاشتغلوا بالمعاصى إلى قرب ذلك الوقت ثم يتوبون فيتخلصون من عقاب المعصية فتعريف وقتهما كالاغراء بفعل المعاصى (قوله بعلاماتها) أى أماراتها وأول العلامات الصغرى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها ظهور المهدى (قوله لتجزى) إما متعلق بأخفيها أو بآتية وقوله أكاد أخفيها جملة معترضة بين المتعلق والمتعلق (قوله بما تسعى) ما موصولة وجملة تسعى صلته والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به وقوله من خير وشر بيان لما (قوله فلا يصدنك) الخطاب لموسى ، والمراد غيره والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة (قوله فتردى) منصوب بفتحة مقدرة على الألف بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب النهى (قوله وماتلك بيمينك ياموسى) أى بعد أن خلع عليه خلعة النبوة والرسالة بسط له الكلام ليزداد حبا وشغفا ويؤيده بالمعجزات الباهرة وما اسم استفهام مبتدأ وتلك اسم إشارة خبر وقوله بيمينك متعلق بمحذوف حال والعامل فيه معنى الاشارة وهذا أحسن من جعل تلك اسما موصولا بمعنى التى وبيمينك صلتها لأنه ليس مذهب البصريين (قوله الاستفهام للتقرير) أى فحكمة الاستفهام

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) من قومك (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) إليك منى (إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) فيها (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها (لِتُجْزَى) فيها (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى) به من خير أو شر (فَلَا يَصُدَّنَّكَ) يصرفنك (عَنْهَا) أى عن الإيمان بها (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فى إنكارها (فَتَرْدَى) أى فتهلك إن انصددت عنها (وَمَا تِلْكَ) كائنة (بِيَمِينِكَ يَامُوسَى) الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ) أعتمد (عَلَيْهَا) عند الوثوب والمشى (وَأَهُشُّ) أخبط ورق الشجر (بِهَا) ليسقط (عَلَى غَنَمِي) فتأكله (وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ) جمع مأرب مثلث الراء أى حوائج (أُخْرَى) كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام ، زاد فى الجواب بيان حاجاته بها (قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ) ثعبان عظيم (تَسْعَى) تمشى على بطنها سريعاً كسرعة الثعبان الصغير ،

السمى

كون موسى يقر ويعترف بصفات تلك العصا فيمنحه فوق مايعلم منها ، وليس المراد حقيقة الاستفهام الذى هو طلب الفهم فانه مستحيل عليه تعالى لعلمه بها (قوله قال هى عصاى) أى وكانت من آس الجنة نزل بها آدم منها ثم ورثها شعيب فلما زوجه ابنته أمرها أن تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الأنبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم فأخذها موسى بعلم شعيب ، وإنما زاد فى الجواب لأن المقام مقام مباسطة وخطاب الحبيب ولا شك أن الزيادة فى الجواب فى هذا المقام مما يريح الفؤاد وإلا فكان يكفيه أن يقول هى عصاى (قوله عند الوثوب) أى النهوض للقيام (قوله وأهش) بضم الهاء من هش يهش بمعنى خبط الشجر ليسقط ورقه ، وأما هش يهش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة (قوله ولى فيها مآرب أخرى) أجمل فى هذا الجواب إما حياء من الله تعالى لطول الكلام أو اتكالا على علمه تعالى (قوله كحمل الزاد) أشار بالكاف إلى أن لها منافع أخرى فكان يستقى بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل وكل شعبة من شعبتيها تصير دلوا ممتلئا وكانت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فاذا رفعها ذهب الماء وكان إذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصن غصنين فصارت شجرة وأورقت وأثمرت وكانت شعبتاها تضيآن بالليل كالسراج وإذا ظهر له عدو كانت تحاربه (قوله فألقاها) أى طرحها على الأرض (قوله فاذا هى حية تسعى) عبر عنها بالحية وفى آية أخرى بثعبان

المسمى بالجانّ المعبر به فيها فى آية أخرى (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) منها (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا) منصوب بنزع الخافض أى إلى حالتها (الْأُولَى) فأدخل يده فى فمها فعادت عصا وتبين أن موضع الادخال موضع مسكها بين شعبتيها وأرى ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون (وَاضْمُمْ يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (إِلَى جَنَاحِكَ) أى جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها (تَخْرُجْ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أى برص تضىء كشعاع الشمس تغشى البصر (آيَةً أُخْرَى) وهى وبيضاء حالان من ضمير تخرج (لِنُرِيَكَ) بها إذا فعلت ذلك لإظهارها (مِنْ آيَاتِنَا) الآية (الْكُبْرَى) أى العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها (اذْهَبْ) رسولا (إِلَى فِرْعَوْنَ) ومن معه (إِنَّهُ طَغَى) جاوز الحد فى كفره إلى ادعاء الإلهية (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وسعه لتحمل الرسالة (وَيَسِّرْ) سهل (لِي أَمْرِي) لأبلغها (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي) حدثت من احتراقه ،

وفى أخرى بأنها كالجان ووجه الجمع ما أشار له المفسر بقوله تمشى على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الخ . والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعبانا عظيما وجانا باعتبار مشيها (قوله المسمى بالجان) أى وهو الثعبان الصغير . وأما الجنّ فهو النوع المعروف (قوله قال خذها ولا تخف) إنما حصل له الخوف لأن صورتها هائلة فشعبتاها صارتا شدقين لها والمحجن عنقها وعيناها تتقدان نارا تمرّ بالشجرة العظيمة فتلتقمها وتقطع الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأنيابها صوت عظيم فظنّ أنها سطوة من الله عليه فولى مدبرا ولم يعقب فلما قال الله له خذها ولا تخف تبين له أنها نعمة لا نقمة (قوله فأدخل يده) أى مكشوفة ، وقيل كان عليه مدرعة صوف فلما قال الله له خذها لف كم المدرعة على يده فأمره الله أن يكشف يده وقال أرأيت لو أذن الله لما أ كانت المدرعة تغنى عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف من الضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها فى فم الحية (قوله وتبين) هو فعل ماض وفاعله ضمير يعود على موسى أى علم (قوله أنّ موضع الخ) فى محل المفعول به (قوله موضع مسكها) أى الاتكاء عليها ، والمعنى أنه لما وضع يده فى فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يده هو ما بين الشعبتين فالشعبتان صارتا شدقين وصار ما تحتهما وهو محل مسكها بيده عنقا لها (قوله ورأى ذلك) أى بصر الله موسى قلبها حية فى ذلك الوقت لئلا يجزع الخ (قوله لدى فرعون) أى عنده (قوله بمعنى الكف) أى لا بمعنى حقيقتها وهى من الأصابع إلى المنكب

(قوله تحت العضد) بيان المراد من الجنب وقوله إلى الابط أى من المرفق منتهيا إلى الابط (قوله من الأدمة) أى السمرة (قوله من غير سوء) متعلق بتخرج وهذا يسمى عند أهل البيان احتراسا وهو أن يؤتى بشىء يرفع توهم غير المراد لأن البياض قد يراد به البرص والبهق (قوله تضىء كشعاع الشمس) أى فكان إذا أدخل يده اليمنى فى جيبه وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها كان لها نور ساطع يضىء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر وأشد ضوءا ثم إذا ردّها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول (قوله الآية الكبرى) قدّره إشارة إلى أن الكبرى صفة لمحذوف مفعول ثان لقوله لنريك والكاف مفعول أول والكبرى اسم تفضيل ، والمعنى التى هى أكبر من غيرها حق من العصا لأنها لم تعارض أصلا ، وأما العصا فقد عارضها السحرة (قوله اذهب إلى فرعون) أى بهاتين الآيتين وهما العصا واليد . روى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : اسمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى فإنك بعينى وسمعى وإن معك يدى ونصرى وإنى ألبسك جبة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرى أبعثك إلى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى ، أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار ولكن هان علىّ وسقط من عينى ، فبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لا يغترّ بلباس الدنيا فإن ناصيته بيدى لا يطرف ولا يتنفس إلا بعلمى ، فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم ثم جاءه الملك فقال له أجب ربك فيما أمرك ، فعند ذلك قال رب اشرح لى صدرى الخ (قوله وسعه لتحمل الرسالة) أى فإنك كلفتنى بأمر عظيم لا يقوى عليه إلا من شرحت صدره وقويته (قوله واحلل عقدة من لسانى) أى لكنة حاصلة فيه وقد أجيب بحلها فعاد لفصاحته الأصلية وهذا هو الأحسن ، وقيل زال بعضها بدليل قوله تعالى :

ـ هو أفصح منى لسانا ـ وقول فرعون ـ ولا يكاد يبين ـ ورد بأن معنى هو أفصح أنه لم يطرأ عليه لكنة وقول فرعون باعتبار مايعهده منه (قوله بجمرة وضعها الخ) أى وذلك أن موسى لاعبه فرعون ذات يوم فنتف لحيته ولطمه على وجهه فاغتم وهم بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم مثل هذا الغلام لايغتم منه لأنه لايفرق بين التمرة والجمرة فأتى له بطست فيه تمر ، وقيل جوهر و بطست آخر فيه جمر فأراد أن يأخذ التمرة أوالجوهرة فأخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر فأخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه وصار فيه لكنة (قوله يفقهوا قولى) مجزوم فى جواب الدعاء (قوله وزيرا) من الوزر وهو الثقل سمى بذلك لأنه يتحمل مشاق الملك ويعينه على أموره و يقوم بها (قوله مفعول ثان) أى والأول وزيرا والأحسن عكسه بأن يجعل وزيرا مفعولا ثانيا مقدما وهرون مفعولا أول مؤخرا لأن القاعدة إذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الأول هو المعرفة لأن أصله المبتدأ والنكرة المفعول الثانى لأن أصله الخبر ووزيرا نكرة وهرون معرفة بالعلمية (قوله والفعلان بصيغتى الأمر والمضارع الخ) حاصل ماهنا أن القراآت السبعية خمس اثنتان عند الوقف على ياء أخى وهما قراءة الفعلين بصيغتى الأمر فتضم الهمزة فى الأول وتفتح فى الثانى ، والمضارع فتفتح فى الأول وتضم فى الثانى وثلاثة عند وصل أخى بما بعده وهى أن تسكن الياء ممدودة قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع أو تفتحها والفعلان بالأمر أو تحذفها وهما بالأمر أيضا (قوله وهو جواب الطلب) أى وهو اجعل لى (قوله كى نسبحك كثيرا) تعليل لكل من الأفعال الثلاثة التى هى اجعل واشدد وأشرك (قوله قال قد أوتيت) أى جوابا لمطلوباته وقوله سؤلك أى مسئولك ففعل بمعنى مفعول كأكل وخبز بمعنى مأكول ومخبوز (قوله ياموسى) خاطبه باسمه إشعارا بمحبته وتعظيم شأنه ورفعة قدره عليه السلام (قوله منا عليك) أى تفضلا حاصلا عليك وقدره دخولا على مابعده (قوله ولقد مننا عليك) استئناف مسوق لزيادة الطمأنينة لموسى كأن الله يقول له إنا قد مننا عليك بمنن سابقة من غير دعاء منك ولاطلب (ما

(٥٠)

بجمرة وضعها بفيه وهو صغير (يَفْقَهُوا) يفهموا (قَوْلِى) عند تبليغ الرسالة (وَاجْعَلْ لِى وَزِيرًا) معينا عليها (مِنْ أَهْلِى هَٰرُونَ) مفعول ثان (أَخِى) عطف بيان (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى) ظهرى (وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى) أى الرسالة والفعلان بصيغتى الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب (كَىْ نُسَبِّحَكَ) تسبيحا (كَثِيرًا . وَنَذْكُرَكَ) ذكرا (كَثِيرًا . إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا) عالما فأنعمت بالرسالة (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى) منا عليك (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى . إِذْ) للتعليل (أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ) مناما أو إلهاما لما ولدتك وخافت أن يقتلك فرعون فى جملة من يولد .

فلأن نعطيك ماتطلبه بالأولى ، وصدر الجملة بالقسم زيادة فى الاعتناء بشأنه (قوله مرة أخرى) تأنيث آخر بمعنى غير أى تحققت مننا عليك مرة أخرى غير المنة التى تحققت لك بسؤالك ، والمراد بالمنة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة (قوله للتعليل) أى لقوله مننا ، والمعنى لأننا أوحينا إلى أمك الخ ويصح أن تكون للظرفية ، والمعنى ولقد مننا عليك وقت إيحائنا إلى أمك الخ . وحاصل ماذكره من المنن من غير سؤال ثمانية . الأولى قوله إذ أوحينا . الثانية قوله وألقيت عليك . الثالثة قوله : ولتصنع على عينى . الرابعة قوله : فرجعناك إلى أمك . الخامسة قوله : وقتلت نفسا . السادسة قوله : وفتناك فتونا . السابعة قوله : فلبثت سنين . الثامنة قوله : واصطنعتك لنفسى (قوله إلى أمك) أى واسمها يوحانذ بياء مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فألف فنون مكسورة فذال معجمة (قوله مناما أو إلهاما) أى أو يقظة ولاينافيه كونها ليست نبية فإن المخصوص بالأنبياء الوحى بالشرائع والتكاليف وأما الوحى بغير الشرع فجائز حتى للنساء كما وقع لمريم أم عيسى (قوله لما ولدتك) أى فى السنة التى رتب فرعون أتباعه لذبح كل من يولد من الذكور فى تلك السنة ، وذلك أن فرعون رأى رؤيا هالته فقصها على الكهنة فعبرت له بمولود يكون زوال ماسكه على يديه فأمر أتباعه بأن يذبحوا كل من يولد من الذكور حتى شق الأمر فأبقى القتل فى سنة ورفعه فى سنة فصادف ولادة موسى عليه السلام فى السنة التى فيها القتل ، فلما ولد جاء أتباع فرعون يفتشون على المولود فوضعته أمه فى التنور فجاءت أخته وأوقدته ففتشوا عليه فلم يجدوه ، فخرجوا من عندها فنظرت إلى التنور فوجدته موقدا فخافت عليه فناداها من التنور فأخرجته سالما فأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ، فأخذت صندوقا وجعلت فيه قطنا ووضعته فيه

ثم طلت رأس التابوت بالقار وألقته فى اليم ، فموّجه البحر حتى أدخله فى نهر كائن فى بستان فرعون وكان فرعون جالسا مع آسية زوجته فأمر به فأخرج ففتح فاذا هو صبى أحسن الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا حتى إنه لم يقدر على بعده عنه ، وذلك قوله تعالى ـ وألقيت عليك محبة منى ـ (قوله مايوحى) أبهمه للتعظيم كقوله تعالى ـ فغشيهم من اليم ماغشيهم ـ (قوله فى أمرك) أى شأنك (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله أى شاطئه) المراد قربه لأن الصندوق أخذ من نفس البحر قريبا من البر (قوله والأمر بمعنى الخبر) أى وحكمة العدول عنه أنه لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمرا واجب الحصول لتعلق الارادة به نزل البحر منزلة شخص مطيع أمره الله بأمر لايستطيع مخالفته (قوله وألقيت عليك محبة منى) يحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة صادرة منى بأن أحببتك فتسبب عن محبتى محبة الناس لك ، ويحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة خلقتها فى قلوب الناس لك فأحبوك ، والأول أحسن لعدم السكاكة فيه (قوله ولتصنع) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله لتحب من الناس (قوله تربى على رعايتى الخ) أى فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ مجازا مرسلا من إطلاق السبب وهو نظر العين على المسبب وهو الحفظ والرعاية ، لأن شأن من ينظر للشىء بعينه أن يحفظه ويرعاه (قوله أختك مريم) أى وكانت شقيقته وهى غير أم عيسى (قوله لتعرف خبرك) أى فوجدتك فى يد فرعون فدلتهم على أمك حيث قالت هل أدلكم الخ (قوله وأنت لاتقبل الخ) أى لحكمة عظيمة وهى وقوعك فى يد أمك لأنك لو رضعت غيرها لاستغنوا عن أمك (قوله على من يكفله) أى يكمل رضاعه ، وقد أرضعته أمه قيل ثلاثة أشهر وقيل أربعة (قوله فرجعناك) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله فأجيبت الخ (قوله كى تقر عينها) أى تسكن وتبرد دمعة حزنها (قوله ولا تحزن حينئذ) أى حين

(٥١)

(مَا يُوحَىٰ) فى أمرك ويبدل منه (أَنِ اقْذِفِيهِ) ألقيه (فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ) بالتابوت (فِي الْيَمِّ) بحر النيل (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) أى شاطئه والأمر بمعنى الخبر (يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ) وهو فرعون (وَأَلْقَيْتُ) بعد أن أخذوك (عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي) لتحب من الناس فأحبك فرعون وكل من رآك (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي) تربى على رعايتى وحفظى لك (إِذْ) للتعليل (تَمْشِي أُخْتُكَ) مريم لتتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدى واحدة منهن (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ) فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها (فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائك (وَلَا تَحْزَنَ) حينئذ (وَقَتَلْتَ نَفْسًا) هو القبطى بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) اختبرناك بالإيقاع فى غير ذلك وخلصناك منه (فَلَبِثْتَ سِنِينَ) عشرا (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) بعد مجيئك إليها من مصر من عند شعيب النبى وتزوجك بابنته (ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ) فى علمى بالرسالة وهو أربعون سنة من عمرك (يَا مُوسَىٰ. وَاصْطَنَعْتُكَ) اخترتك (لِنَفْسِي) بالرسالة (اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ) إلى الناس (بِآيَاتِي) التسع

إذ قبلت ثديها ، والمراد نفى دوام الحزن (قوله هو القبطى) أى واسمه قاب قان وكان طباخا لفرعون (قوله من جهة فرعون) أى لامن جهة قتله فانه كان كافرا (قوله وفتناك فتونا) أى خلصناك من محنة بعد أخرى . روى أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية فقال : خلصناك من محنة بعد محنة ولد فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ، وألقته أمه فى البحر وهمّ فرعون بقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وضلت غنمه فى ليلة مظلمة ، وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير (قوله سنين عشرا) أى ولبث فى مصر قبل قتل القبطى ثلاثين سنة وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنى عشرة سنة فمكث بمدين لرعى الغنم عشر سنين وبعدها ثمانى عشرة سنة (قوله على قدر) أى مقدار من الزمان (قوله واصطنعتك لنفسى) أى لتشتغل بأوامرى وتبليغ رسالتى ، وأن تكون فى حركاتك وسكناتك لى لالغيرى (قوله اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى قد أجبناك فيما طلبت وأعطينا أخاك الرسالة فاذهب أنت وهو إلى فرعون وقومه (قوله إلى الناس) قدره إشارة إلى أنه حذف من هنا لدلالة قوله فيما يأتى إلى فرعون عليه كما أنه حذف فيما يأتى قوله بآياتى لدلالة ماهنا عليه ففى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ماأثبته فى الآخر (قوله بآياتى التسع) المناسب للمفسر أن يقول العصا واليد لأن باقى التسع لم يكن فى المبدإ بل كان فى أثناء المدة وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من المعجزات المتعددة

(قوله ولا تنيا فى ذكرى) يقال ونى ينى ونيا كوعد يعد وعدا إذا فتر وأصله تونيا حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها الفتحة والكسرة (قوله وغيره) أى كتبليغ الرسالة وهو المقصود بالذات (قوله اذهبا إلى فرعون) إن قلت ما حكمة جمعهما فى ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا فى محل المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر . أجيب بأن الله كشف الحجاب فى ذلك الوقت عن سمع هرون حتى سمع الخطاب مع أخيه لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة وهرون سمعه من جبريل عن الله وهذا أحسن مايقال (قوله فقولا له قولا لينا) أى سهلا لطيفا وقد قصه الله فى سورة النازعات فى قوله: هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض (قوله فى رجوعه عن ذلك) أى عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر (قوله والترجى بالنسبة إليهما) أى إلى موسى وهرون ، والمعنى اذهبا مترجيين إيمانه وطامعين فيه ولا تذهبا آيسين منه (قوله لعلمه تعالى بأنه لايرجع) أى والفائدة فى إرسالهما إلزامه الحجة وقطع عذره لجريان عادته سبحانه وتعالى أنه لايعذب أحدا إلا بعد تبليغه الدعوة وعناده بعد ذلك (قوله قالا ربنا) أسند القول لهما لأنه وقع من كل منهما وإن كان مكانهما مختلفا لما تقدم أنه لامانع من إزالة الحجاب عن هرون وسماعه من جبريل ماقيل لموسى وقت المناجاة (قوله أو يعجل بالعقوبة) أى فلا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة (قوله أو أن يطغى) أى يزداد تكبرا وكفرا وأو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) أى لاتنزعجا منه (قوله فأتياه) أى اذهبا بأنفسكما إليه ولاتقعدا فى مكان وترسلا له (قوله فقولا إنا رسولا ربك) أمرهما الله أن يقولا له ست جمل أولها قوله : إنا رسولا ربك. الثانية قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل. الثالثة ولاتعذبهم. الرابعة قد جئناك بآية من ربك الخامسة : والسلام على من اتبع الهدى . السادسة : إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى (قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم من أسرك ولاتتول عليهم فانهم أولاد الأنبياء ولايليق أن يولى عليهم خسيس ، والمعنى أن موسى وهرون أرسلا إلى فرعون بأنه يؤمن بالله وحده ولا يتولى على بنى إسرائيل (قوله بحجة) أى دليل وبرهان على ما ادّعيناه من الرسالة (قوله فأتياه وقالا له جميع ما ذكر) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله قال فمن ربكما الخ مرتب على محذوف وإشعارا بأنهما سارعا إلى امتثال الأمر من غير توان فيه (قوله قال فمن ربكما) لم يضف الرب لنفسه تكبرا وطغيانا وخوفا على قومه إذا أضاف الربّ لنفسه أن يميلوا لموسى (قوله اقتصر عليه) أى مع توجيه الخطاب لهما (قوله لأنه الأصل) أى فى الرسالة وهرون وإن كان رسولا إلا أن المقصود منه معاونة موسى (قوله ولادلالة عليه بالتربية) أى ولاقامة فرعون الدليل على موسى بأن ذكره بتربيته له فى قوله الآتى فى الشعراء ألم نربك فينا وليدا (قوله خلقه) أى صورته وشكله (قوله الحيوان منه) أى من كل شىء (قوله قال فما بال القرون الأولى) لما ظهر للعين حقية ماقال موسى وبطلان ماهو عليه أراد أن يصرفه عليه السلام إلى مالايعنيه من الأمور التى لاتعلق لها بالرسالة من الحكايات خوفا على رياسته أن تذهب فلم يلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال علمها عند ربى

(وَلَا تَنِيَا) تفترا (فِى ذِكْرِى) بتسبيح وغيره (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) بادعائه الربوبية (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) فى رجوعه عن ذلك (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أَوْ يَخْشَى) الله فيرجع، والترجى بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لايرجع (قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا) أى يعجل بالعقوبة (أَوْ أَنْ يَطْغَى) علينا أى يتكبر (قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِى مَعَكُمَا) بعونى (أَسْمَعُ) ما يقول (وَأَرَى) ما يفعل (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ) إلى الشام (وَلَا تُعَذِّبْهُمْ) أى خلّ عنهم من استعمالك إياهم فى أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ) بحجة (مِنْ رَبِّكَ) على صدقنا بالرسالة (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) أى السلامة له من العذاب (إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ) ماجئنا به (وَتَوَلَّى) أعرض عنه ، فأتياه وقالا له جميع ماذكر (قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى) اقتصر عليه لأنه الأصل ولادلالة عليه بالتربية (قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ) من الخلق (خَلْقَهُ) الذى هو عليه متميز به عن غيره (ثُمَّ هَدَى) الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك (قَالَ) فرعون (فَمَا بَالُ) حال (الْقُرُونِ) الأمم (الْأُولَى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح ،

(قوله فى عبادتهم الأوثان) أى أكان سببا فى شقاوتهم أوسعادتهم وإنما لم يوضح له الجواب لأنه مامور بملاطفته فاذا وضح له الجواب ربما نفر وتغير (قوله لايضل ربى) أى لايذهب شئ عن علمه (قوله ولا ينسى) أى بعد علمه (قوله الذى جعل لكم الأرض) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأول (قوله مهادا) أى كالمهاد (قوله طرقا) أى تسلكونها من قطر إلى قطر لتقضوا مآربكم (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله: فأخرجنا به أزواجا من كلامه تعالى لابطريق الحكاية عن موسى بل خطابا لأهل مكة وامتنانا عليهم و ينتهى إلى قوله تارة أخرى وقيل إنه من كلام موسى أيضا وفيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله وخطابا لأهل مكة) أى فى قوله: كلوا وارعوا (٥٣) (قوله شتى) ألفه للتأنيث

فى عبادتهم الأوثان (قَالَ) موسى (عِلْمُهَا) أى علم حالهم محفوظ (عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة (لَا يَضِلُّ) يغيب (رَبِّي) عن شيء (وَلَا يَنْسَى) ربى شيئا، هو (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ) فى جملة الخلق (الْأَرْضَ مَهْدًا) فراشا (وَسَلَكَ) سهل (لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا قال تعالى تتميما لما وصفه به موسى وخطابا لأهل مكة (فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى) صفة أزواجا أى مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، وشتى جمع شتيت كمريض ومرضى من شت الأمر: تفرق (كُلُوا) منها (وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ) فيها جمع نعم هى الإبل والبقر والغنم، يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للإباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا أى مبيحين لكم الأكل ورعى الأنعام (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور هنا (لَآيَاتٍ) لعبرا (لِأُولِي النُّهَى) لأصحاب العقول جمع نهية كغرفة وغرف، سمى به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح (مِنْهَا) أى من الأرض (خَلَقْنَاكُمْ) بخلق أبيكم آدم منها (وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ) مقبورين بعد الموت (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) عند البعث (تَارَةً) مرة (أُخْرَى) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ) أى أبصرنا فرعون (آيَاتِنَا كُلَّهَا) التسع (فَكَذَّبَ) بها وزعم أنها سحر (وَأَبَى) أن يوحد الله تعالى (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا) مصر ويكون لك الملك فيها (بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ) يعارضه (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) لذلك (لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا) منصوب بنزع الخافض: فى (سُوًى) بكسر أوله وضمه أى وسطا تستوى إليه مسافة الجائى من الطرفين (قَالَ) موسى (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ).

(قوله يقال رعت الأنعام الخ) أى فيستعمل لازما ومتعديا (قوله أى مبيحين لكم) المناسب أن يقول أى قائلين لكم كلوا الخ فهو أمر إباحة (قوله جمع نهية) وقيل إنه اسم مفرد فهو مصدر كالهدى والسرى (قوله بخلق أبيكم آدم منها) أى لجميع الخلق غير آدم خلقوا من الأرض بواسطة وهذا أحد قولين وقيل كل إنسان خلق من التراب بلا واسطة لأن كل نطفة وقعت فى الرحم يأخذ الملك الموكل بها شيئا من تراب المكان الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب (قوله ولقد أريناه آياتنا كلها) إخبار عما وقع لموسى فى مدة دعائه لفرعون وبهذا

التقرير صح قول المفسر التسع واندفع مايقال إن فرعون فى ابتداء الأمر لم ير إلا العصا واليد وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة (قوله قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك ياموسى) أى بعد أن رأى مارأى من معجزة العصا واليد قال ماذكر تسترا وخوفا على حظ رياسته لئلا يؤمن قومه (قوله فلنأتينك) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتى وكبريائى وقوله بسحر متعلق بنأتينك (قوله مثله) أى فى الغرابة (قوله موعدا) الأحسن أنه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل وقوله بيننا مفعول ثان مقدم وقوله بنزع الخافض أى فالمعنى عين زمانا بيننا وبينك نجتمع فيه فى مكان سوى أى متوسط (قوله بكسر أوله وضمه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال موعدكم يوم الزينة) خصه عليه السلام بالتعيين لمزيد وثوقه بربه وعدم مبالاته بهم وليكون ظهور الحق على رؤوس الأشهاد و يشيع ذلك بين كل حاضر و باد فيكون أعظم فخرا لموسى عليه السلام.

يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون (وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ) يجمع أهل مصر (ضُحًى) وقته للنظر فيما يقع (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ) أدبر (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أى ذوى كيده من السحرة (ثُمَّ أَتَى) بهم الموعد (قَالَ لَهُمْ مُوسَى) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا (وَيْلَكُمْ) أى ألزمكم الله الويل (لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بإشراك أحد معه (فَيُسْحِتَكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما أى يهلككم (بِعَذَابٍ) من عنده (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنِ افْتَرَى) كذب على الله (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) فى موسى وأخيه (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) أى الكلام بينهم فيهما (قَالُوا) لأنفسهم (إِنْ هَذَيْنِ) لأبى عمرو، ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتى فى المثنى بالألف فى أحواله الثلاث (لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) مؤنث أمثل بمعنى أشرف، أى بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) من السحر بهمزة وصل وفتح الميم من جمع أى لمّ، وبهمزة قطع وكسر الميم من أجمع أحكم (ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا) حال أى مصطفين (وَقَدْ أَفْلَحَ) فاز (الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) غلب (قَالُوا يَا مُوسَى) اختر (إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ) عصاك أى أولا (وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى) عصاه (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) فألقوا (فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ) أصله عصوو قلبت الواوان ياءين، وكسرت

(قوله يوم عيد لهم) أى وكان يوم عاشوراء واتفق أنه يوم سبت (قوله وأن يحشر الناس) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر معطوف على الزينة أى ويوم حشر الناس ضحى (قوله وقته) أى وقت الضحى وهو ارتفاع الشمس (قوله أدبر) أى انصرف من المجلس (قوله أى ذوى كيده) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ثم أتى بهم الموعد) أى فى يوم الزينة فى المكان المتوسط وهو سكندرية (قوله وهم اثنان وسبعون) الاثنان من القبط والسبعون من بنى إسرائيل وهذا أحد أقوال فى عددهم، وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفا وهوموافق بعض النسخ، وقيل اثنى عشر ألفا (قوله مع كل واحد حبل وعصا) تقدم أنها كانت حمل أربعمائة بعير (قوله أى ألزمكم الله الويل) أشار بذلك إلى أن ويلكم منصوب بفعل محذوف والويل معناه الدمار والهلاك (قوله بإشراك أحد معه) أى بسبب إشراك أحد مع الله، والمعنى ألزمكم الله الويل إن افتريتم على الله الكذب بسبب إشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون (قوله بضم الياء الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من الرباعى والفتح من الثلاثى (قوله فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا وتشاوروا فى أمر موسى وأخيه سرا، واختلف فيما أسروه فقيل هو قولهم إن هذين لساحران الخ وقيل هو قول بعضهم لبعض ماهذا ساحر فان غلبنا اتبعناه وإن غلبناه بقينا على مانحن عليه (قوله وأسروا النجوى) أى تحدثوا سرا فيما بينهم (قوله لأبى عمرو) أى فقراءته بالياء اسم إن وساحران خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر وقوله ولغيره خبر مقدم وهذان مبتدأ مؤخر وقوله وهو موافق أى هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقدرة على الألف فيبنى اسم الاشارة الدال عليه على الألف وقد أجمل المفسر فى قوله ولغيره هذان. والحاصل أن القراآت السبعيات أربع: الأولى لأبى عمرو التى ذكرها المفسر وبقى ثلاث الأولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون إنّ، والثانية والثالثة تخفيف نون هذان مع تشديد نون إن أو تخفيفها فعلى تشديد نون إن يكون هذان اسمها مبنيا على الألف وساحران خبرها وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبرا وإن مخففة واسمها ضمير الشأن والجملة خبر إن (قوله أى بأشرافكم) تفسير لطريقتكم فان من جملة معانى الطريقة أماثل الناس وأشرافهم: أى وذلك كفرعون وجلسائه (قوله فأجمعوا كيدكم) أى اجعلوه مجمعا بحيث لايتخلف عنه واحد منكم (قوله بهمزة وصل الخ) أى فهما سبعيتان (قوله ثم ائتوا صفا) أى لأنه أهيب فى صدور الرائين (قوله إما أن تلقى) أن وما بعدها فى تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اختر (قوله قال بل ألقوا) أى ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر (قوله فاذا حبالهم) إذا فجائية وحبالهم وعصيهم مبتدأ خبره جملة يخيل إليه الخ (قوله أصله عصوو) بوزن فلوس وقوله قلبت الواوان ياءين الخ أى قلبت الثانية ياء لوقوعها متطرفة فاجتمعت مع الواو وسبقت

إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وادغمت في الياء (قوله وكسرت العين) أي أتباعا للصاد وكسرت الصاد لتصح الياء (قوله يخيل إليه) أي لأنهم طلوها بالزئبق فلما اشتد حر الشمس اضطربت واهتزت فتخيل أنها تتحرك (قوله خيفة) أصله خوفة قلبت الواو ياء لكسر ماقبلها (قوله من جهة أن سحرهم الخ) جواب عما يقال كيف حصل له الخوف مع علمه بأنه على الحق ولايصل له سوء منهم (قوله إنك أنت الأعلى) فيه إشارة إلى أن لهم علوا وغلبة بالنسبة لسائر الناس فطمنه الله بأمور لاتخطر بباله فان ابتلاع العصا لحبالهم وعصيهم أمر لايخطر ببال موسى (قوله تلقف) بفتح اللام وتشديد القاف أو بسكون اللام وفتح القاف قراءتان سبعيتان (قوله ماصنعوا) أي اخترعوا مما لاحقيقة له (قوله أي جنسه) دفع بذلك مايقال لم لم يقل ولا يفلح السحرة بصيغة الجمع وفيه إشارة إلى أن الكلام موجه للعموم فكأنه قال لايفلح كل ساحر سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم (قوله حيث أتى) أي في أي زمان أو مكان أقبل منه (قوله فألقى موسى عصاه الخ) قدره إشارة إلى أن قوله فألقى السحرة سجدا مرتب على محذوف (قوله فألقى السحرة سجدا) أي إيمانا بالله وكفرا بفرعون وهذا من غرائب قدرة الله حيث ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين قيل لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب ورأوا منازلهم في الجنة (قوله وقالوا آمنا) قدر المفسر الواو إشارة إلى أنه معطوف على قوله فألقى السحرة سجدا، وفيه إيماء إلى أنهم (٥٥) جمعوا في الايمان بين القول والفعل (قوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي لما شاهد فرعون من السحرة السجود والاقرار خاف أن يقتدي الناس بهم في الايمان بالله وحده فألقى شبهتين الأولى قوله آمنتم له قبل أن آذن لكم أي لم تشاوروني ولم تستعينوا بنظر غيركم بل في الحال آمنتم له فحينئذ دل ذلك على أن إيمانكم ليس عن بصيرة بل بسبب آخر، الثانية قوله إنه لكبيركم الذي علمكم السحر: أي فأنتم أتباعه في السحر فتواطأتم معه على أن تظهروا العجز من أنفسكم ترويجا لأمره وتفخيما لشأنه لتنزعوا الملك مني وهاتان الشبهتان لايقبلهما إلا من عنده تردد أو شك وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة فلا يدخل عليه شيء من ذلك لظهور شمس الهدى واتضاحها لهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أي الأولى وهي للاستفهام والثانية وهي المزيدة في الفعل الرباعي وقوله وإبدال الثانية ألفا صوابه الثالثة وهي فاء الكلمة فيكون في كلامه إشارة لقراءة واحدة أو يقال إن معنى قوله الثانية أي في الفعل بقطع النظر عن همزة الاستفهام فيكون قد أشار لقراءتين: الأولى تحقيق الهمزتين، الثانية تحقيق همزة الاستفهام، وبقيت قراءة أخرى وهي تسهيل الثانية والثلاث سبعيات ولا يتأتى هنا الرابعة المتقدمة في الأعراف وهي قلب الأولى واوا لعدم الضمة قبلها هنا، بخلاف ماتقدم فإنها تقدمها ضمة ونص الآية قال فرعون آمنتم وأصل الفعل أأمن كأكرم بهمزتين الأولى زائدة والثانية فاء الكلمة قلبت الثانية ألفا على القاعدة، قال ابن مالك:

ومدا ابدال ثاني الهمزين من كلمة ان يسكن كآثر وائتمن

ثم دخلت همزة الاستفهام (قوله من خلاف) من ابتدائية أي فالقطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو (قوله أي عليها) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاستعلاء المطلق بالظرفية المطلقة فسرى التشبيه من الكليات للجزئيات فاستعيرت لفظة في الموضوعة للظرفية الخاصة لمعنى على الموضوعة للاستعلاء الخاص بجامع التمكن في كل.

وكسرت العين والصاد (يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا) حيات (تَسْعَى) على بطونها (فَأَوْجَسَ) أحس (فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) أي خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به (قُلْنَا) له (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) عليهم بالغلبة (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ) وهي عصاه (تَلَقَّفْ) تبتلع (مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) أي جنسه (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) بسحره، فألقى موسى عصاه فتلقفت كل ماصنعوه (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا) خروا ساجدين لله تعالى، و (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى. قَالَ) فرعون (ءَآمَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ) معلمكم (الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) حال بمعنى مختلفة أي الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ) أي عليها (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا) يعني نفسه ورب موسى (أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) أدوم،

(قوله على مخالفته) متعلق بكل من أشد وأبقى (قوله قالوا لن نؤثرك على ماجاءنا) أى قالوا ذلك غير مكترثين بوعيده لهم (قوله من البينات) أى المعجزات الظاهرة وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات وإنما نسب المجيء لهم وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضا لأنهم هم المنتفعون بها (قوله قسم) أى وجوابه محذوف تقديره لانؤثرك على الحق ولايجوز أن يكون قوله لن نؤثرك جوابه لأن القسم لايجاب بلن إلا شذوذا ولاينبغى حمل التنزيل عليه (قوله أو عطف على ما) أى والتقدير لن نؤثرك على الذى جاءنا من البينات ولا على الذى فطرنا (قوله فاقض ما أنت قاض) اقض فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعوله وأنت قاض صلته والعائد محذوف تقديره الذى أنت قاضيه، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله :

كذاك حذف ما بوصف خفضا ... كأنت قاض بعد أمر من قضى

وهو جواب عن تهديده المذكور كأنهم قالوا لانبالى بك ولا بتهديدك فافعل ما بدا لك ولم يثبت فى الكتاب ولا فى السنة أنه فعل ماهددهم به (قوله النصب على الاتساع) أى نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الخافض (قوله وما أكرهتنا عليه من السحر) معطوف على خطايانا : أى ويغفر لنا الذى أكرهتنا عليه من السحر (قوله تعلما وعملا) أى لأن فرعون كان يخبره الكهنة بظهور مولود من بنى إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه فلعلهم كانوا يصفونه له بهاتين المعجزتين فأحب أن يتهيأ لمعارضته بإكراه الناس على تعليم السحر وإكراههم أيضا على الاتيان بهم من المدائن البعيدة ومما يدل على كونهم مكرهين على عمله ماروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى وهو نائم ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ماهذا ساحر فإن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى إلا أن يعارضوه (قوله والله خير وأبقى) رد لقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله : إنه من يأت ربه الخ مستأنف من كلامه تعالى وقيل إنه من كلام السحرة الملهم الله إياه (قوله إنه من يأت ربه مجرما) أى بأن يموت على كفره (قوله فيستريح) أى من العذاب (قوله حياة تنفعه) أى بأن تكون هنية مرية (قوله من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها (قوله وذلك) أى ماتقدم من قوله ـ جنات عدن ـ الخ (قوله تطهر من الذنوب) أى بعدم فعلها أو بالتوبة النصوح منها (قوله ولقد أوحينا إلى موسى) عطف قصة على قصة لأن الله تعالى قص علينا أولا مبدأ رسالة موسى إلى فرعون وما وقع منه وقص علينا ثانيا منتهى أمر فرعون وجنوده وكل ذلك عبرة للأمة المحمدية ليعلموا أن الظالم وإن أمهله الله وأمده بالنعم لايهمله، وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة وتقدم ذكرها فى الأعراف مبسوطا (قوله بعبادى) أى وكانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا (قوله لغتان) أى وهما قراءتان سبعيتان وكان المناسب للمفسر التنبيه على ذلك (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله من أرض مصر) أى إلى البحر فهو مأمور بالسير له فلا يقال لم لم يسر بهم فى البر فى طريق الشام (قوله طريقا) مفعول به لتضمن اضرب معنى اجعل كما أشار له المفسر، والمراد بالطريق جنسه فإن الطرق كانت اثنى عشرة بعدد أسباط بنى إسرائيل .

على مخالفته (قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ) نختارك (عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) الدالة على صدق موسى (وَالَّذِي فَطَرَنَا) خلقنا، قسم أو عطف على ما (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) أى اصنع ما قلته (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) النصب على الاتساع أى فيها وتجزى عليه فى الآخرة (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا) من الإشراك وغيره (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ) تعلما وعملا لمعارضة موسى (وَاللَّهُ خَيْرٌ) منك ثوابا إذا أطيع (وَأَبْقَى) منك عذابا إذا عصى، قال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا) كافرا كفرعون (فَإِنَّ لَهُ) نار (جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (وَلَا يَحْيَا) حياة تنفعه (وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ) الفرائض والنوافل (فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى) جمع عليا مؤنث أعلى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) أى إقامة بيان له (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى) تطهر من الذنوب (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي) بهمزة قطع من أسرى وبهمزة وصل وكسر النون من سرى لغتان أى سر بهم ليلا من أرض مصر (فَاضْرِبْ) اجعل (لَهُمْ) بالضرب بعصاك (طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا)

(قوله يبسا) أى يؤول إلى ذلك لأنه لم يكن يابسا قبل وإنما مرت عليه الصبا فجففته . قال ابن عباس : لما أمر الله موسى أن يقطع بقومه البحر وكان يوسف عهد إليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عليها عجوز فأخذوها وقال لها موسى اطلبي منى شيئا ، فقالت أكون معك فى الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون ، فلما وصل البحر وكان على حصان أقبل جبريل على فرس أنثى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدى فرعون فأبصر الحصان الفرس فاقتحم بفرعون على أثرها فصاحت الملائكة بالقبط الحقوا حتى إذا لحق آخرهم وكاد أولهم أن يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فرجع بنو إسرائيل حتى ينظروا إليهم وقالوا ياموسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر إليهم فلفظهم البحر إلى الساحل فأصابوا من أمتعتهم شيئا كثيرا (قوله لا تخاف) العامة ماعدا حمزة وحده على الرفع وعليه فهو جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب أو حال من فاعل اضرب : أى اضرب لهم طريقا حال كونك غير خائف ، وقرأ حمزة بالجزم على أن لا ناهية وتخف مجزوم بها ، وقوله ولاتخشى هو بالألف باتفاق القراء فعلى رفع لا تخاف العطف ظاهر وعلى الجزم فيكون قوله ولا تخشى معطوفا على لا تخف مجزوما وعلامة جزمه حذف الألف والألف الموجودة للإشباع أتى بها موافقة للفواصل (٥٧) ورءوس الآى (قوله فأتبعهم فرعون) أى بعد ماأرسل حاشرين يجمعون له الجيش فجمعوا جيوشا كثيرة حتى كان مقدمة جيشه سبعمائة ألف فضلا عن الجناحين والقلب والساقة (قوله بجنوده) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فرعون (قوله فغشيهم من اليم ماغشيهم) أى علاهم وغمرهم من الأمر الهائل مالم يبلغ كنهه أحد (قوله وأضل فرعون قومه) إخبار عن حاله قبل الغرق (قوله خلاف قوله : وما

يَبَسًا) أى يابسا فامتثل ماأمر به وأيبس الله الأرض فمروا فيها (لَا تَخَافُ دَرَكًا) أى أن يلحقك فرعون (وَلَا تَخْشَى) غرقا (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) وهو معهم (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ) أى البحر (مَا غَشِيَهُمْ) فأغرقهم (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ) بدعائهم إلى عبادته (وَمَاهَدَى) بل أوقعهم فى الهلاك خلاف قوله : وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (يَابَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ) فرعون بإغراقه (وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ) فنؤتى موسى التوراة للعمل بها (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى) هما الترنجبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر ، والمنادى من وجد من اليهود زمن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبى موسى توطئة لقوله تعالى لهم (كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ) أى المنعم به عليكم (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ) بأن تكفروا النعمة به (فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) بكسر الحاء : أى يجب ، وبضمها : أى ينزل (وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي) بكسر اللام وضمها (فَقَدْ هَوَى) سقط فى النار (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ) من الشرك (وَآمَنَ) وحد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) يصدق بالفرض والنفل (ثُمَّ اهْتَدَى) باستمراره على ماذكر إلى موته .

أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى أنه مخالف له فهو تكذيب لفرعون فى قوله (قوله قد أنجيناكم من عدوكم الخ) قدم أولا نعمة الانجاء ثم النعمة الدينية ثم الدنيوية فهو ترتيب فى غاية الحسن (قوله فنؤتى موسى التوراة) جواب عما يقال إن المواعدة كانت لموسى لا لهم فكيف أضيفت لهم . وأجيب أيضا بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلا فأضيفت المواعدة لهم بهذا الاعتبار (قوله هما الترنجبين) هو شىء حلو أبيض مثل الثلج كان ينزل عليهم فى التيه من الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع (قوله والطير السمانى) أى فكان ريح الجنوب يأتيهم به فيذبح الرجل منهم ما يكفيه وشربهم من العيون التى تخرج من الحجر (قوله والمنادى من وجد من اليهود الخ) هذا أحد قولين ، وقيل المخاطب من كان فى عهد موسى (قوله توطئة) أى تمهيدا (قوله من طيبات مارزقناكم) أى لذائذه وحلالاته (قوله بأن تكفروا النعمة) أى بعدم شكرها و بطركم لها (قوله بكسر الحاء الخ) أى ففى كل قراءتان سبعيتان (قوله سقط فى النار) أى على سبيل الخلود (قوله يصدق بالفرض والنفل) أى العمل الصالح يشمل كلا منهما (قوله باستمراره على ماذكر إلى موته) أى بأن يدوم على التوبة والايمان والأعمال الصالحة وهو جواب عما يقال مافائدة ذكر الاهتداء آخرا مع أنه داخل فى عموم قوله وآمن فأفاد المفسر أن النجاة التامة والمغفرة الشاملة لمن حصلت منه التوبة والايمان والأعمال الصالحة ثم استمر عليها إلى أن لقى مولاه

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ) لمجىء ميعاد أخذ التوراة (يَا مُوسَى . قَالَ هُمْ أُولَاءِ) أى بالقرب منى يأتون (عَلَى أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) عنى ، أى زيادة على رضاك ، وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما (قَالَ) تعالى (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ) أى بعد فراقك لهم (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) فعبدوا العجل (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ) من جهتهم (أَسِفًا) شديد الحزن (قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا) أى صدقا أنه يعطيكم التوراة (أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ) مدة مفارقتى إياكم (أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ) يجب (عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ) بعبادتكم العجل (فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِى) وتركتم المجىء بعدى (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا) مثلث الميم ، أى بقدرتنا أو أمرنا (وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا) بفتح الحاء مخففا و بضمها وكسر الميم مشددا (أَوْزَارًا) أثقالا (مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس فبقيت عندهم (فَقَذَفْنَاهَا) طرحناها فى النار بأمر السامرى

(فكذلك)

(قوله وما أعجلك عن قومك ياموسى) ما استفهامية مبتدأ وأعجلك خبره وعن قومك متعلق بأعجلك ، والمعنى أى شىء حملك متعجلا عن قومك وسابقا لهم . وحاصل ذلك أن الله سبحانه وتعالى وعد موسى ثلاثين يوما وأتمها بعشر بعد إغراق فرعون وقومه يصومها ولا يأكل ولا يشرب ولاينام فيها وأمره تعالى أن يحضر من قومه سبعين رجلا يختارهم من بنى إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة فخرج بهم وخلف هرون على من بقى ، وفى رواية أنه أمر هرون أن يأتى بهم عند تمام الميقات فسار موسى بالسبعين ، ثم عجل من بينهم تشوقا إلى ربه وخلفهم وراءه وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال تعالى له : وما أعجلك الخ ، والمقصود من سؤال الله لموسى إعلامه بما حصل من قومه وإلا فيستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم (قوله عن قومك) سياق المفسر يقتضى أن المراد بهم جملة بنى إسرائيل وأيده جماعة من المفسرين (قوله لمجىء ميعاد أخذ التوراة) أى لمجيئك فى ميعاد أخذ التوراة (قوله قال هم أولاء على أثرى) هم مبتدأ وأولاء خبره ، وقوله على أثرى خبر بعد خبر (قوله أى زيادة على رضاك) أى فسارعت إلى امتثال أمرك طلبا لزيادة رضاك ، لا لأصل الرضا فإنه حاصل وطلبه لايليق بحال الأنبياء (قوله وقيل الجواب) أى جواب السؤال وهو قوله - وعجلت إليك رب لترضى - (قوله أتى بالاعتذار) أى عن سبقه لقومه ، وقوله بحسب ظنه متعلق بالاعتذار (٥٨) (قوله وتخلف المظنون لما قال تعالى) أى ظهر لموسى أن ظنه تخلف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل وهذا يؤيد ماقلناه أولا أن المراد بالقوم جميع بنى إسرائيل (قوله أى بعد فراقك لهم) أى بعشرين يوما وهذا الاخبار من الله تعالى عند تمام الأربعين (قوله وأضلهم السامرى) اسمه موسى بن ظفر منسوب إلى سامرة قبيلة من بنى إسرائيل كان منافقا وكان قد رباه جبريل لأن فرعون لما شرع فى ذبح الولدان وضعته أمه فى حفرة فتعهده جبريل وكان يغذيه من أصابعه الثلاثة فيخرج له من إحداها لبن ومن الأخرى سمن ومن الأخرى عسل (قوله فرجع موسى) أى بعد أن تم الأربعين وأخذ التوراة ، روى أنه لما رجع موسى سمع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل ، فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قوله أنه يعطيكم التوراة) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول ثان لقوله يعدكم والأول الكاف (قوله أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) المعنى إن كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد فإنه لم يطل ، و إن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه (قوله وتركتم المجىء بعدى) أى لأنه وعدهم أن يتبعوه على أثره للميقات فخالفوا واشتغلوا بعبادة العجل (قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا) أى لأنا لوخلينا وأنفسنا ما أخلفنا ولكن السامرى سوّل لنا وغلب على عقولنا فأطعناه (قوله مثلث الميم) أى كلها قراآت سبعيات (قوله و بضمها وكسر الميم) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله استعارها منهم بنو إسرائيل) أى قبل مسخ أموالهم (قوله بعلة عرس) أى إن بنى إسرائيل أظهروا أن العلة فى استعارتها هو العرس وفى الواقع ليس كذلك (قوله بأمر السامرى) أى فقال لهم إنما تأخر عنكم موسى لما معكم من الأوزار فالرأى أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها .

(قوله فأخرج لهم عجلا) هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامرى فهو معطوف على قوله: وأضلهم السامرى (قوله جسدا) حال من العجل ولايقال جسد إلا للحيوان ولايقال لغيره جسد إلا للزعفران والدم إذا يبس (قوله وأتباعه) أى الذين ضلوا وصاروا يساعدونه على من توقف من بنى إسرائيل (قوله أفلا يرون) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أن مخففة من الثقيلة) أى فقوله لايرجع بالرفع فى قراءة العامة (قوله ولقد قال لهم هرون الخ) أى فنصحهم هرون قبل رجوع موسى (قوله وإن ربكم الرحمن) إنما ذكر هذا الاسم تنبيها على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو الرحمن (قوله حتى يرجع إلينا موسى) غاية لعكوفهم بطريق التعلل والتسويف لابطريق الوعد وترك عبادته (٥٩) عند رجوعه (قوله إذ رأيتهم) ظرف منصوب بمنعك، والمعنى أىّ شىء منعك وقت رؤيتك ضلالهم (قوله لازائدة) أى للتأكيد، والمعنى مامنعك من اتباعى فى الغضب لله والمقاتلة لمن كفر (قوله باقامتك بين من يعبد غير الله) أى ولم يبالغ فى منعهم والانكار عليهم) (قوله بكسر الميم) أى حذفت الياء وبقيت الكسرة دالة عليها وقوله وفتحها أى حذفت الألف المنقلبة عن الياء وبقيت الفتحة دالة عليها والقراءتان سبعيتان (قوله أعطف لقلبه) أى لالكونه أخاه من أمه فقط فان الحق أنه شقيقه (قوله وكان أخذ شعره) أى الرأس (قوله ولم ترقب قولى) معطوف على أن تقول أى وخشيت عدم ترقبك أى انتظارك وتأملك فى قولى حتى تفهم عذرى فالياء فى قولى واقعة على هرون، هذا هو المتبادر من عبارة المفسر، وقيل إنه معطوف على فرّقت أى وخشيت أن تقول لم ترقب قولى أى تحفظه وتعمل به فعليه الياء واقعة على موسى (قوله قال بصرت) بضم الصاد فى قراءة العامة من باب ظرف وقرئ بكسرها من باب تعب (قوله بالياء) أى بنو إسرائيل وقوله والتاء أى أنت وقومك والقراءتان سبعيتان (قوله من أثر الرسول) أى وعرفه لسابق الألفة فلما جاء جبريل ليطلب موسى إلى الميقات لأخذ التوراة كان راكبا على فرس كلما وضعت حافرها على شىء اخضرّ فعرف السامرى أن التراب الذى تضع الفرس حافرها عليه شأنا (قوله فى صورة العجل) أى فى فمه (قوله المصاغ) صوابه المصوغ كما فى بعض النسخ.

(فَكَذَٰلِكَ) كما ألقينا (أَلْقَى السَّامِرِيُّ) ما معه من حليهم ومن التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتى (فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا) صاغه من الحلى (جَسَدًا) لحما ودما (لَهُ خُوَارٌ) أى صوت يسمع أى انقلب كذلك بسبب التراب الذى أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه فى فمه (فَقَالُوا) أى السامرى وأتباعه (هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ. فَنَسِيَ) موسى ربه هنا وذهب يطلبه، قال تعالى (أَفَلَا يَرَوْنَ أَ)ن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى أنه (لَا يَرْجِعُ) العجل (إِلَيْهِمْ قَوْلًا) أى لايرد لهم جوابا (وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا) أى دفعه (وَلَا نَفْعًا) أى جلبه أى فكيف يتخذ إلها (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ) أى قبل أن يرجع موسى (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي) فى عبادته (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) فيها (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ) نزال (عَلَيْهِ عَاكِفِينَ) على عبادته مقيمين (حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ. قَالَ) موسى بعد رجوعه (يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا) بعبادته (أَ)ن (لَا تَتَّبِعَنِ) لا زائدة (أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي) بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالى (قَالَ) هرون (يَا ابْنَ أُمَّ) بكسر الميم وفتحها أراد أمى وذكرها أعطف لقلبه (لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي) وكان أخذها بشماله (وَلَا بِرَأْسِي) وكان أخذ شعره بيمينه غضبا (إِنِّي خَشِيتُ) لو اتبعتك ولابدّ أن يتبعنى جمع ممن لم يعبد العجل (أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) وتغضب علىّ (وَلَمْ تَرْقُبْ) تنتظر (قَوْلِي) فيما رأيته فى ذلك (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ) شأنك الداعى إلى ما صنعت (يَا سَامِرِيُّ؟ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء والتاء أى علمت مالم يعلموه (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ) تراب (أَثَرِ) حافر فرس (الرَّسُولِ) جبريل (فَنَبَذْتُهَا) ألقيتها فى صورة العجل المصاغ (وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ) زينت (لِي نَفْسِي) وألقى فيها أن آخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيها على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك،

(قوله طلبوا منك) أى حين جاوزوا البحر كما قال تعالى: وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم الآية (قوله فان لك فى الحياة) إن حرف توكيد ونصب والجار والمجرور خبرها مقدم وأن تقول فى محل نصب اسمها مؤخر، والمعنى أن هذا القول ثابت لك مادمت حيا لاينفك عنك فكان يصيح فى البرية لامساس وحرّم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته، ويقال إن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى الآن، وهذه الآية أصل فى نفى أهل البدع والمعاصى وهجرانهم وعدم مخالطتهم (قوله فكان يهيم فى البرية) أى مع السباع والوحوش. يقال إن موسى عليه السلام همّ بقتله فقال الله له لاتقتله فانه سخى (قوله وبفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم لننسفنه فى اليمّ) أى فلايبقى له عين ولا أثر (قوله بعد ذبحه) أى ولما ذبحه سال منه الدم (قوله إنما إلهكم الله الخ) كلام مستأنف لتحقيق الحق وإبطال الباطل، وهذا آخر قصة موسى المذكورة فى هذه السورة (قوله كذلك نقصّ عليك) جملة مستأنفة ذكرت تسلية له صلى الله عليه وسلم وتكثيرا لمعجزاته وزيادة فى علم أمته ليعرفوا

أحباب الله فيحبونهم وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعة وشأنا حيث اطلعوا على سير الأوائل (قوله أى كما قصصنا عليك) أشار بذلك إلى أن الكاف نعت لمصدر محذوف تقديره كقصصنا هذا الخبر الغريب نقصّ عليك الخ (قوله هذه القصة) أل للجنس لأن المتقدم ثلاث قصص: قصة موسى مع فرعون ومع بنى إسرائيل ومع السامرى (قوله ذكرا) سمى بذلك لتذكيره النعم والدار الآخرة (قوله من أعرض عنه) هذه الجملة فى محل نصب صفة لذكرا (قوله فلم يؤمن به) أشار بذلك إلى أن المراد بالإعراض عنه الكفر به وإنكار كونه من عند الله كلا أو بعضا

طلبوا منك أن تجعل لهم إلها فحدثتنى نفسى أن يكون ذلك العجل إلههم (قَالَ) له موسى (فَاذْهَبْ) من بيننا (فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ) أى مدة حياتك (أَنْ تَقُولَ) لمن رأيته (لَا مِسَاسَ) أى لا تقربنى فكان يهيم فى البرية وإذا مس أحدا أو مسه أحد حمّا جميعا (وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا) لعذابك (لَنْ تُخْلَفَهُ) بكسر اللام أى لن تغيب عنه، وبفتحها أى بل تبعث إليه (وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ) أصله ظللت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفا أى دمت (عَلَيْهِ عَاكِفًا) أى مقيما تعبده (لَنُحَرِّقَنَّهُ) بالنار (ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) نذرينه فى هواء البحر وفعل موسى بعد ذبحه ما ذكره (إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) تمييز محول عن الفاعل أى وسع علمه كل شىء (كَذَٰلِكَ) أى كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ) أخبار (مَا قَدْ سَبَقَ) من الأمم (وَقَدْ آتَيْنَاكَ) أعطيناك (مِنْ لَدُنَّا) من عندنا (ذِكْرًا) قرآنا (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ) فلم يؤمن به (فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) حملا ثقيلا من الإثم (خَالِدِينَ فِيهِ) أى فى عذاب الوزر (وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا) تمييز مفسر للضمير فى ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة (يَوْمَ نَنْفُخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الثانية (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) عيونهم مع سواد وجوههم (يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ) يتسارّون (إِنْ) ما (لَبِثْتُمْ) فى الدنيا (إِلَّا عَشْرًا):

من

(قوله من الاثم) بيان للحمل الثقيل (قوله خالدين فيها) الجملة فى محل نصب على الحال من الضمير فى يحمل العائد على من باعتبار معناها، والتقدير يحملون الوزر حال كونهم مخلدين فيه (قوله أى فى الوزر) أى عقابه فالكلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملا) ساء فعل ماض لانشاء الذم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملا ولهم جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحملا تمييز والمخصوص بالذم محذوف قدّره المفسر بقوله وزرهم. (قوله يوم ننفخ) أى نأمر بالنفخ وفى قراءة سبعية أيضا بالياء مع بناء الفعل للمفعول أى ينفخ إسرافيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عدد أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقا) حال من المجرمين (قوله مع سواد وجوههم) خصت بالذكر لأنها مظهر القبيح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول.

من الليالي بأيامها (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) في ذلك ، أي ليس كما قالوا (إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ) أعدلهم (طَرِيقَةً) فيه (إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) يستقلون لبثهم في الدنيا جداً لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها (وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ) كيف تكون يوم القيامة (فَقُلْ) لهم (يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا) بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح (فَيَذَرُهَا قَاعًا) منبسطا (صَفْصَفًا) مستويا (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا) انخفاضا (وَلَا أَمْتًا) ارتفاعا (يَوْمَئِذٍ) أي يوم إذ نسفت الجبال (يَتَّبِعُونَ) أي الناس بعد القيام من القبور (الدَّاعِيَ) إلى المحشر بصوته وهو إسرافيل يقول : هلموا إلى عرض الرحمن (لَا عِوَجَ لَهُ) أي لاتباعهم أي لا يقدرون أن لا يتبعوا (وَخَشَعَتِ) سكنت (الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) صوت وطء الأقدام في نقلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) أحداً (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ) أن يشفع له (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) بأن يقول : لا إله إلا الله (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمور الدنيا (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) لا يعلمون ذلك (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ) خضعت (لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ) أي الله (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا) أي شركا (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ) الطاعات ،

(قوله من الليالي بأيامها) خص المفسر الشرطي الليالي دون الأيام لتجريده من التاء فإن المعدود إذا كان مؤنثا جرد العدد من التاء عكس المذكر (قوله أمثلهم طريقة) أي أعدلهم رأيا في الدنيا (قوله لما عاينوه في الآخرة من الهول) أي فنسب ذلك القول لهم لشدة ما عاينوا من الهول لا لكونه أقرب إلى الصدق (قوله ويسئلونك) أي كفار مكة تعنتا واستهزاء (قوله ثم يطيرها بالرياح) أي فالمعنى أنها تذهب بقدرة الله فلا يبقى لها أثر (قوله فيذرها) أي يتركها والضمير عائد على الأرض (قوله قاعا صفصفا) حالان من الضمير في يذرها ، والقاع المستوى الصلب ، والصفصف الأرض الملساء فهو قريب في المعنى من القاع فهو توكيد له (قوله عوجا) تقدم أن العوج بالكسر في المعاني و بالفتح في المحسوسات وما هنا من الثاني لكن عبر فيه بالكسر لأنه لشدة غرابته كأنه صار من قبيل المعاني (قوله يتبعون الداعي) أي فيقبلون من كل جهة (قوله وهو إسرافيل) أي فيضع الصور على فيه و يقف على صخرة بيت المقدس ويقول : يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون عليه ، وقيل المنادي جبريل والنافخ إسرافيل وصححه بعضهم (قوله إلى عرض الرحمن) أي العرض عليه (قوله لا عوج له) أي لا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا بل يأتونه سراعا (قوله الرحمن) أي لجلاله وهيبته (قوله إلا همسا) مفعول به وهو استثناء مفرغ (قوله إلا من أذن له الرحمن) من مفعول به وهي واقعة على المشفوع له أو على الشفيع فقول المفسر أن يشفع له أي أو يشفع في غيره (قوله بأن يقول لا إله إلا الله) أي مع عديلتها وهي محمد رسول الله ، والمعنى أن من مات على الاسلام فقد رضي الله قوله وأذن له أن يشفع في غيره وأن يشفع غيره فيه (قوله ما بين أيديهم) أي الخلق عموما (قوله ولا يحيطون به) أي بما بين أيديهم وما خلفهم (قوله لا يعلمون ذلك) أي لا تفصيلا ولا إجمالا وإنما يعلمه الله سبحانه وتعالى (قوله وعنت الوجوه) عنا فعل ماض والتاء للتأنيث والوجوه فاعل وأصله عنوت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين فهو من باب سما يسمو سموا وأما عنى كرضى يعنى عنا فهو بمعنى تعب وليس مرادا هنا بل المراد خضعت وذلت وأل في الوجوه للاستغراق أي كل الوجوه والمراد أصحابها وخصت الوجوه بالذكر لأن الذل أول ما يظهر فيها (قوله للحي) أي الذي حياته أبدية لا أول لها ولا آخر (قوله القيوم) أي القائم على كل نفس بما كسبت فيجازيها على الخير والشر (قوله وقد خاب من حمل ظلما) أشار بذلك إلى أن الخلائق تنقسم في القيامة قسمين أهل سعادة وأهل شقاوة وكلاهما في خضوع وذل لله جل جلاله لكن أهل السعادة خضوعهم إجلالا وهيبة ورغبة في الله وأهل الشقاوة خضوعهم رهبة و إشفاقا من عذاب الله ويأسا من رحمة الله قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله خسر) أي ظهر خسرانه (قوله من حمل ظلما) أي تحمله وارتكبه وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على أن أهل الظلم خائبون خاسرون أي معرضون لذلك ففي الحديث « الظلم ظلمات يوم القيامة » فإن الظالم ربما أداه ظلمه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فإذا مات على ذلك فهو مخلد في النار و إن مات على الاسلام فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة في سيئاته والنقص من حسناته .

(قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما) أى وبضدها تتميز الأشياء ، فالعاصى الظالم يخاف زيادة سيئاته ونقص حسناته لما ورد أنه يؤخذ من حسناته للمظلوم فاذا لم يبق له حسنات طرح من سيئات المظلوم عليه (قوله أى مثل إنزال ماذكر) أى الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة الغريبة (قوله أنزلناه) أى على لسان جبريل مفرقا فى ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع (قوله عربيا) أى بلغة العرب ليعرفوا أنه فى الفصاحة والبلاغة خارج عن طوق البشر (قوله من الوعيد) أى التخويف (قوله لعلهم يتقون الشرك) أى يجعلون بينهم و بين الشرك وقاية بأن يؤمنوا (قوله أو يحدث لهم ذكرا) أى موعظة فى القلوب فينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهى وتكرار للمواعظ فى القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده سيما مع إمهالهم وعدم معاجلتهم بالأخذ ولذلك يقال للكفار يوم القيامة أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير (قوله الملك) أى النافذ حكمه وأمره (قوله الحق) أى الثابت الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ولاتعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه) المعنى لاتتعجل بقراءة ماألقاه عليك جبريل فى قلبك حتى يقرأه عليك ، وسبب ذلك أن جبريل كان يأتى للنبى بالقرآن فيلابس جسمه و يضعه فى قلبه فيريد النبى التعجل والنطق به فأمره الله أن لاينطق به حتى يقرأه جبريل

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا) بزيادة فى سيآته (وَلَا هَضْمًا) بنقص من حسناته (وَكَذَٰلِكَ) معطوف على كذلك نقص ، أى مثل إنزال ماذكر (أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن (قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الشرك (أَوْ يُحْدِثُ) القرآن (لَهُمْ ذِكْرًا) بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) عما يقول المشركون (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ) أى بقراءته (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أى يفرغ جبريل من إبلاغه (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) أى بالقرآن فكلما أنزل عليه شىء منه زاد به علمه (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ) وصيناه أن لايأكل من الشجرة (مِنْ قَبْلُ) أى قبل أكله منها (فَنَسِيَ) ترك عهدنا (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) حزما وصبرا عما نهيناه عنه (وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة و يعبد الله معهم (أَبَىٰ) عن السجود لآدم قال أنا خير منه (فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ) حواء بالمد (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ) تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك ،

باللسان عليه ظاهرا وهذا معنى قوله تعالى - لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ، والحكمة فى تلقى رسول الله عن جبريل ظاهرا أنه يكون سنة متبعة لأمته فهم مأمورون بالتلقى من أفواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور بل التلقى له سر آخر (قوله وقل رب زدنى علما) أى سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالى نزول القرآن فانها أفضل مايسئل وأعز مايطلب ، ومن هنا أمر المشايخ المريدين بتلاوة القرآن واقتصر والتعبد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم وما داموا لم يكملوا يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم والحكمة فى ذلك أن الغفلة فى الذكر أخف منها فى القرآن لما فى الأثر : رب قارئ والقرآن يلعنه ، فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقا يجاهدون أنفسهم فيها ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوما ومعارف وأخلاقا وحينئذ فليس تركهم القراءة فى المبدإ لكون غيره أفضل منه بل لينظفوا أنفسهم للقراءة (قوله وصيناه أن لا يأكل من الشجرة) أى نهيناه عن الأكل منها وحتمنا عليه الأكل منها فغلب مرادنا على أمرنا (قوله ترك عهدنا) أى متأولا حيث غلطه إبليس بقوله : هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فظن أنه لايحلف أحد بالله كذبا (قوله و إذ قلنا للملائكة) كررت هذه القصة فى سبع سور من القرآن تعليما للعباد امتثال الأمر واجتناب النهى وعطف هذه القصة على ما قبلها من عطف السبب على المسبب لأن هذه القصة سبب فى عداوة إبليس لآدم (قوله فسجدوا) أى جميعا وتقدم الجواب عن سجود الملائكة بأوضح وجه (قوله إلا إبليس) استثناء متصل أو منقطع (قوله كان يصحب الملائكة الخ) توجيه للاتصال لكونه لم يعبر بلكن (قوله فلايخرجنكما) النهى لابليس صورة ، والمراد نهيهما عن تعاطى أسباب الخروج فيتسبب عن ذلك حصول التعب له فى الدنيا .

(قوله والتصر على شقاه) أى مع أن النهى لهما معا (قوله إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى الخ) قابل الله سبحانه وتعالى بين الجوع والعرى والظمأ والضحو وإن كان الجوع يقابل العطش والعرى يقابل الضحو ، لأن الجوع ذلّ الباطن والعرى ذلّ الظاهر والظمأ حر الباطن والضحو حر الظاهر فنفى عن ساكن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن (قوله بفتح الهمزة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال يا آدم) بيان لصورة الوسوسة (قوله فبدت لهما سوآتهما) أى بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلا من الشجرة (قوله يسوء صاحبه) أى يحزنه (قوله من ورق الجنة) أى ورق التين فصارا يلزقان بعضه ببعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (قوله وعصى آدم ربه فغوى) أى وقع فيما نهى عنه متأولا حيث تخلف ما قصده بأكله من الشجرة وضل عن مطلوبه وهو الخلود فى الجنة فمعصيته وقوعه فى المخالفة باعتبار الواقع لا فى القصد والنية بل قصده ونيته امتثال الأمر وتجنب ما يوجب الخروج وحينئذ فلا يجوز أن يطلق على آدم العصيان والغواية من غير اقتران بالتأويل ولا نفى اسم العصيان عنه لصريح الآية وعلى كل حال فالله عنه راض وهو معصوم قبل النبوّة وبعدها من كل ما يخالف أمر الله هذا هو الحق فى تقرير هذا المقام . واعلم أن الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتشريع والمصالح كما هو معهود فى نصوص الشرع وتسمية الله له فى حقهم معصية من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بالأكل (٦٣) من الشجرة) تقدم أنها الحنطة

واقتصر على شقاه لأن الرجل يسعى على زوجته (إِنَّ لَكَ أَ) نْ (لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ) بفتح الهمزة وكسرها عطف على اسم إن وجملتها (لَا تَظْمَؤُا فِيهَا) تعطش (وَلَا تَضْحَى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لانتفاء الشمس فى الجنة (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ) أى التى يخلد من يأكل منها (وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى) لا يفنى وهو لازم الخلد (فَأَكَلَا) أى آدم وحواء (مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا) أى ظهر لكل منهما قُبُلُه وقُبُلُ الآخر ودُبُرُهُ وسمى كل منهما سوأة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ) أخذا يلزقان (عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ) ليستترا به (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) بالأكل من الشجرة (ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ) قربه (فَتَابَ عَلَيْهِ) قبل توبته (وَهَدَى) أى هداه إلى المداومة على التوبة (قَالَ اهْبِطَا) أى آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما (مِنْهَا) من الجنة (جَمِيعًا بَعْضُكُمْ) بعض الذرية (لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) من ظلم بعضهم بعضا (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ) أى القرآن (فَلَا يَضِلُّ) فى الدنيا (وَلَا يَشْقَى) فى الآخرة (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي) أى القرآن فلم يؤمن به (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا)

وقيل التين وقيل غير ذلك (قوله ثم اجتباه) أى اصطفاه واختاره (قوله قبل توبته) أى بقوله ربنا ظلمنا أنفسنا الخ (قوله إلى المداومة على التوبة) أى الاستمرار عليها (قوله قال اهبطا) أى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة لأن مكثهما فيها كان معلقا على عدم أكلهما من الشجرة وقد سبق فى علمه تعالى أنهما يأكلان منها فهو أمر مبرم والمعلق على المبرم مبرم فإخراجهما ليس للغضب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما لأنهما خرجا من الجنة منفردين ويعودان إليها بمائة وعشرين صفا من أولادهما لا يحيط بعدة تلك الصفوف إلا الله تعالى . إن قلت ما الحكمة فى تعليق الخروج على الأكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب . أجيب بأن الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكريم أن لا يسلب نعمته عن المنعم عليه إلا بحجة قال تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (قوله أى آدم وحواء) يحتمل أن أى حرف نداء وآدم منادى مبنى على الضم فى محل نصب وحواء معطوف على آدم ، ويحتمل أن أى حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير فى اهبطا (قوله بما اشتملتما عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف حيث جمع فيها وتقدم لنا وجه آخر فى التوفيق بينهما بأن الجمع باعتبار آدم وحواء وإبليس والحية وعلى هذا فقوله بعضكم لبعض عدو باعتبار أن الحية وإبليس عدو لآدم وذريته (قوله من ظلم بعضهم بعضا) أى من أجل ظلم بعضهم بعضا لما فى الحديث «سألت ربى أن لا يسلط على أمتى عدوا من سوى أنفسها فاستجاب لى» (قوله فإما يأتينكم منى هدى) إن شرطية مدغمة فى ما الزائدة ويأتينكم فعل الشرط مبنى على الفتح فى محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومنى متعلق بهدى وهدى فاعل وقوله فمن اتبع الخ من شرطية واتبع فعل الشرط وجملة فلا يضلّ جوابه وقوله ومن أعرض الخ جملة شرطية أيضا والجملتان فى محل جزم جواب الشرط الأول (قوله أى القرآن) فى تفسير الهدى والذكر

فيما يأتي بالقرآن قصور لأن الخطاب مع آدم وذرّيته وهداهم وتذكيرهم أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب النازلة على الرسل فالمناسب أن يقول أى كتاب ورسول (قوله بالتنوين) أى وصلا و إبداله ألفا وقفا وفى قراءة شاذة ضنكى كسكرى بألف بدل عن التنوين إجراء للوصل مجرى الوقف (قوله مصدر) أى وهو لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث بل هو لفظ واحد للجميع ولذلك لم يقل ضنكة (قوله بعذاب الكافر فى قبره) أى لما ورد أنه يضغط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال فى العذاب حتى يبعث ، وقيل المراد بالعيشة الضنكى الحياة فيما يغضب الله تعالى و إن كان فى رخاء ونعمة إذ لاخير فى نعمة بعدها النار لما فى الحديث «رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا» (قوله أى المعرض عن القرآن) المناسب أن يقول المعرض عن الهدى لما علمت (قوله أى أعمى البصر) أى وذلك فى المحشر فاذا دخل النار زال عماه ليرى مقعده فى النار وعذابه بها (قوله الأمر كذلك) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله تركتها ولم تؤمن بها) أى فالمراد بالنسيان الاعراض وعدم الإيمان بها ، وليس المراد حقيقة النسيان وحينئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن من حفظ القرآن ثم نسيه يحشر يوم القيامة أعمى لأنه أمر اختلف فيه العلماء ، فمذهب مالك رضى الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن مستحب أكيد ابتداء ودواما فنسيانه مكروه ، ومذهب الشافعى نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه (قوله أدوم) أى لأنه لاينقطع بخلاف عذاب الدنيا والقبر (قوله أفلم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يهد لهم (قوله يتبين) أشار بذلك إلى أن يهد فعل لازم ، والمعنى أعموا فلم يظهر لهم إهلاكنا كثيرا من قبلهم من القرون (قوله مفعول به) أى وتمييزها محذوف أى قرنا وقوله من القرون متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز

(٦٤)

بالتنوين مصدر بمعنى ضيقة وفسرت فى حديث بعذاب الكافر فى قبره (وَنَحْشُرُهُ) أى المعرض عن القرآن (يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أى أعمى البصر (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً) فى الدنيا وعند البعث (قَالَ) الأمر (كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا) تركتها ولم تؤمن بها (وَكَذَٰلِكَ) مثل نسيانك آياتنا (الْيَوْمَ تُنْسَى) تترك فى النار (وَكَذَٰلِكَ) ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن (نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ) أشرك (وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وَأَبْقَى) أدوم (أَفَلَمْ يَهْدِ) يتبين (لَهُمْ) لكفار مكة (كَمْ) خبرية مفعول به (أَهْلَكْنَا) أى كثيرا إهلاكنا (قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ) أى الأمم الماضية بتكذيب الرسل (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِنِهِمْ) فى سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ، وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالى عن حرف مصدرى لرعاية المعنى لامانع منه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) لعبرا (لِأُولِي النُّهَى) لذوى العقول (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة (لَكَانَ) الإهلاك (لِزَاماً) لازما لهم فى الدنيا (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر فى كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد ، (فاصبر

(قوله بتكذيب الرسل) الباء سببية أى إن الاهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الايمان ورسله (قوله وماذكر) مبتدأ وقوله لامانع منه خبره ، والمعنى أن أخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى لايتوقف على الحرف المصدرى بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابك لتوقف المعنى عليه وأما لصحة الاعراب فلا يكون غالبا إلا بحرف مصدرى (قوله لذوى العقول) أى السليمة الصافية وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون (قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) أى أن الله سبحانه وتعالى سبق فى علمه تأخير العذاب العام لهذه الأمة إكراما لنبيها ولولا ذلك لحلّ بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية فتأخيره إمهال لا إهمال ليتدارك الكافر مافاته فيما بقى من عمره فان تاب قبله ربه (قوله معطوف على الضمير المستتر فى كان) أى والمعنى لكان الاهلاك والأجل المعين له لزاما أى لازما لهم ، ولم يقل لازمين لأن لزاما مصدر فى الأصل و إن كان هنا بمعنى اسم الفاعل وقوله وقام الفصل الخ أى أن العطف على ضمير الرفع المتصل جائز إذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما كما هنا ، قال ابن مالك :

و إن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل ... أو فاصل ما

وأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله وأجل مسمى معطوفا على كلمة . والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى وهو مدة معيشتهم فى الدنيا التى قدرها الله لهم لكان العذاب العام لازما (قوله فاصبر على مايقولون) أى حيث علمت أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل هو لازم لهم فى القيامة فتسلَّ واصبر ولا تنزعج (قوله منسوخ بآية القتال) أى وعليه فالمراد بقوله اصبر لاتعاجلهم بالقتال ، وقيل إن الآية محكمة وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الأذية (قوله صل) إنما سمى التسبيح والتحميد صلاة لاشتمالها عليهما ولأن المقصود من الصلاة تنزيه الله عن كل نقص . والمعنى لاتشتغل بالدعاء عليهم بل صل الصلوات الخمس ولما كان الأصل فى الأمر الوجوب حمل الأمر بالتسبيح والتحميد على الأمر بالصلاة (قوله حال) أى من فاعل سبح والباء فى بحمد ربك للملابسة كما قال المفسر (قوله ومن آناء الليل) جمع إنى بكسر الهمزة والقصر كمعى وأصله أأناء بهمزتين أبدلت الثانية ألفا على القاعدة المعروفة (قوله وأطراف النهار) المراد بالجمع مافوق الواحد لأن المراد به الزمن الذى هو آخر النصف الأول وأول الثانى (قوله المنصوب) أى بسبح . والمعنى صل فى أطراف النهار وهو الوقت الذى يجمع الطرفين وهو الزوال (قوله لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح فى هذه الأوقات لعلك ترضى بذلك ، وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشعر بأنه صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين (٦٥) حيث قال له ربه لعلك ترضى ولم يقل لعلى أرضى عليك ونحو ذلك ومن هنا قوله عليه الصلاة والسلام «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» وقول السيدة عائشة رضى الله عنها : ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك فصلاته صلى الله عليه وسلم مأمور بها ليرضى هو لا ليكفر الله عنه سيئاته ولا ليرضى عليه وحينئذ فلا كلفة عليه فيها لأن فيها شهوده لربه الذى هو قرة عينه وللعارفين الكاملين من أمته نصيب من هذا المقام (قوله ولا تمدن عينيك) عطف على فاصبر : أى لاتنظر بعينيك إلى زهرة الدنيا نظر رغبة وهذا الخطاب لرسول الله ، والمراد غيره لأن ذلك مستحيل عليه لما ورد أنه خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وورد «لست من الدنيا وليست الدنيا منى» (قوله أصنافا منهم) أى الخلق فالدنيا دائرة فى أصناف الخلق فتارة تكون مع الشريف وتارة مع الوضيع وهكذا (قوله زهرة الحياة الدنيا) الأحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثان لمتعنا بتضمينه معنى أعطينا والأول هو قوله أزواجا (قوله بأن يطغوا) الباء سببية أى نفتنهم بسبب طغيانهم فيه (قوله ورزق ربك خير وأبقى) أى فعلى الانسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى وهو الجنة ونعيمها ويترك مايفنى وهو الدنيا وقسمته الأزلية تأتيه منها من غير تعب ولا مشقة (قوله وأمر أهلك) أى أمتك (قوله واصطبر عليها) أى وأمرهم بذلك (قوله نحن نرزقك) أى نحن متكفلون برزقك فتفرغ لما كلفت به ولا تشتغل بما تكفلنا لك به ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهل بيته ضيق أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية » (قوله والعاقبة للتقوى) أى الجميلة المحمودة لأهل التقوى (قوله أى المشركون) أى وهم كفار مكة (قوله مما يقترحونه) أى يطلبونه تعنتا كما تقدم بعضه فى قوله تعالى : وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات (قوله أو لم تأتهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف أى أعموا ولم تأتهم الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان

(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) منسوخ بآية القتال (وَسَبِّحْ) صلِّ (بِحَمْدِ رَبِّكَ) حال أى متلبسا به (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) صلاة الصبح (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) صلاة العصر (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ) ساعاته (فَسَبِّحْ) صلِّ المغرب والعشاء (وَأَطْرَافَ النَّهَارِ) عطف على محل من آناء المنصوب أى صلِّ الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثانى (لَعَلَّكَ تَرْضَى) بما تعطى من الثواب (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينتها وبهجتها (لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) بأن يطغوا (وَرِزْقُ رَبِّكَ) فى الجنة (خَيْرٌ) مما أوتوه فى الدنيا (وَأَبْقَى) أدوم (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) اصبر (لَا نَسْأَلُكَ) نكلفك (رِزْقًا) لنفسك ولا لغيرك (نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ) الجنة (لِلتَّقْوَى) لأهلها (وَقَالُوا) أى المشركون (لَوْلَا) هلا (يَأْتِينَا) محمد (بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) مما يقترحونه (أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ) بالتاء والياء (بَيِّنَةُ) بيان ،

(قوله مافى الصحف الأولى) أى الكتب المتقدمة . والمعنى ألم يكتفوا بالقرآن المحتوى على أخبار الأمم الماضية (قوله ولو أنا أهلكناهم) كلام مستأنف لتقرير ماقبله (قوله لقالوا ربنا الخ) أى لكان لهم أن يحتجوا يوم القيامة ويعتذروا بهذا العذر فقطع الله عذرهم بارسال الرسول لهم ولم يهلكهم قبل مجيئه (قوله من قبل أن نذل) أى يحصل لنا الذل والهوان (قوله ونخزى) أى نفتضح (قوله مايؤول إليه الأمر) أى أمرنا وأمركم (قوله فتربصوا) أى انتظروا (قوله من أصحاب الصراط السوى) من فى الموضعين استفهامية والكلام على حذف مضاف والتقدير فستعلمون جواب من أصحاب الخ وهو أنهم هم المؤمنون (قوله ومن اهتدى من الضلالة) أشار المفسر إلى وجه المغايرة بين القسمين ، فأصحاب الصراط السوى من لم يضل أصلا كالنبى ومن أسلم صبيا ، ومن اهتدى هو من سبق له الكفر ثم أسلم بعد ذلك .

[سورة الأنبياء عليهم السلام] سميت بذلك لذكر قصص جملة من الأنبياء فيها (قوله مكية) أى نزلت قبل الهجرة باتفاق (قوله أو اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف مرتب على الخلاف فى قوله تعالى قال أفتعبدون من دون الله إلى قوله أفلا تعقلون هل هو آية واحدة أو آيتان وأول الثانية قوله أف لكم الخ (قوله أهل مكة) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق العام وإرادة الخاص وحاصل ذلك أن كفار قريش قالوا محمد يهددنا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بعيد فأنزل الله اقترب للناس حسابهم ووجه قرب الحساب أنه آت لامحالة وكل آت قريب أو يقال إن قربه باعتبار مامضى من الزمان فإن مابقى أقل مما مضى (قوله وهم فى غفلة معرضون) الجملة حالية أى قرب حسابهم والحال أنهم غافلون معرضون غير متأهبين له

(٦٦)

(مَافِي الصُّحُفِ الْأُولَى) المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ) قبل محمد الرسول (لَقَالُوا) يوم القيامة (رَبَّنَا لَوْلَا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ) فى القيامة (وَنَخْزَى) فى جهنم (قُلْ) لهم (كُلٌّ) منا ومنكم (مُتَرَبِّصٌ) منتظر مايؤول إليه الأمر (فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ) فى القيامة (مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ) الطريق (السَّوِيِّ) المستقيم (وَمَنِ اهْتَدَى) من الضلالة أنحن أم أنتم .

(سورة الأنبياء)

مكية ، وهى مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . اقْتَرَبَ) قرب (لِلنَّاسِ) أهل مكة منكرى البعث (حِسَابُهُمْ) يوم القيامة (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عنه (مُعْرِضُونَ) عن التأهب له بالإيمان (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ) شيئا فشيئا أى لفظ قرآن (إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) يستهزئون (لَاهِيَةً) غافلة (قُلُوبُهُمْ) عن معناه (وَأَسَرُّوا النَّجْوَى) أى الكلام (الَّذِينَ ظَلَمُوا) بدل من واو وأسروا النجوى ،

والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فهذه الآية وإن كان سببها الرد على كفار مكة إلا أن العبرة بعمومها (هل (قوله مايأتيهم من ذكر) هذا فى معنى العلة لماقبله كأنه قال معرضون لأنه مايأتيهم من ذكر الخ (قوله من ربهم) الجار والمجرور متعلق بيأتيهم (قوله أى لفظ قرآن) دفع بذلك مايقال كيف وصف الذكر بالحدوث مع أن المراد به القرآن وهو قديم . فأجاب بأن وصفه بالحدوث باعتبار ألفاظه المنزلة علينا ، وأما باعتبار المدلول وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم وأما مادلت عليه الألفاظ الحادثة ، فمنها ماهو قديم كمدلول آية الكرسى والصمدية ، ومنها ماهو حادث كمدلول القصص وأخبار المتقدمين ، ومنها ماهو مستحيل كمدلول ما اتخذ الله من ولد (قوله وهم يلعبون) الجملة حالية من فاعل استمعوه وكذا قوله لاهية قلوبهم . والمعنى مايقرأ عليهم القرآن إلا استمعوه فى حال استهزائهم وكون قلوبهم غافلة عن معناه فلايسمعونه سماع تدبر وقبول وكل آية وردت فى الكفار جرت بذيلها على عصاة الأمة ، ففى هذه الآية تحذير لمن يستمع القرآن فى حال لهوه ولعبه وأقبح منه من يطرب بسماعه من حيث اشتماله على الأنغام المعروفة لامن حيث بلاغته ومواعظه وأحكامه وكونه من عند الله فانا لله وإنا إليه راجعون (قوله بدل من واو وأسروا النجوى)

(هَلْ هٰذَا) أى محمد (إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) فما يأتى به سحر (أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ) تتبعونه (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) تعلمون أنه سحر (قُلْ) لهم (رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ) كائناً (فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ) لما أسروه (الْعَلِيمُ) به (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر فى المواضع الثلاثة (قَالُوا) فيما أتى به من القرآن هو (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) أخلاط رآها فى النوم (بَلِ افْتَرَاهُ) اختلقه (بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) فما أتى به شعر (فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ) كالناقة والعصا واليد ، قال تعالى (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) بتكذيبها ما أتاها من الآيات (أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ) لا (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِمْ) لا ملائكة (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لاَتَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد (وَمَاجَعَلْنَاهُمْ) أى الرسل (جَسَداً) بمعنى أجساداً (لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) بل يأكلونه (وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) فى الدنيا (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ) بإنجائهم (فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ) أى المصدقين لهم (وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) المكذبين لهم ،

أشار بذلك إلى أن أسروا فعل ماض والواو فاعله والنجوى مفعوله والذين بدل وهذه إحدى طريقتين للنحويين فى الفعل الذى لحقته العلامة وأسند للظاهر . والطريقة الثانية أن الواو حرف علامة والذين فاعل وتسمى بلغة أكلونى البراغيث ولما كانت ضعيفة لاينبغى حمل الآية عليها أعرض عنها المفسر (قوله هل هذا إلا بشر مثلكم) بدل من النجوى مفسر لها أى فكانوا يتناجون بذلك سرا بينهم ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره (قوله أفتأتون السحر) أى تحضرونه وتقبلونه (قوله وأنتم تبصرون) الجملة حالية من فاعل تأتون (قوله فى السماء والأرض) أشار المفسر إلى أنه حال من القول أى يعلم القول حال كون القول كائنا فى السماء والأرض (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أى فلاتقع بل فى القرآن إلا للانتقال لا للابطال لأنه يكون إضرابا عن الكلام السابق و إعراضا عنه لكونه صدر على وجه الغلط وتنزه الله عنه خلافا لمن يقول إنها تأتى للابطال واستدل بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون وقوله تعالى أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق ولا دليل فى ذلك لأن بل فيهما للانتقال من الاخبار بقولهم إلى الاخبار بالواقع فتأمل (قوله أضغاث أحلام) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو والجملة مقول القول (قوله بل هو شاعر) أى يأتى بكلام يخيل للسامع معانى لاحقيقة لها وليس المراد بالشعر هنا خصوص الكلام المقفى الموزون قصدا بل ماهو أعم (قوله فليأتنا بآية) جواب شرط مقدر كأنه قيل و إن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا كما يزعم فليأتنا الخ (قوله كما أرسل الأولون) صفة لمصدر محذوف والتقدير إتيانا كائنا مثل إرسال الأولين (قوله من قرية) من زائدة فى الفاعل (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله وما أرسلنا) رد لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (قوله يوحى إليهم) أى يأتيهم الوحى بالشرائع والأحكام ، والمعنى ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لأمتك إلا رجالا من أفراد جنسك متأهلين للارسال (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فاسئلوا أهل الذكر) أى المطلعين على أحوال الرسل الماضية فإنهم يخبرونكم بحقيقة الحال (قوله العلماء بالتوراة والانجيل) إنما أحالهم عليهم لأنهم كانوا يرسلون للمشركين أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم فهم مشتركون فى العداوة لرسول الله وأصحابه فلا يكذبونهم فيما هم فيه (قوله من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أى أقرب من تصديقكم المؤمنين . والمعنى إذا أخبركم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لألفتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين (قوله وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام) رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام . والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (قوله وما كانوا خالدين) أى ما كثين على سبيل الخلود فى الدنيا بل يموتون كغيرهم (قوله ثم صدقناهم الوعد) أى باهلاك أعدائهم (قوله بإنجائهم) محمول على الرسل الذين أمروا بالجهاد فلا يرد من قتل من الرسل فإنهم لم يؤمروا بالجهاد (قوله ومن نشاء) أى المؤمنين الذين اتبعوهم . وقد وقع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كبراء أصحابه الذين حضروا مغازيه لم يموتوا فى حروبه بل بقوا بعده ومهدوا دينه .

(لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا معشر قريش (كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) لأنه بلغتكم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فتؤمنون به (وَكَمْ قَصَمْنَا) أهلكنا (مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلها (كَانَتْ ظَالِمَةً) كافرة (وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا) أى شعر أهل القرية بالإهلاك (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) يهربون مسرعين فقالت لهم الملائكة استهزاء (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ) نعمتم (فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) شيئا من دنياكم على العادة (قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالكفر (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ) الكلمات (دَعْوَاهُمْ) يدعون بها ويرددونها (حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا) أى كالزرع المحصود بالمناجل بأن قتلوا بالسيف (خَامِدِينَ) ميتين كخمود النار إذا طفئت (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) عابثين بل دالين على قدرتنا ونافعين عبادنا (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا) ما يلهى به من زوجة أو ولد (لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من عندنا من الحور العين والملائكة ،

(قوله لقد أنزلنا إليكم كتابا) كلام مستأنف قصد به التبكيت عليهم . والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لأنه بلسانكم وعلى لغتكم فكان بمقتضى الحمية والعقل أن تعظموا هذا الكتاب وهذا النبي الذي جاء به وتكونوا أول مؤمن به فاعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم (قوله فيه ذكركم) أى الثناء عليكم بالجميل أو شرفكم أو مواعظكم (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم فلا تعقلون أن الأمر كذلك (قوله وكم قصمنا من قرية) كم خبرية مفعول مقدم لقصمنا ومن قرية بيان لكم (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الأمة عن عدم الإيمان والرجوع عن الكفر بأنهم لايغرنهم سعة الدنيا عليهم والتفاخر بالأموال والأولاد كأن الله يقول لهم لاتغتروا بذلك فاننا أهلكنا كثيرا من أهل القرى الكفار وماجرى عليهم يجرى عليكم وأهل القرى قيل المراد بهم الأمم الماضية كقوم نوح ولوط وصالح وشعيب وغيرهم ، وقيل المراد بهم أهل قرية باليمن تسمى حضور بوزن شكور بعث الله عليهم موسى بن ميشا بن يوسف بن يعقوب نبيا قبل موسى بن عمران فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر فقتل رجالهم وسبى نساءهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لاتركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فانكم أهل نعمة وغنى فاتبعهم بختنصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء ياثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حيث لم ينفعهم فعلى القول الأول كم واقعة على القرى وعلى الثاني واقعة على أشخاص تلك القرية (قوله أى شعر أهل القرية) بفتح العين بمعنى علم وأما بالضم فمعناه تكلم بالشعر ضد النثر (قوله يهربون) أى فالركض كناية عن الهرب (قوله استهزاء بهم) (إن جواب عما يقال إن الملائكة معصومون من الكذب فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بأنهم مهلكون عن آخرهم فأجاب بأن هذا القول ليس على حقيقته بل سخرية بهم على حد : ذق إنك أنت العزيز الكريم (قوله ومساكنكم) بالجر عطفا على ما (قوله شيئا من دنياكم) أى فأنتم أهل سخاء وغنى تعطون الفقراء وهذا توبيخ وتهكم بهم (قوله بالكفر) أى وقتل موسى (قوله فما زالت) ما نافية وزال فعل ماض ناقص وتلك اسمها ودعواهم خبرها (قوله الكلمات) المراد بها قولهم ياويلنا إنا كنا ظالمين (قوله حتى جعلناهم) أى رجالهم وأما النساء فقد سباهم بختنصر كما تقدم وكلام المفسر يفيد أن هذه الآية حكاية عن أهل حضور (قوله كخمود النار) أى سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الهمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رمادا (قوله لاعبين) حال من فاعل خلقنا وهو محط النفي (قوله بل دالين على قدرتنا) ويسبحوننا دليل قوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - (قوله ونافعين عبادنا) أى وتفصيل جهات النفع بها لايعلمها إلا الله سبحانه وتعالى (قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا) رد على من أثبت الولد والزوجة لله (قوله لاتخذناه من لدنا) جواب لو واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم والمعنى لو تعلقت ارادتنا باتخاذ الزوجة والولد لاتخذناه من عندنا لكنا لم نتخذه فلم تتعلق به إرادتنا لاستحالة ذلك علينا .

(قوله إن كنا فاعلين) يحتمل أن تكون إن نافية أي ما كنا فاعلين (قوله بل نقذف بالحق على الباطل) أي شأننا أن نؤيد الحق ونذهب الباطل (قوله مما تصفون الله به) أشار بذلك إلى أن ما موصولة والعائد محذوف و يصح أن تكون مصدرية . والمعنى ولكم الويل من أجل وصفكم إياه بما لا يليق (قوله أي الملائكة) عبر عنهم بالعندية إشارة إلى أنهم في مكانة وشرف ورفعة (قوله لا يستكبرون) أي يتكبرون (قوله ولا يستحسرون) أي لا يكلون ولا يتعبون (قوله يسبحون الليل والنهار) المقصود من هذا الاخبار تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكيت الكفار على تركها لأن العبادة والتسبيح وصف أهل القرب والشرف وتركها وصف أهل البعد والخسة (قوله فهو منهم كالنفس منا) أي فهو سجية وطبيعة لهم ولا يشغلهم التسبيح عن غيره كلعن الكفرة ونزول الأرض وتبليغ الأحكام وغير ذلك كما أن اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام . إن قلت إن هذا قياس مع الفارق لأن آلة النفس غير آلة الكلام وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال . أجيب بأن الملائكة لهم ألسنة كثيرة بعضها يسبحون الله به و بعضها يلعنون أعداء الله به فلا يقاسون على بني آدم (قوله وهمزة الانكار) أي وهو راجع لقوله هم ينشرون (قوله هم ينشرون) أي حيث ادعوا أنها آلهة لزمهم ماذكر ضمنا والتزاما و إلا فهم لم يدعوا أنها تحيي الموتى (قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لو حرف شرط وكان تامة فعل الشرط وآلهة فاعلها وفيهما متعلق بكان و إلا بمعنى غير صفة لآلهة ظهر اعرابها فيما بعدها وقوله لفسدتا جواب الشرط ففعل الشرط يقال له المقدم وجوابه يقال له التالي واستثناء نقيض التالي ينتج نقيض المقدم . والمعنى لكنهما لم تفسدا فلم يكن فيهما آلهة غير الله والجمع في آلهة ليس قيدا وكذا قوله فيهما و إنما أتى بذلك ردا على الكفار في اتخاذهم الآلهة في السماء والأرض (قوله أي غيره) أشار بذلك إلى أن إلا صفة بمعنى غير فهي اسم لكن لم يظهر اعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز أن تكون أداة استثناء لا من جهة المعنى ولا من جهة اللفظ أما الأول فلأنه يلزم منه نفي التوحيد إذ التقدير لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا فيقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل وأما الثاني فلأن المستثنى منه يشترط أن يكون عاما و آلهة جمع منكر في الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه (قوله لوجود التمانع بينهم) أي التخالف بين الآلهة و يسمى الدليل على ذلك ببرهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما . وتقريره أن يقال لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهية وأراد أحدهما إيجاد شيء والآخر إعدامه فإما أن يتم مرادهما معا وهو باطل للزوم اجتماع الضدين أو لا يتم مرادهما معا وهو باطل أيضا للزوم عجز من لا يتم مراده وعجز من يتم مراده أيضا لوجود المماثلة بينهما فبطل التعدد وثبتت الوحدانية و إذا فرض اتفاقهما فهو باطل أيضا لوجود برهان التوارد وتقريره أيضا أن يقال لو فرض إلهان وأرادا معا إيجاد شيء فإما أن يحصل بإرادتهما معا وذلك باطل لأنه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد أو يسبق أحدهما إلى إيجاده فيلزم عليه عجز الآخر أو تحصيل الحاصل و يلزم عجز الأول لوجود المماثلة بينهما . واعلم أن الدليل على ثبوت الوحدانية لله النقل والعقل ، أما النقل فآيات كثيرة جدا منها : و إلهكم إله واحد لا إله إلا هو ، الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، هو الذي يصوركم في الأرحام كيف

(إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ) ذلك لكنا لم نفعله فلم نرده (بَلْ نَقْذِفُ) نرمي (بِالْحَقِّ) الإيمان (عَلَى الْبَاطِلِ) الكفر (فَيَدْمَغُهُ) يذهبه (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) ذاهب ، ودمغه في الأصل أصاب دماغه بالضرب وهو مقتل (وَلَكُمُ) يا كفار مكة (الْوَيْلُ) العذاب الشديد (مِمَّا تَصِفُونَ) الله به من الزوجة أو الولد (وَلَهُ) تعالى (مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا (وَمَنْ عِنْدَهُ) أي الملائكة مبتدأ خبره (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) لا يعيون (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل (أَمِ) بمعنى بل للانتقال وهمزة الانكار (اتَّخَذُوا آلِهَةً) كائنة (مِنَ الْأَرْضِ) كحجر وذهب وفضة (هُمْ) أي الآلهة (يُنْشِرُونَ) أي يحيون الموتى ؟ لا ، ولا يكون إلها إلا من يحيي الموتى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أي السموات والأرض (آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) أي غيره (لَفَسَدَتَا) خرجتا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه (فَسُبْحَانَ) تنزيه (اللَّهِ رَبِّ) خالق (الْعَرْشِ) ،

يشاء لا إله إلا هو إلى غير ذلك وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى ـ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ـ وكهذه الآية إذا علمت ذلك فالدليل فى هذه الآية قطعى كما هو الحق لكون الفساد مرتبا على فرض الاتفاق والاختلاف وليس إقناعيا بحسب مايفهمه المخاطب خلافا لما تقتضيه عبارة المفسر حيث أحاله على العادة و بهذه الآية انتفت الكموم الخمسة الكم المتصل فى الذات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير فيها والكم المتصل فى الصفات وهو التركيب فيها والكم المنفصل فيها وهو النظير والكم المنفصل فى الأفعال وهو المشارك له فيها ، والمتصل فيها لاينفى لأنه ثابت لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه فى خلقه (قوله الكرسى) الصواب إبقاء العرش على ماهو عليه لأن التحقيق أن العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته والكرسى تحته وخص العرش بالذكر لأنه أعظم من غيره فإذا كان الله رب العرش كان رب غيره بالأولى (قوله لايسئل عما يفعل) أى لايسئل عما يحكم فى عباده من إعزاز وإذلال وهدى و إضلال و إسعاد و إشقاء لأنه الرب الخالق المالك لجميع الأشياء ، إذا علمت ذلك فالاعتراض على أفعال الله إما كفر أو قريب منه (قوله وهم يسئلون) أى يقال للخلق لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم

الكرسى (عَمَّا يَصِفُونَ) أى الكفار الله به من الشريك له وغيره (لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ) عن أفعالهم (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) تعالى أى سواه (آلِهَةً) فيه استفهام توبيخ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ذلك ولا سبيل إليه (هَٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ) أى أمتى وهو القرآن (وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي) من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله ليس فى واحد منها أن مع الله إلها مما قالوا، تعالى عن ذلك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أى توحيد الله (فَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن النظر الموصل إليه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى) وفى قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) أى وحدونى (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا) من الملائكة (سُبْحَانَهُ ، بَلْ) هم (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) عنده والعبودية تنافى الولادة (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) لايأتون بقولهم إلا بعد قوله (وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ) أى بعده (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماعملوا وماهم عاملون (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) تعالى أن يشفع له (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ) تعالى (مُشْفِقُونَ) أى خائفون ،

وتبين بهذا أن من يسئل عن أعماله كعيسى والملائكة لايصلح للألوهية (قوله أم اتخذوا من دونه آلهة) إضراب انتقالى من بطلان التعدد إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على ألوهيتها (قوله فيه استفهام توبيخ) أى من حيث إن أم بمعنى الهمزة وسكت عن كونها بمعنى بل هنا والمناسب لما تقدم أنها بمعناها أيضا (قوله على ذلك) أى الاتخاذ كأن الله يقول لهم نحن قد أتينا ببراهين دالة على وحدانيتنا فائتوا ببرهان يدل على ثبوت الشريك لنا (ومن قوله هذا ذكر من معى) أى عظتهم ومتمسكهم على التوحيد (قوله ليس فى واحد منها) أى فراجعوها وانظروا هل فى واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهى عن الاشراك (قوله بل أكثرهم لايعلمون) إضراب انتقالى من محاجتهم إلى بيان أنهم كالبهائم لايميزون بين الحق والباطل (قوله الحق) الكلام على حذف مضاف أى توحيد الحق (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) تقرير لما قبله من كون التوحيد نطقت به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وقالوا) الضمير عائد على فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة و بنو سلمة حيث قالوا الملائكة بنات الله (قوله والعبودية تنافى الولادة) أى لأن عبد الانسان لا يكون ولده وهذا بحسب المعتاد عندهم (قوله وهم بأمره يعملون) أى لا يخالفونه فى القول ولافى العمل (قوله يعلم مابين أيديهم وما خلفهم) أى فهم يراقبونه فى جميع أحوالهم فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لعلمهم بأنه تعالى محيط بهم (قوله إلا لمن ارتضى) أى كان مؤمنا فلا يقدمون على الشفاعة إلا لمن علموا أن الله راض عنه و يقبل شفاعتهم فيه (قوله وهم من خشيته مشفقون) أى وجلون لايأمنون مكره ، والاشفاق الخوف مع الاجلال ويرادفه الخشية .

(قوله ومن يقل منهم) أي من الملائكة المحدث عنهم أولا بقوله بل عباد مكرمون وهذا على سبيل الفرض والتقدير لأنهم معصومون من الكفر والمعاصي ويحتمل أن القول قد وقع من بعضهم وهو إبليس كما قال المفسر وكونه من الملائكة باعتبار أنه كان بينهم وملحقا بهم في العبادة حتى قيل إنه كان أعبدهم (قوله دعا إلى عبادة نفسه) أي لأجل الاضلال والاغواء ولامانع من ذلك كما يقع لبعض الزنادقة من تشكلاته لهم في الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك ودعواه أنه رب العالمين وكما وقع لبرصيصا العابد حيث أتى له وهو مصلوب وقال له اسجدلي أنا أخلصك وإن كان في الواقع معترفا بالعبودية لله تعالى وآيسا من رحمته إذا علمت ذلك فكلام المفسر لاغبار عليه (قوله كذلك نجزي الظالمين) أي إياها (قوله أولم ير) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ويعلموا (قوله بواو ودونها) قراءتان سبعيتان (قوله ير الذين كفروا الخ) شروع في ذكر ستة أدلة على التوحيد وأن ماسوى الله مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله كانتا رتقا) أي شيئا واحدا لما روي أن الله خلق السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتها ففتقها بها وقيل خلق السموات قطعة واحدة مرتفعة والأرض قطعة واحدة منخفضة فجعل السموات سبعا والأرض سبعا (٧١) ولكن السموات طباق والأرض

(وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ) أي الله أي غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ) كما نجزيه (نَجْزِي الظَّالِمِينَ) أي المشركين (أَوَلَمْ) بواو وتركها (يَرَ) يعلم (الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا) أي سدًّا بمعنى مسدودة (فَفَتَقْنَاهُمَا) أي جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، أو فتق السماء أن كانت لاتمطر فأمطرت وفتق الأرض أن كانت لاتنبت فأنبتت (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ) النازل من السماء والنابع من الأرض (كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ) نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته (أَفَلَا يُؤْمِنُونَ) بتوحيدي (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت لـ (أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا) أي الرواسي (فِجَاجًا) مسالك (سُبُلًا) بدل أي طرقا نافذة واسعة (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) إلى مقاصدهم في الأسفار (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا) للأرض كالسقف للبيت (مَحْفُوظًا) عن الوقوع (وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا) من الشمس والقمر والنجوم (مُعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لاشريك له (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فِي فَلَكٍ) أي مستدير كالطاحونة

مختلف فيها قيل طباق وقيل مجاورة لبعضها كناية عن الأقاليم السبعة وتقدم الجواب عن جمع السموات وإفراد الأرض بأن جنس السموات مختلف بخلاف الأرض (قوله أن كانت لاتمطر) بفتح الهمزة مصدرية أي كونها لاتمطر فأمطرت (قوله من الماء) الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم وكل شيء مفعول أول مؤخر والمعنى ناشئا ومتسببا عنه (قوله نبات وغيره) أي فالحياة في كل شيء بحسبه فحياة الحيوان قيام الروح به وحياة النبات بروزه من الأرض وخضرته وإثماره (قوله رواسي) جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت واستقر (قوله أن تميد) قدر المفسر لا النافية لصحة التعليل أي لأجل عدم تحركها بهم لأن تثبيتها بالجبال لأجل عدم التحرك لا للتحرك (قوله إلى مقاصدهم) أي الدنيوية والأخروية (قوله كالسقف للبيت) أي وهذا ماعليه أهل السنة وقالت الحكماء إن السماء محيطة بالأرض كاحاطة بياض البيضة بصفارها إذا علمت ذلك فلا فرار من قضاء الله إلا إليه (قوله محفوظا عن الوقوع) أي أو عن الفساد والخلل (قوله وهم عن آياتها) أي الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله (قوله من الشمس والقمر) أي وغيرهما كالنجوم وارتفاعها من غير عمد ونزول الماء منها (قوله لايتفكرون فيها) أي مع أنهم لو سئلوا عمن خلق السموات والأرض ليقولن الله (قوله وهو الذي خلق الليل الخ) فيه التفات من التكلم للغيبة (قوله من الشمس والقمر) بيان للمضاف إليه المحذوف (قوله أي مستدير كالطاحونة) أي كهيئة فلكة المغزل أي ثقالته وقيل الفلك السماء التي تسير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن في البحر. واختلف الناس في حركات الكواكب على ثلاثة أقوال قيل إن الفلك ساكن والسير للكواكب وهو الذي يدل عليه لفظ القرآن، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب متحركة وحركة

كل تدافع حركة الآخر ، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب ساكنة ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى . واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الأرض وعليه الحكماء أو منتهى سيرهما فى العالم العلوى وعليه أهل السنة (قوله والتشبيه به) جواب عما يقال لم جمعهما بضمير العقلاء . فأجاب بأنه لما أسندت لهما السباحة التى هى من أفعال العقلاء جمعا جمعهم (قوله ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت) أى شماتة به (قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أى سبقت حكمتنا بأن كل بشر من قبلك بل ومن بعدك لايخلد فى الدنيا بل يذوق الموت واقتصر على البشر و إن كان غيره كذلك بدليل مابعده للرد عليهم لكونهم من البشر (قوله فالجملة الأخيرة الخ) أى فالهمزة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصدارة والأصل أفهم الخالدون إن مت (قوله كل نفس) أى مخلوقة فلا يرد ذات الله تعالى وهو دليل لما قبله أعم منه وليس معيبا وقوله ذائقة الموت أى ذائقة مرارة مفارقة الروح للجسم وهى فى غاية الصعوبة جدا ومثاله بعصر القصب بالآلة المعروفة فانه لايبقى فيه طراوة أصلا بل يؤخذ للنار حالا غير أن المؤمن يتسلى برؤية ما أعد له من النعيم الدائم والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعد له من العذاب الليم (قوله نختبركم) أى نعاملكم معاملة المختبر إذ لايخفى على الله شئ (قوله أتصبرون) راجع الشر وقوله وتشكرون راجع للخير فالمؤمن الكامل يشاهد الأشياء كلها من الله فاذا ابتلى بالفقر أو المرض مثلا رضى به وازداد إقبالا عليه و إذا أنعم عليه بالغنى أو الصحة مثلا ازداد شكرا وخوفا من الله فهو راض عن الله فى الحالتين وأما الكافر والفاسق فيشاهد الأشياء من الخلق فاذا ابتلى سخط و إذا أنعم عليه بطر فهو مغضوب عليه فى الحالتين ، (قوله وإلينا ترجعون) أى تردون فيظهر لكم جزاء أعمالكم إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله و إذا رآك الذين كفروا) رأى بصرية أى أبصرك المشركون (قوله إن يتخذونك) جواب إذا وإن نافية بمعنى ما كما قال المفسر (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله أهذا الذى الخ مقول لقول محذوف والمعنى يقول بعضهم لبعض فى حال الهزؤ والسخرية أهذا الخ (قوله وهم بذكر الرحمن هم كافرون) هم مبتدأ وكافرون خبره و بذكر متعلق به وهم الثانية تأكيد لفظى للأولى وحينئذ فقد فصل بين العامل والمعمول بالمؤكد و بين المؤكد والمؤكد بالمعمول و إضافة ذكر للرحمن من إضافة المصدر لفاعله كما أشار له المفسر حيث قدر لهم وحينئذ فالمراد بالذكر إرشاد الله لعباده بارسال الرسل و إنزال الكتب ويحتمل أنه مضاف لمفعوله أى ذكرهم الرحمن بالتوحيد (قوله إذ قالوا مانعرفه) أى الرحمن وذلك أنهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة وهو مسيلمة الكذاب (قوله فى استعجالهم العذاب) أى حيث قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله من عجل) هو ضد البطء أى السرعة فى الأمور (قوله أى أنه لكثرة عجله فى أحواله الخ) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة بالكناية حيث شبه العجل من حيث إن الانسان طبع عليه حتى صار كالجبلة له بالطين الذى خلق منه البشر وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو خلق ، والمعنى أن الانسان جبل على السرعة فى الأمور والعجلة فيها حتى إنه يقع فى المضرة ولايشعر (قوله مواعيدى بالعذاب) المراد متعلقاتها وهو أنواع العذاب فى الدنيا كوقعة بدر وغيرها وفى الآخرة كعذاب النار

(٧٢)

فى السماء (يَسْبَحُونَ) يسيرون بسرعة كالسابح فى الماء ، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل . ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) أى البقاء فى الدنيا (أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ) فيها ؟ لا ، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) فى الدنيا (وَنَبْلُوكُمْ) نختبركم (بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ) كفقر وغنى وسقم وصحة (فِتْنَةً) مفعول له أى لننظر أتصبرون وتشكرون أولا (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فنجازيكم (وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ) ما (يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) أى مهزوءا به يقولون (أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ) أى يعيبها (وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ) لهم (هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ) به إذ قالوا مانعرفه . ونزل فى استعجالهم العذاب (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) أى إنه لكثرة عجله فى أحواله كأنه خلق منه (سَأُرِيكُمْ آيَاتِي) مواعيدى بالعذاب (فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) فيه فأراهم القتل ببدر ، (و يقولون

(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالقيامة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، قال تعالى (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ) يدفعون (عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون منها فى القيامة ، وجواب لو ماقالوا ذلك (بَلْ تَأْتِيهِمْ) القيامة (بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ) تحيرهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فَحَاقَ) نزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قُلْ) لهم (مَنْ يَكْلَؤُكُمْ) يحفظكم (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) من عذابه إن نزل بكم ؟ أى لا أحد يفعل ذلك ، والمخاطبون لايخافون عذاب الله لإنكارهم له (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ) أى القرآن (مُعْرِضُونَ) لايتفكرون فيه (أَمْ) فيها معنى الهمزة للانكار أى أ (لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ) مما يسوؤهم (مِنْ دُونِنَا) أى ألهم من يمنعهم منه غيرنا (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى الآلهة (نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) فلا ينصرونهم (وَلَا هُمْ) أى الكفار (مِنَّا) من عذابنا (يُصْحَبُونَ) يجارون ، يقال صحبك الله ، أى حفظك وأجارك (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ) بما أنعمنا عليهم (حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) فاغتروا بذلك (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) نقصد أرضهم (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بالفتح على النبي (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) ؟ لا ، بل النبي وأصحابه (قُلْ) لهم (إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ) من الله لا من قبل نفسى (وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها و بين الياء (مَا يُنْذَرُونَ) أى هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم (وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ) وقعة خفيفة (مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلا كنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالإشراك وتكذيب محمد (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

(قوله و يقولون) أى استهزاء واستعجالا العذاب (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه والتقدير فأتوا به وهو خطاب منهم للنبي وأصحابه (قوله قال تعالى) كلام مستأنف لبيان شدة هول مايستعجلونه لجهلهم به (قوله ولاعن ظهورهم) أى فهو كناية عن إحاطة النار بهم من كل ناحية (قوله ماقالوا ذلك) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف (قوله بل تأتيهم بغتة) إضراب انتقالى من قولهم إلى بيان كيفية وقوع العذاب بهم (قوله ردها) أى دفعها (قوله فيه تسلية للنبي) أى حيث كان يغتم من استهزائهم وعدم انقيادهم (قوله قل من يكلؤكم الخ) أى قل يامحمد للمستهزئين القائلين لانعرف الرحمن من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه إن أراده بكم وقدم الليل لكثرة الآفات فيه (قوله والمخاطبون لايخافون الخ) توطئة لقوله : بل هم عن ذكر ربهم معرضون ، والمعنى ليس لهم حافظ ولامانع غير الرحمن غير أنهم لايخافونه لإعراضهم عن ذكره (قوله فيهامعنى الهمزة) أى زيادة على بل (قوله لايستطيعون نصر أنفسهم) أى فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم (قوله يجارون) أى ينقذون (قوله بل متعنا هؤلاء الخ) إضراب عما توهموه من أن حفظهم و إمدادهم بالنعم من قبل آلهتهم بل ماهم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم (قوله بالفتح على النبي) أى وتسليط المسلمين عليهم (قوله أفهم الغالبون) استفهام توبيخ وتقريع وفيه معنى الانكار ولذا قدر المفسر لا ، وقوله بل النبي وأصحابه أى هم الغالبون (قوله قل إنما أنذركم بالوحى) المقصود من ذلك توبيخهم على ماوقع منهم حيث أقام لهم الحجج والبراهين فلم يذعنوا لها (قوله ولايسمع الصم الدعاء) بالياء المفتوحة ورفع الصم على الفاعلية ونصب الدعاء على المفعولية وفى قراءة سبعية أيضا بالتاء المضمومة وكسر الميم خطاب للنبي والصم مفعوله الأول والدعاء مفعوله الثانى والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له أرح قلبك ولاتعلقه بهم وارض بحكم الله فيهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أى همزة الدعاء وهمزة إذا (قوله وتسهيل الثانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقعة خفيفة) أخذ الخفة من التعبير بالمس والنفح والتاء الدالة على المرة والنفح فى الأصل هبوب رائحة الشيء ، والمعنى ولئن أصابهم عذاب خفيف ليقولن تحسرا وتندما ياويلنا الخ وهو كناية عن كونهم فى غاية الضعف والحقارة ومن كان كذلك فلايبالى به (قوله ونضع الموازين) هذه الآية آخر خطابات قريش فى هذه السورة والجمع فى الموازين للتعظيم فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال ، وهو جسم محسوس له لسان وكفتان وعمود كل كفة قدر مابين

الشرق والغرب ومكانه قبل الصراط كفته اليمنى للحسنات وهى نيرة عن يمين العرش وكفته اليسرى للسيئات وهى مظلمة عن يساره يأخذ جبريل بعموده ناظرا إلى لسانه وميكائيل أمين عليه يحضره الجنّ والإنس ووقته بعد الحساب ولا يكون الوزن فى حق كل أحد بل هو تابع للحساب فمن حوسب وزنت أعماله ومن لا فلا ، والحق أن الكفار توزن أعمالهم السيئة غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر وأعمالهم الحسنة التى لاتتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لا للنجاة من عذاب الكفر فانه لايخفف عنهم ولا ينقطع ، وأما قوله تعالى : فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ، فمعناه نافعا بحيث ينجون من الخلود فى النار ، وقيل حسناتهم التى فعلوها يجازون عليها فى الدنيا كصحة وعافية ولا يجازون عليها فى الآخرة أصلا . واختلف هل الوزن بصنج أولا ، واستظهر الأول تحقيقا للعدل فتوضع السيئات فى مقابلة الحسنات فان رجح أحدهما وضع صنج بقدر مارجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فان لم يكن له إلا حسنات فقط أو سيئات فقط وضعت الصنج فى الكفة الأخرى . واختلف أيضا هل الأعمال تصوّر وتوزن فالحسنات تصوّر بصورة حسنة نورانية ثم توضع فى كفة الحسنات ، والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية ثم توضع فى كفة السيئات أو توزن الصحائف أو توزن الأشخاص ولا مانع من حصول ذلك كله (قوله القسط) أفرد لأنه مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف (قوله شيئا) إما مفعول ثان أو مفعول مطلق (قوله وإن كان العمل) قدّره المفسر إشارة إلى أن كان ناقصة واسمها مستتر يعود على العمل ومثقال بالنصب خبرها وفى قراءة سبعية برفعه على أنها تامة (قوله من خردل) المراد أقل قليل (٧٤) (قوله وكفى بنا حاسبين) أى عالمين والمقصود منه التحذير لأن الانسان العاقل إذا علم أن الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه وإحاطة علمه بجزئيات أعماله فانه يكون على حذر وخوف منه (قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) شروع فى ذكر قصص الأنبياء تسلية له صلى الله عليه وسلم وزيادة فى علم أمته ، وذكر منها عشر قصص : الأولى قصة موسى وهرون . الثانية قصة إبراهيم . الثالثة قصة لوط . الرابعة قصة نوح . الخامسة قصة داود وسليمان . السادسة قصة أيوب . السابعة قصة إسمعيل وإدريس وذى الكفل . الثامنة قصة يونس . التاسعة قصة زكريا . العاشرة قصة مريم وعيسى صلوات الله وسلامه على الجميع (قوله وضياء) أى يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر (قوله الذين يخشون ربهم) أى عذابه (قوله بالغيب) حال من الفاعل فى يخشون أى حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس ، والناس فى ذلك مراتب فمنهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عنه ولكن قلبه غير ذائق لذلك وهذا محجوب قد تقع منه المعاصى . ومنهم من يراقب الله بقلبه بحيث يشاهد أنه فى حضرة الله وأنه مطلع عليه وهذا أعلى من الأول ، ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة . ومنهم من يشاهد الله بعين بصيرته وهذا أعلى المقامات ويسمى مقام المشاهدة (قوله وهم من الساعة مشفقون) خصت بالذكر لكونها أعظم مايخاف منه (قوله مبارك) أى كثير الخير (قوله أفأنتم له منكرون) الخطاب لأهل مكة تقريعا لهم أى إن هذا القرآن فيه تذكيركم وفيه خير كثير أيليق منكم إنكاره والاستهزاء به (قوله أى هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لصلاح الدين والدنيا حين خرج من السرب وهو صغير وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله وليس المراد به النبوة ، وقيل من قبل موسى وهرون وعليه فالمراد بالرشد النبوة فتحصل أنه إن كان المراد بقوله قبل أى قبل البلوغ ، فالمراد بالرشد الاهتداء لصلاح الدين والدنيا لأن الله تعالى لم يتخذ وليا جاهلا بمعرفته فضلا عن نبىّ وإن كان المراد به قبل موسى وهرون ، فالمراد بالرشد النبوة وإرشاد الخلق .

الْقِسْطَ) ذوات العدل (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أى فيه (فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا) من نقص حسنة أو زيادة سيئة (وَإِنْ كَانَ) العمل (مِثْقَالَ) زنة (حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا) أى بموزونها (وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) محصين فى كل شىء (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَرُونَ الْفُرْقَانَ) أى التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام (وَضِيَاءً) بها (وَذِكْرًا) أى عظة بها (لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) عن الناس أى فى الخلاء عنهم (وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ) أى أهوالها (مُشْفِقُونَ) أى خائفون (وَهَذَا) أى القرآن (ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ) الاستفهام فيه للتوبيخ (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ) أى هداه قبل بلوغه ،

(وكنا

(وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) أى بأنه أهل لذلك (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ) الأصنام (الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) أى على عبادتها مقيمون (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ) فاقتدينا بهم (قَالَ) لهم (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) بعبادتها (فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيِّن (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) فى قولك هذا (أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ) فيه (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ) المستحق للعبادة (رَبُّ) مالك (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) خلقهن على غير مثال سبق (وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ) الذي قلته (مِنَ الشَّاهِدِينَ) به (وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ. فَجَعَلَهُمْ) بعد ذهابهم إلى مجتمعهم فى يوم عيد لهم (جُذَاذًا) بضم الجيم وكسرها: فتاتا بفأس (إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ) علق الفأس فى عنقه (لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ) أى إلى الكبير (يَرْجِعُونَ) فيرون مافعل بغيره (قَالُوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) فيه (قَالُوا) أى بعضهم لبعض (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ) أى يعيبهم (يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ) أى ظاهرا (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عليه أنه الفاعل (قَالُوا) له بعد إتيانه (ءَأَنْتَ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها و إدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ) ساكتا عن فعله

(قوله وكنا به عالمين) أى ولم نزل كذلك (قوله إذ قال لأبيه) ظرف لقوله آتينا أو لمحذوف أى اذكر (قوله لأبيه) أى آزر (قوله التماثيل) جمع تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد و بعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر و بعضها من خشب، وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان متقدتان تضيئان بالليل (قوله عاكفون) عبر بالعكوف الذى هو عبارة عن الاستمرار على الشيء لغرض ما ولم يعبر بالعبادة تحقيرا لهم (قوله قالوا وجدنا آباءنا الخ) أجابوا بذلك و إن كان غير موافق لسؤاله بما لأنه مآل سؤاله إذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره كأنه قال ما هى لأىّ شيء عبدتموها وحينئذ فلم يكن لهم جواب إلا التقليد (قوله فى ضلال مبين) أى لعدم استنادكم إلى دليل (قوله قالوا أجئتنا بالحق الخ) أى لما استبعدوا تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله على وجه اللعب فقالوا أصدق ما تقوله أم أنت هازل فيه (قوله قال بل ربكم الخ) إضراب عن قولهم باقامة البرهان على صدق ما ادعاه (قوله وأنا على ذلكم) أى على ما ذكرته من كون ربكم ربّ السموات والأرض دون ما عداه (قوله من الشاهدين) أى العالمين (٧٥) بالبرهان (قوله وتالله لأكيدن أصنامكم) انتقال من دلالة قولية إلى دلالة فعلية فلما لم يفد فيهم الدليل القولى عدل إلى الدليل الفعلى وهو الكسر، والمعنى لأجتهدن فى كسرها وأكيدنكم فيها (قوله بعد ذهابهم إلى مجتمعهم) أى وقد ذهب معهم إبراهيم فلما كان فى أثناء الطريق ألقى نفسه وقال إنى سقيم اشتكى رجله فتركوه ومضوا ثم نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس: تالله لأكيدن أصنامكم فسمعها الضعفاء فرجع إبراهيم إلى بيت الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم و إلى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذى يليه، وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاما يأكلون منه إذا رجعوا من عيدهم إليهم، فقال لهم إبراهيم: ألا تأكلون؟ فلم يجيبوه فكسرها (قوله بضم الجيم وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتحها (قوله بفأس) هو مهموز الآلة التى يكسر بها الحجر (قوله إلا كبيرا لهم) أى لم يكسره بل تركه والضمير فى لهم يصح أن يعود على الأصنام أو على عابديها (قوله من فعل هذا) أى التكسير ومن يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ وفعل هذا خبره أو موصولة وفعل صلته و إنه لمن الظالمين خبره (قوله قالوا سمعنا فتى) القائل هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حلفه (قوله أى يعيبهم) أى ينقصهم ويستهزئ بهم (قوله يقال له إبراهيم) مرفوع على أنه نائب فاعل يقال على إرادة لفظه أو مبتدأ خبره محذوف أى يقال له إبراهيم فاعل ذلك أو منادى وحرف النداء محذوف أو خبر لمحذوف أى يقال له هذا إبراهيم (قوله قالوا فأتوا به) القائل الملك النمروذ (قوله لعلهم يشهدون) أى لعلّ الناس يشهدون عليه بفعله بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها (قوله بتحقيق الهمزتين) أى بادخال ألف بينهما وتركه فتكون القراآت السبعيات خمسا. وحاصلها أن الهمزتين إما محققتان أو الثانية مسهلة وفى كل إما بادخال ألف بينهما أولا

فهذه أربع والخامسة إبدال الثانية ألفا (قوله قال بل فعله كبيرهم هذا) اعلم أن هذا من التعريض لأن القاعدة أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التهكم به لزم منه انحصاره فى الآخر فهو إشارة لنفسه مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وقوله هذا بدل من كبيرهم أو نعت له . ورد أن إبراهيم قال لهم إن الكبير غضب من إشراككم معه غيره الصغار فى العبادة فكسرهن ، وأراد بذلك إقامة الحجة عليهم (قوله إن كانوا ينطقون) أى إن كانوا ممن يمكن أن ينطق وخص النطق بالذكر و إن كان غيره من السمع والعقل و بقية أوصاف العقلاء كذلك لأنه أظهر فى تبكيتهم (قوله فيه تقديم جواب الشرط) أى وهو قوله فاسألوهم وفيه إشارة إلى أن قوله : بل فعله كبيرهم هذا مرتبط بقوله إن كانوا ينطقون ، والمعنى بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم (قوله فرجعوا إلى أنفسهم) أى إلى عقولهم وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة أو جلب المنفعة كيف يصلح أن يكون إلها (قوله ثم نكسوا على رءوسهم) أى انقلبوا إلى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة ونكسوا بالتخفيف مبنيا للمفعول فى قراءة العامة وفاعل النكس هو الله كما يشير له المفسر وقرئ شذوذا بالتشديد و بالتخفيف مبنيا للفاعل (قوله أى ردوا إلى كفرهم) أى الاستمرار عليه (قوله وقالوا والله) أشار بذلك إلى أن قوله لقد علمت الخ جواب قسم محذوف (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أى بترك التنوين فالقرآت ثلاث سبعيات (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تعقلون .

(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْئَلُوهُمْ) عن فاعله (إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلها (فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ) بالتفكر (فَقَالُوا) لأنفسهم (إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) أى بعبادتكم من لا ينطق (ثُمَّ نُكِسُوا) من الله (عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ) أى ردوا إلى كفرهم وقالوا والله (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى بدله (مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا) من رزق وغيره (وَلَا يَضُرُّكُمْ) شيئاً إذا لم تعبدوه (أُفٍّ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر ، أى نتنا وقبحاً (لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها و إنما يستحقها الله تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ) أى إبراهيم (وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ) أى بتحريقه (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار فى جميعه وأوثقوا إبراهيم وجعلوه ،

[فائدة] : ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ثنتان منها فى ذات الله قوله : إنى سقيم ، وقوله كبيرهم هذا ، وقوله لسارة هذه أختى » والمعنى أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب إلا هذه الكلمات الثلاث فقوله إنى سقيم أراد سقيم القلب من ضلالتكم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا تبكيت لقومه وقوله هذه أختى فى أى فى الدين والخلقة فهذه الألفاظ صدق فى نفسها ليس فيها كذب أصلا ومعنى كون الأولى والثانية فى ذات الله أنهما من أجل غيرته على الله وأما الثالثة فمن أجل غيرته على زوجته وهذا ما فتح الله به (قوله قالوا حرقوه) القائل ذلك النمروذ بن كنعان ابن سنجاريب بن نمروذ بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيبون خسف الله به الأرض والحكمة فى اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل أن إبراهيم بادأهم بالفضيحة والتشنيع عليهم فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع والشهرة (قوله فجمعوا له الحطب الخ) حاصل القصة فى ذلك أنه لما اجتمع نمروذ وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه فى بيت و بنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها كوثى ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول : لئن عوفيت لأجمعن حطبا لإبراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ما تطلبه لئن أصابته لتحطبن فى نار إبراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها احتسابا فى دينها وكان الرجل يوصى بشراء الحطب و إلقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا فى كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم فلم يعلموا كيف يلقونه فقيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فقيدوه ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيهما

من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فائذن لنا في نصرته ، فقال الله تعالى إنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الإله ليس له إله غيري فإن استغاث بأحدكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا وليه وأنا أعلم به فخلوا بيني وبينه ، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه وقال : إن أردت أخمدت النار ، وأتاه خازن الهواء وقال : إن شئت طيرت النار في الهواء ، فقال إبراهيم : لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل . روى أنه قال حين أوثقوه ليلقوه في النار «لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك» ثم رموا به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل فقال ياإبراهيم ألك حاجة ؟ قال أما إليك فلا . قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي ، وكان وقت إلقائه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ، ولما ألقى فيها جعل كل شيء يطفئ النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار فصم بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله ، وقال من قتل وزغة في أول ضربة كتب له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك . ذكر بعض الحكماء أن الوزغ لايدخل بيتا فيه زعفران ، ومدة مكثه في النار سبعة أيام وقيل أربعون يوما وقيل خمسون يوما (قوله في منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة فارسي معرب لأن الجيم والقاف لايجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب (قوله كوني بردا وسلاما) أي ابردي بردا غير ضار ، ورد «أنه لما ألقى فيها أخذت الملائكة بضبعيه فأقعدوه على الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وجلس معه يحدثه ويقول له ياإبراهيم : إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لاتضر أحبابي قال إبراهيم : ما كنت أياما قط أنعم مني من الأيام التي

(٧٧)

كنت في النار ، ثم نظر نمروذ وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد إلى جنبه فناداه ياإبراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار لكبير هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال نعم . قال هل تخشى إذا قمت أن تضرك ؟ قال لا . قال قم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل إليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعدا إلى جنبك ؟ قال ذلك ملك الظل أرسله إلي ربي ليؤنسني فيها . قال نمروذ يا إبراهيم إني مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة . قال إبراهيم إذا لايقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني ، فقال لاأستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمروذ وكف عن إبراهيم عليه السلام (قوله وبقوله وسلاما الخ) أي ولو لم يقل على إبراهيم لما أحرقت النار أحدا ولما أوقدت (قوله فجعلناهم الأخسرين) أي لأنهم خسروا السعي والنفقة فلم يحصلوا مرادهم ويحتمل أن المراد بالأخسرين الهالكون لأن الله سلط عليهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في رأس النمروذ بعوضة فأهلكته (قوله ابن أخيه هاران) أي الأصغر وكان له أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الأكبر فهو عم إبراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به (قوله من العراق) أي وصحب معه لوطا وسارة ونزل بحران فمكث بها ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل بالسبع من أرض فلسطين وترك لوطا بالمؤتفكة فبعثه الله نبيا إلى أهلها وما قرب منها (قوله بكثرة الأنهار والأشجار) أشار بذلك إلى أن المراد بالبركة الدنيوية وعليه يحمل ما ورد «إن عمر ابن الخطاب قال لكعب : ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره ؟ فقال كعب : إني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله في أرضه وبها كنزه من عباده» وإلا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق (قوله بفلسطين) بفتح الفاء وكسرها مع فتح اللام لاغير قرى بيت المقدس (قوله ولوط بالمؤتفكة) هي قرى قوم لوط رفعها جبريل وأسقطها مقلوبة بأمر من الله .

في منجنيق ورموه في النار ، قال تعالى (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله وسلاما سلم من الموت ببردها (وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) وهو التحريق (فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ) في مرادهم (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا) ابن أخيه هاران من العراق (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم (وَوَهَبْنَا لَهُ) أي لإبراهيم وكان سأل ولدا ،

كما ذكر في الصافات (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) أي زيادة على المسئول ، أو هو ولد الولد (وَكُلًّا) أي هو وولداه (جَعَلْنَا صَالِحِينَ) أنبياء (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء يقتدى بهم في الخير (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) إلى ديننا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) أي أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ. وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا) فصلا بين الخصوم (وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ) أي أهلها الأعمال (الْخَبَائِثَ) من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ) مصدر ساءه نقيض سره (فَاسِقِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) بأن أنجيناه من قومه (إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَ) اذكر (نُوحًا) وما بعده بدل منه (إِذْ نَادَى) دعا على قومه بقوله: رب لا تذر الخ (مِنْ قَبْلُ) أي قبل إبراهيم ولوط (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) الذين في سفينته (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي الغرق وتكذيب قومه له (وَنَصَرْنَاهُ) منعناه (مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. وَ) اذكر (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) أي قصتهما ويبدل منهما (إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ) هو زرع أو كرم (إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) أي رعته ليلا بلا راع بأن انفلتت (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين ،

(قوله كما ذكر في الصافات) أي في قوله: رب هب لي من الصالحين (قوله نافلة) حال من يعقوب أي أعطي يعقوب لابراهيم زيادة على مطلوبه (قوله وولداه) أي إسحق ويعقوب (قوله وإبدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدمت في سورة براءة (قوله يهدون بأمرنا) أي يدعون الناس بوحينا (قوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) عطف خاص على عام لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية والزكاة أفضل العبادات المالية (قوله وكانوا لنا عابدين) تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أي كانوا لنا لا لغيرنا (قوله ولوطا) منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتينا (قوله فصلا بين الخصوم) أي على وجه الحق (قوله وعلما) أي بالشرائع والأحكام (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أو فيه مجاز عقلي (قوله الأعمال) قدره إشارة إلى أن الخبائث صفة لموصوف محذوف (قوله والرمي بالبندق) أي رمي المارة بالبرام وأما بندق الرصاص فلم يحدث إلا في هذه الأمة (قوله وغير ذلك) كالضراط في المجالس (قوله بأن أنجيناه من قومه) الناسب أن يقول : وأدخلناه في أهل رحمتنا أي جنتنا وإلا فيلزم عليه التكرار (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن نوحا منصوب بفعل محذوف وبعث نوح وهو ابن أربعين سنة ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين فجملة عمره ألف وخمسون سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله بقوله رب لا تذر على الأرض الخ) أي بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (قوله الذين في سفينته) وجملتهم ستة رجال ونساؤهم ، وقيل أربعون رجلا وأربعون امرأة (قوله منعناه) أشار بذلك إلى أنه ضمن نصر معنى منع حيث عدي بمن

قال

(قوله ألا يصلوا إليه) أي لئلا يصلوا إليه فهو تعليل لنصرناه (قوله وداود وسليمان) معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل وتسع وسبعون ، وعاش ولده سليمان تسعا وخمسين وبينه وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو ألف سنة وسبعمائة (قوله أي قصتهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ويبدل منهما) في الحقيقة الابدال من المضاف المحذوف (قوله إذ يحكمان) عبر عنه بالمضارع استحضارا للحال الماضية لغرابتها (قوله هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين وعلى كل كان قبل تمام نضجه (قوله إذ نفشت) أي تفرقت وانتشرت فيه فأفسدته (قوله غنم القوم) أي بعض القوم: أي قوم داود وهم أمته (قوله وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها (قوله فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين) أي بناء على أن أقل الجمع اثنان ، ويجاب أيضا بأن الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما.

(قوله قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم) أى عوضا عن حرثه . وحاصل تلك القصة أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث إن هذا قد انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فأفسدته فلم تبق منه شيئا ، فأعطاه داود رقاب الغنم فى الحرث ، فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فقال كيف قضى بينكما فأخبراه ، فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا . وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين ، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له بحق النبوّة والأبوة إلا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفريقين . قال ادفع الغنم لصاحب الحرث ينتفع بلبنها وصوفها ونسلها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه ، فقال داود القضاء ماقضيت . ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه ، فقال ائتونى بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى (قوله ففهمناها) أى فهمناه الصواب فيها (قوله وحكمهما باجتهاد الخ) أى ويجوز الخطأ على الأنبياء إذا لم يكن فيه مفسدة ولكن لايبقيهم الله عليه لعصمتهم ، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب لكن المصيب له أجران ، والمخطىء له أجر واحد (قوله وقيل بوحى) أى لكل منهما وهذا فى شريعتهم ، وأما فى شريعتنا فمذهب

(٧٩)

قال داود : لصاحب الحرث رقاب الغنم ، وقال سليمان ينتفع بدرّها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان باصلاح صاحبها فيردها إليه (فَفَهَّمْنَاهَا) أى الحكومة (سُلَيْمَانَ) وحكمهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان ، وقيل بوحى والثانى ناسخ للأول (وَكُلًّا) منهما (آتَيْنَا) ه (حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) بأمور الدين (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ) كذلك سُخرا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له (وَكُنَّا فَاعِلِينَ) تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجبا عندكم أى مجاوبته للسيد داود (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ) وهى الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح (لَكُمْ) فى جملة الناس (لِنُحْصِنَكُمْ) بالنون لله وبالتحتانية لداود ، وبالفوقانية للبوس (مِنْ بَأْسِكُمْ) حربكم مع أعدائكم (فَهَلْ أَنْتُمْ) يا أهل مكة (شَاكِرُونَ) نعمى بتصديق الرسول أى اشكرونى بذلك ،

مالك ما أتلفته البهائم ليلا وهى غير معروفة بالعداء ولم تربط ولم يغلق عليها فعلى ربها وإن زاد على قيمتها يقوّم إن لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف ، وإن بدا صلاحه ضمن قيمته على البت ، وأما ما أتلفته نهارا وهى غير عادية ولم يكن معها راع وسرحت بعيدة عن المزارع فلا ضمان على ربها وإن كان معها راع أو سرّحها ربها قرب المزارع أو كانت عادية فعلى ربها ليلا أو نهارا ، ومذهب أبى حنيفة لا ضمان فيما أتلفته البهائم ليلا أو نهارا إلا أن يكون معها سائق أو قائد ، ومذهب الشافعى فيه تفصيل فانظره ، ويمكن تخريج حكم داود على شريعتنا بأنه رأى أن قيمة الغنم مثل قيمة الحرث وصاحب الغنم مفلس ، فالحكم أنها تعطى لصاحب الحرث (قوله وكلا آتينا حكما وعلما) دفع بذلك مايتوهم من قوله ففهمناها سليمان أن داود ناقص فى العلم (قوله وسخرنا) أى ذللنا (قوله يسبحن) حال من الجبال وقوله والطير فيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب فالنصب إما على أنه مفعول معه أو معطوف على الجبال والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله كذلك ، وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب (قوله لأمره به إذا وجد فترة) أى فكان إذا وجد فترة أمر الجبال والطير فيسبحن (قوله وإن كان عجبا عندكم) أى مستغربا ، وقد اتفق فى هذه الأمة لغير واحد منها كالسيد الدسوقى وأمثاله (قوله وعلمناه صنعة لبوس) وسبب ذلك أنه مرّ به ملكان على صورة رجلين ، فقال أحدهما للآخر نعم الرجل إلا أنه يأكل من بيت المال فسأل الله أن يرزقه من كسبه فألان الله له الحديد فكان يعمل منه الدروع بغير نار كأنه طين فى يده (قوله وهى الدروع) وأنث الضمير لكون درع الحديد تؤنث وتذكر ، وأما درع المرأة أى قميصها فهو مذكر (قوله وهو أول من صنعها) أى حلقا بعضها داخل فى بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض (قوله لكم) أى يا أهل مكة (قوله فى جملة الناس) دفع به ما يرد كيف تكون لأهل مكة مع أن صنع داود لم يكن فى زمنهم فأفاد أنها نعمة اتصلت بمن بعده إلى أن كانوا من جملتهم (قوله وبالفوقانية للبوس) أى لأنه بمعنى الدرع وهى تؤنث .

(قوله ولسليمان الريح) عبر باللام إشارة إلى أن الله ملكه الريح وجعلها ممتثلة لأمره وعبر بمع فى حق داود لأن الجبال والطير قد صاحباه فى التسبيح واشتركا معه (قوله أى شديدة الهبوب الخ) لف ونشر مرتب (قوله تجرى بأمره) حال (قوله إلى الأرض التى باركنا فيها) أى لأنها مقره فكان ينتقل منها ويرجع إليها . قال وهب : كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الانس والجن حيث يجلس على سريره وكان امرأ غازيا قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله . وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لايقع عليه شمس ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح . وقال الحسن : لما شغلت نبىّ الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأسرع الريح تجرى بأمره كيف يشاء ، فكان يغدو من إيليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل ، وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر حتى ملك الأرض مشرقا ومغربا ملك سلطنة وحكم ، وأمارسالته فكانت لبنى إسرائيل (قوله ومن الشياطين) أى الكفار منهم (قوله وغيره) أى كالنورة والطاحون والقوارير والصابون فان ذلك من استخراجاتهم (قوله لأنهم كانوا إذافرغوا من عمل الخ) قيل إن سليمان كان إذابعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل فاشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله ويخربه

(٨٠)

(وَ) سخرنا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) وفى آية أخرى رخاء أى شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) وهى الشام (وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) من ذلك علمه تعالى بأن مايعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه (وَ) سخرنا (مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ) يدخلون فى البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ) أى سوى الغوص من البناء وغيره (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) من أن يفسدوا ماعملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشغلوا بغيره (وَ) اذكر (أَيُّوبَ) ويبدل منه (إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ) لما ابتلى بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثا أو سبعا أو

(قوله وأيوب) قدر اذكر إشارة إلى أن أيوب معمول لمحذوف (قوله ويبدل منه) أى من أيوب والمعنى اذكر قصة أيوب إذنادى ربه فى الحقيقة الابدال من المضاف المقدر كما تقدم نظيره وسيأتى (قوله لما ابتلى) متعلق بنادى (قوله بفقد جميع ماله) أى بجملة ما ابتلاه الله به أربعة أمور . وحاصل قصته باختصار أن أيوب كان رجلا من الروم وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخى إبراهيم ، وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمر مالا يكون لرجل أفضل منه فى العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وكان له أهل وولد من رجال ونساء وكان نبيا تقيا شاكرا لأنعم ربه وكان معه ثلاثة نفر قدآمنوا به وكانوا كهولا وكان إبليس لايحجب عن شىء من السموات فيقف فيهن من حيث ماأراد فسمع صلاة الملائكة على أيوب فحسده ، وقال إلهى نظرت فى عبدك أيوب فوجدته شاكرا حامدا لك ولو ابتليته لرجع عن شكرك وطاعتك ، فقال الله له انطلق فقدسلطتك على ماله ، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم قد سلطت على مال أيوب ، فقال عفريت أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار فأحرق كل شىء آتى عليه . قال إبليس اذهب فأت الابل ورعاتها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار فأحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ، ثم جاء إبليس على صورة القيم على قعود إلى أيوب فوجده قائما يصلى فقال له أحرقت نار إبلك ورعاتها ، فقال أيوب الحمد لله هوأعطانيها وهوأخذها ، ثم سلط عفريتا على الغنم ورعاتها فصاح عليهم فماتوا جميعا وعلى الحرث فتحوّل ريحا عاصفا فأطارها ، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب بذلك فحمد الله وأثنى عليه ، فلما رأى أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشىء صعد إلى السماء وقال : يارب سلطنى على أولاده ، فقال له : انطلق فقد سلطتك على أولاده ، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعا ، ثم جاءه فى صورة المعلم الذى يعلمهم

الحكة وهو جريح مشدوخ الرأس يسيل دمه فأخبره بموت أولاده وفصل له ذلك حتى رق قلبه و بكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أمى لم تلدنى ففرح إبليس وصعد إلى السماء سريعا لينظر مايفعل به فأوحى الله إلى أيوب إنه إبليس فاستغفر فوقف إبليس خاسئا ذليلا ، فقال يارب سلطنى على جسده ، فقال له انطلق فقد سلطتك على جسده غير قلبه ولسانه وعقله فانقض عدو الله سريعا فأتاه فوجده ساجدا فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج منها ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل كذلك حتى تقطع جسده وأنتن فأخرجه أهل القرية وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا وهجره الناس كلهم إلا زوجته رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تخدمه وتأتيه بالطعام وهجره الثلاثة الذين آمنوا به ولم يتركوا دينهم ، ونقل أن سبب قوله - أنى مسنى الضر - أن الدود قصد قلبه ولسانه فخشى أن يفتر عن الذكر ولا ينافى صبره قوله : أنى مسنى الضر لأنه شكوى للخالق وهى لاتنافى الصبر . إن قلت إن الأنبياء يستحيل عليهم المنفر من الأمراض . أجيب بأن ما نزل به ليس من المنفرات فى شئ (1) وإنما هو حرارة وحكة ظهرت من آثار نفخ اللعين إبليس وأعظم الله ضررها لخصوص أيوب تعظيما لقدره لأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل كما ورد بذلك الحديث (قوله أو ثمانى عشرة) هذا هو الصحيح (قوله وضيق) إما فعل مبنى للمفعول عطف على ابتلى أومصدر عطف على فقد (قوله وأنت أرحم الراحمين) تعريض بطلب الرحمة (قوله فاستجبنا له نداءه) أى الذى فى ضمنه الدعاء (قوله فكشفنا مابه من ضر) روى أن الله تعالى قال له اركض برجلك الأرض فركض فخرجت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب

(٨١)

أو ثمانى عشرة وضيق عيشه (أَنِّى) بفتح الهمزة بتقدير الباء (مَسَّنِيَ الضُّرُّ) أى الشدة (وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداءه (فَكَشَفْنَا مَابِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ) أولاده الذكور والإناث بأن أحيوا له وكل من الصنفين ثلاث أو سبع (وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) من زوجته وزيد فى شبابها وكان له أندر القمح وأندر الشعير فبعث الله سحابتين أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض (رَحْمَةً) مفعول له (مِنْ عِنْدِنَا) صفة (وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) ليصبروا فيثابوا (وَ) اذكر (إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ) على طاعة الله وعن معاصيه (وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا) من النبوة (إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ) لها ، وسمى ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله وأن يقضى بين الناس ولا يغضب فوفى بذلك ،

منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما كان وهو معنى قوله تعالى فى سورة ص - اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب - (قوله بأن أحيوا له) أى لأنهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم، وقيل رزقه الله مثلهم ، روى أن امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابنا (قوله ثلاث أو سبع) أى لجملتهم ستة أو أربعة عشر (قوله وكان له أندر) هو الموضع الذى يدرس فيه الطعام (قوله أفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب) أى لمناسبته له فى الحمرة وكذا يقال فيما بعده (قوله وذكرى للعابدين) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك (قوله وإسمعيل) عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وثمانون سنة وقصة صبره على الذبح ستأتى مفصلة فى سورة الصافات (قوله وإدريس) هو جد نوح ولد فى حياة آدم قبل موته بمائة سنة و بعث بعد موته بمائتى سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فجملة عمره أربعمائة وخمسون سنة وكان بينه وبين نوح ألف سنة (قوله وذا الكفل) هذا لقبه واسمه بشر وهو ابن أيوب (قوله وأدخلناهم) معطوف على محذوف تقديره فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم الخ (قوله لأنه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) أى فكان يصوم النهار ويصلى بالليل ولايفتر وكان ينام وقت القيلولة وكان لاينام إلا تلك النومة فامتحنه إبليس لينظر هل يغضب أم لا فأتاه إبليس حين أخذ مضجعه فدق عليه الباب ، فقال من هذا؟ فقال شيخ

(1) إذا كان تعفن الجسم ونبذ الانسان على الكناسة وهجر جميع الناس إياه لايعد منفرا فأى شئ منفر بعد ذلك ؟ اللهم إن هذا كلام لايليق بمقام الأنبياء .

كبير مظلوم بيني و بين قومي خصومة و إنهم ظلموني ، فقام وفتح له الباب وصار يطيل عليه الكلام حتى ذهبت القيلولة فقال له إذا قعدت للحكم فائتني أخلص حقك فلما جلس للحكم لم يجده فلما رجع إلى القائلة من الغد أتاه ودق الباب فقال له من هذا ؟ فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال ألم أقل لك إذا قعدت للحكم فائتني ؟ فقال إن خصومي أخبث قوم إذا علموا أنك قاعد قالوا نعطيك حقك و إذا قمت جحدوني فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله لاتدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على النعاس ، فلما كانت تلك الساعة جاءه إبليس فلم يأذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له أتنام والخصوم ببابك فعرف أنه عدو الله وقال فعلت مافعلت لأغضبك فعصمك الله (قوله وقيل لم يكن نبيا) أي بل كان عبدا صالحا والصحيح أنه نبي قيل بعث إلى رجل واحد (قوله وذا النون) لقب ليونس وجمعه أنوان ونينان وهو اسم للحوت كبيرا أوصغيرا (قوله ابن متى) اسم أبيه ، وقيل اسم أمه (قوله و يبدل منه) أي بدل اشتمال (قوله مغاضبا لقومه) أي لالازم به لأن خروجه باجتهاد منه حين وعدهم بالعذاب فلمالم ينزل بهم ظن أنه إن بقي بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب (قوله

(٨٢)

وقيل لم يكن نبيا (وَ) اذكر (ذَا النُّونِ) صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) لقومه : أي غضبان عليهم مما قاسى منهم ولم يؤذن له فى ذلك (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) أي نقضى عليه بما قضينا من حبسه فى بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أَنْ) أي بأن (لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فى ذهابي من بين قومي بلا إذن (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) بتلك الكلمات (وَكَذَٰلِكَ) كما نجيناه (نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين (وَ) اذكر (زَكَرِيَّا) ويبدل منه (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) بقوله (رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) أي بلا ولد يرثني (وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ) الباقي بعد فناء خلقك (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ) نداءه (وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ) ولدا (وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ) فأتت بالولد بعد عقمها (إِنَّهُمْ) أي من ذكر من الأنبياء (كَانُوا يُسَارِعُونَ) يبادرون (فِي الْخَيْرَاتِ) الطاعات (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا) فى رحمتنا (وَرَهَبًا) من عذابنا (وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) متواضعين فى عبادتهم ،

(و)

أي غضبان عليهم) أشار بذلك إلى أن المفاعلة ليست على بابها (قوله أي نقضى عليه بما قضينا) أشار بذلك إلى أن معنى أن لن نقدر عليه نقضى عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء ، والمعنى فظن أننا لا نؤاخذه بخروجه (قوله أونضيق عليه) أي فمعنى نقدر نضيق كما فى قوله تعالى ـ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ـ وقوله تعالى ـ ومن قدر عليه رزقه ـ لا من القدرة بمعنى الاستطاعة التي هي ضد العجز (قوله من حبسه فى بطن الحوت) أي وكانت مدة مكثه ببطن الحوت أربعين يوما أوسبعة أيام أو ثلاثة أو أربع ساعات وأوحى الله إلى ذلك الحوت لاتأكل له لحما ولا تهشم له عظما فانه ليس رزقا لك و إنما جعلتك سجناله . وحاصل ذلك أنه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي توعدهم به خرج فركب سفينة فسارت قليلا ثم وقفت فى لجة البحر ، فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة فضربوها فخرجت على يونس فألقوه فى البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه فدعا ربه فألقاه الحوت بالساحل ضعيفا وكانت تأتيه غزالة صباحا ومساء فيشرب من لبنها حتى قوى فرجع إلى قومه فآمنوا به جميعا . قال تعالى ـ وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين ـ (قوله أن لا إله إلا أنت) أن إما مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وما بعدها خبرها أو تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ، وهذا الدعاء عظيم جدا لاشتماله على التهليل والتسبيح والاقرار بالذنب ، ولذا ورد فى الحديث « مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له » (قوله وزكريا) معمول لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله أي بلا ولد يرثني) أي فى العلم والنبوة (قوله بعد عقمها) المراد به انسداد الرحم عن الولادة (قوله إنهم كانوا يسارعون) علة لمحذوف : أي قالوا ماقالوا لأنهم الخ (قوله رغبا ورهبا) إما منصوبان على المفعول من أجله أو على أنهما واقعان موقع الحال : أي راغبين راهبين .

(قوله والتي أحصنت فرجها) صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدّر ذلك المفسر بقوله واذكر مريم (قوله من أن ينال) أي يصل إليه أحد بحلال أو حرام . إن قلت المزية ظاهرة في حفظه من الحرام وأما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه . أجيب بأن الترهب كان مشروعا لهم أو لتكون ولادتها خارقة للعادة (قوله حيث نفخ في جيب درعها) أي أمرناه ففعل ذلك أو المراد نفخنا فيها بعض الأرواح المخلوقة لنا وهي روح عيسى (قوله آية للعالمين) لم يقل آيتين لأن كلا من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة أو فيه الحذف من الأول لدلالة الثاني عليه (قوله إن هذه أمتكم) أشار المفسر إلى أن اسم الاشارة يعود على ملة الاسلام والأمة في الأصل الجماعة ثم أطلقت على الملة لأنها تستلزم الاجتماع ، والمعنى أن ملة الإسلام ملتكم لا اختلاف فيها من لدن آدم إلى محمد فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين وإنما التغاير في الفروع فمن غيّر وبدّل في الملة فهو خارج عنها ضالّ مضل ، وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص دفع ما يتوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل (قوله حال لازمة) أي من أمة ، وقيل بدل من هذه ويكون قد فصل بين البدل والمبدل منه بخبر إن نحو إن زيدا قائم أخاك وأمتكم بالرفع خبر إن وقرئ شذوذا بالنصب على أنه بدل من هذه أو

عطف بيان (قوله فاعبدون)

(وَ) اذكر مريم (الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته من أن ينال (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا) أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة حيث ولدته من غير فحل (إِنَّ هَٰذِهِ) أي ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً وَاحِدَةً) حال لازمة (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) وحدون (وَتَقَطَّعُوا) أي بعض المخاطبين (أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) أي تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى ، قال تعالى (كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ) أي فنجازيه بعمله (فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ) أي جحود (لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) بأن نأمر الحفظة بكتبه فنجازيه عليه (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أريد أهلها (أَنَّهُمْ لَا) زائدة (يَرْجِعُونَ) أي ممتنع رجوعهم إلى الدنيا (حَتَّىٰ) غاية لامتناع رجوعهم (إِذَا فُتِحَتْ) بالتخفيف والتشديد (يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) بالهمز وتركه اسمان أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله مضاف أي سدها ،

إن كان الخطاب للمؤمنين فمعناه دوموا على العبادة وإن كان الخطاب للكفار فمعناه إنشاء العبادة والتوحيد (قوله وتقطعوا أمرهم) أي تفرقوا في أمرهم واختلفوا في دينهم وهذا إخبار من الله بأن الجميع لم يكونوا على دين واحد لسبق حكمته البالغة بذلك ، والحكمة في ذكر العبادة هنا والتقوى في المؤمنون وذكر الواو هنا والفاء هناك ، قيل تفنن وقيل لأن الخطاب هنا للكفار فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك للرسل فناسبه ذكر التقوى وأتى بالواو هنا لأنها لا تقتضي الترتيب وهو المراد هنا فان التفرق كان حاصلا من قبل بخلاف ما يأتي فان التفرق حصل بعد إرسال الرسل فناسبه الفاء (قوله وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم له بل هذه الأمة افترقت ثلاثا وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة ناجية كما في الحديث (قوله كل إلينا راجعون) تهديد للكفار . والمعنى أن الله تعالى لا يفلت أحدا بل كل من الثابت على الحق والزائغ عنه راجع اليه (قوله من الصالحات) أي الأعمال الحسنة من فرض ونفل (قوله فلا كفران لسعيه) أي لا يمنع من ثوابه ولا يحرم منه ، فالكفران مصدر بمعنى الكفر الذي هو الجحود والانكار فشبه منع الثواب بالكفر والجحود (قوله وإنا له كاتبون) أي حافظون للعمل فلا يضيع منه شيء (قوله وحرام) خبر مقدم وأنهم لا يرجعون مبتدأ مؤخر ، والمعنى رجوع أهل قرية أهلكناها ممتنع ، وقوله الى الدنيا أي الى البقاء والمعيشة فيها ، وقيل الى الايمان يعني أن رجوعهم الى الايمان ممتنع لسبق الشقاء عليهم قال تعالى – ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه – (قوله غاية لامتناع رجوعهم) أي فهي متعلقة بحرام غاية لما قبلها ويصح أن تكون ابتدائية وتكون الجملة مستأنفة (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بالهمز وتركه) قراءتان سبعيتان (قوله اسمان أعجميان لقبيلتين) أي من بني آدم يقال إنهم تسعة أعشار بني آدم وتقدمت قصتهم .

(قوله وذلك قرب القيامة) أى بعد نزول عيسى وهلاك الدجال حين يأتى و يمكث أربعين يوما يوم كسنة و يوم كشهر و يوم كجمعة وسائر أيامه كباقى الأيام ، وفى الحديث «فقلنا يارسول الله فى اليوم الذى كسنة يكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا ، اقدروا له قدره قلنا يارسول الله وما إسراعه فى الأرض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فينزل عيسى على منارة بنى أمية شرقى دمشق عليه حلتان ممصرتان فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السد فيحصل الخلق جدب عظيم حتى تكون رأس الثور خيرا من مائة دينار ثم يدعو الله عيسى فيرسل الله عز وجل النغف فى رقابهم فيهلكون جميعا فتملأ رممهم وجيفهم الأرض فيدعو الله عيسى فيرسل الله عليهم طيرا كأعناق البخت فتحملهم وتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا فيغسل الأرض من آثارهم ثم يقول الله للأرض أنبتى ثمرك فيكثر الرزق جدا و يستقيم الحال لعيسى والمؤمنين فبينماهم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحا لينة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون فى الأرض كتهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة» و بين موت عيسى والنفخة الأولى مائة وعشرون سنة لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر ثنتى عشرة سنة من السنين المعتادة وفى الحديث «لاتقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم و يأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» (٨٤) (قوله وهم من كل حدب ينسلون)

وذلك قرب القيامة (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ) مرتفع من الأرض (يَنْسِلُونَ) يسرعون (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) أى يوم القيامة (فَإِذَا هِيَ) أى القصة (شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى ذلك اليوم لشدته يقولون (يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (قَدْ كُنَّا) فى الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا) اليوم (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) أنفسنا بتكذيبنا للرسل (إِنَّكُمْ) ياأهل مكة (وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ) أى غيره من الأوثان (حَصَبُ جَهَنَّمَ) وقودها (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) داخلون فيها (لَوْ كَانَ هٰؤُلَاءِ) الأوثان (آلِهَةً) كما زعمتم (مَا وَرَدُوهَا) دخلوها (وَكُلٌّ) من العابدين والمعبودين (فِيهَا خَالِدُونَ . لَهُمْ) للعابدين (فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) شيئا لشدة غليانها . ونزل لما قال ابن الزبعرى عبد عزير والمسيح والملائكة فهم فى النار على مقتضى ماتقدم (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا) ،

أى يأجوج ومأجوج ينتشرون فى الأرض و يسرعون فيها من كل مرتفع من الأرض (قوله واقترب الوعد) عطف على فتحت (قوله أى القصة) أشار بذلك إلى أن الضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم وأبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر هى والتعقيب عرفى لأن التفاوت القليل كالعدم فاندفع مايقال إنه رتب الشخوص على فتح السد واقتراب الساعة مع أن الشخوص لايوجد إلا يوم القيامة (قوله يقولون ياويلنا) أشار بذلك إلى أن ياويلنا مقول لقول محذوف (قوله بل كنا ظالمين) إضراب عن قولهم قد كنا فى غفلة لعله ينفعهم الاقرار بالذنب فلا ينفعهم (قوله من الأوثان) خصها بالذكر لأنها كانت معظم معبوداتهم و إلا فالشمس والقمر يصيران ثورين عقيرين فى النار (قوله وقودها) أى وسمى حصبا لأنه يرمى بهم فيها كما ترمى الحصباء (قوله لوكان هؤلاء آلهة الخ) تبكيت عليهم (قوله زفير) أى أنين وتنفس شديد (قوله لشدة غليانها) أى فعدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد «إذا بقى من يخلد فيها جعلوا فى توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت فى توابيت أخرى ثم تلك التوابيت فى توابيت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحدهم أن فى النار أحدا يعذب غيره» (قوله ونزل لما قال ابن الزبعرى الخ) حاصل ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه : إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل ابن الزبعرى وهو بكسر الزاى وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء مقصورا وقد أسلم بعد ذلك فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله لهم فقال أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبعرى أنت قلت إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح و بنو مليح يعبدون الملائكة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فنزلت هذه الآية ردا عليه .

المنزلة

(قوله المنزلة الحسنى) أى الدرجة والرتبة الحسنى أوالمراد الكلمة الحسنى وهى لاإله إلا الله أوالمراد السعادة الأبدية (قوله ومنهم من ذكر) أى العزير وعيسى والملائكة ، والمعنى أن كل من سبقت له الحسنى سواء عبد أولا فهو مبعد عن النار (قوله أولئك عنها مبعدون) أى عن جهنم . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى ـ و إن منكم إلا واردها ـ والورود يقتضى القرب منها . أجيب بأن المراد مبعدون عن عذابها وألمها فان المؤمنين إذا مرّوا على النار تخمد وتقول جز يامؤمن فان نورك قد أطفأ لهبى وهذا لاينافى الورود (قوله لايسمعون حسيسها) أى حركة تلهبها وفى هذا تأكيد بعدهم عنها (قوله لايحزنهم الفزع الأكبر) هذا بيان لنجاتهم من الفزع إثر بيان نجاتهم من النار (قوله وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار) أى الكافر ، وقيل هوحين تغلق النار على أهلها و ييأسون من الخروج ، وقيل هوحين يذبح الموت بين الجنة والنار و ينادى ياأهل النار خلود بلا موت، وقيل هوجميع أهوال القيامة (قوله عند خروجهم من القبور) أى تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك ، وقيل تستقبلهم على أبواب الجنة ولامانع أنها تستقبلهم فى الحالين (قوله اسم ملك) أى فى السماء الثالثة وعلى هذا فالمصدر مضاف لفاعله فان هذا الملك يطوى كتب الأعمال إذا رفعت إليه (قوله واللام زائدة) أى والكتاب مفعوله

المنزلة (الْحُسْنَى) ومنهم من ذكر (أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَايَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا) صوتها (وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ) من النعيم (خَالِدُونَ. لَايَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار (وَتَتَلَقَّاهُمُ) تستقبلهم (الْمَلَائِكَةُ) عند خروجهم من القبور يقولون لهم (هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فى الدنيا (يَوْمَ) منصوب باذكر مقدراً قبله (نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ) اسم ملك (لِلْكِتَابِ) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفى قراءة للكتب جمعا (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ) عن عدم (نُعِيدُهُ) بعد إعدامه فالكاف متعلقة بنعيد وضميره عائد إلى أول وما مصدرية (وَعْدًا عَلَيْنَا) منصوب بوعدنا مقدرا قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) ما وعدنا (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى الزَّبُورِ) بمعنى الكتاب أى كتب الله المنزلة (مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) بمعنى أم الكتاب الذى عند الله (أَنَّ الْأَرْضَ) أرض الجنة (يَرِثُهَا عِبَادِىَ الصَّالِحُونَ) عام فى كل صالح (إِنَّ فِى هَٰذَا) القرآن (لَبَلَاغًا) كفاية فى دخول الجنة (لِقَوْمٍ عَابِدِينَ)

(قوله أوالسجل الصحيفة) أى والمعنى كطى الصحف على مكتوبها وعليه فهو من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره كما يطوى الرجل الصحيفة على مافيها (قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله جمعا) أى وأما على قراءة الافراد فأل للجنس (قوله كما بدأنا أول خلق) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة والخلق بمعنى المخلوق و إضافة أول له من إضافة الصفة للموصوف ، والمعنى كما بدأنا المخلوق الأول نعيده ثانيا (قوله بعد إعدامه) هذا أحد قولين لأهل السنة . والقول الثانى أن الإعادة بعد تفرق الأجزاء قال فى الجوهرة : وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق (قوله وما مصدرية) أى و بدأنا صلتها والجملة فى محل جر بالكاف وأول خلق مفعول به لبدأنا (قوله وعدا علينا) أى فعلينا إنجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على إنفاذه (قوله لمضمون ماقبله) أى الجملة الخبرية (قوله إنا كنا فاعلين) توكيد لماقبله (قوله بمعنى الكتاب) أى فأل فى الزبور للجنس ، والمعنى جنس الكتب السماوية (قوله بمعنى أم الكتاب) أى وهو اللوح المحفوظ (قوله أن الأرض) مفعول كتبنا (قوله عام فى كل صالح) أى من هذه الأمة وغيرها من الأمم والمراد بالصلاح الموت على الايمان ، والمعنى أن المؤمنين يرثون الجنة و يتنعمون فيها على قدر أعمالهم وعبر بالميراث لأنه ملك مستمر يأتى من غير تكسب ، وأما من مات على الكفر فليس له فى الجنة نصيب لأن الجنة عزيزة عند الله فلا يعطيها لأعدائه ، وأما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده لما فى الحديث «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء» ومعناه لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه ولو كانت باقية ما نعم الكافر فيها لهوانه عليه فتقرر لله فى الأزل أن الدنيا فانية زائلة لاقدر لها عنده فنعم فيها الكفار (قوله كفاية فى دخول الجنة) أى من حيث أنه يوصل لمرضاة الله تعالى فى الدنيا و يؤنس صاحبه فى القبر و يوضع فى الميزان و يرقى به فى درجات الجنة

(قوله عاملين به) أى ممتثلين أوامره مجتنبين نواهيه (قوله أى للرحمة) أشار بذلك إلى أن رحمة منصوب على أنه مفعول لأجله ويصح أن يكون منصوبا على الحال أى أنه نفس الرحمة لما ورد أن الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا عين الرحمة أو على حذف مضاف أى ذا رحمة أو راحما لما فى الحديث «إنما أنا رحمة مهداة» (قوله الانس والجن) أى برا وفاجرا مؤمنا وكافرا لأنه رفع بسببه الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال ورحمة أيضا من حيث إنه جاء بما يرشد الخلق إلى السعادة العظمى فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى ومن كفر فهو رحمة له فى الدنيا فقط (قوله قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) اعلم أن فى هذه الآية قصرين . الأول قصر الصفة على الموصوف . والثانى بالعكس . والمعنى كما قال المفسر مايوحى إلىّ فى أمر الإله

إلا اختصاصه بالوحدانية ففيه رد على الكفرة الذين يعبدون غير الله (قوله بمعنى الأمر) أى فالمراد منه التحضيض على الإسلام لا الاستفهام عنه (قوله أعلمتكم بالحرب) أى أنذرتكم به والمراد بالحرب محاربته هو وأصحابه لهم والمعنى أعلمتكم بأنى محارب بكم والحال أنى وأنتم مستوون فى العلم بنقض الصلح لئلا أنسب للغدر المذموم فاعله (قوله لتتأهبوا) أى لتستعدوا وتتهيئوا له وهو علة للنفى لا للمنفى فالمعنى لا أستبد به بل أعلمكم لتتأهبوا (قوله وإن أدرى أقريب أم بعيد ما توعدون) أى لا أدرى الوقت الذى يحل بكم العذاب فيه وإنما علمه موكول إلى الله ، والمراد بالعذاب تعذيبه إياهم بحربه فى الدنيا وقوله أو القيامة أى تعذيبهم بالنار (قوله إنه يعلم الجهر من القول) أى ماتقولونه جهرا مما لايليق (سورة

(قوله والفعل) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء (قوله أى ما أعلمتكم به) أى وهو تأخير العذاب عنهم فى الدنيا (قوله اختبار لكم) أى معاملتكم معاملة المختبر (قوله وهذا مقابل للأول الخ) حاصله أن قوله لعله فتنة لكم محتمل للوقوع وعدمه وأما قوله ومتاع إلى حين فهو محقق الحصول والأحسن أن يجعل قوله ومتاع خبرا لمحذوف تقديره ، وهذا متاع إلى حين أى وتأخير عذابكم متاع أى تمتع لكم إلى وقت فراغ الأجل والجملة مستأنفة (قوله وفى قراءة قال) أى وهى سبعية أيضا فالأولى أمر . والثانية إخبار عن مقالته (قوله احكم بالحق) أى عجل النصر لى والعذاب لأعدائى (قوله والخندق) المناسب حذفه لأنه هو الأحزاب (قوله المستعان) أى الذى تطلب منه الاعانة (قوله على ماتصفون) أى على وصفكم لربكم ولنبيه بالنقائص . فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إلى الله والصبر على المشاق تعليما لأمته حسن الالتجاء إلى ربهم

عاملين به (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد (إِلاَّ رَحْمَةً) أى للرحمة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن بك (قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) أى مايوحى إلىّ فى أمر الإله إلا وحدانيته (فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) منقادون لما يوحى إلىّ من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر (فَإِنْ تَوَلَّوْا) عن ذلك (فَقُلْ آذَنْتُكُمْ) أعلمتكم بالحرب (عَلَى سَوَاءٍ) حال من الفاعل والمفعول أى مستوين فى علمه لا أستبدّ به دونكم لتتأهبوا (وَإِنْ) ما (أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ) من العذاب أو القيامة المشتملة عليه وإنما يعلمه الله (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ) والفعل منكم ومن غيركم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) أنتم وغيركم من السر (وَإِنْ) ما (أَدْرِي لَعَلَّهُ) أى ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته (فِتْنَةٌ) اختبار (لَكُمْ) ليرى كيف صنعكم (وَمَتَاعٌ) تمتع (إِلَىٰ حِينٍ) أى انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول المترجى بلعل وليس الثانى محلا للترجى (قُلْ) وفى قراءة قال (رَبِّ احْكُمْ) بينى وبين مكذبى (بِالْحَقِّ) بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا ببدر وأحد والأحزاب وحنين والخندق ونصر عليهم (وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) من كذبكم على الله فى قولكم اتخذ ولدا ، وعلىّ فى قولكم ساحر ، وعلى القرآن فى قولكم شعر .

(سورة الحج)

مكية إلا ومن الناس من يعبد الله الآيتين ، أو إلا هذان خصمان الست آيات فمدنيات
وهى أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة وغيرهم (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عقابه بأن تطيعوه (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ) أى الحركة الشديدة للأرض التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذى هو قرب الساعة (شَيْءٌ عَظِيمٌ) فى إزعاج الناس الذى هو نوع من العقاب (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ) بسببها (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) بالفعل (عَمَّا أَرْضَعَتْ) أى تنساه (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) أى حبلى (حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى) من شدة الخوف (وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) من الشراب (وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) فهم يخافونه . ونزل فى النضر بن الحرث وجماعة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ، وأنكروا البعث و إحياء من صار ترابا (وَيَتَّبِعُ) فى جداله (كُلَّ شَيْطَانٍ ،

[سورة الحج مكية] سميت بذلك لذكر الحج فيها (قوله إلا ومن الناس الخ) هذا أحد قولين فى المدنى منها (قوله أو إلا هذان خصمان) هذا قول ثان وقوله الست آيات أى وتنتهى إلى صراط الحميد لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار وآيتان متعلقتان بالمؤمنين ، وقيل إن السورة كلها مدنية وقيل إلا أربع آيات من قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلى قوله عذاب مقيم فهى مكيات والتحقيق أنها مختلطة منها مكى ومنها مدنى وهى من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها (قوله أو ثمان وسبعون آية) أى أنها سبعون آية جزما والخلاف فى النيف الزائد على خمسة أقوال (قوله أى أهل مكة) إما برفع أهل على أن أى حرف تفسير وأهل تفسير للناس أو نصبه على أن أى حرف نداء وأهل منادى وقوله وغيرهم بالرفع أو النصب وأشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بأن تطيعوه) أى بفعل المأمورات واجتناب المنهيات (قوله إن زلزلة الساعة الخ) تعليل للأمر بالتقوى . والمعنى اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف فإن من دخل حضرته أمن من كل مايزعج قال تعالى : إن المتقين فى مقام أمين و إضافة زلزلة للساعة من إضافة المصدر لفاعله والمفعول محذوف تقديره الأرض و إسناد الزلزلة للساعة مجاز عقلى لأنها مقدمتها ومن علاماتها الكبرى لما روى فى حديث الصور : إنه قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام لرب العالمين وأن عند نفخة الفزع يسير الله الجبال وترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة وتكون الأرض كالسفينة تضربها الأمواج أو كالمنديل المعلق تحركه الرياح (قوله أى الحركة الشديدة) أى وتكون تلك الحركة فى نصف رمضان (قوله التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها) أشار المفسر بذلك إلى أن تلك الزلزلة تكون فى الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها و يقوى هذا القول قوله تعالى : تذهل كل مرضعة عما أرضعت الآية والرضاع والحمل إنما هو فى الدنيا وقيل تكون مع النفخة الأولى وقيل تكون مع قيام الساعة عند النفخة الثانية وحينئذ يكون قوله تذهل كل مرضعة مبالغة أى أن الزلزلة من شدة هولها وعظمة شأنها أن تذهل كل مرضعة عن ولدها (قوله كل مرضعة بالفعل) والمعنى مباشرة للإرضاع (قوله عما أرضعت) يصح أن تكون ما مصدرية أى عن إرضاعها و يصح أن تكون موصولة أى عن الذى أرضعته (قوله كل ذات حمل) هو بفتح الحاء ما كان فى بطن أو على رأس شجرة وأما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر (قوله ولكن عذاب الله شديد) استدراك على محذوف تقديره فهذه الأحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الخ فما بعد لكن مخالف لما قبلها وهاتان الآيتان قيل نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى كانوا حوله فقرأهما عليهم فلم ير باكيا أكثر من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس من بين باك وجالس حزين متفكر (قوله من يجادل فى الله) أى فى قدرته وصفاته العظيمة (قوله بغير علم) حال من فاعل يجادل (قوله وأنكروا البعث) أى حيث قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا

مبعوثون خلقا جديدا (قوله مريد) أى عات والمراد إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر و إما إبليس وجنوده وهو الأقرب لقوله فى الآية الأخرى : إن الشيطان لكم عدوّ فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (قوله كتب عليه) هو فعل مبنى للمفعول وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل (قوله من تولاه) إما شرطية والفاء واقعة فى جوابها أو موصولة والفاء زائدة فى الخبر لشبه المبتدإ بالشرط (قوله يدعوه) أى وسمى الدعاء هداية تهكما بهم (قوله أى النار) أشار بذلك إلى أن المراد بالسعير النار بجميع طبقاتها لا الطبقة المسماة بذلك (قوله يأيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر من يجادل فى قدرة الله بغير علم وكان جدالهم فى البعث ذكر دليلين على ذلك : الأول فى نفس الانسان وابتداء خلقه . والثانى فى الأرض وما يخرج منها فاذا تأمل الانسان فيهما ثبت عنده البعث وأنه واقع لا محالة (قوله ثم من علقة) أى بأن تصير النطفة دما جامدا وهكذا يقال فيما بعده بدليل قوله تعالى فى سورة المؤمنون

(٨٨)

ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة لما ورد أن النطفة إذا وقعت فى الرحم وأراد الله أن يخلق منها بشرا طارت فى بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعرة ثم تمكث أربعين يوما ثم تصير دما فى الرحم فذلك جمعها وهو وقت جعلها علقة واتفقوا على أن نفخ الروح فيه يكون بعد مائة وعشرين يوما وذلك أربعة أشهر (قوله تامة الخلق) أى تامة التصوير بأن خلق الرأس واليدان والرجلان (قوله أى غير تامة الخلق) أى غير تامة التصوير بأن لم يخلق فيها شىء من ذلك (قوله كمال قدرتنا) قدره إشارة إلى أن مفعول نبين محذوف (قوله ونقر فى الأرحام ما نشاء) وأن أى فلا تسقطه الرحم (قوله إلى أجل مسمى) أى معين لإخراجه فتارة يخرج لستة أشهر وتارة لأكثر (قوله طفلا) حال من مفعول نخرجكم وأفرده لأنه مصدر فى الأصل أو لأنه يراد به الجنس أو لأن المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك القوم يشبعهم رغيف أى كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ (قوله إلى أرذل العمر) قيل هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والخرف) بفتحتين هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم) متعلق بيرد أى لكيلا يعقل من بعد عقله الأول شيئا ليعود كهيئته الأولى فى أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه و ينكر ما عرفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) أى فهو مخصوص بغير من قرأ القرآن والعلماء وأمامهم فلا يردون إلى الأرذل بل يزداد عقلهم كلما طال عمرهم كما هو مشاهد (قوله وترى الأرض هامدة) هذا هو الدليل الثانى على تمام قدرته تعالى (قوله تحركت) أى فى رأى العين بسبب حركة النبات (قوله بأن الله هو الحق) أى هذا الصنع بسبب أنه تعالى هو الثابت الذى

مَرِيدٍ) أى متمرد (كُتِبَ عَلَيْهِ) قضى على الشيطان (أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ) أى اتبعه (فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ) يدعوه (إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أى النار (يَأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شك (مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ) أى أصلكم آدم (مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ) خلقنا ذريته (مِنْ نُطْفَةٍ) منىّ (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) وهى الدم الجامد (ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) وهى لحمة قدر ما يمضغ (مُخَلَّقَةٍ) مصورة تامة الخلق (وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ) أى غير تامة الخلق (لِنُبَيِّنَ لَكُمْ) كمال قدرتنا لتستدلوا بها فى ابتداء الخلق على إعادته (وَنُقِرُّ) مستأنف (فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) وقت خروجه (ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ) من بطون أمهاتكم (طِفْلًا) بمعنى أطفالا (ثُمَّ) نعمركم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) أى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى) يموت قبل بلوغ الأشد (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ) أخسه من الهرم والخرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يابسة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَتْ) ارتفعت وزادت (وَأَنْبَتَتْ مِنْ) زائدة (كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) حسن (ذَلِكَ) المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض (بِأَنَّ) بسبب أن (اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الثابت الدائم (وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ).

لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا الموجد للأشياء على طبق علمه وإرادته (قوله وأن الساعة آتية) توكيد لقوله وأنه يحيي الموتى وكذا قوله ـ وأن الله يبعث من في القبور ـ (قوله ونزل في أبي جهل) واسمه عمرو بن هشام وأبو جهل كنيته ويكنى أيضا بأبي الحكم (قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) عطف على قوله ومن الناس الأول ، والمعنى أن الكفار تنوعوا في كفرهم فبعضهم كان يقلد غيره في الكفر وقد دلت الآية الأولى على هذا القسم ، وبعضهم كان قدوة يقتدى به غيره في الضلال والكفر وقد دلت هذه الآية عليه ، وبعضهم كان يدخل الاسلام باللسان وفي قلبه الريب والشك وهو الآتي في قوله ـ ومن الناس من يعبد الله على حرف ـ وحينئذ فليس في الآية تكرار (قوله بغير علم) أي معرفة وقوله ولا هدى أي استدلال وقوله ولا كتاب أي وحي . والمعنى أنه يجادل من غير مستند أصلا (قوله ثاني عطفه) أي لاوي جنبه ، والمراد منه الاعراض عن الحق لأن شأن من أعرض عن شيء لوى جنبه عنه فشبه عدم التمسك بالحق بلي الجانب واستعير اسم المشبه به للمشبه بجامع الاعراض في كل على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والعامة على كسر العين وهو الجانب وقرئ شذوذا بفتحها وهو مصدر بمعنى التعطف كأنه قال تاركا تعطفه أي رحمته وتمسك بالقسوة (قوله أي لاوي عنقه) الأوضح أن يقول جنبه لأن العطف بالكسر الجانب إلا أن يقال يلزم من لي الجانب لي العنق (قوله ليضل) متعلق بيجادل وقوله بفتح الياء أي فهو فعل لازم، والمعنى ليحصل له الضلال في نفسه وقوله وضمها أي فهو متعد . والمعنى ليوقع غيره في الضلال

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) ونزل في أبي جهل (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) معه (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) له نور معه (ثَانِيَ عِطْفِهِ) حال أي لاوي عنقه تكبرا عن الايمان ، والعطف الجانب عن يمين أو شمال (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي دينه (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) عذاب فقتل يوم بدر (وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أي الاحراق بالنار ويقال له (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ) أي قدمته ، عبر عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تزاول بهما (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أي بذي ظلم (لِلْعَبِيدِ) فيعذبهم بغير ذنب (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) أي شك في عبادته شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) صحة وسلامة في نفسه وماله (اطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) محنة وسقم في نفسه وماله ،

وهما قراءتان سبعيتان واللام للعاقبة والصيرورة (قوله عذاب) في بعض النسخ زيادة ثقيل ومعناه عظيم متكرر وأخذ ذلك من التنوين على حد شر أهر ذا ناب (قوله عذاب الحريق) من إضافة الموصوف لصفته : أي العذاب المحرق أو الحريق طبقة من طباق جهنم (قوله ويقال له) أي من قبل الله على ألسنة ملائكة العذاب (قوله ذلك) أي ماذكر من الخزي وعذاب الحريق (قوله عبر عنه بهما الخ) جواب عما يقال لم خص اليدين بالذكر مع أن الفاعل هو الشخص ذاته (قوله تزاول) أي تعالج (قوله وأن الله) عطف على قدمت (قوله أي بذي ظلم) أي فظلام صيغة نسبة كتمار ونجار ودفع بذلك ما يقال إن نفي الكثرة يستدعي ثبوت أصل الظلم مع أنه مستحيل لأن الظلم التصرف في ملك الغير بغير إذنه ولا ملك لأحد معه لأن حكمه في ملكه دائر بين الفضل والعدل فلا يسئل عما يفعل وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على أحكام الله تعالى وإنما يرضى ويسلم ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة (قوله فيعذبهم بغير ذنب) أي وسماه ظلما لأنه وعد الطائع بالجنة ووعده لايتخلف لكن لو فرض لم يكن ظلما (قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف) نزلت في المنافقين وأعراب البوادي كان أحدهم إذا قدم المدينة فصح فيها جسمه ونتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن له وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شرا فينقلب عن دينه وقوله على حرف حال من فاعل يعبد أي متزلزلا وقد صار مثلا لكل من كان عنده شك في شيء (قوله أي شك في عبادته) أي ضعف يقين فيها (قوله شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته) أشار بذلك إلى أن في الآية استعارة تمثيلية حيث شبه حال من دخل الاسلام من غير اعتقاد وصحة قصد بحال الجالس على طرف جبل تحته مهواة بجامع التزلزل وعدم الثبات في كل (قوله اطمأن به) أي رضي به وسكن إليه (قوله فتنة) المراد بها هنا كل مكروه للطبع وثقيل على النفس ولم يقل وإن أصابه شر ليقع في مقابلة الخير لأن ما يخفى

هنه الطبع ليس شرا في نفسه بل قد يكون خيرا إذا حصل معه الرضا والتسليم (قوله انقلب على وجهه) أي ارتد للحالة التي كان عليها أولا من الكفر والاعتراض على الله تعالى (قوله بفوات ماأمله) أي وهوكثرة ماله واجتماعه بأحبابه (قوله ذلك هو الخسران المبين) أى الذى لاخسران مثله لفوات حظه من الدنيا والآخرة (قوله من الصنم) لامفهوم له بل مثله كل مخلوق. والحاصل أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فهذه الآية تعال أيضا من التجأ لمخلوق وترك الخالق معتمدا على ذلك المخلوق. وأما الالتجاء للمخلوق من حيث إنه مهبط الرحمات كمواصلة آل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب وهو فى الحقيقة التجاء للخالق يقرب ذلك أن الله تعالى أمرنا بالجلوس فى المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها ، وماذاك إلا للتعرض للرحمة النازلة فى تلك الأماكن والأزمان فلا فرق بين الأشخاص وغيرها فهم مهبط الرحمات لامنشؤها تأمل (قوله اللام زائدة) أى ومن مفعول يدعو وضره مبتدأ وأقرب خبره والجملة صلة من . إن قلت إنه أثبت الضر والنفع هنا ونفاها فيما تقدم فقد حصل التعارض والتناقض . أجيب بأن النفى باعتبار ما فى نفس الأمر والاثبات باعتبار زعمهم الباطل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (٩٠) (قوله وعقب ذكر الشاك بالخسران) الجار والمجرور حال من الشاك والباء للملابسة وقوله بذكر المؤمنين متعلق بعقب ، والمعنى لما ذكر الشاك فى الدين حال كونه ملتبسا بالخسران ذكر عقبه المؤمنين وما أعد لهم من الثواب الجزيل (قوله من الفروض) أى وهى ما أمر بها المكلف أمرا جازما يترتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب وقوله والنوافل هى ما أمر بها الشخص أمرا غير جازم يترتب على فعلها الثواب وليس فى تركها عقاب (قوله تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها (قوله إن الله يفعل مايريد) أى فلا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل (قوله من كان يظن أن لن ينصره الله) هذه الآية مرتبطة بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف، وأما قوله إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ فهو معترض بين أوصاف الشاك لجرى عادة الله بذكر أهل الوعد إثر أهل الوعيد . والمعنى من كان يظن من الكفار والشاكين فى دينهم أن الله لاينصر محمدا فى الدنيا والآخرة فليأت بحبل يشده فى سقف بيته وفى عنقه ثم يختنق به حتى يموت فلينظر هل فعل هذا يذهب غيظه وهو نصرة محمد فالاتيان بالحبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظا فيكون بمعنى قوله تعالى ـ قل موتوا بغيظكم ـ وهذا هو المشهور فى تفسير الآية ولذا مشى عليه المفسر . وقيل إن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ثم ليقطع النصر عنه وينظر هل يذهب ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك (قوله بأن يقطع نفسه) بالتحريك ، وهو إشارة إلى أن مفعول يقطع محذوف (قوله كما فى الصحاح) راجع للجميع ماذكر من قوله بحبل إلى السماء الخ . والصحاح بفتح الصاد اسم كتاب فى اللغة للامام أبى النصر إسماعيل بن حماد الجوهرى (قوله مايغيظ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف ويغيظ صلته والعائد محذوف والتقدير الشىء الذى يغيظه (قوله منها) بيان لما الواقعة على نصرة النبى

(انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أى رجع إلى الكفر (خَسِرَ الدُّنْيَا) بفوات ما أمله منها (وَالآخِرَةَ) بالكفر (ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين (يَدْعُوا) يعبد (مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الصنم (مَالاَيَضُرُّهُ) إن لم يعبده (وَمَا لاَيَنْفَعُهُ) إن عبده (ذَٰلِكَ) الدعاء (هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ) عن الحق (يَدْعُوا لَمَنْ) اللام زائدة (ضَرُّهُ) بعبادته (أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ) إن نفع بتخيله (لَبِئْسَ الْمَوْلَى) هو أى الناصر (وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ) الصاحب هو ، وعقب ذكر الشاك بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب فى (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ) أى محمداً نبيه (فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ) بحبل (إِلَى السَّمَاءِ) أى سقف بيته يشده فيه وفى عنقه (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) أى ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما فى الصحاح (فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ) فى عدم نصرة النبى (مَا يَغِيظُ) ه منها، المعنى فليختنق غيظا منها فلا بد منها (وَكَذَٰلِكَ) أى مثل إنزالنا الآيات السابقة (أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن الباقى (آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) ظاهرات ،

(قوله حال) أى من الهاء فى أنزلناه (قوله على هاء أنزلناه) أى فالمعنى وأنزلنا إن الله يهدى من يريد أى و يضل من يريد ففى الآية اكتفاء (قوله إن الذين آمنوا الخ) أى فالأديان ستة واحد للرحمن وأصحابه فى الجنة وخمسة للشيطان وأصحابها فى النار (قوله والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس و يقولون العالم له أصلان النور والظلمة وقيل هم قوم يستعملون النجاسات والأصل نجوس أبدلت النون ميما (قوله طائفة منهم) أى من اليهود وقيل هم طائفة من النصارى (قوله إن الله على كل شئ شهيد) تعليل لقوله إن الله يفصل بينهم (قوله عالم) أشار بذلك إلى أن الشهيد معناه الذى لايغيب عنه شئ (قوله والشمس والقمر والنجوم) عطف خاص على قوله من فى السموات ؛ ونص عليها لما ورد أن بعضهم كان يعبدها (قوله والجبال والشجر والدواب) عطف خاص على من فى الأرض وخصها بالذكر لأن بعضهم كان يعبدها (قوله أى يخضع له) أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الخضوع والانقياد لله وهو أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقته لأنه ورد «مافى السماء نجم ولاشمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لاينصرف حتى يؤذن له» وقال تعالى ـ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ـ (قوله وكثير من الناس) أشار المفسر إلى أنه معطوف على فاعل يسجد (قوله يشقه)

حال (وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ) هداه معطوف على هاء أنزلناه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالصَّابِئِينَ) طائفة منهم (وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بادخال المؤمنين الجنة و إدخال غيرهم النار (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من عملهم (شَهِيدٌ) عالم به علم مشاهدة (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) يخضع له بما يراد منه (وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع فى سجود الصلاة (وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود المتوقف على الايمان (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ) يشقه (فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) مسعد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الاهانة والاكرام (هَذَانِ خَصْمَانِ) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ) أى فى دينه (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ) يلبسونها يعنى أحيطت بهم النار (يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) الماء البالغ نهاية الحرارة (يُصْهَرُ) يذاب (بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ) من شحوم وغيرها ،

أى يحتم عليه الشقاء وهو عدم الاهتداء (قوله إن الله يفعل مايشاء) أى فلا حرج عليه ولا منازع له فى حكمه (قوله هذان خصمان) اسم الاشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر ، وسبب نزولها تخاصم حمزة وعلىّ وعبيدة بن الحرث مع عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فكان كل من الفريقين يسبّ دين الآخر ، وقيل نزلت فى المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم . وقال المسلمون نحن أحقّ بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم و بما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون كتابنا ونبينا وكفرتم حسدا . واختلف هل هذا الخصام فى الدنيا والتعقيب بقوله فالذين كفروا الخ باعتبار تحقق مضمونه أو فى الآخرة بدليل التعقيب ، ولذا قال علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه أنا أول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدى الله تعالى (قوله وهو يطلق على الواحد والجماعة) أى لأنه مصدر فى الأصل ، والغالب استعماله مفردا مذكرا وعليه قوله تعالى ـ وهل أتاك نبأ الخصم ـ ويثنى ويجمع كما هنا (قوله اختصموا) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى ـ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ـ (قوله أى فى دينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله قطعت لهم ثياب من نار) أى قدرت على قدر جثثهم ، ففى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترها لأبدانهم ، وجمع الثياب لأن تراكم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع (قوله يصب من فوق رءوسهم الحميم) لما ذكر أن الثياب تغطى الجسد غير الرأس ذكر ما يصيب الرأس ، ولما ذكر ما يصيب ظاهر الجسد ذكر ما يصيب باطنه وهو الحميم الذى يذيب ما فى البطون من الأحشاء لما فى الحديث « إن الحميم ليصب من فوق رءوسهم فينفذ من جمجمة أحدهم

حتى يخلص إلى جوفه فيسلب ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان (قوله وتشوى به الجلود) أشار بذلك إلى أن الجلود مرفوع بفعل مقدر لأن الجلود لاتذاب نظير * علفتها تبنا وماء باردا * ويصح أن يكون معطوفا على ما ويراد بالاذابة التقطع (قوله ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أى الضرب والزجر (قوله من غم) أى من أجل حصوله لهم (قوله أعيدوا فيها) أى لما ورد «إن جهنم تفور بهم فيصعدون إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا» (قوله وقيل لهم) أى تقول لهم الملائكة ذلك (قوله عذاب الحريق) من إضافة الموصوف للصفة أى العذاب المحرق (قوله إن الله يدخل الذين آمنوا الخ) لم يقل فى حقهم والذين آمنوا عطفا على قوله فالذين كفروا إشارة لتعظيم شأن المؤمنين (قوله الأنهار) جمع نهر والمعنى تجرى من تحت قصورهم (قوله من أساور) من إما زائدة أو للتبعيض أو لبيان الجنس وقوله من ذهب من لابتداء الغاية (قوله بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب والأصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وقيل إنهم يلبسون الأساور من النوعين الذهب واللؤلؤ، وفى آية هل أتى - وحلوا أساور من فضة - فهم يلبسونها من الأنواع الثلاثة لما ورد «إن المؤمن يسور فى الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ» وفى الحديث «تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء» (قوله ولباسهم فيها حرير) غاير الأسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا إشارة إلى أن الحرير ثيابهم المعتادة فى الجنة فان العدول إلى الجملة الاسمية يدل على الدوام (قوله وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا) أى يوصلهم الله فى الآخرة إلى ما حرمه عليهم فى الدنيا. قال عليه الصلاة والسلام «من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة» واختلف فى معنى الحديث فقيل لم يلبسه فى الآخرة إذا مات مصرا ودخل النار فلا ينافى أنه إذا دخل الجنة يلبسه وقيل لم يلبسه أصلا ولو دخل الجنة بل يتنعم بغير الحرير وأما هو فلا يشتهيه فيها والمعتمد الأول وكذا يقال فى الأحاديث الواردة فيمن شرب الخمر ولبس الذهب (قوله وهو لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى أفضل القول لما فى الحديث «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله» فهى رأس المال لذاكرها لايقبل شىء من الأعمال إلا بها فمن مات عليها حصلت له السعادة والسيادة. نسأل الله تعالى الثبات عليها فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه (قوله إلى صراط الحميد) أى وهو دين الاسلام وسمى صراطا لأنه طريق يوصل إلى رضا الله تعالى (قوله أى طريق الله المحمودة) أشار بذلك إلى أن الحميد وصف لله تعالى ومعناه المحمود فى أفعاله (قوله ويصدون) معطوف على كفروا ففيه عطف المستقبل على الماضى وحينئذ فاما أن يراد بالماضى المضارع أو يجرد المضارع عن معناه بأن يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف وهذا هو الأحسن ولا يصح جعل جملة ويصدون حالا لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا لاتقترن بالواو. قال ابن مالك:

وذات بدء بمضارع ثبت   حوت ضميرا ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة لأن الأصل عدمها وخبر إن محذوف يقدر بعد قوله والباد لدلالة قوله نذقه من عذاب أليم عليه كما سيأتى فى المفسر (قوله منسكا) قدره إشارة الى أن مفعول جعلنا الثانى محذوف وقوله ومتعبدا عطف تفسير (قوله للناس) ظرف لغو اما متعلق بمنسكا الذى قدره المفسر أو بجعلنا وهذا التقدير إنما هو لايضاح المعنى والا فيصح جعل جملة سواء العاكف

(وَ) تشوى به (الْجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ) لضرب رءوسهم (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا) أى النار (مِنْ غَمٍّ) يلحقهم بها (أُعِيدُوا فِيهَا) ردوا إليها بالمقامع (وَ) قيل لهم (ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى البالغ نهاية الإحراق، وقال فى المؤمنين (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ) بالجر أى منهما بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصب عطفاً على محل من أساور (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا (وَهُدُوا) فى الدنيا (إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) وهو لا إله إلا الله (وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ) أى طريق الله المحمودة ودينه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته (وَ) عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ) منسكا ومتعبداً (لِلنَّاسِ،

سواء

فيه والباد مفعولا ثانيا وعلى ما قدره المفسر تكون حالية (قوله سواء العاكف فيه) سواء بالرفع خبر مقدم والعاكف وما عطف عليه مبتدأ مؤخر وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالا والعاكف مرفوع على الفاعلية لسواء لأنه مصدر وصف به فهو فى قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف الخ . والمعنى أن المقيم فى المسجد والطارئ سواء فى النزول به فمن سبق إلى مكان فيه فهو حقه لايقيمه منه غيره وليس المراد أن دور مكة غير مملوكة لأربابها فالتعريب وأهل البلد سواء فيها بل هى مملوكة لأربابها ويجوز بيعها وإجارتها (قوله والباد) باثبات الياء وصلا ووقفا أو حذفها فيهما أو حذفها وقفا وإثباتها وصلا ثلاث قراآت سبعيات وقوله الطارئ دفع به مايتوهم من قوله البادى أن المراد به ساكن البادية بل المراد به الطارئ كان من البادية أولا وإنما سمى الطارئ باديا لأنه لايأتى إليها إلا من البادية (قوله ومن يرد فيه)أى يقصد فى المسجد الحرام (قوله بالحاد) أى عدول عن الاعتدال (قوله الباء زائدة) أى فى المفعول (قوله نذقه من عذاب أليم) أى فى الآخرة إلا أن يتوب . وأخذ منه أن السيئة فى مكة أعظم من السيئة فى غيرها ومن هنا كره مالك المجاورة فى مكة لغير أهلها وندبها بالمدينة (قوله ومن هذا) أى جواب الشرط (قوله يؤخذ خبر إن) أى ويكون مقدرا بعد قوله والبادى (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن قوله بوأنا ظرف لمحذوف (قوله بينا لابراهيم مكان البيت) أريناه أصله ليبنيه حين أسكن ولده إسمعيل وأمه هاجر فى تلك الأرض وأنعم الله عليهما بزمزم فدعا الله بعمارة هذا البيت ،

(٩٣)

سَوَاءً الْعَاكِفُ) المقيم (فِيهِ وَالْبَادِ) الطارئ (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ) الباء زائدة (بِظُلْمٍ) أى بسببه بأن ارتكب منهيا ولو شتم الخادم (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم أى بعضه ، ومن هذا يؤخذ خبر إن ، أى نذيقهم من عذاب أليم (وَ) اذكر (إِذْ بَوَّأْنَا) بينا (لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) ليبنيه وكان قد رفع زمن الطوفان وأمرناه (أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ) من الأوثان (لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ) المقيمين به (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جمع راكع وساجد : المصلين (وَأَذِّنْ) ناد (فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) فنادى على جبل أبى قبيس : يا أيها الناس إن ربكم بنى بيتا وأوجب عليكم الحج إليه فأجيبوا ربكم والتفت بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فأجابه كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات : لبيك اللهم لبيك وجواب الأمر (يَأْتُوكَ رِجَالًا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام ،

فبعث الله له ريحا هفافة فكشفت عن أساس آدم فرتب قواعده عليه لأن أساسه فى الأرض كما قيل ثلاثون ذراعا بذراع آدم ، وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحذاء البيت وفيها رأس يتكلم يا إبراهيم ابن على دورى فبنى عليه وجعل طوله فى السماء سبعة أذرع بذراعه وأدخل الحجر فى البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا يلقى فيه ما يهدى للبيت وبناه قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم الملائكة ثم بعد إبراهيم بناه العمالقة ثم جرهم ثم قصى ثم قريش ثم ابن الزبير ثم الحجاج وهى باقية الآن على بنائه ثم يهدمها فى آخر الزمان ذو السويقتين فيجددها عيسى ابن مريم عليه السلام (قوله وأمرناه) قدره إشارة إلى أن قوله أن لا تشرك معمول لمحذوف وذلك المحذوف معطوف على بوأنا (قوله من الأوثان) قيل المراد بها الأصنام لأن جرهما والعمالقة كانت لهم أصنام فى محل البيت قبل أن يبنيه إبراهيم عليه السلام وقيل المراد نزهه عن أن يعبد فيه غيره تعالى فهو كناية عن إظهار التوحيد ويصح أن يكون المراد طهره من الأقذار والأنجاس والدماء وجميع ما تنفر منه النفوس (قوله وأذن فى الناس بالحج) أى بالدعاء إليه والأمر به (قوله على جبل أبى قبيس) أى فلما صعد للنداء خفضت الجبال رءوسها ورفعت له القرى ، فنادى فى الناس بالحج ، فأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة إلا من أجاب ابراهيم عليه السلام يومئذ ، فمن لبى مرة حج مرة ، ومن لبى مرتين حج مرتين ؛ ومن لبى أكثر حج بقدر تلبيته (قوله لبيك اللهم لبيك) أى أجبتك إجابة بعد إجابة (قوله يأتوك) أى يأتوا مكانك لأن المقصود اتيان البيت لا اتيان ابراهيم وقوله رجالا وعلى كل ضامر ليس فيه دليل على أن راكب البحر لايجب عليه الحج لأن مكة ليست على البحر وانما يتوصل اليها على احدى هاتين الحالتين .

(قوله وعلى كل ضامر) التضمير فى الأصل أن تعلف الفرس حتى يسمن ثم تقلل عنه الأكل شيئا فشيئا حتى يصل إلى حد القوت وحينئذ فيكون سريع الجرى وقدم الراجل لما ورد أن له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم كل حسنة مائة ألف حسنة وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة ، وأخذ الشافعى من هذا الحديث أن المشى أفضل من الركوب ، وقال مالك الركوب أفضل لأنه أقرب للشكر ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج راكبا ولو كان المشى أفضل لفعله رسول الله وأجاب عن الحديث بأنه مزية وهى لا تقتضى الأفضلية (قوله حملا على المعنى) أى حيث ألحق الفعل العلامة ولو راعى اللفظ لقال يأتى (قوله بالتجارة) أى لأنها جائزة للحاج من غير كراهة إذا لم تكن مقصودة بالسفر (قوله ويذكروا اسم الله) أى عند إعداد الهدايا وذبحها (قوله عشر ذى الحجة) أى وسميت معلومات لحرص الحجاج على علمها لأن وقت الحج فى آخرها (قوله إلى آخر أيام التشريق) راجع للقولين قبله (قوله على ما رزقهم) أى لأجل ما رزقهم (قوله فكلوا منها) أمر إباحة لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الأكل من لحوم هداياهم فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا جاز الأكل منه . واختلفوا فى الهدى الواجب فقال الشافعى لا يأكل منه وقال مالك يأكل من كل هدى وجب إلا من جزاء الصيد وفدية الأذى والنذر إذا قصد به المساكين . وقال أصحاب أبى حنيفة يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما (قوله ثم ليقضوا تفثهم) أى بعد تمام حجهم وتحللهم لأن الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب الرمى فالنحر فالحلق فطواف الافاضة فبعد الفراغ منها حل له كل شىء كان محرما عليه قبل الاحرام (قوله بالتشديد والتخفيف) هما قراءتان سبعيتان (قوله لأنه أول بيت وضع) وقيل سمى عتيقا لأن الله أعتقه من تسلط الجبابرة

(وَ) ركبانا (عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) أى بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى (يَأْتِينَ) أى الضوامر حملا على المعنى (مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) طريق بعيد (لِيَشْهَدُوا) أى يحضروا (مَنَافِعَ لَهُمْ) فى الدنيا بالتجارة ، أو فى الآخرة ، أو فيهما أقوال (وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ) أى عشر ذى الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال (عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم التى تنحر فى يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فَكُلُوا مِنْهَا) إذا كانت مستحبة (وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ) أى الشديد الفقر (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ) أى يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وَلْيُوفُوا) بالتخفيف والتشديد (نُذُورَهُمْ) من الهدايا والضحايا (وَلْيَطَّوَّفُوا) طواف الإفاضة (بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أى القديم لأنه أول بيت وضع للناس (ذَٰلِكَ) خبر مبتدإ مقدر أى الأمر أو الشأن ذلك المذكور (وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ) هى ما لا يحل انتهاكه (فَهُوَ) أى تعظيمها (خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ) فى الآخرة (وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ) أكلا بعد الذبح (إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ) تحريمه فى : حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلا والتحريم لما عرض من الموت ونحوه (فاجتنبوا

عليه ومن الغرق لأنه رفع أيام الطوفان (قوله أى الأمر أو الشأن ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمحذوف وهذا على عادة الفصحاء إذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض فى كلام آخر يقولون هذا وقد كان كذا فهو يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهى كلام واحد (قوله هى ما لا يحل انتهاكه) أى وهى التكاليف التى كلف الله بها عباده من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها فتعظيمه فى الواجب والسنة والمندوب فعل كل وفى المكروه والحرام ترك كل بل وترك ما يؤدى لذلك (قوله خير له عند ربه) أى قربة وطاعة يثاب عليها فى الآخرة واسم التفضيل على بابه باعتبار ما يزعمه أهل اللهو والفسوق من أن من أطلق نفسه فى الشهوات فقد أصاب حظه فهو خير باعتبار ما عندهم لا باعتبار ما عند الله لما ورد « رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا » (قوله الأنعام) أى الابل والبقر والغنم (قوله بعد الذبح) أى أو النحر أو العقر (قوله إلا ما يتلى عليكم) أى إلا مدلول الآية التى تتلى عليكم (قوله فالاستثناء منقطع) أى ووجهه أن فى الآية ما ليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير (قوله ويجوز أن يكون متصلا) أى ووجهه العموم فى قوله الأنعام لأن ظاهره حل الأنعام مطلقا ولو منخنقة وموقوذة ومتردية فأفاد أن الحلال ما عدا ما فى الآية .

(قوله فاجتنبوا الرجس) هو فى الأصل القذر والأوساخ وعبادة الأوثان قذر معنوى (قوله قول الزور) تعميم بعد تخصيص لأن عبادة الأوثان رأس الزور (قوله أى الشرك بالله فى تلبيتهم) أى فانهم كانوا يقولون لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك (قوله أو شهادة الزور) أى الشهادة بما لايعلم حقيقته (قوله حنفاء لله) أى مخلصين له (قوله حالان من الواو) أى فى اجتنبوا لكن الأولى مؤسسة والثانية مؤكدة (قوله ومن يشرك بالله الخ) هذا مثل ضربه الله تعالى للشرك، والمعنى أنه شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء فى أن كلا لايملك لنفسه حيلة حتى يقع فهو هالك لامحالة إما بتخطف الطير لحمه أو تفرقة الرياح لأجزائه فى أمكنة بعيدة لايرجى خلاصه (قوله يقدر قبله الأمر مبتدأ) أى واسم الاشارة خبر نظير ماتقدم (قوله شعائر الله) جمع شعيرة أو شعارة (قوله وهى البدن) فسرها بذلك وإن

كانت الشعائر فى الأصل أعلام الحج وأفعاله مراعاة للسياق (قوله بأن تستحسن) أى تختار حسنة بأن تكون غالية الثمن لما روى أن عمر أهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار (قوله من تقوى القلوب) أى من امتثال الأوامر واجتناب النواهى وقوله منهم قدره إشارة إلى أن العائد محذوف (قوله بما تعرف به) أى بعلامة يعرف بها أنها هدى (قوله كطعن حديدة بسنامها) أى وشق الجلال وإخراج السنام من الشق وكتعاليق النعال فى رقبتها (قوله كركوبها والحمل عليها) أى وشرب لبنها الفاضل عن ولدها (قوله أى عنده) أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى عند (قوله

(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) من للبيان أى الذى هو الأوثان (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) أى الشرك بالله فى تلبيتهم أو شهادة الزور (حُنَفَاءَ لِلَّهِ) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ) سقط (مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) أى تأخذه بسرعة (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ) أى تسقطه (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) بعيد أى فهو لايرجى خلاصه (ذَٰلِكَ) يقدر قبله الأمر مبتدأ (وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا) أى فإن تعظيمها وهى البدن التى تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن (مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدى كطعن حديدة بسنامها (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كركوبها والحمل عليها مالايضرها (إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى) وقت نحرها (ثُمَّ مَحِلُّهَا) أى مكان حل نحرها (إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ) أى عنده، والمراد الحرم جميعه (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) أى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جَعَلْنَا مَنْسَكًا) بفتح السين مصدر وبكسرها اسم مكان أى ذبحا قربانا أو مكانه (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) عند ذبحها (فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا) انقادوا (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) المطيعين المتواضعين (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) من البلايا (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) فى أوقاتها (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (وَالْبُدْنَ) جمع بدنة وهى الإبل (جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) نفع فى الدنيا كما تقدم وأجر فى العقبى (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) عند نحرها (صَوَافَّ) قائمة على ثلاث معقولة اليد اليسرى،

والمراد الحرم جميعه) أى لاخصوص الكعبة (قوله أى ذبحا قربانا) مفعول للمصدر الذى هو ذبحا، والمعنى أن يذبحوا القربان وقيل معنى منسكا نوعا من التعبد والتقرب (قوله ليذكروا اسم الله) معناه أمرناهم عند ذبائحهم بذكر الله (قوله من بهيمة الأنعام) أى عند ذبحها ونحرها (قوله انقادوا) أى خضعوا وفوضوا أمورهم إليه ورضوا بأحكامه (قوله المتواضعين) هذا أصل معناه لأن الاخبات نزول الخبت وهو المكان المنخفض (قوله الذين إذا ذكر الله) أى بأن سمعوا الذكر من غيرهم أو ذكروا بأنفسهم (قوله من البلايا) أى المحن بأن لايجزعوا عند نزولها بهم (قوله يتصدقون) أى صدقة التطوع ويعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى (قوله وهى الابل) أى فالبدن عند الشافعى خاصة بالابل، وقال أبو حنيفة البدن الابل والبقر وعلى كل حال فالبقر من شعائر الله أيضا (قوله لكم فيها خير) الجملة إما حالية أو مستأنفة (قوله فاذكروا اسم الله عليها) أى بأن تقولوا عند ذبحها بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك (قوله قائمة) المناسب أن يقول قائمات

(قوله فإذا وجبت جنوبها) كناية عن الموت وجمع الجنوب مع أن البعير إذا سقط عند النحر إنما يسقط على أحد جنبيه لأن ذلك الجمع فى مقابلة جمع البدن (قوله سقطت إلى الأرض) أى فالوجوب السقوط ، يقال وجبت الشمس : أى سقطت (قوله فكلوا منها) أى إن كانت مستحبة باتفاق وكذا إن كانت واجبة عند مالك إلا فى جزاء الصيد وفدية الأذى والنذر إذا قصد به المساكين ولا يأكل من الواجبة عند الشافعى (قوله وأطعموا القانع) أى المستغنى بما أعطيه المتعفف عما فى أيدى الناس الذى لا التفات له إليهم الذى قال الله فى حق من اتصف بصفته : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس إلحافا ، وقال الامام الشافعى رضى الله عنه :

أمت مطامعى فأرحت نفسى ... فإن النفس ماطمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ... ففى إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب شخص ... علته مهانة وعلاه هون

(قوله أى مثل ذلك التسخير) أى المفهوم من قوله صواف (قوله و إلا لم تطق) أى و إلا نسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها (قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) رد لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم وجعله حول الكعبة وتضميخها بالدم تقربا إلى الله تعالى (قوله أى لا يرفعان إليه) أى و إنما يرفع إليه العمل الصالح ومنه التصدق (قوله لتكبروا الله على ماهداكم) أى بأن تقولوا : الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ما أولانا (قوله وبشر المحسنين) أى برضا الله والدرجات الرفيعة (قوله إن الله يدافع عن الذين آمنوا) مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه وذكر أن الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام كأن قائلا يقول بأى شىء تتمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع

(٩٦)

(فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا) سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها (فَكُلُوا مِنْهَا) إن شئتم (وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ) الذى يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض (وَالْمُعْتَرَّ) السائل أو المتعرض (كَذَٰلِكَ) أى مثل ذلك التسخير (سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ) بأن تنحر وتركب و إلا لم تطق (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) إنعامى عليكم (لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا) أى لا يرفعان إليه (وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ) أى يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان (كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ) أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) أى الموحدين (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) غوائل المشركين (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) فى أمانته (كَفُورٍ) لنعمته وهم المشركون المعنى أنه يعاقبهم (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ) أى المؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت فى الجهاد (بِأَنَّهُمْ) أى بسبب أنهم (ظُلِمُوا) بظلم الكافرين إياهم (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)

فأنزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين وأنهم يتمكنون من المسجد الحرام ويدفع عنهم أعداءهم ، وهذه الآية و إن كان سبب نزولها ماذكر إلا أن العبرة بعموم اللفظ ولذا حذف المعمول ليؤذن بالعموم فالمؤمنون ما لهم للعز والنصر والفوز الأكبر و إن امتحنوا ببلاء أو غيره فذلك لتكفير سيآتهم ورفع درجاتهم فهم بخير على كل حال (قوله غوائل المشركين) قدره اشارة إلى أن المفعول محذوف لدلالة المقام عليه والغوائل جمع غائلة وهى مايصيب الانسان من المكروه (قوله فى أمانته) مفرد مضاف أى أماناته وهى الأوامر والنواهى (قوله وهم المشركون) أى لأنهم خائنون كافرون فى كل وقت وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك وهذا وعيد للكفار إثر وعد المؤمنين لأن شأن الخائن يجازى على خيانته بالخزى والعقاب (قوله أذن للذين يقاتلون) أى يريدون القتال والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله أن يقاتلوا وفى قراءة سبعية أيضا يقاتلون بالبناء للمفعول (قوله وهذه أول آية نزلت فى الجهاد) أى بعد أن نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نيف وسبعين آية ، وذلك أن مشركى مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله و يعذبونهم فيشكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية فحينئذ كان يوم عيد عند المسلمين (قوله و إن الله على نصرهم لقدير) جملة مستأنفة سيقت لوعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية .

(قوله هم الذين) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن الموصول خبر لمحذوف وهو أحد أوجه فى اعرابه ويصح أن يكون نعتا أو بيانا أو بدلا من الذين الأول أومنصوبا على المدح (قوله إلا أن يقولوا) استثناء مفرغ من محذوف قدره المفسر بقوله ما أخرجوا وهو متصل ، والمعنى لم يكن لهم سبب فى إخراجهم إلا تعصب المشركين عليهم من أجل مخالفتهم فى الدين . إن قلت إن سبب خروجهم أمر الله لنبيه . أجيب بأن سبب الخروج باطنا أمر الله لهم بالخروج وظاهرا تعصب المشركين عليهم ولا يصح استثناؤه من المذكور لأنه يصير المعنى الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله وهو لا يصح (قوله ولولا دفع الله الناس) لولا حرف امتناع لوجود ودفع مبتدأ والخبر محذوف والتقدير موجود وإضافة دفع لما بعده من اضافة المصدر لفاعله وقوله بعضهم أى الكافرين وقوله ببعض أى المؤمنين ، والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود لهدم فى زمن موسى الكنائس التى كانوا يصلون فيها فى شرعه ، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفى زمن نبينا المساجد ، وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ وأما من يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد بطل كل دين يخالف دينه قال تعالى ـ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ـ فالمعنى لولا عز

الاسلام وقوة شوكته ماعبدالله فى أى زمن (قوله بالتشديد للتكثير) باعتبار المواضع (قوله وبالتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صوامع) جمع صومعة وهى المحل المرتفع البناء فى الأماكن الخالية (قوله للرهبان) أى وقيل للصابئين (قوله وصلوات) جمع صلاة سميت الكنائس بذلك لأنه يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوثا بفتح الصاد والثاء المثلثة والقصر ومعناه فى لغتهم المصلى (قوله أى ينصر دينه) أى وأولياءه ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر أولياءه بأعدائه ومعنى نصر العبيد لربهم هو تجلدهم بالقتال لأعداء الله أو بإيضاح الأدلة والحجج على أعداء الله كالعلماء (قوله منيع فى سلطانه) المناسب أن يقول غالب على أمره وقد أنجز الله وعده بأن أذل الكفار وأعز المسلمين فأورثهم أرضهم وديارهم (قوله الذين إن مكناهم فى الأرض الخ) يجوز فى هذا الموصول ماجاز فى الذى قبله (قوله جواب الشرط) أى قوله أقاموا وما عطف عليه (قوله وهو وجوابه) أى الشرط وفعله وجوابه (قوله صلة الموصول) أى لا محل لها من الاعراب (قوله ويقدر قبله الخ) أى على أحد الاحتمالات المتقدمة وهو إخبار من الله عما يكون عليه المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم (قوله ولله عاقبة الأمور) أى آخر أمور الخلق مصيرها إليه فيجازى كل شخص بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله وإن يكذبوك) أى يدوموا على تكذيبك وعدم الايمان بك والضمير عائد على أهل مكة ، والمعنى لاتحزن وتسل فلست بأول من كذبه قومه (قوله باعتبار المعنى) أى وهو الأمة والقبيلة (قوله وعاد وثمود) لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتهارهما بهذين الاسمين (قوله وأصحاب مدين) خصهم بالذكر وإن كان شعيب أرسل إلى أصحاب الأيكة وكذبوه أيضا لأنهم سابقون عليهم فى التكذيب له فخصوا بالذكر لسبقهم بالتكذيب .

هم (الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) فى الاخراج ، ما أخرجوا (إِلَّا أَنْ يَقُولُوا) أى بقولهم (رَبُّنَا اللَّهُ) وحده وهذا القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ) بدل بعض من الناس (بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ) بالتشديد للتكثير وبالتخفيف (صَوَامِعُ) للرهبان (وَبِيَعٌ) كنائس للنصارى (وَصَلَوَاتٌ) كنائس لليهود بالعبرانية (وَمَسَاجِدُ) للمسلمين (يُذْكَرُ فِيهَا) أى فى المواضع المذكورة (اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) وتنقطع العبادات بخرابها (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) أى ينصر دينه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ) على خلقه (عَزِيزٌ) منيع فى سلطانه وقدرته (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ) بنصرهم على عدوهم (أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) جواب الشرط وهو وجوابه صلة الموصول ويقدر قبله هم مبتدأ (وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أى إليه مرجعها فى الآخرة (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) إلى آخره فيه تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم (فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وَعَادٌ) قوم هود (وَثَمُودُ) قوم صالح (وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ) قوم شعيب (وَكُذِّبَ مُوسَى) :

(قوله كذبه القبط لاقومه) أشار بذلك إلى وجه بناء الفعل فى هذا الأخير للمفعول ، والقبط بوزن القسط أهل مصر (قوله فأمليت للكافرين) وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التشنيع عليهم (قوله أى إنكارى عليهم) أشار بذلك إلى أن نكير مصدر بمعنى الانكار (قوله باهلاكهم) أى بعذاب الاستئصال (قوله للتقرير) أى والمعنى فليقر المخاطبون بأن إهلاكى لهؤلاء كان واقعا موقعه وفى الحقيقة هو مضمن معنى التعجب . والمعنى ما أشد ما كان انكارى عليهم (قوله فكأين) مبتدأ ومن قرية تمييز وقوله أهلكتها خبره وقوله وهى ظالمة الجملة حالية . والمعنى عدد كثير من القرى أهلكتها والحال أنها ظالمة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فهى خاوية على عروشها) أى تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف (قوله وبئر معطلة) قدر المفسر كم والجار اشارة إلى أنه معطوف على قرية . والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت أهلها ، وقيل إن البئر واحدة معهودة وهى التى نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به ونجاهم الله من العذاب وهم بحضرموت ، وسميت بذلك لأن صالحا حين حضرها مات وهناك بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم ، والمتبادر من الآية العموم ولذا مشى عليه المفسر (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أغفلوا فلم يسيروا فهو تحريض لهم على السير ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليعتبروا وهم وإن كانوا سافروا لم يسافروا للاعتبار والنظر فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يسيروا (قوله فتكون لهم قلوب) مفرع على

كذبه القبط لاقومه بنو إسرائيل أى كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم (فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ) أمهلتهم بتأخير العقاب لهم (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ) بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أى إنكارى عليهم بتكذيبهم باهلاكهم والاستفهام للتقرير أى هو واقع موقعه (فَكَأَيِّنْ) أى كم (مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُهَا) وفى قراءة أهلكناها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أى أهلها بكفرهم (فَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) سقوفها (وَ) كم من (بِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ) متروكة بموت أهلها (وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) رفيع خال بموت أهله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أى كفار مكة (فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) ما نزل بالمكذبين قبلهم (أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فَإِنَّهَا) أى القصة (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) تأكيد (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) بانزال العذاب فأنجزه يوم بدر (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ) من أيام الآخرة بسبب العذاب (كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) بالتاء والياء فى الدنيا ، (وكأين

قوله يسيروا المنفى فهو منفى أيضا (قوله مانزل بالمكذبين) مفعول يعقلون (قوله أى القصة) أى وما بعده تفسير له (قوله لاتعمى الأبصار الخ) أى فالخلل ليس فى حواسهم الظاهرية وإنما هو فى قلوبهم فترتب على ذلك انهماكهم فى الشهوات وعدم إذعانهم للحق لأن عمى القلب هو الضار فى الدين لما ورد فى الحديث « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » (قوله تأكيد) أى قوله التى فى الصدور تأكيد للقلوب لأن من المعلوم أن القلوب حالة فى الصدور ، ومنه قولهم سمعت بأذنى ونظرت بعينى (قوله ويستعجلونك بالعذاب) أى يطلب كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون أين ماتوعدتنا به مع كوننا كذبناك كما كذبت الأمم الماضية رسلهم (قوله ولن يخلف الله وعده) تضمن ذلك نزول العذاب بهم فى الدنيا وتضمن قوله وإن يوما عند ربك الخ عذابهم فى الآخرة فهم يعذبون مرتين فى الدنيا بالقتل والأسر وفى الآخرة بدخول النار الدائم (قوله فأنجزه يوم بدر) أى فقتل منهم سبعون وأسر سبعون من صناديدهم (قوله كألف سنة) اقتصر على الألف لأنه منتهى العدد بلا تكرار وهو كناية عن طول العذاب وعدم تناهيه (قوله بالتاء والياء) أى فيهما قراءتان سبعيتان .

(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا) المراد أهلها (وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ) المرجع (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الانذار وأنا بشير للمؤمنين (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الذنوب (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) هو الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا) القرآن بإبطالها (مُعَجِّزِينَ) من اتبع النبى أى ينسبونهم إلى العجز ويثبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم، وفى قراءة معاجزين مسابقين لنا أى يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ) هو نبى أمر بالتبليغ (وَلَا نَبِيٍّ) أى لم يؤمر بالتبليغ (إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ) قرأ (أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) قراءته ماليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم وقد قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فى سورة النجم بمجلس من قريش بعد: أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى، ففرحوا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فحزن فسلى بهذه الآية ليطمئن (فَيَنْسَخُ اللَّهُ) يبطل (مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) يثبتها (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بإلقاء الشيطان ماذكر (حَكِيمٌ) فى تمكينه منه يفعل مايشاء

(قوله وكأين من قرية) أتى هنا بالواو لمناسبة ماقبلها فى قوله: ولن يخلف الله وعده وإن يوما الخ بخلاف الأولى فأتى بالفاء لمناسبة ماقبلها فى قوله: فكيف كان نكير، فأتى كلّ بما يناسبه (قوله قل ياأيها الناس) للموصوفين باستعجال العذاب وقد جرت عادة الله فى كتابه أنه يخاطب المؤمنين بياأيها الذين آمنوا وكفار مكة بياأيها الناس (قوله وأنا بشير للمؤمنين) قدّره إشارة إلى أن فى الآية اكتفاء بدليل التعميم للمذكور بعد (قوله لهم مغفرة) أى من الذنوب الصغائر والكبائر (قوله والذين سعوا) أى اجتهدوا (قوله بإبطالها) الباء بمعنى فى، والمعنى اجتهدوا فى إبطالها حيث قالوا فى القرآن إنه أساطير الأولين وسحر وكهانة (قوله من اتبع النبىّ) أشار به إلى أن مفعول معجزين محذوف (قوله ويثبطونهم) أى يعوّقونهم ويشغلونهم (قوله أومقدّرين عجزنا) أى فالمفعول محذوف تقديره الله، والمعنى عليه ظانين عجزنا عنهم (قوله وفى قراءة معاجزين) أى وهى سبعية أيضا وتقدير المفعول عليها معاجزين الله أى مسابقين له، ومعنى مسابقتهم ظنهم الفرار من عذاب الله، ومعنى مسابقة الله إنزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه (قوله يظنون أن يفوتونا) أى فلا يلحقهم عذابنا (قوله أصحاب الجحيم) أى مآلهم لها وهى معدّة لهم (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) هذه تسلية ثانية لرسول الله (٩٩) صلى الله عليه وسلم (قوله من رسول) من زائدة فى المفعول أى رسولا (قوله هو نبىّ أمر بالتبليغ) أى إنسان ذكر حرّ أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه. (قوله ولا نبىّ) عطف على رسول. إن قلت إن تفسير النبىّ بكونه لم يؤمر بالتبليغ ينافى قوله أرسلنا. أجيب بأن الإرسال معناه البعث لنفسه لأنه أوحى إليه بشرع يعمل به فى نفسه وليس مأمورا بتبليغه للخلق أو يقدر قبل قوله ولا نبى مايناسبه كأن يقال مثلا ولا نبأنا من نبىّ على حد: * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله أى لم يؤمر بالتبليغ) أشار المفسر بهذا إلى أن العطف فى الآية مغاير وإن كان لفظ النبىّ أعم (قوله قراءته) إنما سميت القراءة أمنية لأن القارئ إذا وصل إلى آية رحمة تمنى حصولها أو آية عذاب تمنى البعد عنه (قوله ماليس من القرآن) مفعول ألقى (قوله مما يرضاه) بيان لما (قوله المرسل إليهم) أى وهم الكفار (قوله وقد قرأ النبىّ) أشار بذلك إلى أن سبب نزول هذه الآية قراءة النبىّ سورة النجم، وذلك كان فى رمضان سنة خمس من البعثة وكانت الهجرة إلى الحبشة فى رجب من تلك السنة، وقدوم المهاجرين إلى مكة كان فى شوال من تلك السنة (قوله بإلقاء الشيطان) متعلق بقرأ (قوله تلك الغرانيق) معمول قرأ، والغرانيق فى الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق كفردوس أو غرنوق كعصفور، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقرّبهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع (قوله ففرحوا بذلك) أى بما سمعوه وقالوا ماذكر آلهتنا بخير قبل اليوم (قوله يبطل) أى يزيل فالنسخ فى اللغة معناه الإزالة وماذكره المفسر من قصة الغرانيق رواية عامة المفسرين الظاهريين. قال الرازى: أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمعقول، أما القرآن فبوجوه:

أحدها قوله تعالى : ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية . ثانيها : قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي الآية . ثالثها قوله تعالى : وما ينطق عن الهوى . وأما السنة فمنها ما روى عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هي من وضع الزنادقة وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخاري في صحيحه « أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والكفار والانس والجن » وليس فيه حديث الغرانيق ، وأما المعقول فمن أوجه : أحدها أن من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما للأوثان فقد كفر . ثانيها لو كان الالقاء على الرسول ثم الازالة عنه لكانت عصمته من أول الأمر أولى وهو الذي يجب علينا اعتقاده في كل نبي . ثالثها وهو أقوى الأوجه أنا لو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه ، ثم قال الرازي وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة قاله الخطيب ، ثم قال وهذا هو الذي يطمئن إليه القلب وإن أطنب ابن حجر العسقلاني في صحتها اهـ ، ويكون معنى الآية على هذا التحقيق ألقى الشيطان في أمنيته أي تلاوته شبها وتخيلات في قلوب الأمم بأن يقول لهم الشيطان هذا سحر وكهانة فينسخ الله تلك الشبه من قلوب من أراد لهم الهدى ويحكم الله آياته في قلوبهم والله عليم بما ألقاه الشيطان في قلوبهم حكيم في تسليطه عليهم ليميز المفسد من المصلح (قوله ليجعل ما يلقي الشيطان) متعلق بيحكم أي ثم يحكم الله آياته ليجعل الخ (قوله والقاسية قلوبهم) عطف على الذين أي فتنة للقاسية قلوبهم (قوله حيث جرى على لسانه الخ) قد علمت أن هذا خلاف الصواب والصواب أن يقول حيث سلط الشيطان عليهم بالوسوسة والطعن في القرآن (قوله وليعلم) عطف على ليجعل (قوله فيؤمنوا به) أي بالقرآن (قوله أي دين الاسلام) أي وسمى صراطا لأنه يوصل لمرضاة الله كما أن الصراط هو يوصل لدار النعيم

(١٠٠)

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً) محنة (لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك ونفاق (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) أي المشركين عن قبول الحق (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) التوحيد والقرآن (أَنَّهُ) أي القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ) تطمئن (لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أي دين الاسلام (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْهُ) أي القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) أي ساعة موتهم أو القيامة فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل له (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ) أي يوم القيامة (لِلَّهِ) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب الظرف (يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) بين المؤمنين والكافرين بما بين بعده (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) فضلا من الله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) شديد بسبب كفرهم (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أي طاعته من مكة إلى المدينة (ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا)

(قوله ولا يزال الذين كفروا) رجوع لذكر حال الكفار وما هم عليه (قوله أي القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القرآن وقيل عائد على الرسول أي في شك من أمر الرسول من كونه صادقا أولا (قوله بما ألقاه الشيطان على لسان النبي) هذا خلاف الصواب ، والصواب أن يقول بما ألقاه الشيطان في قلوب من أضلهم الله (قوله يوم عقيم) العقم في الأصل عدم الولادة فشبه اليوم الذي لا خير فيه بمرأة عقيم وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو العقم فاثباته تخييل والجامع عدم الثمرة في كل (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة أي الملك يوم تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم العذاب يوم القيامة لله ، ومعنى كونه لله عدم نسبة شيء في الملك لأحد سواه في ذلك اليوم (قوله ناصب الظرف) أي قوله يومئذ (قوله يحكم بينهم) جملة مستأنفة سيقت جوابا لسؤال مقدر تقديره ماذا يصنع بهم (قوله فضلا من الله) أي لا بسبب أعمالهم (قوله والذين هاجروا) مبتدأ خبره ليرزقنهم الله وخصهم بالذكر وإن كانوا داخلين في جملة المؤمنين تعظيما لشأنهم (قوله ثم قتلوا) أي في الحروب وقوله أو ماتوا أي على فراشهم من غير قتل .

(قوله هو رزق الجنة) أى التنعم فيها (قوله أفضل المعطين) أى فالمراد بالرزق الاعطاء وهو ينسب للخالق كما ينسب للخالق إلا أن نسبته للخالق حقيقة ولغيره مجاز (قوله ليدخلنهم الخ) إما مستأنف أو بدل من قوله ليرزقنهم (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حليم) أى فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه بل يمهله ليتوب فيستحق الجنة (قوله ذلك الذى قصصناه عليك) أى من وعد للمؤمنين ووعيد الكافرين واسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره الأمر الذى قصصناه عليك ذلك : أى لاتغيير فيه ولاتبديل فهى كلمة يؤتى بها للانتقال من كلام إلى آخر (قوله ومن عاقب) العقاب مأخوذ من التعاقب وهو مجىء الشىء بعد غيره وحينئذ فقوله عاقب بمعنى جازى حقيقة لغوية ، وأما قوله ـ بمثل ماعوقب به ـ أتى به لمشاكلة الأول للازدواج نظير ـ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ـ والباء فى بمثل للآلة والباء فى به للسببية (قوله أى قاتلهم) أى قاتل من كان يقاتله نزلت هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا إن أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لايقاتلوهم فى الشهر الحرام فأبوا فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم ، و إلى هذا يشير المفسر بقوله: غفور لهم عن قتالهم فى

الشهر الحرام ، وقيل نزلت فى قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله ، وقيل إنها عامة فى النبي وأصحابه ، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة فوعد الله بالنصر محمدا وأصحابه فانهم حزب الله والكفار حزب الشيطان (قوله غفور لهم) أى ما فعلوا لأنهم فعلوه دفعا عن أنفسهم لا تجريا على المحرم (قوله ذلك) مبتدأ و بأن

هو رزق الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل المعطين (لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلاً) بضم الميم وفتحها أى إدخالا أو موضعاً (يَرْضَوْنَهُ) وهو الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ) بنياتهم (حَلِيمٌ) عن عقابهم ، الأمر (ذَٰلِكَ) الذى قصصناه عليك (وَمَنْ عَاقَبَ) جازى من المؤمنين (بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ) ظلماً من المشركين أى قاتلهم كما قاتلوه فى الشهر المحرم (ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ) منهم أى ظلم بإخراجه من منزله (لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ) عن المؤمنين (غَفُورٌ) لهم عن قتالهم فى الشهر الحرام (ذَٰلِكَ) النصر (بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) أى يدخل كلا منهما فى الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التى بها النصر (وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) دعاء المؤمنين (بَصِيرٌ) بهم حيث جعل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم (ذَٰلِكَ) النصر أيضاً (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الثابت (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء والتاء : يعبدون (مِنْ دُونِهِ) وهو الأصنام (هُوَ الْبَاطِلُ) الزائل (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ) أى العالى على كل شىء بقدرته (الْكَبِيرُ) الذى يصغر كل شىء سواه (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطراً (فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً) بالنبات وهذا من أثر قدرته (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) بعباده فى إخراج النبات بالماء

الله خبره (قوله بأن يزيد) أى الآخر ، وقوله ذلك : أى الايلاج فهو إشارة إلى أن الايلاج دليل القدرة والقدرة دليل النصر لأن القادر على إدخال كل منهما فى الآخر قادر على نصر أحبابه وخذلان أعدائه (قوله وأن الله) بالفتح فى قراءة العامة عطف على أن الأولى وقرئ شذوذا بالكسر استئنافا (قوله ذلك بأن الله) مبتدأ وخبر وقوله هو إما مبتدأ أو ضمير فصل (قوله الثابت) الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الزائل) أى الفانى الذى لابقاء له (قوله وأن الله هو العلىّ الكبير) نتيجة ماقبله من الأوصاف (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) شروع فى ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق وماسواه باطل وفى الحقيقة كل دليل نتيجة للدليل الذى قبله فهى الأدلة الترقى فى الاحتجاج والمعرفة فتأمل . الأول إنزال الماء الناشئ عنه اخضرار الأرض . الثانى قوله ـ له مافى السموات وما فى الأرض ـ . الثالث تسخير مافى الأرض . الرابع تسخير الفلك . الخامس إمساك السماء . السادس الاحياء ثم الإماتة ثم الاحياء ثانيا (قوله تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الابصار لأن الماء و إن كان مرئيا إلا أن كون الله منزلا له من السماء غير مرئى (قوله مطرا) لامفهوم له لأن النيل وماء الآبار من السماء إلا أن يقال اقتصر على المطر لأنه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره (قوله فتصبح الأرض مخضرة) عبر بالمضارع اشارة إلى استمرار النفع به بعد نزوله .

(قوله بما فى قلوبهم عند تأخير المطر) أى من التأثر والقنوط (قوله على جهة الملك) أى فلا ملك لأحد معه (قوله سخر لكم ما فى الأرض) أى ذلل لكم مافيها من الدواب لتنتفعوا بها (قوله والفلك) بالنصب فى قراءة العامة عطف على ما فى قوله ما فى الأرض: أى وسخر لكم الفلك، وأفردها بالذكر لكون تسخيرها أعجب من سائر المسخرات والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد فوزن الواحد قفل ووزن الجمع بدن (قوله من أن أو لئلا تقع) أشار بذلك إلى أن أن تقع إما فى محل نصب على المفعول لأجله: أى لأجل أن لا تقع أو فى محل جر على حذف حرف الجر، والتقدير من أن تقع: أى من وقوعها (قوله إلا بإذنه) استثناء مفرغ من معنى قوله ـ و يمسك السماء أن تقع على الأرض ـ، والتقدير لايتركها تقع فى حال من الأحوال إلا فى حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى (قوله وهو الذى أحياكم) أى أوجدكم من العدم لتسعدوا أو تشقوا فكل من الاحياء الأول والثانى إما نعمة أو نقمة (قوله ثم يحييكم عند البعث) أى للثواب أو العقاب (قوله إن الانسان لكفور) أى جحود لنعم خالقه (قوله لكل أمة)

أى أهل دين فالمراد بالأمة من له ملة وشرع (قوله بفتح السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شريعة) أى أحكام دين لكل أمة معينة من الأمم بحيث لاتتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى فالأمة التى كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى منسكهم التوراة ومن مبعث عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منسكهم الانجيل والأمة الموجودون عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم إلى يوم القيامة منسكهم القرآن لاغيره وحينئذ فقوله فلا ينازعنك فى الأمر: أى لاينازعك هؤلاء الأمم فى أمر دينك زعما منهم أن شريعتهم باقية لم تنسخ فان التوراة والانجيل شريعتان لمن مضى من الأمم قبل بعث محمد ومن وقت بعثته انتسخ كل شرع سوى شرعه صلى الله عليه وسلم. إذا علمت ذلك فقول المفسر فلا ينازعنك فى الأمر: أى أمر الذبيحة الخ لايسلم لأنه يقتضى أن يكون أكل الميتة من جملة المناسك والشرائع التى جعلها الله لبعض الأمم ولا شك فى بطلان ذلك فكان المناسب له أن يفسر الآية بما فسرناها به (قوله وادع إلى ربك) أى ادعهم أو ادع الناس عموما (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ بآية القتال وهذا أحد قولين، وقيل إن الآية محكمة، وحينئذ فيكون المعنى اترك جدالهم وفوض الأمر الى الله بقولك الله أعلم بما تعملون فيكون وعيدا لهم على أعمالهم حيث داموا على الكفر وهو لا ينافى قتالهم لأن القتال يرفعه أحد أمرين الاسلام أو الجزية مع البقاء على الكفر (قوله الله يحكم بينكم) أى يقضى و يفصل (قوله الاستفهام فيه للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله هو اللوح المحفوظ) هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق فى الهواء طوله مابين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب

(خَبِيرٌ) بما فى قلوبهم عند تأخير المطر (لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) على جهة الملك (وَإِنَّ اللّٰهَ لَهُوَ الْغَنِىُّ) عن عباده (الْحَمِيدُ) لأوليائه (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ) من البهائم (وَالْفُلْكَ) السفن (تَجْرِى فِى الْبَحْرِ) للركوب والحمل (بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ) من (أَنْ) أو لئلا (تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) فتهلكوا (إِنَّ اللّٰهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) فى التسخير والإمساك (وَهُوَ الَّذِى أَحْيَاكُمْ) بالإنشاء (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ) عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) عند البعث (إِنَّ الْإِنْسَانَ) أى المشرك (لَكَفُورٌ) لنعم الله بتركه توحيده (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا) بفتح السين وكسرها: شريعة (هُمْ نَاسِكُوهُ) عاملون به (فَلَا يُنَازِعُنَّكَ) يراد به لا تنازعهم (فِى الْأَمْرِ) أى أمر الذبيحة إذ قالوا ماقتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ) أى إلى دينه (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى) دين (مُسْتَقِيمٍ. وَإِنْ جَادَلُوكَ) فى أمر الدين (فَقُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال (اللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) أيها المؤمنون والكافرون (يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر (أَلَمْ تَعْلَمْ) الاستفهام فيه للتقرير (أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذٰلِكَ) أى ما ذكر (فِى كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ،

(إن

(قوله أى علم ماذكر) أى الوجود فى السماء والأرض (قوله سلطانا) أى من جهة الوحى (قوله ومالبس لهم به علم) أى دليلى عقلى (قوله حال) أى من آيات (قوله فى وجوه الذين كفروا) وضع الظاهر موضع الضمر تبكيتا عليهم (قوله أى الانكار لها) أشار بذلك إلى أن المنكر مصدرميمى على حذف مضاف (قوله يكادون يسطون) هذه الجملة حال إمامن الموصول أومن الوجوه وضمن يسطون معنى يبطشون فعداه بالباء و إلا فهو متعدّ بعلى (قوله النار) قدّر المفسر الضمير إشارة إلى أن النار خبر لمحذوف كأنه قيل وما الأشر فقيل هوالنار (قوله وعدها الله الذين كفروا) وعد يتعدّى لمفعولين الهاء مفعول ثان مقدّم والذين كفروا مفعول أول مؤخر نظير قوله تعالى ـ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم ـ ويصحّ العكس بأن يجعل الضمير هو المفعول الأول والذين كفروا هو المفعول الثانى ، و إليه يشير المفسر بقوله بأن مصيرهم إليها حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به والنار هى الموعودة ، والمعنى جعل الله الكفار طعاما للنار وعدها بهم والأوّل أنسب من جهة العربية لأن المفعول الأوّل شرطه صلاحيته للأخذ كأعطيت زيدا درهما (قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) (١٠٤) هذه الآية مرتبطة بقوله ـ و يعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا ـ فالخطاب و إن كان لأهل مكة إلا أن المراد به عموم من كان يعبد الأصنام . والمثل فى اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير ثم صار حقيقة عرفية فى ما شبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن ، وليس مرادا هنا بل المراد به الأمر الغريب والقصة العجيبة وإليه يشير المفسر فى آخر العبارة بقوله هذا أمر مستغرب (قوله فاستمعوا له) أى اصغوا إليه لتعتبروا (قوله

(إِنَّ ذَٰلِكَ) أى علم ماذكر (عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ) سهل (وَيَعْبُدُونَ) أى المشركون (مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ) هو الأصنام (سُلْطَانًا) حجة (وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ) أنها آلهة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بالإشراك (مِن نَّصِيرٍ) يمنع عنهم عذاب الله (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ) أى الإنكار لها ، أى أثره من الكراهة والعبوس (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا) أى يقعون فيهم بالبطش (قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ) أى بأكره إليكم من القرآن المتلوّ عليكم ، هو (ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) بأن مصيرهم إليها (وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ) هى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) أى أهل مكة (ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ) وهو (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِن دُونِ ٱللَّهِ) أى غيره وهم الأصنام (لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا) اسم جنس ، واحده ذبابة يقع على المذكر والمؤنث (وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ) لخلقه (وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخون به (لَّا يَسْتَنقِذُوهُ) لايستردوه (مِنْهُ) لعجزهم فكيف يعبدون شركاء لله تعالى ؟ هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب المثل (ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ) العابد (وَٱلْمَطْلُوبُ) المعبود ،

وهو) أى المثل المضروب (قوله واحده ذبابة) أى و يجمع على ذبان بالكسر كغربان وذبان بالضم كقضبان وأذبة كأغربة مأخوذ من ذبّ إذا طرد وآب إذارجع لأنه يذب فيرجع وهوأحرص الحيوانات وأجهلها لأنه يرمى نفسه فى المهلكات ، ومدّة عيشه أربعون يوما ، وأصل خلقته من العفونات ، ثم يتوالد بعضه من بعض يقع روثه على الشىء الأبيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض (قوله ولواجتمعوا له) الجملة حالية كأنه قال انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولوفى حال اجتماعهم (قوله و إن يسلبهم) أى يأخذ و يختطف منهم (قوله مما عليهم من الطيب والزعفران الخ) أى لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران ورؤوسها بالعسل و يغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ، وكانوا يحلونها باليواقيت واللآلىء وأنواع الجواهر و يطيبونها بأنواع الطيب فربما سقط شىء منها فيأخذه طائر أوذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده (قوله الملطخون بها) المناسب أن يقول الملطخين لأنه نعت سببى للطيب والزعفران (قوله لايستنقذوه) أى لايخلصوه منه (قوله عبر عنه بضرب المثل) جواب عما يقال إن الذى ضرب و بين ليس بمثل حقيقة فكيف سماه مثلا ، فأجيب بأن القصة العجيبة تسمى مثلا تشبيها لها ببعض الأمثال فى الغرابة .

(قوله ماقدروا الله حق قدره) هذه الآية قيل غير مرتبطة بما قبلها وعليه فيكون سبب نزولها كما قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وحوله أصحابه وفى القوم مالك بن أبى الصيف من أحبار اليهود، فقال له رسول الله ناشدتك الله هل رأيت فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ؟ فقال نعم ؟ فقال له رسول الله : وأنت حبر سمين ، فضحك القوم ، فالتفت مالك إلى عمر ابن الخطاب وقال ـ ماأنزل الله على بشر من شىء ـ وقيل سبب نزولها أن اليهود قالوا خلق الله السموات يوم الأحد والأرض يوم الاثنين والجبال يوم الثلاثاء والأوراق والأشجار يوم الأربعاء والشمس والقمر فى يوم الخميس وخلق آدم وحواء فى يوم الجمعة ثم استوى على ظهره ووضع إحدى رجليه على الأخرى واستراح ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل إنها من تتمة المثل وعليه درج المفسر (قوله الله يصطفى) أى يختار (قوله من الملائكة رسلا) إن قلت إن هذا يقتضى أن يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم ، وآية فاطر تقتضى أن الكل رسل . أجيب بأن التبعيض بالنسبة لإرسالهم لبنى آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضا (قوله ومن الناس رسلا) أشار بذلك إلى أن فى الآية الحذف من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافقه على ذلك قومه (قوله كجبريل الخ) مثل باثنين من الملائكة واثنين من الانس (قوله ماقدموا) أى من الاعمال (قوله وما خلفوا) أى لم يعملوه بالفعل (قوله أو ماعملوا) أى بالفعل وقوله وما هم عاملون : أى فى المستقبل (قوله ترجع الأمور) أى تصير أمور الخلائق إليه تعالى ويجازى كلا بعمله (قوله أى صلوا) أى وعبر عنها بالركوع والسجود من باب تسمية الشىء باسم أشرف أجزائه (قوله كصلة الرحم ومكارم الأخلاق) أى وغيرها من الخيرات الواجبة والمندوبة (قوله لعلكم تفلحون) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق فالفلاح محقق لمن فعل هذه الأمور (قوله وجاهدوا فى الله) أى أعداءكم الظاهرية والباطنية ،

(مَاقَدَرُوا اللَّهَ) عظموه (حَقَّ قَدْرِهِ) عظمته إذ أشركوا به مالم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) غالب (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) رسلا . نزل لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لمقالتهم (بَصِيرٌ) بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماقدموا وما خلفوا ، أو ماعملوا وما هم عاملون بعد (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا) أى صلوا (وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وحدوه (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ) كصلة الرحم ومكارم الأخلاق (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون بالبقاء فى الجنة (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لإقامة دينه (حَقَّ جِهَادِهِ) باستفراغ الطاقة فيه ، ونصب حق على المصدر (هُوَ اجْتَبَاكُمْ) اختاركم لدينه (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أى ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر (مِلَّةَ أَبِيكُمْ) منصوب

فالظاهرية فرق الضلال والكفر ، ومجاهدتها معلومة ويسمى الجهاد الأصغر ، والباطنية النفس والهوى والشيطان ، ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيئا فشيئا ويسمى الجهاد الأكبر كما فى الحديث ، ووجه تسميته أكبر أن الأعداء الظاهرية تحضر تارة وتغيب أخرى وتصالح وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو فى الجنة بخلاف الأعداء الباطنية فلاتغيب أصلا ولا يمكن الصلح معها وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو فى النار (قوله حق جهاده) من إضافة الصفة للموصوف : أى جهادا حقا (قوله هو اجتباكم) أى اصطفاكم وجعلكم أمة وسطا (قوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج) المراد بالدين أصوله وفروعه حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم ، فمن ذلك قبول توبتهم إذا ندموا وأقلعوا ولم يجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وإذا أذنب الشخص منهم ذنبا ستره الله ولم يفضحه فى الدنيا بأن يجده مكتوبا فى جبهته أو على باب داره كما كان فيمن قبلهم وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك . إن قلت كيف لاحرج فى الدين مع أن اليد تقطع بسرقة ربع دينار والمحصن يرجم بزنا مرة ونحو ذلك . أجيب بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع ، وأما السراق وأصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع وانتقلوا من السهولة للصعوبة لأن الله لم يحرم المال مطلقا ولا النكاح مطلقا بل أحل أشياء وحرم أشياء فما جزاء من يتعدى

الحدود إلا التشديد عليه (قوله بنزع الخافض الكاف) أى كملة أبيكم فالتشبيه فى أصول الدين وفى سهولة الفروع (قوله هو سماكم المسلمين) أشار المفسر إلى أن الضمير عائد على الله تعالى وقيل الضمير عائد على إبراهيم (قوله أى قبل هذا الكتاب) أى فى الكتب القديمة (قوله وفى هذا) أى بقوله - ورضيت لكم الاسلام دينا - (قوله ليكون الرسول) متعلق بسماكم واللام للعاقبة (قوله داوموا عليها) أى بشروطها وأركانها (قوله وآتوا الزكاة) أى لمستحقيها (قوله ثقوا) أى فى جميع أموركم (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمدح محذوف ويحذفه من الثانى لدلالة هذا عليه .

[سورة المؤمنون مكية] سورة مبتدأ والمؤمنون مضاف إليه مجرور بياء مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية ومكية خبر وظاهره أن جميعها مكى ، وقيل إلا ثلاث آيات وهى قوله ولو رحمناهم إلى آخرها فإنهن مدنيات (قوله وثمان) هذا قول الكوفيين وقوله أو تسع عشرة آية هو قول البصريين ، وسبب هذا اختلافهم فى قوله تعالى - ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية كما قاله البصريون أو بعض آية كما قاله الكوفيون (قوله قد للتحقيق) أى لتحقيق ما يحصل فى المستقبل وتنزيله منزلة الواقع (قوله فاز المؤمنون) أى ظفروا بمقصودهم ونجوا من كل مكروه

منصوب بنزع الخافض الكاف (إِبْرَاهِيمَ) عطف بيان (هُوَ) أى الله (سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ) أى قبل هذا الكتاب (وَفِي هَٰذَا) أى القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة أنه بلغكم (وَتَكُونُوا) أنتم (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أن رسلهم بلغتهم (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) داوموا عليها (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) ثقوا به (هُوَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر لكم .

(سورة المؤمنون)

مكية ، وهى مائة وثمان أو تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . قَدْ) للتحقيق (أَفْلَحَ) فاز (الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) متواضعون (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ) من الكلام وغيره (مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) مؤدون (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) عن الحرام (إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ) أى من زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى السرارى (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) فى إتيانهن (فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ) من الزوجات والسرارى ،

قال تعالى - فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز - والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره (قوله خاشعون) أى ظاهرا وباطنا فالخشوع الظاهرى التمسك بآداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ووضع اليد فى الخاصرة وغير ذلك ، والخشوع الباطنى استحضار عظمة الله وعدم التفكر بدنيوى ، وقدم الصلاة لأنها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين (قوله والذين هم عن اللغو) المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة فى الدين أو الدنيا كان قولا أو فعلا أو مكروها أو مباحا كالهزل واللعب وضياع الأوقات فيما لا يعنى والتوغل فى الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه ، وبالجملة فينبغى للانسان أن يرى ساعيا فى حسنة لمعاده أو درهم لمعاشه و «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» قوله والذين هم للزكاة) اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع العشر من النقدين والعشر أو نصفه من الحرث والشاة من الأربعين وعلى المصدر الذى هو فعل الفاعل فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون لأن القدر المخرج لا معنى لفعله وعلى الثانى ففاعلون على بابه (قوله حافظون) أى مانعون (قوله عن الحرام) أى عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه (قوله أى من زوجاتهم) أشار بذلك إلى أن على بمعنى من (قوله أو ما ملكت أيمانهم) عبر بما دون من وإن كان المقام له لأن الاناث ناقصات ولا سيما الأرقاء ففيهن شبه بالبهائم فى حل البيع والشراء (قوله أى السرارى) جمع سرية بالضم وهى فى الأصل الأمة التى بوئت بيتا مأخوذة من السر وهو الجماع أو الاخفاء لأن الانسان كثيرا ما يسرها ويسترها عن حرته أو من السرور لأن مالكها يسر بها (قوله فإنهم غير ملومين) علة للاستثناء .

(قوله كالاستمناء باليد) أى فهو حرام عند مالك والشافعى وأبى حنيفة ، وقال أحمد بن حنبل : يجوز بشروط ثلاثة أن يخاف الزنا وأن لايجد مهر حرة أو ثمن أمة وأن يفعله بيده لابيد أجنبى أوأجنبية (قوله والذين هم لأماناتهم) أى ما ائتمنوا عليه من حقوق الخالق كالصلاة والصوم والحج وفعل المعروف والنهى عن المنكر وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وعوراتهم (قوله جمعا ومفردا) أى فهماقراءتان سبعيتان (قوله وعهدهم) مرادف للأمانات (قوله حافظون) أى غير مضيعين لها (قوله يحافظون) أى يداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها ، ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانه ابتدأ بها أوصاف المؤمنين وختمها بها (قوله لاغيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل لأن الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وهو إضافى لاحقيقى لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الإيمان بعد العفو لقوله تعالى - ويغفر مادون ذلك لمن يشاء - أو يقال إن الحصر فيهم حقيقى بالنسبة للفردوس وباقى الجنان لمن لم يمت كافرا (قوله الذين يرثون الفردوس) عبر بالارث دون الاستحقاق لأن الارث ملك دائم (قوله ويناسبه ذكر المبدإ بعده) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها ، والمعنى أن الآية التى سبقت ذكر فيها المعاد وما يؤول إليه أمر من اتصف بتلك الصفات وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدإ وحينئذ فبين الآيتين مناسبة وهذا أتم مما قيل إن هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها

كالاستمناء باليد فى إتيانهن (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون إلى مالا يحل لهم (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) جمعاً ومفرداً (وَعَهْدِهِمْ) فيما بينهم ، أو فيما بينهم و بين الله من صلاة وغيرها (رَاعُونَ) حافظون (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ) جمعاً ومفرداً (يُحَافِظُونَ) يقيمونها فى أوقاتها (أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) لا غيرهم (الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) هو جنة أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) فى ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر المبدإ بعده (وَ) الله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ سُلَالَةٍ) هى من سللت الشىء من الشىء ، أى استخرجته منه وهو خلاصته (مِنْ طِينٍ) متعلق بسلالة (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ) أى الانسان نسل آدم (نُطْفَةً) منيًا (فِى قَرَارٍ مَكِينٍ) هو الرحم (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) دمًا جامدا (فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً) لحما قدر ما يمضغ (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) وفى قراءة عظما فى الموضعين وخلقنا فى المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) بنفخ الروح فيه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

بما قبلها (قوله ولقد خلقنا الانسان الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه الآيات من هنا إلى قوله وعلى الفلك تحملون أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى: الأول تقلب الانسان فى أطوار خلقته وهى تسعة آخرها قوله تبعثون . الثانى خلق السموات . الثالث إنزال الماء . الرابع منافع الحيوانات وذكر منها أربعة أنواع واللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله من سلالة) متعلق بخلقنا (قوله متعلق بسلالة) أى لأنه بمعنى مسلول (قوله أى الانسان نسل آدم) أشار المفسر بذلك إلى أن الضمير يعود على الانسان لكن لابالمعنى الأول وحينئذ ففى الكلام استخدام ويؤيده قوله تعالى فى الآية الأخرى - وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - (قوله فى قرار مكين) أى فى مقر متمكن وصف بذلك لأنه محفوظ لايطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقا (قوله ثم خلقنا النطفة علقة) قيل كلها وقيل جزء منها والباقى يوضع نصفه فى موضع تربته والنصف الثانى يوضع فى السماء فاذا أراد الله إحياء الخلق من القبور أمطرت السماء منيا فتتلاقى النطف النازلة من السماء بالنطف الباقية فى الأرض فتوجد الخلائق بينهما وهذا هو حكمة قوله تعالى - كما بدأكم تعودون - (قوله وفى قراءة عظما) أى وهى سبعية أيضا (قوله ثم أنشأناه خلقا آخر) أى من غير توان ، والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفة لايحيط بها وصف الواصفين (قوله بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبى والضحاك ، وقيل الخلق الآخر هو خروجه إلى الدنيا ، وقيل خروج أسنانه وشعره ، وقيل كمال شبابه والأتم أنه عام فى هذا وغيره من النطق والادراك وتحصيل المعقولات وجميع الأمور التى لشتمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسية والمعنوية التى يشير لها قول بعض العارفين :

وتحسب أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

(قوله فتبارك الله) أى تعاظم وارتفع قدره .

أى المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به ، أى خلقا (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) للحساب والجزاء (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) أى سبع سموات جمع طريقة لأنها طرق الملائكة (وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ) تحتها (غَافِلِينَ) أن تسقط عليهم فتهلكهم بل نمسكها كآية « ويمسك السماء أن تقع على الأرض » (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) من كفايتهم (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) فيموتون مع دوابهم عطشا (فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ) هما أكثر فواكه العرب (لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) صيفا وشتاء (وَ) أنشأنا (شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث البقعة (تَنْبُتُ) من الرباعى والثلاثى (بِالدُّهْنِ) الباء زائدة على الأول ومعدية على الثانى ، وهى شجرة الزيتون (وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) عطف على الدهن أى إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه وهو الزيت ،

(قوله للمقدرين) أى المصورين ودفع بذلك مايقال إن اسم التفضيل يقتضى المشاركة مع أنه لاخالق غيره . فأجاب بأن المراد بالخلق التقدير لا الايجاد والابداع والتقدير حاصل من الحوادث (قوله للعلم به) أى من قوله الخالقين فانه يدل عليه (قوله بعد ذلك) أى من الأمور العجيبة (قوله يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية . إن قلت ماحكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء لأنه ورد أن مدة كل طور أربعون يوما فان نظر لآخر المدة وأولها اقتضى أن يعطف بثم وإن نظر لآخرها اقتضى أن يعطف بالفاء . أجيب بأنه نزل التفاوت بين الأطوار منزلة التراخى والبعد الحسى لأن حصول النطفة من التراب غريب جدا وكذا جعلها دما بخلاف جعل الدم لحما فهو قريب لمشابهته له فى اللون أو الصورة وكذا جعلها عظما وأما جعلها خلقا آخر فغريب وكذا الموت والبعث فظهر حكمة التعبير فى كل موضع بما يناسبه (قوله ولقد خلقنا فوقكم) المراد به جهة العلو لأن كونها فوق إنما هو بعد خلق الخلق وإلا فوقت خلق السموات لم يكونوا مخلوقين (قوله لأنها طرق الملائكة) أى فى العروج والهبوط والطيران ، وقيل معنى طرائق مطروقات أى موضوعا بعضها فوق بعض فهو معنى طباقا فى الآية الأخرى (قوله وأنزلنا من السماء) الجار والمجرور متعلق بأنزلنا (قوله بقدر) أى تقدير يجلب منافعهم ودفع مضارهم ، وقيل المعنى بقدر حاجاتهم وإليه يشير المفسر (قوله فأسكناه فى الأرض) أى جعلناه ساكنا ثابتا مستقرا فى الأرض بعضه على ظهرها وبعضه فى بطنها (قوله وإنا على ذهاب به لقادرون) الباء فى به للتعدية ، والمعنى وإنا لقادرون على إذهابه . روى الشيخان عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل استودعها الجبال وأجراها فى الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين » (قوله لكم فيها) أى الجنات (قوله ومنها) أى من ثمر الجنات كالرطب والعنب والتمر والزبيب وغير ذلك (قوله وشجرة تخرج من طور سيناء) المراد بها شجرة الزيتون وخصت بسيناء لأن أصلها منه ثم نقلت وهى أول شجرة نبتت فى الأرض بعد الطوفان وتبقى فى الأرض كثيرا حتى قيل إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة (قوله سيناء) قيل معناه المبارك أو الحسن أو الملتف بالأشجار وهو الجبل الذى نودى عليه موسى (قوله منع الصرف للعلمية والتأنيث) أى وقيل للعلمية والعجمة لأنه اسم أعجمى نطقت به العرب فاختلفت فيه لغاتهم فقالوا سيناء بكسر السين وفتحها وسينين فهو علم مركب كامرىء القيس ومنع من الصرف وإن كان جزء علم نظرا إلى أنه عومل معاملة العلم (قوله والتأنيث للبقعة) أى والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للالحاق بقرطاس وهى منقلبة عن ياء أو واو لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة (قوله من الرباعى والثلاثى) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله و إن لكم فى الأنعام لعبرة) عبر فى جانب الأنعام بالعبرة دون النبات لأن العبرة فيها أظهر (قوله مما فى بطونها) عبر بلفظ الجمع هنا لأن المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله ولكم فيها منافع الخ وذكر الضمير فى النحل باعتبار البعض فإن المراد خصوص الاناث بدليل الاقتصار على اللبن (قوله أى الابل) خصها لأنها المحمول عليها غالبا ويصح عوده على الأنعام لأن منها مايحمل عليه أيضا كالبقر (قوله ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) شروع فى ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم فتكون ستا: الأولى قصة نوح . الثانية قصة هود . الثالثة قصة القرون الآخرين . الرابعة قصة موسى وهرون . الخامسة قصة عيسى وأمه ، والمقصود منه اطلاع الأمة المحمدية على أحوال من مضى ليقتدوا بهم فى الخصال المرضية و يتباعدوا عن خصالهم المذمومة ، ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار وقيل عبد الله وقيل يشكر وعاش من العمر ألف سنة وخمسين لأنه أرسل على رأس الأربعين ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله مالكم من إله غيره) بمنزلة التعليل لما قبله (قوله وهو اسم ما) أى قوله إله ، وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع إتباعا لمحل إله والجر إتباعا للفظه قراءتان سبعيتان (قوله وما قبله الخبر) أى وهو الجار والمجرور وما مشى عليه المفسر طريقة ضعيفة للنحاة وهى جواز إعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها إذا كان الخبر ظرفا أوجارا ومجرورا والمشهور إهمالها حينئذ فكان المناسب أن يقول وهومبتدأمؤخر وما قبله الخبر (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فلا تتقون (قوله فقال الملأ) أى الأشراف . وحاصل ماذكروه خمس مقالات : الأولى ماهذا إلا بشر مثلكم . الثانية ولوشاء الله لأنزل ملائكة . الثالثة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين . الرابعة إن هو إلا رجل به جنة . الخامسة فتربصوا به حتى حين ، ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردها (قوله بأن يكون متبوعا) أى بادعاء الرسالة (قوله أن لايعبد غيره) أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف (قوله بذلك) أى بأن لايعبد غيره (قوله لابشرا) أى لأن الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم ينقاد الخلق إليهم من غير شك فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولا (قوله حالة جنون) أى فعلة بالكسر للهيئة . قال ابن مالك : * وفعلة لهيئة كجلسه * (قوله إلى زمن موته) أى فكانوا يقولون لبعضهم اصبروا فإنه إن كان نبيا حقافالله ينصره و يقوى أمره و إن كان كاذبا فالله يخذله و يبطل أمره فنستريح منه أوالمراد بالحين الزمان الذى تظهرفيه العواقب فالمعنى انتظروا عاقبة أمره فإن أفاق و إلا فاقتلوه (قوله قال رب انصرنى) أى قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم (قوله أن اصنع الفلك) أن مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله بأعيننا) حال من الضمير فى اصنع وجمع الأعين للمبالغة (قوله بمرأى منا وحفظنا) أشار بذلك إلى أن فى الآية مجازا مرسلا لأن شأن من نظر إلى الشيء بعينه حفظه فأطلق اللازم وأريد الملزوم (قوله ووحينا) أى تعليمنا فإن الله أرسل إليه جبريل فعلمه صنعتها ، وصنعها فى عامين وجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين وارتفاعها ثلاثين والذراع إلى المنكب وهذا أشهر الروايات .

(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ) أى الإبل والبقر والغنم (لَعِبْرَةً) عظة تعتبرون بها (نَسْقِيكُمْ) بفتح النون وضمها (مِمَّا فِي بُطُونِهَا) أى اللبن (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَعَلَيْهَا) أى الإبل (وَعَلَى الْفُلْكِ) أى السفن (تُحْمَلُونَ. وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) أطيعوه ووحدوه (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) لأتباعهم (مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ) يتشرف (عَلَيْكُمْ) بأن يكون متبوعا وأنتم أتباعه (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) أن لايعبد غيره (لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً) بذلك لابشرا (مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا) الذى دعا إليه نوح من التوحيد (فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ) أى الأمم الماضية (إِنْ هُوَ) أى مانوح (إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ) حالة جنون (فَتَرَبَّصُوا بِهِ) انتظروه (حَتَّىٰ حِينٍ) إلى زمن موته (قَالَ) نوح (رَبِّ انْصُرْنِي) عليهم (بِمَا كَذَّبُونِ) أى بسبب تكذيبهم إياى بأن تهلكهم، قال تعالى مجيبا دعاءه (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ) السفينة (بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا وحفظنا (وَوَحْيِنَا) أمرنا ، (فإذا

وقيل غير ذلك . وقد تقدم فى هود وجعلها ثلاث طباق السفلى للسباع والهوام والوسطى للدواب والأنعام والعليا للانس (قوله فاذا جاء أمرنا) أى ابتدأ ظهوره (قوله وفار التنور) عطف بيان لمجيء الأمر . روى أنه قيل له عليه الصلاة والسلام «إذا فار الماء من التنور فاركب أنت ومن معك» وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء فصار إلى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا . واختلف فى مكانه فقيل كان بمسجد الكوفة على يمين الداخل مما يلى باب كندة اليوم ، وقيل كان فى عين وردة من الشام (قوله علامة لنوح) أى على ركوب السفينة (قوله من كل زوجين) أى غير البشر لما يأتى أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين (قوله وغيرهما) أى من كل مايلد أو يبيض بخلاف ما يتولد من العفونات كالدود والبق فلم يحمله فيها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله بالتنوين) أى لحذف ما أضيف إليه كل وعوض عنه التنوين (قوله أى زوجته) أى المؤمنة لأنه كان له زوجتان إحداهما مؤمنة فأخذها معه فى السفينة والأخرى كافرة تركها وهى أم ولده كنعان (قوله وهو زوجته) أى الكافرة (قوله بخلاف سام) أى وهو أبو العرب وحام هو أبو السودان و يافث هو أبو الترك (قوله ستة رجال) أى فالجملة اثنا عشر (قوله بترك إهلاكهم) متعلق بتخاطبنى (قوله إنهم مغرقون) أى محكوم عليهم بالغرق (قوله و إهلاكهم) أى ونجانا من إهلاكهم (قوله وقل رب أنزلنى الخ) العبرة بعموم اللفظ فهذا الدعاء ينبغى قراءته لكل من

(١٠٩)

(فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) بإهلاكهم (وَفَارَ التَّنُّورُ) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فَاسْلُكْ فِيهَا) أى أدخل فى السفينة (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ) أى ذكر وأنثى ، أى من كل أنواعهما (اثْنَيْنِ) ذكراً وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة باسلك ، وفى القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما فى السفينة . وفى قراءة كل بالتنوين فزوجين مفعول واثنين تأكيد له (وَأَهْلَكَ) أى زوجته وأولاده (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ) بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام و يافث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة وفى سورة هود « وَمَن آمن وما آمن معه إلا قليل » قيل كانوا ستة رجال ونساءهم ، وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بترك إهلاكهم (إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ . فَإِذَا اسْتَوَيْتَ) اعتدلت (أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الكافرين و إهلاكهم (وَقُلْ) عند نزولك من الفلك (رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا) بضم الميم وفتح الزاى مصدر أو اسم مكان و بفتح الميم وكسر الزاى مكان النزول (مُبَارَكًا) ذلك الانزال أو المكان (وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) ما ذكر (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور من أمر نوح والسفينة و إهلاك الكفار (لَآيَاتٍ) دلالات على قدرة الله تعالى (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا) قوما (آخَرِينَ)هم عاد ،

نزل محلا يريد الاقامة فيه (قوله عند نزولك من الفلك) أى حين استوت على الجودى وكان يوم عاشوراء وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة أشهر (قوله بضم الميم) أى فهما قراءتان سبعيتان وظاهره أن الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين (قوله مباركا ذلك الانزال) تفسير للضمير فى مباركا والوجهان لكل من الضم والفتح (قوله و إن كنا لمبتلين) إن مخففة واللام فارقة ، والمعنى و إننا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لننظر هل ينتبعونه و يتعظون بوعظه (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله قرنا) أى قوما سموا بذلك لأن بعضهم مقترن ببعض فى الزمان (قوله هم عاد) اسم قبيلة أرسل إليها هود وما ذكره المفسر من أن المراد بالقرن عاد و بالرسول هود هو ماعليه أكثر المفسرين و يشهد له مجيء قصة هود عقب قصة نوح فى الأعراف وهود والشعراء . وخير ما فسرته بالوارد . ولا يشكل على هذا قوله فى آخر القصة : فأخذتهم الصيحة الموهم أن القرن ثمود وأن الرسول صالح لأنه يقال المراد بالصيحة صيحة الريح أو شدة صوته

(قوله فأرسلنا فيهم) أى فى القرن وإنما جعل القرن موضع الارسال ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم (قوله رسولا منهم) أى من جنسهم وقبيلتهم لأن هودا بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهم ينسبون لعاد وتقدم ذلك فى هود (قوله بأن اعبدوا) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه لأن أرسلنا بمعنى قلنا (قوله وقال الملأ) عطف على ماقبله وأتى بالواو إشارة إلى تباين الكلامين بخلاف مافى الأعراف وهود فانه فى جواب سؤال مقدر ولذا تركت الواو (قوله الذين كفروا) وصف مخصص لأن قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر (قوله وأترفناهم فى الحياة الدنيا) أى أعطيناهم ملكا عظيما قال تعالى مذكرا لهم بهذه النعم على لسان نبيهم ـ أمدكم بأنعام و بنين وجنات وعيون ـ (قوله ماهذا إلا بشر مثلكم) هذه شبهة أولى تنتهى لقوله : لخاسرون . والثانية إنكارهم البعث وتنتهى لقوله بمبعوثين وأهمل الجواب عنهما لفسادهما وركاكتهما (قوله ويشرب مما تشربون) أى منه فحذف العائد لاستكمال الشروط التى أشار إليها ابن مالك بقوله : كذا الذى جر بما الموصول جر كمر بالذى مررت فهو بر
(قوله ولئن أطعتم) اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله والجواب لأولهما) أى على القاعدة التى ذكرها ابن مالك بقوله : واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ماأخرت فهو ملتزم

(فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ) هوداً (أَنِ) أى بأن (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) عقابه فتؤمنون (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ) أى بالمصير إليها (وَأَتْرَفْنَاهُمْ) نعمناهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَ) الله (لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ) فيه قسم وشرط والجواب لأولهما وهو مغن عن جواب الثانى (إِنَّكُمْ إِذًا) أى إذا أطعتموه (لَخَاسِرُونَ) أى مغبونون (أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ) هو خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية تأكيد لها لما طال الفصل (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ) اسم فعل ماض بمعنى مصدر أى بعد بعد (لِمَا تُوعَدُونَ) من الإخراج من القبور واللام زائدة للبيان (إِنْ هِيَ) أى ما الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) بحياة أبنائنا (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ . إِنْ هُوَ) أى ما الرسول (إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) أى مصدقين فى البعث بعد الموت (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي

ولايصلح أن يكون جوابا للشرط لعدم وجود الفاء (قوله إنكم إذا الخ) الكاف اسم إن وخاسرون خبرها واللام للابتداء زحلقت للخبر وإذا لتأكيد مضمون الشرط ولذا قال المفسر إذا أطعتموه (قوله أيعدكم) استفهام لتقرير ماقبله (قوله أنكم مخرجون) أى من القبور أومن العدم إلى الوجود تارة أخرى (قوله تأكيدلها) أى تأكيد لفظى (قوله اسم فعل ماض) اختلف فى اسم الفعل فقيل معناه لفظ الفعل وعليه فهو مبنى على الفتح لامحل له من الاعراب والثانى توكيد له واللام زائدة وما اسم موصول فاعله وتوعدون صلته أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه ، والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور ، وقيل معناه المصدر وعليه فهو مبتدأ فى محل رفع والثانى توكيد له ولما توعدون متعلق بمحذوف خبر المبتدا فاللام ليست زائدة إذا علمت ذلك فكلام المفسر رضى الله عنه فى غاية الاجمال لأن قوله اسم فعل ماض أحد قولين وقوله بمعنى مصدر هو القول الثانى وقوله أى بعد بعد يصح أن يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيرا للفعل الماضى أو بلفظ المصدر فيكون تفسيرا للمصدر وقوله واللام زائدة ظاهرة على كل من القولين وليس كذلك بل هى زائدة على كون المراد به لفظ الفعل والموصول فاعل لاعلى كونها للبيان ولاعلى كونه مصدرا وقوله للبيان هذا قول ثان فكان المناسب أن يأتى بأو وترك التفريع على المصدر وتقدم أنها ليست زائدة بل متعلقة بمحذوف خبر ، وفى هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين والمشهور منها ستة عشر وهى هيهات بفتح التاء وضمها وكسرها وفى كل مع التنوين و بدونه وهيهات باسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة وفى كل من الثمان إما بالهاء أولا أو إبدالها همزة وقرئ بالجميع لكن المتواتر القراءة الأولى وهى الفتح من غير تنوين (قوله أى ما الحياة) أشار بذلك إلى أن إن نافية والضمير عائد على الحياة (قوله بحياة أبنائنا) جواب عما يقال إن فى قولهم ونحيا اعترافا بالبعث مع كونهم منكرين له . فأجاب بأن المراد ونحيا أبناؤنا بعد موتنا .

(قوله بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم إياى (قوله صيحة العذاب والهلاك) جواب عما يقال إن الصيحة كانت عذاب قوم صالح لاقوم هود (قوله كائنة بالحق) أى العدل فيهم وأشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة (قوله غثاء) مفعول ثان لجعلنا (قوله وهو نبت يبس) الأوضح أن يقول وهو العشب إذا يبس (قوله فبعدا للقوم الظالمين) بعدا مصدر بدل من لفظ الفعل والأصل بعدوا بعدا واللام إما متعلقة بمحذوف للبيان أو ببعدا وهو إخبار أودعاء عليهم (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم هود ونوح وقوله قرونا آخرين أى كقوم صالح و إبراهيم ولوط وشعيب (قوله من أمة) أى جماعة (قوله ومايستأخرون) أى لايتأخرون عنه ، والمقصود من هذه الآية التقريع والتخويف لأهل مكة كأنه قال لاتغتروا بطول الأمل فإن للظالم وقتا يؤخذ فيه لايتقدم عليه ولايتأخر عنه (قوله بعد تأنيثه) أى فى قوله أجلها الراجع إلى أمة وقوله رعاية للمعنى أى لأن أمة بمعنى قوم (قوله تترا) التاء مبدلة من واو وأصله وترا وهو مصدر

(١١١)

بِمَا كَذَّبُونِ . قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ) من الزمان وما زائدة (لَيُصْبِحُنَّ) ليصيرن (نَادِمِينَ) على كفرهم وتكذيبهم (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) صيحة العذاب والهلاك كائنة (بِالْحَقِّ) فماتوا (فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً) وهو نبت يبس أى صيرناهم مثله فى اليبس (فَبُعْدًا) من الرحمة (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المكذبين (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا) أقواما (آخَرِينَ . مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) بأن تموت قبله (وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا) بالتنوين وعدمه أى متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها و بين الواو (رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا) فى الهلاك (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ . ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حجة بينة ، وهى اليد والعصا وغيرهما من الآيات (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها وبالله (وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ) قاهرين بنى إسرائيل بالظلم (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) مطيعون خاضعون (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (لَعَلَّهُمْ) أى قومه بنى إسرائيل (يَهْتَدُونَ) به من الضلالة ، وأوتيها بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى (وَأُمَّهُ آيَةً) لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة ولادته من غير فحل (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) مكان مرتفع ،

على التحقيق ومعناه المتابعة مع مهلة ، وقيل المتابعة مطلقا وإن لم تكن مهلة ولكن الآية تفسر بالأول لأنه الواقع (قوله بالتنوين وعدمه) أى فهما قراءتان سبعيتان فمن نون قال إن ألفه للالحاق بجعفر كعلقى فلما نون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين ومن لم ينون قال إن ألفه للتأنيث كدعوى (قوله وتسهيل الثانية الخ) أى فينطق بها متوسطة بين الهمزة والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله وجعلناهم أحاديث) جمع أحدوثة كأعجوبة وأضحوكة : مايتحدث به عجبا وتسليا ولا يقال ذلك إلا فى الشر ولا يقال فى الخير (قوله فبعدا لقوم لايؤمنون) بعدا منصوب بمحذوف أى بعدوا عن رحمتنا بعدا لايزول (قوله بآياتنا) أى التسع وهى العصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله وسلطان مبين) عطف مرادف إشارة إلى أن المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضا (قوله وغيرهما) أى من باقى التسع (قوله لبشرين مثلنا) أفرد مثل لأنه يجرى مجرى المصادر فى الأفراد والتذكير ولايؤنث أصلا (قوله وقومهما لنا عابدون) الجملة حالية (قوله فكانوا من المهلكين) أى من جملة من هلك (قوله أى قومه بنى إسرائيل) أشار بذلك إلى أن الضمير فى لعلهم راجع لقوم موسى لا لفرعون وقومه لأن التوراة إنما جاءته بعد هلاك فرعون وقومه (قوله جملة واحدة) إما راجع لقوله وأوتيها أو راجع لهلاك فرعون وقومه (قوله لأن الآية فيهما واحدة) أى لأن ولادته من غير أب أمر خارق للعادة فيصح نسبته لهما وله (قوله وآويناهما إلى ربوة) سبب ذلك أن ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل عيسى عليه السلام فهربت به أمه إلى تلك الربوة ومكثت بها اثنتى عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك .

(قوله وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان من الأرض لأنه يزيد على غيره فى الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهوأقرب البقاع إلى السماء (قوله ومعين) اسم مفعول من عان يعين فهو معين وأصله معيون كمبيوع استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقاء الساكنين وكسرت العين لتصح الياء (قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) خطاب لجميع الرسل على وجه الاجمال، فليس المراد أنهم خوطبوا بذلك دفعة واحدة، بل المراد خوطب كل رسول فى زمانه بذلك بأن قيل مثلا لكل رسول: كل من الطيبات واعمل صالحا إنى بما تعمل عليم، وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الاجمال التشنيع على رهبانى النصارى حيث يزعمون أن ترك المستلذات مقرب إلى الله فرد الله عليهم بأن المدار على أكل الحلال وفعل الطاعات (قوله الحلالات) أى مستلذات أم لا (قوله واعملوا صالحا) أى شكرا على تلك النعم لتزدادوا بها قربا من ربكم (قوله فأجازيكم عليه) أى إن خيرا فخير و إن شرا فشر فالآية فيها ترغيب وترهيب (قوله واعلموا أن هذه أمتكم) قدر المفسر لفظ اعلموا إشارة إلى أن أن بفتح الهمزة معمولة لمحذوف وهذه اسمها وأمتكم خبرها وأمة حال وواحدة صفة له (قوله دينكم)

وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال (ذَاتِ قَرَارٍ) أى مستوية يستقر عليها ساكنوها (وَمَعِينٍ) أى ماء جار ظاهر تراه العيون (يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الحلالات (وَاعْمَلُوا صَالِحًا) من فرض ونفل (إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) فأجازيكم عليه (وَ) اعلموا (أَنَّ هَٰذِهِ) أى ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم أيها المخاطبون، أى يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً وَاحِدَةً) حال لازمة، وفى قراءة بتخفيف النون وفى أخرى بكسرها مشددة استئنافا (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) فاحذرون (فَتَقَطَّعُوا) أى الأتباع (أَمْرَهُمْ) دينهم (بَيْنَهُمْ زُبُرًا) حال من فاعل تقطعوا، أى أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ) أى عندهم من الدين (فَرِحُونَ) مسرورون (فَذَرْهُمْ) أى اترك كفار مكة (فِي غَمْرَتِهِمْ) ضلالتهم (حَتَّىٰ حِينٍ) أى حين موتهم (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ) نعطيهم (مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ) فى الدنيا (نُسَارِعُ) نعجل (لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ) لا (بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) أن ذلك استدراج لهم (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ) خوفهم منه (مُشْفِقُونَ) خائفون من عذابه (وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) القرآن (يُؤْمِنُونَ) يصدقون (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ) معه غيره (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ) يعطون

أشار بذلك إلى أن المراد بالأمة الدين، والمراد به العقائد لأنها هى التى اتحدت فى جميع الشرائع، وأما الأحكام الفرعية فقد اختلفت باختلاف الشرائع (قوله وفى قراءة بتخفيف النون) أى والهمزة مفتوحة والعامل مقدر كما فى المشددة واسمها ضمير الشأن وهذه أمتكم مبتدأ وخبر والجملة خبر أن (قوله استئنافا) أى فهو إخبار من الله بأن جميع الشرائع متفقة الأصول والقراآت الثلاث سبعيات (قوله فاتقون) أى افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه (قوله فتقطعوا أمرهم) أى جعلوا دينهم مفرقا، فلذلك صاروا فرقا مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من الأديان الباطلة (قوله زبرا) جمع زبور بمعنى فريق (قوله فرحون) أى لاعتقادهم أنهم على الحق (قوله فذرهم) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير لكفار مكة كما أشار لذلك المفسر وهو تسلية له (قوله فى غمرتهم) مفعول ثان لذرهم: أى مستقرين فيها، والغمرة فى الأصل الماء الذى يغمر القامة ثم استعير ذلك للجهالة، والغمر بالضم يقال لمن يجرب الأمور، والغمر بالكسر الحقد (قوله من مال و بنين) بيان لما (قوله بل لا يشعرون) إضراب انتقالى: أى لا يعلمون أن توسعة الدنيا ليست ناشئة عن الرضا عليهم بل استدراج لهم، قال تعالى - إنما نملى لهم ليزدادوا إثما - (قوله إن الذين هم) الذين اسم إن وهم مبتدأ ومشفقون خبره ومن خشية ربهم متعلق بمشفقون، وكذا يقال فيما بعده (قوله مشفقون) الاشفاق الخوف مع زيادة التعظيم فهو أعلى من الخشية، وهذه الأوصاف متلازمة من اتصف بواحد منها لزم منه الاتصاف بالباقى (قوله القرآن) أى وغيره من باقى الكتب السماوية .

(قوله يعطون) أشار بذلك إلى أن قوله يؤتون من الإيتاء وهو الإعطاء (قوله وقلوبهم وجلة) الجملة حالية من فاعل يؤتون: أى والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيبته وعزته واستغنائه، ولذا ورد عن أبى بكر الصديق أنه قال: لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدمى داخل الجنة والأخرى خارجها وكان كثير البكاء من خشية الله حتى أثرت الدموع فى خديه (قوله يقدر قبله لام الجر) أى فيكون تعليلا لقوله وجلة (قوله أولئك يسارعون فى الخيرات) هذه الجملة خبر عن قوله ـ إن الذين هم من خشية ربهم ـ وما عطف عليه فاسم إن أربع موصولات وخبرها جملة أولئك إلخ (قوله وهم لها سابقون) الضمير قيل للخيرات، وقيل للجنة، وقيل للسعادة، وقوله فى علم الله: أى كتبوا سابقين فى علم الله فظهر فيهم مقتضى سابقية العلم (قوله ولا نكلف نفسا إلا وسعها) أى تفضلا منه سبحانه وتعالى وإلا فلا يسئل عما يفعل، وأتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين إشارة إلى أن تلك الأوصاف فى طاقة الانسان وكذا جميع التكاليف التى افترضها الله على عباده فعلا أو تركا، وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب، وأما المحجوب فيرى التكاليف ثقيلة يشق عليه تعاطيها. قال بعض العارفين:

إذا رفع الحجاب فلا ملامه ... لتكاليف الإله ولا مشقه

(١١٣)

يعطون (مَا آتَوْا) أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة (وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) خائفة أن لا تقبل منهم (أَنَّهُمْ) يقدر قبله لام الجر (إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ) فى علم الله (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى طاقتها فمن لم يستطع أن يصلى قائما فليصل جالسا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل (وَلَدَيْنَا) أى عندنا (كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال (وَهُمْ) أى النفوس العاملة (لَا يُظْلَمُونَ) شيئا منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزاد فى السيآت (بَلْ قُلُوبُهُمْ) أى الكفار (فِي غَمْرَةٍ) جهالة (مِنْ هَٰذَا) القرآن (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ) المذكور للمؤمنين (هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) فيعذبون عليها (حَتَّىٰ) ابتدائية (إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ) أغنياءهم ورؤساءهم (بِالْعَذَابِ) أى السيف يوم بدر (إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ) يضجون يقال لهم (لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ) لا تمنعون (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي) من القرآن (تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ) ترجعون قهقرى (مُسْتَكْبِرِينَ) عن الإيمان (بِهِ) أى بالبيت أو الحرم بأنهم أهله فى أمن بخلاف سائر الناس فى مواطنهم (سَامِرًا) حال،

(قوله عندنا) أى عندية رتبة ومكانة واختصاص (قوله ينطق بالحق) أى يبين أعمال العباد خيرها وشرها (قوله بما عملته) الضمير عائد على النفس المتقدم ذكرها (قوله وهم لا يظلمون) الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس لأنه نكرة فى سياق النفى (قوله فلا ينقص من ثواب أعمال الخير إلخ) أى لأن الأعمال كلها والجزاء عليها مثبتة فى اللوح المحفوظ وهو مطابق لما فى علم الله (قوله بل قلوبهم) رجوع لأحوال الكفار (قوله ولهم أعمال) أى سيئة (قوله من دون ذلك) أى غير ما ذكر للمؤمنين، والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة (قوله هم لها عاملون) أى مستمرون عليها (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل (قوله إذا أخذنا مترفيهم) إذا ظرف لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه وإذا الثانية للفاجأة قائمة مقام الفاء. قال ابن مالك:

وتخلف الفا إذا المفاجأه ... كإن تجد إذا لنا مكافأه

(قوله أغنياءهم ورؤساءهم) أى كأبى جهل وأضرابه من صناديدهم (قوله يجأرون) أى يصرخون ويبتهلون أو يستغيثون ويلتجئون فى كشف العذاب عنهم ومع ذلك فلا ينفعهم (قوله يقال لهم) الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم حين تأتيهم الملائكة بالمطارق من نار يضربون بها وجوههم وأدبارهم، وقيل إنه يوم القيامة حين يعذبون فى النار (قوله قد كانت آياتى إلخ) تعليل لما قبله (قوله تنكصون) من باب جلس ودخل فهو بكسر الكاف وضمها (قوله ترجعون قهقرى) أى إلى جهة الخلف وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان (قوله به) الجار والمجرور إما متعلق بمستكبرين أو بسامرا، وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائد على البيت أو الحرم (قوله سامرا) من السمر، وهو الحديث ليلا (قوله حال) المناسب للمفسر أن يقول أحوال ويخبر عن قوله: تهجرون لأن الأحوال

أى جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تَهْجُرُونَ) من الثلاثى : تتركون القرآن ، ومن الرباعى أى تقولون غير الحق فى النبى والقرآن ، قال تعالى (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا فأدغمت التاء فى الدال (الْقَوْلَ) أى القرآن الدال على صدق النبى (أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ . أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ . أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبى ومجىء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لاجنون به (بَلْ) للانتقال (جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ) أى القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام (وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ) أى القرآن (أَهْوَاءَهُمْ) بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله ، تعالى عن ذلك (لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) أى خرجت عن نظامها المشاهد لوجود التمانع فى الشىء عادة عند تعدد الحاكم (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ) أى بالقرآن الذى فيه ذكرهم وشرفهم (فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) أجرا على ماجئتهم به من الايمان (فَخَرَاجُ رَبِّكَ) أجره وثوابه ورزقه (خَيْرٌ) وفى قراءة خرجا فى الموضعين وفى قراءة أخراجا فيهما (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل من أعطى وأجر (وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الاسلام (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) بالبعث والثواب والعقاب (عَنِ الصِّرَاطِ) أى الطريق (لَنَاكِبُونَ) عادلون ،

ثلاثة مستكبرين وسامرا وتهجرون (قوله أى جماعة) أشار بذلك إلى أن سامرا اسم جمع واحده سامر (قوله من الثلاثى) أى مأخوذ من الهجران وهو الترك أومن هجرهجرا بالتحريك : هذى وتكلم بما لا يعقله (قوله ومن الرباعى) أى مأخوذ من الاهجار وهو الفحش فى الكلام (قوله أفلم يدبروا القول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أعموا فلم يدبروا ، وهذا شروع فى بيان أن إقدامهم على هذه الضلالات لابدّ أن يكون لأحد أمور أربعة : أحدها أن لا يتأملوا فى دليل نبوّته وهو القرآن المعجز مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيته . ثانيها أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة وليس كذلك لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم . ثالثها أن لا يكونوا عالمين بأمانته وصدقه قبل ادّعاء النبوّة وليس كذلك بل سبقت لهم معرفة كونه فى غاية الأمانة والصدق . رابعها أن يعتقدوا فيه الجنون وليس كذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل الناس ، وسيأتى خامس فى قوله ـ أم تسئلهم خرجا ـ وأم فى المواضع الأربعة مقدرة ببل الانتقالية وهمزة الاستفهام التقريرى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه (قوله من صدق النبى الخ) بيان للحق على طبق الآية على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله وأكثرهم للحق) أى القرآن وغيره فهو أعمّ من الحقّ الأول ولذا أظهر فى مقام الاضمار وأشار بقوله : وأكثرهم إلى أن الأقل لم يدم على كراهة الحق بل رجع عن كفره وآمن (قوله عادة) المناسب أن يقول عقلا لأن وجود الشريك يقضى بفساد العالم عقلا لاعادة (قوله بل أتيناهم بذكرهم) إضراب انتقالى ، والمعنى كيف يكرهون الحقّ مع أن القرآن (ولو أتاهم بتشريفهم وتعظيمهم فاللائق بهم الانقياد له وتعظيمه ، والعامة على قصر أتيناهم وقرئ بالمد بمعنى أعطينا وحينئذ فالباء إما زائدة وذكرهم مفعول ثان أو المفعول محذوف وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم أوتاء المخاطب ، وقوله بذكرهم هكذا قرأ العامة وقرئ شذوذا بذكراهم بألف التأنيث ونذكرهم بنون العظمة (قوله أم تسألهم خرجا) راجع لقوله ـ أم يقولون به جنة ـ وما بينهما اعتراض (قوله فخراج ربك خير) تعليل لنفى السؤال المستفاد من الانكار (قوله أجره وثوابه) أى فى الآخرة ، وقوله ورزقه : أى فى الدنيا فهذه الأمور كالخراج من حيث إن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبدا (قوله وفى قراءة خرجا فى الموضعين الخ) أى فالقراآت الثلاث سبعيات لكن الأولى أبلغ من حيث إنه عبر فى حقّ الله بالخراج المفيد للتكرار وفى حق العبيد بالخرج المفيد عدم التكرار والمماثلة فى القراءتين الباقيتين للمشاكلة (قوله وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر وبالمد : أى أثاب (قوله عن الصراط) متعلق بناكبون (قوله عادلون) أى زائغون ومنحرفون .

(قوله ولو رحمناهم الخ) قال الأشياخ الأظهر أن هذه الآية والتي بعدها إلى مبلسون مدنيات ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا على أهل مكة بقوله : اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فقحطوا حتى أكلوا العلهز وهو بعين مكسورة ولام ساكنة وهاء وزاي معجمة شيء كانوا يتخذونه من الدم ووبر الابل في سني المجاعة فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال أنشدك الله والرحم ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية (قوله لجوا) اللجاج التمادي والاستمرار على العناد في تعاطي الفعل المنهي عنه (قوله ولقد أخذناهم بالعذاب) تأكيد لما قبله (قوله فما استكانوا) أصله استكونوا نقلت حركة الواو إلى ماقبلها فتحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا ، والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي ولم يحصل منهم التجاء إلى الله في المستقبل (قوله ابتدائية) أي تبتدأ بعدها الجمل (قوله إذا فتحنا عليهم) إذا شرطية و إذا الثانية رابطة للجواب قائمة مقام الفاء (قوله آيسون) أي فالابلاس اليأس ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله (قوله وهو الذي أنشأ لكم الخ) خطاب للخلق عموما قصد به تذكير

(وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) أي جوع أصابهم بمكة سبع سنين (لَلَجُّوا) تمادوا (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالتهم (يَعْمَهُونَ) يترددون (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ) الجوع (فَمَا اسْتَكَانُوا) تواضعوا (لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) يرغبون إلى الله بالدعاء (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا) صاحب (عَذَابٍ شَدِيدٍ) هو يوم بدر بالقتل (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ) خلق (لَكُمُ السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَا) تأكيد للقلة (تَشْكُرُونَ. وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعثون (وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي) بنفخ الروح في المضغة (وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) صنعه تعالى فتعتبرون (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ. قَالُوا) أي الأولون (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) لا ، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا) أي البعث بعد الموت (مِنْ قَبْلُ إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم (قُلْ) لهم (لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا) من الخلق (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) خالقها ومالكها (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، قُلْ) لهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء الثانية في الذال : تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ،

النعم للمؤمنين والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النعم في مصارفها لأن السمع خلق ليسمع به مايرشد والبصر ليشاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله والقلوب بمعنى العقول ليتأمل بها في مصنوعات الله فمن لم يصرف تلك النعم في مصارفها فهو بمنزلة عادمها قال تعالى ـ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ـ وأفرد السمع وجمع الأبصار تفننا (قوله تأكيد للقلة) أي لفظ ما تأكيد للقلة المستفادة من التنكير والمعنى شكرا قليلا وهو كناية عن عدمه (قوله تبعثون) أي تحيون بعد الموت (قوله وله اختلاف الليل والنهار) أي خلقا و إيجادا (قوله بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه أي أغفلتم فلا تعقلون أن القادر على انشاء الخلق قادر على اعادتهم بعد الموت (قوله بل قالوا) أي كفار مكة (قوله مثل ماقال الأولون) أي من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله و إدخال ألف بينهما) أي وترك الادخال فالقرا آت أربع سبعيات في الثاني وثلاث في الأول بترك الادخال بين المحققتين (قوله لقد وعدنا) وعد فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل هو الضمير المتصل ونحن توكيد له وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل فهو نائب فاعل أيضا وقوله هذا مفعول ثان لوعد ونائب الفاعل مفعول أول والأصل وعدنا الآن محمد بالبعث ووعد غيره آباءنا من قبله وقدم المرفوع الذي هو نائب الفاعل هنا وعكس في النمل تفننا واشارة إلى أنه يجوز الأمران (قوله قل لهم) أي لأهل مكة المنكرين البعث (قوله من الخلق) أي المخلوقات عقلاء وغيرهم (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه والتقدير فأخبروني بخالقهما. (قوله سيقولون لله) إخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه (قوله بادغام التاء) أي بعد قلبها دالا فذالا وتسكينها

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الكرسي (سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تحذرون عبادة غيره (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك (كُلِّ شَيْءٍ) والتاء للمبالغة (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) يحمى ولا يحمى عليه (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) وفى قراءة لله بلام الجر فى الموضعين نظراً إلى أن المعنى من له ماذكر (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) تخدعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أى كيف تخيل لكم أنه باطل (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى نفيه، وهو (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا) أى لو كان معه إله (لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ) أى انفرد به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيهاً له (عَمَّا يَصِفُونَ) به بما ذكر (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد، بالجر صفة والرفع خبر هو مقدراً (فَتَعَالَىٰ) تعظم (عَمَّا يُشْرِكُونَ) به معه (قُلْ رَبِّ إِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ) من العذاب هو صادق بالقتل ببدر (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأهلك بهلاكهم (وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ . ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)،

(قوله الكرسى) المناسب إبقاؤه على ظاهره فان العرش على التحقيق غير الكرسى (قوله والتاء للمبالغة) أى وكذا الواو فهما زائدتان كزيادتهما فى الرحموت والرهبوت من الرهبة والرحمة (قوله يحمى ولا يحمى عليه) الأول بفتح الياء كيرمى والثانى بضمها. والمعنى يمنع ويحفظ من أراد حفظه ولايمنع منه أحد ولاينصر من أراد خذلانه قال تعالى ـ إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ـ (قوله وفى قراءة لله بلام الجر) أى وهو لمعظم السبعة (قوله فى الموضعين) أى الأخيرين وأما جواب السؤال الأول فهو باللام باتفاق السبعة ولم يقرأ بدونها أحد (قوله نظرا إلى أن المعنى) أى فلام الجر مقدرة فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال لأنه لافرق بين قوله: من رب السموات وبين لمن السموات كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وإن شئت قلت لزيد لأن السؤال لافرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار أومن ربها (قوله قل فأنى) أى فكيف تسحرون (قوله عبادة الله) بدل من الحق فهو بالجر (قوله أى كيف تخيل لكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالسحر التخيل والوهم لاحقيقته (قوله فى نفيه) أى الحق (قوله من ولد) من زائدة فى المفعول وقوله من إله من زائدة فى اسم كان (قوله أى لوكان معه إله) أشار بذلك إلى أن قوله إذا لذهب جواب لشرط محذوف وهو لوالامتناعية علم من قوله وما كان معه من إله وتقدم تحقيق الكلام فى هذا البرهان فى سورة الأنبياء (قوله كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضى أن هذا أمر عادى لا إلزامى قطعى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أنه دليل عقلى قطعى (قوله عالم الغيب والشهادة) هذا دليل آخر على الوحدانية كأنه قال الله عالم الغيب والشهادة أى وغيره لايعلمهما فغيره ليس بإله (قوله بالجر صفة) أى للفظ الجلالة أو بدل منه وقوله والرفع خبر هو مقدرا أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعالى عما يشركون) عطف على معنى ماتقدم كأنه قال علم الغيب فتعالى (قوله قل رب الخ) هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو مجاب لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له (قوله إما ترينى) إن شرطية وما زائدة وترينى فعل شرط والنون للوقاية والياء مفعول أول وما مفعول ثان ويوعدون صلة ما ورب تأكيد للأول وقوله فلا تجعلنى الخ جواب الشرط (قوله بالقتل ببدر) أى وهو الذى رآه بالفعل (قوله فأهلك بهلاكهم) أى لأن شؤم الظالم قد يعم غيره. إن قلت إن رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين فكيف أمره الله بهذا الدعاء أجيب بأنه أمر بذلك إظهارا للعبودية وتواضعا لربه وتعظيما لأجره وليكون فى جميع الأوقات ذاكرا لله تعالى (قوله وإنا على أن نريك الخ) إن حرف توكيد ونصب ونا اسمها والجار والمجرور متعلق بقادرون وماواقعة على العذاب وقادرون خبر إن واللام للابتداء زحلقت للخبر والمعنى وإنا لقادرون على أن نريك العذاب الذى نعدهم به.

(قوله أى الخصلة الخ) أشار بذلك إلى أن التى صفة لموصوف محذوف وقوله من الصفح الخ بيان للخصلة التى هى أحسن (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ ويحتمل أن المعنى ادفع بالتى هى أحسن ولو فى حال القتال كأن الله يقول له إذا قدرت عليهم فاصفح عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به وحينئذ فتكون الآية محكمة وقد حصل منه هـذا الأمر عند فتح مكة (قوله وقل رب) أى فى كل وقت لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جدا وهو و إن كان معصوما فالمقصود تعليم أمته واظهار الالتجاء لربه (قوله من همزات الشياطين) جمع همزة وهى النخسة (قوله نزغاتهم) أى إفساداتهم ، والمعنى أتحصن بك من وساوس الشياطين (قوله وأعوذ بك رب) كرر ذلك للمبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة (قوله ابتدائية) أى تبتدأ بعدها الجمل اشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله قصد به وصف حال الكافر بعد موته (قوله الجمع للتعظيم) جواب عما يقال لم لم يقل رب ارجعنى بالإفراد مع أن المخاطب واحد . وأجيب أيضا بأن الواو لتكرير الطلب كأنه قال ارجعن ارجعن ارجعن أوالجمع باعتبار للملائكة الذين يقبضون روحه كأنه استغاث بالله أولا ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الملائكة (قوله يكون فيما تركت) أى بدلا عنه (قوله أى لارجوع) أشار بذلك إلى أن كلا هنا معناها النفى ومع ذلك فيها معنى الردع والزجر (قوله أى رب ارجعون) أى ومابعدها (قوله ومن ورائهم) الجمع باعتبار معنى أحد (قوله برزخ) هو المدة التى من حين الموت إلى البعث والمعنى أن بينهم و بين الرجعة حجابا ومانعا من الرجوع وهو الموت إذا علمت ذلك فالأموات لاتعود أجسامهم فى الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبدا وإنما يبعثون يوم القيامة لافرق بين الأنبياء وغيرهم وما ورد عن بعض الصالحين من أنهم يجتمعون بالنبى

أى الخصلة من الصفح والإعراض عنهم (السَّيِّئَةَ) أذاهم إياك وهذا قبل الأمر بالقتال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أى يكذبون ويقولون ، فنجازيهم عليه (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ) أعتصم (بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) نزغاتهم بما يوسوسون به (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) فى أمورى لأنهم إنما يحضرون بسوء (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) الجمع للتعظيم (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا) بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون (فِيمَا تَرَكْتُ) ضيعت من عمرى أى فى مقابلته ، قال تعالى (كَلَّا) أى لا رجوع (إِنَّهَا) أى رب ارجعون (كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) له ولا فائدة فيها (وَمِنْ وَرَائِهِمْ) أمامهم (بَرْزَخٌ) حاجز يصدهم عن الرجوع (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ولا رجوع بعده (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى أو الثانيـة (فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يتفاخرون بها (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) عنها خلاف حالهم فى الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك فى بعض مواطن القيامة وفى بعضها يفيقون ، وفى آية : فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بالحسنات (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيآت (فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ)

صلى الله عليه وسلم يقظة فالمراد أن روحه الشريفة تشكلت بصورة جسده الشريف وكذا يقال فى الأولياء والشهداء لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لاتسرح فى الملكوت(قوله ولارجوع بعده) أى يوم البعث (قوله النفخة الأولى) هو قول ابن عباس وقوله أوالثانية هو قول ابن مسعود (قوله يتفاخرون بها) جواب عما يقال إن الأنساب ثابتة بينهم لايصح نفيها فأجاب بأن معنى لا أنساب بينهم لا يتفاخرون بأنسابهم . وأجيب أيضا بأن معنى لا أنساب بينهم لا أنساب تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والدهشة (قوله خلاف حالهم فى الدنيا) أى لأنهم كانوا يسألون عن بعضهم فى الدنيا (قوله لما يشغلهم) علة لقوله ولايتساءلون ودفع بذلك مايقال كيف الجمع بين هـذه الآية وآية : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فجمع المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة وهذا مبنى على أن المراد النفخة الثانية وأما على أن المراد النفخة الأولى فوجه الجمع أن نفى السؤال إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ وإثباته إنما هو بعد النفخة الثانية (قوله موازينه) الجمع إما للتعظيم أو باعتبار الموزون (قوله بالحسنات) الباء سببية أى بسبب ثقل الحسنات (قوله بالسيئات) أى بسبب ثقل السيئات ، والمعنى فمن رجحت حسناته فأولئك هم المفلحون ومن رجحت سيئاته فأولئك الذين خسروا الخ .

فهم (فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) تحرقها (وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ) شمرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) من القرآن (تُتْلَى عَلَيْكُمْ) تخوفون بها (فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا) وفى قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى (وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) عن الهداية (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا) إلى المخالفة (فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَالَ) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (اخْسَئُوا فِيهَا) ابعدوا فى النار أذلاء (وَلَا تُكَلِّمُونِ) فى رفع العذاب عنكم فينقطع رجاؤهم (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي) هم المهاجرون (يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا) بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإنساء فنسب إليهم (وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ . إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ) النعيم المقيم (بِمَا صَبَرُوا) على استهزائكم بهم وأذاكم إياهم (إِنَّهُمْ) بكسر الهمزة (هُمُ الْفَائِزُونَ) بمطلوبهم استئناف و بفتحها مفعول ثان لجزيتهم (قَالَ) تعالى لهم بلسان مالك وفى قراءة قل (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ) فى الدنيا وفى قبوركم (عَدَدَ سِنِينَ) تمييز (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) شكوا فى ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ) أى الملائكة المحصين أعمال الخلق (قَالَ) تعالى بلسان مالك وفى قراءة أيضا قل (إِنْ) أى ما (لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة إلى لبثكم فى النار (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا) لا لحكمة ،

(قوله فهم فى جهنم) أشار المفسر إلى أن قوله فى جهنم خبر لمحذوف (قوله تلفح وجوههم) اللفح الإصابة بشدة (قوله شمرت شفاههم الخ) أى فالكلوح تشمر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد أنه تتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى السفلى حتى تبلغ سرته (قوله تتلى عليكم) أى فى الدنيا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وهما مصدران بمعنى) أى وهو سوء العاقبة (قوله بعد قدر الدنيا مرتين) أى وقدرها قيل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة ، وقيل اثنا عشر ألف سنة بعدد البروج ، وقيل ثلثمائة ألف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة (قوله اخسئوا فيها) أى اسكتوا سكوت هوان وذل (قوله فينقطع رجاؤهم) أى وهذا آخر كلامهم فى النار فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب (قوله إنه كان فريق) تعليل لما قبله (١١٨) (قوله بضم السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وسلمان) المناسب أن يقول بدله وخباب لأن سلمان ليس من المهاجرين (قوله فنسب إليهم) أى وحقه أن ينسب إلى الاستهزاء (قوله وكنتم منهم تضحكون) أى وذلك غاية الاستهزاء (قوله بكسر الهمزة و بفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بلسان مالك) دفع بذلك ما يقال إن قوله قال يقتضى أن الله يكلمهم مع أنه قال فى آية أخرى : ولا يكلمهم الله . فأجاب بأن المكلم لهم الملك عن الله (قوله وفى قراءة قل) أى وهى سبعية أيضا . والحاصل أن هنا وفيما يأتى فى قوله قال إن لبثتم ثلاث قراآت سبعيات الأمر فيهما والماضى فيهما والأمر فى الأول والماضى فى الثانى (قوله كم لبثتم) كم فى محل نصب على الظرفية الزمانية وقوله عدد سنين هو مميزها ، والمعنى لبثتم كم عددا من السنين والقصد من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت عليهم لأنهم كانوا يعتقدون بقاءهم فى الدنيا ويعولون على اللبث فيها وينكرون البعث فلما أدخلوا النار وأيقنوا دوامهم وخلودهم فيها سألهم عن لبثهم فى الدنيا زيادة فى تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه حيث أظهر خلافه (قوله فاسأل العادين) بالتشديد جمع عاد من العدد وهذا من جملة كلامهم لأنه غشيهم من الهول والعذاب ما يشغلهم عن ضبط ذلك وإحصائه (قوله قال تعالى) أى تقريعا وتوبيخا وتصديقا لهم (قوله لو أنكم) لو هنا امتناعية ومفعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله مقدار لبثكم وجواب لو محذوف أيضا قدره المفسر بقوله كان قليلا أى فى علمكم ، والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لعلمتم قلة لبثكم فى الدنيا (قوله أفحسبتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم فحسبتم وحسب بمعنى ظن والاستفهام للتوبيخ والانكار (قوله عبثا) إما حال مؤول باسم الفاعل أى عابثين أو مفعول

(وأنكم

(وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) بالبناء للفاعل والمفعول ؟ لا ، بل لنتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازي على ذلك « وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (فَتَعَالَى اللَّهُ) عن العبث وغيره مما لا يليق به (الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ) الكرسي هو السرير الحسن (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) صفة كاشفة لامفهوم لها (فَإِنَّمَا حِسَابُهُ) جزاؤه (عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لا يسعدون (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ) المؤمنين في الرحمة زيادة على المغفرة (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) أفضل رحمة ،

(سورة النور)

مدنية ، وهي اثنتان أو أربع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) هذه (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) مخففا ومشددا لكثرة المفروض فيها (وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات الدلالات (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الذال : تتعظون (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي) أي غير المحصنين ،

لأجله والعبث اللعب وكل ما ليس فيه غرض صحيح فقوله : لحكمة تفسير للعبث (قوله وأنكم إلينا لا ترجعون) عطف على : أنما خلقناكم فيكون حسب مسلطا عليه (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا) قدّره جوابا للاستفهام (قوله بل لنتعبدكم) أي لنكلفكم (قوله على ذلك) أي على امتثال التعبد المذكور (قوله إلا ليعبدون) أي حكمة خلقي لهم كونهم يمتثلون أوامري و يجتنبون نواهيّ (قوله فتعالى الله) أي تنزه (قوله الملك الحق) أي الذي يحق له التصرف في ملكه بالإيجاد والإعدام والثواب والعقاب وغير ذلك فكل ماسواه مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله الكريم) بالجر صفة للعرش لأن كل بركة ورحمة وخير نازلة منه وقرئ شذوذا بالرفع على أنه نعت مقطوع للمدح (قوله الكرسي) تقدم أن المناسب إبقاؤه على ظاهره (قوله هو السرير الحسن) هكذا في بعض النسخ وفي بعضها إسقاطها (قوله صفة كاشفة) أي بيان للواقع لأن كل من ادّعى مع الله إلها آخر لابد وأن يكون لابرهان له به (قوله فإنما حسابه عند ربه) هو جواب الشرط (قوله إنه لا يفلح الكافرون) الجمهور على كسر إن استئنافا وفيه معنى العلة وقرئ شذوذا بالفتح على أنه خبر حسابه والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم (قوله في الرحمة زيادة على المغفرة) أي فذكر الرحمة بعد المغفرة تحلية بعد تخلية ففي الغفران محو السيئات وفي الرحمة رفع الدرجات (قوله أفضل رحمة) بالنصب على التمييز .

[سورة النور]

سميت بذلك لذكر النور فيها وفي هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر وغيرها من الأحكام الدينية المفصلة ، ولذلك كتب عمر رضي الله عنه إلى الكوفة : علموا نساءكم سورة النور ، وقالت عائشة رضي الله عنها : لاتنزلوا النساء في الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل (قوله هذه سورة) أشار المفسر إلى أن سورة خبر لمحذوف قدّره بقوله هذه والإشارة لما في علم الله لكونها في حكم الحاضر المشاهد و يصح أن تكون سورة مبتدأ وجملة أنزلناها صفة لها والخبر قوله الزانية والزاني ، والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا والخبر محذوف والتقدير فيما يتلى عليكم وهذا على قراءة الرفع وهي لعامة القراء وقرئ سورة بالنصب بفعل مضمر يفسره أنزلناه فهو من باب الاشتغال أوعلى الاغراء أي دونك سورة (قوله وفرضناها) أي أوجبنا مافيها من الأحكام إيجابا قطعيا (قوله مخففا ومشددا) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأنزلنا فيها) كرر الإنزال لكمال الاعتناء بشأنها (قوله آيات بينات) أي دلائل على وحدانية الله تعالى وقد ذكر في أول هذه السورة أنواع من الأحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله : وفرضناها إشارة إلى الأحكام وقوله : وأنزلنا فيها آيات بينات إشارة إلى الأدلة (قوله بإدغام التاء الثانية) أي بعد قلبها دالا فذالا أي و بتسكينها أي فهما قراءتان سبعيتان و بقيت ثالثة سبعية أيضا وهي حذف إحدى التاءين (قوله الزانية والزاني) مبتدأ والخبر محذوف تقديره فيما يتلى عليكم أوجملة فاجلدوا ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وعليه درج المفسر ، وقدمت المرأة في حد الزنا وأخرت في آية السرقة لأن شهوة الزنا في المرأة أقوى وأكثر والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة وهي في الرجل أقوى وأكثر .

(قوله لرجمهما بالسنة) أشار بذلك إلى أن الزانية والزانى لفظ عام يشمل المحصن وغيره فالسنة أخرجت المحصن و يبقى أن حقه الرجم فصار الكلام فى غيره (قوله فاجلدوا كل واحد منهما الخ) أى بسوط لين له رأس واحد و يجرد الرجل من ثيابه والمرأة مما يقيها ألم الضرب وتوضع فى قفة فيها تراب للستر (قوله والرقيق على النصف مما ذكر) أى الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعى وقال مالك : لايغرب إلا الذكر الحر ، وأما المرأة والرقيق فلا يغربان (قوله ولا تأخذكم) قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ وقرئ شذوذا بالياء التحتية (قوله رأفة) بسكون الهمزة وفتحها قراءتان سبعيتان وقرئ بالمد بوزن سحابة ، والرأفة أشد الرحمة ويقال رءف بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب (قوله بأن تتركوا شيئا من حدهما) أى لأن إقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد « إقامة حد لله تعالى فى الأرض خير من أن تمطروا أربعين صباحا » (قوله فى هذا) أى قوله إن كنتم تؤمنون الخ (قوله تحريض) أى حث على ماقبل الشرط وهو قوله : ولاتأخذكم بهما رأفة فالواجب الغضب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قال «لوسرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها» (قوله وهو جوابه) أى كما هو رأى الكوفيين وقوله أودال كما هو رأى البصريين (قوله وليشهد عذابهما طائفة) الأمر للندب والطائفة الفرقة التى يمكن أن تكون حافة (قوله قيل ثلاثة الخ) القولان للشافعى وعند مالك أقل ذلك أربعة (قوله أى المناسب لكل منهما

لرجمهما بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء فى خبره وهو (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) أى ضربة ، يقال جلده ضرب جلده و يزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) أى حكمه بأن تتركوا شيئا من حدهما (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أى يوم البعث وفى هذا تحريض على ماقبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا) أى الجلد (طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قيل ثلاثة ، وقيل أربعة عدد شهود الزنا (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ) يتزوج (إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أى المناسب لكل منهما ماذكر (وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ) أى نكاح الزوانى (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الأخيار ، نزل ذلك لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيل ، التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى : وأنكحوا الأيامى منكم (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) العفيفات

ماذكر) أى فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية ، والمعنى أن الزانى يرغب فى نكاح الزانية أوالمشركة والزانية ترغب فى نكاح الزانى أوالمشرك (قوله وحرم ذلك على المؤمنين) أى لما فيه من المفاسد كالطعن فى النسب والتعرض للتهم والتشبه بالفساق فالواجب التزوج بالعفيفات لما فى الحديث « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » (قوله نزل ذلك) أى الآية بالزنا

وحينئذ فالمطابق لسبب النزول هو الجملة الثانية وإنما ذكر الأولى زيادة فى التنفير (قوله وهن موسرات) أى غنيات (قوله خاص بهم) أى ولم ينسخ إلى الآن (قوله وأنكحوا الأيامى) جمع أيم وهى من ليس لها زوج بكرا أوثيبا ومن ليس له زوجة وهو يشمل الزانى والزانية وغيرهما فغاية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه (قوله والذين يرمون المحصنات) تقدم أن الزانى والزانية إما أن يرجما إن كانا محصنين أو يجلدان إن لم يكونا كذلك فتبين أن الزنا أمره عظيم شديد لابد وأن يثبت إما باقرار أو بأربعة عدول ، فان انتفى واحد من ذلك حد المدعى فبين هذه الآية وماقبلها شدة مناسبة وقوله الذين مبتدأ ويرمون صلته والخبر ثلاث جمل . الأولى فاجلدوهم . الثانية قوله : ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا . الثالثة قوله : وأولئك هم الفاسقون ومعنى يرمون المحصنات يتهمونهن فشبه الاتهام بالرمى بجامع التأدية للهلاك فى كل لأنه إن ثبت ذلك الأمر فقد هلك المرمى و إن لم يثبت فقد هلك الرامى وقوله المحصنات لامفهوم له بل وكذا المحصنون و إنما خصهن بالذكر لأن الشأن قوة شهوة النساء (قوله العفيفات) تفسير للمحصنات باعتبار اللغة لأن الإحصان كما يطلق على العفة يطلق على التزوج وعلى الحرية ومفهوم قوله العفيفات أنه إذا رمى غير عفيف لايحد و يشترط زيادة على العفة أن يكون المرمى يتأتى منه الزنا واللواط بأن يكون ذا آلة فان رمى مجبوبا عوقب ولايحد وأن يكون حرا مسلما مكلفا فان انتفى شرط منها يحد القاذف إلا إذا رمى الصبى باللواط به أوالصبية المطيقين فعند مالك يحد وعند الشافعى يعزر

(قوله بالزنا) أى أو اللواط فى آدمى مطيق أو جنى تشكل بآدمى (قوله بأربعة شهداء) أى عدول وقوله برؤيتهم متعلق بشهداء أى شهدوا بأنهم رأوا الذكر فى الفرج ولا بد أن يتحدوا فى الرؤية والأداء فان اختلفوا ولو فى أى صفة حد الجميع (قوله أبدا) أى ما داموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء وعلى هذا درج مالك والشافعى وقال أبو حنيفة لا تقبل شهادتهم ولو تابوا (قوله إلا الذين تابوا) استثناء متصل لأن المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم (قوله من بعد ذلك) أى القذف (قوله فيها ينتهى فسقهم) هذا مبنى على رجوع الاستثناء للجملتين الأخيرتين وهو مذهب مالك والشافعى فعندهما أن التائب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق (قوله وقيل لا تقبل) هذا مذهب أبى حنيفة واتفق الجميع على أن القاذف يجلد وإن تاب فليس الاستثناء راجعا إلى الجملة الأولى (قوله أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة وحذف التاء أفصح من إثباتها إلا فى المواريث (قوله ولم يكن لهم شهداء) مفهومه لو كان له بينة فلا لعان بينهما عند مالك وقال الشافعى له ترك البينة ويلاعن وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب النزول فانه لم يكن لهم بينة (قوله إلا أنفسهم) بالرفع بدل من شهداء (قوله وقع ذلك) أى قذف الزوجة بالزنا (قوله لجماعة من الصحابة) أى وهم هلال بن أمية وعويمر العجلانى وعاصم بن عدى

بالزنا (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) على زناهن برؤيتهم (فَاجْلِدُوهُمْ) أى كل واحد منهم (ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً) فى شىء (أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) لاتيانهم كبيرة (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم قذفهم (رَحِيمٌ) بهم بإلهامهم التوبة فيها ينتهى فسقهم وتقبل شهادتهم، وقيل لا تقبل رجوعا بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) بالزنا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) عليه (إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مبتدأ (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصب على المصدر (بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما رمى به زوجته من الزنا (وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فى ذلك وخبر المبتدإ تدفع عنه حد القذف (وَيَدْرَأُ) يدفع (عَنْهَا الْعَذَابَ) أى حد الزنا الذى ثبت بشهاداته (أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) فيما رماها به من الزنا (وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى ذلك (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) بالستر فى ذلك (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) بقبوله التوبة فى ذلك وغيره (حَكِيمٌ) فيما حكم به فى ذلك وغيره لبين الحق فى ذلك وعاجل بالعقوبة من يستحقها (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) أسوأ الكذب على عائشة رضى الله عنها أم المؤمنين بقذفها

(قوله نصب على المصدر) أى والعامل شهادة وفى قراءة سبعية أيضا بالرفع خبر المبتدا (قوله من الزنا) أى أو نفى الحمل لأن اللعان كما يكون فى رؤية الزنا يكون فى نفى الحمل (قوله والخامسة أن لعنة الله الخ) بالرفع لا غير باتفاق السبعة وقوله أن تشهد أربع شهادات بالنصب لا غير باتفاق السبعة وقوله والخامسة أن غضب الله الخ يجوز فى السبعة رفعه ونصبه فتحصل أن الخامسة الأولى بالرفع لا غير وفى الثانية الوجهان ولفظ أربع الأول فيه الوجهان والثانى بالنصب لا غير وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب أن اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله وفى لعانه إبعاد الزوجة والولد، وفى لعانها إغضاب الرب والزوج والأهل إن كانت كاذبة (قوله وخبر المبتدإ) أى الذى هو قوله فشهادة أحدهم (قوله فى ذلك) أى فيما رماها به.

[فائدة] يترتب على لعانه دفع الحد عنه وقطع نسب الولد منه وإيجاب الحد عليها وعلى لعانها دفع الحد عنها وتأبيد تحريمها وفسخ نكاحها (قوله بالستر) متعلق بكل من فضل ورحمة (قوله لبين الحق فى ذلك) جواب لولا (قوله إن الذين جاءوا بالافك الخ) شروع فى ذكر الآيات المتعلقة بالافك وهى ثمانية عشر تنتهى بقوله أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ومناسبة هذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر ما فى الزنا من الشناعة والقبح وذكر ما يترتب على من رمى غيره به وذكر أنه لا يليق بآحاد الأمة فضلا عن زوجة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ذكر ما يتعلق بذلك (قوله أسوأ الكذب) أى أقبحه وأفحشه (قوله على عائشة) متعلق بالكذب وقد عقد عليها النبى صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين أو سبع ودخل عليها بالمدينة وهى بنت تسع وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة

(قوله عصبة منكم) العصبة من العشرة إلى الأربعين وإن كان من عينتهم وذكرتهم أربعة فقط لأنهم هم الرؤساء فى هذا الأمر (قوله من المؤمنين) أى ولو ظاهرا فإن عبد الله بن أبى من كبار المنافقين (قوله قالت) أى عائشة فى تعيين أهل الافك (قوله وحمنة بنت جحش) هى زوجة طلحة بن عبيد الله (قوله لاتحسبوه شرا لكم) الخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان تسلية لهم (قوله بل هو خير لكم) أى لظهور كرامتكم على الله وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (قوله يأجركم الله به) بسبب الصبر عليه (قوله ومن جاء معها) أى يقود بها الراحلة (قوله وهو صفوان) أى السلمى ابن المعطل (قوله فى غزوة) قيل هى غزوة بنى المصطلق وكانت فى السنة الرابعة وقيل فى السادسة . وسببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث

(عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) جماعة من المؤمنين قالت : حسان بن ثابت وعبدالله بن أبىّ ومسطح وحمنة بنت جحش (لَا تَحْسَبُوهُ) أيها المؤمنون غير العصبة (شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) يأجركم الله به ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه ، وهو صفوان فإنها قالت « كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بعد ماأنزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة فمشيت وقضيت شأنى وأقبلت إلى الرحل فإذا عقدى انقطع » هو بكسر المهملة القلادة « فرجعت ألتمسه وحملوا هودجى هو ما يركب فيه على بعيرى يحسبوننى فيه وكانت النساء خفافا إنما يأكلن العلقة » هو بضم المهملة وسكون اللام « من الطعام » أى القليل « ووجدت عقدى وجئت بعد ماساروا فجلست فى المنزل الذى كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدوننى فيرجعون إلى فغلبتنى عيناى فنمت ، وكان صفوان قدعرس من وراء الجيش فادلج » هما بتشديد الراء والدال : أى نزل من آخر الليل « للاستراحة فسار منه فأصبح فى منزله فرأى سواد إنسان نائم أى شخصه فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى » أى قوله إنا لله وإنا إليه راجعون « فخمرت وجهى بجلبابى » أى غطيته بالملاءة « والله ما كلمنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطىء على يدها فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد مانزلوا موغرين فى نحر الظهيرة » أى من أوغر واقفين فى مكان وغر « من شدة الحر فهلك من هلك فىّ ، وكان الذى تولى كبره منهم عبد الله ،

ابن ضرار أبو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فاقتتلوا فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم فأفاءها وردها عليهم (قوله بعدما أنزل الحجاب) أى وهى قوله تعالى وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب (قوله وآذن) بالمد والقصر أى أعلم (قوله وقضيت شأنى) أى حاجتى كالبول مثلا (قوله فاذا عقدى انقطع) أى وكان من جزع أظفار وهو الخرز اليمانى غالى القيمة وكان أصله لأمها أعطته لها حين تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لأختها أسماء (قوله ألتمسه) أى أفتش عليه (قوله فجلست فى المنزل الذى كنت فيه) أى وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها فان من الآداب أن الانسان إذا ضل عن رفقته وعلم أنهم يفتشون عليه أن يجلس فى المكان الذى فقدوه فيه ولا ينتقل منه فربما رجعوا فلم يجدوه (قوله فنمت) أى وكانت كثيرة النوم لحداثة سنها (قوله وكان صفوان قد عرس) أى وكان صاحب ساقة رسول الله لشجاعته وكان إذا رحل الناس قام يصلى ثم اتبعهم فما سقط منهم شىء إلا حمله حتى يأتى به أصحابه (قوله فسار منه) أى فادلج بالتشديد سار من آخر الليل وأما أدلج سار من أوله (قوله فى منزله) أى منزل الجيش الذى مكثت فيه عائشة (قوله ووطىء على يدها) أى الراحلة خوف أن تقوم (قوله بموغرين) أى أتينا الجيش فى وقت القيلولة (قوله نهلك من هلك) أى تكلم بما كان سببا فى هلاكه (قوله فىّ) أى بسببى

ابن

{قوله ابن أبي ابن سلول) نسب أولا لأبيه ثم لأمه (قوله انتهى قولها) هذا باعتبار ما اختصره وإلا فحديثها له بقية كما في البخاري وهي « فقدمنا المدينة فاشتكيت بها شهرا وهم يفيضون من قول أصحاب الافك ويريبني في وجعي أني لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف تيكم لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت بفتح فكسر أي برئت من مرضي فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت رهم نمشي، فعثرت في مرطها وهو بكسر الميم كساء من صوف، فقالت تعس مسطح، فقلت لها بئس ماقلت أتسبين رجلا شهد بدرا؟ فقالت ياهنتاه أي قليلة المعرفة ألم تسمعي ماقالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كيف تيكم؟ فقلت ائذن لي إلى أبوي، قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت أبويّ فقلت لأمي مايتحدث به الناس؟ قالت يابنية هوّني على نفسك الشأن فوالله قلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا، قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار إليه بالذي يعلم من نفسه بالود لهم، فقال أسامة هم أهلك يارسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا، وأما عليّ بن أبي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير واسأل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال: يابريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟ فقالت بريرة لا والذي بعثك بالحق نبيا إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها هو بهمزة مفتوحة فغين معجمة فصاد مهملة أي أعيبه وأنكره أكثر من أنها جارية حديثة السنّ تنام عن العجين، فيأتي الداجن هو بدال مهملة ثم جيم مايألف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من

(١٢٣)

ابن أبي ابن سلول» اهـ قولها رواه الشيخان، قال تعالى :

رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ماعلمت في أهلي إلا خيرا وقد ذكروا رجلا ماعلمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ وقال: يارسول الله أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال: كذبت لعمر الله لاتقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت وبكيت يومي لايرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي وقد بكيت ليلتي ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ماقيل قبلها وقد مكث شهرا لايوحى إليه في شأني شيء قالت فتشهد ثم قال: ياعائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي: أي انقطع جريانه حتى ما أحسّ منه بقطرة وقلت لأبي أجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت لأمي أجيبي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال. قالت والله ماأدري ماأقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وأنا جارية حديثة السنّ لاأقرأ كثيرا من القرآن، فقلت إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ماتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني بريئة لاتصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني لبريئة لتصدقنني. والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال - فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون - ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن ما ظننت أن ينزل في شأني وحي، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رام أن برح مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء أي الشدة

والكرب حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان أى اللؤلؤ من العرق فى يوم شات ، فلما سرى أى كشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة احمدى الله فقد برأك الله ، فقالت أمى قومى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله عز وجل ـ إن الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ـ الآيات ، فلما أنزل الله هذا فى براءتى قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه والله ما أنفق على مسطح بشىء أبدا بعد ما قال فى عائشة فأنزل الله عز وجل ـ ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة ـ الآية إلى قوله ـ غفور رحيم ـ فقال أبو بكر بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح الذى كان يجرى عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ماعلمت ما رأيت ؟ فقالت يارسول الله أحمى سمعى و بصرى والله ما علمت عليها إلا خيرا ، قالت وهى التى كانت تساميني فعصمها الله بالورع» انتهى (قوله لكل امرىء منهم) أى من العصبة (قوله ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب من الاثم فى الدنيا وهو لغير عبد الله بن أبى ، فانهم قد حدّوا حدّ القذف ، وعمى حسان وشلت يده فى آخر عمره ، وعمى مسطح أيضا أو فى الدنيا والآخرة وهو لابن أبى ، فعذبه الله بخزى الدنيا والخلود فى النار (قوله لولا إذ سمعتموه) لما بين سبحانه وتعالى حال الخائضين فى الافك وأنهم اكتسبوا الاثم شرع فى توبيخهم وزجرهم بتسعة زواجر : الأول هذا . الثانى لولا جاءوا عليه الخ . الثالث ولولا فضل الله الخ . الرابع إذ تلقونه الخ . الخامس ولولا إذ سمعتموه الخ . السادس يعظكم الله الخ . السابع إن الذين يحبون الخ . الثامن ولولا فضل الله عليكم الخ . التاسع يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، إلى سميع عليم ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الماضى ، لأن لولا لها ثلاثة أحوال : إذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ وإذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض وإذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية ، وقد كررت هنا (ولولا) فى ستة مواضع : الأول والثانى والرابع توبيخية لا جواب لها . والثالث والخامس والسادس شرطية ذكر جوابها فى الثالث والسادس وحذف فى الخامس فتدبر و إذا ظرف لظن ، والمعنى كان ينبغى لكم بمجرد سماعه أن تحسنوا الظن فى أم المؤمنين ولا تصرّوا على الأمر القبيح بعد سماعه (قوله بأنفسهم) أى بأبناء جنسهم فى الايمان والصحبة (قوله فيه التفات عن الخطاب) أى إلى الغيبة إذ كان مقتضى الظاهر ظننتم ، وحكمته التسجيل عليهم والمبالغة فى توبيخهم (قوله لولا جاءوا عليه) أى الافك (قوله شاهدوه) أى عاينوا الزنا (قوله فى حكمه) أى الشرعى لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر ، وهذا جواب عما يقال إنهم كاذبون عند الله مطلقا ولو أتوا بشهداء . فأجاب بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشروع ، ولا شك أنهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله أنهم صادقون فى الظاهر ، فأراد الله أن يكذبهم ظاهرا و باطنا (قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لولا امتناعية وجوابها قوله لمسكم ، والمعنى امتنع مسّ العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم (قوله فيما أفضتم فيه) أى بسببه وما اسم موصول وأفضتم صلته أو مصدرية : أى بسبب الذى أفضتم فيه أو بسبب إفاضتكم . (قوله عذاب عظيم) أى لغير ابن سلول فان عذابه محتم (قوله إذ تلقونه بألسنتكم) أى تتلفظون به باللسان فقط دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون براءتها و إنما تلفظهم بالافك محض حسد وعناد

(لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ) أى عليه (مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ) فى ذلك (وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) أى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبىّ (لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هو النار فى الآخرة (لَوْلَا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ) أى ظن بعضهم ببعض (خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) كذب بيّن فيه التفات عن الخطاب أى ظننتم أيها العصبة وقلتم (لَوْلَا) هلا (جَاءُوا) أى العصبة (عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) شاهدوه (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ) أى فى حكمه (هُمُ الْكَاذِبُونَ) فيه (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ) أيها العصبة أى خضتم (فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) أى يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل إحدى التاءين ، وإذ منصوب بمسكم أو بأفضتم (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا) لا إثم فيه (وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) فى الإثم ،

(قوله ولولا إذ سمعتموه) لولا توبيخية وإذ ظرف لقلتم ، والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر أن تقولوا سبحانك وفصل بالظرف بين لولا وقلتم لأنه يغتفر فى الظروف مالا يغتفر فى غيرها (قوله هو للتعجب هنا) أى مع التنزيه ، والمعنى تنزيها لك عن انتهاك حرماتك ، فانه غير لائق بك ولا بأحبابك الذين قلت فيهم - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا - (قوله ينهاكم) أشار بذلك إلى أنه ضمن يعظكم معنى ينهاكم فعداه بعن (قوله أبدا) أى مدة حياتكم (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه أى فلا تعودوا لمثله (قوله باللسان) أى فالمراد باشاعتها إشاعة خبرها (قوله بنسبتها إليهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالذين آمنوا خصوص عائشة وصفوان (قوله وهم العصبة) تفسير للذين يحبون (قوله لحق الله) أى ذنب الاقدام وهو محمول على عبد الله بن أبى ، وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته (قوله وأن الله رءوف رحيم) عطف على فضل الله (قوله لعاجلكم بالعقوبة) جواب لولا وخبر المبتدإ محذوف والتقدير موجودان (قوله خطوات) بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله ومن يتبع خطوات الشيطان) شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح أبدا وقوله فانه يأمر الخ تعليل للجواب (قوله أى المتبع) هكذا بصيغة اسم المفعول وهو الشيطان (قوله باتباعهما) متعلق بيأمر (قوله مازكا منكم من أحد أبدا) هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا وهو كذلك إلا عبدالله بن أبى فانه استمر على النفاق حتى هلك كافرا (قوله ولا يأتل) لا ناهية والفعل مجزوم بحذف الياء (قوله أى أصحاب الغنى) فى تفسير

(وَلَوْلَا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ) ما ينبغى (لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ) هو للتعجب هنا (هَٰذَا بُهْتَانٌ) كذب (عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللَّهُ) ينهاكم (أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) تتعظون بذلك (وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) فى الأمر والنهى (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بما يأمر به وينهى عنه (حَكِيمٌ) فيه (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) باللسان (فِي الَّذِينَ آمَنُوا) بنسبتها إليهم وهم العصبة (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا) بحد القذف (وَالْآخِرَةِ) بالنار لحق الله (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) انتفاءها عنهم (وَأَنْتُمْ) أيها العصبة بما قلتم من الإفك (لَا تَعْلَمُونَ) وجودها فيهم (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أيها العصبة (وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) بكم لعاجلكم بالعقوبة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ) أى طرق تزيينه (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ) أى المتبع (يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) أى القبيح (وَالْمُنْكَرِ) شرعا باتباعهما (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ) أيها العصبة بما قلتم من الإفك (مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) أى ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي) يطهر (مَنْ يَشَاءُ) من الذنب بقبول توبته منه (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) بما قلتم (عَلِيمٌ) بما قصدتم (وَلَا يَأْتَلِ) يحلف (أُولُو الْفَضْلِ) أى أصحاب الغنى (مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ) لا (يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) نزلت فى أبى بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدرى

الفضل بالغنى نوع تكرار مع قوله والسعة وحينئذ فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والاحسان وكفى به دليلا على فضل الصديق (قوله أن لايؤتوا) أشار المفسر إلى أن الكلام على تقدير لا نافية . قوله أولى القربى) أى القرابة وقوله والمساكين والمهاجرين معطوفان على أولى فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح (قوله حلف أن لاينفق على مسطح) أى فبعد ذلك تاب وجاء إلى أبى بكر واعتذر وقال إنما كنت أغشو مجلس حسان وأسمع منه ولا أقول ، فقال له أبو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل وكفر عن يمينه . [لطيفة] وقع لابن المقرى أنه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة فكتب الولد لأبيه :

لاتقطعن عادة برّ ولا تجعل عقاب المرء فى رزقه ... فان أمر الافك من مسطح

يحط قدر النجم من أفقه ... وقد جرى منه الذى قد جرى ... وعوتب الصديق فى حقه

فكتب إليه والده :

قد يمنع المضطر من ميتة ... إذا عصى بالسير فى طرقه

لأنه يقوى على توبة ... توجب إيصالا إلى رزقه

لو لم يتب مسطح من ذنبه ما عوتب الصديق فى حقه انتهى

(قوله لما خاض فى الافك) ظرف لقوله حلف (قوله وليعفوا) أى أولوا الفضل (قوله وليصفحوا) أى ليعرضوا عن لومهم (قوله ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه) أى وحلف أن لاينزع نفقته منه أبدا ومسطح هو ابن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه (قوله الغافلات عن الفواحش) أى لسلامة صدورهن ونقاء قلوبهن واستغراقهن فى مشاهدة الله تعالى (قوله لعنوا فى الدنيا) أى بعدوا فيها عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين وقوله والآخرة أى بالعذاب إن لم يتوبوا (قوله ناصبه الاستقرار الخ) أى والتقدير وعذاب عظيم كائن لهم يوم تشهد (قوله بالفوقانية والتحتانيـة) أى فهما قراءتان

سبعيتان (قوله يومئذ) معمول ليوفيهم أو ليعلمون (قوله

لما خاض فى الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لايتصدقوا على من تكلم بشىء من الإفك (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) عنهم فى ذلك (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين، قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لى ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) بالزنا (الْمُحْصَنَاتِ) العفائف (الْغَافِلَاتِ) عن الفواحش بأن لايقع فى قلوبهن فعلها (الْمُؤْمِنَاتِ) بالله ورسوله (لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ) ناصبه الاستقرار الذى تعلق به لهم (تَشْهَدُ) بالفوقانية والتحتانية (عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من قول وفعل وهو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ) يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ) حيث حقق لهم جزاءه الذى كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبى . والمحصنات هنا أزواج النبى صلى الله عليه وسلم لم يذكر فى قذفهن توبة ومن ذكر فى قذفهن أول السورة التوبة غيرهن (الْخَبِيثَاتُ) من النساء ومن الكلمات (لِلْخَبِيثِينَ) من الناس (وَالْخَبِيثُونَ) من الناس (لِلْخَبِيثَاتِ) مما ذكر (وَالطَّيِّبَاتُ) مما ذكر (لِلطَّيِّبِينَ) من الناس (وَالطَّيِّبُونَ) منهم (لِلطَّيِّبَاتِ) مما ذكر: أى اللائق بالخبيث مثله وبالطيب مثله (أُولَئِكَ) الطيبون والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) أى الخبيثون والخبيثات من النساء فيهم (لَهُمْ) للطيبين والطيبات من النساء (مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) فى الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء: منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما.

جزاءهم الواجب عليهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالدين الجزاء لما فى الحديث كما تدين تدان (قوله هو الحق) أى الثابت الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله ومنهم عبد الله ابن أبى) أتى بهذا ليصح قوله كانوا يشكون فيه فالشك من بعضهم وأما حسان ومسطح وحمنة فهم مؤمنون لايترددون فى الجزاء (قوله أزواج النبى) أى لأن من قذف واحدة منهن فقد قذف الجميع لاشتراكهن فى العفة والصيانة والنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لم يذكر فى قذفهن توبة) أى مثل ماذكر فيما تقدم فى قوله إلا الذين تابوا (قوله ومن ذكر) مبتدأ وغيرهن خبره وهذا من باب التهويل والتعظيم لأمر الافك وإلا فهو كغيره من سائر المعاصى التى تمحى بالتوبة وأما بعد نزول الآيات فقد صار قذف عائشة رضى الله عنها بصفوان كفرا لمصادمة القرآن العظيم فاعتقاد براءتها شرط فى صحة الايمان (قوله الخبيثات للخبيثين) كلام مستأنف سيق لتأكيد البراءة لعائشة وتقبيحا على من تكلم فيها . والمعنى أن المجانسة من دواعى الانضمام فالخبيث لا يكاد يألف غير جنسه والطيب كذلك وهو بمعنى قولهم:

* وكل إناء بالذى فيه ينضح *

(قوله من النساء ومن الكلمات) هذان قولان فى تفسير الخبيثات وقوله مما ذكر أى من النساء والكلمات (قوله والطيبات للطيبين) لاشارة بذلك لرسول الله وعائشة أى حيث كان رسول الله أطيب الطيبين تبين بذلك أن عائشة من أطيب الطيبات (قوله أى اللائق بالخبيث مثله) أى من نساء أو كلمات (قوله وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها فى سرقة حرير وقال هذه زوجتك، ويروى أنه أتى بصورتها فى راحته، ومنها أن النبى

(يأيها

صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل الوحى عليه وهو معه فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما ، وفى القرطبى قال بعض أهل التحقيق : إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رمى بالفاحشة برأه الله على لسان صبى فى المهد و إن مريم لما رميت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام و إن عائشة لما رميت بالفحشاء برأها الله بالقول فما رضى لها براءة صبى ولا نبى حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان انتهى (قوله يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الخ) لما ذكر الله أحكام العفاف وكان من جملة العفاف عدم دخول منازل الغير إلا باذن أهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك ، وسبب نزولها أن امرأة من الأنصار قالت يارسول الله إنى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتى الأب فيدخل علىّ و إنه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحالة فنزلت (قوله غير بيوتكم) أى غير محل سكنكم وحينئذ فقد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكتريها فيجب عليه الاستئذان لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته (قوله حتى تستأنسوا) من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش سمى بذلك لأن المستأذن مستوحش ، فاذا أذن له فقد زال الاستيحاش (قوله فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان وهو قول الأكثر والحق التفصيل فان وقع بصره على أحد فى البيت قدم السلام و إلا قدم الاستئذان ثم يسلم ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات يفصل بين كل مرتين بسكوت يسير : الأول إعلام . والثانى للتهيؤ . والثالث استئذان فى الدخول أو الرجوع و إذا أتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه بل يجىء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر و إذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه ولا يكتفى

(يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) أى تستأذنوا (وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل كما ورد فى حديث (ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ) من الدخول بغير استئذان (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية فى الذال خيريته فتعملون به (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً) يأذن لكم (فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ) بعد الاستئذان (ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ) أى الرجوع (أَزْكَى) أى خير (لَكُمْ) من القعود على الباب (وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) من الدخول بإذن وغير إذن (عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ) أى منفعة (لَكُمْ) باستكنان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ) تظهرون (وَمَا تَكْتُمُونَ) تخفون فى دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسيأتى أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أنفسهم

بقوله أنا مثلا لما روى عن جابر بن عبد الله قال «استأذنت على النبى صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا فقلت أنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أنا كأنه كره ذلك لعدم إفادته» فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد الدخول على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى مشربة ، فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليكم أيدخل عمر (قوله من الدخول بغير استئذان) أى ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حييتكم صباحا حييتكم مساء فربما أصاب الرجل مع امرأته فى لحاف (قوله بادغام التاء الثانية فى الذال) أى بعد قلبها دالا فذالا (قوله أحد يأذن لكم) السالبة تصدق بنفى الموضوع فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلا أو فيها من لا يصلح للاذن أو فيها من يصلح لكن لم يأذن (قوله حتى يؤذن لكم) أى حتى يأتيكم الاذن ولو مع خادم يوثق به (قوله هو أزكى) أى أطهر للأمن من الرذائل والدناآت (قوله ليس عليكم جناح) هذا كالاستثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم . وسبب نزولها أن أبا بكر رضى الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال يارسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات أفلا ندخلها إلا باذن فنزلت (قوله غير مسكونة) أى غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط والخانات والحمامات والحوانيت ونحوها (قوله باستكنان) أى طلب كن يستتر فيه من الحر والبرد وقوله وغيره كالبيع والشراء (قوله المسبلة) اقتصر عليها لأن مورد سؤال أبى بكر فى الخانات المسبلة التى بين مكة والشام (قوله وسيأتى) أى فى آخر السورة فى قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم أى قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فان الملائكة ترد عليكم أى و إن كان بها أهل فسلموا عليهم

(قوله قل للمؤمنين الخ) شروع فى ذكر أحكام مع المستأذنين وغيرهم (قوله يغضوا) أى يخفضوا (قوله ومن زائدة) أى يغضوا أبصارهم وحكمة دخول من فى غض البصر دون حفظ الفرج الاشارة إلى أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج (قوله ذلك أزكى لهم) أى لأنه أبعد للريبة ولا مفهوم للبصر والفرج بل باقى الجوارح كذلك وخص البصر والفرج بالذكر لأنهما مقدمتان لغيرهما من الجوارح (قوله فيجازيهم عليه) أى فالغاض يجازى بالحسنات وغيره يجازى بالسيئات (قوله وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) هـذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغض الأبصار وحفظ الفروج و بسط الكلام فى شأنهن لأن النساء شأنهن التبرج والخيلاء والعجب لما روى «إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها فزينها لمن ينظر و إذا أدبرت جلس على عجيزتها فزينها لمن ينظر» وقد اشتملت هـذه الآية على خمسة وعشرين ضميرا للاناث مابين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير فى القرآن فى هذا الشأن (قوله عما لايحل لهن فعله بها) أى عن الأمر الذى لايحل فعله بالفروج كأن تمكن المرأة من فرجها غير زوجها نظرا أو فعلا (قوله زينتهن) أى موضع زينتهن (قوله فيجوز نظره لأجنبى الخ) هـذا مذهب مالك وأحد قولين عنـد الشافعى (قوله حسما للباب) أى سدا للذريعة (قوله وليضربن بخمرهن) أى يلقين خمرهن على

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) عما لايحل لهم نظره ومن زائدة (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) عما لايحل لهم فعله بها (ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ) أى خير (لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما لايحل لهن نظره (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) عما لايحل لهن فعله بها (وَلَا يُبْدِينَ) يظهرن (زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبى إن لم يخف فتنة فى أحد وجهين . والثانى يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسماً للباب (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) أى يسترن الرءوس والأعناق والصدور بالمقانع (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية وهى ماعدا الوجه والكفين (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) جمع بعل أى زوج (أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) فيجوز لهم نظره إلا مابين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن وشمل ماملكت أيمانهن العبيد (أَوِ التَّابِعِينَ) فى فضول الطعام (غَيْرِ) بالجر صفة والنصب استثناء (أُولِي الْإِرْبَةِ) أصحاب الحاجة إلى النساء (مِنَ الرِّجَالِ) بأن لم ينتشر ذكر كل (أَوِ الطِّفْلِ) بمعنى الأطفال ،

موضع جيوبهن وهو العنق والجيب فى الأصل طوق القميص وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لسعتها فأمرن بارسال خمرهن على جيوبهن سترا لما يبدو منها (قوله زينتهن) أى مواضع زينتهن (قوله إلا لبعولتهن) حاصل هـذه المستثنيات اثنا عشر نوعا آخرها أو الطفل (قوله أو آبائهن) أى وإن علوا (قوله أو أبنائهن) ولو من الرضاع و إن سفلوا (قوله أو إخوانهن) جمع أخ كان من نسب أو رضاع (قوله أو نسائهن) (اللاتى) أى نساء جنسهن اللاتى اشتركن معهن فى الايمان فيخرج الكافرات (قوله فيجوز لهم نظره) أى يجوز للرجال المحارم رؤية ماعدا مابين السرة والركبة من محارمهم النساء ويجوز لهن نظر ذلك منهم ، وهذا مذهب الشافعى ، وعند مالك لايحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم ، وأما النساء فيحل لهن نظر ماعدا مابين السرة والركبة من الرجال المحارم (قوله فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن) أى باتفاق مالك والشافعى لئلا تصفها الكافرة لأهل دينها فتحصل المفاسد (قوله العبيد) أى فيجوز أن يكشفن لهم ماعدا مابين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين ، وهذا مذهب الشافعى وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره فالوغد يرى من سيدته الوجه والأطراف وغيره كالحر الأجنبى يرى منها الوجه والكفين (قوله أو التابعين) الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذى لايشتهى النساء أو الأبله الذى لايعرف الأرض من السماء ولا الرجل من المرأة (قوله غير أولى الإربة) بالكسر الحاجة (قوله من الرجال) حال من التابعين : أى فيجوز لمن ذكر نظر ماعدا مابين السرة والركبة عند الشافعى وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط .

(قوله الذين لم يظهروا على عورات النساء) اعلم أن الصبي إما أن لا يبلغ أن يحكي ما رأى وهذا غيبته كحضوره، أو أن يبلغه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالمحرم، أو يعرف أمر الجماع والشهوة وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي (قوله ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي فإن ذلك يورث الرجال ميلا إليهن، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط والافصوت الخلخال مثلا ليس بعورة (قوله وتوبوا إلى الله جميعا) هذا حسن اختتام لهذه الآية كأن الله يقول لا تقنطوا من رحمتي فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليتب فإن التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود (قوله تغليب الذكور) أي في قوله وتوبوا الخ (قوله وأنكحوا الأيامى منكم الخ) الخطاب للأولياء والسادات والانكاح تزويج الغير (قوله جمع أيم) أي بوزن فيعل، قيل غير مقلوب، وقيل إن الأصل أيائم فقلب (قوله وهي من ليس لها زوج الخ) أي فلفظ الأيم يطلق على كل من الرجل والمرأة غير المتزوجين سواء سبق لهما تزوج أولا، والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل أو اضطرت المرأة للنفقة لكن المرأة يزوجها وليها والرجل يتزوج بنفسه إن كان رشيدا أو أذن له وليه، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة تزوج المرأة نفسها فإن لم تخف الزنا أو لم تضطر للمرأة كان مباحا عند الشافعي ومندوبا عند مالك وأبي حنيفة. واعلم أن النكاح تعتريه الأحكام الأربعة: فتارة يجب وذلك إذا خاف الزنا ولو كان ينفق عليها من حرام، وتارة يندب إذا كان راغبا فيه ولم يخش الزنا أو رجا النسل، وتارة يحرم كما إذا كان يقطعه عن عبادة واجبة أو ينفق عليها من حرام مع كونه لم يخش الزنا، وتارة يكره كما إذا كان يقطعه عن عبادة مندوبة (قوله وهذا في الأحرار الخ) أي بقرينة قوله وإمائكم (قوله أي المؤمنين) أي فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوبا إن خيف بتركه الزنا وهذا عند الشافعي وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا وحينئذ فالأمر عنده للندب (قوله من عبادكم) أي فيزوجه سيده ولو بحرة

(الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) يطلعوا (عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) للجماع فيجوز أن يبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) من خلخال يتقعقع (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ) مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تنجون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث (وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ) جمع أيم، وهي من ليس لها زوج بكرا كانت أو ثيبا ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر (وَالصَّالِحِينَ) أي المؤمنين (مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) وعباد من جموع عبد (إِنْ يَكُونُوا) أي الأحرار (فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ) بالتزوج (مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) لخلقه (عَلِيمٌ) بهم (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً) أي ما ينكحون به من مهر ونفقة عن الزنا (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ) يوسع عليهم (مِنْ فَضْلِهِ) فينكحون (وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ) بمعنى المكاتبة (مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء،

وقوله وإمائكم: أي فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا لحر بشرط أن لا يجد للحرائر طولا وأن يخشى الزنا ومحل الشرطين إن لم يكن عقيما (قوله من جموع عبد) أي وله جموع أخر كعبيد وأعابد وأعبد ونحو ذلك (قوله إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) أي فإن في فضل الله كفاية عن المال لقوله عليه الصلاة والسلام «اطلبوا الغنى بالتزوج» فالمهم تزوج الصالحين من عباد الله نساء ورجالا وإن كانوا فقراء لما في الحديث «تنكح المرأة لمالها وجمالها ودينها فعليك بذات الدين تربت يداك» (قوله والله واسع) أي ذو العطايا العظيمة التي لا تنفد (قوله عليم بهم) أي بحالهم فيغنيهم (قوله وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) أي ليجتهدوا في طلب العفة وتحصيل أسبابها وذلك يكون بالتباعد عن الغلمان والنساء ويكون بملازمة الصوم والرياضة لما في الحديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» ويكون بترك استعمال العقاقير التي تقوي الشهوة واستعمال ضدها (قوله أي ما ينكحون به) أي فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب (قوله عن الزنا) قدره إشارة إلى أن متعلق يستعفف محذوف (قوله والذين) اسم موصول مبتدأ ويبتغون صلته والكتاب معمول ليبتغون، وقوله: مما ملكت أيمانكم حال من فاعل يبتغون، وقوله: فكاتبوهم الجملة خبر وقرن بالفاء لما في المبتدإ من معنى الشرط (قوله بمعنى المكاتبة) أي وهي مفاعلة لأن السيد كتب على نفسه العتق والعبد كتب على نفسه النجوم.

(قوله فكاتبوهم) الأمر للندب (قوله أى أمانة) أى فى دينه (قوله وقدرة على الكسب) أى بحرفة وغيرها (قوله وآتوهم) الأمر قيل للندب وقيل للوجوب (قوله حط شىء) أى وهو أفضل من الاعطاء لأنه قد يصرفه فى غير جهة الكتابة والأفضل أن يكون ذلك الحط فى آخر نجم (قوله ولا تكرهوا فتياتكم) جمع فتاة ولامفهوم للاكراه بل الرضا بالزنا من الكبائر وإنما عبر به لأنه سبب النزول (قوله على البغاء) هو مصدر بغت المرأة تبغى بغاء: أى زنت وهو مختص بزنا النساء (قوله إن أردن تحصنا) لامفهوم له بل يحرم الاكراه على الزنا وإن لم يردن التحصن، وإنما نص على ذلك لأنه الواقع من عبد الله بن أبىّ الذى نزلت فى حقه الآية (قوله محل الاكراه) أى فلايتحقق الاكراه إلا عند تلك الارادة وأما عند ميلهن له فذلك باختيارهن فلا يتصور الاكراه حينئذ فالتقييد لأجل صحة قوله تكرهوا (قوله كان يكره جواريه) أى وكن ستا فشكا ثنتان منهن للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية (قوله غفور لهن) أى ماوقع منهن لأن المكره وإن لم يكن آثما فلربما يحصل منه بعض ميل والاكراه المبيح للزنا هو خوف القتل أو الضرب المؤدى له أو لتلف عضو، وأما القتل فلا يباح بخوف القتل بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره، وأما ترك الصلاة مثلا فالاكراه عليه يحصل بالضرب ونحوه (قوله بفتح الياء وكسرها) أى

(فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً) أى أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها مثلا كاتبتك على ألفين فى شهرين كل شهر ألف فإذا أديتهما فأنت حر فيقول قبلت (وَآتُوهُمْ) أمر للسادة (مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِى آتَاكُمْ) ما يستعينون به فى أداء ما التزموه لكم وفى معنى الايتاء حط شىء مما التزموه (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ) أى إماءكم (عَلَى الْبِغَاءِ) أى الزنا (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً) تعففا عنه وهذه الإرادة محل الاكراه فلا مفهوم للشرط (لِتَبْتَغُوا) بالإكراه (عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) نزلت فى عبد الله بن أبىّ كان يكره جواريه على الكسب بالزنا (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ) لهن (رَحِيمٌ) بهن (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرها فى هذه السورة بيّن فيها ماذكر أو بينة (وَمَثَلاً) خبرا عجيبا وهو خبر عائشة (مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) أى من جنس أمثالهم أى أخبارهم العجيبة كخبر يوسف ومريم (وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) فى قوله تعالى: ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله الخ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا إذ سمعتموه قلتم الخ، يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها (اللهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى منورهما بالشمس والقمر (مَثَلُ نُورِهِ) أى صفته فى قلب المؤمن (كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ)

فهما قراءتان سبعيتان (قوله بين فيها ماذكر) راجع للفتح، وقوله أو بينة راجع للكسر (قوله ومثلا) عطف على آيات (قوله أى من جنس أمثالهم) أشار بذلك إلى أن فى الآية حذف مضافين والأصل ومثلا من جنس أمثال الذين خلوا (قوله الله نور السموات والأرض) اعلم أن حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أولا وتدرك بواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى مستحيل إطلاقه على الله تعالى، وحينئذ فيجاب عن الآية بأن معنى قوله ـ نور السموات والأرض ـ خالق النور فى السموات بالشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة، وفى الأرض بالمصابيح والسرج والشموع والأنبياء والعلماء والصالحين أفاد هذا المفسر بقوله: أى منورهما وقيل معنى نور السموات والأرض مظهرهما لأن النور كما يطلق على الكيفية يطلق على الظاهر فى نفسه المظهر لغيره، وهو بهذا المعنى يصح إطلاقه على الله تعالى فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر للأشياء من العدم إلى الوجود. قال ابن عطاء الله فى الحكم: الكون كله ظلمة أنارة ظهور الحق فيه فوجود العالم بوجود الله إذ لولا وجود الله ما وجد شىء من العالم (قوله مثل نوره) مبتدأ، وقوله كمشكاة خبر والمثل بمعنى الصفة والكلام على حذف مضاف: أى كمثل مشكاة (قوله أى صفته فى قلب المؤمن) أشار بذلك إلى أن فى الكلام شبه استخدام حيث ذكر النور أولا بمعنى ثم ذكره ثانيا بمعنى آخر فتحصل أنه فسر النور أولا بالحسى وثانيا بالمعنوى (قوله كمشكاة) اختلف فى هذه اللفظة، قيل عربية وقيل حبشية معربة (قوله فى زجاجة) واحدة الزجاج وفيه ثلاث لغات الضم وبه قرأ العامة والفتح والكسر وبهما قرىء شذوذا.

(قوله هى القنديل) بكسر القاف (قوله الموقودة) صوابه الموقدة (قوله غير النافذة) قيد به لأنه فى تلك الحالة أجمع للنور (قوله أى الأنبوبة) هى السنبلة التى فى القنديل وهو تفسير آخر للمشكاة ، وحينئذ فكان المناسب للمفسر أن يقول أو الأنبوبة فتحصل أنه اختلف فى المشكاة فقيل هى الطاقة غير النافذة التى وضع فيها القنديل وعليه فهى ظرف للقنديل ، وقيل هى السنبلة التى تكون وسط القنديل توضع فيها الفتيلة وعليه فالقنديل ظرف لها (قوله بكسر الدال وضمها) أى مع الهمزة قراءتان سبعيتان ، وقوله و بضمها وتشديد الياء قراءة سبعية أيضا فتكون القراآت ثلاثا (قوله بمعنى الدفع) أى و بابه قطع (قوله منسوب إلى الدر) أى لشدة صفائه (قوله بالماضى الخ) حاصله أن القراآت ثلاث سبعيات بالماضى و بالمضارع بالتحتانية و يكون الضمير عائدا على المصباح و بالفوقانية ويكون الضمير عائدا على الزجاجة على حذف مضاف : أى فتيلة الزجاجة (قوله من زيت شجرة) من ابتدائية وأشار المفسر إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله مباركة) أى لكثرة منافعها . قال ابن عباس : فى الزيتون منافع يسرج بزيته وهو إدام ودهان ودباغ ووقود وليس فيه شىء إلا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم ، وهى أول شجرة نبتت فى الدنيا وأول شجرة نبتت بعد الطوفان ونبتت فى منازل الأنبياء والأرض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا بالبركة منهم إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله لاشرقية ولا غربية) بالجر صفة لشجرة وقرىء شذوذا بالرفع خبر لمحذوف أى لاهى شرقية ولا هى غربية والجملة فى محل جر نعت لشجرة (قوله بل بينهما الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بقوله لاشرقية ولا غربية أنها متوسطة لاشرقية فقط ولا غربية فقط بل بينهما وهى الشام فان زيتونه أجود الزيتون وفى الحديث « لاخير فى شجرة ولا نبات فى مقنأة ولاخير فيهما فى مضحى » والمقنأة بقاف ونون مفتوحة أو مضمومة فهمزة المكان الذى لا تطلع عليه الشمس والمضحى هو

هى القنديل ، والمصباح: السراج أى الفتيلة الموقودة ، والمشكاة : الطاقة غير النافذة أى الأنبوبة فى القنديل (الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا) والنور فيها (كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ) أى مضىء بكسر الدال وضمها من الدرء بمعنى الدفع لدفعه الظلام و بضمها وتشديد الياء منسوب إلى الدر اللؤلؤ (تَوَقَّدَ) المصباح بالماضى، وفى قراءة بمضارع أوقد مبنيا المفعول بالتحتانية، وفى أخرى توقد بالفوقانية أى الزجاجة (مِنْ) زيت (شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) بل بينهما فلا يتمكن منها حر ولا برد مضرين (يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ) لصفائه (نُورٌ) به (عَلَى نُورٍ) بالنار ، ونور الله أى هداه للمؤمن نور على نور الايمان (يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ) أى دين الاسلام (مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ) يبين (اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ) تقريبا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) ومنه ضرب الأمثال ،

الذى تشرق عليه دائما فتحرقه وهو أحد قولين ، وقيل معنى لاشرقية ولا غربية أن الشمس تبق عليها دائما من أول النهار لآخره لايواريها عن الشمس شىء كالتى تكون فى الصحارى الواسعة فان ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى وعلى هذا فلا يتقيد بشأم ولا غيرها (قوله مضرين) هذا هو محل النفى وهو حال (قوله ولو لم تمسسه نار) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه والتقدير لأضاء (قوله نور به) أى الزيت ، وقوله على نور : أى مع نور وهو نور المصباح والزجاجة فالأنوار المشبه بها متعددة كأنوار المشبه فليس المقصود فى الآية التثنية بل الكثرة وتراكم الأنوار (قوله ونور الله : أى هداه الخ) أى فبراهين الله تزداد فى قلب المؤمن برهانا بعد برهان . إن قلت لم ضرب الله المثل بنور الزيت ولم يضرب بنور الشمس والقمر والشمع مثلا . أجيب بأن الزيت فيه منافع ويسهل لكل أحد كما أن المؤمن الكامل الايمان منافعه كثيرة . واختلف فى هذا التشبيه هل هو تشبيه مركب بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء وذلك بأن يراد مثل نور الله الذى هو هداه و براهينه الساطعة كجملة النور الذى يتخذ من هذه الهيئة أو تشبيه جزء بجزء بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة وقلبه بالزجاجة ومعارفه بالزيت و إيمانه بالمصباح (قوله يهدى الله لنوره من يشاء) أى من يريد هدايته فان الأسباب دون مشيئته لاغية ولولا العناية ما كان الوصول لذلك النور (قوله أى دين الاسلام) المراد به مايشمل الايمان وهو الذى ضرب له المثل المتقدم وأظهر فى مقام الاضمار اعتناء بشأنه (قوله ويضرب الله الأمثال للناس) أى تقريبا للمعقول من المحسوس بحيث كان نور الايمان والمعارف مثله هكذا فلا تدخل شبهة على المؤمن إلا شاهدها بعين البصيرة كما تشاهد بعين البصر و يشهد الحق بعين البصيرة كما يشهده

بعين البصر ، وفى هذا المقام تنافس المتنافسون فأولئك أهل المراقبة وأعلام أهل المشاهدة ، ومن هذا المعنى قوله تعالى ـ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ـ وقوله فى الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » وقوله فى الحديث أيضا « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه » وللعارفين تفننات وضرب أمثال فى هذه المقامات لايدركها إلا من كان من أهل هذا النور (قوله فى بيوت) المراد بها جميع المساجد ، وقيل خصوص مساجد أربع الكعبة ومسجد المدينة و بيت المقدس وقباء لأنه لم يبنها إلا نبى فالكعبة بناها إبراهيم و إسماعيل وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة وقباء بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأقرب الأول لأن العبرة بعموم اللفظ (قوله يتعلق بيسبح الآتى) أى سواء قرئ بنائه للفاعل أو المفعول وكرّر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن المساجد لما ورد «بيوت الله فى الأرض تضىء لأهل السماء كما تضىء النجوم لأهل الأرض» ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف دلّ عليه قوله يسبح ، والتقدير سبحوا ربكم فى بيوت وعلى هذين فالوقف على عليم ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلق بتوقد وعلى هذه الأربعة لايوقف على عليم (قوله أذن الله) أى أمر والجملة صفة لبيوت وأن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر مجرور بالباء المقدرة ، والتقدير أمر الله برفعها (قوله تعظم) أى حسا ومعنى فالتعظيم الحسى رفعها بالبنيان المتين الحسن مساويا لبنيان البلد أو أعلى ولا منافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام «إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم» لأن المنهى عنه الزخرفة والتزويق لاحسن البنيان و إتقانه ومن التعظيم الحسى تطهيرها من الأقذار والنجاسات (١٣٢) . قال القرطبي : كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان فى المساجد لأنهم لايتحرزون عن الأقذار والأوساخ فيؤدّى ذلك إلى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسلّ سيوفكم و إقامة حدودكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم وجمروها فى الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر» والتعظيم المعنوى بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوى وغير ذلك مما لايعنى (قوله ويذكر فيها اسمه) أى بأى ذكر كان (قوله بفتح الموحدة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاثة والأول أولى ، ولذا اقتصر عليه المفسر ورجال فاعل فعل محذوف أو خبر لمحذوف تقديره يسبحه أو المسبح وعليه فالوقف على الآصال وعلى الكسر فرجال فاعله ولايوقف على الآصال (قوله أى يصلى) فسر التسبيح بالصلاة لاشتمالها عليه ، واختلف فى المراد بالصلاة فقيل المراد صلاة الصبح فى الغدو وباقى الخمس فى الآصال ، وقد أشار لهذا المفسر بقوله من بعد الزوال ، وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل إنهما الصلاة الوسطى (قوله مصدر) أى فى الأصل وأما هنا فالمراد منه الأزمنة (قوله أى البكر) أى وهى أوائل النهار ، وقوله العشايا هى أواخر النهار (قوله رجال) خصوا بالذكر لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة (قوله شراء) خص التجارة بالشراء و إن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضا لذكره البيع بعده ، وقيل المراد بالتجارة حقيقتها ويكون خص البيع بالذكر لأن الاشتغال به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع ناجزا محققا والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله (قوله عن ذكر الله) أى عن حقوق الله صلاة أو غيرها فقوله : و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة من ذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنهما فإن المواظب عليهما كامل الايمان (قوله و إقام الصلاة) أى أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله يخافون يوما) أى هؤلاء الرجال و إن أكثروا الذكر والطاعات فإنهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى لعلمهم بأنهم ماعبدوه حق عبادته (قوله بين النجاة والهلاك) راجع لتقليب القلوب ، وقيل معنى تقلب القلوب ارتفاعها إلى الحناجر فلاتنزل ولا تخرج من شدة الهول

(فِي بُيُوتٍ) متعلق بيسبح الآتى (أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) تعظم (وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ) بتوحيده (يُسَبِّحُ) بفتح الموحدة وكسرها : أى يصلى (لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ) مصدر بمعنى الغدوات أى البكر (وَالْآصَالِ) العشايا من بعد الزوال (رِجَالٌ) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدار جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه (لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ) أى شراء (وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) حذف هاء إقامة تخفيف (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ) تضطرب (فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) من الخوف ، القلوب بين النجاة والهلاك ، والأبصار

(قوله بين ناحيتى اليمين والشمال) وقيل تقلب الأبصار شخوصها من هول الأمر وشدته (قوله ليجزيهم الله) اللام للعاقبة والصيرورة أى إن مآل أمرهم وعاقبته الجزاء الحسن وليست لام العلة لأن هذه مرتبة عامة المؤمنين وتلك الأوصاف إنما هى لكامل الإيمان (قوله وأحسن بمعنى حسن) أى فالمحترز عنه المجازاة على القبيح فالمعنى يجازون على كل عمل حسن قال تعالى - إنا لانضيع أجر من أحسن عملا - ولايجازون على ماسبق من العمل القبيح (قوله ويزيدهم من فضله) أى فلا يقتصر فى إعطائهم على جزاء أعمالهم بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم (قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب) تذييل ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات مالايفى به الحساب (قوله يقال فلان ينفق بغير حساب الخ) أى فهو كناية عن كون الله يعطيهم مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر بغير نهاية فوق ماوعدهم به (قوله والذين كفروا الخ) لما ضرب الله المثل للمؤمنين بأشرف الأمثال وأعلاها ضرب المثل للكفار بأشرّ الأشياء وأخسها . والحاصل أن الله ضرب للكفار مثلين مثل لأعمالهم الحسنة بقوله كسراب الخ ومثل لأعمالهم السيئة بقوله أوكظلمات الخ والاسم الموصول مبتدأ وكفروا صلته وأعمالهم مبتدأ ثان وكسراب خبر الثانى والثانى وخبره خبر الأول ويصح أن يكون أعمالهم بدل اشتمال وكسراب خبر الذين (قوله أعمالهم) أى الصالحة كصدقة وعتق وغير ذلك مما لايتوقف على نية (قوله بقيعة) الباء بمعنى فى كما يشير له المفسر بقوله أى فى فلاة (قوله جمع قاع) أى كجيرة جمع جار ، وقيل القيعة مفرد بمعنى القاع (قوله يشبه الماء الجارى) أى ويسمى آلا أيضا ، قال الشاعر : إذا أنا كالذى يجرى لورد إلى آل فلم يدرك بلالا ويسمى سرابا لأنه ينسرب أى يجرى كالماء (قوله يحسبه) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان وماضيه حسب بكسر السين وهو من باب تعب فى لغة جميع العرب إلا بنى كنانة فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضى أيضا (قوله الظمآن) أى وكذا كل من رآه وإنما خصّ

(١٣٣)

بين ناحيتى اليمين والشمال هو يوم القيامة (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) أى ثوابه وأحسن : بمعنى حسن (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقال فلان ينفق بغير حساب : أى يوسع كأنه لايحسب ماينفقه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ) جمع قاع : أى فى فلاة ، وهو شعاع يرى فيها نصف النهار فى شدة الحر يشبه الماء الجارى (يَحْسَبُهُ) يظنه (الظَّمْآنُ) أى العطشان (مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أى لم ينفعه (وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ) أى عند عمله (فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ) أى جازاه عليه فى الدنيا (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أى المجازاة (أَوْ) الذين كفروا أعمالهم السيئة (كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ ،

الظمآن لأنه أحوج إليه من غيره (قوله حتى إذا جاءه) أى جاء ماقصده وظنه ماء وهو غاية فى محذوف أى يستمر سائرا إليه حتى إذا جاءه الخ (قوله كذلك الكافر الخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه فتحصل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده أن عمله الصالح ينفعه فى الآخرة فإذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذى كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته بحال الظمآن الذى اشتدت حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب تعلق به فإذا جاءه لم يجده شيئا (قوله ووجد الله) أى وجد وعد الله بالجزاء على عمله أوالمعنى وجد عذاب الله له (قوله أى جازاه عليه فى الدنيا) المعنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق أن الله جازاه على أعماله الحسنة التى لم تتوقف على نية فى الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا هكذا قال المفسر وهو وإن كان صحيحا فى نفسه إلا أن المفسرين على خلافه فإنهم قالوا : معنى وفاه حسابه جازاه عليه فى الآخرة بالعذاب . والحاصل أنه إن أريد مثل أعماله الصالحة التى تتوقف على نية فسلم أنه لايجد لها جزاء فى الآخرة ولا تنفعه أصلا وإن أريد خصوص مالايتوقف على نية فقيل لايجد لها نفعا أصلا ، وقيل يجد نفعها إما فى الدنيا كتوسعته عليه وعافيته وغير ذلك ، أو فى الآخرة بتخفيف عذاب غير الكفر (قوله أوكظلمات) أوللتقسيم أى أن أعمال الكافر جميعها تنقسم قسمين : قسم كالسراب وهو العمل الصالح ، وقسم كالظلمات وهو العمل السيء ، وقوله : أوكظلمات معطوف على قوله : كسراب على حذف مضاف تقديره أوكذى ظلمات بدل عليه قوله - إذا أخرج يده لم يكد يراها

لُجِّيٍّ) عميق (يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ) أى الموج (مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ) أى الموج الثانى (سَحَابٌ) أى غيم، هذه (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثانى، وظلمة السحاب (إِذَا أَخْرَجَ) الناظر (يَدَهُ) فى هذه الظلمات (لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا) أى لم يقرب من رؤيتها (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) أى من لم يهده الله لم يهتد (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومن التسبيح صلاة (وَالطَّيْرُ) جمع طائر بين السماء والأرض (صَافَّاتٍ) حال باسطات أجنحتهن (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ) الله (صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) فيه تغليب العاقل (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خزائن المطر والرزق والنبات (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا) يسوقه برفق (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ) يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا) بعضه فوق بعض (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) مخارجه (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ) زائدة (جِبَالٍ فِيهَا) فى السماء،

(قوله لجى) منسوب للج أو اللجة وهو الماء الغزير (قوله يغشاه موج الخ) أى يعلوه وهو إشارة إلى كثرة الأمواج وتراكمها، والمعنى أن البحر اللجى يكون باطنه مظلما بسبب غزارة الماء فاذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فاذا كان مع ذلك سحاب ازدادت الظلمة جدا، ووجه الشبه أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات: ظلمة البحر والأمواج والسحاب، كذلك الكافر له ثلاث ظلمات: ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة الفعل (قوله من فوقه سحاب) أى قد غطى أنوار النجوم (قوله هذه ظلمات) أشار بذلك إلى أن قوله: ظلمات خبر لمحذوف (قوله إذا أخرج يده) خصها لأنها أقرب الأشياء إليه (قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) استفيد من هذا أن النور ليس بالحول ولا بالقوة بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء، والمعنى من لم يجعل الله له دينا و إيمانا فلا دين له (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل وهو توبيخ للكفار كأن الله يقول لهم إن تسبيحى ليس قاصرا عليكم بل جميع من فى السموات والأرض يسبحونى (قوله ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه فالصلاة مندرجة فى عموم التسبيح (قوله والطير) بالرفع عطف على من والنصب على المعية وصافات بالنصب على الحال على كل من القراءتين وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف أى أجنحتها (قوله بين السماء (١٣٤) والأرض) أشار بهذا إلى أن العطف مغاير لأنه فى حالة الطيران يكون بين السماء والأرض (قوله قد علم الله صلاته الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير فى علم عائد على الله، ويصح عوده على كل أى علم كل صلاة نفسه وتسبيحها (قوله فيه تغليب العاقل) أى حيث عبر بالفعل (قوله خزائن المطر والرزق) راجع للسماء وقوله والنبات راجع للأرض وفى كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف والأصل ولله ملك خزائن السموات والأرض، والأصح إبقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره بدل وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له (قوله وإلى الله المصير) أى مرجع الخلائق كلها إلى الله فيجازى كل أحد بعمله (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل لاخصوص النبى صلى الله عليه وسلم لأن من تأمل ذلك حصل له العلم به (قوله ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه لأن كل جزء سحاب وبهذا اندفع ماقيل إن بين لاتدخل إلا على متعدد وإلى هذا يشير المفسر بقوله يضم بعضه إلى بعض الخ (قوله ركاما) الركام الشئ المتراكم بعضه على بعض (قوله فترى الودق) أى تبصره (قوله مخارجه) أى ثقبه فالسحاب غربال المطر. قال كعب الأحبار: لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لأفسد مايقع عليه من الأرض (قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) أشار بذلك إلى أن السماء كما ينزل منها المطر الذى هو نفع للعباد ينزل منها بعض الجبال التى هى البرد وهو ضرر للعباد فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر (قوله من زائدة) الحاصل أن من الأولى ابتدائية لاغير والثانية فيها ثلاثة أوجه: قيل زائدة، وقيل ابتدائية، وقيل تبعيضية وهو الأحسن، والثالثة فيها أربعة أوجه الثلاثة المتقدمة وقيل بيانية وهو الأحسن وحينئذ فيكون المعنى على ذلك وينزل بعض جبال كائنة فى السماء التى هى البرد إنزالا ناشئا ومبتدأ من السماء (قوله فيها) الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لجبال.

(قوله بدل باعادة الجار) هذا راجع لقوله من جبال والمناسب للمفسر أن يقول أو بدل فيكون قولا ثانيا لأن هذا لايتأتى على جعلها زائدة بل على جعلها ابتدائية (قوله فيصيب به) أى بالبرد (قوله سنابرقه) هو بالقصر فى قراءة العامة معناه الضياء وأما بالمد فمعناه الرفعة وليس مرادا (قوله أى يخطفها) أشار بذلك إلى أن الباء فى الأبصار للتعدية ، والمعنى يذهبها بسرعة لأن الضوء القوى يذهب الضعيف ومن ذلك قول الفقهاء إذا فعل رجل بآخر فعلا أذهب بصره وأريد أن يقتص منه باذهاب بصره فانه يؤتى له بمرآة وتوضع فى الشمس ويجلس الشخص قبالتها وتقلب المرآة يمينا وشمالا فان ذلك يخطف بصره (قوله أى يأتى بكل منهما بدل الآخر) أى ويقصر هذا ويطول هذا وفى هذا رد على من ينسب الأمور للدهر (قوله لأولى الأبصار) جمع بصيرة وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شئ واحد فسبحان القادر على كل شئ (قوله على قدرة الله) متعلق بدلالة (قوله أى حيوان) أشار بذلك إلى أن المراد بالدابة مادب على وجه الأرض لاخصوص ذوات الأربع (قوله أى نطفة) هذا بحسب الغالب فى الحيوانات الأرضية وإلا فالملائكة خلقوا من النور والجن خلقوا من النار وآدم خلق من الطين وعيسى خلق من النفس الذى نفخه جبريل فى جيب أمه والدود

بدل باعادة الجار (مِنْ بَرَدٍ) أى بعضه (فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ) يقرب (سَنَا بَرْقِهِ) لمعانه (يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ) الناظرة له أى يخطفها (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) أى يأتى بكل منهما بدل الآخر (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) التقليب (لَعِبْرَةً) دلالة (لِأُولِي الْأَبْصَارِ) لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ) أى حيوان (مِنْ مَاءٍ) أى نطفة (فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ) كالحيات والهوام (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ) كالإنسان والطير (وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ) كالبهائم والنعام (يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) أى بينات هى القرآن (وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الإسلام (وَيَقُولُونَ) أى المنافقون (آمَنَّا) صدقنا (بِاللَّهِ) بتوحيده (وَبِالرَّسُولِ) محمد (وَأَطَعْنَا) هما فيما حكما به (ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ) يعرض (فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ) عنه (وَمَا أُولَٰئِكَ) المعرضون (بِالْمُؤْمِنِينَ) المعهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم (وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه (لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ) عن المجئ إليه (وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ) مسرعين طائعين (أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) كفر

تخلق من الفاكهة والعفونات وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد أن الله خلق ماء وجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (قوله فمنهم) الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء فى الجمع (قوله من يمشى على بطنه) قدمه لغرابته وسماه مشيا مشاكلة لما بعده وإلا فهو زحف (قوله كالحيات والهوام) بالتشديد أى خشاش الأرض وأدخلت الكاف الدود والسمك (قوله كالانسان والطير) أى والنعام (قوله ومنهم من يمشى على أربع) أى ومنهم من يمشى على أكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأم أربع وأربعين وإنما لم يصرح بهذا القسم لندوره ولدخوله فى قوله : يخلق الله مايشاء (قوله إن الله على كل شئ قدير) أى بما ذكر ومما لم يذكر (قوله لقد أنزلنا) اللام موطئة لقسم محذوف : أى والله لقد أنزلنا الخ (قوله مبينات) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله والله يهدى من يشاء) أشار بذلك إلى أن الهدى بيد الله وعنايته فلا يهتدى إلا من حفه الله بالعناية فليس ظهور الآيات سببا فى الاهتداء دون عناية الله (قوله ويقولون آمنا بالله) شروع فى ذكر أحوال المنافقين (قوله وأطعنا) قدر المفسر الضمير اشارة إلى أن مفعول أطعنا محذوف (قوله وإذا دعوا إلى الله ورسوله) تفصيل لما أجمل أولا (قوله المبلغ عنه) جواب عما يقال لم أفرد الضمير فى ليحكم مع أنه تقدمه اثنان فاجاب بأن الرسول هو المباشر للحكم وإنما ذكر الله معه تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره (قوله إذا فريق) إذا فجائية قائمة مقام الفاء فى ربط الجواب بالشرط (قوله معرضون) أى إن كان الحكم عليهم بدليل مابعده (قوله إليه) يصح أن يكون متعلقا بيأتوا أو بمذعنين (قوله أفى قلوبهم مرض) أشار بذلك إلى أن منشأ الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة

(قوله أم ارتابوا) أم بمعنى بل والهمزة وكذا يقال فيما بعده والاستفهام للتقرير (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام في هذا الأخير بمعنى النفي . والمعنى لا محل لخوفهم لاستحالة الحيف على الله ورسوله (قوله بالاعراض عنه) أي الحكم (قوله إنما كان قول المؤمنين) العامة على نصب القول خبرا لكان والاسم أن ومادخلت عليه وقرئ شذوذا برفعه على أنه اسمها وأن ومادخلت عليه خبرها (قوله بالاجابة) أي قولا وفعلا (قوله حينئذ) أي حين إذ قالوا هذا القول (قوله ومن يطع الله الخ) قال بعض الأحبار هذه الآية جمعت مافي توراة موسى وإنجيل عيسى (قوله يخافه) هذا حل معنى وإلا فكان حقه أن يقول يخفه (قوله وكسرها) أي باشباع ودونه فهذه ثلاث قراآت وبسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع فتكون أربعة وكلها سبعية (قوله هم الفائزون) أي الظافرون بمقصودهم الناجون من كل مكروه (قوله وأقسموا بالله) الضمير عائد على المنافقين وهو معطوف على قوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول (قوله جهد أيمانهم) جهد منصوب على المفعولية المطلقة ، والمعنى جهدوا اليمين جهدا حذف الفعل وأقيم المصدر مقامه وأضيف إلى المفعول كضرب الرقاب وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت نكن معك لئن

خرجت خرجنا ولئن أقمت قمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قوله ليخرجن)

(أم ارتابوا) أى شكوا فى نبوته (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فى الحكم أى فيظلموا فيه ؟ لا (بل أولئك هم الظالمون) بالإعراض عنه (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) بالقول اللائق بهم (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) بالإجابة (وأولئك) حينئذ (هم المفلحون) الناجون (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله) يخافه (ويتقه) بسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه (فأولئك هم الفائزون) بالجنة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غايتها (لئن أمرتهم) بالجهاد (ليخرجن ، قل) لهم (لا تقسموا طاعة معروفة) للنبي خير من قسمكم الذى لاتصدقون فيه (إن الله خبير بما تعملون) من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا) عن طاعته بحذف إحدى التاءين خطاب لهم (فإنما عليه ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من طاعته (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ البين (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض) بدلا عن الكفار (كما استخلف) بالبناء للفاعل والمفعول (الذين من قبلهم) من بنى إسرائيل بدلا عن الجبابرة (وليمكنن لهم دينهم ،

الذى

اللام موطئة للقسم ويخرجن فعل مضارع مؤكد بالنون وأصله ليخرجونن حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة لتدل عليها (قوله طاعة) مبتدأ ومعروفة صفته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله خير من قسمكم ويصح أن يكون طاعة خبرا لمحذوف تقديره أمركم طاعة معروفة أي الأمر المطلوب منكم طاعة معروفة بالصدق وموافقة الواقع لامجرد القول باللسان (قوله إن الله خبير بما تعملون) تعليل لما قبله والمعنى لاتحلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والاخلاص فان الله مطلع على بواطنكم وظواهركم لاتخفى عليه خافية (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه وقوله فإنما عليه ماحمل علة لذلك المحذوف (قوله ماحمل) أي كلف (قوله تهتدوا) أي تصلوا للرشاد والفوز برضا الله وهذا راجع لقوله وعليكم ماحملتم ، وقوله وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين راجع لقوله فإنما عليه ماحمل على سبيل اللف والنشر المشوش (قوله أي التبليغ البين) أي الظاهر وقد أداه فعليكم أن تؤدوا ماحملتم من الطاعة لله ورسوله (قوله وعد الله الخ) وعد فعل ماض ولفظ الجلالة فاعله والاسم الموصول مفعوله الأول والمفعول الثاني محذوف تقديره الاستخلاف في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمنا يدل على هذا المحذوف قوله ليستخلفنهم الخ فان اللام موطئة لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم (قوله منكم) الجار والمجرور حال من الذين آمنوا والخطاب لعموم الأمة (قوله في الأرض) أي جميعها وقد حصل ذلك (قوله كما استخلف) مامصدرية والمعنى استخلافا كاستخلاف الذين من قبلهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان

(قوله الذي ارتضى لهم) العائد محذوف أي ارتضاه لهم ، والمعنى وليجعلن دينهم الذي رضيه لهم ظاهرا وفائقا على جميع الأديان (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بما ذكر) أي وهو ماتقدم من الأمور الثلاثة (قوله يعبدونني) أي يوحدونني ، وقوله لايشركون بي شيئا حال من فاعل يعبدونني أو بدل مما قبله (قوله هو مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل مابالهم يستخلفون ويجعل دينهم ظاهرا على جميع الأديان ويؤمنون فقيل يعبدونني الخ (قوله بعد ذلك الانعام) أي بما ذكر من الأمور الثلاثة ، فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله ـ فأولئك هم الفاسقون ـ وليس المراد به ما قابل الايمان وإلا لقال الكافرون (قوله وأول من كفر به) أي الانعام (قوله قتلة عثمان) أي وهم جماعة من الرعية أخذوه بغتة (قوله وأقيموا الصلاة) معطوف على قوله ـ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ـ (قوله لعلكم ترحمون) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق (قوله بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان (قوله والفاعل الرسول) أي على كل من القراءتين واسم الموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان (قوله بأن يفوتونا) أي يفروا من عذابنا (قوله ومأواهم النار) معطوف على جملة لاتحسبن أو على مقدر تقديره بل هم مقهورون ومأواهم (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) اختلف في الأمر فقيل للوجوب وقيل للندب والأمر متعلق بالمخدومين لا بالخدم . وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الأنصار يقال له مدلج ابن عمرو إلى عمر بن الخطاب ليدعوه فدعاه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدق الغلام عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء ، فقال عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لايدخلوا علينا في هذه الساعات إلا باذن ، ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت فخر ساجدا شكرا لله تعالى (قوله وعرفوا أمر النساء) أي ميزوا بين العورة وغيرها (قوله في ثلاثة أوقات) أشار بذلك إلى أن قوله ثلاث مرات منصوب على الظرفية (قوله من قبل صلاة الفجر) أي لأنه وقت القيام من النوم ولبس ثياب اليقظة (قوله وحين تضعون ثيابكم) أي التي تلبس في اليقظة تضعونها لأجل القيلولة (قوله من الظهيرة) أي من أجل الظهيرة وهي شدة الحر (قوله ومن بعد صلاة العشاء) أي لأنه وقت التجرد عن الثياب والنوم في الفراش (قوله بالرفع) أي وعليه فالوقف على قوله العشاء (قوله أي هي أوقات الخ) أي فالأصل أوقات ثلاث عورات حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله وبالنصب) أي وعليه فالوقف على لكم والقراءتان سبعيتان (قوله وهي لالقاء الثياب) مبتدأ وقوله تبدو فيها العورات خبره (قوله ليس عليكم) أي في تمكينكم إياهم من الدخول عليكم .

(١٣٧)

الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ) وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها (وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ) من الكفار (أَمْنًا) وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر ، وأثنى عليهم بقوله (يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) هو مستأنف في حكم التعليل (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ) الإنعام منهم به (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فساروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أي رجاء الرحمة (لَا تَحْسَبَنَّ) بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول (الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ) لنا (فِي الْأَرْضِ) بأن يفوتونا (وَمَأْوَاهُمُ) مرجعهم (النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ) من الأحرار وعرفوا أمر النساء (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) في ثلاثة أوقات (مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ) أي وقت الظهر (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) بالرفع خبر مبتدإ مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه ، أي هي أوقات ، وبالنصب بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ماقبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات (لَيْسَ عَلَيْكُمْ ،

وَلَا عَلَيْهِمْ) أي المماليك والصبيان (جُنَاحٌ) في الدخول عليكم بغير استئذان (بَعْدَهُنَّ) أي بعد الأوقات الثلاثة، هم (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) للخدمة (بَعْضُكُمْ) طائف (عَلَى بَعْضٍ) والجملة مؤكدة لما قبلها (كَذَٰلِكَ) كما بيّن ماذكر (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) أي الأحكام (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأمور خلقه (حَكِيمٌ) بما دبره لهم، وآية الاستئذان قيل منسوخة، وقيل لا ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ) أيها الأحرار (الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) في جميع الأوقات (كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أي الأحرار الكبار (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ) قعدن عن الحيض والولد لكبرهن (اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) لذلك (فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ) من الجلباب والرداء والقناع فوق الخمار (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ) مظهرات (بِزِينَةٍ) خفية كقلادة وسوار وخلخال (وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ) بأن لا يضعنها (خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لقولكم (عَلِيمٌ) بما في قلوبكم (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) في مؤاكلة،

(قوله ولا عليهم) أي في الدخول لعدم تكليفهم (قوله هم طوافون) أشار بذلك إلى أن طوافون خبر لمحذوف (قوله على بعض) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر عن قوله بعضكم قدره المفسر بقوله طائف (قوله والجملة مؤكدة لما قبلها) وقيل ليست مؤكدة، لأن المعنى الأطفال والمماليك يطوفون عليكم للخدمة وأنتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان في هذه الأوقات وغيرها لضاق الأمر عليكم فقوله بعضكم على بعض فيه زيادة على ماقبله (قوله وآية الاستئذان) أي قوله قوله يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين الخ (قوله قيل منسوخة) أي لما روى أن نفرا من العراق قالوا لابن عباس: كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد، فقال ابن عباس: إن الله عليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله، فأمر الله بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والحجب فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد (قوله وقيل لا) أي كما روى عن سعيد بن جبير حيث قال يقولون نسخت والله مانسخت ولكن مما تهاون بها الناس (قوله ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان) أي لكثرة الغطاء والوطاء، ومع ذلك فالمناسب تعليم الاستئذان في هذه الأوقات للصبيان والمماليك ليكونوا متخلقين بالأخلاق الجميلة (قوله وإذا بلغ الأطفال) مقابل لقوله ــ والذين لم يبلغوا الحلم ــ (قوله الذين من قبلهم) أي الذين ذكروا في قوله ــ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ــ الآية (قوله آياته) أي أحكامه (قوله والله عليم حكيم) أي بأمور الخلائق فالذي ينبغي التخلق بأخلاق الشرع ولا يعول الانسان على ما يعلمه من صيانة حريمه ويترك آداب الشرع (قوله والقواعد) جمع قاعد بغير تاء كحائض وطامث فان هذا الوصف مخصوص بالنساء وكل وصف مخصوص بالنساء مقابليهم فلا يحتاج لتمييز بتاء، وهو مبتدأ واللاتي صفته، وقوله فليس عليهن جناح خبره وقرن بالفاء لعموم المبتدأ فان أل فيه اسم موصول أو لكونه وصف بالاسم الموصول (قوله قعدن عن الحيض) أي انقطع حيضهن (قوله اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يطمعن فيه لموت شهوتهن عن الرجال (قوله أن يضعن) أي ينزعن (قوله من الجلباب) أي وهي الملحفة التي يغطى بها جميع البدن كالملاءة والحبرة (قوله والقناع) أي الذي يلبس فوق الخمار لستر الوجه والعنق (قوله غير متبرجات بزينة) أي متزينات خفية وبعد الشرط جاز لهن كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة وهو المفتى به عند مالك وأحد قولين عند الشافعي (قوله بأن لا يضعنها) أي بأن يدمن الستر للوجه والكفين بين الأجانب (قوله خير لهن) أي لما فيه من سد الذرائع فالأفضل لهن الستر للوجه واليدين لأن كل ساقطة لها لاقطة (قوله ليس على الأعمى حرج الخ) اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية، فقال ابن عباس: لما نزل ــ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ــ تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج، وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والأعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن

التناول ولا يستوفى حقه من الطعام فنزلت هذه الآية ، وعلى هذا فتكون على بمعنى فى : أى ليس عليكم فى مؤاكلة الأعمى والأعرج والمريض حرج . وقيل سبب نزولها أن هؤلاء الجماعة كانوا يتحرجون عن مؤاكلة الأصحاء خوف أن يستقذروهم ، وعلى هذا فعلى على بابها ، وقيل إن الآية نزلت فى الجهاد ، والمعنى ليس على هؤلاء حرج فى التخلف عن الجهاد ، وقيل كانت الصحابة إذا خرجوا للغزو دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما فى بيوتنا فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وأصحابها غائبون مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس ، فنزلت هذه الآية رخصة لهم وكل صحيح إذا علمت ذلك فنفى الحرج عن هؤلاء فى أمور مخصوصة وليس ذلك على العموم فإن ما كلف به الصحيح كلف به غيره (قوله مقابليهم) أى السالمين من هذه الثلاثة (قوله ولا على أنفسكم) معطوف على الأعمى ، والمعنى ليس عليكم حرج فى الأكل من بيوتكم (قوله من بيوتكم) بضم الباء وكسرها قراءتان سبعيتان هنا وفى جميع ما يأتى (قوله أى بيوت أولادكم) أى ذكورا أو إناثا لأن بيت الولد كبيته لقوله عليه الصلاة والسلام « أنت ومالك لأبيك » وقوله عليه الصلاة والسلام « إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه » والحامل للمفسر على هذا التقدير عدم توهم حرمة الأكل من بيت نفسه وعدم ذكر الأولاد صراحة ، فدل ذلك على أن المراد ببيوتكم بيوت أولادكم (قوله أو بيوت آبائكم) أى وإن علوا (قوله إخوانكم) جمع أخ ويجمع على إخوة وهو المراد هنا ، لأن المراد بهم إخوة النسب وهم من

(١٣٩)

شاركوك فى رحم أو صلب (قوله أو بيوت أخواتكم) جمع أخت أى مما تملكه أو من ملك زوجها إن كان صديقا له أو مأذونة فيه وكذا يقال فيما يأتى (قوله أو ما ملكتم) بالتخفيف وقرئ شذوذا بضم الميم وتشديد اللام مكسورة أى ملككم غيركم (قوله مفاتحه) جمع مفتح بكسر الميم فى قراءة العامة وقرئ مفاتيحه بالياء ومفتاحه بالافراد

مقابليهم (وَلَا) حرج (عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ) أى بيوت أولادكم (أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ) أى خزنتموه لغيركم (أَوْ صَدِيقِكُمْ) وهو من صدقكم فى مودته ، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا ، أى إذا علم رضاهم به (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا) مجتمعين (أَوْ أَشْتَاتًا) متفرقين جمع شت ، نزل فيمن تحرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا) لكم لا أهل بها (فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ) أى قولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة ترد عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم (تَحِيَّةً) مصدر حيا (مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ،

(قوله أى خزنتموه لغيركم) أى حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه لقول ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر اهـ (قوله وهو من صدقكم فى مودته) أى من كان خالصا لكم فى المحبة (قوله من بيوت من ذكر) أى الأصناف الأحد عشر وخصوا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم (قوله أى إذا علم رضاهم به) أى ولو بقرينة وهذا أحد قولين للعلماء ، وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر ولو لم يعلم رضاهم به ، لأن القرابة التى بينهم تقتضى العطف والسماح . فإن قلت على الأول حينئذ كان مشروطا بعلم رضاهم فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب . وأجيب بأن هؤلاء يكفى فيهم أدنى قرينة بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الأجانب فلا بد من علم الرضا بصريح الاذن أو قرينة (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن قوله جميعا حال من فاعل تأكلوا وكذا قوله أشتاتا (قوله جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق (قوله نزل فيمن تحرج الخ) أى فهو كلام مستأنف بيان لحكم آخر وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من بنى كنانة كان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا . وقيل نزلت فى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين فى كثرة الأكل وقلته (قوله فإذا دخلتم بيوتا لكم) أى مساكنكم (قوله تحية) منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست قعودا وقمت وقوفا (قوله من عند الله) أى ثابتة بأمره .

(قوله مباركة) أى لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب (قوله لكى تفهموا ذلك) أى معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأدب العباد

(قوله إنما المؤمنون الخ) المقصود من هذه الآية مدح المؤمنين الخالصين والتعريض بذم المنافقين و إنما أداة حصر والمؤمنون مبتدأ وقوله الذين آمنوا خبره (قوله على أمر جامع) إسناد الجمع للأمر مجاز عقلى وحقه أن يسند للمؤمنين (قوله كخطبة الجمعة) أى والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم تجاه النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (قوله حتى يستأذنوه) أى يطلبوا منه الاذن فيأذن لهم (قوله إن الذين يستأذنونك الخ) هذا توكيد لما تقدم ذكر تفخيما وتعظيما للاستئذان (قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) أى كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك حيث استأذن الرسول فى الرجوع إلى أهله فأذن له النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال ارجع فلست بمنافق وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ماتت والنبى صلى الله عليه وسلم متجهز لغزوة بدر (قوله فأذن لمن شئت منهم) (١٤٠) فى ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه الواسطة العظمى بين الخلق وربهم فاذا أذن لأحد علم من ذلك أن رضا الله فى إذنه قال العارف:

وخصك بالهدى فى كل أمر
فلست تشاء إلا مايشاء

(قوله واستغفر لهم الله) أى ليعوضهم بدل مافاتهم من مجالستك من أجل العذر الذى نزل بهم (قوله لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم) أى نداءه بمعنى لاتنادوه باسمه فتقولوا يامحمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم ، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا يارسول الله يانبى الله ياإمام المرسلين يارسول رب العالمين ياخاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لايجوز نداء النبى بغير مايفيد التعظيم لا فى حياته ولا بعد وفاته فبهذا يعلم أن من استخف بجنابه صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون فى الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى : يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون وهذه الآداب كما تكون فى حق النبى تكون فى حق حملة شريعته فينبغى لتلامذة الأشياخ أن يفعلوا معهم هذه الآداب و يتخلقوا بها ليحصل لهم الفتوح والفلاح (قوله الذين يتسللون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رقى النبى المنبر فاذا كثر الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعا (قوله لواذا) حال من الواو فى يتسللون من التلاوذ وهو الاستتار بأن يغمز بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرتب على ماقبله وضمن يخالفون معنى يعرضون فعداه بعن (قوله أن تصيبهم فتنة) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنة (قوله أو يصيبهم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله ألا إن لله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أنتم عليه) قد للتحقيق . والمعنى أن الله يعلم الأمر الذى فى قلوب المنافقين من المخالفة والاعراض عن أوامر الله تعالى

مُبَارَكَةً طَيِّبَةً) يثاب عليها (كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) أى يفصل لكم معالم دينكم (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكى تفهموا ذلك (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) أى الرسول (عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ) كخطبة الجمعة (لَمْ يَذْهَبُوا) لعروض عذر لهم (حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) أمرهم (فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) بالانصراف (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) بأن تقولوا يا محمد ، بل قولوا يانبى الله يارسول الله فى لين وتواضع وخفض صوت (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا) أى يخرجون من المسجد فى الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشىء ، وقد للتحقيق (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أى أمر الله أو رسوله (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) بلاء (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة (أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ) أيها المكلفون (عَلَيْهِ) من الإيمان والنفاق ،

(و)

(قوله و يوم يرجعون إليه) معطوف على ما : أى يردون إليه وهو يوم البعث (قوله فينبئهم بما عملوا) أى يخبرهم بأعمالهم فيثيبهم على الحسنات ويعاقبهم على السيئات .

[سورة الفرقان] سميت بذلك لأن بها الفرق بين الحق والباطل لاشتمالها على أحكام التوحيد وأدلته ومكارم الأخلاق وأحوال المعاد (قوله إلى قوله رحيما) أى وهو ثلاث آيات (قوله تعالى) أى تنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومماثلة ماسواه له لأنه قديم وما سواه حادث أو معنى تبارك تعاظم أى اتصف بكل كمال ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى فلا يقال تبارك النبى ولا تبارك السلطان مثلا وهو فعل ماض غير متصرف فلا يأتى منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل (قوله الفرقان) من الفرق وفعله فرق من باب قتل وبها قرئ قوله تعالى فافرق بيننا و بين القوم الفاسقين وقرئ شذوذا من باب ضرب وهو بالتخفيف فى المعانى وبالتشديد فى الأجسام يقال فرقت بين الكلامين وفرقت بين العبدين والصحيح أنهما بمعنى واحد فى المعانى والأجسام (قوله القرآن) أى ويسمى به البعض كما يسمى به الكل فالسورة الواحدة تسمى فرقانا والجميع يسمى فرقانا لأنه معجز للبشر وفارق بين الحق والباطل كلا أو بعضا و يصح أن يراد به جملة القرآن ويكون نزل مستعملا فى حقيقته بالنسبة لما نزل إذ ذاك و بمعنى المستقبل بالنسبة لما سينزل (قوله لأنه فرق بين (١٤١) الحق والباطل) أى ميز بينهما وقيل لأنه نزل مفرقا فى أوقات كثيرة (قوله على عبده) إنما وصفه بهذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وأعلاها (قوله ليكون) علة لقوله نزل والضمير عائد على النبى صلى الله عليه وسلم لأنه أقرب مذكور ويصح أن يكون عائدا على الفرقان أو المنزل وهو الله تعالى والأوضح الأول (قوله دون الملائكة) أشار بذلك إلى أن الانذار خاص بالانس والجن لأن الملائكة لا تجوز عليهم المعاصى والمخالفة لعصمتهم من ذلك و إن كان النبى عليه الصلاة والسلام أرسل لهم إرسال تكاليف بما يليق بهم على المعتمد . والحاصل أن إرسال النبى للثقلين إرسال تكليف وكذا للملائكة ، وأما للحيوانات التى لا تعقل والجمادات فإرسال تشريف (قوله نذيرا) أى و بشيرا و إنما اقتصر على الانذار لأن السورة مكية ، وفى ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير (قوله الذى له ملك السموات والأرض) نعت للموصول الأول أو بيان أو بدل أو خبر لمحذوف : أى هو الذى أو منصوب على المدح وما بعده من تمام الصلة فلا يلزم عليه الفصل بأجنبى بين الموصول الأول والثانى على جعله تابعا له (قوله ولم يتخذ ولدا) رد على اليهود والنصارى (قوله ولم يكن له شريك فى الملك) رد على عباد الأصنام (قوله وخلق كل شىء) كالدليل لما قبله لأن الخالق لكل شىء لا شريك له ولم يتخذ ولدا (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك ما يقال إنه دخل فى الشىء ذاته تعالى وصفاته . فأجاب بأن المراد بالشىء ما شأنه أن يتعلق به الخلق وهو المعدوم (قوله سوّاه تسوية) أى عدله تعديلا بأن جعله على شكل حسن ودفع بذلك ما قيل إن الآية فيها قلب لأن الخلق متأخر عن التقدير لأن التقدير أزلى لأنه تعلق العلم والارادة الأزلى والخلق حادث لأنه تعلق القدرة التنجيزى الحادث . فأجاب بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجاده على طبق العلم والارادة ، وهذا سر قول الغزالى : ليس فى الامكان أبدع مما كان لأن ما أوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم

(وَ) يعلم (يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) فيه التفات عن الخطاب أى متى يكون (فَيُنَبِّئُهُمْ) فيه (بِمَا عَمِلُوا) من الخير والشر (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) من أعمالهم وغيرها (عَلِيمٌ) .

(سورة الفرقان)

مكية : إلا ، والذين لا يدعون مع الله إلٰها آخر إلى قوله رحيما فمدنى

وهى سبع وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . تَبَارَكَ) تعالى (الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل (عَلَىٰ عَبْدِهِ) محمد (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ) أى الإنس والجن دون الملائكة (نَذِيرًا) مخوفا من عذاب الله (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من شأنه أن يخلق (فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) سوّاه تسوية (وَاتَّخَذُوا) ،

والارادة أزلا فوجد على طبق ذلك فاذا كان كذلك كان التغيير لذلك مستحيلا لأنه حينئذ ينقلب علم الله جهلا وهو لاتتعلق به القدرة . إن قلت يشكل على هذا قوله تعالى : إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وقوله تعالى : إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فانه يقتضى أن فى قدرة الله إذهاب هـذا العالم والاتيان بغيره . أجيب بأن مافى الآية باعتبار التعلق الصلاحى للقدرة والتجويز العقلى وماقاله الغزالى باعتبار التعلق التنجيزى الذى حصل متعلقه (قوله أى الكفار) أى المعلومون من قوله للعالمين (قوله آلهة) وصفهم بسبعة أوصاف أولها قوله لايخلقون شيئا وآخرها قوله نشورا (قوله وهم يخلقون) أى يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها (قوله لأنفسهم) أى فضلا عن غيرهم (قوله ضرا) قدمه لأن دفعه أهم وقدم الموت لمناسبة الضر (قوله وقال الذين كفروا) شروع فى ذكر أباطيلهم المتعلقة بالقرآن إثر أكاذيبهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى (قوله افتراه) أى اختلقه (قوله وهم من أهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا إنهم يأتون له بالأخبار الماضية وهو يعبر عنها بعبارات من عنده فهذا معنى إعانتهم له (قوله قال تعالى) أى ردا لمقالتهم (قوله كفرا وكذبا) لف ونشر مرتب (قوله أى بهما) أشار بذلك إلى أن ظلما وزورا منصوبان بنزع الخافض ويصح نصبهما بجاء بتضمينه معنى فعل (قوله وقالوا أيضا) أى كما قالوا ماتقدم (قوله أساطير الأولين) خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله اكتتبها) أى أمر بكتبها لأنهم يعلمون أنه أمى لايقرأ ولا يكتب (قوله من ذلك القوم) المناسب أن يقول من أولئك القوم (قوله تقرأ عليه) أى فليس المراد بالاملاء الالقاء على الكاتب ليكتبه (قوله بكرة وأصيلا) المراد دائما أبدا (قوله ردا عليهم) أى مقالاتهم الشنيعة (قوله الغيب) اى ماغاب عنا (قوله للمؤمنين) كذا قال المفسر ويصح أن يكون المراد (وقالوا)
الكفار فيكون تعليلا لمحذوف تقديره وأخر عقابكم ولم يعاجلكم به لأنه الخ ، وقوله كان أى ولم يزل (قوله وقالوا مال هذا الرسول الخ) شروع فى بعض قبائحهم التى قالوها فى حق الرسول عليه السلام . والمعنى أى شىء حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حالة كونه يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى الأسواق لطلب الرزق كما نفعل فتسميتهم إياه رسولا بطريق الاستهزاء به (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله فيكون معه نذيرا) بالنصب فى قراءة العامة على جواب التحضيض وقرىء شذوذا بالرفع عطفا على أنزل (قوله يصدقه) أى يشهد له بالرسالة والصدق (قوله أو تكون له جنة) بالتاء فى قراءة العامة وقرىء شذوذا بالياء لأن تأنيث الجنة مجازى (قوله وقال الظالمون) إظهار فى موضع الاضمار للاشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا (قوله مخدوعا مغلوبا على عقله) أى فالمراد بالسحر الاختلال فى العقل من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم (قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستفهام التعجبى أى تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك بتلك الأوصاف التى كانت سببا فى ضلالهم

أى الكفار (مِنْ دُونِهِ) أى الله أى غيره (آلِهَةً) هى الأصنام (لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً) أى دفعه (وَلاَ نَفْعاً) أى جره (وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً) أى إماتة لأحد وإحياء لأحد (وَلاَ نُشُوراً) أى بعثاً للأموات (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا) أى ما القرآن (إِلاَّ إِفْكٌ) كذب (افْتَرَاهُ) محمد (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) وهم من أهل الكتاب قال تعالى (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً) كفراً وكذبا ، أى بهما (وَقَالُوا) أيضاً هو (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم (اكْتَتَبَهَا) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فَهِيَ تُمْلَى) تقرأ (عَلَيْهِ) ليحفظها (بُكْرَةً وَأَصِيلاً) غدوة وعشيا ، قال تعالى رداً عليهم (قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ) الغيب (فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً) للمؤمنين (رَحِيماً) بهم (وَقَالُوا مَالِ هٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلاَ) هلا (أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً) يصدقه (أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ) من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشى فى الأسواق لطلب المعاش (أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ) بستان (يَأْكُلُ مِنْهَا) أى من ثمارها فيكتفى بها ، وفى قراءة نأكل بالنون أى نحن فيكون له مزية علينا بها (وَقَالَ الظَّالِمُونَ) أى الكافرون للمؤمنين (إِنْ) ما (تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ) بالمسحور والمحتاج إلى ماينفقه وإلى ملك يقوم معه بالأمر

(قوله فضلوا بذلك) أي ضرب الأمثال (قوله عن الهدى) أي الحق (قوله فلا يستطيعون سبيلا) أي لا يقدرون على الوصول إلى الهدى لما طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم (قوله تبارك) اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كمال مستلزم لنفي كل نقص وحينئذ فيحسن تفسيره في كل مقام بما يناسبه فلما كان ما تقدم مقام تنزيه فسره بتعالى ، ولما كان ما هنا مقام إعطاء فسره بتكاثر خيره ولما كان ما يأتي في آخر السورة مقام عظمة وكبرياء فسره بتعاظم وهكذا يقال في كل مقام (قوله خيرا من ذلك) أي مما اقترحوا بأن يجعل لك أعظم من ذلك في الدنيا (قوله جنات) بدل من خيرا (قوله لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة) علة لقوله : أي في الدنيا ، والمعنى تكاثر خير الله الذي إن شاء جعل لك خيرا مما تمنوه لك في الدنيا وإنما لم تتعلق إرادة الله به لكونه فانيا ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الفاني جزاء لأحبابه لأن الدنيا دار ممر لا مقر حلالها حساب وحرامها عقاب ، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه في الحساب أو العقاب (قوله بالجزم) أي عطفا على محل جعل لأنه جواب الشرط والمعطوف على الجواب جواب (قوله بالرفع استئنافا) أي أو معطوف على جواب الشرط بناء على أنه غير مجزوم لقول ابن مالك * وبعد ماض رفعك الجزا حسن * وإنما لم يجزم لضعف تأثير إن في الشرط لكونه ماضيا فارتفع والقراءتان سبعيتان (قوله بل كذبوا بالساعة) إضراب انتقالي عن ذكر قبائحهم إلى بيان مالهم (١٤٣) في الآخرة من أنواع العذاب (قوله وأعتدنا) أي هيأنا وأحضرنا ، وفي هذا دليل على أن النار مخلوقة الآن كما أن الجنة كذلك لقوله تعالى - أعدت للمتقين - (قوله نارا مسعرة) بالتشديد والتخفيف (قوله إذا رأتهم) أي حقيقة بعينها لما في الحديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدا قيل يارسول الله أولها عينان ؟ قال أما سمعتم الله عز وجل يقول : إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا - يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكلت بمن جعل مع الله إلها آخر فلهو أبصر به من الطير بحب السمسم فيلتقطه» وفي رواية «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول : إني وكلت بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين» انتهى ، وهذا مذهب أهل السنة ، وقالت المعتزلة : الكلام على حذف مضاف : أي رأت زبانيتها بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة (قوله من مكان بعيد) قيل مسيرة سنة ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة (قوله أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه) أشار بذلك إلى أن السماع ليس على حقيقته بل المراد منه الرؤية والعلم ، وأجيب أيضا بأن المراد سماع ما يدل عليه وهو الغليان وقد أفاده أولا فتحصل أن للمفسر أجاب بجوابين (قوله وإذا ألقوا) أي طرحوا (قوله مكانا) منصوب على الظرفية : أي في مكان (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بأن يضيق عليهم) أي كضيق الحائط على الوتد الذي يدق فيه بعنف (قوله لأنه في الأصل صفة له) أي وهو نكرة ومن المعلوم أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يعرب حالا كقول الشاعر * لمية موحشا طلل * والأصل لمية طلل موحش (قوله مقرنين) حال من الواو في ألقوا ، والتقرين تقييد الأرجل وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل (قوله مصفدين) من التصفيد وهو الشد والإيثاق بالقيود (قوله دعوا هنالك) أي في ذلك المكان (قوله ثبورا) أي فيقولون ياثبوراه هذا أوانك فاحضر لأنه أخف مما هم فيه (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التهكم والسخرية بهم (قوله ثبورا واحدا) أي مرة

(فَضَلُّوا) بذلك عن الهدى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طريقا إليه (تَبَارَكَ) تكاثر خير الله (الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) الذي قالوه من الكنز والبستان (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي في الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة (وَيَجْعَلْ) بالجزم (لَكَ قُصُورًا) أيضا وفي قراءة بالرفع استئنافا (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) القيامة (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) نارا مسعرة أي مشتدة (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا) غليانا كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب (وَزَفِيرًا) صوتا شديدا أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا) بالتشديد والتخفيف بأن يضيق عليهم ومنها حال من مكانا لأنه في الأصل صفة له (مُقَرَّنِينَ) مصفدين قد قرنت أي جمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال والتشديد للتكثير (دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا) هلاكا فيقال لهم (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) ،

كعذابكم (قُلْ أَذَٰلِكَ) المذكور من الوعيد وصفة النار (خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ) ها (الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ) فى علمه تعالى (جَزَاءً) ثوابا (وَمَصِيرًا) مرجعا (لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ) حال لازمة (كَانَ) وعدهم ماذكر (عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا) يسأله من وعد به : ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ، أو تسأله لهم الملائكة : ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) بالنون والتحتانية (وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن (فَيَقُولُ) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتا للحجة على العابدين (أَأَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ) أوقعتموهم فى الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم (أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ) طريق الحق بأنفسهم (قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عما لايليق بك (مَا كَانَ يَنْبَغِي) يستقيم (لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ) أى غيرك (مِنْ أَوْلِيَاءَ) مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفى وما قبله الثانى فكيف نأمر بعبادتنا (وَلَٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ) من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق (حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ) تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ، (وكانوا

واحدة (قوله كعذابكم) تشبيه فى الكثرة وفى نسخة باللام : أى لأجل دوام عذابكم وكثرته فينبغى أن يكون دعاؤكم كذلك (قوله قل أذلك خير) الاستفهام للتوبيخ والتقريع وإلا فليس فى النار خير (قوله فى علمه تعالى) جواب عما يقال إنها لم تكن جزاء ومصيرا الآن ، فأجاب بأن المعنى قد سبق علم الله بأنها تكون لهم جزاء ومصيرا (قوله مرجعا) أى مستقرا (قوله لهم فيها مايشاءون) أى من النعم اللائقة بهم ، وأما مالايليق بهم فلايخطر ببالهم فكل إنسان يرضيه الله بما أعطاه ولايلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه ولايخطر بباله سؤاله ، وبهذا اندفع ماقيل إن مقتضى الآية أن الانسان يتمنى مراتب الأنبياء فى الجنة ويعطاها (قوله حال) أى من الهاء فى لهم أو من الواو فى يشاءون (قوله كان وعدهم ماذكر) أشار بذلك إلى أن اسم كان يعود على الوعد المفهوم من قوله : وعد المتقون (قوله ربنا وآتنا) أى كما قال تعالى حكاية عن دعائهم لأنفسهم ، وقوله : ربنا وأدخلهم أى كما قال تعالى حكاية عن دعاء الملائكة للمؤمنين (قوله ويوم نحشرهم) ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر والضمير فى نحشرهم للعابدين لغير الله (قوله بالنون) أى مع النون فى نقول أو الياء ، وقوله والتحتانية : أى مع التحتانية فى يقول فالقراءات ثلاث سبعيات خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع (قوله وما يعبدون) معطوف على مفعول نحشرهم وأوقع ما على العقلاء وهو قليل وهذا ما يفيده المفسر بالتمثيل ويصح أن يراد من ما العاقل وغيره كالأصنام وغلب غير العاقل على العاقل لكثرته (قوله إثباتا للحجة على العابدين) أى وتبكيتا لهم وهو جواب عما يقال إن الله عالم فى الأزل بما ذكر فما فائدة هذا السؤال (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع إدخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال واحدة فتكون خمسا خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع وكلها سبعية . إن قلت على قراءة الابدال يلزم عليه التقاء الساكنين على غير حده وهو ممنوع . أجيب بأن محل منعه مالم يكن مسموعا وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هؤلاء) نعت لعبادى أو عطف بيان أو بدل منه (قوله قالوا) أى المعبودون وهو كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالوا فى الجواب (قوله من أولياء) أى أتباعا يعبدوننا ويصح أن يراد بالأولياء المتبوعون : أى معبودون لنا لأن الولى كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل ، وكلام المفسر يفيد المعنى الثانى ، إذا علمت ذلك فالتبرى حاصل فى هذه الآية من الأولياء بمعنى المعبودين أو العابدين لغير الله وأما بمعنى من تولوا خدمة الله أو من تولاهم الله فلم يكلهم لغيره فقد اتخذهم الله وأمر بالتعلق بأذيالهم (قوله مفعول أول) أى لنتخذ (قوله وما قبله) أى وهو قوله من دونك (قوله فكيف نأمر بعبادتنا) أى بعبادتهم إيانا فنحن لم نضلهم (قوله ولكن متعتهم الخ) استدراك لرفع مايتوهم ثبوته ، والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة فجعلوا ذلك سببا للضلال وليس لنا مدخل فى ذلك ، وفى هذا الاستدراك رجوع للحقيقة (قوله تركوا الموعظة) أى غفلوا عن التذكر فى آياتك فالنسيان معناه الترك .

(قوله بورا) يحتمل أنه جمع بائر أو مصدر من البوار وهو الهلاك (قوله فقد كذبوكم) خطاب العابدين فالواو واقعة على المعبودين والكاف على العابدين ، وقوله بما تقولون : أى فيما تقولون ، وقوله بالفوقانية : أى باتفاق العشرة ، وقوله إنهم آلهة مقول القول (قوله أى لاهم) راجع للتحتانية ، وقوله ولا أنتم راجع للفوقانية (قوله ومن يظلم منكم) أى أيها المكلفون من العابدين والمعبودين فظلم العابد بعبادته غير الله وظلم المعبود برضاه بذلك (قوله نذقه) بنون العظمة فى قراءة العامة (قوله وما أرسلنا قبلك الخ) المقصود من هذه الآية تسليته صلى الله عليه وسلم والرد على المشركين حيث قالوا ـ مال هذا الرسول يأ كل الطعام ـ الخ (قوله إلا إنهم) الجملة حالية وإن مكسورة باتفاق القراء واللام للابتداء زحلقت للخبر، والمعنى ماأرسلنا قبلك من المرسلين فى حال من الأحوال إلا فى حال أكلهم الطعام ومشيهم فى الأسواق : أى فهذه عادتهم ودأبهم فان هجوك بذلك فقد هجوا جميع الأنبياء فلا تحزن (قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى إن الدنيا دار بلاء وامتحان فجعل بعض العبيد فتنة لبعض ليظهر الصابر من غيره (قوله ابتلى الغنى بالفقير الخ) أى فالغنى ممتحن بالفقير يحسده والفقير ممتحن بالغنى يسخر به ويحتقر به والصحيح ممتحن بالمريض يقول لم لم نعاف ونصير مثل هذا والمريض ممتحن بالصحيح يتكبر عليه وينتر بصحته والشريف كالأنبياء والعلماء والصلحاء ممتحن بالوضيع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا (١٤٥) والمخلص من ذلك الصبر على

(وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) هلكى ، قال تعالى (فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ) أى كذب المعبودون العابدين (بِمَا تَقُولُونَ) بالفوقانية إنهم آلهة (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ) بالتحتانية والفوقانية أى لاهم ولا أنتم (صَرْفًا) دفعا للعذاب عنكم (وَلَا نَصْرًا) منعا لكم منه (وَمَنْ يَظْلِمْ) يشرك (مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا) شديداً فى الآخرة (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) فأنت مثلهم فى ذلك وقد قيل لهم مثل ماقيل لك (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) بلية ابتلى الغنى بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثانى فى كل : مالى لا أكون كالأول فى كل (أَتَصْبِرُونَ) على ماتسمعون ممن ابتليتم بهم ؟ استفهام بمعنى الأمر أى اصبروا (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) بمن يصبر وبمن يجزع (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لايخافون البعث (لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ) فكانوا رسلا إلينا (أَوْ نَرَى رَبَّنَا) فنخبر بأن محمداً رسوله ، قال تعالى (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا) تكبروا (فِي) شأن (أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا) طغوا (عُتُوًّا كَبِيرًا) ،

أحكام الله والرضا بها لأن الواجب على الانسان أن ينظر فى أمور الدنيا إلى من هو دونه ولاينظر إلى من هو فوقه لئلا يزدرى نعمة الله عليه وفى أمور الآخرة إلى من هو فوقه ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم ومن هنا ينبغى صحبة الصالحين والمساكين ومرافقتهم ليقتدى بهم (قوله يقول الثانى) أى الفقير والمريض والوضيع ، وقوله فى كل أى من الأقسام الثلاثة ، وبالجملة فالفتنة أن يحسد المعافى المبتلى والصبر أن يحبس كل منهما نفسه هذا عن البطر وهذا عن الضجر ، عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضكم لبعض فتنة وهو قوله تعالى ـ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ـ » (قوله استفهام بمعنى الأمر) هذا أحد وجهين . والوجه الآخر أن الاستفهام على حقيقته : أى لينظر أيحصل منكم صبر أم لا فيجازيكم على ذلك (قوله وكان ربك بصيرا) فى ذلك تأنيس للعبد : أى إن الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع فلا تنبغى الشكوى للخلق ولا إظهار مافى القلوب بل إن وجد الشخص فى نفسه صبرا فليشكر الله وإن وجد غير ذلك فعليه أن يرجع إلى ربه بالندم والتوبة (قوله لايخافون البعث) أى لأنهم منكرون له فهم يزعمون أنهم آمنون منه (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله فكانوا رسلا إلينا) أى بالشرائع ونحوها بدل محمد (قوله أو نرى ربنا) أى يكشف الحجاب لنا فنراه عيانا (قوله فنخبر) بالبناء للمفعول : أى يخبرنا هو بأن محمدا رسوله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم مقالتهم (قوله تكبروا) أى حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر بل طمعوا أن يكون من الملائكة (قوله فى شأن أنفسهم) أى أنهم عدوا أنفسهم كبيرة لأمر قام بها .

(قوله بطلبهم رؤية الله) متعلق بعتوا والباء السببية ولم يذكر متعلق استكبروا والله علمنه ، وفي الآية لف ونشر مرتب فالاستكبار راجع لطلبهم نزول الملائكة والعتو راجع لطلبهم رؤية الله (قوله على أصله) أي من غير إبدال (قوله بالابدال في مريم) أي لمناسبة رءوس الآي وأصله عتوو كسرت التاء فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة قلبت ياء ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله يوم يرون الملائكة) أي المتولين عذابهم (قوله لا بشرى يومئذ) هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة تقديره قائلين لهم لا بشرى (قوله فلهم البشرى بالجنة) أي لقوله تعالى : بشرا كم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار (قوله ويقولون) معطوف على يرون فالضمير للكفار (قوله حجرا محجورا) العامة على كسر الحاء وقرئ شذوذا بفتحها وضمها (قوله يستعيذون من الملائكة) أي يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة (قوله عمدنا) أي تعلقت إرادتنا ودفع بذلك ما قيل إن القدوم من صفات الحوادث وهو محال على الله تعالى ففسره بلازمه وهو القصد والمراد من القصد في حقه تعالى تعلق إرادته بالشيء (قوله وقرى ضيف) بكسر القاف مع القصر أو فتحها مع المد ومعناه الاحسان إليه (قوله في الدنيا) متعلق بعملوا (قوله في الكوى) جمع كوة وهي الطاقة في الحائط بفتح الكاف وضمها (قوله لعدم شرطه) أي وهو الايمان (قوله ويجازون عليه في الدنيا) أي باعطاء المال والولد والعافية وغير ذلك من ملاذ الدنيا فأعمال الكافر الحسنة التي لا تتوقف على نية يعطى جزاءها في الدنيا ، وأما ما تتوقف على نية فلا يجد لها جزاء أصلا لعدم صحتها (قوله خير مستقرا من الكافرين) أي إن مستقر المؤمنين في الجنة خير من مستقر الكافرين في الدنيا فأفعل التفضيل على بابه وإلى هذا أشار المفسر بقوله في الدنيا فهو جواب عما يقال إن مستقر أهل النار لا خير فيه ويصح أن يراد استقرار كل في الآخرة والتفضيل ليس مرادا بل المقصود التقريع والتوبيخ للكفار

(١٤٦)

بطلبهم رؤية الله تعالى في الدنيا ، وعتوا بالواو على أصله بخلاف عتيا بالابدال في مريم (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) في جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذكر مقدراً (لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ) أي الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة : أي عوذاً معاذاً يستعيذون من الملائكة قال تعالى (وَقَدِمْنَا) عمدنا (إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ) من الخير : كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس كالغبار المفرق : أي مثله في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا (أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) من الكافرين في الدنيا (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) منهم أي موضع قائلة فيها ، وهي الاستراحة نصف النهار في الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ) أي كل سماء (بِالْغَمَامِ) أي معه وهو غيم أبيض (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ) من كل سماء (تَنْزِيلًا) هو يوم القيامة ، ونصبه

(قوله من ذلك) أي من قوله وأحسن مقيلا (قوله كما ورد في حديث) قال ابن مسعود «لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار» والقيلولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال : وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها ويروى «أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس» (قوله ويوم تشقق السماء) يوم ظرف معمول لمحذوف تقديره اذكر كما قاله المفسر (قوله أي كل سماء) أشار بذلك إلى أن أل في السماء استغراقية (قوله أي معه) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع ويصح أن تكون للسببية أو للملابسة أو بمعنى عن (قوله وهو غيم أبيض) أي سحاب فوق السموات السبع ثخنه كثخن السموات السبع وثقله كثقلها فينزل على السماء السابعة فيخرقها بثقله وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة سماء الدنيا وهم مثل أهل الأرض عشر مرات ثم ملائكة السماء الثانية وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا وإذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع في الحشر صفا وإذا نزل ملائكة السماء الثانية اصطفوا خلف هذا الصف صفا آخر وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل المحشر من الفرار ويطردون عنهم النار وتقدم بسط ذلك في سورة إبراهيم عند قوله تعالى : يوم تبدل الأرض غير الأرض الخ .

(قوله ونصبه باذكر مقدرا) أى وهو معطوف على: يوم يرون الملائكة، وكذا قوله: ويوم يعض الظالم (قوله فى الأصل) أى قبل قلبها شينا وتسكينها وإدغامها فى الشين (قوله وفى أخرى وننزل بنونين الخ) هذه القراءة إنما تأتى عند تشديد الشين فتحصل أن القراآت ثلاث سبعيات فعند تشديد الشين يجوز فى نزل القراءتان وعند التخفيف يجوز فى نزل قراءة واحدة وهى كونه ماضيا مبنيا للمفعول خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع قراآت (قوله الملك) مبتدأ ويومئذ ظرف له والحق نعت له وللرحمن خبره، والمعنى أن الملك يوم القيامة لله وحده، وحكمة التقييد بهذا اليوم وإن كان الملك لله فى كل زمن أن ثبوت الملك له خاصة فى ذلك اليوم فليس لأحد ملك ظاهر أبدا، وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون للخلق تصرف صورى وإلى هذا أشار المفسر بقوله لايشركه فيه أحد (قوله بخلاف المؤمنين) أى فليس عليهم عسيرا لما ورد «أنه يهون عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة» (قوله ويوم) منصوب باذكر أومعطوف على يوم يرون كما تقدم (قوله يعض الظالم) هو من باب تعب ونفع، والمعنى أن الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعض على يديه. قال عطاء: يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم ينبتان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبتت يداه يأكلهما (قوله عقبة بن أبى معيط) أشار المفسر بذلك إلى أن الآية نزلت فى ظالم خاص ويقاس عليه كل ظالم وهو أحد قولين، وقيل نزلت فى الظالمين عموما (قوله كان نطق بالشهادتين الخ) «وذلك أنه صنع طعاما ودعا الناس إليه ودعا رسول الله (١٤٧) صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام

ونصبه باذكر مقدراً، وفى قراءة بتشديد شين تشقق بإدغام التاء الثانية فى الأصل فيها، وفى أخرى وننزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة (الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ) لايشركه فيه أحد (وَكَانَ) اليوم (يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا) بخلاف المؤمنين (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ) المشرك عقبة بن أبى معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبى بن خلف (عَلَى يَدَيْهِ) ندما وتحسرا فى يوم القيامة (يَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ) محمد (سَبِيلًا) طريقا إلى الهدى (يَا وَيْلَتَىٰ) ألفه عوض عن ياء الإضافة: أى ويلتى، ومعناه هلكتى (لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا) أى أبيا (خَلِيلًا. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ) أى القرآن (بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي) بأن ردنى عن الإيمان به قال تعالى (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ) الكافر (خَذُولًا) بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء (وَقَالَ الرَّسُولُ) محمد (يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي) قريشا (اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله ففعل فأكل رسول الله من طعامه وكان عقبة صديقا لأبى ابن خلف فلما أخبر بذلك قال له يا عقبة صبأت قال لا ولكن دخل على رجل فأبى أن يأكل طعامى إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتى ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا راض عنك حتى تأتيه فتبزق فى وجهه ففعل عقبة فعاد بزاقه على وجهه حرقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاأراك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله، وطعن النبى أبيا بأحد فى المبارزة فرجع إلى مكة ومات»، وحكم الآية عام فى كل صاحبين اجتمعا على معصية الله تعالى لما روى «يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» (قوله يقول ياليتنى) الجملة حالية من فاعل يعض (قوله للتنبيه) أى وليست للنداء لأن المنادى شرطه أن يكون اسما وليت حرف تمن أو للنداء والمنادى محذوف أى ياقوم (قوله عوض عن ياء الإضافة) أى وأصله ويلتى بكسر التاء وفتح الياء فتحت التاء فتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فيقال فى إعرابه ويلتا مضاف والألف مضاف إليه فى محل جر وليس لنا ألف فى محل جر إلا ما كانت عوضا عن ياء المتكلم (قوله لم أتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الاناث (قوله لقد أضلنى) علة لتمنيه وأكده باللام القسمية إظهارا لندمه وتحسره (قوله أى القرآن) أى وقيل كلمة الشهادة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله وكان الشيطان الخ جملة مستأنفة من كلامه تعالى وكلام الظالم تم عند قوله جاءنى (قوله وكان الشيطان) أى وهو كل عات متمرد صد عن سبيل الله من الجن والإنس (قوله بأن يتركه) أى يترك نصره (قوله وقال الرسول) عطف على قوله ـ وقال الذين لايرجون لقاءنا ـ ومابينهما اعتراض مسوق لاستعظام ماقالوه وبيان مايحيق بهم فى الآخرة من الأهوال، وهذا القول قيل صدر منه فى الدنيا، وعليه يحمل قول المفسر فاصبر كما صبروا، وقيل سيقع منه

في الآخرة حال إقامة الحجة عليهم ، ولذا ورد أنه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم سحقا سحقا (قوله مهجورا) أي فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ، فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به لا فيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه و إن كان يعاتب عليه في الآخرة لما ورد « من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني و بينه» (قوله وكذلك جعلنا الخ) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم ، والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك و يكذبونك جعلنا لكل نبي عدوا (قوله بربك) الباء زائدة في الفاعل (قوله هاديا) أي موصلا لك إلى الطريق القويم (قوله وقال الذين كفروا الخ) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التي تتعلق بالقرآن ولما كانت تلك الشبهة ربما تدخل على بعض الضعفاء اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبداها (قوله لولا نزل عليه القرآن) نزل بمعنى أنزل لأن نزل بالتشديد معناه الانزال مفرقا وأنزل معناه الانزال جملة فلو لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه قوله جملة يؤيده قوله تعالى ـ إنا أنزلناه في ليلة القدر ـ حيث عبر بأنزلنا دون نزلنا لأن المراد نزوله جملة في سماء الدنيا (قوله قال تعالى) أي ردا لتلك الشبهة بأمور ثلاثة مقتضية لنزوله مفرقا : الأول تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم . الثاني ترتيله ليسهل حفظه . الثالث قوله ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا (قوله نزلناه كذلك) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك نعت لمصدر محذوف والمعنى نزلناه تنزيلا مثل ذلك التنزيل (قوله لنثبت به فؤادك) علة للمحذوف الذي قدره المفسر ، والمعنى أنزلناه مفرقا ليتقوى قلبك على

تلقيه فلا يحصل لك منه ثقل لأن القرآن في نفسه ثقيل سيما على من لم يقرأ ولم يكتب قال تعالى ـ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ـ ولذلك لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم اقرأ فتر الوحي ثلاث سنين ليشتاق للتلقي فان الشيء إذا جاء على شوق كان أثبت (قوله ورتلناه ترتيلا) أي فرقناه آية بعد آية وشيئا بعد شيء في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة (قوله لتيسر (وجعلنا فهمه وحفظه) أي لك ولأمتك عن ظهر قلب وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم ولذا ورد «وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم» ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سيما للأطفال ليثبت في قلوبهم واغتفر التنكيس في تعليمه ليسهل حفظه فان الطفل إذا رأى السورة قصيرة قوي على حفظها و نشط لما بعدها (قوله ولا يأتونك بمثل) أي سؤال عجيب يريدون به القدح في نبوتك (قوله إلا جئناك بالحق) استثناء مفرغ من عموم الأحوال كأنه قيل لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إليك بالحق و بما هو أحسن بيانا له ، والمعنى كلما أوردوا شبهة أو أتوا بسؤال عجيب أجبناعنه بجواب حسن يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه فلو نزل القرآن جملة لكان النبي هو الذي يبحث في القرآن عن رد تلك الشبهة كالعالم الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يسئل عنها فيكون الأمر موكولا له فتكون الكلفة عليه وما كان موكولا إلى الله كان أتم مما هو موكول إلى العبد وفيه قمع للمعاندين (قوله وأحسن) معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل (قوله الذين يحشرون) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله أي يساقون) أي يسحبون مقلوبين يطئون الأرض برءوسهم ووجوههم وترتفع أقدامهم بقدرة الله تعالى (قوله من غيرهم) متعلق بكل من شر وأضل والمراد بغيرهم باقي الكفار ، والمعنى أن من عانده صلى الله عليه وسلم فهو في أسوإ الأحوال وأشرها في الآخرة (قوله وهو كفرهم) الضمير عائد على السبيل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم على مكائد قومه بذكر بعض قصص الأنبياء

﴿مَهْجُوراً﴾ متروكا قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصرا لك على أعدائك ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور قال تعالى نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي متفرقا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ أي أتينا به شيئا بعد شيء بتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ بيانا ، هم ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقا من غيرهم وهو كفرهم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ،

على سبيل الاجمال ، والمعنى لاتحزن يامحمد فان من خالفك وعاندك يحل به الدمار كما حل بالمخالف من الأمم المتقدمة (قوله وجعلنا معه) معطوف على آتينا والواو لاتقتضي ترتيبا ولا تعقيبا فان إتيان موسى التوراة كان بعد رسالة هرون وهلاك فرعون وقومه ، ويمكن أن يجاب عن الآية بأن المراد بقوله آتينا موسى الكتاب قدرنا له أن يأتيه فى علمنا فهو إخبار عما سيحصل فالماضي بالنسبة لما سبق فى علم الله (قوله أخاه) مفعول أول لجعلنا وهرون بدل منه ووزيرا مفعول ثان لجعلنا ، والمعنى جعلنا هرون معينا لموسى يوحى منا له فى دعوى القوم إلى التوحيد و إعلاء الكلمة فهو نبي ورسول بما جاء به موسى ، بخلاف وزارة علىّ للنبي صلى الله عليه وسلم المستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له «أنت مني بمنزلة هرون من موسى» فالمراد بها مطلق الاعانة لا المشاركة فى الاتصاف بالرسالة فان من أثبتها لعلىّ فقد كفر (قوله بآياتنا) أى أدلة توحيدنا لاخصوص التسع (قوله فدمرناهم تدميرا) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فذهبا الخ (قوله لما كذبوا الرسل) لما شرطية وجوابها قوله أغرقناهم كما قال المفسر (قوله لطول لبثه) دفع بذلك مايقال لم جمع الرسل مع أنه رسول واحد وهو نوح فأجاب بجوابين : الأول أنه جمعه لطول مدته فى قومه فكأنه رسل متعددة. الثانى أن من كذب رسولا فقد كذب باقى الرسل (قوله وجعلناهم) أى جعلنا هلاكهم وما وقع منهم (قوله للظالمين) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بوصف الظلم (قوله سوى مايحل) أى ينزل بهم وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرها بخلاف سائر معانيه فهو بالكسر لاغير (قوله وثمودا) بالصرف على معنى الحى وتركه على معنى القبيلة قراءتان سبعيتان (قوله اسم بئر) اختلف هل هى اسم للبئر التى لم تطو أو للبئر مطلقا وما قاله

(وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا) معينا (فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أى القبط فرعون وقومه فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما (فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا) أهلكناهم إهلاكا (وَ) اذكر (قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ) بتكذيبهم نوحا لطول لبثه فيهم فكأنه رسل، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم فى المجىء بالتوحيد (أَغْرَقْنَاهُمْ) جواب لما (وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ) بعدهم (آيَةً) عبرة (وَأَعْتَدْنَا) فى الآخرة (لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما سوى مايحل بهم فى الدنيا (وَ) اذكر (عَادًا) قوم هود (وَثَمُودَا) قوم صالح (وَأَصْحَابَ الرَّسِّ) اسم بئر، ونبيهم قيل شعيب ، وقيل غيره كانوا قعودا حولها فانهارت بهم و بمنازلهم (وَقُرُونًا) أقواما (بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا) أى بين عاد وأصحاب الرس (وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ) فى إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الانذار (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا) أهلكنا إهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم (وَلَقَدْ أَتَوْا) أى مر كفار مكة (عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ) مصدر ساء أى بالحجارة وهى عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا) فى سفرهم إلى الشام فيعتبرون ؟ والاستفهام للتقرير ،

المفسر أحد أقوال فى الرس ، وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود ، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون فسموه العنقاء لطول عنقها وكانت تسكن الجبال وتخطف صبيانهم فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا (قوله وقيل غيره) أى وهو حنظلة (قوله فانهارت) أى انخسفت بهم (قوله وكلا) منصوب بفعل محذوف يلاقى ضربنا فى معناه تقديره وخوفنا كلا ضربنا له الأمثال، والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا فتبرناهم تتبيرا : أى فتتناهم تفتيتا فجعلناهم كالتبر وهو قطع الذهب والفضة المفتتة (قوله مر) أشار بذلك إلى أنه ضمن أتوا معنى مروا فعدى بعلى و إلا فأتى يتعدى بنفسه أو بالى، والمعنى مروا عليهم فى أسفارهم إلى الشام (قوله مصدر ساء) أى بحسب الأصل والمراد فى الآية بالمطر السوء الرمى بالحجارة (قوله وهى عظمى قرى قوم لوط) أى واسمها سذوم وتقدم أن القرى خمسة ، وقيل إن أل فى القرية للجنس فيشمل جميعها لأن الخسف ونزول الأحجار عم جميعها وقيل نجت منها واحدة كانت لاتعمل الخبائث (قوله يرونها) أى يرون آثارها (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعرفه .

(قوله بل كانوا لا يرجون نشورا) أي كانوا كفارا لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فهو إضراب انتقالي من توبيخهم إلى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم إيمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه (قوله إن يتخذونك) جواب إذا (قوله إلا هزؤا) مفعول ثان ليتخذون وقوله مهزوءا به أشار به إلى أن المصدر مؤول باسم المفعول لأن المفعول الثاني في الأصل خبر والمصدر لا يصح الاخبار به إلا بتأويل (قوله أهذا الذي الخ) الجملة في محل نصب مقول لقول محذوف قدره المفسر (قوله في دعواه رسولا) قدر ذلك دفعا لما يقال هم لا يعترفون برسالته فكيف يقولون ما ذكر (قوله ليضلنا عن آلهتنا) أي بكثرة الأدلة والمعجزات (قوله لولا أن صبرنا عليها) أي ثبتنا واستمسكنا بعبادتها (قوله قال تعالى) أي ردا لقولهم إن كان ليضلنا (قوله من أضل سبيلا) من اسم استفهام مبتدأ وأضل خبره وسبيلا تمييز وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله أهم أم المؤمنون (قوله قدم المفعول الثاني) أي وقيل لا تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف (قوله وجملة من الخ) أي بحسب الصورة وإلا فهي وصلتها في قوة المفرد (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري (قوله أم تحسب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام فيها إنكاري (قوله أن أكثرهم) استفيد منه أن الأقل سمع وعقل فآمن (قوله إن هم إلا كالأنعام) أي في عدم انتفاعهم بالآيات (قوله بل هم أضل سبيلا) أي لأن الأنعام تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتهرب مما يضر بها وهؤلاء ليسوا كذلك (قوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) أقام الله سبحانه وتعالى أدلة محسوسة على انفراده تعالى بالألوهية وذكر منها خمسة الأول هذا الثاني قوله – وهو الذي جعل لكم الليل لباسا – الثالث قوله – وهو الذي أرسل الرياح – الرابع قوله – وهو الذي مرج البحرين – الخامس قوله – وهو الذي خلق من الماء بشرا – وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل عاقل فإن من تأمل في تلك الأدلة حق التأمل عرف أن موجدها فاعل مختار منفرد بالكمال (قوله تنظر) أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية فقوله كيف منصوب بمد على الحال. والمعنى ألم تنظر إلى صنع ربك مد الظل كيف على أي حالة وقدر المفسر فعل إشارة إلى أن المراد رؤية المصنوعات لا رؤية الذات لأن المقصود نصب الأدلة ليستدل بها على مؤثرها فإن كل صنعة لابد لها من صانع وإن كان يلزم من التفكر في تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب لأنه لا يغيب عن مخلوقه طرفة عين، ومن هنا قيل إن العارف يرى الله في كل شيء فالآثار كالمرآة للناظر فمن تأمل فيها رأى مؤثرها ولا تحجب إلا من سبقت له الشقاوة (قوله من وقت الاسفار الخ) المناسب أن يقول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس إذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين. ثانيها من غروب الشمس إلى طلوعها. ثالثها من طلوع الشمس إلى أن تزول ومن زوالها إلى غروبها، وأما ما قاله المفسر فلم يوافقه عليه أحد من المفسرين وهذا الوقت أعني من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أطيب الأوقات وأفضلها ولذا وصفت به الجنة قال تعالى – وظل ممدود – وفيه يجد المريض راحته والمسافر وكل ذي علة وفيه ترد أرواح الأموات منهم إلى الأجساد وتطيب نفوس الأحياء قال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة يصلون صلاة الفجر (قوله ولو شاء لجعله ساكنا) أي ثابتا مستقرا لا يذهب عن وجه الأرض (قوله لا يزول بطلوع الشمس) أي بأن لا تطلع فلا تزول بأن يستمر الليل مقيما أو تطلع من غير ضوء

(بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ) يخافون (نُشُورًا) بعثا فلا يؤمنون (وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ) ما (يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) مهزوءا به يقولون (أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) في دعواه محتقرين له عن الرسالة (إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي إنه (كَادَ لَيُضِلُّنَا) يصرفنا (عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) لصرفنا عنها، قال تعالى (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ) عيانا في الآخرة (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا أهم أم المؤمنون (أَرَأَيْتَ) أخبرني (مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ) أي مهويه قدم المفعول الثاني لأنه أهم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثاني (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) حافظا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ) سماع تفهم (أَوْ يَعْقِلُونَ) ما تقول لهم (إِنْ) ما (هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا منها لأنها تنقاد لمن يتعهدها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَىٰ) فعل (رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس (وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) مقيما لا يزول بطلوع الشمس،

(ثم

(قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) أي جعلنا الشمس دليلا على الظل ليلا ونهارا فالمراد بالظل ما قابل نور الشمس وكل من الظل ونور الشمس عرض لقيامه بغيره ، وأما ذات الشمس فجوهر (قوله ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا) أي قليلا شيئا فشيئا ، وذلك أن الشمس إذا طلعت ظهر لكل شاخص ظل إلى جهة المغرب فكلما ارتفعت في الأفق نقص الظل شيئا فشيئا إلى أن تصل الشمس وسط السماء فعند ذلك ينتهي نقص الظل فبعض البلاد لا يبقى فيها ظل أبدا في بعض أيام السنة كمكة وزبيد وما عداها تبقى له بقية وهذا على حسب الأشهر القبطية وضبط ذلك بعضهم بقوله «طزه جبا ابدوحى» فالطاء بتسعة لطوبة فظل الزوال فيه تسعة أقدام والزاي بسبعة لأمشير والهاء بخمسة لبرمهات والجيم بثلاثة لبرمودة والباء باثنين لبشنس والألف بواحد لبئونة والألف الثانية بواحد لأبيب والباء باثنين لمسرى والدال بأربعة لتوت والواو بستة لبابة والحاء بثمانية لهاتور والياء بعشرة لكيهك ، فإذا زالت الشمس زاد الظل جهة المشرق شيئا فشيئا حتى تغرب الشمس (قوله كاللباس) أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة والجامع بين المشبه والمشبه به الستر في كل (قوله والنوم سباتا) من السبت وهو القطع لقطع الأعمال فيه كما قال المفسر (قوله بقطع الأعمال) الباء سببية والجار والمجرور متعلق براحة (قوله لابتغاء الرزق) أي طلبه (قوله وهو الذي أرسل الرياح) أي المبشرات وهي ثلاث

(١٥١)

الشمال وتأتي من جهة القطب والجنوب تقابلها والصبا وتأتي من مطلع الشمس والدبور وتأتي من المغرب وبها أهلكت قوم عاد (قوله وفي قراءة الريح) أي وهي سبعية أيضا وأل فيها للجنس (قوله وفي قراءة بسكون الشين الخ) حاصل ما ذكره المفسر من القراآت أربع وكلها سبعية الأولى والثانية جمع نشور كرسول والثالثة مصدر نشر والرابعة جمع بشير (قوله ومفرد الأولى) أي والثانية

(ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ) أي الظل (دَلِيلًا) فلولا الشمس ما عرف الظل (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ) أي الظل الممدود (إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) خفيا بطلوع الشمس (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساترا كاللباس (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) راحة للأبدان بقطع الأعمال (وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) منشورا فيه لابتغاء الرزق وغيره (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) وفي قراءة الريح (نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) أي متفرقة قدام المطر وفي قراءة بسكون الشين تخفيفا وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدرا وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي مبشرات ومفرد الأولى نشور كرسول والأخيرة بشير (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) مطهرا (لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (وَنُسْقِيَهُ) أي الماء (مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا) إبلا وبقرا وغنما (وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا) جمع إنسان وأصله أناسين فأبدلت النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع إنسي (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) أي الماء (بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) أصله يتذكروا ،

(قوله وأنزلنا من السماء) فيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله طهورا) أي طاهرا في نفسه مطهرا لغيره (قوله بلدة) أي أرضا (قوله بالتخفيف) أي لا غير لأن المخفف لما ليس ذا روح غالبا وأما بالتشديد لما كانت فيه الروح . قال تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون - وقال بعضهم :

أيا سائلي تفسير ميت وميت ... فدونك قد فسرت ما عنه تسأل

فما كان ذا روح فذلك ميت ... وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

(قوله يستوي فيه المذكر الخ) جواب عما يقال لم ذكر ميتا مع أنه نعت لبلدة وهي مؤنثة وقوله ذكره الخ جواب ثان فكان المناسب أن يأتي بأو (قوله أنعاما) خصها بالذكر لأنها عزيزة عند أهلها لكونها سببا لحياتهم ومعاشهم (قوله جمع إنسان) هو الراجح ، وقيل جمع إنسي وهو معترض بأن الياء في إنسي للنسب وهو لا يجمع على فعالي كما قال ابن مالك :

* واجعل فعاليّ لغير ذي نسب * (قوله وأصله أناسين) أي كسرحان وسراحين (قوله ولقد صرفناه) أي فرقناه في البلاد المختلفة والأوقات المتغايرة على حسب ما قدر في سابق علمه . روي عن ابن مسعود أنه قال : « ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ، وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم ، وإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك المطر إلى الفيافي والبحار » .

أدغمت التاء فى الذال وفى قراءة ليذكروا بسكون الذال وضم الكاف أى نعمة الله به (فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) جحوداً للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوء كذا (وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) يخوف أهلها ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجرك (فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ) فى هواهم (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أى القرآن (جِهَادًا كَبِيرًا . وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ) أرسلهما متجاورين (هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر (وَحِجْرًا مَحْجُورًا) أى سترا ممنوعا به اختلاطهما (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا) من المنى إنسانا (فَجَعَلَهُ نَسَبًا) ذا نسب (وَصِهْرًا) ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) قادراً على مايشاء (وَيَعْبُدُونَ) أى الكفار (مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) بعبادته (وَلَا يَضُرُّهُمْ) بتركها وهو الأصنام (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا) معيناً للشيطان بطاعته ،

(قوله أدغمت التاء فى الذال) أى بعد قلبها دالا فذالا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى نعمة الله به) أى فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيرا (قوله جحودا للنعمة) أى حيث أضافوها لغير خالقها (قوله مطرنا بنوء كذا) النوء سقوط نجم من المنازل فى المغرب وطلوع رقيبه من المشرق فى ساعته فى عدة أيام معلومة لهم وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط ، وقيل إلى الطالع واعتقاد تأثير تلك الأشياء فى المصنوعات كفر لأنه لاأثر لشىء فى شىء بل المؤثر هو الله وحده وإنما تلك الأشياء من جملة الأسباب العادية التى توجد الأشياء عندها لابها ويمكن تخلفها كالإحراق للنار والرى للماء والشبع للأكل (قوله لبعثنا فى كل قرية) أى فى زمنك (قوله ليعظم أجرك) أى فالنبى صلى الله عليه وسلم له مثل أجر من آمن به من بعثته إلى يوم القيامة (قوله فلا تطع الكافرين) أى بل اصبر على أحكام ربك (قوله جهادا كبيرا) أى لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف (قوله أرسلهما متجاورين) أى أجراهما متلاصقين لايتمازجان ولا يبغى أحدهما على الآخر (قوله هذا عذب فرات) هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف مرجهما ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول أى مقولا فيهما هذا عذب الخ وسمى الماء العذب فراتا لأنه يفرت العطش أى يشقه ويقطعه (قوله شديد الملوحة) أى وقيل شديد الحرارة وقيل شديد المرارة وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب فرات وملح أجاج (قوله حاجزا لايختلط أحدهما بالآخر) أى فالماء العذب داخل فى الملح وجار فى خلاله ومع ذلك لايتغير طعمه ولايختلطان بل يبقى كل على ماهو عليه بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوى لايحس بل بمحض قدرته تعالى وهذا من أكبر الأدلة على انفراد الله تعالى بالألوهية (قوله وحجرا محجورا) تقدم أن معناه (وما تعوذنا تعوذا والمراد هنا الستر المانع فشبه البحران بطائفتين متعاديتين كل منهما تتحصن من الأخرى وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو قوله حجرا محجورا على طريق الاستعارة المكنية (قوله بشرا) أى خلقا كاملا مركبا من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن . قال تعالى - لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم - (قوله ذا نسب الخ) أى فقسمه قسمين ذوى نسب أى ذكورا ينسب إليهم وذوات صهر أى إناثا يصاهر بهن وأخر الصهر لأنه لايحصل إلا بعد الكبر والتزوج (قوله ذا صهر) صهر الرجل أقارب زوجته وصهر المرأة أقارب زوجها (قوله وكان ربك قديرا) أى حيث خلق من مادة واحدة إنسانا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وأخلاق متعددة وجعله قسمين متقابلين فمن كان قادرا على ذلك وأمثاله فهو حقيق بأن لايعبد غيره (قوله ويعبدون من دون الله) شروع فى ذكر قبائح المشركين مع ظهور تلك الأدلة (قوله مالاينفعهم ولايضرهم) قدم النفع فى بعض الآيات وأخره فى بعضها تفننا (قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا) أى يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك وأل فى الكافر للجنس فالمراد كل كافر ، وقيل معنى ظهيرا مهينا لايعبأ به فعلى بمعنى عند ، والمعنى وكان الكافر عند ربه مهانا لاحرمة له مأخوذ من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك (قوله بطاعته) أى الشيطان والباء سببية والمعنى صار الكافر معينا للشيطان على معصية الله بسبب طاعته إياه والخروج عن طاعة الله .

(قوله وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) أى لم نرسلك فى حال من الأحوال إلا فى حال كونك مبشرا ونذيرا لمن آمن فقد تحقق بالبشارة ومن استمر على الكفر فله النذارة (قوله على تبليغ ما أرسلت به) أى المفهوم من قوله أرسلناك (قوله لكن من شاء الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لا أطلب من أموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء أن ينفق أمواله لوجه الله تعالى طلبا لمرضاته فليفعل (قوله فى مرضاته تعالى) أى كالصدقة والنفقة فى سبيل الله تعالى (قوله وتوكل على الحى الذى لا يموت) لما قدم أن الكافر خارج عن طاعة ربه وعن طاعة رسوله وأمر الرسول أن لا يسألهم أجرا على تبليغه أمره بالاعتماد عليه تعالى ليكفيه شرورهم ويغنيه عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى فى جميع الأمور من غير اعتماد على الأسباب وإن تعاطاها (قوله الذى لا يموت) صفة كاشفة لأن معنى الحى فى حقه تعالى ذو الحياة الأبدية التى يستحيل عليها الموت والفناء ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم لاتصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية (قوله وسبح) أى نزهه عن كل نقص (قوله بحمده) الباء للملابسة كما قال المفسر أى صفه بالكمالات (قوله أى قل سبحان الله والحمد لله) أى فذلك جمع التسبيح والتحميد لأن معنى سبحان الله تنزيه الله عن كل نقص ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم التى أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التى بقيتها لا إله إلا الله والله أكبر وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين

ليكون النطق بها عن معرفة ويقين فهى نتيجة ماقبلها والله أكبر نتيجة الثلاث قبلها لأنه إذا تنزه عن النقائص واتصف بالكمالات وثبت أنه لا إله غيره فقد انفرد بالكبرياء والعظمة وحكمة الاقتصار هنا على التسبيح والتحميد لأنهما مستلزمان للجملتين بعدهما (قوله وكفى به) الباء زائدة فى الفاعل

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً) بالجنة (وَنَذِيراً) مخوفا من النار (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى على تبليغ ما أرسلت به (مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ) لكن (مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) طريقا بإنفاق ماله فى مرضاته تعالى فلا أمنعه من ذلك (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ) متلبسا (بِحَمْدِهِ) أى قل سبحان الله والحمد لله (وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً) عالما تعلق به بذنوب ، هو (الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى فى قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء لخلقهن فى لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) هو فى اللغة سرير الملك (الرَّحْمٰنُ) بدل من ضمير استوى أى استواء يليق به ،

(قوله عالما) أى بالمذنب والطائع (قوله تعلق به) أى بخبيرا (قوله بذنوب) أى لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة ، والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخلق فى كل وقت فلا ينظر الإنسان لعيوب الناس ولا لطاعاتهم بل عليه بنفسه ويفوض أمرهم إليه (قوله هو الذى) أشار بذلك إلى أن الموصول خبر لمحذوف وهذه الجملة سيقت تحريضا للتوكل عليه تعالى فإن من كان قادرا على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه (قوله فى ستة أيام) أى فالأرض فى يومين الأحد والاثنين وما عليها فى يومين الثلاثاء والأربعاء والسموات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة (قوله أى فى قدرها) دفع بذلك ما يقال إن الأيام لم تكن موجودة إذ ذاك (قوله والعدول عنه) أى عن الخلق فى لمحة (قوله التثبت) أى التأنى والتؤدة فى الأمور وعدم العجلة فيها لما ورد « إن العجلة من الشيطان » واستثنى العلماء من ذلك مسائل : إقراء الضيف وتزويج البكر وتجهيز الميت والصلاة فى أول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الأوبة للمسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب (قوله هو فى اللغة سرير الملك) أى ومنه قوله تعالى ـ أيكم يأتينى بعرشها ـ والمراد هو جسم عظيم محيط بالعالم فوق السموات السبع (قوله بدل من ضمير استوى) ويصح أن يكون خبرا لمحذوف أو خبر الذى خلق (قوله أى استواء يليق به) هذا إشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الخمسمائة ومذهب الخلف تفسير الاستواء بالاستيلاء عليه والتصرف فيه وهو أحد معانى الاستواء واستدلوا لذلك بقول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وفى قوله الرحمن إشارة إلى أن الله تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العالمين ،

وكان سقف الجنة لابوصف الجلال وإلا الداب ولم يبق له أثر (قوله فسئل به خبيرا) به متعلق بخبيرا قدم لرعاية الفاصلة . والمعنى اسأل يامحمد خبيرا بصفاته تعالى وليس خبيرا بصفاته إلا هوسبحانه وتعالى ، ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقا باسأل والباء بمعنى عن . والمعنى اسأل عنه خبيرا أى عالما بصفاته يطلعك على ماخفى عليك والخبير يختلف باختلاف السائل ، فإن كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام فالخبيرهو الله ، وإن كان السائل أصحابه فالخبير النبي ، وإن كان السائل التابعين فالخبير الصحابة عن النبي عن الله وهكذا فآل الأمر إلى أن المشايخ العارفين يفيدون الطالب عن الله ، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد (قوله وإذا قيل لهم) أى لكفار مكة (قوله قالوا وما الرحمن) أى ظنا منهم أن المراد به غيره تعالى لأنهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلمة الكذاب (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله والآمر محمد) أى على كل من القراءتين (قوله ولا نعرفه) راجع لقوله لما تأمرنا فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله تعاظم) أى انفرد بالعظمة لأن من كانت هذه أوصافه فهومنفرد بالكبرياء والعظمة وتقدم أن لفظة تبارك من الصفات الجامعة تفسر فى كل مقام بما يناسبه (قوله بروجا) جمع برج وهو فى الأصل القصر العالى سميت هذه المنازل بروجا لأنها للكواكب السبعة السيارة كالمنازل الرفيعة التى هى كالقصور لسكانها فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة

(فَسْئَلْ) أيها الإنسان (بِهِ) بالرحمن (خَبِيرًا) يخبرك بصفاته (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ) لكفار مكة (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا) بالفوقانية والتحتانية والآمر محمد ولا نعرفه ؟ لا (وَزَادَهُمْ) هذا القول لهم (نُفُورًا) عن الإيمان ، قال تعالى (تَبَارَكَ) تعاظم (الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) اثنى عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة ، المريخ وله الحمل والعقرب ، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشترى وله القوس والحوت ، وزحل وله الجدى والدلو (وَجَعَلَ فِيهَا) أيضا (سِرَاجًا) هو الشمس (وَقَمَرًا مُنِيرًا) وفى قراءة سرجا بالجمع أى نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة .(وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) أى يخلف كل منهما الآخر (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ) بالتشديد والتخفيف كما تقدم ،

(قوله الحمل) أى ويسمى بالكبش (قوله والأسد) أى ويسمى بالليث أيضا (وقوله والدلو يسمى الدالى أيضا (قوله المريخ) بكسر الميم (قوله وله) أى من البروج المذكورة . والحاصل أن خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحدا من البروج وتقدم فى سورة الحجر نظم الكواكب والبروج وتقدم أن ما زحل نجم فى السماء السابعة والمشترى فى السادسة والمريخ فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الأولى وتخصيص الشمس بالأسد لكونه بيتها المنسوب لها فلا ينافى سيرها فى البروج كلها وكذا غيرها من بواقى الكواكب السبعة وذلك لأن البروج أصلها فى سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة ، فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها (قوله والزهرة) بفتح الهاء (قوله وعطارد) بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع (قوله وزحل) ممنوع من الصرف للعلمية والعدل كعمر وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالأكل والشرب يوجد النفع عندها لابها فهى من جملة الأسباب العادية فمن اعتقد تأثيرها بطبعها فقد كفر ، أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق (قوله وجعل فيها) أى السماء (قوله أى نيرات) صفة لموصوف محذوف أى كواكب نيرات ودخل فيها القمر فلذلك قال وخص القمر الخ (قوله لنوع فضيلة) أى لأن مواقيت العبادة تبنى على الشهور القمرية قال تعالى : يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج (قوله أى يخلف كل منهما الآخر) أى بأن يقوم مقامه فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه (قوله بالتشديد) أى فأصله يتذكر قلبت التاء دالا ثم ذالا وأدغمت فى الذال (قوله والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كما تقدم) أى فى قوله : ولقد صرفناه بينهم ليذكروا .

مافاته فى أحدهما من خير فيفعله فى الآخر (أَوْ أَرَادَ شُكُورًا) أى شكرا لنعمة ربه عليه فيهما (وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ) مبتدأ وما بعده صفات له إلى أولئك يجزون غير المعترض فيه (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أى بسكينة وتواضع (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) بما يكرهونه (قَالُوا سَلَامًا) أى قولا يسلمون فيه من الإثم (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا) جمع ساجد (وَقِيَامًا) بمعنى قائمين أى يصلون بالليل (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أى لازما (إِنَّهَا سَاءَتْ) بئست (مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) هى أى موضع استقرار و إقامة (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا) على عيالهم (لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) بفتح أوله وضمه أى يضيقوا (وَكَانَ) إنفاقهم (بَيْنَ ذَٰلِكَ) الاسراف والإقتار (قَوَامًا) وسطا (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) قتلها (إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ) أى واحدا من الثلاثة (يَلْقَ أَثَامًا) أى عقوبة (يُضَاعَفْ) وفى قراءة يضعف بالتشديد (لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ) بجزم الفعلين ،

(قوله مافاته فى أحدهما من خير الخ) أى فمن فاته شىء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل من فرائض وسنن وغيرهما (قوله أو أراد شكورا) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله وعباد الرحمن الخ) لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل إليه أمرهم ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم بأوصاف ثمانية بها تنال المراتب العالية و إضافتهم إليه تعالى للتشريف و إلا فكل المخلوقات عباد الله أو يقال إضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة وستخص بهم فى الآخرة (قوله وما بعده) أى من الموصولات الثمانية التى أولها قوله الذين يمشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا (قوله إلى أولئك) أى وهو الخبر كما سيذكره هناك (قوله غير المعترض فيه) أى وهو قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما إلى قوله متابا وهو ثلاث آيات . وحاصل ماذكره من الأوصاف أن بعضها متعلق بالخلق و بعضها متعلق بالخالق (قوله هونا) هو مصدر هان كقال (قوله أى بسكينة) أى تؤدة وتأن (قوله الجاهلون) أى السفهاء (قوله قالوا سلاما) أى مع القدرة على الانتقام فالمراد الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام وهذا الخلق من أعظم الأخلاق لما فى الحديث « كاد الحليم أن يكون نبيا» وفى الحديث «يبلغ الحليم بحلمه مالا يبلغه الصائم القائم» الآثار فى ذلك كثيرة (قوله والذين يبيتون) شروع فى ذكر معاملتهم للخالق إثر معاملتهم للخلق وخص البيتوتة بالذكر لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء وفى الحديث لازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لاينامون ، وأخر القيام مراعاة للفواصل (قوله أى يصلون بالليل) هذا صادق بصلاة العشاء والصبح فى جماعة ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيرا (قوله والذين يقولون الخ) أى فهم مع حسن المعاملة للخلق وللخالق ليس عندهم غرور ولا امن من مكر الله بل هم خائفون من عذابه وجلون من هيبته (قوله إن عذابها الخ) تعليل لقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم (قوله كان غراما) أى فى علمه تعالى (قوله أى لازما) أى لزوما كليا فى حق الكفار ولزوما بعده خروج فى حق عصاة المؤمنين (قوله إنها ساءت) الفاعل ضمير مستتر يفسره التمييز المذكور والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله هى (قوله مستقرا ومقاما) هما بمعنى واحد وهو الذى يشير إليه المفسر وقيل مستقرا لعصاة المؤمنين ومقاما للكافرين (قوله بفتح أوله) أى مع كسر التاء وضمها من باب ضرب ونصر وقوله وضمه أى مع كسر التاء لاغير فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أى يضيقوا) أى على عيالهم مع يسارهم (قوله وكان بين ذلك قواما) هو بمعنى قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية (قوله والذين لايدعون مع الله الخ) شروع فى بيان اجتنابهم للمعاصى إثر بيان إتيانهم الطاعات (قوله إلا بالحق) أى لايقتلون النفس المحرمة بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق بأن تكون مستحقة للقتل كالمرتد والزانى المحصن والقاتل (قوله أى واحدا من الثلاثة) فى بعض النسخ أى ماذكر وهو المناسب لقوله يضاعف لأن المشرك إذا ارتكب المعاصى مع الشرك تضاعف له العقوبة (قوله وفى قراءة يضعف) أى فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما مع جزم الفعل ورفعه فالقراآت أربع سبعيات .

(قوله بدلا) أى من يلق بدل اشتمال (قوله مهانا) أى ذليلا حقيرا (قوله إلا من تاب) استثناء متصل من الضمير فى يلق (قوله فأولئك) اسم الاشارة راجع لقوله من تاب (قوله يبدّل الله سيئاتهم) أى يمحو ماسبق منهم من المعاصى بسبب التوبة ويثبت مكانها الطاعات أوثبتها . وفى القرطبى ولايبعد فى كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة (قوله ومن تاب) أى عن المعاصى بتركها والندم عليها (قوله وعمل صالحا) أى فعل الطاعات ولو بالنية كمن جاءه الموت عقب التوبة (قوله فيجازيه خيرا) دفع بذلك مايتوهم من اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال : من تاب وعمل صالحا فانه يرجع إلى جزاء الله فى الآخرة الجزاء الحسن (قوله والذين لايشهدون الزور) أى لايحضرونه أو لايشهدون به (قوله وإذا مروا باللغو) أى من غير قصد منهم له (قوله وغيره) أى وهو الفعل القبيح (قوله مروا كراما) أى مكرمين أنفسهم بالغض عن الفواحش (قوله بل خروا سامعين الخ) أشار بذلك إلى أن النفى مسلط على القيد فقط وهو قوله صما وعميانا ، والمعنى إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر (قوله من أزواجنا) من البيان (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قرّة أعين) أى ما يحصل به سرورها (قوله واجعلنا للمتقين إماما)

بدلا وبرفعهما استئنافا (مُهَانًا) حال (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا) منهم (فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ) المذكورة (حَسَنَاتٍ) فى الآخرة (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أى لم يزل متصفا بذلك (وَمَنْ تَابَ) من ذنوبه غير من ذكر (وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا) أى يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ) أى الكذب والباطل (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ) من الكلام القبيح وغيره (مَرُّوا كِرَامًا) معرضين عنه (وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) أى القرآن (لَمْ يَخِرُّوا) يسقطوا (عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا) بالجمع والإفراد (قُرَّةَ أَعْيُنٍ) لنا بأن نراهم مطيعين لك (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) فى الخير (أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ) الدرجة العليا فى الجنة (بِمَا صَبَرُوا) على طاعة الله (وَيُلَقَّوْنَ) بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء (فِيهَا) فى الغرفة (تَحِيَّةً وَسَلَامًا) من الملائكة (خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) موضع إقامة لهم ، وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ (قُلْ) يا محمد لأهل مكة (مَا) نافية (يَعْبَأُ) يكترث (بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) إياه فى الشدائد فيكشفها (فَقَدْ) أى فكيف يعبأ بكم وقد (كَذَّبْتُمْ) الرسول والقرآن ، (فسوف

أى اجعلنا هداة يقتدى بنا فى مواسم الخيرات والطاعات بأن تصفى بواطننا من غيرك حتى يكون حالنا سببا فى هداية الخلق ولذا قيل : حال رجل فى ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل فى رجل ولفظ إمام يستوى فيه الجمع وغيره فالمطابقة حاصلة (قوله أولئك) اسم الاشارة عائد على المتصفين بالأوصاف الثمانية (قوله الغرفة) اسم جنس أريد به الجمع والغرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلا مساكن الدنيا (قوله بالتشديد) أى ومعناه يعطون والفاعل الله وقوله والتخفيف أى فمعناه يجدون والقراءتان سبعيتان (قوله تحية وسلاما) جمع بينهما لأن المراد بالتحية الاكرام بالهدايا والتحف وبالسلام سلامه تعالى عليهم بالقول أو سلام الملائكة أو سلام بعضهم على بعض (قوله الملائكة) أى أو من الله أو من بعضهم لبعض ، والمعنى تحييهم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فتحصل أن قوله تحية وسلاما قيل هما بمعنى واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظهما وقيل متخالفان ، فالتحية الاكرام بالهدايا والتحف ، والسلام الدعاء إما من الملائكة أو من الله أو من بعضهم لبعض (قوله خالدين فيها) أى لايموتون ولا يخرجون (قوله وأولئك) أى الواقع مبتدأ وقوله وما بعده ؛ أى قوله يجزون الواقع خبره (قوله قل مايعبأ بكم ربى الخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين أفاد أن المدار على تلك الأوصاف التى بها السعادة لله ، فلولا العبادة الواقعة من الخلق لم يكترث بهم ولم يعتد بهم عنده فان الانسان خلق ليعرف ربه ويعبده وإلا فهو شبيه بالبهائم قال تعالى ــ وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ــ ففى العبادة يتنافس المتنافسون وبها يفوز الفائزون (قوله لولا دعاؤكم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف لفاعله

(قوله فسوف يكون العذاب) أى الذى دل عليه قوله فقد كذبتم (قوله لزاما) مصدر لازم كقاتل قتالا والمراد هنا اسم الفاعل وفى الآية تهديد لكفار مكة (قوله فقتل منهم يوم بدر سبعون الخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال : خمس قد مضين الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر» وقوله خمس أى خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل فالدخان هو قوله تعالى ـ يوم تأتى السماء بدخان مبين ـ والمراد به شئ يشبه الدخان وقد نزل بقريش من شدة الجوع صار الواحد يرى كأن بينه و بين السماء دخانا ، والقمر فى قوله تعالى ـ اقتربت الساعة وانشق القمر ـ والروم فى قوله تعالى ـ غلبت الروم فى أدنى الأرض ـ والبطشة فى قوله تعالى ـ يوم نبطش البطشة الكبرى ـ وهى القتل يوم بدر واللزام هو الأسر يومها (قوله دل عليه ماقبلها) أى وهو قوله قل مايعبأ بكم ربى والتقدير لولا دعاؤكم : أى طلبكم من الله رفع الشدائد وأنتم تتعلقون بأستار الكعبة ما يعبأ بكم أى ما يكترث بكم فلا يرفعها عنكم وقوله فقد كذبتم أى دمتم على تكذيبه بعد إخراجه من بينكم فسوف يكون العذاب لازما لكم لايرد عنكم ولا يقبل منكم دعاء فتدبر .

[سورة الشعراء] أى السورة التى ذكر فيها الشعراء سميت باسم بعضها على عادته تعالى ، وقد ورد فى فضل الطواسين أحاديث منها ماروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله أعطانى السبع الطوال مكان التوراة وأعطانى المئ مكان الأنجيل وأعطانى الطواسين مكان الزبور وفضلنى بالحواميم والمفصل ماقرأهن نبى قبلى» (قوله إلا والشعراء إلى آخرها) أى وجملته أربع آيات (قوله طسم) هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض وفى مصحف ابن مسعود ط س م مفصولة من بعضها وبها قرئ فيقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف وقرئ هنا وفى القصص بكسر الميم على البناء وأمال

(١٥٧)

(فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَامًا) ملازما لكم فى الآخرة بعد مايحل بكم فى الدنيا فقتل منهم يوم بدر سبعون ، وجواب لولا دل عليه ماقبلها .

(سورة الشعراء)

مكية إلا : والشعراء إلى آخرها فمدنى ، وهى مائتان وسبع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . طسٓمٓ) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن ، والاضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) المظهر الحق من الباطل (لَعَلَّكَ) يامحمد (بَاخِعٌ نَفْسَكَ) قاتلها غما من أجل (أ) نْ (لَا يَكُونُوا) أى أهل مكة (مُؤْمِنِينَ) ولعل هنا للاشفاق : أى أشفق عليها بتخفيف هذا الغم (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ) بمعنى المضارع : أى تظل أى تدوم (أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) فيؤمنون ، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذى هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء (وَمَا يَأْتِيهِمْ ،

الطاء بعض القراء (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أصح وأسلم (قوله تلك) مبتدأ وآيات الكتاب خبره واسم الاشارة عائد على آيات هذه السورة (قوله والاضافة بمعنى من) أى والمعنى آيات من الكتاب (قوله المظهر الحق من الباطل) أشار بذلك إلى أن المبين من أبان بمعنى أظهر ويصح أن يكون من بان اللازم بمعنى ظهر أى الظاهر إعجازه (قوله لعلك باخع نفسك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والباخع من بخع من باب نفع قتل نفسه من وجد أو غيظ (قوله ولعل هنا للاشفاق) أى فالترجى بمعنى الأمر والمعنى ارحم نفسك وارأف بها (قوله أى أشفق عليها) بقطع الهمزة من الرباعى و بوصلها من الثلاثى والأول إن تعدى بمن كان بمعنى الخوف و إن تعدى بعلى كان بمعنى الرحمة والرفق (قوله إن نشأ ننزل عليهم الخ) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان حقيقة أمرهم ، والمعنى لاتحزن على عدم إيمانهم فاننا لوشئنا إيمانهم لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم فيؤمنون قهرا عليهم ولكن سبق فى علمنا شقاؤهم فعدم إيمانهم منا لامنهم فأرح نفسك من التعب القائم بها ، إن حرف شرط ونشأ فعل الشرط وننزل جوابه (قوله آية) أى معجزة تخوفهم كرفع الجبل فوق رءوسهم كما وقع لبنى إسرائيل (قوله بمعنى المضارع) أشار بذلك إلى أن قوله فظلت مستأنف ويصح أن يكون معطوفا على ننزل فهو فى محل جزم (قوله ولما وصفت الأعناق بالخضوع الخ) دفع بذلك مايقال كيف جمع الأعناق بجمع العقلاء ؟ فأجاب بأنه لما ناسب بالخضوع لما هو وصف العقلاء جمعها بالياء والنون

كقوله تعالى ـ رأيتهم لى ساجدين ـ قالتا أتينا طائعين ـ وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول خاضعة وهناك أجوبة أخر : منها أن أن المراد بالأعناق الرؤساء ، ومنها أن لفظ الأعناق مقحم والأصل فظلوا لها خاضعين ، ومنها غير ذلك (قوله من ذكر) من زائدة وقوله من الرحمن من ابتدائية (قوله صفة كاشفة) أى لأنه فهم من قوله يأتيهم لأن التعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث (قوله إلا كانوا عنه معرضين) أى غير متأملين له (قوله عواقب) أى وعبر عنها بالأنباء لأن القرآن أخبر عنها والمراد تنزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم (قوله أو لم يروا إلى الأرض) أى إلى عجائبها والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض الخ وهذا بيان للأدلة التى تحدث فى الأرض وقتا بعد وقت تدل على أنه منفرد بالألوهية ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر (قوله كم أنبتنا فيها) كم فى محل نصب مفعول لأنبتنا ومن كل زوج تمييز لها (قوله نوع حسن) أى كثير النفع (قوله إن فى ذلك لآية الخ) قد كررت هذه الآية فى هذه السورة ثمان مرات (قوله فى علم الله) هذا مبنى على أصالة كان وقوله وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان فكان المناسب أن يقول وقال سيبويه كان زائدة (قوله ذو العزة) أى الهيبة والجلال (قوله ينتقم من الكافرين) أى بمظهر عزته الذى هو القهر والغلبة وقوله يرحم المؤمنين أى بمظهر رحمته (قوله وإذ نادى ربك موسى الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة سبع قصص : أولها قصة موسى وهرون . ثانيها قصة إبراهيم . ثالثها قصة نوح . رابعها قصة هود . خامسها قصة صالح . سادسها قصة لوط . سابعها قصة شعيب ، وتقدم حكمة ذكر تلك القصص أن بها تكون الحجة على الكافرين والزيادة فى علم المؤمنين ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء وكافرها أشقى الأشقياء وحكمة التكرار الزيادة فى إيمان المؤمن وقطع حجة الكافر والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وليس المراد به ذكر وقت المناداة بل المراد ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت

مِنْ ذِكْرٍ) قرآن (مِنَ الرَّحْمٰنِ مُحْدَثٍ) صفة كاشفة (إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ . فَقَدْ كَذَّبُوا) به (فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ) عواقب (مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ . أَوَلَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا) أى كثيرا (مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) نوع حسن (إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً) دلالة على كمال قدرته تعالى (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) فى علم الله وكان قال سيبويه زائدة (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) ذو العزة ينتقم من الكافرين (الرَّحِيمُ) يرحم المؤمنين (وَ) اذكر يا محمد لقومك (إِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى) ليلة رأى النار والشجرة (أَنِ) أى بأن (ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) رسولا (قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله و بنى إسرائيل باستعبادهم (أَلَا) الهمزة للاستفهام الانكارى (يَتَّقُونَ) الله بطاعته فيوحدونه (قَالَ) موسى (رَبِّ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ . وَيَضِيقُ صَدْرِى) من تكذيبهم لى (وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِى) بأداء الرسالة ،

(قوله ليلة رأى النار والشجرة) أى رأى النار موقدة المعقدة فى الشجرة الخضراء وليس هذا مبدأ ما وقع فى المناداة وإنما هو ما فصل فى سورة طه من قوله تعالى ـ إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا ، إلى قوله : لنريك من آياتنا الكبرى ـ (قوله أن ائت القوم الظالمين) يصح أن تكون أن مصدرية كما مشى عليه المفسر أو مفسرة لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه وكان النداء بكلام نفسى سمعه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة (قوله رسولا) حال من فاعل ائت (قوله قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين وقوله معه أى فرعون وهذا قد فهم بالأولى لأنه رأس الضلال (قوله و بنى إسرائيل) معطوف على أنفسهم والتقدير وظلموا بنى إسرائيل (قوله باستعبادهم) أى معاملتهم إياهم معاملة العبيد فى استخدامهم فى الأعمال الشاقة والصنائع الخسيسة نحو أربعمائة سنة ، وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين (قوله للاستفهام الانكارى) المناسب أن يقول للاستفهام التعجبى لأن المعنى على الانكار فاسد لأنه للنفى ومدخولها نفى ونفى النفى إثبات ، فيصير المعنى أنهم اتقوا الله وليس كذلك ، ويصح أن تكون ألا للعرض (قوله قال رب إنى أخاف الخ) اعتذار من موسى لاظهار العجز عن الأمر الذى كلفه وقد أتى بثلاثة أعذار كل واحد منها مرتب على ما قبله (قوله ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى) هما بالرفع على الاستئناف أو عطف على خبر إن عند السبع وقرئ شذوذا بنصبهما عطفا على مدخول إن والمقصود من هذا الاعتذار الاعانة على هذا الأمر المهم بشرح الصدر وطلق اللسان و إرسال أخيه والأمن من القتل وقد دل

على ذلك قوله فى سورة طه رب اشرح لى صدرى و يسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى الآيات (قوله للعقدة التى فيه) أى الثقل الحاصل بسبب وضع الجمرة عليه وهو صغير حين نتف لحية فرعون فاغتم لذلك وهم بقتله فأشارت عليه زوجته أن يمتحنه فقدم له تمرة وجمرة فأخذ الجمرة بتحويل جبريل يده فوضعها على لسانه فحصل فيه ثقل فى النطق (قوله فأرسل إلى هرون) أى وكان فى مصر فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة فموسى جاءته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل و إن كان حاضرا وهرون جاءته الرسالة فى ذلك الوقت أيضا بواسطة جبريل (قوله معى) أى ليكون معينا لى وهو بمعنى قوله فى سورة القصص فأرسله معى ردءا يصدقنى (قوله ولهم على ذنب) أى فى زعمهم (قوله فأخاف أن يقتلون) أى فيفوت المقصود من الارسال (قوله فيه تغليب الحاضر على الغائب) أى بالنسبة لموسى وإلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى لكن سمع موسى الخطاب من الله بلاواسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله بآياتنا) جمع الآيات مع أنهما اثنتان العصا واليد باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات (قوله إنا معكم) أى معية خاصة بالعون والنصر (قوله أجريا مجرى الجماعة) أى تعظيما لهما (قوله أى كلامنا) قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم إن وخبرها الذى هوالرسول حيث أفرده (قوله أن أرسل معنا بنى إسرائيل) أى خلصهم وأطلقهم (قوله فأتياه الخ) أشار بذلك إلى أن قوله قال ألم نربك الخ مرتب على محذوف روى أنهما لما انطلقا إلى فرعون لم يؤذن لهما سنة فى الدخول عليه فدخل البواب على فرعون وقال له ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال له فرعون ائذن له لعلنا نضحك معه فدخلا عليه فوجداه قد أخرج سباعا من أسد ونمور وفهود يتفرج عليها فخاف خدامها أن تبطش بموسى وهرون فأسرعوا إليهما وأسرعت السباع إلى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ماأنتما قالا إنا رسول رب العالمين فعرف موسى لأنه نشأ فى بيته فقال ألم نربك فينا وليدا الخ فامتن عليه أولا بنعمة التربية . وثانيا بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتل القبطى (قوله قريبا من الولادة) قصده بذلك دفع ماورد على الآية بأن الوليد يطلق على المولود حال ولادته وليس مرادا هنا فانه كان زمن الرضاع عند أمه ثم أخذه فرعون بعد الفطام والأولى إبقاء الآية على ظاهرها لأن موسى و إن كان عند أمه إلا أنه تحت نظر فرعون فهو فى تربيته من حين ولادته (قوله من عمرك) حال من سنين لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله وعدم الاستعباد) أى اتخاذك لى عبدا مثل بنى إسرائيل (قوله حينئذ) هذا حل معنى لاحل إعراب وهى حرف جواب فقط ، وقيل حرف جواب وجزاء (قوله عما آتانى الله بعدها الخ) أى فليس على فيما فعلته فى تلك الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ ، أو المعنى من المخطئين لامن المتعمدين (قوله وجعلنى من المرسلين) فى ذلك رد لما وبخه به فرعون وهو القتل بغير حق فكأنه قال كيف تدعى الرسالة وقد حصل منك مايقدح فى تلك الدعوى فأجابه موسى بأنه قتله قبل أن تأتيه الرسالة ثم أتته بعد ذلك (قوله وتلك نعمة) مبتدأ وخبر وقوله تمنها صفة لنعمة وأن عبدت الخ عطف بيان موضح للمبتدأ كما قاله المفسر (قوله أصله تمن بها على) أى بحذف الجار فاتصل الضمير فهو من باب الحذف والايصال

للعقدة التى فيه (فَأَرْسِلْ إِلَى) أخى (هَٰرُونَ) معى (وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ) بقتل القبطى منهم (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) به (قَالَ) تعالى (كَلَّا) أى لايقتلونك (فَاذْهَبَا) أى أنت وأخوك ، فيه تغليب الحاضر على الغائب (بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) ما تقولون وما يقال لكم أجريا مجرى الجماعة (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا) أى كلا منا (رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك (أَنْ) أى بأن (أَرْسِلْ مَعَنَا) إلى الشام (بَنِي إِسْرَائِيلَ) فأتياه فقالا له ما ذكر (قَالَ) فرعون لموسى (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا) فى منازلنا (وَلِيدًا) صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه (وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ) هى قتله القبطى (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) الجاحدين لنعمتى عليك بالتربية وعدم الاستعباد (قَالَ) موسى (فَعَلْتُهَا إِذًا) أى حينئذ (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) عما آتانى الله بعدها من العلم والرسالة (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا) علما (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ) أصله تمن بها على (أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بيان لتلك أى اتخذتهم عبيدا

(قوله ولم تستعبدني) أي فلا منة لك علي في عدم استعبادك إياي لأن استعبادك غيري ظلم وقد نجاني الله منه (قوله وقدر بعضهم) أي وهو الأخفش (قوله أول الكلام) أي والأصل أو تلك نعمة الخ (قوله للانكار) أي وهو بمعنى النفي (قوله أي أي شيء هو) أي وذلك لأن مايسئل بها عن الحقيقة . والمعنى أي جنس هو من أجناس الموجودات (قوله ومابينهما) أي جنس السموات والأرض ، فاندفع ما قيل لم ثنى الضمير مع أن مرجعه جمع (قوله إن كنتم موقنين) أي محققين أن الله تعالى هو الخالق لها (قوله من أشراف قومه) أي وكانوا خمسمائة لابسين الأساور ولم يكن يلبسها إلا السلاطين على عادة الملوك (قوله الذي لم يطابق السؤال) أي لأن مايسئل بها عن الحقيقة وقد أجابه بالصفات التي يسئل عنها بأي والعدول عن المطابقة لأن السؤال عن الحقيقة عبث

وسفه لاستحالته (قوله قال ربكم ورب آبائكم الأولين) إنما ذكر ذلك

ولم تستعبدني ، لانعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم ، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار (قَالَ فِرْعَوْنُ) لموسى (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) الذي قلت إنك رسوله : أي أي شيء هو ، ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى و إنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها (قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي خالق ذلك (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون (لِمَنْ حَوْلَهُ) من أشراف قومه (أَلَا تَسْتَمِعُونَ) جوابه الذي لم يطابق السؤال (قَالَ) موسى (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) وهذا و إن كان داخلا فيما قبله يغيظ فرعون ولذلك (قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ . قَالَ) موسى (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) أنه كذلك فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون لموسى (لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لايبصر ولا يسمع فيه أحدا (قَالَ) له موسى (أَوَلَوْ) أي أتفعل ذلك ولو (جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ) أي برهان بين على رسالتي (قَالَ) فرعون له (فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) حية عظيمة (وَنَزَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ) ذات شعاع (لِلنَّاظِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قَالَ) فرعون (لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) فائق في علم السحر (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) أخر أمرهما (وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) يفضل موسى في علم السحر (فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) وهو وقت الضحى

لأن نفوسهم أقرب الأشياء إليهم (قوله وهذا) أي الجواب (قوله ولذلك) أي لشدة غيظه (قوله قال إن رسولكم) سماه رسولا استهزاء وأضافه إلى المخاطبين استنكافا من نسبته له (قوله قال رب المشرق والمغرب وما بينهما) أي فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويذهب بها من المغرب (قوله إن كنتم تعقلون) أي إن كان لكم عقل ، وفيه رد لقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (قوله قال لئن اتخذت إلها غيري الخ) عدول عن المحاجة إلى التهديد لقصر حجته وجهله وعدم استقامته روى أنه فزع من موسى فزعا شديدا حتى كان من اللعين لايمسك بوله (قوله أي أتفعل ذلك) أشار إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف (قوله قال فأت به) إنما أمر فرعون بالاتيان به لظنه أنه يقدر على معارضته (قوله ونزع يده) أي من جيبه قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال هل لك غيرها ؟ فأخرج يده فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار و يسد الأفق (قوله من الأدمة) أي السمرة (قوله حوله) ظرف في محل الحال (قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم) لما رأى تلك الآيات الباهرة خاف على قومه أن يتبعوه فتنزل إلى مشاورتهم بعد أن كان مستقلا بالرأي والتدبير ، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام (قوله فماذا تأمرون) أي أي شيء تأمروني به (قوله يأتوك) مجزوم في جواب الأمر (قوله يفضل موسى) أي يفوقه ويزيد عليه .

من يوم الزينة (وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ. لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجي على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم فلا يتبعوا موسى (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ. قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا) أي حينئذ (لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. قَالَ لَهُمْ مُوسَى) بعد ماقالوا له إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين (أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ) فالأمر فيه للاذن بتقديم إلقائهم توسلا به إلى إظهار الحق (فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ. فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل تبتلع (مَا يَأْفِكُونَ) يقلبونه بتمويههم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى (فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ) لعلمهم بأن ماشاهدوه من العصا لايتأتى بالسحر (قَالَ) فرعون (أَآمَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (لَهُ) لموسى (قَبْلَ أَنْ آذَنَ) أنا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ) فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر (فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) ماينالكم مني (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ) أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا لَا ضَيْرَ) لاضرر علينا في ذلك (إِنَّا إِلَى رَبِّنَا) بعد موتنا بأي وجه كان (مُنْقَلِبُونَ) راجعون في الآخرة (إِنَّا نَطْمَعُ) نرجو (أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ) أي بأن (كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ) في زماننا (وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى) بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا عتوا (أَنْ أَسْرِ

(قوله من يوم الزينة) كان يوم عيد لهم، وقيل كان يوم سوق (قوله والترجي على تقدير غلبتهم) أي الترجي على فرض الغلبة المقتضية للاتباع (قوله على الوجهين) أي تحقيقهما وتسهيل الثانية وكان عليه أن يقول وتركه أي ترك الادخال على الوجهين فتكون القراءات أربعا (قوله لأجرا) أي أجرة وجعلا (قوله قال نعم) أي لكم الأجرة على عملكم السحر وزادهم بقوله وإنكم إذا الخ (قوله فالأمر فيه) جواب عما يقال كيف يأمرهم بعمل السحر مع أنه لايجوز الأمر به لأن الأمر به رضا والرضا بالكفر كفر. وحاصل الجواب أن الممتنع الأمر به في حال كونه مستحسنا له، وأما الأمر به للتوسل لابطاله فليس فيه استحسان ولارضا بل هو الممدوح شرعا (قوله وقالوا بعزة فرعون) أي نقسم ونحلف بعزة فرعون وأقسموا لفرط اعتقادهم في أنفسهم أنهم غالبون (قوله من الأصل) أي أصل الصيغة (قوله (١٦١) يقلبونه) أي يغيرونه عن حاله الأول من الجمادية إلى كونه حية تسعى وقوله بتمويههم الباء سببية (قوله فألقى السحرة) أي خروا وسقطوا ساجدين لما رأوا من باهر المعجزة فلم يتمالكوا أنفسهم (قوله رب موسى وهرون) بدل مما قبله للتوضيح وللاشعار بأن سبب إيمانهم ما أجراه الله على يد موسى وهارون (قوله وإبدال الثانية ألفا) صوابه الثالثة لأنها هي المنقلبة ألفا وترك قراءة أخرى وهي حذف الأولى من الهمزتين وقلب الثالثة ألفا (قوله فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر) أي أخفاه منكم وأراد فرعون بهذا الكلام التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق (قوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) حاصله أنهم لما آمنوا بأجمعهم اشتد خوف فرعون على باقي قومه من دخولهم في الايمان فنفر الباقي بقوله لأقطعن الخ (قوله إنا إلى ربنا منقلبون) تعليل لنفي الضير وهل فعل بهم ماتوعدهم به خلاف ولم يرد في القرآن مايدل على أنه فعل (قوله في زماننا) أي من أتباع فرعون فلا ينافي أن بني إسرائيل سبقوهم بالايمان (قوله وأوحينا إلى موسى) يحتمل أن يكون الوحي بتكليم الله له أو على لسان جبريل (قوله بعد سنين) أي ثلاثين وذلك أن موسى مكث في مصر أولا ثلاثين، وفي مدين عشر سنين ثم لما رجع إلى مصر ثانيا مكث يدعوهم إلى الله ثلاثين سنة ثم أغرق الله فرعون وقومه وعاش بعد ذلك خمسين سنة فجملة عمره مائة وعشرون سنة (قوله بآيات الله) أي باقي التسع لأن موسى افتتحهم أولا بالعصا واليد فلم يؤمنوا فجاءهم بالسنين المجدبة ثم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس على أموالهم فلم يفد فيهم ذلك وقد سبق ذلك مفصلا في الأعراف.

بِعِبَادِي) بني إسرائيل ، وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة أسري من سرى لغة في أسرى أي سر بهم ليلا إلى البحر (إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ) حين أخبر بسيرهم (فِي الْمَدَائِنِ) قيل كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية (حَاشِرِينَ) جامعين الجيش قائلا (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ) طائفة (قَلِيلُونَ) قيل كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفا ومقدمة جيشه سبعمائة ألف فقللهم بالنظر إلى كثرة جيشه (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ) فاعلون مايغيظنا (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ) متيقظون وفي قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى (فَأَخْرَجْنَاهُمْ) أي فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه (مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين كانت على جانبي النيل (وَعُيُونٍ) أنهار جارية في الدور من النيل (وَكُنُوزٍ) أموال ظاهرة من الذهب والفضة ، وسميت كنوزا لأنه لم يعط حق الله تعالى منها (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن للأمراء والوزراء يحفه أتباعهم (كَذَٰلِكَ) أي إخراجنا كما وصفنا (وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعد إغراق فرعون وقومه (فَأَتْبَعُوهُمْ) لحقوهم (مُشْرِقِينَ) وقت شروق الشمس (فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ) أي رأى كل منهما الآخر (قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) يدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا به (قَالَ) موسى (كَلَّا) ، أي

(قوله بعبادي) الإضافة للتشريف ، والمعنى سر بعبادي المخصصين برحمتي و إلا فالكل من حيث الخلق عباده (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله إلى البحر) أي بحر القلزم فخرج موسى عليه السلام ببني إسرائيل في آخر الليل فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر فكان الرجل من بني إسرائيل يراجعه في ذلك فيقول هكذا أمرني ربي فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسى ببني إسرائيل خرج في أثرهم و بعث إلى مدائن مصر لتلحقه الجيوش (قوله إنكم متبعون) علة للأمر بالسير (قوله حين أخبر بسيرهم) روي أن قوم موسى قالوا لجماعة فرعون إن لنا في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم (قوله ومقدمة جيشه الخ) أي وجملة جيشه ألف ألف وستمائة (قوله فاعلون مايغيظنا) أي حيث خالفوا ديننا وطمسوا على أموالنا وقتلوا أبكارنا لما روي : أن الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبكار القبط وأوحى إلى موسى أن يجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم يذبحوا أولاد الضأن و يلطخوا أبوابهم بدمائهم لتميز الملائكة بيوت بني إسرائيل من بيوت القبط فدخلت الملائكة فقتلت أبكارهم فأصبحوا مشغولين بموتاهم وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه (قوله وإنا لجميع حذرون) أي من عادتنا الحذر والحزم في الأمور (قوله وفي قراءة الخ) أي وهي سبعية أيضا بمعنى الأولى ، وقيل الحذر المتيقظ والحاذر الخائف (قوله كانت على جانبي النيل) أي من أسوان إلى رشيد . قال كعب الأحبار : أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا سيحان وجيحان والنيل والفرات فسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة والنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة (قوله أموال ظاهرة) هذا أحد قولين ، وقيل المراد بالكنوز الأموال التي تحت الأرض وخصها بالذكر لأن مافوق الأرض انطمس وحينئذ فتسميتها كنوزا ظاهر (قوله مجلس حسن للأمراء والوزراء) قيل كان إذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب ، وقيل المقام الكريم المنابر وكانت ألف منبر لألف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه (قوله أي إخراجنا كما وصفنا) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وأورثناها) أي الجنات والعيون والكنوز . وقيل المراد أورثنا بني إسرائيل مااستعاروه من حلي آل فرعون ، والأحسن أن يراد ماهو أعم فإن بني إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وملكوا مشارق الأرض ومغاربها (قوله وقت شروق الشمس) أي يوم الملاقاة وليس المراد أنهم أدركوا بني إسرائيل يوم خروجهم لأنهم تأخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم .

أى لن يدركونا (إِنَّ مَعِىَ رَبِّى) بنصره (سَيَهْدِينِ) طريق النجاة قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ) فضربه (فَانفَلَقَ) فانشق اثنى عشر فرقا (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يبتل منها سرج الراكب ولا لبده (وَأَزْلَفْنَا) قربنا (ثَمَّ) هناك (الْآخَرِينَ) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم (وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ) باخراجهم من البحر على هيئته المذكورة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم فى البحر وخروج بنى إسرائيل منه (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ) أى إغراق فرعون وقومه (لَآيَةً) عبرة لمن بعدهم (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت ناموسى التى دلت على عظام يوسف عليه السلام (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ) فانتقم من الكافرين باغراقهم (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين فأنجاهم من الغرق (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) أى كفار مكة (نَبَأَ) خبر (إِبْرَاهِيمَ) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه (فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ) أى نقيم نهارا على عبادتها زادوه فى الجواب افتخارا به (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ

(قوله أى لن يدركونا) أشار بذلك إلى أن كلا للنفى ، والمعنى لاسبيل لهم علينا لأن الله وعدنا بالخلاص منهم (قوله فأوحينا إلى موسى الخ) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاج فصار يرمى بموج كالجبال فصار بنو إسرائيل يقولون أين أمرت فرعون من خلفنا والبحر أمامنا وموسى يقول ههنا فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فاذا الرجل واقف على فرسه ولم يبتل سرجه ولالبده (قوله اثنى عشر فرقا) أى قطعة بعدد أسباط بنى إسرائيل (قوله بينها مسالك) أى بين لاثنى عشر فرقا (قوله على هيئته) أى وهى انفلاقه اثنتا عشرة فرقة (قوله وحزقيل) هو المذكور فى قوله تعالى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون الخ وقوله ومريم بنت ناموسى أى وكانت عجوزا تعيش من العمر نحو سبعمائة سنة (قوله التى دلت على عظام يوسف عليه السلام) وسبب ذلك أن الله أمر موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خروجه من مصر فسأل على قبره فلم يعرف إذ ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة وكان يوسف قد دفن فى قعر بحر النيل فحفر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام .

فائدة — قال قيس بن حجاج : لما فتحت مصر أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بئونة من أشهر القبط فقالوا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة وعادة لايجرى إلا بها فقال لهم وماذاك فقالوا إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وحملنا عليها من الحلى والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لايكون فى الاسلام وإن الاسلام ليهدم ماقبله ، فأقاموا بئونة وأبيب ومسرى لايجرى قليلا ولا كثيرا وهموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأعلمه بالقصة ، فكتب إليه عمر ابن الخطاب : إنك قد أصبت بالذى فعلت وإنى قد بعثت إليك ببطاقة فى داخل كتابى فألقها فى النيل إذا أتاك كتابى ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فان كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فألقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد زاد فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة (قوله واتل عليهم نبأ إبراهيم) عطف على اذكر العامل فى قوله : وإذ نادى ربك موسى الخ عطف قصة على قصة (قوله أى كفار مكة) خصهم بالذكر لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية وإلا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله ماتعبدون) ما اسم استفهام معمول لتعبدون ، والمعنى ماهذا الذى تعبدونه أى ماحقيقته (قوله صرحوا بالفعل الخ) جواب عما يقال كان القياس أن يقولوا أصناما كقوله : ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو . فأجاب بأنهم صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه مافيه الافتخار (قوله أى نقيم نهارا على عبادتها) هذا معنى نظل الأصلى ولكن مقتضى الافتخار أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلا ونهارا (قوله زادوه) أى قوله فنظل الخ (قوله قال هل يسمعونكم) أتى بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر وثابت فى الأصنام فى الماضى والحال والاستقبال ولابد من محذوف هنا دل عليه قوله : إذ تدعون تقديره هل يسمعون دعاءكم .

(قوله إذ تدعون) إذ هنا بمعنى إذا استحضارا للحال الماضية وحكاية لها تبكيتا عليهم (قوله قالوا بل وجدنا الخ) هذا الجواب يفيد تسليم ماقاله إبراهيم و إنما اعتذروا عن ذلك بالتقليد فلما لم يجدوا مخلصا غيره احتجوا به (قوله قال أفرأيتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أتأملتم فعلمتم أو أبصرتم ما كنتم تعبدونه (قوله وآباؤكم) عطف على الضمير فى تعبدون وهو ضمير رفع متصل فلذا فصل بالضمير المنفصل . قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل　　عطفت فافصل بالضمير المنفصل

(قوله فانهم عدو لى) أسند العداوة لنفسه تعريضا بهم وهو أبلغ فى النصيحة من التصريح بأن يقول فانهم عدو لكم . إن قلت كيف وصف الأصنام بالعداوة وهى لاتعقل ؟ أجيب بأجوبة منها : أن المعنى عدو لى يوم القيامة إن عبدتهم فى الدنيا ، ومنها أن الكلام على حذف مضاف : أى فان أصحابهم عدو لى ، ومنها أن الكلام على القلب : أى فانى عدو لهم (قوله إلا رب العالمين) أشار المفسر بقوله لكن إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدوى بل هو وليى فى الدنيا والآخرة (قوله الذى خلقنى) نعت لرب العالمين أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف وما بعده عطف عليه (قوله فهو يهدين) أتى بالفاء هنا وفى قوله فهو يشفين لترتب الهداية على الخلق والشفاء على المرض بخلاف الاطعام والاسقاء فليس بينهما ترتب وأتى بثم فى جانب الإحياء لبعد زمنه عن زمن

الموت لأن المراد به الاحياء فى الآخرة (قوله إلى الدين) أى وغيره من مصالح دنياى وآخرتى وإنما خص الدين لأن المقام للرد ولأنه أهم (قوله والذى هو يطعمنى ويسقين) أى فى الدنيا والآخرة (قوله وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض لنفسه وإن كان الكل من الله تأدبا كما قال تعالى — بيدك الخير — ولم يقل والشر ، وقال الخضر : فأردت أن أعيبها، وقال فأراد ربك أن يبلغا أشدهما (قوله والذى أطمع) عبر بالطمع المفيد عدم الأخذ فى الأسباب　قال

(إِذْ) حين (تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ) إن عبدتموهم (أَوْ يَضُرُّونَ)كم إن لم تعبدوهم (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ) أى مثل فعلنا (قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي) لاأعبدهم (إِلَّا) لكن (رَبَّ الْعَالَمِينَ) فإنى أعبده (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) إلى الدين (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ) أرجو (أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) أى الجزاء (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) علما (وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) النبيين (وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ) ثناء حسنا (فِي الْآخِرِينَ) الذين يأتون بعدى إلى يوم القيامة (وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) أى ممن يعطاها (وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ) بأن تتوب عليه فتغفر له وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر فى سورة براءة (وَلَا تُخْزِنِي) تفضحنى (يَوْمَ يُبْعَثُونَ) أى الناس ،

مع أنها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها (قوله أن يغفر لى) ذكر ذلك تواضعا وتعليما للأمة و إلا فهو معصوم من الخطايا (قوله رب هب لى حكما) لما ذكر تلك الأوصاف قوى رجاؤه فى ربه فطلب منه معالى الأمور وخير الدنيا والآخرة (قوله علما) أى زيادة فيه (قوله وألحقنى بالصالحين) أى فى العمل أو فى درجات الجنة (قوله واجعل لى لسان صدق) من إضافة الموصوف للصفة : أى ذكرا حسنا من باب تسمية الشىء باسم آلته (قوله الذين يأتون بعدى) وقد أجابه الله تعالى فمامن أمة من الأمم إلا وهى تحبه وتثنى عليه بخير سيما فى هذه الأمة المحمدية خصوصا المؤمنين منهم فانهم يذكرونه بخير فى كل تشهد و إنما طلب ذلك لينتفع به وهو ينتفع به المثنى لكن بشرط الايمان ، وأما حديث « من أحب قوما حشر معهم و إن لم يعمل بعملهم » فمعناه إذا اشتركوا معهم فى الايمان و إن لم يصلوا لمقامهم (قوله من ورثة جنة النعيم) أى مندرجا فيهم ومن جملتهم و إضافة جنة للنعيم من إضافة المحل إلى الحال فيه فالمراد مطلق الجنة لاخصوص الدار المسماة بذلك ، وقد أجابه الله فى جميع دعواته سوى الدعاء بالغفران لأبيه (قوله بأن تتوب عليه الخ) ظاهره أن هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حى ولكن ينافيه قوله — وهذا قبل أن يتبين له — فان التبين المذكور إنما حصل بموته كافرا وحينئذ فلايصح جعله قيدا للدعاء له فى حياته بالتوفيق للايمان و إنما يصح لو كان المراد الدعاء له بمغفرة الذنوب على حالته التى هو عليها . وأجيب بأنه لامانع أن الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافرا وهو حى وحينئذ فقد صح ماقاله المفسر (قوله وهذا) أى الدعاء له بما ذكر (قوله كما ذكر فى سورة براءة) أى فى قوله — وما كان استغفار إبراهيم لأبيه — الآية (قوله تفضحنى)

أى تكشف عيوبى بين خلقك وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجويز العقلى فإن تعذيب المطيع جائز عقلا لا شرعا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله ـ يوم لا ينفع مال ولا بنون ـ الخ من كلام الله تعالى و يصح أن يكون من كلام إبراهيم فيكون بدلا من يوم قبله (قوله لكن من أتى الله الخ) أشار المفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ولكن ينافيه تقديره أحدا فتحصل أن الاستثناء إما منقطع إن جعل من قوله مال ولا بنون و يكون المعنى لكن من أتى الله بقلب سليم فإنه ينتفع أو متصل إن جعل من المفعول الذى قدره المفسر والتقدير لا ينفع المال والبنون أحدا إلا الذى أتى الله بقلب سليم فإنه ينفعه المال والبنون (قوله وهو قلب المؤمن) أى فينتفع بالمال الذى أنفقه فى الخير والولد الصالح بدعائه له لما فى الحديث « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » (قوله وأزلفت الجنة للمتقين) أى بحيث يشاهدونها فى الموقف و يعرفون ما فيها فتحصل لهم البهجة والسرور وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله و برزت الجحيم للغاوين) أى جعلت لهم بارزة ظاهرة بحيث يرونها مع ما فيها من أنواع العذاب فتحصل لهم المساءة والأحزان و يوقنون بأنهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا (قوله وقيل لهم)

قال تعالى فيه (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) أحداً (إِلَّا) لكن (مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن فإنه ينفعه ذلك (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) فيرونها (وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ) أظهرت (لِلْغَاوِينَ) الكافرين (وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الأصنام (هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ) بدفع العذاب عنكم (أَوْ يَنْتَصِرُونَ) بدفعه عن أنفسهم ، لا (فَكُبْكِبُوا) ألقوا (فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ. وَجُنُودُ إِبْلِيسَ) أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس (أَجْمَعُونَ. قَالُوا) أى الغاوون (وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) مع معبوديهم (تَاللَّهِ إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى إنه (كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (إِذْ) حيث (نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) فى العبادة (وَمَا أَضَلَّنَا) عن الهدى (إِلَّا الْمُجْرِمُونَ) أى الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ) كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أى يهمه أمرنا (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لو هنا للتمنى ونكون جوابه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور من قصة إبراهيم وقومه (لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) بتكذيبهم له لاشتراكهم فى المجىء بالتوحيد ، أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل ، وتأنيث قوم باعتبار معناه ،

أى على سبيل التوبيخ (قوله أين ما كنتم تعبدون) أين خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر وكنتم تعبدون صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه وقوله من دون الله حال (قوله ألقوا) أى مرة بعد أخرى لأن الكبكبة تكرير الكب وهو الالقاء على الوجه كأن من ألقى فى النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها (قوله والغاوون) عطف على ضمير كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل (قوله ومن أطاعه) عطف تفسير (قوله وهم فيها يختصمون) الجملة حالية ومقول القول تالله الخ (قوله واسمها محذوف الخ) قد يقال إنها فى الآية مهملة فلا اسم لها ولا خبر لوجود اللام . قال ابن مالك * وخففت إن فقل العمل * الخ (قوله إذ نسويكم) ظرف لكونهم فى ضلال مبين (قوله أو أولونا) أى السابقون علينا وهو جمع أول (قوله من الملائكة والنبيين الخ) أى فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد « لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » (قوله ولا صديق حميم) أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان : أى خاصته أو الخالص و يؤيده قول المفسر : أى يهمه أمرنا ، وقوله يهمه بضم أوله وكسر ثانيه و بفتح أوله وضم ثانيه (قوله ونكون جوابه) أى فهو منصوب فى جواب التمنى (قوله لآية) أى عظة لمن أراد أن يستبصر بها و يعتبر فإنها على أحسن ترتيب (قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل لم يؤمن منهم إلا لوط ابن أخيه وسارة زوجته كما تقدم فى سورة الأنبياء (قوله بتكذيبهم له) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع أنهم إنما كذبوا رسولا واحدا وهو نوح فأجاب بأن تكذيبهم له تكذيب للباقى فالجمع على حقيقته ، وقوله أو لأنه الخ جواب ثان وعليه فالجمع مجاز (قوله وتأنيث قوم)

أى تأنيث الفعل للسند إليه وقوله باعتبار معناه أى وهو الأمة والجماعة (قوله وتذكيره) أى تذكير الضمير العائد عليه فى قوله : إذ قال لهم ولامفهوم لقوم بل كل اسم جمع أوجمع تكسير لمذكر أو لمؤنث كذلك (قوله نسبا) أى لافى الدين (قوله نوح) تقدم أن اسمه عبد الغفار أو يشكر ونوح لقبه (قوله ألا تتقون) ألا للعرض (قوله إنى لكم رسول أمين) إنما أخبر بذلك ليقبع وليس قصده الافتخار (قوله فاتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله من أجر) من زائدة فى المفعول أى أجرة وجعلا (قوله كرره تأكيدا) أى وحسن ذلك كون الأول مرتبا على الرسالة والأمانة والثانى على عدم سؤاله أجرا منهم (قوله قالوا أنؤمن لك الخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعا من إيمانهم وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس خالصا لوجه الله بل هو طمع فى أن ينالهم شىء من الدنيا (قوله وفى قراءة) ظاهره أنها سبعية وليس كذلك بل هى عشرية والمعتمد جواز القراءة بها (قوله وأتباعك) مبتدأ وخبره الأرذلون ، وأما القراءة الأولى فهى جملة فعلية وهى حالية على كل حال (قوله الأرذلون) جمع أرذل كالأكبرون جمع أكبر (قوله السفلة) المراد بهم الفقراء والضعفاء وسبب مبادرتهم للايمان قلة عوائقهم كالرياسة والغنى فان ذلك موجب للأنفة عن الاتباع (قوله قال وماعلمى) يحتمل أن تكون ما استفهامية

وتذكيره باعتبار لفظه (إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ) نسباً (نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ) الله ، (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) على تبليغ ما أرسلت به (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغه (مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ) أى ثوابى (إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) كرره تأكيداً (قَالُوا أَنُؤْمِنُ) نصدق (لَكَ) لقولك (وَاتَّبَعَكَ) وفى قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ (الْأَرْذَلُونَ) السفلة كالحاكة والأساكفة (قَالَ وَمَا عِلْمِي) أى علم لى (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . إِنْ) ما (حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي) فيجازيهم (لَوْ تَشْعُرُونَ) تعلمون ذلك ماعبتموهم (وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ) ما (أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الانذار (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ) عما تقول لنا (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) بالحجارة أو بالشتم (قَالَ) نوح (رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ . فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً) أى احكم (وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قال تعالى (فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) المملوء من الناس والحيوان والطير (ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ) أى بعد إنجائهم (الْبَاقِينَ) من قومه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أخوهم

وإليه يشير المفسر بقوله أى علم لى ويحتمل أن تكون نافية (قوله بما كانوا يعملون) أى لم أكلف العلم بعقائدهم الباطنية وإنما كلفت أن أدعوهم إلى الايمان (قوله إن حسابهم) أى حساب بواطنهم (قوله ماعبتموهم) قدره إشارة إلى أن لو شرطية حذف جوابها (قوله وما أنا بطارد المؤمنين) جواب لما فهمه من طلبهم طرد الضعفاء وهذا كما سألت قريش النبىّ صلى الله عليه وسلم أن يطرد الموالى والفقراء كما تقدم فى سبب نزول قوله تعالى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى

(قوله إن أنا إلا نذير مبين) أى للمساكين أعزاء وغيرهم فكيف يليق مني طرد الفقراء (قوله قالوا لئن لم تنته) أى تترك ما أنت عليه من معارضتنا (قوله قال رب إن قومى كذبون) إنما قال ذلك تمهيدا للدعاء عليهم كأنه قال إنهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك فأنا أدعو عليهم لأجل ذلك ، والمعنى أنهم استمروا على تكذيبى وأصرّوا عليه بعد ما كررت عليهم الدعوة وسيأتى تفصيل ذلك فى سورة نوح فى قوله : قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا الخ (قوله فافتح بينى وبينهم فتحا) من الفتاحة بالضم والكسر وهى الحكومة أى احكم بيننا بما يستحقه كل منا (قوله ومن معى من المؤمنين) آثر الإيمان إشارة إلى أنهم خالصون فى الاتباع وكان من معه من المؤمنين ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء على أحد أقوال تقدمت (قوله ثم أغرقنا بعد) أى بالطوفان حيث التقى ماء السماء على ماء الأرض (قوله الباقين من قومه) أى صغارا وكبارا فالهلاك الدنيوى عم الكبار والصغار والبهائم وأما فى الآخرة فالخلود فى النار مخصوص بمن مات كافرا بعد البلوغ ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا إلى آخرها فيدخلون الجنة بشفاعة النبىّ صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت عاد) اسم أبى قبيلة هود الأعلى سميت القبيلة باسمه فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة لعاد وقوله المرسلين المراد هود وإنما جمع لأن من كذب رسولا واحدا فقد كذب الجميع لاشتراك الكل فى المجىء بالتوحيد .

(قوله أخوهم) أى من النسب لما تقدم أنه من ذرية عاد ، وكان هود تاجرا جميل الصورة يشبه آدم ، وعاش من العمر أربعمائة وأربعا وستين سنة (قوله ألا تتقون) ألا أداة عرض وهو الطلب بلين ورفق تأليفا القلوب المجرمين لعلهم يهتدون (قوله إنى لكم رسول أمين) تعليل لعرضه التقوى عليهم . والمعنى إنى لكم رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم أمين لا أزيد ولا أنقص (قوله فاتقوا الله) تفريع على قوله إنى لكم رسول أمين : أى فحيث كنت رسولا أمينا فالواجب عليكم تقوى الله وطاعتى فطاعته من حيث كونه رسولا من عند الله لا من حيث ذاته ولذا لم يقل ألا تتقون وتطيعونى (قوله من أجر) أى جعل وأجرة على رسالتى (قوله إلا على رب العالمين) أى لأنه المرسل لى النفى النفى (قوله أتبنون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وهو شروع فى توبيخهم على أمور ثلاثة كل واحد منها مناف للتقوى البناء للعبث واتخاذ المصانع والتجبر (قوله بكل ريع) بكسر الراء ويقال بفتحها هو المكان المرتفع (قوله علما للمارة) أى كالعلم فى الارتفاع (قوله بمن يمر بكم الخ) هذا أحد أوجه فى تفسير متعلق العبث ، وقيل تعبثون بالبناء لظنهم أن المارة يحتاجون إلى البناء ليهتدوا به فى الأسفار مع أنهم يستغنون عنه بالنجوم ، وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها ، وقيل المعنى تبنون بنيانا تجتمعون فيه للعبث وكل صحيح واقع منهم

(قوله مصانع) جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو ضمها وهو الحوض أو البركة تجعل تحت الأرض كالصهاريج (قوله كأنكم) فسر لعل بكأن بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون والأولى إبقاء لعل على بابها من الترجى ويكون المعنى راجين أن تخلدوا فى الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك لأن مجىء لعل بمعنى كأن لم يرد (قوله وإذا بطشتم) أى فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف (قوله فاتقوا الله

أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ) مكان مرتفع (آيَةً) بناء علما للمارة (تَعْبَثُونَ) بمن يمر بكم وتسخرون منهم ، والجملة حال من ضمير تبنون (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ) للماء تحت الأرض (لَعَلَّكُمْ) كأنكم (تَخْلُدُونَ) فيها لا تموتون (وَإِذَا بَطَشْتُمْ) بضرب أو قتل (بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ) من غير رأفة (فَاتَّقُوا اللَّهَ) فى ذلك (وَأَطِيعُونِ) فيما أمرتكم به (وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ) أنعم عليكم (بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ . وَجَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) أنهار (إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) فى الدنيا وفى الآخرة إن عصيتمونى (قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا) مستو عندنا (أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ) أصلا : أى لا نرعوى لوعظك (إِنْ) ما (هَٰذَا) الذى خوفتنا به (إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ) أى اختلاقهم وكذبهم ، وفى قراءة بضم الخاء واللام : أى ماهذا الذى نحن عليه من أن لا بعث إلا خلق الأولين : أى طبيعتهم وعادتهم (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ فَكَذَّبُوهُ) بالعذاب (فَأَهْلَكْنَاهُمْ) فى الدنيا بالريح (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ،

فى ذلك) أى فيما تقدم من الأمور الثلاثة (قوله الذى أمدكم) أى أعطاكم المدد وهو النعم (قوله أمدكم بأنعام) بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل (قوله وبنين) أى ذرية (قوله وجنات) جمع جنة (قوله إنى أخاف عليكم) أى إن دمتم على مخالفتى ولم تشكروا على هذه النعم بعد بعثى (قوله فى الدنيا) أى بالريح العقيم وقوله وفى الآخرة أى بالخلود فى النار (قوله أم لم تكن من الواعظين) هذا أبلغ من أن يقولوا أم لم تعظ لأن المعنى سواء علينا أوعظت بأن كنت من أهل الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله بأن كنت أميا مثالنا ولست نبيا (قوله أى لا نرعوى لوعظك) أى لا نرتدع ولا ننكف له (قوله إلا خلق الأولين) أى من تقدموا قبلك كشيث ونوح فإنهم كانوا يختلقون أمورا فاقتديت بهم فاسم الاشارة على هذه القراءة راجع لما خوفهم به (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وعليها فاسم الاشارة عائد على معتقدهم وهو عدم البعث (قوله أى طبيعتهم وعادتهم) أى عادة الأولين من قبلنا أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب (قوله وما نحن بمعذبين) أى على مافعلناه من الأعمال (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله بالريح) أى الصرصر وكانت باردة شديدة الصوت لاماء فيها وسلطت عليهم سبع ليال وثمانية أيام أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وكانت فى أواخر الشتاء وسيأتى بسطها فى سورة الحاقة .

(قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل أقلهم كانوا مع هود فى حظيرة تنسم عليهم ريح لينة حتى مضت تلك المدة ، فأخذهم وهاجر من تلك الأرض إلى مكة (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الرحيم) أى المنعم على عباده بدقائق النعم (قوله كذبت ثمود) اسم أبى قبيلة صالح الأعلى سميت القبيلة باسمه وتسمى أيضا عادا الثانية وهم ذرية من آمن من قوم هود (قوله المرسلين) المراد بهم صالح وتقدم وجه التعبير بالجمع (قوله أخوهم) أى فى النسب لاجتماعهم معه فى الأدب الأعلى وعاش صالح من العمر مائتين وثمانين سنة و بينه و بين هود مائة سنة (قوله ألا تتقون) تقدم أن ألا أداة عرض كما فى قول الشاعر :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما راء كمن سمعا

وحكمة التعبير أولا بالعرض تأليف قلوبهم للتوحيد بالكلام اللين لقصر عقولهم وجهلهم (قوله أتتركون) الاستفهام إنكارى توبيخى وما اسم موصول بينها المفسر بقوله من الخيرات وهنا اسم إشارة للمكان القريب والمراد دار الدنيا ، والمعنى أتظنون أنكم تتركون فى الدنيا متمتعين بأنواع النعم والشهوات آمنين من كل مكروه لا تمتحنون بأوامر ونواه ولا تحاسبون على شئ فيها لا تظنوا ذلك بل الواجب عليكم ترك الفانى والاشتغال بالباقى (قوله فى جنات) بدل من قوله ههنا باعادة الجار (قوله ونخل) هو اسم جنس جمعى واحده نخلة يذكر ويؤنث ، وأما النخيل بالياء فمؤنثة اتفاقا (قوله طلعها) هو ثمرها فى أول ما يطلع كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو و بعده الاغريض ويسمى خلالا ثم البلح ثم الزهو ثم البسر ثم الرطب ثم التمر يجمعها قولك «طاب زبرت». فأطوار النخيل سبعة كأطوار الانسان ولذا ورد فى الحديث « أكرموا عماتكم النخل » وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار (قوله وتنحتون من الجبال بيوتا) أى لطول أعمارهم فان السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم لأن الواحد منهم كان يعيش ثلثمائة سنة إلى ألف (قوله بطرين) أى لنعم

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَهُنَا) من الخيرات (آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) لطيف لين (وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ) بطرين ، وفى قراءة فارهين حاذقين (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) فيما أمرتكم به (وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصى (وَلاَ يُصْلِحُونَ) بطاعة الله (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم (مَا أَنْتَ) أيضا (إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى رسالتك (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ) نصيب من الماء (وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ) بعظم العذاب (فَعَقَرُوهَا) أى عقرها بعضهم برضاهم (فَأَصْبَحُوا نادمين

ربكم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله حاذقين) أى ماهرين فى العمل (قوله ولا تطيعوا أمر المسرفين) الاسناد مجازى فى النسبة ، والأصل ولا تطيعوا المسرفين فى أمرهم (قوله الذين يفسدون فى الأرض) صفة المسرفين (قوله ولا يصلحون) دفع بذلك مايتوهم أنه يقع منهم الاصلاح فى بعض الأوقات (قوله ما أنت إلا بشر مثلنا) أى فكيف تدعى أنك رسول إلينا (قوله قال هذه ناقة) الاشارة إليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا عن أبى موسى الأشعرى قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قوله لها شرب الخ) أمرهم صالح بأمرين الأول قوله لها شرب . الثانى قوله ولا تمسوها بسوء (قوله نصيب من الماء) أى فهى تشرب منه يوما وأنتم تشربون منه يوما لاتزاحمكم ولاتزاحمونها وفى يومها تشربون من لبنها (قوله فعقروها) أى يوم الثلاثاء وأخذهم العذاب يوم السبت وقد جعل لهم علامة على نزول العذاب بهم وهوأنهم فى اليوم الأول تصفر وجوههم ثم تحمر فى اليوم الثانى ثم تسود فى اليوم الثالث (قوله أى عقرها بعضهم) أى وهو قدار وكان قصيرا أزرق وكان ابن زنا ضربها فى ساقيها بالسيف . قال السدى وغيره : أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك ، فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح إنه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لايولد فى هذا الشهر ذكر إلاقتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم العاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان

ابن العاشر أزرق أخضر فنبث نباتاً سريعاً فكان إذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا ، وغضب التسعة على صالح لأنه كان سبباً لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله فقالوا نخرج إلى سفر فيرى الناس سفرنا فنكون في غار حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك أهله و إنا لصادقون فيصدقون و يعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لاينام في القرية بل كان ينام في المسجد فاذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم ، فرأى ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا في القرية ياعباد الله أما رضى صالح أنه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (قوله نادمين على عقرها) إن قلت لم لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم . أجيب بأن ندمهم لخوف نزول العذاب فقط لاتوبة منهم (قوله العزيز الرحيم) حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين الاسمين الاشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار لايغادر منهم أحداً والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تغادر منهم أحداً فكل من مظهر الاسمين ظهر في مستحقه (قوله أخوهم لوط) أي في البلد بسبب السكنى والمجاورة لافي النسب لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام وهما من بلاد المشرق من أرض بابل فنزل إبراهيم بالخليل من أرض الشام ولوط بسدوم وقراها (قوله الذكران) جمع ذكر أي أدبارهم (قوله أي من الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات غير العاقلة فهذه الخصلة القبيحة لم تكن

(١٦٩)

نَادِمِينَ) على عقرها (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) الموعود به فهلكوا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ) أي من الناس (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) أي أقبالهن (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) متجاوزون الحلال إلى الحرام (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ) عن إنكارك علينا (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) من بلدتنا (قَالَ) لوط (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) المبغضين (رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) أي من عذابه (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا) امرأته (فِي الْغَابِرِينَ) الباقين أهلكناها (ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ) أهلكناهم (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) حجارة من جملة الاهلاك (فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) مطرهم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) وفي قراءة بحذف الهمزة ،

في أحد قبل قوم لوط ثم لما خسف بهم تنوسيت حتى ظهرت في هذه الأمة المحمدية فانا لله وإنا إليه راجعون (قوله ماخلق لكم) أي أحل وأباح (قوله أي أقبالهن) أي لأنه محل نبات البذر قال تعالى: نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم (قوله عادون) أي متعدون (قوله من القالين) متعلق بمحذوف خبر إن أي لقال من القالين ومن القالين صفته ولعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولايصح أن يجعل قوله من القالين خبر إن فيكون عاملا في لعملكم لئلا يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهو أل مع أنه لايجوز (قوله أي من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل (قوله وأهله) أي بنتيه وزوجته المؤمنة (قوله الباقين) أي في العذاب قيل تبعت لوطا ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجر وقيل لم تتبعه بل بقيت فخسف بها مع قومها (قوله أهلكناهم) أي بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها (قوله وأمطرنا عليهم) أي على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (قوله مطرهم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله كذب أصحاب الأيكة) هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار وقد وقع لفظ الأيكة في أربع مواضع في القرآن في الحجر وق وهما وص فالأوليان بأل مع الجر لاغير والأخريان يقرآن بالوجهين (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله بحذف الهمزة) أي الثانية وقوله على اللام أي لام التعريف ، وأما الهمزة الأولى فقد حذفت للاستغناء عنها بتحريك اللام لأنها همزة وصل أتي بها للتوصل للنطق بالساكن ، وفي كلام المفسر نظر لأنه يقتضي أن اللام الموجودة لام التعريف وحينئذ فلا يصح قوله وفتح الهاء لأن المقرون بأل يجر بالكسرة وقع فيه نقل أم لا . قال ابن مالك :

وجر بالفتحة مالا ينصرف مالم يضف أو يك بعد أل ردف

فالمناسب أن يقول وفى قراءة بوزن ليلة ليفيد أن اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية وحينئذ فجرّه بالفتحة ظاهر العلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربيا والعلمية والعجمة إن كان أعجميا (قوله وفتح الهاء) فى بعض النسخ وفتح التاء وهى أوضح (قوله هى غيضة شجر) بفتح الغين و بالضاد المعجمة : أى مكان فيه شجر ملتف بعضه على بعض وكان شجرهم الدوم (قوله قرب مدين) هى قرية شعيب ، سميت باسم بانيها مدين بن إبراهيم ، و بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قوله المرسلين) المراد به شعيب وفى جمعه ماعلمت ، وقد أرسل شعيب أيضا لأهل مدين لكن أهل مدين أهلكوا بالصيحة وأصحاب الأيكة أهلكوا بعذاب يوم الظلة (قوله لأنه لم يكن منهم) أى بل كان من مدين . قال تعالى ـ و إلى مدين أخاهم شعيبا ـ (قوله الناقصين) أى لحقوق الناس (قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى فكانوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون و إذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ومن جملة بخسهم أنهم ينقصون الدراهم والدنانير (قوله وغيره) أى كقطع الطريق (قوله لمعنى عاملها) أى ولفظهما مختلف (قوله والجبلة) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام : أى الجماعة والأمم المتقدمة الذين كانوا على خلقة وطبيعة عظيمة كأنها الجبال قوّة وصلابة وهذه قراءة العامة (١٧٠) وقرئ شذوذا بضم الجيم والباء وتشديد اللام و بفتح الجيم أو كسرها مع سكون الباء (قوله وما أنت إلا بشر مثلنا) أتى بالواو هنا دون قصة صالح مبالغة فى تكذيبه لأنه عند دخول الواو يكون كل من الأمرين التسحير والبشرية مقصودا بخلاف تركها فلم يقصد إلا التسحير والثانى دليل له (قوله مخففة من الثقيلة) المناسب أن يقول مهملة لاعمل لها لأن المكسورة إذا خففت قل عملها والأولى حمل القرآن على الكثير (قوله بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه

و إلقاء حركتها على اللام وفتح الهاء : هى غيضة شجر قرب مدين (الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ) لم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم (أَلاَ تَتَّقُونَ . إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوْفُوا الْكَيْلَ) أتموه (وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ) الناقصين (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) الميزان السوى (وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) لاتنقصوهم من حقهم شيئا (وَلاَ تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره من عثى بكسر المثلثة : أفسد ، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها (وَاتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ) الخليقة (الْأَوَّلِينَ . قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى إنه (نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ . فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا) بسكون السين وفتحها قطعة (مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى رسالتك (قَالَ رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ) هى سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَإِنَّهُ) أى القرآن (لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبريل (عَلَى قَلْبِكَ ، لِتَكُونَ

(قوله عذاب يوم الظلة) روى أن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم وأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأنضجهم الحرّ فخرجوا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة ، فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا ، وهذا العذاب الذى حل بهم هو الذى طلبوه تهكما بشعيب بقولهم ـ فأسقط علينا كسفا من السماء ـ (قوله أصابهم) أى سبعة أيام ثم لجئوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام (قوله و إنه لتنزيل رب العالمين) شروع فى مدح القرآن ومن أنزله والمنزل عليه ، والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ليس بشعر ولا بسحر ولا كهانة كما يزعمون (قوله نزل به) الباء للملابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كأنه قال نزل فى حال ملابسته له على حدّ خرج زيد بثيابه (قوله على قلبك) خصه بالذكر لأنه سلطان الأعضاء فكل شىء وصل للقلب وصل لسائر الأعضاء ، ففى الحديث « ألا و إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » فحيث نزل على قلبه فقد تمكن من سائر بدنه فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان ولما ورد أنه كان إذا نزل عليه جبريل بالآية يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن

لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) بين ، وفى قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله (وَإِنَّهُ) أى ذكر القرآن المنزل على محمد (لَفِي زُبُرِ) كتب (الْأَوَّلِينَ) كالتوراة والإنجيل (أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ) لكفار مكة (آيَةً) على ذلك (أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فإنهم يخبرون بذلك ، ويكن بالتحتانية ونصب آية وبالفوقانية ورفع آية (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) جمع أعجم (فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ) أى كفار مكة (مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) أنفة من اتباعه (كَذَلِكَ) أى مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمى (سَلَكْنَاهُ) أدخلنا التكذيب به (فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أى كفار مكة بقراءة النبى (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ) لنؤمن فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب قال تعالى (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ . أَفَرَأَيْتَ) أخبرنى (إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) من العذاب (مَا) استفهامية بمعنى أى شىء (أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ) فى دفع العذاب أو تخفيفه : أى لم يغن (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ) رسل تنذر أهلها (ذِكْرَى) عظة لهم (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) فى إهلاكهم بعد إنذارهم .

يتلوها جبريل عليه ظاهرا حتى أمر بعدم الاستعجال بالقراءة قال تعالى: لاتحرك به لسانك لتعجل به (قوله لتكون من المنذرين) أى ومن المبشرين (قوله بلسان) يصح أن يكون بدلا من قوله به بإعادة الجار، ويصح أن يكون متعلقا بالمنذرين . والمعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربى وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية (قوله أى ذكر القرآن) دفع بذلك مايقال إن ظاهر الآية أن القرآن نفسه ثابت فى سائر الكتب مع أنه ليس كذلك ، والمراد بذكره نعته والاخبار عنه بأنه ينزل على محمد وأنه صدق وحق (قوله أولم يكن لهم آية) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله وأصحابه) أى وكانوا أربعة غيره أسد وأسيد وثعلبة وابن يامين فالخمسة من علماء اليهود وقد حسن إسلامهم (قوله ويكن بالتحتانية ونصب آية) أى على أنه خبر يكن مقدم واسمها قوله أن يعلمه الخ (قوله ورفع آية) أى على أنه فاعل بتكن وقوله أن يعلمه بدل من آية (قوله جمع أعجم) أصله أعجمى بياء النسب خفف بحذفها وبه اندفع مايقال إن أفعل فعلاء لايجمع جمع المذكر السالم (قوله أنفة من اتباعه) أى تكبرا (قوله كذلك) معمول لسلكناه والضمير فى سلكناه للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر (قوله لايؤمنون به الخ) الجملة مستأنفة أو حال من الهاء فى سلكناه وقوله حتى يروا العذاب الأليم مقدم من تأخير وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغتة وهم لايشعرون فيرونه فيقولوا هل نحن منظرون أى مؤخرون عن الاهلاك ولو طرفة عين لنؤمن فيقال لهم لا: أى لاتأخير ولا إمهال (قوله أفبعذابنا يستعجلون) استفهام توبيخ وتهكم حيث استعجلوا مافيه هلاكهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام تقديره أيغفلون ماينزل بهم (قوله أفرأيت) معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض وقوله ما كانوا يوعدون تنازعه رأيت يطلبه مفعولا أول وجاءهم يطلبه فاعلا فأعملنا الأول وأضمرنا فى الثانى ضميرا يعود عليه أى ثم جاءهم هو أى الذى كانوا يوعدونه ، وجملة ما أغنى عنهم الخ فى محل نصب سدت مسد المفعول الثانى لرأيت (قوله ما كانوا يوعدون) أى به وما اسم موصول (قوله استفهامية) أى استفهام إنكار كما أشار له بقوله أى لم يغن فهذا مساو فى المعنى ، لقول بعضهم إنها نافية وهى على صنيع المفسر مفعول مقدم لأغنى ، وقوله ما كانوا يمتعون فاعل بأغنى وما مصدرية (قوله وما أهلكنا من قرية الخ) أى أنه جرت عادته سبحانه وتعالى أنه لايهلك أهل قرية إلا بعد إرسال الرسول إليهم وعصيانهم وذلك تفضل منه سبحانه وتعالى وإلا فلو أهلكهم من أول الأمر لايعد ظالما لأنه متصرف فى ملكه يحكم لامعقب لحكمه ففعله دائر بين الفضل والعدل (قوله إلا لها منذرون) الجملة صفة لقرية . فان قلت لم تركت الواو هنا ، وذكرت فى قوله تعالى : وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . أجيب بأن الأصل ترك الواو ، وإذا زيدت كانت لتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم (قوله ذكرى) مفعول لأجله أى لأجل تذكيرهم العواقب (قوله وما كنا ظالمين) أى لا نفعل فعل الظالمين بأن نهلكهم قبل الانذار بل لانهلكهم إلا بعد إتيان الرسول وإمهالهم الزمن الطويل حتى يتبين لهم الحق من الباطل

(قوله ردا لقول المشركين) مقول القول محذوف تقديره إن الشياطين يلقون القرآن على لسانه فهو من جملة الكهنة (قوله ومايبنغى لهم) أى لايمكنهم (قوله إنهم عن السمع الخ) علة لقوله ومايبنغى لهم ومايستطيعون (قوله لكلام الملائكة) إن كان المراد كلامهم بالوحى الذى يبلغونه للأنبياء فالشياطين معزولون عنه لايصلون إليه أصلا ، و إن كان المراد به المغيبات التى ستقع فى العالم فكانوا أولا يسترقونها فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات فلما بعث سلطت عليهم الشهب وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين وانقطع نزولهم على الكهنة فبطل قول المشركين أن القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله (قوله فلا تدع مع الله إلها آخر) نزل ردا لقول المشركين اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (قوله رواه البخارى ومسلم) أى فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى إنذاره « يامعشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يابنى عبد المطلب لاأغنى عنكم من الله شيئا ياعباس بن عبد المطلب لاأغنى عنك من الله شيئا ياصفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا يافاطمة بنت رسول الله سلينى ماشئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيئا » وفى رواية «أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى لبطون من قريش قد اجتمعوا فجعل الذى لايستطيع أن يخرج يرسل رسولا لينظرماهو فجاء أبولهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن

خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقىّ قالوا ماجرّبنا عليك كذبا قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبولهب تبالك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبى لهب وتب إلى آخر السورة» (قوله واخفض جناحك) أى فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم وتبرأ عمن بقى على كفره ولاتخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم فإن الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل عليه (قوله بالواو والفاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على قوله وأنذر وغيره وعلى الفاء هو بدل من قوله فقل إنى برىء (قوله على العزيز) أى الغالب على أمره القاهر لكل معارض لأمره (قوله الرحيم) أى بالمؤمن الممتثل لأمره (قوله حين تقوم) أى منفردا وقوله وتقلبك فى الساجدين أى مع الجماعة (قوله إلى الصلاة) لامفهوم لها بل يراه حين يقوم للجهاد وللخطبة وللأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك من سائر تنقلاته و إنما خص الصلاة لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين ولأن قرةعينه فيها لما فى الحديث «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» والمراد برؤيته إياه زيادة تجلى الرحمة عليه و إلافرؤية الله حاصلة لكل مخلوق (قوله وتقلبك فى الساجدين) فى على كلام المفسر بمعنى مع، وقيل إن فى على بابها والمراد بالساجدين المؤمنون . والمعنى يراك متقلبا فى أصلاب وأرحام المؤمنين من آدم إلى عبد الله فأصوله جميعا مؤمنون وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فانه كان كافرا . وأجيب بجوابين : الأول أنه كان عمه واسم أبيه تارخ . الثانى أنه كان أباه حقيقة وقولهم إن أصوله صلى الله عليه وسلم ليسوا كفارا محله مادام النور المحمدى فى الواحد منهم فاذا انتقل لمن بعده فلا مانع من أن يعبد غير الله ، وحينئذ فآزر ما كفر إلا بعد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولده (قوله قل هل أنبئكم الخ) هذا رد لقولهم إنه كاهن (قوله على من تنزل الشياطين) الجار والمجرور متعلق بتنزل والجملة فى محل نصب سادة مسد المفعول الثانى والثالث

ونزل رداً لقول المشركين (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ) بالقرآن (الشَّيَاطِينُ . وَمَا يَنْبَغِي) يصلح (لَهُمْ) أن ينزلوا به (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ) لكلام الملائكة (لَمَعْزُولُونَ) بالشهب (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) إن فعلت ذلك الذى دعوك إليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم جهارا رواه البخارى ومسلم (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ) ألن جانبك (لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الموحدين (فَإِنْ عَصَوْكَ) أى عشيرتك (فَقُلْ) لهم (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة غير الله (وَتَوَكَّلْ) بالواو والفاء (عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ) الله : أى فوض إليه جميع أمورك (الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ) إلى الصلاة (وَتَقَلُّبَكَ) فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكعا وساجدا (فِي السَّاجِدِينَ) أى المصلين (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . هَلْ أُنَبِّئُكُمْ) أى كفار مكة (عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل (تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَثِيمٍ) فاجر مثل مسيلمة

إن جعل أنبئكم متعديا لثلاثة، ومسد الثانى فقط إن جعل متعديا لاثنين (قوله وغيره) أى كالسطيح (قوله من الكهنة) جمع كاهن، وهو الذى يخبر عن الأمور المستقبلة، والعراف هو الذى يخبر عن الأمور الماضية (قوله يلقون السمع) يحتمل أن الضمير عائد على الشياطين، والمعنى يلقون ماسمعوه إلى الكهنة، ويحتمل أنه عائد على كل أفاك أثيم، والمعنى يلقون ماسمعوه من الشياطين إلى عوام الخلق، أو المعنى يصغون إلى الشياطين بكليتهم حين يسمعون منهم (قوله وأكثرهم كاذبون) الضمير إما عائد على الشياطين أو الكهنة والأكثرية باعتبار الأقوال أى أكثر أقوالهم كاذبون فيها والأقل فيها صدق وليس المراد أن الأقل فيهم صادق بل الكل طبعوا على الكذب وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق (قوله وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ماهنا وماتقدم فى قوله: إنهم عن السمع لمعزولون. وحاصل ذلك أن هذه الآية إخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السموات وتمثيله بمسيلمة باعتبار ما كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيلمة ولا غيره شىء من الشياطين (قوله والشعراء) أى الذين يستعملون الشعر وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقفى قصدا، والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وأمية بن أبى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل مايقول محمد وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم (قوله من أدوية الكلام وفنونه) أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون فى كل كلام فهم

مشبهون بالهائم فى الأودية الذى لايدرى أين يتوجه (قوله يهيمون) أى يخوضون (قوله أى يكذبون) أى لأنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحثون عليهما ولايفعلون ماذكر ويذمون ضدهما ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شىء صدر منهم (قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

وغيره من الكهنة (يُلْقُونَ) أى الشياطين (السَّمْعَ) أى ماسمعوه من الملائكة إلى الكهنة (وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ) يضمون إلى المسموع كذبا كثيرا، وكان هذا قبل أن حجبت الشياطين عن السماء (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) فى شعرهم فيقولون به ويروونه عنهم فهم مذمومون (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ) من أودية الكلام وفنونه (يَهِيمُونَ) يمضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء (وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ) فعلنا (مَا لَا يَفْعَلُونَ) أى يكذبون (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الشعراء (وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) أى لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وَانْتَصَرُوا) بهجوهم الكفار (مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا) بهجو الكفار لهم فى جملة المؤمنين فليسوا مذمومين،

سبب نزولها «أن كعب بن مالك قال للنبى صلى الله عليه وسلم قد أنزل فى الشعر، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذى نفسى بيده لكأن ماترمونهم به نضح النبل» وقوله قد أنزل فى الشعر أى أنزل القرآن فى ذم الشعر وأهله (قوله من الشعراء) أى ومنهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم. واعلم أن الشعر منه مذموم وهو مدح من لايجوز مدحه وذم من لايجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الأولى وقوله عليه الصلاة والسلام «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا ودما خير له من أن يمتلىء شعرا» ومنه ممدوح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه وعليه تتخرج الآية الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» وقال الشعبى: كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان على أشعر الثلاثة، وروى عن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر فى المسجد ويستنشده فروى أنه دعا عمر بن أبى ربيعة المخزومى فاستنشده قصيدة فأنشده إياها وهى قريب من تسعين بيتا ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى «أنه عليه الصلاة السلام قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فإن جبريل معك وكان يضع له منبرا فى المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله: إن الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح أو فاخر عن رسول الله» وروى عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض وأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال والذى بعثك

بالحق لأفرينهم بلساني فرى الأديم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاتعجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسابها وإن لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي فأتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق نبيا لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن الله يؤيدك بروح القدس لايزال يؤيدك مانافحت عن رسوله» قالت : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «هجاهم حسان فشفى واشتفى» فقال حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
هجوت محمدا برا تقيا ... رسول الله شيمته الوفاء
فان أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بنيتي إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصعدات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فان أعرضتمو عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
تلاقى كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له خفاء

(قوله قال الله تعالى لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) استدلال على جواز هجوهم للكفار في مقابلة هجو الكفار لهم وقوله فمن اعتدى عليكم الخ استدلال على شرط المماثلة في المقابلة فلا يجوز للمظلوم أن يزيد في الذم على ماظلم به من الهجو (قوله أي منقلب) معمول لينقلبون الذي بعده لا لما قبله لأن الاستفهام له الصدر وهو مفعول مطلق : أي ينقلبون أي انقلاب والجملة سادة مسد مفعولي يعلم ، والمعنى يرجعون مرجعا سيئا لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مرجع وأشره .

قال الله تعالى : لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ؛ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الشعراء وغيرهم (أَيَّ مُنْقَلَبٍ) مرجع (يَنْقَلِبُونَ) يرجعون بعد الموت ،

(سورة النمل)

وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية مكية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . طس) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ الْقُرْآنِ) آيات منه (وَكِتَابٍ مُبِينٍ) مظهر للحق من الباطل ، عطف بزيادة صفة هو (هُدًى) أي هاد من الضلالة (وَبُشْرَىٰ) للمؤمنين)

[سورة النمل مكية] أي كلها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص: الأولى قصة موسى مع فرعون الثانية قصة النملة الثالثة قصة بلقيس الرابعة قصة صالح مع قومه الخامسة قصة لوط مع قومه وما بقي منها حكم ومواعظ (قوله ثلاث أو أربع الخ) أي أنه اختلف في النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أسلم وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الاعرب لأنه فرع معرفة المعنى والموضوع أنه لم يعرف (قوله تلك) مبتدأ وآيات القرآن خبره واسم الاشارة عائد على مافي هذه السورة (قوله آيات منه) أشار بذلك إلى أن الاضافة على معنى من كما تقول جلست مع زيد ساعة الليل تريد ساعة منه (قوله مظهر الحق من الباطل) أي فالحق صار بالقرآن ظاهرا واضحا والباطل كذلك (قوله عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما متحدان معنى فأجاب بأنه سوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن في القرآن (قوله هدى) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره مافائدة الاتيان به وما الثمرة المترتبة عليه فأجاب بأنه هدى و بشرى للمؤمنين (قوله أي هاد من الضلالة) هذا أحد احتمالات في تفسير الهدى ويحتمل أن المراد ذو هدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد ماقيل فزيد عدل

(قوله للمؤمنين) حذف من الأول لدلالة الثاني عليه فالقرآن هدى للمؤمنين و بشرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى: والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى، وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المعتنى بهم المشرفون بخدمته تعالى (قوله يأتون بها على وجهها) أي بشروطها وأركانها وآدابها على الوجه الأكمل (قوله ويؤتون الزكوة) أي الواجبة للأصناف الثمانية (قوله وهم) مبتدأ و يوقنون خبره و بالآخرة متعلق بيوقنون (قوله يعلمونها بالاستدلال) أي من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فمن شك في ذلك فقد كفر (قوله لما فصل بينه و بين الخبر) أي بمتعلق الخبر وهو قوله بالآخرة (قوله إن الذين لايؤمنون بالآخرة) مقابل قوله هدى و بشرى للمؤمنين الخ على عادته سبحانه وتعالى متى ذكر وصف المؤمنين يعقبه بذكر ضدهم (قوله زينا لهم أعمالهم) أي حسناها لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم وهي في الواقع ليست حسنة، و إنما ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا قال الشاعر:

يقضى على المرء في أيام محنته ... حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

(قوله يتحيرون فيها) أي لتعارض تزيين الشيطان و إخبار الرحمن ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبيح فأهل الكفر متحيرون في كفرهم لكونهم في ظلمات، ومن المعلوم أن السائر في الظلمات متحير بخلاف السائر في النور، فأهل الإيمان مصدقون مصممون على اعتقادهم، وأهل الكفر متشككون متحيرون (قوله هم الأخسرون) أي أن خسرانهم في الآخرة أشد من خسرانهم في الدنيا لدوام العذاب عليهم في الآخرة (قوله بشدة) أخذ ذلك من تشديد الفعل (قوله من لدن حكيم عليم) أي من عند من يضع الشيء في محله العالم بالكليات والجزئيات فذكر وصف العلم بعد الحكمة من ذكر العام بعد الخاص (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله إذ قال ظرف لمحذوف. والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وما وقع له (قوله زوجته) أي بنت شعيب أي وولده وخادمه (قوله عند مسيره من مدين) أي ليجتمع بأمه وأخيه بمصر وكان في ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق (قوله وكان قد ضلها) أي تاه عنها (قوله أو آتيكم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله أي شعلة نار) أي شعلة مقتبسة من النار فالاضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالكوكب (قوله بدل من تاء الافتعال) أي لأنها وقعت بعد الصاد وهي من حروف الاطباق فقلبت طاء على القاعدة المعلومة (قوله بكسر اللام) أي من باب تعب وقوله وفتحها أي من باب رمى (قوله نودي) أي ناداه الله (قوله أي بأن) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية وما بعدها في تأويل مصدر وحرف الجر مقدر قبلها أي نودي ببركة من في النار الخ أي بتقديسه وتطهيره مما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة: أي ناداه الله بأنا قدسناك وطهرناك واخترناك للرسالة كما تقدم في طه حيث قال وأنا اخترتك الخ (قوله من في النار) هو نائب فاعل بورك وهذه تحية لموسى وتكرمة له (قوله أو العكس) أي فتفسر من الأولى بالملائكة والثانية بموسى، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله يتعدى بنفسه) أي فيقال باركك الله (قوله و بالحرف) أي اللام وفي وعلى.

لِلْمُؤْمِنِينَ) المصدقين به بالجنة (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ) يأتون بها على وجهها (وَيُؤْتُونَ) يعطون (الزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يعلمونها بالاستدلال، وأعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) يتحيرون فيها لقبحها عندنا (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) أشده في الدنيا القتل والأسر (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وَإِنَّكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ) أي يلقى عليك بشدة (مِنْ لَدُنْ) من عند (حَكِيمٍ عَلِيمٍ) في ذلك. اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ) زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر (إِنِّي آنَسْتُ) أبصرت من بعيد (نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) عن حال الطريق وكان قد ضلها (أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ) بالاضافة للبيان وتركها: أي شعلة نار في رأس فتيلة أو عود (لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها تستدفئون من البرد (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ) أي بأن (بُورِكَ) أي بارك الله (مَنْ فِي النَّارِ) أي موسى (وَمَنْ حَوْلَهَا) أي الملائكة أو العكس، وبارك يتعدى بنفسه وبالحرف

(قوله ويقدر بعد في مكان) أي على التفسير الأول فيقال أن بورك من في مكان النار ، و إنما احتيج لهذا التقدير لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة بل كان في المكان القريب منها (قوله من جملة مانودي) أي أتى به و إنما أتى بالتنزيه هنا لدفع مايتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان بحرف وصوت أو كون الله في مكان أوجهة (قوله وألق عصاك) لم يقل هنا وأن كما في القصص لأنه هنا ذكر بعد أن فعل فحسن عطف ألق عليه وما يأتي لم يذكر فقصد عطف وأن ألق على قوله أن ياموسى إني أنا الله (قوله تهتز) حال من ضمير رآها (قوله حية خفيفة) أي في سرعة الحركة فلا ينافي عظم جثتها (قوله يرجع) أي لم يرجع على عقبه (قوله لاتخف منها) أي لأنك في حضرتي ومن كان فيها فهو آمن لايخطر بباله خوف من شيء (قوله لكن من ظلم الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ومن ظلم مبتدأ وقوله فاني غفور خبره (قوله أتاه) أي عمله (قوله طوق القميص) إنما لم يأمره بادخالها في كمه لأنه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل لها كم قصير (قوله تخرج بيضاء) جواب لقوله أدخل (قوله لها شعاع) أي لمعان و إشراق (قوله آية) أشار بذلك إلى أن في تسع آيات في محل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من ضمير تخرج ، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ، فالمعنى هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع (قوله إلى فرعون) متعلق بما قدره المفسر وقوله إنهم كانوا الخ تعليل لذلك المقدر (قوله فلما جاءتهم آياتنا) أي جاءهم موسى بها وقوله مبصرة اسم فاعل والمراد به المفعول أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعارا بأنها لفرط وضوحها وإنارتها كأنها تبصر نفسها (قوله أي مضيئة) أي إضاءة معنوية في جميعها وحسية في بعضها وهو اليد (قوله قالوا هذا) أي ما نشاهده من الخوارق التي أتى بها موسى (قوله واستيقنتها أنفسهم) حال من الواو في جحدوا ، ولذا قدر فيه قد (قوله أي تيقنوا الخ) أشار به إلى أن السين زائدة (قوله راجع إلى الجحد) أي على أنه علة له (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها مؤخر والجملة في محل نصب على إسقاط الخافض (قوله من إهلاكهم) أي بالاغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين (قوله ولقد آتينا داود وسليمان) هو بالمد بمعنى أعطينا وهو شروع في ذكر القصة الثانية وكان لداود تسعة عشر ولدا أجلهم سليمان ، وعاش داود مائة سنة وسليمان ابنه نيفا وخمسين سنة ، و بين داود وموسى خمسمائة سنة وتسع وستون سنة و بين سليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم ألف وسبعمائة سنة (قوله بالقضاء بين الناس) أي وهو علم الشرائع (قوله ومنطق الطير) أي تصويته (قوله وغير ذلك) أي كتسبيح الجبال (قوله وقالا الحمد لله) أي شكر كل منهما ربه على ما أنعم عليه به (قوله الذي فضلنا) أي أعطانا هذا الفضل العظيم (قوله وتسخير الجن والانس الخ) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك إلا أن سليمان فاق أباه وكانت له السلطنة الظاهرة (قوله على كثير من عباده المؤمنين) أي الذين لم يؤتوا مثلنا

ويقدر بعد في مكان (وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) من جملة ما نودي ، ومعناه تنزيه الله من السوء (يَا مُوسَى إِنَّهُ) أي الشأن (أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَأَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) حية خفيفة (وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ) يرجع قال تعالى (يَا مُوسَى لَا تَخَفْ) منها (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ) عندي (الْمُرْسَلُونَ) من حية وغيرها (إِلَّا) لكن (مَنْ ظَلَمَ) نفسه (ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا) أتاه (بَعْدَ سُوءٍ) أي تاب (فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ) أقبل التوبة وأغفر له (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) طوق القميص (تَخْرُجْ) خلاف لونها من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) برص لها شعاع يغشى البصر آية (فِي تِسْعِ آيَاتٍ) مرسلا بها (إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) أي مضيئة واضحة (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين ظاهر (وَجَحَدُوا بِهَا) أي لم يقروا (وَ) قد (اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ) أي تيقنوا أنها من عند الله (ظُلْمًا وَعُلُوًّا) تكبرا عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد (فَانْظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) التي علمتها من إهلاكهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (عِلْمًا) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وَقَالَا) شكرا لله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا) بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين (عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) .

وورث

وهذه مزية وهي لاتقتضي الأفضلية ، فداود وسليمان وإن أعطيا تلك المزايا فأولو العزم أفضل منهما لأن التفضيل من الله لا بالمزايا (قوله وورث سليمان داود) أي قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه التسعة عشر مع كون النبوة والعطايا التي مع داود مستمرة معه وليس المراد أن نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شيء (قوله وقال يأيها الناس) أي قال سليمان لبني إسرائيل شكرا لله على نعمه (قوله علمنا منطق الطير) أي فهمنا الله أصوات الطير ، ولا مفهوم للطير ، بل كان الزرع والنبات يكلمه ويفهم كلامه ، ورد أن سليمان كان جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون مايقول هذا الطائر إنه قال لي السلام عليك أيها الملك المسلط والنبي لبني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى أفراخي ثم أمر بك الثانية ، إنه سيرجع إلينا الثانية ثم رجع فقال لهم يقول السلام عليك أيها الملك المسلط إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب على أفراخي حتى يشبوا ثم آتيك فافعل بي ماشئت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق ، ومر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون مايقول هذا البلبل قالوا لا يانبي الله قال إنه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ، ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخا فقال له سليمان احذر فقال الهدهد يانبي الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يده فقال له ماهذا قال مارأيتها حتى وقعت بها يانبي الله قال ويحك فأنت ترى الماء تحت الأرض أماترى الفخ فقال يانبي الله إذا نزل القضاء عمي البصر ، وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول : لدوا للموت وابنوا للخراب ، وصاحت فاختة فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا ماخلقوا له ، وصاح عنده طاوس فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدين تدان ، وصاح عنده هدهد فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول إن من لايرحم لايرحم ، وصاح عنده صرد فقال أتدرون

(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ) النبوة والعلم دون باقي أولاده (وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) أي فهم أصواته (وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) تؤتاه الأنبياء والملوك (إِنَّ هَذَا) المؤتى (لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ) البين الظاهر (وَحُشِرَ) جمع (لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ) في مسير له (فَهُمْ يُوزَعُونَ) :

مايقول قالوا لا قال إنه يقول استغفروا الله يامذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله ، وقيل إن الصرد هو الذي دل آدم على مكان البيت ، ولذلك يقال له الصرد الصرام ، وصاحت عنده طيطوى فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال إنها تقول كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاحت عنده خطافة فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال إنها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها . وقيل إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة فآنسه الله بالخطاف وألزمها البيوت فهي لاتفارق بني آدم أنسالهم ، قال ومعها أربع آيات من كتاب الله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل إلى آخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم . وهدرت حمامة عند سليمان فقال أتدرون ماتقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان ربي الأعلى عدد مافي السموات والأرض ، وصاح قمري عند سليمان فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول سبحان ربي العظيم المهيمن ، قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار ، والحدأ يقول كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطاة تقول من سكت سلم ، والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والضفدع تقول سبحان ربي القدوس ، والبازي يقول سبحان ربي وبحمده ، والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان ، وصاح دراج عند سليمان فقال أتدرون مايقول قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «الديك إذا صاح قال اذكروا الله ياغافلون» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «النسر إذا صاح قال يا ابن آدم عش ماشئت فآخرك الموت» وإذا صاح العقاب قال في البعد من الناس راحة ، وإذا صاح القنبر قال إلهي العن مبغض آل محمد ، وإذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين إلى آخرها فيقول ولا الضالين فيمد بها صوته كما يمد القارىء (قوله وأوتينا من كل شيء) قال ذلك تحدثا بنعمة الله وشكرا على ما أعطاه (قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس) أي من الأماكن البعيدة وكان له نقباء ترد أول العسكر على آخره لئلا يتقدموا في السير قال محمد بن كعب القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان يوضع كرسيه

فى وسطه فيقعد وحوله كراسى من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظلله الطير بأجنحتها حتى لايقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة بمعنى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به ، وروى عن كعب الأحبار أنه قال كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه ، وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض ، واتخذ ميادين للدواب فتجرى بين يديه والريح تهوى فسار من إصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وصل إليها قال سليمان : هذه دار هجرة نبى يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ، ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله إليه مايبكيك قال يارب أبكانى أن هذا نبى من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا علىّ ولم يصلوا عندى والأصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله إليه لاتبك فانى سوف أملؤك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا فى آخر الزمان أحب أنبيائى إلىّ وأجعل فيك عمارا من خلقى يعبدوننى أفرض عليهم فريضة يحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدة الشيطان، ثم مضى سليمان حتى مر بوادى النمل (قوله يجمعون ثم يساقون) أى يمنعون من التقدم حتى يجتمعوا ثم يؤمرون بالسير (قوله حتى إذا أتوا) غاية لمحذوف أى فساروا مشاة على الأرض وركبانا حتى إذا أتوا الخ (قوله نمله صغار) أى وهو المعروف وقوله أو كبار أى كالبخاتى أو الذئاب (قوله قالت نملة) قيل اسمها طاحية ، وقيل جرمى حكى الزمخشرى عن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول سلونى فأمر أبو حنيفة شخصا سأل قتادة عن نملة سليمان هل كانت ذكرا أو أنثى فلم يجب فقيل لأبى حنيفة فى ذلك فقيل كانت أنثى واستدل بلحاق العلامة ، قال بعضهم : وفيه نظر لأن لحاق التاء فى قالت لايدل على أنها مؤنثة لأن تاءه للوحدة لا للتأنيث وحينئذ فيصح أن يقال قال نملة وقالت نملة، وما استدل به أبو حنيفة يفيد الظن لا التحقيق (قوله وقد رأت جند سليمان) أى من ثلاثة أميال بدليل قوله الآتى وقد سمعه من ثلاثة أميال (قوله يأيها النمل الخ) اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعا من البلاغة ، أولها النداء بيا ثانيها لفظ أى . ثالثها التنبيه . رابعها التسمية بقولها النمل . خامسها الأمر بقولها ادخلوها . سادسها التنصيص بقولها مساكنكم . سابعها التحذير بقولها لايحطمنكم . ثامنها التخصيص بقولها سليمان . تاسعها التعميم بقولها وجنوده . عاشرها الاشارة بقولها وهم . حادى عشرها العذر بقولها لايشعرون، وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين ، وهى من جملة الحيوانات العشرة التى تدخل الجنة، وهى براق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدهد بلقيس ونملة سليمان وعجل إبراهيم وكبش ولده و بقرة بنى إسرائيل وكلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وحوت يونس روى أن سليمان قال لها لم حذرت النمل أخفت من ظلمى أما علمت أنى نبى عدل فلم قلت لايحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة أما سمعت قولى وهم لايشعرون مع أنى لم أرد حطم النفوس و إنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت و يفتتن بالدنيا و يشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر ، فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة إلى قومها فقالت هل عندكم من شىء نهديه إلى نبى الله قالوا وما قدر مانهدى له والله ماعندنا إلا نبقة واحدة فقالت حسنة ائتونى بها فأتوها بها فحملتها بفيها وانطلقت تجرها وأمر الريح فحملتها وأقبلت تشق الجن والانس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها فى فيه وأنشأت تقول :

يجمعون ثم يساقون (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ) هو بالطائف أو بالشام نمله صغار أو كبار (قَالَتْ نَمْلَةٌ) ملكة النمل وقد رأت جند سليمان (يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ،

ألم ترنا نهدى إلى الله ماله	وإن كان عنه ذاغنى فهو قابله
ولو كان يهدى للجليل بقدره	لأقصر عنه البحر يوما وساحله
ولكننا نهدى إلى من نحبه	فيرضى بها عنا ويشكر فاعله
وما ذاك إلا من كريم فعاله	وإلا فما فى ملكنا من يشاكله

فقال لها : بارك الله فيكم ، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله . والنمل حيوان معروف شديد

الاحساس والشم حتى أنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته ، ومن شدة إدراكه أنه يفلق الحبة فلقتين خوفا من الإنبات ويفلق حبة الكزبرة أربع فلق لأنها إذا فلقت فلقتين نبتت ، ويأكل في عامه نصف ماجمع ويستبقي باقيه عدة (قوله لا يحطمنكم) فيه وجهان أحدهما أنه نهي والثاني أنه جواب الأمر (قوله وهم لا يشعرون) جملة حالية (قوله فتبسم ضاحكا) مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها المذكور فتبسم ، وكان سبب ضحكه شيئين أحدهما مادل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم من قولها وهم لا يشعرون الثاني سروره بما آتاه الله مالم يؤت أحدا من إدراك سمعه ماقالته النملة (قوله ابتداء الخ) أي فالتبسم انفتاح الفم من غير صوت والضحك انفتاحه مع صوت خفيف والقهقهة انفتاحه مع صوت قوي وهي لا تكون من الأنبياء (قوله في هذا السير) أي في خصوص سيره على وادي النمل وكان هو وجنوده في غير هذا المكان راكبين على البساط وتسير بهم الريح (قوله وعلى والدي) إنما ذكر نعمة والديه تكثيرا للنعمة ليزداد في الشكر عليها (قوله في عبادك الصالحين) على حذف مضاف أي في جملة عبادك ، أو في بمعنى مع والمراد الكاملون في الصلاح لأن الصلاح مقول بالتشكيك فما من مقام إلا وفوقه أعلى منه والكامل يقبل الكمال (قوله وتفقد الطير) شروع في القصة الثالثة والمعنى نظر في الطير فلم ير الهدهد ، وكان سبب سؤاله عن الهدهد أنه كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر في الأرض ثم تجيء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة ، قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له إن الصبي يضع له فخا ويحثو عليه التراب فيجيء الهدهد وهو لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال ابن عباس إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمي البصر قيل ولم يكن له في مسيره إلا هدهد واحد (قوله فتستخرجه الشياطين) أي بأن تسلخ وجه الأرض عن الماء كما تسلخ الشاة (قوله مالي لا أرى الهدهد) استفهام استخبار (قوله أم كان من الغائبين) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال مالي لا أرى الهدهد ثم احتاط فظهر له أنه غائب فأضرب عن ذلك وهو إضراب انتقالي (قوله لأعذبنه عذابا شديدا) الحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فأو بين الكلمتين الأوليين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينهما فهي في الأخير بمعنى إلا (قوله بنتف ريشه) هذا أحد أقوال في معنى التعذيب ، وقيل هو أن يحشره مع غير أبناء جنسه ، وقيل هو أن يطلى بالقطران ويوضع في الشمس (قوله بنون مشددة الخ) أي والقراءتان سبعيتان (قوله بسلطان مبين) أي حجة ظاهرة على غيبته ، والسبب في غيبة الهدهد أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للسير واستصحب جنوده من الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح ، فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقيم أي من غير صلاة بالكعبة كراهة في الأصنام ولم يكن مأمورا بتكسيرها فاندفع التعارض بين ماهنا وما تقدم ، وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة ، وقال لمن حضره من أشراف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا ويعطى النصر على جميع من عاداه وتبلغ هيبته مسافة شهر القريب والبعيد عنده

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ) لا يكسرنكم (سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم (فَتَبَسَّمَ) سليمان ابتداء (ضَاحِكًا) انتهاء (مِنْ قَوْلِهَا) وقد سمعه من ثلاثة أميال حملته إليه الريح فحبس جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم وكان جنده ركبانا ومشاة في هذا السير (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) ألهمني (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء والأولياء (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة فلم يره (فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ) أي أعرض لي مامنعني من رؤيته ؟ (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) فلم أره لغيبته ، فلما تحققها قال (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا) تعذيبا (شَدِيدًا) بنتف ريشه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) بقطع حلقومه (أَوْ لَيَأْتِيَنِّي) بنون مشددة مكسورة أو مفتوحة يليها نون مكسورة (بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) ببرهان بين ظاهر على عذره ،

فى الحق سواء لاتأخذه فى الله لومة لائم قالوا فبأى دين يدين يانبى الله قال بدين الله الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا و بين خروجه يانبى الله ؟ قال مقدار ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلى و يتغدى ، فلما نزل قال الهدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا لبلقيس فنزل إليه فاذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت ؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود قال ومن سليمان ؟ قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت قال عفير أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس و إن لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معى حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة إذا احتاج الماء قال الهدهد اليمانى إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها . وأما سليمان فانه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الجن والانس فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ماأدرى أين هو وما أرسلته إلى مكان ، فغضب سليمان وقال لأعذبنه عذابا شديدا الآية ، ثم دعا بالعقاب وهو أشد الطير طيرانا فقال له علىّ بالهدهد الساعة فارتفع العقاب فى الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدى أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى الهدهد

مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده وعلم الهدهد أن العقاب يقصده بسوء ، فقال بحق الذى قواك وأقدرك على إلا مارحمتنى ولم تتعرض لى بسوء فتركه العقاب وقال ويلك ثكلتك أمك إن نبى الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك

(فمكُثَ) بضم الكاف وفتحها (غَيْرَ بَعِيدٍ) أى يسيرا من الزمان وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه فعفا عنه وسأله عما لقى فى غيبته (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) أى اطلعت على مالم تطلع عليه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ) بالصرف وتركه ، قبيلة باليمن سميت باسم جدّ لهم باعتباره صرف (بِنَبَإٍ) خبر (يَقِينٍ . إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ) أى هى ملكة لهم اسمها بلقيس ،

(وأوتيت

فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام ، فلما انتهيا إلى العسكر تلقاه النسر والطير وقالا له ويلك أين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله وأخبراه بما قال سليمان ، فقال الهدهد أو مااستثنى نبى الله فقالوا بلى إنه قال أو ليأتينى بسلطان مبين فقال نجوت إذا وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع إلا بعد العصر فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يانبى الله فلما قرب منه الهدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان عليه الصلاة والسلام ، فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه وقال له أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال يانبى الله اذكر وقوفك بين يدى الله عزّ وجلّ ، فلما سمع سليمان عليه الصلاة والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ماالذى أبطأك عنى فقال الهدهد أحطت بما لم تحط به إلى آخره (قوله فمكث) أى الهدهد (قوله بضم الكاف وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والأول من باب قرب والثانى من باب نصر (قوله أى يسيرا من الزمان) أى وهو من الزوال إلى العصر (قوله فعفا عنه) أى من أول الأمر قبل أن يذكر العذر (قوله وسأله عما لقى فى غيبته) قدره اشارة إلى أن قوله فقال أحطت الخ مفرع على محذوف (قوله فقال أحطت بما لم تحط به) أى علمت مالم تعلمه أنت ولاجنودك ، وفى هذا تنبيه على أن الله تعالى أرى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون المسافة قريبة وهى ثلاث مراحل (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظرا إلى أنه اسم رجل وتركه نظرا إلى أنه اسم القبيلة للعلمية والتأنيث (قوله اسمها بلقيس) بالكسر بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكا هى آخرهم وكان الملك يملك أرض اليمن كلها يقول لملوك الأطراف ليس أحدمنكم كفؤا لى وأبى أن يتزوج منهم فخطب إلى الجن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن ، قيل فى سبب وصوله إلى الجن حتى خطب إليهم إنه

كان كثير الصيد فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه إياها (قوله وأوتيت من كل شئ) عطف على قوله تملكهم لأنه بمعنى ملكتهم . قال ابن عباس كان يخدمها ستمائة امرأة (قوله يحتاج إليه الملوك) أشار بذلك إلى أن قوله من كل شئ عام أريد به الخصوص (قوله ولها عرش عظيم) أى تجلس عليه أو وصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا ، وأما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما لحصول الفرق (قوله طوله ثمانون ذراعا الخ) وقيل طوله ثمانون وعرضه كذلك وارتفاعه فى الهواء كذلك (قوله عليه سبعة أبواب) صوابه أبيات بدليل قوله على كل بيت باب مغلق (قوله يسجدون للشمس) أى فهم مجوس (قوله فهم لا يهتدون أن لايسجدوا لله الخ) ذكر ذلك ردا على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لأنه لايستحق العبادة إلا من هو قادر على من فى السموات والأرض عالم بجميع المعلومات (قوله أى أن يسجدوا له) أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون أن ناصبة ولا زائدة ويسجدوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ، وعليها فلا يجوز الوقف على

يهتدون لأنه من تتمته كأنه قال فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا الخ وقرأ الكسائى بتخفيف ألا ، وتوجيهها أن يقال إن ألا للافتتاح ويا حرف تنبيه واسجدوا فعل أمر لكن سقطت ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا ووصلت الياء بسين اسجدوا فاتحدت القراءتان لفظا وخطا ، وهناك وجه آخر فى هذه القراءة وهو أن يا حرف نداء والمنادى محذوف والتقدير ألا ياهؤلاء وهو ضعيف لئلا يؤدى إلى حذف كثير من غير ما يدل على المحذوف (قوله من المطر والنبات) لف ونشر مرتب فالمطر هو المخبوء فى السموات والنبات هو المخبوء فى الأرض (قوله الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) اعلم أن ماذكره الهدهد من قوله الذى يخرج الخبء إلى هنا إنما هو بيان لحقيقة عقيدته وعلومه التى اقتبسها من سليمان وليس داخلا تحت قوله أحطت بما لم تحط به ، وإنما ذكر الهدهد ذلك ليغرى سليمان على قتالهم وليبين أنه لم يكن عنده ميل لهم بل إنما غرضه وصف ملكها (قوله وبينهما بون) أى فضل ومزية (قوله قال سننظر) هذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره فماذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر (قوله فهو أبلغ من أم كذبت) أى لأنه يفيد أنه إن كان كاذبا فى هذه الحادثة كان معدودا من الكاذبين ومحسوبا منهم ، والكذب له عادة ، وليست فلتة يعفى عنه فيها ، لأن الكذب على الأنبياء أمره عظيم (قوله من عبد الله) خص هذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وقدم اسمه على البسملة لأنها كانت فى ذلك الوقت كافرة فخاف أن تستخف باسم الله فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى (قوله السلام على من اتبع الهدى) أى أمان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال .

(وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (وَلَهَا عَرْشٌ) سرير (عَظِيمٌ) طوله ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرد عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الحق (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَّا يَسْجُدُوا لِلهِ) أى أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن كما فى قوله تعالى : لئلا يعلم أهل الكتاب ، والجملة فى محل مفعول يهتدون باسقاط إلى (الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ) مصدر بمعنى المخبوء من المطر والنبات (فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ) فى قلوبهم (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم (اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن فى مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم (قَالَ) سليمان للهدهد (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ) فيما أخبرتنا به (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) أى من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه ثم دلهم على الماء فاستخرج وارتووا وتوضئوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا صورته «من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ: بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد ،

(قوله فلا تعلوا علىّ) أى لاتتكبروا (قوله مسلمين) أى منقادين لدين الله ، وفى هذا الخطاب إشعار بأنه رسول من عند الله يدعوهم إلى دين الله وليس مطلق سلطان وإلا لقال وائتونى طائعين (قوله ثم طبعه بالمسك) أى جعل عليه قطعة منه كالشمع (قوله فألقه إليهم) إما بسكون الهاء أوكسرها من غير إشباع أو بإشباع ثلاث قراآت سبعيات (قوله ماذا يرجعون) إن جعل انظر بمعنى انتظر فماذا بمعنى الذى ويرجعون صلته والعائد محذوف ويكون مامفعول يرجعون ، والمعنى انتظر الذى يرجعونه وإن جعل بمعنى تأمل وتفكر كانت مااستفهامية وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها والعائد محذوف والتقدير أى شئ الذى يرجعونه والموصول هو خبرما الاستفهامية أوماذا كلها اسم واحد مفعول ليرجعون تقديره أى شئ يرجعون (قوله من الجواب) بيان لما (قوله وأتاها وحولها جندها الخ) وقيل أتاها فوجدها نائمة وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فألقى الكتاب على نحرها ، وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدهد فسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها (قوله فلما رأته ارتعدت) أى حين وجدت الكتاب مختوما ارتعدت لأن ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت أن الذى أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت أشراف قومها (قوله بقلبها واوا مكسورة) المناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء أوقلبها واوا الخ فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله إنى ألقى إلىّ الخ) لم تذكر صورة الكتاب بل اقتصرت على مافيه الفائدة لشدة معرفتها وبلاغة لفظها

فلا تعلوا علىّ وائتونى مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للهدهد (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ) أى بلقيس وقومها (ثُمَّ تَوَلَّ) انصرف (عَنْهُمْ) وقف قريبا منهم (فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) يردون من الجواب فأخذه وأتاها وحولها جندها وألقاه فى حجرها فلما رأته ارتعدت وخضعت خوفا ثم وقفت على مافيه ثم (قَالَتْ) لأشراف قومها (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا مكسورة (أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ) مختوم (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ) أى مضمونه (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَ) نْ (لَا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بقلبها واوا : أى أشيروا علىّ (فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا) قاضيته (حَتَّى تَشْهَدُونِ) تحضرون (قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) أى أصحاب شدة فى الحرب (وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) نا نطعك (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا) بالتخريب (وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أى مرسلو الكتاب (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) من قبول الهدية أو ردها إن كان ملكا قبلها أو نبيا لم يقبلها فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسمائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجواهر ومسكا وعنبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب ، فأسرع الهدهد إلى سليمان يخبره الخبر .

فأمر

(قوله كريم) أى مكرّم معظم (قوله مختوم) أى لأن الكتاب المختوم يشعر بالاعتناء بالمرسل إليه لما ورد « من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخفّ به » (قوله إنه من سليمان) جملة مستأنفة وقعت جوابا لسؤال مقدّر تقديره ماذا مضمونه (قوله قالت ياأيها الملأ) أى الأشراف ، سموا بذلك لأنهم يملئون العين بمهابتهم وكانوا ثلثمائة واثنى عشر لكل واحد منهم عشرة آلاف من الأتباع (قوله ما كنت قاطعة أمرا) أى إن عادتى معكم لاأفعل أمرا حتى أشاوركم (قوله نحن أولوا قوّة الخ) استفيد من ذلك أنهم أشاروا عليها بالقتال أوّلا ثم ردّوا الأمر إليها (قوله نطعك) مجزوم فى جواب الأمر (قوله قالت إن الملوك الخ) أى فلم ترض بالحرب الذى أشاروا عليها به بل اختارت الصلح وبينت سببه (قوله إذا دخلوا قرية) أى عنوة (قوله بم يرجع المرسلون) أى منتظرة رجوع الرسل وعودهم إلىّ (قوله إن كان ملكا قبلها) أى وقاتلناه (قوله أو نبيا لم يقبلها) أى واتبعناه ، لأنها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الأمور (قوله ألفا بالسوية) أى خمسمائة ذكر وخمسمائة أنثى .

(قوله فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة) أى كما يضرب الطين (قوله وأن تبسط من موضعه) أى توضع فى الأرض كالبلاط (قوله إلى تسعة فراسخ) أى وهو مسيرة يوم وثمن يوم (قوله وأن يبنوا) أى الجن (قوله عن يمين الميدان وشماله) أى وقصد بذلك إظهار البأس والشدة . وحاصل تفصيل تلك القصة أن بلقيس عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان الأقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى أيديهم أساور الذهب وفى أعناقهم أطواق الذهب وفى آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج ، وبعثت إليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود ، وعمدت إلى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالا من قومها أصحاب عقل ورأى سديد وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت إن كنت نبيا فميز الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما فى الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل فى الخرز خيطا من غير علاج إنس ولا جن ، وأمرت بلقيس الغلمان فقالت إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنيث يشبه كلام النساء ، وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت للرسول انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظرا فيه غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه وإن رأيت الرجل هاشا باشا لطيفا فاعلم أنه نبى فتفهم قوله ورد الجواب ، فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان عليه السلام فأخبره الخبر ، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنا من الذهب والفضة ، ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة وأن يخلوا قدر (١٨٣) تلك اللبنات التى معهم وأن يعملوا حول الميدان حائطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال سليمان عليه السلام أى دواب البر والبحر أحسن ؟ فقالوا يانبى الله رأينا فى بحر

فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدانا وأن يبنوا حوله حائطا مشرفا من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الميدان وشماله (فَلَمَّا جَاءَ) الرسول بالهدية ومعه أتباعه (سُلَيْمَانَ ،

كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال على بها فأتوه بها فل شدوها عن يمين الميدان وشماله وقال للجن على بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى على يمينه وعلى شماله وأمر الجن والانس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم ووضعوا مامعهم من الهدايا ، وقيل إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعا على قدر مامعهم من اللبنات ، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا مامعهم من اللبن فى ذلك الموضع ، ولما نظروا إلى الشياطين هالهم مارأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لابأس عليكم وكانوا يمرون على كراديس الانس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدى سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ماقى حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحقة فأتى بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها فقال لهم إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الجزعة فقال سليمان من لى بثقبها وسأل الانس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا ترسل إلى الأرضة فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة فى فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام ماحاجتك ؟ قالت تصير رزقى فى الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة ؟ فقالت دودة بيضاء أنا لها يانبى الله فأخذت الدودة خيطا فى فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ، فقال لها سليمان عليه السلام ماحاجتك ؟ قالت يكون رزقى فى الفواكه فقال لك ذلك ، ثم ميز بين الغلمان والجوارى بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم ، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وجهها والغلام يأخذ الماء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام يصبه على ظاهره فميز بين الغلمان والجوارى

ثم ردّ سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله ـ فلما جاء سليمان ـ الخ (قوله قال أتمدونن الخ) استفهام إنكار وتوبيخ : أى لاينبغى لكم ذلك (قوله وهم صاغرون) حال ثانية مؤكدة للأولى (قوله أى إن لم يأتونى مسلمين) أفاد بذلك أن يمين سليمان معلق على عدم إتيانهم مسلمين (قوله داخل سبعة أبواب) صوابه أبيات وتقدّم أنه داخل سبعة أبيات فيكون حينئذ فى داخل أربعة عشر بيتا (قوله حرسا) بفتحتين جمع حارس (قوله قيل) بفتح القاف : أى ملك ، سمى بذلك لأنه ينفذ مايقول (قوله إلى أن قربت منه) أى من سليمان (قوله شعر بها) أى علم وذلك أنه خرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه فقال ماهذا ؟ قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان (قوله قال يا أيها الملأ) الخطاب لكل من عنده من الجنّ والإنس وغيرهما (قوله ماتقدّم) أى من التحقيق أوقلب الثانية واوا (قوله أيكم يأتينى بعرشها) أى وكان سليمان إذ ذاك فى بيت المقدس وعرشها فى سبأ و بينها و بين بيت المقدس مسيرة شهرين (قوله فلى

قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ) من النبوّة والملك (خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ) من الدنيا (بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) لفخركم بزخارف الدنيا (ارْجِعْ إِلَيْهِمْ) بما أتيت به من الهدية (فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ) لاطاقة (لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا) من بلدهم سبأ ، سميت باسم أبى قبيلتهم (أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ) أى إن لم يأتونى مسلمين ، فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرساً وتجهزت إلى المسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به فارتحلت فى اثنى عشر ألف قيل مع كل قيل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ) فى الهمزتين ما تقدم (يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) منقادين طائعين فلى أخذه قبل ذلك لابعده (قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ) هو القوى الشديد (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) الذى تجلس فيه للقضاء وهو من الغداة إلى نصف النهار (وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ) أى على حمله (أَمِينٌ) أى على ما فيه من الجواهر وغيرها ، قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) المنزل وهو آصف بن برخيا ، كان صدّيقا يعلم اسم الله الأعظم الذى إذا دعا به أجيب (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) إذا نظرت به إلى شىء ، فقال له انظر إلى السماء فنظر إليها ثم رد بطرفه فوجده موضوعا بين يديه ففى نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتى الله به فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسى سليمان (فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا) أى ساكنا (عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا) أى الاتيان لى به

أخذه قبل ذلك) أى قبل إتيانهم مسلمين لأنهم حربيون حينئذ (قوله لابعده) أى لأن إسلامهم يعصم مالهم وهذا بحسب الظاهر وأما باطن الأمر فقصده أن يبهر عقلها بالأمور المستغربة لتزيد إيمانا (قوله عفريت) بكسر العين وقرئ شذوذا بفتحها (قوله وهو القوى) أى وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان اسمه ذكوان وقيل صخر (قوله أنا آتيك به) يحتمل أنه فعل مضارع أصله أأتى بهمزتين أبدلت الثانية ألفا ، ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقائم (قوله من مقامك) أى مجلسك (قوله أسرع من ذلك) أى لأن المقصود الاتيان به قبل أن تقدم هى والحال أن بين قدومها مسيرة (من ساعة ونصف ومجلسه من الغداة إلى نصف النهار (قوله علم من الكتاب) أى وهو التوراة (قوله وهو آصف بن برخيا) بالمد والقصر ، وكان وزير سليمان ، وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تعالى ، وقيل الذى عنده علم من الكتاب هو جبريل ، وقيل الخضر ، وقيل ملك آخر ، وقيل سليمان نفسه وعلى هذا فالخطاب فى قوله : أنا آتيك للعفريت ، وماشى عليه المفسر هو المشهور (قوله كان صديقا) أى مبالغا فى الصدق مع الله ومع عباده (قوله طرفك) هو بالسكون البصر (قوله قال) أى آصف ، وقوله له : أى لسليمان (قوله دعا بالاسم الأعظم) قيل كان الدعاء الذى دعا به ياذا الجلال والاكرام ، وقيل ياحىّ ياقيوم ، وقيل ياإلهنا وإله كل شئ إلها واحدا لاإله إلا أنت ائتنى بعرشها (قوله بأن جرى تحت الأرض) أى بحمل الملائكة له لأمر الله لهم بذلك (قوله أى ساكنا) أى غير متحرك كأنه وضع من قبل بزمن متسع ، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول وإلا كان واجب

الحذف لأن الظرف يكون مستقرا وعلى ماذكره المفسر فالظرف لغو عامله خاص مذكور فتدبر (قوله من فضل ربى) أى إحسانه إلىّ (قوله وإدخال ألف الخ) أى فالقراآت أربع سبعيات وبقيت خامسة وهى إدخال ألف بين المحققتين (قوله لأن ثواب شكره له) أى لأن الشكر سبب فى زيادة النعم، قال تعالى ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ (قوله بالافضال على من يكفرها) أى فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قوله قال نكروا لها عرشها) معطوف فى المعنى على قوله ـ قال هذا من فضل ربى ـ وكلاهما مرتب على قوله ـ فلما رآه مستقرا عنده ـ (قوله إلى حالة تنكره إذا رأته) أى فالتنكير إبهام الشئ بحيث لايعرف ضدّ التعريف ومنه النكرة والمعرفة فى اصطلاح النحويين (قوله ننظر) هو جواب الأمر (قوله قصد بذلك الخ) أشار بذلك إلى حكمة التغيير (قوله لما قيل له إن فيه شيئا) أى نقصا والقائل له ماذكر الجنّ وقالوا له أيضا إن رجليها كرجلى حمار وقالوا له أيضا إن فى ساقيها شعرا لأنهم ظنوا أنه يتزوجها فكرهوا ذلك لئلاتفشى له أسرار الجنّ ولئلا يأتى له منها أولاد فيخلفوه فى استخدام الجنّ فيدوم عليهم الذلّ (قوله قيل لها) القائل لها سليمان أومأموره (قوله أهكذا عرشك) الهمزة للاستفهام والهاء للتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم إشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر

(مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى) ليختبرنى (ءأَشْكُرُ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ أَكْفُرُ) النعمة (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) أى لأجلها لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ) عن شكره (كَرِيمٌ) بالافضال على من يكفرها (قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أى غيروه إلى حال تنكره إذا رأته (نَنْظُرْ أَتَهْتَدِى) إلى معرفته (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) إلى معرفة مايغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له إن فيه شيئا فغيروه بزيادة أو نقص أوغير ذلك (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ) لها (أَهَكَذَا عَرْشُكِ) أى أمثل هذا عرشك (قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ) أى فعرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها إذ لم يقل أهذا عرشك ولو قيل هذا قالت نعم قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلما (وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ . وَصَدَّهَا) عن عبادة الله (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ . قِيلَ لَهَا) أيضا (ادْخُلِى الصَّرْحَ) هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك اصطنعه سليمان لما قيل له إن ساقيها وقدميها كقدمى الحمار (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) من الماء (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا) لتخوضه وكان سليمان على سريره فى صدر الصرح

وفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بحرف الجرّ وهو الكاف اعتناء بالتنبيه وكان مقتضاه أن يقال أكهذا عرشك (قوله أى أمثل هذا) أشار بذلك إلى أن الكاف اسم بمعنى مثل وقولهم لايفصل بين ها التنبيه واسم الاشارة بشئ من حروف الجرّ إلابالكاف معناه ولوصورة وإن كانت فى المعنى اسما بمعنى مثل (قوله وشبهت عليهم الخ) أى فأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان والمشاكلة الاتيان بمثل الكلام السابق وإن لم يتحد الكلامان كقوله تعالى ـ ومكروا ومكر الله ـ (قوله قال سليمان) اى تحدثا بنعمة الله (قوله وأوتينا العلم من قبلها) أى العلم بالله وصفاته من قبل أن تؤتى هى العلم بماذكر، وكنامسلمين من قبل أن تسلم فنحن أسبق منها علما وإسلاما (قوله وصدّها) أى منعها، وقوله ما كانت فاعل صدّ، والمعنى منعها عن عبادة الله الذى كانت تعبده من دون الله وهوالشمس (قوله إنها كانت من قوم كافرين) بكسر إن فى قراءة العامة استئناف وقرئ شذوذا بفتحها على إسقاط حرف التعليل (قوله قيل لها أيضا) أى كما قيل نكروا لها عرشها (قوله هو سطح) وقيل الصرح القصر أوصحن الدار (قوله من زجاج أبيض) أى وهوالمسمى بالبلور (قوله اصطنعه سليمان) أى أمر الشياطين به فحفروا حفيرة كالصهريج وأجروا فيها الماء ووضعوا فيها سمكا وضفدعا وغيرهما من حيوانات البحر وجعلوا سقفها زجاجا شفافا فصار الماء ومافيه يرى من هذا الزجاج فمن لم يكن عالما به يظنّ أنه ماء مكشوف يخاض فيه مع أنه ليس كذلك (قوله لما قيل له) القائل ذلك الجنّ (قوله فلما رأته) أى أبصرته (قوله وكشفت عن ساقيها) أى على عادة من أراد خوض الماء قيل لما رأت اللجة فزعت وظنت أنه قصد بها الغرق فلما لم يكن لها بدّ من امتثال الأمر سلمت وكشفت عن ساقيها (قوله لتخوضه)

أى لأجل أن تصل إلى سليمان (قوله فرأى ساقيها الخ) أى فلما علم ذلك صرف بصره عنها (قوله ممرد) صفة أولى لصرح ، وقوله من قوارير صفة ثانية جمع قارورة (قوله مملس) ومنه الأمرد لملاسة وجهه : أى نعومته لعدم الشعر به (قوله بعبادة غيرك) أى وهو الشمس (قوله مع سليمان) حال من التاء فى أسلمت كما أشار لذلك بقوله كائنة ، والمعنى أسلمت حالة كونى مصاحبة له فى الدين ولا يصح أن يكون متعلقا بأسلمت لأنه يوهم أنها متحدة معه فى الاسلام فى زمن واحد (قوله فعملت له الشياطين النورة) أن بعد أن سأل الانس عما يزيل الشعر فقالوا له يحلق بالموسى ، فقالت لم يمس الحديد جسمى فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا الاندرى ، فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ (قوله فتزوجها) أى وولدت منه ولدا وسمته داود ومات فى حياة أبيه و بقيت معه إلى أن مات وهذا أحد قولين ، وقيل إنها لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك إياه ، فقالت ومثلى يانبى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قومى الملك والسلطان ؟ قال نعم إنه لايكون فى الاسلام إلا ذلك ولا ينبغى لك أن تحرمى ما أحل الله . قالت إن كان ولا بد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ، ودعا سليمان زو بعة ملك الجن وقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الحول ولم يعلم الجن موته ، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته يامعشر الجن إن سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا (قوله وأقرها على ملكها) أى وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها فى الارتفاع والحسن (قوله ويقيم عندها ثلاثة أيام) أى وكان يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام (قوله روى أنه ملك) أى أعطى الملك (قوله فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) أى فما سواه يفنى وهو الباقى بلا زوال .

(١٨٦)

فرأى ساقيها وقدميها حسانا (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ) مملس (مِنْ قَوَارِيرَ) أى زجاج ودعاها إلى الإسلام (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة غيرك (وَأَسْلَمْتُ) كائنة (مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وأراد تزوجها فكره شعر ساقيها فعملت له الشياطين النورة فأزالته بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان . روى أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا أَنِ) أى بأن (اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ) فى الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون (قَالَ) للمكذبين (يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) أى بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتيتنا به حقا فائتنا بالعذاب (لَوْلَا) هلا

قال العارف :

ما آدم فى الكون وما إبليس ... ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل إشارة وأنت المعنى ... يامن هو للقلوب مغناطيس

فالأكوان جميعها إشارات دالة على المقصود بالذات وهو الله الواحد القهار (قوله ولقد أرسلنا إلى ثمود) شروع فى القصة الرابعة من هذه السورة ، وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبى القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث وتسمى عاد الثانية ، وأما عاد الأولى فهم قوم هود (قوله أخاهم صالحا) أى فى النسب لأنه من أولاد ثمود الذى هو أبو القبيلة ، وعاش صالح مائتين وثمانين سنة (قوله أى بأن اعبدوا الله) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية وحرف الجر محذوف و يصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله وحدوه) أى اعتقدوا أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لاشريك له فى شىء منها (قوله فاذاهم) إذا فجائيه ، والمعنى ففاجأ إرساله تفرقهم واختصامهم فآمن فريق وكفر فريق ، وتقدم حكاية اختصام الفريقين فى سورة الأعراف فى قوله تعالى ـ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم ـ الخ (قوله فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لمعناه (قوله من حين إرساله) أى و بعد ظهور المعجزات (قوله لم تستعجلون بالسيئة) أى لأى شىء تستعجلون العذاب وتطلبونه لأنفسكم ولا تطلبون الرحمة ، و يصح أن يراد بالسيئة والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة ، والمعنى لم تؤخرون الايمان الذى هو سبب فى الرحمة وتقدمون الكفر الذى هو سبب العذاب .

(قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله من الشرك) أى بأن تتركوا الشرك وتؤمنوا (قوله لعلكم ترحمون) الترجى فى كلام الله بمنزلة التحقيق لأنه صادر من قادر عالم بالعواقب لايخلف وعده (قوله أدغمت التاء فى الطاء) أى بعد قلبها طاء (قوله واجتلبت همزة الوصل) أى للتوصل للنطق بالساكن (قوله أى تشاءمنا) أى أصابنا الشؤم وهو الضيق والشدة (قوله حيث قحطوا المطر) أى حبس عنهم (قوله قال طائركم عند الله) أى جزاء عملكم من عند الله عاملكم به فالشؤم وصفكم لاوصفى وسمى طائرا لأنه يأتى الظالم بغتة وسرعة كنزول الطائر (قوله تفتنون) أتى بالخطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجح ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغيبة فيقال مثلا نحن قوم نقرأ ويقرءون (قوله تختبرون بالخير والشر) أى لتعلموا أن ماأصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فبما كسبت أيديكم (قوله مدينة ثمود) أى وهى الحجر وتقدم أنه واد بين الشام والمدينة (قوله تسعة رهط) الرهط مادون العشرة من الرجال ، والنفر مادون السبعة إلى الثلاثة (قوله أى رجال) دفع بذلك ما يقال إن تمييز التسعة جمع مجرور فكيف يؤتى به مفردا ؟ فأجاب بأنه وإن كان مفردا فى اللفظ فهو جمع فى المعنى ، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولودا يولد فى شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه ، فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه ، فعاش ذلك الولد ونبت نباتا سريعا فكان إذا مر بالتسعة حزنوا

هلا (تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ) من الشرك (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) فلا تعذبون (قَالُوا اطَّيَّرْنَا) أصله تطيرنا أدغمت التاء فى الطاء واجتلبت همزة الوصل أى تشاءمنا (بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ) أى المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا (قَالَ طَائِرُكُمْ) شؤمكم (عِنْدَ اللَّهِ) أتاكم به (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) تختبرون بالخير والشر (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة ثمود (تِسْعَةُ رَهْطٍ) أى رجال (يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصى ، منها قرضهم الدنانير والدراهم (وَلَا يُصْلِحُونَ) بالطاعة (قَالُوا) أى قال بعضهم لبعض (تَقَاسَمُوا) أى احلفوا (بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ) بالنون والتاء وضم التاء الثانية (وَأَهْلَهُ) أى من آمن به أى نقتلهم ليلا (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ) بالنون والتاء وضم اللام الثانية (لِوَلِيِّهِ) أى ولى دمه (مَا شَهِدْنَا) حضرنا (مُهْلَكَ أَهْلِهِ) بضم الميم وفتحها أى إهلاكهم أو هلاكهم فلا ندرى من قتلهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ . وَمَكَرُوا) فى ذلك (مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا) أى جازيناهم بتعجيل عقوبتهم (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ) أهلكناهم (وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ) بصيحة جبريل ،

على قتل أولادهم فسوّل لهم الشيطان أن يجتمعوا فى غار فاذا جاء الليل خرجوا إلى صالح وقتلوه وتقدم أنهم اجتمعوا فى الغار فأرادوا أن يخرجوا منه فسقط عليهم الغار فقتلهم وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف . وقيل إنهم جاءوا ليلا لقتله شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالأحجار كما أفاده المفسر (قوله أى احلفوا) أشار بذلك إلى أن قوله تقاسموا فعل أمر أى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا (قوله بالنون) أى مع فتح التاء وقوله والتاء كان المناسب أن يقول وبالتاء لأن ضم التاء لا يكون إلا على قراءة التاء فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى من آمن به) وسيأتى أنهم أربعة آلاف (قوله بالنون) أى مع فتح اللام وقوله والتاء أى فقراءة النون هنا مع قراءة النون فى الذى قبله وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط (قوله أى ولى دمه) أى دم من قتل من صالح ومن معه (قوله مهلك أهله) أى أهل ولى الدم الذى يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به (قوله بضم الميم) أى مع فتح اللام وقوله وفتحها أى مع فتح اللام وكسرها فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله أى إهلاكهم) راجع للضم لأنه من الرباعى (قوله وهلاكهم) راجع للفتح بوجهيه لأنه من الثلاثى (قوله وإنا لصادقون) أى ونحلف إنا لصادقون أو المعنى والحال إنا لصادقون فيما قلنا (قوله ومكروا مكرا) أى أرادوا إخفاء مابيتوا عليه من قتل صالح وأهله (قوله ومكرنا مكرا) أى أهلكناهم من حيث لايشعرون وهو من باب المشاكلة نظير قول الشاعر :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

وإلا فحقيقة المكر مستحيلة على الله تعالى لأنه التحيل على الغدر وهو من صفات العاجز والعجز على الله محال (قوله فانظر) أى تأمل وتفكر (قوله إنا دمرناهم) بكسر إن على الاستئناف وفتحها على أنه خبر لمحذوف أى وهى تدميرنا إياهم والقراءتان سبعيتان

(قوله أو برمى الملائكة) أو للتنويع أى أن عذابهم نوعان موزعان عليهم رمى الحجارة على القسمة بسبب تبيتهم على قتل صالح وأهله ، والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة ، ولو قال المفسر أهلكناهم برمى الملائكة الحجارة وقومهم أجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح (قوله فتلك بيوتهم) مبتدأ وخبر أى ديارهم (قوله بظلمهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية (قوله إن فى ذلك) أى المذكور من إهلاكهم (قوله وأنجينا الذين آمنوا) أى من الهلاك ، فخرج صالح بهم إلى حضرموت ، فلما دخلها مات صالح فسميت تلك البلدة بذلك ، ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حاضوراء (قوله وكانوا يتقون) أى يدومون على اتقاء الشرك بأن لم يرتدوا (قوله ويبدل منه) أى بدل اشتمال ، والمراد ذكر القول لاذكر وقته (قوله لقومه) أى من حيث إرساله إليهم وإقامته عندهم وإلا فهو فى الأصل من أرض بابل ، فلما قدم مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسدوم (قوله يبصر بعضكم بعضا) أشار بذلك إلى أن المراد الابصار بالعين . وقيل المراد إبصار القلب ويكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات (قوله لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) (١٨٨) أشار بذلك إلى أنهم أساءوا من الطرفين فى الفعل والترك وقوله شهوة

أو برمى الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) أى خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة (بِمَا ظَلَمُوا) بظلمهم أى كفرهم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً) لعبرة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قدرتنا فيتعظون (وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بصالح وهم أربعة آلاف (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك (وَلُوطًا) منصوبا باذكر مقدراً قبله ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى اللواط (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) أى يبصر بعضكم بعضاً انهماكا فى المعصية (أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) عاقبة فعلكم (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ) أهله (مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) من أدبار الرجال (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا) جعلناها بتقديرنا (مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين فى العذاب (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) هو الحجارة السجيل أهلكتهم (فَسَاءَ) بئس (مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ) بالعذاب مطرهم (قُلْ) يا محمد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على هلاك كفار الأمم الخالية (وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ) هم (آللَّهُ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه ،

مفعول لأجله (قوله عاقبة فعلكم) أى وهى العذاب الذى نزل بهم (قوله فما كان جواب قومه) خبر كان مقدم ، وقوله إلا أن قالوا اسمها مؤخر (قوله آل لوط) المراد هو وأهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة (قوله من قريتكم) الاضافة للجنس لأنه تقدم أن قراهم كانت خمسة وأعظمها سدوم (قوله يتطهرون) أى يتنزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (قوله فأنجيناه وأهله) أى نخرج لوط بأهله من أرضهم ، طوى الله له الارض حتى نجا ووصل إلى إبراهيم (خبر)

(قوله الباقين فى العذاب) أى الذى حل بهم وهو أن جبريل اقتلع مدائنهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها قيل كان فيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) أى على من كان فى ذلك الوقت خارجا عن المدائن لسفر أو غيره (قوله هو حجارة السجيل) أى الطين المحروق (قوله مطرهم) هو المخصوص بالذم (قوله قل الحمد لله) لما تم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين شكرا له على نصرة أهل الحق والايمان وقطع دابر أهل الكفر والطغيان وتمهيدا لما يذكر من أدلة التوحيد التى أقامها ردّا على المشركين ، والسرّ فى ذلك إنصات العاقل وإصغاؤه ليدخل فى زمرة من سلم الله عليهم (قوله وسلام) أى أمان (قوله الذين اصطفى) قيل هم الأنبياء والرسل ، وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل مؤمنو هذه الأمة ، وقيل كل مؤمن من مبدإ الدنيا إلى منتهاها ، ومعنى اصطفى اختارهم أزلا لخدمته وطاعته فى الدنيا ولجنته ونعيمه فى الآخرة ، فالأصل اصطفاء الله العبد فلولا اصطفاؤه له ما وافق العبد لخدمة ربه ، ومن هذا قولهم : لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله بتحقيق الهمزتين إلخ) ظاهر المفسر أن القراءات أربع وهو سبق قلم ، والصواب أن هنا قراءتين فقط تسهيل الثانية مقصورة وإبدالها ألفا ممدودة مدا لازما وتقدم أن هذين الوجهين يجريان فى خمسة مواضع فى القرآن غير هذا اثنان فى الأنعام

آلذكرين فى الموضعين ، وثلاثة فى يونس آلله أذن لكم ، آلآن فى موضعين (قوله خير) خبر لفظ الجلالة وهو ما اسم تفضيل
باعتبار زعم الكفار أو صفة لا تفضيل فيها والكلام على حذف مضاف والتقدير أتوحيد الله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن
عبدها فهو تهكم بالمشركين لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله والاختيار للشىء لا يكون إلا للخير ومنفعة ولا خير فى عبادتها
وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (قوله أم ما يشركون) أم هذه متصلة عاطفة على لفظ
الجلالة لوجود المعادل وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآتية فهى منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الانكارى (قوله بالياء
والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أهل مكة) تفسير للواو فى يشركون (قوله أى الآلهة) تفسير لما والمعنى أم الآلهة التى
يشركونها به خير لعابديها (قوله أمن خلق السموات والأرض) القراءة السبعية بإدغام إحدى الميمين فى الأخرى وأم منقطعة ومن
خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره خير أم ما يشركون وقرئ شذوذا بتخفيف الميم فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام
(قوله فيه الالتفات) أى وحكمته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل إشارة إلى أن الله تعالى هو المنبت

(خَيْرٌ) لمن يعبده (أَمْ مَا تُشْرِكُونَ) بالتاء والياء ، أى أهل مكة به ، أى الآلهة خير لعابديها
(أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا) فيه التفات من
الغيبة إلى التكلم (بِهِ حَدَائِقَ) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذَاتَ بَهْجَةٍ) حسن
(مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) لعدم قدرتكم عليه (أَإِلٰهٌ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل
الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين فى مواضعه السبعة (مَعَ اللّٰهِ) أعانه على ذلك ، أى
ليس معه إله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) يشركون بالله غيره (أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا)
لا تميد بأهلها (وَجَعَلَ خِلَالَهَا) فيما بينها (أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ) جبالا أثبت بها
الأرض (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر (أَإِلٰهٌ
مَعَ اللّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) توحيده (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ) المكروب الذى مسه
الضر (إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) عنه وعن غيره (وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) الإضافة
بمعنى فى ، أى يخلف كل قرن القرن الذى قبله (أَإِلٰهٌ مَعَ اللّٰهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) تتعظون
بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء فى الذال ، وما زائدة لتقليل القليل (أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ)
يرشدكم إلى مقاصدكم (فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) و بالنجوم ليلا ، و بعلامات الأرض نهارا
(وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ) ،

للأشجار والزرع لا غيره وخلقها مختلفة الألوان والطعوم مع كونها تسقى بماء واحد (قوله وهو البستان المحوط) أى المجعول عليه حائط لعزته (قوله ذات بهجة) صفة لحدائق وأفرد لكونه جمع كثرة لما لا يعقل (قوله ما كان لكم) أى لا ينبغى لأنكم عاجزون عن إخراج النبات وإن كنتم قادرين على السقى والغرس ظاهرا (قوله أن تنبتوا شجرها) أى فضلا عن ثمارها وأشكالها (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع
سبعيات (قوله فى مواضعه السبعة) أى موضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة وهى لفظ أإله خمس مرات وأئذا وأئنا (قوله
أى ليس معه إله) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وكذا يقال فيما بعده (قوله بل هم قوم يعدلون) إضراب انتقالى من
تبكيتهم إلى بيان سوء حالهم (قوله أم من جعل الأرض قرارا) أى مستقرا للانسان والدواب لا تتحرك بما على ظهرها (قوله
فيما بينها) أشار بذلك إلى أن قوله خلالها ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق و يصح أن تكون بمعنى صير وخلالها مفعول ثان
(قوله حاجزا) أى معنويا غير مشاهد (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أى وكفرهم تقليد والأقل يعلم الأدلة وكفرهم عناد (قوله
المضطر) هو اسم مفعول وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال قلبت طاء لوقوعها إثر حرف الاطباق وهو الضاد (قوله إذا دعاه) أشار
بذلك إلى أن إجابة المضطر متوقفة على دعائه ، فلا ينبغى لمن كان مضطرا ترك الدعاء بل يدعو والله يجيبه على حسب ما أراد
سبحانه وتعالى لأن الله أرأف على العبد من نفسه ، فالعاقل إذا دعا الله يسلم فى الاجابة لمراد الله (قوله الاضافة بمعنى فى) أى فالمعنى
يجعلكم خلفاء فى الأرض (قوله وفيه إدغام التاء فى الذال) أى بعد قلبها دالا فذالا وهذا على كل من القراءتين (قوله وما زائدة
لتقليل القليل) أى فالمراد تأكيد القلة (قوله و بعلامات الأرض) أى كالجبال

(قوله أى قدّام المطر) أى أمامه (قوله و إن لم يعترفوا بالاعادة) أشار بذلك إلى سؤال وارد حاصله كيف يقال لهم : أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، مع أنهم منكرون للاعادة ؟ وأشار إلى جوابه بقوله لقيام البراهين عليها . و إيضاحه أن يقال إنهم معترفون بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عذر فى إنكار الاعادة بل ذلك محض جحود (قوله قل هاتوا برهانكم) أمره صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم إثر قيام الأدلة على أنه لايستحق العبادة غيره (قوله أن معى إلها) الأوضح أن يقول إن مع الله إلها لأن النبىّ مأمور بهذا القول وهو لايقول لهم إن كنتم صادقين أن معى إلها (قوله وسألوه) أى المشركون (قوله من فى السموات والأرض) من فاعل يعلم والجار والمجرور صلتها والغيب مفعول به وإلا أداة استثناء ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله يعلمه والتقدير لايعلم الذى ثبت فى السموات كالملائكة والأرض كالانس الغيب لكن الله هوالذى يعلمه (قوله من الملائكة والناس) بيان لمن فى السموات والأرض على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله لكن الله الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ولايصح جعله متصلا لايهامه أن الله من جملة من فى السموات والأرض وهو محال (قوله وقت يبعثون) تفسير لأيان ، والمناسب تفسيرها بمتى لأن أيان ظرف متضمن معنى همزة الاستفهام ومتى كذلك بخلاف لفظ وقت (قوله بمعنى هل) أى التى للاستفهام الانكارى (قوله أى بلغ ولحق) راجع للقراءة الأولى وقوله أوتتابع راجع للثانية ، والمعنى هل بلغ علمهم بالآخرة أو تتابع علمهم الآخرة حتى سألوا عن وقت مجىء الساعة ليس عندهم علم بذلك (ولا بل ولا إثبات حتى يسألوا عن وقت الساعة فسؤالهم محض تعنت وعناد (قوله فى شك منها) أى الآخرة (قوله بل هم منها عمون) أى عندهم جزم بعدمها لعدم إدراكهم دلائلها (قوله بعد حذف كسرتها) أى وسقطت الياء لوقوعها ساكنة إثر ضمة (قوله أيضا) أى كما قالوا ماتقدم (قوله أئذا كنا ترابا) كان فعل ماض ناقص ونا اسمها وترابا خبرها وآباؤنا معطوف على اسم كان وسوّغه الفصل بخبرها (قوله لقد وعدنا هذا) وعد فعل ماض ونا نائب الفاعل مفعول أوّل وهذا مفعول ثان ونحن تأكيد لنا وآباؤنا عطف على المفعول الأول وسوّغه الفصل بالمفعول الثانى والضمير المنفصل ، والمعنى لقد وعدنا محمد بالبعث كما وعد من قبله آباءنا به فلو كان حقا لحصل (قوله قل سيروا فى الأرض) أمر تهديد لهم إشارة إلى أنهم إن لم يرجعوا نزل بهم مانزل بمن قبلهم (قوله فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى لتعتبروا بهم فتنزجروا عن قبائحكم (قوله بانكارهم) أى المجرمين (قوله بالعذاب) أى الدنيوى لأنه هو المشاهد آثاره.

أى قدّام المطر (أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به غيره (أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) فى الأرحام من نطفة (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد الموت وإن لم يعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها (وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ) أى لا يفعل شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه (قُلْ) يامحمد (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) حجتكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أن معى إلها فعل شيئا مما ذكر . وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الملائكة والناس (الْغَيْبَ) أى ماغاب عنهم (إِلَّا) لكن (اللَّهُ) يعلمه (وَمَا يَشْعُرُونَ) أى كفار مكة كغيرهم (أَيَّانَ) وقت (يُبْعَثُونَ . بَلِ) بمعنى هل (أَدْرَكَ) بوزن أكرم فى قراءة وفى أخرى ادّارك بتشديد الدال وأصله تدارك أبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال واجتلبت همزة الوصل أى بلغ ولحق أوتتابع وتلاحق (عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ) أى بها حتى سألوا عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ) من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله والأصل عميون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أيضا فى إنكار البعث (أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ) من القبور (لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ) ما (هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) جمع أسطورة بالضم أى ماسطر من الكذب (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) بانكارهم وهى هلاكهم بالعذاب ،

(قوله ولا تحزن عليهم) أى لا تهتم على عدم إيمانهم فيما مضى ولا تخف من مكرهم فى المستقبل ، فالحزن غم لما مضى والخوف غم لما يستقبل (قوله ولا تكن) بثبوت النون هنا وهو الأصل وقد حذفت من هذا المضارع فى القرآن فى عشرين موضعا سبعة مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم

(قوله فى ضيق) بفتح الضاد وكسرها قراءتان سبعيتان أى حرج (قوله إن كنتم صادقين) خطاب للنبى ومن معه من المؤمنين (قوله قل عسى الخ) الترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق (قوله القتل ببدر) أى وغيره وهذا هو العذاب المعجل (قوله وباقى العذاب الخ) أى وهو العذاب المؤجل .(قوله منه) أى الفضل (قوله ليعلم ما تكن صدورهم) أى فالتأخير ليس لخفاء حالهم عليه (قوله الهاء للمبالغة) أى كراوية وعلامة وسماها هاء باعتبار الوقف ولو قال التاء لكان أسهل ، وقيل إنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية ونظيرها الذبيحة والنطيحة فى أنها أسماء غير صفات (قوله ومكنون علمه) الواو بمعنى أو لأنه تفسير ثان فتسميته كتابا على سبيل الاستعارة التصريحية حيث شبه بالكتاب كالسجل الذى يضبط الحوادث ويحصيها ولا يشذ عنه شىء منها (قوله أكثر الذى هم فيه يختلفون) أى فقد نص بالتصريح على الأكثر فلا ينافى قوله : ما فرطنا فى الكتاب من شىء . من جملته اختلافهم فى شأن المسيح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباغض حتى لعن بعضهم بعضا (قوله أى عدله) دفع بذلك ما يقال إن القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقضى بقضائه أو يحكم بحكمه . فأجاب بأن المراد بالحكم العدل (قوله فلا يمكن أحدا مخالفته الخ) تفريع على العزيز فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله فتوكل على الله الخ) تفريع على كونه عزيزا عليما أى فإذا ثبتت له هذه الأوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الأمور إليه تعالى والثقة به (قوله إنك على الحق المبين) علة للتوكل وكذا قوله إنك لا تسمع الموتى (قوله بينها وبين الياء) أى فتقرأ متوسطة بين الهمزة والياء والقراءتان سبعيتان (قوله مدبرين) أى معرضين (قوله بهادى العمى) ضمنه معنى الصرف فعداه بعن (قوله إلا من يؤمن بآياتنا) أى من سبق فى علم الله أنه يكون مؤمنا ومن هنا قولهم : لولا السابقة ما كانت اللاحقة .

(وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى لا تهتم بمكرهم عليك فأنا ناصرك عليهم (وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ) قرب (لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) فحصل لهم القتل ببدر وباقى العذاب يأتيهم بعد الموت (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه تأخير العذاب عن الكفار (وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ) فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تخفيه (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الهاء للمبالغة : أى شىء فى غاية الخفاء على الناس (إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ ومكنون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار (إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) الموجودين فى زمان نبينا (أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) أى ببيان ما ذكر على وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا (وَإِنَّهُ لَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) من العذاب (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) كغيرهم يوم القيامة (بِحُكْمِهِ) أى عدله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب (الْعَلِيمُ) بما يحكم به فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار فى الدنيا أنبياءه (فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) ثق به (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ) أى الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعمى فقال (إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ إِنْ) ما (تُسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إِلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله ،

(قوله و إذا وقع القول) أى قرب وقوعه و إنما عبر بالماضى لحصوله فى علم الله لأن الماضى والحال والاستقبال فى علم الله واحد لاحاطته بها ، والمراد بالقول مواعيد القرآن بالفضائح والخزى والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار (قوله حق العذاب) تفسير لوقع ، والمعنى قرب نزوله بهم (قوله أخرجنا لهم دابة من الأرض) أى وهى الجساسة ، ورد فى الحديث « أن طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام لايدركها طالب ولايفوتها هارب » . وروى « أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان » وعن ابن جريج فى وصفها : رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن إيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير ومابين المفصلين اثناعشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه « فيها كل لون مابين قرنيها فرسخ للراكب » وعن علىّ رضى الله عنه « أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلايخرج كل يوم إلا ثلثها » وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم « أنه سئل من أين تخرج الدابة ؟ فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى » يعنى المسجد الحرام ، وروى « أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا ، فبينما الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن يمين الخارج من المسجد » وقيل تخرج من الصفا لما روى « بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم أى تتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتضرب المؤمن فى مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضىء بها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم فى أنفه فتفشو النكتة حتى يسود بها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول لهم أنت يافلان من أهل الجنة وأنت يافلان من أهل النار » وروى « أن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها »

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) حق العذاب أن ينزل بهم فى جملة الكفار (أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) أى تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية تقول لهم من جملة كلامها عنا (إِنَّ النَّاسَ) أى كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة أنّ تقدر الباء بعد تكلمهم (كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) أى لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب ، و بخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (وَ) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) جماعة (مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا) وهم رؤساؤهم المتبوعون (فَهُمْ يُوزَعُونَ) أى يجمعون برد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون (حَتَّى إِذَا جَاءُو) مكان الحساب (قَالَ) تعالى لهم : (أكذبتم)

واختلف أيضا فى تعيين هذه الدابة فقيل هى فصيل ناقة صالح وهو أصح الأقوال فإنه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فى جوفه ثم انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عزوجل وقيل غير ذلك (قوله تقول لهم) تفسير لتكلمهم (قوله عنا) متعلق بمحذوف أى حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بأن تقول قال الله إن الناس الخ (قوله أى كفار مكة) المناسب حمل الناس على الموجودين وقت خروجها من الكفار (قوله وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء) أى للتعدية أو للسببية ، وأما على قراءة الكسر فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل والقراءتان سبعيتان (قوله ينقطع الأمر بالمعروف الخ) أى لعدم إفادة ذلك لأنه فى ذلك الوقت يظهر المؤمن والكافر عيانا بوسم الدابة لمن وسمته بالكفر لايمكن تغييره ، فحينئذ لاينفع أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ، ووجد فى بعض النسخ ولايبقى منيب ولا تائب ولايؤمن كافر : أى لايوجد فى هذا الوقت من ينوب إلى الله أى يرجع إليه ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولاإيمان كافر (قوله ويوم نحشر) أى الحشر الخاص بهم للعذاب بعد انفضاض الحشر العام لجميع الخلق (قوله من كل أمة) من تبعيضية وقوله ممن يكذب بيانية للفوج (قوله فوجا) الفوج فى الأصل الجماعة المارّة المسرعة ثم أطلق على الجماعة مطلقا (قوله وهم رؤساؤهم) أى كأبى جهل وأبىّ بن خلف وفرعون وقارون والنمروذ وغيرهم من رؤساء الضلال فكل رؤساء زمن نحشرهم على حدة (قوله برد آخرهم إلى أولهم) المناسب أن يقول برد أولهم على آخرهم أى يحبس أولهم و يوقفوا حتى يأتى آخرهم و يجتمعون ثم يساقون .

(أَكَذَّبْتُمْ) أنبيائى (بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا) من جهة تكذيبكم (بِهَا عِلْمًا أَمَّا) فيه إدغام ما الاستفهامية (ذَا) موصول : أى ما الذى (كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) بما أمرتم به (وَوَقَعَ الْقَوْلُ) حق العذاب (عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا) أى أشركوا (فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ) إذ لا حجة لهم (أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا) خلقنا (اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ) كغيرهم (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) بمعنى يبصر فيه ليتصرفوا فيه (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) خصوا بالذكر لانتفاعهم بها فى الإيمان بخلاف الكافرين (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى من إسرافيل (فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ) أى خافوا الخوف المفضى إلى الموت كما فى آية أخرى : فصعق ، والتعبير فيه بالماضى لتحقق وقوعه (إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) أى جبريل وميكائيل و إسرافيل وملك الموت ، وعن ابن عباس : هم الشهداء ، إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون (وَكُلٌّ) تنوينه عوض عن المضاف إليه : أى وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة (أَتَوْهُ) بصيغة الفعل واسم الفاعل (دَاخِرِينَ) صاغرين والتعبير فى الإتيان بالماضى لتحقق وقوعه (وَتَرَى الْجِبَالَ) تبصرها ،

(قوله أكذبتم بآياتى) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى أنكرتموها وجحدتموها (قوله ولم تحيطوا بها علما) الجملة حالية مؤكدة للانكار والتوبيخ ، والمعنى أنكرتموها من غير فهمها وتأملها فهم مؤخذون بالجهل والكفر (قوله أم ماذا) أم منقطعة بمعنى بل وما اسم استفهام أدغمت ميم أم فى ما فقوله فيه إدغام ما الاستفهامية أى الادغام فيها (قوله حق العذاب) أى نزل بهم وهو كبهم فى النار (قوله فهم لاينطقون) أى بحجة واعتذار (قوله ألم يروا) أى يعلموا (قوله أنا جعلنا الليل) أى مظلما بدلالة قوله والنهار مبصرا عليه كما حذف ليتصرفوا فيه من قوله والنهار مبصرا بدلالة قوله ليسكنوا فيه عليه ففى الآية احتباك (قوله بمعنى يبصر فيه) أى فالاسناد مجازى من الاسناد إلى الزمان (قوله ليتصرفوا فيه) أى بالسعى فى مصالحهم (قوله إن فى ذلك) أى الجعل المذكور (قوله دلالات على قدرته تعالى) أى من حيث اختلاف الليل والنهار بالنور والظلمة (قوله ويوم ينفخ فى الصور) معطوف على قوله ويوم نحشر من كل أمة فوجا (قوله النفخة الأولى) أى وتسمى نفخة الصعق ونفخة الفزع فعبر عنها هنا بالفزع وفى سورة الزمر بالصعق قال تعالى ـ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض ـ الخ فعند حصولها يموت كل حى ماعدا ما استثنى ، وأما النفخة الثانية فعندها يحيا من كان ميتا فالنفخة اثنان و بينهما أربعون سنة ، وقيل إنها ثلاث : نفخة الزلزلة ، وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها ونفخة الموت ونفخة الإحياء ، والقول الأول هو المشهور ، والصحيح فى الصور أنه قرن من نور خلقه الله وأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض ويسمى بالبوق فى لغة اليمن (قوله من إسرافيل) أى وهو أحد الرؤساء الأربعة جبريل وميكائيل و إسرافيل وعزرائيل (قوله من فى السموات ومن فى الأرض) أى من كل من كان حيا فى ذلك الوقت (قوله أى خافوا الخوف المفضى إلى الموت) أى استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به (قوله والتعبير بالماضى الخ) جواب عما يقال إن الفزع مستقبل فلم عبر بالماضى . فأجيب بأنه لتحققه نزل منزلة الواقع ، لأن الماضى والحال والاستقبال بالنسبة لعلمه تعالى واحد لتعلق العلم به (قوله أى جبريل الخ) أى فهؤلاء الأربعة لايموتون عند النفخة الأولى بخلاف باقى الملائكة و إنما يموتون بين النفختين و يحيون قبل الثانية (قوله وعن ابن عباس هم الشهداء) وقيل هم حملة العرش وقيل أهل الجنة من الحور العين والولدان وخزنة الجنة والنار ، وقيل موسى ، وقيل جميع الأنبياء (قوله إذ هم أحياء) أى حياة برزخية لاتزول ولا تحول ولكن ليست كحياة الدنيا (قوله أى كلهم) أى المخلوقات من صعق ومن لم يصعق (قوله بصيغة الفعل) أى الماضى فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة (قوله واسم الفاعل) أى فيقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو وأصله آتون له حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء لهيبة الله تعالى فيشمل الطائع والعاصى وليس المراد ذل المعاصى ، والمعنى أن إسرافيل حين ينفخ فى الصور النفخة الثانية التى بها يكون إحياء الخلق يأتى كل إنسان ذليلا لهيبة الله تعالى (قوله وترى الجبال) عطف على قوله ينفخ .

(قوله وقت النفخة) أي الثانية لأن تبديل الأرض وتسيير الجبال وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما يشهد به قوله تعالى - ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا - الآية وقوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض - الآية (قوله لعظمها) أي وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت مرة واحدة لاتكاد تبصر حركتها (قوله المطر) الصواب إبقاء اللفظ على ظاهره لأن تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد ولعل الباء سقطت من قلم المصنف، والأصل مر السحاب بالمطر (قوله حتى تقع) أي الجبال على الأرض (قوله مبسوسة) أي مفتتة كالرمل السائل (قوله كالعهن) أي الصوف المنفوش (قوله مؤكد لمضمون الجملة قبله) أي لأن ما تقدم من نفخ الصور وتسيير الجبال وغير ذلك إنما هو من صنع الله لا غير (قوله الذي أتقن كل شيء) أي وضعه في محله على أكمل حالاته (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي لا إله إلا الله) إنما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل لأن الكب في النار ليس بمطلق سيئة بل إنما يكون بالكفر وهو يقابل الإيمان وحينئذ فأل في الحسنة للعهد أي الحسنة

المعهودة وهي كلمة التوحيد وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة وصدقة وغير ذلك من وجوه البر (قوله فله خير منها) أي وهو الخلود في الجنة (قوله أي بسببها) أشار بذلك إلى أن من للسببية وتصح أن تكون للتعليل أي من أجل مجيئه بها (قوله وليس للتفضيل) أي ليس خير أفعل تفضيل لأنه ليس عبادة أفضل من لا إله إلا الله ويؤيد ماقاله المفسر ماروى عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الإيمان فلا لأنه لاشيء خير من لا إله إلا الله (قوله بالاضافة) أي إضافة فزع لليوم (قوله وكسر الميم) أي للاعراب وقوله وفتحها أي فتحة بناء وهي قراءة ثانية في الاضافة وقوله وفزع منونا معطوف على قوله بالاضافة فتكون القراءات ثلاثا سبعيات فكان الأوضح أن يعبر بأو بدل الواو في الأخير (قوله آمنون) أي لايصيبهم منه شيء والمراد بالفزع هنا الخوف من العذاب والفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة في ذلك اليوم فلا تنافي بين إثباته فيما تقدم ونفيه هنا (قوله فكبت وجوههم) أي ألقوا عليها في النار (قوله ويقال لهم) أي وقت كبهم على وجوههم في النار، والقائل لهم خزنتها (قوله أي ما تجزون الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله قل لهم إنما أمرت الخ) أمر صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ماذكر بعد بيان مايحصل في المعاد إشارة إلى أن عبادة الله هي المقصودة بالذات له آمنوا أو كفروا فيتسبب عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم ورجوعهم عما يوجب نقصانهم (قوله الذي حرمها) صفة للرب، ولايعارضه قوله صلى الله عليه وسلم «إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة» لأن إسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه وإسناد التحريم لإبراهيم باعتبار إخباره بذلك وإظهاره (قوله ولا يختلى خلاها) أي لايقطع حشيشها الرطب

وقت النفخة (تَحْسَبُهَا) تظنها (جَامِدَةً) واقفة مكانها لعظمها (وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ) المطر إذا ضربته الريح أي تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صُنْعَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أي صنع الله ذلك صنعا (الَّذِي أَتْقَنَ) أحكم (كُلَّ شَيْءٍ) صنعه (إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) بالياء والتاء أي أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ) أي لا إله إلا الله يوم القيامة (فَلَهُ خَيْرٌ) ثواب (مِنْهَا) أي بسببها وليس للتفضيل إذلا فعل خير منها وفي آية أخرى عشر أمثالها (وَهُمْ) أي الجاءون بها (مِنْ فَزَعِ يَوْمَئِذٍ) بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منونا وفتح الميم (آمِنُونَ. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ) أي الشرك (فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ) بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى ويقال لهم تبكيتا (هَلْ) أي ما (تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الشرك والمعاصي قل لهم (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ) أي مكة (الَّذِي حَرَّمَهَا) أي جعلها حرما آمنا لايسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصطاد صيدها، ولا يختلى خلاها، وذلك من النعم على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب (وَلَهُ) تعالى (كُلُّ شَيْءٍ) فهو ربه وخالقه ومالكه،

(وأمرت

(قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي أثبت على ما كنت عليه (قوله وأن أتلو القرآن) أي أواظب عليه لتنكشف لي حقائقه ورقائقه لأن علوم القرآن كثيرة فبتكرار التلاوة أزداد علوما ومعارف ، وفي هذه الآية إشعار بأن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدرا عند الله (قوله فمن اهتدى له) أي للإيمان (قوله فقل إنما أنا من المنذرين) هو جواب الشرط والرابط محذوف قدره المفسر بقوله له (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهو منسوخ (قوله وقل الحمد لله) أي على ما أعطاني من النعم العظيمة للتي أجلها النبوة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم (قوله سيريكم آياته) أي في الدنيا (قوله وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم) أي وجوه الذين قتلوا وأدبارهم (قوله بالياء والتاء) أي فهما قراءتان سبعيتان فعلى الأولى ، وعيد محض وعلى الثانية فيه وعد للطائعين ووعيد للعاصين. [سورة القصص] سميت بذلك لاشتمالها على الحكايات والأخبار المروية عن الله لأن القصص مصدر بمعنى الأخبار وتسمى أيضا سورة موسى (قوله نزلت بالجحفة) أي حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فنزلت تلك الآية تسلية وتبشيرا له بأنه يرجع إلى مكان عوده وهو مكة أحسن مرجع ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافر وقيل المعاد الموت وقيل الآخرة وكل صحيح وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية لأنها لم تنزل قبل الهجرة ولم تنزل بعد استقرارها بل نزلت بالطريق (قوله إلى قوله لا نبتغي الجاهلين) أي وهو أربع آيات (قوله أي هذه الآيات) أي آيات هذه السورة والاشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى (قوله نتلوا عليك) مفعوله محذوف أي شيئا وقوله من نبأ صفة لذلك المحذوف ويصح أن تكون من اسم بمعنى بعض هي المفعول أو زائدة على مذهب الأخفش ونبأ هو المفعول (قوله بالحق) حال إما من فاعل نتلوا أو من مفعوله والمعنى حال كوننا ملتبسين بالصدق أو كون الخبر ملتبسا بالصدق (قوله لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل أي أن المقصود بالذكر المؤمنون لأنهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى ـ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ـ (قوله إن فرعون) كلام مستأنف بيان للنبأ (قوله تعظم) أي تكبر وافتخر (قوله وجعل أهلها شيعا) أي أصنافا فجعل الصنائع الشريفة والامارة للقبط وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (قوله يذبح أبناءهم) بدل اشتمال من قوله يستضعف الخ وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا المعاصي فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وذبحوا أبناءهم بأمر فرعون . قيل إنه ذبح سبعين ألفا إلى أن أنجاهم الله على يد موسى عليه السلام.

(وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) لله بتوحيده (وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ) عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان (فَمَنِ اهْتَدَى) له (فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) أي لأجلها فإن ثواب اهتدائه له (وَمَنْ ضَلَّ) عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى (فَقُلْ) له (إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) المخوفين فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا) فأراهم الله يوم بدر القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وعجلهم الله إلى النار (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء ، وإنما يمهلهم لوقتهم .

(سورة القصص)

مكية إلا ـ إن الذي فرض ـ الآية ، نزلت بالجحفة وإلا «الذين آتيناهم الكتاب ـ إلى قوله ـ لا نبتغي الجاهلين» وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. طسم) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) الإضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) المظهر الحق من الباطل (نَتْلُوا) نقص (عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ) خبر (مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) الصدق (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) لأجلهم لأنهم المنتفعون به (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا) تعظم (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا) فرقا في خدمته (يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ) هم بنو إسرائيل (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ) المولودين (وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ) يستبقيهن أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك .

(قوله إنه كان من المفسدين) أى الراسخين فى الفساد (قوله بالقتل وغيره) أى كدعوى الألوهية (قوله ونريد أن نمن) أى نتفضل عليهم بإنجائهم من بأسه (قوله يقتدى بهم) أى بعد أن كانوا أذلاء مسخرين (قوله ونمكن لهم فى الأرض) أى نملكهم مصر والشام يتصرفون فيهما كيف يشاءون (قوله ونرى فرعون) أى نبصره وفرعون وما عطف عليه مفعول أول وما كانوا يحذرون مفعول ثان (قوله وفى قراءة) أى وعليها فلها مفعول واحد فقط وهوقوله : ما كانوا يحذرون ، وعلى هذه فتجب إمالة الراء إمالة محضة (قوله ورفع الأسماء الثلاثة) أى على الفاعلية (قوله منهم) أى المستضعفين (قوله يخافون من المولود الخ) أى وقد حصل ماخافوه حين أتتهم معجزات موسى عليه السلام وحين أدركهم الغرق (قوله وحى إلهام أومنام) هذان قولان للمفسرين وقيل كان بملك تمثل لها واعترض بأنها ليست بنبية . وأجيب بأن الممنوع نزول الملائكة على غير الأنبياء بالشرائع وأما بغيرها فجائز كنزول الملك على البارّ بأمه التى تقدّمت قصته فى البقرة (قوله إلى أم موسى) أى واسمها يوحانذ بضم الياء وكسر النون وبالذال المعجمة ، وقيل لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب ، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما أرضعيه وألقيه ونهيين وهما لا تخافى ولا تحزنى وخبرين و بشارتين وهما إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين فهما خبران تضمنا بشارتين (قوله أن أرضعيه) يصح أن تكون أن مفسرة أومصدرية (قوله فإذا خفت عليه) أى من الذبح (قوله ولا تخافى غرقه) دفع بذلك التناقض بين إثبات الخوف ونفيه فالمثبت هو خوف الذبح والمنفى هو خوف الغرق (قوله إنا رادّوه إليك) أى لتأمنى عليه وهو علة للنهى عن الخوف والحزن (قوله فوضعته فى تابوت) أى وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك وجعلت المفتاح فى التابوت (قوله مطلى بالقار) أى الزفت (قوله ممهد) أى مفروش له فيه ففرشت فيه قطنا محلوجا (قوله وأغلقته) أى وقيرت رأسه . وحاصله أن أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى إسرائيل مصافية لأم موسى ومصاحبة لها فلما ضربها الطلق أرسلت إليها ، فقالت قد نزل بى ما نزل فليسعفنى حبك إياى اليوم فعالجتها ، فلما أن وقع موسى بالأرض هالها نور بين عينى موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ، ثم قالت القابلة لها يا هذه ماجئت إليك حين دعوتنى إلا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شىء مثل حبه فاحفظى ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا على بابها ليدخلوا على أم موسى ، فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقة وألقته فى التنور وهومسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع . قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن ، فقالوا ما أدخل عليك القابلة ؟ فقالت هى مصافية لى فدخلت علىّ زائرة فخرجوا من عندها فرجع لها عقلها فقالت لأخت موسى فأين الصبى ؟ فقالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبى من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته . ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها وقذف الله فى نفسها أن تتخذ تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل ، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا ، فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت ؟ فقالت لى ابن أخبئه فى التابوت وكرهت الكذب ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون ، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى ، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدر الأمناء ما يقول فأعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه ، فلما انتهى النجار إلى موضعه

(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ياء : يقتدى بهم فى الخير (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) ملك فرعون (وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر والشام (وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا) وفى قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة (مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) يخافون من المولود الذى يذهب ملكهم على يديه (وَأَوْحَيْنَا) وحى إلهام أو منام (إِلَى أُمِّ مُوسَى) وهو المولود المذكور ولم يشعر بولادته غير أخته (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) البحر أى النيل (وَلَا تَخَافِي) غرقه (وَلَا تَحْزَنِي) لفراقه (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكى وخافت عليه فوضعته فى تابوت مطلى بالقار من داخل ممهد له فيه وأغلقته وألقته فى بحر النيل ليلا ،

(فالتقطه)

ردّ الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه و بصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه ، فبقى حيران فجعل لله عليه إن ردّ لسانه وبصره أن لايدل عليه وأن يكون معه ويحفظه حيث ما كانوا وعرف الله منه الصدق فردّ عليه لسانه و بصره فخرّ لله ساجدا وقال يارب دلنى على هذا العبد الصالح فدله الله عليه فآمن به وصدّقه . وقيل لما حملت أم موسى به كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبلها أحد من خلق الله وذلك شئ ستره الله تعالى لما أراد أن يمنّ به على بنى إسرائيل ، فلما كانت السنة التى ولد فيها بعث فرعون القوابل إليهنّ ففتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوابل لايتعرضن لها ، فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولارقيب لها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم ، وأوحى الله إليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم وهو البحر ليلا ، وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع له الأطباء والسحرة فنظروا فى أمرها فقالوا : أيها الملك لاتبرأ إلا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا فى ساعة كذا فى شهر كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهنّ وتنضح الماء على وجوههنّ إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج ، فقال فرعون إن هذا لشئ فى البحر قد تعلق بشجرة ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه ، فدنت آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت

(فَالْتَقَطَهُ) بالتابوت صبيحة الليل (آلُ) أعوان (فِرْعَوْنَ) فوضعوه بين يديه وفتح وأخرج موسى منه وهو يمص من إبهامه لبناً (لِيَكُونَ لَهُمْ) فى عاقبة الأمر (عَدُوًّا) يقتل رجالهم (وَحَزَنًا) يستعبد نساءهم ، وفى قراءة بضم الحاء وسكون الزاى لغتان فى المصدر ، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) وزيره (وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) من الخطيئة : أى عاصين فعوقبوا على يديه (وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ) وقد همّ مع أعوانه بقتله :

الباب فاذاهى بصبى صغير فى التابوت وإذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى إبهامه يمص منها لبنا فألقى الله محبته فى قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبى من التابوت عمدت إلى مايسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرئت فى الحال باذن الله تعالى فقبلته وضمته إلى صدرها ، فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى إسرائيل هو هذا رمى به فى البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله ، فقالت آسية ـ قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا ـ أى فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت آسية لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها ، وقال فرعون أما أنا فلاحاجة لى فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قال فرعون يومئذ قرة عين لى كما هو لك لهداه الله كما هداها » فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لأنا وجدناه فى الماء والشجر لأن مو هو الماء وشا هو الشجر فأصل موسى بالمهملة موشى بالمعجمة (قوله فالتقطه آل فرعون) عطف على ما قدره المفسر بقوله فأرضعته الخ (قوله صبيحة الليل) أى وكان يوم الاثنين (قوله وفتح) أى فتحته آسية بعد أن عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدروا (قوله فى عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام للعاقبة والصيرورة لا للعلة لأن علة التقاطهم أن يكون حبيبا وابنا ، ففى الآية استعارة تبعية فى متعلق معنى الحرف يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية فى المحبة والتبنى بجامع مطلق الترتب الأعم من الطرفين فالترتب الثانى متعلق معنى اللام فقدر استعارة الترتب الكلى المشبه به بالترتب الكلى المشبه فسرى التشبيه لمعنى اللام الذى هو الترتب الجزئى فاستعير لفظ اللام واستعمل فى الترتب الجزئى والعداوة والحزن قرينة أفاده الملوى (قوله وفى قراءة الخ) أى وهى سبعية أيضا (قوله من حزنه) هو من باب ضرب ونصر (قوله فعوقبوا على يديه) أى مع أنه تربى على أيديهم فهو أبلغ فى إذلالهم (قوله وقالت امرأة فرعون) أى وهى آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ، قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذى كان فى زمن يوسف الصديق عليه السلام ، وقيل من بنات الأنبياء من بنى إسرائيل من سبط موسى عليه السلام ، وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهى قاعدة إلى جنبه هذا الولد أكبر من ابن

سنة وأنت تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندى، وقيل إنها قالت له إنه أتى من أرض أخرى وليس هو من بنى إسرائيل (قوله هو قرت عين) أشار المفسر إلى أنه خبر لمحذوف (قوله عسى أن ينفعنا الخ) أى لما رأت فيه من العلامات الدالة على النجابة والبركة (قوله فأطاعوها) أى على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون النساء فيما يقلنه (قوله وهم لايشعرون) حال من آل فرعون (قوله وأصبح فؤاد أم موسى) يصح أن يبقى أصبح على ظاهره إن ثبت أنها ألقته ليلا أو يجعل بمعنى صار إن كانت ألقته نهارا (قوله فارغا مما سواه) أى من التفكر فى غيره لما ورد : أنه أتاها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ابنك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فأغرقتيه فى البحر فحزنت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت ما أوحى به إليها (قوله لتبدى به) ضمنه معنى تصرح فعداه بالباء ويصح أن يبقى على ظاهره وتكون الباء زائدة : أى تظهره (قوله لولا أن ربطنا على قلبها) جوابها محذوف : أى لأبدت به كما أشار له المفسر (قوله بوعد الله) أى المدلول عليه بقوله ـ إنا رادوه إليك ـ الخ (قوله لأخته) أى شقيقته

(قوله مريم) هو أحد أقوال ، وقيل اسمها كلثمة ، وقيل كلثوم (قوله عن

هو (قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً) فأطاعوها (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) بعاقبة أمرهم معه (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى) لما علمت بالتقاطه (فَارِغاً) مما سواه (إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف. أى إنها (كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) أى بأنه ابنها (لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) بالصبر أى سكناه (لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) المصدقين بوعد الله وجواب لولا دل عليه ماقبلها (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ) مريم (قُصِّيهِ) أى اتبعى أثره حتى تعلمى خبره (فَبَصُرَتْ بِهِ) أبصرته (عَنْ جُنُبٍ) من مكان بعيد اختلاساً (وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) أنها أخته وأنها ترقبه (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل رده إلى أمه أى منعناه من قبول ثدى مرضعة غير أمه فلم يقبل ثدى واحدة من المراضع المحضرة له (فَقَالَتْ) أخته (هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ) لما رأت حنوهم عليه (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) بالارضاع وغيره (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) وفسرت ضمير له بالملك جوابا لهم فأجيبت فجاءت بأمه فقبل ثديها وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن فأذن لها فى إرضاعه فى بيتها فرجعت به كما قال تعالى (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلقائه (وَلاَ تَحْزَنَ) حينئذ (وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ) برده إليها (حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أى الناس (لاَ يَعْلَمُونَ) بهذا الوعد ولا بأن هذه أخته وهذه أمه فمكث عندها إلى أن فطمته وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار وأخذتها

جنب) حال إما من الفاعل أو من الضمير المجرور بالباء أى أبصرته مستخفية كائنة عن جنب أو أبصرته أى اختفاء (قوله اختلاسا) أى اختفاء (قوله وأنها ترقبه) أى تنتظره (قوله وحرمنا عليه) أى على موسى (قوله من قبل) هو ظرف مبنى على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أى منعناه) أشار بذلك إلى أن المراد من التحريم لازمه وهو المنع لأن الصبى ليس من أهل التكليف (قوله من المراضع المحضرة) أى التى أحضرها فرعون (قوله وهم له ناصحون) أى مخلصون فى العمل من شوائب الفساد (قوله حنوهم عليه) أى عطفهم وميلهم إليه (قوله وغيره) أى كالتربية وإصلاح الحال (قوله فقبل ثديها) أى بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لايقبل ثدى مرضعة أصلا ، قيل إن هامان لما سمع قولها وهم له ناصحون قال إنها لتعرفه وأهله فخذوها واحبسوها حتى تخبر بحاله ، فقالت إنما أردت وهم له : أى للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكى طالبا للرضاع وهو يعلله شفقة عليه فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها ، فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدى إلا ثديك؟ فقالت إنى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أوتى بصبى إلا قبلنى فدفعه إليها وقال لها أقيمى عندنا لإرضاعه فقالت لا أقدر على فراق بيتى فإن رضيتم أرضعته فى بيتى وإلا فلا حاجة لى فيه وأظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة عنها فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها من يومها ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأتحفها بالذهب والجواهر (قوله كى تقر عينها) أى تبرد وتسكن من ألم الفراق (قوله ولا تحزن) عطف على تقر منصوب بأن مضمرة بعد كى (قوله فمكث عندها إلى أن فطمته) أى وهو حتنان .

وأخذتها لأنها مال حربى فأتت به فرعون فتربى عنده كما قال تعالى حكاية عنه فى سورة الشعراء ـ ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين ـ (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون سنة أو وثلاث (وَٱسْتَوَىٰ) أى بلغ أربعين سنة (آتَيْنَاهُ حُكْماً) حكمة (وَعِلْماً) فقها فى الدين قبل أن يبعث نبيا (وَكَذَٰلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (وَدَخَلَ) موسى (ٱلْمَدِينَةَ) مدينة فرعون، وهى منف بعد أن غاب عنه مدة (عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) وقت القيلولة (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ) أى إسرائيلى (وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أى قبطى يسخر الإسرائيلى ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون (فَٱسْتَغَاثَهُ ٱلَّذِى مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ) فقال له موسى خل سبيله فقيل إنه قال لموسى لقد هممت أن أحمله عليك (فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ) أى ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فَقَضَىٰ عَلَيْهِ) أى قتله ولم يكن قصد قتله ودفنه فى الرمل (قَالَ هَٰذَا) أى قتله (مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَانِ) المهيج غضبى (إِنَّهُ عَدُوٌّ) لابن آدم (مُضِلٌّ) له (مُبِينٌ) بين الإضلال (قَالَ) نادما (رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى) بقتله (فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ) أى المتصف بهما أزلا وأبدا (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ) بحق إنعامك (عَلَىَّ) بالمغفرة اعصمنى (فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا) عونا (لِلْمُجْرِمِينَ) الكافرين بعد هذه إن عصمتنى (فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ) ينتظر ما يناله من جهة القتيل (فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنْصَرَهُ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يستغيث به على قبطى آخر (قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُبِينٌ) بين الغواية،

(قوله وأخذتها لأنها مال حربى) جواب عما يقال كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها (قوله أو ثلاث) أو لتنويع الخلاف (قوله أى بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول أى كمل عقله وانتهى شبابه لأن موسى أقام فى مصر ثلاثين سنة ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها عشر سنين ووقعة قتل القبطى كانت قبل ذهابه لمدين فهى السبب فيه (قوله كما جزيناه) أى مثل ذلك الذى فعلناه بموسى وأمه نجزى المحسنين على إحسانهم (قوله منف) بضم فسكون ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو العجمة، وهى من أعمال مصر، وقيل هى قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر، وقيل هى مدينة عين الشمس، وقيل هى مصر (قوله وقت القيلولة) وقيل بين المغرب والعشاء. وسبب دخوله المدينة فى ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكبه و يلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما قدم قيل له إن فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره فأدركه المقيل فى أرض منف فدخلها وليس فى طرقها أحد (قوله وهذا من عدوه) أى وكان طباخا لفرعون واسمه فليثون أراد أن يسخر الاسرائيلى لحمل الحطب (قوله فاستغاثه) أى طلب غوثه ونصره (قوله أن أحمله) أى الحطب (قوله فوكزه موسى) أى دفعه بجمع كفه، وأما اللكز فهو الضرب بأطراف الأصابع (قوله بجمع كفه) أى بكفه مجموعة فهو من إضافة الصفة للموصوف (قوله فقضى عليه) أى أوقع عليه القضاء وهو الموت (قوله ولم يكن قصد قتله) جواب عما يقال كيف تجرأ على قتل القبطى وحاصل إيضاح الجواب أن قتله كان خطأ، وقد يقال قتله من باب دفع الصائل وهو واجب، والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله قال هذا من عمل الشيطان) نسبته للشيطان من حيث إنه لم يؤمر بقتل القبطى وظهر له أن قتله خلاف الأولى لما يترتب عليه من الفتن والشيطان تفرحه الفتن (قوله إنى ظلمت نفسى) الحق أن هذا تواضع منه وحسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بحق إنعامك على) أشار بهذا إلى أن ما مصدرية والكلام على حذف مضاف وأشار بقوله أعصمنى إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا وقوله فلن أكون جواب شرط قدره بقوله أن عصمتنى وأراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه فى جماعته وتكثير سواده (قوله فاذا الذى) إذا الفجائية والذى مبتدأ نعت لمحذوف أى فاذا الاسرائيلى الذى واستنصره صلته و يستصرخه خبر المبتدإ (قوله على قبطى آخر) أى يريد أن يستخدمه والاستصراخ الاستغاثة وسميت بذلك لأن المستغيث يصوت و يصرخ فى طلب الغوث (قوله قال له موسى) قال ابن عباس إن القبط قالوا لفرعون إن بنى إسرائيل قتلوا منا رجلا فخذلنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن شهد عليه فبينما يطوفون لا يجدون بينة

لما فعلته أمس واليوم (فَلَمَّا أَنْ) زائدة (أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا) لموسى والمستغيث به (قَالَ) المستغيث ظانا أنه يبطش به لما قال له (يَامُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ) ما (تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ) فسمع القبطى ذلك فعلم أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى فأخذوا فى الطريق إليه (وَجَاءَ رَجُلٌ) هو مؤمن آل فرعون (مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ) آخرها (يَسْعَى) يسرع فى مشيه من طريق أقرب من طريقهم (قَالَ يَامُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ) من قوم فرعون (يَأْتَمِرُونَ بِكَ) يتشاورون فيك (لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ) من المدينة (إِنِّى لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ) فى الأمر بالخروج (فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) لحوق طالب أو غوث الله إياه (قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) قوم فرعون (وَلَمَّا تَوَجَّهَ) قصد بوجهه (تِلْقَاءَ مَدْيَنَ) جهتها وهى قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها (قَالَ عَسَى رَبِّى أَنْ يَهْدِيَنِى سَوَاءَ السَّبِيلِ) أى قصد الطريق أى الطريق الوسط إليها ، فأرسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق به إليها (وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ) بئر فيها أى وصل إليها (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً) جماعة (مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ) مواشيهم (وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ) أى سواهم (امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ) تمنعان أغنامهما عن الماء (قَالَ) موسى لهما (مَا خَطْبُكُمَا) أى ما شأنكما لا تسقيان (قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ) ،

الأمر موسى من الند فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعونى وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطى فقال للإسرائيلى إنك لغوى مبين (قوله لما فعلته أمس واليوم) أى حيث قاتلت بالأمس رجلا فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثنى عليه (قوله فلما أن أراد أن يبطش الخ) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الاسرائيلى فمد يده ليبطش بالقبطى فظن الاسرائيلى أنه يريد أن يبطش به هو لما رأى من غضبه وسمع من قوله إنك لغوى مبين فقال ياموسى أتريد الخ (قوله جبارا فى الأرض) الجبار هو الذى يقتل و يضرب و يتعاظم ولا ينظر فى العواقب (قوله من المصلحين) أى بين الناس (قوله هو مؤمن آل فرعون) هو ابن عم فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو الذى ذكر فى قوله تعالى ـ وقال رجل مؤمن من آل فرعون ـ (قوله يسعى) صفة لرجل أو حال منه لوجود المخصص قبله (قوله يتشاورون فيك) أى يأمر بعضهم بعضا بقتلك (قوله أو غوث الله إياه) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله قال رب نجنى الخ) أى خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (قوله ولما توجه تلقاء مدين) أى بإلهام من الله لعلمه بأن أرض مدين لا تسلط لفرعون عليها وأن بينه و بين أهل مدين قرابة لكونهم من ذرية إبراهيم وهو كذلك (قوله ابن إبراهيم) أى الخليل عليه السلام وله ولد آخر اسمه مداين فأولاده أربعة إسمعيل و إسحق ومدين ومداين ، و إنما لم يصرح فى القرآن بمدين ومداين لأنهما لم يكونا نبيين (قوله ولم يكن يعرف طريقها) وخرج بلا زاد ولا رفيق ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى ر يئت خضرته فى باطنه من خارج وما وصل إلى مدين حتى وقع

جمع

خف قدميه وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قوله سواء السبيل) من إضافة الصفة للموصوف أى السبيل السوى (قوله أى الطريق الوسط) أى وكان لما ثلاث طرق فأخذ موسى يمشى فى الوسطى وجاء الطلاب فى أثره فساروا فى الأخريين ولم يعرفوا محله (قوله ملكا) أى وكان راكبا على فرس قيل هو جبريل (قوله بيده عنزة) هى فوق العصا ودون الرمح فى طرفها حربة كحربة الرمح (قوله بئر فيها) أشار بذلك إلى أنه أطلق الحال وأراد المحل فأطلق الماء وأريد البئر (قوله أى وصل إليها) أشار بذلك إلى أن المراد بالورود هنا الوصول لأن الورود يطلق على الدخول فى الشىء وعلى الاطلاع على الشىء والوصول إليه ومنه قوله تعالى ـ و إن منكم إلا واردها ـ على مشهور التفاسير ـ (قوله جماعة) أى كثيرة (قوله يسقون) الجملة حال من فاعل وجد لأنها بمعنى لقى فتنصب مفعولا واحدا (قوله مواشيهم) هو معمول يسقون وقد حذف فى هذه الآية معمول يسقون وتذودان ولا نسقى لأن المقصود الفعل لا المفعول

جمع راع ، أى يرجعون عن سقيهم خوف الزحام فنسقى وفى قراءة يصدر من الرباعى أى يصرفون مواشيهم عن الماء (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لايقدر أن يسقى (فَسَقَى لَهُمَا) من بئر أخرى بقربها رفع حجراً عنها لايرفعه إلا عشرة أنفس (ثُمَّ تَوَلَّى) انصرف (إِلَى الظِّلِّ) لسمرة من شدة حر الشمس وهو جائع (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) طعام (فَقِيرٌ) محتاج ، فرجعتا إلى أبيهما فى زمن أقل مما كانتا ترجعان فيه فسألهما عن ذلك فأخبرتاه بمن سقى لهما فقال لإحداهما ادعيه لى ، قال تعالى (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) أى واضعة كم درعها على وجهها حياء منه (قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فأجابها منكراً فى نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها فمشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقيها فقال لها امشى خلفى ودلينى على الطريق ففعلت إلى أن جاء أباها وهو شعيب عليه السلام وعنده عَشاء فقال له اجلس فتعش قال أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وإنا أهل بيت لانطلب على عمل خير عوضاً ، قال : لا ، عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فأكل وأخبره بحاله ، قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) مصدر بمعنى المقصوص من قتله القبطى وقصدهم قتله وخوفه من فرعون (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إذ لاسلطان لفرعون على مدين (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا) وهى المرسلة الكبرى أو الصغرى (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) اتخذه أجيراً يرعى غنمنا أى بدلنا (إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) أى استأجره لقوته وأمانته ، فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم : من رفعه حجر البئر ، ومن قوله لها امشى خلفى وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوّب رأسه فلم يرفعه فرغب فى إنكاحه (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ) وهى الكبرى أو الصغرى ،

(قوله جمع راع) أى على غير قياس وقياسه بضم الراء كقاض وقضاة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وأبونا شيخ كبير) أى فهذا وجه مباشرتنا السقى بأنفسنا قال الأجهورى فى شرح خطبة الشيخ خليل : [تتمة] عاش شعيب نبى الله ثلاثة آلاف سنة ذكره الشيخ زروق ، وفى رواية وكان فى غنمه اثنا عشر ألف كلب ، وفى رواية أنه عاش ثلاثة آلاف وستمائة سنة اه ملخصا من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للأجهورى (قوله لايقدر أن يسقى) أى فيرسلنا اضطرارا (قوله فسقى لهما) أى سقى أغنامهما لأجلهما (قوله إلا عشرة أنفس) وقيل سبعة ، وقيل ثلاثون ، وقيل أربعون ، وقيل مائة (قوله لسمرة) بضم الميم ، وهى شجرة عظيمة من شجر الطلح وهى التى أمر صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بالنزول والصلاة عندها (قوله إنى لما أنزلت إلىّ) إن حرف توكيد والياء اسمها ولما أنزلت متعلق بفقير وهو خبر إن وأنزلت بمعنى تنزل والمعنى إنى فقير ومحتاج لما تنزله إلى من أى شئ كان قليلا أوكثيرا (قوله ادعيه لى) أى اطلبيه ليحضر عندى (قوله فجاءته الخ) عطف على ما قدره المفسر بقوله فرجعتا الخ (قوله تمشى) حال من فاعل جاء وقوله على استحياء حال من الضمير فى تمشى والاستحياء هو الحياء بالمد ، وهو حالة تعترى الشخص تحمله على تجنب الرذائل (قوله كم درعها) أى قميصها (قوله منكرا فى نفسه أخذ الأجرة) أى فلم يكن قصده بالاجابة أخذ الأجرة بل التبرك بأبيها (قوله وهو شعيب) هذا هو الصحيح ، وقيل هو يثرون ابن أخى شعيب وكان شعيب قد مات ، وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب وشعيب هو ابن متبعون بن عنقاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام (قوله وهى المرسلة) أى وهى التى تزوجها موسى عليه السلام (قوله إن خير من استأجرت) تعليل للأمر بالاستئجار (قوله فسألها عنهما) أى بأن قال لها وما أعلمك قوته وأمانته (قوله وزيادة) أى على ما ذكرته من القوة والأمانة ، وقد يقال إن هذا من جملة الأمانة فلا زيادة (قوله صوّب رأسه) أى خفضه (قوله فرغب فى إنكاحه) أى رغب شعيب فى إنكاحه ابنته (قوله هاتين) استفيد منه أنه كان له غيرهما قيل كان له سبع بنات .

(قوله على أن تأجرنى) حال من الفاعل أو المفعول ومفعول تأجرنى محذوف . والمعنى تأجرنى نفسك ، وقوله ثمانى حجج ظرف له (قوله فمن عندك التمام) قدره إشارة إلى أن قوله فمن عندك خبر لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلا لا إلزاما (قوله للتبرك) أى فالاستثناء للتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى لا للتعليق لأن صلاحه محقق (قوله ذلك) اسم الاشارة مبتدأ و بينى و بينك خبره ، والمعنى ذلك الذى وقع منك وعاهدتنى عليه ثابت بيننا جميعا لايخرج عنه واحد منا و يصح أن يكون ذلك مفعولا لمحذوف أى قبلت ذلك ، وقوله بينى و بينك الخ حال من اسم الاشارة . والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائنا بينى و بينك لم يكن علينا شهيد إلا الله (قوله أيما الأجلين) أى شرطية وجوابها فلاعدوان علىّ وما زائدة كما قال المفسر (قوله الثمان أو العشر) بالنصب تفسير لأى (قوله فتم العقد) أى عقد النكاح والاجارة . إن قلت إن الذى وقع من شعيب وعد والنكاح لا يكون إلا بصيغة إبرام وأيضا لم يبين المنكوحة وأيضا الصداق ليست ثمرته عائدة عليها . أجيب بجوابين : الأول أن هذا كان فى شرعه جائزا . الثانى أن يمكن تنزيله على شرعنا بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة ، وقد وقع من موسى القبول بقوله ذلك ، و بأنه يمكن

أنه بين المنكوحة باشارة مثلا و بأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكا لها فثمرة الرعى عائدة عليها (قوله فوقع فى يدها عصا آدم) قيل إنه أودعها ملك فى صورة رجل عند شعيب فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فأتته بها فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة عنده فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها فرفعها موسى عليه السلام فكانت له (قوله من آس الجنة) أى وتوارثها الأنبياء بعد آدم فصارت منه إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت لشعيب وكان لايأخذها غير نبى إلا أكلته (قوله وهو المظنون به) أى و إن لم يصرح القرآن به لكمال مروءته فالمعول عليه أنه وفى العشر (قوله بأهله) أى زوجته وولده وخادمه (قوله نحو مصر) أى لصلة رحمه وزيارة أمه وأخيه . وورد أنه لما عزم على السير قال لزوجته اطلبى من أبيك أن يعطينا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها من كل أبلق و بلقاء فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء واسق منه الغنم ففعل ذلك فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها مابين أبلق و بلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وابنته فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام (قوله من جانب الطور) أى الأيمن بدليل مايأتى (قوله عن الطريق) أى لنستدل عليها (قوله بتثليث الجيم) أى وكلها سبعية فالكسر قراءة الجمهور والضم قراءة حمزة والفتح قراءة عاصم (قوله قطعة وشعلة) أى عود غليظ كان فى رأسه نار أولا، وقيل هو مافى رأسه نار فقوله من النار وصف مخصص على الأول وكاشف على الثانى (قوله والطاء بدل من تاء الافتعال) أى فأصله تصتليون وقعت التاء بعد أحد حروف الاطباق فقلبت طاء (قوله بكسر اللام) أى من باب رضى وقوله وفتحها أى من باب رمى

(عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِى) تكون أجيرا لى فى رعى غنمى (ثَمَانِىَ حِجَجٍ) أى سنين (فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا) أى رعى عشر سنين (فَمِنْ عِنْدِكَ) التمام (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) باشتراط العشر (سَتَجِدُنِى إِنْ شَاءَ اللهُ) للتبرك (مِنَ الصَّالِحِينَ) الوافين بالعهد (قَالَ) موسى (ذَٰلِكَ) الذى قلته (بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ) الثمان أو العشر وما زائدة أى رعيه (قَضَيْتُ) به أى فرغت منه (فَلَا عُدْوَانَ عَلَىَّ) بطلب الزيادة عليه (وَاللهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ) أنا وأنت (وَكِيلٌ) حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك ، وأمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه ، وكانت عصى الأنبياء عنده فوقع فى يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب (فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ) أى رعيه وهو ثمان أو عشر سنين وهو المظنون به (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) زوجته بإذن أبيها نحو مصر (آنَسَ) أبصر من بعيد (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا) هنا (إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّى آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) عن الطريق، وكان قد أخطأها (أَوْ جَذْوَةٍ) بتثليث الجيم : قطعة وشعلة (مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تستدفئون والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وفتحها ،

(فلما

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِىءِ) جانب (الْوَادِ الْأَيْمَنِ) لموسى (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) لموسى لسماعه كلام الله فيها (مِنَ الشَّجَرَةِ) بدل من شاطئ بإعادة الجار لنباتها فيه ، وهى شجرة عناب أو عليق أو عوسج (أَنْ) مفسرة لامخففة (يَامُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فألقاها (فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) وهى الحية الصغيرة من سرعة حركتها (وَلَّى مُدْبِرًا) هاربا منها (وَلَمْ يُعَقِّبْ)أى يرجع فنودى (يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ . اسْلُكْ) أدخل (يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (فِي جَيْبِكَ) هو طوق القميص وأخرجها (تَخْرُجْ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أى برص ، فأدخلها وأخرجها تضىء كشعاع الشمس تغشى البصر (وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) بفتح الحرفين وسكون الثانى مع فتح الأول وضمه : أى الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها فى جيبك فتعود إلى حالتها الأولى ، وعبر عنها بالجناح لأنها للانسان كالجناح للطائر (فَذَانِكَ) بالتشديد والتخفيف أى العصا واليد وهما مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره (بُرْهَانَانِ) مرسلان (مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا)هو القبطى السابق (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) به (وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) أبين (فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْأً) معينا وفى قراءة بفتح الدال بلاهمزة

(قوله نودى من شاطئ الواد الخ) قيل إن موسى لما رأى النار مشتعلة فى الشجرة الخضراء علم أن ذلك لايقدر عليه إلا الله فلما نودى علم أن الله هو المتكلم بذلك النداء (قوله الأيمن) صفة للشاطئ أو للوادى ، من اليمن وهو البركة أو اليمين مقابل اليسار ، والمعنى الشاطئ الذى يلى يمين موسى (قوله فى البقعة) متعلق بنودى (قوله المباركة لموسى) أى لأنه فى ذلك المحل حصلت له البركة التامة فتلك الليلة أسعد لياليه كليلة الإسراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من الشجرة) حال من الضمير فى نودى والتقدير نودى موسى والحال أنه كائن فى جهة الشجرة ، وليس المراد أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط بل المحققون على أنه سمع الكلام بجميع أجزائه بلاحرف ولاصوت من جميع جهاته كما يكون لنا فى الآخرة عند رؤية ذاته جل شأنه بلا كيف ولا انحصار (قوله بدل) أى بدل اشتمال (قوله أو عوسج) أى شوك (قوله مفسرة) أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله لامخففة) أى لعدم إفادتها المعنى المقصود (قوله إنى أنا الله رب العالمين) هكذا قال هنا ، وفى سورة طه : إنى أنا ربك ، وقال فى النمل : نودى أن بورك من فى النار ومن حولها ولا تنافى بل الكل قاله الله له (قوله وأن ألق) عطف على قوله أن ياموسى (قوله من سرعة حركتها) أى فهو وجه شبهها بالجان وقوله فى الآية الأخرى : فاذا هى ثعبان مبين ، أى فى عظم الجثة فتحصل أنها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة (قوله ولى مدبرا) أى باعتبار الطبع البشرى حين رآها بهذه الصفة . ورد أنها لم تدع شجرة ولاصخرة إلا ابتلعتها حتى إن موسى عليه السلام سمع صرير أسنانها وقعقعة الشجر والصخر فى جوفها فحينئذ ولى مدبرا (قوله من الأدمة) أى الحمرة (قوله تغشى البصر) أى تغطيه (قوله واضمم إليك جناحك) جعل الجناح هنا مضموما وفى آية طه مضموما إليه حيث قال : واضمم يدك إلى جناحك ، لأن المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح المضموم إليه اليد اليسرى وكل من اليدين جناح (قوله من الرهب) متعلق باضمم (قوله بفتح الحرفين الخ) أى فالقراءة ثلاث سبعيات (قوله بأن تدخلها) أى تدخل اليد اليمنى التى حصل فيها البياض فى جيبك فتعود لحالتها الأولى فيزول عنك الخوف والفزع الذى حصل لك (قوله كالجناح للطائر) أى لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمشددة تثنية ذلك بلام البعد والمخففة تثنية ذاك فالتشديد عوض عن اللام فى المفرد (قوله وإنما ذكر المشار به الخ) جواب عما يقال إن العصا واليد مؤنثتان فكان اللائق الإشارة إليهما بتان . فأجاب بأنه روعى الخبر (قوله مرسلان) أشار بذلك إلى أن قوله : من ربك متعلق بمحذوف صفة لبرهانان (قوله وملائه) أى جماعته (قوله لسانا) أى كلاما (قوله ردأ) حال من ضمير أرسله (قوله بفتح الدال) أى مع التنوين وهى سبعية أيضا .

(قوله يصدقنى) أى يقوينى فى الصدق عند الخصم بتوضيح الحجج والبراهين (قوله جواب الدعاء) أى الذى هو قوله فأرسله معى لأن طلب الأدنى من الأعلى دعاء (قوله أن يكذبون) أى بسبب العقدة التى كانت فى فيه بسبب الجمرة التى وضعها وهو صغير فى فيه (قوله تقويك) أى فشد العضد كناية عن التقوية من إطلاق السبب و إرادة المسبب لأن شد العضد يستلزم شد اليد وشد اليد مستلزم للقوة (قوله بسوء) متعلق يصلون وقوله بآياتنا متعلق بمحذوف قدره بقوله اذهبا بدليل الآية الأخرى : اذهبا إلى فرعون ، وجمعهما فى ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا مجلس المناجاة بل كان فى ذلك الوقت بمصر لأن الله أرسل جبريل إلى هرون بالرسالة وهو بمصر فى ذلك الوقت ، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا) المراد بها العصا واليد وجمعهما لأن كل واحدة اشتملت على آيات متعددة وتقدم ذلك فى سورة طه (قوله قالوا) أى فرعون وقومه (قوله مختلق) أى مخترع من قبل نفسه (قوله وماسمعنا بهذا الخ) هذا محض عناد وكذب إذهم يعرفون أن قبله الرسل كإبراهيم و إسحق و يعقوب وغيرهم (قوله بواو و بدونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو يكون تابعا لما قبله وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفا فى جواب سؤال (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أنه لامفاضلة فى أوصاف الله تعالى لأن التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه فلا تفاضل بين صفاته مع بعضها ولا مع صفات خلقه (قوله عطف على من قبلها) أى فهى فى محل جر والعلم مسلط عليها (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان فله خبر تكون مقدم وعاقبة اسمها مؤخر على كلا الوجهين ، وذكر الفعل على قراءة التحتانية للفصل ولأنه مجازى التأنيث (قوله أى العاقبة المحمودة الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالدار الدار الآخرة وأن الإضافة على معنى فى و يصح أن المراد بالدار دار الدنيا والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة إذ العاقبة قسمان مذمومة ومحمودة فالجنة عاقبة محمودة والنار عاقبة مذمومة (قوله وهو أنا فى الشقين) تفسير للموصول كأنه قال إن لم تشهدوا لى بالصدق و بأن العاقبة المحمودة لى فالله علم بأنى جئت بالهدى و بأن العاقبة المحمودة لى (قوله إنه لايفلح الظالمون) تعليل لقوله ربى أعلم الخ (قوله وقال فرعون الخ) أى بعد أن شاهد إيمان السحرة وماوقع منهم (قوله ماعلمت لكم من إله غيرى) أى ليس لى علم بوجود إله غيرى وليس مراده بإلهية نفسه كونه خالقا للسموات والأرض ومافيهما إذ لايشك عاقل فى أن الله هو الخالق لكل شىء وكان اعتقاده أن العالم العلوى أثر فى العالم السفلى فلا حاجة للصانع (قوله على الطين) أى بعد اتخاذه لبنا ، قيل إنه أول من اتخذ الآجر و بنى به وهو الذى علم صنعته لهامان ولما أمر وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء فطبخ الآجر والجبس ونشر الخشب وسبك المسامير فبنوه ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بناء أحد من الخلق ، فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فضربها نحو السماء فردت إليه وهى ملطخة دما فقال قد قتلت إله موسى ، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكبا على البراذين فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة وقعت على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف ألف وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد عمل فى الصرح عملا إلا هلك .

(يُصَدِّقُنِي) بالجزم جواب الدعاء وفى قراءة بالرفع وجملته صفة ردءاً (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) نقويك (بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا) غلبة (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) بسوء ، اذهبا (بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ) لهم (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى) مختلق (وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا) كائنا (فِي) أيام (آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَقَالَ) بواو و بدونها (مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ) الضمير للرب (وَمَنْ) عطف على من قبلها (تَكُونُ) بالفوقانية والتحتانية (لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة فى الدار الآخرة ، أى وهو أنا فى الشقين فأنا محق فيما جئت به (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الكافرون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ) فاطبخ لى الآجر (فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) قصراً عالياً ،

(لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ) أنظر إليه وأقف عليه (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) في ادعائه إلهاً آخر وأنه رسوله (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) بالبناء للفاعل والمفعول (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ) طرحناهم (فِي الْيَمِّ) البحر المالح فغرقوا (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) حين صاروا إلى الهلاك (وَجَعَلْنَاهُمْ) في الدنيا (أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ياء: رؤساء في الشرك (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى الشرك (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ) بدفع العذاب عنهم (وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) خزياً (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) المبعدين (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ) قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنواراً للقلوب (وَهُدًى) من الضلالة لمن عمل به (وَرَحْمَةً) لمن آمن به (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون بما فيه من المواعظ (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) الجبل أو الوادي أو المكان (الْغَرْبِيِّ) من موسى حين المناجاة (إِذْ قَضَيْنَا) أوحينا (إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ) بالرسالة إلى فرعون وقومه (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) لذلك فتعلمه فتخبر به (وَلَٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا) أمماً بعد موسى (فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) أي طالت أعمارهم فنسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولاً وأوحينا إليك خبر موسى وغيره (وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا) :

(قوله لعلي أطلع) كأنه من قبحه توهم أن إله موسى في السماء يمكن الرقي إليه (قوله وأنه رسوله) أي أن موسى رسول الإله (قوله واستكبر) أي تكبر (قوله في الأرض) أي أرض مصر (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأخذناه) أي عقب تكبره وعناده (قوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر به المشركين فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم (قوله و إبدال الثانية ياء) أي فهما قراءتان سبعيتان لكن قراءة الابدال من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية (قوله بدعائهم إلى الشرك) أي المؤدي للنار (قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين) أي المطرودين أو الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجه (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) إخبار من الله لقريش بامتنانه على بني إسرائيل حين أهلك الأمم الماضية لما عاندوا وكذبوا رسلهم وساووا في زمن فترة بإنزال التوراة ليتعبدوا بها والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الأمة المحمدية ، والمعنى كما أنزل على موسى التوراة وقومه في فترة وجهل أنزل على محمد القرآن وقومه في فترة وجهل ليهتدوا به (قوله وعاد وثمود) عطف على قوم نوح ولم ينونه لأنه علم على القبيلة وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله وغيرهم) أي كفرعون (قوله حال من الكتاب) أي إما على حذف مضاف أي ذا بصائر أو مبالغة على حد ما قيل في زيد عدل وكذا يقال في قوله هدى ورحمة (قوله أي أنوارا للقلوب) أي تبصر به القلوب كما أن إنسان العين تبصر به العين (قوله لعلهم يتذكرون) أي فالعاقل إذا علم أن كتاب الله من أوصافه أنه منور للقلب وهاد من الضلالة ورحمة لمن صدق به بادر إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعناد (قوله وما كنت بجانب الغربي الخ) المقصود من ذلك إقامة الحجة على من كذبه صلى الله عليه وسلم يعني كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصل للأمم السابقة وأنبيائهم والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضرا ذلك ولا مشاهدا له (قوله وما كنت من الشاهدين) إن قلت إن هذا معلوم نفيه من قوله وما كنت بجانب الغربي فما ثمرة ذكره عقبه . أجيب بأنه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك ، ولذلك قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه (قوله بعد موسى) أي لأن أنبياء بني إسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذي الكفل كائنون بعد موسى (قوله واندرست العلوم) أي فكيف يأتيك الخبر من غير وحي (قوله وأوحينا إليك خبر موسى وغيره) أي ليكون معجزة لك وتذكيرا لقومك (قوله وما كنت ثاويا) إن قلت إن قصة مدين متقدمة على قصة الارسال ، فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها . أجيب بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب إشارة إلى أن أي واحدة تكفي

في إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه (قوله مقيما) أي إقامة طويلة تشعر بمعرفتك قصتهم (قوله في أهل مدين) متعلق بثاويا (قوله ولكنا كنا مرسلين) أي وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الأخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها (قوله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) أي كما لم تحضر يا محمد جانب المكان الغربي إذ أرسل الله موسى إلى فرعون، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة، وبين الارسال وإيتاء التوراة نحو ثلاثين سنة وهذا بالنظر للعالم الجسماني لاقامة الحجة على الخصم، وأما بالنظر للعالم الروحاني فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم إلى أن ظهر بجسمه الشريف ولكن لايخاطب به أهل العناد (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) أي لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي ستمائة سنة (قوله ولولا أن تصيبهم الخ) لولا حرف امتناع لوجود وأن ومابعدها في تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا تقديره موجود كما قال المفسر (قوله فيقولوا) عطف على تصيبهم والفاء للسببية

مقيما (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) خبر ثان فتعرف قصتهم فتخبر بها (وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) لك وإليك بأخبار المتقدمين (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ) الجبل (إِذْ) حين (نَادَيْنَا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (وَلَٰكِنْ) أرسلناك (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) وهم أهل مكة (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ) عقوبة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من الكفر وغيره (فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ، والمعنى لولا الإصابة المسبب عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها أي لعاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) محمد (مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا) هلا (أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما أو الكتاب جملة واحدة، قال تعالى (أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ) حيث (قَالُوا) فيه وفي محمد (سَاحِرَانِ) وفي قراءة سحران أي القرآن والتوراة (تَظَاهَرَا) تعاونا (وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ) من النبيين والكتابين (كَافِرُونَ. قُلْ) لهم (فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا) من الكتابين (أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في قولكم (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ) دعاءك بالإتيان بكتاب (فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ) في كفرهم (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)،

(قوله وجواب لولا) أي الأولى وأما الثانية فهي تحضيضية (قوله أو لولا قولهم الخ) أي فالمعنى الأول فيه انتفاء الجواب وهو عدم الارسال بثبوت ضده وهو الارسال لوجود السبب والمسبب معا، والمعنى الثاني لوجود المسبب الناشىء عن السبب فتدبر (قوله لما أرسلناك إليهم رسولا) أي فالحامل على إرسالك تعاللهم بهذا القول فالمعنى امتنع عدم إرسالنا لك لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ربنا لولا أرسلت الخ. إن قلت إن الآية تقتضي وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور والواقع أنهم حين نزول تلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا. أجيب بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير، أي فالمعنى لولا إصابة المصائب لهم واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير لما أرسلناك إليهم فهو بمعنى قوله تعالى - ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا - الآية (قوله قالوا) أي تعنتا (قوله أو الكتاب جملة) أشار بذلك إلى قول آخر في تفسير المثل (قوله من قبل) أي قبل ظهورك (قوله ساحران) خبر لمحذوف أي هما (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله تعاونا) أي بتصديق كل منهما الآخر وذلك أن كفار مكة بعثوا رهطا منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عليه السلام فقالوا إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ماذكر (قوله والكتابين) لواو بمعنى أو (قوله قل فأتوا بكتاب الخ) أي إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين فأتوا بكتاب من عند الله واضح في هداية الخلق فان أتيتم به اتبعته، وهذا تنزل للخصم زيادة في إقامة الحجة عليهم (قوله أتبعه) مجزوم في جواب شرط مقدر تقديره إن أتيتم به أتبعه (قوله فان لم يستجيبوا لك) أي لم يفعلوا ما أمرتهم به (قوله أنما يتبعون أهواءهم) أي ليس لهم

مستند لاتباع هواهم الفاسد (قوله أى لا أضل منه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ولقد وصلنا) العامة على تشديد الصاد وهو مأخوذ إما من وصل الشىء بالشىء بمعنى جعله تابعا له لأن القرآن تابع بعضه بعضا قال تعالى - ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ، أو من وصل الحبل جعله أوصالا أى أنواعا لأن القرآن أنواع كالوعد والوعيد والقصص والعبر والمواعظ (قوله الذين آتيناهم الكتاب) الاسم الموصول مبتدأ وآتيناهم صلته وهم مبتدأ ثان و به متعلق بيؤمنون ويؤمنون خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول (قوله أيضا) أى كما آمنوا بكتابهم (قوله نزلت فى جماعة أسلموا من اليهود الخ) قال ابن عباس نزلت فى ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام ، وقيل إنها نزلت فى أربعين رجلا قدموا مع جعفر بن أبى طالب من الحبشة آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يارسول الله : إن لنا أموالا فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم ، فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين ، والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين (قوله إنا كنا من قبله مسلمين) أى فاسلامنا ليس بمتجدد بل هو موافق لما عندنا لأن فى كتبهم صفة النبى ونعته فتمسكوا بكتابهم ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا فى صفاته وأحواله ، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم أظهروا ما كان عندهم من الاسلام (قوله بصبرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية وقوله على العمل بهما أى أو على أذى المشركين ومن عاداهم من أهل دينهم (قوله ويدرءون بالحسنة السيئة) أى يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة : أى الكلمة الطيبة الجميلة ، أو المعنى إذا وقعت منهم معصية أتبعوها بطاعة كالتوبة (قوله وإذا سمعوا اللغو الخ) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب و يقولون تبا لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم و يقولون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم (قوله سلام متاركة) أى إعراض وفراق لاسلام تحية (قوله لانصحبهم) الأوضح أن يقول لا نطلب صحبتهم (قوله ونزل فى حرصه الخ) وذلك أنه لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال يا ابن أخى قد علمت إنك لصادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت ، ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ، ثم أنشد :

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وبنى عبد مناف ، ثم مات فأتى على ابنه للنبى صلى الله عليه وسلم وقال له عمك الضال قد مات ، فقال له اذهب فواره وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح ، وقيل إنه أحيى وأسلم ثم مات ونقل هذا القول عن بعض الصوفية (قوله إنك لاتهدى من أحببت) أى لاتقدر على هدايته . إن قلت إن بين هذه الآية وآية وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم تنافيا أجيب بأن المنفى هنا خلق الاهتداء والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم (قوله ولكن الله يهدى من يشاء) أى فسلم أمرك لله فانه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولا يبالى بأحد .

أى لا أضل منه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا) بينا (لَهُمُ الْقَوْلَ) القرآن (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ) أيضا نزلت فى جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره ومن النصارى قدموا من الحبشة ومن الشام (وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ) القرآن (قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) موحدين (أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ) بإيمانهم بالكتابين (بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على العمل بهما (وَيَدْرَءُونَ) يدفعون (بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ) منهم (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ) الشتم والأذى من الكفار (أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) سلام متاركة أى سلمتم منا من الشتم وغيره (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) لا نصحبهم . ونزل فى حرصه صلى الله عليه وسلم على إيمان عمه أبى طالب (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِالْمُهْتَدِينَ .

(قوله أى قومه) أى وهم بعض أهل مكة كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف فانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له إنا نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا (قوله الهدى) أى وهو دين الاسلام (قوله أو لم نمكن لهم حرما آمنا) أى نجعل مكانهم حرما ذا أمن وعدى بنفسه لأنه بمعنى جعل يدل عليه الآية الأخرى وهى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا (قوله يأمنون فيه) أشار بذلك الى أن فى الكلام مجازا عقليا (قوله تجبى) أى تحمل وتساق (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثمرات كل شئ) مجاز عن الكثرة كقوله وأوتيت من كل شئ قال بعض العارفين من يتعلق ببيت الله الحرام ويسعى إليه فهو من خيار الخلق لقوله فى الآية يجبى إليه ثمرات كل شئ (قوله من كل أوب) أى ناحية وطريق وجهة (قوله رزقا) إما بمعنى مرزوقا فيكون منصوبا على الحال من ثمرات أو باق على مصدريته فيكون مفعولا مطلقا مؤكدا لمعنى يجبى أى نرزقهم رزقا (قوله أن ما نقوله حق) قدره إشارة إلى أن مفعول يعلمون محذوف (قوله وكم أهلكنا من قرية) رد بذلك على الكفار وبين لهم أن العبارة بالعكس وأن خوف التخطف يكون بالكفر لا بالايمان وأنهم ماداموا مصرّين على كفرهم يحل بهم وبال بطرهم كما حصل لمن قبلهم (قوله بطرت معيشتها) أى كفرت نعمة ربها فى زمن معيشتها أى حياتها (قوله فتلك مساكنهم) أى خربة بسبب ظلمهم والاشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود فان السفار تمر على تلك المساكن وتنزل بها فى بعض الأوقات (قوله للمارة يوما أو بعضه) أى لأن المار فى الطريق إذا نزل للاستراحة إنما يستمر فى الغالب يوما أو بعضه (قوله وما كان ربك مهلك القرى الخ) بيان للحكمة الالهية التى سبقت بها مشيئته تعالى والمعنى ما ثبت فى حكمه أن يهلك قرية قبل الانذار (قوله أى أعظمها) أى وهى المدن بالنسبة لما حواليها لجرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل المدائن لأنهم أعقل وأفطن ويتبعهم غيرهم؛ ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم مبعوثا لجميع الخلق كانت بلده أفضل البلاد على الاطلاق وقبيلته أشرف القبائل على الاطلاق (قوله يتلوا عليهم آياتنا) أى لقطع الحجج والمعاذير (قوله إلا وأهلها ظالمون) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال ما كنا نهلكهم فى حال من الأحوال إلا فى حال كونهم ظالمين (قوله وما أوتيتم من شئ الخ) ما اسم موصول مبتدأ وأوتيتم صلته ومن شئ بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبره وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من معنى العموم ويصح أن تكون ما شرطية وقوله فمتاع الحياة الدنيا خبر مبتدإ محذوف والجملة جواب الشرط (قوله ثم يفنى) أى يذهب بفنائكم لجميع ما فى الدنيا عرض زائل يذهب بذهاب أهله ولا يبقى إلا جزاؤه فحلال الدنيا حساب وحرامها عقاب (قوله وهو ثوابه) أى ثواب الأعمال التى قصد بها وجهه سبحانه وتعالى (قوله خير وأبقى) أى دائم بدوام الله (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أتركتم التدبر فى أحوالكم فلا تعقلون لمن آثر الفانى على الباقى فلا عقل عنده لما فى الحديث «الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له» ولله در الامام الشافعى حيث قال:

إن لله عبـادا فطنـا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلمـا علموا ... أنها ليسـت لحى وطنا
جعلوها لجة واتخـذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

وليس المراد من ترك الدنيا رأسا والخروج عنها بالمرة بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه وإنما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه لتكون مزرعة لآخرته لما فى الحديث «نعم المال الصالح فى يد الرجل الصالح» فالمضر شغل القلب والنية السوء.

﴿وَقَالُوا﴾ أى قومه ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ أى ننتزع منها بسرعة، قال تعالى ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب على بعض ﴿تُجْبَىٰ﴾ بالفوقانية والتحتانية ﴿إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من كل أوب ﴿رِّزْقًا﴾ لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أى عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما نقوله حق ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أى عيشها وأريد بالقرية أهلها ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة يوما أو بعضه ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أى أعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أى تتمتعون وتتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ أى ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالتاء

(قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أن الباقى خير من الفانى) قدره إشارة إلى أن مفعول يعقلون محذوف واستفيد منه أن أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله الذين اختاروا الباقى على الفانى، ومن هنا قال الامام الشافعى رضى الله عنه: من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى (قوله أفمن وعدناه الخ) من مبتدأ وجملة وعدناه صلتها وقوله كمن وعدناه الخ خبر المبتدإ، والمعنى أيستوى من وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه بمن انهمك فى طلب الفانى حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب فهو نظير قوله تعالى ـ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ـ (قوله مصيبه) أى مدركه لامحالة لأن وعده لا يتخلف (قوله متاع الحياة الدنيا) أى المشوب بالأكدار (قوله الأول) أى وهو من وعدناه والثانى وهو من متعناه (قوله أى لاتساوى بينهما) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ويوم يناديهم) أى المشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب أو النداء من الله لهم، والنفى فى آية ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام الرضا والرحمة فلاينافى أنه يكلمهم كلام غضب وسخط (قوله فيقول أين شركائى) تفسير للنداء (قوله تزعمونهم شركائى) أشار بذلك

بالتاء والياء أن الباقى خير من الفانى (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ) مصيبه وهو الجنة (كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فيزول عن قريب (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) النار، الأول المؤمن، والثانى الكافر، أى لاتساوى بينهما (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ) الله (فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِىَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) هم شركائى (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بدخول النار، وهم رؤساء الضلالة (رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا) هم مبتدأ وصفة (أَغْوَيْنَاهُمْ) خبره فغووا (كَمَا غَوَيْنَا) لم نكرههم على الغى (تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ) منهم (مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) مانافية وقدم المفعول للفاصلة (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) أى الأصنام الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) دعاءهم (وَرَأَوُا) هم (الْعَذَابَ) أبصروه (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ) فى الدنيا لما رأوه فى الآخرة (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) إليكم (فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ) الأخبار المنجية فى الجواب (يَوْمَئِذٍ) أى لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) عنه فيسكتون (فَأَمَّا مَنْ تَابَ) من الشرك (وَآمَنَ) صدق بتوحيد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) أدى الفرائض

إلى أن مفعولى تزعمون محذوفان (قوله قال الذين حق عليهم القول) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا، وجواب هذا السؤال أنه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والأتباع، فقال الأتباع إنهم أضلونا وقال الرؤساء ربنا هؤلاء الخ فهو بمعنى قوله تعالى ـ وبرزوا لله جميعا ـ الخ، وبمعنى وإذ يتحاجون فى النار الخ (قوله حق عليهم القول) أى ثبت وتحقق وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قوله وهم رؤساء الضلال) اى الذين أطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوهم عنه (قوله ربنا هؤلاء الذين أغوينا الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول نعته وأغوينا صلته والعائد محذوف قدره المفسر، وأغويناهم خبر وصح الاخبار به لتقييده بقوله كما غوينا ففيه زيادة فائدة على الصلة والمعنى تسببنا لهم فى الغى فقبلوا منا ولم يتبعوا الرسل وما أنزل عليهم من الكتب التى فيها المواعظ والأوامر والنواهى فلم نخبرهم عن أنفسنا بل اخترنالهم ما اخترناه لأنفسنا فاتبعونا بهواهم (قوله تبرأنا إليك منهم) هذا تقرير لما قبله (قوله وقدم المفعول) أى وهو قوله إيانا (قوله وقيل ادعوا شركاءكم) أى استغيثوا بآلهتكم التى عبدتموها لتنصركم وتدفع عنكم مانزل بكم وهذا القول للتهكم والتبكيت لهم (قوله ورأوا العذاب) أى نازلا بهم (قوله مارأوه) هو جواب لو (قوله ويوم يناديهم) معطوف على ماقبله فتحصل أنهم يسئلون عن إشراكهم وجوابهم للرسل (قوله فعميت عليهم الأنباء) أى خفيت عليهم فلم يهتدوا لجواب فيه راحة لهم، أو الكلام على القلب والأصل فعموا عن الأنباء: أى ضلوا وتحيروا فى ذلك فلم يهتدوا إلى جواب به نجاتهم (قوله فهم لايتساءلون عنه) أى عن الخبر المنجى لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ (قوله فأما من تاب الخ) أى رجع عن كفره فى حال الحياة.

(قوله فعسى أن يكون من المفلحين) الترجي في القرآن بمنزلة التحقق لأنه وعد كريم ومن شأنه لايخلف وعده (قوله وربك يخلق مايشاء ويختار) سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - فنزلت هذه الآية ردا عليه . واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة فقيل يخلق مايشاء من خلقه ويختار مايشاء منهم لطاعته وقيل يخلق مايشاء من خلقه ويختار مايشاء لنبوته وقيل يخلق مايشاء محمدا ويختار الأنصار لدينه ، وقيل يخلق مايشاء محمدا ويختار مايشاء أصحابه وأمته لما روى «إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعة يعني أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون» اهـ فقد اختار محمدا على سائر المخلوقات واختار أمته على سائر الأمم فكما هو أفضل الخلق على الاطلاق أمته أفضل الأمم على الاطلاق (قوله ما كان لهم الخيرة) بالتحريك والاسكان معناهما واحد وهو الاختيار ومانافية وكان فعل ناقص والجار والمجرور خبرها مقدم والخيرة اسمها مؤخر والجملة مستأنفة فالوقف على يختار ، والمعنى ليس للخلق جميعا الاختيار في شيء لاظاهرا ولا باطنا بل الخيرة لله تعالى في أفعاله لما في الحديث القدسي «ياعبدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فان سلمت لي ما أريد أعطيتك ماتريد وإن لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد» وإنما خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول ويصح أن تكون مامصدرية وما بعدها مؤول بمصدر ، والمعنى ويختار اختيارهم فيه ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف والتقدير . يختار الذي لهم فيه الاختيار وحينئذ فلا يصح الوقف على يختار والأول أظهر فالواجب على الانسان أن يعتقد أنه لا تأثير لشيء من الكائنات في شيء أبدا وإنما الذي يظهر على أيدي الخلق أسباب عادية يمكن تخلفها (قوله سبحان الله) أي تنزيها له عما لايليق به (قوله من الكفر وغيره) أي كالايمان فيجازي الكافر بالخلود في النار والمؤمن بالخلود في الجنة

(٢١٠)

(فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) الناجين بوعد الله (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) ما يشاء (مَا كَانَ لَهُمُ) للمشركين (الْخِيَرَةُ) الاختيار في شيء (سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) عن إشراكهم (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم من ذلك (وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ) الدنيا (وَالْآخِرَةِ) الجنة (وَلَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ في كل شيء (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالنشور (قُلْ) لأهل مكة (أَرَأَيْتُمْ) أي أخبروني (إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا) دائما (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بزعمكم (يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ) نهار تطلبون فيه المعيشة (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) ذلك سماع تفهم فترجعون عن الاشراك ،

(قل)

(قوله له الحمد في الأولى والآخرة) أي هو مستحق للثناء بالجميل في الدنيا والجنة لأنه لامعطي للنعم فيهما إلاهو سبحانه وتعالى فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن كما حمدوه في الدنيا لكن الحمد في الدنيا مكلفون به وأما في الآخرة فهو تلذذ لانقطاع التكليف بالموت قال العلماء لاينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا والآخرة حتى يسأل الله تعالى الخيرة في ذلك وذلك بأن يصلي ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ في الركعة الأولى بعد أم القرآن وربك يخلق مايشاء ويختار الآية وفي الثانية وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم الآية ثم يدعو بالدعاء الوارد في صحيح البخاري، عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم أني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم أن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به قال ويسمي حاجته ، وروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له «يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى مايسبق إلى قلبك واعمله فان الخير فيه» انتهى فان لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين فليقرأ

قل يا أيها الكافرون والإخلاص فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ اللهم خر لى واختر لى كما روى عن عائشة عن أبى بكر رضى الله عنهما . واعلم أن هذه الكيفية هى الواردة فى الحديث الصحيح ، وأما الاستخارة بالمنام أو بالمصحف أو السبحة فليس واردا عن النبى صلى الله عليه وسلم ولذا كرهه العلماء وقالوا إنه نوع من الطيرة (قوله قل أرأيتم إن جعل الله الخ) أرأيتم وجعل تنازعا فى الليل فأعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف وهو مفعوله الأول ومفعوله الثانى جملة الاستفهام بعده وإن حرف شرط وجعل فعل الشرط والله فاعله والليل مفعول أول وسرمدا مفعول ثان وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون وتقدم الكلام على نظيره فى الأنعام (قوله سرمدا) من السرد وهو المتابعة والاطراد (قوله دائما) أى بأن يسكن الشمس تحت الأرض (قوله إلى يوم القيامة) متعلق بجعل (قوله من إله غير الله بزعمكم) دفع بذلك ما يقال إن المقام لهل لأنها لطلب التصديق لا من التى لطلب التعيين لأنه يوهم وجود آلهة غيره تعالى ، فأجاب بأنه مجاراة للمشركين فى زعمهم وجود آلهة معه (قوله سماع تفهم) أى تدبر واعتبار لأن مجرد الإبصار لا يفيد (قوله إن جعل الله عليكم النهار سرمدا) أى بأن يسكن الشمس فى وسط السماء (قوله ومن رحمته) أى تفضله وإحسانه (قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الخ) أى لأن المرء فى الدنيا لابد وأن يحصل له التعب ليحصل ما يحتاج إليه فى معاشه فجعل الله له محل تكسب وهو النهار ومحل راحة وسكون ليستريح من ذلك التعب وهو الليل

(قل) لهم (أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بزعمكم (يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ) تستريحون (فِيهِ) من التعب (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ما أنتم عليه من الخطإ فى الاشراك فترجعون عنه (وَمِنْ رَحْمَتِهِ) تعالى (جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) فى الليل (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فى النهار بالكسب (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) النعمة فيهما (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) ذكر ثانيا ليبنى عليه (وَنَزَعْنَا) أخرجنا (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا (فَقُلْنَا) لهم (هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) على ما قلتم من الاشراك (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ) فى الإلهية (لِلَّهِ) لا يشاركه فيه أحد (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) فى الدنيا من أن معه شريكا، تعالى عن ذلك (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ) ابن عمه وابن خالته وآمن به (فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ) بالكبر والعلو وكثرة المال (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ) تثقل (بِالْعُصْبَةِ) الجماعة (أُولِي) أصحاب (الْقُوَّةِ) أى تثقلهم فالباء للتعدية ، وعدتهم قيل سبعون ، وقيل أربعون

(قوله ولتبتغوا من فضله) استفيد من الآية مدح السعى فى طلب الرزق لما ورد «الكاسب حبيب الله» (قوله ذكر ثانيا ليبنى عليه ونزعنا الخ) أى وإشارة إلى أن الشرك أمره عظيم لاشىء أجلب منه لغضب الله كما أن التوحيد عظيم لاشىء أجلب منه لرضا الله (قوله يشهد عليهم بما قالوا) أى وأمة محمد يشهدون للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم بالتكذيب (قوله أن الحق لله) أى التوحيد لله خاصة لا لغيره (قوله من أن معه شريكا) بيان لما (قوله إن قارون كان من قوم موسى) هو اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (قوله ابن عمه) أى واسم ذلك العم يصهر بياء تحتية مفتوحة وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة ابن قاهث بقاف وهاء مفتوحة وثاء مثلثة ، ويصهر أبو قارون وعمران أبو موسى أخوان ولدا قاهث ابن لاوى بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، وقيل إن قارون عم موسى (قوله وآمن به) أى وكان من السبعين الذين اختارهم موسى للمناجاة فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته وهرون على إمامته (قوله بالكبر) أى احتقار ماسواه ومن جملة تكبره أن زاد فى ثيابه شبرا ، ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة وكان يسمى المنور لحسن صورته (قوله من الكنوز) سميت كنوزا لما قيل إنه وجد كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقيل لامتناعه من أداء الزكاة (قوله ما إن مفاتحه الخ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف وإن حرف توكيد ونصب ومفاتحه اسمها وجملة لتنوء خبرها والجملة صلة الموصول والتقدير وآتيناه من الكنوز الشىء مفاتحه تثقل العصبة أولى القوة ، وكانت مفاتحه أولا من حديد فلما كثرت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر ؛ وقيل من جلود الابل كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بغلا (قوله لتنوء بالعصبة) الباء للتعدية ، والمعنى لتثقل المفاتيح العصبة .

(قوله فرح بطر) أى لأنه هو المذموم ، وأما الفرح بالدنيا من حيث إنها تعينه على أمور الآخرة كقضاء الدين والصدقة وإطعام الجائع وغير ذلك فلا بأس به (قوله بأن تنفقه فى طاعة الله) أى كصلة الرحم والصدقة وغير ذلك (قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا) أى بأن تصرف عمرك فى مرضاة ربك ولا تدع نفسك من غير خير فتصير يوم القيامة مفلسا لما فى الحديث « اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك» وقيل المراد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز . قال الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله   رداآن تدرج فيهما وحنوط

(قوله وأحسن للناس بالصدقة) المناسب حمله على العموم ويكون تفسيرا لقوله ـ ولا تنس نصيبك من الدنيا ـ وقوله ـ كما أحسن الله إليك ـ الكاف للتشبيه وما مصدرية ، والمعنى وأحسن إحسانا كإحسان الله إليك أو للتعليل (قوله قال إنما أوتيته على علم عندى) جواب لما قالوه من الجمل الخمس كأنه ينكر محض الفضل ، والمعنى إنما أوتيته حال كونى متصفا بالعلم الذى عندى فأعطانى الله تلك الأموال لكونى مستحقا لما لفضلى وعلمى (قوله وكان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة) وقيل العلم الذى

فضل به هو علم الكيمياء فان موسى علمه ثلثه ويوشع ثلثه وكالب ثلثه فخدعهما قارون حتى أضاف ما عندهما إلى ما عنده فكان يأخذ من الرصاص فيجعله فضة ومن النحاس فيجعله ذهبا فكثر بذلك ماله وتكبر وعلى هذا فقوله على علم عندى المراد به علم الكيمياء ويكون المعنى اكتسبته بعلمى الذى عندى لا من فضل الله كما تقولون (قوله أولم يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أيدعى ولم يعلم أن الله الخ والاستفهام للتوبيخ ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك (قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) عما

أى لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم . إن قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ـ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون ـ أجيب بأن السؤال قسمان سؤال استعتاب وسؤال توبيخ وتقريع فالمنفى سؤال الاستعتاب الذى يعقبه العفو والغفران كسؤال المسلم العاصى والمثبت سؤال التوبيخ الذى لا يعقبه إلا النار (قوله فخرج على قومه) عطف على قوله إنما أوتيته على علم وما بينهما اعتراض، وكان خروجه يوم السبت ، وقوله بأتباعه قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل تسعين ألفا عليهم المعصفرات، وهو أول يوم رئى فيه المعصفرات وكان عن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر وكانت بغلته شهباء بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى وكانوا مؤمنين غير أنهم محجوبون (قوله كلمة زجر) أى وهى منصوبة بمقدر : إى ألزمكم الله ويلكم والأصل فى الويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع .

وقيل عشرة ، وقيل غير ذلك ، اذكر (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ) المؤمنون من بنى إسرائيل (لَا تَفْرَحْ) بكثرة المال فرح بطر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) بذلك (وَابْتَغِ) اطلب (فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ) من المال (الدَّارَ الْآخِرَةَ) بأن تنفقه فى طاعة الله (وَلَا تَنْسَ) تترك (نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أى أن تعمل فيها للآخرة (وَأَحْسِنْ) للناس بالصدقة (كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ) تطلب (الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) بعمل المعاصى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ) أى المال (عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) أى فى مقابلته وكان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى (أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) للمال ، أى هو عالم بذلك ويهلكهم الله (وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) لعلمه تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب (فَخَرَجَ) قارون (عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) بأتباعه الكثيرين ركبانا متحلين بملابس الذهب والحرير على خيول وبغال متحلية (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا : يَا) للتنبيه (لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) فى الدنيا (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ) نصيب (عَظِيمٍ) واف فيها (وَقَالَ) لهم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بما وعد الله فى الآخرة (وَيْلَكُمْ) كلمة زجر (ثَوَابُ اللَّهِ) فى الآخرة بالجنة (خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا)،

(قوله مما أوتى قارون فى الدنيا) أى لأن الثواب منافعه عظيمة (قوله ولا يلقاها) أى يوفق للعمل بها (قوله على الطاعة وعن المعصية) أى وعلى الرضا بأحكامه تعالى (قوله فخسفنا به وبداره الأرض). قال أهل العلم بالأخبار والسير: كان قارون أعلم بنى إسرائيل بعد موسى وهرون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى واعتزل بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التى بينهما وهو يؤذيه فى كل وقت ولا يزيد إلا عتوّا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب، وكان الملأ من بنى إسرائيل يغدون إليه ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدّثونه ويضاحكونه. قال ابن عباس: فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على دينار واحد عن كل ألف دينار وعلى درهم عن كل ألف درهم وعلى شاة عن كل ألف شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك، فجمع بنى إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شىء فأطعتموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم، قالت بنو إسرائيل أنت كبيرنا فمرنا بما شئت، قال آمركم أن تأتونا بفلانة الزانية فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوها فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم، وقيل جعل لها طستا من ذهب، وقيل قال لها قارون أموّلك وأخلطك بنسائى على أن تقذفى موسى بنفسك غدا إذا حضر بنو إسرائيل، فلما كان من الغد جمع قارون بنى إسرائيل ثم أتى إلى موسى فقال له إن بنى إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم موسى وهم فى براح من الأرض فقام فيهم فقال يابنى إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت. قال قارون وإن كنت أنت؟ قال وإن كنت أنا. قال قارون فإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة الزانية. قال

مما أوتى قارون فى الدنيا (وَلَا يُلَقَّاهَا) أى الجنة المثاب بها (إِلَّا الصَّابِرُونَ) على الطاعة وعن المعصية (فَخَسَفْنَا بِهِ) بقارون (وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ) منه (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ) أى من قريب (يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ) يوسع (الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ) يضيق على من يشاء ووى اسم فعل بمعنى أعجب أى أنا والكاف بمعنى اللام

موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يافلانة أنا فعلت بك مايقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذى فلق البحر لبنى إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت؟ فتداركها الله بالتوفيق، فقالت فى نفسها، أحدث توبة أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت لا والله ولكن جعل لى قارون جعلا على أن تقذفك بنفسى، فخرّ موسى ساجدا يبكى وقال اللهم إن كنت رسولك فاغضب لى فأوحى الله إليه إنى أمرت الأرض أن تطيعك فمرها بما شئت، فقال موسى يابنى إسرائيل إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معى فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان، ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض بأقدامهم، ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب، ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم، ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وأصحابه فى كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة وموسى فى ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه. ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت عليهم، قال قتادة: خسفت به فهو يتجلجل فى الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة، وفى الخبر: إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة نفخ إسرافيل فى الصور، وأصبح بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض. قال بعضهم. مقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسمه فيمكن أن يلغز ويقال لنا كافر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون (قوله من فئة) من زائدة وفئة اسم كان إن كانت ناقصة والجار والمجرور خبرها أو فاعل بها إن كانت تامة (قوله من المنتصرين) أى الممتنعين بأنفسهم (قوله أى من قريب) أشار بذلك إلى أن المراد بالأمس الوقت الماضى القريب لا اليوم الذى قبل يومك (قوله ويكأن الله الخ) ويكأن فيها خمسة مذاهب: الأول أن وى كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب والكاف للتعليل وأن وما دخلت عليه مجرور بها: أى أعجب لأن الله يبسط الرزق الخ فالوقف على وى وهو قراءة الكسائى. الثانى أن كأن للتشبيه غير أنه ذهب معناه منها وصارت لليقين وحينئذ فالوقف على وى كالذى قبله. الثالث أن ويك كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معمولة لمحذوف: أى أعلم أن الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على ويك وهو قراءة أبى عمرو. الرابع

أن أصلها ويلك حذفت اللام وحينئذ فالوقف على الكاف أيضا . الخامس أن ويكأن كلها كلمة بسيطة ومعناها ألم تر أن الله يبسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على النون (قوله لولا أن من الله علينا) أى بالإيمان والرحمة (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويكأنه) تأكيد لما قبله ويجرى فيها مايجرى فى التى قبلها (قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض ولا فسادا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة فإن فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلو فآل أمرهما للخسران والوبال والدمار وموسى وهرون اختارا التواضع فآل أمرهما للعز الدائم الذى لايزول ولا يحول (قوله أى الجنة) أى وما فيها من النعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم وسماع كلامه القديم (قوله لايريدون علوا) التعبير بالارادة أبلغ فى النفى لأنه نفى الفعل وزيادة (قوله نجعلها) أى نصيرها (قوله بالبغى) أى الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودهما (قوله بعمل المعاصى) أى كالقتل والزنا والسرقة وغير ذلك من الأمور التى تخالف أوامره تعالى (قوله للمتقين) أظهر فى مقام الاضمار إظهارا لشأنهم ومدحا لهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلا على ضدهم (قوله من جاء بالحسنة) تقدم أنه إن أريد بالحسنة لاإله إلا الله فالمراد بالخير الجنة ومن للتعليل وليس فى الصيغة تفضيل ، وإن أريد بها مطلق طاعة فالمراد بالخير منها عشر أمثالها كما جاء مفسرا به فى الآية الأخرى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، فقول المفسر ثواب بسببها الخ إشارة للمعنى الثانى (قوله وهو عشر أمثالها) هذا أقل المضاعفة وتضاعف لسبعين ولسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء ، وهذا فى الحسنة التى فعلها بنفسه أو فعلت من أجله كالقراءة والذكر إذا فعل وأهدى ثوابه لميت مثلا ، وأما الحسنة التى تؤخذ فى نظير الظلامة فلا تضاعف بل تؤخذ الحسنة للمظلوم ، وأما المضاعفة فتكتب للظالم لأنها محض فضل من الله تعالى ليس للعبد فيه فعل والمضاعفة مخصوصة بهذه الأمة ، وأما غيرهم فلا مضاعفة له (قوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات الخ) اظهر فى مقام الاضمار تسجيلا وتقبيحا على فاعل السيئات ليزجر عن فعلها (قوله أى مثله) أشار بذلك أن الكلام على حذف مضاف (قوله أنزله) أى أوفرضه بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به (قوله إلى مكة وكان قد اشتاقها) تقدم أن سبب نزول هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم لما أذن له فى الهجرة إلى المدينة وخرج من الغار مع أبى بكر ليلا سار فى غير الطريق فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتاق إليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل عليه جبريل وقال له أتشتاق إلى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم فقال جبريل إن الله تعالى يقول إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد يعنى إلى مكة ظاهرا عليهم سميت البلد معادا [illegible] ن شأن الانسان أن ينصرف من بلده ويعود إليها وتقدم أن هذه الآية ينبغى قراءتها للمسافر تفاؤلا بعوده لوطنه ، ولا يقال [illegible] الآية قيات للنبى صلى الله عليه وسلم فكيف تقال لغيره لأنه يقال إن القرآن نزل للتعبد والاقتداء به فكأنه قال كما صدقت [illegible] لك فأصدق وعدى (قوله جوابا لقول كفار مكة الخ) أى كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك فرد الله عليهم بقوله : وقال موسى ربى أعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار (قوله وأعلم بمعنى عالم) إنما احتيج إلى تحويله لتعديته للمفعول بنفسه وإلا فكان مقتضى الظاهر تعديته بمن (قوله وما كنت ترجوا) ى قبل مجىء الرسالة إليك (قوله أن يلقى إليك الكتاب) أى إنزاله عليك ليس عن ميعاد ولا تطلب منك ، ومن هنا قال العلماء إن النبوة ليست مكتسبة لأحد قال فى الجوهرة :

ولم تكن نبوة مكتسبه ... ولو رقى فى الخير أعلى عقبه

الخ

(لولا أن من الله علينا لخسف بنا) بالبناء للفاعل والمفعول (ويكأنه لايفلح الكافرون) لنعمة الله كقارون (تلك الدار الآخرة) أى الجنة (نجعلها للذين لايريدون علوا فى الأرض) بالبغى (ولا فسادا) بعمل المعاصى (والعاقبة) المحمودة (للمتقين) عقاب الله بعمل الطاعات (من جاء بالحسنة فله خير منها) ثواب بسببها وهو عشر أمثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا) جزاء (ما كانوا يعملون) أى مثله (إن الذى فرض عليك القرآن) أنزله (لرادك إلى معاد) إلى مكة وكان قد اشتاقها (قل ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين) نزل جوابا لقول كفار مكة له إنك فى ضلال أى فهو الجائى بالهدى وهم فى الضلال وأعلم بمعنى عالم (وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب) القرآن (إلا) ،

لكن

(قوله لكن ألقى إليك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع (قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين) الخطاب له والمراد غيره لاستحالة ذلك عليه (قوله حذفت نون الرفع للجازم) اى وهو لا الناهية (قوله لالتقائها مع النون الساكنة) أى ووجود دليل يدل عليها وهو الضمة وما مشى عليه المفسر فى تصريف الفعل إنما يأتى على ندور وهو تأكيد الفعل الخالى عن الطلب فالأولى أن يقول وأصله يصدونك دخل الجازم فحذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما ووجود الضمة دليلا عليها (قوله بعد إذ أنزلت إليك) أى بعد وقت إنزالها عليك (قوله أى لا ترجع إليهم) أى لا تركن إلى أقوالهم (قوله ولا تكونن من المشركين) الخطاب له والمراد غيره (قوله ولم يؤثر الجازم فى الفعل) أى لفظا وإن كان مؤثرا محلا (قوله لبنائه) أى بسبب مباشرة نون التوكيد له بخلاف قوله ولا يصدنك فتأثر بالجازم وإن كان مؤكدا بالنون لعدم مباشرتها للفعل فانه فصل بينهما بواو الجماعة قال ابن مالك : وأعربوا مضارعا إن عريا * من نون توكيد مباشر (قوله تعبد) أشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة وحينئذ فليس فى الآية دليل على ما زعمه الخوارج من أن الطلب من الغير حيا أو ميتا شرك فانه جهل مركب لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضر على يده قد يكون واجبا لأنه من التمسك بالأسباب

ولا ينكر الأسباب إلا جحود أو جهول (قوله كل شىء هالك إلا وجهه) أى كل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجائز عليه لأن وجوده ليس ذاتيا له قال بعض العارفين :

الله قل وذر الوجود وما حوى
إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله إن حققته
عدم على التفصيل والاجمال
من لا وجود لذاته من ذاته
فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا
شيئا سوى المتكبر المتعالى
ورأوا سواه على الحقيقة هالكا
فى الحال والماضى والاستقبال

لكن ألقى إليك (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً) معينا (لِلْكَافِرِينَ) على دينهم الذى دعوك إليه (وَلَا يَصُدُّنَّكَ) أصله يصدوننك حذفت نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقائها مع النون الساكنة (عَنْ آيَاتِ اللهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ) أى لا ترجع إليهم فى ذلك (وَادْعُ) الناس (إِلَى رَبِّكَ) بتوحيده وعبادته (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) باعانتهم ولم يؤثر الجازم فى الفعل لبنائه (وَلَا تَدْعُ) تعبد (مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) إلا إياه (لَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالنشور من قبوركم .

(سورة العنكبوت)

مكية ، وهى تسع وستون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الم) الله أعلم بمراده به (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا) أى بقولهم (آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) يختبرون ،

وقيل المراد بالهلاك الانعدام بالفعل ، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطى فى قوله :

ثمانية حكم البقاء يعمها … من الخلق والباقون فى حيز العدم
هى العرش والكرسى ونار وجنة … وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم

وهو معنى قول صاحب الجوهرة : وكل شىء هالك قد خصصوا … عمومه فاطلب لما قد لخصوا

ولا مفهوم لما عده السيوطى بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن فى حكمهم والحور والولدان (قوله إلا إياه) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات ويصح أن المراد به ما عمل لأجله سبحانه وتعالى فان ثوابه باق (قوله وإليه ترجعون) أى فى جميع أحوالكم .

[سورة العنكبوت مكية] مبتدأ وخبر وفى بعض النسخ سورة العنكبوت وهى تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدإ والخبر بالجملة الحالية ، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم أن أسماء السور توقيفى وقوله مكية أى كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فانها مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأنه من المتشابه الذى يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستفهام يصح أن يكون للتقرير

وحينئذ فيكون المعنى يجب على الناس أن يعترفوا بأنهم لايتركون سدى ، بل يمتحنون و يبتلون لأن الدنيا دار بلاء وامتحان أو التوبيخ، وعليه فالمعنى لايليق منهم هذا الحسبان أى الظن والتخمين بل الواجب عليهم علمهم بأنهم لايتركون وحسب فعل ماض والناس فاعله وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر سدت مسد مفعولى حسب وأن يقولوا علة للحسبان ، وقوله وهم لايفتنون الجملة حالية مقيدة لقوله أحسب الناس ويكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين أومن أجل نطقهم بالشهادتين بل لابد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين ليتميز الراسخ من غيره (قوله بما يتبين به حقيقة إيمانهم) أى من المشاق كالهجرة والجهاد وأنواع المصائب فى الأنفس والأموال (قوله نزل فى جماعة) أى كعمار بن ياسر وعياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وكانوا يعذبون بمكة والمقصود من الآية تسلية هؤلاء وتعليم من يأتى بعدهم (قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم الخ) إما حال من الناس وحينئذ فالمعنى أحسبوا ذلك والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا أومن فاعل يفتنون . والمعنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الأمم السابقة روى البخارى عن خباب بن الأرت قال « شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر ألا تدعو لنا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم كنتم تستعجلون» (قوله الذين صدقوا الخ) عبر فى جانب الصدق بالفعل الماضى

وفى جانب الكذب باسم الفاعل إشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر لم يظهر منهم إلا ما كان مخبأ، وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم وتجدد لهم الصدق فناسبه التعبير بالفعل (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال إن علم الله لاتجدد فيه والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس بيان الصادق من الكاذب (قوله أم حسب الذين الخ) انتقال من توبيخ إلى توبيخ (إن

بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل فى جماعة آمنوا فآذاهم المشركون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) فى إيمانهم علم مشاهدة (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) فيه (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) الشرك والمعاصى (أَنْ يَسْبِقُونَا) يفوتونا فلا ننتقم منهم (سَاءَ) بئس (مَا) الذى (يَحْكُمُونَ)ـه حكمهم هذا (مَنْ كَانَ يَرْجُوا) يخاف (لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ) به (لَآتٍ) فليستعد له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوال العباد (الْعَلِيمُ) بأفعالهم (وَمَنْ جَاهَدَ) جهاد حرب أو نفس (فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) فإن منفعة جهاده له لا لله ،

فالأول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الإيمان من غير مشقة ولاتعب . والثانى أشد منه وهو توبيخهم على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله و يفرون منه مع دوامهم على الكفر (قوله الذى يحكمونه الخ) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول فاعل ساء و يحكمون صلته والعائد محذوف والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله حكمهم هذا و يصح أن تكون ما مميزا والفاعل ضمير مفسر بما ، قال ابن مالك :

وما مميز وقيل فاعل فى نحو نعم مايقول الفاضل

(قوله من كان يرجوا لقاء الله) أى يعتقد و يجزم بأنه يلاقى الله فيرجو رحمته و يخاف عقابه وهذا التفسير أتم مما قاله المفسر لأن المؤمن المصدق بلقاء الله لابد له من الرجاء والخوف معا و يؤيد ماقلناه جواب الشرط الذى قدره بقوله فليستعد له أى يتهيأ و يستحضر الرحمة والنجاة من العذاب (قوله فإن أجل الله لآت) ليس هذا هو جواب الشرط و إلا لزم أن من لايرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتيا له بل الجواب ماقدره المفسر (قوله بأفعالهم) أى وعقائدهم (قوله جهاد حرب) أى وهو الجهاد الأصغر وقوله أو نفس أى وهو الجهاد الأكبر وذلك لأن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم والنفس أخته ولا تغيب عن الانسان أبدا وهى خفية تظهر المحبة لصاحبها بخلاف العدو من الكفار وأيضا إذا قتله الكافر مات شهيدا ، وأما إذا قتلته نفسه فمات عاص أو كافر فلا شك أن جهاد النفس أكبر من جهاد الكفار ولذا ورد فى الحديث أنه قال بعد رجوعه من الجهاد «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يارسول الله وأى جهاد أكبر من هذا قال جهاد النفس والشيطان» (قوله فإنما يجاهد لنفسه) أى فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فالفضل له فى توفيقكم لعبادته فالحصر إضافى فلا ينافى أنه ينتفع غيره بجهاده كما ينتفع الآباء بصلاح الأولاد فالمقصود نفى النفع عن الله

لاستحالته عليه (قوله إن الله لغنى عن العالمين) أى فلا يصل له منهم نفع ولا ضر كما في الحديث القدسي «ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك فى ملكى شيئا» (قوله والذين آمنوا الخ) مبتدأ خبره الجملة القسمية وهذا وعد حسن للمتصفين بالايمان (قوله لنكفرن عنهم سيآتهم) أى لانؤاخذهم بها وهذا ظاهر فى غير المعصومين ، وأما المعصومون فلا سيئات لهم فمامعنى تكفيرها ؟ أجيب بأن الكلام على الفرض والتقدير يعنى أنه لو وجدت منهم سيئات تكفر أو المراد بالسيئات خلاف الأولى على حسب مقامهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بمعنى حسن) أى فاسم التفضيل ليس على بابه لأنه يوهم أنهم يجازون على الأحسن لاعلى الحسن ، وقد يقال المراد بالأحسن الثواب الواقع فى مقابلة الأعمال الصالحة فالمعنى عليه حينئذ نضاعف لهم الثواب فى نظير أعمالهم الصالحة فتأمل (قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا) سبب نزولها هى وآية لقمان والأحقاف أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين إلى الاسلام لما أسلم آلت أمه حمنة بنت أبى سفيان أن لاتأكل ولاتشرب ولاتستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد فأبى سعد أن يطيعها فصبرت ثلاثة أيام لاتأكل ولاتشرب ولاتستظل حتى غشى عليها فأتاها وقال لها والله لوكان لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فان شئت فكلى و إن شئت فلا تأكلى ، فلما رأت ذلك أكلت فنزلت الآية بالوصية عليها و إنما أمر الله الأولاد ببر والديهم دون العكس لأن الأولاد جبلوا

على القسوة وعدم طاعة الوالدين فكلفهم الله بما يخالف طبعهم ، والآباء مجبولون على الرحمة والشفقة بالأولاد فوكلهم الله لما جبلوا عليه (قوله أى إيصاء ذا حسن) أشار بذلك إلى أن حسنا صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف ويصح أن يبقى على مصدريته مبالغة على حد زيد عدل (قوله بأن يبرهما)

(إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ) الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم (وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) بعمل الصالحات (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ) بمعنى حسن ونصبه بنزع الخافض الباء (ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهو الصالحات (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) أى إيصاء ذا حسن بأن يبرهما (وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) باشراكه (عِلْمٌ) موافقة للواقع فلا مفهوم له (فَلَا تُطِعْهُمَا) فى الاشراك (إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيكم به (وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ) الأنبياء والأولياء ، بأن نحشرهم معهم (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ) أى أذاهم له (كَعَذَابِ ٱللَّهِ) فى الخوف منه ،

أى يحسن إليهما وأوجه البر كثيرة جدا : منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما فى غير معاصى الله وغير ذلك (قوله وإن جاهداك لتشرك بى) أتى هنا باللام وفى لقمان بعلى حيث قال ـ وإن جاهداك على أن تشرك بى ـ لأن ماهنا موافق لما قبله فى قوله : ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه وما فى لقمان ضمن جاهداك معنى حملاك (قوله ماليس لك به علم) مامفعول تشرك أى إلها لاعلم لك به (قوله موافقة للواقع) علة لمحذوف تقديره ذكر هذا القيد موافقة للواقع أى إن الواقع أن الإله واحد فليس إله لك به علم و إله لاعلم لك به ، وأما الأصنام فاشراكها مع الله فى العبادة هزؤ وسخافة عقل إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل ماعلم إلها غير الله ولا ظنه ولا توهمه (قوله إلى مرجعكم) فيه وعد حسن لمن بر بوالديه واتبع الهدى ووعيد لمن عق والديه واتبع سبيل الردى (قوله بما كنتم تعملون) أى بالصالح والسيء فيترتب على كل جزاؤه (قوله والذين آمنوا الخ) الذين اسم موصول مبتدأ وآمنوا صلته وقوله لندخلنهم الخ خبره (قوله بأن نحشرهم معهم) أى يوم القيامة بل و يجتمعون بهم فى البرزخ فاذا مات المؤمن الصالح اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة فحينئذ يكون مرافقا لهم فى الدرجات العالية قال تعالى : إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما (قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ) لما بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم بين هنا حال المنافقين وهم من أظهروا الاسلام وأخفوا الكفر ومن الناس خبر مقدم ومن يقول مبتدأ مؤخر وقوله آمنا بالله الخ مقول القول (قوله فاذا أوذى فى الله) أى آذاه الكفار على إظهار الايمان (قوله جعل فتنة الناس كعذاب الله) أى لم يصبر على الأذى بل ترك الدين الحق والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم مانعا لهم من الايمان وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الاكراه وتكون قلوبهم مطمئنة بالايمان

(قوله فيطيعهم) أى ظاهرا و باطنا ، وأما المكره فقد أطاع ظاهرا لا باطنا والمؤاخذة مرجعها القلب (قوله والواو الخ) عطف على نون الرفع مسلط عليه قوله حذف منه (قوله لالتقاء الساكنين) أى ولوجود الضمة دليلا عليها (قوله إنا كنا معكم فى الايمان) أى و إن الذى وقع منا إنما هو على سبيل الاكراه (قوله أى بعالم) أشار بذلك إلى أن التفضيل فى صفات الله وأسمائه ليس مرادا (قوله وليعلمن الله الذين آمنوا الخ) أى ليظهر متعلق علمه للناس فيفتضح المنافق و يظهر شرف المؤمن الخالص (قوله إن كانت) أى على فرض حصولها و إلا فهم ليسوا مسلمين أن فى اتباعهم خطايا (قوله والأمر بمعنى الخبر) أى فالمعنى ليكون منكم الاتباع ومنا الحمل (قوله وأثقالا مع أثقالهم) أى لأن الدال على الشر كفاعله من غير أن ينقص من وزر الأتباع شئ (قوله عما كانوا يفترون) أى يختلقون من الأباطيل التى من جملتها قولهم اتبعوا سبيلنا الخ (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) لما قدم سبحانه وتعالى

تكاليف هذه الأمة و بين أن من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار بين هنا أن هذه التكاليف ليست مختصة بهذه الأمة بل من قبلهم كانوا كذلك وتقدم أن نوحا اسمه عبد الغفار ، وقيل يشكر وكان يسمى السكن لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه فهو أبوهم ، ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه وقيل على خطيئته لما روى أنه مر بكلب فقال فى نفسه ما أقبحه فأوحى الله اليه أعبتنى أم عبت الكلب اخلق أنت أحسن منه ، ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ ابن إدريس بن برد بن أهاليل بن قينان بن نوش ابن شيث بن آدم عليه السلام

فيطيعهم فينافق (وَلَئِنْ) لام قسم (جَاءَ نَصْرٌ) للمؤمنين (مِنْ رَبِّكَ) فغنموا (لَيَقُولُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) فى الإيمان فأشركونا فى الغنيمة قال تعالى (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أى بعالم (بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) قلوبهم من الإيمان والنفاق ؟ بلى (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بقلوبهم (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) فيجازى الفريقين واللام فى الفعلين لام قسم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) ديننا (وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ) فى اتباعنا إن كانت والأمر بمعنى الخبر قال تعالى (وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى ذلك (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أوزارهم (وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وإضلالهم مقلديهم (وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام فى الفعلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) وعمره أربعون سنة أو أكثر (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه (فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) أى الماء الكثير طاف بهم وعلاهم فغرقوا (وَهُمْ ظَالِمُونَ) مشركون (فَأَنْجَيْنَاهُ) أى نوحا (وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ) أى الذين كانوا معه فيها (وَجَعَلْنَاهَا آيَةً) عبرة (لِلْعَالَمِينَ) لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم ، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتى كثر الناس . (وَ) اذكر (إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا

(قوله وعمره أربعون سنة أو أكثر) تقدم أنه اختلف فى الأكثر فقيل بعث على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين ، وقيل مائة سنة ، وقيل غير ذلك (قوله فلبث فيهم ألف سنة الخ) الحكمة فى ذكر لبثه هذه المدة تسليته صلى الله عليه وسلم على عدم دخول الكفار فى الاسلام فكأن الله يقول لنبيه لا تحزن فان نوحا لبث هذا العدد الكثير ولم يؤمن من قومه إلا القليل فصبر وما ضجر فأنت أولى بالصبر لقلة مدة مكثك وكثرة من آمن من قومك ، والحكمة فى المغايرة بين العام والسنة التفنن وخص لفظ العام بالخمسين إشارة إلى أن نوحا لما غرقوا استراح و بقى فى زمن حسن والعرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة (قوله طاف بهم وعلاهم) أى أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أربعين ذراعا (قوله الذين كانوا معه فيها) قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة ، وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم ,وقيل غير ذلك (قوله ستين أو أكثر) قيل عاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة (قوله و إبراهيم) قرأ العامة بالنصب عطف على نوحا أو معمول لمحذوف كما جرى عليه المفسر حيث قدر اذكر وقرئ شذوذا بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين إبراهيم .

(قوله اعبدوا الله) أى امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم (قوله واتقوه) أى اجتنبوا نواهيه (قوله ذلكم) أى ما ذكر من العبادة والتقوى (قوله خير لكم مما أنتم عليه الخ) أى فى زعمكم أن فيه خيرا والأحسن أن يقال ذلكم خير لكم من جميع الحظوظات المعجلة (قوله الخير) أى وهو عبادة الله وقوله من غيره أى وهو عبادة غيره (قوله أوثانا) جمع وثن وهو مايصنع من حجر وغيره ليتخذ معبودا (قوله وتخلقون إفكا) أى تختلقونه وتخترعونه (قوله لايملكون لكم رزقا) أى لايستطيعون ذلك لعجزهم وعدم قدرتهم عليه (قوله فاطلبوه منه) أى ولا تطلبوه من غيره لأنه تكفل لكل دابة برزقها قال تعالى ـ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ـ (قوله واعبدوه واشكروا له) أى لأن بالشكر تزداد النعم قال تعالى ـ لئن شكرتم لأزيدنكم ـ (قوله إليه ترجعون) أى تردون فيثيب الطائع ويعذب العاصى (قوله وإن تكذبوا)

أعبدوا الله واتقوه) خافوا عقابه (ذلكم خير لكم) مما أنتم عليه من عبادة الأصنام (إن كنتم تعلمون) الخير من غيره (إنما تعبدون من دون الله) أى غيره (أوثانا وتخلقون إفكا) تقولون كذبا إن الأوثان شركاء لله (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) لا يقدرون أن يرزقوكم (فابتغوا عند الله الرزق) اطلبوه منه (واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون . وإن تكذبوا) أى تكذبونى يا أهل مكة (فقد كذب أمم من قبلكم) من قبلى (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) الإبلاغ البين فى هاتين القصتين تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى فى قومه (أو لم يروا) بالياء والتاء ينظروا (كيف يبدئ الله الخلق) هو بضم أوله وقرئ بفتحه من بدأ وأبدأ بمعنى ، أى يخلقهم ابتداء (ثم) هو (يعيده) أى الخلق كما بدأهم (إن ذلك) المذكور من الخلق الأول والثانى (على الله يسير) فكيف ينكرون الثانى (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) لمن كان قبلكم وأماتهم (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) مدا وقصرا مع سكون الشين (إن الله على كل شىء قدير) ومنه البدء والإعادة (يعذب من يشاء) تعذيبه (ويرحم من يشاء) رحمته (وإليه تقلبون) تردون (وما أنتم بمعجزين) ربكم عن إدراككم (فى الأرض ولا فى السماء) لو كنتم فيها ، أى لا تفوتونه (وما لكم من دون الله) أى غيره (من ولى) يمنعكم منه (ولا نصير) ينصركم من عذابه (والذين كفروا بآيات الله ولقائه) أى القرآن والبعث (أولئك يئسوا من رحمتى) أى جنتى (وأولئك لهم عذاب أليم) مؤلم، قال تعالى فى قصة إبراهيم :

شرط حذف جوابه تقديره فلا يضرنى تكذيبكم وإنما تضرون أنفسكم وقوله فقد كذب أمم من قبلكم دليل الجواب ومن هنا إلى قوله فما كان جواب قومه جمل معترضة بين كلام إبراهيم وجواب قومه له إشارة إلى أن المقصود بالخطاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من قبلى) من اسم موصول مفعول كذب ، والمعنى فلم يضر الرسل تكذيب قومهم لهم (قوله فى هاتين القصتين) أى قصة نوح وإبراهيم (قوله وقد قال تعالى) أى ردا على منكرى البعث (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كيف يبدئ الله الخلق) لما تقدم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر ، وهذه الأصول الثلاثة يجب الايمان بها ولا ينفك بعضها عن بعض (قوله وقرئ بفتحه) أى شذوذا (قوله من بدأ وأبدأ) لف ونشر مشوش (قوله ثم هو يعيده) قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ماقبلها بل هى مستأنفة (قوله قل سيروا فى الأرض) أمر من الله لمحمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول لمنكرى البعث ما ذكر ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات ومن قدر على إنشائها بدءا يقدر على إعادتها (قوله مع سكون الشين) راجع للقصر والقراءتان سبعيتان (قوله يعذب من يشاء) أى فى الدنيا والآخرة وقوله ويرحم من يشاء أى فيهما فلا يسأل عما يفعل (قوله لو كنتم فيها) أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسماء حقيقتهما ويصح أن يراد بهما جهة السفل والعلو (قوله أى القرآن والبعث) لف ونشر مرتب فالأول راجع للآيات والثانى راجع للقاء (قوله أولئك يئسوا من رحمتى) أى يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق وقوعه

(قوله فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه الخ) أى لم يكن جواب قوم إبراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك، فان النفس الخبيثة أبت أن لاتخرج من الدنيا حتى تسىء إلى من أحسن إليها، وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لأن الشأن أن الأمر بالقتل أو التحريق يكون من الكبار والذى يتولى ذلك الصغار و إنما أجابوا بذلك عنادا بعد ظهور الحجة منه (قوله أو حرقوه) أتى هنا بالترديد واقتصر فى الأنبياء على أحد الأمرين وهو الذى فعلوه إشارة إلى أن ماهنا حكاية عن أصل تشاورهم وما فى الأنبياء عن عزمهم وتصميمهم على مافعلوه. (قوله فأنجاه الله من النار) فى الكلام حذف والتقدير فقذفوه فى النار فأنجاه الله الخ و إلى هذا أشار المفسر بقوله التى قذفوه فيها (قوله هى) أى الآيات (قوله و إخمادها) أى سكون لهبها مع بقاء جمرها وأما الاخماد فهو طفء النار بالمرة. (قوله فى زمن يسير) أى مقدار طرفة عين (قوله لأنهم المنتفعون) علة لمحذوف والتقدير خصوا بالذكر لأنهم الخ (قوله وقال إبراهيم) عطف على قوله فأنجاه الله من النار (قوله إنما اتخذتم من دون الله أوثانا) إن حرف توكيد ونصب وما مصدرية واتخذتم صلتها مسبوكة بمصدر اسم إن وأوثانا مفعول أول والمفعول الثانى محذوف قدره المفسر بقوله تعبدونها ومودة خبر إن ومن دون الله حال من أوثانا وهذا على قراءة الرفع وقوله على قراءة النصب مفعول له وما كافة أى سواء قرىء بتنوين مودة ونصب بينكم أو بعدم التنوين وخفض بينكم واتخذ إما متعد لواحد أو لاثنين والثانى هو قوله من دون الله ويصح أن تكون ما اسما موصولا واتخذتم صلته والعائد محذوف والتقدير إن الذى اتخذتموه من دون الله أوثانا تعبدونها لأجل المودة بينكم ونقل عن عاصم أنه رفع مودة غير منونة ونصب بينكم وخرجت على إضافة مودة للظرف و بنى لاضافته

(فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار) التى قذفوه فيها بأن جعلها عليه برداً وسلاما (إن فى ذلك) أى إنجائه منها (لآيات) هى عدم تأثيرها فيه مع عظمها و إخمادها و إنشاء روض مكانها فى زمن يسير (لقوم يؤمنون) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها (وقال) إبراهيم (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا) تعبدونها وما مصدرية (مودة بينكم) خبر إن وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة، المعنى تواددتم على عبادتها (فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) يتبرأ القادة من الأتباع (ويلعن بعضكم بعضا) يلعن الأتباع القادة (ومأويكم) مصيركم جميعاً (النار وما لكم من ناصرين) ما نعين منها (فآمن له) صدق بإبراهيم (لوط) وهو ابن أخيه هاران (وقال) إبراهيم (إنى مهاجر) من قومى (إلى ربى) أى إلى حيث أمرنى ربى وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام (إنه هو العزيز) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه (ووهبنا له) بعد إسماعيل (إسحاق ويعقوب) بعد إسحق (وجعلنا فى ذريته النبوة) فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته (والكتاب) بمعنى الكتب أى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (وآتيناه أجره فى الدنيا) وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان (وإنه فى الآخرة لمن الصالحين) الذين لهم الدرجات العلا.

لغير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح إذا جعل بينكم فاعلا فتحصل أن القراءات أربع الرفع مع جر بين وفتحها والنصب مع جر بين وفتحها وكلها سبعى (قوله المعنى) أى الحاصل من تلك القراءات (قوله يتبرأ القادة) أى ينكرونهم و يقولون لهم لانعرفكم (قوله صدق بإبراهيم) أى بنبوته و إن كان مؤمنا قبل ذلك، و يجب الوقف على لوط لأن قوله وقال إنى مهاجر من كلام إبراهيم فلو وصل لتوهم أنه من كلام لوط (قوله أى إلى حيث أمرنى ربى) دفع بذلك مايتوهم من ظاهر اللفظ إثبات الجهة له سبحانه وتعالى (قوله وهاجر من سواد العراق) أى فنزل بحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه، ثم انتقل منها فنزل بفلسطين ونزل لوط بسذوم وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمسا وسبعين سنة (قوله ووهبنا له) أى بعد هجرته (قوله بعد إسمعيل) أى بأربع عشرة سنة (قوله فى ذريته) أى إبراهيم (قوله فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته) أى لانحصار الأنبياء فى إسمعيل و إسحق ومدين جد شعيب (قوله وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان) أى فجميع أهل الأديان يحبونه ويذكرونه بخير و ينتمون إليه (قوله لمن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح.

(وَ) اذكر (لوطًا إذْ قَالَ لقَوْمِهِ أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين (لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى أدبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك الناس المرّ بكم (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ) أى متحدثكم (الْمُنْكَرَ) فعل الفاحشة بعضكم ببعض (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي) بتحقيق قولى فى إنزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) العاصين باتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) باسحق ويعقوب بعده (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ) أى قرية لوط (إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) كافرين (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا ، قَالُوا) أى الرسل (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ) بالتخفيف والتشديد (وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقين فى العذاب (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ) حزن بسببهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدراً لأنهم حسان الوجوه فى صورة أضياف فخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه (وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ) بالتشديد والتخفيف (وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ونصب أهلك عطف على محل الكاف (إِنَّا مُنْزِلُونَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَى أَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا) عذابا (مِنَ السَّمَاءِ بِمَا) بالفعل الذى (كَانُوا يَفْسُقُونَ) به أى بسبب فسقهم (وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً) ظاهرة هى آثار خرابها (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَ) أرسلنا (إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ) اخشوه هو يوم القيامة

(قوله ولوطا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله لقومه) أى أهل سذوم وتوابعها (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وعدمه فالقراءات أربع سبعيات (قوله الانس والجن) أى من عهد آدم الى قوم لوط (قوله بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم) قيل إنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى ، فاذا مرّ بهم عابر سبيل حذفوه فأيهم أصابه كان أولى به فيأخذ مامعه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك (قوله فعل الفاحشة) أى والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح (قوله إلا أن قالوا ائتنا الخ) أى على سبيل الاستهزاء (قوله باتيان الرجال) أى وفعل بقية الفواحش (قوله فاستجاب الله دعاءه) أى فأمر الملائكة باهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين ، فبشروا إبراهيم بالذرية الطيبة وأنذروا قوم لوط بالعذاب (قوله باسحق ويعقوب) أى وبهلاك قوم لوط (قوله قال إن فيها لوطا) هذا بعد المجادلة التى تقدمت فى قوله : يجادلنا فى قوم لوط حيث قال لهم أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا إلى أن قال أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الباقين فى العذاب) أى الذين لم يخلصوا منه لأن الدال على الشرّ كفاعله وهى قد دلت القوم على أضياف لوط فصارت واحدة منهم بسبب ذلك (قوله ولما أن جاءت) أن زائدة للتوكيد (قوله حزن بسببهم) أشار بذلك إلى أن الباء فى بهم سببية (قوله ذرعا) تمييز محول عن الفاعل أى ضاق ذرعه وقوله صدرا تفسير لحاصل المعنى و إلا فالذرع معناه الطاقة والقوة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على محلّ الكاف) أى وهو النصب على أنها مفعول منجو (قوله عذابا) قيل هو حجارة وقيل نار وقيل خسف ، وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء (قوله هى آثار خرابها) وقيل هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله عز وجلّ حتى أدركتها أوائل هذه الأمة ، وقيل هى ظهور الماء الأسود على وجه الأرض (قوله لقوم يعقلون) متعلق بتركنا أو ببينة وخصهم لأنهم المنتفعون بالاتعاظ بها (قوله و إلى مدين) متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا فى قصة نوح (قوله أخاهم شعيبا) أى لأنه من ذرّية مدين بن إبراهيم الذى هو أبو القبيلة فكما هو منسوب لمدين هم كذلك (قوله اعبدوا الله) أى وحدوه (قوله وارجوا اليوم) يصح أن يبقى الرجاء على معناه ويكون المعنى ارجوا رحمة الله فى اليوم الآخر ويصح أن يكون بمعنى خافوا ؛ والمعنى خافوا عقاب الله فى اليوم الآخر واليه يشير المفسر بقوله اخشوه .

(قوله من عثى بكسر المثلثة) أى من باب تعب ويصح أن يكون من باب قال (قوله فكذبوه) إن قلت مقتضى الظاهر أن يقال فلم يمتثلوا أوامره لأن التكذيب إنما يكون فى الأخبار. أجيب بأن ماذكره من الأمر والنهى متضمن للخبر كأنه قيل الله واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فاجتنبوه فالتكذيب راجع إلى الأخبار (قوله فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة التى نشأت من صيحة جبريل عليهم وتقدم فى هود فأخذتهم الصيحة ولا منافاة بين الموضعين فان سبب الرجفة الصيحة والرجفة سبب فى هلاكهم فتارة يضاف الأخذ للسبب وتارة لسبب السبب (قوله بالصرف وتركه) راجع لثمود فقط وقوله بمعنى الحى والقبيلة لف ونشر مرتب فكونه بمعنى الحى يكون اسم جنس لم توجد فيه العلمية التى هى إحدى علتى منع الصرف وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبى القبيلة فقد وجدت فيه العلتان (قوله إهلاكهم) أشار بذلك إلى أن فاعل تبين ضمير عائد على الاهلاك (قوله بالحجر) راجع لثمود وهو واد بين الشام والمدينة وتبوك واليمن راجع لعاد (قوله وكانوا مستبصرين) أى بواسطة الرسل فلم يكن لهم عذر فى ذلك لأن الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة (قوله ذوى

(وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عثى بكسر المثلثة: أفسد (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (وَ) أهلكنا (عَادًا وَثَمُودَا) بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة (وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ) إهلاكهم (مِنْ مَسَاكِنِهِمْ) بالحجر واليمن (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) من الكفر والمعاصى (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) سبيل الحق (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) ذوى بصائر (وَ) أهلكنا (قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ) من قبل (مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات (فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) فائتين عذابنا (فَكُلًّا) من المذكورين (أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) ريحا عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كثمود (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) كقارون (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) فيعذبهم بغير ذنب (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب الذنب (مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أى أصناما يرجون نفعها (كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها تأوى إليه (وَإِنَّ أَوْهَنَ) أضعف (الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) لايدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الأصنام لاتنفع عابديها (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ماعبدوها (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا)

بصائر) أى عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا تكبرا وعنادا (قوله وقارون) قدمه على فرعون لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى (قوله وهامان) هو وزير فرعون (قوله فاستكبروا) أى تكبروا عن عبادة الله (قوله بذنبه) الباء سببية أى بسبب ذنبه (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم فى رعيته وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لايكون ظالما لأنه الخالق المتصرف فى ملكه على مايريد (قوله يرجون نفعها) هذا هو وجه الشبه أى فمثل الذين اتخذوا من دون الله أصناما يعبدونها فى اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها كمثل العنكبوت فى اتخاذها بيتا لايغنى عنها فى حر ولا برد ولا مطر ولا أذى وحمل المفسر الأولياء على الأصنام مخرج للأولياء بمعنى المتولين فى خدمة ربهم فان اتخاذهم بمعنى التبرك بهم والالتجاء لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به وهم أسباب عادية تنزل الرحمات والبركات عندهم لابهم خلافا لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك (قوله كمثل العنكبوت) هو حيوان معروف له ثمانية أرجل وستة أعين يقال إنه أقنع الحيوانات جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الذباب والبق ونونه أصلية والواو والتاء زائدتان بدليل قولهم فى الجمع عناكب وفى التصغير عنيكيب (قوله وإن أوهن البيوت) الجملة حالية (قوله كذلك الأصنام لاتنفع عابديها) أى فمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شىء ومن التجأ لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف ومن هنا وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار حين نزل الغار بالعنكبوت وبيض الحمام مع كونهما أضعف الأشياء (قوله ماعبدوها) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف .

(قوله بمعنى الذى) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول وجملة يدعون صلتها والموصول وصلته معمول ليعلم (قوله أى يفهمها) أى يفهم صحتها وفائدتها (قوله إلا العالمون) خصهم لأنهم المنتفعون بذلك وأما الكافرون فيزدادون طغيانا وعتوا (قوله محقا) أشار بذلك إلى أن الباء فى بالحق للملابسة. والجار والمجرور حال (قوله خصوا بالذكر) جواب عما يقال إن فى خلق السموات والأرض آية لكل عاقل (قوله اتل ما أوحى إليك) أى ما أوحاه الله إليك بنزول جبريل به، والمعنى تقرب إلى الله بتلاوته وترداده أنت وأمتك لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق (قوله من الكتاب) بيان لما (قوله وأقم الصلاة) أى دم على إقامتها بأركانها وشروطها وآدابها فانها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين والخطاب للنبي والمراد هو وأمته بدليل مدحهم فى آية إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور الآية (قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أى المواظبة عليها تكون سببا فى تطهيره من الفحشاء والمنكر إذا استوفيت شروطها وآدابها لأن الواجب حين الاقبال على الصلاة التطهر من الحدث الحسى والمعنوى وتجديد التوبة فاذا وقف بين يدى الله وخشع وتذكر أنه واقف بين يدى مولاه وأنه مطلع عليه يراه فحينئذ يظهر على جوارحه هيبتها وقوله مادام المرء فيها هذا أحد قولين والقول الصحيح أنها تنهى عنها فى سائر الأوقات لما روى أن فتى من الأنصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لايدع شيئا من الفواحش إلا ارتكبه فوصف للنبي

صلى الله عليه وسلم حاله فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله، وروى عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم فى ذلك فقال إنى واقف بين يدى الله تعالى وحق لى هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك. وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك بأن كانت لاخشوع فيها ولا تذكر فانها لاتكون سببا فى نهيه عن الفحشاء والمنكر بل يستمر على ماهو عليه من البعد لما ورد «من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا» (قوله ولذكر الله) أى بسائر أنواعه أكبر أى أفضل الطاعات على الاطلاق لما روى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله» وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله فقال لوضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله كثيرا أفضل منه درجة» فالذكر أفضل الأعمال وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ولذا ورد عن الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالاكثار منه فتتنور قلوبهم (قوله والله يعلم ماتصنعون) أى من خير وشر فيجازيكم عليه (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) أى لاتدعوهم إلى دين الله إلا بالكلام اللين والمعروف والاحسان لعلهم يهتدون، وقوله إلا الذين ظلموا أى فادعوهم إلى دين الله بالاغلاظ والشدة وقاتلوهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهذه الآية بمعنى قوله تعالى قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وعلى هذا التقرير فالآية محكمة وهو التحقيق (قوله بأن حاربوا الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالظلم الامتناع مما يلزمهم شرعا فلا يقال إن الكل ظالمون لأنهم كفار.

ما) بمعنى الذى (يَدْعُونَ) يعبدون بالياء والتاء (مِنْ دُونِهِ) غيره (مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ) فى القرآن (نَضْرِبُهَا) نجعلها (لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا) أى يفهمها (إِلَّا الْعَالِمُونَ) المتدبرون (خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أى محقا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً) دلالة على قدرته تعالى (لِلْمُؤْمِنِينَ) خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها فى الايمان بخلاف الكافرين (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) شرعا: أى من شأنها ذلك مادام المرء فيها (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) من غيره من الطاعات (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) فيجازيكم به (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي) أى المجادلة التى (هِيَ أَحْسَنُ) كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حججه (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بأن حاربوا وأبوا أن يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف حتى يسلموا

(قوله أو يعطوا الجزية) أى يلتزموا بإعطائها (قوله وقولوا امنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم) أى لما روى «أنه كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم » الآية ، وفى رواية « وقولوا آمنا بالله و بكتبه و برسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم و إن قالوا حقا لم تكذبوهم » ومحل ذلك مالم يتعرضوا لأمور توجب نقض عهدهم كأن يظهروا أن شرعهم غير منسوخ وأن نبينا غير صادق فيما جاء به وغير ذلك فحينئذ نقاتلهم ، ومحله أيضا مالم يخبرونا بخبر موافق لما فى كتابنا و إلا فيجب تصديقهم من حيث إن الله أخبرنا به (قوله فالذين آتيناهم الكتاب) أى نفعناهم به بأن أعطيناهم نوره وظهرت ثمرته عليهم هم الذين يؤمنون به و إلا لجميع علمائهم أوتوا الكتاب ولم يسلم منهم إلا القليل ويصح أن يكون المراد فريق من أهل الكتاب الخ (قوله وما يجحد بآياتنا) أى ينكرها بعد معرفتها (قوله أى اليهود) لامفهوم له بل النصارى والمشركون

كذلك فالمناسب أن يقول إلا الكافرون كاليهود (قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) شروع فى إثبات الدليل على أن القرآن من عند الله وأنه معجز للبشر كأن الله يقول لأهل الكتاب أنتم لاعذر لكم فى إنكار القرآن ولا فى تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم لأن من جملة صفاته فى كتبهم أنه أمى لايقرأ ولا يكتب ووجد بهذه الصفة فلو فرض أنه كان يكتب أو يقرأ لحصل لهم الشك فى نبوته وفى القرآن لوجوده على خلاف الصفة التى فى كتبهم (قوله من كتاب) مفعول تتلوا ومن زائدة (قوله أى لو كنت قارئا كاتبا) لف ونشر مرتب (قوله اليهود) لا مفهوم له

أو يعطوا الجزية (وَقُولُوا) لمن قبل الاقرار بالجزية إذا أخبروكم بشىء مما فى كتبهم (آمَنَّا بِالَّذِى أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم فى ذلك (وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) مطيعون (وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها (فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالقرآن (وَمِنْ هٰؤُلَاءِ) أى أهل مكة (مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) بعد ظهورها (إِلَّا الْكَافِرُونَ) أى اليهود وظهر لهم أن القرآن حق والجائى به محق وجحدوا ذلك (وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا) أى لو كنت قارئا كاتبا (لَارْتَابَ) شك (الْمُبْطِلُونَ) اليهود فيك وقالوا الذى فى التوراة أنه أمى لايقرأ ولا يكتب (بَلْ هُوَ) أى القرآن الذى جئت به (آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) أى المؤمنون يحفظونه (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) أى اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم (وَقَالُوا) أى كفار مكة (لَوْلَا) هلا (أُنْزِلَ عَلَيْهِ) أى محمد (آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) وفى قراءة آيات كناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى (قُلْ) لهم (إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللّٰهِ) ينزلها كيف يشاء (وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) مظهر إنذارى بالنار أهل المعصية (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ) فيما طلبوا (أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ) القرآن (يُتْلَى عَلَيْهِمْ) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ماذكر من الآيات (إِنَّ فِى ذٰلِكَ) الكتاب (لَرَحْمَةً وَذِكْرَى) عظة (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا)

بحذق

(قوله بل هو آيات بينات) إضراب عما تقدم من الارتياب (قوله أى المؤمنين يحفظونه) أى لفظا ومعنى لما ورد « وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم » أى كالأناجيل ، والمعنى أن القرآن محفوظ فى صدورهم وثابت فيها كما كان كتاب النصارى ثابتا فى أناجيلهم (قوله وما يجحد بآياتنا) أى القرآن (قوله اليهود) تقدم مافيه (قوله وفى قراءة آيات) أى وهما سبعيتان (قوله ينزلها كيف يشاء) أى على ما يريد ولا دخل لأحد فى ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة يأتى بفضل الله (قوله أولم يكفهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، التقدير أيهملوا ولم يكفهم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أنا أنزلنا) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل يكف ، والتقدير أولم يكفهم إنزالنا (قوله مستمرة لا انقضاء لها) أخذ ذلك من قوله يتلى عليهم (قوله بخلاف ماذكر من الآيات) أى فانقضت بموت الرسل (قوله لقوم يؤمنون) خصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون بذلك

بصدق (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومنه حالى وحالكم (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ) وهو ما يعبد من دون الله (وَكَفَرُوا بِاللهِ) منكم (أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى) له (لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) عاجلا (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانه (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) فى الدنيا (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ . يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَنَقُولُ) فيه بالنون ، أى نأمر بالقول ، و بالياء ، أى يقول الموكل بالعذاب (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاءه فلا تفوتوننا (يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ) فى أى أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها . نزل فى ضعفاء مسلمى مكة كانوا فى ضيق من إظهار الإسلام بها (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء بعد البعث (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) ننزلهم وفى قراءة بالمثلثة بعد النون من الثواء : الاقامة وتعديته إلى غرفا بحذف فى (مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) مقدرين الخلود (فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) هذا الأجر ، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) أى على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزقهم من حيث لا يحتسبون (وَكَأَيِّنْ) كم (مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) لضعفها ،

(قوله ومنه حالى وحالكم) أى من جملة ما فى السموات والأرض (قوله والذين آمنوا بالباطل) أى خضعوا له وعبدوه (قوله حيث اشتروا الكفر بالإيمان) أى أخذوا الكفر وتركوا الايمان (قوله ولولا أجل مسمى له) أى للعذاب (قوله وليأتينهم بغتة) أى كوقعة بدر فانها أتتهم على حين غفلة (قوله وهم لايشعرون) أى لايظنون أن العذاب يأتيهم أصلا (قوله و يستعجلونك بالعذاب) تعجب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم ، والمعنى كيف يستعجلون العذاب والحال أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة لامفرّ لهم منها (قوله يوم يغشاهم العذاب) ظرف لقوله محيطة والمعنى على الاستقبال : أى ستحيط بهم فى ذلك اليوم (قوله من فوقهم ومن تحت أرجلهم) تفسير للاحاطة وهو بمعنى قوله تعالى - لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش - (قوله أى نأمر بالقول) إنما أوّله جمعا بين ماهنا و بين قوله فى الأخرى لا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ياعبادى الذين آمنوا) خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام فى مكة كما قال المفسر والإضافة لتشريف المضاف (قوله فاياى فاعبدون) إياى منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور (قوله كانوا فى ضيق الخ) أى فوسع الله لهم الأمر والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فمن تعسرت عليه العبادة فى بلد فعليه أن يهاجر منها لبلد تتيسر له فيها لقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - فالمهم العبادة فى أى مكان تيسر ولا يعوّل على مكان فى الدنيا لأنها دار ممر لامقر والمار فى طريق لايعول على مسكن ولا قرار فى طريقه (قوله كل نفس ذائقة الموت) أى لاتقيموا بدار الشرك خوفا من الموت فان كل نفس ذائقة الموت فالحكمة فى تخويفهم من الموت كون مفارقة الاوطان تهون عليهم فان من أيقن بالموت هان عليه كل شئ فى الدنيا (قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكر أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعه بذكر أحوال المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وفى قراءة بالمثلثة) أى الساكنة بعد النون و بعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة وغرفا على هذه القراءة إما منصوب بنزع الخافض كما قال المفسر أو مفعول به بتضمين مثوى معنى نزل فيتعدى لاثنين (قوله تجرى من تحتها) أى الغرف (قوله مقدرين الخلود فيها) أشار بذلك إلى أن قوله : خالدين فيها حال مقدرة ، أى أنهم حين الدخول يقدرون الخلود لأنه أتم فى النعيم لسماعهم النداء من قبل الله : يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله الذين صبروا) نعت للعاملين أو خبر لمحذوف كما قال المفسر (قوله لإظهار الدين) متعلق بالهجرة (قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا : كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها و يسقينا ، وقوله لا تحمل رزقها : أى لا تدخره لغد كالبهائم والطير . قال سفيان بن عيينة : ليس شئ من الخلق

يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة (قوله الله يرزقها وإياكم) أى فلا فرق بين الحريص والمتوكل والضعيف والقوى فى أمر الرزق بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى. قال تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين - فينبغى للانسان أن يفوض أمر الرزق له تعالى ولاينافى هذا أخذه فى الأسباب لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها فالأسباب لاتنكر ومن أنكرها فقد ضل وخسر (قوله ولئن سألتهم) أى كفار مكة (قوله من خلق السموات والأرض الخ) أتى فى جانب السموات والأرض بالخلق وفى جانب الشمس والقمر بالتسخير إشارة إلى أن الحكمة فى خلقهما التسخير الذى ينشأ عنه الليل والنهار اللذان بهما قوام العالم بخلاف السموات والأرض فالنفع فى مجرد خلقهما (قوله فأنى يؤفكون) الاستفهام للتوبيخ (قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أى فلا تركن لغيره فليس مالكا لضر ولانفع (قوله فأحيا به) أى بالنبات الناشئ عن الماء (قوله من بعد موتها) أى جدبها وقحط أهلها (قوله فكيف يشركون به) أى بعد إقرارهم (قوله بل أكثرهم لايعقلون) أى والأقل

يعقل ومن عقل منهم اهتدى وآمن (قوله وماهذه الحياة الدنيا) أشار بذلك إلى أن الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة فينبغى للعاقل التجافى عنها و يأخذ منها بقدر مايوصله للآخرة. قال بعض العارفين:

تأمل فى الوجود بعين فكر

تر الدنيا الدنية كالخيال

ومن فيها جميعا سوف يفنى

ويبقى وجه ربك ذو الجلال

(قوله إلا لهو ولعب) اللهو الاشتغال بما فيه نفع عاجل واللعب الاشتغال بما لانفع فيه أصلا (قوله وأما القرب) أى كالتوحيد والذكر والعبادة (قوله بمعنى الحياة) أى الدائمة الخالدة التى لا زوال فيها (قوله ما آثروا الدنيا عليها) جواب لو: أى ماقدموا لذة الدنيا على الآخرة (قوله فإذا ركبوا فى الفلك الخ) أى وذلك أن الكفار كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب ودعوا الله مخلصين حالة الكرب (قوله إذا هم يشركون) جواب لما، والمعنى عادوا إلى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله وتلذذهم بأعراض الدنيا فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين (قوله ليكفروا) اللام لام العاقبة والصيرورة، وقوله وليتمتعوا عطف عليه (قوله وفى قراءة بسكون اللام) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أمر تهديد) أى فى الفعلين بدليل الوعيد المرتب عليهما بقوله: فسوف يعلمون والحاصل أنه إذا سكنت اللام فى الثانى تعين كونها للأمر فى الفعلين وإن لم تسكن كانت فى الفعلين للعاقبة والصيرورة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه، والتقدير أعموا ولم يروا الخ (قوله و يتخطف الناس) الجملة حالية على تقدير المبتدإ: أى وهم يتخطف الخ. (قوله أفبالباطل)

(اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم (الْعَلِيمُ) بضمائركم (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) أى الكفار (مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيق (لَهُ) بعد البسط أى لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ومنه محل البسط والتضييق (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) فكيف يشركون به (قُلِ) لهم (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على ثبوت الحجة عليكم (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) تناقضهم فى ذلك (وَمَا هٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ). وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها (وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ) بمعنى الحياة (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما آثروا الدنيا عليها (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الدعاء أى لايدعون معه غيره لأنهم فى شدة لا يكشفها إلا هو (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) به (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعمة (وَلِيَتَمَتَّعُوا) باجتماعهم على عبادة الأصنام وفى قراءة بسكون اللام أمر تهديد (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّا جَعَلْنَا) بلدهم مكة (حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قتلا وسبياً دونهم،

(قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) قال المفسرون إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية ، وحينئذ فالمراد بالجهاد فيها جهاد النفس . قال الحسن : الجهاد مخالفة الهوى . وقال الفضيل بن عياض : والذين جاهدوا فى طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به . وقال سهل بن عبد الله : والذين جاهدوا فى طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ، وقيل والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى مالم يعلموا لما فى الحديث « من عمل بما علم علمه الله علم مالم يعلم » (قوله لنهدينهم سبلنا) أى طرق الوصول إلى مرضاتنا فالطريق هى العمل بالأحكام الشرعية وثمرتها الحقيقة وهى العلوم والمعارف المشار إليها بقوله تعالى ـ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ـ (قوله لمع المحسنين) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر لإظهار شرفهم بوصف الإحسان ، والمعنى و إن الله لمعهم بالعون والنصر والمحبة فهى معية خاصة ، وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث القدسى « فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به » الحديث

[سورة الروم] مبتدأ وستون خبر أول ومكية خبر ثان ، وظاهر المفسر أن كلها مكى وقيل إلا قوله تعالى ـ فسبحان الله حين تمسون ـ الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا أصح التفاسير (قوله غلبت الروم) الروم اسم قبيلة سميت باسم جدها وهو روم بن عيصو بن إسحق بن إبراهيم وسمى عيصو لأنه كان مع يعقوب فى بطن فعند خروجهما تزاحما وأراد كل ان يخرج قبل الآخر ، فقال عيصو ليعقوب إن لم أخرج قبلك و إلا خرجت من جنبها فتأخر يعقوب شفقة منه ، فلهذا كان أبا الأنبياء وعيصو أبا الجبارين وسبب نزول هذه الآية أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهر يزان و بعث قيصر جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بخنس ، فالتقيا بأذرعات و بصرى وهى أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم ، فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات ، فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال : فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه أبى بن خلف الجمحى وقال كذبت ، فقال له الصديق أنت أكذب ياعدو الله ، فقال اجعل أجلا أناحبك : أى أقامرك وأراهنك عليه فراهنه على عشر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر ، فقال أبى إن ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك و إن ظهرت فارس على الروم غرمت لى فنعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين ، فجاء أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما هكذا ذكرت إنما البضع مابين الثلاث إلى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الأجل ، فخرج أبو بكر فلقى أبيا ، فقال لعلك ندمت ؟ فقال لا . قال فتعال أزايدك فى الخطر وأماددك فى الأجل فأجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين ، وقيل إلى سبع سنين ، فقال قد فعلت ، فلما خشى أبى بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال إنى أخاف أن تخرج من مكة فأقم لى كفيلا ، فكفله ابنه عبد الله بن أبى بكر ، فلما أراد أبى بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبى بكر فلزمه وقال لا والله لا أدعك حتى تعطينى كفيلا

(أَفَبِالْبَاطِلِ) الصنم (يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ) بإشراكهم (وَمَنْ) أى لا أحد (أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بأن أشرك به (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ) النبى أو الكتاب (لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِلْكَافِرِينَ) أى فيها ذلك وهو منهم (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) فى حقنا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) أى طرق السير إلينا (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) المؤمنين بالنصر والعون .

(سورة الروم)

مكية ، وهى ستون أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الم) الله أعلم بمراده بذلك (غُلِبَتِ الرُّومُ) ،

فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبيّ بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التى جرحه النبيّ صلى الله عليه وسلم إياها حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم ، وقيل كان يوم بدر ور بطت الروم خيولهم بالمدائن و بنوا بالعراق مدينة وسموها رومية فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرّم القمار فقال له النبيّ صلى الله عليه وسلم تصدّق به (قوله وهم أهل كتاب) أى نصارى فنصرتهم علامة على نصرة النبيّ وأصحابه وقوله وليسوا أهل كتاب أى بل هم مجوس فنصرتهم علامة على نصر كفار مكة فكل حزب بما لديهم فرحون (قوله بل يعبدون الأوثان) أى التى من جملتها النار (قوله وقالوا للمسلمين الخ) هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة (قوله أقرب أرض الروم) أى فأدنى أفعل تفضيل وأل عوض عن المضاف إليه (قوله بالجزيرة) المراد بها ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب (قوله وهم) مبتدأ وجملة سيغلبون خبره (قوله فى بضع سنين) متعلق بيغلبون وهو على

حذف مضاف أى فى ابتداء بضع سنين ، وأبهم البضع لإدخال الرعب

وهم أهل كتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم (فِى أَدْنَى الْأَرْضِ) أى أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادى بالغزو الفرس (وَهُمْ) أى الروم (مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ) أضيف المصدر إلى المفعول أى غلبة فارس إياهم (سَيَغْلِبُونَ) فارس (فِى بِضْعِ سِنِينَ) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان فى السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) أى من قبل غلب الروم ومن بعده . المعنى أن غلبة فارس أوّلا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله أى إرادته (وَيَوْمَئِذٍ) أى يوم تغلب الروم (يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) إياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين (وَعْدَ اللَّهِ) مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعدهم الله النصر (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ) به (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) وعده تعالى بنصرهم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى معايشها من التجارة والزراعة والبناء والغراس وغير ذلك (وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) إعادة هم تأكيد ،

والخوف عليهم فى كل وقت (قوله فالتقى الجيشان فى السنة السابعة من الالتقاء الأول) أى يوم بدر إن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين أو يوم الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم فأقبل فى خمسمائة ألف رومى إلى الفرس وغلبوهم وملت كسرى ملك الفرس (قوله لله الأمر) أى لا لغيره (قوله من قبل ومن بعد) القراءة المشهورة ببناء قبل و بعد على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أى من قبل غلب الروم) أى من قبل كونهم غالبين (أولم وقوله ومن بعده أى من بعد كونهم مغلوبين (قوله المعنى أن غلبة فارس الخ) جواب عما يقال ما فائدة قوله غلبهم بعد قوله غلبت الروم . وحاصل الجواب أن فائدته إظهار أن ذلك بأمر الله لأن شأن من غلب بعد كونه مغلوبا أن يكون ضعيفا فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أوّلا (قوله أى يوم تغلب الروم) أشار بذلك إلى أن تنوين يومئذ عوض عن جملة (قوله يفرح المؤمنون بنصر الله) أى فاستبشر المؤمنون بنصر الروم على فارس وعلموا أن الغلبة لهم على كفار مكة (قوله يوم بدر) هذا أحد قولين وهو مبنى على أن الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل يوم الحديبية بناء على أن الأولى قبل الهجرة بسنة (قوله مصدر) أى مؤكد لمضمون الجملة التى تقدمت وعامله محذوف أى وعدهم الله وعدا (قوله به) أى النصر (قوله لا يعلمون) أى لجهلهم وعدم تفكرهم واعتبارهم (قوله يعلمون) أى الأكثر (قوله ظاهرا من الحياة الدنيا) أى وأما باطنها منها وهو كونها مجازا إلى الآخرة يتزوّد فيها بالأعمال الصالحة فليس لهم به علم (قوله إعادة) أى لفظ هم .

(قوله أولم يتفكروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أعموا ولم يتفكروا (قوله إلا بالحق) أى بالحكمة لاعبثا (قوله تفنى عند انتهائه) أى تنعدم السموات والأرض ومابينهما عند انقضاء ذلك الأجل (قوله بلقاء ربهم) متعلق بكافرون واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها فى غير محلها وهو خبر إن (قوله أولم يسيروا فى الأرض) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أقعدوا ولم يسيروا والاستفهام للتوبيخ والجملة معطوفة على جملة أولم يتفكروا عطف سبب على مسبب لأن السير سبب للتفكر (قوله وأثاروا الأرض) بالقصر لعامة القراء وقرئ شذوذا وآثاروا بألف بعد الهمزة (قوله أكثر مما عمروها) نعت لمصدر محذوف أى عمارة أكثر من عمارتهم (قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات) أى فلم يذعنوا لها بل كذبوا بها (قوله فما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك

ظالم جبار بل معاملة ملك عدل

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) ليرجعوا عن غفلتهم (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى) لذلك تفنى عند انتهائه و بعده البعث (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) أى كفار مكة (بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) أى لايؤمنون بالبعث بعد الموت (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم وهى إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) كعاد وثمود (وَأَثَارُوا الْأَرْضَ) حرثوها وقلبوها للزرع والغرس (وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) أى كفار مكة (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الظاهرات (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) باهلاكهم بغير جرم (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بتكذيبهم رسلهم (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى) تأنيث الأسوإ الأقبح خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم و إساءتهم (أَنْ) أى بأن (كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ . اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ) أى ينشئ خلق الناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) أى خلقهم بعد موتهم (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) يسكت المشركون لانقطاع حجتهم (وَلَمْ يَكُنْ) أى لا يكون (لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ) ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم (شُفَعَاءُ وَكَانُوا) أى يكونون (بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ) أى متبرئين منهم (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ) تأكيد (يَتَفَرَّقُونَ) أى المؤمنون والكافرون (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ) جنة ،

رحيم ، وعلى فرض أخذهم من غير جرم لايكون ظالما إذ لامشارك له فى خلقه ولكن من فضله تعالى ألزم نفسه مالايلزمه (قوله ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى) بيان لعاقبة أمرهم إثر بيان حالهم فى الدنيا (قوله خبر كان على رفع عاقبة) أى وعاقبة اسمها وهى مضافة للموصول وأساءوا صلته والسوآى صفة لموصوف محذوف أى المجازاة السوآى وهى جهنم خبر كان وقوله واسم كان على نصب عاقبة أى فالسوآى اسم كان مؤخر وعاقبة خبر كان مقدم وعلى كل فقوله أن كذبوا خبر لمحذوف تقديره و إساءتهم ان كذبوا فهى جملة مستأنفة بيان لصلة الموصول فيصح الوقف على السوآى ، وهذا مااختاره المفسر من أوجه شتى وهو أنورها وذكر الفعل لأن الاسم كان على كل مجازى التأنيث (قوله والمراد بها) أى السوآى (قوله أى بأن كذبوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير الباء وهى للسببية (قوله الله يبدؤا الخلق) عبر بالمضارع إشارة إلى أن البدء متجدد شيئا فشيئا مادامت الدنيا (قوله أى ينشئ خلق الناس) أى يظهرهم من العدم (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله و يوم تقوم الساعة) أى وهو يوم الإعادة (قوله يسكت المشركون) أى عن جواب يدفع عنهم العذاب (قوله أى لا يكون) أشار بذلك إلى أن الماضى بمعنى المضارع لأن المنفى بلم ماضى المعنى (قوله بشركائهم) متعلق بكافرين (قوله تأكيد) أى لفظى (قوله أى المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أولا — الله يبدؤا الخلق ثم يعيده — (قوله فهم فى روضة) الروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة .

(قوله يحبرون) أي يكرمون وينعمون بما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. روى «أن في الجنة أشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا» (قوله وأما الذين كفروا) مقابل قوله: فأما الذين آمنوا (قوله وغيره) أي كالجنة والنار (قوله محضرون) أي حاضرون (قوله فسبحان الله الخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أولا أنه يبدؤا الخلق ويعيده وأن الخلق يكونون فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ذكر هنا أنه منزه عن النقائص إشارة إلى أن تسبيحه وتحميده وسيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب (قوله بمعنى صلوا) إنما فسر التسبيح بالصلاة لأن التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان ولاشيء أجمع لذلك كله من الصلاة (قوله أي تدخلون في المساء) أشار بذلك إلى أن تمسون وتصبحون فعلان تامان (قوله وفيه صلاتان الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس، وخصها بالذكر دون سائر العبادات لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين (قوله اعتراض) أي بين المعطوف والمعطوف عليه، والحكمة في ذلك الاشارة إلى أن التوفيق للعبادة نعمة ينبغي أن يحمد عليها (٢٣٠) (قوله وكذلك تخرجون) أي فالقادر على إخراج الحي من الميت وعكسه وإحياء الأرض قادر على إحياء الخلق بعد موتهم ففي ذلك رد على منكري البعث (قوله للفاعل والمفعول) أي فيهما قراءتان سبعيتان (قوله ومن آياته أن خلقكم من تراب) شروع في ذكر جملة من الآيات الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى وذكر لفظ: ومن آياته ست مرات تنتهي عند قوله: إذا أنتم تخرجون وابتدأها بذكر خلق الانسان ثم بخلق العالم علويا وسفليا إشارة إلى أن الانسان هو المنتفع بها، والحكمة في ذكر تلك الآيات ليهتدي بها من أراد الله هدايته (ومن ، وتقوم الحجة على من لم يهتد (قوله أي أصلكم آدم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره لأن النطفة ناشئة من الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم إذا أنتم بشر) عبر بثم إشارة إلى تراخي أطواره لكونه أولا نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى آخر أطواره وأتى بعدها بإذا الفجائية إشارة إلى أنه لم يفصل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصل وإن كان الكثير الاتيان بها بعد الفاء (قوله أزواجا) أي زوجات (قوله من ضلع آدم) أي الأيسر القصير وهو نائم فلما استيقظ ورآها مال إليها فقالت له الملائكة مه يا آدم حتى تؤدي مهرها فقال وما مهرها فقيل له أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) أي باقيهن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودة الجماع والرحمة الولد، وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة، فإذا تخلف هذا الأمر بأن لم توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفارقة (قوله إن في ذلك) أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) أي يتأملون في تلك الأشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الايمان سيما إذا تأمل في خلق الله إياه من نطفة ثم جعله بشرا سويا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنية ولا بهيمة وأسكن بينهما المحبة والشفقة، فإذا أراد جماعها زينها له وجعل بينهما اللذة فإذا نزلت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سويا وغير ذلك من أنواع التفكرات

(يُحْبَرُونَ) يسرون (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) البعث وغيره (فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ. فَسُبْحَانَ اللَّهِ) أي سبحوا الله بمعنى صلوا (حِينَ تُمْسُونَ) أي تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والعشاء (وَحِينَ تُصْبِحُونَ) تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض ومعناه يحمده أهلهما (وَعَشِيًّا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان من النطفة والطائر من البيضة (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ) النطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ) بالنبات (بَعْدَ مَوْتِهَا) أي يبسها (وَكَذَلِكَ) الإخراج (تُخْرَجُونَ) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى الدالة على قدرته (أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) أي أصلكم آدم (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ) من دم ولحم (تَنْتَشِرُونَ) في الأرض (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) فخلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) وتألفوها (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ) جميعا (مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) في صنع الله تعالى.

فاذا تأمل الانسان فى ذلك كان سببا فى زيادة معارفه وأدبه مع ربه ولذا قال بعض العارفين لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصول إلى الله تعالى ومنه ماروى «حبب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة» (قوله ومن آياته خلق السموات والأرض) أى إنشاؤهما من العدم إلى الوجود (قوله أى لغاتكم) أى بأن خلق فيكم علما ضروريا تفهمون به لغاتكم ولغات بعضكم على اختلافها (قوله وألوانكم) أى أجسامكم ألوانا مختلفة منكم الأبيض والأسود والمتوسط وغاير بين أشكالكم حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان فى شىء من ذلك وإن كانا فى غاية التشابه وإنما قرن هذا بخلق السموات والأرض وإن كان من جملة خلق الانسان إشارة إلى أنه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع (قوله بفتح اللام وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ذوى العقول وأولى العلم) أى وهم أهل المعرفة الذين لاتحجبهم المصنوعات عن صانعها بل يشهدون الصانع فى المصنوعات. قال العارف:

وفى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ) أى لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها (وَأَلْوَانِكُمْ) من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِلْعَالِمِينَ) بفتح اللام وكسرها: أى ذوى العقول وأولى العلم (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بإرادته راحة لكم (وَابْتِغَاؤُكُمْ) بالنهار (مِنْ فَضْلِهِ) أى تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واعتبار (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ) أى إراءتكم (الْبَرْقَ خَوْفًا) للمسافر من الصواعق (وَطَمَعًا) للمقيم فى المطر (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها بأن تنبت (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بإرادته من غير عمد (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ) بأن ينفخ إسرافيل فى الصور للبعث من القبور (إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ) منها أحياء فخروجكم منها بدعوة من آياته تعالى (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) مطيعون (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ) للناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) بعد هلاكهم (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) من البدء بالنظر إلى ماعند المخاطبين من أن إعادة الشىء أسهل من ابتدائه وإلا فهما عند الله تعالى سواء فى السهولة (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(قوله منامكم بالليل والنهار) قيل فى الآية تقديم وتأخير والتقدير ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار حذف حرف الجر لاتصاله بالليل والأحسن أن يبقى على حاله والنوم بالنهار من جملة النعم لاسيما فى أوقات القيلولة فى البلاد الحارة (قوله بإرادته) أى فلا قدرة لأحد على اجتلابه (قوله راحة لكم) أى من آثار التعب الحاصل لكم (قوله لقوم يسمعون) غاير بين رءوس الآى تفننا فان أهل العقل هم أهل الفكر والسمع (قوله ومن آياته يريكم البرق) الجار والمجرور خبر مقدم ويريكم مؤول بمصدر مبتدأ مؤخر وحذفت ان من الفعل لدلالة ماقبله ومابعده عليه وهكذا يقال فيما تقدم ومايأتى (قوله أن تقوم السماء والأرض) أى تثبت وتستقر (قوله من غير عمد) بفتحتين اسم جمع لعمود وقيل جمع له أو بضمتين جمع عمود كرسل ورسول (قوله من الأرض) متعلق بدعاكم (قوله فى الصور) أى نفخة البعث فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها لأن فيه طاقات بعدد الأرواح فتجتمع فيه ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة فلا تخطئ روح جسدها (قوله إذا أنتم تخرجون) عبر فى ابتداء خلق الانسان بثم حيث قال ثم إذا أنتم بشر تنتشرون وتركها هنا لأنه من ابتداء الخلق تحصل المهلة والتراخى لكونه على أطوار مختلفة بخلاف الاعادة فلا تدريج فيها بل تحصل دفعة واحدة (قوله مطيعون) أى لأفعاله طاعة انقياد لاطاعة عبادة وقيل المعنى قائمون للحساب وقيل مقرون بالعبودية إما باللسان أو الحال (قوله وهو أهون عليه) الضمير عائد على الاعادة المفهومة من قوله يعيده وذكر الضمير مراعاة للخبر (قوله بالنظر إلى ماعند المخاطبين) أى فهو مبنى على مايقتضيه عقولهم لأن من أعاد منهم شيئا كان أهون عليه وأسهل من إنشائه وهو جواب عما يقال إن أفعال الله كلها متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابه فأهون بمعنى هين.

(قوله أى الصفة العليا) أشار بذلك إلى أن المثل بمعنى الصفة والأعلى بمعنى العليا أى المرتفعة المنزهة عن كل نقص (قوله وهى أنه لا إله إلا الله) أى فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولوازمها من كل كمال والتنزيه عن كل نقص (قوله ضرب لكم مثلا) أى صفة وشكلا تقيسون عليه (قوله كائنا من أنفسكم) أشار بذلك إلى أن من ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة لمثلا (قوله هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء الخ) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر ومن زائدة ومما ملكت أيمانكم حال من شركاء لكونه نعت نكرة قدم عليها ومن تبعيضية فتحصل أن من الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة زائدة (قوله فيما رزقناكم) أى ملكناكم وأشار بذلك إلى أن الرزق حقيقة لله تعالى، و إيضاح هذا المثل أن يقال إذا لم يصح أن تكون مماليككم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله فلا يصح بالأولى جعل بعض مماليك الله شركاء فيما هو له حقيقة (قوله فأنتم فيه سواء) أى مستوون معهم فى التصرف على حكم عادة الشركاء (قوله تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) من جملة المنفى فهو مرتب عليه فالمراد نفى الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم كخوف أنفسكم، والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة من أجل كونهم مماليك لكم فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض مماليك الله (قوله بمعنى النفى) أى فهو استفهام انكارى (قوله لقوم يعقلون) أى فهذا المثل

إنما ينفع العاقل الذى يتدبر الأمور (قوله بل اتبع الذين ظلموا الخ) اضراب عما ذكر أولا إشارة إلى أنهم لاحجة لهم فى الاشراك ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم (قوله لاهادى له) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله فأقم وجهك) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم والمراد باقامة الوجه بذل الهمة ظاهرا وباطنا فى الدين (قوله أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمته (قوله فطرت الله) منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله الزموها وهى ترسم بالتاء المجرورة وليس فى القرآن غيرها وقوله وهى دينه أى دين الاسلام، وعلى هذا فالخلق جميعا مجبولون على توحيد يوم ألست بربكم ولذا قال صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه و ينصرانه» وهذا غير ماسبق فى علم الله وأما هو فعلم أن قوما يكفرون وقوما يؤمنون فمن سبق فى علم الله إيمانه فقد استمر على فطرته الأصلية ومن سبق فى علم الله كفره فقد رجع عن فطرته و إن كان سبق منه التوحيد وحينئذ يكون معنى الآية الزم أنت ومن تبعك الفطرة التى فطرك ربك عليها وهى التوحيد وهذا أحد أقوال ثلاثة فى معنى الفطرة وقيل المراد بها الخلقة الأصلية التى ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة و إلى مايصيرون إليه عند البلوغ فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة و إن عمل بأعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صيره إلى الهدى و إن عمل بأعمال أهل الضلالة، وقيل إنها الخلقة والطبيعة التى فى نفس الطفل يكون بها مهيأ لمعرفة ربه ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب كما خلق أسماعهم وأبصارهم قابلة للمسموعات والمبصرات فمادامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الاسلام ولا يحجبها عنه إلا وساوس الشياطين بعد البلوغ ولذا كان كل من مات من آدم قبل بلوغه فى الجنة و إن كان من أولاد المشركين وهذا القول قريب من معنى القول الأول (قوله أى لاتبدلوه) أشار بذلك إلى أن قوله لاتبديل لخلق الله خبر والمراد منه الأمر (قوله توحيد الله) تفسير لقوله ذلك.

أى الصفة العليا وهى أنه لا إله إلا الله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى خلقه (ضَرَبَ) جعل (لَكُمْ) أيها المشركون (مَثَلًا) كائنا (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) وهو (هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أى من مماليككم (مِنْ شُرَكَاءَ) لكم (فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ) من الأموال وغيرها (فَأَنْتُمْ) وهم (فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى أمثالكم من الأحرار والاستفهام بمعنى النفى، المعنى ليس مماليككم شركاء لكم إلى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاء له (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ) نبينها مثل ذلك التفصيل (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالاشراك (أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) أى لاهادى له (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من عذاب الله (فَأَقِمْ) يا محمد (وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) مائلا إليه أى أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فِطْرَتَ اللَّهِ) خلقته (الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) وهى دينه أى الزموها (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ) لدينه أى لاتبدلوه بأن تشركوا (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) المستقيم توحيد الله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة،

(لايعلمون)

(لَا يَعْلَمُونَ) توحيد الله (مُنِيبِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أى أقيموا (وَاتَّقُوهُ) خافوه (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ) بدل باعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيما يعبدونه (وَكَانُوا شِيَعاً) فرقاً فى ذلك (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) عندهم (فَرِحُونَ) مسرورون وفى قراءة فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ) أى كفار مكة (ضُرٌّ) شدة (دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) دون غيره (ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) بالمطر (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ. لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) أريد به التهديد (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) عاقبة تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة (أَمْ) بمعنى همزة الانكار (أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً) حجة وكتابا (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ) تكلم دلالة (بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) أى يأمرهم بالاشراك ؟ لا (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) كفار مكة وغيرهم (رَحْمَةً) نعمة (فَرِحُوا بِهَا) فرح بطر (وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) شدة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بها (فَآتِ ذَا الْقُرْبَى) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) المسافر من الصدقة، وأمة النبى تبع له فى ذلك (ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) أى ثوابه بما يعملون (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً) بأن يعطى شيئا هبة أو هدية ليطلب أكثر منه،

(قوله لايعلمون توحيد الله) أى بل جهلوا ذلك فعبدوا غير الله (قوله حال من فاعل أقم) أى ومابينهما اعتراض (قوله وماأريد به) أى بالخطاب فانه أريد به محمد ومن تبعه (قوله أى أقيموا) أشار بذلك إلى أن قوله واتقوه عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله (قوله كل حزب بما لديهم فرحون) أى فأهل السعادة فرحون بسعادتهم وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان لظنهم أنهم على حق (قوله وفى قراءة فارقوا) أى وهى سبعية أيضا (قوله واذا مس الناس) إذا شرطية وجوابها قوله: دعوا ربهم، وقوله أى كفار مكة خص ذلك بهم لأنه سبب النزول وإلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله إذا فريق) إذا فجائية قائمة مقام الفاء فهى رابطة للشرط (قوله أريد به التهديد) أى فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقريع على حد: اعملوا ماشئتم (قوله عاقبة تمتعكم) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى إلى الخطاب لأجل المبالغة فى زجرهم (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى فهى منقطعة تفسر تارة بالهمزة وحدها وتارة بالهمزة و بل (قوله فهو يتكلم) داخل فى حيز النفى (قوله أى يأمرهم بالاشراك) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والأحسن أن يجعلها موصولة أى بالأمر الذى كانوا يشركون بسببه (قوله فرح بطر) أى عجب وكبر فيصرفونها فيما يغضبه تعالى ولو فرحوا بها فرح سرور لصرفوها فيما يرضيه (قوله يقنطون) بفتح النون وكسرها سبعيتان (قوله ومن شأن المؤمن) أى من خصلته وهيئته (قوله ويرجو ربه عند الشدة) أى لأنه يشهد أنه لا كاشف لها غيره ولا رحيم سواه (قوله امتحانا) أى اختبارا لينظر أيشكر أم يطغى (قوله ابتلاء) أى فينظر هل يصبر ويرضى أم يضجر ويشكو (قوله فآت ذا القربى حقه) هذه الآية فى صدقة التطوع لا فى الزكاة الواجبة لأن السورة مكية والزكاة فرضت فى السنة الثانية من الهجرة بالمدينة (قوله القرابة) أخذ أبو حنيفة من الآية أن النفقة على الأرحام عموما واجبة على القادر وعند مالك والشافعى النفقة على الأصول والفروع واجبة وماعدا ذلك مندوب (قوله وأمة النبى الخ) أشار بذلك إلى أن الأمر وان كان للنبى صلى الله عليه وسلم فالمراد هو وأمته (قوله وأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بمقصودهم (قوله وما آتيتم) بالمد والقصر قراءتان سبعيتان (قوله بأن يعطى شيئا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية نزلت فى هبة الثواب وهى أن يريد الرجل بهديته أكثر منها وهى مكروهة فى حقنا، وأما فى حقه صلى الله عليه وسلم فمحرمة لقوله تعالى: ولا تمنن تستكثر، والحكم فيها إذا وقعت أنه إذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع وان لم يشترط عليه فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مثله

ممن يطلب الثواب من الموهوب له لامن نحو فقير (قوله فسمى) أى المعطى وهو الهدية (قوله باسم المطلوب) أى الذى يأخذ من المهدى إليه فى مقابلة ما أعطاه (قوله فى أموال الناس) أى فى تحصيلها (قوله المعطين) أى الآخذين للهبة والهدية (قوله أى لاثواب فيه للمعطين) أى الدافعين لما ذكر فالأول اسم مفعول والثانى اسم فاعل (قوله صدقة) أى صدقة تطوع وعبر عنها بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق (قوله هم المضعفون) أى الذين تضاعف لهم الحسنات (قوله فيه التفت عن الخطاب) أى تعظيما لحالهم أوقصدا للعموم كأنه قيل من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون (قوله الله الذى خلقكم) جملة من مبتدأ وخبر وهى تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين (قوله هل من شركائكم الخ) خبر مقدم ومن للتبعيض ومن يفعل مبتدأ مؤخر وقوله من ذلكم جار ومجرور متعلق بمحذوف حال من شئ لكونه نعت نكرة تقدم عليها ومن شئ مفعول يفعل ومن زائدة والتقدير من الذى يفعل شيئا من ذلكم من شركائكم واسم الاشارة يعود على ماذكر من الأمور الأربعة وهى الخلق والرزق والإماتة والاحياء (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله سبحانه وتعالى) هذا نتيجة ماقبله أى فاذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله ولاشريك له فى شئ منها فالواجب تسبيحه وتنزيهه عن كل نقص (قوله أى القفار) بكسر القاف جمع قفر وهى الأرض التى لاماء بها ولا نبات ، وأما القفار بفتح القاف فهو

فسمى باسم المطلوب من الزيادة فى المعاملة (لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) المعطين أى يزيد (فَلَا يَرْبُوا) يزكو (عِنْدَ اللَّهِ) أى لاثواب فيه للمعطين (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَوةٍ) صدقة (تُرِيدُونَ) بها (وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) ثوابهم بما أرادوه ، فيه التفات عن الخطاب (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) ممن أشركتم بالله (مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ) ؟ لا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ) أى القفار بقحط المطر وقلة النبات (وَالْبَحْرِ) أى البلاد التى على الأنهار بقلة مائها (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) من المعاصى (لِيُذِيقَهُمْ) بالياء والنون (بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) أى عقوبته (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يتوبون (قُلْ) لكفار مكة (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) فأهلكوا بإشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) دين الإسلام (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) هو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الصاد

الخبز الذى لا أدم معه (قوله بقحط المطر) أى منعه من النزول (قوله أى البلاد التى على الأنهار) وقيل إن قلة المطر كما تؤثر فى البر تؤثر فى البحر فتخلو أجواف الأصداف وتعمى دوابه فاذا أمطرت السماء تفتحت الأصداف فى البحر فماوقع فيها من السماء فهو لؤلؤ وتكثر دواب البحر (قوله بما كسبت) الباء سببية وما مصدرية أى بسبب كسبهم (قوله من المعاصى) أى ومبدؤها قتل قابيل هابيل لأن الأرض كانت قبل ذلك نضرة مثمرة لايأتى ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر وكان البحر عذبا وكان الأسد لايصول على الغنم ونحوها فلما قتله اقشعرت الأرض ونبت الشوك فى الأشجار وصار ماء البحر مالحا وتسلطت الحيوانات بعضها على بعض (قوله ليذيقهم بعض الذى عملوا) اللام للعاقبة والصيرورة متعلق بقوله ظهر الفساد الخ وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجبر وكفر و إلا فالمصائب للصالحين رفع درجات ولعصاة المؤمنين تكفير سيئات (قوله أى عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبل) أى وهى الدمار والهلاك إن لم يتوبوا وكذلك يحل بكفار مكة إن لم يتوبوا ، قال تعالى : كذلك نجزى الظالمين (قوله فأقم وجهك للدين القيم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وأمته ، والمعنى ابذل همتك فى دين الاسلام واشتغل به ولاتحزن عليهم (قوله من قبل أن يأتى يوم لامرد له) أى وأما بعد مجيئه فلاينفع العامل عمله بل كل إنسان يلقى جزاء ماعمله قبل ذلك ، قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة (قوله من الله) متعلق بيأتى (قوله يومئذ يصدعون) التنوين عوض عن جملة أى يوم إذ يأتى هذا اليوم (قوله فيه إدغام التاء الأصلى فى الصاد) أى فأصله يتصدعون أبدلت التاء صادا وأدغمت فى الصاد .

يتفرقون

يتفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار (مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) وبال كفره وهو النار (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) يوطئون منازلهم فى الجنة (لِيَجْزِيَ) متعلق بيصدعون (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ) يثيبهم (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) أى يعاقبهم (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ) بمعنى لتبشركم بالمطر (وَلِيُذِيقَكُمْ) بها (مِنْ رَحْمَتِهِ) المطر والخصب (وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ) السفن بها (بِأَمْرِهِ) بإرادته (وَلِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) الرزق بالتجارة فى البحر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج الواضحات على صدقهم فى رسالتهم إليهم فكذبوهم (فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) أهلكنا الذين كذبوهم (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) تزعجه (فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) من قلة وكثرة (وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا) بفتح السين وسكونها : قطعا متفرقة (فَتَرَى الْوَدْقَ) المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أى وسطه (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ) بالودق (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون بالمطر (وَإِنْ) وقد (كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ) تأكيد (لَمُبْلِسِينَ) آيسين من إنزاله (فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ) وفى قراءة آثار (رَحْمَتِ اللَّهِ) أى نعمته بالمطر (كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) أى يبسها بأن تنبت (إِنَّ ذَلِكَ) المحيى الأرض (لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَلَئِنْ) لام قسم (أَرْسَلْنَا رِيحًا) مضرة على نبات (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا) صاروا جواب القسم (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد اصفراره (يَكْفُرُونَ) يجحدون النعمة بالمطر

(قوله يتفرقون بعد الحساب) أى عند سماع قوله تعالى ـ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ـ (قوله وبال كفره) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يوطئون منازلهم) أى فالأعمال الصالحة فى الدنيا بها تهيأ المنازل فى الجنة (قوله متعلق بيصدعون) أى والتقدير يتفرقون ليجزى الذين آمنوا من فضله والذين كفروا بعدله (قوله الرياح) أى الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة ، وأما الدبور فهى ريح العذاب يدلّ على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا » (قوله وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال لتبشركم وليذيقكم (قوله من رحمته) من تبعيضية : أى بعض رحمته (قوله يا أهل مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله ولقد أرسلنا من قبلك رسلا) هذه الآية معترضة بين الآيات المفصلة والمفصلة لأن قوله ـ الله الذى يرسل الرياح ـ تفصيل لقوله ومن آياته أن يرسل الرياح وحكمة ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتأنيسه حيث وعده بنصر المؤمنين عموما (قوله فانتقمنا من الذين أجرموا) عطف على محذوف قدّره بقوله فكذبوهم (قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين) كان فعل ماض ناقص ونصر اسمها مؤخر وحقا خبرها مقدم وعلينا متعلق بحقا أو بمحذوف صفة وهذا وعد حسن من الله للمؤمنين بنصرهم على أعدائهم فى الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف (قوله الله الذى يرسل الرياح) مبتدأ وخبر وهو تفصيل لما أجمل أولا كما تقدم التنبيه عليه (قوله تزعجه) أى تهيجه وتحركه (قوله فيبسطه فى السماء) أى ينشره فى جهتها متصلا بعضه ببعض (قوله بفتح السين وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمفتوح جمع كسفة والمسكن مخفف المفتوح فقوله قطعا تفسير للوجهين (قوله إذاهم يستبشرون) إذا فجائية ، والمعنى فاجأهم الفرح (قوله وإن كانوا) فسر إن بقد تبعا لغيره فالواو للحال وقد للتحقيق وبعضهم جعلها مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة خبرها بدليل اللام فى لمبلسين فانها اللام الفارقة وكل صحيح (قوله تأكيد) أى إشارة إلى أنه أتاهم الفرج بعد تمادى يأسهم (قوله فانظر إلى أثر رحمة الله) أى ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وأثمارها وبهجتها ونضارتها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مضرّة) أى وهى ريح الدبور (قوله فرأوه مصفرا) أى بعد خضرته (قوله جواب القسم) أى وقد سدّ مسدّ جواب الشرط للقاعدة المعلومة من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما (قوله يجحدون النعمة) أى فشأنهم يفرحون عند الخصب فاذا جاءتهم مصيبة فى زرعهم جحدوا سابق نعمة الله عليهم

(قوله فانك لاتسمع الموتى) تعليل لمحذوف ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فهم موتى صم عمى وأنت لاتسمع من كان كذلك (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله إلامن يؤمن بآياتنا) أى يصدق بها (قوله من ضعف) أى أصل ضعيف (قوله ماء مهين) أى حقير ضعيف قليل (قوله وشيبة) أى وهو بياض الشعر الأسود ويحصل أوله غالبا فى السنة الثالثة والأربعين وهو أول سن الكهولة والأخذ فى النقص بعد الخمسين لثلاث وستين فيزيد وهو أول سن الشيخوخة فيزيد الضعف فى الجسم والعقل إلى آخر العمر وهذا فى غير أهل التقوى والصلاح ، وأماهم فيزيد عقلهم لآخر عمرهم (قوله بضم أوله وفتحه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله تقوم الساعة) أى تحصل وتوجد ، والمراد بها القيامة سميت

(فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ) ما (تُسْمِعُ) سماع إفهام وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) ماء مهين (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) آخر وهو ضعف الطفولية (قُوَّةً) أى قوة الشباب (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) ضعف الكبر وشيب الهرم ، والضعف فى الثلاثة بضم أوله وفتحه (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من الضعف والقوة والشباب والشيبة (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بتدبير خلقه (الْقَدِيرُ) على ما يشاء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ) يحلف (الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (مَا لَبِثُوا) مكثوا فى القبور (غَيْرَ سَاعَةٍ) قال تعالى (كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق : البعث ، كما صرفوا عن الحق الصدق فى مدة اللبث (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ) من الملائكة وغيرهم (لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فيما كتبه فى سابق علمه (إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ) الذى أنكرتموه (وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) وقوعه (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ) بالياء والتاء (الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ) فى إنكارهم له (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لايطلب منهم العتبى أى الرجوع إلى ما يرضى الله (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) تنبيها لهم (وَلَئِنْ) لام قسم (جِئْتَهُمْ) يامحمد (بِآيَةٍ) مثل العصا واليد لموسى (لَيَقُولَنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (إِنْ) ما (أَنْتُمْ) أى محمد وأصحابه (إِلَّا مُبْطِلُونَ) أصحاب أباطيل (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) التوحيد كما طبع على قلوب هؤلاء (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصرك عليهم (حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) بالبعث . أى لايحملنك على الخفة والطيش ،

بذلك لحصولها فى آخر ساعة من ساعات الدنيا (قوله الكافرون) أى المنكرون للبعث (قوله مكثوا فى القبور) إنما استقلوا تلك المدة لأن عذاب القبر خفيف بالنسبة لما شاهدوه من عذاب النار ، وقيل المراد مكثوا فى الدنيا فاستقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة (قوله يصرفون عن الحق) أى الاقرار والاعتراف به فى الدنيا (قوله وقال الذين أوتوا العلم) أى ردا عليهم وتكذيبا لهم (قوله وغيرهم) أى كالأنبياء والمؤمنين (قوله أنكرتموه) أى فى الدنيا (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جمل محذوفة : أى يوم إذ قامت الساعة وحلف المشركون كاذبين وردعليهم الملائكة وغيرهم و بينوا كذبهم لا تنفع الخ (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله معذرتهم) أى اعتذارهم (قوله العتبى) كالرجعى وزنا ومعنى ، والمعنى لا يجابون لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا (قوله من كل مثل) من للتبعيض : أى بعض كل صفة لأجل إرشادهم (قوله ولئن جئتهم بآية) أى مما اقترحوا (قوله حذف منه نون الرفع الخ) هذا سبق قلم من المفسر ، فالصواب أن يقول هو فعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والذين فاعله لأن اللام مفتوحة باتفاق القراء (قوله منهم) حال من الكافرين (قوله فاصبر) أى إذا علمت حالهم وأنهم لايؤمنون لوجود الطبع على قلوبهم فاصبر الخ (قوله إن وعد الله حق) تعليل للأمر بالصبر (قوله والطيش) عطف مرادف على الخفة .

(قوله أى لاتتركنه) أى لا تترك الصبر بسبب تكذيبهم و إيذائهم [سورة لقمان مكية] مبتدأ وخبر سميت بذلك لذكر قصة لقمان فيها (قوله إلا ولو أن ما فى الأرض الخ) هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل مكية كلها ، وقيل إلا ثلاث آيات من قوله - ولو أن ما فى الأرض إلى خبير - وهذا القول الثالث للبيضاوى (قوله أى هذه الآيات) أى آيات السورة وأشير إليها بإشارة البعيد لعلو رتبتها ورفعة قدرها عند الله و إن كانت قريبة من الأذهان (قوله ذى الحكمة) أى المشتمل على الحكمة وهو العلم النافع و يصح أن يراد بالحكيم المحكم : أى المتقن الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه ، ويصح أن يراد الحكيم قائله حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وهو الضمير المجرور فبانقلابه مرفوعا استكن فى الصفة المشبهة (قوله بالرفع) أى لحمزة على أنه خبر لمحذوف قدره بقوله هو (قوله وفى قراءة العامة) أى وهم السبعة ماعدا حمزة (قوله

بترك الصبر : أى لاتتركنه ،

(ســـورة لقمان)

مكية إلا « ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام » الآيتان فمدنيتان
وهى أربع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الٓمٓ) الله أعلم بمراده به (تِلْكَ) أى هذه الآيات (آيَاتُ الْكِتَابِ) القرآن (الْحَكِيمِ) ذى الحكمة والإضافة بمعنى من ، هو (هُدًى وَرَحْمَةٌ) بالرفع (لِلْمُحْسِنِينَ) وفى قراءة العامة بالنصب حالاً من الآيات العامل فيها مافى تلك من معنى الإشارة (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ) بيان المحسنين (وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) هم الثانى تأكيد (أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ) أى مايلهى منه عما يعنى (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طريق الإسلام (بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا) بالنصب عطفاً على يضل وبالرفع عطفا على يشترى (هُزُوًا) مهزوءاً بها (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا) أى القرآن (وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا) متكبرا (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا) صمماً ، وجملتا التشبيه حالان من ضمير ولّى أو الثانية بيان للأولى (فَبَشِّرْهُ) أعلمه (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم ، وذكر البشارة تهكم به ، وهو النضر بن الحرث كان يأتى الحيرة يتجر فيشترى كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول إن محمداً يحدثكم أحاديث عاد وثمود ، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن ،

حالا من الآيات) أى حال كون كل منهما حالا (قوله من معنى الاشارة) أى كأنه قال أشير إلى تلك الآيات حال كونها هدى ورحمة (قوله الذين يقيمون الصلاة) أى يؤدّونها بأركانها وآدابها (قوله ويؤتون الزكاة) أى يعطونها لمستحقيها (قوله وهم بالآخرة هم يوقنون) أى يؤمنون بلقاء الله والبعث (قوله الفائزون) أى بما أعدّ لهم من النعيم المقيم (قوله ومن الناس من يشترى الخ) شروع فى ذكر مقابل الفريق الأوّل على حكم عادته تعالى فى كتابه والجار والمجرور خبر مقدّم والاسم الموصول مبتدأ مؤخر، واعلم أن من لفظها مفرد ومعناها جمع فروعى لفظها فى جميع الضمائر الآتية وروعى معناها فى قوله أولئك لهم عذاب مهين (قوله لهو الحديث) إما من إضافة الصفة للموصوف: أى الحديث اللهو : أى المشغل عما يعنى أو الإضافة على معنى من و إليه يشير المفسر بقوله: أى مايلهى منه (قوله بفتح الياء) أى ليستمر على الضلال، وقوله وضمها: أى ليوقع غيره فى الضلال فهو ضال مضل والقراءتان سبعيتان (قوله طريق الإسلام) أى الأمور الموصلة للاسلام فاللهو كل مايشغل عن عبادة الله وذكره من الأضاحيك والخرافات والمغانى والمزامير وغيرها من الأمور الباطلة (قوله بغير علم) حال من فاعل يشترى : أى حالة كونه جاهل القلب و إن كان عالم اللسان (قوله و يتخذها) أى الآيات (قوله بالنصب الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله مهزوءا بها) أى لمقابلته لها بالخرافات (قوله أعلمه) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الاعلام بالخبر و إن لم يكن فيه بشارة ودفع بذلك مايقال إن الاخبار بالعذاب الأليم ليس بشارة بل هو نذارة ، وقوله وذكر البشارة الخ جواب آخر فكان المناسب أن يذكره بأو (قوله النضر بن الحرث) أى ابن كلدة كان صديقا لقريش (قوله فيستملحون حديثه) أى يعدونه

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة : أى مقدرا خلودهم فيها إذا دخلوها (وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا) أى وعدهم الله ذلك وحقه حقاً (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الذى لايغلبه شىء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده (الْحَكِيمُ) الذى لايضع شيئاً إلا فى محله (خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا) أى العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لاعمد أصلا (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالاً مرتفعة لـ (أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَأَنْزَلْنَا) فيه التفات عن الغيبة (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) صنف حسن (هٰذَا خَلْقُ اللَّهِ) أى مخلوقه (فَأَرُونِي) أخبرونى ياأهل مكة (مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) غيره أى آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذى بصلته خبره وأرونى معلق عن العمل وما بعده سدّ مسد المفعولين (بَلِ) للانتقال (الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيّن بإشراككم وأنتم منهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) ،

مليحا فيصغون له (قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به (قوله جنات النعيم) المراد بها جميع الجنان لاخصوص المسماة بهذا الاسم (قوله أى مقدرا خلودهم) أى فهم عند دخولهم يقدرون الخلود لسماعهم النداء من قبل الله: ياأهل الجنة خلود بلاموت (قوله وعد الله حقا) مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الأولى والعامل مختلف والتقدير وعد ذلك وعدا وحقه حقا (قوله الذى لايغلبه شىء) أى لايقهره أحد (قوله خلق السموات الخ) هذا دليل على أنه عزيز حكيم لايمنعه أحد عن إنجاز وعده ووعيده (قوله أى العمد) أشار بذلك إلى ان جملة ترونها صفة لعمد (قوله جمع عماد) أى كأهب جمع إهاب (قوله الاسطوانة) بضم الهمزة وهى السارية (قوله وهو صادق الخ) أى لأن السالبة تصدق بنفى الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشقّ الثانى وهو أن يكون لها عمد لاترى وهى قدرة الله تعالى (قوله رواسى) أى ثوابت (قوله جبالامرتفعة) قال ابن عباس : هى سبعة عشر جبلا منها قّ وأبوقبيس والجودى ولبنان وطورسينين (قوله أن تميدبكم) قدّر المفسر لام التعليل ولاالنافية إشارة إلى أن حكمة تثبيت الأرض بالجبال عدم تحركها بأهلها (قوله وبث فيها) أى نشر، وقوله : من كلّ دابة من زائدة (قوله فيه التفات) أى من الغيبة إلى التكلم زيادة فى التبكيت وإلزام الحجة (قوله هذا خلق الله) أى ماذكر من السموات والأرض وما فيهما (قوله استفهام إنكار)وتوبيخ وتقريع (قوله معلق عن العمل) أى فى اللفظ وأما فى المحل فهو عامل النصب (قوله سدّ مسدّ المفعولين) ظاهره أن أرونى تنصب ثلاثة مفاعيل الياء وجملة الاستفهام التى سدّت مسدّ الثانى والثالث وهذا غير ما ذكروه من أن أرى إن كان بمعنى أخبر فانها تتعدى لمفعولين الأوّل مفرد صريح والثانى جملة الاستفهام، فالمناسب للمفسر أن يقول سدت منها مسد الثانى (قوله للانتقال) أى من تبكيتهم إلى الاخبار بتقبيح الظالمين عموما (قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة) اختلف فى لقمان فقيل اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية ، وقيل عربى ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون ، واختلف فيه أيضا فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر ، فعلى هذا هو ابن ابن أخى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وقيل كان ابن أخت أيوب ، وقيل كان ابن خالته ، يقال إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود واتفق العلماء على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة والشعبى فقالا بنبوّته ، وقيل خير بين النبوّة والحكمة فاختار الحكمة ، وروى أنه كان نائما فى وسط النهار فنودى يالقمان هل لك أن نجعلك خليفة فى الأرض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال إن خيرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم علىّ فسمعا وطاعة فانى أعلم أن الله تعالى إن فعل بى ذلك أعاننى وعصمنى فقالت الملائكة بصوت لايراهم: لم يالقمان؟ قال إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاه المظلوم من كلّ مكان إن عدل نجا وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم نودى بها داود بعده فقبلها، وكان لقمان يوازر داود لحكمته ، وقيل

كان خياطا وقيل كان راعى غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة ، فقال ألست فلانا الراعى ؟ قال بلى ، قال فبم بلغت مابلغت ؟ قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك مالايعنينى (قوله منها العلم والديانة) أى فالحكمة هى العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما ، وقيل الحكمة المعرفة والأمانة ، وقيل هى نور فى القلب يدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر (قوله وحكمه كثيرة) قال وهب تكلم لقمان باثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس فى كلامهم (قوله وقال فى ذلك) أى فى شأن الاعتذار عن ترك الفتيا (قوله وقلنا له أن اشكر الخ) أشار بذلك إلى أنّ أن زائدة وجملة اشكر مقول القول والأنسب أنّ أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله على ما أعطاك من الحكمة) أى فهى نعمة يجب الشكر عليها بصرفها فى مصارفها (قوله ومن يشكر الخ) تعليل للأمر بالشكر (قوله محمود فى صنعه) أى فهو حقيق بأن يحمد من دون المخلوقات (قوله و إذ قال لقمان لابنه) أى واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أنم . قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما . قيل وضع لقمان جرابا من خردل إلى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة موعظة ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل ، فقال يابنى وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر ، فتفطر ابنه ومات (قوله وهو يعظه) الجملة حالية (قوله يابنى) بكسر الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله إشفاق) أى محبة (قوله فرجع إليه) أى إلى دين أبيه وهو الاسلام، وقال له أيضا : يابنى اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة ، يابنى احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكرك الآخرة والعرس يشهيك الدنيا، يابنى لاتكن أعجز من هذا الديك الذى يصوت بالأسحار وأنت نائم على فراشك، يابنى لاتؤخر التوبة فان الموت يأتى بغتة يابنى لاترغب فى ودّ الجاهل فيرى أنك ترضى عمله ، يابنى اتق الله ولا تر الناس أنك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يابنى ماندمت على الصمت قط فان الكلام إذا كان من فضة كان السكوت من ذهب يابنى اعتزل الشرّ كما يعتزلك فان الشر للشر خلق ، يابنىّ عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى يحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثر غمه، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لايفهم ، يابنى لاترسل رسولا جاهلا ، فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك ، يابنى لاتنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا ، يابنى يأتى على الناس زمان لاتقر فيه عين حليم ، يابنى اختر المجالس على عينك فاذا رأيت المجالس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالما ينفعك علمك و إن تك غبيا يعلموك و إن يطلع الله عزّ وجلّ عليهم برحمة تصبك معهم ، يابنى لاتجلس فى المجلس الذى لايذكر فيه الله عز وجل فانك إن تكن عالما لاينفعك علمك و إن تك غبيا يزيدوك غباوة و إن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم ، يابنى لايأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور فى أمرك العلماء ، يابنى إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير ، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بها وشراعها التوكل على الله لعلك أن تنجو ، يابنى إنى حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر ، يابنى إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك ، يابنى لاتتعلم مالاتعلم حتى تعمل بما تعلم ، يابنى إذا أردت أن تؤاخى رجلا فأغضبه قبل ذلك فان أنصفك عند غضبه و إلا فاحذره ، يا بنىّ إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ، فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل ، يابنى عوّد لسانك أن يقول اللهمّ اغفر لى فان لله ساعات لاترد ، يابنى إياك والدين فانه ذل النهار وهمّ الليل ، يابنى ارج الله رجاء لايجرئك على معصيته وخف الله خوفا لايؤيسك من رحمته إلى غير ذلك من المواعظ المأثورة عنه عليه السلام .

منها العلم والديانة والإصابة فى القول، وحكمه كثيرة مأثورة، كان يفتى قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال فى ذلك ألا أكتفى إذا كفيت، وقيل له أىّ الناس شر ؟ قال الذى لا يبالى إن رآه الناس مسيئا (أَنِ) أى وقلنا له أن (اشْكُرْ لِلَّهِ) على ما أعطاك من الحكمة (وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ) لأن ثواب شكره له (وَمَنْ كَفَرَ) النعمة (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود فى صنعه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ) تصغير إشفاق (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ) بالله (لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) فرجع إليه وأسلم ،

(قوله ووصينا الانسان الخ) هاتان الآيتان نزلتا فى شأن سعد بن أبى وقاص كما تقدم فهما معترضتان بين كلامى لقمان والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فأل فى الانسان للجنس (قوله أن يبرهما) أى يحسن إليهما (قوله فوهنت) قدر الفعل إشارة إلى أن وهنا مفعول مطلق والأحسن جعله حالا من أمه أى ذات وهن (قوله على وهن) صفة لوهنا أى ضعفا كائنا على ضعف ، والمراد التوالى لاخصوص وهنين بدليل قول المفسر أى ضعفت للحمل الخ (قوله أى فطامه) أى ترك رضاعه (قوله فى عامين) أى فى انقضائهما (قوله أن اشكر لى) أن يحتمل أنها مفسرة لجملة وصينا أو مصدرية (قوله أى المرجع) أى فأجازى المحسن على إحسانه والمسىء على إساءته (قوله موافقة للواقع) أى فلا مفهوم له وهو جواب عما يقال إن الشريك مستحيل على الله تعالى فربما يتوهم وجود شريك له به علم (قوله وصاحبهما فى الدنيا) أى أمورها التى لاتتعلق بالدين (قوله أى بالمعروف) أشار بذلك إلى أنه منصوب بنزع الخافض (قوله واتبع سبيل من أناب إلى) قيل إن الخطاب للمكلفين عموما ويراد بمن أناب النبى وأصحابه ومن على قدمهم ، وقيل الخطاب لسعد بن أبى وقاص ، والمراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا ثم جاءبهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء سابقون للاسلام بارشاد أبى بكر رضى الله عنه (قوله فأجازيكم عليه) أى على العمل الحسن والسيء (قوله وجملة الوصية) أى وهى قوله: ووصينا الانسان الخ وقوله وما بعدها أى وهو قوله وإن جاهداك الخ وقوله اعتراض أى بين كلامى لقمان (قوله يابنى إنها إن تك مثقال حبة الخ) رجوع لذكر وصايا لقمان لولده ، وسبب تلك المقالة أنه قال له ولده : ياأبت إن عملت الخطيئة حيث لايرانى أحد كيف يعلمها الله ؟ فقال له تلك المقالة ، وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) أمرنا أن يبرهما (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ) فوهنت (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) أى ضعفت للحمل وضعفت للطلق وضعفت للولادة (وَفِصَالُهُ) أى فطامه (فِي عَامَيْنِ) وقلنا له (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) أى المرجع (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) موافقة للواقع (فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أى بالمعروف البر والصلة (وَاتَّبِعْ سَبِيلَ) طريق (مَنْ أَنَابَ) رجع (إِلَيَّ) بالطاعة (ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فأجازيكم عليه ، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا) أى الخصلة السيئة (إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ) أى فى أخفى مكان من ذلك (يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) فيحاسب عليها (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) باستخراجها (خَبِيرٌ) بمكانها (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) ،

بسبب

إذ هو مسلم لايعتقد أن الله تخفى عليه خافية وإنما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل إلى المعرفة والمشاهدة والتأملات من استيلاء الهيبة على قلبه (قوله من خردل) هو حب الكبر وهو أصغر حب ، والمراد أصغر شىء بدليل ضرب المثل بالذرة فى الآية (قوله فى صخرة) قيل المراد بها التى تحت الأرضين السبع وهى التى يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها لما قيل خلق الله الأرض على حوت والحوت فى الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك ، وقيل على ظهر ثور وهو على الصخرة وهى التى ذكرها لقمان فليست فى السماء ولا فى الأرض (قوله أى فى أخفى مكان من ذلك) أى من الصخرة والسموات والأرض فأخفى الصخرة باطنها وأخفى السموات أعلاها وأخفى الأرض أسفلها (قوله يأت بها الله) جواب الشرط (قوله إن الله لطيف) أى عالم بخفيات الأمور (قوله خبير) أى عالم ببواطن الأشياء كظواهرها،قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارة ابنه من هيبتها وعظمها ، فمات مسلما شهيدا رضى الله عنه (قوله يابنى أقم الصلاة) أى بشروطها وأركانها وآدابها لكونها عماد الدين ومناجاة الله تعالى (قوله وأمر بالمعروف) أى بكل ماعرف شرعا لأن الدال على الخير كفاعله (قوله وانه عن المنكر) أى باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة فان لم يقدر فالصبر أولى بالمعروف .

بسبب الأمر والنهي (إِنَّ ذَٰلِكَ) المذكور (مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أي معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها (وَلَا تُصَعِّرْ) وفي قراءة تصاعر (خَدَّكَ لِلنَّاسِ) لا تمل وجهك عنهم تكبراً (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أي خيلاء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متبختر في مشيه (فَخُورٍ) على الناس (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعليك السكينة والوقار (وَاغْضُضْ) اخفض (مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ) أقبحها (لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) أوله زفير وآخره شهيق (أَلَمْ تَرَوْا) تعلموا يامخاطبين (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ) من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من الثمار والأنهار والدواب (وَأَسْبَغَ) أوسع وأتم (عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً) هي حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك (وَبَاطِنَةً) هي المعرفة وغيرها (وَمِنَ النَّاسِ) أي أهل مكة (مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) من رسول (وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ) أنزله الله بل بالتقليد (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) قال تعالى

(قوله بسبب الأمر والنهي) المناسب حمله على العموم، فالصبر على المصائب سواء كانت من الخلق أو الخالق أمره عظيم لأن الكل في الحقيقة من الله، والمراد بالصبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه قال تعالى - وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون - (قوله التي يعزم عليها لوجوبها) أي تحتمها على المكلفين فلا ترخيص في تركها (قوله ولا تصعر خدك للناس) الصعر بفتحتين في الأصل: داء يصيب البعير يلوى عنقه، ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقين لأجل الفخر على الناس، والمراد لا تتكبر فتحتقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلموك (قوله وفي قراءة تصاعر) أي وهما سبعيتان ومعناهما واحد (قوله أي خيلاء) أي عجبا وتكبرا قال تعالى - إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا - (قوله فخور على الناس) أي لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه إياها فيتكبر بها على الناس (قوله واقصد في مشيك) لما أمره أولا بحسن الباطن أمره ثانيا بحسن الظاهر ليجمع له في وصيته بين كمال الظاهر والباطن (قوله بين الدبيب) أي وهو ضعف المشي جدا، قال الشاعر:

زعمتني شيخا ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب دبيبا

(قوله والاسراع) أي وهو قوة المشي وهي مذمومة لما ورد «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن». إن قلت ورد في الحديث «كنا نجهد أنفسنا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم» فيقتضي أنه كان يسرع في مشيه. أجيب بأنه صلى الله عليه وسلم في نفسه مشيه متوسط وبالنسبة للصحابة هو أعلى مشيا منهم لما في الحديث المتقدم «وهو غير مكترث كأن الأرض تطوى له» (قوله من صوتك) يحتمل أن من تبعيضية أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف أي شيئا من صوتك (قوله لصوت الحمير) أي هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة فإن كل حيوان يصيح من ثقل أو تعب أو غير ذلك والحمار يصيح لغير سبب، وصياح كل شيء تسبيح لله تعالى إلا الحمار. إن قلت إن دق النحاس بالحديد أشد صوتا من الحمير. أجيب بأن الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء بخلاف الصوت الخالي عن الثمرة والفائدة وهو صوت الحمار (قوله أوله زفير) أي صوت قوي، وقوله وآخره شهيق: أي صوت ضعيف وهما صفة صوت أهل النار (قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الخ) رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم (قوله يامخاطبين) القياس بالواو لأنه منادى مفرد وهو مبني على ما يرفع به إلا أن يقال إنه نكرة غير مقصودة فهو منصوب (قوله نعمه) إما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان أو الإفراد بتاء التأنيث نكرة فهما نعتان لها وهما قراءتان سبعيتان (قوله هي حسن الصورة الخ) وقيل الظاهرة نعمة الدنيا والباطنة نعمة العقبى. وقيل الظاهرة ما ترى بالأبصار كالمال والجاه والجمال في الناس، والباطنة ما يجده الانسان في نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى وكل صحيح (قوله وتسوية الأعضاء) أي تناسبها (قوله ومن الناس) نزلت في النضر بن الحرث وأبي بن خلف ومن حذا حذوهم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وصفاته من غير علم (قوله بغير علم) أي بل بالجهل وعدم المعرفة (قوله ولا هدى) أي من رسول جاءهم به (قوله ولا كتاب منير) أي نير واضح الدلالة (قوله وإذا قيل لهم) الجمع باعتبار المعنى.

(قوله أيتبعونه) أشار بذلك إلى أن هذا الشرط الحال والتقدير أيتبعونه والحال أن الشيطان يدعوهم إلى العذاب وحينئذ فلا جواب للو (قوله يدعوهم إلى عذاب السعير) أى يدعو آباءهم لأن مدار إنكار الأتباع كون الرؤساء تابعين الشيطان (قوله لا) أى لايليق منهم ذلك (قوله أى يقبل على طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات ، والمعنى من يبذل ذاته فى طاعة ربه والحال أنه موحد فقد استمسك الخ وهذا هو حقيقة الشكر فالاقبال على الله ظاهرا و باطنا موجب للأمن من عذاب الله ، ومن زوال تلك النعمة وهذه الآية معنى قوله تعالى ـ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ـ (قوله موحد) إنما فسره بذلك ليشمل الاسلام فى حق العامة وهو التوحيد و إلا فالاحسان الكامل أن تعبد الله كأنك تراه (قوله بالطرف الأوثق) أى الموصل إلى الله بلا انقطاع فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن أراد أن يرقى إلى شاهق جبل فتمسك بأوثق حبل فهو تشبيه تمثيلى بذكر طرفى التشبيه (قوله مرجعها) أى فيجازى عليها (قوله ومن كفر الخ) هذا مقابل الفريق الأول (قوله فلا يحزنك كفره) بفتح الياء وضم الزاى وبضم الياء وكسر الزاى قراءتان سبعيتان أى فتسل ولا تغتم على ذلك (قوله فننبئهم بما عملوا) أى نخبرهم بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا (قوله ثم نضطرهم) أتى بثم اشارة إلى أن العذاب الغليظ إنما يكون لهم فى الآخرة لافى الدنيا كما أن المؤمن إذا نعم فى الدنيا بأنواع النعم فليس ذلك جزاء لأعماله الصالحة (قوله لايجدون عنها محيصا) أى ملجأ (قوله ليقولن الله) الجملة جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة ولفظ الجلالة مرفوع إما على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله بدليل آية خلقهن العزيز العليم أو خبر لمحذوف تقديره الخالق لهن (قوله واو الضمير) أى لالتقائها ساكنة (ما

(٢٤٢)

(أ) يتبعونه (وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أى موجباته ؟ لا (وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ) أى يقبل على طاعته (وَهُوَ مُحْسِنٌ) موحد (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) بالطرف الأوثق الذى لايخاف انقطاعه (وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) مرجعها (وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ) يامحمد (كُفْرُهُ) لاتهتم بكفره (إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أى بما فيها كغيره فمجاز عليه (نُمَتِّعُهُمْ) فى الدنيا (قَلِيلًا) أيام حياتهم (ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ) فى الآخرة (إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ) وهو عذاب النار لايجدون عنه محيصا (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع لتوالى الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) وجوبه عليهم (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلكا وخلقا وعبيداً فلا يستحق العبادة فيهما غيره (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) المحمود فى صنعه (وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ) عطف على اسم أن (يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ) مداد ،

جمع نون التوكيد و بقيت الضمة دليلا عليها (قوله بل أكثرهم لايعلمون وجوبه عليهم) أى بل يعتقدون أن الاشراك يقرب إلى الله مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده (قوله لله مافى السموات والأرض) هذا نتيجة ماقبله : أى حيث ثبت أنه الخالق لما تحقق أنه المالك لما (قوله المحمود فى صنعه) أى المتصف بالكمالات أزلا وأبدا لايستحق الحمد غيره (قوله ولو أن مافى الأرض) أن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول فى محل نصب اسمها وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول ومن شجرة بيان لما وتوحيد شجرة إشارة إلى استغراق الأفراد كأنه قال لو أن كل شجرة تجعل أقلاما الخ وقوله أقلام خبر أن (قوله والبحر) أى المحيط لأن الحقيقة إذا أطلقت تنصرف للفرد الكامل (قوله عطف على اسم أن) أشار بذلك إلى توجيه قراءة النصب وترك توجيه قراءة الرفع وتوجيهها أن يقال إما عطف على جملة أن واسمها وخبرها لأن موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف والتقدير لوثبت أن مافى الأرض الخ أو مبتدأ خبره يمده والجملة حالية (قوله مداد) خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد وهو جملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر تقديره ماتجعل تلك الأبحر فأجاب بقوله مداد يدل على ذلك قوله فى الآية الأخرى : قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الخ .

(قوله كلمات الله) أى مدلولات كلامه النفسى القديم القائم بذاته تعالى بدليل قوله المعبر بها فان مدلول الكلام القديم هو ماأحاط به العلم القديم ، وأما الكلام المنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية فهو دالّ على بعض مدلول الكلام القديم فلذلك كان له مبدأ وغاية (قوله ماخلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) سبب نزولها أن أبى بن خلف وجماعة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلقنا أطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تقول إنا نبعث خلقا جديداً جميعا فى ساعة واحدة فنزلت . والمعنى أن الله لايصعب عليه شئ بل خلق العالم و بعثه برمته كخلق نفس واحدة و بعثها (قوله خلقا و بعثا) لف ونشر مرتب (قوله ياخاطبا) نصبه لكونه قصد أنه نكرة غير مقصودة (قوله بما نقص) أى بالجزء الذى نقص من الآخر وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار زائدة على الاثنى عشر فتارة يزيدها الليل وتارة يزيدها النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج وعبر فى الأول بالمضارع لأن الايلاج متجدد بخلاف التسخير (قوله إلى أجل مسمى) عبر هنا بالى وفى فاطر والزمر باللام تفننا لأن اللام و إلى للانتهاء (قوله ذلك المذكور) أى من الآيات الكريمة وهو مبتدأ خبره قوله بأن الله هو الحق (قوله الثابت) أى الذى لايقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر أن الفلك الخ) هذا دليل آخر على إثبات الألوهية لله وحده (قوله بنعمت الله) أى إحسانه (قوله أى علا الكفار) أى أحاط بهم ، فعلا فعل ماض لاحرف جر (قوله أى لايدعون معه غيره) أى كالأصنام لأنهم فى ذلك الوقت فى غاية الشدة والهول فلايجدون

(مانَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ)المعبر بها عن معلوماته بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد ولا بأكثر من ذلك لأن معلوماته تعالى غير متناهية (إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شيء (حَكِيمٌ) لا يخرج شيء عن علمه وحكمته (مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) خلقاً و بعثاً لأنه بكلمة كن فيكون (إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ) يسمع كل مسموع (بَصِيرٌ) يبصر كل مبصر لايشغله شيء عن شيء (أَلَمْ تَرَ) تعلم ياخاطبا (أَنَّ اللهَ يُولِجُ) يدخل (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ) منهما (يَجْرِي) فى فلكه (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) هو يوم القيامة (وَأَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . ذَلِكَ) المذكور (بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ) الثابت (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء والتاء : يعبدون (مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ) الزائل (وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ) على خلقه بالقهر (الْكَبِيرُ) العظيم (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ) السفن (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ) يا مخاطبين بذلك (مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) عبراً (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن معاصى الله (شَكُورٍ) لنعمته (وَإِذَا غَشِيَهُمْ) أى علا الكفار (مَوْجٌ كَالظُّلَلِ) كالجبال التى تظل من تحتها (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الدعاء بأن ينجيهم أى لايدعون معه غيره (فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) متوسط بين الكفر والإيمان ، ومنهم باق على كفره (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا) ومنها الإنجاء من الموج (إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ) غدّار (كَفُورٍ) لنعم الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لاَ يَجْزِي) يغنى (وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ) فيه شيئاً ،

ملجأ لكشف مانزل بهم غيره تعالى (قوله متوسط بين الكفر والايمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفى بما عاهد الله عليه من التوحيد ليكون موافقا لسبب النزول فانها نزلت فى عكرمة بن أبى جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أنجانا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدى فى يده فسكن الريح فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه (قوله ومنهم باق على كفره) أى وهو المشار إليه بقوله ومايجحد بآياتنا الخ (قوله غدار) أى لأنه نقض العهد ورجع إلى ما كان عليه (قوله اتقوا ربكم) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله لايجزى والد عن ولده الخ) كل من الجملتين نعت ليوما ، والمعنى أن يوم القيامة يقول كل إنسان نفسى نفسى لاأملك غيرها ولايهتم بقريب ولا بعيد وهذه الآية مخصوصة بالكفار ، وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم فالأولاد تنفع الآباء والآباء تنفع الأولاد قال تعالى - والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم - وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام لفاطمة ابنته وأنا لاأغنى عنك من الله شيئا فهو

تحذير لما من الكفر الذى به تنقطع الأنساب (قوله ولا مولود) مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبر الثانى وهو خبره خبر الأول أومعطوف على والد (قوله فى حلمه و إمهاله) أشار بذلك إلى أن الباء سببية والكلام على حذف مضاف والأصل ولا يغرنكم بسبب حلم الله و إمهاله الغرور (قوله إن الله عنده علم الساعة الخ) نزلت لما قال الحرث بن عمرو للنبى صلى الله عليه وسلم متى الساعة وأنا قد ألقيت الحب فى الأرض فمتى السماء تمطر وامرأتى حامل فهل حملها ذكر أم أنثى وأى شىء أعمله غدا ولقد علمت بأى أرض ولدت فبأى أرض أموت (قوله متى تقوم) أى وقت قيامها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بوقت يعلمه) أى وفى أى مكان ينزله (قوله وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا) أى من حيث ذاتها وأما بإعلام الله للعبد فلا مانع منه كالأنبياء و بعض الأولياء قال تعالى ـ ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء ـ وقال تعالى ـ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ـ قال العلماء وكذا ولى فلا مانع من كون الله يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه المغيبات فتكون معجزة للنبى وكرامة للولى ولذلك قال العلماء : الحق أنه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى أطلعه على تلك الخمس ولكنه أمر بكتمها والحكمة فى كونه تعالى أضاف العلم إلى نفسه فى الثلاثة الأول ونفى العلم عن العباد فى الأخيرتين منها مع أن الخمسة سواء فى اختصاص الله تعالى بعلمها ونفى علم العباد بها أن الثلاثة الأول أمرها عظيم لايتوهم فى الخلق علمها بخلاف الأخيرتين فهما من صفات العباد فربما يتوهمون علمهما فإذا انتفى عنهم علمهما كان انتفاء علمهم بغيرهما أولى (قوله بأى أرض تموت) لم يقل بأى وقت تموت فيه لأن انتقال الانسان من مكان إلى آخر فى وسعه واختياره فتوهمه علم مكان موته أقرب بخلاف الزمان ففيه تنبيه على انتفاء (من
علم الأقرب ليفهم منه علم الأبعد بالأولى (قوله إن الله عليم خبير) أشار بذلك إلى أن علمه تعالى ليس مختصا بهذه الأشياء المتقدمة بل هو عليم ببواطن الأشياء كظواهرها .

(وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ) فيه (شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) بالبعث (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) عن الاسلام (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ) فى حلمه و إمهاله (الْغَرُورُ) الشيطان (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم (وَيُنَزِّلُ) بالتخفيف والتشديد (الْغَيْثَ) بوقت يعلمه (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) أذكر أم أنثى ولا يعلم واحدا من الثلاثة غير الله تعالى (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا) من خير أو شر ويعلمه الله تعالى (وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) و يعلمه الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بكل شىء (خَبِيرٌ) بباطنه كظاهره روى البخارى عن ابن عمر حديث « مفاتح الغيب خمسة إن الله عنده علم الساعة ـ إلى آخر السورة » .

(سورة السجدة)

مكية ، وهى ثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الم) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ) خبر أول ،

[سورة السجدة] أى التى ذكرت فيها السجدة (قوله مكية) ظاهره أن جميعها مكى وقال غيره إلا ثلاث آيات وقيل إلا خمس آيات أولها قوله : تتجافى جنوبهم وآخرها قوله الذى كنتم به تكذبون ، وورد فى فضلها أحاديث : منها ما فى الصحيح عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب السجدة وهل أتى على الانسان حين من الدهر » وقد أخذ بهذا الحديث الامام الشافعى رضى الله عنه ولم يأخذ به مالك لعدم استمرار العمل عليه ومنها « أنه صلى الله عليه وسلم كان لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك » وتسمى أيضا المنجية لأنها أحد المنجيات السبع وهى هذه السورة و يس والدخان والواقعة وهل أتى والملك والبروج ، ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال : اقرءوا المنجية وهى الم تنزيل فإنه بلغنى أن رجلا كان يقرؤها مايقرأ شيئا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتى فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة ، (قوله تنزيل الكتاب) أى نزوله وجيئه

(قوله من ربّ العالمين) أي لفظا ومعنى (قوله خبر ثان) هذا أحسن الأعاريب في هذا الموضع ويصح أن يكون حالا من ضمير
الخبر (قوله أم يقولون افتراه) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة عند البصريين والمفسر قدرها ببل فقط وهو غير مناسب بدليل
قوله : لا ، فانه إشارة إلى أن الاستفهام إنكاري مع أنه لم يذكر الهمزة ولعلها سقطت من قلم ناسخ المبيضة (قوله بل هو الحق)
إضراب انتقالي من نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقيته ويصح أن يكون إبطاليا لقولهم كأنه قيل ليس هو كما قالوا بل هو الحق
وقولهم كل ما في القرآن من الاضراب انتقالي يحمل على غير هذا ، والمعنى أن القرآن محصور في الحق لا يخرج عنه لغيره واستفيد
الحصر من الجملة المعرّفة الطرفين (قوله لتنذر قوما) هو فعل ينصب مفعولين الأول قوما ، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله به
وقدره غيره العقاب (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) جعل المفسر الجملة منفية صفة لقوما ، واختلف في القوم فقيل المراد بهم
العرب لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى : لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ، وقيل المراد بهم أهل
الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام فيشمل بني آدم برمتهم (قوله لعلهم يهتدون) الترجي بالنسبة له صلى الله عليه
وسلم ، والمعنى لتنذر قوما راجيا لاهتدائهم لا آيسا منه (قوله الله الذي خلق السموات والأرض) مبتدأ وخبر وهو شروع في ذكر
أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله أولها الأحد وآخرها الجمعة) أي على سبيل التوزيع خلق الأرض أولا في الأحد والاثنين
وخلق ما فيها في الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفي ذلك إشكال وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك فضلا
عن تسميتها لعدم وجود الشمس والأفلاك التي بها تعرف الأيام . وأجيب بأن المراد في مقدار ستة أيام كائنة في علمه تعالى بحيث
تكون عند ظهورها لنا أولها الأحد وآخرها الجمعة ومقتضى هذا أنها كأيام الدنيا وبه قال الحسن ، وقال ابن عباس والضحاك
اليوم منها مقداره ألف سنة (قوله سرير الملك) أي ومنه : قال نكروا لها عرشها ، والمراد به هنا الجسم
النوراني المحيط بالعالم كله (قوله استواء يليق به) هذه إشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمتشابه ويفوضون علمه لله تعالى وهو أسلم ولذا سلكه المفسر ، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستيلاء
والقهر إذ هو أحد معنى الاستواء . ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

(مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خبر ثان (أَمْ) بل (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) محمد ؟ لا (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكَ لِتُنْذِرَ) به (قَوْمًا ، مَا) نافية (أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) بإنذارك
(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها
الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وهو في اللغة سرير الملك استواء يليق به (مَا لَكُمْ)
يا كفار مكة (مِنْ دُونِهِ) أي غيره (مِنْ وَلِيٍّ) اسم ما بزيادة من ، أي ناصر (وَلَا شَفِيعٍ)
يدفع عذابه عنكم (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ)

وتقدم الكلام في هذا غير مرة (قوله ما لكم من دونه من ولي) هذا نتيجة ما قبله أي فحيث ثبت أنه الخالق للسموات والأرض
وما بينهما وهو المالك للعرش وما حوى فلا ولي ولا شفيع غيره (قوله يا كفار مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبرة
بعموم اللفظ (قوله اسم ما) أشار بذلك إلى أن ما حجازية وولي اسمها مؤخر ومن دونه خبرها مقدم وفيه أن شرط إعمالها الترتيب
وهو مفقود هنا إلا أن يقال إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه في عملها والأحسن جعلها تميمية ومن دونه
خبر مقدم وولي مبتدأ مؤخر لأن القرآن لا ينبغي حمله على ضعيف (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة
عليه والتقدير أغفلتم فلا تتذكرون (قوله يدبر الأمر) أي الشأن والحال ، والمعنى يتصرف في الخلق على طبق علمه وإرادته
وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهوري :

إرادة الله مع التعلق   في أزل قضاؤه فحقق   والقدر الإيجاد للأشياء على   وجه معين أراده علا
وبعضهم قد قال معنى الأول   العلم مع تعلق في الأزل   والقدر الإيجاد للأمور   على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل يوم هو في شأن فالتصرف الذي يظهر في الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والإرادة قدر
ومن حيث تعلق علم الله وإرادته به قضاء فكل شيء بقضاء وقدر (قوله من السماء إلى الأرض) قال ابن عباس معناه ينزل القضاء
والقدر ، وقيل ينزل الوحي مع جبريل وروى «أنه يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل صلوات الله
عليهم أجمعين ، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود ، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء ، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح

مدة الدنيا (ثُمَّ يَعْرُجُ) يرجع الأمر والتدبير (إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فى الدنيا ، وفى سورة سأل خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر ، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا كما جاء فى الحديث (ذَٰلِكَ) الخالق المدبر (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى ماغاب عن الخلق وما حضر (الْعَزِيزُ) المنيع فى ملكه (الرَّحِيمُ) بأهل طاعته (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام فعلا ماضياً صفة و بسكونها بدل اشتمال (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ) آدم (مِنْ طِينٍ . ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ) ذريته (مِنْ سُلَالَةٍ) علقة (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ضعيف هو النطفة (ثُمَّ سَوَّاهُ) أى خلق آدم (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) أى جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً (وَجَعَلَ لَكُمُ) أى لذريته (السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) مازائدة مؤكدة للقلة (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ) غبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها (أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) استفهام إنكارى بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين قال تعالى (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ) بالبعث (كَافِرُونَ . قُلْ) لهم (يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) أى يقبض أرواحكم (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أحياء ، فيجازيكم.

وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم ، وقد قيل إن العرش موضع التدبير كما أن مادون العرش موضع التفصيل قال تعالى : ثم استوى على العرش يدبر الأمر يفصل الآيات ، ومادون السموات موضع التصريف (قوله مدة الدنيا) أى وهى كما ورد سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الألف السادس ومدة أمته تزيد على الألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمسمائة سنة كما ذكره السيوطى فى [الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف] وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله يرجع الأمر والتدبير إليه) أى ينتقل التصريف الظاهرى من أيدى العبيد يوم القيامة ويكون لله وحده ظاهرا و باطنا قال تعالى ـ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ـ (قوله لشدة أهواله الخ) هذا إشارة لوجه الجمع بين الآيتين : أى فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه ، وجمع أيضا بأن موقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف ، فهذه الآية بينت أحد المواقف وآية سأل بينت المواقف كلها ، وهذا هو الأقرب ، وجمع أيضا بأن العذاب مختلف فيعذب الكافر بجنس من العذاب ألف سنة ثم ينتقل إلى جنس آخر مدته خمسون ألف سنة (قوله من صلاة مكتوبة) صادق بصلاة الصبح فهو فى حق المؤمن قصير جدا (قوله ذلك) مبتدأ وعالم خبر أول والعزيز خبر ثان والرحيم خبر ثالث والذى أحسن خبر رابع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على أنهما بدلان من الهاء فى إليه وقرئ أيضا بجر عالم وما بعده وخرجت على جعل اسم الاشارة فاعلا ليعرج وعالم وما بعده بدل من الضمير فى إليه (قوله الذى أحسن) أى أحكم وأتقن (قوله صفة) أى لكل أو لشئ (قوله و بسكونها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله بدل اشتمال) أى من كل شئ (قوله ذريته) سميت نسلا لأنها تنسل أى تنفصل (قوله أى خلق آدم) أشار بذلك إلى أن الضمير فى سواه عائد على آدم ويصح أن يكون عائدا على النسل ويكون المعنى سوى أعضاءه فى الرحم وصورها بعد أن كان يشبه الجماد حيث كان نطفة ثم علقة ثم مضغة (قوله من روحه) الاضافة للتشريف (قوله أى الذرية) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب والنكتة أن الخطاب إنما يكون مع الحى فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه (قوله وقالوا أئذا ضللنا) حكاية لبعض قبائحهم وأباطيلهم وقرأ العامة ضللنا بضاد معجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وقرئ شذوذا بكسر اللام و بضم الضاد وكسر اللام مشددة (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وتركه فتكون القراءات أربعا سبعيات (قوله فى الموضعين) أى وهما أئذا ضللنا أئنا (قوله بل هم بلقاء ربهم كافرون) انتقال من جحدهم البعث إلى جحدهم لقاء الله بالمرة (قوله قل لهم) أى للكفار وخصهم بالذكر لوجود التشنيع بعد ذلك (قوله يتوفاكم ملك الموت) أسند التوفى فى هذه الآية لملك الموت وفى آية الأنعام للرسل وفى الزمر لله تعالى ولا منافاة بينها لما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلقوم

وما فى الأنعام محمول على معالجة أعوان عزرائيل لمن امر بقبض روحه كأن البشر لاخراجها من الظفر إلى الحلقوم أعوانه وما فى الزمر محمول على الحقيقة فان التوفى حقيقة هو الله تعالى روى «إن الدنيا جعلت لملك الموت مثل راحة اليد فيأخذ منها من شاء أخذه من غير مشقة» فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها ، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وروى «أن خطوته ما بين المشرق والمغرب» وروى «أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء» وقيل إنه على معراج بين السماء والأرض ، وقيل إن له حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم فى كل يوم مرتين فاذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة ، وقال له الآن يزل بك عسكر الموت (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى عليها من خير وشر (قوله ولو ترى) الخطاب لكل أحد ممن يصلح له (قوله ناكسوا رءوسهم) أى خافضوها (قوله وسمعنا منك تصديق الرسل) أى فيما أخبرونا به من الوعد والوعيد (قوله إنا موقنون الآن) أى آمنا فى الحال ، ويحتمل أن المعنى لم يقع منا الشرك كقولهم : والله ربنا ما كنا مشركين (قوله لرأيت أمرا فظيعا) أى شنيعا عجيبا (قوله هداها) أى إيمانها . والمعنى لو أردنا خلق كل نفس على الإيمان والطاعة لفعلنا ذلك (قوله ولكن حق القول منى) أى ثبت وتقرر وعيدى (قوله من الجنة) قدمهم (٢٤٧) لأن دخول الجن النار أكثر من الانس (قوله أى بترككم الإيمان) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك (قوله وذوقوا عذاب الخلد) كرره لبيان مفعول ذوقوا الأول (قوله بما كنتم تعملون) أى بسبب عملكم (قوله إنما يؤمن بآياتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على بقاء من كفر على كفره كأن الله يقول لنبيه لاتحزن فان أهل الإيمان مجبولون على الاتعاظ بالقرآن وأهل

فيجازيكم بأعمالكم (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) مطأطئوها حياء يقولون (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا) ما أنكرنا من البعث (وَسَمِعْنَا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فَارْجِعْنَا) إلى الدنيا (نَعْمَلْ صَالِحًا) فيها (إِنَّا مُوقِنُونَ) الآن فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون ، وجواب لو لرأيت أمراً فظيعاً ، قال تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) فتهتدى بالإيمان والطاعة باختيار منها (وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الجن (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها (فَذُوقُوا) العذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا) أى بترككم الإيمان به (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) تركناكم فى العذاب (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) الدائم (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الكفر والتكذيب (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا) ملتبسين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى قالوا سبحان الله وبحمده (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والطاعة (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ) ترتفع (عَنِ الْمَضَاجِعِ) مواضع الاضطجاع بفرشها ،

الكفر مجبولون على عدم الاتعاظ به فالخلق فريقان فى علم الله (قوله القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية بأنه يقتضى مدح كل من سمع القرآن واتعظ به ويسجد لله وإن لم يكن له موضع سجود . وأجيب بأن السنة بينت مواضع السجود فى القرآن فمدح المتعظين بالقرآن فى كل آية الساجدين فى مواضع السجود (قوله خروا سجدا) أى على وجوههم تعظيما لآياته وامتثالا لأمره وخص السجود بالذكر لأنه غاية الذل والخضوع وهو لا يكون إلا لله وفعله لغيره كفر ولأنه روح الصلاة وأعظم أركانها ولأنه يقرب العبد من الله تعالى لما فى الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» (قوله ملتبسين بحمد ربهم) أى جمعوا فى سجودهم بين التنزيه والحمد فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض وبقولهم سبحان الله ، والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد ويطلب فيه أيضا الدعاء ، ومما ورد فيما يقال فى سجدات القرآن: اللهم اكتب لى بها أجرا وضع عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام (قوله وهم لايستكبرون) أى لايتكبرون ولا يأنفون (قوله تتجافى جنوبهم) أسند التجافى للجنوب لأن الواعظ الذى يكون سببا فى القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب فالانسان إذا كان مشغولا بربه سلط عليه واعظ فى قلبه يقلقه فيكون قليل النوم والهجوع . قال تعالى ـ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ـ فاذا اضطجع قصد بذلك التقوى على القيام والخدمة

وبالجملة فتكون جميع أفعاله دائرة بين الواجب والمندوب (قوله لصلاتهم بالليل) أى لما فيها من نور القلب ورضا الرب لما فى الحديث «مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتى لاينامون» (قوله فلا تعلم نفس) أى لاملك مقرب ولانبى مرسل فضلا عن غيرهم ، والمعنى لاتعلم ذلك تفصيلا وإلا فنحن نعلمه إجمالا كالأشجار والأنهار والغرف والحور والولدان وغير ذلك لأن عطاء الجنة لاتحيط به العقول ففى الحديث «لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها» (قوله من قرة أعين) أى سرورها وفرحها فلايلتفتون لغيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله مضارع) أى والفاعل مستتر تقديره أنا ففى الحديث «أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر» (قوله جزاء) مفعول مطلق أومفعول لأجله (قوله أفمن كان مؤمنا الخ) سبب نزولها أنه كان بين علىّ بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلىّ اسكت فإنك صبى وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جنانا وأملأ منك حشوا فى الكتيبة فقال علىّ اسكت فإنك فاسق ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : أفنجعل المسلمين كالمجرمين ، أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله كمن كان فاسقا) أى كافرا (قوله لايستوون) أى فى المآل ، وقد راعى

لصلاتهم بالليل تهجدا (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا) من عقابه (وَطَمَعًا) فى رحمته (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ) خبئ (لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ما تقر به أعينهم وفى قراءة بسكون الياء مضارع (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) أى المؤمنون والفاسقون (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا) هو ما يعد للضيف (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بالكفر والتكذيب (فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى) عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجدب سنين والأمراض (دُونَ) قبل (الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) عذاب الآخرة (لَعَلَّهُمْ) أى من بقى منهم (يَرْجِعُونَ) إلى الإيمان (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ) القرآن (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) أى لا أحد أظلم منه (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) أى المشركين (مُنْتَقِمُونَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْ لِقَائِهِ) وقد التقيا ليلة الإسراء (وَجَعَلْنَاهُ) أى موسى أو الكتاب (هُدًى) هاديا (لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ؛

وجعلنا

المعنى فجمع لأن المراد الفريق فى كل ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعمد الوقف على قوله فاسقا ويبتدئ بقوله لايستوون (قوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تفصيل لما أجمل أولا (قوله نزلا) أى مهيأة ومعدة لإكرامهم كما تهيأ التحف للضيف النازل بالإكرام (قوله بما كانوا يعملون) أى بسبب كونهم يعملون الصالحات (قوله وأما الذين فسقوا) لم يقل وعملوا السيئات إشارة إلى ان مجرد الكفر كاف فى الخلود فى النار فلاالتفات إلى الاعمال معه وأما العمل الصالح فله مع الايمان تأثير فلذا قرنه به (قوله فمأواهم النار) أى مسكنهم ومنزلهم (قوله كلما أرادوا الخ) بيان لكون النار مأواهم . روى «أن النار تضربهم فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم لهبها فيهوون إلى قعرها وهكذا يفعل بهم أبدا» (قوله وقيل لهم) عطف على أعيدوا والقائل لهم الخزنة (قوله الذى كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وعبر هنا بالتذكير نظرا للمضاف وهو العذاب وفى سبأ بالتأنيث نظرا للمضاف إليه وهوالنار (قوله والجدب سنين) أى بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب (قوله أى من بقى منهم) أى بعد القحط و بعد يوم بدر والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق وقد تحقق ذلك عند الفتح (قوله ومن أظلم الخ) هذا بيان إجمالى لحال المكذب إثر بيانه تفصيلا (قوله ثم أعرض عنها) أى ترك الايمان بها (قوله أى لاأحد الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) الحكمة فى ذكر موسى قربه من النبى ووجود من كان على دينه لتقوم الحجة عليهم (قوله وقد التقيا ليلة الاسراء) أى فى الأرض عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره وفى السماء السادسة كما ورد بذلك الحديث ، وفى كلامه إشارة إلى أن الضمير فى لقائه عائد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله أى من لقائك موسى ليلة الاسراء وهو أقوى الاحتمالات فى هذا الموضع .

(قوله وجعلنا منهم أئمة) أى وهم الأنبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل أو أتباع الأنبياء (قوله و إبدال الثانية ياء) تقدم أنها سبعية لكن من طريق الطيبة لا من طريق الشاطبية (قوله لما صبروا) أى تحملوا المشاق فالصبر عواقبه خير كما قيل :

الصبر كالصبر مرّ فى مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

والمعنى جعلنا منهم أئمة حين صبروا (قوله وكانوا) عطف على صبروا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وخرجت على جعل اللام للتعليل وما مصدرية أى جعلناهم أئمة لأجل صبرهم (قوله بينهم) أى المؤمنين والمشركين أو بين الأنبياء وأممهم (قوله أولم يهد لهم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم يتبين لهم الخ (قوله من القرون) من بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون (قوله إن فى ذلك) أى المذكور من كثرة إهلاك الأمم الخالية (قوله اليابسة التى لانبات فيها) أى التى قطع وأزيل بالمرة فالجرز معناه القطع ، سميت الأرض اليابسة بذلك لقطع النبات منها ، وقيل المراد بالجرز موضع باليمن (قوله تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) قدم الأنعام لأن أكلها مقدم لكونها تأكله قبل أن يثمر (قوله ويقولون متى هذا الفتح) سبب نزولها أن المسلمين كانوا يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوهم يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح (قوله قل يوم الفتح) المراد به يوم القيامة لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين (قوله لاينفع الذين كفروا

(٢٤٩)

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ياء : قادة (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يُوقِنُونَ) وفى قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ) أى يتبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا (مِنَ الْقُرُونِ) الأمم بكفرهم (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِنِهِمْ) فى أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرتنا (أَفَلَا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ) اليابسة التى لانبات فيها (فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) هذا فيعلمون أنا نقدر على إعادتهم (وَيَقُولُونَ) للمؤمنين (مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ) بيننا و بينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) بإنزال العذاب بهم (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ) إنزال العذاب بهم (إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ) بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك وهذا قبل الأمر بقتالهم ،

(سورة الأحزاب)

مدنية ، ثلاث وسبعون آية

إيمانهم) أى لأن الإيمان المقبول هو الذى يكون فى الدنيا ولايقبل بعد خروجهم منها (قوله ولاهم ينظرون) أى يؤخرون وقوله أو معذرة أى اعتذارا (قوله فأعرض عنهم) أى اتركهم ولاتتعرض لهم (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أى فهو منسوخ بآية الجهاد ، و يحتمل أن الآية محكمة ، ومعنى فأعرض عنهم أى اقبل عذر من أسلم منهم واترك ماهو عليه ، وقد وقع منه ذلك فقد عفا عن وحشى حين أسلم بعد قتله حمزة عمه صلى الله عليه وسلم وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح .

[سورة الأحزاب] أى التى ذكر فيها قصة الأحزاب ، وهذه السورة اشتملت على مدح النبى والصادقين من أصحابه والتشنيع على المنافقين وذمهم ، وكانت هذه السورة قدر سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فأبقى الله منها ماهو بأيدينا ورفع الزائد خلافا للروافض حيث كانوا زعموا أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة فأكلها الداجن (قوله مدنية) أى باجماع .

(قوله يا أيها النبي) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال ياموسى ياعيسى ياداود لكونه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الاطلاق فخاطبه بما يشعر بالتعظيم والاجلال حيث قال ياأيها النبيّ ياأيها الرسول وإن ذكر اسمه صريحا أردفه بما يشعر بالتعظيم حيث قال : محمد رسول الله ، وما محمد إلا رسول إلى غير ذلك (قوله أى دم على تقواه) دفع بذلك مايقال إن فى الآية تحصيل الحاصل ، وسبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمى قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبىّ رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبيّ صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبدالله بن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبىّ صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشقّ ذلك على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله إئذن لنا فى قتلهم فقال إنى أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبيّ عمر أن يخرجهم من المدينة (قوله إن الله كان عليما حكيما) تعليل للأمر والنهى (قوله إن الله كان بما يعملون خبيرا) الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة التحتانية وضمير النبيّ وأمته على قراءة الفوقانية وهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) أى اعتمد عليه وفوض أمورك إليه

(قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة فى فاعل كفى ووكيلا حال (قوله تبع له فى ذلك) أى فيما ذكر من قوله : اتق الله إلى هنا (قوله من قلبين فى جوفه) أى لأن القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده لأنه يؤدى للتناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل قوى الجسد وغير أصل له (قوله ردا على من قال الخ) أى وهو أبو معمر جميل بن معمر الفهرى كان رجلا لبيبا حافظا

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) دم على تقواه (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) فيما يخالف شريعتك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بما يكون قبل كونه (حَكِيمًا) فيما يخلقه (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرًا) وفى قراءة بالفوقانية (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فى أمرك (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) حافظا لك ، وأمته تبع له فى ذلك كله (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) ردًّا على من قال من الكفار إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد (وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي) بهمزة وياء وبلا ياء (تَظَّهَّرُونَ) بلا ألف قبل الهاء وبها ، والتاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء (مِنْهُنَّ) بقول الواحد مثلا لزوجته : أنت علىّ كظهر أمى (أُمَّهَاتِكُمْ) أى كالأمهات فى تحريمها بذلك لعدّ ذلك فى الجاهلية طلاقا ، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر فى سورة المجادلة (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ) ،

لما يسمع فقالت قريش ماحفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أن له قلبين ، وكان هو يقول : جمع
لى قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه بيده والأخرى برجله فقال له يا أبا معمر ماحال الناس ؟ قال انهزموا فقال مابال إحدى نعليك فى يدك والأخرى فى رجلك ؟ فقال أبو معمر ماشعرت إلا أنهما فى رجلى ، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده (قوله بهمزة وياء وبلا ياء) أى فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التى ، قال ابن مالك * باللات واللاء التى قد جمعا * (قوله بلا ألف قبل الهاء) أى فأصله تتظهرون بتاءين سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت فى الظاء (قوله وبها والتاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء) أى فهاتان قراءتان سبعيتان وبقى قراءتان سبعيتان أيضا وهما فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاءين حذفت إحداهما وضم التاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضا مضارع ظاهر ، وهذه القراآت واردة فى قد سمع أيضا غير فتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء لأن المضارع هناك مبدوء بالياء فلا تتأتى فيه ، وفى الماضى ثلاث لغات تظهر كتكلم وتظاهر كتقاتل وظاهر كقاتل (قوله بقول الواحد مثلا لزوجته الخ) أى وضابطه أن يشبه زوجته كلا أو بعضا بظهر مؤبدة التحريم (قوله أمهاتكم) مفعول ثان لجعل (قوله بشرطه) أى وهو العزم على العود فإن لم يعزم على العود فلا تجب عليه الكفارة مالم يمسها وإلا تحتمت عليه ولو طلقها بعد ذلك (قوله وما جعل أدعياءكم) نزلت فى حق زيد بن حارثة ، وهو كما روى كان من سبايا الشام فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد

فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه وعمه في فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: خيراه فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : يامعشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه ، وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضي ذلك عمه وأبوه وانصرفا فزوّجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فسكنت معه مدّة ثم أخبر الله نبيه أنه زوّجه زينب فلما طلقها زيد تزوّجها رسول الله فتكلم المنافقون وقالوا تزوّج محمد حليلة ابنه وهو يحرّمها فنزلت هذه الآية ردّاً عليهم ، وستأتي هذه القصة في أثناء السورة (قوله جمع دعي) أي بمعنى مدعوّ وأصله دعيو اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله أي اليهود) تفسير للكاف في أفواهكم (قوله ادعوهم لآبائهم) روى أن عمر بن الخطاب قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزلت - ادعوهم لآبائهم - (قوله هو أقسط) أي دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق (قوله فاخوانكم في الدين) أي فادعوهم بمادة الأخوة بأن تقولوا له يا أخي مثلا (قوله بنو عمكم) تفسير للموالي فانه يطلق على معان من جملتها ابن العم ، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص وأردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمي مثلا (قوله وليس عليكم جناح) أي إثم (قوله ولكن ماتعمدت) أي ولكن الجناح فيما تعمدته قلوبكم (قوله النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي أنه صلى الله عليه وسلم أحقّ بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أولا فطاعة النبيّ مقدّمة على طاعة النفس في كل شئ من أمور الدين والدنيا لأنها طاعة الله . قال تعالى - من يطع الرسول فقد أطاع الله - وإذا كان أولى بهم من أنفسهم فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى لحقه صلى الله عليه

جمع دعيّ وهو من يدعى لغير أبيه ابنا له (أَبْنَاءَكُم) حقيقة (ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ) أي اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى في ذلك (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) في ذلك (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) سبيل الحق ، لكن (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ) أعدل (عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) بنو عمكم (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ) في ذلك (وَلَٰكِن) في (مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) فيه وهو بعد النهي (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما كان من قولكم قبل النهي (رَّحِيمًا) بكم في ذلك (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) فيما دعاهم إليه ودعتهم أنفسهم إلى خلافه (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) في حرمة نكاحهن عليهم (وَأُولُو الْأَرْحَامِ) ذوو القرابات (بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) في الإرث (فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) أي من الارث بالايمان والهجرة الذي كان أول الاسلام فنسخ (إِلَّا) لكن (أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا)

وسلم على أمته أعظم من حق السيد على عبده ، وهذه الآية أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق (قوله فيما دعاهم إليه) أي من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة فاذا طلب النبي شيئا من أمر الدنيا أو الدين وطلبت النفس خلافه فالحق في الطاعة للنبي وحينئذ فلا يتأتى من النبي الغصب ولا السرقة ولكن من كمال أخلاقه أنه كان يتداين من اليهود ويشتري الشئ بالثمن ، وإنما جعله الله أولى بالمؤمنين لأنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا عن هوى نفسه بل عن وحي لجميع أفعاله وأقواله عن ربه (قوله وأزواجه أمهاتهم) أي من عقد عليهنّ سواء دخل بهنّ أولا مات عنهنّ أو طلقهنّ وسراريه اللاتي تمتع بهنّ كذلك (قوله في حرمة نكاحهنّ عليهم) أي والتعظيم والاحترام والبرّ لا في غير ذلك من النظر والخلوة فانهنّ في ذلك كالأجانب (قوله وأولوا الأرحام) مبتدأ وبعضهم بدل أو مبتدأ ثان وأولى خبر (قوله في الارث) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير الأقارب أولى بارث بعضهم من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب (قوله أي من الارث بالايمان والهجرة) أشار بذلك إلى أن قوله من المؤمنين متعلق بأولى ، يعني أن الأقارب أولى بارث بعضهم من الارث بسبب الايمان والهجرة الذي كان في صدر الإسلام ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخي بين الرجلين فاذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (قوله إلا أن تفعلوا) استثناء منقطع ولذا فسره بلكن (قوله إلى أوليائكم) أي من

لما الونه من الأجانب (قوله بوصية) أى فلما نسخ الارث بالايمان والهجرة توصل إلى نفع الأجانب بالوصية وهى خارجة من ثلث المال (قوله مسطورا) أى مكتوبا (قوله و إذ أخذنا) ظرف لمحذوف قدره بقوله اذكر (قوله وهى أصغر النمل) أى فكل أربعين منها أصغر من جناح بعوضة (قوله بأن يعبدوا الله) أى يوحدوه وهو تفسير للميثاق (قوله ويدعوا إلى عبادته) أى يبلغوا شرائعه للخلق فعهد الأنبياء ليس كعهد مطلق الخلق (قوله من عطف الخاص على العام) أى والنكتة كونهم أولى العزم ومشاهير الرسل وقدمه صلى الله عليه وسلم لمزيد شرفه وتعظيمه (قوله بما حملوه) أى وهو عبادة الله والدعاء إليها (قوله وهو اليمين) أى الحلف بالله على أن يعبدوا الله و يدعوا إلى عبادته فالميثاق الثانى غير الأول لأن الأول إيصاء على التوحيد والدعوة إليه من غير يمين والثانى مغلظ باليمين والشىء مع غيره غيره فى نفسه (قوله ليسأل الصادقين) متعلق بأخذنا وفى الكلام التفات من التكلم للغيبة كما أشار له المفسر بقوله ثم أخذ الميثاق والمراد بالصادقين الرسل (قوله تبكيتا للكافرين) أى تقبيحا عليهم: أى فالحكمة فى سؤال الرسل عن صدقهم وهو تبليغهم ما أمروا به مع علمه تعالى أنهم صادقون التقبيح على الكفار يوم القيامة (قوله هو عطف على أخذنا) و يصح أن يكون فى الكلام احتباك وهو الحذف من الثانى نظير ما أثبت فى الأول ، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم فأعد لهم نعيما مقيما ويسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم وأعد لهم عذابا أليما (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) هذا شروع فى ذكر قصة غزوة الأحزاب وكانت فى شوّال سنة أربع وقيل خمس . وسببها أنه لما وقع إجلاء بنى النضير

من اماكنهم سار منهم جمع من أكابرهم منهم حيى بن أخطب وكنانة ابن الربيع وأبو عمار الوائلى فى نفر من بنى النضير إلى أن قدموا مكة على قريش فحرضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان مرحبا وأهلا وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد ، ثم قالت قريش لأولئك اليهود يامعشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد ؟ فقالوا بل أنتم على الحق فأنزل الله -ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب- إلى قوله - وكفى بجهنم سعيرا - فلما قالوا ذلك لقريش سرّهم ونشطوا لحرب محمد . ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك وخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن ولما تهيأ الكل للخروج أتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا محمدا بما اجتمعوا عليه فشرع فى حفر الخندق باشارة سلمان الفارسى ، فقال له يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حاصرونا خندقنا علينا فعمل فيه النبى والمسلمون حتى أحكموه وكان النبى يقطع لكل عشرة أربعين ذراعا ومكثوا فى حفره ستة أيام ، وقيل خمسة عشر ، وقيل أربعة وعشرين ، وقيل شهرا . قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزنى وستة من الأنصار فى أربعين ذراعا فحفرنا و إذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا ، فقلنا ياسلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فأتى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطتك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق وأخذ المعول من سلمان وضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها : يعنى المدينة حتى كأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثانية فبرق منها برق مثل الأول فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها

بوصية فجائز (كَانَ ذٰلِكَ) أى نسخ الارث بالايمان والهجرة بارث ذوى الأرحام (فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً) وأريد بالكتاب فى الموضعين اللوح المحفوظ (وَ) اذكر (إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ) حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهى أصغر النمل (وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته ، وذكر الخمسة من عطف الخاص على العام (وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً) شديداً بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ الميثاق (لِيَسْأَلَ) الله (الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ) فى تبليغ الرسالة تبكيتاً للكافرين بهم (وَأَعَدَّ) تعالى (لِلْكَافِرِينَ) بهم (عَذَاباً أَلِيماً) مؤلما هو عطف على أخذنا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ،

ضربها الثالثة فكسرها فبرق منها برق مثل الأول وأخذ بيد سلمان ورقى فقال بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد رأيت شيئا مارأيت مثله قط ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم وقال أرأيتم مايقول سلمان؟ قالوا نعم . قال ضربت ضربتى الأولى فبرق البرق الذى رأيتم فأضاء لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية فبرق لى الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فبرق الذى رأيتم أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر ، فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبر أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون أن تبرزوا فنزل قوله تعالى ـ وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله إلا غرورا ـ وقوله تعالى ـ قل اللهم مالك الملك ـ الآية ، فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة والخندق بينهم وبين المسلمين ، فلما رأته قريش قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع فى ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم وبين القوم وخرج عدوّ الله حيى بن أخطب رئيس بنى النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة ، فلما سمع كعب حييا أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له وقال له ويحك ياحيى إنك امرؤ مشؤوم إنى عاهدت محمدا فلست بناقض فانى لم أر منه إلا وفاء وصدقا فمازال حيى به ويقول له جئتك بعز الدهر حتى فتح له ونقض عهد رسول الله ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله بعث لهم سعد ابن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة فوجدوهم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاتموهم وقالوا لهم لاعهد بيننا وبينكم ورجعوا وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يامعشر المسلمين فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا فى ذلك الحصار خمسة عشر يوما ، وقيل أربعة وعشرين يوما فاشتدّ على المسلمين الخوف . ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعى من غطفان جاء إلى رسول الله

... ...

صلى الله عليه وسلم فقال له إنى أسلمت وإن قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا إن استطعت فان الحرب خدعة ، فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان نديمالهم فى الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودّى إياكم وخاصة مابينى وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم إن قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحوّلوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوا وإن كان غيرذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل ولاطاقة لكم عليه إن خلا بكم فلاتقاتلوه مع القوم حتى تأخذوا رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى لايتأخروا ، قالوا لقد أشرت برأى ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه قد عرفتم ودّى إياكم وفراقى محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا علىّ أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا علىّ قالوا نفعل ، قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ماصنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على مافعلنا فهل يرضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم؟ فأرسل إليهم أن نعم فان بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلاتدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلىّ ولا أراكم تتهمونى قالوا صدقت . قال فاكتموا على . قالوا نفعل فقال لهم مثل ماقال لقريش وحذرهم مثل ماحذرهم ، فلما كانت ليلة السبت من شوّال سنة خمس ، وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بنى قريظة فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم السبت وهو يوم لانعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابهم مالم يخف عليكم ولسنا من الذين نقاتل معكم[1] حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز معكم محمدا فانا نخشى إن ضرمتكم الحرب واشتدّ عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا ولاطاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت إليهم الرسل بالذى قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله أن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود

(١) قوله : ولسنا من الذين نقاتل معكم ، هكذا فى النسخ ، والذى فى الزرقانى على المواهب : ولسنا مع ذلك بمقاتلين معكم .

لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة إنا والله لاندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انتهزوا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لانقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم و بعث الله عليهم ريحا عاصفا وهى ريح الصبا فى ليلة شديدة البرد والظلمة ، فقلعت بيوتهم وقطعت أطنابهم وكفأت قدورهم وصارت تلقى الرجل على الأرض ، وأرسل الله الملائكة فزلزلتهم ولم تقاتل بل نفثت فى قلوبهم الرعب ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا أحد ، ثم صلى هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وما قام أحد منا من شدة الخوف والجوع والبرد ، ثم قال ياحذيفة فقلت لبيك يارسول الله وقمت حتى أتيته ، فأخذ بيدى ومسح رأسى ووجهى ثم قال : ائت هؤلاء القوم حتى تأتينى بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع إلى ، ثم قال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، فأخذت سهمى ثم انطلقت أمشى نحوهم كأنما أمشى فى حمام فذهبت فدخلت فى القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لاتقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء وأبوسفيان قاعد يصطلى ، فأخذت سهما فوضعته فى كبد قوسى فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمى فى كنانتى ، فلما رأى

إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ) من الكفار متحزبون أيام حفر الخندق (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) من الملائكة (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالتاء من حفر الخندق ، وبالياء من تحزيب المشركين (بَصِيرًا . إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) من أعلى الوادى وأسفله من المشرق والمغرب (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ) مالت عن كل شىء إلى عدوها من كل جانب (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) جمع حنجرة وهى منتهى الحلقوم من شدة الخوف (وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا) المختلفة بالنصر واليأس (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) اختبروا ليتبين المخلص من غيره (وَزُلْزِلُوا) حركوا (زِلْزَالًا شَدِيدًا) من شدة الفزع ، (و)

أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لاتقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال : يا معشر قريش ليأخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسى فقلت من أنت ؟ فقال سبحان الله أما تعرفنى أنا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة و بلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فإنى مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم . قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أمشى فى حمام فأتيته وهو قائم يصلى ، فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه فى سواد الليل ، فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عنى الدفء ، فأدنانى النبى صلى الله عليه وسلم فأنامنى عند رجليه وألقى على طرف ثوبه وألصق صدرى ببطن قدميه ، فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يانومان (قوله إذ جاءتكم) بدل من نعمة والعامل اذكروا (قوله متحزبون) أى مجتمعون ، وتقدم أنهم كانوا اثنى عشر ألفا وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف والمنافقون من جملتهم (قوله ريحا) أى وهى الصبا التى تهب من المشرق ولم تجاوزهم (قوله ملائكة) أى وكانوا ألفا ولم يقاتلوا و إنما ألقوا الرعب فى قلوبهم (قوله وبالياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله إذ جاءوكم) بدل من إذ جاءتكم (قوله من أعلى الوادى) أى وهم أسد وغطفان (قوله وأسفله) أى وهم قريش وكنانة (قوله من المشرق والمغرب) لف ونشر مرتب (قوله من كل جانب) أى المحيط من كل جانب (قوله وهى منتهى الحلقوم) أى من أسفله (قوله الظنونا) بألف بعد النون وصلا ووقفا و بدونها فى الحالين وبإثباتها وقفا وحذفها وصلا ثلاث قراءات سبعيات وتجرى فى قوله أيضا السبيلا والرسولا فى آخر السورة (قوله بالنصر) أى من المؤمنين وقوله واليأس أى من المنافقين و بعض الضعفاء (قوله هنالك) ظرف مكان أى فى ذلك المكان وهو الخندق (قوله زلزالا) بكسر الزاى فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بفتح الزاى وهما لغتان فى مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعلال كصلصال

وقتال (قوله وإذ يقول المنافقون الخ) القائل معتب بن بشير ، وقال أيضا بعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لايقدر أن يتبرز فرقا وخوفا ماهـذا إلا وعـد غرور (قوله وإذ قالت طائفة منهم) القائل هو أوس بن قيظى بكسر الظاء المعجمة من رؤساء المنافقين (قوله هى أرض المدينة) أى فسميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها قديما ، وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تسميتها بذلك وسماها طيبة وطابة وقبة الاسلام ودار الهجرة (قوله ووزن الفعل) أى فهى على وزن يضرب (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا مكانة) أى تمكنا فهو بمعنى الاقامة (قوله جبل خارج المدينة) أى بينها و بين الخندق فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوههم للعدو (قوله ويستأذن) عطف على قالت طائفة وعبر بالمضارع استحضارا للصورة (قوله يخشى عليها) أى من السراق لكونها قصيرة البناء (قوله قال تعالى) أى تكذيبا لهم (قوله ولودخلت عليهم) أى دخلها الأحزاب (قوله الشرك) أى ومقاتلة المسلمين

(قوله بالمد والقصر) أى فهما

(وَ) اذكر (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضعف اعتقاد (مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) بالنصر (إِلَّا غُرُوراً) باطلا (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) أى المنافقين (يَا أَهْلَ يَثْرِبَ) هى أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل (لَا مُقَامَ لَكُمْ) بضم الميم وفتحها أى لا إقامة ولا مكانة (فَارْجِعُوا) إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم إلى سلع: جبل خارج المدينة للقتال (وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ) فى الرجوع (يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) غير حصينة يخشى عليها ، قال تعالى (وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ) ما (يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً) من القتال (وَلَوْ دُخِلَتْ) أى المدينة (عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) نواحيها (ثُمَّ سُئِلُوا) أى سألهم الداخلون (الْفِتْنَةَ) الشرك (لَآتَوْهَا) بالمد والقصر أى أعطوها وفعلوها (وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً . وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً) عن الوفاء به (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً) إن فررتم (لَا تُمَتَّعُونَ) فى الدنيا بعد فراركم (إِلَّا قَلِيلاً) بقية آجالكم (قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ) يجيركم (مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً) هلاكا وهزيمة (أَوْ) يصيبكم بسوء إن (أَرَادَ) الله (بِكُمْ رَحْمَةً) خيرا (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (وَلِيّاً) ينفعهم (وَلَا نَصِيراً) يدفع الضر عنهم (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ) المثبطين (مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ) تعالوا (إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ) القتال (إِلَّا قَلِيلاً) رياء وسمعة (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) بالمعاونة

قراءتان سبعيتان (قوله أى أعطوها وفعلوها) لف ونشر مرتب (قوله وما تلبثوا بهـا إلا يسـيرا) أى ما أقاموا بالمدينة بعد نقض العهد وإظهار الكفر وقتال المسلمين إلا زمنا قليلا ويهلكون فالعزة لله ورسوله والمسلمين، فالمعنى لو دخل الكفار المدينة وارتد هؤلاء المنافقون وقاتلوكم مع الكفار لأخذ الله بأيديكم سريعا بقطع دابرهم فلا تخشوا منهم داخل المدينة أو خارجها (قوله من قبل) أى قبل غزوة الخنـدق (قوله لايولون الأدبار) أى بل يثبتون على القتال حتى يموتوا شهداء (قوله مسئولا عن الوفاء به) أى مسئولا صاحبه هل وفى به أم لا (قوله إن فررتم من الموت أو القتل) أى لأنه مصيبكم لامحالة (قوله وإذا لاتمتعون إلا قليلا) أى و إن نفعكم الفرار وتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زمنا قليلا (قوله أو أراد بكم رحمة) قدر له المفسر عاملا يناسبه وهو قوله أو يصيبكم بسوء لأنه لايصلح لتسلط العامل السابق وهو يعصمكم على حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله المثبطين) أى المكسلين غيرهم عن القتال فى سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقائلين) عطف على المعوقين وقوله لاخوانهم : أى فى الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمراد بالقائلين اليهود من بنى قريظة (قوله هلم إلينا) اسم فعل و يلزم صيغة واحدة للواحد والمثنى والجمع والذكر والمؤنث وهذه لغة أهل الحجاز وعند تميم هو فعل أمر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بتعالوا و يصح جعله متعديا بمعنى قربوا ومفعوله محذوف والتقدير أنفسكم إلينا (قوله رياء وسمعة) أى لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لايفعله إلا قليلا لغرض خبيث (قوله أشحة عليكم) أى مانعين الخير عنكم .

(قوله جمع شحيح) هذا هو المسموع فيه وقياسه أفعلاء كخليل وأخلاء والشح البخل (قوله أيتهم ينظرون إليك الخ) هذا وصف لهم بالجبن لأن شأن الجبان الخائف ينظر يمينا وشمالا شاخصا ببصره (قوله كنظر أو كدوران) أشار بذلك إلى أن قوله كالذى يغشى عليه نعت لمصدر محذوف من ينظرون أو من تدور (قوله كالذى يغشى عليه من الموت) أى لأنه يشخص ببصره ويذهب عقله (قوله سلقوكم) السلق بسط العضو ومدّه للقهر كان يدا أو لسانا ، ففى الآية استعارة بالكناية حيث شبه اللسان بالسيف وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب فاثباته تخييل والحداد ترشيح (قوله أشحة على الخير) أى مانعين له فلا نفع فى أنفسهم ولا فى مالهم (قوله لم يؤمنوا حقيقة) أى بقلوبهم وإن أسلموا ظاهرا (قوله فأحبط الله أعمالهم) أى أظهر بطلانها (قوله يحسبون) أى المنافقون لشدّة جبنهم (قوله الأحزاب) أى قريشا وغطفان واليهود (قوله لو أنهم بادون فى الأعراب) أى ساكنون فى البادية خارج المدينة ليكونوا فى بعد عن الأحزاب (قوله يسألون عن أنبائكم) يصح أن يكون حالا من الواو فى بادون أو جملة مستأنفة ، والمعنى يسألون كل قادم من جانب المدينة عما جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيما بينهم إن غلب المسلمون قاسمناهم فى الغنيمة و إن غلب الكفار فنحن معهم

جمع شحيح وهو حال من ضمير يأتون (فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى) كنظر أو كدوران الذى (يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أى سكراته (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ) وحيزت الغنائم (سَلَقُوكُمْ) آذوكم أوضربوكم (بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ) أى الغنيمة يطلبونها (أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا) حقيقة (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ) الإحباط (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) بإرادته (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ) من الكفار (لَمْ يَذْهَبُوا) إلى مكة لخوفهم منهم (وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ) كرة أخرى (يَوَدُّوا) يتمنوا (لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ) أى كائنون فى البادية (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ) أخباركم مع الكفار (وَلَوْ كَانُوا فِيكُم) هذه الكرة (مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) رياء وخوفا من التعيير (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ) بكسر الهمزة وضمها (حَسَنَةٌ) اقتداء به فى القتال والثبات فى مواطنه (لِّمَن) بدل من لكم (كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) يخافه (وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) بخلاف من ليس كذلك (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) من الكفار (قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من الابتلاء والنصر (وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) فى الوعد

(قوله لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) هذه الآية وما بعدها إلى قوله ـ وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب ـ من تمام قصة الأحزاب وفيها عتاب للتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والمنافقين (قوله بكسر الهمزة وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله اقتداء) أشار بذلك إلى أن الأسوة اسم بمعنى المصدر وهو الاقتساء يقال ائتسى فلان بفلان أى اقتدى به (قوله فى القتال) لامفهوم له بل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واجب فى الأقوال والأفعال والأحوال ، لأنه لاينطق ولا يفعل عن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه ، ولذا قال العارف :

وخصك بالهدى فى كل أمر فلست تشاء إلا ما يشاء

وإنما خصّ القتال بالذكر لأنه معرض السبب (قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) أى فالمتصف بهذه الأوصاف ثبتت له الأسوة الحسنة فى رسول الله وأما من لم يكن متصفا بتلك الأوصاف فليس كذلك (قوله وذكر الله كثيرا) أى بلسانه أوجنانه أو ماهو أعمّ (قوله ولما رأى المؤمنون الأحزاب) أى أبصروهم محدقين حول المدينة (قوله قالوا هذا ماوعدنا الله) أى بقوله : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ـ وقوله ورسوله أى بقوله إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أوعشر والعاقبة لكم عليهم (قوله وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدق خبر الله ورسوله فى الوعد بالنصر فاستبشروا بالنصر قبل حصوله ، وأظهر فى محل الاضمار زيادة فى تعظيم اسم الله ولأنه لو أضمر لجمع بين اسم الله واسم رسوله فى ضمير واحد مع أن النبى صلى الله عليه وسلم عاب على من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله

(قوله وما زادهم ذلك) أى الوعد أو الصدق (قوله من المؤمنين رجال صدقوا الخ) هم جماعة من الصحابة نذروا أنهم إذا أدركوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا (قوله فمنهم من قضى نحبه) أى وفى نذره بموته فى القتال يقال نحب ينحب من باب قتل : نذر ، ومن باب ضرب : بكى (قوله ومنهم من ينتظر ذلك) أى قضاء النحب بالموت فى سبيل الله (قوله بخلاف حال المنافقين) أى فقد بدلوا وغيروا فكان الواحد منهم إذا أراد القتال إنما يقاتل خوفا على نفسه وماله لا طمعا فى رضا الله (قوله ليجزى الله الصادقين) متعلق بمحذوف تقديره خلق المؤمنين والمنافقين وفرق بين نياتهم ليجزى الله الخ (قوله بأن يميتهم على نفاقهم) أشار بذلك إلى أن مفعول شاء محذوف ودفع بذلك مايقال إن عذابهم متحتم فكيف علق على المشيئة فالتعليق بحسب علمنا ، وأما فى علم الله فالأمر محتم إما بالسعادة أو الشقاوة وسيظهر ذلك للعباد (قوله بغيظهم) الجملة حالية أى ملتبسين بالغيظ (قوله لم ينالوا خيرا) حال ثانية (قوله وكفى الله المؤمنين القتال) أى لم يحصل بينهم اختلاط فى الحرب بل إنما كان بينهم ضرب بالسهام والخندق بينهم (قوله بالريح) أى فكفأت قدورهم وقطعت خيامهم (قوله والملائكة) أى بإلقاء الرعب فى قلوبهم وتقدم بسط ذلك فى القصة (قوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب الخ) شروع فى ذكر قصة بنى قريظة وذكرت عقب الأحزاب لكون بنى قريظة كانوا من جملة الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونقضوا عهده وحاربوه . قال العلماء بالسير : لما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليلة التى انصرف فيها الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف هو والمؤمنون إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل وعليه عمامة من إستبرق راكبا على بغلة بيضاء عليها قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهى تغسل رأسه وقد غسلت شقه الأيمن فقال يارسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل عفا الله عنك ماوضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم فقال إن الله يأمرك بالسير إلى بنى قريظة فانهض إليهم فانى قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركتهم فى زلزال وألقيت الرعب فى قلوبهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى إن من كان مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة فحاصرهم المسلمون خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله فى قلوبهم الرعب ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتنزلون على حكمى فأبوا فقال أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس فرضوا به فحكمه فيهم فقال سعد إنى أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذرارى والنساء فقال صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار بنت الحرث من نساء بنى النجار ثم خرج إلى سوق المدينة الذى هو سوقها اليوم فخندق فيه خندقا ثم بعث إليهم فأتى بهم إليه وفيهم حيى بن أخطب رئيس بنى النضير وكعب بن أسد رئيس بنى قريظة وكانوا ستمائة أو سبعمائة فأمر عليا والزبير بضرب أعناقهم وطرحهم فى ذلك الخندق ، فلما فرغ من قتلهم وانقضى شأنهم توفى سعد المذكور بالجرح الذى أصابه فى وقعة الأحزاب وحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر قالت عائشة فوالذى نفس محمد بيده إنى لأعرف بكاء عمر من بكاء أبى بكر وأنا فى حجرتى قالت وكانوا كما قال الله تعالى رحماء بينهم (قوله وهو مايتحصن به) أى سواء كان من الحصون أولا حتى الشوكة والقرن و باب الدار ونحو ذلك تسمى صيصية

(٢٥٧)

(وَمَا زَادَهُمْ) ذلك (إِلَّا إِيمَانًا) تصديقاً بوعد الله (وَتَسْلِيمًا) لأمره (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) من الثبات مع النبى صلى الله عليه وسلم (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ) مات أو قتل فى سبيل الله (وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ) ذلك (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) فى العهد وهم بخلاف حال المنافقين (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ) بأن يميتهم على نفاقهم (أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا) لمن تاب (رَحِيمًا) به (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى الأحزاب (بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا) مرادهم من الظفر بالمؤمنين (وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بالريح والملائكة (وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا) على إيجاد مايريده (عَزِيزًا) غالباً على أمره (وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) أى قريظة (مِنْ صَيَاصِيهِمْ) حصونهم جمع صيصية : وهو مايتحصن به (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) الخوف

(قوله فريقا تقتلون) بيان لما فعل بهم (قوله وهم المقاتلة) أى وكانوا ستمائة ، وقيل سبعمائة (قوله أى الذرارى) أى وكانوا سبعمائة وقيل وخمسين (قوله بعد) أى الآن وعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وهى خيبر) أى وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة (قوله أخذت بعد قريظة) أى بسنتين أو ثلاث على الخلاف المتقدم فى قريظة هل هى فى الرابعة أو الخامسة وخيبر كانت فى السابعة فى أول المحرم وهى مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير بينها و بين المدينة الشريفة أربع مراحل فأقبل عليها صبيحة النهار وفى تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا وكان فيها عشرة آلاف مقاتل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وحاصرها و بنى هناك مسجدا صلى به طول مقامه عندها وقطع من نخلها أربعمائة نخلة وسبى أهلها وأصاب من سبيها صفية بنت حيى بن أخطب رئيس بنى النضير وكانت وقعت فى سهم دحية الكلبى فتنازع بعض الصحابة فى شأن ذلك فأخذها رسول الله وأرضاه وكانت من سبط هرون أخى موسى فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها (قوله يأيها النبى قل لأزواجك) اختلف المفسرون فى هذا التخيير هل كان تفويضا فى الطلاق إليهن فيقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويضا فى الطلاق و إنما خيرهن على أنهن إن اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى : فتعالين أمتعكن وأسرحكن ، وذهب قوم إلى أنه كان تفويضا وأنهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقا فلا يحتاج لانشاء صيغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهن تسع) أى وهن اللاتى مات عنهن وقد جمعهن بعض العلماء بقوله :

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... إليهن تعزى المكرمات وتنسب (٢٥٨)
فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست نظمهن مهذب

(فَرِيقاً تَقْتُلُونَ) منهم وهم المقاتلة (وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً) منهم أى الذرارى (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَئُوهَا) بعد وهى خيبر أخذت بعد قريظة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً . يٰأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ) وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ماليس عنده (إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) أى متعة الطلاق (وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً) أطلقكن من غير ضرار (وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ) أى الجنة (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ) بإرادة الآخرة (أَجْراً عَظِيماً) أى الجنة ، فاخترن

فعائشة هى بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيى بن أخطب من بنى النضير وهند هى أم سلمة بنت أبى أمية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث الخزاعية المصطلقية ورملة هى أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وسودة هى بنت زمعة (قوله إن كنتن تردن الحياة الدنيا) أى التنعم فيها (قوله وزينتها) أى زخارفها ، روى أن أبا بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبى بكر فدخل ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبى صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساؤه قال عمر فقلت والله لأقولن شيئا أضحك به النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتنى النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وقال هن حولى كما ترى يسألننى النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ماليس عنده فقلن والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ماليس عنده ثم اعتزلهن شهرا ثم نزلت هذه الآية : يأيها النبى قل لأزواجك حتى بلغ المحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال ياعائشة : إنى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك ؟ قالت وماهو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكرلهن ذلك فأنزل الله : لايحل لك النساء من بعد ، ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له وبقوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء (قوله فتعالين) فعل أمر مبنى على السكون ونون النسوة فاعل (قوله أمتعكن) جواب الشرط وما بينهما اعتراض و يصح أن يكون مجزوما فى جواب الأمر والجواب هو قوله فتعالين (قوله أطلقكن من غير ضرار) أى من غير تعب ولا مشقة .

فاخترن الآخرة على الدنيا (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها : أى بينت أو هى بينة (يُضَاعَفْ) وفى قراءة يضعف بالتشديد ، وفى أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب (لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ) ضعفى عذاب غيرهن أى مثليه (وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَقْنُتْ) يطع (مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) أى مثلى ثواب غيرهن من النساء ، وفى قراءة بالتحتية فى تعمل ونؤتها (وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) فى الجنة زيادة (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ) كجماعة (مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ) الله فإنكن أعظم (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) للرجال (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) نفاق (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) من غير خضوع (وَقَرْنَ) بكسر القاف وفتحها (فِي بُيُوتِكُنَّ) من القرار ، وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها ،

(قوله فاخترن الآخرة على الدنيا) أى ودمن على ذلك فكن زاهدات فى الدنيا حتى ورد أن عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهم من بيت المال فأمرت جاريتها بتفرقتها ففرقتها فى مجلس واحد ، فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئا تفطر به وكانت صائمة فلم تجد منها شيئا (قوله يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة الخ) هذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي إظهارا لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى لأن العتاب والتشديد فى الخطاب مشعر برفعة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهن ضجيعاته فى الجنة فبقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافا لمن شذ وزعم أن حب النبي والقرب منه والتعلق به شرك (قوله بفاحشة) قيل المراد بها الزنا ، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحدّت حدين لعظم قدرها كالحرة بالنسبة للأمة ، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي بل جميع نساء الأنبياء مصونات من الزنا ، ولذا قال ابن عباس مابغت امرأة نبي قط ، وإنما خانت امرأة نوح ولوط فى الايمان والطاعة ، وقيل المراد به النشوز وسوء الخلق ، وقيل الفاحشة إذا وردت معرّفة فهى الزنا واللواط وإن وردت منكرة فهى سائر المعاصى وإن وردت منعوتة كما هنا فهى عقوق الزوج وسوء عشرته ، وقيل المراد بها جميع المعاصى وهو الأظهر وهذا على سبيل الفرض والتقدير على حد : لئن أشركت ليحبطن عملك وإلا فنساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش (قوله بفتح الياء وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى بينت الخ) لف ونشر مرتب (قوله وفى قراءة يضعف) أى والثلاث سبعيات

(قوله العذاب) أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة (قوله أى مثليه) أى فضعف الشئ مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله (قوله وكان ذلك على الله يسيرا) أى سهلا فلا يبالى الله بأحد وإن عظمت رتبته فليس أمر الله كأمر الخلق يترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوانهم بل المكرم عند الله هو التقى (قوله وتعمل صالحا) أى تدم عليه وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء ومراعاة لفظها على قراءة الياء (قوله مرتين) أى مرة على الطاعة والتقوى ومرة أخرى على خدمة رسول الله الخدمة الباطنية التى لاتتيسر من غيرهن (قوله يانساء النبي لستن كأحد من النساء) تقدم أن حكمة التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن فلايليق منهن التوغل فى الشهوات وتطلب زينة الدنيا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لست من الدنيا وليست الدنيا منى» والمقربون منه كذلك ، والمعنى ليست الواحدة منكن كالواحدة من آحاد النساء فالتفاضل فى الأفراد (قوله إن اتقيتن) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه كما يشير له المفسر بقوله فأنتن أعظم ، والمعنى إن اتقيتن الله فلا يقاس بالواحدة منكن واحدة من سائر النساء (قوله فلا تخضعن) كلام مستأنف مفرع على التقوى (قوله بالقول) أى بأن تتكلمن بكلام رقيق يميل قلوب الرجال إليكن إذ لايليق منكن ذلك لكونكن أعظم النساء (قوله فيطمع الذى فى قلبه مرض) فى ذلك احتراس عما يقال إنهن أمهات المؤمنين والانسان لايطمع فى أمه ، فأجاب بأن الذى يقع منه الطمع إنما هو المنافق لأن شهوته حاصلة معه وهو منزوع الخشية والخوف من الله ولكن نهين عموما سدا للذريعة (قوله قولا معروفا) أى حسنا فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لاريبة فيه (قوله بكسر القاف وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله من القرار) أى الثبات بيان لمعنى القراءتين (قوله وأصله اقررن بكسر الراء) أى من باب ضرب وقوله وفتحها أى من باب علم فماضى الأول مفتوح والأمر مكسور والثانى بالعكس .

(قوله نقلت حركة الراء) أى الأولى وحركتها إما كسرة على الأول أو فتحة على الثانى (قوله مع همزة الوصل) أى للاستغناء عنها بتحريك القاف ، والمعنى اثبتن فى بيوتكن ولا تخرجن إلا لضرورة (قوله تبرج الجاهلية الأولى) اختلف فى زمنها فقيل هى ماقبل بعثة إبراهيم وقيل مابين آدم ونوح وقيل مابين نوح و إدريس وقيل مابين نوح و إبراهيم وقيل مابين موسى وعيسى وقيل مابين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هى ماقبل الاسلام مطلقا وعليه اقتصر المفسر وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى (قوله من إظهار محاسنهن للرجال) أى فكانت المرأة تلبس القميص من الدر غير مخيط الجانبين وكانت النساء يظهرن مايقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخلها فينفرد خلها بما فوق الازار و ينفرد زوجها بما دون الازار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البدل (قوله والاظهار بعد الاسلام الخ) جواب عما يقال إن إظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الاسلام فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى فأجاب بأنه تقدم النهى عنه فى قوله ولا يبدين زينتهن الخ (قوله وأقمن الصلاة) أى بشروطها وآدابها (قوله وآتين الزكاة) أى لمستحقيها (قوله وأطعن الله ورسوله) أى فى جميع الأوامر والنواهى فلا تليق منكن المخالفة فيما أمر الله ورسوله به (قوله الرجس) أى الذنب المدنس لعرضكن (قوله أهل البيت) منصوب على أنه منادى وحرف النداء محذوف قدره المفسر (قوله أى نساء النبى) قصره عليهن لمراعاة السياق و إلا فقد قيل الآية عامة فى أهل بيت سكنه وهن أزواجه وأهل بيت نسبه وهن ذريته (قوله ويطهركم تطهيرا) أكده إشارة إلى الزيادة فى التطهير بسبب التكاليف فالعبادة والتقوى سبب للطهارة وهى الخلوص من دنس المعاصى فمن ادعى الطهارة مع ارتكابه المعاصى فهو ضال كذاب (قوله واذكرن مايتلى فى بيوتكن) (وما

نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل (وَلَا تَبَرَّجْنَ) بترك إحدى التاءين من أصله (تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) أى ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال والاظهار بعد الاسلام مذكور فى آية « ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » (وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَآتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ) الإثم يا (أَهْلَ الْبَيْتِ) أى نساء النبى صلى الله عليه وسلم (وَيُطَهِّرَكُمْ) منه (تَطْهِيرًا . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَالْحِكْمَةِ) السنة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) بأوليائه (خَبِيرًا) بجميع خلقه (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) المطيعات (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) فى الإيمان (وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) على الطاعات (وَالْخَاشِعِينَ) المتواضعين (وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ) عن الحرام (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً) للمعاصى (وَأَجْرًا عَظِيمًا) على الطاعات ،

أى لتذكرن به أنفسكن أو غيركن وفيه تذكير لهن بهذه النعمة العظيمة حيث جعلهن من أهل بيت النبوة وشاهدن نزول الوحى وكل ذلك سوجب للزوم التقوى (قوله من آيات الله) بيان لما (قوله لطيفا) أى عالما بخفيات الأمور (قوله خبيرا) أى مطلعا على كل شئ (قوله إن المسلمين والمسلمات الخ) سبب نزولها أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن إن الله ذكر الرجال فى القرآن ولم يذكر النساء بخير لما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرة السؤال له فقالت يارسول الله مابال ربنا يذكر الرجال فى كتابه ولا يذكر النساء فنخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت جبر الخاطرهن (قوله والمؤمنين والمؤمنات) إنما عطف وصفهما بالايمان على وصفهما بالاسلام و إن كانا متحدين شرعا نظرا إلى أنهما مختلفان مفهوما إذ الاسلام التلفظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم والايمان الاذعان القلبى بشرط النطق باللسان ويكفى فى العطف أدنى تغاير (قوله والحافظات) حذف المفعول له لدلالة ماقبله عليه والتقدير والحافظات فروجهن (قوله والذاكرين الله كثيرا) أى بأى ذكر كان من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والكثرة مختلفة باختلاف الأشخاص فالكثرة فى حق العامة أقلها

مثاله ، وفي حق المريدين اثنا عشر ألفا ، وفي حق العارفين عدم خطور الغير على قلوبهم ومنه قول العارف ابن الفارض :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوما حكمت بردتي

(قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي لا ينبغي ولا يصلح ولا يليق وهذا اللفظ يستعمل تارة في الحظر والمنع كما هنا وتارة في الامتناع عقلا كما في قوله تعالى ـ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وتارة في الامتناع شرعا ـ كقوله تعالى ـ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا ـ (قوله إذا قضى الله ورسوله أمرا) ذكر اسم الله للتعظيم و إشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق عن الهوى و إذا يصح أن تكون ظرفا معمولا لما تعلق به خبر كان والتقدير وما كان مستقرا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمرا كون الخيرة لهم و يصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف دل عليه ما قبله (قوله أن تكون) اسم كان مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان فالتاء ظاهرة والياء نظرا إلى أن الخيرة مجازي التأنيث أو للفصل بين العامل والمعمول (قوله الخيرة) بفتح الياء وقرئ شذوذا باسكانها ومعناهما واحد وهو الاختيار (قوله أي الاختيار) أشار بذلك إلى أن الخيرة مصدر (قوله من أمرهم) حال من الخيرة (قوله وأخته زينب) أي بنت جحش وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خطبها النبي وعنى (٣٦١) لزيد) أي بعد أن كان زوجه

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ) بالتاء والياء (لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ) أي الاختيار (مِنْ أَمْرِهِمْ) خلاف أمر الله ورسوله ؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وعنى لزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما لظنهما قبل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطبها لنفسه ثم رضيا للآية (وَمَنْ يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) بينا فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها ، وفي نفس زيد كراهتها ثم قال للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك كما قال تعالى (وَإِذْ) منصوب باذكر (تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالاعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ) في أمر طلاقها (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ) مظهره ،

أولا أم أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن كانت لعبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها وقيل أعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم خمسة أشهر وقيل سنة وولدت لزيد أسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس (قوله فكرها ذلك) أي كون الخطبة لزيد وقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا بنت عمتك فلا أرضاه لنفسي وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود (قوله ثم رضيا للآية) أي حين نزلت الآية توبيخا لهما (قوله ومن يعص الله ورسوله الخ) هذا من تمام ما نزل في شأنهما فكان المناسب للمفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية (قوله فقد ضل) أي أخطأ طريق الصواب (قوله فزوجها النبي لزيد) أي وأعطاها رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (قوله ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى ـ وتخفي في نفسك ما الله مبديه هو حبها الذي درج عليه المفسر تبعا لغيره وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لاسيما بجنابه الشريف وأيضا يبعد أن النبي يخفى عليه حالها مع كونها بنت عمته وفي حجره (قوله فقال أمسك عليك زوجك) أي لا تفارقها (قوله منصوب باذكر) أي فهو معمول لمحذوف (قوله اشتراه رسول الله) فيه تسمح بل الذي في السير أن خديجة اشترته بأربعمائة درهم ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشراء صوري و إلا فهو كان حرا لأنه لم يكن الرق بالسبي مشروعا لكونهم أهل فترة وهم ناجون ليس فيهم حربي والعلماء عرفوا الرق بأنه عجز حكمي سببه الكفر ، روي أن عمه لقيه يوما بمكة فعرفه وضمه إلى صدره وقال له من أنت قال لمحمد بن عبد الله فأتوه وقالوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرضوا عليه فإن اختاركم فخذوه فبعث إلى زيد وخيره فقال يا رسول الله ما أختار عليك أحدا فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك قال نعم هي أحب إلي من أن أكون عندكم فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قوله من محبتها) بيان لما أبداه، وهذا القول مردود لما تقدم أنه ينزه عنه رسول الله، والصواب أن يقول: إن الذى أخفاه فى نفسه هو ما أخبره الله به من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لها، لما روى عن على بن الحسين رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها فلما شكا زيد للنبى خلق زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله على جهة الأدب والوصية اتق الله فى قولك وأمسك عليك زوجك وهذا هو الذى أخفى فى نفسه وخشى رسول الله أن يلحقه قول الناس فى أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه فعاتبه الله على الكتم لأجل هذا العذر والحكمة فى تزوج رسول الله بزينب إبطال حكم التبنى والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبنى من حيث إن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجته وولد التبنى لا يحرم (قوله وتزوجها) هكذا فى بعض النسخ بصيغة الأمر وفى نسخة ويزوجكها فعل مضارع (قوله فلما قضى زيد منها وطرا) أى بأن لم يبق له فيها أرب وطلقها وانقضت عدتها، وقد ذكر اسمه صريحا دون غيره من الصحابة جبر وتأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اسمه قرآنا يتلى فى الدنيا والآخرة على ألسنة البشر والملائكة وزاد فى الآية أن قال و إذ تقول للذى أنعم الله عليه أى بالإيمان فدل على أنه من أهل الجنة فعلم ذلك قبل موته

من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها (وَتَخْشَى النَّاسَ) أن يقولوا تزوج زوجة ابنه (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) فى كل شىء وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا) حاجة (زَوَّجْنَاكَهَا) فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذن وأشبع المسلمين خبزا ولحما (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِى أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) مقضيه (مَفْعُولًا. مَا كَانَ عَلَى النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ) أحل (اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ) أى كسنة الله فنصب بنزع الخافض (فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأنبياء أن لا حرج عليهم فى ذلك توسعة لهم فى النكاح (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) فعله (قَدَرًا مَقْدُورًا) مقضيا (الَّذِينَ) نعت للذين قبله (يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم (وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) حافظا لأعمال خلقه ومحاسبتهم (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) فليس أبا زيد أى والده فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب (وَلَكِنْ) كان (رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)،

فهذه فضيلة أخرى (قوله فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذن) أى ولا عقد ولا صداق وهذا من خصوصياته التى لم يشاركه فيها أحد بالاجماع وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهى أول من مات بعده من زوجاته ماتت بعده بعشر سنين ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وكانت تفتخر على أزواج النبى وتقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات وكانت تقول للنبى جدى وجدك واحد وليس من نسائك من هى كذلك غيرى وقد أنكحنيك الله والسفير فى ذلك جبريل (قوله وأشبع المسلمين خبزا ولحما) أى فذبح شاة وأطعم الناس خبزا ولحما حتى تركوه ولم يولم النبى على أحد من نسائه كما أولم على زينب (قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج الخ) أى فهو دليل على أن هذا الأمر ليس مخصوصا به صلى الله عليه وسلم (قوله وكان أمر الله مفعولا) أى موجودا لا محالة (قوله من حرج) أى إثم (قوله فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على المصدرية وفى هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبى صلى الله عليه وسلم كثرة النساء (قوله توسعة لهم فى النكاح) أى فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان ولده سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية (قوله قدرا مقدورا) هو من التأكيد كظل ظليل وليل أليل (قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) أى أبوة حقيقية فلا ينافى أنه أبوهم من حيث إنه شفيق عليهم وناصح لهم يجب عليهم تعظيمه وتوقيره (قوله ولكن رسول الله) العامة على تخفيف لكن ونصب رسول على أنه خبر لكان المحذوفة وقرئ شذوذا بتشديد لكن ورسول اسمها وخبرها محذوف تقديره أب من غير وراثة إذ لم يعش له ولد ذكر وقرئ أيضا بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أى هو أو بالعكس ووجه الاستدراك رفع ما يتوهم من نفى الأبوة عنه أن حقه ليس أكيدا فأفاد أن حقه آكد من حق الأب الحقيقى بوصف الرسالة .

(قوله فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا) النفي في الحقيقة متوجه للوصف أعنى كون ابنه رجلا وكونه نبيا بعده وإلا فقد كان له من الذكور أولاد ثلاثة إبراهيم والقاسم والطيب ولكنهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلغوا مبلغ الرجال فكونه خاتم النبيين يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له ، وأورد عليه بمنع الملازمة إذ كثير من الأنبياء وجد لهم أولاد بالغون وليسوا بأنبياء . وأجيب بأن الملازمة ليست عقلية بل على مقتضى الحكمة الالهية وهى أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل ونبينا أكرمهم وأفضلهم فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء لجمعه المزايا المتفرقة في غيره فتدبر (قوله و إذا نزل السيد عيسى الخ) جواب عما يقال كيف قال تعالى ـ وخاتم النبيين ـ وعيسى ينزل بعده وهو نبي ؟ ولا يرد على هذا وضع الجزية وعدم قبول غير الاسلام ونحو ذلك مما جاء في الأحاديث مما يخالف شرعنا لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) في هذا إشارة إلى تشريف المؤمنين عموما حيث ناداهم وأمرهم بذكره وتسبيحه وصلى عليهم هو وملائكته وأفاض عليهم الأنوار وحياهم ، والمقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم قال تعالى ـ فاذكروني أذكركم ـ وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضر قال تعالى ـ إن تكفروا فإن الله غني عنكم ـ ، فذكرنا لأنفسنا لأنه لاغنى لنا عن ربنا طرفة عين ، وإذا كان كذلك فلا تليق الغفلة عنه أبدا بل المطلوب ذكره دائما وأبدا . واعلم أن الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فلم يجعل له حدا ولم يعذر أحدا في تركه إلا من

كان مغلوبا على عقله ولذا أمرهم به في جميع الأحوال قال تعالى : فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ففيه إشارة إلى أن الذكر أمره عظيم وفضله جسيم (قوله وسبحوه بكرة وأصيلا) خص التسبيح بالذكر و إن كان داخلا فيه لكونه أعلى مراتبه ، وحكمة تخصيص التسبيح

فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيًا وفى قراءة بفتح التاء كآلة الختم : أى به ختموا (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) منه بأن لا نبيّ بعده وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) أول النهار وآخره (هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ) أى يرحمكم (وَمَلَائِكَتُهُ) أى يستغفرون لكم (لِيُخْرِجَكُمْ) ليديم إخراجه إياكم (مِنَ الظُّلُمَاتِ) أى الكفر (إِلَى النُّورِ) أى الإيمان (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً . تَحِيَّتُهُمْ) منه تعالى (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) بلسان الملائكة (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً) هو الجنة (يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً) على من أرسلت إليهم (وَمُبَشِّراً) من صدّقك بالجنة (وَنَذِيراً) منذراً من كذبك بالنار (وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ) إلى طاعته (بِإِذْنِهِ)

بهذين الوقتين لكونهما أشرف الأوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما (قوله هو الذى يصلى عليكم) استئناف في معنى التعليل للأمر بالذكر والتسبيح (قوله وملائكته) عطف على الضمير المستتر في يصلى والفاصل موجود (قوله أى يستغفرون لكم) أى يطلبون لكم من الله المغفرة ، قال تعالى : و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآيات (قوله ليديم إخراجه إياكم) جواب عما يقال إن إخراجه إيانا من الظلمات حاصل بمجرد الايمان . و إيضاح الجواب أن المراد دوام هذا الاخراج لأن الغفلة عن الخالق إذا دامت ربما أخرجت العبد من النور والعياذ بالله تعالى (قوله من الظلمات إلى النور) جمع الأول لتعدد أنواع الكفر وأفرد الثانى لأن الايمان شيء واحد لاتعدد فيه فمن ادعى الايمان وأثبت التعدد والمخالفة فهو ضال مضل خارج عن السنة والجماعة (قوله وكان بالمؤمنين رحيما) أى يقبل القليل من أعمالهم و يعفو عن الكثير من ذنوبهم حيث أخلصوا في إيمانهم (قوله تحيتهم منه تعالى) أى التحية الصادرة منه تعالى زيادة في الاعتناء بهم وتعظيما لقدرهم (قوله يوم يلقونه) اختلف في وقت اللقىّ فقيل عند الموت ، وقيل عند الخروج من القبور ، وقيل عند دخول الجنة (قوله بلسان الملائكة) أى لما ورد « إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول له ربك يقرئك السلام » وفى الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم قال تعالى ـ سلام قولا من رب رحيم ـ وقال تعالى ـ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم ـ وقال تعالى : لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما (قوله هو الجنة) أى ومافيها من النعيم المقيم (قوله على من أرسلت إليهم) أى لتترقب أحوالهم وتكون مشاهدا لما صدر منهم من الأعمال

الحسنة والقبيحة فالأعمال تعرض عليه حيا وميتا ، ويصح أن يكون المراد شاهدا يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين فهو مقبول الدعوى لا يحتاج في دعواه إلى شهادة أحد فيشهد للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم إما بالتصديق أو التكذيب (قوله بأمره) دفع بذلك ما يقال إن الإذن حاصل بقوله أرسلناك . فأجاب بأن المراد بالإذن الأمر ، والحكمة في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعسر فإذا حصل الإذن سهل وتيسر ، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الإجازة للمريدين فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ومن لم تحصل له الإجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق (قوله وسراجا منيرا) يحتمل أن المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر ويحتمل أن المراد به المصباح وحينئذ فيقال إنما شبه بالسراج ولم يشبه بالشمس مع أن نورها أتم لأن السراج يسهل اقتباس الأنوار منه وهو صلى الله عليه وسلم تقتبس منه الأنوار الحسية والمعنوية (قوله وبشر المؤمنين) أي حيث كنت متصفا بالصفات الحسنة فبشر المؤمنين (قوله ولا تطع الكافرين) أي لا تدار الكفار ولا تلن لهم جانبك في أمر الدين بل اثبت على ما أوحي إليك و بلغه ولا تكتم منه شيئا (قوله ودع أذاهم) إما من إضافة المصدر لفاعله أي أذيتهم إياك فلا تقاتلهم جزاء على ما صدر منهم أو لمفعوله أي اترك أذيتك لهم في نظير كفرهم واصفح عنهم واصبر ولا تعاجلهم بالعقوبة ، وهذا منسوخ بآية القتال (قوله وتوكل على الله) أي ثق به في أمورك واعتمد عليه يكفك أمور الدين والدنيا (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة في الفاعل أي أن الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة وفي الآية إشارة إلى أن التوكل أمره عظيم فإذا عجز الإنسان عن أمر فعليه بالتوكل على الله والتفويض إليه فإن الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة (قوله إذا نكحتم المؤمنات) المراد بالنكاح العقد

بأمره (وَسِرَاجًا مُنِيرًا) أي مثله في الاهتداء به (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) هو الجنة (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) فيما يخالف شريعتك (وَدَعْ) اترك (أَذَاهُمْ) لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فهو كافيك (وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا) مفوضا إليه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ) وفي قراءة تماسوهن أي تجامعوهن (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا) تحصونها بالأقراء وغيرها (فَمَتِّعُوهُنَّ) أعطوهن ما يستمتعن به ، أي إن لم يسم لهن أصدقة وإلا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا) خلوا سبيلهن من غير إضرار (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ) مهورهن (وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ،

بدليل قوله : ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب مما إذ الكتابيات كذلك و إنما خص المؤمنات بالذكر إشارة إلى أن الأولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات ، وأما نكاح الكتابيات فمكروه أو خلاف الأولى (قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي ولو طال زمن العقد (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان (قوله أي تجامعوهن) تفسير لكل من القراءتين (قوله تعتدونها) إما من العد أو من الاعتداد أي تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم عد الدراهم فاعتدها أي استوفى عددها (قوله وعليه الشافعي) أي ومالك فالمطلقة قبل الدخول إن سمي لها صداق فلا متعة لها ولا عدة عليها و إن لم يسم لها صداق بأن نكحت تفويضا فلا عدة عليها ولها المتعة إما وجوبا كما هو عند الشافعي أو ندبا كما هو عند مالك (قوله خلوا سبيلهن) أي اتركوهن (قوله من غير إضرار) أي بأن تمسكوهن تعنتا حتى يفتدين منكم أو تؤذوهن وتتكلموا في أعراضهن (قوله يا أيها النبي إنا أحللنا لك الخ) اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقيل المعنى أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ فعلى هذا تكون الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير المدلول عليه بقوله – لا يحل لك النساء من بعد – ، فهذه الآية و إن كانت متقدمة في التلاوة فهي متأخرة في النزول عن الآية المنسوخة بها كآية الوفاة في البقرة ، وقيل المراد أحللنا لك أزواجك الكائنات عندك لأنهن اخترنك على الدنيا ، ويؤيده قول ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج من أي النساء شاء وكان يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سمي سر نساؤه بذلك ، والقول الأول أصح (قوله اللاتي آتيت أجورهن) بيان لما كان عليه من مكارم الأخلاق

و إلا فالله أحل له أن يتزوج بلا مهر (قوله مما أفاء الله عليك) بيان لما ملكت يمينك وهذا القيد خرج مخرج الغالب بل المالك بالشراء كذلك (قوله كصفية) هي بنت حيي بن أخطب من نسل هرون أخي موسى وتقدم أنها كانت من سبي خيبر أذن النبي صلى الله عليه وسلم لدحية الكلبي في أخذ جارية فأخذها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أعطيته سيدة بني قريظة والنضير وهي لا تصلح إلا لك فخشي عليهم الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها و بنى بها وهو راجع إلى المدينة ، وفي رواية « أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل لك في ؟ قالت نعم يارسول الله إني كنت أتمنى ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت إنها كانت نائمة ورأس زوجها ملكهم في حجرها فرأت قمرا وقع في حجرها فلما استيقظ أخبرته فلطمها وقال تتمنين ملك يثرب » ماتت في رمضان سنة خمسين ودفنت في البقيع (قوله وجويرية) أي وهي بنت الحارث الخزاعية وكانت وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري فكاتبها فجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك إلى ماهو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك فقالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما رأينا امرأة كانت أعظم في قومها بركة منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق وقسم لها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت بنت عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين (قوله و بنات عمك و بنات عماتك) أي نساء قريش المنسوبات لأبيك وقوله و بنات خالك و بنات خالاتك أي نساء بني زهرة المنسوبات لأمك ، وحكمة إفراد العم والخال دون العمة والخالة أن العم والخال يعمان إذا أضيفا لكونهما مفردين خاليين من تاء الوحدة والعمة والخالة لا يعمان لوجود التاء (قوله بخلاف من لم يهاجرن) أي فلا يحللن له وهذا الحكم كان قبل الفتح حين كانت الهجرة شرطا في الاسلام فلما نسخ حكم الهجرة نسخ هذا الحكم (قوله وامرأة مؤمنة)

(٣٦٥)

﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صداق ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام بألا يزيدوا على أربع نسوة ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإماء بشراء وغيره بأن تكون الأمة ممن تحل لمالكها كالكتابية بخلاف المجوسية والوثنية وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك ،

معطوف على مفعول أحللنا أي وأما غير المؤمنة فلا تحل له وظاهر الآية أن النكاح ينعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بالهبة وحينئذ فيكون من خصوصياته ، والنساء اللاتي وهبن أنفسهن أربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم . واعلم أنه يحرم على النبي تزوج الحرة الكتابية لما في الحديث « سألت ربي أن لا أزوج إلا من كان معي في الجنة فأعطاني » ولقوله تعالى : وأزواجه أمهاتهم ، ولا يليق أن تكون المشركة أم المؤمنين ويحرم عليه أيضا نكاح الأمة ولو مسلمة لأن نكاحها مشروط بأمرين خوف العنت وعدم وجود مهر الحرة وكلا الأمرين مفقود منه صلى الله عليه وسلم وأما تسريه بالأمة الكتابية ففيه خلاف (قوله إن وهبت نفسها للنبي) أظهر في محل الاضمار تشريفا لهذا الوصف وإظهارا لعظمة قدره عنده (قوله إن أراد النبي أن يستنكحها) هذا الشرط قيد في الشرط الأول فإن هبتها نفسها لا توجب حلها إلا إذا أراد نكاحها بأن يحصل منه القبول بعد الهبة أو يسألها في ذلك قبل الهبة فتدبر (قوله خالصة) مصدر معمول لمحذوف أي خلصت لك خالصة ومجيء المصدر على هذا الوزن كثير كالعاقبة والعافية والكاذبة (قوله من غير صداق) أي ومن غير ولي وشهود (قوله وغيره) أي كهبة (قوله بخلاف المجوسية الخ) أي فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها وذلك كجواري السودان والحبشة والمغرب لأنهن يجبرن على الاسلام ولذا لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر في الفقه (قوله وأن تستبرأ قبل الوطء) أي كتابية كانت أو مجوسية (قوله متعلق بما قبل ذلك) أي وهو قوله : إنا أحللنا لك ، والمعنى أحللنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لئلا يكون عليك ضيق (قوله لما يعسر التحرز عنه) أي لقولهم إذا ضاق الأمر اتسع ،

(قوله ترجى من نشاء منهن الخ) اتفق المفسرون على أن المقصود من هذه الآية التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معاشرته لنسائه واختلفوا فى تأويلها ، وأصح ماقيل فيها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته لما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أغار على النبى صلى الله عليه وسلم على اللائى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أو تهب المرأة نفسها لرجل فلما أنزل الله عز وجل ترجى : من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت قالت قلت والله ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك ، وقيل إن ذلك فى الواهبات أنفسهن وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن وتترك من شئت ، وقيل إن ذلك فى الطلاق ، فالمعنى لك طلاق من شئت منهن و إمساك من شئت وعلى كل حال فالآية معناها التوسعة عليه فى أمر النساء (قوله والياء بدله) أى بدل الهمزة وحينئذ فهو مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل (قوله عن نوبتها) أى من القسم (قوله ومن ابتغيت الخ) أى التى طلبت ردّها إلى فراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسمة فلا جناح عليك (قوله بعد أن كان القسم واجبا عليه) هذا أحد قولين ، وقيل كان مخيرا من أول الأمر ولم يكن واجبا عليه ابتداء (قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن) هذا إشارة إلى حكمة تخييره فى القسم وعدم وجوبه عليه ، والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل لأن التخيير أقرب إلى سكون أعينهن وعدم حزنهن وأقرب إلى رضاهن بما حصل

لهن لأنهن إذا علمن أن الله لم يوجب على النبىّ شيئا من القسم وحصل منه القسم سررن بذلك وقنعن به (قوله تأكيد للفاعل) أى فهو بالرفع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بالنصب توكيدا للمفعول (قوله والله يعلم مافى قلوبكم) خطاب للنبىّ على جهة التعظيم ويحتمل أن يراد العموم (قوله والميل إلى بعضهن) أى بالطبع فكان يميل إلى بعضهن أكثر وكان يقول «اللهمّ إن هذا حظى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك» ، واتفق العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن فى القسمة حتى مات غير سودة رضى الله عنها فانها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنها (قوله حليما عن عقابهم) أى يعلم العيب ويستره فينبغى للانسان أن لايفرّط فى حقوقه لأن انتقام الحليم وغضبه أمر عظيم لما فى الحديث «اتقوا غيظ الحليم» ففى الآية ترغيب وترهيب (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد التسع) أى بعد اجتماعهن فى عصمتك فهن بمنزلة الأربع لآحاد الأمة ، فقد قصر الله نبيه عليهن جزاء لهن على اختيارهن الله ورسوله وهن التسع اللاتى توفى عنهن ، وهن عائشة بنت أبى بكر الصدّيق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبى سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبى أمية وصفية بنت حيى وميمونة بنت الحرث الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث المصطلقية ، وقيل المراد بعد التخيير (قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج) البدل فى الجاهلية أن يقول الرجل للرجل : تنزل لى عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك ، والمراد هنا نهيه عن المفارقة والابدال بأىّ وجه (قوله من أزواج) من زائدة فى المفعول (قوله ولو أعجبك حسنهن) حال من فاعل تبدل (قوله إلا ماملكت يمينك) استثناء متصل من النساء لأنه يتناول الأزواج والاماء ، وقيل منقطع لاخراجه من الأزواج (قوله وقد ملك بعدهن مارية) أى القبطية أهداها المقوقس ملك القبط ، وهم أهل مصر والاسكندرية ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث له حاطب بن أبى بلتعة بكتاب يدعوه فيه إلى الاسلام ، صورته : بسم الله

(تُرْجِى) بالهمز والياء بدله: تؤخر (مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) أى أزواجك عن نوبتها (وَتُؤْوِى) تضمّ (إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) منهن فتأتيها (وَمَنِ ابْتَغَيْتَ) طلبت (مِمَّنْ عَزَلْتَ) من القسمة (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) فى طلبها وضمها إليك ، خُيِّرَ فى ذلك بعد أن كان القسم واجباً عليه (ذٰلِكَ) التخيير (أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ) ماذكر المخير فيه (كُلُّهُنَّ) تأكيد للفاعل فى يرضين (وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ) من أمر النساء والميل إلى بعضهن ، وإنما خيرناك فيهن تيسيراً عليك فى كل ما أردت (وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيماً) بخلقه (حَلِيماً) عن عقابهم (لَا تَحِلُّ) بالتاء والياء (لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ) بعد التسع اللاتى اخترنك (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ) بترك إحدى التاءين فى الأصل (بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَامَلَكَتْ يَمِينُكَ) من الاماء فتحل لك ، وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية ، وولدت

الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإنى أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فإنما عليك إثم القبط — ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم — الآية فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس وجده فى الاسكندرية ، فدفعه إليه فقرأه ثم جعله فى حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية ، ثم كتب جوابه فى كتاب صورته : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك . أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وعلمت أن نبيا قد بقى وما كنت أظن إلا أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك : أى فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم أى وهما مارية وسيرين وعشرين ثوبا من قباطى مصر وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير وبغلة للركوب وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين وخصيا يقال له مأبور والبغلة هى دلدل وكانت شهباء وفرسا وهو اللزاز ، فانه سأل حاطبا ما الذى يحب صاحبك من الخيل ؟ فقال له الأشقر ، وقد تركت عنده فرسا يقال لها المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الميمون ، وأهدى إليه عسلا من عسل بنها قرية من قرى مصر ، فأعجب به صلى الله عليه وسلم وقال : إن كان هذا عسلكم فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة (قوله وولدت له إبراهيم) أى فى ذى الحجة سنة ثمان وعاش سبعين يوما ، وقيل سنة وعشرة أشهر ، وقوله ومات فى حياته : أى ولم يصل عليه بنفسه بل أمرهم فصلوا عليه (قوله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الخ) هذه الآية نزلت فى شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أنس بن مالك قال « كنت

أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما أنزل فى بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبى صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم ، فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبى صلى الله عليه وسلم

ولدت له إبراهيم ومات فى حياته (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً) حفيظا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) فى الدخول بالدعاء (إِلَى طَعَامٍ) فتدخلوا (غَيْرَ نَاظِرِينَ) منتظرين (إِنَاهُ) نضجه مصدر أنى يأنى (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ، وَلَا) تمكثوا (مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ) من بعضكم لبعض (إِنَّ ذَلِكُمْ) المكث (كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) أن يخرجكم (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) أن يخرجكم : أى لا يترك بيانه وقرئ يستحى ،

فطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكى يخرجوا فمشى النبى صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبى صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى إذا بلغ حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا ، فضرب النبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينه الستر وأنزل الحجاب» (قوله إلا أن يؤذن لكم) أى إلا بسبب الاذن لكم (قوله إلى طعام) متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كما قدره المفسر (قوله فتدخلوا غير ناظرين إناه) هذا التقدير غير مناسب لأنه يقتضى أن الدخول مع الاذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع أنه يجوز فالمناسب حذف هذا التقدير إذ هذه الآية نزلت فى قوم كانوا يدخلون من غير إذن وينتظرون نضج الطعام فنهاهم الله عن كل من الأمرين . والحاصل أن أسباب النزول فى هذه الآيات تعددت: منها أن قوما كانوا يدخلون بيوت النبى بغير دعوة وينتظرون نضج الطعام ، ومنها أن قوما كانوا يدخلون باذن ويتخلفون بعد ما طعموا مستأنسين لحديث ، ومنها مؤاكلة الأجانب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور زوجاته فنزلت آية الحجاب ونهى عن ذلك كله ، وآيات الحجاب هذه لخصوص أمهات المؤمنين ، وأما لعموم الأمة فقد تقدم فى سورة النور تأمل (قوله مصدر أنى يأنى) أى من باب رمى وقياس مصدره أنى لكنه لم يسمع وإنما المسموع إنى بالكسر والقصر (قوله فاذا طعمتم) أى أكلتم الطعام (قوله فانتشروا) أى اذهبوا حيث شئتم فى الحال ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب (قوله ولا تمكثوا مستأنسين) أشار بذلك إلى أن مستأنسين حال من محذوف وذلك المحذوف معطوف على انتشروا (قوله كان يؤذى النبى) أى لتضييقه عليه (قوله فيستحيى منكم) أى من إخراجكم (قوله والله لايستحيى من الحق) المراد بالحق إخراجكم من منزله وأطلق الاستحياء فى حق الله وأريد لازمه وهو ترك البيان .

(قوله بياء واحدة) أى قراءة شاذة فى الثانى (قوله فسئلوهنّ من وراء حجاب) روى أن عمر قال يارسول الله يدخل عليك البرّ والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وهى تأكل معهم فكره النبى ذلك فنزلت هذه الآية (قوله ذلكم) أى ماذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الإستئناس للحديث وسؤال المتاع من وراء الحجاب (قوله من الخواطر المريبة) أى أنقى وأبعد لدفع الريبة والتهمة وهو يدل على أنه لاينبغى لأحد أن يثق بنفسه فى الخلوة مع من لاتحلّ له فان مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه (قوله وما كان لكم) أى ماصحّ وما استقام لكم وقوله أن تؤذوا هو اسم كان ولكم خبرها وأن تنكحوا عطف على اسم كان نزلت هذه الآية فى رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله قال فى سره : إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة ثم ندم هذا الرجل ومشى إلى مكة على رجليه وحمل على عشرة أفراس فى سبيل الله وأعتق رقيقه فكفر الله عنه (قوله من بعده) أى بعد وفاته أو فراقه ولو قبل الدخول بها لأن كل من عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأبد تحريمها على أمته وأما إماؤه فلا يحرمن على غيره إلا بمسه لهن (قوله إن ذلكم) أى ماذكر من إيذائه ونكاح أزواجه من بعده (قوله إن تبدوا شيئا) أى تظهروه على ألسنتكم وقوله أو تخفوه : أى فى صدوركم وقوله فيجازيكم عليه جواب الشرط وقوله فان الله كان بكل شىء عليما تعليل للجواب وهو بمعنى قوله تعالى ـ إن تبدوا مافى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ـ

بياء واحدة (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) أى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم (مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ستر (ذٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) من الخواطر المريبة (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ) بشىء (وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ) ذنبا (عَظِيماً . إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ) من نكاحهن بعده (فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) فيجازيكم عليه (لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلاَ أَبْنَائِهِنَّ وَلاَ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلاَ أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلاَ نِسَائِهِنَّ) أى المؤمنات (وَلاَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب (وَاتَّقِينَ اللهَ) فيما أمرتنّ به (إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) لا يخفى عليه شىء (إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) محمد صلى الله عليه وسلم (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ) وسلموا

(قوله لا جناح عليهن فى آبائهن الخ) هذا فى المعنى مستثنى من قوله ـ وإذا سألتموهن متاعا ـ الآية . روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبناؤهن يارسول الله : أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فنزلت هذه الآية وقوله فى آبائهن : أى أصولهن وإن علون وقوله ولا أبنائهن المراد فروعهن و إن سفلوا (قوله ولا نسائهن) الاضافة من حيث المشاركة فى الوصف وهو الاسلام فقول المفسر أى المؤمنات تفسير للمضاف ومفهومه أن النساء الكافرات لايجوز لهن النظر لأزواج النبىّ صلى الله عليه وسلم وهو كذلك ولا مفهوم لأزواج النبى بل جميع النساء المسلمات كذلك فلايحل للمسلمة أن تبدى شيئا منها للكافرة لئلا تصفها لزوجها الكافر (قوله واتقين الله) عطف على محذوف والتقدير امتثلن ماأمرتن به واتقين الله وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين و إن تقدم فى سورة النور عموما دفع توهم أن أزواج النبى كالأمهات من كل وجه فأفاد هنا أنهن كالأمهات فى التعظيم والتوقير لا فى الخلوة والنظر فانهنّ كالأجانب بل هن أشدّ فذكر لهن حجابا مخصوصا فلايقال إنه مكرر مع ماتقدم فى النور (قوله لايخفى عليه شىء) أى من الطاعات والمعاصى الظاهرة والخفية (قوله إن الله وملائكته يصلون على النبى الخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمات وأفضل الخلق على الاطلاق إذ الصلاة من الله على نبيه رحمته المقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غير النبى مطلق الرحمة كقوله تعالى ـ هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ـ فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين المقامين (قوله وملائكته) بالنصب معطوف على اسم إن ، وقوله يصلون خبر عن الملائكة وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره إن الله يصلى وملائكته يصلون وهذا هو الأتمّ لتغاير الصلاتين ، والمراد بالملائكة جميعهم والصلاة من الملائكة الدعاء للنبىّ بما يليق به وهو الرحمة المقرونة بالتعظيم وحينئذ فقد وسعت رحمة النبىّ كل شىء تبعا لرحمة الله فصار بذلك مهبط الرحمات ومنبع التجليات (قوله ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بما يليق به وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبى تشريفهم بذلك

حيث اتحدوا بالله فى مطلق الصلاة وإظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق لأنه الواسطة العظمى فى كل نعمة وصلت لهم وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه. إن قلت إن صلاتهم طلب من الله أن يصلى عليه وهو مصلٍّ عليه مطلقا طلبوا أولا. أجيب بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر المالك أن يكافئه، ولاشك أن الصلاة الواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله لاتقف عند حد فكلما طلبت من الله زادت على نبيه فهى دائمة بدوام الله (قوله وسلموا تسليما) إن قلت خص السلام بالمؤمنين دون الله والملائكة. أجيب بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر مايؤذى النبي والأذية إنما هى من البشر فناسب التخصيص بهم لأن فى السلام سلامة من الآفات، وأكد السلام دون الصلاة لأنها لما أسندت لله وملائكته كانت غنية عن التأكيد. واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم اختلفوا فى تعيين الواجب فعند مالك تجب الصلاة والسلام فى العمر مرة، وعند الشافعى تجب فى التشهد الأخير من كل فرض وعند غيرهما تجب فى كل مجلس مرة، وقيل تجب عند ذكره، وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد، وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم وفضلها جسيم وهى من أفضل الطاعات وأجل القربات حتى قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها لأنها تعرض عليه ويصلى على المصلى بخلاف غيرها من الأذكار فلابد فيها من الشيخ العارف وإلا دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها

وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) أى قولوا: اللهم صل على محمد وسلم (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وهم الكفار يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً) ذا إهانة وهو النار (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا) يرمونهم بغير ما عملوا (فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً) تحملوا كذباً (وَإِثْماً مُبِيناً) بينا (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) جمع جلباب، وهى الملاءة التى تشتمل بها المرأة أى يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عيناً واحدة (ذَلِكَ أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ يُعْرَفْنَ) بأنهن حرائر (فَلَا يُؤْذَيْنَ) بالتعرض لهن، بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن فكان المنافقون يتعرضون لهن (وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً) لما سلف منهن من ترك الستر (رَحِيماً) بهن إذ سترهن (لَئِنْ) لام قسم (لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ) عن نفاقهم،

(قوله أى قولوا اللهم صل على محمد وسلم) أى اجمعوا بين الصلاة والسلام وصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لاتحصى وأفضلها ماذكر فيه لفظ الآل والصحب فمن تمسك بأى صيغة منها حصل له الخير العظيم (قوله إن الذين يؤذون الله ورسوله) الايذاء فى حق الله معناه تعدى حدوده وفى حق الرسول ظاهر (قوله وهم الكفار) أى اليهود والنصارى والمشركون (قوله لعنهم الله فى الدنيا) أى حجبهم عن الطاعة والتوحيد، وقوله والآخرة: أى بتخليدهم فى العذاب الدائم (قوله أبعدهم) أى عن رحمته (قوله ذا إهانة) أى هوان واستخفاف (قوله والذين يؤذون المؤمنين الخ) قيل نزلت فى على بن أبى طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه، وقيل نزلت فى شأن عائشة رضى الله عنها، وقيل نزلت فى شأن المنافقين الذين كانوا يمشون فى طرق المدينة يطلبون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فإن سكتت المرأة اتبعوها وإن زجرتهم انتهوا عنها، وفى هذه الآية زجر لمن يسيء الظن بالمؤمنين والمؤمنات ويتكلم فيهم من غير علم وهى بمعنى قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - (قوله يا أيها النبي قل لأزواجك الخ) سبب نزولها أن المنافقين كانوا يتعرضون للنساء بالأذية يريدون منهن الزنا ولم يكونوا يطلبون إلا الاماء ولكن كانوا لايعرفون الحرة من الأمة لأن زى الكل واحد تخرج الحرة والأمة فى درع وخمار فشكون ذلك لأزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله يدنين) أى يرخين ويغطين (قوله التى تشتمل بها) أى تتغطى وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والخمار (قوله فلايغطين وجوههن) أى فكن لايغطين وجوههن، وهذا فيما مضى وأما الآن فالواجب على الحرة والأمة الستر بثياب غير مزينة خوف الفتنة (قوله لما سلف منهن من ترك الستر) ورد أن عمر بن الخطاب مر بجارية متقنعة فعلاها بالدرة وقال لها أتتشبهين بالحرائر يالكاع ألقى القناع (قوله لئن لم ينته المنافقون) أى كعبد الله بن أبى وأصحابه.

(قوله والذين فى قلوبهم مرض) أى فجور، وهم الزناة وهم من جملة المنافقين (قوله والمرجفون فى المدينة) أى بالكذب، وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سراياه صلى الله عليه وسلم يوقعون فى الناس أنهم قد قتلوا وهزموا و يقولون قد أتاكم العدوّ (قوله لنسلطنك عليهم) أى فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم ، وقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانه لما نزلت سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر فقال النبى صلى الله عليه وسلم « يافلان قم فاخرج فانك منافق و يافلان قم » فقام إخوانهم من المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد (قوله ملعونين) حال من محذوف قدره المفسر بقوله ثم يخرجون (قوله أى الحكم فيهم هذا) أى الأخذ والقتل (قوله على جهة الأمر به) أى أن الآية خبر بمعنى الأمر (قوله أى سنّ الله ذلك) أشار بذلك إلى أن سنة مصدر مؤكد وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم : أى فلا تحزن على وجود المنافقين فى قومك فانه سنة قديمة كما كان فى قوم موسى منهم موسى السامرى وأتباعه وقارون وأتباعه (قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى تغييرا ونسخا لكونها بنيت على أساس متين فليست مثل الأحكام التى تتبدل وتنسخ (قوله يسئلك الناس) أى على سبيل الاستهزاء والسخرية لأنهم ينكرونها . واعلم أن السائل للنبى عن الساعة أهل مكة واليهود فسؤال أهل مكة استهزاء وسؤال اليهود امتحان لأن الله أخفى علمها فى التوراة فان أجابهم بالتعيين ثبت عندهم كذبه وإن أجابهم بقوله علمها عند ربى مثلا ثبتت نبوته وصدقه، فقول المفسر أى أهل مكة : أى واليهود (قوله عن الساعة) أى عن أصل ثبوتها وعن وقت قيامها (قوله قل إنما علمها عند الله) أى لم يطلع عليها أحدا وهذا إنما هو وقت السؤال وإلا فلم يخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أطلعه الله على جميع المغيبات ومن جملتها الساعة لكن أمر بكتم ذلك (قوله

(وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) بالزنا (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) المؤمنين بقولهم : قد أتاكم العدوّ وسراياكم قتلوا أو هزموا (لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ) لنسلطنك عليهم (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ) يساكنونك (فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) ثم يخرجون (مَلْعُونِينَ) مبعدين عن الرحمة (أَيْنَمَا ثُقِفُوا) وجدوا (أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) أى الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به (سُنَّةَ اللَّهِ) أى سنّ الله ذلك (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأمم الماضية فى منافقيهم المرجفين المؤمنين (وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) منه (يَسْأَلُكَ النَّاسُ) أى أهل مكة (عَنِ السَّاعَةِ) متى تكون (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك بها : أى أنت لاتعلمها (لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ) توجد (قَرِيبًا . إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) ناراً شديدة يدخلونها (خَالِدِينَ) مقدراً خلودهم (فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يحفظهم عنها (وَلَا نَصِيرًا) يدفعها عنهم (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : يَا) للتنبيه (لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا . وَقَالُوا) أى الأتباع منهم (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا) وفى قراءة ساداتنا جمع الجمع (وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) طريق الهدى (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) أى مثلى عذابنا (وَالْعَنْهُمْ) عذبهم ،

وما يدريك) ما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والاستفهام إنكارى (قوله لعل الساعة تكون قريبا) لعلّ حرف ترجّ ونصب والساعة اسمها وجملة تكون خبرها وقريبا حال وتكون تامة ولذا فسرها بتوجد ، والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب فكل منهما جملة مستقلة لما ورد « إن الدنيا سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الألف السابع فلم يبق من الدنيا إلا القليل» (قوله أبعدهم) أى عن رحمته (قوله مقدرا خلودهم) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة (قوله فيها) أى فى السعير وأنثه مراعاة لمعناه (قوله أبدا) تأكيد لما استفيد من قوله : خالدين (قوله يوم تقلب) إما ظرف لخالدين أو ليقولون مقدم عليه ، والمعنى تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار (قوم يقولون ياليتنا) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا صنعوا عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على مافاتهم ياليتنا الخ (قوله وأطعنا الرسولا) بألف بعد اللام ودونها هنا ، وفى قوله السبيلا قراءتان سبعيتان وتقدم التنبيه على ذلك (قوله سادتنا) جمع إما لسيد أو لسائد على غير قياس (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله جمع الجمع) أى جمع تصحيح بالألف والتاء لسادة الذى مفرده إما سيد أوسائد (قوله أى مثلى عذابنا) أى لأنهم ضلوا وأضلوا .

(لَعْناً كَثِيراً) عدده وفي قراءة بالموحدة: أي عظيما (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا) مع نبيّكم (كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ) بقولهم مثلا: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر (فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل ففرّ الحجر به حتى وقف بين ملإ من بني إسرائيل فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فرأوه لا أدرة به، وهي نفخة في الخصية (وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً) ذا جاه. ومما أوذي به نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قسم قسما فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال «يرحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» رواه البخاري (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً) صوابا (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يتقبلها (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) نال غاية مطلوبه (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب (عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) بأن خلق فيها فهما ونطقاً (فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ) خفن (مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ) آدم بعد عرضها عليه (إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً) لنفسه بما حمله (جَهُولاً) به،

(قوله وفي قراءة بالموحدة) أي وهما سبعيتان (قوله ما يمنعه أن يغتسل معنا الخ) أي لما روى «أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل سوءة موسى، فقالوا والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه فأخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة: والله إن به ندبا: أي آثارا ستة أو سبعة من ضرب موسى» (قوله فبرأه الله) أي أظهر براءته لهم (قوله وهي نفخة في الخصية) أي بسبب انصباب مادّة أو ريح غليظ فيها (قوله وكان عند الله وجيها) المراد عندية مكانة وقدر لا مكان (قوله فغضب النبي من ذلك) أي وقال كما في رواية «إن لم أعدل من يعدل خسرت وندمت إن لم أعدل» (قوله قولا سديدا) المراد قولا فيه رضا الله بأن يكون مما يعني الإنسان فدخل في ذلك جميع الطاعات القولية وهذا التفسير أتمّ من غيره (قوله يتقبلها) أي يثبكم عليها (قوله ويغفر لكم ذنوبكم) أي يمحها من الصحف أو يسترها عن الملائكة (قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) اختلف في المراد بالأمانة، فأحسن ما قيل فيها أنها التكاليف الشرعية، وقيل إنها قواعد الدين الخمس، وقيل هي الودائع، وقيل الفرج، وقيل غير ذلك روى «أن الله تعالى قال للسموات والأرض والجبال أتحملن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قال إن أحسنتن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن. قلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا» وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله لئلا يقمن بها لا معصية ولا مخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخييرا لا إلزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها (قوله من الثواب) بيان لما: أي عرضناها مع الثواب والعقاب على السموات الخ (قوله بأن خلق فيها فهما) أي حتى عقلت الخطاب، وقوله ونطقا: أي حتى ردّت الجواب (قوله فأبين أن يحملنها) أي استصغارا وخوفا من عدم الوفاء بها فليس إباؤهن كإباء إبليس من السجود لآدم لأن السجود كان فرضا والأمانة كانت عرضا وإباؤه استكبارا وإباؤهنّ استصغارا (قوله وأشفقن منها) أي خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها (قوله وحملها الإنسان) عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الإنسان فحملها (قوله بعد عرضها عليه) روى أن الله عز وجل قال لآدم «إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال يارب وما فيها؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت، فحملها آدم فقال بين أذني وعاتقي. قال الله تعالى أما إذ تحملت فسأعينك وأجعل لبصرك حجابا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك لحيين وغلاقا فإذا خشيت فأغلق عليه وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك» قال مجاهد: فما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر إلى العصر (قوله إنه كان ظلوما لنفسه) أي حيث حملها ما لا تطيقه، وقوله جهولا به: أي بما حمله، وقيل جهولا بقدر ربه لأنه لا يعلم قدره غيره، وهذا يناسب تفسير الانسان بآدم وعود الضمير عليه وإن أريد بالضمير ما يشمله وأولاده فيكون في الكلام استخدام فيقال في الأنبياء والصالحين منهم كذلك وفي غيرهم الظلم والجهل

من حيث خيانته فى الأمانة ومجاوزته حد الشرع (قوله ليعذب الله المنافقين) اللام للعاقبة والصيرورة على حد - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - (قوله وكان الله غفورا للمؤمنين) أى حيث عفا عما سلف منهم (قوله رحيما بهم) أى حيث أثابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات ، وحكمة إخبار الأمة بما حصل من تحمل آدم الأمانة ليكونوا على أهبة ويعرفوا أنهم متحملون أمرا عظيما لم تقدر على حمله الأرض والسموات والجبال ، وقيل فى حق المعصوم إنه كان ظلوما جهولا .

[سورة سبأ] بالصرف وتركه كما سيأتى ، سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها من باب تسمية الشئ باسم بعضه (قوله حمد تعالى) من باب فهم (قوله المراد به) بالجر نعت لاسم الإشارة (قوله الثناء بمضمونه) أى إنشاء الثناء بمضمونه وهو الوصف بالجميل وليس المراد إنشاء المضمون لأن اتصافه بالجميل أزلى ثابت له سبحانه وتعالى وإنما تعبدنا الله تعالى بتجديد حمد موافق للحمد الأزلى ، وهذا يؤيد قول بعض العلماء إن أل فى الحمد عهدية لأن الله سبحانه لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه أزلا وأمرهم أن يحمدوه بحمد موافق لحمده فتحصل أن الوصف بالجميل ثابت لله أزلا

و إنشاء الثناء به حادث فقول الله تعالى الحمد لله اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم وهو اتصاف الله بالجميل . إن قلت الحمد مدح ومدح النفس مذموم بين الخلق لما وجه ذلك ؟ . أجيب بأن أوصاف الرب لاتقاس على أوصاف العبيد ألاترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء فانها نقص فى الخلق كمال فى الخالق وبهذا انهدم قول المعتزلة إن كل ما حسنه العقل يوصف به الرب وكل ما قبحه العقل ينزه عنه

(لِيُعَذِّبَ اللهُ) اللام متعلقة بعرضنا المترتب عليه حمل آدم (الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) المضيعين الأمانة (وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) المؤدين الأمانة (وَكَانَ اللهُ غَفُوراً) للمؤمنين (رَحِيماً) بهم .

(سورة سبأ)

مكية إلا : ويرى الذين أوتوا العلم الآية ، وهى أربع أو خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلّٰهِ) حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد ، وهو الوصف بالجميل لله تعالى (الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا وخلقا (وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الْآخِرَةِ) كالدنيا يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى فعله (الْخَبِيرُ) بخلقه (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (فِى الْأَرْضِ) كماء وغيره (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كنبات وغيره (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من رزق وغيره (وَمَا يَعْرُجُ) يصعد (فِيهَا) من عمل وغيره (وَهُوَ الرَّحِيمُ) بأوليائه (الْغَفُورُ) لهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا :

وبنوا على ذلك أمورا فاسدة منها وجوب الصلاح والأصلح وغير ذلك (قوله ملكا وخلقا) لا أى أن كل ما فى السموات وما فى الأرض مملوك ومخلوق له سبحانه وتعالى (قوله وله الحمد فى الآخرة) أى فى نظير النعم التى تعطى لأهل الإيمان فالحمد فى الآخرة مخصوص بمن آمن ، وأما الكفار فليسوا من أهله (قوله كالدنيا) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء (قوله يحمده أولياؤه) المراد بهم المؤمنون (قوله إذا دخلوا الجنة) أى فيقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، الحمد لله الذى صدقنا وعده (قوله وهو الحكيم الخبير) أى فلا اعتراض عليه فى فعل من الأفعال (قوله يعلم ما يلج فى الأرض) تفصيل لبعض معلوماته التى تعلق بها مصالح الدين والدنيا (قوله كماء وغيره) أى كالكنوز والأموات (قوله كنبات وغيره) أى كالكنوز والأموات إذا أخرجت من القبور (قوله من رزق وغيره) أى كالبركات والملائكة والصواعق (قوله وما يعرج فيها) ضمن العروج معنى الاستقرار فعداه بفى دون إلى (قوله من عمل وغيره) أى كالملائكة فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك (قوله الغفور لهم) أى إذا عصوه أو فرطوا فى بعض حقوقه ، وفى ذلك إشارة إلى أن رحمة الله وغفرانه مختصان بمن يدخل الجنة وهذا فى الآخرة ، وأما فى الدنيا فرحمته وسعت كل شئ

(قوله لاتأتينا الساعة) أراد الكفار بضمير التكلم جميع الخلق لاخصوص أنفسهم وأرادوا أيضا بنفى إتيانها نفى وجودها لاعدم حضورها مع كونها موجودة فى نفس الأمر (قوله قل بلى) ردّ لكلامهم لأن كلامهم نفى ، فأجيب بالنفى ونفى النفى إثبات (قوله وربى) أتى بالقسم تأكيدا للردّ وقوله - عالم الغيب - تقوية للتأكيد ، والحكمة فى وصفه تعالى بهذا الوصف الاهتمام بشأن المقسم عليه (قوله بالجر الخ) أى فالقراآت الثلاث سبعيات وجهان فى صيغة اسم الفاعل ووجه واحد فى صيغة المبالغة (قوله لايعزب) بضم الزاى فى قراءة الجمهور وكسرها فى قراءة الكسائى (قوله ولا أصغر من ذلك الخ) قرأ العامة بضم الراء فى أصغر وأكبر على أنه مبتدأ وخبره قوله إلا فى كتاب مبين ، وقرئ بفتح الراء على أن لا نافية للجنس وأصغر اسمها وقوله : إلا فى كتاب مبين خبرها ، والمعنى على كل من القراءتين واحد وهو أن كل ما كان وما يكون وما هو كائن من سائر المخلوقات ثابت فى اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به وإثباتها فى اللوح لا لاحتياج، تنزه الله عنه . إن قلت أى حاجة إلى ذكر الأكبر بعد الأصغر إذ هو مفهوم بالأولى . أجيب بأنه لدفع توهم أن إثبات الأصغر خوف توهم النسيان ، وأما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى إثباته فأفاد أن كلا مرسوم فى اللوح المحفوظ لا لاحتياج (قوله ليجزى الذين آمنوا الخ) علة لقوله لتأتينكم كأنه قال لتأتينكم لأجل جزاء المؤمنين والكافرين واللام للعاقبة والصيرورة (قوله حسن فى الجنة) أى محمود العاقبة وأعظمه رؤية الله تعالى (قوله والذين سعوا) عطف على قوله : الذين آمنوا وما بينهما اعتراض سيق لبيان جزاء المؤمنين وهذا أحسن من جعله مبتدأ خبره أولئك لهم عذاب الخ (قوله فى إبطال آياتنا) أى بالطعن فيها ونسبتها إلى الأكاذيب (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله

لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ) القيامة (قُلْ) لهم (بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ) بالجر صفة والرفع خبر مبتدإ ، وعلام بالجر (لاَ يَعْزُبُ) يغيب (عَنْهُ مِثْقَالُ) وزن (ذَرَّةٍ) أصغر نملة (فِي السَّمٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بيّن هو اللوح المحفوظ (لِيَجْزِيَ) فيها (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) حسن فى الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي) إبطال (آيَاتِنَا) القرآن (مُعَجِّزِينَ) وفى قراءة هنا وفيما يأتى معاجزين أى مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب (أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ) سيئ العذاب (أَلِيمٍ) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز أو عذاب (وَيَرَى) يعلم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (هُوَ) فصل (الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ) طريق (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) أى الله ذى العزة المحمودة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى قال بعضهم على جهة التعجيب لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ) هو محمد (يُنَبِّئُكُمْ) يخبركم أنكم

مقدرين عجزنا الخ) لف ونشر مرتب ، والمعنى مؤمنين أنهم يعجزون رسولنا بسبب سعيهم فى إبطال القرآن (قوله أو مسابقين لنا) أى مغالبين لنا بسبب طعنهم فى القرآن ظانين أن مغالبتهم تمنع عنهم العذاب وذلك أن القرآن يثبت البعث والعذاب لمن كفر فيطعنون فيه ويريدون إبطاله لظنهم أن ذلك الابطال ينفعهم فيفرّون من البعث والعذاب لاعتقادهم بطلانه (قوله لظنهم أن لا بعث الخ) علة لقوله سعوا (قوله بالجر والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويرى) إما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف أو بالنصب على أنه معطوف على يجزى فقول المفسر يعلم يصح قراءته بالوجهين والذين فاعل والذى أنزل مفعول أول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان ، وقوله ويهدى إما عطف على الحق من باب عطف الفعل على الاسم الخالص كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك الحق وهاديا ، أو مستأنف أو حال بتقدير وهو يهدى (قوله مؤمنو أهل الكتاب) هذا أحد أقوال ، وقيل المراد بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل جميع المسلمين (قوله العزيز) أى عديم النظير والشبيه والمثيل أو من عز بمعنى قهر وغلب (قوله الحميد) فعيل بمعنى مفعول أى محمود فى ذاته وصفاته وأفعاله (قوله هو محمد) نكروه تجاهلا وسخرية كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل مع أنه عندهم أشهر من الشمس فى رابعة النهار .

(قوله إذا مزقتم) يتعين أن عامل الظرف محذوف تقديره تبعثون وتحشرون إذا مزقتم الخ يدل عليه قوله: إنكم لفي خلق جديد ولا يصح أن يكون عامله ينبئكم لأن الاخبار لم يقع في ذلك الوقت ولا قوله مزقتم لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها وعبارة المفسر غير وافية بالمراد فلو قال يخبركم أنكم تبعثون إذا مزقتم لوفي بالمقصود (قوله بمعنى تمزيق) أشار بذلك إلى أن ممزق اسم مصدر لأن كل ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزمانه ومكانه على زنة اسم المفعول (قوله إنكم لفي خلق جديد) أي تنشئون خلقا جديدا بعد تمزيق أجسامكم (قوله أفترى على الله كذبا) يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين هل ندلكم الخ ويحتمل أن يكون من كلام السامع جوابا للقائل (قوله واستغنى بها) أي بهمزة الاستفهام لأنها كافية في التوصل للنطق بالساكن (قوله في ذلك) أي الاخبار بالبعث (قوله جنون) أي خبل في عقله (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا إنشاء كلام من الله ردا عليهم وما تقدم و إن كان كلامه إلا أنه حكاية عنهم (قوله العذاب) أي في الآخرة وذكره إشارة إلى أنه متحتم الوقوع فنزل المتوقع منزلة الواقع وقدمه على الضلال و إن كان الضلال حاصلا لهم بالفعل لأن التسلية بحصول العذاب لهم أتم من الاخبار بكونهم في الضلال (قوله أفلم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلم يروا الخ (قوله ما بين أيديهم) المراد به ما ينظر له

(إذا مزقتم) قطعتم (كل ممزق) بمعنى تمزيق (إنكم لفي خلق جديد . أفترى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل (على الله كذبا) في ذلك (أم به جنة) جنون تخيل به ذلك . قال تعالى (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) المشتملة على البعث والعذاب (في العذاب) فيها (والضلال البعيد) عن الحق في الدنيا (أفلم يروا) ينظروا (إلى ما بين أيديهم وما خلفهم) ما فوقهم وما تحتهم (من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا) بسكون السين وفتحها قطعة (من السماء) وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء (إن في ذلك) المرئي (لآية لكل عبد منيب) راجع إلى ربه تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء (ولقد آتينا داود منا فضلا) نبوة وكتابا وقلنا: (يا جبال أوبي) رجعي (معه) بالتسبيح (والطير) بالنصب عطفا على محل الجبال: أي ودعوناها تسبح معه (وألنا له الحديد) ،

من غير التفات وقوله وما خلفهم المراد به ما ينظر له بالتفات ، فالمراد جميع الجهات (قوله من السماء والأرض) بيان لما ، والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض فيستدلوا على باهر قدرته تعالى وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج الآية (قوله إن نشأ) هذا تحذير للكفار كأنه قيل لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم إلا تعلق مشيئتنا به وكان

(قوله نخسف بهم الأرض) أي كما خسفناها بقارون (قوله أو نسقط عليهم كسفا) أي كما أسقطناها على أصحاب الأيكة (قوله بسكون السين وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما جمع كسفة فقول المفسر قطعة المناسب قطعا (قوله في الأفعال الثلاثة) أي نشأ ونخسف ونسقط (قوله إن في ذلك المرئي) أي من السماء والأرض (قوله ولقد آتينا) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا (قوله وكتابا) أي وهو الزبور (قوله وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله يا جبال مقول لقول محذوف معطوف على قوله آتينا فهو زيادة على الفضل (قوله أوبي) بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع وهو قراءة العامة وقرئ شذوذا أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب بمعنى رجع أي ارجعي وعودي معه في التسبيح كلما سبح فكان داود إذا سبح أجابته الجبال وعطفت عليه الطير من فوقه ، وقيل كان إذا أدركه فتور أسمعه الله تسبيح الجبال فينشط له (قوله عطفا على محل الجبال) أي لأن محله نصب لكونه منادى مفردا أو مفعولا معه وقرئ بالرفع عطف على لفظ الجبال تشبيها للحركة البنائية بالحركة الإعرابية قال ابن مالك:

وإن يكن مصحوب أل ما نسقا ففيه وجهان ورفع ينتقى

(قوله وألنا له الحديد) سبب ذلك أن الله تعالى أرسل له ملكا في صورة رجل فسأله داود عن حال نفسه فقال له ما تقول في داود؟ فقال نعم هو لولا خصلة فيه ، فقال داود ما هي؟ قال إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال ، فسأل داود عليه السلام ربه أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال

فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع فهو أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح ، قيل كان يعمل كل يوم درعا و يبيعها بأربعة آلاف درهم و ينفق و يتصدق منها فلذا قال صلى الله عليه وسلم « كان داود لا يأكل إلا من عمل يده » (قوله فكان في يده كالعجين) أي من غير نار ولا آلة (قوله دروعاً كوامل) أشار بذلك إلى أن سابغات صفة لموصوف محذوف (قوله وقدر في السرد) اختلف في معنى الآية ، فقيل اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهمك فيه بل اشتغل بعبادة ربك ، وقيل قدر المسامير في حلق الدروع لا غلاظا ولا دقاقا ، وردّ ذلك بأنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد وحينئذ فالأظهر ماقاله المفسر من أن السرد الدروع والتقدير اجعل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة لاينفذ منها السهم في الغلظ لاتقبل الكسر ولا تثقل حاملها والكل نسبة واحدة (قوله بحيث تتناسب حلقه) بفتحتين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون أو بفتحتين (قوله أي آل داود) تفسير للواو في اعملوا (قوله صالحا) أي عملا صالحا ولا تتكلوا على عز أبيكم وجاهه (قوله فأجازيكم عليه) أي إن خيرا فخير و إن شرا فشر (قوله ولسليمان الريح) الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر بقوله سخرنا بدليل التصريح به في قوله تعالى ـ وسخرنا له الريح تجرى بأمره ـ (قوله بتقدير تسخير) أي فالجار والمجرور خبر مقدم والريح مبتدأ مؤخر على حذف مضاف والأصل وتسخير الريح كائن لسليمان فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله غدوها شهر) مبتدأ وخبر ، والمعنى سيرها من

الغداة إلى الزوال مسيرة شهر للسائر الجد ومن الزوال للغروب مسيرة شهر ، عن الحسن كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل في إصطخر و بينهما مسيرة شهر ثم يروح من إصطخر فيبيت ببابل و بينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وتقدم أن الريح كانت تحمل البساط بجيوشه لأي جهة توجه إليها فالعاصف تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله

فكان في يده كالعجين ، وقلنا (أَنِ اعْمَلْ) منه (سَابِغَاتٍ) دروعا كوامل يجرها لابسها على الأرض (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) أي نسج الدروع ، قيل لصانعها سرّاد : أي اجعله بحيث تتناسب حلقه (وَاعْمَلُوا) أي آل داود معه (صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فأجازيكم به (وَ) سخرنا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غُدُوُّهَا) سيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال (شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا) سيرها من الزوال إلى الغروب (شَهْرٌ) أي مسيرته (وَأَسَلْنَا) أذبنا (لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ) أي النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء ، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطى سليمان (وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ) بأمر (رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ) يعدل (مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا) له بطاعته (نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) النار في الآخرة ، وقيل في الدنيا بأن يضرب به ملك بسوط منها ضربة تحرقه (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ) أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج (وَتَمَاثِيلَ) جمع تمثال ، وهو كل شيء مثلته بشيء : أي صور من نحاس وزجاج ورخام

وأسلنا له عين القطر) أي جعلنا النحاس في معدنه جاريا كالعين النابعة من الأرض وكانت تلك العين باليمن (قوله فأجريت ثلاثة أيام) قيل مرة واحدة ، وقيل كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام (قوله وعمل الناس الخ) مبتدأ خبره قوله مما أعطى سليمان : أي صنع الناس النحاس و إذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لأنه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها (قوله من يعمل بين يديه) يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله و يصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره وسخرنا من الجن من يعمل ومن على كل حال واقعة على فريق (قوله بطاعته) أي بطاعة سليمان (قوله بأن يضرب به ملك الخ) أي فقد وكل الله ملكا بالجن المسخرين لسليمان وجعل في يده سوطا من نار ، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقته (قوله أبنية مرتفعة) أي مساجد وغيرها ، وسميت بذلك لأن صاحبها يحارب فيها غيره لحمايتها ، وقيل المراد بالمحاريب خصوص المساجد والأقرب ماقاله المفسر وليس المراد بها الطاقات التي تقف فيها الأئمة في المساجد إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسميت بالمحاريب تشبيها لها بالأبنية المرتفعة لأنها رفيعة القدر ولذا خصوها بالأئمة (قوله وتماثيل) قال بعضهم إنها صور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور » أي ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة

(قوله ولم يكن اتخاذ الصور حراما الخ) جواب عما يقال إن اتخاذ الصور حرام فكيف يليق اتخاذها من سليمان . واعلم أن اتخاذ الصور أولا كان لمقصد حسن فلما ساء القصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله حرم الله اتخاذها على العباد (قوله وهي حوض كبير) ى وسمي جابية لأن الماء يجبى فيه أي يجمع . (قوله آل داود) المراد سليمان وأهل بيته (قوله شكرا) مفعول لأجه أي اعملوا لأجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التي لا تضاهى وهذا أعظم المقاصد وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لذاته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدهم من العدم وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية وغير ذلك من أنواع النعم التي لا تحصى (قوله وقليل من عبادي الشكور) أي لكون هذا القصد عزيزا لم يوفق له إلا القليل من الناس ، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم إما لأجل طلب الدنيا أو خوفا من النار وطمعا في الجنة . [فائدة] من جملة عمل الجن لسليمان بيت المقدس . وذلك أن داود ابتدأ بناءه في موضع فسطاط موسى التي كان ينزل فيها فرفعه قدر قامة فأوحى الله إليه لم يكن تمامه على يديك بل على يد ابن لك اسمه سليمان ، فلما قضى على داود واستخلف سليمان وأحب إتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام و بعضهم في تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح فلما فرغ منها ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أماكنها ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أماكنه فأتى من ذلك بشيء كثير ثم أحضر الصناع لنحت تلك الأحجار و إصلاح تلك الجواهر وثقب تلك اليواقيت واللآلئ فبناه بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وجعل عمده من البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر و بسط أرضه بالعنبر فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى ولا أنور منه فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلم يزل على هذا البناء حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمه وأخذ مافيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحمله إلى ملكه بالعراق حين بطرت بنو إسرائيل النعم وقتلوا زكريا ويحيى ، وكان ابتداء بناء بيت المقدس في السنة الرابعة من ملك سليمان وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة وكان ملكه خمسين سنة وقرّب بعد فراغه منه اثنى عشر ألف ثور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه إلى الله تعالى بالدعاء ، وقال اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت علي وتوفني على ملتك ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني ، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ولا خائف إلا أمنته ولا سقيم إلا شفيته ولا فقير إلا أغنيته والخامسة ألا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحادا أو ظلما يارب العالمين . وروى أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله حين فرغ من بنائه أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . إذا علمت ذلك فبيت المقدس تم بناؤه وهو حي وهو الصحيح (قوله فلما قضينا عليه الموت الخ) روى أن سليمان كان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما أعلمه الله بوقت موته قال اللهم أخف على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما في غد ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب وقام يصلي واتكأ على عصاه على كرسيه فمات فكان الجن ينظرون إليه و يحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لتكرره منه قبل ذلك فالحكمة في إخفاء موته ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب لا تتميم بناء بيت المقدس كما قيل فإن الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل .

ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته (وَجِفَانٍ) جمع جفنة (كَالْجَوَابِ) ى جمع جابية ، وهي حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم ، وقلنا (اعْمَلُوا) يا (آلَ دَاوُدَ) بطاعة الله (شُكْرًا) له على ما آتاكم (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) العامل بطاعتي شكرا لنعمتي (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ) على سليمان (الْمَوْتَ) أي مات ، ومكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته ،

(قوله حتى أكلت الأرضة عصاه) فلما أكلتها أحبها الجن وشكروا لها فهم يأتونها بالماء والطين فى خروق الخشب وقالوا لها لو كنت تأكلين الطعام والشراب لأتيناك بهما (قوله مصدر أرضت الخشبة) أى أكلت ، فمعنى دابة الأرض دابة الأكل وهذا أحد وجهين . والوجه الآخر أن المراد بالأرض المعرفة ونسبت لها لخروجها منها (قوله بالهمز) أى الساكن أو المفتوح فتكون القراآت ثلاثا سبعيات (قوله الشاق لهم) اللام بمعنى على ، وفى نسخة له أى لسليمان (قوله لظنهم حياته) علة لقوله مالبثوا (قوله وعلم كونه الخ) إما بالبناء للمفعول أو مصدر مبتدأ خبره قوله بحساب الخ فتحصل أن الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات من منذ سنة (قوله لقد كان لسبأ) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد كان الخ ولسبأ خبر كان مقدم وآية اسمها مؤخر وفى مساكنهم حال (قوله بالصرف وعدمه) أى وفى عدم الصرف قراءتان فتح الهمزة وسكونها فالقراآت ثلاث (قوله سميت باسم جد لهم) أى وهو سبأ بن يشجب بجيم مضمومة ابن يعرب بن قحطان ، روى أن رجلا قال يارسول الله «وماسبأ أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرا من العرب فتيامن منهم ستة أى سكنوا اليمن وتشاءم منهم أربعة أى سكنوا الشام فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار فقال رجل يارسول الله وما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة.» والمقصود من تلك القصة اتعاظ هذه الأمة المحمدية ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم وإلا يحل بهم ماحل بمن قبلهم (قوله فى مساكنهم) بالجمع كمساجد والإفراد إما بكسر الكاف أو فتحها ففيه ثلاث قراآت سبعيات

حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتاً (مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ) مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضة (تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ) بالهمز وتركه بألف : عصاه ، لأنها ينسأ ويطرد ويزجر بها (فَلَمَّا خَرَّ) ميتاً (تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ) انكشف لهم (أَنْ) مخففة : أى أنهم (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ) ومنه ماغاب عنهم من موت سليمان (مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب ، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضة من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) بالصرف وعدمه قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب (فِي مَسَاكِنِهِمْ) باليمن (آيَةٌ) دالة على قدرة الله تعالى (جَنَّتَانِ) بدل (عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) عن يمين واديهم وشماله ، وقيل لهم (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) على مارزقكم من النعمة فى أرض سبإ (بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ) ليس فيها سباخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، ويمر الغريب فيها وفى ثيابه قمل فيموت لطيب هوائها (وَ) الله (رَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا) عن شكره وكفروا (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) جمع عرمة ،

(قوله باليمن) أى وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام (قوله دالة على قدرة الله) أى فاذا تأمل العاقل فيها استدل على باهر قدرته وأنه الخالق لجميع المخلوقات (قوله بدل) أى من آية التى هى اسم كان وصح إبدال المثنى من المفرد لأنه فى قوة المتعدد وذلك أن الجنتين لما كانتا متماثلتين وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها صح جعلهما آية واحدة نظير قوله تعالى ـ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ـ (قوله عن يمين واديهم وشماله) هذا أحد قولين وقيل عن يمين الذاهب وشماله (قوله وقيل لهم) أى على لسان أنبيائهم لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه وهذا الأمر للاذن والاباحة (قوله واشكروا له) أى اصرفوا نعمه فى مصارفها (قوله أرض سبأ الخ) أشار بذلك إلى أن قوله بلدة طيبة خبر لمحذوف فهو كلام مستأنف (قوله ليس بها سباخ) جمع سبخة وهى الأرض ذات الملح (قوله ولا بعوضة) البعوض البق وقوله ولا برغوث بضم الباء (قوله فيموت) أى القمل ومثله باقى الهوام (قوله ورب غفور) أى يستر ذنوبكم (قوله فأعرضوا عن شكره) أى عن أمره واتباع رسله ، لما روى أنه أرسل لهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم إلى الله وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا مانعرف لله علينا نعمة فقولوا له فليحبس عنا هذه النعم إن استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحمار كان له ولد فمات فرفع رأسه إلى السماء فبزق وكفر فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه للكفر فان أجابه وإلا قتله .

(قوله وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره) أى فكان واديهم أرضا متسعة بين جبال شامخة فبنت بلقيس سدا حول ذلك الوادى بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض ، وصار ماء السيول يتساقط من الجبال خلف السد من كل جهة فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الأوسط ثم من الأدنى على حسب علو الماء وهبوطه، فالعرم هو هذا السد ، وقيل العرم اسم للفأر الذى نقب السد لما ورد أنهم كانوا يزعمون أنهم يجدون فى كهانتهم أنه يخرب سدهم فأرة ، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة ، فلما جاء ما أراده الله بهم أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك الهرر فناورتها حتى استأخرت عن الجحر ، ثم وثبت فدخلت فى الفرجة التى عندها ونقبت السد حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون ، فلما جاء السيل دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم (قوله جنتين) تسميتهما بذلك تهكم بهم لمشاكلة الأول (قوله مفرد على الأصل) أى لأن أصلها ذوية تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار ذوات ثم حذفت الواو تخفيفا ففى تثنيته وجهان اعتبار الأصل واعتبار العارض فالأول ذواتان والثانى ذاتان (قوله مر بشع) قيل هو شجر الأراك ، وقيل كل شجر له شوك (قوله باضافة أكل) أى بضم الكاف لا غير وقوله وتركها أى بضم الكاف وسكونها فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله ويعطف عليه) أى على أكل (قوله من سدر قليل) الصحيح أن السدر وهو النبق نوعان : نوع يؤكل ثمره وينتفع بورقه ، ونوع له ثمر غض لا يؤكل أصلا ولا ينتفع بورقه وهو المسمى بالضال ، وهو المراد هنا (قوله ذلك) مفعول ثان لجزينا مقدم عليه (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية (قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ما يناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أن الحصر منصب على المناقشة والتدقيق فى الحساب والمؤاخذة بكل الذنوب و إلا فمطلق المجازاة تكون للمؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) أى جعلنا السير بين قراهم و بين القرى المباركة سيرا مقدرا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أى فكانوا يسيرون من غير جائعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر فى أماكن لا يحرك بعضهم بعضا ولو لقى الرجل قاتل أبيه لا يحركه (قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى لما بطروا وطغوا وكرهوا الراحة تمنوا طول السفر والتعب فى المعايش نظير قول بنى إسرائيل ـ ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض ـ الآية، وكتمنى أهل مكة العذاب بقولهم ـ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ـ الآية (قوله مفاوز) جمع مفازة وهى الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد إذا مات وقيل من فاز إذا نجا وسلم سمى بذلك تفاؤلا بالسلامة (قوله أحاديث) أى يتحدث بأخبارهم (قوله فرقناهم فى البلاد) أى لضيق عيشهم وخراب أماكنهم وهى

وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أى سيل واديهم الممسوك بما ذكر فأغرق جنتيهم وأموالهم (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ) تثنية ذوات مفرد على الأصل (أُكُلٍ خَمْطٍ) مر بشع باضافة أكل بمعنى مأكول، وتركها و يعطف عليه (وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَٰلِكَ) التبديل (جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) بكفرهم (وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ) بالياء والنون مع كسر الزاى ونصب الكفور، أى ما يناقش إلا هو (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبأ وهم باليمن (وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر، وهى قرى الشام التى يسيرون إليها للتجارة (قُرًى ظَاهِرَةً) متواصلة من اليمن إلى الشام (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) بحيث يقيلون فى واحدة و يبيتون فى أخرى إلى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء : أى وقلنا (سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) لا تخافون فى ليل ولا فى نهار (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِّدْ) وفى قراءة باعد (بَيْنَ أَسْفَارِنَا) إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) لمن بعدهم فى ذلك (وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ) فرقناهم فى البلاد كل التفريق (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ) عبرا (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن المعاصى (شَكُورٍ) على النعم (وَلَقَدْ صَدَّقَ) بالتخفيف

سنة باقية فى كل من بطر النعمة وظلم ، فقد أفادنا الله فى تلك الآيات أنه اصابهم بنعمتين و ابتلاهم بنقمتين (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ظنه) أى وسبب ظنه إما رؤيته انهماكهم فى الشهوات أوقول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها أو وسوسته لآدم فى الجنة فأخرج منها فظن ضعف أولاده بالنسبة له و إن كان لم تؤثر وسوسته لآدم (قوله فصدق بالتخفيف فى ظنه) أشار بذلك إلى أن قوله ظنه على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض ، والمعنى صار فيما ظنه أولا من إغوائهم على يقين، وقوله أوصدق بالتشديد الخ أى فظنه مفعول لصدق، والمعنى حقق ظنه ووجده صادقا (قوله بمعنى لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار ويصح أن يكون متصلا لأن بعض المؤمنين يذنب و يتبع إبليس فى بعض المعاصى ويكون قوله إلا فريقا من المؤمنين المراد بهم من لم يتبعه أصلا والأقرب الأول لأن المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين (قوله تسليط منا) أى فالشيطان سبب فى الاغواء لاخالق الاغواء ، فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ، ومن أراد الله إغواءه سلط الله عليه الشيطان والكل فعل الله تعالى (قوله علم ظهور) أى فالمعنى ليظهر متعلق علمنا فاللام للعاقبة لاللتعليل ، ومعنى الآية ما كان له عليهم إيجاد إضلال بل خالق الهدى والضلال هو نحن و إنما سبقت حكمتنا بتسليطه ليتميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر ومن خلقنا فيه الايمان فاتباعه وعدمه علامة على ماتعلق به علمه تعالى فتدبر (قوله رقيب) أى فهو تعالى

قادر على منع إبليس منهم عالم بما سيقع (قوله قل ادعوا) بكسر اللام على أصل التخلص و بالضم إتباعا قراءتان سبعيتان (قوله أى زعمتموهم آلهة) أى فالمفعولان محذوفان الأول لطوله بصلته والثانى لقيام صفته أعنى قوله من دون الله مقامه (قوله لينفعوكم) متعلق بادعوا أى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذى نزل بكم فى سنى الجوع ويجلبوا لكم سعة العيش (قوله مثقال ذرة) أى لايملكون أمرا من الأمور فى العالم وذكر السموات والأرض للتعميم عرفا (قوله معين) أى على خلق شىء بل الله تعالى المنفرد بالايجاد والاعدام (قوله ولاتنفع الشفاعة عنده) أى أن الشفاعة لاتكون من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء فى الشفاعة لغير الكفار ، وأما الكفار فلاشفاعة فيهم لقوله تعالى ــ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم ــ (قوله ردا لقولهم الخ) أى حيث قالوا ــ مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ــ و إيضاحه أن الشفاعة لاتكون ولا تحصل إلا بالاذن والرضا وهم قد ارتكبوا مايقتضى الغضب وهو الكفر فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضى للغضب وعدم الاذن فى الشفاعة إن هذا لزعم باطل (قوله إلا لمن أذن له) يصح وقوع من على الشافعين ، والمعنى إلا لشافع أذن له فى الشفاعة، ويصح وقوعها على المشفوع لهم ، والمعنى لاتنفع الشفاعة إلا لمشفوع إذن أن يشفع له فاللام على كل حال متعلقة باذن والضمير عائد على الموصول وفيه الوجهان (قوله بفتح الهمزة) أى والضمير عائد على الله تعالى لذكره أولا وقوله وضمها أى بالبناء للمفعول والآذن هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله حتى إذا فزع) غاية فى محذوف تقديره يتربصون و يتوقفون مدة من الزمان فزعين حتى إذا فزع إلى آخره، والتضعيف للسلب كالهمزة كما أشار له بقوله كشف عنها الفزع ، والمعنى حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى الاذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضا .

بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ) أى الكفار منهم سبأ (إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أنهم باغوائه يتبعونه (فَاتَّبَعُوهُ) فصدق بالتخفيف فى ظنه ، أو صدّق بالتشديد ظنه ، أى وجده صادقا (إِلَّا) بمعنى لكن (فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) للبيان أى وهم المؤمنون لم يتبعوه (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ) تسليط منا (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) فنجازى كلا منهما (وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ) رقيب (قُلِ) يامحمد لكفار مكة (ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) أى زعمتموهم آلهة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره لينفعوكم بزعمكم ، قال تعالى فيهم (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ) وزن (ذَرَّةٍ) من خير أو شر (فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ) شركة (وَمَا لَهُ) تعالى (مِنْهُمْ) من الآلهة (مِنْ ظَهِيرٍ) معين (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ) تعالى ردا لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده (إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ) بفتح الهمزة وضمها (لَهُ) فيها (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ)

(قوله بالبناء للفاعل) أى والفاعل ضمير يعود على الله وقوله والمفعول : أى والجار والمجرور نائب الفاعل والقراءتان سبعيتان (قوله استبشارا) أى لزوال الكرب والحزن عن القلوب . واختلف هل هذا الأمر فى الآخرة أو الدنيا ، فقيل فى الآخرة ويؤيده مافى سورة النبأ — يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا — وعلى هذا فيكون فى الكلام حذف والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة إلا لمن أذن له فتفزع ماورد على القلوب من المهابة حتى إذا ذهب الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضا ، وقيل فى الدنيا ويؤيده ما ورد عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى إذا أراد أن يوحى بأمر وتكلم بالوحى أخذت السموات والأرض منه رجفة أورعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ماأراد ، ثم يمر جبريل بالملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العليّ الكبير قال فيقول كلهم كما قال جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى حيث أمره الله تعالى . وعن ابن عباس قال : كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحى وكان إذا نزل الوحى سمع له صوت كامرار السلسلة على الصفوان فلاينزل على أهل سماء إلا صعقوا فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العليّ الكبير ، ثم يقول يكون فى هذا العام كذا ويكون كذا ، فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة والكهنة تخبر الناس فيجدونه كذلك ، فلما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم دحروا ومنعوا بالشهب

بالبناء للفاعل والمفعول (عَنْ قُلُوبِهِمْ) كشف عنها الفزع بالإذن فيها (قَالُوا) قال بعضهم لبعض استبشاراً (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) فيها (قَالُوا) القول (الْحَقَّ) أى قد أذن فيها (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الْكَبِيرُ) العظيم (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ) المطر (وَالْأَرْضِ) النبات (قُلِ اللّٰهُ) إن لم يقولوه لاجواب غيره (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ) أى أحد الفريقين (لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيِّن ، فى الإبهام تلطف بهم داع إلى الإيمان إذا وفقوا له (قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا) أذنبنا (وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لأنا بريئون منكم (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ) يحكم (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وَهُوَ الْفَتَّاحُ) الحاكم (الْعَلِيمُ) بما يحكم به (قُلْ أَرُونِيَ) أعلمونى (الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ) فى العبادة (كَلَّا) ردع لهم عن اعتقاد شريك له ،

فقالت العرب حين لم تخبرهم الجن بذلك هلك من فى السماء ، فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر ينحر كل بقرة وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة حتى أسرعوا فى أموالهم ، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب : أيها الناس أمسكوا على أموالكم فانه لم يمت من فى السماء أما ترون معالمكم من النجوم كما هى والشمس والقمر والليل والنهار ، فقال إبليس لقد حدث فى الأرض اليوم حدث فأتونى (بل من كل تربة أرض فأتوه بها ، فلما شم تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث ، فأنصتوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث. فتحصل أن الفزع على القول بأنه فى الآخرة يكون من جميع الخلق وعلى القول بأنه فى الدنيا يكون من الملائكة خاصة والآية محتملة للأمرين والعموم أولى لأن الكفار زعموا أن آلهتهم تنفعهم فى الدنيا والآخرة فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين فتدبر (قوله القول الحق) أشار بذلك إلى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول (قوله وهو العلى الكبير) هذا من تمام كلام الشفعاء اعترافا بعظمة الله وكبريائه (قوله قل من يرزقكم الخ) هذا السؤال تبكيت للمشركين وإشارة إلى أن آلهتهم لاتملك لهم ضرا ولانفعا وهذه الآية بمعنى قوله تعالى — قل من يرزقكم من السماء والأرض ، إلى قوله ° فسيقولون الله — (قوله لعلى هدى أو فى ضلال مبين) غاير بين الحرفين إشارة إلى أن المؤمنين مستعلون على الهدى كراكب الجواد يسير به حيث شاء والكفار منغمسون فى الضلال كالمنغمس فى الظلمات الذى لايبصر شيئا (قوله فى الابهام) خبر مقدم وتلطف مبتدأ مؤخر وداع صفة لتلطف (قوله قل لاتسئلون عما أجرمنا الخ) فيه تلطف بهم وتواضع حيث أسند الاجرام لأنفسهم والعمل للمخاطبين (قوله يوم القيامة) أى فى الموقف (قوله أعلمونى) أشار بذلك إلى أن أرى علمية فتتعدى إلى ثلاثة مفاعيل أولها ياء المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء ويصح أن تكون بصرية فتتعدى إلى مفعولين الأول ياء المتكلم والثانى الموصول وشركاء حال من عائد الموصول ، والقصد من ذلك تبكيتهم وإظهار خطئهم بعد إقامة الحجة عليهم

(قوله بل هو) الضمير إما عائد على الله أو ضمير الشأن وما بعده مبتدأ وخبر والجملة خبره (قوله إلا كافة) الحصر إضافى جىء به للرد على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بنى آدم (قوله حال من الناس) تبع فيه ابن عطية واعترضه الزمخشرى بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ بمنزلة تقدم المجرور على الجار ورد بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها المجرور وما يتعلق به و إذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها فتقديمها على صاحبها وحده أجوز لتقدم عاملها وهو أرسلنا وهذا أحد أوجه فى الآية و يصح جعل كافة حالا من الكاف فى أرسلناك والتاء للمبالغة كهى فى علامة وراوية ، والمعنى إلا جامعا للناس فى التبليغ لا يخرج عن تبليغك أحد فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع أومصدر كالعاقبة والعافية إما مبالغة أوعلى حذف مضاف أى ذا كافة للناس أوصفة لمصدر محذوف تقديره إلا إرسالة كافة أى محيطة بهم وشاملة لهم فلا يخرج منها أحد والأوجه الثلاثة على أنه حال من الكاف وهى متقاربة فتحصل أن هذه الآية دلت على أنه مرسل لجميع الانس بشيرا ونذيرا وأما إرساله لغيرهم فمأخوذ من آيات أخر منها ـ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ لكن إرساله للانس والجن إرسال تكليف وللملائكة قيل إرسال تكليف وقيل تشريف وللحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشريف (قوله لايعلمون ذلك) أى ماذكر من عموم رسالته وكونه بشيرا ونذيرا (قوله و يقولون) أى على سبيل الاستهزاء والسخرية (قوله إن كنتم)

(بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْحَكِيمُ) فى تدبيره لخلقه فلا يكون له شريك فى ملكه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً) حال من الناس قدم للاهتمام (لِلنَّاسِ بَشِيرًا) مبشرا للمؤمنين بالجنة (وَنَذِيرًا) منذرا للكافرين بالعذاب (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ) عليه وهو يوم القيامة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أى تقدمه كالتوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له ، قال تعالى فيهم (وَلَوْ تَرَى) يامحمد (إِذِ الظَّالِمُونَ) الكافرون (مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) الأتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) الرؤساء (لَوْلَا أَنْتُمْ) صددتمونا عن الإيمان (لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) بالنبى (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) لا (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) فى أنفسكم

الخطاب للنبى والمؤمنين (قوله لاتستأخرون عنه) أى إن أردتم التأخير وقوله ولا تستقدمون أى إن أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم إن قلت ان الجواب ليس مطابقا للسؤال لأن السؤال عن طلب تعيين الوقت والجواب يقتضى أنهم منكرون للوقت من أصله .وأجيب بأن الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم لأن سؤالهم و إن كان على صورة الاستفهام عن الوقت إلا أن مرادهم الانكار والتعنت . والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم (قوله وقال الذين كفروا لن نؤمن الخ) سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم : إن صفة محمد فى كتبنا ، فلما سألوهم ووافق ماقال أهل الكتاب قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه (قوله الدالين على البعث) أى وعلى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم يكفرون بها أيضا (قوله قال تعالى فيهم) أى فى بيان أحوالهم فى الآخرة (قوله ولو ترى) مفعول ترى وجواب لو محذوفان والتقدير ، ولو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم عند ربهم حال كونهم يرجع بعضهم إلى بعض القول لرأيت أمرا فظيعا (قوله إذ الظالمون) إذ ظرف لترى بمعنى وقت (قوله موقوفون) أى محبوسون فى الموقف للحساب (قوله عند ربهم) العندية للمكانة والعظمة لا للمكان (قوله يرجع بعضهم) حال من ضمير موقوفون والقول منصوب بيرجع (قوله يقول الذين استضعفوا) تفسير لقوله يرجع ، فالجملة لا محل لها من الإعراب (قوله لولا أنتم) مابعد لولا مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر ، بقوله صددتمونا الخ ، وقوله لكنا مؤمنين جواب لولا (قوله قال الذين استكبروا) أى جوابا للمستضعفين (قوله أنحن صددناكم) أى منعناكم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا، بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) أي مكر فيهما منكم بنا (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء (وَأَسَرُّوا) أي الفريقان (النَّدَامَةَ) على ترك الإيمان به (لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) أي أخفاها كل عن رفيقه مخافة التعيير (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) في النار (هَلْ) ما (يُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) في الدنيا (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) رؤساؤها المتنعمون (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا) ممن آمن (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ. قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ) قربى أي تقريبا (إِلَّا) لكن (مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) أي جزاء العمل الحسنة مثلا بعشر فأكثر (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ) من الجنة (آمِنُونَ) من الموت وغيره، وفي قراءة الغرفة بمعنى الجمع (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا) القرآن بالإبطال (مُعَاجِزِينَ) لنا مقدرين عجزنا وأنهم يفوتوننا (أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ. قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه (لَهُ) بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء

(قوله وقال الذين استضعفوا) ترك العاطف فيما سبق لأنه مر أولا كلامهم فأتى بالجواب مستأنفا من غير عاطف ثم أتى بكلام آخر للمستضعفين معطوفا على كلامهم الأول (قوله بل مكر الليل والنهار) رد وإبطال لكلام المستكبرين ومكر فاعل بفعل محذوف أي صدنا مكركم بنا في الليل والنهار فحذف المضاف إليه وأقيم الظرف مقامه على الاتساع والاسناد مجازي (قوله إذ تأمروننا) ظرف للمكر أي مكركم وقت أمركم لنا الخ (قوله وأسروا الندامة) جملة حالية أو مستأنفة (قوله أي أخفاها كل عن رفيقه) أي فكل أخفى الندم على فعله في الدنيا من الكفر والمعاصي مخافة أن يعيره الآخر (قوله وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي زيادة على تعذيبهم بالنار (قوله وما أرسلنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله إلا قال مترفوها) حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها في سياق النفي فتم فقد وجد المسوغ (قوله بما أرسلتم به) متعلق بكافرون قدم للاهتمام ورعاية الفواصل (قوله وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) أي فلو لم يكن راضيا بما نحن عليه لما أعطانا الأموال والأولاد في الدنيا ولما كان كذلك فلا يعذبنا في الآخرة (قوله وما نحن بمعذبين) أي لأنه لما أكرمنا في الدنيا فلا يهيننا في الآخرة على فرض وجودها (قوله قل إن ربي يبسط الرزق الخ) أي فبسط الرزق وضيقه في الدنيا ليس دليلا على رضا الله فقد يبسط الرزق للكافر ويضيقه على المؤمن الخالص وقد يكون بالعكس وإنما هو تابع للقسمة الأزلية. قال تعالى: نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات (قوله لا يعلمون ذلك) أي فيظنون أن بسط الرزق وتضييقه تابع لرضا الله وغضبه (قوله وما أموالكم الخ) كلام مستأنف سيق لتقرير ما سبق وتحقيقه (قوله بالتي تقربكم) صفة للأموال والأولاد لأن جمع التكسير للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة ويصح أن تكون التي صفة لموصوف محذوف تقديره بالأحوال التي (قوله قربى) أشار بذلك إلى أن زلفى مصدر من معنى الفعل (قوله لكن من آمن) أشار بذلك أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار ويصح أن يكون متصلا والخطاب الأول عام كأنه قيل وما الأموال والأولاد تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي أنفق أمواله في سبيل الله وعلم أولاده الخير ورباهم على الصلاح فأولئك الخ (قوله فأولئك) مبتدأ ولهم خبر متقدم وجزاء مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وهو استئناف لبيان جزاء أعمالهم (قوله جزاء الضعف) من إضافة الموصوف لصفته أي الجزاء المضاعف (قوله مثلا) أي أو الحسنة بسبعين أو بسبعمائة أو أكثر (قوله وغيره) أي من سائر المكاره فلا يعرى شبابهم ولا تبلى ثيابهم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله مقدرين عجزنا) أي معتقدين أننا عاجزون فلا نقدر عليهم (قوله قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء الخ) اختلف في هذه الآية فقيل مكررة مع التي قبلها للتأكيد، وقيل مغايرة

لما فالأولى محمولة على أشخاص متعددين وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وقتين وقت البسط غير وقت القبض وهو الاحتمال الأول فى المفسر أو الأولى محمولة على الكفار ، وهذه فى حق المؤمنين وكل صحيح (قوله ابتلاء) علة لقوله و يقدر له أى يختبر هل يصبر أولا (قوله وما أنفقتم من شئ) أى على أنفسكم وعيالكم أو تصدقتم به (قوله فهو يخلفه) أى بالمال أو بالقناعة التى هى كنز لاينفد أو بالثواب فى الآخرة وفى الحديث «مامن يوم يصبح العباد فيه إلاوملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا و يقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى الآيات وأتى بهذه الآية عقب التى قبلها إشارة إلى أن الانفاق لايضيق الرزق بل ربما كان سببا فى توسعته فالحيلة فى توسعة الرزق الانفاق فى وجوه الخير والثقة بالله والتوكل عليه (قوله وهو خير الرازقين) أى أحسنهم وأجلهم لكونه خالق السبب والمسبب (قوله يقال كل إنسان الخ) أى لغة ودفع بذلك ماقيل إن الرازق فى الحقيقة واحد وهو الله . فأجيب بأن الجمع باعتبار الصورة فالله خالق الرزق والعبيد متسببون فيه . إن قلت أى مشاركة بين المفضل والمفضل عليه . أجيب بأن الرازق يطلق على الموصل للرزق والخالق له والرب يوصف بالأمرين والعبد يوصف بالايصال فقط فخيرية الله من حيث إنه خالق وموصل فعلم أن العبد يقال له رازق بهذا ، لا يقال له رزاق لأنه من الأسماء المختصة به تعالى (قوله يرزق له عائلته) أى عياله وعيال الرجل

ابتلاء (وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) فى الخير (فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقال كل إنسان يرزق عائلته : أى من رزق الله (وَ)اذكر (يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً) أى المشركين (ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ) بتحقيق الهمزتين و إبدال الأولى ياء و إسقاطها (كَانُوا يَعْبُدُونَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن الشريك (أَنتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ) أى لاموالاة بيننا و بينهم من جهتنا (بَلْ) للانتقال (كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) الشياطين أى يطيعونهم فى عبادتهم إيانا (أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) مصدقون فيما يقولون لهم ، قال تعالى (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ) أى بعض المعبودين لبعض العابدين (نَفْعاً) شفاعة (وَلَا ضَرّاً) تعذيبا (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قَالُوا مَا هٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ) من الأصنام (وَقَالُوا مَا هٰذَا) أى القرآن (إِلَّا إِفْكٌ)كذب (مُفْتَرًى) على الله ،

من يعولهم واحده عيل كجيد (قوله و إبدال الأولى ياء) هذا سبق قلم من المفسر إذ لم يقرأ بهذه أحد من القراء وأما تحقيقهما و إسقاط الأولى فقراءتان سبعيتان و بقى ثلاث قراءات سبعيات تحقيق الأولى وتسهيل الثانية وعكسه و إبدال الثانية ياء ساكنة ممدودة مع تحقيق الأولى فتكون الجملة خمسا (قوله كانوا يعبدون) خطاب للملائكة وتقريع للكفار وذلك كقوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله مع كون الله تعالى عالما له بأن الملائكة وعيسى بريئون من ذلك (قوله أنت ولينا من دونهم) أى أنت الذى نواليك ونتقرب إليك بالعبادة فلم يكن لنا دخل فى عبادتهم لنا (قوله أى يطيعونهم) أى فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم وقيل كانوا يتمثلون لهم و يخيلون إليهم أنهم الملائكة كما وقع لجماعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن و يزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله (قوله أكثرهم بهم مؤمنون) إن قلت حيث أثبت أولا أنهم كانوا يعبدون الجن لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم فكيف قال أكثرهم . أجيب بأن قول الملائكة أكثرهم من باب الاحتياط تحرزا عن ادعاء الاحاطة بهم كأنهم قالوا إن الذين رأيناهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ولعل فى الوجود ممن لم يطلع عليه من الكفار . وأجيب أيضا بأن العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والظاهر عنوان الباطن غالبا فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون لعدم إطلاعهم على ما فى القلوب (قوله أى بعض المعبودين) أى وهم الملائكة وقوله لبعض العابدين أى وهم الكفار (قوله ونقول) عطف على لايملك (قوله و إذا تتلى عليهم آياتنا) أى دلائل توحيدنا (قوله إلا إفك) أى كذب غير مطابق للواقع ومع كونه كذلك هو مفترى أى مختلق من حيث نسبته إلى الله فقوله مفترى تأسيس لا تأكيد

(قوله وقال الذين كفروا) التصريح بالفاعل إنكار عظيم وتعجيب بليغ (قوله قال تعالى) أى ردًّا عليهم (قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أى فالمعنى لاعذر لهم فى عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب فان لهم كتابا ودينا ويحتجون بأن نبيهم حذرهم من ترك دينه و إن كان عذرا باطلا وحجة واهية (قوله وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى نبى يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله (قوله معشار ما آتيناهم)قيل المعشار لغة فى العشر ، وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من ألف وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة فى التقليل (قوله من القوة الخ) أى ومع ذلك فلم ينفعهم شئ من ذلك فى دفع الهلاك عنهم (قوله فكذبوا رسلى) عطف على قوله ـ وكذب الذين من قبلهم ـ عطف مسبب على سبب (قوله فكيف كان نكير) عطف على محذوف تقديره فحين كذبوا رسلى جاءهم إنكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم (قوله واقع موقعه) أى فهو فى غاية العدل وعدم الجور والظلم (قوله قل إنما أعظكم) أى آمركم وأوصيكم ، وقوله بواحدة صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة واحدة (قوله أن تقوموا) أن ومادخلت عليه فى تأويل مصدر خبر لمحذوف قدّره المفسر بقوله هى ، وليس المراد بالقيام حقيقته وهو الانتصاب على القدمين ، بل المراد صرف الهمة والاشتغال والتفكر فى أمر محمد وماجاء به لأن أول واجب على المكلف النظر المؤدّى للمعرفة (قوله مثنى وفرادى) حالان من فاعل تقوموا و إنما أمرهم بذلك لأن الجماعة ربما يكون فى اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكر بسبب الأغراض والتعصب ، وأما الاثنان فيتفكران و يعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته ، وأما الواحد فيفكر فى نفسه ويقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جرّبنا عليه كذبا قط وقد علمتم أن محمدا مابه جنون بل علمتموه أرجح قريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدّهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا و إذا علمتم ذلك كفاكم (علام

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ) ما (هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) بيّن قال تعالى (وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) فمن أين كذبوك (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا) أى هؤلاء (مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) من القوة وطول العمر وكثرة المال (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) إليهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك أى هو واقع موقعه (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ) هى (أَنْ تَقُومُوا لِلّٰهِ) أى لأجله (مَثْنَى) اثنين اثنين (وَفُرَادَى) واحداً واحداً (ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا) فتعلموا (مَا بِصَاحِبِكُمْ) محمد (مِنْ جِنَّةٍ) جنون (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ) أى قبل (عَذَابٍ شَدِيدٍ) فى الآخرة إن عصيتموه (قُلْ) لهم (مَا سَأَلْتُكُمْ) على الإنذار والتبليغ (مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ) أى لاأسألكم عليه أجرا (إِنْ أَجْرِيَ) ما ثوابى (إِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)مطلع يعلم صدقى (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ) يلقيه إلى أنبيائه

أن تطلبوا منه آية على صدقه و إذا جاء ببها تبين أنه صادق فيما جاء به و إذا كان كذلك فالواجب اتباعه وتصديقه (قوله فتعلموا) أشار بذلك إلى أن نتيجة الفكر العلم ومعمول التفكر محذوف ، والتقدير فتتفكروا فى أحوال محمد فينتج لكم العلم بأن ما بصاحبكم جنون ولا نقص (قوله ما بصاحبكم) أضافه لهم إشارة إلى أنه كان مشهورا بينهم وحاله معروف عندهم فكانوا يدعونه بالصادق الأمين فاذا تفكروا وقاسوا حاله بعد النبوة على حاله قبلها فيفيدهم العلم بكمال أوصافه (قوله إن هو) أى المحدّث عنه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بين يدى عذاب شديد) أى هو مقدّمة عذاب لكم فى الدنيا والآخرة إن لم تؤمنوا وتصدّقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه (قوله قل ما سألتكم من أجر) يحتمل أن ما شرطية مفعول لسألتكم ومن أجر بيان لما ، وقوله فهو لكم جواب الشرط ويحتمل أنها موصولة مبتدأ ، وقوله فهو لكم خبرها وقرن الخبر بالفاء لما فى الموصول من العموم وعلى كل فيحتمل أن المعنى ما سألكم أجرا ألبتة فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئا أصلا إن أعطيتنى شيئا فخذه ، و يؤيده قوله إن أجرى إلا على الله ، وقول المفسر : أى لاأسألكم عليه أجرا ، ويحتمل أن المعنى لم أسألكم شيئا يعود نفعه علىّ فهو كقوله تعالى ـ قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودّة فى القربى ـ وقوله ـ قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ـ (قوله قل إن ربى) أى مالكى وسيدى (قوله يقذف بالحق) مفعول يقذف محذوف تقديره يقذف الباطل بالحق و يؤيده قوله تعالى ـ بل نقذف

بالحق على الباطل : أى يدفع الباطل بالحق ويصرفه . ويصح أن تكون الباء للملابسة والمفعول محذوف أيضا ، والتقدير يقذف الوحى إلى أنبيائه ملتبسا بالحق أوضمن يقذف معنى يقضى ويحكم والأقرب الأول لأن خير مافسرته بالوارد (قوله علام الغيوب) خبر ثان لإن أوخبر مبتدإ محذوف (قوله ماغاب عن خلقه) أى فتسميته غيبا بالنسبة للخلق وإلا فالكل شهادة عنده تعالى (قوله قل جاء الحق) أفاد بذلك أن الوعد منجز ومتحقق بالفعل فليس مجرد وعد (قوله وما يبدئ الباطل ومايعيد) أى لم يبق له بداءة ولا إعادة : أى نهاية فهو كناية عن ذهابه بالمرة وهذا بمعنى قوله تعالى - وقل جاء الحق وزهق الباطل - إن قلت إن السورة مكية والكفر فى ذلك الوقت كان له شوكة قوية والإسلام كان ضعيفا فكيف قال قل جاء الحق الخ . أجيب بأنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع فعبر عنه بالماضى كقوله : أتى أمر الله (قوله قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى) سبب نزولها أن الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم تركت دين آبائك فضللت، والمعنى قل لهم يا محمد إن حصل لى ضلال كما زعمتم فإن وبال ضلالى على نفسى لايضر غيرى وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب وقرئ شذوذا بكسر اللام من باب علم (قوله وإن اهتديت الخ) أى لأن الاهتداء لا يكون إلا بهدايته وتوفيقه (قوله فبما يوحى إلى ربى) أى بسبب إيحاء ربى إلى أو بسبب الذى يوحيه إلى فما مصدرية أو موصولة والمعنى فهداى بفضل الله تعالى ، فحاصل المعنى المراد أنه إن كان بى ضلال فمن نفسى لنفسى وإن كان

(عَلَّامُ الْغُيُوبِ) ما غاب عن خلقه فى السموات والأرض (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) الإسلام (وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ) الكفر (وَمَا يُعِيدُ) أى لم يبق له أثر (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ) عن الحق (فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) أى إثم ضلالى عليها (وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي) من القرآن والحكمة (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للدعاء (قَرِيبٌ . وَلَوْ تَرَى) يا محمد (إِذْ فَزِعُوا) عند البعث لرأيت أمرا عظيما (فَلَا فَوْتَ) لهم منا أى لايفوتونا (وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) أى القبور (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بمحمد أو القرآن (وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ) بالواو وبالهمزة بدلها ، أى تناول الإيمان (مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) عن محله إذ هم فى الآخرة ومحله الدنيا (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) فى الدنيا (وَيَقْذِفُونَ) يرمون (بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) أى بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا فى النبى ساحر شاعر كاهن ، وفى القرآن سحر شعر كهانة (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من الإيمان أى قبوله ،

هدى فمن فضل الله بالوحى إلى على حد قوله تعالى - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - (قوله إنه سميع) أى يسمع كل ماخفى وماظهر، وقوله قريب : أى قرب مكانة لامكان (قوله ولو ترى إذفزعوا فلافوت) يحتمل أن مفعول ترى محذوف تقديره ولو ترى حالهم وقت فزعهم ويحتمل أن إذ مفعول ترى : أى ولو ترى وقت فزعهم وإسناد الرؤية للوقت مجاز وحقه أن يسند لهم ، وقوله عند البعث احد أقوال فى وقت الفزع ، وقيل فى الدنيا يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا الفرار إلى التوبة ، وقيل نزلت فى ثمانين ألفا يأتون فى آخر الزمان يغزون الكعبة ليخربوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الأخذ من مكان قريب (قوله لرأيت أمرا عظيما) أشار بذلك إلى أن جواب لومحذوف (قوله فلافوت) أى لامناص ولامهرب (قوله أى القبور) أى وهى قريبة من مساكنهم فى الدنيا أو المعنى قبضت أرواحهم فى أماكنها فلم يمكنهم الفرار ، وقيل أخذوا من مكان قريب وهى القبور لجهنم فيخرجون من قبورهم لها (قوله وقالوا آمنابه) أى قالوا ذلك وقت حصول الفزع وهو وقت نزول العذاب بهم (قوله وأنى لهم) أى كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطلوبهم وهم فى الآخرة مع أن ذلك لايحصل ولا يكون إلا فى الدنيا وهى بعيدة من الآخرة فالماضى بعيد إذ لا يعود والمستقبل قريب لأنه آت وكل آت قريب (قوله التناوش) أى الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقبول التوبة (قوله بالواو وبالهمزة) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد كفروا الخ) الجملة حالية : أى يستبعد تناولهم الإيمان فى الآخرة والحال أنهم كفروا فى الدنيا (قوله ويقذفون بالغيب) أى يتكلمون فى الرسول بالمطاعن والتنقص من جانب بعيد من أمره وهو الشبه التى اقترحوها فى جانب الرسول ويتكلمون فى العذاب ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم من حيث إنهم لم يعلموا ذلك فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد فهو بعيد عن رتبة العلم (قوله غيبة بعيدة) أى عن الصدق (قوله وحيل بينهم) أى فى الآخرة (قوله أى قبوله) أى بحيث

بخاصيهم في الآخرة (قوله بأشياعهم) جمع شيع وشيع جمع شيعة فالأشياع جمع الجمع وهم قوم الرجل وأنصاره وأتباعه ، والمراد بهم هنا أشباههم في الكفر كما قال المفسر (قوله من قبل) صفة للأشياع (قوله أي قبلهم) أي الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان لا في العذاب فإن زمن عذابهم في القيامة متحد (قوله موقع في الريبة لهم) أي فهو من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي الشك فهو كقولهم عجب عجيب وشعر شاعر من باب التأكيد (قوله ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو في آمنوا : أي آمنوا به في الآخرة والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله .

[سورة فاطر مكية] أي وتسمى سورة الملائكة أيضا (قوله حمد تعالى نفسه) أي تعظيما لنفسه وتعليما لخلقه كيفية الثناء عليه فأل في الحمد الصادر منه تعالى يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس ولا يصح أن تكون عهدية لأنه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة ، وأما في كلام العباد فالأولى أن تكون عهدية والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه (قوله كما بين في أول سورة سبأ) أي حيث قال هناك حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل . واعلم أن السور المفتتحة بالحمد أربع : الأنعام والكهف وسبأ وفاطر، وحكمة افتتاحها بذلك أن فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة (قوله على غير مثال سبق) أي وإن كان لهما مادة وهو النور المحمدي فالمنفي المثال السابق فقط (قوله جاعل الملائكة) نعت ثان

للفظ الجلالة وجاعل وإن كان بمعنى المضي إلا أنه للاستمرار فباعتبار دلالته على المضي تكون إضافته محضة فيصلح لوصف المعرفة به وباعتبار دلالته على الحال والاستقبال يصلح للعمل في رسلا (قوله إلى الأنبياء) أي بالوحي وحينئذ فيراد بعض الملائكة لا كلهم وعبارة البيضاوي أوضح من هذه وأولى ونصها جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة أو بينه وبين وغيرها خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه (قوله أولى أجنحة) يصح أن يكون صفة لرسلا وهو وإن كان صحيحا من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيرا إلا أنه يوهم أن الأجنحة لخصوص الرسل مع أنها لكل الملائكة فالأحسن جعله صفة أو حالا من الملائكة نظرا لأل الجنسية (قوله مثنى) بدل من أجنحة مجرور بفتحة مقدرة نيابة عن الكسرة المقدرة لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية والعدل لكونه معدولا عن اثنين اثنين (قوله وثلاث ورباع) إن قلت في أي محل يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة ؟ قلت لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة (قوله يزيد في الخلق) جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى (قوله في الملائكة) أي في صورهم ، فقد قال الزمخشري: رأيت في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان للطيران يطيرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى ، وفي الحديث « رأيت جبريل عند سدرة المنتهى وله ستمائة جناح يتناثر من رأسه الدر والياقوت » وروى « أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته ، فقال إنك لن تطيق ذلك ، فقال إني أحب أن تفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه ، فقال سبحان الله ما كنت أرى شيئا من الخلق هكذا ، فقال جبريل فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحايين : أي يتصاغر الأزمان لعظمة الله حتى يعود مثل

(كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ) أشباههم في الكفر (مِنْ قَبْلُ) أي قبلهم (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا .

(سورة فاطر)

مكية ، وهي خمس أو ست وأربعون آية

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك كما بين في أول سبأ (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما على غير مثال سبق (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) إلى الأنبياء (أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ) في الملائكة ،

الوصع » وهو العصفور الصغير (قوله وغيرها) أى من جميع الخلق كطول القامة واعتدال الصورة وتمام الأعضاء وقوة البطش وحسن الصوت والشعر والخط وغير ذلك من الكمالات التى أعطاها الله لخلقه (قوله إن الله على كل شىء قدير) كالتعليل لما قبله (قوله ما يفتح الله) ما إما شرطية و يفتح فعل الشرط ، وقوله ـ فلا ممسك لها ـ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ و يفتح صلتها وقوله : فلا ممسك لها خبر المبتدإ وقرن بالفاء لما فى المبتدإ من العموم ، وقوله : من رحمة بيان لما (قوله كرزق) أى دنيوى أو أخروى ، وعبر فى جانب الرحمة بالفتح إشارة إلى أنها شىء عزيز نفيس شأنه أن يوضع فى خزائن وأتى بها منكرة لتعم كل رحمة دنيوية أوأخروية (قوله فلا ممسك لها) أنث مراعاة لمعنى ما وهو الرحمة (قوله وما يمسك) يصح أن يبقى على عمومه فالتذكير فى قوله لظاهر و يصح أن يكون قد حذف من الثانى لدلالة الأول عليه والتذكير مراعاة للفظ ما ، وقد أشار المفسر لهذا الثانى بقوله من ذلك : يعنى من الرحمة (قوله أى أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول و إلا فالعبرة بعموم اللفظ (قوله اذكروا نعمت الله عليكم) أى اشكروه على تلك النعم التى أسداها إليكم (قوله بإسكانكم الخ) أشار بذلك إلى أن النعمة بمعنى الإنعام و يصح أن تكون بمعنى المنعم به (قوله وخالق مبتدأ) أى مرفوع بضمة مقدرة على آخره منع من

وغيرها (مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ) كرزق ومطر (فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ) من ذلك (فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد إمساكه (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْحَكِيمُ) فى فعله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم (هَلْ مِنْ خَالِقٍ) من زائدة وخالق مبتدأ (غَيْرُ اللَّهِ) بالرفع والجر نعت لخالق لفظا ومحلا وخبر المبتدإ (يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) المطر (وَ) من (الْأَرْضِ) النبات ، والاستفهام للتقرير : أى لا خالق رازق غيره (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) يا محمد فى مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ) فى ذلك فاصبر كما صبروا (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) فى الآخرة فيجازى المكذبين وينصر المرسلين (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث وغيره (حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) عن الإيمان بذلك (وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ) فى حلمه و إمهاله (الْغَرُورُ) الشيطان (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) بطاعة الله ولا تطيعوه ،

ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله بالجر والرفع) أى فهما قراءتان سبعيتان ، وقوله لفظا أو محلا لف ونشر مرتب وفى بعض النسخ بتقديم الرفع فيكون لفا ونشرا مشوشا وقرئ شذوذا بالنصب على الاستثناء (قوله والاستفهام للتقرير) أى والتوبيخ (قوله أى لا خالق رازق غيره) هذا حل معنى لا حل إعراب و إلا لقال لا خالق غيره رازق لكم (قوله لا إله إلا هو) كلام مستأنف لتقرير النفى المتقدم (قوله فأنى تؤفكون) من الإفك بالفتح وهو الصرف وبابه ضرب ، ومنه قوله تعالى ـ قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا ـ وأما الإفك بالكسر فهو الكذب (قوله من أين تصرفون عن توحيده) أى كيف تعبدون غيره مع أنه ليس فى ذلك الغير وصف يقتضى عبادته من دون الله (قوله و إن يكذبوك) أى يدوموا على تكذيبك وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف ، والمعنى فتأس بمن قبلك ولا تحزن (قوله فيجازى المكذبين) أى بإدخالهم النار ، وقوله : و ينصر المرسلين : أى بقبول شفاعتهم و إدخالهم دار الكرامة (قوله وغيره) أى كالحساب والعقاب (قوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا) المراد نهيهم عن الاغترار بها ، والمعنى فلا تغتروا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسعى لها (قوله فى حلمه) أى بسببه ، والمعنى لا تجعلوا حلمه و إمهاله سببا فى اتباعكم الشيطان (قوله الغرور) هو بالفتح فى قراءة العامة كالصبور والشكور وقرئ شذوذا بضمها إما جمع غار كقاعد وقعود أو مصدر كالجلوس (قوله إن الشيطان لكم عدو) أى عظيم فإن عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم (قوله فاتخذوه عدوا) أى فكونوا منه على حذر فى جميع أحوالكم ولا تأمنوا له فى السر والعلانية ولا تقبلوا منه صرفا ولا عدلا ، قال البوصيرى :

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

ولا تطع منهما خصما ولا حكما فأنت تعرف كيد الخصم والحكم (قوله إنما يدعوا حزبه الخ) بيان لوجه عداوته وتحذير من طاعته (قوله هذا) أى قوله الذين كفروا إلى آخره ، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان إلى آخره فله المغفرة والأجر الكبير (قوله ونزل فى أبى جهل وغيره) أى من مشركى مكة كالعاص بن وائل والأسود ابن المطلب وعقبة بن أبى معيط وأضرابهم، ويؤيد هذا القول آيات منها ـ ليس عليك هداهم ـ ومنها ـ ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر ـ ومنها ـ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ـ وغير ذلك ، ففى هذه الآيات تسلية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه ، وقيل هذه الآية نزلت فى الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأموالهم كما هو مشاهد الآن فى نظائرهم وهم فرقة بأرض الحجاز ـ يحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ـ نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم، وقيل نزلت فى اليهود والنصارى، وقيل نزلت فى الشيطان حيث زين له أنه العابد التقى وآدم العاصى فخالف ربه لاعتقاده أنه على شىء (قوله أفمن زين له سوء عمله) أى زين له الشيطان ونفسه الأمارة عمله السىء فهو من إضافة الصفة للموصوف (قوله بالتمويه) أى التحسين ظاهرا بأن غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا ، وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله دل عليه) أى على تقدير الخبر، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفى هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه فلو كان كذلك

(إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ) أتباعه فى الكفر (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) النار الشديدة (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هذا بيان ما لموافقى الشيطان وما لمخالفيه . ونزل فى أبى جهل وغيره (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) بالتمويه (فَرَآهُ حَسَنًا) من مبتدأ خبره كمن هداه الله لا ، دل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) على المزين لهم (حَسَرَاتٍ) باغتمامك أن لا يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) وفى قراءة الريح (فَتُثِيرُ سَحَابًا) المضارع لحكاية الحال الماضية أى تزعجه (فَسُقْنَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) بالتشديد والتخفيف لا نبات بها (فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) من البلد (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها أى أنبتنا به الزرع والكلأ (كَذَلِكَ النُّشُورُ) أى البعث والإحياء (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) أى فى الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) ،

ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى (قوله فلا تذهب نفسك عليهم) عامة القراء على فتح التاء والهاء ورفع نفس على الفاعلية ويكون المعنى لا تتعاط أسباب ذلك وقرىء شذوذا بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم إيمانهم (قوله حسرات) مفعول لأجله جمع حسرة وهى شدة التلهف على الشىء الفائت (قوله فيجازيهم عليه) أى إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضا (قوله لحكاية الحال الماضية) أى استحضارا لتلك الصورة العجيبة التى تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أى تزعجه) أى تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى الكائنة فى قوله: والله الذى أرسل (قوله إلى بلد ميت) البلد يذكر ويؤنث يطلق على القطعة من الأرض عامرة أو خالية (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا نبات بها) أى فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودهما (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك النشور) أى كمثل إحياء الأرض بالنبات إحياء الأموات ووجه الشبه أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق إليها المياه فتحيابها والأجساد تساق إليها الأرواح فتحيا بها (قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قدره المفسر بقوله فليطعه ، وقوله فلله العزة تعليل للجواب ، واختلف فى هذه الآية فقيل المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هى فقل له لله العزة جميعا ، وقيل المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لا لغيره

وطلبها يكون بطاعته والالتجاء إليه والوقوف على بابه لما ورد فى الحديث « من أراد عز الدارين فليطع العزيز ومن طلب العزة من غيره تعالى كسى من وصفه وهو الذل » لأن وصف العبد الذل ووصف الله العز فمن التجأ إلى الله كساه الله من وصفه ومن التجأ إلى العبد كساه الله من وصف ذلك العبد لما ورد « من استعز بقوم أورثه الله ذلهم » وقال الشاعر: وإذا تذللت الرقاب تواضعا منا إليك فعزها فى ذلها

(قوله يعلمه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام مجازا ، فالصعود مجاز عن العلم كما يقال ارتفع الأمر إلى القاضى يعنى علمه ، وعبر عنه بالصعود إشارة لقبوله لأن موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل ، وقيل المعنى يصعد إلى سمائه ، وقيل يحمل الكتاب الذى كتب فيه طاعة العبد إلى السماء (قوله ونحوها) أى من الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن (قوله والعمل الصالح) أى كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات (قوله والذين يمكرون) بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيء بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح (قوله المكرات) قدره إشارة إلى أن السيئات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليمكرون لأن مكر لازم لاينصب المفعول ، والمكر الحيلة والخديعة (قوله فى دار الندوة) أى وهى التى بناها قصى بن كلاب للتحدث والمشاورة (قوله كما ذكر فى الأنفال) أى فى قوله — وإذ يمكر بك الذين كفروا — الآيات وقد فصلت هناك (قوله ومكر أولئك) أتى باسم الاشارة البعيد إشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغى والفساد (قوله هو يبور) هو مبتدأ ثان ويبور خبره والجملة خبر الأول ، يصح أن يكون ضمير فصل لامحل له من الإعراب وقولهم إن الفصل لايقع قبل الخبر إذا كان فعلا مردود بجواز ذلك

يعلمه وهو لا إله إلا الله ونحوها (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يقبله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ) المكرات (السَّيِّئَاتِ) بالنبى فى دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر فى الأنفال (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) يهلك (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) أى منى بخلق ذريته منها (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) ذكوراً وإناثا (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) حال أى معلومة له (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ) أى مازاد فى عمر طويل العمر (وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ) أى ذلك المعمر أو معمر آخر (إِلَّا فِى كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هين (وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شَرَابُهُ) شربه (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وَمِنْ كُلٍّ) منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُونَ) من الملح ،

(قوله بخلق أبيكم آدم منه) ويصح أن يراد خلقكم من تراب بواسطة أن النطفة من الغذاء وهو من التراب (قوله أزواجا) أى أصنافا (قوله من أنثى) من زائدة فى الفاعل (قوله حال) أى من أنثى (قوله ومايعمر من معمر) بفتح الميم فى قراءة العامة قال ابن عباس : مايعمر من معمر إلا كتب عمره كم هو سنة كم هو شهرا وكم هو يوما وكم هو ساعة ثم يكتب فى كتاب آخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتى يستوفى أجله فما مضى من أجله فهو النقصان ومايستقبله فهو الذى يعمره ، وهذا هو الأحسن ، وقيل إن الله كتب عمر الانسان مائة سنة إن أطاع وتسعين إن عصى فأيهما بلغ فهو كتاب ، وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام « من أحب أن يبسط الله له فى رزقه وينسأ له فى أثره » أى يؤخر فى عمره « فليصل رحمه » أى إنه يكتب فى اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فإن وصل رحمه زيد فى عمره كذا سنة فبين ذلك فى موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطلع على الأول دون الثانى ظن أنه زيادة أو نقصان (قوله أو معمر آخر) أى على حد عندى درهم ونصفه أى فالمعنى مازاد فى عمر شخص بأن يكون أجله طويلا ولا ينقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيرا إلا فى كتاب (قوله إن ذلك) أى كتابة الأعمار والآجال (قوله على الله يسير) أى سهل غير متعذر (قوله ومايستوى البحران) هذا مثل للمؤمن والكافر وقوله شديد العذوبة أى يكسر وهج العطش وقوله سائغ أى يسهل انحداره (قوله شرابه) إنما فسر الشراب بالشرب لأن الشراب هو المشروب فيلزم إضافة الشيء لنفسه (قوله أجاج) أى يحرق الحلق لملوحته (قوله ومن كل تأكلون الخ) يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين ومافيهما من المنافع والمثل قد تم بما قبله وهو الأظهر ، وقيل هو من تمام التمثيل يعنى أنهما وان اشتركا فى بعض الأوصاف لايستويان فى جميعها كالبحرين فانهما وان اشتركا فى بعض المنافع لايستويان فى جميعها (قوله هو السمك) المراد به حيوانات البحر كلها فيجوز أكلها .

(قوله وقيل منهما) أى ووجهه أن فى البحر الملح عيونا عذبة تمتزج بالملح فيخرج اللؤلؤ منهما عند الامتزاج (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف ، وقيل هو صغار اللؤلؤ (قوله لتبتغوا) متعلق بمواخر (قوله بالتجارة) أى وغيرها كالغزو والحج (قوله على ذلك) أى على ما أسداه إليكم من تلك النعم (قوله يولج الليل فى النهار) أى فيطول النهار حتى يصير من طلوع الشمس لغروبها أربع عشرة ساعة كأيام الصيف وقوله : ويولج النهار فى الليل أى فيطول الليل حتى يكون من الغروب للطلوع أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء ، فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات تارة تكون فى الليل وتارة تكون فى النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) معطوف على يولج وعبر بالمضارع فى جانب الليل والنهار لأن إيلاج أحدهما فى الآخر يتجدد كل عام وأما الشمس والقمر فتسخيرهما من يوم خلقهما الله فلا تجدد فيه وإنما التجدد فى آثارهما فلذا عبر فى جانبهما بالماضى (قوله والذين تدعون من دونه الخ) هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى بالألوهية (قوله لفافة النواة) بكسر اللام وهى القشرة الرقيقة الملتفة على النواة . واعلم أن فى النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل فى القلة : الفتيل وهو ما فى شق النواة والقطمير وهو اللفافة والنقير وهو ما فى ظهرها والثفروق وهو ما بين القمع والنواة (قوله ما أجابوكم) أى بجلب نفع ، لادفع

وقيل منهما (حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا) هى اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى) تبصر (الْفُلْكَ) السفن (فِيهِ) فى كل منهما (مَوَاخِرَ) تمخر الماء : أى تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك (يُولِجُ) يدخل الله (اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ) فيزيد (وَيُولِجُ النَّهَارَ) يدخله (فِى اللَّيْلِ) فيزيد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ) منهما (يَجْرِى) فى فلكه (لِأَجَلٍ مُسَمًّى) يوم القيامة (ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِهِ) أى غيره وهم الأصنام (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) لفافة النواة (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا) فرضا (مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) ما أجابوكم (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) بإشراككم إياهم مع الله : أى يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم (وَلَا يُنَبِّئُكَ) بأحوال الدارين (مِثْلُ خَبِيرٍ) عالم وهو الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) بكل حال (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) المحمود فى صنعه بهم (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) بدلكم (وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) شديد (وَلَا تَزِرُ) نفس (وَازِرَةٌ) آثمة أى لا تحمل (وِزْرَ) نفس (أُخْرَىٰ

ضر (قوله بإشراككم إياهم) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للفاعل (قوله أى يتبرءون منكم) أى بقولهم ما كانوا إيانا يعبدون (قوله ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك أحد مثلى لأنى عالم بالأشياء وغيرى لا يعلمها وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عاما غير مختص بأحد ويحتمل أن يكون خطابا له صلى الله عليه وسلم (قوله يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) إنما خاطب الناس بذلك وان كان ماسوى الله فقيرا لأن الناس هم الذين يدعون الغنى وينسبونه لأنفسهم ، والمعنى يا أيها الناس أنتم أشد   و . ن
الخلق افتقارا واحتياجا إلى الله فى أنفسكم وعيالكم وأموالكم وفيما يعرض لكم من سائر الأمور فلا غنى لكم عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك ومن هنا قول الصديق رضى الله عنه : من عرف نفسه عرف ربه أى من عرف نفسه بالفقر والذل والعجز والمسكنة عرف ربه بالغنى والعز والقدرة والكمال (قوله بكل حال) أى فى حالة الفقر والغنى والضعف والقوة والذل والعز فالعبد مفتقر لربه فى أى حالة كان بها ذلك العبد (قوله الحميد) إنما ذكره بعد الغنى لدفع توهم أن غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا فأفاد أنه كما أنه غنى هو منعم جواد محمود على إنعامه لكونه يعطى النوال قبل السؤال البر والفاجر (قوله إن يشأ يذهبكم) هذا بيان لغناه المطلق يعنى أن إذهابكم ليس متوقفا على شىء إلا على مشيئته فإبقاؤكم من محض فضله (قوله بخلق جديد) أى بعالم آخر غير ما تعرفونه (قوله شديد) أى متعذر أو متعسر (قوله وازرة) فاعل تزر وهو صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله نفس ، والمعنى لا تحمل نفس وازرة وزر نفس أخرى وأما غير الوازرة فتحمل وزر الوازرة بمعنى تشفع لها فى غفرانه لا بمعنى أنه ينتقل من الوازرة لغيرها . إن قلت ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى : وليحملن أثقالهم الآية . أجيب بأن تلك الآية محمولة على من ضل وتسبب فى الضلال لغيره فعليه وزر ضلاله ووزر تسببه لأن تسببه من فعله فلم يحمل إلا أثقال نفسه فرجع الأمر إلى أن الانسان لا يحمل وزر غيره أصلا بل كل نفس بما كسبت رهينة .

(قوله وإن تدع مثقلة إلى حملها) أى وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسا إلى حملها وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس وبالفتح ما كان فى البطن أو على رأس شجرة (قوله لايحمل منه شىء) العامة على قراءة يحمل مبنيا للمفعول وشىء نائب الفاعل وقرىء شذوذا تحمل بفتح التاء وكسر الميم مسندا إلى ضمير النفس المحذوفة وشيئا مفعول تحمل (قوله ولو كان ذا قربى) العامة على قراءة ذا بالنصب خبر كان واسمها ضمير يعود على المدعو كما قدره المفسر وقرىء شذوذا بالرفع على أن كان تامة ، والمعنى وإن تدع نفس مذنبة نفسا أخرى إلى حمل شىء من ذنبها لايحمل منه شىء ولو كانت تلك النفس الأخرى قريبة للداعية كابنها أو أبيها لما ورد «يلقى الأب والأم الابن فيقولان له يابنى احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لاأستطيع حسبى ما على» (قوله فى الشقين) أى الحمل القهرى والاختيارى (قوله حكم من الله تعالى) أى وهو لايخلو عن حكمة عظيمة (قوله إنما تنذر الذين يخشون ربهم) إنما أداة حصر ، والمعنى أن إنذارك مقصور على الذين يخشون ربهم وقوله بالغيب حال من فاعل يخشون أى يخشونه حال كونهم غائبين عنه ، فالغيبة وصف العبيد لاوصف الرب فإن وصف الرب القرب قال تعالى - ونحن أقرب إليه من حبل الوريد - ووصف العبيد الغيبة والحجاب فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلاله ، ويصح أن يكون حالا من المفعول : أى يخشونه والحال أنه غائب عنهم أى محتجب بجلاله فلا يرونه وإلى هذا أشار المفسر بقوله وما رأوه فعدم رؤية الله تعالى إنما هو من تحجبه بصفات الجلال ، فإذا تجلى بالجمال رأته الأبصار وذلك يحصل فى الآخرة لأهل الإيمان وقد حصل فى الدنيا لسيد الخلق على الاطلاق وقد يتجلى بالجمال للقلوب فى الدنيا فتراه وهى الجنة المعجلة لأهل الله المقربين (قوله لأنهم المنتفعون بالانذار) جواب عما يقال كيف قصر الانذار على أهل الخشية مع أنه لجميع المكلفين . فأجاب بأن وجه قصره عليهم انتفاعهم به فكأنه قال إنما ينفع إنذارك أهل الخشية (قوله أداموها) أى واظبوا عليها بأركانها وشروطها وآدابها وفى نسخة أدوها (قوله وغيره) أى كالمعاصى (قوله فصلاحه مختص به) أى فهو قاصر عليه لايتعداه فيجزى بالعمل فى الآخرة أى الخير والشر (قوله ومايستوى الأعمى والبصير الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، وأفاد أولا الفرق بين ذاتيهما . وثانيا بين وصفيهما . وثالثا بين داريهما فى الآخرة ، وأما قوله وما يستوى الأحياء الخ فهو مثل آخر على أبلغ وجه ، لأن الأعمى ربما يكون فيه بعض نفع بخلاف الميت (قوله ولا الظلمات ولا النور) جمع الظلمات باعتبار أنواع الكفر فإن أنواعه كثيرة بخلاف الايمان فهو نوع واحد (قوله ولا الحرور) هى الريح الحارة خلاف السموم فالحرور تكون بالنهار والسموم بالليل ، وقيل الحرور والسموم الليل والنهار (قوله وزيادة لا فى الثلاثة) أى فى الجمل الثلاث التى أولها ولا الظلمات ولا النور وثانيها ولا الظل ولا الحرور وثالثها وما يستوى الأحياء ولا الأموات وإنما زيدت للتأكيد فى الجميع لأن نفى المساواة معلوم من ما النافية (قوله إن الله يسمع من يشاء) من هنا إلى قوله نكير تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وشبههم بالموتى) أى فى عدم التأثر بدعوته (قوله إن أنت إلا نذير) أى فليس عليك إلا التبليغ والهدى بيد الله يؤتيه من يشاء (قوله بالحق) حال من الكاف بدليل قول المفسر بالهدى كأنه قال أرسلناك حال كونك هاديا

(وَإِنْ تَدْعُ) نفس (مُثْقَلَةٌ) بالوزر (إِلَى حِمْلِهَا) منه أحدا ليحمل بعضه (لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ) المدعو (ذَا قُرْبَى) قرابة كالأب والابن ، وعدم الحمل فى الشقين حكم من الله تعالى (إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ) أى يخافونه وما رأوه لأنهم المنتفعون بالإنذار (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَمَنْ تَزَكَّى) تطهر من الشرك وغيره (فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ) فصلاحه مختص به (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) المرجع فيجزى بالعمل فى الآخرة (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ) الكافر والمؤمن (وَلَا الظُّلُمَاتُ) الكفر (وَلَا النُّورُ) الإيمان (وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ) الجنة والنار (وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) المؤمنون ولا الكفار وزيادة لا فى الثلاثة تأكيد (إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ) هدايته فيجيبه بالإيمان (وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ) أى الكفار شبههم بالموتى فيجيبون (إِنْ) ما (أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ) منذر لهم (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ) بالهدى (بَشِيرًا) من أجاب إليه (وَنَذِيرًا) من لم يجب إليه ،

(قوله وإن من أمة) أى تعلمها وقوله نبي ينذرها: أى يخوفها من عقاب الله وتنقضى شريعته بموته لما بين الرسولين من أهل الفترة وهم ناجون من أهل الجنة وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله بنص قوله تعالى - وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - وأما ماورد من تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحى وامرىء القيس وحاتم الطائى، فقيل إن ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم والتحقيق أنه خبر آحاد وهو لايعارض النص القطعي وتقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى - وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا - (قوله وبالزبر) اسم لكل ما يكتب (قوله كصحف إبراهيم) أى وهى ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون، فجملة الصحف مائة تضم لها الكتب الأربعة، فجملة الكتب السماوية مائة وأربعة (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله أى هو واقع موقعه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى (قوله ألم تر) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهو كلام مستأنف سيق لبيان باهر قدرته تعالى وكمال حكمته (قوله فيه التفات) أى وحكمته أن المنة فى الاخراج أبلغ من إنزال الماء، ولما فى الآخراج من الصنع البديع الدال على كمال القدرة الالهية (قوله ثمرات مختلفا ألوانها) أى فى أصل اللون كالأخضر والأصفر والأحمر وفى شدة اللون الواحد وضعفه (قوله ومن الجبال جدد) قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهى الطريق وقرىء شذوذا بضم الجيم والدال جمع جديدة وبفتحهما (قوله مختلف ألوانها) مختلف صفة لجدد وألوانها فاعل به أو مختلف خبر مقدم وألوانها مبتدأ مؤخر والجملة صفة لجدد (قوله وغرابيب سود) الغربيب تأكيد للأسود كالقانى تأكيد للأحمر وإنما قدمه عليه للمبالغة (قوله يقال كثيرا) اى بتقديم الموصوف على الصفة وهذا هو الأصل، وقوله وقليلا أى بتقديم الصفة على الموصوف وهذا خلاف الأصل ويرتكب للمبالغة (قوله ومن الناس) خبر مقدم وقوله مختلف ألوانه صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ ى صنف مختلف ألوانه من الناس وقوله كذلك صفة لمصدر محذوف أى اختلافا كذلك (قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى أن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به فمن اشتدت معرفته لربه كان أخشاهم له ولذا ورد فى الحديث «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له» وقرىء شذوذا برفع الجلالة ونصب العلماء، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى فان الله أخبر أنه يعظمهم ويجلهم (قوله إن الله عزيز غفور) تعليل لوجوب الخشية كأنه قيل يجب على كل إنسان أن يخشى الله تعالى لأنه عزيز قاهر لما سواه غفور للمذنبين (قوله إن الذين يتلون كتاب الله) أى يقرءونه على طهارة أولا عن ظهر قلب أو فى المصحف وفضل الله واسع (قوله زكاة أو غيرها) لف ونشر مشوش وهو تحضيض على الانفاق كيفما تيسر (قوله يرجون تجارة) خبر إن أى يرجون ثواب تجارة (قوله ليوفيهم أجورهم) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله شكور) أى يثيبهم

(وَإِنْ) ما (مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا) سلف (فِيهَا نَذِيرٌ) نبي ينذرها (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) أى أهل مكة (فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات (وَبِالزُّبُرِ) كصحف إبراهيم (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بتكذيبهم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكارى عليهم بالعقوبة والإهلاك أى هو واقع موقعه (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) فيه التفات عن الغيبة (بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها (وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ) جمع جدة: طريق فى الجبل وغيره (بِيضٌ وَحُمْرٌ) وصفر (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) بالشدة والضعف (وَغَرَابِيبُ سُودٌ) عطف على جدد: أى صخور شديدة السواد، يقال كثيرا أسود غربيب، وقليلا غربيب أسود (وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) كاختلاف الثمار والجبال (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) بخلاف الجهال ككفار مكة (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) فى ملكه (غَفُورٌ) لذنوب عباده المؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ) يقرءون (كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) زكاة أو غيرها (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ) تهلك (لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ) ثواب أعمالهم المذكورة (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ) لذنوبهم (شَكُورٌ) لطاعتهم (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ،

على طاعتهم (قوله من الكتاب) من لبيان الجنس أو للتبعيض (قوله هو الحق) هو إما ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر والجملة خبر الذى ومصدقا حال مؤكدة (قوله عالم بالبواطن والظواهر) لف ونشر مرتب (قوله ثم أورثنا) آتى بثم إشارة لبعد رتبتهم عن رتبة غيرهم من الأمة (قوله أعطينا) أشار بذلك إلى أن المراد بالتوريث الاعطاء ، ووجه تسميته ميراثا أن الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب وكذلك إعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب (قوله من عبادنا) بيان للمصطفين (قوله وهم أمتك) أى أمة الاجابة سواء حفظوه كلا أو بعضا أولا وإلا فليس المراد باعطاء الكتاب حفظه بل الاهتداء بهديه والاقتداء به (قوله فمنهم ظالم لنفسه الخ) أى من غلبت سيئاته على حسناته ، والمقتصد من غلبت حسناته على سيئاته ، والسابق من لاتقع منه سيئة أصلا ، ولذا ورد فى الحديث فى تفسير هذه الآية «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» وقيل الظالم هو راجح السيئات والمقتصد هو الذى تساوت سيئاته وحسناته . والسابق هو الذى رجحت حسناته ، وقيل الظالم هو الذى ظاهره خير من باطنه والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقدم الظالم على من بعده ليقوى رجاؤه فى ربه ولئلا يعجب الطائع بعمله فيهلك وهذا على حد ماقيل فى قوله تعالى - إن الله يحب التوابين (٢٩٣) ويحب المتطهرين - (قوله باذن الله) متعلق بقوله سابق وإنما خص مع أن الكل باذن الله تنبيها على عزة هذه المرتبة فأضيفت لله (قوله يدخلون الخ) آتى بضمير جماعة الذكور فى تلك الآيات تغليبا للمذكر على المؤنث وإلا فلا خصوصية للذكور (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مرصع بالذهب) تقدم أنه أحد قولين ، وقيل إنهم يحلون فيها أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ (قوله وقالوا) عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله جميعه) أى لخوف الأمراض والفقر والموت وزوال النعم وغير ذلك من آفات الدنيا وهمومها (قوله الذى أحلنا) أى أدخلنا وأسكننا (قوله دار المقامة) مفعول ثان لأحلنا والمراد بها الجنة التى تقدم ذكرها (قوله لايمسنا فيها نصب) حال من ضمير أحلنا البارز (قوله تعب) أى فلا نوم فى الجنة لعدم التعب بها (قوله إعياء من التعب) أى فاذا اشتهى الشخص من أهل الجنة أن يسير وينظر ويتمتع بجميع ماأعطاه الله من الحور والغرف والقصور فى أقل زمن نعل ولايحصل له إعياء ولامشقة ، وبالجملة فأحوال الجنة لاتقاس على أحوال الدنيا وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية (قوله وذكر الثانى) جواب عما يقال ماالفائدة فى نفى اللغوب مع أن انتفاءه يعلم من انتفاء النصب لأن انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب (قوله والذين كفروا الخ) هذا مقابل قوله إن الذين يتلون كتاب الله على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه إذا ذكر أوصاف المؤمنين أعقبه بذكر أوصاف الكفار (قوله لايقضى عليهم) أى لايحكم عليهم بالموت وقوله فيموتوا مسبب عن قوله لايقضى وهو منفى أيضا لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب . إن قلت إن فى هذه الآية دليلا على أن أهل النار لايموتون وفى آية أخرى : لايموت فيها ولايحيا فيقتضى أن أهل النار لهم حالة بين الحالتين مع أنه لاواسطة . أجيب بأن المعنى لايموتون فيستريحون من العذاب ولايحيون حياة طيبة (قوله ولايخفف عنهم من عذابها) أى بحيث ينقطع عنهم زمنا ما وبهذا اندفع ماقيل إن بعض

مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) تقدمه من الكتب (إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) عالم بالبواطن والظواهر (ثُمَّ أَوْرَثْنَا) أعطينا (الْكِتَابَ) القرآن (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وهم أمتك (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالتقصير فى العمل به (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) يعمل به أغلب الأوقات (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل (بِإِذْنِ اللَّهِ) بإرادته (ذَٰلِكَ) أى إيراثهم الكتاب (هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول خبر جنات المبتدأ (يُحَلَّوْنَ) خبر ثان (فِيهَا مِنْ) بعض (أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ) مرصع بالذهب (وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ) جميعه (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للطاعة (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ) أى الإقامة (مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) تعب (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ) إعياء من التعب لعدم التكليف فيها ، وذكر الثانى التابع للأول للتصريح بنفيه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ) بالموت (فَيَمُوتُوا) يستريحوا (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) طرفة عين (كَذَٰلِكَ) كما جزيناهم (يُجْزَىٰ كُلُّ كَفُورٍ) كافر

أهل النار يخفف عنه كأبي طالب وأبي لهب لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفع في أبي طالب فنقل من ضحضاح من نار ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه ، وورد أن أبا لهب يسقى في نقرة ابهامه ماء كل ليلة اثنين لعتقه جاريته ثويبة حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم فتحصل أن المراد بعدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه (قوله بالياء) أي المضمومة مع فتح الزاي ورفع كل وقوله والنون المفتوحة أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله يصطرخون فيها) أي يصيحون فيها (قوله وعويل) العويل رفع الصوت بالبكاء (قوله يقولون) قدره اشارة إلى أن قوله : ربنا أخرجنا الخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله يصطرخون (قوله منها) قدره هنا لدلالة الآية الأخرى عليه (قوله صالحا) صفة لموصوف محذوف تقديره عملا صالحا (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التوبيخ والتبكيت (قوله أولم نعمركم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أتعتذرون وتقولون ربنا أخرجنا الخ ولم نؤخركم ونمهلكم ونعطكم عمرا يتمكن فيه مريد التذكر من التذكر والتفكر (قوله مايتذكر) ما نكرة موصوفة بمعنى وقت ولذا قدره المفسر (قوله وجاءكم النذير) عطف على معنى الجملة الاستفهامية كأنه قال أقروا بأتنا عمرناكم وجاءكم النذير (قوله الرسول) أي رسول كان ، لأن هذا الكلام مع عموم الكفار من أول الزمان لآخره (قوله فذوقوا) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله ، فما أجبتم فاندفع مايقال إن

بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) يستغيثون بشدة وعويل يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا) منها (نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فيقال لهم (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا) وقتا (يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) الرسول فما أجبتم (فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (مِنْ نَصِيرٍ) يدفع العذاب عنهم (إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ) جمع خليفة أي يخلف بعضكم بعضا (فَمَنْ كَفَرَ) منكم (فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) أي وبال كفره (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا) غضبا (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) للآخرة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى (أَرُونِي) أخبروني (مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) شركة مع الله (فِي) خلق (السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ) حجة (مِنْهُ) بأن لهم معي شركة لاشيء

ظاهر الآية ربما يوهم أن إذاقتهم العذاب مرتبة على مجيء الرسول مع أنه ليس كذلك (قوله من نصير) من زائدة ونصير مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله غيب السموات والأرض) أي ماغاب عنا فيهما (قوله إنه عليم بذات الصدور) تعليل لما قبله كأنه قيل إذا علم ماخفي في الصدور كان أعلم بغيرها من باب أولى وقوله بالنظر إلى حال الناس جواب عما يقال علم الله لا تفاوت فيه بل جميع الأشياء مستوية في علمه لافرق بين ماخفي منها على الخلق وماظهر لهم فأجاب بما ذكر أي أن الأولوية من حيث عادة الناس الجارية أن من علم الخفي يعلم الظاهر بالأولى (قوله هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي رعاة مسئولين عن رعاياكم من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم فكل إنسان خليفة في الارض وهو راع وكل راع مسئول عن رعيته (قوله جمع خليفة) كذا في بعض النسخ بالتاء وفي بعض النسخ بلاتاء والأولى أولى لأن خليفا جمعه خلفاء وأما خليفة فجمعه خلائف (قوله أي وبال كفره) أي فلا يضر إلا نفسه (قوله ولا يزيد الكافرين الخ) بيان لو بال كفرهم وعاقبته (قوله قل أرأيتم الخ) رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلاهمز وبالهمز كما هنا تتعدى للمفعولين الأول قوله شركاءكم والثاني قوله ماذا خلقوا من الأرض على سبيل التنازع لأن كلا من أرأيتم وأروني طالب ماذا خلقوا من الأرض على أنه مفعول له (قوله شركاءكم) أضافهم لهم من حيث إنهم جعلوهم شركاء أو من حيث إنهم شركوهم في أموالهم فإنهم كانوا يعينون شيئا من أموالهم لآلهتهم وينفقونه على خدمتها ويذبحون عندها (قوله ماذا خلقوا من الأرض) أي أي شيء خلقوه من الأمور التي في الأرض كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك (قوله أم لهم شرك) أم في الموضعين منقطعة تفسر ببل والهمزة (قوله أم آتيناهم) أي الشركاء (قوله على بينة) بالافراد والجمع قراءتان سبعيتان

(قوله لاشيء من ذلك) جواب الاستفهام في الجمل الثلاث وهو انكاري (قوله بل إن يعد الظالمون) لما ذكر نفي الحجج أضرب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء على الشرك وإضلال الأتباع وهو قولهم لهم إنهم شفعاء عند الله (قوله بعضهم) بدل من الظالمون (قوله بقولهم) أي الرؤساء للأتباع (قوله أي يمنعهما من الزوال) أشار بذلك إلى أن الامساك بمعنى المنع وقوله أن تزولا أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من (قوله ولئن زالتا) اجتمع قسم وشرط فقوله إن أمسكهما جواب الأول وحذف جواب الثاني على القاعدة المعروفة (قوله من أحد) من زائدة في الفاعل وقوله من بعده من ابتدائية والتقدير ما أمسكهما أحد مبتدأ وناشئا من غيره (قوله إنه كان حليما غفورا) تعليل لقوله إن الله يمسك السموات والأرض: أي فامساكهما حاصل بحلمه وغفرانه وإلا فكانتا جديرتين بأن تزولا كما قال تعالى - تكاد السموات يتفطرن منه - الآية ، فحلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد إذ لولاه لما بقي شيء من العالم ، فقول العامة حلم الله يفتت الكبود اساءة أدب (قوله أي كفار مكة) أي قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم وأقسموا بالله تعالى لئن جاءهم نبي ينذرهم ليكونن

لاشيء من ذلك (بَلْ إِنْ) ما (يَعِدُ الظَّالِمُونَ) الكافرون (بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً) باطلاً بقولهم الأصنام تشفع لهم (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا) أي يمنعهما من الزوال (وَلَئِنْ) لام قسم (زَالَتَا إِنْ) ما (أَمْسَكَهُمَا) يمسكهما (مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ) أي سواه (إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً) في تأخير عقاب الكفار (وَأَقْسَمُوا) أي كفار مكة (بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) غاية اجتهادهم فيها (لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) رسول (لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ) اليهود والنصارى وغيرهم ، أي أي واحدة منها لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضا إذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ) محمد صلى الله عليه وسلم (مَا زَادَهُمْ) مجيئه (إِلَّا نُفُوراً) تباعداً عن الهدى (اسْتِكْبَاراً فِي الْأَرْضِ) عن الإيمان مفعول له (وَمَكْرَ) العمل (السَّيِّئِ) من الشرك وغيره (وَلَا يَحِيقُ) يحيط (الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) وهو الماكر ووصف المكر بالسيء أصل وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذراً من الإضافة إلى الصفة (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ينتظرون (إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ) سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً) ،

أهدى من إحدى الأمم (قوله جهد أيمانهم) الجهد بالفتح بلوغ الغاية في الاجتهاد وأما بالضم فهو الطاقة وإنما كان الحلف بالله غاية إيمانهم لأنهم كانوا يحلفون بآبائهم وأصنامهم فإذا أرادوا التأكيد والتشديد حلفوا بالله (قوله ليكونن) هذه حكاية لكلامهم بالمعنى وإلا فلفظه لنكونن الخ (قوله من إحدى الأمم) المراد من إحدى الأحد الدائر فالمعنى من كل الأمم فقول المفسر: أي أي واحدة منها الأوضح أن يقول أي كل واحدة منها

(قوله مازادهم إلا نفورا) جواب لما وفيه إشعار بأن فيهم أصل النفور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد اسماعيل (قوله مفعول له) أي لأجل الاستكبار ويصح أن يكون بدلا من نفورا أو حالا من ضمير زادهم ، أي حال كونهم مستكبرين (قوله ووصف المكر بالسيء) أي في قوله ولا يحيق المكر السيء وقوله أصل: أي جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة للموصوف (قوله وإضافته إليه قبل) أي في قوله ومكر السيء (قوله استعمال آخر) أي جاء على خلاف الأصل حيث أضيف فيه الموصوف للصفة (قوله قدر فيه مضاف) أي مضاف إليه وقوله حذرا من الاضافة إلى الصفة أي من اضافة المكر الذي هو الموصوف إلى السيء الذي هو الصفة فيجعل المكر مضافا لمحذوف والسيء صفة لذلك المحذوف وتلك الاضافة من اضافة العام للخاص لأن المكر يشمل الاعتقاد والعمل فاضافته للعمل تخصيص له (قوله فهل ينظرون إلا سنت الأولين) أي فلا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم (قوله سنة الله فيهم) أشار بذلك إلى أن قوله سنت الأولين مصدر مضاف لمفعوله ، وسيأتي إضافته لفاعله في قوله لسنت الله (قوله فلن تجد) الفاء للتعليل كأنه قيل لاينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم لأنك أيها العاقل لن تجد الخ .

(قوله أى لايبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه) أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره والتحويل نقله لغير مستحقه وجمع بينهما للتهديد والتقريع (قوله أو لم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والتقدير أتركوا السفر ولم يسيروا وهو استشهاد على أن سنة الله لاتبديل لها ولا تحويل والاستفهام إنكاري بمعنى النفى ونفى النفى إثبات . والمعنى بل ساروا فى الأرض ومروا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم فنظروا آثار ديارهم (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى على أى حالة كانت ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب رسلهم فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك (قوله وكانوا أشد منهم قوة) أى أطول أعمارا والجملة حالية أو معطوفة على قوله من قبلهم (قوله وما كان الله ليعجزه الخ) تقرير لما فهم من استئصال الأمم السابقة (قوله إنه كان عليما قديرا) تعليل لما قبله (قوله بما كسبوا) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة : أى بسبب كسبهم أوالذى كسبوه (قوله من المعاصى) بيان لما (قوله ماترك على ظهرها من دابة) أى من جميع مادب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها وذلك بأن يمسك عنها ماء السماء مثلا فينقطع عنهم النبات فيموتون جوعا فالظالم لظلمه وغير الظالم بشؤم الظالم وعبر بالظهر تشبيها للأرض بالدابة من حيث التمكن عليها و يعبر تارة بوجه الأرض من حيث إن ظاهرها كالوجه للحيوان وغيره كالبطن وهو الباطن منها فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهرها فهو من قبيل إطلاق الضدين على شىء واحد (قوله نسمة) من التنسم وهو التنفس أى ذى روح (قوله فيجازيهم بأعمالهم) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فإن الله الخ تعليل له.

أى لايبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ يسبقه ويفوته ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أى بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصى ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ أى الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أى يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين .

(سورة يس)

مكية ، أو إلا قوله : وإذا قيل لهم أنفقوا الآية ، أو مدنية اثنتان وثمانون آية

[سورة يس مكية] أى كلها وقوله أو إلا قوله و إذا قيل الخ قول ثان وقوله أو مدنية أى كلها وهو قول ثالث ، وورد فى فضل سورة يس أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم «اقرءوا يس على موتاكم» ومنها «ما من ميت يقرأ عليه يس إلا هون الله عليه» ومنها «من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له فى تلك الليلة» ومنها «إن لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس ، ومن قرأ يس كتب الله بها قراءة القرآن عشر مرات» ومنها «إن فى القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها ألا وهى سورة يس تدعى فى التوراة المعمة قيل يارسول الله وما المعمة ؟ قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى أيضا الدافعة والقاضية قيل يارسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة» ومنها «من قرأ يس حين يصبح أعطى يسر يومه حتى يمسى ، ومن قرأها فى صدر ليلته أعطى يسر ليلته حتى يصبح» ومنها عن أبى جعفر «من وجد فى قلبه قسوة فليكتب سورة يس فى جام أى إناء بزعفران ثم يشربه» ومنها «من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفورا له» ومنها «من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات» ومنها عن يحيى بن أبى كثير «بلغنى أن من قرأ سورة يس ليلا لم يزل فى فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى وقد حدثنى بهذا من جربها» ومنها «إن لكل شىء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كأنما قرأ القرآن عشر مرات وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه و يستغفرون له و يشهدون غسله و يتبعون جنازته و يصلون عليه و يشهدون دفنه وأيما مسلم قرأ سورة يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان و يمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان» (بسم

ومنها « يس لما قرئت له » وحكمة اختيار الصالحين في استعمالها التكرار كأربع أوسبع أوأحد وأربعين أوغير ذلك شدة الحجاب والغفلة على القلب فبالتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته وإن كان الفضل الله كورلايتوقف على تكرار كما يشهد له هذه الأحاديث (قوله يس) القراء السبعة على تسكين النون بادغامها في الواو بعدها أو باظهارها وقرئ شذوذا بضم النون وفتحها وكسرها فالأول خبر لمبتدإ محذوف أي هذه ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث . والثاني إما على البناء على الفتح تخفيفا كأين وكيف أو مفعول به لفعل محذوف تقديره اتل أومجرور بحرف قسم محذوف وهوممنوع من الصرف . والثالث مبني على الكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين (قوله الله أعلم بمراده به) هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة كحم وطس وتقدم أن هذا القول أسلم ، وقيل معناه يا إنسان وأصله يا أنيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به ، وقيل هواسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل اسم للقرآن (قوله والقرآن الحكيم) كلام مستأنف لامحل له من الاعراب وهو قسم وجوابه قوله إنك لمن المرسلين (قوله المحكم) أي المتقن الذي هوفي أعلى طبقات البلاغة (قوله متعلق بما قبله) أي بالمرسلين ويصح أن يكون خبرا ثانيا لإن كأنه قيل إنك لمن المرسلين إنك على صراط مستقيم . (قوله أي طريق الأنبياء قبلك) أي وقولهم إن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخ لجميع الشرائع فهو باعتبار الفروع ، وأما الأصول فالكل مستوون فيها ولايتعلق بها نسخ . قال تعالى : شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الآية ، وقال تعالى : فبهداهم اقتده (قوله وغيره) أي إن واللام والجملة الاسمية (قوله خبر مبتدإ مقدر) هذا أحد وجهين في الآية والآخر النصب على أنه مفعول لمحذوف أي أمدح أومفعول مطلق لنزل والقراءتان سبعيتان (قوله لتنذر قوما) أي العرب وغيرهم (قوله في زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب مابين إسمعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبالنسبة لغيرهم مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله فهم غافلون) مرتب على نفي الانذار وقوله أي

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . يس) الله أعلم بمراده (وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني (إِنَّكَ) يامحمد (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَىٰ) متعلق بما قبله (صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) أي طريق الأنبياء قبلك التوحيد والهدى ، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له : لست مرسلا (تَنزِيلَ الْعَزِيزِ) في ملكه (الرَّحِيمِ) بخلقه خبر مبتدإ مقدر : أي القرآن (لِتُنذِرَ) به (قَوْمًا) متعلق بتنزيل (مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ) أي لم ينذروا في زمن الفترة (فَهُمْ) أي القوم (غَافِلُونَ) عن الإيمان والرشد (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ) وجب (عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ) بالعذاب (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي الأكثر (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا) ،

القوم تفسير للضمير ويصح أن يكون الضمير راجعا للفريقين هم وآباؤهم (قوله لقد حق القول) أي وهو قوله : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قوله على أكثرهم) أي أكثر الكافرين في كل زمن فالأقل متحتم إيمانه والأكثر متحتم كفره وتقدم لنا في سورة الأنعام أن الأقل واحد من ألف (قوله فهم لايؤمنون) تفريع على ماقبله وأشار بذلك إلى أن الايمان والكفر بتقدير الله فمن طبعه على أحدهما فلا يستطيع التحول عنه ، وإنما الأمر بالايمان باعتبار التكليف الظاهري والنوع الاختياري ومن هنا قول بعض العارفين :

الكل تقدير مولانا وتأسيسه ... فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه
وقل لقلبك إذا زاغت وساوسه ... إبليس لما طغى من كان إبليسه

(قوله إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) قيل نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين ، وذلك أن أباجهل حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بحجر فلمارآه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما أومأ إليه رجعت يداه إلى عنقه والتصق الحجر بيديه فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن المغيرة أنا أرضخ رأسه فأتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر فأعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقال الثالث والله لأشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شأنك قال شأني عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبه مارأيت قط فحلا أعظم منه حال بيني و بينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى تلك الآية وفيها إشارة إلى مايحصل لهم في جهنم من السلاسل

والأغلال وعمى أبصارهم وفيها أيضا استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى امتناعهم من الهدى والإيمان بحال من غلت يده فى عنقه وعمى بصره بجامع أن كلا ممنوع من الوصول إلى المقصود فتحصل أن الآية دالة على الأمور الثلاثة سبب النزول وما يحصل لهم فى الآخرة وتمثيل لمنعهم من الهدى (قوله بأن تضم إليها الأيدى) جعل المفسر هذا توطئة لإرجاع الضمير للأيدى فى قوله فهى الى الأذقان كأنه قال الأيدى و إن لم يتقدم لها ذكر صراحة فهى مذكورة ضمنا فى قوله الأغلال لأن الغل يدل عليها (قوله مجموعة) قدره إشارة إلى أن قوله إلى الأذقان متعلق بمحذوف ولو قدره مرفوعة لكان أظهر وذلك أن اليد ترفع تحت الذقن و يلبس الغل فى العنق فتضم اليد إليه تحت الذقن فحينئذ لايستطيعون خفض رأس ولا التفاتا (قوله وهذا تمثيل) أى استعارة تمثيلية للمعنى المذكور وفيه إشارة إلى سبب النزول و إلى مايحصل لهم فى الآخرة كما علمت (قوله بفتح السين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأغشيناهم) هو بالغين المعجمة فى قراءة العامة أى غطينا أبصارهم وقرئ شذوذا بالعين المهملة من العشا وهو عدم الإبصار ليلا . والمعنى أضعفنا أبصارهم عن الهدى كعين الأعشى (قوله تمثيل) أى استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى سد طرق الايمان عليهم ومنعهم منه بحال من سدت عليه الطرق وأخذ بصره بجامع أن كلا لايهتدى لمقصوده (قوله وسواء عليهم ءأنذرتهم الخ) هذا نتيجة ماقبله وقوله لايؤمنون بيان للاستواء . والمعنى إنذارك وعدمه سواء فى عدم إيمانهم وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع إدخال ألف بينهما وتركه فالقراءات خمس لا أربع كما توهمه عبارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال فيه قراءة واحدة وهى سبعيات (قوله ينفع إنذارك) جواب عما يقال إن ظاهر الآية يقتضى أن رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل هى لقوم مخصوصين وهم من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب و يخالف قوله سابقا لتنذر قوما الخ فأجاب المفسر عن ذلك بأن محط الحصر الانذار النافع فلا ينافى وجود غيره لمن لم ينتفع به (قوله بالغيب) يصح أن يكون حالا من الفاعل أو المفعول وتقدم نظيره (قوله فبشره بمغفرة الخ) تفريع على ماقبله إشارة لبيان عاقبة أمرهم (قوله إنا نحن نحيي الموتى) أى نبعثهم فى الآخرة للمجازاة على أعمالهم (قوله ونكتب ماقدموا) إن قلت إن الكتابة متقدمة قبل الأحياء إذ هى فى الدنيا والاحياء يكون فى الآخرة . أجيب بأنه قدم الاحياء اعتناء بشأنه إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة (قوله فى اللوح المحفوظ) المناسب أن يقول فى صحف الملائكة لأن الكتابة التى تكون فى حياة العباد إنما هى فى صحف الملائكة ، وأما اللوح فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق (قوله ما استن به بعدهم) أى من خير كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو نخل غرسوه أو وقف حبسوه أو غير ذلك أو شر كمكس ربوه أو ضلالة أحدثوها أو غير ذلك كما فى الحديث من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من وزرهم شىء (قوله نصبه بفعل يفسره الخ) أى فهو من باب الاشتغال (قوله واضرب لهم مثلا) هذا خطاب

(اصحاب)

بأن تضم إليها الأيدى لأن الغل يجمع اليد إلى العنق (فَهِيَ) أى الأيدى مجموعة (إِلَى الْأَذْقَانِ) جمع ذقن وهى مجتمع اللحيين (فَهُمْ مُقْمَحُونَ) رافعون رءوسهم لايستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لايذعنون للإيمان ولا يخفضون رءوسهم له (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا) بفتح السين وضمها فى الموضعين (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم (وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ) بتحقيق الهمزتين و إبدال الثانية ألفا وتسهيلها و إدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . إِنَّمَا تُنْذِرُ) ينفع إنذارك (مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) القرآن (وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ) خافه ولم يره (فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) هو الجنة (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ) للبعث (وَنَكْتُبُ) فى اللوح المحفوظ (مَا قَدَّمُوا) فى حياتهم من خير وشر ليجازوا عليه (وَآثَارَهُمْ) ما استن به بعدهم (وَكُلَّ شَيْءٍ) نصبه بفعل يفسره (أَحْصَيْنَاهُ) ضبطناه (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) كتاب بيّن هو اللوح المحفوظ (وَاضْرِبْ) اجعل (لَهُمْ مَثَلًا) مفعول أول ،

النبى صلى الله عليه وسلم أن يضرب لقومه مثلا لعلهم يتعظون فيؤمنون (قوله أصحاب مفعول ثان) الأوضح أن يجعله مفعولا أول (قوله أنطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة، وهى مدينة بأرض الروم ذات سور عظيم من صخر ، وهى بين خمسة جبال دورها اثنا عشر ميلا . وحاصل تلك القصة أن عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية اسم أحدهما صادق والثانى مصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له هو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه ، فقال الشيخ لهما من أنتما ، فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن ، فقال أمعكما آية قالا نعم نشفى المريض ونبرئ الأكمه والأبرص باذن الله تعالى ، وذلك كرامة لهما ومعجزة لنبيهما لأنه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته ، قال الشيخ إن لى ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نتطلع حاله ، فأتى بهما فمسحا ابنه فقام فى الوقت باذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر فى المدينة وشفى الله على أيديهما كثيرا من المرضى ، وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه أنطيخا فدعا بهما وقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيم جئتما قالا ندعوك من عبادة من لايسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر قال وهل لنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذى أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر فى أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ووضعوهما فى السجن ، فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفى على أثرهما لينصرهما ، فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورضى عشرته ، فقال للملك ذات يوم : بلغنى أنك حبست رجلين فى السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك ، فهل كلمتهما وسمعت قولهما ، فقال حال الغضب بينى وبين ذلك ؟ قال فإنى أرى أيها الملك أن تدعوهما حتى نطلع على ماعندهما فدعاهما الملك ، فقال شمعون من أرسلكما إلى ههنا قالا الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك ، فقال شمعون فصفاه وأوجزا قالا إنه يفعل مايشاء ويحكم مايريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ماتتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما فى حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت آلهتك حتى يصنعوا مثل هذا كان لك الشرف ولآلهتك فقال له الملك ليس لى عنك سر مكتوم فإن إلهنا الذى نعبده لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، وكان شمعون يدخل مع الملك على الصنم ويصلى ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم ، فقال الملك للرسولين إن قدر إلهكما الذى تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شئ فقال الملك إن ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت ؟ وقال إنى ميت منذ سبعة أيام وكنت مشركا فأدخلت فى سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم عليه فآمنوا بالله ، ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين وأشار بيده إلى صاحبيه ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وكلمته، فعجب الملك من ذلك ، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر فى الملك أخبره بالحال وأنه رسول عيسى ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون ، وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه ، فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين (قوله إلى آخره) أى آخر القصة وهو قوله إلا كانوا به يستهزءون (قوله المرسلون) جمع باعتبار الثالث (قوله أى رسل عيسى) هذا هو المشهور ، وقيل إنهم رسل من الله من غير واسطة عيسى أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية (قوله بدل من إذ الأولى) أى بدل مفصل من مجمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أى أنهما قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا إنا إليكم مرسلون) أكدوا كلامهم بإنّ لتقدم الانكار بتكذيب الاثنين وتكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد مقالتهم (قوله قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أى فلا مزية لكم علينا .

(أَصْحَابَ) مفعول ثان (الْقَرْيَةِ) أنطاكية (إِذْ جَاءَهَا) إلى آخره بدل اشتمال من أصحاب القرية (الْمُرْسَلُونَ) أى رسل عيسى (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا) إلى آخره بدل من إذ الأولى (فَعَزَّزْنَا) بالتخفيف والتشديد: قوّينا الاثنين (بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ . قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ . قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ) ،

(قوله جار مجرى القسم) أى فيؤكد به كالقسم ويجاب كما يجاب به القسم (قوله لزيادة الانكار) أى حيث تعدد ثلاث مرات (قوله وهى إبراء الأكمه) أى الأعمى (قوله قالوا إنا تطيرنا بكم) التطير التفاؤل، سمى بذلك لأنهم كانوا يتفاءلون بالطير إذا أرادوا سفرا أوغيره فان ذهب ميمنة قالوا خير وإن ذهب ميسرة قالوا شر (قوله لانقطاع المطرعنا بسببكم) قيل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم (قوله لام قسم) أى وقد حنثوا فيه لأن الله أهلكهم قبل أن يفعلوا بهم ماحلفوا عليه (قوله بكفركم) الباء سببية أى طائركم حاصل معكم بسبب كفركم وعنادكم (قوله وإدخال ألف) أى وتركه فالقراآت أربع سبعيات (قوله وجواب الشرط محذوف) أى على القاعدة وهى أنه إذا اجتمع استفهام وشرط أتى بجواب الاستفهام وحذف جواب الشرط وهومذهب سيبويه وعند يونس بالعكس (قوله وهو محل الاستفهام) أى هو المستفهم عنه، والمعنى لاينبغى ولايليق بكم التطاير والكفر حيث وعظتم بل آمنوا وانقادوا (قوله بل أنتم قوم مسرفون) إضراب عماتقتضه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أى ليس الأمر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الإسراف فى العصيان فشؤمكم لذلك (قوله متجاوزون الحد بشرككم) أى بعد ظهور المعجزات، وهذا الخطاب لمن بقى على الكفر منهم وهم الذين رجموا حبيبا النجار وأهلكهم الله كما يأتى (قوله وجاء من أقصى المدينة) هى أنطاكية المعبر عنها أولا بالقرية وعبر عنها بالمدينة إشارة إلى عظمها وكبرها (قوله هو حبيب النجار) أى ابن إسرائيل كان يصنع لهم الأصنام وهو ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل وجوده كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما وفى الحقيقة كل نبى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره بمصداق قوله تعالى - و إذ أخذ الله ميثاق النبيين - الآية وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم، وأما غيره من الموجود الأنبياء فلم يؤمن به أحد إلا بعد ظهوره (قوله كان قد آمن بالرسل) أى رسل عيسى، وسبب إيمانه ماتقدم من شفاء ولده المريض، وقيل إنه كان مجذوما وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف، فلما دعاه الرسل إلى عبادة الله قال لهم هل من آية قالوا له تدعو ربنا القادر يفرج عنك مابك فقال إن هذا عجيب ! قد عبدت هذه الأصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه فهل يستطيع ربكم تفريجه فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا على كل شىء قدير، فدعوا ربهم فكشف مابه فآمن (قوله يشتد عدوا) أى يسرع فى مشيته حرصا على نصح قومه والدفع عن الرسل (قوله تأكيد للأول) أى تأكيد لفظى فلفظ اتبعوا الثانى تأكيد للفظ اتبعوا الأول من توكيد الفعل بالفعل (قوله من لايسئلكم أجرا) بدل من المرسلين، والمعنى اتبعوا الصادقين المخلصين الذين لم يريدوا منكم العرض الفانى إذ لوكانوا غير مخلصين لطلبوا منكم المال ونازعوكم على الرياسة (قوله وهم مهتدون) الجملة حالية وهو تعريض لهم بالاتباع أى فاهتدوا أنتم تبعا لهم (قوله أنت على دينهم) فيه حذف همزة الاستفهام (قوله ومالى لاأعبد الذى فطرنى) تلطف فى إرشادهم وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم، والأحسن أن فى الآية احتباكا حيث حذف من الأول نظير ماأثبته فى الآخر، والأصل ومالى لاأعبد الذى فطرنى وفطركم و إليه ترجعون وأرجع.

(٣٠٠)

جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ماقبله لزيادة الإنكار فى (إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة. وهى إبراء الأكمه والأبرص والمريض وإحياء الميت (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا) تشاءمنا (بِكُمْ) لانقطاع المطر عنا بسببكم (لَئِنْ) لام قسم (لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ) بالحجارة (وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (قَالُوا طَائِرُكُمْ) شؤمكم (مَعَكُمْ) بكفركم (أَئِنْ) همزة استفهام دخلت على إن الشرطية وفى همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها بوجهيها و بين الأخرى (ذُكِّرْتُمْ) وعظتم وخوفتم وجواب الشرط محذوف: أى تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ) متجاوزون الحد بشرككم (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ) هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسل ومنزله بأقصى البلد (يَسْعَى) يشتد عدوا لما سمع بتكذيب القوم الرسل (قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ. اتَّبِعُوا) تأكيد للأول (مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا) على رسالته (وَهُمْ مُهْتَدُونَ) فقيل له أنت على دينهم فقال (وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) خلقنى: أى لامانع لى من عبادته،

(قوله الموجود مقتضيها) أى وهو كون الله فطره وخلقه (قوله فى الهمزتين منه ماتقدم) أى من القراآت الأربع وتقدم أنها خمسة التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها و إبدال الثانية ألفا وهى سبعيات (قوله وهو استفهام بمعنى النفى) أى وهو إنكارى (قوله من دونه) يصح أن يكون مفعولا ثانيا مقدما لاتخذوا على أنها متعدية لاثنين وآلهة مفعول أول مؤخر و يصح أن يكون حالا من آلهة أومتعلقا باتخذوا على أنها متعدية لواحد (قوله لاتغن عنى شفاعتهم) أى لاتنفعنى شفاعتهم فهو من الغناء بالفتح وهو النفع ، ومنه قول البوصيرى : * قلن مافى اليتيم عنا غناء * (قوله صفة آلهة) أى جملة ـ إن يردن الرحمن ـ الخ فهى فى محل نصب ، والأوضح أن تكون مستأنفة سيقت لتعليل النفى المذكور لأن جعلها صفة يوهم أن هناك آلهة ليست كذلك (قوله إن عبدت غير الله) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن جملة (قوله فى ضلال مبين) أى لثبوت الأدلة على بطلان ذلك (قوله فاسمعون) بكسر النون فى قراءة العامة وهى نون الوقاية حذفت بعدها ياء الاضافة وقرئ شذوذا بفتحها ولاوجه له فى العربية لأن فعل الأمر يبنى على حذف النون (قوله أى اسمعوا قولى) أى ماقلته لكم وهو اتبعوا المرسلين الخ (قوله فرجموه فمات) أى وهو يقول : اللهم اهد قومى ، وقيل حرقوه وجعلوه فى سور المدينة وقبره فى سور أنطاكية ، وقيل نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه (٣٠١) فوالله ماخرجت روحه إلا فى الجنة ، وفى رواية أنهم قتلوا معه الرسل الثلاثة ووضعوهم فى بئر وهى الرس (قوله وقيل له عند موته) هذا أحد أقوال ثلاثة اقتصر المفسر على اثنين منها والثالث أن هذا القول كناية عن البشرى بأنه يدخل الجنة (قوله وقيل دخلها حيا) أى فحين هموا بقتله رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حيا إكراما له كما وقع لعيسى عليه السلام أنه رفع إلى السماء (قوله

الموجود مقتضيها وأنتم كذلك (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بعد الموت فيجازيكم بكفركم (ءَأَتَّخِذُ) فى الهمزتين منه ماتقدم فى «ءأنذرتهم» وهو استفهام بمعنى النفى (مِنْ دُونِهِ) أى غيره (آلِهَةً) أصناما (إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ) التى زعمتموها (شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ) صفة آلهة (إِنِّي إِذًا) أى إن عبدت غير الله (لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أى اسمعوا قولى فرجموه فمات (قِيلَ) له عند موته (ادْخُلِ الْجَنَّةَ) وقيل دخلها حيا (قَالَ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي) بغفرانه (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ . وَمَا) نافية (أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ) أى حبيب (مِنْ بَعْدِهِ) بعد موته (مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ) أى ملائكة لإهلاكهم (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) ملائكة لإهلاك أحد (إِنْ) ما (كَانَتْ) عقوبتهم (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح بهم جبريل (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) ساكتون ميتون (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهى شدة التألم ونداؤها مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ

قال ياليت قومى) أى وهم الذين نصحهم أولا فقد نصحهم حيا وميتا (قوله بغفرانه) أشار بذلك إلى أن مامصدرية ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف أى بالذى غفره لى ويصح أن تكون استفهامية أى بأى شئ غفر لى أى بأمر عظيم وهو توحيدى وصدعى بالحق (قوله وماأنزلنا على قومه الخ) هذا تحقير لهم وتصغير لشأنهم ، والمعنى لم نحتج فى إهلاكهم إلى إرسال جنود من الملائكة بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلا وقوله ـ وماكنا منزلين ـ أى لم يكن شأننا وعادتنا إرسال جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم بل إذا أردنا إهلاكا عاما يكون بغير الملائكة كصيحة أو رجفة أوغير ذلك إن قلت إن الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه . أجيب بأن إنزالهم تكرمة للنبى وأصحابه لا للاهلاك العام ، وقيل نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله بعد موته) أى أو بعد رفعه حيا على القول الآخر (قوله لاهلاك أحد) أى من الأمم السابقة (قوله صاح بهم جبريل) أى صاح عليهم (قوله ميتون) أى فشبهوا بالنار الخامدة لانقطاع النفع فى كل (قوله ياحسرة على العباد) يحتمل أن يكون من كلام الله أوالملائكة أو المؤمنين ، والمراد بالعباد جميع الكفار فأل للجنس ، وقيل المراد بالعباد نفس الرسل وعلى بمعنى من والقائل ذلك الكفار والتقدير ياحسرة علينا من مخالفة العباد والأوجه الأول الذى مشى عليه المفسر .

(قوله إلا كانوا به يستهزئون) الجملة حالية من مفعول يأتيهم (قوله مسوق الخ) أى فهو استئناف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماوجه التحسر عليهم فقيل ما يأتيهم الخ (قوله لبيان سببها) أى بواسطة فان الاستهزاء سبب لإهلاكهم وهو سبب للحسرة (قوله لاشتماله) أى دلالته (قوله ألم يروا الخ) رأى علمية وكم خبرية مفعول لأهلكنا مقدّم وقبلهم ظرف لأهلكنا ومن القرون بيان لكم (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما بعد النفى (قوله معمولة لما بعدها) أى وليست معمولة ليروا لأن كم الخبرية لها الصدارة فلا يعمل ماقبلها فيها (قوله معلقة ماقبلها عن العمل) إن قلت إن كم الخبرية لاتعلق وإنما التعليق للاستفهامية. قال ابن مالك: وإن ولا لام ابتداء أو قسم كذا والاستفهام ذا له انحتم أجيب بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية فى التعليق (قوله والمعنى أنا أهلكنا) أى وقد علموا ذلك (قوله بدل مما قبله) أى بدل اشتمال لأن إهلاكهم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم أو بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل كأن إهلاكهم عين رجوعهم (قوله برعاية المعنى المذكور) أى وهو قوله أنا أهلكنا الخ، والمعنى قد علموا إهلاكنا كثيرا من القرون السابقة المشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقين وهم أهل مكة فينبغى أن يعتبروا بهم (قوله نافية) أى ولما بالتشديد بمعنى إلا، وقوله أو مخففة: أى مهملة ولما بالتخفيف واللام فارقة (قوله وما زائدة) للتأكيد فقد أغنت عن الحصر المستفاد

من قراءة التشديد فتحصل أن من شدد لما جعلها بمعنى إلا وإن نافية وهذا باتفاق البصريين والكوفيين ومن خفف لما فالبصريون على أن إن مخففة واللام فارقة وما زائدة وجوز الكوفيون جعل لما بمعنى إلا وإن نافية والقراءتان سبعيتان (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله أى مجموعون) دفع بذلك ما يتوهم من ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع فاجاب بأن كل أشير بها لاستغراق الأفراد (افلا

إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدى إلى إهلاكهم المسبب عنه الحسرة (أَلَمْ يَرَوْا) أى أهل مكة القائلون للنبى لست مرسلا والاستفهام للتقرير أى علموا (كَمْ) خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل، والمعنى أنا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ) كثيرا (مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (أَنَّهُمْ) أى المهلكين (إِلَيْهِمْ) أى المكيين (لَا يَرْجِعُونَ) أفلا يعتبرون بهم؟ وأنهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور (وَإِنْ) نافية أو مخففة (كُلٌّ) أى كل الخلائق مبتدأ (لَمَّا) بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة (جَمِيعٌ) خبر المبتدإ أى مجموعون (لَدَيْنَا) عندنا فى الموقف بعد بعثهم (مُحْضَرُونَ) للحساب خبر ثان (وَآيَةٌ لَهُمُ) على البعث، خبر مقدم (الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ) بالتشديد والتخفيف (أَحْيَيْنَاهَا) بالماء مبتدأ (وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا) كالحنطة (فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ. وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ) بساتين (مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ) أى بعضها (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) بفتحتين وبضمتين أى ثمر المذكور من النخيل وغيره (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى لم تعمل الثمر

وجميع أشير بها لاجتماع الكل فى مكان واحد للحشر (قوله وآية لهم) أى علامة ظاهرة ودالة على الاحياء بعد الموت (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مبتدأ) أخره بعد قوله أحييناها إشارة إلى أنه صفة للأرض والصفة مع الموصوف كالشئ الواحد (قوله وجعلنا) عطف على أحييناها (قوله من نخيل) هو والنخل بمعنى واحد لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنث عند أهل الحجاز ويذكر عند تميم ونجد والنخيل مؤنثة بلاخلاف إذا علمت ذلك فقول المفسر فيما يأتى من النخيل وغيره ليس بجيد بل المناسب وغيرها (قوله وفجرنا) بالتشديد فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالتخفيف (قوله أى بعضها) أشار بذلك إلى أن من تبعيضية ويصح أن تكون زائدة (قوله بفتحتين وبضمتين) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ثمر المذكور) دفع بذلك مايقال إن الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية فأجاب بأنه أفرد باعتبار ماذكر (قوله أى لم تعمل الثمر) أشار بذلك إلى أن ما نافية، والمعنى أنه ليس لهم إيجاد شئ بل الفاعل والمنبت هو الله تعالى كما قال فى الآية الأخرى ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ويصح أن تكون موصولة: أى ومن الذى عملته أيديهم أو نكرة موصوفة أو مصدرية: أى ومن عمل أيديهم وإثبات العمل للأيدى من حيث الكسب

(قوله أفلا يشكرون) الهمزة داخلة على محذوف ، والتقدير أيتنعمون بهذه النعم فلا يشكرونها : أى بحيث لا يصرفونها في مصارفها (قوله أنعمه) جمع نعمة بالكسر ونعماء بالمد والفتح (قوله سبحان الذى خلق الأزواج) أى تنزه فى ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به (قوله الأصناف كلها) أى فكل زوج صنف لأنه يختلف فى الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر فاختلافها هو ازدواجها (قوله مما تنبت الأرض) بيان للأزواج وكذا ما بعده فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة لا يخرج عنها شئ من أصناف المخلوقات (قوله الغريبة) أى كالتى فى السموات والتى تحت الأرضين وكل ما لم يكن مشاهدا لنا عادة (قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) ذكر الله تعالى فى هذه الآية ما يتضمن علم الميقات الذى تجب معرفته ، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الدردير رضى الله عنه مقدمة لطيفة فى هذا الشأن كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى . وحاصلها بحروفها فائدة : أسماء الشهور القبطية توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمهات برموده بشنس بؤونه أبيب مسرى ، أسماء البروج : ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت حمل ثور جوزاء سرطان أسد سنبلة ، ولا يدخل توت الذى هو أول السنة القبطية إلا بعد خمسة أيام أو ستة بعد مسرى وتسمى أيام النسىء ، وفصول السنة أربعة : فصل الخريف وفصل الشتاء وفصل الربيع وفصل الصيف ، وأول فصل الخريف انتقال الشمس إلى برج الميزان وذلك فى نصف توت ، وفى تلك الليلة يستوى الليل والنهار ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة ثلاثين ليلة بخمس عشرة درجة إلى نصف بابه تنتقل الشمس إلى برج العقرب فيزيد الليل كل ليلة ثلث درجة إلى نصف هاتور تنتقل الشمس إلى برج القوس فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمس درج فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها أربع عشرة ساعة فيصلى الفجر على ثنتى عشرة ساعة وست درج ، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة وذلك فى آخر يوم من فصل الخريف منتصف كيهك ، ثم تنتقل الشمس إلى برج الجدى وهو أول فصل الشتاء فيأخذ الليل فى النقص والنهار

في الزيادة فيزيد النهار كل يوم سدس درجة ثلاثين يوما بخمس درج إلى نصف طوبه فتنتقل الشمس إلى برج الدلو فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى نصف أمشير فتنتقل إلى برج الحوت فتسميها العامة بالشمس الصغيرة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمس عشرة درجة إلى نصف برمهات فتنتقل الشمس إلى برج الحمل ويسميها العامة بالشمس الكبيرة وهو أول فصل الربيع وفيه الاعتدال الربيعى يستوى الليل فى تلك الليلة والنهار ويزيد النهار كل يوم نصف درجة كما فى برج الحوت الذى قبله إلى منتصف برموده فتنتقل الشمس إلى برج الثور فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى منتصف بشنس فتنتقل الشمس للجوزاء ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة إلى نصف بؤونه فتنتقل إلى برج السرطان وهو أول فصل الصيف وبه ينتهى طول النهار فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة وينتهى قصر الليل ، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة وحصة المغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمس درج ومنه للشمس خمس وعشرون درجة ثم ينقص النهار ويأخذ الليل فى الزيادة فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة إلى خامس عشر أبيب ، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد فيزيد كل يوم ثلث درجة إلى نصف مسرى ، فتنتقل إلى السنبلة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة إلى نصف توت أول السنة ، فقد علمت أن الدرج الذى يأخذها النهار من الليل والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات وأن الاعتدال يكون فى السنة مرتين مرة فى نصف توت الذى هو أول السنة القبطية وهو أول فصل الخريف والمرة الثانية فى نصف برمهات أول فصل الربيع ، وأن مبدأ زيادة النهار من الفصل الذى قبله وهو فصل الشتاء ثلاثين يوما بالأسداس ثم ثلاثين بالأثلاث ثم ثلاثين بالأنصاف لأول فصل الربيع فيحصل الاعتدال ثم ثلاثين بالأنصاف أيضا إلى نصف برموده ودخول الشمس فى الثور ، فمدة زيادة الأنصاف ستون من نصف أمشير ودخول الشمس فى الحوت إلى نصف برموده ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف بشنس ودخول الشمس فى الجوزاء ، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف بؤونه ودخول الشمس فى السرطان فيأخذ الليل فى الزيادة بالأسداس ثلاثين ليلة إلى نصف أبيب ودخولها فى الأسد ثم ثلاثين بالأثلاث إلى نصف مسرى ثم بالأنصاف إلى نصف توت ثم بالأنصاف

(أَفَلَا يَشْكُرُونَ) أنعمه تعالى عليهم ؟ (سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ) من الحبوب وغيرها (وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ) من الذكور والإناث (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) من المخلوقات العجيبة الغريبة (وَآيَةٌ لَهُمُ) على القدرة العظيمة (اللَّيْلُ

أيضا إلى نصف بابه ، ثم بالأثلاث إلى نصف هاتور ، ثم بالأسداس إلى نصف كيهك ، ثم يعدو النهار على الليل فسبحان الله المقدر للأمور القادر على كل شيء العليم الحكيم اهـ (قوله وآية) خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر كما تقدم نظيره (قوله نسلخ الخ) بيان لكيفية كونه آية (قوله نفصل منه النهار) أى نزيله عنه لكونه كالساتر له فاذا زال الساتر ظهر الأصل فالليل أصل متقدم فى الوجود والنهار طارئ عليه بدليل قوله ــ فاذا هم مظلمون ــ وهذا لا ينافى ما يأتى فى قوله ــ ولا الليل سابق النهار ــ لأن معناه لا يأتى الليل قبل وقته المقدر له بأن يأتى فى وقت الظهر مثلا وهذا غير ما هنا فتحصل أن معنى السلخ الفصل والإزالة وليس المراد به الكشف وإلا لقال فاذا هم مبصرون لأنه يصير المعنى وآية لهم الليل نكشف ونظهر منه النهار (قوله داخلون فى الظلام) أى فيقال أظلم القوم إذا دخلوا فى الظلام وأصبحوا إذا دخلوا فى الصباح (قوله من جملة الآية) أى فهو عطف مفردات على قوله : الأرض وقوله أو آية أخرى : أى فيكون عطف جمل (قوله لمستقر لها) أى مكان تستقر فيه وهو مكانها تحت العرش فتسجد فيه كل ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند ظهور النهار يؤذن لها فى أن تطلع من مطلعها ، فاذا كان آخر الزمان لا يؤذن لها فى الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من المغرب ، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لأبى ذر حين غربت الشمس «أتدرى أين ذهبت الشمس ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى ــ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» وقيل إن الشمس فى الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض وإن كنا لا نعرفه ، وهذا قول الحكماء ويؤيده ما قاله الفقهاء إن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحى فقد يكون المغرب عندنا عصرا عند آخرين وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط ، واختلف فى العشاء حينئذ ، فقالت الحنفية بسقوطها ، وقالت الشافعية ووافقهم المالكية يقدر لهم بأقرب البلاد إليهم ويصلونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم وتسمى أداء ولا حرمة عليهم فى ذلك . وعلى ما قاله الحكماء . فاختلف فى مستقر الشمس ، فقيل هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة ، وقيل مستقرها هو سيرها فى منازلها حتى تنتهى إلى مستقرها الذى لا تجاوزه ثم ترجع إلى أول منازلها ، وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها فى السماء فى الصيف ونهاية هبوطها فى الشتاء (قوله والقمر) اختلف فيه هل لكل شهر قمر جديد أو هو قمر واحد لكل شهر ، فقال الرملى من أئمة الشافعية : إن لكل شهر قمرا جديدا ، ولكن المتبادر من كلام الحكماء ومن غالب الأحاديث أنه متحد (قوله بالرفع) أتى على أنه مبتدأ خبره قدرناه (قوله والنصب بفعل يفسره ما بعده) أى فهو من باب الاشتغال (قوله من حيث سيره) أشار بذلك إلى أن قوله منازل ظرف لقوله قدرناه ، والتقدير قدرنا سيره فى منازل ويصح جعله حالا على حذف مضاف والتقدير ذا منازل (قوله أى كعود الشماريخ) جمع شمراخ وهو عيدان العنقود الذى عليه الرطب (قوله إذا عتق) من باب ظرف وقعد (قوله فإنه يدق ويتقوس ويصفر) أى فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء (قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر) أى بحيث تأتى فى وسط الليل لأن ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الحيوان ويفسد النظام ولم يقل سبحانه وتعالى ولا القمر يدرك الشمس لأن سير القمر أسرع لأنه يقطع الفلك فى شهر والشمس لا تقطع فلكها إلا فى سنة فالشمس قطعا لا تدرك القمر والقمر قد يدرك الشمس فى سيرها ولكن لا سلطنة له .

نَسْلَخُ) نفصل (مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ) داخلون فى الظلام (وَالشَّمْسُ تَجْرِى) إلى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك (لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا) أى إليه لا تتجاوزه (ذَٰلِكَ) أى جريها (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (وَالْقَمَرَ) بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (قَدَّرْنَاهُ) من حيث سيره (مَنَازِلَ) ثمانية وعشرين منزلا فى ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما ، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوما (حَتَّىٰ عَادَ) فى آخر منازله فى رأى العين (كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) أى كعود الشماريخ إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصفر (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِى) يسهل ويصح (لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) فتجتمع معه فى الليل ، (ولا

(قوله ولا الليل سابق النهار) أى لا يأتى الليل فى أثناء النهار قبل أن ينقضى كأن يأتى فى وقت الظهر مثلا (قوله وكل فى فلك يسبحون) قال ابن عباس يدورون فى فلكة كفلكة المغزل (قوله والنجوم) أى المدلول عليها بذكر الشمس والقمر (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى حيث عبر عنهم بضمير جمع المذكور، والذى سوّغ ذلك وصفهم بالسباحة التى هى من أوصاف العقلاء (قوله وآية لهم) خبر مقدم وأنا حملنا فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أى حملنا ذريتهم فى الفلك آية دالة على باهر قدرتنا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى آباءهم الأصول) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول لأنه من الذرء وهو الخلق فاندفع ما يقال إن الذى حمل فى سفينة نوح أصول أهل مكة لا فروعهم وهذا أوضح ما قررت به هذه الآية (قوله المملوء) أى لأن نوحا جعله ثلاث طبقات: السفلى وضع فيها السباع والهوام، والوسطى وضع فيها الدواب والأنعام، والعليا وضع فيها الآدميين والطير (قوله وخلقنا لهم من مثله) هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله، والمعنى جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا ونعمة للخلق، وعلمناهم صنعة السفينة فعملوا سفنا كبارا وصغارا لينتفعوا بها (قوله من مثله) من إما زائدة أو تبعيضية، وعلى كلّ فمدخولها حال من قوله ما يركبون (قوله وهو ما عملوه) هذا أحد أقوال ثلاثة فى تفسير المثل، والثانى أنه خصوص الابل، والثالث أنه مطلق الدواب التى تركب

(وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ) فلا يأتى قبل انقضائه (وَكُلٌّ) تنوينه عوض من المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم (فِى فَلَكٍ) مستدير (يَسْبَحُونَ) يسيرون، نزلوا منزلة العقلاء (وَآيَةٌ لَهُمْ) على قدرتنا (أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) وفى قراءة ذرياتهم: أى آباءهم الأصول (فِى الْفُلْكِ) أى سفينة نوح (الْمَشْحُونِ) المملوء (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ) أى مثل فلك نوح وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (مَا يَرْكَبُونَ) فيه (وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ) مع إيجاد السفن (فَلاَ صَرِيخَ) مغيث (لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنْقَذُونَ) ينجون (إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) أى لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من عذاب الدنيا كغيركم (وَمَا خَلْفَكُمْ) من عذاب الآخرة (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أعرضوا (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ. وَإِذَا قِيلَ) أى قال فقراء الصحابة (لَهُمْ أَنْفِقُوا) علينا (مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) من الأموال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) استهزاء بهم (أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ) فى معتقدكم هذا (إِنْ) ما (أَنْتُمْ)

(قوله بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال عادة الله تعالى إضافة صفة العبيد لأنفسهم وإن كان هو الخالق لها حقيقة فلم أضافه لنفسه. فأجاب بأن التعليم والهداية لما كانتا منه أضاف الخلق له لأن سفينة نوح التى هى أصل السفن كانت بمحض تعليم الله وإلهامه له (قوله مع إيجاد السفن) أى ومع ركوبهم لها (قوله فلا صريخ لهم) الصريخ بمعنى الصارخ يطلق على المستغيث وعلى المغيث فهو من تسمية الأضداد والمراد الثانى (قوله إلا رحمة منا) إلا أداة استثناء ورحمة مفعول لأجله وهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والمعنى لا ننجيهم لشىء من الأشياء إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتيعهم الأمد الذى سبق فى علمنا (قوله كغيركم) أى وهم المؤمنون (قوله من عذاب الآخرة) أشار بذلك إلى أن لفظ الخلف كما يطلق على ما مضى يطلق على ما يأتى فهو من تسمية الأضداد وسمى ما يأتى خلفا لغيبته عنا (قوله أعرضوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية الخ (قوله من آية) من زائدة وقوله من آيات ربهم من تبعيضية (قوله إلا كانوا الخ) الجملة حالية (قوله وإذا قيل لهم أنفقوا الخ) أشار بذلك إلى أنهم كما تركوا حقوق الخالق تركوا حقوق الخلق، وهذه الآية نزلت حكاية عن بعض جبابرة مكة كالعاص بن وائل السهمى وغيره كان إذا سأله المسكين قال له: اذهب إلى ربك فهو أولى منى بك قد منعك الله أفأطعمك أنا؟ وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون: لا نعطى من حرمه الله، ولم يعلموا أن الفقراء يحملون زاد الأغنياء للآخرة، ولولا الفقراء ما انتفع الغنى بغناه (قوله قال الذين كفروا) أى بالصانع: أى ينكرون وجوده، وهم فرقة من جبابرة مكة (قوله من لو يشاء الله أطعمه) مفعول أنطعم وقوله أطعمه جواب لو (قوله فى معتقدكم) أى أيها الفقراء المؤمنون لا فى معتقد الكفار الأغنياء فإنهم ينكرون الصانع كما علمت.

(قوله فى قولكم لنا ذلك) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الكفار للمؤمنين و يؤيده ماروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين ، فلقيه أبو جهل فقال : يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء ؟ قال نعم ، قال فما باله لايطعمهم ؟ قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالغنى ، وأمر الفقراء بالصبر والأغنياء بالاعطاء فقال أبو جهل والله ياأبا بكر إن أنت إلا فى ضلال أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء وهو لايطعمهم ثم تطعمهم أنت . وقيل إنه من كلام المؤمنين للكفار . وقيل من كلام الله تعالى ردا عليهم (قوله موقع عظيم) أى وهو التبكيت والتقبيح عليهم (قوله ويقولون متى هذا الوعد) رجوع الكلام مع الكفار للمعترفين بوجوده تعالى (قوله أى ما ينتظرون) هذا مجاراة لأول كلامهم لأن شأن من يسأل عن الشئ أن يكون معترفا بوجوده وإلا فهم جازمون بعدمها (قوله الأولى) أى وهى التى يموت عندها من كان موجودا على وجه الأرض (قوله نقلت حركة التاء إلى الخاء) أى بتمامها أو بعضها فهما قراءتان (قوله وأدغمت) أى بعد قلبها صادا وحذفت همزة الوصل[1] للاستغناء عنها بتحريك الخاء وقوله وفى قراءة الخ تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاث و بقى رابعة وهى فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة وعلى هذه القراءة فحركة الخاء ليست حركة نقل و إنما هى لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين وكل تلك القراءات سبعية (قوله أى وهم فى غفلة عنها) أشار بهذا إلى أن المراد من الاختصام لازمه وهو الغفلة التى ينشأ عنها الاختصام وغيره

وفى الحديث «لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبا بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» أخرجه البخارى (قوله أى يخصم بعضهم بعضا) بيان لحاصل المعنى

فى قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا (إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بيّن ، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم (وَيَقُولُونَ مَتَى هَٰذَا الْوَعْدُ) بالبعث (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، قال تعالى (مَا يَنْظُرُونَ) أى ماينتظرون (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) هى نفخة إسرافيل الأولى (تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ) بالتشديد أصله يختصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت فى الصاد أى وهم فى غفلة عنها بتخاصم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك . وفى قراءة يخصمون كيضربون أى يخصم بعضهم بعضا (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً) أى أن يوصوا (وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ) من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة (فَإِذَا هُمْ) أى المقبورون (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ) يخرجون بسرعة (قَالُوا) أى الكفار منهم (يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا وهو مصدر لافعل له من لفظه (مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) ،

والمفعول محذوف على القراءة الاخيرة (قوله أن يوصوا) أى على أولادهم وأموالهم لأنهم (قوله ولا إلى أهلهم يرجعون) معطوف على يستطيعون (قوله و بين النفختين أربعون سنة) هذا هو الصحيح ، وقيل أربعون يوما ، وقيل غير ذلك (قوله أى المقبورون) أى من شأنه أن يقبر وقبر كل ميت بحسبه فيشمل من أكلته السباع ونحوه (قوله من الأجداث) جمع جدث كفرس وأفراس وقرئ شذوذا الأجداف بالفاء وهى لغة فى الأجداث (قوله يخرجون بسرعة) أى يسرعون فى مشيهم قهرا لااختيارا (قوله أى الكفار) أى لاكل الخلائق إذ المؤمنون يفرحون بالقيامة ليذهبوا للنعيم الدائم ورؤية وجه الله الكريم (قوله للتنبيه) دفع بذلك مايقال إن النداء مختص بالعقلاء ، فكيف ينادى الويل وهو لايعقل ؟ فأجاب بأن يا للتنبيه ، والمعنى تنبهوا فان الويل قد حضر (قوله ويلنا) قرأ العامة باضافته إلى ضمير المتكلم ومعه غيره دون تأنيث وقرئ شذوذا ياويلتنا بتاء التأنيث وياويلتى بابدال الياء ألفا وعلى قراءة الافراد يكون حكاية عن مقالة كل واحد (قوله لافعل له من لفظه) أى بل من معناه وهو هلك (قوله من بعثنا) قرأ العامة بفتح ميم من على أنها استفهامية مبتدأ وجملة بعثنا خبره وقرئ شذوذا بكسر الميم على أنها حرف جر و بعثنا مصدر مجرور بمن والجار والمجرور متعلق بويلنا وقوله من مرقدنا متعلق بالبعث والمرقد يصح أن يكون مصدرا أو اسم مكان أى من رقادنا أو من مكان رقادنا

(١) (قوله وحذفت همزة الوصل الخ) هذا إنما هو فى الماضى الذى هو اختصم راجع حاشية العلامة الجمل .

(قوله لأنهم كانوا بين النفختين نائمين) أى حين يرفع الله عنهم العذاب فيرقدون قبيل النفخة الثانية فيذوقون طعم النوم فاذا بعثوا وعاينوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل (قوله ماوعد الرحمن الخ) مفعول وعد وصدق محذوف ، والتقدير ما وعدنا به الرحمن وصدقونا فيه المرسلون (قوله أقروا الخ) أشار بذلك إلى أن هـذه الجملة من كلام الكفار فهى فى محل نصب مقول القول كأنهم لما سألوا فلم يجابوا أجابوا أنفسهم (قوله وقيل يقال لهم ذلك) أى من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله تعالى و إنما عدلوا عن جواب سؤالهم لأن الباعث لهم معلوم وإنما لهم السؤال عن البعث (قوله إن كانت) أى النفخة الثانية (قوله إلا صيحة واحدة) أى وهى قول إسرافيل أيتها العظام النخرة والأوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فاذا هم جميع لدينا محضرون) أى مجموعون فى موقف الحساب (قوله فاليوم لاتظلم نفس شيئا) هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون العذاب (قوله إن أصحاب الجنة الخ) جرت عادة الله سبحانه وتعالى فى كتابه إذا ذكر أحوال أهل النار أتبعه بذكر أحوال أهل الجنة (قوله فى شغل) أبهمه ونكره إشارة إلى تعظيمه ورفعة شأنه ، والمراد به ما هم فيه من أنواع الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية كالتفكه بالأكل والشرب والسماع وضرب الأوتار والتزاور وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته (قوله بسكون الغين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان

لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا (هٰذَا) أى البعث (مَا) أى الذى (وَعَدَ) به (الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ) فيه (الْمُرْسَلُونَ) أقروا حين لاينفعهم الإقرار ، وقيل يقال لهم ذلك (إِنْ) ما (كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا) عندنا (مُحْضَرُونَ . فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ) بسكون الغين وضمها عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبكار لاشغل يتعبون فيه لأن الجنة لانصب فيها (فَاكِهُونَ) ناعمون خبر ثان لإنّ والأول فى شغل (هُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ) جمع ظلة أو ظل خبر أى لاتصيبهم الشمس (عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع أريكة ، وهو السرير فى الحجلة ، أو الفرش فيها (مُتَّكِئُونَ) خبر ثان متعلق على (لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ) فيها (مَا يَدَّعُونَ) يتمنون (سَلاَمٌ) مبتدأ (قَوْلاً) أى بالقول خبره (مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ) بهم ، أى يقول لهم سلام عليكم ،

(قوله كافتضاض الأبكار) أى لما روى « أن أهل الجنة كلما أرادوا القرب من نسائهم وجدوهن أبكارا فيفتضونهن من غير قذر ولا ألم » (قوله فاكهون) من الفكاهة بفتح الفاء وهى التنعم والتلذذ (قوله هم وأزواجهم) هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكههم (قوله جمع ظلة) أى كقباب جمع قبة وزنا ومعنى (قوله أو ظل) أى كشعاب جمع شعب (قوله أى لاتصيبهم الشمس) أى لعدم موجودها (قوله فى الحجلة) بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها وهى قبة تعلق على السرير وتزين به العروس (قوله أو الفرش فيها) أى فى الحجلة فالأريكة فيها قولان : قيل هى السرير الكائن فى الحجلة أو الفرش الكائن فيها (قوله متعلق على) أى قوله على الأرائك فتحصل أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليـه وفى ظلال خبر أول ومتكئون خبر ثان وعلى الأرائك متعلق بمتكئون قدم عليه رعاية للفاصلة (قوله لهم فيها فاكهة) أى من كل نوع من أنواع الفواكه لامقطوع ولا ممنوع قال تعالى ـ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ـ (قوله ولهم ما يدعون) أصله يدتعيون بوزن يفتعلون استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فالتقى ساكنان حـذفت الياء لالتقائهما ثم أبدلت التاء دالا وأدغمت فى الدال ، والمعنى يعطى أهل الجنة جميع مايتمنونه ويشتهونه حالا من غير بطء (قوله سلام مبتدأ الخ) هذا أحسن الأعاريب وقيل إنه بدل من قوله ما يدعون أو صفة لما أو خبر لمبتدإ محذوف (قوله أى بالقول) أشار بذلك أن قولا منصوب بنزع الخافض ويصح أن يكون مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدإ والخبر (قوله أى يقول لهم سلام عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف ، والمعنى أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ويقرئهم السلام لما فى الحديث « بينما أهل الجنة فى نعيم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فاذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم ياأهل الجنة ، فذلك قوله تعالى ـ سلام قولا من رب رحيم ـ فينظر إليهم وينظرون إليه فلايلتفتون إلى شىء من النعيم ماداموا ينظرون

(وَ) يقول (امْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ) أى انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) آمركم (يَا بَنِي آدَمَ) على لسان رسلى (أ) نْ (لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) لاتطيعوه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بيّن العداوة (وَأَنِ اعْبُدُونِي) وحدونى وأطيعونى (هَٰذَا صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا) خلقا جمع جبيل كقديم وفى قراءة بضم الباء (كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) عداوته و إضلاله أوما حل بهم من العذاب فتؤمنون ، ويقال لهم فى الآخرة (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها (اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ) أى الكفار لقولهم : والله ربنا ما كنا مشركين (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) وغيرها (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فكل عضو ينطق بما صدر منه (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ) لأعميناها طمسا (فَاسْتَبَقُوا) ابتدروا (الصِّرَاطَ) الطريق ذاهبين كعادتهم (فَأَنَّىٰ) فكيف (يُبْصِرُونَ) حينئذ ، أى لايبصرون (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ) قردة وخنازير أو حجارة (عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ) وفى قراءة مكاناتهم ، جمع مكانة بمعنى مكان ، أى فى منازلهم (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) أى لم يقدروا على ذهاب ولا مجىء (وَمَنْ نُعَمِّرْهُ) بإطالة أجله (نُنَكِّسْهُ) ،

إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره و بركته عليهم فى ديارهم (قوله و يقول امتازوا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولة لمحذوف أيضا (قوله عند اختلاطهم بهم) أى حين يسار بهم إلى الجنة لما ورد فى الحديث مامعناه : إذا كان يوم القيامة ينادى مناد كل أمة تتبع معبودها فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون لا نذهب حتى ننظر معبودنا فيظهر لهم عن يمين العرش ملك لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم فى نقرة إبهامه لوسعهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يأتى عن يسار العرش فيقول مثل ذلك فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يتجلى الله تعالى لهم فيخرون سجدا فيريد المنافقون أن يسجدوا فيصير ظهرهم طبقا فلا يستطيعون السجود فعند ذلك يقال : وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله ألم أعهد إليكم) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمراد بالعهد ما كلفهم الله به على ألسنة رسله من الأوامر والنواهى (قوله آمركم) أى وأنهاكم ففيه اكتفاء (قوله أن لاتعبدوا الشيطان) أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل مجزوم بها (قوله إنه لكم عدو مبين) تعليل لوجوب الانتهاء (قوله ولقد أضل منكم) تأكيد للتعليل (قوله جبلا) بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام (قوله وفى قراءة بضم الباء) أى مع ضم الجيم و بقى قراءة ثالثة سبعية أيضا وهى بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل (قوله هذه جهنم) هذا خطاب لهم وهم على شفير جهنم ، والمقصود منه زيادة التبكيت والتقريع (قوله اصلوها) أى ذوقوا حرارتها (قوله بما كنتم تكفرون) أى بسبب كفركم (قوله اليوم نختم على أفواههم) أى ختما يمنعها عن الكلام النافع فلاينافى قوله تعالى فى الآية الاخرى : يوم تشهد عليهم ألسنتهم ، وهذا مرتبط بقوله : اصلوها اليوم . وفى روى أنهم حين يقال لهم ذلك يجحدون ماصدر عنهم فى الدنيا و يتخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين و يقولون لانجيز علينا شاهدا إلا من أنفسنا فيختم على أفواههم ويقال لأركانهم انطقوا فتنطق بما صدر منهم ، وحكمة إسناد الختم لنفسه والشهادة للأيدى والأرجل دفع توهم أن نطقها جبر والمجبور غير مقبول الشهادة فأفادك أن نطقها اختيارى (قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الخ) مفعول المشيئة محذوف أى لو نشاء طمسها لفعلنا وقوله : فاستبقوا الصراط أى أرادوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين فى حوائجهم وهو عطف على قوله طمسنا وقوله : فأنى يبصرون استفهام إنكارى مرتب على ماقبله أى فلايبصرونه (قوله ولو نشاء لمسخناهم الخ) يقال فيها ماقيل فيما قبلها ، والمسخ تغيير الصور وعلى بمعنى فى ، والمقصود من هاتين الآيتين تسليته صلى الله عليه وسلم وتوبيخ الكفار و إعلامهم بأن الله قادر على إذهاب مابهم من النعم فى الدنيا وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى ، فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى : قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم الآية (قوله ومن نعمره) أى من يكون فى سابق علمنا طويل العمر

وفى قراءة بالتشديد من التنكيس (فِى الْخَلْقِ) أى خلقه فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفاً وهرما (أَفَلَا يَعْقِلُونَ) أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفى قراءة بالتاء (وَمَا عَلَّمْنَاهُ) أى النبى (الشِّعْرَ) ردٌّ لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر (وَمَا يَنْبَغِى) يسهل (لَهُ) الشعر (إِنْ هُوَ) ليس الذى أتى به (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (وَقُرْآنٌ مُبِينٌ) مظهر للأحكام ونحوها (لِيُنْذِرَ) بالياء والتاء به (مَنْ كَانَ حَيًّا) يعقل مايخاطب به وهم المؤمنون (وَيَحِقَّ الْقَوْلُ) بالعذاب (عَلَى الْكَافِرِينَ) وهم كالميتين لايعقلون ما يخاطبون به (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا والاستفهام للتقرير والواو الداخلة عليها للعطف (أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ) فى جملة الناس (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) أى عملناه بلا شريك ولا معين (أَنْعَامًا) هى الإبل والبقر والغنم (فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ) ضابطون (وَذَلَّلْنَاهَا) سخرناها (لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ) مركوبهم (وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ. وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كأصوافها وأوبارها وأشعارها (وَمَشَارِبُ) من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب، أو موضعه (أَفَلَا يَشْكُرُونَ) المنعم عليهم بها فيؤمنون،

(قوله وفى قراءة بالتشديد) أى وهما قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد، والمعنى نقلبه فلا يزال يتزايد ضعفه وتنقص قواه عكس ما كان عليه أول الأمر (قوله أى خلقه) أى خلق جسده وقواه (قوله ضعيفا) مقابل قوته وقوله وهرما مقابل وشبابه فهو لف ونشر مرتب، وهذا فى غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأما هم فلايعتريهم الضعف فى العقل والبدن وإن طال عمرهم جدا، واستعاذته صلى الله عليه وسلم من الرد لأرذل العمر تعليم لأمته، ويلحق بالأنبياء العلماء العاملون فلايهرمون ولايضعفون بطول العمر بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه (قوله أفلا يعقلون) الهمزة داخلة على محذوف، والتقدير أتركوا التفكر فلا يعقلون (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله وماعلمناه الشعر) هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن التهم فيما أوحاه الله إليه إذ لوكان العقل فيه بعض اتهام لبطل الاحتجاج به (قوله ردّ لقولهم إن ماأتى به من القرآن شعر) أى وحينئذ فيصير المعنى ليس القرآن بشعر لأن الشعر كلام مزخرف موزون مقفى قصدا مبنى على خيالات وأوهام واهية وأين ذلك من القرآن العزيز الذى تنزه عن مماثلة كلام البشر (قوله ومايبنغى له) أى لايصح ولايليق منه لأن الشعر شأنه الأكاذيب وهى عليه مستحيلة، ولذا قيل: أعذبه أكذبه، فتحصل أن النبىّ لاينبغى له الشعر ولايليق منه. إن قلت إنه تمثل بقول طرفة:

سنبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

وأنشأ من نفسه قوله:

أنا النبىّ لاكذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله:

هل أنت إلا أصبع دميت وفى سبيل الله مالقيت

قلت أحسن ماأجيب به أن إنشاده بيت طرفة وإنشاء البيتين المتقدمين لم يكن عن قصد وإنما وافق وزن الشعر كما فى بعض الآيات القرآنية وليس كل من قال قولا موزونا لايقصد به الشعر شاعرا وإنما وافق وزن الشعر (قوله لينذر) متعلق بمحذوف دل عليه ماقبله (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وهم المؤمنون) أى وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون به (قوله وهم كالميتين) أخذ هذا من المقابلة فى قوله: من كان حيا (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله والواو الداخلة عليها للعطف) هذه العبارة تحتمل التقريرين السابقين فى نظير هذه الآية وهما أن الهمزة إما مقدمة من تأخير لأن لها الصدارة والواو عاطفة على قوله فيماتقدم - ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون - أو داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه، والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا (قوله أنا خلقنا لهم) اللام للحكمة أى حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم (قوله فى جملة الناس) أشار بذلك إلى أن هذه النعم ليست مقصورة عليهم بل لهم ولغيرهم (قوله مما عملت أيدينا) هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى، وهذا كقول الانسان كتبته بيدى مثلا بمعنى أنى انفردت به ولم يشاركنى فيه غيرى فهو كناية عرفية (قوله أنعاما) خصها بالذكر لأن منافعها أكثر من غيرها (قوله ضابطون) أى قاهرون مذللون، والأحسن أن يفسر قوله: مالكون بالملك الشرعى أى يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله: وذللناها لهم تأسيسا لنعمة أخرى لاتتميما لما قبله (قوله كأصوافها) أى وجلودها ونسلها وغير ذلك (قوله أو موضعه) أى وهو الضروع

(قوله أى ما فعلوا ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وأن قوله واتخذوا الخ معطوف على محذوف (قوله يعبدونها) تفسير للاتخاذ (قوله لعلهم ينصرون) الجملة حالية والمعنى حال كونهم راجين النصرة منهم (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى لمشاكلة عابدهم فعبر عنهم بصيغة جمع الذكور (قوله وهم لهم جند الخ) هم مبتدأ وجند خبر أول، ولهم متعلق بجند ومحضرون خبر ثان (قوله أى آلهتهم من الأصنام) هذا أحد وجهين والآخر أنه عائد على الكفار والمعنى يقومون بمصالحها فهم لها بمنزلة الجند وهى لاتستطيع أن تنصرهم (قوله محضرون فى النار) أى ليعذبوا بهم (قوله فلا يحزنك قولهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتحزن من قولهم بل اتركه ولاتلتفت له (قوله إنا نعلم الخ) تعليل النهى قبله (قوله فنجازيهم عليه) أى على ماصدر منهم سرا وعلانية خيرا أوشرا (قوله أولم ير الانسان) فى الهمزة التقريران السابقان وهما كونها مقدمة من تأخير أو عاطفة على محذوف والتقدير أعمى ولم ير (قوله وهو العاصى بن وائل) وقيل نزلت فى أبى بن خلف الجمحى ولكن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله أنا خلقناه من نطفة) أى قذرة خسيسة والمقصود التعجب من جهله حيث تصدى

أى ما فعلوا ذلك (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (آلِهَةً) أصناما يعبدونها (لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى آلهتهم نزلوا منزلة العقلاء (نَصْرَهُمْ وَهُمْ) أى آلهتهم من الأصنام (لَهُمْ جُنْدٌ) بزعمهم نصرهم (مُحْضَرُونَ) فى النار معهم (فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ) لك لست مرسلا وغير ذلك (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ) يعلم وهو العاصى ابن وائل (أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ) منى إلى أن صيرناه شديدا قويا (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ) شديد الخصومة لنا (مُبِينٌ) بينها فى نفى البعث (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) فى ذلك (وَنَسِيَ خَلْقَهُ) من المنى وهو أغرب من مثله (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أى بالية ولم يقل بالتاء لأنه اسم لاصفة، وروى «أنه أخذ عظما رميا ففتته وقال للنبى صلى الله عليه وسلم أترى يحيى الله هذا بعد مابلى ورم؟ فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار» (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ) مخلوق (عَلِيمٌ) مجملا ومفصلا قبل خلقه و بعد خلقه (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ) فى جملة الناس (مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ) المرخ والعفار أو كل شجر إلا العناب (نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) تقدحون وهذا دال على القدرة على البعث فإنه جمع فيه بين الماء والنار،

لمخاصمة العزيز الجبار ولم يتفكر فى بدء خلقه وأنه من نطفة (قوله فإذا هو خصيم مبين) عطف على جملة النفى (قوله فى نفى البعث) متعلق بخصيم (قوله وضرب لنا مثلا) أى أورد كلاما عجيبا فى الغرابة كالمثل حيث قاس قدرتنا على قدرة الخلق (قوله ونسى خلقه) أى ذهل عنه وهذا عطف على ضرب داخل فى حيز الانكار وإضافة خلق للضمير من اضافة المصدر لمفعوله: أى خلق الله إياه (قوله قال من يحيى العظام الخ) بيان لضرب المثل (قوله ولم يقل بالتاء الخ) اشار بذلك إلى سؤال حاصله ان فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث بالتاء فكان مقتضى القاعدة أن يقال رميمة فأجاب المفسر بأن محل ذلك إذا لم تغلب عليه الاسمية فإذا صار اسما بالغلبة لما بلى من العظام فلا تلحقه التاء فى مؤنثه (قوله فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار) أخذ من هذا أنه مقطوع بكفره وخلوده فى النار وزيادة ذلك فى الجواب لأنه متعنت لامتفهم وجزاء المتعنت المنكر أن يجاب بما يكره وبضد مايترقب ويسمى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم (قوله الذى أنشأها) أى أوجدها من العدم (قوله وهو بكل خلق عليم) أى بكيفية خلقها وبأجزاء الأشخاص تفصيلا (قوله الذى جعل لكم الخ) بدل من الموصول قبله (قوله فى جملة الناس) أشار بذلك إلى أنه ليس مخصوصا بالكفار بل لجميع الخلق (قوله المرخ) بفتح الميم وسكون الراء وبالخاء المعجمة شجر سريع القدح وقوله والعفار بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فألف فراء وكيفية إيقاد النار منهما أن يجعل العفار كالزند يضرب به على المرخ، وقيل يؤخذ منهما غصنان خضراوان ويسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار بإذن الله تعالى (قوله أو كل شجر) أى وقد شوهد فى بعضه كالبرسيم إذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة فإنه يحرق نفسه وماحوله (قوله إلا العناب) أى ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين والخشب

(قوله والخشب) بفتحتين أو ضمتين أو ضم فسكون (قوله أوليس الذى) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أليس الذى أنشأها أول مرة وليس الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وليس الذى خلق السموات والأرض بقادر (قوله أى الأناسى) تفسير الضمير (قوله بلى) جواب تقرير النفى وهو صادر منه تعالى إشارة إلى تعيينه قالوه أولا (قوله وهو الخلاق العليم) عطف على مقدر تقديره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم (قوله أن يقول له كن) فى الكلام استعارة تمثيلية وتقريرها أن يقال شبه سرعة تأثير قدرته ونفاذها فيما يريده بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور به من غير امتناع ولا توقف وحينئذ فمعنى أن يقول له كن أن تتعلق به قدرته تعلقا تنجيزيا (قوله سبحان الذى الخ) أى تنزيهه عما لايليق به (قوله وإليه ترجعون) قرأ العامة ببنائه للمفعول ، وقرئ شذوذا ببنائه للفاعل .

[تتمة] تقدم فى فضل يس أنها قلب القرآن ووجه ذلك أنها اشتملت على الوحدانية والرسالة والحشر والايمان بذلك متعلق بالقلب فلذلك سميت قلبا ومن هنا أمر بقراءتها عند المحتضر وعلى الميت لكون القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عما سواه فيقرأ عنده مايزداد به قوة ويقينا .

والخشب فلا الماء يطفئ النار ولا النار تحرق الخشب (أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ) مع عظمهما (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أى الأناسى فى الصغر ؟ (بَلَى) أى هو القادر على ذلك أجاب نفسه (وَهُوَ الْخَلَّاقُ) الكثير الخلق (الْعَلِيمُ) بكل شىء (إِنَّمَا أَمْرُهُ) شأنه (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) أى خلق شىء (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) أى فهو يكون وفى قراءة بالنصب عطفا على يقول (فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك زيدت الواو والتاء للمبالغة : أى القدرة على (كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون فى الآخرة .

(سـورة والصافات)

مكية ، مائة واثنتان وثمانون آية

(بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . وَالصَّافَّاتِ صَفًّا) للملائكة تصف نفوسها فى العبادة أو أجنحتها فى الهواء تنتظر ما تؤمر به (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) للملائكة تزجر السحاب أى تسوقه (فَالتَّالِيَاتِ) أى قراء القرآن يتلونه (ذِكْرًا) مصدر من معنى التاليات ،

[سورة والصافات مكية] أى بالاجماع وسميت باسم أول كلمة منها من باب تسمية الشىء باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه (قوله والصافات الخ) الواو حرف قسم وجر والصافات مقسم به مجرور ومابعده عطف عليه وقوله ـ إن إلهكم لواحد ـ جواب القسم وهو للقسم عليه والمعنى وحق الصافات وحق الزاجرات وحق التاليات وإنما خص ماذكر لاعظم قدرها عنده ولا يعكر عليه ماورد من النهى عن الحلف بغير الله لأن النهى للمخلوق حذرا من تعظيم غير الله وأما هو سبحانه وتعالى فيقسم ببعض مخلوقاته للتعظيم كقوله والشمس والليل والضحى والنجم . وغير ذلك (قوله للملائكة تصف نفوسها الخ) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف . إن قلت إن التاء فى الصافات ومابعدها للتأنيث والملائكة منزهون عن الاتصاف بالأنوثة كالذكورة . أجيب بأنها للتأنيث اللفظى والمنزهون عنه التأنيث المعنوى وقوله الملائكة هو أحد أقوال فى تفسير الصافات وقيل المراد المجاهدون أو المصلون أو الطير تصف أجنحتها (قوله فى العبادة) أى فى مقاماتها المعلومة (قوله أو أجنحتها فى الهواء) أى ومعنى صفها بسطها (قوله تنتظر ماتؤمر به) أى من صعود وهبوط (قوله فالزاجرات زجرا) الفاء للترتيب باعتبار الوجود الخارجى لأن مبدأ الصلاة الاصطفاف ، ثم يعقبه زجر النفس ، ثم يعقبه التلاوة وهكذا ، ويحتمل أنها للترتيب فى المزايا ثم هو إما باعتبار الترقى فالصافات ذوات فضل فالزاجرات أفضل فالتاليات أكثر فضلا ، أو باعتبار التدلى فالصافات أعلى ثم الزجرات ثم التاليات وكل صحيح (قوله الملائكة تزجر السحاب) وقيل المراد بهم العلماء تزجر العصاة (قوله مصدر من معنى التاليات) ويصح أن يكون مفعولا للتاليات والمراد بالذكر القرآن وغيره من تسبيح وتحميد والمراد بهم هنا كل ذاكر من ملائكة وغيرهم .

(قوله إن إلهكم لواحد) إن قلت ماحكمة ذكر القسم هنا لأنه إن كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له لأنهم مصدقون ولو من غير قسم ، و إن كان المقصود الكفار فلا حاجة له أيضا لأنهم غير مصدقين على كل حال . أجيب بأن المقصود منه تأكيد الأدلة التى تقدم تفصيلها فى سورة يس ليزداد الذين آمنوا إيمانا و يزداد الكافر طردا و بعدا (قوله رب السموات والأرض) إما بدل من واحد أوخبر ثان أوخبر لمحذوف (قوله أى والمغارب) أشار بذلك إلى أن فى الآية اكتفاء على حد سرابيل تقيكم الحر و إنما اقتصر على المشارق لأن نفعه أعم من الغروب . إن قلت إنه تعالى جمع المشارق هنا وحذف مقابله وجمعهما فى سأل وثناهما فى الرحمن وأفردها فى المزمل فما وجه الجمع بين هذه الآيات . أجيب بأن الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه لأن الشمس لها فى السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا فتشرق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم فى مقابله من تلك المغارب والتثنية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما والإفراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها وخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع أولها (قوله السماء الدنيا) أى القربى من الأرض (قوله بزينة الكواكب) اختلف العلماء هل الكواكب فى سماء الدنيا أوثوابت فى العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا لأن السموات شفافة لاتحجب ماوراءها (قوله بضوئها) أى نورها ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقوله أو بها أى إن ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا فان الانسان إذا نظر فى الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق وجدها فى غاية الزينة (قوله البينة بالكواكب) أى فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب تكون الكواكب عطفا عليها

(إِنَّ إِلَٰهَكُمْ) ياأهل مكة (لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) أى والمغارب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ) أى بضوئها أو بها ، والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة المبينة بالكواكب (وَحِفْظًا) منصوب بفعل مقدر ، أى حفظناها بالشهب (مِنْ كُلِّ) متعلق بالمقدر (شَيْطَانٍ مَارِدٍ) عات خارج عن الطاعة (لَا يَسَّمَّعُونَ) أى الشياطين مستأنف وسماعهم هو فى المعنى المحفوظ عنه (إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ) الملائكة فى السماء ، وعدى السماع بإلى لتضمنه معنى الإصغاء وفى قراءة بتشديد الميم والسين أصله يتسمعون أدغمت التاء فى السين (وَيُقْذَفُونَ) أى الشياطين بالشهب (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) من آفاق السماء (دُحُورًا) مصدر دحره أى طرده وأبعده وهو مفعول له (وَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) مصدر أى المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أى لايسمع إلا الشيطان الذى سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) كوكب مضىء (ثَاقِبٌ) ، يثقبه

وبقى قراءة ثالثة سبعية وهى تنوين زينة ونصب الكواكب على أنه مفعول لمحذوف تقديره أعنى الكواكب (قوله بفعل مقدر) أى معطوف على زينا (قوله من كل شيطان مارد) وكانوا لايحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها و يأتون بأخبارها فيلقونها على الكهنة ، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من السموات كلها فما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رمى بشهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئه أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس فى البرارى (قوله مستأنف) أى لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعتريهم من العذاب (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أدغمت التاء فى السين) أى بعد قلبها سينا و إسكانها (قوله من آفاق السماء) أى نواحيها وجهاتها (قوله والاستثناء من ضمير يسمعون) أى ومن فى محل رفع بدل من الواو أو فى محل نصب على الاستثناء والاستثناء على كل متصل ، ويجوز أن تكون من شرطية وجوابها فأتبعه أو موصولة مبتدأ وخبرها فأتبعه وهو استثناء منقطع كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر (قوله فأتبعه شهاب ثاقب) إن قلت تقدم أن الكواكب ثابتة فى السماء أو فى العرش زينة ومقتضى كونها رجوما للشياطين أنها تنفصل وتزول فكيف الجمع بين ذلك . أجيب بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجمون بذات الكواكب بل تنفصل منها

شهب تنزل على الشياطين والكواكب باقية بحالها . إن قلت إن الشياطين خلقوا من النار فكيف يحترقون . أجيب بأن الأقوى يحرق الأضعف كالحديد يقطع بعضه . إن قلت إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب فكيف يعود مرة أخرى . أجيب بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته كراكب البحر فإنه يشاهد الغرق المرة بعد المرة و يعود طمعا فى السلامة (قوله يثقبه) أى بحيث يموت من ثقبه ، وقوله أو يحرقه أو يموت أيضا وأو فى كلام المفسر للتنويع وهو لا ينافى وصف الشهاب بالثاقب لأن معنى الثاقب المضيء أى الذى يثقب الظلام خلافا لما يوهمه المفسر (قوله أو يخبله) الخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والبله و يطلق أيضا على من فسدت أعضاؤه (قوله فاستفتهم الخ) المقصود من هذا الكلام الرد على منكرى البعث حيث ادعوا أنه مستحيل . وحاصل الرد أن يقال لهم إن استحالته التى تدعونها إما لعدم المادة وهو مردود بأن غاية الأمر تصير الأجزاء ترابا وهو قادر على أن ينزل عليه ماء فيصير طينا وقد خلق أباهم آدم من طين أو لعدم القدرة وهو مردود بأن القادر على هذه الأشياء العظام من السموات والأرض وغيرهما قادر على إعادتهم ثانيا وقدرته ذاتية لا تتغير فهذه الآية نظير قوله تعالى «أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها» الخ (قوله أم أشد خلقا) أى (٣١٣) أقوى خلقة أو أصعب أو أشق إيجادا

يثقبه أو يحرقه أو يخبله (فَاسْتَفْتِهِمْ) استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا) من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما ، وفى الإتيان بمن تغليب العقلاء (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ) أى أصلهم آدم (مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) لازم يلصق باليد ، المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبى والقرآن المؤدّى إلى هلاكهم اليسير (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وحالهم (عَجِبْتَ) بفتح التاء خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم أى من تكذيبهم إياك (وَ) هم (يَسْخَرُونَ) من تعجبك (وَإِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا بالقرآن (لَا يَذْكُرُونَ) لا يتعظون (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً) كانشقاق القمر (يَسْتَسْخِرُونَ) يستهزئون بها (وَقَالُوا) فيها (إِنْ) ما (هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) بيّن ، وقالوا منكرين للبعث (ءَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً ءَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) فى الهمزتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين (أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) بسكون الواو عطفاً بأو ، و بفتحها والهمزة للاستفهام والعطف بالواو ، والمعطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير فى لمبعوثون ،

(قوله أم من خلقنا) قرأ العامة بتشديد الميم وقرئ شذوذا بتخفيفها وهو استفهام ثان ومن مبتدأ خبره محذوف دل عليه ماقبله أى أشد خلقا (قوله لازب) من باب دخل وقوله يلصق باليد أى إنه لضعفه لا قوام له بنفسه (قوله المعنى أن خلقهم الخ) التفت المفسر إلى أنه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذى منه إنكار البعث (قوله بل عجبت) إضراب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال لاتستفتهم فإنهم جاهلون معاندون لامنفعة فى استفتائهم بل انظر إلى حالك وحالهم والمقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم (قوله بفتح التاء) أى و بضمها قراءتان سبعيتان وعلى الضم فالمتعجب الله تعالى ومعناه فى حقه الغضب والمؤاخذة على حد ومكروا ومكر الله . والمعنى يجازيهم على تكذيبهم إياك وقد يطلق التعجب فى حق الله تعالى على الرضا والمحبة كما فى الحديث «عجب ربك من شاب ليس له صبوة» (قوله وهم يسخرون من تعجبك) أى أو من تعجبى أى غضبى عليهم ومجازاتى لهم على كفرهم (قوله لا يتعظون) أى لقيام الغفلة بهم (قوله أئذا متنا الخ) أصل الكلام أنبعث إذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقدموا الظرف وكرروا الهمزة وأخروا العامل وعدلوا به إلى الجملة الاسمية لقصد الدوام والاستمرار إشعارا بأنهم مبالغون فى الانكار (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع فى كل موضع و بقى قراءتان سبعيتان أيضا الأولى بألفين والثانية بواحدة والعكس و بسط تلك القراءات يعلم من كتبها (قوله و بفتحها) أى والقراءتان سبعيتان هنا وفى الواقعة وتقدم فى الأعراف أو أمن أهل القرى (قوله للاستفهام) أى الانكارى (قوله أو الضمير فى لمبعوثون) أى على القراءة الثانية فيكون مبعوثون عاملا فيه أيضا . إن قلت إن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبلها فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون أجيب بأنها مؤكدة للأولى .

لا مقصودة بالاستقبال فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد (قوله والفاصل) أى بين المعطوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر و بين المعطوف وهو آباؤنا فتحصل أنه على قراءة سكون الواو يتعين العطف على محل إن واسمها لاغير وعلى قراءة فتحها يجوز هذا الوجه ويجوز كونه معطوفا على الضمير المستتر فى لمبعوثون ويكفى الفصل بهمزة الاستفهام على حد قول ابن مالك أو فاصل ما (قوله وأنتم داخرون) الجملة حالية والعامل فيها معنى نعم كأنه قيل تبعثون والحال أنكم صاغرون لخروجهم من قبورهم حاملين أوزارهم على ظهورهم (قوله فإنما هى زجرة الخ) هذه الجملة جواب شرط مقدر أو تعليل لنهى مقدر تقديره إذا كان الأمر كذلك فإنما هى الخ أو لاتستصعبوه فإنما هى الخ (قوله أى صيحة واحدة) أى وهى النفخة الثانية (قوله فإذا هم ينظرون) أى ينتظرون (قوله لافعل له من لفظه) أى بل من معناه وهو هلك (قوله وتقول لهم الملائكة) أشار بذلك إلى أن الوقف تم عند قوله : ياويلنا وما بعده كلام مستقل وهذا أحد احتمالات ، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض ، ويحتمل أنه من كلام الله تعالى تبكيتا لهم ، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم (قوله احشروا الذين ظلموا) أى من مقامهم إلى الوقف أو من الوقف إلى النار (قوله قرناءهم من

الشياطين) هذا أحد أقوال ، وقيل المراد بأزواجهم نساؤهم اللاتى على دينهم ، وقيل أشباههم وأخلاؤهم من الانس لأن زوج الشىء يطلق على مقاربه ومجانسه فيقال لمجموع فردتى الخف زوج ولإحداهما زوج (قوله من الأوثان) أى كالأصنام والشمس والقمر (قوله إنهم مسئولون) بكسر الهمزة فى قراءة العامة على الاستئناف وفيه معنى التعليل وقرئ بفتحها على حذف لام العلة ، والمعنى قفوهم لأجل سؤال الله إياهم (قوله عن جميع أقوالهم وأفعالهم) أى لما فى الحديث «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن علمه ماذا عمل به» (قوله و يقال لهم) أى والقائل خزنة جهنم (قوله كحالكم فى الدنيا) تشبيه فى المنفى (قوله و يقال عنهم) أى فى شأنهم على سبيل التوبيخ (قوله و قبل بعضهم) أى بعض الكفار يوم القيامة ، وهذا بمعنى ماتقدم فى سورة سبأ فى قوله – ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول – (قوله يتلاومون و يتخاصمون) أى يلوم بعضهم بعضا و يخاصم بعضهم بعضا كما قال تعالى فى شأنهم – كلما دخلت أمة لعنت أختها – بخلاف تساؤل المؤمنين فى الجنة فهو شكر وتحدث بنعم الله عليهم (قوله عن اليمين) يطلق على الحلف والجارحة المعلومة والقوة والدين والخير والآية محتملة لتلك المعانى والمفسر اختار الأول وعليه فعن بمعنى من ، والمعنى كنتم تأتوننا من الجهة التى كنا نأمنكم منها فتلك الجهة مصورة بحلفكم أنكم على الحق الخ (قوله المعنى أنكم أضللتمونا) هذا المعنى هو المراد على جميع الاحتمالات لا على ماقاله المفسر فقط (قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين الخ) أجابوا بأجوبة خمسة آخرها : فأغويناكم إنا كنا غاوين ، والمعنى أنكم لم تتصفوا بالايمان فى حال من الأحوال (قوله أن لو كنتم مؤمنين) أى أنه لو اتصفتم بالايمان

فرجعتم

والفاصل همزة الاستفهام (قُلْ نَعَمْ) تبعثون (وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ) صاغرون (فَإِنَّمَا هِيَ) ضمير مبهم يفسره (زَجْرَةٌ) أى صيحة (وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ) أى الخلائق أحياء (يَنْظُرُونَ) ما يفعل بهم (وَقَالُوا) أى الكفار (يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا وهو مصدر لافعل له من لفظه وتقول لهم الملائكة (هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ) أى الحساب والجزاء (هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ) بين الخلائق (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ) ويقال للملائكة (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالشرك (وَأَزْوَاجَهُمْ) قرناءهم من الشياطين (وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الأوثان (فَاهْدُوهُمْ) دلوهم وسوقوهم (إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ) طريق النار (وَقِفُوهُمْ) احبسوهم عند الصراط (إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) عن جميع أقوالهم وأفعالهم ، ويقال لهم توبيخا (مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ) لاينصر بعضكم بعضاً كحالكم فى الدنيا ، ويقال عنهم (بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ) منقادون أذلاء (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يتلاومون ويتخاصمون (قَالُوا) أى الأتباع منهم للمتبوعين (إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ) عن الجهة التى كنا نأمنكم منها لحلفكم إنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى أنكم أضللتمونا (قَالُوا) أى المتبوعون لهم (بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين ،

(قوله فرجعتم عن الإيمان إلينا) أى بإضلالنا و إغوائنا كأنهم قالوا لهم إن من آمن لايطيعنا لثبات الإيمان فى قلبه فلو حصل منكم الإيمان لما أطعتمونا (قوله قول ربنا) أى وعيده ومفعول القول محذوف قدره بقوله : لأملأن جهنم الخ (قوله إنا لذائقون) إخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بإذاقة العذاب (قوله فأغوينا كم) أى تسببنا لكم فى الغواية من غير إكراه فلاينافى ماقبله (قوله إنا كنا غاوين) أى فأحببنا لكم ماقام بأنفسنا لأن من كان متصفا بصفة شنيعة يحب أن يتصف بها غيره لتهون المصيبة عليه (قوله يوم القيامة) أى حين التحاور والتخاصم (قوله كما يفعل بهؤلاء) أى عبدة الأصنام، وقوله غير هؤلاء : أى كالنصارى واليهود (قوله إنهم كانوا الخ) أى عبدة الأصنام، وسبب ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على أبى طالب عند موته وقريش مجتمعون عنده فقال : قولوا لاإله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم، فأبوا وأنفوا من ذلك وقالوا : أئنا لتاركوا آلهتنا الخ » (قوله يستكبرون) أى يتكبرون (٣١٥) عن قولها وعلى من يدعوهم

فرجعتم عن الإيمان إلينا (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قوة وقدرة نقهركم على متابعتنا (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) ضالين مثلنا (فَحَقَّ) وجب (عَلَيْنَا) جميعاً (قَوْلُ رَبِّنَا) بالعذاب أى قوله : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (إِنَّا) جميعاً (لَذَائِقُونَ) العذاب بذلك القول ، ونشأ عنه قولهم (فَأَغْوَيْنَاكُمْ) المعلل بقولهم (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) قال تعالى (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أى لاشتراكهم فى الغواية (إِنَّا كَذَلِكَ) كما نفعل بهؤلاء (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) غير هؤلاء أى نعذبهم التابع منهم والمتبوع (إِنَّهُمْ) أى هؤلاء بقرينة مابعده (كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا) فى همزتيه ما تقدم (لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ) أى لأجل قول محمد قال تعالى (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ) الجائين به وهو أن لا إله إلا الله (إِنَّكُمْ) فيه التفات (لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ . وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى ذكر جزاؤهم فى قوله (أُولَٰئِكَ) الخ (لَهُمْ) فى الجنة (رِزْقٌ مَعْلُومٌ) بكرة وعشياً (فَوَاكِهُ) بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذاً لالحفظ صحة لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد (وَهُمْ مُكْرَمُونَ) بثواب الله سبحانه وتعالى (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) لا يرى بعضهم قفا بعض (يُطَافُ عَلَيْهِمْ) على كل منهم (بِكَأْسٍ) هو الإناء بشرابه (مِنْ مَعِينٍ) من خمر يجرى على وجه الأرض كأنهار الماء ،

إليها (قوله فى همزتيه ماتقدم) أى من التحقيق فيهما وتسهيل الثانية بألف ودونها فالقراآت أربع (قوله لتاركوا آلهتنا) من إضافة اسم الفاعل لمفعوله أى لتاركون آلهتنا، والمعنى لتاركون عبادتها (قوله بل جاء بالحق الخ) رد عليهم بأن ماجاء به من التوحيد حق موافق فيه المرسلين قبله (قوله فيه التفات) أى من الغيبة إلى الخطاب زيادة فى التقبيح عليهم (قوله إلا ما كنتم تعملون) أى فالشر يكون جزاؤه بقدره بخلاف الخير فجزاؤه بأضعاف مضاعفة (قوله استثناء منقطع) أى من الواو

تجزون (قوله أولئك) أى عباد الله المخلصين (قوله إلى آخره) أى وهو قوله : كأنهن بيض مكنون (قوله لهم رزق معلوم) أى أوقاته وصفاته فلاينافى آية « يرزقون فيها بغير حساب » فإن المراد غير معلوم القدار (قوله بدل) أى كل من كل لأن جميع مايؤكل فى الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ فلافرق بين الرزق والفواكه (قوله لالحفظ صحة) المناسب أن يقول لالحفظ بنية (قوله بخلق أجسادهم للأبد) أى فهم يدومون بدوام الله لايفنون أبدا (قوله وهم مكرمون) أى معظمون مبجلون بالتحية والكلام اللين (قوله فى جنات النعيم) إما متعلق بمكرمون أو خبر ثان أو حال (قوله على سرر) قال ابن عباس : على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد والسرير مابين صنعاء إلى الجابية ومابين عدن إلى إيليا (قوله متقابلين) أى تواصلا وتحابا ، وقيل الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد (قوله يطاف عليهم) أى والطائف الولدان كما فى آية « يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس » (قوله هو الاناء بشرابه) أى فإن لم يكن فيه شراب فإنه يسمى قدحا و يطلق الكأس على الخمر نفسه من باب تسمية الشىء باسم محله (قوله من معين) أى ظاهر للعيون أوخارج من العيون فعلى الأول اسم مفعول كمبيع وعلى الثانى اسم فاعل من عان بمعنى نبع وصف به خمر الجنة لأنه يجرى كالماء

(قوله بيضاء) إما صفة لكأس أو للخمر (قوله لذة) إما صفة مشبهة كصعب وسهل فتكون مشتقة فالوصف بها ظاهر أو مصدر فالوصف بها مبالغة أو على حذف مضاف أي ذات لذة (قوله ما يغتال عقولهم) أي يفسدها وقيل الغول صداع في الرأس وعليه فيكون مابعده تأسيسا (قوله ولا هم عنها ينزفون) عن سببية أي ولاهم ينزفون بسببها (قوله بفتح الزاي) أي مع ضم الياء فهو مبني للمفعول وقوله وكسرها : أي مع ضم الياء أيضا فهو مبني للفاعل قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالفتح والكسر وبالفتح والضم (قوله من نزف الشارب الخ) أي فهو مأخوذ من الثلاثي أو الرباعي والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعي فتدبر (قوله عين) جمع عيناء وهي الواسعة العين اتساعا غير مفرط بل مع الحسن والجمال (قوله كأنهن بيض مكنون) شبهن هنا ببيض النعام ، وفي سورة الواقعة باللؤلؤ المكنون لصفائه وكون بياضه مشوبا ببعض صفرة مع لمعان لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة (قوله عما مر بهم في الدنيا) أي من الفضائل والمعارف وما عملوه في الدنيا

(بَيْضَاءَ) أشد بياضاً من اللبن (لَذَّةٍ) لذيذة (لِلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (لَا فِيهَا غَوْلٌ) ما يغتال عقولهم (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) بفتح الزاي وكسرها من نزف الشارب وأنزف ، أي يسكرون بخلاف خمر الدنيا (وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لحسنهم عندهن (عِينٌ) ضخام الأعين حسانها (كَأَنَّهُنَّ) في اللون (بَيْضٌ) النعام (مَّكْنُونٌ) مستور بريشه لا يصل إليه غبار ولونه وهو البياض في صفرة أحسن ألوان النساء (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ) بعض أهل الجنة (عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) عما مر بهم في الدنيا (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) صاحب ينكر البعث (يَقُولُ) لي تبكيتاً (أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ) بالبعث (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا) في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم (لَمَدِينُونَ) مجزيون ومحاسبون ؟ أنكر ذلك أيضاً (قَالَ) ذلك القائل لإخوانه (هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ) معي إلى النار لننظر حاله ؟ فيقولون لا (فَاطَّلَعَ) ذلك القائل من بعض كوى الجنة (فَرَآهُ) أي رأى قرينه (فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) أي وسط النار (قَالَ) له تشميتاً (تَاللَّهِ إِن) مخففة من الثقيلة (كِدتَّ) قاربت (لَتُرْدِينِ) لتهلكني بإغوائك (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي) علي بالإيمان (لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) معك في النار ، وتقول أهل الجنة (أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ) أي التي في الدنيا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) هو استفهام تلذذ وتحدث بنعمة الله تعالى من تأبيد الحياة وعدم التعذيب (إِنَّ هَٰذَا) الذي ذكر لأهل الجنة (لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . لِمِثْلِ هَٰذَا ،

فليعمل

(قوله قال قائل منهم) أي من أهل الجنة لإخوانه في الجنة وهذا من جملة ما يتحدثون به (قوله تبكيتا) أي توبيخا على عدم إنكار البعث (قوله ما تقدم) أي من القراءات الأربع وهي تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه (قوله مجزيون) أي فهو من الدين بمعنى الجزاء (قوله أنكر ذلك) أي الجزاء والحساب وقوله أيضا أي كما أنكر البعث (قوله لإخوانه) أي من أهل الجنة (قوله من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر وبكسرها مع القصر والمد جمع كوة بفتح الكاف وضمها أي طبقاتها (قوله تشميتا) أي فرحا بمصيبته لأن الله نزع رحمة الكفار من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أي واللام فارقة ويصح أن تكون نافية واللام بمعنى إلا وعلى كل فهي جواب القسم (قوله أفما نحن بميتين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين الخ (قوله إلا موتتنا الأولى) إلا أداة حصر وموتتنا منصوب على المصدر والعامل فيه قوله ميتين ويكون استثناء مفرغا وهو بمعنى قوله تعالى - لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - (قوله هو استفهام تلذذ) أي فهو من كلام بعضهم لبعض ، وقيل من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت ويقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت (قوله من تأبيد الحياة الخ) لف ونشر مرتب (قوله الذي ذكر لأهل الجنة) أي من قوله - أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله لمثل هذا) أي لا للحظوظ الدنيوية الفانية التي تزول ولا تبقى .

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) قيل يقال لهم ذلك ، وقيل هم يقولونه (أَذَٰلِكَ) المذكور لهم (خَيْرٌ نُزُلًا) وهو مايعدّ للنازل من ضيف وغيره (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ) المعدّة لأهل النار وهى من أخبث الشجر المرّ بتهامة ينبتها الله فى الجحيم كما سيأتى (إِنَّا جَعَلْنَاهَا) بذلك (فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) أى الكافرين من أهل مكة إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) أى قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طَلْعُهَا) المشبه بطلع النخل (كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) أى الحيات القبيحة المنظر (فَإِنَّهُمْ) أى الكفار (لَآكِلُونَ مِنْهَا) مع قبحها لشدة جوعهم (فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ . ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ) أى ماء حارّ يشربونه فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبا له (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ) يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا) وجدوا (آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ ،

(قوله فليعمل العاملون) أى ليجتهد المجتهدون فى الأعمال الصالحة ، فان جزاءها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان كذلك فلو أفنى الانسان عمره فى خدمة ربه ولم يشتغل بشىء سواها لكان ذلك قليلا بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم ، جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه (قوله قيل يقال لهم ذلك) أى ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى وقوله وقيل هم يقولونه : أى يقول بعضهم لبعض ويبعد كلا من الاحتمالين قوله فليعمل العاملون ، فان العمل والترغيب فيه إنما يكون فى الدنيا فالأولى أنه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى ترغيبا للمكلفين فى عمل الطاعات (قوله أذلك) معمول لمحذوف تقديره قل يامحمد لقومك على سبيل التوبيخ والتبكيت أذلك خير الخ (قوله المذكور لهم) أى لأهل الجنة من قوله أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله نزلا) تمييز لخير وقوله أم شجرة الزقوم أم حرف عطف وشجرة الزقوم معطوف على اسم الاشارة وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ماقبله عليه والتقدير أم شجرة الزقوم خير نزلا والتعبير بخير ونزلا تهكم بهم وللمشاكلة (قوله من ضيف وغيره) الضيف من يأتى بدعوة وغيره من يأتى زائرا للمحبة والألفة وربما كان أعز من الضيف (قوله أم شجرة الزقوم) من التزقم وهو البلع بشدّة وإكراه للأشياء الكريهة ، سميت بذلك لأن أهل النار يكرهون على الأكل منها ، وهى شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورّم فمات ، وهى خبيثة مرة كريهة الطعم (قوله وهى من أخبث الشجر) أى وهى صغيرة الورق منتنة (قوله إناجعلنا بذلك) أى بسبب إخبار الله تعالى بذلك (قوله فتنة للظالمين) أى امتحانا واختبارا أهل يصدّقون أم لا (قوله إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته) أى ولم يعلموا أن القادر لايعجزه شىء (قوله تخرج فى أصل الجحيم) أى تنبت فى أسفلها (قوله إلى دركاتها) أى منازلها وذلك نظير شجرة طوبى لأهل الجنة فان أصلها فى عليين وما من بيت فى الجنة إلا وفيه غصن منها (قوله طلعها) الطلع فى الأصل اسم لثمر النخل اول بروزه فتسميته طلعا تهكم بهم (قوله أى الحيات القبيحة المنظر) أى ووجه الشبه الشناعة والسم فى كلّ وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ثلاثة ، وقيل شبه طلعها برءوس الشياطين حقيقة ، ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كلّ لكن يرد عليه أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين . وأجيب بأن الشيطان وإن كان غير معلوم فى الخارج فهو معروف فى الأذهان والخيالات كالغول فانه مرسوم فى خيال كل أحد بصورة قبيحة . وقيل الشياطين شجر فى البادية معروف للمخاطبين (قوله لشدّة جوعهم) أى ولقهرهم على الأكل منها زيادة فى عذابهم (قوله ثم إن لهم عليها) أى على مايأكلونه منها إذا شبعوا غلبهم العطش (قوله لشوبا) بفتح الشين فى قراءة العامة مصدر على أصله وقرىء شذوذا بضم الشين اسم بمعنى المشوب (قوله يفيد أنهم يخرجون منها) هذا أحد قولين والآخر وهو قول الجمهور أنهم لايخرجون أصلا لقوله تعالى ــ وماهم بخارجين منها ــ وحينئذ فالمعنى أنه يتنوّع عذابهم وهم فى النار فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم وتارة بشرب الحميم وتارة بالزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب ، فاذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه يردون إلى الاشتغال بعذاب غيره والحال أنهم فى النار لايخرجون منها ، ويمكن التوفيق بين القولين بأن يحمل القول بأنه خارجها على أنه فى محل خارج عن المحلّ الذى يعذبون فيه ، وليس المراد أنه خارج النار بالكلية لمعارضته صريح النصّ فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب ثم يردون إلى محل العذاب الذي كانوا فيه أولا (قوله إنهم ألفوا آباءهم) هذا تعليل لاستحقاقهم العذاب ، والمعنى أن سبب استحقاقهم للعذاب

تقليد آبائهم في الضلال من غير شيء يتمسكون به سوى التقليد (قوله يهرعون) أي من غير تأمل ولا تدبر (قوله ولقد ضل قبلهم الخ) اللام فيه وفيما بعده موطئة لقسم محذوف وكل من الجملتين سيق لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فانظر) خطاب للنبي أو لكل من يتأتى منه النظر (قوله إلا عباد الله) استثناء منقطع لأن ماقبله وعيد وهم لم يدخلوا فيه (قوله لإخلاصهم في العبادة) أي على قراءة كسر اللام (قوله على قراءة فتح اللام) أي والقراءتان سبعيتان (قوله ولقد نادانا نوح) شروع في تفصيل ما أجمله في قوله ـ ولقد أرسلنا فيهم منذرين ـ وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص: قصة نوح وقصة إبراهيم وقصة الذبيح وقصة موسى وهرون وقصة إلياس وقصة لوط وقصة يونس، وذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم وتحذير لمن كفر من أمته (قوله رب إني مغلوب) أي مقهور وقوله فانتصر: أي انتقم منهم (قوله فلنعم المجيبون) الواو للتعظيم وقوله نحن هو المخصوص بالمدح (قوله وأهله) أي من آمن به ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله فالناس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد، وقيل كان لغير ولد نوح أيضا نسل (قوله سام الخ) الثلاثة بمنع الصرف للعلمية والعجمة وفارس كذلك للعلمية والتأنيث لأنه علم على قبيلة (قوله والخزر) بفتح الخاء والزاي بعدها راء مهملة هكذا في النسخ الصحيحة وهو الصواب وفي بعض النسخ والخزرج وهو تحريف فاحش لأن الخزرج من جملة العرب والخزر صنف من الترك صغار الأعين يعرفون الآن بالتتر (قوله وما هنالك) أي وهم قوم عند يأجوج ومأجوج إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض فإذا زالت عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم وقيل هم قوم عراة يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى (قوله ثناء حسنا) قدره إشارة إلى أن مفعول تركنا محذوف وقوله سلام على نوح وكان كلام مستقل إنشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالأول ثناء الخلق والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب» (قوله العالمين) متعلق بما تعلق به الجار قبله والمراد بالعالمين الملائكة والثقلان (قوله إنا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لما فعل بنوح من الكرامة في إجابة دعائه وإبقاء ذريته وذكره الجميل وتسليم الله عليه في العالمين: أي فهذا الجزاء سنتنا في كل من اتصف بالاحسان كنوح (قوله إنه من عبادنا المؤمنين) علة لكونه محسنا وفيه إجلال لشأن الايمان وإظهار لفضله وترغيب في تحصيله والثبات عليه والازدياد منه (قوله ثم أغرقنا الآخرين) معطوف على نجيناه وأهله فالترتيب حقيقي لأن نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين فتدبر (قوله وإن من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أي ممن تبعه الخ) أي فالشيعة الأتباع والحزب (قوله في أصل الدين) أي وإن اختلفت فروع شرائعهما فالاتباع في أصول الدين وهو التوحيد لا في الفروع كالصلاة مثلا (قوله وإن طال الزمان الخ) الجملة حالية، والمعنى أنه من أتباعه على عهده والحال أن الزمان طال بينهما فطول المدة لم ينسه العهد (قوله وهو ألفان الخ) هذا أحد قولين والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنتين وأربعين سنة

يُهْرَعُونَ) يزعجون إلى أتباعهم فيسرعون إليه (وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ) من الأمم الماضية (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ) من الرسل مخوفين (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ) الكافرين أي عاقبتهم العذاب (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام (وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ) بقوله: رب إني مغلوب فانتصر (فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ) له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرق (وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي الغرق (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ) فالناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك (وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ) ثناء حسنا (فِي الْآخِرِينَ) من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سَلَامٌ) منا (عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) كفار قومه (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ) أي ممن تبعه في أصل الدين (لَإِبْرَاهِيمَ) وإن طال الزمان بينهما، وهو ألفان وستمائة وأربعون سنة،

(قوله وكان بينهما هود وصالح) أى وكان قبل نوح ثلاثة إدريس وشيث وآدم فجملة من قبل إبراهيم من الأنبياء ستة (قوله إذ جاء ربه الخ) معنى مجيئه توجهه بقلبه خاصا لربه وفى الكلام استعارة تبعية تقريرها أن تقول: شبه إقباله على ربه مخلصا له قلبه بمجيئه بتحفة جيدة والجامع بينهما طلب الفوز بالرضا واشتق من المجىء جاء بمعنى أقبل بقلبه (قوله أى تابعه وقت مجيئه) أشار بذلك إلى أن الظرف متعلق بمحذوف دل عليه قوله شيعته ويصح جعله متعلقا بشيعته لما فيها من معنى المتابعة لكن فيه أنه يلزم عليه الفصل بينه وبين معموله بأجنبى ، وهو قوله لإبراهيم وأيضا يلزم عليه عمل ماقبل اللام الابتدائية فيما بعدها وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالا يتوسع فى غيرها (قوله من الشك وغيره) أى من الآفات والعلائق التى تشغل القلب عن شهود الرب تعالى (قوله لأبيه وقومه) تقدم الخلاف فى كونه أباه حقيقة أو عمه وإنما عبر بالأب لأن العم أب ، والمراد بقومه النمروذ وجماعته (قوله فى همزتيه ماتقدم) أى وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها (قوله وإفكا مفعول له) أى وقدم على المفعول به لأجل التقبيح عليهم بأنهم على إفك وباطل (قوله أى أتعبدون غير الله) كان عليه أن يزيد قوله لأجل الإفك ليوفى بالمفعول لأجله (قوله إذ عبدتم غيره) أى وقت عبادتكم غيره (قوله أنه يترككم بلا عقاب) معمول الظن ، والمعنى أى سبب حملكم على ظنكم أنه تعالى يترككم بلاعقاب حين عبدتم غيره

وكان بينهما هود وصالح (إذ جاء) أى تابعه وقت مجيئه (رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشك وغيره (إِذْ قَالَ) فى هذه الحالة المستمرة له (لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) موبخا (مَاذَا) ما الذى (تَعْبُدُونَ . أَئِفْكًا) فى همزتيه ما تقدم (آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) وإفكا مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون، والإفك أسوأ الكذب، أى أتعبدون غير الله (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا، وكانوا نجامين فخرجوا إلى عيد لهم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فإذا رجعوا أكلوه وقالوا للسيد إبراهيم اخرج معنا (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) إيهاما لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) عليل أى سأسقم (فَتَوَلَّوْا عَنْهُ) إلى عيدهم (مُدْبِرِينَ . فَرَاغَ) مال فى خفية (إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ) وهى الأصنام وعندها الطعام (فَقَالَ) استهزاء (أَلَا تَأْكُلُونَ) فلم ينطقوا ، فقال (مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) فلم تجب (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) بالقوة فكسرها فبلغ قومه ممن رآه (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) أى يسرعون المشى فقالوا له نحن نعبدها وأنت تكسرها (قَالَ) لهم ،

وأشار بقوله لا إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى ليس لكم سبب ولاعذر يحملكم على الظن المذكور وإذا انتفى السبب انتفى المسبب بالأولى (قوله وكانوا نجامين) ذكر هذا توطئة لقوله تعالى : فنظر نظرة فى النجوم (قوله فخرجوا إلى عيد لهم) أى وكانوا فى قرية بين البصرة والكوفة يقال لها هرمز (قوله زعموا التبرك عليه) أى أنها تنزل عليه البركة (قوله فنظر نظرة فى النجوم) أى فى علم النجوم متفكرا فى أمر يعذرونه بسببه فيتركونه (قوله أى سأسقم) جواب عما يقال كيف قال إنى سقيم والحال أنه لم يكن سقيما . وأجيب أيضا بأن المعنى سقيم القلب من عبادتكم مالايضر ولاينفع وقد أشار بقوله إنى سقيم إلى سقم مخصوص وهو الطاعون ، وكان الطاعون أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون منه العدوى فتفرقوا عن إبراهيم خوفا منها فهربوا إلى عيدهم وتركوه فى بيت الأصنام (قوله وهى الأصنام) أى وكانت اثنين وسبعين صنما بعضها من حجر وبعضها من خشب وبعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من نحاس وبعضها من حديد وبعضها من رصاص ، وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر وكان فى عينيه ياقوتتان تتقدان نورا (قوله وعندها الطعام) الجملة حالية (قوله فقال استهزاء بهم) إن قلت أى فائدة فى خطاب مالايعقل ؟ أجيب بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أوغيرهم (قوله فراغ عليهم) أى مال فى خفية من قولهم راغ الثعلب روغانا : تردد وأخذ الشىء خفية (قوله بالقوة) أى القدرة (قوله فأقبلوا إليه) مرتب على محذوف قدره المفسر بقوله فبلغ قومه الخ (قوله يزفون) بكسر الزاى مع فتح الياء أوضمها قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا له نحن نعبدها الخ) أى بعد أن سألوه وأجابهم ، فلما تحققوا أنه هو الذى كسرها قالوا نحن نعبدها الخ وقد تقدم بسط ذلك فى سورة الأنبياء .

(قوله موبخا) أى على ماوقع منهم حيث يأتون الخشب مثلا فيصنعون منه صورة و يتخذونها إلها مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم ولا تضر ولا تنفع (قوله ومامصدرية الخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه و بقى اثنان كونها استفهامية ، والمعنى وأى شئ تعملونه وكونها نافية ، والمعنى ليس العمل فى الحقيقة لكم و إنما هو لله تعالى (قوله بنيانا) قيل بنوا له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملأوه من الحطب وأوقدوا عليه النار ثم تحيروا فى كيفية رميه فعلمهم إبليس المنجنيق فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها فصارت عليه بردا وسلاما (قوله وأضرموه بالنار) أى أوقدوه بها (قوله النار الشديدة) أى فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحيما من الجحمة وهى شدة التأجج (قوله المقهورين) أى بابطال كيدهم حيث جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وقال إنى ذاهب الخ) عطف على محذوف قدره بقوله فخرج الخ ، والمعنى أنه لما خرج من النار سالما ولم يهتد من قومه أحد هاجر هو ولوط ابن أخيه وسارة زوجته إلى أرض الشام ، وهو أول من هاجر من الخلق فى طاعة الله وقوله : إلى ربى أى إلى عبادة ربى وطاعته (قوله سيهدين) أى إلى مافيه صلاح دينى و بلوغ مطالبى (قوله إلى حيث أمرنى ربى) أى إلى مكان أمرنى الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب و يهدين (قوله فلما وصل إلى الأرض المقدسة) قدره توطئة لقوله : رب هب لى الخ (٣٢٠) (قوله من الصالحين) أى بعض الصالحين يكون خليفة لى و يرث حالى (قوله فبشرناه) مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاءوا له فى صورة أضياف فبشروه بالغلام ثم انتقلوا من قريته وهى فلسطين إلى قرية لوط وهى سذوم لاهلاك قومه كما تقدم ذلك فى سورة هود و يأتى فى الداريات (قوله فلما بلغ معه السعى) أشار المفسر إلى أن قوله معه ظرف متعلق بالسعى وفيه أنه يلزم عليه تقدم صلة المصدر المؤول من أن والفعل عليه وهو لايجوز . وأجيب بأنه يغتفر فى الظروف مالايغتفر فى غيرها و يصح جعله متعلقا بمحذوف على سبيل البيان كأن قائلا قال مع من بلغ السعى فقيل بلغ معه ولايصح جعله متعلقا ببلغ ولاحالا من ضميره لأنه يوهم اقترانهما فى بلوغ السعى لأن المصاحبة تقتضى المشاركة مع أن المقصود وصف الصغير بذلك فقط (قوله قال يابنى) جواب لما ، والحكمة فى ذلك أن إبراهيم عليه السلام اتخذه الله تعالى خليلا ، والخلة هى صفاء المودة ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل وكان قد سأل ربه الولد فلما وهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فجاءت غيرة الخلة تنزعها من قلب الخليل فأمر بذبح المحبوب ليظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها حيث امتثل أمر ربه وقدم محبته على محبة ولده (قوله أى رأيت) أشار بذلك إلى أن الرؤيا وقعت بالفعل لما روى أنه رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك ، فلما أصبح فكر فى نفسه أنه من الله ، فلما أمسى رأى مثل ذلك فى الليلة الثانية ، ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فقال له يابنى الخ ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر لأنه فى اليوم الأول تروى وفى الثانى عرف وفى الثالث نحر (قوله إنى أذبحك) أى أفعل الذبح أو أومر به احتمالان ، و يشير للأول قوله : قد صدقت الرؤيا وللثانى قوله : افعل ماتؤمر (قوله ماذا ترى) يصح أن تكون ماذا مركبة وحينئذ فهى منصوبة بترى ومابعدها فى محل نصب بانظر لأنها معلقة له . يصح أن تكون ما استفهامية وذا موصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبرا

موبخا (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) من الحجارة وغيرها أصناما (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) من نحتكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة (قَالُوا) بينهم (ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا) فاملئوه حطبا وأضرموه بالنار فإذا التهب (فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ) النار الشديدة (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) بإلقائه فى النار لتهلكه (فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) المقهورين فخرج من النار سالما (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) مهاجر إليه من دار الكفر (سَيَهْدِينِ) إلى حيث أمرنى ربى بالمصير إليه وهو الشام فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال (رَبِّ هَبْ لِي) ولدا (مِنَ الصَّالِحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) أى ذى حلم كثير (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أى أن يسعى معه و يعينه ، قيل بلغ سبع سنين ، وقيل ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى) أى رأيت (فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) ورؤيا الأنبياء حق وأفعالهم بأمر الله تعالى (فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى) من الرأى ، شاوره

وقوله : رى بفتحتين من الرأى ، وفى قراءة سبعية ترى بالضم والكسر والمفعولان محذوفان أى تريني إياه من صبرك واحتمالك وقرئ شذوذا بضم ففتح أى مايخيل لك (قوله شاوره ليأنس الخ) أى وليعلم صبره وعزيمته على طاعة الله (قوله قال ياأبت) أى بفتح التاء وكسرها قراءتان سبعيتان (قوله التاء عوض عن ياء الاضافة) أى فهى فى محل جر كما كانت الياء فى محل جر (قوله افعل ماتؤمر) قال ابن إسحق وغيره : لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يابنىّ خذ هذا الحبل والمدية وانطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب ، فلما خلا بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال ياأبت افعل ماتؤمر (قوله إن شاء الله) أتى بها تبركا وإشارة إلى أنه لاحول عن المعصية إلا بعصمة الله ولاقوة على الطاعة إلا بمعونة الله (قوله فلما أسلما) أى الوالد والولد (قوله وتله للجبين) أى صرعه ورماه على شقه فوق التل الذى هو المكان المرتفع . قال ابن عباس : لما فعل ذلك قال الابن ياأبت اشدد رباطى كى لاأضطرب واكفف ثيابك حتى لاينتضح عليها من دمى شئ فينتقص أجرى وتراه أمى فتحزن واستحد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون أهون علىّ وإذا أتيت أمى فاقرأ عليها السلام منى وإن رأيت أن تردّ قميصى عليها فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال إبراهيم نعم العون أنت يابنىّ على أمر الله ففعل إبراهيم ماأمره به ابنه ثم أقبل عليه وهو يبكى والابن يبكى ، فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيئا فاشتدها بالحجر مرتين أوثلاثا ، كل ذلك لاتستطيع أن تقطع شيئا فمنعت بقدرة الله تعالى ، وقيل ضرب الله صفيحة

من نحاس على حلقه والأول أبلغ فى القدرة الالهية وهومنع الحديد عن اللحم فعند ذلك قال الابن ياأبت كبنى لوجهى على جبينى فانك إذا نظرت فى وجهى رحمتنى فأدركتك رأفة تحول بينك و بين أمر الله وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت فنودى ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا الخ (قوله بمنى) يذكر ويؤنث ويصرف ويمنع من الصرف باعتبار المكان والبقعة (قوله وأمرّ السكين) هذا أحد قولين مشهورين وهو ماتقدم عن ابن عباس والآخر أنه لم يمر السكين بل لما أضجعه وأراد أن يمرّ السكين جاءه النداء وبالأول استدلّ أهل السنة على أن الأمور العادية لاتؤثر شيئا لابنفسها ولا بقوّة أودعها الله فيها وإنما المؤثر هو الله تعالى فتخلف القطع فى ولد إبراهيم وتخلف الاحراق فى إبراهيم (قوله فجملة ناديناه جواب لما الخ) هذا أحد أوجه ثلاثة والثانى أنه محذوف تقديره ظهر صبرهما أوأجزلنا لهما الأجر والثالث أن قوله وتله للجبين بزيادة الواو (قوله بافراج الشدة) المناسب أن يقول بتفريج الشدة أو بفرجها لأن الفعل فرج بالتخفيف والتشديد فمصدره إما التفريج أوالفرج (قوله وفديناه) عطف على قوله وناديناه (قوله قولان) أى وهما مبنيان على قولين آخرين هل اسمعيل أكبر أو إسحق فمن قال بالأول قال إن الذبيح إسمعيل ومن قال بالثانى قال إن الذبيح إسحق . واعلم أن كلا من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين لكن القول بأن الذبيح إسحق أقوى فى النقل عن النبىّ صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حتى قال سعيد بن جبير أرى إبراهيم ذبح إسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى ، فلما صرف الله عنه الذبح أمره أن يذبح به الكبش فذبحه وسار إلى الشام مسيرة شهر فى روحة واحدة وطويت له الأودية والجبال وبقى قول ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى (قوله كبش عظيم) وقيل إنه كان تيسا جبليا أهبط عليه من ثبير (قوله وهوالذى قرّبه هابيل) أى ووصفه بالعظم لكونه تقبل مرتين .

شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به (قَالَ يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة (افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) به (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) على ذلك (فَلَمَّا أَسْلَمَا) خضعا وانقادا لأمر الله تعالى (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة وكان ذلك بمنى وأمرّ السكين على حلقه فلم تعمل شيئا بمانع من القدرة الإلهية (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح ، أى يكفيك ذلك : فجملة ناديناه جواب لما بزيادة الواو (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناك (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم (إِنَّ هَذَا) الذبح المأمور به (لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) أى الاختبار الظاهر (وَفَدَيْنَاهُ) أى المأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحق قولان (بِذِبْحٍ) بكبش (عَظِيمٍ) من الجنة وهو الذى قرب به هابيل جاء به جبريل عليه السلام ،

(قوله فذبحه السيد إبراهيم) أي و بقي قرناه معلقين على الكعبة إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزبير ومابقي من الكبش أكلته السباع والطيور لأن النار لاتؤثر فيما هو من الجنة (قوله مكبرا) روى أنه لما ذبحه قال جبريل : الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر ، فقال إبراهيم الله أكبر ولله الحمد فصار سنة (قوله استدل بذلك الخ) أي وهو مذهب الشافعي ، وقال مالك وأبوحنيفة : لادليل فيها لأن إسحاق وقعت البشارة به مرتين مرة بوجوده ومرة بنبوته ، فمعنى قوله - و بشرناه بإسحاق نبيا - بشرناه بنبوة إسحاق بعد البشارة بوجوده (قوله من الصالحين) إماصفة لنبيا أو حال من ضميره (قوله ومن ذريتهما) خبر مقدم ، وقوله محسن الخ مبتدأ مؤخر وفيه إشارة إلى أن النسب لامدخل له في الهدى ولا في الضلال (قوله ولقد مننا) معطوف على ماقبله عطف قصة على قصة واللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا الخ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم ، وقوله بالنبوة : أي المصاحبة للرسالة لأنهما كانا رسولين ولامفهوم للنبوة بل أعطاهما الله تعالى نعما جمة دينية ودنيوية و إنما خصها لأنها أشرف النعم (قوله بني إسرائيل) أي أولاد يعقوب (قوله أي استعباد فرعون إياهم) وسبب استيلائه عليهم أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين كان ملكا فاستمروا بها فلما ظهر فرعون وتكبر استعبد ذريتهم وجعلهم خدما للقبط (قوله ونصرناهم) الضمير عائد على موسى وهرون وقومهما (قوله فكانوا هم الغالبين) يصح أن يكون هم ضمير فصل أو بدلا من الواو في كانوا والأول أظهر (قوله وغيرهما) أي كالقصص والمواعظ (قوله وهديناهما الصراط المستقيم) أي وصلناهما للدين الحق (قوله سلام) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله منا ، وقوله على موسى وهرون متعلق بسلام والمسوغ

فذبحه السيد إبراهيم مكبرا (وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) منا (عَلَى إِبْرَاهِيمَ . كَذَٰلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ) استدل بذلك على أن الذبيح غيره (نَبِيًّا) حال مقدرة أي يوجد مقدرا نبوته (مِنَ الصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ) بتكثير ذريته (وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ) ولده بجعلنا أكثر الأنبياء من نسله (وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ) كافر (مُبِينٌ) بين الكفر (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ) بالنبوة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بني إسرائيل (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أي استعباد فرعون إياهم (وَنَصَرْنَاهُمْ) على القبط (فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها وهو التوراة (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ) الطريق (الْمُسْتَقِيمَ . وَتَرَكْنَا) أبقينا (عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) منا (عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ . إِنَّا كَذَٰلِكَ) كما جزيناهما (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ إِلْيَاسَ) بالهمز أوله وتركه (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) قيل هو ابن أخي هرون أخي موسى ، وقيل غيره أرسل إلى قوم ببعلبك ونواحيها (إِذْ) منصوب باذكر مقدرا (قَالَ لِقَوْمِهِ

للابتداء بالنكرة قصد التعظيم وعملها في الجار والمجرور بعدها (قوله كما جزيناهما) أي بما تقدم من الانجاء والنصر و إيتاء الكتاب و إبقاء الثناء (قوله نجزي المحسنين) في مثل هذه الآيات ترغيب للمؤمنين و إشعار بأن كل مؤمن قابل لكل خير وصالح له (قوله إنهما من عبادنا المؤمنين) أي الكاملين في الايمان البالغين الغاية فيه (قوله و إن إلياس) معطوف على ماقبله عطف قصة على قصة (قوله بالهمز أوله وتركه) أي بناء على أنها همزة قطع أو وصل قراءتان سبعيتان وسبب جواز الأمرين أنه اسم أعجمي استعملته العرب فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل (قوله لمن المرسلين) خبر إن (قوله قيل هو ابن أخي هرون الخ) الصحيح أنه من ذرية هرون لقول محمد بن إسحاق هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران و إلياس ابن عم اليسع (قوله وقيل غيره) من جملة ذلك أنه قيل هو إدريس وقيل هو اليسع (قوله أرسل إلى قوم ببعلبك) حاصل قصته كما قال محمد بن إسحق وعلماء السير والأخبار : لما قبض الله عز وجل حزقيل عليه السلام عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم إلياس نبيا وكانت الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام في بني إسرائيل بتجديد مانسوا من أحكام التوراة ، وكان يوشع لما فتح

الشام قسمها على بنى إسرائيل وأن سبطا منهم حصل فى قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم إلياس وعليهم يومئذ ملك اسمه أرحب ، وكان قد أضلّ قومه وجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكان اسمه بعلا وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوهم أبناءه ، وكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك ، وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عزّ وجل وهم لايسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك فانه آمن به وصدّقه ، فكان إلياس يقوم بأمره و يسدّده ويرشده ثم إن الملك ارتدّ واشتد غضبه على إلياس وقال يا إلياس ماأرى ماتدعونا إليه إلا باطلا وهمّ بتعذيب إلياس وقتله ، فلما أحسّ إلياس بالشرّ رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق إلياس بشواهق الجبال فكان يأوى إلى الشعاب والكهوف ، فبقى سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم فى طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم ، فلما طال الأمر على إلياس وسئم الكمون فى الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعا دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم ، فقيل انظر يوم كذا وكذا فاخرج إلى موضع كذا فماجاءك من شئ فاركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذى أمر به إذ أقبل فرس من نار ، وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدى إلياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا إلياس ما تأمرنى ؟ فقذف إليه إلياس بكسائه من الجوّ الأعلى ، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بنى إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ، ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فصار إنسيا ملكيا أرضيا سماويا ، ونبأ الله تعالى اليسع و بعثه رسولا إلى بنى إسرائيل وأوحى الله إليه وأيده فآمنت به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع (٣٢٣) وقد أعطى الله إلياس معجزات جمة منها تسخير الجبال له والأسود وغيرها وأعطاه الله قوة سبعين نبيا، وكان على صفة موسى فى الغضب والقوة . روى أن إلياس والخضر يصومان رمضان كل عام ببيت المقدس

ألا تتّقون) الله (أَتَدْعُونَ بَعْلاً) اسم صنم لهم من ذهب ، و به سمى البلد أيضاً مضافاً إلى بك أى أتعبدونه (وَتَذَرُونَ) تتركون (أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) فلا تعبدونه (اللَّهُ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ) برفع الثلاثة على إضمارهو ، و بنصبها على البدل من أحسن (فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ) فى النار (إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ) ثناء حسناً (سَلاَمٌ) منا (عَلَى إِلْيَاسِينَ) ،

و يحضران موسم الحج كل عام و يفترقان عن أربع كلمات : بسم الله ماشاء الله لايسوق الخير إلا الله ، بسم الله ما شاء الله لايصرف السوء إلا الله ، بسم الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، بسم الله ماشاء الله لاحول ولا قوة إلا بالله ، وقيل فى الرواية غير ذلك ، و إلياس موكل بالفيافى والقفار والخضر موكل بالبحار ولايموتان إلا فى آخر الزمان حين يرفع القرآن ، وعن أنس قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا عند فج الناقة سمعت صوتا يقول : اللهم اجعلنى من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا أنس انظر ماهذا الصوت فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رآنى قال : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت نعم . قال فارجع إليه فأقرئه السلام وقل له هذا أخوك إلياس يريد أن يلقاك ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء يمشى وأنا معه حتى إذا كنا قريبا منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شئ يشبه السفرة ودعوانى فأكلت معهما و إذا فيها كمأة ورمان وحوت وكرسف ، فلما أكلت قمت فتنحيت فجاءت سحابة فحملته وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوى قبل السماء » انتهى (قوله ألا تتقون الله) أى تمتثلون أوامره وتجتنبون نواهيه (قوله و به سمى البلد) أى ثانيا وأما أولا فاسمها بك فقط فلما عبد بعل سميت بعلبك (قوله مضافا إلى بك) أى مضموما إليه و إلا فالتركيب امزجى لاإضافى (قوله وتذرون) عطف على تدعون فهو داخل فى حيز الانكار (قوله أحسن الخالقين) أى المصورين لأنه سبحانه وتعالى يصور الصورة و يلبسها الروح وغيره تصور من غير روح (قوله برفع الثلاثة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله فانهم نجوا منها) أشار بذلك إلى أن الاستثناء من الواو فى لمحضرون كأنه قال فكذبوه فانهم لمحضرون إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا فانهم غير محضرين .

قيل هو إلياس المتقدم ذكره وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليباً كقولهم المهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد أي أهله المراد به إلياس أيضاً (إِنَّا كَذَٰلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) اذكر (إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ) أي الباقين في العذاب (ثُمَّ دَمَّرْنَا) أهلكنا (الْآخَرِينَ) كفار قومه (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ) على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم (مُصْبِحِينَ) أي وقت الصباح يعني بالنهار (وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ) هرب (إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به فركب السفينة فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة (فَسَاهَمَ) قارع أهل السفينة (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) ابتلعه (وَهُوَ مُلِيمٌ) أي آت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) الذاكرين بقوله كثيراً في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة

(قوله قيل هو إلياس المتقدم) أي وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة للعلمية والعجمة وهي لغة ثانية فيه (قوله وقيل هو الخ) أي وعليه فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالما (قوله المراد به إلياس أيضا) أي فأطلق الأول وأراد به مايشمله وقومه المؤمنين به فتحصل أن في الآية ثلاث عبارات إلياس في أولها والياسين وآل ياسين في آخرها وكلها سبعية (قوله وإن لوطا لمن المرسلين) عطف على ماقبله أيضا عطف قصة على قصة (قوله اذكر إذ نجيناه الخ) قدر المفسر اذكر اشارة إلى أن الظرف متعلق بمحذوف ولم يجعله متعلقا بقوله المرسلين لأنه يوهم أنه قبل النجاة لم يكن رسولا مع أنه قبل رسول النجاة و بعدها (قوله وأهله) المراد بهم بنتاه (قوله إلا عجوزا) هي امرأته (قوله أي وقت الصباح) بيان لمعناه في الأصل وقوله يعني بالنهار بيان للمراد منه وقوله و بالليل عطف على مصبحين وهو حال أخرى (قوله أفلا تعقلون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أتشاهدون ذلك فلا تعقلون (قوله وإن يونس لمن المرسلين) هو ابن متى وهو ابن العجوز التي نزل عليها إلياس فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر و يونس صبي يرضع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ، ثم إن إلياس أذن له في السياحة فلحق بالجبال ومات يونس ابن المرأة فخرجت في أثر إلياس تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته فسألته أن يدعو الله لها لعله يحيي لها ولدها فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوما مضت من موته فتوضأ وصلى ودعا الله فأحيا الله تعالى يونس بن متى بدعوة إلياس عليه السلام وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام (قوله إذ أبق) ظرف لمحذوف تقديره اذكر كما تقدم نظيره وقوله أبق بابه فتح والإباق في الأصل الهرب من السيد و إطلاقه على هرب يونس استعارة تصريحية فشبه خروجه بغير إذن ربه بإباق العبد من سيده (قوله حين غاضب قومه) المفاعلة على بابها لأنهم غاضبوه بعدم الانقياد له والايمان به وهو غضب عليهم (قوله فركب السفينة) أي باجتهاد منه لظنه أنه إن بقي بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب فركوب السفينة ليس معصية لربه لاصغيرة ولا كبيرة ومؤاخذته بحبسه في بطن الحوت على مخالفته الأولى فان الأولى له انتظار الاذن من الله تعالى هذا هو الصواب في تحقيق المقام ، وهناك أقوال أخر اعتقادها يضر في العقيدة والعياذ بالله تعالى (قوله فوقفت) أي من غير سبب وقوله في لجة البحر المراد به الدجلة (قوله فقال الملاحون الخ) أي وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها آبق أو مذنب لم تسر (قوله قارع أهل السفينة) أي غالبهم قيل مرة واحدة ، وقيل ثلاثا (قوله فألقوه في البحر) قدره اشارة إلى أن قوله فالتقمه الحوت مرتب على محذوف (قوله أي آت بما يلام عليه) أي أو المعنى وهو مليم نفسه (قوله بقوله كثيرا) استفيدت الكثرة من جعله من المسبحين (قوله قبرا له) أي بأن يموت فيبقى في بطنه ميتا وقيل بأن يبقى على حياته .

(قوله فنبذناه) أى أمرنا الحوت بنبذه فنبذه (قوله بالعراء) أى الأرض المتسعة التى لانبات بها (قوله من يومه) أى فالتقمه ضحى ونبذه عشية وماذكره المفسر خمسة أقوال : الأول للشعبى والثانى لمقاتل والثالث لعطاء والرابع للضحاك والخامس للسدى (قوله الممعط) بضم الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء مهملة أيضا : أى المنتوف الشعر (قوله وهى القرع) خص بذلك لأنه بارد الظل لين الملمس كبير الورق لا يعلوه الذباب وماذكره المفسر أحد أقوال فى تفسير اليقطين ، وقيل كانت شجرة التين ، وقيل شجرة الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره (قوله وعلة) إما بفتح الواو والعين أو بكسر الواو وسكون العين هى الغزالة (قوله كقبله) جواب عما يوهم أنه قبل خروجه لم يكن مرسلا (قوله بنينوى) بكسر النون الأولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو (قوله أو يزيدون) جعل المفسر أو للاضراب بمعنى بل ويصح أن تكون للشك بالنسبة للمخاطبين أى إن الرائى يشك عند رؤيتهم أو للابهام بمعنى أن الله أبهم أمرهم أو الاباحة والتخيير بمعنى أن الناظر يباح له أو يخير بين أن يحزرهم بكذا أو كذا (قوله عند معاينة العذاب) أى عند حضور أمارته ولذا نفعهم إيمانهم وأما مثل فرعون

(فَنَبَذْنَاهُ) ألقيناه من بطن الحوت (بِالْعَرَاءِ) بوجه الأرض : أى بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما (وَهُوَ سَقِيمٌ) عليل كالفرخ الممعط (وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) وهى القرع تظله بساق على خلاف العادة فى القرع معجزة له وكانت تأتيه وعلة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوى (وَأَرْسَلْنَاهُ) بعد ذلك كقبله إلى قوم بنينوى من أرض الموصل (إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ) بل (يَزِيدُونَ) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا (فَآمَنُوا) عند معاينة العذاب الموعودين به (فَمَتَّعْنَاهُمْ) أبقيناهم ممتعين بما لهم (إِلَى حِينٍ) تنقضى آجالهم فيه (فَاسْتَفْتِهِمْ) استخبر كفار مكة توبيخا لهم (أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (وَلَهُمُ الْبَنُونَ) فيختصون بالأسنى (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) خلقنا فيقولون ذلك (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ) كذبهم (لَيَقُولُونَ . وَلَدَ اللَّهُ) بقولهم الملائكة بنات الله (وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فيه (أَصْطَفَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل فحذفت أى اختار (الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء فى الذال أنه سبحانه وتعالى منزه عن الولد

فلم يؤمن إلا بعد حصول العذاب بالفعل وأيضا قوم يونس أخلصوا فى إيمانهم وفرعون لم يخلص وإنما إيمانه عند الغرغرة لدفع الشدة: ولو ردوا لعادوا (قوله بمالهم) بفتح اللام أى بالذى ثبت لهم من النعم وتقدم بسط قصة يونس فى سورة يونس فراجعها إن شئت (قوله فاستفتهم) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ماتقدم للأمم من شركهم ومخالفتهم لأنبيائهم فاستفتهم : أى اطلب من أهل مكة الخبر لا جل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم (قوله توبيخا لهم) أى فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والافادة بل هو على سبيل التقريع والتوبيخ لهم (قوله ألربك البنات ولهم البنون) أى ألهذه القسمة الجائرة وجه فانهم كفروا من وجهين الأول نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو الثانى كونه خصوص الأنثى فانهم لايرضون بنسبتها لأنفسهم بل إما أن يمسكوها على الهوان أو يدفنوها حية فكيف يرضونها لله عز وجل ويختصون بالبنين (قوله فيختصون بالأسنى) أى الأشرف وهو الذكور ، وفى نسخة بالأبناء (قوله أم خلقنا الملائكة إناثا) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة فهو إضراب عما زعموا ورد عليهم ، وهذا بمعنى قوله تعالى - وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم - الآية (قوله وهم شاهدون) الجملة حالية : أى والحال أنهم معاينون لخلقهم (قوله ألا إنهم من إفكهم) استئناف لبيان إبطال ماهم عليه كأنه قيل ليس لهم مستند إلا الكذب الصريح والافتراء القبيح (قوله وإنهم لكاذبون فيه) أى فى قولهم الملائكة بنات الله (قوله واستغنى بها) أى بهمزة الاستفهام فى التوصل للنطق بالساكن والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله مالكم كيف تحكمون) أى أى شىء ثبت واستقر لكم من حكمكم بهذا الحكم الجائر حيث تثبتون أخس الجنسين فى زعمكم لله سبحانه وتعالى (قوله بادغام التاء فى الذال) أى أو بتاء واحدة من غير إدغام قراءتان سبعيتان .

(قوله أم لكم سلطان مبين) انتقال من توبيخهم إلى إلزامهم الحجة بما لاوجود له ولا يقدرون على إثباته (قوله التوراة) الصواب إسقاطه لأن الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم (قوله وجعلوا بينه) التفات من الخطاب للغيبة إشارة إلى أنهم بعيدون من رحمة الله وليسوا أهلا لخطابه (قوله لاجتنانهم عن الأبصار) أى استتارهم عنها (قوله ولقد علمت الجنة الخ) هذا زيادة فى تبكيتهم وتكذيبهم كأنه قيل هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم ومايئول إليه أمركم ويحكون بتعذيبكم على سبيل التأبيد (قوله سبحان الخ) هذا من كلام الملائكة تنزيه لله تعالى عما وصفه به المشركون بعد تكذيبهم لهم فكأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون بقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جملتهم برآء من هذا الوصف وقوله فانكم وماتعبدون تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن إغوائهم (قوله استثناء منقطع) أى من الواو فى يصفون وهو فى قوة الاستدراك رفع به مايتوهم ثبوته أو نفيه كأنه قال تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى ، وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لأنهم لايصفونه تعالى إلا بالكمالات (قوله أى على معبودكم) أشار بذلك إلى أن الضمير فى عليه عائد على ما وعلى هذا فالواو للمعية وما مفعول معه

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) حجة واضحة أن لله ولداً (فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ) التوراة فأرونى ذلك فيه (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم ذلك (وَجَعَلُوا) أى المشركون (بَيْنَهُ) تعالى (وَبَيْنَ الْجِنَّةِ) أى الملائكة لاجتنانهم عن الأبصار (نَسَباً) بقولهم إنها بنات الله (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ) أى قائلى ذلك (لَمُحْضَرُونَ) للنار يعذبون فيها (سُبْحَانَ اللهِ) تنزيها له (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن لله ولداً (إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى فإنهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أى على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بِفَاتِنِينَ) أى أحداً (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) فى علم الله تعالى قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم (وَمَا مِنَّا) معشر الملائكة أحد (إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) فى السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزه (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ) أقدامنا فى الصلاة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون الله عما لايليق به (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة (كَانُوا) أى كفار مكة (لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْراً) كتاباً (مِنَ الْأَوَّلِينَ) أى من كتب الأمم الماضية (لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ) العبادة له قال تعالى (فَكَفَرُوا بِهِ) أى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة كفرهم

سادة مسد خبر إن (قوله بفاتنين) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أحدا والمعنى أنكم مع معبودكم لستم بمفسدين أحدا إلا من سبقت له الشقاوة فى علم الله (قوله إلا من هو صال الجحيم) استثناء من المفعول الذى قدره المفسر وصال مرفوع بضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين فهو معتل كقاض (قوله فى علم الله تعالى) أى من علم الله أنه من أهل الجحيم فإنه يميل إلى الكفر وأهله (قوله وما منا إلا له مقام معلوم) هذا حكاية عن اعتراف للملائكة بالعبودية ردا على عبدتهم . والمعنى ليس منا أحد إلا له (ولقد مقام معلوم فى المعرفة والعبادة وامتثال مايأمرنا الله تعالى به . قال ابن عباس : مافى السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلى ويسبح قيل إن هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتأخر جبريل ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم أهنا تفارقنى فقال جبريل ما أستطيع أن أتقدم من مكانى هذا وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم الآيات ، وفى الحديث «مافى السموات موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم» (قوله أحد) قدره إشارة إلى أن فى الآية حذف الموصوف وإبقاء صفته وهو مبتدأ والخبر جملة قوله إلا له مقام معلوم والتقدير ما أحد منا إلا له مقام معلوم (قوله أقدامنا فى الصلاة) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة . والمعنى أن قريشا كانت تقول قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم لو أن لنا كتابا مثل كتاب الأولين لأخلصنا العبادة لله تعالى . وهذا نظير قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم (قوله فكفروا به) الفاء للفصيحة مرتب على ماقبله (قوله فسوف يعلمون) أى فى الدنيا والآخرة والتعبير بسوف تهديد لهم كقولك لمن تريد ضربه مثلا سوف ترى ماتوعد به وأنت

شارع فيه فسوف للوعيد لا للتبعيد (قوله ولقد سبقت كلمتنا الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم وأصدرت هذه الجملة بالقسم لتأكيد الاعتناء بتحقيق مضمونها (قوله كلمتنا بالنصر) إنما سمى الوعد بالنصر كلمة مع أنه كلمات لكون معنى الكل واحدا (قوله وهى لأغلبن أنا ورسلى) أى فيكون قوله إنهم لهم المنصورون جملة مستأنفة وقوله أوهى قوله إنهم الخ أى وعليه فيكون بدلا من كلمتنا أو تفسيرا لها (قوله وإن جندنا) الجند فى الأصل الأنصار والأعوان ، والمراد منه أنصار دين الله وهم المؤمنون كما قال المفسر (قوله وإن لم ينتصر بعض منهم الخ) دفع بهذا مايقال قد شوهدت غلبة الكفار على المؤمنين فى بعض الأزمان فأجاب بأن النصر إما فى الآخرة للجميع أو فى الدنيا للبعض فالمؤمنون منصورون على كل حال . وأجيب أيضا بأن الأنبياء المأذون لهم فى القتال لابد لهم من النصر فى الدنيا ولا تقع لهم هزيمة أبدا ، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة كما فى أحد فهو لحكم عظيمة ولا تبيت على المؤمنين بل ينصرون عليهم بصريح قوله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية وأما غيرهم فتارة ينصرون فى الدنيا وتارة لا وإنما ينصرون فى الآخرة (قوله تؤمر فيه بقتالهم) أى فكان أولا مأمورا بالتبليغ والصبر ، ثم لما كان فى السنة الثانية من الهجرة

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا) بالنصر (لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ) وهى : لأغلبن أنا ورسلى ، أوهى قوله : (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ . وَإِنَّ جُنْدَنَا) أى المؤمنين (لَهُمُ الْغَالِبُونَ) الكفار بالحجة والنصرة عليهم فى الدنيا وإن لم ينتصر بعض منهم فى الدنيا ففى الآخرة (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) أى أعرض عن كفار مكة (حَتَّى حِينٍ) تؤمر فيه بقتالهم (وَأَبْصِرْهُمْ) إذا نزل بهم العذاب (فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزول هذا العذاب ؟ قال تعالى تهديداً لهم (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ . فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) بفنائهم قال الفراء : العرب تكتفى بذكر الساحة عن القوم (فَسَاءَ) بئس صباحاً (صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر (وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) كرر تأكيداً لتهديدهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) الغلبة (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن له ولداً (وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ) المبلغين عن الله التوحيد والشرائع (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصرهم وهلاك الكافرين .

أمر صلى الله عليه وسلم بالجهاد وغزواته سبع وعشرون غزوة قاتل فى ثمان منها بنفسه : بدر وأحد والمصطلق والخندق وقريظة وخيبر وحنين والطائف (قوله وأبصرهم إذا نزل بهم العذاب) أى من القتل والأسر والمراد بالأمر الدلالة على أن ذلك قريب كأنه واقع مشاهد (قوله عاقبة كفرهم) أى من نزول العذاب بساحتهم (قوله تهديدا لهم) أى فليس الاستفهام على حقيقته بل المقصود تهديدهم (قوله تكتفى بذكر الساحة) أى تستغنى على سبيل الكفاية فالمعنى فاذا نزل بهم العذاب فشبه العذاب بجيش هجم عليهم فأناخ بفنائهم بغتة وهم فى ديارهم ففى ضمير العذاب استعارة بالكناية والنزول تخييل (قوله بئس صباحا) أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير والتمييز محذوف والمذكور مخصوص والأوضح ماقاله غيره من أن المذكور هو الفاعل والمخصوص محذوف وعليه فالتقدير بئس صباح المنذرين صباحهم (قوله فيه إقامة الظاهر مقام المضمر) أى فى التعبير بالمنذرين وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم (قوله سبحان ربك الخ) الغرض من هذا تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا يغفلوا عنه لما روى عن على كرم الله وجهه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الخ وعن أبى سعيد الخدرى قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول فى آخر صلاته أوحين ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » (قوله رب العزة) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها كأنه قيل ذى العزة ، وقيل المراد العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه ويترتب على كل من القولين مسئلة اليمين فعلى الأول ينعقد بها اليمين لأنها من صفات الله تعالى ، وعلى الثانى لاينعقد لأنها من صفات الخلق (قوله وسلام على المرسلين) تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم .

[سورة ص] أى ويقال لها سورة داود (قوله مكية) أى كلها (قوله أو ثمان) أو لحكاية الخلاف (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأن تفويض الأمر المتشابه لعلم الله تعالى هو غاية الأدب . واعلم أن فى لفظ ص قراآت خمسة السبعة على السكون لاغير والباقى شاذ وهو الضم والفتح من غير تنوين والكسر بتنوين وبدونه فالضم على أنه خبر لمحذوف على أنه اسم للسورة : أى هذه ص ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث والفتح إما على أنه مفعول لمحذوف تقديره اقرأ ونحوه أومبنى على الفتح كأين وكيف والأول أقرب والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف وصرف بالنظر إلى اللفظ (قوله أى البيان) أى لما يحتاج إليه فى أمر الدين ، وقوله أو الشرف : أى أن من آمن به كان شريفا فى الدنيا والآخرة . قال تعالى - لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم - أى شرفكم وأيضا القرآن شريف فى ذاته من حيث اشتماله على المواعظ والأحكام وغيرها فهو شريف فى نفسه مشرف لغيره ، وقيل المراد بالذكر ذكر أسماء الله تعالى وتمجيده ، وقيل المراد به الموعظة ، وقيل غير ذلك (قوله وجواب هذا القسم محذوف الخ) هذا أحد أقوال وهو أحسنها وقيل تقديره إنك لمن المرسلين كما فى يس ، وقيل هو قوله كم أهلكنا وفيه حذف اللام والأصل لكم أهلكنا وإنما حذفت لطول الكلام نظير حذفها فى قوله - قد أفلح من زكاها - بعد قوله والشمس وقيل غير ذلك (قوله بل الذين كفروا) إضراب وانتقال من قصة إلى قصة (قوله من أهل مكة) خصهم بالذكر لأنهم سبب النزول وإلا فالمراد كل كافر (قوله أى كثيرا) أشار بذلك إلى أن كم خبرية بمعنى كثيرا مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز لها (قوله ولات حين) اختلفت المصاحف فى رسم التاء فبعضهم رسمها مفصولة

(سورة ص)

مكية ست أو ثمان وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . ص) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) أى البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف : أى ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فِي عِزَّةٍ) حمية وتكبر عن الإيمان (وَشِقَاقٍ) خلاف وعداوة للنبى صلى الله عليه وسلم (كَمْ) أى كثيرا (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية (فَنَادَوْا) حين نزول العذاب بهم (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أى ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أى استغاثوا والحال أن لامهرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبى صلى الله عليه وسلم (وَقَالَ الْكَافِرُونَ) فيه وضع الظاهر موضع المضمر (هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ،

أجعل

وبعضهم رسمها متصلة بحين وينبنى على هذا الاختلاف الوقف فبعضهم يقف على التاء وبعضهم على لا ومن يقف على التاء اختلفوا ، فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة إتباعا لمرسوم الخط الشريف والأقل منهم يقف بالهاء ، وهذا الوقف الاختبار لأنه من جملة الأوقاف الجائزة (قوله مناص) المناص يطلق على المنجى والفر والتقدم والتأخر وكل هنا يناسب المقام (قوله أى ليس الحين الخ) أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسيبويه فى لات من حيث إنها تعمل عمل ليس وان اسمها محذوف وهو وخبرها لفظ الحين ، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

وما للات فى سوى حين عمل ... وحذف ذى الرفع فشا والعكس قل

(قوله والتاء زائدة) أى لتأكيد النفى (قوله من فاعل نادوا) أى وهو الواو (قوله وما اعتبر) معطوف على كم أهلكنا (قوله وعجبوا الخ) أى جعلوا مجىء رسول من جنسهم أمرا خارجا عن طوق العقل فيتعجب منه (قوله من أنفسهم) أى من جنسهم (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة فى التقبيح عليهم وإشعارا بأن كفرهم جسرهم على هذا القول (قوله ساحر) أى فيما يظهره من الخوارق كذاب : أى فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال .

(قوله أجعل الآلهة الخ) الاستفهام تعجبي : أي كيف يعلم الجميع ويقدر على التصرّف فيهم إله واحد ، وسبب هذا التعجب قياسهم القديم على الحادث ولم يعلموا أنه واحد لا من قلة بل وحدته وحدة تعزز وانفراد تنزه الله عن مماثلة الحوادث له (قوله عجيب) أشار بذلك إلى أن عجاب مبالغة في عجيب (قوله عند أبي طالب) روى « أنه لما أسلم عمر شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت مافعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا و بين ابن أخيك ، فأحضره وقال له يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء والانصاف فلا تمل كل الميل على قومك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوني ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك و إلهك ، فقال أرأيتكم إن أعطيتكم ماسألتم أمعطيّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم ؟ فقالوا نعم وعشر أمثالها ، فقال قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وانطلقوا قائلين : امشوا واصبروا على آلهتكم » (قوله أي يقول بعضهم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تفسيرية وضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله واصبروا على آلهتكم) أي استمروا على عبادتها (قوله إن هذا) تعليل للأمر بالصبر (قوله يراد منا) أي يقصد منا تنفيذه فلا انفكاك لنا عنه (قوله ماسمعنا بهذا الخ) أي

أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً) حيث قال لهم قولوا : لا إله إلا الله أي كيف يسع الخلق كلهم إله واحد (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) أي عجيب (وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ) من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا : لا إله إلا الله (أَنِ امْشُوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا (وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) اثبتوا على عبادتها (إِنَّ هَذَا) المذكور من التوحيد (لَشَيْءٌ يُرَادُ) منا (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ) أي ملة عيسى (إِنْ) ما (هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ) كذب (أَأُنْزِلَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (عَلَيْهِ) على محمد (الذِّكْرُ) القرآن (مِنْ بَيْنِنَا) وليس بأكبرنا ولا أشرفنا ؟ أي لم ينزل عليه ، قال تعالى (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) وحيي أي القرآن حيث كذبوا الجائي به (بَلْ لَمَّا) لم (يَذُوقُوا عَذَابِ) ولو ذاقوه لصدقوا النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ) الغالب (الْوَهَّابِ) من النبوّة وغيرها فيعطونها من شاءوا (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إن زعموا ذلك (فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ) الموصلة إلى السماء فيأتوا بالوحي فيخصوا به من شاءوا ، وأم في الموضعين بمعنى همزة الإنكار (جُنْدٌ مَا) أي هم جند حقير (هُنَالِكَ) أي في تكذيبهم لك (مَهْزُومٌ) ،

وإنما سمعنا فيها التثليث (قوله بتحقيق الهمزتين) أي فالقراآت أربع سبعيات (قوله أي لم ينزل عليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله بل هم في شك) إضراب عن مقدّر تقديره إنكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه (قوله بل لما يذوقوا عذاب) إضراب انتقالي لبيان سبب الشك والمعنى سببه أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وآمنوا به (قوله لم يذوقوا) أشار بذلك إلى أن لما بمعنى لم ، فالمعنى لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقع فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وتصديقهم حينئذ لا ينفعهم (قوله حينئذ) أي حين ذاقوه (قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك) المعنى أن النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له (قوله الغالب) أي الذي لا يغلبه شيء بل هو الغالب لكل شيء (قوله الوهاب) أي الذي يهب ما يشاء لمن يشاء (قوله أم لهم ملك السموات والأرض) المعنى ليس لهم تصرّف في العالم الذي هو من جملة خزائن رحمته فمن أين لهم التصرف فيها (قوله فليرتقوا في الأسباب) الفاء واقعة في جواب شرط مقدّر قدّره بقوله : إن زعموا ذلك : أي المذكور من العندية والملكية ، والمعنى فليصعدوا في المعاريج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون (قوله بمعنى همزة الانكار) أي وبعضهم قدرها ببل والهمزة (قوله أي هم جند) أشار بذلك إلى أن جند خبر لمحذوف والتنوين للتقليل والتحقير وما لتأكيد القلة (قوله هنالك) ظرف لجند أو لمهزوم (قوله مهزوم) أي مقهور ومغلوب ، والمعنى أن قريشا جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب فلا تكترث بهم وتسل عنهم

صفة جند (مِنَ الْأَحْزَابِ) صفة جند أيضاً : أى كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذا نهلك هؤلاء (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ) كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه (وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) أى الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ . إِنْ) ما (كُلٌّ) من الأحزاب (إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ) لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم لأن دعوتهم واحدة وهى دعوة التوحيد (فَحَقَّ) وجب (عِقَابِ . وَمَا يَنْظُرُ) ينتظر (هَٰؤُلَاءِ) أى كفار مكة (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) وهى نفخة القيامة تحل بهم العذاب (مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ) بفتح الفاء وضمها : رجوع (وَقَالُوا) لما نزل : فأما من أوتى كتابه بيمينه الخ (رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا) أى كتاب أعمالنا (قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ) قالوا ذلك استهزاء ، قال تعالى (اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ) أى القوة فى العبادة ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه

(قوله صفة جند أيضا) أى فقد وصف جند بصفات ثلاث : الأولى ما والثانية مهزوم والثالثة من الأحزاب (قوله وأولئك) أى الأحزاب (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) استئناف مقرر لمضمون ماقبله ببيان تفاصيل الأحزاب (قوله باعتبار المعنى) أى وهو أنهم أمة (قوله كان يتد) من باب وعد أى يدق ويغرز والأوتاد جمع وتد بفتح الواو وكسر التاء على الأفصح (قوله يشد إليها يديه الخ) أى ويضجعه مستلقيا على ظهره (قوله ويعذبه) قيل يتركه حتى يموت ، وقيل يرسل عليه العقارب والحيات ، وقيل معنى ذو الأوتاد ذو الملك الثابت أو ذو الجموع الكثيرة وفى الأوتاد استعارة بليغة حيث شبه الملك ببيت الشعر وهو لايثبت إلا بأوتاد (قوله أى الغيضة) أى الأشجار الملتفة المجتمعة ، وتقدم أنهم أهلكوا بالظلة (قوله أولئك الأحزاب) بدل من الطوائف المذكورة وقوله إن كل الخ استئناف جىء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه وإن نافية لاعمل لها لانتقاض النفى بإلا (قوله لأنهم الخ) جواب عن سؤال كيف يقال إن كلا كذب الرسل مع أن كل أمة كذبت رسولا واحدا (قوله وما ينظر هؤلاء) شروع فى بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب (قوله وهى نفخة القيامة) أى الثانية (قوله مالها من فواق) الجملة فى محل نصب صفة لصيحة ومن مزيدة فى المبتدإ (قوله بفتح الفاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد وهو الزمان الذى بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع ، والمعنى مالها من توقف قدر فواق ناقة ، وقال ابن عباس مالها من رجوع من أفاق المريض إذا رجع إلى صحته وقد مشى عليه المفسر وكل صحيح (قوله لما نزل فأما من أوتى كتابه الخ) أى الذى فى سورة الحاقة (قوله قطنا) أى نصيبنا وحظنا وأصله من قط الشىء أى قطعه (قوله أى كتاب أعمالنا) سمى قطا لأنه مقطوط أى مقطوع لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها (قوله قبل يوم الحساب) أى فى الدنيا (قوله اصبر على مايقولون) فيه تهديد (إنه
للكفار وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله واذكر عبدنا داود الخ) المقصود من ذكر تلك القصص إظهار فضل المتقدمين وتسليته صلى الله عليه وسلم على أذى قومه فيقتدى بمن قبله لكونه سيد الجميع فهو أولى بالصبر والاضافة فى عبدنا لتشريف المضاف (قوله ذا الأيد) مصدر مفرد بوزن البيع من آد يئيد إذا قوى واشتد وليس جمع يد (قوله كان يصوم يوما ويفطر يوما) أى وهو جهاد للنفس دليل على قوة داود لأن النفس كالطفل فاذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوما أطلقها فى اليوم الثانى ثم يعود لفطمها ، ولا شك أنه جهاد عظيم (قوله ويقوم نصف الليل الخ) هكذا فى بعض النسخ موافقة لما فى القرطبى والبيضاوى وأبى السعود وفى بعض النسخ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الموافق لما فى الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولما فى الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولعله كان أحيانا هكذا وأحيانا هكذا .

(قوله إنه أواب) تعليل لكونه ذا قوة فى الدين (قوله إلى مرضاة الله) المرضاة بمعنى الرضا (قوله إنا سخرنا الجبال) تعليل آخر لقوته فى الدين (قوله يسبحن) أى بلسان المقال ويسرن معه فى السياحة والجملة حالية من مفعول سخرنا (قوله وقت صلاة العشاء) ظاهره أن المراد بها العشاء الأخيرة، والذى يفهم من كلام غيره أنها المغرب حيث قال: فكان داود يسبح إثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (قوله ويتناهى ضوؤها) أى وهو ربع النهار (قوله والطير محشورة) بالنصب فى قراءة العامة معطوف على الجبال وقرئ شذوذا بالرفع مبتدأ وخبر (قوله كل له أواب) أشار المفسر إلى أن الضمير فى له عائد على داود. وحينئذ فالمعنى كل من الجبال والطير مطيع لداود فى تسبيحه إن رفع رفعوا وإن خفض خفضوا وهو أحد قولين والآخر أنه عائد على الله تعالى، والمعنى كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى (قوله بالحرس) بفتحتين اسم جمع كخدم أو بضم الحاء وفتح الراء المشددة جمع حارس (قوله ثلاثون ألف رجل) فى رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفا (قوله النبوة والاصابة فى الأمور) هذا أحد أقوال فى تفسير الحكمة، وقيل هى العلم بكتاب الله تعالى، وقيل العلم والفقه، وقيل السنة (قوله البيان الشافى) أى الاظهار المنبه للمخاطب من غير التباس، وهو أحد أقوال فى تفسير فصل الخطاب، وقيل الفصل فى القضاء، وقيل هو البينة على المدعى واليمين على من أنكر، وقيل هو أما بعد، وقيل غير ذلك (قوله التعجيب) أى حمل المخاطب على التعجب أو إيقاعه فى العجب (قوله إلى استماع ما بعده) أى لكونه أمرا غريبا كقولك لجليسك: هل تعلم ماوقع اليوم تريد أن يستمع لكلامك ثم تذكر له ما وقع (قوله إذ تسوروا) ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم

(إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى مرضاة الله (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ) بتسبيحه (بِالْعَشِيِّ) وقت صلاة العشاء (وَالْإِشْرَاقِ) وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها (وَ) سخرنا (الطَّيْرَ مَحْشُورَةً) مجموعة إليه تسبح معه (كُلٌّ) من الجبال والطير (لَهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى طاعته بالتسبيح (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ) قويناه بالحرس والجنود وكان يحرس محرابه فى كل ليلة ثلاثون ألف رجل (وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) النبوة والإصابة فى الأمور (وَفَصْلَ الْخِطَابِ) البيان الشافى فى كل قصد (وَهَلْ) معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده (أَتَاكَ) يا محمد (نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) محراب داود أى مسجده حيث منعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة أى خبرهم وقصتهم (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ) نحن (خَصْمَانِ) قيل فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل اثنان والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر وهما ملكان جاءا فى صورة خصمين وقع لهما ما ذكر على سبيل العرض لتنبيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها،

الخصم ولا يصح أن يكون ظرفا لأتاك لأن إتيان النبأ كائن فى عهد رسول الله لا فى عهد داود ولا لنبأ لأن النبأ واقع فى عهد داود فلا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أى مسجده) أى الذى كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة (قوله حيث منعوا الدخول عليه من الباب) أى لكونهم أتوه فى اليوم الذى كان يشتغل فيه بالعبادة فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب (قوله ففزع منهم) أى لأنهم نزلوا من أعلى على خلاف العادة والحرس حوله (قوله قالوا لاتخف) جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ماذا قالوا لما شاهدوا فزعه؟ فقال قالوا لا تخف (قوله قيل فريقان) هذا مبنى على أن الداخل عليه كان أزيد من اثنين، فكان المتخاصمين والشاهدين المزكيين (قوله وقيل اثنان) أى شخصان وهو مبنى على أن الداخل المتداعيان فقط (قوله والخصم يطلق الخ) أى لأنه فى الأصل مصدر (قوله وهما ملكان) قيل هما جبريل وميكائيل (قوله على سبيل العرض) بالعين المهملة: أى التعريض وهو جواب عما يقال إن الملائكة معصومون فكيف يتصور منهم البغى أو الكذب. فأجاب بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب فلا بغى فيه ولا كذب (قوله لتنبيه داود) أى إيقاظه على ماصدر منه (قوله وكان له تسع الخ) بيان لما وقع منه (قوله وطلب امرأة شخص) هو وزيره أوريا بن حنان لسر عظيم وهو كما قيل إنها أم سليمان عليه السلام.

(قوله وتزوجها ودخل بها) مشى للفسر على أن داود سأل أوريا طلاق زوجته ثم بعد وفاء عدتها تزوجها داود ودخل بها وهو أحد أقوال ثلاثة . والثانى أن داود لما تعلق بها قلبه أمر أوريا أن يذهب للجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل ، فلما قتل فى الجهاد تزوجها داود . والثالث أن أوريا لم يكن متزوجا بها وإنما خطبها فقط فخطبها داود على خطبته وتزوجها ، وكان ذلك كله جائزا فى شرعه وإنما عاتبه الله لرفعة قدره، وللسيد أن يعاتب عبده على مايقع منه وإن كان جائزا من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله ولا تشطط) العامة على ضم التاء من أشطط إذا تجاوز الحد وقرئ شذوذا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وتشط من أشط رباعيا إلا أنه أدغم وتشطط من شطط وتشاطط (قوله إن هذا أخى الخ) مرتب على مقدر تقديره فقال لهما داود تكلما فقال أحدهما إن هذا أخى الخ (قوله أى على دينى) أى فليس المراد أخوة النسب ، لأن الملائكة لايلدون ولايوصفون بذكورة ولا أنوثة (قوله يعبر بها عن المرأة) أى يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها ، وقد يكنى عنها بالبقرة والناقة (قوله أى اجعلنى كافلها) هذا هو معناه الأصلى ، والمراد هنا ملكنيها وانزل لى عنها (قوله وعزنى فى الخطاب) أى فهو أفصح منى فى الكلام فالغلبة له على لضعفى (قوله وأقره الآخر) أى المدعى عليه وهو جواب عما يقال كيف حكم داود ولم يسمع شيئا من المدعى عليه ؟ فأجيب بأنه سمع منه الاقرار والاعتراف (قوله بسؤال نعجتك) من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف أى بأن سألك نعجتك (قوله ليضمها) أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الاضافة والضم

(٣٣٢)

وتزوجها ودخل بها (بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ) تجرِ (وَاهْدِنَا) أرشدنا (إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ) وسط الطريق الصواب (إِنَّ هَٰذَا أَخِي) أى على دينى (لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً) يعبر بها عن المرأة (وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا) أى اجعلنى كافلها (وَعَزَّنِي) غلبنى (فِي الْخِطَابِ) أى الجدال وأقره الآخر على ذلك (قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ) ليضمها (إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ) الشركاء (لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ) ما لتأكيد القلة فقال الملكان صاعدين فى صورتيهما إلى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود ، قال تعالى (وَظَنَّ) أى أيقن (دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) أوقعناه فى فتنة : أى بلية بمحبته تلك المرأة (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا) أى ساجدا (وَأَنَابَ . فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ) أى زيادة خير فى الدنيا (وَحُسْنَ مَآبٍ) مرجع فى الآخرة ،

(قوله من الخلطاء الشركاء) أى الذين خلطوا أموالهم وفيه إشارة إلى أن داودساير ظاهر دعواهم (قوله إلا الذين آمنوا) استثناء متصل (قوله فتنبه داود) أى علم أنهما يريدانه بهذا التعريض (قوله أنما فتناه) ما زائدة ، والمعنى وظن داود أنا فتناه فتنبه ولاحظ ، والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له المفسر (قوله فاستغفر ربه) أى طلب منه المغفرة ، وتقدم أنه ليس بذنب وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله أى ساجدا) عبر بالركوع عنه لأن كلا منهما فيه انحناء (قوله وأناب) أى رجع إلى مولاه . قال المفسرون : سجد داود أربعين يوما لايرفع رأسه إلا لحاجة أولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا إلى تمام الأربعين يوما لايأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة ، وكان من دعائه فى سجوده: سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور ، إلهى خليت بينى وبين عدوى إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت بى سبحان خالق النور ، إلهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما أنا إليه صائر سبحان خالق النور ، إلهى الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور ، إلهى بأى عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور ، إلهى بأى قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم تزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور ، إلهى من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور ، إلهى أنا لاأطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور ، إلهى أنا لاأطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور ، إلهى الويل لداود من الذنب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور ، إلهى كيف يستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور ، إلهى قد تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتى

سبحان خالق النور ، إلهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني سبحان خالق النور ، إلهي أعوذ بوجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني. سبحان خالق النور، إلهي فررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولاتخزني يوم الدين سبحان خالق النور . قيل مكث داود أربعين يوما لايرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه ، فنودي ياداود أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أمظلوم أنت فتنصر فأجيب في غير ماطلب ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فحزن حتى هاج ماحوله من العشب فاحترق من حرارة جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والمغفرة بقوله : فغفرنا له ذلك و إن له عندنا لزلفى وحسن مآب . وقد ورد أنه لما قبل الله توبته بكى على خطيئته ثلاثين سنة لايرقأ دمعه ليلا ولانهارا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة فقسم الدهر على أربعة أيام : يوم للقضاء ويوم لنسائه و يوم يسبح في الجبال والفيافي والسياحة ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع إليه الرهبان ينوح معهم على نفسه فاذا كان يوم سياحته خرج إلى الفيافي ويرفع صوته بالبكاء فتبكي معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجيء إلى الساحل فيرفع صوته بالبكاء فتبكي معه دواب البحر وطير الماء فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه إن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلايزال يبكي حتى يغرق الفراش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله . وقد ورد أيضا أنه لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي أن لاأنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة ، فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولاشرابا إلا بكى إذا رآها وماقام خطيبا في الناس إلا و بسط راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم خطيئته واستغفر وكان يبدأ إذا دعا للخاطئين قبل نفسه ، وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله ، وكان إذا ذكر عقاب الله تعالى انخلعت أوصاله و إذا ذكر رحمة الله تراجعت اه ملخصا

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) تدبر أمر الناس (فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى) أي هوى النفس (فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الدلائل الدالة على توحيده (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الإيمان بالله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا) بنسيانهم (يَوْمَ الْحِسَابِ) المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا) أي عبثا ،

(قوله ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض) يحتمل أنه كلام مستأنف بيان للزلفى في قوله : و إن له عندنا لزلفى ، و يحتمل أنه مقول لقول محذوف معطوف على قوله ـ فغفرنا له ـ كأنه قيل فغفرنا له وقلنا ياداود الخ وفي هذه الآية دليل على أن خلافته التي كانت قبل الفتنة باقية مستمرة بعد التوبة . (قوله تدبر أمر الناس) أي لكونك ملكا وسلطانا عليهم ، فقد جمع لداود عليه السلام بين النبوّة والسلطنة وكان فيمن قبله النبوّة مع شخص والسلطنة مع آخر فيحكم السلطان بما يأمره به النبي (قوله بالحق) أي العدل لأن الأحكام إذا كانت موافقة لما أمر الله به صلحت الخلق واستقام نظامهم بخلاف ما إذا كانت موافقة لهوى النفس فانّ ذلك يؤدّى إلى فساد النظام ووقوع الهرج والمرج المؤدّى للهلاك وهو معنى قولهم : العدل إن دام عمر والظلم إن دام دمر (قوله ولا تتبع الهوى) المقصود من نهيه إعلام أمته بأنه معصوم لتتبعه فيما أمر به لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره أولى (قوله فيضلك عن سبيل الله) بالنصب في جواب النهي وهو أولى من جعله مجزوما عطفا على النهي وفتح للتخلص من التقاء الساكنين (قوله أي عن الدلائل الدالة على توحيده) إنما فسر السبيل بذلك وإن كان شاملا لفروع الدين الموصلة إلى الله تعالى ليوافق قوله: لهم عذاب شديد الخ (قوله بنسيانهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية وقوله يوم الحساب إما ظرف لقوله : لهم عذاب شديد أو مفعول لنسوا (قوله المرتب عليه الخ) أي فالسبب الحقيقي في حصول العذاب لهم هو ترك الإيمان ونسيان يوم الحساب سبب في ترك الايمان فاكتفى بذكر السبب (قوله وماخلقنا السماء والأرض الخ) استئناف لتقرير ماقبله من البعث والحساب (قوله باطلا)نعت لمصدر محذوف أي خلقا باطلا أو حال من ضمير الخالق .

(قوله ذلك ظن الذين كفروا) أى مظنونهم (قوله فويل) هو فى الأصل معناه الهلاك أى هلاك ودمار للذين كفروا وعبر بالظاهر تقبيحا عليهم وإشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم (قوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة وهو إضراب انتقالى من أمر البعث والحساب إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين فى العواقب وهو نظير قوله تعالى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (قوله أم نجعل المتقين الخ) تنويع آخر فى الإضراب والمعنى واحد (قوله بمعنى همزة الانكار) أى مع بل التى للاضراب (قوله خبر مبتدإ محذوف) أى وأنزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدإ محذوف أو خبر ثان لا صفة ثانية للكتاب لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد وفيه خلاف (قوله ينظروا فى معانيها) أى يتأملوا فيها فيزدادوا معرفة ونورا على حسب مشار بهم فان التالين للقرآن على مراتب فالعامة يقرءونه مرتلا مجوّدا مراعى بعض معانيه على حسب الطاقة ، والخاصة يقرءونه ملاحظين أنهم فى حضرة الله

(ذٰلِكَ) أى خلق ماذكر لا لشىء (ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَوَيْلٌ) وادٍ (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ . أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نعطى فى الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الإنكار (كِتَابٌ) خبر مبتدإ محذوف أى هذا (أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا أدغمت التاء فى الدال (آيَاتِهِ) ينظروا فى معانيها فيؤمنوا (وَلِيَتَذَكَّرَ) يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه (نِعْمَ الْعَبْدُ) أى سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع فى التسبيح والذكر فى جميع الأوقات (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ) هو ما بعد الزوال (الصَّافِنَاتُ) الخيل جمع صافنة وهى القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الْجِيَادُ) جمع جواد وهو السابق ، المعنى أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لعدوّ فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاغتم (فَقَالَ إِنِّى أَحْبَبْتُ) أى أردت (حُبَّ الْخَيْرِ) أى الخيل (عَنْ ذِكْرِ رَبِّى) أى صلاة العصر (حَتَّى تَوَارَتْ) أى الشمس (بِالْحِجَابِ) أى استترت بما يحجبها عن الأبصار (رُدُّوهَا عَلَيَّ) أى الخيل المعروضة فردّوها (فَطَفِقَ مَسْحًا) بالسيف (بِالسُّوقِ) جمع ساق (وَالْأَعْنَاقِ) ،

تعالى يقرءون كلامه عليه ، وخاصة الخاصة يقرءون فانين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضى الله عنهم وعنا بهم (قوله أولوا الألباب) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بالتذكر (قوله ووهبنا لداود) أى من المرأة التى أخذها من أوريا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة (قوله أى سليمان) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله إذ عرض عليه) ظرف لمحذوف تقديره اذكر يا محمد لقومك وقت أن عرض الخ والمعنى اذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال) أى إلى الغروب (قوله وهى القائمة) أى الواقفة على ثلاث قوائم (قوله على طرف الحافر) أى من رجل أو يد أى (قوله وهو من صفن) أى مأخوذ منه والصافن من الآدميين الذى يصف قدميه ويفرق بينهما وجمعه صفون (قوله جمع جواد) وقيل جمع جيد يطلق على كل من الذكر والأنثى ، مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق ، والمعنى طويلة العنق لفراهتها (قوله المعنى) أى معنى الصافنات الجياد (قوله وكانت ألف فرس) روى أنه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم ألف فرس ، وقيل أصابها أبوه من العمالقة فوضع يده عليها لبيت المال ، وقيل خرجت له من البحر ولها أجنحة (قوله لارادة الجهاد) أى ليختبرها (فقال إنى أحببت الخ) أى على وجه الاعتذار عما صدر منه وندماً عليه وضمن أحببت معنى آثرت فعداه بعن (قوله أى الخيل) إنما سماها خيرا لتعلق الخير بها لما فى الحديث « الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة » (قوله بالحجاب) أى وهو جبل دون جبل قاف بمسيرة سنة تغرب من ورائه (قوله ردّوها علىّ) الخطاب لأتباعه المتولين أمر الخيل والضمير عائد على التى شغلته وهى التسعمائة ، وأما المائة الأخرى فلم يذبحها ، وما فى أيدى الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة .

(قوله أى ذبحها وقطع أرجلها) أى وكان مباحا له ولذا لم يعاتبه الله عليه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين ، وقيل الضمير فى قوله ردوها عائد على الشمس والخطاب للملائكة الموكلين بها فردوها فصلى العصر فى وقتها ، وقال الفخر الرازى معنى قوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق أنه يمسحها حقيقة بيده ليختبر عيوبها وأمراضها لكونه كان أعلم بأحوال الخيل واشارة إلى أنه بلغ من التواضع إلى أنه يباشر الأمور بنفسه ولم يحصل منه ذبح ولاعقر ولم تفت عليه صلاة ، ومعنى إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى : أى لأجل طاعة ربى لا لهوى نفسى ، ومعنى توارت بالحجاب : أى الخيل غابت عن بصره حين أمر باجرائها ليختبرها للغزو فقال ردوها علىّ فردوها فصار يمسح فى أعناقها وسوقها كما تقدم وليس فى الآية مايدل على ثبوت ذبح ولا عقر ولافوات صلاة اهـ بالمعنى (قوله ولقد فتنا سليمان الخ) أجمل المفسر فى القصة . وحاصل تفصيلها على مارواه وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة فى جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لايمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا ولا جمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها إلى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يحب مثله أحدا من نسائه وكانت على منزلتها عنده لايذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان ، فقال لها ويحك ماهذا الحزن الذى لايذهب والدمع الذى لا يرقأ ، قالت إن أبى أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزننى ذلك ، فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ذلك قالت إن ذلك كذلك ولكننى إذا ذكرته أصابنى ماترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عنى بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين ، فقال مثلوا لها صورة أبيها

أى ذبحها وقطع أرجلها تقربا إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بلحمها فعوّضه الله تعالى خيراً منها وأسرع ، وهى الريح تجرى بأمره كيف شاء (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) ابتليناه بسلب ملكه وذلك ،

فى دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لاروح فيه فعمدت إليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التى كان يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدوا إليه فى ولائدها : أى جواريها فتسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع فى ملكه : أى أبيها وتروح فى كل عشية بمثل ذلك وسليمان لايعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقا له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شئ من بيوته دخل سواء كان سليمان حاضرا أو غائبا فأتاه وقال يانبى الله إن غير الله يعبد فى دارك منذ أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال فى دارك قال فانا لله وإنا إليه راجعون ثم رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهيرة فأتى بها وهى ثياب لايغزلها إلا الأبكار ولاينسجها إلا الأبكار ولا يغسلها إلا الأبكار لم تمسها يد امرأة قد رأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا إلى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك به فى ثيابه تذللا إلى الله تعالى وتضرعا إليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ، ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة كان إذا دخل الخلاء أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما عندها ، ثم دخل مذهبه فأتاها شيطان اسمه صخر المارد بن عمير فى صورة سليمان لاتنكر منه شيئا فقال هات خاتمى يا أمينة فناولته إياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمى قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن خطيئته أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من دور بنى إسرائيل ويقول أنا سليمان ابن داود فيحثون عليه التراب ويقولون انظروا إلى هذا المجنون يزعم أنه سليمان ، فلما رأى ذلك عمد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة ويشوى الأخرى فيأكلها فمكث على ذلك أربعين صباحا عدة ما كان يعبد الوثن فى داره ثم إن آصف وعظماء بنى إسرائيل أنكروا حكم عدو الله الشيطان فى تلك المدة فقال آصف

يامعشر بنى إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود مارأيتم فقالوا نعم ، فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه . فلما أمسى أعطاه سمكتيه فباع سليمان إحداهما بأرغفة و بقر بطن الأخرى ليشويها فاستقبله خاتمه فى جوفها فأخذه وجعله فى يده وخر لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف أن الذى دخل عليه من أجل ماحدث فى داره فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد فأتى به فأدخله فى جوف صخرة وسد عليه بأخرى ، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف فى البحر فهو باق فيها إلى النفخة ، وسيأتى رد تلك القصة وأنها من موضوعات الأخباريين (قوله لتزوجه بامرأة) أى واسمها جرادة (قوله هواها) قياسه هويها بمعنى أحبها من باب صدى وأما هوى كرمى فهو بمعنى سقط ، وفى نسخة يهواها وهى ظاهرة (قوله وكانت تعبد الصنم) أى وهو صورة أبيها ومدة ذلك أربعون يوما (قوله وكان ملكه فى خاتمه) أى كان ملكه مترتبا على لبسه إياه فاذا لبسه سخرت له الريح والجن والشياطين وغيرها و إذا نزعه زال عنه ذلك ، وكان خاتمه من الجنة وهو من جملة الأشياء التى نزل بها آدم من الجنة وقد نظمها بعضهم بقوله :

وآدم معه أنزل العود والعصا لموسى من الآس النبات المكرّم
وأوراق تين واليمين بمكة وختم سليمان النبى المعظم

وقوله العود المراد به عود البخور وقوله واليمين بمكة المراد به الحجر الأسود وورد فى الحديث «أن نقش خاتم سليمان لا إله إلا الله محمد رسول الله» (قوله ووضعه عند امرأته) فى عبارة غيره أم ولده المسماة بالأمينة (قوله هو ذلك الجنى) أى وسمى جسدا لأنه ليس فيه روح سليمان و إن كان فيه روحه هو لأن الجسد هو الجسم الذى لاروح فيه (قوله وهو صخر) أى ابن عمير المارد (قوله فى غيرهيئته) أى المعتادة التى كانوا

لتزوجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم فى داره من غير علمه وكان ملكه فى خاتمه فنزعه مرة عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة على عادته ، فجاءها جنىّ فى صورة سليمان فأخذه منها (وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا) هو ذلك الجنى ، وهوصخر أو غيره جلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان فى غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا سليمان فأنكروه (ثُمَّ أَنَابَ) رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم فلبسه وجلس على كرسيه (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ،

يعرفونه بها (قوله رجع سليمان إلى ملكه) هذا التفسير مبنى على أن قوله ثم أناب مرتبط بقوله وألقينا على كرسيه جسدا وقال غيره إنه مرتبط بقوله ولقد فتنا سليمان ومعنى إنابته رجوعه إلى الله تعالى وتوبته (قوله بعد أيام) أى أربعين قال القاضى عياض وغيره من المحققين لايصح مانقله الأخباريون من تشبه الشيطان بسليمان وتسلطه على ملكه وتصرفه فى أمته بالجور فى حكمه و إن الشياطين لايسلطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا والذى ذهب إليه المحققون أن سبب فتنته ماأخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قال سليمان : لأطوفن الليلة على تسعين امرأة» وفى رواية «على مائة امرأة كلهن يأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون» قال العلماء والشق هو الجسد الذى ألقى على كرسيه وفتنته من نسيان المشيئة فامتحن بهذا فتاب ورجع وقيل إن المراد بالجسد الذى ألقى على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم تنفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه فى السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل فى بعض مهماته إذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه فى ذلك فتنبه واستغفر ربه ، إذا علمت ذلك فالمناسب أن يعرج على مافى الصحيحين وتترك تلك القصة البشعة (قوله قال رب اغفر لى) إنما قال ذلك تواضعا وإظهارا للخضوع للمولى عز وجل وإلا فهو لم يحصل منه ذنب و إنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

(قوله وهب لى ملكا الخ) قدّم طلب المغفرة اهتماما بأمر الدين (قوله لا ينبغى لأحد من بعدى) أى ليكون معجزة لى فليس طلبه للمفاخرة بأمور الدنيا وإنما كان هو من بيت النبوة والملك وكان فى زمن الجبارين وتفاخرهم بالملك فطلب ما تكون معجزة لقومه ومعجزة كل نبىّ ما اشتهر فى عصره (قوله إنك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة (قوله فسخرنا له الريح) أى أعدنا له تسخير الريح بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه ، وهذا على ما مشى عليه المفسر وعلى ما مشىّ عليه المحققون فيقال أدمنا تسخيرها (قوله تجرى بأمره) بيان لتسخيرها له (قوله رخاء) حال من الريح (قوله لينة) أى غير عاصفة وهذا فى أثناء سيرها وأما فى أوله فهى عاصفة فكانت العاصفة تقلع البساط والرخاء تسيره (قوله بأمره) أى إياها فالمصدر مضاف لفاعله (قوله كل بناء) بدل من الشياطين (قوله وآخرين) عطف على كل بناء ، وذلك أن سليمان قسم الشياطين إلى عملة استخدمهم فى الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك وإلى مقرنين فى السلاسل كالمردة والعتاة (قوله القيود) من المعلوم أن القيد يكون فى الرجل فلا يلتئم مع قوله : بجمع أيديهم الخ فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أولى لأنها تطلق عليها كما تطلق على القيود (قوله وقلنا له هذا) أى هذا الملك عطاؤنا (قوله بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أنه متعلق بعطاؤنا : أى أعطيناك بغير حساب وبغير حصر . الثانى أنه حال من عطاؤنا : أى فى حال كون عطائنا

وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي) لا يكون (لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) أى سواى نحو : فمن يهديه من بعد الله أى سوى الله (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) لينة (حَيْثُ أَصَابَ) أراد (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ) يبنى الأبنية العجيبة (وَغَوَّاصٍ) فى البحر يستخرج اللؤلؤ (وَآخَرِينَ) منهم (مُقَرَّنِينَ) مشدودين (فِي الْأَصْفَادِ) القيود بجمع أيديهم إلى أعناقهم وقلنا له (هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ) أعط منه من شئت (أَوْ أَمْسِكْ) عن الإعطاء (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أى لا حساب عليك فى ذلك (وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ) تقدم مثله (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي) أى بأنى (مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ) ضر (وَعَذَابٍ) ألم ، ونسب ذلك إلى الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدبا معه تعالى ، وقيل له (ارْكُضْ) اضرب (بِرِجْلِكَ) الأرض فضرب فنبعت عين ماء فقيل (هَٰذَا مُغْتَسَلٌ) ماء تغتسل به (بَارِدٌ وَشَرَابٌ) تشرب منه فاغتسل وشرب فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أى أحيا الله له من مات من أولاده ورزقه مثلهم ،

غير محاسب عليه . والثالث أنه متعلق بامنن أو أمسك والمعنى أعط من شئت وامنع من شئت لا حساب عليك فى إعطاء ولا منع . قال الحسن : ما أنعم الله نعمة على أحد إلا عليه فيها تبعة إلا سليمان فانه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة (قوله وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى زيادة خير فى الدنيا والآخرة (قوله واذكر عبدنا أيوب) عطف على قوله واذكر عبدنا داود عطف قصة على قصة وليس معطوفا على قصة سليمان لانه لكمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصدّر فى قصته بقوله : واذكر عبدنا سليمان مثلا بل كانا كأنهما قصة واحدة ، وتقدم لنا فى الأنبياء أن أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام ، وقيل إنه ابن عيصو بن إسحق ، وقيل هو ابن أموص بن رغيل بن عيص بن اسحق وتقدمت قصته مفصلة فى سورة الأنبياء (قوله إذ نادى ربه) بدل من عبدنا أو عطف بيان له (قوله أنى مسنى الشيطان) أى حين ابتلى بفقد ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته وكانت مدة بلائه ثلاث سنين ، وقيل سبعا ، وقيل عشرا ، وقيل ثمانى عشرة (قوله بنصب) بضم فسكون التعب والمشقة ، وقوله وعذاب عطف سبب على مسبب (قوله تأدّبا معه تعالى) أى لأن الشيطان هو السبب فى ذلك لأنه نفخ فى أنفه فمرض جسده ظاهرا وباطنا إلا قلبه ولسانه (قوله وقيل له) أى حين رجاوزت شفائه (قوله فنبعت عين ماء) ظاهره أنها عين واحدة وهو أحد قولين ، وقيل كانتا عينين بأرض الشام فى أرض الجابية فاغتسل من إحداهما فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه وكانت إحدى العينين حارة والأخرى باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى (قوله ووهبنا له أهله) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فاغتسل الخ (قوله من مات من أولاده) أى وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث إناث ، وقيل كل صنف سبع (قوله ورزقه مثلهم) أى من زوجته وزيد فى شبابها

واسمها قيل رحمة بنت أفرائيم بن يوسف ، وقيل ليا بنت يعقوب (قوله رحمة الخ) مفعول لأجله : أى لأجل رحمتنا إياه ولتذكر بحاله أولوا الألباب (قوله وخذ بيدك ضغثا) عطف على محذوف قدره المفسر بعد بقوله وكان قد حلف الخ (قوله هو حزمة) أى ملء الكف (قوله لإبطائها عليه يوما) واختلف فى سبب بطئها التسبب عنه حلفه ، فقيل إن الشيطان تمثل فى طريقها فى صورة حكيم يداوى للرضى فمرّت عليه فوجدت الناس منكبين عليه ، فقالت له عندى مريض ، فقال أداويه على أنه إذا برئ قال أنت شفيتنى لا أريد جزاء سواه . قالت نعم ، فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان وقيل إنها باعت ذوائبها برغيفين حين لم تجد شيئا تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها ، وقيل غير ذلك (قوله ولا تحنث) أى لا تقع فى يمينك بحيث تلزمك كفارته وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقا بزوجته وأما فى شرعنا فلا يبرّ إلا بضرب المائة وضربه بأعواد مجتمعة لا يعد واحدة منها إلا إذا حصل منه ألم الضربة المنفردة (قوله إنا وجدناه صابرا) أى علمناه ، والمعنى أظهرنا صبره للناس (قوله أيوب) تفسير للمخصوص بالمدح (قوله واذكر عبادنا إبراهيم الخ) أى اذكر صبرهم على ما امتحنوا به (قوله أولى الأيدى) العامة على ثبوت الياء وهو جمع يد فيكنى بذلك عن الأعمال

(٣٣٨)

(رَحْمَةً) نعمة (مِنَّا وَذِكْرَى) عظة (لِأُولِى الْأَلْبَابِ) لأصحاب العقول (وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا) هو حزمة من حشيش أو قضبان (فَاضْرِبْ بِهِ) زوجتك وكان قد حلف ليضربنها مائة ضربة لإبطائها عليه يوما (وَلَا تَحْنَثْ) بترك ضربها فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع إلى الله تعالى (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِى الْأَيْدِى) أصحاب القوى فى العبادة (وَالْأَبْصَارِ) البصائر فى الدين ، وفى قراءة عبدنا و إبراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) هى (ذِكْرَى الدَّارِ) الآخرة أى ذكرها والعمل لها وفى قراءة بالإضافة وهى للبيان (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ) المختارين (الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتشديد (وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ) هو نبى واللام زائدة (وَذَا الْكِفْلِ) اختلف فى نبوته قيل كفل مائة نبى فرّوا إليه من القتل (وَكُلٌّ) أى كلهم (مِنَ الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتثقيل (هَٰذَا ذِكْرٌ) لهم بالثناء الجميل هنا (وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ) الشاملين لهم (لَحُسْنَ مَآبٍ) مرجع فى الآخرة (جَنَّاتِ عَدْنٍ) بدل أو عطف بيان لحسن مآب (مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ) منها (مُتَّكِئِينَ فِيهَا) على الأرائك ،

لأن أكثر الأعمال إنما يزاول بها ، وقيل المراد بالأيدى النعم وفسرها المفسر بالقوة فى العبادة وكلها معان متقاربة وقرئ شذوذا بحذف الياء تخفيفا (قوله إنا أخلصناهم) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل (قوله بخالصة) صفة لموصوف محذوف تقديره بخصلة خالصة (قوله هى ذكرى الدار) جعلها المفسر خبرا لمحذوف (قوله وفى قراءة الخ) مقابل لما قدره المفسر وهما قراءتان سبعيتان فعلى القراءة الأولى يكون ذكرى مرفوعا على إضمار مبتدإ وعلى الثانى يكون مجرورا بالإضافة وعلامة جرّه كسرة مقدرة على الألف المحذوفة والإضافة بيانية كما قال المفسر (قوله واذكر إسماعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته فى الصبر الذى هو المقصود بذكر مناقبهم (قوله واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه إلياس على بنى إسرائيل ثم نبأه الله عليهم كما تقدم (قوله اختلف فى نبوته) روى الحاكم عن وهب : أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشرا وسماه ذا الكفل فهو بشر بن أيوب اختلف فى نبوته ولقبه والصحيح أنه نبى ، وسمى ذا الكفل إما لما قاله المفسر أو لأنه تكفل بصيام النهار وقيام الليل وأن يقضى بين الناس ولا يغضب فوفى بما التزم وتقدمت قصته فى الأنبياء (قوله أى كلهم) أى المتقدمين من داود إلى هنا (قوله هذا ذكر) جملة من مبتدإ وخبر قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها فهى للانتقال من غرض إلى آخر ففيها تخلص من قصة إلى قصة وكذا يقال فى قوله هذا و إن للطاغين الخ (قوله و إن للمتقين الخ) شروع فى بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل (قوله الشاملين لهم) أى فالمتقين يشملهم وغيرهم (قوله مفتحة) حال من جنات عدن والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل والأبواب مرفوعة باسم المفعول وأل عوض عن الضمير (قوله متكئين) حال من الهاء فى لهم (يدعون) والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذى لأنه لا جوع فيها .

(قوله حابسات الأعين) أى لاينظرن إلى غيرهم نظر شهوة وميل (قوله أسنانهن واحدة) أى فقد استوين فى السن والجمال، وقيل معنى أتراب متواخيات لايتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وكل صحيح (قوله لأجله) أى لأجل وقوعه فيه فوقوعه و إنجازه فيه علة للوعد به فى الدنيا (قوله إن هذا لرزقنا) من كلام الله تعالى، والمعنى أن هذا أى ماذكر من الجنات وأوصافها لرزقنا أى لهو الرزق الذى نتفضل به على عبادنا ماله من نفاد أى انقطاع أبدا (قوله أى دائما الخ) لف ونشر مرتب (قوله هذا) مبتدأ حذف خبره قدره بقوله للذكور وهو تخلص من مآل المتقين لمآل المجرمين فهو بمنزلة أمابعد (قوله و إن للطاغين) أى الكافرين (قوله لشر مآب) مقابل قوله فى حق المتقين لحسن مآب (قوله يصلونها) أى يكونون بها على سبيل التأبيد وهو لازم للدخول (قوله الفراش) أى الغطاء والوطاء (قوله هذا مبتدأ) وحميم وغساق وآخر خبره ومن شكله صفة أولى لآخر وأزواج صفة ثانية له وقوله فليذوقوه جملة معترضة بين المبتدإ والخبر، وهذا أحسن مايقال (قوله محرق) أى للأمعاء لقوله فى الآية الأخرى: وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان

(يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حابسات الأعين على أزواجهن (أَتْرَابٌ) أسنانهن واحدة وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع ترب (هٰذَا) المذكور (مَا تُوعَدُونَ) بالغيبة وبالخطاب التفاتا (لِيَوْمِ الْحِسَابِ) أى لأجله (إِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ) أى انقطاع والجملة حال من رزقنا أو خبر ثان لإن أى دائما أو دائم (هٰذَا) المذكور للمؤمنين (وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ) مستأنف (لَشَرَّ مَآبٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (فَبِئْسَ الْمِهَادُ) الفراش (هٰذَا) أى العذاب المفهوم مما بعده (فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ) أى ماء حار محرق (وَغَسَّاقٌ) بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار (وَآخَرُ) بالجمع والإفراد (مِنْ شَكْلِهِ) أى مثل المذكور من الحميم والغساق (أَزْوَاجٌ) أصناف أى عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم (هٰذَا فَوْجٌ) جمع (مُقْتَحِمٌ) داخل (مَعَكُمْ) النار بشدة، فيقول المتبوعون (لَا مَرْحَبًا بِهِمْ) أى لاسعة عليهم (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ . قَالُوا) أى الأتباع (بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ) أى الكفر (لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ) لنا ولكم النار (قَالُوا) أيضا (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا) أى مثل عذابه على كفره (فِي النَّارِ . وَقَالُوا) أى كفار مكة وهم فى النار (مَالَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ) فى الدنيا (مِنَ الْأَشْرَارِ . أَتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا)،

(قوله من صديد الخ) بيان لما كأنه قال وهو صديد أهل النار الذى يسيل من جلودهم وفروجهم (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى مثل المذكور) أى فى كونه حارا يقطع الأمعاء (قوله من أنواع مختلفة) أى كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزمهرير وغير ذلك من أنواع العذاب، أجارنا الله منه (قوله ويقال لهم) أى من خزنة النار (قوله مقتحم) الاقتحام الالقاء فى الشئ بشدة فإنهم يضربون بمقامع من حديد حتى يقتحموها بأنفسهم خوفا من تلك المقامع (قوله فيقول المتبوعون) أى جوابا للخزنة كأنهم يقولون أتحسد على كثرة أتباعنا مع كونتا و إياهم فى النار (قوله لامرحبا بهم) مفعول لفعل محذوف تقديره لا أتيتم مرحبا أى مكانا واسعا (قوله إنهم صالوا النار) هو من كلام الرؤساء أى إنهم صالوا النار كاصليناها (قوله قالوا) أى الأتباع أى جوابا للرؤساء (قوله بل أنتم لامرحبا بكم) أى أنتم أحق بما قلتم لنا فدأبهم أنه كلما دخلت أمة لعنت أختها (قوله أنتم قدمتموه لنا) أى دللتمونا عليه بتزيين الأعمال السيئة لنا و إغوائنا عليها (قوله النار) هذا هو المخصوص بالذم (قوله قالوا أيضا) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الأتباع (قوله أى مثل عذابه على كفره) أى وهو عذاب الدلالة على الكفر فان الدال على الشر كفاعله (قوله أى كفار مكة) أى كأبى جهل وأبى بن خلف وغيرهما (قوله وهم فى النار) الجملة حالية (قوله مالنا لانرى رجالا) أى أى شئ ثبت لنا لانبصر رجالا الخ (قوله من الأشرار) إنما سموهم أشرارا لأنهم خالفوا دينهم (قوله أتخذناهم) إما بوصل الهمزة مكسورة أو قطعها مفتوحة قراءتان سبعيتان فعلى الأولى تكون الجملة صفة لرجالا أى رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الأشرار و بكوننا نسخر بهم

فى الدنيا وعلى الثانية فالجملة استفهامية حذفت همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام عنها . والمعنى مالنا لا نرى رجالا موصوفين بكوننا عددناهم من الأشرار أتخذناهم سخريا فهم مفقودون من النار أم زاغت عنهم الأبصار أى هم معنا فى النار لكن زاغت أبصارنا عنهم فلم نرهم (قوله بضم السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى كنا نسخر بهم) راجع لقراءة الوصل (قوله والياء للنسب) أى على كل من القراءتين (قوله أم زاغت) على قراءة الوصل تكون أم بمعنى بل وعلى قراءة القطع تكون معادلة للهمزة (قوله وهم فقراء المسلمين) تفسير لقوله رجالا (قوله وسلمان) المناسب إسقاطه لأن الكلام فى أهل مكة وهو إنما أسلم فى المدينة (قوله إن ذلك) أى المحكى عنهم من أقوالهم وأحوالهم (قوله وهو تخاصم) أشار بذلك إلى أن تخاصم خبر لمحذوف والجملة بيان لاسم الاشارة (قوله إنما أنا منذر) أى لا ساحر ولا شاعر ولا كاهن واقتصر على الانذار لأن كلامه مع الكفار وهم إنما يناسبهم الانذار فقط و إن كان مبشرا أيضا (قوله الواحد) أى المعدوم المثيل فى ذاته وصفاته وأفعاله وقد ذكر أوصافا خمسة كل واحد منها يدل على انفراده تعالى بالألوهية (قوله رب السموات والأرض) أى مالكهما (قوله قل هو نبأ عظيم) كرر الأمر إشارة إلى الاهتمام به (قوله أى القرآن) تفسير لهو (قوله بما لا يعلم) أى من القصص والأخبار وغيرهما (قوله وهو) أى ما لا يعلم إلا بوحى وفيه أن ما لا يعلم إلا بوحى هو قوله إذ قال ربك للملائكة الخ لا قوله ما كان لى من علم الخ إلا أن يقال إنه ذكر توطئة وتمهيدا لما لا يعلم إلا بالوحى (قوله أى الملائكة) أى و إبليس (قوله إذ يختصمون) منصوب إما بعلم أو بمحذوف والتقدير ما كان لى من علم بالملإ الأعلى وقت اختصامهم أو ما كان لى من علم بكلام الملإ الأعلى وقت اختصامهم

بضم السين وكسرها أى كنا نسخر بهم فى الدنيا والياء للنسب ، أى أمفقودون هم (أَمْ زَاغَتْ) مالت (عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ) فلم نرهم وهم فقراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان (إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ) واجب وقوعه وهو (تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ) كما تقدم (قُلْ) يا محمد لكفار مكة (إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ) مخوف بالنار (وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) لخلقه (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْغَفَّارُ) لأوليائه (قُلْ) لهم (هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ) أى القرآن الذى أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحى وهو قوله (مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ) أى الملائكة (إِذْ يَخْتَصِمُونَ) فى شأن آدم حين قال الله تعالى : إنى جاعل فى الأرض خليفة الخ (إِن) ما (يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا) أى أنى (نَذِيرٌ مُّبِينٌ) بيّن الإنذار . اذكر (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ) هو آدم (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتممته (وَنَفَخْتُ) أجريت (فِيهِ مِن رُّوحِي) فصار حيا ، و إضافة الروح إليه تشريف لآدم ، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجود تحية بالانحناء ،

(قوله إلا أنما أنا نذير مبين) إلا أداة حصر وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل يوحى والتقدير ما يوحى إلى إلا كونى نذيرا مبينا والحصر فيه وفى قوله إنما أنا منذر إضافى . والمعنى لا ساحر ولا كذاب كما زعمتم (قوله إذ قال ربك) ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر و يصح أن يكون بدلا من قوله إذ يختصمون إن حمل الاختصام على ما حصل فى شأن آدم فقط وأما إن جعل عاما فلا يصح جعله بدلا منه بل ظرف لمحذوف (قوله إنى خالق بشرا) أى إنسانا ظاهر البشرة أى الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر (قوله أجريت فيه من روحى) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالته على الله تعالى ، و إنما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها (قوله والروح جسم لطيف الخ) هذا هو قول جمهور المتكلمين وهو الأصح ، وقيل إن الروح عرض وهى الحياة التى صار الجسم بها حيا ، وقيل إنها ليست بجسم ولا عرض ، بل هى جوهر مجرد قائم بنفسه له تعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وهو قول الفلاسفة (قوله بنفوذه فيه) أى سريانه فيه كسريان الماء فى العود الأخضر (قوله فقعوا) الفاء واقعة فى جواب إذا (قوله سجود تحية بالانحناء) جواب عما يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى وتقدم

قوله بأنه كان سجودا حقيقة بالجباه وتقدم الجواب عنه بأن محل كون السجود لغير الله غير جائز مالم يأمر به المولى تعالى ، أو يقال إن السجود لله تعالى وآدم جعل كالقبلة (قوله فسجد الملائكة الخ) قيل أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم عزرائيل ثم الملائكة المقربون وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة (قوله فيه تأكيدان) أى فكل منهما يفيد ما أفاده الآخر ، وقيل إن كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن آخرهم وأنهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وهو الحق وتقدم تحقيق ذلك (قوله فى علم الله) أى أن الله تعالى علم فى الأزل أنه يكفر فيما لايزال وكان مسلما عابدا طاف بالبيت أربعة عشر ألف عام وعبد الله ثمانين ألف عام (قوله أى توليت خلقه) أى بذاتى من غير واسطة أب وأم وتثنية اليد إظهار لكمال الاعتناء بخلقه عليه السلام (قوله أستكبرت الآن الخ) أشار المفسر إلى جواب سؤال ورد وهو أن قوله من العالين معناه المتكبرين فيلزم عليه التكرار . فأجاب بأن المعنى أتركت السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر (قوله قال أنا خير منه) هذا جواب من إبليس لم يطابق الاستفهام السابق لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجود لكونه خيرا منه و بين ذلك بأن أصله من النار وأصل آدم من الطين والنار أشرف من الطين لكون النار نورانية والطين من الأرض وهى ظلمانية والنورانى أشرف من الظلمانى ، وهذه شبهته وقد أخطأ فيها لأن مآل النار إلى الرماد الذى لاينتفع به والطين أصل لكل نام نابت كالانسان والشجرة ، ومن المعلوم أن الانسان والشجرة خير من الرماد وزيادة على ذلك أن النوع الانسانى تشرف بأمور : الأول من جهة الفاعل المشار إليه بقوله لما خلقت بيدى والثانى من جهة الصورة المشار إليها بقوله ونفخت فيه من روحى ومن جهة الغاية المشار إليها بقوله و إذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم ولم يحصل ذلك لغير النوع الانسانى فدل على أفضليته

(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه تأكيدان (إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة (اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) فى علم الله تعالى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) أى توليت خلقه ، وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق تولى الله خلقه (أَسْتَكْبَرْتَ) الآن عن السجود ، استفهام توبيخ (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) المتكبرين فتكبرت عن السجود لكونك منهم (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) أى من الجنة ، وقيل من السموات (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود (وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وقت النفخة الأولى ،

(قوله اى من الجنة الخ) هذا الخلاف مبنى على الخلاف الواقع فى أمر الملائكة بالسجود لآدم هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله فقوله أى من الجنة مبنى على الأول وقوله أو من السموات مبنى على الثانى ، وقيل المعنى اخرج من الخلقة التى كنت عليها أولا لما ورد أن إبليس كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسنا وأظلم بعد ما كان نورانيا ، وروى أن إبليس كان رئيسا على اثنى عشر ألف ملك وكان له جناحان من زمرد أخضر ، فلما طرد غيرت صورته وجعله الله معكوسا على مثال الخنازير ووجهه كالقردة وهو شيخ أعور وفى لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس وعيناه مشقوقتان فى طول وجهه وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير ورأسه كرأس البعير وصدره كسنام الجمل الكبير وشفتاه كشفتى الثور ومنخراه مفتوحتان مثل كوز الحجام (قوله فانك رجيم الخ) فان قلت إذا كان الرجم بمعنى الطرد فاللعنة بمعناه ولزم التكرار . أجيب بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء واللعنة الطرد من الرحمة وهو أبلغ (قوله و إن عليك لعنتى) ذكرها هنا بالاضافة وفى غيرها بالتعريف تفننا (قوله إلى يوم الدين) فان قلت كلمة إلى لانتهاء الغاية فتقتضى انقضاء اللعنة عند مجىء يوم الدين مع أنها لاتنقطع . أجيب بأن اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد بخلوده فى العذاب ومن العبيد طلب ذلك وفى يوم الدين تحقق الوعيد والمطلوب (قوله قال رب فأنظرنى) أى أمهلنى وأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف تقديره إذا جعلتنى رجيما فأمهلنى ولاتمتنى إلى يوم يبعثون : أى آدم وذريته وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم و يأخذ منهم ثأره و ينجو من الموت بالكلية إذ لاموت بعد البعث فأجابه تعالى بالامهال مدة الدنيا لأجل الاغواء لا بالنجاة من الموت .

(قوله قال فبعزتك) الباء للقسم ولا ينافيه قوله تعالى فى الآية الأخرى ـ قال فبما أغويتنى ـ فان إغواء الله تعالى له من آثار عزته التى أقسم بها هنا (قوله بنصبهما ورفع الأول الخ) أى فالقراءتان سبعيتان (قوله وجواب القسم) أى المذكور فى بعض الأعاريب المتقدمة أو المحذوف (قوله أجمعين) توكيد للضمير فى منك وما عطف عليه (قوله دون الملائكة) إنما أخرجهم من العالمين وإن كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله إن هو إلا ذكر والذكر معناه الموعظة والتخويف وهو لا يناسب إلا الانس والجن (قوله خبر صدقه) أى من ذكر الوعد والوعيد (قوله أى يوم القيامة) تفسير لبعد حين ، والحين مدة الدنيا ، وقال ابن عباس بعد الموت ، وقيل من طال عمره علم ذلك إذا جاء نصر الله والفتح (قوله بمعنى عرف) أى فهو متعد لمفعول واحد وهو نبأه ، وقيل إن علم على بابها فتنصب مفعولين والثانى قوله بعد حين .

[سورة الزمر] سميت بذلك لذكر لفظ الزمر فيها فى قوله ـ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ، وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ـ وسيأتى أن الزمر جمع زمرة وهى الطائفة ، وتسمى أيضا سورة الغرف لذكر الغرف فيها قال تعالى ـ لهم غرف من فوقها غرف مبنية ـ وروى «من أراد أن يعرف قضاء الله فى خلقه فليقرأ سورة الغرف» وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الزمر وبنى إسرائيل (قوله إلا قل ياعبادى الخ) أى فانها نزلت فى وحشى قاتل حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم فانه أسلم بالمدينة وظاهره أنها آية واحدة ، وقيل إن الذى نزل بالمدينة سبع آيات هذه الآية وست بعدها ، وقيل إنهما آيتان هذه الآية وقوله تعالى ـ الله نزل أحسن الحديث ـ الآية فتحصل أن فيها ثلاثة أقوال : قيل مكية إلا آية ، وقيل إلا آيتان ، وقيل إلا سبعا (قوله وهى خمس وسبعون) وقيل اثنتان وسبعون

(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) بنصبهما ورفع الأول ونصب الثانى فنصبه بالفعل بعده ، ونصب الأول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر أى أحق الحق ، وقيل على نزع حرف القسم ورفعه على أنه مبتدأ محذوف الخبر أى فالحق منى ، وقيل فالحق قسمى وجواب القسم (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ) بذريتك (وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ) أى الناس (أَجْمَعِينَ . قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة (مِنْ أَجْرٍ) جعل (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) المتقولين القرآن من تلقاء نفسى (إِنْ هُوَ) أى ما القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ) للإنس والجن العقلاء دون الملائكة (وَلَتَعْلَمُنَّ) يا كفار مكة (نَبَأَهُ) خبر صدقه (بَعْدَ حِينٍ) أى يوم القيامة ، وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدر أى والله .

(سورة الزمر)

مكية ، إلا قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فمدنية ، وهى خمس وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) من الشرك : أى موحدا له ،

(ألا

(قوله تنزيل الكتاب من الله) أى إنزال القرآن كائن وحاصل من الله لا من غيره نزل ردا لقول المشركين إنما يعلمه بشر ولقولهم إن به جنة (قوله إنا أنزلنا الخ) شروع فى بيان تشريف المنزل عليه إثر بيان شأن المنزل من حيث كونه من عند الله (قوله الكتاب) هو عين الكتاب الأول لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا (قوله متعلق بأنزل) أى والباء سببية والمعنى بسبب الحق الذى أنت عليه وإثباته وإظهاره (قوله فاعبد الله) تفريع على قوله إنا أنزلنا إليك الخ والخطاب له والمراد ما يشمل جميع أمته (قوله مخلصا) حال من فاعل اعبد والدين مفعول لاسم الفاعل (قوله أى موحدا له) أى مفردا له بالعبادة والاخلاص بأن لا تقصد بعملك ونيتك غير ربك

(قوله ألا لله الدين الخ) ألا أداة استفتاح والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها من الأمر بالإخلاص (قوله والذين اتخذوا الخ) اسم الموصول مبتدأ واتخذوا صلته والخبر محذوف قدره المفسر بقوله قالوا وقوله مانعبدهم الخ مقول لذلك القول وقوله إن الله يحكم بينهم الخ استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم وهذا هو الأحسن ، وقيل إن خبر المبتدإ هو قوله إن الله يحكم الخ وقوله مانعبدهم حال من فاعل اتخذوا على تقدير القول : أى قائلين مانعبدهم الخ (قوله الأصنام) قدره إشارة إلى أن اتخذوا تنصب مفعولين الأول محذوف (قوله وهم كفار مكة) تفسير للموصول (قوله قالوا ما نعبدهم الخ) أى فكانوا إذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والأرض ومن ربكم ؟ فيقولون الله ، فيقال لهم ومامعنى عبادتكم الأصنام فيقولون لتقربنا إلى الله زلفى وتشفع لنا عنده (قوله مصدر) أى مؤكد ملاق لعامله فى المعنى والتقدير ليزلفونا زلفى أوليقربونا قربى (قوله و بين المسلمين) أشار بذلك إلى أن المقابل محذوف (قوله فيدخل المؤمنين الجنة) أى فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر (قوله إن الله لايهدى) أى لا يوفق للهدى من هو كاذب كفار أو مجبول على الكذب والكفر فى علمه تعالى (قوله فى نسبة الولد إليه) أشار بذلك إلى أن قوله إن الله لايهدى الخ توطئة لقوله لو أراد الله الخ ويصح أن يكون من تمة ما قبله وحينئذ فيقال كاذب فى نسبة الألوهية لغيره تعالى (قوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا) أى

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) لا يستحقه غيره (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) الأصنام (أَوْلِيَاءَ) وهم كفار مكة قالوا : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قربى مصدر بمعنى تقريباً (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) و بين المسلمين (فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) فى نسبة الولد إليه (كَفَّارٌ) بعبادته غير الله (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) كما قالوا اتخذ الرحمن ولداً (لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) واتخذه ولداً غير من قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله (سُبْحَانَهُ) تنزيهاً له عن اتخاذ الولد (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) لخلقه (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق (يُكَوِّرُ) يدخل (اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ) فيزيد (وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ) يدخله (عَلَى اللَّيْلِ) فيزيد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي) فى فلكه (لِأَجَلٍ مُسَمًّى) ليوم القيامة (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب على أمره المنتقم من أعدائه (الْغَفَّارُ) لأوليائه (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أى آدم ،

أى لوتعلقت إرادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير والآية إشارة إلى قياس استثنائى حذفت صغراه ونتيجته، وتقريره أن يقال لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء لكنه لم يصطف من خلقه شيئا فلم يرد أن يتخذ ولدا (قوله غير من قالوا) أى غير المخلوق الذى قالوا فى شأنه إنه ابن الله (قوله تنزيها له عن اتخاذ الولد) أى لأنه ممتنع عقلا ونقلا أما عقلا فلأنه يلزم أن يكون الولد من جنس خالقه وكونه جنسا منه يستلزم حدوث الخالق وهو باطل ، وأما نقلا فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكتب السماوية على أن الله تعالى لم يتخذ ولدا (قوله هو الله الواحد القهار) هذا بيان لتنزهه فى الصفات إثر بيان تنزهه فى الذات لأن الوحدة تنافى المماثلة فضلا عن الولد والقهارية تنافى قبول الزواج المحوج إلى الولد وإلا لكان مقهورا تعالى الله عن ذلك (قوله خلق السموات والأرض) تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالألوهية واتصافه بالصفات الجليلة (قوله يكور الليل) من التكوير وهو فى الأصل اللف واللى يقال كور العمامة على رأسه : أى لفها ولواها ثم استعمل فى الادخال والاغشاء فكأن الليل يغشى النهار والنهار يغشى الليل (قوله فيزيد) تقدم أن منتهى الزيادة أربع عشرة ساعة ومنتهى النقص عشر ساعات فالزيادة أربع ساعات تارة تكون فى الليل وتارة تكون فى النهار (قوله ليوم القيامة) أى ثم ينقطع جريانهما لانتقال العالم من الدنيا فإن تسخير الشمس والقمر إنما كان فى الدنيا لمصالح العالم فلما انتقل العالم فقد فرغت مصالحه (قوله ألا هو العزيز الغفار) إنما صدرت الجملة بحرف التنبيه للدلالة على كمال الاعتناء بمضمونها كأنه قال : تنبهوا ياعبادى فإنى الغالب على أمرى الستار لذنوب خلقى فلا تشركوا بى شيئا وأخلصوا عبادتكم لى (قوله خلقكم من نفس واحدة) هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر وجميع صفات الألوهية .

(قوله ثم جعل منها زوجها) إن قلت إن ثم للترتيب فيقتضي أن خلق الذرية قبل خلق حوّاء وهو خلاف المعروف المشاهد . وأجيب بثلاثة أجوبة . الأول أن ثم لمجرد الاخبار لا للترتيب الايجادي . الثاني أن المعطوف متعلق بمعنى واحدة وثم عاطفة عليه كأنه قال خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها ثم شفعت بزوج . الثالث أن معنى خلقكم من نفس واحدة أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة لأن الله تعالى خلق آدم وأودع في صلبه أولاده كالذر ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق ثم ردّهم إلى ظهره ثم خلق منه حوّاء (قوله وأنزل لكم من الأنعام الخ) إنما عبر عنها بالنزول لأنها تكوّنت بالنبات وهو غذاء لها والنبات بالماء المنزل فهو يسمى عندهم بالتدريج ومنه قوله تعالى : قد أنزلنا عليكم لباسا الآية ، وقيل إن الانزال حقيقة لما روي « أن الله خلق الأنعام في الجنة ثم أنزلها في الأرض » كما قيل في قوله تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آدم لما أهبط إلى الأرض نزل معه الحديد (قوله ثمانية أزواج) الزوج ما معه آخر من جنسه ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر (قوله كما بين في سورة الأنعام) أي في قوله : ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآيات (قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم) هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله خلقا) مصدر ليخلقكم وقوله : من بعد خلق صفة لخلقا (قوله أي نطفا الخ) فيه قصور وعكس ترتيب الايجاد فالمناسب أن يقول أي حيوانا سويا من بعد عظام مكسوّة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (قوله في ظلمات) بدل اشتمال من بطون أمهاتكم باعادة الجار ولا يضرّ الفصل بين البدل والمبدل منه بالمصدر لأنه من تتمة العامل فليس بأجنبي (قوله وظلمة المشيمة) أي فهي

(ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) من كل زوجان ذكر وأنثى كما بيّن في سورة الأنعام (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أي نطفا ثم علقا ثم مضغا (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ) هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ) عن عبادته إلى عبادة غيره (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) وإن أراده من بعضهم (وَإِنْ تَشْكُرُوا) الله فتؤمنوا (يَرْضَهُ) بسكون الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي الشكر (لَكُمْ وَلَا تَزِرُ) نفس (وَازِرَةٌ وِزْرَ) نفس (أُخْرَى) أي لا تحملها (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ،

داخل الرحم وهو داخل البطن والمشيمة بوزن كريمة وأصلها مشيمة بسكون الشين وكسر الياء نقلت كسرة الياء إلى الساكن قبلها ، وهي غشاء ولد الانسان ويقال لها الغلاف والكيس ويقال لها من غير ولد الانسان السلا (قوله ذلكم) مبتدأ والله ربكم خبران وجملة له الملك خبر ثالث (قوله لا إله إلا هو) جملة مستأنفة نتيجة ماقبله إنه أي لحيث ثبت أنه ربنا وله الملك نتج منه أنه لا إله إلا هو (قوله فأنى تصرفون) أي تمنعون (قوله فإن الله غنيّ عنكم) أي له الغنى المطلق فلا يفتقر إلى ماسواه . (قوله ولا يرضى لعباده الكفر) أي لا يفعل فعل الراضي بأن يثيب فاعله ويمدحه بل يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويعاقب فاعله ويذمه عليه (قوله وإن أراده من بعضهم) أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين الرضا والإرادة بل قد يرضى ولا يريد وقد يريد ولا يرضى وإنما التلازم بين الأمر والرضا خلافا للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والارادة وبنوا على ذلك أمورا فاسدة ، ومن هنا قال العلماء : إن الأمور أربعة تارة يأمر ويريد وهو الايمان من المؤمنين وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم وتارة يأمر ولا يريد وهو الايمان من الكفار وتارة يريد ولا يأمر وهو الكفر من الكفار . وحكي أن رجلا من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة فقال المعتزلي سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال السني سبحان من لا يقع في ملكه إلا مايشاء فقال المعتزلي أيريد ربك أن يعصى فقال السني أيعصى ربنا قهرا فقال المعتزلي أرأيت إن منعني الهدى وحكم عليّ بالردى أأحسن إليّ أم أساء فقال إن منعك ماهو لك فقد أساء وإن منعك ماهو له فالمالك يفعل في ملكه كيف يشاء فبهت المعتزلي (قوله يرضه لكم) أي لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه به تعالى الله عن ذلك (قوله بسكون الهاء الخ) أي فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يحمل شخص إثم كفر شخص آخر ، وما ورد من أن الدال على الشر كفاعله فمعناه أن عليه إثم فعله وإثم دلالته ولا شك أن دلالته من فعله فآل الأمر إلى أن عقابه على فعله لا على فعل غيره

وقوله وازرة أى وأما غير الوازرة فتحمل وزر غيرها بمعنى أن من كان ناجيا وأذن له فى الشفاعة يشفع فى غيره فينتفع المشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلما ، وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر (قوله إنه عليم بذات الصدور) علة لقوله: فينبئكم بما كنتم تعملون : أى يخبركم بأعمالكم لأنه عليم بما فى القلوب فضلا عن غيرها (قوله أى الكافر) أشار بهذا إلى أن أل فى الانسان للعهد (قوله ضر) المراد به جميع المكاره كانت فى نفسه أو ماله أو أهله (قوله منيبا إليه) أى تاركا عبادة الأصنام لعلمه بأنها لاتقدر على كشف مانزل به (قوله أعطاه إنعاما) أى أعطاه على سبيل الانعام والإحسان فانعاما مفعول لأجله لأن التخويل هو إعطاء النعم على سبيل التفضل والاحسان من غير مقتض لها (قوله وهو الله) أشار بذلك إلى أن ماموصولة بمعنى الذى مرادا بها الله تعالى و يصح أن يراد بها الضر ، والمعنى نسى الضر الذى كان يدعو لكشفه و يصح أن تكون مامصدرية ، والمعنى نسى كونه داعيا من قبل تخويل النعمة والأظهر ماقاله المفسر (قوله ليضل) اللام للعاقبة والصيرورة (قوله بفتح الياء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل تمتع بكفرك) الأمر للتهديد وفيه إشعار بقنوطه من التمتع فى الآخرة (قوله بقية أجلك) أشار بذلك إلى أن قليلا صفة لموصوف محذوف أى زمانا قليلا (قوله إنك من أصحاب النار) أى ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام (قوله أمن هو قانت) هذا من تمام الكلام

المأمور بقوله وحينئذ فالمعنى قل للكافر أمن هو قانت الخ (قوله بتخفيف الميم) أى والهمزة للاستفهام الانكارى ومن موصولة مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله كمن هو عاص (قوله آناء الليل) جمع إنى بالكسر والقصر كمعى وأمعاء (قوله ساعاته) أى أوله وأوسطه وآخره وفى الآية دليل على أفضلية قيام الليل على النهار لما فى الحديث « مازال جبريل يوصينى بقيام الليل حتى علمت

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فى القلوب (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ) أى الكافر (ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ) تضرع (مُنِيبًا) راجعا (إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً) أعطاه إنعاما (مِّنْهُ نَسِيَ) ترك (مَا كَانَ يَدْعُوا) يتضرع (إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) وهو الله فما فى موضع من (وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا) شركاء (لِّيُضِلَّ) بفتح الياء وضمها (عَن سَبِيلِهِ) دين الإسلام (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) بقية أجلك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ . أَمَّنْ) بتخفيف الميم (هُوَ قَانِتٌ) قائم بوظائف الطاعات (آنَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته (سَاجِدًا وَقَائِمًا) فى الصلاة (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أى يخاف عذابها (وَيَرْجُو رَحْمَةَ) جنة (رَبِّهِ) كمن هو عاص بالكفر أو غيره وفى قراءة أم من فأم بمعنى بل والهمزة (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى لايستويان كما لايستوى العالم والجاهل (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عذابه بأن تطيعوه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا) بالطاعة (حَسَنَةٌ) هى الجنة (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) ،

أن خيار أمتى لاينامون » وقال ابن عباس « من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليره الله فى ظلمة الليل » (قوله وفى قراءة أمن) أى بالتشديد وعليها فأم داخلة على من الموصولة فأدغمت الميم فى الميم ورسم على هذه القراءة ميما واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعا لرسم المصحف والاعراب على كل من القراءتين واحد لايتغير وقوله بمعنى بل أى التى للاضراب الانتقالى وقوله والهمزة أى التى للاستفهام الانكارى والقراءتان سبعيتان (قوله الذين يعلمون) أى وهم المؤمنون العارفون بربهم وقوله والذين لايعلمون أى وهم الكفار (قوله أى لايستويان) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله إنما يتذكر أولوا الألباب) أى أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة وخصهم لأنهم المنتفعون بالتذكر (قوله قل ياعبادى الخ) أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأوامر لنفسه ولأمته زيادة فى الحث لهم على التجرد لطاعة الله تعالى واجتناب الشكوك والأوهام (قوله بأن تطيعوه) أى تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه وهو تفسير للتقوى التى هى جعل العبد بينه و بين العذاب وقاية (قوله للذين) خبر مقدم وأحسنوا صلته وفى هذه الدنيا متعلق بأحسنوا وحسنة مبتدأ مؤخر (قوله هى الجنة) أى بجميع مافيها من النعيم المقيم فهى بمعنى قوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله وأرض الله واسعة) جملة من مبتدأ وخبر وهى حالية .

(قوله فهاجروا إليها الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض أرض الدنيا ، والمعنى من تعسرت عليه التقوى فى محل فليهاجر إلى محل آخر يتمكن فيه من ذلك إذ لاعذر فى التفريط أصلا ، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطا فى صحة الإسلام فلما فتحت مكة نسخ كونه شرطا وصارت تعتريها الأحكام فتارة تكون واجبة كما إذا هاجر من أرض لايتيسر له فيها إقامة دينه لأرض يتعلم فيها دينه ويقيم شعائره وتارة تكون مندوبة كما إذا هاجر من أرض لاأخيار بها لأرض بها أخيار يجتمع عليهم للارشاد وتكون مكروهة كما إذا هاجر من أرض بها الأخيار وأهل العلم والصلاح لأرض لاأخيار بها ولاعلم ولاعمل وتارة تكون محرمة كما إذا هاجر من أرض يأمن فيها على دينه لأرض لايأمن فيها عليه (قوله إنما يوفى الصابرون) هذا ترغيب فى التقوى المأمور بها (قوله على الطاعات) أى أوعن المعاصى (قوله وما يبتلون به) أى ومن جملته مفارقة الوطن المأمور بها فى قوله : وأرض الله واسعة (قوله بغير حساب) أى لما ورد « تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل » (قوله قل إنى أمرت أن أعبد الله الخ) الحكمة فى هذا الإخبار إعلام الأمة بأن يتصفوا به ويلزموه فإن العادة أن المتصف بخلق ثم يأمر به أو يحرض بالأمر به يؤثر فى غيره كما قيل حال رجل فى ألف رجل أنفع من حال ألف رجل فى رجل (قوله من هذه الأمة) جواب عما يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المسلمين مطلقا ، فأجاب بأن الأولية بحسب سبق الدعوة (قوله قل إنى أخاف) سبب نزولها أن كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ماحملك على هذا الذى أتيتنابه ألا تنظر إلى ملة أبيك وجدك وقومك فتأخذ بها فنزلت فالمقصود منها زجر الغير عن المعاصى لأنه صلى الله عليه وسلم إذا كان خائفا مع كمال طهارته وعصمته فغيره أولى وذلك سنة الانبياء والصالحين حيث يخبرون غيرهم بأنهم متصفون به ليكونوا مثلهم لاالملوك والمتجبرين حيث يأمرون غيرهم بما لم يتصفوا به (قوله فيه تهديد لهم) أى من حيث الأمر (قوله و إيذان) أى إعلام (قوله الذين خسروا) خبر إن (قوله وأهليهم) أى أزواجهم وخدمهم يوم القيامة لما ورد « أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا وأهلا فى الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر نفسه وأهله ومنزله » وقيل المراد أهلهم فى الدنيا لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لارجوع بعده (قوله يوم القيامة) أى حين يدخلون النار (قوله بتخليد الأنفس) راجع لقوله أنفسهم، وقوله بعدم وصولهم إلى الحور العين الخ راجع لقوله وأهليهم على سبيل اللف والنشر المرتب (قوله ألا ذلك هو الخسران المبين) أى الذى لاخفاء فيه وتصدير الجملة بأداة التنبيه إشارة إلى فظاعته وشناعته (قوله لهم من فوقهم ظلل) لهم خبر مقدم وظلل مبتدأ مؤخر ومن فوقهم حال (قوله طبق) أى قطع كبار و إطلاق الظلل عليها تهكم و إلا فهى محرقة والظلة تقى من الحر (قوله ومن تحتهم ظلل) أى لغيرهم و إن كان فراشا لهم لأن النار دركات فما كان فراشا لجماعة يكون ظلة لآخرين (قوله ذلك يخوف الله به عباده) أى فالحكمة فى ذكر أحوال أهل النار تخويف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم (قوله يدل عليه) أى على الوصف المقدر وهو قوله المؤمنين (قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الخ) قيل نزلت هذه الآية فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضى الله عنهم سألوا أبا بكر رضى الله عنه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا (قوله الأوثان)

فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ) على الطاعة وما يبتلون به (أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير مكيال ولا ميزان (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَأُمِرْتُ لِأَنْ) أى بأن (أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) من هذه الأمة (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي) من الشرك (فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) غيره ، فيه تهديد لهم و إيذان بأنهم لايعبدون الله تعالى (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بتخليد الأنفس فى النار و بعدم وصولهم إلى الحور المعدّة لهم فى الجنة لو آمنوا (أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ) طباق (مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) من النار (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ) أى المؤمنين ليتقوه يدل عليه (يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ . وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) الأوثان ، (أن

(أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا) أقبلوا (إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى) بالجنة (فَبَشِّرْ عِبَادِي . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) وهو ما فيه صلاحهم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أي لأملأن جهنم الآية (أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ) تخرج (مَنْ فِي النَّارِ) جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للإنكار، والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار (لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بأن أطاعوه (لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أي من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وَعْدَ اللَّهِ) منصوب بفعله المقدر (لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ) وعده (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ) أدخله أمكنة نبع (فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ) ييبس (فَتَرَاهُ) بعد الخضرة مثلا (مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) فتاتا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَى) تذكيرا (لِأُولِي الْأَلْبَابِ) يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ) فاهتدى ،

هذا أحد الأقوال في تفسيره ، وقيل هو الشيطان ، وقيل كل ما عبد من دون الله تعالى ، وقيل غير ذلك (قوله لهم البشرى بالجنة) أي على ألسنة الرسل أو على ألسنة الملائكة عند حضور الموت ، وفي الحقيقة البشرى تحصل لهم في الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند المرور على الصراط ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان (قوله فبشر عبادي) أي الموصوفين باجتناب الأوثان والانابة إلى الله تعالى والإضافة لتشريف المضاف إليه (قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل المراد يسمعون الحسن والقبيح فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح ، وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن ، وقيل يسمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون المحكم ويعملون به ويتركون المتشابه ويفوضون علمه لله تعالى ، وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة وكل صحيح (قوله أولئك الذين هداهم الله) أي الموصوفون بتلك الأوصاف (قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب الخ) يحتمل أن من شرطية وجوابها قوله : أفأنت تنقذ من في النار كما قال المفسر وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الإنكار ولطول الكلام وأقيم الظاهر مقام المضمر: أي أفأنت تنقذه ، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره أنت لا تنفعه فجملة قوله : أفأنت تنقذ من في النار مستقلة مؤكدة لما قبلها ، وهذه الآية نزلت في حق أبي لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان وقد كان حريصا على إيمانهم (قوله والهمزة) أي الأولى والثانية توكيد لها (قوله للانكار) أي الاستفهام الانكاري (قوله والمعنى لاتقدر على هدايته الخ) أشار بهذه إلى أن قوله أفأنت تنقذ من في النار مجاز مرسل حيث أطلق المسبب وأراد السبب لأن الإدخال في النار مسبب عن الضلال وترك الهدى كأنه قال أنت تهدي من أضله الله وجعل له النار بسبب ضلاله وجعلها السمرقندي في حواشي رسالته استعارة بالكناية حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول في النار على طريق المكنية في المركب وحذف المركب الدال على المشبه به ورمز له بذكر شيء من لوازمه وهو الانقاذ وفيه إشكال انظر بسطه في حاشيتنا على رسالة البيان لأستاذنا الشيخ الدردير (قوله لكن الذين اتقوا) أي وهم الموصوفون بالصفات الجليلة السابقة المخاطبون بقوله ـ ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ـ الآية ولكن ليست للاستدراك وإنما هي للاضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى (قوله لهم غرف من فوقها غرف) مقابل قوله في حق أهل النار لهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل (قوله بفعله المقدر) أي وتقديره وعدهم الله وعدا (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الخ) استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها بما ذكر من أحوال الزرع تحذيرا عن زخارفها والاغترار بها (قوله أدخله أمكنة نبع) أي فمراده بالينابيع الأمكنة التي أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد بحيث تكون قريبة من وجه الأرض وتطلق الينابيع على نفس الماء الجاري على وجه الأرض وكل صحيح (قوله ثم يخرج به زرعا) صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها (قوله مختلفا ألوانه) أي من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض واختلاف تلك الألوان إما في ثماره أو في عوده ومراده بالزرع كل ما يستنبت (قوله فتاتا) أي متفتتا ومتمزقا (قوله أفمن شرح الله صدره الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء

عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره الخ والاستفهام إنكارى ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله : كمن طبع الخ وهذه الآية مرتبة على قوله : إنما يتذكر أولوا الألباب (قوله فهو على نور من ربه) أى نور المعرفة والاهتداء ، وفى الحديث « إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح ، فقيل ماعلامة ذلك ؟ قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله » (قوله دل على هذا) أى المقدر (قوله كلمة العذاب) أى كلمة تفيد العذاب للمخاطب بها (قوله أى عن قبول القرآن) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن وفى الكلام مضاف محذوف ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل : أى قست قلوبهم من أجل ذكر الله لفساد قلوبهم وخسرانها ، ومن المعلوم المشاهد أن الأطعمة الفاخرة تكون داء لبعض المرضى ، ومن هنا قول بعض العارفين : ألا بذكر الله تزداد الذنوب وتنطمس البصائر والقلوب (قوله الله نزل أحسن الحديث الخ) سبب نزولها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم بعض ملل ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثا حسنا فنزلت (قوله فى النظم) أى اللفظ ، وقوله وغيره : أى المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع . قال البوصيرى رضى الله عنه فى هذا المعنى :

ردّت بلاغتها دعوى معارضها ... ردّ الغيور يد الجانى عن الحرم

فما تعدّ ولا تحصى عجائبها ... ولا تسام على الاكثار بالسأم

واعلم أنه فى هذه الآية أثبت أن القرآن متشابه ، وفى آية أخرى أثبت أنه محكم ، وفى آية أخرى أن بعضه محكم وبعضه متشابه ، ووجه الجمع بينهما أن المراد بالمتشابه فى آية الاقتصار عليه ما أشبه بعضه بعضا فى اللفظ والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب وبالمحكم فى آية الاقتصار عليه ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبالمتشابه فى آية الجمع ما خفى معناه وبالمحكم ما ظهر معناه وتقدم هذا الجمع

(٣٤٨)

(فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) كمن طبع على قلبه دل على هذا (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ) أى عن قبول القرآن (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) بدل من أحسن أى قرآنا (مُتَشَابِهًا) أى يشبه بعضه بعضا فى النظم وغيره (مَثَانِيَ) ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما (تَقْشَعِرُّ مِنْهُ) ترتعد عند ذكر وعيده (جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ) يخافون (رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ) تطمئن (جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ) أى عند ذكر وعده (ذَلِكَ) أى الكتاب (هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . أَفَمَنْ يَتَّقِي) يلقى (بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى أشده بأن يلقى فى النار مغلولة يداه إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) أى كفار مكة (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) أى جزاءه .

(قوله مثانى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به المفرد وهو الكتاب لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل تثنى وتكرر نظير قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب (قوله وغيرهما) أى كالقصص والأحكام (قوله تقشعر منه) أى تنقبض وتتجمع من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند (قوله تطمئن) أى تسكن وتستقر (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند فالتضمين فى الحرف وهو أحد وجهين والآخر أنه ضمن تلين معنى تسكن فعداه بإلى والمفسر قد جمع بينهما . والحاصل أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن ، فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر ، وفى حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فيتسع صدره وتطمئن نفسه لأن الخوف والرجاء مصحوبان للعبد كجناحى الطائر إن عدم أحدهما سقط (قوله أى الكتاب) أى الموصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) أى سبب فى الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفمن يتقى) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغلولة يداه) أى وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة تشتعل النار فيها وهى فى عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للأغلال التى فى يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله أى كفار مكة) الأوضح أن يقول : أى الكفار من هذه الأمة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

(كذب

(قوله كذب الذين من قبلهم) بيان لحال المكذبين قبلهم وماحصل لهم فى الدنيا من العذاب (قوله لاتخطر ببالهم) المراد بالجهة السبب أى أتاهم العذاب بسبب لايخطر ببالهم كاللواط فى قوم لوط مثلا (قوله لوكانوا يعلمون) أى يصدقون و يوقنون وقوله ماكذبوا جواب لو (قوله ولقد ضربنا) اللام موطئة لقسم محذوف ومعنى ضربنا بينا ووضحنا (قوله حال مؤكدة) أى لفظ قرآنا وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطئة بالنسبة لما بعدها كماتقول جاء زيد رجلا صالحا (قوله غير ذى عوج) نعت لقرآنا أو حال أخرى (قوله أى لبس واختلاف) أى فمعناه صحيح لالبس ولاتناقض فيه (قوله لعلهم يتقون) علة لقوله لعلهم يتذكرون (قوله ضرب الله مثلا الخ) المعنى اضرب يامحمد لقومك هذا المثل واذكره لهم لعلهم يؤمنون (قوله متشاكسون) التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق ومثله التشاخس بخاء معجمة بدل الكاف (قوله ورجلا سالما) بألف بعد السين مع كسر اللام وتركها مع فتح السين واللام قراءتان سبعيتان فالأولى اسم فاعل والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة وقرىء شذوذا بكسر السين وسكون اللام (قوله هل يستويان) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله تمييز) أى محول عن الفاعل والمعنى لايستوى مثلهماوصفتهما (قوله أى لايستوى العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس للشرك الذى يعبد غير الله فقوله لجماعة أى سيئة أخلاقهم وقوله والعبد لواحد هذا هو المثل المحسوس للموحد الذى يعبد الله وحده وقوله فان الأول الخ تقرير للمثل الأول ولم يتعرض للثانى لوضوحه (قوله الحمد لله) أى على عدم استواء هذين الرجلين (قوله بل أكثرهم لايعلمون) أى مع بيان ظهوره وهو إضراب انتقالى من بيان

(كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم فى إتيان العذاب (فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من جهة لاتخطر ببالهم (فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا) أى المكذبون (يَعْلَمُونَ) عذابها ماكذبوا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أى لبس واختلاف (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر (ضَرَبَ اللَّهُ) للمشرك والموحد (مَثَلًا رَجُلًا) بدل من مثلا (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) متنازعون سيئة أخلاقهم (وَرَجُلًا سَالِمًا) خالصا (لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) تمييز: أى لايستوى العبد لجماعة والعبد لواحد فإن الأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته فى وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك والثانى مثل للموحد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أى أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (إِنَّكَ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ستموت ويموتون فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطئوا موته صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ إِنَّكُمْ) أيها الناس فيما بينكم من المظالم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ. فَمَنْ) أى لاأحد (أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ) بالقرآن

عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس لايعلمون ذلك (قوله إنك ميت) العامة على التشديد وهو من سيموت وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقته الروح بالفعل (قوله فلا شماتة بالموت) الشماتة الفرح ببلية العدو (قوله نزلت لما استبطئوا موته الخ) أى وذلك أنهم كانوا ينتظرون موته فأخبر الله تعالى بأن الموت يعمهم فلا معنى لشماتة الفانى بالفانى (قوله أيها الناس) أى مؤمنكم وكافركم، وقوله تختصمون أى يخاصم بعضكم بعضا فيقتص للمظلوم من الظالم لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أتدرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار» (قوله أى لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله ممن كذب على الله) أى ومن جملة الكذب على الله الكذب على رسوله بأن يقول مثلا قال رسول الله كذا أو هذا شرعه، والحال أنه لم يكن

قاله ولم يكن شرعه (قوله إذ جاءه) ظرف لكذب بالصدق . والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه (قوله بلى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى . والمعنى فى جهنم مثوى للكافرين لأن بلى يجاب بها النفى و يصيره إثباتا كما تقدم (قوله فالذى بمعنى الذين) أى بالنسبة للصلة الثانية ولذا روعى معناه فجمع فى قوله أولئك هم المتقون,وروعى لفظه فى قوله جاء وصدق (قوله لهم مايشاءون) أى كل مايشتهون من وقت حضور الموت كالأمن من الفتانات عنده ومن فتنة القبر وعذابه ومن هول الموقف إلى غير ذلك (قوله لأنفسهم) متعلق بالمحسنين وفيه إشارة إلى أن إحسان الانسان لنفسه وثمرته عائدة عليها فلا يعود على الله نفع محسن ولا ضر مسىء تعالى الله عنه ، والاحسان للنفس يكون بطاعة الله والالتجاء إليه و بذل المعروف للخلق محبة فى الخالق و بهذا تكون النفس عزيزة ومن أعز نفسه أعزه الله * و بضدها تتميز الأشياء * (قوله ليكفر الله عنهم) متعلق بمحذوف أى يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ واللام للعاقبة والصيرورة وهو تفصيل لقوله لهم مايشاءون (قوله بمعنى السيء والحسن) أى فأفعل التفضيل ليس على بابه وهو جواب عما يقال مقتضاه أنه يكفر عنهم الأسوأ فقط و يجازون على الأحسن فقط ولا يكفر عنهم السيء ولا يجازون على الحسن (قوله عبده) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل المراد به الخالص فى العبودية لله وهو الأتم ويؤيده قراءة عباده بالجمع وهى سبعية ، أيضا والمعنى أن من أخلص لله فى عبادته كفاه ما أهمه فى دينه ودنياه وآخرته (قوله ويخوفونك) يصح أن تكون الجملة حالية والمعنى أن الله كافيك فى كل حال حتى فى حال تخويفهم لك ويصح أن تكون مستأنفة (قوله أو تخبله) أى تفسد أعضاءه وتذهب عقله (قوله ذى انتقام) أى ينتقم من أعدائه لأوليائه وتأخير قوله بلى للاشارة إلى أنه راجع لقوله

(إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِلْكَافِرِينَ) بلى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) هو النبي صلى الله عليه وسلم (وَصَدَّقَ بِهِ) هم المؤمنون فالذى بمعنى الذين (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الشرك (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بإيمانهم (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أسوأ وأحسن بمعنى السيء والحسن (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) أى النبي بلى (وَيُخَوِّفُونَكَ) الخطاب له (بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام أن تقتله أو تخبله (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ) غالب على أمره (ذِي انْتِقَامٍ) من أعدائه ؟ بلى (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ) لا (أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ) ؟ لا ؛ وفى قراءة بالإضافة فيهما (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يثق الواثقون (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتى (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعولة العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله ببدر (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ) ،

متعلق

ذى انتقام أيضا (قوله ليقولن الله) أى فلا جواب لهم غيره لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والايجاد (قوله قل أفرأيتم الخ) رأى متعدية لمفعولين : الأول قوله ماتدعون . والثانى قوله هل هن كاشفات ضره الخ ، وقوله إن أرادنى الخ جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثانى وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثانى عليه وتقديره لا كاشف له غيره (قوله إن أرادنى الله بضر) قدمه لأن دفعه أهم وخص نفسه لأنه جواب لتخويفه من الأصنام (قوله هل هن) عبر عنها بضمير الإناث تحقيرا لها ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث كاللات والعزى ومناة (قوله وفى قراءة بالاضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قل حسبى الله) أى كافى فلا ألتفت لغيره (قوله يثق الواثقون) أى يعتمد المعتمدون (قوله قل ياقوم اعملوا الخ) هذا الأمر للتهديد (قوله حالتكم) أى وهى الكفر والعناد وفيه تشبيه الحال بالمكان بجامع الثبوت والاستقرار فى كل (قوله مفعولة العلم) أى لأنها بمعنى عرف فتنصب مفعولا واحدا (قوله يخزيه) أى يهينه و يذله (قوله للناس) أى لمصالح الناس فى معاشهم ومعادهم .

(قوله متعلق بأنزل) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال إما من فاعل أنزل أومن مفعوله (قوله وما أنت عليهم بوكيل) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى ليس هداهم بيدك ولاق ضمانتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه وإنما هو بيدنا فان شئنا هديناهم وإن شئنا أبقيناهم على ماهم عليه من الضلال (قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها) أى يقبض الأرواح عند حضور آجالها فالنفس والروح شئ واحد على التحقيق وذلك القبض ظاهرا بحيث ينعدم التميز والاحساس وباطنا بحيث تنعدم الحياة والتنفس والحركة (قوله ويتوفى التي لم تمت فى منامها) أشار بذلك إلى أن الموصول معطوف على الأنفس مسلط عليه يتوفى والمعنى يقبض الأرواح التي لم تحضر آجالها عند نومها ظاهرا بحيث ينعدم التميز والاحساس لا باطنا فان الحياة والنفس والحركة باقية ولذا عرفوا النوم بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الادراك وأما فى حالة اليقظة فالروح سارية فى الجسد ظاهرا وباطنا لأنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها ، وقيل مقرها القلب وشعاعها مقوم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج فأصلها فى وسطه ونورها سار فى جميع أجزائه (قوله فيمسك التي قضى عليها الموت) أى لا يردها إلى جسدها وتحيا حياة دنيوية (قوله أى وقت موتها) ظاهره أن قوله إلى أجل مسمى راجع لقوله ويرسل الأخرى فقط ويصح رجوعه له وللذى قبله ويراد بالأجل المسمى فى الممسوكة النفخة الثانية (قوله نفس التميز) أى والاحساس (قوله نفس الحياة) أى والحركة والنفس (قوله بخلاف العكس) أى فمتى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التميز والاحساس. واعلم أنه اختلف هل فى الانسان روح واحدة

متعلق بأنزل (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ) اهتداؤه (وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فتجبرهم على الهدى (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ) يتوفى (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أى يتوفاها وقت النوم (فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أى وقت موتها والمرسلة نفس التميز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لآيَاتٍ) دلالات (لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث وقريش لم يتفكروا فى ذلك (أَمِ) بل (اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ) أى الأصنام آلهة (شُفَعَاءَ) عند الله بزعمهم (قُلْ) لهم (أ) يشفعون (وَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً) من الشفاعة وغيرها (وَلاَ يَعْقِلُونَ) أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك ؟ لا (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً) أى هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا باذنه (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ) أى دون آلهتهم (اشْمَأَزَّتْ) نفرت وانقبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . قُلِ اللَّهُمَّ) بمعنى ،

والتعدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق أو روحان إحداهما روح اليقظة التى أجرى الله العادة بأنها إذا كانت فى الجسد كان الانسان متيقظا فاذا خرجت منه نام الانسان ورأت تلك الروح المنامات والأخرى روح الحياة التى أجرى الله العادة بأنها إذا كانت فى الجسد كان حيا فاذا فارقته مات فاذا رجعت إليه حيي وكلام المفسر محتمل للقولين (قوله المذكور) أى من التوفى والامساك والارسال (قوله وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله أم اتخذوا إضرابا انتقاليا (قوله أى الأصنام) بيان للمفعول الأول (قوله أيشفعون) أشار بهذا إلى أن الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه (قوله لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله أى هو مختص بها) جواب عما يقال مقتضى الآية نفى الشفاعة عن غيره تعالى مع أنه قد جاء فى الأخبار أن للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعات فأجاب بأن المعنى لا يملك الشفاعة إلا الله وشفاعات هؤلاء باذن الله ورضاه . قال تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - (قوله ثم إليه ترجعون) أى تردون فيجازيكم بأعمالكم (قوله وإذا ذكر الله وحده) إذا معمولة لقوله اشمأزت (قوله إذا هم يستبشرون) أى لنسيانهم حق الله تعالى وهذه الآية تجر بذيلها على أهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات (قوله قل اللهم) أى التجىء إلى ربك بالدعاء والتضرع فانه القادر على كل شئ .

(قوله أى يا الله) أى لحذفت ياء النداء وعوض عنها اليم وشددت لتكون على حرفين كالمعوض عنه (قوله اهدنى) هذا هو المقصود بالدعاء وتمام تلك الدعوة النبوية على ماورد اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم (قوله ولو أن للذين ظلموا الخ) بيان لغاية شدة ماينزل بهم (قوله لافتدوا به) أى بالمذكور من الأمرين (قوله يوم القيامة) ظرف لافتدوا (قوله و بدا لهم الخ) كلام مستأنف أومعطوف على قوله ولوأن للذين ظلموا الخ (قوله سيئات ما كسبوا) أى الأعمال السيئة حين تعرض عليهم صحائفهم (قوله الجنس) أى فهو إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده (قوله إنعاما) أى تفضلا وإحسانا (قوله على علم من الله الخ) أى أومنى بوجوه كسبه أوأنى أعطيته بسبب محبة الله لى وفلاحى (قوله أى القولة) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القولة وقيل عائد على النعمة والمعنى أن النعمة فتنة أى امتحان واختبار هل يشكر عليها أو يكفرها (قوله إن التخويل) أى إعطاء النعم تفضلا و إحسانا (قوله الراضين بها) أشار بذلك إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل و إنما نسبت لهم من حيث رضاهم بها (قوله سيآت ما كسبوا) أى جزاء أعمالهم السيئة (قوله من هؤلاء) بيان للذين ظلموا (قوله فقحطوا سبع سنين) أى أوائل سنى الهجرة حتى أكلوا الجيف والعظم المحرق (قوله ثم وسع عليهم) أى استدراجا لهم لارضا عليهم

يا الله (فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شوهد (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا) ظهر (لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) يظنون (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أى العذاب (فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ) الجنس (ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ) أعطيناه (نِعْمَةً) إنعاما (مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ) من الله بأنى له أهل (بَلْ هِيَ) أى القولة (فِتْنَةٌ) بلية يبتلى بها العبد (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن التخويل استدراج وامتحان (قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كقارون وقومه الراضين بها (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا) أى جزاؤها (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) أى قريش (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفائتين عذابنا فقحطوا سبع سنين ، ثم وسع عليهم (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (قُلْ يَا عِبَادِيَ

الذين

(قوله أولم يعلموا) أى القائلون إنما أوتيته على علم عندى (قوله يبسط الرزق لمن يشاء) أى و إن كان لاحيلة له ولا قوة طائعا أو عاصيا وقوله ويقدر أى لمن يشاء و إن كان قويا شديدا طائعا أو عاصيا فليس لبسط الرزق الدنيوى ولا لقبضه مدخل فى محبة الله ولا بغضه بل بحكمته تعالى (قوله إن فى ذلك) أى المذكور (قوله قل ياعبادى الذين أسرفوا الخ) سبب نزولها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى وحشى قاتل حمزة يدعوه إلى الاسلام فأرسل إليه كيف تدعونى إلى دينك وأنت تزعم أنه من قتل أوأشرك أوزنى يلق أثاما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك كله فأنزل الله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لعلى لاأقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله إن الله لايغفر أن يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء قال وحشى أرآنى بعد فى شبهة أيغفر لى أم لا فنزلت هذه الآية فقال وحشى نعم الآن لاأرى شرطا فأسلم » وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن ثم قيل إنها أرجى آية فى كتاب الله تعالى وفيها من أنواع المعانى والبيان أمور حسان منها إقباله تعالى على خلقه وندأوه إياهم ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم إلى الغيبة فى قوله من رحمة الله ومنها اضافة الرحمة لأجل أسمائه الجامع لجميع الأسماء والصفات وهو لفظ الجلالة ومنها الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بان وضمير الفصل فى قوله إنه هو الغفور الرحيم للاشارة إلى أنه تعالى لاوصف له مع عباده إلا الغفران والرحمة ، ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم فى قوله ولو أن للذين ظلموا مافى الأرض جميعا الآية أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن ليجمع العبد بين الرجاء والخوف

(قوله الذين أسرفوا على أنفسهم) أى فرطوا فى الأعمال الصالحة وارتكبوا سيء الأعمال وأكثروا منه (قوله لاتقنطوا من رحمة الله) إن قلت إن فى هذا إغراء بالمعاصى واتكالا على غفرانه تعالى وهو لايليق . أجيب بأن المقصود تنبيه العاصى على أنه ينبغى له أن يقدم على التوبة ولا يقنط من رحمة الله وليس ذلك إغراء بالمعاصى بل هو تطمين للعصاة وترغيب لهم فى الاقبال على ربهم (قوله بكسر النون وفتحها) أى من باب جلس وسلم وهما سبعيتان (قوله وقرىء بضمها) أى من باب دخل وهى شاذة (قوله إن الله يغفر الذنوب جميعا) أى إشراكا أو غيره وهو مقيد بالتوبة كما قال المفسر لأن بها يخرج العاصى من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما فى الحديث « التائب من الذنب كمن لاذنب له » وأما من مات مسلما ولم يتب من ذنوبه فأمره مفوض لربه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخله الجنة ، وأما من مات مشركا فلا يغفر له بنص قوله تعالى ـ إن الله لايغفر أن يشرك به ـ ومن هنا قيل رحمة الله غلبت غضبه لأن دار الغضب مخصوصة بمن مات مشركا بخلاف دار الرحمة فهى لمن عدا ذلك (قوله لمن تاب من الشرك) إنما خص الشرك لأن التوبة منه مقبولة قطعا بنص قوله تعالى ـ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ـ بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان قيل مقبولة ظنا وقيل قطعا والفرق أن تعذيب العاصى تطهير وتعذيب الكافر غضب فمآل العاصى للجنة وإن طالت مدته فى النار لأن معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر فمعاملته بالعدل (قوله إنه هو الغفور الرحيم) تعليل لماقبله وهذان الوصفان يكونان لمن تاب فالغفران له نجاته من النار والرحمة له دخوله الجنة (قوله وأنيبوا إلى ربكم) أتى بهذه الآية عقب التى قبلها لئلا يتكل العاصى على الغفران ويترك التوبة والرجوع إلى الله

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا) بكسر النون وفتحها ، وقرىء بضمها تيأسوا (مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) لمن تاب من الشرك (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا) ارجعوا (إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا) أخلصوا العمل (لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ) بمنعه إن لم تتوبوا (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) هو القرآن (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) قبل إتيانه بوقته فبادروا قبل (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى) أصله ياحسرتى : أى ندامتى (عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) أى طاعته (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة أى وإنى (كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ) بدينه وكتابه (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) ،

فأفاد أن الرجوع إلى الله والاقبال عليه مطلوب ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم (قوله إن لم تتوبوا) راجع لقوله من قبل أن يأتيكم العذاب (قوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) أى على لسان أحسن نبى وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معطوف على قوله وأنيبوا والمعنى ارجعوا إلى ربكم والزموا أوامر أحسن كتاب أنزل إليكم ونواهيه وهذا الخطاب عام للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة ولكن من أدركه التكليف كلف باتباعه ومن لم يدركه بأن كان متقدما عليه يلزمه اتباعه لوفرض أنه أدركه ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم أنه إن ظهر محمد وأحدهم حى يلزمه اتباعه وفى الحديث «لو أدركنى موسى ماوسعه إلا اتباعى» وحينئذ فالمعنى اتبعوا ياعبادى من أول الزمان إلى آخره أحسن كتاب أنزل إليكم من ربكم فالمكلف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت ولذا كلف به من بقى حيا حتى أدركه كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام (قوله القرآن) تفسير لأحسن فان ماأنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة وأحسنها القرآن وهذا كله على مافهم المفسر ، وقيل معنى أحسن ماأنزل إليكم الخ أى من القرآن وهو أوامره دون نواهيه أو عزائمه دون رخصه أوناسخه دون منسوخه أو ماهو أعم والخطاب لخصوص هذه الأمة فتدبر (قوله أن تقول نفس) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله بادروا قبل أن تقول الخ وقدره غيره كراهة أو مخافة أن تقول نفس الخ وحينئذ فيكون مفعولا لأجله وهو أسهل مماقدره المفسر ، والمراد نفس الكافر ونكرها للتحقير (قوله أصله ياحسرتى) أى فقلبت الياء ألفا فهى فى محل جر ونداؤها مجاز : أى هذا أوانك فاحضرى (قوله أى طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالجنب الطاعة مجازا لأن الجنب فى الأصل الجهة المحسوسة ويرادفه الجانب فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل بصاحبه لأن الطاعة لها تعلق بالله تعالى والجهة لها تعلق بصاحبها (قوله وإن كنت لمن الساخرين) الجملة حالية ، والمعنى فرطت فى جنب الله وأنا ساخر (قوله أوتقول الخ)

أو لكنو يع فى مقالة الكافر (قوله بالطاعة) وفى نسخة بألطافه أى إسعافه ولو قال بآياته لكان أظهر (قوله فأكون من المحسنين) إما معطوف على كرة فيكون من جملة التمنى والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخالص نظير قول الشاعر :

لولا توقع معترّ فأرضيه ما كنت أوثر أترابا على ترب

ويكون إضمار أن جائزا لا واجبا ، قال ابن مالك :

وإن على اسم خالص فعل عطف تنصبه إن ثابتا أو منحذف

أو منصوب فى جواب التمنى ويكون مرتبا على التمنى والفاء للسببية وإضمار أن واجب (قوله فيقال له الخ) أى جوابا لمقالته الثانية وأخر عن الثالثة ليتصل كلام الكافر بعضه ببعض ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة لئلا يكون مخالفا للترتيب الوجودى فإن الكافر أولا يتحسر ثم يحتج بحجج واهية ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا . إن قلت إن بلى يجاب بها النفى ولا نفى فى الآية . أجيب بأن الآية متضمنة للنفى لأن معنى قوله لو أن الله هدانى لم يهدنى (قوله وهى سبب الهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل وأما إن أريد بها مطلق الدلالة فالآيات نفسها دالة (قوله بنسبة الشريك الخ) أشار بذلك إلى أن المراد كذب يؤدى الكفر والانظاهر الآية (٣٥٤) — يعم كل كذب على الله تعالى وحينئذ ففيها تحذير وتخويف لمن يتعمد الكذب

بالطاعة أى فاهتديت (لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) عذابه (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) المؤمنين فيقال له من قبل الله (بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي) القرآن وهو سبب الهداية (فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ) تكبرت عن الإيمان بها (وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) مأوى (لِلْمُتَكَبِّرِينَ) عن الإيمان ؟ بلى (وَيُنَجِّي اللهُ) من جهنم (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (بِمَفَازَتِهِمْ) أى بمكان فوزهم من الجنة بأن يجعلوا فيه (لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) متصرف فيه كيف يشاء (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ) القرآن (أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا الخ وما بينهما اعتراض (قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) غير منصوب بأعبد المعمول لتأمرونى بتقدير أن بنون واحدة و بنونين بادغام

على الله تعالى كالافتاء بغير الشرع ورواية الحديث بالكذب (قوله وجوههم مسودة) الجملة حالية إن جعلت الرؤية بصرية أو مفعول ثان إن جعلت علمية (قوله أليس فى جهنم الخ) هذا تقرير لاسوداد وجوههم (قوله اتقوا الشرك) أى جعلوا بينهم وبينه وقاية وهو الإيمان وهذه تقوى العامة وتقوى الخواص فعل الطاعات وترك المعاصى وتقوى خواص الخواص عدم خطور الغير بالهم (قوله بمفازتهم) الباء سببية متعلقة بينجي وفى قراءة سبعية أيضا بمفازاتهم جمعا باعتبار الأشخاص (قوله أى بمكان فوزهم) أى بمكان ظفرهم بمقصودهم ، والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم فى مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة (قوله لا يمسهم السوء) يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمفازتهم فلا محل لها من الإعراب ويحتمل أن تكون حالية من قوله الذين اتقوا (قوله الله خالق كل شىء) هذا دليل لما قبله ودخل فى الشىء الجنة وما فيها والنار وما فيها وحينئذ فلا مشارك لله فى خلقه (قوله له مقاليد السموات والأرض) المقاليد جمع مقلاد أو مقليد والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف فى كل شىء فى السموات أو الأرض . وروى عن عثمان رضى الله عنه «أنه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال : تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شىء قدير فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السموات والأرض من تكلم بها فتحت له» (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن (قوله متصل بقوله وينجى) أى فهو معطوف عليه من عطف جملة اسمية على فعلية ولا مانع منه (قوله المعمول لتأمرونى) أى والأصل أتأمرونى بأن أعبد غير الله قدم مفعول أعبد على تأمرونى العامل فى عامله وحذفت (قوله بنون واحدة) أى مخففة مع فتح الياء لا غير وهذه النون نون الرفع كسرت للمناسبة واستغنى بها عن نون الوقاية

(قوله بادغام) أى مع فتح الياء وسكونها وقوله وفك أى مع سكون الياء لاغير فالقراءات أربع سبعيات (قوله ولقد أوحى إليك الخ) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد أوحى الخ ونائب الفاعل قوله لئن أشركت الخ ، والمعنى أوحى إليك هذا الكلام (قوله فرضا) أى على سبيل التقدير وفرض المحال وهو جواب عن سؤال مقدر كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عصمتهم وقيل المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك . إن قات كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم فما وجه إفراد الخطاب . أجيب بأن المعنى أوحى إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ كما يقال كسانا الأمير حلة أى كسا كل واحد مناحلة (قوله ليحبطن عملك) من باب تعب وقرئ شذوذا من باب ضرب (قوله ولتكونن من الخاسرين) عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثانى وهو لئن أشركت والقسم الثانى وجوابه جواب عن القسم الأول وهو لقد أوحى وحذف جواب الشرط وهو إن أشركت للقاعدة (قوله بل الله فاعبد) عطف على محذوف والتقدير فلا تشرك بل الله الخ (قوله وكن من الشاكرين) أى على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته لأن الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقى النعم (قوله وما قدروا الله حق قدره) إن قات إن مفهوم الآية يقتضى أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته ومقتضى قوله صلى الله عليه وسلم «سبحانك ماعرفناك حق معرفتك وقوله سبحان من لايعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته» أنه لايعلم الله إلا الله فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن الآية محمولة على المعرفة المأمور بها المكلف بتحصيلها ، ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التى فرضت عليهم وهى تنزيهه عن النقائص ووصفه بالكمالات والحديث محمول على المعرفة التى لم تفرض على العباد وهى معرفة الحقيقة والكنه فتدبر، فتحصل أن العجز عن الادراك إدراك والبحث عن الذات إشراك ولم يكلفنا الله إلا بأن نتزهه عماسواه سبحانه وتعالى

بادغام وفك (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) والله (لَئِنْ أَشْرَكْتَ) يامحمد فرضا (لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهَ) وحده (فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) إنعامه عليك (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ماعرفوه حق معرفته أو ماعظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا) حال أى السبع (قَبْضَتُهُ) أى مقبوضة له أى فى ملكه وتصرفه (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ) مجموعات (بِيَمِينِهِ) بقدرته (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) النفخة الأولى (فَصَعِقَ) مات (مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ،

(قوله أو ماعظموه حق عظمته) مفهومه أنهم عظموه لاحق تعظيمه وهو كذلك لأنهم معترفون بأنه الاله الأكبر الخالق لكل شئ (قوله والأرض جميعا الخ) الجملة حالية من لفظ الجلالة ، والمعنى ما عظموه حق تعظيمه والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها (قوله أى فى ملكه وتصرفه) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة القبض بل المراد التصرف والملك ظاهرا وباطنا ، بخلاف أمور الدنيا فان للعبيد فيها أملاكا ظاهرية ، وقيل إنه كناية عن انعدامها بالمرة وهو ظاهر ويقال فى الطى مثل ذلك (قوله ونفخ فى الصور الخ) التعبير فى هذا ومابعده بالماضى لتحقق وقوعه أى لكونه واقعا فى علم الله تعالى أزلا ، لأن كل ماظهر فهو جار فى سابق علمه تعالى والنافخ إسرافيل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره عليهم السلام . والصور بسكون الواو فى قراءة العامة وهو القرن فيه ثقب بعدد جميع الأرواح وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى وشعبة فى فم إسرافيل وهو ملك عظيم له جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وقدماه قد نزلتا عن الأرض السفلى مسيرة مائة عام (قوله النفخة الأولى) ظاهر المفسر أن النفخ مرتان نفخة الصعق ونفخة البعث وهو ظاهر الآية ، وقيل إن النفخ ثلاث مرات : فالنفخة الأولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسيير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسجير البحار والناس أحياء والهون ينظرون إليها فتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وهى المعنية بقوله تعالى - إن زلزلة الساعة شئ عظيم - . والنفخة الثانية يكون بها الصعق وعندها يموت كل من كان حيا حياة دنيوية وأما من كان حيا حياة برزخية فانه يغشى عليه . والنفخة الثالثة نفخة القيام وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح لتستريح الأرض من الهول الذى حصل لها وفى تلك المدة تمطر السماء وتنبت الأرض ولاحى على ظهرها من سائر المخلوقات (قوله مات) أى من كان حيا فى الدنيا ويغشى على من كان ميتا من قبل لكنه حى فى قبره كالأنبياء والشهداء .

(قوله من الحور الخ) أى فهو استثناء من الصعق بمعنى الموت ويستثنى منه بمعنى الغشى والدهش موسى عليه السلام فانه لايغشى عليه بل يبقى متيقظا ثابتا لأنه صعق فى الدنيا فى قصة الجبل فلا يصعق مرة أخرى (قوله وغيرهما) أى كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فانهم لايموتون بالنفخة الأولى وإنما يموتون بين النفختين لما روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا : ونفخ فى الصور الآية فقالوا يانبى الله من هم الذين استثنى الله تعالى ؟ قال هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت ياملك الموت من بقى من خلقى وهو أعلم فيقول يارب بقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس إسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول مت ياملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل ياجبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام وجهك الباقى الدائم وجبريل الميت الفانى فيقول الله تعالى ياجبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربى تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام» (قوله ثم نفخ فيه أخرى) أى بعد أربعين سنة على الصحيح ، وقرب نفخة القيام تأتى سحابة من تحت العرش فتمطر ماء خاثرا كالمنىّ فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل فتتكامل أجسامهم وكل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب فانه يبقى مثل عين الجرادة لايدركه الطرف فتركب عليه أجزاؤه فاذا تمّ وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشقّ عنه القبر ثم قام خلقا سويا ، وفى النفخة الثانية يقول : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتثرة إن الله المصوّر الخالق يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادى قوموا للعرض على الجبار فيقومون كما قال تعالى : يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر

الآية ، فاذا خرجوا من قبورهم تتلقى المؤمنون بمراكب من رحمة الله

من الحور والولدان وغيرهما (ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ) أى جميع الخلائق الموتى (قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) ينتظرون مايفعل بهم (وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ) أضاءت (بِنُورِ رَبِّهَا) حين يتجلى لفصل القضاء (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب الأعمال للحساب (وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته يشهدون للرسل بالبلاغ (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) أى العدل (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئا (وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ) أى جزاءه (وَهُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَا يَفْعَلُونَ) فلا يحتاج إلى شاهد ،

كما قال تعالى : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، ويمشى المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم كما قال تعالى : ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ، وفى الآية الأخرى : يحملون أوزارهم على ظهورهم (قوله فاذا هم قيام) بالرفع فى قراءة العامة خبر عن الضمير وقرئ شذوذا بالنصب على الحال (وسيق

وخبر الضمير قوله ينظرون (قوله مايفعل بهم) أى من الحساب والمرور على الصراط وإدخالهم الجنة أو النار (قوله وأشرقت الأرض بنور ربها) المراد بالأرض الأرض الجديدة المبدلة التى يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أى حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونه حقيقة لما فى الحديث «سترون ربكم لاتمارون فيه كما لاتمارون فى الشمس فى اليوم الصحو» وهذا النور يخلقه الله تعالى تضىء به الأرض وليس من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى فى القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب) أى أعطى كل واحد من الخلائق كتابه بيمينه أو شماله (قوله وجىء بالنبيين والشهداء) أى وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق الأولين والآخرين فى صعيد واحد ثم يقول لكفار الأمم : ألم يأتكم نذير ؟ فينكرون ويقولون ماجاءنا من نذير فيسأل الله تعالى الأنبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسألهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإنما كانوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأنزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ، ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأله الله تعالى عن أمته فيزكيهم ويشهد بصدقهم (قوله أى العدل) أى بالنسبة للكافرين ، وأما المؤمنون فحكمه فيهم بالفضل (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه إذ لامشاركة بين القديم والحادث (قوله فلايحتاج إلى شاهد) أى لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها وإنما الشهود وكتابة الأعمال لحكم عظيمة منها إقامة الحجة على من عاند ، وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله :

والعرش والكرسى ثم القلم   والكاتبون اللوح كل حكم   لا لاحتياج وبها الايمان   يجب عليك أيها الانسان

(قوله وسيق الذين كفروا الخ) هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أجمل فى قوله ـ ووفيت كل نفس ماعملت ـ (قوله بعنف) أى شدة لأنهم يضربون من خلف بالمقامع ويسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال (قوله إلى جهنم) المراد دار العذاب بجميع طبقاتها (قوله زمرا) جمع زمرة من الزمر وهو الصوت، سموا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالبا عنه (قوله جماعات متفرقة) أى فوجا فوجا كما فى آية ـ كلما ألقى فيها فوج ـ والمعنى كل أمة على حدة (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية تبتدأ بعدها الجمل (قوله فتحت أبوابها) أى ليتلقون حرارتها بأنفسهم (قوله جواب إذا) أى باتفاق (قوله رسل منكم) أى من جنسكم (قوله القرآن) أى بالنسبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله وغيره: أى بالنسبة لبقية الأمم (قوله لقاء يومكم هذا) أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم، وليس المراد به يوم القيامة جميعه فإنه مختلف باعتبار الأشخاص، فيكون نعيما وسرورا للمؤمنين وشدة وعذابا للكافرين (قوله قالوا بلى) إقرار بما وقع منهم وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعا فى النجاة فلما قامت الحجج عليهم وتحتم الأمر بعذابهم رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه فأقروا، وبالجملة فالقيامة مواطن تارة ينكرون وتارة تقر أعضاؤهم وتارة يقرون بألسنتهم (قوله على الكافرين) أظهر فى محل الإضمار إشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (قوله مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله: خالدين حال مقدرة وذلك لأنهم

عند الدخول ليسوا خالدين وإنما منتظرون ومقدرون الخلود (قوله فبئس مثوى المتكبرين) أظهر فى محل الإضمار إشارة إلى بيان سبب كفرهم الذى استحقوا به العذاب، وقوله جهنم هو المخصوص بالذم (قوله وسيق الذين اتقوا ربهم) أخر وعد المؤمنين ليحسن اختتام السورة به ليكون آخر الكلام بشرى المؤمنين (قوله بلطف) أشار بذلك إلى أن السوق

(وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعنف (إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا) جماعات متفرقة (حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) جواب إذا (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ) القرآن وغيره (وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أى لأملأن جهنم الآية (عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود (فَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ) جهنم (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بلطف (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) الواو فيه للحال بتقدير قد (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) حال (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) مقدرين الخلود فيها، وجواب إذا مقدر: أى دخلوها، وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تكرمة لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم (وَقَالُوا) عطف على دخلوها المقدر (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) بالجنة،

فى الموضعين مختلف فسوق الكفار سوق إهانة وانتقام وسوق المؤمنين سوق تشريف وإكرام، وفى المعنى سوق المؤمنين سوق مراكبهم لأنهم يذهبون راكبين فيسرع بهم إلى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين، وهذا من بديع الكلام وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على الهوان فى حق جماعة وعلى العز والرضوان فى حق آخرين (قوله زمرا) أى جماعات على حسب قربهم ومراتبهم (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية (قوله الواو فيه للحال) والحكمة فى زيادة الواو هنا دون التى قبلها أن أبواب السجن مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة فتفتح له ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تفتح انتظارا لمن يدخلها (قوله وقال لهم خزنتها) عطف على قوله: جاءوها (قوله سلام عليكم) أى سلمتم من كل مكروه، وقوله: طبتم: أى طهرتم من دنس المعاصى لما ورد «أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداها فتطهر أجوافهم، وذلك قوله تعالى ـ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ـ ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها ـ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» (قوله وجواب إذا مقدر) هذا أحد أقوال ثلاثة، وقيل إن جوابها قوله وفتحت والواو زائدة، وقيل هو قوله ـ وقال لهم خزنتها ـ والواو زائدة (قوله وسوقهم) مبتدأ وتكرمة خبره وكذا مابعده (قوله وقالوا) أى بعد استقرارهم فى الجنة (قوله الذى صدقنا وعده) أى حققه لنا فى قوله ـ تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا ـ.

(وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ) أى أرض الجنة (نَتَبَوَّأُ) ننزل (مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) لأنها كلها لايختار فيها مكان على مكان (فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الجنة (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ) حال (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) من كل جانب منه (يُسَبِّحُونَ) حال من ضمير حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملابسين للحمد ، أى يقولون : سبحان الله وبحمده (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين جميع الخلائق (بِالْحَقِّ) أى العدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع

وأوله :

سورة غافر

(قوله وأورثنا الأرض) أى ملكها لنا تتصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقد كانت لآدم وحده فأخذها أولاده إرثا لها منه ، وقيل المراد أورثنا أرض الجنة التى كانت للكفار لو آمنوا ، والأقرب أن المراد ملكنا إياها كالميراث فانه ملك بلا ثمن ولا شبهة لأحد فيه فكذلك منازل الجنة (قوله لايختار فيها مكان على مكان) أى بل يرضى كل إنسان بمكانه الذى أعد له بحيث لو أطلق له الاختيار لايختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب ، وهذا جواب عما قيل كيف ذلك مع أن كل إنسان له محل معد لا سبيل له إلى غيره . وأجيب أيضا بأن المعنى يختار من منازله ما يشاء لما ورد «أن كل واحد له جنة لاتوصف سعة ولا حسنا فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يخطر بباله غيرها» (قوله فنعم أجر العاملين) هذا من كلام الله تعالى زيادة فى سرور أهل الجنة ، وقوله الجنة هو المخصوص بالمدح (قوله وترى الملائكة) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن زيادة فى السرور لأن رؤية الملائكة فى الآخرة من النعيم لاتحاد روحانيتهم مع الإنس وأما فى الدنيا فمفزع لأن النوع الإنسانى فى الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات والحجب فلا يستطيع رؤية المقربين (قوله حافين) أى محيطين مصطفين بحافته وجوانبه (قوله أى يقولون سبحان الله وبحمده) أى تلذذا لأن منتهى درجاتهم الاستغراق فى تسبيحه تعالى وتقديسه (قوله ختم استقرار الفريقين الخ) أى كما ابتدأ ذكر الخلق بالحمد فى قوله : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ففيه تنبيه على أنه تعالى يحمد فى مبدإ كل أمر ونهايته (قوله من الملائكة) أى بل ومن جميع الخلق فان جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويجدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم ، والله أعلم .

فهرس الجزء الثالث

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

حاشية

العارف بالله تعالى المغفور له

أحمد بن محمّد الصّاوي المالكي الخلوتي

١١٧٥ - ١٢٤١هـ

على

تفسير الجلالين

للإمامين العظيمين الجلالين المحلّي والجلال السّيوطي

رحمهما الله تعالى آمين

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الرّابع

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها

فضيلة الشيخ علي محمّد الضباع

شيخ القراء والمقارئ بالديار المصريّة

دار الجيل

بيروت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(سورة غافر مكية)

إلا «الذين يجادلون» الآيتين ، خمس وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . حٰمٓ) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (غَافِرِ الذَّنْبِ) للمؤمنين (وَقَابِلِ التَّوْبِ) لهم مصدر (شَدِيدِ الْعِقَابِ) للكافرين أى مشدده (ذِي الطَّوْلِ) أى الإنعام الواسع وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات فإضافة المشتق منها للتعريف كالأخيرة (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع ،

[سورة غافر]

وتسمى سورة المؤمن لقوله فى أثنائها - وقال رجل مؤمن - وسورة الطول لافتتاحها به فى أوصاف البارى تعالى . واعلم أنه ورد فى فضل الحواميم أحاديث كثيرة : منها قوله صلى الله عليه وسلم «الحواميم ديباج القرآن» ومنها «لكل شىء ثمرة وإن ثمرة القرآن ذوات حم هن روضات حسان مخصبات متجاورات من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليقرأ الحواميم» ومنها « مثل الحواميم فى القرآن كمثل الحبرات فى الثياب » ، ومنها « لكل شىء لباب ولباب القرآن الحواميم » ومنها «الحواميم سبع وأبواب النار سبع جهنم والحطمة ولظى والسعير وسقر والهاوية والجحيم ، فكل حم يوم القيامة تقف على باب من هذه الأبواب فتقول : لا يدخل النار من كان يؤمن بى ويقرؤنى فتحصل أنه يقال حواميم وآل حم وذوات حم خلافا لمن أنكر الأول (قوله مكية) أى وكذا بقية الحواميم (قوله إلا الذين يجادلون الخ) الصواب أن يقول إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر الآيتين وأول الآية الثانية لخلق السموات والأرض الآية لأن هاتين الآيتين هما المدنيتان خلافا لما يوهمه المفسر (قوله خمس وثمانون) وقيل ثنتان وثمانون (قوله حم) بسكون الميم فى قراءة العامة وقرىء شذوذا بضم الميم وفتحها وكسرها . فالأول على أنه خبر لمحذوف . والثانى على أنه مفعول لمحذوف ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث أو شبه العجمة . والثالث على أنه مبنى على الكسر مبتدأ خبره محذوف أى هذا محله مثلا (قوله الله أعلم بمراده) تقدم أن هذا القول فى مثل هذا الموضع أسلم وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقيل مفاتيح خزائنه ، وقيل اسم الله الأعظم وقيل مفاتح السور ، وقيل كل حرف منه يشير إلى كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وهكذا والميم افتتاح اسمه مالك ومجيد ومنان ، وهكذا لما روى « أن أعرابيا سأل النبى صلى الله عليه وسلم ما حم فإنا لا نعرفها فى لساننا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم بدء أسماء وفواتح سور » (قوله العزيز) فى ملكه أشار إلى أنه من عز بمعنى قهر وغلب (قوله غافر الذنب) أى ماحيه من الصحف . واعلم أن غافر وغفار وغفور صيغ نسب على الصحيح لأن أوصافه تعالى لا تفاوت فيها بخلاف أوصاف الحوادث (قوله وقابل التوب) أتى بالواو إشارة إلى أنه تعالى يجمع للمؤمنين بين محو الذنوب وقبول التوبة فلا تلازم بين الوصفين بل بينهما تغاير إذ يمكن محو الذنوب من غير توبة ويمكن قبول التوبة فى بعض الذنوب دون بعض (قوله مصدر) وقيل جمع توبة كدوم ودومة (قوله للكافرين) أى وأما العصاة وإن عوقبوا فلا يعاملهم الله بالشدة (قوله أى الانعام الواسع) وقيل الطول بالفتح المن ، وقيل هو الغنى والسعة وكلها ترجع لما قال المفسر (قوله وهو موصوف على الدوام الخ) هذه العبارة جواب عما يقال إن الصفات الثلاثة التى هى غافر وقابل وشديد مشتقات وإضافة المشتق لا تفيده تعريفا فكيف وقعت صفات للمعرفة التى هى لفظ الجلالة . فأجاب المفسر بأن محل ذلك ما لم يقصد بالمشتق الدوام وإلا تعرف بالاضافة ونظيره ما قيل فى مالك يوم الدين . وأجيب أيضا بأن الكل إبدال وهو لا يشترط فيه التبعية فى التعريف (قوله لا إله إلا هو) يصح أن يكون حالا لأن الجمل بعد المعارف أحوال ويصح أن يكون مستأنفا (قوله إليه المصير) أى فيجازى كل أحد بعمله .

(قوله مايجادل فى آيات الله) أى فى إبطالها والطعن فيها وهذا هو الجدال المذموم وأما الجدال فى نصر آيات الله بالحجج القاطعة الذى هو وظيفة الأنبياء ومن على قدمهم فهو ممدوح ومنه قوله تعالى ـ وجادلهم بالتى هى أحسن ـ (قوله فلايغررك تقلبهم الخ) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت أنهم كفار فلا تحزن ولايغررك إمهالهم فانهم مأخوذون عن قريب وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله كذبت قبلهم) أى قبل أهل مكة وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم أيضا (قوله من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله ليأخذوه) أى يتمكنوا من إصابته بما أرادوه به (قوله أى هو واقع موقعه) أى فهو عدل منه سبحانه وتعالى (قوله وكذلك) أى كما وقع للأمم السابقة (قوله حقت كلمت ربك) أى وجبت وثبتت . والمعنى مثل ماوقع وحصل للمكذبين قبل هؤلاء يحصل لهؤلاء فى الآخرة وإكرامهم فى الدنيا بالنعم إنما هو ببركتك يامحمد (قوله بدل من كلمة) أى بدل كل من كل إن أريد بلفظ الكلمة خصوص قوله أنهم أصحاب النار أو بدل اشتمال إن فسرت الكلمة بقوله لأملأن جهنم الخ ولاشك أن الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله أنهم أصحاب النار (قوله الذين يحملون العرش مبتدأ) أى الاسم الموصول مبتدأ ويحملون صلته وقوله ومن حوله اسم الموصول معطوف على الموصول قبله وحوله صلته والتقدير والذين حوله وليس معطوفا على الضمير فى يحملون لايهامه أن من حوله حامل أيضا . واعلم أن حملة العرش أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجودا وهم فى الدنيا أربعة وفى يوم القيامة ثمانية . ورد أن لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس ، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة جناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيتصدع وجناحان يصفق بهما فى الهواء . يروى أن أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى والأرضون والسموات إلى حجزهم

(٣)

(مَا يُجَادِلُ فِى آيَاتِ اللهِ) القرآن (إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى الْبِلَادِ) للمعاش سالمين فإن عاقبتهم النار (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ) كعاد وثمود وغيرهما (مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ) يقتلوه (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا) يزيلوا (بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ) بالعقاب (فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) لهم أى هو واقع موقعه (وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) أى لأملأن جهنم الآية (عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) بدل من كلمت (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ) مبتدأ (وَمَنْ حَوْلَهُ) عطف عليه (يُسَبِّحُونَ) خبره (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملابسين للحمد: أى يقولون سبحان الله وبحمده (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) تعالى ببصائرهم : أى يصدقون بوحدانيته (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) ،

ورءوسهم خرقت العرش وهم خشوع لايرفعون أطرافهم وهم أشد خوفا من أهل السابعة وأهلها أشد خوفا من أهل السادسة وهكذا ، والعرش جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا ويكسى كل يوم ألف لون من النور (قوله ومن حوله) أى وهم الكروبيون سادات الملائكة . قال وهب : إن حول العرش سبعون ألف صنف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء يكبر فريق ويهلل فريق ، ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف قيام أيديهم إلى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا : سبحانك اللهم وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لاإله غيرك والخلق كلها إليك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلايسبح بتسبيح لايسبحه الآخر مابين جناحى أحدهم ثلثمائة عام ومابين شحمة أذن أحدهم إلى عاتقه أربعمائة (قوله أى يقولون سبحان الله وبحمده) أى لما ورد أن حملة العرش يكونون يوم القيامة ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على علمك وحلمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك (قوله ببصائرهم) جواب عما يقال إن وصفهم بالتسبيح يغنى عن وصفهم بالايمان فما فائدة ذكره عقبه . فأجاب بأن التسبيح من وظائف اللسان والايمان من وظائف القلب فأفاد فائدة لم تكن فى الأول فذكره للاعتناء بشأنه (قوله ويستغفرون للذين آمنوا) أى يطلبون المغفرة لهم ، وحكمة طلبهم المغفرة لهم أنهم تكلموا فى بنى آدم حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، فلما وقع منهم ذلك أمرهم الله بالاستغفار لهم جبرا لما وقع منهم ، ففيه تنبيه على

أنّ من تكلم فى غيره ينبغى له أن يستغفر له (قوله يقولون) أى فى كيفية الاستغفار لهم وهذه الجملة المقدرة حال من ضمير يستغفرون (قوله ربنا وسعت كل شىء الخ) قدم هـذا بين يدى الدعاء توطئة له للاشارة إلى أنه ينبغى للانسان أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة ولا يتردد فى الدعاء فانه مانع من الإجابة (قوله رحمة وعلما) قدّم الرحمة على العلم لأن المقام للدعاء والرحمة مقصودة فيه بالذات وإلا فالعلم سابق عليها (قوله من الشرك) أى وإن كان عليهم ذنوب (قوله واتبعوا سبيلك) أى بأن آمنوا (قوله وقهم عذاب الجحيم) أى اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه بأن توفقهم لصالح الأعمال (قوله ومن صلح من آبائهم الخ) أى بأن مات على غير الكفر فيدخل فيه أهل الفترة والجنون (قوله وأزواجهم) أى زوجاتهم لما ورد « إذا دخل المؤمن الجنة قال أين أبى أين أمى أين ولدى أين زوجتى ؟ فيقال إنهم لم يعملوا عملك ، فيقول : إنى كنت أعمل لى ولهم ، فيقال أدخلوهم ، فاذا اجتمع بأهله فى الجنة كان أكمل لسروره ولذاته » (قوله فى وأدخلهم) أى وهو أولى لأنه يصير الدعاء لهم بالدخول صريحا بخلافه على وعدتهم فانه ضمنى (قوله وقهم

(٤)

السيئات) الضمير راجع للآباء والأزواج والذرية (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق والتقدير يوم إذ تدخل من تشاء الجنة ومن تشاء النار وهو يوم القيامة (قوله وذلك) أى ماذكر من الرحمة ووقاية السيئات (قوله إن الذين كفروا) شروع فى ذكر أحوال الكفار بعد وقولهم النار إثر بيان أنهم من أصحاب النار (قوله وهم يمقتون أنفسهم) أى يبغضونها ويظهرون ذلك على رءوس الأشهاد فيقول الواحد منهم لنفسه : مقتك يا نفسى ، فتقول الملائكة لهم وهم فى النار : لمقت الله إياكم إذ أنتم فى الدنيا وقد بعث إليكم الرسل فلم تؤمنوا أشدّ من مقتكم أنفسكم اليوم (قوله لمقت الله) أى بغضه والمراد لازمه وهو الانتقام والتعذيب لأن حقيقته محالة فى حق الله تعالى (قوله لأنهم نطفا أموات) كذا فى بعض النسخ بنصب نطفا على الحال والمناسب أن يقول لأنهم كانوا أو خلقوا نطفا فان الاماتة إعدام الحياة ابتداء أو بعد سبق الحياة (قوله ذلكم) مبتدأ وبأنه خبره والضمير للشأن (قوله فالحكم لله) هذا من جملة مايقال لهم فى الآخرة بدليل قوله فى تعذيبكم وأما قوله هو الذى يريكم آياته فكلام مستأنف منقطع عما قبله ويصح أن يكون الكلام تم بقوله وإن يشرك به تؤمنوا وقوله فالحكم لله تفريع على ماتقدم كأنه قال إذا علمتم أن الخلق فريقان مؤمنون وكفار فلا تعترضوا فان الحكم لله أى القضاء بأن هؤلاء للجنة وهؤلاء للنار لله وحده الموصوف بكونه يرينا آياته فيعتبر بها من يشاء فيهتدى ويكذب بها من يشاء فيضل (قوله وينزل لكم) أى من أجلكم (قوله بالمطر) أى بسببه فان الماء سبب فى جميع الأرزاق كما هو مشاهد (قوله فادعوا الله) يطلق الدعاء على الطلب حقيقة وليس مرادا هنا باجماع بقرينة ماقبله ومابعده ،

(مخمسين)

يقولون (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا) أى وسع رحمتك كل شىء وعلمك كل شىء (فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا) من الشرك (وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ) دين الإسلام (وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) النار (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (الَّتِى وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ) عطف على هم فى وأدخلهم أو فى وعدتهم (مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ) أى عذابها (وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ) من قبل الملائكة وهم يمقتون أنفسهم عند دخولهم النار (لَمَقْتُ اللَّهِ) إياكم (أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ) فى الدنيا (إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ . قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ) إماتتين (وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ) إحياءتين لأنهم نطفا أموات فأحيوا ثم أميتوا ثم أحيوا للبعث (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا) بكفرنا بالبعث (فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ) من النار والرجوع إلى الدنيا لنطيع ربنا (مِنْ سَبِيلٍ) طريق ؟ وجوابهم لا (ذَٰلِكُمْ) أى العذاب الذى أنتم فيه (بِأَنَّهُ) أى بسبب أنه فى الدنيا (إِذَا دُعِىَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ) بتوحيده (وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ) يجعل له شريك (تُؤْمِنُوا) تصدّقوا بالاشراك (فَالْحُكْمُ) فى تعذيبكم (لِلَّهِ الْعَلِىِّ) على خلقه (الْكَبِيرِ) العظيم (هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ آيَاتِهِ) دلائل توحيده (وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا) بالمطر (وَمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (إِلَّا مَنْ يُنِيبُ) يرجع عن الشرك (فَادْعُوا اللَّهَ) اعبدوه

(مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) إخلاصكم منه (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) أى الله عظيم الصفات ، أو رافع درجات المؤمنين فى الجنة (ذُو الْعَرْشِ) خالقه (يُلْقِي الرُّوحَ) الوحى (مِنْ أَمْرِهِ) أى قوله (عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ) يخوف الملقى عليه الناس (يَوْمَ التَّلَاقِ) بحذف الياء و إثباتها يوم القيامة لتلاقى أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه (يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ) خارجون من قبورهم (لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ) ؟ يقوله تعالى ويجيب نفسه (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) أى لخلقه (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع الخلق فى قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ) يوم القيامة من أزف الرحيل قرب (إِذِ الْقُلُوبُ) ترتفع خوفاً (لَدَى) عند (الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ) ممتلئين غمًّا حال من القلوب عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها (مَا لِلظَّالِمِينَ) .

وعلى العبادة مجازا كما هنا من باب تسمية الكل باسم جزئه لأن الدعاء جزء من أجزاء العبادة ، وسميت العبادة دعاء لأنه أعظم أجزائها لما فى الحديث « الدعاء مخ العبادة » (قوله مخلصين) حال من فاعل ادعوا وأشار بذلك إلى أن الانسان مأمور بالعبادة ظاهرا وبإخلاص قلبه من أنواع الشك والشرك الأكبر والأصغر فقوله من الشرك عام فى الشرك الأكبر وهو الكفر والأصغر وهو الرياء (قوله ولو كره الكافرون) مبالغة فيما قبله أى اعبدوه وأخلصوا له فلو بكم هذا إذا رضى الكافرون بذلك بل ولو كرهوا أو قاتلوكم ومانعوكم من عبادته (قوله أى الله عظيم الصفات) أشار بذلك إلى أن رفيع صفة مشبهة خبر لمحذوف أى هو منزه فى صفاته عن كل نقص ، وقوله أو رافع أشار به إلى أن فعيل صيغة مبالغة محولة عن اسم الفاعل (قوله يلقى الروح) أى الوحى ، سمى بذلك لأنه يسرى فى القلوب كسريان الروح فى الجسد ولذا كان لا يطرأ على النبى النسيان (قوله من أمره) بيان للروح أو حال منه أى قوله وقيل المراد بالأمر القضاء (قوله الملقى عليه) هو فاعل الانذار وهو كناية عن الموصول فى قوله على من يشاء والمفعول الأول محذوف قدره المفسر بقوله الناس والمفعول الثانى هو قوله يوم التلاق (قوله بحذف الياء) أى وصلا ووقفا وقوله و إثباتها أى وصلا ووقفا أو وصلا فقط فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله لتلاقى أهل السماء) علة لتسميته يوم التلاق (قوله يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق بدل كل من كل **(٥)** ويكتب يوم هنا وفى الذاريات فى قوله : يوم هم على النار يفتنون منفصلا لأن هم مرفوع بالابتداء فيهما فالمناسب القطع وأما فى غير هذين المحلين نحو يومهم الذى يوعدون ، يومهم الذى فيه يصعقون فيكتب موصولا لأن هم مجرور فالمناسب وصله (قوله خارجون من قبورهم) أى ظاهرون لا يستترون بشىء لكون الأرض إذ ذاك قاعا صفصفا لما فى الحديث « يحشرون حفاة عراة غرلا » (قوله لا يخفى على الله منهم شىء) الحكمة فى تخصيص ذلك اليوم مع أن الله لا يخفى عليه شىء فى سائر الأيام أنهم كانوا يتوهمون فى الدنيا أنهم إذا استتروا بالحيطان مثلا لا يراهم الله وفى هذا اليوم لا يتوهمون هذا التوهم (قوله لمن الملك اليوم) هذه حكاية لما يقع من السؤال والجواب حينئذ وهو كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يكون حينئذ فقيل يقال لمن الملك الخ (قوله يقوله تعالى) قيل فى القيامة كما ورد « يحشر الناس على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها فيؤمر مناد ينادى لمن الملك اليوم فيقول العباد مؤمنهم وكافرهم لله الواحد القهار » فيقول المؤمنون هذا الجواب سرورا وتلذذا و يقوله الكافرون غما وانقيادا وخضوعا ، وقيل بين النفختين حين تفنى جميع الخلائق و يبقى الله وحده فلا يرى غير نفسه فيقول لمن الملك اليوم فيجيب نفسه بعد أربعين سنة لله الواحد القهار لأنه بقى وحده وقهر خلقه (قوله اليوم تجزى كل نفس الخ) إما من تتمة الجواب أو الحكاية مايقوله الله تعالى عقب جواب الخلق (قوله لا ظلم اليوم) لا نافية للجنس ظلم اسمها واليوم خبرها (قوله فى قدر نصف نهار) أى ولا يشغله حساب أحد عن أحد بل كل إنسان يرى أنه هو المحاسب (قوله من أزف الرحيل) من باب تعب أى دنا وقرب (قوله إذ القلوب) بدل من يوم الآزفة والقلوب مبتدأ خبره لدى الحناجر وهو متعلق بمحذوف قدره بقوله ترتفع (قوله الحناجر) جمع حنجور كحلقوم وزنا ومعنى ، أو جمع حنجرة .

مِنْ حَمِيمٍ) محب (وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) لامفهوم للوصف إذ لاشفيع لهم أصلا فما لنا من شافعين ، أوله مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعاء : أى لو شفعوا فرضا لم يقبلوا (يَعْلَمُ) أى الله (خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ) بمسارقتها النظر إلى محرم (وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) القلوب (وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون : أى كفار مكة بالياء والتاء (مِنْ دُونِهِ) وهم الأصنام (لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ) فكيف يكونون شركاء لله (إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْبَصِيرُ) بأفعالهم (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ) وفى قراءة منكم (قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) عذابه (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) برهان بين ظاهر (إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا) هو (سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا) ،

(قوله من حميم) من زائدة فى المبتدإ (قوله ولا شفيع يطاع) أى يؤذن له فى الشفاعة فيقبل (قوله إذ لاشفيع لهم أصلا) أى لامطاع ولا غيره (قوله أى لو شفعوا الخ) تفسير للمفهوم على الوجه الثانى (قوله يعلم خائنة الأعين) خبر رابع عن المبتدإ الذى أخبر عنه برفيع وما بعده والاضافة على معنى من أى الخائنة من الأعين (قوله بمسارقتها النظر إلى محرم) ومن جملة ذلك الرجل ينظر إلى المرأة فاذا نظر إليه أصحابه غض بصره فاذا رأى منهم غفلة تدسس بالنظر فاذا نظر إليه أصحابه غض بصره (قوله وما تخفى الصدور) أى عن العباد من خير وشر (قوله أى كفار مكة) تفسير للواو فى يدعون (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لايقضون بشىء) من باب التهكم بهم إذ الجماد لايوصف بقضاء ولا بغيره (قوله إن الله هو السميع البصير) وعيد لهم على أفعالهم وأقوالهم أى فيجازيكم بها (قوله أولم يسيروا فى الأرض) لما بالغ فى تخويف الكفار بأحوال الآخرة أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال أولم يسيروا الخ وقوله كيف كان عاقبة الخ كيف خبر كان مقدم وعاقبة اسمها والجملة فى محل نصب على المفعولية وقوله كانوا الخ جواب كيف والواو اسم كان والضمير للفصل وأشد خبرها (قوله فينظروا) و يجوز أن يكون منصوبا فى جواب الاستفهام (٦) وأن يكون مجزوما نسقا على ماقبله (قوله عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أى حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم (قوله وفى قراءة منكم) أى بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب (قوله وآثارا فى الأرض) عطف على قوة (قوله من مصانع) أى أماكن فى الأرض تخزن فيها الأشياء كالصهاريج (قوله وما كان لهم الخ) لهم خبر كان مقدم وواق اسمها مؤخر على زيادة من ومن الله متعلق بواق ومن فيه ابتدائية ومفعول واق محذوف قدره بقوله عذابه وكان للاستمرار أى ليس لهم واق أبدا (قوله ذلك) اى أخذهم بسبب أنهم كانت الخ (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) شروع فى ذكر قصة موسى مع فرعون وحكمة تكرارها وغيرها تسليته صلى الله عليه وسلم وزيادة فى الاحتجاج على من كفر من أمته (قوله وسلطان مبين) قيل المراد به نفس الآيات فالعطف مرادف و إنما التغاير باعتبار العنوانين وقيل المراد به بعض الآيات وهو العصا واليد وحينئذ فيكون من عطف الخاص على العام والنكتة الاعتناء بهما (قوله إلى فرعون وهامان وقارون) خصهم بالذكر لأنهم الرؤساء فان فرعون كان ملكا وهامان وزيره وقارون صاحب الأموال والكنوز و إنما جمعه الله معهما لأنه شاركهما فى الكفر والتكذيب فى آخر الأمر و إن آمن أولا فان فعله آخرا دل على أنه مطبوع على الكفر كابليس (قوله فقالوا) نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر (قوله هو ساحر) أشار بذلك إلى أن ساحر خبر لمحذوف وكذاب عطف على ساحر والمعنى ساحر فيما أظهر من المعجزات كذاب فيما ادعاه أنه من عند الله (قوله قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا الخ) أى أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم وهذا القتل غير القتل الأول لأن فرعون بعد ولادة موسى أمسك عن قتل الأولاد فلما بعث الله موسى وعجز عن معارضته أعاد القتل فى الأولاد ليمتنع الناس من الايمان ولئلا يكثر جمعهم فيكيدوه فأرسل الله عليهم أنواع العذاب كالضفادع والقمل والدم و يطوفان إلى ان خرجوا من مصر فأغرقهم الله تعالى وجعل كيدهم فى نحورهم .

استبقوا

(قوله استبقوا نساءهم) أى بناتهم للخدمة (قوله هلاك) أى ضياع و بطلان لايغنى عنهم شيئا (قوله لأنهم كانوا يكفونه عن قتله) فى حكمة منعهم له عن قتله وجوه : أولها أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتى ذكره فكان صاحب سر فرعون وكان يتحيل فى منع فرعون من قتله . ثانيها أنهم منعوه من قتله احتقارا له فكانوا يقولون إنه ساحر ضعيف فان قتلته قالت الناس إنهم قتلوه لعجزهم عن معارضته. ثالثها خوفهم على فرعون لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرض لموسى بسوء أخذ حالا. رابعها ليشتغل عنهم بمخاصمة موسى لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا مايشتغلون به تعرضوا لرعاياهم (قوله وليدع ربه) اللام للأمر وهو أمر تعجيز فى زعم فرعون (قوله فتتبعونه) المناسب أن يحذف النون (قوله وفى قراءة أو الخ) تحصل أن القراآت أربع سبعيات رفع الفساد ونصبه مع الواو أو أو (قوله وقال موسى إنى عذت) بادغام الذال فى التاء و إظهارها قراءتان سبعيتان (قوله من كل متكبر) لم يسم فرعون بل ذكره فى ضمن المتكبرين لتعميم الاستعاذة والتقبيح على فرعون أنه متكبر متجبر (قوله وقال رجل مؤمن) لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى قيض له من يخاصم عنه هذا اللعين (٧) قال ابن عباس : لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذى قال لموسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك الخ، وفى الحديث «الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذى قال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم » وكان اسم الرجل حزقيل وقيل شمعان بفتح المعجمة بوزن سلمان (قوله قيل هو ابن عمه) وقيل كان من بنى إسرائيل يكتم إيمانه من آل فرعون (قوله أى لأن يقول الخ) أى لأجل هذا القول من غير تأمل وتفكر (قوله وقد جاءكم بالبينات) الجملة حالية من فاعل يقول (قوله بعض الذى يعدكم) أى إن لم يصبكم كله فلا أقل من أن يصيبكم بعضه إن تعرضتم له بسوء (قوله إن الله لايهدى من هو مسرف كذاب) هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون فالأول معناه أن الله هدى موسى إلى الاتيان بالمعجزات ومن كان كذلك فلا يكون مسرفا كذابا فموسى ليس بمسرف ولا كذاب والثانى معناه أن فرعون مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى ادعائه الألوهية وحينئذ فالله لايهدى من هذا وصفه (قوله ياقوم لكم الملك الخ) أى فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتل هذا الرجل (قوله حال) أى من الضمير فى لكم (قوله قال فرعون) أى بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها (قوله أى ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسى) أى فلا أظهر لكم أمرا وأكتم عنكم غيره (قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى (قوله أى يوم حزب بعد حزب) أشار بذلك إلى أن قوله يوم الأحزاب مفرد فى معنى الجمع أى أيامها (قوله أى مثل جزاء الخ) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

استبقوا (نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ) هلاك (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى) لأنهم كانوا يكفونه عن قتله (وَلْيَدْعُ رَبَّهُ) ليمنعه منى (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ) من عبادتكم إياى فتتبعونه (وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) من قتل وغيره ، وفى قراءة أو ، وفى أخرى بفتح الياء والهاء وضم الدال (وَقَالَ مُوسَى) لقومه وقد سمع ذلك (إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ. وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) قيل هو ابن عمه (يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ) أى لأن (يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ) أى ضرر كذبه (وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ) به من العذاب عاجلا (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (كَذَّابٌ) مفتر (يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ) غالبين حال (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ) عذابه إن قتلتم أولياءه (إِنْ جَاءَنَا) أى لاناصر لنا (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) أى ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسى وهو قتل موسى (وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) طريق الصواب (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ) أى يوم حزب بعد حزب (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ) مثل بدل من مثل قبله : أى مثل جزاء ،

(قوله عادة) تفسير الدأب . والمعنى جزاء الأمر الذى اعتادوه واستمروا عليه وهو كفرهم (قوله وما الله يريد ظلما للعباد) أى فلا يعاقبهم بغير ذنب (قوله وياقوم إنى أخاف عليكم الخ) لما خوفهم بالعذاب الدنيوى شرع يخوفهم بالعذاب الأخروى (قوله بحذف الياء) أى فى الوصل والوقف وقوله وإثباتها أى فى الوصل والوقف فالقراءات أربع سبعيات وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فمحذوفة لاغير (قوله وغير ذلك) من جملته أن ينادى ألا إن فلانا سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا ، وفلانا شقى شقاوة لايسعد بعدها أبدا ، وأن ينادى حين يذبح الموت : يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت ، وأن ينادى المؤمن : هاؤم اقرءوا كتابيه ، وينادى الكافر : ياليتنى لم أوت كتابيه ، وأن ينادى بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور ، فهذه الأمور كلها تقع فى هذا اليوم (قوله مدبرين عن موقف الحساب إلى النار) أى لأنهم إذا سمعوا زفير النار أدبروا هاربين فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعوا إلى مكانهم (قوله مالكم من الله) الجملة حالية وقوله من عاصم مبتدأ ومن زائدة ومن الله متعلق بعاصم (قوله فماله من هادى) باثبات الياء وحذفها فى الوقف وبحذفها فى الوصل مع حذفها فى الخط على كل حال (قوله ولقد جاءكم يوسف الخ) المتبادر أنه من كلام الرجل المؤمن وقيل من كلام موسى (قوله عمر إلى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين لأن بين يوسف وموسى أربعمائة سنة فالصواب أن يقول عمر إلى زمن فرعون فان فرعون أدركه وعمر إلى أن أدرك موسى وعمر بوزن فرح ونصر وضرب وهو لازم ويتعدى بالتضعيف (قوله أو يوسف ابن إبراهيم) أى فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب أرسله الله إلى القبط فأقام فيهم عشرين سنة نبيا (قوله فما زلتم فى شك) أى فما زالت أصولكم (وقال

(٨)

عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم فى الدنيا (وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ . وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ) بحذف الياء وإثباتها : أى يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس والنداء بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها وغير ذلك (يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) عن موقف الحساب إلى النار (مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ) أى من عذابه (مِنْ عَاصِمٍ) مانع (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ) أى من قبل موسى وهو يوسف بن يعقوب فى قول عمر إلى زمن موسى ، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف ابن يعقوب فى قول (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ) من غير برهان (لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا) أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره (كَذَلِكَ) أى مثل إضلالكم (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ) مشرك (مُرْتَابٌ) شاك فيما شهدت به البينات (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) معجزاته مبتدأ (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) برهان (أَتَاهُمْ كَبُرَ) جدالهم خبر المبتدا (مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ) أى مثل إضلالهم (يَطْبَعُ) يختم (اللَّهُ) بالضلال (عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) بتنوين قلب ودونه ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه وبالعكس وكل على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب

(قوله أى فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره) أتى بهذا دفعا لما يتبادر من ظاهر الآية أنهم كانوا مؤمنين بيوسف وندموا على فراقه بل كانوا كفارا به وانقيادهم له خوفا من سطوته بهم وطمعا فى جاهه الدنيوى (قوله الذين يجادلون الخ) من كلام الرجل المؤمن وقيل ابتداء كلام من الله تعالى (قوله أتاهم) صفة لسلطان (قوله خبر المبتدا) هذا أحسن الأعاريب فى هذا المقام وقوله مقتا تمييز محوّل عن الفاعل أى كبر مقت جدالهم وعند ظرف لكبر ومقت الله إياهم سخطه وإنزال العذاب بهم (قوله مثل إضلالهم) المناسب أن يقول مثل ذلك الطبع (قوله بتنوين قلب ودونه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومتى تكبر القلب الخ) أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين لأنه يلزم من اتصاف القلب بالكبر اتصاف الشخص به لأن القلب سلطان الأعضاء فمتى فسد فسدت (قوله لعموم الضلال جميع القلب) أى جميع أجزائه فلم يبق فيه محل يقبل الهدى وهذا على خلاف القاعدة فى كل فان قاعدتها أنها إذا دخلت على نكرة مفردة أو مجموعة أو معرفة مجموعة تكون لعموم الأفراد ، وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء ، وهنا قد دخلت على النكرة المفردة فكان حقها أن تكون لعموم الأفراد ،

و إنما أريد هذا المعنى و إن كان مخالفا للقاعدة للمبالغة فى وصول الضلال لقلوبهم وتمكنه منها (قوله وقال فرعون) أى معرضا عن كلام المؤمن (قوله بناء عاليا) أى مفردا طويلا ضخما وتقدمت قصته فى سورة القصص (قوله طرقها) أى أبوابها الموصلة إليها وحكمة التكرار فى أسباب التفخيم والتعظيم أن الشىء إذا أبهم ثم وضح كان أدخل فى تعظيم شأنه (قوله عطفا على أبلغ) أى فيكون داخلا فى حيز الترجى (قوله و بالنصب جوابا لابن) أى فهو منصوب بأن مضمرة بعد الفاء كقوله :

يا ناق سيرى عنقا فسيحا ... إلى سليمان فنستريحا

وقيل إنه منصوب فى جواب الترجى والقراءتان سبعيتان (قوله إلى إله موسى) أى أنظر إليه وأطلع على حاله (قوله تمويها) أى تلبيسا وتخليطا على قومه و إلا فهو يعرف و يعتقد أن موسى صادق فى جميع ماقاله (قوله وكذلك) أى مثل ذلك التزيين (قوله بفتح الصاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقال الذى آمن) هو الرجل المؤمن وقيل المراد به موسى عليه السلام (قوله اتبعون) أى امتثلوا ما آمركم به (قوله باثبات الياء وحذفها) أى وهما سبعيتان وهذا فى اللفظ وأما فى الخط فهى محذوفة لا غير لأنها من ياآت الزوائد (قوله تمتع يزول) أى تمتع قليل يسير لا بقاء له (قوله دار القرار) أى الثبات ولا تحوّل عنها (قوله من عمل سيئة) أى ولم يتب منها (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية (قوله بضم الياء الخ) أى وهما سبعيتان (قوله يرزقون فيها بغير حساب) أى وما ورد من أن الحسنة بعشر أمثالها فهذا فى ابتداء الأمر عند المحاسبة على الأعمال فاذا تم الحساب تفضل الله على عباده بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله بلا تبعة) أى فرزق أهل الجنة لايتوقف على دفع ثمن بل يتنعمون نعيما خاليا من العلل صافيا من الكدر جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه (قوله وياقوم مالى أدعوكم الخ) أتى بالواو فى النداء الأول والثالث لأنه كلام مستقل مستأنف وتركها من الثانى لأنه من تعلقات الكلام الأول والعطف يقتضى المغايرة وقوله مالى أى أى شىء ثبت لى فما مبتدأ والجار والمجرور خبر عنه وقوله أدعوكم حال والاستفهام للتعجب ومحط العجب هو قوله وتدعوننى إلى النار كأنه قال اعجب من هذه الحال أدعوكم إلى النجاة والخير وتدعوننى إلى النار والشر (قوله تدعوننى لأكفر الخ) هذا بدل من قوله تدعوننى الأول بدل مفصل من مجمل (قوله ما ليس لى به) أى بوجوده والمراد نفى المعلوم من أصله (قوله وأنا أدعوكم) راجع لقوله أدعوكم إلى النجاة (قوله إلى العزيز الغفار) أى إلى عبادته وامتثال أوامره واجتناب نواهيه (قوله لاجرم) لا نافية وجرم فعل ماض بمعنى حق وقوله أنما تدعوننى فاعله والمعنى حق ووجب عدم استجابة دعوة آلهتكم (قوله حقا) مفعول لمحذوف دل عليه لاجرم والمعنى حق ماتدعوننى إليه حقا وهى كلمة فى الأصل بمنزلة لابد ثم تحولت إلى معنى القسم (قوله أنما تدعوننى) ما اسم موصول حقها أن تفصل من النون و إنما وصلت بها تبعا للمصحف (قوله أى استجابة دعوة) أى لاشفاعة لها دنيا ولا أخرى، وقيل المعنى

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا) بناء عاليا (لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ) طرقها الموصلة إليها (فَأَطَّلِعُ) بالرفع عطفا على أبلغ و بالنصب جوابا لابن (إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ) أى موسى (كَاذِبًا) فى أن له إلها غيرى قال فرعون ذلك تمويها (وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الهدى بفتح الصاد وضمها (وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ) خسار (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ) بإثبات الياء وحذفها (أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) تقدم (يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ) تمتع يزول (وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ. مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) بضم الياء وفتح الخاء و بالعكس (يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ) رزقا واسعا بلا تبعة (وَيَاقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ) الغالب على أمره (الْغَفَّارِ) لمن تاب (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) لأعبده (لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ) أى استجابة دعوة (فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا) مرجعنا (إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ) الكافرين (هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ. فَسَتَذْكُرُونَ) إذا عاينتم العذاب ،

ليست له دعوة إلى عبادته لأن الأصنام لاتدعي الربوبية ولا تدعو إلى عبادة نفسها وفى الآخرة تتبرأ من عبادها (قوله ما أقول لكم) أى من النصيحة(قوله لما توعدوه)أى ففر هاربا إلى جبل فأرسل فرعون خلفه ألفا ليقتلوه فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فأكلت السباع بعضهم ورجع بعضهم هاربا فقتله فرعون (قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا) أى شدائد مكرهم وقد نجى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الغرق أيضا (قوله وقومه معه) أى ولم يصرح به لأنه أولى منهم بذلك (قوله ثم النار) أتى بثم إشارة إلى أنه كلام مستأنف والنار مبتدأ وجملة يعرضون عليها خبره . والمعنى تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار لما روى « إن أرواح الكفار فى جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها» (قوله ويوم تقوم الساعة) إما معمول لادخلوا أو لمحذوف تقديره يقال لهم يوم تقوم الساعة ادخلوا وعليه درج المفسر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا فعلى القراءة الأولى يكون المنادى على حذف ياء النداء وعلى الثانية يكون مفعولا لأدخلوا (قوله عذاب جهنم) تفسير للأشد فإنه أشد مما كانوا فيه لأن ذاك عرض وهذا دخول واستيطان (قوله فيقول الضعفاء) تفصيل للتخاصم (قوله جمع تابع) كخدم وخادم (قوله دافعون) أشار بذلك إلى أن مغنون مضمن معنى دافعون فنصب نصيبا ، ويصح أن يضمن معنى حاملون ومن النار صفة لنصيبا (قوله إنا كل فيها) أى فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا فكيف ندفع عنكم (قوله إن الله قد حكم بين العباد) أى فلا يغنى أحد عن أحد شيئا (قوله وقال الذين فى النار) أى من الضعفاء والمستكبرين جميعا حين حصل لهم اليأس من تحمل بعضهم عن بعض (قوله لخزنة جهنم) أتى بالظاهر فى محل الضمير تقبيحا عليهم بالبياء أو لبيان محلهم فيها (قوله يوما من العذاب) أى يخفف عنا شيئا من العذاب فى يوم وقوله أى قدر يوم أشار بذلك إلى أنه ليس فى الآخرة ليل ولا نهار (قوله قالوا أولم تك تأتيكم الخ) المقصود من ذلك إلزامهم الحجة والتوبيخ على تفريطهم (قوله قالوا بلى) أتونا فكذبناهم وتقدم أنهم قبل الدخول ينكرون وبعده يقرون (قوله فإنا لاتشفع لكافر) أى لتحتم خلوده فى النار فالشفاعة لاتفيد شيئا (قوله انعدام) أى من الإجابة (قوله إنا لننصر رسلنا) أى بالحجة والظفر على الأعداء وإن وقع لهم بعض امتحان فالعبرة بالعواقب وغالب الأمر (قوله ويوم يقوم الأشهاد) معطوف على قوله فى الحياة الدنيا والمعنى ننصرهم فى الدنيا والآخرة (قوله جمع شاهد) أى ويصح أن يكون جمع شهيد قال تعالى - فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد - (قوله وهم الملائكة) أى والأنبياء والمؤمنون أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا وأما الأنبياء فإنهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أممهم وأما المؤمنون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتشهد على باقى الأمم يوم القيامة (قوله يوم لاينفع) بدل من يوم الأول .

(مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) قال ذلك لما توعدوه بمخالفته دينهم (فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) به من القتل (وَحَاقَ) نزل (بِآلِ فِرْعَوْنَ) قومه معه (سُوءُ الْعَذَابِ) الغرق ، ثم (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) يحرقون بها (غُدُوًّا وَعَشِيًّا) صباحا ومساء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يقال (أَدْخِلُوا) يا (آلَ فِرْعَوْنَ) وفى قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء أمر للملائكة (أَشَدَّ الْعَذَابِ) عذاب جهنم (وَ) اذكر (إِذْ يَتَحَاجُّونَ) يتخاصم الكفار (فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) جمع تابع (فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ) دافعون (عَنَّا نَصِيبًا) جزءا (مِنَ النَّارِ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ) فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار (وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا) أى قدر يوم (مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا) أى الخزنة تهكما (أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات الظاهرات (قَالُوا بَلَى) أى فكفروا بهم (قَالُوا فَادْعُوا) أنتم فإنا لانشفع لكافر قال تعالى (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) انعدام (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) جمع شاهد وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ) ،

(قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله لو اعتذروا) جواب عما يقال مقتضى الآية أنهم يذكرون أعذارهم إلا أنها لا تنفعهم وحينئذ يكون بينها و بين الآية الأخرى وهى ولا يؤذن لهم فيعتذرون تنافٍ فأجاب بأن معنى لو اعتذروا فرضا لا تنفعهم معذرتهم فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير (قوله ولقد آتينا موسى الهدى) هذا مرتب على قوله إنا لننصر رسلنا و الذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد فهذا من النصر الدنيوى الموصل للنصر الأخروى (قوله من بعد موسى) أى إلى نزول عيسى فآتاه الله الانجيل ناسخة لبعض أحكام التوراة (قوله الكتاب) لم يعبر عنه فى جانب بنى إسرائيل بالهدى كما عبر فى جانب موسى إشارة إلى أنه لم يكن هدى لجميعهم بل هدى لمن آمن وصدّق ووبال لمن طغى وكفر (قوله هاديا) أشار بذلك إلى أن هدى حال من الكتاب وكذا قوله وذكرى (قوله فاصبر إنّ وعد الله حق) هذا نتيجة ماقبله أى إذا علمت أن الله ناصر رسله فى الدنيا والآخرة فاصبر حتى يأتيك النصر من ربك (قوله واستغفر لذنبك) أى اطلب المغفرة من ربك لذنبك والمقصود من هذا الأمر تعليم الأمة ذلك و إلا فرسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب جميعا صغائر أو كبائر قبل النبوة و بعدها على التحقيق كجميع الأنبياء و إلى هذا أشار المفسر بقوله ليستن بك (١١) أى يقتدى بك وأجيب أيضا

بالياء والتاء (الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ) عذرهم لو اعتذروا (وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ) أى البعد من الرحمة (وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) الآخرة: أى شدة عذابها (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى) التوراة والمعجزات (وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) من بعد موسى (الْكِتَابَ) التوراة (هُدًى) هاديا (وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) تذكرة لأصحاب العقول (فَاصْبِرْ) يا محمد (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصر أوليائه (حَقٌّ) وأنت ومن اتبعك منهم (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) ليستنّ بك (وَسَبِّحْ) صل متلبسا (بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ) وهو من بعد الزوال (وَالْإِبْكَارِ) الصلوات الخمس (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (بِغَيْرِ سُلْطَانٍ) برهان (أَتَاهُمْ إِنْ) ما (فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ) تكبر وطمع أن يعلوا عليك (مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ) من شرهم (بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْبَصِيرُ) بأحوالهم، ونزل فى منكرى البعث (لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) ابتداء (أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ) مرة ثانية وهى الإعادة (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك فهم كالأعمى ومن يعلمه كالبصير (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَ) لا (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهو المحسن (وَلَا الْمُسِيءُ)،

أن الكلام على حذف مضاف والتقدير واستغفر لذنب أمتك وإنما أضيف الذنب له لأنه شفيع لهم وأمرهم متعلق به فإذا لم يسع فى غفرانه فى الدنيا أتعبه فى الآخرة قال تعالى ـ عزيز عليه ماعنتم ـ وكل هذا تشريف لهذه الأمة المحمدية فقد تشرفت بأمور: منها أن نبيها مأمور بالاستغفار لها، ومنها صلاة الله وملائكته عليها وغير ذلك. وأجيب أيضا بأن المراد بالذنب خلاف الأولى وسمى ذنبا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله صل) إنما فسر التسبيح بالصلاة لقرينة قوله بعد بالعشى والابكار (قوله وهو من بعد الزوال) أى وفيه أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله والابكار أى وهو من الفجر إلى الزوال وفيه صلاة واحدة وهى الصبح فلذلك قال الصلوات الخمس (قوله إن الذين يجادلون فى آيات الله بغير الخ) بيان لتفصيل أن جدالهم ناشىء من الحقد الذى فى صدورهم وفيما تقدّم بين عاقبة جدالهم وما أعدّ لهم فى نظيره (قوله بغير سلطان أتاهم) وصف كاشف إذ تستحيل المجادلة فى آيات الله بسلطان (قوله إن فى صدورهم) خبر إنّ (قوله ماهم ببالغيه) هذا وعد حسن من الله تعالى بأن المتكبر لا يبلغ ما أمله بكبره وإنما يجعل كيده فى نحره (قوله فاستعذ بالله) أى تحصن بالله من كيدهم والتجىء إليه فى دفع مكرهم (قوله إنه هو السميع البصير) تعليل لما قبله (قوله لخلق السموات الخ) أى سبعا طباقا على هذا الوجه المشاهد (قوله ابتداء) أى من غير سبق مثال (قوله أكبر) أى أعظم بحسب العادة وإلا فالكل بالنسبة إليه تعالى لا تفاوت فيه بين الصغير والكبير بدءا وإعادة (قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى والأقل يعلمه وهو من آمن (قوله فهم كالأعمى الخ) هذا نتيجة ماقبله وهو دخول على قوله وما يستوى الأعمى الخ (قوله ولا الذين آمنوا الخ) راجع للبصير وقوله ولا المسىء راجع لقوله الأعمى على سبيل اللف والنشر المشوش وهو من أنواع البلاغة.

(قوله فيه زيادة لا) أى للتوكيد لطول الكلام بالصلة (قوله قليلا ما يتذكرون) قليلا صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق أى يتذكرون تذكرا قليلا وما زائدة لتوكيد القلة (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى تذكرهم قليلا) هكذا بالنصب على الحال والخبر محذوف والتقدير يحصل حال كونه قليلا (قوله لا ريب فيها) أى لوضوح الأدلة على حصولها (قوله ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بها) أى جحدا وعنادا والأقل يؤمنون لقيام الدليل العقلى والشرعىّ على أنه تعالى قادر على كلّ شىء وأخبر على ألسنة رسله أنه كما بدأنا يعيدنا فلو جوز تخلفه للزم إما كذب خبره تعالى أو عجزه وكلاهما محال تنزه الله عنه (قوله وقال ربكم ادعونى أستجب لكم) الدعاء فى الأصل السؤال والتضرع إلى الله تعالى فى الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة، ومنه ماورد «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى فى شسع نعله إذا انقطع» وقوله أستجب لكم أى أجبكم فيما طلبتم لما ورد «إذا قال العبد يا ربّ قال الله لبيك يا عبدى» . إن قلت إن قوله أستجب لكم وعد بالإجابة ووعده لا يتخلف مع أنه مشاهد أن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له . أجيب بأن الدعاء له شروط فاذا تخلف بعضها تخلفت الاجابة: منها إقبال العبد بكليته على الله وقت الدعاء بحيث لا يحصل فى قلبه غير ربه وأن لا يكون لمفاسد وأن لا يكون فيه قطيعة رحم وأن لا يستعجل الاجابة وأن يكون موقنا بها فاذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقا بالاجابة فاما أن يعجلها له وإما أن يؤخرها له فالاجابة على مراده تعالى وحينئذ فالذى ينبغى للانسان أن يدعو الله تعالى ويفوض له الأمر فى الاجابة ولذا ورد «مامن رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له فاما أن يعجل له فى الدنيا وإما أن يؤخر له فى الآخرة وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر مادعا مالم يدع باثم أو قطيعة رحم أو يستعجل قالوا يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال يقول دعوت فما استجاب لى» والدعاء من خصائص هذه الأمة لما حكى عن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعطهن أمة قبلهم إلا نبى كان إذا أرسل نبىّ قيل له أنت شاهد على أمتك، وقال تعالى لهذه الأمة ـ لتكونوا شهداء على الناس ـ وكان يقال للنبىّ ليس عليك فى الدين من حرج، وقال تعالى لهذه الأمة ـ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ـ وكان يقال للنبى ادعنى أستجب لك، وقال لهذه الأمة ـ ادعونى أستجب لكم ـ وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازا من إطلاق الخاص وإرادة العام وهما تفسيران للدعاء هنا مشى المفسر على الثانى وعبر عنها بالدعاء إشارة إلى أن المقصود من العبادة الذل والخضوع والفقر والمسكنة والدعاء مشعر بذلك (قوله بقرينة ما بعده) أى وهو قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتى الخ فتحصل أن فى الآية تفسيرين أحدهما حقيقة والثانى مجاز اختار المفسر الثانى لوجود القرينة ويصح إرادة الحقيقة لأنها الأصل (قوله بفتح الياء وضم الخاء) أى والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء فمن أنف واستكبر فى الدنيا ألبس ثوب الذلّ فى الآخرة، ومن تواضع وتذلل فى الدنيا ألبس ثوب العز والفخر فى الآخرة، فباب الذل والانكسار من أعظم الأبواب الموصلة إلى الله تعالى لما حكى عن سيدى أحمد الرفاعى أنه قال: طرقت الأبواب الموصلة إلى الله تعالى فوجدتها مزدحمة إلا باب الذلّ والانكسار. وورد أن داود سأل ربه فقال: يا ربنا كيف الوصول إليك؟ قال يا داود خلّ نفسك وتعال (قوله الله الذى جعل لكم الليل الخ) هذا من جملة الأدلة على باهر قدرته كأنه قال لا يليق منكم أن تتركوا عبادة من هذه أفعاله (قوله مجازى) أى عقلى من إسناد الشىء إلى زمانه (قوله لذو فضل) أى جود وإحسان (قوله ولكن أكثر الناس) أى وهم الكفار وكان حقا على الناس جميعهم أن يشكروا الله تعالى ويوحدوه.

(ذلكم

فيه زيادة لا (قَلِيلاً مَا يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون بالياء والتاء أى تذكرهم قليلا جداً (إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ) شك (فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) بها (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) أى اعبدونى أثبكم بقرينة ما بعده (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ) بفتح الياء وضم الخاء وبالعكس (جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) صاغرين (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً) إسناد الإبصار إليه مجازى لأنه يبصر فيه (إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) الله فلا يؤمنون .

(قوله ذلكم) الاشارة مبتدأ والله وربكم وخالق كل شىء ولا إله إلا هو أخبار أربعة له (قوله فأنى تؤفكون) من الأفك بفتح الهمزة وهو الصرف وأما الإفك بالكسر فهو الكذب (قوله كذلك يؤفك الخ) هذه تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لاتحزن يامحمد فلا خصوصية لأمتك بل من قبلهم كذلك (قوله أفك الذين) بضم الهمزة فعل ماض مبنى للمجهول ، وأشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى وأتى به مضارعا استحضارا للصورة الغريبة (قوله الله الذى جعل لكم الأرض قرارا) هذا من جملة أدلة توحيده (قوله قرارا) أى محل قرار أى سكون مع كونها فى غاية الثقل لاممسك لها إلا قدرة الله تعالى (قوله فأحسن صوركم) أى صوركم أحسن تصوير حيث جعلكم منتصبى القامة بادى البشرة متناسى الأعضاء تمشون على رجلين وجعل محل الواجهة من أعلى ومحل الأقذار من أسفل فسبحان الحكيم العليم (قوله ورزقكم من الطيبات) أى المستلذات ملبسا ومطعما ومركبا (قوله ذلكم) أى الفاعل لذلك كله واسم الاشارة مبتدأ والله وربكم خبران له (قوله هو الحى) أى الحياة الذاتية التى لا فناء لها ولا انقضاء (قوله اعبدوه) تقدم أنه أحد تفسيرين ويصح إرادة الآخر وهو السؤال والتضرع ، والمعنى إذا علمتم أن الله مالك الملك المتصرف فيه دون غيره فاسألوه فى جميع ماتحتاجون لأن خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره (قوله مخلصين) حال وقوله الدين مفعول لمخلصين والمعنى غير مشركين غيره لا ظاهرا ولا باطنا (قوله الحمد لله رب العالمين) يحتمل أنه من كلام العباد فهو مقول لقول محذوف حال والمعنى قائلين ذلك لما ورد عن ابن عباس «من قال لا إله إلا الله ، فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين» فهو إشارة إلى أن العبد لايؤجر على الحمد ولا يعتد به شكورا إلا إذا كان موحدا ، وأما الكافر فعمله يذهب هباء منثورا ، ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى تعليما لعباده كيفية الحمد (قوله قل إنى نهيت الخ) أمر الله تعالى نبيه

(ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان (كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ) أى مثل أفك هؤلاء أفك (الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) معجزاته (يَجْحَدُونَ . اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) سقفا (وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ) أعبدوه (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ) دلائل التوحيد (مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) منى (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) دم غليظ (ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا) بمعنى أطفالا (ثُمَّ) يبقيكم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) تكامل قوتكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين (ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا) بضم الشين وكسرها (وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ) أى قبل الأشد والشيخوخة ،

أن يخاطب قومه بذلك زجرا لهم حيث استمروا على عبادة غير الله بعد ظهور الادلة العقلية والنقلية (قوله لما جاءنى) أى حين جاءنى (قوله دلائل التوحيد) الأدلة العقلية والنقلية (قوله وأمرت أن أسلم الخ) إمامن الاسلام بمعنى الانقياد أو بمعنى الخلوص وعلى كل فالمفعول محذوف تقديره على الأول أسلم أمرى له وعلى الثانى أخلص قلبى من عبادة غيره تعالى (قوله هو الذى خلقكم من تراب الخ) لما ذكر فيما تقدم من جملة أدلة توحيده أربعة أشياء من دلائل الآفاق وهى الليل والنهار والأرض والسماء وثلاثة من دلائل الأنفس وهى التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات ذكرهنا كيفية خلق الأنفس ابتداء وانتهاء (قوله بخلق أبيكم آدم الخ) أى فالكلام على حذف مضاف ويصح إبقاء الكلام على ظاهره باعتبار أن أصل النطفة الغذاء وهو ناشئ من التراب (قوله ثم من علقة) أى بعد مضى أربعين يوما (قوله ثم يخرجكم طفلا) أجمل هنا فى المراتب وفصلها فى سورة المؤمنون فى قوله ـ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ـ الخ أى فهنا حذف مرتبتين المضغة والعظم العارى عن اللحم (قوله بمعنى أطفالا) إنما أوله بالجمع لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها فان طفلا حال من الكاف فى يخرجكم فالحال مفردة لفظا جمع معنى لأن لفظ الطفل يقع على المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ، ومن ذلك قوله تعالى ـ أو الطفل الذين لم يظهروا ـ (قوله ثم يبقيكم لتبلغوا) أشار بذلك إلى أن قوله لتبلغوا متعلق بمحذوف وهو معطوف على قوله يخرجكم (قوله ثم لتكونوا) معطوف على لتبلغوا (قوله بضم الشين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدره إشارة إلى أن قوله ولتبلغوا معطوف على محذوف وهما علتان والمعلوم ماتقدم من الأفعال الصادرة منه تعالى (قوله وقتا محدودا) أى وهو وقت الموت (قوله ولعلكم تعقلون) معطوف على قوله لتبلغوا ويصح أن يكون معطوفا على محذوف تقديره فعل ذلك لتتدبروا ولعلكم تعقلون (قوله هو الذى يحيي ويميت) هذا نتيجة ماقبله وقوله فإذا قضى أمرا مرتب على ماتقدم والمعنى من ثبت أن هذه أفعاله علم أنه لايعسر عليه شىء ولا يتوقف إلا على تعلق إرادته به (قوله بضم النون) أى على أنه خبر لمبتدإ محذوف أى فهو يكون (قوله وفتحها) أى فهو منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية الواقعة فى جواب الأمر والقراءتان سبعيتان (قوله عقب الارادة التى هى معنى القول المذكور) والأوضح أن يقول وهذا القول المذكور كناية عن سرعة الايجاد فالمعنى إن أراد إيجاد شىء وجد سريعا من غير توقف على شىء وإلا فكلام المفسر يقتضى أن معنى الآية فاذا أراد إيجاد شىء فانما يريد إيجاده فيوجد وهذا لامعنى له (قوله ألم تر إلى الذين يجادلون الخ) هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة (١٤) وبيان لعاقبة أمرهم (قوله الذين كذبوا) إما بدل من الموصول قبله فهو فى محل جر أو فى محل نصب أو رفع على الذم (قوله من التوحيد) أى وسائر الكتب والشرائع (قوله إذ بمعنى إذا) جواب عما يقال إن سوف للاستقبال وإذ للماضى وحينئذ فلا يصح تعلق الماضى بالمستقبل فأجاب بأنها مستعملة فى الاستقبال مجازا والمسوغ الاشارة إلى أن هذا الأمر محقق وواقع (قوله عطف على الأغلال) أى وقوله فى أعناقهم خبر عنهما (قوله أو مبتدأ الخ) أى وجملة يسحبون حال من الضمير المستكن فى الظرف أو مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل فما حالهم فقيل يسحبون فى الحميم (قوله أو خبره يسحبون) أى وعليه فالرابط محذوف قدره بقوله بها فتحصل أن المعنى أن الأغلال والسلاسل تكون فى أعناقهم ويسحبون فى جهنم على وجوههم وهذا على الاعرابين الأولين وعلى الثالث فالمعنى أن الأغلال فى أعناقهم والسلاسل فى أرجلهم ويسحبون فى جهنم وكل صحيح (قوله أى جهنم) وقيل الحميم الماء الحار (قوله يسجرون) أى يعذبون بأنواع العذاب (قوله ثم قيل لهم) التعبير بالماضى لتحقق الوقوع (قوله أين ما كنتم) ترسم أين مفصولة من ما (قوله وهى الأصنام) تفسير لما (قوله بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) هذا فى أول الأمر يتبرءون من عبادة الأصنام لرجاء أنه ينفعهم فهو إضراب عن قوله ضلوا عنا وهذا قبل أن تقرن بهم آلهتهم (قوله ثم أحضرت) جواب عما يقال إن حمل الآية على هذا الوجه يخالف قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فأجاب بأنهم أولا تضل عنهم آلهتهم ويتبرءون ثم تحضر وتقرن بهم (قوله ويقال لهم أيضا) أى توبيخا (قوله تتوسعون فى المعاصى) أى تظهرون السرور فى الدنيا بالمعصية وكثرة المال وضياعه فى المحرمات فالمرح شدة الفرح وهو وإن كان ذما فى الكفار يجر بذيله على كل من توسع فى معاصى الله فله من هذا الوعيد نصيب.

فعل ذلك بكم لتعيشوا (وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى) وقتا محدودا (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) دلائل التوحيد فتؤمنون (هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا) أراد إيجاد شىء (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بضم النون وفتحها بتقدير أن: أى يوجد عقب الإرادة التى هى معنى القول المذكور (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أَنَّى) كيف (يُصْرَفُونَ) عن الإيمان (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ) القرآن (وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا) من التوحيد والبعث وهم كفار مكة (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عقوبة تكذيبهم (إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ) إذ بمعنى إذا (وَالسَّلَاسِلُ) عطف على الأغلال فتكون فى الأعناق أو مبتدأ خبره محذوف أى فى أرجلهم أو خبره (يُسْحَبُونَ) أى يجرون بها (فِي الْحَمِيمِ) أى جهنم (ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ) يوقدون (ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ) تبكيتا (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) معه وهى الأصنام (قَالُوا ضَلُّوا) غابوا (عَنَّا) فلا نراهم (بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا) أنكروا عبادتهم إياها ثم أحضرت قال تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم: أى وقودها (كَذَلِكَ) أى مثل إضلال هؤلاء المكذبين (يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ) ويقال لهم أيضا (ذَلِكُمْ) العذاب (بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) من الإشراك وإنكار البعث (وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ) تتوسعون فى المعاصى، (ادخلوا

(قوله ادخلوا أبواب جهنم) عطف على قوله ذلكم الخ داخل فى حيز القول المقدر (قوله فبئس مثوى المتكبرين) لم يقل فبئس مدخل المتكبرين لأن الدخول لايدوم و إنما يدوم الثوى ولذا خصه بالذم (قوله فاصبر إن وعد الله حق) هذا تسلية من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ووعد حسن بالنصر له على أعدائه (قوله بعذابهم) أى وسمى وعدا بالنظر لكونه نصرا للنبى فهو فى الحقيقة وعد ووعيد (قوله فيه) خبر مقدم و إن الشرطية مبتدأ مؤخر وقوله مدغمة حال من إن ولم يذكر المدغم فيه وهو ما الزائدة وقوله تؤكد معنى الشرط أى التعليق وقوله أول الفعل حال من ما الزائدة والمعنى حال كونها واقعة فى أول فعل الشرط وقوله والنون تؤكد أى تؤكد الفعل فحذف المؤكد بالفتح وقوله آخره حال من النون أى حال كونها واقعة فى آخر الفعل فتحصل أن هنا مؤكدين بالكسر وهما ما والنون ومؤكدين بالفتح وهما التعليق وفعل الشرط (قوله بعض الذى نعدهم) مفعول نرينك الثانى والكاف مفعول أول (قوله وجواب الشرط) أى الأول (قوله أو نتوفينك) عطف على قوله نرينك (قوله فالجواب المذكور للمعطوف فقط) أى ولا يصح أن يكون جوابا عن الأول لأن من المعلوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم فى الآخرة مسببا عن رؤية النبى صلى الله عليه وسلم تعذيبهم فى الدنيا وفى الحقيقة قوله فالينا يرجعون دليل الجواب والجواب محذوف أيضا والتقدير فلا يفوتهم (١٥) (قوله ولقد أرسلنا رسلا من

(ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ . فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بعذابهم (حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ) فيه إن الشرطية مدغمة وما زائدة تؤكد معنى الشرط أول الفعل والنون تؤكد آخره (بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ) به من العذاب فى حياتك وجواب الشرط محذوف : أى فذاك (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) قبل تعذيبهم (فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ) فنعذبهم أشد العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) روى أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبى أربعة آلاف من بنى إسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ) منهم (أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) لأنهم عبيد مربوبون (فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) بنزول العذاب على الكفار (قُضِيَ) بين الرسل ومكذبيها (بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ) أى ظهر القضاء والخسران للناس وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ) قيل الإبل خاصة هنا والظاهر والبقر والغنم ،

قبلك الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله تعالى يقول له إنا قد أرسلنا قبلك رسلا وآتيناهم معجزات وجادلهم قومهم وصبروا على أذاهم فتأس بهم وقوله رسلا المراد بهم مايشمل الأنبياء (قوله منهم من قصصنا عليك) أى ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم فى القرآن وهم خمسة وعشرون (قوله ومنهم من لم نقصص عليك) أى لم نذكر لك قصصهم فى القرآن تخفيفا ورحمة بأمتك لئلا يعجزوا عن حفظه و بهذا التقدير اندفع ماقد يتوهم أن النبى صلى الله عليه وسلم مساو لأمته فى عدم علم ماعدا الخمسة والعشرين فتحصل أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى علم جميع الأنبياء تفصيلا كيف لا وهم مخلوقون منه وصلوا خلفه ليلة الاسراء فى بيت المقدس ولكنه من العلم المكتوم و إنما ترك بيان قصصهم للأمة رحمة بهم فلم يكلفهم إلا بما يطيقون (قوله روى) فى عبارة غيره قيل والصحيح ماروى عن أبى ذر قال «قلت يارسول الله كم عدة الأنبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا» (قوله وما كان لرسول) أى ماصح وما استقام (قوله إلا باذن الله) أى بارادته (قوله مربوبون) أى مملوكون والمملوك لايستطيع أن يأتى بأمر إلا باذن سيده وهذا رد على قريش حيث قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اجعل لنا الصفا ذهبا وغير ذلك مما تقدم تفصيله فى سورة الاسراء (قوله فاذا جاء أمر الله) أى حكمه وقضاؤه والمعنى ظهر و برز حكمه بنزول العذاب بهم (قوله وخسر هنالك المبطلون) الحكمة فى ختم هذه الآية بالمبطلون وختم السورة بالكافرون أنه ذكر هنا الحق فكان مقابلته بالباطل أنسب وهناك ذكر الايمان فكان مقابلته بالكفر أنسب (قوله أى ظهر القضاء الخ) دفع بذلك مايقال إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة فأجاب بأن المراد ظهر الأمر الذى كان خفيا (قوله قيل الابل خاصة) أى لأنها هى التى يوجد فيها جميع المنافع الآتية .

(قوله لتركبوا منها الخ) هـذه الآية نظير قوله تعالى فى النحل والأنعام خلقها لـكم فيها دفء الآية (قوله وعليها فى البر الخ) أفرد الحمل عما قبله لـكونه مزية عظيمة وقرن بينها و بين الفلك لما بينهما من شدة المناسبة حتى سميت الابل سفائن البر وعبر بالاستعلاء هنا فى جانب الفلك وفى قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى: وقال اركبوا فيها لما قيل إن سفينة نوح كانت مغطاة فظاهرها كباطنها فالخلق مظروفون فيها وما عداها فالشأن فيها أنها غـير مغطاة فالخلق على ظاهرها (قوله فأى آيات الله الخ) أى منصوب بتنكرون قدم لـكونه له صدر الـكلام (قوله وتذكير أى أشهر من تأنيثه) أى فلم يقل أية آيات الله وذلك لأن التفرقة فى الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب وهى فى أى أغرب لابهامها (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعجزوا فلم يسيروا الخ والاستفهام إنكارى وتقدم نظيره غير مرة (قوله كانوا أكثر منهم) كلام مستأنف مبين لمبدإ أحوالهم وعواقبها (قوله وآثارا) عطف على قوة (قوله من مصانع) أى أماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج (قوله والقصور) أى الأماكن المرتفعة (قوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) ما الأولى نافية أو استفهامية والثانيـــة موصولة أو مصـدرية (قوله فـرح استهزاء) أى سخرية حيث لم يأخذوه بالقبول و يمتثلوا أمر الله و يجتنبوا نواهيه يدل على هذا المعنى قوله: وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون (قوله أى العذاب) أى فـكانوا يعدونهم به لو لم يؤمنـــوا فيستهزئون بالعذاب الموعود به قال تعالى حكاية عن أهل مكة: و إذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية

(١٦)

(لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) من الدر والنسل والوبر والصوف (وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ) هى حمل الأثقال إلى البلاد (وَعَلَيْهَا) فى البر (وَعَلَى الْفُلْكِ) السفن فى البحر (تُحْمَلُونَ . وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ) الدالة على وحدانيته (تُنْكِرُونَ) استفهام توبيخ، وتذكير أى أشهر من تأنيثه (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ) من مصانع وقصور (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) المعجزات الظاهرات (فَرِحُوا) أى الـكفار (بِمَا عِنْدَهُمْ) أى الرسل (مِنَ الْعِلْمِ) فرح استهزاء وضحك منكرين له (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أى العذاب (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا) أى شدة عذابنا (قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ) نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه (الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ) فى الأمم أن لا ينفعهم الايمان وقت نزول العذاب (وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) تبين خسرانهم لـكل أحد وهم خاسرون فى كل وقت قبل ذلك .

(سورة حم السجدة)

مكية ثلاث وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مبتدأ (كِتَابٌ) خبره (فُصِّلَتْ آيَاتُهُ) ،

بينت

(قوله فلما رأوا بأسنا) أى فى الدنيا (قوله بفعل مقدر من لفظه) أى والتقدير سن الله تعالى بهم سنة من قبلهم (قوله التى قد خلت) أى مضت وسبقت (قوله وخسر هنالك الـكافرون) أى وقت رؤيتهم العـذاب (قوله تبين خسرانهم) أى ظهر ما كان خافيا وهو جواب عن سؤال مقدر كالذى قبله .

[سورة فصلت] مبتدأ وثلاث وخمسون آية خبر أول ومكية خبر ثان وتسمى أيضا سورة حم السجدة وسورة المصابيح وسورة السجدة (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم (قوله من الرحمن الرحيم) خص هذين الاسمين إشارة إلى أن نزول القرآن من أكبر النعم ولا شك أن النعم من مظهر تجلي الرحمة فالقرآن نعمة باقية إلى يوم القيامة (قوله مبتدأ) أى وسوغ الابتداء به عمله فى الجار والمجرور بعده على حد: ورغبة فى الخير خير (قوله كتاب خبره) أى وفصلت آياته نعت للخبر .

(قوله بينت بالأحكام) أى ميزت ووضحت لفظا ومعنى فاللفظ فى أعلى طبقات البلاغة معجز لجميع الخلق ، والمعنى كالوعد والوعيد والقصص والأحكام وغير ذلك من المعانى المختلفة ، فاذا تأملت فى القرآن تجد بعض آياته متعلقا بذات الله وصفاته وبعضها متعلقا بعجائب خلقه من السموات والأرض ومافيهما ، و بعضها متعلقا بالمواعظ والنصائح وغير ذلك . قال البوصيرى فى ذلك المعنى :
فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولاتسام على الا كثار بالسأم

(قوله حال من كتاب) أى كل من قرآنا وعربيا فتكون حالا مؤسسة ويصح أن يكون الحال لفظ قرآنا وعربيا صفته (قوله بصفته) أى الكتاب ، والمعنى أن المسوغ لمجىء الحال منه مع كونه نكرة وصفه بما بعده (قوله متعلق بفصلت) أى والمعنى بينت ووضحت لهؤلاء (قوله يفهمون ذلك) أى تفاصيل آياته (قوله وهم العرب) أى وإنما خصوا بالذكر لأنهم يفهمونها بلا واسطة لكون القرآن نزل بلغتهم ، وأما غيرهم فلايفهم القرآن إلا بواسطتهم (قوله صفة قرآنا) ويصح أن يكونا حالين من كتاب وهذا على قراءة الجمهور وقرىء بالرفع شذوذا على أنه خبر لمحذوف أى هو بشير ونذير أونعت لكتاب (قوله فأعرض أكثرهم) أى تكبرا وعنادا واستفيد منه أن الأقل لم يعرض بل خضع وانقاد وآمن وذلك كأبى بكر وأضرابه (قوله وقالوا) معطوف على فأعرض وقوله قلوبنا فى أكنة جمع كنان وهو ماتجعل فيه السهام و يسمى جعبة بفتح الجيم و يجمع على جعاب (قوله مما تدعونا إليه) ما واقعة على التوحيد والفعل مرفوع بضمة مقدرة على الواو والفاعل مستتر تقديره أنت ونا مفعوله (قوله وفى آذاننا وقر) شبهوا أسماعهم بآذان فيها صمم من حيث إنها تمج الحق

بينت بالأحكام والقصص والمواعظ (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال من كتاب بصفته (لِقَوْمٍ) متعلق بفصلت (يَعْلَمُونَ) يفهمون ذلك وهم العرب (بَشِيرًا) صفة قرآنا (وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) سماع قبول (وَقَالُوا) للنبى (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ) أغطية (مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ) ثقل (وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ) خلاف فى الدين (فَاعْمَلْ) على دينك (إِنَّنَا عَامِلُونَ) على ديننا (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ) بالايمان والطاعة (وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ) .

ولاتميل إلى استماعه (قوله ومن بيننا و بينك حجاب) من لابتداء الغاية ، والمعنى أن الحجاب ناشئ من جهتنا فلا نستطيع التوصل لما عندك والحجاب ناشئ من جهتك فلا تستطيع التوصل لما عندنا فنحن معذورون فى عدم اتباعك لوجود المانع من جهتنا ومن جهتك (قوله خلاف) اى مخالفة فى الدين (قوله فاعمل على دينك) أى استمر عليه وقوله إننا عاملون أى مستمرون على ديننا (قوله قل إنما أنا بشر مثلكم) هذا رد لما زعموا من الحجاب كأنه قال دعواكم الحجاب باطلة لا أصل لها لأنى بشر من جنسكم تعرفون حالى وطبعى وأعرف حالكم وطبعكم فلست مغايرا حتى يكون بينى و بينكم حجاب وتباين ولست بداع لكم إلى شىء لاتقبله العقول والأسماع بل أنا داع لكم إلى توحيد خالقكم وموجدكم الذى قامت عليه الأدلة العقلية والنقلية (قوله فاستقيموا إليه) ضمنه معنى توجهوا فعداه بإلى (قوله واستغفروه) أى مما أنتم عليه من سوء العقيدة وفيه إشارة إلى أن الاستقامة لاتتم إلابالاستغفار والندم على مامضى بحيث يكره أن يعود للكفر كما يكره الوقوع فى النار (قوله وويل للمشركين) مبتدأ وخبره وسوغ الابتداء به قصد الدعاء (قوله الذين لايؤتون الزكاة) إنما خص منع الزكاة وقرنه بالكفر بالآخرة لأن المال أخو الروح فاذا بذله الإنسان فى سبيل الله كان دليلا على قوته وثباته فى الدين قال تعالى : ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم الخ أى يثبتون أنفسهم ، ولذا كان صلى الله عليه وسلم يؤلف حديث العهد بالايمان بالمال ، وقاتل أبو بكر مانعى الزكاة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ففى هذه الآية تخويف وتحذير للمؤمنين من منع الزكاة وتحضيض على أدائها ، وقال ابن عباس : هم الذين لايقولون لا إله إلا الله وهى زكاة الأنفس ، والمعنى لايطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد . فان قلت على تفسير الجمهور يشكل بأن الآية مكية والزكاة فرضت بالمدينة فلم يكن هناك أمر بالزكاة حتى يذم مانعها . والجواب أن المراد بالزكاة صرف المال فى مراضى الله تعالى

(قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) ذكر تعالى وعد المؤمنين إثر وعيد المشركين جريا على عادته سبحانه وتعالى فى كتابه (قوله غير ممنون مقطوع) أى بل هو دائم مستمر بدوام الله ، وهذا أحد تفاسير فى هذه الآية ، وقيل غير منقوص ، وقيل غير ممنون به عليهم فلا يعدّد الله ولا ملائكته عليهم النعم فى الجنة و يطالبهم بشكرها لانقطاع التكاليف بالموت ، وأيضا نفوس أهل الجنة مطهرة فلا تزال تشكر الله تعالى و إن كان غير مطلوب منهم تلذذا وفرحا بنعم الله تعالى ولأن الجنة دار ضيافة مولانا تعالى والكريم لا يعدّد نعمه على أضيافه (قوله قل أئنكم) قدّم الاستفهام على التأكيد لأن له صدر الكلام وهو استفهام إنكار وتشنيع و إن وَاللام لتأكيد الانكار ، والمعنى أنتم تعلمون أنه لا شريك له فى العالم العلوى والسفلى فكيف تجعلون له شريكا ! ؟ (قوله و إدخال ألف الخ) المناسب أن يقول وتركه لأن القراآت السبعية هنا أربع لا اثنتان كما يوهمه كلامه (قوله فى يومين) قال ابن عباس : إن الله سبحانه وتعالى خلق يوما فسماه يوم الأحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس ، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفات يوم الخميس ، وخلق الانسان يوم الجمعة ، وفرغ من الخلق يوم السبت ، وهذا هو الصحيح وقد مشى عليه المفسر ، وقيل إن مبدأ الخلق السبت (قوله وتجعلون له أندادا) عطف على تكفرون عطف سبب على مسبب (قوله ذلك رب العالمين) اسم الاشارة عائد على الموصول وأتى بالخطاب مفردا إشارة إلى أن المخاطب

فرد غير معين (قوله وجمع الخ) جواب عما يقال إنه اسم جنس يصدق على كل ماسوى الله والجمع لابد أن يكون له أفراد ثلاثة فأكثر . فأجاب بأنه جمع باعتبار أنواعه (قوله بالياء والنون) إشارة لسؤال آخر فلو أتى بالواو لكان أوضح . وحاصل هذا السؤال أن هذا الجمع خاص بالعقلاء والعالم غالبه غير عاقل . فأجاب بقوله تغليبا الخ

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) مقطوع (قُلْ أَئِنَّكُمْ) بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها و إدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى (لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ) الأحد والاثنين (وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء (ذَٰلِكَ رَبُّ) مالك (الْعَالَمِينَ) جمع عالم وهو ماسوى الله وجمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبا للعقلاء (وَجَعَلَ) مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة الذى للفاصل الأجنبى (فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا ثوابت (مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا) بكثرة المياه والزروع والضروع (وَقَدَّرَ) قسم (فِيهَا أَقْوَاتَهَا) للناس والبهائم (فِى) تمام (أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) أى الجعل وما ذكر معه ،

(قوله مستأنف الخ) هذه العبارة فى بعض النسخ فى وهى معترضة بأنه لامحذور فى الفصل بين المتعاطفين بالجمل المعترضة ولا يقال إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول لأنه يقال الموصول قد استوفى صلته وَ يغتفر فى التابع مالا يغتفر فى المتبوع ، فالأولى إسقاط هذه العبارة كما هو فى بعض النسخ وقوله للفاصل أى وهو قوله : وتجعلون الخ فانه معطوف على تكفرون فليس من أجزاء الصلة (قوله من فوقها) الحكمة فى قوله من فوقها أنه تعالى لو جعل لها رواسى من تحتها لتوهم أنها هى التى أمسكتها عن النزول ، فجعل الله الجبال فوقها ليعلم الانسان أن الأرض وما عليها ممسكة بقدرة الله تعالى (قوله وقدّر فيها أقواتها) قال محمد بن كعب : قدّر الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان فخص كل قوت بقطر من الأقطار ، وأضاف القوت إلى الأرض لكونه متولدا منها وناشئا فيها وذلك أنه تعالى جعل كل بلدة معدّة لنوع من الأشياء المطلوبة حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء الموجودة فى تلك البلد وهكذا فصار ذلك سببا لرغبة الناس فى التجارة واكتساب الأموال وجميع ماخلقه الله لا ينقص عن حاجة المحتاجين ولو زادت الخلق أضعافا ، و إنما ينقص توصل بعضهم إليه فلا يجد له مايكفيه وفى الأرض أضعاف كفايته (قوله فى تمام أربعة أيام) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف دفعا لما يتوهم أن الأيام ثمانية يومان فى خلق الأرض وأربعة فى خلق الأقوات ويومان فى خلق السموات فينافى قوله تعالى : ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، والحكمة فى تقديره هذه المدة مع أنه تعالى قادر على خلق كل فى قدر لمحة تعليم العباد التمهل والتؤدة والتأنى فى الأمور والبعد من العجلة .

فى يوم الثلاثاء والأربعاء (سَوَاءً) منصوب على المصدر أى استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص (لِلسَّائِلِينَ) عن خلق الأرض بما فيها (ثُمَّ اسْتَوَى) قصد (إِلَى السَّمَاءِ وَهِىَ دُخَانٌ) بخار مرتفع (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا) إلى مرادى منكما (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) فى موضع الحال أى طائعتين أو مكرهتين (قَالَتَا أَتَيْنَا) بمن فينا (طَائِعِينَ) فيه تغليب المذكر العاقل ، أو نزلتا لخطابهما منزلته (فَقَضَاهُنَّ) الضمير يرجع إلى السماء لأنها فى معنى الجمع الآيلة إليه أى صيرها (سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ) الخميس والجمعة فرغ منها فى آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل ، هنا سواء ووافق ماهنا آيات : خلق السموات والأرض فى ستة أيام (وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا) الذى أمر به من فيها من الطاعة والعبادة (وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وَحِفْظًا) منصوب بفعله المقدر أى حفظناها من استراق الشياطين السمع بالشهب (ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْعَلِيمِ) بخلقه (فَإِنْ أَعْرَضُوا) أى كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان ،

(قوله فى يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمها (قوله للسائلين) متعلق بسواء . والمعنى مستوية للسائلين : أى جواب السائلين فيها سواء لايتغير السائل بزيادة ولا نقص (قوله قصد إلى السماء) أى أراد . والمعنى تعلقت إرادته بخلق السموات (قوله وهى دخان) المراد به بخار الماء وذلك أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض ، ثم أحدث الله فى ذلك الماء اضطرابا فأزبد وارتفع فخرج منه دخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات ، وأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق منه اليبوسة وأحدث منه الأرض (قوله فقال لها الخ) اختلف فى قول الله للأرض والسموات وجوابهما له فقيل هو حقيقة وأجابتاه بلسان المقال ولامانع منه لأن القادر لايعجزه شىء فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا ، ويؤيده ماروى أنه نطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء بحذائها فوضع الله فيهما حرمة ، وقيل إن معنى القول فى حق الله تعالى ظهور تأثير قدرته وكلامها كناية عن الطاعة والانقياد (قوله فيه تغليب المذكر العاقل) أى حيث جمعوا جمعه (قوله فقضاهن) تفصيل لتكوين السماء (قوله أى صيرها سبع سموات) أشار بذلك إلى أن قضى مضمن معنى صير فسبع مفعول به (قوله وفيها خلق آدم) ظاهره أن آدم خلق فى نفس اليوم الذى خلقت فيه السموات وهو خلاف المشهور (١٩) من أن بين خلق آدم وخلقها الوفا من السنين . وأجيب بأن المراد أنه خلق فى مثل ذلك اليوم كما تقول ولد محمد يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين (قوله ووافق ماهنا الخ) أى بتقدير المضاف السابق والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا وقيل كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا فتكون الستة الأيام بقدر الستة الآلاف سنة . إن قلت إن اليوم عبارة عن الليل والنهار وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل خلق السموات لايعقل حصول اليوم فضلا عن تسميته بالأحد ونحوه . أجيب بأن الله تعالى قدر مقدارا خلق فيه الأرض وسماه الأحد والاثنين ومقدارا خلق فيه الأقوات وسماه الثلاثاء والأربعاء وهكذا فالتسمية للمقادير التى خلقت فيها تلك الأشياء . بقى شىء آخر وهو أن ماهنا يقتضى أن الأرض خلقت قبل السموات فيخالف آية النازعات المفيدة أن الأرض خلقت بعد السموات قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها إلى أن قال والأرض بعد ذلك دحاها . وأجيب بأن الله تعالى خلق الأرض أولا فى يومين كروية ثم خلق بعدها السماء ثم بعد خلق السماء دحا الأرض و بسطها فخلق الجميع فى ستة أيام والدحو بعد ذلك فلا تناقض ، واستشكل ذلك الرازى وأجاب عنه بما لاطائل تحته (قوله وأوحى فى كل سماء أمرها) الوحى كناية عن التكوين (قوله الذى أمر به من فيها الخ) وقيل المعنى خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها وخلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذى فيها من البحار وجبال البرد والثلج (قوله بفعله المقدر) أى وهو معطوف على زينا (قوله ذلك) أى المذكور بتفاصيله (قوله فان أعرضوا) مرتب على قوله فيما تقدم قل أئنكم لتكفرون الخ . والمعنى بين يامحمد لقومك طريق الرشاد وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك فان أعرضوا بعد إقامة الحجج و بيان الهدى فخوفهم بعذاب مثل عذاب من تقدمهم من الأمم لأنه جرت عادة الله تعالى أن لايعذب أمة إلا بعد طلوع شمس الحق لهم و إعراضهم

عنه وفى قوله أعرضوا التفات من خطابهم بقوله أنذرتكم إلى الغيبة إشارة إلى أنهم كما أعرضوا جوزوا بالأعراض والالتفات من خطابهم لأن الخطاب شأن من يرجى إقباله وهم ليسوا كذلك (قوله فقل أنذرتكم) عبر بالماضى إشارة إلى تحققه وحصوله (قوله صاعقة) هى فى الأصل الصيحة التى يحصل بها الهلاك أوقطعة نار تنزل من السماء معها رعد شديد ، والمراد هنا العذاب المهلك وقرئ شذوذا صعقة بغير ألف مع سكون العين فى الموضعين وقوله مثل صاعقة عاد وثمود التشبيه فى مطلق الهلاك وإن كان هلاك عاد وثمود عاما وهلاك هذه الأمة خاص ببعض أفرادهم فهو تشبيه جزئى بكلى وبهذا اندفع ماقد يقال إن العذاب العام لايأتى لهذه الأمة لما ورد فى الأحاديث الصحيحة من أمن الأمة من ذلك . وأجيب أيضا بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل ، وحينئذ فالمعنى أنتم ارتكبتم أمورا تستحقون عليها ما نزل بعاد وثمود (قوله إذ جاءتهم) ظرف لصاعقة الثانية . والمعنى صعقتهم وقت مجىء رسلهم إليهم والضمير فى جاءتهم عائد على عاد وثمود ، وقوله الرسل ، المراد بهم هود وصالح ومن قبلهما من الرسل وهم نوح وإدريس وشيث وآدم لكن مجىء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقى ومجىء من قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللازم لأن كل رسول قد جاء بالتوحيد وتكذيب واحد تكذيب للجميع (قوله أى مقبلين عليهم) أى وهم هود وصالح وقوله ومدبرين عنهم أى وهم الرسل الذين تقدموا على هود وصالح وهو لف ونشر مرتب (قوله ألا تعبدوا الخ) يصح أن تكون أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن أو مصدرية أو تفسيرية وكلام المفسر

(فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ) خوفتكم (صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ) أى عذابا يهلككم مثل الذى أهلكهم (إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أى مقبلين عليهم ومدبرين عنهم فكفروا كما سيأتى والإهلاك فى زمنه فقط (أَنْ) أى بأن (لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ) علينا (مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ) على زعمكم (كَافِرُونَ . فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا) لما خوفوا بالعذاب (مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً) أى لا أحد ، كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) المعجزات (يَجْحَدُونَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) باردة شديدة الصوت بلا مطر (فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ) بكسر الحاء وسكونها : مشئومات عليهم ، (لِّنُذِيقَهُمْ

يشير للمعنيين الأولين حيث قدر الباء ولا ناهية فى الأوجه الثلاثة ويصح أن تكون نافية أيضا فى الوجه الثانى والفعل منصوب بأن حذفت منه النون الناصب ولا النافية لاتمنع عمل أن فى الفعل (قوله قالوا) أى عاد وثمود لهود وصالح (قوله لوشاء ربنا) أى إنزال ملائكته بالرسالة فمفعول شاء محذوف . والمعنى لوشاء ربنا إرسال رسول لجعله ملكا لا بشرا ، وهذا توصل منهم لانكار الرسالة لزعمهم أنها لا تكون للبشر (قوله على زعمكم) أى وإلا فهم ينكرون رسالتهما (قوله فأما عاد فاستكبروا فى الأرض) أى تعظموا على أهلها واستعلوا فيها وهذا شروع فى حكاية مايخص كل طائفة من القبائح والعذاب بعد الاجمال فى كفرهم (قوله من أشد منا قوة) أى فنحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بقوتنا . قال ابن عباس : إن أطولهم كان مائة ذراع وأقصرهم كان ستين ذراعا (قوله يجعلها) أى يضعها حيث شاء (قوله أولم يروا الخ) هذه الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه خوطب بها النبى صلى الله عليه وسلم للتعجيب من مقالتهم الشنيعة والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أيقولون ذلك ولم يروا (قوله وكانوا بآياتنا يجحدون) ضمنه معنى يكفرون فعداه بالباء وهو معطوف على قوله فاستكبروا (قوله صرصرا) من الصر وهو البرد أومن الصرير وهو التصويت بشدة والمفسر جمع بينهما (قوله بكسر الحاء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان قيل هما صفة مشبهة والسكون للتخفيف كأشر وفرح ، وقيل إنه بالسكون مصدر وصف به (قوله مشئومات) أى غير مباركات من الشؤم ضد اليمن ، وهو تفسير لكل من القراءتين وكانت آخر شوال صبح الأربعاء إلى غروب الأربعاء التى تليها ، وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوما . قال ابن عباس : ماعذب قوم إلا فى يوم الأربعاء .

(قوله عذاب الخزى) أى العذاب الخزى فهو من إضافة الموصوف لصفته وقوله الذل وصف به العذاب مبالغة وإلا فحقه أن يوصف به أصحاب العذاب (قوله وأما ثمود فهديناهم) شروع فى ذكر أحوال الطائفة الثانية (قوله بينا لهم طريق الهدى) أى فالمراد بالهداية الدلالة لا الوصول بالفعل (قوله على الهدى) أى الايمان (قوله المهين) أى الموقع فى الاهانة والذل (قوله بما كانوا يكسبون) أى من الكفر وتكذيب نبيهم (قوله ونجينا الذين آمنوا) أى مع صالح وكانوا أربعة آلاف وتقدم فى الأعراف أنه نجا من كان مع هود قال تعالى ـ فأنجيناه والذين آمنوا معه برحمة منا ـ وكانوا أربعة آلاف أيضا كما تقدم لنا فى سورة هود (قوله واذكر يوم يحشر) يوم ظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله بالياء) أى مع فتح الشين ورفع أعداء على أنه نائب فاعل (قوله وفتح الهمزة) أى من أعداء على أنه مفعول والفاعل على كل هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله أعداء الله) المراد بهم كل من كان من أهل الخلود فى النار مطلقا من أول الزمان لآخره (قوله إلى النار) المراد موقف الحساب وإنما عبر عنه بالنار لأنها عاقبة حشرهم (قوله يساقون) وفسره البيضاوى بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ولا ينافى ماقاله المفسر فان المراد يساق آخرهم ليلحق أولهم فيحصل الاجتماع والازدحام حتى يكون على القدم ألف قدم (قوله زائدة) أى للتأكيد وإنما أكده لأنهم ينكرون مضمون الكلام (قوله شهد عليهم سمعهم الخ) أى بأن يخلق الله فيها النطق والفهم

(٢١)

(لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ) الذل (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى) أشد (وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ) بمنعه عنهم (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) بينا لهم طريق الهدى (فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى) اختاروا الكفر (عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ) المهين (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. وَنَجَّيْنَا) منها (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الله (وَ) اذكر (يَوْمَ يُحْشَرُ) بالياء والنون المفتوحة وضم الشين وفتح الهمزة (أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ) يساقون (حَتَّى إِذَا مَا) زائدة (جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ) أى أراد نطقه (وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) قيل هو من كلام الجلود، وقيل هو من كلام الله تعالى كالذى بعده وموقعه قريب مما قبله بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء قادر على إنطاق جلودكم وأعضائكم (وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ) عن ارتكابكم الفواحش من (أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ) لأنكم لم توقنوا بالبعث (وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ)،

والادراك كاللسان فتقربها تعالى بما فعلته من المعاصى حقيقة وهو التحقيق، وقيل النطق كناية عن ظهور المعاصى على تلك الجوارح كظهور النتونة على فروج الزناة ونحو ذلك، وقيل النطق من غير فهم ولا إدراك، عن أنس بن مالك قال «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال ماتدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يارب ألم تجرنى من الظلم فيقول بلى قال فيقول فانى لا أجيز اليوم على نفسى إلا شاهدا منى قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين البررة عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبينها فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل» (قوله وجلودهم) المراد بها مطلق الجوارح فيكون من عطف العام على الخاص، وقيل المراد بالجلود خصوص الفروج ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية ويكون هذا فى شهادة الزنا وحينئذ فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا والأقرب الأول (قوله وقالوا لجلودهم) أى توبيخا وتعجبا من هذا الأمر الغريب (قوله قالوا أنطقنا الله الخ) أى جوابا لهم واعتذارا عما صدر منهم (قوله ترجعون) أى تردون إليه بالبعث وعبر بالمضارع مع أن المقالة بعد الرجوع بالفعل لأن المراد بالرجوع البعث ومايترتب عليه من العذاب الدائم والعذاب مستقبل بالنسبة لمقالتهم (قوله قيل هو) أى قوله وهو خلقكم الخ (قوله كالذى بعده) أى وهو قوله وما كنتم تستترون (قوله وموقعه) أى مناسبته قوله وهو خلقكم ووجه مناسبته له فى المعنى أنه يقربه من العقول من حيث إن القادر على الابداء والاعادة قادر على إنطاقها (قوله وما كنتم تستترون) أى تستخفون من هؤلاء الشهود وهو لايكون إلا بترك الفعل بالكلية لأنها ملازمة للانسان فى حركاته وسكناته (قوله من أن يشهد) أشار بذلك إلى أن قوله أن يشهد فى محل نصب بنزع

عند استتاركم (أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَذَٰلِكُمْ) مبتدأ (ظَنُّكُمُ) بدل منه (الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ) نعت والخبر (أَرْدَاكُمْ) أى أهلككم (فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ . فَإِن يَصْبِرُوا) على العذاب (فَالنَّارُ مَثْوًى) مأوى (لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا) يطلبوا العتبى أى الرضا (فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ) المرضيين (وَقَيَّضْنَا) سببنا (لَهُمْ قُرَنَاءَ) من الشياطين (فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) من أمر الدنيا واتباع الشهوات (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمر الآخرة بقولهم لابعث ولا حساب (وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بالعذاب وهو لأملأن جهنم الآية (فِي) جملة (أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ) هلكت (مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) عند قراءة النبى صلى الله عليه وسلم (لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ) ائتوا باللغط ونحوه وصيحوا فى زمن قراءته (لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) فيسكت عن القراءة ، قال الله تعالى فيهم (فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) ،

الخافض ويصح أن يكون مفعولا لأجله والتقدير مخافة أن يشهد الخ (قوله عند استتاركم) أى من الناس (قوله أن الله لايعلم كثيرا) المراد به ما أخفوه عن الناس من الأعمال فظنوا أن علم الله مساو لعلم الخلق فكل ماستروه عن الناس لايعلمه الله (قوله وذلكم ظنكم الخ) اعلم أن الظن قسمان حسن وقبيح فالحسن أن يظن العبد المؤمن بالله عز وجل الرحمة والاحسان والخير ، ففى الحديث «أنا عند ظن عبدى بى» والقبيح أن يظن بالله نقصا فى ذاته أو صفاته أو أفعاله (قوله فأصبحتم من الخاسرين) نتيجة ماقبله (قوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم) إن قلت إن النار مأوى لهم صبروا أولا ، فما وجه التقييد بالصبر؟ أجيب بأن فى الآية حذفا والتقدير فان يصبروا أو لايصبروا فالنار مثوى لهم وإنما حذف المقابل للعلم به لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر فهى لهم مع عدمه بالأولى ، بخلاف الدنيا فان الانسان مع الصبر ربما تخف مصيبته أو يعوض خيرا ومع عدمه يزاد فيها ويغضب الله عليه (قوله أى الرضا) وقيل العتبى الرجوع إلى مايحبون (قوله المرضيين) أى المرضى عليهم (قوله وقيضنا لهم) أى لكفار مكة ومعنى سببنا هيأنا و بعثنا والمعنى سببنا لهم قرناء يلازمونهم ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو قشر البيض على البيض (قوله فزينوا لهم) أى القبائح (قوله مابين أيديهم من أمر الدنيا الخ) وقيل مابين أيديهم من أمر الآخرة وماخلفهم من أمر الدنيا . قال القشيري:

إذا أراد الله بعبد سوءا قيض له إخوان سوء وقرناء سوء يحملونه على المخالفات ويدعونه إليها ومن ذلك الشيطان وأشر منه النفس وبئس القرين يدعوه اليوم إلى مافيه الهلاك ويشهد عليه غدا ، وإذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه إليها ، وفى الحديث «إذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا إلا قبحه عنده ولا قبيحا إلا حسنه عنده» وعن عائشة قالت «إذا أراد الله بالوالى خيرا جعل له وزير صدق إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسى لم يذكره وإن ذكر لم يعنه» وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مابعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه و بطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله تعالى» (قوله وحق عليهم القول) أى ثبت وتحقق (قوله فى أمم) حال من الضمير فى عليهم والمعنى كائنين فى جملة أمم (قوله قد خلت) صفة لأمم (قوله هلكت) المناسب أن يقول مضت (قوله إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب (قوله وقال الذين كفروا) أى من كفار مكة وإنما قالوا ذلك لأنه لما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ يستميل القلوب بقراءته فيصغى إليها المؤمن والكافر فخافوا أن يتبعه الناس (قوله والغوا فيه) اللغو الكلام الذى لافائدة فيه وهو بفتح الغين فى قراءة العامة من لغى كفرح وقرئ شذوذا بضم الغين من لغا يلغو كدعا يدعو ومنه حديث «أنصت فقد لغوت» (قوله باللغط) بسكون الغين وفتحها وهو كلام فيه جلبة واختلاط (قوله لعلكم تغلبون) أى فى القول فاذا غلبتموه سكت لأنه لم يكن مأمورا حينئذ بقتالهم (قوله قال تعالى فيهم) أى فى شأنهم (قوله الذين كفروا) أى استمروا على الكفر وماتوا عليه .

(قوله أى أقبح جزاء عملهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف دفعا لما قد يتوهم أنهم يجزون بنفس عملهم الذى عملوه فى الدنيا كالكفر مثلا والمعنى أن المستهزئين برسول الله يجازون بأقبح جزاء أعمالهم وفى هذه الآية وعيد لكل من يفعل اللغط فى حال قراءة القرآن ويشوّش على القارئ ويخلط عليه فانه حرام بإجماع إن لم يقصد إبطال النفع بالقرآن كراهة فيه وإلا فهو كافر (قوله ذلك) أى المذكور من الأمرين كما قال المفسر (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى الكائنة أوّل أعداء والقراءتان سبعيتان (قوله عطف بيان) هذا أحد أوجه فى إعرابها ويصح أن يكون بدلا من جزاء ورد بأن البدل يصح حلوله للبدل منه محله وهنا لا يصح لأنه يصير التقدير ذلك النار ويصح أن يكون مبتدأ ولهم فيها دار الخلد خبره ويصح أن يكون خبر مبتدإ محذوف (قوله لهم فيها دار الخلد) فى الكلام تجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمرا آخر موافقا له فى تلك الصفة على سبيل المبالغة فقد انتزع من النار دارا أخرى سماها دار الخلد ، والمعنى أن الدار نفسها هو الخلد (قوله منصوب على المصدر بفعله المقدّر) والتقدير يجزون جزاء (قوله بآياتنا) الباء إما زائدة أو ضمن يجحدون معنى يكفرون فعداه بالباء (قوله فى النار) حال من فاعل قال (قوله أرنا) أصله أرئينا فالراء فاء الكلمة والهمزة الثانية عينها والياء لامها حذفت الياء لبناء الفعل على حذفها ونقلت حركة الهمزة للساكن قبلها فسقطت الهمزة

أى أقبح جزاء عملهم (ذَٰلِكَ) العذاب الشديد وأسوأ الجزاء (جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ) بتحقيق الهمزة الثانية وإبدالها واوا (النَّارُ) عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك (لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ) أى إقامة لا انتقال منها (جَزَاءً) منصوب على المصدر بفعله المقدر (بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (يَجْحَدُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى النار (رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) أى إبليس وقابيل سنّا الكفر والقتل (نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا) فى النار (لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ) أى أشد عذابا منا (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على التوحيد وغيره مما وجب عليهم (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ) عند الموت (أَنْ) بأن (لَا تَخَافُوا) من الموت وما بعده (وَلَا تَحْزَنُوا) على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه (وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ . نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أى نحفظكم فيها (وَفِي الْآخِرَةِ) أى نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ؛

وصار وزنه افنا وهى بصرية تعدت بالهمزة للمفعول الثانى الذى هو الاسم الموصول ومفعولها الأول الضمير . والمعنى صيرنا رائين بأبصارنا الخ (قوله من الجنّ والإنس) أى لأن الشيطان على قسمين جنى وإنسى كما قال تعالى – وكذلك جعلنا لكل نبى عدوّا شياطين الإنس والجنّ – وقدم الجنّ لأنهم أصل الضلال (قوله سنا الكفر والقتل) لف ونشر مرتب فقابيل قتل أخاه هابيل فهو أوّل من سنّ القتل وإبليس أول من كفر بالله (قوله نجعلهما تحت أقدامنا) أى إما حقيقة فيكونان أشدّ عذابا منا فتشتفى قلوبنا أو هو كناية عن كونهم فى الدرك الأسفل (قوله ليكونا من الأسفلين) أى فى دركات النار (قوله إنّ الذين قالوا ربنا الله الخ) شروع فى بيان حال المؤمنين إثر بيان وعيد الكافرين ، والمعنى قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته وإقرارا بوحدانيته (قوله ثم استقاموا) أى ظاهرا وباطنا بأن فعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات وداموا على ذلك إلى الممات . قال عمر بن الخطاب : الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تروغ زوغان الثعلب قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى أبى بكر الصديق (قوله عند الموت) أى أو عند الخروج من القبر ولا مانع من الجمع والمراد ملائكة الرحمة تأتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن (قوله أن لا تخافوا) أن مخففة من الثقيلة أو مصدرية أو مفسرة وكلام المفسر يحتمل المعنيين الأولين ، والخوف غمّ يلحق النفس لتوقع مكروه فى المستقبل ، والحزن غم يلحقها لفوات نفع فى الماضى (قوله وأبشروا بالجنة) أى وهى دار الكرامة التى فيها من النعيم الدائم والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله التى كنتم توعدون) أى فى الكتب المنزلة على ألسنة الرسل (قوله نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا الخ) يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى وهو ولىّ المؤمنين ومولاهم ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة . والمعنى كنا أولياءكم فى الدنيا ونكون معكم فى الآخرة فلا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة .

(قوله ماتدعون) من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم من الأول والمعنى لكم كل ماتشتهون وكل ماتطلبون ولو لم يكن مشتهى كالرتب العلية والفضائل السنية (قوله منصوب بجعل مقدرا) و يصح أن يكون حالا من قوله ما تدعون (قوله من غفور رحيم) متعلق بتدعون أو صفة لنزلا وخص هذين الوصفين دون شديد العقاب مثلا إشارة إلى مزيد السرور لهم و إكرامهم وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة و يتجلى لهم بأوصاف الجمال دون أوصاف الجلال (قوله ومن أحسن قولا الخ) قيل نزلت هذه الآية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه هو الذى جمع تلك الأوصاف لأن الداعين إلى الله تعالى أقسام ، فمنهم الداعون إلى الله بالتوحيد قولا كالأشعرىّ والماتريدى ومن تبعهما إلى يوم القيامة وفعلا كالمجاهدين ، ومنهم الداعون إلى الله تعالى بالأحكام الشرعية كالأئمة الأربعة ومن على قدمهم ، ومنهم الداعون إلى الله تعالى بزوال الحجب الكائنة على القلوب لمشاهدة علام الغيوب بحيث يكون دائما فى حضرة الله ليس فى قلبه سواه كالجنيد وأضرابه من الصوفية أهل الحقيقة ، ومنهم من يدعو إلى الله تعالى بالاعلام بأداء الفرائض كالمؤذنين ، وهذه الأقسام مجموعة فى النبى عليه الصلاة والسلام متفرقة فى أصحابه ، ثم انتقلت منهم إلى من بعدهم وهكذا إلى يوم القيامة لقوله فى الحديث الشريف « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » (قوله بالتوحيد) أى وفروعه وإنما خصه لأنه رأس الأمور وأساسها (قوله وعمل صالحا) أى امتثل أوامر ربه واجتنب نواهيه وحيث كان داعيا إلى الله مع اتصافه بالعمل الصالح كان قوله مقبولا و يؤثر فى القلوب ، وأما من كان بخلاف ذلك فلا يكون قوله مقبولا ولا يؤثر فى القلوب ولا تنبغى صحبته . قال العارف :
لاتصحب من لاينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله ، وقال بعضهم :

أتنهىَ الأناس ولاتنتهى ... متى تلحق القوم يالكع
و ياحجر السنّ أما تستحى ... تسنّ الحديد ولا تقطع

(٢٤)

فمن لم يؤثر كلامه فى نفسه فلا يؤثر فى غيره بالأولى . قال بعضهم :

يأيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم

(وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ) تطلبون (نُزُلاً) رزقا مهيأ منصوب بجعل مقدراً (مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ) أى الله (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً) أى لا أحد أحسن قولا (مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ) بالتوحيد (وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ) فى جزئياتهما لأن بعضهما فوق بعض (ادْفَعْ) السيئة (بِالَّتِى) أى بالخصلة التى (هِىَ أَحْسَنُ) كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والإساءة بالعفو (فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يسمع ماتقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

و بالجملة فالدعوة إلى الله لاتنفع إلا من قلب ناصح وأعظم الداعين إلى الله تعالى الأولياء المسلكون الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق وهم موجودون فى كل زمن غير أنه لا يجتمع بهم ولا يعرفهم إلا من لحظه الله تعالى بفضله كما قال بعض العارفين : الأولياء عرائس مخدرة ولايرى العرائس المجرمون نفعنا الله بهم أجمعين (قوله وقال إننى من المسلمين) أى تحدثا بنعمة ربه وفرحا بالإسلام (قوله ولا السيئة) يحتمل أن لازائدة للتوكيد لأن الاستواء لا يكون من واحد بل من اثنين كأنه قال لا تستوى الحسنة مع السيئة بل الحسنة خير والسيئة شرّ ويحتمل أن لا أصلية ، والمعنى لاتستوى مراتب الحسنات بل بعضها أعلى من بعض ولا تستوى مراتب السيئات بل بعضها أعلى من بعض فأعلى الناس من ارتكب أعلى الحسنات ، وأدنى الناس من ارتكب أعلى السيئات وهذا مامشى عليه المفسر (قوله ادفع بالتى هى أحسن) أى حيث فعلت معك سيئة ادفعها بخصلة هى أحسن (قوله كالغضب بالصبر الخ) أى أعلى المراتب أن تعطى من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وقد كان هذا خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله فاذا الذى بينك و بينه عداوة الخ) إذا الفجائية ظرف لمعنى التشبيه فعاملها معنوى مؤخر واغتفر تأخير عاملها المعنوى لأنه يغتفر فى الظروف ما لايغتفر فى غيرها والذى مبتدأ و بينك خبر مقدّم وعداوة مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول وكأنه الخ خبر الموصول والمعنى فاذا فعلت مع عدوك ماذكر فاجأك فى الحضرة انقلابه وصيرورته مشابها فى المحبة للصديق الذى لم تسبق منه عداوة .

(قوله كأنه ولى حميم) الحميم يطلق على الماء الحار وعلى القريب الذى تهتم لأمره وهو المراد هنا (قوله فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى الولى الحميم، فالولى القريب، والحميم القريب الصديق فهو أخص من الولى. قال بعضهم فى وصفه :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفســه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمـله ليجمعك

(قوله فى محبته) هذا هو وجه الشبه (قوله إذا فعلت ذلك) أى الإحسان للعدو (قوله التى هى أحسن) الأوضح أن يقول وهى مقابلة الاساءة بالاحسان (قوله ثواب عظيم) وقيل المراد بالحظ الخلق الحسن وكمال النفس (قوله وإما ينزغنك الخ) المراد بالنزغ الوسوسة، والمعنى وإن يوسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به فاستعذ بالله أى اطلب التحصن من شره، ومن جملة وسوسته الغضب فانه ربما يحمله على ارتكاب منهى عنه فاذا حصل عنده فليدفعه بالاستعاذة فان لم يزل فليدفعه بالسكون ثم بالجلوس إن كان قائما ثم بالاضطجاع إن كان جالسا فان لم يزل بعد ذلك ذهب من المكان الذى هو به (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وفى هذه الآية دليل على استعمال التعوذات فى الصباح والمساء لأن الانسان بينهما لايخلو من نزغات شيطانية، فلذلك ورد فى الأحاديث وفى كلام العارفين كثرة التعوذ فى هذين الوقتين فتدبر (قوله ومن آياته) خبر مقدم والليل وماعطف عليه مبتدأ مؤخر والمعنى ومن دلائل قدرته وانفراده بالألوهية الليل الخ أى ظهور كل من هذه الأربع (قوله لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) خصهما بالذكر لأن الكفار عبدوهما من دون الله (قوله أى الآيات الأربع) وإنما عبر عنها بضمير الاناث مع أن غالبها مذكر والعادة تغليب المذكر لا العكس نظرا للفظ الآيات فان مفرده آية وهو مؤنث

(٢٥)

(كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) أى فيصير عدوك كالصديق القريب فى محبته إذا فعلت ذلك فالذى مبتدأ وكأنه الخبر و إذا ظرف لمعنى التشبيه (وَمَا يُلَقَّاهَا) أى يؤتى الخصلة التى هى أحسن (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ) ثواب (عَظِيمٍ. وَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ) أى يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) جواب الشرط وجواب الأمر محذوف أى يدفعه عنك (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) للقول (الْعَلِيمُ) بالفعل (وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ) أى الآيات الأربع (إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ. فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا) عن السجود لله وحده (فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ) أى فالملائكة (يُسَبِّحُونَ) يصلون (لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) لايملون (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) يابسة لانبات فيها (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَتْ) انتفخت وعلت (إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ)،

(قوله إن كنتم إياه تعبدون) أى تفردونه بالعبادة فاتركوا عبادة غيره (قوله فان استكبروا) أى تكبروا وعاندوا حيث جعلوا مابه الهدى والدلالة على توحيد الله إلها معبودا (قوله فالذين عند ربك) علة لجواب الشرط المحذوف والتقدير فلا تنعدم العبادة لأن الذين الخ والعندية عندية مكانة وشرف لامكان فهو كما تقول عند الملك من الجند كذا وكذا (قوله يسبحون له بالليل والنهار) هذا من مجاراة الكفار وإلا فلو ترك جميع الخلق عبادته لم ينقص من ملكه شىء لما فى الحديث « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكى شيئا » (قوله ومن آياته) خبر مقدم وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر والتقدير ومن آياته رؤيتك الأرض الخ (قوله يابسة) أى فالأرض الخاشعة هى الغبراء التى ليس بها نبات استعير لها حال الخاشع وهو الذل والتقاصر (قوله اهتزت وربت) أى تحركت حركة عظيمة شديدة بسرعة وارتفع ترابها وعلا فالآية باقية على أصلها خلافا لمن قال إن فيها قلبا والتقدير ربت واهتزت (قوله لمحيى الموتى) أى يبعثهم (قوله إن الذين يلحدون فى آياتنا) أى يميلون عن الاستقامة فى الدين ويطعنون فى آياتنا بالتحريف واللغو والأكاذيب .

(قوله من ألحد ولحد) أشار بذلك إلى أن هنا قراءتين سبعيتين وهما ضمّ الياء وكسر الحاء من ألحد رباعيا وفتح الياء والحاء من لحد ثلاثيا من باب نفع، والإلحاد الميل والعدول ومنه اللحد فى القبر لأنه أميل إلى ناحية منه (قوله فنجازيهم) أى بأعمالهم (قوله أم من يأتى آمنا) عدل عن مقتضى الظاهر حيث لم يقل أم من يدخل الجنة تصريحا بحصول الأمن لهم وانتفاء الخوف عنهم (قوله تهديد لهم) أى للكفار وزيادة مسرة المؤمنين (قوله إن الذين كفروا الخ) خبر إن محذوف قدره المفسر بقوله نجازيهم وهو أحد أعاريب وهو أسهلها، وقيل إنه جملة لايأتيه الباطل الخ والعائد محذوف، والتقدير لايأتيه الباطل منهم، والمعنى لايبلغون مرادهم فيه بل هو محفوظ منهم، وقيل إن الخبر قوله مايقال لك الخ والعائد محذوف، والتقدير مايقال لك فى شأنهم، وقيل غير ذلك (قوله لما جاءهم) ظرف لقوله: كفروا (قوله وإنه لكتاب عزيز) الجملة حالية من الذكر، والمعنى كفروا بالقرآن حين جاءهم، والحال أنه كتاب يرد المعارض ويقهره. قال البوصيرى:

كم جدلت كلمات الله من جدل فيه وكم خصم البرهان من خصم

(قوله منيع) فعيل بمعنى فاعل: أى مانع المعارض عن الخوض فيه ويصح أن يفسر العزيز بعديم المثال (قوله أى ليس قبله كتاب يكذبه الخ) أى لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات بل جميع ما فيه صدق مطابق للواقع

من ألحد ولحد (فى آياتنا) القرآن بالتكذيب (لايخفون علينا) فنجازيهم (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير) تهديد لهم (إن الذين كفروا بالذكر) القرآن (لما جاءهم) نجازيهم (وإنه لكتاب عزيز) منيع (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده (تنزيل من حكيم حميد) أى الله المحمود فى أمره (مايقال لك) من التكذيب (إلا) مثل (ماقد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة) للمؤمنين (وذو عقاب أليم) للكافرين (ولو جعلناه) أى الذكر (قرآنا أعجميا لقالوا لولا) هلا (فصلت) بينت (آياته) حتى نفهمها (أ) قرآن (أعجمى و) نبى (عربى) استفهام إنكار منهم بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا بإشباع ودونه (قل هو للذين آمنوا هدى) من الضلالة (وشفاء) من الجهل (والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر) ثقل فلا يسمعونه (وهو عليهم عمى) فلا يفهمونه (أولئك ينادون من مكان بعيد) أى هم كالمنادى من مكان بعيد لايسمع ولا يفهم ماينادى به،

ليس بعده كتاب أصلا وليس قبله ما يقدح فيه وفى كلام المفسر لف ونشر مشوش فقوله ليس قبله راجع للخلق، وقوله ولا بعده راجع لما بين يديه (قوله من حكيم) الحكيم هو الذى يضع الشىء فى محله (قوله مايقال لك الخ) شروع فى تسليته صلى الله عليه وسلم على ما يصيبه من أذى الكفار (قوله من التكذيب) أى من أجل حصوله ووقوعه (قوله إن ربك لذو مغفرة الخ) هذا هو المقول، والمعنى مايقال لك من أجل حصول التكذيب ووقوعه منهم إلا قولا مثل ماقيل للرسل من قبلك وهو إن ربك لذو مغفرة الخ (قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا) لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم (قوله لقالوا لولا فصلت آياته) أى بلسان نفهمه وهو لسان العرب، وقوله أأعجمى الخ جملة مستقلة عن جملة مقولهم، والمعنى أنهم طلبوا أولا نزوله بلغة العجم فرد الله عليهم بقوله ـ وقالوا لولا فصلت آياته ـ أى جاءت بلغة العرب وأخبر الله تعالى أنه لوجاءهم بلغة العجم لادّعوا التنافى بين كونه بلغة العجم وكون الجائى به عربيا وغرضهم بذلك إنكار كون القرآن من عند الله على أى حال والأعجمى يقال للكلام الذى لايفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة فى الوصف كأحمرى وأعجمى خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله أقرآن الخ وكذا قوله وعربى (قوله بتحقيق الهمزة الثانية) أى من غير ألف بينهما، وقوله وقلبها ألفا: أى ممدودة مدا لازما وهاتان قراءتان، وقوله بإشباع ودونه سبق قلم منه، والصواب أن يقول وتسهيل الثانية بإشباع ودونه فالإشباع هو إدخال ألف بين المحققة والمسهلة وعدمه هو ترك الإشباع وبقيت قراءة خامسة سبعية أيضا وهى إسقاط الهمزة الأولى (قوله قل هو للذين آمنوا) أى صدقوا به وأذعنوا له (قوله وشفاء من الجهل) أى ومن الأمراض الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية (قوله والذين لايؤمنون) مبتدأ وفى آذانهم خبر مقدم، ووقر مبتدأ مؤخر والجملة خبر المبتدإ الأول (قوله فلايسمعونه) أى لوجود الحجاب على قلوبهم فلايوفقون لاتباعه (قوله أى هم كالمنادى الخ)

أى فالكلام فيه استعارة تمثيلية حيث شبه حالهم فى عدم قبول المواعظ و إعراضهم عن القرآن ومافيه بحال من ينادى من مكان بعيد والجامع عدم الفهم فى كلّ (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) كلام مستأنف سيق لبيان أن الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة غير مختصّ بقومك وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لاتحزن على اختلاف قومك فى كتابك فقد اختلف من قبلهم فى كتابهم (قوله لقضى بينهم) أى عجل لهم العذاب فى الدنيا (قوله لفى شك منه) أى من أجل المخالفة ، وقوله مريب : أى مورث شكا آخر (قوله فلنفسه عمل) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف و يصح أن يكون خبرا لمحذوف . أى فعمله الصالح لنفسه ، والجملة على كل حال جواب الشرط إن جعلت من شرطية أوخبرلها إن جعلت موصولة وكذا يقال فى الجملة بعدها (قوله أى بذى ظلم) جواب عما يقال إن الآية لم تنف أصل الظلم ، فأجاب بأن ظلام صيغة نسبة لامبالغة والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز : أى منسوب للتمر والخبز . إن قلت إن الظلم مستحيل على الله تعالى عقلا لأنه التصرف فى ملك الغير ولا ملك لأحد معه فكيف يتصور إثباته حتى يحتاج لنفيه . أجيب بأن المراد بالظلم المنفى فى الآية تعذيب المطيع لاحقيقة الظلم و إنما سماه ظلما تفضلا منه و إحسانا كأن الله تعالى يقول لاأدخل أحدا النار من غير ذنب فان فعلت ذلك كنت ظالما وهو مستحيل على حدّ كتب ربكم على نفسه الرحمة فتدبر (قوله إليه يرد علم الساعة) أى لله يرد علم جواب السؤال عن الساعة وهذه الآية بمعنى قوله تعالى – قل إنما علمها عند ربى لايجليها لوقتها (٢٧) إلا هو – فالمعنى تعيين وقت مجيئها لايعلمه إلا الله تعالى وتقدم ذلك عند قوله إن الله عنده علم الساعة (قوله لايعلمه غيره) أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور والمعنى لايفيد علمه غيره تعالى فلا ينافى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى اطلع على ما كان وما يكون وماهو كائن ومن جملته وقت الساعة ولكن أمر بكتمانه فلا يفيد السائل عنه شيئا (قوله من ثمرة) المراد الجنس ، وقوله فى قراءة : أى وهى سبعية أيضا والجمع ظاهر (قوله جمع كم بكسر الكاف) أى وهو مايغطى الثمرة من النور والزهر ويجمع أيضا على أكمة وكمام وأما مايغطى اليد من القميص فبالضمّ وجمعه أكمام ، وقيل مايغطى الثمرة بالضم والكسر ومايغطى اليد بالضم فقط (قوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الخ) أى يعلم قدر أيام الحمل وساعاته وكونه ذكرا أوأنثى واحدا أومتعددا وغيرذلك و يعلم وقت وضعه ومكانه (قوله إلا بعلمه) استثناء مفرغ من عموم الأحوال ، والتقدير وما يحدث شئ من خروج ثمرة أوحمل حامل أو وضعها إلا ملتبسا بعلمه فقد حذف من الأولين لدلالة الثالث عليه . إن قلت قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف و بعض الكهنة والمنجمين . أجيب بأن صاحب الكشف علمه بإلهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط ، وأما الكهنة والمنجمون فعلمهم مستند لأمورظنية قدتصيب والغالب عليها الخطأ (قوله أين شركائى) أى بزعمكم وفيه تقريع وتهكم به (قوله قالوا) أى يقولون وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله الآن) أشار بذلك إلى أن المراد الإنشاء لاالإخبار عماسبق فالجملة خبرية لفظا إنشائية معنى ويصح أن يراد الاخبار لتنزيلهم علمه تعالى بحالهم منزلة إعلامهم به فأخبروا وقالوا آذناك (قوله وضل عنهم ما كانوا يدعون) أى غاب نفعهم عنهم فلا يشفعون لهم ولا ينصرونهم وهذا فى المحشر وأما فى النار فيجمعون معهم (قوله من محيص) أى فرار ومهرب من النار (قوله والنفى) أى وهو ما ، وقوله فى الموضعين : أى وهما مامنا ومالهم (قوله معلق عن العمل) التعليق إبطال العمل لفظا لامحلا والعامل المعلق هو

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَاخْتُلِفَ فِيهِ) بالتصديق والتكذيب كالقرآن (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) فى الدنيا فيما اختلفوا فيه (وَإِنَّهُمْ) أى المكذبين به (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أى فضرر إساءته على نفسه (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) أى بذى ظلم لقوله تعالى : إن الله لايظلم مثقال ذرة (إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تكون لايعلمه غيره (وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ) وفى قراءة ثمرات (مِنْ أَكْمَامِهَا) أوعيتها جمع كم بكسر الكاف إلا بعلمه (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ) أعلمناك الآن (مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ) أى شاهد بأن لك شريكا (وَضَلَّ) غاب (عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ) يعبدون (مِنْ قَبْلُ) فى الدنيا من الأصنام (وَظَنُّوا) أيقنوا (مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) مهرب من العذاب والنفى فى الموضعين معلق عن العمل

آذن وظن (قوله وجملة النفي) أي في الموضعين (قوله سدت مسد المفعولين) أي الأول والثاني لظنوا والثالث لآذنا فإنه يتعدى لثلاثة كأعلم وأرى والمفعول الأول الكاف (قوله لا يسأم الإنسان) المراد به جنس الكافر كما يأتي في المفسر (قوله من دعاء الخير) المصدر مضاف لمفعوله (قوله وغيرهما) أي كالولد ونحوه من خير الدنيا (قوله فيئوس قنوط) خبران لمبتدأ محذوف: أي فهو، قيل اليأس والقنوط مترادفان وجمع بينهما للتأكيد، وقيل اليأس قطع الرجاء من رحمة الله والقنوط إظهار آثاره على ظاهر البدن ويطلق اليأس على العلم كما في قوله تعالى - أفلم ييأس الذين آمنوا - ويئس من باب فهم وقنط من باب جلس ودخل وطرب (قوله وما بعده) أي وهو قوله: ولئن أذقناه إلى قوله: للحسنى، وأما قوله: فلننبئن الخ تصريح في الكافرين لا يحتاج للتنبيه عليه (قوله ليقولن هذا لي) جواب القسم وجواب الشرط محذوف لسد جواب القسم مسده للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم (قوله أي بعملي) أي بمالي من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير (قوله وما أظن الساعة قائمة) أي تقوم (قوله ولئن رجعت إلى ربي) أي كما تقول الرسل على فرض صدقهم وقد أكدت هذه الجملة بأمور زيادة في التعنت: منها القسم وإن وتقديم الظرف والجار والمجرور (قوله فلننبئن الذين كفروا) جواب لقول الكافر ولئن (٢٨) رجعت الخ (قوله الجنس) أي من حيث هو مسلما أو كافرا ولكنه مشكل بالنسبة للكافر فإنه تقدم أنه عند مس الشر كان يئوسا قنوطا وهنا أفاد أنه ذو دعاء عريض فيقتضي أنه راج فحصل بين الآيتين التناقض. وأجيب بأنه يمكن حمل ما تقدم على أناس دون آخرين أو على الكل لكن الأوقات مختلفة فبعض الأوقات يكونون آيسين وبعض الأوقات يكونون راجين (قوله وناء بجانبه) بتقديم الألف على الهمزة بوزن قال، وقوله وفي قراءة:

وجملة النفي سدت مسد المفعولين (لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ) أي لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما (وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ) الفقر والشدة (فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ) من رحمة الله وهذا وما بعده في الكافرين (وَلَئِنْ) لام قسم (أَذَقْنَاهُ) آتيناه (رَحْمَةً) غنى وصحة (مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ) شدة وبلاء (مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي) أي بعملي (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ) لام قسم (رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى) أي الجنة (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) شديد واللام في الفعلين لام قسم (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ) الجنس (أَعْرَضَ) عن الشكر (وَنَاءَ بِجَانِبِهِ) ثنى عطفه متبخترا، وفي قراءة بتقديم الهمزة (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ) كثير (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ) أي القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) كما قال النبي (ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ) أي لا أحد (أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ) خلاف (بَعِيدٍ) عن الحق أوقع هذا موقع منكم بيانا لحالهم (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) أقطار السموات والأرض من النيرات والنبات والأشجار (وَفِي أَنْفُسِهِمْ)،

أي وهي سبعية أيضا، وقوله بتقديم الهمزة: أي على الألف بوزن رمى والنون مقدمة من على كليهما (قوله فذو دعاء عريض) أي فهو ذو دعاء (قوله كثير) أشار بذلك إلى أن العرض يطلق على الكثرة كالطول يقال أطال فلان الكلام وأعرض في الدعاء إذا أكثر (قوله قل أرأيتم) رأى في الأصل علمية أو بصرية أطلق العلم أو الإبصار وأريد ما نشأ عنه وهو الخبر ثم أطلق الاستفهام على العلم أو الإبصار وأريد منه طلب الإخبار ففيه مجازان (قوله كما قال النبي) المناسب إسقاطه (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري (قوله أوقع هذا) أي قوله: ممن هو في شقاق بعيد (قوله سنريهم آياتنا في الآفاق) الضمير عائد على كفار مكة، والمعنى سنرى كفار مكة دلائل قدرتنا حال كونها في الآفاق جمع أفق كأعناق وعنق ويقال أفق بفتحتين كعلم وأعلام (قوله من النيرات) أي الشمس والقمر والنجوم، وقوله والأشجار والنبات: أي والرياح والأمطار والجبال والبحار وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية (قوله وفي أنفسهم) أي كخلقهم أولا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم بعد تمام مدتهم في البطون يخرجهم إلى فضاء الدنيا ضعافا ثم يعطيهم القوة شيئا فشيئا وهكذا. واستشكل ظاهر الآية بأن السين تدل على تخليص المضارع للاستقبال مع أنهم مشاهدون هذه الآيات في الحال. أجيب بأن الكلام على حذف مضاف، والتقدير سنريهم عواقب آياتنا وأسرارها ففيه وعد للمعتبر ووعيد لغيره لأن حكمة هذه الآيات النظر والتأمل والاعتبار فمن اعتبر بهذه الآيات فقد سعد ومن تركه

فقد شق (قوله من لطيف الصنعة و بديع الحكمة) من ذلك ماخلقه وأبدعه فى نفس الانسان كالأكل والشرب يدخل من مكان واحد ويتميز ذلك خارجا من مكانين مختلفين لا يختلط أحدهما بالآخر، والبصر فانه ينظر به من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام والسمع فانه يفرق به بين الأصوات المختلفة وغير ذلك وهذا ماقرر به المفسر الآية. وهناك احتمالات أخر منها أن المراد بالآيات ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية، والمراد بالآفاق فتح القرى له ولخلفائه من بعده الذى لم يتيسر مثله لأحد من خلفاء الأرض قبلهم، والمراد بأنفسهم فتح مكة وملكهم وقد تحقق ذلك لرسول الله وخلفائه من بعده، ومنها أن المراد بالآيات وقائع الأمم السابقة، والمراد بأنفسهم ماحصل لهم يوم بدر من القتل والأسر، ومنها غير ذلك (قوله أولم يكف بربك الخ) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أتحزن على إنكارهم ومعارضتهم لك ولم يكفك ربك والاستفهام إنكارى والباء زائدة فى الفاعل والمفعول محذوف تقديره يكفك وأن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر بدل من الفاعل بدل كل من كل، والمعنى أتحزن على كفرهم ولم يكفك شهادة ربك لك وعليهم والمفسر قرر الآية بتقرير آخر والمؤدى واحد حيث جعل الآية إخبارا عن حالهم وعليه فالمعنى ألم يعتبروا ولم يكفهم شهادة ربك لك بالصدق وعليهم بالتكذيب (قوله لانكارهم البعث) أى بألسنتهم، والمعنى أن الدليل لنا على كونهم فى شك من لقاء ربهم (٢٩) إنكارهم بألسنتهم للبعث ولا يقال إن عندهم جزما فى قلوبهم بعدم البعث لأننا نقول لادليل لهم عليه حق يحصل الجزم بالأوهام أو وساوس شيطانية والحجة القطعية إنما هى على البعث وهكذا سائر عقائد الكفر فتدبر (قوله ألا إنه بكل شىء محيط) تسلية له صلى الله عليه وسلم والمعنى لاتحزن على كفرهم فان الله محيط بكل شىء فلا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ومن لازمه أنه يجازيهم فلذلك قال المفسر فيجازيهم.

من لطيف الصنعة وبديع الحكمة (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ) أى القرآن (الْحَقُّ) المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب فيعاقبون على كفرهم به وبالجائى به (أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ) فاعل يكف (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل منه، أى أو لم يكفهم فى صدقك أن ربك لايغيب عنه شىء ما (أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ) لإنكارهم البعث (أَلَا إِنَّهُ) تعالى (بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ) علما وقدرة فيجازيهم بكفرهم.

(سورة الشورى)

مكية إلا: قل لا أسألكم الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم. عسق) الله أعلم بمراده به (كَذَلِكَ) أى مثل ذلك الإيحاء (يُوحِي إِلَيْكَ، وَ) أوحى (إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ)،

[سورة الشورى] بالتعريف وتسمى أيضا سورة شورى من غير تعريف وسورة حم عسق وسورة عسق وسورة حم سق (قوله إلا قل لكم لا أسألكم عليه أجرا الخ) وقيل أول المدنى: ذلك الذى يبشر الله عباده وينتهى إلى عليم بذات الصدور، وقيل فيها من المدنى أيضا قوله ـ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون، إلى قوله: من سبيل ـ (قوله حم عسق) أجمع القراء على أن حم مفصولة من عسق فى الخط وعلى أن كهيعص متصلة ببعضها والحكمة فى ذلك أن حم عسق فصلت لما قيل إنهما اسمان للسورة وأيضا ليطابق سائر الحواميم (قوله أى مثل ذلك الايحاء) أشار بذلك إلى أن الكاف فى محل نصب على المفعولية المطلقة، والمعنى يوحى إليك و إلى الذين من قبلك إيحاء مثل ذلك الايحاء فى المعنى لما ورد عن ابن عباس: ليس من نبى صاحب كتاب إلا وقد أوحى إليه حم عسق، ووجه المشابهة أن الموحى به فى الكل يرجع لأمور ثلاثة التوحيد والنبوة والبعث فهذا القدر مشترك بين القرآن وغيره من الكتب (قوله يوحى إليك) جمهور القراء على أنه بالياء مبنيا للفاعل والله فاعله، وقرأ ابن كثير بالبناء للمفعول ونائب الفاعل إما ضمير عائد على كذلك أو الجار والمجرور، وقوله ـ الله العزيز الحكيم ـ فاعل بفعل محذوف كأنه قيل من يوحيه؟ فقيل يوحيه الله نظير: يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال وقرئ شذوذا بالنون مبنيا للفاعل ولفظ الجلالة بدل من الضمير فى نوحى الواقع فاعلا (قوله وأوحى الى الذين من قبلك) أشار بذلك الى أن يوحى مستعمل

فى حقيقته ومجازه فهو مستعمل فى المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن حينئذ وفى الماضى بالنظر لما أنزل عليه بالفعل وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين (قوله فاعل الايحاء) أى على قراءة الجمهور وأما على قراءة البناء للمفعول فهو فاعل بفعل محذوف وعلى قراءة النون فهو بدل من ضمير نوحى (قوله وهو العلىّ على خلقه) أى المنزه عن صفات خلقه (قوله العظيم) أى المنفرد بالكبرياء والعظمة (قوله بالنون الخ) ظاهره أن القراءات أربع من ضرب اثنتين فى اثنتين وليس كذلك بل هى ثلاثة فقط سبعيات لأن من قرأ تكاد بالتاء الفوقية يجوز فى ينفطرن الوجهين ومن قرأ يكاد بالياء التحتية لايقرأ ينفطرن إلا بالتاء مع التشديد (قوله أى تنشق كل واحدة) أى تسقط السابعة فوق السادسة والسادسة فوق الخامسة وهكذا إلى أن يسقط الجميع فوق الأرض فتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا والتقييد بالفوقية أبلغ فى مزيد الهيبة والجلال (قوله فوق التى تليها) أشار بذلك إلى أن الضمير فى فوقهن عائد على السموات ويصح عوده على فوق الكفار والمشركين أو على الأرضين لتقدم ذكر الأرض (قوله من عظمته تعالى) أى فالسموات تكاد تنشق وتخرّ خوفا من الجلال الناشئ عن قولهم اتخذ الله ولدا يدل على ذلك ما تقدم فى سورة مريم (قوله والملائكة يسبحون الخ) هذا كلام مستأنف سيق لبيان فضل بنى آدم (قوله من المؤمنين) أى والمراد بالملائكة حملة العرش ومن حوله بدليل ماتقدم فى غافر لحمل المطلق على المقيد، وقيل المراد مطلق الملائكة وبمن فى الأرض العموم فيشمل جميع الحيوانات، والمراد بالاستغفار طلب الأرزاق ودفع البلاء

فاعل الإيحاء (الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (وَهُوَ الْعَلِيُّ) على خلقه (الْعَظِيمُ) الكبير (تَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَٰوَاتُ يَنْفَطِرْنَ) بالنون، وفى قراءة بالتاء والتشديد (مِنْ فَوْقِهِنَّ) أى تنشق كل واحدة فوق التى تليها من عظمة الله تعالى (وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى ملابسين للحمد (وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ) من المؤمنين (أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ) لأوليائه (الرَّحِيمُ) بهم (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام (أَوْلِيَاءَ، اللَّهُ حَفِيظٌ) محص (عَلَيْهِمْ) ليجازيهم (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) تحصل المطلوب منهم ماعليك إلا البلاغ (وَكَذَٰلِكَ) مثل ذلك الايحاء (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ) تخوف (أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا) أى أهل مكة وسائر الناس (وَتُنْذِرَ) الناس (يَوْمَ الْجَمْعِ) أى يوم القيامة تجمع فيه الخلائق، (لاريب)

وكل صحيح ولذلك قال بعض العارفين: أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة وأغش عباد الله لعباد الله الشياطين (قوله ألا إن الله الخ) ألا أداة استفتاح يؤتى بها لتأكيد مابعدها وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة وأكد ذلك بألا الاستفتاحية وإن والجملة الاسمية تفضلا منه وإحسانا للاشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى الأصنام) تفسير للمفعول الأول فهو محذوف والثانى هو قوله أولياء، والمعنى والذين اتخذوا الأصنام آلهة معبودة قائلين: مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، يدل عليه الآية الأخرى، وأما الأولياء بمعنى المتولين خدمة ربهم وتولاهم بمحبته ومعرفته فمحبتهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله وليست محبتنا لهم وتوسلنا بهم شركا إلا إذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلا واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم فى نفع أو ضر خلافا للخوارج الضالين المضلين حيث زعموا أن كل من توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك (قوله الله حفيظ) أى ضابط لهم ولأعمالهم فلا يغيب عنه شئ منها ولا يفلتون منه وهذه الآية توبيخ للكفار وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله وكذلك) يصح أن يكون مفعولا مطلقا لأوحينا وقرآنا مفعول به والتقدير وأوحينا إليك قرآنا عربيا إيحاء كذلك واسم الاشارة عائد على الايحاء المتقدم فى قوله - كذلك يوحى إليك الخ، ويصح أن يكون مفعولا به وقرآنا حال والتقدير وأوحينا إليك مثل ذلك الايحاء حال كونه قرآنا عربيا (قوله أم القرى) سميت بذلك لأنها أول بلد خلقها الله وشرفها ولذا بعث لها أصل الخلق وأشرفهم وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله ومن حولها) أى كل جهة فهو مبعوث لسائر أهل الأرض بل وأهل السماء وإنما اقتصر على الانذار وإن كان مبعوثا بالبشارة أيضا لأنه فى ذلك الوقت لم يكن محل للبشرى لأن الخلق فى ذلك الوقت كفار (قوله يوم الجمع) هو المفعول الثانى والأول محذوف قدره المفسر بقوله الناس عكس الفعل الأول، فانه قد ذكر المفعول الأول وحذف الثانى تقديره العذاب

ففي الآية احتباك حيث حذف من كلّ نظير ما أثبته في الآخر (قوله لا ريب فيه) حال من يوم الجمع (قوله فريق) إما مبتدأ في كل خبره الجار والمجرور بعده والمسوّغ للابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وهو الأولى أو مبتدأ خبره محذوف تقديره منهم أو خبر لمبتدإ محذوف أي هم (قوله في الجنة) المراد بها دار الثواب فتعمّ جميع الجنان وقوله وفريق في السعير المراد به دار العذاب بجميع طباقها ، فالجنة لمن لم يتصف بالكفر من الثقلين إنساوجناوالنار لمن اتصف بالكفر من المكلفين إنسا وجنا (قوله ولوشاء الله) مفعول شاء محذوف تقديره جعلهم أمة واحدة ، والمعنى أن الأمر كله لله فلا يسئل عما يفعل لحكمة سبقت بأن خلق جنة وخلق لها أهلا وخلق نارا وخلق لها أهلا (قوله وهو الاسلام) أي أو الكفر (قوله ولكن يدخل من يشاء في رحمته) أي بفضله وإحسانه وهم فريق الجنة (قوله والظالمون) أي وهم فريق النار وهو مقابل قوله يدخل من يشاء فى رحمته ، وكان مقتضى الظاهر أن يقال ويدخل من يشاء فى غضبه وعدل عنه إلى ما ذكر إشارة إلى دفع توهم أن لهم شفيعا ونصيرا فى الآخرة ، وأما دخولهم فى الغضب فأمر معلوم لايحتاج للنص عليه (قوله الكافرون) تفسير للظالمون فالمراد بالظلم الكفر ، وأما الظالمون بمعنى العاصين بغير الكفر فلهم نصير يدفع عنهم العذاب لما فى الحديث «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (قوله التى للانتقال) أى من بيان المسبب لبيان السبب فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب فى دخولهم النار (قوله والهمزة للانكار) هذا أحد أوجه فى أم المنقطعة وهو أنها تقدر ببل والهمزة ويصح تقديرها

ببل وحدها أو الهمزة وحدها

(لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ ، فَرِيقٌ) منهم (فِى الْجَنَّةِ ، وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ) النار (وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى على دين واحد وهو الاسلام (وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ) الكافرون (مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عنهم العذاب (أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام (أَوْلِيَاءَ) أم منقطعة بمعنى بل التى للانتقال والهمزة للانكار : أى ليس المتخذون أولياء (فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ) أى الناصر للمؤمنين والفاء لمجرد العطف (وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَمَا اخْتَلَفْتُمْ) مع الكفار (فِيهِ مِنْ شَيْءٍ) من الدين وغيره (فَحُكْمُهُ) مردود (إِلَى اللهِ) يوم القيامة يفصل بينكم قل لهم (ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع (فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) حيث خلق حوّاء من ضلع آدم .

(قوله أى ليس المتخذون أولياء) أى فالنفى منصب على المفعول الثانى (قوله فالله هو الولى) أى المعبود بحق المتولى أمور الخلق والجملة المعرّفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحقّ إلا الله تعالى . إن قلت مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولى لايتصف به المخلوق ومقتضى آية ــ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ــ أنه يتصف به المخلوق فكيف الجمع بينهما ؟ أجيب بأن معنى الولى هنا المعبود بحق وذلك لايتصف به غيره تعالى ، وأما الولى فى تلك الآية فمعناه المنهمك فى طاعة الله تعالى المتولى الله أموره وتقدم ذلك (قوله والفاء لمجرد العطف) أى عطف ما بعدها على ماقبلها ورد بذلك على الزمخشرى القائل إن الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر : أى إن أرادوا وليا بحق فالله هو الولى . قال أبو حيان لاحاجة إلى هذا التقدير لتمام الكلام بدونه (قوله وما اختلفتم فيه من شئ) ما مبتدأ شرطية أو موصولة ومن شئ بيان لما وقوله فحكمه إلى الله خبر المبتدإ (قوله وغيره) أى كأمور الدنيا (قوله يفصل بينكم) أى فيدخل المحق الجنة والمبطل النار (قوله ذلكم) اسم الاشارة مبتدأ أخبر عنه بأخبار أولها لفظ الجلالة وآخرها شرع لكم من الدين (قوله عليه توكلت) أى فوضت أمورى (قوله مبدعهما) أى على غير مثال سابق (قوله جعل لكم من أنفسكم) أى جنسكم وقوله أزواجا : أى نساء (قوله حيث خلق حواء من ضلع آدم) أى اليسرى وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال إليها ومدّ يده إليها ، فقالت الملائكة مه يا آدم ، قال لم وقد خلقها الله ؟ فقال حتى تؤدّى مهرها ، قال وما مهرها ؟ قالوا حتى تصلى على محمد ثلاث مرات . وفى رواية لما رام آدم القرب منها طلبت منه المهر ، فقال يارب وماذا أعطيها ؟ فقال يا آدم صل على حبيبى محمد بن عبد الله عشرين مرة ، فلما فعل ماأمر به خطب الله له خطبة النكاح ثم قال : اشهدوا يا ملائكتى وحملة عرشى أنى زوجت أمتى حواء من عبدى آدم والضلع بوزن عنب وحمل فالضاد مكسورة واللام إما مفتوحة أو ساكنة وفعله ضلع من باب تعب: اعوجّ ، ومن باب نفع : مال عن الحق .

(قوله ومن الأنعام أزواجا) أى أصنافا (قوله أى يكثركم بسببه) أشار بذلك إلى أن فى للسببية والضمير فى فيه عائد على الجعل المأخوذ من جعل (قوله والضمير للأناسى) أى وهو الكاف فى يذرؤكم (قوله بالتغليب) جواب عما يقال كيف جمع بين العاقل وغيره فى ضمير واحد فكان مقتضى الظاهر أن يقال يذرؤكم و يذرؤها (قوله الكاف زائدة) أى للتأكيد وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقدر وهو أن ظاهر الآية يوهم ثبوت المثل له تعالى وهو محال لأنه يصير التقدير ليس مثل مثله شئ فنفى المماثلة عن مثله فثبت أن له مثلا ولا مثل له ، وأيضا يلزم عليه التناقض لأنه إذا كان له مثل فلمثله مثل وهو هو مع أن إثبات المثل له تعالى محال . فأجاب المفسر بأن الكاف زائدة والتقدير ليس مثله شئ . وهذا الجواب أسهل الأجوبة فى هذا المقام . وأجيب أيضا بأن مثل زائدة ورد بأن زيادة الأسماء غير جائزة وأيضا يلزم عليه دخول الكاف على الضمير وهو لايجوز إلا فى الشعر. وأجيب أيضا بأن المثل بمعنى الصفة وحينئذ فالتقدير ليس مثل صفته شئ . وأجيب أيضا بأن الكاف أصلية والكلام من قبيل الكناية كقولهم مثلك لايبخل وليس لأخى زيد أخ فنفى المماثلة عن المثل مبالغة فى نفيها عنه هو لأن العرب تقيم المثل مقام النفس (قوله له مقاليد السموات والأرض) جمع مقلاد أومقليد أو إقليد (قوله من المطر الخ) بيان للخزائن وقوله وغيرهما أى كالجواهر المستخرجة من الأرض (قوله إنه بكل شئ عليم) تعليل لما قبله (قوله شرع لكم) الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والمعنى بين لكم وجعل لكم دينا قويا واضحا تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من قبل وهو تفصيل لما أجمل أولا فى قوله: كذلك يوحى إليك و إلى الذين من قبلك (قوله ماوصى به نوحا الخ) خص هؤلاء بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء وأولوا العزم وأصحاب الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة فكان كل من هؤلاء الرسل له شرع جديد ، وأما من عداهم من الرسل إنما

(وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا) ذكوراً و إناثا (يَذْرَؤُكُمْ) بالمعجمة يخلقكم (فِيهِ) فى الجعل المذكور : أى يكثركم بسببه بالتوالد والضمير للأناسى والأنعام بالتغليب (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الكاف زائدة لأنه تعالى لامثل له (وَهُوَ السَّمِيعُ) لما يقال (الْبَصِيرُ) لما يفعل (لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما (يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَاوَصَّى بِهِ نُوحًا) هو أول أنبياء الشريعة (وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ) هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد (كَبُرَ) عظم (عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَاتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) من التوحيد ،

كان يبعث بتبليغ شرع من قبله فمن بين نوح و إبراهيم وهما هود وصالح بعثا بتبليغ شرع نوح ومن بين إبراهيم وموسى بعثوا بتبليغ شرع إبراهيم وكذا من بين موسى وعيسى بعثوا بتبليغ شرع موسى و إنما لم يذكر من قبلهم لأنه لم يكن قبل نوح أحكام مشروعة ، لأن آدم كان شرعه التوحيد ومصالح المعاش ، واستمر ذلك الأمر إلى نوح فبعثه الله تعالى بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات ، ولم يزل ذلك الأمر يتأكد بالرسل و يتناصر بالأنبياء واحدا بعد واحد وشريعة إثر شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتبين بهذا أن شرعنا معشر الأمة المحمدية قد جمع جميع الشرائع المتقدمة (قوله هو أول أنبياء الشريعة) أى فهذا حكمة بدئه بنوح وأيضا لتقدمه فى الزمان (قوله والذى أوحينا إليك) أتى بالاسم الموصول الذى هو أصل الموصولات وعبر فى جانبه صلى الله عليه وسلم بالإيحاء تعظيما لشأنه وردا على المشركين المنكرين بعثته صلى الله عليه وسلم حيث قالوا : لست مرسلا (قوله أن أقيموا الدين) الأوضح أن أن تفسيرية بمعنى أى ويصح أن تكون مصدرية إما فى محل رفع خبر لمحذوف تقديره هو إقامة الدين أوفى محل نصب بدل من مفعول شرع ، والمراد بإقامة الدين تعديل أركانه وحفظه والمواظبة عليه (قوله وهو التوحيد) بيان للمراد من الدين الذى اشترك فيه هؤلاء الرسل ، وأما قوله : والذى أوحينا إليك ، فهو أعم من ذلك فان المراد به جميع الشريعة أصولا وفروعا وانما اقتصر على التوحيد لأنه رأس الدين وأساسه (قوله كبر على المشركين) أى شق عليهم (قوله من التوحيد) اقتصر عليه لأنه عماد الدين و إلا فما يدعوهم إليه عام يشمل جميع الأصول والفروع .

(قوله الله يجتبى إليه) من الاجتباء وهو اصطفاء الله العبد وتوفيقه لما يرضاه وتخصيصه بالفيوضات الربانية (قوله من ينيب) ضمنه معنى يقبل أو يميل فعداه بإلى (قوله وما تفرقوا) الضمير عائد على أهل الأديان المتقدمين من أول الزمان إلى آخره كما قال المفسر ، والمراد بأهل الأديان أمم الأنبياء المتقدمين كأمة نوح وأمة هود وأمة صالح وغيرهم ، وأخذ المفسر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره ففي رواية عنه أن المراد بهم قريش ، والمراد بالعلم محمد دليله قوله تعالى : فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ، وقوله تعالى : فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا ، وفى رواية عنه أن المراد بهم أهل الكتاب بدليل قوله : وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة ، وفى رواية غيره أن المراد أمم الأنبياء المتقدمين (قوله العلم بالتوحيد) أى بأن قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم (قوله بغيا مفعول لأجله) أى تفرقوا من أجل حصول البغى بينهم الذى هو الحسد والعناد فى الكفر (قوله بتأخير الجزاء) أى إلى يوم القيامة ، وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقى ولا سعيد . إن قلت إن كفار الأمم الماضية قد نزل بهم أنواع من العذاب كالصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك . أجيب بأنه ليس بجزاء بل هو علامة الجزاء والخزى (قوله أورثوا) فعل مبنى للمفعول والفاعل الله تعالى (قوله وهم اليهود والنصارى) تفسير للذين أورثوا الكتاب ، وحينئذ فالمراد بالكتاب التوراة والإنجيل والضمير (٣٣) فى بعدهم عائد على أصولهم المتفرقين

(اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ) إلى التوحيد (مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) يُقبل إلى طاعته (وَمَا تَفَرَّقُوا) أى أهل الأديان فى الدين بأن وحد بعض وكفر بعض (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ) بالتوحيد (بَغْيًا) من الكافرين (بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير الجزاء (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) يوم القيامة (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بتعذيب الكافرين فى الدنيا (وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ) وهم اليهود والنصارى (لَفِي شَكٍّ مِنْهُ) من محمد صلى الله عليه وسلم (مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (فَلِذَلِكَ) التوحيد (فَادْعُ) يا محمد الناس (وَاسْتَقِمْ) عليه (كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) فى تركه (وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ) أى بأن أعدل (بَيْنَكُمْ) فى الحكم (اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ) فكل يجازى بعمله (لَا حُجَّةَ) خصومة (بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) هذا قبل أن يؤمر بالجهاد (اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا) فى المعاد لفصل القضاء (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) المرجع (وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي) دين (اللهِ) نبيه (مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ) بالإيمان لظهور معجزته وهم اليهود (حُجَّتُهُمْ ،

فى الحق ، وقيل معنى من بعدهم من قبلهم ويكون الضمير حينئذ عائدا على مشركى مكة ، وقيل المراد بالذين أورثوا الكتاب مشركو العرب والمراد بالكتاب القرآن والضمير فى من بعدهم عائد على اليهود والنصارى (قوله لفى شك) المراد به هنا مطلق التردد والتحير (قوله موقع فى الريبة) أى الشبهات والضلالات (قوله فلذلك) الجار والمجرور متعلق بادع والتقدير فادع الناس لذلك التوحيد الذى تقدم ذكره فى قوله : شرع لكم من الدين (قوله واستقم) الاستقامة لزوم النهج القويم (قوله كما أمرت) أى من تقوى الله حق تقاته وعبادته حق العبادة ومن هنا شاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « شيبتنى هود وأخواتها » فسبب شيبه خوفه من عدم قيامه بما أمر به ولكن خفف الله عنه وعن أمته بقوله : فاتقوا الله مااستطعتم وقوله كما أمرت الكاف بمعنى مثل ، والمعنى استقم استقامة مثل الذى أمرت به أى موافقة له (قوله ولا تتبع أهواءهم) أى حيث قالوا اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة (قوله من كتاب) بيان لما ، والمعنى آمنت بكل كتاب أنزله الله تعالى وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل آمن بالله وملائكته وكتبه الخ (قوله أى بأن أعدل) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء وأن المصدرية مقدرة والفعل منصوب بها (قوله فكل يجازى بعمله) أى من خير وشر (قوله هذا قبل أن يؤمر بالجهاد) أشار بذلك إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية ، وقيل ليست منسوخة بل المراد من الآية أن الحق قد ظهر والحجج قامت فلم يبق إلا العناد وبعد العناد لاحجة ولاجدال (قوله وإليه المصير) أى فيجازى كل أحد بعمله من خير وشر (قوله والذين يحاجون فى الله) الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف كما أشار لذلك المفسر (قوله من بعد ما استجيب له) أى من بعد دخول الناس فى دينه وأجابوا دعوته فالسين والتاء زائدتان (قوله وهم اليهود) تفسير للموصول ،

(قوله داحضة) من الادحاض وهو الازلاق ، يقال دحضت رجله أى زلقت والمراد هنا الأبطال (قوله ولهم عذاب شديد) أى فى الآخرة (قوله متعلق بأنزل) أى والباء للملابسة (قوله والميزان العدل) أى وسمى العدل ميزانا لأن الميزان يحصل به الانصاف والعدل فهو من تسمية المسبب باسم السبب و إنزاله الأمر به ، وقيل المراد بالميزان نفسه الذى يوزن به والمراد بانزاله إنزال الالهام بعمله والأمر بالوزن به ، وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضى بينكم بكتاب الله (قوله وما يدريك) الاستفهام إنكارى ، والمعنى لاسبب يوصلك للعلم بقربها إلا الوحى الذى ينزل عليك (قوله أى إتيانها قريب) قدر المضاف ليصح الاخبار بالمذكر عن المؤنث (قوله ولعل معلق للفعل عن العمل) التعليق إبطال العمل لفظا لامحلا بسبب توسط أداة لها صدر الكلام (قوله أو ما بعده سد مسد المفعولين) أى الثانى والثالث وأما الأول فهو الكاف و يتعين جعل أو بمعنى الواو (قوله الذين لايؤمنون بها) أى فلا يشفقون منها وقوله : والذين آمنوا مشفقون منها أى فلا يستعجلون بها ففى الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ماأثبته فى الآخر (قوله إنها الحق) أى كائنة وحاصلة لامحالة (قوله فى الساعة) أى فى إتيانها (قوله لفى ضلال بعيد) أى عن الاهتداء (قوله الله لطيف بعباده) أى حفى بهم ، وقيل بار بهم ، وقيل رفيق بهم ، وقيل معناه لطيف بهم فى العرض والمحاسبة ، وقيل يلطف بهم فى الرزق من وجهين : أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات . والثانى أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة فتبذره وقيل اللطيف من إذا لجأ إليه أحد من عباده قبله وأقبل عليه ، وفى الحديث « إن الله تعالى يطلع على القبور الدوارس فيقول الله عز وجل امحقت آثارهم واضمحلت صورهم و بقى عليهم العذاب وأنا اللطيف وأنا أرحم الراحمين خففوا عنهم » ، وقيل اللطيف الذى ينشر من عباده المناقب و يستر عليهم المثالب ، ومنه حديث « يامن أظهر الجميل وستر القبيح » ، وقيل هو الذى يقبل القليل و يبذل الجزيل ، وقيل هو الذى يجبر الكسير و ييسر العسير ، وقيل هو الذى لايخاف إلا عدله ولا يرجى إلا فضله ، وقيل هو الذى يعين على الخدمة و يكثر المدحة ، وقيل هو الذى لايعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه ، وقيل هو الذى لايرد سائله ولا يؤيس آمله ، وقيل هو الذى يعفو عمن يهفو ، وقيل هو الذى يرحم من لايرحم نفسه ، وقيل هو الذى أوقد فى أسرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل لهم الصراط المستقيم منهاجا وأجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجا . وبالجملة فهذا الاسم جامع لمعانى الأسماء الجمالية فينبغى للعاقل الاكثار من ذكره سيما إذا قصد بذكره رضا ربه فان له السعادة دنيا وأخرى و يكفى همومهما لما ورد « اعمل لوجه واحد يكفك كل الأوجه » (قوله من كل منهم) بيان لمن ، والمعنى أن الذى يشاء رزقه هو كل منهم (قوله من كان يريد حرث الآخرة الخ) الحرث فى الأصل إلقاء البذر فى الأرض و يطلق على الزرع الحاصل منه ثم استعمل فى ثمرات الأعمال ونتائجها على سبيل الاستعارة حيث شبهت ثمرات الأعمال بالغلال الحاصلة من البذر بجامع حصول العمل والتعب فى كل فان من أتعب نفسه أيام البذر واشتغل بالحرث والزرع أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد فكذلك من أتعب نفسه فى الدنيا وعمل ابتغاء وجه ربه فانه يجد ثمرات أعماله فى الآخرة ومنها هنا حديث « الدنيا مزرعة للآخرة » وهذه الآية عامة لبيان حال الخاص فى عمله لوجه الله والذى يطاب بعمله أعراض الدنيا ذكرا أو أنثى لأن من من صيغ العموم وقوله بعمله المراد به خدمته فى الدنيا صلاة أو صوما أو غيرهما كالسعى على العيال ، وحينئذ فالمدار على النية الحسنة إذ بها تصير العادات عبادات (قوله الحسنة) منصوب بالمصدر الذى هو التضعيف .

(٣٤)

دَاحِضَةٌ) باطلة (عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ) القرآن (بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (وَالْمِيزَانَ) العدل (وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك (لَعَلَّ السَّاعَةَ) أى إتيانها (قَرِيبٌ) ولعل معلق للفعل عن العمل أو ما بعده سد مسد المفعولين (يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا) يقولون متى تأتى ظنا منهم أنها غير آتية (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ) خائفون (مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ) يجادلون (فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ . اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ) برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم (يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ) من كل منهم مايشاء (وَهُوَ الْقَوِيُّ) على مراده (الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (مَنْ كَانَ يُرِيدُ) بعمله (حَرْثَ الْآخِرَةِ) أى كسبها وهو الثواب (نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ) بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر ، (ومن

(قوله ومن كان يريد حرث الدنيا الخ) أى بعمله وخدمته والمعنى من صرف نيته للدنيا وجعل عمله وخدمته لها نعطيه ماقسم له منها و بعدذلك ليس له فى الآخرة حظ ولا نصيب ، فالذى ينبغى للشخص أن يسعى فيما يرضى ربه و يقصد بعمله وجه خالقه وسيده يحصل له غنى الدنيا والآخرة . ومن معنى هذه الآية حديث «إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه» وحديث «أوحى الله إلى الدنيا يادنيا من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه» (قوله ماقسم له) مفعول نؤته (قوله وما له فى الآخرة من نصيب) أى حظ فى النعيم . واعلم أن المقام فيه تفصيل فان تجرد عمله للدنيا وقدم السعى فيها على الايمان فهو مخلد فى النار وليس له فى الآخرة نعيم أصلا وأما إن كان التفريط فيما عدا الايمان كأن يرائى بعمله قصدا لطلب الدنيا فهو مسلم عاص له نعيم فى الآخرة غير كامل (قوله أم لهم شركاء) قدرها المفسر ببل التى للانتقال من قصة إلى قصة وقدرها غيره ببل والهمزة التى للتوبيخ والتقريع وهو متصل بقوله : شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا (قوله هم شياطينهم) أى الذين شاركوهم فى الكفر والعصيان (قوله شرعوا لهم) إسناد الشرع إلى الشياطين مجاز من الاسناد للسبب لأنها سبب إضلالهم (قوله لقضى بينهم) أى حكم بين الكفار والمؤمنين بأن يعذب الكفار و يثيب المؤمنين ولكن حكم الله وقضى فى سابق أزله

(٣٥)

(وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا) بلا تضعيف ماقسم له (وَمَالَهُ فِى الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ . أَمْ) بل (لَهُمْ) لكفار مكة (شُرَكَاءُ) هم شياطينهم (شَرَعُوا) أى الشركاء (لَهُمْ) للكفار (مِنَ الدِّينِ) الفاسد (مَالَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ) كالشرك وإنكار البعث (وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ) أى القضاء السابق بأن الجزاء فى يوم القيامة (لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ) و بين المؤمنين بالتعذيب لهم فى الدنيا (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (تَرَى الظَّالِمِينَ) يوم القيامة (مُشْفِقِينَ) خائفين (مِمَّا كَسَبُوا) فى الدنيا من السيئات أن يجازوا عليها (وَهُوَ) أى الجزاء عليها (وَاقِعٌ بِهِمْ) يوم القيامة لامحالة (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِى رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ) أنزهها بالنسبة إلى من دونهم (لَهُمْ مَايَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . ذَلِكَ الَّذِى يُبَشِّرُ) من البشارة مخففا ومثقلا به (اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى على تبليغ الرسالة (أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى) استثناء منقطع أى لكن أسألكم أن تودوا قرابتى التى هى قرابتكم أيضا

أن الثواب والعقاب يكونان يوم القيامة (قوله ترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية (قوله مشفقين حال) أى حال كونهم خائفين فى ذلك اليوم وهذا الخوف زيادة عذاب لهم وأما المنجى فهو الخوف فى الدنيا من عذاب الله (قوله أن يجازوا عليها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أى من جزاء ما كسبوا (قوله لامحالة) أى أشفقوا أولم يشفقوا (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره فى روضات الجنات (قوله أنزهها بالنسبة إلى من دونهم) أى فروضة الجنة أعلاها وأطيبها وفيه إشارة إلى أن الذين آمنوا ولم يعملوا الصالحات فى الجنة غير أنهم ليسوا فى الأعلى ولافى الأطيب (قوله عند ربهم) ظرف ليشاءون والعندية مجازية (قوله الفضل الكبير) أى الذى لايوصف لأن الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر فمن ذا الذى يستطيع أن يصفه من الحوادث (قوله ذلك) مبتدأ والذى يبشر خبره والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به فحذف الجار فاتصل الضمير وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول وأما على رأى يونس من أنها مصدرية فلا تحتاج إلى عائد والتقدير عنده ذلك تبشير الله عباده (قوله من البشارة) أى وهى الخبر السار (قوله مخففا ومثقلا) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل لا أسألكم عليه أجرا) أى قل يامحمد لامتك، لا أطلب منكم أجرا فى نظير تبليغى الرسالة وتبشيرى إياكم ولا خصوصية له صلى الله عليه وسلم بذلك بل جميع الأنبياء لايسألون الأجرة لأن سؤال الأجرة على الأمور الأخروية نقص فى حق غير الأنبياء فأولى الأنبياء (قوله إلا المودة فى القربى) اختلف المفسرون فى معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال : الأول عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل : قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ، أى مابينى و بينكم من القرابة ، والمعنى إن لم تتبعونى فاحفظوا حق القربى وصلوا

رحمى ولا تؤذونى بعد عليكم نفعها لما فى الحديث « الرحم معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى » فثمرته عائدة عليهم لا على النبى صلى الله عليه وسلم . الثانى عنه أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن فى يده سعة فقالت الأنصار إن هذا الرجل هداكم وهو ابن أختكم وأجاركم فى بلدكم فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم ونزلت الآية وحينئذ فالخطاب للأنصار . الثالث عن الحسن أن معناه إلا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة فى التقرب إلى الله بطاعته وخدمته لا لغرض دنيوى، فالقربى على الأول القرابة بمعنى الرحم وعلى الثانى بمعنى الأقارب وعلى الثالث بمعنى القرب والتقرب . واعلم أن طلب الأجر على التبليغ لا يجوز لوجوه : الأول تبرى الأنبياء جميعا منه ، الثانى أن التبليغ واجب وطلب الأجرة على أداء الواجب لا يليق بأفراد الأمة فضلا عن الأنبياء ، الثالث أن النبوة أمرها عظيم والدنيا و إن عظمت حقيرة لا تزن جناح بعوضة ولا يليق طلب الخسيس فى دفع الشريف وغير ذلك . إن قلت حيث كان الأمر كذلك فما معنى الاستثناء فى الآية . أجيب بجوابين : الأول أن هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم على حد قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

فالمعنى لا أطلب إلا هذا وهو فى الحقيقة ليس بأجر لأن المودة بين المسلمين واجبة خصوصا فى حق أشرافهم وحينئذ فيكون الاستثناء متصلا بالنظر للظاهر . الثانى أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر وحينئذ فالكلام تم عند قوله قل لا أسألكم عليه أجرا ثم قال إلا المودة فى القربى أى أذكركم قرابتى ، والمراد بقرابته قيل فاطمة وعلى وابناهما وقيل هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس لما روى عن زيد (٣٦) بن أرقم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب

فإن له فى كل بطن من قريش قرابة (وَمَنْ يَقْتَرِفْ) يكتسب (حَسَنَةً) طاعة (نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا) بتضعيفها (إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ) للذنوب (شَكُورٌ) للقليل فيضاعفه (أَمْ) بل (يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) بنسبة القرآن إلى الله تعالى (فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ) يربط (عَلَىٰ قَلْبِكَ) بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ) الذى قالوه (وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ) يثبته (بِكَلِمَاتِهِ) المنزلة على نبيه (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ) بما فى القلوب (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) منهم (وَيَعْفُوا عَنِ ٱلسَّيِّئَاتِ) المتاب منها (وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ) ، بالياء

الله وأهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى قيل لزيد ابن أرقم فمن أهل بيته فقال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس» وقيل هم الذين تحرم عليهم الزكاة وقيل غير ذلك فتحصل أن الخطاب على القول الأول لقريش وعلى الثانى للأنصار والعبرة بعموم اللفظ لأن رحم النبى رحم لكل مؤمن لقوله تعالى : النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ، فمحبة أهل البيت فيها السعادة والسيادة دنيا وأخرى والمرء يحشر مع من أحب وقوله فى القربى الظرفية مجازية . والمعنى إلا المودة العظيمة المحصورة فى القربى و إنما لم يعدها باللام لئلا يتوهم زيادة اللام فيكون الكلام خاليا من البلاغة . فالتعبير بفى للمبالغة إشارة إلى أنهم جعلوا محلا للمودة وهم لها أهل (قوله فإن له فى كل بطن) أى قبيلة (قوله من قريش) أى وهم أولاد النضر بن كنانة أحد أجداده صلى الله عليه وسلم (قوله حسنة) فسرها ابن عباس بالمودة لآل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بتضعيفها) أى من عشرة إلى سبعين إلى سبعمائة إلى غير ذلك (قوله شكور للقليل) أى يقبله و يثيب عليه (قوله وقد فعل) أى ختم على قلبه صلى الله عليه وسلم بأن صبره على ما ذكر فدل كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوع بوقوعها (قوله و يمح الله الباطل) كلام مستأنف غير داخل فى حيز الشرط لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقا (قوله بكلماته) أى القرآن (قوله بما فى القلوب) أشار بذلك إلى أنه أطلق المحل وأراد الحال (قوله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة ولها شروط ثلاثة الإقلاع عن المعصية والندم على فعلها والعزم على أن لا يعود إليها أبدا فإن كانت المعصية متعلقة بحق آدمى فيزاد على هذه الثلاثة رابع وهو استسماح صاحب الحق و يكفى عند مالك براءة المجهول فلا يشترط عنده أن يعين له ذلك الحق فإذا تاب بالشروط وقدر الله عليه الوقوع فى الذنب مرة أخرى فإنه يتوب ولا يقنط من رحمة الله تعالى ولا ترجع عليه ذنوبه التى تاب منها (قوله منهم) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى من والقبول بمعنى الأخذ (قوله المتاب منها) أى و يصح أن المراد ولو لم يتب فمن صفاته تعالى أنه يقبل توبة التائب و يعفو عن سيئات من لم يتب إذ لا يسأل عما يفعل

(قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يجيبهم إلى مايسألون) أشار بذلك إلى أن السين والتاء زائدتان والموصول مفعول به والفاعل ضمير يعود على الله تعالى (قوله لبغوا جميعهم) دفع بذلك مايقال إن البغى حاصل بالفعل فكيف يصح انتفاؤه . فأجاب بأن اللازم المنتفى هو بغى جميعهم ، والملزوم بسط الرزق للجميع وإلا فبغى البعض و بسط الرزق للبعض حاصل فى كل زمن (قوله أى طغوا فى الأرض) أى لأن الله تعالى لوسوى فى الرزق بين جميع عباده لامتنع كون البعض محتاجا للبعض ، وذلك يوجب خراب العالم وفساد نظامه فأفعال الله تعالى لاتخلو عن مصالح و إن لم يجب على الله فعلها فقد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه الرزق قاده ذلك إلى الفساد فيزوى عنه الدنيا مصلحة له ، فى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى « إن من عبادى المؤمنين من يسألنى الباب من العبادة و إنى عليم أنى لو أعطيته إياه لدخله العجب فأفسده ، و إن من عبادى المؤمنين من لايصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده الفقر ، و إن من عبادى المؤمنين من لايصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده الغنى ، و إنى لأدبر عبادى لعلمى بقلوبهم فانى عليم خبير » ثم قال أنس اللهم إنى من عبادك المؤمنين الذين لايصلحهم إلا الغنى فلا تفقرنى برحمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فيبسطها لبعض دون بعض) أى و يبسطها للبعض أحيانا و يضيقها عليه أحيانا فلا يسأل عما يفعل (قوله إنه بعباده خبير بصير) تعليل لما قبله . والمعنى عليم بالبواطن

والظواهر (قوله وهو الذى ينزل)

بالياء والتاء (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) يجيبهم إلى ما يسألون (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ . وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ) جميعهم (لَبَغَوْا) جميعهم أى طغوا (فِى الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ) بالتخفيف والتشديد من الأرزاق (بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ) فيبسطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغى (إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ . وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ) المطر (مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا) يئسوا من نزوله (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) يبسط مطره (وَهُوَ الْوَلِيُّ) المحسن للمؤمنين (الْحَمِيدُ) المحمود عندهم (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ) خلق (مَا بَثَّ) فرق ونشر (فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ) هى ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ) للحشر (إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ) فى الضمير تغليب العاقل على غيره (وَمَا أَصَابَكُمْ) خطاب للمؤمنين ،

بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان (قوله من بعد ماقنطوا) العامة على فتح النون وقرئ شذوذا بكسر النون ومضارعها بفتح النون وبه قرئ فى المتواتر فتحصل أنه فى المضارع قرئ بالوجهين قراءة سبعية وفى الماضى لم يقرأ فى السبع إلا بالفتح والكسر قراءة شاذة وإن كان لغة فيه (قوله يبسط مطره) أشار بذلك إلى أن المطر سمى باسمين الغيث لأنه يغيث من الشدائد والرحمة لأنه رحمة و إحسان للخلق و يصح أن يراد بالرحمة البركات أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شىء من السهل والجبل والنبات والحيوان وحينئذ فيكون عطفه على ماقبله من عطف المسبب على السبب (قوله المحمود عندهم) أى وعند جميع المخلوقات ، و إنما خص المؤمنين تشريفا لهم (قوله ومن آياته) أى دلائل قدرته وعجائب وحدانيته (قوله خلق السموات والأرض) أى فانهما بذاتهما وصفاتهما يدلان على اتصاف خالقهما بالكمالات قال تعالى : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها الآية (قوله وخلق مابث) أشار بذلك إلى أن قوله ومابث معطوف على السموات مسلط عليه خلق ويصح أن يكون فى محل رفع عطف على خلق (قوله هى مايدب على الأرض) أشار بذلك إلى أن المراد فى أحدهما فهو من إطلاق المثنى على المفرد كما فى قوله تعالى : يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، و إنما يخرجان من أحدهما وهو الملح ، وهذا أسلم وأحسن مما قيل إن الآية باقية على ظاهرها ولا مانع من أن الله تعالى خلق حيوانات فى السموات يمشون فيها كمشى الأناسى على الأرض لأن ذلك بعيد من الافهام لكونه على خلاف العرف العام (قوله إذا يشاء) متعلق بجمعهم وقدير خبر الضمير وعلى جمعهم متعلق بقدير والمعنى وهو قدير على جمعهم فى أى وقت شاء وهو معنى قوله تعالى : إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فمتى أراد الله شيئا أبرزه بقدرته (قوله فى الضمير) أى وهو قوله على جمعهم ولو لم يرد التغليب لقال على جمعها (قوله خطاب للمؤمنين) أى وأما مصائب الكفار فى الدنيا فتعجيل لبعض العقاب لهم .

(قوله من مصيبة) بيان لما وقوله فبما كسبت أيديكم جواب الشرط إن جعلت ماشرطية أوخبر المبتدا إن جعلت موصولة وقرنت بالفاء لما في المبتدإ من معنى الشرط وهذا على ثبوت الفاء ، وأما على قراءة حذفها فالأولى جعلها خبرا وما موصولة وجعلها شرطية يلزم عليه حذف الفاء في جوابه وهو شاذ والقراءتان سبعيتان (قوله و يعفوا عن كثير) من تمة قوله : فبما كسبت أيديكم . والمعنى أن الذنوب قسمان قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها وما يعفو عنه أكثر قال على بن أبي طالب هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل و إذا كان يكفر عنى بالمصائب و يعفوعن كثير فأى شيء يبقى بعد كفارته وعفوه ، وقد روى هذا المعنى مرفوعا عنه رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على بن أبي طالب ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية ياعلى ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى عليكم العقوبة في الآخرة وماعفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه ، وقال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم «مامن اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكتة حجر إلا بذنب ومايعفو الله عنه أكثر» وقال الحسن دخلنا على عمران بن حصين فقال رجل لابد أن أسألك عما أرى بك من الوجع ، فقال عمران يا أخى لاتفعل فوالله إنى لأحب الوجع ، ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله قال تعالى : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا مما كسبت يدى وعفو ربى عما بقى أكثر ، وقال عكرمة : مامن نكبة أصابت (٣٨) عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها أو لنيل درجة لم يكن ليوصله إليها إلا بها وروى أن رجلا قال لموسى ياموسى سل الله لى في حاجة يقضيها لى هو أعلم بها ففعل موسى فلما ترك إذا هو بالرجل قدمزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يارب مابال هذا فقال الله تعالى ياموسى انه سألنى درجة علمت أنه لايبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعله وسيلة له في نيل تلك الدرجة

(مِنْ مُصِيبَةٍ) بلية وشدة (فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) أى كسبتم من الذنوب ، وعبر بالأيدى لأن أكثر الأفعال تزاول بها (وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يجازى عليها وهو تعالى أكرم من أن يثنى الجزاء في الآخرة وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة (وَمَا أَنْتُمْ) يا مشركين (بِمُعْجِزِينَ) الله هربا (فِي الْأَرْضِ) فتفوتونه (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) يدفع عذابه عنكم (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ) السفن (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كالجبال في العظم (إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ) يصرن (رَوَاكِدَ) ثوابت لا تجرى (عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ)

لكل

(قوله وهو تعالى أكرم الخ) متعلق بقوله فبما كسبت أيديكم فكان المناسب تقديمه بلصقه (قوله من أن يثنى الجزاء في الآخرة) أى من أن يعيد الجزاء بالعقوبة في الآخرة لأن الكريم لايعاقب مرتين (قوله وأما غير المذنبين) أى كالأنبياء والأطفال والمجانين (قوله لرفع درجاتهم) وقيل في الأطفال إن مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم وفى الحقيقة رفع درجات لهم وتكفير لآبائهم (قوله يامشركين) كذا في النسخ التى بأيدينا . والصواب يامشركون لأن المنادى يبنى على مايرفع به وهو يرفع بالواو (قوله بمعجزين الله) أى فارين من عذابه (قوله ومن آياته) أى أدلة توحيده وعجائب قدرته (قوله الجوار) بحذف الياء خطا لأنها من ياآت الزوائد وإثباتها في اللفظ وصلا ووقفا وحذفها كذلك أربع قراءات سبعيات (قوله السفن) استشكل بأن ظاهر الآية يوهم حذف الموصوف و إبقاء صفته مع أن الجرى ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السفن وحينئذ فلا يجوز حذفه لعدم علمه قال ابن مالك : ومامن المنعوت والنعت عقل يجوز حذفه وفى النعت يقل

أجيب بأن محل الامتناع إذا لم تجر الصفة مجرى الجوامد بأن تغلب عليها الاسمية كالأبطح والأبرق والأجرع و إلا جاز حذف الموصوف ولذلك فسر الجوار بالسفن ولم يقل أى السفن الجارية (قوله فيظللن) بفتح اللام في قراءة العامة من ظلل بكسرها كعلم وقرئ شذوذا فيظللن بكسر اللام من ظلل بفتحها كضرب (قوله أى يصرن) أشار بذلك إلى أن المراد من ظل الصيرورة في ليل أو نهار ، وليس المراد معناها وهو إتصاف المخبر عنه بالخبر نهارا (قوله رواكد) جمع راكد يقال ركد الماء ركودا من باب قعد سكن و يوصف به الريح والسفينة وكل شيء سكن بعد تحركه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الايمان فاستجابوا له ونقب عليهم اثنى عشر نقيبا قبل الهجرة (قوله أجابوه إلى مادعاهم الخ) أى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشار المفسر إلى أن السين والتاء زائدتان (قوله وأقاموا الصلاة) أى أدوها بشروطها وآدابها (قوله وأمرهم شورى بينهم) والشورى مصدر شاورته أى شاركته فى الرأى كالبشرى وكانت الأنصار قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أمرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به وأمر صلى الله عليه وسلم بذلك قال تعالى - وشاورهم فى الأمر - تأليفا لقلوب أصحابه وذلك فى الأمور الاجتهادية كالحروب ونحوها ولم يكن يشاورهم فى الأحكام لأنها منزلة من عند الله تعالى وكانت الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم يتشاورون فى المهمات من أمور الدين والدنيا وأول ماتشاور فيه الصحابة الخلافة لأن النبى لم ينص عليها فوقع بينهم اختلاف، ثم اجتمعوا وتشاوروا فيه فقال عمر نرض لدنيانا مارضيه النبى لديننا فوافقوه على ذلك وبالجملة فالشورى أمرها عظيم قال الحسن ماتشاور قوم قط إلاهدوا إلى أرشد أمورهم، وفى الحديث «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإن كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» (قوله

أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أداموها (وَأَمْرُهُمْ) الذى يبدو لهم (شُورَى بَيْنَهُمْ) يتشاورون فيه ولا يعجلون (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ) أعطيناهم (يُنْفِقُونَ) فى طاعة الله ومن ذكر صنف (وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ) الظلم (هُمْ يَنْتَصِرُونَ) صنف أى ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالى (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى فى الصورة، وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات. قال بعضهم: وإذا قال له أخزاك الله فيجيبه أخزاك الله (فَمَنْ عَفَا) عن ظالمه (وَأَصْلَحَ) الود بينه وبين المعفو عنه (فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ) أى إن الله يأجره لامحالة (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) أى البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه (وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ) أى ظلم الظالم إياه (فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ) مؤاخذة (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ) يعملون (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) بالمعاصى (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم،

وبما رزقناهم ينفقون) أى فى وجوه البر وكانوا يقدمون غيرهم عليهم قال تعالى فى وصفهم - ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - (قوله ومن ذكر صنف) أى المؤمنون المتقدمون فتحصل أن الله تعالى جعل المؤمنين صنفين: صنفا يعفون عمن ظلمهم وقد ذكرهم الله تعالى فى قوله - وإذا ماغضبوا هم يغفرون - وصنفا ينتقمون ممن ظلمهم وقد ذكرهم الله فى قوله - والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون - (قوله هم ينتصرون) هذا فى الاعراب كقوله - وإذا ماغضبوا هم يغفرون - سواء بسواء ويزيد هنا أنه يصح أن يكون هم توكيدا للضمير المنصوب فى أصابهم وحينئذ ففيه الفصل بين المؤكد والمؤكد بالفاعل (قوله وهذا) أى قوله مثلها وقوله من الجراحات أى وغيرها من سائر الحقوق التى يمكن استيفاؤها (قوله قال بعضهم) هو مجاهد والسدى (قوله فمن عفا) الفاء للتفريع أى إذا كان الواجب فى الجزاء رعاية المماثلة فالأولى العفو والاصلاح لتعذر المماثلة غالبا (قوله وأصلح الود بينه وبين المعفو عنه) أشار بذلك إلى أن الاصلاح من تمام العفو وفيه تحريض وحث على العفو فان أمره عظيم وفيه تفويض الأمر إلى الله تعالى والله لايخيب من فوض الأمر إليه (قوله أى البادئين بالظلم) أى الذين فعلوا الظلم ابتداء (ولمن (قوله ولمن انتصر بعد ظلمه) اللام للابتداء ومن شرطية وجملة فأولئك الخ جواب الشرط أو موصولة مبتدأ وقوله فأولئك خبره ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط (قوله أى ظلم الظالم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للمفعول وفى هذه الآية اشارة إلى أن للمظلوم أن يأخذ حقه ممن ظلمه بنفسه وهو جائز بشرط أن لا يزيد على حقه وأن يأمن من ولاة الأمور وأن يكون حقه ثابتا (قوله فأولئك ماعليهم من سبيل) أى لأنهم فعلوا ماهو جائز لهم (قوله بغير الحق) قيد به اشارة إلى أن البغى قد يكون مصحوبا بالحق كما إذا أخذ حقه مع التجاوز فيه،

(قوله لكل صبار) أى كثير الصبر على البلايا عظيم الشكر على العطايا (قوله عطف على يسكن) أى فالمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن ولامفهوم له بل قد يغرقها الله بسبب آخر كقلع لوح أو غير ذلك (قوله بعصف الريح بأهلهن) أى اشتدادها وإنما قيد به وإن كانت أسباب الغرق كثيرة نظرا للشأن والغالب (قوله أى أهلهن) تفسير للواو فى كسبوا العائد على أهل السفن المعلوم من السياق (قوله ويعف عن كثير) قرأ العامة بالجزم عطفا على جواب الشرط واستشكل بأنه يلزم عليه دخول العفو فى حيز المشيئة مع أنه اخبار عن العفو من غير شرط المشيئة. وأجيب بأن الجزم من حيث الصورة الظاهرية لامن حيث المعنى وقرئ شذوذا يعفو بالرفع والنصب أما قراءة الرفع فهى محتملة لوجهين: الأول الاستئناف الثانى الجزم وزيدت الواو للاشباع كزيادتها فى من يتقى ويصبر وأما قراءة النصب فهى على إضمار أن بعد الواو قال ابن مالك:

والفعل من بعد الجزا إن يقترن بالفا أو الواو بتثليث قمن

وهذا نظير ماقيل فى قوله تعالى - فيغفر لمن يشاء - (قوله منها) أى الذنوب أو السفن (قوله بالرفع مستأنف) أى وهو يعلم وقوله وبالنصب أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لينتقم منهم) أى بالغرق وهو تعليل للاغراق (قوله فما أوتيتم) ما الشرطية مفعول ثان لأوتيتم والأول ضمير المخاطبين به نائب الفاعل ومن شئ بيان لما وقوله فمتاع الحياة الدنيا جملة من مبتدإ وخبر جواب الشرط

(٣٩)

لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) هو المؤمن يصبر فى الشدة ويشكر فى الرخاء (أَوْ يُوبِقْهُنَّ) عطف على يسكن أى يغرقهن بعصف الريح بأهلهن (بِمَا كَسَبُوا) أى أهلهن من الذنوب (وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ) منها فلا يغرق أهله (وَيَعْلَمُ) بالرفع مستأنف وبالنصب معطوف على تعليل مقدر أى يغرقهم لينتقم منهم ويعلم (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ) مهرب من العذاب وجملة النفى سدت مسد مفعولى يعلم والنفى معلق عن العمل (فَمَا أُوتِيتُمْ) خطاب للمؤمنين وغيرهم (مِنْ شَيْءٍ) من أثاث الدنيا (فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) من الثواب (خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) ويعطف عليه (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ) موجبات الحدود من عطف البعض على الكل (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) يتجاوزون. (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ)،

(قوله من أثاث الدنيا) أى منافعها من مأكل ومشرب وملبس ومنكح ومركب وغير ذلك واحده أثاثة وقيل لاواحد له من لفظه (قوله ثم يزول) أخذ من قوله متاع لأن المتاع هو مايتمتع به تمتعا ينقضى (قوله للذين آمنوا) أى اتصفوا بالايمان وماتوا عليه (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتقدون أن لاملجأ لهم من الله إلا إليه ولاضار ولانافع سواه

والتوكل بهذا المعنى شرط فى صحة الايمان وأما إن أريد به تفويض الأمور إليه والاعتماد عليه فى جميع ماينزل بالشخص فليس شرطا فى صحته بل هو وصف كامل الايمان وليس مرادا هنا لأن ماعند الله من الثواب يكون لعموم المؤمنين (قوله ويعطف عليه) أى على قوله للذين آمنوا (قوله يجتنبون كبائر الاثم) هى كل ماورد فيها حد أو وعيد (قوله من عطف البعض على الكل) مراده عطف الخاص على العام لأن من الكبائر مافيه الوعيد ولاحد فيه كالغيبة والنميمة والعجب والرياء (قوله وإذا ماغضبوا الخ) إذا ظرف منصوب بيغفرون مجرد عن معنى الشرط وما صلة وهم مبتدأ ويغفرون خبره والجملة معطوفة على الصلة والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون عطف جملة اسمية على فعلية ويصح أن تكون إذا شرطية وما صلة وغضبوا فعل الشرط وهم تأكيد للواو ويغفرون جواب الشرط وأما جعل هم يغفرون جملة من مبتدإ وخبر جواب الشرط فشاذ لخلوه من الفاء ولاينبغى حمل التنزيل عليه والمعنى أن مكارم الأخلاق التجاوز والحلم عند حصول الغضب ولكن يشترط أن يكون الحلم غير مخل بالمروءة ولاواجبا وإلا فالغضب مطلوب كما إذا انتهكت حرمات الله فالواجب الغضب لا الحلم وعليه قول الامام الشافعى: من استغضب ولم يغضب فهو حمار. وقال الشاعر:

إذا قيل حلم قل فالحلم موضع وحلم الفتى فى غير موضعه جهل

وبالجملة فلكل مقام له مقال (قوله والذين استجابوا لربهم) معطوف على الموصول المتقدم وهذه الآية نزلت فى الأنصار دعاهم

(قوله ولمن صبر الخ) عطف على قوله : ولمن انتصر بعد ظلمه ، وجملة إنما السبيل الخ اعتراض وكرر الصبر اهتماماً به وترغيبا فيه و إشارة إلى أنه محمود العاقبة وهو أولى إن لم يترتب عليه مفسدة و إلاكان الانتصار أولى (قوله لمن عزم الأمور) أى من الأمور التى امر الله بها وأكد عليها (قوله ومن يضلل الله) أى يمنعه عن الهدى (قوله وترى الظالمين) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهى بصرية والجملة بعدها حال (قوله لما رأوا العذاب) عبر عنه بالماضى إشارة لتحقق الوقوع (قوله يعرضون عليها) حال وكذا قوله : خاشعين (قوله أى النار) أى المعلومة من دلالة العذاب عليها (قوله من الذل) متعلق بخاشعين : أى من أجل الذل (قوله مسارقة) أى يسارقون النظر إليها خوفا منها وذلا فى أنفسهم (قوله يوم القيامة) ظرف لخسروا والقول واقع فى الدنيا أوظرف لقال فهو واقع يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله بتخليدهم فى النار الخ) لف ونشر مرتب (قوله وما كان لهم) خبر مقدم ومن أولياء اسمها مؤخر ومن زائدة و ينصرونهم صفة لأولياء (قوله استجيبوا لربكم) السين والتاء زائدتان كما أشار له المفسر بقوله : أجيبوه ، والمعنى أجيبوا داعى ربكم وأطيعوه فيما يأمركم به من التوحيد والعبادة (قوله من قبل أن يأتى يوم الخ) أى أطيعوا فى الدنيا التى هى ظرف للأعمال والايمان قبل أن يأتى يوم الحسرة والندامة فانه إذا جاء لايرده الله ففيه وعيد للكافرين (قوله لايرده) أشار بذلك إلى أن قوله من الله متعلق بمرد (قوله من ملجأ) أى مفر ومهرب (قوله إنكار لذنوبكم) أى لأنها مكتوبة

(٤١)

(وَلَمَنْ صَبَرَ) فلم ينتصر (وَغَفَرَ) تجاوز (إِنَّ ذَٰلِكَ) الصبر والتجاوز (لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) أى معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعا (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ) أى أحد يلى هدايته بعد إضلال الله إياه (وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ) إلى الدنيا (مِنْ سَبِيلٍ) طريق (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا) أى النار (خَاشِعِينَ) خائفين متواضعين (مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ) إليها (مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ) ضعيف النظر مسارقة ومن ابتدائية أو بمعنى الباء (وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بتخليدهم فى النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم فى الجنة لو آمنوا والموصول خبر إن (أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ) دائم هو من مقول الله تعالى (وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره يدفع عذابه عنهم (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ) طريق إلى الحق فى الدنيا و إلى الجنة فى الآخرة (اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ) أجيبوه بالتوحيد والعبادة (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ) هو يوم القيامة (لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) أى أنه إذا أتى به لايرد (مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ) تلجئون إليه (يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ) إنكار لذنوبكم (فَإِنْ أَعْرَضُوا) عن الاجابة (فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم (إِنْ) ما (عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) وهذا قبل الأمر بالجهاد (وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً) نعمة كالغنى والصحة (فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ) الضمير للانسان ،

فى صحائفكم تشهد بها الملائكة والجوارح ، والمراد إنكار نافع و إلا فالكفار أولا ينكرون الذنوب طمعا فى العفو ثم لما لم يجدوا مخلصا يقرون ، وما قاله المفسر أوضح مما قاله غيره إن المراد بالنكير الناصر الذى ينصرهم لاغناء قوله من ملجأ عنه (قوله فما أرسلناك عليهم حفيظا) هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف ، والتقدير فلا تحزن أولاعتاب عليك أولا تكلف بشئ لأننا ما أرسلناك الخ (قوله بأن توافق) أى أعمالهم الصادرة منهم ، وقوله المطلوب منهم : أى الأعمال المطلوبة منهم كالايمان والطاعة . والمعنى لم نرسلك لتخلق الهدى فى قلوبهم وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذى طلبناه منهم (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) اسم الإشارة عائد على الحصر ، والمعنى أن هذا الحصر منسوخ لأنه بعد الأمر بالجهاد عليه البلاغ والقتال (قوله و إنا إذا أذقنا الإنسان الخ) الحكمة فى تصدير النعمة باذا والبلاء بإن الإشارة إلى أن النعمة محققة الحصول بخلاف البلاء لأن رحمة الله تغلب غضبه (قوله فرح بها) أى فرح بطر وتكبر (قوله الضمير) أى فى تصبهم

(قوله باعتبار الجنس) أى الاستغراق لجمعه باعتبار المعنى (قوله بما قدمت أيديهم) فى ذلك إشارة إلى أن المصيبة تكون بسبب كسب المعاصى والنعمة تكون بمحض فضل الله . قال تعالى ـ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ـ فالواجب على الإنسان إذا أعطاه الله نعمة أن يشكره عليها ويصرفها فيما يرضيه وإذا أصيب بمصيبة فليصبر عليها ويحمده عليها فلعلها تكون كفارة لما اقترفه (قوله لله ملك السموات والأرض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يخلق مايشاء) اى من حيوانات وغيرها (قوله يهب) من وهب كوضع والمصدر وهبا بسكون الهاء وفتحها وهبة والاسم الوهب والموهبة بكسر الهاء فيهما وهو العطاء من غير مقابل ولا عوض (قوله لمن يشاء) أى الآباء والأمهات (قوله من الأولاد) متعلق بيهب لابيان لمن لأنها عبارة عن الآباء والأمهات (قوله إناثا) قدمهن إشارة إلى أنه يفعل مايشاء لامايشاؤه عباده فالاناث ممايشاؤه هو وتكرههن لانحطاط رتبتهن عن الذكور ولذا عرف الذكور وقدمهم آخرا (قوله أى يجعلهم ذكرانا وإناثا) أشار بذلك إلى أن ذكرانا وإناثا مفعول ثان ليزوج ، والمعنى يجعل الأولاد ذكرانا وإناثا حال كونهم مزدوجين (قوله ويجعل من يشاء عقيما) من واقعة على الرجل والمرأة فقوله فلايلد : أى إذا كان امرأة ، وقوله ولايولد له : أى إذا كان رجلا فالعقيم هوالذى لايولد له ذكرا أوأنثى وفعله من باب فرح ونصر وكرم . وقال ابن عباس : يهب لمن يشاء إناثا يريد لوطا وشعيبا عليهما السلام لأنهما لم يكن لهما إلا البنات ويهب لمن يشاء الذكور يريد إبراهيم عليه السلام لأنه لم يكن له إلا الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كان له (٤٢) من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبدالله وإبراهيم ومن البنات أربع زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، ويجعل من يشاء عقيما يريد يحيى وعيسى عليهما السلام انتهى ولكن حمل الآية على العموم أولى لأن المراد بيان نفاذ قدرته تعالى فى الكائنات كيف يشاء (قوله أن يكلمه) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان (قوله إلا أن يوحى إليه وحيا) أشار بذلك إلى أن وحيا منصوب على الاستثناء المفرغ أى خلافا لمن قال إنه منقطع نظرا لظاهر اللفظ فان الوحى ليس بتكليم والوحى الإشارة والرسالة والكتابة وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه ثم غلب استعماله فيمايلقى إلى الأنبياء (قوله فى المنام) أى فرؤيا الأنبياء حق وذلك لما وقع للخليل حين أمر بذبح ولده فى المنام ولرسول الله حين رأى أنه يدخل مكة فصدق الله رؤياها ، وقوله أو بالإلهام : أى الالقاء فى القلوب لابواسطة ملك وقد يقع الالهام لغير الأنبياء كالأولياء غير أن إلهام الأولياء لامأمن من اختلاط الشيطان به لأنهم غير معصومين بخلاف الأنبياء فالهامهم محفوظ منه (قوله أو إلا من وراء حجاب) أشار بذلك إلى أن من وراء حجاب معطوف على وحيا باعتبار متعلقه تقديره إلا أن يوحى إليه أو يكلمه (قوله ولا يراه) أشار بذلك إلى أن المراد من الحجاب لازمه وهو عدم الرؤية والحجاب وصف العبد لاوصف الرب (قوله كما وقع للسيد موسى) أى فى جميع مناجاته كما تقدم مفصلا (قوله أو يرسل رسولا) برفع اللام وكذا يوحى ونصبهما قراءتان سبعيتان فالرفع خبر لمحذوف : أى هو يرسل والنصب على أنه معطوف على وحيا باضمار أن قال ابن مالك

و إن على اسم خالص فعل عطف   تنصبه أن ثابتا أو منحذف

(قوله كجبريل) أدخلت الكاف غيره كاسرافيل وملك الجبال فان الله تعالى أرسل كلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله إنه على عن صفات المحدثين) أى منزه ومقدس عنها (قوله حكيم فى صنعه) أى يضع الشيء فى محله .

باعتبار الجنس (سَيِّئَةٌ) بلاء (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) أى قدموه ، وعبر بالأيدى لأن أكثر الأفعال تزاول بها (فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ) للنعمة (لِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَايَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ) من الأولاد (إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ) أى يجعلهم (ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا) فلا يلد ولا يولد له (إِنَّهُ عَلِيمٌ) بما يخلق (قَدِيرٌ) على مايشاء (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا) أن يوحى إليه (وَحْيًا) فى المنام أو بالإلهام (أَوْ) إلا (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسى عليه السلام (أَوْ) إلا أن (يُرْسِلَ رَسُولًا) ملكا كجبريل (فَيُوحِيَ) الرسول إلى المرسل إليه أى يكلمه (بِإِذْنِهِ) أى الله (مَا يَشَاءُ) الله (إِنَّهُ عَلِيٌّ) عن صفات المحدثين (حَكِيمٌ) فى صنعه (وَكَذٰلِكَ)

(قوله أى مثل إيحائنا إلى غيرك الخ) التشبيه فى مطلق الإيحاء والإرسال لأنه صلى الله عليه وسلم وقع له الكلام والرؤية بخلاف باقى الأنبياء فهو من تشبيه الأكمل بالكامل بسابقية الكامل فى الوجود فالحصر المتقدم بالنسبة للأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يقال إن الآية تدل على أن الوحى منحصر فى هذه الثلاثة ولا يشمل الكلام مشافهة مع أنه وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هو القرآن) هذا أحد تفاسير فى الروح ، وقيل هو الرحمة ، وقيل الوحى ، وقيل الكتاب ، وقيل جبريل (قوله به تحيا القلوب) أى فشبه القرآن بالروح من حيث إن كلا به الحياة فالقرآن به حياة الأرواح والروح بها حياة الأشباح (قوله من أمرنا) من تبعيضية حال ، والمعنى حال كون هذا القرآن بعض ما نوحيه إليك لأنه ورد أنه أعطى القرآن ومثله معه (قوله ما الكتاب) الكلام على حذف مضاف : أى جواب ما الكتاب ، والمعنى جواب هذا الاستفهام (قوله ولا الإيمان) إن قلت إن الأنبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها فى الأشباح عن التوحيد الأصلى الكائن فى يوم ألست بربكم بل بعض الأولياء كذلك فكيف يقال فى حق نبينا عليه الصلاة والسلام ولا الإيمان مع أنه كان يتعبد قبل البعثة وحاشاه أن يعبد الله مع جهله بمعبوده . أجاب المفسر بأن الكلام على حذف مضاف : أى شرائع الإيمان ومعالمه كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر والمراد بالإيمان الاسلام (قوله والنفى معلق) (٤٣) صوابه الاستفهام لأنه متأخر

أى مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل (أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) يا محمد (رُوحًا) هو القرآن به تحيا القلوب (مِنْ أَمْرِنَا) الذى نوحيه إليك (مَا كُنْتَ تَدْرِى) تعرف من قبل الوحى إليك (مَا الْكِتَابُ) القرآن (وَلاَ الْإِيمَانُ) أى شرائعه ومعالمه والنفى معلق للفعل عن العمل أو ما بعده سد مسد المفعولين (وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ) أى الروح أو الكتاب (نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى) تدعو بالوحى إليك (إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) دين الاسلام (صِرَاطِ اللهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا وخلقا وعبيدا (أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) ترجع .

(سورة الزخرف)

مكية ، وقيل إلا قوله تعالى « واسأل من أرسلنا » الآية ، تسع وثمانون آية

عن النفى وهو المعلق للفعل عن العمل لفظا (قوله أو ما بعده) أو بمعنى الواو (قوله نهدى به) صفة لنورا وسمى نورا لأن بالنور الاهتداء فى الظلمات الحسية فكذا القرآن يهتدى به فى الظلمات المعنوية ، والمراد الهداية الموصلة بدليل قوله من نشاء (قوله وإنك لتهدى) أى تدل والمفعول محذوف أى كل مكلف فتحصل أن المعنى أنت يا محمد عليك البلاغ والدلالة و إقامة الحجج ونحن نخلق الهداية والتوفيق فى قلب من نختاره من عبادنا (قوله دين الإسلام) أى وسمى طريقا لأنه يحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسى (قوله صراط الله) بدل من صراط الأول بدل معرفة من نكرة (قوله ألا إلى الله تصير الأمور) ألا أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها والجار والمجرور متعلق بتصير قدم للحصر وأتى بهذه الجملة عقب التى قبلها إشارة إلى أن كل شئ من الله و إلى الله فأفاد بالجملة الأولى أن جميع ما فى السموات وما فى الأرض مملوك له وناشئ منه وأفاد بالجملة الثانية أن جميع هذه الأشياء مرجعها إليه فى كل ذرة ولمحة فلا غنى لها عنه تعالى والمراد من المضارع الدوام ، والمعنى شأنه رجوع الأمور إليه تعالى وليس المراد حقيقته لأن الأمور متعلقة به فى كل وقت فإذا علمت ذلك فكل شئ لا يستغنى عن الله تعالى طرفة عين . قال العارف الشاذلى : ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك فإذا شاهد الانسان ذلك أورثه مقام المراقبة ورؤية عجز نفسه واضطرارها وافتقارها إلى مالكها وفى ذلك فليتنافس المتنافسون [فائدة] قال سهل بن أبى الجعد احترق مصحف فلم يبق منه إلا قوله : ألا إلى الله تصير الأمور وغرق مصحف فانمحى كله إلا قوله : ألا إلى الله تصير الأمور انتهى

[سورة الزخرف] سميت باسم كلمة منها ، وهى قوله تعالى ـ وزخرفا ـ (قوله مكية) أى كلها حتى هذه الآية بناء على أن المراد سؤال نفس الرسل وكان ذلك ليلة الاسراء ببيت المقدس فتكون مكية لكونها قبل الهجرة (قوله وقيل إلا قوله تعالى واسأل من أرسلنا الخ) أى بناء على أن المعنى واسأل من أمم رسلنا والمراد بهم اليهود والنصارى .

(قوله والكتاب المبين) هذا هو المقسم به والمقسم عليه هو قوله - إنا جعلناه قرآنا عربيا - وهو من أنواع البلاغة حيث جعل المقسم والمقسم عليه من واد واحد كأن الله تعالى يقول : ليس عندى أعظم من كلامى حتى أقسم به (قوله أوجدنا الكتاب) أى صيرناه مقروءا أى مجموعا سورا موصوفة بكونها عربية رحمة منا وتنزلا لعبادنا لعجزهم عن شهود الوصف القائم بنا لحدوثه من حيث قيامه بالمخلوقات وقدمه من حيث وصف الله به ، وقد تنزه وصفه عن الحروف والأصوات والجمع والتفرق فتدبر ودفع بذلك ماقيل إن ظاهر الآية يدل على حدوث القرآن من وجوه ثلاثة : الأول أنها تدل على أن القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع والمخلوق . والثانى أنه وصفه بكونه قرآنا والمجموع بعضه لبعض مصنوع . والثالث وصفه بكونه عربيا والعربى ما كان بلغة العرب وذلك يدل على أنه مجعول . وأجاب الرازى أيضا عن ذلك أن هذا الذى ذكرتموه حق لأنكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثة وذلك معلوم بالضرورة وليس لكم منازع فيه (قوله وإنه مثبت الخ) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور خبر إن وقوله لعلىّ خبر ثان، واعترض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرون باللام على المقرون بها وفى جوازه خلاف فالأحسن أن الجار والمجرور متعلق بعلىّ ولا يقال إن لام الابتداء لها صدر الكلام لأنه يقال محل ذلك فى غير باب إن كما قال ابن هشام فى مغنيه لأنها فيه مؤخرة من تقديم ولهذا تسمى المزحلقة (قوله بدل) أى من الجار والمجرور وقوله عندنا تفسير للدينا (قوله لعلىّ) أى رفيع الشأن على غيره من الكتب (قوله أفنضرب) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنهملكم فنضرب الخ والاستفهام إنكارى بدليل قول المفسر فى آخر العبارة لا، والمعنى لانهملكم برفع الوحى ومنع إنزال القرآن ونعجل الهلاك من أجل كونكم قوما مسرفين بل نتمّ نورنا بإتمام الإنزال لسيدنا ، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه (قوله نمسك) أى عن إنزاله لكم (قوله صفحا) أشار

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حٰمٓ) الله أعلم بمراده به (وَالْكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه من الشريعة (إِنَّا جَعَلْنَاهُ) أوجدنا الكتاب (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) بلغة العرب (لَعَلَّكُمْ) يا أهل مكة (تَعْقِلُونَ) تفهمون معانيه (وَإِنَّهُ) مثبت (فِى أُمِّ الْكِتَابِ) أصل الكتب : أى اللوح المحفوظ (لَدَيْنَا) بدل: عندنا (لَعَلِىٌّ) على الكتب قبله (حَكِيمٌ) ذو حكمة بالغة (أَفَنَضْرِبُ) نمسك (عَنْكُمُ الذِّكْرَ) القرآن (صَفْحًا) إمساكا فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل (أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ) مشركين ؟ لا (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِىٍّ فِى الْأَوَّلِينَ . وَمَا) كان (يَأْتِيهِمْ) أتاهم (مِنْ نَبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) كاستهزاء قومك بك ، وهذا تسلية له صلى الله عليه وسلم (فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ) من قومك (بَطْشًا) قوة (وَمَضَى) سبق فى الآيات (مَثَلُ الْأَوَّلِينَ) صفتهم فى الإهلاك فعاقبة قومك كذلك (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ) ،

المفسر إلى أنه مفعول مطلق ملاق لعامله وهو نضرب فى المعنى (قوله فلا تؤمرون ولا تنهون) حذف أى بل تصيرون كالبهائم (قوله أن كنتم قوما مسرفين) بكسر الهمزة على أنها شرطية وفتحها على أنها تعليلية قراءتان سبعيتان لكن يرد على القراءة الأولى أن إن تفيد الشك مع أن إسرافهم محقق ، ويجاب بأنه يؤتى بها فى مقام التحقق قصدا لتجهيل المخاطب بجعله كأنه متردد فى ثبوت الشرط شاك فيه (قوله وكم أرسلنا كم) كم خبرية بمعنى عددا كثيرا مفعول مقدم لأرسلنا ومن نبىّ تمييز لها وفى الأولين متعلق بأرسلنا : أى فى الأمم الأولين (قوله أتاهم) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضى وعبر عنه بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة (قوله من نبى) أى رسول بدليل قوله أرسلنا الخ (قوله وهذا تسلية له) أى قوله وكم أرسلنا ، والمعنى تسلّ يا محمد ولا تحزن فإنه وقع للرسل قبلك ما وقع لك (قوله أشد منهم) صفة لموصوف محذوف مفعول لأهلكنا (قوله بطشا) تمييز : أى أهلكنا قوما أشد من قومك من جهة البطش وهو شدة الأخذ (قوله سبق فى الآيات) أى فى القرآن غير مرة (قوله صفتهم فى الإهلاك) وإنما سمى مثلا لغرابته ، فإن المثل فى الأصل كلام شبه مضربه بمورده لغرابته (قوله وعاقبة قومك كذلك) أى الهلاك فاصبر على أذى قومك كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم وفى هذه الآيات تعليم للأمة أن يصبروا على من آذاهم لينالوا العز الأكبر تأسيا بنبيهم (قوله لام قسم) أى وقوله ليقولن جوابه وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه وهذا على القاعدة فى اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخر

(قوله حذف منه نون الرفع) أى لتوالى النونات ثم حذفت الواو لالتقاء الساكنين ووجود الدليل عليها وهو الضمة (قوله خلقهن العزيز العليم) كرر الفعل للتوكيد وإلا فيكفى أن يقال العزيز العليم، وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه ولو روعى صدره لجىء بجملة ابتدائية بأن يقال هوالعزيز العليم مثلا (قوله آخر جوابهم) أى أن ماذكر آخر جواب الكفار وأما قوله الذى جعل إلى قوله لمنقلبون فهو من كلامه تعالى زيادة فى توبيخهم على عدم التوحيد (قوله كالمهد للصبى) أى الفرش له أى ولو شاء لجعلها متحركة لا يثبت عليها شىء ولا يمكن الانتفاع بها فمن رحمته أن جعل الأرض قارة مسطحة ساكنة (قوله وجعل لكم فيها سبلا) أى بحيث تسلكون فيها إلى مقاصدكم ولو شاء لجعلها سدا ليس فيها طرق بحيث لا يمكنكم السير فيها كما فى بعض الجبال (قوله أى بقدر حاجتكم) أى فليس بقليل فلا تنتفعون به ولا كثير فيضركم (قوله فأنشرنا) فى الكلام التفات من الغيبة للتكلم (قوله تخرجون) أى فالقادر على إحياء الأرض بعد موتها بالماء قادر على إحياء الخلق بعد موتهم (قوله الأصناف) أى الأشكال والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى (قوله وجعل لكم من الفلك) أى خلق لكم مواد السفن كالخشب وغيره وألهمكم صنعتها وسيرها لكم فى البحر لتنتفعوا بها (قوله كالابل) إن قلت إنه لم يبق شىء من الأنعام يركب سوى الابل فالكاف استقصائية إلا أن يقال المراد بالأنعام مايركب من الحيوان وهوالابل والخيل والبغال والحمير لأن المقام للامتنان بالركوب (قوله ماتركبون) مفعول جعل ومن الفلك والأنعام بيان له (قوله حذف العائد اختصارا الخ) أى والمعنى جعل لكم من الفلك ماتركبون فيه ومن الأنعام ماتركبونها فهو مجرور فى الأول بفى منصوب فى الثانى بالفعل (قوله لتستووا على ظهوره) اللام للتعليل أو للعاقبة والصيرورة متعلقة بجعل (قوله ذكر الضمير) أى المضاف إليه وقوله وجمع الظهر: أى الذى هو المضاف وقوله

حذف منه نون الرفع لتوالى النونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) آخر جوابهم: أى الله ذو العزة والعلم، زاد تعالى (الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مِهَادًا) فراشا كالمهد للصبى (وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم فى أسفاركم (وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ) أى بقدر حاجتكم إليه ولم ينزله طوفانا (فَأَنْشَرْنَا) أحيينا (بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ) أى مثل هذا الإحياء (تُخْرَجُونَ) من قبوركم أحياء (وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ) السفن (وَالْأَنْعَامِ) كالإبل (مَا تَرْكَبُونَ) حذف العائد اختصاراً وهو مجرور فى الأول: أى فيه منصوب فى الثانى (لِتَسْتَوُوا) لتستقروا (عَلَى ظُهُورِهِ) ذكر الضمير وجمع الظهر نظراً للفظ ما ومعناها (ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) مطيقين (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)،

نظرا للفظ ما الخ لف ونشر مرتب، والمناسب أن يقول أفرد الضمير وجمع الظهر ولو روعى معناها فيهما لقيل على ظهورها ولو روعى لفظها لقيل على ظهره (قوله ثم تذكروا) أى بقلوبكم (قوله إذا استويتم عليه) أى على ماتركبون ففيه مراعاة لفظ ما وكذا فى قوله سخر لنا هذا (قوله وتقولوا سبحان الذى الخ) أى تقولوا بألسنتكم لتجمعوا بين القلب واللسان (قوله هذا) أى المركوب من سفينة ودابة وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أوالدابة وهوالأولى، وقال بعضهم إن هذا مخصوص بالدابة، وأما السفينة فيقول فيها ـ بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره ـ الآية، وفى الحديث «كان صلى الله عليه وسلم إذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا إلى قوله وإنا إلى ربنا لمنقلبون، فاذا كان الانسان يريد السفر زاد اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل والمال اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر فى الأهل والمال» ومعنى الحور بعد الكور الفرقة بعد الاجتماع، وورد أن الانسان إذا قرأ هذه الآية عند ركوب الدابة تقول الدابة بارك الله فيك من مؤمن خففت عن ظهرى وأطعت ربك أنجح الله حاجتك فالذى ينبغى للانسان أن لايدع ذكر الله خصوصا فى هذه المواطن فانه معرض فيها للتلف فكم من راكب دابة عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق، وحينئذ فمنقلبه إلى الله غير منفلت من قضائه فيكون مستعدا لقضاء الله باصلاح نفسه (قوله وما كنا له مقرنين) الجملة حالية وهو من الإقران أو المقارنة

لمنصرفون (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا) حيث قالوا الملائكة بنات الله تعالى لأن الولد جزء الوالد والملائكة من عباد الله تعالى (إِنَّ الْإِنْسَانَ) القائل ماتقدم (لَكَفُورٌ مُبِينٌ) بين ظاهر الكفر (أَمِ) بمعنى همزة الإنكار والقول مقدر: أى أتقولون (اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ) لنفسه (وَأَصْفَاكُمْ) أخلصكم (بِالْبَنِينَ) اللازم من قولكم السابق فهو من جملة المنكر (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا) جعل له شبها بنسبة البنات إليه لأن الولد يشبه الوالد، المعنى إذا أخبر أحدهم بالبنت تولد له (ظَلَّ) صار (وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) متغيرا تغير مغتم (وَهُوَ كَظِيمٌ) ممتلئ غما فكيف ينسب البنات إليه؟ تعالى عن ذلك (أَوَ) همزة الإنكار وواو العطف بجملة أى يجعلون لله (مَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ) الزينة (وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا) حضروا (خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ) بأنهم إناث (وَيُسْأَلُونَ) عنها فى الآخرة فيترتب عليها العقاب (وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) أى الملائكة فعبادتنا إياهم بمشيئته فهو راض بها قال تعالى (مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ) المقول من الرضا بعبادتها (مِنْ عِلْمٍ، إن)

(قوله لمنصرفون) أى من الدنيا إلى دار البقاء فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة، فالآية منبهة بالسير الدنيوى على السير الأخروى ففيه إشارة للرد على منكرى البعث (قوله وجعلوا له الخ) هذا مرتبط بقوله: ولئن سألتهم الخ والمعنى أنهم ينسبون الخلق لله تعالى ومع ذلك يعتقدون أن له شريكا فالمقصود التأمل فى عقول هؤلاء الكفرة حيث لم يضبطوا أحوالهم (قوله لأن الولد جزء الوالد) أى لأنه خارج من مخه وعظامه وهذا مناف لقولهم: خلقهن العزيز العليم لأن من شأن الوالد أن يكون مركبا والإله ليس بمركب بل هو واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله وشأن الخالق أن يكون مخالفا لما خلقه والولد لابد وأن يكون مماثلا لوالده لأنه جزء منه فتبين أن الولد على الله محال وتبين أن هؤلاء الكفرة حالهم متناقض غير مضبوط (قوله بين) أشار بهذا إلى أن مبين من أبان اللازم ويصح أن يقدر من أبان المتعدى بمعنى مظهر الكفر (قوله بمعنى همزة الانكار) أى والتوبيخ والتقريع وتقدر ببل أو بها والهمزة ففيها ثلاثة أوجه كما تقدم غير مرة (قوله لنفسه) متعلق باتخذ (قوله أخلصكم) أى خصكم (قوله اللازم) بالنصب نعت لقوله وأصفاكم المعطوف على اتخذ الواقع مقولا لقول محذوف فالمعنى أنهم قالوا: الملائكة بنات الله مع كراهة نسبتها لأنفسهم ومحبة نسبة البنين لهم فلزم منه أنهم قالوا والبنون لنا (قوله فهو من جملة المنكر) أى لعطفه على اتخذ الداخل عليه أم التى هى بمعنى همزة الانكار (قوله وإذا بشر أحدهم الخ) كلام مستأنف تقرير لما قبله وزيادة توبيخ لهم وترق فى الرد عليهم (قوله بما ضرب) ما موصولة واقعة على الأنثى بدليل الآية الأخرى وإذا بشر أحدهم بالأنثى وضرب بمعنى جعل والمفعول الأول محذوف هو العائد: أى ضربه ومثلا هو المفعول الثانى (قوله شبها) أشار بذلك إلى ان المثل بمعنى الشبه: أى المشابه وليس بمعنى الصفة الغريبة (قوله وهو كظيم) الجملة حالية (قوله أو من ينشأ) قرأ العامة بفتح الياء وسكون النون من نشأ و بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنيا للمفعول أى يربى قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا ينشأ بضم الياء مخففا و يناشأ كيقاتل مبنيا للمفعول (قوله همزة الانكار الخ) أى أنهما كلمتان لا كلمة واحدة هى أو التى للعطف فتحصل أن من معمولة لمحذوف معطوف بواو العطف على محذوف والتقدير أيجترءون و يسيئون الأدب ويجعلون من ينشأ الخ وقوله الزينة أى أن الأنثى تتزين فى الزينة لنقصها إذ لو كملت فى نفسها لما احتاجت للزينة (قوله وهو فى الخصام غير مبين) الجملة حالية والمعنى غير قادر على تقرير دعواه و إقامة الحجة لنقصان عقله وضعف رأيه، فقلما تكلمت امرأة تريد أن تتكلم بحجة لها إلا تكلمت بالحجة عليها (قوله مظهر الحجة) أشار بذلك إلى أنه من أبان المتعدى وسابقا أفاد أنه من أبان اللازم وهما استعمالان (قوله وجعلوا الملائكة الخ) المراد بالجعل القول والحكم وهو بيان أنواع أخر من كفرياتهم لأن نسبة للملائكة الذين هم أكمل العباد وأكرمهم على الله للأنوثة التى هى وصف خسة كفر، ورد أنهم لما قالوا ذلك سألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال مايدريكم أنها إناث قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا فنزل ستكتب شهادتهم و يسئلون (قوله وقالوا لو شاء الرحمن الخ) مفعول شاء محذوف

أي عدم عبادة الملائكة ماعبدناهم ، وهذا استدلال منهم بنفي مشيئة عدم العبادة على امتناع النهي عنها لزعمهم أن المشيئة متحدة مع الرضا وهوفاسد لأن الله تعالى قد يريد مالايرضاه فهو بيان لنوع آخر من كفرياتهم فتحصل أنهم كفروا بمقالات ثلاث : هذه وقولهم الملائكة إناث وقولهم الملائكة بنات الله (قوله إن هم إلا يخرصون) قاله هنا بلفظ يخرصون وفي الجاثية بلفظ يظنون لان ماهنا متصل بقوله : وجعلوا الملائكة الآية أي قالوا الملائكة بنات الله و إن الله قد شاء عبادتنا إياهم وهذا كذب فناسبه يخرصون وماهناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب لأن قولهم نموت ونحيا صدق و إنكارهم البعث وقولهم مايهلكنا إلا الدهر كذب فناسبه يظنون (قوله أم آتيناهم كتابا من قبله) تنويع في الإنكار عليهم مرتبط بقوله : أشهدوا خلقهم (قوله أي لم يقع ذلك) أشار به إلى أن الهمزة للانكار (قوله بل قالوا إنا وجدنا الخ) أي لم يأتوا بحجة عقلية ولا نقلية بل اعترفوا بأنه لامستند لهم سوى تقليد آبائهم (قوله أمة) قرأ العامة بضم الهمزة بمعنى الطريقة والملة ، وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى الطريقة أيضا و بالفتح للمرة من الأم وهو القصد (قوله ماشون) أشار بتقدير هذا إلى أن الجار والمجرور خبر إن وعليه فيكون مهتدون خبرا ثانيا (قوله مهتدون) قاله هنا بلفظ مهتدون وفيما يأتي بلفظ مقتدون تفننا (قوله وكذلك) أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتمسكهم بالتقليد وقوله وما أرسلنا (٤٧) استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضا مستند غيره وفيه تسلية لرسول الله (قوله إلا قال مترفوها) جمع مترف اسم مفعول وتفسير المفسر له باسم الفاعل تفسير باللازم (قوله مثل قول قومك) مفعول مطلق نعت مصدر محذوف أي قولا مثل قول قومك وقوله : إنا وجدنا مقول القول (قوله قل لهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم

إنْ) ما (هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يكذبون فيه فيترتب عليهم العقاب به (أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ) أي القرآن بعبادة غير الله (فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ) ؟ أي لم يقع ذلك (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) ملة (وَإِنَّا) ماشون (عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) بهم وكانوا يعبدون غير الله (وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) متنعموها مثل قول قومك (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) ملة (وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ) متبعون (قُلْ) لهم (أَ) تتبعون ذلك (وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ) أنت ومن قبلك (كَافِرُونَ) قال تعالى تخويفا لهم (فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) أي من المكذبين للرسل قبلك (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) واذكر (إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ) أي بريء (مِمَّا تَعْبُدُونَ . إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) خلقني (فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) يرشدني لدينه (وَجَعَلَهَا) أي كلمة التوحيد المفهومة من قوله : إني ذاهب إلى ربي سيهدين (كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله (لَعَلَّهُمْ)

أي قل لقومك يا محمد الخ (قوله بأهدى مما وجدتم الخ) أي بدين أهدى وأصوب مما وجدتم الخ أي من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء والتعبير بالتفضيل لأجل التنزل معهم وإرخاء العنان (قوله فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) أي فلا تكترث بتكذيب قومك لك فإن عاقبتهم كغيرهم من المكذبين (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن الظرف معمول لمحذوف وسيأتي أن قوله : لعلهم يرجعون متعلق بذلك المحذوف (قوله لأبيه) تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو عمه وتوجيه كل من القولين مفصلا (قوله براء) العامة على فتح الباء والراء بعدها ألف فهمزة مصدر وقع موقع الصفة وهي بريء فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وقرئ شذوذا بضم الباء وكسرها بوزن طوال وكرام (قوله إلا الذي فطرني) يحتمل أن الاستثناء منقطع بناء على أنهم كانوا يشركون مع الله غيره وذلك أنهم كانوا يعبدون النمروذ ويحتمل أن الاصنة بمعنى غير (قوله يرشدني لدينه) أي يدلني على أحكامه من صلاة وغيرها ودفع بذلك مايقال إن الهداية حاصلة له لكونه مجبولا على التوحيد من ألست بربكم فكيف يعبر بالمضارع فضلا عن اقترانه بالسين فأجاب بما ذكر نظير ما أجاب به عن قوله : ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان . وأجيب أيضا بأن السين زائدة والمضارع للدلالة على الاستمرار ، والمعنى يديمني على الهدى . وأجيب أيضا بأن المعنى سيثبتني على الهداية (قوله أي كلمة التوحيد الخ) تفسير للضمير البارز والضمير المستتر يعود على إبراهيم ، والمعنى أن إبراهيم وصى بهذه الكلمة عقبه قال تعالى : ووصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب

الآية (قوله أى أهل مكة) أشار بذلك إلى أن قوله : لعلهم الخ متعلق باذكر الذى قدّره ، والمعنى اذكر يا محمد لقومك ماذكر ليحصل عندهم رجوع إلى دين إبراهيم (قوله بل متعت هؤلاء) إضراب انتقالى للتوبيخ والتقريع على ما حصل منهم من عدم الاتباع واسم الاشارة عائد على المشركين الكائنين فى زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله ولم أعاجلهم بالعقوبة) أى بل أعطيتهم نعما عظيمة وحرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شىء فلم يشكروا بل ازدادوا طغيانا فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام (قوله حتى جاءهم الحق) غاية لمحذوف والتقدير بل متعت هؤلاء فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم الخ (قوله وقالوا لولا نزل الخ) هذا من جملة شبههم الفاسدة التى بنوا عليها إنكار نبوّته صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم قالوا إن الرسالة منصب شريف لايليق إلا برجل شريف وهذا صدق غير أنهم غلطوا فى دعواهم أن الرجل الشريف هو الذى يكون كثير المال والجاه ومحمد ليس كذلك فلا تليق به رسالة الله وليس كذلك بل العبرة بتعظيم الله لابالمال والجاه فليس كل عظيم المال والجاه معظما عند الله تعالى (قوله من أية منهما) أى من إحدى القريتين (قوله أى الوليد بن المغيرة) أى وقد استمر كافرا حتى هلك (قوله وعروة بن مسعود) أى وقد هداه الله للاسلام فأسلم وحسن إسلامه ، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يشبه عيسى ابن مريم (٤٨) عليه السلام به رضى الله تعالى عنه (قوله أهم يقسمون) الاستفهام إنكارى وتعجب من حالهم وتحكمهم (قوله رحمت ربك) ترسم بالتاء المجرورة هنا وفى قوله تعالى فيما يأتى ورحمت ربك اتباعا لرسم المصحف وهذان موضعان ترسم فيهما بالتاء المجرورة. ثالثها فى البقرة : أولئك يرجون رحمت الله . رابعها فى الأعراف : إن رحمت الله قريب من المحسنين . خامسها فى هود : رحمت الله وبركاته عليكم . سادسها فى مريم : رحمت ربك . سابعها فى الروم : فانظر إلى أثر رحمت الله وماعداها يرسم بالهاء

أى أهل مكة (يَرْجِعُونَ) عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم (بَلْ مَتَّعْتُ هٰؤُلَاءِ) المشركين (وَآبَاءَهُمْ) ولم أعاجلهم بالعقوبة (حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (وَرَسُولٌ مُبِينٌ) مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم (وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ) القرآن (قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ . وَقَالُوا لَوْلَا) هلا (نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ) من أية منهما (عَظِيمٍ) أى الوليد بن المغيرة بمكة أو عروة بن مسعود الثقفى بالطائف (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ) النبوة ؟ (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فجعلنا بعضهم غنياً و بعضهم فقيراً (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ) بالغنى (فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ) الغنىّ (بَعْضًا) الفقير (سُخْرِيًّا) مسخراً فى العمل له بالأجرة والياء للنسب وقرئ بكسر السين (وَرَحْمَتُ رَبِّكَ) أى الجنة (خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) فى الدنيا (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) على الكفر (لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ)،

بدل

والقراء فى تلك المواضع السبعة فى الوقف طريقان فمنهم من يقف بالهاء كسائر الهاآت الداخلة على الأسماء كفاطمة وقائمة ، ومنهم من يقف بالتاء تغليبا لجانب الرسم (قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا) أى فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا لاستقامة نظام العالم لا للدلالة على سعادة وشقاوة (قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) اللام للتعليل أى إن القصد من جعل الناس متفاوتين فى الرزق لينتفع بعضهم ببعض ولوكانوا سواء فى جميع الأحوال لم يخدم أحد أحدا فيفضى إلى خراب العالم وفساد نظامه (قوله والياء للنسب) أى نسبته للسخرة وهى العمل بلا أجرة ، إذا علمت ذلك فقول المفسر بالأجرة تقييد بالنظر لصحة التعليل و يصح أن يكون من السخرية التى هى بمعنى الاستهزاء ، والمعنى ليستهزئ الغنى بالفقير وعليه فتكون اللام للعاقبة والصيرورة (قوله وقرئ بكسر السين) أى قراءة شاذة هنا جريا على عادته فى التعبير عن الشاذ بقرئ وعن السبعى بوفى قراءة . وأما مافى المؤمنين وص فكسر السين فيهما قراءة سبعية ففرق بين ماهنا ومافى السورتين المتقدمتين (قوله خير مما يجمعون) أى والتعظيم من حازها وهو النبىّ صلى الله عليه وسلم ومن تبعه لامن حاز الكثير من المال (قوله ولولا أن يكون الناس الخ) الكلام على حذف مضاف أى ولولا خوف أن يكون الناس الخ كما أشار له المفسر فيما يأتى

والأوضح أن يقول لولا رغبة الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لجعلنا الخ لأنه تعالى لا يوصف بالخوف ففرق الله الدنيا بين المؤمن والكافر على حسب ماقدره لهم في الأزل . إن قلت لم لم يوسع الدنيا على المسلمين حتى يصير ذلك سببا لاجتماع الناس على الاسلام فالجواب لأن الناس حينئذ يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهو إيمان المنافقين فماقدره الله تعالى خير لأن كل من دخل الايمان فإنما يقصد رضا الله فقط (قوله بدل من لمن) أي بدل اشتمال (قوله وبضمهما جمعا) أي على وزن رهن جمع رهن فهما قراءتان سبعيتان (قوله ومعارج) جمع معرج بفتح الميم وكسرها وهو السلم (قوله وجعلنا لهم سررا) أشار بذلك إلى أن سررا معمول لمحذوف معطوف على قوله جعلنا لمن يكفر بالرحمن عطف جمل (قوله وزخرفا) ذهبا وقيل الزخرف الزينة (قوله مخففة من الثقيلة) أي مهملة لوجود اللام في خبرها (قوله والآخرة عند ربك للمتقين) أي أن الجنة تكون لكل موحد . قال كعب وجدت في بعض كتب الله المنزلة لولا أن يحزن عبدي المؤمن لكللت رأس عبدي الكافر بالاكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق لوجع أي لا يتحرك ، وفي الحديث «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» ، وورد لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى الكافر منها شربة ماء قال البقاعي ولا يبعد أن يكون ماصار إليه الفسقة والجبابرة من زخرفة الأبنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادىء الفتنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لاتقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لأن من يبقى إذ ذاك (٤٩) على الحق في غاية القلة بحيث

بدل من لمن (سَقْفًا) بفتح السين وسكون القاف وبضمهما جمعاً (مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ) كالدرج من فضة (عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) يعلون إلى السطح (وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا) من فضة (وَ) جعلنا لهم (سُرُرًا) من فضة جمع سرير (عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ . وَزُخْرُفًا) ذهباً ، المعنى لولا خوف الكفر على المؤمن من إعطاء الكافر ماذكر لأعطيناه ذلك لقلة حظ الدنيا عندنا وعدم حظه في الآخرة في النعيم (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة (كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا) بالتخفيف فما زائدة وبالتشديد بمعنى إلا فإن نافية (مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتمتع به فيها ثم يزول (وَالْآخِرَةُ) الجنة (عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . وَمَنْ يَعْشُ) يعرض (عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ) أي القرآن (نُقَيِّضْ) نسبب (لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) لا يفارقه (وَإِنَّهُمْ) أي الشياطين (لَيَصُدُّونَهُمْ) أي العاشين (عَنِ السَّبِيلِ) أي طريق الهدى (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) في الجمع رعاية معنى من (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا) العاشي بقرينه يوم القيامة (قَالَ) له (يَا) للتنبيه (لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ

أنه لا اعداد له في جانب الكفرة لأن كلام الملوك لايخلو عن حقيقة وإن خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه انتهى (قوله ومن يعش) من العشا وهو الاعراض والتغافل ويطلق على ضعف البصر وفعله عشا يعشو كدعا يدعو (قوله يعرض) أي يتعامى ويتغافل وهذه الآية بمعنى قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا (قوله عن ذكر الرحمن) أضاف الذكر إلى هذا الاسم إشارة إلى ان الكافر باعراضه عن القرآن سد على نفسه باب الرحمة ولو اتبعه لعمته الرحمة (قوله نقيض) جواب الشرط وفعله قوله يعش مجزوم بحذف الواو والضمة دليل عليها (قوله فهو له قرين) أي في الدنيا بأن يمنعه من الحلال ويحمله على فعل الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية أو في الآخرة إذا قام من قبره لما ورد «إذا قام الكافر من قبره شفع بشيطان لايزال معه حتى يدخله النار ، وإن المؤمن ليشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه» والأولى العموم (قوله وإنهم) جمع الضمير مراعاة لمعنى شيطان كما أفرد أولا في قوله فهو مراعاة للفظه (قوله ويحسبون أنهم مهتدون) الجملة حالية أي يعتقدون أنهم على هدى وهو بمعنى قوله تعالى ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون (قوله في الجمع) أي في المواضع الثلاثة الأول أي ليصدونهم ويحسبون أنهم وقوله رعاية معنى من أي بعد أن روعى لفظها في ثلاثة أيضا الضمير المستتر في يعش والضميران المجروران باللام في نقيض له فهو له ، وسيأتي مراعاة لفظها في موضعين المستتر في جاء وقال ثم مراعاة معناها في ثلاثة مواضع ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم (قوله حتى إذا جاءنا) بالافراد والتثنية قراءتان سبعيتان فعلى الأولى فاعل جاء ضمير مستتر يعود على العاشي وعلى الثانية ضمير التثنية (قوله بقرينه) أي مع قرينه (قوله يا للتنبيه) ويصح أن تكون للنداء والمنادى محذوف تقديره قريني .

(قوله بعد المشرقين) اسم ليت مؤخر وفيه تغليب المشرق على المغرب (قوله أى مثل مابين المشرق والمغرب) أى فى أنهما لايجتمعان ولا يقربان منه لأنهما ضدان (قوله أنت) هو المخصوص بالذم (قوله قال تعالى) الماضى بمعنى المضارع لأن هذا القول يحصل فى الآخرة (قوله أى العاشين)تفسير للكاف وقوله تمنيكم وندمكم تفسيرللضمير المستتر فهو إشارة إلى أنه فاعل ينفع وهو معلوم من السياق دل عليه قوله ياليت بينى و بينك الخ و بعضهم قال إن الفاعل هو أنكم وما فى حيزها والتقدير ولن ينفعكم اليوم اشتراككم فى العذاب وأتى بهذا دفعا لما قد يتوهم من أن عموم المصيبة يهونها كمصائب الدنيا فانها إذا عمت هانت بل فى الآخرة عمومها موجب لعظمها وهولها (قوله أى تبين لكم) أى الآن فى الآخرة ودفع بذلك مايقال إن الظلم وقع فى الدنيا واليوم عبارة عن يوم القيامة و إذ بدل من اليوم فكيف يبدل الماضى من الحال فأجاب بأن المراد تبين الظلم وظهوره وذلك يكون يوم القيامة (قوله و إذ بدل من اليوم) أى بدل كل من كل . إن قلت لن ينفعكم عامل فى اليوم و إذ مع أنه مستقبل اليوم ظرف حالى و إذ ظرف ماض فكيف يعمل المستقبل فى الحال والماضى . أجيب بأن عمله فى الحال من حيث إنه قريب من الاستقبال وتقدم أن الماضى (٥٠) مؤول بالحال (قوله أفأنت تسمع الصم) الاستفهام إنكارى بمعنى النفى أى

بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ) أى مثل بعد ما بين المشرق والمغرب (فَبِئْسَ الْقَرِينُ) أنت لى قال تعالى (وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ) أى العاشين تمنيكم وندمكم (الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ) أى تبين لكم ظلمكم بالإشراك فى الدنيا (أَنَّكُمْ) مع قرنائكم (فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) علة بتقدير اللام لعدم النفع و إذ بدل من اليوم (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين ؟ أى فهم لايؤمنون (فَإِمَّا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (نَذْهَبَنَّ بِكَ) بأن نميتك قبل تعذيبهم (فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ) فى الآخرة (أَوْ نُرِيَنَّكَ) فى حياتك (الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ) به من العذاب (فَإِنَّا عَلَيْهِمْ) على عذابهم (مُقْتَدِرُونَ) قادرون (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ) أى القرآن (إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ . وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ) لشرف (لَكَ وَلِقَوْمِكَ) لنزوله بلغتهم (وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) عن القيام بحقه (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ) أى غيره (آلِهَةً يُعْبَدُونَ) قيل هو على ظاهره بأن جمع له الرسل ليلة الاسراء وقيل المراد أمم من أى أهل الكتابين ولم يسأل على واحد من القولين لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركى قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله ،

أنت لاتسمعهم كما أشار له المفسر وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد فى دعائهم وهم لايزدادون إلا تصميما على الكفر (قوله ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى ويكفى فى العطف تغاير العنوان وإلا فالأوصاف الثلاثة مجتمعة فى كل كافر (قوله بأن نميتك قبل تعذيبهم) أى نقبضك إلينا قبل انتقامنا منهم (قوله فإنا عليهم مقتدرون) أى فلا يعجزوننا وقد وقع بهم العذاب على يده فى الدنيا وعلى أيدى أتباعه بعد موته إلى يوم القيامة ولعذاب الآخرة أشد (قوله فاستمسك) أى دم على الاستمساك (ولقد)

(قوله إنك الخ) تعليل للأمر بالاستمساك (قوله ولقومك) أى قريش خصوصا ولغيرهم عموما فهو شرف لكل من تبعه وهذه الآية نظير قوله تعالى لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم (قوله من رسلنا) بيان لمن (قوله أجعلنا من دون الرحمن الخ) أى حكمنا بعبادة الأوثان وأنزلنا ذلك فى كتبنا (قوله قيل هو على ظاهره) أى من غير تقدير فهو مأمور بسؤال المرسلين أنفسهم وهذا على أن الآية مكية (قوله بأن جمع له الرسل الخ) جواب عما يقال إنه متأخر فى البعث عن الرسل فكيف يؤمر بسؤال من لم يلقه (قوله وقيل المراد أمم الخ) أى فالكلام على حذف مضاف والمعنى اسأل أمم من أرسلنا وقوله أى أهل الكتابين تفسير لأمم وهذا على أن الآية مدنية لأن أهل الكتابين إنما كانوا فى المدينة (قوله ولم يسأل على واحد من القولين) هذا أحد قولين قال ابن عباس وابن زيد لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو مسجد بيت المقدس بعث الله له آدم ومن دونه من المرسلين وجبريل مع النبى صلى الله عليه وسلم فأذن جبريل عليه الصلاة والسلام وأقام الصلاة ثم قال يامحمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل سل يامحمد من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون

فقال صلى الله عليه وسلم قد اكتفيت » والقول الآخر لغير ابن عباس »أنهم صلوا خلفه صلى الله عليه وسلم سبعة صفوف المرسلون ثلاثة صفوف والنبيون أربعة صفوف وكان يلي ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم الخليل وعلى يمينه إسمعيل وعلى يساره إسحق ثم موسى ثم سائر المرسلين فصلى بهم ركعتين فلما انفتل قام فقال إن ربي أوحى إلى أن أسألكم هل أرسل أحدا منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى فقالوا يا محمد إنا نشهد أنا أرسلنا أجمعين بدعوة واحدة أن لا إله إلا الله وأن مايعبدون من دونه باطل وأنك خاتم النبيين وسيد المرسلين قد استبان ذلك بامامتك إيانا وأنه لانبي بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم فانه مأمور أن يتبع أثرك» (قوله ولقد أرسلنا موسى الخ) الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها عقب ما تقدم من مقالات الكفار تسليته صلى الله عليه وسلم فان موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه من التعيير بقلة المال والجاه (قوله بآياتنا) أي معجزاتنا التسع والباء للملابسة (قوله فقال إني رسول رب العالمين) في القصة اختصار قد بين في سورة طه والقصص . والمعنى فقال إني رسول رب العالمين لتؤمن به وترسل معي بني إسرائيل (قوله فلما جاءهم بآياتنا) مرتب على مقدر أي فطلبوا منه آية تدل على صدقه يدل عليه ما تقدم في الأعراف قال إن كنت جئت بآية فأت بها الخ (قوله إذا هم منها يضحكون) إذا فجائية . والمعنى حين جاءهم **(٥١)** بالآيات فاجأوا المجيء بها بالضحك والسخرية من غير تأمل ولاتفكر (قوله والجراد) أي والقمل والضفادع والدم كل واحدة تمكث سبعة أيام عليهم فيستجيرون بموسى فيدعون الله تعالى فيكشفه عنهم ويمكثون بين كل واحدة والأخرى شهرا ويعودون لما كانوا عليه من الطغيان ثم أرسل الله عليهم السنين المجدبة فاستجاروا ثم عادوا للطغيان ثم دعا الله فكشفت عنهم ثم دعا عليهم بالطمس فطمست

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ) أي القبط (فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا) الدالة على رسالته (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ . وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ) من آيات العذاب كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام والجراد (إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) قرينتها التي قبلها (وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن الكفر (وَقَالُوا) لموسى لما رأوا العذاب (يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ) أي العالم الكامل لأن السحر عندهم علم عظيم (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ) من كشف العذاب عنا إن آمنا (إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ) أي مؤمنون (فَلَمَّا كَشَفْنَا) بدعاء موسى (عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ) ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم (وَنَادَى فِرْعَوْنُ) افتخارا (فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ) أي من النيل (تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) أي تحت قصوري (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) عظمتي (أَمْ) تبصرون ؟ وحينئذ (أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا) أي موسى (الَّذِي هُوَ مَهِينٌ) ضعيف حقير ،

أموالهم فعزموا على قتل موسى وقومه فانتقم الله منهم بالغرق (قوله إلا هي أكبر من أختها) الجملة صفة لآية . والمعنى إلا هي بالغة الغاية في الاعجاز بحيث يظن الناظر فيها أنها أكبر من غيرها (قوله لعلهم يرجعون) أي عما هم عليه من الكفر (قوله لأن السحر عندهم علم عظيم) أي فقصدوا بذلك تعظيمه لاتنقيصه . إن قلت إن الله تعالى قال في سورة الأعراف حكاية عنهم قالوا ياموسى ادع لنا ربك الخ فهذا يقتضي أنهم نادوه باسمه ، وهذا صريح في أنهم نادوه بيأيها الساحر فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن الخطاب تعدد وإنما لم يلهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا واستقصارا لعقولهم (قوله من كشف العذاب) بيان لما (قوله إننا لمهتدون) أي إن كشف العذاب عنا (قوله إذا هم ينكثون) أي في كل مرة من مرات العذاب (قوله ونادى فرعون) أي بنفسه أو بمناديه (قوله وهذه الأنهار الخ) معطوف على ملك مصر وجملة تجري حال من اسم الاشارة (قوله أفلا تبصرون) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله عظمتي (قوله أم تبصرون) أشار بذلك إلى أن أم متصلة معادلة للهمزة مطلوب بها التعيين والمعادل محذوف ، واعترض بأن المعادل لايحذف بعد أم إلا إن كان بعدها لانحو أتقوم أم لا أي أم لاتقوم . وأجيب بأن هذا غالب لامطرد. (قوله وحينئذ) أشار بذلك إلى أن قوله أنا خير الخ مسبب عن المعادل المحذوف (قوله حقير) أي لأنه يخدم نفسه وليس له ملك ولا نفاذ أمر .

(قوله ولا يكاد يبين) الجملة إما عطف على جملة هو مهين أو حال أو مستأنفة (قوله للثغته) بضم اللام وهى تصيير الراء غينا أولاما أو السين ثاء (قوله التى تناولها فى صغره) أى حين لطم فرعون على وجهه فاغتم لذلك وأراد قتله فمنعته زوجته وقالت له إنه صغير لايعرف التمرة من الجمرة فأتى له بجمر وجمر فأراد أخذ التمرة فحول جبريل يده فأخذ الجمرة فأثرت فى لسانه وقد حلها الله حين أرسله وإنما وصفه فرعون بها الآن استصحابا لما كان يعرف منه (قوله فلولا ألقى عليه) أى من عند مرسله الذى يدعى أنه الملك حقيقة (قوله استخف فرعون قومه) المعنى استخف فرعون عقول قومه فأتى عليهم تلك الشبه الواهية التى أثبت بها ألوهية نفسه وكذب موسى فأطاعوه (قوله فلما آسفونا) أصله أأسفونا بهمزتين أبدلت الثانية ألفا (قوله أغضبونا) أى حيث بالغوا فى العناد والعصيان (قوله فانتقمنا منهم) أى عاقبناهم (قوله فأغرقناهم أجمعين) تفسير للانتقام وقد أهلكوا بجنس ماتكبروا به ففيه إشارة إلى أن من افتخر بشىء وتعزز به غير الله أهلكه به (قوله ومثلا

(٥٢)

(وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) يظهر كلامه للثغته بالجمرة التى تناولها فى صغره (فَلَوْلَا) هلا (أُلْقِيَ عَلَيْهِ) إن كان صادقا (أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ) جمع أسورة كأغربة جمع سوار كعادتهم فيمن يسوّدونه أن يلبسوه أسورة ذهب ويطوقوه طوق ذهب (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) متتابعين يشهدون بصدقه (فَاسْتَخَفَّ) استفز فرعون (قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ) فيما يريد من تكذيب موسى (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا آسَفُونَا) أغضبونا (انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ . فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا) جمع سالف كخادم وخدم أى سابقين عبرة (وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ) بعدهم يتمثلون بحالهم فلا يقدمون على مثل أفعالهم (وَلَمَّا ضُرِبَ) جعل (ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا) حين نزل قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، فقال المشركون رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى لأنه عُبد من دون الله (إِذَا قَوْمُكَ) أى المشركون (مِنْهُ) من المثل (يَصِدُّونَ) يضحكون فرحا بما سمعوا (وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ) أى عيسى فنرضى أن تكون آلهتنا معه (مَا ضَرَبُوهُ) أى المثل (لَكَ إِلَّا جَدَلًا) خصومة بالباطل لعلمهم أن ما لغير العاقل فلا يتناول عيسى عليه السلام (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) شديدو الخصومة (إِنْ) ما (هُوَ) عيسى (إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ) بالنبوة (وَجَعَلْنَاهُ) بوجوده من غير أب (مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) أى كالمثل لغرابته يستدل به على قدرة الله تعالى على مايشاء (وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ) ،

معطوف على سلفا والمراد بالآخرين المتأخرون فى الزمان وهى الأمة المحمدية (قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى: إنكم وما تعبدون من دون الله الآية قال عبد الله بن الزبعرى وكان قبل أن يسلم أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم فقال رسول الله هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال قد خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود يعبدون عزيرا وبنومليح يعبدون الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت انتظارا للوحى فظنوا أنه ألزم الحجة فضحكوا وارتفعت أصواتهم إذا علمت ذلك تعلم الاقتصار الواقع من المفسر فى القصة (قوله إذا قومك) إذا فجائية . والمعنى فاجأ ضرب المثل صدودهم وفرحهم (قوله يصدون) بضم الصاد وكسرها بدلكم من باب ضرب ورد قراءتان سبعيتان (قوله فرحا بما سمعوا) أى أن محمدا صار مغلوبا بهذا الجدال (قوله وقالوا أآلهتنا خير الخ) تفصيل لجدالهم . والمعنى أنهم قالوا أآلهتنا خير عندك أم عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه وقوله أآلهتنا بتحقيق الهمزتين أو تسهيل الثانية بغير إدخال ألف بينهما فهما قراءتان سبعيتان فقط وقرئ شذوذا بهمزة واحدة بعدها ألف على لفظ الخبر (قوله فنرضى أن تكون الخ) هذا تفريع على الشق الثانى (قوله إلا جدلا) مفعول من أجله أى لأجل الجدال والمراء (قوله لعلمهم أن ما) أى الواقعة فى قوله تعالى إنكم وما تعبدون وعلمهم ذلك لكون القرآن نزل بلغتهم ولغة العرب أن ما تكون لغير العاقل ومن للعاقل (قوله إن هو إلا عبد) رد عليهم والمعنى ماعيسى إلا عبد مكرم منعم عليه بالنبوة لا إله ولا ابن إله (قوله بوجوده من غير أب) أى فهو نظير آدم فى خلقه من غير أبوين (قوله ولو نشاء لجعلنا منكم) خطاب لقريش والمعنى أننا أغنياء عنكم وعن عبادتكم

فلو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلكم ملائكة يعبدونى فى الأرض (قوله بدلكم) أى فهو نظير قوله تعالى ـ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ـ وقول الشاعر : جارية لم تأكل المرققا ولم تذق من البقول الفستقا
ويصح أن تكون من تبعيضية ، والمعنى لونشاء لجعلنا بعضكم ملائكة يخلفونكم فيها بأن يحوّل بعضكم إلى صورة الملائكة أويلد بعضكم ملائكة (قوله و إنه لعلم) أى نزوله علامة على قرب الساعة فالكلام على حذف مضاف واللام بمعنى على (قوله واتبعون) أى امتثلوا ما آمركم به (قوله ولايصدنكم الشيطان) معطوف على اتبعون فهو مقول القول وقيل من كلام الله تعالى والمعنى اتبعوا ياعبادى هدى أورسولى ولايصدنكم الشيطان الخ (قوله ولما جاء عيسى) أى أرسل لبنى اسرائيل (قوله ولأبين لكم) معطوف على قوله بالحكمة أى وجئتكم لأبين ولم يترك العاطف إشارة إلى أنه متعلق بما قبله إشعارا بالاهتمام بالقلة حتى جعل كأنه كلام برأسه (قوله بعض الذى تختلفون فيه) أى فبين لهم أمر الدين وهو بعض مايختلفون فيه لأن اختلافهم فى أمر الدين وتكسبات الدنيا والأنبياء بعثوا لبيان الدين لالصنائع الدنيا فانها تؤخذ عن أهلها ، وفى الحديث « أنتم أعلم بأمردنياكم» (قوله فاتقوا الله وأطيعون) أى فيما أبلغه عنه (قوله فاختلف الأحزاب من بينهم) أى تفرقوا من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى (قوله أهو الله) هذه مقالة فرقة من النصارى تسمى اليعقوبية (قوله أو ابن الله) هذا قول فرقة منهم أيضا تسمى المرقوسية (قوله أو ثالث ثلاثة) هذا قول فرقة منهم أيضا تسمى الملكانية وقالت فرقة إنه عبد الله ورسوله و إنما كفرت ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالت

(٥٣)

بدلكم (مَلَائِكَةً فِى الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ) بأن نهلككم (وَإِنَّهُ) أى عيسى (لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ) تعلم بنزوله (فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا) أى تشكن فيها حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين (وَ) قل لهم (اتَّبِعُونِ) على التوحيد (هٰذَا) الذى آمركم به (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ . وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ) يصرفنكم عن دين الله (الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات والشرائع (قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) بالنبوة وشرائع الانجيل (وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ) من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره فبين لهم أمر الدين (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ . فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) فى عيسى أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بما قالوه فى عيسى (مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) مؤلم (هَلْ يَنْظُرُونَ) أى كفار مكة أى ما ينتظرون (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بدل من الساعة (بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت مجيئها قبله (الْأَخِلَّاءُ) على المعصية فى الدنيا (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة متعلق بقوله (بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) المتحابين فى الله على طاعته فإنهم أصدقاء ، ويقال لهم (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا) نعت لعبادى (بِآيَاتِنَا) القرآن ،

اليهود إنه ليس بنبى فانه ابن زنا لعنهم الله (قوله كلمة عذاب) أى كلمة معناها العذاب وهو مبتدأ وقوله للذين ظلموا خبره (قوله أى كفار مكة) هذا توعد لهم بالعذاب إثر بيان فرحهم بجعل المسيح مثلا (قوله وهم لا يشعرون) الجملة حالية (قوله على المعصية) أى وعليه فيكون الاستثناء منقطعا ويصح أن المراد بالأخلاء الأحباب مطلقا فيكون الاستثناء متصلا (قوله متعلق بقوله بعضهم) أى والفصل بالمبتدإ لايضر (قوله فانهم أصدقاء) أى ويشفعون لبعضهم ويتوددون كما كانوا فى الدنيا (قوله ويقال لهم) أى تشريفا وتطييبا لقلوبهم ورد أنه ينادى مناد فى العرصات : ياعبادى لاخوف عليكم اليوم فيرفع أهل العرصة رءوسهم ، فيقول المنادى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فينكس أهل الأديان رءوسهم غير المسلمين (قوله ياعبادى) الاضافة للتشريف والتكريم والياء إما ساكنة أو مفتوحة أو محذوفة ثلاث قراآت سبعيات وقد ناداهم الله تعالى بأربعة أمور : الأول نفى الخوف ، والثانى نفى الحزن ، والثالث الأمر بدخول الجنة ، والرابع البشارة بالسرور فى قوله تحبرون (قوله لاخوف عليكم) بالرفع والتنوين فى قراءة العامة وهو مبتدأ وعليكم خبره وقرئ شذوذا بالضم أو الفتح دون تنوين .

(قوله وكانوا مسلمين) أى مخلصين فى أمر الدين (قوله زوجاتكم) أى المؤمنات (قوله تسرون) أى يظهر أثره على وجوهكم (قوله بقصاع) جمع قصعة وهى الاناء الذى يشبع العشرة وأكبر منها الجفنة والصحفة مايشبع الخمسة والمأكلة مايشبع الرجلين أو الثلاثة ورد أنه يطوف على أدنى أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدى عليه بها فى كل واحدة منها لون ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لايشبه بعضه بعضا يراح عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعمائة ألف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس فى صاحبتها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضا (قوله جمع كوب) أى كعود وأعواد (قوله لاعروة له) أى ليس له محل يمسك منه (قوله ليشرب الشارب من حيث شاء) أى لأن العروة تمنع من بعض الجهات ، وروى أنهم يؤتون بالطعام والشراب فاذا كان فى آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقا من جلودهم أطيب من ريح المسك قال تعالى - وسقاهم ربهم شرابا طهورا - (قوله وفيها) أى الجنة (قوله ماتشتهيه الأنفس) أى من الأشياء المعقولة والمسموعة والمنظورة والملموسة والمذوقة والمشمومة . روى «أن رجلا قال: يارسول الله أفى الجنة خيل فانى أحب الخيل؟ فقال إن يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء فتطير بك فى أى الجنة شئت إلا فعلت ، فقال أعرابى يا رسول الله أفى الجنة إبل فانى أحب الابل ، فقال يا أعرابى إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت

(٥٤)

نفسك ولذت عينك » وتشتهى بهاء واحدة واثنتين بينهما الياء قراءتان سبعيتان (قوله تلذذا) أى فطعامها وشرابها لا عن عطش (قوله نظرا) أى وأعظمه النظر إلى وجه الله الكريم (قوله وتلك الجنة) مبتدأ وخبر وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تشريفا لها وتعظيما لقدرها ولم يقل وتلكو الجنة ليكون مناسبا لقوله أورثتموها اشارة إلى أن كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال (قوله أورثتموها بما كنتم تعملون) أى أعطيتموها بسبب عملكم وهذا زيادة فى الاكرام لأهل الجنة حيث لم يقل أورثتموها من فضلى وإن كانت فى الحقيقة من فضله تعالى . قال ابن عباس: خلق الله لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر (قوله يخلف بدله) أى لأنها على صفة الماء النابع لايؤخذ منها شئ إلا خلف مكانه فى الحال مثله (قوله إن المجرمين الخ) لما ذكر وعد المؤمنين الحسن بالجنة ومافيها شرع فى ذكر وعيد الكافرين السئ بالنار ومافيها على حكم عادته سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز والمراد بالمجرمين الكفار لذكرهم فى مقابلة المؤمنين (قوله لايفتر عنهم) الجملة حالية وكذا مابعدها والفتور السكون يقال فتر الماء سكن حره (قوله ساكتون) أى فالابلاس السكوت ويطلق على السكون يقال أبلس سكت وسكن (قوله سكوت يأس) أى من رحمة الله تعالى . إن قلت إن مقتضى ماهنا أنهم يسكتون فى النار ومقتضى مايأتى فى قوله ونادوا يامالك الآية أنهم يستغيثون ويتكلمون فحصل التنافى بين الموضعين : أجيب بأنهم يسكتون تارة ويستغيثون أخرى فأحوالهم مختلفة (قوله ولكن كانوا هم الظالمين) العامة على نصب الظالمين خبرا لكان وهم ضمير فصل وقرئ شذوذا الظالمون بالرفع على أن هم ضمير منفصل مبتدأ والظالمون خبره والجملة خبر كان (قوله ونادوا) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله هو خازن النار) أى كبير خزنتها ومجلسه وسط النار وفيها جسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها .

(وَكَانُوا مُسْلِمِينَ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُكُمْ) زوجاتكم (تُحْبَرُونَ) تسرون وتكرمون خبر المبتدإ (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ) بقصاع (مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ) جمع كوب ، وهو إناء لا عروة له ليشرب الشارب من حيث شاء (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ) تلذذا (وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) نظرا (وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا) أى بعضها (تَأْكُلُونَ) وكل مايؤكل يخلف بدله (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . لَا يُفَتَّرُ) يخفف (عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) ساكتون سكوت يأس (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ . وَنَادَوْا يَامَالِكُ) هو خازن النار ،

(ليقض

(قوله ليقض علينا ربك) اللام للدعاء ويقض مجزوم بحذف الياء، والمعنى سل ربك أن يميتنا فهو من قضى عليه إذا أماته (قوله ليميتنا) أى لنستريح مما نحن فيه (قوله بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال، وقيل بعد مائة سنة، وقيل بعد أربعين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون (قوله مقيمون فى العذاب دائما) أى لامفر لكم منه بموت ولاغيره (قوله لقد جئناكم الخ) يحتمل أنه من كلام الله تعالى خطاب لأهل مكة عموما مبين لسبب مكث الكفار فى النار وهوماشى عليه المفسر، وقوله - ولكن أكثركم للحق كارهون - أى وأما أقلكم فهومؤمن يحب الحق، ويحتمل أنه من كلام مالك لأهل النار جار مجرى العلة كأنه قال إنكم ماكثون لأنا جئناكم الخ ويكون معنى أكثركم كلكم (قوله كارهون) أى لما فيه من منع الشهوات فكراهتكم له من أجل كونه مخالفا لهواكم وشهواتكم (قوله أم أبرموا أمرا) الإبرام فى الأصل الفتل المحكم يقال أبرم الحبل إذا أتقن فتله ثانيا وأما فتله أولا فيسمى سحلا ثم أطلق على مطلق الاتقان والإحكام وأم منقطعة تفسر ببل والهمزة وهوانتقال من توبيخ أهل النار إلى توبيخ الكفار على بعض ماحصل منهم فى الدنيا (قوله فى كيد محمد) أى كما ذكره فى قوله تعالى - وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك - الآية (قوله أم يحسبون) أم منقطعة

تفسر ببل وهمزة الانكار

(لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) ليميتنا (قَالَ) بعد ألف سنة (إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ) مقيمون فى العذاب دائما قال تعالى (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ) أى أهل مكة (بِالْحَقِّ) على لسان الرسول (وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ. أَمْ أَبْرَمُوا) أى كفار مكة أحكموا (أَمْرًا) فى كيد محمد النبى (فَإِنَّا مُبْرِمُونَ) محكمون كيدنا فى إهلاكهم (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) مايسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم (بَلَى) نسمع ذلك (وَرُسُلُنَا) الحفظة (لَدَيْهِمْ) عندهم (يَكْتُبُونَ) ذلك (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ) فرضا (فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ) للولد لكن ثبت أن لاولد له تعالى فانتفت عبادته (سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ) الكرسى (عَمَّا يَصِفُونَ) يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا) فى باطلهم (وَيَلْعَبُوا) فى دنياهم (حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) فيه العذاب وهو يوم القيامة (وَهُوَ الَّذِي) هو (فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ) بتحقيق الهمزتين وإسقاط الأولى وتسهيلها كالياء: أى معبود (وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ) وكل من الظرفين متعلق بما بعده (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى تدبير خلقه (الْعَلِيمُ) بمصالحهم (وَتَبَارَكَ) تعظم (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) متى تقوم (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) بالياء والتاء

(قوله ورسلنا الخ) الجملة حالية (قوله يكتبون ذلك) أى سرهم ونجواهم (قوله قل إن كان للرحمن ولد) أى إن صح وثبت ذلك ببرهان صحيح فأنا أول من يعظم ذلك الولد ويعبده (قوله لكن ثبت أن لاولد له) أشار بذلك إلى أنه قياس استثنائى وقد استثنى فيه نقيض المقدم بقوله لكن ثبت الخ فأنتج نقيض التالى وهو قوله فانتفت عبادته وإيضاحه أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محالة فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فحصل نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها (قوله الكرسى) المناسب إبقاء الآية على ظاهرها لأن من المعلوم أن العرش غير الكرسى (قوله العذاب) مفعول ثان ليوعدون وفيه متعلق بالعذاب (قوله وهو يوم القيامة) المناسب أن يقول يوم موتهم لأن خوضهم ولعبهم إنما ينتهى بيوم الموت (قوله وهو الذى هو فى السماء الخ) قدر الضمير إشارة إلى أن العائد محذوف وهو مبتدأ وإله خبره وفى السماء متعلق بإله، وإنما حذف المبتدأ لدلالة المعنى عليه ولطول الصلة بالمعمول نظير قولك ما أنا بالذى قائل لك سوءا ولايصح أن يكون الجار والمجرور خبرا مقدما وإله مبتدأ مؤخر لئلا تعرى الجملة عن رابط نظير جاء الذى فى الدار زيد (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أى همزة سماء وهمزة إله وذكر المفسر هنا ثلاث قراءات وفى الحقيقة هى سبع سبعيات التحقيق وهى قراءة واحدة وإسقاط الهمزة الأولى وتسهيلها مع القصر فى سماء بقدر ألف والمد بقدر ألفين وتسهيل الثانية وإبدالها ياء مع القصر لاغير (قوله متعلق بما بعده) أى وهو إله لأنه بمعنى معبود، والتقدير وهومعبود فى السماء ومعبود فى الأرض ولاشك أن العابد فى السماء غير العابد فى الأرض والمعبود واحد ودفع بذلك مايتوهم من ظاهر الآية أن الاله متعدد لأن النكرة إذا أعيدت كانت غيرا (قوله وعنده علم الساعة) أى علم وقت قيامها (قوله والتاء) أى فهو التفات من الغيبة للخطاب للتهديد

والتقريع (قوله ولا يملك الذين الخ) الاسم الموصول فاعل يملك وهو إما عبارة عن مطلق المعبودات غير الله فيكون الاستثناء متصلا وهو ما تقتضيه عبارة المفسر أو عن خصوص الأصنام فيكون منقطعا (قوله أي الكفار) تفسير للواو في يدعون (قوله لأحد) قدره إشارة إلى أن مفعول الشفاعة محذوف (قوله وهم يعلمون) الضمير عائد على من والجمع باعتبار معناها (قوله ولئن سألتهم) أي العابدين مع ادّعاء الشريك (قوله ليقولنّ الله) جواب القسم وجواب الشرط محذوف على القاعدة (قوله أي قول محمد النبي) تفسير لكلّ من المضاف والمضاف إليه، وقوله ونصبه على المصدر: أي فالقول والقيل والقالة كلها مصادر بمعنى واحد وفي قراءة سبعية أيضا بالجرّ إما عطفا على الساعة أو أن الواو للقسم والجواب إما محذوف، والتقدير لأفعلنّ بهنّ ما أريد أو مذكور وهو قوله: إن هؤلاء قوم لا يؤمنون (قوله وقل سلام) خبر لمحذوف: أي شأني سلام: أي ذو سلامة منكم ومني فهو تباعد وتبرؤ منهم فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار (قوله وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم) أي فالآية منسوخة، ويحتمل أن المراد الكف عن مقابلتهم بالكلام فلا نسخ فيها.

(وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ) يعبدون: أي الكفار (مِنْ دُونِهِ) أي الله (الشَّفَاعَةَ) لأحد (إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ) أي قال لا إله إلا الله (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم يشفعون للمؤمنين (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) حذف منه نون الرفع وواو الضمير (فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن عبادة الله (وَقِيلِهِ) أي قول محمد النبي ونصبه على المصدر بفعله المقدر أي وقال (يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ) قال تعالى (فَاصْفَحْ) فأعرض (عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) منكم وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) بالياء والتاء تهديد لهم،

(سورة الدخان)

مكية، وقيل إلا «إنا كاشفوا العذاب» الآية، وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم) الله أعلم بمراده به (وَالْكِتَابِ) القرآن (الْمُبِينِ) المظهر الحلال من الحرام (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ) هي ليلة القدر،

[سورة الدخان مكية] أي كلها وهو المعتمد (قوله الآية) أي إلى قوله عائدون، وورد في فضل هذه السورة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له وزوّج من الحور العين» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ الدخان ليلة الجمعة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة». قال بعض العلماء ما ذكره البيضاوي من الأحاديث الواردة في فضل السور متكلم فيها إلا أحاديث سورة الدخان أو وحديث يس الذي تقدم لنا وهو «إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له» إلى آخره وحديث سورة الواقعة وهو «من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا» (قوله والكتاب) الواو للقسم والكتاب مقسم به وجواب القسم هو قوله: إنا أنزلناه الخ، وأما قوله إنا كنا منذرين فهو تعليل للجواب وهو أحسن من جعل الجواب قوله: إنا كنا منذرين، وقوله: إنا أنزلناه جملة معترضة بين القسم وجوابه (قوله القرآن) هذا أحد أقوال في تفسير الكتاب وهو أقواها، وعليه فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن كما تقول للعظيم أتشفع بك لك، وفي الحديث «أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك»، وقيل المراد بالكتاب الكتب المنزلة على الأنبياء والضمير في أنزلناه عائد على القرآن المفهوم من السياق وقيل المراد به اللوح المحفوظ، وقوله أنزلناه: أي أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن (قوله هي ليلة القدر) هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين، ووجه بأمور منها قوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - فيجب أن تكون الليلة المباركة هي المسماة بليلة القدر لأن خير ما فسرته بالوارد، ومنها قوله تعالى - شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن - فقوله تعالى هنا - إنا أنزلناه

فى ليلة مباركة ـ يجب أن تكون هذه الليلة المباركة فى رمضان فثبت أنها ليلة القدر ، ومنها قوله تعالى فى صفة ليلة القدر ـ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر ـ وقال هنا ـ فيها يفرق كل أمر حكيم ـ وقال هنا ـ رحمة من ربك ـ وقال فى ليلة القدر ـ سلام هى حتى مطلع الفجر ـ وإذا تقاربت الأوصاف وجب القول بأن إحدى الليلتين هى الأخرى وهذه أدلة ظاهرة واضحة على أنها ليلة القدر وهو المعتمد ، وسميت ليلة القدر لأن الله تعالى يقدر فيها مايشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق ويسلم ذلك إلى مدبرات الأمور وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام ، وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ من ليلة النصف من شعبان ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت (قوله أو ليلة النصف من شعبان) هو قول عكرمة وطائفة ، ووجه بأمور : منها أن ليلة النصف من شعبان لها أربعة أسماء : الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الرحمة وليلة الصك ، ومنها فضل العبادة فيها لما ورد « من صلى فيها مائة ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان » ومنها نزول الرحمة فيها لما فى الحديث « إن الله يرحم أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب » ومنها حصول المغفرة فيها لما فى الحديث « إن الله يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة إلا الكاهن والساحر ومدمن الخمر وعاق الديه والمصر على الزنا » ومنها « إن الله تعالى أعطى رسوله فى هذه الليلة تمام الشفاعة فى أمته » وذلك أنه

(٥٧)

أو ليلة النصف من شعبان نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى السماء الدنيا (إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ) مخوفين به (فِيهَا) أى فى ليلة القدر ، أو ليلة النصف من شعبان (يُفْرَقُ) يفصل (كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) محكم من الأرزاق والآجال وغيرهما التى تكون فى السنة إلى مثل تلك الليلة (أَمْرًا) فرقا (مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) الرسل محمداً ومن قبله (رَحْمَةً) رأفة بالمرسل إليهم (مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقوالهم (الْعَلِيمُ) لأفعالهم (رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) برفع رب خبر ثالث وبجره بدل من ربك (إِنْ كُنْتُمْ) يا أهل مكة (مُوقِنِينَ) بأنه تعالى رب السموات والأرض ،

سأل ليلة الثالث عشر من شعبان فى أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع إلا من شرد عن الله شرود البعير (قوله نزل فيها) أى جملة ومعنى إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا أن جبريل أملاه منه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه فى صحف وكانت عندهم فى محل من تلك السماء يسمى بيت العزة ، ثم نجمته الملائكة المذكورون على جبريل فى عشرين سنة ينزل بها على النبى صلى الله عليه وسلم بحسب الوقائع والحوادث (قوله إنا كنا منذرين) المراد من كان الاستمرار والدوام : أى شأننا وعادتنا الإنذار والتخويف وهذه الجملة علة للانزال وكونه فى ليلة مباركة ، والمعنى إنما أنزلناه فى ليلة مباركة لأن شأننا الإنذار ، وهذا القرآن عظيم أنزل فى ليلة مباركة شأنه أن يخاف منه (قوله فيها يفرق) هذه الجملة إما مستأنفة أو صفة لليلة وما بينهما اعتراض (قوله يفصل) أى يبين ويظهر للملائكة الموكلين بالتصرف (قوله محكم) أى متقن لا تغيير فيه ولا تبديل (قوله فرقا) أشار بذلك إلى أن أمرا منصوب على المصدرية بفعل ملاق له فى المعنى كقمت وقوفا وجلست قعودا ويصح أن يكون حالا من فاعل أنزلناه ، والتقدير أنزلناه حال كوننا آمرين أو من مفعوله ، والتقدير أنزلناه حال كونه مأمورا به ويصح أن يكون مفعولا لأجله وعامله أنزلناه ، والتقدير أنزلناه لأمر الخلق : أى شأنهم بمعنى أن فيه مصالح دينهم ودنياهم ، قال تعالى ـ ما فرطنا فى الكتاب من شئ ـ (قوله من عندنا) صفة لأمرا (قوله إنا كنا مرسلين) جملة مستأنفة قصد بها بيان حكمة الانزال فى ليلة مباركة وكونه أمرا (قوله رحمة) مفعول لأجله والعامل فيه إما أنزلناه وإما أمرا وإما منذرين وإما يفرق وإما مرسلين وهو الأقرب ويصح أن يكون منصوبا بفعل محذوف : أى رحمناهم رحمة ويصح أن يكون حالا من ضمير مرسلين : أى ذوى رحمة ويصح أن يكون بدلا من أمرا (قوله من ربك) متعلق برحمة وفيه التفات من التكلم للغيبة لمزيد الارهاب والترغيب فالارهاب للكفار والترغيب للمؤمنين (قوله إنه هو السميع العليم) تعليل لما قبله وإن حرف توكيد ونصب والهاء اسمها وهو ضمير فصل والسميع خبر أول والعليم خبر ثان وقوله رب خبر ثالث كما قال المفسر ففيه إشارة لهذا الاعراب

(قوله فأيقنوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف والجملة الشرطية معترضة بين الأخبار فان قوله لاإله إلاهو خبر رابع (قوله ربكم ورب آبائكم) بالرفع فى قراءة العامة على أنه بدل أو بيان أو نعت لربّ السموات والأرض فى قراءة من رفعه وقرىء شذوذا بالجر والنصب فالأول على أنه نعت لربّ السموات فى قراءة من جره والثانى على المدح (قوله بل هم فى شكّ) إضراب عن محذوف ، والمعنى فليسوا موقنين بل هم فى شك وقوله يلعبون حال أى حال كونهم يلعبون بظواهرهم من الأقوال والأفعال والمراد بلعبهم انهماكهم فى الفانى و إعراضهم عن الباقى قال تعالى ـ إنما الحياة الدنيا لعب ـ (قوله فقال اللهمّ أعنى عليهم بسبع) أى سنين ، هذا مفرع على محذوف أشار له المفسر بقوله استهزاء أى فلما استهزءوا به وكثر عنادهم دعا عليهم بقوله اللهم أعنى عليهم أى على هداهم وفى الحقيقة هو دعاء لهم لأن من شأن النفوس أنها إذا شبعت وكثر عليها الخير تكبرت وطغت و بغت فاذا جاعت واشتد بها الألم ذلت وصغرت ورجعت للحق ، لما ورد أن الله تعالى لما خلق النفس قال لها من أنا ؟ قالت له أنت أنت وأنا أنا ، فألقاها فى بحر الجوع فذلت وقالت أنت الله لاإله غيرك ، ومن هنا كانت تربية العارفين نفوسهم بالجوع (قوله قال تعالى) أى إجابة لدعوته ، واختلف هل حصل ذلك والنبى صلى الله عليه وسلم فى مكة أو بعد هجرته إلى المدينة وهو الراجح (قوله يوم تأتى السماء) مفعول به وعامله فارتقب (قوله بدخان) الدخان بوزن غراب وجبل ورمان : الغبار والجمع أدخنة ودواخن ودواخين والتلاوة بوزن غراب (قوله فأجدبت الأرض) أشار بذلك إلى أنه حصل مطلوبه فبهم بالفعل (قوله كهيئة الدخان) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة الدخان بل رأوا شيئا يشبهه من ضعف أبصارهم وهو قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود فلما اشتد الأمر عليهم جاءه أبو سفيان فقال : يامحمد جئت تأمر بصلة الرحم و إن قومك قد هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم فدعا لهم بالمطر فنزل واستمر عليهم سبعة أيام حتى تضرروا من كثرته فجاء أبوسفيان وطلب منه أن يدعو برفعه فدعا لهم فارتفع وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن على والحسن إنه دخان حقيقة يظهر فى العالم فى آخر الزمان يكون علامة على قرب الساعة يملأ مابين المشرق والمغرب ومابين السماء والأرض يمكث أربعين يوما وليلة ، أما المؤمن فيصيبه كالزكام ، وأما الكافر فيصير كالسكران فيملأ جوفه و يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وتكون الأرض كلها كبيت أوقدت فيه النار (قوله يغشى الناس) صفة ثانية لدخان والمراد بهم قريش وأمثالهم على ماقاله المفسر وعلى القول الآخر يكون المراد بالناس جميع الموجودين فى ذلك الوقت من المؤمنين والكفار (قوله إنامؤمنون) هذا وعدمنهم بالايمان وقد أخلفوه وليس المراد أنهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا (قوله أى لا ينفعهم الايمان الخ) الأوضح أن يقول : أى لا يوفون بما وعدوا من الايمان عند كشف العذاب عنهم فهو استبعاد لايمانهم (قوله وقالوا معلم) أى قالوا فى حق النبى عليه السلام تارة إنه يعلمه غلام أعجمى وقالوا تارة إنه مجنون وتقدم فى سورة النحل فى قوله ـ إنما يعلمه بشر ـ أن رجلا اسمه جبر ـ وهو غلام عامر بن الحضرمى ورجلا اسمه يسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان النبى عليه السلام يدخل عليهما و يسمع مايقرآنه ، فقال الكفار إنما يعلمه بشر فرد الله تعالى عليهم بقوله ـ لسان الذى يلحدون إليه أعجمى ـ الآية (قوله إنا كاشفوا العذاب) جواب عن قوله ربنا اكشف عنا العذاب (قوله قليلا) قيل إلى يوم بدر ، وقيل إلى ما بقى من أعمارهم (قوله فعادوا إليه) أى استمرّوا عليه لأنه لم يوجد منهم إيمان بالفعل (قوله اذكرّ يوم نبطش) أشار بذلك إلى أن يوم منصوب بمحذوف ، و يصح أن يكون بدلا من يوم تأتى .

(٥٨)

فأيقنوا بأن محمداً رسوله (لَاإِلٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ) من البعث (يَلْعَبُونَ) استهزاء بك يامحمد ، فقال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف ، قال تعالى (فَارْتَقِبْ) لهم (يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ) فأجدبت الأرض واشتد بهم الجوع إلى أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض (يَغْشَى النَّاسَ) فقالوا (هٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ) مصدقون نبيك ، قال تعالى (أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى) أى لاينفعهم الإيمان عند نزول العذاب (وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ) بيّن الرسالة (ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ) أى يعلمه القرآن بشر مَجْنُونٌ . إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ)أى الجوع عنكم زمنا(قَلِيلاً) فكشف عنهم (إِنَّكُمْ عَائِدُونَ) إلى كفركم فعادوا إليه ، اذكر (يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى) هو يوم بدر (إِنَّا مُنْتَقِمُونَ)

(قوله بلونا) أى امتحنا ، والمعنى فعلنا بهم فعل الممتحن باقبال النعم عليهم منا ومقابلتهم لها بالكفر والطغيان (قوله قبلهم) أى قبل قريش (قوله معه) أشار بذلك دفعا لما يتوهم من ظاهر الآية أن الابتلاء لخصوص قوم فرعون . فأجاب بأن المراد هو وقومه (قوله وجاءهم) هو من جملة الممتحن به (قوله كريم على الله) أى عزيز عليه حيث اختصه بالرسالة والكلام وهذا ردّ لقول فرعون أم أنا خير من هذا الذى هو مهين كأنه قال : حاشا موسى من المهانة بل هو كريم عزيز على ربه (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أنّ أن مصدرية و يصح أن تكون مفسرة وأن تكون مخففة من الثقيلة (قوله عباد الله) مشى المفسر على أن مفعول أدوا محذوف وعباد الله منادى وعليه فالمراد بعباد الله فرعون وقومه وقيل إن عباد الله مفعول لأدوا ، والمراد بهم بنو إسرائيل ومعنى تأديتهم إياهم إطلاقهم من الأسر يشير إلى هذا قوله تعالى فى سورة الشعراء - أن أرسل معنا بنى إسرائيل - وعلى كلا القولين فالخطاب فى أدوا لفرعون وقومه (قوله إنى لكم رسول أمين) تعليل للأمر وقوله على ما أرسلت به متعلق بأمين ، والمعنى مأمون على ما أرسلنى الله به فلا أزيد ولا أنتقص وذكر الأمانة بعد الرسالة و إن كانت تستلزمها إشارة إلى أنها وصف شريف ينبغى الاعتناء به (قوله وأن لا تعلوا على الله) عطف على قوله أن أدوا (قوله تتجبروا على الله) فسر العلو بالتجبر وفسره غيره بالتكبر والبغى والافتراء والتعاظم والاستكبار وكلها معان (٥٩) متقاربة (قوله إنى آتيكم)

منهم والبطش الأخذ بقوة (وَلَقَدْ فَتَنَّا) بلونا (قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ) معه (وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ) هو موسى عليه السلام (كَرِيمٌ) على الله تعالى (أَنْ) أى بأن (أَدُّوا إِلَيَّ) ما أدعوكم إليه من الإيمان أى أظهروا إيمانكم بالطاعة لى يا (عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) على ما أرسلت به (وَأَنْ لَا تَعْلُوا) تتجبروا (عَلَى اللهِ) بترك طاعته (إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ) برهان (مُبِينٍ) بيّن على رسالتى فتوعدوه بالرجم فقال (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ) بالحجارة (وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي) تصدقونى (فَاعْتَزِلُونِ) فاتركوا أذاى فلم يتركوه (فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ) أى بأن (هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ) مشركون ، فقال تعالى (فَأَسْرِ) بقطع الهمزة ووصلها (بِعِبَادِي) بنى إسرائيل (لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون وقومه (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ) إذا قطعته أنت وأصحابك (رَهْوًا) ساكنا منفرجا حتى يدخله القبط (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) فاطمأن بذلك فأغرقوا (كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) تجرى (وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن .

تعليل للنهى (قوله فتوعدوه بالرجم) ظاهره أنه حين قال إنى آتيكم بسلطان مبين توعدوه بالرجم ولم يمهلوا مع أنه تقدم أن فرعون قال له فأت بها إن كنت من الصادقين ومكث بينهم مدة عظيمة وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة ثم لما توعدوه دعا عليهم وحينئذ فيكون بين ماهنا و بين ماتقدم تناف فالجواب أن القصة ذكرت هنا مجملة وفى ماتقدم ذكرت مبسوطة وذكر الشيء مفصلا ثم مجملا أثبت فى النفس (قوله أن ترجمون) الياء فيه وفى قوله فاعتزلون من ياءات الزوائد لاتثبت فى الرسم وأما فى اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها حالة الوصل فقط وأما الوقف فيتعين حذفها (قوله و إن لم تؤمنوا لى) اللام بمعنى الباء و يصح أن تكون لام العلة ، والمعنى إن لم تصدّقونى ولم تؤمنوا بالله لأجل برهانى الخ (قوله فاتركوا أذاى) أى لاتتعرضوا لى بسوء (قوله فدعا ربه) عطف على مقدر قدره بقوله فلم يتركوه وقوله إن هؤلاء الخ تعريض بالدعاء كأنه قال : فافعل مايليق بهم و إن بفتح الهمزة فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها على إضمار القول (قوله بقطع الهمزة ووصلها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان : الأولى من أسرى ، والثانية من سرى قال تعالى - سبحان الذى أسرى بعبده - وقال تعالى - والليل إذا يسر - والاسراء السير ليلا وحينئذ فذكر الليل تأكيد بغير اللفظ (قوله إذا قطعته أنت وأصحابك) هذا تعليم لموسى بما يفعله فى سيره قبل أن يسير ، والمعنى إذا أسرت بهم وتبعك العدو ووصلت إلى البحر وأمرناك بضربه ودخلتم فيه ونجوتم منه فاتركه بحاله ولا تضربه بعصاك فيلتئم بل أبقه على حاله ليدخله فرعون وقومه فينطبق عليهم (قوله رهوا) حال من البحر وهو فى الأصل مصدر رها يرهو رهوا إما بمعنى سكن و إما بمعنى انفرج والمفسر جمع بينهما (قوله فاطمأن بذلك) أى بقوله إنهم جند مغرقون والضمير فى اطمأن عائد على موسى (قوله كم تركوا من جنات) كم مفعول لتركوا ، والمعنى تركوا أمورا كثيرة بينها بقوله من جنات الخ (قوله مجلس حسن) أى محافل مزينة ومنازل حسنة كما هو مشاهد

فى منازل الملوك الآن (قوله متعة) أى أمور يتمتعون بها و ينتفعون بها كالملابس والمراكب (قوله فاكهين) العامة بالألف وقرئ شذوذا بغير ألف ومعنى الأولى ناعمين كما قال المفسر : أى متنعمين ومعنى الثانية مستخفين ومستهزئين بنعمة الله (قوله خبر مبتدإ) أى والوقف على كذلك والجملة معترضة لتوكيد ما قبلها (قوله أى الأمر) أى وهو إهلاك فرعون وقومه (قوله وأورثناها) معطوف على كم تركوا ، والمعنى تركوا أمورا كثيرة وأورثنا تلك الأمور بنى إسرائيل (قوله أى بنى إسرائيل) فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون . إن قلت كيف قال الله تعالى - وأورثناها قوما آخرين - مع أنه تقدم أن أموالهم طمست ومسخت حجارة . قلت لعل الجواب أنها بعد غرقهم أعيدت كما كانت إكراما لبنى إسرائيل فحين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس (قوله فما بكت عليهم السماء والأرض) اختلف فى البكاء فقيل حقيقة ، وعليه فقيل هو واقع من ذات السموات والأرض ويؤيده ما ورد «مامن مؤمن إلا وله فى السماء بابان باب ينزل منه رزقه و باب يدخل منه كلامه وعمله فاذا مات فقداه فبكيان عليه وتلا - فما بكت عليهم السماء والأرض - و يؤيده أيضا قول مجاهد إن السماء والأرض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحا قال أبو يحيى فعجبت من قوله ، فقال أتعجب وما للأرض لاتبكى على عبد يعمرها بالركوع والسجود وما للسماء لاتبكى على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوى كدوى النحل ، وقيل على حذف مضاف أى أهل السموات والأرض ، وقيل إن بكاءها حمرة أطرافهما ويؤيده (٦٠) قول السدى لما قتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها وقول محمد ابن سيرين أخبرونا أن الحمرة التى تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين ابن علىّ رضى الله تعالى عنه . وقال سليمان القاضى مطرنا دما يوم قتل الحسين وقيل إن البكاء كناية عن عدم الاكتراث وعدم المبالاة بهم (قوله ولقد نجينا بنى إسرائيل) هذا من جملة تعداد النعم على بنى إسرائيل والقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وتبشيره بأنه سينجيه وقومه المؤمنين من أيدى المشركين

(وَنَعْمَةٍ) متعة (كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ) ناعمين (كَذَلِكَ) خبر مبتدإ أى الأمر (وَأَوْرَثْنَاهَا) أى أموالهم (قَوْمًا آخَرِينَ) أى بنى إسرائيل (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ) بخلاف المؤمنين يبكى عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء (وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) مؤخرين للتوبة (وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ) قتل الأبناء واستخدام النساء (مِنْ فِرْعَوْنَ) قيل بدل من العذاب بتقدير مضاف أى عذاب ، وقيل حال من العذاب (إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ . وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ) أى بنى إسرائيل (عَلَى عِلْمٍ) منّا بحالهم (عَلَى الْعَالَمِينَ) أى عالمى زمانهم أى العقلاء (وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ) نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها (إِنَّ هَؤُلَاءِ) أى كفار مكة (لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ) ما الموتة التى بعدها الحياة (إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى) أى وهم نطف (وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ) بمبعوثين أحياء بعد الثانية ،

(فأتوا

فانهم لم يبلغوا فى التجبر مثل فرعون وقومه (قوله وقيل حال من العذاب) أى متعلق بمحذوف ، والمعنى واقعا من جهة فرعون (قوله من المسرفين) خبر ثان لكان ، والمعنى من المتجاوزين الحد (قوله على علم) على بمعنى مع وقوله على العالمين على على بابها للاستعلاء فاختلف معناها فحينئذ جاز تعلقهما بعامل واحد وهو اخترنا (قوله بحالهم) أى بكونهم أهلا للاصطفاء لكون أكثر الأنبياء منهم (قوله أى عالمى زمانهم) دفع بذلك مايقال إن ظاهر الآية يدل على كون بنى إسرائيل أفضل من كل العالمين مع أن أمة محمد أفضل منهم فدفع ذلك بأن المراد بالعالمين عالمو زمانهم فلا ينافى أن أمة محمد أفضل منهم (قوله العقلاء) المناسب أن يقول الثقلين ، فان من جملة العقلاء الملائكة و بنو إسرائيل ليسوا أفضل منهم (قوله من الآيات) بيان مقدم على المبين (قوله نعمة ظاهرة) هذا تفسير للبلاء فان البلاء معناه الاختبار وهو يكون بالمحن و بالنعم هل يصبر أولا وهل يشكر أولا (قوله أى كفار مكة) إنما أشار إليهم باشارة القريب تحقيرا لهم وازدراء بهم (قوله ليقولون) أى جوابا لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة دلّ عليه قوله تعالى - كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون - كأنهم قالوا مسلم لنا أن موتة تعقبها حياة لكن المراد بها الأولى وهى حال النطفة لا الثانية التى ينقضى بها العمر فانها لاتعقبها حياة (قوله وما نحن بمنشرين) هذه الآية نظير قوله تعالى - إن هى إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين -

(فَأْتُوا بِآبَائِنَا) أحياء (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنا نبعث بعد موتتنا : أى نحيا ، قال تعالى (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ) هو نبى أو رجل صالح (وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم (أَهْلَكْنَاهُمْ) بكفرهم والمعنى ليسوا أقوى منهم وأهلكوا (إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ . وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ) بخلق ذلك حال (مَا خَلَقْنَاهُمَا) وما بينهما (إِلَّا بِالْحَقِّ) أى محقين فى ذلك ليستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ . إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد (مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ) للعذاب الدائم (يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى) بقرابة أو صداقة : أى لايدفع عنه (شَيْئًا) من العذاب (وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون منه ويوم بدل من يوم الفصل (إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ) وهم المؤمنون فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) الغالب فى انتقامه من الكفار (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين (إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ) هى من أخبث الشجر المرّ بتهامة ينبتها الله تعالى فى الجحيم (طَعَامُ الْأَثِيمِ) أبى جهل وأصحابه ذوى الإثم الكبير (كَالْمُهْلِ)

(قوله فأتوا بآبائنا) أى أحيوهم لنا ليخبرونا بصدقكم (قوله أهم خير) أى فى أمور الدنيا (قوله أم قوم تبع) هو تبع الحميرى أبو كرب ، واسمه أسعد وإليه تنسب الأنصار بنى الحيرة بكسر الحاء بعدها مثناة تحتية فراء مهملة : مدينة بقرب الكوفة وبنى سمرقند وأراد غزو البيت وتخريب المدينة فأخبر بأنها مهاجر نبى اسمه أحمد فكفّ عنهما وكسا البيت بالحبرة وكتب كتابا وأودعه عند أهل المدينة وكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر إلى أن هاجر النبيّ صلى الله عليه وسلم فدفعوه إليه يقال إن الكتاب عند أبى أيوب خالد بن زيد ، وفيه شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارئ النسم فلو مدّ عمرى إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم ، أما بعد : فإنى آمنت بك وبكتابك الذى ينزل عليك وأنا على دينك وسنتك وآمنت بربك وربّ كل شىء وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الاسلام ، فإن أدركتك فبها ونعمت ، وإن لم أدركك فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة فإنى من أمتك الأولين ، وبايعتك قبل مجيئك وأنا على ملتك وملة أبيك إبراهيم عليه السلام ، ثم ختم الكتاب ونقش عليه : لله الأمر من قبل ومن بعد ، وكتب على عنوانه : إلى محمد بن عبد الله نبيّ الله ورسوله خاتم النبيين ورسول ربّ العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الأول ، وكان من اليوم الذى مات فيه تبع إلى اليوم الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم ألف سنة لايزيد ولاينقص (قوله هو نبى أو رجل صالح) أو لحكاية

(٦١)

الخلاف فالقول الأول لابن عباس والثانى لعائشة رضى الله عنهما ، وكان ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان معهم قوم من أهل الكتاب فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل الله قربان أهل الكتاب فأسلم (قوله والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع وقوله أهلكناهم حال من المعطوف والمعطوف عليه (قوله وما خلقنا السموات والأرض الخ) هذا دليل على صحة الحشر ووقوعه ، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الانسانى وخلق له مافى الأرض جميعا وكلفه بالإيمان والطاعة فآمن البعض وكفر البعض ، وحتم الله فى سابق أزله أن النعيم للمؤمن والعقاب للكافر وذلك لا يكون فى الدنيا لعدم الاعتداد بها فحينئذ لابدّ من البعث لتجزى كل نفس بما كسبت (قوله وما بينهما) أى بين الجنسين (قوله حال) أى وهى لا يستغنى عنها (قوله أى محقين فى ذلك) أى لنا فيه حكمة وقد بينها المفسر بقوله ليستدلّ به الخ (قوله لا يعلمون) أى ليس عندهم علم بالكلية (قوله إنّ يوم الفصل) الاضافة على معنى اللام (قوله ميقاتهم) أى موعدهم والمراد جميع الخلق (قوله للعذاب الدائم) أى للكفار والنعيم الدائم للمؤمنين (قوله يوم لايغنى مولى) المولى يطلق على المعتق بالكسر والفتح وابن العم والناصر والجار والحليف (قوله بقرابة) أى بسببها (قوله ولا هم ينصرون) الضمير للمولى وجمع باعتبار المعنى وهذه الجملة توكيد لما قبلها والمعنى لاينصر المؤمن الكافر ولو كان بينهما علقة من قرابة أو صداقة أو غيرهما (قوله إلا من رحم الله) يصح أن يكون الاستثناء متصلا والمعنى لايغنى قريب عن قريب إلا المؤمنين فإنه يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون لبعضهم وهو مامشى عليه المفسر ويصح أن يكون منقطعا أى ولكن من رحم الله لاينالهم مايحتاجون فيه إلى من ينفعهم من المخلوقين (قوله إنه هو العزيز الخ) تعليل لما قبله (قوله إنّ شجرت الزقوم) ترسم شجرت بالتاء المجرورة فى هذا الموضع دون غيره من القرآن

و يوقف عليه بالهاء والتاء وأما غير هذا الموضع فترسم بالهاء و يوقف عليه بالهاء لاغير والزقوم يطلق على نبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل طعام أهل النار و يطلق على شجر له ثمر كالتمر وله دهن عظيم المنافع عجيب الفعل فى تحليل الرياح الباردة وأمراض البلغم وأوجاع المفاصل وعرق النسا والريح الساقطة فى الورك يشرب زنة سبعة دراهم ثلاثة أيام وربما أقام الزمنى والمقعدين ويقال أصله الاهلياج الكابلى (قوله أى كدردى الزيت الأسود) هذا أحد معانى المهل و يطلق على القيح والصديد والنحاس المذاب (قوله و بالتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من المهل) الأظهر أنه حال من طعام لأن المراد وصف الطعام المشبه بالمهل بالغليان لاوصف المهل لأنه لايتصف بذلك (قوله كغلى الحميم) صفة لمصدر محذوف أى تغلى غليا مثل غلى الحميم (قوله بكسر التاء وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان من باب ضرب ونصر (قوله جروه بغلظة) أى أو اضربوه بالعتلة وهى بفتحتين العصا الضخمة من الحديد لها رأس (قوله ثم صبوا فوق رأسه) أى ليكون محيطا بجميع جسده (قوله من الحميم الذى الخ) أى فاذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته (قوله ويقال له ذق) الأمر للاهانة والتحقير (قوله إنك) بفتح الهمزة على معنى التعليل وكسرها على الاستئناف المفيد للعلة قراءتان سبعيتان ووصفه بهذين الوصفين تهكم والاستهزاء (قوله وقولك) تفسير لقوله بزعمك وقوله مابين جبليها أى مكة (قوله ما كنتم به تمترون) الجمع باعتبار المعنى لأن المراد جنس الأثيم (قوله إنّ المتقين فى مقام أمين) مقابل قوله إنّ شجرت الزقوم طعام الأثيم لأنه جرت عادة الله تعالى فى كتابه أنه إذا ذكر أحوال أهل النار أتبعه بذكر أحوال الجنة وقوله المتقين أى الشرك بأن ماتوا على التوحيد وهذا أعم من أن يكونوا فى أعلى مراتب التقوى وهى تقوى الأغيار بأن لايخطر الغير ببالهم أو أوسطها وهى تقوى المعاصى بفعل الطاعات أو أدناها وهى تقوى مجرد الشرك بالايمان

أى كدُردىّ الزيت الأسود خبر ثان (يَغْلِي فِي الْبُطُونِ) بالفوقانية خبر ثالث وبالتحتانية حال من المهل (كَغَلْيِ الْحَمِيمِ) الماء الشديد الحرارة (خُذُوهُ) يقال للزبانية خذوا الأثيم (فَاعْتِلُوهُ) بكسر التاء وضمها: جروه بغلظة وشدة (إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ) وسط النار (ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) أى من الحميم الذى لايفارقه العذاب فهو أبلغ مما فى آية: يصبّ من فوق رءوسهم الحميم، ويقال له (ذُقْ) أى العذاب (إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) بزعمك وقولك مابين جبليها أعز وأكرم منى، و يقال لهم (إِنَّ هٰذَا) الذى ترون من العذاب (مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ) فيه تشكون (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ) مجلس (أَمِينٍ) يؤمن فيه الخوف (فِي جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ) أى مارق من الديباج وما غلظ منه (مُتَقَابِلِينَ) حال: أى لاينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم (كَذٰلِكَ) يقدر قبله الأمر (وَزَوَّجْنَاهُمْ)،

(قوله فى مقام) بفتح الميم وضمها قراءتان سبعيتان فالفتح هو موضع القيام والضم موضع الاقامة والمكث (قوله يؤمن فيه الخوف) أى من الخلق والخالق والمعنى تطمئن فيه النفس ولا تنزعج من شىء أصلا فأهل الجنة آمنون من غضب الله ومن جميع مايؤذى فى البدن والأهل والمال وآمنون من خطور الأكدار ببالهم (قوله فى جنات الخ) بدل من مقام وتقديمه عليه من باب تقديم التخلية على التحلية لأن الأمن من المخاوف تخلية وكونهم فى جنات وعيون الخ تحلية (قوله وعيون) أى أنهار تجرى تحت القصور (قوله يلبسون) خبر آخر لان أو مستأنف (قوله أى مارق من الديباج الخ) لف ونشر مرتب والديباج هو الحرير. إن قلت كيف يكون لبس الغليظ من الحرير نعيما فى الجنة مع أنه فى الدنيا ربما كان غير نعيم. أجيب بأن غليظ حرير الجنة ليس كغليظ حرير الدنيا بل هو أعلى على أن من غليظ حرير الدنيا مايؤلف وينعم به كالقطيفة مثلا (قوله متقابلين) أى يواجه بعضهم بعضا ليحصل الانس لبعضهم بعضا وهذا فى غير وقت النظر إلى وجه الله الكريم وأما عنده فينسون النعيم بل ومقابلة إخوانهم لكونه أعلى نعيم الجنة رتبة ومن هنا قيل إن حكمة المقابلة فى حلق العلم والذكر فى الدنيا التشبه بمجالس الجنة والانس بمقابلة الاخوان وحكمة الاصطفاف فى الصلاة وعدم المقابلة فيها التشبه بالنظر لوجه الله الكريم فى الجنة لأن فى الصلاة إقبالا بالكلية على الله تعالى وقطعا للشواغل (قوله أى لاينظر بعضهم إلى قفا بعض) أى لأن النظر للقفا مما يحزن ولاحزن فى الجنة (قوله يقدر قبله الأمر) أى فهو مبتدأ وقوله كذلك خبره والجملة معترضة لتقرير ماقبلها (قوله وزوجناهم) عطف على قوله يلبسون.

(قوله من التزويج) أى وهو جعل الشيء زوجا والمعنى جعلناهم اثنين اثنين فقوله أوقرناهم مرادف له وليس المراد بالتزويج الانكاح بالعقد فانه لاقائل به (قوله عين) جمع عيناء وأصله عين بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لتصح الياء (قوله بنساء بيض) تفسير للحور وقوله واسعات الأعين تفسير لعين وهذا على أن المراد بالحور البياض مطلقا وقيل الحور شدة بياض العين وشدة سوادها ، واختلف هل الأفضل فى الجنة نساء الدنيا أو الحور العين ؟ والحق أن نساء الدنيا أفضل لما روى أن الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله يدعون) حال من الهاء فى زوجناهم (قوله لا يذوقون) حال من الضمير فى آمنين (قوله قال بعضهم) هو الطبرى و بهذا اندفع ماقيل كيف قال فى صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلا وهذا القول و إن كان يدفع الاشكال إلا أن مجيء إلا بمعنى بعد لم يرد و بعضهم يجعل الاستثناء منقطعا والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها (قوله منصوب بتفضل) أى على أنه مفعول مطلق (قوله الفوز العظيم) أى لأنه خلاص من المكاره وظفر بالمطلوب (قوله فانما يسرناه بلسانك) هذا إجمال لما فصل فى السورة كأنه قال ذكر قومك بهذا الكتاب المبين فانا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه إليهم (قوله لكنهم لايؤمنون) دخول على

قوله فارتقب (قوله فارتقب إنهم مرتقبون) أشار المفسر إلى أن مفعول كل محذوف قدر الأول بقوله هلاككم والثانى بقوله هلاكك (قوله وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم) أى فهو منسوخ لأن معنى ارتقب أمهلهم من غير قتال حتى يحكم الله بينك و بينهم .

[سورة الجاثية]

سميت باسم كلمة منها وهى قوله وترى كل أمة جاثية ، وتسمى سورة الشريعة لقوله فيها ثم جعلناك على شريعة

من التزويج أوقرناهم (بِحُورٍ عِينٍ) نساء بيض واسعات الأعين حسانها (يَدْعُونَ) يطلبون الخدم (فِيهَا) أى الجنة أن يأتوا (بِكُلِّ فَاكِهَةٍ) منها (آمِنِينَ) من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف حال (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى) أى التى فى الدنيا بعد حياتهم فيها ، قال بعضهم إلا بمعنى بعد (وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ . فَضْلًا) مصدر بمعنى تفضلا منصوب بتفضل مقدرا (مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ) سهلنا القرآن (بِلِسَانِكَ) بلغتك لتفهمه العرب منك (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون لكنهم لايؤمنون (فَارْتَقِبْ) انتظر هلاكهم (إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ) هلاكك وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم .

(سورة الجاثية)

مكية إلا «قل للذين آمنوا» الآية ، وهى ست أو سبع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حم) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى فى خلقهما (لَآيَاتٍ) دالة على قدرة الله ووحدانيته تعالى (لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ)

(قوله مكية إلا قوله قل للذين آمنوا الخ) أى إلى قوله أيام الله وهو قول ابن عباس وقتادة قالا : إنها نزلت بالمدينة فى عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عابه عبد الله بن أبى فأراد عمر قتله فنزلت وقيل مكية كلها حتى هذه الآية فانها نزلت فى عمر أيضا شتمه رجل فى مكة من الكفار فأراد قتله فنزلت ثم نسخت بآية الجهاد (قوله من الله خبره) أى متعلق بمحذوف تقديره كائن (قوله العزيز فى ملكه) أى الغالب على أمره (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى يضع الشيء فى محله فاقتضت حكمته تعالى إنزال أشرف الكتب وهو القرآن على أشرف العبيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله إن فى السموات والأرض الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة فى ثلاث فواصل وختم الأولى بالمؤمنين والثانية بيوقنون والثالثة بيعقلون ووجه التغاير أن الانسان إذا تأمل فى السموات والأرض وأنه لابد لهما من صانع آمن وإذا نظر فى خلق نفسه ونحوها ازداد يقينا وإذا نظر فى سائر الحوادث كمل عقله واستحكم علمه (قوله أى فى خلقهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف يدل عليه التصريح به فى سورة البقرة فى قوله إن فى خلق السموات والأرض ، وما فى سورة آل عمران إن فى خلق السموات والأرض (قوله لآيات للمؤمنين) بالنصب بالكسرة باتفاق القراء لأنه اسم إن وأما ما يأتى فى قوله آيات لقوم يوقنون

وآيات لقوم يعقلون ففيه قراءتان سبعيتان الرفع والنصب بالكسرة فالرفع على أن قوله فى خلقكم خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على جملة إن فى السموات والنصب على أن آيات معطوف على آيات الأول الذى هو اسم إن وقوله وفى خلقكم معطوف على قوله فى السموات والأرض الواقع خبرا لإن ففيه العطف على معمولى عامل واحد وهو جائز باتفاق (قوله وخلق مايبث) أشار بذلك إلى أنه معطوف على خلقكم المجرور بفى على حذف مضاف (قوله هى مايدب) أى يتحرك (قوله وفى اختلاف الليل والنهار) أشار المفسر إلى أن حرف الجر مقدر يؤيده القراءة الشاذة باثباته (قوله بعد موتها) أى يبسها (قوله وباردة وحارة) لف ونشر مشوش وترك الصبا والدبور فالرياح أربع (قوله تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وجملة تتلوها حال (قوله الآيات المذكورة) أى وهى السموات والأرض ومابعدهما (قوله متعلق بنتلو) أى على أنه عامل فيه مع كونه حالا والباء للملابسة (قوله أى لايؤمنون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله كلمة عذاب) أى فيطلق على العذاب ويطلق على واد فى جهنم (قوله كذاب) أى كثير الكذب على الله وعلى خلقه (قوله كثير الإثم) أى المعاصى (قوله يسمع آيات الله) إما مستأنف أو حال من الضمير فى أثيم (قوله تتلى عليه) حال من آيات الله (قوله ثم يصر على كفره) ثم للترتيب الرتبى، والمعنى أن إصراره على الكفر حاصل بعد تقرير الأدلة المذكورة وسماعه إياها (قوله كأن لم يسمعها) كأن مخففة حذف منها ضمير الشأن والجملة إما مستأنفة أو حال (قوله فبشره بعذاب أليم) سماه بشارة تهكما بهم لأن البشارة هى الخبر السار (قوله وإذا علم من آياتنا شيئا) أى إذا بلغه شىء

أى فى خلق كل منكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن صار إنسانا (وَ) خلق (مَا يَبُثُّ) يفرق فى الأرض (مِنْ دَابَّةٍ) هى ما يدب على الأرض من الناس وغيرهم (آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث (وَ) فى (اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ذهابهما ومجيئهما (وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ) مطر لأنه سبب الرزق (فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ) تقليبها مرة جنوبا ومرة شمالا وباردة وحارة (آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) الدليل فيؤمنون (تِلْكَ) الآيات المذكورة (آيَاتُ اللَّهِ) حججه الدالة على وحدانيته (نَتْلُوهَا) نقصها (عَلَيْكَ بِالْحَقِّ) متعلق بنتلو (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ) أى حديثه وهو القرآن (وَآيَاتِهِ) حججه (يُؤْمِنُونَ) أى كفار مكة أى لايؤمنون وفى قراءة بالتاء (وَيْلٌ) كلمة عذاب (لِكُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أَثِيمٍ) كثير الإثم (يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ) على كفره (مُسْتَكْبِرًا) متكبرا عن الإيمان (كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا) أى القرآن (شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا) أى مهزوءا بها (أُولَٰئِكَ) أى الأفاكون (لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (مِنْ وَرَائِهِمْ) أى أمامهم لأنهم فى الدنيا (جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا) من المال والفعال (شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. هَٰذَا) أى القرآن (هُدًى) من الضلالة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ) حظ (مِنْ رِجْزٍ) أى عذاب (أَلِيمٌ) موجع.

(الله) وعلم أنه من آياتنا اتخذها هزوا الخ وذلك نحو قوله فى الزقوم إنه الزبد والتمر وقوله فى خزنة جهنم إن كانوا تسعة عشر فأنا ألقاهم وحدى (قوله اتخذها هزوا) أنث الضمير مع أنه عائد على شيئا وهو مذكر مراعاة لمعناه وهو الآية ويصح عوده على آياتنا (قوله أى الأفاكون) جمع باعتبار معنى الأفاك وراعى أولا لفظه فأفرد (قوله أى أمامهم) أشار بذلك إلى أن الوراء كما يطلق على الخلف يطلق على الأمام كالجون يستعمل فى الأبيض والأسود على سبيل الاشتراك (قوله ما كسبوا) ما إما مصدرية أى كسبهم أو موصولة أى الذى كسبوه، وهذان الوجهان يجريان فى قوله ولا ما اتخذوا، ومقتضى عبارة المفسر أنها فيهما موصولة حيث قال فى الأول من المال والفعال وقال فى الثانى أى الأصنام (قوله هذا هدى) أى لمن أذعن له واتبعه وهم المؤمنون ووبال وخسران على الكفار، قال تعالى - وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا -.

(قوله الله الذي سخر لكم البحر) أي حلوا وملحا ، والمعنى ذلله وسهل لكم السير فيه بأن جعله أملس الظاهر مستويا شفافا يحمل السفن ولا يمنع الغوص فيه (قوله بإذنه) أي إرادته ومشيئته ولوشاء لم تجر (قوله بالتجارة) أي والحج والغزو وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية (قوله ولعلكم تشكرون) أي تصرفون النعم في مصارفها (قوله وغيره) أي كالملائكة فإنهم مسخرون لأهل الأرض يدبرون معاشهم وهذا سرّ قوله تعالى : ولقد كرمنا بني آدم الآية (قوله تأكيد) أي حال مؤكدة (قوله حال) أي من ما ويصح أن يكون صفة لجميعا ، والمعنى على الأول سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه أي مخلوقة له وعلى الثاني جميعا كائنا منه تعالى (قوله يتفكرون) أي يتأملون في تلك الآيات (قوله قل للذين آمنوا يغفروا الخ) المراد بالغفر لهم تحمل أذاهم وعدم مقابلتهم بمثل مافعلوا . واختلف في هذه الآية فقيل مدنية وعليه فسبب نزولها كما قال ابن عباس أنهم كانوا في غزوة بني المصطلق نزلوا على بئر يقال له المريسيع فأرسل عبد الله بن أبيّ غلامه يستقي الماء فأبطأ عليه ، فلما أتاه قال له ماحبسك ؟ قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحدا يستقي حتى ملأ قرب النبيّ صلى الله عليه وسلم وقرب أبي بكر فقال عبد الله مامثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل : سمن كلبك يأكلك ، فبلغ ذلك عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه له فنزلت هذه الآية ، وقيل مكية وعليه فسبب نزولها كما قال مقاتل أن رجلا من بني غفار شتم عمر بمكة فهمّ عمر أن يبطش به فنزلت ، أوكما قال السدي إن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة كانوا في أذى كثير من المشركين قبل أن يؤمروا بالجهاد فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وما ذكره المفسر فيه إشارة إلى هذا الأخير (قوله لا يرجون أيام الله) أي لا يتوقعون وقائعه من قولهم أيام العرب أي وقائعهم وهذا مامشى عليه المفسر ، وقيل إن الرجاء باق على معناه الأصلي ، والمراد بالأيام مطلق الأوقات ، والمعنى لا يؤملون الأوقات التي جعل الله فيها نصر المؤمنين وثوابهم (قوله أي اغفروا للكفار) أشار بذلك إلى أن مقول القول محذوف دل عليه قوله يغفروا فهو مجزوم لكونه جواب أمر محذوف والتقدير قل لهم اغفروا يغفروا (قوله وهذا قبل الأمر بجهادهم) أي فهو منسوخ بآية القتال وهذا على أنها مكية ، وأما على أنها مدنية فالكف عن المنافقين خوف أن يقول المشركون إن محمدا يقتل أصحابه حتى جاء الإذن بتمييزهم ، وقيل إنها ليست منسوخة بل هي محمولة على ترك المنازعة والتجاوز فيما يصدر عنهم من الكلام المؤذي (قوله ليجزي قوما) علة لما قبله والقوم هم المؤمنون وهومامشى عليه المفسر ، وقيل الكافرون ، وقيل كل منهما فالتنكير إما للتعظيم أو التحقير أو التنويع (قوله وفي قراءة بالنون) أي وهي سبعية أيضا (قوله أذاهم) مفعول للغفر الواقع مصدرا (قوله من عمل صالحا فلنفسه) جملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء (قوله ولقد آتينا بني إسرائيل الخ) المقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأنه قال لاتحزن على كفر قومك فإنا آتينا بني إسرائيل الكتاب والنعم العظيمة فلم يشكروا بل أصروا على الكفر (قوله التوراة) إنما اقتصر عليها لكونها تغني عن غيرها من كتبهم ولا يغني غيرها عنها فإن فيها أحكام شرعهم وإلا ففي الحقيقة كتب بني إسرائيل ثلاثة التوراة والإنجيل والزبور (قوله والحكم) أي الفصل بين الخصوم وهذه نعم دينية وقوله : ورزقناهم من الطيبات نعم دنيوية فلم يشكروا عليها .

(اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ) السفن (فِيهِ بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَلِتَبْتَغُوا) تطلبوا بالتجارة (مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ : وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ) من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها ، أي خلق ذلك لمنافعكم (جَمِيعًا) تأكيد (مِنْهُ) حال أي سخرها كائنة منه تعالى (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيها فيؤمنون (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ) يخافون (أَيَّامَ اللَّهِ) وقائعه أي اغفروا للكفار ماوقع منهم من الأذى لكم وهذا قبل الأمر بجهادهم (لِيَجْزِيَ) أي الله وفي قراءة بالنون (قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من الغفر للكفار أذاهم (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ) عمل (وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا) أساء (ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) تصيرون فيجازي المصلح والمسيء (وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ) التوراة (وَالْحُكْمَ) به بين الناس (وَالنُّبُوَّةَ) لموسى وهرون منهم (وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الحلالات

(قوله كالمنّ والسلوى) أى فى أيام التيه (قوله العقلاء) تقدم مافيه وأن الأولى التعبير بالثقلين (قوله وآتيناهم) أى بنى إسرائيل فى التوراة ، والمعنى بينا لهم فيه أمر الشريعة وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنهم يؤمنون به إن ظهر بينهم كما أشار له المفسر (قوله فما اختلفوا فى بعثته الخ) أى وقد كانوا قبل ذلك متفقين فلما جاءهم العلم والشرع فى كتابهم اختلفوا وكان مقتضاه أن يدوم لهم الاتفاق (قوله يقضى بينهم) أى بالمؤاخذة والمجازاة (قوله ثم جعلناك على شريعة) الكاف مفعول أول لجعلنا وعلى شريعة هو المفعول الثانى ، والشريعة تطلق على مورد الناس من الماء وعلى المذهب والملة ، والمراد هنا ماشرعه الله لعباده من الدين ، سمى شريعة لأنه يقصد ويلجأ إليه كما يلجأ إلى الماء من العطش (قوله من الأمر) يطلق على مقابل النهى وعلى الشأن و يصح إرادة كل منهما هنا ، والمعنى ثم جعلناك على طريقة من الدين وهى ملة الاسلام التى كان عليها إبراهيم ولاشك أن الله تعالى لم يغاير بين الشرائع فى التوحيد والمكارم والمصالح وإنما التغاير فى الفروع (قوله أهواء الذين لايعلمون) أى وهم رؤساء قريش

حيث قالوا ارجع إلى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك وأسن (قوله إنهم لن يغنوا عنك) تعليل لما قبله وقوله و إن الظالمين عطف على ماقبله من تتمة التعليل (قوله أولياء بعض) أى فى الدنيا ولا ولىّ لهم فى الآخرة يزيل عنهم العقاب (قوله والله ولىّ المتقين) أى فى الدنيا والآخرة لأنهم اتقوا الشرك (قوله هذا بصائر) مبتدأ وخبر وجمع الخبر باعتبار أن المبتدأ مشار به إلى ماتقدم من الآيات ولاشك أنه جمع (قوله معالم) جمع معلم وهو فى الأصل الأثر الذى يستدل به على الطريق ، والمراد هنا أن تلك الآيات تبصر الناس فى الاحكام وتدلهم عليها (قوله وهدى) أى من الضلالة (قوله ورحمة) أى إحسان اى (قوله لقوم يوقنون) أى يطلبون اليقين ، وأما الكفار فهو وبال وخسران عليهم (قوله أم بمعنى همزة الانكار) أى فهى منقطعة تقدر تارة بالهمزة وحدها أو ببل وحدها أو بهما معا ، والمراد إنكار الحسبان أى الظن ، والمعنى لاينبغى أن يكون ولاقالظن قد وقع بالفعل (قوله الذين اجترحوا السيئات) فاعل حسب وجملة أن نجعلهم الخ سادة مسد المفعولين . والمراد بالاجتراح الاكتساب كما قال المفسر ومنه الجوارح قال الكلبى : الذين اجترحوا السيئات عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، والذين آمنوا وعملوا الصالحات علىّ وحمزة وعبيدة بن الحرث رضى الله عنهم حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوهم ، وقيل نزلت فى قوم من المشركين قالوا إنهم يعطون فى الآخرة خيرا مما يعطاه المؤمن كما أخبر الله عنهم فى قوله : ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى (قوله سواء خبر) أى على قراءة الرفع ، وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال (قوله والجملة) أى من المبتدإ والخبر (قوله بدل من الكاف) أى الداخلة على الموصول (قوله أى ليس الأمر كذلك) أشار بذلك إلى أن همزة الانكار للنفى

كالمنّ والسلوى (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) عالمى زمانهم العقلاء (وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ) أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (فَمَا اخْتَلَفُوا) فى بعثته (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَاجَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ) أى لبغى حدث بينهم حسداً له (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. ثُمَّ جَعَلْنَاكَ) يامحمد (عَلَى شَرِيعَةٍ) طريقة (مِنَ الْأَمْرِ) أمر الدين (فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) فى عبادة غير الله (إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا) يدفعوا (عَنْكَ مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ) المؤمنين (هٰذَا) القرآن (بَصَائِرُ لِلنَّاسِ) معالم يتبصرون بها فى الأحكام والحدود (وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) بالبعث (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا) اكتسبوا (السَّيِّئَاتِ) الكفر والمعاصى (أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ) خبر (مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ) مبتدأ ومعطوف والجملة بدل من الكاف والضميران للكفار ، المعنى أحسبوا أن نجعلهم فى الآخرة فى خير كالمؤمنين أى فى رغد من العيش مساو لعيشهم فى الدنيا حيث قالوا للمؤمنين لئن بعثنا لنعطى من الخير مثل ماتعطون ، قال تعالى على وفق إنكاره (سَاءَ مَايَحْكُمُونَ) بالهمزة أى ليس الأمر كذلك فهم فى الآخرة فى العذاب على خلاف عيشهم فى الدنيا ، والمؤمنون فى الآخرة فى الثواب بعملهم الصالحات فى الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية ،

وكان المناسب للمفسر تقديم هذا على قوله ساء مايحكمون فانه مرتبط بما قبله . والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم مستويا محياهم ومماتهم كلا لايستوون فى شىء منها فان هؤلاء فى عز الايمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله ورضوانه فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيا وفى لعنة الله والعذاب الخلد فى الممات ، ولا يعتبر توسعة العيش فى الدنيا فانها بحسب القسمة الأزلية للمؤمن والكافر ولكل دابة (قوله أى بئس حكما الخ) مقتضى هذا الحل أن ماتميز وحينئذ فالفاعل مستتر وهو ينافى كونها مصدرية لأنها فى تلك الحالة تكون فاعلا فالمناسب لجعلها مصدرية أن يقول ساء الحكم حكمهم (قوله وخلق الله السموات الخ) من تتمة قوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات الخ وهو كالدليل له كأنه قال لايستوى المؤمن والكافر بدليل أن الله خلق السموات والأرض بالحق أى للعبر والاستدلال ولم يترك العباد سدى وجازى كل نفس بما كسبت فلا يستوى جزاء المؤمن بجزاء الكافر (قوله متعلق بخلق) أى على أنه حال من الفاعل أو للمفعول (قوله ليدل على قدرته الخ) قدره إشارة إلى أن قوله ولتجزى عطف على علة محذوفة (قوله وهم) أى النفوس المدلول عليها بقوله كل نفس (قوله لايظلمون) أى لاينتقص من ثواب المؤمن ولا يزاد فى العذاب على مايستحقه الكافر (قوله أخبرنى) تقدم أن فيه مجازين حيث أطلق الرؤية وأراد الإخبار ثم أطلق الاستفهام على الإخبار وأراد الأمر به وقوله من اتخذ إلهه الخ مفعول أول لرأيت . والمعنى ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه

يعبده (قوله من حجر) أى وغيره كالشمس والقمر من كل معبود غير الله عاقلا أوغير عاقل فالكفر هو العبادة بأن يتقرب إلى غيره كما يتقرب إليه. وأما زيارة الصالحين والأنبياء فليس من قبيل العبادة لهم بل هى من باب التسبب فى نفع الغير لأن الترضى عن الأولياء والصلاة والسلام على الأنبياء دعاء للغير بذلك ولا شك أن ذلك الغير ينتفع به والمتسبب له مثله، لما ورد «إن الملك يقول له ولك مثل ذلك» فآل الأمر إلى أن زيارة الصالحين والتوسل بهم من جملة طاعة الله وصاحبها محبوب لله لأن أحب عباد الله إلى الله أنفعهم لعباده وصدق عليهم أنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل فليست معصية فضلا عن كونها شركا كما اعتقده ذوو الجهل المركب والعقيدة الزائغة (قوله أى عالما بأنه من أهل الضلالة) أشار بذلك أن قوله على علم حال من الفاعل ويصح أن يكون حالا من المفعول . والمعنى أضله فى حال كونه عالما بالحق غير جاهل به فهو أشد قبحا (قوله غشاوة) بكسر الغين أو بفتحها مع سكون الشين وحذف الألف أو بالعين المهملة (قوله ويقدر هنا المفعول الثانى) أى وإنما حذف لدلالة فمن يهديه عليه ولا حاجة للتقدير إذ يصح أن تكون هى المفعول الثانى ، وقد وصفهم الله تعالى بأربعة أوصاف الأول قوله اتخذ الخ . الثانى قوله وأضله الخ . الثالث قوله وختم الخ . الرابع قوله وجعل الخ فكل وصف منها مقتض للضلالة فلا يمكن إيصال الهدى إليه بوجه من الوجوه (قوله إحدى التاءين) أى الثانية (قوله أى الحياة) بيان لمرجع الضمير ويقال لهذا الضمير ضمير القصة (قوله أى يموت بعض الخ) دفع بذلك مايقال إن قولهم نموت ونحيا فيه اعتراف بالحياة بعد الموت مع أنهم ينكرونها . ويجاب أيضا بأن الآية فيها تقديم وتأخير أى نحيا ونموت (قوله أى مرور الزمان) أى فكان الجاهلية يقولون الدهر هو الذى يهلكنا وهو الذى يحيينا ويميتنا ، ولذلك رد عليهم بقوله صلى الله عليه وسلم «كان أهل الجاهلية يقولون وما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذى يحيينا ويميتنا فيسبون الدهر

أى بئس حكما حكمهم هذا (وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ ، وَ) خلق (الْأَرْضَ بِالْحَقِّ) متعلق بخلق ليدل على قدرته ووحدانيته (وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) من المعاصى والطاعات فلا يساوى الكافر المؤمن (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . أَفَرَأَيْتَ) أخبرنى (مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) مايهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) منه تعالى : أى عالما بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ) فلم يسمع الهدى ولم يعقله (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) ظلمة فلم يبصر الهدى ويقدر هنا المفعول الثانى لرأيت أيهتدى (فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ) أى بعد إضلاله إياه أى لايهتدى (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) تتعظون فيه إدغام إحدى التاءين فى الذال (وَقَالُوا) أى منكرو البعث (مَا هِيَ) أى الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا) التى فى (الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) أى يموت بعض ويحيا بعض بأن يولدوا (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ) أى مرور الزمان ، قال تعالى (وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ)

فقال تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار » . والحاصل أن فرقة من الكفار يسمون الدهرية ينسبون الفعل ضرا ونفعا للزمان فرد عليهم بما تقدم (قوله المقول) أي وهو قولهم ماهي إلا حياتنا الدنيا الخ (قوله واضحات) أي ظاهرات (قوله حال) أي من آياتنا (قوله ما كان حجتهم) بالنصب خبر كان ، وقوله إلا أن قالوا اسمها أي إلا قولهم وتسميتها حجة على سبيل التهكم أو على حسب زعمهم (قوله ائتوا بآبائنا) أي الذين ماتوا قبلنا (قوله قل الله يحييكم) رد لقولهم وما يهلكنا إلا الدهر (قوله وهم) أي الأكثر وجمع باعتبار المعنى (قوله ولله ملك السموات والأرض) تعميم بعد تخصيص (قوله ويوم تقوم الساعة) ظرف لقوله يخسر وقوله يومئذ بدل من يوم قبله للتوكيد والتنوين في يومئذ عوض عن جملة مقدرة والتقدير يومئذ تقوم الساعة فهو بدل توكيدي (قوله أي يظهر خسرانهم) جواب عما يقال إن خسرانهم متحتم في الأزل (قوله وترى كل أمة جاثية) رأى بصرية وكل مفعولها وجاثية حال . واختلف هل الجثي خاص بالكفار وبه قال يحيي بن سلام ، وقيل عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب ويؤيده ماورد : إن في القيامة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى إن إبراهيم عليه السلام ينادي : لا أسألك اليوم إلا نفسي ، وذلك لأن الحضرة في ذلك اليوم حضرة جلال فالجميع يعطونه حقه من الخوف والهيبة إلى أن يحصل التمييز ، والجثو وضع الركبتين بالأرض مع رفع الألية ونصب القدمين ويطلق على الجلوس على أطراف القدمين مع وضع الركب بالأرض ، وكل من المعنيين يدل على كونه مستوفزا غير مطمئن وقوله أو مجتمعة أو لحكاية الخلاف وقيل معناه متميزة وقيل خاضعة (قوله كل أمة) بالرفع في قراءة العامة مبتدأ وتدعى خبرها (قوله تدعى إلى كتابها) أضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مشتمل على أعمالهم (قوله ويقال لهم) قدره إشارة إلى أن الجملة مقولة لقول محذوف والبيوم معمول لتجزون وما كنتم مفعوله الثاني ونائب الفاعل مفعول أول (قوله هذا كتابنا) قيل من قول الله لهم ، وقيل من قول الملائكة لهم (قوله ينطق عليكم بالحق) أي يدل عليه لأنهم يقرءونه فيذكرهم بما فعلوه لقوله تعالى - ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها - (قوله إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) قيل معناه إن لله ملائكة مطهرين ينسخون من أم الكتاب في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم في العام كله ويعرضونه على الحفظة كل خميس فيجدون ما كتبه الحفظة على بني آدم موافقا لما في أيديهم ، وقيل إن الملائكة الحفظة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله عز وجل أمر بأن يثبت عنده منها ما فيه ثواب أو عقاب ويسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب (قوله نثبت ونحفظ) أي فالمراد بالنسخ الاثبات والنقل إما من اللوح المحفوظ أو من صحف الكتبة كما علمت (قوله فأما الذين آمنوا الخ) تفصيل لما أجمل في قوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون (قوله فيدخلهم ربهم في رحمته) أي مع السابقين فلا ينافي أن المؤمن وإن لم يعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لامع السابقين بل إما بعد الحساب أو بعد الشفاعة فلا يقال إن التقييد بالعمل الصالح يخرج من مات على الايمان ولم يعمل صالحا (قوله جنته) إنما فسر العام بالخاص لأن الجنة أثر الرحمة التي تستقر الخلائق فيها وتوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة (قوله الفوز) أي بلوغ الآمال والظفر بالمقصود .

المقول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ) ما (هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) من القرآن الدالة على قدرتنا على البعث (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا) أحياء (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أنا نبعث (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ) حين كنتم نطفا (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ) أحياء (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ) شك (فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) وهم القائلون ما ذكر (لَا يَعْلَمُونَ . وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ) يبدل منه (يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ) الكافرون أي يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلى النار (وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ) أي أهل دين (جَاثِيَةً) على الركب أو مجتمعة (كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا) كتاب أعمالها ويقال لهم (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي جزاءه (هَذَا كِتَابُنَا) ديوان الحفظة (يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ) نثبت ونحفظ (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ) جنته (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ) المبين

(قوله المبين) أى الخالص من الشوائب (قوله فيقال لهم) قدره اشارة إلى أن جواب أما محذوف (قوله أفلم تكن آياتى الخ) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه : أى أتركتم الايمان بالرسل فلم تكن الخ (قوله وإذا قيل إن وعد الله حق) هذا من جملة مايقال لهم وحينئذ فيصير المعنى وكنتم إذا قيل لكم إن وعد الله حق الخ (قوله إن وعد الله حق) بكسر إن فى قراءة العامة لحكايتها بالقول وقرئ شذوذا بفتحها إجراء للقول مجرى الظن فى لغة سليم (قوله بالرفع والنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان فالرفع على الابتداء وجملة لاريب فيها خبره والنصب عطفا على اسم إن (قوله ماندرى ما الساعة) هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد (قوله إن نظن إلاظنا) إن قلت ما الجمع بين ماهنا وماتقدم فى قوله ـ إن هى إلاحياتنا الدنيا ـ فان ماتقدم أثبت أنهم جازمون بعدم البعث وهنا أفاد أنهم شاكون فيه ، ويمكن الجواب بأن الكفار لعلهم افترقوا فرقتين فرقة جازمة بنفى البعث وفرقة متحيرة فيه (قوله قال المبرد الخ) جواب عما يقال إن ظاهر الآية وقوع المفعول المطلق استثناء مفرغا مع أن المقرر فى النحو أنه يجوز تفريغ العامل لما بعده من جميع المعمولات إلا المفعول المطلق فلايقال ماضربت إلاضربا لاتحاد مورد النفى والاثبات لأنه يصير فى قوة ماضربت إلا ضربت ولافائدة فى ذلك

الْمُبِينُ) البين الظاهر (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا) فيقال لهم (أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِى) أى القرآن (تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم (وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ) كافرين (وَإِذَا قِيلَ) لكم أيها الكفار (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالبعث (حَقٌّ وَالسَّاعَةُ) بالرفع والنصب (لَارَيْبَ) شك (فِيهَا قُلْتُمْ مَانَدْرِى مَا السَّاعَةُ إِنْ) ما (نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا) قال المبرد : أصله إن نحن إلا نظن ظنا (وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ) أنها آتية (وَبَدَا) ظهر (لَهُمْ) فى الآخرة (سَيِّئَاتُ مَاعَمِلُوا) فى الدنيا أى جزاؤها (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى العذاب (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ) نترككم فى النار (كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا) أى تركتم العمل للقائه (وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين منها (ذٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ) القرآن (هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) حتى قلتم لابعث ولا حساب (فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ) بالبناء للفاعل وللمفعول (مِنْهَا) من النار (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) أى لايطلب منهم أن يرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لأنها لاتنفع يومئذ (فَلِلَّهِ الْحَمْدُ) الوصف بالجميل على وفاء وعده فى المكذبين (رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خالق ماذكر ، والعالم ماسوى الله وجمع لاختلاف أنواعه ، ورب بدل ،

فأجاب المفسر بأن الآية مؤولة بأن مورد النفى محذوف تقديره نحن ومورد الاثبات كونه يظن ظنا فكلمة إلا مؤخرة من تقديم والمعنى حصر أنفسهم فى الظن ونفى ماعداه (قوله وما نحن بمستيقنين) مبالغة فى نفى ماعدا الظن عنهم (قوله أى جزاؤها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله نترككم فى النار) أشار بذلك إلى أن المراد من النسيان الترك مجازا لأن الترك مسبب عن النسيان فان من نسى شيئا تركه فسمى السبب باسم المسبب لاستحالة حقيقة النسيان عليه تعالى (قوله أى تركتم العمل للقائه) أشار بذلك إلى أنه من اضافة المصدر إلى ظرفه على حد مكر الليل ، وفى الكلام حذف قدره المفسر بقوله العمل والمعنى تركتم العمل للقاء الله فى يومكم هذا ، ولايصح أن يكون من إضافة المصدر لمفعوله لأن التوبيخ على نسيان مافى اليوم من الجزاء لاعلى نفس اليوم (قوله ذلكم) أى العذاب الدائم (قوله بأنكم اتخذتم الخ) أى بسبب اتخاذكم (قوله فاليوم لا يخرجون الخ) فيه التفات من الخطاب للغيبة ونكتته الاشارة إلى أنهم ساقطون عن رتبة الخطاب لهوانهم (قوله بالبناء للفاعل وللمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لأنها لا تنفع يومئذ) أى ، وأما فى الدنيا فالتوبة والطاعة نافعان ، فالذى ينبغى للعاقل المبادرة لذلك قبل الفوات (قوله على وفاء وعده فى المكذبين) أى وللمؤمنين ، وإنما اقتصر على المكذبين دفعا ، لما يتوهم أنه تعالى إنما يحمد على الفضل فأفاد أنه كما يحمد على الفضل يحمد على العدل ، لأن أوصافه تعالى جميلة (قوله ورب بدل) أى فى المواضع الثلاثة ، ويصح أن يكون نعتا للفظ الجلالة.

(قوله وله الكبرياء) أى آثارها لأن وصف الكبرياء قائم بذاته تعالى و إنما تظهر آثارها فى السموات والأرض من التصرف والقهر فتصرفه سبحانه وتعالى فى السموات والأرض ومافيهمامن آثار كبريائه سبحانه وتعالى لايعلم قدره غيره ولايبلغ الواصفون صفته (قوله حال) و يصح أن يتعلق بنفس الكبرياء لأنه مصدر (قوله وهوالعزيز الحكيم) أى الغالب الذى يضع الشئ فى محله .

[سورة الأحقاف] سيأتى أن الأحقاف واد باليمن كانت فيه منازل عاد ، وقيل إنه جمع حقف وهوالتل من الرمل ، ولامنافاة بين القولين إذ لامانع من كون التلال فى منازل عاد (قوله إلاقوله تعالى : قل أرأيتم الخ) أى بناء على أن الشاهد عبد الله بن سلام إذ لم يظهر منه التصديق بالقرآن إلا بالمدينة وأما على أن المراد به موسى عليه السلام فلا تكون مدنية (قوله الثلاث آيات) أى وآخرها قوله : أساطير الأولين . وحينئذ فجملة الآيات المستثنيات خمس (قوله وهى أر بع أوخمس الخ) هذا الخلاف مبنى على أن حم تعد آية مستقلة أولا (قوله الله أعلم بمراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول هو الأسلم وهو طريقة السلف

(وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ) العظمة (فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) حال : أى كائنة فيهما (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) تقدم .

(ســـورة الأحقاف)

مكية إلا قوله تعالى « قل أرأيتم إن كان من عندالله » الآية و إلا « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل الآية » و إلا « ووصينا الانسان بوالديه » الثلاث آيات وهى أربع أو خمس وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . حٰمٓ) الله أعلم بمراده به (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن مبتدأ (مِنَ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (مَاخَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا) خلقا (بِالْحَقِّ) ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا (وَأَجَلٍ مُسَمًّى) إلى فنائهما يوم القيامة (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا) خوفوا به من العذاب (مُعْرِضُونَ . قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى (مَاتَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام مفعول أول (أَرُونِى) أخبرونى تأكيد (مَاذَا خَلَقُوا) مفعول ثان (مِنَ الْأَرْضِ) بيان ما (أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ) مشاركة (فى) خلق (السَّمٰوَاتِ) مع الله وأم بمعنى همزة الإنكار (ائْتُونِى بِكِتَابٍ) منزل (مِنْ قَبْلِ هٰذَا) القرآن (أَوْ أَثَارَةٍ) بقية (مِنْ عِلْمٍ) يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم فى عبادة الأصنام أنها تقربكم إلى الله ،

فى تفويض علم المتشابه لله تعالى (قوله من الله) أى لم يخترعه من نفسه ولم ينقله من بشر ولا من جنى كما قال الكفار (قوله الحكيم فى صنعه) أى الذى أتقن كل شئ (قوله إلابالحق) هذا هومنصب النفى وهو صفة لمصدر محذوف كما قدره المفسر (قوله ليدل على قدرتنا ووحدانيتنا) أى و باقى الصفات الكمالية وتنزهه عن النقائص لأن بالخلق يعرف الحق لأن كل صنعة تدل على وجود صانعها واتصافه بصفات الكمال (قوله وأجل مسمى) عطف على الحق والكلام على حذف مضاف : أى و إلا بتقدير أجل مسمى لأن الأجل نفسه متأخر عن الخلق وفيه رد على الفلاسفة القائلين بقدم العالم (قوله والذين كفروا) مبتدأ ومعرضون (إن) خبره وقوله عما أنذروا متعلق بمعرضون وما اسم موصول والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به والأولى أن يقدر منصو با لاختلاف الجار للموصول وللعائد بأن يقول خوفوه (قوله تأكيد) أى لقوله أرأيتم (قوله مفعول ثان) أى أن الجملة الاستفهامية سدت مسد المفعول الثانى (قوله بيان ما) أشار بذلك إلى أن ما اسم استفهام وذا اسم موصول خبرها وخلقوا صلة الموصول و يصح أن ماذا اسم استفهام مفعول لخلقوا (قوله بمعنى همزة الانكار) أى و بل الاضرابية فهى منقطعة (قوله ائتونى بكتاب) الأمر للتبكيت وفيه إشارة إلى نفى الدليل النقلى بعد الاشارة إلى نفى الدليل العقلى (قوله من قبل هذا) صفة لكتاب والجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره المفسر خاصا بقوله منزل والمناسب أن يقدره عاما من مادة الكون (قوله أو أثارة) مصدر على وزن كفالة وقوله من علم صفة لأثارة وهى مشتقة من الأثر الذى هو الرواية والعلامة أو من أثرت الشئ أثيره اثارة استخرجت بقيته ، والمعنى ائتونى برواية أو علامة أو بقية

من علم يؤثر عن الأنبياء والصلحاء (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه : أى فأتونى (قوله ومن أضل الخ) مبتدأ وخبر (قوله من لايستجيب) من نكرة موصوفة بالجملة بعدها أو اسم موصول وما بعدها صلتها وهى معمولة ليدعوا ، والمعنى لاأحد أضل من شخص يعبد شيئاً لايجيبه أو الشىء الذى لايجيبه ولا ينفعه فى الدنيا والآخرة (قوله إلى يوم القيامة) الغاية داخلة فى المغيا وهو كناية عن عدم الاستجابة فى الدنيا والآخرة (قوله وهم الأصنام) عبر عنهم بضمير العقلاء مجاراة لما يزعمه الكفار (قوله لأنهم جماد) أشار بذلك إلى أن المراد بالغفلة عدم الفهم (قوله و إذا حشر الناس) أى جمعوا بعد إخراجهم من القبور (قوله جاحدين) أى منكرين وهذا نظير قوله تعالى - وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون - (قوله حال) أى من آياتنا (قوله قال الذين كفروا) أظهر فى مقام الإضمار لبيان وصفهم بالكفر ووصف الآيات بالحق و إلا فمقتضى الظاهر قالوا لها (قوله لما جاءهم) أى حين جاءهم (قوله ظاهر) أى باهر لايعارض إلا بمثله (قوله أم يقولون الخ) ترق فى الانكار وانتقال إلى ماهو أشنع (قوله فرضا) أى على سبيل الفرض والتقدير (قوله فلا تملكون لى من الله شيئا) أى فهو

(إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى دعواكم (وَمَنْ) استفهام بمعنى النفى : أى لا أحد (أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا) يعبد (مِنْ دُونِ اللهِ) أى غيره (مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) وهم الأصنام لايجيبون عابديهم إلى شىء يسألونه أبداً (وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ) عبادتهم (غَافِلُونَ) لأنهم جماد لايعقلون (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا) أى الأصنام (لَهُمْ) لعابديهم (أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ) بعبادة عابديهم (كَافِرِينَ) جاحدين (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ) أى أهل مكة (آيَاتُنَا) القرآن (بَيِّنَاتٍ) ظاهرات حال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (لِلْحَقِّ) أى القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين ظاهر (أَمْ) بمعنى بل وهمزة الإنكار (يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) أى القرآن (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ) فرضاً (فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ) أى من عذابه (شَيْئًا) أى لا تقدرون على دفعه عنى إذا عذبنى الله (هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ) تقولون فى القرآن (كَفَى بِهِ) تعالى (شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ) لمن تاب (الرَّحِيمُ) به فلم يعاجلكم بالعقوبة (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا) بديعاً (مِنَ الرُّسُلِ) أى أول مرسل قد سبق قبلى كثير منهم فكيف تكذبونى (وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ) فى الدنيا أأخرج من بلدى أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلى أم ترمونى بالحجارة أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم (إِنْ) ما (أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) أى القرآن ولا أبتدع من عندى شيئاً ،

المتولى أمورى ولا أحد يقدر على دفع ما أصابنى منه غيره (قوله هو أعلم بما تفيضون فيه) أى تخوضون وتقدحون فى القرآن بقولكم هو شعر هو سحر وغير ذلك (قوله كفى به شهيدا بينى وبينكم) أى فيشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالتكذيب والانكار (قوله الرحيم به) المناسب أن يقول الرحيم بعباده ليحسن ترتيب قوله فلم يعاجلكم الخ عليه (قوله فلم يعاجلكم بالعقوبة) أى بل أمهلكم لتتوبوا وترجعوا عما أنتم عليه ففيه وعد حسن بالمغفرة للتائبين والرحمة بجميع العباد إشارة إلى أن حلم الله ورحمته شاملة لهم مع عظم جرمهم (قوله بديعا) أشار بذلك إلى أن بدعا صفة كخف وحقيق وهو من الابتداع والاختراع ويصح أن يكون مصدرا على حذف مضاف : أى ذا بدع وقرىء شذوذا بكسر الباء وفتح الدال جمع بدعة : أى ما كنت صاحب بدع و بفتح الباء وكسر الدال وصف كحذر (قوله وما أدرى مايفعل بى ولا بكم) ما استفهامية مبتدأ والجملة بعدها خبرها وهى معلقة لأدرى عن العمل فهى سادة مسد مفعوليها ، ولما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع نبيا لايدرى مايفعل به ولابنا وأنه لافضل له علينا ولولا أنه ابتدع الذى يقوله من تلقاء نفسه لأخبره الذى بعثه بما يفعله به فنسخت هذه الآية وأرغم الله أنف الكفار بنزول قوله تعالى - ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر - الآيات ، فقالت الصحابة هنيئا لك يارسول الله لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ماهو فاعل بنا ؟ فنزلت - ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار - الآية ونزلت - و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - فهذه الآية نزلت فى أوائل الاسلام قبل بيان مآل النبى والمؤمنين والكافرين و إلا فما خرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أعلمه الله

فى القرآن ما يحصل له وللمؤمنين والكافرين فى الدنيا والآخرة إجمالا وتفصيلا (قوله وما أنا إلا نذير مبين) الحصر إضافى : أى منذر عن الله لا أخترع من ملقاء نفسى فلا ينافى أنه بشير أيضا (قوله ماذا حالكم) أشار بذلك إلى أن مفعولى أرأيتم محذوفان دلت عليهما الجملة (قوله جملة حالية) أى وكذا مابعدها من الجمل الثلاث و يصح جعل الجمل الأربعة معطوفات على فعل الشرط فقول المفسر فيما يأتى بما عطف عليه يعنى من الجمل الأربع فيه تلفيق و يمكن أن يجاب بأن المراد العطف اللغوى (قوله هو عبد الله بن سلام) وقيل الشاهد موسى وشهادته مافى التوراة من نعته صلى الله عليه وسلم (قوله أى عليه) أشار بذلك إلى أن مثل صلة (قوله ألستم ظالمين) المناسب للمفسر تقدير الفاء لأن الجملة التى فعلها جامد إذا وقعت جوابا للشرط لزمت الفاء (قوله وقال الذين كفروا الخ) هذا من جملة قبائح الكفار زعما منهم أن عز الآخرة تابع لعز الدنيا ولم يعلموا أن رحمة الله يختص بها من يشاء ولاسيما من لم تسكن الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ، ورد أن القائل ذلك جملة من العرب وهم بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار (قوله أى فى حقهم) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى فى و يصح أن تبقى على بابها (قوله لو كان الايمان الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير فى كان عائد على الايمان و يصح عوده على القرآن أو على الرسول وكلها معان متلازمة (قوله ماسبقونا إليه) التفات من الخطاب إلى الغيبة وكان مقتضى الظاهر

(وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار (قُلْ أَرَأَيْتُمْ) أخبرونى ماذا حالكم (إِنْ كَانَ) أى القرآن (مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ) جملة حالية (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) هو عبد الله بن سلام (عَلَى مِثْلِهِ) أى عليه أنه من عند الله (فَآمَنَ) الشاهد (وَاسْتَكْبَرْتُمْ) تكبرتم عن الإيمان وجواب الشرط بما عطف عليه ألستم ظالمين ؟ دل عليه (إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) أى فى حقهم (لَوْ كَانَ) الإيمان (خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا) أى القائلون (بِهِ) أى بالقرآن (فَسَيَقُولُونَ هٰذَا) أى القرآن (إِفْكٌ) كذب (قَدِيمٌ . وَمِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (كِتَابُ مُوسَى) أى التوراة (إِمَاماً وَرَحْمَةً) للمؤمنين به حالان (وَهٰذَا) أى القرآن (كِتَابٌ مُصَدِّقٌ) للكتب قبله (لِسَاناً عَرَبِيًّا) حال من الضمير فى مصدق (لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) مشركى مكة (وَ) هو (بُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ) المؤمنين (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على الطاعة (فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ .

ماسبقتمونا إليه والضمير فى إليه عائد على ماعاد عليه ضمير كان (قوله وإذ لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف تقديره زادوا طغيانا وليس قوله فسيقولون عاملا فيه لأمرين وجود الفاء وكون الفعل مستقبلا لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها و بين الماضى والاستقبال تضاد فان الفعل مستقبل و إذ للماضى (قوله إفك قديم) أى من قول الأقدمين أتى به هو ونسبه إلى الله تعالى فهو كقولهم أساطير الأولين (قوله ومن قبله) خبر مقدم وكتاب

أولئك

مبتدأ مؤخر والجملة حالية أو مستأنفة وهو رد لقولهم هذا إفك قديم ، والمعنى لا يصح كونه إفكا قديما مع كونكم سلمتم كتاب موسى ورجعتم إلى حكمه فان القرآن مصدق لكتاب موسى وغيره وفيه قصص المتقدمين من الرسل وغيرهم والمتأخرين (قوله حالان) أى من كتاب موسى (قوله مصدق للكتب قبله) أى كتاب موسى وغيره من باقى الكتب السماوية (قوله حال من الضمير فى مصدق) و يصح أن يكون حالا من كتاب وعربيا صفة للسانا (قوله لينذر) متعلق بمصدق (قوله و بشرى للمحسنين) أشار المفسر بتقدير الضمير إلى أنه خبر لمبتدإ محذوف والجملة حالية و يصح أن يكون معطوفا على مصدق فهو مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها التعذر أو منصوب عطف على محل قوله لينذر كأنه قال للانذار والبشارة (قوله إن الذين قالوا ربنا الله) أى وحدوا ربهم ، وقوله ثم استقاموا الاستقامة هى العلم والعمل وأتى بثم إشارة إلى أن اعتبار العلم والعمل إنما يكون بعد التوحيد وللدلالة على الاستمرار على الاستقامة فليس المراد حصول الاستقامة مدة ثم يرجع للمخالفات (قوله فلا خوف عليهم) أى من وقت حضور الموت إلى مالا نهاية له فيأمنون من الفتانات وسؤال الملكين وعذاب القبر وهول الموقف والنار (قوله ولاهم يحزنون) أى على مافاتهم فى الدنيا .

(قوله أولئك أصحاب الجنة) أى هى لهم بالأصالة (قوله حال) أى من ضمير أصحاب الجنة (قوله ووصينا الانسان بوالديه) لما كان حق الوالدين مطلوبا بعد حق الله تعالى ذكر الوصية بهما إثر ما يتعلق بحقوقه تعالى ومناسبة ذكر الوصية بالوالدين عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار لأن الانسان يختلف حاله مع أبويه فقديبرّهما فيكون ملحقا بأهل الجنة وقديعقهما فيكون ملحقا بأهل النار (قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله أى أمرناه الخ) تفسير لكلّ من القراءتين (قوله فنصب إحسانا الخ) بيان لإعراب القراءتين على اللف والنشر المشوّش والحسن والإحسان بمعنى واحد وهوجمال القول والفعل بأن يعظمهما و يوقرهما قولا وفعلا (قوله حملته أمه الخ) علة لقوله وصينا ، واقتصر على ذكر الأم لأن حقها أعظم ولذلك قيل إن لها ثلثى الأجر (قوله كرها) بفتح الكاف وضمها قراءتان سبعيتان ومعناهما واحد (قوله أى على مشقة) أى فى أثناء الحمل إذ لامشقة فى أوله (قوله وحمله) أى مدّة حمله ، وقوله ثلاثون شهرا خبر قوله حمله على حذف مضاف (قوله إن حملت به ستة) أى من الشهور ، وقوله أرضعته الباقى : أى من الثلاثين وهو أربعة وعشرون أوأحد وعشرون ، قيل إن الآية عامة فى كلّ إنسان ، وقيل إنها خاصة بمن نزلت فى حقه وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما روى : أن أمه حملت به تسعة أشهر وأرضعته أحدا وعشرين شهرا (قوله غاية لجملة مقدّرة) أى معطوفة

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا) حال (جَزَاءً) منصوب على المصدر بفعله المقدر أى يجزون (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) وفى قراءة إحسانا . أى أمرناه أن يحسن إليهما فنصب إحسانا على المصدر بفعله المقدر ومثله حسنا (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) أى على مشقة (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ) من الرضاع (ثَلَاثُونَ شَهْرًا) ستة أشهر أقلّ مدة الحمل والباقى أكثرمدة الرضاع ، وقيل إن حملت به ستة أو تسعة أرضعته الباقى (حَتَّىٰ) غاية لجملة مقدرة أى وعاش حتى (إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ) هو كمال قوته وعقله ورأيه ، اقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون (وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) أى تمامها وهو أكثر الأشدّ (قَالَ رَبِّ) الخ نزل فى أبى بكر الصديق لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق (أَوْزِعْنِي) ألهمنى (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بها (عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ) وهو التوحيد (وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ) فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون فى الله ، (وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي)

على قوله ووضعته أومستأنفة (قوله أقله ثلاث وثلاثون سنة) أى لأن هذا الوقت هوالوقت الذى يكمل فيه بدن الانسان (قوله الخ) أى وآخرها قوله : وإنى من المسلمين (قوله نزل) أى المذكورمن قوله تعالى - ووصينا الإنسان - الخ وحاصل ذلك أن أبا بكر صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهوابن ثمان عشرة سنة والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة فى تجارة إلى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبى صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب هناك فسأله عن الدين ، فقال له الراهب من الرجل الذى فى ظلّ السدرة ؟ فقال هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، فقال الراهب هذا والله نبىّ وما استظلّ تحتها بعد عيسى أحد إلا هذا وهو نبىّ آخر الزمان ، فوقع فى قلب أبى بكر اليقين والتصديق وكان لايفارق النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر ولاحضر ، فلما بلغ رسول الله أربعين سنة وأكرمه الله تعالى بنبوّته واختصه برسالته آمن به أبو بكر الصديق رضى الله عنه وصدّقه وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجلّ فقال - ربّ أوزعنى - الآية (قوله ثم آمن أبواه) أى أبوه عثمان بن عامر بن عمرو ، وكنيته أبو قحافة وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو (قوله وابن عبد الرحمن) أى واسمه محمد ، وكلهم أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يجتمع هذا لأحد من الصحابة غير أبى بكر وامرأة أبى بكر اسمها قتيلة بنت عبد العزى وامرأة أبيه اسمها قيلة (قوله ألهمنى) أى رغبنى ووفقنى (قوله فأعتق تسعة) أى افتداهم من أيدى الكفار وخلصهم من أذاهم فهو عتيق صورى ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله عليه (قوله وأصلح لى فى ذرّيتى) أى اجعل الصلاح ساريا فيهم ، وعبر بفى إشارة إلى أنهم كالظرف للصلاح لتمكنه منهم ،

(قوله فكلهم مؤمنون) أى فالصلاح مقول بالتشكيك يتحقق باصل الايمان و يتزايدون فيه على حسب مراتبهم (قوله أى قائلو هذا القول) أشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب (قوله الذين يتقبل) هو و يتجاوز بالياء مبنيا للمفعول أو بالنون مبنيا للفاعل قراءتان سبعيتان وقرىء شذوذا بالياء مبنيا للفاعل (قوله بمعنى حسن) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه (قوله حال) أى من ضمير عنهم (قوله وعد الصدق) مصدر منصوب بفعله المقدر أى وعدهم الله وعد الصدق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله والذى قال لوالديه الخ) اسم الموصول معمول لمحذوف تقديره اذكر يامحمد لقومك الشخص الذى قال لوالديه الخ ويحتمل أنه مبتدأ خبره قوله أولئك الذين حق عليهم القول الخ والمراد منه الجنس لاشخص معين ولذا أخبر عنه بالجمع مراعاة لمعناه فهى واردة فى كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين وهذا هوالصحيح خلافا لمن شذ وقال إن هذه الآية نزلت فى حق عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق قبل إسلامه فانه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم وقد كذبت الصديقة من قال ذلك و يرده أيضا قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الخ (قوله وفى قراءة بالادغام) أى وهى سبعية أيضا (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أى من غير تنوين فالقرا آت ثلاث سبعيات وهو مصدر أف يؤف أفا بمعنى نتنا وقبحا أوهواسم صوت يدل على أتضجر أو اسم فعل بمعنى أتضجر والمفسر أشار لاثنين منها بقوله بمعنى مصدر و بقوله أتضجر منكما (قوله أى نتنا) النتن القذارة والرائحة الكريهة وهو كناية عن عدم الرضا بفعلهما والتضجر منهما (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أن أخرج) هذا هوالموعود به والباء محذوفة أى بأن أخرج وحذف الجار مع أن مطرد (قوله وقد خلت القرون من قبلى) (بما

فكلهم مؤمنون (إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ . أُولَٰئِكَ) أى قائلو هذا القول أبو بكر وغيره (الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ) بمعنى حسن (مَا عَمِلُوا وَيُتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ) حال: أى كائنين فى جملتهم (وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ) فى قوله تعالى: وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات (وَالَّذِى قَالَ لِوَالِدَيْهِ) وفى قراءة بالإدغام أريد به الجنس (أُفٍّ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر أى نتنا وقبحا (لَكُمَا) أتضجر منكما (أَتَعِدَانِنِى) وفى قراءة بالادغام (أَنْ أُخْرَجَ) من القبر (وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ) الأمم (مِنْ قَبْلِى) ولم تخرج من القبور (وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ) يسألانه الغوث برجوعه ويقولان إن لم ترجع (وَيْلَكَ) أى هلاكك بمعنى هلكت (آمِنْ) بالبعث (إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا) أى القول بالبعث (إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أكاذيبهم (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ) وجب (عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بالعذاب (فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ . وَلِكُلٍّ) من جنس المؤمن والكافر (دَرَجَاتٌ) فدرجات المؤمنين فى الجنة عالية، ودرجات الكافرين فى النار سافلة،

الجملة حالية (قوله ولم تخرج من القبور) أى زعما منه أن الخروج من القبور لو كان صدقا لحصل قبل انقضاء الدنيا (قوله وهما يستغيثان الله) اعلم أن مادة الاستغاثة تتعدى بنفسها تارة و بالباء أخرى لكن لم ترد فى القرآن إلا متعدية بنفسها، قال تعالى إذ تستغيثون ربكم، وإن يستغيثوا يغاثوا، فاستغاثه الذى من شيعته (قوله يسألانه الغوث) أى إغاثة ذلك الولد بتوفيقه للاسلام (قوله ويلك) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله ويقولون الخ وذلك المحذوف حال من فاعل يستغيثان، والمعنى يستغيثان الله حال كونهما قائلين ويلك (قوله آمن) أى صدق واعترف فهو فعل أمر (قوله إن وعد الله حق) جملة مستأنفة أو تعليل لما قبلها (قوله أكاذيبهم) أى اخترعوها من غير أن يكون لها أصل (قوله فى أمم) حال من ضمير عليهم والمعنى ثبت عليهم القول فى عداد أمم الخ (قوله إنهم كانوا خاسرين) أى كافرين ابتداء وانتهاء (قوله ولكل) خبر مقدم ودرجات مبتدأ مؤخر، والمعنى لكل شخص من المؤمنين والكفار (قوله درجات) فى الكلام تغليب لأن مراتب أهل النار يقال لها دركات بالكاف لابالجيم أو تسمح حيث أطلق الدرجات وأراد المنازل مطلقا علوية أو سفلية.

(قوله بما عملوا) أى من أجل ماعملوا من خير وشر (قوله وليوفيهم) عطف علة على معلول والمعنى جازاهم بذلك ليوفيهم (قوله أى جزاءها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ينقص للمؤمنين) أى من درجاتهم بل قد يزاد لهم فيها (قوله ويزاد للكفار) أى فى دركاتهم بل قد يخفف عن بعضهم كأبى طالب وأبى لهب (قوله ويوم يعرض الخ) يوم معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله يقال لهم الخ والمعنى يقال لهم أذهبتم الخ وقت عرضهم على النار (قوله بأن تكشف لهم) أشار بذلك إلى أن الكلام فيه قلب والأصل ويوم تعرض النار على الذين كفروا أى يكشف لهم عنها وأتى به كذلك لأن عرض الشخص على النار أشد فى إهانته من عرض النار عليه لأن عرضه عليها يفيد أنه كالحطب المجعول للاحراق وإنما كان فيه قلب لأن المعروض عليه شأنه العلم والاطلاع والنار ليست كذلك وقيل المراد بالعرض العذاب وحينئذ فليس فيه قلب وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخرا بقوله ويعذبون بها (قوله يقال لهم) هذا المقدار عامل فى جملة أذهبتم وناصب ليوم على الظرفية (قوله أذهبتم طيباتكم) أى ماقدر لكم من المستلذات فقد استوفيتموه فى الدنيا فلم يبق لكم حظ تأخذونه فى الآخرة (قوله بهمزة الخ) أشار المفسر لخمس قراآت تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما على الوجهين وتركه وهمزة واحدة وأجمل فى ذلك فقوله بهمزة هى إحدى القراآت الخمس وقوله وبهمزتين أى محققتين بغير مد بينهما ثانيتها قوله وبهمزة ومدة المناسب

(بِمَا عَمِلُوا) أى المؤمنون من الطاعات والكافرون من المعاصى (وَلِيُوَفِّيَهُمْ) أى الله وفى قراءة بالنون (أَعْمَالَهُمْ) أى جزاءها (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) شيئاً ينقص للمؤمنين ويزاد للكفار (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ) بأن تكشف لهم يقال لهم (أَذْهَبْتُمْ) بهمزة وبهمزتين وبهمزة ومدة وبهما وتسهيل الثانية (طَيِّبَاتِكُمْ) باشتغالكم بلذتكم (فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ) تمتعتم (بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أى الهوان (بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) تتكبرون (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) به وتعذبون بها (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ) هو هود عليه السلام (إِذْ) الخ بدل اشتمال (أَنْذَرَ قَوْمَهُ) خوفهم (بِالْأَحْقَافِ) واد باليمن به منازلهم (وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ) مضت الرسل (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أى من قبل هود ومن بعده إلى أقوامهم (أَنْ) أى بأن قال (لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ) وجملة وقد خلت ،

وبهمزتين محققتين ومدة وهى ثالثتها وقوله وبهما وتسهيل الثانية أى بمدة ودونها فقد تمت الخمس (قوله أى الهوان) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الموصوف لصفته (قوله بغير الحق) وصف كاشف لأن الاستكبار لايكون إلا بغير الحق فان الكبرياء وصف لله وحده (قوله به) متعلق بتستكبرون وتفسقون وقدره إشارة إلى أن العائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية أى بكونهم مستكبرين فاسقين والمراد بالاستكبار الفواحش الباطنية وبالفسق الفواحش الظاهرية (قوله ويعذبون بها) عطف على يعرض عطف تفسير فهو تفسير آخر للعرض فالمناسب تقديمه وعلى بمعنى الباء (قوله واذكر أخا عاد) أى فى النسب لافى الدين لأن هودا هو وقومه ينتسبون لعاد (قوله هو هود) أى ابن عبد الله بن رباح وتقدم ذكره تفصيلا فى سورة هود (قوله بدل اشتمال) أى فالمقصود ذكر قصته مع قومه للاعتبار بها (قوله بالأحقاف) حال من قومه أى أنذرهم والحال أنهم مقيمون بالأحقاف (قوله واد باليمن) أى فهو علم على الوادى لاجمع وقوله ومنازلهم تفسير آخر وعليه فهو جمع حقف وهو الرمل المستطيل وتقدم القولان فى أول السورة وقيل إن الأحقاف جبل بالشام (قوله وقد خلت النذر) الواو اعتراضية والخلو بالنسبة لزمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بهذه الجملة لبيان أن إنذار هود لعاد وقع مثله للرسل المتقدمين عليه والمتأخرين عنه فلم يكن مختصا بهود ويحتمل أن معنى قوله وقد خلت النذر الخ أى مضى لك ذكرهم فى القرآن مرارا فلا حاجة للاعادة فهو ذكر لباقى القصص إجمالا نظير قوله فيما تقدم وقد مضى مثل الأولين فتدبر (قوله أى من قبل هود الخ) لف ونشر مرتب والذين قبله أربعة آدم وشيث وإدريس ونوح والذين بعده كصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحق وسائر أنبياء بنى إسرائيل (قوله إلى أقوامهم) متعلق بمضت لتضمنه معنى مرسلين (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن مامصدرية أو مخففة من الثقيلة والباء المقدرة للتصوير .

(قوله معترضة) أى بين الانذار ومعموله (قوله إنى أخاف) علة لقوله أن لا تعبدوا (قوله عظيم) بالجر صفة ليوم ووصف اليوم بالعظم لشدة هو له (قوله قالوا أجئتنا) أى جوابا لانذاره (قوله إن كنت من الصادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه (قوله إنما العلم عند الله) أى علم وقت إتيان العذاب عند الله فلا علم لى بوقته ولا مدخل لى فى استعجاله (قوله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم) أى إن وظيفتى تبليغكم لا الاتيان بالعذاب إذ ليس فى طاقتى وأبلغكم بسكون الباء وتخفيف اللام وبفتحها وتشديد اللام مكسورة قراءتان سبعيتان (قوله ولكنى) بسكون الياء وفتحها قراءتان سبعيتان (قوله أى ماهو العذاب) أشار بذلك إلى أن الضمير فى رأوه عائد على ما فى قوله ماتعدنا (قوله سحابا عرض) أى فالعارض هو السحاب الذى يعرض فى الأفق (قوله مستقبل أوديتهم) أى متوجها إليها والاضافة لفظية للتخفيف وكذا هى قوله ممطرنا ولذا وقع المضاف فى الموضعين صفة للنكرة وهى عارضا وعارض (قوله أى ممطر إيانا) أى يأتينا بالمطر (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله بل هو الخ من كلامه تعالى (٧٦) ويصح أن يكون من كلام هود ردا لقولهم هذا عارض ممطرنا وهو الأولى

معترضة (إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ) إن عبدتم غير الله (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ . قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا) لتصرفنا عن عبادتها (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا) من العذاب على عبادتها (إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى أنه يأتينا (قَالَ) هود (إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ) هو الذى يعلم متى يأتيكم العذاب (وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) إليكم (وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) باستعجالكم العذاب (فَلَمَّا رَأَوْهُ) أى ما هو العذاب (عَارِضًا) سحابا عرض فى أفق السماء (مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا) أى ممطر إيانا قال تعالى (بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ) من العذاب (رِيحٌ) بدل من ما (فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (تُدَمِّرُ) تهلك (كُلَّ شَىْءٍ) مرت عليه (بِأَمْرِ رَبِّهَا) بإرادته أى كل شىء أراد إهلاكه بها فأهلكت رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقته ، وبقى هود ومن آمن معه (فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ) كما جزيناهم (نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) غيرهم (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا) فى الذى (إِنْ) نافية أو زائدة (مَكَّنَّاكُمْ) يا أهل مكة (فِيهِ) من القوة والمال (وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا) بمعنى أسماعا (وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً) قلوبا (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَىْءٍ) أى شيئا من الإغناء ومن زائدة (إِذْ)

(قوله بدل من ما) أى أو خبر لمحذوف : أى هى ريح (قوله فيها عذاب أليم) الجملة صفة لريح وكذا قوله تدمر (قوله أى كل شىء أراد إهلاكه بها) تفسير لقوله بأمر ربها (قوله فأهلكت رجالهم) قدر هذا ليعطف عليه قوله فأصبحوا الخ روى أن هودا لما أحس بالريح أخذ المؤمنين ووضعهم فى حظيرة وقيل خط حولهم خطا فكانت الريح لا تعدو الخط وجاءت الريح فأمالت الأحقاف على الكفرة فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين ثم كشفت عنهم الرمل واحتملتهم فقذفتهم فى البحر (قوله وبقى هود ومن آمن معه) أى وهم أربعة آلاف وكانت الريح تأتيهم لينة باردة طيبة والريح التى تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهى معجزة عظيمة لهود عليه السلام (قوله فأصبحوا) أى صاروا (قوله لاترى إلا مساكنهم) بتاء الخطاب ونصب المساكن وبياء الغيبة مبنيا للمفعول ورفع مساكن على أنه نائب الفاعل قراءتان سبعيتان ، والمعنى فصاروا لا يرى إلا أثر مساكنهم لأن الريح لم تبق منها إلا الآثار والمساكن معطلة (قوله كما جزيناهم) أى عادا (قوله ولقد مكناهم) أى عادا (قوله فى الذى) أشار به إلى أن ما موصولة (قوله نافية) أى بمعنى ما ولم يؤت بلفظها دفعا لثقل التكرار ويكون المعنى ولقد مكنا عادا فى الذى لم نمكنكم يا أهل مكة فيه (قوله أو زائدة) أى والمعنى ولقد مكنا عادا فى مثل الذى مكناكم فيه و يصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف والتقدير ولقد مكناهم فى الذى إن مكناكم فيه طغيتم وبغيتم وأوضحها أولها (قوله وجعلنا لهم سمعا الخ) أفرد السمع لأن ما يدرك به متحد وهو الصوت بخلاف مابعده من الأبصار والأفئدة فانه يدرك بهما أشياء كثيرة (قوله أى شيئا) أشار بذلك إلى أن من شىء مفعول مطلق منصوب بفتحة مقدرة منع من ظهورها حركة حرف الجر الزائد .

معمولة

معمولة لأغنى وأشرب معنى التعليل (كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ) حججه البينة (وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى العذاب (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى) أى من أهلها كثمود وعاد وقوم لوط (وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ) كررنا الحجج البينات (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. فَلَوْلَا) هلا (نَصَرَهُمْ) بدفع العذاب عنهم (الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (قُرْبَانًا) متقربا بهم إلى الله (آلِهَةً) معه وهم الأصنام ومفعول اتخذ الأول ضمير محذوف يعود على الموصول أى هم وقربانا الثانى وآلهة بدل منه (بَلْ ضَلُّوا) غابوا (عَنْهُمْ) عند نزول العذاب (وَذَلِكَ) أى اتخاذهم الأصنام آلهة قربانا (إِفْكُهُمْ) كذبهم (وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يكذبون وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أى فيه (وَ) اذكر (إِذْ صَرَفْنَا) أملنا (إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ) جن نصيبين باليمن أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل يصلى بأصحابه الفجر رواه الشيخان .

(قوله معمولة لأغنى) أى لنفيه فان التعليل للنفى، والمعنى انتفى نفع هذه الحواس عنهم لأنهم كانوا يجحدون الخ (قوله ولقد أهلكنا ماحولكم) الخطاب لأهل مكة (قوله من القرى) أى أهلها (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضية (قوله ومفعول اتخذوا الخ) أى والمعنى فهلا دفع عنهم العذاب الأصنام الذين اتخذوهم قربانا آلهة والمقصود توبيخهم (قوله وآلهة بدل منه) هذا أحد أعاريب ويصح أن يكون آلهة الثانى وقربانا حال أو مفعول من أجله (قوله بل ضلوا عنهم) إضراب انتقالى من نفى الدفع عنهم إلى غيبتها عنهم بالكلية، والمعنى لم يحضروا عندهم فضلا عن كونهم يدفعون عنهم العذاب (قوله إفكهم) قرأ العامة بكسر الهمزة وسكون الفاء مصدر أفك يأفك إفكا، وقرئ شذوذا بفتح الهمزة وهو مصدر له أيضا وبفتحات فعلا ماضيا (قوله وما مصدرية) أى وافتراؤهم وهو الأحسن لتناسب المعطوفين (قوله أى فيه) أى فحذف الجار فاتصل الضمير ثم حذف ولو قال أى يفترونه لكان أوضح (قوله وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن) أى اذكر يا محمد لقومك قصة صرفنا إليك نفرا من الجن ليعتبروا فان رسالتك عامة للانس والجن والملائكة وجميع الخلق، لكن إرساله للانس والجن إرسال تكليف إجماعا، وإرساله للملائكة قيل إرسال تكليف بما يليق بهم، وقيل إرسال تشريف وإرساله لما عداهم من الحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشريف ورحمة (قوله نفرا) النفر (٧٧) بفتحتين والنفر والنفير من ثلاثة رجال إلى عشرة (قوله نصيبين) أى وهى قرية باليمن (قوله أو جن نينوى) بنون مكسورة فياء ساكنة فنون مضمومة أومفتوحة فواو فألف مقصورة هى قرية يونس عليه السلام قرب الموصل (قوله وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخل) الصواب أن يقول وكان ببطن نخلة لأنه هوالذى فى طريق الطائف، وأما بطن نخل فهو المكان الذى صلى فيه صلاة الخوف وهو على مرحلتين من المدينة (قوله يصلى بأصحابه الفجر) فيه شئ إذ لم يثبت أنه كان معه من الصحابة إلا زيد بن حارثة وهذه الواقعة كانت قبل فرض الصلوات، فالصواب أن يقول: كان يصلى فى جوف الليل وعبارة المواهب ثم خرج عليه السلام إلى الطائف بعد موت خديجة بثلاثة أشهر فى ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة لما ناله من قريش بعد موت أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا يدعو أشراف ثقيف إلى الله تعالى فلم يجيبوه وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف راجعا إلى مكة نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة صرف الله إليه سبعة من جن نصيبين وكان عليه السلام قد قام فى جوف الليل يصلى الخ. واعلم أن العلماء ذكروا فى سبب هذه الواقعة قولين: أحدهما أن الجن كانت تسترق السمع فلما رجموا ومنعوا من السماء حين بعث النبى قالوا ماهذا إلا لشئ حدث فى الأرض فذهبوا فيها يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحادية عشرة من النبوة لما أيس من أهل مكة خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الاسلام فلم يجيبوه فانصرف راجعا إلى مكة فقام ببطن نخل يقرأ القرآن فمر به نفر من جن نصيبين كان إبليس قد بعثهم يطلبون السبب الذى أوجب حراسة السماء بالرجم بالشهب فسمعوا القرآن فعرفوا أن ذلك هو السبب وعليها فلم يكن اجتماعه بالجن مقصودا للارسال . ثانيهما أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله إليه نفرا منهم يستمعون القرآن

و ينذرون قومهم وذلك لأن الجن مكلفون لهم الثواب وعليهم العقاب ويدخلون الجنة و يأكلون فيها و يشربون كالانس فانتهض النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقال « إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة القرآن فأيكم يتبعني فأطرقوا فتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه أحد غيري قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبي شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا وأمرني أن أجلس فيه وقال لي لا تخرج حتى أعود إليك فانطلق حتى وصل إليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوي، وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني و بينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي منهم مع الفجر فانطلق إليّ فقال لي قد نمت فقلت لا والله ولكني هممت أن آتي إليك لخوفي عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم له لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم فأولئك جن نصيبين فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال إن الجن اختصموا في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليّ فقضيت بينهم بالحق وكان عدة هؤلاء اثنى عشر ألفا» وروى عن أنس قال « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنها لنغمة جني فقال الشيخ أجل يارسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أي الجن أنت قال إني هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس فقال له النبي كم أتى عليك من العمر فقال أكلت عمر الدنيا إلا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما ابن أعوام فكنت أشرف على الآكام وأصطاد الهام وأجعله بين الأنام فقال النبي بئس العمل فقال يارسول الله دعني من العتب فاني ممن آمن مع نوح عليه السلام وعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني ، وقال والله إني لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من

(٧٨)

الجاهلين وأتيت هودا فعاتبته في دعوته فبكى وأبكاني ، وقال والله إني لمن النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولقيت إبراهيم وآمنت به وكنت بينه و بين الأرض إذ رمى به في المنجنيق وكنت معه في النار إذ ألقي فيها وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجب فسبقته إلى قعره ولقيت موسى بن عمران وكنت مع عيسى ابن مريم عليهما السلام فقال لي إن لقيت محمدا فاقرأ عليه السلام

(يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا) أي قال بعضهم لبعض (أَنْصِتُوا) اصغوا لاستماعه (فَلَمَّا قُضِيَ) فرغ من قراءته (وَلَّوْا) رجعوا (إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ) مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودا وقد أسلموا (قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا) هو القرآن (أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه كالتوراة (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) الإسلام (وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) أي طريقه (يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان (وَآمِنُوا بِهِ، يغفر)

قال أنس فقال النبي وعليه السلام وعليك السلام ياهام ماحاجتك فقال إن موسى علمني التوراة و إن عيسى علمني الانجيل فعلمني القرآن قال أنس فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون و إذا الشمس كورت وقل ياأيها الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين ولا منافاة بين هذه القصص فلعل الواقعة تعددت فاحداها كان فيها زيد بن حارثة والأخرى كان فيها عبد الله بن مسعود والأخرى كان فيها أنس بن مالك كما أن قراءة القرآن عليهم تعددت (قوله يستمعون القرآن) جمعه مراعاة لمعنى النفر ولو راعى لفظه لقال يستمع (قوله فلما حضروه) أي القرآن والرسول (قوله اصغوا) بكسر الهمزة وفتح الغين من باب رمى أو بفتح الهمزة وضم الغين من الرباعي (قوله فلما قضى) بالبناء للمفعول في قراءة العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل فالأولى تؤيد عود الضمير على القرآن والثانية تؤيد عوده على الرسول (قوله ولوا إلى قومهم منذرين) أي بأمر الرسول عليه السلام لأنه جعلهم رسلا إلى قومهم (قوله وكانوا يهودا) أي وقد أسلموا في هذه الواقعة وأسلم من قومهم حين رجعوا إليهم وأنذروهم سبعون - وقال العلماء أن الجن فيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام ، وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع . وروى أنهم أصناف ثلاثة صنف لهم أجنحة يطيرون بها وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يحلون و يظعنون . واختلف في مؤمني الجن فقيل لا ثواب لهم إلا النجاة من النار وعليه أبو حنيفة والليث و بعد نجاتهم من النار يقال لهم كونوا ترابا وقال الأئمة الثلاثة يدخلون الجنة و يأكلون و يشربون و يتنعمون وقيل إنهم يكونون حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها (قوله كالتوراة) أي والانجيل والزبور وغيرهما (قوله أي طريقه) أي الإسلام وهو الانقياد

وطريقه الأعمال كالصلاة والصوم (قوله يغفر لكم) جواب الأمر (قوله ويجركم) أي يخلصكم وينجكم (قوله ومن لا يجب الخ) من شرطية وجوابها قوله فليس بمعجز الخ (قوله أولياء أولئك) هنا همزتان مضمومتان من كلمتين وليس في القرآن محل لاجتماعهما غير هذا (قوله أولئك الخ) هذا آخر كلام الجن الذين سمعوا القرآن (قوله أو لم يروا الخ) رجوع لتوجيه الكلام إلى أهل مكة وغيرهم بعد تقرير قصة الجن والهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه تقديره أتركوا التفكر ولم يروا (قوله لم يعجز عنه) أي لم يضعف ولم يتعب (قوله وزيدت الباء فيه الخ) جواب عما يقال إن الباء لا تزاد إلا في خبر ليس وما كما قال ابن مالك * وبعد ما وليس جر البا الخبر * وإن للاثبات (قوله لأن الكلام الخ) حاصل الجواب أنها واقعة في خبر ليس تأويلا (قوله بلى) هي جواب النفي ويصير بها إثباتا بخلاف نعم فإنها تقرر ماقبلها نفيا أو إثباتا (قوله ويوم يعرض الذين كفروا الخ) هذا إشارة لبعض مايحصل في يوم البعث من الأهوال إثر بيان إثباته وتقرره (قوله يقال لهم) قدره إشارة إلى أن يوم ظرف لمحذوف وإلى أن قوله أليس هذا بالحق مقول لقول محذوف (قوله وربنا) الواو للقسم، وإنما أكدوا كلامهم بالقسم طمعا في الخلاص حيث اعترفوا بالحق (قوله بما كنتم تكفرون) (٧٩) أي بسبب كفركم (قوله فاصبر الخ)

يغفر) الله (لكم من ذنوبكم) أي بعضها لأن منها المظالم ولا تغفر إلا برضا أصحابه (ويجركم من عذاب أليم) مؤلم (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) أي لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته (وليس له) لمن لا يجب (من دونه) أي الله (أولياء) أنصار يدفعون عنه العذاب (أولئك) الذين لم يجيبوا (في ضلال مبين) بين ظاهر (أولم يروا) يعلموا أي منكرو البعث (أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن) لم يعجز عنه (بقادر) خبر أن وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة أليس الله بقادر (على أن يحيي الموتى بلى) هو قادر على إحياء الموتى (إنه على كل شيء قدير. ويوم يعرض الذين كفروا على النار) بأن يعذبوا بها يقال لهم (أليس هذا) التعذيب (بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. فاصبر) على أذى قومك (كما صبر أولوا العزم) ذوو الثبات والصبر على الشدائد (من الرسل) قبلك فتكون ذا عزم ومن للبيان فكلهم ذوو عزم، وقيل للتبعيض فليس منهم آدم لقوله تعالى: ولم نجد له عزما، ولا يونس لقوله تعالى: ولا تكن كصاحب الحوت،

هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والصبر تلقي المكاره والشدائد بالرضا والتسليم (قوله كما صبر أولوا العزم) الكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف وما مصدرية والتقدير صبرا مثل صبر أولي العزم (قوله فكلهم ذوو عزم) أي حزم وكمال وثبات وصبر على الشدائد (قوله وقيل هي للتبعيض في كلامه إشارة لقولين في تفسير أولي العزم من جملة أقوال شتى وقيل هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام ثمانية عشر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسمعيل واليسع ويونس ولوط، وقيل هم اثنا عشر نبيا أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم فأوحى الله إلى الأنبياء إني مرسل عذابي إلى عصاة بني إسرائيل فشق ذلك على المرسلين فأوحى الله إليهم اختاروا لأنفسكم إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل وإن شئتم نجيتكم وأنزلت العذاب ببني إسرائيل فتشاوروا بينهم فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي الله بني إسرائيل فأنجى الله بني إسرائيل وأنزل العذاب بأولئك الرسل وذلك أنه سلط عليهم ملوك الأرض فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات، ومنهم من أحرق بالنار، وقيل أولو العزم أربعة إبراهيم صبر على فقد نفسه وذبح ولده وموسى صبر على أذى قومه ووثق بربه حين قال له قومه إنا لمدركون فقال كلا إن معي ربي سيهدين وداود صبر على البكا من أجل خطيئته حتى نبت من دموعه الشجر فقعد تحت ظله وعيسى لم يضع لبنة على لبنة، وقال إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها فكأن الله تعالى يقول لنبيه كن صادقا واثقا بربك مهتما بما سلف منك زاهدا في الدنيا وقيل أولو العزم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم وهو المعتمد لأنهم أصحاب الشرائع (قوله ولم نجد له عزما) أي تاما لأن إرادتنا أكله من الشجرة غلبت إرادته عدم الأكل منها والأكمل نبي صاحب عزم غير

أنهم يتفاوتون فيه على حسب مراتبهم قال تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض (قوله ولا تستعجل لهم) اى لأجلهم والمفعول محذوف قدّره المفسر بقوله نزول العذاب (قوله قيل كأنه ضجر الخ) الناسب حذف كأن كما فى عبارة غيره (قوله فانه نازل بهم) أى ولو فى الآخرة (قوله يوم يرون) ظرف لقوله لم يلبثوا الخ (قوله لطوله) تعليل لقوله لم يلبثوا مقدم عليه (قوله إلا ساعة من نهار) أى لأن مامضى عليهم من الزمان كأنهم لم يروه لانقضائه (قوله هذا القرآن بلاغ) أشار بذلك إلى أن قوله بلاغ خبر لمحذوف (قوله تبليغ من الله إليكم) أى بلغكم الله إياه فآمنوا به أوالمعنى موصل من عمل به وآمن إلى الدرجات العلى لما ورد « يقال له اقرأ وارق » و يؤنسه فى قبره وموصل من لم يعمل به إلى الدركات السفلى (قوله فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أى لا يكون الهلاك والدمار إلا للكافرين ، وأما من مات على الإيمان ولو عاصيا فهو فائز ولا يقال له هالك وهذه الآية أرجى آية فى القرآن إذ فيها تطميع فى سعة فضل الله ورحمته .

فائدة — نقل القرطبي عن ابن عباس أن المرأة إذا تعسر وضعها تكتب هاتان الآيتان والكلمتان فى صحفة ثم تغسل وتسقى منها فانها تلد سريعا ، وهى : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أوضحاها كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون اهـ .

[سورة القتال]

وتسمى سورة محمد صلى الله عليه وسلم لذكر هذا الاسم فيها وسورة الذين كفروا لبدئها بهذا اللفظ (قوله مدنية الخ) هذا القول منقول عن ابن عباس وقوله : إلا وكأين الخ أى فانها نزلت بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكى حزنا على فراقه وهذا مبنى على أن المكى

(٨٠)

(وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) لقومك نزول العذاب بهم قيل كأنه ضجر منهم فأحب نزول العذاب بهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب فانه نازل بهم لا محالة (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَايُوعَدُونَ) من العذاب فى الآخرة لطوله (لَمْ يَلْبَثُوا) فى الدنيا فى ظنهم (إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ) هذا القرآن (بَلَاغٌ) تبليغ من الله إليكم (فَهَلْ) أى لا (يُهْلَكُ) عند رؤية العذاب (إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ) أى الكافرون .

(سورة القتال)

مدنية إلا « وكأين من قرية » الآية أو مكية ، وهى ثمان أو تسع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (وَصَدُّوا) غيرهم (عَنْ سَبِيلِ اللهِ) أى الإيمان (أَضَلَّ) أحبط (أَعْمَالَهُمْ) كإطعام الطعام وصلة الأرحام فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا و يجزون بها فى الدنيا من فضله تعالى ،

(والذين

مانزل بمكة ولو بعد الهجرة وهو ضعيف ، والصحيح أن المكى مانزل قبل الهجرة والمدنى مانزل بعدها ولو بأرض مكة ورد أيضا بأنه فى حجة الوداع خرج منها مختارا ولم يكن عنده حزن لكونها صارت دار إسلام ، وحينئذ فلا يظهر الوعيد الذى فى الآية ، وقيل إنها نزلت لما خرج من مكة إلى الغار مهاجرا ، وعليه فكونها مكية ظاهر وهو الصحيح وسيأتى إيضاحه فى تفسيرها (قوله أومكية) هذا القول بالنظر لغالبها وهو ضعيف (قوله ثمان أوتسع الخ) وقيل أربعون آية ، والخلاف فى قوله : حتى تضع الحرب أوزارها ، وقوله : لذة للشاربين هل كل آية مستقلة أومن تمة ماقبلها (قوله الذين كفروا) مبتدأ ، وقوله : أضل أعمالهم خبره ، ومناسبة هذه الآية لآخر الأحقاف ظاهرة وذلك كأن قائلا قال كيف يهلك القوم الفاسقون ولهم أعمال صالحة كإطعام الطعام ونحوه والله سبحانه وتعالى لايضيع أجر المحسنين ؟ . فأجاب بأن الفاسقين هم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم وأبطلها (قوله فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا) أى لقوله تعالى : وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (قوله ويجزون بها فى الدنيا) أى بأن يوسع لهم فى المال ويزاد لهم فى الولد والعافية وغير ذلك حيث لم يقصدوا بها فخرا ولا رياء .

(قوله والذين آمنوا) أي صدقوا بقلوبهم ونطقوا بألسنتهم وقوله : وعملوا الصالحات العطف يقتضي المغايرة فاستفيد منه أن العمل الصالح ليس داخلا في حقيقة الإيمان بل هو شرط كمال كما هو مختار الأشاعرة (قوله وآمنوا بما نزل الخ) عطف خاص على عام والنكتة تعظيمه والاعتناء بشأنه إشارة إلى أن الايمان لايتم بدونه ولذا أكده بقوله : وهو الحق أي الثابت الذي ينسخ غيره وهو لاينسخ (قوله وهو الحق من ربهم) جملة معترضة سيقت لبيان التنزل (قوله غفر لهم سيئاتهم) أي محاها من صحف الملائكة (قوله وأصلح بالهم) البال يطلق على الحال والشأن والأمر وكلها بمعنى واحد ، والمعنى أصلح أحوالهم الدنيوية بتوفيقهم للأعمال الصالحة والأخروية بنجاتهم من النار وإدخالهم الجنة (قوله فلايعصونه) أي لايصرّون على معصيته أعم من أن لاتقع منهم أصلا أوتقع ولكن لايصرّون عليها (قوله ذلك) مبتدأ وقوله بأن الذين الخ خبر (قوله الشيطان) وقيل الباطل الكفر (قوله الحق القرآن) وقيل الحق الايمان (قوله كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) المثل في الأصل القول السائر المشبه مضربه بمورده كقولهم : الصيف ضيعت اللبن . والكلاب على البقر ، وليس مرادا هنا بل المراد الأمور العجيبة تشبيها لها بالمثل في الغرابة المؤدية إلى التعجب واسم الاشارة عائد على مابين في أحوال المؤمنين والكافرين (قوله فإذا لقيتم الخ) الفاء للفصيحة لكونها أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا علمتم أحوال المؤمنين وأنهم أحباب الله وأحوال الكافرين وأنهم أعداء الله فالواجب على أحباب الله أن يقاتلوا أعداء الله (قوله بدل من اللفظ بفعله) أي فهو نائب عن الفعل في المعنى والعمل على الصحيح ، وقيل في المعنى دون العمل والأصل فاضربوا الرقاب ضربا حذف الفعل وأتى بالمصدر محله وأضيف إلى مفعول

(وَالَّذِينَ آمَنُوا) أي الأنصار وغيرهم (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ) أي القرآن (وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ) غفر لهم (سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) أي حالهم فلا يعصونه (ذَلِكَ) أي إضلال الأعمال وتكفير السيئات (بِأَنَّ) بسبب أن (الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ) الشيطان (وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ) القرآن (مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ) أي مثل ذلك البيان (يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) يبين أحوالهم أي فالكافر يحبط عمله والمؤمن يغفر زلله (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) مصدر بدل من اللفظ بفعله : أي فاضربوا رقابهم أي اقتلوهم وعبر بضرب الرقاب لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة (حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ) كثرتم فيهم القتل (فَشُدُّوا) أي فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا (الْوَثَاقَ) مايوثق به الأسرى (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ) مصدر بدل من اللفظ بفعله : أي تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شيء (وَإِمَّا فِدَاءً) أي تفادونهم بمال أو أسرى مسلمين (حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ) أي أهلها (أَوْزَارَهَا) أثقالها من السلاح وغيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا في العهد ،

الفعل وهو الرقاب وهو عامل في الظرف أيضا (قوله أي اقتلوهم) أي فأراد بضرب الرقاب مطلق القتل على أي حالة كانت لاخصوص ضرب الرقاب (قوله حتى إذا أثخنتموهم) حتى ابتدائية ، والمعنى فإذا أعجزتموهم بأيّ وجه من الوجوه إما بكثرة القتل فيهم وهو الغالب أو بقطع الماء عنهم أو بأخذ أسلحتهم أو غير ذلك فأسروهم (قوله أي فأمسكوا) أشار بذلك إلى أن في الكلام تقدير جملتين الإمساك عن القتل والأسر (قوله بدل من اللفظ بفعله) أي جيء به لتفصيل جملة فوجب إضمار عامله والتقدير فاما أن تمنوا منا وإما أن تفدوا فداء (قوله بعد) أي بعد أسرهم وشد وثاقهم ، والمعنى أن المسلمين بعد القدرة على الكفار يخيرون فيهم بين أمور أربعة : القتل والمن والفداء والاسترقاق ، وهذا في الرجال المقاتلين ، وأما النساء والصبيان فليس فيهم إلا المنّ والفداء والاسترقاق ، وهذا التفصيل للامام الشافعي وعند مالك يزاد في حق الرجال الجزية وعند أبي حنيفة ليس إلا القتل أو الاسترقاق ، وأما المنّ والفداء فمنسوخان بعد غزوة بدر (قوله أو أسارى) بالضم والفتح أو بفتح فسكون فراء مفتوحة (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله بأن يسلم الكفار) أي فالمراد بوضع آلة القتال ترك القتال لانقضاض شوكة الكفر ففي الكلام استعارة تبعية حيث شبه ترك القتال بوضع آلته واشتق من الوضع تضع : بمعنى تترك .

(قوله وهذه غاية للقتل) أى المذكور فى قوله : فضرب الرقاب وقوله والأسر أى المذكور فى قوله : فشدوا الوثاق (قوله ماذكر) أى من القتل والأسر وما بعدهما (قوله بغير قتال) أى كالخسف (قوله ليبلو بعضكم ببعض) أى فيظهر لعباده حال الصادق فى الإيمان من غيره قال تعالى : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين (قوله والذين قتلوا) مبتدأ وقوله : فلن يضل أعمالهم خبره (قوله وفى قراءة قاتلوا) أى وهى سبعية أيضا مفسرة للقراءة الأولى وحينئذ فليس المراد قتلوا بالفعل بل المراد قاتلوا قتلوا أولا (قوله وقد فشا الخ) الجملة حالية وقوله القتل ورد أنهم سبعون وقوله والجراحات أى لكثير والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا الوعد الحسن لكل من قاتل فى سبيل الله لنصر دينه إلى يوم القيامة قتل أوجرح أوسلم (قوله فلن يضل أعمالهم) أى سواء نشأت منهم أوتسببوا فيها (قوله إلى ماينفعهم) أى فالذى ينفعهم فى الدنيا العمل الصالح والاخلاص فيه والذى ينفعهم فى الآخرة الجنة ومافيها وحينئذ فلا يقع منهم مايخالف أمر الله لحفظ الله إياهم من المخالفات ومنه حديث «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم» وليس فيه توهم إباحة المعاصى لأهل بدر بل المعنى كما أفنيتم نفوسكم فى محبتى وخرجتم عن شهواتكم فى رضاى جازيتكم بالحفظ مما يوجب سخطى فاشتريت نفوسكم فصارت لى راضية مرضية قال تعالى : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآيات ، ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله :

وبعد الفنا فى الله كن كيفما تشا
نعلمك لاجهل وفعلك لاوزر

وهذه غاية للقتل والأسر (ذٰلِكَ) خبر مبتدإ مقدر : أى الأمر فيهم ماذكر (وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ) بغير قتال (وَلٰكِنْ) أمركم به (لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ) منهم فى القتال فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار (وَالَّذِينَ قُتِلُوا) وفى قراءة قاتلوا ، الآية نزلت يوم أحد وقد فشا فى المسلمين القتل والجراحات (فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ) يحبط (أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ) فى الدنيا والآخرة إلى ماينفعهم (وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ) حالهم فيهما وما فى الدنيا لمن لم يقتل وأدرجوا فى قتلوا تغليباً (وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا) بينها (لَهُمْ) فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ) أى دينه ورسوله (يَنْصُرْكُمْ) على عدوكم (وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) يثبتكم فى المعترك (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة مبتدأ خبره تعسوا يدل عليه (فَتَعْسًا لَهُمْ) أى هلاكا وخيبة من الله (وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) عطف على تعسوا ،

(قوله وما فى الدنيا) أى من الهداية وإصلاح الحال وقوله لمن لم يقتل جواب عما يقال كيف قال سيهديهم ويصلح بالهم يعنى فى الدنيا مع أن الفرض أنهم قتلوا بالفعل وأجيب بأن ذلك يحصل فى الدنيا لمن لم يقتل وعبر بالذين قتلوا تغليبا لهم أولأنهم قتلوا حكما بالنية . وأجيب أيضا بأن المراد بالذين قتلوا الذين وقع منهم القتال اعم من أن يقتلوا بالفعل أولابدليل القراءة الأخرى (قوله فيهتدون إلى مساكنهم الخ) أى إذا دخلوها يتفرقون إلى منازلهم فهم أعرف بها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم ويؤيد هذا المعنى قوله عليه الصلاة والسلام «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة من منزله الذى كان فى الدنيا» وماورد «إن العبد المؤمن لايخرج من الدنيا حتى يشاهد مسكنه فى الجنة وماأعده الله له من النعيم ويفتح له طاقة فى قبره يشاهد ذلك مادام فى البرزخ وأن أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر فى الجنة وأرواح الأنبياء فى قناديل من ذهب معلقة فى العرش تسرح وتأوى إليها» وقيل معنى عرفها لهم طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة (قوله يثبتكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالأقدام الذوات بتمامها وعبر عنها بالأقدام لأن الثبات والتزلزل يظهران فيها (قوله خبره تعسوا الخ) أشار بذلك إلى أن الفاء فى قوله فتعسا داخلة على محذوف هو الخبر وتعسا مفعول مطلق لذلك المحذوف وحينئذ فالمناسب للمفسر أن يقدر الخبر بعد الفاء (قوله أى هلاكا وخيبة لهم) هذان قولان من عشرة أقوال فى معنى التعس ، وقيل خزيا لهم ، وقيل شقاء لهم ، وقيل شتما لهم من الله ، وقيل قبحا لهم ، وقيل رغما لهم ، وقيل شرا لهم ، وقيل شقوة لهم ، وقيل التعس الانحطاط والعثار وكلها معان متقاربة وهو فى الأصل أن يخر لوجهه والنكس أن لايستقل بعد سقطته حتى يسقط هوثانية وهى أشد من الأولى وضده الانتعاش وهو قيام من سقط

(قوله ذلك) مبتدأ خبره الجار والمجرور بعده ويصح أن يكون اسم الاشارة خبر مبتدإ محذوف أى الأمر ذلك (قوله المشتمل على التكاليف) أى فهذا وجه كراهتهم له وذلك لأن فى التكاليف ترك اللاذ والشهوات والنفوس الخبيثة تكره ذلك وتحب إرخاء العنان لها فى الشهوات فمن تبع نفسه من كل وجه كفر فعلى الانسان أن يجاهد نفسه حتى تصير معتادة لما يرضاه الله تعالى ففى الحديث «لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به» فالأصل فى النفوس الخسة لاتجر لصاحبها خيرا ولا تسعى إلافيما يغضب الله فاذا شمر الانسان عن ساعد الجد والاجتهاد وخالف هوى نفسه سكن وهجها واضمحلت شهوتها فاذا دام ذلك حسن حالها وصارت جميلة الأخلاق مطمئنة بخالقها نسأل الله أن يملكنا نفوسنا ولا يسلطها علينا (قوله أفلم يسيروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجبنوا وتركوا السير فلم يسيروا (قوله دمر الله عليهم) المفعول محذوف قدره المفسر بقوله أنفسهم الخ (قوله وللكافرين) أى السائرين على قدم من قبلهم من الكفار وقوله أمثالها مقابلة الجمع بالجمع تقتضى القسمة على الآحاد أى إن لكل واحد من هؤلاء الكفار عاقبة كعاقبة من تقدمه من الكفار أو أشد وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء وشرعه (٨٣) جامع لجميع الشرائع فالكفر به

(ذَٰلِكَ) أى التعس والإضلال (بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) من القرآن المشتمل على التكاليف (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم (وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا) أى أمثال عاقبة من قبلهم (ذَٰلِكَ) أى نصر المؤمنين وقهر الكافرين (بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى) ولىّ وناصر (الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ. إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ) فى الدنيا (وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ) أى ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ولا يلتفتون إلى الآخرة (وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ) أى منزل ومقام ومصير (وَكَأَيِّنْ) وكم (مِنْ قَرْيَةٍ) أريد بها أهلها (هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ) مكة أى أهلها (الَّتِي أَخْرَجَتْكَ) روعى لفظ قرية (أَهْلَكْنَاهُمْ) روعى معنى قرية الأولى (فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ) من إهلاكنا (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ) حجة وبرهان (مِنْ رَبِّهِ) وهم المؤمنون (كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) فرآه حسنا وهم كفار مكة،

وشرعه كفر بجميع الشرائع فبسبب ذلك عظم عذاب الكافر به (قوله وأن الكافرين لا مولى لهم) أى لاناصر لهم ولامعين ولامغيث وأما قوله تعالى – ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق – فالمراد بالمولى المالك فلم يحصل تناف (قوله إن الله يدخل الذين آمنوا الخ) بيان لثمرة ولايته تعالى للمؤمنين فى الآخرة (قوله كما تأكل الأنعام) الكاف فى محل نصب إما نعت لمصدر محذوف أى أكلا مثل أكل الانعام أو حال أى أكلا حال كونه مثل أكل الأنعام (قوله والنار مثوى لهم) مبتدأ وخبر (قوله وكأين من قرية الخ) كأين مركبة من الكاف وأى بمعنى كم الخبرية وهى فى محل رفع مبتدأ ومن قرية تمييز لها وقوله هى أشد صفة لقرية وقوله التى أخرجتك صفة لقريتك وقوله أهلكناهم خبر المبتدإ. وسبب نزول هذه الآية أنه لما خرج صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال أنت أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلىّ ولولا أن المشركين لم يخرجونى لم أخرج منك. فنزلت هذه الآية تسلية له صلى الله عليه وسلم، والمعنى لاتحزن على خروجك من بلدك فان الله يعزك ويذلهم فليس خروجك من مكة إلا كخروج آدم من حيث إنه حصل له العز العظيم وحصل لابليس الذى تسبب فى إخراجه الخزى العظيم (قوله أريد أهلها) أى فهو مجاز فى الظرف حيث أطلق المحل وأريد الحال فيه لامجاز بالحذف (قوله التى أخرجتك) هذا الوصف للاحتراز عن قريته التى تكون وطنه فيما يستقبل وهى المدينة (قوله أهلكناهم) أى فكذلك نفعل بأهل قريتك فاصبر كما صبر رسل أهل تلك القرى (قوله فلا ناصر لهم) تفريع على قوله أهلكناهم (قوله أفمن كان على بينة الخ) شروع فى بيان أحوال المؤمنين والكافرين والهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان على بينة الخ والتعبير بعلى إشارة إلى تمكنهم من الحجج والبراهين تمكن المستعلى من المستعلى عليه.

(قوله واتبعوا أهواءهم) فيه مراعاة معنى من كما روعى لفظها فيما سبق (قوله مثل الجنة) تفصيل لبيان محاسن الجنة وكيفية أنهارها المتقدمة فى قوله تجرى من تحتها الأنهار (قوله أى صفة الجنة) أشار بذلك إلى أن المراد بالمثل الصفة فكأنه قال وصف الجنة كذا وكذا فليس فى الكلام مشبه ومشبه به (قوله التى وعد المتقون) المراد من لم يحكم الشرع بكفره فيشمل عصاة المؤمنين وأهل الفترة وأولاد الكفار الذين ماتوا قبل البلوغ (قوله المشتركة بين داخليها) أى فهو بيان لمطلق نعيم الجنة المشترك بين أعلى أهل الجنة وأدناهم وأما تفصيل ما لكل فريق فسيأتى فى سورة الواقعة (قوله خبره فيها أنهار الخ) فيه أن الخبر جملة خالية من رابط يعود على المبتدإ. وأجيب بأن الخبر عين المبتدإ فى المعنى وحينئذ فلا تحتاج لرابط وهذا أسهل الأعاريب وقيل إن مثل الجنة مبتدأ خبره كمن هو خالد فى النار وفى الكلام حذف مضاف وهمزة الانكار والتقدير أمثل أهل الجنة كمن هو خالد فى النار وقوله فيها أنهار إما حال من الجنة أو خبر لمبتدإ محذوف أى هى فيها أنهار وقيل غير ذلك (قوله غير آسن بالمد والقصر) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله كضارب) أى ففعله أسن يأسن كضرب يضرب وقوله وحذر أى ففعله أسن يأسن كحذر يحذر (قوله لم يتغير طعمه) أى فلا يعود حامضا ولا مكروه الطعم (قوله لذة للشاربين) أى ليس فيها حموضة ولا مرارة ولم تدنسها الأرجل بالدرس ولا الأيدى بالعصر وليس فى شربها ذهاب عقل بل هى لمجرد الالتذاذ. إن قلت لم لم يقل فى جانب اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين وفى العسل مصفى للناظرين. أجيب بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يلتذ شخص ويعافه الآخر، فلذا قال لذة للشاربين بأسرهم ولأن الخمر كريهة الطعم فى الدنيا فقال لذة أى ليس فى خمر الآخرة كراهة طعم، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس فلم يكن للتصريح بالتعميم مزيد فائدة

(٨٤)

(وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فى عبادة الأوثان أى لا مماثلة بينهما (مَثَلُ) أى صفة (الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) المشتركة بين داخليها مبتدأ خبره (فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) بالمد والقصر كضارب وحذر أى غير متغير بخلاف ماء الدنيا فيتغير بعارض (وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ) بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع (وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ) لذيذة (لِلشَّارِبِينَ) بخلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب (وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) بخلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره (وَلَهُمْ فِيهَا) أصناف (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر بخلاف سيد العبيد فى الدنيا فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) خبر مبتدإ مقدر: أى أمن هو فى هذا النعيم (وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا) أى شديد الحرارة (فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ) أى مصارينهم فخرجت من أدبارهم، وهو جمع معى بالقصر وألفه عن ياء لقولهم معيان (وَمِنْهُمْ) أى الكفار (مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) فى خطبة الجمعة

(قوله لذيذة) أشار بذلك لدفع ما قيل إن لذة مصدر بمعنى الالتذاذ وهو فلا يصح وصف الخمر به لكونها اسم عين. فأجاب المفسر بأنها تؤول بالمشتق على حد زيد عدل (قوله من عسل مصفى) يجوز فى العسل التذكير والتأنيث والقرآن جاء على التذكير (قوله يخالطه الشمع وغيره) أى كفضلات النحل (قوله ولهم) خبر مقدم وقوله فيها متعلق بما تعلق به الخبر والمبتدأ محذوف قدره بقوله أصناف وقوله من كل الثمرات نعت للمبتدإ المحذوف والمعنى لهم فى الجنة أنواع متعددة من كل الثمرات فالتفاح أنواع والرمان أنواع وهكذا (قوله فهو راض عنهم الخ) دفع بذلك ما يقال إن المغفرة تكون قبل دخول الجنة والآية تقتضى أنها فيها. فأجاب المفسر بأن المراد بالمغفرة الرضا وهو يكون فى الجنة، وإيضاحه أنه يرفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ويشربونه بخلاف الدنيا فإن مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه (قوله خبر مبتدإ مقدر) أى إن قوله كمن هو خالد فى النار خبر لمحذوف والاستفهام للانكار أى لا يستوى من هو فى هذا النعيم المقيم بمن هو خالد فى النار (قوله وسقوا) معطوف على خالد عطف صلة فعلية على صلة اسمية (قوله فى خطبة الجمعة) أى فهذه الآيات مدنيات وحينئذ فتكون مستثنيات من القول بأن السور مكية:

(قوله وهم المنافقون) تفسير لمن (قوله استهزاء) علة لقالوا فالاستفهام إنكاري ، والمعنى لم يقل شيئا يعتد به فلا عبرة بقوله (قوله آنفا) حال والمعنى ماذا قال مؤتنفا : أي مبتدئا ومخترعا (قوله بالمد والقصر) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي الساعة) أي فآنفا ظرف حالي بمعنى الآن وهو أحد استعمالين فيه والثاني أنه اسم فاعل بمعنى مؤتنفا كما تقدم (قوله أي لانرجع إليه) أي إلى قوله الذي قاله آنفا أي لانعمل به (قوله أولئك) مبتدأ وقوله الذين طبع الله الخ خبره (قوله والذين اهتدوا الخ) لما بين الله حال المنافقين وأنهم لاينتفعون بما يسمعون بين حال المؤمنين وأنهم ينتفعون بما يسمعون (قوله ألهمهم مايتقون به النار) أي خلق فيهم التقوى الخاصة ، وهي ترك متابعة الهوى والتنزه عما سوى الله تعالى وصرف القلب إلى مايرضي الله (قوله فهل ينظرون) أي ينتظرون جزاء أعمالهم فالمراد انتظار الجزاء لا انتظار الموت فانه يأتيهم قبل مجيئها (قوله أن تأتيهم بغتة) أي فقد قرب قيامها (قوله فقد جاء أشراطها) كالعلة لقوله فهل ينظرون الخ لأن ظهور أشراط الشيء موجب لانتظاره ، ورد عن حذيفة والبراء بن عازب «كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ماتتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة . قال إنها لاتقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب ، والدجال وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج

وهم المنافقون (حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) لعلماء الصحابة منهم ابن مسعود وابن عباس استهزاء وسخرية (مَاذَا قَالَ آنِفاً) بالمد والقصر أي الساعة أي لانرجع إليه (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) بالكفر (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) في النفاق (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا) وهم المؤمنون (زَادَهُمْ) الله (هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) ألهمهم مايتقون به النار (فَهَلْ يَنْظُرُونَ) ماينتظرون أي كفار مكة (إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ) بدل اشتمال من الساعة أي ليس الأمر إلا أن تأتيهم (بَغْتَةً) فجأة (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) علاماتها : منها بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر والدخان (فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ) الساعة (ذِكْرَاهُمْ) تذكرهم ؟ أي لاينفعهم (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ) أي دم يامحمد على علمك بذلك النافع في القيامة (وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) لأجله ، قيل له ذلك مع عصمته لتستن به أمته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» (وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ،

ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن» انتهى (قوله منها بعثة النبي الخ) أي أن من علاماتها الصغرى بعثة النبي صلى الله وسلم عليه ، وقد حصل بالفعل . وأما العلامات الكبرى فستأتي وإنما عبر عن الجميع بالماضي لتحقق الوقوع على حد أتى أمر الله (قوله فأنى لهم) خبر مقدم وذكراهم مبتدأ مؤخر ، وإذا وما بعدها معترض وجوابها محذوف دل عليه ماقبله ، والمعنى كيف لهم التذكر إذا جاءتهم الساعة فكيف يتذكرون (قوله فاعلم أنه لا إله إلا الله) مرتب على ماقبله كأنه قال إذا علمت أنه لاينفع التذكر إذا حضرت الساعة فدم على ماأنت عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وعبر بالعلم اشارة إلى أن غيره لا يكفي في التوحيد كالظن والشك والوهم . واعلم أن العلم مراتب : الأولى العلم بالدليل ولو جمليا ويسمى علم يقين وهذا هو المطلوب في التوحيد الذي يخرج به المكلف من ورطة التقليد وهو الجزم من غير دليل وفيه خلاف . الثانية العلم مع مراقبة الله ويسمى عين يقين . الثالثة العلم مع المشاهدة ويسمى حق يقين وفي هذه المراتب فليتنافس المتنافسون (قوله أي دم يامحمد الخ) أي فالخطاب له صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن وقوله على علمك بذلك أي بأنه لا إله إلا الله أي لامعبود بحق إلا الله (قوله النافع في القيامة) أي لما ورد «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» (قوله لتستن به أمته) أي تقتدي به وهذا أحد أوجه في تأويل الآية وهو أحسنها ، وقيل معناه اسأل الله العصمة من الذنوب ، ومن المعلوم أن دعاءه مستجاب ، ففي استغفاره تحدث بنعمة الله عليه وهي عصمته من الذنوب وتعليم للأمة أن يقتدوا به ، وقيل المراد بذنبه خلاف الأولى مثل ماوقع منه في أسارى بدر وفي إذنه للمنافقين بالتخلف عن الجهاد فهو ذنب بحسب مقامه ورتبته وقيل المراد بذنبه ذنب أهل بيته ففي هذه الآية بشرى للأمة حيث أمر صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم (قوله وقد فعله) أي الاستغفار لذنبه وللمؤمنين

(وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ) متصرفكم لأشغالكم بالنهار (وَمَثْوَاكُمْ) مأواكم إلى مضاجعكم بالليل: أى هو عالم بجميع أحوالكم لايخفى عليه شىء منها فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم (وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا) طلباً للجهاد (لَوْلَا) هلا (نُزِّلَتْ سُورَةٌ) فيها ذكر الجهاد (فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ) أى لم ينسخ منها شىء (وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ) أى طلبه (رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) أى شك وهم المنافقون (يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ) خوفاً منه وكراهية له أى فهم يخافون من القتال ويكرهونه (فَأَوْلَىٰ لَهُمْ) مبتدأ خبره (طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) أى حسن لك (فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ) أى فرض القتال (فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ) فى الإيمان والطاعة (لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ) وجملة لو جواب إذا (فَهَلْ عَسَيْتُمْ) بكسر السين وفتحها وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب : أى لعلكم (إِن تَوَلَّيْتُمْ) أعرضتم عن الإيمان ،

والمؤمنات ورد فى الحديث «إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم مائة مرة» وفى رواية «توبوا إلى ربكم فوالله إنى لأتوب إلى ربى عز وجل فى اليوم مائة مرة» وفى رواية «إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم سبعين مرة» وفى رواية «أكثر من ذلك» وقوله فى الحديث «إنه ليغان على قلبى» الغين التغطية والستر ويسمى به الغيم الرقيق الذى يغشى السماء ، والمراد به أنوار تغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وسبب استغفاره منها أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى فى الكمالات فكلما ارتقى إلى مقام رأى أن الذى كان فيه بالنسبة للذى ارتقى إليه ذنبا فيستغفر الله منه (قوله والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أشار المفسر إلى أن معنى متقلبكم متصرفكم لأشغالكم بالنهار ومعنى مثواكم مأواكم إلى مضاجعكم بالليل ، وهو أحد تفاسير فى هذه الآية ، وقيل متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات وبطونهن ومثواكم فى الدنيا وفى القبور ، وقيل متقلبكم فى الدنيا ومثواكم مصيركم فى الآخرة إلى الجنة أو النار (قوله والخطاب للمؤمنين وغيرهم) أى ولكن خطاب المؤمنين إرشاد لهم إلى مقام المراقبة لله تعالى وهى أن يشاهد الانسان أن الله مطلع عليه فى كل لحظة وطرفة وحركة وسكون وهذا سر والله معكم أينما كنتم وهو مطلب العارفين وكنز الراسخين . قال العارف ابن الفارض :

أذانا مع الأحباب رؤيتك التى ... إليها قلوب الأولياء تسارع

وقال العارف الدسوقى :

قد كان فى القلب أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائى

تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بحبك يادينى ودنيائى

وفيه فليتنافس المتنافسون وخطاب غيرهم تخويف وتحذير (قوله ويقول الذين آمنوا الخ) أى حين اشتد كرب المسلمين من أذى المشركين تمنوا الأمر بالجهاد وافقهم فى الظاهر على هذا التمنى المنافقون ، فهذه الآيات من هنا إلى آخر السورة مدنيات قطعا ولو على القول بأن السورة مكية لأن القتال لم يشرع إلا بها وكذا النفاق لم يظهر إلا بها (قوله أى طلبه) أى ذكر فيها الأمر به والحث عليه (قوله أى شك) وقيل ضعف فى الدين (قوله نظر المغشى عليه) أى نظرا مثل نظر المغشى عليه والمعنى تشخص أبصارهم كالشخص الذى حضره الموت (قوله خوفا منه) أى الموت (قوله فأولى لهم) أى الحق والواجب لهم : أى عليهم طاعة الخ هذا مامشى عليه المفسر وهو أوضح ماقيل فى هذا المقام (قوله أى حسن) تفسير لمعروف ، وقوله لك متعلق بكل من طاعة وقول معروف والمعنى الواجب عليهم أن يطيعوك ويخاطبوك بالقول الحسن (قوله وجملة لو) أى مع جوابها (قوله بكسر السين وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وفيه التفات) أى لتأكيد التوبيخ (قوله أى لعلكم الخ) تفسير لعسى ، ولم يذكر تفسير الاستفهام وهو التقرير ، والمعنى قروا بأنه يتوقع منكم إن توليتم الخ والتوقع فى الآية جار على لسان من يشاهد حرصهم على الدنيا وتفريطهم فى الدين لا لله لأنه هو الخالق لهم العالم بأحوالهم (قوله أعرضتم عن الايمان) تفسير للتولى ، وقيل معناه تأمرتم وتوليتم أمر الأمة .

(ان

(قوله أن تفسدوا) خبر عسى والشرط معترض بينهما وجوابه محذوف لدلالة فهل عسيتم عليه (قوله أولئك) مبتدأ خبره قوله : الذين لعنهم الله (قوله فأصمهم وأعمى أبصارهم) أى فلا يهتدون إلى سبل الرشاد (قوله أفلا يتدبرون القرآن) أى يتفكرون فى معانيه فيهتدون وهذه الآية لتقرير ماقبلها كأنه قال أولئك الذين لعنهم الله : أى أبعدهم عنه فجعلهم لايسمعون النصيحة ولا يبصرون طريقة الإسلام فتسبب عن ذلك كونهم لايتدبرون القرآن (قوله أم على قلوب الخ) أم منقطعة بمعنى بل وهو انتقال من توبيخهم على عدم التدبر إلى توبيخهم بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر (قوله لهم) صفة لقلوب (قوله إن الذين ارتدوا على أدبارهم) أى رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الموصوفون بما تقدم دل عليه قوله بالنفاق ، وقيل هم اليهود ، وقيل أهل الكتابين داموا على الكفر به عليه الصلاة والسلام بعد ماوجدوا نعته فى كتابهم (قوله من بعد ماتبين لهم الهدى) أى الطريق القويم بالأدلة والحجج الظاهرة (قوله بضم أوله) أى وكسر ثالثه وفتح الياء والجار والمجرور نائب الفاعل ، وقوله و بفتحه واللام : أى مبنيا للفاعل والفاعل ضمير يعود على

(أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) أى تعودوا إلى أمر الجاهلية من البغى والقتال (أُولَٰئِكَ) أى المفسدون (الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ) عن استماع الحق (وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ) عن طريق الهدى (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ) فيعرفون الحق (أَمْ) بل (عَلَىٰ قُلُوبٍ) لهم (أَقْفَالُهَا) فلا يفهمونه (إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا) بالنفاق (عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ) أى زين (لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ) بضم أوله و بفتحه واللام ، والملى الشيطان بإرادته تعالى فهو المضل لهم (ذَٰلِكَ) أى إضلالهم (بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ) أى للمشركين (سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ) أى المعاونة على عداوة النبى صلى الله عليه وسلم وتثبيط الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فأظهره الله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ) بفتح الهمزة جمع سر و بكسرها مصدر (فَكَيْفَ) حالهم (إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ) حال من الملائكة (وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ) ظهورهم بمقامع من حديد (ذَٰلِكَ) أى التوفى على الحالة المذكورة (بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) أى العمل بما يرضيه (فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ) يظهر أحقادهم على النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ) عرفناكهم وكررت اللام فى (فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ) علامتهم (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ) الواو لقسم محذوف وما بعدها جوابه ،

الشيطان وهما قراءتان سبعيتان (قوله والملى الشيطان الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره الإملاء معناه الامهال وهو لا يكون إلا من الله لأنه الفاعل المختار فكيف ينسب للشيطان فأجاب بأن الملى حقيقة هو الله وأسند للشيطان باعتبار أنه جار على يديه لأنه يوسوس لهم سعة الأجل (قوله أى للمشركين) أى والقائل هم اليهود أو المنافقون كما حكى الله عنهم ذلك فى سورة الحشر بقوله ألم تر إلى الذين نافقوا الآيات (قوله سنطيعكم فى بعض الأمر) أى فى بعض ما تأمرونا به كالقعود عن الجهاد وتثبيط المسلمين عنه ونحو ذلك لا فى كله لأنهم لا يوافقونهم فى إظهار الكفر (قوله و بكسرها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله فكيف) خبر لمحذوف قدره بقوله حالهم (قوله يضربون وجوههم وأدبارهم) أى فملائكة العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من حديد يضربون بها وجوههم وأدبارهم (قوله على الحالة المذكورة) أى وهى التوفى مع ضرب الوجوه والأدبار (قوله بأنهم اتبعوا الخ) راجع لضرب الوجوه ، وقوله : وكرهوا رضوانه راجع لضرب الأدبار (قوله ما أسخط الله) أى من الكفر وغيره (قوله بما يرضيه) أى من الايمان وغيره من الطاعات (قوله أم حسب الذين الخ) أى وهم المنافقون المتقدم ذكرهم (قوله أحقادهم) جمع حقد وهو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله عرفناكهم) أى فالاراءة علمية لا بصرية (قوله وكررت اللام) أى فى قوله فلعرفتهم للتأكيد ، والمعنى لو أردنا لدللناك على المنافقين فعرفتهم بسيماهم ، ورد عن ابن مسعود قال « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال إن منكم منافقين فمن سميته فليقم ثم قال قم يافلان قم يافلان حتى سمى ستة وثلاثين » .

(قوله فى لحن القول) اللحن يقال على معنيين أحدهما صرف الكلام عن الأعراب إلى الخطأ والثانى الكناية بالكلام بحيث يكون للكلام ظاهر و باطن فيكون ظاهره تعظيما و باطنه تحقيرا وهو المراد هنا ، ومعنى الآية و إنك يا محمد لتعرفن المنافقين فيما يعرضونه بك من القول الذى ظاهره إيمان و إسلام و باطنه كفر وسبّ (قوله بما فيه تهجين أمر المسلمين) التهجين التقبيح والتعييب فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يخاطبون بها الرسول ظاهرها حسن ويعنون بها القبيح كقولهم راعنا وتقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة (قوله والله يعلم أعمالكم) أي فيجازيكم بحسب قصدكم ففيه وعد ووعيد (قوله بالجهاد وغيره) أى من سائر المشاق كما قال تعالى - ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع - الآية (قوله علم ظهور) أى علما يشاهده خلقنا مطابقا لما هو فى علمنا الأزلى : أى فتظهر سرائرهم بين عبادنا (قوله فى ثلاثتها) وفى نسخة فى الأفعال الثلاثة وهى لنبلونكم ونعلم ونبلو وهما قراءتان سبعيتان (قوله طريق الحقّ) أى وهو دين الإسلام (قوله خالفوه) أى خرجوا عن طاعته (قوله لن يضروا الله شيئا) هذه الجملة خبر إن والكلام إما على ظاهره ، والمعنى إن كفرهم لا يضرّ إلا أنفسهم وتعالى الله عن أن يصل له من خلقه ضرّ أو نفع لما فى الحديث القدسى «ياعبادى إنكم لن تقدروا على ضرى فتضرونى» إلى آخره أو على حذف مضاف : أى لن يضروا رسول الله لعصمته منهم (قوله فى المطعمين من أصحاب بدر) أى فى المطعمين الطعام للكفار يوم بدر ، وذلك أن أغنياء الكفار كانوا يعينون فقراءهم على حرب رسول الله وأصحابه كأبى جهل وأضرابه ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - إن الذين كفروا (٨٨) ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها - الآية وسبب ذلك أن قريشا خرجت لغزوة بدر بأجمعها وكان العام عام قحط وجدب وكان أغنياؤهم يطعمون الجيش فأول من نحر لهم حين خروجهم من مكة أبو جهل نحر لهم عشر جزر ثم صفوان تسعا بعسفان ثم سهل عشرا بقديد ومالوا منه إلى نحو البحر فضلوا فأقاموا يوما فنحر لهم شيبة تسعا ثم أصبحوا بالأبواء فنحر مقيس الجمحى تسعا ونحر العباس عشرا ونحر الحرث تسعا ونحر أبو البخترى على ماء بدر عشرا ونحر مقيس عليه تسعا ثم شغلهم الحرب فأكلوا من أزوادهم (قوله أو فى قريظة والنضير) أى فكانوا ينفقون على قريش ليستعينوا بهم على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فآل أمرهم إلى أن أخرج بنى النضير من ديارهم وغزا قريظة فقتل كبارهم وأسر نساءهم وذراريهم ولم تنفعهم قريش بشىء (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله أمر المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ، و بالجملة فهذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين والكافرين على أحسن ترتيب (قوله بالمعاصى مثلا) أى كالردة فانها تبطل جميع الأعمال الصالحة من أصلها والعجب والرياء فانهما يبطلان ثواب الأعمال والمنّ والأذى فانهما يبطلان ثواب الصدقات والمنّ مذموم إلا من الله على عباده والرسول على أمته والشيخ على تلميذه والوالد على ولده فليس بمذموم ، وأما باقى المعاصى فلا تبطل ثواب الأعمال الصالحة خلافا للمعتزلة القائلين بأن الكبائر تحبط الأعمال كالردة وردّ كلامهم بقوله تعالى - ويغفر مادون ذلك لمن يشاء - وأخذ بعض الأئمة من هذه الآية أنه يحرم على الشخص قطع الأعمال الصالحة ولو نفلا كالصلاة والصوم . والحاصل أن الأصل فى النوافل أنها لا تلزم بالشروع عند جميع الأئمة ، واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعا منها تلزم بالشروع نظمها ابن عرفة من المالكية بقوله :

صلاة وصوم ثم حج وعمرة طواف عكوف والتمام تحتما
وفى غيرها كالوقف والطهر خيرن فمن شاء فليقطع ومن شاء تمما

(فِى لَحْنِ الْقَوْلِ) أى معناه إذا تكلموا عندك بأن يعرّضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين (وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ . وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) نختبرنكم بالجهاد وغيره (حَتَّى نَعْلَمَ) علم ظهور (الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ) فى الجهاد وغيره (وَنَبْلُوَا) نظهر (أَخْبَارَكُمْ) من طاعتكم وعصيانكم فى الجهاد وغيره بالياء والنون فى الأفعال الثلاثة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) طريق الحق (وَشَاقُّوا الرَّسُولَ) خالفوه (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى) هو معنى سبيل الله (لَنْ يَضُرُّوا اللهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ) يبطلها من صدقة ونحوها فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا ، نزلت فى المطعمين من أصحاب بدر أو فى قريظة والنضير (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) بالمعاصى مثلا (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ) :

طريقه

ولابن كمال باشا من الحنفية :

من النوافل سبع تلزم الشارع أخذا لذلك مما قاله الشارع
صوم صلاة عكوف حجه الرابع طوافه عمرة إحرامه السابع

(قوله وهم كفار) الجملة حالية (قوله فلن يغفر الله لهم) خبر إنّ (قوله فى أصحاب القليب) هو بئر فى بدر ألقيت فيه القتلى من الكفار لكن حكمها عام فى كل كافر مات على كفره (قوله فلا تهنوا) الفاء فصيحة وقعت فى جواب شرط مقدر : أى إذا تبين لكم بالأدلة القطعية عز الإسلام وذل الكفر فى الدنيا والآخرة فلا تهنوا (قوله بفتح السين وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان وهذه الآية قيل ناسخة لآية ـ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ـ لأن الله منع من الميل إلى الصلح إذا لم يكن بالمسلمين حاجة إليه وقيل إنهما نزلتا فى وقتين مختلفين فيجوز الصلح عند الضرورة والاحتياج إليه ولا يجوز عند القدرة والاستعداد فهذه الآية مخصصة للآية المتقدمة (قوله وأنتم الأعلون) الجملة حالية، وكذا قوله والله معكم (قوله لام الفعل) أى وأصله الأعلوون بواوين الأولى لام الفعل والثانية واو الجمع تحركت الواو الأولى وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان فحذفت الألف (قوله بالعون والنصر) أى فالمراد معية معنوية (قوله ينقصكم) أى أو يفرد كم عنها لأن الترة تطلق بالمعنيين يقال وتره حقه يتره وترا نقصه وأوتر أرضه بمعنى أفرده (قوله إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) اللعب مايشغل الإنسان وليس

(٨٩)

طريقه وهو الهدى (ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) نزلت فى أصحاب القليب (فَلَا تَهِنُوا) تضعفوا (وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ) بفتح السين وكسرها أى الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ) حذف منه واو لام الفعل : الأغلبون القاهرون (وَاللَّهُ مَعَكُمْ) بالعون والنصر (وَلَنْ يَتِرَكُمْ) ينقصكم (أَعْمَالَكُمْ) أى ثوابها (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) أى الاشتغال فيها (لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا) الله وذلك من أمور الآخرة (يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ) جميعها بل الزكاة المفروضة فيها (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ) يبالغ فى طلبها (تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ) البخل (أَضْغَانَكُمْ) لدين الإسلام (هَا أَنْتُمْ) يا (هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) مافرض عليكم (فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ) يقال بخل عليه وعنه (وَاللَّهُ الْغَنِيُّ) عن نفقتكم (وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ) إليه (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا) عن طاعته (يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ) أى يجعلهم بدلكم (ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ) فى التولى عن طاعته بل مطيعين له عز وجل .

فيه منفعة فى الحال ولا فى المآل ، واللهو ما يشغل الانسان عن مهمات نفسه (قوله ولا يسألكم أموالكم) أى لا يأمركم باخراج جميع أموالكم فى الزكاة بل يأمركم باخراج بعضها (قوله فيحفكم) عطف على الشرط وتبخلوا جوابه (قوله يبالغ فى طلبها) أى حتى يستأصلها (قوله ويخرج أضغانكم لدين الإسلام) ى احقادكم و بغضكم لدين الإسلام وذلك لان الإنسان جبل على محبة الاموال ومن نوزع فى حبيبه ظهرت سرائره فمن رحمته على عباده عدم التشديد عليهم فى التكاليف (قوله ها أنتم) ها للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء منادى وحرف النداء محذوف قدّره المفسر وتدعون خبره وجملة النداء معترضة بين المبتدإ والخبر (قوله فمنكم من يبخل) أى ومنكم من يجود وحذف هذا المقابل لأن المراد الاستدلال على البخل (قوله يقال بخل عليه وعنه) أى فيتعدّى بعلى إذا ضمن معنى شح و بعن إذا ضمن معنى أمسك (قوله وأنتم الفقراء إليه) أى فى جميع الأحوال (قوله وإن تتولوا) إما خطاب للصحابة والمقصود منه التخويف لأنه لم يصل أحد من بعدهم لرتبتهم والشرطية لا تقتضى الوقوع أو خطاب للمنافقين والتبديل حاصل بالفعل . واختلف فى القوم المستبدلين فروى عن أبى هريرة قال « تلا رسول الله هذه الآية ـ وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم قالوا ومن يستبدل بنا ـ وكان سلمان جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان ، فقال هذا وأصحابه والذى نفس محمد بيده لوكان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس » وقيل هم العجم ، وقيل هم فارس والروم ، وقيل الأنصار ، وقيل الملائكة ، وقيل التابعون ، وقيل من شاء من سائر الناس ، ورد « أنه لما نزلت هذه الآية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : هى أحبّ إلىّ من الدنيا » .

[سورة الفتح] سبب نزولها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى السنة السادسة بألف وأربعمائة من أصحابه قاصدين مكة للاعتمار ، فأحرموا بالعمرة من ذى الحليفة وساق صلى الله عليه وسلم سبعين بدنة هديا للحرم وساق القوم سبعمائة ، فلما وصلوا للحديبية وهى قرية بينها و بين مكة مرحلة أرسل عثمان إلى مكة ليخبر أهلها بأن رسول الله يريد زيارة بيت الله الحرام ولم يكن قاصدا حربا ، فلما ذهب عثمان حبسوه عندهم ، فأشاع إبليس فى الصحابة أن عثمان قتل ، فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على أنهم يدخلون مكة حربا ، فلما بلغ المشركين ذلك أخذهم الرعب وأطلقوا عثمان وطلبوا الصلح من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يأتى فى العام القابل و يدخلها و يقيم فيها ثلاثة أيام ، فتحلل هو وأصحابه هناك بالحلق وذبح ما ساقوه من الهدى ، ثم رجعوا يعلوهم الحزن والكآبة ، فأراد الله تسليتهم و إذهاب الحزن عنهم فأنزل الله عليه وهو سائر ليلا فى رجوعه وهو بكراع الغميم وهو واد أمام عسفان بين مكة والمدينة : إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى آخر السورة ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد أنزلت على الليلة سورة هى أحب إلى مما طلعت عليه الشمس ، ثم قرأ ـ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ـ فقال المسلمون : هنيئا مريئا لك يارسول الله لقد بين الله لك مايفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه ـ ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار ـ حتى بلغ فوزا عظيما (قوله مدنية) أى لكونها نزلت بعد الهجرة (قوله إنا فتحنا لك الخ) الفتح هو الظفر بالبلاد عنوة أو صلحا فشبه الظفر بالبلاد بفتح الباب المغلق بجامع التمكن فى كل واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من الفتح فتحنا بمعنى ظفرنا : أى مكناك من البلاد وحذف المعمول ليؤذن بالعموم ، وأسند إلى نون العظمة اعتناء بشأن الفتح و إشارة إلى أن هذا الأمر لايتيسر إلا بارادة الله وتوفيقه (قوله قضينا بفتح مكة وغيرها) أى كخيبر وحنين والطائف ونحوها وهو جواب عما يقال إن الآية نزلت فى رجوعه من الحديبية عام ست ومكة لم تفتح إلا فى السنة الثامنة فكيف عبر بالماضى . فأجاب بأن التعبير بالماضى بالنسبة للقضاء الأزلى ، والمعنى حكمنا لك فى الأزل بالفتح المبين وحينئذ فالتعبير بالماضى حقيقة . وأجيب أيضا بأن التعبير بالماضى مجاز لتحقق الوقوع نظير ونفخ فى الصور . وأجيب أيضا بأن الفتح على حقيقته وأن المراد به صلح الحديبية لأنه أصاب فيه ما لم يصب فى غيره . قال الزهرى : لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء إليها فى ألف وأربعمائة ، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم على بعض وعلموا وسمعوا عن الله ، فما أراد أحد الاسلام إلا تمكن منه فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاءوا إلى مكة فى عشرة آلاف . وقال الشعبى فى قوله ـ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ـ هو فتح الحديبية لقد أصاب فيها ما لم يصب فى غزوة غيرها غفر الله ماتقدم من ذنبه وما تأخر و بويع بيعة الرضوان وأطعموا نخل خيبر و بلغ الهدى محله وظهرت الروم على فارس وفرحت المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس اه (قوله عنوة) هذا مذهب مالك وأبى حنيفة نظرا لكون النبى وأصحابه دخلوها قهرا ووقوع القتل من بعض الصحابة كخالد بن الوليد وأصحابه فى جهة أسفلها ومذهب الشافعى أنها فتحت صلحا نظرا للظاهر وهو عدم حصول القتال من النبى وتأمينه أباسفيان وهذا الخلاف يكاد أن يكون لفظيا (قوله بجهادك) متعلق بقوله بفتح مكة وهو جواب عما يقال إن الفتح ناشئ من الله والمغفرة تكون للشخص فكيف تترتب عليه و إنما الشأن أن تترتب على ما يكون من الشخص . فأجاب بأن الفتح و إن كان من الله لكنه ترتب على فعل النبى وهو الجهاد فصح أن يترتب على الفتح المغفرة بهذا الاعتبار (قوله لترغب أمتك) علة لترتب الغفران على الفتح (قوله وهو مؤول) أى إن إسناد الذنب له صلى الله عليه وسلم مؤول إما بأن المراد ذنوب أمتك أو هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين أو بأن المراد بالغفران الاحالة بينه و بين الذنوب فلا تصدر منه لأن الغفر هو الستر ، والستر

(سورة الفتح)

مدنية ، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ) قضينا بفتح مكة وغيرها المستقبل فى عنوة بجهادك (فَتْحًا مُبِينًا) بينا ظاهرا (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ) بجهادك (مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ) منه لترغب أمتك فى الجهاد ، وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلى القاطع ،

إما بين العبد والذنب أو بين الذنب وعذابه فاللائق بالأنبياء الأول وبالأمم الثانى . إن قلت إن عصمة النبى عليه الصلاة والسلام من الذنوب حاصلة بالفعل قبل النبوّة وبعدها فكيف تكون مرتبة على جهاده . أجيب بأن المرتب إظهارها للخلق لاهى نفسها (قوله من الذنوب) أى صغيرها وكبيرها عمدها وسهوها قبل النبوّة و بعدها (قوله للعلة الغائية) أى وهى المترتبة على آخر الفعل وليست علة باعثة لاستحالة الأغراض على الله تعالى فى الأفعال والأحكام (قوله لاسبب) أى لأن السبب مايضاف إليه الحكم كالزوال لوجوب الظهر والمغفرة ليست كذلك (قوله بالفتح المذكور) أى وهو فتح مكة وغيرها بجهادك (قوله يثبتك عليه) أى يديمك ويقويك عليه أو المراد يزيدك فى الهداية باتباع الشريعة وأحكام الدين (قوله ذا عز) جواب عما يقال إن العزيز وصف للمنصور لا للنصر وتوضيح جوابه أن فعيلا صيغة نسبة : أى نصرا منسوبا للعز (قوله لاذل معه) أى لا فى الدنيا ولا فى الآخرة وأما مطلق نصر فيكون حق لبعض الكفار فى الدنيا (قوله فى قلوب المؤمنين) أى وهم أهل الحديبية حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مناجزة الحرب مع أهل مكة بعد أن حصل لهم ماشأنه أن يزعج النفوس ويزيغ القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ مقصود فلم يرجع منهم أحد عن الايمان بعد أن هاج الناس وزلزلوا حتى عمر بن الخطاب المروى أنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبى الله حقا ؟ قال بلى ، قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ، قال بلى ، قلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا ؟ قال إنى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى ، قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قلت لا ، قال فانك آتيه وتطوف به ، قال فأتيت أبا بكر ، فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا؟ قال بلى فقلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى ، فقلت فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا قال أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بأمره ولاتخالفه فوالله إنه على الحق ، قلت أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به ؟ قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام ، قلت لا ، قال فانك آتيه فتطوف به . قال العلماء لم يكن سؤال عمر شكا بل طلبا لكشف ماخفى عليه وحثا على إذلال الكفار وظهور الاسلام كما هو معروف من شدته وصلابته فى الدين ، وأما جواب أبى بكر المطابق لجواب النبى صلى الله عليه وسلم فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله وبارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه رضى الله عنهما وعنابهما (قوله بشرائع الدين) متعلق بإيمانا وقوله مع إيمانهم متعلق بمحذوف أى بالله ورسوله (قوله ولله جنود السموات والأرض) اختلف فى المراد بجنود السموات والأرض فقيل هم ملائكة السموات والأرض ، وقيل إن جنود السموات الملائكة وجنود الأرض الحيوانات ، وقيل إن جنود السموات مثل الصواعق والصيحة والحجارة وجنود الأرض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكل صحيح (قوله لفعل) أى لكنه لم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون إهلاك الأعداء بأيديهم ليحصل لهم الشرف والعز دنيا وأخرى (قوله متعلق بمحذوف) أى لا بفتحنا أى لئلا يلزم عليه عمل الفعل فى حرفى جر متحدى اللفظ والمعنى من غير عطف ولا بدل ولا توكيد (قوله و يكفر عنهم سيئاتهم) أى يمحوها وهو معطوف على قوله ليدخل المؤمنين الخ عطف سبب على مسبب فدخول الجنة مسبب عن تكفير السيئات وقدم الادخال فى الذكر على التكفير مسارعة إلى بيان ماهو المطلب الأعلى (قوله وكان ذلك) أى المذكور من الادخال والتكفير (قوله عند الله) حال من فوزا لأنه صفة له فى الأصل فلما قدم عليه صار حالا : أى كائنا عند الله : أى فى علمه وقضائه (قوله و يعذب المنافقين) قدمهم على المشركين لأنهم أشد ضررا من الكفار المتجاهرين ، ذلك لأن المؤمن كان يتوقى المجاهر و يخالط المنافق لظنه إيمانه .

من الذنوب ، واللام للعلة الغائية فدخولها مسبب لاسبب (وَيُتِمَّ) بالفتح المذكور (نِعْمَتَهُ) إنعامه (عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ) به (صِرَاطًا) طريقا (مُسْتَقِيمًا) يثبتك عليه وهو دين الإسلام (وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ) به (نَصْرًا عَزِيزًا) ذا عز لاذل معه (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ) الطمأنينة (فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ) بشرائع الدين كلما نزل واحدة منها آمنوا بها منها الجهاد (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَكِيمًا) فى صنعه : أى لم يزل متصفا بذلك (لِيُدْخِلَ) متعلق بمحذوف : أى أمر بالجهاد (الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ

(قوله ظن السوء) إما من إضافة الموصوف لصفته على مذهب الكوفيين أو أن السوء صفة لموصوف محذوف أى ظن الأمر السوء فحذف المضاف إليه وأقيمت صفته مقامه (قوله بفتح السين وضمها) أى فالفتح الذم والضم العذاب والهزيمة والشر (قوله فى المواضع الثلاثة) أى هذين والثالث قوله فيما يأتى وظننتم ظن السوء وهو سبق قلم ، والصواب أن يقول فى الموضع الثانى ، وأما الأول والثالث فليس فيهما إلا الفتح باتفاق السبعة (قوله عليهم دائرة السوء) إما إخبار عن وقوعه بهم أو دعاء عليهم كأن الله يقول سلونى بقولكم عليهم دائرة السوء ، والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت فى الحادثة المحيطة بمن وقعت عليه ، والجامع الاحاطة فى كل (قوله وغضب الله عليهم) عطف على قوله عليهم دائرة السوء (قوله ولله جنود السموات والأرض الخ) ذكر هذه الآية أولا فى معرض الخلق والتدبير فذيلها بقوله : عليما حكيما ، وذكرها ثانيا فى معرض الانتقام فذيلها بقوله : عزيزا حكيما فلا تكرار (قوله أى لم يزل الخ) أشار بذلك إلى أن كان فى أوصاف الله معناها الاستمرار (قوله إنا أرسلناك الخ) امتنان منه تعالى عليه صلى الله عليه وسلم حيث شرفه بالرسالة و بعثه إلى كافة الخلق شاهدا على أعمال أمته (قوله شاهدا على أمتك) أى بالطاعة والعصيان (قوله ليؤمنوا بالله) متعلق بأرسلناك (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله (٩٢) وقرئ) أى شذوذا (قوله وضميرهما لله الخ) أى فهما احتمالان : أى فاذا أردت الجرى على وتيرة واحدة جعلتها كأنها عائدة على الله تعالى وأما قوله وتسبحوه فهو عائد على الله قولا واحدا ويؤخذ من هذه الآية أن من اقتصر على تعظيم الله وحده أو على تعظيم الرسول وحده فليس بمؤمن بل المؤمن من جمع بين تعظيم الله تعالى وتعظيم رسوله ولكن التعظيم فى كل بحسبه فتعظيم الله تنزيهه عن صفات الحوادث ووصفه بالكمالات وتعظيم رسوله اعتقاد أنه رسول الله حقا وصدقا لكافة الخلق بشيرا ونذيرا إلى غير ذلك من أوصافه السنية وشمائله المرضية (قوله إن الذين يبايعونك الخ) لما ذكر سبحانه وتعالى أنه أرسله بشيرا ونذيرا بين أن متابعته متابعة له وطاعته طاعة له وذلك يشعر بعظيم منزلته وقدره عند ربه ، والبيعة فى الأصل العقد الذى يعقده الانسان على نفسه من بذل الطاعة للامام والوفاء بالعهد الذى التزمه له ، والمراد بها هنا بيعة الرضوان بالحديبية ، وهى قرية ليست كبيرة بينها و بين مكة أقل من مرحلة أو مرحلة سميت ببئر هناك . واختلف فيها فقيل من الحرم وقيل بعضها من الحل و يجوز فيها التخفيف والتشديد (قوله إنما يبايعون الله) اعلم أن فى هذا المقام استعارة تصريحية تبعية ومكنية وتخييلية ومشاكلة فالتبعية فى الفعل وهو يبايعون وذلك لأن المبايعة معناها مبادلة المال بالمال فشبه للمعاهدة على دفع الأنفس فى سبيل الله طلبا لمرضاة الله بدفع السلع فى نظير الأموال واستعير اسم المشبه به للمشبه واشتق من البيع يبايعون بمعنى يعاهدون على دفع أنفسهم فى سبيل الله ، والمكنية فى لفظ الجلالة ، وذلك لأن المتعاهدين إذا كان هناك ثالث يضع يده فوق يديهما ليحفظهما فشبه اطلاع الله ومجازاته على فعلهم بملك وضع يده على يد أميره ورعيته وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو اليد فاثباتها تخييل ، والمشاكلة لذكر الأيدى بعده (قوله هو نحو من يطع الرسول الخ) أى من حيث إنه فى المعنى يرجع له وفيه إشارة إلى أنه تعالى منزه عن الجوارح

(وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ) بفتح السين وضمها فى المواضع الثلاثة ظنوا أنه لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) بالذل والعذاب (وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) أى مرجعا (وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا) فى ملكه (حَكِيمًا) فى صنعه : أى لم يزل متصفا بذلك (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على أمتك فى القيامة (وَمُبَشِّرًا) لهم فى الدنيا بالجنة (وَنَذِيرًا) منذرا مخوفا فيها من عمل سوءا بالنار (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) بالياء والتاء فيه وفى الثلاثة بعده (وَتُعَزِّرُوهُ) ينصروه وقرئ بزايين مع الفوقانية (وَتُوَقِّرُوهُ) يعظموه وضميرهما لله أو لرسوله (وَتُسَبِّحُوهُ) أى الله (بُكْرَةً وَأَصِيلًا) بالغداة والعشى (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بيعة الرضوان بالحديبية (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) هو نحو : من يطع الرسول فقد أطاع الله (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) التى بايعوا بها النبى ، أى هو تعالى مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها (فَمَنْ نَكَثَ) نقض البيعة (فَإِنَّمَا يَنْكُثُ) :

يرجع

(قوله يرجع وبال نقضه) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف مضافين (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله أجرا عظيما) أى وهو الجنة وهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعة الرضوان إلا أن العبرة بعموم اللفظ فيشمل مبايعة الامام على الطاعة والوفاء بالعهد ومبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والتزام شروطه وآدابه ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المريد (قوله سيقول لك المخلفون الخ) أى وهم غفار ومزينة وجهينة وأشجع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد السير إلى مكة عام الحديبية معتمرا طلب من الأعراب وأهل البوادى حول المدينة أن يخرجوا معه حذرا من قريش أن يتعرضوا له بحرب ويصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق الهدى ليعلم الناس أنه لايريد حربا فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا عنه وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه (قوله حول المدينة) حال من الأعراب أو صفة لهم (قوله إذا رجعت منها) ظرف ليقول (قوله وأهلونا) أى النساء والصبيان فانا لو تركناهم لضاعوا لأنه لم يكن لنا من يقوم بهم وأنت قد نهيت عن ضياع المال والتفريط فى العيال (قوله فهم كاذبون فى اعتذارهم) أى وطلب الاستغفار (قوله قل فمن يملك لكم الخ) أى فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه (قوله إن أراد بكم ضرا) أى كقتل وهزيمة ونحوهما (قوله بفتح الضاد وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بل كان الله بما تعملون خبيرا) ترق فى الرد عليهم (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أى فأضرب عن تكذيبهم فى اعتذارهم إلى إيعادهم بجزاء أعمالهم من التخلف والاعتذار الباطل ثم أضرب عن بيان بطلان اعتذارهم إلى بيان ما حملهم على التخلف وهذا على سبيل الترقى فى الرد عليهم (قوله بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول) أى لا يرجع إلى المدينة وسبب ظنهم ذلك اعتقادهم عظمة المشركين وحقارة المؤمنين حتى قالوا ماهم فى قريش إلا أكلة رجل (قوله جمع بائر) أى كحائل وحول وقيل البور مصدر بمعنى الهلاك (قوله ومن لم يؤمن بالله ورسوله) لما بين حال المتخلفين عن رسول الله وبين حال ظنهم الفاسد وأنه يفضى بصاحبه إلى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة على سبيل العموم ومن إما شرطية أو موصولة والاسم الظاهر قائم مقام العائد وقوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا دليل الجواب أو الخبر (قوله نارا شديدة) أى فالمراد جميع طبقات النار لا الطبقة المسماة بذلك (قوله ولله ملك السموات والأرض) أى يتصرف فيهما كيف يشاء (قوله يغفر لمن يشاء) هذا قطع لطمعهم فى استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم كأن الله يقول لهم لايستحق أحد عندى شيئا وإنما أغفر لمن أريد وأعذب من أريد ، وقد سبقت حكمتى أن المغفرة للمؤمنين والتعذيب للكافرين فلا تطمعوا فى المغفرة مادمتم كفارا (قوله سيقول المخلفون الخ) هذا من جملة الإخبار عما يحصل منهم (قوله إذا انطلقتم) ظرف لما قبله ، والمعنى يقولون عند انطلاقكم الخ .

يرجع وبال نقضه (عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ) بالياء والنون (أَجْرًا عَظِيمًا . سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ) حول المدينة : أى الذين خلفهم الله عن صحبتك لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة خوفا من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها (شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا) عن الخروج معك (فَاسْتَغْفِرْ لَنَا) الله من ترك الخروج معك قال تعالى مكذبا لهم (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ) أى من طلب الاستغفار وما قبله (مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) فهم كاذبون فى اعتذارهم (قُلْ فَمَنْ) استفهام بمعنى النفى أى لا أحد (يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا) بفتح الضاد وضمها (أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) أى لم يزل متصفا بذلك (بَلْ) فى الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر (ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ) أى أنهم يستأصلون بالقتل فلا يرجعون (وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ) هذا وغيره (وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا) جمع بائر : أى هالكين عند الله بهذا الظن (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا) نارا شديدة (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) أى لم يزل متصفا بما ذكر (سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ) المذكورون (إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ) ،

(قوله هي مغانم خيبر) أي وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من الغنائم شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل مغانمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا وكان المتولي للقسمة بخيبر جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة وزيد بن حارثة من بني النجار كانا حاسبين قاسمين وأمر صلى الله عليه وسلم بالقسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب ولم يغب منهم عنها غير جابر بن عبد الله فقسم له صلى الله عليه وسلم كسهم من حضر (قوله ذرونا) أي دعونا وهذا الفعل هجر مصدره وماضيه واسم فاعله استغناء بمادة ترك وأصل مادته وذر يذر وذرا فهو واذر والأمر منه ذر وهذه الجملة مقول القول (قوله يريدون) إما مستأنف أو حال من المخلفون (قوله أن يبدلوا كلام الله) أي يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية به من جعل غنائم خيبر لهم عوضا عن فتح مكة في ذلك العام (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله قل لن تتبعونا) نفي في معنى النهي للمبالغة (قوله كذلكم) أي مثل هذا القول وهو لن تتبعونا (قوله قال الله) أي حكم بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب (قوله فسيقولون) أي عند سماعهم النهي (قوله بل تحسدوننا) أي فليس هذا النهي حكما من الله تعالى بل هو حسد منكم لنا على مشاركتكم في الغنائم (قوله

من الدين) أشار بذلك إلى أن الاضراب الأول معناه رد منهم أن يكون حكم الله أن لايتبعوهم وإثبات الحسد والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين إلى وصفهم بما هو أهم وهو الجهل وقلة الفهم (قوله قل للمخلفين) كرر وصفهم بهذا الاسم إشعارا بشناعته ومبالغة في ذمهم (قوله قيل هم بنو حنيفة) أي وهم جماعة مسيلمة الكذاب والداعي للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (قوله أصحاب اليمامة) اسم لبلاد في اليمن ولامرأة كانت بها و يقال لها زرقاء كانت تبصر الركب من مسيرة ثلاثة أيام (قوله وقيل فارس والروم) أي والداعي لهم عمر بن الخطاب وقيل إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين والداعي لهم رسول الله . إن قلت إن الله تعالى أمر رسوله أن لايدعو المخلفين إلى الجهاد في قوله فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا وحينئذ فيبعد أن ذلك في غزوة حنين والداعي لهم رسول الله . وأجيب بأنه لا بعد إذ قوله لن تخرجوا معي أبدا الخ إنما نزلت بعد الفتح في غزوة تبوك فتحصل أن الأقوال ثلاثة وكل صحيح (قوله أو هم يسلمون) أشار بذلك إلى أن الجملة مستأنفة وليست أو بمعنى إلى أو إلا و إلا لنصب الفعل بحذف النون ومعنى يسلمون ينقادون ولو بعقد الجزية فإن الروم نصارى وفارس مجوس وكل منهما يقر بالجزية وأما بالنسبة لبني حنيفة فمعناه يسلمون بالفعل لأنهم كانوا مرتدين والمرتد لايقر بالجزية بل إما السيف أو الاسلام (قوله كما توليتم من قبل) أي في الحديبية (قوله ليس على الأعمى حرج) نزلت لما قال أهل الزمانة والعاهة والآفة كيف بنا يارسول الله حين سمعوا قوله تعالى و إن تتولوا الخ (قوله في ترك الجهاد) أي في التخلف عن الجهاد وهذه أعذار ظاهرة وذلك لأن الأعمى لا يمكنه الكر ولا الفر وكذلك الأعرج والمريض ومثل هذه الأعذار الفقر الذي لا يمكن صاحبه أن يقضي مصالحه وأشغاله التي تعوق عن الجهاد وكل هذا مالم يفجأ العدو و إلا وجب على كل بما يمكنه .

هي مغانم خيبر (لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا) اتركونا (نَتَّبِعْكُمْ) لنأخذ منها (يُرِيدُونَ) بذلك (أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ) وفي قراءة كلم الله بكسر اللام أي مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة (قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ) أي قبل عودنا (فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا) أن نصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك (بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ) من الدين (إِلَّا قَلِيلًا) منهم (قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ) المذكورين اختبارا (سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي) أصحاب (بَأْسٍ شَدِيدٍ) قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة ، وقيل فارس والروم (تُقَاتِلُونَهُمْ) حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنى (أَوْ) هم (يُسْلِمُونَ) فلا تقاتلون (فَإِنْ تُطِيعُوا) إلى قتالهم (يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ) في ترك الجهاد (وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ) بالياء والنون (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ) ،

بالياء

(قوله بالياء والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لقد رضى الله عن المؤمنين) أى فعل بهم فعل الراضى من الثواب والمدح المبين وفى ذلك تلميح إلى أن الكافرين غير راض عنهم فلهم الخذلان فى الدنيا والآخرة . وكان سبب هذه البيعة على ماذكره محمد بن إسحق عن أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعى حين نزل الحديبية فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمله صلى الله عليه وسلم ليبلغ أشرافهم أنه صلى الله عليه وسلم جاء معتمرا ولم يجئ محاربا فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعتهم الأحابيش فخلوا سبيله فأتى لرسول الله فأخبره فدعا رسول الله عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة فقال يارسول الله إنى أخاف على نفسى قريشا وليس فى مكة من بنى عدى بن كعب أحد وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظى عليها ولكن أدلك على رجل هو أقربها منى لوجود عشيرته فيها وهو عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، و إنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته وكتب له كتابا بعثه معه وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا وأن الله سيظهر دينه فخرج عثمان وتوجه إلى مكة فوجد قريشا قد اتفقوا على منعه صلى الله عليه وسلم من دخول مكة ولقيه أبان بن سعيد بن العاصى حين دخل مكة أوقبل أن يدخلها فنزل عن فرسه وحمله بين يديه ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم الكتاب واحدا واحدا فصمموا على أنه لايدخلها هذا العام وقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به قال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان المسلمون قالوا هنيئا لعثمان خلص

إلى البيت وطاف به دوننا فقال صلى الله عليه وسلم إن ظنى به أن لايطوف حتى يطوف معنا و بشر عثمان المستضعفين واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة

بالياء والنون (عَذَابًا أَلِيمًا . لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ) بالحديبية (تَحْتَ الشَّجَرَةِ) هى سمرة وهم ألف وثلثمائة أو أكثر ثم بايعهم على أن يناجزوا قريشاً وأن لا يفرّوا من الموت (فَعَلِمَ) الله (مَا فِي قُلُوبِهِمْ) من الصدق والوفاء (فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية (وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا) من خيبر (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) أى لم يزل متصفاً بذلك (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا) من الفتوحات (فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ) غنيمة خيبر (وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ) فى عيالكم ،

فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ووضع النبى صلى الله عليه وسلم شماله فى يمينه وقال هذه عن عثمان وهذا يشعر بأن النبى قد علم بنور النبوّة أن عثمان لم يقتل حتى بايع عنه . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما بايع الناس اللهم إن عثمان فى حاجتك وحاجة رسولك فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ولما سمع المشركون بهذه البيعة خافوا و بعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين وكانوا عشرة دخلوا مكة بإذنه صلى الله عليه وسلم (قوله إذ يبايعونك) ظرف لرضى وعبر بصيغة المضارع استحضارا لصورة المبايعة (قوله تحت الشجرة) معمول ليبايعونك (قوله هى سمرة) بضم الميم من شجر الطلح وهو الموز كما عليه جمهور المفسرين فى قوله تعالى : وطلح منضود وهذه الشجرة قد أخفيت لئلا يحصل الافتتان بها ، وروى أن عمر بلغه أن قوما يأتون الشجرة ويصلون عندها فتوعدهم ثم أمر بقطعها فقطعت (قوله أو أكثر) قيل وأربعمائة وهو الصحيح وقيل خمسمائة (قوله على أن يناجزوا قريشا) أى يقاتلوهم (قوله فعلم مافى قلوبهم) معطوف على يبايعونك (قوله بعد انصرافهم من الحديبية) أى فى ذى الحجة فأقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقيته و بعض المحرم ثم خرج إلى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع (قوله ومغانم) معطوف على فتحا و يأخذونها صفة لمغانم أو حال منها (قوله وعدكم الله) الالتفات إلى الخطاب لتشريفهم فى مقام الامتنان وهو لأهل الحديبية (قوله من الفتوحات) أى غير خيبر مما استقبلهم بعد كفتح مكة وهوازن و بلاد كسرى والروم (قوله غنيمة خيبر) مقتضى ماتقدم من أن السورة نزلت كلها فى رجوعه من الحديبية أن يكون قوله فعجل لكم هذه من التعبير بالماضى عن المستقبل لتحقق وقوعه ومن الاخبار بالغيب (قوله فى عيالكم) أى عن عيالكم والجار والمجرور بدل من قوله عنكم والمراد بالناس أهل خيبر وحلفاؤهم من بنى أسد وغطفان .

(قوله لما خرجتم) أى للحديبية وقوله وهمت بهم اليهود أى يهود خيبر هموا بأخذ عيال النبىّ والصحابة من المدينة فى غيبة النبىّ للحديبية وكان هو السبب فى أخذ خيبر (قوله عطف على مقدّر) هذا أحد قولين والآخر أنها زائدة وعليه فيكون تعليلا لقوله كفّ (قوله آية للمؤمنين) أى أمارة يعرفون بها صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فى وعده إياهم عند الرجوع من الحديبية بتلك الغنائم (قوله أى طريق التوكل عليه) فسر الصراط المستقيم بما ذكر لأن الحاصل من الكف ليس إلا ذلك ولأن أصل الهدى حاصل قبله .

تنبيه — ملخص غزوة خيبر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذى الحجة و بعض المحرم ثم خرج إلى خيبر فى بقية المحرم سنة سبع وكان إذا غزا قوما ينتظر الصباح فان سمع أذانا كفّ عنهم و إن لم يسمع أذانا أغار عليهم ، فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب عليهم فخرجوا بمكاتلهم ومساحيهم ، فلما رأوا النبىّ صلى الله عليه وسلم قالوا محمد والخميس أى الجيش ، فلما رآهم النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» . وعن سلمة بن الأكوع قال «خرجنا إلى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمى عامر يرتجز بالقوم :

تالله لولا الله مااهتدينا ولا تصدّقنا ولاصلينا

ونحن عن فضلك مااستغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا وأنزلن سكينة علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان يخصه إلا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبىّ الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر قدم ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول : قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلتهب

قال و برز له عمى عامر فقال : قد علمت خيبر أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا بضربتيهما فوقع سيف مرحب فى ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله فكانت فيها نفسه رضى الله عنه

(٩٦)

لما خرجتم وهمت بهم اليهود فقذف الله فى قلوبهم الرعب (وَلِتَكُونَ) أى المعجلة عطف على مقدر أى لتشكروه (آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ) فى نصرهم (وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) أى طريق التوكل عليه وتفويض الأمر إليه تعالى (وَأُخْرَى) صفة مغانم مقدراً ،

مبتدأ

قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبىّ صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكى فقلت يارسول الله بطل عمل عمى عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال كذب من قال ذلك بل له أجره مرتين ، ثم أرسلنى إلى علىّ وهو أرمد فقال لأعطين الراية رجلا يحبّ الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله قال فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى عينيه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال :

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلتهب

فقال علىّ رضى الله عنه :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره كليث غابات كريه المنظره أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب مرحبا فقتله ثم كان الفتح على يده» أخرجه مسلم بهذا اللفظ وفى رواية أخرى «أنه خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوّام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابنى يارسول الله قال بل ابنك يقتله إن شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون و يقتل المقاتلة و يسبى الذرية و يحوز الأموال فجمع السبى فجاء دحية فقال يارسول الله أعطنى جارية من السبى قال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيى فجاء رجل إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أعطيت دحية صفية بنت حيى سيدة قريظة والنضير لاتصلح إلا لك قال ادعوه فجاء بها فلما نظر إليها النبىّ صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبى غيرها فأعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوّجها ، فلما دخل بها رأى فى عينيها أثر خضرة فسألها عن سببها فقالت إنى رأيت فى المنام وأنا عروس بكنانة بن الربيع أن قمرا وقع فى حجرى فقصصت رؤياى على زوجى فقال ماهذا إلا أنك تمنيت ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهى لطمة اخضرت منها عينى فلما ظهر رسول الله على خيبر أراد إخراج اليهود منها

فسألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم بها على أن يكفوهم العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نقركم بها على ذلك ماشئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر فى إمارته إلى تيماء وأريحاء ، قال محمد بن إسحق لما سمع أهل فدك بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يحقن دماءهم وأن يسيرهم و يخلوا له الأموال ففعل بهم ثم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم على النصف كأهل خيبر ففعل فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولاركاب ، فلما اطمأن رسول الله أهدت له زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية ، يعنى مشوية ، وسألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله تناول الذراع فأخذ فلاك منها قطعة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء بن معرور فأخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بشر فأساغها : يعنى ابتلعها ، وأما رسول الله فلفظها ثم قال إن هذا العظم يخبرنى أنه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك ؟ فقالت بلغت من قومى مالم يخف عليك فقلت إن كان ملكا استرحنا منه و إن كان نبيا فسيخبر فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بشر على مرضه الذى توفى فيه فقال (٩٧) يا أم بشر مازالت أكلة خيبر

مبتدأ (لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا) هى من فارس والروم (قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا) علم أنها ستكون لكم (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا) أى لم يزل متصفا بذلك (وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالحديبية (لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا) يحرسهم (وَلَا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين ، أى سن الله ذلك سنة (الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) منه (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ) بالحديبية (مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ) فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليصيبوا منكم فأخذوا وأتى بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلى سبيلهم فكان ذلك سبب الصلح (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا) بالياء والتاء ، أى لم يزل متصفا بذلك (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أى عن الوصول إليه (وَالْهَدْيَ) معطوف على كم (مَعْكُوفًا) محبوسا حال (أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ)

التى أكلت مع ابنك تعاودنى فهذا أوان قطع أبهرى فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة (قوله مبتدأ) أى وخبره قوله قد أحاط الله بها وقوله لم تقدروا عليها صفة لمغانم القدر وسوغ الابتداء بالنكرة الوصف وهذا أسهل الأعاريب ولذا اختاره المفسر (قوله هى فارس والروم) أى وباقى الأقطار (قوله قد أحاط الله بها) أى أعدها لكم فى قضائه وقدره فهى محصورة لاتفوتكم (قوله أى لم يزل متصفا) أشار بذلك إلى أن المراد من كان الاستمرار (قوله ولوقاتلكم الذين كفروا) أى وهم أهل مكة ومن وافقهم وقد كانوا اجتمعوا وجمعوا الجيوش وقدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم ولم يكن أسلم حينئذ فما شعر بهم خالد حتى إذاهم بقترة الجيش أى بغبار أثرهم فانطلق بركض نذيرا لقريش (قوله لولوا الأدبار) أى مضوا منهزمين (قوله من هزيمة الكافرين) من بيانية (قوله التى قد خلت) أى مضت وقوله من قبل أى فيمن مضى من الأمم (قوله تبديلا منه) أى من الله تعالى ، والمعنى أن الله لايبدل ولايغير سنته وطريقته من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين (قوله بالحديبية) بيان لبطن مكة ، والمراد بمكة الحرم والحديبية تقدم فيها الخلاف هل هى منه أو بعضها فعلى الأول التعبير بالبطن ظاهر وعلى الثانى فالمراد بالبطن الملاصق والمجاور (قوله من بعد أن أظفركم) أى أظهركم فتعديته بعلى ظاهرة (قوله فكان ذلك) أى العفو عنه وتخلية سبيلهم (قوله سبب الصلح) أى لعلمهم أن هذا الأمر لايقع إلا من قادر على قتالهم غير مكترث بهم (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله معطوف على كم) أى الضمير المنصوب فى صدوركم وهوأحسن الأعاريب (قوله محبوسا) أى فالعكوف الاحتباس ومنه الاعتكاف المشهور وهو حبس النفس على ماتكره مع ملازمة المسجد .

(قوله أى مكانه) أى المعهود وهو منى للمحرم بالحج والمروة للمحرم بالعمرة وهو الأفضل و إلا فالحرم كله محل النحر (قوله بدل اشتمال) أى من الهدى ، والمعنى صدّوا بلوغ الهدى محله و يصح أن يكون على إسقاط الخافض أى عن أن يبلغ الهدى محله والجار والمجرور إما متعلق بصدّوكم أو بمعكوفا (قوله موجودون) هو خبر المبتدإ (قوله بدل اشتمال من هم) أى والمعنى لم تعلموا وطأهم و يصح أن يكون بدلا من رجال ونساء ، والمعنى ولولا وطء رجال ونساء (قوله إثم) أى مكروه كالتأسف عليهم أو المراد بالإثم حقيقته بسبب ترك التحفظ (قوله بغير علم منكم به) أى بالقتل (قوله وجواب لولا محذوف) أى والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين أظهر الكفار حال كونكم جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كفّ أيديكم عنهم (قوله حينئذ) أى عام الحديبية (قوله ليدخل الله الخ) علة لما قدّره المفسر بقوله لكن لم يؤذن (قوله كالمؤمنين المذكورين) أى وكالمشركين لأنه آل أمر أهل مكة إلى الاسلام إلا ماقل (قوله تميزوا) أى تفرّقوا وانفردوا ولكن لم يتميزوا بل اختلط المستضعفون بالمشركين والأصول المشركون بالفروع المسلمين كالذرارى الذين علم الله إسلامهم فلم يحصل العذاب (قوله الأنفة) بفتحتين أى الكبر (قوله حمية الجاهلية) بدل من الحمية قبلها وهى فعيلة مصدر يقال حميت من كذا حمية ، وحمية الجاهلية عدم الإذعان للحق ونصرة الباطل (٩٨) (قوله فأنزل الله سكينته) معطوف على شىء مقدر أى فضاقت صدور المسلمين واشتد الكرب عليهم فأنزل الخ . روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلىّ رضى الله عنه : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا مانعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب مايريدون فهمّ المؤمنون أن يأبوا ذلك و يبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (قوله على أن يعودوا من قابل) أى وعلى وضع الحرب عشر سنين . قال البراء صالحوهم على ثلاثة أشياء : على أن من أتاهم من المشركين مسلما ردّوه إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردّوه وعلى أن يدخلها من قابل و يقيم فيها ثلاثة أيام ولا يدخلها بسلاح فكتب بذلك كتابا ، فلما فرغ من قضية الكتاب قال لأصحابه قوموا وانحروا ثم احلقوا فوالله ماقام منهم أحد حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد لما حصل لهم من الغم قام فدخل على أم سلمة فذكر لها مالقى من الناس فقالت له يانبىّ الله اخرج ولا تكلم أحدا منهم حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج ففعل فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل يحلق بعضهم بعضا » وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم واشترطوا أن من جاء منكم لم نردّه عليكم ومن جاء منا ردّوه علينا فقالوا يارسول الله أنكتب هذا قال نعم إن من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا . روى أنه بعد عقد الصلح جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو بقيوده

أى مكانه الذى ينحر فيه عادة وهو الحرم بدل اشتمال (وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ) موجودون بمكة مع الكفار (لَمْ تَعْلَمُوهُمْ) بصفة الإيمان (أَنْ تَطَئُوهُمْ) أى تقتلوهم مع الكفار لو أذن لكم فى الفتح ، بدل اشتمال من هم (فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ) أى إثم (بِغَيْرِ عِلْمٍ) منكم به وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور ، وجواب لولا محذوف أى لأذن لكم فى الفتح لكن لم يؤذن فيه حينئذ (لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ) كالمؤمنين المذكورين (لَوْ تَزَيَّلُوا) تميزوا عن الكفار (لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من أهل مكة حينئذ بأن نأذن لكم فى فتحها (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما (إِذْ جَعَلَ) متعلق بعذبنا (الَّذِينَ كَفَرُوا) فاعل (فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ) الأنفة من الشىء (حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) بدل من الحمية وهى صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ) فصالحوهم على أن يعودوا من قابل ولم يلحقهم من الحمية مالحق الكفار حتى يقاتلوهم

(وألزمهم)

قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال له سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجره لي قال ما أنا بمجيره لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش فقال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما لقيت ، وكان قد عذب فى الله عذابا شديدا وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا عقدنا بيننا و بين القوم صلحا وعقدا و إنا لا نغدر فقام عمر وتكلم بكلام طويل منه ما تقدم لنا عند قوله هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه إلى المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسد من قريش مسلما فأرسلوا فى طلبه رجلين فسلمه لهما النبي صلى الله عليه وسلم فقتل أحدهما وفر عنه الآخر فأتى أبو بصير سيف البحر وجلس هناك فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين فلحقوا به حتى تكاملوا نحوا من سبعين رجلا لها يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا تعرضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم بأنه لا يرسل إليهم من أتاه منهم مسلما وأبطلوا هذا الشرط فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما فأحضرهم المدينة (قوله وألزمهم كلمة التقوى) أي اختارلهم فهو إلزام إكرام وتشريف والمراد تقوى الشرك (٩٩) (قوله لا إله إلا الله) هذه رواية

(وَأَلْزَمَهُمْ) أى المؤمنين (كَلِمَةَ التَّقْوَى) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأضيفت إلى التقوى لأنها سببها (وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا) بالكلمة من الكفار (وَأَهْلَهَا) عطف تفسيرى (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) أى لم يزل متصفاً بذلك ، ومن معلومه تعالى أنهم أهلها (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين و يحلقون و يقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت ، وقوله بالحق متعلق بصدق أو حال من الرؤيا وما بعدها تفسيرها (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) للتبرك (آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ) أى جميع شعورها (وَمُقَصِّرِينَ) بعض شعورها وهما حالان مقدرتان (لَا تَخَافُونَ) أبداً (فَعَلِمَ) فى الصلح (مَا لَمْ تَعْلَمُوا) ،

أبي بن كعب ، وقيل إنها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقيل إنها بسم الله الرحمن الرحيم (قوله وكانوا أحق بها) أى فى علم الله لأنه اختارهم لدينه (قوله تفسيرى) أى لأحق بها أو الضمير فى بها لكلمة التوحيد وفى أهلها للتقوى (قوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا) أى جعل رؤياه صادقة محققة لم يدخلها الشيطان لأنه معصوم منه هو وجميع الأنبياء وتأخيرها لا ينافى كونها حقا وصدقا نظير رؤيا يوسف الصديق أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدون له فتأخرت الزمن الطويل و بعد ذلك تحققت (قوله وراب بعض المنافقين) أى ارتاب حيث قال عبد الله بن أبي وعبدالله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام (قوله أو حال من الرؤيا) أى فهو متعلق بمحذوف والتقدير ملتبسة بالحق و يصح أن يكون صفة لمصدر محذوف والتقدير صدقا ملتبسا بالحق و يصح أن يكون بالحق قسما وجوابه لتدخلن الخ وعليه فالوقف على قوله الرؤيا وعلى ما قبله فالوقف على قوله بالحق وقوله لتدخلن اللام موطئة لقسم محذوف (قوله للتبرك) أى مع تعليم العباد الأدب وتفويض الأمر إليه وهو جواب عما يقال إن الله تعالى خالق للأشياء كلها وهو عالم بها قبل وقوعها فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة مع أن التعليق إنما يكون من المخبر المتردد أو الشاك فى وقوع المعلق والله منزه عن ذلك فأجاب بأن المقصود التبرك لا التعليق ويجاب أيضا بأن المشيئة باعتبار جميع الجيش ، فان الذين حضروا عمرة القضاة كانوا سبعمائة ، وأما باعتبار المجموع فالقضاء مبرم لا تعليق فيه ويجاب أيضا بأنه حكاية عن كلام الملك المبلغ للرسول كلام الله أوحكاية عن كلام الرسول عليه الصلاة والسلام (قوله آمنين) حال مقارنة للدخول والجملة الشرطية معترضة (قوله مقدرتان) دفع بذلك ما قد يقال إن حال الدخول هو حال الاحرام وهو لا يتأتى معه حلق ولا تقصير (قوله لا تخافون أبدا) أشار بذلك إلى أنه غير مكرر مع قوله آمنين والمعنى آمنون فى حال الدخول وحال المكث وحال

الخروج وقد كان عند أهل مكة أنه يحرم قتال من أحرم ومن دخل الحرم فأفاد أنه يبقى أمنهم بعد خروجهم من الاحرام (قوله من الصلاح) أى وهو حفظ دماء المسلمين المستضعفين (قوله من دون ذلك) أى قبله (قوله هو فتح خيبر) وقيل هو صلح الحديبية وقيل هو فتح مكة (قوله هو الذى أرسل رسوله) تأكيد لتصديق الله رؤياه والمعنى حيث جعله رسولا فلا يريه خلاف الحق (قوله بالهدى) أى القرآن أو المعجزات (قوله ليظهره على الدين كله) أى ليعليه على جميع الأديان فينسخ ما كان حقا ويظهر فساد ما كان باطلا (قوله بما ذكر) أى بالهدى ودين الحق (قوله كما قال) أشار بذلك إلى أن قوله محمد رسول الله مؤكد لقوله هو الذى أرسل رسوله (قوله لا يرحمونهم) أى لا يرأفون بهم وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم وقد بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كان يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم (قوله رحماء بينهم) أى فكان الواحد منهم إذا رأى أخاه فى الدين صافحه وعانقه (قوله تراهم ركعا) إما خبر آخر أو مستأنف ، والمعنى تراهم فى النهار على الأعداء أسود وفى الليل ركع سجود (قوله حالان) أى من مفعول تراهم (قوله مستأنف) أى وقع فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا يريدون بركوعهم وسجودهم ، (١٠٠) فقيل يبتغون الخ (قوله سيماهم فى وجوههم من أثر السجود)

من الصلاح (فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ) أى الدخول (فَتْحًا قَرِيبًا) هو فتح خيبر وتحققت الرؤيا فى العام القابل (هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) أى دين الحق (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) على جميع باقى الأديان (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا) أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالى (مُحَمَّدٌ) مبتدأ (رَسُولُ اللَّهِ) خبره (وَالَّذِينَ مَعَهُ) أى أصحابه من المؤمنين مبتدأ خبره (أَشِدَّاءُ) غلاظ (عَلَى الْكُفَّارِ) لا يرحمونهم (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) خبر ثان أى متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد (تَرَاهُمْ) تبصرهم (رُكَّعًا سُجَّدًا) حالان (يَبْتَغُونَ) مستأنف : يطلبون (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ) علامتهم مبتدأ (فِى وُجُوهِهِمْ) خبره ، وهو نور و بياض يعرفون به فى الآخرة أنهم سجدوا فى الدنيا (مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ) متعلق بما تعلق به الخبر أى كائنة وأعرب حالا من ضميره المنتقل إلى الخبر (ذَٰلِكَ) أى الوصف المذكور (مَثَلُهُمْ) صفتهم (فِى التَّوْرَاةِ) مبتدأ وخبره (وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ) مبتدأ خبره(كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ) بسكون الطاء وفتحها : فراخه (فَآزَرَهُ) بالمد والقصر قوّاه وأعانه (فَاسْتَغْلَظَ) غلظ (فَاسْتَوَىٰ) قوى واستقام (عَلَىٰ سُوقِهِ) أصوله جمع ساق ،

اختلف فى تلك السيما ، فقيل إن مواضع سجودهم يوم القيامة ترى كالقمر ليلة البدر ، وقيل هو صفرة لوجوه من سهر الليل ، وقيل الخشوع الذى يظهر على الأعضاء حتى يتراءى أنهم مرضى وليسوا بمرضى ، وليس المراد به ما يصنعه بعض الجهلة المرائين من العلامة فى الجبهة فانه من فعل الخوارج ، وفى الحديث « إنى لأبغض الرجل وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود » (قوله من ضميره) أى من ضمير ما تعلق به الخبر وهو كائنة

(قوله المنتقل إلى الخبر) أى وهو الجار والمجرور (قوله أى الوصف المذكور) أى وهو كونهم أشداء رحماء تراهم ركعا الخ سيماهم فى وجوههم الخ (قوله مثلهم فى التوراة) أى وصفهم العجيب الجارى فى الغرابة مجرى الأمثال (قوله مبتدأ وخبر) أى أن قوله مثلهم مبتدأ خبره قوله فى التوراة ، والجملة خبر عن ذلك (قوله ومثلهم فى الانجيل الخ) يصح أن يكون مبتدأ خبره قوله كزرع ، وحينئذ فيوقف على قوله فى التوراة ، ويكونان مثلين وعليه مشى المفسر يصح أنه معطوف على مثلهم الأول وحينئذ فيوقف على قوله الانجيل ويكونان مثلا واحدا فى الكتابين ، وقوله كزرع خبر لمحذوف أى مثلهم كزرع الخ وهو كلام مستأنف (قوله بسكون الطاء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والشطء أفراخ النخل والزرع أو ورقه (قوله فراخه) بكسر الفاء جمع فرخ كفرع لفظا ومعنى(قوله بالمد) أى وأصله أأزره بوزن أكرمه قلبت الهمزة الثانية ألفا للقاعدة المعلومة وقوله والقصر : أى فهو من باب ضرب ، وهما قراءتان سبعيتان (قوله غلظ) أى فهو من باب استحجر الطين (قوله على سوقه) متعلق باستوى .

(يعجب

(يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ) أى زراعه لحسنه ، مثل الصحابة رضى الله عنهم بذلك لأنهم بدءوا فى قلة وضعف فكثروا وقووا على أحسن الوجوه (لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) متعلق بمحذوف دل عليه ماقبله أى شبهوا بذلك (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ) أى الصحابة ومن لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة (مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الجنة وهما لمن بعدهم أيضا فى آيات .

(سورة الحجرات)

مدنية ثمانى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا) من قدم بمعنى تقدم أى لا تتقدموا بقول ولا فعل (بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) المبلغ عنه : أى بغير إذنهما ،

(قوله يعجب الزراع) الجملة حالية والمعنى حال كونه معجبا (قوله فكثروا) هو مأخوذ من قوله أخرج شطأه وقوله فآزره مأخوذ من قوله فاستغلظ وقوله على أحسن الوجوه مأخوذ من قوله فاستوى على سوقه يعجب الزراع (قوله ليغيظ بهم الكفار) تعليل لما دل عليه التشبيه كأنه قال إنما قواهم وكثرهم ليغيظ الخ (قوله لبيان الجنس) أى لا للتبعيض كما زعمه بعضهم (قوله لمن بعدهم) أى كالتابعين وأتباعهم إلى يوم القيامة (قوله فى آيات) متعلق بما تعلق به قوله لمن بعدهم ، والمعنى وهما ثابتان لمن بعد الصحابة فى آيات كقوله تعالى ـ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ، إلى قوله : أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ـ .

[خاتمة] قد جمعت هذه الآية وهى قوله محمد رسول الله إلى آخر السورة جميع حروف المعجم وفى ذلك بشارة تلويحية مع مافيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم رضى الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه . وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى بسورتين هما فى الحقيقة للنبى صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من قاتله ظاهرا ، كما ختم القسم الثانى المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه وسلم بالحال من قصده بالضر باطنا ومن أجل ذلك اتخذ العارفون هذه الآية وردا وحصنا منيعا .

[سورة الحجرات مدنية] أى بالاجماع وهذه أوائل السور المسماة بالمفصل. واختلف فى تسميته بذلك فقيل لكثرة الفصل فيه بين السور ، وقيل لكون جميعه محكما لا نسخ فيه (قوله يأيها الذين آمنوا) ذكر هذه اللفظة فى هذه السورة خمس مرات اعتناء بشأن المؤمنين فى الأوامر والنواهى نظير خطابات لقمان لابنه فى قوله يابنى ولثلا يتوهم أن المخاطب ثانيا غير المخاطب أولا وذكر يا أيها الناس مرة خطابا لما يعم المؤمن والكافر لمناسبة ما يترتب عليه من قوله تعالى ـ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وهذه السورة جمعت آدابا ظاهرية وباطنية وأوامر ونواهى ظاهرية و باطنية عامة وخاصة فهى متضمنة لطريقة الصوفية التى من تمسك بها وصل (قوله من قدم بمعنى تقدم) العامة على ضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة وفيها وجهان : أحدهما أنه متعد حذف مفعوله اقتصارا كقولهم هو يعطى ويمنع وكلوا واشربوا والأصل لا تقدموا مالا يصلح . والثانى أنه لازم نحو وجه وتوجه ، ويعضده قراءة ابن عباس والضحاك لا تقدموا بالفتح فى الثلاثة والأصل لا تتقدموا فحذفت إحدى التاءين وفى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه تجرى الصحابة على الحكم فى أمر من أمور الدين بغير إذن من الله ورسوله بحالة من تقدم بين يدى متبوعه إذا سار فى طريقه من غير إذن فانه فى العادة مستهجن ثم استعمل فى جانب المشبه ما كان مستعملا فى جانب المشبه به من الألفاظ والغرض التنفير من التجرى بغير إذن الله ورسوله ومثله قوله تعالى فى حق الملائكة ـ لا يسبقونه بالقول ـ أصله لا يسبق قولهم قوله فمدحهم بنفى السبق تنبيها على استهجان السبق أو المراد بين يدى رسول الله ، وذكر لفظ الله تعظيما للرسول و إشعارا بأنه من الله بمكان يوجب إجلاله وعلى هذا فلا استعارة (قوله بقول أو فعل) مثال القول ما ذكره المفسر فى سبب النزول ومثال الفعل ماقيل فى سبب النزول أيضا من أنهم ذبحوا يوم النحر قبل رسول الله فأمرهم أن يعيدوا الذبح ، وقال « من ذبح قبل الصلاة فانما هو لحم عجله لأهله ليس من النسك فى شىء » وما ورد عن عائشة أنه فى النهى عن صوم يوم الشك : أى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم . وقال الضحاك هو عام فى القتال وشرائع الدين أى لا تقطعوا أمرا دون الله ورسوله وهو الأولى .

(قوله واتقوا الله) أى فى التقدم الذى نهاكم عنه (قوله على النبى) الأولى أن يقول عند النبى ، فى الحديث «أنه قدم ركب من بنى تميم على النبى صلى الله عليه وسلم وطلبوا أن يؤمر عليهم واحدا منهم ، فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافى وقال عمر ما أردت خلافك ، فتماريا أى تخاصما حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت تلك الآيات الخمس إلى قوله غفور رحيم» ومعنى قول عمر ما أردت خلافك : أى ما أردت مخالفتك تعنتا ، وإنما أردت أن تولية الأقرع أصلح بهم ولم يظهر لك ذلك (قوله ونزل فيمن رفع صوته الخ) أى كأبى بكر وعمر فى القصة المذكورة كما أن قوله ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبىّ أى كأبى بكر وعمر حين بلغهما النهى عن رفع الصوت فصارا يخفضان صوتهما عند النبىّ كما أن قوله ، ونزل فى قوم الخ هم بنو تميم الذين تكلم فى شأنهم أبو بكر وعمر فتلخص أنه لما اختلف أبو بكر وعمر فى تأمير الأمير على الوفد المذكور ولم يصبرا حتى يكون رسول الله هو الذى يشير بذلك نزل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله - الآية ، ولما رفعا أصواتهما فى تلك القضية نزل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم - الآية ولما خفضا أصواتهما بعد ذلك نزل - إن الذين يغضون أصواتهم - الآية ولما نادى الركب المذكور النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات نزل - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات - الآيتين (قوله إذا نطقتم) أى تكلمتم وقوله إذا نطق أى تكلم (قوله ولا تجهروا له بالقول) لما كانت هذه الجملة كالمكررة مع ما قبلها مع أن العطف يأباه أشار المفسر إلى أن المراد بالأول إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم حدا يباغه صوته بل يكون كلامكم دون كلامه ، والمراد بالثانى أنكم إذا كلمتموه وهو صامت فلا ترفعوا أصواتكم كما ترفعونها فيما بينكم (قوله إذا ناجيتموه) أى كلمتموه وهو صامت

(وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لقولكم (عَلِيمٌ) بفعلكم ، نزلت فى مجادلة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما على النبى صلى الله عليه وسلم فى تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد . ونزل فيمن رفع صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ) إذا نطقتم (فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) إذا نطق (وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) إذا ناجيتموه (كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) بل دون ذلك إجلالاً له (أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) أى خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين .

ونزل

(قوله بل دون ذلك) راجع لكلّ من النهيين أى بل اجعلوا أصواتكم دون صوته ودون جهر بعضكم لبعض وقوله إجلالا له تعليل لما تضمنه قوله بل دون ذلك (قوله أن تحبط أعمالكم) أى يبطل ثوابها وقوله وأنتم لا تشعرون أى بحبوطها (قوله أى خشية ذلك) أشار به إلى أن تحبط على حذف مضاف أى خشية الحبوط والخشية منهم وقد تنازعه لا ترفعوا ولا تجهروا فيكون مفعولا لأجله والعامل فيه الثانى أو الأول (قوله بالرفع والجهر) الباء سببية متعلقة باسم الاشارة لأنه واقع على الحبوط فكأنه قال أى خشية الحبوط بسبب الرفع والجهر لأن فى الرفع والجهر استخفافا بجنابه فيؤدى إلى الكفر المحبط وذلك إذا انضمّ له قصد الاهانة وعدم المبالاة . روى أنه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت فى الطريق يبكى ، فمر به عاصم بن عدى فقال ما يبكيك يا ثابت ؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فى وأنا رفيع الصوت على النبىّ صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملى وأن أكون من أهل النار ، فمضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى ابن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرشى فسدى علىّ الضبة بمسمار فضربته بمسمار ، فأتى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره ، قال اذهب فادعه لى ، فجاء عاصم إلى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرش ، فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك ، فقال اكسر الضبة ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت؟ فقال أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟ فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا أرفع صوتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا فأنزل الله - إن الذين يغضون أصواتهم - الآية . قال أنس فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا ، فلما كان يوم اليمامة فى حرب مسيلمة رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار وانهزمت طائفة منهم قال أف لهؤلاء ، ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته

فى المنام وأنه قال له اعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعى فذهب بها وهى فى ناحية من العسكر عند فرس يستن فى طيله وقد وضع على درعى برمة فائت خالد بن الوليد ، فأخبره حتى يسترد درعى وائت أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له إن على دينا حتى يقضى عنى وفلان من رقيق عتيق ، فأخبر الرجل خالدا فوجد الدرع والفرس على ماوصفه فاسترد الدرع وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته . قال مالك بن أنس لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه (قوله فيمن كان يخفض صوته) أى مخافة من مخالفة النهى السابق و إجلالا وتعظيما (قوله كأبى بكر وعمر الخ) أى فكان الجميع يخفضون أصواتهم عند رسول الله إجلالا له وتعظيما (قوله أولئك الذين الخ) اسم الاشارة مبتدأ والموصول بعده خبر والجملة خبر إن وجملة لهم مغفرة وأجر عظيم مستأنفة لبيان ما أعد لهم (قوله امتحن الله قلوبهم) الامتحان افتعال من محنت الأديم محنا أوسعته ومعنى امتحن الله قلوبهم للتقوى وسعها (قوله أى لتظهر منهم) أى فانها لا تظهر إلا بالاصطبار على أنواع المحن والتكاليف الشاقة فالاختبار سبب لظهور التقوى لا سبب للتقوى نفسها فهو من إطلاق السبب على المسبب أى فالاختبار يظهر ما كان كامنا فى النفس من التقوى كما أن سماع الألحان يظهر ما كان كامنا فى النفس من الحب فتدبر (قوله ونزل فى قوم) أى وهم وفد بنى تميم (قوله من وراء الحجرات) أى من خارجها خلفها أو قدامها لأن وراء من الأضداد تكون بمعنى خلف و بمعنى قدام . قال مجاهد وغيره نزلت فى أعراب بنى تميم قدم وفد منهم على النبى صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا النبى صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات أن اخرج إلينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا قدموا لفداء ذرارى لهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم نائما للقائلة وسئل صلى الله عليه وسلم فقال هم جفاة بنى تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للأعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم ، وقيل كانوا جاءوا شفعاء فى أسارى بنى عنبر فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادى نصفهم ولو صبروا لأعتق جميعهم بغير فداء (قوله وهى ما يحجر عليه) أى يحوط عليه للمنع من الدخول (قوله كأن كل واحد منهم الخ) أتى بصيغة لا جزم فيها لأن المقام مقام احتمال وذلك لأن مناداتهم يحتمل أن تكون كما قال المفسر أو الكل وقفوا على كل حجرة ونادوه منها (قوله مناداة الأعراب) معمول لينادونك (قوله أكثرهم لا يعقلون) المراد بالأكثر الكل لأن العرب قد تعبر بالأكثر وتريد الكل (قوله محلك الرفيع) معمول ليعقلون وفى نسخة بمحلك فيكون معمولا لفعلوه فالمحل على الأول والمكانة والرتبة على الثانى الدار المحسوسة ومعنى الرفيع على الأول العلى القدر وعلى الثانى المحفوظ من إساءة الأدب لحلولك فيه فان الظرف يعظم بالمظروف ، قال الشاعر :

(١٠٣)

> ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبى صلى الله عليه وسلم كأبى بكر وعمر وغيرهما رضى الله عنهم (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ) اختبر (اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ) أى لتظهر منهم (لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) الجنة . ونزل فى قوم جاءوا وقت الظهيرة والنبى صلى الله عليه وسلم فى منزله فنادوه (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ) حجرات نسائه صلى الله عليه وسلم جمع حجرة ، وهى ما يحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه كأن كل واحد منهم نادى خلف حجرة لأنهم لم يعلموه فى أى حجرة ، مناداة الأعراب بغلظة وجفاء (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) فيما فعلوه محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا) أنهم فى محل رفع بالابتداء وقيل فاعل بفعل مقدر أى ثبت (حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لمن تاب منهم . ونزل فى الوليد بن عقبة وقد بعثه النبى صلى الله عليه وسلم إلى بنى المصطلق ،

وما حب الديار شغفن قلبى ولكن حب من سكن الديارا

(قوله أنهم فى محل رفع بالابتداء) هو قول سيبويه ولا يحتاج إلى خبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه وقيل الخبر محذوف وجوبا لوقوعه بعد لو (قوله أى ثبت) بيان للفعل المقدر والمعنى ثبت صبرهم وانتظارهم وهذا قول المبرد والزجاج والكوفيين ورجح بأن فيه إبقاء له على الاختصاص بالفعل (قوله لكان خيرا لهم) أى لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب . قال العارفون الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى وسعادة الدنيا والآخرة (قوله ونزل فى الوليد بن عقبة) بن أبى معيط أخى عثمان بن عفان لأمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

بعثه إلى بنى المصطلق بعد الوقعة معهم واليا يجبى الزكاة وكان بينه و بينهم عداوة فى الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لأمر رسول الله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلى فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه ، فأتوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يارسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى إليه ماقبلنا من حق الله فبدا له فى الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا و إنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم رسول الله و بعث خالد بن الوليد فى عسكره خفية وأمره أن يخفى عليهم قدومه ، وقال انظر فان رأيت منهم مايدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم و إن لم تر ذلك فافعل فيهم ماتفعل فى الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم عند الغروب فسمع منهم أذان صلاة المغرب والعشاء ووجدهم مجتهدين فى امتثال أمر الله فأخذ منهم صدقات أموالهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير وانصرف إلى رسول الله وأخبره الخبر فنزلت الآية » واستشكل بأن الوليد صحابى جليل ولايليق إطلاق لفظ الفاسق عليه فان المراد به الكافر ، قال تعالى ــ ففسق عن أمر ربه ، وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ــ إلى غير ذلك . وأجيب بأن الذى وقع من الوليد توهم وظن فترتب عليه الخطأ و إنما سماه الله فسقا تنفيرا عن هذا الفعل وزجرا عليه . ويؤخذ من الآية حرمة النميمة وتعليم كيفية ردها على صاحبها (قوله مصدقا) بتخفيف الصاد : أى يأخذ الصدقات (قوله لترة) بكسر التاء وفتح الراء : أى عداوة (قوله إن جاءكم فاسق) المقصود من الآية : أى نمام فان النمام فاسق وليس المقصود عين الوليد فانه ليس بفاسق بل هو صحابى جليل وإن كان سبب النزول واقعته (قوله أن تصيبوا قوما) أى بالقتل والسبى (قوله نادمين) أى مغتمين لما وقع (ونعمة) منكم (قوله واعلموا أن فيكم رسول الله) أى أفلا تكذبوا عليه فان الله يعلمه ببواطنكم فتفتضحوا (قوله لو يطيعكم الخ) حال من الضمير المجرور فى فيكم ، والمعنى أنه فيكم كائنا على حالة منكم يجب تغييرها وهى أنكم تودون أن يتبعكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهل والهلاك لكن عصمه الله رحمة بكم (قوله لأثمتم دونه) أى فلا يأثم لعذره ، وقوله إثم التسبب : أى لا إثم الفعل لأنكم لم تفعلوا ، وقوله إلى المرتب : أى الذى يرتبه النبى صلى الله عليه وسلم على إخباركم و يفعله كقتال بنى المصطلق (قوله حبب إليكم الإيمان) أى الكامل وهو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالأركان و إذا حبب إليهم الايمان الجامع للخصال الثلاث لزم كراهتهم لأضدادها فلذلك قال وكره إليكم الكفر الذى هو مقابلة التصديق بالجنان والفسوق الذى هو مقابلة الاقرار باللسان والعصيان الذى هو مقابلة العمل بالأركان (قوله استدراك من حيث المعنى الخ) أشار بذلك لدفع ماقيل إن لكن يشترط أن يكون مابعدها مخالفا لما قبلها نفيا و إثباتا ، وتوضيح الجواب أن الذين حبب إليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فان ماقبل لكن يوهم أنهم على غير استقامة مع الله ومع رسوله فهو استدراك بحسب المعنى (قوله مصدر منصوب الخ) فيه مسامحة إذ هو اسم مصدر والمصدر إفضال ويصح أن يكون مفعولا لأجله عامله حبب وما بينهما اعتراض ، وفى هذه الآية تنبيه على أن

مصدقا فخافهم لترة كانت بينه و بينهم فى الجاهلية فرجع وقال إنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله فهم النبى صلى الله عليه وسلم بغزوهم فجاءوا منكرين ما قاله عنهم (يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ) خبر (فَتَبَيَّنُوا) صدقه من كذبه وفى قراءة فتثبتوا من الثبات (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا) مفعول له ، أى خشية ذلك (بِجَهَالَةٍ) حال من الفاعل أى جاهلين (فَتُصْبِحُوا) تصيروا (عَلَى مَا فَعَلْتُمْ) من الخطإ بالقوم (نَادِمِينَ) وأرسل صلى الله عليه وسلم إليهم بعد عودهم إلى بلادهم خالداً فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأخبر النبى بذلك (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ) فلا تقولوا الباطل فإن الله يخبره بالحال (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ) الذى تخبرون به على خلاف الواقع فيرتب على ذلك مقتضاه (لَعَنِتُّمْ) لأثمتم دونه إثم التسبب إلى المرتب (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ) حسنه (فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) استدراك من حيث المعنى دون اللفظ لأن من حبب إليه الإيمان الخ غايرت صفته صفة من تقدم ذكره (أُولَٰئِكَ هُمُ) فيه التفات عن الخطاب (الرَّاشِدُونَ) الثابتون على دينهم (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ) مصدر منصوب بفعله المقدر أى أفضل

السعادة العظمى محبة الله ورسوله وكراهة أهل الكفر والفسوق (قوله هى أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا الخ) ذكر القصة مختصرة ورواها الشيخان بطولها ، وحاصلها أنه روى عن أسامة بن زيد أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار عليه إكاف تحته قطيفة فدكية وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر قال : فسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مرّ على مجلس فيه عبدالله بن أبيّ ابن سلول ، وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبيّ و إذا فى المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود وفى المسلمين عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله ابن أبيّ أنفه بردائه ثم قال لاتغبروا علينا ، فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبيّ ابن سلول : أيها المرء إنه لاأحسن مما تقول : أى لاشىء أحسن منه إن كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه ، فقال عبدالله بن رواحة بلى يارسول الله فأغشنا به فى مجالسنا فانا نحب ذلك فمالبث المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتحاربون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا اه (قوله ومرّ على ابن أبيّ) أى وكان من الخزرج ، وقوله فقال ابن رواحة : أى وكان من الأوس (قوله وسدّ ابن أبيّ أنفه) أى وقال إليك عنى والله لقد آذانى نتن حمارك (قوله فكان بين قوميهما) أى وهما الأوس والخزرج (قوله والسعف) أى وهو جريد النخل إذا كان عليه الخوص فان جرّد منه قيل له عسيب (قوله وقرئ) أى شذوذا

(وَنِعْمَةً) منه (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بهم (حَكِيمٌ) فى إنعامه عليهم (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الآية نزلت فى قضية « هى أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب حماراً ومرّ على ابن أبيّ فبال الحمار فسدّ ابن أبيّ أنفه فقال ابن رواحة والله لبول حماره أطيب ريحا من مسكك فكان بين قوميهما ضرب بالأيدى والنعال والسعف » (اقْتَتَلُوا) جمع نظراً إلى المعنى لأن كل طائفة جماعة وقرئ اقتتلتا (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) ثنى نظراً إلى اللفظ (فَإِنْ بَغَتْ) تعدت (إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ) ترجع (إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) الحق (فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ) بالإنصاف (وَأَقْسِطُوا) اعدلوا (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) فى الدين (فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) إذا تنازعا وقرئ إخوتكم بالفوقانية (وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ) الآية نزلت فى وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب ، والسخرية الازدراء والاحتقار (قَوْمٌ) أى رجال منكم (مِنْ قَوْمٍ

(قوله فان بغت إحداهما) أى أبت النصيحة والإجابة إلى حكم الله (قوله حتى تفيء) حتى هنا للغاية والنصب بأن مضمرة بعدها : أى إلى أن ترجع الخ (قوله فأصلحوا بينهما بالعدل) أى بالنصح والدعاء إلى حكم الله (قوله بالانصاف) أى فلاتجوروا على إحدى الطائفتين بل احكموا بينهما بالانصاف (قوله اعدلوا) أشار به إلى أن أقسط معناه عدل فهمزته للسلب بخلاف قسط فمعناه جار. قال تعالى ــ وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ــ (قوله إنما المؤمنون إخوة) كالتعليل لما قبله (قوله إخوة فى الدين) أى من حيث إنهم ينتسبون إلى أصل واحد وهو الايمان (قوله فأصلحوا بين أخويكم) خص الاثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهما النزاع فاذا لزمت المصالحة بين الأقل كانت بين الأكثر أولى (قوله وقرئ) أى شذوذا وهذه القراءة تدل على أن قراءة التثنية معناها الجماعة (قوله لعلكم ترحمون) أى على تقواكم وفى هذا الترجى إطماع من الكريم الرحيم (قوله لايسخر قوم الخ) يقال سخر منه سخرا من باب تعب والاسم السخرية بضم السين وكسرها والسخرة بوزن غرفة ماسخرته من خادم أودابة بلا أجر ولا ثمن (قوله حين سخروا من فقراء المسلمين) أى لما رأوا من رثاثة حالهم وتقشفهم وهذا كان فى أول إسلامهم قبل تمكنهم منه و إلا فقد صاروا بعد ذلك إخوانا متحابين فى الله (قوله كعمار الخ) أى وهم أهل الصفة الذين قال الله فيهم ــ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ــ الآية (قوله أى رجال منكم) أشار بذلك إلى أن القوم اسم جمع بمعنى الرجال خاصة واحده فى المعنى رجل ، وقيل جمع لاواحد له من لفظه يدل على تخصيصه بالرجال مقابلته بقوله ــ ولانساء من نساء ــ وهذا هو الموافق لأصل اللغة . قال الشاعر :

وما أدرى ولست إخال أدرى ... أقوم آل حصن أم نساء

وأما قوله تعالى ــ كذبت قبلهم قوم نوح ــ ونحوه فالمراد مايشمل النساء لكن بطريق التبع لأن قوم كل نبى رجال ونساء ، وسمى الرجال قوما لأنهم قوامون على النساء (قوله منكم) قيد به قوم المرفوع وتركه

فى المجرور و يصح تقييده بكل و يقال نظيره فى قوله : ولا نساء الخ (قوله عسى أن يكونوا خيرا منهم) الجملة مستأنفة لبيان العلة الموجبة للنهى ولا خبر لعسى لأنه يغنى عنه فاعلها ، والمعنى لايحتقر أحد أحدا فلعل من يحتقر يكون عند الله أعلى وأجل ممن احتقره ، و بالجملة فينبغى للانسان أن لايسخر بأخيه فى الدين بل ولا بأحد من خلق الله فلعله يكون أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن سخر به ولقد بلغ بالسلف الصالح هذا الأمر حتى قال بعضهم لورأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه لخشيت أن أصنع مثل ماصنع وقال عبد الله بن مسعود : البلاء موكل بالقول لوسخرت من كلب خشيت أن أحوّل كلبا (قوله ولا نساء من نساء) قال أنس : « نزلت فى صفية بنت حيى بلغها أن حفصة قالت بنت يهودى فبكت فدخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم وهى تبكى ، فقال مايبكيك؟ قالت : قالت لى حفصة إنى بنت يهودى ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبى وعمك نبى و إنك لتحت نبى ففيم تفتخر عليك ؟ ثم قال اتقى الله ياحفصة » وذكر النساء لمزيد الإيضاح والتبيين ولدفع توهم أن هذا النهى خاص بالرجال (قوله ولاتلمزوا أنفسكم) اللمز فى الأصل الإشارة بالعين ونحوها (قوله لاتعيبوا فتعابوا) أشار بذلك إلى توجيه قوله أنفسكم وذلك لأن الانسان إذا عاب غيره عابه ذلك الغير فقد عاب الشخص نفسه بتسببه (قوله أى لايعب بعضكم بعضا) هذا توجيه آخر فكان الأولى للمفسر أن يأتى بأو ، والمعنى أن المؤمنين كشخص واحد فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه ، ومن هذا المعنى قول العارف :

إذا شئت أن تحيا سعيدا من الردى وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايبا فدعها وقل ياعين للناس أعين
فعاشر بمعروف وسامح من اعتدى وفارق ولكن بالتى هى أحسن

(١٠٦)

عسى أن يكونوا خيرا منهم) عند الله (ولا نساء) منكم (من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم) لاتعيبوا فتعابوا : أى لايعب بعضكم بعضا (ولا تنابزوا بالألقاب) لايدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه ومنه يافاسق يا كافر (بئس الاسم) أى المذكور من السخرية واللمز والتنابز (الفسوق بعد الإيمان) بدل من الاسم لإفادة أنه فسق لتكرره عادة (ومن لم يتب) من ذلك (فأولئك هم الظالمون . يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) أى مؤثم ،

(قوله ولاتنابزوا بالألقاب) النبز بفتح الباء اللقب مطلقا حسنا أو قبيحا ثم صار مخصوصا بما يكرهه الشخص وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الأنصارى : قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا له اسمان أو ثلاثة ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول يافلان فيقولون مه يارسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ، ومن ذلك الشتم كقولك لأخيك يا كلب ياحمار ونحو ذلك والمراد بهذه الألقاب ما يكرهه المخاطب ، وأما الألقاب التى صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهه المدعو بها ، وأما الألقاب التى تشعر بالمدح فلا تكره كما قيل لأبى بكر عتيق ولعمر فاروق ولعثمان ذوالنورين ولعلى أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك (قوله بئس الاسم) بئس فعل ماض والاسم فاعل ، وقوله الفسوق بدل من الاسم كما قال المفسر وعليه فالمخصوص بالذم محذوف تقديره هو والأوضح إعرابه مخصوصا بالذم والمراد بالاسم الذكر المرتفع (قوله الفسوق بعد الإيمان) أى الاتصاف بالفسق بعد الاتصاف بالايمان والمراد بالفسوق الخروج عن الطاعة (قوله لافادة أنه) أى ماذكر من السخرية الخ (قوله لتكرره عادة) أى أنه و إن كان المذكور صغيرة لايفسق بها لكنه فى العادة يتكرر فيصير كبيرة يفسق بها (قوله فأولئك هم الظالمون) أى الضارون لأنفسهم بمعاصيهم ومخالفاتهم ، ففى هذه الآيات وصف المؤمنين بالفسق والظلم و إن كان فى غالب الآيات إطلاق الفسق والظلم على أهل الكفر (قوله يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قيل نزلت فى رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما و يتقدمهما إلى المنزل فيهيء لهما مايصلحهما من الطعام والشراب ، فضم سلمان إلى رجلين فى بعض أسفاره فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيء لهما شيئا ، فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا ؟ قال لا غلبتنى عيناى ، قالا له انطلق الى رسول الله فاطلب لنا منه طعاما ، فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله طعاما ، فقال رسول الله : انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له إن كان عنده فضل طعام و إدام فليعطك ، وكان أسامة خازن طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأتاه

وعلى رحله فأتاه فقال ماعندى شئ فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ماأمر لهما به رسول الله فلما جاآ إلى رسول الله قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما قالا والله يارسول الله ماتناولنا يومنا هذا لحما قال ظلتما تأكل لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية ، والمعنى أن الله تعالى نهى المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن شرا كأن يسمع من أخيه المسلم كلاما لايريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا لأن بعض الفعل قد يكون فى الصورة قبيحا وفى نفس الأمر لايكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا و يكون الرائى مخطئا ، فأما أهل السوء والفسق المتجاهرون بذلك فلنا أن نظن فيهم مثل الذى يظهر منهم (قوله كثيرا من الظن) أبهم الكثير إشارة إلى أنه ينبغى الاحتياط والتأمل فى كل ظن خوف أن يقع فى منهى عنه . قال سفيان الثورى : الظن ظنان أحدهما إثم وهو أن يظن و يتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولايتكلم به (قوله وهو) أى بعض الظن كثير وقوله وهم أى أهل الخير (قوله بخلافه بالفساق منهم) أى المؤمنين وقوله فى نحو مايظهر منهم فى أى نحو المعاصى التى تظهر منهم بأن يتجاهروا بها (قوله ولا تجسسوا) العامة على قراءته بالجيم وقرئ شذوذا بالحاء ، واختلف فقيل معناهما واحد ، وقيل التجسس بالجيم البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الأخبار والبحث عنها ، والمعنى خذوا ماظهر ولاتتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (قوله ولايغتب بعضكم بعضا) (١٠٧) اعلم أن الغيبة ثلاثة أوجه فى كتاب الله تعالى : الغيبة والإفك والبهتان ، فأما الغيبة فهى أن تقول فى أخيك ماهو فيه ، وأما الإفك فهو أن تقول فيه مابلغك عنه ، وأما البهتان فهو أن تقول فيه ماليس فيه ، وقيل إن كلا يطلق على كل وهو المشهور . واعلم أن هذه الأمور المتقدم ذكرها كبائر تحتاج لتوبة وهل تفتقر لاستحلال المغتاب ونحوه أولا ؟ فقال جماعة ليس عليه استحلال بل يكفيه التوبة بينه و بين الله لأن المظلمة ماتكون فى النفس والمال ولم يأخذ من ماله ولا أصاب من بدنه ماينقصه ، وقال جماعة يجب عليه أن يستغفر لصاحبها لما ورد عن الحسن رضى الله عنه : كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته ، وقال جماعة عليه الاستحلال منها ولو إجمالا ، و يستثنى من الغيبة المحرّمة سبعة أمور نظمها بعضهم بقوله :

تظلم واستغث واستفت حذر وعرف بدعة فسق المجاهر

وهو كثير كظنّ السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا إثم فيه فى نحو ما يظهر منهم (وَلَا تَجَسَّسُوا) حذف منه إحدى التاءين : لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها (وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) لا يذكره بشىء يكرهه وإن كان فيه (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا) بالتخفيف والتشديد أى لا يحسن به ؟ لا (فَكَرِهْتُمُوهُ) أى فاغتيابه فى حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثانى فكرهتموه فاكرهوا الأول (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أى عقابه فى الاغتياب بأن تتوبوا منه (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) قابل توبة التائبين (رَحِيمٌ) بهم ،

(قوله أيحب أحدكم الخ) تمثيل لما يناله المغتاب من عرض من اغتابه على أقبح وجه و إنما مثله بهذا لأن أكل لحم الميت حرام فى الدين وقبيح فى النفوس (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لايحسن به) تفسير لميتا وقوله لا أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله فكرهتموه) الضمير عائد على الأكل المفهوم من يأكل (قوله أى فاغتيابه فى حياته الخ) فى هذا التمثيل إشارة إلى أن عرض الانسان كلحمه ودمه لأن الانسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه ، فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الانسان لم يحسن منه قرض عرضه بالأولى (قوله قابل توبة التائبين) يشير به إلى أن المبالغة فى تواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده لأنه مامن ذنب إلا و يعفو الله عنه بالتوبة إذا استوفت شروطها . واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال : ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، وقال هنا : إن الله تواب رحيم ، لكن لما كان الابتداء فى الآية الأولى بالنهى فى قوله — لايسخر قوم من قوم — ذكر النفى الذى هو قريب من النهى وفى الثانية كان الابتداء بالأمر فى قوله — اجتنبوا كثيرا من الظن — ذكر الاثبات الذى هو قريب من الأمر تأمل .

(قوله يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) اختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس : لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبى العيص الحمد لله الذى قبض أبى حتى لايرى هذا اليوم ، وقال الحرث بن هشام ماوجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ، وقال سهيل بن عمرو إن يرد الله شيئا يغيره ، وقال أبوسفيان أنا لاأقول شيئا أخاف أن يخبره به رب السموات ، فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية زجرا لهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء وأن المدار على التقوى لأن الجميع من آدم وحواء وإنما الفضل بالتقوى ، وقيل نزلت فى أبى هند حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن يزوجوه امرأة منهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بناتنا موالينا ، وقيل نزلت فى قيس بن ثابت حين قال له رجل افسح لى فقال إن ابن فلانة يقول افسح لى كناية عن استخفافه به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت أنا يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر فى وجوه القوم فنظر فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مارأيت ؟ قال ثابت رأيت أبيض وأسود وأحمر فقال إنك لاتفضلهم إلا بالتقوى ، ونزل فيه أيضا قوله تعالى : يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس الآية (قوله آدم وحواء) لف ونشر مرتب (قوله هو أعلى طبقات النسب) أى فالشعوب رءوس القبائل ، وسمى شعبا لتشعب القبائل منه (قوله ثم الفصائل آخرها) أى فالمراتب ست وزاد بعضهم سابعة وهى العشيرة وكل واحدة تدخل فيما قبلها فالقبائل تحت الشعوب والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والأفخاذ تحت البطون والفصائل تحت الأفخاذ والعشائر تحت الفصائل (قوله بكسر العين) أى وفتحها ففيها اللغتان لكن الأفصح الفتح (قوله ليعرف بعضكم بعضا) أى فتصلوا أرحامكم وتنتسبوا لآبائكم (قوله وإنما الفخر بالتقوى) أى الافتخار المحمود إنما يكون إلى

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ) آدم وحواء (وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا) جمع شعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب (وَقَبَآئِلَ) هى دون الشعوب و بعدها العمائر ثم البطون ثم الأفخاذ ثم الفصائل آخرها ، مثاله خزيمة شعب كنانة قبيلة قريش عمارة بكسر العين قصى بطن هاشم فخذ العباس فصيلة (لِتَعَارَفُوٓا) حذف منه إحدى التاءين ليعرف بعضكم بعضا لا لتفاخروا بعلو النسب و إنما الفخر بالتقوى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ) بكم (خَبِيرٌ) ببواطنكم (قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ) نفر من بنى أسد (ءَامَنَّا) صدقنا بقلوبنا (قُل) لهم (لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا) أى انقدنا ظاهرا (وَلَمَّا) أى لم (يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ) ،

على أهل الكفر بترك الشرك والتمسك بالإسلام وشعائره (قوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أى أعزكم عند الله تعالى أكثركم تقوى ، فهى سبب رفعة القدر فى الدنيا والآخرة ، وانظروا إلى قوله - أتقاكم - ولم يقل أكثركم مالا ولاجاها ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الأمور التى تفنى (قوله إن الله عليم) أى يعلم ظواهركم خبير يعلم بواطنكم فلا يخفى عليه شىء (قوله نفر من بنى أسد) أشار بذلك إلى سبب نزول هذه الآية ، وذلك أنهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سنة مجدبة فأظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين فى السر وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها ، وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها ونحن جئناك بالأطفال والعيال والذرارى ولم نقاتلك كما قاتلك بنوفلان و بنوفلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطنا فنزلت هذه الآية (قوله صدقنا بقلوبنا) جواب عما يقال إن الاسلام والايمان متلازمان . فأجاب بأن المنفى هنا الايمان بالقلب والمثبت الانقياد ظاهرا فهما متغايران بهذا الاعتبار ، وأما الاسلام والايمان الشرعيان المعتبران فهما متحدان ماصدقا وإن كان مفهومهما مختلفا إذ الايمان هو التصديق القلبى بشرط النطق بالشهادتين والاسلام الانقياد الظاهرى الناشىء عن التصديق القلبى (قوله قل لم تؤمنوا) أى فلاتقولوا آمنا وقوله - ولكن قولوا أسلمنا - أى لحصول منكم الاسلام ظاهرا ففى الآية احتباك حذف من كل نظير ماأثبت فى الآخر .

(قوله إلى الآن) أخذه من لما لأن نفيها مختص بالحال وقوله لكنه يتوقع منكم أشار إلى أن منفى لما متوقع الحصول ففيه بشارة لهم بأنهم سيؤمنون وقد حصل وبهذا اندفع ماقد يتوهم من أن هذه الجملة مكررة مع قوله لم تؤمنوا و إيضاح الجواب أن هذه الجملة أفادت معنى زائدا وهو نفى الايمان مع توقع حصوله بخلاف الأولى فانها أفادت نفيه فقط (قوله بالهمز) أى من ألت من باب ضرب ونصر (قوله وتركه) أى من لات يليت كباع يبيع فحذفت منه عين الكلمة وهى الياء وقيل هو من ولت يلت كوعد يعد فحذفت منه فاء الكلمة وهى الواو (قوله و بابداله ألفا) أى فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله إنما المؤمنون) مبتدأ خبره قوله الذين آمنوا (قوله ثم لم يرتابوا) أتى بثم إشارة إلى أن نفى الريب لم يكن وقت حصول الايمان بل هو حاصل فيما يستقبل فكأنه قال ثم داموا على ذلك (قوله فى سبيل الله) أى طاعته (قوله فجهادهم يظهر صدق إيمانهم) أى أن الجهاد فى سبيل الله دل على أنهم صادقون فى الايمان وليسوا منافقين وهو (١٠٩) جواب عن سؤال وهو أن العمل ليس من الايمان فكيف ذكر أنه منه فى هذه الآية وإيضاح الجواب عنه أن المراد من الآية الايمان الكامل (قوله أولئك هم الصادقون) فيه تعريض بكذب الأعراب فى ادعائهم الايمان فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الاعراب رسول الله يحلفون أنهم مؤمنون صادقون وعلم الله منهم غير ذلك فأنزل الله قل أتعلمون الله الخ (قوله مضعف علم بمعنى شعر) أى وهو بهذا المعنى متعد لواحد فقط و بواسطة التضعيف يتعدى لاثنين أولهما بنفسه والثانى بحرف الجر (قوله والله يعلم مافى

إلى الآن لكنه يتوقع منكم (وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) بالإيمان وغيره (لَا يَلِتْكُمْ) بالهمز وتركه و بإبداله ألفا لا ينقصكم (مِنْ أَعْمَالِكُمْ) أى من ثوابها (شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) للمؤمنين (رَحِيمٌ) بهم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) أى الصادقون فى إيمانهم كما صرح به بعد (الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) لم يشكوا فى الإيمان (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فجهادهم يظهر صدق إيمانهم (أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فى إيمانهم لا من قالوا آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام (قُلْ) لهم (أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ) مضعف علم بمعنى شعر: أى تشعرونه بما أنتم عليه فى قولكم آمنا (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا) من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم (قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ) منصوب بنزع الخافض الباء ويقدر قبل أن فى الموضعين (بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فى قولكم آمنا (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى ما غاب فيهما (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) بالياء والتاء لا يخفى عليه شىء منه.

(سورة ق)

مكية إلا «ولقد خلقنا السموات والأرض» الآية فمدنية خمس وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ق) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ):

السموات الخ) الجملة حالية (قوله يمنون عليك أن أسلموا) أى يعدون إسلامهم منة عليك (قوله من غير قتال) أى لك ولأصحابك (قوله ويقدر) أى الخافض الذى هو الباء. والحاصل أنه مقدر فى ثلاثة مواضع الأول منها قوله أن أسلموا الثانى قوله قل لا تمنوا على إسلامكم الثالث قوله أن هداكم فموضعان فيهما أن وموضع خال عنها (قوله أن هداكم للايمان) أى على حسب زعمكم كأنه قال إن إيمانكم على فرض حصوله منة من الله عليكم (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله أن الله يعلم غيب السموات والأرض) أى فلا يخفى عليه شىء فيهما (قوله بالياء) أى نظرا لقوله يمنون وما بعده وقوله والتاء أى نظرا لقوله لا تمنوا وهما قراءتان سبعيتان.

[سورة ق مكية] أى كلها على أحد القولين وقوله إلا ولقد خلقنا على القول الآخر فكان المناسب للمفسر أن يقول أو إلا ولقد خلقنا ليكون مشيرا للقولين (قوله ق) العامة على قراءته بالسكون وقرئ شذوذا بالبناء على الكسر والفتح والضم (قوله الله أعلم بمراده به)

تقدم غير مرة أن هذا القول أصح وأسلم ، وقيل هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرفا السماء والسماء عليه مقبية وما أصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل وقال وهب أشرف ذو القرنين على جبل قٓ فرأى تحته جبالا صغارا فقال له ما أنت قال أنا قٓ قال فما هذه الجبال حولك قال هي عروقي ومامن مدينة إلا وفيها عرق من عروقي فاذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الأرض فقال له ياقٓ أخبرني بشئ من عظمة الله قال إن شأن ربنا لعظيم وإن ورائي أرضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا لولا هي لاحترقت من حر جهنم ثم قال زدني قال إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائصه يخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله منكسون رءوسهم فاذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا إله إلا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا وقيل معنى قٓ قضى الأمر كما قيل في حمٓ حم الأمر وقيل هو اسم من أسمائه تعالى أقسم به ، وقيل هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو افتتاح كل اسم من أسمائه تعالى في أوله قٓ كقادر وقهار وقوى ولعظم فضل تلك السورة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الأضحى والفطر بها وباقتربت الساعة وكان يقرؤها على المنبر يوم الجمعة إذا خطب للناس (قوله الكريم) أي فكل من طلب منه مقصوده وجده فيه (قوله ما آمن كفار مكة الخ) قدره إشارة إلى أن جواب القسم محذوف وهو أسهل الأعاريب (قوله بل عجبوا) إضراب عن جواب القسم المحذوف لبيان أحوالهم الشنيعة والعجب استعظام أمر خفي سببه وهذا بالنسبة لعقولهم القاصرة حيث قالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (قوله فقال الكافرون) حكاية لبعض تعجبهم وأقاويلهم الباطلة (قوله هذا شئ عجيب) أي يتعجب منه لأنه خارج عن طور عقولنا (قوله أئذا متنا) معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله نرجع (قوله وإدخال ألف بينهما) أي وتركه فالقراءات أربع سبعيات لا اثنتان كما توهمه عبارته (قوله بعيد) أي عن العادة (قوله قد علمنا ماتنقص الأرض منهم) رد لاستبعادهم وتعجبهم (قوله وعندنا كتاب حفيظ) الجملة حالية والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الأشياء بعلم من عنده كتاب حاو محفوظ يطلع عليه (قوله هو اللوح المحفوظ) أي وهو من درة بيضاء مستقرة على الهواء فوق السماء السابعة طوله مابين السماء والأرض وعرضه مابين المشرق والمغرب (قوله فيه جميع الأشياء) يحتمل أن الجار والمجرور متعلق بالمحفوظ وجميع نائب فاعل به ويحتمل أنه خبر مقدم وجميع مبتدأ مؤخر (قوله بل كذبوا بالحق) انتقال من شناعتهم إلى ماهو أشنع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الظاهرة (قوله مريج مضطرب) أي مختلط يقال مرج الأمر ومرج الدين اختلط (قوله أفلم ينظروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أغفلوا وعموا فلم ينظروا إلى السماء الخ (قوله كائنة فوقهم) أشار به إلى أن فوقهم حال من السماء (قوله كيف بنيناها) كيف مفعول مقدم وجملة بنيناها بدل من السماء (قوله ومالها من فروج) الجملة حالية (قوله معطوف على موضع إلى السماء) أي المنصوب بينظروا

(١١٠)

الكريم ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه وسلم (بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث (فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا) الإنذار (شَيْءٌ عَجِيبٌ . أَئِذَا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا) نرجع (ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) في غاية البعد (قَدْ عَلِمْنَا مَاتَنْقُصُ الْأَرْضُ) تأكل (مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ) هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ) بالقرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ) في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ) مضطرب ، قالوا مرة : ساحر وسحر ، ومرة : شاعر وشعر ، ومرة : كاهن وكهانة (أَفَلَمْ يَنْظُرُوا) بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث (إِلَى السَّمَاءِ) كائنة (فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا) بلا عمد (وَزَيَّنَّاهَا) بالكواكب (وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) شقوق تعيبها (وَالْأَرْضَ) معطوف على موضع إلى السماء كيف (مَدَدْنَاهَا) دحوناها على وجه الماء (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) جبالا تثبتها (وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ) صنف (بَهِيجٍ) :

يبهج

(قوله يبهج به) أى يسر وفيه إشارة إلى أن فعيل بمعنى فاعل أى يحصل السرور به (قوله مفعول له) أى لأجله ويصح أن يكونا منصوبين على المصدرية والتقدير بصرناهم تبصرة وذكرناهم تذكرة (قوله تبصيرا منا) أى تعليما وتفهيما والتبصرة والتذكرة إما عائدان على كل من السماء والأرض. والمعنى خلقنا السموات تبصرة وذكرى والأرض تبصرة وذكرى ويحتمل أنه لف ونشر مرتب فالسماء تبصرة والأرض تذكرة والفرق بينهما أن التبصرة تكون فيما آياته مستمرة والتذكرة فيما آياته متجددة (قوله رجاع إلى طاعتنا) أى ذى رجوع وإقبال عليها فالصيغة للنسبة لا للمبالغة (قوله وحب الحصيد) قدر المفسر الزرع إشارة إلى أنه حذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه (قوله المحصود) أى الذى شأنه أن يحصد كالبر والشعير وفيه مجاز الأول أى الزرع الذى يئول إلى كونه محصودا (قوله والنخل باسقات) يقال بسقت النخلة بسوقا من باب قعد طالت فهى باسقة والجمع باسقات وبواسق وبسق الرجل بهر فى علمه (قوله حال مقدرة) أى لأنها وقت الانبات لم تكن طوالا وأفردها بالذكر لكثرة منافعها وزيادة ارتفاعها (قوله لها طلع نضيد) الجملة حال من النخل مترادفة أو من الضمير فى باسقات (قوله رزقا للعباد) منصوب على الحال ولم يقيد العباد هنا بالانابة وقيد به فى قوله تبصرة وذكرى لأن التذكرة لا تكون إلا لمنيب والرزق يعم كل أحد (قوله وأحيينا به) أى بذلك الماء وقوله بلدة ميتا أى أرضا جدبة يابسة فاهتزت وربت بذلك الماء وأنبتت من كل زوج بهيج (قوله يستوى فيه المذكر والمؤنث) جواب عن سؤال مقدر تقديره الأرض مؤنثة فكيف وصفها بالمذكر وفى هذا الجواب نظر لأن استواء المذكر والمؤنث فى فعيل وليس هنا والصواب أن التذكير باعتبار كونه مكانا (قوله كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر لقصد الحصر والمعنى خروجهم من قبورهم مثل ما تقدم من عجائب خلق السماء وما بعدها (قوله والاستفهام للتقرير الخ) الاولى ان يقول للانكار والتوبيخ وقوله والمعنى أنهم الخ غير صحيح إذ لو نظروا وعلموا لآمنوا (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) كلام مستأنف قصد به تقرير حقيقة البعث والوعيد لقريش والتسلية لرسول الله (قوله لمعنى قوم) أى لأنه بمعنى أمة (قوله هى بئر) أى خسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبأموالهم (قوله وقيل غيره) هو شعيب أو نبى آخر أرسل بعد صالح لبقية من ثمود (قوله وثمود) ذكرهم بعد أصحاب الرس لأن الرجفة التى أخذتهم مبدأ الخسف لأصحاب الرس وأتبع ثمود بعاد لأن الريح التى أهلكتهم إثر صيحة ثمود (قوله وإخوان لوط) تقدم أنه ابن أخى إبراهيم وأنه هاجر معه من العراق إلى الشام فنزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسدوم وأرسله الله إلى أهلها وهو أجنبى منهم، فكيف يقال إخوانه. أجيب بأنه تزوج منهم وصار صهرا لهم فالأخوة من حيث ذلك (قوله وأصحاب الأيكة) تقدم الكلام عليهم فى الشعراء (قوله أى الغيضة) أى وهى الشجر الملتف وهى هنا بأل المعرفة وفى ص والشعراء بأل ودونها قراءتان سبعيتان (قوله هو ملك كان باليمن) وقيل نبى وهو تبع الحميرى واسمه أسعد وكنيته أبو قرن (قوله كل) التنوين عوض عن المضاف إليه أى كل أمة، والمراد بالكل الكل المجموعى (قوله كذب الرسل) أى ولو بالواسطة كتبع.

يبهج به لحسنه (تَبْصِرَةً) مفعول له، أى فعلنا ذلك تبصيرا منا (وَذِكْرَى) تذكيرا (لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) رجاع إلى طاعتنا (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا) كثير البركة (فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ) بساتين (وَحَبَّ) الزرع (الْحَصِيدِ) المحصود (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) طوال حال مقدرة (لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ) متراكب بعضه فوق بعض (رِزْقًا لِلْعِبَادِ) مفعول له (وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا) يستوى فيه المذكر والمؤنث (كَذَلِكَ) أى مثل هذا الإحياء (الْخُرُوجُ) من القبور فكيف تنكرونه والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذكر (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل لمعنى قوم (وَأَصْحَابُ الرَّسِّ) هى بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام ونبيهم قيل حنظلة بن صفوان وقيل غيره (وَثَمُودُ) قوم صالح (وَعَادٌ) قوم هود (وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ. وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) أى الغيضة قوم شعيب (وَقَوْمُ تُبَّعٍ) هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه (كُلٌّ) من المذكورين (كَذَّبَ الرُّسُلَ) كقريش،

(قوله فحق وعيد) مضاف لياء المتكلم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها (قوله فلا يضيق صدرك) أى لما تقدم أنه تسلية لرسول الله وتهديد لهم (قوله أفعيينا بالخلق الأول) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والأصل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يحكموا بعجزنا عن الإعادة وفيه إلزام لمنكرى البعث والىّ العجز (قوله بالخلق الأول) الباء سببية أو بمعنى عن والاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله بل هم فى لبس) عطف على مقدر يقتضيه السياق كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق الأول بل هم فى خلط وشبهة من خلق جديد لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن حدود العادات (قوله ولقد خلقنا الانسان) المراد به الجنس الصادق بآدم وأولاده (قوله حال بتقدير نحن) أى لأن الجملة المضارعية المثبتة إذا وقعت حالا لاتقترن بالواو بل تحوى الضمير فقط فان اقترنت بالواو أعربت خبرا لمحذوف وتكون الجملة الاسمية حالا . قال ابن مالك :

وذات بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا ومن الواو خلت
وذات واو بعدها انو مبتدا له المضارع اجعلن مسندا

(قوله مامصدرية) أى والتقدير ونعلم وسوسة نفسه إياه ويصح أن تكون موصولة والضمير عائد عليها والتقدير ونعلم الأمر الذى تحدث نفسه به (قوله الباء زائدة) أى فهو نظير صوت بكذا وقوله أو التعدية أى فالنفس تجعل الانسان قائمة به الوسوسة (قوله والضمير للانسان) (١١٢) أى لجعل الانسان مع نفسه شخصين تجرى بينهما مكالمة ومحادثة تارة يحدثها وتارة تحدثه وهذه الوسوسة لايؤاخذ بها الانسان خيرا أو شرا ومثلها الخاطر والهاجس وأما الهم فيكتب فى الخير لا فى الشر وأما العزم فيكتب خيرا أو شرا ، وقد تقدم ذلك (قوله ونحن أقرب إليه) أى لأن الله لايحجبه شىء بل هو القائم على كل نفس لاتخفى عليه خافية فقربه تعالى من عبده اتصال تصاريفه فيه بحيث لايغيب عنه طرفة عين قال تعالى - وهو معكم أينما كنتم - (قوله من حبل الوريد) هذا مثل فى شدة القرب والحبل العرق (قوله والوريدان عرقان بصفحتى العنق) أى مكتنفان صفحتى العنق فى مقدمهما يتصلان بالوتين وهو عرق متصل بالقلب ، وبالأبهر وهو عرق فى الظهر ، وبالأكحل وهو عرق فى الذراع ، وبالنسا وهو عرق فى الفخذ ، وبالأسلم وهو عرق فى الخنصر متى قطع من أى جهة مات صاحبه . قال القشيرى فى هذه الآية هيبة وفزع وخوف وروح وأنس وسكون قلب لقوم أى بحسب تجلى الله تعالى وشهوده فاذا شهد الانسان جلال الله وهيبته وشدة بطشه وسرعة انتقامه مع شدة تمكنه منه واتصال تصاريفه به ذاب من خشية الله وإذا شهد جمال الله ورحمته وإحسانه أنس وفرح (قوله يأخذ ويثبت) أى يكتبان فى صحيفتى الحسنات والسيئات وقلمهما لسانه ومدادهما ريقه ومحلهما من الانسان نواجذه (قوله مايعمله) مفعول يتلقى (قوله أى قاعدان) أشار بذلك إلى أن قعيد مفرد أقيم مقام المثنى لأن فعيلا يستوى فيه الواحد والاثنان والجمع (قوله وهو مبتدأ خبره ماقبله) أى والجملة فى محل نصب على الحال من المتلقيان (قوله مايلفظ من قول الخ) مانافية ومن زائدة فى المفعول وقوله لديه خبر مقدم ورقيب مبتدأ مؤخر والجملة حالية (قوله وكل منهما بمعنى المثنى) أى فالمعنى إلا لديه ملكان موصوفان بأنهما رقيبان وعتيدان فكل منهما موصوف بأنه رقيب وعتيد وقوله حاضر أى فلا يفارقه إلا فى مواضع ثلاثة فى الخلاء وعند الجماع وفى حالة الجنابة فاذا فعل العبد فى تلك الحالات حسنة أو سيئة عرفاها عند كتبها ...

(فَحَقَّ وَعِيدِ) وجب نزول العذاب على الجميع فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) أى لم نعى به فلا نعيا بالإعادة (بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ) شك (مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) وهو البعث (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ) حال بتقدير نحن (مَا) مصدرية (تُوَسْوِسُ) تحدث (بِهِ) الباء زائدة أو للتعدية والضمير للانسان (نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ) بالعلم (مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) الإضافة للبيان ، والوريدان عرقان بصفحتى العنق (إِذْ) ناصبه اذكر مقدراً (يَتَلَقَّى) يأخذ ويثبت (الْمُتَلَقِّيَانِ) الملكان الموكلان بالإنسان ما يعمله (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ) منه (قَعِيدٌ) أى قاعدان وهو مبتدأ خبره ما قبله (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ) حافظ (عَتِيدٌ) حاضر وكل منهما بمعنى المثنى .

(وجاءت

(قوله وجاءت سكرة الموت) أى حضرت إما بالموت فرادى وهوظاهر وأقع أو دفعة عند النفخة الأولى و إنما عبر عنها بالماضى لتحقق وقوعها و إشارة إلى أنها فى غاية القرب (قوله بالحق) الباء للتعدية أى أتت بالأمر الحق أى أظهرته والمراد به مابعد الموت من أهوال الآخرة ، ومعنى كونه حقا أنه واقع لامحالة (قوله وهو نفس الشدّة) المناسب حذف هذه العبارة الاستغناء بما قبلها عنها إلا أن يقال إن الضمير فى هو عائد على أمر الآخرة والمراد بالشدّة الأمر الشديد وهو أهوال الآخرة (قوله تهرب) بضم الراء من باب طلب (قوله ونفخ فى الصور) عطف على قوله وجاءت سكرة الموت والصور هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل لايعلم قدره إلا الله تعالى وقد التقمه إسرافيل من حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظرا للاذن بالنفخ (قوله إلى يوم النفخ) أى فالإشارة إلى الزمان المفهوم من قوله نفخ لأن الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان (قوله معها سائق وشهيد) اختلف فى معنى السائق والشهيد على أقوال أشهرها ماقاله المفسر وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات ، وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله وقيل غير ذلك (قوله ويقال للكافر) هذا أحد قولين ، وقيل إن القول يقع للمسلم أيضا لكن على سبيل التهنئة (١١٣) ، ومعنى كنت فى غفلة كنت فى حجاب لم تشاهده بالبصر إذ ليس راء كمن سمع فكشفنا عنك غطاءك فتهنأ بما رأيت وتمل بما أعطيت من النعيم المقيم (قوله فكشفنا عنك غطاءك) أى حجابك وهو الغفلة والانهماك فى الشهوات (قوله حادّ) أى نافذ لزوال المانع للإبصار (قوله الملك الموكل به) أى فى الدنيا لكتابة أعماله وهو الرقيب العتيد المتقدم ذكره ، والمعنى أن الملك يقول هذا عمله المكتوب عندى حاضر لدىّ ، وقيل المراد بقرينه الشيطان المقيض له واسم الاشارة عائد على ذات الشخص الكافر ، والمعنى يقول الشيطان هذا الشخص الذى عندى حاضر معدّ ومهيأ للنار (قوله هذا مالدىّ عتيد) يصح أن تكون مانكرة موصوفة وعتيد صفتها ولدى متعلق بعتيد أى هذا شىء حاضر عندى و يصح أن تكون ماموصولة بمعنى الذى ولدىّ صلتها وعتيدخبر الموصول والموصول وصلته خبر اسم الاشارة (قوله أى ألق ألق الخ) لما جعل المفسر الخطاب للواحد احتاج للجواب عن التثنية فى قوله ألقيا فأجاب بجوابين الأوّل أنه تثنية بحسب الصورة والأصل أن الفعل مكرر للتوكيد فحذف الثانى وعبر عنهما بضمير التثنية فعلى هذا يعرب بحذف النون والألف فاعل . الثانى أن الألف ليست للتثنية بل هى منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة وأجرى الوصل هنا مجرى الوقف (قوله و به قرأ الحسن) أى وهى قراءة شاذة (قوله معاند) أى معرض عن الحق مخالف له (قوله مبتدأ ضمن معنى الشرط) المناسب أن يقول مبتدأ يشبه الشرط (قوله تفسيره) أى تخريجه مثل ماتقدم من حيث الاعتذار عن التثنية (قوله قال قرينه الخ) أى جوابا عما ادعاه الكافر عليه بقوله هو أطغانى فالكافر أولا يقول الشيطان أطغانى فيجيبه الشيطان بقوله ربنا ما أطغيته وكان الأولى للمفسر أن يقدم قوله هو أطغانى بأن يقول وقال قرينه جوابا لقوله هو أطغانى ربنا الخ .

(وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ) غمرته وشدته (بِالْحَقِّ) من أمر الآخرة حتى يراه المنكر لها عيانا وهو نفس الشدة (ذَٰلِكَ) أى الموت (مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) تهرب وتفزع (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) للبعث (ذَٰلِكَ) أى يوم النفخ (يَوْمُ الْوَعِيدِ) للكفار بالعذاب (وَجَاءَتْ) فيه (كُلُّ نَفْسٍ) إلى المحشر (مَعَهَا سَائِقٌ) ملك يسوقها إليه (وَشَهِيدٌ) يشهد عليها بعملها هو الأيدى والأرجل وغيرها ، و يقال للكافر (لَقَدْ كُنْتَ) فى الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا) النازل بك اليوم (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أزلنا غفلتك بما تشاهده اليوم (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) حادّ تدرك به ما أنكرته فى الدنيا (وَقَالَ قَرِينُهُ) الملك الموكل به (هَٰذَا مَا) أى الذى (لَدَيَّ عَتِيدٌ) حاضر فيقال لمالك (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ) أى ألق ألق أو ألقين و به قرأ الحسن فأبدلت النون ألفا (كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) معاند للحق (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) كالزكاة (مُعْتَدٍ) ظالم (مُرِيبٍ) شاك فى دينه (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ) مبتدأ ضمن معنى الشرط خبره (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) تفسيره مثل ماتقدم (قَالَ قَرِينُهُ) الشيطان (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ) أضللته (وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) فدعوته فاستجاب لى وقال هو أطغانى بدعائه لى ،

(قوله لاتختصموا) خطاب للكافرين وقرنائهم (قوله أى ماينفع الخصام هنا) أى فى موقف الحساب (قوله وقد قدمت إليكم بالوعيد) ظاهره أن الجملة حال من قوله لا تختصموا وهو مشكل بأن التقديم بالوعيد فى الدنيا والاختصام فى الآخرة . وأجيب بأن الكلام على حذف والأصل وقد ثبت الآن أنى قد قدمت إليكم الخ (قوله ولابدّ) أى لاتطمعوا أنى أبدل وعيدى فان وعيدى للكافرين حتم كوعدى للمؤمنين (قوله مايبدّل القول) المراد بالقول الوعيد بتخليد الكافر فى النار (قوله فى ذلك) أى فى ذلك اليوم فاسم الاشارة عائد على يوم الحساب (قوله لاظلم اليوم) أى و إذا انتفى الظلم عنه فى هذا اليوم فنفى الظلم عنه فى غيره أحرى ، سبحان من تنزه عن الظلم عقلا ونقلا (قوله ناصبه ظلام) أى والمعنى ماأنا بظلام يوم قولى لجهنم الخ (قوله استفهام تحقيق لوعده بملئها) خاطب الله سبحانه وتعالى جهنم خطاب العقلاء وأجابته جواب العقلاء ولا مانع من ذلك عقلا ولا شرعا لما ورد « تحاجت الجنة والنار واشتكت النار إلى ربها » فلا حاجة إلى تكلف المجاز مع التمكن من الحقيقة فى هذا ونظائره مما ورد فى السنة من نطق الجمادات والمراد باستفهام التحقيق التقرير فالله تعالى يقررها بأنها قد امتلأت (قوله وتقول بصورة الاستفهام كالسؤال)أى أجابته جوابا صورته استفهام ومعناه الخبر كما أشار له المفسر بقوله أى امتلأت و إنما أجابته بصورة الاستفهام ليكون طبق السؤال لكن استفهام السؤال تقريرى واستفهام جوابها إنكارى هذا مامشى عليه المفسر، وقيل إن الاستفهام لطلب الزيادة فهو بمعنى زدنى و يدلّ عليه ماجاء فى الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم « لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوى بعضها على بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولايزال فى الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة » وفى رواية «فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط فهنالك تمتلئ وينزوى بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فان الله ينشئ لها خلقا » انتهى ولفظ القدم والرجل

(قَالَ) تعالى : (لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ) أى ماينفع الخصام هنا (وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ) فى الدنيا (بِالْوَعِيدِ)بالعذاب فى الآخرة لو لم تؤمنوا ولابد منه (مَايُبَدَّلُ) يغير (الْقَوْلُ لَدَىَّ) فى ذلك (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) فأعذبهم بغير جرم ، وظلام بمعنى ذى ظلم لقوله «لاظلم اليوم» (يَوْمَ) ناصبه ظلام (نَقُولُ) بالنون والياء (لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ) استفهام تحقيق لوعده بملئها (وَتَقُولُ) بصورة الاستفهام كالسؤال (هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) أى فىّ لا أسع غير ما امتلأت به أى قد امتلأت (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) قربت (لِلْمُتَّقِينَ) مكانا (غَيْرَ بَعِيدٍ) منهم فيرونها ويقال لهم (هٰذَا) المرئى (مَا تُوعَدُونَ) بالتاء والياء فى الدنيا و يبدل من المتقين قوله (لِكُلِّ أَوَّابٍ) رجاع إلى طاعة الله (حَفِيظٍ) ،

حافظ

فى الحديث من المتشابه يأتى فيه مذهب السلف والخلف ، فالسلف ينزهونه عن الجارحة و يفوّضون علمه لله تعالى، والخلف لهم فيه تأويل : منها أن المراد بالقدم والرجل قوم من أهل النار فى علم الله لأن القدم والرجل يطلقان فى اللغة على العدد الكثير من الناس فكأنه قال حتى يضع ربّ العزة فيها العدد الكثير من الناس الموعودين بها و يؤيده ماورد عن ابن مسعود « إن ما فى النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذى قد عرف اسمه وصفته فاذا استوفى ماأمر به ومايتنظره ولم يبق أحد منهم قالت الخزنة : قط قط حسبنا حسبنا اكتفينا اكتفينا وحينئذ فتنزوى جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر »اه . ومنها أن وضع القدم والرجل كناية عن تجلى الجلال عليها فتتصاغر وتضيق وتنزوى فتقول قط قط وهذا هو الأقرب (قوله للمتقين) المراد بهم من ماتوا على التوحيد (قوله مكانا) قدره المفسر إشارة إلى أن قوله غير بعيد صفة لموصوف محذوف فهومنصوب على الظرفية لقيامه مقام الظرف ولم يقل غير بعيدة إما لأنه صفة لمذكر محذوف أولأن فعيلا يستوى فيه المذكر والمؤنث وأتى بهذه الجملة عقب قوله وأزلفت للتأكيد كقولهم هوقريب غير بعيد وعزيز غير ذليل. إن قلت إن الجنة مكان والشأن انتقال الشخص للمكان لاانتقال المكان للشخص . أجيب بأنه أضاف القرب لها إكراما للمؤمنين كأن الاكرام ينقل لهم وهو كناية عن سهولة وصولهم إليها (قوله و يبدل من المتقين) أى باعادة الجار وجملة : هذا ماتوعدون معترضة بين البدل والمبدل منه .

(قوله حافظ لحدوده) أى حفيظ بمعنى حافظ لا بمعنى محفوظ (قوله من خشى الرحمن) إما بدل من كل أو مستأنف خبر لمحذوف (قوله خافه ولم يره) أشار بذلك إلى أن قوله بالغيب حال من المفعول والمعنى خشيه والحال أن الله غائب عنه: أى متحجب بصفة جلاله وكبريائه ويصح أن يكون حالا من الفاعل والمعنى خشى الرحمن والحال أن الشخص غائب عن الله أى محجوب عنه (قوله أى سالمين من كل مخوف) أشار بذلك إلى أن قوله بسلام حال من فاعل ادخلوها وهى حال مقارنة (قوله أومع سلام) أى أن دخولهم مصحوب بالسلام من بعضهم على بعض أو من الله وملائكته عليهم وحينئذ فالمعنى ادخلوها مسلما عليكم (قوله ذلك اليوم الذى حصل فيه الدخول الخ) فائدة هذا القول بشرى المؤمنين وطمأنينة قلوبهم (قوله لهم مايشاءون) أى مايشتهون ويريدونه يحصل لهم عاجلا وقوله فيها إما متعلق بيشاءون أو حال من ما (قوله زيادة على ماعملوا وطلبوا) أى وهو النظر إلى وجه الله الكريم لما قيل: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو المزيد، وقيل إن السحابة تمر شجرة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فيقلن نحن المزيد الذى قال الله فيه: ولدينا مزيد (قوله وكم أهلكنا الخ) كم خبرية معمولة لأهلكنا ومن قرن تمييز لكم وقوله هم أشد منهم مبتدأ وخبر والجملة صفة إما لكم أو لقرن وبطشا تمييز، والمعنى إننا أهلكنا قرونا كثيرة أشد بأسا وبطشا من قريش ففتشوا فى البلاد عند نزول العذاب بهم فلم يجدوا مخلصا (قوله فنقبوا فى البلاد) أى ساروا فيها طالبين المهرب (قوله لهم أو لغيرهم) هذا يقتضى أن جملة هل من محيص استئنافية من كلامه تعالى وحينئذ فالوقف على قوله فى البلاد ويكون فى الكلام حذف والتقدير ففتشوا فى البلاد هاربين فلم يجدوا مخلصا فهل من قرار لهم أو لغيرهم، وقيل إنها من كلامهم والتقدير قائلين هل من محيص لنا (قوله إن فى ذلك المذكور) أى من أول السورة إلى هنا (قوله أو ألقى السمع) أو مانعة خلو تجوز الجمع وهو المطلوب فان الموعظة لا تفيد ولا ينتفع بها صاحبها إلا إذا كان ذا عقل وأصغى بسمعه وأحضر قلبه فان لم يكن كذلك فلا ينتفع بها (قوله استمع الوعظ) أى بكليته حتى كأنه يلقى شيئا من علو إلى أسفل (قوله وهو شهيد) الجملة حالية أى ألقى السمع والحال أنه حاضر القلب غير مشتغل بشىء غير ماهو فيه وحضور القلب على مراتب: مرتبة العامة أن يشهد الأوامر والنواهى من القارىء. ومرتبة الخاصة أن يشهد الشخص منهم أنه فى حضرة الله تعالى يأمره وينهاه. ومرتبة خاصة الخاصة أن يفنوا عن حسهم ويشاهدوا أن القارىء هو الله تعالى وإنما لسانه ترجمان عن الله تعالى (قوله فى ستة أيام) أى تعليما لعباده التمهل والتأنى فى الأمور وإلا فلو شاء لخلق الكل فى أقل من لمح البصر (قوله من لغوب) من زائدة فى الفاعل واللغوب مصدر لغب من باب دخل وتعب الاعياء والتعب والعامة على ضم اللام وقرىء شذوذا بفتحها والجملة إما حالية أو مستأنفة (قوله نزل ردا على اليهود الخ) أى فقالوا خلق الله السموات والأرض فى ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فنزلت هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم فى قولهم استراح يوم السبت بقوله ومامسنا من لغوب (قوله ولعدم المماسة بينه وبين غيره) أى من الموجودات التى يوجدها والتعب والاعياء إنما يحصل من العلاج ومماسة الفاعل لمفعوله كالنجار والحداد وغير ذلك وهذا إنما يكون فى أفعال المخلوقين (قوله إنما أمره) أى شأنه

حافظ لحدوده (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) خافه ولم يره (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) مقبل على طاعته، ويقال للمتقين أيضا (ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ) أى سالمين من كل مخوف أو مع سلام: أى سلموا وادخلوا (ذَٰلِكَ) اليوم الذى حصل فيه الدخول (يَوْمُ الْخُلُودِ) الدوام فى الجنة (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) زيادة على ما عملوا وطلبوا (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أهلكنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار (هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا) قوة (فَنَقَّبُوا) فتشوا (فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) لهم أو لغيرهم من الموت فلم يجدوا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) المذكور (لَذِكْرَىٰ) لعظة (لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) عقل (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ) استمع الوعظ (وَهُوَ شَهِيدٌ) حاضر بالقلب (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) تعب، نزل ردا على اليهود فى قولهم إن الله استراح يوم السبت، وانتفاء التعب عنه لتنزهه تعالى عن صفات المخلوقين ولعدم المماسة بينه وبين غيره، إنما أمره،

(قوله إذا أراد شيئا) أى إيجاد شىء أو إعدامه (قوله أن يقول له كن فيكون) أى من غير فعل ولا معالجة حمل وهذا على حسب التقريب للعقول و إلا فنى الحقيقة لاقول ولا كاف ولا نون (قوله من التشبيه) أى تشبيه الله بغيره إذ نسبوا له الاعياء والاستراحة وغير ذلك من كفرياتهم (قوله وسبح بحمد ربك الخ) أى حيث لم يهتدوا ولم يتبعوك فاشتغل بعبادة ربك ولا تتركها حزنا على عدم إيمانهم وذلك أن الله تعالى أمره بشيئين هداية الخلق وعبادة ربه بحيث فاته هدايتهم فلا يترك العبادة لأنه ليس مأمورا بجهادهم حينئذ (قوله صل حامدا) أشار بذلك إلى أن سبح معناه صل إما مجاز من إطلاق الجزء على الكل أو حقيقة لأن من جملة معانى الصلاة التسبيح لما ورد عن عائشة «كنت أصلى سبحة الضحى الخ» (قوله بفتح الهمزة جمع دبر) أى أعقاب الصلاة من أدبرت الصلاة إذا انقضت (قوله و بكسرها مصدر أدبر) أى والمعنى وقت إدبار الصلاة: أى انقضائها وتمامها والقراءتان سبعيتان (قوله وقيل المراد حقيقة التسبيح) أى لما ورد «من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون وتمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير غفرت خطاياه و إن كانت مثل زبد البحر» (قوله مقولى) أشار بذلك إلى أن مفعول استمع محذوف: أى استمع ما أقول لك فى شأن أحوال يوم القيامة وقوله يوم ينادى كلام مستأنف مبين للمفعول المحذوف (قوله يوم يناد) الوقف عليها إما بالياء أو بدونها قراءتان سبعيتان والمناد إما بالياء وصلا ووقفا أو بإثباتها وصلا لا وقفا أو بحذفها وصلا ووقفا ثلاث قراآت (قوله هو إسرافيل) هذا أحد قولين، وقيل المنادى جبريل والنافخ إسرافيل (قوله أقرب موضع من الأرض إلى السماء) أى بإثنى عشر ميلا (قوله والأوصال) أى العروق (قوله بالحق حال من الواو) أى يسمعون ملتبسين بالحق أو من الصيحة أى ملتبسة بالحق وعبارة المفسر تقتضى أن الباء للتعدية (قوله ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده) هذا يقتضى أنها غير النداء المذكور مع أن النداء المذكور هو ما يسمع من النفخة فهذا الصنيع غير مستقيم إلا على القول بأن المنادى جبريل والنافخ إسرافيل (قوله أى يعلمون عاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر ولو قدره بلصقه لكان أولى (قوله إنا نحن نحيى) أى فى الدنيا وقوله و إلينا المصير أى فى الآخرة (قوله ومابينهما) أى وهو قوله إنا نحن نحيى ونميت و إلينا المصير (قوله بتخفيف الشين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حال من مقدر) أى ويصح أن يكون حالا من ضمير عنهم (قوله للاختصاص) أى الحصر والمعنى لا يتيسر ذلك إلا على الله وحده

إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (فَاصْبِرْ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (عَلَى مَا يَقُولُونَ) أى اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) صل حامدا (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) أى صلاة الصبح (وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) أى صلاة الظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) أى صل العشاءين (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) بفتح الهمزة جمع دبر و بكسرها مصدر أدبر أى صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل المراد حقيقة التسبيح فى هذه الأوقات ملابسا للحمد (وَاسْتَمِعْ) يا مخاطب مقولى (يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ) هو إسرافيل (مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) من السماء، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء يقول: أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (يَوْمَ) بدل من يوم قبله (يَسْمَعُونَ) أى الخلق كلهم (الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ) بالبعث وهى النفخة الثانية من إسرافيل، ويحتمل أن تكون قبل ندائه أو بعده (ذَلِكَ) أى يوم النداء والسماع (يَوْمُ الْخُرُوجِ) من القبور وناصب يوم ينادى مقدرا: أى يعلمون عاقبة تكذيبهم (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ. يَوْمَ) بدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض (تَشَقَّقُ) بتخفيف الشين وتشديدها بإدغام التاء الثانية فى الأصل فيها (الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا) جمع سريع حال من مقدر: أى فيخرجون مسرعين (ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ) فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص وهو لا يضر وذلك إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه وهو الإحياء بعد الفناء والجمع للعرض والحساب.

(نحن

(قوله نحن أعلم بما يقولون) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله بجبار) صيغة مبالغة من جبر الثلاثى و يقال أيضا أجبر رباعيا فهما لغتان فيه (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أى فهو منسوخ (قوله من يخاف وعيد) يرسم بدون ياء وفى اللفظ يقرأ بإثباتها وصلا لاوقفا و بحذفها وصلا ووقفا قراءتان سبعيتان (قولهوهم المؤمنون) خصهم لأنهم المنتفعون به ، و يؤخذ من الآية أنه ينبغى للشخص أن لايعظ إلا من يسمع وعظه ويقبله .

[سورة الذاريات] وفى بعض النسخ والذاريات بالواو (قوله والذاريات) الواو للقسم والذاريات مقسم به والحاملات عطف عليه والجاريات عطف على الحاملات والمقسمات عطف على الجاريات والمقسم عليه هو قوله إنما توعدون لصادق و إنما أقسم بهذه الأشياء تعظيما لها ولكونها دلائل على باهر قدرة الله و يصح أن يكون الكلام على حذف مضاف أى ورب هذه الأشياء فالقسم بالله لابتلك الأشياء (قوله تذرو التراب) أى ففعله واوى من باب عدا وأشار به إلى أن مفعول الذاريات محذوف (قوله مصدر) أى مؤكد وناصبه اسم الفاعل (قوله ويقال تذريه) أى ففعله يأتى من باب

(نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) أى كفار قريش (وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ) تجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالجهاد (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ) وهم المؤمنون .

(سورة الذاريات)

مكية ، ستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالذَّارِيَاتِ) الرياح تذرو التراب وغيره (ذَرْوًا) مصدر ، ويقال تذريه ذريا : تهب به (فَالْحَامِلَاتِ) السحب تحمل الماء (وِقْرًا) ثقلا مفعول الحاملات (فَالْجَارِيَاتِ) السفن تجرى على وجه الماء (يُسْرًا) بسهولة مصدر فى موضع الحال : أى ميسرة (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) مامصدرية : أى إن وعدهم بالبعث وغيره (لَصَادِقٌ) لوعد صادق (وَإِنَّ الدِّينَ) الجزاء بعد الحساب (لَوَاقِعٌ) لامحالة (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) جمع حبيكة كطريقة وطرق : أى صاحبة الطرق فى الخلقة كالطرق فى الرمل (إِنَّكُمْ) ياأهل مكة فى شأن النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن (لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ) قيل شاعر ساحر كاهن ، شعر سحر كهانة (يُؤْفَكُ) يصرف (عَنْهُ) عن النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن أى عن الإيمان به (مَنْ أُفِكَ) صرف عن الهداية فى علم الله تعالى (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) لعن الكذابون أصحاب القول المختلف (الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ) جهل يغمرهم ،

رمى (قوله تهب به) راجع لكل من الواوى واليائى (قوله وقرا) الوقر والثقل والحمل كلها ألفاظ متحدة الوزن والمعنى (قوله مفعول الحاملات) أى مفعول به للحاملات (قوله أمرا) إما مفعول به أوحال أى مأمورة وعليه فيحتاج إلى حذف مفعول المقسمات (قوله الملائكة تقسم الأرزاق الخ) أى ورؤساء ذلك أربعة : جبريل وهو صاحب الوحى إلى الأنبياء وميكائيل صاحب الرزق و إسرافيل صاحب الصور وعزرائيل صاحب قبض الأرواح وما مشى عليه المفسر فى تفسير هذه الأشياء هو المشهور ، وقيل هذه الأوصاف الأربعة للرياح لأنها تثير السحاب ثم تحمله وتنقله ثم تجرى به ريا سهلا ثم تقسم الأمطار بتصريف السحاب (قوله أي إن وعدهم) صوابه بكاف الخطاب (قوله لواقع) أى حاصل (قوله والسماء ذات الحبك) بضمتين فى قراءة العامة وقرئ بوزن إبل وسلك وجبل ونعم و برق (قوله فى الخلقة) أشار به إلى أن المراد بها الطرق المحسوسة التى هى مسير الكواكب و يصح أن المراد بها الطرق المعنوية للناظرين الذين يستدلون بها على توحيد الله تعالى (قوله إنكم لفى قول مختلف) جواب القسم (قوله قيل شاعر الخ) المناسب أن يقول قلتم (قوله عن النبى والقرآن) أى فالضمير عائد على أحدهما وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم أى فما من عبد كفر بك إلا لسابق كفره أزلا و يصح أن يكون الضمير عائدا على القول المذكور والمعنى يصرف عن هذا القول المختلق من صرف عنه وهو من أراد الله هدايته كالمؤمنين (قوله قتل الخراصون) هذا التركيب فى الأصل مستعمل فى القتل حقيقة ثم استعمل فى اللعن على سبيل الاستعارة حيث شبه من فاتته السعادة بالمقتول الذى فاتته الحياة وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشئ من لوازمه

وهو القتل فاثباته تخييل (قوله يسألون أيان يوم الدين) أيان خبر مقدم ويوم الدين مبتدأ مؤخر (قوله أى متى مجيئه) جواب عن سؤال مقدر تقديره إن الزمان لايخبر به عن الزمان وإنما يخبر به عن الحدث . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف (قوله وجوابهم) أى جواب سؤالهم وإنما أجيبوا بما لاتعيين فيه لأنهم مستهزئون لامتطلعون (قوله على النار يفتنون) عداه بعلى لتضمنه معنى يعرضون (قوله هذا) مبتدأ وقوله الذى كنتم الخ خبره (قوله إن المتقين الخ) لما بين حال الكفار وما أعد لهم فى الآخرة أخذ يبين أحوال المتقين وما أعد لهم (قوله تجرى فيها) جواب عما يقال إن المتقين لم يكونوا فى العيون فكيف قال فى جنات وعيون . فأجاب بأن المراد أن العيون تجرى فى الجنة تكون فى جهاتهم وأمكنتهم (قوله حال من الضمير فى خبر إن) أى كائنون فى جنات وعيون حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم أى راضين به (قوله من الثواب) بيان لما (قوله كانوا قليلا الخ) تفسير للاحسان (قوله وبالأسحار) متعلق بيستغفرون المعطوف على يهجعون والباء بمعنى فى والأسحار جمع سحر وهو سدس الليل الأخير (قوله يقولون اللهم اغفر لنا) أى تقصيرنا

(ساهُونَ) غافلون عن أمر الآخرة (يَسْأَلُونَ) النبى استفهام استهزاء (أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ) أى متى مجيئه ، وجوابهم يجىء (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ) أى يعذبون فيها ويقال لهم حين التعذيب (ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ) تعذيبكم (هٰذَا) التعذيب (الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) فى الدنيا استهزاء (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ) بساتين (وَعُيُونٍ) تجرى فيها (آخِذِينَ) حال من الضمير فى خبر إن (مَا آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ) من الثواب (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذٰلِكَ) أى دخولهم الجنة (مُحْسِنِينَ) فى الدنيا (كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) ينامون وما زائدة ويهجعون خبر كان وقليلا ظرف . أى ينامون فى زمن يسير من الليل ويصلون أكثره (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) يقولون اللهم اغفر لنا (وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) الذى لايسأل لتعففه (وَفِى الْأَرْضِ) من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها (آيَاتٌ) دلالات على قدرة الله سبحانه وتعالى ووحدانيته (لِلْمُوقِنِينَ . وَفِى أَنْفُسِكُمْ) آيات أيضاً من مبدإ خلقكم إلى منتهاه وما فى تركيب خلقكم من العجائب (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته (وَفِى السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ) أى المطر المسبب عنه النبات الذى هو رزق (وَمَا تُوعَدُونَ) من المآب والثواب والعقاب أى مكتوب ذلك فى السماء (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ) ،

فى حقك فانه لايقدرك أحد حق قدرك (قوله وفى أموالهم حق) أى يقتضى كرمهم جعلوه كالواجب عليهم كصلة الأرحام ومواساة الفقراء والمساكين والمعنى أنهم بذلوا نفوسهم وأموالهم فى طاعة ربهم (قوله لتعففه) أى فيظن غنيا فيحرم الصدقة وهذا على حد تفسير القانع والمعتر (قوله وفى الأرض آيات الخ) الجار والمجرور خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وقوله وفى أنفسكم خبر حذف مبتدؤه لدلالة ماقبله عليه وهو كلام مستأنف قصد به الاستدلال على قدرته تعالى ووحدانيته أى وقد اشتمل على دليلين الأرض والأنفس (قوله من الجبال الخ) بيان للأرض فالمراد بها ماقابل السماء (قوله دلالات على قدرة الله تعالى الخ) أى وجميع صفاته الكمالية (قوله من مبدإ خلقكم إلى منتهاه) أى كالأطوار المذكورة فى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الخ (قوله وما فى تركيب خلقكم الخ) أى كحسن القامة وحسن الشكل ونحو ذلك (قوله أفلا تبصرون) جملة مستأنفة قصد بها الحث على النظر والتأمل (قوله وفى السماء رزقكم) كلام آخر قصد به الامتنان والوعد والوعيد (قوله أى المطر المسبب عنه النبات) أى فالكلام على حذف مضاف والتقدير وفى السماء سبب رزقكم (قوله وما توعدون) عطف عام (قوله أى مكتوب ذلك) أى ماتوعدون فهو تفسير لظرفية ماتوعدون فى السماء وأماظرفية الرزق فيها فظاهرة إذ المطرفيها حقيقة ، والمعنى أن جميع ماتوعدون به من خير وشر مكتوب فى السماء تنزل به الملائكة الموكلون تدبير العالم على طبق ماأمروا به (قوله فورب السماء والأرض الخ) هذا قسم من الله تعالى على ماذكره من الرزق وغيره وأنه مثل النطق فى كونه حقا لايفارق الشخص فى حال من أحواله

(قوله أى ما توعدون) أى ورزقكم أيضا (قوله برفع مثل صفة) أى لحق (قوله و بفتح اللام) أى والقراءتان سبعيتان (قوله مركبة مع ما) أى حال كونها مركبة مع ما تركيب مزج كـكلما وطالما فيقال فى إعرابها مثلما صفة لحق مبنى على السكون فى محل رفع ومثل ما مضاف وجملة أنكم تنطقون مضاف إليه فى محل جر (قوله المعنى) أى معنى القراءتين (قوله مثل نطقكم فى حقيته) أى فكما أنه لاشك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى لكم أن لاتشكوا فى حقيته ، حكى أن رجلا جاع فى مكان وليس فيه شئ فقال اللهم رزقك الذى وعدتنى فأتنى به فشبع وروى من غير طعام ولا شراب (قوله هل أتاك الخ) استفهام تشويق وتفخيم لشأن تلك القصة ، وقيل إن هل بمعنى قد كما فى قوله تعالى ـ هل أتى على الانسان حين من الدهر ـ (قوله ضيف إبراهيم) الضيف فى الأصل مصدر ضاف ولذلك يطلق على الواحد والجماعة (قوله المكرمين) أى المعظمين (قوله منهم جبريل) أى على جميع الأقوال (قوله ظرف لحديث ضيف) هذا أحد أوجه فى عامل الظرف . الثانى أنه منصوب بما فى ضيف من معنى الفعل لكونه فى الأصل مصدرا . الثالث أنه منصوب بالمكرمين . الرابع أنه منصوب بفعل محذوف تقديره اذكر ولا يصح نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (قوله فقالوا سلاما) أى نسلم عليكم سلاما، وقوله قال سلام: أى عليكم سلام وعدل إلى الرفع قصدا للاثبات فتحيته أحسن من تحيتهم (قوله قوم منكرون) أى لا نعرف من أى بلدة قدموا ، وفى هود ـ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ـ فمقتضاه أن إنكارهم إنما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل وامتناعهم من الأكل ، ومقتضى ما هنا أنه قبل ذلك . وحاصل الجمع بين الموضعين أن الانكار هنا غيره فيما تقدم فما هنا محمول على عدم العلم بأنهم من أى جهة ، وما تقدم محمول على عدم العلم بأنهم دخلوا عليه لقصد الخير أو الشر (قوله فراغ إلى أهله) أى خدمه وكان عامة ماله البقر (قوله سرا) أى فى خفية من ضيفه فان من دأب رب المنزل الكريم أن يبادر بالقرى فى خفية حذرا من أن يمنعه الضيف (قوله فقربه إليهم) عطف على محذوف والتقدير فشواه (قوله عرض عليهم الأكل) أشار بذلك إلى أن ألا للعرض وهو الطلب بلين ورفق كما قال الشاعر :

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما ... قد حدثوك فما راء كمن سمعا

(قوله فأوجس) عطف على ما قدره المفسر (قوله خيفة) أى من عدم أكلهم فان الضيف إذا لم يأكل من طعام رب المنزل يخاف منه (قوله قالوا لا تخف) أى لما ظهر لهم أمارات خوفه (قوله إنا رسل ربك) أى إلى قوم لوط ، وقيل مسح جبريل العجل بجناحه فقام يمشى حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (قوله فأقبلت امرأته) أى لما سمعت البشارة المذكورة وكانت فى زاوية من زوايا البيت فجاءت وقالت ماذكر (قوله سارة) بالتخفيف والتشديد لغتان (قوله صيحة) تفسير لصرة ، وتقدم فى هود أنها ضحكت : أى حاضت فلم يكن بين البشارة والولادة إلا سنة (قوله فصكت وجهها) أى ضربته بيدها مبسوطة أو بأطراف أصابعها مثل المتعجب وهى عادة النساء إذا أنكرن شيئا (قوله وقالت عجوز) أى أنا عجوز .

أى ما توعدون (لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ) برفع مثل صفة وما مزيدة و بفتح اللام مركبة مع ما ، المعنى مثل نطقكم فى حقيته أى معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم (هَلْ أَتَاكَ) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم (حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ) وهم ملائكة اثنا عشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل (إِذْ) ظرف لحديث ضيف (دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) أى هذا اللفظ (قَالَ سَلَامٌ) أى هذا اللفظ (قَوْمٌ مُنْكَرُونَ) لا نعرفهم ، قال ذلك فى نفسه وهو خبر مبتدإ مقدر : أى هؤلاء (فَرَاغَ) مال (إِلَى أَهْلِهِ) سرا (فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ) وفى سورة هود بعجل حنيذ : أى مشوى (فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ) عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا (فَأَوْجَسَ) أضمر فى نفسه (مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ) إنا رسل ربك (وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) ذى علم كثير ، هو إسحق كما ذكر فى هود (فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ) سارة (فِى صَرَّةٍ) صيحة حال : أى جاءت صائحة (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) لطمته (وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ) لم تلد قط وعمرها تسع وتسعون سنة وعمر إبراهيم مائة سنة ، أو عمره مائة وعشرون سنة وعمرها تسعون سنة .

(قوله قالوا كذلك) منصوب على المصدر بقال الثانية : أي مثل ذلك القول الذي أخبرناك به - قال ربك - أي قضى وحكم في الأزل فلا تعجبي منه (قوله قال فما خطبكم) أي لما رأى من حالهم وأن اجتماعهم لم يكن لهذه البشارة فقط (قوله لنرسل عليهم حجارة) استدل به على أن اللائط يرجم بالأحجار وكان في تلك المدائن سبعمائة ألف فأدخل جبريل جناحه تحت الأرض فاقتلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء أصواتهم ثم قلبها ثم أرسل الحجارة على من كان منهم خارجا عنها (قوله مسومة) إما حال من حجارة أو صفة ثانية لها (قوله فأخرجنا من كان فيها الخ) حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق الإجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة مع إبراهيم (قوله أي قرى قوم لوط) أي وهي وإن لم تذكر دل عليها السياق (قوله غير بيت) أي غير أهل بيت (قوله وهم لوط وابنتاه) أي وقيل كانوا ثلاثة عشر منهم ابنتاه (قوله وصفوا بالإيمان والإسلام) أي لأن المسلم قد يكون مؤمنا وقد لا يكون (قوله وتركنا) أي أبقينا في القرى (قوله علامة) أي وهي تلك الأحجار والصخر المتراكم والماء الأسود المنتن يشاهدها من يمر بأرضهم (قوله معطوف على فيها) أي على الضمير المجرور بفي (قوله المعنى وجعلنا الخ)

(قالوا كذلك) أي مثل قولنا في البشارة (قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ) في صنعه (الْعَلِيمُ) بخلقه (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) شأنكم (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ) كافرين: أي قوم لوط (لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ) مطبوخ بالنار (مُسَوَّمَةً) معلمة عليها اسم من يرمى بها (عِنْدَ رَبِّكَ) ظرف لها (لِلْمُسْرِفِينَ) بإتيانهم الذكور مع كفرهم (فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا) أي قرى قوم لوط (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لإهلاك الكافرين (فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وهم لوط وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام ، أي هم مصدقون بقلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعات (وَتَرَكْنَا فِيهَا) بعد إهلاك الكافرين (آيَةً) علامة على إهلاكهم (لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) فلا يفعلون مثل فعلهم (وَفِي مُوسَى) معطوف على فيها ، المعنى وجعلنا في قصة موسى آية (إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ) ملتبساً (بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) بحجة واضحة (فَتَوَلَّى) أعرض عن الإيمان (بِرُكْنِهِ) مع جنوده لأنهم له كالركن (وَقَالَ) لموسى هو (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ) طرحناهم (فِي الْيَمِّ) البحر فغرقوا (وَهُوَ) أي فرعون (مُلِيمٌ) آت بما يلام عليه من تكذيب الرسل ودعوى الربوبية (وَفِي) إهلاك (عَادٍ) آية (إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ) هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وهي الدبور (مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ) نفس أو مال (أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ)

أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمفعول محذوف (قوله إذ أرسلناه) الظرف متعلق بآية المحذوف ، والمعنى تركنا في قصة موسى علامة في وقت إرسالنا إياه (قوله ملتبسا بسلطان الخ) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال والباء للملابسة (قوله بحجة واضحة) أي وهي الآيات التسع (قوله كالركن) أي كركن البيت الذي يعتمد عليه فسمي الجنود ركنا لأنه يحصل بهم التقوى والاعتماد كما يعتمد على الركن (قوله وقال لموسى) أي في شأن موسى (قوله ساحر أو مجنون) يحتمل أن أو على بابها من الإبهام على السامع أو للشك نزل نفسه منزلة الشاك تمويها على قومه ويحتمل أنها بمعنى الواو وهو الأحسن لأنه قالهما. قال تعالى - إن هذا الساحر عليم - وقال في موضع آخر - إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون - (قوله وجنوده) معطوف على مفعول أخذناه (قوله وهو مليم) الجملة حالية من مفعول أخذناه (قوله آت بما يلام عليه) أشار بذلك إلى أن إسناد الملام مجاز عقلي على حد عيشة راضية (قوله من تكذيب الرسول الخ) أشار بذلك إلى أن الفعل الذى يحصل اللوم عليه مختلف باعتبار من وصف به فاندفع بذلك ما يقال كيف وصف فرعون بما وصف به ذو النون (قوله وفي إهلاك عاد الخ) في ما تقدم من تقدير المضاف والمفعول يأتي هنا (قوله هي التي لا خير فيها) أي فالعقم في الأصل وصف للمرأة التي لا تلد وصفت به الريح من حيث إنها لا تأتي بخير (قوله وهي الدبور) وقيل هي الجنوب ، وقيل هي النكباء وهي كل ريح هبت بين ريحين والأظهر ما قاله المفسر لما في الحديث « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » (قوله إلا جعلته كالرميم) هذه الجملة في محل المفعول الثاني لتذر كأنه قال ما تترك شيئا إلا مجعولا كالرميم .

(قوله كالبالى المتفتت) وقيل الرميم الرماد ، وقيل التراب المدقوق والمعانى متقاربة (قوله فعتوا عن أمر ربهم) هذا الترتيب فى الذكر فقط وإلا فقول الله لهم تمتعوا متأخر عن العتو (قوله عن أمر ربهم) أى المذكور فى سورة هود بقوله ـ ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ـ الخ (قوله أى الصيحة المهلكة) أى فصاح عليهم جبريل فهلكوا جميعا والصاعقة تطلق على نار تنزل من السماء وعلى الصيحة وهو المراد هنا (قوله أى بالنهار) أشار بذلك إلى أن قوله : وهم ينظرون من النظر ، وقيل هو من الانتظار والمعنى ينتظرون ما وعدوه من العذاب (قوله على من أهلكهم) المناسب أن يقول وما كانوا دافعين عن أنفسهم العذاب إذ لا يتوهم انتصارهم على الله وإنما يتوهم الفرار منه (قوله بالجر عطف على ثمود) هذا أحد أوجه وهو أقربها (قوله وبالنصب) أى على أنه معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله وأهلكنا وفيه أوجه أخر وهذا أحسنها ، وقيل منصوب باذكر مقدرا والقراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف : أى أهلكناهم (قوله والسماء بنيناها) قرأ العامة بنصب السماء على الاشتغال وكذا قوله والأرض فرشناها ، وقرئ شذوذا برفعهما على الابتداء والخبر ما بعدهما والأفصح فى النحو قراءة العامة لعطف الفعلية على الفعلية (قوله بأيد) حال من فاعل بنيناها ، والمعنى بنيناها حال كوننا ملتبسين بقوة وبطش لا بواسطة شىء بل بقول كن (قوله قادرون) فسر الايساع بالقادرية إشارة إلى أن قوله وإنا لموسعون حال مؤكدة وهو من أوسع اللازم كأورق الشجر إذا صار ذا ورق ويستعمل متعديا والمفعول محذوف أى لموسعون السماء : أى جاعلوها واسعة وعليه فتكون حالا مؤسسة إذا علمت ذلك تعلم أن النسخ التى فيها لفظة لها بعد موسعون غير صحيحة لأنها لا تناسب إلا استعماله متعديا والمفسر استعمله لازما حيث قال وأوسع

(۱۲۱)

كالبالى المتفتت (وَفِي) إهلاك (ثَمُودَ) آية (إِذْ قِيلَ لَهُمْ) بعد عقر الناقة (تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ) أى إلى انقضاء آجالكم كما فى آية تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فَعَتَوْا) تكبروا (عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) أى عن امتثاله (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ) بعد مضى الثلاثة أيام : أى الصيحة المهلكة (وَهُمْ يَنْظُرُونَ) أى بالنهار (فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ) أى ما قدروا على النهوض حين نزول العذاب (وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ) على من أهلكهم (وَقَوْمَ نُوحٍ) بالجر عطف على ثمود ، أى وفى إهلاكهم بما فى السماء والأرض آية ، وبالنصب أى وأهلكنا قوم نوح (مِنْ قَبْلُ) أى قبل إهلاك هؤلاء المذكورين (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) بقوة (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) قادرون ، يقال : آد الرجل يئيد : قوى ، وأوسع الرجل صار ذا سعة وقوة (وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا) مهدناها (فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ) نحن (وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ) متعلق بقوله (خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) صنفين كالذكر والأنثى والسماء والأرض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والحلو والحامض والنور والظلمة (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بحذف إحدى التاءين من الأصل فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) أى إلى ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه ،

الرجل الخ (قوله يقال آد الرجل) أى اشتد وقوى كما فى المختار وبابه باع (قوله مهدناها) أى فالفرش كناية عن البسط والتسوية (قوله نحن) أى فالمخصوص بالمدح محذوف (قوله متعلق بقوله خلقنا) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال من زوجين لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله صنفين) أى أمرين متقابلين (قوله كالذكر والأنثى) أشار بتعداد الأمثلة إلى ما نشاهده فلا يرد العرش والكرسى واللوح والقلم فانه لم يخلق من كل إلا واحد (قوله بحذف إحدى التاءين) أى وهذه إحدى القراءتين السبعيتين والأخرى إدغام التاء الثانية فى الذال (قوله ففروا إلى الله) مفرع على ما علم من توحيد الله ، والمعنى حيث علمتم أن الله واحد لا شريك له وأنه الضار النافع المعطى المانع فالجأوا إليه واهرعوا إلى طاعته ، والفرار مراتب ففرار العامة من الكفر والمعاصى إلى الايمان والطاعة ، وفرار الخاصة من كل شاغل عن الله كالمال والولد إلى شهود الله والانهماك فى طاعته فلا يصرف جزءا من أجزائه لغير الله فكما أن الله فى خلق العبد واحد فليكن العبد واحدا فى إقباله على ربه واحدا بحيث لا يجعل فى قلبه غير حب ربه وفى ذلك فليتنافس المتنافسون (قوله أى إلى ثوابه من عقابه الخ) حمله على الفرار العام لأن أوامر القرآن ونواهيه لعامة الخلق التى من امتثلها فقد زحزح عن النار وأدخل الجنة

(قوله إني لكم منه نذير مبين) تعليل لما قبله والضمير في منه عائد على الله والمعنى فرّوا إليه لأني مخوف لكم منه (قوله ولا تجعلوا مع الله إلها آخر الخ) أشار بذلك الى أن الطاعة لاتنفع مع الاشراك ولذا كرر قوله إني لكم منه نذير مبين فالفائز من جمع بين الطاعة والتوحيد ، والمعنى لا تنسبوا وصف الألوهية لغير الله فانه لا يستحقه غيره (قوله يقدر قبل ففرّوا قل لهم) أي فهو مقول لقول محذوف وليس بمتعين إذ يصح أن تكون الفاء فصيحة ، والتقدير إذا علمتم ماتقدم من صفات الله الكمالية ففرّوا إلى الله كما تقدم (قوله كذلك) خبر مقدم وقوله ما أتى الخ مبتدأ مؤخر ، والمعنى تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم كائن كذلك أي كتكذيب أمتك لك كما أفاده المفسر (قوله إلا قالوا ساحر أو مجنون) تقدم أن أو بمعنى الواو ، وحكمة جمعهم بين الوصفين أن خروجه عن عوائدهم وعما عليه آباؤهم وعدم مبالاته بالجم الغفير اقتضى تسميته مجنونا وإتيانه بالمعجزات التي بهرت عقولهم اقتضت تسميته ساحرا (قوله أتواصوا به) أي أوصى بعضهم بعضا بهذه المقالة واجتمعوا عليها (قوله استفهام بمعنى النفي) أي فهو إنكار تعجبي والمعنى ماوقع منهم تواص بذلك لأنهم لم يتلاقوا في زمان واحد (قوله بل هم قوم طاغون) إضراب عن الاستفهام المتقدم وبيان لحقيقة الباعث لهم على تلك المقالة (قوله فتول عنهم) أي أعرض عن خطابهم وجدالهم (قوله فما أنت بملوم) أي لالوم عليك في الاعراض عنهم فانك قد بلغت الغاية في النصح وبذل الجهد ، ولما نزلت هذه الآية حزن رسول الله واشتد الأمر على أصحابه وظنوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر إذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم وجرت عادة الله في الأمم السابقة متى أمر رسولهم بالاعراض عنهم حل بهم العذاب فأنزل الله : وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فسروا بذلك ولذلك قيل إنها ناسخة لما قبلها ولكن الحق أن ماقبلها منسوخ بآية السيف (قوله فان الذكرى تنفع المؤمنين) تعليل لقوله ذكر والمعنى لاتترك التذكير فربما انتفع به من علم الله إيمانه ، ويؤخذ من الآية أن البلاء لاينزل بقوم وفيهم المتذكرون لما ورد أن الله يطلع على عمار المساجد فيرفع العذاب عن مستحقيه (قوله إلا ليعبدون) أي لالطلب الدنيا والانهماك فيها (قوله ولا ينافي ذلك) أي الحصر المذكور وهو جواب عن سؤال مقدر حاصله أن الله تعالى حصر الجن والانس في العبادة فمقتضاه أنه لايخرج أحد عنها مع أنه شوهد كثير من الخلق كفر وترك العبادة . فأجاب المفسر بأن اللام للغاية والعاقبة لاللعلة الباعثة لأن الله لايبعثه شيء على شيء ، وقوله فانك قد لاتكتب به اعترض بأن هذا مسلم في أفعال المخلوقين لجهلهم بعواقب الأمور وأما في حق الله تعالى فلا يصح التخلف في فعله بل مقتضاه أنه عالم بأنهم سيعبدونه ولا بد ولا يمكن تخلفه في البعض فالجواب الصحيح أن يقال إن الله تعالى خلق الخلق وجعلهم مهيئين صالحين للعبادة بأن ركب فيهم عقلا وحواس وجعلهم قابلين للعبادة والطاعة وبعد ذلك اختار لعبادته وطاعته من أحب منهم فلا يلزم من الصلاحية للعبادة وقوعها منهم بالفعل ، وقيل معنى ليعبدون لآمرهم وأكلفهم بعبادتي لاليهتموا بالرزق وينهمكوا في خدمة الدنيا وهذا على حد ـ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ـ وقيل معناه إلا ليوحدون فالمؤمن يوحده طوعا والكافر يوحده كرها ، وقيل إنه عام أريد به الخصوص ، والمعنى وما خلقت الجن والانس المؤمنين إلا ليعبدون بدليل القراءة الشاذة وما خلقت الجن والانس من المؤمنين (قوله ماأريد منهم من رزق لي ولا لأنفسهم) دفع المفسر بقوله لي مايتوهم من عادة سادات العبيد في احتياجهم لمكاسب عبيدهم فالمعنى أن عادة الله سبحانه وتعالى ليست كعادة السادات مع عبيدهم فانهم يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم

(إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الإنذار (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) يقدر قبل ففرّوا قل لهم (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا) هو (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) أي مثل تكذيبهم لك بقولهم إنك ساحر أو مجنون تكذيب الأمم قبلهم رسلهم بقولهم ذلك (أَتَوَاصَوْا) كلهم (بِهِ) استفهام بمعنى النفي (بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) جمعهم على هذا القول طغيانهم (فَتَوَلَّ) أعرض (عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ) لأنك بلغتهم الرسالة (وَذَكِّرْ) عظ بالقرآن (فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) من علم الله تعالى أنه يؤمن (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها كما في قولك : بريت هذا القلم لأكتب به فانك قد لاتكتب به (مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ) لي ولا لأنفسهم وغيرهم ، (وما

(قوله وما أريد أن يطعمون) إن قلت إن هذا يغنى عنه ماقبله . أجيب بأنه أتى به لدفع توهم ماعليه سادات العبيد الأغنياء من احتياجهم للاستعانة بهم فى صنع الطعام مثلا وتهيئته ونحو ذلك فكأنه قال شأن ربنا ليس كشأن السادات مع عبيدهم فليس محتاجا لعبيده فى تحصيل رزق ولا فى صنعه لاله ولا لغيره وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول وإلا فيستحيل على الله عقلا تلك الأوصاف ولاينفى فى نفس الأمر إلا ماجوّزه العقل (قوله إن الله هو الرزاق) أتى بالاسم الظاهر للتفخيم والتعظيم وأكد الجملة بإنّ والضمير المنفصل لقطع أوهام الخلق فى أمور الرزق وليقوى اعتمادهم عليه (قوله المتين) العامة على رفعه وهو إما نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر وقرئ شذوذا بالجرّ (قوله الشديد) أى الذى لايطرأ عليه ضعف ولا عجز (قوله فان للذين ظلموا الخ) أى فلا تحزن على كفر قومك وتسلّ عنهم فلا بد لهم من العذاب (قوله ذنوبا) هو فى الأصل الدلو العظيم شبه به النصيب من العذاب إشارة إلى أنه يصب عليهم كما يصب الذنوب قال تعالى - يصب من فوق رءوسهم الحميم - (قوله أصحابهم) أى نظائرهم من الأمم السابقة (قوله فويل للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميره تسجيلا عليهم بالكفر وإشارا بعلة الحكم (قوله شدة عذاب) وقيل واد فى جهنم (قوله الذى يوعدون) هو مرتبط بقوله تعالى فيما تقدم - إنما توعدون لصادق - الخ

[فائدة] قد تلقينا عن الصالحين فوائد فى استعمال هذه السورة العظيمة كلها مجربة : منها استعمالها إحدى وأربعين مرة على وضوء فى مجلس واحد لتفريج السجن وقضاء الدين وتيسير الرزق والانتصار على الخصم والأمن من كلّ هول دنيا وأخرى واستعمالها ستين مرة عدد آياتها أبلغ فى تلك المطالب .

[سورة الطور مكية]

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ) ولا أنفسهم ولا غيرهم (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) الشديد (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم (ذَنُوبًا) نصيباً من العذاب (مِثْلَ ذَنُوبِ) نصيب (أَصْحَابِهِمْ) الهالكين قبلهم (فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ) بالعذاب إن أخرتهم إلى يوم القيامة (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) فى (يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) أى يوم القيامة .

(سورة الطور)

مكية ، وهى تسع وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالطُّورِ) أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى (وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ . فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ) أى التوراة أو القرآن (وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ) هو فى السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لايعودون إليه أبداً (وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ) أى السماء ،

وفى نسخة والطور (قوله والطور الخ) أقسم الله سبحانه وتعالى بخمسة أقسام تعظيما للمقسم عليه وهو قوله إن عذاب ربك لواقع وتعظيما للمقسم به أيضا فان تلك الأشياء الخمسة عظيمة والواو فى كل إما للقسم أو للعطف فيما عدا الأول (قوله أى الجبل الذى كلم الله عليه موسى) أى والمراد به طور سيناء وهو أحد جبال الجنة وأقسم الله به تشريفا له وتكريما (قوله وكتاب مسطور) أى متفق الكتابة بسطور مصفوفة فى حروف مترتبة جامعة لكلمات متفقة (قوله فى رق منشور) الرقّ الجلد الرقيق الذى يكتب فيه ، وقيل كل ما يكتب فيه جلدا كان أوغيره وهو بفتح الراء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بكسرها ، ومعنى المنشور المبسوط : أى أنه غير مطوىّ وغير محجور عليه (قوله أى التوراة أو القرآن) هذان قولان من جملة أقوال كثيرة فى تفسير الكتاب المسطور ، وقيل هو صحائف الأعمال قال تعالى - ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا - وقيل سائر الكتب المنزلة على الأنبياء وقيل غير ذلك (قوله هو فى السماء الثالثة) وقيل هو فى الأولى ، وقيل هو فى الرابعة ، وقيل هو تحت العرش فوق السابعة ، وقيل هو الكعبة نفسها وعمارتها بالحجاج والزائرين لها لما ورد أن الله يعمره كلّ سنة بستمائة ألف فان عجز الناس عن ذلك أتمه الله بالملائكة (قوله بحيال الكعبة) أى مقابلا لها بإزائها على كلّ قول (قوله يزوره الخ) بيان لتسميته معمورا (قوله أى السماء) أى لأنها كالسقف للأرض ، وقيل هو العرش وهو سقف الجنة .

(قوله والبحر المسجور) أى وهو البحر المحيط ومعنى المسجور المملوء ماء ، وقيل البحر المسجور هو المملوء نارا لما ورد أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم ، وقيل هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم (قوله معمول لواقع) أى والجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله (قوله تتحرك وتدور) أى كدوران الرحى وتجىء وتذهب ويدخل بعضها فى بعض وتختلف أجزاؤها وتتكفأ بأهلها تكفأ السفينة (قوله تصير هباء منثورا) ليس تفسيرا لتسير كما توهمه عبارته بل معناه أنها تنتقل عن مكانها وتطير فى الهواء ثم تقع على الأرض متفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن : أى الصوف المندوف ثم تطيرها الرياح فتصير هباء منثورا ، والحكمة فى مور السماء وسير الجبال الاعلام بأنه لا رجوع ولا عود إلى الدنيا وذلك لأن الأرض والسماء وما بينهما إنما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بنى آدم بذلك ، فلما لم يبق لهم عود إليها أزالها الله لخراب الدنيا وعمارة الآخرة فيحصل للمؤمنين مزيد السرور وطمأنينة وللكافرين غاية الحزن والكرب (قوله فويل يومئذ) أى يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا وهو يوم القيامة (قوله فى خوض) هو فى الأصل الدخول فى كل شىء ثم غلب على الدخول فى الباطل فلذا فسره به (قوله يدعون) العامة على فتح الدال وتشديد العين من دعه دفعه فى صدره بعنف وشدة وقرئ شذوذا بسكون الدال وتخفيف العين المفتوحة من الدعاء أى يقال لهم هلموا فادخلوا النار (قوله يدفعون بعنف) أى وذلك بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار (قوله كما كنتم تقولون فى الوحى) أى القرآن الجائى بالعذاب (قوله أم أنتم لا تبصرون) يصح أن تكون أم متصلة معادلة للهمزة ، والمعنى هل فى أمرنا سحر أم هل فى بصركم خلل والاستفهام إنكارى وتهكمى أى ليس واحد منهما ثابتا ويصح أن تكون أم منقطعة تفسر ببل والهمزة ، والمعنى أبل أنتم عمى عن العذاب المخبر به كما كنتم عميا عن الخبر (قوله اصلوها) أى ذوقوا حرارتها (قوله صبركم وجزعكم سواء) أشار بذلك إلى أن سواء خبر لمحذوف ويصح أن يكون مبتدأ خبره محذوف والتقدير سواء الصبر والجزع والأول أولى لأن جعل النكرة خبرا أولى من جعلها مبتدأ (قوله لأن صبركم لا ينفعكم) أى لا ينزعكم من ديوان الرحمة بخلاف الدنيا فان الصبر فيها على المكاره من أعظم موجبات الرحمة (قوله إنما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل لاستواء الصبر وعدمه (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله إن المتقين فى جنات الخ) مقابل قوله ـ ويل يومئذ للمكذبين ـ وإنما أتى بأوصاف المتقين عقب أوصاف المكذبين ليحصل الترغيب والترهيب كما هو عادته سبحانه وتعالى (قوله ونعيم) أى تنعم بتلك الجنات إذ لا يلزم من كونه فى جنات أنه يتنعم بها فأفاد أنهم مع كونهم فى جنات يتنعمون ويتفكهون بها (قوله فاكهين) العامة على قراءته بالألف أى ذوى فاكهة كثيرة كما يقال لابن وتامر أى ذو لبن وتمر وقرئ شذوذا فكهين بغير ألف : أى متنعمين متلذذين إذا علمت ذلك ، فالمناسب للمفسر تفسيره بذوى فاكهة لا بمتلذذين (قوله أى باتيانهم ووقايتهم) إنما جعلها مصدرية فى المعطوف والمعطوف عليه لما يلزم عليه من خلو الصلة فى المعطوف عن العائد لو جعلت موصولة والأحسن أن تجعل موصولة ويجعل قوله وقاهم معطوفا على قوله فى جنات .

(١٢٤)

(وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) أى المملوء (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ) لنازل بمستحقه (مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ) عنه (يَوْمَ) معمول لواقع (تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) تتحرك وتدور (وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا) تصير هباء منثورا وذلك فى يوم القيامة (فَوَيْلٌ) شدة عذاب (يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) الرسل (الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ) باطل (يَلْعَبُونَ) أى يتشاغلون بكفرهم (يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا) يدفعون بعنف بدل من يوم تمور ، ويقال لهم تبكيتا (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ . أَفَسِحْرٌ هَذَا) العذاب الذى ترون كما كنتم تقولون فى الوحى هذا سحر (أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ . اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا) عليها (أَوْ لَا تَصْبِرُوا) صبركم وجزعكم (سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ) لأن صبركم لا ينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أى جزاءه (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ . فَاكِهِينَ) متلذذين (بِمَا) مصدرية (آتَاهُمْ) أعطاهم (رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ) عطفا على آتاهم أى باتيانهم ووقايتهم ويقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال أى مهنئين

(٤ـا)

(بِمَا) الباء سببية (كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . مُتَّكِئِينَ) حال من الضمير المستكنّ فى قوله تعالى : فى جنات (عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ) بعضها إلى جنب بعض (وَزَوَّجْنَاهُمْ) عطف على فى جنات أى قرناهم (بِحُورٍ عِينٍ) عظام الأعين حسانها (وَالَّذِينَ آمَنُوا) مبتدأ (وَأَتْبَعْنَاهُمْ) معطوف على آمنوا (ذُرِّيَّتُهُمْ) الصغار والكبار (بِإِيمَانٍ) من الكبار ومن الآباء فى الصغار والخبر (أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) المذكورين فى الجنة فيكونون فى درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم (وَمَا أَلَتْنَاهُمْ) بفتح اللام وكسرها : نقصناهم (مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ) زائدة (شَيْءٍ) يزاد فى عمل الأولاد (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ) عمل من خير أو شر (رَهِينٌ) مرهون يؤاخذ بالشر ويجازى بالخير (وَأَمْدَدْنَاهُمْ) زدناهم فى وقت بعد وقت (بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ) وإن لم يصرحوا بطلبه (يَتَنَازَعُونَ) يتعاطون بينهم (فِيهَا) أى الجنة (كَأْسًا) خمرا (لَا لَغْوٌ فِيهَا) أى بسبب شربها يقع بينهم (وَلَا تَأْثِيمٌ) به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ) للخدمة (غِلْمَانٌ) أرقاء (لَهُمْ كَأَنَّهُمْ) حسنا ولطافة (لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ) :

(قوله بما كنتم تعملون) ما مصدرية والباء سببية ، والمعنى أن الملائكة تقول لأهل الجنة كلوا واشربوا متهنئين بسبب عملكم وهذا من مزيد السرور والتكرمة على حسب عادة الكرام فى منازلهم وإلا فذلك من فضل الله وإحسانه (قوله على سرر) جمع سرير . قال ابن عباس : هى سرر من ذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت والسرير كما بين مكة وأيلة ، وورد أن ارتفاع السرير خمسمائة عام فاذا أراد العبد أن يجلس عليها قربت منه فاذا جلس عليها عادت إلى حالها وفى الكلام حذف تقديره على نمارق على سرر (قوله أى قرناهم) أى جعلناهم مقارنين لهن وفى ذلك إشارة إلى جواب سؤال مقدّر تقديره إن الحور العين فى الجنات مملوكات بملك اليمين لا بعقد النكاح . فأجاب بأن التزويج ليس بمعنى عقد النكاح بل بمعنى المقارنة (قوله عظام الأعين) تفسير لعين جمع عيناء ، وأما الحور فهو من الحور وهو شدة البياض (قوله والذين آمنوا) مبتدأ خبره قوله : ألحقنا بهم ذرّياتهم ، والذرية تطلق على الأصول والفروع قال تعالى : وآية لهم أنا حملنا ذرّيتهم فى الفلك المشحون ، والمعنى أن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه فى العمل ابنا كان أو أبا ، ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو المحبة فان حصل مع المحبة تعليم علم أو عمل كان أحق باللحوق كالتلامذة فانهم يلحقون بأشياخهم وأشياخ الأشياخ يلحقون بالأشياخ إن كانوا دونهم فى العمل ، والأصل فى ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم « إذا دخل أهل الجنة الجنة سأل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده فيقال إنهم لم يدركوا ما أدركت فيقول يارب إنى عملت لى ولهم فيؤمر بإلحاقهم به » (قوله بفتح اللام وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالأولى من باب علم والثانية من باب ضرب (قوله من زائدة) أى فى المفعول الثانى (قوله يزاد فى عمل الأولاد) أى لم نأخذ من عمر الآباء شيئا نجعله للأولاد فيستحقون به هذا الاكرام بل عمل الآباء باق لهم بتمامه وإلحاق الذرية بهم بمحض الفضل والكرم (قوله رهين) أى مرهون عند الله تعالى كأن نفس العبد مرهونة عند الله بعمله الذى هو مطالب به فان عمل صالحا فكها من الرهن وإلا أهلكها كما يرهن الرجل رقبة عبده بدين عليه فان وفى ما عليه خلص رقبته من الرهن وإلا استمر مرهونا (قوله فى وقت بعد وقت) أخذه من لفظ الامداد (قوله وإن لم يصرحوا بطلبه) أى بل بمجرد ما يخطر ببالهم يقدم إليهم لما ورد « أن الرجل يشتهى الطير فى الجنة فيخرّ مثل البختى حتى يقع على خوانه لم يصبه دخان ولم تمسه نار فيأكل منه حتى يشبع ثم يطير » (قوله يتعاطون بينهم) أى يتجاذب بعضهم الكأس من بعض ويناول بعضهم بعضا تلذذا وتأنسا وهو المؤمن وزوجاته وخدمه فى الجنة (قوله كأسا) الكأس هو إناء الخمر وكل كأس مملوء بشراب أو غيره فاذا فرغ لم يسم كأسا (قوله غلمان أرقاء لهم) أى كالأرقاء فى الحيازة والاستيلاء وهؤلاء الغلمان يخلقهم الله فى الجنة كالحور ؛ وقيل هم الأولاد من أطفالهم الذين سبقوهم فأقرّ الله تعالى أعينهم بهم ، وقيل هم أولاد المشركين ، وليس فى الجنة نصب ولا حاجة إلى خدمة بل هو من مزيد التنعم . قال عبد الله بن عمر : ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل غير ما عليه صاحبه . وروى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية قالوا يارسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم ؟ قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على

سائر الكواكب » وروى « إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك» ويطاف الغلمان عليهم بالفواكه والتحف والشراب قال تعالى : يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب . يطاف عليهم بكأس من معين (قوله مصون فى الصدف) جمع صدفة وهى غشاء الدرّ (قوله عما كانوا عليه) أى فى الدنيا (قوله وما وصلوا إليه) أى من نعيم الجنة (قوله قالوا) أى قال المسئول للسائل (قوله إيماء) أى إشارة (قوله إلى علة الوصول) أى وسطها قوله : فمنّ الله علينا (قوله إنا كنا قبل فى أهلنا الخ) أى وشأن من كان فى أهله وعزوته أن يكون آمنا فخوفهم من الله فى تلك الحالة دليل على خوفهم فى غيرها بالأولى فهم دائما خائفون ويحتمل أن قوله : مشفقين من الشفقة وهى الرفق أى نرفق بأهلنا وغيرهم (قوله لدخولها فى المسام) هذا بيان لوجه تسميتها سموما فالسموم من أسماء جهنم وهى فى الأصل الريح الحارة التى تتخلل المسام (قوله وقالوا إيماء أيضا) أى إلى علة وصولهم إلى النعيم ومحط العلة قوله : إنه هو البرّ الرحيم (قوله أى نعبده) أى أو نسأله الوقاية من النار ودخول دار القرار (قوله وبالفتح تعليلا لفظا) أى والقراءتان سبعيتان (قوله بنعمت ربك) الباء سببية مرتبطة بالنفى المستفاد من ما ، والمعنى انتفى كونك كاهنا أو مجنونا بسبب إنعام الله عليك بكمال العقل وعلو الهمة والعصمة (قوله بكاهن) أى مخبر بالأمور المغيبة من غير وحى (قوله خبرما) أى فهى حجازية والباء زائدة فى خبرها (قوله أم يقولون شاعر) اعلم أن أم ذكرت فى هذه الآيات خمس عشرة مرة وكلها تقدر ببل والهمزة فهى الاستفهام الانكارى التوبيخى ، إذا علمت ذلك فالمناسب للمفسر أن يقدرها فى الجميع ببل والهمزة ولا

مصون فى الصدف لأنه فيها أحسن منه فى غيرها (وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة (قَالُوا) إيماء إلى علة الوصول (إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا) فى الدنيا (مُشْفِقِينَ) خائفين من عذاب الله (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) بالمغفرة (وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) أى النار لدخولها فى المسام وقالوا إيماء أيضا (إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ) أى فى الدنيا (نَدْعُوهُ) أى نعبده موحدين (إِنَّهُ) بالكسر استئنافا وإن كان تعليلا معنى ، وبالفتح تعليلا لفظا (هُوَ الْبَرُّ) المحسن الصادق فى وعده (الرَّحِيمُ) العظيم الرحمة (فَذَكِّرْ) دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك : كاهن مجنون (فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) أى بإنعامه عليك (بِكَاهِنٍ) خبر ما (وَلَا مَجْنُونٍ) معطوف عليه (أَمْ) بل (يَقُولُونَ) هو (شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء (قُلْ تَرَبَّصُوا) هلاكى (فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) هلاككم فعذبوا بالسيف يوم بدر ، والتربص الانتظار (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ) عقولهم (بِهَذَا) أى قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون ، أى لاتأمرهم بذلك (أَمْ) بل (هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) بعنادهم (أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ) اختلق القرآن ، لم يختلقه (بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ) استكبارا ، فإن قالوا اختلقه (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ) مختلق (مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) فى قولهم (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ) أى خالق (أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) أنفسهم ،

(قوله حوادث الدهر) فى الكلام استعارة تصريحية حيث شبهت حوادث الدهر بالريب الذى هو الشك بجامع التحير وعدم البقاء على حالة واحدة فى كل ، وقيل المنون المنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد (قوله قل تربصوا) أمر تهديد على حد اعملوا ما شئتم (قوله أم تأمرهم أحلامهم) جمع حلم يطلق على الأناة وعلى العقل وهو المراد هنا (قوله أى قولهم له ساحر كاهن شاعر مجنون) أى وهذا تناقض فان شأن الكاهن أن يكون ذا فطنة ورأى ، وشأن الشاعر والساحر كذلك ، ونسبتهم الجنون له بعد ذلك مناقضة (قوله أى لاتأمرهم) أشار بذلك إلى أن الاستفهام المستفاد من أم إنكارى وفيه توبيخ أيضا (قوله أم بل هم قوم طاغون) المناسب للمفسر أن يقدر أم ببل والهمزة ليوافق قوله فيما يأتى والاستفهام بأم فى مواضعها الخ ، والمعنى لاينبغى منهم هذا الطغيان (قوله لم يختلقه) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى (قوله فليأتوا بحديث مثله) جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله : فان قالوا اختلقه والأمر للتعجيز .

(قوله ولا يعقل مخلوق بدون خالق) راجع لقوله خلقوا من غير شيء . وقوله ولا معدوم يخلق راجع لقوله أم هم الخالقون ، والمعنى أنهم لو كانوا هم الخالقين لأنفسهم وأنفسهم كانت معدومة أولا لزم أن يكونوا فى حالة العدم أوجدوا أنفسهم وأخرجوها من العدم فيكون للعدوم خالقا وهذا لا يعقل (قوله و إلا لآمنوا بنبيه) أى فحيث لم يترتب على إيقانهم بالله إقبال على توحيده وتصديق نبيه جعل إيقانهم كالعدم وفيه تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله أم عندهم خزائن ربك) لم يبين أن الاستفهام إنكارى مع أنه كذلك . والمعنى ليس عندهم خزائن ربك والمراد بخزائنه مقدوراته شبهت بها لأن خزانة الملوك بيت مهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر التى يحتاج إليها (قوله أم هم المسيطرون) اعلم أنه لم يأت على وزن مفيعل إلا خمسة ألفاظ أربعة صفة اسم فاعل مهيمن ومبيقر ومبيطر ومسيطر وواحد اسم جبل وهو محيمر (قوله المتسلطون) أى الغالبون على الأشياء يدبرونها كيف شاءوا (قوله ومثله بيطر) أى عالج الدواب ومنه البيطار وقوله و بيقر أى أفسد وأهلك فالحاصل أن معنى المهيمن الرقيب والمبيقر المفسد والمسيطر المتسلط الجبار والمبيطر المعالج للدواب (قوله أى عليه كلام الملائكة) أشار بذلك إلى أن مفعول يستمعون محذوف وفى بمعنى على (قوله بزعمهم) متعلق بقوله يستمعون فيه

ولا يعقل مخلوق بدون خالق ولا معدوم يخلق فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد فلم لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه (أَمْ خَلَقُوا السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ) ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلم لا يعبدونه (بَلْ لَا يُوقِنُونَ) به و إلا لآمنوا بنبيه (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاءوا بما شاءوا (أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ) المتسلطون الجبارون وفعله سيطر ومثله بيطر و بيقر (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ) مرقى إلى السماء (يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) أى عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبى بزعمهم ، إن ادعوا ذلك (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ) أى مدعى الاستماع عليه (بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) بحجة بينة واضحة ، ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ) أى بزعمكم (وَلَكُمُ الْبَنُونَ) تعالى الله عما زعموه (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا) على ما جئتهم به من الدين (فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ) غرم ذلك (مُثْقَلُونَ) فلا يسلمون (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أى علمه (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) ذلك حتى يمكنهم منازعة النبى صلى الله عليه وسلم فى البعث وأمور الآخرة بزعمهم (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا) بك ليهلكوك فى دار الندوة (فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر (أَمْ لَهُمْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ سُبْحَانَ اللّٰهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) به من الآلهة والاستفهام بأم فى مواضعها للتقبيح والتوبيخ (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا) بعضا (مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا) عليهم كما قالوا :

(قوله إن ادعوا ذلك) أى الاستماع من الملائكة . المعنى إن فرض أنهم ادعوه فليأت مستمعهم الخ (قوله ولشبه هذا الزعم الخ) أشار بذلك إلى وجه المناسبة بين الآيتين ووجه الشبه بين الزعمين أن كلا منهما فاسد و إن كان الزعم الأول فرضيا والثانى تحقيقيا لوقوعه منهم (قوله أى بزعمكم) أى دعواكم واعتقادكم (قوله ولكم البنون) أى لتكونوا أقوى منه فاذا كذبتم رسله تكونون آمنين لقوتكم بالبنين وزعمكم ضعفه بالبنات (قوله تعالى الله عما زعموه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله مثقلون) أى متعبون ومغتمون لأن العادة أن من غرم شخصا مالا يكون المأخوذ منه كارها للآخذ ومغتما منه (قوله أم عندهم الغيب) جواب لقولهم نتربص به ريب المنون ، والمعنى أعندهم علم الغيب بأن الرسول يموت قبلهم فهم يكتبون ذلك (قوله أم يريدون كيدا) أى مكرا وتحيلا فى هلاكك (قوله فى دار الندوة) إن قلت السورة مكية والاجتماع بدار الندوة كان ليلة الهجرة فالتقييد بها مشكل فالأوضح حذف قوله فى دار الندوة لأن إرادة الكيد حاصلة منهم من يوم بعثته صلى الله عليه وسلم (قوله فالذين كفروا) أوقع الظاهر موقع المضمر تشنيعا وتقبيحا عليهم بصفة الكفر (قوله ثم أهلكهم ببدر) أى أهلك رؤساءهم وهم سبعون (قوله سبحان الله عما يشركون) أى تنزه الله عما ينسبونه له من الشركة فى الألوهية (قوله والاستفهام بأم) أى المقدرة ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها وقوله فى مواضعها أى وهى خمسة عشر (قوله للتقبيح والتوبيخ) أى والإنكار (قوله و إن يروا كسفا) أى على فرض حصوله فانه لم يحصل لقوله تعالى ـ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، والمعنى لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم لم ينتهوا ولم يرجعوا و يقولون فى هذا النازل عنادا

واستهزاء وإغاظة لمحمد إنه سحاب مركوم (قوله فأسقط علينا كسفا) هذه الآية إنما وردت فى قوم شعيب كما ذكر فى سورة الشعراء، فكان الأولى للمفسر أن يستدل بما نزل فى قريش فى سورة الإسراء وهو قوله: أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا (قوله فذرهم) جواب شرط مقدّر، والمعنى إذا بلغوا فى العناد إلى هذا الحدّ وتبين أنهم لايرجعون عن الكفر فدعهم ولا تلتفت لهم (قوله يصعقون) هكذا ببنائه للفاعل والمفعول قراءتان سبعيتان (قوله يموتون) أى بانقضاء آجالهم فى بدر أو غيرها هذا هو الأحسن (قوله من العذاب فى الآخرة) المراد به العذاب الذى يأتى بعد الموت (قوله دون ذلك) أى قبل العذاب الذى يأتيهم بعد الموت وذلك صادق كما قال المفسر بالجوع والقحط والقتل يوم بدر (قوله ولكن أكثرهم لايعلمون) أى لتزيين الشيطان لهم ماهم عليه والمراد بالأكثر من سبق فى علم الله شقاوه (قوله بمرأى منا) أى فأطلقت الأعين وأريد لازمها وهو إبصار الشىء والإحاطة به علما وقربا فيلزم منه مزيد الحفظ للمرئى الذى هو المراد، وعبر هنا بالجمع لمناسبة نون العظمة بخلاف ما ذكر فى سورة طه فى قوله ولتصنع على عينى (قوله من منامك) أى فقد ورد عن عائشة قالت: «كان إذا قام أى استيقظ من منامه كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا

(١٢٨)

فأسقط علينا كسفاً من السماء أى تعذيباً لهم (يَقُولُوا) هذا (سَحَابٌ مَرْكُومٌ) متراكب نرتوى به ولا يؤمنوا (فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ) يموتون (يَوْمَ لَا يُغْنِي) بدل من يومهم (عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) يمنعون من العذاب فى الآخرة (وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) بكفرهم (عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ) أى فى الدنيا قبل موتهم فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين وبالقتل يوم بدر (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن العذاب ينزل بهم (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) بإمهالهم ولا يضق صدرك (فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا نراك ونحفظك (وَسَبِّحْ) متلبساً (بِحَمْدِ رَبِّكَ) أى قل سبحان الله وبحمده (حِينَ تَقُومُ) من منامك أو من مجلسك (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ) حقيقة أيضاً (وَإِدْبَارَ النُّجُومِ) مصدر أى عقب غروبها سبحه أيضا، أو صلّ فى الأول العشاءين وفى الثانى الفجر، وقيل الصبح.

(سورة النجم)

مكية، ثنتان وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَالنَّجْمِ) الثريا (إِذَا هَوَى) غاب،

واستغفر عشرا وقال: اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوّذ من ضيق المقام يوم القيامة» وفى رواية «كان صلى الله عليه وسلم إذا استيقظ من منامه قرأ العشر الآيات من آخر آل عمران» (قوله أو من مجلسك) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك كان كفارة لما بينهما» وفى رواية «كان كفارة له» (قوله أى عقب غروبها) المراد بغروبها ذهاب ضوئها بغلبة ضوء الصبح عليه وإن كانت باقية فى السماء وذلك بطلوع الفجر (قوله أو صلّ فى الأول) أى الليل فهذا راجع لقوله ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم، وأما وسبح بحمد ربك حين تقوم فالمراد به حقيقة التسبيح على كل حال (قوله وفى الثانى الفجر) أى الركعتين اللتين هما سنة الصبح وقوله وقيل الصبح أى فريضة صلاة الصبح.

[سورة النجم مكية] أى كلها، وقيل إلا قوله تعالى ـ الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ـ الآية، وقيل كلها مدنى وردّ بما روى أنها أوّل سورة أعلن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وسجد فيها وسجد معه المسلمون والمشركون زعما منهم أنه يمدح آلهتهم، واعلم أن بين أوّل هذه السورة وآخر ماقبلها مناسبة فانه تعالى قال فى آخر تلك ـ وإدبار النجوم ـ وقال فى أوّل هذه ـ والنجم إذا هوى ـ (قوله والنجم إذا هوى) اختلف، فى تفسير النجم فمشى المفسر على أنه الثريا وهى عدة نجوم بعضها ظاهر وبعضها خفىّ وكان صلى الله عليه وسلم يراها أحد عشر نجما، ومعنى هويه غيبوبته عند طلوع الفجر، وقيل المراد به أى نجم، وقيل المراد به جميع النجوم، وقيل هو الزهرة، وقيل الشعرى، وقيل القرآن، ومعنى هوى نزل لأنه نزل منجما على ثلاث وعشرين سنة، وقيل هو

محمد وعلى هوى نزل من المعراج وقيل جبريل ، ومعنى هوى نزل بالوحى . واختلف فى عامل الظرف فقيل معمول لمحذوف تقديره أقسم بالنجم وقت هويه واستشكل بأن فعل القسم إنشاء والانشاء حال و إذا لما يستقبل من الزمان فكيف يعمل الانشاء فى المستقبل . وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها أو قصد منها مجرد الظرفية الصادق بالماضى والحال والاستقبال لأنها قد تأتى للحال والماضى وقيل عامله حال من النجم محذوفة والتقدير أقسم بالنجم حال كونه مستقرا فى زمان هويه و يأتى فيه الاشكال والجواب المتقدمان ويجاب أيضا بأن تجعل الحال مقدرة (قوله ماضل صاحبكم) هذا هو جواب القسم وعبر بلفظ الصحبة تبكيتا لهم وإشعارا بأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فلا يليق منهم نسبته للنقص (قوله عن طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن الضلال مخالف للغى فالضلال فعل العاصى والغى هو الجهل المركب وقيل الضلال فى العلم والغى فى الأفعال وقيل هما مترادفان (قوله من اعتقاد فاسد) أى ناشىء وحاصل (قوله عن الهوى) متعلق ينطق والمعنى مايصدر نطقه عن هوى نفسه ومثله الفعل بل وجميع أحواله وهو مفرع على ما قبله لأنه إذا علم تنزهه عن الضلال والغواية تفرع عليه أنه لاينطق عن هواه قرآنا أو غيره (قوله إن هو) الضمير عائد على النطق المأخوذ من ينطق ، والمعنى مايتكلم به من القرآن وغيره ومثل النطق الفعل وجميع أحواله فهو صلى الله عليه وسلم لاينطق ولا يفعل إلا بوحى من الله تعالى لا عن هوى نفسه (قوله يوحى) الجملة صفة لوحى أتى بها لرفع توهم المجاز كأنه قال هو وحى حقيقة لامجرد تسمية (قوله علمه إياه) الضمير المذكور هو المفعول الأول عائد على النبي والثانى الذى قدره المفسر عائد على لوحى (قوله شديد القوى) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله ملك وهو جبريل عليه السلام ومن شدة قوته اقتلاعه مدائن قوم لوط ورفعها إلى السماء وقلبها وصياحه على قوم ثمود ونتقه الجبل على بنى إسرائيل وهذه الشدة حاصلة فيه ولو تشكل بصورة الآدميين لأنها لا تحكم عليهم الصورة وهذا قول الجمهور وقيل المراد به الرب سبحانه وتعالى والمراد بالقوى فى حقه تعالى صفات الاقتدار كالكبرياء والعظمة (قوله ذو مرة) أى قوة باطنية وعزم وسرعة حركة فغاير ماقبله فجبريل أعطاه الله قوة ظاهرية وقوة باطنية وقيل المرة وفور العلم وقيل الجمال (قوله فاستوى) عطف على قوله علمه شديد القوى (قوله وهو بالأفق الأعلى) الجملة حالية (قوله وكان) أى النبي صلى الله عليه وسلم (قوله وكان قد سأله الخ) تعليل لقوله فاستوى وذلك أن جبريل كان يأتى النبي صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما يأتى إلى الأنبياء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه التى جعله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة بالأرض ومرة بالسماء ولم يره أحد من الأنبياء على صورته التى خلق عليها إلا نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله فنزل جبريل) عطف على قوله فخر مغشيا عليه (قوله زاد فى القرب) أى فالكلام باق على ظاهره وقيل فى الكلام قلب والأصل فتدلى فدنا ومعنى تدلى رجع لصورته الأصلية (قوله فكان قاب قوسين) فى الكلام حذف والأصل فكان مقدار مسافة قربه منه مثل مقدار مسافة قاب قوسين والقاب القدر وقيل هو مابين المقبض والطرف ولكل قوس قابان فأصل الكلام فكان قابى قوس فحصل فى الكلام قلب (قوله أو أدنى) أو بمعنى بل نظير قوله تعالى - أو يزيدون - أو على بابها والشك بالنسبة للرائى والمعنى إذا نظرت إليه وهو فى تلك الحالة تتردد بين المقدارين (قوله حتى أفاق) غاية لمحذوف أى ضمه إليه حتى أفاق روى « أنه لما أفاق قال ياجبريل ماظننت أن الله خلق أحدا على مثل هذه الصورة فقال يا محمد : إنما نشرت جناحين من أجنحتى وإن لى ستمائة جناح سعة كل جناح

(مَاضَلَّ صَاحِبُكُمْ) محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهدى (وَمَا غَوَى) مالابس الغى وهو جهل من اعتقاد فاسد (وَمَا يَنْطِقُ) بما يأتيكم به (عَنِ الْهَوَى) هوى نفسه (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) إليه (عَلَّمَهُ) إياه ملك (شَدِيدُ الْقُوَى . ذُو مِرَّةٍ) قوة وشدة ، أو منظر حسن أى جبريل عليه السلام (فَاسْتَوَى) استقر (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى) أفق الشمس : أى عند مطلعها على صورته التى خلق عليها فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وكان بحراء قد سد الأفق إلى المغرب فخر مغشيا عليه وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فواعده بحراء فنزل جبريل له فى صورة الآدميين (ثُمَّ دَنَا) قرب منه (فَتَدَلَّى) زاد فى القرب (فَكَانَ) منه (قَابَ) قدر (قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى) من ذلك حتى أفاق وسكن روعه

مابين المشرق والمغرب ، فقال صلى الله عليه وسلم : إن هذا لعظيم ، فقال جبريل : وما أنا في جنب خلق الله إلا يسير ، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح كل جناح منها قدر جميع أجنحتي وإنه ليتضاءل أحيانا من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصع » أي العصفور الصغير . وهذا على كلام الجمهور . وأما على أن المراد به الرب سبحانه وتعالى فمعنى الاستواء الاستعلاء والقهر ومعنى الدنو والتدلي تجليه بصفة الجمال والمحبة لعبده على حد ماقيل في « ينزل ربنا كل ليلة » (قوله فأوحى إلى عبده ماأوحى) هـذا مفرع على قوله وما ينطق عن الهوى ومشى المفسر على أن الضمير في أوحى الأول عائد على الله تعالى والمراد بالعبد جبريل والضمير في أوحى الثاني عائد على جبريل وهو احتمال من ثمانية أفادها العلامة الأجهوري . وحاصلها أن يقال الضمير في أوحى الأول إما عائد على الله أو جبريل والثاني كذلك فهذه أربع وفي كل منها إما أن يراد بالعبد جبريل أو محمد فهذه ثمان اثنان منها فاسدان وهما أن يجعل الضمير في أوحى الأول عائدا على جبريل ويراد بالعبد جبريل سواء جعل الضمير في أوحى الثاني عائدا على الله أو جبريل وباقيها صحيح والأنسب بمقام المدح أن يعود الضمير في أوحى الأول والثاني على الله والمراد بالعبد محمد عليه الصلاة والسلام والمعنى أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحاه الله إليه من العلوم والأسرار والمعارف التي لا يحصيها إلا معطيها بواسطة جبريل وبغير واسطته حين فارقه عند الرفرف (قوله ولم يذكر الموحى به تفخيما لشأنه) أي وإشارة إلى عمومه واختلف في هذا الموحى به فقيل مبهم لانطلع عليه وإنما يجب علينا الايمان به إجمالا وقيل هو معلوم وفي تفسيره خلاف ، فقيل أوحى الله إليه : ألم أجدك يتيما فآويتك ، ألم أجدك ضالا فهديتك ، ألم أجدك عائلا فأغنيتك ، ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك ، وقيل أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يامحمد وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان . فالمعنى على التشديد أن ما رآه محمد بعينه صدقه قلبه ولم ينكره والتخفيف قيل كذلك وقيل هو على إسقاط الخفض والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رآه

(١٣٠)

(فَأَوْحَىٰ) تعالى (إِلَىٰ عَبْدِهِ) جبريل (مَا أَوْحَىٰ) جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر الموحى به تفخيما لشأنه (مَا كَذَبَ) بالتخفيف والتشديد أنكر (الْفُؤَادُ) فؤاد النبي (مَا رَأَىٰ) ببصره من صورة جبريل (أَفَتُمَارُونَهُ) تجادلونه وتغلبونه (عَلَىٰ مَا يَرَىٰ) خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل (وَلَقَدْ رَآهُ) على صورته (نَزْلَةً) مرة (أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ) ،

(قوله من صورة جبريل) بيان لما رأى وهذا أحد قولين وقيل لما هو الله عز وجل وعليه فقد رأى ربه مرتين مرة في مبادىء البعثة ومرة ليلة الاسراء ، واختلف في تلك الرؤية فقيل رآه بعينه حقيقة وهو قول جمهور الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وأنس بن مالك والحسن وغيرهم وعليه قول العارف البرعي :

وإن قابلت لفظة لن تراني بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خرّ مغشيا عليه وأحمد لم يكن ليزيغ ذهنا

وقيل لم يره بعينه وهو قول عائشة رضي الله عنها والصحيح الأول لأن المثبت مقدم على النافي أو لأن عائشة لم يبلغها حديث الرؤية لكونها كانت حديثة السن (قوله أفتمارونه) بضم التاء وبالألف بعد الميم من ماراه جادله وغالبه أو بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف من مريته حقه إذا علمته وجحدته إياه قراءتان سبعيتان (قوله على مايرى) أي على ما رآه وهو جبريل على كلام المفسر وذات الله تعالى على كلام غيره وعبر بالمضارع استحضارا للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين (قوله ولقد رآه) اللام للقسم وقوله مرة أشار بذلك إلى أن نزلة منصوب على الظرفية (قوله عند سدرة المنتهى) سميت بذلك إما لأنه ينتهي إليها مايهبط من فوقها ومايصعد من تحتها أو لأنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها أو لأن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها أو لانتهاء الملائكة إليها ووقوفهم عندها أو لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء أو لأنه ينتهي إليها أرواح المؤمنين أو لأنه ينتهي إليها من كان على سنة رسول الله أقوال وإضافة سدرة للمنتهى إما من إضافة الشيء إلى مكانه والتقدير عند سدرة عندها منتهى العلوم أو من إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أي سدرة المنتهى إليه وهو الله عز وجل ، قال تعالى - وأن إلى ربك المنتهى - .

(قوله لما أسرى به) أى وكان قبل الهجرة بسنة وأربعة أشهر وقيل كان قبلها بثلاث سنين والرؤية الأولى كانت فى بدء البعثة فبين الرؤيتين نحو عشر سنين (قوله وهى شجرة نبق) أى وفيها الحلىّ والحلل والثمار من جميع الألوان لو وضعت ورقة منها فى الأرض لأضاءت لأهلها قيل هى شجرة طوبى والصحيح أنها غيرها والنبق بكسر الباء وسكونها واختيرت السدرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر لما قيل إن السدرة تختص بثلاثة أوصاف ظل مديد وطعام لذيذ ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذى يجمع قولا وعملا ونية فظلها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكونه ورائحتها بمنزلة القول لظهوره قيل إن سدرة المنتهى قالت للنبى صلى الله عليه وسلم استوص باخوانى فى الأرض خيرا ، فقال صلى الله عليه وسلم «من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار» واستشكل هذا الحديث بأنه يقتضى أن قطع السدر حرام لحاجة ولغير حاجة مع أنه خلاف النصوص وأجيب بأنه سئل أبو داود عن هذا الحديث فقال هو مختصر وحاصله «من قطع سدرة فى فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه فى النار» وبعد ذلك فهذا لا يخص السدر (قوله عندها جنة المأوى) حال من سدرة المنتهى (قوله تأوى إليها الملائكة الخ) وقيل هى الجنة التى أوى إليها آدم عليه السلام إلى أن أخرج منها وقيل لأن جبريل وميكائيل يأويان إليها فهذا وجه تسميتها جنة المأوى أو لأن أهل السعادة يأوون إليها (قوله ما يغشى) أبهم الموصول وصلته اشارة إلى أن ما غشيها لا يحيط به إلا الله تعالى (قوله من طير وغيره) ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى» وورد أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال «ذهب بى جبريل إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كقلال هجر فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يقدر أن ينعتها من حسنها فأوحى إلىّ ما أوحى ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة» وقيل يغشاها أنوار التجلى وقت مشاهدة النبى صلى الله عليه وسلم لربه كما تجلى على الجبل عند مكالمة موسى لكن السدرة أقوى من الجبل فالجبل صار دكا وخر موسى صعقا ولم تتحرك السدرة ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم (قوله مازاغ البصر) أى لم يلتفت إلى ما غشى السدرة من العجائب المتقدمة لأن الزيغ هو الالتفات لغير الجهة التى تعنيه (قوله وما طغى) الطغيان مجاوزة الحد اللائق كما أفاده المفسر فوصف صلى الله عليه وسلم بكمال الثبات والأدب مع غرابة ما هو فيه إذ ذاك وسبق تنزيه علمه عن الضلال وعمله عن الغواية ونطقه عن الهوى وفؤاده عن التكذيب وهنا تنزه بصره عن الزيغ والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالاقسام وناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله ثناء (قوله لقد رأى) اللام فى جواب قسم محذوف (قوله الكبرى) أفاد المفسر أن من للتبعيض وهو مفعول لرأى والكبرى صفة لآيات ووصفه بوصف المؤنثة الواحدة لجوازه وحسنه مراعاة الفاصلة وفسر الكبرى بالعظام اشارة إلى أنه ليس المعنى على التفضيل لعدم حصر تلك الآيات ووصف العظم مقول بالتشكيك فيها فيذهب السامع فيها كل مذهب فتدبر (قوله رفرفا) قيل هو فى الأصل ما تدلى على الأسرة من غالى الثياب ومن أعالى الفسطاط ، روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله من جبريل وطار به إلى العرش حتى وقف به بين يدى ربه ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به حتى أداه إلى جبريل صلوات الله عليهما وجبريل يبكى ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من الخدم بين يدى الله تعالى له خواص الأمور فى محل الدنو والقرب كما أن البراق دابة يركبها الأنبياء مخصوصة بذلك فى الأرض (قوله أفرأيتم) استفهام انكارى قصد به توبيخ المشركين على عبادتهم الأوثان بعد بيان تلك البراهين القاطعة الدالة على انفراده تعالى بالألوهية والعظمة وأن ما سواه تعالى وإن جلت مرتبته وعظم مقامه حقير فى جانب جلال الله عزّ وجلّ .

لما أسرى به فى السموات ، وهى شجرة نبق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) تأوى إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين (إِذْ) حين (يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى) من طير وغيره ، وإذ معمولة لرآه (مَا زَاغَ الْبَصَرُ) من النبى صلى الله عليه وسلم (وَمَا طَغَى) أى ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة (لَقَدْ رَأَى) فيها (مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) أى العظام أى بعضها فرأى من عجائب الملكوت رفرفا أخضر سدّ أفق السماء وجبريل له ستمائة جناح (أَفَرَأَيْتُمُ ،

(قوله اللات) اسم صنم كان فى جوف الكعبة وقيل كان لثقيف بالطائف وقيل اسم رجل كان يلت السويق و يطعمه الحاج وكان يجلس عند حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وأل فى اللات زائدة زيادة لازمة كما قال ابن مالك :

* وقد تزاد لازما كاللات

وتاؤه قيل أصلية وعليه فأصله ليت ، وقيل زائدة وعليه فأصله لوى يلوى كأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها يسوون : أى يعتكفون عليها و يترتب على القولين الوقف عليها فبعض القراء يقف عليها بالهاء على القول بزيادتها و بعضهم بالتاء على القول بعدم زيادتها (قوله والعزى) تأنيث الأعز كالفضلى والأفضل وهى اسم صنم وقيل شجرة سمر لغطفان كانوا يعبدونها فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها (قوله ومناة) إما بالهمزة بعد الألف أو بالألف وحدها قراءتان سبعيتان إما مشتقة من النوء وهو المطر لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء أو من منى يمنى أى صب لأن دماء النسك كانت تصب عندها (قوله اللتين قبلها) أى فالثالثة إضافة بالنظر للفظ أو بالنظر للرتبة والمعنى أن رتبتها عندهم منحطة عن اللتين قبلها (قوله صفة ذم للثالثة) أى لأنها بمعنى المتأخرة الوضيعة المقدار (قوله وهى أصنام من حجارة) أى أن الثلاثة أصنام من حجارة كانت فى جوف الكعبة ، وقيل اللات لثقيف بالطائف والعزى شجرة لغطفان ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة أو لثقيف

(١٣٣)

وقيل إن اللات أخذه المشركون من لفظ الله والعزى من العزيز ومناة من منى الله الشيء قدره (قوله والثانى محذوف) أى وهو جملة استفهامية استفهاما إنكاريا ذكرها بقوله ألهذه الأصنام الخ والمعنى أفرأيتموها قادرة على شيء (قوله ولما زعموا أيضا) أى كما زعموا أن الأصنام الثلاثة تشفع لهم عند الله تعالى (قوله تلك إذا) أى إذا جعلتم البنات له والبنين لكم (قوله ضيزى) بكسر الضاد بعدها همزة أو ياء مكانها قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بفتح الضاد وسكون الياء (قوله وجار عليه) عطف تفسير وهذا المعنى لكل من القرآت الثلاث (قوله ما المذكورات) أى الأصنام المذكورات من حيث وصفها بالألوهية والمعنى ليس لها من وصف الألوهية التى أثبتموها لها إلا لفظها وأما معناها فهى خلية عنه لأنها من أحقر المخلوقات وأذلها (قوله أى سميتم بها) دفع بذلك مايقال إن الأسماء لاتسمى و إنما يسمى بها فكيف قال سميتموها فأجاب بأن الكلام من باب الحذف والايصال والمفعول الأول محذوف قدره بقوله أصناما (قوله أنتم) ضمير فصل أتى به توصلا لعطف وآباؤكم على الضمير المتصل فى سميتموها على حد قول ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل ... عطفت فافصل بالضمير المنفصل

اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ) للتين قبلها (الْأُخْرَى) صفة ذم للثالثة ، وهى أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله ومفعول أرأيت الأول اللات وما عطف عليه والثانى محذوف ، والمعنى أخبرونى ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره . ولما زعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى) جائرة من ضازه يضيزه إذا ظلمه وجار عليه (إِنْ هِيَ) أى ما المذكورات (إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا) أى سميتم بها (أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) أصناما تعبدونها (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا) أى بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) حجة و برهان (إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فى عبادتها (إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ) مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالى (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع فلم يرجعوا عما هم عليه (أَمْ لِلْإِنْسَانِ) أى لكل إنسان منهم (مَا تَمَنَّى) من أن الأصنام تشفع لهم ، ليس الأمر كذلك ،

(قوله إن يتبعون إلا الظن) التفت من خطابهم إلى الغيبة إشعارا بأن كثرة قبائحهم اقتضت الاعراض عنهم (قوله مما زين لهم) بيان لما (قوله ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الجملة حالية من فاعل يتبعون والمعنى يتبعون الظن وهوى النفس فى حالة تنافى ذلك هو مجيء الهدى من عند ربهم (قوله بالبرهان) حال من الهدى والباء للملابسة والمراد بالبرهان المعجزات (قوله أم للانسان ما تمنى أم منقطعة تفسر ببل والهمزة والاستفهام إنكارى والمعنى ليس للانسان ما يتمنى بل يعامل بضده حيث تتبع هواه وخرج عن حدود الشرع فالمراد بالانسان الكافر وهذه الآية تجر بذيلها على من يلتجئ لغير الله طلبا للفانى و يتبع نفسه فى ما تطلبه فليس له ما يتمنى قال العارف :

وأما أهل الصدق مع ربهم فلهم مايتمنون ولوق ذلك لوعد الله الذى لايخلف (قوله فلله الآخرة والأولى) كالدليل لما قبله والمعنى أنه تعالى لايعطى مافيهما إلا لمن اتبع هداه وترك هواه لأنه مالك للدنيا والآخرة (قوله وكم من ملك الخ) هذا تقنيط للكفار من تعلق آمالهم بشفاعة معبوداتهم لهم (قوله أى وكثير من الملائكة الخ) أشار بذلك إلى أن كم خبرية بمعنى كثيرا (قوله وما أكرمهم عند الله) جملة تعجبية جىء بها للدلالة على تشريف الملائكة وزيادة تعظيمهم ومع ذلك فلا تغنى شفاعتهم عنهم شيئا (قوله لمن يشاء) أى فيمن يشاء (قوله ومعلوم أنها لاتوجد منهم) راجع لقوله ولا يشفعون والقصد من ذلك التوفيق بين الآيتين فى توقف الشفاعة على الاذن (قوله إن الذين لايؤمنون بالآخرة) أى وهم مشركو العرب. إن قلت كيف يقال إنهم غير مؤمنين بالآخرة مع أنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله. أجيب بأنهم غير جازمين بالآخرة بدليل قوله تعالى حكاية عنهم وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى وإنما اتخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال. وأجيب أيضا بأنهم لايؤمنون بالآخرة على الوجه الذى بينته الرسل (قوله تسمية الأنثى) أى تسمية الاناث وذلك أنهم رأوا فى الملائكة تاء التأنيث وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا

الملائكة إناث وجعلوهم بنات الله لكونهم لاأب لهم ولا أم (قوله بهذا القول) أى هم بنات الله (قوله إن يتبعون إلا الظن) أى لأنهم لم يشاهدوا خلقهم ولم يسمعوا ماقالوه من من رسول ولم يروه فى كتاب بل عولوا على مجرد ظنهم الفاسد ولو أذعنوا للقرآن وللنبى لأفادهم صحة التوحيد ونفعه (قوله أى عن العلم) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن والحق بمعنى العلم (قوله فيما المطلوب فيه العلم) أى فى الأمر الذى يطلب فيه العلم وهو الاعتقاديات بخلاف العمليات فالظن فيها كاف لاختلاف الأئمة فى الفروع الفقهية فتحصل أن الأمور الاعتقادية كمعرفة الله تعالى ومعرفة الرسل وما أتوا به لابد فيها من الجزم المطابق للحق عن دليل ولا يكفى فيها الظن، وأما الأمور العملية كفروع الدين فيكفى فيها غلبة الظن (قوله فأعرض عمن تولى) أى اترك دعوته والاهتمام بشأنه فانه لاتفيد دعوته إلا عنادا وإصرارا على الباطل (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أى فهو منسوخ بآية القتال وقد تبع المفسر فى ذلك أكثر المفسرين، وقال الرازى إنها ليست منسوخة بآية القتال بل هى موافقة لها وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم فى الأول كان مأمورا بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوا أمر بازالة شبههم والجواب عنها فقيل له: وجادلهم بالتى هى أحسن ثم لما لم ينفع ذلك فيهم قيل له أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان فانهم لاينتفعون به وقاتلهم فثمرة الاعراض القتال وقد يقال إن الخلاف لفظى فمن أراد بالاعراض الكف عن مجادلتهم ومعاملتهم بالتى هى أحسن قال بالنسخ ومن أراد بالاعراض عنهم ترك جدالهم ومعاملتهم بالسيف قال بعدمه (قوله مبلغهم من العلم) تسميته علما تهكم بهم (قوله إن ربك هو أعلم الخ) تعليل للأمر بالاعراض والمعنى أن الله عالم بالضال فيجازيه على ضلاله وبالمهتدى فيجازيه على هداه، ومن هنا خافت العارفون من سوء الخاتمة لعدم اعتمادهم على أعمالهم.

(فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى) أى الدنيا فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالى (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ) أى وكثير من الملائكة (فِي السَّمٰوَاتِ) وما أكرمهم عند الله (لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ) لهم فيها (لِمَنْ يَشَاءُ) من عباده (وَيَرْضَى) عنه لقوله: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ومعلوم أنها لاتوجد منهم إلا بعد الإذن فيها: من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى) حيث قالوا هم بنات الله (وَمَا لَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ إِنْ) ما (يَتَّبِعُونَ) فيه (إِلَّا الظَّنَّ) الذى تخيلوه (وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) أى عن العلم فيما المطلوب فيه العلم (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا) أى القرآن (وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا) وهذا قبل الأمر بالجهاد (ذَٰلِكَ) أى طلب الدنيا (مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) أى نهاية علمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى) أى عالم بهما فيجازيهما (وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى هو مالك لذلك،

(قوله ومنه الضال والمهتدى) دفع بذلك مايقال كيف يجعل الجزاء علة لملك مافى السموات والأرض مع أنه ثابت لله تعالى بالذات فأجاب بأنه علة لمحذوف دل عليه قوله ملك السموات والأرض (قوله ليجزى الذين أساءوا الخ) أشار بذلك إلى أن اللام متعلقة بمحذوف قدره بقوله يضل من يشاء الخ ويصح أن تكون اللام للعاقبة والصيرورة والمعنى أن عاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم المحسن والمسىء فيجازى المحسن بالاحسان والمسىء بالاساءة (قوله و بين المحسنين الخ) أى فالذين يجتنبون بدل أو عطف بيان أو نعت للذين أحسنوا أو مفعول لمحذوف تقديره أعنى أو خبر لمحذوف تقديره هم الذين الخ (قوله كبائر الاثم) جمع كبيرة وهى ماورد فيها وعيد أو حد (قوله والفواحش) إما عطف مرادف إن أريد بها الكبائر أو خاص إن أريد بها ماترتب عليه عظيم مفسدة كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك (قوله إلا اللمم) هو فى الأصل أن يلم بالشىء ولم يرتكبه والمراد به فعل الصغائر (قوله كالنظرة) أى وكالكذب الذى لاحد فيه ولم يترتب عليه إفساد بين الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والتبختر فى المشى ونحو ذلك (قوله إن ربك واسع المغفرة) تعليل لقوله إلا اللمم والمعنى أن عدم المؤاخذة على الصغائر لالكونها ليست ذنبا بل لسعة مغفرة الله (قوله بذلك) أى باجتناب الكبائر (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد صيغة التفضيل (قوله إذ أنشأكم من الأرض) أى فهو عالم بتفاصيل أموركم حين ابتدأ خلق أبيكم آدم من التراب وحين صوركم فى الأرحام (قوله جمع جنين) سمى بذلك لاستتاره فى بطن أمه (قوله لاتمدحوها) أى لاتثنوا عليها ولا تشهدوا لها بالكمال والتقى فان النفس خسيسة إذا مدحت اغترت وتكبرت فالذى ينبغى للشخص هضم النفس وذلها واستخفافها (قوله أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن) أى ولذا قيل المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر ، قال تعالى : وأما بنعمة ربك فحدث (قوله هو أعلم بمن اتقى) أى بمن أخلص فى طاعته وتقواه فينتفع بها و يثاب عليها وأما المرائى فلا ينتفع بطاعته بل يعاقب عليها لأن الرياء يحبط العمل (قوله أى ارتد) أى بعد أن أسلم بالفعل وهذا أحد قولين وقيل قارب الاسلام ولم يسلم بالفعل (قوله وأعطاه من ماله) الضمير المستتر فى أعطى عائد على الذى تولى والبارز عائد على الذى ضمن له عذاب الله فتحصل أن الضامن جعل على المتولى شيئين : الرجوع إلى الشرك ، وأن يدفع له عددا معينا من ماله ، وجعل على نفسه هو شيئا واحدا وهو ضمان عذاب الله (قوله وأكدى) هو فى الأصل من أكدى الحافر إذا أصاب كدية منعته من الحفر ومثله أجبل أى صادف جبلا منعه من الحفر ثم استعمل فى كل من طلب منه شىء فلم يعطه (قوله أعنده علم الغيب) استفهام إنكارى بمعنى النفى أى ليس عنده علم الغيب (قوله فهو يرى) عطف على قوله أعنده علم الغيب فهى داخلة فى حيز الاستفهام (قوله وهو الوليد بن المغيرة) أي وهو قول مقاتل وعليه الأكثر .

ومنه الضال والمهتدى يضل من يشاء ويهدى من يشاء (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا) من الشرك وغيره (وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا) بالتوحيد وغيره من الطاعات (بِالْحُسْنَى) أى الجنة ، و بين المحسنين بقوله (الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ) هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة فهو استثناء منقطع ، والمعنى لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر (إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) بذلك و بقبول التوبة . ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صيامنا حجنا (هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ) أى خلق أباكم آدم من التراب (وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ) جمع جنين (فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) لا تمدحوها أى على سبيل الإعجاب ، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن (هُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنِ اتَّقَى . أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) عن الإيمان : أى ارتد لما عير به وقال إنى خشيت عقاب الله فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله إن رجع إلى شركه وأعطاه من ماله كذا فرجع (وَأَعْطَى قَلِيلًا) من المال المسمى (وَأَكْدَى) منع الباقى مأخوذ من الكدية ، وهى أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر (أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى) يعلم من جملته أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة ، لا ، وهو الوليد بن المغيرة ،

أو غيره وجملة أعنده المفعول الثانى لرأيت بمعنى أخبرنى (أَمْ) بل (لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى) أسفار التوراة أو صحف قبلها (وَ) صحف (إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى) تمم ما أمر به نحو وإذا ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهنّ، وبيان ما (أَنْ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) الخ وأن مخففة من الثقيلة : أى أنه لاتحمل نفس ذنب غيرها (وَأَنْ) أى أنه (لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) من خير فليس له من سعى غيره الخير شىء (وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى) أى يبصر فى الآخرة (ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى) الأكمل يقال جزيته سعيه و بسعيه (وَأَنَّ) بالفتح عطفا

(قوله أو غيره) أى فقيل هو العاص بن وائل السهمى وقيل هو أبو جهل وهذا الخلاف فى بيان الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى وأما الذى عيره وضمن له أن يحمل عنه العذاب فلم يذكروا تعيينه (قوله أم لم ينبأ بما فى صحف موسى) أم منقطعة والمعنى بل لم يخبر بالذى فى صحف موسى الخ حتى يغتر بما قيل له وقدم موسى لقرب عهده منهم وخص هذين الرسولين لأنهم كانوا قبل إبراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره فكان الرجل إذا قتل وظفر أهل المقتول بأبى القاتل أو ابنه أو أخيه أو عمه أو خاله قتلوه حتى جاءهم إبراهيم فنهاهم عن ذلك و بلغهم عن الله أن لاتزر وازرة وزر أخرى (قوله تمم ما أمر به) أى من تبليغ الرسالة وقيامه بالضيفان وخدمته إياهم بنفسه فكان يخرج يتلقى الضيفان من مسافة فرسخ فان وجد الضيفان أكرمهم وأكل معهم و إلا نوى الصوم وصبره على النار وذبح ولده، وقيل المراد وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون العابدون وعشرة فى الأحزاب إن المسلمين والمسلمات وعشرة فى المؤمنون قد أفلح المؤمنون، وقيل المراد وفى بكلمات كان يقولهن إذا أصبح و إذا أمسى فسبحان الله حين تمسون إلى تظهرون، والمعنى أنه ما أمره الله تعالى بشىء إلا وفى به (قوله و بيان ما) أى فقوله أن لاتزر فى محل جر بدل من ما فى قوله بما فى صحف موسى و يصح رفعه على أنه خبر لمحذوف أى هو أن لاتزر ونصبه على أنه مفعول لمحذوف (قوله وازرة) صفة لموصوف محذوف أى نفس وازرة أى مكلفة بالوزر، وليس المراد وازرة بالفعل (قوله وزر أخرى) أى وزر نفس أخرى (قوله إلى آخره) المراد به قوله فبأى آلاء ربك تتمارى وهذا على فتح همزة أن فى قوله وأن إلى ربك المنتهى وما بعده وهى ثمانية تضم لثلاث قبلها فتكون الجملة أحد عشر شيئا، وأما على قراءة الكسر فى هذه الثمانية فيكون المراد بقوله إلى آخره ثم يجزاه الجزاء الأوفى فيكون البيان بالثلاثة الأول فقط (قوله وأن مخففة من الثقيلة) أى واسمها محذوف هو ضمير الشأن ولا تزر هو الخبر (قوله وأن ليس للانسان إلا ما سعى) استشكل هذا الحصر بأمور : منها أن الدال على الخير كفاعله. ومنها واتبعناهم ذرياتهم بإيمان. ومنها «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث إلى قوله أو ولد صالح يدعو له» ومنها غير ذلك. قال الشيخ تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية من اعتقد أن الانسان لاينتفع إلا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة. أحدها : أن الانسان ينتفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل الغير. ثانيها أن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الموقف فى الحساب ثم لأهل الجنة فى دخولها. ثالثها لأهل الكبائر فى الخروج من النار. رابعها أن الملائكة يدعون و يستغفرون لمن فى الأرض. خامسها أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بغير عملهم. سادسها أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم. سابعها قال تعالى فى قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا. ثامنها أن الميت ينتفع بالصدقة عنه و بالعتق بنص السنة والاجماع. تاسعها أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه عنه بنص السنة. عاشرها أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير. حادى عاشرها المدين قد امتنع صلى الله عليه وسلم من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الآخر على بن أبى طالب وانتفع بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم وهو من عمل الغير إلى آخر ما قال. وأجيب بأجوبة منها أن الآية منسوخة ورد بأنها خبر والأخبار لاتنسخ. ومنها أن المراد بالانسان الكافر. ومنها أن هذا حكاية عما فى صحف موسى و إبراهيم فليس فى شرعنا (قوله أى يبصر فى الآخرة) أى لأن العمل يصور بصورة جميلة إن كان صالحا وقبيحة إن كان سيئا ليكون سرورا للمؤمن وحزنا للكافر (قوله ثم يجزاه) الضمير المرفوع عائد على الانسان والمنصوب عائد على السعى (قوله الجزاء الأوفى) مصدر مبين للنوع (قوله يقال جزيته سعيه الخ) أشار بذلك إلى أن الجزاء يتعدى للمفعول الثانى بنفسه و بحرف الجر (قوله بالفتح عطفا) أى على قوله أن لاتزر وازرة الخ وعليه فيكون من جملة

مافى صحف موسى و إبراهيم (قوله وقرئ بالكسر استئنافا) أى وعليه فيكون زائدا على مافى صحف موسى و إبراهيم لأن القرآن فيه مافى الصحف وزيادة (قوله وكذا مابعدها) أى من قوله وأنه هو أضحك وأبكى إلى قوله وأنه أهلك عادا الأولى والكسر شاذ (قوله إلى ربك المنتهى) أى منتهى أمر الخلق ومرجعهم إليه تعالى وهذا كالدليل لقوله ثم يجزاه الجزاء الأوفى كأنه قال الله يجزى الانسان على أعماله الجزاء الأوفى لأنه إليه المنتهى فى الأمور كلها و إذا كان كذلك فينبغى للانسان أن يرجع إلى ربه فى أموره كلها ولا يعول على شئ من الأشياء لأنه الآخذ بالنواصى . واختلف فى المخاطب بقوله وأن إلى ربك المنتهى فقيل كل عاقل وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وهذا على قراءة الكسر وأما على قراءة الفتح فقيل كل عاقل وقيل موسى و إبراهيم على سبيل التوزيع لأنه محكى عن صحفهما (قوله أفرحه) أشار بذلك إلى أن الضحك مستعمل فى حقيقته وكذا البكا وأن مفعول كل من الفعلين محذوف (قوله وأنه خلق الزوجين الخ) الحكمة فى إسقاط ضمير الفصل فى هذا و إثباته فى قوله وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا الاشارة لدفع توهم أن للمخلوق مدخلا فى الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء فأكده بالفصل ولما لم يحصل فى حق الذكر والأنثى وما بعده توهم أن للغير مدخلا لم يؤكده بضمير الفصل (قوله

وقرئ بالكسر استئنافا وكذا ما بعدها فلا يكون مضمون الجمل فى الصحف على الثانى (إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ) المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ) من شاء أفرحه (وَأَبْكَىٰ) من شاء أحزنه (وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ) فى الدنيا (وَأَحْيَا) للبعث (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ) الصنفين (الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ) منى (إِذَا تُمْنَىٰ) تصب فى الرحم (وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ) بالمد والقصر (الْأُخْرَىٰ) الخلقة الأخرى للبعث بعد الخلقة الأولى (وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ) الناس بالكفاية بالأموال (وَأَقْنَىٰ) أعطى المال المتخذ قنية (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ) هو كوكب خلف الجوزاء كانت تعبد فى الجاهلية (وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ) وفى قراءة بإدغام التنوين فى اللام وضمها بلا همز هى قوم هود والأخرى قوم صالح (وَثَمُودَا) بالصرف اسم للأب وبلا صرف للقبيلة وهو معطوف على عادا (فَمَا أَبْقَىٰ) منهم أحدا (وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ) أى قبل عاد وثمود أهلكناهم (إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ) من عاد وثمود لطول لبث نوح فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه (وَالْمُؤْتَفِكَةَ) وهى قرى قوم لوط (أَهْوَىٰ) أسقطها بعد رفعها إلى السماء مقلوبة

وأن عليه النشأة الأخرى) أى بحكم الوعد الكائن فى قوله إنا نحن نحيى ونميت إذ لا يجب عليه تعالى فعل شئ ولا تركه (قوله بالمد والقصر) أى فيهما قراءتان سبعيتان (قوله أعطى المال المتخذ قنية) أى الذى يدوم عند صاحبه (قوله رب الشعرى) اعلم أن الشعرى فى لسان العرب كوكبان أحدهما الشعرى العبور وتسمى الشعرى اليمانية تطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر كانت تعبدها خزاعة من العرب وأول من سن عبادتها رجل من ساداتهم يقال له أبو كبشة وهى المرادة فى الآية والثانى الشعرى الغميصاء بضم الغين وفتح الميم من الغمص بفتحتين وهو سيلان دمع العين (قوله بإدغام التنوين) أى بعد قلبه لاما وقوله فى اللام أى لام التعريف وقوله وضمها أى بنقل حركة همزة أولى إليها وقوله بلا همز أى للواو التى بعد اللام المدغم فيها التنوين و بقى قراءة ثالثة سبعية أيضا وهى هذه القراءة بعينها إلا أن الواو المذكورة تقلب همزة ساكنة (قوله هى قوم هود) أى وسميت أولى لتقدمها فى الزمان على عاد الثانية التى هى قوم صالح وهم ثمود فأهلكت الأولى بالريح الصرصر والثانية بصيحة جبريل وتسمى كل من القبيلتين عادا لأن جدهم واحد وهو عاد بن إرم بن سام ابن نوح عليه السلام (قوله وهو معطوف على عادا) أى ويصح نصبه بفعل محذوف تقديره وأهلك ثمودا وليس منصوبا بأبقى لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها (قوله أهلكناهم) صوابه أهلكهم وأشار بذلك إلى أن قوله وقوم نوح منصوب بفعل محذوف و يصح عطفه على ماقبله (قوله إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) الضمير عائد على قوم نوح خاصة وعليه مشى المفسر و يصح عوده على الفرق الثلاث . والمعنى أظلم وأطغى من غيرهم (قوله يؤذونه و يضربونه) أى حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (قوله والمؤتفكة) منصوب بأهوى قدم رعاية للفاصلة . ومعنى المؤتفكة المنقلبة لأن الائتفاك الانقلاب

(قوله مقلوبة) حال من ضمير أسقطها (قوله فغشاها) أى ألبسها وكساها والفاعل ضمير عائد على الله تعالى ، وقوله ما غشى مفعول به (قوله تهويلا) أى تفخيما وتعظيما ، والمعنى غشاها أمرا عظيما من حجارة وغيرها مما لا يسع العقول وصفه (قوله وفى هود فجعلنا الخ) الصواب أن يقول وفى هود ـ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ـ الخ أو يقول وفى الحجر فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم بدل قوله عليها (قوله فبأى) الباء ظرفية متعلقة بتمارى والمعنى فى أى آلاء ربك تتشكك (قوله أيها الإنسان) أى مطلقا ، وقيل المراد به الوليد بن المغيرة ، وقيل الخطاب للنبي والمراد غيره (قوله هذا نذير من النذر الأولى) النذير بمعنى المنذر والتنوين للتفخيم (قوله أزفت الآزفة) أزف من باب تعب دنا وقرب (قوله قربت القيامة) أى الموصوفة بالقرب فهى فى نفسها قريبة من يوم خلق الله الدنيا لأن كل آت قريب وقد ازدادت قربا ببعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه من أمارات الساعة كما هو معلوم (قوله نفس كاشفة) أشار بذلك إلى أن كاشفة صفة لموصوف محذوف (قوله أى لا يكشفها و يظهرها إلا هو) أى فهو من كشف الشىء عرف حقيقته و يصح أن يكون من كشف الضر أزاله ، والمعنى ليس لها مزيل غيره تعالى لكنه لم يفعل ذلك لأنه سبق فى علمه وقوعها (قوله أفمن هذا الحديث) متعلق بتعجبون (قوله تكذيبا) قيد به لأن التعجب قد يكون استحسانا وكذا يقال فى قوله استهزاء (قوله وأنتم سامدون) إما مستأنف أو حال (قوله لاهون غافلون) أى فالسمود اللهو والغفلة ، وقيل الاعراض والاستكبار (قوله فاسجدوا لله) يحتمل أن المراد به سجود الصلاة وهو ما عليه مالك ويحتمل أن المراد سجود

مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك (فَغَشَّاهَا) من الحجارة بعد ذلك (مَا غَشَّى) أبهم تهويلا ، وفى هود : فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ) أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته (تَتَمَارَى) تتشكك أيها الإنسان أو تكذب (هَٰذَا) محمد (نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ) من جنسهم: أى رسول كالرسل قبله أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ) قربت القيامة (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ) نفس (كَاشِفَةٌ) أى لا يكشفها و يظهرها إلا هو كقوله: لا يجليها لوقتها إلا هو (أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ) أى القرآن (تَعْجَبُونَ) تكذيبا (وَتَضْحَكُونَ) استهزاء (وَلَا تَبْكُونَ) لسماع وعده ووعيده (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) لاهون غافلون عما يطلب منكم (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ) الذى خلقكم (وَاعْبُدُوا) ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها .

(سورة القمر)

مكية إلا « سيهزم الجمع » الآية ، وهى خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) قربت القيامة (وَانْشَقَّ الْقَمَرُ) انفلق فلقتين على أبى قبيس ،

التلاوة و به أخذ الشافعى وأبو حنيفة ، ويؤيده ما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سجد فى النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس إلا أبى بن خلف رفع كفا من تراب على جبهته وقال يكفى هذا (قوله واعبدوا) عطف عام على خاص ، وقوله : ولا تسجدوا للأصنام الخ أخذه من لام الاختصاص ومن السياق .

[سورة القمر] جميع فواصل آياتها على الراء الساكنة (قوله الآية) أى وآخرها و يولون الدبر (قوله قربت القيامة) أشار بذلك إلى أن الفعل المزيد بمعنى المجرد وإنما أتى بالمزيد مبالغة لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى ، والمراد بالقيام خروج الناس من القبور ، وله أسماء كثيرة الحاقة والواقعة ويوم الدين و يوم الجزاء وغير ذلك (قوله وانشق القمر) اعلم أنه يسمى قمرا بعد ثلاث من الشهر وقبلها هلالا إلى أربعة عشر وليلتها يسمى بدرا (قوله فلقتين) تثنية فلقة بالكسر كقطعة وزنا ومعنى والانشقاق كان قبل الهجرة بخمس سنين وهل كان ليلة أربعة عشر من الشهر أولا لم يثبت ، وأما قول البوصيرى :

شق عن صدره وشق له البد ... ر ومن شرط كل شرط جزاء

فان كان عن نقل صحيح فهو مقبول لأنه حجة وإلا فتسميته بدرا مجاز

وماذكره المفسر من أنه اتفاق بالفعل هو المشهور ، وقيل المعنى سينشق القمر إذا قامت القيامة لأن السماء تنشق حينئذ بما فيها ، وقيل إن المعنى ظهر الأمر واتضح (قوله وقعيقعان) هو جبل مقابل أبى قبيس (قوله وقد سئلها) الجملة حالية والمسئول إما مطلق آية أو خصوص انشقاق القمر روايتان (قوله فقال اشهدوا) أى بأنى رسول الله ولست بساحر كما تزعمون (قوله يعرضوا) أى عن الإيمان بها (قوله هذا سحر) أشار بذلك إلى أن سحر خبر لمحذوف (قوله قوى أو دائم) هذان قولان من أربعة أقوال . والثالث أن معناه ذاهب لايبقى مأخوذ من المرور . والرابع أن معناه مرّ بشع لاتقدر أن نسيغه كما لانسيغ المرّ (قوله وكذبوا واتبعوا) عبر بالماضى إشارة إلى أن التكذيب واتباع الهوى من عادتهم ودأبهم (قوله وكل أمر مستقر) جملة مستأنفة مركبة من مبتدا وخبر قاطعة لأطماعهم الكاذبة ، والمعنى كل أمر من الأمور منته إلى غاية يستقر عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر (قوله مستقر بأهله) الباء بمعنى اللام ، والمعنى ثابت لأهله ماينشأ عنه من ثواب وعقاب (قوله أو اسم مكان) أى على أن فيه تجريدا ، والمعنى أنه موضع ازدجار (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لأن الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس فأبدلوها إلى حرف مجهور قريب من التاء وهو الدال وكما تقلب تاء الافتعال دالا بعد الزاى كذلك

تقلب دالا بعد الدال والذال قال ابن مالك :

فى ادان وازدد وادكر دالا بقى

(قوله وما موصولة أو موصوفة) أى وهى فاعل بجاء ومن الأنباء حال منها (قوله أو بدل من ما) أى بدل كل من كل أو بدل اشتمال (قوله بالغة تامة) أى لاخلل فيها (قوله فما تغن النذر) حذفت الياء لفظا لالتقاء الساكنين وتحذف فى الخط اتباعا للفظ ولرسم المصحف (قوله أى الأمور المنذرة لهم) أى كما وقع للأمم السابقة من العذاب (قوله مفعول مقدم) أى مفعول به ، والمعنى فأى شئ من الأشياء لايدرون

النافعة تغنى النذر ، أو مفعول مطلق والمعنى فأى إغناء تغنى النذر (قوله فتول عنهم) قيل منسوخة بآية السيف ، وقيل غير منسوخة بل معناها فتول عنهم ولا تكلمهم بل قاتلهم (قوله هو فائدة ماقبله) أى نتيجته وثمرته (قوله يوم يدع الداع) حذفت الواو من يدع لفظا لالتقاء الساكنين وخطا تبعا لرسم المصحف وللفظ وحذفت الياء من الداع خطا لأنها من ياءات الزوائد وأما فى اللفظ فقرئ فى السبع باثباتها وحذفها وكذا يقال فى الداع الآتى (قوله هو إسرافيل) هذا أحد قولين ، وقيل هو جبريل يقول فى ندائه أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله وناصب يوم يخرجون بعده) أى أو محذوف تقديره اذكر (قوله بضم الكاف الخ) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله تنكره النفوس) أى جميعها أو نفوس الكفار لأن المؤمنين حينئذ يكونون آمنين (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله حال) أى قوله خاشعا وأبصارهم فاعل به وأسند الخشوع للأبصار لأنه يظهر فيها أكثر من بقية البدن (قوله أى الناس) أى مؤمنهم وكافرهم (قوله من الأجداث) جمع جدث بفتحتين كفرس وأفراس (قوله كأنهم جراد منتشر) أى فى الكثرة والانتشار فى الأمكنة

وقعيقعان آية له صلى الله عليه وسلم وقد سئلها فقال اشهدوا ، رواه الشيخان (وَإِنْ يَرَوْا) أى كفار قريش (آيَةً) معجزة له صلى الله عليه وسلم (يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا) هذا (سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ) قوى ، من المرة القوة أو دائم (وَكَذَّبُوا) النبى صلى الله عليه وسلم (وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ) فى الباطل (وَكُلُّ أَمْرٍ) من الخير والشر (مُسْتَقِرٌّ) بأهله فى الجنة أو النار (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ) أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم (مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ) لهم ، اسم مصدر أو اسم مكان والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته وزجرته : نهيته بغلظة وما موصولة أو موصوفة (حِكْمَةٌ) خبر مبتدإ محذوف أو بدل من ما أو من مزدجر (بَالِغَةٌ) تامة (فَمَا تُغْنِ) تنفع فيهم (النُّذُرُ) جمع نذير بمعنى منذر أى الأمور المنذرة لهم ، وما للنفى أو للاستفهام الإنكارى وهى على الثانى مفعول مقدم (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) هو فائدة ما قبله وتم به الكلام (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ) هو إسرافيل وناصب يوم يخرجون بعده (إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ) بضم الكاف وسكونها أى منكر تنكره النفوس لشدته وهو الحساب (خَاشِعًا) ذليلا وفى قراءة خُشَّعًا بضم الخاء وفتح الشين مشددة (أَبْصَارُهُمْ) حال من فاعل (يَخْرُجُونَ) أى الناس (مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) ،

لايدرون أين يذهبون من الخوف والحيرة والجملة حال من فاعل يخرجون وكذا قوله (مُهْطِعِينَ) أى مسرعين مادّين أعناقهم (إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ) منهم (هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) أى صعب على الكافرين كما فى المدثر: يوم عسير على الكافرين (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ) قبل قريش (قَوْمُ نُوحٍ) تأنيث الفعل لمعنى قوم (فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا) نوحا (وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ) أى انتهروه بالسب وغيره (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي) بالفتح أى بأنى (مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا) بالتخفيف والتشديد (أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) منصب انصبابا شديدا (وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا) تنبع (فَالْتَقَى الْمَاءُ) ماء السماء والأرض (عَلَىٰ أَمْرٍ) حال (قَدْ قُدِرَ) قضى به فى الأزل وهو هلاكهم غرقا (وَحَمَلْنَاهُ) أى نوحا (عَلَىٰ) سفينة (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) وهو ماتشد به الألواح من المسامير وغيرها واحدها دسار ككتاب (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) بمرأى منا : أى محفوظة (جَزَاءً) منصوب بفعل مقدر أى أغرقوا انتصارا (لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) وهو نوح صلى الله عليه وسلم وقرئ كفر ببناء للفاعل: أى أغرقوا عقابا لهم (وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا) أبقينا هذه الفعلة (آيَةً) لمن يعتبر بها : أى شاع خبرها واستمر (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) معتبر ومتعظ بها وأصله مذتكر أبدلت التاء دالا مهملة ،

(قوله لايدرون أين يذهبون الخ) اعلم أن الناس حين الخروج من القبور شبهوا فى هذه الآية بالجراد المنتشر وفى الآية الأخرى بالفراش المبثوث ، فمن حيث تحيرهم وتداخل بعضهم فى بعض شبهوا بالفراش المبثوث ، ومن حيث انتشارهم وقصدهم الجهة التى يجتمعون فيها شبهوا بالجراد المنتشر ، إذا علمت ذلك فما قاله المفسر لايناسب تشبيههم بالجراد بل بالفراش هكذا قالوا فتدبر (قوله مادين أعناقهم الخ) أى فمعنى مهطعين مادّين الأعناق مع سرعة المشى (قوله يقول الكافرون الخ) استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وشدائدها كأنه قيل فما يقول الكافر حينئذ (قوله كما فى المدثر) أى ففى المدثر مايفيد أن الصعوبة والشدة لخصوص الكافر (قوله كذبت قبلهم قوم نوح) تفصيل لما أجمل أولا فى قوله ـ ولقد جاءهم من الأنباء مافيه مزدجر ـ (قوله لمعنى قوم) أى وهو الأمة (قوله فكذبوا عبدنا) تفصيل لقوله ـ كذبت قبلهم قوم نوح ـ فالمكذب والمكذب فى الموضعين واحد (قوله وازدجر) عطف على قالوا ، والمعنى قالوا مجنون وانتهروه (قوله وغيره) أى كالضرب والخنق فكانوا يضربونه ويخنقونه حتى يغشى عليه فيتركونه فاذا أفاق قال ـ اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون ـ (قوله فدعا ربه) أى بعد صبره عليهم الزمن الطويل فمكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يعالجهم فلم يفد فيهم شيئا (قوله أنى مغلوب) بفتح الهمزة فى قراءة العامة على حكاية المعنى ولو حكى اللفظ لقال إنى مغلوب وقرئ شذوذا بكسر الهمزة على إضمار القول ، والمعنى فدعا ربه قائلا إنى مغلوب (قوله فانتصر) أى انتقم لى منهم وذلك بعد يأسه من إيمانهم حيث أوحى الله إليه : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ودعا عليهم أيضا بقوله ـ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ـ وبقوله ـ فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين ـ (قوله ففتحنا) عطف على محذوف تقديره فاستجبنا له (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أبواب السماء) أى جميعها ويؤخذ من ذلك أن السماء لها أبواب حقيقة تفتح وتغلق وهو كذلك (قوله بماء) الباء للتعدية مبالغة حيث جعل الماء كالآلة التى يفتح بها (قوله منهمر) المنهمر الغزير النازل بقوة (قوله وفجرنا الأرض عيونا) تمييز محوّل عن المفعول لأن أصله وفجرنا عيون الأرض (قوله تنبع) أى تخرج من العين ومكث الماء يصب من السماء وينبع من الأرض أربعين يوما قيل كان ماء السماء باردا مثل الثلج وماء الأرض حارا مثل الحميم وهل كان ماء السماء أكثر أو ماء الأرض أو مستويين أقوال (قوله فالتقى الماء) أى جنسه الصادق بماء السماء والأرض (قوله وغيرها) أى كالصفائح والخشب الذى تسمر فيه الألواح والخيوط ونحوها (قوله جمع دسار) وقيل جمع دسر بسكون السين كسقف وسقف (قوله تجرى) صفة ثانية للموصوف المحذوف (قوله بأعيننا) حال من ضمير تجرى (قوله منصوب بفعل مقدّر) أى مفعول لأجله (قوله وهو نوح) أى لأنه نعمة كفروها إذ كل نبى نعمة على أمته (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله هذه الفعلة) أى وهى الغرق على هذا الوجه ، وقيل هى السفينة بناء على أنها بقيت على الجودى زمنا مديدا حتى رآها أوائل هذه الأمة (قوله معتبر ومتعظ بها) أى يعتبر بما صنع الله بقوم نوح فيترك المعصية ويفعل الطاعة .

(قوله وكذا المعجمة) أى الدال التى قبل التاء أبدلت دالا مهملة وقوله وأدغمت أى الدال المهملة المنقلبة عن المعجمة وقوله فيها أى فى الدال المنقلبة عن التاء (قوله ونذر) باثبات الياء لفظا وحذفها قراءتان سبعيتان ، وأما فى الرسم فلا تثبت لأنه من ياآت الزوائد وكذا يقال فى المواضع الآتية (قوله وكيف خبر كان) أى فهى ناقصة وعذابى اسمها (قوله وهى للسؤال عن الحال) أى فاذا أردت أن تختبر حال شخص تقول له كيف أنت أصحيح أم سقيم مثلا (قوله بوقوع عذابه تعالى الخ) أى أنه فى غاية العدل فلا ظلم فيه ولا جور (قوله سهلناه للحفظ) أى أعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه فيعان عليه وليس من كتاب يقرأ عن ظهر قلب إلا القرآن ولم يكن هذا لبنى إسرائيل ولم يكونوا يقرءون التوراة إلا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ومن أجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلب حين أحرقت ، ومن هذا المعنى قول الله عزوجل فى الحديث القدسي : وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم (قوله أو هيأناه للتذكر) أى بأن أودعنا فيه أنواع المواعظ والعبر ، وبالجملة فقد جعل الله القرآن مهيأ ومسهلا لمن يريد حفظ اللفظ أو حفظ المعنى أو الاتعاظ به فهو رأس سعادة الدنيا والآخرة (قوله والاستفهام بمعنى الأمر) أى فهو للتحضيض (قوله أى احفظوه واتعظوا به) أى ليكمل لكم (١٤٠) الاصطفاء فإن من آتاه الله القرآن حفظا أو اتعاظا فقد جعله الله من أهله

وكذا المعجمة وأدغمت فيها (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) أى إنذارى استفهام تقرير وكيف خبر كان وهى للسؤال عن الحال والمعنى حمل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ) سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) متعظ به وحافظ له والاستفهام بمعنى الأمر أى احفظوه واتعظوا به وليس يحفظ من كتب الله عن ظهر القلب غيره (كَذَّبَتْ عَادٌ) نبيهم هودا فعذبوا (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) أى إنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أى وقع موقعه وقد بينه بقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا) أى شديدة الصوت (فِى يَوْمِ نَحْسٍ) شؤم (مُسْتَمِرٍّ) دائم الشؤم أو قويه وكان يوم الأربعاء آخر الشهر (تَنْزِعُ النَّاسَ) تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم على رءوسهم فتدق رقابهم فتبين الرأس عن الجسد (كَأَنَّهُمْ) وحالهم ماذكر (أَعْجَازُ) :

ومن جمع بين الأمرين فهو على أكمل الأحوال (قوله كذبت عاد الخ) هذا أيضا من جملة تفصيل قوله : ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر ، وذكر قصة عاد عقب قصة قوم نوح لأنهم من ذرية نوح لأن عادا هو ابن إرم بن سام بن نوح (قوله فكيف كان عذابى ونذر) مرتب على محذوف قدره بقوله فعذبوا (قوله أى وقع موقعه) أى

فتعذيبه لهم عدل منه تعالى لأنه أنذرهم أولا على لسان نبيهم فلم يؤمنوا ، وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أصول أنه لا يؤاخذ عبدا بغير جرم تنزلا منه تعالى وإلا فلو آخذ عباده بغير جرم لا يسمى ظالما لأنه تصرف فى ملكه والظلم التصرف فى ملك الغير بغير إذنه (قوله وقد بينه بقوله الخ) أشار بذلك إلى أن قوله : إنا أرسلنا الخ تفصيل لما أجمل أولا (قوله شؤم) أى غير مبارك (قوله دائم الشؤم) أى إلى الأبد عليهم وهو يوم مبارك على هود ومن تبعه فهو يوم نحس على الكافرين ويوم مبارك على المؤمنين (قوله أو قويه) أى فهو مأخوذ من المرة وهى القوة وفى الحقيقة هو دائم الشؤم قويه (قوله آخر الشهر) أى شهر شوال لثمان بقين منه واستمر إلى غروب الشمس من يوم الأربعاء آخره ، والمعنى أنه أتاهم العذاب يوم الأربعاء والباقى من شوال ثمانية أيام فاستمر عليهم لآخره ، قال تعالى فى سورة الحاقة : سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ، إذا علمت ذلك فليس المراد بقول المفسر آخر الشهر أن يوم نزول العذاب كان آخر الشهر بل هو منتهاه (قوله تنزع الناس) أظهر فى مقام الاضمار ليكون صريحا فى عموم الذكور والإناث وإلا فمقتضى الظاهر تنزعهم (قوله المندسين فيها) أى فقد روى أنهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى (قوله وحالهم ماذكر) الجملة حالية من ضمير كأنهم وفيه إشارة إلى أن قوله كأنهم حال من الناس مقدرة ، وذلك لأنهم حين إخراجهم من الحفر لم يكونوا كأعجاز النخل بل كانوا كذلك بعد ما حصل لهم ماذكر .

(قوله أصول نخل) المراد بها النخل بتمامها من أولها لآخرها ماعدا الفروع ، والمعنى كأنهم نخل قد قطعت رءوسه (قوله منقلع) تفسير لمنقعر وفيه إشارة إلى قوتهم وثبات أجسامهم فى الأرض فكأنهم لعظم أجسامهم وكمال قوتهم يقصدون مقاومة الريح فلم يستطيعوا لأنها لشدتها تقلعهم كما تقلع النخل من الأرض (قوله وذكر هنا) أى حيث قال منقعر ولم يقل منقعرة وقوله وأنث فى الحاقة أى حيث قال خاوية ولم يقل خاو (قوله فى الموضعين) أى فهنا الفاصلة على الراء وهناك على الهاء (قوله فكيف كان عذابى ونذر) كرره للتهويل والتعجيب من أمرهم (قوله أى الأمور التى أنذرهم بها) هذا أحد وجهين فى تفسير النذر ، والثانى أنه جمع نذير بمعنى الرسل المنذرين لهم وجمعهم لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل (قوله منصوب على الاشتغال) أى وهو الفصيح الراجح لتقدم أداة هى بالفعل أولى (قوله والاستفهام بمعنى النفى) أى فهو إنكارى (قوله جنون) أى فسعر مفرد ويصح أن يكون جمع سعير وهو النار (قوله وإدخال ألف بينهما الخ)

أصول (نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ) منقطع ساقط على الأرض ، وشبهوا بالنخل لطولهم وذكر هنا وأنث فى الحاقة نخل خاوية مراعاة للفواصل فى الموضعين (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ. وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ. كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ) جمع نذير بمعنى منذر: أى بالأمور التى أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه (فَقَالُوا أَبَشَرًا) منصوب على الاشتغال (مِنَّا وَاحِدًا) صفتان لبشرا (نَتَّبِعُهُ) مفسر للفعل الناصب له والاستفهام بمعنى النفى ، المعنى كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة وهو واحد منا وليس بملك: أى لانتبعه (إِنَّا إِذًا) أى إن اتبعناه (لَفِى ضَلَالٍ) ذهاب عن الصواب (وَسُعُرٍ) جنون (أَأُلْقِىَ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركه (الذِّكْرُ) الوحى (عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا) أى لم يوح إليه (بَلْ هُوَ كَذَّابٌ) فى قوله إنه أوحى إليه ما ذكر (أَشِرٌ) متكبر بطر قال تعالى (سَيَعْلَمُونَ غَدًا) فى الآخرة (مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ) وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحا (إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ) مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا (فِتْنَةً) محنة (لَهُمْ) لنختبرهم (فَارْتَقِبْهُمْ) يا صالح: أى انتظر ماهم صانعون وما يصنع بهم (وَاصْطَبِرْ) الطاء بدل من تاء الافتعال أى اصبر على أذاهم (وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ) مقسوم (بَيْنَهُمْ) وبين الناقة فيوم لهم ويوم لها (كُلُّ شِرْبٍ) نصيب من الماء (مُحْتَضَرٌ) يحضره القوم يومهم ، والناقة يومها فتمادوا على ذلك ثم ملوه فهموا بقتل الناقة ،

أى فالقراآت أربع سبعيات (قوله من بيننا) حال من الهاء فى عليه ، والمعنى أخص بالرسالة منفردا من بيننا وفينا من هو أكثر منه مالا وأحسن حالا (قوله أى لم يوح إليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله قال تعالى) أى وعيدا لهم ووعدا له (قوله أى فى الآخرة) هذا أحد قولين فى تفسير الغد ، وقيل المراد به يوم نزول العذاب الذى حل بهم فى الدنيا (قوله من الكذاب) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المفعولين ، والمعنى سيعلمون غدا أى فريق

هو الكذاب الأشر أهوهم أو صالح عليه السلام (قوله إنا مرسلوا الناقة) استئناف مسوق لبيان مبادئ الموعود به من العذاب وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أنه إذا أراد تعذيب قوم اقترحوا آية ولم يؤمنوا بها ، ورد أنهم قالوا لصالح عليه السلام نريد أن نعرف المحق منا بأن ندعو آلهتنا وتدعو إلهك فمن أجابه إلهه علمنا أنه المحق ، فدعوا أوثانهم فلم تجبهم فقالوا ادع أنت فقال فما تريدون ؟ قالوا تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء وبراء ، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان فوعدوه بذلك وأكدوا فكذبوا ثانيا بعد ما كذبوا أولا فى أن آلهتهم تجيبهم (قوله من الهضبة) بفتح الهاء وسكون الضاد وهو الجبل المنبسط على الأرض ويجمع على هضب وهضاب (قوله فتنة لهم) مفعول لأجله (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لوقوعها إثر حرف من حروف الاطباق وهو الصاد (قوله ونبئهم) أى أخبرهم (قوله أن الماء) أى وهو ماء بئرهم الذى كانوا يشربون منه (قوله قسمة بينهم وبين الناقة) ظاهره أن الضمير فى بينهم واقع عليهم فقط وأن فى الكلام حذف الواو مع ماعطفت ، والأسهل أن الضمير وقع عليهم وعلى الناقة على سبيل التغليب (قوله ويوم لها) أى فكانت لاتبقى شيئا فى البئر ويومها يكتفون بلبنها

(قوله فنادوا صاحبهم) مرتب على محذوف قدره بقوله فتمادوا على ذلك الخ ، والمعنى أنهم بقوا على ذلك مدة ثم ملوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم فأجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض نكمن للناقة حيث تمرّ إذا صدرت عن الماء ، فاجتمعوا وكمن لها قدار بن سالف فى أصل شجرة فى طريقها التى تمرّ بها فرماها فقطع عضلة ساقها فوقعت وأحدثت ورغت رغاءة واحدة ثم نحرها (قوله موافقة لهم) قصد بذلك الجمع بين ماهنا ومافى الشعراء حيث قال فعقروها فتحصل أن مباشرة القتل كان منه لكن باجماعهم عليه (قوله إنا أرسلنا عليهم صيحة) أى صاح بهم جبريل فى اليوم الرابع من عقر الناقة وذلك أن عقرها يوم الثلاثاء فتوعدهم صالح عليه السلام بالعذاب وأخبرهم بأنهم يصبحون يوم الأربعاء صفر الوجوه ويوم الخميس حمر الوجوه ويوم الجمعة سود الوجوه وفى يوم السبت ينزل بهم العذاب وكان الأمر كما ذكر (قوله كهشيم المحتظر) تشبيه لاهلاكهم ، والحظيرة زريبة الغنم ونحوها ، والمحتظر بكسر الظاء اسم فاعل وهو الذى يتخذ حظيرة من الحطب وغيره لتكون وقاية لمواشيه من الحرّ والبرد والسباع (قوله كذبت قوم لوط) أى وهم الجماعة الذين سكن عندهم وأرسل لهم ، وذلك أن لوطا هو ابن أخى إبراهيم الخليل عليهما السلام خرج مع عمه من العراق فنزل إبراهيم بفلسطين ولوط بسذوم وقراها فأرسله الله لهم فكذبوا فحلّ بهم العذاب (قوله النذرة) أى المخوفة (قوله ريحا ترميهم بالحصباء) أشار بذلك إلى أن حاصبا اسم فاعل صفة لموصوف محذوف وفيه دليل على أن إمطار الحجارة و إرسالها عليهم كان بواسطة إرسال الريح لها (قوله من يوم غير معين) أى غير مقصود تعيينه للخاطبين فلا ينافى تعيينه فى الواقع ولمن حضر (قوله أى وقت الصبح) هذا تفسير مراد يدل عليه قوله فى الآية الأخرى : إنّ موعدهم الصبح و إلا فحقيقة السحر ما كان آخر الليل والباء بمعنى فى (قوله لأن حقه أن يستعمل فى المعرفة) أى فى إرادة التعريف (قوله تسمحا) أى تساهلا فى العبارة وأشار بذلك إلى أن وجه كون الاستثناء منقطعا بعيد لأنّ أهل لوط من جنس القوم على كل حال سواء قلنا بنزول الحاصب على الجميع أوعلى غير أهل لوط فتحصل أن الاستثناء متصل على كل حال لكون المستثنى من جنس المستثنى منه وجعله منقطعا بعيد (قوله مصدر) أى مؤكد لعامله فى المعنى وهو نجيناهم إذ الانجاء نعمة أومفعول لمحذوف من لفظه أى أنعمنا عليهم نعمة (قوله أى مثل ذلك الجزاء) أى الذى هو الإنجاء (قوله نجزى من شكر) أى فلا خصوصية لآل لوط بل هو عام لكل من شكر نعمه تعالى قال تعالى : و ينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم الآية (قوله وهو مؤمن) الجملة حالية وقوله أومن آمن عطف على من شكر عطف تفسير وفى ذلك إشارة إلى تفسيرين للموصول فقيل إن المراد من شكر النعمة مع أصل الايمان ، وقيل هو من ضم إلى الايمان عمل الطاعات (قوله تجادلوا وكذبوا) أشار بذلك إلى أنه ضمن تماروا معنى التكذيب فتعدى تعديته .

(١٤٣)

(فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ) قداراً ليقتلها (فَتَعَاطَى) تناول السيف (فَعَقَرَ) به الناقة أى قتلها موافقة لهم (فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ) أى إنذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أى وقع موقعه و بينه بقوله (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) هو الذى يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ . كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ) أى بالأمور المنذرة لهم على لسانه (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً) ريحاً ترميهم بالحصباء وهى صغار الحجارة الواحد دون ملء الكف فهلكوا (إِلَّا آلَ لُوطٍ) وهم ابنتاه معه (نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ) من الأسحار أى وقت الصبح من يوم غير معين ولو أريد من يوم معين لمنع الصرف لأنه معرفة معدول عن السحر لأن حقه أن يستعمل فى المعرفة بأل ، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولا قولان ، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل وعلى الثانى بأنه منقطع و إن كان من الجنس تسمحاً (نِعْمَةً) مصدر ، أى إنعاما (مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ) أى مثل ذلك الجزاء (نَجْزِى مَنْ شَكَرَ) أنعمنا وهو مؤمن أو من آمن بالله ورسوله وأطاعهما (وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ) خوفهم لوط (بَطْشَتَنَا) أخذتنا إياهم بالعذاب (فَتَمَارَوْا) تجادلوا وكذبوا (بِالنُّذُرِ) بانذاره

(قوله بإنذاره) أى أو بالأمور التى خوفهم بها لوط (قوله ولقد راودوه عن ضيفه) أى أرادوا منه تمكينهم ممن أتاه من الملائكة فى صورة الأضياف للفاحشة والمراودة الطلب المتكرر (قوله ليخبثوا بهم) الخبث الزنا ، والمراد به مايشمل اللواط وهو المراد هنا وهو من باب قتل (قوله عميناها) صوابه أعميناها بالهمز لأن عمى ثلاثى لازم والمتعدى إنما هو الرباعى (قوله وجعلناها بلا شق) هذا أحد قولين وقيل بل أعماهم الله مع صحة أبصارهم فلم يروهم (قوله فقلنا لهم) أى على ألسنة الملائكة (قوله من يوم غير معين) أى لم يرد الله تعيينه لنا وإلا فهو معين فى علم الله وعلم من بقى من المؤمنين (قوله عذاب مستقر) أى مقلع جبريل بلادهم فرفعها وقلبها وأمطر الله عليها حجارة من سجيل (قوله دائم متصل بعذاب الآخرة) أى فلا يزول عنهم حتى يصلوا إلى النار (قوله ولقد يسرنا القرآن للذكر الخ) حكمة تكرار ذلك فى كل قصة التنبيه على الاتعاظ والتدبر إشارة إلى أن تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب كما كرر قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان تقريرا للنعم المختلفة

بإنذاره (وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ) أى أن يخلى بينهم وبين القوم الذين أتوه فى صورة الأضياف ليخبثوا بهم وكانوا ملائكة (فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ) عميناها وجعلناها بلا شق كباقى الوجه بأن صفقها جبريل بجناحه (فَذُوقُوا) فقلنا لهم ذوقوا (عَذَابِي وَنُذُرِ) أى إنذارى وتخويفى أى ثمرته وفائدته (وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً) وقت الصبح من يوم غير معين (عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ) دائم متصل بعذاب الآخرة (فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ . وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ . وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ) قومه معه (النُّذُرُ) الإنذار على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا ، بل (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا) أى التسع التى أوتيها موسى (فَأَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (أَخْذَ عَزِيزٍ) قوى (مُقْتَدِرٍ) قادر لايعجزه شىء (أَكُفَّارُكُمْ) ياقريش (خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ) المذكورين من قوم نوح إلى فرعون فلم يعذبوا (أَمْ لَكُمْ) ياكفار قريش (بَرَاءَةٌ) من العذاب (فِي الزُّبُرِ) الكتب ، والاستفهام فى الموضعين بمعنى النفى أى ليس الأمر كذلك (أَمْ يَقُولُونَ) أى كفار قريش (نَحْنُ جَمِيعٌ) أى جمع (مُنْتَصِرٌ) على محمد ، ولما قال أبو جهل يوم بدر إنا جمع منتصر نزل (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ) فهزموا ببدر ، ونصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ) بالعذاب (وَالسَّاعَةُ) أى عذابها (أَدْهَى) أعظم بلية (وَأَمَرُّ) أشد مرارة من عذاب الدنيا (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ) هلاك بالقتل فى الدنيا (وَسُعُرٍ) نار مسعرة بالتشديد أى مهيجة فى الآخرة (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ) أى فى الآخرة ويقال لهم (ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ)

المعدودة فكلما ذكر نعمة وبخ على التكذيب بها (قوله الانذار) أى فهو مصدر ويصح جعله جمع نذير باعتبار الآيات التسع (قوله كذبوا بآياتنا) استئناف بيانى واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا الخ (قوله أى التسع) أى وهى العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم (قوله أخذ عزيز) من إضافة المصدر لفاعله (قوله خير من أولئكم) أى فى القوة والشدة (قوله من قوم نوح إلى فرعون) أى وهم خمس فرق قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وقومه (قوله فلم يعذبوا) مسبب عن النفى ، والمعنى أتزعمون أن كفاركم خير ممن كفر من الأمم قبلكم فيتسبب عن ذلك عدم تعذيبكم (قوله أم لكم براءة فى الزبر) إضراب انتقالى إلى وجه آخر من التبكيت (قوله بمعنى النفى) أى فهو إنكارى (قوله منتصر) أى فنحن يد واحدة على من خالفنا منتصر على من عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رءوس الآى (قوله نزل) أى يوم بدر أو كرر نزولها لما روى أنها لما نزلت قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم أعلم ماهى أى الواقعة التى يكون فيها ذلك فلما كان يوم بدر ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته أى علمت المراد من هذه الآية (قوله ويولون الدبر) هو اسم جنس لأن كل واحد يولى دبره وأتى به مفردا لموافقة رءوس الآى (قوله بل الساعة موعدهم) أى فليس ماوقع لهم فى الدنيا تمام عقوبتهم بل هو مقدماته (قوله والساعة أدهى) أفعل تفضيل من الداهية وهى الأمر الفظيع الذى لايهتدى إلى الخلاص منه والاظهار فى مقام الاضمار للتهويل (قوله نار مسعرة) أى شديدة (قوله يوم يسحبون) ظرف

قول محذوف تقديره و يقال لهم أو ظرف لسعر (قوله إصابة جهنم) أشار بذلك إلى أن المس مجاز أطلق وأريد منه الأصابة وسقر علم لجهنم مشتقة من سقرته الشمس أو النار لوحته أى غيرته (قوله منصوب بفعل الخ) هذه قراءة العامة وهى أرجح لأن لرفع يوهم عقيدة فاسدة على جعل كل مبتدأ وخلقناه صفة لشئ وبقدر خبره لأنه يكون مفهومه أن هناك شيئا ليس مخلوقا لله وليس بقدر مع أن مختار أهل السنة كل شئ مخلوق لله تعالى ، والمعنى كل شئ بقضاء وحكم وتدبير محكم وقوة بالغة خلقنا مواختلف فى تعريف القدر فقالت الأشاعرة هو إيجاد الله الأشياء على طبق ماسبق فى علمه و إرادته وعليه فهو صفة فعل وهى حادثة ، وقالت الماتريدية هو تحديده تعالى كل مخلوق أزلا بحده الذى يوجد به من حسن وقبح وغير ذلك فهو تعلق العلم والارادة وعليه فهو قديم ، والقضاء عند الأشاعرة إرادة الله المتعلقة بالأشياء أزلا فهو قديم ، وعند الماتريدية هو الفعل مع زيادة إحكام فهو حادث وقيل هما شئ واحد وهو إيجاد الله الأشياء على طبق تعلق العلم والقدرة واقتصر على القدر إما

(١٤٤)

إصابة جهنم لكم (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ) منصوب بفعل يفسره (خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) بتقدير حال من كل أى مقدرا وقرئ كل بالرفع مبتدأ خبره خلقناه (وَمَا أَمْرُنَا) لشىء نريد وجوده (إِلَّا) أمرة (وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ ، بِالْبَصَرِ) فى السرعة وهى قول كن فيوجد إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ) أشباهكم فى الكفر من الأمم الماضية (فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) استفهام بمعنى الأمر ، أى اذكروا واتعظوا (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ) أى العباد مكتوب (فِى الزُّبُرِ) كتب الحفظة (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ) من الذنب أو العمل (مُسْتَطَرٌ) مكتتب فى اللوح المحفوظ (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ) بساتين (وَنَهَرٍ) أريد به الجنس وقرئ بضم النون والهاء جمعاً كأسد وأسد المعنى أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر (فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ) مجلس حق لالغو فيه ولا تأثيم وأريد به الجنس وقرئ مقاعد المعنى أنهم فى مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل أن تسلم من ذلك وأعرب هذا خبرا ثانيا وبدلا وهو صادق ببدل البعض وغيره (عِنْدَ مَلِيكٍ) مثال مبالغة أى عزيز الملك واسعه (مُقْتَدِرٍ) قادر لايعجزه شىء وهو الله تعالى ، وعند إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله تعالى .

لأن بينهما تلازما أو لترادفهما وفى هذه الآية رد على القدرية القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية والقائلين بأن الله لايعلم الأشياء إلا بعد وقوعها تعالى الله عن قولهم وهذه الفرقة قد انقرضت قبل زمن الامام الشافعى (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله خبره خلقناه) أى وقوله بقدر إما خبر ثان أو حال من ضمير الخبر (قوله وما أمرنا) أى شأننا فى إيجاد شئ أو إعدامه (قوله إلا أمرة واحدة) أى مرة من الأمر وفى الحقيقة ليس هناك قول ولا أمر و إنما هو كناية عن سرعة الايجاد (قوله كلمح بالبصر) حال من متعلق الأمر ، والمعنى حال كونه يوجد سريعا بالمرة من الامر ولا يتراخى عنها واللمح النظر بسرعة فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه فكذلك الأفعال كلها عند الله (قوله وهى كن) بيان للأمرة الواحدة وقوله إنما أمره الخ دليل لهذه الآية (قوله أشباهكم فى الكفر) أى الذين يشبهونكم فيه (قوله فهل من مدكر) أى بما وقع لهم فيرتدع و ينزجر (قوله فى الزبر) جمع زبور وهو الكتاب (قوله أريد به الجنس) أى لمناسبة جمع الجنات وأفرد موافقة لرءوس الآى (قوله وقرئ) أى شذوذا (قوله فى مقعد صدق) من إضافة الموصوف لصفته (قوله وقرئ مقاعد) أى شذوذا (قوله ببدل البعض) أى لأن المقعد بعض الجنات وقوله وغيره أى وهو بدل الاشتمال لأن الجنات مشتملة على المقعد (قوله عند مليك) خبر ثان إن جعل فى مقعد صدق بدلا أو ثالث إن جعل خبرا ثانيا (قوله وعند إشارة للرتبة) أى فهى عندية مكانة وقوله والقربة أى التقرب فهما متحدان .

(سورة

[سورة الرحمن] وتسمى عروس القرآن لما ورد «لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن» (قوله مكية) أي كلها وقوله أو إلا يسئله الخ حكاية لقول آخر وبقي قول ثالث وهو كلها مدني (قوله الآية) الأوضح أن يقول الآيتين لأن المدني على هذا القول يسئله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن وقوله عقبها فبأي آلاء ربكما تكذبان ولا شك أنهما آيتان (قوله الرحمن) إما خبر مبتدإ محذوف أي الله الرحمن أو مبتدأ خبره محذوف أي الرحمن ربنا وهذان الوجهان على القول بأن الرحمن آية مستقلة وأما على أنه ليس آية مستقلة فالرحمن مبتدأ خبره علم القرآن وسبب نزولها أنه لما نزل اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وما الرحمن فأنكروه وقالوا لا نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة فنزلت ردا عليهم ، وفيها رد عليهم أيضا حيث قالوا إنما يعلمه بشر فأفاد أن الذي يعلمه هو الرحمن لا غيره وافتتح هذه السورة بلفظ الرحمن إشارة إلى أنها مشتملة على نعم عظيمة وذلك لأن الرحمن هو المنعم بجلائل النعم كما وكيفا ولذا ذكر قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان إحدى وثلاثين مرة فيها (قوله علم القرآن) إما من التعليم وهو التفهيم أي عرفه فالقرآن مفعول ثان والأول محذوف قدره المفسر بقوله من شاء أي من عباده إنسا وجنا وملكا وقدره بعضهم محمدا أو جبريل ردا على المشركين في قولهم إنما يعلمه بشر والأول أولى لعمومه ، أو من العلامة ، والمعنى جعله علامة وآية يعجز بها المعارضين وقدم تعليم القرآن على خلق الانسان مع أنه متأخر عنه في الوجود لأن التعليم هو السبب في إيجاده وخلقه (قوله خلق الانسان) هذه الجملة والتي بعدها خبران عن الرحمن أو حالان وترك العاطف بينهما لشدة الاتصال (قوله أي الجنس) أي الصادق بآدم (١٤٥) وأولاده ، وحينئذ فالمراد بالبيان النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وهذا أحد أقوال في تفسير الانسان وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه الانسان الكامل والمراد بالبيان علم ما كان وما يكون وما هو كائن وقيل هو آدم عليه السلام ، والمراد بالبيان أسماء كل شيء ما وجد وما لم يوجد بجميع اللغات فكان يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية (قوله بحسبان) متعلق بمحذوف خبر المبتدإ الذي هو الشمس والقمر تقديره يجريان (قوله بحساب) أشار بذلك إلى أن قوله بحسبان مصدر مفرد بمعنى الحساب كالغفران والكفران و يصح أن يكون جمع حساب كشهاب وشهبان ورغيف ورغفان والمعنى أن الشمس والقمر يجريان في بروجهما ومنازلهما بمقدار واحد لا يتعديانه لمنافع العباد على حسب الفصول والشهور القمرية والقبطية من مبدإ الدنيا لمنتهاها (قوله ما لا ساق له) أي وهو المفروش على الأرض كالقثاء والبطيخ ونحوهما (قوله ما له ساق) أي وهو المرتفع كالنخل والنبق ونحوهما (قوله يخضعان) أي ينقادان لما يراد منهما طوعا فلا تخالف ما أمرت به فلو أراد منها الأثمار أو عدمه لم تخالف بل تأتي على طبق ما أراده (قوله أثبت العدل) أي في جميع الأمور ، والمعنى أن الله تعالى شرع العدل وأمر به في كل شيء لا سيما في الكيل والوزن (قوله أي لأجل أن لا تجوروا) أشار بذلك إلى أن أن ناصبة ولا نافية وتطغوا منصوب بأن وقبلها لام العلة مقدرة (قوله وأقيموا الوزن) إيضاح لقوله : أن لا تطغوا في الميزان ، وذلك لأن الطغيان في الميزان أخذ الزائد والاخسار إعطاء الناقص والقسط التوسط بين الطرفين (قوله أثبتها) أي دحاها وخفضها (قوله للأنام) أي لانتفاعهم بها من أكل وشرب ونوم ونحو ذلك (قوله وغيرهم) أي كباقي البهائم (قوله فيها فاكهة) الجملة حالية (قوله ذات الأكمام) جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع وغطاء النور ويجمع أيضا على أكمة وأما بالضم فهو للقميص (قوله والحب ذو العصف الخ) برفع الثلاثة أو نصبها أو رفع الأولين وجر الثالث ثلاث قراءات سبعيات

(سورة الرحمن)

(مكية أو إلا «يسئله من في السموات والأرض» الآية فمدنية، وهي ست أو ثمان وسبعون آية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ) من شاء (الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ) أي الجنس (عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) النطق (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) يجريان بحساب (وَالنَّجْمُ) ما لا ساق له من النبات (وَالشَّجَرُ) ما له ساق (يَسْجُدَانِ) يخضعان بما يراد منهما (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) أثبت العدل (أَلَّا تَطْغَوْا) أي لأجل أن لا تجوروا (فِي الْمِيزَانِ) ما يوزن به (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) بالعدل (وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) تنقصوا الموزون (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا) أثبتها (لِلْأَنَامِ) للخلق الإنس والجن وغيرهم (فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ) المعهود (ذَاتُ الْأَكْمَامِ) أوعية طلعها (وَالْحَبُّ) كالحنطة والشعير (ذُو الْعَصْفِ) التبن (وَالرَّيْحَانُ) الورق أو المشموم ،

فرفع الجميع عطف على فاكهة ونصبها بفعل محذوف أى خلق ورفع الأولين عطف على فاكهة وجر الثالث عطف على العصف (قوله فبأى آلاء ربكما) أى بأى فرد من أفراد تلك النعم المذكورة تكذبان أى تنكرانها وتكفران فيها وذلك شأن الكفار أو لاتشكران ربكما عليها وذلك شأن العصاة وآلاء جمع إلى أو ألى كمى وحصى و إلى كحمل وألى كأصل (قوله أيها الانس والجن) أى فالخطاب للثقلين كما يشعر به قوله فيما يأتى أيها الثقلان (قوله ذكرت إحدى وثلاثين مرة) ثمانية منها عقب آيات تعداد النعم ثم سبعة عقب ذكر النار وشدائدها على عدة أبوابها لأن التخلص منها نعمة ثم ثمانية عقب وصف الجنتين الأوليين كعدة أبوابها ثم ثمانية عقب وصف الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين (قوله والاستفهام للتقرير) ويصح أن يكون للتوبيخ على مافصل من فنون النعم الموجبة للشكر والايمان (قوله ثم قال مالى أراكم سكوتا الخ) يؤخذ من ذلك أنه ينبغى لسامع هذه السورة أن يجيب بهذا الجواب (قوله كانوا أحسن منكم ردا) أى فى الجواب فلاينافى أن الانس أحسن منهم فهذه مزية (قوله فبأى آلاء الخ) بدل من هذه الآية (قوله إلا قالوا ولابشىء من نعمك الخ) ظاهره أن جميع مافى هذه السورة نعم مع أن فيها يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الخ وكل من عليها فان وهذه جهنم ونحو ذلك . وأجيب بأن رفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة والتسوية فى الموت بين الشريف وغيره من جملة النعم فحسن جواب الجن عقب كل واحدة (قوله آدم) أشار بذلك إلى أن أل فى الانسان للعهد بخلاف الانسان المتقدم ففيه احتمالات ثلاث (قوله إذا نقر) أى ليختبر هل فيه عيب أولا (قوله كالفخار) أى فى أن كلا منهما يسمع له صوت إذا نقر. واعلم أنه تعالى أفاد فى هذه السورة أن خلق آدم كان من صلصال كالفخار وفى سورة الحجر من صلصال من حمأ مسنون أى طين أسود متغير ، وفى الصافات من طين لازب : أى يلصق باليد وفى آل عمران كمثل آدم خلقه تراب ولاتنافى بينها وذلك لأنه تعالى أخذه من تراب الأرض فعجنه بالماء فصار طينا لازبا ثم تركه حتى صار حمأ مسنونا ثم صوره كما تصور الأوانى ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة كالفخار إذا نقر صوت فالمذكور هنا آخر أطواره وفى غير

(فَبِأَيِّ آلَاءِ) نعم (رَبِّكُمَا) أيها الإنس والجن (تُكَذِّبَانِ) ذكرت إحدى وثلاثين مرة والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال «قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال : مالى أراكم سكوتا؟! للجن كانوا أحسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأى آلاء ربكما تكذبان إلا قالوا ولا بشىء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» (خَلَقَ الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ صَلْصَالٍ) طين يابس يسمع له صلصلة : أى صوت إذا نقر (كَالْفَخَّارِ) وهو ماطبخ من الطين (وَخَلَقَ الْجَانَّ) أبا الجن ، وهو إبليس (مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ) هو لهبها الخالص من الدخان (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ) مشرق الشتاء ومشرق الصيف (وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ) كذلك (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مَرَجَ) أرسل (الْبَحْرَيْنِ) العذب والملح (يَلْتَقِيَانِ) فى رأى العين (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ) حاجز من قدرته تعالى (لَا يَبْغِيَانِ)

هذا الموضع تارة مبدؤه وتارة أثناؤه فالأرض أمه والماء أبوه ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذى هو من فيح جهنم فهو من العناصر الأربع لكن الغالب فى جبلته التراب كما أن الجان خلق من العناصر الأربع لكن الغالب فى جبلته النار ولذا نسب إليها (قوله وهو ماطبخ من الطين) أى فكان مجوفا كالأوانى وليس كالآجر (قوله وهو إبليس) هذا أحد قولين وهو الصحيح وقيل أبو الجن غير إبليس (قوله من مارج من نار) من الأولى لابتداء الغاية والثانية يصح أن تكون للبيان وللتبعيض (قوله هو لهبها الخالص من الدخان) هذا أحد أقوال فى تفسير المارج ، وقيل هو ما اختلط من أحمر وأخضر وأصفر وهو مشاهد فى النار ترى الألوان الثلاثة مختلطا بعضها ببعض ، وقيل هو الأحمر الكائن فى طرف النار ، وقيل اللهب المختلط بسواد (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نعم ربكما الناشئة عنه تكفران (قوله رب المشرقين) بالرفع فى قراءة العامة على أنه خبر لمحذوف : أى هو رب المشرقين وقرئ شذوذا بالجر على أنه بدل أو بيان لربكما (قوله كذلك) أى مغرب الشتاء ومغرب الصيف وأما آية فلا أقسم برب المشارق والمغارب فباعتبار مشرق كل يوم ومغربه (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نعمة من هذه النعم العظيمة تكفران بها (قوله مرج البحرين) المرج بفتحتين فى الأصل الاهمال والترك أو الارسال و بسكون الراء الأرض ذات النبات والمرعى يقال مرج الدابة أى أرسلها ترعى فى المرج (قوله يلتقيان) حال من البحرين أى يتماسان على وجه الأرض بلا فصل بينهما فى رؤية العين (قوله بينهما برزخ) جملة مستأنفة أو حالية من البحرين .

(قوله لا يبغيان) أى لا يتجاوز كل واحد منهما ما حده له خالقه فالماء العذب الداخل فى الملح باق على حاله لم يمتزج بالملح حتى لو حفرت فى جنب الملح فى بعض الأماكن وجدت الماء العذب بل كلما قربت الحفرة من الملح كان الماء الخارج منها أحلى فخلطهما الله فى رأى العين وحجزهما بقدرته تعالى وإذا كان هذا حال جماد لا إدراك له ولا عقل فكيف يبغى العقلاء بعضهم على بعض (قوله بالبناء للمفعول والفاعل) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الصادق بأحدهما) هذا غير ظاهر لأن المجموع لا يصدق على البعض إلا إذا كان متعددا كقوله كل رجل يحمل الصخرة العظيمة فالأولى أن يجعل الكلام على حذف مضاف : أى من أحدهما وقيل لا تقدير فى الآية بل يخرجان من الملح فى الموضع الذى يقع فيه العذب وهو مشاهد عند الغواصين ، وقيل العذب كالرجل والملح كالمرأة واللؤلؤ والمرجان يخرجان منهما كما يخرج الولد من الرجل والمرأة ، وقال ابن عباس تكون هذه الأشياء فى البحر بنزول المطر والصدف تفتح أفواهها للمطر (قوله وله الجوار) جمع جارية وهى السفينة صفة جرت مجرى الأسماء سميت بذلك لأن شأنها الجرى (قوله المنشآت) بفتح الشين اسم مفعول أى أنشأها الناس بسبب تعليم الله لهم وكسرها اسم فاعل أى تنشئ الريح بجريها أو تنشئ السير إقبالا وإدبارا ونسبة الانشاء لها مجاز وهما قراءتان سبعيتان وقرئ شذوذا بتشديد الشين مع فتحها مبالغة (قوله أى الأرض) أى وعلى هذا التفسير فلا يستثنى شئ بخلاف قوله

(١٤٧)

(لَا يَبْغِيَانِ) لا يبغى واحد منهما على الآخر فيختلط به (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُخْرَجُ) بالبناء للمفعول والفاعل (مِنْهُمَا) من مجموعهما الصادق بأحدهما وهو الملح (اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ) خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَلَهُ الْجَوَارِ) السفن (الْمُنْشَآتُ) المحدثات (فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) كالجبال عظما وارتفاعا (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا) أى الأرض من الحيوان (فَانٍ) هالك وعبر بمن تغليبا للعقلاء (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ) ذاته (ذُو الْجَلَالِ) العظمة (وَالْإِكْرَامِ) للمؤمنين عليهم (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى بنطق ، أو حال ما يحتاجون إليه من القوة على العبادة والرزق والمغفرة وغير ذلك (كُلَّ يَوْمٍ) وقت (هُوَ فِي شَأْنٍ) أمر يظهره على وفق ما قدره فى الأزل : من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك ،

تعالى - كل شئ هالك إلا وجهه ، فيستثنى الجنة والنار والحور العين والولدان والعرش والأرواح (قوله هالك) أى بالفعل (قوله ويبقى وجه ربك) الخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعتناء بشأنه وإما لأى سامع ليعلم كل أحد أن غير الله فان (قوله ذو الجلال والاكرام) فيه وعد ووعيد فبوصف الجلال إفناء الخلق وتعذيب الكفار ، وبوصف الاكرام إحياؤهم وإثابة المومنين وذو بالرفع فى قراءة العامة نعت للوجه وقرئ شذوذا بالجر صفة للرب وأما فى آخر السورة فالقراءتان سبعيتان (قوله يسأله من فى السموات والأرض) أى لأنهم مفتقرون إليه تعالى فى جميع لحظاتهم قال ابن عباس أهل السموات يسألون المغفرة ولا يسألون الرزق وأهل الأرض يسألونهما جميعا وقال ابن جريج تسأله الملائكة الرزق لأهل الأرض فسؤال خير الدنيا والآخرة صادر من كل من أهل السموات والأرض وفى الحديث «إن من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى لرزق لبنى آدم ووجه كوجه الأسد يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور يسأل الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر يسأل الله تعالى الرزق للطير» (قوله أى بنطق) أى بلسان المقال وقوله أو حال أى بلسان الحال وهو الذل والاحتياج (قوله كل يوم هو فى شأن) كل ظرف منصوب بالمحذوف الذى تعلق به الجار والمجرور بعده والمراد باليوم اللحظة من الزمن وبالشأن التصريف فى خلقه لما ورد «أن الانسان يخرج منه فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس فى كل نفس تحمل مائة ألف ويولد مائة ألف ويعز مائة ألف ويذل مائة ألف ويفرج عن مائة ألف» وفى رواية «فى كل واحدة ستمائة ألف» وحكى أن ابن الشجرى كان يقرر فى درسه هذه الآية فجاءه الخضر وقال له ما شأن ربك اليوم فأطرق برأسه وقام متحيرا فنام فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه فعرض عليه السؤال فقال له السائل لك الخضر فإن أتاك وسألك فقل له شئون يبديها ولا يبتديها يرفع أقواما ويضع آخرين فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بذلك فقال له صل على من علمك (قوله أمر يظهره الخ) أى فالشأن صفة فعل وقوله من إحياء الخ بيان له فالتغير راجع

المصنوعات ، وأما ذاته تعالى وصفاته فيستحيل عليها التغير فهو يغير ولا يتغير (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى بأى نعمة من تلك النعم التى أنشأها خالقكما ومدبركما تكفران بها (قوله سنقصد لحسابكم) جواب عما يقال إن الله لا يشغله شأن عن شأن فكيف قال سنفرغ لكم فأجاب بما ذكر . وإيضاحه أن تقول الفراغ من الشيء يطلق على التفرغ من الشواغل وهو بهذا المعنى مستحيل عليه تعالى ويطلق على القصد للشيء والاقبال عليه وهو المراد هنا ، والمراد بالقصد فى كلام المفسر الارادة وحينئذ فيكون معناه سأريد حسابكم وهذا لا يظهر إلا على القول بأن للارادة تعلقا تنجيزيا حادثا وأما على القول بنفيه فلا يظهر فكان المناسب له أن يقول سأحاسبكم وفى الآية وعد للطائعين ووعيد للعاصين (قوله أيه الثقلان) تثنية ثقل بفتحتين سميا بذلك لأنهما أثقلا الأرض أو حصل لهما الثقل والتعب بالتكاليف (قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى التى من جملتها إثابة أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصى (قوله يامعشر الجن والانس الخ) هذا إلزام وتعجيز لمن لم يرض بقضاء الله وقدره وهو إشارة لمعنى حديث قدسى «من لم يرض بقضائى ويصبر على بلائى فليخرج من تحت سمائى ويتخذ له ربا سوائى» وعلى هذا فالخطاب يقال لهما فى الدنيا وقيل يقال لهما هذا يوم القيامة لما ورد «إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقق بأهلها فتكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ثم يأمر الله السماء التى تليها كذلك فينزلون فيكونون صفا خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فتنزل ملائكة الرفيع الأعلى فلا يأتون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفا من الملائكة فذلك قوله تعالى يامعشر الجن والانس إن استطعتم الآية» والحكمة

(١٤٨)

فى تقديم الجن هنا على الانس وتأخيرهم عنهم فى قوله تعالى : قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أن الجن أقوى من الانس فقدموا فيما يتعلق بالهروب والانس أفصح من الجن فقدموا فيما يتعلق بالمعارضة بالقرآن فقدم فى كل موضع

(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . سَنَفْرُغُ لَكُمْ) سنقصد لحسابكم (أَيُّهَ الثَّقَلَانِ) الإنس والجن (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا) تخرجوا (مِنْ أَقْطَارِ) نواحى (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا) أمر تعجيز (لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) بقوة ولا قوة لكم على ذلك (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ) هو لهبها الخالص من الدخان أو معه (وَنُحَاسٌ) أى دخان لا لهب فيه (فَلَا تَنْتَصِرَانِ) تمتنعان من ذلك بل يسوقكم إلى المحشر (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ) انفرجت أبوابا لنزول الملائكة (فَكَانَتْ وَرْدَةً) أى مثلها محمرة (كَالدِّهَانِ) كالأديم الأحمر ،

على ما يناسبه (قوله قوة) هذا أحد قولين فى تفسير السلطان ، وقيل هو البينة والحجج الواضحة (قوله فبأى آلاء ربكما) أى من التنبيه والتحذير والعفو مع كمال القدرة على العقوبة (قوله يرسل عليكما) إلخ جملة مستأنفة قصد بها بيان أهوال يوم القيامة ، وهذا على القول بأن الخطاب المتقدم فى الدنيا ، وأما على القول بأنه فى الآخرة فالكلام مرتبط بعضه وليس مستأنفا (قوله شواظ) بكسر الشين وضمها قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وهو لهبها الخالص من الدخان الخ) هذان قولان من أربعة وقيل هو اللهب الأحمر وقيل هو الدخان الخارج من اللهب (قوله ونحاس) إما بالرفع عطف على شواظ أو الجر عطف على نار سبعيتان لكن قراءة الجر لابد فيها من كسر شين شواظ أو إمالة نار فمن قرأ بجر نحاس بدون أحد الأمرين فقد وقع فى التلفيق (قوله أى دخان الخ) هذا التفسير إنما يناسب قراءة الرفع لا الجر وإلا فيصير المعنى يرسل عليكما شواظ أى لهب من نحاس أى دخان لا لهب فيه وهو لا يصح إلا أن يقال الشواظ يطلق بالاشتراك على اللهب الخالص والدخان (قوله فلا تنتصران) أى لا تجدان لكما ناصرا . واعلم أن هذا الأمر وهو سوق الجن والانس بالنار إلى المحشر وازدحامهم حتى يكون على القدم ألف قدم ليس لعموم الجن والانس ، بل ورد فى أناس أنهم يخرجون من قبورهم لقصورهم لا يحزنهم الفزع الأكبر وكل واحد ممن حضر الموقف على قدر عمله فمنهم من يظل فى ظل العرش ومنهم من يلجمه العرق ومنهم من يراه قصيرا ومنهم من يراه طويلا هذا هو التحقيق (قوله من ذلك) أى المذكور من الشواظ والنحاس (قوله بل يسوقكم) أى المذكور منهما (قوله لنزول الملائكة) أى لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض (قوله كالدهان) إما خبر ثان أو نعت لوردة والدهان إما جمع دهن كرماح ورمح ويكون

على خلاف العهد بها وجواب إذا فما أعظم الهول (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ) عن ذنبه، ويسألون فى وقت آخر فوربك لنسألنهم أجمعين والجان هنا وفيما سيأتى بمعنى الجن والإنس فيهما بمعنى الإنسى (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ) أى سواد الوجوه وزرقة العيون (فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) أى تضم ناصية كل منهم إلى قدميه من خلف أو قدام ويلقى فى النار ويقال لهم (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ. يَطُوفُونَ) يسعون (بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ) ماء حار (آنٍ) شديد الحرارة يسقونه إذا استغاثوا من حر النار وهو منقوص كقاض (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلِمَنْ خَافَ) أى لكل منهم أو لمجموعهم (مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته (جَنَّتَانِ.

بمعنى قوله يوم تكون السماء كالمهل أى كدردى الزيت أومفرد كحزام وإدام وهو الأديم الأحمر أى الجلد وقد مشى على الثانى المفسر (قوله على خلاف العهد بها) أى على خلاف لونها الذى نراه ونعهده وهو الزرقة فإنها عارضة قيل بسبب جبل ق المحيط بها وأما لونها الأصلى فهو الحمرة (قوله فيومئذ) التنوين عوض عن جملة أى فيوم إذا انشقت السماء (قوله ولاجان عن ذنبه) أشار بذلك إلى أن الجار والمجرور محذوف من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله ويسألون فى وقت آخر) أشار بذلك لوجه الجمع بين ماهنا وبين الآية التى ذكرها وإيضاح الجمع أن يقال إنهم حين يخرجون من القبور لايسألون ويسألون حين يحشرون ويجتمعون فى الموقف (قوله والجان هنا الخ) قد يقال لاحاجة له لأن الجان والانس كل منهما اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالياء كزنج وزنجى (قوله فبأى آلاء ربكما) أى نعمه العظيمة التى من جملتها الزجر عما يؤدى للعذاب (قوله أى سواد الوجوه وزرقة العيون) أى وأخذ الصحف من وراء الظهر باليسرى (قوله بالنواصى) جمع ناصية وهو نائب الفاعل (قوله من خلف) أى فحينئذ يكسر ظهره كما يكسر الحطب قال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره (قوله ويقال لهم) قدره إشارة إلى أن قوله هذه جهنم مقول لقول محذوف (قوله يطوفون بينها وبين حميم آن) أى يترددون بينهما فحين يستغيثون من النار يسعى بهم إلى الحميم فيسقون منه ويصب فوق رءوسهم فاذا استغاثوا منه يسعى بهم إلى النار وهكذا (قوله يسقونه الخ) أى ويغمسون فيه لما ورد عن كعب أن واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فيغمسون بأغلالهم فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (قوله وهو منقوص كقاض) أى فيقال أنى يأنى كقضى يقضى فهو آن كقاض وأصله آنى استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين (قوله ولمن خاف مقام ربه) أى لكل شخص خائف سواء كان من الانس أو من الجن فالجن كالانس فى النعيم وهو ماعليه الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة إن من مات من الجن مسلما يصير ترابا كالبهائم ولاحظ له فى النعيم (قوله أى لكل منهم) أى لكل فرد من أفراد الخائفين جنتان. واختلف فى المراد بالجنتين اللتين يعطاهما كل خائف فقيل جنة لعقيدته وجنة لعمله وقيل جنة لطاعته وجنة لترك المعاصى وقيل جنة يثاب بها وجنة يتفضل بها عليه وقيل إحدى الجنتين منزله والأخرى منزل أزواجه كعادة الأكابر فى الدنيا وقيل إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه وقيل إحدى الجنتين خلقت له والأخرى جنة ورثها من الكفار وعلى كل من الأقوال تسمى إحداهما جنة عدن والأخرى جنة النعيم، وروى عن ابن عباس فى وصف الجنتين أنه قال الجنتان بستانان فى عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام فى وسط كل بستان دار من نور وليس منهما شىء إلا يهتز نعمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها نابت، وقيل المراد بالجنتين جنة واحدة وإنما ثنى رعاية للفواصل (قوله أو لمجموعهم) أى أن الكلام على سبيل التوزيع فاحدى الجنتين للخائف الإنسى والأخرى للخائف الجنى فكل خائف ليس له إلا جنة واحدة والأول هو المعتمد (قوله قيامه بين يديه الخ) أشار بذلك إلى أن المقام مصدر ميمى بمعنى القيام وهو أحد احتمالات ثلاث فى تفسير المقام والثانى أنه اسم مكان أى خاف مكان وقوفه للحساب والثالث أنه مصدر ميمى بمعنى قيام الله عز وجل على الخلائق أى إشرافه واطلاعه عليهم ومناقشته لهم فى الحساب (قوله فترك معصيته) أى فتسبب عن خوفه تركه المعاصى. واعلم أن الخوف مرتبتان مرتبة العامة وهى خوف تعذيب الله إياهم ومرتبة الخاصة وهى خوف جلال الله وهيبته وفيها

فليتنافس المتنافسون، وللعارفين تفسير آخر وهو أن المراد بالخوف خوف الإجلال والتعظيم والهيبة ، والمراد بالجنتين جنة الشهود في الدنيا بالقلب وفي الآخرة بالأبصار وجنة الثواب في الآخرة لاغير (قوله فبأى آلاء ربكما) أى نعمه تكذبان أبتلك النعم التى من جملتها الجنة ونعيمها أم بغيرها (قوله ذواتا أفنان) إما صفة لجنتان أو خبر لمحذوف : أى هما (قوله تثنية ذوات) أى الذى هو مفرد (قوله على الأصل) أى وذلك لأن أصلها ذوى تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فصار ذوى كفتى فهذه الألف لام الكلمة وإنما قلبت الياء ألفا دون الواو مع أن كلا منهما متحرك وما قبله مفتوح لأنها طرف والطرف محل تغيير ولم ترد هذه الألف في التثنية إلى الياء فيقال ذويتان لأنه لما ردت التاء في هذا اللفظ تحصنت الألف من الرد إلى الياء وما في الآية هو الفصيح في تثنيتها وقد تثنى على لفظها فيقال ذاتان (قوله أغصان) أى وهى فروع الشجر التى تشتمل على الورق والثمار (قوله جمع فنن) هذا أحد قولين ، وقيل جمع فن : أى نوع وشكل (قوله فيهما) أى في كل واحدة منهما (قوله عينان تجريان) أى بالماء الزلال إحداهما تسمى التسنيم والأخرى السلسبيل ، وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين (قوله في الدنيا) أى ماهو فاكهة في الدنيا فلا تشمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل (قوله أو كل ما يتفكه به) أى في الآخرة ولو كان في الدنيا غير فاكهة كالحنظل ، وقوله : والمر منها الخ مبنى على القول الثاني (قوله متكئين) أى مضطجعين أو متربعين فالتوكؤ الاضطجاع أو التربع لما في

الحديث «أما أنا فلا آكل متكئا» أى جالسا جلوس المتربع ونحوه من الهيئات التى تستدعى كثرة الأكل فالتوكؤ في الدنيا مذموم وفي الآخرة غير مذموم لارتفاع التكاليف (قوله أى يتنعمون) الضمير عائد على من في قوله: ولمن خاف مقام ربه (قوله بطائنها من إستبرق) هذه الجمل صفة لفرش (قوله من السندس) أى وهو مارق من الديباج (قوله وجنى الجنتين دان) جنى مبتدأ بمعنى مجنى خبره دان وأصله دانو كغاز وقاض (قوله يناله القائم الخ) قال ابن عباس : تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله إن شاء قائما و إن شاء قاعدا و إن شاء مضطجعا. وقال الرازى : جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه : أحدها أن الثمرة على رءوس الشجر في الدنيا بعيدة عن الإنسان المتكئ وفي الجنة يتكئ والثمرة تتدلى إليه . وثانيها أن الانسان في الدنيا يسعى إلى الثمرة و يتحرك إليها وفي الآخرة تدنو منه وتدور عليه . وثالثها أن الانسان في الدنيا إذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وثمار الجنة كلها تدنو إليه في وقت واحد ومكان واحد (قوله في الجنتين الخ) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف أتى بضمير الجمع مع أن المرجع مثنى (قوله قاصرات الطرف) أى محبوسات على أزواجهن لايبغين بغيرهم بدلا لما روى أنها تقول لزوجها وعزة ربى ما أرى في الجنة أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك (قوله لم يطمثهن) الطمث الجماع المؤدى إلى خروج دم البكر ثم أطلق على كل جماع فالمعنى لم يصبهن بالجماع قبل أزواجهن أحد (قوله من الحور) أى فيكن قسمين إنسيات للانس وجنيات للجن (قوله أو من نساء الدنيا المنشآت) أى المخلوقات من غير واسطة ولادة (قوله إنس قبلهم ولا جان) أى أن كل واحد من أفراد النوعين يجد زوجاته في الجنة اللاتى كن في الدنيا أبكارا و إن كن في الدنيا ثيبات لم يمسها غيره (قوله كأنهن الياقوت) هذه الجملة نعت لقاصرات أو حال منه (قوله صفاء) أى فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء لامن حيث الحمرة فلا يقال مقتضاه أن لون أهل الجنة البياض المشرب بالحمرة (قوله أى اللؤلؤ بياضا) أى فالمرجان يطلق على الأحمر والأبيض

فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . ذَوَاتَا) تثنية ذوات على الأصل ولامها ياء (أَفْنَانٍ) أغصان جمع فنن كطلل (فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ. فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ) في الدنيا أو كل ما يتفكه به (زَوْجَانِ) نوعان رطب و يابس والمر منهما في الدنيا كالحنظل حلو (فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُتَّكِئِينَ) حال عامله محذوف . أى يتنعمون (عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ما غلظ من الديباج وخشن، والظهائر من السندس (وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ) ثمرهما (دَانٍ) قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع (فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِنَّ) في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالى والقصور (قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) العين على أزواجهن المتكئين من الإنس والجن (لَمْ يَطْمِثْهُنَّ) يفتضهن وهن من الحور أو من نساء الدنيا المنشآت (إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ . فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ) صفاء (وَالْمَرْجَانُ) أى اللؤلؤ بياضا (فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

والمراد به هنا الأبيض ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن المرأة من نساء أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها» (قوله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) اعلم أن هل ترد لأربعة أوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر - وبمعنى الاستفهام كقوله - فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا - وبمعنى الأمر كقوله - فهل أنتم منتهون - وبمعنى النفى كقوله - فهل على الرسل إلا البلاغ المبين - وكما هنا فهى هنا للنفى ، والمعنى لاجزاء الإحسان: أى الطاعات وترك المعاصى إلا الإحسان: أى الثواب الجزيل (قوله ومن دونهما) قيل معناه أدنى منهما وأصحاب هاتين الجنتين أهل اليمين وهم دون الخائفين مقام ربهم فى المنزلة وهذا على حد ما يأتى فى سورة الواقعة أن أهل اليمين أقل من السابقين ، وقيل الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه ، ومعنى قوله ومن دونهما أقرب وأدنى منهما للعرش ، ويؤيده ماورد أن الأوليين من ذهب وفضة والأخريين من ياقوت ، وتقدم أن الأوليين جنة عدن وجنة النعيم وهاتان جنة الفردوس وجنة المأوى وهو ما مشى عليه المفسر (قوله مدهامتان) من الدهمة وهى السواد (قوله من شدة خضرتهما) أى لكثرة بساتينهما (قوله فوارتان) أى وليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجرى ، وهذا بناء على أن هاتين أقل من الأوليين ، وأما على القول بأنهما أعلى منهما فمعنى نضاختان كما قال ابن عباس وابن مسعود أنهما ينضخان على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور فى دار أهل الجنة كما ينضخ رش المطر وأن المراد فوارتان مع الجرى ولاشك أنهما أعلى من الجاريتين فقط (قوله هما منها) أى من الفاكهة (١٥١) وهو ظاهر ، وقوله وقيل من غيرها : أى وذلك لأن النخل كان عامة قوتهم والرمان كالشراب فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم إليهما وكانت الفواكه عندهم الثمار التى يعجبون بها ، روى أن نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكرمها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها حللهم وثمارها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس لها عجم ، وروى أن الرمانة من رمان الجنة كجلد البعير المقتب ، وروى أن نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (قوله أى الجنتين وما فيهما الخ) جواب عما يقال كيف جمع الضمير مع أنه راجع للمثنى (قوله خيرات) إما جمع خيرة بوزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين أو جمع خيرة مخفف خيّرة بالتشديد ، وفى الحديث «إن الحور العين يأخذ بعضهن بأيدى بعض ويتغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها: نحن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ونحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبيس أبدا : ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام» وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت «إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن ، قالت عائشة رضى الله عنها : فغلبنهن والله» واختلف هل الحور العين أكثر حسنا وأبهى جمالا أو نساء الدنيا ؟ والصحيح أن نساء الدنيا يكن أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف (قوله من در مجوف) قال ابن عباس: الخيمة فرسخ فى فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وروى «أن سحابة مطرت من العرش فخلقت الحور من قطرات رحمة ثم ضرب على كل واحدة منهن خيمة على شاطئ الأنهار سعتها أربعون ميلا وليس لها باب حتى إذا دخل ولى الله الجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدام لم تأخذها فهى مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين (قوله مضافة إلى القصور) أى أنها فى داخلها فالخيمة فى داخل القصر (قوله بالخدور) جمع خدر وهو الستر الذى يتخذ

هَلْ) ما (جَزَاءُ الْإِحْسَانِ) بالطاعة (إِلَّا الْإِحْسَانُ) بالنعيم (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . وَمِنْ دُونِهِمَا) أى الجنتين المذكورتين (جَنَّتَانِ) أيضا لمن خاف مقام ربه (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ) سوداوان من شدة خضرتهما (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ) فوارتان بالماء لاينقطعان (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ) هما منها ، وقيل من غيرها (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . فِيهِنَّ) أى الجنتين وما فيهما (خَيْرَاتٌ) أخلاقا (حِسَانٌ) وجوها (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . حُورٌ) شديدات سواد العيون وبياضها (مَقْصُورَاتٌ) مستورات (فِي الْخِيَامِ) من در مجوف مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ) قبل أزواجهن (وَلَا جَانٌّ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُتَّكِئِينَ) أى أزواجهن ،

فى البيوت كالناموسية (قوله و إعرابه كما تقدم) أى أنه حال عامله محذوف : أى يتنعمون (قوله جمع رفرفة) أى واحده رفرفة والرفرف اسم جنس جمعى أو اسم جمع (قوله أى بسط أو وسائد) هذان قولان فى معنى الرفرف ، وقيل هو شىء إذا استوى عليه صاحبه رفرف به وأهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع أنيسته (قوله وعبقرى) منسوب إلى عبقر قرية بناحية اليمن ينسج فيها بسط منقوشة فقرّب الله لنا فراش تلك الجنتين به ، وقيل إن الياء ليست للنسب بل هى كياء الكرسى والبختى فهو اسم للفراش المنقوش البالغ الغاية فى الحسن (قوله أى طنافس) جمع طنفسة بكسرتين أو فتحتين بساط له خمل رقيق (قوله ذى الجلال) بالياء والواو قراءتان سبعيتان (قوله ولفظ اسم زائد) أى لأن أوصاف التنزيه والتعظيم فى الحقيقة للمسمى ، وقد يقال أسماء الله وصفاته يسند لها التنزيه والتعظيم حقيقة فعدم زيادته أبلغ فى التعظيم والتنزيه .

[سورة الواقعة] قال مسروق : من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة ، وحكى أن عثمان دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه الذى مات منه فقال ماتشتكى ؟ قال ذنوبى . قال فما تشتهى؟ قال رحمة ربى ، قال أفلا ندعو لك طبيبا ؟ قال الطبيب أمرضنى، قال أفلا نأمرلك بعطائك؟ قال لا حاجة لى فيه حبسته عنى فى حياتى وتدفعه لى عند مماتى ؟ قال يكون لبناتك من بعدك ، قال أتخشى على بناتى الفاقة من بعدى إنى أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا» (قوله إلا أفبهذا الحديث الخ) هذا قول الكلبى وقول المفسر الآية أولا وثانيا مراده الجنس الصادق بالآيتين فالمدنى على هذا القول أربع آيات ـ أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ـ وقوله تعالى ـ ثلة من الأولين وثلة من الآخرين ـ

و إعرابه كما تقدم (عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ) جمع رفرفة أى بسط أو وسائد (وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ) جمع عبقرية. أى طنافس (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) تقدم، ولفظ اسم زائد ،

(سورة الواقعة)

مكية إلا « أفبهذا الحديث » الآية ، و « ثلة من الأولين » الآية وهى ست ، أوسبع ، أو تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ) قامت القيامة (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) نفس تكذب بأن تنفيها كما نفتها فى الدنيا (خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ) أى هى مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار ، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة (إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا) حركت حركة شديدة (وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا) فتتت (فَكَانَتْ هَبَاءً) غبارا (مُنْبَثًّا) منتشرا ، و إذا الثانية بدل من الأولى (وَكُنْتُمْ) فى القيامة (أَزْوَاجًا) أصنافا (ثَلَاثَةً ،

فأصحاب

وقيل مكية كلها ، وقيل مكية إلا آية منها ، وهى قوله ـ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ـ (قوله إذا وقعت الواقعة) إذا إما ظرف ليس فيه معنى الشرط وعامله ليس لوقعتها كاذبة من حيث إنها تضمنت معنى النفى كأنه قيل انتفى التكذيب وقت وقوعها أو شرطية وجوابها محذوف تقديره يحصل كذا وكذا وهو العامل فيها (قوله قامت القيامة) أى فالواقعة من جملة أسماء القيامة (قوله ليس لوقعتها) اللام بمعنى فى على حذف مضاف ، والمعنى ليس نفس كاذبة توجد فى وقت وقوعها (قوله خافضة رافعة) خبر مبتدإ محذوف كما أفاده المفسر بقوله : أى هى الخ (قوله لخفض أقوام الخ) أى حسا ومعنى فأهل الجنة ترفعهم حسا ومعنى وأهل النار تخفضهم كذلك ونسبة الخفض والرفع إليها مجاز من إسناد الفعل لمحله وزمانه (قوله إذا رجت الأرض) إما بدل من إذا الأولى وعليه مشى المفسر أو تأكيد لها أو شرط وعاملها مقدر (قوله حركت حركة شديدة) أى فترتج كما يرتج الصبى فى المهد حتى يتهدم ماعليها و يتكسر كل شىء عليها من الجبال وغيرها والرجة الاضطراب (قوله منتشرا) أى متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذى يرى شعاع الشمس إذا دخل من كوّة (قوله وكنتم) الخطاب لجميع الخلق المكلفين والمعنى قسمتم باعتبار طبائعكم وأخلاقكم فى الدنيا أصنافا ثلاثه .

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم مبتدأ خبره ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أى الشمال بأن يؤتى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء مبتدأ ﴿السَّابِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم، والخبر ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ: أى جماعة من الأمم الماضية ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهم السابقون من الأمم الماضية، وهذه الأمة، والخبر ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ حالان من الضمير فى الخبر ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ على شكل الأولاد لا يهرمون ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح لا عرى لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عرى وخراطيم

(قوله فأصحاب الميمنة) شروع فى ذكر أحوال الأزواج الثلاثة على سبيل الاجمال وسيأتى تفصيلهم بعد ذلك (قوله مبتدأ خبره ما أصحاب الميمنة الخ) أى فأصحاب الأول مبتدأ وما استفهامية مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر الأول وتكرير المبتدأ بلفظه مغن عن الرابط (قوله تعظيم لشأنهم) أى إن فى هذا الاستفهام تعظيم شأنهم كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى نهاية سوء الحال (قوله بأن يؤتى كتابه بشماله) ماذكره المفسر فى الفريقين أحد أقوال، وقيل أهل الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وأهل المشئمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشئمة أصحاب المنزلة الدنية (قوله والسابقون الخ) أخرهم مع كونهم أعلى الأقسام الثلاثة لئلا يعجبوا بأعمالهم وقدم أهل اليمين لئلا يقطنوا من رحمة الله (قوله وهم الأنبياء) هذا أحد أقوال فى تفسير السابقين، وقيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق، وقيل هم المسارعون إلى الخيرات، وقيل هم الذين سبقوا فى حيازة الفضائل (قوله أولئك المقربون) أى الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله لرؤيته فى الجنة بكرة وعشيا حيث تسابقوا لخدمته وطاعته فكان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء زيادة على كونهم فى الجنة (قوله فى جنات النعيم) خبر ثان أو حال من الضمير فى المقربون (قوله ثلة من الأولين) الثلة بالضم فى قراءة العامة الجماعة من الناس وأما بالكسر فمعناها الهلكة (قوله وهم السابقون) أى إلى الإيمان بالأنبياء عيانا واجتمعوا عليهم وذلك لأن المؤمنين الذين اجتمعوا على الأنبياء جماعة كثيرة والمؤمنين الذين اجتمعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة قليلة بالنسبة لمجموع الأمم وهذا لا ينافى كون هذه الأمة المحمدية ثلثى أهل الجنة لأن ماهنا فيمن اجتمع بالأنبياء مشافهة، إذا علمت ذلك فتفسير المفسر السابقين المتقدم ذكرهم بالأنبياء غير واضح فالمناسب أن يقول والسابقون إلى الخير من أمة كل نبى و بعض المفسرين جعل الخطاب فى قوله وكنتم أزواجا ثلاثة لهذه الأمة وحينئذ فالمراد بالسابقين خيارهم وأهل اليمين عوامهم وأهل المشأمة كفارهم وقوله ثلة من الأولين يعنى جماعة كثيرة من أوائل هذه الأمة وقوله وقليل من الآخرين يعنى أن من أتى بعد أوائل هذه الأمة من الخيار قليل بالنسبة لأوائلها وإن كان كثيرا فى نفسه ولعل هذا التفسير أقرب (قوله على سرر) جمع سرير وهو مايوضع للشخص من المقاعد العالية كرامة و إجلالا قال الكلبى طول كل سرير ثلثمائة ذراع فاذا أراد العبد أن يجلس عليه تواضع وانخفض له فاذا جلس عليه ارتفع (قوله متكئين عليها) أى على السرر (قوله متقابلين) أى فلا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل إذا أراد أحدهم الانصراف دار به سريره (قوله يطوف عليهم) هذه الجملة إما حال أو استئناف (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق القراء جمع وليد بمعنى مولود (قوله على شكل الأولاد) أى فهم مخلوقون فى الجنة ابتداء كالحور العين ليسوا من أولاد الدنيا و إنما سموا أولادا لكونهم على شكل الأولاد كما أفاده المفسر وهذا هو الصحيح، وقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا صغارا، ورد بأن الله أخبر عنهم أنهم يلحقون بآبائهم فى السيادة والخلقة، وقيل هم صغار أولاد الكفار، وقيل غير ذلك (قوله لا يهرمون) تفسير لقوله مخلدون، والمعنى لا يتغيرون عن حالة الولدان من الطراوة والنعومة بخلاف أولاد الدنيا فى الدنيا فانهم يتغيرون بالشيخوخة (قوله وأباريق) جمع إبريق مشتق من البريق لصفاء لونه (قوله لها عرى) أى مايمسك بها المسماة بالآذان (قوله وخراطيم) هى المسماة بالبزابيز.

(قوله لايصدعون عنها) أى لايحصل لهم صداع من أجلها والصداع داء معروف يلحق الأنسان فى رأسه (قوله أى لايحصل لهم الخ) لف و نشر مرتب (قوله مما يتخيرون) أى يختارون (قوله ولحم طير مما يشتهون)ورد «إن فى الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولىّ الله ، فيقول أحدها : ياولىّ الله رعيت فى مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل منى فلايزلن يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخرّ بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منها ما أراد فاذا شبع تجمع عظام الطير فطار يرعى فى الجنة حيث شاء ، فقال عمر يارسول الله إنها لناعمة قال آكلها أنعم منها » ، وقال ابن عباس رضى الله عنه : يخطر على قلبه لحم الطير فيصير بين يديه على مايشتهى أو يقع على الصحفة فيأكل منها مايشتهى ثم يطير (قوله وحور عين) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله لهم (قوله شديدات سواد العيون) هذا من جملة تفسير العين فلو أخره بعده لكان أوضح فالعين شديدات سوادالعيون مع سعتها . وأما الحور فقيل هو بياض أجسمهن ، وقيل هو شدّة بياض العين فى شدّة سوادها (قوله بدل ضمها) أى الذى هو حقها لأن أصلها عين بضم العين وسكون الياء كسرت العين لتصح الياء (قوله وفى قراءة بجرحور عين) أى وهى سبعية أيضا عطف على جنات النعيم كأنه قيل هم

(١٥٤)

(وَكَأْسٍ) إناء شرب الخمر (مِنْ مَعِينٍ) أى خمر جارية من منبع لاينقطع أبداً (لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ) بفتح الزاى وكسرها : من نزف الشارب وأنزف ، أى لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا (وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ . وَ) لهم للاستمتاع (حُورٌ) نساء شديدات سواد العيون و بياضها (عِينٌ) ضخام العيون كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء ومفرده عيناء كحمراء وفى قراءة بجر حور عين (كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) المصون (جَزَاءً) مفعول له ، أو مصدر والعامل مقدر : أى جعلنا لهم ما ذكر للجزاء أو جزيناهم (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) فى الجنة (لَغْوًا) فاحشاً من الكلام (وَلَا تَأْثِيمًا) ما يؤثم (إِلَّا) لكن (قِيلًا) قولا (سَلَامًا سَلَامًا) بدل من قيلا فإنهم يسمعونه (وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ . فِي سِدْرٍ) شجر النبق (مَخْضُودٍ) لا شوك فيه (وَطَلْحٍ) شجر الموز (مَنْضُودٍ) بالحمل من أسفله إلى أعلاه (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) دائم (وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ) جار دائما (وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَا مَقْطُوعَةٍ) فى زمن (وَلَا مَمْنُوعَةٍ) بثمن ،

(وفرش

فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور عين (قوله كأمثال اللؤلؤ المكنون) أى المستور فى الصدف لم تمسه الأيدى ولا الشمس والهواء، روى «أنه يسطع نور فى الجنة فيقولون ماهذا فيقال ثغر حوراء ضحكت فى وجه زوجها» وروى « أن الحوراء إذا مشت يسمع تقديس الخلاخيل من ساقها وتمجيد الأسورة من ساعديها وعقد الياقوت فى نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصيحان بالتسبيح» (قوله بما كانوا يعملون) الباء سببية وما مصدرية أو موصولة (قوله لكن قيلا) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وذلك لأن السلام ليس من جنس اللغو والتأثيم (قوله بدل من قيلا) أى أو نعت له أو منصوب بقيلا أى إلا أن يقولوا سلاما سلاما (قوله فانهم يسمعونه) أى من الله والملائكة وبعضهم بعضا (قوله وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجمل من أوصافهم إثر تفصيل أوصاف السابقين (قوله فى سدر) خبر ثان عن قوله وأصحاب اليمين (قوله مخضود) من خضد الشجر قطع شوكه من باب ضرب . روى: أن أعرابيا أقبل يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله فى القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن فى الجنة شجرة تؤذى صاحبها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هى ؟ قال السدر فان له شوكا مؤذيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليس يقول فى سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام مافيها لون يشبه الآخر وليس ثمر الجنة فى غلاف كثمر الدنيا بل كله مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه (قوله دائم) أى لاتنسخه الشمس (قوله جار دائما) أى على وجه الأرض ليس فى حفر (قوله ولا ممنوعة بثمن) الأولى أن يقول بشىء يشمل الحائط والباب والشوك ونحو ذلك والمعنى لاتمنع عن متناولها بوجه من الوجوه بل إذا اشتهاها العبد دنت منه حتى يأخذها بلاتعب ،

(قوله وفرش مرفوعة على السرر) وقيل مرفوعة بعضها فوق بعض لما ورد « أن ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة مابينهما خمسمائة عام » (قوله أي الحور العين من غير ولادة) أشار بذلك إلى أن الضمير في أنشأناهن عائد على الحور العين المفهومات مما سبق وهذا أحد قولين ، وقيل هو عائد على نساء الدنيا ومعنى أنشأناهن أعدنا إنشاءهن ويؤيده ماورد « أن أم سلمة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فقال ياأم سلمة هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رسول الله يقول ذلك قالت وارجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع » ويصح عود الضمير على ماهو أعم من الحور العين ونساء الدنيا وهو الأنسب بالأدلة (قوله بضم الراء وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى مستويات فى السن) أى وهو ثلاث وثلاثون سنة لما فى الحديث «يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا مكحولين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا فى سبعة أذرع »وروى أيضا أنه صلى الله عليه وسلم قال:من دخل الجنة من صغير أو كبير يرد إلى ثلاثين سنة فى الجنة لايزاد عليها أبدا وكذلك أهل النار (قوله صلة أنشأناهن) أى متعلقة به والمعنى أنشأناهن لأجل أصحاب اليمين ويصح تعلقها بأترابا والمعنى جعلناهن أترابا أى مساويات لأصحاب اليمين فى الطول والعرض والجمال فلاتتخير امرأة عن رجل فى الجنة (قوله ثلة من الأولين) خبر لمحذوف قدره بقوله وهم واختلف فى المراد بالأولين والآخرين فقيل أوائل هذه الأمة كالصحابة والتابعين وتابع التابعين وأواخرهم من يأتى بعدهم إلى يوم القيامة وقيل المراد بالأولين الأمم السابقة وبالآخرين هذه الأمة فالخلاف هنا نظير ما تقدم ، وقال فيما سبق وقليل من الآخرين وقال هنا وثلة من الآخرين لأن ما تقدم فى ذكر السابقين وهم فى الآخرين قليل وهنا فى أصحاب اليمين وهم كثيرون فى الأولين والآخرين (قوله وأصحاب الشمال الخ) شروع فى ذكر بعض صفات أصحاب المشأمة المتقدم ذكرهم (قوله ماأصحاب الشمال) خبر أول وأبهمه لعظمه وقوله فى سموم خبر ثان (قوله تنفذ فى المسام) أى تدخل فى أعماق أبدانهم (قوله وحميم) أى يطلبونه عند اشتعال السموم فى أبدانهم فيزيد عطشهم فيسقون من ماء الحميم فتتقطع عند ذلك أمعاؤهم (قوله من يحموم) صفة أولى لظل وقوله لابارد ولا كريم صفة ثانية وثالثة له (قوله إنهم كانوا الخ) تعليل لاستحقاقهم تلك العقوبة ولم يذكر فى أصحاب اليمين سبب استحقاقهم الثواب إشارة إلى أن الثواب حاصل من فضله تعالى لاوجوب عليه فعدم ذكر سببه لايوهم نقصا ، وأما العقاب فمن عدله تعالى فلو لم يذكر سببه لربما توهم الجور فى حقه تعالى (قوله لايتعبون فى الطاعة) أى تركوا الطاعات واشتغلوا بالملاذ المحرمة وأما فعل الطاعات مع التنعم بالملاذ الحلال فلا ضرر فيه ، قال تعالى : قل من حرم زينة الله الآية (قوله وإدخال ألف بينهما على الوجهين) المناسب أن يقول وتركه ليكون منبها على أربع قراآت وكلها سبعية وهى التحقيق والتسهيل مع الألف ودونها .

(١٥٥)

(وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ) على السرر (إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً) أى الحور العين من غير ولادة (فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى ولا وجع (عُرُبًا) بضم الراء وسكونها جمع عروب ، وهى المحببة إلى زوجها عشقا له (أَتْرَابًا) جمع ترب : أى مستويات فى السن (لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ) صلة أنشأناهن ، أو جعلناهن ، وهم (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ . وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ فِي سَمُومٍ) ريح حارة من النار تنفذ فى المسام (وَحَمِيمٍ) ماء شديد الحرارة (وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ) دخان شديد السواد (لَا بَارِدٍ) كغيره من الظلال (وَلَا كَرِيمٍ) حسن المنظر (إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ) فى الدنيا (مُتْرَفِينَ) منعمين لايتعبون فى الطاعة (وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ) الذنب (الْعَظِيمِ) أى الشرك (وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) فى الهمزة فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام ،

(قوله وهو فى ذلك) أى الاستفهام فى هذا الموضع وهو قوله أو آباؤنا وقوله وفيما قبله أى وهو قوله أئذا متنا أئنا لمبعوثون (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله والمعطوف عليه) أى على كل من القراءتين (قوله قل إن الأولين الخ) رد لانكارهم واستبعادهم (قوله لوقت يوم) أى فيه وضمن الجمع معنى السوق فعداه بإلى وإلا فمقتضى الظاهر تعديته بفى (قوله ثم إنكم) عطف على إن الأولين والخطاب لأهل مكة وأضرابهم (قوله من زقوم) هو أخبث الشجر ينبت فى الدنيا بتهامة وفى الآخرة فى الجحيم (قوله بيان للشجر) أى فمن بيانية وأما من الأولى فهى لابتداء الغاية أو زائدة (قوله من الشجر) أى وإنما أعاد الضمير عليه مؤنثا لكون الشجر اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله فشاربون شرب الهيم) تفسير للشرب الأول وفى الآية تنبيه على كثرة شربهم من الحميم وأنه لاينفعهم بل يزدادون به عذابا (قوله بفتح الشين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع هيمان الخ) هذا سبق قلم والصواب أن يقول جمع أهيم وهيماء لأن هيم أصله هيم بضم الهاء بوزن حمر قلبت الضمة كسرة لتصح الياء وحمر جمع لأحمر وحمراء ، والمعنى يكونون فى شربهم الحميم كالجمل أوالناقة التى أصابها الهيام وهو داء معطش تشرب منه الابل إلى أن تموت أو تمرض مرضا شديدا (قوله هذا نزلهم)

وهو فى ذلك وفيما قبله للاستبعاد ، وفى قراءة بسكون الواو عطفاً بأو والمعطوف عليه محل إن واسمها (قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ) لوقت (يَوْمٍ مَعْلُومٍ) أى يوم القيامة (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ) بيان الشجر (فَمَالِئُونَ مِنْهَا) من الشجر (الْبُطُونَ . فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ) أى الزقوم المأكول (مِنَ الْحَمِيمِ . فَشَارِبُونَ شُرْبَ) بفتح الشين وضمها مصدر (الْهِيمِ) الإبل العطاش جمع هيمان للذكر وهيمى للأنثى كعطشان وعطشى (هَذَا نُزُلُهُمْ) ماأعد لهم (يَوْمَ الدِّينِ) يوم القيامة (نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ) أوجدناكم من عدم (فَلَوْلاَ) هلا (تُصَدِّقُونَ) بالبعث إذ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ) تريقون المنى فى أرحام النساء (أَأَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه فى المواضع الأربعة (تَخْلُقُونَهُ) أى المنى بشرا (أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ . نَحْنُ قَدَّرْنَا) بالتشديد والتخفيف (بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين (عَلَى) عن (أَنْ نُبَدِّلَ) أى نجعل (أَمْثَالَكُمْ) مكانكم (وَنُنْشِئَكُمْ) نخلقكم ،

أى ماذكر من مأكولهم ومشروبهم والنزول فى الأصل مايهيأ للضيف أول قدومه من التحف والكرامة فتسميته نزلا تهكم بهم (قوله بالبعث) أى الاحياء بعد الموت (قوله أفرأيتم ماتمنون الخ) احتجاجات على الكافرين المنكرين للبعث والمعنى أخبرونى فمفعولها الأول ماتمنون والثانى الجملة الاستفهامية (قوله ماتمنون) بضم التاء فى قراءة العامة من أمنى يمنى وقرئ شذوذا بفتحها من منى يمنى بمعنى صب والمعنى أخبرونى الماء الذى تقذفونه وتصبونه فى الرحم أأنتم تخلقونه الخ (قوله بتحقيق الهمزتين) فى كلامه تنبيه على أربع قراآت سبعيات مع أنها خمس وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف بينهما ممدودة مدا طبيعيا أو بدونها والتسهيل كذلك وإبدال الثانية ألفا ممدودة مدا لازما وقوله فى المواضع الأربعة أى هذا وقوله بعد أأنتم تزرعونه أأنتم أنزلتموه من المزن أأنتم أنشأتم شجرتها (قوله أم نحن الخالقون) يحتمل أن أم منقطعة لأن مابعدها جملة والمتصلة إنما تعطف المفردات وحينئذ فيكون الكلام مشتملا على استفهامين الأول أأنتم تخلقونه وهو إنكارى وجوابه لا والثانى مأخوذ من أم إن قدرت ببل والهمزة أو بالهمزة وحدها ويكون تقريريا ويحتمل أن تكون متصلة وذلك لأنها عطفت المفرد وهو نحن والاتيان بالخبر زيادة تأكيد (قوله نحن قدرنا بينكم الموت) أى حكمنا به وقضيناه على كل مخلوق فلا يستطيع أحد تغيير ماقدرنا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على أن نبدل أمثالكم) يصح تعلقه بمسبوقين أى لم يعجزنا أحد على تبديلنا أمثالكم أو بقدرنا . والمعنى قدرنا بينكم الموت على أن نميت طائفة ونجعل مكانها أخرى، وأمثالكم إما جمع مثل بكسر فسكون . والمعنى نحن قادرون على أن نعدمكم ونخلق قوما آخرين أمثالكم أو جمع مثل بفتحتين بمعنى الصفة ، والمعنى نحن قادرون على أن نغير صفاتكم وننشئكم فى صفات أخرى غيرها .

(قوله فى ما لا تعلمون) ما موصولة وحينئذ فتكتب منفصلة من حرف الجر ، والمعنى نخلقكم فى صور لا علم لكم بها (قوله النشأة الأولى) أى التي هى التراب لأبيكم آدم واللحمية لأمكم حواء والنطفية لكم ولا شك أن كلا منها تحويل من شئ إلى غيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تثيرون الأرض الخ) إنما فسر الحرث بمجموع الأمرين مراعاة لمعناه اللغوى ولأن الشأن أن البذر يكون معه إثارة أرض والمناسب هنا تفسيره بالبذر، والمعنى أفرأيتم البذر الذى تلقونه فى الطين أأنتم تنبتونه الخ (قوله نباتا يابسا لاحب فيه) أى وقيل هشيما لا ينتفع به فى مطعم آدمى ولا غيره (قوله تفكهون) هو فى الأصل من التفكه وهو إلقاء الفاكهة من اليد وهو لا يكون من الشخص إلا عند إصابة الأمر المكروه فقوله تعجبون أى من غرابة ما نزل بكم تفسير باللازم (قوله وتقولون إنا لمغرمون) أشار بذلك إلى أن قوله إنا لمغرمون مقول لقول محذوف حال تقديره فظلتم تفكهون قائلين إنا لمغرمون أى لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بسبب هلاك رزقنا (قوله من المزن) هو بالضم السحاب مطلقا كما قال المفسر أو المراد به أبيضه أو المحتوى على الماء (قوله جعلناه أجاجا) حذفت اللام هنا لعدم الاحتياج إلى التأكيد إذ لا يتوهم ملك السحاب وما فيه من الماء بخلاف الزرع والأرض ففى ذلك شائبة ملك فأتى فى جانبه

(فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ) من الصور كالقردة والخنازير (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى) وفى قراءة بسكون الشين (فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ) فيه إدغام التاء الثانية فى الأصل فى الذال (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ) تثيرون الأرض وتلقون البذر فيها (ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ) تنبتونه (أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ . لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا) نباتا يابسا لاحب فيه (فَظَلْتُمْ) أصله ظللتم بكسر اللام حذفت تخفيفا : أى أقمتم نهارا (تَفَكَّهُونَ) حذفت منه إحدى التاءين فى الأصل تعجبون من ذلك وتقولون (إِنَّا لَمُغْرَمُونَ) نفقة زرعنا (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ممنوعون رزقنا (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ) السحاب جمع مزنة (أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ . لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا) ملحا لا يمكن شربه (فَلَوْلَا) فهلا (تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ) تخرجون من الشجر الأخضر (ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا) كالمرخ والعفار والكلخ (أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ . نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً) لنار جهنم (وَمَتَاعًا) بلغة (لِلْمُقْوِينَ) للمسافرين : من أقوى القوم ، أى صاروا بالقوى بالقصر والمد : أى القفر ، وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ) زائد (رَبِّكَ الْعَظِيمِ) أى الله (فَلَا أُقْسِمُ)

بالمؤكد وهو اللام (قوله لا يمكن شربه) أى ولا انتفاع الزرع به (قوله التى تورون) من أوريت الزند قدحته لتستخرج ناره وأصله تور يون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وقلبت الكسرة ضمة لمناسبة الواو (قوله من الشجر الأخضر) أى أو من غيره وإنما اقتصر على الشجر الأخضر لكونه أعظم وأبهر فى الدلالة على عظمة الله وباهر قدرته (قوله كالمرخ والعفار) تقدم الكلام على ذلك فى سورة يس وأما الكلخ فهو معروف فى بلاد المغرب والشام يؤخذ منه قطعتان وتضرب إحداهما بالأخرى فتخرج النار ، وعن ابن عباس أنه قال ما من شجر ولا عود إلا وفيه النار سوى العناب (قوله المسافرين) أى وخصوا بالذكر لأن منفعتهم بها أكثر من المقيمين فإنهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى الضال ونحو ذلك من المنافع (قوله من أقوى القوم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمقوين المسافرون وأنه مأخوذ من أقوى القوم إذا صاروا بالقوى وهى الأرض الخالية من السكان، وقيل المراد بهم ما هو أعم لأن المقوى من الأضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال، وللغنى لقوته على ما يريد، والمعنى جعلناها متاعا ومنفعة للأغنياء والفقراء المسافرين والحاضرين فلا غنى لأحد عنها (قوله بالقصر والمد) أى مع كسر القاف فيهما (قوله فسبح باسم ربك) مفرع على ما تقدم، والمعنى ادع الخلق إلى توحيد الله وطاعته ووضح لهم الأمر بما تقدم فإن لم يهتدوا فارجع إلى ربك وسبحه ولا تلتفت لغيره، والمراد نزهه عما لا يليق به سواء كان بخصوص سبحان الله أو بغيره من بقية الأذكار (قوله زائد) أى لفظ اسم زائد، والمعنى سبح ربك وسبح يتعدى بنفسه وبالباء وما مشى عليه المفسر من زيادة لفظ اسم أحد قولين والآخر أنه ليس زائدا بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهها عن النقائص كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص، ولذا قال الفقهاء من وجد اسم الله تعالى مكتوبا فى ورقة وموضوعا فى قذر وتركه فقد كفر وذلك لأن التهاون بأسماء الله كالتهاون بذاته لأن الاسم دال على المسمى وهذا هو الأتم .

[فائدة] أثبتوا فى الخط ألف اسم هنا وحذفوها من البسملة لكثرة دوران البسملة فى الكلام دون ما هنا (قوله لازائدة) أى للتأكيد لأن المقصود القسم وهذا أحد أقوال فيها ، وقيل هى لام الابتداء دخلت على مبتدإ محذوف تقديره أنا أقسم حذف المبتدأ فاتصلت بخبره ، وقيل هى نافية ومنفيها محذوف تقديره فلا يصح قول المشركين فيك وفى قرآنك وقوله أقسم الخ جملة مستأنفة تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله بمساقطها لغروبها) هذا قول قتادة ، وقيل هو منازلها ، وقيل المراد بمواقع النجوم نزول القرآن نجوما ؛ فإن الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ من السماء العليا إلى السفرة الكاتبين جملة واحدة فنجمه السفرة على جبريل وهو على محمد فى عشرين سنة (قوله وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه وفى أثنائها جملة معترضة بين الصفة والموصوف وهى قوله لو تعلمون وليس هذا من باب الاعتراض بأكثر من جملة لأن الجملتين فى حكم جملة واحدة (قوله أى لو كنتم الخ) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف وإلى أن الفعل منزل منزلة اللازم (قوله لعلمتم عظم هذا القسم) أى لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة ولأن آخر الليل الذى هو وقت تساقط النجوم محل الرحمات والعطايا الربانية قال تعالى - ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم - (قوله لقرآن كريم) أى كثير النفع وصف بالكرم لاشتماله على خير الدين والدنيا والآخرة ففيه مزيد البيان والنور والاهتداء ، فكل عالم يطلب أصل علمه منه من معقول ومنقول (قوله مصون) أى من التغيير والتبديل فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى - إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون - (قوله وهو المصحف) أى وقيل هو اللوح المحفوظ ، وعليه فمعنى لايمسه لايطلع عليه إلا الملائكة المطهرون من الأقذار المعنوية ولا يكون فى الآية دليل لنهى المحدث عن مس المصحف (قوله خبر بمعنى النهى) أى فأطلق الخبر وأريد النهى وإلا فلو أبقى على خبريته لزم عليه الخلف فى خبره تعالى ، لأنه كثيرا مايمس بدون طهارة والخلف فى خبره تعالى محال ، وما مشى عليه المفسر أحد وجهين ، والآخر أن لاناهية والفعل مجزوم بسكون مقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الادغام وإنما حرك بالضم إتباعا لحركة الهاء . إن قلت إنه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبية فإن قوله: تنزيل من رب العالمين صفة رابعة لقرآن . وأجيب بأنه لايتعين أن يكون صفة لجواز جعله خبرا لمبتدإ محذوف : أى هو تنزيل (قوله منزل) أشار بذلك إلى أن المصدر بمعنى اسم المفعول (قوله أفبهذا الحديث الخ) الاستفهام توبيخى ، والمعنى لايليق منكم ذلك (قوله مدهنون) الإدهان فى الأصل جعل الشىء مدهونا بالدهن ليلين ويحسن أطلق وأريد به اللين الظاهرى الذى هو النفاق ولذا سميت المداراة والملاينة فيما يغضب الله مداهنة ، فالدهن هو الذى ظاهره يخالف باطنه ، والمراد به هنا الكفر مطلقا كما أفاده المفسر (قوله بسقيا الله) مصدر مضاف لفاعله (قوله حيث قلتم مطرنا الخ) أى وقائل ذلك كافر إن اعتقد تأثير الكوكب فى المطر وعاص إن لم يعتقده (قوله فلولا إذا بلغت الخ) الظرف متعلق بترجعونها مقدم عليه وقوله: وأنتم حينئذ الخ جملة حالية من فاعل بلغت ، وكذا قوله: ونحن أقرب إليه (قوله من البصيرة) أى أو من البصر ، والمعنى وأنتم لاتبصرون أعوان ملك الموت . ورد أن ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهوا بها إلى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت .

(١٥٨)

لا زائدة (بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) بمساقطها لغروبها (وَإِنَّهُ) أى القسم بها (لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) أى لو كنتم من ذوى العلم لعلمتم عظم هذا القسم (إِنَّهُ) أى المتلو عليكم (لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ) مكتوب (مَكْنُونٍ) مصون ، وهو المصحف (لَا يَمَسُّهُ) خبر بمعنى النهى (إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) أى الذين طهروا أنفسهم من الأحداث (تَنْزِيلٌ) منزل (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ) القرآن (أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ) متهاونون مكذبون (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) من المطر: أى شكره (أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ) بسقيا الله حيث قلتم : مطرنا بنوء كذا (فَلَوْلَا) فهلا (إِذَا بَلَغَتِ) الروح وقت النزع (الْحُلْقُومَ) هو مجرى الطعام (وَأَنْتُمْ) يا حاضرى الميت (حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ) إليه (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ) بالعلم (وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ) من البصيرة : أى لاتعلمون ذلك (فَلَوْلَا) فهلا (إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) : مجزيين

مجزيين بأن تبعثوا أي غير مبعوثين بزعمكم (تَرْجِعُونَهَا) تردون الروح إلى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيما زعمتم، فلولا الثانية تأكيد للأولى وإذا ظرف لترجعون المتعلق به الشرطان، والمعنى هلا ترجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه: أي لينتفي عن محلها الموت كالبعث (فَأَمَّا إِنْ كَانَ) الميت (مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ) أي فله استراحة (وَرَيْحَانٌ) رزق حسن (وَجَنَّتُ نَعِيمٍ) وهل الجواب لأما أو لإن أو لهما؟ أقوال (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلَامٌ لَكَ) أي له السلامة من العذاب (مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) من جهة أنه منهم (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ. فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ. وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ. إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ) من إضافة الموصوف إلى صفته (فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ) تقدم.

(سورة الحديد)

مكية، أو مدنية، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي نزهه كل شيء

(قوله مجزيين) أي مدينين من الدين بمعنى الجزاء وقوله غير مبعوثين تفسير المراد هنا (قوله فلولا الثانية) أي التي في قوله فلولا إن كنتم غير مدينين (قوله تأكيد) أي لفظي وقوله للأولى: أي التي في قوله: فلولا إذا بلغت الحلقوم (قوله المتعلق به الشرطان) أي وهما إن كنتم غير مدينين إن كنتم صادقين ومعنى تعلقهما به أنه جزاء لكل منهما (قوله والمعنى هلا الخ) أي فهي للطلب والمعنى ارجعوها (قوله إن نفيتم البعث) هذا هو الشرط الأول وقوله صادقين في نفيه هو الشرط الثاني (قوله لينتفي الخ) علة للجزاء وقوله عن محلها أي الذي هو الجسد، والمعنى إن صدقتم في نفي البعث فردّوا روح المحتضر إلى جسده لينتفي عنه الموت فينتفي البعث الذي تنكرونه لترتبه على الموت (قوله فأما إن كان من المقربين الخ) شروع في بيان حال المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عنده (قوله من المقربين) أي وهم المعبر عنهم فيما سبق بالسابقين (قوله فروح) بفتح الراء في قراءة العامة وقرئ شذوذا بضمها ومعناها الرحمة (قوله أي فله) أشار بذلك إلى أن روح مبتدأ خبره محذوف (قوله وجنت نعيم) ترسم هنا بالتاء المجرورة والوقف عليها إما بالهاء أو التاء وفي ذكر الجنة عقب الروح والريحان إشعار بأن محل ذلك يكون للمقربين في البرزخ قبل الجنة كما هو مشهور في السنة (قوله وهل الجواب لأما) أي وجواب إن محذوف لدلالة المذكور عليه وهذا هو الراجح لأنه عهد حذف جواب إن كثيرا (قوله فسلام لك) أي يا صاحب اليمين من أصحاب اليمين ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب تعظيما لصاحب اليمين (قوله أي له السلامة) أشار بهذا إلى أن السلام بمعنى السلامة وهو خلاف ما قلنا فهما تفسيران (قوله من جهة أنه منهم) أشار به إلى أن من تعليلية أي من أجل أنه منهم (قوله وأما إن كان من المكذبين) لم يقل وأما إن كان من أصحاب الشمال الخ تبكيتا عليهم وإشعارا بالأفعال التي أوجبت لهم هذا العذاب (قوله فنزل) مبتدأ خبره محذوف أي له نزل من حميم، والمعنى أنه يشرب بعد أكل الزقوم وسمي نزلا تهكما بهم (قوله وتصلية جحيم) أي احتراق بها (قوله إن هذا) أي ما ذكر من قصة المحتضرين أو ما قصصناه عليك في هذه السورة (قوله تقدم) الذي تقدم في كلامه أن سبح بمعنى نزه وأن لفظ اسم زائد وتقدم لنا القول بعدم زيادته ووجهه وأنه الأولى والعظيم يصح أن يكون صفة للاسم وأن يكون صفة لربك لأن كلا منهما مجرور وفي ذكر لفظ التسبيح في آخر هذه السورة شدة مناسبة لما بعدها من التسابيح كأن الله تعالى يقول سبح باسم ربك لأنه سبح له ما في السموات والأرض، والله أعلم بأسرار كتابه.

[سورة الحديد] سميت بذلك لذكر الحديد فيها من باب تسمية الكل باسم بعضه على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه (قوله مكية) أي لما قيل إن سبب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه دخل على أخته وكانت أسلمت قبله فوجد أوائل هذه السورة إلى قوله إن كنتم مؤمنين مكتوبا في صحيفة فأسلم (قوله أومدنية) وهو لابن عباس وعليه الجمهور. وقال القرطبي إنها مدنية في قول الجميع وإسلام عمر كان بأوائل طه وعلى القول بأنه كان بأوائل هذه السورة فتستثنى هذه الآيات من القول بأنها مدنية (قوله سبح لله) عبر هنا وفي الحشر والصف بالماضي وفي الجمعة والتغابن بالمضارع وفي الأعلى بالأمر وفي الاسراء بالمصدر

إشعارا بأن التسبيح مطلوب من الانسان فى كل حال وصدّر بالمصدر تنبيها على أن تنزيهه تعالى مطلق لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا بفاعل معين كما أن المصدر مطلق عن الفاعل والزمان ثم بالماضى لتقدم زمنه ثم بالمضارع لشموله للحال والاستقبال ثم بالأمر لتأكيد الحث على طلبه من الشخص فكأنه قال حيث علمت أيها الشخص أن ربك منزه تنزيها مطلقا وسبحه من تقدم من المخلوقات واستمروا على تسبيحه فعليك بالاشتغال به ، والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما لا يليق به قولا وفعلا واعتقادا من سبح فى الأرض والماء ذهب وأبعد فيهما . إن قلت إن سبح متعد بنفسه فما وجه الإتيان باللام له ؟ أجيب بأن اللام زائدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له وعليه اقتصر المفسر أو للتعليل ، والمعنى فعل التسبيح لأجل رضا الله تعالى وخالصا لوجهه لا لغرض آخر (قوله فاللام مزيدة) أى للتأكيد وهو مفرع على قوله : أى نزهه أو أصلية للتعليل كما علمت (قوله تغليبا للأكثر) أى وهو غير العاقل ، فالمراد بالسموات والأرض جهة العلو والسفل فيشمل نفس السموات والأرض . واعلم أن تسبيح العقلاء بلسان المقال اتفاقا . واختلف فى تسبيح غيرهم فقيل بالحال أى أن ذاتها دالة على تنزيه صانعها عن كل نقص وقيل بلسان المقال أيضا ولكن لا يطلع على تسبيحها إلا من خصه الله بذلك (قوله وهو العزيز فى ملكه) أى الغالب على أمره لا يغلبه شىء (قوله الحكيم فى صنعه) أى يضع الشىء فى محله فلا حرج عليه ولا معقب لحكمه (قوله له ملك السموات والأرض) جملة مستأنفة كالدليل لما قبلها كأنه قيل هو العزيز الحكيم لأن له ملك السموات والأرض يتصرف فيه على ما يريد (قوله بالانشاء) أى من العدم وفيه رد على من يزعم أن الاحياء يكون بترك الحى من غير قتل مثلا كالنمروذ ، حيث قال فى محاجة إبراهيم عليه السلام أنا أحيي (١٦٠) وأميت وأتى برجلين فأطلق أحدهما وقتل الآخر (قوله ويميت بعده) أى بعد الاحياء الحاصل بالانشاء ، وأما الاحياء الثانى فلا موت بعده قال تعالى - لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - (قوله وهو على كل شىء قدير) بضم الهاء وسكونها قراءتان سبعيتان فى جميع القرآن (قوله هو الأول قبل كل شىء) أى السابق على جميع الموجودات

فاللام مزيدة وجىء بما دون من تغليبا للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي) بالإنشاء (وَيُمِيتُ) بعده (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . هُوَ الْأَوَّلُ) قبل كل شىء بلا بداية (وَالْآخِرُ) بعد كل شىء بلا نهاية (وَالظَّاهِرُ) بالأدلة عليه (وَالْبَاطِنُ) عن إدراك الحواس (وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) :

الكرسى

وقوله بلا بداية أى فلا افتتاح لوجوده (قوله والآخر بعد كل شىء) أى الباقى بذاته بعد استحقاق كل ما سواه الفناء وبهذا اندفع ما يقال إن الجنة والنار وما فيهما لا يطرأ عليها الفناء لأن كل موجود بعد عدم قابل للفناء وبقاء ما ذكر ببقاء الله تعالى لا ذاتى له قال العارف :

من لا وجود لذاته من ذاته ... فوجوده لولاه عين محال

(قوله بالأدلة عليه) أى وهى آثاره وتصاريفه فى خلقه :

ففى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

(قوله عن إدراك الحواس) أى الظاهرية والباطنية فلا تحيط به فى الدنيا ولا فى الآخرة وإنما رؤيته وسماع كلامه فى الآخرة من غير كيف ولا انحصار ولا إحاطة فكل مخلوق عاجز عن الاحاطة به بل كلما عظم قرب العبد منه ازداد خشية وهيبة وعجزا ، ولذا ورد فى الحديث « سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا أراد أحدكم أن ينام فليضطجع على شقه الأيمن ويقول : اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذ بناصيته » وفى رواية : من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء اقض عنا الدين وأغننا من الفقر اهـ وأتى بالواو الأولى والثالثة للجمع بين الوصفين الأولين والأخيرين والثانية للجمع بين مجموع الأوصاف الأربعة ، فهو تعالى متصف بالأولية وضدها والظاهرية وضدها وتلك الصفات الأربع مجموعة فيه تعالى فالواو الأولى والثالثة عطفت مفردا على مفرد والثانية عطفت مجموع أمرين على مجموع أمرين .

(قوله الكرسي) تقدم غير مرة أن المناسب إبقاء العرش على ظاهره (قوله استواء يليق به) تقدم أن هذا تفسير السلف ، وأما الخلف فيؤولونه بالقهر والغلبة (قوله والسيئة) المناسب حذفه لأن الذي يرفع إنما هو الأعمال الصالحة قال تعالى: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه (قوله بعلمه) أي وقدرته وإرادته ، فالمراد بالمعية تصاريفه في خلقه (قوله له ملك السموات والأرض) ذكره ثانيا مع الإعادة كما ذكره أولا مع ابتداء الخلق فلا تكرار (قوله ترجع الأمور) بفتح التاء وكسر الجيم مبنيا للفاعل وبضم التاء وفتح الجيم مبنيا للمفعول قراءتان سبعيتان في جميع القرآن (قوله يدخله في النهار فيزيد) أي النهار بسبب دخول الليل فيه وكذا يقال في النهار (قوله بما فيها من الأسرار والمعتقدات) أي من خير وشر (قوله آمنوا بالله ورسوله) لما ذكر أنواعا من الدلائل الدالة على التوحيد شرع يأمر عباده بالإيمان وبترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في وجوه البر (قوله دوموا على الإيمان) جواب عما يقال إن الخطاب للمؤمنين ، وحينئذ ففيه تحصيل الحاصل وهذا نتيجة ماقبله لأنه لما ذكر أدلة التوحيد ولا شك أن التفكر فيها يزيد في الإيمان ويوجب الدوام عليه نتج منه الأمر بالدوام على الإيمان (قوله من مال من تقدمكم الخ) أي فأنتم خلفاء عمن تقدمكم ويصح أن المعنى من الأموال التي جعلكم الله خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم . واعلم أن الأموال في الحقيقة لله

الكرسي استواء يليق به (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ) يدخل (فِي الْأَرْضِ) كالمطر والأموات (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كالنبات والمعادن (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) كالرحمة والعذاب (وَمَا يَعْرُجُ) يصعد (فِيهَا) كالأعمال الصالحة والسيئة (وَهُوَ مَعَكُمْ) بعلمه (أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) الموجودات جميعها (يُولِجُ اللَّيْلَ) يدخله (فِي النَّهَارِ) فيزيد وينقص الليل (وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ) فيزيد وينقص النهار (وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات (آمِنُوا) دوموا على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا) في سبيل الله (مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) من مال من تقدمكم وسيخلفكم فيه من بعدكم ، نزل في غزوة العسرة وهي غزوة تبوك (فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا) إشارة إلى عثمان رضي الله عنه (لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ . وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ) خطاب للكفار: أي لامانع لكم من الإيمان (بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ) ،

تعالى تخالف فيها آدم يتصرف فيها وأولاده خلف عنه وحينئذ فالخلافة إما عمن له التصرف الحقيقي وهو الله تعالى أو عمن تصرف فيها قبله ممن كانت في أيديهم وانتقلت لهم وفي هذا حث على الانفاق وتهوين له على النفس فلا ينبغي البخل بمال الغير بل ينفقه في الوجوه التي تنفعه في المعاد (قوله وسيخلفكم فيه من بعدكم) أي من المال الذي هو بأيديكم سواء كان من مال من تقدمكم أو من مال اكتسبتموه بأنفسكم (قوله وهي غزوة تبوك) بالصرف نظرا للبقعة ومنعه للعلمية والتأنيث وهو مكان على طرف الشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة وكانت تلك الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهي آخر غزواته ولم يقع فيها قتال بل لما وصلوا إلى تبوك وأقاموا بها عشرين ليلة وقع الصلح على دفع الجزية فرجع صلى الله عليه وسلم بالعز والنصر العظيم وتقدم تفصيلها في سورة براءة (قوله إشارة إلى عثمان) أي فانه جهز في تلك الغزوة ثلثمائة بعير بأقتابها وأحلاسها وأحمالها وجاء بألف دينار ووضعها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية : حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وقال في حقه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على عثمان ما فعل بعد هذه ، وفي رواية : غفر الله لك ياعثمان ماأسررت وماأعلنت وماهو كائن إلى يوم القيامة مايبالي ماعمل بعدها ولاخصوصية لعثمان بهذه الاشارة بل غيره بذل فيها جهده (قوله لهم أجر كبير) أي عظيم (قوله ومالكم لاتؤمنون) جملة من مبتدأ وخبر وحال ، والمعنى أي شيء ثبت لكم حال كونكم غير مؤمنين (قوله أي لامانع لكم من الايمان) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله والرسول يدعوكم) الجملة حالية من الواو في تؤمنون ، والمعنى لامانع لكم من الايمان والحال أن الرسول يدعوكم إليه بالمعجزات الظاهرة والحجج الباهرة (قوله وقد أخذ ميثاقكم) الجملة حالية أيضا من الكاف في يدعوكم .

(قوله بضم الهمزة وكسر الخاء) أى ورفع ميثاقكم وتركه لوضوحه (قوله و بفتحهما) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أخذه الله الخ) تفسير للقراءتين (قوله أى مريدين الايمان به) جواب عما يقال كيف قال ومالكم لا تؤمنون بالله ثم قال: إن كنتم مؤمنين و يجاب أيضا بأن المعنى إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى فان شريعتهما مقتضية للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله فبادروا إليه) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله على عبده) أى وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله و إن الله بكم لرءوف رحيم) أى حيث طلبكم للايمان وأقام لكم الحجج على ألسنة الرسل وأمهلكم (قوله ألا تنفقوا) توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان (قوله فى سبيل الله) أى طاعته جهادا أوغيره (قوله ولله ميراث السموات والأرض) الجملة حالية ، والمعنى أى شئ يمنعكم من الانفاق فى سبيل الله والحال أن ميراث السموات والأرض له فالدنيا له ابتداء وانتهاء وإنما جعلكم خلفاء لكم أجر الانفاق وعليكم وزر الامساك (قوله لا يستوى منكم الخ) أى لأن الذين أنفقوا من قبل وقاتلوا من قبل فعلوا ذلك قبل عزة الاسلام وعزة أهله فنصروا الدين بأنفسهم وأموالهم وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم رسول الله «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» بخلاف من أنفق وقاتل من بعد الفتح فسعيه و إن كان مشكورا

لا يصل لتلك المزية (قوله من أنفق) هو فاعل لا يستوى والاستواء لا يكون إلا بين شيئين فحذف المقابل لوضوحه والتقدير ومن أنفق من بعد الفتح وهو صادق بكل من آمن وأنفق من بعد الفتح إلى يوم القيامة (قوله لمكة) وقيل هو صلح الحديبية (قوله وكلا) بالنصب مفعول مقدم وقرأ ابن عامر بالرفع مبتدأ والجملة بعده خبر والعائد محذوف أى وعده الله ، والمعنى أن كلا من آمن وأنفق قبل الفتح ومن آمن وأنفق بعده ومات على الايمان وعده الله الحسنى أى الجنة و إن كانت درجات الأوائل أعلى من درجات الأواخر (قوله من ذا الذى) يحتمل أن من اسم استفهام مبتدأ وذا خبره والذى بدل منه و يحتمل أن من ذا مبتدأ والموصول خبره وقوله يقرض الله الخ صلة الموصول على كلا الاحتمالين وهذا تنزل منه سبحانه وتعالى حيث ملك عباده الأموال من عنده وسمى رجوعها إليه قرضا مع أن العبد وما ملكت يداه لسيده . قال صاحب الحكم : ومن مزيد فضله عليك أن خلق ونسب إليك (قوله فى سبيل الله) أى طاعته جهادا أوغيره (قوله قرضا حسنا) قال بعض العلماء: القرض لا يكون حسنا حتى يجمع أوصافا عشرة وهى : أن يكون المال من الحلال ، وأن يكون من أجود المال ، وأن تتصدق به وأنت محتاج إليه ، وأن تصرف صدقتك إلى الأحوج إليها ، وأن تكتم الصدقة بقدر ما أمكنك ، وأن لا تتبعها بالمن والأذى ، وأن تقصد بها وجه الله ، ولا ترائى بها الناس ، وأن تستحقر ما تعطى وإن كان كثيرا ، وأن يكون من أحب أموالك إليك ، وأن لا ترى عز نفسك وذل الفقير ، فهذه عشر خصال إذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا (قوله بأن ينفقه لله) أى خالصا لوجهه لا رياء ولا سمعة (قوله وفى قراءة فيضعفه الخ) أى وعلى كل من القراءتين فالفعل إما مرفوع عطفا على يقرض أومستأنف أومنصوب بأن مضمرة وجوبا بعد الفاء الواقعة فى جواب الاستفهام فالقراآت أربع سبعيات .

بضم الهمزة وكسر الخاء و بفتحهما ونصب ما بعدهما (مِيثَاقَكُمْ) عليه: أى أخذه الله فى عالم الذر حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) أى مريدين الإيمان به فبادروا إليه (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) آيات القرآن (لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر (إِلَى النُّورِ) الإيمان (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ) فى إخراجكم من الكفر إلى الإيمان (لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَمَا لَكُمْ) بعد إيمانكم (أَلَّا) فيه إدغام نون أن فى لام لا (تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) بما فيهما فيصل إليه أموالكم من غير أجر الانفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ) لمكة (وَقَاتَلَ ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا) من الفريقين، وفى قراءة بالرفع مبتدأ (وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) الجنة (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) فيجازيكم به (مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ) بانفاق ماله فى سبيل الله (قَرْضًا حَسَنًا) بأن ينفقه لله (فَيُضَاعِفَهُ) وفى قراءة فيضعفه بالتشديد (لَهُ) من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما ذكر فى البقرة

(قوله وله مع المضاعفة أجر كريم) ظاهر المفسر[1] أن العبد إذا عمل الحسنة ضاعف له إلى سبعمائة ويعطى فوق ذلك أجرا كريما لايعلم قدره إلا الله تعالى ولكن الذى يظهر أن الأجر الكريم يحصل له فى نظير العمل المضاعف وذلك أن المضاعفة تكتب للعبد فى الدنيا وتوزن له يوم القيامة ويستوفى أجرها الكريم فى الجنة (قوله رضا وإقبال) فاعل مقترن ، والمعنى أنه يعطى ثواب أعماله مع الرضا والاقبال عليه من الله تعالى كما قال - ورضوان من الله أكبر - (قوله اذكر يوم ترى) أشار بذلك إلى أن يوم ظرف لمحذوف وهو أحد أوجه أو ظرف لأجر كريم ، والمعنى لهم أجر كريم فى ذلك اليوم أو ظرف ليسعى والمعنى يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يوم تراهم (قوله يسعى نورهم) الجملة حالية لأن الرؤية بصرية وهذا إذا لم يجعل عاملا فى يوم (قوله بين أيديهم) أى على الصراط (قوله ويكون بأيمانهم) قدر يكون دفعا لما قد يتوهم من تسليط يسعى عليه أنه يكون النور فى جهاته بعيدا عنه ، والمراد بالأيمان جميع الجهات فعبر بالبعض عن الكل قال عبد الله بن مسعود : يؤتون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ، ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نورا من نوره على إبهامه فيطفأ مرة ويتقد أخرى ، وقال قتادة : ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من المؤمنين من يضيء نوره إلى عدن وصنعاء ودون ذلك حتى إنّ من المؤمنين من لايضيء نوره إلا موضع قدمه (قوله ويقال لهم) أى تقول الملائكة الذين يتلقونهم بشراكم اليوم أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم إلى غير نهاية (قوله أى

(١٦٣)

(وَلَهُ) مع المضاعفة (أَجْرٌ كَرِيمٌ) مقترن به رضا وإقبال . اذكر (يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (وَ) يكون (بِأَيْمَانِهِمْ) ويقال لهم (بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ) أى دخولها (تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا) أبصرونا وفى قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء : أمهلونا (نَقْتَبِسْ) نأخذ القبس والإضاءة (مِنْ نُورِكُمْ ، قِيلَ) لهم استهزاء بهم (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) فرجعوا (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ) و بين المؤمنين (بِسُورٍ) قيل هو سور الأعراف (لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) من جهة المؤمنين (وَظَاهِرُهُ) من جهة المنافقين (مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ) على الطاعة (قَالُوا بَلَى وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ) بالنفاق (وَتَرَبَّصْتُمْ) بالمؤمنين الدوائر (وَارْتَبْتُمْ) شككتم فى دين الاسلام (وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ) الأطماع (حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ) الموت (وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ

دخولها) أشار بذلك إلى أن قوله جنات خبر بشراكم على حذف مضاف (قوله ذلك هو الفوز العظيم) أى الجنة وما فيها من النعيم المقيم (قوله يوم يقول المنافقون) بدل من يوم ترى (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا ثم يحتمل أن القراءة الأولى بمعنى هذه لأنه يقال نظره بمعنى انتظره وذلك لأنه يسرع بالمؤمنين الخاصين إلى الجنة على نجب فيقول المنافقون انظرونا لأنا مشاة لانستطيع لحوقكم ويحتمل أن يكون من النظر وهو الابصار كما قال المفسر وذلك لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيضيء لهم المكان (قوله أمهلونا) أى تمهلوا لنا ندرككم (قوله ارجعوا وراءكم) أى إلى الموقف أو الدنيا، أو المعنى ارجعوا خائبين لاسبيل لكم إلى نورنا وهذا استهزاء بهم وذلك لأنهم لايستطيعون الرجوع إلى الموقف ولا إلى الدنيا (قوله فضرب بينهم بسور) الفعل مبنى للمفعول وبسور نائب الفاعل والباء زائدة (قوله قيل هو سور الأعراف) وقيل حائط يضرب بين الجنة والنار موصوف بما ذكر، وقيل هو كناية عن حجبهم عن النور الذى يعطاه المؤمنون (قوله له باب) الجملة صفة لسور وقوله باطنه فيه الرحمة صفة ثانية له أيضا ويجوز أن تكون فى موضع رفع صفة لباب وهو أولى لقربه (قوله ينادونهم) جملة مستأنفة ، والمعنى ينادى المنافقون المؤمنين ألم نكن معكم نصلى كما تصلون ونطيع كما تطيعون (قوله قالوا بلى) أى كنتم معنا فى الظاهر (قوله ولكنكم فتنتم أنفسكم) أى أهلكتموها (قوله بالنفاق) أى والمعاصى والشهوات (قوله الدوائر) أى الحوادث (قوله حتى جاء أمر الله) قرئ

(١) قول المحشى ظاهر المفسر الخ هكذا فى نسخة وفى نسخة قوله : وله مع المضاعفة أجر كريم فانّ العبد إذا عمل الحسنة ضاعف له فى الجزاء عشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة على حسب إخلاصه فى العمل ويعطى فوق ذلك أجرا كريما وهو رضا الله ورؤية وجهه، حققنا الله بذلك .

فى السبع باسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر وتسهيل الثانية مع تحقيق الأولى و بتحقيقهما فالقراآت أربع سبعيات (قوله الغرور) بفتح الغين هو الشيطان كما قال المفسر وقرئ بالضم شذوذا وهو مصدر بمعنى الاغترار بالباطل (قوله فاليوم) الظرف متعلق بيؤخذ (قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله ولا من الذين كفروا) عطف الكافرين على المنافقين لتغايرهم فى الظاهر (قوله هى مولاكم) يجوز أن يكون مصدرا أى ولايتكم أى ذات ولايتكم وأن يكون مكانا أى مكان ولايتكم وأن يكون بمعنى أولى أى هى أولى بكم وهو الذى اقتصر عليه المفسر ويصح أن يكون بمعنى ناصركم أى لاناصر لكم إلا النار وهو تهكم بهم (قوله ألم يأن للذين آمنوا الخ) العامة على سكون الهمزة وكسر النون مضارع أنى يأنى كرمى يرمى مجزوم بحذف حرف العلة، والمعنى ألم يأن أوان الخشوع والخضوع لقلوب الذين آمنوا وحينئذ فالذى ينبغى لهم الاقبال على شأنهم وتركهم ما لايعنيهم وقرئ شذوذا بكسر الهمزة وسكون النون مضارع آن كباع فلما جزم سكن وحذفت عينه لالتقاء الساكنين، إذا علمت ذلك فقول المفسر يحن حل معنى لاحل إعراب وإلا فهو يناسب القراءة الشاذة لأنه من حان يحين كباع يبيع فهو مجزوم بالسكون ومعنى حان قرب وقته (قوله لما أكثروا المزاح) أى بسبب لين العيش الذى أصابوه فى المدينة وذلك لأنهم لما قدموا المدينة أصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا على ذلك وهذا محمول على فرقة قليلة فرحوا

الْغَرُورُ) الشيطان (فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ) بالياء والتاء (مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ) أولى بكم (وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هى (أَلَمْ يَأْنِ) يحن (لِلَّذِينَ آمَنُوا) نزلت فى شأن الصحابة لما أكثروا المزاح (أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ) بالتخفيف والتشديد (مِنَ الْحَقِّ) القرآن (وَلَا يَكُونُوا) معطوف على تخشع (كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ) هم اليهود والنصارى (فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ) الزمن بينهم وبين أنبيائهم (فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) لم تلن لذكر الله (وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ. اعْلَمُوا) خطاب للمؤمنين المذكورين (أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا) بالنبات فكذلك يفعل بقلوبكم يردها إلى الخشوع (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ) الدالة على قدرتنا بهذا وغيره (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ) من التصدق أدغمت التاء فى الصاد: أى الذين تصدقوا (وَالْمُصَّدِّقَاتِ) اللاتى تصدقن وفى قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق الإيمان (وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) راجع إلى الذكور والإناث بالتغليب وعطف الفعل على الاسم فى صلة أل لأنه فيها حل محل الفعل،

بمظاهر الدنيا فحصل منهم المزاح والهزل فعوتبوا عليه، وأما غالبهم كأبى بكر وأضرابه فمقامهم يجل عن ذلك (قوله أن تخشع قلوبهم) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر فاعل يأن أى ألم يقرب خشوع قلوبهم (قوله بالتخفيف) أى وضمير نزل عائد على القرآن وقوله والتشديد أى والضمير عائد على الله تعالى والعائد محذوف تقديره نزله والقراءتان سبعيتان وقوله من الحق بيان لما (قوله معطوف على تخشع) اى ولانافية ويصح أن تكون لاناهية فيكون وذكر انتقالا إلى نهيهم عن التشبه بمن تقدمهم فان الدوام على المزاح ربما أدى لذلك (قوله الكتاب) أل فيه للجنس الصادق بالتوراة والانجيل (قوله فطال عليهم الأمد) قرأ العامة بتخفيف دال الأمد ومعناه الزمن وقرأ غيرهم بتشديدها وهو الزمن الطويل (قوله لم تلن لذكر الله) أى لم تخضع ولم تذل (قوله وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن طاعة الله وطاعة نبيهم والقليل متمسك بشرع نبيه وهذا الاخبار عنهم قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم، وأما بعد ظهوره فكل من لم يؤمن به فهو فاسق خارج عن طاعة الله تعالى (قوله خطاب للمؤمنين المذكورين) أى الذين عوتبوا فى شأن المزاح كأن الله تعالى يقول لهم : ياعبادى لاتقنطوا من رحمتى فان شأنى إحياء الأرض الميتة بالنبات فكذلك إذا حصل منكم الانابة والرجوع أحييت قلوبكم بالذكر والفكر فأنبتت العلوم والمعارف (قوله بهذا) أى كونه يحيى الأرض بعد موتها وقوله وغيره أى من الأمور العجيبة الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله أدغمت التاء فى الصاد) أى بعد قلبها (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله راجع إلى الذكور والاناث) أى فهو معطوف على مجموع الفعلين لا على الأول فقط لما يلزم عليه من العطف على الصلة قبل تمامها (قوله فى صلة أل) الجملة نعت للاسم أى الاسم الكائن فى صلة أل وقوله فيها متعلق بحل وهذا من قبيل قول ابن مالك: واعطف على اسم شبه فعل فعلا الخ.

(قوله وذكر القرض الخ) جواب عما يقال إن قوله المصدقين على قراءة التشديد يغني عنه لأن المراد بالقرض الصدقة . فأجاب بأنه ذكره توطئة لوصفه بالحسن فقوله تقييد له أي للتصدق بوصف القرض وهو الحسن (قوله يضاعف لهم) أي يكتب لهم في صحائفهم الحسنة بعشرة إلى سبعمائة إلى غير ذلك (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولهم أجر كريم) أي في نظير عملهم المضاعف[1] (قوله والذين آمنوا) مبتدأ أول وأولئك مبتدأ ثان وهم إما ضمير فصل أو مبتدأ ثالث والصديقون خبر الثالث وهو وخبره خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول (قوله أولئك هم الصديقون) أي الموصوفون بالإيمان بالله ورسله والمراد الإيمان الكامل وإلا فمجرد الإيمان لايسمى الشخص به صديقا لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله والشهداء) يحتمل أن يكون معطوفا على ماقبله فالوقف تام على قوله الشهداء ويكون أخبر عن الذين آمنوا بأنهم صديقون شهداء وقوله عند ربهم ظرف متعلق بقوله بعد لهم أجرهم ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره إما الظرف بعده أو جملة لهم أجرهم (قوله النار) أي فمراده بالجحيم دار العذاب لاخصوص الطبقة المسماة بالجحيم (قوله اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب الخ) لما ذكر الآخرة وأحوال الخلق فيها شرع يزهدهم في الدنيا لأنها قليلة النفع سريعة الزوال (قوله لعب) أي يتعب الناس فيها أنفسهم جدا كاتعاب الصبيان أنفسهم في اللعب من غير فائدة (قوله ولهو) أي شغل عن الآخرة (قوله وزينة) أي مايتزين به من اللباس والحلي ونحوها (قوله وتفاخر بينكم) أي مفاخرة (١٦٥) حاصلة فيما بينكم والعامة على تنوين تفاخر وقرئ شذوذا بإضافته إلى الظرف بعده (قوله أي الاشتغال فيها) أشار بذلك إلى أن قوله أنما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف والتقدير إنما الاشتغال بالحياة الدنيا لعب الخ فالشغل بها دائر بين هذه الأمور الخمسة . قال علي كرم الله وجهه لعمار بن ياسر : لاتحزن على الدنيا فإن الدنيا ستة أشياء مأكول ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح ، فأحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة، وأكثر شرابها الماء وهو يستوي فيه جميع الحيوان ، وأفضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة ، وأفضل مشمومها المسك وهو دم فأرة ، وأفضل المركوب الفرس وعليها تقتل الرجال ، وأما المنكوح فهو النساء وهن مبال في مبال (قوله كمثل غيث) يحتمل أن يكون خبرا سادسا لأن ويحتمل أن يكون خبرا لمحذوف وعليه اقتصر المفسر والمثل بمعنى الصفة والمعنى صفتها كصفة غيث الخ (قوله مطر) أي حصل بعد جدب ويأس (قوله الزراع) إنما سموا كفارا لأنهم يسترون الأرض بالزرع بسبب الحرث والبذر كما سمي من ستر الإيمان بالطغيان والجحد كافرا ويصح أن يبقى الكفار على حقيقته وذلك لأن الكفار يفتخرون ويعجبون في السراء ويسخطون في الضراء فإذا كانوا زراعا افتخروا بالزرع إذا ظهر وسخطوا إذا ضاع فصفة الدنيا كصفة كفار زراع تعبوا في الأرض وحرثوها وبذروها فظهر زرعها ففرحوا به فرح بطر وخيلاء ثم يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وعبارة المفسر محتملة للمعنيين لأن قوله الزراع يحتمل أن يكون تفسيرا للكفار أو صفة لهم (قوله ييبس) تفسير ليهيج والحامل له على ذلك تفريع قوله فتراه مصفرا عليه وإلا فيهيج معناه في اللغة يطول جدا (قوله وفي الآخرة عذاب شديد) لما ذكر أحوال الدنيا الزائلة ذكر ما يكون عقب زوالها وقسمه إلى قسمين عذاب شديد ومغفرة ورضوان وفي الآية بشارة عظيمة حيث قابل العذاب بشيئين المغفرة والرضوان

وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له (يُضَاعَفُ) وفي قراءة يضعف بالتشديد: أي قرضهم (لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ) المبالغون في التصديق (وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ) على المكذبين من الأمم (لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) الدالة على وحدانيتنا (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ) تزيين (وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) أي الاشتغال فيها. وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة (كَمَثَلِ) أي هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل (غَيْثٍ) مطر (أَعْجَبَ الْكُفَّارَ) الزراع (نَبَاتُهُ) الناشئ عنه (ثُمَّ يَهِيجُ) ييبس (فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا) فتاتا يضمحل بالرياح (وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ) لمن آثر عليها الدنيا (وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ) لمن لم يؤثر عليها الدنيا (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) ،

(1) قول المحشي : أي في نظير عملهم المضاعف في نسخة : أي فوق عملهم المضاعف

فهو من باب « لن يغلب عسر يسرين » (قوله ما التمتع فيها) أشار بذلك إلى أن قوله : وما الحياة الدنيا مبتدأ على حذف مضاف (قوله إلا متاع الغرور) هو بالضم ما اغتر به الشخص مصحح متاع الدنيا (قوله سابقوا إلى مغفرة من ربكم) أى سارعوا مسارعة المتسابقين إلى مايوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب و إلى مايوجب الجنة وهو فعل الطاعات (قوله كعرض السماء والأرض) أى أن السموات السبع والأرضين السبع لوجعلت صفائح وألزق بعضها إلى بعض لكان عرض الجنة فى عرض جميعها . قال ابن عباس: يريد أن لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة ، وقيل إن ذلك تمثيل للعباد بمـا يعقلونه و يعرفونه وأ كثر مايقع فى نفوسهم مقدار السموات والأرض فشبه عرض الجنة بما تعرفه الناس . روى أن جماعة من اليهود سألوا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالوا له : إذا كانت الجنة عرضها ذلك فأين النار؟ فقال لهم أرأيتم إذاجاء الليل أين يكون النهار و إذاجاء النهار أين يكون الليل؟ فقالوا إن مثلها فى التوراة (قوله والعرض السعة) جواب عما يقال إنه ذكر العرض ولم يذكر الطول ، فأجاب المفسر بأنه لم يرد بالعرض ماقابل الطول بل أراد به السعة . وأجيب أيضا بأنه ترك ذكر الطول تعظيما لشأنها لأنه إذا كان هذا شأن العرض فالطول أعظم لأن العرض أقل من الطول (قوله ذلك فضل الله) أى الموعود به من المغفرة والجنة (قوله من مصيبة) من زائدة فى فاعل أصاب وعهد زيادتها حيث وقعت فى جملة منفية ومجرورها نكرة (قوله فى الأرض) يصح أن يكون متعلقا بأصاب أو بمحذوف صفة لمصيبة أو بنفس مصيبة (قوله بالجدب) أى وغيره كالعاهة والزلزلة (قوله إلا فى كتاب) حال من مصيبة لتخصصها بالوصف ، والمعنى

إلا مكتوبة فى كتاب (قوله من قبل أن نبرأها) الضمير عائد على المصيبة (قوله ويقال فى النعمة كذلك) أى ماحصل للخلق نعمة فى الأرض كالمطر ولا فى أنفسكم كالصحة والولد إلا مكتوبة فى اللوح المحفوظ من قبل أن يخلقها الله وأشار المفسر بهذه العبارة إلى أن فى الآية حذف الواو مع ماعطفت بدليل التعليل الآتى فى قوله ـ لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بمـا آتاكم ـ ويصح أن يراد بالمصيبة جميع الحوادث من خير بما

وشر وعلى مامشى عليه المفسر من أن المراد بالمصيبة الشر خصها بالذكر لأنها أهم على البشر (قوله إن ذلك على الله يسير) أى سهل لامشقة فيه ولا تعب بل هو بقول كن (قوله كى ناصبة للفعل) أى بنفسها لدخول اللام عليها ولذا قال بمعنى أن (قوله أى أخبر تعالى) أشار بذلك إلى أن اللام حرف جر متعلقة بمحذوف (قوله تأسوا) مضارع منصوب بحذف النون والواو فاعل وأصله تأسيون تحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فصار تأساون فالتقى ساكنان الألف والواو التى هى الفاعل حذفت الألف لالتقاء الساكنين فصار وزنه تفعون ومصدره أسى وفعله أسى كجوى جوى ، فقول بعض النحاة والتقدير لأجل عدم إساءتكم صوابه أساكم لأن مصدره أسى لاإساءة (قوله تحزنوا) أى حزنا يوجب القنوط و إلا فالحزن الطبيعى لاينفك عنه الإنسان كالفرح الطبيعى (قوله بل فرح شكر على النعمة) أى فالمنهى عنه الحزن الموجب للجزع والقنوط والفرح الموجب للبطر والأشر وعدم شكر النعمة ، وأما الفرح والحزن الطبيعيان فلامحيص للشخص عنهما ، ولكن يسلم أمره لله و يرجع فى جميع أموره لمالكه وسيده ، فالمقصود من هذه الآية بيان أن الخير والشر بيد الله مقدر كل منهما فى الأزل يجب الرضا به (قوله بما آتاكم) أى لأنه مقدر لكم (قوله و بالقصر) هماقراءتان سبعيتان (قوله جاءكم منه) أى من الله (قوله كل مختال) أى معجب بنعم الله عليه (قوله بما أوتى) أى من النعم (قوله فخور به على الناس) أى كثير الفخر بما أعطيه من النعم على الناس (قوله الذين يبخلون) مبتدأ خبره محذوف قدره المفسر بقوله لهم وعيد شديد ، ويصح أن يكون خبرا لمحذوف تقديره هم الذين يبخلون أو بدل من

ما التمتع فيها (إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ . سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) لو وصلت إحداهما بالأخرى ، والعرض السعة (أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ) بالجدب (وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ) كالمرض وفقد الولد (إِلَّا فِي كِتَابٍ) يعنى اللوح المحفوظ (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) نخلقها ويقال فى النعمة كذلك (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لِكَيْلَا) كى ناصبة للفعل بمعنى أن : أى أخبر تعالى بذلك لئلا (تَأْسَوْا) تحزنوا (عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا) فرح بطر بل فرح شكر على النعمة (بِمَا آتَاكُمْ) بالمد أعطاكم و بالقصر جاءكم منه (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متكبر بما أوتى (فَخُورٍ) به على الناس (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ)

بمـا يجب عليهم (وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ) به لهم وعيد شديد (وَمَنْ يَتَوَلَّ) عما يجب عليه (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ) ضمير فصل وفى قراءة بسقوطه (الْغَنِيُّ) عن غيره (الْحَمِيدُ) لأوليائه (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا) الملائكة إلى الأنبياء (بِالْبَيِّنَاتِ) بالحجج القواطع (وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ) بمعنى الكتب (وَالْمِيزَانَ) العدل (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ) أخرجناه من المعادن (فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ) يقاتل به (وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ) علم مشاهدة معطوف على ليقوم الناس (مَنْ يَنْصُرُهُ) بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره (وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ) حال من هاء ينصره أى غائباً عنهم فى الدنيا قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) لاحاجة له إلى النصرة لكنها تنفع من يأتى بها (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) يعنى الكتب الأربعة التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فإنها فى ذرية إبراهيم (فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ

قوله كل مختال فخور (قوله بمـا يجب عليهم) أى من المال كزكاة وكفارة ومن تعليم العلم ونشره ومن بيان صفة النبى صلى الله عليه وسلم التى هى فى الكتب القديمة (قوله و يأمرون الناس) أى من يعرفونه (قوله ومن يتول) أى يعرض ومن شرطية وجوابها محذوف تقديره فالوبال عليه (قوله وفى قراءة بسقوطه) أى وهى سبعية أيضا وهى تعين أنه ضمير فصل إذ لو صح أن يجعل ضميرا منفصلا لما حسن إسقاطه من غير دليل لأنه عمدة (قوله الغنى) أى المستغنى عما سواه (قوله الحميد لأوليائه) أى المثنى عليهم بالإحسان المنعم عليهم بجزيل الانعام (قوله لقد أرسلنا) اللام موطئة لقسم محذوف : أى والله لقد أرسلنا الخ (قوله الملائكة إلى الأنبياء) تبع فى ذلك الزمخشرى ولم يسبقه إليه أحد ، والحامل له على ذلك التفسير تصحيح المعية فى قوله وأنزلنا معهم الكتاب لأن الكتب إنما تنزل مع الملائكة ، والمناسب أن يفسر الرسل بالبشر كما عليه الجمهور لأنه لم ينزل بالكتب والأحكام على الرسل إلا جبريل فقط وحينئذ فقوله معهم ظرف متعلق بمحذوف حال منتظرة ، والتقدير وأنزلنا الكتاب حال كونه آيلا وصائرا لأن يكون معهم إذا وصل إليهم أو مع بمعنى إلى (قوله العدل) أى فليس المراد بالميزان حقيقته فقط بل مايشمله وغيره ، والمراد بالعدل التوسط فى الأمور فلايحصل منهم تفريط ولا إفراط (قوله ليقوم الناس بالقسط) علة لإرسال الرسل و إنزال الكتاب والميزان (قوله أخرجناه من المعادن) هذا أحد قولين فى تفسير الانزال والآخر إبقاؤه على حقيقته لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد ، وروى من آلة الحدادين السندال والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة ، وروى ومعه المبرد والمسحاة ، وروى عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء الحديد والنار والماء والملح» وعن ابن عباس أيضا قال : أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم الحجر الأسود وعصا موسى والحديد اهـ. والسندال بكسر السين وفتحها والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد (قوله فيه بأس شديد) الجملة حالية من الحديد (قوله يقاتل به) أى فمنه الترس ومنه السلاح ونحو ذلك (قوله ومنافع للناس) أى فمامن صنعة إلا والحديد له دخل فى آلتها (قوله علم مشاهدة) أى للخلق والمعنى ليظهر متعلق علمه لعباده فاندفع مايقال إن هذا التعليل يوهم حدوث العلم مع أنه قديم (قوله معطوف على ليقوم) أى لكن المعطوف عليه علة للارسال والانزال والمعطوف علة لانزال الحديد وفى الحقيقة قوله ليعلم علة للثلاثة (قوله بآلات الحرب الخ) إنما خص النصر بذلك لكون المقام والسياق يقتضيه (قوله من هاء ينصره) أى الواقعة على الله تعالى (قوله غائبا عنهم) أى متحجبا بجلاله وعظمته (قوله ولايبصرونه) أى فى الدنيا فان رؤيته تعالى فى الدنيا لم تثبت إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله لاحاجة له إلى النصرة) أى و إنما هو سعادة لمن يحصل النصر على يديه وشقاوة لمن لم يحصل (قوله لكنها تنفع من يأتى بها) أى فنفع التكاليف عائد على ذوات المكلفين . قال تعالى ـ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) معطوف على قوله ـ لقد أرسلنا رسلنا ـ وكرر القسم إظهارا لمزيد الاعتناء والتعظيم وخص هذين الرسولين بالذكر لأن جميع الأنبياء من ذريتهما وذلك لأن نوحا هو الأب الثانى لجميع البشر و إبراهيم أبو العرب والروم و بنى إسرائيل (قوله يعنى الكتب الأربعة) أشار بذلك إلى أن أل فى الكتاب للجنس وخص هذه الأربعة لأنها أصول الكتب (قوله والفرقان) فى نسخة القرآن (قوله فمنهم مهتد) أى من الذرية أو من المرسل إليهم .

(قوله فاسقون) أى كافرون بدليل مقابلته بمهتد (قوله ثم قفينا على آثارهم) الضمير عائد على نوح و إبراهيم ومن عاصرهما من الرسل وليس عائدا على الذرية فان الرسل المقفى بهم من جملة الذرية ، والمعنى ثم أتبعنا رسولا بعد رسول حتى انتهينا إلى عيسى عليه السلام (قوله وقفينا بعيسى) أى جعلناه تابعا لهم ومتأخرا عنهم فى الزمان وخصه بالذكر للرد على اليهود المنكرين لنبوّته ورسالته (قوله وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) أى من الحواريين وغيرهم (قوله رأفة ورحمة) أى شدّة لين وشفقة (قوله ورهبانية) يصح أن يكون بالنصب عطفا على رأفة وجملة ابتدعوها صفة لرهبانية وجعل إما بمعنى خلق أو صير وذلك لأن الرأفة والرحمة أمر غريزى لا تكسب للانسان فيه بخلاف الرهبانية فانها من أفعال البدن وللانسان فيها تكسب ويصح أن تكون منصوبة بفعل مقدّر يفسّره الظاهر فهو من باب الاشتغال (قوله هى رفض النساء الخ) أى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس والتقشف فى الأكل والملبس والمشرب مع التقليل من ذلك ، روى عن ابن عباس قال : كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل ، وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرءون التوراة والانجيل و يدعونهم إلى دين الله ، فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل أو يتركون قراءة التوراة والانجيل إلا مابدلوا منها ، فقالوا ماتريدون منا إلا ذلك دعونا نحن نكفيكم أنفسنا ، فقالت طائفة منهم ابنوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا فيها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم، وطائفة قالت دعونا نسيح فى الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فإن قدرتم علينا فى أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال ففعلوا ذلك فمضى أولئك على منهاج عيسى . خلف

(١٦٨)

فَاسِقُونَ . ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً) هى رفض النساء واتخاذ الصوامع (ابْتَدَعُوهَا) من قبل أنفسهم (مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) ما أمرناهم بها (إِلَّا) لكن فعلوها (ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ) مرضاة (اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا) إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملكهم و بقى على دين عيسى كثير منهم فآمنوا بنبينا (فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) به (مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) بعيسى ،

قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان نتعبد فيه كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم فذلك قوله تعالى ـ ورهبانية ابتدعوها ـ أى ابتدعها الصالحون ـ فما رعوها حق رعايتها ـ يعنى الآخرين الذين جاءوا من بعدهم ـ فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ـ يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ـ وكثير منهم فاسقون ـ هم الذين جاءوا من بعدهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال تعالى فيهم ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ـ الخ انتهى ـ (قوله إلا لكن) أشار المفسر إلى أن الاستثناء منقطع و إلى هذا ذهب جماعة ، وقيل إن الاستثناء متصل من عموم الأحوال ، والمعنى ما كتبناها عليهم لشىء من الأشياء إلا لابتغاء مرضاة الله و يكون كتب بمعنى قضى (قوله فما رعوها حق رعايتها) أى ما قاموا بها حق القيام بل غلوا فى دينهم غير الحق وقالوا بالتثليث وكفروا بدين عيسى من قبل ظهور محمد (قوله فآتينا الذين آمنوا به) أى بنبينا وقوله وكثير منهم: أى من هؤلاء الذين ابتدعوها وضيعوها (قوله فاسقون) أى لم يؤمنوا بنبينا بل داموا على الكفر والقول بالتثليث واقتدى بهم أمة من بعد أمة إلى نزول عيسى عليه السلام فيمحوه وما مشى عليه المفسر خلاف ماتفيده رواية ابن عباس المتقدمة فان مقتضاها حمل قوله فآتينا الذين آمنوا على من آمن بعيسى وقوله وكثير منهم فاسقون على من غير و بدل قبل بعثة نبينا وهم الذين لم يرعوها حق رعايتها فتدبر (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) لما تقدم أن أمة عيسى بعد رفعه إلى السماء افترقوا فمنهم من تمسك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها إلى أن ظهر محمد صلى الله عليه وسلم ومنهم من غير و بدل شرع يبين المطلوب منهم بعد ظهوره صلى الله عليه وسلم (قوله آمنوا بعيسى) هذا أحد قولين للمفسر و يشهد له سياق الكلام والثانى أن الخطاب عام لكل من آمن بالرسل المتقدمين فيشمل المؤمنين بعيسى وبمن قبله من الرسل. إن قلت إن هذا ظاهر فيمن كانت ملتهم صحيحة فنسخت بملة محمد صلى الله عليه وسلم، وأما فيمن نسخت ملته بملة عيسى كاليهود فلا تظهر إثابتهم على التمسك بها. أجيب بأن إثابتهم على تلك الملة المنسوخة من خصائص دخولهم فى ملة الإسلام ولذا

كان الاسلام يصحح أنكحتهم الفاسدة (قوله اتقوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله يؤتكم) أى يثبكم على اتباعه (قوله كفلين) تثنية كفل وهو فى الأصل كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز يحفظ الراكب ويمنعه من السقوط، والمراد هنا نصيبان عظيمان من الرحمة يمنعان الشخص من العذاب كما يمنع الكفل الراكب من السقوط وهذان الكفلان لايختصان بمن ذكر بل ورد فى الحديث «ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك الذى أدى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران» (قوله لإيمانكم بالنبيين) أى فاستحقاقهم الكفلين ظاهر لأنهم آمنوا بعيسى واستمروا على دينه إلى أن بعث نبينا عليه الصلاة والسلام فآمنوا به فكفل لإيمانهم بعيسى وكفل لإيمانهم بنبينا (قوله ويجعل لكم نورا) قيل هو القرآن وقيل هو الهدى والسبيل الواضح فى الدين (قوله ويغفر لكم) أى ماسبق من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (قوله لئلا يعلم أهل الكتاب) سبب نزولها أنه لما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب هذه الآية وقوله تعالى: أولئك يؤتون أجرهم مرتين قالوا للمسلمين أما من آمن منا (١٦٩) بكتابكم فله أجره مرتين لإيمانه بكتابنا وكتابكم ومن لم يؤمن منا بكتابكم فله أجر كأجركم فبأى شىء فضلتم علينا فنزلت هذه الآية ردا عليهم (قوله أى أعلمكم بذلك الخ) أشار بذلك إلى أن لازائدة واللام متعلقة بمحذوف والمعنى إن تتقوا وتؤمنوا برسوله يؤتكم كفلين ليعلم أهل الكتاب عدم قدرتهم على شىء من من فضل الله وأن الفضل بيد الله (قوله والمعنى أنهم لايقدرون على شىء من فضل الله) أى لايملكونه

(اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ) محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعيسى (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ) نصيبين (مِنْ رَحْمَتِهِ) لإيمانكم بالنبيين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ) على الصراط (وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لِئَلَّا يَعْلَمَ) أى أعلمكم بذلك ليعلم (أَهْلُ الْكِتَابِ) التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والمعنى أنهم (لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) خلاف ما فى زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه (وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ) يعطيه (مَنْ يَشَاءُ) فآتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ).

(سورة المجادلة)

مدنية، ثنتان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ) تراجعك أيها النبى (فِي زَوْجِهَا) المظاهر منها،

ولايتصرفون فيه بحيث يجعلونه لأنفسهم ويمنعونه من غيرهم ومن جملة فضل الله الكفلان والمغفرة والنور (قوله خلاف) بالرفع خبر لمحذوف أى وعدم قدرتهم خلاف أى مخالف لما فى زعمهم (قوله وأن الفضل بيد الله) معطوف على قوله أن لايقدرون (قوله يؤتيه من يشاء) جملة مستأنفة أو خبر ثان لأن.

[سورة المجادلة] هى فى الأصل المحاورة فى الكلام والمبالغة فيه بحق أو باطل، والمراد هنا المحاورة فى الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله فان تلك المرأة أصابها من ألم الفراق ماحملها على إكثار الكلام مع رسول الله وترديد الكلام معه (قوله مدنية) أى كلها وهو قول الجمهور، وقيل مدنية إلا قوله تعالى: ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم نزلت بمكة، وقيل غير ذلك، وهذه السورة أول النصف الثانى من القرآن باعتبار عدد سوره وأول عشره الأخير باعتبار أجزائه وليس فيها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرة أو مرتين أو ثلاثا، وجملة مافيها من الجلالات خمس وثلاثون، ومن فوائدها أن تكتب حجابا للقرينة ويجعل مافيها من الجلالات سطرا وسطا كهيئة النقطة الحمراء التى تجعل وسط القصيد ويكون حملها قبل نفخ الروح فى الجنين وبعد الولادة تنقل إليه (قوله قد سمع الله الخ) قد للتحقيق والمراد بسماع قولها إجابة مطلوبها بأن أنزل حكم الظهار على ما يوافق مرادها (قوله فى زوجها) أى شأنه

(قوله وكان قال لها أنت عليّ كظهر أمي) شروع في سبب نزول هذه الآيات وأجمل المفسر في القصة. وحاصلها تفصيلا أنه روي أنها كانت حسنة الجسم فدخل عليها زوجها مرة فرآها ساجدة في الصلاة فنظر إلى عجيزتها فأعجبه أمرها ، فلما انصرفت من الصلاة طلب وقاعها فأبت فغضب عليها وكان به لمم فأصابه بعض لممه فقال لها أنت عليّ كظهر أمي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية فقال ما أظنك إلا قد حرمت عليّ فقالت والله ما ذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غنية ذات أهل ومال حتى إذا أكل مالي وأفنى شبابي وتفرق أهلي وكبر سني ظاهر مني وقد ندم فهل من شيء يجمعني وإياه تنعشني به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه، فقالت يارسول الله والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق ، وإنه أبو ولدي وأحب الناس إليّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، فقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي قد طالت له صحبتي ونفضت له بطني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراك إلا قد حرمت عليه ولم أومر في شأنك بشيء ، فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه ، هتفت وقالت أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وشدة حالي وإن لي صبية صغارا إن ضممتهم إليّ جاعوا ، وإن ضممتهم إليه ضاعوا ، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول اللهم أشكو إليك اللهم فأنزل على لسان نبيك فرجي فكان هذا أول ظهار في الإسلام ، فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في أمري جعلني الله فداك يارسول الله فقالت عائشة أقصري حديثك ومجادلتك أما رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات أي النوم فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فدعته فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك (١٧٠) في زوجها الآيات إلى قوله وللكافرين عذاب أليم» وروى الشيخان عن

وكان قال لها : أنت عليّ كظهر أمي ، وقد سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأجابها بأنها حرمت عليه على ما هو المعهود عندهم من أن الظهار موجبه فرقة مؤبدة ، وهي خولة بنت ثعلبة ، وهو أوس بن الصامت (وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ) وحدتها وفاقتها وصبية صغارا إن ضمتهم إليه ضاعوا ، أو إليها جاعوا (وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) تراجعكما (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) عالم (الَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ) أصله يتظهرون أدغمت التاء في الظاء ، وفي

عائشة قالت «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته وأنا في جانب البيت وما أسمع ما تقول فأنزل الله قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله الآيات فقال صلى الله عليه وسلم لزوجها هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله إني إن أخطأني الأكل في اليوم مرة أو مرتين كلّ بصري وظننت أني أموت قال فأطعم ستين مسكينا قال ما أجد إلا أن تعينني منك بمعونة وصلة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا فتصدق بها على ستين مسكينا» ، وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بها في زمن خلافته وهو على حمار والناس حوله فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت ياعمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك ياعمر ثم قيل لك يا أمير المؤمنين فاتق الله ياعمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر (قوله عن ذلك) أي حكمه هل هو فراق أولا (قوله فأجابها بأنها حرمت عليه) أي وجوابه بالتحريم دال على استمرار الحرمة التي كانت في الجاهلية لأنه لا ينطق عن الهوى (قوله وهي خولة بنت ثعلبة) أي ابن مالك الخزرجية (قوله وهو أوس بن الصامت) أي أخو عبادة بن الصامت (قوله وتشتكي إلى الله) أي تتضرع إلى الله (قوله وفاقتها) أي فقرها وقوله وصبية الجمع لما فوق الواحد لأنهما كانا ولدين (قوله ضاعوا) أي من عدم تعهد الخدمة وقوله جاعوا أي من عدم النفقة لفقرها ولعل نفقة الأولاد لم تكن إذ ذاك واجبة على أبيهم (قوله والله يسمع تحاوركما) استئناف جار مجرى التعليل لما قبله (قوله تراجعكما) أي فالمحاورة المراجعة في الكلام (قوله إن الله سميع بصير) تعليل لما قبله (قوله الذين يظهرون منكم) شروع في بيان حكم الظهار وهو الحرمة بالإجماع ومن استحله فقد كفر وحقيقة الظهار تشبيه ظهر حلال بظهر محرم فمن قال لزوجته أنت عليّ كظهر أمي فهو ظهار بإجماع الفقهاء وقاس مالك وأبو حنيفة غير الأم من ذوات المحارم عليها. واختلف القول عن الشافعي

فروى عنه مثل مالك ، وروى عنه أن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها (قوله وفي قراءة بألف الخ) في كلامه التنبيه على ثلاث قراآت سبعيات (قوله الخفيفة) نعت للهاء وأما الظاء فمشددة (قوله ماهن أمهاتهم) أي حقيقة (قوله و بلا ياء) فالقراآت سبعيات و بقي قراءتان سبعيتان أيضا وهما تسهيل الهمزة وقلبها ياء ساكنة (قوله منكرا) أي فظيعا من القول لا يعرف في الشرع (قوله بالكفارة) أي فالمغفرة سببها الكفارة وفيه إشارة إلى أن الحدود جوابر (قوله والذين يظهرون من نسائهم) تفصيل للحكم المترتب على الظهار إثر بيان التوبيخ عليه (قوله ثم يعودون لما قالوا) أي لقولهم فما مصدرية والعود عند مالك بالعزم على الوطء وعند الشافعي يحصل بامساكها زمنا يمكنه مفارقتها فيه وعند أبي حنيفة يحصل باستباحة استمتاعها (قوله مقصود الظهار) الكلام إما على حذف مضاف أي ذي الظهار أو المعنى المقصود بالظهار (قوله فتحرير رقبة) مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله عليه والجملة خبر المبتدإ الذي هو الموصول (قوله بالوطء) هذا قول الشافعي في القديم وفي الجديد أنه الاستمتاع بما بين السرة والركبة وعند مالك بالوطء ومقدماته (قوله ذلكم) إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره توعظون به أي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور (قوله فمن لم يجد) مبتدأ وقوله فصيام مبتدأ ثان خبره محذوف قدره

وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة ، وفي أخرى كيقاتلون . والموضع الثاني كذلك (مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي) بهمزة وياء و بلا ياء (وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ) بالظهار (لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا) كذبا (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ) للمظاهر بالكفارة (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا) أي فيه بأن يخالفوه بإمساك المظاهر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) أي إعتاقها عليه (مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا) بالوطء (ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَن لَّمْ يَجِدْ) رقبة (فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ) أي الصيام (فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا) عليه من قبل أن يتماسا حملا للمطلق على المقيد، لكل مسكين مد من غالب قوت البلد (ذَٰلِكَ) أي التخفيف في الكفارة (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ) أي الأحكام المذكورة (حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ) بها (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ) يخالفون (اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا) أذلوا (كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) ،

المفسر بقوله عليه والجملة خبر الأول (قوله فصيام شهرين متتابعين) أي فان أفطر فيهما ولو لعذر انقطع التتابع ووجب استئنافهما (قوله عليه) أي على من لم يستطع ومن لم يجد وهو خبر عن كل من قوله فصيام وقوله فاطعام (قوله حملا للمطلق) أي الذي هو وجوب الاطعام أطلق في الآية عن التقييد بكونه من قبل أن يتماسا على المقيد الذي هو وجوب الصيام ووجوب الرقبة قيد كلا بكونه من قبل أن يتماسا والحمل معناه تقييد المطلق بالقيد الذي هو في المقيد (قوله لكل مسكين مد) ظاهره أنه مد النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الشافعي وقال مالك إنه مد هشام بن عبد الملك وكان يزيد على مد النبي صلى الله عليه وسلم ثلثا تشديدا على المظاهر بخلاف باقي الكفارات فالمراد به مد النبي صلى الله عليه وسلم وقدر الجميع تقريبا عند الشافعي في زماننا ثلاثون قدحا بالمصري لكل مسكين نصف قدح وعند مالك أربعون قدحا لكل مسكين ثلثا قدح فتدبر (قوله ذلك) إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وقوله لتؤمنوا الخ : أي تستمروا على الايمان وتعملوا بشرائعه وترفضوا ما كان عليه الجاهلية (قوله وللكافرين) أي المنكرين لتلك الأحكام (قوله إن الذين يحادون الله ورسوله) هذه الآية نزلت في أهل مكة عام الأحزاب حين أرادوا التحزب على رسول الله وأصحابه وكان في السنة الرابعة وقيل في الخامسة ، والمقصود منها تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم و بشارته بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم يكبتون و يذلون و يفرق جمعهم فلا تخشوا بأسهم (قوله يخالفون الله) أي يعادونه ورسوله فسمي المحادة مخالفة لأن المحادة أن تكون في حد يخالف حد صاحبك وهو كناية عن المعاداة (قوله كبتوا) أي يكبتوا وعبر بالماضي لتحقق الوقوع لأن هذه الآية نزلت قبل قدومهم (قوله أذلوا) وقيل معناه أهلكوا وقيل أخذوا ، وقيل عذبوا ، وقيل لعنوا ، وقيل أغيظوا ، وكلها متقاربة في المعنى .

(قوله فى مخالفتهم) أى بسببها (قوله وقد أنزلنا) الخ الجملة حالية من الواو فى كبتوا (قوله يوم يبعثهم) ظرف لمهين أو لعذاب أو لمحذوف تقديره اذكر (قوله جميعا) أى بحيث لايبقى أحد غير مبعوث أوالمعنى مجتمعين فى حالة واحدة (قوله فينبئهم بما عملوا) أى من القبائح إما ببيان صدورها منهم أو بتصويرها بصورة قبيحة هائلة على رءوس الأشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا لحالهم (قوله أحصاه الله) أى لم يفته منه شىء بل أحاط بجميع ماصدر من خلقه (قوله ونسوه) حال من مفعول أحصى والمعنى ذهلوا عنه لكثرته أوتهاونهم به واعتقادهم أن لاحساب عليه (قوله مايكون من نجوى ثلاثة) استئناف مسوق لبيان أن علمه وسع كل شىء ويكون تامة ومن نجوى فاعلها بزيادة من ونجوى مصدر معناه التحدث سرا وإضافتها إلى ثلاثة من إضافة المصدر إلى فاعله (قوله إلا هو رابعهم) الاستثناء فى هذا ومابعده مفرغ واقع فى موضع نصب على الحال، والمعنى مايوجد شىء من هذه الأشياء إلا فى حال من هذه الأحوال وخص الثلاثة والخمسة بالذكر إما لأن الله وتر يحب الوتر فالعدد المفرد أشرف من الزوج أولأن قوما من المنافقين كانوا يتحلقون للتناجى وكانوا بهذا العدد زيادة فى الاختفاء فنزلت الآية بصفة حالهم (قوله بعلمه) أى وسمعه وبصره ومتعلق بهم قدرته وإرادته، ولأهل الله المقربين فى سر المعية مشاهدات وتجليات ومقامات يذوقها من شرب من مشاربهم (قوله ولا أدنى من ذلك) أى من العدد المذكور فالأدنى من الخمسة الأربعة والأدنى من الثلاثة الاثنان والواحد فى خاصة نفسه

فى مخالفتهم رسلهم (وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) دالة على صدق الرسول (وَلِلْكَافِرِينَ) بالآيات (عَذَابٌ مُهِينٌ) ذو إهانة (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ. أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ) بعلمه (وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ) هم اليهود نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون من تناجيهم أى تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين ليوقعوا فى قلوبهم الريبة (وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ) أيها النبى (بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ) وهو قولهم السام عليك أى الموت (وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا) هلا (يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ) من التحية وإنه ليس بنبى إن كان نبيا (حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ)،

(قوله ولا أكثر) بالجر فى قراءة العامة عطف على لفظ نجوى وقرئ شذوذا بالرفع معطوف على محل نجوى (قوله أينما كانوا) أى من الأماكن فان علمه تعالى بالأشياء لايتفاوت بقرب الأمكنة ولابعدها (قوله ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم (قوله ثم يعودون لما نهوا عنه) التعبير بالمضارع استحضارا للصورة العجيبة ويقال هى فى قوله ويتناجون مثله (قوله والعدوان) أى عداوة الرسول والمؤمنين (قوله ومعصيت الرسول) رسمت هنا وفيما يأتى بالتاء المجرورة وإذا وقف عليها فبعض القراء يقفون بالهاء وبعضهم بالتاء وأما فى الوصل فاتفقوا على التاء (قوله ليوقعوا فى قلوبهم الريبة) أى فيوهموهم أنهم قد بلغهم خبر إخوانهم الذين خرجوا فى السرايا وأنهم قتلوا أو ماتوا أو هزموا فيقع ذلك فى قلوبهم ويحزنهم (قوله حيوك) أى خاطبوك بشىء لم يحيك به الله أى لم يشرعه ولم يأذن فيه أن يقولوه لك (قوله وهو قولهم السام عليك) أى وكان يرد فيقول عليكم. فى البخارى «أن اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم، فقالوا السام عليك. قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام ولعنكم الله وغضب عليكم، فقال عليه الصلاة والسلام مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش قالت أولم تسمع ماقالوا؟ قال أو لم تسمعى ماقلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولايستجاب لهم فى» واختلف العلماء فى رد السلام على أهل الذمة فقال مالك إن تحقق نطقهم بالسلام وجب الرد عليهم وإلا فلا يجب وعند الشافعى يجب الرد بأن يقول وعليك (قوله ويقولون فى أنفسهم) أى فيما بينهم (قوله إن كان نبيا) مرتبط بقولهم لولا يعذبنا الله، والمعنى لوكان نبيا لعجل الله لنا العذاب بسبب قولنا (قوله حسبهم جهنم) أى كافيهم فى العذاب. وقوله يصلونها حال، وأما إمهالهم

فى الدنيا لمن كرامته على ربه لكونه بث رحمة (قوله هى) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالذم محذوف (قوله ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم) يحتمل أن يكون الخطاب للمؤمنين الصادقين قصد به الزجر والتنفير من فعل اليهود و يحتمل أن الخطاب للمؤمنين ظاهرا وهم المنافقون (قوله إنما النجوى بالإثم ونحوه) أى فالغيبة والتكلم فى أعراض المؤمنين سببها الشيطان ليدخل بها الحزن على المؤمن المتكلم فى عرضه وليس بضار له فى الواقع و إنما الوبال على المتناجين بذلك . قال العارفون : من أسباب سوء الخاتمة عند الموت الخوض فى أعراض المؤمنين وتشمل الآية بعمومها مالروى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كنتم ثلاثة فلايتناجى اثنان دون الثالث إلاباذنه فان ذلك يحزنه » وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان ثلاثة فلايتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه » فبين فى الحديث غاية النهى . قال العلماء : ولامفهوم لتناجى اثنين دون ثالث بل المدار على ترك واحد كان التناجى اثنين أوأكثر (قوله من الشيطان) نسبت إليه لكونه المزين لها والحامل عليها (قوله ليحزن الذين آمنوا) بضم الياء وكسر الزاى من أحزنه أو بفتح الياء وضم الزاى من حزن فهما قراءتان سبعيتان والموصول على الأولى مفعول وعلى الثانية فاعل (قوله وليس هو) أى الشيطان (قوله إلاباذن الله) أى فيحصل منه الضرر لارادة الله إياه ففى الحقيقة الخير وضده من الله ، وهذه الآية مخوفة لأهل الغيبة والنميمة من المؤمنين فى كل زمن (قوله ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا الخ) لما نهى الله تعالى المؤمنين عما يكون سببا للتباغض والتنافر وهو التناجى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول أمرهم الآن بما يكون (١٧٣) سببا لزيادة المحبة والمودة بقوله :

هى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا۟ إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ) بالإثم ونحوه (مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ) بغروره (لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا۟ وَلَيْسَ) هو (بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ) أى إرادته (وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ. يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟) توسعوا (فِى ٱلْمَجَٰلِسِ) مجلس النبى صلى الله عليه وسلم أو الذكر حتى يجلس من جاءكم ، وفى قراءة المجالس (فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ) فى الجنة (وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟) قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات (فَٱنشُزُوا۟) ،

ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم الخ ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا إلى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم السلام ثم سلموا على القوم فردوا عليهم السلام ثم سلموا على النبى صلى الله عليه وسلم فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر قم يافلان وأنت يافلان ، فأقام من المجلس بقدر أولئك النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم فأنزل الله هذه الآية » ، وقيل نزلت فى ثابت ابن قيس بن شماس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للصمم الذى كان فى أذنيه فوسعوا له حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه و بينهم كلام فنزلت ، وعلى كل حال فالعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فيتناول أى مجلس كان سواء كان مجلس علم أوذكر أوصلاة أوقتال أوغير ذلك لما ورد « لايقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا ولايقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » وقوله فى الحديث لايقيمن أحدكم الخ استفيد منه أن القادم لايقيم الجالس ، وأما قيام الجالس من نفسه له تواضعا وأدبا أوكبير المجلس يقيم أحدا من الجالسين لمصلحة فلابأس بذلك (قوله مجلس النبى) أى فانهم كانوا يتضامون فيه حرصا على القرب منه واستماع كلامه (قوله وفى قراءة المجالس) أى والجمع باعتبار أن لكل واحد مجلسا والقراءتان سبعيتان (قوله يفسح الله لكم) مجزوم فى جواب الأمر الواقع جوابا للشرط (قوله فى الجنة) أى والدنيا والقبر والقيامة (قوله وغيرها) أى كالجهاد وكل خير ، وقيل معنى انشزوا ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم ، وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة إذا نودى لها فنزلت هذه الآية والمقصود العموم فى كل مايطلب فيه النهوض والاسراع

ففيه حث على التشمير عن ساعد الجد والاجتهاد فى الطاعات وترك التكاسل (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وكلاهما لغتان فصيحتان من بابى ضرب ونصر (قوله فى ذلك) أى القيام إلى الصلاة ونحوها (قوله والذين أوتوا العلم) معطوف على الذين آمنوا عطف خاص على عام لأن الذين أوتوا العلم بعض المؤمنين لكن لما جمع العلماء بين العلم والعمل استحقوا رفع الدرجات والاقتداء بهم فى أقوالهم وأفعالهم (قوله يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا الخ) الحكمة فى هذا الأمر تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهى عن الإفراط فى السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الدنيا ومحب الآخرة. واختلف فى هذا الأمر فقيل للندب وقيل للوجوب. روى عن على كرم الله وجهه أنه قال: إن فى كتاب الله آية ماعمل بها أحد غيرى، كان لى دينار فصرفته بعشرة دراهم وناجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مرات أتصدق فى كل مرة بدرهم، وكان يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلى ولايعمل بها أحد بعدى وهى آية المناجاة. وروى عنه أيضا أنه قال: لما نزلت ـ يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ـ فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم مترى دينارا قلت لايطيقونه قال فنصف دينار قلت لايطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك لزهيد أى قليل المال، ففى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن أبى طالب وليس فيها ذم لغيره من الصحابة وذلك لأنه لم يتسع الوقت ليعملوا بهذه الآية ولواتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى القول باتساعه فلعل الأغنياء كانوا غائبين والفقراء لم يكن

وفى قراءة بضم الشين فيهما (يَرْفَعِ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ) بالطاعة فى ذلك (وَ) يرفع (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) فى الجنة (وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ) أردتم مناجاته (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ) قبلها (صَدَقَةً ذٰلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) لذنوبكم (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا) ما تتصدقون به (فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ) لمناجاتكم (رَحِيمٌ) بكم يعنى فلا عليكم فى المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله (ءَأَشْفَقْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه: أى أخفتم من (أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الفقر (فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا) الصدقة (وَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ) رجع بكم عنها (فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ) أى دوموا على ذلك (وَاللّٰهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ. أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا) هم المنافقون (قَوْمًا) هم اليهود (غَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ،

بأيديهم شىء (قوله أردتم مناجاته) أشار بذلك إلى أن الماضى ليس على حقيقته أخذا من قوله: فقدموا بين يدى نجواكم (قوله ذلك خير لكم) أى التقديم خير لما فيه من طاعة الله ورسوله (قوله يعنى فلا عليكم) أشار بذلك إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله: فان الله غفور رحيم تعليل للمحذوف ودليل عليه (قوله ثم نسخ ذلك) أى الأمر بتقديم الصدقة بعد ان استمر زمنا ما قيل هو ساعة، وقيل يوم، وقيل عشرة أيام. واختلفوا فى الناسخ للأمر فقيل هو الآية بعده وعليه المفسر تبعا للجمهور، وقيل هو آية الزكاة (قوله بقوله ءأشفقتم الخ) مراده الآية بتمامها (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أشار بذلك لأربع قراآت سبعيات وبقى قراءة خامسة سبعية وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف أو بدونه (قوله الفقر) أشار بذلك إلى أن مفعول ءأشفقتم محذوف، والمعنى أخفتم من تقديم الصدقة الاحتياج (قوله فاذ لم تفعلوا) يحتمل أن إذ باقية على بابها من المضى، والمعنى إذا تركتم ذلك فيما مضى فتداركوه باقامة الصلاة الخ ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية (قوله وتاب الله عليكم) الجملة حالية أومستأنفة معترضة بين الشرط وجوابه (قوله رجع بكم عنها) أى عن وجوبها فنسخها تخفيفا عليكم (قوله أى دوموا على ذلك) أى المذكورمن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله (قوله ألم تر إلى الذين تولوا قوما الخ) المقصود من هذه الآية التعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء و يناصحونهم و ينقلون إليهم أسرار المؤمنين. وسبب نزولها أن عبدالله بن نبتل المنافق كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم و يرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره إذ قال يدخل عليكم اليوم رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعينى شيطان فدخل عبدالله بن نبتل وكان أزرق العين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك؟ فحلف بالله مافعل وجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت

مَا هُمْ) أى المنافقون (مِنكُمْ) من المؤمنين (وَلَا مِنْهُمْ) من اليهود بل هم مذبذبون (وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ) أى قولهم إنهم مؤمنون (وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أنهم كاذبون فيه (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من المعاصى (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) سترا على أنفسهم وأموالهم (فَصَدُّوا) بها المؤمنين (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أى الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم (فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ذو إهانة (لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا) من الإغناء (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . اذكر (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ) إنهم مؤمنون (كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ) من نفع حلفهم فى الآخرة كالدنيا (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ . اسْتَحْوَذَ) استولى (عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) بطاعتهم له (فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ) أتباعه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ) يخالفون (اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) المغلوبين (كَتَبَ اللَّهُ) فى اللوح المحفوظ ، أو قضى (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) بالحجة أو السيف (إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ . لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ) يصادقون (مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا) أى المحادون (آبَاءَهُمْ) أى المؤمنين (أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) بل يقصدونهم بالسوء و يقاتلونهم على الإيمان ،

هذه الآية (قوله ماهم منكم ولا منهم) إخبار عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخلص ولا من الكافرين الخلص لا ينتسبون إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وهذه الجملة إما مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (قوله بل هم مذبذبون) أى مترددون بين الإيمان الخالص والكفر الخالص لأن فيهم طرفا من الإيمان بحسب ظاهرهم وطرفا من الكفر بحسب باطنهم (قوله وهم يعلمون) الجملة حالية من فاعل يحلفون ، والمعنى يحلفون كاذبين والحال أنهم يعلمون ذلك فيمينهم غموس لا عذر لهم فيها وهذه اليمين توجب لصاحبها الغمس فى النار إن كان مؤمنا خالصا فما بالك إن كان كافرا وفائدة الاخبار عنهم بذلك بيان ذمهم عليه (قوله أيمانهم جنة) مفعولان لاتخذوا ، والمعنى جعلوا أيمانهم الكاذبة وقاية لأنفسهم وأموالهم فلولا ذلك لقوتلوا وأخذ مالهم (قوله فلهم عذاب مهين) أى فى الآخرة والعذاب الأول فى الدنيا أو القبر (قوله من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله شيئا) مفعول مطلق كما أشار له بقوله من الاغناء (قوله كما يحلفون لكم) أى فى الدنيا (قوله و يحسبون) حال من فاعل يحلفون ، والمعنى يحلفون والحال أنهم يظنون أن حلفهم فى الآخرة ينفعهم و ينجيهم من عذابها كما نفعهم فى الدنيا بدفع القتال عنهم (قوله استحوذ) هذا الفعل مما جاء على الأصل وخولف فيه القياس إذ قياسه استحاذ بقلب الواو ألفا كاستعاذ واستقام (قوله فأنساهم ذكر الله) أى فلا يذكرونه بألسنتهم ولا بقلوبهم وما يقع منهم من صورة الذكر باللسان فهو كذب (قوله هم الخاسرون) أى لأنهم فوّتوا على أنفسهم النعيم الدائم وعرّضوها للعذاب المقيم (قوله أولئك فى الأذلين) أى مع الأذلين أو معدودون فى جملتهم (قوله المغلوبين) أى وهم الكفار والمنافقون (قوله كتب الله) ضمنه معنى أقسم ولذا يجاب بما أجيب به القسم وهو قوله لأغلبن و يصح أن يبقى على ظاهره أو بمعنى قضى وعليهما اقتصر المفسر و يكون قوله لأغلبن جوابا لقسم محذوف (قوله بالحجة أو السيف) أو مانعة خلو تجوز الجمع فالرسول يغلب تارة بالسيف وتارة بالبراهين والدلائل وتارة بهما معا (قوله يؤمنون بالله واليوم الآخر) أى إيمانا صحيحا فالمؤمن الموصوف بهذه الصفة لا يمكن أن يصادق الكفار و يحبهم بقلبه لأنه إن فعل ذلك لم يكن صادقا فى إيمانه بل يكون منافقا كما قال الشاعر :

إذا وافى صديقك من تعادى ... فقد عاداك وانفصل الكلام

وأما البشاشة فى وجوه الكفار ظاهرا لأجل الضرورات فلا بأس بها لما فى الحديث « إنا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم » (قوله يوادون) مفعول ثان لتجد إن كان بمعنى تعلم و إن كان بمعنى تلقى فالجملة حال من قوما أو صفة ثانية اه ، وقدم أولا الآباء لأنهم تجب طاعتهم ثم الأبناء لأنهم أعلق بالقلب ثم الإخوان لأنهم الناصرون للشخص بمنزلة العضد من الذراع ثم بالعشيرة لأن بها يستغاث وعليها يعتمد .

(قوله كما وقع لجماعة من الصحابة) روى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية قال : ولو كانوا آباءهم يعنى أباعبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح ، أوأبناءهم يعنى أبا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر للبراز ، وقال يارسول الله دعنى أكن فى الرعلة الأولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أو إخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد ، أو عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن أبى طالب وحمزة وأبو عبيدة قتلوا بنى عمهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر . وروى أيضا أن عبد الله بن عبد الله بن أبى هم بقتل أبيه ، فمنعه رسول الله ووقع لأبى بكر الصديق أنه صك أباه أبا قحافة حيث سمعه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله بروح بنور) وقيل الروح النصر ، وقيل القرآن والحجج ، وقيل هو جبريل عليه السلام يأتيهم عند الموت فيطرد الفتانات عنهم (قوله رضى الله عنهم) أى عاملهم معاملة الراضى بأن وفقهم للطاعات وقبلها منهم وأثابهم عليها (قوله الفائزون) أى بخيرى الدنيا والآخرة .

[سورة الحشر] وتسمى سورة النضير (قوله مدنية) أى فى قول الجميع ، روى ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ سورة الحشر لم يبق شىء من الجنة والنار والعرش والكرسى والسموات والأرض والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له فإن مات فى يومه أو ليلته مات شهيدا » وروى

الترمذى عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وإن مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسى فكذلك » (قوله سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الخ) قال المفسرون نزلت

كما وقع لجماعة من الصحابة رضى الله عنهم (أُولَٰئِكَ) الذين لايوادونهم (كَتَبَ) أثبت (فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ) بنور (مِنْهُ) تعالى (وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ) يتبعون أمره ويجتنبون نهيه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون .

(سورة الحشر)

مدنية ، أربع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى نزهه فاللام مزيدة ، وفى الإتيان بما تغليب للأكثر ،

فى بنى النضير وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة فى مبادى الهجرة صالحه بنو النضير على أن لايكونوا عليه ولا معه فلما غزا بدرا وظهر على المشركين قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لاترد له راية فلما غزا أحدا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد وركب كعب ابن الأشرف فى أربعين راكبا من اليهود ، فأتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على أن يكونوا معهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل أبو سفيان فى أربعين واجتمع مع كعب عند الكعبة وأخذ بعضهم على بعض الميثاق ، ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة ، فأخبر الله النبى بذلك وأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الأشرف ، فدخل عليه محمد بن مسلمة ومعه أربعة من الأوس فقتلوه فى حصنه غيلة ، فألقى الله الرعب فى قلوب بنى النضير وكان قتله فى ربيع الأول من السنة الثالثة ، وكانت غزوة بنى النضير فى ربيع الأول من السنة الرابعة ، وكانوا بقرية يقال لها زهرة على ميلين من المدينة ، فلما سار إليهم رسول الله وجدهم ينوحون على كعب بن الأشرف ؛ فقالوا له يامحمد ذرنا نبكى شجونا ثم ائتمر أمرك ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة ، فقالوا الموت أقرب إلينا من ذلك ، ثم تنادوا بالحرب ودس المنافقون عبد الله بن أبى وأصحابه إليهم أن لايخرجوا من الحصن ؛ فإن قاتلوكم فنحن معكم ولانخذلكم ولننصرنكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ثم إنهم أجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا إليه أن اخرج إلينا فى ثلاثين رجلا من أصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من أصحابه وخرج

ثلاثون حبرا حتى كانوا فى براز من الأرض . قال بعض اليهود لبعض : كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلا من أصحابه كل يحب الموت قبله ؟ ولكن أرسلوا إليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من أصحابك ، يخرج إليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الله بذلك فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين الذين عاهدوهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح ، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن كل أهل بيت يحمل على بعير ما شاءوا من متاعهم ماعدا السلاح ، ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحاء إلا أهل بيتين من آل الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان سفيان بن عمير وسعد بن وهب فأحرزا مالهما (قوله وهو العزيز الحكيم) الجملة حال من لفظ الجلالة (قوله هو الذى أخرج الذين كفروا) بيان لبعض آثار قدرته تعالى الباهرة وعزته الظاهرة (قوله من أهل الكتاب) حال من الذين كفروا (قوله هم بنو النضير من اليهود) أى وهم من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى إسرائيل ينتظرون بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلوا فى دينه (قوله بالمدينة) أى أرضها بالقرب منها وذلك لأنهم كانوا بقرية بينها وبين المدينة ميلان (قوله لأول الحشر) متعلق بأخرج و اضافة أول للحشر من إضافة الصفة للموصوف أى للحشر الأول . واعلم أن الحشر أربع فالأول إجلاء بنى النضير ثم بعده إجلاء أهل خيبر ثم فى آخر الزمان تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس ثم فى يوم القيامة حشر جميع الخلق (قوله إلى خيبر) صوابه من خيبر كما صرح به غيره وذلك أن عمر أجلى اليهود من خيبر

(وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فى ملكه وصنعه (هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) هم بنو النضير من اليهود (مِنْ دِيَارِهِمْ) مساكنهم بالمدينة (لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) هو حشرهم إلى الشام، وآخره أن أجلاهم عمر فى خلافته إلى خيبر (مَا ظَنَنْتُمْ) أيها المؤمنون (أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ) خبر أن (حُصُونُهُمْ) فاعله به تم الخبر (مِنَ اللَّهِ) من عذابه (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ) أمره وعذابه (مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا) لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين (وَقَذَفَ) ألقى (فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ) بسكون العين وضمها : الخوف بقتل سيدهم كعب بن الأشرف (يُخْرِبُونَ) بالتشديد والتخفيف من أخرب (بُيُوتَهُمْ) لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره (بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ،

وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحاء من الشام (قوله ما ظننتم أن يخرجوا) أى لما كان بهم من القوة وشدة البأس وكثرة أعوانهم من قريظة وقريش، وبكم من الضعف وقلة العدد (قوله به تم الخبر) أى بالفاعل ثم خبر أن وحصله أن الضمير اسم أن ومانعتهم خبرها وحصونهم فاعله ويصح أن مانعتهم خبر مقدم وحصونهم مبتدأ مؤخر والجملة خبر أن (قوله أمره وعذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف وبه اندفع ما أوهمه ظاهر الآية من أن الله تعالى يوصف بالاتيان فأفاد بأن الآية من قبيل المتشابه وأوله بتقدير مضاف نظير وجاء ربك (قوله لم يخطر ببالهم) تفسير لقوله لم يحتسبوا (قوله من جهة المؤمنين) إضافة جهة لما بعده بيانية ، والمعنى جاءهم عذاب الله من جهة لا تخطر ببالهم وهم المؤمنون لأنهم مستضعفون بالنسبة لهم فلا يخطر ببالهم أنهم يقدرون عليهم (قوله وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أنزله فيها بشدة (قوله بسكون العين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بقتل سيدهم) أى وكان قتله فى ربيع الأول من السنة الثالثة كما تقدم (قوله يخربون بيوتهم) مستأنف أتى به للاخبار عنهم بذلك (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما سبعيتان (قوله من أخرب) راجع للتخفيف وأما التشديد فهو من خرّب (قوله من خشب) بفتحتين وضمتين وضم وسكون جمع خشبة (قوله بأيديهم) أى من داخل الحصون وقوله وأيدى المؤمنين : أى من خارجها ليدخلوها وعطفها على أيديهم من حيث إنهم سبب فى ذلك لأن بنى النضير لما نقضوا العهد كأنهم سلطوا المؤمنين على تخريب دورهم (قوله فاعتبروا يا أولى الأبصار) أى اتعظوا بحالهم ولا تغتروا ولا تعتمدوا على غير الله فالاعتبار النظر فى حقائق الأشياء ليستدل بها على شيء آخر

(قوله ولولا أن كتب الله الخ) أن مصدرية وهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا والتقدير لولا الكتب موجود (قوله الجلاء) بالفتح والمد يطلق على الخروج من الوطن والاخراج منه وهو المراد هنا ويطلق على الأمر الجلى الواضح (قوله ولهم فى الآخرة عذاب النار) كلام مستأنف مبين لعاقبتهم كأنه قال إن نجوا فى الدنيا من القتل لم ينجوا فى الآخرة من العذاب الدائم فهو ثابت لهم على كل حال (قوله ذلك) أى المذكور من العذابين بسبب أنهم الخ (قوله ومن يشاق الله) من شرطية وقوله فان الله الخ إما نفس الجزاء وحذف منه العائد وقدقدره المفسر بقوله له أو تعليل الجزاء المحذوف أى يعاقبه وعلى كل فالشرط وجوابه تميم لماقبله وتقرير لمضمونه وتحقيق لسببه (قوله ماقطعتم من لينة الخ) ماشرطية ومن لينة بيان لما و باذن الله خبر لمبتدإ محذوف: أى فقطعها والجملة جواب الشرط، واللينة قيل هى النخلة مطلقا وقيل هى النخلة الكريمة، وقيل غير ذلك. روى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بنى النضير وتحصنوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها، فخرج أعداء الله عند ذلك فقالوا يامحمد زعمت أنك تريد الصلاح أمن الصلاح قطع الشجر وقطع النخل فهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد فى الأرض، فوجد المسلمون فى أنفسهم شيئا مما قالوا وخشوا أن يكون ذلك فسادا، واختلفوا فى القطع وتركه، فقال بعضهم لاتقطعوا فانه مما أفاء الله علينا، وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه، فأنزل الله هذه الآية» (قوله فبإذن الله) أى رضاه (قوله أى خيركم فى ذلك) أى القطع والترك (قوله وما أفاء الله على رسوله الخ) لما بين حال بنى النضير وما وقع لذواتهم أخذ يبين ما وقع فى أموالهم (قوله رد الله على رسوله) أشار بذلك إلى أن الأموال التى كانت بأيدى بنى النضير ليست لهم بالأصالة بل هى لمن أطاع الله تعالى وتقذهم بها إنما هو صورة تعدت منهم وذلك لأن الله تعالى خلق الناس لعبادته وخلق لهم ما فى الأرض جميعا ليستعينوا بها على طاعته فالكفار حيث عصوا ربهم فليس لهم استحقاق فى تلك النعم (قوله فما أوجفتم الخ) خبر ما الموصولة وأفاء صلته (قوله أسرعتم الخ) أى فالايجاف إسراع الشىء (قوله يامسلمين) هكذا بالياء هنا وفيما تقدم وهو سبق قلم وصوابه بالواو لأن المنادى يبنى على مايرفع به ولاشك أن جمع المذكر السالم يرفع بالواو فيبنى المنادى عليها (قوله من زائدة) أى فى المفعول (قوله ولاركاب) هى مايركب من الابل غلب ذلك عليها من بين المركوبات فالعرب يطلقون لفظ الراكب على راكب البعير والفارس على راكب الفرس (قوله أى لم تقاسوا فيه مشقة) أى لم تقطعوا إليها مسافة ولم يحصل منكم حرب وذلك لكون قريتهم قريبة لم يركبوا إليها خيلا ولا إبلا إلا النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان راكبا جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا فكان الأمر فى تلك الأموال مفوضا له صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (قوله ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) أى فعادته تعالى جارية بأن الرسل ليسوا كآحاد الأمة بل يسلطهم الله على من يشاء من غير أن يقتحموا المشقات ويقاسوا الشدائد فتحصل أن مال الكفار إذا حصل من غير قتال فهو فى موضع تحت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما سيأتى بيانه، ومثله المال الذى جهلت أربابه ومال من مات ولا وارث له والجزية وأعشار أهل الذمة وخراج الأرض على ماهو مبين فى الفروع ويقوم مقام رسول الله بعده الخليفة (قوله فأعطى منه المهاجرين) أى لاعلى أنه غنيمة بل بوصف الفقر ليرفع بذلك مؤنتهم عن الأنصار لأنهم كانوا قد قاسموهم فى الأموال والديار.

وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ) قضى (عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ) الخروج من الوطن (لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا) بالقتل والسبى كما فعل بقريظة من اليهود (وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ . ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا) خالفوا (اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) له (مَاقَطَعْتُمْ) يامسلمين (مِنْ لِينَةٍ) نخلة (أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ) أى خيركم فى ذلك (وَلِيُخْزِيَ) بالإذن فى القطع (الْفَاسِقِينَ) اليهود فى اعتراضهم بأن قطع الشجر المثمر فساد (وَمَا أَفَاءَ) رد (اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ) أسرعتم يامسلمين (عَلَيْهِ مِنْ) زائدة (خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) إبل: أى لم تقاسوا فيه مشقة (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فلاحق لكم فيه ويختص به النبى صلى الله عليه وسلم ومن ذكر معه فى الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل منهم خمس الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقى يفعل فيه مايشاء فأعطى منه المهاجرين وثلاثة

(قوله وثلاثة من الأنصار) أى وهم أبو دجانة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبى الحقيق وكان لهذا السيف ذكر وشأن عندهم (قوله ما أفاء الله على رسوله) بيان لمصرف الفئ إثر بيان رده على رسول الله وعدف لواو من هذه الجملة لأنها بيان للأولى فهى غير أجنبية منها (قوله كالصفراء الخ) أى وأرض قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهى على ثلاثة أميال من المدينة وقرى عرينة وينبع (قوله فلله وللرسول) اختلف فى قسم الفئ فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس للخمسة المذكورين وذكر الله للتعظيم. وفى القرطبى وقال قوم منهم الشافعى إن معنى الآيتين أى ماهنا والأنفال واحد أى ماحصل من أموال الكفار بغير قتال قسم على خمسة أسهم أربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لأنهم منعوا الصدقة فجعل لهم حق فى الفئ وسهم اليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وأما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالذى كان من الفئ لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف عند الشافعى فى قول إلى المجاهدين الرصدين للقتال فى الثغور لأنهم قائمون مقام الرسول عليه الصلاة والسلام وفى قول آخر له يصرف إلى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الأنهار وبناء القناطر يقدم الأهم فالأهم ، وهذا فى أربعة أخماس الفئ فأما السهم الذى كان من خمس الفئ والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال عليه الصلاة والسلام «ليس لى من غنائمكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم» اه . وقالت المالكية لاخلاف فى أن الغنيمة تخمس وأما ما انجلى عنه أهله دون قتال فلا يخمس ويصرف فى مصالح المسلمين باجتهاد الامام ومثله جميع ما كان محله بيت المال وليس معنى الآيتين واحدا بل آية الأنفال فيما أوجف عليه وماهنا فيما لم يوجف عليه وقوله فلله وللرسول الخ ليس المقصود منه التخميس وإنما المقصود التعميم باجتهاد الامام فتدبر (قوله من بنى هاشم وبنى المطلب) هذا مذهب الشافعى وعند مالك الآل بنو هاشم فقط (قوله والمساكين) المراد بهم مايشمل الفقراء (قوله المنقطع فى سفره) أى والمحتاج ولو غنيا ببلده (قوله أى يستحقه النبى الخ) إنما لم يقل الله والنبى إشارة إلى أن ذكر اسم الله للتعظيم والتبرك على التحقيق وظاهر الآية أن الفئ يخمس خمسة أخماس وأن للنبى خمسه وليس مرادا بل التخميس إنما هو للخمس لا للمال من أصله فالاشتراك المذكور إنما هو فى الخمس وتقدم أن ذلك مذهب الشافعى وأما عند مالك فلا تخميس وإنما النظر فيه للامام (قوله كى لا يكون الخ) كى ترسم هنا مفصولة من لا (قوله بمعنى اللام) أى لام التعليل والمعلل مايستفاد مما سبق أى جعل الله الفئ لمن ذكر لأجل أن لا يكون لو ترك على عادة الجاهلية دولة أى يتداوله الأغنياء كل من غلب منهم أخذه واستأثر به وذلك أن الجاهلية كانوا إذا غنموا غنيمة أخذ الرئيس ربعها لنفسه ثم يصطفى بعد أخذ الربع منها ماشاء فنسخ هذا الأمر وجعله الله يصرف فى مصالح المسلمين على الوجه المتقدم (قوله وأن مقدرة بعدها) أى فالنصب بأن لا بها (قوله يكون) أى الفئ فيكون ناقصة اسمها ضمير يعود على الفئ ودولة خبرها وعلى هذه القراءة يكون بالتحتية لاغير وقرئ أيضا برفع دولة على أن كان تامة مع التحتية والفوقية من يكون فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله دولة) التداول حصول الشئ فى يد هذا تارة وهذا أخرى والاسم الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول كقصعة وقصع وجمع المضموم دول مثل غرفة وغرف ومعناهما واحد ، وقيل الدولة بالضم فى المال وبالفتح فى الحرب (قوله وما آتاكم الرسول فخذوه الخ) أى ما أعطاكم من مال الغنيمة وما نهاكم عنه من الأخذ والقول فانتهوا ، وقيل فى تفسيرها

وثلاثة من الأنصار لفقرهم (مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى) كالصفراء ووادى القرى وينبع (فَلِلَّهِ) يأمر فيه بما يشاء (وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى) صاحب (الْقُرْبَى) قرابة النبى من بنى هاشم وبنى المطلب (وَالْيَتَامَى) أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء (وَالْمَسَاكِينِ) ذوى الحاجة من المسلمين (وَابْنِ السَّبِيلِ) المنقطع فى سفره من المسلمين: أى يستحقه النبى صلى الله عليه وسلم والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس وله الباقى (كَيْ لَا) كى بمعنى اللام وأن مقدرة بعدها (يَكُونَ) الفئ علة لقسمه كذلك (دُولَةً) متداولا (بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ) أعطاكم (الرَّسُولُ) من الفئ وغيره (فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. لِلْفُقَرَاءِ) ،

ما آتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه فالآية محمولة على العموم فى جميع أوامره ونواهيه لأنه لايأمر إلا باصلاح ولاينهى إلا عن إفساد فنتج من هذه الآية أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله وأن كل مانهى عنه النبي نهى من الله فقد جمعت أمور الدين كما هو معلوم (قوله متعلق بمحذوف الخ) أى القصد منه التعجب والمدح للمهاجرين الذين اتصفوا بتلك الصفات (قوله أى اعجبوا) أى تعجبوا من حال المهاجرين حيث تنزهوا عن الديار والأموال وتركوا ذلك ابتغاء وجه الله تعالى (قوله الذين أخرجوا من ديارهم) أى أخرجهم كفار مكة (قوله وأموالهم) عطف على ديارهم وعبر فيه بالخروج لأن المال لما كان يستر صاحبه كان كأنه ظرف له (قوله يبتغون فضلا الخ) الجملة حالية والمعنى طالبين الرزق من الله لاعراضهم عن أملاكهم الدنيوية ومرضاة الله تعالى فى الآخرة (قوله وينصرون الله ورسوله) عطف على قوله يبتغون فهو حال أيضا لكنها مقدرة أى ناوين النصرة إذ وقت خروجهم لم تكن نصرة بالفعل (قوله أولئك هم الصادقون) أى الخالصون فى إيمانهم حيث اختاروا الاسلام وخرجوا عن الديار والأموال والعشائر حتى روى أن الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها ، وفى الحديث «أن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفا» (قوله والذين تبوءوا الدار الخ) شروع فى الثناء على الأنصار إثر بيان الثناء على المهاجرين والموصول إما معطوف على الفقراء فيكون من عطف المفردات ، وقوله يحبون الخ حال أو مبتدأ وجملة يحبون خبره (قوله أى المدينة) أى اتخذوها منزلا باسلامهم من قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فعمروها وحفظوها بالاسلام فكأنهم استحدثوا بناءها (قوله أى ألفوه) أشار بذلك إلى أن قوله والايمان معمول لمحذوف ويكون من عطف الجمل إذ لامعنى لتبوؤ الايمان وهذا أحد الوجوه الجارية فى قوله :

علفتها تبنا وماء باردا

أو ضمن تبوءوا معنى لزموا . والمعنى لزموا الدار والايمان أو شبه تمكنهم فى الايمان باتخاذه منزلا ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز (قوله ولا يجدون فى صدورهم) أى نفوسهم (قوله حسدا) أى ولاغيظا ولاحزازة فالمراد بالحاجة هذه المعانى . روى «أن المهاجرين كانوا فى دور الأنصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم منازلهم وإشراكهم إياهم فى الأموال ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنى النضير بينكم وبينهم ، وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا الثلاثة المتقدم ذكرهم (قوله أى آتى النبي) بيان للفاعل المحذوف وقوله المهاجرين بيان للمفعول القائم مقام الفاعل وقوله من أموال بنى النضير بيان لما (قوله ويؤثرون على أنفسهم) أى فى كل شىء من أسباب المعاش حتى إن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحدا من المهاجرين والايثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فى الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وغاية المحبة والصبر على المشقة (قوله ولو كان بهم خصاصة) أى يقدمون غيرهم فى الأموال مع احتياجهم إليها وهذا الوصف لايخص الأنصار فقد روى عن ابن عمر أنه قال «أهدى لرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال إن أخى فلانا وعياله أحوج إلى هذا منا فبعثه إليهم فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها سبعة أبيات ثم عادت إلى الأول فنزلت هذه الآية» . وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها فى صرة ثم قال للغلام اذهب بها إلى أبى عبيدة بن الجراح ثم امكث عنده فى البيت حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك فقال وصله الله

(١٨٠)

متعلق بمحذوف : أى اعجبوا (الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) فى إيمانهم (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ) أى المدينة (وَالْإِيمَانَ) أى ألفوه ، وهم الأنصار (مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً) حسدا (مِمَّا أُوتُوا) أى آتى النبي صلى الله عليه وسلم المهاجرين من أموال بنى النضير المختصة به (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) حاجة إلى ما يؤثرون به ،

ورحمه، ثم قال تعالى ياجارية اذهبى بهذه السبعة إلى فلان و بهذه الخمسة إلى فلان حتى فقدها فرجع الغلام إلى عمر فأخبره ووجده قد ربط مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها إليه وامكث فى البيت ساعة حتى تنظر مايصنع فذهب بها إليه وقال له يقول لك أمير المؤمنين اجعل هذه فى بعض حاجاتك ، فقال رحمه الله ووصله وقال ياجارية اذهبى إلى بيت فلان بكذا و إلى بيت فلان بكذا فجاءت امرأة معاذ وقالت نحن والله مساكين فأعطنا ولم يبق فى الخرقة إلا ديناران فرمى بهما إليها،فرجع الغلام إلى عمر فأخبره فسر بذلك وقال إنهم إخوة بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة وغيرها (قوله ومن يوق شح نفسه) من شرطية و يوق فعل الشرط وقوله فأولئك الخ جزؤه وهو كلام عام قصد به التنبيه على ذم الشح وفى قوله يوق إشارة إلى أن الشح أمر غريزى فى الانسان لا ينجو منه الشخص إلا بمعونة الله تعالى مع مجاهدة النفس ومكابدتها (قوله حرصها على المال) فيه إشارة إلى الفرق بين البخل والشح ، فالبخل منع الأموال ، والشح صفة راسخة يصعب معها على الرجل تأتى المعروف وتعاطى مكارم الأخلاق . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايجتمع الشح والايمان فى قلب عبد أبدا » وقال ابن عمر: ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له . وقال بعضهم: من لم يأخذ شيئا نهاه الله عن أخذه ولم يمنع شيئا أمر الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (قوله والذين جاءوا) إما معطوف على الفقراء وقوله يقولون حال أو مبتدأ وجملة يقولون خبره (قوله من بعد المهاجرين والأنصار) أى من بعد هجرة المهاجرين

(وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ) حرصها على المال (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ) من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة (يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا) حقدا (لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) وهم بنو النضير وإخوانهم فى الكفر (لَئِنْ) لام قسم فى الأربعة مواضع (أُخْرِجْتُمْ) من المدينة (لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ) فى خذلانكم (أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ) حذفت منه اللام الموطئة (لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ) أى جاءوا لنصرهم (لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ) ،

وإيمان الأنصار (قوله إلى يوم القيامة) أى فالبعدية تشمل التابعين وأتباعهم إلى آخر الزمان (قوله الذين سبقونا بالايمان) أى بالموت عليه فينبغى لكل واحد من القائلين لهذا القول أن يقصد بمن سبقه من انتقل قبله من زمنه إلى عصر النبى صلى الله عليه وسلم فيدخل جميع من تقدمه من المسلمين لاخصوص المهاجرين والأنصار (قوله حقدا) هو الانطواء على العداوة والبغضاء (قوله رءوف) بقصر الهمزة ومدها بحيث يتولد منها واو قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر إلى الذين نافقوا الخ) لما ذكر الثناء على المهاجرين والأنصار وأتباعهم أتبعه بذكر أحوال المنافقين الذين نافقوا مع بنى النضير وهم عبد الله بن أبى وأصحابه والخطاب إما لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الخطاب (قوله لاخوانهم) اللام للتبليغ والمعنى مبلغين إخوانهم (قوله لام قسم) أى موطئة لقسم محذوف أى والله (قوله فى الأربعة مواضع) أى لئن أخرجتم لئن أخرجوا ولئن قوتلوا ولئن نصروهم بل فى الخمسة هذه الأربعة وقوله و إن قوتلتم لأن اللام مقدرة معه (قوله أخرجتم من المدينة) أى أخرجكم النبى وأصحابه (قوله ولا نطيع فيكم) عطف على قوله لئن أخرجتم وكذا قوله و إن قوتلتم فقولهم ثلاث جمل والقسم الواقع منهم اثنان ثم كذبهم الله إجمالا وتفصيلا بعد (قوله فى خذلانكم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أحدا) أى من النبى والمؤمنين وقوله أبدا ظرف للنفى (قوله حذفت منه اللام) أى وحذفها قليل فى لسان العرب والكثير إثباتها (قوله لكاذبون) أى فيما قالوه (قوله لئن أخرجوا) تفصيل لكذبهم وهو تكذيب لقولهم لئن أخرجتم وقوله ولئن قوتلوا الخ تكذيب لقولهم و إن قوتلتم الخ وقوله ولئن نصروهم من تمام تكذيبهم فى المقالة الثالثة (قوله جاءوا لنصرهم) جواب عما يقال إن قوله ولئن نصروهم مناف لقوله لاينصرونهم فأجاب بأن المعنى خرجوا لقصد نصرهم وحينئذ فلا يلزم منه نصرهم بالفعل . وأجيب أيضا بأن قوله ولئن نصروهم أى على سبيل الفرض والتقدير

(قوله واستغنى بجواب القسم الخ) أى للقاعدة المعروفة فى قول ابن مالك :

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخــرت فهو ملتزم

(قوله أى اليهود) هذا أحد أقوال فى مرجع الضمير ، وقيل عائد على المنافقين، وقيل عائد على مجموع اليهود والمنافقين وهو الأقرب (قوله لأنتم أشد رهبة الخ) أى خوفهم منكم فى السر أشد من خوفهم من الله الذى يظهرونه لكم وهذه الجملة كالتعليل لقوله ليولن الأدبار كأنه قال إنهم لايقدرون على مقابلتكم لأنكم أشد رهبة (قوله ذلك) أى ماذكر من كون خوفهم من المخلوق أشد من خوفهم من الخالق (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن جميعا حال (قوله وفى قراءة جدر) أى وهى سبعية أيضا غير أن من قرأ جدار بالألف يلتزم إما الامالة فى جدار وإما الصلة فى بينهم بحيث يتولد منها واو فمن قرأ جدار بدون أحد هذين الوجهين فقد قرأ بقراءة لم يقرأ بها أحد (قوله بأسهم بينهم شديد) راجع لقوله ـ لا يقاتلونكم جميعا ـ الخ أى فعجزهم عن قتالكم ليس لضعف فيهم بل هم فى غاية القوة من العدد والعدة ، وإنما يضعفون فى حربكم للرعب الذى فى قلوبهم منكم (قوله متفرقة) أى لعظم الخوف فقلوبهم لاتوافق الأجسام بل فيها حيرة ودهشة (قوله خلاف الحسبان) حال : أى خلاف ظنكم فيهم بمقتضى جمعية الصور (قوله ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) إنما خص الأول بلايفقهون والثانى بلا يعقلون لأن الأول متصل بقوله لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله وهو دليل على جهلهم بالله فناسبه عدم الفقه والثانى متصل بقوله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى وهو دليل على عدم عقلهم إذ لو عقلوا لما تشتت قلوبهم وتحيرت وامتلأت رعبا (قوله كمثل الذين من قبلهم) خبر مبتدإ محذوف قدره بقوله مثلهم : أى صفة بنى النضير العجيبة التى تقع لهم من الاجلاء والذل كصفة أهل مكة فيما وقع لهم يوم بدر من الهزيمة والأسر والقتل أى فكل حصل له خزى الدنيا وعذاب الآخرة (قوله بزمن قريب) أى بين وقعة بدر ووقعة بنى النضير وهو سنة ونصف لما تقدم أن غزوة بنى النضير كانت فى ربيع الأول من السنة الرابعة وغزوة بدر كانت فى رمضان من الثانية (قوله مثلهم أيضا) أى صفة بنى النضير وقوله فى سماعهم بيان للمثل وقوله وتخلفهم: أى تخلف المنافقين عنهم وقوله كمثل الشيطان المراد به حقيقته لاشيطان الانس وقوله إذ قال للانسان اكفر بيان لمثل الشيطان ، وبالجملة فقد ضرب الله لهم مثلين الأول بكفار مكة الذين اغتروا بعددهم وعددهم وحضروا بدرا فكانت الدائرة عليهم ، والثانى من حيث اغترارهم بكلام المنافقين لهم ومخالفتهم لهم باغراء الشيطان لانسان معين على الكفر حتى أوقعه فيه ومات عليه ثم تبرأ منه (قوله إذ قال للانسان) المراد به برصيصا العابد لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الانسان الذى قال له الشيطان راهب نزلت عنده امرأة أصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا من أن يفتضح فدل الشيطان قومها على موضعها فجاءوا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده إن سجد له أن ينجيه منه فسجد له فتبرأ منه» ، وقصته مبسوطة فى الشبرخيتى على الأربعين فى شرح الحديث الرابع فانظرها إن شئت (قوله كذبا منه ورياء) أى قوله هذا كذب منه ورياء لأنه لايخاف الله أبدا .

واستغنى بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط فى المواضع الخمسة (ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) أى اليهود (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً) خوفا (فِي صُدُورِهِمْ) أى المنافقين (مِنَ اللَّهِ) لتأخير عذابه (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ. لَا يُقَاتِلُونَكُمْ) أى اليهود (جَمِيعًا) مجتمعين (إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جِدَارٍ) سور، وفى قراءة جدر (بَأْسُهُمْ) حربهم (بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا) مجتمعين (وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ) متفرقة خلاف الحسبان (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ) مثلهم فى ترك الإيمان (كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا) بزمن قريب ، وهم أهل بدر من المشركين (ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) عقوبته فى الدنيا من القتل وغيره (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الآخرة ، مثلهم أيضا فى سماعهم من المنافقين وتخلفهم عنهم (كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) كذبا منه ورياء (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا) ،

(قوله أى الغاوى) اسم فاعل من غوى يغوى كرمى يرمى ، والمراد به الإنسان الذى غرّه الشيطان وقوله والمغوى اسم فاعل أيضا من أغواه يغويه وهوالشيطان (قوله وقرىء بالرفع) أى شاذا (قوله ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ) لما ذكر صفات كل من المنافقين واليهود وما آل إليه أمرهم وعظ المؤمنين بموعظة حسنة تحذيرا من أن يكونوا مثل من تقدم ذكرهم وذلك أوقع فى النفس (قوله ولتنظر نفس) اللام لام الأمر ، والحكمة فى التنكير الاشارة إلى أن الأنفس الناظرة لمعادها المعتبرة بغيرها قليلة جدا عديمة المثيل (قوله ماقدّمت لغد) ماسم موصول وقدمت صلته ، والمعنى ولتبحث وتحصل نفس العمل الذى قدّمته لغد وذلك لأن جميع ماتعمله فى الدنيا ترى جزاءه فى القيامة فليختر العاقل أىّ الجزاءين لما ورد فى الحديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » (قوله ليوم القيامة) سمى غدا لقرب مجيئه ، قال تعالى : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ، فكأنه لقربه شبيه بما ليس بينه و بينه إلاليلة واحدة والتنكير فى غد للتعظيم والإبهام كأنه قيل لغد لاتعرف النفس كنه عظمته وهوله (قوله واتقوا الله) كرره للتأكيد أوالأوّل إشارة للأمر بأصل التقوى والثانى للأمر بالدوام عليها (قوله إنّ الله خبير بما تعملون) الخبير المطلع على خفيات الأشياء القادر على الاخبار بما عجزت عنه المخلوقات وقوله : بما تعملون أى من خير وشرّ (قوله تركوا طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك وليس المراد به عدم الحفظ والذكر (قوله أن يقدموا لها خيرا) أشار بذلك

(١٨٣)

أى الغاوى والمغوى ، وقرىء بالرفع اسم كان (أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ) الكافرين (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ) ليوم القيامة (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ) تركوا طاعته (فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) أن يقدّموا لها خيرا (أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ . لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ) وجعل فيه تمييز كالإنسان (لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا) متشققا (مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ) المذكورة (نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فيؤمنون (هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والعلانية (هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ) الطاهر عما لا يليق به (السَّلَامُ) ذو السلامة من النقائص (الْمُؤْمِنُ) ،

إلى أن الكلام على حذف مضاف والتقدير فأنساهم تقديم خير لأنفسهم فثمرة نسيانهم الله نسيان أنفسهم أى بترك حقوق الله خسرانهم وهو نظير قوله تعالى : وإن أسأتم فلها، ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ، ومن كفر فعليه كفره لأنه المستغنى عن كل ماسواه (قوله لايستوى أصحاب النار) أى الذين نسوا الله فاستحقوا الخلود فى النار (قوله وأصحاب الجنة) أى الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة (قوله أصحاب الجنة هم الفائزون) هذا كالتذييل لقوله : ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله الخ وذلك لأن الله تعالى لما أمر المؤمنين بالتقوى والنظر فى العواقب والعمل النافع ، ونهاهم عن الغفلة والتشبه بمن نسى طاعة الله ذيله بمايرغبهم فى طاعة الله ويقربهم إليه زلفى (قوله وجعل فيه تمييز كالانسان) المقصود من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب الكفار وغلظ طباعهم وفيه رمز لمن قلّ خشوعه عند تلاوة القرآن وأعرض عن تدبيره ولم يأتمر بأوامره ولم ينته بنواهيه فالواجب التدبر فى القرآن والخشوع عند قراءته فانه لاعذر فى ترك ذلك إذ لوخوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرأيتها خاشعة مشفقة من خشية الله (قوله المذكورة) أى فى هذه السورة أوفى سائر القرآن (قوله هو الله الذى الخ) لما وصف الله تعالى كلامه بالعظم ومن المعلوم أن عظم الصفة تابع لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمه تعالى فقال هو أى الذات المتصفة بالكمالات أزلا وأبدا الواجبة الوجود وقوله الله خبر عن هو وقوله بعد ذلك : الذى لاإله إلاهو إما خبرثان أوصفة للفظ الجلالة وذكر لفظ الجلالة بعد الهوية لأن الهوية هى الذات والجلالة اسم الذات ومظهرها (قوله الملك) أى المتصرّف فى خلقه بالايجاد والاعدام (قوله القدّوس) أى المنزه عن صفات الحوادث وأتى به عقب الملك لدفع توهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله السلام) أى الذى يسلم على عباده المؤمنين فى الجنة وعلى الأنبياء فى الدنيا،أوالسالم من كل نقص،أوالمؤمن من المخاوف والمهالك .

(قوله المصدق رسله بخلق المعجزة لهم) أى أولياءه بالكرامات وعباده المؤمنين على إيمانهم وإخلاصهم لأنه لايطلع على الاخلاص إلا هو (قوله أى الشهيد على عباده) وقيل معناه المطلع على خطرات القلوب (قوله القوىّ) أى فهو من عزّ بمعنى غلب وقهر فيكون من صفات الجلال ويصح أن يكون من عزّ بمعنى قلّ فلم يوجد له نظير فهو من صفات السلوب (قوله جبر خلقه على ما أراد) أى من إسلام وكفر وطاعة ومعصية فإذا أراد أمرا فعله لايحجزه عنه حاجز فهو من صفات الجلال ويصح أنه مأخوذ من الجبر بمعنى الاصلاح كقولهم جبر الطبيب الكسر أى أصلحه فيكون من صفات الجمال (قوله المتكبر) من الكبرياء وهى التعالى فى العظمة وهى مختصة به تعالى لما فى الحديث القدسى « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدة منهما قصمته ثم قذفته فى النار » (قوله عما لايليق به) أى من صفات الحوادث (قوله سبحان الله عما يشركون) أتى بالتسبيح عقب قوله المتكبر إشارة إلى أن هذا الوصف مختص به وينزه سبحانه عن مشاركة الغير له (قوله هو الله) كرر الهوية لأنها حقيقة الذات المتصفة بالكمالات لما يذكر بعدها من الصفات فهو كشف لها (قوله الخالق) أى الموجد للمخلوقات من العدم (قوله المنشئ) أى المبدع للأعيان المبرز لها (قوله المصوّر) أى المبدع للأشكال على حسب إرادته فأعطى كل شئ من المخلوقات صورة خاصة وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها (قوله مؤنث الأحسن) أى الذى

هو أفعل تفضيل لامؤنث أحسن المقابل لامرأة حسناء ، ووصفت بالحسنى لأنها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وغير ذلك ، ووصف الجمع الذى لايعقل بما توصف به الواحدة وهو فصيح ولو جاء على المطابقة لقال الحسن بوزن أخر ويصح أن يراد من الحسنى المصدر ويقال فيه ماقيل فى زيد عدل ووصف الجمع به ظاهر لأنه لايثنى ولايجمع (قوله يسبح له ما فى السموات والأرض الخ) ختمها بالتسبيح كما ابتدأها به إشارة إلى أنه المقصود الاعظم والمبدأ والنهاية وأن غاية المعرفة بالله سبحانه وتعالى تنزيهه عما صورته العقول .

المصدق رسله بخلق المعجزة لهم (الْمُهَيْمِنُ) من هيمن يهيمن إذا كان رقيباً على الشئ أى الشهيد على عباده بأعمالهم (الْعَزِيزُ) القوى (الْجَبَّارُ) جبر خلقه على ما أراد (الْمُتَكَبِّرُ) عما لايليق به (سُبْحَانَ اللَّهِ) نزه نفسه (عَمَّا يُشْرِكُونَ) به (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ) المنشئ من العدم (الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنى مؤنث الأحسن (يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) تقدم أولها .

(سورة الممتحنة)

مدنية ، ثلاث عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ) أى كفار مكة (أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ) توصلون (إِلَيْهِمْ) قصد النبى صلى الله عليه وآله وسلم غزوهم الذى أسره إليكم وورّى بحنين ، (بالمودّة)

[سورة الممتحنة] بكسر الحاء وفتحها لأنه نزل فيها أمر المؤمنين بامتحان المرأة التى هاجرت فالكسر من حيث أمر المؤمنين بالامتحان والفتح من حيث المرأة وهى أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط امرأة عبد الرحمن بن عوف والدة إبراهيم بن عبد الرحمن (قوله مدنية) أى باجماع (قوله عدوّى وعدوكم) أضاف العدوّ لنفسه تعالى تشريفا للمؤمنين أى أن عدوّكم بمنزلة عدوى أنتقم منه وإلا فالعدو بمعنى الموصل للضرّ على الله محال كما أن الحبيب الموصل للنفع على الله محال (قوله أى كفار مكة) تفسير للعدوّ والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب فحكم الآية باق مع سائر الكفار إلى يوم القيامة (قوله تلقون إليهم) هذه الجملة إما مفسرة لموالاتهم إياهم أو استئنافية فلا محل لها من الاعراب على هذين أو حال من فاعل تتخذوا أو صفة لأولياء (قوله قصد النبىّ الخ) أشار بذلك إلى أن مفعول تلقون محذوف والباء فى قوله بالمودّة سببية (قوله وورّى بحنين) أى بغزوة حنين، والمعنى أظهر لعامة الناس أنه يريد غزوة حنين على عادته من أنه كان إذا خرج لغزوة يورّى بغيرها كان يسأل عن طريق غيرها سترا عن المنافقين لئلا يرسلوا إلى الكفار فيتنبهوا فيفوت تدبير الحرب ، والتورية مأخوذة من وراء الانسان كأنه يجعل ما أراده خلفه ووراءه ،

وفى بعض النسخ : وورّى بخيبر وهو تحريف لأن غزوة خيبر كانت فى المحرم سنة سبع وفتح مكة كان فى رمضان من السنة الثامنة وحنين كانت بعد الفتح فى شوّال من سنة الفتح فورّى بها على عادته فى غزواته والسورة نزلت فى غزوة الفتح (قوله كتب حاطب بن أبى بلتعة الخ) أى وكان ممن هاجر مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى الأصل من اليمن وكان فى مكة حليف بنى أسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام ، وهذا بيان لسبب نزول قوله : يأيها الذين آمنوا الآيتين . روى عن علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال ائتوا روضة خاخ بالصرف وتركه موضع بينه و بين المدينة اثنا عشر ميلا فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تهادى خيلنا : أى تسرعها فاذا نحن بامرأة فقلنا أخرجى الكتاب فقالت مامعى كتاب فقلنا لتخرجنّ الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه : من حاطب بن أبى بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ماهذا ؟ فقال لاتعجل علىّ يارسول الله إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعله كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولارضا بالكفر بعد الاسلام وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابى لايغنى عنهم شيئا وأنّ الله ناصرك عليهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر رضى الله عنه دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه شهد بدرا ومايدريك لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فأنزل الله عزّ وجل : يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، قيل اسم المرأة سارة من موالى قريش ، روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم فتح مكة إلا أربعة هى إحداهم ، وقيل إنها عاشت إلى خلافة عمر وأسلمت وحسن إسلامها وكان فى الكتاب : أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو لم يسر إليكم إلا وحده لأظفره الله بكم ولأنجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره ، وروى أن سارة المذكورة حين قدمت المدينة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهاجرة جئت ياسارة ؟ فقالت لا فقال أمسلمة جئت ؟ قالت لا قال فما جاء بك ؟ قال كنتم الأهل والموالى والأصل والعشيرة وقد ذهب بعض الموالى ، يعنى قتلوا يوم بدر ، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى فقال عليه الصلاة والسلام فأين أنت من شباب أهل مكة وكانت مغنية قالت ماطلب منى شئ بعد وقعة بدر ، فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب على إعطائها فكسوها وحملوها وأعطوها ، فخرجت إلى مكة وأتاها حاطب فقال أعطيك عشرة دنانير و بردا على أن تبلغى هذا الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب فيه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة سائرة إلى مكة ونزل جبريل فأخبر النبىّ صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث لها عليا إلى آخر ماتقدم (قوله فاسترده النبىّ) أى طلب رده بارسال علىّ ومن معه (قوله ممن أرسله) أى وهى سارة والضمير المستتر فى أرسل عائد على حاطب والبارز عائد على الكتاب (قوله باعلام الله له) متعلق باسترده والباء سببية (قوله وقبل عذر حاطب) أى لأنه مؤمن بدرى يشهد الله له بالايمان حيث قال : يأيها الذين آمنوا الخ (قوله يخرجون الرسول) إما مستأنف أوتفسير لكفرهم أوحال من فاعل كفروا (قوله و إياكم) عطف على الرسول وقدم عليهم لأنه المقصود فلذلك عدل عن اتصال الضمير إلى انفصاله لأنه لوقال يخرجونكم والرسول لفات هذا المعنى (قوله أى لأجل أن آمنتم الخ) أشار بذلك إلى أنّ أن تؤمنوا فى محل نصب مفعول له ، والمعنى يخرجونكم من أجل إيمانكم بالله (قوله إن كنتم خرجتم) أى من مكة .

(٦٨٥)

(بِالْمَوَدَّةِ) بينكم و بينهم ، كتب حاطب بن أبى بلتعة إليهم كتابا بذلك لما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين ، فاسترده النبى صلى الله عليه وسلم ممن أرسله معه باعلام الله تعالى له بذلك وقبل عذر حاطب فيه (وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) أى دين الإسلام والقرآن (يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ) من مكة بتضييقهم عليكم (أَنْ تُؤْمِنُوا) أى لأجل أن آمنتم (بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا) ،

(قوله للجهاد) أشار به إلى أن جهادا وما بعده منصوب على المفعول له (قوله تسرون إليهم) بدل من تلقون بدل بعض من كل أو مستأنف ومفعول تسرون محذوف قدره بقوله إسرار خبر النبي والباء في بالمودّة للسببية نظير ماتقدم (قوله وأنا أعلم) الجملة حالية من فاعل تلقون وتسرون (قوله طريق الهدى) أشار بذلك إلى أن سواء السبيل مفعول ضل (قوله إن يثقفوكم الخ) كلام مستأنف مبين لوجه العداوة (قوله يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا العداوة لكم (قوله وودّوا لو تكفرون) عطف على جملة الشرط والجزاء فقد أخبر عنهم بخبرين عداوتهم ومودّتهم كفر المؤمنين (قوله لن تنفعكم أرحامكم) هذا تخطئة لحاطب فى رأيه كأنه قال : لاتحملكم قراباتكم وأولادكم الذين بمكة على خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل أخبارهم وموالاة أعدائهم فإنه لاتنفعكم أرحامكم ولا أولادكم الذين عصيتم الله لأجلهم (قوله من العذاب) متعلق بقوله لن تنفعكم (قوله يوم القيامة) إما متعلق بما قبله فيوقف عليه ويبتدأ بيفصل بينكم أو متعلق بما بعده فيوقف على أولادكم ويبتدأ بيوم القيامة (قوله بالبناء للمفعول) أى مع التخفيف والتشديد وقوله والفاعل أى معهما أيضا فالقراآت أربع سبعيات (قوله وبينهم) أى الأرحام والأولاد (قوله فتكونون فى الجنة)

للجهاد (فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي) وجواب الشرط دل عليه ماقبله : أى فلا تتخذوهم أولياء (تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ) أى إسرار خبر النبى إليهم (فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) أخطأ طريق الهدى والسواء فى الأصل الوسط (إِنْ يَثْقَفُوكُمْ) يظفروا بكم (يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ) بالقتل والضرب (وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ) بالسب والشتم (وَوَدُّوا) تمنوا (لَوْ تَكْفُرُونَ . لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ) قراباتكم (وَلَا أَوْلَادُكُمْ) المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب فى الآخرة (يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُفَصَّلُ) بالبناء للمفعول والفاعل (بَيْنَكُمْ) وبينهم فتكونون فى الجنة وهم فى جملة الكفار فى النار (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ) بكسر الهمزة وضمها فى الموضعين : قدوة (حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ) أى به قولا وفعلا (وَالَّذِينَ مَعَهُ) من المؤمنين (إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ) جمع بريء كظريف (مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ) أنكرناكم (وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوا (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ) مستثنى من أسوة : أى فليس لكم التأسى به فى ذلك بأن تستغفروا للكفار وقوله

أى فلا ينبغى موالاة الكفار لأنه لااجتماع بينكم وبينهم فى الآخرة (قوله قد كانت لكم أسوة حسنة) لما بين سبحانه وتعالى حال من جعل الكفار أولياء فى أول السورة ذكر هنا قصة إبراهيم وقومه وأن طريقته التبرى من أهل الكفر وألزم أمة محمد بالاقتداء به فى ذلك وفيه توبيخ لحاطب ومن والى الكفار (قوله بكسر الهمزة وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان وقوله فى الموضعين أى هذا وقوله الآتى لقد كان لكم فيهم أسوة ومعناها عليهما الاتباع والاقتداء كما قال المفسر (قوله فى إبراهيم) (وما جار ومجرور متعلق بأسوة ورد بأنه لايجوز عمل المصدر الموصوف. وأجيب بأنه يتوسع فى الظروف مالايتوسع فى غيرها ويصح أنه متعلق بحسنة تعلق الظرف بالعامل ويصح أنه نعت ثان لأسوة وإنما خص التأسى بإبراهيم لأنه صبر على أذى عدوّ الله النمروذ ولم يكن معه أحد يعينه عليه مع تفرده بملك الأرض مشرقا ومغربا (قوله قولا وفعلا) تمييز مبين لجهة الاقتداء أى اقتدوا به فى القول والفعل فإنه لم يبال بالكفار ولا بشدّتهم وضعفه (قوله والذين معه من المؤمنين) يحتمل أن المراد بالمعية وهو فى أرض بابل وحينئذ لم يكن معه إلا لوط ولد أخيه وسارة زوجته أو المراد بعد مجيئه إلى الشام وحينما كثر المؤمنون به (قوله إذ قالوا) هذا بدل اشتمال من إبراهيم والذين معه والمراد بقومهم النمروذ وجماعته أى فبارزوهم بالعداوة ولم يبالوا بهم مع شدّة بأسهم وضعف المؤمنين (قوله إنا برآء منكم) أى من دينكم وآلهتكم (قوله وبدا) أى ظهر بيننا وبينكم العداوة على ممرّ الأزمان بدليل ذكر الأبد والعداوة المباينة ظاهرا والبغضاء المباينة بالقلوب وفى الحقيقة هما متلازمان (قوله بتحقيق الهمزتين الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مستثنى من أسوة حسنة) أى وساغ ذلك لأن القول من جملة الأسوة فكأنه قيل لكم فيه أسوة فى أفعاله وأقواله إلا قوله كذا (قوله أى فليس لكم التأسى به) أى لأن استغفاره له لرجائه إسلامه فلما ظهر أنه عدوّ لله تبرأ منه

(قوله وما أملك لك من الله من شيء) هذه الآية باعتبار معناها الوضعي تكون من جملة مايقتدى به فيه لأن محصله أنه لايملك له ثوابا ولاعقابا على حد : ليس لك من الأمر شيء وهذا ثابت لابراهيم وغيره وليس مرادا هنا بل المراد معناها الكنائي وهو أنه لايملك له غير الاستغفار فهو غير مقتدى به فيه وحينئذ فقوله وما أملك معطوف على لأستغفرن لك وأشار المفسر لذلك بقوله كنى به الخ (قوله فهو مبني عليه) أي معطوف على لأستغفرن ومرتبط به ساقه اعتذارا (قوله مستثنى من حيث المراد منه) أي وهو المعنى الكنائي (قوله وإن كان من حيث الخ) مبالغة على أنه ليس مرادا وإن كان معناه الوضعي (قوله قل فمن يملك) هذا دليل للمعنى الوضعي غير المراد (قوله واستغفاره) هذا بيان لعذر إبراهيم في استغفاره لأبيه وذلك أنه لم يستغفر له إلا لرجاء إيمانه ولما مات على الكفر رجع عن ذلك كما قال تعالى ـ وما كان استغفار إبراهيم ـ الخ . والحاصل أن إبراهيم وعد أباه بالاستغفار في سورة مريم بقوله ـ سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا ـ واستغفر له بالقول في سورة الشعراء في قوله تعالى ـ واغفر لأبي ـ ثم رجع عن ذلك كما بينه الله في سورة براءة (قوله من مقول الخليل الخ) أي الذي يقتدى به فهو في المعنى مقدم على جملة الاستثناء (قوله أي قالوا) أي فهو مقول للقول السابق في قالوا إنا برآء منكم أي قالوا ذلك وقالوا ربنا الخ) ويصح أن يكون أمرا من الله للمؤمنين تتميما لما أمرهم به من ترك موالاة الكفار أي أظهروا لهم العداوة ولا يهولنكم أمرهم وقولوا ربنا الخ ، ومعنى توكلنا فوضنا أمرنا وقوله وإليك أنبنا أي رجعنا بالتوبة عن كل ماتكره مناوقوله وإليك المصير الرجيع في الآخرة (قوله أي لا تظهرهم) أي لاتجعلهم غالبين علينا وقوله فيظنوا أنهم على

(١٨٧)

(وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ) أي من عذابه وثوابه (مِنْ شَيْءٍ) كنى به عن أنه لايملك له غير الاستغفار فهو مبني عليه مستثنى من حيث المراد منه وإن كان من حيث ظاهره مما يتأسى فيه ، قل فمن يملك لكم من الله شيئا ، واستغفاره له قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في براءة (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) من مقول الخليل ومن معه : أي قالوا (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أي لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا : أي تذهب عقولهم بنا (وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في ملكك وصنعك (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ) يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ) بدل اشتمال من كم بإعادة الجار (يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) أي يخافهما أو يظن الثواب والعقاب (وَمَنْ يَتَوَلَّ) بأن يوالي الكفار (فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) لأهل طاعته (عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ) من كفار مكة طاعة لله تعالى (مَوَدَّةً) بأن يهديهم للإيمان فيصيروا لكم أولياء (وَاللهُ قَدِيرٌ) على ذلك ، وقد فعله بعد فتح مكة (وَاللهُ غَفُورٌ) لهم ماسلف (رَحِيمٌ) بهم (لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ) من الكفار ،

الحق يعني إن ظفروا بنا وقوله فيفتتنوا أي يزدادوا كفرا ويدوموا عليه لأن الاستدراج يوجب زيادة الكفر (قوله واغفر لنا) أي ما مضى من الذنوب (قوله لقد كان لكم فيهم) هذه الجملة تأكيد لقوله سابقا قد كانت لكم أسوة الخ أتى بها للمبالغة في التحريض على الاتباع لابراهيم وأمته (قوله أو يظن الثواب والعقاب) تفسيران لمعنى الرجاء والمراد بظن الثواب الخ الايقان بذلك (قوله ومن يتول) أي يعرض عن الاقتداء بابراهيم وجواب الشرط محذوف تقديره فوباله على نفسه وقوله فان الله الخ تعليل للجواب (قوله عسى الله الخ) هذا تسلية للمؤمنين في عدم موالاة الكفار الذين أمروا به في أول السورة فشدد المسلمون على أنفسهم في هجر الكفار فوعد الله المسلمين باسلام أقاربهم الكفار فيوالونهم موالاة جائزة مطلوبة ويجمع الله الشمل بعد التفرق (قوله منهم) أي من الكفار فهو حال من الذين أي حال كون الذين عاديتموهم من جملة الكفار وقوله طاعة لله مفعول لأجله أي حصلت المعاداة لأجل طاعة الله (قوله والله قدير) أي فلا يستبعد عليه ذلك الجعل المذكور (قوله وقد فعله) أي بأن أسلم غالب كفار مكة فصاروا أحبابا وإخوانا (قوله والله غفور لهم) أي للذين عاديتموهم بأن محا عنهم ما سلف بسبب الإيمان (قوله لاينهاكم) نزلت هذه الآية لتخصيص الحكم النازل أول السورة لأن الآية الأولى عامة في سائر الكفار مطلقا ولو كانوا مصالحين ثم بين هنا أن من كان من الكفار بينهم وبين المسلمين صلح ومهادنة تجوز مودتهم ،

ولم يكن النهي شاملا لهم كخزاعة وبني الحرث وعلى هذا تكون الآية محكمة فيجوز الآن للمسلمين موادة الكفار الذين تحت الذمة والصلح، وقيل إن المراد بقوله لم يقاتلوكم: أي لم يبتدئوكم بالقتال ولو لم يكن بينكم وبينهم صلح وهذا كان في أول الأمر بالجهاد ثم نسخ بالأمر بالقتال عموما بقوله تعالى - فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم - (قوله في الدين) أي لأجل دينكم (قوله بدل اشتمال) أي فالمعنى لاينهاكم الله عن أن تبروهم والبر هو الإحسان (قوله تفضوا) إنما فسر تقسطوا بمعنى تفضوا ليصح تعديته بإلى (قوله أي بالعدل) هذا لايخص هؤلاء فقط بل العدل واجب مع كل أحد ولو قاتل فالأولى تفسيره بالاعطاء: أي تعطوهم قسطا من أموالكم فعطف القسط على البر من عطف الخاص على العام (قوله وهذا قبل الأمر بجهادهم) يشير بذلك إلى أن الآية منسوخة وقد علمت مافيه (قوله العادلين) أي على تفسير القسط بالعدل وعلى تفسير القسط بالاعطاء فالمراد بالمقسطين المحسنون (قوله وأخرجوكم من دياركم) أي وهم أهل مكة (قوله بدل اشتمال) أي إنما ينهاكم الله عن أن تولوهم (قوله الظالمون) فيه مراعاة معنى من بعد مراعاة لفظها (قوله يا أيها الذين آمنوا) لما أمر الله المسلمين بهجر الكفار اقتضى ذلك عدم مساكنتهم والهجرة إلى المسلمين خوفا من الموالاة المنهى عنها وكان التناكح من أقرب أسباب الموالاة بين أحكام

الزوجين في هذه الآية، وسبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما عقد الصلح مع الكفار عام الحديبية على شرط أن من أتى النبي من أهل مكة رده إليهم وإن كان مسلما جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مهاجرة للنبي فجاء زوجها صيفي ابن الراهب وقيل المسافر المخزومي وكان كافرا فقال يا محمد اردد علي امرأتي فأنت شرطت ذلك فأنزل الله هذه الآية فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر بن الخطاب (قوله بألسنتهن) أي ناطقات بالشهادتين تقطع

بألسنتهن (قوله من الكفار) أي حال كونهن من جملة الكفار أو متعلق بجاءكم (قوله بعد الصلح) متعلق بمهاجرات أو بجاءكم (قوله على أن من جاء منهم) أي مؤمنا (قوله فامتحنوهن بالحلف) أي حلفوهن هل هن مسلمات حقيقة أولا، وسبب الامتحان أنه كان من أرادت من الكفار إضرار زوجها قالت سأهاجر إلى رسول الله فلذلك أمر بالامتحان (قوله الله أعلم بإيمانهن) أي بصدقه (قوله فلا ترجعوهن) أي لايحل لكم أن تردوهن إلى الكفار. قال تعالى - ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا - (قوله وآتوهم ما أنفقوا) أي مادفعوا لهن من المهور كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مع زوج سبيعة (قوله بشرطه) أي وهو انقضاء عدتها في الإسلام إن كان مدخولا بها والولي والشاهدان وبقية شروط الصحة في المدخول بها وغيرها (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي هنا عقد النكاح والكوافر جمع كافرة كضوارب جمع ضاربة، وقوله زوجاتكم: أي المتأصلات في الكفر اللاتي أسلمتم عنهن، وهذا النعت المقدر هو المعطوف عليه قوله واللاحقات الخ، وصورة المسألة أن الزوج أسلم عن زوجته الكافرة فهذا نهي للمؤمنين عن بقائهم على عصم المشركات الباقيات على الكفر بخلاف إسلامهم عن الكتابيات فلا ينفسخ نكاحهن فإن النكاح بهن يجوز للمسلم ابتداء

(فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ) بدل اشتمال من الذين (وَتُقْسِطُوا) تفضوا (إِلَيْهِمْ) بالقسط: أي بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) العادلين (إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا) عاونوا (عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ) بدل اشتمال من الذين: أي تتخذوهم أولياء (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ) بألسنتهن (مُهَاجِرَاتٍ) من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يرد (فَامْتَحِنُوهُنَّ) بالحلف إنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام لا بغضا لأزواجهن الكفار ولا عشقا لرجال من المسلمين كذا كان صلى الله عليه وسلم يحلفهن (اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ) ظننتموهن بالحلف (مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ) تردوهن (إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ) أي أعطوا الكفار أزواجهن (مَا أَنْفَقُوا) عليهن من المهور (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ) بشرطه (إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) مهورهن (وَلَا تُمَسِّكُوا) بالتشديد والتخفيف (بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ) زوجاتكم،

فلا يمنع من البقاء عليهن بعد الإسلام (قوله لقطع إسلامكم لها بشرطه) أى شرط القطع وهو أن لايجمعهما الإسلام فى العدة فإن أسلم وأسلمت بعده بشهر ونحوه أوأسلمت قبله وأسلم بعدها فى العدة والموضوع أنه مدخول بها أقر عليها فى الصورتين (قوله أواللاحقات) معطوف على النعت المقدر بعد زوجاتكم وصورتها مسلمات أصالة تحت أزواج مسلمين فوقعت منهن الردة والتحقن بالمشركين فى ذلك (قوله بشرطه) أى وهو دوام الردة إلى وفاء العدة فإن رجعت للاسلام قبل وفاء العدة ترجع له من غير عقد هكذا مذهب الإمام الشافعى فى المدخول بها وأما غيرها فتبين بمجرد الردة ، وأما مذهب مالك فلا ترجع له إلا بعقد مطلقا سواء رجعت قبل العدة أو بعدها فكلام المفسر على قاعدة مذهب الإمام الشافعى (قوله واسئلوا ما أنفقتم الخ) قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدا إلى الكفار المعاهدين يقال للكفار هاتوا مهرها و يقال للمسلمين إذا جاء أحد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا إلى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين ، ثم نسخ ذلك الأمر فمن ارتدت لاتقر ومن جاءتنا منهم مسلمة مهاجرة لايأخذون لها مهرا (قوله ذلكم حكم الله) أى المذكور فى هذه الآية ، وقوله يحكم بينكم استئناف أوحال بتقدير الرابط وقد جرى عليه المفسر (قوله و إن فاتكم الخ) هذه الآية أيضا من تتمة قوله ـ واسألوا ما أنفقتم ـ فهو بمعناه ، وحصله أنه إن فر شىء : أى امرأة أو أكثر إلى الكفار فغنمتم فأعطوا الذين فرت أزواجهم من الغنيمة قبل قسمها قدر مهرها فكأنه دين على الكفار. قال ابن عباس : لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة

لقطع إسلامكم لها بشرطه أو اللاحقات للمشركين مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه (وَاسْئَلُوا) اطلبوا (مَا أَنْفَقْتُمْ) عليهن من المهور فى صورة الارتداد ممن تزوجهن من الكفار (وَلْيَسْئَلُوا مَا أَنْفَقُوا) على المهاجرات كما تقدم أنهم يؤتونه (ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) به (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِنْ فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) أى واحدة فأكثر منهن ، أو شىء من مهورهن بالذهاب (إِلَى الْكُفَّارِ) مرتدات (فَعَاقَبْتُمْ) فغزوتم وغنمتم (فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ) من الغنيمة (مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا) لفواته عليهم من جهة الكفار (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ) وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين ثم ارتفع هذا الحكم (يَاأَيُّهَا النَّبِىُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ) كما كان يفعل فى الجاهلية ،

مرتدات فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنيمة (قوله مرتدات) حال من أزواج (قوله فغزوتم) فسر العقوبة بالغزو لحصولها به (قوله فآتوا) بمد الهمزة أى أعطوا ، روى أنه لما نزل قوله تعالى ـ واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ـ أدى المؤمنون مهور المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئا من مهور المرتدات إلى أزواجهن المسلمين فأنزل الله و إن فاتكم الخ (قوله ثم ارتفع هذا الحكم) أى نسخ حكمه فصار الآن إذا ارتدت امرأة ولحقت بالمشركين لانأخذ لها مهرا بل ننتظرها فمتى قدرنا عليها استتبناها فإن تابت و إلا قتلت كما أن من فرت من الكفار مسلمة لاندفع لها مهرا (قوله يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات الخ) أى من أهل المدينة أومكة أو غيرهن ولكن الآية نزلت فى فتح مكة لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مبايعة الرجال (قوله يبايعنك) أى يعاهدنك وسماه مبايعة لأنه مقابلة شىء بشىء وهو الإيمان وتوابعه فى مقابلة الجنة والرضوان و يبايعن مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة والكاف مفعول (قوله على أن لايشركن) نهاهم فى هذه المبايعة عن ستة أشياء ولم يقابلها بأوامر لأن النهى عن هذه يستلزم الأمر بضدها (قوله ولايسرقن) روى أنه لما قال النبى لهن ذلك قالت هند امرأة أبى سفيان يارسول الله إن أباسفيان رجل شحيح فهل على حرج إذا أخذت ما يكفينى وولدى قال لا إلا بالمعروف ، فخشيت هند أن تقتصر على مايعطيها فتضيع أوتأخذ فتكون ناقضة للبيعة فلذلك أمرها بالمعروف فى الأخذ ومحل جواز الأخذ بغير إذن إذا كان غير محجور، وأما إذا حجره بقفل أونحوه فيحرم الأخذ و إن أخذت تعد سارقة وتقطع يدها فلما قال رسول الله ولايزنين ، قالت هند أو تزنى الحرة ؟ فلما قال ولا يقتلن أولادهن ، قالت ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وعرضت بولدها حنظلة فإنه قتل يوم بدر فضحك عمر وتبسم رسول الله ، فلما قال ولا يأتين ببهتان ، قالت والله إن البهتان لقبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق وكانت هذه البيعة فى مكة عند الصفا فاجتمع له من النسوة أربعمائة وسبع وخمسون

امرأة فآمن (قوله من وأد البنات) أى دفنهن أحياء (قوله أى بولد ملقوط) أى فكانت المرأة إذا خافت مفارقة زوجها لعلم الحمل التقطت ولدا ونسبته له ليبقيها عنده فأشار المفسر بقوله : أى بولد إلى أنه المراد بالبهتان المفترى وليس المراد الزنا لتقدمه فى النهى صريحا (قوله كترك النياحة) أى فالمراد بالمعروف هو ما عرف حسنه فى الشرع وهو اسم جامع لكل خير (قوله فبايعهن) جواب إذاجاءك المؤمنات : أى التزم لهن الثواب إذا التزمن ذلك (قوله بالقول) هذا هو الصحيح ، وقيل إنه صافحهن بحائل لما يروى أنه بايع النساء و بين يديه وأيديهن ثوب ، وقالت أم عطية لماقدم المدينة جمع نساء الأنصار فى بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب على الباب فسلم فرددن عليه السلام ، فقال أنا رسول رسول الله إليكن أن لاتشركن بالله شيئا الآية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد (قوله واستغفر لهن الله) أى مما سلف منهن (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) ختم السورة بمثل ما افتتحها به وهو النهى عن موالاة الكفار وهذا من البلاغة و يقال له ردّ العجز على الصدر (قوله غضب الله عليهم) نعت لقوما ، وقوله قد يئسوا نعت ثان (قوله هم اليهود) أشار المفسر بذلك إلى سبب نزول الآية وهو أن ناسا من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود بأخبار المسلمين ليعطوهم من ثمارهم فنزلت ، وقيل المراد بالمغضوب عليهم جميع الكفار (قوله لعنادهم) علة ليأسهم مع إيقانهم به فلاحظ لهم فيها ولا ثواب (قوله من أصحاب القبور) مشى المفسر على أن قوله من أصحاب القبور صفة للكفار والميئوس منه محذوف قدره بقوله من خير الآخرة : أى أن اليهود يئسوا من الآخرة كيأس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة ، وقيل إن قوله من أصحاب القبور هو الميئوس منه ، والمعنى أن اليهود أيسوا من الآخرة كيأسهم من أصحاب القبور لأنهم ينكرون البعث ، وقيل كما يئس الكفار المقبورون من رجوعهم إلى الدنيا احتمالات ثلاث (قوله إذ تعرض عليهم) أى وهم فى القبور (قوله لوكانوا آمنوا) أى قبل الموت (قوله وما يصيرون إليه) معطوف على مقاعدهم : أى و يعرض عليهم مايصيرون إليه من النار . [سورة الصف مكية] أى فى قول عكرمة وقتادة والحسن و به جزم فى الكشاف (قوله أومدنية) أى وهوقول الجمهور (قوله فاللام مزيدة) أى للتأكيد ، وقيل للتعليل: أى سبحوا لأجل الله ابتغاء وجهه لاطلبا لثواب ولاخوفامن عقاب وهذا أعلى مراتب العمل وقدتقدم نظيرذلك وأعاد ما الموصولة فى قوله: ومافى الأرض هنا وفى الحشر والجمعة والتغابن لأنه الأصل وتركه فى الحديد مشاكلة لقوله فيهابعد: له ملك السموات والأرض، وقوله هوالذى خلق السموات والأرض (قوله لم تقولون) استفهام إنكارى جيء به للتوبيخ لمن يدعى ماليس فيه فإن وقع ذلك إخبارا عن أمر فى الماضى فهو كذب و إن وقع فى المستقبل يكون خلفا للوعد وكلاهما مذموم ولام الجر داخلة على ما الاستفهامية فحذفت ألفها لذلك قال ابن مالك :

من وأد البنات: أى دفنهن أحياء خوف العار والفقر (وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) أى بولد ملقوط ينسبنه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقى فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها (وَلَا يَعْصِينَكَ فِى) فعل (مَعْرُوفٍ) هو ما وافق طاعة الله كترك النياحة وتمزيق الثياب وجز الشعور وشق الجيب وخمش الوجه (فَبَايِعْهُنَّ) فعل ذلك صلى الله عليه وسلم بالقول ولم يصافح واحدة منهن (وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) هم اليهود (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ) أى من ثوابها مع إيقانهم بها لعنادهم النبى مع علمهم بصدقه (كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ) الكائنون (مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ) أى المقبورين من خير الآخرة، إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار .

(سورة الصف)

مكية أو مدنية ، أربع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) أى نزهه فاللام مزيدة وجيء بما دون من تغليبا للأكثر (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ) ،

(قوله فى طلب الجهاد) سبب نزول هذه الآية أنه لما سمع أصحاب رسول الله مدح الجهاد ومدح أهل بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت هذه الآية توبيخا لهم وهذا خارج مخرج التخويف والزجر . وقيل نزلت فى المنافقين كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إن خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرج النبى وأصحابه نكصوا على عقبهم وتخلفوا وحينئذ فتسميتهم مؤمنين بحسب الظاهر والذم على حقيقته (قوله إذ انهزمتم بأحد) تعليل لقوله مالاتفعلون (قوله تمييز) أى محول عن الفاعل والأصل كبر مقت قولكم والمقت أشد البغض وهو من أمثلة التعجب فى مقام الذم (قوله ينصر ويكرم) هذا معنى المحبة فى حق الله لأن حقيقتها وهو ميل القلب مستحيل على الله ومن لازم الميل الاكرام والنصر فأطلق على الله باعتبار هذا اللازم (قوله حال) أى من الواو فى يقاتلون وقوله أى صافين فسره بمشتق لصحة الحالية ومفعوله محذوف أى أنفسهم (قوله ملزق بعضه إلى بعض) أى كأنه بنى بالرصاص أو معنى الرصوص الملتئم الأجزاء المستويها المحكمها ومن كان كذلك لايهزم ولا يقاوم (قوله وإذ قال موسى) ذكر قصة موسى وعيسى إجمالا تسلية للنبى عليه الصلاة والسلام ليصبر على أذى قومه وتذكيرا لتفاصيلها المتقدمة وابتدأ بقصة موسى لأسبقيته فى الزمن (قوله قالوا إنه آدر)

(١٩١)

فى طلب الجهاد (مَا لَا تَفْعَلُونَ) إذ انهزمتم بأحد (كَبُرَ) عظم (مَقْتًا) تمييز (عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا) فاعل كبر (مَا لَا تَفْعَلُونَ . إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ) ينصر ويكرم (الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا) حال: أى صافين (كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) ملزق بعضه إلى بعض ثابت (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي) قالوا إنه آدر: أى منتفخ الخصية وليس كذلك وكذبوه (وَقَدْ) للتحقيق (تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) الجملة حال والرسول يحترم (فَلَمَّا زَاغُوا) عدلوا عن الحق بإيذائه (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أمالها عن الهدى على وفق ماقدره فى الأزل (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) الكافرين فى علمه (وَ) اذكر (إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) لم يقل ياقوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ) قبلى (مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ،

وسبب تهمتهم له بذلك ستره للعورة من صغره فلم يروه فعيبوه بذلك وتقدم ذلك عند قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى الآية (قوله وكذبوه) معطوف على قالوا أى عيبوه فى جسمه وأنكروا ماجاء به وكذبوه (قوله وقد للتحقيق) أى تحقيق علمهم برسالته وذلك يوجب تعظيمه ويمنع إيذاءه (قوله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) مقتضى هذا التركيب أن زيغهم سبب لازاغة الله قلوبهم مع أن الأمر بالعكس لأن العبد لايزيغ إلا إن أزاغه الله وصرفه عن الهدى . وأجيب بأنهم لما فعلوا سبب الزيغ وهو إيذاء موسى أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وقت إيذائهم على وفق ما أراده أزلا وقد أشار لذلك المفسر ويشهد لذلك قضية إبليس فانه كان مطيعا فلما خالف مولاه وعاند زاغ فأزاغ الله قلبه وطرده موافقة لما نجزه بارادته أزلا فزيغ العبد سبب لازاغة الله باعتبار إظهار القدرة لذلك الآن على وفق ما أراده الله ونجزه أزلا فليحفظ (قوله الكافرين فى علمه) هذا جواب عما يقال إن الله هدى كثيرا من الكفار بأن وفقهم للاسلام . وحاصل الجواب أن من أسلم وهداه الله لم يكن فى الأزل مكتوبا كافرا وأما من علم الله كفره فى الأزل لايهديه ولا بد من موته على الكفر ولو عاش طول عمره مسلما (قوله وإذ قال عيسى) معمول لمحذوف تقديره اذكر وإنما كرر قصة موسى وعيسى بل وقصة غيرهما لأن المقصود الاتعاظ ودوامه فاذا ذكر الشىء أولا وثانيا كان المقصود منه دوام تذكره والاعتبار به قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل (قوله لأنه لم يكن له فيهم قرابة) أى لأنه لا أب له فيهم وإن كانت أمه من أشرافهم . إن قلت هو منهم باعتبار أمه . قلت النسب إنما هو من جهة الأب (قوله مصدقا) حال من الضمير المستتر فى رسول لتأويله بمرسل وكذا قوله ومبشرا (قوله من التوراة) خصها لأنها أشهر الكتب عندهم (قوله يأتى من بعدى) الجملة صفة لرسول وكذا قوله اسمه أحمد والياء فى بعدى إما مفتوحة أو ساكنة قراءتان سبعيتان .

(قوله اسمه أحمد) يحتمل أن يكون أفعل تفضيل من المبني للفاعل والمعنى أكثر حامدية لله تعالى من غيره ويحتمل أن يكون من المبني للمفعول أي أكثر محمودية من غيره أي كون الخلق يحمدونه أكثر من كونهم يحمدون غيره وخص أحمد بالذكر دون محمد مع أنه أشرف أسمائه صلى الله عليه وسلم لوجوه: الأول كونه مذكورا في الانجيل بهذا الاسم، الثاني كونه مسمى في السماء به، الثالث لأن حمده لله سابق على حمد الخلق له في الدنيا ويوم القيامة فحمده قبل شفاعته لأمته وحمد الخلق له بعدها، وقال بعضهم إنه صلى الله عليه وسلم له أربعة آلاف اسم منها نحو سبعين من أسمائه تعالى كرءوف ورحيم (قوله أي جاء أحمد الكفار) هذا أحد قولين للمفسرين في مرجع الضمير في جاءهم والثاني أنه عائد على عيسى (قوله أي المجيء به) اسم مفعول من جاء وأصله مجيوء بوزن مضروب نقلت ضمة الياء للساكن قبلها وهو الجيم فالتقى ساكنان الواو والياء فحذفت الواو وكسرت الجيم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله أي لا أحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي (قوله ووصف آياته) بالجر عطف على نسبة (قوله وهو يدعى إلى الاسلام) الجملة حالية أي يدعوه ربه على لسان نبيه إلى الاسلام الذي فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته افتراء الكذب على الله (قوله منصوب بأن مقدرة واللام مزيدة) أي في مفعول يريدون للتوكيد ويصح أن تكون للتعليل والمفعول محذوف والتقدير يريدون إبطال القرآن ليطفئوا وهناك طريقة لبعض النحويين أن اللام بمعنى أن الناصبة فيكون الفعل منصوبا بها (قوله شرعه وبراهينه) هذا أحد أقوال في تفسير النور وقيل هو القرآن وقيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل إنه مثل مضروب بمن أراد إطفاء الشمس بفيه فكما أنه لا يفيده ذلك كذلك من أراد إبطال الحق فلا يفيده وفي الكلام استعارة تبعية حيث شبه الابطال بالاطفاء واستعار اسم المشبه به للمشبه واشتق من الاطفاء يطفئون بمعنى يبطلون وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما فقال كعب بن الأشرف يامعشر اليهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية واتصل الوحي بعدها

اسْمُهُ أَحْمَدُ) قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُمْ) جاء أحمد الكفار (بِالْبَيِّنَاتِ) الآيات والعلامات (قَالُوا هٰذَا) أي المجيء به (سِحْرٌ) وفي قراءة ساحر: أي الجائي به (مُبِينٌ) بين (وَمَنْ) أي لا أحد (أَظْلَمُ) أشد ظلما (مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) بنسبة الشريك والولد إليه ووصف آياته بالسحر (وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ، وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين (يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا) منصوب بأن مقدرة واللام مزيده (نُورَ اللهِ) شرعه وبراهينه (بِأَفْوَاهِهِمْ) بأقوالهم إنه سحر وشعر وكهانة (وَاللهُ مُتِمُّ) مظهر (نُورِهِ) وفي قراءة بالإضافة (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ذلك (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ) يعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ) جميع الأديان المخالفة له (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ)، بالتخفيف

(قوله والله متم نوره) الجملة حالية من فاعل يريدون وقوله مظهر نوره هذا جواب عما يقال إن الاتمام لا يكون إلا عند النقصان فأجاب بأن المراد بالاتمام إظهاره في المشارق والمغارب (قوله وفي قراءة بالاضافة) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولو كره الكافرون) حال من قوله والله متم نوره (قوله بالهدى) أي البيان الشافي والمراد به القرآن والمعجزات الظاهرة (قوله ولو كره المشركون) إنما عبر أولا بالكافرون وثانيا بالمشركون لأن الرسول في ابتداء أمره يأتي بالتوحيد ويأمر به فيخالفه المشركون فاذا ظهر أمره واشتهر حسده جميع الكفار وأرادوا إبطال ماجاء به من المعجزات والبراهين فعبر في كل بما يناسبه (قوله يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ) سبب نزول هذه الآية قول الصحابة لرسول الله لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملنا به، وقيل نزلت في عثمان ابن مظعون وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو أذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت وحرمت اللحم ولا أنام الليل أبدا ولا أفطر النهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم إن من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام، إنما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وخصاء أمتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، ومن سنتي أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان وددت يانبي الله أن أعلم أي التجارات أحب إلى الله فأتجر فيها فنزلت، والاستفهام إخبار في المعنى وذكر بلفظ الاستفهام تشويقا لكونه أوقع في النفس وتسمية الجهاد تجارة لقوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية

بالتخفيف والتشديد (مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم فكأنهم قالوا نعم، فقال (تُؤْمِنُونَ) تدومون على الإيمان (بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير لكم فافعلوه (يَغْفِرْ) جواب شرط مقدر: أي إن تفعلوه يغفر (لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ) إقامة (ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. وَ) يؤتكم نعمة (أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) بالنصر والفتح (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ) لدينه وفى قراءة بالإضافة (كَمَا قَالَ) الخ. المعنى كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال (عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ) أى من الأنصار الذين يكونون معى متوجها إلى نصرة الله (قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) والحواريون أصفياء عيسى، وهم أول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحور وهو البياض الخالص، وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب: أى يبيضونها (فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعيسى وقالوا إنه عبد الله رفع إلى السماء (وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ) لقولهم إنه ابن الله رفعه إليه فاقتتلت الطائفتان (فَأَيَّدْنَا) قوينا (الَّذِينَ آمَنُوا) من الطائفتين (عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ) الطائفة الكافرة (فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ) غالبين.

(قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله تؤمنون) فى محل رفع خبر مبتدإ مقدر أي هى تؤمنون أو جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب واقعة فى جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماهى فأجاب بما ذكر (قوله ذلكم) أى المذكور من الايمان والجهاد (قوله خير لكم) أى من كل شئ (قوله إن كنتم تعلمون) أشار المفسر إلى أن الجواب مقدر وإلى أن تعلمون متعد حذف مفعوله (قوله من تحتها) أى من تحت أشجارها وغرفها (قوله ومساكن طيبة الخ) روى عن الحسن قال: سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقال على الخبير سقطت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال «قصر من لؤلؤة فى الجنة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا فى كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا أو وصيفة فيعطى الله المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله» (قوله ذلك) أى المذكور من غفران الذنوب وإدخال الجنان (قوله ويؤتكم نعمة أخرى) أشار المفسر بتقدير هذا العامل إلى أن أخرى صفة لمحذوف مفعول لفعل مقدر وهذا المقدر معطوف على المذكور قبله والمراد يؤتكم فى الدنيا فهو إخبار عن نعمة الدنيا بعد الاخبار عن نعمة الآخرة (قوله نصر من الله) خبر مبتدأ مضمر أى تلك النعمة الأخرى نصر من الله وقوله وفتح قريب أى معجل، وهو فتح مكة أو فارس والروم (قوله وبشر المؤمنين) معطوف على محذوف أى قل يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم الخ وبشر المؤمنين. والمعنى أخبر عامة المؤمنين بأن هذا الفضل العظيم عام لكل من اتصف بما تقدم من الايمان وما بعده (قوله وفى قراءة بالاضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله كما كان الحواريون كذلك) أى أنصار الله. والمعنى كونوا أنصار الله معى كما كان الحواريون أنصار الله لما سألهم عيسى بقوله من أنصارى إلى الله (قوله نحن أنصار الله) من إضافة الوصف إلى مفعوله أى نحن الذين ننصر الله أى ننصر دينه كما تقدم (قوله وقيل كانوا قصارين) فعلى هذا الحور قائم بالثياب وعلى الأول قائم بذواتهم (قوله فآمنت طائفة) مرتبط بمحذوف تقديره فلما رفع عيسى إلى السماء افترق الناس فيه فرقتين فآمنت طائفة الخ وروى عن ابن عباس لما رفع عيسى تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه إليه وفرقة قالت كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرتين فذلك قوله تعالى فأيدنا الذين آمنوا الآية (قوله فاقتتلت الطائفتان) أى وظهرت الكافرة حتى بعث الله محمدا فظهرت

المؤمنة على الكافرة روى المغيرة عن إبراهيم قال وأصبحت حجة من آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كلمة الله وعبده ورسوله .

[سورة الجمعة مدنية] أي بالاجماع وقوله إحدى عشرة آية أي بلا خلاف (قوله فاللام زائدة) أي أو للتعليل والمعنى يسبح ما في السموات وما في الأرض لأجل وجهه تعالى لا يقصدون غرضا من الأغراض ففيه إشارة إلى أنه ينبغي للمكلفين أن يكونوا كذلك وقد تقدم نظيره (قوله الملك) أي المتصرف في خلقه بالايجاد والاعدام وغيرهما (قوله المنزه عما لا يليق به) أي من صفات الحوادث وذكر القدوس عقبه دفعا لما يتوهم أنه يطرأ عليه نقص كالملوك (قوله في الأميين) أي إليها وكذا قوله وآخرين منهم فهو على حد قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، والحكمة في اقتصاره على الأميين هنا مع أنه رسول إلى كافة الخلق تشريف العرب حيث أضيف إليهم (قوله رسولا منهم) أي من جملتهم ومن نسبتهم فما من حي من العرب إلا وله فيهم قرابة ولهم عليه ولادة إلا بني تغلب فان الله طهره منهم لنصرانيتهم كما قاله ابن اسحق ، والحكمة في كونه

(سورة الجمعة)

مدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . يُسَبِّحُ لِلَّهِ) ينزهه فاللام زائدة (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) في ذكر ما تغليب للأكثر (الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ) المنزه عما لا يليق به (الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) في ملكه وصنعه (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ) العرب ، والأمي من لا يكتب ولا يقرأ كتابا (رَسُولًا مِنْهُمْ) هو محمد صلى الله عليه وسلم (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ) القرآن (وَيُزَكِّيهِمْ) يطهرهم من الشرك (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ) القرآن (وَالْحِكْمَةَ) ما فيه من الأحكام (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف: أي وإنهم (كَانُوا مِنْ قَبْلُ) قبل مجيئه (لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (وَآخَرِينَ) عطف على الأميين: أي الموجودين (مِنْهُمْ) والآتين منهم بعدهم (لَمَّا) لم (يَلْحَقُوا بِهِمْ) في السابقة والفضل (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) في ملكه وصنعه وهم التابعون ، والاقتصار عليهم كاف في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم على من عداهم ممن بعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير ممن يليه (ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) ،

صلى الله عليه وسلم أميا مثلهم لكونه في كتب الأنبياء منعوتا بذلك وأيضا لدفع توهم الاستعانة بالكتابة على ما أتى به من الوحي وليكون حاله مماثلة لحال أمته الذين بعث فيهم فيكون أقرب إلى صدقه وأبعد من التهم لكن وصف الأمية كمال في حقه نقص في حق غيره (قوله يتلوا عليهم آياته) حال من قوله رسولا (قوله يطهرهم من الشرك) أي يزيل عنهم الشبه وفساد العقيدة حتى يصيروا أذكياء (قوله مخففة من الثقيلة) أي بدليل وقوع اللام في خبرها (قوله عطف على الأميين) أي فهو مجرور والمعنى بعث النبي إلى الأميين الموجودين وإلى الآتين منهم بعدهم فليست رسالته خاصة بمن كان موجودا في زمنه بل هي عامة لهم ولغيرهم إلى يوم القيامة وما تقدم في الأميين من قوله يتلوا عليهم آياته الخ يجري في قوله وآخرين لكن التلاوة والتعليم والتزكية بنفسه لمن كان في زمنه و بالواسطة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة (قوله أي الموجودين منهم) تفسير للأميين المعطوف عليه وقوله والآتين تفسير لآخرين وفي نسخة وآتين وهي مشاكلة لآخرين في عدم التعريف (قوله لما يلحقوا بهم) أي في السبق إلى الاسلام والشرف وهذا النفي مستمر دائما لأن الصحابة لا يلحقهم ولا يساويهم في فضلهم أحد ممن بعدهم ولذا فسر لما بلم وذلك لأن منفي لم أعم من كونه متوقع الحصول أولا بخلاف لما فمنفيها متوقع الحصول وليس مرادا (قوله والاقتصار عليهم) أي على التابعين في تفسير الآخرين وهو جواب عما يقال ما حكمة الاقتصار على التابعين مع أن الصحابة أفضل من سائر الناس إلى يوم القيامة فأجاب بأنه حيث ثبت تفضيلهم على التابعين الذين هم أفضل ممن بعدهم لزم منه تفضيلهم على جميع الناس إلى يوم القيامة لأن كل قرن خير مما يليه (قوله ممن بعث إليهم) بيان لقوله من عداهم وقوله من جميع الخ بيان لقوله ممن بعث إليهم (قوله لأن كل قرن) تعليل لقوله كاف (قوله ذلك) أي ما ذكر من تفضيل

الرسول وقومه (قوله النبي) تفسير لمن يشاء وقوله ومن ذكر معه الأميون والآخرون (قوله مثل الذين حملوا التوراة) هذه قراءة العامة وقرئ شذوذا حملوا مخففا مبنيا للفاعل (قوله كلفوا العمل بها) أى القيام بها فليس هو من الحمل على الظهر بل هو من الحمالة وهى الكفالة (قوله كمثل الحمار) خص بالذكر لكونه أبلد الحيوانات (قوله يحمل) بفتح الياء وكسر الميم مخففة وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا يحمل بضم الياء وفتح الميم مشددة والجملة إما حال أو صفة لأن القاعدة أن الجمل بعدما يحتمل التعريف والتنكير تكون محتملة للوصفية والحالية فالحالية نظرا لصورة التعريف والوصفية نظرا لجريان الحمار مجرى النكرة لأن المراد به الجنس (قوله أى كتبا) أى كبارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير (قوله فى عدم انتفاعه بها) بيان لوجه الشبه (قوله مثل القوم) فاعل بئس وقوله الذين كذبوا صفة للقوم (قوله بآيات الله) أى دلائل وحدانيته وعظمته (قوله الكافرين) أى الذين سبق فى علمه كفرهم وهذا المثل يضرب لكل من تحمل القرآن ولم يعمل به (قوله قل يا أيها الذين هادوا) أى تمسكوا باليهودية وهى ملة موسى عليه السلام، وسبب نزولها أن اليهود زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وادعوا أنه لايدخل الجنة إلا من كان هودا فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يظهر كذبهم بتلك الآية (قوله أنكم أولياء) هذه الجملة سدت مسد مفعولى زعم ولله متعلق بأولياء وكذا قوله من دون الناس (قوله تعلق بتمنوا الشرطان) أى وهما إن زعمتم إن كنتم صادقين (قوله على أن الأول قيد فى الثانى) أى شرط فيه وهذا إشارة لقاعدة وهى أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط الجواب بينهما كان الأول قيدا فى الثانى، وأما إن تأخر الجواب عنهما معا أو تقدم عليهما معا فان الثانى يكون قيدا فى الاول نحو إن دخلت دار زيد إن كلمت زوجته فأنت طالق فلا تطلق إلا بكلام الزوجة الكائن بعد دخول الدار، وأما دخول الدار وحده أو الكلام خارج الدار فلاتطلق به (قوله ومبدؤها) أى طريقها (قوله ولا يتمنونه) عبر هنا بلا وفى البقرة بلن حيث قال ولن يتمنوه أبدا إشارة إلى أنه نفى عنهم التمنى على كل حال مؤكدا كما فى البقرة وغير مؤكد كما هنا (قوله بما قدمت أيديهم) الباء سببية متعلقة بالنفى (قوله من كفرهم) بيان لما (قوله الذى تفرون منه) أى تخافون من تمنيه مخافة أن ينزل بكم فتؤخذوا بأعمالكم (قوله الفاء زائدة) هذا أحد وجهين والثانى أنها داخلة لما تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم للموصوف بالموصول حكم الموصول (قوله السر والعلانية) لف ونشر مرتب (قوله إذا نودى للصلاة) المراد به الأذان عند جلوس الخطيب على المنبر وذلك لأنه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه فكان له مؤذن واحد إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام الصلاة ثم كان أبو بكر وعمر وعلى بالكوفة على ذلك حتى كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد أذانا آخر فأمر بالتأذين أولا على داره التى تسمى بالزوراء فاذا سمعوا أقبلوا حتى إذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا ولم يخالفه أحد فى ذلك الوقت لقوله صلى الله عليه وسلم «وعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى» (قوله بمعنى فى) هذا أحد وجهين والثانى أنها بيان لإذا وتفسير لها (قوله يوم الجمعة) بضمتين وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بسكون الميم وفتحها سميت بذلك لاجتماع الناس

النبى ومن ذكر معه (وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ) كلفوا العمل بها (ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا) لم يعملوا بما فيها من نعته صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً) أى كتبا فى عدم انتفاعه بها (بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ) المصدقة للنبى محمد صلى الله عليه وسلم والمخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين (قُلْ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) تعلق بتمنوا الشرطان على أن الأول قيد فى الثانى: أى إن صدقتم فى زعمكم أنكم أولياء لله والولى يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنوه (وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) من كفرهم بالنبى المستلزم لكذبهم (وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الكافرين (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ) الفاء زائدة (مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) السر والعلانية (فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِىَ لِلصَّلاَةِ مِنْ) بمعنى فى (يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا):

فيها الصلاة وكانت العرب تسميه العروبة. واعلم أن أفضل الليالى ليلة المولد ثم ليلة القدر ثم ليلة الاسراء فعرفة فالجمعة فنصف شعبان فالعيد، وأفضل الأيام يوم عرفة ثم يوم نصف شعبان ثم الجمعة والليل أفضل من النهار (قوله فامضوا) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من السعى الاسراع فى المشى إذ ليس بمطلوب ولو خاف فواتها بل المراد به التوجه والمشى عند الذهاب أفضل من الركوب إن لم يكن عذر و بعد انقضاء الصلاة لا بأس به (قوله أى اتركوا عقده) أى فالمراد بالبيع العقد بتمامه فهو خطاب لكل من البائع والمشترى ومثل البيع والشراء الاجارة والشفعة والتولية والاقالة فان وقعت حرمت وفسخت عند مالك وعند الشافعى تحرم ولا تفسخ (قوله ذلكم) أى المذكور من السعى وترك الاشتغال بالدنيا (قوله أنه خير) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف وقوله فافعلوه جواب الشرط (قوله فاذا قضيت الصلاة) أى أديت وفرغ منها (قوله فانتشروا فى الأرض) أى للتجارة والتصرف فى حوائجكم (قوله أمر إباحة) أى فالمعنى يباح لكم الانتشار فى الأرض فلا حرج عليكم فى فعله ولا تركه (قوله واذكروا الله كثيرا) أتى به ثانية إعلاما بأن ذكر الله مأمور به فى سائر الأحوال لا فى خصوص الصلاة (قوله تفوزون) أى تظفرون بسعادتكم (قوله كان صلى الله عليه وسلم الخ) شروع فى بيان سبب نزول قوله تعالى - وإذا رأوا تجارة الخ (قوله يخطب يوم الجمعة) أى بعد الصلاة كالعيدين (قوله فقدمت عير) أى من الشام قدم بها دحية بن خليفة الكلبى وكان الوقت وقت غلاء فى المدينة وكان فى تلك القافلة جميع ما يحتاج إليه الناس من بر ودقيق وزيت وغيرها فنزل بها عند أحجار الزيت موضع بسوق المدينة وضرب الطبل ليعلم

الناس بقدومه فيبتاع منه وقيل الضارب للطبل أهل المدينة على العادة فى أنهم كانوا يستقبلونها بالطبل والتصفيق ، وقيل أهل القادم بها. قال قتادة: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات كل مرة تقدم العير من الشام و يوافق قدومها يوم الجمعة وقت الخطبة (قوله غير اثنى عشر رجلا) وفى رواية ، أن الذين بقوا معه أربعون رجلا ، وفى أخرى أنهم ثمانية ، وفى أخرى أنهم أحد عشر ، وفى أخرى أنهم ثلاثة عشر ، وفى أخرى أنهم من أربعة عشر وهذا منشأ الخلاف بين الأئمة فى العدد الذى تنعقد به الجمعة فصح عند مالك أنهم اثنا عشر وصح عند الشافعى أنهم أربعون ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال «لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا» (قوله انفضوا إليها) أى والذى سوغ لهم الخروج وترك رسول الله يخطب أنهم ظنوا أن الخروج بعد تمام الصلاة جائز لانقضاء المقصود وهو الصلاة لأنه كان يقدم الصلاة على الخطبة كالعيدين فلما وقعت هذه الواقعة ونزلت الآية قدم الخطبة وأخر الصلاة (قوله لأنها مطلوبهم) جواب عما يقال لم أفرد الضمير مع أن المتقدم شيئان ويجاب أيضا بأنه أفرد لأن العطف بأو وخص ضمير المؤنث لما قاله المفسر (قوله وتركوك قائما) الجملة حالية من فاعل انفضوا وفى قوله قائما إشارة إلى أن الخطبة تكون من قيام لا من جلوس. قال علقمة: سئل ابن مسعود أكان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب قائما أو قاعدا فقال أما تقرأ وتركوك قائما. قال جمهور العلماء الخطبة: فريضة فى صلاة الجمعة. وقال داود الظاهرى هى مستحبة، ويجب أن يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس. وقال أبو حنيفة وأحمد لا يشترط القيام ولا القعود ويشترط الطهارة فى الخطبة عند الشافعى فى أحد القولين وأقل ما يقع عليه اسم الخطبة أن يحمد الله تعالى ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله لهذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب أن يقرأ فى الأولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعى وذهب أبو حنيفة إلى أنه لو أتى بتسبيحة أو تحميدة أو تكبيرة أجزأه وذهب مالك إلى أنه ما يقع عليه عند العرب اسم الخطبة وهو كلام مسجع مشتمل على تحذير وتبشير (قوله قل ما عند الله الخ) أى قل لهم تأديبا وزجرا لهم عن العود لمثل هذا الفعل .

فامضوا (إِلَى ذِكْرِ اللهِ) أى الصلاة (وَذَرُوا الْبَيْعَ) أى اتركوا عقده (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أنه خير فافعلوه (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ) أمر إباحة (وَابْتَغُوا) اطلبوا الرزق (مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ) ذكرا (كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تفوزون ، كان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير وضرب لقدومها الطبل على العادة فخرج لها الناس من المسجد غير اثنى عشر رجلا فنزل (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا) أى التجارة لأنها مطلوبهم دون اللهو (وَتَرَكُوكَ) فى الخطبة (قَائِمًا ، قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ):

(قوله من الثواب) بيان لما والمراد به الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خير) اسم التفضيل باعتبار أن في اللهو والتجارة لذة دنيوية (قوله يقال كل إنسان الخ) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل على بابه فالرازقون متعددون لكن على سبيل المجاز وإلا فالرازق حقيقة هو الله وحده (قوله عائلته) أي عياله (قوله أي من رزق الله) تصحيح لهذا القول المذكور ، والمعنى ليس المراد أن كل إنسان يرزق عائلته بالاستقلال وبحوله وقوته بل من رزق الله تعالى يجري على يديه .

[سورة المنافقون] هكذا بالواو على الحكاية ، وفي بعض النسخ المنافقين بالياء (قوله مدنية) أي بالاجماع وكذا قوله إحدى عشرة آية (قوله إذا جاءك المنافقون) أي حضروا عندك كعبد الله بن أبيّ وأصحابه وجواب الشرط قوله قالوا وهو الأظهر وقيل جوابه محذوف أي فلا تقبل منهم وقيل الجواب قوله اتخذوا أيمانهم جنة وهو بعيد . وسبب نزول هذه السورة أنه صلى الله عليه وسلم لما غزا بني المصطلق وازدحم الناس على الماء اقتتل رجلان أحدهما من المهاجرين جهجاه بن أسيد ، وكان أجيرا لعمر يقود له فرسه والثاني من الأنصار اسمه سنان الجهني كان حليفا لعبد الله بن أبيّ ، فلما اقتتلا صاح جهجاه بالمهاجرين وسنان بالأنصار فأعان جهجاها رجل من فقراء المهاجرين ولطم سنانا ، فقال عبد الله بن أبيّ ماصحبنا محمدا إلا لتلطم وجوهنا والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل سمن كلبك يأ كلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم قد أنزلتموهم بلادكم وقاسمتوهم في أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم فضل الطعام لتحوّلوا من عندكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا

من الثواب (خَيْرٌ) للذين آمنوا (مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقال كل إنسان يرزق عائلته : أي من رزق الله تعالى .

(سـورة المنافقون)

مدنية ، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا) بألسنتهم على خلاف ما في قلوبهم (نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ) يعلم (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) فيما أضمروه مخالفا لما قالوه (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) سترة على أموالهم ودمائهم (فَصَدُّوا) بها (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أي عن الجهاد فيهم (إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَٰلِكَ) أي سوء عملهم (بِأَنَّهُمْ آمَنُوا) باللسان (ثُمَّ كَفَرُوا) بالقلب : أي استمروا على كفرهم به (فَطُبِعَ) ختم (عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) بالكفر (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) الإيمان (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ) لجمالها (وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) لفصاحته ،

من حول محمد فسمع ذلك زيد بن أرقم فبلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني عنك فحلف إنه ما قال شيئا وأنكر فهو قوله اتخذوا أيمانهم جنة الخ فنزلت السورة (قوله نشهد إنك لرسول الله) يحتمل أن الشهادة على بابها نفيا للنفاق عن أنفسهم ويحتمل أن نشهد بمعنى نحلف (قوله والله يعلم إنك لرسوله) جملة معترضة بين قولهم نشهد إنك لرسول الله وبين قوله والله يشهد الخ وحكمة الاعتراض أنه لو اتصل التكذيب بقولهم لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب فأتى بالاعتراض لدفع الايهام (قوله فيما أضمروه) أي من أنك غير رسول وسماه كذبا باعتبار هذا الذي أضمروه هذا ما أفاده المفسر وقيل كذبهم هو قوله نشهد لأن صدقها كونها من صميم القلب وقولهم خلاف ما في القلب (قوله اتخذوا أيمانهم) بفتح الهمزة في قراءة العامة جمع يمين وقرئ شذوذا بكسرها بمعنى دعواهم الايمان والتصديق بما جاء به محمد (قوله جنة) بضم الجيم أي وقاية (قوله ساء ما كانوا يعملون) ساء كبئس في إفادة الذم وفيها معنى التعجب (قوله بأنهم آمنوا باللسان الخ) جواب عما يقال إن المنافقين لم يحصل منهم إيمان أصلا بل هم ثابتون على الكفر وإيضاحه أن ثم للترتيب الاخباري ومعناه أنهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم (قوله لجمالها) قال ابن عباس : كان ابن أبيّ جسيما صحيحا فصيحا طلق اللسان وكان قوم من المنافقين مثله وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه إلى الجدر وكان النبي ومن حضر يعجبون بهيا كلهم (قوله وإن يقولوا) أي يتكلموا في مجلسك (قوله تسمع) أي تستمع بمعنى تصغي

(قوله كأنهم خشب مسندة) الجملة حالية من الضمير فى قولهم أو مستأنفة (قوله فى ترك التفهم) هذا بيان لوجه الشبه والمعنى أنهم يشبهون الأخشاب المسندة إلى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والنظر (قوله بسكون الشين وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله يحسبون كل صيحة عليهم) أى إنهم من سوء ظنهم ورعب قلوبهم يظنون كل نداء فى العسكر من إنشاد ضالة أو مناداة أحد صاعقة عليهم وأنهم يرادون بذلك فمقتضى كلام المفسر أن عليهم مفعول ثان ليحسبون وقوله هم العدوّ جملة مستأنفة (قوله لما فى قلوبهم من الرعب) متعلق بيحسبون (قوله أن ينزل فيهم) متعلق بالرعب . والمعنى لما فى قلوبهم من الرعب من أن ينزل فيهم قرآن يكون سببا لإباحة دمائهم (قوله فاحذرهم) مرتب على قوله هم العدوّ (قوله قاتلهم الله) إخبار بهلاكهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (قوله أهلكهم) وقيل معناه لعنهم وأبعدهم عن رحمته (قوله بعد قيام البرهان) أى على حقيقة الإيمان (قوله وإذا قيل لهم تعالوا الخ) روى «أنه لما نزل القرآن بفضيحتهم وكذبهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين وقالوا: ويحكم افتضحتم وأهلكتم أنفسكم فأتوا رسول الله وتوبوا إليه من النفاق واسألوه أن يستغفر لكم، فلووا رءوسهم» أى حركوها إعراضا وإباء، وروى «أن ابن أبىّ لوى رأسه وقال لهم: قد أشرتم علىّ بالإيمان فآمنت، وبإعطاء زكاة مالى ففعلت، ولم يبق إلا أن تأمرونى بالسجود لمحمد، فنزل - وإذا قيل لهم تعالوا - الخ، فلم يلبث ابن أبىّ إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات منافقا» (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله ورأيتهم يصدّون) رأى بصرية وجملة يصدّون حال من الهاء وقوله وهم مستكبرون حال من الواو فى يصدّون (قوله سواء عليهم الخ) هذا تيئيس من إيمانهم أى إن استغفارك وعدمه سواء فهم لا يؤمنون لسبق الشقاوة لهم (قوله استغنى) أى فى التوصل (قوله

(كَأَنَّهُمْ) من عظم أجسامهم فى ترك التفهم (خُشُبٌ) بسكون الشين وضمها (مُسَنَّدَةٌ) ممالة إلى الجدار (يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ) تصاح كنداء فى العسكر وإنشاد ضالة (عَلَيْهِمْ) لما فى قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يبيح دماءهم (هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) فإنهم يفشون سرك للكفار (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ) أهلكهم (أَنَّى يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا) معتذرين (يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا) بالتشديد والتخفيف: عطفوا (رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) يعرضون عن ذلك (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ. سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ) استغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل (أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ) لأصحابهم من الأنصار (لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ) من المهاجرين (حَتَّى يَنْفَضُّوا) يتفرقوا عنه (وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم (وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ. يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا) أى من غزوة بنى المصطلق (إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ) عنوا به أنفسهم (مِنْهَا الْأَذَلَّ) عنوا به المؤمنين

للنطق بالساكن (قوله بهمزة الاستفهام) أشار بذلك إلى أن قراءة العامة بفتح الهمزة من غير مد وهى فى الأصل همزة الاستفهام والآن همزة التسوية (قوله الفاسقين) أى الكافرين الذين سبق فى علم الله كفرهم (قوله هم الذين يقولون الخ) استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم (قوله من الأنصار) أى المخلصين فى الإيمان وصحبتهم للمنافقين بحسب ظاهر الحال (قوله على من عند رسول الله) الظاهر أنه حكاية ما قالوه بعينه لأنهم منافقون يقرّون برسالته ظاهرا ويحتمل أنهم عبّروا بغير هذه العبارة فغيرها الله إجلالا لنبيه صلى الله عليه وسلم (قوله حتى ينفضوا) أى لأجل أن يتفرقوا بأن يذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله بالمعاش (قوله ولله خزائن السموات والأرض) الجملة حالية أى قالوا ما ذكر والحال أن الرزق بيده تعالى لا بأيديهم فالمعطى المانع هو الله تعالى، وإذا سدّ باب يفتح الله عشرة (قوله لا يفقهون) أى لا يفهمون أن لله خزائن السموات والأرض (قوله يقولون لئن رجعنا الخ) حكاية لبعض قبائحهم التى قالوها (قوله من غزوة بنى المصطلق) وكانت فى السنة الرابعة وقيل فى الثالثة، وسببها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن أبى ضرار وهو أبو جويرية زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم، فلما

ثم بعثه خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد إلى الساحل فوقع القتال ، فهزم الله بنى المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونسائهم وأموالهم وكان سبيهم سبعمائة ، فلما أخذ النبىّ جويرية من السبى لنفسه أعتقها وتزوّجها ، فقال المسلمون : صار بنو المصطلق أصهار رسول الله فأطلقوا ما بأيديهم من السبى إكراما لرسول الله » ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها : : وما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها من جويرية ، ولقد أعتق بتزويج رسول الله لها مائة أهل بيت من بنى المصطلق (قوله ولله العزّة) الجملة حالية أى قالوا ما ذكر والحال أن العزّة لله الخ وعزّة الله قهره وغلبته لأعدائه وعزّة رسوله إظهار دينه على الأديان كلها وعزّة المؤمنين نصر الله إياهم على أعدائهم (قوله ولكنّ المنافقين لايعلمون) ختم هذه الآية بلا يعلمون وما قبلها بلا يفقهون لأن الأوّل متصل بقوله - ولله خزائن السموات والأرض - وفى معرفتها غموض يحتاج إلى فقه فناسب نفى الفقه وهذا متصل بقوله ولله العزة الخ وفى معرفته غموض زائد يحتاج إلى علم فناسب نفى العلم عنهم (قوله يا أيها الذين آمنوا الخ) نهى للمؤمنين عن التشبه بالمنافقين فى الاغترار بالأموال والأولاد (قوله الصلوات الخمس) هذا قول الضحاك ، وقال الحسن عن جميع الفرائض ، وقيل عن الحج والزكاة ، وقيل عن قراءة القرآن ، وقيل عن سائر الأذكار وهو الأتمّ (قوله فأولئك هم

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ) الغلبة (وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ) تشغلكم (أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) الصلوات الخمس (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنْفِقُوا) فى الزكاة (مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا) بمعنى هلا ، أولا زائدة ولو للتمنى (أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ) بإدغام التاء فى الأصل فى الصاد : أتصدق بالزكاة (وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) بأن أحج ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : ماقصر أحد فى الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت (وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) بالياء والتاء .

الخاسرون) أى لإيثارهم الفانى على الباقى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم » (قوله مما رزقناكم) من تبعيضية وفى التبعيض باسناد الرزق منه تعالى إلى نفسه ترغيب فى الامتثال حيث كان الرزق له تعالى بالحقيقة ومع ذلك اكتفى منهم ببعضه (قوله من قبل أن يأتى أحدكم الموت) أى أماراته ومقدماته (قوله فيقول ربّ) معطوف على أن يأتى مسبب عنه (قوله بمعنى هلا) أى التى معناها التحضيض وتختص بما لفظه ماض وهو فى تأويل المضارع كما هنا واللائق هنا أن تكون بمعنى العرض الذى هو الطلب بلين ورفق لاستحالة معنى التحضيض هنا الذى هو الطلب بحث وإزعاج (قوله ولو للتمنى) أى والتقدير على هذا ليتك أخرتنى إلى أجل قريب (قوله إلى أجل قريب) أى زمن قليل فأستدرك فيه ما فاتنى (قوله بالزكاة) أى وبكل حق واجب كالديون وحقوق العباد (قوله وأكن من الصالحين) يرسم بدون واو كما فى خط المصحف وأما فى اللفظ ففيه قراءتان سبعيتان إثبات الواو والنصب بالعطف على فأصدق المنصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية فى جواب العرض أو التمنى وحذف الواو والجزم بالعطف على محل فأصدق لملاحظة جزمها فى جواب الطلب أى إن أخرتنى أصدق وأكن (قوله عند الموت) أى رؤية أماراته كما تقدم (قوله ولن يؤخر الله نفسا) جملة مستأنفة جواب عن سؤال مقدّر تقديره هل يؤخر هذا المتمنى فقال ولن يؤخر الله نفسا الخ وهو نكرة فى سياق النفى تعم (قوله بالياء والتاء) أى فالياء لمناسبة قوله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون والتاء المثناة فوق لمناسبة قوله ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم .

تتمة : استنبط بعضهم من هذه الآية عمر النبى صلى الله عليه وسلم لأن السورة تمام ثلاث وستين وعقبت بالتغابن الذى هو ظهور الغبن بوفاته صلى الله عليه وسلم وهو من المعانى الاشارية .

[سورة التغابن مكية] أى إلا قوله – يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم – إلى آخر السورة لأنها نزلت بالمدينة باتفاق المفسرين وهذا قول ابن عباس وغيره (قوله أو مدنية) وهو قول الأكثر (قوله فاللام زائدة) أى أو للتعليل كما تقدم (قوله له الملك وله الحمد) قدم الجار والمجرور فيهما لافادة حصر الملك والحمد فيه سبحانه وتعالى حقيقة، وأما نسبة الملك والحمد لغيره تعالى فبطريق المجاز (قوله وهو على كل شىء قدير) كالدليل لما قبله (قوله هو الذى خلقكم) أى تعلقت إرادته بخلقكم أزلا وقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن: أى بحسب تعلق قدرته وإرادته فما قدّر أزلا من كفر وإيمان لابد وأن يموت الشخص عليه لما فى الحديث «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» واعلم أن القسمة رباعية: شخص كتب سعيدا فى الأزل ويظهر مؤمنا ويموت عليه، وشخص كتب شقيا فى الأزل فيعيش كافرا ويموت كذلك، وشخص كتب سعيدا فى الأزل فيعيش كافرا ويختم له بالإيمان، وهذه الثلاثة كثيرة الوقوع وشخص يعيش مؤمنا

ويختم له بالكفر وذلك أندر من الكبريت الأحمر. وبالجملة فالخاتمة تظهر السابقة لأن ما قدر فى الأزل لا يتغير ولا يبدل (قوله ثم يميتهم ويعيدهم) فيه التفات من الخطاب للغيبة، وإلا فمقتضى الظاهر أن يقول ثم يميتكم ويعيدكم (قوله بالحق) أى الحكمة البالغة لا عبثا (قوله إذ جعل شكل الآدمى أحسن الأشكال) أى فجعل رأسه لأعلى ورجليه لأسفل وذراعيه فى جنبيه وجعله منتصب القامة. إن قلت قد يوجد كثير من الناس مشوه الخلق. أجيب بأن التشويه بالنسبة لأبناء جنسه لا بالنسبة لصور البهائم مثلا إذ لو قابلت بين الصورة المشوهة وبين صورة الغزال لرأيت صورة البشر المشوهة أحسن (قوله يعلم ما فى السموات والأرض الخ) الحكمة فى عدم تكرير الموصول هنا وقد كرره فى قوله يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وفى قوله ويعلم ما تسرون وما تعلنون أن تسبيح ما فى السموات مغاير لتسبيح ما فى الأرض، وكذا ما يسرونه مغاير لما يعلنونه لأن المقصود منه تخويف المكلفين لا ثبوت إحاطة العلم فكرر الموصول لذلك ولما كان المقصود من قوله يعلم ما فى السموات والأرض ثبوت إحاطة العلم بذلك لم يكرر الموصول (قوله ألم يأتكم) استفهام توبيخ أو تقرير (قوله فذاقوا) عطف على كفروا عطف مسبب على سبب (قوله أى عذاب الدنيا) أى والآخرة فاسم الاشارة عائد على ما ذكر (قوله فقالوا أبشر) عطف على كانت، والمعنى قال كل فريق من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم أبشر يهدينا وبهذا المعنى صح الجمع فى قوله أبشر يهدوننا وإلا فمقتضى الظاهر أن يقول يهدينا (قوله فكفروا) الفاء سببية، والمعنى كفروا بسبب هذا القول (قوله واستغنى الله) أى ظهر غناه عن إيمانهم لأنه لا ينفعه كما أن كفرهم لا يضره فكل من الكفر والايمان واقع بإرادة الله تعالى وهو المستغنى عن كل ما سواه فلا يسئل عما يفعل.

(سورة التغابن)

مكية أو مدنية، ثمان عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم. يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) أى ينزهه فاللام زائدة، وأتى بما دون من تغليبا للأكثر (لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ) فى أصل الخلقة ثم يميتهم ويعيدهم على ذلك (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ) إذ جعل شكل الآدمى أحسن الأشكال (وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ. يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها من الأسرار والمعتقدات (أَلَمْ يَأْتِكُمْ) يا كفار مكة (نَبَأُ) خبر (الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ) عقوبة كفرهم فى الدنيا (وَلَهُمْ) فى الآخرة (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (ذَلِكَ) أى عذاب الدنيا (بِأَنَّهُ) ضمير الشأن (كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات على الإيمان (فَقَالُوا أَبَشَرٌ) أريد به الجنس (يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا) عن الإيمان (وَاسْتَغْنَى اللَّهُ) عن إيمانهم (وَاللَّهُ غَنِيٌّ) عن خلقه (حَمِيدٌ) محمود فى أفعاله.

(زعم

(زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ) مخففة واسمها محذوف ، أى أنهم (لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ) القرآن (الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) اذكر (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ) يوم القيامة (ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم فى الجنة لو آمنوا (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ) وفى قراءة بالنون فى الفعلين (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هى (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بقضائه (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) فى قوله إن المصيبة بقضائه (يَهْدِ قَلْبَهُ) للصبر عليها (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) البين (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ) أن تطيعوهم فى التخلف عن الخير كالجهاد والهجرة فإن سبب نزول الآية الإطاعة فى ذلك ،

(قوله زعم الذين كفروا الخ) الزعم ادعاء العلم كذبا وهو يتعدى إلى مفعولين لجملة أن لن يبعثوا سادة مسدهما والمراد بهم أهل مكة (قوله مخففة) أى لاناصبة لئلا يتوالى ناصبان (قوله قل بلى) أى تبعثون لأن بلى يجاب بها النفى فيصير إثباتا فهى متضمنة للجواب وإنما أعاده توصلا لتوكيده بالقسم وعطف ما بعده عليه (قوله وذلك) أى المذكور من البعث والحساب (قوله فآمنوا بالله ورسوله) خطاب لكفار مكة والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر : أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا الخ (قوله القرآن) أى لأنه ظاهر فى نفسه مظهر لغيره (قوله ليوم الجمع) سمى بذلك لأن الله يجمع فيه بين الأولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والأرض (قوله يغبن المؤمنون الخ) أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابه فان الكفار إذا أخذوا منازل المؤمنين فى النار لو ماتوا كفارا ليس بغبن للمؤمنين بل هو سرور لهم ، وما قاله المفسر مأخوذ من حديث « ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ، وما من عبد يدخل النار إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة » (قوله لو آمنوا) بيان للاضافة فى قوله منازلهم وأهليهم (قوله ومن يؤمن بالله الخ) كالبيان لوجه التغابن وتفصيل له ، لأن فى ذلك ذكر منازل السعداء والأشقياء (قوله (٢٠١) بالنون فى الفعلين) أى نكفر وندخل وعلى هذه القراءة ففيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله ذلك) أى المذكور من تكفير السيئات وإدخال الجنات (قوله ما أصاب) مفعوله محذوف: أى أحدا ومن مصيبة فاعل بزيادة من (قوله ومن يؤمن بالله) أى إيمانا خاصا وهو التصديق بأن كل شئ بقضاء وقدر (قوله فى قوله) أى فى قول القائل إن المصيبة بقضاء الله ، والمعنى يكن قلبه مطمئنا مصدقا بهذا القول لامجرد قوله إنا لله وإنا إليه راجعون باللسان فلا يعطى به فضيلة الصبر على المصيبة (قوله يهد قلبه) أى للثبات والاسترجاع عند نزولها (قوله وأطيعوا الله) أى فى جميع الأوقات ولا تشغلكم المصائب عن الطاعة (قوله فان توليتم) شرط حذف جوابه تقديره فلا ضرر ولا بأس على رسولنا وقوله:فانما على رسولنا الخ تعليل لذلك المحذوف (قوله الله لا إله إلا هو) مبتدأ وخبر وقوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون تحريض وحث للنبى على التوكل على الله والالتجاء إليه وفيه تعليم للأمة ذلك (قوله يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم الخ) أى بعضهم ، والمراد بالأزواج مايشمل الذكور فكما أن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها (قوله عدوا لكم) أى يشغلكم عن طاعة الله (قوله أن تطيعوهم) أشار بذلك إلى تقدير مضاف أى فاحذروا طاعتهم (قوله فان سبب نزول الآية الخ) علة لقوله كالجهاد والهجرة : أى فسبب نزول الآية أن رجالا أسلموا من أهل مكة وأرادوا أن يهاجروا إلى النبى ، فمنعهم أزواجهم وأولادهم وقالوا : صبرنا على إسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم ، فأطاعوهم وتركوا الهجرة . وقيل نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى كان ذا أهل وولد فأراد أن يغزو فبكوا إليه ورققوه وقالوا له إلى من تدعنا ؟ فرق عليهم وأقام عن الغزو ، وهذا معنى قول المفسر

كالجهاد والهجرة والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل في ذلك جميع أنواع الطاعات. فلا يطيع الأزواج ولا الأولاد في التكاسل عن أي طاعة كانت بل حقوق الله مقدمة على كل حق (قوله وإن تعفوا الخ) أي تتركوا عقابهم بترك الانفاق عليهم ، وذلك أنه من تخلف عن الهجرة والجهاد بسبب منع أهله وأولاده قد تنبه بعد ذلك فرأى غيره من الصحابة قد سبقه بالخير ، فندم ، وعزم على عقاب أهله وأولاده بترك الانفاق عليهم فأنزل : وإن تعفوا الخ (قوله في تثبيطهم) أي شغلهم إياكم وتكسيلهم لكم (قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي ابتلاء واختبار من الله لكم وهو أعلم بما في نفوسكم منكم لكن ليظهر في عالم الشهادة من يشغله ذلك عن الحق فيكون عليه نقمة ممن لا يشغله فيكون عليه نعمة ، وقدم المال لأن فتنته أشد ، ويكفي في فتنته قصة ثعلبة بن حاطب النازل فيه قوله تعالى - ومنهم من عاهد الله - الآية . قال الحسن أدخل من التي للتبعيض في قوله - إن من أزواجكم - الخ لأنهم كلهم ليسوا بأعداء بل البعض منهم ولم يدخلها في قوله - إنما أموالكم - الخ لأنهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما ، فمن رجع إلى الله تعالى ولم يلتفت إلى ماله وولده وجاهد نفسه فقد فاز ، ومن تقبع الشغل بالمال والولد وافتتن بهما فقد هلك (قوله أجر عظيم) وهو الجنة (قوله ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته) أي ومعناها أن يطاع فلا يعصى (٢٠٢) وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر ، ولذلك لما نزلت الآية قالت الصحابة : ومن يعرف قدر الله فيتقيه حق تقاته ، وضايق بعضهم نفسه في العبادة حتى تورمت قدماه من طول القيام فخفف الله عنهم ، فنزلت - فاتقوا الله ما استطعتم - وما قاله المفسر أحد قولين ، وقيل إنها ليست ناسخة بل مبينة لها فآية: اتقوا الله حق تقاته مجملة ، وآية: فاتقوا الله ما استطعتم مفصلة لها غير أن الاستطاعة مختلفة باختلاف الأشخاص فكل يبذل وسعه وطاقته في طاعة ربه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ، فليست الاستطاعة في الناس (سورة
سواء ، وبالجملة فالتكاليف بهذه الآية لا بآية: اتقوا الله حق تقاته سواء قلنا إنها منسوخة أو محكمة (قوله خير يكن) أو مفعول لفعل محذوف تقديره يؤتكم خيرا وهو الأولى لأن حذف كان واسمها مع بقاء الخبر إنما يكثر بعد إن ولو (قوله جواب الأمر) أي وهو قوله وأنفقوا (قوله ومن يوق شح نفسه) الشح كراهة فعل الخير والمعروف وينشأ عنه البخل والامساك (قوله إن تقرضوا الله قرضا حسنا) سماه قرضا ترغيبا في الصدقة حيث جعلها لله قرضا لله مع أن العبد إنما يقرض نفسه لأن النفع عائد عليه ، وفيه تنزل من الله تعالى لعباده حيث أعطاهم المال وأمرهم بالانفاق منه وسمى إنفاقهم قرضا له ، فمن إحسانه عليك خلق ونسب إليك ، وهذا الخطاب يعم الأغنياء والفقراء ، فالأغنياء مخاطبون بالاقراض في بذل أموالهم وأنفسهم ، والفقراء مخاطبون بالاقراض في بذل أنفسهم فهو تعليم لهم الاخلاص في أعمالهم (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله مجاز على الطاعة) أي بالكثير على القليل (قوله حليم في العقاب على المعصية) أي فلا يعجل بالعقوبة على من عصاه (قوله السر) أي ما في القلوب وقوله والعلانية : أي ما أظهره الانسان (قوله العزيز) أي الغالب على أمره (قوله الحكيم في صنعه) أي الذي يضع الشيء في محله .

(وَإِنْ تَعْفُوا) عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم (وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) لكم شاغلة عن أمور الآخرة (وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فلا تفوتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) ناسخة لقوله : اتقوا الله حق تقاته (وَاسْمَعُوا) ما أمرتم به سماع قبول (وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا) في الطاعة (خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ) خبر يكن مقدرة جواب الأمر (وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) بأن تتصدقوا عن طيب قلب (يُضَاعِفْهُ لَكُمْ) وفي قراءة يضعفه بالتشديد بالواحدة عشرا إلى سبعمائة وأكثر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ما يشاء (وَاللَّهُ شَكُورٌ) مجاز على الطاعة (حَلِيمٌ) في العقاب على المعصية (عَالِمُ الْغَيْبِ) السر (وَالشَّهَادَةِ) العلانية (الْعَزِيزُ) في ملكه (الْحَكِيمُ) في صنعه .

(ســـورة الطلاق)

مدنية ، ثلاث عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ) المراد وأمته بقرينة ما بعده أو قل لهم (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ) أي أردتم الطلاق (فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) لأولها ، بأن يكون الطلاق فى طهر لم تمس فيه لتفسيره صلى الله عليه وسلم بذلك رواه الشيخان (وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ) احفظوها لتراجعوا قبل فراغها (وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ) أطيعوه فى أمره ونهيه (لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ) منها حتى تنقضى عدتهن (إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ) زنا (مُبَيِّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها : أى بينت ، أو هى بينة فيخرجن لإقامة الحد عليهن ،

[سورة الطلاق مدنية] (قوله ثلاث عشرة آية) هذا أحد أقوال فى عدد آياتها ، وقيل ثنتا عشرة ، وقيل إحدى عشرة (قوله المراد وأمته) أشار بذلك إلى أن فى الكلام حذف الواو مع ماعطفت على حد : سرابيل تقيكم الحر ، وإنما اقتصر على خطاب النبى لأنه الرئيس الكامل وفى بعض النسخ المراد أمته أى أن لفظ النبى أطلق وأريد به أمته مجازا (قوله بقرينة مابعده) أى وهو الجمع فى قوله طلقتم وفى قوله فطلقوهن (قوله أوقل لهم) هذا احتمال ثان فى توجيه الخطاب وحصله أن المخاطب حقيقة هو النبى وحده ولكن حذف منه الأمر كأنه قال ياأيها النبى قل لأمتك الخ وفى الحقيقة يؤخذ من المفسر ثلاث احتمالات على اختلاف النسخ و بقى احتمال رابع وهو أن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أولا وآخرا بلفظ الجمع تعظيما وتفخيما ، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة رضى الله عنها فأتت أهلها فأنزل الله تعالى عليه : ياأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ، وقيل له راجعها فإنها صوامة قوامة وهى من أزواجك فى الجنة ، وورد «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش » وورد « لاتطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله عزوجل لايحب الذواقين ولا الذواقات » وورد « ماحلف بالطلاق ولااستحلف به إلامنافق » (قوله أردتم الطلاق) دفع بذلك مايقال إن قوله : فطلقوهن تحصيل للحاصل والمراد بالنساء المدخول بهن ذوات الأقراء ، أما غير المدخول بهن فلاعدة عليهن بالكلية ، وأماذوات الأشهر والحوامل فسيأتين (قوله لعدتهن) اللام للتوقيت كهى فى قوله : أقم الصلاة لدلوك الشمس ، والمعنى طلقوهن فى وقت يصلح فيه ابتداء عدتهن وهو ما أشار له بقوله بأن يكون الخ (قوله فى طهر) أى وأما فى الحيض فهو حرام بدليل أن الأمر بالشئ يستلزم النهى عن ضده وهو واقع لأن النهى إذا كان لأمر خارج لايستلزم الفساد وهنا كذلك لأن علة النهى تطويل العدة عليها (قوله لم تمس فيه) أى لم توطأ وهذا القيد لمنع الريبة فانه ربما يحصل من ذلك الوطء حمل فتنتقل من الحيض لوضع الحمل وربما حاضت الحامل فحصل اللبس ، وحكم الطلاق فى الطهر الذى مس فيه الكراهة عند مالك والحرمة عند الشافعى ولكن تحتسب به من العدة ولا يجبر على الرجعة فيه (قوله رواه الشيخان) فقد رويا عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قوله احفظوها) أى احفظوا الوقت الذى وقع فيه الطلاق ، والخطاب للأزواج ويدخل الزوجات فيه أيضا لأن الزوج يحصى العدة ليراجع وينفق ويتزوج بأخت المطلقة ونحوذلك وهى لتحل للأزواج ونحوذلك (قوله لتراجعوا) أى وتنفقوا وتسكنوا (قوله لاتخرجوهن من بيوتهن الخ) المراد المساكن التى وقع الفراق فيها وهى بيوت الأزواج وأضيفت إليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى ، وجمع بين النهيين إشارة إلى أن الزوج لو أذن لها فى الخروج لايجوز لها الخروج لأن العدة حق لله تعالى فلا يسقط بتراضيهما (قوله إلا أن يأتين الخ) الجملة حالية من فاعل لايخرجن ومفعول لاتخرجوهن ، والمعنى لايخرجن ولا تخرجوهن فى حال من الحالات إلا فى حال كونهن آتيات بفاحشة مبينة (قوله زنا) وقيل الفاحشة أن تبذو على أهل زوجها فيحل إخراجها لسوء خلقها (قوله بفتح الياء وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى بينت أوهى بينة) لف ونشر مرتب .

(قوله وتلك المذكورات) أى من قوله : فطلقوهن لعدتهن الخ (قوله فقد ظلم نفسه) أى عرضها للعقاب ، وقيل المراد بظلم نفسه الضرر الدنيوى الذى يلحقه بسبب تعديه ولايمكنه تداركه بدليل قوله : لاتدرى لعل الله الخ و إرادة العموم أولى (قوله لاتدرى لعل الله الخ) استئناف مسوق لتعليل ماتضمنته الجملة الشرطية ، والمراد بالأمر الذى يحدثه الله أن يقلب قلبه عما فعله بأن يرغب فى الرجعة و يندم على الطلاق والمقصود منه التحريض على طلاق الواحدة أوالثنتين وعدم ضرر الزوجة بالفراق ليكون فى فسحة إذا غير الله الأحوال (قوله مراجعة) أى بأن يقلب قلبه من بغضها إلى حبها ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزمة الطلاق إلى الندم عليه ، و بالجملة فالذى ينبغى للعاقل إذا أراد الفراق أن يكون بالمعروف لأنه لايدرى مايخلقه الله فى قلبه بعد ذلك ، فاذا كان فراقه بالمعروف وحوّل الله الحال سهل له بعد ذلك الرجوع (قوله فاذا بلغن أجلهن) أى المطلقات طلاقا رجعيا المدخول بهن (قوله قاربن انقضاء عدتهن) أى فالكلام على سبيل المجاز (قوله فأمسكوهن بمعروف) أى بحسن عشرة و إنفاق وتحمل أذى وغير ذلك (قوله بأن تراجعوهن) تصوير للإمساك (قوله ولاتضاروهن بالمراجعة) بيان للمعروف فى الإمساك ، والمعنى أنه إذا أراد إمساكها راجعها لقصد بقاء الزوجية لالقصد ضررها ، والأوضح أن يقول فلاتضاروهن عندالفراق بأن تتكلموا فى حقهن ونحوذلك ، وأمامضارتهن بالإمساك فقد علم نفيها من قوله تعالى : فأمسكوهن بمعروف (قوله وأشهدوا ذوى عدل) أى صاحبى عدالة (قوله على الرجعة) أى لتظهر ثمرتها بعد ذلك فى الارث إذا ماتت أومات وفيما إذا ادعى الرجعة بعد انقضاء العدة وأنكرت (قوله أوالفراق) أى الطلاق لتظهر ثمرة

الاشهاد بعد ذلك إذا ادعت عليه الطلاق وأنكر وهذا الاشهاد مندوب عند مالك وأبى حنيفة والشافعى فى أحد قوليه والآخر أنه واجب عند الرجعة مندوب عند الفراق (قوله وأقيموا الشهادة لله) أى لوجهه ولاتراعوا المشهود له ولا المشهود عليه ، و إنما حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشهود لأنه ربما يؤدى وفى إلى أن يترك الشاهد مهماته ولما فيه من عسر لقاء الحاكم الذى يؤدى عنده وربما بعد مكانه وكان للشاهد عوائق (قوله ذلكم) أى المذكور من أول السورة إلى هنا (قوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى وأما من لم يكن متصفا بذلك فهو لقساوة قلبه لايوعظ لأنه لم ينتفع به (قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الخ) هذه الجملة اعتراضية فى أثناء الأحكام المتعلقة بالنساء إشارة إلى أنه لايصبر على تلك الأحكام ولايعمل بها إلا أهل التقوى والأحسن أن يراد من هذه العموم لاخصوص التقوى فى أمر النساء ، قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية فى عوف بن مالك الأشجعى أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكى إليه الفاقة وقال إن العدو أسر ابنى وجزعت الأم فما تأمرنى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر وآمرك و إياها أن تستكثرا من قول لاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم ، فعاد إلى بيته وقال لامرأته إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى و إياك أن نستكثر من قول لاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم فقالت نعم ماأمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وهى أربعة آلاف شاة واستاق من إبلهم خمسين بعيرا كما فى رواية وجاء بها إلى المدينة فقال أبوه للنبى صلى الله عليه وسلم أيحل لى أن آكل مما أتى به ابنى فقال نعم ونزلت الآية (قوله ومن يتوكل على الله فهوحسبه) أى من فوض أمره إليه كفاه ماأهمه والأخذ فى الأسباب لاينافى التوكل لأنه مأمور به لكن لايستمد على تلك الأسباب (قوله إن الله بالغ أمره) أى فلابد من إنفاذ مراده حصل من الشخص توكل أم لا لكن من توكل يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا .

(وَتِلْكَ) المذكورات (حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ) الطلاق (أَمْرًا) مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين (فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ) قاربن انقضاء عدتهن (فَأَمْسِكُوهُنَّ) بأن تراجعوهن (بِمَعْرُوفٍ) من غير ضرار (أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ) اتركوهن حتى تنقضى عدتهن ولا تضاروهن بالمراجعة (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) على الرجعة أو الفراق (وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) لا للمشهود عليه أوله (ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) من كرب الدنيا والآخرة (وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) يخطر بباله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) أى فى أموره (فَهُوَ حَسْبُهُ) كافيه (إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ) مراده ،

(قوله وفى قراءة بالاضافة) أى وهى سبعية أيضا (قوله قد جعل الله لكل شئ قدرا) أى تقديرا لايتعداه ولواجتمعت جميع الخلائق على أن يتعدوه لايقدرون، وهذه الآية تستعمل لدفع كرب الدنيا والآخرة لما ورد فى الحديث « إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم – ومن يتق الله يجعل له مخرجا – فمايزال يقرؤها و يعيدها وورد أيضا « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » ومعنى انقطع إلى الله أنه إذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله فانه يفتح الله عليه إن كان ذا ضيق و يرزقه من حيث لايحتسب وورد أيضا « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب » [لطيفة] ذكر الأجهورى فى فضائل رمضان حكاية مناسبة للمقام ، وهى أن قوما ركبوا البحر فسمعوا هاتفا يقول من يعطينى عشرة آلاف دينار حتى أعلمه كلمة إذا أصابه غم أو أشرف على هلاك فقالها انكشف ذلك عنه فقام من أهل المركب رجل معه عشرة آلاف دينار فصاح أيها الهاتف أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وعلمنى فقال ارم بالمال فى البحر فرمى به فسمع الهاتف يقول إذا أصابك هم أو أشرفت على هلاك فاقرأ: ومن يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لايحتسب إلى آخر الآية فقال جميع من فى المركب للرجل لقد ضيعت مالك فقال كلا إن هذه لعظة ما أشك فى نفعها، قال فلما كان بعد أيام كسر بهم المركب فلم ينج منهم غير ذلك الرجل فانه وقع على لوح وطرحه البحر على جزيرة قال فصعدت أمشى فيها فاذا بقصر منيف فدخلته فاذا فيه كل ما يكون فى البحر من الجواهر وغيرها و إذا بامرأة لم أر قط أحسن منها فقلت لها من أنت وأى شئ تعملين ههنا قالت أنا بنت فلان التاجر بالبصرة ، وكان أبى عظيم التجارة وكان لايصبر عنى ساعة فسافر بى معه فى البحر فانكسر مركبنا فاختطفت حتى حصلت فى هذه الجزيرة ، فخرج إلى شيطان من البحر فتلاعب بى سبعة أيام من غير أن يطأنى إلا أنه يلامسنى ويؤذينى ويتلاعب بى ثم ينظر إلى ثم ينزل فى البحر سبعة أيام وهذا يوم موافاته فاتق الله فى نفسك واخرج قبل موافاته و إلا أتى عليك، فما انقضى كلامها حتى رأيت ظلمة هائلة فقالت قد والله جاء وسيهلكك، فلما قرب منى وكاد يغشانى قرأت الآية فاذا هو خر كقطعة جبل إلا أنه رماد محترق، فقالت المرأة هلك والله وكفيت أمره من أنت ياهذا الذى من الله على بك؟ فقمت أنا وهى فانتخبنا ذلك الجوهر حتى حملنا كل مافيه من نفيس وفاخر ولزمنا الساحل نهارنا فاذا كان الليل رجعنا إلى القصر قال وكان فيه كل مايؤكل فقلت لها من أين لك هذا قالت وجدته ههنا فلما كان بعد أيام رأينا مركبا بعيدا فلوحنا إليه فدخل فحملنا فسرنا يسيرا إلى البصرة فوصفت لى منزل أهلها فأتيتهم فقالوا من هذا فقلت رسول فلانة بنت فلان فارتفعت الناعية فقالوا ياهذا لقد جددت علينا مصابنا فقلت اخرجوا فخرجوا فأخذتهم حتى أتيت بهم إلى ابنتهم فكادوا يموتون فرحا وسألوها عن خبرها فقصته عليهم وسألتهم أن يزوجونى بها ففعلوا وجعلنا ذلك الجوهر رأس مال بينى و بينها ، وأنا اليوم أيسر أهل البصرة ، وهؤلاء أولادى منها انتهى (قوله واللائى يئسن الخ) سبب نزولها أنه لما نزل قوله تعالى – والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء – قال خلاد بن النعمان يارسول الله فما عدة التى لم تحض وعدة التى انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللاء اسم موصول مبتدأ و يئسن صلته ، وقوله من نسائكم حال من الضمير فى يئسن ، والشرط وجوابه خبره ، أو قوله فعدتهن خبره وجواب الشرط محذوف تقديره فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والشرط وجوابه المقدر معترض بين المبتدإ وخبره والأول أحسن (قوله يئسن) أى وأول سن اليأس ستون سنة وما بين الخمسين والستين يسئل النساء فان جزمن بأنه حيض أو شككن فحيض و إلا فليس بحيض وما قبل الخمسين حيض قطعا (قوله شككتم فى عدتهن) أى جهلتم قدرها والقيد لبيان الواقع فلا مفهوم له بل عدتها ما ذكر سواء علموا أوجهلوا لكن الواقع فى نفس الأمر أن السائلين كانوا جاهلين بقدرها (قوله واللائى لم يحضن لصغرهن) أى عدم بلوغهن أوان الحيض كبنت تسع ومثل الصغيرة من لم تر الحيض أصلا وتسميها النساء البغلة، وأما معتادة الحيض وتأخر حيضها بلا سبب أو بسبب مرض أو استحيضت ولم تميز فانها تمكث عند مالك سنة بيضاء وتحل للأزواج ، ثم إن احتاجت لعدة بعد ذلك

وفى قراءة بالإضافة (قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ) كرخاء وشدة (قَدْرًا) ميقاتا (وَاللَّائِي) بهمزة وياء وبلا ياء فى الموضعين (يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ) بمعنى الحيض (مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ) شككتم فى عدتهن (فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ) لصغرهن ،

فعدتهن ثلاثة أشهر والمسئلتان في غير المتوفى عنهن أزواجهن ، أماهنّ فعدتهن ما في آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ) انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن (أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا) في الدنيا والآخرة (ذَٰلِكَ) المذكور في العدة (أَمْرُ اللَّهِ) حكمه (أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا . أَسْكِنُوهُنَّ) أي المطلقات (مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ) أي بعض مساكنكم (مِنْ وُجْدِكُمْ) أي سعتكم عطف بيان أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف : أي أمكنة سعتكم لا مادونها (وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) المساكن فيحتجن إلى الخروج أو النفقة فيفتدين منكم (وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ) أولادكم منهن (فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) على الإرضاع (وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ) وبينهن (بِمَعْرُوفٍ) بجميل في حق الأولاد بالتوافق ،

على

كانت كالآيسة والصغيرة ، وأما من تأخر حيضها لرضاع أو استحيضت وميزت أو كان حيضها يأتي بعد سنة أو سنتين إلى خمس فلا تعتد إلا بالحيض فإن زادت عادتها عن خمس فالذي لأبي الحسن على المدونة أنها تعتد بسنة بيضاء من أول الأمر وقيل بثلاثة أشهر كالآيسة والصغيرة فليحفظ هذا المقام (قوله فعدتهن ثلاثة أشهر) أشار بذلك إلى أن قوله واللائي مبتدأ وجملة لم يحضن صلته والخبر محذوف قدره المفسر جملة والأولى تقديره مفردا بأن يقول مثلهن أو كذلك (قوله والمسئلتان) أي مسئلة الآيسة ومسئلة الصغيرة (قوله في غير المتوفى عنهن) أي لما هنا مخصوص بآية البقرة (قوله وأولات الأحمال) مبتدأ وأجلهن مبتدأ ثان وأن يضعن خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول والأحمال جمع حمل بفتح الحاء كصحب وأصحاب اسم لما كان في البطن أو على رأس الشجر وبالكسر اسم لما كان على ظهر أو رأس (قوله أو متوفى عنهن أزواجهن) أشار بذلك إلى بقاء عموم وأولات الأحمال فهو مخصص لآية يتربصن بأنفسهن أي مالم يكن حوامل . وحاصل الفقه في هذا المقام أن النساء قسمان مطلقات ومتوفى عنهن وفي كل إما حرائر أو إماء فعدة الحرة المدخول بها المطلقة ذات الحيض ثلاثة قروء واليائسة والصغيرة ثلاثة أشهر والأمة المدخول بها المطلقة ذات الحيض قرءان فإن كن حوامل فوضع الحمل حرة أو أمة وعدة المتوفى عنها إن كانت حرة أربعة أشهر وعشر مطلقا مدخولا بها أولا والأمة شهران وخمس ليال والحوامل وضع الحمل وانظر تفاصيل ذلك في الفروع (قوله المذكور في العدة) أي في تفاصيلها (قوله أنزله) أي بينه ووضحه

(قوله ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته الخ) كرر التقوى لعلمه سبحانه وتعالى بأن النساء ناقصات عقل ودين فلا يصبر على أمورهن إلا أهل التقوى (قوله أسكنوهن الخ) هذا وما بعده بيان لما تتوقف عليه التقوى (قوله أي المطلقات) أخذ هذا التقييد من السياق وإلا فكل مفارقة يجب لها السكنى سواء كان فراقها بطلاق أو موت وإنما التفصيل في النفقة (قوله أي بعض مساكنكم) أشار بذلك إلى أن من للتبعيض وهو أحد وجهين والثاني أنها لابتداء الغاية . والمعنى تسببوا إلى إسكانهن من الوجه الذي تسكنون أنفسكم فيه (قوله من وجدكم) بضم الواو باتفاق القراء وإن كان يجوز فيه التثليث لغة يقال وجد في المال وجدا بضم الواو وفتحها وكسرها وجدة أيضا بالكسر أي استغنى (قوله بإعادة الجار) ظاهره أنه راجع للبيان والبدل وليس مناسبا لأن عطف البيان لم يعهد فيه تكرار العامل فالأولى رجوعه للبدلية (قوله لامادونها) أي لا المساكن التي دون أمكنة سعتكم لنفاستها وارتفاع سعرها وإنما تكليفه باللائق بها على قدر سعته (قوله ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) أي بأن تفعلوا معهن فعلا يوجب خروجهن من المساكن (قوله فيفتدين) أي المطلقات حيث كن رجعيات فيلجئهن الأمر إلى كونها تفتدى منه ليبتها وتخلص منه (قوله وإن كن أولات حمل) أي وإن كن المطلقات الرجعيات أو البائنات ، وأما الحوامل المتوفى عنهن فلا نفقة لهن لاستغنائهن بالميراث (قوله فإن أرضعن لكم) هذا الحكم مفروض في المطلقات كما هو مقتضاه ، وأما الزوجة فعند مالك يلزمها الإرضاع بنفسها إن كان بها لبان وكان شأنها ذلك وأما مثل بنات الملوك فلا يلزمهن الإرضاع وعند الشافعي لا يلزم الزوجة الإرضاع مطلقا (قوله وائتمروا) أي ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف .

(قوله على أجر معلوم) أى أجرة معلومة على قدر وسعه وحاله (قوله فسترضع له أخرى) فيه معاتبة الأم على ترك الارضاع والمعنى فان امتنع الأب من دفع الأجرة للأم وتركت الأم الولد من غير إرضاع بنفسها فليطلب له الأب مرضعة أخرى ويجبر على ذلك لئلا يضيع الولد فقوله فسترضع الخ خبر بمعنى الأمر والضمير فى له للأب بدليل فان أرضعن لكم والمفعول محذوف للعلم به أى لسترضع الولد لوالده امرأة أخرى (قوله لينفق على المطلقات) أى اللاتى لم يرضعن وقوله والمرضعات أى المطلقات وهذا التقييد أخذه من السياق وإلا فالزوجة كذلك . واعلم أن المطلقة طلاقا رجعيا لها النفقة باجماع المذاهب وأما بائنا فلا نفقة لها عند مالك والشافعى وعند أبى حنيفة لها النفقة وكل هذا مالم تكن حاملا وإلا فلها النفقة باجماع وللمرضع أجرة الرضاع باجماع أيضا كما يقضى بالسكنى للجميع باجماع (قوله من سعته) الكلام على حذف مضاف ومن بمعنى على أى على قدر سعته، والمعنى أنه يجب على الأزواج النفقة على المطلقات والمرضعات والأزواج بقدر طاقته فيلزم الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والمعسر مد هذا مذهب الشافعى ومذهب مالك يفرض لها قوت وإدام وكسوة ومسكن بقدر

على أجر معلوم على الإرضاع (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ) تضايقتم فى الإرضاع فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله (فَسَتُرْضِعُ لَهُ) للأب (أُخْرَى) ولا تكره الأم على إرضاعه (لِيُنْفِقْ) على المطلقات والمرضعات (ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ) ضيق (عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ) أعطاه (اللَّهُ) على قدره (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) وقد جعله بالفتوح (وَكَأَيِّنْ) هى كاف الجر دخلت على أىّ بمعنى كم (مِنْ قَرْيَةٍ) أى وكثير من القرى (عَتَتْ) عصت يعنى أهلها (عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا) فى الآخرة وإن لم تجئ لتحقق وقوعها (حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضمها فظيعا وهو عذاب النار (فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا) عقوبته (وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا) خسارا وهلاكا (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) تكرير الوعيد توكيد (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (الَّذِينَ آمَنُوا) نعت للمنادى أو بيان له (قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا) هو القرآن (رَسُولًا) أى محمدا صلى الله عليه وسلم منصوب بفعل مقدر: أى وأرسل (يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرها كما تقدم (لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) بعد مجىء الذكر والرسول (مِنَ الظُّلُمَاتِ) الكفر الذى كانوا عليه (إِلَى النُّورِ) الإيمان الذى قام بهم بعد الكفر (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ)

وسعه وحاله (قوله على قدره) أى فلا يكلف فوق طاقته (قوله سيجعل الله بعد عسر يسرا) فى هذا بشارة للفقراء : أى فلا تقنطوا بل عن قريب يحول الله حالكم إلى الغنى وفى الحديث « لن يغلب عسر يسرين » (قوله وقد جعله بالفتوح) أى فقد صدق الله وعده حيث فتح عليهم جزيرة العرب وفارس والروم حتى صاروا أغنى الناس ، ولا خصوصية للصحابة بذلك بل العبرة بالعموم (قوله وكأين) مبتدأ ومن قرية تمييز لها وقوله عتت خبر (قوله بمعنى كم) أى فصار المجموع بمعنى كم (قوله عتت) ضمنه معنى عرضت أو خرجت فعداه بعن (قوله يعنى أهلها) أى فأطلق لفظ القرية وأريد أهلها مجازا من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله لتحقق وقوعها) جواب عما يقال إن الحساب وما بعده إنما يحصل فى الآخرة فما وجه التعبير بالماضى فأجاب بأنه عبر بالماضى لتحقق وقوعه (قوله حسابا شديدا) أى بالمناقشة والاستقصاء (قوله فظيعا) أى شنيعا قبيحا (قوله تكرير الوعيد) أى المذكور فى الجمل الأربع ، وهى قوله: فحاسبناها وعذبناها فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (قوله أو بيان له) أى عطف بيان (قوله منصوب بفعل مقدر) هذا أحسن احتمالات تسع ذكرها المفسرون ، وقوله أى محمدا هو أحد أقوال ثلاثة فى تفسير الرسول وهو أحسنها ، وقيل هو جبريل ، وقيل هو القرآن نفسه (قوله يتلوا عليكم) نعت لرسولا (قوله مبينات) حال من آيات (قوله كما تقدم) أى فى قوله بفاحشة مبينة من أن المفتوح من المتعدى والمكسور من اللازم : أى بينها الله أو هى بينة فى نفسها (قوله ليخرج) متعلق بيتلوا فالضمير راجع لمحمد صلى الله عليه وسلم أو متعلق بأنزل فالضمير عائد على الله تعالى وكل صحيح .

(قوله وفى قراءة بالنون) أى وهى سبعية أيضا (قوله خالدين فيها) حال مقدرة أى مقدرين الخلود (قوله قد أحسن الله رزقا) أى عظيما عجيبا والجملة حال ثانية أو حال من الضمير فى خالدين فتكون متداخلة (قوله ومن الأرض مثلهن) عامة القراء على نصب مثلهن ووجهه أنه معطوف على سبع سموات أومفعول لمحذوف تقديره وخلق مثلهن من الأرض وقرئ شذوذا بالرفع على الابتداء والجار والمجرور خبره مقدم عليه (قوله يعنى سبع أرضين) اعلم أن العلماء أجمعوا على أن السموات سبع طباق بعضها فوق بعض. وأما الأرضون فالجمهور على أنها سبع كالسموات بعضها فوق بعض وفى كل أرض سكان من خلق الله وعليه فدعوة الاسلام مختصة بأهل الأرض العليا لأنه الثابت والمنقول ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم ولا أحد ممن بعده نزل إلى الأرض الثانية ولا غيرها من باقى الأرضين و بلغهم الدعوة وهل جعل الله لما تحت الأرض العليا ضوءا آخر غير الشمس والقمر أو يستمدون الضوء منهما؟ قولان للعلماء، وقيل إنها طباق ملزوقة بعضها ببعض وقيل ليست طباقا بل منبسطة تفرق بينها البحار وتظل الجميع السماء والأول هو الأصح (قوله ينزل به جبريل) أى بالوحى بمعنى التصريف، والمعنى أن أمر الله وقضاءه يجرى و ينزل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة فهو سبحانه وتعالى متصرف فى كل ذرة منها، وأما إن أريد بالوحى وحى التكاليف بالأحكام فالمراد بقوله بينهن: أى بين السموات السبع والأراضى السبع فيكون فوق الأرض وتحت السموات (قوله متعلق بمحذوف) أى على أنه علة له والمعنى حكمة إعلامه لكم بهذا الخلق صيرورتكم علماء بأن الله على كل شئ قدير الخ (قوله على كل شئ) أى من غير هذا العالم بحيث يمكن أن يخلق خلقا آخر أبدع من هذا العالم وهذا كله بالنظر للإمكان العقلى فلا يخالف ما نقل عن الغزالى من قوله ليس فى الامكان أبدع مما كان لأن معناه تعلق علم الله فى الأزل بأنه لا يخلق عالما غير هذا العالم فمن حيث تعلق العلم بعدمه صار غير ممكن لأنه لو وقع لانقلب العلم جهلا فهى استحالة عرضية وهناك أجوبة أخر ذكرناها فى كتابة الجوهرة حيث

وفى قراءة بالنون (جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا) هو رزق الجنة التى لاينقطع نعيمها (اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ) يعنى سبع أرضين (يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ) الوحى (بَيْنَهُنَّ) بين السموات والأرض ينزل به جبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة (لِتَعْلَمُوا) متعلق بمحذوف أى أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا)

(سورة التحريم)

مدنية، اثنتا عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ) من أمتك مارية القبطية لما واقعها فى بيت حفصة وكانت غائبة فجاءت وشق عليها كون ذلك فى بيتها وعلى فراشها

[سورة التحريم] وتسمى سورة النبى صلى الله عليه وسلم (قوله مدنية) أى كما هو قول الجميع (قوله يا أيها النبى لم تحرم الخ) هذا الخطاب مشعر بأنه صلى الله عليه وسلم على غاية من التفخيم والتعظيم حيث عاتبه على إتعاب نفسه والتضييق عليها من أجل مرضاة أزواجه كأن الله تعالى يقول له لاتتعب نفسك فى مرضاة أزواجك بل أرح نفسك ولاتتعبها وأزواجك يسعين فى مرضاتك فان سعين فى مرضاتك سعدن و إلافلا (قوله من أمتك مارية القبطية) هذا قول أكثر المفسرين. ومحصله أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه، فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله فى زيارة أبويها فأذن لها فلما خرجت أرسل إلى جاريته مارية القبطية التى أهداها له المقوقس ملك مصر، فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج النبى ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى، فقال لها ما يبكيك فقالت إنما أذنت لى من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتى ثم وقعت عليها فى يومى على فراشى أما رأيت لى حرمة وحقا فقال أليست هى جاريتى قد أحلها الله لى وهى حرام على التمس بذلك رضاك ولا تخبرى بهذا امرأة منهن، فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذى بينها و بين عائشة، فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه أمته مارية و إن الله قد أراحنا منها وأخبرتها بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم، وقيل إن الذى حرمه

على نفسه هو شرب العسل وهو ما في الصحيحين لما روي عن عائشة « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل وكان إذا صلى العصر دار على نسائه فيدنو من كل واحدة منهن ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس ، فسألت عن ذلك ، فقيل لي أهدت إليها امرأة من قومها عكة عسل ، فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة ، فقلت والله لنحتالن له ، فذكرت ذلك لسودة وقلت لها إذا دخل عليك ودنا منك فقولي له يارسول الله أكلت مغافير بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء جمع مغفور بالضم كعصفور : أي صمغا حلوا له رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفاء يكون في الحجاز له رائحة كرائحة الخمر فإنه سيقول لك لا ، فقولي له وما هذه الريح ؟ وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه الريح الكريه ، فإنه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل ، فقولي له أكلت نحله العرفط حتى صار فيه : أي في العسل ذلك الريح الكريه ، وإذا دخل علي فسأقول له ذلك وقولي أنت ياصفية ذلك ، فلما دخل على سودة قالت له مثل ما علمتها عائشة وأجابها بما تقدم ، فلما دخل على صفية قالت له مثل ذلك ، فلما دخل على عائشة قالت له مثل ذلك ، فلما كان اليوم الآخر ودخل على حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال لاحاجة لي به ، قالت إن سودة تقول سبحان الله لقد حرمناه منه ، فقال لها اسكتي » اهـ (قوله حيث قلت) ظرف لقوله لم تحرم أو تعليل له (قوله تبتغي مرضات أزواجك) حال من فاعل تحرم ، والمعنى لاينبغي لك أن تشتغل بما يرضى الخلق بل اللائق أن أزواجك وسائر الخلق تسعى في مرضاتك (قوله أي رضاهن) مصدر مضاف لفاعله أو مفعوله (قوله شرع) أي فالمراد بالفرض الشرع والمعنى بين وأظهر وجعل لكم تحلة أيمانكم والضمير عائد عليه وعلى أمته (قوله تحلة أيمانكم) مصدر حلل ككرم تكرمة فأصله تحللة فأدغم (قوله تحليلها بالكفارة

حيث قلت حرام علي (تَبْتَغِي) بتحريمها (مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ) أي رضاهن (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) غفر لك هذا التحريم (قَدْ فَرَضَ اللَّهُ) شرع (لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ) بتحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة ، ومن الأيمان تحريم الأمة وهل كفر صلى الله عليه وسلم ؟ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مارية . وقال الحسن: لم يكفر لأنه صلى الله عليه وسلم مغفور له (وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ) ناصركم (وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . وَ) اذكر (إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ) هي حفصة (حَدِيثًا) هو تحريم مارية وقال لها لاتفشيه (فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ) عائشة ظنا منها أن لاحرج في ذلك (وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ) أطلعه (عَلَيْهِ) على المنبأ به (عَرَّفَ بَعْضَهُ) لحفصة (وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ) تكرما منه (فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) أي الله (إِنْ تَتُوبَا) أي حفصة وعائشة (إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا) مالت إلى تحريم مارية ،

الخ) أشار إلى أن التحلة تحليل اليمين فكأنه عقد وتحلته بالكفارة (قوله ومن الأيمان تحريم الأمة) أي بقوله أنت علي حرام فتجب به كفارة يمين عند الشافعي وعند مالك التحريم في غير الزوجة لغو لايلزم به شيء ما لم يقصد به في الأمة عتقها وإلا فيلزمه عتقها ؛ وأما التحريم في الزوجة فعند الشافعي إن نوى به الطلاق وقع وإلا فيلزمه كفارة يمين وعند مالك يلزمه به الطلاق الثلاث إن كان مدخولا بها وواحدة في غير المدخول بها وإن لم ينو به حل العصمة (قوله قال مقاتل الخ) أي وبه أخذ الشافعي (قوله وقال الحسن لم يكفر الخ) أي وبه أخذ مالك والأصل عدم الخصوصية إلا لدليل (قوله والله مولاكم) أي متولي أموركم (قوله حديثا) أي ليس من الأحكام البلاغية (قوله وهو تحريم مارية) أي وأسر إليها أيضا أن أباها عمر وأبا عائشة أبا بكر يكونان خليفتين على الأمة بعده (قوله فلما نبأت به عائشة) قدره إشارة إلى أنه يتعدى إلى مفعولين الأول بنفسه والثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا وقد يحذف المفعول الأول للدلالة عليه (قوله ظنا منها) أي فهو باجتهاد منها فهي مأجورة فيه (قوله أطلعه عليه) أي على لسان جبريل فأخبره بأن الخبر قد أفشي (قوله على المنبأ به) أي وهو تحريم مارية ، والمناسب أن يقول على أنها قد أنبأت به (قوله عرف بعضه) أي وهو تحريم مارية أو العسل (قوله وأعرض عن بعض) أي وهو أن أباها وأبا بكر يكونان خليفتين بعده ، وإنما أعرض عن ذلك البعض خوفا من أن ينتشر في الناس فربما أثاره بعض المنافقين حسدا (قوله تكرما منه) أي وحياء وحسن عشرة (قوله قالت من أنبأك هذا) أي وقد ظنت أن عائشة هي التي أخبرته .

(قوله أى سركما ذلك مع كراهة النبى له) أى وغبة الأمر الذى يكرهه النبى صلى الله عليه وسلم زيغ وميل عن الحق (قوله وجواب الشرط محذوف) أى فقوله فقد صغت قلوبكما تعليل للشرط ، والمعنى إن تتوبا إلى الله من أجل ميل قلوبكما تقبلا (قوله ولم يعبر به) أى فيقول قلباكما (قوله فيما هو كالكلمة الواحدة) أى لأن بين المضاف والمضاف إليه علقة وارتباطا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله فان الله هو مولاه) تعليل لجواب الشرط المحذوف تقديره فلايعدم ناصرا فان الله الخ (قوله فصل) أى ضمير فصل لامحل له من الاعراب (قوله وصالح المؤمنين) اسم جنس لاجمع ولذلك يكتب من غير واو بعد الحاء ويصح أن يكون جمعا بالواو والنون حذفت النون للاضافة وكتب بدون واو اعتبارا بلفظه لأن الواو ساقطة لالتقاء الساكنين نحو سندع الزبانية (قوله معطوف على محل اسم إن) أى قبل دخول الناسخ وهذا على بعض مذاهب النحويين ويجوز أن يكون جبريل مبتدأ ومابعده عطف عليه وظهير خبر الجميع (قوله والملائكة بعد ذلك ظهير) أخبر بالمفرد عن الجمع لأن فعيلا يستوى فيه الواحد وغيره . إن قلت إن نصرة الله هى الكفاية العظمى وما الحكمة فى ضم ما بعدها إليها . قلت تطييبا لقلوب المؤمنين وتوقيرا لجانب الرسول (قوله عسى ربه إن طلقكن الخ) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أشاعت حفصة ما أسرها به اغتم صلى الله عليه وسلم وحلف أن لايدخل عليهن شهرا مؤاخذة لهن ، ومكث الشهر فى بيت مارية ، فلما مضت تسع وعشرون ليلة بدأ بعائشة فدخل عليها ، فقالت له إنك أقسمت على شهر و إنك دخلت فى تسع وعشرين ليلة ، فقال لها هذا الشهر تسع وعشرون ليلة ولما بلغ عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه وشاع عند الناس أنه طلقهن أتاه فوجده فى مشربة . قال عمر : فدخلت على حفصة وهى تبكى ، فقلت أطلقكن رسول الله ؟ قالت لاأدرى هاهوذا معتزل فى هذه المشربة ، فاستأذنت عليه فأذن لى فدخلت فسلمت عليه فاذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر فى جنبه فقلت يارسول الله أطلقت نساءك ؟ فرفع رأسه إلىّ وقال لا ، فقلت الله أكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش ولم نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم ، فما زال يلاطفه بالكلام حتى تبسم وقال له يارسول الله لايشق عليك من أمر النساء ، فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبوبكر والمؤمنون معك . قال عمر وقلما تكلمت بكلام إلا رجوت الله يصدق قولى الذى أقوله ، فنزلت هذه الآية وآية ـ وإن تظاهرا عليه ـ الخ فاستأذن عمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه ، فأذن له فقام على باب المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله نساءه . قالت عائشة ثم بعد هذه القضية نزلت آية التخيير فبدأ بى فاخترته ، ثم خيرهن فاخترنه وآية التخيير هى قوله تعالى ـ يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها إلى قوله : عظيما ـ (قوله إن طلقكن) أى جميعا فلاينافى أنه وقع منه طلاق لحفصة طلقة واحدة وأمر براجعتها فطلاقه لها كالعدم فالتعليق إنما هو على تطليق الجميع مع عدم المراجعة والتبديل للكل لكونه مرتبا على تطليق الكل (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله خيرا منكن) أى بأن يطردكن ويأتى له بنساء أخر خير منكن إذ قدرة الله صالحة لرفع أقوام ووضع آخرين فلا يقال كيف تكون المبدلات خيرا منهن مع أنه لم يكن على وجه الأرض نساء خيرا منهن لأننا نقول قدرة الله صالحة لذلك إن حصل المعلق عليه وهو لم يحصل (قوله خبر عسى) أى جملة أن يبدله (قوله والجملة جواب الشرط) أى جملة عسى واسمها وخبرها . إن قلت إن هذه الجملة فعلها جامد والجملة إذا كانت كذلك ووقعت جواب شرط وجب اقترانها بالفاء فالمناسب أن تجعل دليل جواب

أى سرٌ كما ذلك مع كراهة النبى صلى الله عليه وآله وسلم له وذلك ذنب ، وجواب الشرط محذوف: أى تقبلا ، وأطلق قلوب على قلبين ولم يعبر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة (وَإِنْ تَظَّاهَرَا) بإدغام التاء الثانية فى الأصل فى الظاء وفى قراءة بدونها : تتعاونا (عَلَيْهِ) أى النبى فيما يكرهه (فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ) فصل (مَوْلَاهُ) ناصره (وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) أبو بكر وعمر رضى الله عنهما معطوف على محل اسم إن فيكونون ناصريه (وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ) بعد نصر الله والمذكورين (ظَهِيرٌ) ظهراء : أعوان له فى نصره عليكما (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ) أى طلق النبى أزواجه (أَنْ يُبَدِّلَهُ) بالتشديد والتخفيف (أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ) خبر عسى ، والجملة جواب الشرط ،

محذوف (قوله ولم يقع التبديل) جواب عما يقال إن الترجي في كلام الله للتحقيق مع أنه لم يحصل هنا . فأجاب بأنه معلق على شرط وهو التطليق للكل ولم يطلقهن . وأجيب أيضا بأن عسى هنا للتخويف (قوله تائبات) أي راجعات عن الزلات والهفوات (قوله عابدات) أي خاضعات متذللات (قوله صائمات) هذا قول ابن عباس وسمي الصائم سائحا لأن السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد مايطعمه فكذلك الصائم يمسك إلى أن يجيء وقت إفطاره (قوله أو مهاجرات) هذا قول الحسن (قوله ثيبات وأبكارا) أي بعضهن كذا و بعضهن كذا ودخلت الواو بين الوصفين لتغايرهما دون سائر الصفات والثيب من ثاب يثوب : أي رجع سميت بذلك لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام معها أو إلى غيره إن فارقها أو لأنها رجعت إلى بيت أبويها والأبكار جمع بكر وهي العذراء ، سميت بكرا لأنها على أول حالتها التي خلقت بها ، فمدح الثيبات من حيث إنها أكثر تجربة وعقلا وأسرع حبلا ، والبكر من حيث إنها أطهر وأطيب وأكثر مداعبة (قوله قوا أنفسكم) أي اجعلوا لها وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي وقوا أمر من الوقاية فوزنه عوا لأن فاءه حذفت لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة والأمر محمول عليه وحذفت اللام حملا له على المجزوم فأصله اوقيوا فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة حملا على المضارع وحذفت همزة الوصل استغناء عنها لزوال الساكن الذي جيء به لأجله واستثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء وضم ماقبل الواو لتصح (قوله وأهليكم) أي مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم ، والمراد بالأهل النساء (٢١١) والأولاد وما ألحق بهما (قوله وقودها) أي ماتوقد به (قوله كأصنامهم) مثال للحجارة التي توقد النار بها (قوله منها) حال من الأصنام والضمير للحجارة (قوله عليها ملائكة) أي يتولى أمرها وتعذيب أهلها (قوله من غلظ القلب) أي قسوته فلا يرحمون أحدا لأنهم خلقوا من الغضب وحبب إليهم عذاب الخلق كما حبب لبني آدم الطعام والشراب ، وقيل غلاظ الابدان لما روى « مابين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب » (قوله شداد في البطش) أي فقد روى أن من جملة قوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فتدفع الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم (قوله بدل من لفظ الجلالة) أي بدل اشتمال كأنه قال لايعصون أمره وفيه إشارة إلى أن مامصدرية (قوله و يفعلون مايؤمرون) أي به (قوله تأكيد) جواب عما يقال إن الجملة الأولى هي عين الجملة الثانية فلم كررها ، فأجاب بأنه كررها للتأكيد . وأجيب أيضا بأن مفاد الجملة الأولى أنهم لايقع منهم عصيان لأمر الله ولا مخالفة ومفاد الجملة الثانية أن قضاء الله نافذ على أيديهم لايعوقهم عنه عائق بخلاف أهل طاعة الله في الدنيا قد يتخلف ما أمروا به لعجز أو نسيان مثلا فتغايرا بهذا الاعتبار (قوله والآية تخويف للمؤمنين) أي الخالصين وهو جواب عما يقال : إن هذا خطاب للمشركين فلأي شيء خوطب به المؤمنون ؟ فأجاب بأنه على سبيل التخويف للمؤمنين الخالصين والمنافقين الذين هم مؤمنون ظاهرا (قوله يقال لهم ذلك) أي يا أيها الذين كفروا الخ (قوله أي لأنه لاينفعكم) أي لأنه يوم الجزاء لايوم الاعتذار إذ قد فات زمنه (قوله أي جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف في قوله : ما كنتم تعملون (قوله يا أيها الذين آمنوا) أي اتصفوا بالايمان (قوله بفتح النون) أي على أنه صيغة مبالغة كالشكور صفة لتوبة أي بلغت الغاية في الخلوص وقوله وضمها : أي فهو مصدر يقال نصح نصحا ونصوحا كشكر شكرا وشكورا وصفت به التوبة مبالغة على حد زيد عدل والقراءتان سبعيتان وقوله صادقة راجع لكل من القراءتين .

ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط (مُسْلِمَاتٍ) مقرات بالإسلام (مُؤْمِنَاتٍ) مخلصات (قَانِتَاتٍ) مطيعات (تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ) صائمات أو مهاجرات (ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ) بالحمل على طاعة الله (نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ) الكفار (وَالْحِجَارَةُ) كأصنامهم منها ، يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتقد بالحطب ونحوه (عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سيأتي في المدثر (غِلَاظٌ) من غلظ القلب (شِدَادٌ) في البطش (لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ) بدل من لفظ الجلالة : أي لا يعصون أمر الله (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) تأكيد ، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتداد وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) يقال لهم ذلك عند دخولهم النار : أي لأنه لاينفعكم (إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) أي جزاءه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً) بفتح النون وضمها : صادقة ،

(قوله بأن لا يعاد إلى الذنب الخ) هذا أحد ثلاثة وعشرين قولا في تفسير التوبة النصوح كلها ترجع إلى التي استجمعت الشروط. واعلم أن التوبة مما لا يتعلق به حق لآدمي لها شروط ثلاثة: أن يقلع عن المعصية في الحال وأن يندم على ما فعله، وأن يعزم على أنه لا يعود، وإن كانت متعلقة بحق آدمي فيزاد على هذه الثلاثة رد المظالم إلى أهلها إن أمكن وإلا فيكفي استسماحهم وهي واجبة من كل ذنب كان كبيرة أو صغيرة بإجماع لما ورد «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» وفي رواية «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» وورد «أن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في التوبة (قوله ترجية تقع) أشار بذلك إلى أن هذا الترجي واجب الوقوع على القاعدة المتقدمة أن كل ترج من الله في القرآن واقع لكونه بمنزلة التحقيق وترجية كتزكية (قوله يوم لا يخزي الله النبي) إما منصوب بيدخلكم أو باذكر مقدرا (قوله والذين آمنوا) إما معطوف على النبي فالوقف على قوله معه ويكون قوله نورهم يسعى مستأنفا أو حالا أو مبتدأ خبره جملة نورهم يسعى (قوله ويكون بأيمانهم) قدره دفعا لما يتوهم من تسليط يسعى على الأيمان أنه وإن كان في جهتها إلا أنه بعيد عنها فأفاد أنه كما يكون في جهة الأيمان يكون قريبا منها وتقدم ذلك في سورة الحديد (قوله والمنافقون يطفأ نورهم) عطف سبب: أي أن سبب قول المؤمنين ما ذكر أنهم يرون المنافقين

يتقد لهم نور في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد فإذا انطفأ فيمشون في ظلمة فيقعون في النار فإذا رأى المؤمنون هذه الحال سألوا الله دوامها حتى يوصلهم إلى الجنة والجنة لا ظلام فيها. إن قلت كيف يخافون من طفء نورهم مع أنهم آمنون لا يحزنهم الفزع الأكبر؟ أجيب بأن دعاءهم ليس من خوف ذلك بل تلذذا وطلبا لما هو حاصل لهم من الرحمة (قوله والمنافقين باللسان والحجة) إنما خاصمهم بذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بقتالهم بالسيف لأنهم مسلمون ظاهرا والإسلام يقي من قتال السيف وإنما أمر بفضيحتهم وإخراجهم من مجلسه كما تقدم ذلك (قوله واغلظ عليهم) أي شدد عليهم في الخطاب ولا تعاملهم باللين (قوله بالانتهار) أي الزجر، وقوله والمقت: أي البغض والطرد (قوله ضرب الله مثلا) لما كان لبعض الكفار قرابة بالمسلمين ربما توهموا أنها تنفعهم وكان لبعض المسلمين قرابة بالكفار وربما توهموا أنها تضرهم ضرب الله لكل مثلا، وضرب بمعنى جعل فمثلا مفعول ثان مقدم، وقوله امرأة نوح الخ: أي حالهما مفعول أول أخر عنه ليتصل به ما هو تفسير وشرح لهما، والمعنى جعل الله حال هاتين المرأتين مشابها لحال هؤلاء الكفرة فالكفار اتصلوا بالنبي والمؤمنين ولم ينفعهم الاتصال بدون الإيمان والمرأتان كذلك (قوله امرأت نوح) ترسم امرأة في هذه المواضع الثلاثة وابنت بالتاء المجرورة وفي الوقف عليها خلاف بين القراء فبعضهم يقف بالتاء وبعضهم بالهاء (قوله كانتا تحت عبدين) أظهر في مقام الإضمار لتشريفهما بهذه النسبة والوصف بالصلاح (قوله فخانتاهما في الدين) أي لا في الزنا لما ورد عن ابن عباس أنه ما زنت امرأة نبي قط (قوله إذ كفرتا) تعليل لقوله فخانتاهما (قوله واسمها واهلة) بتقديم الهاء على اللام وقيل بالعكس، وقوله واعلة بتقديم العين على اللام وقيل بالعكس (قوله فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما عند الله عن زوجتهما لما كفرتا من عذاب الله شيئا تنبيها بذلك على أن العذاب يدفع بالطاعة والامتثال لا بمجرد الصحبة (قوله شيئا) أي من الإغناء فهو مفعول مطلق أو مفعول به

بأن لا يعاد إلى الذنب ولا يراد العود إليه (عَسَى رَبُّكُمْ) ترجية تقع (أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ) بساتين (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ) بإدخال النار (النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ) أمامهم (وَ) يكون (بِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ) مستأنف (رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا) إلى الجنة، والمنافقون يطفأ نورهم (وَاغْفِرْ لَنَا) ربنا (إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَافِقِينَ) باللسان والحجة (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) بالانتهار والمقت (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هي (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا) في الدين إذ كفرتا، وكانت امرأة نوح ـ واسمها واهلة ـ تقول لقومه إنه مجنون، وامرأة لوط ـ واسمها واعلة ـ تدل قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلا بإيقاد النار ونهارا بالتدخين (فَلَمْ يُغْنِيَا) أي نوح ولوط (عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ) من عذابه (شَيْئًا،

وقيل)

وَقِيلَ) لهما (ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ) من كفار قوم نوح وقوم لوط (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ) آمنت بموسى ، واسمها آسية ، فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقى على صدرها رحى عظيمة واستقبل بها الشمس فكانت إذا تفرق عنها من وكل بها ظللتها الملائكة (إِذْ قَالَتْ) في حال التعذيب (رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ) فكشف لها فرأته فسهل عليها التعذيب (وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ) وتعذيبه (وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) أهل دينه فقبض الله روحها. وقال ابن كيسان: رفعت إلى الجنة حية فهي تأكل وتشرب (وَمَرْيَمَ) عطف على امرأت فرعون (ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته (فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا) أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالى فعله الواصل إلى فرجها فحملت بعيسى (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) شرائعه (وَكُتُبِهِ) المنزلة (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) أي من القوم المطيعين .

(سورة الملك)

مكية ، ثلاثون آية

(قوله وقيل لهما) التعبير بالماضي لتحقق الوقوع والقائل خزنة النار (قوله امرأت فرعون) أي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في أن وصلة الكفرة لا تضر مع الإيمان (قوله آمنت بموسى) أي لما غلب السحرة وتبين لها أنه على الحق فأبدلها الله بسبب ذلك الإيمان أن جعلها في الآخرة زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وكذا زوجه الله في الجنة مريم بنت عمران لما ورد «أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال لها : ياخديجة إذا لقيت ضراتك فأقرئيهن مني السلام، فقالت يارسول الله وهل تزوجت قبلي ؟ قال لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وكلثوم أخت موسى ، فقالت يارسول الله بالرفاء والبنين» وفي الحديث «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون» (قوله واسمها آسية) بالمد وكسر السين ، قيل إنها عمة موسى فتكون إسرائيلية ، وقيل ابنة عم فرعون فتكون من العمالقة (قوله بأن أوتد يديها الخ) أي دق لها أربعة أوتاد في الأرض وشبحها فيها كل عضو بحبل (قوله وألقى على صدرها رحى الخ) في القصة أن فرعون أمر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فأبصرت البيت من مرمرة بيضاء وانتزعت روحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد ألما (قوله واستقبل بها الشمس) أي جعلها مواجهة للشمس وهو معطوف على قوله أوتد يديها وليس متأخرا عن إلقاء الرحى لأن إلقاء الرحى كان في آخر الأمر لما أيس من رجوعها عن الإيمان فالواو لا تقتضي ترتيبا (قوله ابن لي عندك) أي قريبا من رحمتك فالعندية عندية مكانة لا مكان (قوله وتعذيبه) عطف تفسير لعمله (قوله عطف على امرأت فرعون) أي فهي من جملة المثل الثاني، فمثل حال المؤمنين بامرأتين كما مثل حال الكفار بامرأتين (قوله فحفظته) أي عن الرجال فلم يصل إليها أحد بنكاح ولا بزنا (قوله أي جبريل) تفسير لروحنا (قوله حيث نفخ الخ) بين به أن الاسناد في نفخنا من حيث إنه الخالق والموجد والإسناد لجبريل من حيث المباشرة (قوله بخلق الله) بيان لحقيقة الإسناد (قوله فعله) أي فعل جبريل وهو النفخ ، وقوله الواصل إلى فرجها : أي بواسطة كونه في جيب القميص (قوله فحملت بعيسى) أي عقب النفخ فالنفخ والحمل والوضع في ساعة واحدة كما تقدم في سورة مريم (قوله وكتبه المنزلة) أي في زمانها كالتوراة والانجيل وصحف إبراهيم (قوله وكانت من القانتين) أي معدودة منهم وفيه إشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين (قوله أي من القوم المطيعين) أي وهم رهطها وعشيرتها لأنها من أهل بيت صالحين من أعقاب هارون أخي موسى عليهما السلام .

[سورة الملك] وتسمى أيضا الواقية والمنجية والمانعة لأنها تقي صاحبها وتنجيه من عذاب القبر والقيامة ، وتسمى أيضا المجادلة لأنها تجادل عن صاحبها في القبر ، وورد في فضلها أحاديث كثيرة: منها قوله صلى الله عليه وسلم «إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك» ومنها « إذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فتقول رجلاه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس

لـكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ بي سورة الملك ، ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأ بها في ليلة فقد أكثر وأطنب » أي من الخير ، ومنها « وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن » (قوله تنزه عن صفات المحدثين) أي تعاظم بجلاله وجماله عن أوصاف المخلوقات أزلا وأبدا (قوله السلطان) أي الاستيلاء والتمكن التام من سائر الموجودات فيتصرف فيها كيف شاء ، والأوضح للمفسر أن يفسر اليد بالقدرة والملك بالمملوكات و إلا فابقاء كلامه على ظاهره فيه ركة لا تخفى إذ يصير المعنى تبارك الذي بتصرفه التصرف ولا معنى له (قوله وهو على كل شيء قدير) تذييل لما قبله قصد به إفادة أن قدرته تعالى ليست قاصرة على تغيير الأحوال بل عامة التعلق بها إيجاد الأعيان المتصرف فيها وتغييرها من حال إلى حال (قوله الذي خلق الموت الخ) شروع في تفاصيل بعض آثار القدرة . واعلم أنه اختلف في الموت والحياة ، فحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان ، فالموت في هيئة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد ريحها إلا حيي ولا تطأ على شيء إلا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها ترابا فألقاه على العجل فحيي ، فعلى هذا الحياة والموت أمران وجوديان وتقابلهما من تقابل الضدين ، وقيل الموت عدم الحياة فتقابلهما من تقابل العدم والملكة (قوله في الدنيا) أي وهو القاطع للحياة الدنيوية ، وقوله والحياة في الآخرة : أي وهي حياة البعث ، ولـكن هذا القول لا يناسب ترتب الابتلاء عليه في قوله ليبلوكم لأن الابتلاء إنما يترتب على حياة الدنيا (قوله أوهما في الدنيا) أي فالمراد بالموت عدم الحياة السابق على الوجود ، والمراد بالحياة الحياة الدنيوية (قوله وهي ما به الإحساس) تفسير للحياة على كل من القولين ،

(بسم الله الرحمن الرحيم . تَبَارَكَ) تنزه عن صفات المحدثين (الذي بيده) في تصرفه (الملك) السلطان والقدرة (وهو على كل شيء قدير . الذي خلق الموت) في الدنيا (والحياة) في الآخرة ، أوهما في الدنيا . فالنطفة تعرض لها الحياة ، وهي ما به الإحساس والموت ضدها أو عدمها قولان والخلق على الثاني بمعنى التقدير (ليبلوكم) ليختبركم في الحياة (أيكم أحسن عملا) أطوع لله (وهو العزيز) في انتقامه ممن عصاه (الغفور) لمن تاب إليه (الذي خلق سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض من غير مماسة (ما ترى في خلق الرحمن) لهن أو لغيرهن

وقوله ما به الاحساس : أي فتكون صفة وجودية يلزمها الحس والحركة (قوله أو عدمها) أي عدم الحياة أعم من أن يكون سابقا عليها أو متأخرا عنها (قوله قولان) أي في تعريف الموت (قوله والخلق على الثاني) أي على القول الثاني في تعريف الموت وهو أنه عدم الحياة (قوله بمعنى التقدير) أي وهو يتعلق بالموجودات والمعدومات لأنه تعلق الإرادة والعلم الأزليان ، وأما على الأول فيتعلق به الخلق حقيقة لأنه أمر وجودي (قوله ليبلوكم) أي يعاملكم معاملة المبتلي والمختبر فاندفع ما قد يتوهم من ظاهر الآية أن علمه تعالى يتجدد بتجدد المعلومات (قوله أيكم أحسن عملا) أيكم مبتدأ وأحسن خبره وعملا تمييز والجملة في محل نصب مفعول ثان ليبلوكم و إنما علق يبلو عن المفعول الثاني لما فيه من معنى العلم فأجرى مجراه (قوله أطوع لله) هذا أحد تفاسير في قوله أحسن عملا ، وقيل أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله ، وقيل أحسن عملا أخلصه وأصوبه فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة ، وقيل غير ذلك (قوله الذي خلق سبع سموات) أي فالأولى من موج مكفوف ، والثانية من مرمرة بيضاء ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس أصفر ، والخامسة من فضة ، والسادسة من ذهب ، والسابعة من ياقوتة حمراء ، و بين السابعة والحجب صحارى من نور وهذا على بعض الروايات (قوله طباقا) إما جمع طبقة أو طبق أو مصدر طابق ، فالوصف به على الأول ظاهر وعلى الثاني مبالغة (قوله بعضها فوق بعض من غير مماسة) وكلها علوية لا غير وهذا مذهب أهل السنة ، وقال أهل الهيئة : إن الأرض كروية والسماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطة بالجميع وهكذا فالعرش محيط بالكل ، والأرض بالنسبة لسماء الدنيا كحلقة ملقاة في فلاة ، وسماء الدنيا بالنسبة للثانية كحلقة ملقاة في فلاة وهكذا ، واعتقاد ما قاله أهل الهيئة لا يضر وليس في الشرع ما يخالفه (قوله ما ترى في خلق الرحمن) خطاب للنبي عليه السلام أو لـكل من يصلح للخطاب و إضافة خلق للرحمن من إضافة المصدر إلى فاعله والمفعول محذوف قدره المفسر بقوله لهن أو لغيرهن .

(من

(قوله من تفاوت) بألف بين الفاء والواو وبدونها مع تشديد الواو قراءتان سبعيتان ولغتان بمعنى واحد (قوله وعدم تناسب) أي اختلاف يخالف ما تعلقت به القدرة والارادة بل خلقه تعالى مستقيم متناسب على حسب تعلق قدرته وإرادته بخلاف صنع العبد فقد يأتي على خلاف ما يريده (قوله فارجع البصر) أي إن أردت العيان بعد الاخبار فارجع فهو مرتب على قوله ما ترى (قوله هل ترى من فطور) بادغام لام هل في التاء وإظهارها قراءتان سبعيتان هنا وفي الحاقة (قوله صدوع وشقوق) أي فلا يطرأ على السماء مادامت الدنيا صدوع ولا شقوق لعدم تعلق إرادته بذلك فليست كبنيان الخلائق يتصدع وينشق بطول الزمان مع كون صانعه لا يريد ذلك (قوله كرة بعد كرة) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد من قوله كرتين حقيقة التثنية بل التكثير بدليل قوله ينقلب إليك البصر الخ وانقلاب البصر خاسئا حسيرا لا يتأتى بنظرتين ولا ثلاث فهو كقولهم لبيك وسعديك (قوله ينقلب) العامة على جزمه في جواب الأمر وقرىء برفعه إما على أنه حال مقدرة أو مستأنف حذفت منه الفاء والأصل فينقلب (قوله ذليلا) أي خاضعا صاغرا متباعدا (قوله منقطع) أي بالغ الغاية في الاعياء والتعب (قوله ولقد زينا السماء الدنيا الخ) شروع في ذكر أدلة أخرى على توحيده سبحانه وتعالى وتمام قدرته وإرادته (قوله القربى إلى الأرض) أي التي هي أقرب إلى الأرض من باقي السموات فقربى صيغة تفضيل كما تقول هند فضلى النساء ولا يخالف ما تقدم من أن الكواكب ثابتة في العرش أو الكرسي لأن السماء شفافة لاتحجب ماوراءها فتزيين السماء الدنيا بالكواكب لايقتضي أنها ثابتة فيها وهذا في غير الكواكب السبعة التي أشار لها بعضهم بقوله:

زحل شرى مريخه من شمسه ... فتزاهرت لعطارد الأقمار

فإنها مفرقة على السموات السبع في كل سماء كوكب منها فزحل في السابعة والمشترى في السادسة والمريخ في الخامسة والشمس في الرابعة والزهرة في الثالثة وعطارد في الثانية والقمر في سماء الدنيا (قوله بنجوم) أشار بذلك إلى أنه أطلق المصابيح وأراد النجوم فهو مجاز وإلا فحقيقة المصباح السراج (قوله رجوما) جمع رجم مصدر أطلق على المرجوم به ولذا قال المفسر مراجم أي أمورا يرجم بها (قوله إذا استرقوا السمع) أي أرادوا استراقه (قوله بأن ينفصل شهاب الخ) جواب عما يقال إن الله تعالى جعل الكواكب زينة للسماء وذلك يقتضي ثبوتها وبقاءها فيها وجعلها رجوما يقتضي زوالها وانفصالها عنها فكيف الجمع بين الحالتين فأجاب بأنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل بما ينفصل منها من الشهب وذلك كمثل القبس الذي يؤخذ من النار وهي على حالها (قوله أو يخبله) من الخبل بسكون الباء وهو الفساد في العقل أو في البدن (قوله لا أن الكوكب يزول عن مكانه) أي ففي الكلام حذف مضاف والتقدير وجعلنا شهبها رجوما الخ (قوله وأعتدنا) أي هيأنا وأحضرنا (قوله لهم) أي للشياطين (قوله عذاب السعير) أي في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا (قوله وللذين كفروا) خبر مقدم وعذاب جهنم مبتدأ مؤخر. والمعنى لمن كفر من الانس والجن عذاب جهنم الخ (قوله إذا ألقوا فيها) معمول لسمعوا والجملة مستأنفة وقوله لها متعلق بمحذوف حال من شهيقا لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله صوتا منكرا) أي فتشهق جهنم عند إلقاء الكفار فيها كشهقة البغل للشعير وهذا ما عليه ابن عباس وقيل الشهيق من الكفار عند إلقائهم فيها وعليه فالكلام على حذف مضاف أي سمعوا لأهلها (قوله وقرىء تتميز) أي شذوذا (قوله غضبا على الكفار) أي من أجل غضب سيدها وخالقها فتأتي يوم القيامة تقاد

(مِنْ تَفَاوُتٍ) تباين وعدم تناسب (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) أعده إلى السماء (هَلْ تَرَى) فيها (مِنْ فُطُورٍ) صدوع وشقوق (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرة بعد كرة (يَنْقَلِبْ) يرجع (إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا) ذليلا لعدم إدراك خلل (وَهُوَ حَسِيرٌ) منقطع عن رؤية خلل (وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا) القربى إلى الأرض (بِمَصَابِيحَ) بنجوم (وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا) مراجم (لِلشَّيَاطِينِ) إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله لا أن الكوكب يزول عن مكانه (وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ) النار الموقدة (وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) هي (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا) صوتا منكرا كصوت الحمار (وَهِيَ تَفُورُ) تغلي (تَكَادُ تَمَيَّزُ) وقرىء تتميز على الأصل: تنقطع (مِنَ الْغَيْظِ) غضبا على الكفار (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ) جماعة منهم

إلى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهى من شدة الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعها وتحطم على أهل المحشر فلا يردها عنهم إلا النبي صلى الله عليه وسلم يقابلها بنوره فترجع مع أن لكل ملك من القوة مالو أمر أن يقلع الأرض وماعليها من الجبال ويصعد بها فى الجو لفعل من غير كلفة (قوله سألهم) أى سأل الفوج والجمع باعتبار معناه (قوله ألم يأتكم نذير) مفعول ثان لسأل . والمعنى سألهم عن جواب هذا الاستفهام (قوله قالوا بلى الخ) إنما جمعوا بين حرف الجواب والجملة المستفادة منه تأكيدا وتحسرا وندما على تفريطهم (قوله قد جاءنا نذير) هذا من كلام الفوج ، ومن المعلوم أن كل فوج له نذير يخصه (قوله فكذبنا) أى فتسبب عن مجيئه أننا كذبناه فيما جاء به من عند الله تعالى (قوله إلا فى ضلال كبير) أى بعيد عن الحق (قوله يحتمل أن يكون) أى قوله إن أنتم الخ (قوله من كلام الملائكة) أى وعليه فقوله: إن أنتم إلا فى ضلال كبير أى فى الدنيا (قوله وأن يكون من كلام الكفار) أى من تمام كلام الكفار للنذر وهذا الاحتمال استظهره جمهور المفسرين (قوله وقالوا لو كنا نسمع الخ) أى زيادة فى توبيخ أنفسهم (قوله ما كنا فى أصحاب السعير) أى فى عدادهم وهم الشياطين (قوله فسحقا) إما مفعول به أى

ألزمهم الله سحقا أومصدر عامله محذوف تقديره سحقهم الله سحقا فناب المصدرعن عامله والسحق البعد يقال سحق الشيء بالضم بوزن بعد فهو سحيق أى بعيد وأسحقه الله أبعده (قوله بسكون الحاء وضمها) أى فهما سبعيتان (قوله فى غيبتهم عن أعين الناس) أشار بذلك إلى أن قوله بالغيب حال من الواو فى يخشون والباء بمعنى فى والمعنى يخشى الله فى حال غيبته عن الناس بحيث يطيع

(سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا) سؤال توبيخ (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ) رسول ينذركم عذاب الله تعالى (قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ) ما (أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ) يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب وأن يكون من كلام الكفار للنذر (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ) أى سماع تفهم (أَوْ نَعْقِلُ) أى عقل تفكر (مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ. فَاعْتَرَفُوا) حيث لا ينفع الاعتراف (بِذَنْبِهِمْ) وهو تكذيب النذر (فَسُحْقًا) بسكون الحاء وضمها (لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ) فبعدا لهم عن رحمة الله (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) يخافونه (بِالْغَيْبِ) فى غيبتهم عن أعين الناس فيطيعونه سرا فيكون علانية أولى (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) أى الجنة (وَأَسِرُّوا) أيها الناس (قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ) تعالى (عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها فكيف بما نطقتم به ، وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ) ما تسرون أى أينتفى علمه بذلك (وَهُوَ اللَّطِيفُ) فى علمه (الْخَبِيرُ) فيه لا (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا) سهلة للمشى فيها ،

ربه ولم يطلع عليه أحد وإذا كان ذلك فى حال سره واختفائه عن الناس فعلانيته أولى لأن العادة أن الإنسان يستتر فى المعصية عن أعين الناس وإن لم يخف الله (قوله لهم مغفرة) أى لذنوبهم (قوله وأجر كبير) أى لا يعلم قدره غير الله تعالى (قوله بما فيها) أى من الخواطر التى لا يتكلم بها (قوله فكيف بما نطقتم به) هذا من تمام الاستدلال على تساوى السر والجهر بالنسبة إلى علمه تعالى (قوله قال بعضهم لبعض) أى وذلك أنهم كانوا يتكلمون فى شأن النبي بما لا يليق فأخبره جبريل بذلك فأخبرهم النبي به فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم الخ (قوله لا يسمعكم) مجزوم فى جواب الأمر (قوله من خلق) من فاعل يعلم وقوله ما تسرون تنازعه كل من يعلم وخلق، والمعنى إذا كان خالقا للسر الذى هو من جملة مخلوقاته لزم أن يكون عالما به فكيف يدعون أنه لا علم له به (قوله أى أينتفى علمه الخ) أشار به إلى أن همزة الاستفهام داخلة على لا النافية (قوله وهو اللطيف الخبير) الجملة حالية وقوله لا أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى فهو نفى للنفى، فالمقصود إثبات إحاطة علمه بجميع الأشياء ظاهرها وخافيها (قوله هو الذى جعل لكم الأرض الخ) هذا من جملة أدلة توحيده وباهر قدرته وامتنانه على عباده (قوله ذلولا) أى مذللة منقادة لما تريدون منها من مشى عليها وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك (قوله سهلة للمشى فيها) أى بأن ثبتها بالجبال وجعلها من طين إذ لو جعلها من حديد أو ذهب أو رصاص لكانت تسخن جدا فى الصيف وتبرد جدا فى الشتاء فلا يستطاع المشى عليها .

(قوله فامشوا) أمر إباحة (قوله جوانبها) هذا أحد تفاسير لمناكب ، وقيل المناكب الجبال ، وقيل الأطراف ، وقيل الفجاج .
فائدة : حكى قتادة عن أبي الجلد أن الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر ألفا وللروم ثمانية آلاف وللفرس ثلاثة آلاف والعرب ألف اهـ والظاهر أن المراد بها الأرض المعمورة ببني آدم غير يأجوج ومأجوج لما تقدم لنا أن كورة الأرض خمسمائة عام (قوله المخلوق لأجلكم) أي لانتفاعكم به ، فحكمة خلق الأرزاق انتفاعهم بها (قوله وإليه النشور) أي الاخراج من القبور (قوله للجزاء) أي على أعمالكم (قوله وإدخال ألف بينها) أي بين الهمزة الثانية بقسميها وهما التحقيق والتسهيل ففي كلامه التنبيه على خمس قراآت سبعيات اثنتان في التحقيق ومثلها في التسهيل والخامسة الابدال (قوله من في السماء سلطانه) أشار بذلك لجواب ورد على ظاهر الآية وحاصله أن الآية توهم أن الله تعالى في مكان وهو السماء . فأجاب رضي الله عنه بأن الكلام على حذف مضاف للضمير المستكن في الظرف ، والأصل من ثبت واستقر في السماء هو أي سلطانه وقدرته أي محل سلطانه وهو العالم العلوي وخصه بالذكر وإن كان سلطانه في العالم السفلي أيضا لأنه أعجب وأغرب فالتخويف به أشد (قوله أن يخسف الخ) أي بعد أن جعلها ذلولا تمشون فيها وتأكلون من رزقه (٢١٧)

(فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا) جوانبها (وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ) المخلوق لأجلكم (وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) من القبور للجزاء (أَأَمِنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينها وبين الأخرى وتركه وإبدالها ألفا (مَنْ فِي السَّمَاءِ) سلطانه وقدرته (أَنْ يَخْسِفَ) بدل من مَن (بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) تتحرك بكم وترتفع فوقكم (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ) بدل من مَن (عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) ريحا ترميكم بالحصباء (فَسَتَعْلَمُونَ) عند معاينة العذاب (كَيْفَ نَذِيرِ) إنذاري بالعذاب : أي أنه حق (وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم : أي إنه حق (أَوَلَمْ يَرَوْا) ينظروا (إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ) في الهواء (صَافَّاتٍ) باسطات أجنحتهن (وَيَقْبِضْنَ) أجنحتهن بعد البسط : أي وقابضات (مَا يُمْسِكُهُنَّ) عن الوقوع في حال البسط والقبض (إِلَّا الرَّحْمَٰنُ) بقدرته (إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ) المعنى ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب ؟ (أَمَّنْ) مبتدأ (هَٰذَا) خبره (الَّذِي) بدل من هذا (هُوَ جُنْدٌ) :

(قوله بدل من من) أي بدل اشتمال (قوله تتحرك بكم) أي فيقال مار تحرك وجاء وذهب (قوله أم أمنتم) إضراب وانتقال من تهديد إلى آخر (قوله من في السماء) أي سلطانه وقدرته (قوله بدل من من) أي بدل اشتمال أيضا (قوله ريحا ترميكم الخ) هذا أحد تفاسير للحاصب ، وقيل هو الحجارة من السماء ، وقيل سحاب فيها حجارة (قوله عند معاينة العذاب) أي في الآخرة أو عند خروج أرواحهم (قوله أي أنه حق) أي الانذار واقع ونافذ مقتضاه (قوله ولقد كذب الذين من قبلهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم أي فلا تحزن على تكذيبهم لك فقد سبقهم غيرهم بالتكذيب لأنبيائهم (قوله عند إهلاكهم) أي موتهم أو تعذيبهم في الآخرة (قوله أولم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والمعنى أغفلوا ولم يروا (قوله إلى الطير) يجمع على طيور وأطيار ، ومفرد الطير طائر فطيور وأطيار جمع الجمع (قوله صافات) حال ومفعوله محذوف قدره بقوله أجنحتهن وكذا قوله : ويقبضن (قوله أي وقابضات) أشار بذلك إلى أن الفعل مؤول باسم الفاعل معطوف على صافات والحكمة في تعبيره ثانيا بالفعل ولم يقل وقابضات أن الأصل في الطيران صف الأجنحة والقبض طارئ عليه فعبر عن الأصل باسم الفاعل وعن الطارئ بالفعل الذي شأنه الحدوث (قوله ما يمسكهن إلا الرحمن) عبر بالرحمن إشارة إلى أنه من جلائل النعم وهذه الجملة مستأنفة (قوله إنه بكل شيء بصير) أي فيعلم الأشياء الدقيقة الغريبة فيدبرها على مقتضى ما يريد (قوله أمن هذا الذي الخ) سبب نزول هذه الآية وما بعدها أن الكفار كانوا يمتنعون من الايمان ويعاندون رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمدين على شيئين : قوتهم بالأموال والعدد ، واعتقادهم أن أصنامهم توصل إليهم الخيرات وتدفع عنهم المضرات فأبطل الله الأول بقوله : أمن هذا الذي هو

جند لكم الخ وأبطل الثانى بقوله : أمن هـذا الذى يرزقكم الخ وأم هنا منقطعة تفسر ببل وحدها لدخولها على من الاستفهامية ولا يصح تفسيرها ببل والهمزة لئلا يدخل الاستفهام على مثله (قوله أعوان) أشار بذلك إلى أن جند لفظه مفرد ومعناه جمع (قوله يدفع عنكم عذابه) تفسير لقوله : ينصركم (قوله إن الكافرون إلا فى غرور) اعتراض مقرر لما قبله و الالتفات عن الخطاب للغيبة إيذان بالاعراض عنهم والاظهار فى موضع الاضمار لذمهم بالكفر (قوله أمن هذا الذى يرزقكم) تكتب أم موصولة بمن فتكون ميما واحدة متصلة بالنون وكذا يقال فيما تقدم (قوله إن أمسك رزقه) أى أسباب رزقه التى ينشأ عنها (قوله أى المطر) أى والنبات وغير ذلك كباقى الأسباب (قوله بل لجوا الخ) إضراب انتقالى مبنى على مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل إنهم لم يتأثروا بتلك المواعظ ولم يذعنوا بل لجوا الخ (قوله أفمن يمشى مكبا الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر توضيحا لحالهما وتحقيقا لشأنهما (قوله مكبا) اسم فاعل من أكب اللازم المطاوع لكب فكب من غير همز متعد يقال كبه الله ، وأما أكب فهو لازم يقال أكب أى سقط وهـذا على خلاف القاعدة المشهورة من أن الهمزة إذا دخلت على اللازم (٢١٨) تصيره متعديا وهنا دخلت على المتعدى فصيرته لازما (قوله واقعا على وجهه)

أعوان (لَكُمْ) صلة الذى (يَنْصُرُكُمْ) صفة جند (مِنْ دُونِ الرَّحْمٰنِ) أى غيره يدفع عنكم عذابه : أى لاناصر لكم (إِنِ) ما (الْكَافِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ) غرهم الشيطان بأن العذاب لاينزل بهم (أَمَّنْ هٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ) الرحمن (رِزْقَهُ) أى المطر عنكم ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله : أى فمن يرزقكم أى لارازق لكم غيره (بَلْ لَجُّوا) تمادوا (فِى عُتُوٍّ) تكبر (وَنُفُورٍ) تباعد عن الحق (أَفَمَنْ يَمْشِى مُكِبًّا) واقعا (عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِى سَوِيًّا) معتدلا (عَلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) وخبر من الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى أى أهدى والمثل فى المؤمن والكافر : أى أيهما على هدى (قُلْ هُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ) خلقكم (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ) ما مزيدة والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدا على هذه النعم (قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ) خلقكم (فِى الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) للحساب (وَيَقُولُونَ) للمؤمنين (مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ) وعد الحشر (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ) بمجيئه (عِنْدَ اللّٰهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار ، (فلما

أى لكونه أعمى ماشيا على غير طريق فهو معرض للهلاك (قوله أهدى) أى متصف بالهدى فأفعل التفضيل ليس على بابه كما يشير له المفسر بقوله أى أيهما على هدى (قوله وخبر من الثانية الخ) لاحاجة له بل من الثانية معطوفة على الأولى عطف مفردات والخبر قوله أهدى وأفرد لأن العطف بأم وهى لأحد الشيئين (قوله والمثل فى المؤمن والكافر) أى فلا يستوى الأعمى الماشى على غير طريق والبصير الماشى فى الطريق المعتدلة لأن الأول معرض للهلاك والثانى بخلاف الثانى فتسوية الكفار لهما سخافة عقل وعدم تدبر والمذكور فى الآية هو المشبه به والمشبه محذوف لدلالة السياق عليه (قوله قل هو الذى أنشأكم) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بأن يذكرهم بنعم الله تعالى عليهم ليرجعوا إليه فى أمورهم ولايعولوا على غيره (قوله وجعل لكم السمع) أى لتسمعوا آيات الله وتتعظوا بها (قوله والأبصار) أى لتنظروا بها إلى مصنوعاته الدالة على انفراده بالخلق والتدبير (قوله والأفئدة) لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتبصرونه من الآيات العظيمة (قوله قليلا ماتشكرون) قليلا صفة مصدر محذوف أى شكرا قليلا ، والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ماخلق لأجله ، فصرف النعم فى غير مصارفها كفر لها (قوله ما مزيدة) أى لتأكيد القلة وهى على بابها بالنسبة للمؤمن ، أو بمعنى العدم بالنسبة للكافر (قوله قل هو الذى ذرأكم) أى أنشأكم وبثكم ونشركم (قوله وإليه تحشرون) أى تجمعون وتضمون للحساب (قوله ويقولون) أى استهزاء وتكذيبا (قوله إن كنتم صادقين) قصدوا بهذا الخطاب النبى والمؤمنين لأنهم مشاركون له فى الوعد وتلاوة الآيات وجواب الشرط محذوف أى فبينوا وقته (قوله بمجيئه) أى بوقت إتيانه (قوله بين الانذار) أى بسبب اقامة الأدلة الواضحة والبراهين القاطعة .

(قوله فلما رأوه زلفة) مرتب على محذوف تقديره وقد أتاهم الموعود به فرأوه فلما رأوه الخ (قوله أى العذاب بعد الحشر) أى وهو العذاب فى الآخرة وهذا قول جمهور المفسرين فى مرجع الضمير فى رأوه وقيل هو عذاب بدر وقيل هو علمهم السىء (قوله زلفة) اسم مصدر لأزلف ومصدره الازلاف (قوله قريبا) حال من مفعول رأوه (قوله سيئت) مبنى للمفعول والأصل ساء العذاب وجوههم، وأظهر فى مقام الاضمار تقبيحا وتسجيلا بوصف الكفر (قوله أى قال الخزنة لهم) أى توبيخا وتقريعا (قوله تدعون) من الدعوى ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أنكم لاتبعثون والباء فى به سببية والمعنى فلما رأوا عذاب الآخرة قريبا منهم اسودت وجوههم وقال لهم الخزنة هذا العذاب الذى كنتم بسبب إنذاركم وتخويفكم به ادعيتم عدم البعث وأنكرتم البعث (قوله وهـذه حكاية حال الخ) اسم الاشارة عائد على قوله : فلما رأوه (قوله قل أرأيتم إن أهلكنى الله الخ) أرأيتم بمعنى أخبرونى تنصب مفعولين سدت الجملة الشرطية مسدهما، والمعنى قل لهم يا محمد وكانوا يتمنون موته صلى الله عليه وسلم إن أماتنى الله ومن معى من المؤمنين بعذابه أو رحمنا فلا فائدة لكم فى ذلك ولا نفع يعود عليكم لأنه لاعجير لكم من عذاب الله تعالى (قوله كما تقصدون) حذف منه إحدى التاءين أى تتقصدون (٢٠٩) وتنتظرون قال تعالى حكاية عنهم

(فَلَمَّا رَأَوْهُ) أى العذاب بعد الحشر (زُلْفَةً) قريبا (سِيئَتْ) اسودت (وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ، وَقِيلَ) أى قال الخزنة لهم (هٰذَا) أى العذاب (الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ) بإنذاره (تَدَّعُونَ) أنكم لاتبعثون ، وهذه حكاية حال تأتى عبر عنها بطريق المضى لتحقق وقوعها (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللهُ وَمَنْ مَعِىَ) من المؤمنين بعقابه كما تقصدون (أَوْ رَحِمَنَا) فلم يعذبنا (فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) أى لامجير لهم منه (قُلْ هُوَ الرَّحْمٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ) بالتاء والياء عند معاينة العذاب (مَنْ هُوَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين أنحن أم أنتم أم هم (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا) غائرا فى الأرض (فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) جار تناله الأيدى والدلاء كمائكم : أى لايأتيكم به إلا الله تعالى فكيف تنكرون أن يبعثكم ؟ ويستحب أن يقول القارىء عقب معين: الله رب العالمين كما ورد فى الحديث، وتليت هذه الآية عند بعض المتجبرين فقال تأتى به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه وعمى ، نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته .

أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون (قوله أى لاعجير لهم منه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفى ووضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالكفر (قوله قل هو الرحمن) أى الذى أدعوكم إلى عبادته وطاعته (قوله آمنا به وعليه توكلنا) الحكمة فى تأخير مفعول آمنا وتقديم مفعول توكلنا أن الأول وقع فى معرض الرد على الكافرين فكأنه قال آمنا ولم نكفر كما كفرتم والثانى قدم مفعوله لافادة الحصر كأنه قال لا نتوكل على ما توكلتم عليه من أموال ورجال وغير ذلك بل نقصر توكلنا على خالقنا (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله عند معاينة العذاب) أى فى الآخرة (قوله أنحن) أشار به إلى أن من استفهامية مبتدأ وهو ضمير فصل وجملة الظرف خبر المبتدإ والجملة بتمامها سدت مسد المفعولين لعلم المعلقة عن العمل بالاستفهام (قوله أم أنتم) راجع لقراءة الخطاب ، وقوله أم هم راجع لقراءة الغيبة فالكلام على التوزيع (قوله إن أصبح ماؤكم) أى الكائن فى أيديكم ، وكان ماؤهم من بئر زمزم و بئر ميمون (قوله غائرا) أشار بذلك إلى أن المصدر مؤول باسم الفاعل (قوله معين) أصله معيون بوزن مفعول كمبيع نقلت ضمة الياء إلى العين قبلها فالتقى ساكنان الياء والواو حذفت الواو وكسرت العين لتصح الياء (قوله أى لايأتيكم به إلا الله) أى فلم تشركون به من لايقدر على أن يأتيكم به (قوله أن يقول القارىء) أى ولو فى الصلاة (قوله وعمى) عطف تفسير (قوله من الجراءة على الله) يقال اجترأ على القول بالهمز: أسرع بالهجوم عليه من غير توقف والاسم الجرأة بوزن غرفة وجراءة بوزن كراهة كما قال المفسر ويؤخذ منه أن العبد يؤاخذ بالكفر ولو على سبيل المزاح .

[سورة نٓ] وتسمى سورة القلم (قوله مكية) أى فى قول الجمهور والقول الآخر أن بعضها مكى و بعضها مدنى (قوله نٓ) يقرأ بفك الادغام من واو القسم و بادغامه وهما قراءتان سبعيتان وهو بسكون النون عند السبعة وقرئ شذوذا بالفتح والكسر والضم (قوله أحد حروف الهجاء) غرضه بهذه العبارة الرد على المخالف لأن منهم من قال إنه اسم مقتطع من اسمه الرحمن أو النصير أو الناصر أو النور فهو كسائر حروف الهجاء التى افتتح بها كثير من السور فهو من التشابه وقيل إنه الحوت الذى على ظهره الأرض وعليه فحرف القسم مقدر تقديره ونون والقلم . قال أصحاب السير والأخبار : لما خلق الله الأرض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقرت عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخاراه فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مدّ البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه: فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فقيل كل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كونى فكانت

(سورة نٓ)

مكية ، اثنتان وخمسون آية

(بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ . نٓ) أحد حروف الهجاء ، الله أعلم بمراده به (وَالْقَلَمِ) الذى كتب به الكائنات فى اللوح المحفوظ (وَمَا يَسْطُرُونَ) أى الملائكة من الخير والصلاح (مَا أَنْتَ) يا محمد (بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) أى انتفى الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوّة وغيرها ، وهذا رد لقولهم إنه مجنون (وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ) مقطوع (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ) دين (عَظِيمٍ .

فستبصر

(قوله الذى كتب به الكائنات الخ) هذا أحد قولين والآخر أن المراد به الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به فى السماء والأرض قال تعالى وربك الأكرم الذى علم بالقلم لأن القلم نعمة كاللسان، عن ابن عباس: أوّل ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ، وهو من نور طوله كما بين السماء والأرض (قوله أى الملائكة) يصح أن يراد بهم الملائكة الذين ينسخون المقادير من اللوح المحفوظ وأن يراد بهم الحفظة الذين يكتبون عمل الانسان فأقسم أولا بالقلم ثم بسطر الملائكة على ثلاثة أشياء : نفى الجنون عنه وثبوت الأجر له وكونه على خلق عظيم ، فالمقسم به شيئان أو ثلاثة بزيادة نون على أن المراد به الحوت (قوله ما أنت بنعمة ربك الخ) جواب القسم والباء فى بنعمة ربك سببية وفى بمجنون زائدة ومجنون خبر ما (قوله وهذا رد لقولهم مجنون) أى كما حكاه الله عنهم فى قوله: وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون (قوله و إن لك لأجرا غير ممنون) أى بل هو دائم جار مستمر لا ينقطع فهو صلى الله عليه وسلم دائما يترقى فى الكمالات فمقامه بعد وفاته أعظم منه فى حال حياته ومقامه فى الآخرة أعلى من مقامه فى الدنيا (قوله و إنك لعلى خلق عظيم) قال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين أحب إلىّ ولا أرضى عندى منه وهو دين الاسلام ،وقال الحسن هو آداب القرآن بدليل أن عائشة لما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ولذا قال قتادة هو ما كان يأتمر به من أوامر الله وينتهى عنه من نهى الله تعالى . والمعنى إنك على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن وهذا أعظم مدح له صلى الله عليه وسلم ولذا قال العارف البوصيرى رضى الله عنه :

فهو الذى تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

(قوله فستبصر ويبصرون) أى فستعلم ويعلمون فى الدنيا بظهور عاقبة أمرك واستيلائك عليهم بالقتل والنهب ، ويوم القيامة حين يتميز الحق من الباطل (قوله بأيكم المفتون) بأيكم خبر مقدم والمفتون مبتدأ مؤخر والجملة فى محل نصب تنازعها كل من تبصر ويبصرون أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف لأنه فضلة وليس قوله بأيكم متعلقا بيبصرون لأنه معلق بالاستفهام عن العمل (قوله مصدر كالمفعول) أى جاء على صيغة مفعول كالمعقول والميسور (قوله إن ربك الخ) تعليل لما قبله وتأكيد للوعد والوعيد (قوله له) أى للسبيل (قوله وأعلم بمعنى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه وإلا لاقتضى مشاركة الحادث للقديم وهو باطل (قوله فلا تطع المكذبين) مرتب على ماتقدم من اهتدائه صلى الله عليه وسلم وضلالهم أو على جميع ماتقدم من أول السورة (قوله تلين لهم) أى بترك نهيهم عن الشرك أو بأن توافقهم فيه أحيانا وقوله يلينون لك أى يتركون ماهم عليه من الطعن ويوافقونك . والمعنى تمنوا لو تترك بعض ما أنت عليه مما لايرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك (قوله وهو معطوف الخ) أى فهو من جملة التمنى وحينئذ فيكون التمنى شيئين ثانيهما مسبب عن الأول (قوله قدر قبله بعد الفاء هم) أى فيكون الجواب جملة اسمية لامحل لها من الأعراب وهذا جواب عما يقال حيث جعل قوله فيدهنون جواب التمنى والفاء سببية فمقتضاه حذف النون للناصب . فأجاب بأن الفاء داخلة على مبتدإ مقدر وجملة تدهنون خبره والجملة جواب التمنى (قوله ولا تطع كل حلاف الخ) هذه

الأوصاف من هنا إلى قوله سنسمه على الخرطوم نزلت فى الوليد بن المغيرة وعليه جمهور المفسرين واقتصر عليه المفسر وقيل فى الأسود بن عبد يغوث وقيل فى الأخنس بن شريق وقيل فى أبى جهل ابن هشام (قوله كثير الحلف بالباطل) تفسير مراد أخذا له من قوله المكذبين ومن سياق

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ) مصدر كالمفعول : أى الفتون بمعنى الجنون : أى أبك أم بهم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) له ، وأعلم بمعنى عالم (فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ . وَدُّوا) تمنوا (لَوْ) مصدرية (تُدْهِنُ) تلين لهم (فَيُدْهِنُونَ) يلينون لك وهو معطوف على تدهن وإن جعل جواب التمنى المفهوم من ودّوا قدر قبله بعد الفاء هم (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ) كثير الحلف بالباطل (مَهِينٍ) حقير (هَمَّازٍ) عياب : أى مغتاب (مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم (مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ) بخيل بالمال عن الحقوق (مُعْتَدٍ) ظالم (أَثِيمٍ) آثم (عُتُلٍّ) غليظ جاف (بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ) دعىّ فى قريش ، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة ، قال ابن عباس : لانعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه به ،

الذم وإلا فالحلاف كثير الحلف بحق أو باطل (قوله حقير) أى فى رأيه وتدبيره عند الله تعالى فلا ينافى أنه كان معظما فى قومه (قوله عياب) أى كثير العيب للناس بمعنى أنه يعيبهم فى حضورهم وغيبتهم وقوله أى المغتاب المناسب كما فى بعض النسخ أن يقول أو مغتاب فيكون تفسيرا ثانيا من الغيبة وهى ذكرك أخاك بما يكره وقيل الهماز الذى يهمز الناس بيده ويضربهم (قوله نميم) متعلق بمشاء والنميم مصدر كالنميمة أو اسم جنس للنميمة (قوله مناع للخير) أى من نفسه وغيره (قوله عن الحقوق) أى الواجبة والمندوبة (قوله ظالم) أى يتعدى الحق (قوله أثيم) أى فاجر يتعاطى الاثم (قوله غليظ) أى فى الطبع أو الجسم وقوله جاف أى قاسى القلب ، وقيل العتل الذى يعتل الناس أى يحملهم ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب ومنه خذوه فاعتلوه (قوله بعد ذلك) أى ماذكر من الأوصاف السابقة وهى ثمانية وبعد هنا كثم التى هى للتراخى فى الرتبة . والمعنى أن هذا الوصف وهو زنيم متأخر فى الرتبة والشناعة عن الصفات السابقة أى هو أشنع منها وأقبح (قوله زنيم) الزنمة فى الأصل شىء يكون للمعز فى أذنها كالقرط فأطلق على المستلحق فى قوم ليس منهم فكأنه فيهم زنمة (قوله ادعاه أبوه) أى وهو المغيرة . والمعنى تبناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لايعرف له أب (قوله بعد ثمانى عشرة سنة) أى من ولادته ولما نزلت الآية قال لأمه إن محمدا وصفنى بتسع صفات أعرفها غير التاسع منها فان لم تصدقينى الخبر ضربت عنقك فقالت له إن أباك عنين فخفت على المال فمكنت الراعى من نفسى فأنت منه فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت الآية وإنما ذم بذلك لأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد لما روى فى الحديث «لايدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده» وورد «إن أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة

فى صورة القردة والخنازير» وورد «لاتزال امتى بخير مالم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا أوشك أن يعمهم الله بعذابه»
وقال عكرمة: إذا كثر ولد الزنا قحط المطر (قوله من العيوب) بيان لما (قوله أن كان ذا مال الخ) سيأتى فى المتن الكلام على
ماله ونفيه (قوله وهو متعلق بما دل عليه الخ) أي وقد بينه بقوله أى كذب بها ولايصح أن يكون معمولا لفعل الشرط لأن إذا
تضاف للجملة بعدها والمضاف إليه لايعمل فيما قبل المضاف ولا يصح أن يكون معمولا لجواب الشرط لأن ما بعد أداة الشرط
لايعمل فيما قبلها (قوله قال أساطير) جمع أسطورة كأكاذيب جمع أكذوبة وزنا ومعنى (قوله بما ذكر) أى من المال والبنين
(قوله وفى قراءة) أى سبعية أأن بهمزتين مفتوحتين الأولى همزة الاستفهام التوبيخى والثانية همزة أن المصدرية واللام مقدرة .
والمعنى أكذب بها لأن كان ذا مال وبنين أى لاينبغى ولا يليق ذلك منه لأن المال والبنين من النعم فكان ينبغى مقابلتهما
بالشكر وقراءة الاستفهام فيها التحقيق من غير ألف والتسهيل مع إدخال ألف بينهما وتركه (قوله على الخرطوم) عبر به استهزاء
بهذا اللعين لأن الخرطوم أنف السباع وغالب مايستعمل فى أنف الفيل والخنزير (قوله فخطم أنفه) أى جرح أنف هذا اللعين
يوم بدر فبقى أثر الجرح فى أنفه بقية عمره (قوله إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) هى بستان باليمن

من العيوب فألحق به عاراً لايفارقه أبداً وتعلق بزنيم الظرف قبله (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ)
أى لأن وهو متعلق بما دل عليه (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) القرآن (قَالَ) هى (أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ) أى كذب بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفى قراءة أأن بهمزتين مفتوحتين (سَنَسِمُهُ
عَلَى الْخُرْطُومِ) سنجعل على أنفه علامة يعيَّر بها ماعاش فخطم أنفه بالسيف يوم بدر (إِنَّا
بَلَوْنَاهُمْ) امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع (كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) البستان (إِذْ
أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا) يقطعون ثمرتها (مُصْبِحِينَ) وقت الصباح كى لايشعر بهم المساكين
فلا يعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها (وَلَا يَسْتَثْنُونَ) فى يمينهم بمشيئة الله
تعالى والجملة مستأنفة : أى وشأنهم ذلك (فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ) نار أحرقتها ليلا
(وَهُمْ نَائِمُونَ. فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ) كالليل الشديد الظلمة: أى سوداء (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ.
أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ) غلتكم تفسير لتنادوا، أو أن مصدرية أى بأن (إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ)
مريدين القطع وجواب الشرط دل عليه ماقبله (فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ) يتسارون ،

يقال له الصروان دون صنعاء بفرسخين وكان صاحبه ينادى الفقراء وقت الجذاذ ويترك لهم ما أخطأ المنجل من الزرع أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخل وكان يجتمع لهم من ذلك شىء كثير فلما مات ورثه بنوه وكانوا ثلاثة وشحوا بذلك وقالوا إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن ذوو عيال فحلفوا على أن يجذوه قبل الشمس حتى لاتأتى الفقراء إلا بعد
فراغهم وكانت قصتهم بعد عيسى ابن مريم بزمن يسير (قوله بالقحط) أى وهو احتباس
المطر الذى دعا به صلى الله عليه وسلم عليهم حتى أكلوا الجيفة (قوله كما بلونا أصحاب الجنة) الكاف فى موضع نصب نعت
لمصدر محذوف وما مصدرية أو بمعنى الذى (قوله إذ أقسموا) إذ تعليلية متعلقة ببلونا والمراد معظمهم وإلا فالأوسط نهاهم
عن ذلك وقال لهم اصنعوا من الاحسان ما كان يصنعه أبوكم (قوله يقطعون) أى فالصرم القطع والانصرام الانقطاع (قوله مصبحين)
حال من فاعل ليصرمنها وهو من أصبح التامة أى داخلين فى الصباح (قوله فلا يعطونهم) معطوف على النفى والذا رفع لا على المنفى لفساد المعنى
(قوله ما كان أبوهم) أى القدر الذى كان أبوهم الخ وتقدم بيانه (قوله بمشيئة الله تعالى) أى لايقولون فى يمينهم إن شاء الله
وقيل لايستثنون شيئا للمساكين (قوله والجملة مستأنفة) أى وجوز بعضهم الحالية وهى أظهر فى المعنى وإنما عدل المفسر عنه لأن المضارع
المنفى بلا كالمثبت فى أنه لايقع حالا مقرونا بالواو إلا باضمار مبتدإ وفيه كلفة (قوله وهم نائمون) الجملة حالية (قوله كالليل) سمى الليل
صريما لانصرامه وانفصاله من النهار كما يسمى النهار صريما أيضا لانفصاله من الليل (قوله فتنادوا) معطوف على أقسموا وما بينهما
اعتراض (قوله مصبحين) حال (قوله أن اغدوا) أى بكروا وقت الغدو وعداه بعلى لتضمنه معنى أقبلوا (قوله تفسير لتنادوا) أى
فأن بمعنى أى (قوله دل عليه ماقبله) أى وتقديره فاغدوا (قوله فانطلقوا) معطوف على فتنادوا وقوله وهم يتخافتون حال

(أن

(قوله أن لا يدخلنها الخ) أصل الكلام أن لا تدخلوها مسكينا فأوقع النهى على دخول المساكين لأنه أبلغ لأن دخولهم أعم من أن يكون بإدخالهم أو بدونه (قوله وغدوا) أى ساروا إليها غدوة وقوله قادرين خبر غدوا إن كان بمعنى أصبح الناقصة وإن كانت تامة يكون منصوبا على الحال (قوله على حرد) الحرد فيه أقوال كثيرة أشهرها ماقاله المفسر . ومنها أن معناه الغضب ومنها السنة التى قل مطرها (قوله فى ظنهم) أى وأما فى الواقع فليس كذلك لهلاك الثمر عليهم ليلا (قوله قالوا إنا لضالون) أى قالوا ذلك فى بادى الرأى (قوله لما علموها) أى بعد التأمل والتفتيش (قوله بمنعنا) الباء سببية (قوله خيرهم) أى رأيا وعقلا ونفسا أنكر عليهم بقوله ألم أقل لكم الخ ومفعوله محذوف : أى ألم أقل لكم إن مافعلتموه لا يرضى به الله (قوله هلا تسبحون الله) أى تستغفرونه وتتوبون إليه من حيث عزمكم (قوله قالوا سبحان ربنا) أى فامتثلوا وتابوا (قوله يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ماصدر منهم سابقا (قوله هلا كنا) أى إن لم يعف عنا ربنا فقد حضر هلا كنا (قوله عسى ربنا) رجوع منهم إلى الرجاء فى رحمة الله بعد التوبة (قوله بالتخفيف والتشديد) قراءتان سبعيتان (قوله روى أنهم بدلوا الخ) أى فأمر الله جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر بالزاى والغين المعجمتين بلدة بالشام ، بها عين غور مائها علامة خروج الدجال . ويأخذ من

الشام جنة فيجعلها مكانها . قال ابن مسعود إن القوم أخلصوا وعلم الله منهم الصدق فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا واحدا ، وقال اليمانى أبو خالد دخلت تلك الجنة فرأيت منها محل العنقود كالرجل القائم الأسود (قوله كذلك) خبر مقدم والعذاب مبتدأ مؤخر (قوله أى مثل العذاب لهؤلاء) أى الذى بلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كان عندهم يحصل لأهل مكة قال ابن عباس هذا مثل لأهل مكة حين خرجوا إلى بدر وحلفوا ليقتلون محمدا وأصحابه ويرجعون إلى مكة ويطوفون بالبيت ويشربون الخمر وتضرب القينات على رءوسهم فأخلف الله ظنهم فقتلوا وأسروا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا وضاعت صفقتهم وفيه تلطف بأهل مكة حيث ضرب لهم المثل بأهل الجنة كما لا يخفى (قوله ونزل لما قالوا الخ) ظاهره أن قولهم سبب لنزول إن للمتقين الخ وليس كذلك بل الآية سبب لقولهم المذكور فلما صدر منهم ذلك القول أنزل ردا عليهم أفنجعل المسلمين الخ . قال مقاتل لما نزل إن للمتقين الخ قال كفار مكة للمسلمين إن الله فضلنا عليكم فى الآخرة فإن لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله أفنجعل المسلمين الخ (قوله جنات النعيم) أضيفت إلى النعيم لأنه ليس فيها إلا النعيم الخالص الذى لا يشوبه كدر ولا نقص كجنات الدنيا (قوله أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين ، وفى العبارة قلب والأصل أفنجعل المجرمين كالمسلمين لأنهم جعلوا أنفسهم كالمسلمين بل أفضل فحينئذ يكون الانكار متوجها لجعلهم المذكور وقد وبخوا باستفهامات سبعة تنتهى لقوله أم لهم شركاء : أولها أفنجعل المسلمين ، ثانيها مالكم ، ثالثها كيف تحكمون ، رابعها أم لكم كتاب الخ ، خامسها أم لكم أيمان الخ ، سادسها سلهم أيهم الخ ، سابعها أم لهم شركاء الخ .

(أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ) تفسير لما قبله ، أو أن مصدرية : أى بأن (وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ) منع للفقراء (قَادِرِينَ) عليه فى ظنهم (فَلَمَّا رَأَوْهَا) سوداء محترقة (قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ) عنها أى ليست هذه ثم قالوا لما علموها (بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) ثمرتها بمنعنا الفقراء منها (قَالَ أَوْسَطُهُمْ) خيرهم (أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا) هلا (تُسَبِّحُونَ) الله تائبين (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بمنع الفقراء حقهم (فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ . قَالُوا يَا) للتنبيه (وَيْلَنَا) هلاكنا (إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ . عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا) بالتشديد والتخفيف (خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ) ليقبل توبتنا ويرد علينا خيرا من جنتنا ، روى أنهم أبدلوا خيرا منها (كَذَلِكَ) أى مثل العذاب لهؤلاء (الْعَذَابُ) لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) عذابها ما خالفوا أمرنا . ونزل لما قالوا إن بعثنا نعطى أفضل منكم (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ) .

(قوله أى تابعين لهم فى العطاء) للناسب أن يقول أى مساوين لهم فى العطاء. بقى أن الآية إنما دلت على نفى المساواة مع أن المشركين ادعوا الأفضلية فلم تحصل الموافقة . أجيب بأنها دلت على نفى الأفضلية بالأولى لأنه إذا انتفت المساواة فالأفضلية أولى (قوله مالكم) مبتدأ وخبر. والمعنى : أى شىء ثبت واستقر لكم من هذه الأحكام البعيدة عن الصواب (قوله كيف تحكمون) جملة أخرى فالوقف على لكم استفيد من هذه الجملة السؤال عن كيفية الحكم هل هو عن عقل أولا (قوله أم لكم كتاب) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة فبل للاضراب الانتقالى والهمزة للاستفهام التوبيخى التقريعى وكذا يقال فيما يأتى (قوله إن لكم فيه لما تخيرون) لكم خبر إن مقدم وما اسمها مؤخر واللام للتوكيد وهذه الجملة هى المدروسة فى الكتاب فهى فى المعنى مفعول لتدرسون وكسرت همزة إن لوقوع اللام المعلقة للفعل عن العمل بعدها قال ابن مالك :

وكسروا من بعد فعل علقا باللام كاعلم إنه لذو تقى

(قوله تختارون) أى تشتهون وتطلبون (قوله عهود) أى مؤكدة بالأيمان لأن العهد كلام مؤكد بالقسم (قوله بالغة) بالرفع فى قراءة العامة نعت لأيمان وقرئ شذوذا بالنصب على الحال إما من أيمان أو من الضمير فى علينا (قوله متعلق معنى بعلينا) أى متصل به وليس المراد التعلق الصناعى فانه مختص بالفعل أو مافيه رائحة الفعل أو بالمقدر فى الظرف : أى هى ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتنا إلا يومئذ إذا حكمنا كم (قوله وفى هذا الكلام) أى قوله أم لكم أيمان الخ (قوله أى أقسمنا لكم) مفعوله محذوف أى أقسمنا لكم أيمانا موثقة (قوله سلهم أيهم بذلك الخ) سلهم ينصب مفعولين الأول الضمير المتصل والثانى جملة أيهم وأى مبتدأ وزعيم خبره ، وبذلك متعلق بزعيم (قوله أم لهم شركاء) لهم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر وهذه الجملة معطوفة معنى على جملة أيهم بذلك زعيم . واختلف فى الشركاء فقيل المراد بهم ناس غير يشاركونهم فى القول المذكور وقيل المراد بها الأصنام وكلام المفسر محتمل لهما (قوله يكفلون لهم به) أى بصحته ونفوذه (قوله إن كانوا صادقين) شرط حذف جوابه لدلالة ماقبله عليه (قوله اذكر) أشار بذلك إلى أن يوم معمول لمحذوف والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها وهذا أحد قولين والآخر أن الظرف متعلق بيأتوا والمعنى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم تنفعهم وتشفع لهم (قوله هو عبارة الخ) أى هذا التركيب وهو يكشف عن ساق كناية عن الشدة فأصل هذا الكلام يقال لمن شمر عن ساقه عند العمل الشاق ويقال إذا اشتد الأمر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية ، فقال إذا خفى عليكم شىء من القرآن فاتبعوه فى الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

وقال الآخر :

ألا رب ساهى الطرف من آل مازن إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل المراد الحقيقة وعليه فاختلف . فقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يكشف لهم الحجاب فيرون الله تعالى . ففى مسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم . قال هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب ؟ وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب ؟ قالوا لا يارسول الله . قال فما تضارون فى رؤية الله تعالى يوم القيامة إلا كما تضارون فى رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد

أى تابعين لهم فى العطاء (مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد (أَمْ) أى بل أ(لَكُمْ كِتَابٌ) منزل (فِيهِ تَدْرُسُونَ) أى تقرءون (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) تختارون (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ) عهود (عَلَيْنَا بَالِغَةٌ) واثقة (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) متعلق معنى بعلينا وفى هذا الكلام معنى القسم: أى أقسمنا لكم وجوابه (إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ) به لأنفسكم (سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ) الحكم الذى يحكمون به لأنفسهم من أنهم يعطون فى الآخرة أفضل من المؤمنين (زَعِيمٌ) كفيل لهم (أَمْ لَهُمْ) أى عندهم (شُرَكَاءُ) موافقون لهم فى هذا القول يكفلون لهم به فإن كان كذلك (فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ) الكافلين لهم به (إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ) اذكر (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء ، يقال كشفت الحرب عن ساق : إذا اشتد الأمر فيها ،

غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون فى النار حتى لايبقى إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغبر أهل الكتاب ، فتدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله ، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردّون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ؛ ثم يدعى النصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله ، فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا ، فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى لايبقى إلا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم الله فى أدنى صورة من التى رأوه فيها . قال فماذا تنتظرون ؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد . قالوا يا ربنا فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ، فيقول أنا ربكم ، فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب ، فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون نعم فيكشف عن ساق ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحوّل فى صورته التى رأوه فيها أوّل مرة ، فقال أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا ، ثم يضرب الجسر على جهنم وتحلّ الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلم سلم ، قالوا يارسول الله ، وما الجسر ؟ قال دحض مزلقة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذى نفسى بيده مامن أحد منكم بأشدّ من شدّة لله فى استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين هم فى النار ، فيقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ، ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقال لهم

(٢٢٥)

ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير

... ...

فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا به ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا به أحدا ، ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ، ثم يقولون : ياربنا لم نذر فيها خيرا ، وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ـ إنّ الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ـ فيقول الله : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصفر أو أخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض . قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ، ثم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين ، فيقول لكم عندى ماهو أفضل من هذا ؟ فيقولون : ربنا أىّ شىء أفضل من هذا ؟ فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبدا » .

تنبيه : قوله فى الحديث أتاهم الله فى أدنى صورة رأوه فيها الخ هو من المتشابه يجرى فيه مذهب السلف والخلف ، فالسلف يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن لها معنى يليق بجلال الله تعالى مع اعتقادنا أن الله تعالى ليس كمثله شىء ، والخلف يؤوّلون الإتيان إما بالرؤية لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته أو بإتيان ملك فيقول أنا ربكم على سبيل الامتحان وهذا آخر امتحان المؤمنين ومعنى الصورة الصفة فمعنى فى أدنى صورة الخ فى غير الصفة التى يعرفونه بها وقولهم فارقنا الناس فى الدنيا أفقر ما كنا إليهم ، أى فارقنا الناس من أجل توحيدك حال كوننا مع المفارقة أفقر من أنفسنا عند صحبتهم فهو إخبار منهم بمزيد صبرهم على المشاق لأجل الله ، وقولهم نعوذ بالله منك إنما استعاذوا منه

لكونهم رأوا صفات المخلوق وقوله فيكشف عن ساق معناه كشف الحزن وإزالة الرعب عنهم وما كان غلب على عقولهم من الأهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم بالصفة التى يعرفونها فيخرّون سجدا وهذه الرؤية غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة أوليائه وإنما هذه الرؤية امتحان لعباده ، وقوله وقد تحوّل فى صورته التى رأوه فيها أوّل مرة معناه أنه تحجب عنهم بالصفة التى رأوه فيها أوّل مرة وقوله ثم يضرب الجسر معناه الصراط وتحلّ الشفاعة بكسر الحاء وضمها معناه تقع ويؤذن فيها وقوله دحض مزلقة أى طريق تزلق فيه الأقدام ولا تثبت وقوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشيء والكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب ومعنى الحبر اليقين ومعنى قبض قبضة أى جمع جماعة وقوله قد عادوا حمما أى صاروا فحما وقوله فى أفواه الجنة جمع فوهة وهى أوّل النهر وقوله فيخرجون كاللؤلؤ أى فى الصفاء وقوله فى رقابهم الخواتيم قيل معناه أنهم يعلقون أشياء من ذهب أو غير ذلك مما يعرفون بها والله أعلم (قوله ويدعون) أى الكفار (قوله امتحانا لإيمانهم) أى لا تكليفا بالسجود لأنها ليست دار تكليف (قوله طبقا واحدا) أى عظما واحدا (قوله أبصارهم) فاعل بخاشعة ونسب الخشوع والذل إليها لأن ما فى القلب يعرف فى العين ، وفى ذلك المقام يسجد المؤمنون شكرا لله تعالى على ما أعطوه من النعيم فيرفعون رءوسهم من السجود ووجوههم أضوأ من الشمس ، ووجوه الكافرين والمنافقين سوداء مظلمة (قوله ترهقهم) حال أخرى (قوله وقد كانوا يدعون) أى دعوة تكليف والجملة حالية وكذا قوله وهم سالمون (قوله بأن لايصلوا)

(٢٢٦)

أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الثانى هو الصلاة ، واتفق المفسرون على أن المراد بالسجود الأول حقيقته (قوله فذرنى) تسلية له صلى الله عليه وسلم وتخويف للكافرين ، والمعنى اترك أمر المكذبين إلىّ أكفك ذلك (قوله ومن يكذب) فى محل نصب إما معطوف على الياء فى ذرنى او مفعول معه والأول أرجح . قال ابن مالك :

(وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ) امتحانا لإيمانهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ) تصير ظهورهم طبقا واحدا (خَاشِعَةً) حال من ضمير يدعون : أى ذليلة (أَبْصَارُهُمْ) لايرفعونها (تَرْهَقُهُمْ) تغشاهم (ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ) فى الدنيا (إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ) فلا يأتون به بأن لا يصلوا (فَذَرْنِي) دعنى (وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ) القرآن (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ) نأخذهم قليلا قليلا (مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ . وَأُمْلِي لَهُمْ) أمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) شديد لايطاق (أَمْ) بل أ (تَسْأَلُهُمْ) على تبليغ الرسالة (أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ) مما يعطونكه (مُثْقَلُونَ) فلا يؤمنون لذلك (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ) أى اللوح المحفوظ الذى فيه الغيب (فَهُمْ يَكْتُبُونَ) منه مايقولون ،

(فاصبر

والعطف إن يمكن بلا ضعف أحق ... والنصب مختار لدى ضعف النسق

(قوله سنستدرجهم) استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد إجمالا من قوله ذرنى الخ (قوله فأخذهم قليلا قليلا) أى فالاستدراج الأخذ بالتدريج شيئا فشيئا ، والمعنى لما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الإنعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو فى الحقيقة سبب لهلاكهم (قوله وأملى لهم) عطف على سنستدرجهم عطف تفسير (قوله إنّ كيدى متين) الكيد فى الأصل الاحتيال وهو أن تفعل مافيه نفع ظاهرا وتريد به الضرّ وإنما سمى إنعامه عليهم استدراجا بالكيد لأنه فى صورته فما وقع لهم من سعة الأرزاق وطول الأعمار وعافية الأبدان إحسان ونفع ظاهرى فقط ، والمقصود به معاقبتهم وتعذيبهم على ذلك وصف الكيد بالمتانة إشارة إلى أنه لايتأتى إفلات المستدرجين مما أراده بهم بخلاف كيد المخلوق فتارة يقع وتارة لايتمكن منه (قوله أم تسألهم أجرا) هو فى المعنى مرتبط بقوله سابقا أم لهم شركاء الخ ، والمعنى أم تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله تعالى (قوله مثقلون) أى مكلفون حملا ثقيلا (قوله فلا يؤمنون لذلك) أى لسؤال الأجر المترتب عليه الغرم وهو ثقيل على النفس لأن شأن النفس أن تستثقل مايطلب منها (قوله أى اللوح الخ) هذا قول ابن عباس وقيل الغيب هو علم ماغاب عنهم (قوله مايقولون) أى مايحكمون به ويستغنون به عن علمك .

(قوله فاصبر لحكم ربك الخ) نزلت هذه الآية بأحد حين فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهزام المنافقين فأراد أن يدعو على الذين انهزموا ، وقيل نزلت حين ضاق صدره من أهل مكة فخرج يدعو ثقيفا فأغروا به سفهاءهم وصاروا يضربونه بالحجارة حتى أدموا قدمه الشريف فأراد أن يدعو عليهم ، فعلى الأول تكون مدنية وعلى الثانى تكون مكية (قوله إذ نادى) منصوب بمضاف محذوف والتقدير ولا يكن حالك كحاله فى وقت ندائه (قوله وهو مكظوم) الجملة حال من ضمير نادى (قوله مملوء غما) أى من أجل خوفه من الله تعالى حيث خرج من غير إذن فظن أن الله آخذه بذلك ، وقيل معنى مكظوم محبوس ، ومنه قولهم فلان يكظم غيظه أى يحبس غضبه (قوله نعمة) اختلف فى المراد بها فقيل الرحمة وهو الذى اختاره المفسر ، وقيل هى العصمة ، وقيل نداؤه بقوله : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين (قوله بالأرض الفضاء) أى الخالية من النبات والأشجار والجبال (قوله وهو مذموم) أى مؤاخذ بذنبه والجملة حال من نائب فاعل نبذ وهو محط النفى المستفاد من لولا (قوله لكنه رحم الخ) أشار بذلك إلى أن لولا حرف امتناع لوجود والممتنع الذم والمعنى امتنع ذمه لسبق العصمة له فاجتباه ربه وجعله من الصالحين فيونس لم تحصل منه معصية أبدا لا صغيرة ولا كبيرة وإنما خروجه من بينهم باجتهاد منه وعتابه من الله من باب حسنات (٢٢٧) الأبرار سيئات المقربين وتقدم ذلك مفصلا (قوله فاجتباه ربه) عطف على مقدر ، والمعنى فأدركته نعمة من ربه فاجتباه (قوله بالنبوة) هذا مبنى على أنه وقت هذه الواقعة لم يكن نبيا وإنما نبئ بعدها وهو أحد قولين والآخر أنه إن كان نبيا ، ومعنى اجتباه اختاره واصطفاه ورقاه مرتبة أعلى من التى كان فيها (قوله فجعله من الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح

(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) فيهم بما يشاء (وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) فى الضجر والعجلة وهو يونس عليه السلام (إِذْ نَادَى) دعا ربه (وَهُوَ مَكْظُومٌ) مملوء غما فى بطن الحوت (لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ) أدركه (نِعْمَةٌ) رحمة (مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ) من بطن الحوت (بِالْعَرَاءِ) بالأرض الفضاء (وَهُوَ مَذْمُومٌ) لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ) بالنبوة (فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) الأنبياء (وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء وفتحها (بِأَبْصَارِهِمْ) أى ينظرون إليك نظرا شديدا يكاد أن يصرعك ويسقطك عن مكانك (لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ) القرآن (وَيَقُولُونَ) حسدا (إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) بسبب القرآن الذى جاء به (وَمَا هُوَ) أى القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) موعظة (لِلْعَالَمِينَ) الجن والإنس لا يحدث بسببه جنون .

قال ابن عباس : رد الله عليه الوحى وشفعه فى نفسه وفى قومه وقبل توبته وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون فهداهم الله بسبب صبره (قوله وإن يكاد) إن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (قوله بضم الياء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من أزلق والفتح من زلق (قوله بأبصارهم) الباء إما للتعدية أو السببية (قوله أى ينظرون إليك نظرا شديدا) أى فليس المراد أنهم يصيبونه بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه وإنما المراد أنهم ينظرون إليه نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء وهذا ما مشى المفسر عليه ، وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين ، فنظر إليه قوم من قريش المجربة إصابتهم فعصمه الله وحماه من أعينهم فلم تؤثر فيه فنزلت ، وذكر العلماء أن العين كانت فى بنى أسد من العرب وكان إذا أراد أحد منهم أن يصيب أحدا فى نفسه أو ماله جوع نفسه ثلاثة أيام متوالية ثم يتعرض للعيون أو ماله فيقول ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر ولا أحسن ، فيهلك المعيون هو وماله ، وهذه الآية تنفع كتابة وقراءة للعيون فلا تضره العين (قوله لما سمعوا الذكر) ظرف ليزلقونك (قوله حسدا) أى وبغضا وتنفيرا عنه (قوله وما هو إلا ذكر للعالمين) الجملة حالية من فاعل يقولون مفيدة لبطلان قولهم وتعجيب السامعين حيث جعلوا عظة العالمين وتذكرهم سببا لجنون من أتى به ، وهذا دليل على سخافة عقلهم وسوء رأيهم ، لأن هذا القرآن لا يدركه إلا من كان كامل العقل فكيف نزل على قلبه ! .

[سورة الحاقة مكية] أى بالإجماع (قوله الحاقة) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله القيامة (قوله التى يحق) من باب ضرب ورد أى يثبت و يتحقق فاسناد التحقيق للزمان مجاز عقلى على حد ليل قائم فالمراد بها الزمان الذى يتحقق فيه ما أنكر فى الدنيا من البعث وغيره فيصير محسوسا معاينا (قوله أو المظهرة لذلك) أى لما أنكر فى الدنيا وأشار بهذا المعنى إلى أن الحاقة اسم فاعل أى المحققة والمظهرة وهو إسناد مجازى أيضا وهذا معنيان للحاقة من جملة معان كثيرة كلها متلازمة (قوله تعظيم لشأنها) أى فالمقصود من الاستفهام تفخيم شأنها وتعظيم قدرها كأنه قال أى شئ هو لاتحيط به العبارة ولاتحصره الاشارة فالمقام للاضمار ووضع الظاهر موضعه لتأكيد هولها وتفظيعه كقوله : فغشيهم من اليم ماغشيهم (قوله وهما مبتدأ وخبر الخ) أى أن الحاقة مبتدأ أول وما مبتدأ ثان والحاقة خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول والرابط إعادة المبتدإ بلفظه (قوله وماأدراك الخ) مااستفهامية وهو للانكار أى إنك لاعلم لك بكنهها وشدة عظمها (قوله زيادة تعظيم) أى أن حكمة تكرار الاستفهام زيادة تعظيم لها وتهويل لشأنها (قوله ومابعدها) أى وهو جملة أدراك (قوله فى محل المفعول الثانى) المناسب أن يقول والثالث لأن أدرى بالهمز يتعدى لثلاثة لأنه بمعنى أعلم (قوله كذبت ثمود) استئناف مسوق لبيان بعض أحوال الحاقة وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز (قوله وعاد) هم قوم هود وكانت منازلهم بالأحقاف وهو رمل بين عمان وحضرموت باليمن (قوله لأنها تقرع القلوب) أى تؤثر فيها خوفا وفزعا (قوله فأما ثمود) تفصيل لما حصل لهم فى الدنيا من العذاب بسبب تكذيبهم بالقيامة (قوله بالصيحة) أى بصيحة جبريل . واعلم أن مانزل بثمود يسمى فى القرآن بأربعة أسماء فى الأعراف بالرجفة وفى هود بالصيحة وفى حم السجدة بالصاعقة وفى هذه السورة بالطاغية فالمراد بالرجفة الزلزلة لتزلزل الأرض بهم (فترى

(سـورة الحاقة)

مكية ، إحدى أو اثنتان وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَاقَّةُ) القيامة التى يحق فيها ما أنكر من البعث والحساب والجزاء أو المظهرة لذلك (مَا الْحَاقَّةُ) تعظيم لشأنها، وهو مبتدأ وخبر خبر الحاقة (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الْحَاقَّةُ) زيادة تعظيم لشأنها فما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لأدرى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ) القيامة لأنها تقرع القلوب بأهوالها (فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ) بالصيحة المجاوزة للحد فى الشدة (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) شديدة الصوت (عَاتِيَةٍ) قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم (سَخَّرَهَا) أرسلها بالقهر (عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ) أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال وكانت فى عجز الشتاء (حُسُومًا) متتابعات شبهت بتتابع فعل الحاسم فى إعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم ،

عند صيحة جبريل عليهم والصاعقة لصعقهم أى موتهم بها والطاغيـة لخروجها عن الحد ، وماذكره المفسر أحد تفاسير للطاغية وعليه فالباء للآلة ، وقيل الطاغية مصدر كالكاذبة والعافية ، والمعنى أهلكوا بطغيانهم وكفرهم وعليه فالباء سببية ، وقيل الطاغية عاقر ناقة صالح ، والمعنى أهلكوا بسبب مافعله طاغيتهم من عقر الناقة ، وإنما أهلكوا جميعا وإن كان الفاعل واحدا لأنهم علموا بفعله ورضوا به (قوله المجاوزة للحد) أى لحد الصيحات من الهول والشدة (قوله قوية شديدة على عاد الخ) هذا أحد قولين فى تفسير عاتية والآخر أن المراد عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولاوزن لما فى الحديث « ماأرسل الله سفة من ريح إلا بمكيال ولا قطرة من ماء إلا بمكيال إلايوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل وأن الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل » (قوله أرسلها) أى سلطها (قوله أولها من صبح يوم الأربعاء) أى وآخرها غروب شمس يوم الأربعاء التالى للأربعاء الأول وكان الشهر كاملا فكان آخرها هو اليوم الأخير منه (قوله حسوما) نعت لسبع ليال وثمانية أيام أو حال من مفعول سخرها أى ذات حسوم والحسم فى الأصل تتابع الكى على الداء حتى تنقطع مادته أطلق عن قيده وأريد منه مطلق تتابع عذاب فقول المفسر متتابعات فيه إشارة إلى أنه مجاز مرسل علاقته التقييد ثم الاطلاق

(قوله فترى القوم) أي على فرض حضورك واقعتهم (قوله صرعى) حال جمع صريع كقتلى وقتيل والضمير في فيها عائد على الأيام والليالي أو البيوت أو الريح (قوله أصول نخل) أي بلا رءوس فكانت الريح تقطع رءوسهم كما تقطع رءوس النخل (قوله فارغة) أي من الحشو لما روي من أن الريح كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من الحشو من أدبارهم (قوله من باقية) من زائدة في المفعول (قوله لا) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري. قال ابن جرير مكثوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في العذاب بالريح فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فألقتهم في البحر (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله والمؤتفكات) أي المنقلبات وهي التي اقتلعها جبريل على جناحه ورفعها قرب السماء ثم قلبها (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أنه على حذف مضاف على حد واسئل القرية (قوله وهي قرى قوم لوط) وكانت خمسة: صنعه وصعره وعمره ودوما وسذوم وهي أعظمها (قوله ذات الخطأ) أشار بذلك إلى أن الخاطئة صيغة نسب كتامر ولابن (قوله فعصوا) أي فرعون ومن قبله والمؤتفكات (قوله رسول ربهم) المراد بالرسول الجنس، وقوله وغيره المراد بالغير خصوص موسى على قراءة كسر القاف وموسى ومن قبله من الرسل على قراءة فتحها (قوله على غيرها) أي من عذاب الأمم (قوله علا فوق كل شيء من الجبال الخ) أي فزاد على أعلى جبل خمسة عشر ذراعا (قوله زمن الطوفان)

المناسب أن يقول زمن نوح (قوله

(فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى) مطروحين هالكين (كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ) أصول (نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) ساقطة فارغة (فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ) صفة نفس مقدرة أو التاء للمبالغة أي باق؟ لا (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ) أتباعه وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي من تقدمه من الأمم الكافرة (وَالْمُؤْتَفِكَاتُ) أي أهلها وهي قرى قوم لوط (بِالْخَاطِئَةِ) بالفعلات ذات الخطأ (فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ) أي لوطا وغيره (فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً) زائدة في الشدة على غيرها (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ) علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان (حَمَلْنَاكُمْ) يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم (فِي الْجَارِيَةِ) السفينة التي عملها نوح ونجا هو ومن كان معه فيها وغرق الباقون (لِنَجْعَلَهَا) أي هذه الفعلة وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين (لَكُمْ تَذْكِرَةً) عظة (وَتَعِيَهَا) ولتحفظها (أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) حافظة لما تسمع (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ) للفصل بين الخلائق وهي الثانية (وَحُمِلَتِ) رفعت (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا) دقتا (دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ)

يعني آباءكم) جواب عما يقال إن المخاطبين لم يدركوا حمل السفينة فكيف يمتن الله عليهم به. فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف أي آباءكم وقوله إذ أنتم الخ ظاهره أنه تعليل لما أجاب به وليس كذلك بل هو جواب آخر وحاصله أن الكلام باق على ظاهره ويراد حملناكم حال كونكم في أصلاب آبائكم الذين حملوا وهم أولاد نوح سام وحام ويافث (قوله أي هذه الفعلة) هذا أحد قولين في مرجع الضمير في نجعلها وقيل عائد على السفينة، والمعنى لنجعل السفينة تذكرة وعظة لهذه الأمة، فبقيت منها بقية حتى أدركها أوائلهم (قوله وتعيها) بكسر العين باتفاق السبعة وهو منصوب عطفا على نجعل وماضيه وعى وأصل المضارع يوعي حذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها (قوله حافظة لما تسمع) إسناد الحفظ للأذن مجاز وحقه أن يسند لصاحبها والمعنى شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الأقوال والأفعال وتعمل بمقتضاه (قوله فإذا نفخ في الصور الخ) لما ذكر الله تعالى القيامة وأهوالها إجمالا بقوله: الحاقة الخ اشتاقت النفس لتفصيل ذلك ففصل الله تعالى بعضه بقوله: فإذا نفخ الخ وإذا شرطية وجوابها قوله: فيومئذ وقعت الواقعة وقيل قوله: يومئذ تعرضون (قوله نفخة) نائب الفاعل وواحدة نعت مؤكد لأن نفخة مصدر مختص دال على الوحدة فيصح إقامته مقام الفاعل والممنوع إقامة المبهم نحو ضرب ضرب ولم يؤنث الفعل وهو نفخ لأن التأنيث مجازي ولوجود الفصل (قوله وهي الثانية) هذا هو الصحيح كما روي عن ابن عباس لأن الثانية هي التي يعقبها الحساب والجزاء وقيل هي الأولى (قوله وحملت الأرض والجبال) أي رفعتها الملائكة أو الرياح أو القدرة بعد خروج الناس من القبور (قوله دقتا) أي فتتا وصارتا كثيبا مهيلا وهباء منثورا (قوله دكة واحدة) بالنصب على المصدرية باتفاق السبعة وإنما لم يرفع بالنيابة لوجود الضمير بخلافه في نفخ فلم يوجد ضمير فأنيب نفخة مناب الفاعل فرفع باتفاق السبعة (قوله فيومئذ) التنوين

عوض عن جملتين محذوفتين وهما نفخ وحملت (قوله قامت القيامة) أي حصلت ووجدت (قوله وانشقت السماء) أي انصدعت وتفطرت من هول ذلك اليوم (قوله ضعيفة) أي ليس فيها تماسك ولا صلابة، فتصير بمنزلة الصوف المنفوش (قوله على أرجائها) أي أطرافها لينتظروا أمر الله لهم لينزلوا فيحيطوا بالأرض ومن عليها (قوله فوقهم) حال من العرش والضمير عائد على الملائكة الواقفين على الأرجاء (قوله ثمانية من الملائكة أو من صفوفهم) هذان قولان من جملة أقوال خمسة. ثالثها ثمانية آلاف. رابعها ثمانية أجزاء من تسعة أجزاء من الملائكة. خامسها ثمانية أجزاء من عشرة أجزاء ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام قال «إن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا ثمانية على صورة الأوعال» أي تيوس الجبل «من أظلافهم إلى ركبهم كما بين سماء إلى سماء» (قوله يومئذ تعرضون) أي تسئلون وتحاسبون، وعبر بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر لينظر في أمرهم فيختار منهم الصلح للتقريب والاكرام والمفسد للابعاد والتعذيب. وروى أن في القيامة ثلاث عرضات عرضتان للاعتذار والتوبيخ والثالثة فيها تنتشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ويأخذ الهالك كتابه بشماله (قوله لاتخفى منكم خافية) حال من الواو في تعرضون، والمعنى لايخفى على الله من سرائركم التي كنتم تخفونها في الدنيا وتظنون أنه لايطلع عليها بل يذكركم بجميعها حتى تعلموها علما ضروريا (قوله بالتاء والياء) أي فيهما قراءتان سبعيتان

(قوله فأما من أوتي كتابه الخ) تفصيل لأحوال الناس عند العرض (قوله خطابا لجماعته) أي أهله وأقربائه ومن حوله وإنما أحب إظهار ذلك سرورا وفرحا لكونه من الناجين (قوله هاؤم) لها استعمالان تكون اسم فعل وتكون بلفظ واحد للمثنى والجمع والمذكر والمؤنث وتكون فعلا وتلحقها العلامات ومعناها على كل من الاستعمالين خذ ولغة القرآن أنها اسم فعل والهمزة بعدها بدل من كاف الخطاب والميم علامة الجمع (قوله كتابيه) أي أصله كتابي دخلت هاء السكت لتظهر فتحة الياء وكذا في الباقي (قوله تنازع فيه الخ) أي فأعمل الثاني عند البصريين والأول عند الكوفيين وأضمر في الآخر وحذف لأنه فضلة (قوله إني ظننت تيقنت) أي فالمراد بالظن اليقين وقال ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى إشارة إلى أنه نجا بسبب خوفه من يوم الحساب وذلك أنه تيقن أن الله يحاسبه فعمل للآخرة فحقق الله رجاءه وأمن خوفه (قوله مرضية) أشار بذلك إلى أن صيغة فاعل بمعنى مفعول أي يرضى بها صاحبها ولا يسخطها، لما ورد أنهم يعيشون فلا يموتون أبدا ويصحون فلا يمرضون أبدا وينعمون فلا يرون بأسا أبدا (قوله في جنة عالية) أي مرتفعة المكان والدرجات والأبنية والأشجار (قوله قطوفها) جمع قطف بكسر القاف أي المقطوف وهو مايجتنيه الجاني من الثمار (قوله كلوا واشربوا) أي يقال لهم ذلك والأمر للامتنان (قوله أي متهنئين) أي بذلك الأكل الطيب اللذيذ الشهي البعيد عن كل أذى السالم من كل آفة وقذر فلا بول ولا غائط ولا بصاق ولا مخاط ولا صداع ولا ثقل (قوله بما أسلفتم) الباء سببية وما مصدرية أو اسم موصول (قوله الماضية في الدنيا) وقيل هي أيام الصيام، والمعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله (قوله وأما من أوتي كتابه الخ) جرت عادة الله تعالى في كتابه حيث ذكر أحوال السعداء يذكر إثر ذلك أحوال الأشقياء (قوله فيقول) أي لما يرى من سوء عاقبته التي رآها (قوله ولم أدر ماحسابيه) ما استفهامية مبتدأ وحسابيه خبرها والجملة سدت مسد مفعولي أدر والاستفهام للتعظيم والتهويل، والمعنى ولم أدر عظم حسابي وشدته.

قامت القيامة (وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ) ضعيفة (وَالْمَلَكُ) يعني الملائكة (عَلَى أَرْجَائِهَا) جوانب السماء (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ) أي الملائكة المذكورين (يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) من الملائكة أو من صفوفهم (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ) للحساب (لَا تَخْفَى) بالتاء والياء (مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) من السرائر (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ) خطابا لجماعته لما سره به (هَاؤُمُ) خذوا (اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ) تنازع فيه هاؤم واقرءوا (إِنِّي ظَنَنْتُ) تيقنت (أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ) مرضية (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا) ثمارها (دَانِيَةٌ) قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع فيقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال: أي متهنئين (بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) الماضية في الدنيا (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ. يَا لَيْتَهَا)

أى الموتة فى الدنيا (كَانَتِ القَاضِيَةَ) القاطعة لحياتى بأن لا أبعث (مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ . هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) قوتى وحجتى ، وهاء كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت وقفا ووصلا إتباعا للمصحف الإمام والنقل ، ومنهم من حذفها وصلا (خُذُوهُ) خطاب لخزنة جهنم (فَغُلُّوهُ) اجمعوا يديه إلى عنقه فى الغل (ثُمَّ الْجَحِيمَ) النار المحرقة (صَلُّوهُ) أدخلوه (ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا) بذراع الملك (فَاسْلُكُوهُ) أى أدخلوه فيها بعد إدخاله النار ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم (إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ . فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هٰهُنَا حَمِيمٌ) قريب ينتفع به (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ) صديد أهل النار أو شجر فيها (لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ) الكافرون (فَلَا) زائدة (أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ) :

(قوله فى الموتة فى الدنيا) المعنى ياليت الموتة فى الدنيا كانت القاطعة لحياتى ولم أبعث بعد ذلك أصلا (قوله ما أغنى عنى) ما نافية والمفعول محذوف ، والمعنى لم يغن عنى مالى شيئا ، أو استفهامية للتوبيخ : أى أى شىء أغنى ما كان لى من اليسار الذى منعت منه حق الفقراء وتكبرت به على عباد الله (قوله ماليه) يحتمل أن ما اسم موصول فاعل أغنى والجار والمجرور صلة ما ويحتمل أن مالى كلمة واحدة بمعنى المال فاعل أغنى مضاف لياء المتكلم (قوله قوتى وحجتى) أشار المفسر بذلك إلى أن فى السلطان تفسيرين أحدهما القوة التى كانت له فى الدنيا والثانى الحجة التى كان يحتج بها على الناس (قوله وهاء كتابيه الخ) هاء مبتدأ وللسكت خبر أول وقوله تثبت خبر ثان (قوله تثبت وقفا) أى على القاعدة فى هاء السكت (قوله ووصلا) هذا مخالف لقاعدة هاء السكت ولما كان مخالفا أجاب بجوابين : الأول قوله إتباعا للمصحف أى فلما كانت ثابتة فيه ثبتت فى النطق ولو فى الأصل إتباعا للرسم . الثانى قوله والنقل أى و إتباعا للنقل عن النبى عليه الصلاة والسلام فقد ثبت عنه ثبوتها وصلا فليس لحنا لأن ما خرج عن القواعد لا يكون لحنا إلا إذا لم يثبت وهذا قد ثبت عن النبى ونقل إلينا بالتواتر (قوله ومنهم) أى القراء السبعة وهو حمزة والعشرة وهو يعقوب (قوله خذوه) معمول لقول مقدر جواب عن سؤال مقدر تقديره مايفعل به بعد ذلك فقيل يقال الخ (قوله خطاب لخزنة جهنم) أى زبانيتها وسيأتى فى المدثر أن عدتهم تسعة عشر قيل ملكا وقيل صفا وقيل صنفا (قوله ثم الجحيم) الترتيب فى الزمان والرتبة فإن إدخاله فى النار بعد غله وكذا إدخاله فى السلسلة بعد إدخاله النار وكل واحد أشد مما قبله (قوله صلوه) أى كرروا غمسه فى النار كالشاة التى تصلى أى تشوى على النار مرة بعد مرة (قوله ذرعها سبعون ذراعا بذراع الملك) هذا قول ابن عباس قال فتدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع أبعد ما بين مكة والكوفة وقيل سبعون ذراعا كل ذراع سبعون ذراعا وقيل ليس المراد بالعدد حقيقته بل هو كناية عن عظمها وطولها . قال كعب : لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها اجارنا الله منها وأشار سبحانه إلى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتفسيره بالسلك ، فقال فاسلكوه : أى أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك الذى يدخل فى ثقب الخرز لاحاطتها بعنقه وبجميع أجزائه (قوله إنه كان لايؤمن بالله العظيم) تعليل على طريق الاستئناف كأنه قيل ما باله يعذب هذا العذاب الشديد . فأجيب بذلك ولعل وجه التخصيص لهذين الأمرين بالذكر أن الكفر أقبح الأشياء والبخل مع قسوة القلب يليه (قوله ولا يحض) أى لايحث ولا يحرض نفسه ولا غيره وقوله على طعام المسكين أى إطعامه (قوله فليس له اليوم ههنا الخ) أى فى الآخرة وحميم وما عطف عليه اسم ليس وخبرها الظرف قبله . فإن قلت ما التوفيق بين ما هنا و بين قوله فى محل آخر : إلا من ضريع ، وفى موضع آخر : إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، وفى موضع آخر : أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار . قلنا لامنافاة إذ جميع ذلك طعام لهم ، فالحصر إضافى والنفى بالحصر طعام فيه نفع (قوله صديد أهل النار) هو ما يجرى من الجراح إذا غسلت (قوله أو شجر فيها) أى إذا أكلوه يغسل بطونهم أى يخرج ما فيها من الحشو (قوله إلا الخاطئون) العامة يهمزون الخاطئون وهو اسم فاعل من خطئ يخطأ إذا فعل غير الصواب متعمدا والمخطئ من يفعله غير متعمد (قوله زائدة) أى والمعنى أقسم لكم ياعبادى بما تشاهدون من المخلوقات وبما لاتشاهدون الخ وإنما أقسم بالمخلوقات لعظمها وشرفها بعظم خالقها وموجدها فالقسم بالمخلوقات لامن حيث ذاتها بل من حيث إنها آثار عظمته ومظهر صفاته سبحانه وتعالى والنهى عن القسم بغير الله خاص بالمخلوق أما هو سبحانه فله أن يقسم بما شاء على ما شاء وما ذكره المفسر أحد قولين

والآخر أنها أصلية، والمعنى أن هذا الأمر لظهوره ووضوحه غني عن القسم والأول أوضح وأوجه (قوله من المخلوقات) بيان لما (قوله أي بكل مخلوق) تفسير لمجموع قوله بما تبصرون وما لا تبصرون (قوله إنه لقول رسول كريم) هذا هو المحلوف عليه وكذا قوله وماهو بقول شاعر ومابعده، والمراد بالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وكرمه اجتماع الكمالات فيه فهو أكرم الخلق على الإطلاق، وقيل المراد به جبريل عليه السلام، ويؤيده قوله في سورة التكوير إنه لقول رسول كريم وكرمه كونه رئيس العالم العلوي (قوله أي قاله رسالة الخ) جواب عما يقال إن القرآن قول الله تعالى وكلامه فكيف يقال إنه لقول رسول كريم فأجاب بأنه قوله على سبيل التبليغ. والحاصل أنه ينسب لله من حيث إيجاده ولجبريل من حيث تلقيه عن الله ولمحمد من حيث تلقيه عن جبريل (قوله وماهو بقول شاعر الخ) إنما عبر بالإيمان في جانب نفي الشعر والتذكر في جانب نفي الكهانة لأن عدم مشابهة القرآن للشعر أمر ظاهر لاينكره إلا معاند كافر بخلاف مغايرته للكهانة فإنها متوقفة على التذكر والتدبر في أحواله صلى الله عليه وسلم الدالة على أنه ليس بكاهن (قوله قليلا ماتؤمنون) أي تؤمنون بشيء قليل مما جاء به مما يوافق طبعكم وهذا مادرج عليه

المفسر، وقيل أراد بالقلة نفي إيمانهم أصلا لأن الإيمان بشيء دون شيء كلا إيمان

من المخلوقات (وَمَا لَا تُبْصِرُونَ) منها: أي بكل مخلوق (إِنَّهُ) أي القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) أي قاله رسالة عن الله تعالى (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) بالتاء والياء في الفعلين ومازائدة مؤكدة، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكروها مما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم من الخير والصلة والعفاف فلم تغن عنهم شيئا، بل هو (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَوْ تَقَوَّلَ) أي النبي (عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ) بأن قال عنا مالم نقله (لَأَخَذْنَا) لنلنا (مِنْهُ) عقابا (بِالْيَمِينِ) بالقوة والقدرة (ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) نياط القلب، وهو عرق متصل به إذا انقطع مات صاحبه (فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ) هو اسم ما، ومن زائدة لتأكيد النفي، ومنكم حال من أحد (عَنْهُ حَاجِزِينَ) مانعين خبر ما وجمع لأن أحدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: أي لا مانع لنا عنه من حيث العقاب (وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ. وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ) أيها الناس (مُكَذِّبِينَ) بالقرآن ومصدقين (وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ) إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وَإِنَّهُ):

وذلك كقولك لمن لايزورك قلما تأتينا وأنت تريد لاتأتينا أصلا (قوله بالتاء والياء) أي فهما سبعيتان فالأولى لمناسبة تبصرون والثانية التفات عن الخطاب إلى الغيبة (قوله ومازائدة مؤكدة) أي لمعنى القلة وقليلا صفة لمصدر محذوف في الموضعين أي إيمانا قليلا وتذكرا قليلا (قوله مما أتى به النبي) من للتبعيض في محل الحال من أشياء، والمعنى حال كون تلك الأشياء اليسيرة بعض ما أتى به النبي، وقوله من الخير بيان للأشياء اليسيرة التي هي بعض ما أتى به النبي فكان المناسب أي للمفسر أن يقدمه على قوله مما أتى به النبي والمراد بالخير الصدقة وبالصلة صلة الأرحام وبالعفاف الكف عن الزنا وإنما آمنوا بهذه الأشياء لموافقتها طباعهم (قوله ولو تقول علينا) أي تكلف التقول (قوله بعض الأقاويل) إما جمع أقوال وهو جمع قول أو جمع أقوولة كأعاجيب جمع أعجوبة فعلى الأول أقاويل جمع الجمع وعلى الثاني جمع فقط، والمعنى لو نسب إلينا قولا لم نقله أو لم نأذن له في قوله لأخذنا الخ (قوله لنلنا) فسر الأخذ بالنيل لتعديته بالجار وعليه فمن والباء غير زائدتين، والمعنى لنلنا منه بالقوة والقدرة فاليمين كناية عن القوة والغلبة وأل عوض عن المضاف إليه: أي يمين الله ويصح أن يراد باليمين الجارحة والباء زائدة، والمعنى لأخذنا منه يمينه كما يفعل بالمقتول صبرا يؤخذ بيمينه ويضرب بالسيف في عنقه مواجهة (قوله وهو عرق متصل به الخ) هذا قول ابن عباس والجمهور، وقيل الوتين هو القلب ومراقه ومايليه، وقيل هو عرق بين العنق والحلقوم، وقيل هو كناية عن إماتته، والمعنى لو كذب علينا لأمتناه فكان كمن قطع وتينه (قوله عنه) أي عن عقابه فهو على حذف مضاف (قوله حاجزين) مفعوله محذوف: أي حاجزين لنا (قوله وإنه لتذكرة) هذا وما بعده معطوف على جواب القسم فهو من جملة المقسم عليه (قوله للمتقين) خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون به (قوله أن منكم مكذبين) أي فنمهلهم ثم بعد بعثهم نجازيهم على تكذيبهم وقوله ومصدقين أشار

بذلك إلى أن فى الآية حذف الواو مع ما عطفت (قوله أى اليقين الحق) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الصفة للموصوف ، والمعنى من تمسك به وعمل بمقتضاه صار من أهل حق اليقين (قوله زائدة) أى لفظ باسم زائد ، والمعنى نزه ربك العظيم واشكره على ما أعطاك من النعم العظيمة ولا تلتفت لهم ولا لكيدهم .

[سورة المعارج] وتسمى سورة سأل سائل (قوله مكية) أى إجماعا (قوله سأل) بالهمز والألف قراءتان سبعيتان فالهمز هو الأصل من السؤال وهو الدعاء وأما قراءة الألف فيحتمل أنها بمعنى قراءة الهمزة غير أنه خفف بقلب الهمزة ألفا والألف منقلبة عن واو كخاف يخاف والواو منقلبة عن الهمزة أو من السيلان فالألف منقلبة عن ياء ، والمعنى سال سائل : أى واد فى جهنم وأما سائل فبالهمز لاغير لأن العين إذا أعلت فى الفعل تعل فى اسم الفاعل أيضا وقد أعلت بالقلب همزة كقائل وبائع وخائف . واعلم أن مادة السؤال تتعدى لمفعولين يجوز الاقتصار على أحدهما ويجوز تعديته بحرف الجر وحينئذ فيكون التقدير هنا سأل سائل الله أو النبى عذابا واقعا (قوله دعا داع) أشار بذلك إلى أن سأل من السؤال وهو الدعاء ولما ضمن معناه تعدى تعديته ويصح أن الباء زائدة للتوكيد كقوله تعالى - وهزى إليك بجذع النخلة - ويصح أن الباء بمعنى عن (قوله واقع للكافرين) أى سيقع وعبر بذلك إشارة لتحقق وقوعه إما فى الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يوم بدر صبرا وإما فى الآخرة وهو النار (قوله للكافرين) اللام للتعليل والتقدير نازل من أجل الكافرين أو بمعنى على : أى واقع على الكافرين

أى القرآن (لَحَقُّ الْيَقِينِ) أى لليقين الحق (فَسَبِّحْ) نزه (بِاسْمِ) زائدة (رَبِّكَ الْعَظِيمِ) سبحانه .

(سورة المعارج)

مكية، أربع وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . سَأَلَ سَائِلٌ) دعا داع (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ . لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ) هو النضر بن الحرث قال اللهم إن كان هذا هو الحق الآية (مِنَ اللَّهِ) متصل بواقع (ذِي الْمَعَارِجِ) مصاعد الملائكة وهى السموات (تَعْرُجُ) بالتاء والياء (الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ) جبريل (إِلَيْهِ) إلى مهبط أمره من السماء (فِي يَوْمٍ) متعلق بمحذوف : أى يقع العذاب بهم فى يوم القيامة (كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) بالنسبة إلى الكافر لما يلقى فيه من الشدائد . وأما المؤمن فيكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا ،

(قوله ليس له دافع) إما نعت آخر لعذاب أو حال منه أو مستأنف (قوله هو النضر بن الحرث) هذا قول ابن عباس ، وقيل هو الحرث بن النعمان ، وذلك أنه لما بلغه قول النبى صلى الله عليه وسلم « ياعلى من كنت مولاه فعلى مولاه ركب ناقته فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح ، ثم قال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك وأن نحج فقبلناه منك وأن نصوم شهر رمضان فى كل عام فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك علينا أفهذا شىء منك أم من الله تعالى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى لا إله إلا هو ماهو إلا من الله ، فولى الحارث وهو يقول اللهم إن كان مايقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء فوالله ماوصل إلى ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت » وقيل هو أبوجهل ، وقيل جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على كفار قومه (قوله قال اللهم الخ) أى استهزاء وإيهاما أنه على بصيرة حيث جزم ببطلانه (قوله متصل بواقع) أى متعلق به وعليه فجملة ليس له دافع معترضة بين العامل والمعمول إن جعلت مستأنفة وأما إن جعلت صفة لعذاب فليست اعتراضية (قوله ذى المعارج) أى صاحبها وخالقها فليس لغيره مدخل فيها (قوله مصاعد الملائكة) أشار بذلك إلى أن العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم وهو موضع الصعود ومامشى عليه المفسر أحد أقوال ، وقيل المراد معارج المؤمنين فى دار الثواب وهى الجنة ، وقيل معارج الأعمال الصالحة فإنها تتفاوت بحسب الإخلاص والآداب ونحو ذلك (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جبريل) أشار بذلك إلى أن عطف الروح على ماقبله عطف خاص على عام (قوله إلى مهبط أمره) بكسر الباء بوزن مسجد وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره إن ظاهر الآية يقتضى أن الله تعالى فى مكان والملائكة يصعدون إليه فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف : أى إلى محل هبوط أمره وهو السماء (قوله متعلق بمحذوف) أى دل عليه واقع (قوله لما يلقى فيه من الشدائد) أشار بذلك إلى أن الكلام من باب التمثيل والتخييل فليس المراد

حقيقة العدد بل المراد أنه يطول على الكافر لما يلقى فيه من الشدائد فتارة يمثل بالألف و بالخمسين ألفا كناية عن عظم الشدائد أو يقال يمثل بالخمسين ألفا فى حق قوم من الكفار والألف فى حق قوم آخرين منهم وحينئذ فلامنافاة بين ماهنا وآية السجدة ، وقيل خمسون ألفا حقيقة لما ورد «أن مواطن الحساب خمسون موطنا يحبس الكافر فى كل موطن ألفا» (قوله كما جاء فى الحديث) أى وهو مارواه أبوسعيد الخدرى «أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين ألف سنة لما أطول هذا اليوم فقال : والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا» (قوله فاصبر) مفرع على قوله سأل سائل لأنه سأل على سبيل الاستهزاء ، والمعنى اصبر على استهزاء قومك ولا تضجر منه فهو تسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله هذا قبل أن يؤمر الخ) أى فهو منسوخ بآية القتال (قوله إنهم يرونه) أى يعتقدونه (قوله ونراه) أى نعلمه والنون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى (قوله متعلق بمحذوف) أى دال عليه واقع (قوله كذائب الفضة) وقيل المهل دردى الزيت (قوله كالصوف) أى مطلقا ، وقيل بقيد كونه أحمر أومصبوغا ألوانا وهذه الأقوال فى معنى العهن فى اللغة (قوله ولا يسأل حميم الخ) القراء السبعة على بناء يسئل للفاعل وحميما مفعول أول والثانى محذوف تقديره شفاعة ، وقرأ أبو جعفر من العشرة ببنائه للمفعول وحميم نائب الفاعل وحميما إما مفعول ثان على حذف مضاف : أى إحضاره أو منصوب على نزع الخافض أى عن حميم (قوله يبصرونهم) جمع الضميرين نظرا لمعنى الحميمين لأنهما نكرتان فى سياق النفى يعمان سائر الأقارب (قوله والجملة مستأنفة) أى استئنافا بيانيا واقعا فى جواب سؤال مقدر نشأ من قوله ولا يسأل حميم حميما تقديره إن عدم السؤال ربما يكون لعدم رؤيته ، فأجيب بأنهم يعرفون بعضهم و ينظرون إلى بعضهم غير أن كل أحد مشغول بحاله فلا يمكنه وقت السؤال لذلك (قوله بمعنى أن) أى المصدرية فلاجواب لها بل ينسبك منها ومما بعدها مصدر مفعول ليود : أى يود افتداءه (قوله بكسر الميم) أى على الاعراب ، وقوله وفتحها : أى على البناء والقراءتان سبعيتان والتنوين عوض عن جمل متعددة ، والمعنى يوم إذ تكون السماء كالمهل الخ (قوله لفصله منها) أى فهى فعيلة بمعنى مفعولة : أى مفصول منها والفصيلة ، قيل الآباء الأقربون ، وقيل الفخذ ، وقيل العشيرة (قوله تضمه) أى فى النسب وعند الشدة (قوله كلا) يحتمل أن تكون هنا بمعنى حقا فالكلام تم عند قوله ثم ينجيه ويحتمل أن تكون بمعنى لا النافية فالكلام تم عليها (قوله أى النار) إنما أعاد الضمير عليها و إن لم يتقدم لها ذكر لدلالة لفظ العذاب عليها (قوله لظى) خبر إن ونزاعة خبر ثان (قوله اسم لجهنم) أى منقول إذ هو فى الأصل اللهب جعل علما عليها ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله جمع شواة) أى كنوى و نواة (قوله وهى جلدة الرأس) أى وقيل هو جلد الإنسان ومعناه قلاعة للجلد وكلما قلعت عادت (قوله بأن تقول إلى إلى) أى ثم تلتقطهم التقاط الطائر للحب (قوله إن الإنسان) أل فيه للجنس : أى حقيقة الإنسان وجنسه والأصل فيه ومعنى بذلك إما لأنسه بنفسه وجنسه أو لنسيانه حقوق ربه (قوله حال مقدرة) أى لأنه ليس متصفا بذلك وقت خلقه ولا وقت ولادته (قوله وتفسيره) أى الهلوع وهو مستند اللغويين فى قولهم : الهلع فحش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشح بالمال

كما جاء فى الحديث (فَاصْبِرْ) هذا قبل أن يؤمر بالقتال (صَبْرًا جَمِيلاً) أى لاجزع فيه (إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ) أى العذاب (بَعِيدًا) غير واقع (وَنَرَاهُ قَرِيبًا) واقعا لامحالة (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ) متعلق بمحذوف : أى يقع (كَالْمُهْلِ) كذائب الفضة (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ) كالصوف فى الخفة والطيران بالريح (وَلاَ يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً) قريب قريبه لاشتغال كل بحاله (يُبَصَّرُونَهُمْ) أى يبصر الأحماء بعضهم بعضا و يتعارفون ولا يتكلمون والجملة مستأنفة (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ) يتمنى الكافر (لَوْ) بمعنى أن (يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ) بكسر الميم وفتحها (بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) زوجته (وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ) عشيرته لفصله منها (الَّتِى تُؤْوِيهِ) تضمه (وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ) ذلك الافتداء عطف على يفتدى (كَلاَّ) رد لما يوده (إِنَّهَا) أى النار (لَظَى) اسم لجهنم ، لأنها تتلظى : أى تتلهب على الكفار (نَزَّاعَةً لِلشَّوَى) جمع شواة ، وهى جلدة الرأس (تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى) عن الإيمان بأن تقول إلىّ إلىّ (وَجَمَعَ) المال (فَأَوْعَى) أمسكه فى وعائه ولم يؤد حق الله منه (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا) حال مقدرة وتفسيره (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا) :

(قوله وقت مس الشر) أشار بذلك إلى أن إذا معمولة لجزوعا وكذا ما بعده ونصب جزوعا ومنوعا إما حالان من ضمير هلوعا أو خبران لكان المحذوفة أي إذا مسه الشر كان جزوعا وإذا مسه الخير كان منوعا أو نعتان لهلوعا (قوله نحو المال) أي وغيره من جميع ما أنعم الله به عليه بأن لا يصرفه في طاعة ربه (قوله إلا المصلين) استثناء من الانسان وتقدم أن المراد به الجنس فالاستثناء متصل (قوله أي المؤمنين) فسر المصلين بالمؤمنين لأن الصلاة الشرعية تستلزم الايمان وليكون لقوله الذين هم على صلاتهم دائمون معنى وإلا كان ضائعا. واعلم أنه ذكر الصلاة ثلاثا فأراد بها أولا الايمان وثانيا المداومة عليها ولو قضاء وثالثا المحافظة عليها في خصوص أوقاتها (قوله مواظبون) أي لا يتركونها أداء ولا قضاء بل يفعلونها ولو خارج الوقت فهذا راجع للصلاة في نفسها وما يأتي راجع لوصفها (قوله فيحرم) أي لكونه يظن غنيا على حد يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله والذين يصدقون بيوم الدين) أي يؤمنون به ويجزمون بحصوله فيستعدون له بالأعمال الصالحة (قوله غير مأمون) أي لا ينبغي لأحد أن يأمنه وإن بلغ في الطاعة ما بلغ فالمطلوب من الشخص أن يغلب في حال صحته الخوف وفي حال مرضه الرجاء (قوله لفروجهم حافظون) أي عن المحرمات (قوله من الاماء) بيان لما ولشبههن بغير العاقل عبر عنهن بما التي لغير العاقل (قوله فمن ابتغى وراء ذلك) أي طلب الاستمتاع بغير النكاح وملك اليمين (قوله المتجاوزون الحلال إلى الحرام) دخل في هذا حرمة وطء الذكور والبهائم والزنا (قوله وفي قراءة بالافراد) أي وهي سبعية أيضا (قوله المأخوذ عليهم في ذلك) أي فيما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا فالعهد إما من الله أو من المخلوق فالواجب حفظه وعدم تضييعه (قوله وفي قراءة بالجمع) أي وهي سبعية أيضا (قوله ولا يكتمونها) أي بل يؤدونها ولو كانت تنفع العدو وتضر الحبيب فلا يخافون في الله لومة لائم (قوله بأدائها في أوقاتها) أشار بذلك للفرق بين قوله فيما سبق دائمون وقوله هنا يحافظون وحكمة تكرار ذكر الصلاة الاشارة إلى أنها أعظم من غيرها لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين (قوله فمال الذين كفروا) ما مبتدأ والذين كفروا خبره، والمعنى أي شيء ثبت لهم وحملهم على نظرهم إليك والتفرق (قوله قبلك) حال وكذا قوله مهطعين وعن اليمين وعن الشمال، فالأربعة أحوال من الموصول (قوله أي مديمي النظر) أي أو مسرعين فالإهطاع إدامة النظر أو الاسراع (قوله عزين) جمع عزة وهي الجماعة، واختلفوا في لام عزة فقيل هي واو من عزوته أعزوه أي نسبته وقيل هي ياء فيقال عزيته أعزيه وقيل هي هاء فأصله عزهة وعلى كل حذفت وعوض عنها تاء التأنيث وهو مما ألحق بجمع المذكر السالم في إعرابه لكونه اسما ثلاثيا حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث (قوله قال تعالى) أي ردا عليهم هذه المقالة (قوله جنة نعيم) أضيفت له لأنه ليس فيها غيره .

وقت مس الشر (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) وقت مس الخير أي المال لحق الله منه (إِلَّا الْمُصَلِّينَ) أي المؤمنين (الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) مواظبون (وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ) هو الزكاة (لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) المتعفف عن السؤال فيحرم (وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ) خائفون (إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ) نزوله (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) من الإماء (فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) المتجاوزون الحلال إلى الحرام (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) وفي قراءة بالإفراد ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا (وَعَهْدِهِمْ) المأخوذ عليهم في ذلك (رَاعُونَ) حافظون (وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ) وفي قراءة بالجمع (قَائِمُونَ) يقيمونها ولا يكتمونها (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) بأدائها في أوقاتها (أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ. فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ) نحوك (مُهْطِعِينَ) حال أي مديمي النظر (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ) منك (عِزِينَ) حال أيضا: أي جماعات حلقا حلقا يقولون استهزاء بالمؤمنين لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، قال تعالى (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ. كَلَّا) ردع لهم عن طمعهم في الجنة (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ) كغيرهم (مِمَّا يَعْلَمُونَ) .

(قوله من نطف) أى ثم من علق ثم من مضغ ، والمعنى المقصود من هذه الآية أنهم مخلوقون من نطفة وهى لاتناسب عالم القدس لاستقذارها فمن لم يستكمل بالإيمان والطاعة ولم يتخلق بالأخلاق الملكية لم يستعد لدخولها ، ومن هذا المعنى قول الشاعر :

ياخادم الجسم كم تشقى بخدمته   أتطلب الربح مما فيه خسران

انهض إلى الروح واستكمل فضائلها   فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

(قوله إنا لقادرون) جواب القسم (قوله على أن نبدل خيرا منهم) أى بأن نخلق خلقا غيرهم أو نحول أوصافهم فيكونوا أشد بطشا فى الدنيا وأكثر أموالا وأولادا وأعلى قدرا وأكثر حشما وخدما وجاها فيكونوا عندك على قلب واحد فى سماع قولك وتعظيمك والسعى فى مرضاتك بدل فعل هؤلاء من الاستهزاء والتصفيق وكل مايغضبك وقد فعل سبحانه وتعالى ماذكر من الأوصاف بالمهاجرين والأنصار والتابعين فأعطاهم أموال الجبارين و بلادهم وصاروا ملوك الدنيا والآخرة (قوله وما نحن بمسبوقين) هذا من جملة المقسم عليه (قوله فذرهم) مفرع على قوله وما نحن بمسبوقين أى إذا تبين لك أننا غير عاجزين عنهم فدعهم فيما هم فيه من الأباطيل

ولا تلتفت لهم ففيه تهديد لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم (قوله

من نطف فلا يطمع بذلك فى الجنة وإنما يطمع فيها بالتقوى (فلا) لا زائدة (أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ) للشمس والقمر وسائر الكواكب (إِنَّا لَقَادِرُونَ . عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ) نأتى بدلهم (خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) بعاجزين عن ذلك (فَذَرْهُمْ) اتركهم (يَخُوضُوا) فى باطلهم (وَيَلْعَبُوا) فى دنياهم (حَتَّى يُلَاقُوا) يلقوا (يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) فيه العذاب (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) القبور (سِرَاعًا) إلى المحشر (كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصْبٍ) وفى قراءة بضم الحرفين : شىء منصوب كعلم أو راية (يُوفِضُونَ) يسرعون (خَاشِعَةً) ذليلة (أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ) تغشاهم (ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ) ذلك مبتدأ وما بعده الخبر ، ومعناه يوم القيامة .

(سورة نوح)

مكية ، ثمان أو تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا

يلقوا) أشار بذلك إلى أن التفاعل ليس على بابه (قوله يومهم الذى يوعدون) هو يوم كشف الغطاء وأوله عند الغرغرة وآخره النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين فى داره وهذه الآية منسوخة بآية السيف (قوله يوم يخرجون) بدل من يومهم بدل بعض من كل (قوله سراعا) حال من فاعل يخرجون (قوله إلى نصب) متعلق بيوفضون (قوله وفى قراءة بضم الحرفين) أى وهى سبعية أيضا فالأولى مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى أى يسرع له الشخص عند الشدائد ، وقيل هو شبكة الصائد يسرع إليها خوف انفلات الصيد والثانية بمعنى الصنم المنصوب للعبادة وقرئ شذوذا بفتحتين و بضم وسكون (قوله يسرعون) أى يسعون ويستبقون (قوله خاشعة) حال إما من فاعل يوفضون أو يخرجون وأبصارهم فاعل بخاشعة (قوله ترهقهم ذلة) إما مستأنفة أو حال من فاعل يوفضون والمعنى يغشاهم الذل جزاء لتعززهم فى الدنيا عن الحق (قوله الذى كانوا يوعدون) أى فى الدنيا أن لهم فيه العذاب وهذا هو العذاب الذى طلبوه أول السورة فقد رد عجزها لصدرها (قوله وما بعده) أى الذى هو لفظ يوم وأما الموصول وصلته فهو صفة للخبر .

[سورة نوح] (قوله ثمان) بكسر النون وضمها وأصله على كل ثمانى حذفت الياء إما اعتباطا كيد ودم فهو بضم النون والاعراب عليها أو لعلة تصريفية كقاض فهو بكسر النون والاعراب على الياء المحذوفة (قوله إنا أرسلنا نوحا) أى على رأس الأربعين كما قال ابن عباس ، وقيل أرسل وهو ابن ثلثمائة وخمسين ، وقيل أرسل وهو ابن خمسين سنة ، وعاش فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فهو أطول الناس عمرا ولا يرد شعيب لأن ماجاء فى عمره رواية آحاد . ونوح أول رسول أرسل بالنهى عن الشرك لأن الشرك إنما حدث فى زمنه وأما قبله فلم يعرفوا عبادة غير الله حتى يؤمروا بتركها

إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ) أى بإنذار (قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ) إن لم يؤمنوا (عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم فى الدنيا والآخرة (قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بيّن الإنذار (أَنِ) أى بأن أقول لكم (اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ) من زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله أو تبعيضية لاخراج حقوق العباد (وَيُؤَخِّرْكُمْ) بلا عذاب (إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) أجل الموت (إِنَّ أَجَلَ اللهِ) بعذابكم إن لم تؤمنوا (إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) ذلك لآمنتم (قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا) أى دائما متصلا (فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِى إِلَّا فِرَارًا) عن الإيمان (وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ) لئلا يسمعوا كلامى (وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ) غطوا رءوسهم بها لئلا ينظرونى (وَأَصَرُّوا) على كفرهم (وَاسْتَكْبَرُوا) تكبروا عن الإيمان (اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا) أى بإعلاء صوتى (ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ) صوتى (وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ) الكلام (إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) من الشرك (إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا . يُرْسِلِ السَّمَاءَ) المطر وكانوا قد منعوه (عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا) كثير الدرور (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ)

(قوله إلى قومه) المراد بهم جميع أهل الأرض (قوله أى بإنذار) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لأن الارسال فيه معنى القول دون حروفه (قوله فى الدنيا والآخرة) أى وهو الطوفان وعذاب النار (قوله بين الانذار) أى واضحه (قوله أى بأن أقول لكم الخ) أشار بذلك إلى أن أن تفسيرية ويصح كونها مصدرية كالسابقة فيصح فى كل منهما الوجهان (قوله يغفر لكم) مجزوم فى جواب الأوامر الثلاثة (قوله من زائدة) أى على رأى الأخفش القائل بأنه لايشترط فى زيادتها تقدّم نفى وكون مدخولها نكرة (قوله فان الاسلام الخ) تعليل لما قبله ، والمعنى أن الاسلام يغفر به ماتقدّمه من الذنوب ولو حقوق العباد فلا يؤاخذ بها فى الآخرة (قوله لإخراج حقوق العباد) أى فانها لاتغفر بالاسلام أى فيطالب الكافر إذا أسلم بالحدود وبالأموال التى ظلم فيها والديون المستقرة فى ذمته (قوله بلا عذاب) جواب عن سؤال مقدر كيف قال - ويؤخركم إلى أجل مسمى - مع أنه قال فى الآية الأخرى - ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - فالجواب أن المراد بالأجل هنا أوّلا وثانيا العذاب وهو معلق على ترك الايمان وفى الآية الأخرى انتهاء العمر وهو لايتقدّم ولا يتأخر آمنوا أم لم يؤمنوا (قوله مسمى) أى معلوم عند الله لايزيد ولاينقص (قوله إنّ أجل الله) أضيف الأجل له سبحانه لأنه هو الذى أثبته وقد يضاف إلى القوم كما فى قوله إذا جاء أجلهم لأنه مضروب لهم (قوله لآمنتم) أشار بذلك إلى أن لو شرطية (قوله فلم يزدهم دعائى) بفتح الياء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله إلا فرارا) مفعول ثان ليزدهم وهو استثناء من محذوف والتقدير فلم يزدهم دعائى شيئا من أحوالهم التى كانوا عليها إلا فرارا أى بعدا وإعراضا عن الايمان (قوله وإنى كلما دعوتهم) كلما معمول لجعلوا والجملة خبر إن ومعمول دعوتهم محذوف والتقدير إلى الايمان بك لأجل مغفرتك (قوله لئلا ينظرونى) أى فكرهوا النظر إلىّ من فرط كراهتهم دعوتى فقد خالفوه باطنا بالاصرار والاستكبار وظاهرا بتعطيل الأسماع والأبصار ولا أقبح من هذه المخالفة (قوله جهارا) إما نعت مصدر محذوف أى دعاء جهارا أو حال على حدّ زيد عدل ، والمعنى أنه فعل عليه السلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ابتدأ أولا بالأهون ثم ترقى للأشدّ فالأشدّ فافتتح بالسر فلما لم يفد ثنى بالجهر فلما لم يفد ثلث بالجمع بين السر والجهر ، وثم للدلالة على تباعد الأحوال (قوله استغفروا ربكم) أى اطلبوا منه محو ذنوبكم بأن تؤمنوا به وتتقوه فليس المراد بالاستغفار مجرد قول أستغفر الله فمن لازم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا . عن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال : استغفر الله ، وشكا إليه آخر الفقر ، وشكا إليه آخر قلة النسل ، وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار ، فقال له الربيع بن صبيح : أتاك رجال يشكون إليك أبوابا ويسئلونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية (قوله وكانوا قد منعوه) أى لما كذبوا نوحا حبس الله عنهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة ، فهلكت أموالهم ومواشيهم ، فقال لهم نوح استغفروا ربكم الخ (قوله مدرارا) حال من السماء ولم يؤنث لأن مفعالا يستوى فيه المذكر والمؤنث .

(قوله بساتين) أشار بذلك إلى أن المراد جنات الدنيا وكرر فعل الجعل ولم يقل يجعل لكم جنات وأنهارا لتغاير المعمولين فان الجنات مما لهم فيها مدخل بخلاف الأنهار ، ولذا قال يمددكم بأموال وبنين ، ولم يقل يجعل لتغاير المعمول (قوله مالكم) مبتدأ وخبر ، والمعنى أى شيء ثبت لكم وقوله لا ترجون جملة حالية من الكاف وقوله وقارا أى توقيرا من الله لكم واللام بمعنى من والمعنى أى شيء ثبت لكم لاتؤملون الله فى كونه يوقركم ويعظمكم بل المطلوب منكم أن ترجو وقار الله إياكم بأن تؤمنوا به فالمقصود الحث على الإيمان والطاعة الموجبين لرجاء ثواب الله لأن الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه يحصل فى المستقبل مع الأخذ فى الأسباب وهو لا يكون إلا بالإيمان والطاعة (قوله وقد خلقكم) الجملة حالية من فاعل ترجون وأطوارا حال مؤولة بمشتق أى منتقلين من حال إلى حال (قوله والنظر) أى التأمل (قوله فى خلقه) أى الانسان ، والمعنى أن التأمل فى أحوال الانسان من أسباب الايمان بالله تعالى (قوله تنظروا) أى نظر اعتبار وتفكر (قوله كيف خلق الله الخ) هذه الجملة سدت مسد مفعولى تروا (قوله بعضها فوق بعض) أى من غير مماسة بل بين كل واحدة والأخرى خمسمائة عام وسمك الواحدة منهن خمسمائة عام (قوله أى فى مجموعهن) دفع بذلك مايقال إن القمر لم يكن إلا فى خصوص سماء الدنيا فما معنى إضافته إلى الكل فأجاب بما ذكر وفيه أن المجموع لابد فيه من تعدد أفراد وهنا ليس كذلك فالأحسن الجواب بأن السموات شفافة فيرى الكل كأنه سماء واحدة وما فى واحدة كأنه فى الكل (قوله وجعل الشمس) أى فيهن حذف من الثانى لدلالة الأول عليه . واعلم أن القمر فى سماء الدنيا اتفاقا واختلف فى الشمس فقيل فى السماء الرابعة ، وقيل فى الخامسة ، وقيل فى الشتاء فى الرابعة ، وفى الصيف فى السابعة ووجههما مما يلى السماء وقفاهما مما يلى الأرض (قوله سراجا) أى مثل السراج فى كونها تزيل ظلمة الليل كما يزيلها السراج (قوله وهو أقوى من نور القمر) . إن قلت إن القمر أقوى من المصباح بالمشاهدة لعمومه بالمشارق والمغارب وانتشاره . أجيب بأن الضمير عائد على الضوء المفهوم من مضيئا أو يقال إن المصباح فى محل انتشاره أقوى من القمر وإن كان أوسع امتدادا منه لأن الإنسان يمكنه قراءة الخط فى المصباح دون القمر فلا يقرؤه إلا القليل من الناس (قوله خلقكم) أى أنشأكم منها فالإنبات استعارة للخلق (قوله إذ خلق أباكم آدم منها) أى أو باعتبار النطفة فان أصلها وهو الغذاء من الأرض (قوله نباتا) مصدر لأنبت على حذف الزوائد ويسمى اسم مصدر (قوله مقبورين) حال (قوله مبسوطة) أى لا مسنمة فتتعب من عليها (قوله فجاجا) جمع فج وهو الطريق الواسع ، وقيل هو المسلك بين الجبلين (قوله قال نوح) أى بعد يأسه من إيمانهم وصبره المدة الطويلة عليهم وهذا مقدمة لدعائه عليهم (قوله إنهم عصونى) أى وعصيانى عصيان لك يارب (قوله وبفتحهما) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله ومكروا) معطوف على صلة من كأنه قال واتبعوا من مكروا وجمع الضمير نظرا لمعنى من وأفرد فى قوله يزده باعتبار لفظها (قوله كبارا) بضم الكاف وتشديد الباء وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالضم والتخفيف وهى صيغة مبالغة أيضا بمعنى المشدد والكسر والتخفيف جمع كبير .

(وقالوا)

بساتين (وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً) جارية (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً) أى تأملون وقار الله إياكم بأن تؤمنوا (وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً) جمع طور ، وهو الحال فطوراً نطفة وطوراً علقة إلى تمام خلق الإنسان والنظر فى خلقه يوجب الإيمان بخالقه (أَلَمْ تَرَوْا) تنظروا (كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً) بعضها فوق بعض (وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ) أى فى مجموعهن الصادق بالسماء الدنيا (نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً) مصباحا مضيئاً وهو أقوى من نور القمر (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ) خلقكم (مِنَ الْأَرْضِ) إذ خلق أباكم آدم منها (نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا) مقبورين (وَيُخْرِجُكُمْ) للبعث (إِخْرَاجاً وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً) مبسوطة (لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً) طرقا (فِجَاجاً) واسعة (قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا) أى السفلة والفقراء (مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ) وهم الرؤساء المنعم عليهم بذلك وولد بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما والأول قيل جمع ولد بفتحهما كخشب وخشب وقيل بمعناه كبخل وبخل (إِلَّا خَسَاراً) طغيانا وكفراً (وَمَكَرُوا) أى الرؤساء (مَكْراً كُبَّاراً) عظيما جداً بأن كذبوا نوحا وآذوه ومن اتبعه ،

(قوله وقالوا) عطف على الصلة أيضا (قوله ولا تذرن ودا) عطف خاص على عام (قوله بفتح الواو وضمها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا يغوث ويعوق) بغير تنوين في قراءة العامة ومنع الصرف إن كانا عربيين للعلمية ووزن الفعل وإن كانا أعجميين فللعلمية والعجمة وقرئ شذوذا بالصرف للتناسب لأن ما قبلهما مصروف وما بعدهما مصروف (قوله ويعوق ونسرا) لم يذكر النفي مع هذين لكثرة التكرار وعدم اللبس (قوله هي أسماء أصنام) أي كانوا يعبدونها وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم ولذا خصوها بالذكر . وأصلها كما قال عروة بن الزبير أنه كان لآدم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد من صفر ورصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم وصورهم فلما تقادم الزمان تركت الناس عبادة الله فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيئا قالوا وما نعبد قال آلهتكم وآلهة آبائكم ألا ترون أنها في مصلاكم فعبدوها من دون الله تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرن آلهتكم الآية (قوله وقد أضلوا) معمول لقول مقدر أي وقال قد أضلوا فهو معطوف على قوله قال نوح رب إنهم عصوني (قوله دعا عليهم لما أوحي إليه الخ) جواب عما يقال إنه مبعوث لهدايتهم فكيف ساغ له الدعاء عليهم بالضلال . فأجاب بأنه لما يئس من إيمانهم بإخبار الله له بأنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ساغ له الدعاء عليهم (قوله ماصلة) أي ومن تعليلية (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله فأدخلوا نارا) أي في الدنيا عقب الاغراق فكانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب بقدرة الله تعالى وهذا ما أفاده المفسر ويحتمل أن المراد بها نار الآخرة وهو من التعبير بالماضي عن المستقبل لتحقق الوقوع (قوله وقال نوح رب الخ) عطف على قوله قال نوح رب وما بينهما اعتراض مبين لسبب استحقاقهم العذاب (قوله أي نازل دار) هذا معنى الديار في اللغة والمراد صاحب دار سواء كان نازلا بها أم لا فهو مرادف لأحد فديار من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالديار ديار (قوله من يفجر الخ) أشار بذلك إلى أن فيه مجاز الأول لأنهم لم يفجروا وقت الولادة بل بعدها (قوله قال ذلك) أي قوله لا تذر الخ وأما قوله ولا يلدوا الخ فعلمه بالتجربة لكونه عاش فيهم زمانا طويلا فعرف طباعهم وأحوالهم فكان الرجل ينطلق إليه بابنه ويقول له احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرني منه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك (قوله وكانا مؤمنين) أي واسم أبيه لمك بفتحتين أو بفتح فسكون ابن متوشلخ بضم الميم وفتح التاء والواو وسكون الشين وكسر اللام ابن أخنوخ وهو إدريس واسم أمه شمخا بوزن سكرى بنت أنوش (قوله منزلي أو مسجدي) أي أو سفينتي (قوله مؤمنا) حال (قوله إلى يوم القيامة) أي من مبدإ الدنيا إلى يوم القيامة (قوله إلا تبارا) مفعول ثان لتزد والاستثناء مفرغ. وفعله تبر من باب قتل وتعب ويتعدى بالتضعيف فيقال تبره والاسم التبار (قوله فأهلكوا) أي وغرقت معهم صبيانهم على القول بأنهم لم يعقموا ومواشيهم لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب الكافرين قال عليه الصلاة والسلام «يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى» ، وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب ، وما قيل في صبيان قوم نوح يقال في صبيان كل أمة هلكت والله أعلم .

(وَقَالُوا) السفلة (لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا) بفتح الواو وضمها (وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) هي أسماء أصنام (وَقَدْ أَضَلُّوا) بها (كَثِيرًا) من الناس بأن أمروهم بعبادتها (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) عطفا على قد أضلوا ، دعا عليهم لما أوحي إليه : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (مِمَّا) ما صلة (خَطَايَاهُمْ) وفي قراءة خطيئاتهم بالهمز (أُغْرِقُوا) بالطوفان (فَأُدْخِلُوا نَارًا) عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء (فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ) أي غير (اللَّهِ أَنْصَارًا) يمنعون عنهم العذاب (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا) أي نازل دار والمعنى أحدا (إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا) من يفجر ويكفر ، قال ذلك لما تقدم من الإيحاء إليه (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ) وكانا مؤمنين (وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ) منزلي أو مسجدي (مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) إلى يوم القيامة (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) هلاكا فأهلكوا .

 أى التى ذكرت فيها قصة إيمان الجن برسول الله صلى الله عليه وسلم لأن رسالته عامة للانس والجن . والجن أجسام نارية هوائية لها قدرة على التشكلات بالصور الشريفة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة ، و بهذا ظهر الفرق بينهم و بين الملائكة ، لأن الملائكة أجسام نورانية لها قدرة على التشكلات بالصور غير الخسيسة ولا تحكم عليهم الصورة . واختلف فى الجن : فقيل هم ذرية إبليس غير أن المتمرد منهم يسمى شيطانا كما أن الانس أولاد آدم ، وقيل إن الجن ولد الجان والشياطين ولد إبليس يموتون مع إبليس عند النفخة والراجح الأول فمن آمن من الجن فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بآدم ومن كفر من الانس فقد انقطعت نسبته من أبيه والتحق بإبليس (قوله أى أخبرت بالوحى) أى أخبرنى جبريل وظاهر الآية أن النبى لم يشعر بهم ولا باستماعهم و إنما اتفق حضورهم فى بعض أوقات قراءته و به قيل ، والصحيح أنه رآهم وعلم بهم . ويجاب عن الآية بأن مصب الايحاء قصة الجن مع قومهم حين رجعوا إليهم بعد استماعهم القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أنه استمع) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر نائب فاعل أوحى والتقدير أوحى إلىّ استماع (قوله نفر من الجن) النفر الجماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة . واختلف فى عددهم ، فقيل كانوا تسعة ، وقيل سبعة (قوله جن نصيبين) قرية باليمن بالصرف على الأصل وعدمه للعلمية والعجمة (قوله فى صلاة الصبح) وذلك أنه سار النبى صلى الله عليه وسلم فى جملة من أصحابه قاصدين سوق عكاظ وهو سوق معروف بقرب مكة كانت العرب تقصده فى كل سنة مرة فى الجاهلية وأول الاسلام وكان فى ذلك الوقت قد حيل بين الشياطين و بين خبر السماء فقال بعضهم لبعض ماذاك إلا من شىء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها لتنظروا ما الذى حال بيننا و بين السماء حتى منعنا بالشهب فانطلق جماعة منهم فمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو يصلى الصبح يقرأ فيها سورة الرحمن وقيل اقرأ باسم ربك وكان ببطن نخل قاصدين سوق عكاظ فلما سمعوا القرآن قالوا هذا الذى حال بيننا و بين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا الخ (قوله بين مكة والطائف) بينه و بين مكة مسيرة ليلة (قوله فى فصاحته) فى بمعنى من فهو بدل مما قبله أو هى سببية (قوله وغزارة معانيه) أى كثرتها (قوله وغير ذلك) كالاخبار بالمغيبات (قوله ولن نشرك بربنا أحدا) هذا يدل على أنهم كانوا مشركين ، وروى أنهم كانوا يهودا ، وقيل إن منهم يهودا ونصارى ومجوسا ومشركين (قوله وفى الموضعين بعده) أى وهما وأنه كان يقول وأنه كان رجال واسم كان ضمير الشان والجملة بعدها خبرها وهى واسمها وخبرها خبر أن (قوله جدّ ربنا) الجد يطلق على معان منها العظمة وهى المرادة هنا ومنها الغنى والحظ ومنه «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» ومنها أبو الأب وأما الجد بالكسر فهو السرعة فى الشىء ضد التأنى (قوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) هذه الجملة مفسرة لما قبلها (قوله وأنا ظننا الخ) اعتذار من هؤلاء النفر عما صدر منهم قبل الايمان من الشرك و إيضاحه أنهم يقولون إنا ظننا واعتقدنا أن أحدا لا يكذب على الله وأن ما قاله سفهاؤنا من نسبة الصاحبة والولد إليه حق وصدق فلما سمعنا القرآن أسلمنا وعلمنا أنه كذب .

(سورة الجن)

مكية ، ثمان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . قُلْ) يا محمد للناس (أُوحِيَ إِلَيَّ) أى أخبرت بالوحى من الله تعالى (أَنَّهُ) الضمير للشأن (اسْتَمَعَ) لقراءتى (نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ) جن نصيبين وذلك فى صلاة الصبح ببطن نخل موضع بين مكة والطائف وهم الذين ذكروا فى قوله تعالى : و إذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ الآية (فَقَالُوا) لقومهم لما رجعوا إليهم (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) يتعجب منه فى فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك (يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) الايمان والصواب (فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ) بعد اليوم (بِرَبِّنَا أَحَدًا . وَأَنَّهُ) الضمير للشأن فيه وفى الموضعين بعده (تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) تنزه جلاله وعظمته عما نسب إليه (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً) زوجة (وَلَا وَلَدًا . وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) جاهلنا (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) غلوا فى الكذب بوصفه بالصاحبة والولد (وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ) ، مخففة

(قوله مخففة) أى واسمها ضمير الشأن مضمر والجملة المنفية خبرها (قوله كذبا) نعت مصدر محذوف أى قولا كذبا (قوله بوصفه بذلك) أى بالصاحبة والولد (قوله حتى تبينا كذبهم) أى ظهرلنا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذه المقالة والتى بعدها من كلامه تعالى مذكورتان فى خلال كلام الجن المحكى عنهم وهوأحد قولين وقيل إنهما أيضا من كلام الجن (قوله كان رجال) أى فى الجاهلية (قوله حين ينزلون الخ) أى وذلك أن العرب كانوا إذا نزلوا واديا عبثت بهم الجن فى بعض الأحيان لأنهم كانوا لايتحصنون بذكر الله وليس لهم دين صحيح فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيبيت فى أمن وجوار منهم حتى يصبح فلا يرى إلا خيرا وربما هدوه إلى الطريق وردوا عليه ضالته وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن من بنى حنيفة ثم فشا فى العرب فلما جاء الاسلام صار التعوذ بالله لا بالجن (قوله فزادوهم) الواو عبارة عن رجال الانس والهاء عبارة عن رجال الجن (قوله فقالوا) أى الجن المستعاذ بهم (قوله سدنا الجن) بضم السين أى حصلت لنا السيادة على الجن غيرنا لقهرنا إياهم وسدنا الانس الذين استعاذوا بنا وهذه المقالة بسبب الطغيان (قوله أن لن يبعث الله أحدا) هذه الجملة سادة مسد مفعولى الظن والمسألة من باب التنازع أعمل الثانى وأضمر فى الأول وحذف (قوله رمنا) أى قصدنا وطلبنا (قوله فوجدناها ملئت الخ) الضمير مفعول أول لوجد وجملة ملئت مفعول ثان لها وحرسا تمييز جمع حارس كخدم وخادم (قوله وشهبا) جمع شهاب ككتب وكتاب (قوله نجوما محرقة) المناسب أن يقول شعلا منفصلة من نار الكواكب لأن الشهاب شعلة من نار تنفصل من الكواكب وتقدم ذلك عن المفسر (قوله وذلك) أى امتلاؤها

(٢٤١)

مخففة: أى أنه (لَن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بوصفه بذلك حتى تبينا كذبهم بذلك قال تعالى (وَإِنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ) يستعيذون (بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ) حين ينزلون فى سفرهم بمخوف فيقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه (فَزَادُوهُمْ) بعوذهم بهم (رَهَقًا) طغيانا فقالوا سدنا الجن والإنس (وَإِنَّهُمْ) أى الجن (ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ) يا إنس (أَن) مخففة: أى أنه (لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا) بعد موته قال الجن (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ) رُمنا استراق السمع منها (فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا) من الملائكة (شَدِيدًا وَشُهُبًا) نجوما محرقة وذلك لما بعث النبى صلى الله عليه وسلم (وَأَنَّا كُنَّا) أى قبل مبعثه (نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ) أى نستمع (فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) أى أرصد له ليرمى به (وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ) بعدم استراق السمع (بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) خيرا (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ) بعد استماع القرآن (وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ) أى قوم غير صالحين (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) فرقا مختلفين مسلمين وكافرين،

بالحرس والشهب (قوله مقاعد للسمع) أى لأجل الاستماع (قوله الآن) ظرف حالى والمراد الاستقبال. والحاصل أن الشياطين كانوا أولا يسترقون السمع فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات بغير شهب فلما ولد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها بالشهب فلما بعث ازداد تساقط الشهب حتى ملأ الفضاء وصارت لاتخطئهم فمنعوا من الصعود بالكلية لكن مازالوا يتوجهون إلى الصعود فتعاجلهم الشهب (قوله رصدا) صفة لشهابا وهو بمعنى اسم المفعول أى مرصودا له (قوله أشر أريد الخ) قيل القائل ذلك إبليس وقيل الجن فيما بينهم قبل أن يستمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم والمعنى لاندرى أشر أريد بمن فى الأرض بارسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم فانهم يكذبون ويهلكون بتكذيبه أم أراد أن يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الايمان والكفر (قوله ومنا دون ذلك) منا خبر مقدم ودون مبتدأ مؤخر إما بمعنى غير وفتح لاضافته لغير متمكن أو صفة لمحذوف تقديره ومنا فريق دون ذلك وحذف الموصوف مع من التبعيضية كثير ومن ذلك قولهم منا ظعن ومنا أقام أى منا فريق ظعن الخ (قوله أى قوم غير صالحين) أى غير مسلمين (قوله كنا طرائق) أى ذوى مذاهب مختلفة وأديان متفرقة (قوله قددا) جمع قدة بالكسر وهى فى الأصل الطريق والسيرة فاستعمالها فى الفرق مجاز،

(قوله وأنا ظننا) أى علمنا وتيقنا (قوله فى الأرض) حال وكذا قوله : هربا (قوله بتقدير هو) أى بعد الفاء فهو جملة اسمية ولولا ذلك لحذفت الفاء وجزم جوابا للشرط (قوله وأنا منا المسلمون) أى وأنا بعد سماعنا القرآن مختلفون فمنا من أسلم ومنا من كفر (قوله الجائرون) أى فالقاسط الجائر ، وأما المقسط فهو من أقسط بمعنى عدل وأعاد هاتين الجملتين مع ذكرهما أولا ليصرح بمجازاة المسلم وضده (قوله فكانوا لجهنم حطبا) إن قلت الجن مخلوقون من النار فكيف يعذبون بها ؟ . أجيب بأنهم و إن خلقوا منها لكن هم ضعاف والنار قوية وقوى النار يأكل ضعيفها (قوله وأنا وأنهم وأنه) مبتدأ وقوله فى اثنى عشر موضعا خبر أول وقوله بكسر الهمزة خبر ثان وقوله هى مبتدأ وأنه تعالى الخ خبر والجملة اعتراضية لبيان الاثنى عشر وقوله وأنا : أى فى ثمان مواضع ، وأناظننا وأنا لمسنا الخ وقوله وأنهم أى فى موضع واحد وأنهم ظنوا وقوله وأنه أى فى ثلاثة مواضع : وأنه تعالى ، وأنه كان يقول ، وأنه كان رجال ، فصح قوله فى اثنى عشر موضعا وقوله وأنه تعالى أى هى أولها وآخرها وأنا منا المسلمون ومابينهما أى بين الأول والآخر وهو عشرة مواضع ، وقبل هذه الاثنى عشر موضعان : أحدهما بالفتح لاغير أنه استمع نفر . وثانيهما بالكسر لاغير إنا سمعنا قرآنا عجبا و بعدها موضعان أحدهما بالفتح لاغير : وأن المساجد لله . وثانيهما فيه الوجهان : وأنه لما قام عبد الله فالجملة ستة عشر علم تفصيلها فتدبر

(قوله بما يوجه به) أى بأن يؤول بمصدر أو يعطف على المصدر (قوله قال تعالى فى كفار مكة) أشار بذلك إلى أن وأن لو استقاموا إلى آخره ليس متعلقا بالجن بل هو من جملة الموحى به (قوله وهو معطوف على أنه استمع) أى والتقدير أوحى إلىّ استماع نفر وكونهم لو استقاموا الخ (قوله لو استقاموا على الطريقة) أى لو آمن هؤلاء الكفار لبسطنا لهم الرزق ووسعنا عليهم فى الدنيا زيادة على ما يحصل لهم فى الآخرة من النعيم الدائم فيحوزون عز الدنيا والآخرة والعامة على كسر واو لو على الأصل

(وَإِنَّا ظَنَنَّا أَنْ) مخففة : أى أنه (لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا) أى لا نفوته كائنين فى الأرض أو هاربين منها إلى السماء (وَإِنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى) القرآن (آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ) بتقدير هو بعد الفاء (بَخْسًا) نقصا من حسناته (وَلَا رَهَقًا) ظلما بالزيادة فى سيآته (وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ) الجائرون بكفرهم (فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا) قصدوا هداية (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا) وقودا ، و إنا و إنهم و إنه فى اثنى عشر موضعا هى : وأنه تعالى وأنا منا المسلمون ومابينهما بكسر الهمزة استئنافا و بفتحها بما يوجه به قال تعالى فى كفار مكة (وَأَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى وأنهم وهو معطوف على أنه استمع (لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ) أى طريقة الإسلام (لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا) كثيرا من السماء ، وذلك بعد مارفع المطر عنهم سبع سنين (لِنَفْتِنَهُمْ) لنختبرهم (فِيهِ) فنعلم كيف شكرهم علم ظهور (وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ) القرآن (نَسْلُكْهُ) بالنون والياء ، ندخله

وقرئ شذوذا بضمها تشبيها بواو الضمير (قوله أى طريقة الاسلام) أى بالعمل بها وهو امتثال المأمورات واجتناب المنهيات (قوله لأسقيناهم الخ) ليس المراد خصوص السقيا بل المراد التوسعة عليهم فى الدنيا و بسط الرزق ، وإنما اقتصر على ذكر الماء لأن الخير والرزق كله فى الماء فهو أصل الأرزاق . قال عمر رضى الله عنه : أينما كان الماء كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة (قوله غدقا) بفتحتين فى السبع وقرئ شذوذا بفتح الغين وكسر الدال وهو مصدر غدق من باب تعب، يقال غدقت عينه تغدق: أى هطل دمعها وغدقت العين غدقا كثر ماؤها (قوله وذلك) اسم الاشارة عائد على معلوم من السياق والتقدير ونزول الآية كان بعد مارفع الخ (قوله لنفتنهم فيه) أى الماء وفى للسببية (قوله علم ظهور) أى للخلائق و إلا فهو تعالى لايخفى عليه شئ فالمعنى ليظهر لهم متعلق علمنا ، وفى الآية معنى إشارى للصوفية وهو أن العباد لو حصلت منهم الاستقامة على الطريقة بالانهماك فى مرضات الله تعالى لملأ الله قلوبهم بالأسرار والمعارف والمحبة الشبيهة بالماء فى كونها حياة الأرواح كما أن الماء حياة الأجسام فيحصل لهم بسبب ذلك الفتنة فيه بأن يسكروا و يطربوا و يدهشوا و يخرجوا عن الأهل والأوطان فالاستقامة سبب للرزق الظاهرى والباطنى (قوله بالنون والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله ندخله) أشار بذلك إلى أنه ضمن نسلك معنى ندخل فعداه للمفعول الثانى بنفسه (قوله صعدا) مصدر صعد بكسر العين كفرح وصف به العذاب على تأويله باسم الفاعل (قوله شاقا) هـذا تفسير باللازم وإلا فمعنى الصعود العلو والارتفاع (قوله وأن المساجد لله) هو من جملة الموحى به أى وأوحى إلىّ كون المساجد مختصة بالله . واختلف فى المراد بالمساجد فقيل هى جمع مسجد بكسر الجيم وهو موضع السجود فالمراد بها جميع البقاع ، لأن الأرض جعلت كلها مسجدا لهذه الأمة ، وقيل جمع مسجد بالفتح وهو الأعضاء الواردة فى الحديث : الجبهة والأنف والركبتان واليدان والقدمان ، والمعنى أن هـذه الاعضاء نعم أنعم الله بها عليك فلا تسجد لغير الله فتجحد نعمة الله ، وقيل المراد بها الأماكن المبنية للعبادة وإضافة المساجد إلى الله تعالى للتشريف والتكريم وقد تنسب لغيره على سبيل التعريف كما فى الحديث « صلاة فى مسجدى هـذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » (قوله فلا تدعوا مع الله أحدا) أى لا تعبدوا غير الله فهو توبيخ للمشركين فى عبادتهم الأصنام ، وقيل المراد أفردوا المساجد بذكر الله تعالى ولا تجعلوا لغير الله فيها نصيبا لما فى الحديث « من نشد ضالة فى المسجد فقولوا لا ردها الله عليك فإن المساجد لم تبن لهذا » ، وفى الحديث أيضا « كان إذا دخـل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، اللهم أنا عبدك وزائرك وعلى كل

مزور حق وأنت خير مزور فأسألك برحمتك أن تفك رقبتى من النـار ، وإذا خرج من المسجد قدم رجلـه اليسرى وقال اللهم صب علىّ الخير صبا ولا تنزع عنى صـالح ما أعطيتنى أبدا ولا تجعـل معيشتى كـدا واجعل لى فى الأرض جـدا » أى غنى (قوله وأنه لما قام عبد الله الخ) سياق هـذه الآية إنما يظهر فى المرة الثانيـة وهى التى كانت فى الحجون وكان معـه فيها ابن مسعود وكان الجن إذ ذاك اثنى عشر ألفا ، وقيـل سبعين ألفا وبايع جميعهم وفرغوا من بيعته عنـد انشقاق الفجر ، ووصفه الله بالعبودية زيادة فى تشريفه وتكريمه (قوله ببطن نخل) المناسب أن يقول بحجون مكة وهى المرة الثانية ، وأما الأولى التى هى ببطن نخل فكانوا سبعة أو تسعة فلا يتأتى قوله : كادوا يكونون عليه لبدا (قوله بكسر اللام وضمها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جمع لبدة) أى بكسر اللام كسدرة وسدر على قراءة الكسر أو ضمها كغرفة وغرف على قراءة الضم (قوله قال إنما أدعوا ربى الخ) سبب نزولها أن كفار قريش قالوا له : إنك جئت بأمر عظيم وقـد عاديت الناس كلهم فارجع عن هـذا ونحن نجيرك وننصرك (قوله وفى قراءة قل) أى وهى سبعية أيضا وعليها فى الكلام التفات من الغيبـة للخطاب (قوله إلها) قدره إشارة إلى أن أدعوا بمعنى أعتقد فتتعدى لمفعولين ولو فسرها بأعبد لاستغنى عن هـذا التقدير (قوله غيا) أشار بذلك إلى أن المراد بالضر الغى فأطلق المسبب وأريد السبب فإن الضر سببه الغى فهو مجاز مرسل وكذا يقال فى قوله : ولا رشدا (قوله قل إنى لن يجيرنى الخ) بيان لعجزه عن شئون نفسه بعد بيان عجزه عن شئون غـيره (قوله استثناء من مفعول أملك) أى من مجموع الأمرين وهما قوله ضرا ورشـدا بعـد تأويلهما بشيئا كأنه قال لا أملك لكم شـيئا إلا بلاغا فهو استثناء متصل ، وجملة : قل إنى لن يجيرنى الخ معترضة بين المستثنى والمستثنى منه أتى بها لتأكيد نفى الاستطاعة .

ندخله (عَذَابًا صَعَدًا) شاقا (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ) مواضع الصلاة (لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا) فيها (مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) بأن تشركوا كما كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا (وَأَنَّهُ) بالفتح والكسر استئنافا والضمير للشأن (لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ) محمد النبى صلى الله عليه وسلم (يَدْعُوهُ) يعبده ببطن نخل (كَادُوا) أى الجن المستمعون لقراءته (يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا) بكسر اللام وضمها جمع لبدة كاللبد فى ركوب بعضهم بعضاً ازدحاما حرصاً على سماع القرآن (قَالَ) مجيباً للكفار فى قولهم ارجع عما أنت فيه وفى قراءة قل (إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي) إلها (وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا . قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا) غيا (وَلَا رَشَدًا) خيراً (قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ) من عذابه إن عصيته (أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ) أى غيره (مُلْتَحَدًا) ملتجأ (إِلَّا بَلَاغًا) استثناء من مفعول أملك : أى لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم (مِنَ اللَّهِ) أى عنه (وَرِسَالَاتِهِ) ،

(قوله عطف على بلاغا) أى كأنه قال لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالة ، والمعنى إلا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا وأن أبلغ رسالاته أي أحكامه التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان (قوله في التوحيد) أخذ ذلك من قوله : خالدين فيها أبدا ، لأن الخلود قرينة كون المراد بالعاصي الكافر (قوله فإن له نار جهنم) العامة على كسر إن لوقوعها بعد فاء الجزاء وقرىء شذوذا بفتحها على أنها مع مافي حيزها في تأويل مصدر خبر لمحذوف والتقدير فجزاؤه أن له نار جهنم (قوله في له) أى حال من الهاء المجرورة باللام (قوله فسيعلمون) جواب إذا والسين لمجرد التأكيد لا للاستقبال لأن وقت رؤية العذاب يحصل العلم المذكور (قوله من أضعف ناصرا) من إما استفهامية مبتدأ وأضعف خبره أو موصولة وأضعف خبر لمحذوف أي هو أضعف والجملة صلة الموصول وناصرا وعددا تمييزان محوّلان عن المبتدإ على حد : أنا أكثر منك مالا (قوله أو أنا) الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا التوزيع تكلف لا داعي له بل يصلح كل من المعنيين لكل من القولين (قوله فقال بعضهم) هو النضر بن الحارث وقال هذا استهزاء به صلى الله عليه وسلم وإنكارا للعذاب (قوله

قريب) مبتدأ وما توعدون فاعل سد مسد الخبر وما موصولة وعائدها محذوف أو مصدرية (قوله من العذاب) بيان لما (قوله لا يعلمه إلا هو) صفة لأجلا (قوله عالم الغيب) بالرفع في قراءة العامة على أنه بدل من ربي أو خبر لمحذوف وقرىء شذوذا بالنصب على المدح وقرىء شذوذا علم الغيب فعلا ماضيا ناصبا للغيب (قوله ماغاب به) المناسب حذف قوله به (قوله فلا يظهر على غيبه أحدا) أي إظهارا تاما كاملا يستحيل تخلفه فليس في الآية مايدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف ،

عطف على بلاغا ، ومابين المستثنى منه والاستثناء اعتراض لتأكيد نفي الاستطاعة (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) في التوحيد فلم يؤمن (فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ) حال من ضمير مَن في له رعاية لمعناها وهي حال مقدّرة ، والمعنى يدخلونها مقدرا خلودهم (فِيهَا أَبَدًا حَتَّى إِذَا رَأَوْا) حتى ابتدائية فيها معنى الغاية لمقدر قبلها أي لا يزالون على كفرهم إلى أن يروا (مَا يُوعَدُونَ) من العذاب (فَسَيَعْلَمُونَ) عند حلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة (مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا) أعوانا أهم أم المؤمنون على القول الأول أو أنا أم هم على الثاني فقال بعضهم متى هذا الوعد فنزل (قُلْ إِنْ) أي ما (أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ) به من العذاب (أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا) غاية وأجلا لا يعلمه إلا هو (عَالِمُ الْغَيْبِ) ماغاب به عن العباد (فَلَا يُظْهِرُ) يطلع (عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا) من الناس (إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ) مع اطلاعه على ماشاء منه معجزة له (يَسْلُكُ) يجعل ويسير (مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) أي الرسول (وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) ملائكة يحفظونه حتى يبلغه في جملة الوحي (لِيَعْلَمَ) الله علم ظهور (أَنْ) مخففة من الثقيلة أي أنه (قَدْ أَبْلَغُوا) أي الرسل (رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ) روعي بجمع الضمير معنى مَن ،

(وأحاط

ولكن اطلاع الأنبياء على الغيب أقوى من اطلاع الأولياء لأن اطلاع الأنبياء يكون بالوحي وهو معصوم من كل نقص بخلاف اطلاع الأولياء فعصمة الأنبياء واجبة وعصمة الأولياء جائزة (قوله إلا من ارتضى) أي إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه فإنه يظهره على مايشاء من غيبه (قوله فإنه يسلك الخ) تقرير وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء كأنه قال إلا من ارتضى من رسول فإنه إذا أراد إظهاره على غيبه جعل له ملائكة من جميع جهاته يحرسونه من تعرض الشياطين له (قوله ملائكة يحفظونه) أي من الجن . قال قتادة وغيره : كان الله سبحانه وتعالى إذا بعث رسولا أتاه إبليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين عنه فإذا جاءه شيطان في صورة ملك أخبروه بأنه شيطان فيحذره فإذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك (قوله ليعلم الله الخ) متعلق بيسلك غاية له وقوله علم ظهور دفع به ماقد يتوهم من قوله يعلم أن العلم متجدد . فأجاب بأن المعنى ليظهر متعلق علمه (قوله رسالات ربهم) أي كما هي محفوظة من الزيادة والنقصان (قوله معنى من) أي في قوله من ارتضى .

(قوله وأحاط بما لديهم) الضمير عائد على الرسل والملائكة ، والمعنى أحاط علمه بما عند الرسل والملائكة (قوله وأحصى كل شئ عددا) أى من القطر والرمل وورق الأشجار وزبد البحار وجميع الأشياء جليلها وحقيرها وهذا كالتعليل لقوله وأحاط بما لديهم .

[سورة المزمل مكية] أى وهو قول الجمهور لأنها أول مانزل بعد آية اقرأ وقوله أو إلاقوله الخ هذا قول الثعلبي وعليه فهو ناسخ لأول السورة وليس فى القرآن سورة نسخ آخرها أولها سواها ولم ينزل آخرها عقب أولها بل بينهما مدة أكثر ماقيل فيها عشر سنين (قوله ياأيها المزمل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم . واختلف فى معنى المزمل فقيل المتلفف بثيابه وهو مامشى عليه المفسر وقيل المزمل بالنبوة والمدثر بالرسالة وقيل المزمل بالقرآن وقيل معناه يأيها الذى زمل هذا الأمر أى حمله . واعلم أن هذا الوصف أثبته العلماء من جملة أسمائه صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح وخالف فى ذلك السهيلى محتجا بأنه اسم مشتق من حاله التى كان عليها حين الخطاب ، ورد بأن هذا لايضر فى التسمية وأيضا فأسماؤه صلى الله عليه وسلم توقيفية وقد ورد نداؤه به فى القرآن وحينئذ فيجوز لنا أن نطلقه عليه (قوله أدغمت التاء فى الزاى) أى بعد قلبها زايا (قوله حين مجىء الوحى) أى جبريل فى ابتداء الرسالة بعد أن جاءه باقرأ باسم ربك . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحى فى غار حراء رجع إلى خديجة زوجته يرجف فؤاده فقال زملونى زملونى لقد خشيت على نفسى أى من عدم القيام بحقه لهيبته وجلاله فقالت له

(وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ) عطف على مقدر : أى فعلم ذلك (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) تمييز وهو محول عن المفعول ، والأصل أحصى عدد كل شيء .

(ســـورة المزمل)

مكية ، أو إلاقوله : إن ربك يعلم إلى آخرهافمدنى ، تسع عشرة أو عشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ) النبى وأصله المتزمل أدغمت التاء فى الزاى : أى المتلفف بثيابه حين مجيء الوحى له خوفا منه لهيبته (قُمِ اللَّيْلَ) صل (إِلَّا قَلِيلًا . نِصْفَهُ) بدل من قليلا وقلته بالنظر إلى الكل (أَوِ انْقُصْ مِنْهُ) من النصف (قَلِيلًا) إلى الثلث (أَوْ زِدْ عَلَيْهِ) إلى الثلثين ، وأو للتخيير (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ) تثبت فى تلاوته (تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا) قرآنا (ثَقِيلًا) مهيبا ، أو شديدا لما فيه من التكاليف (إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ) ،

خديجة وكانت وزيرة صدق رضى الله عنها كلا والله مايخزيك الله أبدا إنك تصل الرحم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق (قوله قم الليل) العامة على كسر الميم لالتقاء الساكنين وقرئ شذوذا بضمها وفتحها والليل ظرف للقيام على طريقة البصريين أو مفعول به على طريقة الكوفيين والأمر للوجوب. واختلف فيه ، فقيل كان واجبا عليه وعلى أمته، وقيل كان واجبا عليه وعلى جميع الأنبياء قبله ، وقيل خاص به صلى الله عليه وسلم ثم نسخ النعيين بآخر السورة ثم نسخ بالصلوات الخمس (قوله صل) أى فالمعنى قم للصلاة والعبادة (قوله وقلته الخ) جواب عما يقال إن النصف مساو للنصف الآخر لاقليل فأجاب بأنه يوصف بالقلة بالنظر لكل الليل لابالنظر للنصف الآخر (قوله إلى الثلث) أى انقص من النصف الذى تنامه فمعناه قم ثلثى الليل وقوله إلى الثلثين : أى زد على النصف الذى تنامه حتى تبلغ الثلثين فمعناه قم ثلث الليل فتحصل أن المعنى قم نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه فهو من الواجب المخير (قوله ورتل القرآن) أى فى أثناء قيامك . والمعنى اقرأه بترتيل وتؤدة وسكينة ووقار (قوله إنا سنلقى الخ) هذه الجملة معترضة بين الأمر بقيام الليل وتعليله بقوله إن ناشئة الليل وفى الحقيقة هذه الجملة أيضا تصلح أن تكون علة للأمر بقيام الليل كأنه قال قم الليل لتتهيأ لتحمل القول الثقيل الذى سننزله عليك (قوله مهيبا) أى عظيما جليلا . واختلف فى معنى كونه ثقيلا ، فقال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد حلاله وحرامه ، وقال محمد ابن كعب ثقيل على المنافقين لأنه يهتك أسرارهم ويبطل أديانهم ، وقيل ثقيل بمعنى كريم ، وقيل ثقيل لايحمله إلاقلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وأجمع من هذا أن معناه كثير الفوائد والمعانى لايدركه عقل واحد فهو كالبحر المحيط الذى لاينقص بالاغتراف لجميع العلماء المتقدمين والمتأخرين يغترفون منه .

قال البوصيرى : لها معان كموج البحر فى مدد وفوق جوهره فى الحسن والقيم
فلا تعد ولا تحصى عجائبها ولا تسام من الاكثار بالسأم

ومامشى عليه المفسر من أن المراد بالقول القرآن هو أحد أقوال ، وقيل إن المراد به الوحى لما فى الحديث «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت صدرها على الأرض لما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه » وقالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه و إن جبينه ليتفصد عرقاً ، وقيل القول الثقيل هو قول لا إله إلا الله لما ورد أنها خفيفة على اللسان ثقيلة فى الميزان (قوله القيام بعد النوم) أشار بذلك إلى أن ناشئة مصدر نشأ إذا قام ونهض كالعاقبة والعافية و يصح أن تكون صفة لمحذوف : أى أن النفس الناشئة بالليل أى القائمة فيه أشد وطأ الخ (قوله وطأ) تمييز أى من جهة المواطأة أى الموافقة فيها (قوله موافقة السمع للقلب) أى أن هذا الوقت توافق الحواس القلب فكل ماوقع فى الحواس وعاه القلب لخلو القلب عن الشواغل فلا مفهوم لقول المفسر السمع ، وفى وطأ قراءتان سبعيتان كسر الواو وفتح الطاء بعدها ألف وفتح الواو وسكون الطاء بعدها همزة ومعناها ما قاله المفسر (قوله أبين قولا) أى أصوب قراءة وأصح قولا من النهار لسكون الأصوات (قوله سبحا طويلا) السبح مصدر سبح استعير من السباحة فى الماء للتصرف فى الأشغال (قوله لا تفرغ (٢٤٦) فيه الخ) أى فعليك بها فى الليل الذى هو محل الفراغ وفرغ من باب دخل

القيام بعد النوم (هِىَ أَشَدُّ وَطْأً) موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن (وَأَقْوَمُ قِيلاً) أبين قولا (إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً) تصرفا فى أشغالك لاتفرغ فيه لتلاوة القرآن (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) أى قل بسم الله الرحمن الرحيم فى ابتداء قراءتك (وَتَبَتَّلْ) انقطع (إِلَيْهِ) فى العبادة (تَبْتِيلاً) مصدر بتّل جىء به رعاية للفواصل وهو ملزوم التبتل ، هو (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً) موكولا له أمورك (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) أى كفار مكة من أذاهم (وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلاً) لاجزع فيه وهذا قبل الأمر بقتالهم (وَذَرْنِى) اتركنى (وَالْمُكَذِّبِينَ) عطف على المفعول أو مفعول معه ، والمعنى أنا كافيكهم وهم صناديد قريش (أُولِى النَّعْمَةِ) التنعم (وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً) من الزمن فقتلوا بعد يسير منه ببدر ،

(قوله أى قل بسم الله الرحمن الرحيم الخ) تبع فى ذلك السهيلى ، وقال جمهور المفسرين إن قوله واذكر اسم ربك عام بعد خاص والمعنى دم عليه ليلا ونهارا على أىّ وجه كان من تسبيح وتحميد وتهليل ونحو ذلك (قوله انقطع إليه فى العبادة) أى أخلص العبادة لوجهه (قوله مصدر بتل) أى كعلم تعليما على حد قول ابن مالك : (إن

وغير ذى ثلاثة مقيس مصدره كقدس التقديس

وهذا اشارة لسؤال حاصله أن هذا المصدر ليس لهذا الفعل و إنما هو مصدر لفعل آخر : أجاب عنه بجوابين الأول قوله جىء به لرعاية الفواصل والثانى قوله وهو ملزوم التبتل . و إيضاحه أن التبتيل الذى هو مصدر بتل كقدس أطلق وأريد التبتل الذى هو مصدر تبتل كتكرم لكونه لازما له ومن مادته (قوله هو رب المشرق) أشار بذلك إلى أن قوله رب المشرق بالرفع خبر لمحذوف و يصح قراءته بالجر بدل من ربك والقراءتان سبعيتان (قوله فاتخذه وكيلا) نتيجة ماقبله والمعنى حيث علمت أنه مالك المشرق والمغرب ولا إله غيره فاعتمد عليه وفوض أمورك إليه (قوله واصبر على مايقولون) هذا شروع فى بيان كيفية معاملته للخلق إثر بيان كيفية معاملته للخالق (قوله واهجرهم هجرا جميلا) أى بأن تذرهم ولا تكافئهم بأفعالهم فالهجر الجميل هو الترك مع عدم الايذاء (قوله وهذا قبل الأمر بقتالهم) أى فهو منسوخ بآية القتال(قوله وذرنى والمكذبين) أى فلا تشفع لهم ولا تحل بينى وبينهم بل اتركنى أنتقم منهم وهذا من مزيد تعظيم الله له صلى الله عليه وسلم و إجلال قدره (قوله أولى النعمة) نعت للمكذبين والنعمة بالفتح التنعم و بالكسر الشئ المنعم به و بالضم السرور (قوله ومهلهم قليلا) أى بلغهم حتى آتى بمهل لهم زمنا قليلا وهو إلى خروجك من مكة فلما خرج صلى الله عليه وسلم منها سلط الله عليهم السنين المجدبة وهو العذاب العام ثم قتل صناديدهم ببدر وهو العذاب الخاص ،

(قوله إن لدينا أنكالا الخ) هذا وعيد لهم بعذاب الآخرة إثر الوعيد بعذاب الدنيا (قوله جمع نكل) أى وهو القيد، وقيل الغل (قوله وهو الزقوم) تقدم فى الدخان أنه شجر مرّ من أخبث الشجر (قوله أو الضريع) سيأتى للمفسر فى الغاشية أنه نوع من الشوك لاترعاه دابة لخبثه (قوله أو الغسلين) تقدم فى الحاقة أنه صديد أهل النار (قوله لايخرج ولاينزل) تفسير لقوله يغص به فكان المناسب ذكره بلصقه (قوله يوم ترجف الخ) ظرف منصوب بما تعلق به قوله لدينا، والتقدير استقرّ لهم عندنا ماذكر يوم ترجف الخ (قوله تزلزل) أصله تتزلزل حذفت منه إحدى التاءين (قوله وكانت الجبال) أى وتكون فعبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وحذفت الواو) أى عند سيبويه وإنما كانت أولى بالحذف لأنها زائدة ولذا اختاره المفسر وقال الكسائى: إن المحذوف الياء لأن القاعدة أن الذى يحذف لالتقاء الساكنين هو الأول (قوله يا أهل مكة) أى ففيه التفات من الغيبة إلى الخطاب (قوله كما أرسلنا إلى فرعون الخ) خص موسى وفرعون بالذكر لأن قصتهما

(إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً) قيوداً ثقالا جمع نكل بكسر النون (وَجَحِيماً) ناراً محرقة (وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ) يغص به فى الحلق، وهو الزقوم أو الضريع، أو الغسلين، أو شوك من نار لايخرج ولا ينزل (وَعَذَاباً أَلِيماً) مؤلما زيادة على ما ذكر لمن كذب النبى صلى الله عليه وسلم (يَوْمَ تَرْجُفُ) تزلزل (الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً) رملا مجتمعاً (مَهِيلاً) سائلا بعد اجتماعه وهو من هال يهيل وأصله مهيول استثقلت الضمة على الياء فنقلت إلى الهاء وحذفت الواو ثانى الساكنين لزيادتها وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ) يا أهل مكة (رَسُولاً) هو محمد صلى الله عليه وسلم (شَاهِداً عَلَيْكُمْ) يوم القيامة بما يصدر منكم من العصيان (كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً) هو موسى عليه الصلاة والسلام (فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً) شديداً (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ) فى الدنيا (يَوْماً) مفعول تتقون، أى عذابه: أى بأى حصن تتحصنون من عذاب يوم (يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً) جمع أشيب لشدة هوله وهو يوم القيامة والأصل فى شين شيباً الضم وكسرت لمجانسة الياء ويقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الأطفال وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد فى الآية الحقيقة (السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ) ذات انفطار: أى انشقاق (بِهِ) بذلك اليوم لشدته (كَانَ وَعْدُهُ) تعالى بمجىء ذلك اليوم (مَفْعُولاً) أى هو كائن لا محالة (إِنَّ هَذِهِ) الآيات المخوفة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) طريقاً .

مشهورة عند أهل مكة (قوله فعصى فرعون الرسول) أل للعهد الذكرى لأنه تقدم ذكره فى قوله رسولا والقاعدة أن النكرة إذا أعيدت معرفة كانت عين الأولى (قوله شديدا) هذا قول ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل: أى شديد، وقيل الوبيل الثقيل الغليظ، وقيل المهلك (قوله فكيف تتقون إن كفرتم) أى لاسبيل لكم إلى الوقاية من عذاب ذلك اليوم إن وقع الكفر منكم فى الدنيا (قوله يجعل الولدان الخ) هذه الجملة صفة ليوما والضمير فى يجعل إما عائد على الله أو على اليوم مبالغة أى أن نفس اليوم يجعل الولدان شيبا (قوله وهو مجاز) أى لفظ الشيب مجاز: أى كناية عن شدة الهول (قوله ويجوز الخ) أى فيكون الشيب على حقيقته ولامانع منه. ثم إن فى كلام المفسر إجمالا وإيضاحه أن يقال إن كون الشيب على حقيقته مبنى على أن المراد باليوم آخر أوقات الدنيا، وهو عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا وكونه مجازا مبنى على أن المراد باليوم النفخة الثانية لأن القيامة ليس فيها شيب (قوله السماء منفطر به) صفة ثانية ليوما (قوله ذات انفطار) جواب عما يقال لم لم تؤنث الصفة فيقال منفطرة؟ فأجاب بأن هذه صيغة نسبة: أى ذات انفطار. ويجاب أيضا بأن السماء تذكر باعتبار أنها سقف. قال تعالى ـ وجعلنا السماء سقفا محفوظا ـ (قوله به) الباء بمعنى فى (قوله كان وعده تعالى) أشار به إلى أن إضافة وعد للضمير من إضافة المصدر لفاعله وهو الله تعالى (قوله إن هذه الآيات) أى القرآنية وهى قوله إن لدينا الخ ويصح أن يكون اسم الإشارة عائدا على السورة بتمامها (قوله فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) من شرطية وشاء فعل الشرط ومفعوله محذوف أى النجاة وجملة اتخذ إلى ربه سبيلا جواب الشرط ويصح أن يكون جملة شاء اتخذ إلى ربه سبيلا فعل الشرط وجوابه محذوف تقديره فليفعل .

(قوله بالإيمان والطاعة) أشار بذلك إلى أن المراد باتخاذ السبيل التقرب إلى الله تعالى بامتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله إن ربك يعلم الخ) شروع فى بيان الناسخ لقوله قم الليل الخ ومحله قوله فتاب عليكم وما قبله توطئة وتمهيد له (قوله أقل من ثلثى الليل الخ) إن قلت إن الأقلية باعتبار الثلثين والنصف ظاهرة ولا تظهر بالنسبة للثلث لأنهم غير مأمورين بالنقص عنه بل هم مخيرون كما تقدم بين قيام الثلثين والنصف والثلث وهذا على قراءة الجر وقد يجاب بأن معنى قوله أدنى التقريب : أى يعلم أنك تقوم كما أمرك أقرب من ثلثى الليل الخ وعبر بالأدنى لأنها أمور ظنية تخمينية لا تحقيقية وهم مكلفون بالظن لا التحقيق والتحرير بالدقيقة (قوله وبالنصب) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله عطف على أدنى) أى فهو معمول لتقوم ، والمعنى تقوم نصفه تارة وثلثه تارة أخرى (قوله وقيامه) مبتدأ ، وقوله نحو ما أمر به خبره أى مثله فقوله هنا أدنى من ثلثى الليل المراد به الثلثان على سبيل التقريب وهو المذكور أولا بقوله ـ أو انقص منه قليلا ـ ، وقوله ونصفه المراد به النصف تقريبا وهو المذكور أولا بقوله ـ قم الليل إلا قليلا نصفه ـ وقوله وثلثه المراد به الثلث تقريبا وهو المذكور أولا بقوله أو زد عليه ولا يحتاج لقولنا تقريبا إلا على قراءة الجر وأما قراءة النصب فظاهرة (قوله وجاز) أى العطف على ضمير الرفع المتصل من غير

تأكيد بالضمير المنفصل ، وقوله للفصل : أى بغير الضمير على حد قول ابن مالك : أو فاصل ما (قوله وقيام طائفة) مبتدأ وقوله للتأسى به خبره ، وقوله كذلك : أى ثلثين ونصفا وثلثا (قوله ومنهم من كان لا يدرى الخ) بيان للطائفة الأخرى التى لم تتأس به فافترقت الصحابة فرقتين فرقة تأست به فى قيام الثلثين والنصف والثلث وفرقة شددوا على أنفسهم فأحيوا الجميع (قوله سنة) أى على القول بأن السورة كلها مكية ، وقوله أو أكثر : أى ستة عشر شهرا على القول بأنها مكية أيضا أو عشر سنين على القول بأن قوله إن ربك يعلم الخ مدنى (قوله خفف عنهم) أى عن الطائفتين من الصحابة (قوله أى الليل) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على الليل لأنه المحدث عنه من أول السورة (قوله رجع بكم إلى التخفيف) أى فالمراد التوبة اللغوية لا التوبة من الذنوب لكونهم لم يفعلوا ذنوبا (قوله فاقرءوا ما تيسر من القرآن) بيان للناسخ فنسخ التقدير بالأجزاء الثلاثة إلى جزء مطلق من الليل (قوله فى الصلاة) بيان لمعنى القراءة فى الأصل (قوله بأن تصلوا) أشار بذلك إلى أن المراد بالقراءة الصلاة من إطلاق الجزء على الكل (قوله ما تيسر) أى ولو ركعتين (قوله علم أن سيكون الخ) استئناف مبين لحكمة أخرى للترخيص والتخفيف (قوله مخففة من الثقيلة) أى واسمها ضمير الشأن وجملة سيكون خبرها ومرضى اسم يكون ومنكم خبرها (قوله وآخرون يضربون فى الأرض الخ) سوى الله تعالى فى هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين للمال الحلال لنفقته على نفسه وعياله إشارة إلى أن كسب المال بمنزلة الجهاد لما ورد فى الحديث «ما من جالب يجلب طعاما من بلد إلى بلد فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله » وقال ابن مسعود : أيما رجل جلب شيئا من مدينة من مدائن الإسلام صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ ـ وآخرون يضربون فى الأرض ـ الآية (قوله وغيرها)

بالإيمان والطاعة (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى) أقل (مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ) بالجر عطف على ثلثى وبالنصب عطف على أدنى ، وقيامه كذلك نحو ما أمر به أول السورة (وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير تأكيد للفصل ، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسى به ، ومنهم من كان لا يدرى كم صلى من الليل وكم بقى منه فكان يقوم الليل كله احتياطا فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر فخفف عنهم ، قال تعالى (وَاللَّهُ يُقَدِّرُ) يحصى (اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى أنه (لَنْ تُحْصُوهُ) أى الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه وذلك يشق عليكم (فَتَابَ عَلَيْكُمْ) رجع بكم إلى التخفيف (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) فى الصلاة ، بأن تصلوا ما تيسر (عَلِمَ أَنْ) مخففة من الثقيلة : أى أنه (سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ) يسافرون (يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها (وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر فى قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ،

(فاقرءوا

أى كطلب العلم وصلة الرحم (قوله فاقرءوا ماتيسر منه) إنما كرره تأكيدا ولكونه قرنه بحكم أخرى غير الأولى (قوله ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس) أى فى حق الأمة اتفاقا . وأما هو صلى الله عليه وسلم فقال مالك لم ينسخ فى حقه صلى الله عليه وسلم بل بقى وجوب التهجد عليه لكن فى خصوص الحضر . وقال الشافعى : نسخ فى حقه أيضا . إن قلت إن وجوب الصلوات الخمس لاينافى وجوب قيام الليل وشرط الناسخ أن يكون حكمه منافيا للحكم المنسوخ ، فالحق أن النسخ بالحديث وهو « أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أعرابيا بأن الله افترض عليه خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فقال الأعرابى هل على غيرها يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم لا إلا أن تطوع » فقوله لا نفى وجوب أى صلاة كانت غير الخمس (قوله وماتقدموا لأنفسكم) ماشرطية وتجدوه جواب الشرط ومن خير بيان لما وعند الله ظرف لتجدوه وخيرا مفعول ثان لتجدوه (قوله مما خلفتم) أى وراءكم . إن قلت إن الذى خلفه وراءه ميراث لغيره فلا خير فيه له فالأحسن أن يقول مما أنفقتم على أنفسكم فى العاجل (قوله وهو فصل) أى ضمير فصل (قوله ومابعده الخ) أشار بذلك لسؤال حاصله أن ضمير الفصل لايقع إلا بين معرفتين وهنا وقع بين معرفة ونكرة . فأجاب بقوله يشبهها ، وقوله لامتناعه من التعريف : أى لأنه اسم تفضيل وهو لايجوز دخول أل عليه إذا كان معه من لفظا أو تقديرا وهنا من مقدرة كأنه قال هو معرفة لولا المانع وهو كونه مقرونا بمن (قوله واستغفروا الله) أى اطلبوا

(فَاقْرَءُوا مَاتَيَسَّرَ مِنْهُ) كما تقدم (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) المفروضة (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ) بأن تنفقوا ماسوى المفروض من المال فى سبيل الخير (قَرْضًا حَسَنًا) عن طيب قلب (وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا) مما خلفتم وهو فصل ومابعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف (وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين .

(سورة المدثر)

مكية ، خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) النبى صلى الله عليه وسلم وأصله المتدثر أدغمت التاء فى الدال : أى المتلفف بثيابه عند نزول الوحى عليه (قُمْ فَأَنْذِرْ) خوف أهل مكة النار إن لم يؤمنوا (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) عظم عن إشراك المشركين ،

مغفرته فى جميع أحوالكم فإن الانسان لايخلو من تفريط يوجب حجبه عن بركات الدنيا والآخرة ولا يزيل ذلك الحجاب إلا الاستغفار كما قال تعالى - فقلت استغفروا ربكم - الآيات ، وكما قال تعالى - ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض - وفى الحديث « إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه » .

[سورة المدثر مكية] أى بالاجماع (قوله يا أيها المدثر) وقع خلاف طويل فى أول مانزل من القرآن ، والصحيح أن أول مانزل على الإطلاق اقرأ باسم ربك إلى مالم يعلم ، وأول مانزل بعد فترة الوحى يا أيها المدثر إلى فاهجر . والحاصل أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فى غار حراء فنزل جبريل بآية اقرأ كما فى حديث البخارى فذهب بها يرجف فؤاده فقال لخديجة زملونى فنزل عليه - يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا - ثم فتر الوحى فحزن صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال ويريد أن يرمى بنفسه فنودى وهو بغار حراء يامحمد إنك رسول الله قال : فنظرت عن يمينى و يسارى فلم أرشيئا فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض : يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال - يا أيها المدثر - والتدثر لبس الدثار وهو الثوب الذى فوق الشعار والشعار مايلى الجسد (قوله أدغمت التاء) أى بعد قلبها دالا وتسكينها (قوله أى المتلفف بثيابه) أى من الرعب الذى حصل له من رؤية الملك ، وقيل المتدثر بالنبوة والمعارف الالهية (قوله قم فأنذر) إنما اقتصر على الإنذار وإن كان مبعوثا بالتبشير أيضا لأنه فى ذلك الوقت لم يكن أحد يصلح للتبشير إلا ماقل جدا فلما اتسع الإسلام نزل عليه - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - (قوله وربك فكبر) أى خص ربك بالتكبير والتعظيم ظاهرا و باطنا والفاء فى هذا وما بعده لإفادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شىء فكبر ، والمعنى اعتقد أن ربك منزه عن كل نقص متصف بكل كمال .

(قوله وثيابك فطهر عن النجاسة) أى لأن طهارة الثياب شرط فى صحة الصلاة لاتصح إلا بها وهى الأولى والأحب فى غير الصلاة لأن المؤمن طاهر طيب لا يليق منه أن يحمل خبيثا فنى هذا ردّ على المشركين فانهم كانوا لايصونون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله تعالى أن يخالفهم فى ذلك (قوله أوقصرها) أى لأن تطويل الثياب شأنه إصابة النجاسة فعبر بالملزوم عن اللازم وتقصير الثياب مطلوب لما فى الحديث «إزار المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولاجناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان على أسفل من ذلك ففى النار» فمن السفه أن يطيل الرجل ثيابه ثم يتكلف رفعها بيديه، وورد «من جرّ إزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، قال أبو بكر يارسول الله إن أحد شقى إزارى يسترخى إلا أنى أتعهد ذلك منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء» فيؤخذ من ذلك أن تطويل الثياب بقصد الخيلاء حرام، وأما من غير قصد بل لمجرد عادة أهل بلده مثلا فهو مكروه إن كان يتحفظ من النجاسة وما ذكره المفسر أحد أقوال فى تفسير الآية، وقيل المراد طهر نفسك من الصفات المذمومة كالعجب والكبر والرياء ونحو ذلك، مأخوذ من قولهم فلان طاهر الثياب والذيل إذا أرادوا وصفه بالنقاء من أدناس الأخلاق، ومن ذلك قول عكرمة: لا تلبسها على معصية ولا على غدر، وقال الحسن: خلقك فحسن، وقال سعيد بن جبير: قلبك و بيتك فطهر، وقال مجاهد: عملك فأصلح، وقيل المراد بالثياب الأهل: أى طهرهم عن الخطايا بالموعظة والتأديب، والعرب تسمى الأهل ثوبا ولباسا وإزارا. قال تعالى - هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ - والآية صالحة لجميع تلك المعانى (قوله والرجز) بضم الراء وكسرها سبعيتان والزاى منقلبة عن السين ومعناها واحد (قوله أى دم على هجره) دفع بذلك مايقال ظاهر الآية يقتضى أنه كان متلبسا بعبادة الأوثان وليس كذلك (قوله ولا تمنن) المنّ هنا الإنعام، والمعنى لا تعط شيئا مستكثرا له، وقوله حال أى من فاعل تمنن (قوله لاتعط شيئا لتطلب أكثر منه) أى فالاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض بأن يهب شيئا ويطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الشيء الموهوب (على

(وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) عن النجاسة، أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم خيلاء فربما أصابتها نجاسة (وَالرُّجْزَ) فسره النبى صلى الله عليه وسلم بالأوثان (فَاهْجُرْ) أى دم على هجره (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) بالرفع حال: أى لاتعط شيئا لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به صلى الله عليه وسلم لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) على الأوامر والنواهى (فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) نفخ فى الصور، وهو القرن النفخة الثانية (فَذَٰلِكَ) أى وقت النقر (يَوْمَئِذٍ) بدل مما قبله المبتدأ و بنى لاضافته إلى غير متمكن وخبر المبتدإ (يَوْمٌ عَسِيرٌ) والعامل فى إذا مادلت عليه الجملة: أى اشتد الأمر،

وقيل المعنى لاتعط شيئا مستكثرا له: أى رائيا ماتعطيه كثيرا بل عدّه قليلا لقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وقال البوصيرى:

مستقل دنياك أن ينسب الإمساك منها إليه والإعطاء

وقوله أكثر منه: أى ولا مساويا ولا أقل فالمراد النهى عن طلب العوض مطلقا ليكون عطاؤه صلى الله عليه وسلم خاليا عن انتظار العوض والتفات النفس إليه، وحكمة تخصيصه بذلك أنه عليه الصلاة والسلام خليفة الله الأعظم فى خلقه دنيا وأخرى يقسم عليهم من خزائن الله تعالى فجميع مابذله لعباده بالنسبة لما عند الله قليل فلا يليق أن يراه كثيرا ولا أن يطلب عوضا من الفقراء وهو خليفة عن الغنى المطلق فتدبر (قوله وهذا) أى النهى، وقوله خاص به: أى وأما أمته فليس حراما فى حقهم (قوله فاذا نقر فى الناقور) من النقر وهو القرع الذى هو سبب الصوت فأطلق السبب وأريد المسبب وهو التصويت، والمعنى إذا صوت إسرافيل فى الصور (قوله وهو القرن) أى وهو مستطيل سعة فمه كما بين السماء والأرض وفيه ثقب بعدد الأرواح كلها وتجمع فى تلك الثقب فيخرج بالنفخة الثانية من كل ثقبة روح إلى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى (قوله أى وقت النقر) أى الذى هو معنى إذا (قوله بدل مما قبله) أى وهو اسم الإشارة، وقوله المبتدأ بيان لما وقوله وبنى: أى لفظ يوم، وقوله إلى غير متمكن: أى وهو إذ وتنوينها عوض عن الجملة: أى يوم إذ نقر فى الناقور، وقوله وخبر المبتدإ يوم عسير: أى لفظ يوم، وقوله عسير صفة أولى له وغير يسير صفة ثانية (قوله مادلت عليه الجملة) أى جملة الجزاء وهى قوله فذلك يومئذ يوم عسير فقد دلت على جملة فعلية فعلها عامل فى إذا فالناصب لها مدلول جوابها لاجوابها نفسه

(قوله على الكافرين) متعلق بعسير وقوله فيه دلالة أى فى التقييد بهذا الجار والمجرور دلالة على أنه يسير على المؤمنين وتحصله
الى جواب مافائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه ففيه زيادة وعيد وغيظ للكافرين وبشرى وتسلية للمؤمنين (قوله ذرنى)
خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه مزيد إجلال وتعظيم له و إشعار بأن رحمته صلى الله عليه وسلم غالبة على غضبه (قوله على
المفعول) أى وهو الياء فى ذرنى (قوله أومفعول معه) أى فالواو للمعية (قوله أو من ضميره المحذوف) أى عائده المحذوف من
خلقت أى خلقته و يحتمل أنه حال من التاء فى خلقت أى خلقته وحدى لم يشاركنى فى خلقه أحد والأول أقرب (قوله هو
الوليد بن المغيرة المخزومى) أى الذى تقدمت بعض أوصافه فى سورة نٓ (قوله وجعلت له) عطف على خلقت (قوله مالا ممدودا)
اختلف فى مبلغه فقيل ألف دينار وقيل ستة آلاف وقيل تسعة آلاف مثقال فضة (قوله من الزروع) أى فكان له بستان
بالطائف لاتنقطع ثماره شتاء ولا صيفا (قوله والضروع) أى المواشى (قوله عشرة) أى من الذكور وقدعد الخازن منهم
سبعة وهم الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس وقوله أو أكثر قيل اثنا عشر وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة
عشر وعلى كل فقد أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد (قوله شهودا) جمع شاهد بمعنى حاضر (قوله يشهدون المحافل) أى
مجامع الناس لوجاهتهم بين الناس أو المراد الحضور مع أبيهم لعدم احتياجهم للسفر فهو كناية عن كثرة النعم والخدم (قوله
وتسمع شهادتهم) أى كلامهم (قوله ومهدت له تمهيدا) التمهيد فى

الأصل التسوية والتهيئة أطلق وأريد به بسط المال والجاه (قوله بسطت له فى العيش والعمر والولد) أى حتى لقب ريحانة قريش والوحيد (قوله ثم يطمع) عطف على جعلت ومهدت (قوله لا أزيده) أى بل أنقصه فقد ورد أنه بعد نزول هذه الآية مازال فى نقصان ماله وولده حتى هلك فقيرا بخدشة سهم أصابته فى رجله م قال البوصيرى : واصاب الوليد خدشة سهم قصرت عنها الحية الرقطاء

(عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ) فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين أى فى عسره (ذَرْنِي) اتركنى (وَمَنْ خَلَقْتُ) عطف على المفعول أو مفعول معه (وَحِيدًا) حال من مَن أو من ضميره المحذوف من خلقت أى منفرداً بلا أهل ولا مال هو الوليد بن المغيرة المخزومى (وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا) واسعاً متصلا من الزروع والضروع والتجارة (وَبَنِينَ) عشرة أو أكثر (شُهُودًا) يشهدون المحافل وتسمع شهاداتهم (وَمَهَّدْتُ) بسطت (لَهُ) فى العيش والعمر والولد (تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا) لا أزيده على ذلك (إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا) أى القرآن (عَنِيدًا) معاندًا (سَأُرْهِقُهُ) أكلفه (صَعُودًا) مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوى أبدًا (إِنَّهُ فَكَّرَ) فيما يقول فى القرآن الذى سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم (وَقَدَّرَ) فى نفسه ذلك ؛

(قوله إنه كان لآياتنا عنيدا) تعليل للردع المستفاد من قوله كلا (قوله معاندا) العناد ينشأ من كبر فى النفس أو يبس فى الطبع
أو شراسة فى الأخلاق أو خبل فى العقل (قوله يصعد فيه) أى سبعين عاما كلما وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت و إذا وضع
رجله ذابت و إذا رفعها عادت (قوله ثم يهوى) أى سبعين عاما (قوله أبدا) راجع لكل من الصعود والهوى (قوله إنه فكر)
أى ردد فكره فيما يطعن به فى القرآن وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه حمٓ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم إلى
قوله إليه المصير قام فى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته
أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد بن المغيرة حتى أتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو
من كلام البشر ولا من كلام الجن إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق و إنه يعلو ولا يعلى عليه
ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقام أبو جهل وقال أنا أكفيكموه فانطلق
فقعد إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى أراك حزينا يا ابن أخى قال ومايمنعنى أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك
نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وأنك داخل على ابن أبى كبشة وابن أبى قحافة تسأل من
فضل طعامهم ، فغضب الوليد وقال ألم تعلم أنى من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل
ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون

أنه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن ؟ فقالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط ؟ قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا اللهم لا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه وقدر ثم قال ماهذا إلا سحر يؤثر (قوله فقتل) أى فى الدنيا (قوله ثم قتل) أى فيما بعد الموت فى البرزخ والقيامة وثم للدلالة على أن الثانية أبلغ من الأولى فهى فى هذه المواضع للتراخى وكيف منصوبة على الحال من الضمير فى قدر وهى للاستفهام والمقصود منه توبيخه والتعجب من تقديره (قوله فى وجوه قومه) أى نظر بعين الغضب من أجل الأمر الذى قالوه فيه وقوله أوفيما يقدح به أى فى القرآن فالنظر على هذا بمعنى التأمل فيكون تأكيدا لقوله إنه فكر وقدر (قوله ثم عبس) يقال عبس عبسا وعبوسا أى قطب وجهه والعبس يطلق على مايبس فى أذناب الإبل من البعر والبول ، وقوله و بسر يقال بسر يبسر بسرا و بسورا إذا قبض بين عينيه كراهية للشئ واسود وجهه منه يقال وجه باسر : أى منقبض مسود ، فالبسور غاية فى العبوس (قوله والكلوح) مرادف للقبض (قوله واستكبر) عطف سبب (قوله إلا سحر) أى أمور تخييلية لاحقائق لها وهى لدقتها تخفى أسبابها ، وقوله ينقل عن السحرة أى كمسيلمة وأهل بابل (قوله إن هذا إلا قول البشر) نتيجة حصره فى السحر (قوله سأصليه سقر) بدل من قوله سأرهقه صعودا ثم إن كان المراد بالصعود المشقة فالبدل واضح و إن كان صعود الجبل والهبوط فهو بدل اشتمال فتدبر (قوله

(فَقُتِلَ) لعن وعذب (كَيْفَ قَدَّرَ) على أى حال كان تقديره (ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ) فى وجوه قومه أو فيما يقدح به فيه (ثُمَّ عَبَسَ) قبض وجهه وكلحه ضيقا بما يقول (وَبَسَرَ) زاد فى القبض والكلوح (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الإيمان (وَاسْتَكْبَرَ) تكبر عن اتباع النبى صلى الله عليه وسلم (فَقَالَ) فيما جاء به (إِنْ) ما (هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ) ينقل عن السحرة (إِنْ) ما (هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) كما قالوا إنما يعلمه بشر (سَأُصْلِيهِ) أدخله (سَقَرَ) جهنم (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ) تعظيم لشأنها (لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ) شيئا من لحم ولا عصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان (لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ) محرقة لظاهر الجلد (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) ملكا خزنتها ، قال بعض الكفار وكان قويا شديد البأس أنا أكفيكم سبعة عشر واكفونى أنتم اثنين ، قال تعالى (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً) أى فلا يطاقون كما يتوهمون (وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ) ذلك ،

ماسقر) مامبتدأ وسقر خبره والجملة سدت مسد المفعول الثانى لأدرى (قوله تعظيم لشأنها) أى نظير ما تقدم فى سورة الحاقة (قوله لاتبقى ولا تذر) حال وفيها معنى التعظيم والجملتان بمعنى واحد والعطف للتوكيد هذا مايقتضيه صنيع المفسر (قوله لواحة للبشر) خبر مبتدإ محذوف وقوله محرقة لظاهر الجلد أى فالمراد بالبشر الجلد و يطلق البشر على الناس جميعا ومعنى لواحة تظهر لهم وتلوح (إلا قبل أن يسقطوا فيها ولكن المعنى الأول أقرب (قوله عليها تسعة عشر ملكا) أى وهم مالك ومعه ثمانية عشر ، وقيل تسعة عشر نقيبا وقيل تسعة عشر ألف ملك والقول الثانى موافق لقوله تعالى ومايعلم جنود ربك إلا هو . وفى القرطبى قلت والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء ، وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو وقد ثبت فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» اهـ وقد ورد فى صفة الخزنة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصى أى قرون البقر وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم مابين منكبى أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفا مرة واحدة فيرميهم حيث شاء من جهنم وفى رواية «إن لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار و يرمى الجبل عليهم (قوله خزنتها) أى يتولون أمرها و يتسلطون على أهلها ولايتألمون منها بل هم فيها كخزنة الجنة فى الجنة (قوله قال بعض الكفار) هو أبو الأشد بن كلدة بن خلف الجمحى قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية عليها تسعة عشر قال أبوجهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم محمد يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الشجعان أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الأشد أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى أنتم اثنين

وفي رواية أنه قال: أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار وأمضي فندخل الجنة فأنزل الله تعالى ـ وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ـ (قوله إلا فتنة) مفعول ثان لجعل على حذف مضاف أي إلا سبب فتنة وقوله للذين صفة لفتنة وإنما صار هذا العدد فتنة لهم من وجهين: الأول أن الكفار يستهزئون ويقولون لم لا يكونون أزيد من ذلك. والثاني أن هذا العدد القليل كيف يتولى تعذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ماخلق الله إلى قيام الساعة (قوله ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) متعلق بجعلنا الثاني، والمعنى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم (قوله من غيرهم) أي غير اليهود فحصل التغاير فالمراد بالذين أوتوا الكتاب والمؤمنون ٧ أولا اليهود والمراد بالذين أوتوا الكتاب ثانيا هم النصارى والمؤمنون المذكورون بعدهم من غير اليهود بل من هذه الأمة، فاندفع مايقال إن في الآية تكرارا (قوله بالمدينة) حال من الذين أي حال كونهم بالمدينة وهذا من الله إخبار بما سيقع، لأن السورة نزلت قبل الهجرة بمكة (قوله ماذا الخ) ما اسم استفهام مبتدأ وذا موصول خبره وأراد الله صلة الموصول ومثلا حال والمعنى ما الذي أراده الله بهذا حال كونه مثلا لاحقيقته لغرابته لأن هذا العدد أمر غريب لم تسعه عقولنا (قوله أي مثل إضلال) أشار به إلى أن الكاف في محل نصب نعت لمصدر محذوف: أي يضل إضلالا مثل ذلك (قوله وهدى مصدقه) بوزن رمى بفتح أوله وسكون ثانيه أو بضم أوله وفتح ثانيه (قوله وما يعلم جنود ربك إلا هو) هذا جواب لأبي جهل حين قال: مالمحمد أعوان إلا تسعة عشر (قوله أي سقر) أعاد

(إِلَّا فِتْنَةً) ضلالا (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بأن يقولوا لم كانوا تسعة عشر (لِيَسْتَيْقِنَ) ليستبين (الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) أي اليهود صدق النبي صلى الله عليه وسلم في كونهم تسعة عشر الموافق لما في كتابهم (وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا) من أهل الكتاب (إِيمَانًا) تصديقا لموافقة ماأتى به النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتابهم (وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) من غيرهم في عدد الملائكة (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) شك بالمدينة (وَالْكَافِرُونَ) بمكة (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا) العدد (مَثَلًا) سموه لغرابته بذلك وأعرب حالا (كَذَٰلِكَ) أي مثل إضلال منكر هذا العدد وهدى مصدقه (يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ) أي الملائكة في قوتهم وأعوانهم (إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ) أي سقر (إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ. كَلَّا) استفتاح بمعنى ألا (وَالْقَمَرِ. وَاللَّيْلِ إِذَا) بفتح الذال (دَبَرَ) جاء بعد النهار، وفي قراءة إذ أدبر بسكون الذال بعدها همزة أي مضى (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ) ظهر (إِنَّهَا) أي سقر (لَإِحْدَى الْكُبَرِ) البلايا العظام (نَذِيرًا) حال من إحدى وذكر لأنها بمعنى العذاب (لِلْبَشَرِ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من البشر (أَنْ يَتَقَدَّمَ) إلى الخير أو الجنة بالإيمان (أَوْ يَتَأَخَّرَ) إلى الشر أو النار بالكفر (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) مرهونة مأخوذة بعملها في النار (إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ) وهم المؤمنون فناجون منها،

الضمير على سقر ويجوز أن يعود على الآيات المذكورة فيها (قوله إلا ذكرى للبشر) أي يتذكرون ويعلمون كمال قدرته تعالى (قوله استفتاح بمعنى ألا) أي فأتى بها تعظيما للقسم عليه وحينئذ فالوقف على ماقبلها، وقيل إنها حرف ردع وزجر وعليه فيوقف عليها (قوله بفتح الذال) أي فاذا ظرف لما يستقبل ودبر فعل ماض بوزن ضرب وقوله وفي قراءة الخ أي فاذ ظرف لما مضى من الزمان وأدبر بوزن أكرم والقراءتان سبعيتان والرسم محتمل لكل منهما إذ الصورة الخطية لا تختلف وقرئ شذوذا إذا أدبر بالفين. واختلفوا هل دبر وأدبر بمعنى واحد أو دبر معناه جاء وأدبر بمعنى مضى وهو الذي مشى عليه المفسر (قوله إنها لاحدى الكبر) جواب القسم (قوله حال من إحدى) هذا أحد احتمالات كثيرة نحو أحد عشر وهو أظهرها (قوله من شاء منكم الخ) هذا وعيد وتهديد نظير قوله ـ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ـ (قوله كل نفس) أي مؤمنة أو كافرة عاصية أو غير عاصية فالاستثناء متصل (قوله رهينة) أي على الدوام بالنسبة للكفار وعلى وجه الانقطاع بالنسبة لعصاة المؤمنين (قوله مأخوذة بعملها) أشار بذلك إلى أن مامصدرية والكسب بمعنى العمل (قوله إلا أصحاب اليمين) قدعلمت أن الاستثناء متصل وأهل اليمين يعم العصاة وغيرهم لأن الكل ناجون من الرهينة إما ابتداء ودواما وإما دواما.

(قوله كائنون فى جنات) أشار بذلك إلى أن قوله فى جنات متعلق بمحذوف خبر عن مبتدإ مقدر: أى هم وهذه الجملة مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر والتقدير ماشأنهم وحالهم. (قوله يتساءلون) أى يسأل بعضهم بعضا، وقوله عن المجرمين: أى الكافرين والكلام على حذف مضاف أى عن حالهم (قوله ويقولون لهم) أى للمجرمين وهذا القول خطاب أهل الجنة لأهل النار وهو غير السؤال المتقدم فيما بينهم. والحاصل أن أهل الجنة حين يستقرون فيها وينادى المنادى ياأهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت يسأل بعضهم بعضا عن معارفهم المجرمين الذين خلدوا فى النار ثم يكشف لهم عنهم فيخاطبونهم بقولهم ـ ماسلككم فى سقر ـ (قوله ماسلككم الخ) الاستفهام للتوبيخ والتعجب من حالهم (قوله ولم نك نطعم المسكين) أى نعطيه مايجب علينا إعطاؤه كزكاة ونحوها (قوله وكنا نخوض مع الخائضين) أى فى القرآن فنقول فيه. إنه لسحر وشعر وكهانة وغير ذلك من الأباطيل التى كانوا يخوضون فيها (قوله وكنا نكذب بيوم الدين) تخصيص بعد تعميم لأن الخوض فى الأباطيل عام شامل لتكذيب يوم الدين وغيره، وفى هذه الآية دليل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة فيعذبون عليها زيادة على عذاب الكفر (قوله حتى أتانا اليقين) غاية فى الأمور الأربعة (قوله والمعنى لاشفاعة لهم) أى فالنفى مسلط على القيد والمقيد معا، وهذا خلاف القاعدة (٢٥٤) من أن النفى إذا دخل على مقيد تسلط على القيد فقط فهنا ليس

المراد أنه توجد شفاعة لكنها غير نافعة بل المراد لاتوجد شفاعة أصلا (قوله انتقل ضميره) أى الضمير الذى كان مستكنا فى المحذوف وقوله إليه أى إلى هذا الخبر الذى هو الجار والمجرور لأن القاعدة أن الجار والمجرور إذا وقع خبرا حذف متعلقه وجوبا وانتقل ضميره إليه وسمى حينئذ ظرفا أو جارا ومجرورا مستقرا لاستقرار الضمير فيه (قوله حال من الضمير) أى المجرور باللام

كائنون (فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ) بينهم (عَنِ الْمُجْرِمِينَ) وحالهم ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار (مَاسَلَكَكُمْ) أدخلكم (فِي سَقَرَ. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ. وَكُنَّا نَخُوضُ) فى الباطل (مَعَ الْخَائِضِينَ. وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ) البعث والجزاء (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ) الموت (فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى لاشفاعة لهم (فَمَا) مبتدأ (لَهُمْ) خبره متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه (عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ) حال من الضمير، والمعنى أى شىء حصل لهم فى إعراضهم عن الاتعاظ (كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) وحشية (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) أسد: أى هربت منه أشد الهرب (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً) أى من الله تعالى باتباع النبى كما قالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه (كَلَّا) ردع عما أرادوه (بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) أى عذابها (كَلَّا) استفتاح (إِنَّهُ) أى القرآن (تَذْكِرَةٌ) عظة (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) قرأه فاتعظ به (وَمَا يَذْكُرُونَ) بالياء والتاء (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)،

(قوله كأنهم حمر) حال من الضمير فى معرضين فهى حال متداخلة صو

(قوله مستنفرة) بكسر الفاء وفتحها سبعيتان أى نافرة بنفسها من أجل الأسد أو نفرها الأسد فقوله وحشية ليس تفسيرا لمستنفرة فكان المناسب تقديمه عليه (قوله أسد) وقيل القسورة الجماعة الذين يصطادونها (قوله بل يريد كل امرىء الخ) إضراب انتقالى عن محذوف كأنه قيل لاسبب لهم فى الاعراض بل يريد الخ. وسبب نزول الآية أن أباجهل وجماعة من قريش قالوا: يامحمد لن نؤمن لك حتى تأتى كل واحد منا بكتاب من السماء عنوانه من رب العالمين إلى فلان بن فلان ونؤمر فيه باتباعك؟ وكانوا يقولون إن كان محمد صادقا ليصبحن عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته من النار (قوله منهم) أى من كفار قريش (قوله منشرة) أى طرية لم تطو بل تأتينا وقت كتابتها يقرؤها كل من رآها (قوله بل لايخافون الآخرة) إضراب انتقالى لبيان سبب تعنتهم واقتراحهم إذ لوخافوا الآخرة لما تعنتوا بل كانوا يكتفون بأى دليل ويؤمنون (قوله استفتاح) أى أو ردع وزجر (قوله فمن شاء ذكره) من شرطية وشاء شرطها وذكره جوابها (قوله بالياء والتاء) أى فهما سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) أى لايحصل منكم ذكر إلا فى حال مشيئة الله له أى إرادته لأن ما أراده يقع ولابد وفيه تسلية للنبى حيث ينظر للحقيقة وأن توحيدهم ليس بحولهم وقوتهم. قال بعض العارفين عن لسان الحضرة:

أيها المعرض عنا   إن إعراضك منا   لو أردناك جعلنا   كل ما فيك يردنا

(قوله هو أهل التقوى) أى حقيق بأن تمتثل عباده أوامره وتجتنب نواهيه (قوله وأهل المغفرة) أى هو جدير بأن يغفر لمن اتقاه . ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية « يقول الله تعالى أنا أهل أن أتقى ، فمن اتقى أن يشرك بى غيرى فأنا أهل أن أغفر له » .

[سورة القيامة مكية] أى بالاجماع وكذا قوله أربعون آية (قوله زائدة فى الموضعين) أى لتأكيد القسم ففيه دليل على أنّ لا تزاد كثيرا فى الكلام سواء كان فى أوله أو وسطه خلافا لمن يقول إنها تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله ، وقيل إن لا نافية لكلام تقدمها أتى بها ردا على منكرى البعث كأنه قال ليس الأمر كما زعموا أقسم الخ كقولك لا والله (قوله التى تلوم نفسها) أى فى الدنيا لما شهدت من حقيقتها وهى العدم وعظيم حق الله عليها ، فالعبد وإن قطع نفسه إربا فى عبادة الله وطاعته لا يفى بحق الله عليه لأن الفانى لا يقدر على القيام بحق الباقى . واعلم أن الصوفية قسموا النفس إلى سبعة أقسام الأول الأمارة وهى نفوس الكفار ومن حذا حذوهم لا تأمر بخير أصلا ومع ذلك راضية بأفعالها حسنة لها . الثانى اللوامة وهى التى تلوم صاحبها ولو كان مجتهدا فى الطاعة وهذا مبدأ الخير وأصل الترقى . الثالث الملهمة وهى التى ألهمت فجورها وتقواها . الرابع المطمئنة وهى التى اطمأنت بالله وسكنت تحت مقاديره . الخامس الراضية وهى التى رضيت عن الله فى جميع حالاتها . السادس المرضية وهى التى جوزيت بالرضا من الله لأن من رضى له الرضا . السابع الكاملة وهى غاية المراتب وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومأخذ الجميع من القرآن فالأمارة من قوله تعالى ـ إن النفس لأمارة بالسوء ـ واللوامة من هذه الآية ، والملهمة من قوله تعالى ـ فألهمها فجورها وتقواها ـ والمطمئنة وما بعدها من قوله تعالى ـ يا أيتها النفس المطمئنة ـ الآية (قوله أيحسب الانسان) استفهام توبيخ وتقريع (قوله ألن نجمع) أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ولن وما فى حيزها خبرها وجملة أن واسمها وخبرها سادة مسدّ مفعولى حسب وليس بين الهمزة واللام نون فى الرسم بل تكتب الهمزة موصولة باللام (قوله بلى) جواب لما بعد النفى (قوله قادرين) حال من فاعل الفعل المقدر الذى دل عليه بلى والتقدير نجمعها حال كوننا قادرين (قوله بنانه) اسم جمع أو جمع لبنانة (قوله وهى الأصابع) أى أطرافها فالبنان أطراف الأصابع (قوله كما كانت) أى فى الدنيا (قوله بل يريد الانسان) إضراب انتقالى (قوله ونصبه بأن مقدرة) أى والمصدر المنسبك منه ومن أن مفعول يريد (قوله أمامه) منصوب على نزع الخافض أى بأمامه والمعنى يريد الانسان دوام التكذيب بيوم القيامة (قوله يسأل أيان) هذه الجملة إما بدل من الجملة قبلها أو مستأنفة بيان لها وأيان خبر مقدم ويوم القيامة مبتدأ مؤخر (قوله بكسر الراء وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان معناهما التحير والدهشة ، وقيل برق بالكسر تحير وبالفتح لمع من شدة شخوصه فقوله دهش وتحير تفسير للقراءتين

هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى) بأن يتقى (وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) بأن يغفر لمن اتقاه .

(سورة القيامة)

مكية ، أربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . لَا) زائدة فى الموضعين (أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ) التى تلوم نفسها وإن اجتهدت فى الإحسان ، وجواب القسم محذوف : أى لتبعثن دل عليه (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ) للبعث والإحياء (بَلَى) نجمعها (قَادِرِينَ) مع جمعها (عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) وهو الأصابع : أى نعيد عظامها كما كانت مع صغرها فكيف بالكبيرة (بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ) اللام زائدة ونصبه بأن مقدرة : أى أن يكذب (أَمَامَهُ) أى يوم القيامة دل عليه (يَسْأَلُ أَيَّانَ) متى (يَوْمُ الْقِيَامَةِ) سؤال استهزاء وتكذيب (فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) بكسر الراء وفتحها دهش وتحير لما رأى مما كان يكذب به (وَخَسَفَ الْقَمَرُ) أظلم وذهب ضوؤه (وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ) فطلعا من المغرب ، أو ذهب ضوؤهما ،

(قوله وذلك فى يوم القيامة) إن قلت إن طلوع الشمس والقمر من مغربهما ليس فى يوم القيامة بل قبله بمائة وعشرين سنة. أجيب بأن المراد بيوم القيامة مايشمل وقت مقدماته من الأمور العظام (قوله يقول الانسان) جواب إذا (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جمل متعددة والتقدير يوم إذ برق البصر الخ (قوله أين المفر) أى من الله أومن النار احتمالان (قوله إلى ربك يومئذ) أى يوم إذ كانت هذه الأمور المذكورة والجار والمجرور خبر مقدم والمستقر مبتدأ مؤخر (قوله بل الانسان) مبتدأ و بصيرة خبر وعلى نفسه متعلق ببصيرة وتأنيث الخبر باعتبار أن المراد بالانسان جوارحه أوأن الهاء للمبالغة كما قال المفسر، والمعنى أنه لايحتاج إلى شاهد غير جوارحه بل هى تكتفى فى الشهادة عليه (قوله ولوألقى معاذيره) الجملة حالية من الضمير فى بصيرة ولوشرطية قدر المفسر جوابها بقوله ماقبلت منه (قوله على غير قياس) أى وقياسه معاذر بدون ياء (قوله أى لوجاء بكل معذرة الخ) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تبعية حيث شبه المجىء بالعذر بالقاء الدلو فى البئر للاستقاء به واشتق من الالقاء ألقى بمعنى جاء (قوله قبل فراغ جبريل منه) أى من إلقائه عليك (قوله لتعجل به) أى بقراءته وحفظه (قوله إن علينا) تعليل للنهى عن العجلة (قوله قراءتك إياه) أشار بذلك إلى أن قوله قرآنه مصدر مضاف لمفعوله (قوله بقراءة جبريل) أشار بذلك إلى أن قوله فاذا قرأناه من قبيل إسناد ماهو للأمور للآمر (قوله بالتفهيم) أى تفهيم ماأشكل عليك من معانيه (قوله والمناسبة بين هذه الآية) أى قوله : لا تحرك به لسانك ، والمراد بالآية الجنس إذ المذكور ثلاث آيات (قوله وماقبلها) (من

وذلك فى يوم القيامة (يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ) الفرار (كَلَّا) ردع عن طلب الفرار (لَا وَزَرَ) لاملجأ يتحصن به (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ) مستقر الخلائق فيحاسبون ويجازون (يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ) بأول عمله وآخره (بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ) شاهدة تنطق جوارحه بعمله والهاء للمبالغة فلا بد من جزائه (وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ) جمع معذرة على غير قياس : أى لو جاء بكل معذرة ماقبلت منه . قال تعالى لنبيه (لَا تُحَرِّكْ بِهِ) بالقرآن قبل فراغ جبريل منه (لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) خوف أن يتفلت منك (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ) فى صدرك (وَقُرْآنَهُ) قراءتك إياه . أى جريانه على لسانك (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ) عليك بقراءة جبريل (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) استمع قراءته فكان صلى الله عليه وسلم يستمع ثم يقرؤه (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) بالتفهيم لك ، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها (كَلَّا) استفتاح بمعنى ألا (بَلْ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا بالياء والتاء فى الفعلين (وَيَذَرُونَ الْآخِرَةَ) فلا يعملون لها (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) أى فى يوم القيامة (نَاضِرَةٌ) حسنة مضيئة (إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) أى يرون الله سبحانه وتعالى فى الآخرة (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ) كالحة شديدة العبوس (تَظُنُّ) توقن (أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ) داهية عظيمة تكسر فقار الظهر (كَلَّا) بمعنى ألا (إِذَا بَلَغَتِ) النفس (التَّرَاقِيَ) عظام الحلق (وَقِيلَ) قال من حوله :

أى وهو قوله : أيحسب الانسان إلى قوله معاذيره (قوله تضمنت الاعراض الخ) أى لأنها فى منكر البعث وهو كافر معرض عن القرآن ، ومن المعلوم أن الضد أقرب خطورا بالبال (قوله بل يحبون العاجلة) الضمير للانسان المذكور فى قوله : أيحسب الانسان وجمع الضمير لأن المراد بالانسان الجنس (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وجوه يومئذ ناضرة) وجوه مبتدأ وناضرة خبره و يومئذ ظرف لناضرة وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعها فى معرض التفصيل وناظرة خبر ثان و إلى ربها متعلق بناظرة (قوله أى فى يوم القيامة) تفسير لمعنى الظرفية والتنوين فى يومئذ عوض عن جملة أى يوم إذ تقوم القيامة (قوله فقار الظهر) بفتح الفاء مايتصل من عظام الصلب من الكاهل إلى العجب (قوله إذا بلغت النفس) أى مؤمنة أوكافرة ، والمعنى أخذت فى النزع وقت الموت (قوله التراقى) جمع ترقوة (قوله عظام الحلق) أضافها إليه لقربها منه وإلا فالتراقى العظام المكتنفة لثغرة النحر يمينا وشمالا ولكل إنسان ترقوتان .

(قوله من راق) مبتدأ وخبر والجملة قائمة مقام الفاعل وراق اسم فاعل من رقى يرقى بالفتح فى الماضى و بالكسر فى المضارع من الرقية وهى كلام يرقى به المريض ليشفى وهوماشى عليه المفسر، وقيل إنه من رقى يرقى بالكسر فى الماضى والفتح فى المضارع من الرقىّ وهوالصعود: أى إن ملك الموت يخاطب أعوانه يقول من يصعد بهذه النفس و يحتمل أن أعوانه يقولون له من يرقى بهذه النفس املائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (قوله أيقن) سمى اليقين ظنا لأن الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فإنه يطمع فى الحياة لشدة حبه لها (قوله أنه) أى النازل به (قوله والتفت) أى التصقت ساق الانسان عند موته بالأخرى. قال قتادة : أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه بالأخرى. وقال سعيد بن المسيب : هما ساقا الانسان إذا التفتا فى الكفن. وقال زيد بن أسلم : التفت ساق الميت بساق الكفن، وكل صحيح (قوله أو التفت شدة فراق الدنيا الخ) أى فالمراد بالسق الشدتان لأن الساق يطلق على الشدة، وهذا المعنى ظاهر فى الكافر لأنه ينتقل من سكرات الموت إلى عذاب القبر (قوله وهذا يدل على العامل فى إذا) أى الذى هو جوابها وقد بينه بقوله تساق إلى حكم ربها (قوله فلاصدّق) معطوف على قوله : أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه، وصدّق من التصديق كما (٢٥٧) يشير له المفسر أى فلاصدّق بالقرآن والنبيّ وقوله : ولاصلى أى الصلاة الشرعية فهو ذم بترك العقائد والفروع ولما كان عدم التصديق يصدق بالشك والسكوت والتكذيب استدرك على عمومه و بين أن المراد منه خصوص التكذيب فقال : ولكن كذب وتولى (قوله ثم ذهب إلى أهله) حكاية عما كان يتعلق به هذا الكافر فى دنياه وجملة يتمطى حالية من فاعل ذهب، وفى معناه قولان أحدهما أنه من المطا الذى هو الظهر، والمعنى يمد مطاه أى ظهره و يلويه تبخترا فى مشيه، والثانى أن أصله يتمطط من تمطط أى تمدد ومعناه انه يتمدد فى مشيته تبخترا والمعنيان متقاربان (قوله والكلمة اسم فعل) أى مبنية على السكون لامحل لها من الاعراب والفاعل ضمير يعود على مايفهم من السياق وهذه الكلمة تستعمل فى الدعاء بالمكروه وقوله للتبيين أى تبيين المفعول فهى زائدة داخلة على المفعول على حد سقيا لك وقوله أى وليك بيان لمعنى الفعل الذى سمى (قوله فهو أولى بك) أى فالكلمة الثانية أفعل تفضيل فدلت الأولى على الدعاء عليه بقرب المكروه منه والثانية على الدعاء عليه بأن يكون أولى به من غيره، هذا ماسلكه المفسر وهو حسن (قوله أى لايحسب ذلك) أى لاينبغى ولايليق منه هذا الحسبان (قوله ألم يك نطفة) استدلال على قوله : قادرين على أن نسوّى بنانه، والاستفهام للتقرير (قوله يمنى) فائدته بعد قوله : منىّ الاشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل إنه مخلوق من المنىّ الذى يجرى مجرى البول (قوله النوعين) أى لاخصوص الفردين فقد تحمل المرأة بذكرين وأنثى أو بالعكس (قوله قال صلى الله عليه وسلم بلى) روى «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال سبحانك اللهم بلى». وقال ابن عباس : من قرأ سبح اسم ربك الأعلى إماما كان أوغيره فليقل سبحان ربى الأعلى، ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة إلى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى إماما كان أوغيره

(مَنْ رَاقٍ) يرقيه ليشفى (وَظَنَّ) أيقن من بلغت نفسه ذلك (أَنَّهُ الْفِرَاقُ) فراق الدنيا (وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ) أى إحدى ساقيه بالأخرى عند الموت أو التفت شدّة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة (إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ) أى السوق وهذا يدل على العامل فى إذا، المعنى إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها (فَلَا صَدَّقَ) الإنسان (وَلَا صَلَّى) أى لم يصدّق ولم يصل (وَلَٰكِنْ كَذَّبَ) بالقرآن (وَتَوَلَّى) عن الإيمان (ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى) يتبختر فى مشيته إعجابا (أَوْلَى لَكَ) فيه التفات عن الغيبة والكلمة اسم فعل واللام للتبيين أى وليك ماتكره (فَأَوْلَى) أى فهو أولى بك من غيرك (ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى) تأكيد (أَيَحْسَبُ) يظن (الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) هملا لايكلف بالشرائع : أى لايحسب ذلك (أَلَمْ يَكُ) أى كان (نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى) بالياء والتاء تصب فى الرحم (ثُمَّ كَانَ) المنى (عَلَقَةً فَخَلَقَ) الله منها الإنسان (فَسَوَّى) عدّل أعضاءه (فَجَعَلَ مِنْهُ) من المنىّ الذى صار علقة : أى قطعة دم، ثم مضغة : أى قطعة لحم (الزَّوْجَيْنِ) النوعين (الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى) يجتمعان تارة و ينفرد كل منهما عن الآخر تارة (أَلَيْسَ ذَٰلِكَ) الفعّال لهذه الأشياء (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) قال صلى الله عليه وسلم : بلى.

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخره أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله».

[سورة الانسان] وتسمى سورة هل أتى وسورة الأمشاج وسورة الدهر ومناسبة هذه السورة لما قبلها أن كلا منهما فيه دليل على البعث (قوله مكية) أى على قول جماعة وقوله أومدنية هو قول الجمهور (قوله قد أتى) أى فليست هل للاستفهام لأنه محال عليه تعالى، وقيل إنها للاستفهام التقريرى ، والمعنى أتقرون بأنه أتى على الانسان حين من الدهر وجوابه نعم فالمقصود إلزام الخصم المنكر للبعث كأنه قال القادر على إيجاد الانسان من العدم قادر على إعادته وهو بهذا المعنى صحيح أيضا ففى الآية تقريران (قوله على الانسان) فسره هنا بآدم وفيما يأتى بالجنس وفيه أن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا إلا أن يجاب بأن القاعدة أغلبية أو يقدر مضاف فى قوله خلقنا الانسان : أى ذريته والاضافة تأتى لأدنى ملابسة (قوله أربعون سنة) أى مرت عليه قبل أن تنفخ فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف . روى أن آدم خلق من طين فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة ثم من صلصال فأقام أربعين سنة ثم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح ، إذا علمت ذلك فقول المفسر أربعون سنة أى باعتبار كونه طينا وإلا فقد مر عليه مائة وعشرون سنة لم يكن شيئا مذكورا . إن قلت إن مقتضى الآية أنه يسمى إنسانا فى حال كونه طينا مع أنه فى ذلك الوقت لم يكن شيئا مذكورا. أجيب بأن التسمية باعتبار ما آل إليه نظير إنى أرانى أعصر خمرا (قوله أو المراد بالانسان الجنس) أى الصادق بآدم وأولاده وقوله وبالحين مدة الحمل أى ما يشمل مدة الحمل بالنسبة للذرية والمائة والعشرين بالنسبة لآدم لأن الحين هو المدة المحدودة كثيرة أو قليلة (قوله من نطفة) هى فى الأصل الماء القليل فى الوعاء ويطلق على الماء الصافى قل أو كثر ، سمى به منى الرجل والمرأة من ليسارتهما ووضعهما فى الرحم (قوله أمشاج) جمع مشج بفتحتين أو مشج بكسر فسكون أو مشيج بفتح فكسر كشريف ، والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وكل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف فى الرقة والثخن، فماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له وإن سبق ماء الرجل كان الولد ذكرا وعكسه أنثى وإن استويا فخنثى مشكل . وقال ابن عباس يختلط ماء الرجل بماء المرأة فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة (قوله أخلاط) جمعه باعتبار تعدد الأوصاف فى الماءين كما علمت (قوله أى مريدين ابتلاءه) جواب عما يقال إن الابتلاء بمعنى الاختبار بالتكاليف إنما يكون بعد جعله سميعا بصيرا لاقبله . فأجاب بأنه حال مقدرة مؤولة بقوله مريدين ابتلاءه وإرادة الابتلاء سبب لجعله سميعا بصيرا وجعله سميعا بصيرا سبب للابتلاء بالفعل فلم يكن فى الآية تقديم ولا تأخير (قوله فجعلناه بسبب ذلك) أى بسبب إرادتنا ابتلاءه (قوله سميعا بصيرا) أى عظيم السمع والبصر وخصهما بالذكر لأنهما أنفع الحواس وقدم السمع لأنه أنفع فى المخاطبات ولأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية ولأن البصر يعم البصيرة وهى تتضمن الجميع فيكون من ذكر العام بعد الخاص (قوله إنا هديناه السبيل) تعليل لقوله نبتليه، والمراد بالهداية الدلالة (قوله ببعث الرسل) أى جنسه الصادق بآدم وبمن بعده من الرسل إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وإما كفورا) لم يقل كافرا مشاكلة لشاكرا إنما مراعاة لرءوس الآى أو لأن الشاكر قليل والكافر كثير فعبر فى جانب الكفر بصيغة المبالغة .

(سورة الإنسان)

مكية أو مدنية ، إحدى وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . هَلْ) قد (أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ) آدم (حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ) أربعون سنة (لَمْ يَكُن) فيه (شَيْئًا مَّذْكُورًا) كان فيه مصورا من طين لا يذكر ، أو المراد بالإنسان الجنس وبالحين مدة الحمل (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) الجنس (مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) أخلاط : أى من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين (نَّبْتَلِيهِ) نختبره بالتكليف ، والجملة مستأنفة أو حال مقدرة : أى مريدين ابتلاءه حين تأهله (فَجَعَلْنَاهُ) بسبب ذلك (سَمِيعًا بَصِيرًا . إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) بينا له طريق الهدى ببعث الرسل (إِمَّا شَاكِرًا) أى مؤمنا (وَإِمَّا كَفُورًا) حالان ،

من المفعول : أي بينا له في حال شكره أو كفره المقدرة ، وإما لتفصيل الأحوال (إِنَّا أَعْتَدْنَا) هيأنا (لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ) يسحبون بها في النار (وَأَغْلَالًا) في أعناقهم تشد فيها السلاسل (وَسَعِيرًا) ناراً مسعرة : أي مهيجة يعذبون بها (إِنَّ الْأَبْرَارَ) جمع برّ أو بارّ وهم المطيعون (يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ) هو إناء شرب الخمر وهي فيه ، والمراد من خمر تسمية للحالّ باسم المحل ومن للتبعيض (كَانَ مِزَاجُهَا) ما تمزج به (كَافُورًا . عَيْنًا) بدل من كافوراً فيها رائحته (يَشْرَبُ بِهَا) منها (عِبَادُ اللَّهِ) أولياؤه (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يقودونها حيث شاءوا من منازلهم (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) في طاعة الله (وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) منتشراً (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ) أي الطعام وشهوتهم له (مِسْكِينًا) فقيراً (وَيَتِيمًا) لا أب له (وَأَسِيرًا) ،

(قوله من المفعول) أي وهو الهاء في هديناه (قوله إنا أعتدنا للكافرين الخ) لف ونشر مشوش فهذه الآية راجعة لقوله وإما كفورا ، وقوله إن الأبرار الخ راجع لقوله إما شاكرا (قوله سلاسل) إما بمنع الصرف كمساجد أو بالصرف لمناسبة قوله وأغلالا فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأغلالا في أعناقهم) أي فتجمع أيديهم إلى أعناقهم (قوله إن الأبرار الخ) لما ذكر حال الكفار وجزاءهم في الآخرة أتبعه بجزاء الشاكرين وأطنب فيه ترغيبا لهم (قوله جمع بر) أي كرب وأرباب وقوله أو بار : أي كشاهد وأشهاد (قوله وهم المطيعون) أي المؤمنون الصادقون في إيمانهم وإن اقترفوا الذنوب فكل من كان ليس مستوجبا للخلود في النار فهو من الأبرار لذكرهم في مقابلة الفجار في قوله تعالى ـ إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ـ وهذا تعريف لمطلق الأبرار فلا ينافي قولهم البر هو الذي لا يؤذي الذر أو الذي يؤدي حق الله ويوفي بالنذر أو غير ذلك فإنه تعريف للأبرار الكاملين كما هنا (قوله وهي فيه) أي فإن لم تكن فيه فهو إناء (قوله والمراد من خمر) دفع بذلك ما يقال إن الضمير في قوله مزاجها عائد على الكأس مع أن الكافور لا يمزج بالكأس بل بما فيه . فأجاب المفسر بأن المراد بالكأس الخمر نفسه من باب تسمية الحال باسم المحل (قوله كافورا) إن قلت إن الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به . أجيب بأن المراد أنه كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرودته (قوله بدل من كافورا) أي على حذف مضاف أي ماء عين لأن العين اسم لمنبع الماء وهو لا يبدل من الماء وما ذكره المفسر أحد احتمالات في وجه نصب عينا ويصح أنه مفعول يشربون وقوله من كأس حال لأنه نعت نكرة قدم عليها والأصل يشربون عينا من كأس : أي خمر ممزوج بالكافور وهو أسهلها (قوله يشرب بها عباد الله) الجملة صفة لعينا وقوله منها إشارة إلى أن الباء بمعنى من الابتدائية أي يبتدئون الشرب من العين (قوله أولياؤه) أي وهم المؤمنون (قوله يقودونها) أي فهي سهلة لا تمتنع عليهم ، ورد أن الرجل منهم يمشي في بيوته ويصعد إلى قصوره وبيده قضيب يشير به إلى الماء فيجري معه حيثما دار في منازله على الأرض المستوية ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره (قوله يوفون بالنذر) هذا بيان لأعمالهم التي استوجبوا بها هذا النعيم الدائم ، والمراد بالنذر العهد : أي يوفون بالعهد الذي أوجبه الله عليهم أو الذي التزموه مع الله ومع عباده من صلاة وزكاة وأمر بمعروف ونهي عن منكر وغير ذلك (قوله ويخافون يوما) أشار بذلك إلى أن حسن بواطنهم كظواهرهم (قوله كان شره) أي شدائده من تشقق السموات وتناثر الكواكب وتكوير الشمس والقمر وغير ذلك من الأهوال والشدائد التي تقع في ذلك اليوم (قوله منتشرا) أي ، وأما المستطيل باللام فمعناه الممتد ، ومن هنا يقال الفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الأفق (قوله ويطعمون الطعام الخ) نزلت في علي بن أبي طالب وأهل بيته وذلك أنه أجر نفسه ليلة ليسقي نخلا بشيء من شعير حتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيئا ليأكلوه يقال له الحريرة فلما تم نضجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ، ثم صنع الثلث الثاني فلما تم نضجه أتى يتيم فأطعموه ، ثم الثالث فلما تم نضجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك (قوله على حبه) مصدر مضاف للمفعول وعلى بمعنى مع : أي مع حبه وشهوته ففيه إشارة إلى النفس ويصح رجوع الضمير لله : أي على حب الله : أي لوجهه وابتغاء رضوانه والأول أبلغ في المدح (قوله مسكينا ويتيما وأسيرا) خص الثلاثة لأنهم من العواجز المعدمين الكسب .

(قوله يعنى المحبوس بحق) أى وأولى المحبوس بباطل (قوله فيه علة الاطعام) اى بيان سببه (قوله وهل تكلموا بذلك) أى ليطمئن الفقير بذلك لأنه قد يقول فى نفسه إنه يطعمنى و يريد أن يخدمنى مثلا (قوله قولان) رجح سعيد بن جبير ومجاهد الثانى (قوله إنا نخاف من ربنا) أى فلذلك نطعمكم ولا نريد منكم جزاء فهو تعليل لقوله إنما نطعمكم الخ (قوله عبوسا) إسناد العبوس لليوم مجاز عقلى والمراد أهله من إسناد الشىء إلى زمانه كنهاره صائم (قوله فى ذلك) أى العبوس (قوله فوقاهم الله) الفاء سببية أى فبسبب خوفهم دفع الله عنهم شرّ ذلك اليوم وشدّته ، وذكر القرطبى فى تذكرته حديثا فى بيان ماينجى المؤمن من أهوال يوم القيامة وهو ماروى عن عبد الرحمن بن سمرة قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال : إنى رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برّ والديه فردّه عنه ، ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله تعالى فخلصه من بينهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمتى والنبيون قعود حلقا حلقا كلما دنا لحلقة طرد فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده وأقعده إلى جنبى ، ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور ، ورأيت رجلا من أمتى

يعنى المحبوس بحق (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ) لطلب ثوابه (لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً) شكراً فيه علة الإطعام ، وهل تكلموا بذلك أو علمه الله منهم فأثنى عليهم به ؟ قولان (إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً) تكلح الوجوه فيه : أى كريه المنظر لشدّته (قَمْطَرِيراً) شديداً فى ذلك (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ) أعطاهم (نَضْرَةً) حسناً وإضاءة فى وجوههم (وَسُرُوراً . وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم عن المعصية (جَنَّةً) أدخلوها (وَحَرِيراً) ألبسوه (مُتَّكِئِينَ) ،

يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: يامعشر المؤمنين كلموه فانه كان واصلا للرحم فكلموه وصافحوه ، ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه وظلا على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتى قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ، ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه بينه و بين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده وأدخله على الله ، ورأيت رجلا من أمتى قد أهوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه ، ورأيت رجلا من أمتى قد خفّ ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى هوى فى النار فجاءته دموعه التى كان بكاها من خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار ، ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصف فجاءه حسن الظنّ بالله تعالى فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى على الصراط يزحف أحيانا و يحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته علىّ فأخذت بيده وأقامته ومضى على الصراط ، ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب كلها وأدخلته الجنة » قلت : هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة والله أعلم . وروى الطبرانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لقم أخاه لقمة حلوة صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة » (قوله نضرة) أى بدل العبوس (قوله وسرورا) أى فرحا فى قلوبهم بدل الحزن (قوله بصبرهم عن المعصية) أى بترك فعلها ، وكذا على الطاعة بفعلها ، وعلى المصيبة بالاسترجاع وعدم الشكوى فأقسام الصبر ثلاثة ، و إنما اقتصر المفسر على الصبر عن المعصية لأنه يستلزم القسمين الآخرين فمن صبر عن المعصية فقد أدام الطاعة ولم يشك مولاه . (قوله متكئين) حال

حال من مرفوع أدخلوها المقدر (فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ) السرر فى الحجال (لَا يَرَوْنَ) لايجدون حال ثانية (فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) أى لاحرا ولا بردا ، وقيل الزمهرير القمر فهى مضيئة من غير شمس ولا قمر (وَدَانِيَةً) قريبة عطف على محل لايرون أى غير رائين (عَلَيْهِمْ) منهم (ظِلَالُهَا) شجرها (وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا) أدنيت ثمارها فينالها القائم والقاعد والمضطجع (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ) فيها (بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ) أقداح بلا عرى (كَانَتْ قَوَارِيرَا . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ) أى أنها من فضة يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج (قَدَّرُوهَا) أى الطائفون (تَقْدِيرًا) على قدر رى الشاربين من غير زيادة ولا نقص وذلك ألذ الشراب (وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا) أى خمرا (كَانَ مِزَاجُهَا) ماتمزج به (زَنْجَبِيلًا عَيْنًا) بدل من زنجبيلا (فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا) يعنى أن ماءها كالزنجبيل الذى تستلذ به العرب سهل المساغ فى الحلق (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ) بصفة الولدان ،

(قوله حال من مرفوع أدخلوها) أى ويصح أن يكون حالا من مفعول جزاهم (قوله فى الحجال) واحدها حجلة بتحريك وهى المسماة بالناموسية (قوله حال ثانية) أى من المقدر المذكور أو من المفعول (قوله أى لاحرا ولا بردا) أى فهى معتدلة الهواء (قوله وقيل الزمهرير القمر) أى لأجل مقابلة قوله شمسا (قوله من غير شمس ولا قمر) أى بل بنور العرش وهو أقوى من نور الشمس والقمر (قوله عطف على محل لايرون) أى أوعطف على متكئين (قوله شجرها) أشار بذلك إلى أن المراد بالظلال الشجر نفسه فدفع بذلك مايقال إن الظل إنما يوجد حيث تقوم الشمس ولا شمس فى الجنة (قوله وذللت) عطف على دانية وجعلت فعلية إشارة إلى أن التذليل متجدد بخلاف التظليل فدائم ولذا أتى فيه بجملة اسمية (قوله أدنيت ثمارها) اى سهل تناولها تسهيلا عظيما لكل أحد (قوله ويطاف عليهم الخ) هذا من جملة بيان وصف مشار بهم و بنى الفعل للمجهول هنا لأن المقصود بيان المطاف به لابيان الطائف وفاعل الطواف الولدان المذكورون بعد فى قوله و يطوف عليهم ولدان ولما كان المقصود منها بيان وصف الطائف بناه للفاعل (قوله بآنية) أصله أأنية بهمزتين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية ألفا والجار والمجرور نائب الفاعل (قوله من فضة) بيان للآنية (قوله وأكواب) عطف خاص على عام (قوله أقداح بلا عرى) أى فيسهل الشرب منه من كل موضع فلايحتاج لادارته (قوله كانت قواريرا) جمع قارورة وهى ما أقر فيه الشراب ونحوه من كل إناء رقيق صاف ، وقيل هو خاص بالزجاج وكرر لفظ قوارير توطئة للنعت بقوله من فضة فجمعت صفاء الزجاج و بريقه و بياض الفضة ولينها . قال ابن عباس : ليس فى الدنيا شيء مما فى الجنة إلا الأسماء إذ الذى فى الجنة أشرف وأعلى . واعلم أن القراء السبعة فى هاتين الكلمتين على خمس مراتب : إحداها تنوينهما معا والوقف عليهما بالألف . الثانية عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما . الثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما بالألف . الرابعة تنوين الأول والوقف عليه بالألف والثانى بدون تنوين ولايوقف عليه بالألف . الخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الأول بالألف وعلى الثانى بدونها والتنوين للتناسب نظير ماتقدم فى سلاسل وعدم التنوين لمجيئه على صيغة منتهى الجموع (قوله على قدر رى الشاربين) أى شهوتهم إذ لاعطش فى الجنة والرى بكسر الراء وفتحها كفاية الشارب (قوله وذلك ألذ الشراب) أى لكونه لايزيد على الحاجة فيستقذر الزائد ولا ينقص فيحتاج لمثله ثانيا وهذا هو النعيم (قوله بدل من زنجبيلا) أى ويصح أن يكون مفعول يسقون وقوله كأسا منصوب على نزع الخافض أى من كأس كما تقدم نظيره (قوله تسمى) أى تلك العين لسهولة إساغتها ولذة طعمها (قوله سلسبيلا) هو ما كان فى غاية السلاسة وهى سهولة الانحدار فى الحلق زيدت الباء فى الكلمة حتى صارت خماسية وقال مقاتل وابن حيان سميت سلسبيلا لأنها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنان . قال البغوى : شراب الجنة فى برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع (قوله يعنى أن ماءها كالزنجبيل) أى فهو مماثل له فى الاسم فجميع مافى الجنة من الأشجار والقصور والمأكول والمشروب والملبوس والثمار لايشبه مافى الدنيا إلا فى مجرد الاسم لكن الله تعالى يرغب الناس بذكر أحسن شيء والذ مما يعرفونه فى الدنيا لأجل أن يسعوا فيما يوصلهم الى هذا النعيم المقيم (قوله ولدان) بكسر الواو باتفاق السبعة وهم غلمان ينشئهم الله تعالى لخدمة المؤمنين على التحقيق ، وقيل هم أولاد المؤمنين الصغار ورد بأنهم يلحقون بآبائهم تأنسا وسرورا بهم ، وقيل هم أولاد الكفار .

لا يشيبون (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ) لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة (لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا) من سلكه أو من صدفه وهو أحسن منه فى غير ذلك (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ) أى وجدت الرؤية منك فى الجنة (رَأَيْتَ) جواب إذا (نَعِيمًا) لا يوصف (وَمُلْكًا كَبِيرًا) واسعا لا غاية له (عَالِيَهُمْ) فوقهم فنصبه على الظرفية وهو خبر المبتدإ بعده ، وفى قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المتصل به للمعطوف عليهم (ثِيَابُ سُنْدُسٍ) حرير (خُضْرٌ) بالرفع (وَإِسْتَبْرَقٌ) بالجر ماغلظ من الديباج فهو البطائن والسندس الظهائر وفى قراءة عكس ماذكر فيهما ، وفى أخرى برفعهما ، وفى أخرى بجرهما (وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ) وفى موضع آخر من ذهب للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معا ومفرقا (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) مبالغة فى طهارته ونظافته بخلاف خمر الدنيا (إِنَّ هَٰذَا) النعيم (كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا . إِنَّا نَحْنُ) تأكيد لاسم إن أو فصل (نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا) خبر إن أى فصلناه ولم ننزله جملة واحدة (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ) عليك بتبليغ رسالته (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ) أى الكفار (آثِمًا أَوْ كَفُورًا) أى عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة ،

قالا

(قوله لا يشيبون) أى لعدم وجود الشعر لهم (قوله وهو أحسن منه فى غير ذلك) جواب عما يقال ما الحكمة فى تشبيههم باللؤلؤ المنثور دون المنظوم . فأجاب بأنه لحسنهم وانتشارهم فى الخدمة شبههم باللؤلؤ المنثور (قوله وإذا رأيت) الخطاب للنبى أو لكل من يدخل الجنة (قوله رأيت نعيما) أى مايتنعم به من مأكل ومشرب وملبس ومركب وغير ذلك (قوله واسعا لا غاية له) أى فى الطول ولا فى العرض لما فى الحديث « أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه » ومن الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم ولبس التيجان على رءوسهم كما تكون على رءوس الملوك وأعظمهم منزلة من ينظر إلى وجه ربه كل يوم » (قوله عاليهم) بفتح الياء وضم الهاء وقوله وفى قراءة أى سبعية أيضا (قوله وهو خبر للمبتدإ بعده) أى وهو ثياب و يصح العكس وهو كون عاليهم مبتدأ وثياب خبره (قوله ثياب سندس) الإضافة على معنى من والسندس مارق من الحرير (قوله عكس ماذكر) أى وهو جر خضر ورفع إستبرق فجر خضر على الوصفية لسندس لأنه اسم جنس ووصفه بالجمع جائز ورفع إستبرق عطف على ثياب على حذف مضاف أى وثياب إستبرق فالقراآت أربع سبعيات رفع خضر واستبرق وجرهما ورفع الأول وجر الثانى وعكسه وأما سندس فمجرور لا غير لإضافة ثياب إليه (قوله وحلوا) عبر بالماضى إشارة لتحقق وقوعه (قوله وفى موضع آخر الخ) أى فقال فى سورة الحج وفاطر - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا - (قوله للإيذان) أى للإعلام وقوله معا أى فيجمع فى يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ وقوله ومفرقا أى فتارة يلبسون الذهب فقط وتارة يلبسون الفضة فقط وتارة يلبسون اللؤلؤ فقط على حسب مايشتهون .

(قوله وسقاهم ربهم) أسند الاسقاء لنفسه إشارة لعلو منزلتهم ورفعة قدرهم و إلى أن الشراب الطهور نوع آخر يفوق على ماتقدم (قوله شرابا طهورا) أى من الأقذار لم تمسه الأيدى ولم تدنسه الأرجل كخمر الدنيا (قوله إن هذا الخ) أى يقال لهم ذلك بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها لمزيد الأنس والسرور (قوله مشكورا) أى مقبولا مرضيا (قوله تأكيد لاسم إن) أى و يصح أن يعرب مبتدأ ونزلنا خبره والجملة خبر إن (قوله خبر إن) أى سواء جعلنا نحن تأكيدا أو فصلا (قوله أى فصلناه الخ) أى لحكمة بالغة وهى كما فى الفرقان : لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ، والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وأن ما أنزل عليه ليس بشعر ولا كهانة (قوله فاصبر لحكم ربك) مشى المفسر على أن المراد بالحكم التكاليف بتبليغ الرسالة وعليه فالآية محكمة ، وقيل إن المراد بالحكم القضاء . والمعنى اصبر على أذى المشركين الذى حتمه الله فى الأزل فلا مفر لك منه حتى يفرج الله عنك وعليه فالآية منسوخة (قوله أى عتبة بن ربيعة الخ) أشار بذلك إلى أن المراد بالآثم عتبة لأنه كان متعاطيا لأنواع الفسوق متظاهرا بها ، وأن المراد بالكفور الوليد فانه كان متظاهرا بالكفر داعيا إليه و بهذا ظهر التخصيص لكل و إن كان كل منهما آثما وكفورا .

(قوله قالا للنبي ارجع الخ) حاصله أنهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صنعت ما صنعت لأجل النساء والمال فارجع عن هذا الأمر فقال عتبة أنا أزوجك ابنتي وأسوقها إليك من غير مهر ، وقال الوليد أنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر فنزلت الآية (قوله أى لاتطع أحدهما الخ) أى والنهى عن طاعتهما معا معلوم بالأولى فأو أبلغ من الواو لأنها لنفى الأحد الدائر (قوله فى الصلاة) أشار بذلك إلى أن المراد بالذكر الصلاة ، والمعنى دم على الصلاة (قوله والظهر والعصر) إطلاق الأصيل على العصر ظاهر وعلى الظهر باعتبار آخر وقتها و إلا فالزوال وما يقرب منه لايسمى أصيلا (قوله ومن الليل) من تبعيضية ، والمعنى صل له بعض الليل وقوله فاسجد له الفاء دالة على شرط مقدر تقديره مهما يكن من شئ فصل من الليل الخ وفيه زيادة حث على صلاة الليل (قوله إن هؤلاء يحبون العاجلة الخ) علة لما قبله من النهى والأمر ، والمعنى لا تطعهم واشتغل بما أمرك الله به من العبادة لأن هؤلاء تركوا الآخرة واشتغلوا بالدنيا فاترك أنت الدنيا واشتغل بالآخرة (قوله وراءهم) حال من يوما مقدم عليه لأنه نعت نكرة قدم عليها ووراء إما باق على معناه نظير فنبذوه وراء ظهورهم كناية عن كونهم لايعبأون به ولا يعملون له أو مستعار لقدام (قوله يوما ثقيلا) مفعول يذرون ووصفه بالثقيل مجاز إذ الثقل من صفات الأعيان لا المعانى (قوله قوينا أسرهم) أى ربطنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب (قوله أمثالهم) مفعول أول والثانى محذوف بينه بقوله بدلا منهم (قوله ووقعت إذا الخ) جواب عما يقال إن إذا تفيد التحقيق مع أنه تعالى لم يشا ذلك فكان المقام لإن التى تفيد الاحتمال . فاجاب بانه استعمل إذا موضع إن مجازا (قوله عظة للخلق) أى لأن فى تدبرها وتذكرها تنبيها للغافلين وفوائد للطالبين المقبلين بكليتهم على الله تعالى (قوله فمن شاء اتخذ الخ) أى فالطريق واضح والحق ظاهر فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله إلا أن يشاء الله) منصوب على الظرفية ، والمعنى إلا وقت مشيئة الله تعالى ففيه تسلية بالرجوع إلى الحقيقة (قوله أوعد) وهذا المقدر يلاقى المذكور فى المعنى فهو على حد زيدا مررت به .

قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع عن هذا الأمر ، ويجوز أن يراد كل آثم وكافر : أى لاتطع أحدهما أيا كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ) فى الصلاة (بُكْرَةً وَأَصِيلاً) يعنى الفجر والظهر والعصر (وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ) يعنى المغرب والعشاء (وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً) صل التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (إِنَّ هٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ) الدنيا (وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً) شديداً أى يوم القيامة لا يعملون له (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا) قوينا (أَسْرَهُمْ) أعضاءهم ومفاصلهم (وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا) جعلنا (أَمْثَالَهُمْ) فى الخلقة بدلاً منهم بأن نهلكهم (تَبْدِيلاً) تأكيد ووقعت إذا موقع إن نحو «إن يشأ يذهبكم» لأنه تعالى لم يشأ ذلك ، وإذا لما يقع (إِنَّ هٰذِهِ) السورة (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً) طريقاً بالطاعة (وَمَا تَشَاءُونَ) بالتاء والياء اتخاذ السبيل بالطاعة (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ذلك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً) بخلقه (حَكِيماً) فى فعله (يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ) جنته وهم المؤمنون (وَالظَّالِمِينَ) ناصبه فعل مقدر أى أوعد يفسره (أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً) مؤلما ، وهم الكافرون .

(ســـورة المرسلات)

مكية ، خمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً) :

[سورة المرسلات] وفى نسخة سورة والمرسلات وهذه السورة نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ، قال ابن مسعود ونحن معه نسير حتى أوينا إلى غار منى فنزلت فبينما نحن نتلقاها منه وفاه رطب بها إذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم ، والغار المذكور مشهور فى منى يسمى غار المرسلات (قوله والمرسلات عرفا الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بصفات خمسة موصوفها محذوف فقدره بعضهم الرياح فى الكل و بعضهم قدره الملائكة فى الكل و بعضهم غايره

الجمل تارة الرياح وتارة الملائكة وأما ماذكره المفسر فلم يعرج عليه المفسرون وهو حسن وحاصل صنيعه أنه جعل الصفات الثلاثة الأول لموصوف واحد وهو الرياح والرابعة لموصوف ثان وهو الآيات والخامسة لموصوف ثالث وهو الملائكة (قوله أى الرياح) أى رياح العذاب ليغاير قوله والناشرات (قوله ونصبه على الحال) أى من الضمير فى المرسلات، والمعنى حال كونها مشابهة لعرف الفرس من حيث تتابعها وتلاحقها فالعرف بالضم شعر عنق الفرس والمعرفة كمرملة موضع العرف من الفرس (قوله فالعاصفات) من العصف وهو الشدة فهو مرتب على قوله المرسلات الذى هو ريح العذاب (قوله تنشر المطر) أى تفرقه حيث شاء الله تعالى (قوله أو الرسل) هذا تفسير ثان للملقيات (قوله أى للاعذار الخ) أشار بذلك إلى أن عذرا أو نذرا مفعولان لأجله والمعلل بهما هو الملقيات والمراد بالاعذار إزالة أعذار الخلائق و بالانذار التخويف (قوله وفى قراءة بضم ذال نذرا) أى وهما سبعيتان وقوله وقرئ هذه القراءة ليعقوب من العشرة. والحاصل أن الضم فى عذرا ونذرا على أنهما جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر أو المنذر والسكون على أنهما مصدران (قوله إنما توعدون الخ) جواب القسم وما بمعنى الذى والعائد محذوف أى إن الذى توعدونه (٣٦٤) (قوله فاذا النجوم طمست) النجوم مرفوعة بفعل محذوف

أى الرياح متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضاً ونصبه على الحال (فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً) الرياح الشديدة (وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً) الرياح تنشر المطر (فَالْفَارِقَاتِ فَرْقاً) أى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام (فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً) أى الملائكة تنزل بالوحى إلى الأنبياء أو الرسل يلقون الوحى إلى الأمم (عُذْراً أَوْ نُذْراً) أى للاعذار والإنذار من الله تعالى وفى قراءة بضم ذال نذرا وقرئ بضم ذال عذرا (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) أى كفار مكة من البعث والعذاب (لَوَاقِعٌ) كائن لا محالة (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ) محى نورها (وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ) شقت (وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ) فتتت وسيرت (وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ) بالواو والهمز بدلا منها : أى جمعت لوقت (لِأَيِّ يَوْمٍ) ليوم عظيم (أُجِّلَتْ) للشهادة على أممهم بالتبليغ (لِيَوْمِ الْفَصْلِ) بين الخلق ويؤخذ منه جواب إذا: أى وقع الفصل بين الخلائق (وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ) تهويل لشأنه (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) هذا وعيد لهم (أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ) بتكذيبهم : أى أهلكناهم (ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ) ممن كذبوا ككفار مكة ،

يفسره مابعده من باب الاشتغال (قوله وسيرت) أى بعد التفتيت (قوله أقتت) أى جعل لهم وقت للقضاء بينهم و بين أممهم وهو يوم القيامة (قوله بالواو) أى على الأصل لأنه من الوقت وقوله وبالهمز أى لأن الواو لما ضمت قلبت همزة وهما سبعيتان (قوله لأى يوم) متعلق بأجلت والجملة مستأنفة أو مقولة لقول محذوف أى يقال لأى يوم الخ والقول منصوب على الحال من مرفوع أقتت

فيهلكهم

وقوله ليوم الفصل بدل من أى يوم باعادة العامل والاستفهام للتهويل والتعظيم (قوله ويؤخذ منه) أى من قوله ليوم الفصل وقوله جواب إذا أى المحذوف والتقدير وقع الفصل (قوله وما أدراك) ما استفهامية مبتدأ وجملة أدراك خبرها والكاف مفعول أول وقوله مايوم الفصل جملة من مبتدإ وخبر سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الأول للاستبعاد والانكار والثانى للتعظيم والتهويل (قوله ويل يومئذ للمكذبين) ويل مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمكذبين خبره ويومئذ ظرف لويل وكررت هذه الجملة فى هذه السورة عشر مرات لمزيد الترغيب والترهيب، والمراد بالويل قيل العذاب والخزى وقيل واد فى جهنم فيه ألوان العذاب لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال «عرضت على جهنم فلم أر فيها واديا أعظم من الويل» وقيل إنه مجمع مايسيل من قيح أهل النار وصديدهم (قوله ألم نهلك الأولين) الاستفهام تقريرى وهو طلب الاقرار بما بعد النفى والمراد بالأولين الأمم السابقة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم كقوم نوح وعاد وثمود والمراد بالآخرين كفار أمة محمد (قوله أى أهلكناهم) أفاد بذلك أن الاستفهام داخل على نفى ونفى النفى إثبات نظير ألم نشرح لك صدرك (قوله ثم نتبعهم الآخرين) العامة على رفع العين استئنافا أو معطوفا على جملة ألم نهلك الأولين وليس معطوفا على الفعل والاستفهام مسلط عليه لأنه يقتضى أن المعنى أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين فى الهلاك وليس كذلك لأن هلاك الآخرين لم يحصل حينئذ

وقرئ شذوذا بتسكين العين إما تخفيفا والجملة مستأنفة أو معطوفة على المجذوم ويكون المراد بالأولين قوم نوح وعاد وثمود وبالآخرين قوم شعيب ولوط وموسى وحينئذ فالمراد بالمجرمين كفار أمة محمد عليه الصلاة والسلام (قوله فنهلكهم) أى فى الدنيا كوقعة بدر (قوله ألم نخلقكم الخ) هذا تذكير من الله تعالى للكفار بعظيم إنعامه عليهم وبقدرته على ابتداء خلقهم والقادر على الابتداء قادر على الاعادة ففيها رد على منكرى البعث (قوله حريز) أى يحفظ فيه المنى من الفساد (قوله إلى قدر معلوم) أى مقدار معلوم من الوقت قدره تعالى للولادة (قوله فقدرنا) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان فالتشديد من التقدير والتخفيف من القدرة (قوله على ذلك) أى الخلق والتصوير (قوله كفاتا) مفعول ثان لنجعل (قوله مصدر كفت) المناسب أن يقول اسم مكان لأن كفت من باب ضرب فمصدره الكفت فالمعنى ألم نجعل الأرض موضع كفت أى جمع وضم (قوله أحياء وأمواتا) أى تضمهم فى دورهم ومنازلهم فى حال الحياة وتضمهم فى بطنها فى قبورهم حال الموت ثم هى

إما راضية عليه فتضمه ضمة الأم الشفوق أو غير راضية فتضمه ضمة تختلف بها أضلاعه (قوله جبالا مرتفعات) أى لولاها لتحركت بأهلها (قوله ماء فراتا) أى من العيون والأنهار فتشربون منه أنتم ودوابكم وتسقون منه زرعكم (قوله من العذاب) بيان لما (قوله انطلقوا إلى ظل) توكيد لانطلقوا الأول (قوله ذى ثلاث شعب) أى فرق: شعبة فوق الكافر، وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره، ففيه إشارة لعظم الدخان لأن شأن الدخان العظيم إذا ارتفع يصير ثلاث شعب، وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش (قوله لا ظليل) صفة لظل ولا متوسطة بين الصفة والموصوف لافادة النفى وهذا تهكم بهم ورد لما أوهمه لفظ الظل من الراحة (قوله كنين) أى ساتر (قوله بشرر) هكذا براءين من غير ألف بينهما وهى قراءة العامة وقرئ شذوذا بألف بين الراءين مع كسر الشين وفتحها فالشرر جمع شررة والشرار بكسر الشين جمع شررة أيضا كرقبة ورقاب وبفتح الشين جمع شرارة وهى كل ما تطاير من النار متفرقا (قوله كأنه) أى الشرر فشبهه أولا بالقصر فى العظم والكبر وثانيا بالجمال فى اللون والكثرة والتتابع (قوله وفى قراءة) أى سبعية أيضا (قوله فى هيئتها الخ) بيان لوجه الشبه (قوله لشوب سوادها) أى اختلاطه (قوله فقيل الخ) تفريع على الحديث وصنيع العرب (قوله وقيل لا) أى ليس صفر بمعنى سود بل هو باق على حقيقته (قوله القار) أى الزفت (قوله أى يوم القيامة) أى المدلول عليه بقوله انطلقوا إلى ظل الخ (قوله لا ينطقون) أى فى بعض المواقف

فنهلكهم (كَذَٰلِكَ) مثل فعلنا بالمكذبين (نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ) بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) تأكيد (أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ضعيف وهو المنى (فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) حريز وهو الرحم (إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ) وهو وقت الولادة (فَقَدَرْنَا) على ذلك (فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) نحن (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا) مصدر كفت بمعنى ضم: أى ضامة (أَحْيَاءً) على ظهرها (وَأَمْوَاتًا) فى بطنها (وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ) جبالا مرتفعات (وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا) عذبا (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) ويقال للمكذبين يوم القيامة (انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ) من العذاب (تُكَذِّبُونَ . انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ) هو دخان جهنم إذا ارتفع افترق ثلاث فرق لعظمته (لَا ظَلِيلٍ) كنين يظلهم من حر ذلك اليوم (وَلَا يُغْنِي) يرد عنهم شيئا (مِنَ اللَّهَبِ) النار (إِنَّهَا) أى النار (تَرْمِي بِشَرَرٍ) هو ما تطاير منها (كَالْقَصْرِ) من البناء فى عظمه وارتفاعه (كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ) جمع جمالة جمع جمل وفى قراءة جمالة (صُفْرٌ) فى هيئتها ولونها وفى الحديث «شرار النار أسود كالقير» والعرب تسمى سود الإبل صفرا لشوب سوادها بصفرة فقيل صفر فى الآية بمعنى سود لما ذكر، وقيل لا والشرر جمع شررة، والشرار جمع شرارة، والقير القار (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . هَٰذَا) أى يوم القيامة (يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ) فيه بشيء (وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ) فى العذر (فَيَعْتَذِرُونَ) عطف على يؤذن ،

وفى بعضها يتكلمون و يعتذرون ، فلامنافاة بين ماهنا و بين قوله يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ونحوه (قوله من غير تسبب عنه) جواب عما يقال إن العطف بالفاء أو الواو على النفى يقتضى نصب المعطوف فلم رفع فى الآية ؟ و إيضاحه أن محل نصبه إذا كان متسببا عن النفى نحو : لايقضى عليهم فيموتوا ، وأما إذا لم يكن متسببا كما هنا لأن النفى متوجه للمعطوف والمعطوف عليه فانه يرفع (قوله هذا يوم الفصل) أى بين المحق والمبطل (قوله والأولين) إما عطف على الكاف فى جمعنا كم أو مفعول معه وهذه الجملة مقولة لقول محذوف أى يقال لهم هـذا يوم الفصل (قوله حيلة) تسميتها كيدا تهكم بهم (قوله فكيدون) أى فاحتالوا لأنفسكم وقاوونى فلم تجدوا مفرا (قوله إن المتقين إلخ) ذكر فى سورة هل أتى على الانسان أحوال الكفار فى الآخرة على سبيل الاختصار وأطنب فى أحوال المؤمنين عكس مافعل هنا ليحصل التعادل بين السورتين (قوله أى تكاثف أشجار) من إضافة الصفة للموصوف (قوله وعيون نابعة من الماء) أى ومن العسل واللبن والخمر كما فى آية القتال (قوله مما يشتهون) راجع للعيون والفواكه (قوله بحسب شهواتهم) أى فمتى اشتهوا فاكهة وجدوها حاضرة فليست فاكهة الجنة مقيدة بوقت دون وقت كما فى أنواع فاكهة الدنيا قال تعالى : أكلها دائم وظلها (قوله و يقال لهم) أى من قبل الله أو القائل

من غير تسبب عنه فهو داخل فى حيز النفى أى لا إذن فلا اعتذار (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ) أيها المكذبون من هذه الأمة (وَالْأَوَّلِينَ) من المكذبين قبلكم فتحاسبون وتعذبون جميعا (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ) حيلة فى دفع العذاب عنكم (فَكِيدُونِ) فافعلوها (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ) أى تكاثف أشجار إذ لاشمس يظل من حرها (وَعُيُونٍ) نابعة من الماء (وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ) فيه إعلام بأن المأكل والمشرب فى الجنة بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فبحسب مايجد الناس فى الأغلب ، ويقال لهم (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا) حال أى متهنئين (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من الطاعات (إِنَّا كَذَٰلِكَ) كما جزينا المتقين (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . كُلُوا وَتَمَتَّعُوا) خطاب للكفار فى الدنيا (قَلِيلًا) من الزمان وغايته إلى الموت وفى هذا تهديد لهم (إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا) صلوا (لَا يَرْكَعُونَ) لايصلون (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) أى القرآن (يُؤْمِنُونَ) أى لايمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذى لم يشتمل عليه غيره

لهم الملائكة إكراما لهم (قوله كما جزينا المتقين) أى بالظلال والعيون والفواكه نجزى المحسنين إن قلت لامغايرة بين المتقين والمحسنين ففيه تشبيه الشىء بنفسه . والجواب أن يراد بالمتقين الكاملون فى الطاعة وبالمحسنين من عندهم أصل الإيمان ويصير المعنى إن هـذا الجزاء كما هو ثابت للكاملين فى الطاعة ثابت لمن كان عنده أصل الإيمان فالمماثلة فى الأوصاف التى ذكرت فى تلك الآية لافى المراتب والدرجات فتدبر (قوله من الزمان) أى فقليلا منصوب على الظرفية (قوله وغايته إلى الموت) أى فهو مدة العمر قال بعض العلماء : التمتع فى الدنيا من أفعال الكافرين ، والسعى لها من أفعال الظالمين ، والاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين ، والاعراض عنها من أفعال الزاهدين ، وأهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا و بغضها وجمعها وتركها (قوله و إذا قيل لهم) أى لهؤلاء المجرمين أى من أى قائل كان (قوله صلوا) أى فسميت الصلاة باسم جزئها وهو الركوع وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع والطاعة (قوله فبأى حديث) متعلق بيؤمنون قال الرازى: إنه تعالى لما بالغ فى زجر الكفار من أول السورة إلى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار و بين أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل العظيمة مع وضوحها لايؤمنون بغيرها . قال البوصيرى فى همزيته :

و إذا البينات لم تغن شيئا … فالتماس الهدى بهن عناء

(قوله لاشتماله على الاعجاز) أى فقد ورد أن معجزات المصطفى مائة ألف وسبعون ألفا فى القرآن منها مائة ألف والسبعون من غيره وهذا التعليل لاينتج ماقاله المفسر من عدم الامكان إذ يجوز أن يؤمنوا بغيره مع عدم إعجازه و يكذبوا بالقرآن المعجز فلو

قال فى التعليل لأن القرآن مصدق للكتب القديمة موافق لما فى أصول الدين فيلزم من تكذيبه تكذيب غيره من الكتب لأن مافى غيره موجود فيه فلا يمكن الايمان بغيره مع تكذيبه لكان أولى .

[سورة التساؤل] وتسمى سورة النبأ العظيم وسورة عم وسورة عم يتساءلون (قوله عم) عن حرف جر وما استفهامية فى محل جر حذفت ألفها للقاعدة المقررة التى أشار لها ابن مالك بقوله :

وما فى الاستفهام إن جرت حذف ألفها وأولها الها إن تقف

ووقف البزى بهاء السكت جريا على القاعدة ، ونقل عن ابن كثير إثبات الهاء فى الوصل أيضا إجراء له مجرى الوقف وقرئ شذوذا باثبات الألف والجار والمجرور متعلق بيتساءلون وقوله عن النبأ عطف بيان . وسبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث جعل المشركون يتساءلون بينهم فيقولون ما الذى أتى به ويتجادلون فيما بعث به ، ومناسبتها لما قبلها أنه لما قال فبأى حديث بعده يؤمنون أى بعد القرآن فكانوا يتجادلون فيه و يتساءلون عنه فقال عم يتساءلون (قوله

(سـورة النبأ)

مكية، إحدى وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . عَمَّ) عن أى شىء (يَتَسَاءَلُونَ) يسأل بعض قريش بعضا (عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ) بيان لذلك الشىء ، والاستفهام لتفخيمه وهو ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن المشتمل على البعث وغيره (الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ) فالمؤمنون يثبتونه والكافرون ينكرونه (كَلَّا) ردع (سَيَعْلَمُونَ) ما يحل بهم على إنكارهم له (ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ) تأكيد وجىء فيه بثم للايذان بأن الوعيد الثانى أشد من الأول ، ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث فقال (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا) فراشا كالمهد (وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا) تثبت بها الأرض كما تثبت الخيام بالأوتاد والاستفهام للتقرير (وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا) راحة لأبدانكم (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساترا بسواده (وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا) وقتا للمعايش (وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا) سبع سموات (شِدَادًا) جمع شديدة : أى قوية محكمة لايؤثر فيها مرور الزمان (وَجَعَلْنَا سِرَاجًا) منيرا (وَهَّاجًا) وقادا ،

بيان لذلك الشىء) أى المعبر عنه بما الاستفهامية والمراد بالبيان عطف البيان (قوله والاستفهام لتفخيمه) أى فليس استفهاما حقيقيا بل هو كناية عن تفخيم الأمر وتعظيمه (قوله الذى) صفة للنبأ وهم مبتدأ ومختلفون خبره وفيه متعلق بمختلفون والجملة صلة الذى وقوله فالمؤمنون الخ أشار بذلك إلى أن الضمير فى هم عائد على مايشمل المؤمنين والكفار وجعل الواو فى يتساءلون محمولة على الكفار ليس بواضح لأنه يلزم عليه تشتيت الضمائر فالمناسب أن يسوى بين الضميرين بأن يجعلهما عائدين على الكفار واختلافهم فيه من حيث إن بعضهم يقول فيه شعر و بعضهم يقول فيه كهانة وغير ذلك (قوله ردع) أى فيه معنى الوعيد والتهديد (قوله مايحل بهم) مفعول يعلمون ، والمعنى ماينزل بهم عند النزع أو فى القيامة لكشف الغطاء عنهم فى ذلك الوقت وحل يحل بالكسر والضم فى المضارع بمعنى نزل (قوله تأكيد) أى لفظى وقيل عطف نسق فيه معنى التأكيد (قوله للايذان بأن الوعيد الثانى الخ) أى فتغايرا بهذا الاعتبار ، ومن هنا قيل أن الأول عند النزع والثانى فى القيامة وقيل الأول للبعث والثانى للجزاء (قوله ثم أومأ تعالى) أى أشار إلى الأدلة الدالة عليها وذكر منها تسعة ووجه الدلالة أن يقال إنه تعالى حيث كان قادرا على هذه الأشياء فهو قادر على البعث (قوله ألم نجعل الأرض مهادا) الأرض مفعول أول ومهادا مفعول ثان إن جعلت بمعنى التصيير و إن جعلت بمعنى الخلق فيكون مهادا حالا وكذا يقال فى قوله أوتادا وما بعده (قوله كالمهد) أى للصبى وهو ما يفرش له لينام عليه (قوله للتقرير) أى بما بعد النفى (قوله سباتا) بالضم كغراب النوم الثقيل وأصله الراحة وفعله سبت كقتل (قوله ساترا بسواده) أى ظلمته ففيه تشبيه بليغ بحذف الأداة أى كاللباس بجامع الستر فى كل (قوله وقتا للمعايش) أى تتصرفون فيه فى حوائجكم (قوله وهاجا)

أى مضيئا (قوله يعنى الشمس) أى لأنها كوكب نهارى ينسخ ضوؤه ظلمة الليل (قوله التى حان لها أن تمطر) أى جاء وقت إمطارها المقدر لها (قوله الجارية) المراد بها مطلق الأنثى (قوله صبابا) أى بشدة وقوة (قوله حبا ونباتا) أى فالمراد مايقتات به وما يعلف به من التبن والحشيش (قوله جمع لفيف) وقيل جمع لف بكسر اللام وقيل لاواحد له (قوله إن يوم الفصل الخ) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماوقت البعث الذى أثبت بالأدلة المتقدمة فقال إن يوم الفصل وأكده بان لتردد الكفار فيه (قوله ميقاتا) أى فى علمه وقضائه (قوله وقتا للثواب والعقاب) أشار بذلك إلى أن الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ماوعد الله به من الثواب والعقاب (قوله يوم ينفخ فى الصور) أى النفخة الثانية (قوله جماعات مختلفة) روى عن معاذ بن جبل قلت يارسول الله أرأيت قول الله تعالى: يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا فقال النبى صلى الله عليه وسلم يامعاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه باكيا ثم قال: يحشر عشرة أصناف من أمتى أشتاتا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فبعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى مترددون وبعضهم صم بكم عمى فهم لايعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جلاليب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعنى النمام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس وأما المنكسون رءوسهم ووجوههم فأكلة الربا وأما العمى فهم من يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فهم الذين يعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين يخالف قولهم فعالهم، وأما المقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران، وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بالناس إلى السلطان، وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم، وأما الذين يلبسون الجلاليب فأهل الكبر والفخر والخيلاء (قوله وفتحت السماء) عطف على قوله فتأتون وعبر بالماضى لتحقق الوقوع (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله شققت) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالفتح ماعرف من فتح الأبواب بل هو التشقق لموافقة قوله: إذا السماء انشقت إذا السماء انفطرت. وخير مافسرته بالوارد (قوله لنزول الملائكة) أى لأنهم يموتون بالنفخة الأولى ويحيون بين النفختين وينزلون جميعا يحيطون بأطراف الأرض وجهاتها يسوقون الناس إلى المحشر (قوله وسيرت الجبال) أى فى الهواء بعد تفتيتها (قوله هباء) المناسب إبقاء السراب على ظاهره ويكون المعنى على التشبيه أى فكانت مثل السراب من حيث إن المرئى خلاف الواقع فكما يرى السراب كأنه ماء كذلك الجبال ترى كأنها جبال وليست كذلك فى الواقع لقوله تعالى: وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب وإلا فتفسير السراب بالهباء لم يوجد فى اللغة (قوله راصدة أو مرصدة) أشار بذلك إلى أن مرصادا من رصدت الشىء أرصده إذا ترقبته فهى راصدة للكفار مترقبة لهم أو مرصدة بمعنى معدة ومهيأة لهم يقال أرصدت له أعددت له (قوله أحقابا) ظرف للابثين (قوله لانهاية لها) أى لمجموعها وإن كان كل منها متناهيا وإنما قال لانهاية لها ليوافق قوله تعالى: خالدين فيها أبدا.

يعنى الشمس (وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ) السحابات التى حان لها أن تمطر كالمعصر الجارية التى دنت من الحيض (مَاءً ثَجَّاجًا) صبابا (لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا) كالحنطة (وَنَبَاتًا) كالتين (وَجَنَّاتٍ) بساتين (أَلْفَافًا) ملتفة جمع لفيف كشريف وأشراف (إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ) بين الخلائق (كَانَ مِيقَاتًا) وقتا للثواب والعقاب (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافخ إسرافيل (فَتَأْتُونَ) من قبوركم إلى الموقف (أَفْوَاجًا) جماعات مختلفة (وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ) بالتشديد والتخفيف شققت لنزول الملائكة (فَكَانَتْ أَبْوَابًا) ذات أبواب (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ) ذهب بها عن أماكنها (فَكَانَتْ سَرَابًا) هباء أى مثله فى خفة سيرها (إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا) راصدة أو مرصدة (لِلطَّاغِينَ) الكافرين فلا يتجاوزونها (مَآبًا) مرجعا لهم فيدخلونها (لَابِثِينَ) حال مقدرة أى مقدرا لبثهم (فِيهَا أَحْقَابًا) دهورا لا نهاية لها،

(قوله بضم أوله) أى وسكون ثانيه هو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة وعن الحسن قال: إن الله تعالى لم يجعل لأهل النار مدة بل قال - لابثين فيها أحقابا - فوالله ماهو إلا أنه إذا مضى حقب دخل حقب إلى الأبد وليس للأحقاب عدة إلا الخلود، وعن ابن مسعود قال: لو علم أهل النار أنهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا (قوله نوما) سمى النوم بردا لأنه يبرد صاحبه، ألا ترى أن العطشان إذا نام سكن عطشه، وهى لغة هذيل، وقال ابن عباس: البرد برد الشراب، وقال الزجاج: أى لايذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد برد كل شىء له راحة، فأما الزمهرير فهو برد عذاب لاراحة فيه (قوله لكن حميما) قضية كلامه أن الاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا من عموم قوله ولا شرابا، والأحسن أنه بدل من شرابا لأن الاستثناء من كلام غير موجب (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله جزاء وفاقا) منصوب على المصدرية لمحذوف قدره المفسر بقوله جوزوا بذلك الخ (قوله موافقا لعملهم) أشار بذلك إلى أن وفاقا صفة لجزاء بتأويله باسم الفاعل (قوله إنهم كانوا) تعليل لقوله جزاء وفاقا (قوله كذابا) بالتشديد باتفاق السبعة (قوله وكل

شىء) منصوب على الاشتغال:

جمع حقب بضم أوله (لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا) نوما، فإنهم لايذوقونه (وَلَا شَرَابًا) مايشرب تلذذا (إِلَّا) لكن (حَمِيمًا) ماء حارا فى غاية الحرارة (وَغَسَّاقًا) بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، فإنهم يذوقونه، جوزوا بذلك (جَزَاءً وِفَاقًا) موافقا لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار (إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ) يخافون (حِسَابًا) لإنكارهم البعث (وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (كِذَّابًا) تكذيبا (وَكُلَّ شَيْءٍ) من الأعمال (أَحْصَيْنَاهُ) ضبطناه (كِتَابًا) كتبا فى اللوح المحفوظ لنجازى عليه ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن (فَذُوقُوا) أى فيقال لهم فى الآخرة عند وقوع العذاب عليهم ذوقوا جزاءكم (فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا) فوق عذابكم (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا) مكان فوز فى الجنة (حَدَائِقَ) بساتين بدل من مفازا، أو بيان له (وَأَعْنَابًا) عطف على مفازا (وَكَوَاعِبَ) جوارى تكعبت ثديهن جمع كاعب (أَتْرَابًا) على سن واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء (وَكَأْسًا دِهَاقًا) خمرا مالئة محالها، وفى القتال وأنهار من خمر (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا) أى الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال (لَغْوًا) باطلا من القول (وَلَا كِذَّابًا) بالتخفيف: أى كذبا، وبالتشديد: أى تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف مايقع فى الدنيا عند شرب الخمر،

أى وأحصينا كل شىء أحصيناه (قوله كتابا) أشار بذلك إلى أن كتابا مصدر من معنى الاحصاء على حد جلست قعودا فالمعنى كتابا إحصاء (قوله فى اللوح المحفوظ) وقيل فى صحف الحفظة على بنى آدم (قوله ومن ذلك) أى كل شىء (قوله فذوقوا) أمر إهانة وتحقير والجملة معمولة لمقدر كما أشار له المفسر (قوله فلن نزيدكم إلا عذابا) قيل هذه أشد آية فى القرآن على أهل النار كلما استغاثوا بنوع من العذاب أغيثوا بأشد منه (قوله إن للمتقين مفازا) مقابل قوله - إن للطاغين مآبا - والمراد بالمتقين من اتقى الشرك بأن لم يموتوا كفارا (قوله مكان فوز) أشار بذلك إلى أن مفازا مصدر ميمى بمعنى المكان ويصح أن يكون بمعنى الحدث: أى نجاة وظفرا بالمقصود (قوله بدل من مفازا) أى بدل بعض من كل (قوله عطف على مفازا) المناسب عطفه على حدائق عطف خاص على عام لمزيد شرف الأعناب (قوله تكعبت) أى استدارت مع ارتفاع يسير كالكعب (قوله ثديهن) بضم الثلثة وكسر الدال المهملة وتشديد الياء التحتية جمع ثدى (قوله على سن واحد) أى فلا اختلاف بينهن فى الشكل ولا فى العمر لئلا يحصل الحزن إن وجد التخالف ولا حزن فى الجنة (قوله خمرا مالئة محالها) فسر الكأس بالخمر والدهاق بالممتلئة والمناسب إبقاء الكأس على ظاهرها وتفسير الدهاق بالممتلئة لما فى القاموس دهق الكأس ملأها، وفى المختار أدهق الكأس ملأها وكأس دهاق: أى ممتلئة (قوله لايسمعون) حال من المتقين (قوله وغيرها) الضمير عائد على الشرب واكتسب التأنيث من المضاف إليه وهو الخمر لأنها تذكر وتؤنث وفى بعض النسخ وغيره وهى ظاهرة (قوله بالتخفيف) أى بوزن كتاب مصدر كذب ككتب، وقوله وبالتشديد: أى فهو مصدر كذب المشدد قراءتان سبعيتان هنا لعدم التصريح بفعله، وأما قوله وكذبوا بآياتنا كذابا فهو بالتشديد باتفاق السبعة لوجود التصريح

بالفعل للشدّ (قوله جزاء من ربك) أى بمقتضى وعده الحسن لأهل الطاعة وهذا من مزيد الإكرام لأهل الجنة كما يقول الشخص الكريم إذا بالغ فى إكرام ضيفه هذا من فضلك وإحسانك مثلا وإلا فأىّ حق للمخلوق على خالقه (قوله بدل من جزاء) أى بدل كل من كلّ (قوله حسابا) صفة لعطاء وهو إما مصدر أقيم مقام الوصف أو باق على مصدريته مبالغة أو على حذف مضاف: أى ذو كفاية على حد زيد عدل (قوله بالجر) أى جر رب على أنه بدل من ربك، وقوله والرفع: أى على أنه خبر مبتدإ محذوف: أى هو رب (قوله كذلك) أى بالجر والرفع فالجر على أنه بدل من رب الأول أو صفة للثانى والرفع على أنه خبر مبتدإ محذوف والجملة مستأنفة، وقوله وبرفعه أى الرحمن على أنه خبر لمحذوف فالقراءات ثلاث سبعيات رفعهما وجرهما ورفع الرحمن مع جر رب (قوله أى الخلق) أى من أهل السموات والأرض لغلبة الجلال فى ذلك اليوم فلا يقدر أحد على خطابه تعالى فى دفع بلاء ولا فى رفع عذاب (قوله منه) من ابتدائية متعلقة بلا يملكون أو بخطابا (قوله أو جند الله) ذكر المفسر فى معنى الروح قولين من جملة أقوال ثمانية فقوله جند الله: أى جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رءوس وأيد وأرجل يأكلون الطعام على صورة بنى آدم كالناس وليسوا بناس. ثالثها أنه ملك ليس بعد العرش أعظم منه فى السماء الرابعة يسبح الله تعالى كل يوم اثنتى عشرة ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا فيجىء يوم القيامة وحده صفا. رابعها أنهم أشراف الملائكة. خامسها أنهم بنو آدم. سادسها أرواح بنى آدم تقوم صفا بين النفختين قبل أن ترد إلى الأجساد. سابعها القرآن لقوله تعالى ـ وكذلك أوحينا إليك روحا ـ. ثامنها أنهم الحفظة على الملائكة (قوله لايتكلمون الخ) تأكيد لقوله: لا يملكون، والمعنى أن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق وأقربهم من الله إذا لم يقدروا أن يشفعوا إلا بإذنه فكيف يملك غيرهم (قوله فمن شاء) مفعوله محذوف دل عليه قوله ـ اتخذ إلى ربه مآبا ـ ومن شرطية وجوابها قوله اتخذ الخ أو محذوف تقديره فعل (قوله إلى ربه) أى إلى ثوابه وهو متعلق بمآبا (قوله كل امرئ) أى مسلما أو كافرا وأخذ العموم من أل الاستغراقية والنظر بمعنى الرؤية، والمعنى يرى كل ما قدمه من خير وشر ثابتا فى صحيفته وخص اليدين بالذكر لأن أكثر الأفعال تزاول بهما (قوله يقول ذلك عند مايقول الله للبهائم الخ) هذا أحد احتمالات ثلاث. ثانيها أن يتمنى أن لو كان ترابا فى الدنيا فلم يخلق إنسانا ولم يكلف. ثالثها أن يتمنى أن لو كان ترابا فى يوم القيامة فلم يبعث ولم يحاسب (قوله بعد الاقتصاص من بعضها لبعض) أى فيقتص للجماء من القرناء إظهارا للعدل، وأما الجن فهم مكلفون كالإنس يثابون ويعاقبون فالمؤمن يدخل الجنة والكافر يدخل النار على الصحيح.

(سورة

(جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ) أى جزاهم الله بذلك جزاء (عَطَاءً) بدل من جزاء (حِسَابًا) أى كثيرا، من قولهم أعطانى فأحسبنى: أى أكثر علىّ حتى قلت حسبى (رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالجر والرفع (وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ) كذلك وبرفعه مع جر رب (لَا يَمْلِكُونَ) أى الخلق (مِنْهُ) تعالى (خِطَابًا) أى لايقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه (يَوْمَ) ظرف للايملكون (يَقُومُ الرُّوحُ) جبريل أو جند الله (وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا) حال: أى مصطفين (لَا يَتَكَلَّمُونَ) أى الخلق (إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ) فى الكلام (وَقَالَ) قولا (صَوَابًا) من المؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضى (ذٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ) الثابت وقوعه وهو يوم القيامة (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا) مرجعا أى رجع إلى الله بطاعته ليسلم من العذاب فيه (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ) أى كفار مكة (عَذَابًا قَرِيبًا) أى عذاب يوم القيامة الآتى، وكل آت قريب (يَوْمَ) ظرف لعذابا بصفته (يَنْظُرُ الْمَرْءُ) كل امرئ (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) من خير وشر (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) يعنى فلا أعذب، يقول ذلك عند مايقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كونى ترابا.

(سورة والنازعات)

مكية، ست وأربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم . وَالنَّازِعَاتِ) الملائكة تنزع أرواح الكفار (غَرْقًا) نزعا بشدة (وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا) الملائكة تنشط أرواح المؤمنين : أي تسلها برفق (وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا) الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى : أي تنزل (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا) الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة (فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا) الملائكة تدبر أمر الدنيا : أي تنزل بتدبيره ، وجواب هذه الأقسام محذوف : أي لتبعثن يا كفار مكة ، وهو عامل في (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) النفخة الأولى ، بها يرجف كل شيء : أي يتزلزل ، فوصفت بما يحدث منها (تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ) النفخة الثانية ، و بينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة ، فاليوم واسع للنفختين وغيرهما فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب الثانية (قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ) خائفة قلقة (أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ) ذليلة لهول ما ترى :

[سورة والنازعات] وفي بعض النسخ سورة النازعات بغير واو (قوله والنازعات الخ) اعلم أن الله تعالى أقسم بخمسة أقسام موصوفها محذوف، فاختلف المفسرون في تقدير الموصوف في الأربعة الأول فبعضهم قدره الملائكة و بعضهم قدره النجوم ، وأما الخامس فالمراد بهم الملائكة بالاجماع والتأنيث في الأوصاف ظاهر إن كان المراد النجوم و إن كان الملائكة فالتأنيث باعتبار الطائفة كأنه قال والطائفة النازعات ، ومشى المفسر على أن المراد بها الملائكة وهو ظاهر (قوله الملائكة تنزع أرواح الكفار الخ) قال ابن مسعود : إن ملك الموت وأعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل (قوله غرقا) إما مصدر على حذف الزوائد بمعنى إغراقا فهو ملاق لعامله في المعنى كقمت وقوفا أو حال : أي ذوات إغراق يقال أغرق في الشيء إذا بلغ أقصى غايته (قوله نزعا بشدة) أي لما ورد أن كل نزعة أعظم من سبعين ألف ضربة بالسيف و يرى أن السموات السبع انطبقت على الأرض وهو بينهما (قوله تنشط أرواح المؤمنين) بفتح أوله وكسر ثالثه من باب ضرب يقال نشط في عمله خف وأسرع فيه وأنشطت البعير من عقاله أطلقته ونشطا وما بعده مصادر مؤكدة لعواملها. والسبب في شدة نزع أرواح الكفار وسهولة نزع أرواح المؤمنين أن كلا يرى قبل الموت مقعده الذي أعد له فالمؤمن يزداد فرحا وشوقا فلا يشاهد ألما ولا يحس به والكافر تأبى روحه الخروج لمزيد الحزن والكرب الذي تجده عند رؤية مقعدها في النار فتنزع كرها بشدة فيجدها الكافر (قوله والسابحات) أي الملائكة النازلين برفق والطائفة كالسابح في الماء وكالفرس الجواد إذا أسرع في جريه لقبض الأرواح فملائكة الرحمة تذهب للمؤمن وملائكة العذاب تذهب للكافر فقول المفسر بأمره تعالى محمول على أمر خاص وهو قبض الأرواح كما علمت لترتب قوله فالسابقات عليه وأما التدبير العام فيأتي في قوله فالمدبرات أمرا (قوله تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة : أي و بأرواح الكفار إلى النار ففي الكلام اكتفاء ، وحينئذ فتلك الأوصاف الأربعة للملائكة التي تقبض الأرواح (قوله الملائكة تدبر أمر الدنيا) أي وهم جبريل وميكائيل و إسرافيل وعزرائيل ، فجبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات وعزرائيل موكل بقبض الأرواح و إسرافيل موكل بالصور (قوله أي تنزل بتدبيره) أشار بذلك إلى أن إسناد التدبير إلى الملائكة مجاز والمدبر حقيقة هو الله تعالى فهم أسباب عادية مظهر للتدبير (قوله لتبعثن يا كفار مكة) خصهم و إن كان البعث عاما للمسلم والكافر لأن القسم إنما يكون للمنكر والمسلم مصدق بمجرد الاخبار فلا يحتاج للاقسام (قوله بها يرجف كل شيء) أي فهذا وجه تسميتها راجفة (قوله تتبعها الرادفة) سميت بذلك لأنها تردفها وتأتي بعدها ولا شيء بينهما (قوله فاليوم واسع الخ) جواب عما يقال إن وقت الراجفة موت لا بعث فكيف يجعل ظرفا لتبعثن المقدر . و إيضاح جوابه أن البعث يحصل في الوقت الذي يجمع النفختين إذ هو متسع فكأنه قال تبعثن وقت حصول النفخة الأولى المتبوعة بالنفخة الثانية (قوله للبعث) اى المقدر جوابا للقسم (قوله قلوب) مبتدأ و يومئذ ظرف لواجفة وواجفة صفة لقلوب وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وأبصارها مبتدأ ثان وخاشعة خبره والجملة خبر الأول (قوله أبصارها) أي أبصار أصحاب القلوب .

(قوله يقولون) حكاية لحالهم فى الدنيا وهو استبعاد منهم (قوله و إدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات(1) فى كل من الموضعين (قوله فى الحافرة) متعلق بمردودون (قوله إلى الحياة) أشار بذلك إلى أن فى بمعنى إلى وأن الحافرة بمعنى الحياة (قوله والحافرة اسم لأول الأمر) أى والأصل فيها أن الانسان إذا رجع فى طريقه أثرت قدماه فيها حفرا فهو مثل لمن يرد من حيث جاء (قوله أئذا كنا عظاما) العامل فى إذا محذوف يدل عليه مردودون، والمعنى أئذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث والاستفهام لتأكيد الانكار (قوله نخرة) من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالى الأجوف الذى تمر به الريح فيسمع له نخير أى تصويت (قوله قالوا تلك الخ) حكاية لكفر آخر مفرع على كفرهم السابق وتلك مبتدأ مشار بها للرجعة والرد فى الحافرة وكرة خبرها وخاسرة صفة أى ذات خسران، والمعنى إن كان رجوعنا إلى القيامة حقا كما تقول فتلك الرجعة رجعة خاسرة لعدم عملنا لها (قوله إذا) حرف جواب وجزاء عند الجمهور دائما وقيل قد لاتكون جوابا (قوله ذات خسران) أى أو المراد خسران أصحابها (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلامه تعالى ردا عليهم (قوله نفخة) سميت زجرة لأنها صيحة لايمكن التخلف عنها (قوله فاذا هم بالساهرة) جواب شرط محذوف قدره بقوله فاذا نفخت وسميت ساهرة لأنه لانوم عليها من أجل الخوف والحزن (قوله بوجه الأرض) وقيل أرض من فضة يخلقها الله تعالى ، وقيل جبل بالشام يمده الله تعالى يوم القيامة لحشر الناس عليه ، وقيل غير ذلك (قوله أحياء) خبر عنهم وقوله بالساهرة متعلق بأحياء ولو قال فاذاهم أحياء بالساهرة لكان أولى (قوله هل أتاك الخ) المقصود منه تسليته صلى الله عليه وسلم وتحذير قومه من مخالفته فيحصل لهم ماحصل لفرعون كأن الله تعالى يقول لنبيه اصبر كما صبر موسى فان قومك و إن بلغوا فى الكفر مهما بلغوا لم يصلوا فى العتو كفرعون وقد انتقم الله منه مع شدة بأسه وكثرة جنوده، وهل بمعنى قد إن ثبت أنه أتاه ذلك الحديث قبل هذا الاستفهام وأما إذا لم يكن أتاه قبل ذلك فالاستفهام لحمل المخاطب على طلب الاخبار (قوله عامل فى إذ ناداه) أى فاذ معمول لحديث لا لأتاك لاختلاف الوقت (قوله المقدس) أى المطهر حيث شرفه الله تعالى بانزال النبوة فيه على موسى (قوله اسم الوادى) أى وسمى طوى لطى الشدائد عن بنى إسرائيل وجمع الخيرات لموسى وهو واد بالطور بين أيلة ومصر (قوله بالتنوين وتركه) أى فالتنوين باعتبار المكان وكونه نكرة وتركه باعتبار البقعة وكونه معرفة وهما قراءتان سبعيتان (قوله فقال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله اذهب إلى فرعون معمول لقول محذوف ويصح أن يكون على حذف أن التفسيرية أو المصدرية (قوله إلى فرعون) كان طوله أربعة أشبار ولحيته أطول منه وكانت خضراء فاتخذ الثعبان ليمشى عليه خوفا من أن يمشى على لحيته وهو أول من اتخذه (قوله إنه طغى) تعليل للأمر (قوله تجاوز الحد فى الكفر) أى بتكبره على الله واستعباد خلقه (قوله فقل هل لك الخ) أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يقول له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى فخاطبه بالاستفهام الذى معناه العرض ليجره إلى الهدى باللطف والرفق .

(يَقُولُونَ) أى أرباب القلوب والأبصار استهزاء و إنكاراً للبعث (أءنَّا) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية و إدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين (لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ) أى أنرد بعد الموت إلى الحياة ؟ والحافرة اسم لأول الأمر ومنه رجع فلان فى حافرته إذا رجع من حيث جاء (أءذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً) وفى قراءة ناخرة : بالية مفتتة نحيا (قَالُوا تِلْكَ) أى رجعتنا إلى الحياة (إذًا) إن صحت (كَرَّةٌ) رجعة (خَاسِرَةٌ) ذات خسران قال تعالى (فَإِنَّمَا هِىَ) أى الرادفة التى يعقبها البعث (زَجْرَةٌ) نفخة (وَاحِدَةٌ) فاذا نفخت (فَإِذَا هُمْ) أى كل الخلائق (بِالسَّاهِرَةِ) بوجه الأرض أحياء بعد ما كانوا ببطنها أمواتا (هَلْ أَتيكَ) يا محمد (حَدِيثُ مُوسَى) عامل فى (إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى) اسم الوادى بالتنوين وتركه فقال (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) تجاوز الحد فى الكفر (فَقُلْ هَلْ لَكَ) :

أدعوك

(1) (قول المحشى فالقراءات أربع الخ) هكذا فى بعض النسخ وهى موافقة لما فى حاشية العلامة الجمل وفى بعضها قوله و إدخال ألف بينهما : أى وتركه فالقراءات أربع سبعيات فى الموضع الأول ، وأما الثانى ففيه التسهيل بوجهيه والتحقيق مع عدم الادخال فتلك ثلاث خلافا لما يوهمه المفسر

(قوله أدعوك الخ) هذا حل معنى لاحل إعراب ، وإعرابه أن هل لك خبر مبتدإ محذوف وإلى أن تزكى متعلق بذلك المبتدإ والتقدير هل ثبت لك سبيل وميل إلى التزكية (قوله وفى قراءة بتشديد الزاى) أى سبعية أيضا وقوله بادغام التاء الثانية : أى على التشديد وأما على التخفيف ففيه حذف إحدى التاءين (قوله وأهديك) معطوف على تزكى وقوله أدلك على معرفته بالبرهان الخ إشارة إلى أن الدلالة على المعرفة تحصل بعد التطهر من الشرك فهى واجبة وجوب الفروع، وأما التطهر بالدخول فى الاسلام فمن وجوب الأصول (قوله فتخشى) جعل الخشية غاية للهدى لأنها ملاك الأمور إذ هى خوف مع تعظيم فمن خشى ربه أتى منه كل خير فالخشية أعظم من الخوف . واعلم أن أوائل العلم بالله الخشية من الله ثم الاجلال ثم الهيبة ثم الفناء عما سواه (قوله فأراه الآية الكبرى) عطف على محذوف تقديره فذهب إليه وقال له ماذكر فطلب منه آية فأراه الخ والضمير المستتر فيه عائد على موسى والبارز عائد على فرعون وهو المفعول الأول والثانى قوله الآية والكبرى صفة للآية (قوله أو العصا) هذا هو التحقيق إذ كل مافى اليد حاصل فى العصا وتزيد أمورا أخر فغاية مافى اليد انقلاب لونها ولاشك أن العصا لما انقلبت حية لابد وأن يتغير لونها وتزيد القوة الشديدة وابتلاع أشياء كثيرة وكونها تصير حيوانا ثم تصير جمادا وغير ذلك إذ كل واحد من هذه الوجوه معجز ، ولا يصح أن يراد بالآية الكبرى مجموع معجزاته لأن ماظهر على يده من بقية الآيات إنما كان بعد ماغلبت السحرة (قوله فكذب فرعون موسى) أى فى كون ما آتى به من عند الله (قوله (٢٧٣) وعصى) أى بعد مارأى الآيات

ادعوك (إِلَى أَنْ تَزَكَّى) وفى قراءة بتشديد الزاى بادغام التاء الثانية فى الأصل فيها : تتطهر من الشرك ، بأن تشهد أن لا إله إلا الله (وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ) أدلك على معرفته بالبرهان (فَتَخْشَى) فتخافه (فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى) من آياته التسع ، وهى اليد أو العصا (فَكَذَّبَ) فرعون موسى (وَعَصَى) الله تعالى (ثُمَّ أَدْبَرَ) عن الإيمان (يَسْعَى) فى الأرض بالفساد (فَحَشَرَ) جمع السحرة وجنده (فَنَادَى . فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) لارب فوقى (فَأَخَذَهُ اللهُ) أهلكه بالغرق (نَكَالَ) عقوبة (الآخِرَةِ) أى هذه الكلمة (وَالأُولَى) أى قوله قبلها : ماعلمت لكم من إله غيرى ، وكان بينهما أربعون سنة (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى) الله تعالى (أَأَنْتُمْ) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه : أى منكرو البعث (أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ) أشد خلقا (بَنَاهَا) بيان لكيفية خلقها (رَفَعَ سَمْكَهَا) تفسير لكيفية البناء أى جعل سمتها فى جهة العلو رفيعا ، وقيل سمكها سقفها (فَسَوَّاهَا)

(قوله ثم أدبر) أى تولى وأعرض عن الايمان (قوله يسعى) حال من الضمير فى أدبر (قوله جمع السحرة) أى للمعارضة وقوله وجنده أى للقتال وكان السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط والسبعون من بنى إسرائيل وتقدم فى الأعراف جملة أقوال فى عددهم وكانت عدة بنى إسرائيل ستمائة ألف وسبعين ألفا وعدة جيش فرعون ألف ألف وستمائة ألف (قوله فنادى) أى بنفسه أو بمناديه (قوله فقال أنا ربكم الأعلى) أى بعد ماقال له موسى ربى أرسلنى إليك فان آمنت بربك تكون أربعمائة سنة فى النعيم والسرور ثم تموت فتدخل الجنة ، فقال حتى أستشير هامان ، فاستشاره فقال أتصير عبدا بعد ما كنت ربا ؟ فعند ذلك جمع السحرة والجنود، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال أنا ربكم الأعلى (قوله نكال) منصوب على أنه مصدر لأخذ ، والمعنى أخذه أخذ نكال أو مفعول لأجله : أى لأجل نكاله (قوله أى هذه الكلمة) أى وهى قوله: أنا ربكم الأعلى (قوله المذكور) أى من التكذيب والعصيان والادبار والحشر والنداء الواقع من فرعون (قوله لمن يخشى) أى لمن كان من شأنه الخشية وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك (قوله أأنتم) استفهام تقريع وتوبيخ لمنكرى البعث من أهل مكة (قوله بتحقيق الهمزتين) أى مع إدخال ألف وتركه فالقراءات خمس سبعيات التحقيق والتسهيل إما مع الألف أو تركها والابدال (قوله أم السماء) أى فمن قدر على خلقها مع عظمها يقدر على الاعادة وهو عطف على أأنتم فالوقف على السماء والابتداء بما بعدها (قوله أشد خلقا) أشار بذلك إلى أن قوله أم السماء مبتدأ خبره محذوف دل عليه ماقبله (قوله رفع سمكها) أى ثخنها وغلظها وهو الارتفاع الذى بين سطح السفلى الأسفل وسطحها الأعلى وقدره خمسمائة عام (قوله أى جعل سمتها) أى مقدار ذهابها فى سمت العلو فالمراد بالسمت السمك (قوله وقيل سمكها سقفها) أى فمعنى رفع سمكها على هذا جعلها مرفوعة عن الأرض

(قوله جعلها مستوية) أى ملساء ليس فيها ارتفاع ولا انخفاض (قوله أظلمه) أى جعله مظلما بمغيب شمسها (قوله أبرز نور شمسها) المراد بنور الشمس النهار لوقوعه فى مقابلة الليل فكنى بالنور عن النهار وعبر عن النهار بالضحى لأنه أكمل أجزائه (قوله لأنه ظلها) أى لأنه أول مايظهر عند الغروب من أفق السماء (قوله لأنها سراجها) أى الشمس سراج السماء وفيه أنه يقتضى أن ضوء الشمس يظهر فى السماء مع أن المقدم خلافه وهو أن نورها إنما يظهر فى الأرض ونور السموات بنور العرش . لو يجاب بأنه لايلزم من كونها موضع سراج لها أن يكون نورها به (قوله والأرض) منصوب على الاشتغال (قوله بعد ذلك) أى بأنى عام وقوله : دحاها يقال دحا يدحو دحوا ودحيا كدعا بسط ومد فهو من ذوات الواو والياء (قوله وكانت مخلوقة الخ) أى فلا معارضة بين ماهنا وآية فصلت لأنه ابتدأ خلق الأرض غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الأرض (قوله وإطلاق المرعى عليه) أى على مايأكله الناس (قوله استعارة) أى مجاز فاستعمل المرعى فى مطلق المأكول للانسان وغيره من استعمال المقيد فى المطلق أوهو استعارة تصريحية حيث شبه أكل الناس برعى الدواب (قوله مفعول له لمقدر) أى لفعل مقدر وقوله أومصدر أى تمتيعا كالسلام بمعنى التسليم وهو لفعل مقدر أيضا تقديره متعنا كم بها تمتيعا

جعلها مستوية بلا عيب (وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا) أظلمه (وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا) أبرز نور شمسها وأضيف إليها الليل لأنه ظلها ، والشمس لأنها سراجها (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا) بسطها ، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو (أَخْرَجَ) حال بإضمار قد : أى مخرجا (مِنْهَا مَاءَهَا) بتفجير عيونها (وَمَرْعَاهَا) ماترعاه النعم من الشجر والعشب ومايأكله الناس من الأقوات والثمار وإطلاق المرعى عليه استعارة (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا) أثبتها على وجه الأرض لتسكن (مَتَاعًا) مفعول له لمقدر : أى فعل ذلك متعة أومصدر:أى تمتيعاً (لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) جمع نعم ، وهى الإبل والبقر والغنم (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ) النفخة الثانية (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ) بدل من إذا (مَا سَعَىٰ) فى الدنيا من خير وشر (وَبُرِّزَتِ) أظهرت (الْجَحِيمُ) النار المحرقة (لِمَن يَرَىٰ) لكل راء ، وجواب إذا (فَأَمَّا مَن طَغَىٰ) كفر (وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) مأواه (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ) قيامه بين يديه (وَنَهَى النَّفْسَ) الأمارة (عَنِ الْهَوَىٰ) الردى باتباع الشهوات (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ) .

(قوله ولأنعامكم) خص الأنعام لشرفها و إلا فهو متاع لسائر دواب الأرض (قوله فإذا جاءت الطامة الكبرى) الفاء فاء الفصيحة أفصحت عن جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ماتقدم الخ وقوله : الطامة الكبرى أى الداهية التى تعلو على الدواهى فهى أعظم من كل عظيم ، وخص ماهنا بالطامة الكبرى موافقة لقوله قبل : فأراه الآية الكبرى بخلاف مافى عبس فانه لم يتقدمه شئ من ذلك فخصت بالصاخة وهى الصوت الشديد الواقع بعد الداهية الكبرى . وحاصل

مناسب جعل الطم للسابقة والصخ للاحقة (قوله بدل من إذا) أى بدل كل أو بعض (قوله و برزت) عطف على جاءت والعامة على بنائه للمفعول مشددا ولمن يرى بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومعناه يبصر وهو مثل فى الأمر المنكشف الذى لايخفى على أحد (قوله لكل راء) أى من كل من له عين و بصر من المؤمنين والكفار لكن الناجى لاينصرف بصره إليها فلا يراها بالفعل والكافر هى مأواه (قوله وجواب إذا فأما من طغى الخ) فيه نوع تساهل لأن قوله : فأما من طغى الخ بيان لحال الناس فى الدنيا وقوله : فإذا جاءت الطامة الخ بيان لحالهم فى الآخرة فالأولى ماسلكه غيره من أن الجواب محذوف يدل عليه التفصيل المذكور تقديره دخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة (قوله باتباع الشهوات) أى المحرمات (قوله مأواه) أى فأل عوض عن الضمير العائد على من طغى (قوله وأما من خاف مقام ربه) مقابل قوله فأما من طغى الخ . واعلم أن الخوف من الله تعالى مرتبتان مرتبة العامة وهى الخوف من العذاب ومرتبة الخاصة وهى الخوف من جلال الله تعالى والآية صادقة بهما وأضيف المقام لله تعالى وإن كان وصفا للعبد من حيث كونه بين يديه ومقامه لحسابه (قوله الأمارة) قيد بها لأنها هى تكون مذمومة الهوى ، وأما غيرها فهواها محمود لما فى الحديث «لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به» (قوله الردى) أى المهلك وقوله باتباع الشهوات متعلق بالمردى والباء سببية

(قوله وحاصل الجواب الخ) أشار بذلك إلى أن أما لمجرد التأكيد وليست للتفصيل لعدم تقدم مقتضيه وصار المعنى فالعاصى فى النار الخ وفيه أنه يخرج لتكلف فالأحسن ماقدمناه من أن الجواب محذوف والآية دليل عليه (قوله أيان مرساها) تفسير لسؤالهم (قوله فيم أنت) فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ مؤخروقوله : من ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر والاستفهام إنكارى والمعنى ماأنت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شىء فليس لك علم بها حتى تخبرهم به ، وهذا قبل إعلامه بوقتها ، فلاينافى أنه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بجميع مغيبات الدنيا والآخرة ، ولكن أمر بكتم أشياء منها كما تقدم التنبيه عليه غير مرة (قوله إنما أنت منذر من يخشاها) أى أنك مرسل بالإنذار لمن يخافها وهو لايتوقف على علم المنذر بوقت قيامها ، وخص من يخشى بالذكر لأنه المنتفع بها وقد أشار له المفسر بقوله إنما ينفع إنذارك (قوله يخافها) أى يخاف هولها (قوله كأنهم) أى كفار قريش (قوله إلا عشية) هى من الزوال إلى غروب الشمس وقوله : أوضحاها أى ضحى عشية من العشايا وهى البكرة إلى الزوال ، والمراد ساعة من نهار من أوله أو آخره لاعشية بتمامها أوضحوة بتمامها (قوله أى عشية يوم الخ) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله وصح إضافة الضحى الخ) جواب عن سؤال مقدر تقديره العشية لاضحى لها وإنما الضحى لليوم فما وجه إضافة الضحى لضمير العشية فأجاب بأنهما لما كانتا من يوم واحد كانت بينهما ملابسة فصح إضافة إحداهما للأخرى (قوله وقوع الكلمة فاصلة) أى رأس آية تناسب رءوس الآى قبلها .

وحاصل الجواب فالعاصى فى النار والمطيع فى الجنة (يَسْأَلُونَكَ) أى كفار مكة (عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا) متى وقوعها وقيامها (فِيمَ) فى أى شىء (أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا) أى ليس عندك علمها حتى تذكرها (إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا) منتهى علمها لا يعلمه غيره (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ) إنما ينفع إنذارك (مَنْ يَخْشَاهَا) يخافها (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا) فى قبورهم (إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا) أى عشية يوم أو بكرته وصح إضافة الضحى إلى العشية لما بينهما من الملابسة إذ هما طرفا النهار ، وحسن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة .

(سورة عبس)

مكية ، اثنتان وأربعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . عَبَسَ) النبى : كلح وجهه (وَتَوَلَّىٰ) أعرض لأجل (أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ) عبد الله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذى هو حريص على إسلامهم ، ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك ،

[سورة عبس] وتسمى سورة السفرة وسورة الأعمى (قوله عبس وتولى الخ) إنما أتى بضمير الغيبة تلطفا به صلى الله عليه وسلم وإجلالا له لما فى المشافهة بتاء الخطاب مالا يخفى من الشدة والصعوبة ، وهذا نظير تقديم العفو على العتاب فى قوله : عفا الله عنك لم أذنت لهم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم الخ ، وناهيك بذلك محبة وشرفا ، ومن ذلك قول عائشة رضى الله عنها : ماأرى ربك إلا يسارع فى هواك فسيئات المحبوب حسنات . قال أبوالحسن الشاذلى : واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت (قوله كلح) بالتخفيف من باب خضع ووجهه فاعل (قوله أن جاءه الأعمى) تنازعه كل من عبس وتولى أعمل الأول على مذهب الكوفيين أوالثانى على مذهب البصريين وأضمر فى المهمل وحذف (قوله عبد الله) أى ابن شريح ابن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى اشتهر بأم أبيه أم مكتوم واسمها عاتكة بنت عامر المخزومى أسلم قديما بمكة وكان ابن خالة خديجة بنت خويلد واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة فى غزواته قتل شهيدا بالقادسية قال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء (قوله فقطعه عما هو مشغول به) ماواقعة على القول بدليل قوله ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش ، ففيه إطلاق ما على العاقل وهو مذهب سيبويه (قوله الذى هو حريص على إسلامهم) نعت لأشراف قريش وكان المناسب التعبير بالذين .

(قوله فناداه) أى وكرر ذلك وقوله مما علمك الله أى وهو القرآن والإسلام . و إيضاح ما قاله المفسر أن الأعمى جاءه وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبوجهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الاسلام رجاء أن يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الإسلام و يسلم باسلامهم أتباعهم فتعاو كلمة الله تعالى فقال يارسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لايعلم فتشاغل النبيّ صلى الله عليه وسلم بالقوم ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه وقال فى نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه العميان والعبيد والسفلة فعبس وجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله هذه الآيات . إن قلت إن ابن أم مكتوم أعطاه الله من السمع ماينفى عن البصر فهو و إن لم ير القوم لكنه لشدة سمعه كان يسمع مخاطبة النبيّ معهم وحينئذ فيكون إقدامه على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إيذاء له فيكون معصية فكيف يعاتب عليه صلى الله عليه وسلم وكيف يقول المفسر ولم يدر الأعمى الخ . أجيب بأن عدم علمه لعله من أجل دهشته بقدومه على رسول الله ولاشك أن جلاله صلى الله عليه وسلم وجماله يدهش العقول ولاسيما بالمحب المشتاق الراغب فى التعليم ، وعتابه صلى الله عليه وسلم بالنظر لما علمه الله من طردهم عن رحمته لابالنظر للظاهر (٢٧٦) شرعه و إلا فهو صلى الله عليه وسلم لم يفعل مكروها ولا خلاف الأولى إذ الأهم مقدّم على المهم و إنما ذلك من باب : حسنات الأبرار سيئات للمقرّبين (قوله و يبسط له رداءه) أى و يقول له هل لك من حاجة (قوله ومايدريك) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب وما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والكاف مفعول أوّل وجملة قوله : لعله يزكى سادة مسد المفعول الثانى (قوله أى يتطهر من الذنوب) أى لامن الشرك لأنه أسلم قديما بمكة (قوله او يذكر) عطف على يزكى وما

فناداه علمنى مما علمك الله ، فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم إلى بيته فعوتب فى ذلك بما نزل فى هذه السورة ، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى و يبسط له رداءه (وَمَا يُدْرِيكَ) يعلمك (لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الزاى : أى يتطهر من الذنوب بما يسمع منك (أَوْ يَذَّكَّرُ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الذال : أى يتعظ (فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى) العظة المسموعة منك ، وفى قراءة بنصب تنفعه جواب الترجي (أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى) بالمال (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) وفى قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية فى الأصل فيها : تقبل وتتعرض (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى) يؤمن (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) حال من فاعل جاء (وَهُوَ يَخْشَى) الله حال من فاعل يسعى وهو الأعمى (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى) فيه حذف التاء الأخرى فى الأصل : أى تتشاغل (كَلَّا) لا تفعل مثل ذلك (إِنَّهَا) أى السورة أو الآيات (تَذْكِرَةٌ) عظة للخلق (فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ) حفظ ذلك فاتعظ به (فِي صُحُفٍ) خبر ثان لإنها ،

(قوله فتنفعه) بالرفع عطف على : أو يذكر (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أما من استغنى) أى عما عندك من الايمان والقرآن والعلوم (قوله فأنت له تصدّى) الجار والمجرور متعلق بتصدى قدّم عليه رعاية للفاصلة . وأصل تصدّى تصدد أبدلت الدال الثانية حرف علة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله تقبل) أى بالاصغاء إلى كلامه (قوله وماعليك الخ) مانافية وعليك خبر مبتدإ محذوف وقوله : ألايزكى متعلق بالمبتدإ المحذوف والتقدير ليس عليك بأس فى عدم تزكيته (قوله وأما من جاءك يسعى) أى يسرع ويمشى فى طلب الخير (قوله وهوالأعمى) تفسير لمن (قوله أى تتشاغل) أى بدعاء قريش إلى الاسلام ، وهذا الشغل و إن كان واجبا عليه إلا أنه عوتب نظرا للحقيقة كما علمت (قوله لاتفعل مثل ذلك) روى « أنه ماعبس بعد ذلك فى وجه فقير قط ولاتصدّى لغنىّ » (قوله ذكره) أى التذكرة وذكر الضمير لأن التذكرة بمعنى التذكر والوعظ (قوله فى صحف) أى مثبتة فى صحف مع الملائكة منقولة من اللوح المحفوظ . قال المفسرون : إن القرآن أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا فى ليلة القدر أملاه جبريل على ملائكة السماء الدنيا فكتبوه كله وبقيت تلك الصحف عندهم فصار جبريل ينزل منها بالآية والآيتين على النبىّ عليه الصلاة والسلام حتى استكمل إنزال القرآن فى ثلاث وعشرين سنة .

(قوله وماقبله اعتراض) أى بين الخبرين (قوله سفرة) جمع سافر ككتبة وكاتب وزنا ومعنى (قوله كرام) أى مكرمين معظمين عند الله (قوله لعن الكافر) أى طرد عن رحمة الله وفيه إشارة إلى أن المراد بالانسان الكافر لا كل إنسان وقوله ما أكفره تعجب من إفراط كفره مع كثرة إحسان الله عليه ، وفى الآية إشكال من وجهين : الأول أن قوله قتل الانسان يوهم الدعاء وهو إنما يكون من العاجز فكيف يليق ذلك بالقادر على كل شىء . الثانى أن التعجب استعظام أمر خفى سببه ، وهذا المعنى محال على الله تعالى إذ هو العالم بالأشياء إجمالا وتفصيلا . أجيب بأن هذا الكلام جار على أسلوب العرب لبيان استحقاقه لأعظم العقاب حيث أتى بأعظم القبائح كقولهم إذا تعجبوا من شىء قاتله الله ماأخبثه وأجيب أيضا بأن الأول ليس دعاء بل هو إخبار من الله بأنه طرده عن رحمته . والثانى أنه ليس تعجبا بل استفهام توبيخ وعليه درج المفسر فهما تقريران (قوله أى ماحمله على الكفر) أى أى شىء دعاه إليه (قوله استفهام تقرير) أى وتحقير لحقارة النطفة التى هى أصله ولذا قال بعضهم : مالابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بينهما حامل للعذرة (قوله ثم بينه) أى الشىء المخلوق هو منه (قوله فقدره) أى قدر أطواره وهو تفصيل لما أجمل فى قوله من نطفة خلقه (قوله ثم السبيل) منصوب على الاشتغال بفعل يفسره المذكور ولم يقل ثم سبيله بالاضافة إلى ضميره إشعارا بأنه سبيل عام (قوله أى طريق خروجه من بطن أمه)

وما قبله اعتراض (مُكَرَّمَةٍ) عند الله (مَرْفُوعَةٍ) فى السماء (مُطَهَّرَةٍ) منزهة عن مس الشياطين (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ) كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ (كِرَامٍ بَرَرَةٍ) مطيعين لله تعالى وهم الملائكة (قُتِلَ الْإِنْسَانُ) لعن الكافر (مَا أَكْفَرَهُ) استفهام توبيخ : أى ماحمله على الكفر (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) استفهام تقرير، ثم بينه فقال (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه (ثُمَّ السَّبِيلَ) أى طريق خروجه من بطن أمه (يَسَّرَهُ . ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) جعله فى قبر يستره (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ) للبعث (كَلَّا) حقا (لَمَّا يَقْضِ) لم يفعل (مَا أَمَرَهُ) به ربه (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ) نظر اعتبار (إِلَى طَعَامِهِ) كيف قدر ودبر له (أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ) من السحاب (صَبًّا . ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ) بالنبات (شَقًّا . فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا) كالحنطة والشعير (وَعِنَبًا وَقَضْبًا) هو القت الرطب (وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا . وَحَدَائِقَ غُلْبًا) بساتين كثيرة الأشجار (وَفَاكِهَةً وَأَبًّا) ماترعاه البهائم ، وقيل التبن (مَتَاعًا) متعة أو تمتيعا كما تقدم فى السورة قبلها (لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ) ،

قال بعضهم : إن رأس المولود فى بطن أمه من فوق ورجليه من تحت فهو فى بطن أمه على الانتصاب فاذا جاء وقت خروجه انقلب بالهام من الله تعالى (قوله ثم أماته الخ) عد الاماتة من النعم باعتبار أنها وصلة فى الجملة للحياة الأبدية والنعيم الدائم (قوله فأقبره) أى أمر بقبره ، يقال قبر الميت إذا دفنه بيده وأقبره إذا أمر غيره به فالقابر هو الدفن باليد والمقبر هو الله تعالى لامره به (قوله جعله فى قبر يستره) أى ولم يجعل ممن يلقى للطيور والسباع اكراما له (قوله ثم إذا شاء) مفعول المشيئة محذوف والتقدير إذا شاء إنشاره أنشره (قوله حقا) أى فتكون متعلقة بما بعدها أى حقا لم يفعل ماأمره به ربه وحينئذ فلا يحسن الوقف على كلا ويصح أن تكون حرف ردع وزجر للانسان عما هو عليه من التكبر والتجبر وقوله لما يقض بيان لسبب الردع والزجر (قوله لما يقض) أى لم يفعل الانسان من أول مدة تكليفه إلى حين إقباره مافرضه الله عليه (قوله ماأمره به ربه) أشار بذلك إلى أن ما موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف والضمير عائد على الانسان المتقدم ذكره وهو الكافر (قوله فلينظر الانسان الخ) بيان لتعداد النعم المتعلقة بحياته فى الدنيا إثر بيان النعم المتعلقة بإيجاده (قوله من السحاب) أى بعد نزوله من السماء (قوله ثم شققنا الأرض بالنبات) أى الذى هو أضعف الأشياء (قوله وعنبا) عطف على حبا (قوله هو القت الرطب) أى علف الدواب الرطب وسمى قضبا لأنه يقضب أى يقطع مرة بعد أخرى (قوله غلبا) جمع أغلب وغلباء كأحمر وحمراء (قوله كثيرة الأشجار) أى فاسند الغلب لها مجاز إذ هو وصف للأشجار (قوله وفاكهة) إما عطف على عنبا من عطف العام على الخاص أو على حدائق فهو عطف خاص على عام (قوله وأبا) إما من أبه إذا أمه وقصده لأنه يقصد للرعى أو أب لكذا إذا تهيأ لأنه متهيء للرعى (قوله ماترعاه البهائم) أى رطبا أو يابسا فهو أعم من القضب (قوله وقيل التبن) أى وعليه فالمغايرة بينه وبين القضب ظاهرة (قوله متعة أو تمتيعا) أشار

بذلك إلى آن مع ما يصح أن يكون مفعولا لأجله أو مفعولا مطلقا عامله محذوف تقديره فعل ذلك متاعا أو متعكم تمتيعا (قوله تقدم فيها أيضا) أى وهو تفسير النعم بأنها البقر والابل والغنم وتقدم لنا أنه خصها لشرفها (قوله فاذا جاءت الصاخة) شروع فى بيان أحوال معادهم إثر بيان مبدإ خلقهم ومعاشهم والصاخة الداهية التى تصخ آذان الخلائق أى تصمها لشدة وقعتها وصفت بذلك مجازا لأن الناس يصخون منها (قوله يوم يفر المرء من أخيه الخ) أى وسبب هروبه إما حذرا من مطالبتهم له بحقوقهم فالأخ يقول لم تواسنى بمالك والأبوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفنى حقى والبنون يقولون ماعلمتنا وما أرشدتنا أو لما يتبين له من عجزهم وعدم نفعهم له أو لكثرة شغل الانسان بنفسه فيدهش عن غيره وكل واقع (قوله بدل من إذا) أى بدل كل أو بعض والعائد محذوف أى يفر فيه (قوله لكل امرىء) جملة مستأنفة لبيان سبب الفرار (قوله أى اشتغل الخ) بيان لجواب إذا المحذوفة (قوله وجوه) مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه فى معرض التفصيل ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به وهذا بيان لمآل الخلائق وانقسامهم إلى أشقياء وسعداء بعد وقوعهم فى الداهية العظيمة (قوله مضيئة)

تقدم فيها أيضا (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ) النفخة الثانية (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ) زوجته (وَبَنِيهِ) يوم بدل من إذا وجوابها دل عليه (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) حال يشغله عن شأن غيره أى اشتغل كل واحد بنفسه (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ) مضيئة (ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) فرحة وهم المؤمنون (وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ) غبار (تَرْهَقُهَا) تغشاها (قَتَرَةٌ) ظلمة وسواد (أُولَئِكَ) أهل هذه الحالة (هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ) أى الجامعون بين الكفر والفجور.

(سورة التكوير)

مكية، تسع وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) لفت وذهب بنورها (وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) انقضت وتساقطت على الأرض (وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ) ذهب بها عن وجه الأرض فصارت هباء منبثا (وَإِذَا الْعِشَارُ) النوق الحوامل (عُطِّلَتْ):

إما من قيام الليل أو من آثار الوضوء أو من طول ما اغبرت فى سبيل الله وكل صحيح (قوله فرحة) أى بما رأته من كرامة الله ورضوانه (قوله ظلمة وسواد) هذا قول ابن عباس وقيل القترة والغبرة معناهما واحد وهو الغبار لكن القترة ما ارتفع منه إلى السماء والغبرة ما انحط إلى الأرض (قوله الكفرة الفجرة) جمع كافر وفاجر وهو الكاذب على الله تعالى فجمع الله تعالى إلى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الكفر إلى الفجور.

[سورة التكوير] مناسبتها لما قبلها أن كلا فيه ذكر أهوال القيامة وفى الحديث «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت و إذا السماء انفطرت و إذا السماء انشقت» (قوله إذا الشمس كورت الخ) الأرجح عند جمهور النحاة أن الاسم المرفوع الواقع بعد إن الشرطية مرفوع بفعل محذوف يفسره المذكور ويمنع أن يكون مرفوعا بالابتداء لأن أدوات الشرط لا يليها إلا الأفعال لفظا أو تقديرا وأجاز الأخفش والكوفيون إيلاءها الاسم فيرفع الاسم مبتدأ وما بعده خبر وإذا فى المواضع الاثنى عشر شرطية جوابها قوله علمت نفس ولا يجوز الوقف اختيارا قبل الجواب (قوله لفت) الناسب أن يقول لفت والمعنى لف بعضها ببعض ورمى بها فى البحر ثم يرسل الله عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (قوله بنورها) أى ضوئها (قوله سيرت) أى فى الهواء بعد تفتيتها (قوله فصارت هباء) أى بعد صيرورتها كالصوف المندوف فأولا تفتت ثم تصير كالصوف المندوف (قوله وإذا العشار) جمع عشراء كالنفاس جمع نفساء وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر إلى أن تضع وخصها بالذكر لأنها أغلى ما يكون عند أهلها وأنفس أموالهم لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم «مر فى أصحابه بعشار من النوق فغض بصره فقيل له هذه أنفس أموالنا فلم لا تنظر إليها فقال قد نهانى الله عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك» الآية وإذا كان هذا حالهم مع أنفس أموالهم فالهم غيره أولى وإلى هذا يشير المفسر بقوله ولم يكن مال أعجب

إليهم منها (قوله تركت بلا راع) أى مهملة ، وقوله أو بلا حلب بفتح اللام مصدر حلب يحلب بالضم و يقال بالسكون من باب قتل (قوله وإذا الوحوش) أى دواب البر ، وقوله جمعت : أى من كل ناحية (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أوقدت فصارت نارا) هذا أحد أقوال فى تفسير التسجير ، وقيل سجرت ملئت من الماء ، وقيل اختلط عذبها بمالحها حتى صارت بحرا واحدا ، وقيل يبست ، ويمكن الجمع بين تلك الأقوال فأولا يفيض بعضها لبعض ثم تيبس ثم تقلب نارا، ثم ماتقدم من الآيات الست يجوز أن يكون مقدمة للنفخة الأولى فالأحياء يشاهدون ذلك لما روى عن أبى بن كعب قال « ست آيات من قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم ذهب ضوء الشمس و بدت النجوم فتحيروا ودهشوا فبينماهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت هباء منثورا ففزع الإنس إلى الجن والجن إلى الانس واختلطت الدواب والوحوش والهوام والطير وماج بعضها فى بعض فذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم قالت الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا إلى البحار فإذا نار تتأجج فبينما هم كذلك انصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى و إلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم » ويجوز أن يكون فى النفخة الثانية و يقال فى تعطيل العشار يحتمل أنه كناية عن شدة الهول حتى لايلتفت الشخص إلى أنفس أمواله أوتبعث معطلة بلا راع أو لايلتفت لها صاحبها لأن البهائم تحشر للقصاص من بعضها لبعض ، وأما الست الباقية فتحصل بالنفخة الثانية اتفاقا (قوله قرنت بأجسادها) أى ردت الأرواح إلى أجسادها فالتزويج على هذا جعل الشىء زوجا والنفوس بمعنى الأرواح ، وقيل قرن كل امرىء بشيعته فاليهودى يضم لليهود ، والنصرانى للنصارى وهكذا ، وقيل قرن الرجل الصالح بالرجل الصالح فى الجنة والرجل السوء بالرجل السوء فى النار ، وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون وفى الحقيقة يحصل كل (قوله الجارية) المراد بها مطلق الأنثى ، وقوله والحاجة : أى

تركت بلا راع ، أو بلا حلب لما دهاهم من الأمر ولم يكن مال أعجب إليهم منها (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) جمعت من بعد البعث ليقتص لبعض من بعض ثم تصير ترابا (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتْ) بالتخفيف والتشديد : أوقدت فصارت نارا (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) قرنت بأجسادها (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ) الجارية تدفن حية خوف العار والحاجة (سُئِلَتْ) تبكيتا لقاتلها (بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ) وقرىء بكسر التاء حكاية لما تخاطب به ، وجوابها أن تقول قتلت بلا ذنب (وَإِذَا الصُّحُفُ) صحف الأعمال (نُشِرَتْ) بالتخفيف والتشديد فتحت و بسطت (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ) نزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة (وَإِذَا الْجَحِيمُ) النار (سُعِّرَتْ) ،

الفقر فكان الرجل فى الجاهلية إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم فى البادية و إذا أراد قتلها تركها حتى إذا كانت بنت ست سنين يقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيذهب بها إلى البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها و يهيل عليها التراب حتى تستوى بالأرض وقال ابن عباس : كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمخضت على رأس تلك الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة و إذا ولدت ولدا أبقته (قوله تبكيتا لقاتلها) جواب عما يقال مامعنى سؤال الموءودة مع أن مقتضى الظاهر سؤال القاتل عن قتله إياها ، فأجاب بأن سؤالها هى لافتضاح القاتل وتبكيته ولا يلزم من السؤال تعذيب القاتل لأنه يقال إن كان القاتل من أهل الفترة فلا يعذب و إنما يرضى الله المقتولة بإحسانه و إن كان ممن بلغته الدعوة فهو آثم يعذب على القتل إن لم يغفر له الله تعالى (قوله وقرىء بكسر التاء) أى الثانية على أنها تاء المؤنثة المخاطبة والفعل مبنى للمفعول وهذه القراءة شاذة وقرىء شذوذا أيضا بنائه للفاعل مع قتلت بضم التاء للمتكلم و بسكونها على التأنيث فالقراءات الشاذة ثلاث (قوله صحف الأعمال) أى فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب (قوله بالتخفيف والتشديد) سبعيتان (قوله فتحت و بسطت) أى بعد أن كانت مطوية (قوله نزعت عن أماكنها) أى أزيلت عنه فالكشط القلع عن شدة التزاق والقشط لغة فيه وبها قرىء شذوذا فالسماء تنزع عن أماكنها كما ينزع الغطاء عن الشىء ، وقيل تطوى كما يطوى السجل .

بالتخفيف والتشديد : أججت (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ) قرّبت لأهلها ليدخلوها ، وجواب إذا أول السورة وما عطف عليها (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَا أَحْضَرَتْ) من خير وشر (فَلَا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالْخُنَّسِ . الْجَوَارِ الْكُنَّسِ) هى النجوم الخمسة : زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس بضم النون : أى ترجع فى مجراها وراءها بينما ترى النجم فى آخر البرج إذ كرّ راجعاً إلى أوله وتكنس بكسر النون تدخل فى كناسها : أى تغيب فى المواضع التى تغيب فيها (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ) أقبل بظلامه أو أدبر (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) امتد حتى يصير نهاراً بيناً (إِنَّهُ) أى القرآن (لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) على الله تعالى ، وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به (ذِي قُوَّةٍ) أى شديد القوى (عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ) أى الله تعالى (مَكِينٍ) ذى مكانة متعلق به عند (مُطَاعٍ ثَمَّ) أى تطيعه الملائكة فى السموات (أَمِينٍ) على الوحى (وَمَا صَاحِبُكُمْ) محمد صلى الله عليه وسلم عطف على إنه إلى آخر المقسم عليه (بِمَجْنُونٍ) كما زعمتم (وَلَقَدْ رَآهُ) رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على صورته التى خلق عليها (بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ) البين ، وهو الأعلى بناحية المشرق ،

(قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان (قوله أججت) أى أوقدت للكفار (قوله قربت لأهلها ليدخلوها) أى هيئت وأحضرت لهم وسهل طريقها لأنها تزول عن موضعها (قوله أول السورة) أى الواقعة فى أولها ، وقوله وماعطف عليها : أى وهو أحد عشر (قوله علمت نفس) إن قلت إن نفس نكرة فى سياق الإثبات وهى لاتعم . أجيب بجوابين : الأول أن العموم استفيد من قرينة المقام والسياق . الثانى أن وقوعها فى سياق الشرط كوقوعها فى سياق النفى فتعم أيضا ، ومعنى العلم بما أحضرته أنها تشاهد أعمالها مكتوبة فى الصحف (قوله وهو) أى وقت حصول هذه الأمور (قوله هى النجوم الخ) أى السيارة غير الشمس والقمر (قوله أى ترجع فى مجراها) أى من آخر الفلك القهقرى إلى أوله وخصها بالذكر لأنها تستقبل الشمس فتحبس بالنهار وتظهر بالليل وتخفى وقت غروبها عن البصر (قوله إذ كرّ راجعا) هو العامل فى بينا ، وقوله إلى أوله : أى البرج (قوله فى كناسها) أى محل اختفائها من كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذه من أغصان الشجر (قوله والصبح إذا تنفس) مناسبته لماقبله ظاهرة لأنه إن كان المراد إقباله فهو أول الليل وهذا أول النهى و إن كان المراد إدباره فهذا مجاوره (قوله إذا تنفس) التنفس فى الأصل خروج النفس من الجوف وصف به الصبح من حيث إنه إذا أقبل ظهر روح ونسيم فجعل نفسا له (قوله ذى قوة) أى فكان من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وأنه أبصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام فنفحه بجناحه نفحة ألقاه إلى أقصى جبل خلف الهند ، وأنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين ، وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ثم يصعد فى أسرع من ردّ الطرف (قوله ذى مكانة) أى إكرام وتشريف (قوله متعلق به عند) أى فهو حال من مكين وأصله وصف فلما قدم نصب حالا ، وقوله ثم ظرف مكان للبعيد والعامل فيه مطاع (قوله أى تطيعه الملائكة) تفسير لقوله مطاع ، وقوله فى السموات تفسير لقوله ثم (قوله عطف على إنه الخ) أى فهو من جملة المقسم عليه بالأقسام السابقة وفى الحقيقة ذكر جبريل بالأوصاف المذكورة توطئة لذكر محمد صلى الله عليه وسلم لأن المقصود منه ردّ قولهم : إنما يعلمه بشر ، أفترى على الله كذبا أم به جنة لا تعداد فضائل جبريل ومحمد خلافا للزمخشرى الزاعم أن تلك الآية تشهد بتفضيل جبريل على محمد بل إذا أمعنت النظر وجدت إجراء تلك الصفات على جبريل فى هذا المقام دالّ على بلوغ الغاية فى تعظيم محمد حيث جعل السفير بينه و بين الله هذا الملك الموصوف بتلك الصفات ، وفضل المصطفى مصرّح به فى هذا الكتاب وفى سائر الكتب السماوية كالشمس فى رابعة النهار هذا زبدة ما أفاده الأئمة فى هذا المقام (قوله ولقد رآه) معطوف على قوله ـ إنه لقول رسول كريم ـ أيضا فهو من جملة المقسم عليه ، وهذه الرؤية كانت فى غار حراء حين رآه على كرسيه بين السماء والأرض فى صورته الأصلية وكان قد سأله أن يريه نفسه على صورته التى خلق عليها فوعده بحراء ثم أنجز له الوعد ، وتقدم بسطه فى قوله تعالى ـ فاستوى وهو بالأفق الأعلى ـ الخ .

(قوله على الغيب) متعلق بظنين (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى بخيل) أى فلا يبخل به عليكم بل يخبركم به على طبق ما أمر ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا (قوله وماهو بقول شيطان الخ) نفى لقولهم إنه كهانة وسحر (قوله فأين تذهبون) أين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون كما قال المفسر فأى طريق تسلكون حيث نسبتموه للجنون أو الكهانة أو السحر أو الشعر وهو برىء من ذلك كله كما تقول لمن ترك الطريق الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب (قوله أن يستقيم) أى فالطريق واضح فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (قوله وماتشاءون) رجوع للحقيقة وإعلام بأن العبد مختار فى الظاهر مجبور فى الباطن على ما يريده الله منه .

[سورة الانفطار] مناسبتها لما قبلها وما بعدها ظاهرة لأن كلا متعلق بيوم القيامة (قوله إذا السماء انفطرت الخ) اعلم أن المراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا. وذلك أن السماء كالسقف والأرض كالبناء ومن أراد تخريب دار فإنه يبدأ أولا بتخريب السقف ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم بعد تخريب (٢٨١) السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض من البحار ثم بعد ذلك تخرب الأرض التى فيها الأموات (قوله انشقت) أى لنزول الملائكة (قوله انقضت وتساقطت) أى فالانتثار استعارة لازالة الكواكب فشبهت بجواهر قطع سلكها وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشىء من لوازمه وهو الانتثار فاثباته تخييل على طريق الاستعارة المكنية (قوله فجرت) العامة على قراءته مبنيا للمفعول مشددا وقرىء شذوذا بالبناء للفاعل وللمفعول مع التخفيف (قوله فتح بعضها فى بعض) أى لزوال البرزخ الحاجز (قوله بعثرت) يرادفه فى معناه بحثر بالحاء فهما مركبان من البعث والبحث مضموما إليهما راء (قوله قلب ترابها) أى الذى أهيل على الموتى وقت الدفن وصار ما كان فى باطن الأرض ظاهرا على وجهها (قوله علمت نفس) أى علما تفصيليا وإلا فالعلم الإجمالى حصل لهم عند الموت حين يرى كل مقعده من الجنة أو النار . واعلم أن الإنسان يعلم ماقدمه من خير وشر عند موته علما إجماليا فيعلم أنه من أهل السعادة أو الشقاوة فاذا بعث وقرأ صحيفته علم ذلك تفصيلا (قوله يا أيها الانسان الكافر) هذا أحد قولين ، والآخر أن المراد بالانسان ما يشمل الكافر والمؤمن المنهمك فى المعاصى (قوله ماغرك بربك الكريم) ما استفهامية ، والمعنى أى شىء خدعك وجرأك على عصيان الكريم الذى من حقه عليك أن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه ولا تغتر بحلمه وكرمه . إن قلت كونه كريما يقتضى أنه يغتر الانسان بكرمه لأنه جواد وهو يستوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب فهذا يقتضى الاغترار به فكيف جعله هنا مانعا منه . أجيب بأن الآية واردة

(وَمَا هُوَ) أى محمد صلى الله عليه وسلم (عَلَى الْغَيْبِ) ماغاب من الوحى وخبر السماء (بِظَنِينٍ) بمتهم، وفى قراءة بالضاد، أى ببخيل فينقص شيئاً منه (وَمَا هُوَ) أى القرآن (بِقَوْلِ شَيْطَانٍ) مسترق السمع (رَجِيمٍ) مرجوم (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) فأى طريق تسلكون فى إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه (إِنْ) ما (هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ) بدل من العالمين بإعادة الجار (أَنْ يَسْتَقِيمَ) باتباع الحق (وَمَا تَشَاءُونَ) الاستقامة على الحق (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) الخلائق استقامتكم عليه .

(سورة الانفطار)

مكية ، تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ) انشقت (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ) انقضت وتساقطت (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) فتح بعضها فى بعض فصارت بحرا واحدا واختلط العذب بالملح (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ) قلب ترابها و بعث موتاها، وجواب إذا وما عطف عليها (عَلِمَتْ نَفْسٌ) أى كل نفس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة (مَا قَدَّمَتْ) من الأعمال (وَ) ما (أَخَّرَتْ) منها فلم تعمله (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ) الكافر (مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ) ،

تهديد الكافر والعاصي حيث أنعم عليه بتلك النعم وكلفه بشكرها وأوعد من كفر بالعذاب الدائم فلم يقم بشكرها فتضمنت مخالفته استخفافه بالنعمة و بأوامر المنعم ونواهيه فليس فى الآية مايقتضى الاغترار كما تزعمه الحشوية حيث يقولون : إنما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرّنى كرم الكريم ، فى الحديث « لما تلا هذه الآية قال غرّه جهله » ، وقال عمر غره حمقه وجهله ، وقال الحسن غره» والله شيطانه الخبيث (قوله حتى عصيته) أى بالكفر وجحد الرسل و إنكار ما أتوا به (قوله الذى خلقك) أى أوجدك من العدم (قوله فسوّاك) أى جعل أعضاءك سليمة مستوية تامة المنافع (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما سبعيتان فالتسوية ترجع إلى عدم النقصان فى الأعضاء والتعديل يرجع إلى نفى العوج والقبح (قوله فى أى سورة) متعلق بركبك وشاء صفة لصورة ، والمعنى ركبك فى أىّ صورة من الصور التى اقتضتها مشيئته من طول وقصر وذكورة وأنوثة (قوله بل تكذبون) إضراب انتقالى إلى بيان ماهو السبب الأصلى فى اغترارهم كأنه قال : إنكم لاتستقيمون على ماتوجبه نعمى عليكم وإرشادى لكم بل تكذبون (قوله و إن عليكم لحافظين) الخطاب و إن كان مشافهة إلا أن الآية عامة بالاجماع لجميع المكلفين والجملة حالية من الواو فى تكذبون (قوله من الملائكة) أى فكلّ واحد من الآدميين له ملكان ملك عن يمينه يكتب الحسنات وآخر عن يساره يكتب السيئات ، وقيل اثنان بالليل واثنان بالنهار ، واختلفوا فى الكفار ، فقيل ليس عليهم حفظة لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد ، وقيل عليهم حفظة لظاهر هذه الآية . إن قلت فأى شىء يكتب الذى على يمينه مع أنه لاحسنة له؟ أجيب بأن الذى عن شماله يكتب باذن صاحب اليمين فيكون شاهدا على ذلك ، فالمراد بالحفظة هنا حفظة الأعمال الكاتبون لها وأما حفظة البدن فهم المذكورون فى قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - (سورة

حتى عصيته (الذى خَلَقَكَ) بعد أن لم تكن (فَسَوَّاكَ) جعلك مستوى الخلقة سالم الأعضاء (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف والتشديد : جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء ليست يد أو رجل أطول من الأخرى (فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا) زائدة (شَاءَ رَكَّبَكَ . كَلَّا) ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى (بَلْ تُكَذِّبُونَ) أى كفار مكة (بِالدِّينِ) بالجزاء على الأعمال (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ) من الملائكة لأعمالكم (كِرَامًا) على الله (كَاتِبِينَ) لها (يَعْلَمُونَ مَاتَفْعَلُونَ) جميعه (إِنَّ الْأَبْرَارَ) المؤمنين الصادقين فى إيمانهم (لَفِى نَعِيمٍ) جنة (وَإِنَّ الْفُجَّارَ) الكفار (لَفِى جَحِيمٍ) نار محرقة (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها و يقاسون حرها (يَوْمَ الدِّينِ) الجزاء (وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ) بمخرجين (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَايَوْمُ الدِّينِ . ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَايَوْمُ الدِّينِ) تعظيم لشأنه (يَوْمُ) بالرفع أى هو يوم (لَاتَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا) من المنفعة (وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) لا أمر لغيره فيه أى لم يمكن أحدا من التوسط فيه بخلاف الدنيا .

وفى هذه الآية دليل على أن الشاهد لايشهد إلا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين يعلمون ماتفعلون (قوله إن الأبرار لفى نعيم) شروع فى بيان ما يكتبون لأجله كأنه قيل يكتبون الأعمال ليجازى الأبرار بالنعيم الخ (قوله و إن الفجار لفى جحيم) أل فى الفجار للعهد الذكرى أى المتقدم ذكرهم فى قوله بل تكذبون بالدين (قوله يصلونها) الجملة مستأنفة أو حالية من الضمير فى خبر إن (قوله الجزاء) أى الذى كانوا يكذبون به (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وجملة أدراك خبره والكاف مفعول أول وجملة مايوم الدين من المبتدإ والخبر سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الأول للانكار والثانى للتعظيم والتهويل والمعنى وأى شىء أدراك عظم يوم الدين وشدة هوله أى لاعلم لك به إلا باعلام منا (قوله يوم) بالرفع والنصب قراءتان سبعيتان فالرفع على أنه خبر لمحذوف : أى هو يوم والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف وقرئ شذوذا برفعه منونا لقطعه عن الاضافة والجملة بعده نعت له (قوله شيئا من المنفعة) جواب عما يقال إن بعض الناس المقبولين يملكون الشفاعة لغيرهم فالجواب أن المنفى ثبوت الملك بالاستقلال والشفاعة ليست كذلك بل لاتكون إلا باذن خاص (قوله والأمر يومئذ لله) أى ظاهرا و باطنا فلا تصرف لغيره فيه أصلا (قوله بخلاف الدنيا) أى فالعبيد متصرفون فيها وينسب لهم الملك والأمر والنهى ظاهرا .

[سورة التطفيف] وتسمى سورة المطففين (قوله مكية أو مدنية) أو لحكاية الخلاف ، فالأول قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل فى أحد قوليه . والثانى قول الحسن وابن عباس وعكرمة ومقاتل فى قوله الآخر ، وهذان قولان من أربعة أقوال : ثالثها أنها نزلت بين مكة والمدينة . رابعها كلها مدنية إلا قوله - إن الذين أجرموا - إلى آخر السورة فمكى ، والمشهور أنها مدنية لما روى عن ابن عباس قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله تعالى - ويل للمطففين - فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، قال الفراء فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وروى عنه أيضا قال : هى أول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل بالمدينة وكان هذا فيهم ، كانوا إذا اشتروا استوفوا بكيل راجح وإذا باعوا بخسوا المكيال والميزان ، فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم أوفى الناس كيلا إلى يومهم هذا . وقال جماعة نزلت فى رجل يعرف بأبى جهينة واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ بواحد ويعطى بآخر . ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر حال السعداء والأشقياء فيما قبلها ذكر هنا ما أعد لبعض العصاة ، وذكرهم بأخس ما يقع من المعصية وهى التطفيف الذى لا يكاد يغنى أحدهما ويفقر الآخر ، ثم ذكر فيها ما أعد للكفار عموما وللطيعين عموما (قوله ويل) مبتدأ سوغ الابتداء به كونه دعاء وللمطففين خبره وهذا على أنه كلمة عذاب وأما على أنه اسم للوادى فهو معرفة ويجوز نصبه فى غير هذا الموضع ويختار فيما إذا كان مضافا أو معرفا (قوله كلمة عذاب) أى معلمة بشدة عذابهم فى الآخرة فهو دعاء عليهم بالهلاك وقوله أو واد فى جهنم : أى يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره فهما قولان ويمكن الجمع بأن الويل له إطلاقان (قوله للمطففين) جمع مطفف وهو الذى يأخذ فى كيل أو وزن شيئا قليلا ومنه قولهم دون الطفيف أى الشيء التافه لقلته وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائدا ويدفع إلى غيره ناقصا قليلا أو كثيرا لكن إن لم يتب منه فإن تاب قبلت توبته ، ومن فعل ذلك

(سـورة التطفيف)

مكية أو مدنية ، ست وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَيْلٌ) كلمة عذاب ، أو واد فى جهنم (لِلْمُطَفِّفِينَ . الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى) أى من (النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) الكيل (وَإِذَا كَالُوهُمْ) أى كالوا لهم (أَوْ وَزَنُوهُمْ) أى وزنوا لهم (يُخْسِرُونَ) ينقصون الكيل أو الوزن (أَلَا) استفهام توبيخ (يَظُنُّ) يتيقن (أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ . لِيَوْمٍ عَظِيمٍ) أى فيه وهو يوم القيامة (يَوْمَ) بدل من محل ليوم ،

وأصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر ، وذلك لأن عامة الخلق محتاجون إلى المعاملات وهى مبنية على أمر الكيل والوزن والذرع ، فلهذا السبب عظم الله أمر الكيل والوزن . قال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق ، فيكون عرقهم على قدر تفاوتهم فى التطفيف ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما . وفى الحديث الصحيح « خمس بخمس : ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة : أى الزنا إلا فشا فيهم الموت ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين من القحط ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر » (قوله على الناس) متعلق باكتالوا وعلى بمعنى من كما قال المفسر ؟ ويصح أن يكون متعلقا بيستوفون قدم لافادة الاختصاص ، والمعنى يستوفون على الناس خاصة ، وأما لأنفسهم فيستوفون لها (قوله يستوفون) أى يزيدون على حقهم وليس المراد يستوفون حقهم فقط إذ ليس فى ذلك نهى (قوله أى كالوا لهم) أشار بذلك إلى أن ضميرهم فى محل نصب مفعول لكالوا تعدى إليه الفعل بنفسه بعد حذف اللام وليس ضمير رفع مؤكدا للواو (قوله أو وزنوهم) حذفه مما تقدم لدلالة هذا عليه (قوله يخسرون) جواب إذا (قوله استفهام توبيخ) أى فلا نافية دخل عليها همزة الاستفهام فألا هنا ليست استفتاحية بل هى همزة الاستفهام دخلت على لا النافية فأفادت التوبيخ والانكار (قوله ألا يظن أولئك الخ) أشار المفسر إلى أن الظن بمعنى اليقين : أى لا يوقن أولئك إذ لو أيقنوا ما نقصوا فى الكيل والوزن ، وقيل الظن بمعنى التردد والمعنى إن كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويأخذوا بالأحوط ولولئك إشارة للمطففين أتى بها نظرا إلى بعدهم

فناصبه مبعوثون (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ) من قبورهم (لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) الخلائق لأجل أمره وحسابه وجزائه (كَلَّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ) أى كتب أعمال الكفار (لَفِي سِجِّينٍ) قيل هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة ، وقيل هو مكان أسفل الأرض السابعة ، وهو محل إبليس وجنوده (وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ) ما كتاب سجين (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) مختوم (وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) الجزاء ، بدل أو بيان للمكذبين (وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) متجاوز الحد (أَثِيمٍ) صيغة مبالغة (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) القرآن (قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) الحكايات التى سطرت قديما جمع أسطورة بالضم أو إسطار بالكسر (كَلَّا) ردع وزجر لقولهم ذلك (بَلْ رَانَ) غلب (عَلَى قُلُوبِهِمْ) فغشيها (مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من المعاصى فهو كالصدإ (كَلَّا) حقا (إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (لَمَحْجُوبُونَ) فلا يرونه (ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ) لداخلو النار المحرقة (ثُمَّ يُقَالُ) لهم (هَذَا) أى العذاب (الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . كَلَّا) حقا (إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ) أى كتب أعمال المؤمنين الصادقين فى إيمانهم (لَفِي عِلِّيِّينَ) ،

عن مرتبة الأبرار وعدهم من الأشرار (قوله فناصبه مبعوثون) أى مقدرا لأن البدل على نية تكرار العامل (قوله حقا) أى فكلا كلام مستأنف فالوقف على ماقبلها ، وقيل إنها كلة ردع وزجر ، والمعنى ليس الأمر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان ، فعلى هذا يكون الوقف عليها (قوله الفجار) أظهر فى مقام الإضمار تسجيلا عليهم بهذا الوصف الشنيع (قوله أى كتب أعمال الكفار) أشار بذلك إلى أن كتاب بمعنى كتب والكلام على حذف مضاف ، و بذلك اندفع ما يلزم من ظرفية الشىء فى نفسه (قوله لفى سجين) اختلف فى نونه فقيل أصلية مشتق من السجن وهو الحبس وقيل بدل من اللام مشتق من السجل وهو الكتاب (قوله قيل هو كتاب جامع) أى دوّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الثقلين موضوع تحت الأرض السابعة فى مكان مظلم موحش هو مسكن إبليس وذرّيته يذهبون إليه ليستوفوا جزاء أعمالهم (قوله وقيل هو مكان الخ) أى فهو اسم موضع وعليه فقوله الآتى وما أدراك ماسجين على حذف مضاف والتقدير ما كتاب سجين كما ذكره المفسر والاضافة على معنى فى وقد يجمع بأن سجين اسم الكتاب والموضع معا (قوله وهو محل إبليس) أى وفيه أرواح الكفار (قوله وما أدراك) ما اسم استفهام مبتدأ وأدراك خبره وما سجين مبتدأ وخبر والجملة سادة مسد المفعول الثانى والاستفهام الأول للانكار والثانى للتفخيم والتعظيم (قوله مرقوم) بيان الكتاب المذكور فى قوله إن كتاب الفجار، والمعنى أن هذا الكتاب مكتوب فيه أعمالهم مثبتة كالرقم فى الثوب لاينسى ولا يمحى وقيل الرقم الختم بلغة حمير وعليه مشى المفسر ، والمعنى أن هذا الكتاب مرقوم بعلامة يعرف أنه كافر (قوله أو بيان) أى أو نعت (قوله ردع وزجر) أى للمعتدى الأثيم عن ذلك القول الباطل فهى حرف ، وقال الحسن إن كلا بمعنى حقا (قوله بل ران) أى أحاط وغطى كتغطية الغيم السماء قيل ورد « أن المؤمن إذا أذنب ذنبا نكتت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها و إذا زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى فى كتابه المبين» . وقال أبو معاذ الرين أن يسودّ القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والاقفال أشدّ من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى – أم على قلوب أقفالها (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر أى ليس الأمر كما يقولون بل إنهم عن ربهم الخ (قوله فلا يرونه) هذا هو الصحيح وقيل يرونه ثم يحجبون حسرة وندامة (قوله ثم إنهم لصالوا الجحيم) ثم للتراخى فى الرتبة فان صلى الجحيم أشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة (قوله ثم يقال لهم) أى من طرف الخزنة على سبيل التقريع والتوبيخ (قوله الذى كنتم به تكذبون) أى فى الدنيا (قوله كلا إن كتاب الأبرار) بيان لمحل كتاب الأبرار وما أعدّ لهم من النعيم الدائم إثر بيان محلّ كتاب الفجار وما أعد لهم من العذاب الدائم (قوله حقا) وقيل حرف ردع وزجر فتحصل أن فى كلّ واحدة من الأربعة الواقعة فى هذه السورة قولين (قوله لفى عليين) اسم مفرد على صيغة الجمع لاواحد له من لفظه ، سمى بذلك إما لأنه سبب العلوّ إلى أعالى الدرجات فى الجنة و إما لأنه مرفوع فى السماء السابعة لماورد مرفوعا « عليين فى السماء السابعة تحت العرش » .

قيل هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمنى الثقلين ، وقيل هو مكان فى السماء السابعة تحت العرش (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا عِلِّيُّونَ) ما كتاب عليين ، هو (كِتَابٌ مَرْقُومٌ) مختوم (يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) من الملائكة (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ) جنة (عَلَى الْأَرَائِكِ) السرر فى الحجال (يَنْظُرُونَ) ما أعطوا من النعيم (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) بهجة التنعم وحسنه (يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ) خمر خالصة من الدنس (مَخْتُومٍ) على إنائها لا يفك ختمه إلا هم (خِتَامُهُ مِسْكٌ) أى آخر شربه يفوح منه رائحة المسك (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله (وَمِزَاجُهُ) أى ما يمزج به (مِنْ تَسْنِيمٍ) فسر بقوله (عَيْنًا) فنصبه بأمدح مقدرا (يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ) أى منها ، أو ضمن يشرب معنى يلتذ (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) كأبى جهل ونحوه (كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا) كعمار و بلال ،

(قوله قيل هو كتاب الخ) أى فهو علم على ديوان الخير الذى دوّن فيه كل عمل صالح للثقلين . ورد إن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقبلونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم أنتم حفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه و إنه أخلص عمله فاجعلوه فى عليين وقد غفرت له و إنها لتصعد بعمل العبد فتزكيه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على قلبه و إنه لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين . قال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه . وقال كعب وقتادة هو قائمة العرش اليمنى . وقال بعض أهل المعنى هو علو بعد علو وشرف بعد شرف . (قوله من الملائكة) ظاهره أن الملائكة تكتب أعمالهم و يثابون عليها وانظر فى ذلك (قوله وقيل هو مكان الخ) قد يجمع بأن عليين اسم لكل من الكتاب والمكان (قوله ما كتاب عليين) هذا التقدير إنما يحتاج له على القول الثانى فى تفسير عليين لا على الأول (قوله مختوم) وقيل الرقم الكتابة والمعنى مكتوب فيه إن فلانا آمن من النار (قوله يشهده المقربون) أى يحضرونه و يحفظونه و يشهدون بما فيه (قوله إن الأبرار لفى نعيم) شروع فى بيان عاقبة أمرهم إثر بيان حال كتابهم على سنن ما مر فى شأن الفجار (قوله السرر فى الحجال) جمع حجلة بفتحتين بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير يسمى فى العرف الناموسية (قوله ينظرون) الجملة حالية من الضمير فى خبر إن أو مستأنفة وقوله على الأرائك متعلق بينظرون (قوله تعرف فى وجوههم الخ) أى إنك إذا رأيتهم تعرف أنهم أهل النعمة (٢٨٥) لما ترى فى وجوههم من الحسن والبياض وفى قلوبهم من السرور والفرح والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل من تصح منه المعرفة وهذه قراءة العامة وقرأ أبو جعفر بالتاء مبنيا للمفعول ونضرة بالرفع نائب فاعل وقرئ بالياء مبنيا للمفعول أيضا مع رفع نضرة نظرا إلى أن التأنيث مجازى (قوله بهجة التنعم الخ) أى لعدم ما يكدره من الأمراض والعلل وخوف الزوال وغير ذلك (قوله خالصة من الدنس) أى الكدر قال تعالى : لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (قوله مختوم على إنائها) أى لشرفها ونفاستها إن قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم : وأنهار من خمر والنهر لا ختم فيه فكيف طريق الجمع بين الآيتين . أجيب بأن هذه الأوانى غير خمر الأنهار (قوله ختامه مسك) صفة ثانية لرحيق وفى قراءة سبعية أيضا خاتمه بتاء مفتوحة بعد الألف بيان لجنس الخاتم وقرئ شذوذا بكسر التاء والمعنى خاتم رائحته مسك (قوله يفوح منه رائحة المسك) أى أن رائحة المسك تظهر فى آخر الشراب فوجه التخصيص أن فى العادة يمل آخر الشراب فى الدنيا فأفاد أن آخر الشراب يفوح منه رائحة المسك فلا يمل منه (قوله وفى ذلك) إشارة للرحيق وما بعده أو إلى ما ذكر من أحوال الأبرار (قوله المتنافسون) أى الذين شأنهم المنافسة بكثرة الأعمال الصالحة والنيات الخالصة لعلو همتهم وطهارة نفوسهم . قال تعالى : لمثل هذا فليعمل العاملون (قوله من تسنيم) اسم للعين سميت بذلك لما روى أنها تجرى فى الهواء مسنمة فتصب فى أوانى أهل الجنة على مقدار الحاجة فإذا امتلأت أمسكت فالمقربون يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة (قوله أو ضمن الخ) أشار بذلك إلى أن التضمين إما فى الحرف أو فى الفعل (قوله إن الذين أجرموا الخ) لما ذكر الله تعالى كرامة الأبرار فى الآخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم فى الدنيا تسلية للمؤمنين وتقوية لقلوبهم (قوله كأبى جهل ونحوه) أى وهو الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأصحابهم من أهل مكة .

(قوله ونحوهما) أى كخباب وصهيب وأصحابهم من فقراء المؤمنين (قوله رجعوا) أى من مجالسهم (قوله انقلبوا فاكهين) أى متلذذين برفعتهم ومكانتهم الموصلة إلى الاستسخار بغيرهم ففى الحديث «إن الدين بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر» وفى رواية «يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة» وفى أخرى «العالم فيهم أنتن من جيفة حمار» والله المستعان (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله معجبين) راجع للقراءتين أى متلذذين بذكرهم المؤمنين وبالضحك (قوله وإذا رأوهم) الضمير المرفوع عائد على المجرمين والمنصوب عائد على المؤمنين أى إذا رأى المجرمون المؤمنين نسبوهم إلى الضلال (قوله لايمانهم بمحمد الخ) أى فهم يرون أنهم على هدى والمؤمنون على ضلال حيث تركوا النعيم الحاضر بسبب شىء غائب لايرونه (قوله وما أرسلوا عليهم حافظين) حال من الواو فى قالوا أى قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم (قوله حتى يردوهم إلى مصالحهم) أى بل أمروا باصلاح أنفسهم لاباصلاح المؤمنين (قوله فاليوم) منصوب بيضحكون الواقع خبرا عن المبتدإ ولا يضر تقدمه على المبتدإ لأمن اللبس وذلك أن الظرف المبهم لايصح وقوعه خبرا عن المبتدإ بخلاف فى الدار زيد قام فلا يجوز تقديم الجار والمجرور على المبتدإ لصلاحيته للخبرية (قوله ينظرون) حال من ضمير يضحكون (قوله من منازلهم) قال كعب: لأهل الجنة كوى ينظرون منها إلى أهل النار، وقيل حصن شفاف بينهم يرون منه حالهم، وفى سبب هذا الضحك وجوه: منها أن الكفار كانوا فى ترفه ونعيم فيضحكون من المؤمنين بسبب ماهم فيه من البؤس والضر وفى الآخرة ينعكس الحال فيكون المؤمنون فى النعيم والكفار فى الجحيم، ومنها أنه يقال لأهل النار وهم فيها أخرجوا وتفتح لهم أبوابها فاذا رأوها وقد فتحت أبوابها أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم فاذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا، ومنها أنهم إذا دخلوا الجنة وأجلسوا على الأرائك ينظرون إلى الكفار كيف يعذبون فى النار ويرفعون أصواتهم بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا فهذا سبب ضحكهم (قوله هل ثوب الكفار الخ) يحتمل أنه مقول قول محذوف والتقدير يقول الله لأهل الجنة أو يقول بعض المؤمنين لبعض هل ثوب الخ ويحتمل أنه متعلق بينظرون والمعنى ينظرون هل جوزى الكفار فمحلها نصب إما بالقول المحذوف أو بينظرون وقوله جوزى إشارة إلى أن التثويب بمعنى الجزاء وهو يكون فى الخير والشر والمراد هنا الثانى وقوله نعم جواب الاستفهام على كل.

ونحوهما (يَضْحَكُونَ) استهزاء بهم (وَإِذَا مَرُّوا) أى المؤمنون (بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ) أى يشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاء (وَإِذَا انْقَلَبُوا) رجعوا (إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَاكِهِينَ) وفى قراءة فكهين: معجبين بذكرهم المؤمنين (وَإِذَا رَأَوْهُمْ) رأوا المؤمنين (قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ) لإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى (وَمَا أُرْسِلُوا) أى الكفار (عَلَيْهِمْ) على المؤمنين (حَافِظِينَ) لهم أو لأعمالهم حتى يردوهم إلى مصالحهم (فَالْيَوْمَ) أى يوم القيامة (الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ. عَلَى الْأَرَائِكِ) فى الجنة (يَنْظُرُونَ) من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون فيضحكون منهم كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا (هَلْ ثُوِّبَ) جوزى (الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)؟ نعم.

(سورة الانشقاق)

مكية، ثلاث أو خمس وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ. وَأَذِنَتْ) سمعت وأطاعت فى الانشقاق (لِرَبِّهَا، وحقت)

[سورة الانشقاق] (قوله إذا السماء انشقت) أى انصدعت بغمام يخرج منها وهو البياض فى جوانب السماء لتنزل الملائكة قال تعالى: ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (قوله وأذنت لربها) أى انقادت لأمره (قوله سمعت وأطاعت) أى فشبه حال السماء فى انقيادها بتأثير قدرة الله تعالى حيث أراد انشقاقها بانقياد المستمع المطيع لآمره وذلك أن السموات لما طلعت

مراد الله وتعلقت إرادته بانشقاقها سلمت وفوضت أمرها ولم تنازع في ذلك (قوله وحقت) بالبناء للمفعول والفاعل في الأصل محذوف وهو الله تعالى وكذا المفعول والأصل وحق الله عليها استماعها فحذف الفاعل ثم المفعول وأسند الفعل إلى ضمير السموات . والمعنى وحق لها استماعها لعلمها بأن مراد الله نافذ فهي أهل لأن تسمع وتطيع قال تعالى : قالتا أتينا طائعين (قوله وإذا الأرض مدّت) أي بسطت ودكت جبالها (قوله كما يمد الأديم) أي وهو الجلد لأنه إذا مد زال كل انثناء فيه وامتد واستوى (قوله ولم يبق عليها بناء ولا جبل) أي فيزاد في سعتها لوقوف الخلائق عليها للحساب حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدمه لكثرة الخلائق فيها وظاهر الآية أن الأرض تمد مع بقائها وليس كذلك بل تبدل بأرض أخرى بدليل آية يوم تبدّل الأرض غير الأرض (قوله من الموتى) أي والكنوز والمعادن والزروع (قوله وتخلت) أي خلا جوفها فلم يبق في بطنها شيء (قوله وأذنت لربها وحقت) ليس تكرارا لأن هذا في الأرض وما تقدم في السموات (قوله وأطاعت في ذلك) أي الالقاء والتخلي (قوله دل عليه ما بعده) أي وهو قوله فملاقيه (قوله تقديره لقي الانسان الخ) قدره غيره علمت نفس وهو أحسن لأنه تقدم في التكوير والانفطار. وخير مافسرته بالوارد (قوله يأيها الانسان الخ) يحتمل أن المراد

وَحُقَّتْ) أي حق لها أن تسمع وتطيع (وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ) زيد في سعتها كما يمد الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل (وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا) من الموتى إلى ظاهرها (وَتَخَلَّتْ) عنه (وَأَذِنَتْ) سمعت وأطاعت في ذلك (لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ) وذلك كله يكون يوم القيامة ، وجواب إذا وما عطف عليها محذوف دلّ عليه ما بعده تقديره لقي الإنسان عمله (يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ) جاهد في عملك (إِلَى) لقاء (رَبِّكَ) وهو الموت (كَدْحًا فَمُلاَقِيهِ) أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ) كتاب عمله (بِيَمِينِهِ) هو المؤمن (فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا) هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين وفيه «من نوقش الحساب هلك» وبعد العرض يتجاوز عنه (وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ) في الجنة (مَسْرُورًا) بذلك (وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ) هو الكافر تغل يمناه إلى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فيأخذ بها كتابه (فَسَوْفَ يَدْعُو) عند رؤيته ما فيه (ثُبُورًا) ينادي هلاكه بقوله يا ثبوراه (وَيَصْلَى سَعِيرًا) يدخل النار الشديدة وفي قراءة بضم الياء وفتح الصاد واللام المشدّدة (إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ) عشيرته في الدنيا (مَسْرُورًا) بطرا باتباعه لهواه (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أي أنه (لَنْ يَحُورَ) :

به الجنس وبه قال سعيد وقتادة ويحتمل أنه معين وهو الأسود بن عبد الأسد وقيل أبي بن خلف وقيل جميع الكفار (قوله إنك كادح) الكدح العمل والكسب والسعي (قوله إلى ربك) إلى حرف غاية والمعنى كدحك في الخير أو الشر ينتهي بلقاء ربك وهو الموت (قوله فملاقيه) إما معطوف على كادح أو خبر مبتدإ محذوف أي فأنت ملاقيه والجملة معطوفة على جملة إنك كادح (قوله أي ملاق عملك) أشار بذلك إلى أن الضمير في ملاقيه عائد على الكدح الذي هو بمعنى العمل والكلام على حذف مضاف أي ملاق حسابه وجزاءه ويصح أن يكون عائدا على الله تعالى والمعنى ملاق ربه فلا مفر له منه (قوله هو المؤمن) أي ولو عاصيا مستحقا للنار (قوله هو عرض عمله عليه) أي بأن تعرض أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه وأن المعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه (قوله كما فسر في حديث الصحيحين) أي وهو ما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حوسب عذب قالت عائشة فقلت أوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟ فقال إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب هلك، وفي رواية : عذب» (قوله وينقلب) أي يرجع بنفسه (قوله إلى أهله) أي من الآدميات والحور العين وأصوله وفروعه (قوله وراء ظهره) منصوب بنزع الخافض (قوله تغل يمناه الخ) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية وأما من أوتي كتابه بشماله (قوله ينادي هلاكه) أي يتمناه إذ نداء ما لا يعقل هو تمنيه (قوله بطرا) أي فخرا ورياء فأبدله الله بذلك حزنا وغما لا ينقطع أبدا (قوله إنه ظن) أي تيقن وعلم (قوله مخففة من الثقيلة) أي ولا يصح أن تكون مصدرية لما يلزم عليه من دخول الناصب على مثله والجملة سادة مسد مفعولي ظن .

يرجع إلى ربه (بَلَى) يرجع إليه (إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا) عالما برجوعه إليه (فَلَا أُقْسِمُ) لا زائدة (بِالشَّفَقِ) هو الحمرة فى الأفق بعد غروب الشمس (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) جمع ما دخل عليه من الدواب وغيرها (وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ) اجتمع وتمّ نوره وذلك فى الليالى البيض (لَتَرْكَبُنَّ) أيها الناس أصله تركبونن حذفت نون الرفع لتوالى الأمثال والواو لالتقاء الساكنين (طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ) حالا بعد حال وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة (فَمَا لَهُمْ) أى الكفار (لَا يُؤْمِنُونَ) أى أىّ مانع لهم من الإيمان أو أىّ حجة لهم فى تركه مع وجود براهينه (وَ) مالهم (إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ) يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ) بالبعث وغيره (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ) يجمعون فى صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء (فَبَشِّرْهُمْ) أخبرهم (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مؤلم (إِلَّا) لكن (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع ولا منقوص ولا يمنّ به عليهم .

(سورة البروج)

مكية، ثنتان وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ) الكواكب، اثنا عشر برجا تقدمت فى الفرقان ،

(قوله يرجع إلى ربه) أى فالحور الرجوع والتردد فى الأمر وبابه قال ودخل (قوله بلى) جواب النفى وقوله : إن ربه الخ جواب قسم مقدر فهو بمنزلة التعليل للجملة المستفادة من بلى (قوله فلاأقسم) الفاء واقعة فى جواب شرط مقدر أى إذا عرفت هذا فلا أقسم الخ (قوله بالشفق) أى وهو اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس وهو الحمرة التى تكون عند ذلك ، سمى شفقا لرقته ومنه الشفقة على الانسان وهى رقة القلب عليه (قوله وماوسق) ماموصول اسمى أونكرة موصوفة اومصدريه (قوله جمع مادخل عليه) أى ضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام (قوله وغيرها) أى كالأشجار والبحار فانه إذا دخل الليل انضم وسكن (قوله وذلك فى الليالى البيض) أى وهى ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهر (قوله لتركبن) جواب القسم بضم الباء خطاب للجمع و بفتحها خطاب للواحد قراءتان سبعيتان (قوله طبقا) مفعول به أوحال (قوله بعد حال) أشار بذلك إلى أن عن بمعنى بعد صفة لطبق (قوله وهوالموت ثم الحياة الخ) هذا قول ابن عباس وقال عكرمة رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ ، وقيل المعنى لتركبن سنن من قبلكم وأحوالهم (قوله فمالهم) الفاء لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجيب على ماقبلها من أحوال يوم القيامة وأهواله الموجبة للايمان لظهور الحجة لأن ما أقسم به من التغيرات العلوية والسفلية يدل على خالق عظيم القدرة يبعد ممن له عقل عدم الايمان به والانقياد له (قوله واذاقرئ عليهم القرآن) أى من أىّ قارئ وهذا شرط وجوابه لايسجدون وهذه الجملة الشرطية فى محل نصب على الحال معطوفة على الحال السابقة وهى قوله لايؤمنون (قوله يخضعون) أى فالمراد بالسجود اللغوى لاالعرفى وهذا أحد قولين والآخر أن المراد به السجود الحقيقى الذى هو سجود التلاوة وقد اختلفت الأئمة فى ذلك (قوله فى صحفهم) الأوضح أن يقول فى صدورهم لأن الوعى معناه لغة الحفظ (قوله لكن الذين آمنوا الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن ماقبل إلا فى الكفار لاغير (قوله لهم أجر غير ممنون) استئناف مقرر لما أفاده الاستثناء .

[سورة البروج] حكمة نزول هذه السورة تثبيت المؤمنين على إيمانهم وصبرهم على أذى الكفار بتذكيرهم بما جرى لمن تقدمهم (قوله ذات البروج) أى صاحبة الطرق والمنازل التى تسير فيها الكواكب السبعة ، سميت بروجا لظهورها لأن البرج فى الأصل الأمر الظاهر من التبرج ثم صار حقيقة عرفية للقصر العالى لظهوره (قوله تقدمت فى الفرقان) نصه هناك : تبارك الذى جعل فى السماء بروجا اثنى عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة : المريخ وله الحمل والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء

والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، والمشترى وله القوس والحوت ، وزحل وله الجدى والدلو اهـ (قوله واليوم الموعود) أى الموعود به ففيه الحذف والإيصال (قوله يوم الجمعة) خص مع أن باقى الزمان يشهد كذلك لاختصاصه بمزية وهى كونه فيه ساعة إجابة واجتماع الناس (قوله كذا فسرت الثلاثة فى الحديث) أى وهو ماروى « اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة » أخرجه الترمذى . واختلف فى تفسير الشاهد والمشهود على أقوال كثيرة : منها ماذكره فى الحديث ، ومنها الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة ، ومنها الشاهد هو الله والمشهود يوم القيامة ، ومنها الشاهد هم الأنبياء والمشهود عليهم هم الأمم ، ومنها الشاهد أعضاء الانسان والمشهود عليه هو ابن آدم ، ومنها غير ذلك . والأحسن أن يراد ماهو أعم ولذلك نكرهما ليعم كل شاهد ومشهود (قوله محذوف صدره) أى لأن المشهور عن النحاة أن الماضى المثبت المتصرف الذى لم يتقدم معموله إذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ولايجوز الاقتصار على أحدهما إلا عند طول الكلام أو فى ضرورة (قوله تقديره لقد قتل الخ) أى وعليه فالجملة خبرية والأصل فيها الدعاء (قوله الشق فى الأرض) أى فالأخدود مفرد وجمعه أخاديد (قوله بدل اشتمال منه) أى لأن الأخدود مشتمل على النار (قوله ماتوقد به) أى فالوقود بالفتح الاسم وأما بالضم فهو المصدر (قوله إذ هم عليها قعود) ظرف لقتل ، والمعنى حين حرقوا بالنار قاعدين عليها فى مكان مشرف عليها من حافات الأخدود (قوله شهود) أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحدا لم يقصر فيما أمر به فهو من الشهادة بمعنى تأدية الخبر ، أو المراد شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين فهو من الشهادة بمعنى الحضور وعليه اقتصر المفسر

(وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ) يوم القيامة (وَشَاهِدٍ) يوم الجمعة (وَمَشْهُودٍ) يوم عرفة كذا فسرت الثلاثة فى الحديث فالأول موعود به والثانى شاهد بالعمل فيه والثالث تشهده الناس والملائكة وجواب القسم محذوف صدره تقديره لقد (قُتِلَ) لعن (أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ) الشق فى الأرض (النَّارِ) بدل اشتمال منه (ذَاتِ الْوَقُودِ) ماتوقد به (إِذْ هُمْ عَلَيْهَا) أى حولها على جانب الأخدود على الكراسى (قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ) بالله من تعذيبهم بالإلقاء فى النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم (شُهُودٌ) حضور ، روى « أن الله أنجى المؤمنين الملقين فى النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار إلى من ثم فأحرقتهم » ،

(قوله روى أن الله أنجى المؤمنين الخ) أى وكانوا سبعة وسبعين وهؤلاء لم يرجعوا عن دينهم والذين رجعوا عشرة أو أحد عشر وقوله إلى من ثم : أى إلى من هم قعود على الأخدود ولم يرد نص بتعيينهم . واعلم أنه اختلف المفسرون فى أصحاب الأخدود ، فروى عن صهيب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إنى قد كبرت فابعث إلى غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه إذا سلك إليه راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فاذا أتى الساحر ضربه و إذا رجع من الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فاذا أتى أهله ضربوه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسنى أهلى واذا خشيت أهلك فقل حبسنى الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر ، فأخذ حجرا ثم قال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أى بنى أنت اليوم أفضل منى قد بلغ من أمرك ما أرى و إنك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص و يداوى الناس بسائر الأدواء ، فسمع به جليس الملك وكان قد عمى فأتاه بهدايا كثيرة فقال ماههنا لك أجمع إن أنت شفيتنى قال نى لاأشفى أحدا إنما يشفى الله عزوجل فان آمنت بالله دعوت الله عزوجل فشفاك فآمن بالله فشفاه الله عزوجل ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربى قال ولك رب غيرى قال الله ربى وربك ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام ، فجىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ماتبرىء الأكمه والأبرص وتفعل كذا وكذا فقال إنى لاأشفى أحدا إنما يشفى الله عزوجل ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه

فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا ، وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك مافعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك مافعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله تعالى ، فقال للملك إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، قال وماهو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ثم تأخذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل: بسم الله رب الغلام ثم ارمنى فانك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم فى صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا ، فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر فقد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود فخدت بأفواه السكك وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأقحموه ، ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلام يا أماه اصبرى فانك على الحق » . وروى عن مقاتل : كانت الأخاديد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى بفارس حرق أصحابها بالنار ، أما التى بالشام والتى بفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وأنزل فى التى كانت

(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَمِيدِ) المحمود (الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ) أى ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا إيمانهم (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) بالإحراق (ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ) بكفرهم (وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ) أى عذاب إحراقهم المؤمنين فى الآخرة ، وقيل فى الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدم (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ،

بنجران ، وذلك أن رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل آجر نفسه فى عمل وجعل يقرأ الانجيل فرأت بنت المستأجر النور يعنى من قراءة الانجيل فذكرت لأبيها فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه على دينه هو وسبعة وثمانون إنسانا مابين رجل وامرأة ذلك وهذا بعد مارفع عيسى عليه السلام إلى السماء وقبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة فسمع ذلك رجل اسمه يوسف ابن ذى نواس فخد لهم فى الأرض وأوقد لهم فيها فعرضهم على الكفر فمن أبى أن يكفر قذفه فى النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذفه . وروى أن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لايتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت إلى ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرات فلما كانت فى الثالثة ذهبت ترجع فقال لها ابنها ياأماه إنى أرى أمامك نارا لاتطفأ يعنى نار جهنم إن لم تقعى فى هذه النار ، فلما سمعت ذلك قذفا جميعا أنفسهما فى النار فجعلهما الله فى الجنة فقذف فى النار فى يوم واحد سبعة وسبعين إنسانا ، وروى غير ذلك (قوله ومانقموا منهم الخ) أى ماعابوا منهم إلا إيمانهم وإنما عبر بالمستقبل مع أن الايمان وقع منهم فى الماضى لأن تعذيبهم والانكار ليس للايمان الذى وجد منهم فى الماضى بل لدوامهم عليه فى المستقبل إذ لو كفروا فى المستقبل لما عذبوا على مامضى فكأنه قال إلا أن يستمروا على إيمانهم (قوله الذى له ملك السموات والأرض) بيان لكونه العزيز الحميد (قوله والله على كل شىء شهيد) فيه وعد ووعيد (قوله إن الذين فتنوا المؤمنين الخ) أى حرقوهم بالنار يقال فتنت فلانا إذا حرقته (قوله ثم لم يتوبوا) أى لم يرجعوا عما هم عليه من الكفر وفيه دليل على أنهم إن تابوا وآمنوا قبلهم وأخرجهم من هذا الوعيد والتعبير بثم إشارة إلى أن التوبة مقبولة ولو طال الزمان مالم تحصل الغرغرة (قوله فلهم عذاب جهنم) هو خبر إن الذين فتنوا ودخلت الفاء لما تضمنه المبتدأ من الشرط (قوله عذاب الحريق) من إضافة المسبب للسبب أى عذاب سببه إحراق المؤمنين (قوله إن الذين آمنوا) لما ذكر وعيد الكفار أتبعه بذكر ما أعد للمؤمنين (قوله تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها وغرفها يتلذذون ببردها فى نظير الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع المضار والأحزان

(قوله ذلك الفوز الكبير) اسم الاشارة عائد على ماذكر من حيازتهم للجنات وعبر بالاشارة المفيدة للبعد لعلو درجتهم في الفضل والشرف (قوله إن بطش ربك لشديد) البطش الأخذ بعنف فاذا وصف بالشدة كان متضاعفا جدا وهو انتقامه وتعذيبه للكفرة (قوله بحسب إرادته) رد بذلك على الفلاسفة القائلين بأنه واجب بالذات كيف، وقد قال تعالى فعال لما يريد (قوله إنه هو يبدئ ويعيد) أي ومن كان قادرا على ذلك كان بطشه في غاية الشدة (قوله وهو الغفور) أي الماحي لذنوب المؤمنين وإن لم يتوبوا لأن الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا أتم فالحمل عليه أولى (قوله المتودد إلى أوليائه بالكرامة) أشار بذلك إلى أن فعولا بمعنى فاعل ويصح أن يكون بمعنى مفعول أي يوده عباده ويحبونه (قوله المجيد بالرفع) أي وبالجر قراءتان سبعيتان فالرفع على أنه نعت للغفور والجر على أنه نعت للعرش ومجده علوه وعظمه (قوله فعال لما يريد) أتى بصيغة فعال إشارة للكثرة وختم به الصفات لكونه كالنتيجة لها والمعنى يفعل مايريد ولا يعترض عليه ولا يغلبه غالب فيدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لاينصرهم منه ناصر، وفي هذه الآية دليل على أن

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ . إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ) بالكفار (لَشَدِيدٌ) بحسب إرادته (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ) الخلق (وَيُعِيدُ) فلا يعجزه ما يريد (وَهُوَ الْغَفُورُ) للمذنبين المؤمنين (الْوَدُودُ) المتودد إلى أوليائه بالكرامة (ذُو الْعَرْشِ) خالقه ومالكه (الْمَجِيدُ) بالرفع المستحق لكمال صفات العلو (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) لا يعجزه شيء (هَلْ أَتَاكَ) يا محمد (حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ) بدل من الجنود واستغنى بذكر فرعون عن أتباعه، وحديثهم أنهم أهلكوا بكفرهم وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن ليتعظوا (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) بما ذكر (وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ) لا عاصم لهم منه (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ) عظيم (فِي لَوْحٍ) هو في الهواء فوق السماء السابعة (مَحْفُوظٍ) بالجر من الشياطين ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

(سورة الطارق)

مكية، سبع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ)،

جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا يجب عليه شيء لأن أفعاله بحسب إرادته (قوله هل أتاك الخ) يصح أن تكون هل بمعنى قد إن كان سبق له إتيان أو لطلب الاخبار إن لم يكن أتاه كما تقدم (قوله بدل من الجنود) أي على حذف مضاف أي جنود فرعون وهو بدل كل من كل أو المراد بفرعون هو وقومه واكتفى بذكره عنهم لأنهم أتباعه وعليه اقتصر المفسر وخص فرعون وثمود بالذكر لشهرتهما عند العرب (قوله وحديثهم أنهم الخ) أي فهو ماصدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وماحل بهم من العذاب (قوله بل الذين كفروا) أي من قومك وهو إضراب انتقالي للأشد كأنه قيل ليس حال هؤلاء بأعجب من حال قومك فإنهم مع علمهم بما حل بهم لم ينزجروا (قوله في تكذيب بما ذكر) أي النبي والقرآن (قوله والله من ورائهم محيط) أي هم في قبضة قدرته وتصريفه كالشيء المحاط به الذي لايجد مخلصا ولا مفرا فيجازيهم بأعمالهم (قوله بل هو قرآن مجيد) إضراب عن شدة تكذيبهم وعدم كفهم عنه إلى وصف القرآن بما ذكر إشارة إلى أنه لاريب ولاشك فيه ولايصل إليه تكذيب هؤلاء (قوله فوق السماء السابعة) أي معلق بالعرش (قوله بالجر) أي والرفع فهما سبعيتان، فالجر على أنه نعت للوح والرفع على أنه نعت للقرآن (قوله طوله مابين السماء الخ) أي وهو عن يمين العرش مكتوب في صدره لا إله إلا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله جنته (قوله وهو من درة بيضاء) أي وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه النور وكتابته نور معقود بالعرش، وأصله في حجر ملك .

[سورة الطارق] (قوله والسماء والطارق الخ) قد كثر منه تعالى في كتابه المجيد ذكر السماء والشمس والقمر والنجوم لأن

أحوالها فى أشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها عجيبة دالة على انفراد صانعها بالكمالات لأن الصنعة تدل على الصانع كما قال بعضهم :

تلك آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

(قوله أصله كل آت الخ) أى ثم توسع فيه فسمى به كل ماظهر بالليل كائنا ما كان ثم توسع به فسمى به كل ماظهر مطلقا ليلا أو نهارا ومنه حديث «أعوذ بك من شر طارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمن» والطارق مأخوذ من الطرق وهو الدق سمى به الآتى ليلا لاحتياجه إلى طرق الباب غالبا ومنه المطرقة بالكسر وهى مايطرق به الحديد (قوله وما أدراك) الاستفهام للانكار وقوله ما الطارق الاستفهام للتعظيم والتفخيم (قوله النجم) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هو . واعلم أنه تعالى أقسم أولا بما يشترك فيه النجم وغيره وهو الطارق ثم أتى بالاستفهام عنه تفخيما وتعظيما ثم فسره بالنجم إزالة لذلك الابهام الحاصل بالاستفهام (قوله الثريا أو كل نجم) هذان قولان من ثلاثة ثالثها أن المراد به زحل ومحله فى السماء السابعة لايسكنها غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان معها ، ثم يرجع إلى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يصعد (قوله وجواب القسم الخ) أى وما بينهما اعتراض جىء به تفخيما للمقسم به (قوله فهى مزيدة) أى وكل مبتدأ وعليها خبر مقدم وحافظ مبتدأ مؤخر والجملة خبر كل (قوله واسمها محذوف) فيه نظر بل هى مهملة لاعمل لها لأن لام الفرق يؤتى به عند الاهمال لاعند الاعمال كما قال ابن مالك :

أصله كل آت ليلا ، ومنه النجوم لطلوعها ليلا (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الطَّارِقُ) مبتدأ وخبر فى محل المفعول الثانى لأدرى ، وما بعد ما الأولى خبرها ، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده هو (النَّجْمُ) أى الثريا، أو كل نجم (الثَّاقِبُ) المضىء لثقبه الظلام بضوئه وجواب القسم (إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ) بتخفيف ما فهى مزيدة و إن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى إنه واللام فارقة و بتشديدها فإن نافية ولما بمعنى إلا ، والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ) نظر اعتبار (مِمَّ خُلِقَ) من أى شىء ؟ جوابه (خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ) ذى اندفاق من الرجل والمرأة فى رحمها (يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ) للرجل (وَالتَّرَائِبِ) للمرأة وهى عظام الصدر (إِنَّهُ) تعالى (عَلَى رَجْعِهِ) بعث الإنسان بعد موته (لَقَادِرٌ) فإذا اعتبر أصله علم أن القادر على ذلك قادر على بعثه ،

(يوم

وخففت إن فقل العمل   وتلزم اللام إذا ما تهمل

(قوله واللام فارقة) أى بين المخففة والنافية (قوله وبتشديدها) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله والحافظ من الملائكة الخ) يحتمل أن يراد الحفظ من العاهات والآفات وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار لكل آدمى فان كان مؤمنا وكل الله به مائة وستين ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين ، أو حفظ الأعمال وهما رقيب وعتيد وعليه درج المفسر ، وقيل المراد بالحافظ الله تعالى فتحصل أن الحافظ قيل الكاتب أو مطلق الملائكة الحفظة أو الله تعالى والأحسن أن يراد ماهو أعم (قوله فلينظر الانسان الخ) لما ذكر تعالى أن كل نفس عليها حافظ أتبع ذلك بوصية الانسان بالنظر فى أول نشأته والأمر للايجاب (قوله مم خلق) الجار والمجرور متعلق بخلق والجملة فى محل نصب بقوله فلينظر المعلق عنها بالاستفهام (قوله ذى اندفاق) أى انصباب وأشار بذلك إلى أن دافق صيغة نسب كلابن وتامر فالمعنى خلق من ماء متدفق أومدفوق (قوله فى رحمها) متعلق بدافق (قوله من بين الصلب) أى وهو عظام الظهر و بين زائدة لأن بين إنما تضاف لمتعدد وهنا ليس كذلك إلا أن يقال المراد من بين أجزاء الصلب الخ (قوله والترائب للمرأة) وقال الحسن المعنى يخرج من صلب الرجل وترائب الرجل وصلب المرأة وترائب المرأة (قوله وهى عظام الصدر) أى وهى محل القلادة وهذا أحد أقوال ، وقيل الترائب مابين ثدييها ، وقيل الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، وقال القرطبى إن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يتجمع فى الأنثيين ولا يعارضه قوله تعالى: يخرج من بين الصلب والترائب لأنه ينزل من الدماغ إلى الصلب ثم يجتمع فى الأنثيين (قوله إنه على رجعه لقادر) نتيجة النظر المذكور لأن الأمر بالنظر إنما هو لأجل التفكر فى الميعاد والمبعث (قوله بعث الانسان الخ) هذا هو التصحيح اللائق بمعنى الآية بدليل مابعده

وفى الآية تفاسير أخر منها أن الضمير يعود على الانسان والمعنى إنه على رجع الانسان لحالة النطفية لقادر بأن يرده من الشيوخة للشبوبة ومنها للصبا ومنه إلى كونه حملا إلى مضغة إلى علقة إلى نطفة ومنها أن الضمير عائد على الماء الدافق والمعنى إنه على رجع الماء للصلب والترائب بعد انفصاله للرحم وصيرورته ولدا لقادر (قوله يوم تبلى السرائر) ظرف لرجعه لا لقادر لأنه تعالى قادر فى جميع الأوقات لاتختص قدرته بوقت دون وقت (قوله ضمائر القلوب) أى ما أخفى فيها وقيل السرائر فرائض الأعمال كالصلاة والصوم والوضوء والغسل من الجنابة فانها سرائر بين الله و بين العبد ولو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت من الجنابة ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها فيبيض وجه المؤدى و يسود وجه المضيع (قوله فما له من قوة) أى فى نفسه وقوله ولا ناصر أى من غيره (قوله المطر) هذا أحد أقوال ، وقيل الرجع الأحوال التى تجىء وتذهب كالليل والنهار والأمطار والفصول من الشتاء وما فيه من برد ونحوه والصيف وما فيه من حر ونحوه ، وقيل المراد ذات النفع وقيل ذات الملائكة لرجوعهم فيها بأعمال العباد (قوله الشق عن النبات) وقيل ذات الحرث لأنه يصدعها وقيل ذات الطريق التى تصدعها المشاة ، وقيل غير ذلك . واعلم أنه تعالى كما جعل كيفية خلق الحيوان دليلا على معرفة المبدإ والمعاد ذكر فى هذا القسم كيفية خلقه النبات فقوله والسماء ذات الرجع أى هى كالأب والأرض ذات الصدع هى كالأم تتولد من بينهما النعم العظيمة التى ينتفع بها مادامت الدنيا (قوله إنه لقول فصل) جواب القسم الذى هو والسماء الخ والمراد بالفصل الحكم الذى ينفصل به الحق من الباطل (قوله وما هو بالهزل) أى بل هو جد كله فالواجب أن يكون مهابا فى الصدور معظما فى القلوب كيف وهو خطاب رب العالمين لعباده فالاصغاء إليه والاستماع له والائتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه فرض (قوله إنهم يكيدون كيدا) اختلف فيها فقيل هى إلقاء الشبهات كقولهم : إن هى إلا حياتنا الدنيا ، من يحيي العظام وهى رميم ونحو ذلك ، وقيل قصد قتله صلى الله عليه وسلم والأحسن أن يراد ماهو أعم (قوله وأكيد كيدا) أى أجازيهم على كيدهم وسمى الجزاء كيدا مشاكلة وقيل المعنى أعاملهم معاملة ذى الكيد بأن أمدهم ظاهرا بالنعم استدراجا لهم وعليه اقتصر المفسر (قوله فمهل الكافرين) أى لاتستعجلهم بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم (قوله مخالفة اللفظ) أى من حيث إن الأول مسند للظاهر مع التضعيف والثانى مسند للضمير مع الهمز (قوله على الترخيم) راجع لقوله أو إروادا أى تصغير ترخيم وهو حذف الزوائد . واعلم أن رويدا يستعمل مصدرا بدلا من اللفظ بفعله فيضاف تارة كقوله فضرب الرقاب ولا يضاف أخرى نحو رويدا زيدا و يقع حالا نحو ساروا رويدا أى متمهلين ونعتا لمصدر محذوف نحو ساروا سيرا رويدا أى سيرا رويدا (قوله ونسخ الامهال بآية السيف) أى على أن المعنى اترك الكافرين ولا تتعرض لهم واصبر على أذاهم [سورة الأعلى مكية] أى فى قول الجمهور وقال الضحاك مدنية وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات وفى الحديث «سئلت عائشة بأى شىء كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : كان يقرأ فى الأولى بسبح اسم ربك الأعلى ، وفى الثانية بقل ياأيها الكافرون ، وفى الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين» ومن جملة فوائدها أن الاكثار من تلاوتها يورث الحفظ

(يَوْمَ تُبْلَى) تختبر وتكشف (السَّرَائِرُ) ضمائر القلوب فى العقائد والنيات (فَمَا لَهُ) لمنكر البعث (مِنْ قُوَّةٍ) يمتنع بها من العذاب (وَلَا نَاصِرٍ) يدفعه عنه (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ) المطر لعوده كل حين (وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) الشق عن النبات (إِنَّهُ) أى القرآن (لَقَوْلٌ فَصْلٌ) يفصل بين الحق والباطل (وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ) باللعب والباطل (إِنَّهُمْ) أى الكفار (يَكِيدُونَ كَيْدًا) يعملون المكايد للنبى صلى الله عليه وسلم (وَأَكِيدُ كَيْدًا) أستدرجهم من حيث لايعلمون (فَمَهِّلِ) يامحمد (الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ) تأكيد حسنه مخالفة اللفظ أى أنظرهم (رُوَيْدًا) قليلا وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل مصغر رودا أو إروادا على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى ببدر ونسخ الإمهال بآية السيف : أى بالأمر بالقتال والجهاد .

(سورة الأعلى)

مكية ، تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ) أى نزه ربك عما يليق به ولفظ اسم زائد (الْأَعْلَى) صفة لربك (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ) مخلوقه جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت (وَالَّذِي قَدَّرَ) ماشاء (فَهَدَىٰ) إلى ماقدره من خير وشر (وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ) أنبت العشب (فَجَعَلَهُ) بعد الخضرة (غُثَاءً) جافًا هشيما (أَحْوَىٰ) أسود يابسا (سَنُقْرِئُكَ) القرآن (فَلَا تَنْسَىٰ) ما تقرؤه (إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ) أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان فكأنه قيل له لاتعجل بها إنك لاتنسى فلا تتعب نفسك بالجهر بها (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْجَهْرَ) من القول والفعل (وَمَا يَخْفَىٰ) منهما ،

(قوله سبح اسم ربك) الأمر وإن كان للنبي إلا أن المراد منه العموم لأن الأصل عدم الخصوصية إلا لدليل (قوله أى نزه ربك) أى اعتقد أنه منزه عن كل مالايليق به فى ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه فتنزيه الذات اعتقاد أنها ليست كالذوات فلا توصف بالجوهرية ولا بالعرضية ولا بالكبر ولا بالصغر ولا بغير ذلك من أوصاف الحدوث ، وتنزيه الصفات اعتقاد أنها ليست حادثة ولامتناهية ولا ناقصة ، وتنزيه الأفعال اعتقاد أنه تعالى ليست أفعاله كأفعال المخلوقين ، وتنزيه الأسماء عدم ذكره بالأسماء التى توهم نقصا بوجه من الوجوه ، وتنزيه الأحكام عدم الأغراض فيها فتكليفنا لا نفسنا لا لنفع يعود عليه (قوله ولفظ اسم زائد) ليس بمتعين بل كما تنزه الذات ينزه الاسم أيضا عن أن يسمى به غيره ومن جملة تنزيه الاسم أن لايذكر فى مواضع الأقذار بأن يذكر على وجه التعظيم والتفخيم فى المواضع الطاهرة الفاخرة ومن جملة تنزيه الاسم استحضارك عظمة للسمى عند ذكره (قوله الأعلى) من العلو وهو الارتفاع بمعنى القهر والغلبة والسلطنة فهو علو مكانة لا مكان (قوله صفة لربك) أى فهو مجرور بكسرة مقدرة على الألف وهذه الصفة جارية مجرى التعليل كأنه قال : سبح اسم ربك لكونه مرتفع المكانة منزها عن النقائص أزلا وأبدا ولايصح أن يكون صفة لاسم منصوب بالفتحة المقدرة مع جعل الذى خلق الخ صفة لربك لما يلزم عليه من الفصل بين الصفة والموصوف بصفة غيره نظير قولك جاءنى غلام هند العاقل الحسنة وهو ممتنع فان جعل الموصول نعتا مقطوعا جاز (قوله الذى خلق فسوى) جواب عن سؤال مقدر كأنه قيل الاشتغال بالتسبيح إنما يكون بعد معرفة المولى فما الدليل على وجوده فأجاب بما ذكر ومفعول خلق محذوف أى كل شىء (قوله متناسب الأجزاء الخ) أى فجعله معتدل القامة تام المنافع (قوله والذى قدر) مفعوله محذوف قدره بقوله ما شاء : أى من أنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وغير ذلك من أحوالها (قوله فهدى) أى أرشد ماقدره لمصالحه فهدى الانسان ودله على سبيل الخير والشر وهدى الأنعام لمراعيها وجميع الدواب لمعاشها ومصالحها (قوله والذى أخرج المرعى) اى مايرعى كالحشيش ونحوه (قوله غثاء) بضم الغين والمد من باب (ونيصرك
قعد وهذا مثل ضربه الله للكفار بذهاب الدنيا بعد نضارتها (قوله أحوى) نعت لغثاء وهو مايشير له المفسر ، وقوله أسود باليا : أى بعد وصفه بالغثاء يكون أسود باليا كما هو العادة فى الزرع الجاف إذا تقادم ويطلق الأحوى على الأسود الذى يضرب إلى الخضرة أو الأخضر الذى يضرب إلى السواد وعليه فيكون حالا من المرعى والأصل أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء والفاء لمجرد الترتيب ، المعنى فمضت مدة فجعله الخ إذ لايصير غثاء عقب إخراجه بل بعده بمدة (قوله سنقرئك فلاتنسى) بيان لهداية الله تعالى الخاصة رسوله إثر بيان هدايته العامة لجميع الخلق ، وهذه الآية تدل على المعجزة من وجهين : الأول الاخبار من الله تعالى بما يحصل فى المستقبل . الثانى كونه يحفظ هذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولاينساه أبدا (قوله فلا تنسى ما تقرؤه) أى منسوخا أوغيره ليظهر كون الاستثناء متصلا ، وقوله : إلا ماشاء الله استثناء مفرغ (قوله بنسخ تلاوته وحكمه) الباء سببية ، والمعنى أن نسخ تلاوته وحكمه معا سبب فى جواز نسيانك له ، وأما مانسخت تلاوته فقط أو حكمه فقط فلا ينساه للاحتياج إلى تبليغ حكمه وتلاوته (قوله فكأنه قيل الخ) أى فهو نظير قوله ـ إن علينا جمعه وقرآنه ـ (قوله إنه يعلم الجهر الخ) تعليل لماقبله جىء به تسلية له صلى الله عليه وسلم كأنه قيل لا تخش ضياع ما ألقى عليك فانه تعالى يعلم الجهر ومايخفى ومنه ما ألقى عليك فيثبت فى فؤادك ماينفع وصنيع المفسر يقتضى أنه تعليل لمحذوف قدره بقوله فلا تتعب نفسك (قوله ومايخفى) ما اسم موصول وعائده محذوف ولا يصح أن تكون مصدرية لئلا يلزم خلو الفعل عن فاعل ولا يقال يجعل ضميرا لأنا نقول يمنع منه عدم وجود

(وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ) للشريعة السهلة وهي الإسلام (فَذَكِّرْ) عظ بالقرآن (إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ) من تذكر المذكور في: سيذكر، يعني وإن لم تنفع ونفعها لبعض وعدم النفع لبعض آخر (سَيَذَّكَّرُ) بها (مَنْ يَخْشَىٰ) يخاف الله تعالى كآية فذكر بالقرآن من يخاف وعيد (وَيَتَجَنَّبُهَا) أي الذكرى أي يتركها جانبا لا يلتفت إليها (الْأَشْقَى) بمعنى الشقي أي الكافر (الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ) هي نار الآخرة، والصغرى هي نار الدنيا (ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (وَلَا يَحْيَىٰ) حياة هنيئة (قَدْ أَفْلَحَ) فاز (مَنْ تَزَكَّىٰ) تطهر بالإيمان (وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ) مكبرا (فَصَلَّىٰ) الصلوات الخمس وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة معرضون عنها (بَلْ يُؤْثِرُونَ) بالتحتانية والفوقانية (الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) على الآخرة (وَالْآخِرَةُ) المشتملة على الجنة (خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ. إِنَّ هَٰذَا) أي إفلاح من تزكى وكون الآخرة خيرا (لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) أي المنزلة قبل القرآن (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ) وهي عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

ما يعود عليه (قوله ونيسرك لليسرى) عطف على نقرئك وما بينهما اعتراض جيء به للتعليل، والمعنى نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية وغير ذلك، ولذا ورد «ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما» وورد «بعثت بالحنيفية السمحاء» وحكمة إسناد التيسير لذاته ولم يقل ونيسر اليسرى لك الإيذان بقوة تمكنه عليه الصلاة والسلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك جبلة له صلى الله عليه وسلم فبين طبعه ودينه موافقة في اليسر والسهولة (قوله للشريعة السهلة) أي الطريقة اليسرى في حفظ الوحي والتدين (قوله إن نفعت الذكرى) إن قلت هو صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى أم لم تنفعهم ليكون حجة لهم أو عليهم. أجيب بأن في الآية اكتفاء: أي ولم تنفع على حد سرابيل تقيكم الحر: أي والبرد ويؤيده قوله - سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى - فتدبر (قوله سيذكر من يخشى) أي من خلق الله في قلبه الخشية وهذا وعد من الله تعالى بأن من يخشى يحصل له الاتعاظ وينتفع به والوعد لا يتخلف (قوله هي نار الآخرة الخ) هذا قول الحسن ويدل له ما ورد «ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» وقيل يكون في الآخرة نيران ودركات متفاضلة فالكافر يصلى أعظم النيران، وقيل النار الكبرى هي السفلى. قال تعالى - إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار - (قوله فيستريح) جواب عما يقال لا واسطة بين الحياة والموت فكيف وصف الله الأشقى بأنه لا يموت فيها ولا يحيا، فأجاب بأن المعنى لا يموت موتا فيستريح به ولا يحيا حياة ينتفع بها (قوله مكبرا) أي تكبيرة الاحرام التي هي أحد أجزاء الصلاة (قوله وذلك من أمور الآخرة) تمهيد لارتباط هذه الآية بما بعدها فقوله بل تؤثرون الخ إضراب عن مقدر يستدعيه المقام (قوله بالتحتانية) أي وعليه فالضمير راجع للأشقى وقوله والفوقانية: وعليه فهو التفات والخطاب إما للكفار فقط أو لعموم الناس والقراءتان سبعيتان (قوله خير وأبقى) أي لاشتمالها على السعادة الجسمانية والروحانية ولذاتها غير مخلوطة بالآلام وهي دائمة باقية والدنيا ليست كذلك (قوله أي إفلاح من تزكى الخ) أي فالإشارة إلى قوله - قد أفلح من تزكى - إلى قوله - وأبقى - وما ذكر في الصحف الأولى بالمعنى لا بهذا اللفظ والشرائع المتقدمة متفقة على ما في هذه الآيات، ورد عن أبي ذر قال «دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للمسجد تحية، فقلت وما تحيته يارسول الله؟ قال ركعتان تركعهما، قلت يارسول الله هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال يا أباذر اقرأ - قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى - قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى؟ قال كانت عبرا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها عجبت لمن أيقن بالقدر ثم يغضب عجبت لمن أيقن بالحساب ثم لا يعمل» وعن أبي ذر أيضا قال «قلت يارسول الله فما كانت صحف إبراهيم قال كانت أمثالا كلها: أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها ولو كانت من فم كافر» وكان فيها أمثال: وعلى العاقل أن يكون له ساعة يناجي فيها ربه وساعة يفكر فيها

فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب، وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا إلا فى ثلاث: تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة فى غير محرّم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فى مايعنيه ، قال قلت فما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عبرا » إلى آخره ، وقوله ومرمة لمعاش : أى إصلاح له .

[سورة الغاشية مكية] أى بالاجماع (قوله هل أتاك) أشار المفسر إلى أن هل بمعنى قد ، وقوله أتاك : أى فى هذه السورة فالماضى إخبار عما وقع له فى الحال و يصح أن يراد بالاستفهام التعجيب والتشويق إلى استماع حديثها المذكور بقوله ــ وجوه يومئذ ــ الخ (قوله الغاشية) من الغشاء وهو الغطاء ومنه الغشاوة وهى شئ يغطى العين (قوله وجوه يومئذ الخ) استئناف واقع فى جواب سؤال مقدّر تقديره وماحديث الغاشية ووجوه مبتدأ سوغ الابتداء به وقوعه فى معرض التفصيل وخاشعة خبره وعاملة ناصبة خبران آخران (قوله يومئذ) أى يوم إذ غشيت فالتنوين عوض عن جملة . إن قلت إنه لم يتقدمها جملة تصلح أن يكون التنوين عوضا عنها . أجيب بأنه تقدمها لفظ الغاشية وهو فى معنى الجملة لأن أل موصولة باسم الفاعل فكأنه قال التى غشيت فالتنوين عوض عن هذه الجملة التى انحل لفظ الغاشية إليها (قوله عبر بها عن الذوات) أى فهو مجاز مرسل من التعبير عن الكل بالجزء وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء ولأنه يظهر عليه ذلك أوّلا (قوله بالسلاسل والأغلال) أى بسبب جرّ السلاسل وحمل الأغلال وكذلك يخوضون فى النار خوض الإبل فى الوحل والصعود والهبوط فى تلال النار قال تعالى ــ إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ــ وهذا جزاء لما ارتكبوه من إراحة أبدانهم فى اللذات والشهوات. قال سعيد بن جبير: تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله تعالى فأعملها الله تعالى وأنصبها فى النار بجر السلاسل الثقال وحمل الأغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (قوله بضم التاء وفتحها)

(٢٩٦)

(سورة الغاشية)

مكية ، ست وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . هَلْ) قد (أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) القيامة لأنها تغشى الخلائق بأهوالها (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ) عبر بها عن الذوات فى الموضعين (خَاشِعَةٌ) ذليلة (عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) ذات نصب وتعب بالسلاسل والأغلال (تَصْلَى) بضم التاء وفتحها (نَارًا حَامِيَةً . تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) شديدة الحرارة (لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ) هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لخبثه (لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ . وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) حسنة (لِسَعْيِهَا) فى الدنيا بالطاعة (رَاضِيَةٌ) فى الآخرة لما رأت ثوابه (فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) حسا ومعنى ، (لا

أى فهما قراءتان سبعيتان والضمير للوجوه على كل (قوله نارا حامية) أى لأنه أوقد عليها مدة طويلة ، ففى الحديث « أحمى عليها ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودّت فهى سوداء مظلمة » (قوله آنية) أى بلغت أناها فى الحرارة ، والمعنى انتهى حرها (قوله ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال أبو الدرداء والحسن : إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع وهو ذو غصة فيغصون به فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يسقون من عين آنية لاهنيئة ولا مريئة فاذا أدنوه من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى ــ و إن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، وقوله تعالى ــ وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ــ إن قلت كيف حصر الطعام هنا فى الضريع مع أنه فى الحاقة قال ــ ولاطعام إلا من غسلين ــ ؟ أجيب بأن العذاب ألوان والمعذبون أنواع فمنهم من يكون طعامه الزقوم ومنهم من يكون طعامه الضريع ومنهم من يكون طعامه الغسلين وهكذا (قوله لايسمن ولايغنى من جوع) كل منهما صفة لضريع، والمعنى لايحصل السمن لآكله ولايدفع عنه جوعا (قوله حسنة) أى ذات بهجة وحسن ، وقيل متنعمة والجمع حاصل فهى حسنة ومتنعمة (قوله لسعيها راضية) اللام بمعنى الباء متعلقة براضية الواقعة خبرا ثانيا عن الوجوه والمعنى أنهم راضون بأعمالهم لما رأوا من الجزاء عليها (قوله حسا) أى لأن الجنة درجات على عدد آى القرآن بعضها أعلى من بعض فبين الدرجتين مثل مابين السماء والأرض ، وقوله ومعنى: أى وهو

الصرف والرفعة (قوله بالياء والتاء) أى ولكن الفعل على الياء مبنى للمفعول لاغير وعلى التاء فهو مبنى للفاعل والمفعول فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله لاغية) صفة للجماعة أى جماعة لاغية ويصح أن يكون مصدرا كالعاقبة والعافية كقوله: لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما (قوله فيها عين جارية) أى على وجه الأرض من غير أخدود لاينقطع جريها أبدا والمراد بالعين الجنس الصادق بالأنهار المتقدم ذكرها فى سورة محمد عليه السلام (قوله فيها سرر مرفوعة) قال ابن عباس ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة فى السماء ما لم يجئ أهلها ، فاذا أراد أن يجلس عليها صاحبها تواضعت حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى مواضعها (قوله وأكواب) جمع كوب (قوله لاعرى لها) أى ولاخرطوم (قوله معدة لشربهم) أى فكلما أرادوا الشرب وجدوها مملوءة بالشراب ويصح أن المراد موضوعة بين أيديهم يتلذذون بالنظر إليها ويصح أن المراد موضوعة عن حد الكبر فهى متوسطة وحينئذ فيكون نظير قوله تعالى ـ قدروها تقديرا ـ (قوله ونمارق) جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرهما لغتان (قوله وسائد) جمع وسادة وهى المعروفة بالمخدة (قوله مصفوفة) أى فوق الطنافس (قوله وزرابى) جمع زربية بتثليث الزاى (قوله طنافس) جمع طنفسة بتثليث الفاء والطاء ففيه تسع لغات صفة لبسط وتسمى أيضا السجادة فلها ثلاثة أسماء سجادة وطنفسة وزربية (قوله أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت) استئناف مقرر لما مضى من حديث الغاشية والهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أعموا فلا ينظرون وهو استفهام إنكارى تو بيجي **(٢٩٧)** وخصت الابل لكثرة منافعها كأكل لحمها وشرب لبنها والحمل عليها وركوبها والتنقل عليها إلى البلاد البعيدة وعيشها بأى نبات أكلته كالشجر والشوك وصبرها على العطش عشرة أيام فأكثر وطواعيتها لكل من قادها ولو صغيرا ونهوضها وهى باركة بالأحمال الثقيلة ولاتؤذى من وطئته برجلها وتتأثر بالصوت الحسن مع غلظ أكبادها ولا شئ من الحيوانات جمع هذه الأشياء غيرها ولكونها أفضل ما عند العرب جعلوها دية القتل والابل اسم جمع لاواحد له من لفظه وإنما له واحد من معناه كبعير وناقة وجمل (قوله كيف خلقت) كيف منصوب بخلقت على الحال والجملة بدل اشتمال من الابل فهى فى محل جر (قوله كيف رفعت) أى فوق الأرض من غير عمد (قوله كيف نصبت) أى على وجه الأرض نصبا ثابتا راسخا لايتزلزل (قوله فيستدلون بها الخ) الحكمة فى تخصيص هذه الأشياء بالذكر أن القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا فى الأودية والبرارى منفردين عن الناس والانسان إذا انفرد أقبل على التفكر فأول مايقع بصره على البعير الذى هو راكبه فيرى منظرا عجيبا ، وإن نظر إلى فوق لم يرغير السماء ، وإن نظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال ، وإن نظر إلى تحت لم ير غير الأرض فكأنه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد ولا يحمله الكبر على ترك النظر (قوله وصدرت) أى هذه الأربعة (قوله وإن لم ينقض) أى ماقاله أهل الهيئة من قواعدهم التى ذكروها وقوله ركنا : أى قاعدة من قواعد الشرع فلا يضر فى العقيدة لأن علماء الهيئة قالوا إن الأرض كرة بطبعها وحقيقتها كالبيضة فالسموات السبع محيطة بالأرض من كل جانب ، والعرش محيط بالجميع لكن الله تعالى أخرج الأرض عن طبعها بفضله وكرمه بتسطيح بعضها لاقامة الحيوانات عليها رحمة بهم (قوله فذكر) مفرع على ماتقدم من ذكر دلائل التوحيد (قوله إنما أنت مذكر) تعليل للأمر بالتذكير .

(لَا يُسْمَعُ) بالياء والتاء (فِيهَا لَاغِيَةٌ) أى نفس ذات لغو أى هذيان من الكلام (فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) بالماء بمعنى عيون (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) ذاتا وقدرا ومحلا (وَأَكْوَابٌ) أقداح لاعرى لها (مَوْضُوعَةٌ) على حافات العيون معدة لشربهم (وَنَمَارِقُ) وسائد (مَصْفُوفَةٌ) بعضها بجنب بعض يستند إليها (وَزَرَابِيُّ) بسط طنافس لها خمل (مَبْثُوثَةٌ) مبسوطة (أَفَلَا يَنْظُرُونَ) أى كفار مكة نظر اعتبار (إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ . وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ . وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) أى بسطت فيستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته ، وصدرت بالابل لأنهم أشد ملابسة لها من غيرها وقوله سطحت ظاهر فى أن الأرض سطح وعليه علماء الشرع ، لا كرة كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنا من أركان الشرع (فَذَكِّرْ) هم نعم الله ودلائل توحيده (إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ .

(قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى بمسلط) هذا تفسير للقراءتين (قوله وهذا قبل الأمر بالجهاد) أى فهو منسوخ بآية السيف (قوله لكن من تولى الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع والاستدراك لدفع توهم أنهم متروكون فى الآخرة كالدنيا وذلك أنه أمر بعدم التعرض لهم فى مبدأ الأمر فربما يتوهم أنهم فى الآخرة كذلك فأفاد أنه وإن أمهلهم فى الدنيا لايفلتهم من العذاب فى الآخرة (قوله إن إلينا إيابهم) تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر (قوله ثم إن علينا حسابهم) أى بمقتضى وعيدنا لاوجوبا علينا وثم للتراخى فى الرتبة لافى الزمان فان الترتيب الزمانى بين إيابهم وحسابهم لابين كون إيابهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما أمران مستمران وجمع الضمير فى إيابهم وحسابهم باعتبار معنى من .

[سورة والفجر مكية] أى فى قول الجمهور وقوله أو مدنية . أى فى قول على بن أبى طلحة (قوله أى فجر كل يوم) هذا أحد أقوال كثيرة فى تفسير الفجر وهو قول على وابن الزبير وابن عباس ، أو فجر أول يوم من المحرم منه تنفجر السنة أو فجر يوم النحر لأن فيه أكثر مناسك الحج وفيه القربات ، أو فجر ذى الحجة لأنه قرن به الليالى العشر (قوله أى عشر ذى الحجة) أى وإنما نكرت لأنها أفضل ليالى السنة وماذكره المفسر أحد أقوال، وقيل هى العشر الأواخر من رمضان ، وقيل العشر الأول من المحرم

لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) وفى قراءة بالصاد بدل السين أى بمسلط ، وهذا قبل الأمر بالجهاد (إِلَّا) لكن (مَن تَوَلَّى) أعرض عن الإيمان (وَكَفَرَ) بالقرآن (فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ) عذاب الآخرة والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ) رجوعهم بعد الموت (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم) جزاءهم لانتركه أبداً .

(سورة والفجر)

مكية أو مدنية ، ثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالْفَجْرِ) أى فجر كل يوم (وَلَيَالٍ عَشْرٍ) أى عشر ذى الحجة (وَالشَّفْعِ) الزوج (وَالْوَتْرِ) بفتح الواو وكسرها لغتان : الفرد (وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) مقبلا ومدبرا (هَلْ فِي ذَٰلِكَ) القسم (قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) عقل ، وجواب القسم محذوف أى لتعذبن يا كفار مكة (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا محمد (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ،

إرم)

(قوله والشفع والوتر) قال مجاهد ومسروق الشفع الخلق كله قال تعالى - ومن كل شىء خلقنا زوجين - الكفر والإيمان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والأرض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والانس. والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقيل الشفع تضاد صفات المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ، وقيل الوتر يوم عرفة لأنه تاسع والشفع يوم النحر لأنه عاشر ، وقيل غير ذلك (قوله بفتح الواو وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان (قوله والليل) قسم خامس بعد ما أقسم بالليالى العشر على الخصوص أقسم بالليل على العموم، وقيل ليلة المزدلفة خاصة ، وقيل ليلة القدر لسريان البركة فيهما (قوله إذا يسر) إذا معمول لمحذوف هو فعل القسم والمعنى أقسم بالليل وقت سراه (قوله مقبلا) أى بادبار النهار ، وقوله ومدبرا : أى باقبال النهار وفيه إشارة إلى أن إسناد السرى لليل حقيقة ، وقال غيره إن اسناد السرى له مجاز عقلى من الاسناد للزمان والمعنى يسرى فيه وكل صحيح (قوله هل فى ذلك الخ) استفهام تقريرى لفخامة شأن الأمور المقسم بها واسم الاشارة عائد على الأمور المقسم بها (قوله القسم) أى الحلف وأل جنسية صادقة بالمذكور من الأقسام وهى خمسة وكذا يقال فى قوله وجواب القسم الخ (قوله عقل) سمى حجرا لأنه يحجر صاحبه ويمنعه عن القبائح (قوله وجواب القسم محذوف) وقيل هو قوله تعالى - إن ربك لبالمرصاد - وقيل غير ذلك (قوله ألم تر الخ) شروع فى بيان أحوال الأمم الماضية وذكر منهم عادا وثمود وفرعون لأن أخبارهم كانت معلومة عندهم والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل أحد .

(قوله إرم) هو فى الأصل اسم جد عاد ، وهو عاد بن عاص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام سميت القبيلة باسم جدهم عاد وعاش ألف سنة ومائتى سنة ورزق من صلبه أربعة آلاف ولد وتزوج ألف امرأة ومات كافرا (قوله أى الطوال) هذا أحد أقوال ، وقيل إن المراد به الأبنية المرتفعة على العمد فكانوا ينصبون الأعمدة فيبنون عليها القصور ، وقيل ذات العماد ذات القوة والشدة قال تعالى – من أشد مناقوة – وقيل غير ذلك (قوله كان طول الطويل الخ) نحوه قول السكازرونى فطول الطويل منهم خمسمائة ذراع والقصير ثلثمائة ذراع بذراع نفسه ورد ذلك ابن العربى بقوله هو باطل لأن فى الصحيح « إن الله خلق آدم طوله ستون ذراعا فى الهواء فلم يزل الخلق ينقصون إلى الآن » اهـ . وقال قتادة إن طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا (قوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من أشد مناقوة . وقيل هى مدينة بناها شداد بن عاد . وحاصل قصتها أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا العباد والبلاد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها ودعته نفسه إلى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب إبل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن إذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة ، فلما دنا منها ظن أن فيها أحدا يسأله عن إبله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الأحمر ، فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها و إذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت و إذا أبواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ و بنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير أحدا هاله

رَمَ) هى عاد الأولى فإرم عطف بيان أو بدل ومنع الصرف للعلمية والتأنيث (ذَاتِ الْعِمَادِ) أى الطول كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع (الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) فى بطشهم وقوتهم (وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا) قطعوا (الصَّخْرَ) جمع صخرة واتخذوها بيوتا (بِالْوَادِ) :

ذلك ثم نظر إلى الأزقة فاذا فى تلك الأزقة أشجار مثمرة وتحت تلك الأشجار أنهار يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معاوية فأرسل إليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه ما رأى فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار ، فلما أتاه قال له يا أبا إسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة ؟ قال نعم هى إرم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما أراد شداد بن عاد عملها أمر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الأعوان وكتب إلى ملوك الأرض أن يمدوهم بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الأرض ليجدوا أرضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال و إذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الأرض التى أمر الملك أن نبنى فيها فوضعوا أساسها من الجزع اليمانى وأقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة ، فلما أتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله ألف قصر وعند كل قصر ألف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وأمر الملك وزراءه وهم ألف وزير أن يتهيئوا للنقلة إلى إرم ذات العماد ، وكان الملك وأهله فى جهازهم عشر سنين ، ثم ساروا إليها ، فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم أحد ، ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبيه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب إبل له ، ثم التفت فأبصر عبد الله بن قلابة ، فقال هذا والله ذلك الرجل وهذه المدينة تزعم العامة أنها دائرة فى الدنيا وهو من الخرافات بل هى فى مكانها غير أن الله تعالى يعمى الخلق عنها فلم يهد لها إلا من وعده بها (قوله فى بطشهم) متعلق بمثلها والضمير عائد على القبيلة باعتبار أهلها (قوله والذين جابوا الصخر) صفة لثمود والباء فى بالوادى بمعنى فى وثمود عطف على عاد وهى قبيلة مشهورة (قوله واتخذوها بيوتا) قيل أول من نحت من الجبال والصخور والرخام ثمود ، وروى أنهم بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة ، وقيل سبعة آلاف كلها من الحجارة .

(قوله وادى القرى) موضع بقرب المدينة من جهة الشام (قوله كان يتد أربعة أوتاد الخ) أى يدقها للمعذب ويشده بها مطروحا على الأرض ثم يعذبه بما يريد من ضرب وإحراق وغيرها (قوله الذين طغوا) إما مجرور صفة للمذكورين أو منصوب أو مرفوع على الذم (قوله نوع عذاب) فسره بذلك لقول الفراء سوط العذاب كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب ، والمعنى أنزل على كل نوعا من العذاب فأهلكت عاد بالريح وثمود بالصيحة وفرعون بالغرق (قوله إن ربك لبالمرصاد) تعليل لما قبله إعلاما بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب (قوله يرصد أعمال العباد) أشار بذلك إلى أن فى الكلام استعارة تمثيلية شبه حفظه تعالى لأعمال عباده ومجازاته عليها بحال من قعد على الطريق مترصدا لمن يسلكها ليأخذه فيوقع به ما يريد واستعير اسم المشبه به للمشبه (قوله فأما الانسان) أما هنا لمجرد التأكيد لا للتأكيد مع التفصيل لعدم تقدم مقتضيه وهو مرتبط بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لايرضى من عباده إلا الطاعة والاخلاص لما فى الحديث «إن الله لاينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» فأما الانسان فلا يلتفت لذلك لكونه مطبوعا على خلافه وإنما يلتفت للعاجل وما قررناه سالم من الدسيسة الاعتزالية الواقعة فى كلام الزمخشرى حيث نفى عن الله إرادة المعاصى والقبائح، ونص عبارته : فإن قلت بم اتصل قوله فأما الانسان؟ قلت بقوله إن ربك لبالمرصاد فكأنه قيل إن الله لايريد من الانسان إلا الطاعة فأما الانسان فلا يريد ذلك ولايهمه إلا العاجلة اهـ فتدبر (قوله إذا ماابتلاه ربه الخ) إنما سمى كلا من بسط الرزق وتقتيره ابتلاء لأنه يختبر حال العبد فى الحالين فاذا بسطله الرزق فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة (قوله اختبره) أى عامله معاملة المختبر (قوله بالمال وغيره) أى كالجاه والولد (قوله ونعمه) أى جعله متلذذا بتلك النعم (قوله فيقول ربى أكرمن) أى فضلنى وأحسن إلىّ (كلا

وادى القرى (وَفِرْعَوْنَ ذِى الْأَوْتَادِ) كان يتد أربعة أوتاد يشد إليها يدى ورجلى من يعذبه (الَّذِينَ طَغَوْا) تجبروا (فِى الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) القتل وغيره (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ) نوع (عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) يرصد أعمال العباد فلا يفوته منها شىء ليجاريهم عليها (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ) الكافر (إِذَا مَا ابْتَلَاهُ) اختبره (رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ) بالمال وغيره (وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَكْرَمَنِ . وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ) ضيق (عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ . كَلَّا) ردع : أى ليس الإكرام بالغنى والإهانة بالفقر وإنما هو بالطاعة والمعصية وكفار مكة لا يتنبهون لذلك (بَلْ لَا يُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) لايحسنون إليه مع غناهم أولا يعطونه حقه من الميراث (وَلَا يَحُضُّونَ) أنفسهم ولا غيرهم (عَلَى طَعَامِ) أى إطعام (الْمِسْكِينِ . وَيَأْكُلُونَ التُّرَاثَ) الميراث ،

(قوله وأما إذا ما ابتلاه) مازائدة لوقوعها بعد إذا وكذا يقال فى الأولى (قوله فقدر) بالتخفيف والتشديد قراءتان سبعيتان . إن قلت مقتضى المقابلة أن يقول فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه . أجيب بأن البسط إكرام من الله لعبده وليس ضده إهانة بل ترك للكرامة ، فاذا أهدى لك إنسان هدية فقد أكرمك بها وإذا لم يهد إليك فلم يحصل منه إكرام ولا إهانة، وأيضا فيه إشارة إلى أن تقتير الرزق لايلزم منه أن يكون دليلا على إهانة بل قد يكون دليلا على المحبة والتكريم لما ورد «أشدكم بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» فقول العبد ربى أهاننى من قصوره وغفلته وإلا فالمطلوب منه أن يرضى ويسلم (قوله فيقول ربى أهانن) أى لم يحسن إلىّ ولم يفضلنى وفى ياء أهاننى وأكرمنى خلاف بين القراء فبعضهم يثبتها وصلا ووقفا وبعضهم يحذفها فى الحالين وبعضهم يثبتهما وصلا ويحذفهما وقفا (قوله ردع) أى عن الشيئين بدليل قوله أى ليس الاكرام الخ (قوله وكفار مكة الخ) توطئة للدخول على قوله بل لا يكرمون الخ وقوله لذلك أى لكون الاكرام بالطاعة والاهانة بالكفر والمعاصى وكثير من جهلة المؤمنين يعتقدون هذا الاعتقاد وهو غلط وغرور (قوله بل لايكرمون اليتيم) إضراب من قبيح إلى أقبح منه ترقيا فى ذمهم (قوله ولا يحضون) أى يحثون ومفعوله محذوف قدره بقوله أنفسهم ولا غيرهم (قوله أى إطعام) أشار بذلك إلى أن الطعام مصدر بمعنى الاطعام وفيه إيماء إلى أن إكرام اليتيم والحث على إطعام المساكين من أعظم الخصال فضيلة (قوله ويأكلون التراث) التاء فيه مبدلة من الواو لأنه من الوراثة كما فى تجاه وتكاءة .

(قوله أكلا لما) أى جمعا ، فاللم الجمع يقال لممت الشيء جمعته ومنه لم الله شعثه أى جمع ماتفرق من أموره (قوله أى شديدا) صفة لموصوف محذوف أى جمعا شديدا (قوله اللم نصيب النساء الخ) أى فانهم كانوا لايورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم أو يأكلون ماجمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك . إن قلت إن السورة مكية وآية المواريث مدنية ولا يعلم الحل والحرمة إلا من الشرع . أجيب بأن حكم الارث كان معلوما لهم من بقايا شريعة إسماعيل فهو ثابت عندهم بطريق عادتهم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وقرىء فى السبع أيضا تحاضون وأصله تتحاضون حذفت إحدى التاءين : أى لايحض بعضكم بعضا (قوله ردع لهم عن ذلك) أى عن جمع المال وحبه وعدم إكرام اليتيم (قوله إذا دكت الأرض) أى حصل رجها وزلزلتها لتسويتها (قوله دكا دكا) ليس تأكيدا بل التكرار للدلالة على الاستيعاب كقولك رتبته بابا بابا : أى بابا بعد باب ، وكذا يقال هنا دكا بعد دك حتى تزول الجبال وتستوى الأرض (قوله أى أمره) دفع بذلك ما يقال إن المجىء يقتضى الانتقال وهو على الله محال . فأجاب بأن الكلام على حذف مضاف : أى حصل أمره وظهر سلطان قهره وتجليه على عباده (قوله صفا صفا) أى صفا بعد صف . لما ورد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الخلائق إذا جمعوا فى صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة سماء الدنيا أن يتولوهم ؟ فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من المبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وحولوهم إلى الأرض الثانية : أى التى تبدل وهى أرض بيضاء من فضة نورانية ، وصارت الملائكة من وراء الخلق حلقة واحدة فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله تعالى يأمر بملائكة السماء الثانية فيحدقون بهم حلقة واحدة وإذاهم مثلهم عشرين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فاذاهم مثلهم ثلاثين ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة فيكونون أكثر منهم بأربعين ضعفا ثم تنزل بملائكة السماء الخامسة فيحدقون من ورائهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستين مرة ، ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحدقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعين مرة ، والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزحام ويخوض الناس فى العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدور وإلى الحقوين وإلى الركبتين ، ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالقاعد فى الحمام ، ومنهم من تصيبه البلة بكسر الموحدة وتشديد اللام كالعاطش إذا شرب الماء ، وكيف لايكون القلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رءوسهم حتى لو مد أحدهم يده لنالها وتضاعف حرها سبعين مرة . وقال بعض السلف : لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لاحترقت الأرض وذاب الصخر ونشفت الأنهار ، فبينما الخلائق يموجون فى تلك الأرض البيضاء التى ذكرها الله حيث يقول: يوم تبدل الأرض غير الأرض إذ جىء بجهنم الخ (قوله وجىء يومئذ بجهنم) يومئذ منصوب بجىء وبجهنم قائم مقام الفاعل (قوله كل زمام بأيدى سبعين ألف ملك) أى يجرونها حتى تقف عن يسار العرش . قال أبو سعيد الخدرى : لما نزل وجىء يومئذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه ثم قال أقرأنى جبريل - كلا إذا دكت الأرض دكا دكا - الآية وجىء يومئذ بجهنم . قال على رضى الله عنه قلت يارسول الله كيف يجاء بها ؟ قال يؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام يقود كل زمام سبعون ألف ملك فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لى جهنم فتقول مالى ولك يا محمد إن الله قد حرم لحمك على فلا يبقى أحد إلا قال نفسى نفسى إلا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول يارب أمتى أمتى (قوله لها زفير) أى صوت شديد (قوله وتغيظ) أى غليان كغليان صدر الغضبان (قوله بدل من إذا) أى والعامل فيها تذكر الذى هو الجواب وهذا مذهب

(أكلا لما) أى شديد اللم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم (وتحبون المال حبا جما) أى كثيرا فلا ينفقونه وفى قراءة بالفوقانية فى الأفعال الأربعة (كلا) ردع لهم عن ذلك (إذا دكت الأرض دكا دكا) زلزلت حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم (وجاء ربك) أى أمره (والملك) أى الملائكة (صفا صفا) حال : أى مصطفين أوذوى صفوف كثيرة (وجىء يومئذ بجهنم) تقاد بسبعين ألف زمام كل زمام بأيدى سبعين ألف ملك لها زفير وتغيظ (يومئذ) بدل من إذا وجوابها (يتذكر الإنسان) أى الكافر مافرط فيه ،

سيبويه ، وقال غيره البدل على نية تكرار العامل فالعامل فى البدل محذوف نظير عامل المبدل منه (قوله وأنى) اسم استفهام خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما تعلق به الظرف (قوله استفهام بمعنى النفى) أى فهو إنكارى (قوله للتنبيه) أى والتحسر (قوله الخير والإيمان) أشار بذلك إلى أن مفعول قدمت محذوف (قوله لحياتى) اللام إما للتعليل أى لأجل حياتى هذه الكائنة فى الآخرة أو بمعنى وقت والمراد بالحياة الحياة الدنيوية وقد أشار لهما المفسر (قوله بكسر الدال) وقوله بكسر الثاء أى فأحد فاعل فيهما (قوله أى لا يكله إلى غيره) أى لا يأمر غيره بمباشرته والمراد بالغير غير الملائكة فلا ينافى أنه تعالى يكله إلى ملائكة العذاب لأنهم يباشرونه باذن الله وأمره لهم ويحتمل أن المعنى لايعذب أحد من خلق الله تعذيبا مثل تعذيب الله هذا الكافر ولايوثق أحد من خلق الله إيثاقا مثل إيثاق الله لهذا الكافر وكل صحيح (قوله ولا يوثق وثاقه أحد) أى لايشد ولا يربط بالسلاسل والأغلال أحد مثل ربطه وشده (قوله وفى قراءة بفتح الدال والثاء) أى وهما سبعيتان وأحد على هذه القراءة نائب الفاعل فيهما الذى هو الله تعالى أو الزبانية المتولون العذاب بأمره تعالى (قوله مثل تعذيبه) مصدر مضاف للمفعول وهو الكافر (قوله يا أيتها النفس المطمئنة) لما ذكر حال من كانت همته الدنيا ذكر حال من اطمأنت نفسه بالله فسلم إليه أمره واتكل عليه (قوله الآمنة) أى التى لايستفزها خوف ولا حزن (قوله وهى المؤمنة) هذا قول ابن عباس . وقال الحسن المؤمنة الموقنة . وعن مجاهد أيضا الراضية بقضاء الله التى علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها . وقال ابن عطاء : العارفة التى لاتصبر عنه طرفة عين ، (٣٠٢) وقيل المطمئنة بذكر الله ، وقيل غير ذلك فى الحقيقة كل من تلك المعانى صحيح لأنه متى ثبت لها الإيمان عند الموت تحققت بذلك الخطاب فكلام المفسر من جوامع الكلم (قوله ارجعى إلى ربك) هو خبر فى المعنى وإن كان أمرا فى الظاهر (قوله عند الموت) قال عبد الله ابن عمر إذا توفى العبد المؤمن أرسل الله عز وجل إليه ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجى أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا صلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذ فيه الروح والريحان ، فإن كان معه شىء من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، وإذا توفى الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من كساء أنتن من كل نتن وأخشن من كل خشن ، فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى جهنم وعذاب أليم وربك عليك غضبان اهـ وما ذكره المفسر من أن النداء عند الموت أحد قولين، والآخر أنه عند البعث ، ومعنى قوله ارجعى إلى ربك أى صاحبك وهو الجسد فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك (قوله فادخلى فى عبادى) الاضافة للتشريف وإلا فالكل عباده (قوله وادخلى جنتى معهم) أى الصالحين لتفوزى بالنعيم المقيم ولأهل الاشارات تفاسير منها أن الله يناديها فى الدنيا بهذا النداء حيث اتصفت بتلك الصفات يقول لها : يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك بفنائك عما سواه راضية بأحكامه مرضية له بأوصافك ، فادخلى فى عبادى الصالحين : أى فكونى معدودة فيهم ومحسوبة منهم وادخلى جنة شهودى فى الدنيا مادمت فيها وهى الجنة المعجلة ، ويقال لها ذلك أيضا عند البعث على التفسير المتقدم ويراد حينئذ بالجنة جنة الخلود

(وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) استفهام بمعنى النفى : أى لاينفعه تذكره ذلك (يَقُولُ) مع تذكره (يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي قَدَّمْتُ) الخير والإيمان (لِحَيَاتِي) الطيبة فى الآخرة أو وقت حياتى فى الدنيا (فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ) بكسر الذال (عَذَابَهُ) أى الله (أَحَدٌ) لذى لا يكله إلى غيره (وَ) كذا (لَا يُوثِقُ) بكسر الثاء (وَثَاقَهُ أَحَدٌ) وفى قراءة بفتح الذال والثاء فضمير عذابه ووثاقه للكافر ، والمعنى لايعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل إيثاقه (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) الآمنة ، وهى المؤمنة (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ) يقال لها ذلك عند الموت : أى ارجعى إلى أمره وإرادته (رَاضِيَةً) بالثواب (مَرْضِيَّةً) عند الله بعملك : أى جامعة بين الوصفين وهما حالان ، ويقال لها فى القيامة (فَادْخُلِي فِي) جملة (عِبَادِي) الصالحين (وَادْخُلِي جَنَّتِي) معهم :

(سورة

وفسروا بذلك قوله تعالى : ولمن خاف مقام ربه جنتان . أى جنة الشهود فى الدنيا التى قال فيها العارف ابن الفارض رحمه الله :

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التى ... إليها قلوب الأولياء تسارع

وجنة الخلود فى العقبى وهذا النداء الواقع فى الدنيا يسمعه العارفون إما فى المنام أو بالإلهام وتقدم تقسيم النفس ومأخذ كل قسم فى سورة القيامة .

[سورة البلد مكية] أى بالإجماع (قوله زائدة) هذا أحد احتمالين والآخر أنها نافية لكلام تقدمها وتقدم ذلك (قوله مكة) أى لأنها مهبط الرحمات يجبى إليها ثمرات كل شئ جعلها الله حرما آمنا ومثابة للناس وجعل فيها قبلة أهل الدنيا بأسرها وحرّم فيها الصيد وجعل البيت المعمور بإزائه وغير ذلك من فضائلها ، فلما استجمعت تلك المزايا والفضائل أقسم الله تعالى بها (قوله وأنت حلّ بهذا البلد) جملة حالية جىء بها تسلية له صلى الله عليه وسلم وتعجيلا لمسرته حيث وعده فتح مكة فى المستقبل وعبر عنه بالحال لتحقق الوقوع على حد : إنك ميت وإنهم ميتون ، وقد أنجز الله له ذلك فعند مانزع المغفر عنه يوم الفتح جاء رجل فقال يارسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال اقتلوه فقتله الزبير ، وخص هذا الحال لأن مكة وإن كانت عظيمة فى نفسها إلا أنها فى تلك الحالة أعظم لانتقال أهلها من الظلمات إلى النور ، وفيه إشارة إلى عظم قدر المصطفى وشرف البقاع به فمكة زادها الله تشريفا بقدومه عليها وهو حلال (قوله فالجملة اعتراض) أى لاتعلق لها بما قبلها ولا بما بعدها قصد بها الإخبار بما سيكون والأحسن جعلها حالية كما علمت لأنه يستفاد منها تشريف مكة فى تلك الحالة المستلزم زيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم وإكرامه وتعظيمه حيث أحلّ له مالم يحلّ لأحد قبله ولا بعده (قوله ووالد وماولد) أقسم الله بهم لأنهم أعجب خلقه لما فيهم من البيان والنطق والتدبير واستخراج العلوم وفيهم الأنبياء والصلحاء ولاسيما أمر الملائكة

(٣٠٣)

(سورة البلد)

مكية ، عشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . لَا) زائدة (أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ) مكة (وَأَنْتَ) يا محمد (حِلٌّ) حلال (بِهَٰذَا الْبَلَدِ) بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه (وَوَالِدٍ) أى آدم (وَمَا وَلَدَ) أى ذريته ، وما بمعنى مَن (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) أى الجنس (فِي كَبَدٍ) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة (أَيَحْسَبُ) أيظن (الْإِنْسَانُ) قوى قريش وهو أبو الأشد بن كلدة ،

بالسجود لآدم وتعليمه جميع الأسماء ومامشى عليه المفسر من أن المراد بما ولد ذريته يستفاد منه العموم الصالح والطالح ، وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته ، وأما الطالحون فكأنهم ليسوا من أولاده (قوله لقد خلقنا الإنسان) هذا هو المقسم عليه (قوله فى كبد) بفتحتين المشقة من المكابدة للشئ وهى تحمل المشاق فى فعله ، وفى الآية إشارة إلى أنها قد أحاطت به إحاطة الظرف بالمظروف (قوله يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة) وذلك لأنه أول مايكابد قطع سرّته ثم إذا قمط قماطا وشدّ عليه يكابد الضيق والتعب ، ثم يكابد الارتضاع ولوفاته لضاع ، ثم يكابد نبت أسنانه وتحريك لسانه ، ثم يكابد الفطام الذى هو أشدّ من اللطام ، ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ، ثم يكابد تأنيب المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيبته ، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه والتزويج ، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد وملاحظتهم ، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور ثم الكبر والهرم وضعف الركبة والقدم ومصائب يكثر تعدادها ونوائب يطول إيرادها من صداع الرأس ووجع الأضراس ورمد العين وغم الدين ، ويكابد محنا فى المال والنفس مثل الضرب والحبس ، ولايمضى عليه يوم إلا يقاسى فيه شدة ويكابد مشقة ، ثم الموت بعد ذلك كله ، ثم سؤال الملكين وضغطة القبر وظلمته ، ثم البعث والعرض على الله تعالى إلى أن يستقر به القرار إما فى جنة وإما فى نار ، هكذا قرره العلماء (قوله وهو أبو الأشد) بفتح الهمزة وضم الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة وهو بالإفراد فى كثير من النسخ تبعا لكثير من المفسرين ، وفى بعض النسخ الأشدين بصيغة التثنية تبعا لبعض المفسرين ولينظر وجهها واسمه أسيد بن كلدة .

(قوله بقوته) الباء سببية ومن قوته أنه كان يجعل الأديم العكاظي تحت قدميه ويقول من أزالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه (قوله أن لن يقدر عليه) أي على بعثه ومجازاته (قوله يقول) أي افتخارا (قوله على عداوة محمد) على بمعنى في (قوله لبدا) بضم اللام وكسرها مع فتح الباء قراءتان سبعيتان جمع لبدة وهو ماتلبد والمراد به الكثرة (قوله أيحسب أن لم يره أحد) استفهام إنكاري (قوله ليس مما يتكثر به) أي يفتخر بكثرته لأنه أنفقه فيما يغضب الله (قوله ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما المرئيات شققناهما له وهو في ظلمة الرحم وقدرنا بياضهما وسوادهما وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن إدراكها (قوله ولسانا) أي يترجم به عما في ضميره (قوله وشفتين) أي يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك، وفي الحديث «يقول الله تعالى يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ماحرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق وإن نازعك فرجك إلى بعض ماحرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق» (قوله طريقي الخير والشر) وصف مكان الخير بالرفعة والنجدية ظاهر بخلاف الشر فإنه هبوط من ذروة الفطرة إلى حضيض الشقوة ففيه تغليب، والمعنى بينا له أن طريق الخير ينجي وطريق الشر يردي، وسلوك الأول ممدوح والثاني مذموم، وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وقال عكرمة النجدان الثديان أي لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه (قوله فهلا) أشار بذلك إلى أن لا بمعنى هلا للتحضيض وهو أحد احتمالين والآخر أنها باقية على أصلها للنفي أي لم يشكر على تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة. إن قلت لم أفردت لا مع أنها إذا دخلت على ماض تكرر كقوله تعالى: فلا صدق ولا صلى. أجيب بأنها مكررة في المعنى كأنه قال فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا (ثم

بقوته (أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي أنه (لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ) والله قادر عليه (يَقُولُ أَهْلَكْتُ) على عداوة محمد (مَالًا لُبَدًا) كثيرا بعضه على بعض (أَيَحْسَبُ أَنْ) أي أنه (لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ) فيما أنفقه فيعلم قدره والله عالم بقدره وأنه ليس مما يتكثر به ومجازيه على فعله السيء (أَلَمْ نَجْعَلْ) استفهام تقرير أي جعلنا (لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) بينا له طريقي الخير والشر (فَلَا) فهلا (اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ) جاوزها (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الْعَقَبَةُ) التي يقتحمها تعظيم لشأنها والجملة اعتراض وبين سبب جوازها بقوله (فَكَّ رَقَبَةً) من الرق بأن أعتقها (أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) مجاعة (يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ) قرابة (أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ) أي لصوق بالتراب لفقره وفي قراءة بدل الفعلين مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة وينون الثاني فيقدر قبل العقبة اقتحام والقراءة المذكورة بيانه،

(قوله اقتحم العقبة) هي في الأصل الطريق الصعب في الجبل واقتحامها مجاوزتها ثم أطلق على مجاهدة النفس في فعل الطاعات وترك المحرمات، والمراد باقتحامها فعلها وتحصيلها والتلبس بها، إذا علمت ذلك فقول المفسر جاوزها تفسير لاقتحام العقبة لكن باعتبار الأصل وليس مرادا هنا فلو قال أي تلبس بها ودخلها لكان واضحا، أو يقال المراد بالعقبة الطريق التي توصل إلى الجنة فإنه ورد أن بين العبد والجنة سبع عقبات، والمراد باقتحامها مجاوزتها بفعل الطاعات في الدنيا، فمعنى قول المفسر جاوزها: أي فعل أسباب المجاوزة (قوله والجملة اعتراض) أي لبيان العقبة (قوله بأن أعتقها) أي بمباشرة وهو ظاهر أو تسببا كشراء القريب (قوله ذي مسغبة) مصدر ميمي بوزن مفعلة من سغب يسغب من باب فرح: جاع، وقيد الإطعام بذلك الوقت لأن إخراج المال فيه أثقل على النفس (قوله ذا مقربة) قيد اليتيم بكونه قريبا لأنه يجتمع حينئذ في الإطعام جهة الصلة والصدقة (قوله أي لصوق بالتراب) أي فهو كناية عن الافتقار (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعية أيضا (قوله مضاف الأول لرقبة) أي من إضافة المصدر إلى مفعوله (قوله فيقدر قبل العقبة) إنما احتيج إلى تقدير هذا المضاف ليطابق المفسر المفسر وذلك لأن المفسر بكسر السين مصدر والمفسر بفتحها وهو العقبة غير مصدر فلو لم يقدر المضاف لكان المصدر وهو فك مفسرا لاسم العين وهي العقبة وذلك غير جائز، وأما القراءة الأولى فالفصل فيها بجمل من قوله: اقتحم فلا احتياج لتقدير مضاف.

(ثُمَّ كَانَ) عطف على اقتحم وثم للترتيب الذكرى والمعنى كان وقت الاقتحام (مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضاً (بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية (وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) الرحمة على الخلق (أُولَٰئِكَ) الموصوفون بهذه الصفات (أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ) اليمين (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ) الشمال (عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ) بالهمزة والواو بدله : مطبقة .

(ســـورة والشمس)

مكية ، خمس عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا) ضوءها (وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا) تبعها طالعاً عند غروبها (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا) بارتفاعه (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا) يغطيها بظلمته و إذا فى الثلاثة لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا) بسطها (وَنَفْسٍ) بمعنى نفوس (وَمَا سَوَّاهَا) فى الخلقة ،

(قوله ثم كان من الذين آمنوا) أتى بثم إشارة لبعد رتبة الإيمان وعلوّها عن رتبة العتق والصدقة (قوله وثم للترتيب الذكرى) أى لأن الايمان هو السابق ولا يصح عمل إلا به (قوله بالصبر على الطاعة الخ) أى وعلى ما أصابه من المحن والشدائد (قوله أولئك) مبتدأ وقوله أصحاب الميمنة خبره وأتى باسم الاشارة تبكيرا لهم بأنهم حاضرون عنده فى مقام قربه وكرامته وذكرهم بما يشار به للبعيد تعظيما لهم و إشارة لعلوّ درجاتهم وارتفاعها (قوله أصحاب الميمنة) أى الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم أولان منزلتهم عن يمين العرش (قوله هم أصحاب المشأمة) ذكرهم بضمير الغيبة إشارة إلى أنهم غائبون عن حضرة قدسه وكرامة أنسه (قوله الشمال) أى لأنهم يأخذون كتبهم بشمالهم ، أولأن منزلتهم عن الشمال (قوله عليهم نار) خبر ثان أومستأنف (قوله بالهمز والواو) أى فهما قراءتان سبعيتان ولغتان جيدتان ، يقال آصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقته (قوله مطبقة) أى عليهم تفسير لكل من القراءتين ، والمعنى لايخرجون منها أبدا ولايدخلها روح وريحان .

[سورة والشمس مكية] أقسم الله سبحانه وتعالى بسبعة أشياء إظهارا لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية و إشارة إلى كثرة مصالح تلك الأشياء وعموم نفعها (قوله وضحاها) أى وهو وقت ارتفاعها ، (٣٠٥) والحاصل أن الضحوة ارتفاع النهار والضحى بالضم والقصر فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد إذا امتدّ النهار وكاد ينتصف (قوله ضوءها) هو أحد أقوال ثلاثة ، وقيل هو النهار كله ، وثالثها هو حرّ الشمس . وحكمة القسم بذلك أن العالم فى وقت غيبة الشمس عنهم كالأموات فاذا ظهر أثر الصبح صارت الأموات أحياء وتكاملت الحياة وقت الضحوة ، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها (قوله تبعها) أى ظهر ضوءه وسلطانه بعد غروبها وخفاءها فى انتشار الضياء فلا ينافى أنه قد يوجد مصاحبا لها كالليلة الخامسة من الشهر مثلا (قوله طالعا عند غروبها) حال من ضمير تبعها ، والمراد ظهوره بعد غيبتها فى أى وقت من الليل فيشمل أوّل الشهر وأوسطه وآخره (قوله والنهار إذا جلاها) الضمير المستتر المرفوع إما عائد على النهار أو على الله تعالى والبارز المنصوب إما للشمس أو للظلمة ، والمعنى أظهرها وكشفها (قوله والليل إذا يغشاها) أتى به مضارعا ولم يقل غشيها مراعاة للفواصل أو إشارة لدوام القسم بهذا الأمر واستمراره شيئا بعد شئ فلم يلتزم فيه صيغة الماضى وأتى به متوسطا إشارة إلى أن ماقبله وما بعده محمول عليه (قوله يغطيها بظلمته) أى فيزيل ضوءها فالنهار يجليها ويظهرها والليل يغطيها ويسترها (قوله لمجرد الظرفية) من إضافة الصفة للموصوف أى الظرفية المجردة عن الشرطية (قوله والعامل فيها فعل القسم) استشكل بأنه يلزم عليه اختلاف العامل والمعمول فى الزمان وذلك لأن فعل القسم إنشاء وزمانه الحال و إذا للاستقبال ، وحينئذ فلا يصح عمله فى إذا . أجيب بأن فعل القسم يدل على الحال ما لم يكن مقرونا بظرف يفيد الاستقبال كاذا و إلا فيكون للاستقبال تبعا لمعموله (قوله بسطها) أى على الماء (قوله بمعنى نفوس) أشار بذلك إلى أن التنكير للتكثير (قوله وماسواها فى الخلقة) أى عدلها على هذا القانون المحكم والتركيب المتقن .

(قوله وما في الثلاثة مصدرية) أي وبناء السماء الخ وحينئذ فالكلام إما على حذف مضاف: أي ورب البناء والطحو والتسوية أو القسم بتلك الأشياء لعظمتها وجلالة قدرها كما تقدم في القسم بالشمس ونحوه (قوله أو بمعنى من) أي ومن بناها الخ وبه استدل من يجوّز وقوعها على آحاد أولي العلم لأن المراد به الله تعالى (قوله فألهمها فجورها وتقواها) الإلهام في الأصل إلقاء شيء في القلب بطريق الفيض ينشرح له الصدر ويطمئن ثم أطلق هنا على مطلق التبيين (قوله طريق الخير والشر) لف ونشر مشوش (قوله حذفت منه اللام لطول الكلام) لأن الماضي المثبت المتصرف الذي لم يتقدم معموله عليه إذا وقع جوابا للقسم تلزمه اللام وقد ويجوز الاقتصار على أحدهما عند طول الكلام أو للضرورة (قوله من زكاها الخ) الفاعل ضمير من في الموضعين، وقيل ضمير عائد على الله تعالى والتقدير من زكاها الله بالطاعة وقد خاب من دساها الله بالمعصية (قوله وقد خاب من دساها) كرر قد إشارة لمزيد الاعتناء بمضمونها (قوله وأصله دسسها) مأخوذ من التدسيس وهو الاخفاء والمعنى أخملها وأخفاها بالكفر والمعصية لأن العاصي تذل النواصي (قوله كذبت ثمود) مناسبتها لما قبلها أنه لما أقسم بتلك الأقسام المذكورة على فلاح المطيع وخيبة العاصي ذكر في تلك القصة المطيع وهو صالح عليه السلام والعاصي وهو قومه (قوله بسبب طغيانها) أشار بذلك إلى أن الباء سببية (قوله إذ انبعث) مطاوع بعث تقول بعثت فلانا على الأمر فانبعث له والباعث لهم على ذلك التكذيب والطغيان

وما في الثلاثة مصدرية، أو بمعنى مَن (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) بيّن لها طريق الخير والشر، وأخر التقوى رعاية لرءوس الآي، وجواب القسم (قَدْ أَفْلَحَ) حذفت منه اللام لطول الكلام (مَنْ زَكَّاهَا) طهرها من الذنوب (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ دَسَّاهَا) أخفاها بالمعصية وأصله دسسها أبدلت السين الثانية ألفا تخفيفا (كَذَّبَتْ ثَمُودُ) رسولها صالحا (بِطَغْوَاهَا) بسبب طغيانها (إِذِ انْبَعَثَ) أسرع (أَشْقَاهَا) واسمه قدار إلى عقر الناقة برضاهم (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ) صالح (نَاقَةَ اللَّهِ) أي ذروها (وَسُقْيَاهَا) شربها في يومها وكان لها يوم ولهم يوم (فَكَذَّبُوهُ) في قوله ذلك عن الله المرتب عليه نزول العذاب بهم إن خالفوه (فَعَقَرُوهَا) قتلوها ليسلم لهم ماء شربها (فَدَمْدَمَ) أطبق (عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ) العذاب (بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا) أي الدمدمة عليهم، أي عمهم بها فلم يفلت منهم أحد،

(ولا)

(قوله واسمه قدار) أي بوزن غراب ابن سالف وهو أشقى الأولين وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا، وفي الحديث «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب: أتدري من أشقى الأولين؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال عاقر الناقة، قال أتدري من أشقى الآخرين؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال قاتلك» (قوله برضاهم) قال قتادة بلغنا أنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وإناثهم (قوله فقال لهم) أي بسبب الانبعاث، والمعنى أنه لما عرف منهم العزم على عقرها قال لهم ما ذكر (قوله ناقة الله) الإضافة للتشريف من حيث إنها دالة على توحيد الله بسبب ما فيها من الأمور الغريبة المخالفة للعادة التي لا تمكن من غيره تعالى (قوله أي ذروها) أشار بذلك إلى أن ناقة منصوب على التحذير والكلام على حذف مضاف: أي ذروا عقرها واحذروا سقياها (قوله شربها) بضم الشين وكسرها اسمان وبفتحها مصدر شرب، والمعنى ومشروبها (قوله ولهم يوم) أي يشربون فيه هم ومواشيهم (قوله فكذبوه) أي استمروا على تكذيبه (قوله في قوله ذلك عن الله) دفع بذلك ما يقال إن تحذيرهم من الناقة وسقياها إنشاء والتكذيب من معارض الاخبار، فأجاب المفسر بأن تكذيبه من حيث نقله عن الله فهو خبر (قوله المرتب عليه نزول العذاب بهم) وذلك أن صالحا قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة أيام، قالوا وما العلامة على ذلك العذاب؟ قال تصبحون في اليوم الأول وكان هو الأربعاء وجوهكم مصفرّة، وفي اليوم الثاني وهو الخميس وجوهكم محمرة، وفي الثالث وهو الجمعة وجوهكم مسودّة، وفي الرابع وهو السبت يأتيكم العذاب، فحصل ذلك وتقدم بسطه (قوله فعقروها) أي عقرها قدار في رجليها فأوقعها فذبحوها واقتسموا لحمها (قوله ماء شربها) أي الماء الذي كانت تشربه (قوله فدمدم أطبق عليهم الخ) أي فهو مأخوذ من الدمدمة وهي إطباق الشيء على الشيء يقال دمدم عليه القبر أطبقه، والمعنى أهلكهم (قوله فلم يفلت منهم أحد) أي إلا من آمن مع صالح وهم أربعة آلاف.

(قوله بالواو والفاء) أى فهما سبعيتان أما الواو فإما للحال أو مستأنفة والفاء للتعقيب (قوله تبعتها) أى عاقبة هلكتهم كما تخاف الملوك عاقبة ماتفعله فهو استعارة تمثيلية لإهانتهم وإذلالهم ويجوز عود الضمير على الرسول: أى أنه لايخاف عاقبة إنذاره لهم لعصمته بالله تعالى، وقيل الضمير يرجع للعاقر فهو زيادة فى التقبيح عليه.

[سورة الليل مكية] هذه السورة نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وفى أمية بن خلف، فالصديق بلغ الغاية فى الإيمان والصدق والكرم، وأمية بلغ الغاية فى الكفر والكذب والبخل والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله والليل إذا يغشى) أقسم به تعالى لكونه جليلا عظيما تسكن الخلق فيه عن التحرك ويغشاهم النوم الذى هو راحة لأبدانهم (قوله كل مابين السماء والأرض) أشار به إلى أن مفعول يغشى محذوف تقديره كل مابين السماء والأرض، وقيل تقديره النهار أو الشمس وكل صحيح (قوله والنهار إذا تجلى) أقسم به لأنه مظهر جمال الله إذ به ينكشف ما كان مستورا بظلمة الليل وفيه تتحرك الناس لمعايشهم والطيور من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لعدمت الراحة فكانت المصلحة فى تعاقبهما (قوله لمجرد الظرفية) أى الظرفية المجردة عن الشرط (قوله والعامل فيها فعل القسم) أى المقدر ويأتى هنا ماتقدم من الاشكال والجواب (قوله بمعنى من) أى فهى اسم موصول ويكون تعالى أقسم بنفسه: أى والقادر على خلق الذكر والأنثى (قوله أو مصدرية) أى وخلق الله الذكر والأنثى (٣٠٧) أى تعلقت قدرته بخلقهما

(وَلَا) بالواو والفاء (يَخَافُ) تعالى (عُقْبَاهَا) تبعتها.

(سورة الليل)

مكية، إحدى وعشرون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ) بظلمته كل ما بين السماء والأرض (وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ) تكشف وظهر وإذا فى الموضعين لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم (وَمَا) بمعنى مَن أو مصدرية (خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ) آدم وحواء، أو كل ذكر وكل أنثى والخنثى المشكل عندنا ذكر أو أنثى عند الله تعالى فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكرا ولا أنثى (إِنَّ سَعْيَكُمْ) عملكم (لَشَتَّىٰ) مختلف، فعامل للجنة بالطاعة وعامل للنار بالمعصية (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ) حق الله (وَاتَّقَىٰ) الله (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ) أى بلا إله إلا الله فى الموضعين (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ) للجنة (وَأَمَّا مَن بَخِلَ) بحق الله،

(قوله آدم وحواء) أى فتكون أل للعهد (قوله أو كل ذكر وكل أنثى) أى من جميع المخلوقات فأل للاستغراق، وقيل كل ذكر وكل أنثى من الآدميين فتكون أل استغراقية استغراقا عرفيا (قوله والخنثى المشكل) مبتدأ وقوله عندنا ظرف لقوله المشكل، وقوله ذكر الخ خبر وقوله عند الله ظرف لقوله ذكر الخ وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم يدخل الخنثى المشكل فى عموم الذكر ولا فى عموم الأنثى فأجاب بما ذكر (قوله فيحنث بتكليمه) أى لأن الله تعالى لم يخلق من ذوى الأرواح من ليس ذكرا ولا أنثى والخنثى إنما هو مشكل بالنسبة إلينا خلافا لمن قال هو نوع ثالث ويرده قوله تعالى ـ يهب لمن يشاء إناثا ـ الآية (قوله إن سعيكم لشتى) جواب القسم وسعيكم مصدر مضاف يفيد العموم فهو جمع فى المعنى وإن كان لفظه مفردا ولذا أخبر عنه بالجمع وهو شتى فهو بمعنى مساعيكم (قوله مختلف) أى متباعد الأبعاض لأنه منقسم إلى ضلال وهدى والضلال أنواع والهدى أنواع ويصح أن المعنى مختلف الجزاء فمنكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار (قوله فأما من أعطى) تفصيل لتلك المساعى المختلفة وتبيين لأحكامها (قوله حق الله الخ) أشار بذلك إلى أن مفعول أعطى واتقى محذوفان لإفادة العموم فيشمل إعطاء حقوق الله فى المال بإنفاقه فى وجوه البر والنفس ببذلها فى طاعة الله تعالى وتقوى الله تعالى هى امتثال مأموراته واجتناب منهياته (قوله أى بلا إله إلا الله) أى مع محمد رسول الله، وقيل المراد بالحسنى الجنة لقوله تعالى ـ للذين أحسنوا الحسنى ـ ومعنى تصديقه بها إيمانه بالبعث والجزاء (قوله فسنيسره لليسرى) التنفيس ليس مرادا لأن التيسير حاصل فى الحال وإنما الاتيان بالسين لتحسين الكلام وترقيقه (قوله للجنة) أى لما ورد «مامن نفس منفوسة إلا كتب الله مكانها من الجنة أو النار، فقال القوم يارسول الله أفلا نتكل على كتابنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فانه ميسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فانه ميسر

لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ - فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى - » وقيل معنى اليسرى أسباب الخير والصلاح (قوله واستغنى عن ثوابه) أى تكبرا وعنادا (قوله بالحسنى) أى بالتوحيد أو الجنة (قوله نهيئه) دفع بذلك مايقال إن العسرى لاتيسير فيها . فأجاب بأن المراد بالتيسير التهيئة وهى كما تكون فى اليسر تكون فى العسر ، والمعنى نجرى على يديه عملا يوصله إلى النار (قوله ومايغنى عنه ماله) متعلق بالشق الثانى ، والمعنى إذا هيأناه لعمل النار سقط فيها وهلك ولاينفعه ماله الذى بخل به وتركه لورثته (قوله إذا تردّى) أى سقط (قوله إن علينا للهدى) أى بمقتضى حكمتنا وتعالى قدرتنا و إلا فلا يجب على الله تعالى شىء (قوله لتبيين طريق الهدى الخ) دفع بذلك مايقال إن فى الآية اكتفاء والتقدير إن علينا للهدى والضلال أى تبيين كل منهما و إيضاح جواب المفسر أن المراد بالهدى التبيين ومعموله محذوف والتقدير إن علينا لتبيين طريق الحقّ من طريق الباطل (قوله فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ) أى فهذه الآية بمعنى قوله تعالى - من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (قوله تلظى) مرفوع بضمة مقدّرة على الألف للتعذر صفة لنارا (قوله وقرىء) أى شذوذا (قوله لايصلاها) مضارع صلى بكسر اللام والمصدر صليا بضم فكسر مع تشديد الياء (قوله وهذا الحصر مؤوّل) أى مصروف عن ظاهره وقصد المفسر بهذا الكلام الردّ على المرجئة القائلين لايضرّ مع الإيمان ذنب مستدلين بظاهر هذه الآية حيث حصر دخول النار فى الكفار فمقتضاها أن المؤمن لايدخلها ولو فعل الكبائر ، ووجه الرد أن الآية محمولة على الدخول المؤبد فلا ينافى أن عصاة المؤمنين يدخلونها ثم يخرجون منها بالشفاعة ، إذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر لايلاقى كلام المرجئة فكان عليه أن يقول مؤول بحمل الصلى على التأبيد والخلود وأما قوله لقوله تعالى - ويغفر مادون ذلك لمن يشاء - فلا مدخل له فى ردكلام المرجئة إلا أن يقال له مدخل من حيث مفهومه إذ مفهوم لمن يشاء أن من لم يشأ الغفران له لم يغفر له بل يدخله النار (قوله يتزكى) بدل من يؤتى أو حال من فاعله ومشى المفسر على الثانى حيث قال متزكيا (قوله وهذا نزل فى الصديق) الاشارة لقوله وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى (قوله لما اشترى بلالا) أى من سيده وهو أمية بن خلف وكان الصديق رضى الله عنه يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه أى بنى لوكنت تبتاع من يمنع ظهرك فقال منع ظهرى أريد فنزلت الآية . ورد «أنه كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك أحد أحد فمرّ النبى صلى الله عليه وسلم فقال: أحد ينجيك يعنى الله تعالى ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى بكر إن بلالا يعذب فى الله ، فعرف أبو بكر الذى يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب ومضى إلى أمية بن خلف فقال له أتتقى الله فى هذا المسكين ؟ قال أنت أفسدته فأنقذه بما ترى ، فى رواية أنه فداه برطل من ذهب، وفى رواية أنه قال له عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على دينك فأعطاه له وأخذ بلالا فأعتقه» وقال سعيد بن المسيب : بلغنى أن أمية بن خلف قال لأبى بكر فى بلال حين قال له أتبيعه ؟ قال نعم أبيعه بنسطاس عبد لأبى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له

(٣٠٨)

(وَٱسْتَغْنَىٰ) عن ثوابه (وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ. فَسَنُيَسِّرُهُ) نهيئه (لِلْعُسْرَىٰ) للنار (وَمَا) نافية (يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ) فى النار (إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ) لتبيين طريق الهدى من طريق الضلال ليمتثل أمرنا بسلوك الأول ونهينا عن ارتكاب الثانى (وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ) أى الدنيا فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ (فَأَنذَرْتُكُمْ) خوّفتكم يا أهل مكة (نَارًا تَلَظَّىٰ) بحذف إحدى التاءين من الأصل ، وقرىء بثبوتها : أى تتوقد (لَا يَصْلَاهَا) يدخلها (إِلَّا ٱلْأَشْقَى) بمعنى الشقى (ٱلَّذِى كَذَّبَ) النبى (وَتَوَلَّىٰ) عن الإيمان وهذا الحصر مؤول لقوله تعالى : ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ، فيكون المراد الصلى المؤبد (وَسَيُجَنَّبُهَا) يبعد عنها (ٱلْأَتْقَى) بمعنى التقى (ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ) متزكيا به عند الله تعالى ، بأن يخرجه لله تعالى لارياء ولا سمعة فيكون زاكيا عند الله تعالى . وهذا نزل فى الصدّيق رضى الله تعالى عنه لما اشترى بلالا المعذب على إيمانه وأعتقه ،

فأبى فأبغضه أبو بكر فلما قال أمية أبيعكه بغلامك نسطاس اغتنمه أبو بكر وباعه به وكان قد أعتق قبله ست رقاب: وهم عامر ابن فهيرة شهد بدرا وأحداً وقتل يوم بئرمعونة شهيدا وأعتق أم عميس وزهرة فأصيب بصرها حين أعتقها ، فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى ، فقالت كذبوا وبيت الله ماتضرّ اللات والعزى وماينفعان فرد الله تعالى عليها بصرها ، وأعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة لبنى عبد الدار فمرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما بحتطبان لها وهى تقول لهما والله لاأعتقكما أبدا ، فقال أبو بكر كلا يا أم فلان ، فقالت كلا أنت أفسدتهما فأعتقهما ، قال فبكم ؟ قالت بكذا وكذا . قال قد أخذتهما وهما حرتان ، ومرّ بجارية من بنى المرسل وهى تعذب فابتاعها فأعتقها ، وفى ذلك يقول عمار بن ياسر :

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه … عتيقا وأخزى فاكها وأبا جهل
عشية هما فى بلال بسوءة … ولم يحذرا مايحذر المرء ذو العقل
بتوحيده ربّ الأنام وقوله … شهدت بأن الله ربى على مهل
فان تقتلونى تقتلونى ولم أكن … لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب إبراهيم والعبد يونس … وموسى وعيسى نجنى ثم لاتمل
لمن ظل يهوى الغىّ من آل غالب … على غير حق كان منه ولا عدل

(قوله فقال الكفار الخ) المناسب أن يقول ولما قال الكفار إنما فعل ذلك الخ (٣٠٩) نزل قوله تعالى ـ وما لأحد ـ الخ (قوله إنما فعل) أى أبو بكر ، وقوله ذلك : أى شراء بلال وإعتاقه وقوله ليد كانت له : أى نعمة كانت لبلال عند أبى بكر بأن صنع مع أبى بكر معروفا فأحب أبو بكر مكافأته بما فعله معه وقوله فنزل أى تكذيبا للكفار (قوله وما لأحد عنده) أى عند أبى بكر لامن بلال ولاغيره (قوله تجزى) صفة لنعمة : أى يجزى الإنسان بها وأتى به مضارعا مبنيا للمفعول رعاية للفواصل (قوله لكن فعل ذلك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس النعمة وهومنصوب على أنه مفعول لأجله (قوله ولسوف يرضى) جواب قسم مقدّر : أى والله لسوف يرضى وهو وعد من الكريم تعالى لأبى بكر بنيل جميع مايتمناه على أبلغ وجه وأجله والعامة على بناء يرضى للفاعل وقرئ شذوذا ببنائه للمفعول أى يرضيه الله : أى يعطيه حتى يرضى .

فقال الكفار إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزل (وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا) لكن فعل ذلك (ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) أى طلب ثواب الله (وَلَسَوْفَ يَرْضَى) بما يعطاه من الثواب فى الجنة ، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضى الله تعالى عنه فيبعد عن النار ويثاب .

(سورة والضحى)

مكية ، إحدى عشرة آية

ولما نزلت كبّر صلى الله عليه وسلم آخرها فسنّ التكبير آخرها ، وروى الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها ، وهو الله أكبر ،

[سورة والضحى مكية] (قوله كبر) أى قال الله أكبر أولا إله إلا الله والله أكبر أولا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد ، وحكمة تكبيره تذكره عظمة نعمة الله تعالى عليه فشكر ربه على ذلك ولم تشغله النعم عن المنعم (قوله فسنّ التكبير آخرها) أى أخذا من فعله عليه الصلاة والسلام ومن أمره . واعلم أنه اختلف هل التكبير لأول السورة أو لخاتمتها فعلى الأول يكبر بين الليل والضحى وفى أول الناس ولا يكبر فى آخرها وعلى الثانى لا يكبر أول الضحى ويكبر آخر الناس ومنشأ الخلاف أنه كان تكبيره صلى الله عليه وسلم آخر قراءة جبريل وأول قراءته هو صلى الله عليه وسلم . واعلم أيضا أنه يتأتى على القولين المذكورين حال وصل السورة بما بعدها ثمانية أوجه يمتنع منها وجه واحد وهو وصل آخر السورة بالتكبير بالبسملة مع الوقف عليها لئلا يتوهم أن البسملة لآخر السورة والسبعة الباقية جائزة اثنان منها على تقدير أن يكون التكبير لآخر السورة وهما وصل التكبير بآخر السورة التى بعدها والوقف عليه مع وصل البسملة بأول السورة التى بعدها ووصله بآخر السورة والوقف عليه وعلى البسملة فيقف على كل منهما وقفا مستقلا واثنان منها على تقدير أن يكون لأولها وهما قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع الوقف عليها ثم الابتداء بأول السورة وقطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة مع وصلها بأول

السورة ، وثلاثة محتملة للتقديرين وهى وصل التكبير بآخر السورة و بالبسملة و بأول السورة التى بعدها وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة مع وصل البسملة بأول السورة وقطعه عن آخر السورة وعن البسملة وقطع البسملة عن أول السورة وهذه الأوجه السبعة تجرى من آخر الضحى إلى آخر الفلق . وأما بين الليل والضحى فيجوز خمسة أوجه فقط الاثنان على تقدير كونه لأول السورة والثلاثة المحتملة و بين الناس والفاتحة يجوز خمسة أيضا الاثنان على تقدير كونه لآخر السور والثلاثة المحتملة (قوله أولاإله إلا الله) هذه هى النسخة الصحيحة وفى بعض النسخ ولا إله إلا الله بالواو وهى بمعنى أوفأفاد المفسر روايتين و بقيت رواية ثالثة وهى الجمع بين التهليل والتكبير والتحميد وعليها العمل (قوله والضحى الخ) قدم الضحى هنا على الليل وفى السورة التى قبلها قدم الليل وذلك لأن فى كل مزية تقتضى تقديمه ، فقدم هذا تارة والآخر أخرى فالليل به السكون والهدوّ ومحل الخلوات والعطايا الربانية والنهار به النور والسعى فى المصالح واجتماع الناس أو لأن السورة المتقدمة سورة أبى بكر وهو قد سبق له الكفر فقدم فيها الليل وهذه سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهو محض نور فقدم فيها الضحى . إن قلت ما الحكمة فى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملته . أجيب بأن فى ذلك إشارة إلى أن ساعة من النهار توازى جميع الليل كما أن محمدا يوازى جميع الخلق وأيضا الضحى وقت سرور والليل وقت وحشة ففيه إشارة إلى أن سرور الدنيا أقل من شرورها (قوله أو كله) أى وعليه ففيه مجاز من إطلاق الجزء على الكل (قوله إذا سجى) إذا لمجرد الظرفية والعامل فيها فعل القسم المقدر كما تقدم نظيره (قوله غطى بظلامه) أى كل شىء (قوله أوسكن) إسناد السكون له مجاز عقلى والمعنى سكن أهله من من إسناد الشىء لزمانه (قوله ماودعك) بالتشديد فى قراءة العامة من التوديع وهو فى الأصل مفارقة المحبوب مع التألم أطلق وأريد منه مطلق الترك بدليل القراءة الشاذة بالتخفيف من الودع وهو الترك (قوله وماقلى) مضارعه من

أو لا إله إلا الله والله أكبر (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . وَٱلضُّحَىٰ) أى أول النهار أو كله (وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ) غطى بظلامه أو سكن (مَا وَدَّعَكَ) تركك يامحمد (رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ) أبغضك ، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحى عنه خمسة عشر يوما إن ربه ودعه وقلاه (وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ) لما فيها من الكرامات لك (مِنَ ٱلْأُولَىٰ) الدنيا ، (ولسوف

باب ضرب وقتل (قوله نزل هذا الخ) اختلف فى سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال : الأول ماروى أنه صلى الله عليه وسلم اشتكى ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبى لهب وقالت يامحمد إنى لأرجو أن يكون شيطانك تركك لم أره قربك منذ ليلتين أوثلاثا فنزلت. الثانى أنه أبطأ الوحى حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية. الثالث ماروى أن خولة كانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم فقالت إن جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبى صلى الله عليه وسلم أياما لاينزل عليه الوحى فقال صلى الله عليه وسلم «ياخولة ماحدث فى بيتى إن جبريل لايأتينى قالت خولة فكنست فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبى الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة فقال ياخولة دثرينى فلما نزل جبريل عليه سأله النبى عن التأخر فقال أماعلمت أنا لاندخل بيتا فيه كلب ولا صورة. الرابع ماروى أن اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحى إلى أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وأخبره بماسئل عنه ونزلت هذه الآية (قوله خمسة عشر يوما) هذا قول ابن عباس وقال ابن جريج اثنى عشر يوما وقال مقاتل أربعون يوماوروى أنه لما جاءه جبريل قال له ماجئت حتى اشتقت إليك فقال جبريل إنى كنت إليك أشوق ولكنى عبد مأمور وأنزل عليه وما نتنزل إلا بأمر ربك (قوله وللآخرة) اللام للابتداء مؤكدة لمضمون الجملة (قوله خير لك) إنما قيد بقوله لك لأنها ليست خيرا لكل أحد بل الناس على أربعة أقسام: منهم من له الخير فى الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء ، ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء ، ومنهم من له صورة خير فى الدنيا وشر فى الآخرة وهم الكفرة الأغنياء ومنهم من له صورة شر فى الدنيا وخير فى الآخرة وهم الفقراء المؤمنون . قال بعض أهل الاشارات فى الآية إشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم دائما يترقى فى الكمالات إلى غير نهاية فمقامه فى المستقبل أعلى منه فى الماضى ، وهكذا و يدل لذلك أيضا قوله فى الحديث «إنى ليغان على قلبى فأستغفر الله

فى اليوم سبعين مرة » فاستغفاره لكونه ارتقى مقاما أعلى من الأول ، فرأى أن الذى انتقل منه بالنسبة للذى انتقل إليه ذنبا (قوله ولسوف يعطيك ربك فى الآخرة) المناسب أن تبقى الآية على عمومها لأن إعطاءه حتى يرضى ليس قاصرا على الآخرة بل عام فى الدنيا والآخرة فهو وعد شامل لما أعطاه له من كمال النفس وظهور الأمر و إعلاء الدين ولما ادخر له مما لايعلم كنهه سواه تعالى وقيل عطاؤه هو الشفاعة وقيل يعطيك ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها مايليق بها والحق التعميم بما لايعلم كنهه إلا الله تعالى (قوله وواحد من أمتى) أى الموحدين فالمراد أمة الاجابة وقد أشار لذلك بعض العارفين بقوله :

قرأنا فى الضحى ولسوف يعطى فسر قلوبنا ذاك العطاء

وحاشا يارسول الله ترضى وفينا من يعذب أو يساء

(قوله ألم يجدك يتيما الخ) القصد من هذا تسليته صلى الله عليه وسلم ليزداد شكرا وصبرا والوجود بمعنى العلم فيتيما مفعول ثان والكاف مفعوله الأول (قوله استفهام تقريرى) أى بما بعد النفى (قوله بفقد أبيك) مصدر مضاف لمفعوله (قوله قبل ولادتك) أى بعد حمله بشهرين وقيل قبل ولادته بشهرين ، وقوله أو بعدها أى وعليه فقيل بشهرين وقيل بسبعة وقيل بتسعة أشهر وقيل بثمانية وعشرين شهرا والصحيح الأول وكانت وفاته بالمدينة الشريفة ودفن فى دار التابعة وقيل دفن بالأبواء قرية من أعمال الفرع وتوفيت أمه وهو ابن أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل اثنتى عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وكانت وفاتها بالأبواء وقيل بالحجون ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب لأنه كان شقيق أبيه ، « وورد أنه لما مات أبواه قالت الملائكة بقى نبيك يتيما فقال الله تعالى: أناله كافل» وسئل بعض العلماء لم يتم صلى الله عليه وسلم فقال لئلا يكون لمخلوق عليه منة فيتمه صلى الله عليه وسلم

كمال ولذا قال البوصيرى:

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ) فى الآخرة من الخيرات عطاء جزيلا (فَتَرْضَى) به ، فقال صلى الله عليه وسلم: إذن لا أرضى وواحد من أمتى فى النار ، إلى هنا تم جواب القسم بمثبتين بعد منفيين (أَلَمْ يَجِدْكَ) استفهام تقرير أى وجدك (يَتِيماً) بفقد أبيك قبل ولادتك أو بعدها (فَآوَى) بأن ضمك إلى عمك أبى طالب (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) عما أنت عليه الآن من الشريعة (فَهَدَى) أى هداك إليها (وَوَجَدَكَ

(قوله فآوى) العامة على قراءته بألف بعد الهمزة رباعيا من آواه يؤويه وأصله أأوى بهمزتين الاولى مفتوحة والثانية ساكنة أبدلت الثانية ألفا ومصدره الايواء كالاكرام وهو متعد باتفاق وقرئ شذوذا بغير ألف ثلاثيا كرمى ومصدره إواء بوزن كتاب وأُوِىّ بوزن فعول بالضم واوى بوزن ضرب وهو يستعمل لازما ومتعديا (قوله بأن ضمك إلى عمك أبى طالب) أى بعد وفاة جدك عبدالمطلب وقيل هو من قولهم درة يتيمة ، والمعنى ألم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك إليه وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته (قوله ووجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة) أى وجدك خاليا من الشريعة فهداك بانزالها إليك والمراد بضلاله كونه من غير شريعة وليس المراد به الانحراف عن الحق لكونه مستحيلا عليه قبل النبوّة و بعدها فهذا كقوله تعالى : ما كنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان وما ذكره المفسر أحد أقوال فى تفسير الآية وقيل الضلال بمعنى الغفلة قال تعالى و إن كنت من قبله لمن الغافلين وهو قريب من الأول وقيل وجدك ضالا أى فى قوم ضلال فهداهم الله تعالى بك وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها ، وقيل ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكرت وقيل وجدك طالبا للقبلة فهداك إليها قال تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء الآية فيكون الضلال بمعنى الطلب والحب قال تعالى إنك لفى ضلالك القديم أى محبتك ،وقيل إن حليمة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك يابطحاء مكة اليوم يرد الله اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعته لأصلح شأنى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أره فقلت يامعشر الناس أين الصبى فقالوا لم نر شيئا فصحت واحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصاه فقال اذهبى إلى الصنم الأعظم فان شاء أن يرده إليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه ، وقال ياربّ لم تزل منتك على قريش وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده إن شئت فانكب على وجهه وتساقطت الأصنام وقالت إليك عنا أيها الشيخ فهلا كنا على يد محمد فألقى الشيخ عصاه وارتعد وقال إن لابنك ربا لايضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت قريش

إلى عبد المطلب وطلبوه فى جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع إلى الله تعالى أن يرده فسمعوا مناديا ينادى من السماء معاشر الناس لاتضجوا فان لمحمد ربا لايخذله ولايضيعه و إن محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب هو وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان و بالورق ، وفى رواية مازال عبد المطلب يردد البيت حتى أتاه أبو جهل على ناقة ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألا تدرى ماذا جرى من ابنك فقال عبد المطلب ولم فقال إنى أنخت الناقة وأركبته خلفى فأبت الناقة أن تقوم فلما أركبته أمامى قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى إلى جده بيد عدوه كما فعل بموسى عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل إنه عليه السلام خرج مع عمه أبى طالب فى قافلة ميسرة عند خديجة ، فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة ورده إلى القافلة (قوله عائلا) هذه قراءة العامة يقال عال زيد أى افتقر وأعال كثرت عياله وقرئ شذوذا عيلا بكسر الياء المشددة (قوله بما قنعك به) أى بما رضاك به وقوله من الغنيمة أى و إن كانت لم تحصل إلا بعد نزول هذه السورة لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع كان كالواقع ، وقيل أغناك بمال خديجة وتربية أبى طالب ولما اختل ذلك أغناه بمال أبى بكر ولما اختل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم لما روى «جعل رزقى تحت ظل سيفى ورمحى» (قوله وغيرها) أى كمال خديجة ومال أبى بكر و باعانة الأنصار حين الهجرة (قوله عن كثرة العرض) بفتحتين المال وفى الحديث «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما أتاه» (قوله فأما اليتيم) منصوب بتقهر وهذا مفرع على قوله ألم يجدك يتيما فآوى فالمعنى اصنع من عبادى كما صنعت معك (قوله بأخذ ماله) أى كما كانت العرب تفعل فى أموال اليتامى تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم

عَائِلاً) فقيراً (فَأَغْنَى) أغناك بما قنعك به من الغنيمة وغيرها وفى الحديث «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) بأخذ ماله أو غير ذلك (وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ) تزجره لفقره (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ) عليك بالنبوة وغيرها (فَحَدِّثْ) أخبر ، وحذف ضميره صلى الله عليه وسلم فى بعض الأفعال رعاية للفواصل .

(سورة ألم نشرح)

مكية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ نَشْرَحْ) استفهام تقرير ، أى

قال «خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ، ثم قال بأصبعيه أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وهو يشير بأصبعيه» (قوله أو غير ذلك) أى كاذلاله واحتقاره (قوله وأما السائل) منصوب بتنهر والمعنى إما أن تطعمه أوترده برفق ، وقيل المراد بالسائل مايشمل طالب العلم فيكرمه و ينصفه ولا يعبس فى وجهه ولا يتلقاه بمكروه وهذا العموم أولى وهو مفرع على قوله ووجدك عائلا فأغنى ، والمعنى أغن عبادى وأعطهم كما أغنيتك وأعطيتك (قوله وأما بنعمة ربك الخ) هذا عام و إنما أخر حق الله تعالى عن حق اليتيم والسائل لأنهما محتاجان والله هو الغنى وتقديم المحتاج أولى ولأن المقصود من جميع الطاعات استغراق القلب فى ذكر الله تعالى وشكره فختمت به للعموم (قوله فحدث) أى بالنعمة لأن التحدث بها هو شكرها والتحدث بالنعمة جائز لغيره صلى الله عليه وسلم إذا قصد به الشكر وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الغرور والكبر قال الحسن ابن على رضى الله عنهما : إذا عملت خيرا فحدث به إخوانك ليقتدوا بك وورد «أن شخصا كان جالسا عنده صلى الله عليه وسلم فرآه رث الثياب فقال له ألك مال قال نعم فقال له إذا آتاك الله مالا فليرأثره عليك» وورد «إن الله جميل يحب الجمال و يحب أن يرى أثر النعمة على عبده» وقوله بالنبوة وغيرها أى من العلوم والقرآن وسائر عطاياه التى لاتتناهى وقد فعل صلى الله عليه وسلم فحدث بما أعطاه ربه من النعم فبلغ القرآن ونشر العلوم وأعطى حقوق ربه عز وجل (قوله فى بعض الأفعال) أى وهو فآوى فهدى فأغنى والأصل فآواك فهداك فأغناك [سورة ألم نشرح مكية] أى فى قول الجمهور وقال ابن عباس إنها مدنية (قوله استفهام تقرير) أى وهو حمل المخاطب على

على الاقرار بما بعد النفي لأن الاستفهام إذا دخل على منفي قرره فصار معناه قد شرحنا ولذلك عطف عليه الماضي وليس معناه الانشاء حتى يقال يلزم عليه عطف الخبر على الانشاء فيما لا محل له من الاعراب وهو مردود أو ضعيف بل المراد لازمه وهو الاخبار بشرح الصدر وما بعده فهذه السورة من جملة النعم التي أمر بالتحدث بها في السورة قبلها (قوله أي شرحنا) الشرح في الأصل بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم بسطته وشققته والمراد هنا توسعة الصدر بالنور الالهي ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فصار مهبط الرحمات ومنبع البركات (قوله بالنبوة وغيرها) روى «أن جبريل عليه السلام أتاه وهو عند مرضعته حليمة وهو ابن ثلاث سنين أو أربع فشق صدره وأخرج قلبه وغسله ونقاه وملأه علما وإيمانا ثم رده في صدره» وحكمة ذلك لينشأ على أكمل حال ولا يعبث كالأطفال وشق أيضا عند بلوغه عشر سنين ليأتي عليه البلوغ وهو على أجمل الأخلاق وأطيبها وعند البعثة ليتحمل القرآن والعلوم وليلة الاسراء ليتهيأ لملاقاة أهل الملأ الأعلى ومناجاة الحق جل جلاله ومشاهدته وتلقيه عنه فمرات الشق أربع زيادة في تنظيفه وتطهيره ليكون كاملا مكملا لا يعلم قدره غير ربه والحكمة في قوله لك ولم يقل ألم نشرح صدرك التنبيه على أن منافع الرسالة عائدة عليه صلى الله عليه وسلم لا لغرض يعود عليه، تعالى الله عن الأغراض والعلل (قوله ووضعنا عنك وزرك) معطوف على مدلول الجملة السابقة كأنه قال قد شرحنا لك صدرك ووضعنا، وعنك متعلق بوضعنا وقدمه على المفعول الصريح تعجيلا للمسرة وتشويقا إلى المؤخر (قوله الذي أنقض ظهرك) الانقاض في الأصل الصوت الخفي الذي يسمع من الرحل فوق البعير من شدة الحمل والمراد لازمه وهو الثقل (قوله وهذا كقوله تعالى ليغفر لك الخ) أي فهو مصروف عن ظاهره فيجاب عنه بأجوبة: منها أن المراد وضعنا عنك وزر أمتك وإنما أضافها إليه لاشتغال قلبه بها قال تعالى ـ عزيز عليه ما عنتم ـ فأوزار أمته قبل إسلامهم موضوعة عنهم بالاسلام فلا يؤاخذون بها لأن الاسلام يجب ما قبله

أي شرحنا (لك) يا محمد (صدرك) بالنبوة وغيرها (ووضعنا) حططنا (عنك وزرك الذي أنقض) أي أثقل (ظهرك) وهذا كقوله تعالى: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك (ورفعنا لك ذكرك) بأن تذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها (فإن مع العسر) الشدة (يسرا) سهولة،

وبعد الاسلام توضع عنهم بالتوبة أو بشفاعته صلى الله عليه وسلم لمن مات مصرا، ومنها أن المراد وضعنا عنك أثقال النبوة والتبليغ وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان في ابتداء البعثة يشق عليه الامر ويقول اخاف ان لا أقوم بحق الدعوة فوضعه الله عنه، ومنها أن المراد بالوزر خلاف الأولى فكان إذا ارتكبه وعاتبه الله عليه ثقل ذلك الأمر عليه وشق، وتسميته وزرا بالنسبة لمقامه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين كاذنه للمنافقين في التخلف حين اعتذروا وأخذه الفداء من أسارى بدر ونحو ذلك، ومنها أن المراد بالوضع العصمة فالمعنى عصمناك من الوزر ابتداء وانتهاء فلم نقدر عليك وزرا أصلا وكل من هذه الأجوبة صحيح ولا مانع من حمل الآية على الجميع (قوله ورفعنا لك ذكرك) أي أعليناه فذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا ودينك يظهر عليه وأخذنا على الأنبياء العهد إن ظهرت وأحدهم حي ليؤمنن بك ولينصرنك وهم يأخذون على أممهم ذلك العهد كما تقدم في قوله تعالى ـ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ـ الآية، وفي هذا المعنى، قال البوصيري:

ما مضت فترة من الرسل إلا ... بشرت قومها بك الأنبياء

والحكمة في زيادة لك ما سبق من أن رفع الذكر عائد ثمرته عليه لا لغرض يعود عليه تعالى (قوله والخطبة) أي على المنابر وخطبة النكاح (قوله وغيرها) أي كيوم الفطر والأضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار وعلى الصفا والمروة ومشارق الأرض ومغاربها ولو أن رجلا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا (قوله فإن مع العسر يسرا) مع بمعنى بعد وعبر بها إشارة إلى أن اليسر يجيء عقب العسر بسرعة كأنه مقارن له زيادة في التسلية وتقوية القلوب وأل في العسر الأول للجنس وفي الثاني للعهد الذكري ولذلك ورد في الحديث لما نزلت هذه الآية قال عليه الصلاة والسلام «أبشروا قد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» وورد «لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه إنه لن يغلب عسر يسرين» (قوله الشدة) أي المشاق التي تحصل للشخص في الدنيا او الآخرة

وقوله مهولة أي تحصل له في الدنيا أو الآخرة والتنكير في يسرا للتفخيم والتعظيم (قوله إن مع العسر يسرا) جرت عادة العرب أنهما إذا ذكرت اسما معرفا ثم أعادته كان الثاني هو الأول وإذا ذكرت اسما نكرة ثم أعادته كان الثاني غير الأول فجاء القرآن على أسلوبهم ففيه إشارة إلى أن اليسر غالب على العسر ووجه ذلك أن العسر الذي يصيب المؤمن في الدنيا لابد له من يسر في الدنيا ويسر في الآخرة فيسر الدنيا ماذكره في الآية الأولى ويسر الآخرة ماذكره في الآية الثانية ومعلوم أن يسر الآخرة دائم أبدا غير زائل فتنق غلبة العسر لليسرين إنما هو بالنسبة ليسر الدنيا وأما الآخرة فليس للمؤمن إلا اليسر فتدبر قال بعض الشعراء في هذا المعنى :

فلا تيأس إذا أعسرت يوما ... فقد أيسرت في دهر طويل

فلا تظنن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل

فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قيل

(قوله فإذا فرغت من الصلاة الخ) ماذكره المفسر أحد أقوال ، وقيل إذا فرغت من دنياك فصل ، وقيل إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل ، وقيل إذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك ، وقيل إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين والحمل على العموم أولى قال عمر بن الخطاب : إني أكره أن أرى أحدكم فارغا لافي عمل الدنيا ولافي عمل الآخرة وفي الحديث «إن الله يكره العبد البطال» (قوله وإلى ربك فارغب) أي اجعل رغبتك إلى ربك الذي أحسن إليك بفضائل النعم في جميع أحوالك لا إلى أحد سواه فالمطلوب من الشخص أن يرى ساعيا في حسنة لمعاده أودرهم لمعاشه ويكون أكبر همه الآخرة .

(إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) والنبي صلى الله عليه وسلم قاسى من الكفار شدة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم (فَإِذَا فَرَغْتَ) من الصلاة (فَانْصَبْ) اتعب في الدعاء (وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ) تضرع .

(سورة والتين)

مكية أو مدنية، ثمان آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) أي المأكولين ، أو جبلين بالشام ينبتان المأكولين (وَطُورِ سِينِينَ) الجبل

[فائدة] ذكر بعض الصالحين خواص لهذه السورة منها أن من كتبها في إناء من زجاج ومحاها بماء ورد وشربها يزول عنه الهم والحزن وضيق الصدر وتكتب في مطلق إناء وتمحى بماء وتشرب للحفظ والفهم ومن لازمها عقب الصلوات الخمس عشر مرات حصل له التيسير في الرزق والتوفيق في العبادة ، ولقضاء ما أهم العبد يصلي ركعتين ويجلس مستقبلا على طهارة ويقرؤها عدة حروفها مائة وثلاثة ثم يدعو بما أهمه يستجاب له إن شاء الله تعالى وهو مجرب صحيح .

[سورة والتين مكية] أي في قول الجمهور وقوله أو مدنية أي في قول ابن عباس وقتادة (قوله والتين والزيتون الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام أربعة على مقسم واحد تعظيما للمقسم به وغرابة المقسم عليه (قوله أي المأكولين) هو قول ابن عباس وخص التين لأنه فاكهة وغذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلا عجم . ومن خواصه أنه طعام لطيف سريع الانهضام لا يمكث في المعدة يخرج رشحا ويلين الطبع ويقلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل مافي المثانة من الرمل وهو مرض يستولى على مقر البول فيحجز الماء عن الخروج بأجزاء دقيقة كالرمل يعسر معها البول ويتأذى به الانسان فاذا زاد صار حصاة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن ويقطع البواسير ويطول الشعر وهو أمان من الفالج ومن أكلها مناما نال مالا ورزقه الله أولادا وقد تستر آدم بورق التين حين خرج من الجنة وأما الزيتون فهو من شجرة مباركة فيه إدام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته في أغلب البلاد ولايحتاج إلى خدمة وتربية ويثبت في الأرض ألوفا من السنين ومن رأى ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى (قوله أو جبلين بالشام) ماذكره المفسر قولان من أقوال كثيرة في المراد بالتين والزيتون ، ومنها أن التين مسجد نوح عليه السلام الذي بنى على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس ، ومنها أن التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى ، ومنها أن التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ومنها غير ذلك .

(قوله الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى) أى وهو جبل عظيم فيه عيون وأشجار . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى ــ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ــ المقتضى أنه دك ولم يبق له أثر . أجيب بأنه متسع والذى دك منه قطعة منه ، وتخصيصه لكونه مباركا تشرف بتكليم موسى ربه عليه (قوله ومعنى سينين المبارك) أى فهو من إضافة الموصوف لصفته وسينين يجوز أن يعرب بالحركات الثلاث على النون مع لزومه الياء فى أحواله كلها ويكون ممنوعا من الصرف للعلمية والعجمة لأنه علم على البقعة أو الأرض وأن يعرب كجمع المذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا (قوله لأمن الناس فيها) أى فلا ينفر صيده ولا يقطع شجره (قوله الجنس) أى الماهية من حيث هى الشاملة للمؤمن والكافر (قوله فى أحسن تقويم) أى فى أعدل قامة وأحسن صورة يتناول مأكوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق والأدب (قوله فى بعض أفراده) أشار بذلك إلى أن فى الآية استخداما حيث ذكر الانسان أولا بمعنى وهو الجنس ثم أعاد الضمير عليه بمعنى آخر وهو الانسان بمعنى بعض أفراده (قوله أسفل سافلين) السافلون هم الصغار والزمنى والأطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء لأنه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه و بصره وعقله وثقله على أهله وجيرانه (قوله كناية عن الهرم والضعف) أى فالمعنى

الجبل الذى كلم الله تعالى عليه موسى ، ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة (وَهٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) مكة لأمن الناس فيها جاهلية و إسلاما (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) الجنس (فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) تعديل لصورته (ثُمَّ رَدَدْنَاهُ) فى بعض أفراده (أَسْفَلَ سَافِلِينَ) كناية عن الهرم والضعف فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب ويكون له أجره لقوله تعالى (إِلَّا) أى لكن (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) غير مقطوع وفى الحديث «إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل» (فَمَا يُكَذِّبُكَ) أيها الكافر (بَعْدُ) أى بعد ما ذكر من خلق الإنسان فى صورة ثم رده إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث (بِالدِّينِ) بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب أى ما يجعلك مكذبا بذلك ولا جاعل له (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) أى هو أقضى القاضين ، وحكمه بالجزاء من ذلك وفى الحديث « من قرأ والتين إلى آخرها فليقل : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين »

ثم جعلناه ضعيفا هرما فهو بمعنى : ومنكم من يرد إلى أرذل العمر ، ومن نعمره ننكسه فى الخلق ، وما ذكره المفسر أحد قولين فى المراد بالرد إلى أسفل سافلين والآخر أن المراد رددناه إلى النار لأنها دركات بعضها أسفل من بعض (قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) مشى المفسر على أن الاستثناء منقطع وحينئذ فيكون المعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة والهرم والضعف فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملونه فى حال الشباب والصحة وأما على القول الآخر فالاستثناء متصل ويكون المعنى رددناه أسفل ممن سفل خلقا وتركيبا حسا ومعنى وهم أهل النار إلا الذين آمنوا الخ فيكون بمعنى قوله تعالى ــ إن الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا ــ (قوله غير مقطوع) أى ولا يمن به عليهم (قوله من الكبر ما يعجز) من تعليلية وما مفعول به واقعة على زمان ، والمعنى إذا بلغ المؤمن سبب الكبر زمانا يعجز فيه عن العمل ، وفى بعض النسخ ما يعجزه ، وحينئذ فيكون من الكبر بيان لما مقدما عليه ، والمعنى إذا بلغ المؤمن كبرا يعجزه عن العمل (قوله فما يكذبك الخ) الاستفهام إنكارى والخطاب للانسان الكافر بطريق الالتفات ، والمعنى فما الذى يحملك أيها الانسان على التكذيب بالبعث : أى أى سبب يحملك على التكذيب فى الكلام تعجب وتعجيب ، وذلك أنه تعالى لما قرر أنه خلق الانسان فى أحسن تقويم ثم رده إلى أرذل العمر دل على كمال قدرته على الانشاء والاعادة فسأل بعد ذلك عن تكذيب الانسان بالجزاء لأن ما يتعجب منه يخفى سببه وهذا ما مشى عليه المفسر ، وقيل إن ما بمعنى من والخطاب له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول الصادق المصدق بما جئت به من الحق بعد ظهور الدلائل القطعية على تصديقك (قوله وحكمه بالجزاء) مبتدأ وقوله من ذلك : أى من جملة قضائه خبره .

[سورة اقرأ] وفي نسخة سورة العلق وفي أخرى سورة القلم فأسماؤها ثلاثة (قوله أول مانزل من القرآن) أي ثم بعده ن والقلم ثم المزمل ثم المدثر هكذا قال الخازن ولكن المشهور عن غيره أن أول مانزل بعد اقرأ سورة المدثر.واختلف السلف في ترتيب سور القرآن ، والصحيح أن اختلافهم كان قبل عرض القرآن على جبريل في المرة الأخيرة ومن يوم العرض المذكور رتب رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن على ما هو عليه الآن . عن ابن وهب قال سمعت مالكا يقول : إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن الأنباري في كتابه الرد أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا ثم فرقه على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين سنة ، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث والآية تنزل جوابا لمستخبر يسأل و يوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع السورة والآية ، فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف فكله عن رسول الله خاتم النبيين عن رب العالمين ، فمن أخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام ، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب وهو كان يقول ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن ، وكان جبريل عليه السلام يوقفه على مكان الآيات انتهى . إن قلت حيث كان الجمع والترتيب من رسول الله فما معنى قولهم إن عثمان بن عفان جامع القرآن ؟ فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه القرآن وترتيبه حفظا لاوضعا في المصاحف وعثمان جمعه في المصحف على طبق الحفظ المروى عن رسول الله ، فان المحفوظ كان مفرقا في صدور الرجال وفي صحائف غير كاملة فليفهم هذا المقام (قوله رواه البخاري) أي وعبارته عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : أول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء و يتحنث فيه الليالي ذوات العدد

(سورة اقرأ)

مكية، تسع عشرة آية

صدرها إلى مالم يعلم أول مانزل من القرآن وذلك بغار حراء رواه البخاري .

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . اِقْرَأْ) أوجد القراءة مبتدئا (بِاسْمِ رَبِّكَ

الذى

ثم يرجع إلى خديجة ويتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال ـ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم ـ حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة ، وكان ممن تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة ياابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ياابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى ، فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أومخرجي هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودي و إن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا إلى أن يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل ، فقال يامحمد إنك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه فيرجع ، فاذاطالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة الجبل ليلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك (قوله مبتدئا باسم ربك) أي قل باسم الله ثم اقرأ مايوحى إليك فالباء متعلقة بمحذوف حال ومفعول اقرأ محذوف وقيل إن الباء مزيدة والتقدير اقرأ اسم ربك وعبر بالرب تلطفا به صلى الله عليه وسلم و إشارة إلى أنه تعالى كما ربى جسمه يربي

أمته وقرآنه . قال البوصيري في هذا المعنى : سور منه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء

وإضافة رب إلى كاف الخطاب للتشريف (قوله الذى خلق خلق الانسان) يجوز أن يكون الثانى توكيدا لفظيا نظير قام قام زيد ويجوز أن يكون تفسيرا للأول أبهمه ، ثم فسره تفخيما لخلق الانسان ويجوز أن يكون حذف المعمول من الأول تقديره خلق الخلائق كما قال المفسر وقوله خلق الانسان تخصيص له بالذكر لشرفه (قوله الجنس) أى الصادق بالذكر والأنثى (قوله جمع علقة) أى لأن كل واحد مأخوذ من علقة كما فى الآية الأخرى وأطلق الجمع على العلق تسمحا أو هو جمع لغوى وإلا فعلق اسم جنس جمعى (قوله من الدم الغليظ) أى الذى أصله المنى فأول الأطوار المنى ثم العلقة وهو الدم الغليظ المتجمد ثم المضغة إلى آخر ماذكر الله تعالى فى آية المؤمنون (قوله تأكيد للأول) هذا أحد قولين والآخر أنه تأسيس فالأول معناه اقرأ فى نفسك والثانى معناه اقرأ للتبليغ وتعليم الأمة (قوله الذى لايوازيه كريم) أى لايساويه فضلا عن أن يزيد عليه لأنه تعالى يعطى الشىء من غير عوض ولاغرض وليس ذلك لأحد غيره (قوله حال من ضمير اقرأ) أى فالمعنى اقرأ مايوحى إليك والحال أن ربك الأكرم لاينتظر منك عوضا ولا يخزلك فهو تطمين له صلى الله عليه وسلم حيث خشى على نفسه أن لايقوم بما أمره به ربه (قوله الذى علم) علم ينصب مفعولين وهما محذوفان هنا والتقدير علم الإنسان الخط بالقلم والمفسر قدر الثانى وسكت عن تقدير الأول اتكالا على قوله بعد علم الانسان (قوله الخط) أى الكتابة التى بها تعرف الأمور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لأن بها ضبطت العلوم ودونت الحكم وعرف أخبار الماضين وأحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة ما استقام أمر الدين ولا الدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره دليل إلا القلم والخط لكفى فيه (قوله

الذى خَلَقَ) الخلائق (خَلَقَ الإنْسَانَ) الجنس (مِنْ عَلَقٍ) جمع علقة وهى القطعة اليسيرة من الدم الغليظ (اقْرَأْ) تأكيد للأول (وَرَبُّكَ الأكْرَمُ) الذى لايوازيه كريم حال من ضمير اقرأ (الَّذِى عَلَّمَ) الخط (بِالْقَلَمِ) وأول من خط به إدريس عليه السلام (عَلَّمَ الإنْسَانَ) الجنس (مَالَمْ يَعْلَمْ) قبل تعليمه من الهدى والكتابة والصناعة وغيرها (كَلَّا) حقا (إنَّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى أنْ رَآهُ) أى نفسه (اسْتَغْنَى) بالمال . نزل فى أبى جهل ورأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رآه مفعول له (إنَّ إلَى رَبِّكَ) يا إنسان (الرُّجْعَى)

بالقلم) قال القرطبي الأقلام ثلاثة فى الأصل القلم الأول الذى خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب فى اللوح المحفوظ والثانى قلم الملائكة الذين يكتبون به المقادير والكوائن من اللوح المحفوظ والثالث أقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصلون بها إلى مآربهم . وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ، ثم قال تعالى لسائر الحيوان كن فكان وهى : القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام (قوله إدريس) وقيل آدم (قوله الجنس) هذا أحد أقوال وقيل المراد به آدم ومصدوق ما الأسماء كلها فهو نظير وعلم آدم الأسماء كلها ، وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله قبل تعليمه) متعلق بالنفى والمعنى علمه الشىء الذى انتفى علمه به قبل أن يعلمه (قوله من الهدى) بيان لما والمراد به الرشد والصواب فى القول والفعل (قوله حقا) هذا مذهب الكسائى ومن تبعه وعليه فكلا مرتبطة بما بعدها لأنه ليس قبلها شىء يقتضى الزجر والردع حتى تكون كلا ردعا له . وقال أبو حيان وصوبه ابن هشام إنها بمعنى ألا الاستفتاحية لوجود كسر همزة إن بعدها ولو كانت بمعنى حقا لما كسرت إن بعدها لكونها واقعة موقع مفرد فتحصل أن كونها بمعنى حقا صحيح من جهة المعنى إلا أنه يبعده كسر إن فكان المناسب للمفسر أن يجعلها بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله أى نفسه) أشار بذلك إلى أن فى رأى ضميرا عائدا على الانسان هو فاعل الرؤية والضمير البارز عائد عليه أيضا مفعوله ورأى هنا قلبية يجوز اتحاد الضميرين متصلين فيها فتقول رأيتنى وظننتنى وقوله استغنى مفعول ثان . والمعنى أن الانسان ليتحقق بالطغيان والكفر من أجل رؤيته نفسه مستغنيا عن الله تعالى (قوله نزل فى أبى جهل) أى والعبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب ، فكل من اعتقد أنه غنى عن ربه طرفة عين فقد تحقق بالطغيان والتكبر لأن كل مخلوق مفتقر لخالقه فى حركاته وسكناته (قوله مفعول له) أى لأجله (قوله ياإنسان) أشار بذلك إلى أن الضمير فى ربك عائد على الانسان المتقدم ذكره ففيه التفات من الغيبة للخطاب تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان كأنه قال لاتغتر باستغنائك فإن مرجعك إلى خالقك فكما أغناك هو قادر على إفقارك فلا تعتقد أنك غنى حقيقة ، فلو أعطى العبد الدنيا ومثلها معها وهو فقير إلى ربه فى كل طرفة عين .

(قوله أي الرجوع) أي من الغنى للفقر ومن العز للذل ومن القوة للعجز ومن الحياة للممات فلا مفر من الله (قوله التعجب) أي التعجيب وهو إيقاع المخاطب في العجب والخطاب قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل لكل من يأتي منه الخطاب؟ واعلم أن أرأيت هنا بمعنى أخبرني فتتعدى إلى مفعولين ثانيهما جملة استفهامية وقد ذكرت ثلاث مرات صرح بعد الثالثة بجملة استفهامية فهي في موضع المفعول الثاني لتلك الثالثة ومفعولها الأول محذوف وهو ضمير يعود على الذي ينهى عبدا وذكر مفعول الأولى الأول وهو الاسم الموصول ومفعولها الثاني محذوف وهو جملة استفهامية كالواقعة بعد الثالثة حذف لدلالة المذكور عليه ، وأما الثانية فمفعولاها محذوفان لدلالة المفعول الأول من الأول والمفعول الثاني من الثالثة عليه فتحصل أنه حذف المفعول الثاني من الأولى والمفعولان من الثانية والأول من الثالثة لدلالة المذكور وليس من باب التنازع لأنه يقتضي إضمارا والجمل لا تضمر وإنما الاضمار في المفردات وجواب الشرط الواقع في حيز الثانية والثالثة محذوف دل عليه الجملة الاستفهامية (قوله هو أبو جهل) وذلك أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب ، قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته ، قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له مالك ؟ قال إن بيني وبينه خندقا من نار وهؤلاء أجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا (قوله عبدا) لم يقل ينهاك تفخيما لشأنه وتعظيما لقدره (قوله التقسيم) المناسب أن يقول بمعنى الواو (قوله إن كذب وتولى) أي دام على التكذيب والتولي (قوله أي يعلمه) تفسير ليرى (قوله ردع له) أي لأبي جهل (قوله لنسفعا) يحتمل أن النون للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى أوله وملائكته ، والسفع القبض على الشيء بشدة

أي الرجوع تخويف له فيجازى الطاغي بما يستحقه (أَرَأَيْتَ) في مواضعها الثلاثة للتعجب (الَّذِي يَنْهَى) هو أبو جهل (عَبْدًا) هو النبي صلى الله عليه وسلم (إِذَا صَلَّى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ) أي المنهي (عَلَى الْهُدَى . أَوْ) للتقسيم (أَمَرَ بِالتَّقْوَى . أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ) أي الناهي النبي (وَتَوَلَّى) عن الإيمان (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى) ما صدر منه أي يعلمه فيجازيه عليه ، أي اعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث إن المنهي على الهدى آمر بالتقوى ومن حيث إن الناهي مكذب متول عن الإيمان (كَلَّا) ردع له (لَئِنْ) لام قسم (لَمْ يَنْتَهِ) عما هو عليه من الكفر (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) لنجرن بناصيته إلى النار (نَاصِيَةٍ) بدل نكرة من معرفة (كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) وصفها بذلك مجاز والمراد صاحبها (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) أي أهل ناديه وهو المجلس ينتدى يتحدث فيه القوم وكان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة :

لقد

والنون في نسفعا للتوكيد الخفيفة فيوقف عليها بالألف تشبيها لها بالتنوين وتكتب ألفا اتباعا للوقف وقرئ شذوذا لنسفعن بالنون الثقيلة (قوله بالناصية) هي في الأصل مقدم الرأس أو شعر المقدم أطلق وأريد هنا الشخص بتمامه (قوله إلى النار) وقيل في الدنيا يوم بدر لما ورد : أنه جاءه عبد الله بن مسعود فوجده طريحا بين الجرحى وبه رمق فخاف أن يكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منخريه من بعيد فطعنه ثم لم يقدر ابن مسعود على الرقي على صدره لضعفه وقصره فارتقى إليه بحيلة فلما رآه أبو جهل قال يا رويعي الغنم لقد رقيت مرقى عاليا فقال ابن مسعود الاسلام يعلو ولا يعلى عليه ، ثم قال لابن مسعود اقطع رأسي بسيفي هذا لأنه أحد وأقطع ، فلما قطع رأسه به لم يقدر على حمله فشق أذنه وجعل فيه خيطا وجره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل بين يديه يضحك (قوله كاذبة) أي في قولها وقوله خاطئة أي في فعلها والخطأ ضد الصواب في الدين وغيره ، والمراد هنا ارتكاب خلاف الصواب عن قصد لقول بعضهم الخاطئ المرتكب خلاف الصواب عن عمد والمخطئ المرتكب خلاف الصواب لا عن عمد (قوله أي أهل ناديه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف لأن النادي هو المجلس الذي يتحدث فيه القوم والمجلس لا يدعى فاحتيج لتقدير المضاف ، والمعنى فليدع عشيرته ليستنصر بهم (قوله لما انتهره) أي انتهر النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل وقوله حيث نهاه أي نهى أبو جهل النبي صلى الله عليه وسلم .

(قوله لقد علمت مابها) أى بمكة (قوله خيلا جردا) أى قصيرة الشعر وقوله مردا أى شبابا (قوله سندع الزبانية) واحدها زبنية بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه من الزبن وهو الدفع (قوله الغلاظ الشداد) أى وهم خزنة جهنم أرجلهم فى الأرض ورءوسهم فى السماء، سموا زبانية لأنهم يزبنون الكفار أى يدفعونهم فى جهنم (قوله صل) أى دم على الصلاة وعبر عنها بالسجود لأنه أفضل أركانها لما فى الحديث «أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد» (قوله واقترب منه) أى من الله ومامشى عليه المفسر من أن المراد بالسجود الصلاة هو المشهور عند جمهور الأئمة. وقال الشافعى: المراد بالسجود سجود التلاوة لما ورد فى صحيح مسلم عن أبى هريرة «أنه قال سجدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إذا السماء انشقت وفى اقرأ باسم ربك سجدتين» فيسن السجود عند الشافعى فى هذين الموضعين، ومعنى اقترب تقرب إلى ربك بطاعته وبالدعاء قال صلى الله عليه وسلم «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فيه فقمن: أى حقيق أن يستجاب لكم» وكان صلى الله عليه وسلم يكثر فى سجوده البكاء والتضرع.

[سورة القدر مكية] (قوله أومدنية) هذا هو الأرجح، وحكى بعضهم أنها أول مانزل بالمدينة ولعله تكرر نزولها تنبيها على مزيد شرف ليلة القدر (قوله أوست آيات) أى بناء على أن قوله: تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم آية مستقلة (قوله إنا) يؤتى بان لتأكيد الحكم والرد على منكر أوشاك والمخاطبون فيهم ذلك فقد قالوا من تلقاء نفسه وقالوا أساطير الأولين وقالوا تنزلت به الشياطين، فرد على جميع ذلك بذكر الانزال لا أنه مختلق ولا من أساطير الأولين.

لقد علمت مابها رجل أكثر ناديا منى لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلا جردا ورجالا مردا (سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، فى الحديث «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا» (كَلَّا) ردع له (لَا تُطِعْهُ) يا محمد فى ترك الصلاة (وَاسْجُدْ) صل لله (وَاقْتَرِبْ) منه بطاعته.

(سورة القدر)

مكية أو مدنية، خمس أوست آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ

إن قلت إن المؤمنين يصدقون خبر المولى بلا تأكيد والكافرون يعاندونه ولو تعدد التأكيد. أجيب بجوابين الأول بمنع أن الكافرين معاندون مع التأكيد فان عادتهم الانقياد للتأكيدات فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك. الثانى على تسليم أنهم يعاندون مع التأكيد فلا نسلم حصر إن فى التأكيد بل قد يؤتى بها ترغيبا فى تلقى الخبر والتنبيه بعظيم قدره وشرف حكمه ونا يحتمل أنها للمتكلم المعظم نفسه وهو الله تعالى إشارا بتعظيم المنزل والمنزل به ويحتمل أنها للمتكلم ومعه غيره فان الله أنزله وللملائكة لهم مدخلية فى إنزاله، والمعنى إنا وملائكة قدسنا أنزلناه على حد: إن الله وملائكته يصلون، والاسناد لله حقيقة إجماعا وللملائكة قيل كذلك وقيل مجاز وعليه فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز، يقال بنى الأمير وعملته المدينة ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث فى ضمير واحد فانه حاصل فى ضمير يصلون: أليس الله بأحكم الحاكمين ونحوه، وأما قوله عليه السلام للخطيب بئس الخطيب لما قال من يطع الله ورسوله فقد اهتدى ومن يعصهما فقد غوى فلأن الخطب محل الاطناب وقيل وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب (قوله أنزلناه). إن قلت الإنزال وصف للأجسام والقرآن عرض لاجسم فكيف يوصف بالانزال؟ أجيب بجوابين: الأول أن الانزال بمعنى الإيحاء وفى الكلام استعارة تبعية حيث شبه الايحاء بالانزال واستعير الايحاء للانزال واشتق من الانزال أنزلنا بمعنى أوحينا. الثانى أن إسناد النزول إليه مجاز عقلى وحقه أن يسند لحامله فالتجوز إما فى الطرف أو الاسناد (قوله أى القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير فى أنزلناه عائد على القرآن. إن قلت إنه لم يتقدم له ذكر. أجيب بأنه اتكل على عظم قدره وشهرة أمره حتى لايحتاج للتصريح (قوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ الخ) أى ثم نزل به جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما مفرقة فى مدة عشرين سنة أوثلاث وعشرين سنة، ومعنى إنزاله جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا أن جبريل أملاه على ملائكة سماء الدنيا فكتبوه فى صحف وكانت تلك

الصحف في محل من تلك السماء يقال له بيت العزة (قوله إلى سماء الدنيا) أى إلى بيت العزة منها وماذكره المفسر من أن المراد إنزال القرآن جملة إلى سماء الدنيا أحد أقوال فى تفسير الآية ، وقيل المعنى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة إن قلت إن البعثة على رأس الأربعين وميلاده كان فى ربيع فكيف يكون مبدأ الوحى فى رمضان فى ليلة القدر ؟ . أجيب بأنه ألغى الكسر أوجبر أوذلك بناء على أن ميلاده فى رمضان وقد قيل به أومبدأ الوحى المنام فى ربيع ومبدأ إنزال القرآن فى رمضان . وحكمة إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ثم إنزاله منها مفرقا ولم ينزله مفرقا من اللوح المحفوظ أن سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوى والسفلى فأنزله إليها جملة فيه تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه و إنزاله منها مفرقا فيه تأنيس للقلوب وترويح للنفوس وتلطف به صلى الله عليه وسلم و بأمته فلم يفته نزوله جملة ولا مفرقا (قوله الشرف والعظم) هذا أحد أقوال ، وقيل القدر بمعنى تقدير الأمور أى إظهارها فى دواوين الملأ الأعلى ، سميت بذلك لأن الله تعالى يقدر فيها مايشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك و يسلمه إلى مدبرات الأمور وهم الأربعة الرؤساء جبريل وميكائيل و إسرافيل وعزرائيل وقولنا أى إظهارها فى دواوين الملأ الأعلى يدفع ماأورد إن تقدير الامور أزلى . فان قلت إن تقدير الأمور ليلة النصف من شعبان يجاب بأن ابتداء التقدير ليلة النصف من شعبان وتسليمه للملائكة ليلة القدر ، وقيل القدر بمعنى الضيق من قوله: فقدر عليه رزقه فظن أن لن نقدر عليه لضيق الفضاء بازدحام مواكب الملائكة فيها (قوله ماليلة القدر) أى مامقدار شرفها وليس المراد حقيقتها فانها مدة مخصوصة من الزمن (قوله تعظيم لشأنها) أى تفخيم لأمرها . قال سفيان بن عيينة : إن كل مافى القرآن من قوله وماأدراك أعلم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ومافيه ومايدريك لم يعلمه به ، والمراد إعلام الله تعالى فى ذلك السياق نفسه فلاينافى أنه عليه السلام لم يخرج من الدنيا حتى أعلمه الله بكل ماخفى عنه مما يمكن البشر علمه ، وأما التسوية بين علم القديم والحادث فكفر (قوله خير من ألف شهر) أى وهى ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر . واختلف فى حكمة ذكر العدد فقيل المقصود مطلق الكثرة ، وقيل إنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بنى إسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله عزوجل ألف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لأمته فقال

(٣٢٠)

إلى سماء الدنيا (فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) أى الشرف والعظم (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك يا محمد (مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) تعظيم لشأنها وتعجيب منه (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ)

يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا فأعطاه الله ليلة القدر فهى من خصائص هذه الأمة ليس وهى باقية على الصحيح خلافا لمن قال برفعها مستدلا بحديث « خرجت لأعلمكم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت » ورد بأن الذى رفع تعيينها بدليل أن فى آخر الحديث نفسه : وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى العشر الأواخر إذ رفعها بالمرة لاخير فيه ولايتأتى معه التماس . إن قلت الرفع بسبب الملاحاة يقتضى أنه من شؤم الملاحاة فكيف يكون خيرا ؟ . قلت هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة فاذا تلقى بالرضا والتسليم صار خيرا . إن قلت فما هو الذى فات بشؤم الملاحاة وماهو الخير الذى حصل قلت الفائت معرفة عينها حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد فى خصوصها والخير الذى حصل هو الحرص على التماسها حتى يحيى ليالى كثيرة فى الجملة . قالوا أخفى الرب أمورا فى أمور لحكم : ليلة القدر فى الليالى لتحيا جميعها وساعة الاجابة فى الجمعة ليدعو فى جميعها والصلاة الوسطى فى الصلوات ليحافظ على الكل والاسم الاعظم فى أسمائه ليدعى بالجميع ورضاه فى طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات وغضبه فى معاصيه لينزجر عن الكل والولى فى المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم ومجىء الساعة فى الأوقات للخوف منها دائما ، وأجل الانسان عنه ليكون دائما على أهبة ، فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها ، نعم العالم بها أكمل ، هذا هو الأظهر . واختلفت المذاهب فيها فقال مالك إنها دائرة فى العام كله والغالب كونها فى رمضان والغالب كونها فى العشر الأواخر منه وقال أبوحنيفة والشافعى هى فى رمضان لاتنتقل منه والغالب كونها فى العشر الأواخر واشتهر عن أبى بن كعب وابن عباس وكثير أنها ليلة السابع والعشرين وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر التى أعز الله بها الدين وأنزل الله ملائكته فيها مددا للمسلمين وأيده بعضهم بطريق الاشارة بأن عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان ، واتفق أن كلمة هى تمام سبعة وعشرين وطريق آخر فى الاشارة أن حروف ليلة القدر تسعة وقد ذكرت فى السورة ثلاث مرات وثلاثة فى تسعة بسبعة وعشرين . ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بأول الشهر من أيام الأسبوع فعن أبى الحسن الشاذلى إن كان أوله الأحد فليلة تسع وعشرين أوالاثنين فاحدى وعشرين أو الثلاثا فسبع وعشرين

أوالأربعاء فتسعة عشر أوالخميس فخمس وعشرين أوالجمعة فسبعة عشر أوالسبت فثلاث وعشرين . ومنها ماقاله بعضهم :

ياحبّ الاثنين والجمعه مواعيدك والحد والأربعا دابي لتبعيدك بكالى السبت هي ياخميس عيدك كابدثلاثاليالى القدرمع سيدك

فاذا كان أول الشهر ، الاثنين أوالجمعة تكون ليلة إحدى وعشرين ورمزه ياحب بالجمل أو الأحد أو الأربعاء فتسع وعشرين ورمزه طي أو السبت فثلاث وعشرين رمز بكا أوالخميس فخمس وعشرين ورمزه هي أوالثلاثاء فسبع وعشرين ورمزه كابد والمشهور فى ألسنة علماء الحديث أن الغالب كونها فى العشر الأواخر وأنها فى الأوتار . قال سيدى أحمد زروق وغيره : لاتفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر ونحوه عن ابن العربى (قوله ليس فيها ليلة قدر) جواب عما يقال إن الألف شهر لابدّ فيها من ليلة قدر فيلزم عليه تفضيل الشئ على نفسه وغيره (قوله فالعمل الصالح فيها) أى من صلاة ودعاء وتسبيح وغير ذلك (قوله تنزل الملائكة) أصله تتنزل بتاءين حذفت إحداها تخفيفا كما قال المفسر على حدّ قول ابن مالك :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر فيه على تا كتبين العبر

والتاء فى ملائكة لتأنيث الجمع و إذا حذفت امتنع صرفه لصيغة منتهى الجموع وبه يلغز فيقال كلمة إذا حذف من آخرها حرف امتنع صرفها جمع ملك وأصله ملأك ووزنه فعأل فالهمزة زائدة ومادّته تدلّ على الملك والقوّة والسلطنة ، وقيل وزنه مفعل فالميم زائدة ، وقيل هو مقلوب وأصله مألك من الألوكة وهى الرسالة قلب قلبا مكانيا فصار ملأك وفى وزنه القولان المتقدمان وعلى كل فيقال سقطت الهمزة فصار ملك والملائكة أجسام نورانية لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة لهم قدرة على التشكلات بالصور غير الخسيسة لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون وعبر بتنزل إشارة إلى أنهم ينزلون طائفة بعد طائفة فينزل فوج ويصعد فوج ، روى «أنه إذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وجبريل عليه السلام ومعه أربعة ألوية فينصب لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر بيت المقدس ولواء على ظهر المسجد الحرام

(٣٢١)

> ليس فيها ليلة قدر ، فالعمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليست فيها (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) بحذف إحدى التاءين من الأصل (وَالرُّوحُ) أى جبريل (فِيهَا) فى الليلة (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) بأمره (مِنْ كُلِّ أَمْرٍ) قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابل ومن سببية بمعنى الباء (سَلَامٌ هِيَ)

ولواء على ظهر طورسيناء ولا يدع بيتا فيه مؤمن أو مؤمنة إلا دخله وسلم عليه ويقول يامؤمن أو يامؤمنة السلام يقرئكم السلام إلا على مدمن خمر وقاطع رحم وآكل لحم خنزير» وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أوقاعد يذكرالله تعالى » وروى « أن الملائكة فى تلك الليلة أكثر من عدد الحصى » (قوله والروح) إما مرفوع بالابتداء والجار بعده خبره أو بالفاعلية عطفا على الملائكة (قوله جبريل) هذا أحد أقوال فى تفسير الروح وعليه فعطف الروح على الملائكة عطف خاص لشرفه ، وقيل الروح نوع مخصوص منهم ، وقيل خلق آخر غير الملائكة ، وقيل أرواح بنى آدم ، وقيل عيسى مع الملائكة ، وقيل ملك عظيم الخلقة تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفى كل رأس ألف وجه وفى كل وجه ألف فم وفى كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد ولكلّ لسان لغة لا تشبه لغة الآخر فاذا فتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وإنما يسبح الله تعالى غدوة وعشية فينزل فى ليلة القدر لشرفها وعلوّ شأنها فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر (قوله فيها) إما متعلق بتنزل أوحال من الملائكة والروح ، وقوله باذن ربهم إما متعلق بتنزل أو بمحذوف حال أيضا ، والمعنى تنزل الملائكة والروح فيها حال كونهم ملتبسين باذن ربهم لامن تلقاء أنفسهم (قوله من كل أمر) يحتمل أن من بمعنى باء السببية وعليه درج المفسر ويصح أنها للتعليل متعلق بتنزل : أى تنزل من أجل كل أمر (قوله قضاه الله فيها) أى أراد إظهاره للملائكة هذا هو المراد بالقضاء فيها لا القضاء الأزلى (قوله لتلك السنة) أى مما هو منسوب لتلك السنة من أجل أمر الموت والأجل والرزق وغير ذلك (قوله إلى قابل) متعلق بمحذوف تقديره من تلك الليلة إلى مثلها من قابل (قوله سلام هى) يصح أن يكون ضمير هى عائدا على الملائكة وسلام بمعنى التسليم ، والمعنى أن الملائكة يسلمون على المؤمنين ويصح أن يعود على ليلة القدر وسلام أيضا بمعنى التسليم ، والمعنى أن الليلة ذات تسليم من الملائكة

على المؤمنين أو على بعضهم بعضا ويصح على هذا الوجه أن يجعل سلام بمعنى سلامة : أي ليلة القدر ذات سلامة من كل شر . قال القرطبي : ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى مطلع الفجر . وقال الضحاك : لا يقدر الله في تلك الليلة إلا السلامة وفي سائر الليالي يقضي بالبلايا والسلامة ، وقيل هي ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان في مؤمن أو مؤمنة (قوله خبر مقدم) أي فيفيد الحصر : أي ماهي إلا سلام وجعلت عين السلام مبالغة على حد زيد عدل وماذكره المفسر هو المشهور وجوز الأخفش رفع سلام بالابتداء وهي بالفاعلية به لأنه لا يشترط عنده اعتماد الوصف على نفي أو استفهام (قوله حتى مطلع الفجر) متعلق بتنزل وهو ظاهر أو بسلام وفيه أنه يلزم عليه الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي وهو المبتدأ على إعراب المفسر إلا أن يتوسع في الجار ، وأما على إعراب الأخفش فلا إشكال (قوله بفتح اللام وكسرها) أي وهما سبعيتان وهل هما مصدران أو المفتوح مصدر والمكسور اسم مكان خلاف . [فائدة] ذكر العلماء لليلة القدر علامات منها قلة نبح الكلاب ونهيق الحمير وعذوبة الماء الملح ورؤية كل مخلوق ساجدا لله تعالى وسماع كل شيء يذكر الله بلسان المقال وكونها ليلة بلجة مضيئة مشرقة بالأنوار وطلوع الشمس يومها صافية نقية ليست بين قرني الشيطان كيوم غيرها وأحسن مايدعي به في تلك الليلة العفو والعافية كما ورد ، وينبغي لمن شق عليه طول القيام أن يتخير ماورد في قراءته كثرة الثواب كآية الكرسي ، فقد ورد أنها أفضل آية في القرآن وكأواخر البقرة لما ورد من قام بهما في ليلة كفتاه ، وكسورة إذا زلزلت لما ورد أنها تعدل نصف القرآن ، وكسورة الكافرون لما ورد أنها تعدل ربع القرآن والإخلاص تعدل ثلثه ، ويس لما ورد أنها قلب القرآن وأنها لما قرئت له ويكثر من الاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل وأنواع الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو بما أحب لنفسه ولأحبابه أحياء وأمواتا ويتصدق بما

خبر مقدم ومبتدأ (حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) بفتح اللام وكسرها إلى وقت طلوعه ، جعلت سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا تمر بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلمت عليه .

(سورة لم يكن)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ) للبيان (أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ) أي عبدة الأصنام عطف على أهل (مُنْفَكِّينَ) خبر يكن ،

تيسر له ويحفظ جوارحه عن المعاصي ويكفي في قيامها صلاة العشاء والصبح في جماعة ، وورد « من صلى المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر » وورد « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام شطرا لليل فاذا صلى الصبح في جماعة فكأنما قام شطره الآخر » أي وقد ورد « من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر » فينبغي الاتيان بذلك كل ليلة .

[سورة البينة] وتسمى سورة لم يكن وسورة المنفكين وسورة القيامة وسورة البرية (قوله مكية) هو قول ابن عباس وقوله أو مدنية هو قول الجمهور ومناسبتها لما قبلها أنه لما ثبت إنزال القرآن أخبر تعالى أن الكفار لم يكونوا منفكين عما هم عليه حتى يأتيهم الرسول يتلو عليهم الصحف المطهرة التي ثبت إنزالها عليه وفيها تسلية له صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له لا تحزن على تفرقهم وكفرهم بل تسل بما أوحي إليك ، روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب « إن الله أمرني أن أقرأ عليك ـ لم يكن الذين كفروا ـ فقال أبي وسماني لك . قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فبكى أبي فقرأها صلى الله عليه وسلم » واستفيد من الحديث آداب : منها قراءة الأعلى على من دونه للتواضع ولا يأنف الكبير من قراءته على الصغير ، ومنها تخصيص سريع الحفظ بالإتقان بالعلم ، وفي ذلك فضيلة عظيمة لأبي حيث جعل موضع سر رسول الله ونظره إشعارا بأنه ثقة يصلح للتعليم والتعلم وأمر رسول الله من الله بأن يقرأ عليه (قوله من للبيان) أي فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون . إن قلت إن أهل الكتاب لم يكونوا جميعا كفارا قبل النبي بل بعضهم كان متمسكا بنبيهم وكتابهم والبعض كفار كمن غير وبدل ومقتضى المفسر أن جميعهم كفار وليس كذلك فالأحسن جعل من للتبعيض والواو في والمشركين للمعية والمشركين مفعول معه والعامل فيه يكن (قوله منفكين) اسم فاعل من انفك الذي يعمل عمل كان واسمها ضمير مستكن فيها والخبر محذوف قدره المفسر بقوله عما هم عليه ويصح أن تكون تامة فلا تحتاج لتقدير خبر (قوله خبر يكن) أي واسمها الاسم الموصول فهي ناقصة ، وقوله من أهل

الكتاب حال من فاعل كفروا ، والمعنى أن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والمشركين وهم عبدة الأوثان من العرب كانوا يقولون قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لاننفك عما نحن فيه من ديننا حتى يبعث النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو في التوراة والإنجيل فلما بعث تفرّقوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر فحكى الله تعالى ما كانوا يقولون أولا وما فعلوه آخرا (قوله أي زائلين الخ) أشار بذلك إلى أن الانفكاك بمعنى الزوال ، والمعنى أنهم متعلقون بدينهم لايتركونه إلا عند مجيء محمد صلى الله عليه وسلم (قوله حتى تأتيهم البينة) غاية لعدم انفكاكهم عما هم عليه . والحاصل أن في الآية تفسيرين الأول حمل ما كانوا عليه قبل مجيء النبي على شرعهم في حق أهل الكتاب وعلى عبادة الأصنام في حق المشركين ، فالمعنى لم يكن الفريقان منفكين عما كانوا عليه لم يفارقوه إلا وقت مجيء محمد فلما ظهر محمد تفرّقوا فمنهم من آمن به ومنهم من بقي على ما كان عليه ، وهذا المعنى ليس فيه مدح ولا ذم لهم . الثاني أن المراد بما كانوا عليه هو إيمانهم بمحمد إذا ظهر ، والمعنى لم يكونوا منفكين عن العزم على الإيمان بمحمد إذا ظهر : أي لم يفارقوه ولم يتركوه إلا بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم ، وفي هذا المعنى توبيخ لهم إذ كيف يؤمنون في الغيب قبل مجيئه ويكفرون به لما جاء ورأوا أنواره ومعجزاته . إذا علمت ذلك تعلم أن كلام المفسر أولا محتمل للمعنيين وآخرا مصرح على المعنى الثاني (قوله بدل من البينة) أي بدل اشتمال ومن الله متعلق بمحذوف صفة لرسول أو حال من صحفا لكونه نعت نكرة قدم عليها (قوله هو النبي محمد) وقيل جبريل (قوله مطهرة) أي مطهرا ما فيها وهو

أي زائلين عما هم عليه (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ) أتتهم (الْبَيِّنَةُ) أي الحجة الواضحة ، وهي محمد صلى الله عليه وسلم (رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ) بدل من البينة ، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً) من الباطل (فِيهَا كُتُبٌ) أحكام مكتوبة (قَيِّمَةٌ) مستقيمة : أي يتلو مضمون ذلك وهو القرآن فمنهم من آمن به ومنهم من كفر (وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) في الإيمان به صلى الله عليه وسلم (إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ) أي هو صلى الله عليه وسلم أو القرآن الجائي به معجزة له ، وقبل مجيئه صلى الله عليه وسلم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فحسده من كفر به منهم (وَمَا أُمِرُوا) في كتابيهم التوراة والإنجيل (إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ) أي أن يعبدوه فحذفت أن وزيدت اللام (مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من الشرك (حُنَفَاءَ) مستقيمين على دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء فكيف كفروا به ؟ ،

القرآن (قوله من الباطل) أي فتطهير الصحف كناية عن كونها لايأتيها الباطل أصلا (قوله فيها كتب) أي مكتوبات في قراطيس فالقرآن يجمع ثمرة كتب الله تعالى المتقدمة عليه والرسول وإن كان أميا لكنه لما تلا مثل ما في الصحف كان كالتالي لها فصحت نسبة تلاوة الصحف إليه وهو أمي لايقرأ ولا يكتب (قوله أي يتلو مضمون ذلك) أي مضمون المكتوب في الصحف وهو القرآن لانفس المكتوب لأنه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن عن ظهر قلب ولم يكن يقرؤه من كتاب فتحصل أن المراد بالصحف القراطيس التي يكتب فيها القرآن والمراد بالكتب الأحكام المكتوبة فيها التي هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه (قوله فمنهم من آمن) مفرع على محذوف والتقدير فلما أتتهم البينة فمنهم الخ (قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الخ) تصريح بما أفادته الغاية قبله وأفرد أهل الكتاب بالذكر بعد الجمع بينهم وبين المشركين إشارة لبشاعة حالهم لأنهم أشد جرما ويعلم غيرهم بالطريق الأولى وذلك لأنهم لما تفرقوا مع علمهم كانوا أسوأ حالا من الذين تفرقوا مع الجهل (قوله وما أمروا الخ) الجملة حالية مفيدة لقبح ما فعلوا ، والمعنى تفرقوا بعد ماجاءتهم البينة والحال أنهم ما أمروا إلا بعبادة الله الخ (قوله وزيدت اللام) الأولى أن تجعل بمعنى الباء ، والمعنى وما أمروا إلا بأن يعبدوا الخ (قوله مخلصين) حال من ضمير يعبدوا والإخلاص هو صفاء القلب من الأغيار بأن يكون مقصوده بالعمل وجه الله تعالى (قوله حنفاء) حال ثانية ، والحنف في الأصل الميل مطلقا ثم استعمل في الميل إلى الخير ، وأما الميل إلى الشر فيسمى إلحادا ، والحنيف المطلق هو الذي يكون متبرئا عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين وعن فروعها من جميع الاعتقادات الباطلة وتوابع ذلك وهو مقام المتقين فإذا ترقى العبد منه إلى ترك الشبهات خوف الوقوع في المحرمات فهو مقام الورعين فإذا زاد حتى ترك بعض المباحات خوف الوقوع في الشبهات فهو مقام الأورع والزاهد فالآية جامعة لذلك كله .

(قوله ويقيموا الصلاة) عطف على يعبدوا الله وخص الصلاة والزكاة لشرفهما (قوله وذلك) اسم الاشارة عائد على المأمور به من العبادة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (قوله الملة القيمة) قدره إشارة إلى أن دين مضاف لمحذوف والقيمة صفة لذلك المحذوف دفعا لما يقال إن إضافة دين إلى القيمة من إضافة الموصوف إلى صفته وهى بمنزلة إضافة الشئ إلى نفسه وفيها خلاف. (قوله إن الذين كفروا) شروع فى بيان جزاء كل فريق ومقره (قوله فى نار جهنم) خبر إن . والمعنى أنهم مشتركون فى جنس العذاب لا فى نوعه عذاب الكفار مختلف على حسب كفرهم (قوله حال مقدرة) أى من الضمير المستكن فى الخبر (قوله من الله تعالى) متعلق بخلودهم ، والمعنى نحن ننتظر خلودهم بسبب اعتقادنا أن يخلدهم فيها فالتقدير منا والخلود القدر من الله تعالى (قوله شر البرية) أفعل تفضيل وذلك لأنهم أشر من قطاع الطريق لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق وأشر من الجهال لأن الكفر مع العلم أسوأ منه مع الجهل والبرية بالهمز فى الموضعين وتشديد الياء سبعيتان (قوله جزاؤهم) مبتدأ وقوله عند ربهم حال وقوله جنات عدن خبره وهذا من مقابلة الجمع بالجمع فيقتضى القسمة على الآحاد فيكون لكل واحد جنة وأدنى جنة الواحد مثل الدنيا ومافيها عشر مرات كما أفاده بعض المفسرين (قوله تجرى من تحتها الأنهار) أى الأربعة الخمر والماء والعسل واللبن (قوله خالدين فيها) عامله محذوف : أى دخلوها وأعطوها وقوله أبدا ظرف زمان منصوب بخالدين

(وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ) الملة (الْقَيِّمَةِ) المستقيمة (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة : أى مقدرا خلودهم فيها من الله تعالى (أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ . إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) الخليقة (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ) بطاعته (وَرَضُوا عَنْهُ) بثوابه (ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) خاف عقابه فانتهى عن معصيته تعالى .

(سورة الزلزلة)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ) حركت لقيام الساعة (زِلْزَالَهَا) : تحريكها

ورضى الله عنهم يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون خبرا ثانيا وعبر هنا فى أهل الجنة بأبدا ولم يذكرها فى أهل النار لأن المقام مقام بسط وجمال فالاطناب فيه من البلاغة (قوله بطاعته) أى بسببها وهو مصدر مضاف لمفعوله أى طاعتهم إياه أى قبلها منهم وجازاهم عليها (قوله بثوابه) أى بسبب إثابته لهم فهو من إضافة المصدر لفاعله قال الجنيد: الرضا يكون على قدر قوة العلم والرسوخ فى المعرفة ويصحب العبد فى الدنيا والآخرة وليس كالخوف والرجاء والصبر والاشفاق وسائر الأحوال التى تزول عن العبد فى الآخرة بل العبد يتنعم فى الجنة بالرضا ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائى أحلكم دارى : أى برضائى عنكم . وقال محمد بن الفضل الروح والراحة فى الرضا واليقين والرضا باب الله الأعظم ومحل استرواح العابدين (قوله ذلك لمن خشى ربه) اسم الاشارة عائد على المذكور من تفصيل الجزاء الحسن.

[سورة الزلزلة مكية] أى فى قول ابن مسعود وعطاء وجابر وقوله أو مدنية أى فى قول ابن عباس وقتادة (قوله إذا زلزلت الأرض الخ) إذا ظرف لما يستقبل من الزمان جوابه تحدث وهو عامل النصب فى إذا ولذا يقولون خافض لشرطه منصوب بجوابه وهذا هو التحقيق عند الجمهور (قوله حركت لقيام الساعة) هذا أحد قولين وهو أن الزلزلة المذكورة تكون عند النفخة الأولى ويشهد له قوله تعالى - إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت - الآية وعليه جمهور المفسرين والثانى أنها عند النفخة الثانية ويؤيده قوله بعد : تحدث أخبارها فان شهادتها بما وقع عليها إنما هو بعد النفخة الثانية وكذلك انصراف الناس من القبور . وأما قوله وأخرجت الأرض أثقالها فمحتمل (قوله زلزالها) مصدر مضاف لفاعله وهو بالكسر فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالفتح وهما مصدران بمعنى واحد وقيل المكسور مصدر والمفتوح اسم

تحريكها الشديد المناسب لعظمها (وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا) كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها (وَقَالَ الإِنْسَانُ) الكافر بالبعث (مَا لَهَا) إنكاراً لتلك الحالة (يَوْمَئِذٍ) بدل من إذا وجوابها (تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا) تخبر بما عمل عليها من خير وشر (بِأَنَّ) بسبب أن (رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) أي أمرها بذلك ، فى الحديث «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ماعمل على ظهرها» (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ) ينصرفون من موقف الحساب (أَشْتَاتاً) متفرقين ، فآخذ ذات اليمين إلى الجنة ، وآخذ ذات الشمال إلى النار (لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ) أى جزاءها من الجنة أو النار (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) زنة نملة صغيرة ،

(قوله تحريكها الشديد الخ) أى فلا تسكن حتى تلقى ماعلى ظهرها من جبل وشجر و بناء (قوله وأخرجت الأرض) إظهار فى مقام الاضمار لزيادة التقرير (قوله أثقالها) جمع ثقل بالكسر كحمل وأحمال (قوله كنوزها وموتاها) المناسب أن يعبر بأو لأنهما قولان قيل المراد إخراج الأموات ، وقيل المراد إخراج الكنوز والأول بعد النفخة الثانية والثانى فى زمن عيسى ومابعده وهما مفرعان على القولين المتقدمين فأعطى الله الأرض قوة على إخراج الأثقال كما أعطاها القوة على إخراج النبات اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير (قوله الكافر بالبعث) أى بخلاف المؤمن فانه يعترف بها و يقول هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون (قوله إنكاراً لتلك الحالة) المناسب أن يقول تعجبا من تلك الحالة لأنه وقت وقوع ذلك لايسعه إنكار بل يتعجب من تلك الحالة الفظيعة (قوله بدل من إذا) أى والعامل فيه هو العامل فى المبدل منه وقيل غيره والتنوين عوض عن الجمل الثلاث المذكورة بعد إذا (قوله تحدث أخبارها) اختلف فى هذا التحديث فقيل هو كلام حقيقى بأن يخلق الله فيها حياة و إدراكا فتشهد بما عمل عليها من طاعة ومعصية وهو الظاهر وقيل هو مجاز عن إحداث الله فيها من الأحوال مايقوم مقام التحديث باللسان وحدث يتعدى إلى مفعولين الأول محذوف تقديره الناس والثانى قوله أخبارها (قوله أوحى لها) عداه باللام لمراعاة الفواصل والوحى إليها إما بالهام أورسول من الملائكة (قوله بذلك) أى بالتحديث بأخبارها (قوله فى الحديث الخ) أشار بذلك إلى حديث جرير قال «قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ـ يومئذ تحدث أخبارها ـ فقال أتدرون ماأخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول عمل على كذا وكذا» رواه أحمد والترمذى وصححه الحاكم وغيره (قوله يومئذ) بدل من يومئذ قبله أومنصوب بيصدر (قوله من موقف الحساب) أى وقيل يرجعون من قبورهم إلى ربهم (قوله أشتاتا) حال من الناس جمع شتيت وقوله متفرقين أى على حسب وصفهم بالايمان وضده وتفاوتهم فى الأعمال فأهل الايمان على حدة وأهل الكفر على حدة فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار (قوله ليروا أعمالهم) متعلق بيصدر وهو من الرؤية البصرية يتعدى بالهمز إلى اثنين أولهما الواو التى هى نائب الفاعل وثانيهما أعمالهم (قوله فمن يعمل مثقال ذرة الخ) تفصيل للواو فى قوله ليروا أعمالهم قال مقاتل نزلت فى رجلين أحدهما كان يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة و يقول إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر فنزلت هذه الآية لترغبهم فى القليل من الخير يعطونه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «اتقوا النار ولو بشق تمرة من لم يجد فبكلمة طيبة» ولتحذرهم اليسير من الذنب ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « لعائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا» وقال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية فى القرآن وأصدق . وقال كعب الأحبار : لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا مافى التوراة والانجيل والزبور والصحف ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ـ إن قلت كيف عمم مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر . أجيب بأن المعنى يرى كل من المؤمن والكافر حسناته وسيئاته مكتوبة فى الصحف ولايلزم من رؤيتها جزاؤه عليها لما ورد عن ابن عباس «ليس من مؤمن وكافر عمل خيرا كان أوشرا إلا أراه الله إياه فأما المؤمن فيغفر له سيئاته و يثيبه بحسناته وأما الكافر فترد حسناته تحسرا و يعذب بسيئاته» وهذا يساعده النظم الكريم (قوله زنة نملة صغيرة) أى وكل مائة منها وزن حبة شعير وأربع ذرات وزن خردلة ، وقال ابن عباس : إذا وضعت يدك على الأرض ورفعتها فكل واحدة مما لزق من التراب ذرة وفسر الذرة بعضهم بالهباءة التى ترى طائرة فى الشعاع الداخل من الكوة . وقيل الذرة جزء من ألف

وأربعة وعشرين جزءا من الشعيرة (قوله خيرا) تمييز مثقال وكذا شرا ويصح أنهما بدلان من مثقال ويره في الموضعين جواب الشرط جزوم بحذف الألف وهي قراءة العامة وقرئ شذوذا بإثباتها ويكون مجزوما بحذف الحركة المقدرة على حد قول الشاعر :

إذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضاها ولا تملق

وفي الهاء قراءتان سبعيتان إحداهما سكونها وقفا ووصلا في الحرفين والثانية بضمها وصلا وسكونها وقفا . [فائدة] ورد «أن من قرأ إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله» وورد عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن وقل يأيها الكافرون تعدل ربع القرآن» .

[سورة والعاديات] وتسمى سورة العاديات بغير واو (قوله مكية) أي في قول ابن مسعود وغيره وقوله أومدنية أي في قول ابن عباس وغيره ويؤيده ماروى أنه عليه السلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت إعلاما له بما حصل منهم (قوله والعاديات الخ) أقسم سبحانه وتعالى بأقسام ثلاثة على أمور ثلاثة تعظيما للمقسم به وتشنيعا على المقسم عليه والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو المشي بسرعة (قوله الخيل تعدو في الغزو) أي تسرع في الكر على العدو وهو كناية عن مدح الغزاة وتعظيمهم (قوله وتضبح ضبحا) أشار بذلك إلى أن ضبحا منصوب بفعل محذوف وهذا الفعل حال من العاديات (قوله هو صوت أجوافها) أي صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو وليس بصهيل ولا حمحمة. وقال ابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير حالها من تعب أو فزع (قوله فالموريات) عطفه وما بعده بالفاء لأنه مرتب على العدو (قوله تورى النار) أي تخرجها من الحجارة إذا ضربتها بحوافرها يقال ورى الزند يرى وريا من باب وعد فهو لازم وأوريت

(٣٢٦)

(خَيْرًا يَرَهُ) ير ثوابه (وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ير جزاءه .

(سورة والعاديات)

مكية أو مدنية، إحدى عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَادِيَاتِ) الخيل تعدو في الغزو وتضبح (ضَبْحًا) هو صوت أجوافها إذا عدت (فَالْمُورِيَاتِ) الخيل تورى النار (قَدْحًا) بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) الخيل تغير على العدوّ وقت الصبح بإغارة أصحابها (فَأَثَرْنَ) هيجن (بِهِ) بمكان عدوهن أو بذلك الوقت (نَقْعًا) غبارا لشدة حركتهن (فَوَسَطْنَ بِهِ) بالنقع (جَمْعًا) من العدوّ ، أي صرن وسطه ،

وعطف رباعيا لازما ومتعديا وما في الآية من قبيل المتعدى بدليل تفسير المفسر (قوله قدحا) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره تقدح ولم يذكره المفسر اتكالا على ماقاله في ضبحا (قوله فالمغيرات) أسند الاغارة وهي مباغتة العدو للنهب أو القتل أو الأسر للخيل مجازا عقليا لمجاورتها لأصحابها وحقه أن يسند لهم (قوله وقت الصبح) أشار بذلك إلى أن صبحا منصوب على الظرفية والصبح هو الوقت المعتاد في الغارات يسيرون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون (قوله بمكان عدوهن الخ) أعاد الضمير على المكان وإن لم يتقدم له ذكر لأن العدو لابد له من مكان ، وقوله أو بذلك الوقت أي وقت الصبح فهما تفسيران وعلى كل فالباء من به بمعنى في (قوله فوسطن) أتى بالفاء في هذا والذين قبله لترتيب كل على ماقبله فإن توسط الجمع مترتب على الاثارة المتقدمة على الاغارة المترتبة على العدو (قوله بالنقع) أشار بذلك إلى أن ضمير به عائد على النقع والباء للملابسة والمعنى صرن وسط الجمع من الأعداء ملتبسات بالنقع (قوله أي صرن وسطه) أي الجمع ووسط بسكون السين إن صح حلول بين محله كما هنا وإلا فهو بالتحريك ويجوز على قلة إسكانها يقال جلست وسط القوم بالسكون ووسط الدار بالتحريك .

(قوله على الاسم) أى على كل من الأسماء الثلاثة بدليل قوله واللاتى عدون الخ وقوله لأنه أى الاسم وقوله فى تأويل الفعل أى لوقوعه صلة لأل وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

واعطف على اسم شبه فعل فعلا ... وعكسا استعمل تجده سهلا

(قوله إن الانسان) هذا هو جواب القسم (قوله الكافر) هذا أحد وجهين والآخر أن المراد به الجنس ، والمعنى أن الانسان مجبول على ذلك إلا من عصمه الله من تلك الخصال (قوله لكفور) أى فيقال كند النعمة أى كفرها وبابه دخل ، وفى الحديث «الكنود الذى يأكل وحده ويمنع رفده أى عطاءه ويضرب عبده» وقال ذوالنون المصرى: الهلوع والكنود هو الذى إذا مسه الشر جزوع وإذا مسه الخير منوع وقيل هو الجهول لقدره ، وفى الحكم : من جهل قدره هتك ستره ، وقيل هو الحقود الحسود (قوله وإنه على ذلك) الضمير عائد على الانسان واسم الاشارة عائد على الكنود . والمعنى وإن الانسان على كنوده لشهيد والمراد شهادته فى الدنيا فان حاله وعمله يدلان على

كنوده وكفره وهذا ما مشى عليه المفسر وهو أحد احتمالين والآخر أن الضمير فى أنه عائد على الله تعالى ، والمعنى وإن الله تعالى لشهيد على كنود الانسان فيكون زيادة فى الوعيد (قوله بصنعه) أى بما صنعه وعمله فالباء سببية (قوله لحب الخير) متعلق بشديد قدم كالذى قبله رعاية للفواصل واللام للتقوية وحبه للمال يحمله على البخل وقيل للتعليل ومعنى شديد بخيل (قوله أفلا يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أيفعل ما يفعل من القبائح فلا يعلم الخ والهمزة

وعطف الفعل على الاسم لأنه فى تأويل الفعل : أى واللاتى عدون فأورين فأغرن (إِنَّ الْإِنسَانَ) الكافر (لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) لكفور يجحد نعمته تعالى (وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ) أى كنوده (لَشَهِيدٌ) يشهد على نفسه بصنعه (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ) أى المال (لَشَدِيدٌ) أى لشديد الحب له فيبخل به (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ) أثير وأخرج (مَا فِي الْقُبُورِ) من الموتى ، أى بعثوا (وَحُصِّلَ) بيّن وأفرز (مَا فِي الصُّدُورِ) القلوب من الكفر والإيمان (إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ) لعالم فيجازيهم على كفرهم أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان ، وهذه الجملة دلت على مفعول يعلم : أى إنا نجازيه وقت ما ذكر ، وتعلق خبير بيومئذ ، وهو تعالى خبير دائماً لأنه يوم المجازاة .

للانكار وعلم بمعنى عرف فتعدى المفعول واحد وهو محذوف تقديره إنا نجازيه دل عليه قوله إن ربهم بهم يومئذ لخبير ، وقوله إذا بعثر ظرف للمفعول المحذوف ولا يصح أن يكون ظرفا للعلم لأن الانسان لايقصد منه العلم فى ذلك الوقت وإنما يراد العلم وهو فى الدنيا ولا لبعثر لأن المضاف إليه لايعمل فى المضاف ولا لقوله خبير لأن مابعد أن لايعمل فيما قبلها فتعين أن يكون ظرفا للمفعول المحذوف تأمل (قوله إذا بعثر ما فى القبور) البعثرة بالعين والبحثرة بالحاء استخراج الشىء واستكشافه وعبر بما تغليبا لغير العاقل (قوله نظرا لمعنى الانسان) أى لأنه اسم جنس (قوله دلت على مفعول يعلم) أى المحذوف الذى هو عامل فى إذا والتنوين فى يومئذ عوض عن جملتين والتقدير يوم إذ بعثر ما فى القبور وحصل فى الصدور وهو يوم القيامة (قوله وقت ما ذكر) أى من البعثرة وتحصيل ما فى الصدور وأشار بذلك إلى أن إذا ظرفية بمعنى وقت لاشرطية فلا جواب لها (قوله وتعلق خبير بيومئذ الخ) جواب عما يقال كيف قال ذلك مع أنه تعالى خبير بهم فى كل زمن فأجاب بأنه أطلق العلم وأراد المجازاة فمعنى قوله لخبير أنه يجازيهم ولا شك أن الجزاء مقيد بذلك اليوم نظير قوله تعالى ـ أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم أى يجازيهم .

[سورة القارعة] مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما ذكر بعثرة القبور وختم السورة المتقدمة بقوله إن ربهم بهم يومئذ لخبير أتبعه بأحوال القيامة كأنه قيل وما ذلك اليوم فقيل هو القارعة (قوله ثمان آيات) هذا أحد أقوال وقيل عشر وقيل إحدى عشرة آية (قوله القارعة) هي في الأصل الصوت الشديد سميت القيامة بذلك لأنها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وعليه درج المفسر وقيل لأن إسرافيل يقرع الصور بالنفخ ، فإذا نفخ النفخة الأولى مات جميع الخلائق ، وبالثانية يحيون (قوله التي تقرع القلوب) أي تفزعها ولا مفهوم للقلوب بل تؤثر في الأجرام العظيمة فتؤثر في السموات بالانشقاق وفي الأرض بالتبديل وفي الجبال بالدك والنسف وفي الكواكب بالانتثار وفي الشمس والقمر بالتكوير وغير ذلك (قوله تهويل لشأنها) أي وتأكيد لفظاعتها بكونها خارجة عن دائرة علم الخلائق وفي كلام المفسر إشارة إلى أن ما الاستفهامية فيها معنى التعظيم والتعجب (قوله وهما مبتدأ وخبر) المبتدأ هو ما الاستفهامية والخبر القارعة وقوله القارعة أي الأولى الواقعة مبتدأ والرابط إعادة المبتدإ بلفظه (قوله زيادة تهويل لها) أشار بذلك إلى أن الاستفهام الثاني وهو قوله ما القارعة للتهويل والتعظيم وأما الأول وهو وما أدراك فهو إنكاري ، والمعنى أنت لا تعلم

هول القارعة لشدته وفظاعته إلا بوحي منا فالمنفي علمه من غير وحي

(سورة القارعة)

مكية ، ثمان آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم . القارعة) أي القيامة التي تقرع القلوب بأهوالها (ما القارعة) تهويل لشأنها وهما مبتدأ وخبر خبر القارعة (وما أدراك) أعلمك (ما القارعة) زيادة تهويل لها ، وما الأولى مبتدأ وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدرى (يوم) ناصبه دل عليه القارعة : أي تقرع و (يكون الناس كالفراش المبثوث) كغوغاء الجراد المنتشر يموج بعضهم في بعض للحيرة إلى أن يدعوا للحساب (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض (فأما من ثقلت موازينه) بأن رجحت حسناته على سيئاته (فهو في عيشة راضية) في الجنة : أي ذات رضا بأن يرضاها أي مرضية له (وأما من خفت موازينه) ،

(قوله في محل المفعول الثاني لأدرى) أي والكاف مفعول أول (قوله دل عليه القارعة) أي ولا يصح أن يكون العامل فيه لفظ القارعة الأول للفصل بينهما بالخبر ولا الثاني ولا الثالث لعدم التئامه معه في المعنى فتعين أن يكون عامله محذوفا دل عليه لفظ القارعة (قوله كالفراش المبثوث) أي ووجه الشبه الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى النار والطيش الذي يلحقهم وركوب بعضهم بعضا ففي هذا التشبيه مبالغات شتى (قوله كغوغاء

بأن

الجراد) الغوغاء الجراد الصغير بعد أن ينبت جناحه الذي ينتشر في الأرض ولا يدري أين يتوجه وقيل هو شيء يشبه البعوض ولا يعض لضعفه ووجه الجمع بين ما هنا وبين آية كأنهم جراد منتشر أن أول حالهم كالفراش يقومون من قبورهم متحيرين لا يدرون أين يتوجهون ثم لما يدعون للحساب يكونون كالجراد لأن لها وجها تقصده (قوله كالصوف المندوف) أي بعد أن تتفتت كالرمل السائل ثم بعد كونها كالعهن تصير هباء منبثا فمراتب الجبال ثلاثة تفتتها ثم صيرورتها كالعهن ثم صيرورتها هباء منبثا وقوله المندوف أي المضروب بالمندفة وهي الخشبة التي يطرق بها الوتر ليرق و إنما جمع بين حال الناس وحال الجبال تنبيها على أن تلك القارعة أثرت في الجبال العظيمة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش مع كونها غير مكلفة فكيف حال الانسان الضعيف الذي هو مقصود بالتكليف والحساب (قوله فأما من ثقلت موازينه) تفصيل لأحوال الناس في ذلك اليوم والمراد بالموازين الموزونات أي الأعمال التي توزن (قوله بأن رجحت حسناته الخ) أي وأولى إذا عدمت سيئاته ولم يوجد له إلا الحسنات (قوله فهو في عيشة راضية) أي حياة طيبة وقوله في الجنة تفسير باللازم (قوله أي ذات رضا) أشار بذلك إلى أن المراد عيشة منسوبة للرضا كلابن وتامر ، ولذا فسرها بقوله : أي مرضية وفي نسخة أو مرضية فهو إشارة إلى أن الاسناد مجازي أي راض صاحبها بها فهو مجاز عقلي أو أطلق اسم الفاعل

وأراد اسم للفعول فهو مجاز مرسل ، والمعنى أن من رجحت حسناته على سيئاته فهو فى حياة طيبة فى الجنة ورضا من الله تعالى عليه وهو مع ذلك راض بما أعطاه له ربه فرضى الله عنهم ورضوا عنه (قوله بأن رجحت سيئاته على حسناته) أى وأولى إذا عدمت حسناته رأسا . إن قلت إن ظاهر الآية يقتضى أن المؤمن العاصى إذازادت سيئاته على حسناته تكون أمه هاوية . وأجيب بأن ذلك لا يدل على خلوده فيها بل إن عامله ربه بالعدل أدخله النار بقدر ذنوبه ثم يخرج منها إلى الجنةفقوله : فأمه هاوية يعنى ابتداء إن عامله بالعدل وهذا مادرج عليه المفسر ، وقيل المراد بخفة الموازين خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار ، والمراد بثقل الموازين خلوها من السيئات بالكلية أو وجود سيئات قليلةلاتوازى الحسنات . و بقى قسم ثالث وهو من استوت حسناته وسيئاته وحكمه أنه يحاسب حسابا يسيرا و يدخل الجنة . والحاصل أن من وجدت له حسنات فقط أو زادت على سيئاته فهوفى الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته فهو يحاسب حسابا يسيرا و يدخل الجنة ، ومن زادت سيئاته على حسناته فهو تحت المشيئة إن شاء الله عفا عنه و إن شاء عذبه بقدر جرمه ثم يدخل الجنة ومن وجدت له سيئات فقط وهو الكافر فمأواه النار خالدا فيها ، نسأل الله السلامة (قوله فمسكنه) عبر عن المسكن بالأم لأن أهله يأوون إليه كما يأوى الولد إلى أمه فتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد إليها ، وقيل المراد أم رأسه يعنى أنهم يهوون فى النار على رءوسهم و به قال قتادة (قوله هاوية) سميت بذلك لغاية عمقها و بعد مهواها ، روى «أن أهل النار يهوون فيها سبعين خريفا» فتحصل أن المراد بالهاوية النار بجميع طباقها و تطلق على طبقة أسفل يعذب فيها المنافقون فمثل اللظى (٣٢٩) والحطمة والهاوية وجهنم وبقية أسمائها تطلق عامة وخاصة

بأن رجحت سيئاته على حسناته (فَأُمُّهُ) فسكنه (هَاوِيَةٌ . وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ) أى ماهاوية هى (نَارٌ حَامِيَةٌ) شديدة الحرارة ، وهاء هيه للسكت تثبت وصلا ووقفا وفى قراءة تحذف وصلا .

(سـورة التكاثر)

مكية ، ثمان آيات

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلْهَاكُمُ) شغلكم عن طاعة الله (التَّكَاثُرُ) التفاخر بالأموال والأولاد والرجال (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) بأن متم فدفنتم فيها أو عددتم الموتى تكاثرا

وفى الآية احتباك حذف من الأول فأمه الجنة وذكر فى عيشة راضية وحذف من هنا فى عيشة ساخطة وذكر فأمه هاوية فحذف من كل نظير ما أثبته فى الآخر (قوله ماهيه) مبتدأ وخبر والجملة سدت مسد المفعول الثانى لأدراك والكاف مفعوله الأول (قوله هى نار) أشار بذلك إلى أن نار خبر لمحذوف (قوله وفى قراءة) أى وهما سبعيتان وقوله تحذف وصلا أى وتثبت وقفا .

[سورة التكاثر] أى السورة التى ذكر فيها ذم التكاثر ومناسبتها لما قبلها أنه لما ذكر أهوال القيامة ذم اللاهين والمشتغلين عنها (قوله ألهاكم التكاثر) ألهى فعل ماض رباعى والكاف مفعول مقدم والتكاثر فاعل مؤخر فالهمزة من بنية الكلمة تثبت ولو فى الدرج ، والمعنى شغلكم التباهى بكثرة الأموال عن عبادة ربكم والتكاثر تفاعل كالتجاذب وهو يكون بين اثنين ، لأن أحد الشخصين المتفاخرين يقول لصاحبه : أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ، وأل فى التكاثر للعهد وهو التكاثر فى الدنيا ولذاتها وعلائقها الشغل عن حقوق لله تعالى (قوله عن طاعة الله) هى شاملة للواجبة والمندوبة (قوله والرجال) أى الانتساب إليهم كالأقرباء والأحباب (قوله حتى زرتم المقابر) حتى غاية للالهاء المذكور وهذا هو محط الذم و إلا فإن تاب من ذلك قبل موته قبل بكأنه لم يحصل منه تكاثر (قوله بأن متم فدفنتم فيها) أى فيقال زار قبره إذا مات ودفن ، والمعنى ألهاكم حرصكم على تكثير أموالكم عن طاعة ربكم حتى أتاكم الموت وأنتم على ذلك ، ولا يقال إن الزيارة تكون ساعة وتنقضى والميت يمكث فى قبره ، لأنا نقول إن الموتى يتحولون من القبور للحساب فكأن مدة مكثه فى قبره زيارة له والمقابر جمع مقبرة بتثليث الباء وهى المحل الذى تدفن فيه الأموات (قوله أو عددتم الموتى) تفسير ثان للزيارة فعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وعليه فزيارة المقابر كناية عن الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات تفاخرا ، وإنما كان تهكما لأن زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء

عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سببا لمزيد القساوة والاستغراق فى حب الدنيا والتفاخر فى الكثرة . فحاصل الوجهين راجع إلى أن المراد بالزيارة إما الانتقال إلى الموت أو الانتقال من ذكر الأحياء إلى ذكر الأموات وتعدادهم والتفاخر بهم ومن ذلك مايفعله أهل زماننا من زخرفة النعوش والقبور ومايتبع ذلك مما هو مذموم شرعا وطبعا . وأما ذكر مكارم الأخلاق والطاعات فيجوز إن لم يكن على وجه العجب بل على سبيل التحدث بالنعم أو ليقتدى به (قوله ردع) مشى المفسر على أن كلا الأولى والثانية حرف ردع ، والثالثة بمعنى حقا ومشى غيره على التسوية بين الثلاثة فهى فيها إما للردع أو بمعنى حقا ، وقيل إنها فى الثلاثة بمعنى ألا الاستفتاحية (قوله عند النزع ثم فى القبر) لف ونشر مرتب فقوله عند النزع راجع لقوله سوف تعلمون الأول وقوله ثم فى القبر راجع للثانى وثم على بابها من المهلة وهذا قول على بن أبى طالب . والحكمة فى حذف متعلق العلم من الأفعال الثلاثة أن الغرض هو الفعل لامتعلقه والعلم بمعنى المعرفة فيتعدى لمفعول واحد أشار له المفسر بقوله سوء عاقبة تفاخركم (قوله أى علما يقينا) أشار بذلك إلى أن إضافة العلم إلى اليقين من إضافة الموصوف إلى صفته ، والمعنى لو تعلمون مابين أيديكم علما يقينا ماشغلكم التكاثر عن طاعة الله تعالى (قوله عاقبة التفاخر) بيان لمفعول العلم وقوله ما اشتغلتم به جواب لو (قوله جواب قسم محذوف) أى ولا يصح أن يكون جوابا للو لأنه محقق الوقوع فلا يصح تعليقه . والرؤية هنا بصرية تتعدى إلى مفعول واحد (قوله وحذف منه لام الفعل) أى وهى الياء وقوله وعينه : أى وهو الهمزة لأن أصله ترأيون بوزن تفعلون نقلت حركة الهمزة للراء قبلها (٣٣٠) فسقطت الهمزة وتحركت الياء وانفتح ماقبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذفت الألف لالتقاء الساكنين ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة فحذفت نون الرفع لتوالى الأمثال وحركت الواو بالضمة لالتقاء الساكنين ولم تحذف لعدم الدليل الذى يدل عليها (قوله تأكيد) هذا أحد قولين والآخر أن الأول هو رؤية اللهب والثانى هو رؤية ذاتها وما فيها من أنواع العذاب (قوله عين اليقين) صفة لمصدر محذوف : أى لترونها رؤية هى عين اليقين ووصفت الرؤية التى هى سبب اليقين بكونها نفس اليقين مبالغة،والفرق بين علم اليقين وعين اليقين أن علم اليقين هو إدراك الشئ من غير مشاهدة،وعين اليقين هو العلم به مع المشاهدة.وأما حق اليقين فهو المشاهدة مع الملاصقة والممازجة ، وقد أخبر الله هنا بالأولين وأخبر بالثالث فى سورة الواقعة حيث قال ــ وأما إن كان من المكذبين الآية (قوله ثم لتسئلن) الأظهر أن الخطاب للكفار لأنهم هم المشتغلون بالدنيا والتفاخر بها عن طاعة الله تعالى وقيل هو عام فى حق المؤمن والكافر ، فعن أنس أنه قال «لما نزلت الآية قام رجل أعرابى محتاج فقال هل على من النعم شئ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الظل والنعلان والماء البارد» . والأولى أن يقال السؤال يعم المؤمن والكافر لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لتركه الشكر وسؤال المؤمن تشريف وإظهار لفضله وتبشير بأن يجمع له بين نعيم الدنيا والآخرة وثم على بابها من الترتيب المعنوى لأنهم يرون النار فى الموقف تحدق بهم ثم يذهبون للحساب فيسئلون (قوله حذفت منه نون الرفع) أى فأصله تسئلون حذفت نون الرفع لتوالى النونات فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقائهما وبقيت الضمة دليلا عليها (قوله عن النعيم) أى عن جميع أفراده وأنواعه فأل للاستغراق (قوله وغير ذلك) أى كظلال المساكن والأشجار والأخبية التى تقى من الحر والبرد والماء البارد وكحل العين ولبس الانسان ثوب أخيه وشبع البطن ولذة النوم والعافية ونحو ذلك مما لايحصى عددا . روى الحاكم والبيهقى «ألايستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم؟ قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية؟ قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر» .

(كَلَّا) ردع (سَوْفَ تَعْلَمُونَ . ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) سوء عاقبة تفاخركم عند النزع ثم فى القبر (كَلَّا) حقا (لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) أى علما يقينا عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) النار جواب قسم محذوف وحذف منه لام الفعل وعينه وألقى حركتها على الراء (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا) تأكيد (عَيْنَ الْيَقِينِ) مصدر لأن رأى وعاين بمعنى واحد (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (يَوْمَئِذٍ) يوم رؤيتها (عَنِ النَّعِيمِ) مايتلذذ به فى الدنيا : من الصحة ، والفراغ ، والأمن ، والمطعم ، والمشرب وغير ذلك .

(سورة

[سورة والعصر مكية] أى فى قول ابن عباس والجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول قتادة ونقل عن ابن عباس أيضا (قوله ثلاث آيات) هذه السورة والكوثر أقصر سور القرآن وهما وإن كانتا من جهة الألفاظ قليلتين فمعناهما كثير لايقف عند حد (قوله والعصر) قسم من الله تعالى وجوابه قوله : إن الانسان لفى خسر (قوله الدهر الخ) هذا أحد الأقوال الثلاثة التى ذكرها المفسر فى معنى العصر ووجه قسمه بالدهر أنه يحصل فيه السراء والضراء والصحة والسقم والغنى والفقر ونحو ذلك ، ولأن العمر لايقاوم بشىء فلو ضيعت ألف سنة فيما لايعنى ثم ثبتت السعادة فى اللحة الأخيرة بقيت فى الجنة أبد الآباد فكان أشرف الأشياء حياتك فى تلك اللحة ولأن الدهر والزمان من جملة أصول النعم ، وقوله أو مابعد الزوال إلى الغروب : أى ووجه القسم به أن فيه العجائب وأيضا يدرك للقصر فيما فاته أول النهار ، وقوله أو صلاة العصر : أى فأقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة الوسطى فى قول بدليل ما فى مصحف عائشة وحفصة: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر ولما ورد « من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله » وقيل العصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقسم بزمانه كما أقسم بمكانه فى قوله : لاأقسم بهذا البلد و بعمره فى قوله : لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون ، ففيه تنبيه على أن عصره أفضل العصور و بلده أفضل البلاد وحياته أفضل من حياة غيره ، وقيل العصر زمانه وزمان أمته لأنه ختام العصور وأفضلها وفيه ظهور الساعة وعجائبها (قوله إن الانسان لفى خسر) مشى المفسر على أن المراد بالانسان الجنس الشامل للسلم والكافر ، وذلك لأن الانسان لا ينفك عن خسران لأن الخسران هو تضييع العمر فان كل ساعة تمر من عمر الانسان إما أن تكون تلك الساعة فى طاعة أومعصية

(سـورة والعصر)

مكية أو مدنية ، ثلاث آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . وَالْعَصْرِ) الدهر ، أو ما بعد الزوال إلى الغروب ، أو صلاة العصر (إِنَّ الْإِنسَانَ) الجنس (لَفِي خُسْرٍ) فى تجارته (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) فليسوا فى خسران (وَتَوَاصَوْا) أوصى بعضهم بعضاً (بِالْحَقِّ) أى الإيمان (وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) على الطاعة وعن المعصية .

فان كانت فى معصية فهو الخسران البين و إن كانت فى طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر عليه فكان فعل غير الأفضل تضييعا وخسرانا وأيضا ربح الإنسان فى طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ؛ فلما كانت الأسباب الداعية إلى الآخرة خفية والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة وأكثر اشتغال الناس بحب الظاهر كانوا فى خسار و بوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لم يخلقوا له وقوله : لفى خسر : أى غبن . وقيل هلكة . وقيل عقوبة . وقيل شر . وقيل نقص ، والمعنى متقارب ، وقيل المراد بالانسان الكافر بدليل استثناء المؤمنين بعد وخسرانه ظاهر (قوله إلا الذين آمنوا) الاستثناء متصل إن أريد بالانسان الجنس . وأما إن أريد به خصوص الكافر فهو منقطع لأن المؤمنين لم يدخلوا فى عموم الخسران (قوله وعملوا الصالحات) أى امتثلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات . واعلم أنه سبحانه وتعالى حكم بالخسران على جميع الناس إلا من أتى بهذه الأشياء الأربعة ، وهى الايمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر . والحكمة فى ذلك أن هذه الأمور اشتملت على مايخص الانسان فى نفسه وهو الايمان والعمل الصالح وما يخص غيره وهو التواصى بالحق والتواصى بالصبر فاذا جمع ذلك فقد قام بحق الله وحق عباده (قوله أوصى بعضهم بعضا) أشار بذلك إلى أن تواصوا فعل ماض لا فعل أمر (قوله أى الايمان) أى وفروعه من الطاعات واتباع السلف الصالح والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة ونحو ذلك (قوله وتواصوا بالصبر) كرر الفعل لاختلاف المفعولين ، والصبر وإن كان داخلا فى عموم الحق إلا أنه أفرده بالذكر اعتناء بشأنه لما فيه من زيادة حبس النفس والرضا بأحكام الربوبية (قوله على الطاعة وعن المعصية) أى وعلى البلايا والمصائب وهذا ماذكره المفسر . وقيل المعنى إن الانسان إذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وتراجع حسا ومعنى إلا الذين آمنوا فان الله يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم فانهم و إن ضعفت أجسامهم لاينقصون معنى وعلى هذا المعنى فتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى ـ لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ـ .

[سورة الهمزة] مناسبتها لما قبلها أنه لما قال : إن الانسان لفي خسر بين في هذه حال الخاسرين وبأ لهم (قوله كلمة عذاب) أي كلمة يخاطب بها المعذب ويدعى بها وعلى هذا فتكون الجملة إنشائية سوّغ الابتداء به مع كونها نكرة قصد الدعاء عليهم بالهلكة . إن قلت كيف يدعو الله بذلك مع أنه هو المنشئ للأفعال كلها ؟ . أجيب بأنه طلب من نفسه إلحاق الويل لهم إظهارا لآثار غضبه كما يفعل الغضبان بمن غضب عليه وتقدم ذلك (قوله أو واد في جهنم) أو لتنويع الخلاف وعلى هذا فالجملة خبرية ويكون ويل حينئذ معرفة لكونه علما (قوله لكل همزة لمزة) الهمز في الأصل الكسر واللمز الطعن الحسيان ثم خصا بالكسر لأعراض الناس والطعن فيهم والتاء فيهما للمبالغة في الوصف واطرد بناء فعلة بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل أي المكثر من الفعل وإذا سكنت العين يكون لمبالغة المفعول ، يقال رجل لعنة بفتح العين لمن كان يكثر لعن غيره ولعنة بسكون العين إذا كان ملعونا للناس والهمز كاللمز وزنا ومعنى وبابه ضرب . قال ابن عباس : هم المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون العيب للبريء ، وقال صلى الله عليه وسلم « شرّ عباد الله المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب » وعلى هذا القول فاللمزة تأكيد للهمزة من باب التأكيد بالمرادف كقولهم حسن بسن وعفريت نفريت ، وقيل إن معناهما مختلف فقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه ، وقيل بالعكس ، وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم ، وقيل الهمز باللسان واللمز بالعين ، وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه ، وهذه الأقوال كلها ترجع إلى الطعن وإظهار العيب فيدخل في ذلك من يحاكي الناس في أقوالهم وأفعالهم وأصواتهم ليضحكوا منه (قوله وغيرهما) أي كالأخنس بن شريق والعاص بن وائل السهمي وجميل بن معمر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا وعيد لمن يغتاب المسلمين ولاسيما العلماء والصلحاء ولكن يقال هو مخلد في النار إن مات كافرا وإلا فهو تحت المشيئة (قوله الذي جمع مالا) بدل كل من كل (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما سبعيتان فقراءة التشديد تفيد التفاني والمبالغة في الجمع بخلاف قراءة التخفيف ونكر مالا للتعظيم (قوله وعدّده) العامة على تشديد الدال الأولى وقرئ شذوذا بتخفيفها والضمير إما عائد على المال والتقدير وجمع عدده أي أحصاه وعلمه أو عائد على نفسه ، والمعنى جمع مالا وجمع عدد نفسه من عشيرته وأقاربه وعلى هذين الوجهين فعدده اسم معطوف على مالا ويحتمل أن عدد فعل ماض بمعنى عدّه إلا أنه غير مدغم (قوله وجعله عدة) الواو بمعنى أو لأنهما تفسيران ، فعلى الأول هو مأخوذ من العد وعلى الثاني من العدة بمعنى الاستعداد لادخار لحوادث الزمن (قوله يحسب أن ماله الخ) إما مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما باله يجمع المال ويهتم به أو حال من فاعل جمع (قوله أخلده) هو ماض بمعنى المضارع أي يظن لجهله أن ماله يوصله إلى رتبة الخلود في الدنيا فيصير خالدا فيها ولا يموت أو يعمل من تشييد البنيان وغرس الأشجار وعمارة الأرض عمل من ظن أن ماله أبقاه حيا (قوله ردع) أي عن حسبانه المذكور فالمعنى ليس الأمر كما يظن أن المال أخلده ، وقيل إن كلا بمعنى حقا (قوله التي تحطم) أي تكسر فالحطمة مماثلة لعمله لفظا ومعنى لأنها بوزن همزة ولمزة (قوله وما أدراك) استفهام إنكاري بمعنى النفي أي لم تعلم قدر هولها وعظمه إلا بوحي من ربك (قوله نار الله) الإضافة للتفخيم والتعظيم .

(سورة الهمزة)

مكية ، أو مدنية ، تسع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَيْلٌ) كلمة عذاب ، أو وادٍ في جهنم (لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) أي كثير الهمز واللمز : أي الغيبة . نزلت فيمن كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما (الَّذِي جَمَعَ) بالتخفيف والتشديد (مَالاً وَعَدَّدَهُ) أحصاه وجعله عدّة لحوادث الدهر (يَحْسَبُ) لجهله (أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ) جعله خالداً لا يموت (كَلاَّ) ردع (لَيُنْبَذَنَّ) جواب قسم محذوف : أي ليطرحن (فِي الْحُطَمَةِ) التي تحطم كل ما ألقي فيها (وَمَا أَدْرَاكَ) أعلمك (مَا الْحُطَمَةُ . نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ) : المسعرة

(قوله السعرة) بالتخفيف والتشديد أى للهيجة الشديدة اللهب التى لاتخمد أبدا (قوله التى تطلع على الأفئدة) أى تنشاها وتحيط بها، وخص الأفئدة بالذكر لكونها ألطف ما فى الجسد وأشده تألما بأدنى عذاب، أولأنها محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة فهى منشأ الأعمال السيئة (قوله وألمها) أى القلوب، والمعنى تألمها أشد من تألم غيرها من بقية البدن. ومن المعلوم أن الألم إذا وصل إلى الفؤاد مات صاحبه فهم فى حال من يموت وهم لايموتون، قال تعالى: لايموت فيها ولايحيا، قال محمد بن كعب: تأكل النار جميع مافى أجسادهم حتى إذا بلغت إلى الفؤاد خلقوا خلقا جديدا فترجع تأكلهم وهكذا (قوله بالهمز و بالواو) أى فهما سبعيتان (قوله بضم الحرفين و بفتحهما) أى فهما سبعيتان أيضا وقرئ شذوذا بضم فسكون وهو تخفيف القراءة الأولى فعلى الضم يكون جمع عمود كرسول ورسل، وقيل هو جمع عماد ككتاب وكتب وعلى الفتح يكون اسم جمع لعمود، وقيل هو جمع له وفى بمعنى الباء: أى موصدة بعمد ممددة لما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم «إن الله يبعث إليهم ملائكة بأطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الأطباق وتشد بتلك المسامير وتمد بتلك العمد فلايبقى فيها خلل يدخل فيه روح ولايخرج منه غم وينساهم الرحمن على عرشه: أى يحجبهم عن رحمته ويتشاغل أهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها وينقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى: إنها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة»، وقيل إن النار داخل العمد وهم داخله ويطبق عليهم وعليه درج المفسر، وقيل المعنى يعذبون بعمد وقيل العمد الأغلال فى أعناقهم، وقيل القيود فى أرجلهم، وقيل معنى عمد ممددة دهر مؤبد لا آخر له.

السعرة (الَّتِي تَطَّلِعُ) تشرف (عَلَى الْأَفْئِدَةِ) القلوب فتحرقها، وألمها أشد من ألم غيرها للطفها (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ) جمع الضمير رعاية لمعنى كل (مُؤْصَدَةٌ) بالهمز و بالواو بدله: مطبقة (فِي عَمَدٍ) بضم الحرفين و بفتحهما (مُمَدَّدَةٍ) صفة لما قبله فتكون النار داخلة العمد.

(سورة الفيل)

مكية، خمس آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. أَلَمْ تَرَ) استفهام تعجيب: أى اعجب (كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ) هو محمود، وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه، بنى بصنعاء،

[سورة الفيل]

(قوله ألم تر) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والرؤية علمية لا بصرية لأنه لم يكن وقت الواقعة موجودا (قوله استفهام تعجيب) اى وتقرير، والمعنى اقر بانك علمت قصة الفيل وحذفت الألف من تر للجازم (قوله كيف فعل ربك) كيف معلقة للرؤية منصوبة على المصدرية بالفعل بعدها وربك فاعل والتقدير أى فعل فعله والجملة سدت مسد مفعولى تر ولايصح نصبها على الحال من الفاعل لأنه يلزم وصفه تعالى بالكيفية وهو غير جائز (قوله هو محمود) أى وهو الذى برك وضربوه فى رأسه وكان معه اثنا عشر فيلا، وقيل ثمانية عشر، وقيل ألف، وأفرد الفيل إما موافقة لرءوس الآى أولكونه نسبهم إلى الفيل الأعظم الذى يقال له محمود (قوله أبرهة) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الراء واسمه الأشرم، سمى بذلك لأن أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه وكان نصرانيا (قوله ملك اليمن) بدل من أبرهة وكان من قبل النجاشى ملك الحبشة وكان جيش أبرهة ستين ألفا وقوله وجيشه معطوف على أبرهة (قوله بنى بصنعاء كنيسة الخ) شروع فى بيان قصة أصحاب الفيل. وحاصل تفصيلها على ماذكره محمد بن إسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس أن النجاشى ملك الحبشة وهو أصحمة جد النجاشى الذى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم كان بعث أبرهة أميرا على اليمن فأقام به واستقامت له الكلمة هناك ثم إنه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله عز وجل فحسد العرب على ذلك ثم بنى كنيسة بصنعاء وكتب إلى النجاشى إنى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى أصرف إليها حج العرب، فسمع به مالك بن كنانة فخرج لها ليلا فدخل إليها فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها، فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على فقيل له صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت قد سمع بالذى قلت، فحلف

أبرهة عنـد ذلك ليسيرن إلى الكعبة ثم يهدمها فكتب إلى النجاشى يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بفيله وكان فيلا يقال له
محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به إليه ، فخرج أبرهة من الحبشة سائرا إلى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت
العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم ، فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه
أبرهة وأخذ ذا نفر ، فقال لأبرهة يا أيها الملك استبقنى فان بقائى خير لك من قتلى فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ،
ثم سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج إليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى خثعم ، ومن اجتمع من قبائل اليمن فهزمهم وأخذ نفيلا
فقال نفيل أيها الملك إنى دليل بأرض العرب فاستبقاه وخرج معه يدله حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن مغيث فى رجال
من ثقيف ، فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه
فبعثوا معه أبارغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس مات أبو رغال وهو الذى يرجم قبره الآن وبعث أبرهة رجلا من الحبشة
يقال له الأسود بن مسعود مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الأسود إليه أموال أهل الحرم وأصاب لعبد المطلب
مائتى بعير ، ثم إن أبرهة أرسل حناطة الحميرى إلى أهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم أبلغه ما أرسلك به إليه أخبره أنى لم آت
لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت ، فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب فقال له إن الملك أرسلنى إليك لأخبرك أنه لم يأت
لقتال إلا أن تقاتلوه وإنما جاء لهدم هذا البيت ، ثم الانصراف عنكم ، فقال عبد المطلب ما له عندنا قتال ولا لنا يد أن ندفعه
عما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت إبراهيم خليله عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبين ذلك فوالله
مالنا بدفعه قوة قال فانطلق معى إليه ، فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر
وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب ، فقال ياذا نفر هل عندك من غناء أى نفع فيما نزل بنا ؟ قال أنا رجل أسير لا آمن أن أقتل
بكرة أوعشية ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فانه لى صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم
حظوتك ومنزلتك عنده (٣٣٤) قال فأرسل إلى أنيس فأتاه فقال : إن هذا سيد قريش وصاحب عير مكة
يطعم الناس فى السهل
. . . .
والوحوش فى رؤوس
الجبال ، وقد أصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه
صديق لى أحب ما وصل إليه من الخير ، فدخل أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم
الناس فى السهل والوحوش فى رؤوس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف
عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة عظمه وأكرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة
يجلسه معه على سريره فجلس على بساطه وأجلس عبد المطلب بجنبه . ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك فقال له الترجمان
ذلك ، فقال له عبد المطلب حاجتى إلى الملك أن يرد على مائتى بعير أصابها ، فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين
رأيتك ولقد زهدت الآن فيك . قال لم ؟ قال جئت إلى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لأهدمه لم تكلمنى
فيه وتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك . قال عبد المطلب أنا رب هذه الإبل ولهذا البيت رب سيمنعه منك . قال ما كان ليمنعه
منى قال فأنت وذاك ، فأمر بإبله فردت عليه ، فلما ردت الإبل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن يتفرقوا فى
الشعاب ويتحرزوا فى رؤوس الجبال خوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا وأتى عبد المطلب وأخذ حلقة الباب وجعل يدعو فلما
فرغ من دعائه توجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا
لم ير مثله فى العظم والقوة . ويقال كانت الأفيال اثنى عشر فيلا فأقبل نفيل إلى الفيل الأعظم ثم أخذ بأذنه وقال له ابرك محمودا
وارجع رشيدا فانك ببلد الله الحرام فبرك فبعثوه فأبى فضربوه بالمعول فى رأسه فأدخل محاجنه تحت مراقه ومرافقه ففزعوه
ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى قدامه ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه
إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ، وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وأرسل الله عز وجل طيرا من البحر أمثال الخطاطيف مع
كل طائر منها ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أكبر من العدسة وأقل من الحمصة فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم
فلم تصب بتلك الحجارة أحدا إلا أهلكته وخرجوا هاربين لا يهتدون إلى الطريق الذى جاءوا منه وصرخ القوم وماج بعضهم فى بعض
يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله على أبرهة داء فى جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعها

مدة من قيح ودم فانتهى إلى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك ، وانفلت وزير أبرهة أبو يكسوم وطائره فوق رأسه حتى وقف بين يدى النجاشى فلما أخبره الخبر سقط عليه الحجر فمات بين يديه . وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا ، وأما الفيلة الأخر فشجعوا فرموا بالحصباء (قوله كنيسة) أى وكان قد بناها بالرخام الأبيض والأحمر والأسود والأصفر وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأذل أهل اليمن فى بنائها ونقل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وكان على فرسخ من موضعها ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج وآبنوس وغير ذلك وكان بناؤها مرتفعا عاليا تسقط قلنسوة الناظر عن رأسه عند نظره إليها (قوله ليصرف إليها الحجاج) أى وقد صرفهم بالفعل وأمرهم بحجها فحجوها سنين وكانوا يحجون البيت فى هذه المدة أيضا كذا قيل (قوله فأحدث رجل) أى من العرب وهو مالك بن كنانة (قوله أرسل الله عليهم الخ) أى فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق وكان هلاكهم قرب عرفة قبل دخول أرض الحرم على الصحيح ، وقيل بوادى محسر بين مزدلفة ومنى وأصيب أبرهة فى جسده بداء الجدرى فتساقطت أنامله وأصابعه وأعضاؤه وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انشق قلبه (قوله ألم يجعل كيدهم) أى مكرهم وسماه كيدا لأن سببه حسد سكان الحرم وقصد صرف شرفهم له وهو خفى فسمى كيدا لذلك (قوله أى جعل) أشار بذلك إلى أن المضارع لحكاية الحال الماضية (قوله وأرسل عليهم) عطف على قوله (٣٣٥) يجعل والاستفهام مسلط عليه

كنيسة ليصرف إليها الحجاج من مكة ، فأحدث رجل من كنانة فيها ولطخ قبلتها بالعذرة احتقارا بها ، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة ، فجاء مكة بجيشه على أفيال مقدمها محمود فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه فى قوله (أَلَمْ يَجْعَلْ) أى جعل (كَيْدَهُمْ) فى هدم الكعبة (فِي تَضْلِيلٍ) خسار وهلاك (وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ) جماعات جماعات ، قيل لا واحد له كأساطير ، وقيل واحده أبول أو إبال أو إبيل كعجول ومفتاح وسكين (تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ) طين مطبوخ (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته : أى أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره مكتوب عليه اسمه وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض . وكان هذا عام مولد النبى صلى الله عليه وسلم .

فالمعنى قد جعل وأرسل (قوله طيرا) الطير اسم جنس يذكر ويؤنث (قوله أبابيل) أى وكانت من جهة السماء لم ير قبلها ولا بعدها مثلها، ورد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ». قال ابن عباس: كان لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب . وقال عكرمة : كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده ، وقالت عائشة : إنها أشبه شئ بالخطاطيف ، وقيل بل كانت أشباه الوطاويط حمرا وسودا (قوله جماعات جماعات) أى بعضها إثر بعض (قوله قيل لا واحد له) أى من لفظه فيكون اسم جمع (قوله إبول) بكسر الهمزة وفتح الموحدة المشددة وسكون الواو كسنور (قوله طين مطبوخ) أى محرق كالآجر وكان طبخه بنار جهنم وهى من الحجارة التى أرسلت على قوم لوط وناسب إهلاكهم بالحجارة لأنهم أرادوا هدم الكعبة . قال ابن عباس: كان الحجر إذا وقع على أحدهم نفط جلده وكان ذلك أول الجدرى ولم يكن موجودا قبل ذلك اليوم ، وعنه أيضا أنه رأى من تلك الحجارة عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى. (قوله كعصف) واحده عصفة وعصافة وعصيفة (قوله وداسته) صوابه وراثته : أى ألقته روثا ثم يبس وتفتت ولم يقل فجعلهم كروث استهجانا للفظ الروث (قوله مكتوب عليه اسمه) أى و إدراك الطائر أن هذا لفلان بخصوصه إما بمجرد إلهام أو بمعرفته ذلك من الكتابة والله أعلم بحقيقة الحال (قوله يخرق البيضة) أى التى فوق رأس الرجل من حديد ، وقوله والرجل: أى فيدخل من دماغه و يخرج من دبره ، وقوله والفيل: أى الذى هو راكبه وجميع الفيلة قد هلكت إلا كبيرها وهو محمود فانه نجا لما وقع منه من الفعل الجميل الذى لم يقع مثله من العقلاء ، ولذا قال البوصيرى :

كم رأينا ما ليس يعقل قد ألـ ـهم ما ليس يلهم العقلاء ... إذ أبى الفيل ما أتى صاحب الفيـ ـل ولم ينفع الحجا والذكاء

(قوله عام مولد النبى صلى الله عليه وسلم) أى قبل مولده بخمسين يوما على الصحيح وذلك ببركة النور المحمدى . إن قلت إنه

انتقل من عبد المطلب بل ومن عبد الله إلى أمه آمنة . أجيب بأنه وإن انتقل من جده وأبيه إلا أن بركته حاصلة وباقية فى حمله كوعاء المسك إذا فرغ منه فان رائحته تبقى ، وقيل كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ، وقيل بثلاث وعشرين ، وقيل غير ذلك .

[سورة قريش] أى السورة التى ذكر فيها الامتنان على قريش وتذكيرهم بنعم الله عليهم ليوحدوه ويشكروه (قوله مكية) أى فى قول الجمهور وهو الأصح ، وقوله أو مدنية : أى فى قول الضحاك والكلبى (قوله لإيلاف قريش) اختلف المفسرون فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بقوله ـ فجعلهم كعصف مأكول ـ فى السورة قبلها كأنه قال أهلك أصحاب الفيل لتبقى قريش وما ألفوا من رحلتى الشتاء والصيف . قال الزمخشرى : وهو بمنزلة التضمين فى الشعر وهو أن يعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح إلا به ، ولهذا جعل أبى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه ببسملة ورد هذا القول بأن الصحابة أجمعت على أنهما سورتان منفصلتان بينهما بسملة ، وقيل متعلقة بمحذوف تقديره فعل ذلك . أى إهلاك أصحاب الفيل لإيلاف قريش ، وقيل تقديره اعجبوا ، والمعنى اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ، وقيل متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف : أى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة وإنما دخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط كأنه قال إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم فانها أظهر نعمة عليهم وعليه درج المفسر ، وقريش مشتق إما من التقرش وهو التجمع سموا بذلك لاجتماعهم بعد افتراقهم . قال شاعرهم :

أبونا قريش كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

أو من التقريش، يقال قرش يقرش بمعنى فتش لكونهم كانوا يفتشون على ذوى الخلات ليسدوا خلاتهم .

(سـورة قريش)

مكية، أو مدنية أربع آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم . لإيلاف قريش . إيلافهم) تأكيد ، وهو مصدر آلف بالمد ، (رحلة

قال الشاعر :

أيها الشامت المقرش عنا ... عند عمرو فهل له إبقاء

وقال ابن عباس : سميت باسم دابة فى البحر يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلوا ولا تعلى . قال الشاعر :

وقريش هى التى تسكن البحـر ... بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو فى لجة البحـر ... على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـر ... ك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب حى قريش ... يأكلون البلاد أكلا كشيشا
ولهـم آخر الزمان نبى ... يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الأرض خيلة ورجالا ... يحشرون المطى حشرا كميشا

وهو مصروف هنا إجماعا لكونه مرادا به الحى إذ لو أريد به القبيلة لامتنع صرفه . قال سيبويه : فى معد وثقيف وقريش وكنانة هذه للأحياء أكثر وإن جعلتها اسما للقبائل فهو جائز حسن . واختلف القراء فى قوله لإيلاف فبعضهم قرأ لإيلاف بإثبات الياء قبل اللام الثانية وبعضهم قرأ بحذفها ، وأجمع الكل على إثبات الياء فى الثانى وهو قوله : إيلافهم ، ومن غريب ما اتفق فى هذين الحرفين أن القراء اختلفوا فى سقوط الياء وثبوتها فى الأول مع اتفاق المصاحف على إثباتها خطا واتفقوا على إثبات الياء فى الثانى مع اتفاق المصاحف على سقوطها منه خطا فهو أدل دليل على أن القراءة سنة متبعة مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اتباعا لمجرد الخط (قوله تأكيد) أى لفظى ورحلة مفعول للأول ، وقيل بدل لأنه أطلق البدل منه وقيد البدل بالمفعول وهو رحلة (قوله وهو مصدر آلف بالمد) أى أن إيلاف الثانى وكذا الأول على قراءة إثبات الياء مصدر آلف بالمد كأكرم يقال آلفته أؤالفه إيلافا ، وأما على قراءة حذف الياء فهو مصدر لألف ثلاثيا ككتب كتابا .

(قوله رحلة الشتاء) مفعول به بالمصدر والمصدر مضاف لفاعله أى لأن ألفوا رحلة والأصل رحلتى الشتاء والصيف، وإنما أفرد لأمن اللبس. وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربحهم بين الغنى والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم، واتبع هاشما على ذلك إخوته فكان هاشم يؤالف إلى الشام وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس وكانت تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجاه هؤلاء الاخوة أى بأماناتهم التى أخذوه من ملك كل ناحية من هذه النواحى، والرحلة بالكسر اسم مصدر بمعنى الارتحال وهو الانتقال، وأما بالضم فهو الشىء الذى يرتحل إليه مكانا أو شخصا (قوله وهم ولد النضر بن كنانة) أى فكل من ولده النضر فهو قرشى دون من لم يلده النضر وإن ولده كنانة وهذا هو الصحيح، وقيل هم ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فمن لم يلده فهر فليس بقرشى وإن ولده النضر. قال العراقى:

أما قريش فالأصح فهر جماعها والأكثرون النضر

فالحاصل أن بنى فهر قرشيون اتفاقا وبنو كنانة الذين لم يلدهم النضر ليسوا بقرشيين. واختلف فى بنى النضر وبنى مالك وفهر هو الجد الحادى عشر من أجداده صلى الله عليه وسلم والنضر هو الثالث عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة إلى آخر النسب الشريف (قوله والفاء زائدة) أى ولهذا جاز تقديم معمول ما بعدها عليها وقيل إنها ليست زائدة بل هى واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لإيلافهم فانها أظهر نعمه عليهم (قوله أى من أجله) أشار بذلك إلى أن من تعليلية والكلام على حذف مضاف والتقدير أطعمهم من أجل إزالة الجوع عنهم وآمنهم من أجل إزالة الخوف عنهم، وقيل إن من بمعنى بدل ولا يحتاج لتقدير مضاف، والمعنى فأطعمهم بدل الجوع وآمنهم بدل الخوف نظير قوله تعالى: أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة، وقيل من بمعنى بعد، وقيل فى معنى الآية أنهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال «اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف» فاشتد عليهم القحط وأصابهم الجهد والجوع فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت البلاد وأخصب أهل مكة بعد القحط والجهد وهذا حجة من يقول إن السورة مدنية (قوله وخافوا جيش الفيل) أى وهذا وجه مناسبتها لما قبلها وذلك أنه بعد أن ذكر لهم أسباب خوفهم امتن عليهم بازالتها كأنه قال قد أزلنا عنكم ما تكرهون من الخوف والجوع فالواجب عليكم أن تشكروا تلك النعم وتصرفوها فى مصارفها. وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام. وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وكل حاصل.

(رِحْلَةَ الشِّتَاءِ) إلى اليمن (وَ) رحلة (الصَّيْفِ) إلى الشام فى كل عام يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذى هو فخرهم، وهم ولد النضر بن كنانة (فَلْيَعْبُدُوا) تعلق به لإيلاف والفاء زائدة (رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ) أى من أجله (وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) أى من أجله، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة وخافوا جيش الفيل.

(سورة الماعون)

مكية، أو مدنية أو نصفها ونصفها، ست أو سبع آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ. أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ) بالجزاء والحساب،

[سورة الماعون] وتسمى سورة الدين (قوله أو نصفها ونصفها) أى نصفها الأول نزل بمكة فى العاص بن وائل والثانى بالمدينة فى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق، وعلى القول بأن جميعها مكى تكون توبيخا لكفار مكة كالعاص بن وائل وأضرابه، وتسميتهم مصلين باعتبار أنها مفروضة عليهم، وعلى القول بأنه مدنى يكون توبيخا للمنافقين الكائنين فى المدينة كعبد الله ابن أبى وأضرابه وتكذيبهم بالدين باعتبار باطنهم. والعبرة على كل بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالوعيد المذكور لمن اتصف بتلك الأوصاف.

(قوله أى هل عرفته) أشار بذلك إلى أن الرؤية بمعنى المعرفة فتنصب مفعولا واحدا وهو الاسم الموصول . وقيل إن الرؤية بصرية فتتعدى لمفعول واحد أيضا . وقيل إنها بمعنى أخبرنى فتتعدى لاثنين الأول الموصول والثانى محذوف تقديره من هو (قوله بتقدير هو بعد الفاء) أى فاسم الاشارة خبر لمحذوف تقديره هو والذى بدل أوعطف بيان على اسم الاشارة والجملة جواب شرط مقدر قدره المفسر بقوله إن لم تعرفه وقرنت بالفاء لأن الجملة اسمية (قوله الذى يدعّ اليتيم) كأبى جهل كان وصيا على يتيم فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ويصح حمل الحق على الميراث لأنهم كانوا لايورّثون النساء ولا الصبيان ويقولون : إنما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام ، ودعّ بالتشديد من باب ردّ وقرئ شذوذا بالتخفيف أى يدعوه ليستخدمه قهرا (قوله أى إطعامه) أشار بذلك إلى أن الحض يتعلق بالمصدر الذى هو فعل الفاعل لابالشئ المطعوم (قوله نزلت فى العاص بن وائل) وقيل نزلت فى أبى جهل وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وقيل فى عبد الله بن أبىّ ابن سلول وتقدم ذلك (قوله فويل للمصلين) ويل مبتدأ وللمصلين خبره والفاء سببية ، والمعنى أن الدعاء عليهم بالويل متسبب عن هذه الصفات الذميمة ووضع الظاهر وهوللمصلين موضع المضمر لأنهم مع التكذيب وما أضيف إليه ساهون عن الصلاة غيرمكترثين بها ، وهذا على أن السورة كلها إما مكى أومدنى وعلى القول بالتنصيف فالويل متعلق بالمصلين الموصوفين بكونهم عن صلاتهم ساهون ومابعده فلا ارتباط له بما قبله والفاء واقعة فى جواب شرط مقدر تقديره إن أردت معرفة جزاء أهل النفاق فى الصلاة وغيرها فويل الخ (قوله الذين) نعت للمصلين أو بدل أو بيان وكذا الموصول بعده (قوله عن صلاتهم) إنما عبر بعن دون فى لأن صلاة المؤمن لا تخلو عن السهو فيها فالمذموم السهو عنها بمعنى تركها والتفريط فيها لا السهو فيها لوقوعه من الأنبياء (قوله يؤخرونها عن أوقاتها) أى ولايفعلونها بعد ذلك ووجه تسميتهم مصلين مع أنهم تاركون لها أنها مفروضة عليهم فكانت جديرة بأن تضاف لهم فتحصل أن معنى ساهون تاركون لها رأسا أو إن حصلت منهم تكون رياء وسمعة . قال ابن عباس : هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها فى العلانية إذا حضروا ، وأما من ترك الصلاة وهو مؤمن موحد فهو عاص عليه أن يتوب ويقضيها فان مات وهو مصرّ على تركها فهو تحت المشيئة ، وأما إن تاب وشرع فى القضاء فمات قبل تمامه فانه مغفور له (قوله الذين هم يراءون) أصله يرائيون كيقاتلون استثقلت الضمة على الياء فحذفت فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقائهما وضمت الهمزة لمناسبة الواو والمفاعلة باعتبار أن المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه ، والفرق بين المنافق والمرائى أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرائى يظهر الأعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه أنه من أهل الدين والصلاح ، أما من يظهر النوافل ليقتدى به وقلبه خالص مع الله فليس بمذموم (قوله فى الصلاة وغيرها) أى كالصدقة ونحوها من أنواع البرّ (قوله ويمنعون الماعون) منع يتعدى لمفعولين ثانيهما قوله الماعون وأولهما محذوف تقديره الناس حذف للعلم به والماعون فاعول من المعن وهوالشئ القليل يقال مال معن أى قليل أواسم مفعول من أعان يعين فأصله معوون دخله القلب المكانى فصار موعون تحركت الواو الأولى وانفتح ماقبلها قلبت ألفا وهواسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوها وعليه درج المفسر لماروى عن ابن عباس قال « كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر » ، وهذا أحد تفاسير للماعون ، وقيل هو الزكاة ، وقيل هو مالايحلّ منعه مثل الماء والملح والنار ، ويلحق بذلك البئر والتنور . وقيل هو المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيا بينهم ففى هذه الآية زجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها نهاية البخل . قال العلماء : ويستحب أن يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج إليه الجيران فيبرهم ويتفضل عليهم ولايقتصر على الواجب .

(سورة

أى هل عرفته إن لم تعرفه (فَذَٰلِكَ) بتقدير هو بعد الفاء (الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ) أى يدفعه بعنف عن حقه (وَلَا يَحُضُّ) نفسه ولا غيره (عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) أى إطعامه ، نزلت فى العاص ابن وائل أو الوليد بن المغيرة (فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ . الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ) غافلون يؤخرونها عن أوقاتها (الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ) فى الصلاة وغيرها (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) كالإبرة والفأس والقدر والقصعة .

[سورة الكوثر] وتسمى سورة النحر (قوله مكية) أى فى قول ابن عباس والكلبي ومقاتل والجمهور وقوله أو مدنية أى فى قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة والمشهور الأول ويؤيده سبب النزول وهو أن العاص بن وائل السهمى تلاقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند باب بنى سهم فتحدثا وناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد ، فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذلك الأبتر يعنى به النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ولده القاسم (قوله إنا أعطيناك) أى إنا بجلالنا وعظمة قدسنا فالاتيان بانّ ونون العظمة للتأكيد ولزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم ، والمعنى قضينا به لك وخصصناك به وأنجزناه لك فى علمنا وتقديرنا الأزلى وإن لم تستول عليه وتتصرف فيه إلا فى القيامة فالعطاء ناجز والتمكن والاستيلاء مستقبل . إن قلت إنه عبر هنا بالماضى وفى الضحى بالمضارع حيث قال ولسوف يعطيك ربك فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن مافى الضحى باعتبار التمكن والاستيلاء وذلك يحصل فى المستقبل فى يوم القيامة وما هنا باعتبار التقدير الأزلى (قوله الكوثر) فوعل من الكثرة وصف مبالغة فى البالغ الغاية فى الكثرة (قوله هو نهر فى الجنة) ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم «الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من الذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج» وقوله هو حوضه الصواب أن يقول أوهو حوضه لأنهما قولان مذكوران فى التفاسير من جملة ستة عشر قولا ويدل لهذا الثانى قول أنس «بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله ؟ قال أنزلت علىّ آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصلّ لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ثم قال أتدرون ما الكوثر؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول يارب إنه من أمتى فيقول ماتدرى ما أحدث بعدك» وورد فى صفة الحوض أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم «حوضى مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا» زاد فى رواية «وزواياه سواء» ومنها غير ذلك الثالث أنه النبوة الرابع القرآن الخامس الاسلام السادس تيسير القرآن وتخفيف الشريعة السابع كثرة الأصحاب والأمة والأتباع الثامن رفعة الذكر التاسع نور فى قلبك دلك علىّ وقطعك عما سواى العاشر الشفاعة الحادى عشر المعجزات الثانى عشر لا إله إلا الله محمد رسول الله الثالث عشر الفقه فى الدين الرابع عشر الصلوات الخمس الخامس عشر العظيم من الأمر السادس عشر الخير الكثير الدنيوى والأخروى وكل من هذه الأقوال تحقق به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفوق ذلك مما لا يعلم غايته إلا الله تعالى، وزاد بعضهم فوق تلك الأقوال أنه الذرية الكثيرة المباركة وقد حقق الله ذلك فلا تجد ذرية لأحد من الخلق مثل ذرية المصطفى فى الكثرة ولا فى البركة إلى يوم القيامة ، واختلف فى الحوض هل هو بعد الصراط أو قبله وهل هو بعد الميزان أو قبله والصحيح أنه قبلهما لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فيشربون منه شربة لايظمأون بعدها أبدا ، روى عن ابن عباس «أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدى رب العالمين هل فيه ماء ؟ قال : أى والذى نفسى بيده إن فيه لماء وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء ويبعث الله تعالى سبعين ألف ملك بأيديهم عصىّ من نار يذودون الكفار عن حياض الأنبياء» وهذا الطرد لايكون بعد الصراط لأنه لا يسلم من الصراط إلا المؤمنين فلا وجود للكفار هناك حتى يذادوا لسقوطهم فى جهنم قبل ذلك (قوله ونحوها) أى من الحكمة وكثرة الأتباع والأمة وغير ذلك (قوله فصل لربك) كان مقتضى الظاهر أن يقول فصل لنا فانتقل إلى الاسم الظاهر لأنه يوجب عظمة ومهابة .

(٣٣٩)

(سورة الكوثر)

مكية ، أو مدنية ، ثلاث آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ) يا محمد (الْكَوْثَرَ) هو نهر فى الجنة ، هو حوضه ترد عليه أمته ، أو الكوثر الخير الكثير من النبوّة والقرآن والشفاعة ونحوها (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) :

(قوله صلاة عيد النحر) هو قول عكرمة وعطاء وقتادة وهو يؤيد كون السورة مدنية . وقال سعيد بن جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع مزدلفة وانحر البدن بمنى ، وقيل هو أمر بكل صلاة مفروضة أو نافلة وهو يؤيد كونها مكية (قوله وانحر نسكك) أى هداياك وضحاياك وهو فى الابل بمنزلة الذبح فى البقر والغنم ، فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم نحر من خالص ماله فى حجة الوداع صبيحة منى مائة بدنة سبعين بيده الكريمة وثلاثين بيد على وخص الصلاة والنحر بالذكر لأن الصلاة مجمع العبادات وعماد الدين والنحر فيه إطعام الطعام ولا شك أنه قيام بحقوق العباد ففى تلك الخصلتين القيام بحقوق الله وحقوق عباده (قوله إن شانئك) اسم فاعل شنئ من باب سمع ومنع شنأ بفتح النون وسكونها (قوله هو الأبتر) يصح أن يكون هو مبتدأ والأبتر خبره والجملة خبر إن ويصح أن يكون ضمير فصل والأبتر خبر إن والأبتر فى الأصل الشئ المقطوع من بتره قطعه وحمار أبتر لاذنب له (قوله أو المنقطع العقب) أى النسل (قوله سمى النبي صلى الله عليه وسلم أبتر) أى حيث قال بتر محمد فليس له من يقوم بأمره من بعده ، فلما قال تلك المقالة نزلت السورة تسلية وتبشيرا له صلى الله عليه وسلم (قوله عند موت ابنه القاسم) هو أول أولاده صلى الله عليه وسلم عاش سنتين ، وقيل سبعة عشر شهرا ، وقيل بلغ ركوب الدابة ومات قبل البعثة ، وقيل بعدها وهو أول من مات من أولاده وهم سبعة القاسم وعبد الله الملقب بالطيب والطاهر وإبراهيم وزينب ورقية وفاطمة وأم كلثوم وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فمن مارية القبطية وماتوا جميعا فى حياته إلا فاطمة فعاشت بعده زمنا يسيرا وماتت رضوان الله عليهم أجمعين وذريته صلى الله عليه وسلم الباقية إلى يوم القيامة من نسلها .

صلاة عيد النحر (وَانْحَرْ) نسكك (إِنَّ شَانِئَكَ) أى مبغضك (هُوَ الْأَبْتَرُ) المنقطع عن كل خير أو المنقطع العقب ، نزلت فى العاص بن وائل سمى النبي صلى الله عليه وسلم أبتر عند موت ابنه القاسم .

(سـورة الكافرون)

مكية ، أو مدنية ست آيات

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ .

لا أعبد)

[سورة الكافرون] وتسمى سورة المعابدة أى المخالفة فى العبادة والمعاندة فيها وسورة الاخلاص لأنها دالة على الاخلاص فى العبادة والدين كما أن قل هو الله أحد تسمى سورة الاخلاص لكن هذه دالة على الاخلاص فى الظاهر والباطن والصمدية دالة على إخلاص القلب من الشرك فمن عمل بهما واعتقدها برئ ظاهره وباطنه من الكفر والنفاق ولذلك لا يجتمعان فى منافق ولا كافر ويقال لها وللاخلاص المقشقشتان أى المبرئتان . وورد فى فضلها أحاديث منها « أنها تعدل ثلث القرآن » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « قل يأيها الكافرون تعدل ربع القرآن » ومنها « أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصنى فقال اقرأ عند منامك قل يأيها الكافرون فانها براءة من الشرك » ومنها قول ابن عباس « ليس فى القرآن أشد غيظا لابليس منها لأنها توحيد وبراءة من الشرك » وإنما زادت الاخلاص فى الثواب عنها لأنها مشتملة على صفات الرب تعالى صريحا مع دلالتها على الاخلاص فى التوحيد (قوله مكية) أى فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وقوله أو مدنية : أى فى قول قتادة والضحاك (قوله نزلت لما قال رهط من المشركين الخ) حاصله كما قال ابن عباس أن سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن مطلب وأمية ابن خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلتعبد ما نعبد ونعبد ما تعبد ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله فان كان الذى جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد أشركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وإن كان الذى بأيدينا خيرا مما بيدك كنت قد أشركتنا فى أمرنا وأخذت بحظك منه فأنزل الله عز وجل - قل يأيها الكافرون - إلى آخرها والرهط بسكون الهاء أفصح من فتحها جمع لا واحد له من لفظه يقال على مادون العشرة من الرجال ، وقيل مافوق العشرة إلى الأربعين (قوله الكافرون) هم جماعة من الكفار مخصوصون علم الله تعالى عدم إيمانهم أصلا .

(قوله لا أعبد ما تعبدون) اعلم أنه اختلف المفسرون فى هذه السورة هل فيها تكرار أولا فعلى الأول هو للتأكيد وفائدته قطع أطماع الكفار وتحقيق الأخبار بأنهم لايسلمون أبدا وعلى الثانى فكل جملة مقيدة بزمن غير الزمن الذى قيدت به الأخرى فدرج المفسر على أن النفى الأول محمول على الحال والثانى على الاستقبال ودرج غيره على العكس ومايصح أن تكون موصولة بمعنى الذى فان كان المراد بها الأصنام كما فى الأولى والثالثة فالأمر واضح لأنهم غير عقلاء وما لغير العاقل وأما الثانية والرابعة فاما أن تكون واقعة على الله تعالى وتكون دليلا لمن يجوز وقوعها على العالم أو تجعل مصدرية والتقدير ولا أنتم عابدون عبادتى : أى مثل عبادتى ويصح أن يكون جميعها مصدرية أو موصولة أو الأوليان موصولتان والأخريان مصدريتان فتحصل أن ما فى هذه السورة فيها أربعة أقوال : الأول أنها كلها بمعنى الذى . الثانى أنها كلها مصدرية . الثالث أن الأوليين بمعنى الذى والأخريين مصدريتان . الرابع أن الأولى والثالثة بمعنى الذى والثانية والرابعة مصدرية . إن قلت ما الحكمة فى التعبير فى جانبه صلى الله عليه وسلم بلفظ أعبد وفى جانبهم بلفظ عبدتم . أجيب بأنه صلى الله عليه وسلم وإن كان يعبد الله تعالى قبل البعثة إلا أنه لم يدع الناس إلا بعدها فلم يشتهر بها إلا حين الدعوة وأما هم فكانوا متلبسين قديما بعبادة الأصنام متظاهرين بها (قوله علم الله منهم أنهم لايؤمنون) جواب عن سؤال مقدر حاصله كيف يقنطهم من الايمان مع أنه مبعوث لهدايتهم وقد كان حريصا على إيمانهم . وحاصل الجواب أن هذا فى قوم علم الله أنهم لايؤمنون أبدا

لا أعبد) فى الحال (مَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام (وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ) فى الحال (مَا أَعْبُدُ) وهو الله تعالى وحده (وَلَا أَنَا عَابِدٌ) فى الاستقبال (مَا عَبَدْتُمْ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ) فى الاستقبال (مَا أَعْبُدُ) علم الله منهم أنهم لايؤمنون ، وإطلاق ما على الله على وجه المقابلة (لَكُمْ دِينُكُمْ) الشرك (وَلِيَ دِينِ) الإسلام ، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب وحذف ياء الإضافة السبعة وقفا ووصلا وأثبتها يعقوب فى الحالين .

(سورة النصر)

مدنية ، ثلاث آيات

فأخبر نبيه بذلك لتظهر شقاوتهم (قوله وإطلاق ما على الله) أى فى الثانية والرابعة وأما فى الأولى والثالثة فهى واقعة على الأصنام (قوله على وجه المقابلة) أى المشاكلة وهذا مبنى على القول بأنه لايجوز وقوع ما على العالم وأما على مذهب من يجوّز ذلك فلا يحتاج للاعتذار بالمقابلة وكان المناسب للمفسر أن يقول وإطلاق ما على العالم فصيح وحسنه المشاكلة (قوله لكم دينكم الخ) أتى بهاتين الجملتين المثبتتين بعد جمل منفية لأنه لما كان الأهم تباعده عليه السلام عن دينهم بدأ بالنفى سابقا ، فلما تحقق النفى رجع إلى خطابهم مهادنة لهم فهاتان الجملتان مؤكدتان لمجموع الجمل الأربعة (قوله ولى دين) بفتح الياء من لى وإسكانها سبعيتان (قوله وهذا قبل أن يؤمر بالحرب) الاشارة راجعة إلى الآية الأخيرة ، وقيل إلى جميع السورة وهذا مبنى على أن المراد بالدين العبادة والتدين ، وقيل إن المراد بالدين الجزاء أى لكم جزاء أعمالكم ولى جزاء أعمالى وعليه فلانسخ (قوله وقفا ووصلا) أى لأنها من ياءات الزوائد فيراعى فيه رسم المصحف وهى غير ثابتة فيه اكتفاء بالكسرة (قوله وأثبتها يعقوب) أى وهو من العشرة .

[سورة النصر مدنية] أى بالاجماع وتسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا واتفق الصحابة على أن هذه السورة دلت على نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه: منها أنهم عرفوا ذلك حين خطب وقال : إن عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله ، فقال أبو بكر فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا ، ومنها أنه لما ذكر حصول النصر والفتح ودخول الناس فى الدين أفواجا دل على حصول الكمال والتمام . قال الشاعر :

إذا تمّ أمر بدا نقصه   توقع زوالا إذا قيل تمّ

ومنها أنه تعالى أمره بالتسبيح والحمد والاستغفار واشتغاله بذلك يمنعه من اشتغاله بأمر الأمة فكان هذا كالتنبيه على أن أمر التبليغ قد تم وكمل وذلك يقتضى انقضاء الأجل إذ لو بقى بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز .

(قوله إذا جاء نصر الله) المجيء في الأصل اسم للوجود الثابت إذا حضر والمراد حصل وتحقق ففيه استعارة تبعية حيث شبه حصول النصر عند حضور وقته بالمجيء ثم اشتق منه لفظ جاء بمعنى حصل وعبر بالمجيء إشعارا بأن الأمور متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها وأن ماقدر الله حصوله فهو كالحاصل بالفعل كأنه موجود حضر من غيبته . وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان منصوب بسبح الواقع جوابها وهي على بابها إن كانت السورة نزلت قبل الفتح فإن كان النزول بعد الفتح فإذا بمعنى إذ متعلقة بمحذوف تقديره أكمل الله الأمر وأتم النعمة على العباد . إذا جاء نصرَ الله ونصر الله مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف قدره المفسر بقوله نبيه (قوله والفتح) أل فيه عوض عن المضاف إليه عند الكوفيين : أي وفتحه أو العائد محذوف عند البصريين أي والفتح منه وعطفه على النصر عطف خاص على عام (قوله فتح مكة) أي التي حصل به أعظم فتوح الاسلام وأعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه واستبشر به أهل السماء ودخل الناس في دين الله أفواجا . وسببها أنه وقع الصلح بالحديبية على أنه صلى الله عليه وسلم لايتعرض لمن دخل في عقد قريش وأنهم لايتعرضون لمن دخل في عقده وكان ممن دخل في عقده خزاعة وفي عقدهم بنو بكر وكانا متعاديين ، فخرج بعض بني بكر وبني خزاعة فاقتتلوا فأمدّ قريش بني بكر فخرج أو بعون من خزاعة إليه صلى الله عليه وسلم يخبرونه ويستنصرونه ، فقام وهو يجر رداءه ويقول لانصرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي ولما أحس أبو سفيان جاء إلى المدينة ليجدد العهد ويزيد في المدة ، فأبى صلى الله عليه وسلم فرجع فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه وأعلم الناس أنه سائر إلى مكة وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ، فتجهز الناس ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم عامدا إلى مكة لعشر مضين من رمضان وقيل لليلتين مضتا منه سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله والناس معه حتى إذا كان بالكديد أفطر وعقد الألوية والرايات ودفعها إلى القبائل ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران المسمى الآن بوادي فاطمة في عشرة آلاف ، وقيل اثنى عشر ألفا من المسلمين ، ولم يتخلف من المهاجرين والأنصار عنه أحد ، فلما نزل به أمرهم أن يوقدوا عشرة آلاف نار كل نار على حدة ، فخرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الأخبار ، وكان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق مهاجرا بعياله ، فلما رأى ذلك الأمر قال : والله لئن دخل رسول الله مكة عنوة قبل أن يستأمنوه لهلكت قريش إلى آخر الدهر . قال العباس فركبت بغلة رسول الله البيضاء وخرجت لأجد حطابا أو ذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة وإذا أنا بأبي سفيان فعرفت صوته فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل ؟ فقلت نعم قال مالك فداك أبي وأمي ؟ قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله قد جاءكم بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال وما الحيلة ؟ قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله فأستأمنه لك ؟ فأردفته ، ورجع صاحباه ، فخرجت أركض به بغلة رسول الله كلما مررت بنار من نيران المسلمين نظروا وقالوا : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال من هذا ؟ وقام إلي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : يا أبا سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله ، وركضت البغلة فسبقته ، فلما وصلت النبي صلى الله عليه وسلم دخلت عليه ودخل عليه عمر ، فقال يارسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني أضرب عنقه . قال فقلت يارسول الله إني قد أجرته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به . قال فذهبت به إلى رحلي فبات عندي ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ، قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك فما زال به حتى أسلم . قال العباس يارسول الله إن أباسفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا . قال نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله . قال ففعلت ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء ياعباس ؟ فأقول سليم ، فيقول مالي ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول من هؤلاء فأقول مزينة ، فيقول مالي ولمزينة ، فلا تمر قبيلة إلا سألني عنها حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ) نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه (وَالْفَتْحُ) فتح مكة ، (ورأيت

وفيها المهاجرون والأنصار لايرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال سبحان الله من هؤلاء ياعباس ؟ قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، فقال ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما قلت ويحك إنها النبوّة قال فنعم إذا ، فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى أتى مكة فصرخ فى المسجد بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به ؟ قالوا وكيف السبيل قال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا ويحك وما تغنى عنا دارك ، قال ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه داره فهو آمن ، فتفرّق الناس إلى دورهم وإلى المسجد وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما وبايعاه ثم بعثهما رسول الله بين يديه إلى قريش يدعوانهم إلى الاسلام ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته بأعلى مكة ، وأمر خالد بن الوليد فيمن أسلم من خزاعة وبنى سليم أن يدخلوا من أسفل مكة ، وقال لهم لاتقاتلوا إلا من قاتلكم ؟ وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة : أى الحرب اليوم تستحل الحرمة ، فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأمره على لسان على كرم الله وجهه أن يدفع الراية لابنه قيس وأخبر أبا سفيان أنه لم يأمر بقتل قريش وأن اليوم يوم الرحمة وأن الله يعز قريشا ، وخشى سعد أن ابنه يقع منه شىء أيضا فذكرللنبى ذلك صلى الله عليه وسلم فدفعها الزبير وكانت راية النبىّ صلى الله عليه وسلم والمهاجرين مع الزبير أيضا فبعثه ومعه المهاجرون وخيلهم وأمره أن يدخل من أعلى مكة وأن يغرز رايته بالحجون ولا يبرح حتى يأتيه ، وأما خالد بن الوليد فتقدم على قريش وبنى بكر والأحابيش بأسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ، فقتل من المشركين اثناعشر رجلا أوثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين إلا ثلاثة وكان قد أمرهم النبى أن لايقاتلوا إلامن قاتلهم إلا نفرا سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد وعبد الله بن خطل كانا قدأسلما ثم ارتدا ، ومنهم قينتان كانتا تغنيان بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن خطل ، ومنهم الحويرث ابن وهب ومقيس بن صبابة وأناس أخر ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن بالناس

(وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ) أى الإسلام (أفواجا) جماعات بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد ، وذلك بعد فتح مكة جاء العرب من أقطار الأرض طائعين (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ) أى متلبسا بحمده (وَاسْتَغْفِرْهُ ،

حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده ، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكن له الناس فى المسجد ، فقال : لا إله إلا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم قال : يامعشر قريش ماترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم ، ثم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ، فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان الله أمكن منهم عنوة فبذلك سمى أهل مكة الطلقاء ، ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام إليه علىّ بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد أين عثمان بن طلحة فدعى له ، فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم وفاء وبر واجتمع الناس للبيعة ، فجلس إليهم رسول الله على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه يأخذ على الناس ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وقد أحدقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم به ، فقال ماذا قلتم . قالوا لاشىء يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعدفتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ، ثم خرج إلى هوازن وثقيف (قوله يدخلون) نصب على الحال إن كانت رأى بصرية أو مفعول ثان إن كانت علمية (قوله أفواجا) حال من فاعل يدخلون وهو جمع فوج . والمعنى يدخلون زمرا زمرا من غير قتال وقوله جاءه العرب لامفهوم له بل وغيرهم (قوله فسبح بحمد ربك) أى قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما رأيت من عجيب إنعامه عليك (قوله واستغفره) أى سل الله الغفران وإنما أمر الله تعالى نبيه بالاستغفار مع أنه معصوم من جميع الذنوب صغيرها وكبيرها ليترقى ويرجع إلى حضرة الحق فانه وإن كان مشغولا بهداية الخلق إلا أن مقام الصفوة والحضور والأنس أعلى وأجل فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ليزداد فى التواضع والافتقار وليكون ختام عمله التنزيه والاستغفار وفيه تشريع للأمة إذا طعن أحدهم فى السن فالغالب قرب أجله فليكثر من ذلك ليختم عمله به .

(قوله إنه كان توابا) أى ولم يزل فكان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها ومعنى كونه توابا أنه يكثر قبول التوبة و بهذا اندفع مايقال إن كان للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها فى الماضى و إذا كان كذلك فلا يصح أن يكون علة للاستغفار فى الحال أو المستقبل (قوله وعلم بها أنه قد اقترب أجله) أى لقول مقاتل لما نزلت قرأها النبى صلى الله عليه وسلم على أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبى وقاص والعباس ففرحوا واستبشروا و بكى العباس فقال له النبى صلى الله عليه وسلم مايبكيك ياعم قال نعيت إليك نفسك قال إنه كاقلت فعاش بعدها ستين يوما ماروئى فيها ضاحكا وقيل نزلت فى منى بعد أيام التشريق فى حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعى النبى صلى الله عليه وسلم أى إخبار بموته وعن ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى فى حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى فعاش النبى صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلالة فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فعاش بعدها إحدى وعشرين يوما وقيل سبعة أيام وقيل غير ذلك (قوله وتوفى صلى الله عليه وسلم سنة عشر) إن قلت إن سنة عشر حج فيها وتوفى فيها ولده إبراهيم فالصواب سنة إحدى عشرة . وأجيب بأن المراد على تمام عشر من الهجرة إلى المدينة وذلك لأن الهجرة كانت لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الأول وكانت وفاته لاثنتى عشرة خلت من ربيع الأول فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم على رأس العاشرة بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة وإن كانت لشهرين وشئ مضت من الحادية عشرة إذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم فيصح أن يقال توفى سنة إحدى عشرة بالنظر لجعل التاريخ من المحرم وتوفى سنة عشر بالنظر لجعل التاريخ من يوم دخوله المدينة .

إنه كان توابا) وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول سبحان الله و بحمده أستغفر الله وأتوب إليه وعلم بها أنه قد اقترب أجله ، وكان فتح مكة فى رمضان سنة ثمان ، وتوفى صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول سنة عشر .

(سورة تبت)

مكية ، خمس آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما دعا النبى صلى الله عليه وسلم قومه وقال إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال عمه أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا ، نزل

[سورة تبت] وتسمى سورة أبى لهب (قوله مكية) أى بالإجماع (قوله لما دعا النبى) أى نادى (قوله قومه أى المؤمنين والكافرين وذلك أنه لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين خرج صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالوا من هذا الذى يهتف قالوا محمد فاجتمعوا إليه فقال يابنى فلان يابنى فلان يابنى عبد مناف يابنى عبد المطلب فاجتمعوا إليه فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك ماجمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة فلما سمعت امرأته مانزل فى زوجها وفيها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر رضى الله عنه وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه أخذ الله بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تر إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر إن صاحبك قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله إنى لقائلة: مذمما عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا ثم انصرفت ، فقال أبو بكر يارسول الله أما تراها رأتك قال مارأتنى لقد أخذ الله بصرها عنى وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه أى ذو ذمة وعهد صادق ، وقال صاحب الهمزية فى هذا المعنى :

وأعدت حمالة الحطب الفهر وجاءت كأنها الورقاء يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـ

ـلى من أحمد يقال الهجاء فتولت وما رأته ومن أيـن ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل إن سبب نزولها ماحكاه عبد الرحمن بن زيد أن أبا لهب أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى إن آمنت بك يامحمد فقال كما يعطى المسلمون قال مالى عليهم فضل قال وأى شئ تبتغى قال تبا لهذا من دين أن أكون وهؤلاء سواء .

(قوله تبت يدا أبي لهب) بفتح الهاء وسكونها سبعيتان ولغتان جيدتان واتفق القراء على فتح الهاء في قوله ذات لهب والفرق أنها فاصلة فلو سكنت زال التشاكل (قوله وهذه خبر) أي إخبار بحصول التباب له الذي دعا به عليه في الجملة الأولى، وهذا أحد قولين وقيل إن كلا الجملتين دعاء وصرح بكنيته لقبح اسمه فان اسمه عبد العزى أو لأن الله تعالى أراد أن يحقق نسبته بأن يدخله النار (قوله ما أغنى عنه ماله) يصح أن تكون ما نافية أو استفهامية وعلى الثاني فهو في محل نصب بأغنى والتقدير أي شيء أغنى قدم لكونه له صدر الكلام (قوله ماله) أي الموروث من آبائه (قوله وكسبه) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية ويصح أن تكون اسم موصول بمعنى الذي والعائد محذوف أي والذي كسبه (قوله أي ولده) وهو عتيبة بالتصغير وأما عتبة ومعتب فقد أسلما قال بعضهم :

كرهت عتيبة إذ أجرما ... وأحببت عتبة إذ أسلما

كذا معتب مسلم فاحترز ... وخف أن تسب فتى مسلما

ومات أبولهب بداء يسمى العدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال. والعدسة قرحة تخرج بالبدن فتقتل صاحبها

(تَبَّتْ) خسرت (يَدَا أَبِي لَهَبٍ) أي جملته، وعبر عنها باليدين مجازا لأن أكثر الأفعال تزاول بهما وهذه الجملة دعاء (وَتَبَّ) خسر هو؛ وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك، ولما خوفه النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب فقال إن كان ما يقول ابن أخي حقا فإني أفتدي منه بمالي وولدي نزل (مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) وكسبه أي ولده وأغنى بمعنى يغني (سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ) أي تلهب وتوقد فهي مآل تكنيته لتلهب وجهه إشراقا وحمرة (وَامْرَأَتُهُ) عطف على ضمير يصلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهي أم جميل (حَمَّالَةُ) بالرفع والنصب (الْحَطَبِ) الشوك والسعدان تلقيه في طريق النبي صلى الله عليه وسلم (فِي جِيدِهَا) عنقها (حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) أي ليف، وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذي هو نعت لامرأته، أو خبر مبتدإ مقدر.

كانت العرب تهرب منها لزعمهم أنها تعدي (قوله سيصلى نارا) أي يحترق بها (قوله فهي مآل تكنيته) جواب عما يقال كيف ذكره بكنيته دون اسمه وهو عبد العزى مع أن ذلك إكرام واحترام. وإيضاحه أنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لها فان مصيره إلى النار ذات اللهب أو لأن ذكره باسمه خلاف الواقع حقيقة لأنه عبد الله لا عبد العزى (قوله وهي أم جميل) أي وهي أخت أبي سفيان بن حرب وكانت عوراء وماتت مخنوقة بحبلها (قوله حمالة الحطب) إن قلت إنها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت أنها لشدة عداوتها للنبي صلى الله عليه وسلم لا تستعين في ذلك بأحد بل تفعله بنفسها (قوله بالرفع) أي على أنه نعت لامرأته وقرأ عاصم حمالة بالنصب على الذم أو الحال من امرأته. والمعنى أنها تصلى النار حال كونها حمالة الحطب لما ورد أنها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب النار كما كانت تحمل الحطب في الدنيا (قوله والسعدان) هو نبت له شوك يشبه به حلمة الثدي وهو بوزن سرحان (قوله تلقيه) أي بالليل لقصد أذية النبي صلى الله عليه وسلم (قوله في جيدها حبل من مسد) قيل إنها في الدنيا كانت تحتطب في حبل من ليف تجعله في عنقها فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة فقعدت على حجر لتستريح إذ أتاها ملك فجذبها من خلفها فأهلكها خنقا بحبلها. وقيل هذا في الآخرة: قال ابن عباس. هو سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما اهـ ويكون المراد بالمسد الحديد فإنه يطلق عليه أيضا كما يؤخذ من القاموس ولا مانع من الجمع (قوله أي ليف) قيل هو ليف المقل وهو شجر الدوم أيضا مشهور. وقيل مطلق الليف (قوله وهذه الجملة) أي المركبة من المبتدإ الذي هو حبل ومن الخبر الذي هو في جيدها (قوله أو خبر مبتدإ مقدر)

أى وتقديره المرأة المذكورة فى جيدها حبل من مسد .

[سورة الاخلاص] مناسبتها لما قبلها أنه لما تقدم فى التى قبلها ذكر عداوة المشركين له صلى الله عليه وسلم ولاسيما أقرب الناس إليه وهو عمه أبولهب جاءت هذه السورة مصرحة بالتوحيد رادة على عبدة الأوثان تسلية له صلى الله عليه وسلم وإشعارا بأن من تعلق بالله لا يكله إلى غيره ولايعتريه حزن . ولهذه السورة أسماء كثيرة وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى أنهاها بعضهم إلى عشرين اسما . أولها الاخلاص . ثانيها التنزيل . ثالثها التجريد لأن من تعلق بها تجرد عن الأغيار . رابعها التوحيد لأنها دالة عليه . خامسها النجاة لنجاة قارئها من النار . سادسها الولاية لأن من تعلق بها أعطاه الله الولاية . سابعها النسبة لقولهم فى السؤال انسب لنا ربك . ثامنها المعرفة لأن من فهمها عرف الله تعالى . تاسعها الجمال لدلالتها على جمال الله أى اتصافه بالكمالات وتنزيهه عن النقائص . عاشرها المقشقشة أى المبرئة من الشرك والنفاق . الحادى عشر المعوذة أى المحصنة لقارئها من فتن الدنيا والآخرة . الثانى عشر الصمد لذكره فيها . الثالث عشر الأساس لأنها أصل الدين ، ولحديث «أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد» . الرابع عشر المانعة لأنها تمنع فتنة القبر وعذاب النار . الخامس عشر سورة المحتضر لأن الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت . السادس عشر المنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها . السابع عشر سورة البراءة لأنها براءة من الشرك . الثامن عشر المذكرة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد . التاسع عشر النور لأنها تنور القلب . العشرون سورة الانسان لأنه لاغنى له عنها . وقد ورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم «من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة ، فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل ياعبدى ادخل بيمينك الجنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران فى الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاثة قصور فى الجنة . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يارسول الله إذن تكثر قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل وعن الجيران» ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «من قرأ قل هو الله أحد مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى أهله ومن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قرأها اثنى عشرة مرة بنى الله له اثنى عشر قصرا فى الجنة فان قرأها مائة مرة كفر الله عنه ذنوب خمسين سنة ماخلا الدماء والأموال فان قرأها مائتى مرة كفر الله عنه ذنوب مائة سنة فان قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه فى الجنة أو يرى له» . ومنها أنه شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دخلت البيت فسلم إن كان فيه أحد فان لم يكن فيه أحد فسلم على واقرأ قل هو الله أحد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه الرزق حتى أفاض على جيرانه» . ومنها أن من قرأها مائة ألف مرة فقد اشترى نفسه من الله ونادى مناد من قبل الله تعالى فى سمواته وفى أرضه ألا إن فلانا عتيق الله فمن كان له قبله بضاعة فليأخذها من الله عز وجل» فهى عتاقة من النار لكن بشرط أن لا يكون عليه حقوق للعباد أصلا أو عليه وهو عاجز عن أدائها ، أما من قدر عليها فهو كالمستهزئ بربه لما ورد فى الحديث : ياداود قل للظلمة لايذكرونى فانهم إن ذكرونى ذكرتهم وذكرى لهم أن ألعنهم (قوله سئل صلى الله عليه وسلم) أى والسائل له قريش أو أحبار اليهود أو النصارى حيث قالوا إن آلهتنا ثلثمائة وستون ولم تقض حوائجنا فكيف بواحد ، أو صورة السؤال وماصفة ربك هل هو من نحاس أو من ذهب أو زبرجد أو كيف هو قولان فى كيفية السؤال ، وورد «أن ابن سلام لما سمع بمخرج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة ذهب إليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنت ابن سلام عالم يثرب

(سورة الإخلاص)

مكية ، أو مدنية ، أربع أو خمس آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) سئل صلى الله عليه وسلم عن ربه فنزل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ،

قال نعم قال أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أتجدني في التوراة قال انسب ربك فأرتج النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام : قل هو الله أحد إلى آخرها فقرأها فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله يظهرك ويظهر دينك على الأديان وإني لأجد صفتك في كتاب الله التوراة : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا تجزي بالسيئة مثلها ولكن تعفو وتصفح ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا إله إلا الله يفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا (قوله فالله خبر هو الخ) هذا مبني على أن ضمير هو عائد على المسئول عنه في كلام الكفار وقيل إنه ضمير الشأن يفسره الجملة بعده فالله مبتدأ وأحد خبره والجملة خبر هو وهمزة أحد بدل من واو لأنه من الوحدة أو ليست مبدلة من شيء قولان وإثبات لفظ قل مع تنوين أحد هو قراءة العامة وقرئ شذوذا بحذف قل وقرئ أيضا قل هو الله الواحد وقرئ أيضا بحذف التنوين لالتقاء الساكنين .

واعلم أن هذه الآية يؤخذ منها عقائد التوحيد وذلك لأن الله تعالى علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد ومن كان وجوده واجبا لزم اتصافه بسائر الكمالات كالقدرة والإرادة والعلم والحياة وقوله أحد يدل على الصفات السلبية وهي القدم والبقاء والغنى المطلق والتنزه عن الشبيه والنظير والمثيل في الذات والصفات والأفعال وبذلك انتفت الكموم الخمسة وهي الكم المتصل والمنفصل في الذات والصفات والمنفصل في الأفعال فالمتصل في الذات والصفات هو التركيب والمنفصل فيهما هو الشبيه والنظير والمنفصل في الأفعال هو الشبيه فيها وكل هذه منفية ومستحيلة عليه تعالى ، وأما المتصل في الأفعال فهو ثابت لأن أفعال الله تعالى متعددة لا نهاية لها. بقي شيء آخر وهو أن أحد يستعمل في النفي ، وأما واحد فيستعمل في الإثبات فلم ذكره في الإثبات ؟ . أجيب بأن ذلك أغلبي وقد يستعمل كل في كل

والقرآن وارد بذلك في غير آية

فالله خبر هو وأحد بدل منه ، أو خبر ثان (اللهُ الصَّمَدُ) مبتدأ وخبر ، أي المقصود في الحوائج على الدوام (لَمْ يَلِدْ) لانتفاء مجانسته (وَلَمْ يُولَدْ) لانتفاء الحدوث عنه (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) أي مكافئا ومماثلا فله متعلق بكفوا ، وقدم عليه لأنه محط القصد بالنفي ، وأخر أحد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة .

وآثر الأحد على الواحد لمراعاة الفواصل (قوله وأحد بدل) أي بدل نكرة من معرفة وهو جائز (قوله الله الصمد) نتيجة ماقبله ولذا ترك العطف وذلك لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزه عن النقائص فلا يقصد غيره ولا يعول إلا عليه (قوله أي المقصود في الحوائج) هذا أحد أقوال في معنى الصمد وهو المشهور ، وقيل هو الذي لا جوف له ، وقيل هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه ، وقيل هو الذي ليس فوقه أحد ، وقيل غير ذلك ، وإنما عرف الصمد لعلمهم به ومعرفتهم إياه بخلاف أحديته وكرر لفظ الله إشعارا بأن من لم يتصف به لا يستحق الألوهية (قوله لم يلد ولم يولد) رد على مشركي العرب القائلين الملائكة بنات الله واليهود القائلين عزير ابن الله والنصارى القائلين المسيح ابن الله وهذه الجملة نتيجة ماقبلها لأنه حيث ثبت أنه متصف بالكمالات منزه عن النقائص مقصود في جميع الأمور فلم يكن علة في غيره ولا غيره علة فيه وأتى بالعاطف في الجملتين الأخيرتين دون ماعداهما لأنهما سيقتا لمعنى وهو نفي المماثلة عنه تعالى بوجوهها لأن المماثلة إما ولد أو والد أو نظير فلتغاير الأقسام أتى بالعطف لأنه يقتضي المغايرة وترك العاطف في لم يلد لأنه مؤكد للصمدية لأن الغني عن كل شيء المحتاج إليه كل ماسواه لا يكون والدا ولا مولودا ، فهذه الجمل الثلاث في معنى جملة واحدة (قوله لانتفاء مجانسته) أي لغيره لأن الولد من جنس أبيه والله سبحانه وتعالى لا يجانسه أحد لأنه واجب وغيره ممكن ولأن الولد يطلب إما لإعانة والده أو لتخلفه بعده والله تعالى غني عن كل شيء ولا يفنى (قوله لانتفاء الحدوث عنه) أي لأن كل مولود جسم ومحدث والله تعالى ليس كذلك (قوله ومماثلا) عطف تفسير واعلم أن الكفء يعم الشبيه والنظير والمثيل ، فالمثيل هو المشارك لك في جميع صفاتك والشبيه هو المشارك في غالبها والنظير هو المشارك في أقلها والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك كله (قوله وقدم عليه) أي وكان الأصل أن يؤخر الظرف لكن قدم لأهميته اعتناء بنفي المكافأة عنه تعالى لأنه المقصود (قوله لأنه محط القصد بالنفي) أي فالقصد نفي المكافأة عن ذات الله تعالى فكان تقديمه أولى ، وهذه السورة الشريفة نفت أصول الكفر الثمانية : التركيب والعدد والنقص بمعنى الاحتياج والقلة بمعنى البساطة والعلة والمعلول والشبيه والنظير ، أما الكثرة والصدد فانتفاؤهما بقوله تعالى :

- قل هو الله أحد - والنقص والقلة بقوله - الله الصمد - والعلة والمعلول بقوله - لم يلد ولم يولد - والشبيه والنظير بقوله - ولم يكن له كفوا أحد - .

[سورة الفلق] مناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما بين أمر الألوهيـة فى السورة قبلها بين هنا مايستعاذ منه بالله تعالى لأنه الملجأ سواه (قوله مكية) أى فى قول الحسن وعطاء وعكرمة وقوله أومدنية أى فى قول ابن عباس وقتادة وجماعة وهو الصحيح ويؤيده سبب النزول فانه كان بالمدينة ولم يظهر للقول بأنها مكية وجه . وورد فى فضل هذه السورة والتى بعدها أحاديث: منها قوله صلى الله عليه وسلم « لقد أنزلت على سورتان ماأنزل مثلهما وإنه لن يقرأ أحد سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوّذتين » وقوله : ماأنزل مثلهما أى فى التحصن والتعوّذ ، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم « ياابن عابس ألا أخبرك بأفضل ما تعوّذ به المتعوّذون ؟ قلت بلى يارسول الله ، قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس » ومنها « أنه كان صـلى الله عليه وسلم يتعوذ من عين الجانّ ومن عين الإنس فلما نزلت سورتا المعوّذتين أخذ بهما وترك ماسواهما » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه : « اقرأ قل هو الله أحد والمعوّذتين ثلاثا يكفك من كل شئ » وفى رواية « من قرأ قل هو الله أحد والمعوّذتين ثلاث مرات إذا أخـذ مضجعه فاذا قبض قبض شهيدا وإن عاش عاش مغفورا له » (قوله نزلت هذه السورة والتى بعدها الخ) أى باجماع الصحابة (قوله لما سحر لبيد) أى ابن الأعصم . وحاصله أنه لما رجع رسول الله صـلى الله عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة ودخل المحرّم سنة سبع وفرغ من وقعة خيبر جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الأعصم وكان حليفا فى بنى زريق وكان ساحرا فقالوا أنت أسحرنا : أى أعلمنا بالسحر وقد سحرنا محمدا فلم يؤثر فيه سحرنا شيئا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا يؤثر فيه فجعلوا له ثلاثة دنانير فأتى غلاما يهوديا كان يخدم النبىّ صـلى الله عليه وسلم فلم يزل به حتى أخذ مشاطة رأس النبىّ صلى الله عليه وسلم وعدّة أسنان من مشطه وأعطاها له فسحره بها وكان من جملة السحر صورة من شمع على صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ســـورة الفلق)

مكية ، أو مدنية ، خمس آيات

نزلت هذه السورة والتى بعدها لما سحر لبيد اليهودى النبىّ صلى الله عليه وسلم

فى قد جعلوا فى تلك الصورة إبرا مغروزة إحدى عشرة ووتر فيه إحدى عشرة عقدة وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع إبرة وجد لها ألما فى بدنه ثم يجد بعدها راحة ، وكانت مدة سحره صلى الله عليه وسلم أربعين يوما ، وقيل ستة أشهر ، وقيل عاما . قال ابن حجر وهو المعتمد . إن قلت كيف يؤثر السحر فيه صـلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم بنص الآية : والله يعصمك من الناس ؟ أجيب بأن المعصوم منه ماأدّى لخبل فى عقله أولضياع شرعه أولموته ، وأما ماعدا ذلك فهو من الأعراض البشرية الجائزة فى حقه كما أن جرحه وكسر رباعيته لايقدح فى عصمته ، وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر زاعمين أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وماأدّى لذلك فهو باطل وزعموا أيضا أن تجويز السحر على الأنبياء يؤدى لعدم الثقة بما أتوا به من الشرائع إذ يحتمل أن يخيل إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو ثم وهذا كله مردود لقيام الدليل على ثبوت السحر باجماع الصحابة وعصمته صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء وصدقهم فيما يبلغونه عن الله ، وأما ما كان متعلقا بأمور الدنيا فهم كسائر البشر تعتريهم الأعراض كالصحة والسقم والنوم واليقظة والتألم بالسحر ونحو ذلك ، وأما ماورد فى قصة السحر من أنه كان يخيل إليه أنه يأتى أهله ولم يأت فمعناه انه يظهر له من نشاطه وسابق عادته الاقتدار على الوطء فاذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود وتسميه العامة المربوط لما ورد : أنه حبس عن عائشة سنة ، وعن ابن عباس أنه مرض وحبس عن النساء والطعام والشراب ففى ذلك دليل على أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده لاعلى عقله . ثم اعلم أن مذهب أهـل السنة أن السحر حق وله حقيقة ويكون بالقول والفعل ، ومن جملة أنواعه السيمياء وهى حيل صناعية يتوصـل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لايتوصل إليها إلا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها تخييلات فيعظم عند من لايعرف ذلك ، والحق أنه من الأسباب العادية التى توجد الأشياء عندها لابها فيؤثر فى القلوب

كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر وفى الأبدان بالألم والسقم ، وأما قلب الجماد حيوانا وعكسه فباطل لاخصوص؛ ؛ إذ لو قدر الساحر على هذا لقدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم وأن يمنع نفسه من الموت ، وهو حرام إن لم يكن عليه تعظيم غير الله أو يعتقد تأثيره بنفسه وإلا فهو كفر (قوله فى وتر) بفتحتين : أى وتر القوس (قوله فأحضر بين يديه) روى « أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما ذات يوم إذ أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال الذى عند رأسه مابال الرجل ؟ فقال الذى عند رجليه طب : أى سحر . قال ومن سحره ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودى . قال وبم طبه ؟ قال بمشط ومشاطة . قال وأين هو ؟ قال فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذروان . فانتبه النبى صلى الله عليه وسلم ثم أمر عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة وإذا تمثال من شمع على صورته صلى الله عليه وسلم مغروز فيه إحدى عشرة إبرة » وكانت هذه المذكورات كلها موضوعة فى الجف وهو بضم الجيم وتشديد الفاء وعاء طلع النخل ، والراعوفة حجر أسفل البئر يقوم عليه المائح (قوله كأنما نشط من عقال) أى كأنما حل وأطلق منه (قوله الصبح) هذا أحد أقوال فى معنى الفلق وآثره إشارة إلى التفاؤل الحسن فان مقصود العائذ من الاستعاذة أن يتغير حاله بالخروج من الخوف إلى الأمن ومن الوحشة إلى السرور والصبح أدل على هذا لما فيه من زوال الظلمة باشراق أنواره وتغير وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته ، وقيل الفلق سجن فى جهنم . وقيل بيت فى جهنم إذا فتح صاح أهل جهنم من حره ، وقيل هو اسم من أسماء جهنم ، وقيل واد فى جهنم ، وقيل شجرة فى النار ، وقيل الرحم لانفلاقه عن الولد ، وقيل كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والحب والنوى وكل نبات ، وقيل غير ذلك

فى وتر به إحدى عشر عقدة فأعلمه الله بذلك وبمحله فأحضر بين يديه صلى الله عليه وسلم وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها وقام كأنما نشط من عقال .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) الصبح (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك (وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ) أى الليل إذا أظلم ، أو القمر إذا غاب (وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ) السواحر تنفث (فِي الْعُقَدِ) التى تعقدها فى الخيط تنفخ فيها بشىء تقوله من غير ريق . وقال الزمخشرى : معه ،

(قوله من شر ما خلق) هذا عام وما بعده خاص والجار والمجرور متعلق بأعوذ وما موصولة أو مصدرية (قوله وغير ذلك) أى كالإحراق بالنار والإغراق فى البحار (قوله ومن شر غاسق) نكر غاسق وحاسد لإفادة التبعيض لأن الضرر قد يتخلف فيهما وعرف النفاثات لأنهن معهودات فقيل بنات لبيد وقيل أخواته (قوله أى الليل إذا أظلم) سمى الليل غاسقا لانصباب ظلامه واستعيذ من الليل لشدة الآفات فيه وإذا منصوبة بشر : أى أعوذ بالله من الشر فى وقت كذا (قوله أو القمر) سمى غاسقا لذهاب ضوئه بالكسوف أو المحاق فى آخر الشهر واسوداده ، وقوله إذا غاب : أى استتر بالكسوف أو أخذ فى المحاق أو النقص وذلك آخر الشهر وفيه تتوفر أسباب السحر المصححة له ويسميه المنجمون إذ ذاك نحسا وهو أنسب بسبب النزول ، وهذان قولان من جملة أقوال كثيرة ، وقيل الثريا وذلك لأنها إذا سقطت كثرت الأسقام والطواعين وإذا طلعت ارتفع ذلك . وقيل هو الشمس إذا غربت ، وقيل هو الحية إذا لسعت ، وقيل كل هاجم يضر كائنا ما كان (قوله السواحر) صفة لموصوف محذوف : أى النساء السواحر وخص النساء بالذكر لأن سحرهن أشد من سحر الرجل لما ورد : أنه بعد إغراق فرعون وقومه وتوجه موسى وقومه لقتال الجبارين ملك نساء القبط مصر والقبط فيها ستمائة سنة كلما قصدهن عسكر صورن صورته وفعلن بالصورة ما شئن من قلع الأعين وقطع الأعضاء فيتفق نظيره للعسكر القاصد لهن فتخافهن العسكر (قوله بشىء) أى مع شىء : أى قول تقوله ، وقوله من غير ريق متعلق بتنفخ . واختلف فى النفث عند الرقية والمسح باليد فمنعه قوم لما فيه من التشبه بالسحر وأجازه آخرون وهو الصحيح لما ورد عن عائشة كان النبى صلى الله عليه وسلم ينفث فى الرقية ، وورد عنها أيضا أنها رقت ونفثت ، وقال على كرم الله وجهه « اشتكيت فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أقول اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى وإن كان متأخرا فاشفنى وعافنى وإن كان بلاء فصبرنى فقال صلى الله عليه وسلم كيف قلت ؟ فقلت له فمسحنى بيده ثم قال : اللهم اشفه فما عاد ذلك الوجع بعد » اهـ (قوله وقال الزمخشرى معه) أى الريق ففى النفث قولان .

(قوله ومن شر حاسد إذا حسد) الحسد تمنى زوال نعمة المحسود عنه وإن لم يصر للحاسد مثلها، والغبطة تمنى مثلها ، فالحسد مذموم دون الغبطة وعليها حمل حديث « لاحسد إلا فى اثنتين » والحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء وأول ذنب عصى به فى الأرض فحسد إبليس آدم، وقابيل هابيل . والحاسد ممقوت مبغوض ومطرود وملعون . قال بعض الحكماء : بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه : أولها أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره . ثانيها أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت لى هذه القسمة . ثالثها أنه يعاند فعل الله تعالى . رابعها أنه يريد خذلان أولياء الله . خامسها أنه أعان عدو الله إبليس ، وقال بعضهم: الحاسد لاينال فى المجالس إلا ندامة ولاينال عند الملائكة إلا لعنة و بغضا. ولاينال فى الخلوة إلا جزعا وغما ولا ينال فى الآخرة إلا حزنا واحتراقا ولاينال من الله إلا بعدا ومقتا ، وفى الحديث « فى الإنسان ثلاثة الطيرة والظن والحسد فيخرجه من الطيرة أن لايرجع ويخرجه من الظن أن لايحقق و يخرجه من الحسد أن لايبغى » (قوله أظهر حسده) أى حمله الحسد على إظهاره لأنه إذا لم يظهر الحسد لايتأذى به إلا الحاسد وحده لاغتمامه بنعمة غيره ، وفى هذا المعنى قال بعض العارفين :

ألا قل لمن بات لى حاسدا ... أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعله ... لأنك لم ترض لى ما وهب
فكان جزاؤك أن خصنى ... وسد عليك طريق الطلب

وقال بعضهم :

اصبر على حسد الحسو ... د فان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

(٣٥٠)

كبنات لبيد المذكور (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) أظهره حسده وعمل بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر الثلاثة الشامل لها ماخلق بعده لشدة شرها.

(سورة الناس)

مكية أو مدنية ، ست آيات

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) خالقهم ومالكهم خصوا بالذكر تشريفا لهم ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس فى صدورهم (مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ) بدلان أو صفتان أو عطفا بيان ، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان ،

[فائدة] كرر لفظ شر مع كل جملة لئلا يتوهم أنه شر واحد مضاف للجميع .

[سورة الناس مكية]

(قوله أو مدنية) أى وهو الصحيح لما تقدم من أن سبب النزول واقعة السحر وهى بالمدينة سنة سبع (قوله ست آيات) أى والسورة التى قبلها خمس فتكون الجملة إحدى عشرة آية عدة العقد والابر الحاصلين فى السحر (قوله قل أعوذ) أى أتحصن والأمر للنبى صلى الله عليه وسلم ويتناول غيره من أمته لأن أوامر القرآن ونواهيه لا تخص فردا دون فرد (قوله الناس) أصله إما إناس حذفت الهمزة أونوس مأخوذ إما من ناس إذا تحرك خص بالبشر لأنه المتحرك الحركة المعتد بها الناشئة عن روية وتدبر تحركت الواو وانفتح ماقبلها قلبت ألفا أومن الانس ضد الوحشة لأنه يؤنس به أومن النسيان لكونه شأنه وطبعه (قوله خالقهم) أى موجدهم من العدم (قوله خصوا بالذكر) أى و إن كان رب جميع الخلائق (قوله تشريفا لهم) أى من حيث إنه تعالى أخدم لهم ملائكة قدسه وجعل لهم مافى الأرض جميعا وأمدهم بالعقل والعلم وكلفهم بخدمته فان قاموا بتلك الوظيفة كان لهم العز دنيا وأخرى و إن لم يقوموا بها ردوا لأسفل السافلين فلم يساووا كلبا ولاخنزيرا و إذا علمت بذلك أنه رب الناس فهو رب غيرهم بالأولى (قوله ومناسبته للاستعاذة الخ) أى فكأنه قال أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم المالك لهم (قوله ملك الناس) باسقاط الألف هنا باتفاق القراء بخلاف الفاتحة ففيها قراءتان سبعيتان ثبوت الألف وحذفها. ومعنى الملك المتصرف فيهم بأنواع التصرفات من إعزاز و إذلال و إغناء و إفقار وغير ذلك (قوله إله الناس) هذا الترتيب بديع وذلك أن الانسان أولا يعرف أن له ربا لما يشاهده من أنواع التربية ثم إذا تأمل عرف أن هذا الرب متصرف فى خلقه غنى عن غيره فهو الملك ، ثم إذا ازداد تأمله عرف أنه يستحق أن يعبد لأنه لايعبد إلا الغنى عن كل ماسواه المفتقر إليه كل ماعداه (قوله زيادة للبيان) حاصله أنه ورد إشكال وهو لم كرر لفظ الناس ثانيا وثالثا ولم يكتف بضميرهم

مع أن اتحاد اللفظين فى اللفظ والمعنى معيب كالايطاء فى الشعر كما أجاب المفسر بقوله زيادة البيان وهو جواب خفى ، وأحسن منه أن يقال إن التكرار لإظهار شرف الناس وتعظيمهم والاعتناء بشأنهم كما أنه حسن التكرار للتلذذ وإظهار فضل المكرور فى قول بعضهم :

محمد ساد الناس كهلا ويافعا ... وساد على الأملاك أيضا محمد

محمد كل الحسن من بعض حسنه ... وما حين كل الحسن إلا محمد

محمد ما أحلى شمائله وما ... ألذ حديثا راح فيه محمد

وهذا على تسليم أن المراد بالناس فى الجميع شئ واحد، وأما إن أريد بالناس الأول الصغار وأضيفوا الرب لاحتياجهم إلى التربية أكثر من غيرهم ، وبالثانى الشباب وأضيفوا للملك لأن شأنهم الطغيان والطيش فهم محتاجون لملك يسوسهم ويكسر هيجان شبوبيتهم ، وبالثالث الشيوخ وأضيفوا للإله لأن شأنهم كثرة العبادة لقرب ارتحالهم وقدومهم على ربهم وفناء شهواتهم فهم أقرب من غيرهم التعلق بالإله فلا اتحاد فى المعنى (قوله من شرّ الوسواس) متعلق بأعوذ. إن قلت ما الحكمة فى وصف الله تعالى فى هذه السورة نفسه بثلاثة أوصاف وجعل المستعاذ منه شيئا واحدا وفى السورة قبلها بعكس ذلك لأنه وصف نفسه بوصف واحد وجعل المستعاذ منه أربعة أشياء . أجيب بأنه فى السورة المتقدمة المستعاذ منه أمور تضرّ فى ظاهر البدن وهنا وإن كان أمرا واحدا إلا أنه يضرّ الروح وما كان يضرّ الروح يهتم بالاستعاذة منه . إن قلت كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام وهو الاستعاذة من شر الوسواس إذ سلامة الروح مقدمة على البدن . أجيب بأن تقديم سلامة البدن وسيلة للمقصود بالذات وهو سلامة الروح (قوله سمى بالحدث) أى المصدر ، وقوله لكثرة ملابسته له : أى ملازمته للوسوسة فهو على حدّ زيد عدل وماذكره المفسر ليس بمتعين فان الوسواس بالفتح كما يستعمل اسم مصدر بمعنى الحدث يطلق على نفس الشيطان الموسوس ويطلق أيضا على مايخطر بالقلب من الشرّ. واعلم أن خواطر القلب أربعة رحمانى وملكى ونفسى وشيطانى فالرحمانى مايلزم طاعة بعينها والملكى مايلزم طاعة لابعينها والنفسى مايلزم معصية بعينها والشيطانى مايلزم معصية لا بعينها فتمسك بهذا الميزان (قوله لأنه يخنس) من باب دخل : أى يتوارى ويختفى بعد ظهوره المرة بعد المرة (قوله كلما ذكرالله) أى فالذكر له كالقامع الذى يقمع المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزيلا، وعن بعض السلف أن المؤمن يفنى شيطانه كما يفنى الرجل بعيره فى السفر. قال قتادة : الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب ، وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ، ويقال رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدّثه فاذا ذكر الله خنس وتأخر وإذا غفل رجع ، وهل المراد الحقيقة، أوخرطوم الكلب والخنزير كناية عن قبحه وخبثه ونجاسته ورأس الحية كناية عن شدة الأذية ووضعه على الفؤاد كناية عن شدة التمكن؟ كل محتمل (قوله إذا غفلوا عن ذكر الله) أى بقلوبهم ولو كانوا ذاكرين بألسنتهم وذلك لأن الوسوسة حالة فى القلب فلا يطردها إلا الذكر الحال فى القلب فمن كان من أهل الذكر فلا تسلط للشيطان عليه . قال تعالى ـ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ـ ولا يترك الانسان الذكر اللسانى إذا وجد الغفلة والوسواس فى قلبه بل يكثر الذكر ويديمه فلعله يستيقظ قلبه ويتنور . قال العارفون : الذكر اللسانى كقدح الزناد فاذا تكرر أصاب . قال بعضهم فى ذلك :

اطلب ولا تضجرن من مطلب ... فآفة الطالب أن يضجرا

أما ترى الحبل لتكراره ... فى الصخرة الصماء قد أثرا

(قوله من الجنة) اسم جنس جمعى يفرق بينه وبين واحده بالياء فيقال جنّ وجنى كزنج وزنجى وغالبا يفرق بالتاء كتمر وتمرة وزيدت التاء فى الجنة لتأنيث الجماعة، سموا بذلك لاجتنانهم : أى استتارهم عن العيون، وهم أجسام نارية هوائية يتشكلون بالصور الشريفة والخسيسة وتحكم عليهم الصورة وتقدم ما فيهم (قوله بيان للشيطان الموسوس) أى المذكور بقوله : من شر الوسواس فمن بيانية مشوبة بتبعيض : أى بعض الجنة وبعض الناس .

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ) أى الشيطان ، سمى بالحدث لكثرة ملابسته له (الْخَنَّاسِ) لأنه يخنس ، ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله (الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ) قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للشيطان الموسوس أنه جنى وإنسى ،

(قوله كقوله تعالى الخ) أي ويشهد له حديث «تعوذوا بالله من شياطين الجن والانس» (قوله والناس عطف على الوسواس) أي ولفظ شر مسلط عليه كأنه قال من شر الوسواس الذي يوسوس وهو الجنة ومن شر الناس وعليه فالناس لايصدر منهم وسوسة (قوله وعلى كل) أي من الاحتمالين وقوله يشمل أي الشر المستعاذ منه شر لبيد الخ (قوله المذكورين) أي في السورة السابقة وفيه تغليب المذكر وهو لبيد على المؤنث وهو بناته (قوله واعترض الأول) أي وهو أنه بيان للشيطان الموسوس (قوله لايوسوس في صدورهم الناس) كذا في بعض النسخ والمناسب كما في بعضها لايوسوسون في صدور الناس (قوله بمعنى يليق بهم) أي كالنميمة ويخنسون إذا زجروا (قوله المؤدي) أي الموصل إلى ثبوتها في القلب (قوله والله أعلم) أشار بذلك إلى تمام القرآن . وفي ختم القرآن بهذه السورة إشارة حسنة كأنه قيل ما أنزلناه كاف ما فرطنا في الكتاب من شيء فلا تطلب بعده شيئا بل اقتصر على العمل به واستعذ بالله من الشيطان والحاسد لأن العبد إذا تمت نعمة الله عليه كثرت حساده إنسا وجنا ، قيل عدد حروف هذه السورة غير المكرر ثلاث وعشرون حرفا وكذا عدد الفاتحة بعدد السنين التي أنزل فيها القرآن وهو سر بديع وأول القرآن باء البسملة وآخره سين والناس كأنه قال بس أي تم وكمل . ثم اعلم أن الجلال المحلي رضي الله عنه بعد أن ختم هذا النصف الأخير وابتداؤه من سورة الكهف شرع في تفسير النصف الأول وأوله سورة الفاتحة فقال في شروعه فيه سورة الفاتحة الخ ولم يفتتحه بخطبة على عادة المؤلفين مشتملة على حمد وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك قصدا للاختصار وروما للاقتصار على محط الفائدة . ثم إنه لما فرغ من تفسير سورة الفاتحة توفي إلى رحمة الله تعالى فقيض الله تعالى تلميذه الجلال السيوطي لتتميم تفسيره فابتدأ بأول سورة البقرة وختم بالاسراء كما ذكر في خطبته فصار تفسير الفاتحة في نسخ الجلال مضموما لتفسير آخر القرآن لأوله ليكون تفسير المحلي مضموما بعضه لبعض رضي الله عن الجميع ونفعنا بهم .

كقوله تعالى : شياطين الإنس والجن ، أو من الجنة بيان له والناس عطف على الوسواس ، وعلى كل يشمل شر لبيد و بناته المذكورين ، واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس إنما يوسوس في صدورهم الجن . وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضا بمعنى يليق بهم في الظاهر ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك ، والله تعالى أعلم .

(سورة الفاتحة)

مكية ، سبع آيات بالبسملة

[سورة الفاتحة مكية] وهو قول الأكثر وقيل مدنية وجمع بعضهم بين القولين فقال نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ولذلك سميت مثاني. وقيل نزل نصفها بمكة ونصفها بالمدينة والأول هو الصحيح لقوله تعالى ـ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ـ والحجر مكية بإجماع وأيضا فرض الصلاة كان بمكة ولم يثبت أنه وقع في الاسلام صلاة بغيرها يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم « لاصلاة إلا بفاتحة الكتاب» بل هي من أوائل القرآن نزولا وسميت فاتحة لأنها مفتاح الكتاب العزيز ، وهذا اسم من جملة عشرين اسما. ثانيها فاتحة الكتاب. ثالثها أم القرآن لأنه مفتتح بها فكأنها أصله وأساسه. رابعها سورة الكنز لأنها نزلت من كنز تحت العرش. خامسها الكافية. سادسها الوافية لأنها وافيه كافية في صحة الصلاة عن غيرها عند القدرة عليها. سابعها الشافية. ثامنها الشفاء لما ورد هي شفاء من كل داء. تاسعها السبع المثاني لأنها سبع آيات على الصحيح سواء قلنا أن البسملة منها أولا. عاشرها النور. الحادي عشر الرقية . الثاني عشر سورة الحمد والشكر . الثالث عشر الدعاء. الرابع عشر تعليم المسألة لاشتمالها على ذلك. الخامس عشر سورة المناجاة. السادس عشر سورة التفويض السابع عشر سورة السؤال. الثامن عشر سورة أم الكتاب. التاسع عشر فاتحة القرآن. العشرون الصلاة لخبر «قسمت الصلاة بيني و بين عبدي نصفين فنصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ماسأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الرب أثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد إياك نعبد و إياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني و بين عبدي

ولعبدى ماسأل يقول العبد - اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين - يقول الله فهؤلاء لعبدى ولعبدى ماسأل» وورد فى فضلها أحاديث كثيرة منها ماهو مسلسل بالحلف بالله العظيم. عن ابن العربى قال: إذا قرأت الفاتحة فصل بسم الله الرحمن الرحيم بالحمد لله فى نفس واحد من غير قطع فانى أقول بالله العظيم لقد حدثنى أبو الحسن على أبو الفتح الطيب بمدينة الموصل سنة إحدى وستمائة وقال بالله العظيم لقد سمعت من أبى بكر من لفظه ولفظه وهو أبو الفضل ابن محمد الكاتب الهروى وقال بالله العظيم لقد حدثنا أبو بكر الشاشى الشافعى من لفظه وقال بالله العظيم لقد حدثنى عبد الله المعروف بأبى نصر السرخسى وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن الفضل وقال بالله العظيم لقد حدثنا محمد بن يحيى الوراق الفقيه وقال بالله العظيم لقد حدثنى محمد بن الحسن العلوى الزاهد وقال بالله العظيم لقد حدثنى موسى بن عيسى وقال بالله العظيم لقد حدثنى أبو بكر الرابحى وقال بالله العظيم لقد حدثنى أنس بن مالك وقال بالله العظيم لقد حدثنى محمد المصطفى وقال « بالله العظيم لقد حدثنى جبريل وقال بالله العظيم لقد حدثنى إسرافيل وقال قال تعالى ياإسرافيل بعزتى وجلالى وجودى وكرمى من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم مرة بفاتحة الكتاب مرة واحدة اشهدوا أنى غفرت له وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا أحرق لسانه فى النار وأجيره من عذاب القبر وعذاب النار والفزع الأكبر ويلقانى قبل الأنبياء والأولياء أجمعين » اهـ من المناوى على الجامع الصغير (قوله إن كانت منها الخ) هذا التعبير يوهم فى بادئ الرأى أنها إن لم تكن منها فليست سبعا مع أنه يخالف مابعده فالمناسب أن يقول سبع آيات فان كانت البسملة منها فالسابعة صراط الذين إلى آخرها وإن لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب عليهم إلى آخرها وبعضهم جعل البسملة منها وجعل غير المغضوب عليهم الخ ثامنة وبعضهم جعلها ست آيات والبسملة ليست منها وهذان القولان مرجوحان . واعلم أنه اختلف (٣٥٣) فى البسملة فقيل ليست آية من الفاتحة بل ولا من كل سورة سوى سورة النمل وإنما يندب الابتداء بها كالاستعاذة وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والأوزاعى ومالك

> إن كانت منها ، والسابعة صراط الذين إلى آخرها
> وإن لم تكن منها فالسابعة غير المغضوب إلى آخرها ، ويقدر فى أولها .
> قولوا ؛ ليكون ماقبل إياك نعبد مناسباً له بكونها من مقول العباد .

مستدلين بما روى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى أنه كان يفتتح أحدهم بالفاتحة فى صلاته إماما من غير أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم وعمل أهل المدينة حجة ، وقيل آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وابن المبارك والشافعى مستدلين بما روى أنه صلى الله عليه وسلم « قال إذا قرأتم الحمد لله فاقرءوا بسم الله الرحمن الرحيم إنها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى و بسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها» . والحاصل أن البسملة من كلام الله قطعا فمن أنكرها كفر وكونها آية من كل سورة أولا خلاف بين الأئمة (قوله فالسابعة غير المغضوب الخ) إن قلت إن لفظ غير صفة لما قبلها والصفة مع الموصوف كالشئ الواحد فكيف تكون آية مستقلة .أجيب بأن الرحمن الرحيم مالك يوم الدين صفتان لله مع أنه مجمع على أنهما آيتان فكذلك يقال هنا.ونوقش بأن لفظ غير أشد افتقارا إلى ماقبله من غيره لأنه لايتم معناه إلا بما قبله فكان معه كالشئ الواحد وأما الرحمن الرحيم ونحوه إذا أعرب نعتا فليس بهذه المثابة بدليل القراءة الشاذة برفعهما أونصبهما فانهما يخرجان عن الارتباط.أجيب بأن الآية لايشترط فيها عدم ارتباطها بما قبلها وقد تخلص المفسر من هذا الإشكال باعرابه بدلا كما يأتى (قوله ويقدر فى أولها) أى الفاتحة قبل البسملة على القول بأنها منها أو بعدها وقبل الحمدلة على القول بأنها ليست منها (قوله بكونها) الباء بمعنى فى : أى فى كون الفاتحة كلها من مقول العباد وفى نسخة بكونه وهى أوضح والضمير عائد على ماقبل إياك ، وحصله أن إياك نعبد لما كان من مقول العباد احتيج إلى تقدير قولوا فيما قبله ليكون ماقبله من مقول العباد أيضا فتكون الفاتحة كلها من مقول العباد ولو ترك هذا التقدير لاحتمل أن قوله الحمد لله رب العالمين إلى آخر الآيات الأربع ثناء على الله فيكون بعضها الأول من مقول الله و بعضها الثانى من مقول العبد ثناء من الله على نفسه

 فيكون من مقوله هو وذلك صحيح فى حد ذاته

لكن المناسب أبلغ (قوله بسم الله الرحمن الرحيم) لم يتكلم الجلال المحلي ولا تلميذه عليها ولعلهما اتكلا على شهرته. ونتكلم على شيء منها فنقول: ابتدأ كتابه تعالى بالبسملة تعليما لعباده الاقتداء بذلك والإتيان بها في كل أمر ذي بال إشعارا بأنها أم الفاتحة كما أن الفاتحة أم القرآن كما أن القرآن أم الكتب السماوية، والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، والرحمن المنعم بجلائل النعم كما وكيفا دنيا وأخرى، والرحيم المنعم بدقائقها كذلك .

[فائدة] روى الشعبي والأعمش «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها كتب بسم الله فلما نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن ، فلما نزلت إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم كتبها» وعن عبد الله بن مسعود قال: من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ليجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد ، وقد فسرها بعض العارفين على مقتضى الحروف فقال إن كل حرف منها مفتاح كل اسم من أسمائه تعالى مبدوء بذلك الحرف فالباء مفتاح اسمه تعالى بصير وباقي وبر ونحو ذلك والسين مفتاح اسمه تعالى سميع سلام والميم مفتاح اسمه ملك ونحوه والألف مفتاح اسمه الله ونحوه واللام مفتاح اسمه لطيف ونحوه والهاء مفتاح اسمه هادي ونحوه والراء مفتاح اسمه رزاق ونحوه والحاء مفتاح اسمه حليم ونحوه والنون مفتاح اسمه نافع ونحوه فكأن المفتتح بها مفتتح بجميع أسمائه تعالى (قوله جملة) أي مركبة من مبتدإ أو خبر (قوله خبرية) : أي لفظا وهي إنشائية معنى بدليل قوله تقصد بها الثناء : أي تقصد بها إنشاء الثناء (قوله من أنه تعالى الخ) بيان للمضمون ولذلك إشارة إلى

أن أل في الحمد جنسية وهو الأولى من جعلها استغراقية أو عهدية أما الأول فلأنه ليس في طاقة العبيد حصر أفراد الحمد وأما الثاني فلقصوره كذا قال النحويون واختار الصوفية أنها للعهد قائلين إن الله تعالى لما علم عجز خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه ووضعه لهم يحمدونه به وهذا المعنى هو المناسب للحمد الواقع في القرآن فتدبر (قوله أو مستحق الخ) أشار بذلك إلى أن اللام في لله للملك أو للاستحقاق (قوله والله علم على المعبود بحق) أي علم شخص عربي مرتجل جامد وهو الصحيح ومعنى كونه علم شخص أنه علم على ذات معينة مستجمعة لصفات الكمال وقال الزمخشري إنه اسم جنس صار علما بالغلبة مشتق من أله كعبد وزنا ومعنى أو من أله بمعنى سكن أو من وله بمعنى تحير ودهش أو طرب أو من لاه بمعنى احتجب أو ارتفع أو استتار ومجموع الأقاويل هو المعبود للخواص والعوام المفزوع إليه في الأمور العظام المرتفع عن الأوهام المحتجب عن الأفهام الظاهر بصفاته الفخام الذي سكنت إلى عبادته الأجسام وولهت به نفوس الأنام وطربت إليه قلوب الكرام (قوله رب العالمين) الرب يطلق على السيد والمالك والمعبود والثابت والمصلح اقتصر المفسر على المالك لكونه المناسب للمقام وجمع العالمين جمع قلة مع كثرتها جدا في الواقع تنبيها على أنهم وإن كثروا فهم قليلون في جانب عظمته تعالى . إن قلت الجمع يقتضي اتفاق الأفراد في الحقيقة وهي هنا مختلفة . أجيب بأنها متفقة من حيث أن كلا منها علامة على موجدها (قوله يقال عالم الانس الخ) الاضافة بيانية أي عالم هو الانس (قوله وغلب في جمعه الخ) وقيل لا تغليب بل هو اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم بطريق التبع (قوله أولو العلم) أي لشرفهم (قوله وهو) أي العالم وهو ماسوى الله تعالى علامة على موجده لأنه حادث وكل حادث يحتاج إلى محدث (قوله أي ذي الرحمة) أشار بذلك إلى أن الرحمن الرحيم بنيا للمبالغة من رحم ، والرحمة في الأصل رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان وهي بهذا المعنى مستحيلة في حقه تعالى فتحمل على غايتها لأن ما استحال على الله باعتبار مبدئه وورد يطلق ويراد منه لازمه وغايته .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ) جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لأن يحمدوه، والله علم على المعبود بحق (رَبِّ الْعَالَمِينَ) أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم ، يقال عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك وغلب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم، وهو من العلامة لأنه علامة على موجده (الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) أي ذي الرحمة وهي

(قوله وهى إرادة الخير الخ) أشار بذلك إلى أنهما صفتا ذات ويصح أن يكونا صفتى فعل : أى التفضل المحسن ، وفى الاتيان بالرحمن الرحيم عقب الصافه برب العالمين ترغيب بعد ترهيب فيكون أعون للعبد على الطاعة وأمنع من المعصية (قوله ملك يوم الدين) من الملك بضم الميم وهو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلى بالأمر والنهى (قوله أى الجزاء) أى بالثواب للمؤمنين والعقاب للكافرين (قوله لاملك ظاهرا فيه لأحد) أى وأما فى الدنيا ففيها الملك ظاهرا لكثير من الناس ، فتحصل أن الوصف بالملكية ثابت أزلا وظهوره يكون يوم القيامة لاقرار جميع الخلق به (قوله لمن الملك اليوم) الجار والمجرور خبر مقدم والملك مبتدأ مؤخر واليوم ظرف للمبتدإ وقوله لله جواب منه تعالى عن السؤال (قوله ومن قرأ مالك الخ) اعلم أن فى لفظ ملك قراءتين سبعيتين الأولى بحذف الألف والوصف بها ظاهر والثانية باثباتها وفيها إشكال وهو أن مالك اسم فاعل و إضافته لفظية لا تفيده التعريف فكيف توصف المعرفة بالنكرة . وأجاب المفسر بأن محل كون إضافة اسم الفاعل لفظية إن لم يكن بمعنى الزمان المستمر و إلا كانت إضافته حقيقية . والحاصل أن اسم الفاعل إن قصد به الحال أو الاستقبال فاضافته لفظية و إن قصد به المضى أو الدوام كما هو شأن أوصاف الله تعالى فاضافته حقيقية والتعويل على القرائن . واختلف فى أى القراءتين أبلغ ، فقيل ملك أعم وأبلغ من مالك إذ كل ملك مالك ولا عكس ولأن أمر الملك نافذ على المالك فى ملكه حتى لايتصرف المالك إلا عن تدبير الملك ، وقيل مالك أبلغ لمافيه من زيادة البناء فتدل على كثرة الثواب (قوله إياك نعبد) إياك مفعول مقدم لنعبد قدم لافادة الحصر والاختصاص و إياك نستعين معطوف على إياك نعبد أى لانعبد إلا إياك ولانستعين إلا بك لأنك الحقيق بتلك الصفات العظام ، والمعنى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة فهذا ترق من البرهان إلى العيان والغيبة إلى الحضور فهو تعليم من الله تعالى لعباده كيفية الترقى فان العبد إذا ذكر الحقيق بالحمد وهو رب الأرباب عن قلب حاضر يجد ذلك العبد من نفسه محركا للاقبال عليه وكلما أجرى على قلبه ولسانه صفة من تلك الصفات العظام قوى ذلك المحرك إلى أن يئول ذلك الأمر لخاتمة تلك الصفات ، فحينئذ يوجب ذلك المحرك لتناهيه فى القوة إقبال ذلك العبد على ربه وخالقه المتصف بتلك الصفات ، فانتقل من الغيبة لخطابه والتلذذ بمناجاته فأول الكلام مبنى على ماهو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى أسمائه العظام والنظر فى آلائه والاستدلال بصنعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم بعد ذلك أتى بمنتهاه وهو الخطاب والحضور المشعر بكونه فى حضرة الشهود ، وإلى هذا المعنى أشار بعض العارفين بقوله :

وهى إرادة الخير لأهله (مَٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) أى الجزاء وهو يوم القيامة وخص بالذكر لأنه لا ملك ظاهراً فيه لأحد إلا له تعالى بدليل : لمن الملك اليوم لله ، ومن قرأ مالك فمعناه مالك الأمر كله فى يوم القيامة أى هو موصوف بذلك دائماً كغافر الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) :

تلك آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

وهو مقام الاحسان المشار له بقوله صلى الله عليه وسلم «الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه» ، واعلم أن إياك واجب الانفصال. واختلف فيه هل هو من قبيل الاسم الظاهر و به قال الزجاج أو هو ضمير وعليه الجمهور. واختلف القائلون بأنه ضمير على أربعة أقوال : أحدها أنه كله ضمير . الثانى إن إيا وحده ضمير ومابعده اسم مضاف إليه يفسر ما يراد به من تكلم وغيبة وخطاب . الثالث أن إيا وحده ضمير وما بعده حروف تفسر ما يراد منه وهو المشهور . الرابع أن إيا عماد وما بعده الضمير والضمير المستكن فى نعبد ونستعين للقارىء ومن معه من الحفظة وحاضرى صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته فى عباداتهم وخلط حاجته بحاجاتهم لعل عبادته تقبل ببركة عباداتهم وحاجته يجاب إليها ببركة حاجاتهم ومن هنا شرعت الجماعة فى الصلوات قال تعالى ـ وتعاونوا على البر والتقوى ـ وقال صلى الله عليه وسلم «يد الله مع الجماعة» (قوله و إياك نستعين) كرر الضمير للدلالة على تخصيصه تعالى بكل من العبادة والاستعانة والتلذذ بالمناجاة والخطاب وقدم العبادة على الاستعانة لأنها وصلة لطلب الحاجة فاذا أفرد العبد ربه بالعبادة أعانه وحذف المعمول من كل ليؤذن بالعموم فيتناول كل معبوديه وكل مستعان عليه وأصل نستعين نستعون استثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى الساكن قبلها فسكنت الواو بعد النقل وانكسر ماقبلها فقلبت والقراءة السبعية بفتح النون وقرىء شذوذا نستعين بكسر حرف المضارعة وهى لغة مطردة فى حروف المضارعة بشرط أن لا يكون مابعد حرفه

المضارعة مضموما فإن ضم كتقوم امتنع كسر حرف المضارعة لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم و بشرط أن يكون المضارع من ماض مكسور العين نحو علم أو فى أوله همزة وصل نحو استعان أو تاء مطاوعة نحو تعلم (قوله من توحيد الخ) بيان للعبادة وهو إشارة إلى العبادات الأصلية الاعتقادية وقوله وغيره إشارة إلى العبادات العملية من صلاة وصوم وزكاة ونحو ذلك (قوله و بطلب المعونة) بالباء عطف على بالعباد ولا يجوز أن يكون بالنون عطفا على نخصك لخروجه عن إفادة التخصيص (قوله وغيرها) أى من مهمات الدنيا والآخرة (قوله اهدنا) أى زدنا هداية وأدمنا عليها والهداية تطلق على الدلالة والتبيين (إن لم يحصل وصول نحو : وأما ثمود فهديناهم : أى بينا لهم وتطلق عليهما مع الوصول للخير وهو المراد هنا ، ومادة الهداية تتعدى لمفعولين الأول بنفسها والثانى إما كذلك كما هنا وإما باللام أو إلى قال تعالى - يهدى للتى هى أقوم،و إنك لتهدى إلى صراط مستقيم - (قوله الصراط) هو فى الأصل الطريق الحسى ، والمراد به هنا دين الاسلام ففيه استعارة تصريحية أصلية حيث شبه دين الاسلام بالطريق الحسى بجامع أن كلا موصل للمقصود واستعير اسم المشبه به للمشبه وأصل صراط بالصاد سراط بالسين و بها قرأ قنبل حيث ورد أبدلت صادا لأجل حرف الاستعلاء وقد تشم الصاد زايا و به قرأ خلف وكلها سبعى لكن لم ترسم فى المصحف إلا بالصاد والصراط يذكر و يؤنث ، فالتذكير لغة تميم والتأنيث لغة الحجاز وجمعه صرط ككتاب وكتب (قوله المستقيم) اسم فاعل من استقام : أى استوى من غير اعوجاج وأصله مستقوم أعل كاعلال نستعين (قوله و يبدل منه) أى بدل كل من كل أتى به زيادة فى مدح الصراط (قوله الذين أنعمت عليهم) الإنعام إيصال الاحسان إلى الغير بشرط أن يكون ذلك الغير من العقلاء فلا يقال أنعم فلان على فرسه ولا حماره (قوله بالهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالمنعم عليهم المؤمنون وهو أحد أقوال المفسرين ، وقيل هم المذكورون فى قوله تعالى - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين - وقيل هم الأنبياء خاصة ، وقيل المراد بهم أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ وحذف متعلق أنعمت ليؤذن بالعموم فيشمل كل نعمة ونعم الله تعالى لاتحصى باعتبار أفرادها قال تعالى - و إن تعدوا نعمة الله لاتحصوها - وأما باعتبار جملتها

أى نخصك بالعبادة من توحيد وغيره و بطلب المعونة على العبادة وغيرها (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أى أرشدنا إليه ، ويبدل منه (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) بالهداية ، ويبدل من الذين بصلته (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) ،

وهم فتحصى لأنها قسمان دنيوية وأخروية . والأول إما وهبى أو كسبى ، والوهبى إما روحانى كنفخ الروح والتزيين بالعقل والفهم والفكر والنطق أو جسمانى كتخلق البدن والقوى الحالة فيه والصحة وكمال الأعضاء والكسبى كتزكية النفس وتخليتها عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والفضائل . والثانى وهو الأخروى أنه يغفر ما فرط منه وينزله أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين ودهر الداهرين (قوله عليهم) لفظ عليهم الأول فى محل نصب على المفعولية والثانى فى محل رفع نائب المغضوب وفيه عشر لغات ست مرويات عن القراء الثلاثة الأول منها سبعيات وهى كسر الهاء وضمها مع إسكان الميم فيهما وكسر الهاء وضم الميم بواو بعد الضمة وكسر الهاء والميم بياء بعد الكسرة للاشباع وضم الهاء والميم بواو بعد الضمة و بدونها وأربع لم يقرأ بها وهى ضم الهاء مع كسر الميم و إدخال ياء بعدها وضم الهاء وكسر الميم من غير ياء وكسر الهاء مع ضم الميم وكسر الهاء والميم من غير ياء (قوله و يبدل من الذين بصلته) أى بدل كل من كل ولايضر إبدال النكرة من المعرفة ، وقيل نعت للذين . واستشكل بأنه يلزم نعت المعرفة بالنكرة وهو لايصح لأن غير متوغلة فى الابهام لاتتعرف بالاضافة كمثل وشبه وشبيه . وأجيب بجوابين : الأول أن غير إنما تكون نكرة إذا لم تقع بين ضدين فأما إذا وقعت بين ضدين فتتعرف حينئذ بالاضافة تقول عليك بالحركة غير السكون والآية من هذا القبيل . والثانى أن الموصول أشبه النكرات فى الابهام الذى فيه فعومل معاملة النكرات،وغير من الألفاظ الملازمة للاضافة لفظا أو تقديرا فادخال أل عليها خطأ وقد يستثنى بها حملا على إلا كما يوصف بالا حملا عليها (قوله غير المغضوب) بكسر الراء بدل كما قال المفسر أو نعت وتقدم مافيه وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا بالنصب على الحال أو الاستثناء،والغضب ثوران دم القلب لارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه»،فاذا وصف به الله تعالى فالمراد به الانتقام أو إرادة الانتقام فهو صفة فعل

أو صفة ثالث و بنى الغضب للمجهول ولم يقل غير الذين غضبت عليهم تعليما لعباده الأدب حيث أسند الخير لنفسه وأبهم فى الشر نظير قوله تعالى : فأردت أن أعيبها . فأراد ربك أن يبلغا أشدهما . و إذا مرضت فهو يشفين (قوله وهم اليهود) أى لقوله تعالى فيهم : من لعنه الله وغضب عليه الآية والحديث « إنّ المغضوب عليهم هم اليهود و إنّ الضالين النصارى » (قوله وغير الضالين) أشار بذلك إلى أن لا بمعنى غير فهى صفة ظهر إعرابها فيما بعدها و يؤيدها قراءة عمر بن الخطاب وأبىّ بن كعب وغير الضالين بدل لا وأتى بلا ثانيا لتأكيد معنى النفى المفهوم من غير ولئلا يتوهم عطف الضالين على غير فيكون من وصف الذين أنعمت عليهم ، والضلال يطلق على الخفاء والغيبة ومنه قولهم : ضلّ الماء فى اللبن والهلاك ومنه قوله تعالى : أئذا ضللنا فى الأرض ، والنسيان ومنه قوله تعالى : أن تضلّ إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ، والعدول عن الطريق المستقيم وهو المراد هنا وفى الضالين مدّان مد لازم على الألف بعد الضاد وقبل اللام المشددة وعارض على الياء قبل النون للوقف (قوله وهم النصارى) أى لقوله تعالى . وأضلوا كثيرا . وضلوا عن سواء السبيل (قوله إفادة أن المهتدين) أى المذكورين بقوله : الذين أنعمت عليهم فمصدوق الذين أنعمت عليهم هو مصدوق غير المغضوب عليهم وغير الضالين فمصدوق العبارات الثلاث هم المؤمنون لكن استشكل بأن تفسير الذين أنعمت عليهم بالفرق الأربعة المذكورة فى سورة النساء لا يشمل بقية المؤمنين وتفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى لا يشمل بقية طوائف الكفار فمقتضى ذلك أن بقية المؤمنين ليسوا ممن أنعم الله عليهم وسائر طوائف الكفار خارجون من وصف الغضب والضلال فالمبدل منه يخرجهم والبدل يدخلهم فى المبدل منه والمخلص من هذا الاشكال أن يفسر المنعم عليهم بجميع المؤمنين كما درج عليه المفسر فى قوله أنعمت عليهم بالهداية

وهم اليهود (وَلا) وغير (الضَّالِّينَ) وهم النصارى ، ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى ، والله أعلم بالصواب ، و إليه المرجع والمآب .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

و يراد من المغضوب عليهم والضالين عموم الكفار اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. إن قلت ما فائدة الاتيان بغير المغضوب عليهم الخ بعد قوله الذين أنعمت عليهم ؟ . أجيب بأن الايمان إنما يكمل بالرجاء والخوف فقوله : الذين أنعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله : غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل فيتقوى الايمان بالرجاء والخوف .

فائدة — لفظ آمين ليس من الفاتحة بل ولا من القرآن قطعا بل يسنّ الاتيان بها لقارىء الفاتحة مفصولة منها بسكتة ليتميز ما هو قرآن عما ليس بقرآن ولكل داع وهى اسم فعل على الصحيح بمعنى استجب مبنى على الفتح و يجوز فيه مدّ الهمزة وقصرها . وقيل هى اسم من أسماء الله تعالى والتقدير يا آمين ، وردّ بوجهين : الأول أنه لوكان كذلك لكان ينبغى أن يبنى على الضم لأنه منادى مفرد معرفة . الثانى أن أسماء الله تعالى توقيفية وهو من خصوصيات هذه الأمة لم يعط لأحد قبلهم إلا ما كان من موسى وهارون لما ورد فى الحديث « إنّ الله أعطى أمتى ثلاثا لم تعط أحدا قبلهم : السلام وهو تحية أهل الجنة وصفوف الملائكة وآمين إلا ما كان من موسى وهرون» ومعناه أن موسى دعا على فرعون وأمن هرون فقال الله تعالى عند ماذكر دعاء موسى : قد أجيبت دعوتكما ولم يذكر مقالة هرون فسماه داعيا . وقال علىّ رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم بها دعاء عباده ، وفى الخبر « إن آمين كالطابع الذى يطبع به على الكتاب » وفى حديث آخر « آمين درجة فى الجنة » قال أبو بكر : إنه حرف يكتب به لقائله درجة فى الجنة . وقال وهب بن منبه : آمين أربعة أحرف يخلق الله من كل حرف ملكا يقول اللهم اغفر لكل من قال آمين » (قوله والله أعلم بالصواب الخ) هذه العبارة من وضع تلامذة المحلى لما عرفت أنه قد شرع فى تفسير النصف الأول فكمل الفاتحة وارتحل إلى رضوان الله تعالى ، فيبعد أن يأتى بعبارة تشعر بالانتهاء والصواب ضد الخطأ والمرجع الرجوع والمآب مرادف وقوله وحسبنا الله أى كافينا وقوله نعم الوكيل أى المفوض إليه الأمر .

خاتمة نسأل الله حسنها

فى آداب تتعلق بالقرآن

منها أن لايمسه إلا طاهرا قال تعالى : لايمسه إلا المطهرون ، ومنها أن التالى يتطيب له و يستاك لقول يزيد بن أبى مالك : إن أفواهكم من طرق القرآن فطهروها ونظفوها مااستطعتم ، ومنها أن يستوى له قاعدا ولا يكون متكئا ، ومنها أن يلبس ثياب التجمل كما يلبسها للدخول على الملوك لأنه مناج ربه ، ومنها أن يستقبل القبلة لأنها أشرف المجالس ، ومنها أنه إذا تثاءب يمسك عن القراءة حتى يذهب تثاؤبه لأنه من الشيطان ، ومنها أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم عند ابتداء القراءة و إن لم يكن فى أول سورة و يبسمل إن كان فى أول سورة و إلا فيخير ، ومنها أنه إذا أخذ فى القراءة لم يقطعها لمكالمة أحد من غير ضرورة ، ومنها أن يقرأه على تؤدة وترتيل وتدبر حتى يعقل مايخاطبه به ربه فيرغب فى الوعد و يخاف عند الوعيد ، ومنها أنه إذا انتهت قراءته يقول صدق الله العظيم و بلغ رسوله الكريم وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومنها أن يقرأ القرآن على الترتيب ولاينكس ، ومنها أن يضع المصحف على مكان طاهر مرتفع أوفى حجره ، ومنها أن لايمحو القرآن من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء و يشرب الغسالة بقصد الاستشفاء أو يدفنها فى مكان طاهر بعيد عن ممر الأقدام ، ومنها أن لايتخذ الصحيفة[1] إذا بليت بل يمحوها بالماء و يفعل بها ماتقدم ، ومنها أن يعطى عينيه حقهما من النظر فى المصحف ففى الحديث قال صلى الله عليه وسلم « أعطوا أعينكم حظها من العبادة قالوا يارسول الله وماحظها من العبادة ؟ قال النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن نظرا » ، ومنها أن لايتأول القرآن بشىء من أمور الدنيا يعرض له كقول الرجل إذا جاءه أحد : جئت على قدر ياموسى وكقوله لضيوفه مثلا : كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية ، ومنها أن لايقرأ القرآن بألحان الغناء كلحون أهل الفسق ، ومنها أن يجوّد خطه إذا كتبه ، ومنها أن لايقرأ فى الأسواق أو فى مواطن اللغط ومجمع السفهاء والتعرّض بتلاوته لسؤال الخلق ومنها أن لايصغر المصحف فانه ورد النهى عن تصغير المسجد والمصحف ، ومنها أن لا يكتب على الأرض ولاعلى حائط كما يفعل فى المساجد ففى الحديث « مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب فى أرض فقال لشاب من هذيل ماهذا ؟ قال من كتاب الله كتبه يهودى فقال لعن الله من فعل هذا لاتضعوا كتاب الله إلاموضعه » ، ورأى عمر بن عبد العزيز ولده يكتب القرآن على حائط فضربه ، ومنها أن يفتتحه كلما ختمه حتى لايكون كهيئة المهجور فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ختم القرآن يقرأ من أوّله قدر خمس آيات . وقال صلى الله عليه وسلم لرجل سأله عن أفضل العمل فقال عليك بالحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب فى أوله كلما حلّ ارتحل ، ومنها إذا ختم القرآن أن يجمع أهله و يدعو بخير الدارين كما كان السلف الصالح يفعلونه لإجابة الدعاء عند ختمه كما هومذكور فى الأحاديث الصحيحة ، ومنها إذا كتبه وشربه ينوى به الشفاء من كل داء و بلوغ الآمال من كل خير فان الله يؤتيه على قدر نيته ، ومنها إذا كتبه حرزا فليجعله فى غمد يحفظه من كل أذى كجلد محيط به ونحوه اه ملخصا من القرطبى .

وهذا آخر ماقدر الله تعالى من هذا التعليق الشريف ، ولم يكن فى ظنى أن يجىء على هذا المنوال المنيف لقصور باعى وفتور همتى وضعف ذهنى ، ولكن فضل الله تعالى حصل بواسطة نور الظلام حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأشياخنا الكرام ، فجاء ذلك التعليق متضمنا مافى أصله وفائقا ، صغير الحجم سهل الألفاظ رائقا ، كافيا للمقتصر عليه شافيا للناظر فيه بعين الرضا وافيا بالمطالب كلها معقولا ومنقولا شريعة وطريقة وحقيقة ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد المخلوقات ، وعلى آله وأصحابه السادات ، وعلى أشياخنا ولا سيما أبو البركات .

تمّ بحمد الله تعالى وعونه يوم الثلاثاء المبارك لأربع بقين من شهر ربيع الثانى سنة ثمان وعشرين بعد المائتين والألف من هجرته عليه الصلاة والسلام .

---

(١) قوله : ومنها أن لايتخذ الصحيفة الخ عبارة العلامة الجمل : أن لايتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب فان ذلك جفاء ولكن يمحوها بالماء اه .

فهرس

الجزء الرابع

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين